رفع
المسهم
غفر الله له ولوالديه

الروض الأنف

في شرح السيرة النبوية لابن هشام

ومعه

السيرة النبوية للإمام ابن هشام

المتوفى ٢١٨ هـ

الناشر
رضا توفيق عفيفي

رفع
المسهم
غفر الله له ولوالديه

الروض الأنف

في شرح السيرة النبوية لابن هشام

الجزء الأول

رفع
المسهم
غفر الله له ولوالديه

[illegible]

[illegible]

رفع
المسهم
غفر الله له ولوالديه

الروض الأنف

في شرح السيرة النبوية لابن هشام

للإمام المحدث عبد الرحمن السهيلي

٥٠٨ – ٥٨١ هـ

ومعه

السيرة النبوية للإمام ابن هشام

المتوفى ٢١٨ هـ

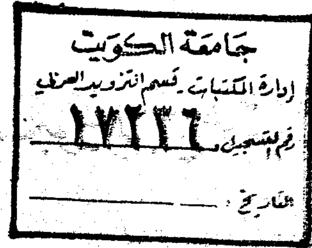
تحقيق وتعليق وشرح

عبد الرحمن الوكيل

يطلب من

دار الكتب الإسلامية لصاحبها توفيق عفيفي عامر

١٤ شارع الجمهورية بعابدين – ت ٩١٦١٠٧



حقوق الطبع محفوظة للناشر

الطبعة الأولى

١٣٨٧ هـ — ١٩٦٧ م

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين .

والصلاة والسلام على خاتم النبيين .

أما بعد : فحينما عُهد إلىّ بهذا الكتاب « كتاب الروض الأنف » لتحقيقه توجهت إلى الله بالضراعة أن يهدى فكرى إلى الحق الجليل ، والصدق النبيل ، والصواب الجميل ، وأن يلهمنى البيان الذى يرف بوضاءة الحق ، وإشراق الجمال ، وأن يجعل من عملى فى الكتاب صالحة أبلغ بها من رضوانه رزقاً كريماً به تنعم الروح ، وتهنأ النفس ، وتجمل الحياة فى الأولى والآخرة .

ليس تحقيق هذا الكتاب بالعمل الهين ، فهو عن النبي العظيم الذى به خُتمت النبوات ، والإنسان الذى أشرقت الإنسانية فيه بكمالها الأعظم ، والذى يعتبر تاريخه بعد الوحى هو تاريخ التطبيق الحق لما جاء به القرآن ، كما قالت أم المؤمنين عائشة — رضى الله عنها — حين سُئلت عن خُلُق النبى ، فقالت :

« كان خلقه القرآن »

ثم هو من تأليف إمام أندلسى كبير ذهبت آراؤه — فى دين كثير من الناس — مذهب الحجة الناصعة التى لا يجوز أن تُتلقى إلا بالإذعان ، ومذهب البرهان الذى يشع منه فَلَقُ الصبح الوضىء .

رفع
المسهم
غفر الله له ولوالديه

إمامٍ بسط سلطانه القوى على الكثير من أئمة الدين فى عصره وبعد عصره ـ لما ذهب إليه فى كتابه « الروض الأنف » ـ الْهَيْمَنَةَ على من قاموا بشرح السيرة ، أو الحديث عنها بعده ؛ لأنه احتشد لهذا الكتاب بكل ما كان عليه من علم وذكاء ومعرفة وريغة ، فأودعه كل هذا ، فكان أشبه « بدائرة معارف » فى السيرة والتاريخ والحديث والفقه والنحو واللغة .

والكتابُ شرح لسيرة « ابن هشام » وحسبنا أن نذكر هذا ؛ فسيرة ابن هشام أجلُّ من أن تُعَرَّف ، فلمؤلفها ـ أو لمهذبها ـ المكانة الممتازة التى تتألق على ذرا التاريخ بآياتها الباهرة .

وأنت فى هذا الكتاب تجد نفسك بين عاطفة تتوهج بالأشواق ، وعقل يرصُدُ أفق الحقيقة ، عاطفةٍ قد لا يُندى ظمأها إلا تهويلات الخرافات ، وتهويمات الأساطير ، وعقلٍ يستشرف الحق عُلوِىَّ السلطان ، وقد جعله الإيمان ذا رغبة فى أن يكون هذا الحق فى وضوحه جمالَ صبحٍ ناضرٍ ، وألقَ نورٍ زكى باهر .

ثم أنت أيضاً قبل هذا تحت سلطان عقيدةٍ هى المثل الأعلى للحق فى صفائه وجماله وجلاله . عقيدةٍ لا يلمح أحد فى حقائقها الإلهية أثارةً ما من خيالٍ يفتنه بسحره وشعره ، وإنما يرى نورا وحياة بهما يكون النور ، وتكون الحياة لكل مسلم ، لأن هذه العقيدة حق من حكيم حميد .

ثم أنت ـ أيضاً ـ أمام نصوص انتقلت إلينا عبر قرون . والأمانةُ تفرض علينا أن نبقيها كما هى ، لنعرف الحقيقة غير مشوبة بشىء . فهذا هو الواجب فى تحقيق التراث ، فلا ينزع بنا الهوى إلى تحريفٍ أو تبديل ، فنعيد مأساة التراث حين استخفتْ به اللعنة اليهودية ، فغيرت معالمه ، وأحالته أمشاجا

من الحق والباطل ، ومن الإيمان والكفر ، ومن وحى الرحمن ، ووسوسة الشيطان ، ثم أظهرته فى عماية التاريخ تزعم أنه مُطَيَّب بروح السماء . وإذا كان هذا هو المفروض علينا حيال أى تراث ، فما بالنا ونحن مع تراث يقص سيرة النبوة الخاتمة ، سيرة الإنسانية الكاملة ، وهى تسلك السبيل الأقوم على نور الوحى وهدايته ، سيرة محمد — صلى الله عليه وسلم — وهو يطبق القرآن أول تطبيق وأعظم تطبيق ليكون للبشرية المؤمنة شرعاً ومنهاجاً ، يطبقه فى اعتقاده وعبادته وخلقه ، وسلوكه فى الحياة . كل هذا فى أصدق إيمان ، وأشرف إرادة ، وأقدس غاية ونية ، فكانت سنته — عليه الصلاة والسلام — الآية على السلوك الذى به تهتدى وتشرف الحياة ، وتضىء بأعظم القيم .

وكانت سيرته السيرة التى تجذب إليها بالحب الصدوق ، والإعجاب الودود كل مشاعر النفس ونوازع الحس ، وتفرض بالحب على الفكر الحر الذى لم تُزغه حمية جاهلية ، أو ضلالة صليبية أن يسجد خاشعاً لله الذى خلق هذا الإنسان ، واصطفاه خاتماً للنبيين .

فإذا وجدنا نصوص التراث آيات حقّ أحببنا التراث وأكبرناه ، وإذا لم نجده كذلك فماذا نفعل ؟ هذا بعض ما يُعرض من قضايا أمام العقل والقلب ، ولقد استهديت — للفصل فيها فصلا قويماً — بهدى القرآن ، فإننا نراه يقص علينا مفتريات عبَدة الهوى والإثم . ثم يكر عليها بالحجة التى تزهق الباطل؛ لهذا تركت النص كما هو فى شعور جعلنى أومن أننى لو نلت منه — حين يصدم ما أدين به — فإنى أنال من قدسية الحقيقة . هذا والإنسان الذى يكتب عن الرسول — صلى الله عليه وسلم — يخشى على نفسه أن تجمح به عاطفة مشبوبة أو مجنونة تسحرها خلابةُ التصورات التى يفتتن بها الهوى عبيده ، أو يخشى عليها من شطط الفكر المغرور بنفسه ، فإن استبدّت تلك العاطفة بزمامه استهواه

الشيطان واستغواه ، واستزله إلى عبادة وهم أسطوري سِحرِيّ الأصباغ والألوان يسميه له محمدا ! ! واصفا إيّاه له بما لِلّه وحده من صفات كما صنع الصوفيون الإشراقيون أمثال السهروردي المقتول ، والحلاج وابن عربي والجيلي وابن سبعين والصدر القونوى ، وغيرهم ممن حكموا على محمد أنه هو الله ذاتا وصفة وربوبية وألوهية ، أنه هو الحق والخالق ، والرب والعبد ، أنه هو الوجه الإنسانى للحقيقة الإلٰهية ، أو أنه المظهر البشرى لماهية الربوبية ، أو أنه حقيقة الوجود المطلق فى إطلاقه وعمائه وتَجَلِّياته وتَعَيُّنَاته وسرمديته وديموميته . وقد لا يستزله الشيطان إلى أعماق هذه الهاوية ، وهو يكتب عن النبى — صلى الله عليه وسلم — فيحمله على أن يؤكد بألفاظه أنه يدين بالفصل بين الوجودات ، فيدين بوجود حق ، ويدين بوجود خالق . بوجود رب ، ووجود عبد ، ولكنه يضيف إلى هذا الذى تسميه عبدا أسماء وأفعالا تجعلك ترى ربا لا عبدا ، وخالقا لا خلقا . إنه يزعم أن الله صرّف محمدا ، أو غيره فى شئون خلقه ، ووهب له تدبير شئون الملك والملكوت ، والجبر والجبروت ! ! هذا الإنسان الذى يكتب هذا أو يتصوره إما خادع بنفاق ، وإما مخدوع بنفاق ! ! لقد فصل لغويا بين لفظين هما : رب وعبد ، وبين اسمين هما : الله ومحمد ، وظن أنه بهذا الفصل اللغوى قد نجا مع الإيمان من الكفر ، ومع التوحيد من الشرك . غير أنك حين تبتلى ما يعتقده فى محمد وما يكتبه عن محمد عبدا ورسولا ، تجده يسوى فى اعتقاده تسوية تامة بين محمد وبين الله . لقد خدعه الشيطان عن قتلته ، فظن أنه أحياه ، ورشف من يديه كأس السعادة والخلود ! ! إن مصيره مع نفس تلك المصائر التى تردّى فيها كهنته من قبلُ كابن عربى وتلاميذه .

إنك حين تقرأ لابن عربى فصوص الحكم ، ولعبد الكريم الجيلى كتابه الموسوم بالإنسان الكامل ولابن الفارض تائيته الكبرى التى تدنو من

سبعمائة بيت ، ستجد نعيق الحقد ، ونعيب الوثنية ، مُصَوَّرَيْن نغمات محبة ، وتسبيحات توحيد ، وحفيف أجنحة الملائكة فى فجر المحاريب .

ستجد الزعم بأن فرعون هو الله حِكمة وحُكماً، وَقهراً وملكا ، وبأن الشيطان هو أصل من أصول الحقيقة المحمدية ، وبأن أولئك الغوانى اللاتى سِرْن فى التاريخ غَزَلَ فتنة ، ونسيب صَبَوَات لم يَكُنَّ سوى الله فى أجمل مظاهره ! !

كان قيس هو الله فى مظهر ذكورة ، وكانت ليلى هى الله فى مظهر أنوثة . كان كل شىء هو حقيقة الله التى تتجلى فى صور شتى ، شيخ عابد ، وعربيد جاحد ، وملك كريم ، و شيطان رجيم . فالحقيقة الإلهية تجمع فى كُنهها بين النقيضين وبين الضدين ، وبهذا تنعدم التفرقة بين الحقائق المتباينة ، أو تلتقى المتناقضات كلها فى حقيقة سموها : الحقيقة الإلهية ، أو الحقيقة المحمدية التى هى حقيقة الوجود ، وحقيقة العدم ، الوجود المطلق ، والوجود المتعين ، الخير والشر ، الإيمان والكفر ، الحق والباطل ، الصدق والكذب ، وفى التعين البشرى هى : نوح ويغوث ، وهى موسى وفرعون ، وهى أبو بكر وأبو جهل !!

بين هذه الفهوم تناوحت صور الحقيقة المحمدية ، أو صورة الوهم الذى افتروا له اسم محمد ، وبهذا النباح تجاوبت الكلاب الشاردة ، لعلها تطغى به على النغمة العلوية التى تمجد محمدا ، وهو على قمة البشرية ، يشع بأنوار النبوة الخاتمة .

إن هؤلاء وأولئك عَبَدُ شياطين تَنَزَّت بهم أحقادهم ، فإذا هى تدق بهم كل باب من أبوب جهنم .

وإن استبَدَّت بالكاتب عبادتُه لعقله فى قصوره وتقصيره تردَّت به فى

رفع
المسهم
عز الله الرحمن

هوة سحيقة ، وهو يحسب أنه يرقى معارج السماء ! .

إنه نزّاع إلى إخضاع كل شىء فى وضح الشهود ، أو فى سرائر الغيب لمقاييسه العقلية ، أو — بتعبير أدق — لهواه يَعْبَق بالفتنة الْخَلوُب ، فالخير هو ما يرى ، أو ما يشعر أنه خير ، وكذلك الشر ، وكذلك الحق والباطل ، وإن يَكُ كُلُّ ذلك فى مقياس الحقيقة مناقضاً لرؤيته ووجدانه .

مثل هذا الْمُتْرَفِ بعبادة العقل ، أو المسرف فى الجحود ينظر إلى محمد ، وكأنما هو بشر بلا نبوة ، أو آدمى هواه يقود نوازع حِسّه ، ويبطش بعواطف نفسه ، وبهذه النظرة يرى فى محمد ما يرى الكفر فى الإيمان ، وما يرى الخبث فى الطيب ، وما يرى الحقد فى النعم المتلألئة الوسامة ، الناضرة الجمال .

ويقول عنه عين ما تقول العدلوة فى جهالتها وحماقتها وضلالتها المركومة ، ويسخر فى أعماقه التى تفح فيها أفاعية من قولنا : صلى الله عليه وسلم .

ونحن المسلمين نعوذ بالله من هؤلاء الذين أسرفوا فى التجريد والجحود والحُقود ، ومن أولئك الذين أسرفوا فى العشق ، وعاشوا أنضاءه ، فرأوا الوجود كله أنوثة تلفح بالحرمان والصدود ، حين استبد بهم غرام جسدى لم يبرد لهم أوَاما ، ولم يُنْد منهم غليلا . ولم يَقِرَّ بهم فى سكن .

فكان هذا التصور لمحمد ، وكان هذا التصوير منهم للحقيقة .

إن الكتابة عن الرسول — صلى الله عليه وسلم — تفرض علينا أن نكون على بينة من الكتاب والسنة ، وأن نجعل ما نقول حليفاً للحق ، ووليًا للصدق ، وكذلك يفرض على كُلٍّ من يتصدى لتحقيق كتاب عن خاتم النبيين .

ومن هنا تتجلى لنا خطورة الأمر وجلالته ! فقد خلف لنا أسلافنا تراثاً

رفع المسيّهم

مكتوباً عن النبي ، لا يوجد مثيله فى أمة من الأمم كتبت تاريخ زعيم ، أو قائد أو بطل ، أو نبي هو منها فى مكانة الشمس من الكون ، وفى الكثير مما خلف لنا الأسلاف من تراث مكتوب عن النبي لا نلمح فيه شُعَاعَةَ حَقٍّ إلا كما نلمح ومْضَةَ البرق فى الليلة الداجية زكمت آفاقها الظلمات ، فلقد خيل إلى أصحاب هذا التراث أن الكذبَ آية حب ، وأن محمداً لا يكون عظيما إلا بما افترت الصليبية ليسوع ، فصوروا رسول الله فى صورة بشر تستكِنُّ فى أعماقه ربوبية قهارة خلاقة ، تهيمن على مصائر الوجود ، وأقدار كائناته ، وتجمع بين أزل الوجود ، وأبده فى معرفة لا يخفى عليها شىء ! ! وافتروا قصصا ، وأحاديث هى نفثاتُ يهودية ، ومفترياتُ وثنيــة ، وضلالات صليبية ، ورددت أفواهٌ وَألْسُنٌ فى عديد من قرون التاريخ هذه القصص والأحاديث ، وتلقفت الأجيال ــ خلفُها عن سالفِها ــ كلَّ ذلك ، وقد صنع التاريخُ الكذوبُ لمن افتروا هذه الأكاذيب ، أو لمن رددوها عن بلاهةٍ عروشا تسجد تحتها أفكارُ أجيالٍ وأجيال، وتهطع فى قنوت يأخذمنها كل العمر، فتسخر لتمجيد تلك الأكاذيب كلَّ فكر ولسان وقلم ، فصار قرينا للمستحيل أن يفكر امرؤٌ فى نقد شىء من تراث أولئك الأسلاف بشروح هؤلاء الأخلاف ، وصارت هذه الترهات التى يمجها حتى الباطل لعوارها ــ تختال وكأنها دررُ حقائق تتلألأ بنور الوحى ، بل صارت، وهى أحب مايعشق الناس مما كتب عن الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ وصارت مكانة أربابها كالزجر القاصف ، والردع العاصف لمن يهم بالمس بكلمة حق ينقد بها تلك الضلالات. والمسلم الذى يحاول أن يجلو للناس سيرة النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ على نورٍ من القرآن وهدى من الأحاديث الصحيحة . تجده وقد تفجرت فى وجهه حُمَمٌ ، ودوَّت فى سمعه رعود ، وألوفُ الألسنة تبهتُه بالسوء، وهى التى لم تَطِب لحظة بذكر الحق . إن الباطل الذى سخَّر هذه الألسنة ، وزكم بطون أربابها بسحته لا يحب أن يعرف الناس أنه باطل ،

رفع المسلم

لأنه ـ بما هو عليه ـ فى عقول عبيدى الخرافة يعيش مسجوداً له ، معبوداً تساق إليه حُمْرُ النَّعمَ ، وتحتشد الدنيا فى باحاته وساحاته بكل تَرَفِها وزينتها وفسوقها وشهواتها ! ! .

إنهم يريدون منه أن يقول ماقال الإشراقيون من الصوفية عن محمدهم الموهوم : إن محمداً هو الأول والآخر ، والظاهر والباطن . أن يقول عنه مايقول نعقة « الموالد » ونبحة المناوى ! ! « لولاه ما كان ملك الله منتظما » ! ! .

أو ماقاله الوضاع الأفاك الذى افترى أن الله قال لمحمد : « لولاك ماخلقت الأفلاك » .

أو ما قاله البوصيرى :

فإن من جودك الدنيا وضرتها

ومن علومك علمَ اللوح والقلم

وإذا كانت الدنيا والآخرة بعضَ كرمِ الرسول ، فماذا بقى لله ؟ وإذا كان علم اللوح والقلم بعض علم محمد ، فماذا بقى لله ؟ .

يريدون منه أن يؤمن ، وأن يحمل الناس على الإيمان بأن محمداً حى فى قبره لم يمت ، وأن أعمالنا عليه تعرض ، يريدون منه أن يعتقد بلا وهم ريبة فى أن قبر محمد خير وأفضل من عرش الله . والذين يريدون حمْلَه على هذا لايعرفون عما جاء به محمد شيئا . مدى معرفتهم أنه خُلق من نور ، وأن المصحف لا يجوز أن يمس على غير طهارة ! ! أما عن نبوة محمد ، أما ماذا فى المصحف من هدى ؟ أما هذا النور والحق والحياة فهم عنه عمون ! !

رفع المسهم

بل إنهم فى كثير مما تعرفة الحياة عنهم لايذكرون محمداً إلا حين يرون عرائس «المولد» ، وثمت ترى على الشفاه غَمْغَمَةً وهَمْهَمَةً ! !

وقد يُخَيَّل إليك أن هذه صلوات وسجدات ، وماهى إلا نفثات من حمم شهوات ! ! . فماذا نفعل ، لنكتب الحق ؟ .

أنجبن عن المتاف الروحى الجيل بالحقيقة خشية هؤلاء المنذرين بالوعيد الكنود ، والفتنة الحقود ؟ .

أنُدْهِن كما يُدهنون مخافة أن يُعَرْبِدعلينا الباطل ببهتانه وعدوانه ، أو يقترف ضدَّنا المكرَ السيء ؟ !.

إن إيماننا بالله ، وبرسوله — صلى الله عليه وسلم — لأكرم وأعز من أن نُذِلَّه لدعاة الإفكِ ، وكَهَنة الزور ، أو أن نرغمه على الاستخذاء فى سبيل الوصول إلى غرضٍ دونٍ هو : النجاء من سَلاطةِ جاهليةٍ جاحدة ، أو سفاهةٍ وثنيةٍ حاقدة ، وإن الحق الذى يجعل من الحياة شيئاً جميلا وعظيما ، لأسمى من أن نأذن لهذا الركام الأسود من الأساطير أن يزحف على أفق ضياء الحق ، لا لشيء سوى أن نكون مع رَدْغَةِ الأكثرية فى تَلَطُّخٍ نتن ! !

والله يهدينا بقوله : (وما أكثرُ الناس ولو حرَصْتَ بمؤمنين) يوسف:١٠٣ (وإن تُطِعْ أكثرَ مَنْ فى الأرض يُضِلُّوك عن سبيل الله) . الأنعام : ١١٦

ثم إنى أتساءل : هل تحتاج مكانة الرسول — صلى الله عليه وسلم — إلى أن ندعمها بالأكاذيب ، حتى نؤيد أو نردد كل أكذوبة اختلقت ؟

إن الذى يزعم هذا كالذى يزعم أن الحق فى حاجة إلى الباطل ، وأن الصدق

رفع
المسهم

محتاج – فى تأييد الناس له – إلى الكذب ، وأن الإيمان يريد سنداً من الكفر ، وأن الخير فقير إلى الشر ؛ ليهب له فى الحياة مكانته .

إن محمداً — صلى الله عليه وسلم – كالشمس لا تحتاج إلى دليل يثبت أنها بزغت سوى أن تراها وهى بازغة فحسب ، ومكانته أجل من أن نقترف الكذب لنثبت به أنه صدوق . إن نوره يدل عليه ، ويثبت بلا برهان – سوى تألقه وتوهجه – أنه حقا يضىء ، فلننقل عنه ما قاله ربه الذى خلقه فى أحسن تقويم لنقل: إنه ما كان بدعا من الرسل ، وإنه كان بشراً يوحى إليه .

ألا وإن حق القرآن هو الحق الأول ، فهو المهيمن على كل كتاب جاء به البشر ، أو جاء به رسول الله من عند الله ، فلنعتصم به ، ونحن نكتب ، أو ننقد ما كتب ، ليهب الله لنا الفرقان المبين . ولنحذر أن نتهيب اسماً يسحرنا تهيُّبُهُ عن الصواب ، أو نذعن لسلطان ما يخادعنا ؛ ليلوينا عن الحق .

وبهذه الروح أقبلت على تحقيق كتاب «الروض الأُنف»(١) وفى فكرى ، وعلى قلبى حفاظ قوى على النص ، وإن وجدت فيه ما يخالف بعض ما أرى أنه مجانف للحق ، وقد احتشدت لهذا الكتاب بكل ما أملك من جهد ، لا أزعم أنه عظيم ، وإنما أزعم أنه كل ما أملك . وقد لقيت فى سبيل تحقيقه ما لقيت من مشاق لا أمن بها ، وإنما أضرع إلى الله أن يكون لها عند الله حسن المثوبة ؛ فما يكون الثواب إلا على ما يرضيه سبحانه .

---

(١) فى اللسان « روضة أنف : لم يرعها أحد ، أو لم توطأ . وكأس أنف: لم يشرب بها قبل ذلك كأنه استؤنف شربها مثل « روضة أنف » . ويريد السهيلى بهذه التسمية أن يؤكد أن كتابه هذا لم يؤلف أحد مثله من قبل .

رفع المسهم

الروض الأُنف : وكتاب الروض الأُنف — كما ذكر مؤلفه فى مقدمته — هو : « إيضاح ما وقع فى سيرة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - التى سبق إلى تأليفها أبو محمد بن إسحاق المطلبى ، ولخصها عبد الملك بن هشام المعافرى المصرى النسّابة النحوى مما بلغنى علمه ، ويسر لى فهمه من لفظ غريب ، أو إعراب غامض ، أو كلام مستغلق ، أو نسب عويص ، أو موضع فاته التنبيه عليه ، أو خبر ناقص يوجد السبيل إلى تتمته » إلى أن يقول : « تحصل فى هذا الكتاب من فوائد العلوم والآداب وأسماء الرجال والأنساب ومن الفقه الباطن اللباب ، وتعليل النحو ، وصنعة الإعراب ما هو مستخرج من نيف على مائة وعشرين ديوانًا سوى ما أنتجه صدرى » .

وهو جهد بارع صادع بأن الرجل كان إمامًا فى فنون عصره . فهو المحدّث الفقيه النسابة اللغوى النحوى(١) المفسر المؤرخ الآخذ من كل فنون عصره بنصيب وفير . وقد لاءم بين فنون معرفته ، حتى جعل منها وحدة يصدر عنها فى كل ما يكتب ، ومما يزيدنا إعجابا بالرجل أنه فقد بصره ، وأن الكتب كانت فى زمانه مخطوطة ، فمتى طالع كل هذا ؟ وكيف طالعه ؟ وتراثه يشهد له بأنه استوعب كل ما قرأ ، وبدت سعة اطلاعه ، ونفاذ بصيرته وقوة تفكيره فى أكثر ما كتب .

ومما يجعلنا أيضًا شديدى الاحترام للرجل - رغم ما وجدت عنده من خَرفٍ - هذه الحقيقة التى تطالعك فى كتابه : إنها الأمانة الصادقة فى النقل ، وفى نسبة كل شىء

---

(١) انتفع بمادته كثير ممن جاءوا بعده ، ولاسيما ابن القيم فى كتابه بدائع الفوائد . ولكنه كان كما يقول ابن مضاء القرطبى « كان صاحبنا الفقيه أبو القاسم السهيلى - رحمه الله - يولع بعلل النحو الثوانى ويخترعها ويعتقد ذلك كمالا فى الصنعة وبصرا بها » ، ص ١٦٠ كتاب الرد على النحاة .

رفع المسهم

إلى قائله، فلم يأت بزيادة مفتراة، أو يقترف فى نقله نقصا قد يغير من مفهوم القول، وقد راجعت أعظم ما نقل، وقايسته على مصادره، فلم أجد إلا الطهر الأمانة، ونبل الصدق فى كل نقوله، غير أنه كان لا يميل إلى نقد ما ينقل إلا حين كان يجد النص معارضا لما يدين به، لهذا نراه ينقل ما يتفق مع الحق، وما لا يتفق فى بعض أحيانه. ينقل ما يلمع بنور الحقيقة، وينقل ما يكمن فيه خبث الباطل من رأى فطير أو حديث سنده أوهى من بيت العنكبوت، ومعناه كيد دنىء من طاغوت.

عملى فى الكتاب :

طبع هذا الكتاب من أكثر من نصف قرن، وقد بذل المشرف على طبعه كثيراً مما كان يبذل. غير أنه أغفل كثيراً من الأخطاء المطبعية وغيرها، ولم يكتب رقم آية، ولم يخرج حديثاً، ولم يضبط كلمة، ولم يعلق بشىء سوى بضع كلمات، فقمت بما يأتى :

أولها : ضبط مئات الأعلام التى وردت فيه، وقد رجعت فى هذا إلى أهم كتب الأنساب، وإلى اللسان والقاموس كما ضبطت ألوف الكلمات، وقد لقيت فى هذا عنتا كبيراً ومشقة مضنية.

ثانيها : مراجعة نقوله التاريخية واللغوية فى المصادر التى أشار إليها كتاريخ الطبرى ومروج الذهب للمسعودى، وأشرت إلى مكانها من الكتب. أما اللغويات فراجعتها فى اللسان والقاموس ومعجم ابن فارس والاشتقاق لابن دريد ومفردات الراغب والنهاية لابن الأثير وغيرها.

ثالثها : راجعت ما نقله عنه المؤرخون وأصحاب السير للمقارنة بين ما هو فى كتابه، وبين ما نقلوه هم عنه، مثل ابن كثير فى البداية، وابن خلدون

فى تاريخه ، والقسطلانى فى المواهب ، والحلبى فى سيرته ، والحافظ ابن حجر فى الفتح .

رابعها : راجعت وصوّبت الأنساب التى ذكرها فى أهم كتب النسب ، وقد أشرت إليها فى تعليقاتى .

خامسها : راجعت التراجمات التى ذكرها للصحابة فى الإصـــابة لابن حجر وغيرها .

سادسها : أشرت إلى مراجع عشرات الأحاديث التى ذكرها ، وإلى ما قيل عنها فى كتب الأحاديث .

سابعها : ترقيم الآيات القرآنية، وإتمام ما ذكره منها مبتوراً .

ثامنها : التعليق على بعض ما ذكره من مسائل النحو العويصة ، ومراجعة هذه المسائل فى مصادرها الأصلية ، والمقارنة بينها وبين ما نقله الإمام ابن القيم فى كتابه « بدائع الفوائد » من هذه المسائل . والرجل — أعنى السهيلى — كان شديد الولع بمسائل النحو .

تاسعها : قمت بالتعليق على ما ذكره ، أو رآه فى أمر الدين مما رأيته مجافياً للحق ، فكانت هذه التعليقات التى أضرع إلى الله أن تكون حقاً وصواباً .

ولقد كان الرجل أشعرى العقيدة — والأشعرية كانت دين الدولة فى أيامه — فأشرت فى تعليقاتى إلى ما يجانب الحق القرآنى مما ذهب إليه، وذكرت ما آمن به سلفنا الصالح ، وما قالوه عن صفات الله سبحانه .

عاشرها : راجعت ما ذكره من شواهد شعرية وأمثال وغيرها فى مصادره الأصلية أو فى اللسان ، وضبطت كل هذا ضبطاً دقيقاً .

رفع
المسيرهم
غفر الله له

حادى عشرها : قمت باستعمال علامات الترقيم ، وهناك غير ذلك مما قمت به ، وأسأل الله أن يكون لوجهه — جل شأنه — وأن يجزينا عنه . كان من الممكن أن يكون الجهد المبذول أقل مما كان ، غير أنه كتاب عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — عن القرآن الكريم ، ونبيه العظيم ، وقد توعدنا بالنار نَتَبَوَّأ منها مقعدنا إن تعمدنا عليه كذباً.

وأعتقد أن الكتاب ـ وماذكرته معه ـ أصبح شيئاً يمكن الاعتداد به فيما يقال عن خاتم النبيين ـ صلى الله عليه وسلم ـ غير أنى لا أزعم أنى بلغت كل ما كان يجب أن يُبلغ ، وإنما أزعم أننى بذلت كل ما كنت أملك من جهد أسأل الله أن يكون جهداً يكافىء هذه المهمة الجليلة .

وأرجو ممن يعثر على أخطاء أن يذكر أننا بشر ، والسهو والنسيان والخطأ من خصائص البشرية ، وكما نحب أن يعفو الله عن أخطائنا ويغفرها لنا ، فإننا نحب أن يعفو عنا القراء ، حين يعثرون على خطأ أحب أن يثقوا فى أنى لم أتعمده .

السيرة :

وقد رأيت — كما رأى الناشر — أن يكون مع الكتاب نفس سيرة ابن هشام التى ألف السُّهَيْلِيّ كتابه الروض شرحاً لها ، ليكون النفع قيما . والسيرة من عمل ابن إسحاق وروايته عن شيوخه وغيرهم ، ولكن ابن هشام عكف على هذه السيرة بالتهذيب حتى صارت إلى ما هى عليه الآن . وقد لخص عمله فيها بقوله :

« وأنا ـ إن شاء الله ـ مبتدىء هذا الكتاب بذكر إسماعيل بن إبراهيم ،

رفع المسهم

ومن وَلَدَ رسولَ الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ مِن ولده ، وأولادهم لأصلابهم الأول فالأول ، من إسماعيل إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وما يعرض من حديثهم ، وتارك ذكر غيرهم من ولد إسماعيل على هذه الجهة للاختصار ، إلى حديث سيرة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتارك بعض ما ذكره ابن إسحاق فى هذا الكتاب مما ليس لرسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فيه ذكر ، ولا نزل فيه من القرآن شىء ، وليس سبباً لشىء من هذا الكتاب ، ولا تفسيراً له ، ولا شاهداً عليه لما ذكرت من الاختصار ، وأشعاراً ذكرها لم أرَ أحداً من أهل العلم بالشعر يعرفها ، وأشياء بعضها يَشْنُعُ الحديث به ، وبعض يسوء بعضَ الناس ذكرُه ، وبعض لم يقر لنا البَكَّائىُّ(١) بروايته ، ومستقص ـ إن شاء الله تعالى ـ ما سوى ذلك منه بمبلغ الرواية له ، والعلم به »

ولهذا الجهد الذى بذله ابن هشام اشتهرت السيرة بالانتساب إليه ، حتى كاد ينسى صاحبها الأول ، وهو : محمد بن إسحاق ، والله أسأل أن يهيىء لنا من أمرنا رشداً ، وأن يعين كل امرىء على القيام بما فرض الله عليه ، وأن يجمعنا نحن أبناء هذه الأمة على كلمة سواء ، ولها ما كان من مجد وسؤدد ، ودولة تجيش

---

(١) هو زياد بن عبد الله بن الطفيل العامرى أبو محمد البكائى الكوفى ، والبكائى نسبة إلى البكاء بن عمرو بن ربيعة بن صعصعة بن معاوية تركه ابن المدينى ، وضعفه النسائى وابن سعد ، وقال أبو زرعة : صدوق ، وقال أبو حاتم : يكتب حديثه ، ولا يحتج به ، ولكنه من أثبت الناس فى سيرة ابن إسحاق ، وقال أحمد : ليس به بأس مات سنة ١٨٢ ﻫ

رفع المسامر

فيها من « كشغر على حدود الصين إلى جبال البرانس على مشارف فرنسا »
تكبيراتُ النصر ، وتسبيحات الشكر ، وصلوات الحمد لله رب العالمين (١)

القاهرة — مدينة الزهراء

حلوان

عبد الرحمن الوكيل

الرئيس العام لجماعة أنصار السنة المحمدية

---

(١) سننشر سيرة ابن هشام فى أعلى الصفحة ، وتحتها « الروض الأنف » ثم
تعليقاتى

رفع
المسلم

ترجمة ابن إسحاق

محمد ابن إسحاق بن يسار المُطَّلِبي مولى قيس بن مخرمة أبو عبد الله المدنى أحد الأئمة الأعلام ، ولا سيما فى المغازى والسير رأى أنَس بن مالك. وجدُّه يسار كان من سبى عين التمر التى افتتحها المسلمون فى السنة الثانية عشرة من الهجرة .

وقد ولد ابن إسحاق فى المدينة ، والراجح أنه ولد سنة خمس وثمانين من الهجرة ، وتوفى ـ كما يقول صفى الدين الخزرجى ـ سنة إحدى وخمسين ومائة . وقيل : (١٥٠ أو ١٥٣) وهو الذى ألف السيرة المشهورة النسبة إلى ابن هشام وقد ألفها بأمر أبى جعفر المنصور ؛ ليعلمها لابنه المهدى، وفى هذا يقول ابن عدى : « ولو لم يكن لابن إسحاق من الفضل إلا أنه صرف الملوك عن الاشتغال بكتب لا يحصل منها شىء للاشتغال بمغازى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومبعثه ومبتدأ الخلق ، لكانت هذه فضيلة سبق بها ابن إسحاق ، وقد فتشت أحاديثه الكثيرة، فلم أجدها تهيىء أن يقطع عليه بالضعف ، وربما أخطأ واتهم فى الشىء بعد الشىء كما يخطىء غيره .

ولم يتخلف فى الراوية عنه الثقات والأئمة ، أخرج له مسلم فى المبايعات واستشهد به البخارى فى مواضع ، وروى له أبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجة » ، وقد روى هو عن أبيه وعن الزهرى وخلق غيرهم، وممن روى عنه شيخه يحيى الأنصارى، وعبد الله بن عون وشعبة وسفيان الثورى وسفيان بن عيينة .

الرأى فى ابن إسحاق : أثار ابن إسحاق خلافا كبيراً حوله بين رجال

رفع
المسهم
عفا الله له ولوالديه

الجرح والتعديل ، وقد اختلف فيه هؤلاء بين قادح ومادح ، أو بين مجرح ومعدل ، فبينما يقول ابن شهاب: « لا يزال بالمدينة علم جم ما كان فيها ابن إسحاق» إذا بغيره يقول : إنه كان يرى التشيع والقدر وكان يلعب بالديوك .

المُجَرِّحُونَ : ممن جرّحه مالك ، وقال فيه : « ابن إسحاق كذاب ودجال من الدجاجلة » ، وروى عن أحمد بن حنبل أنه قال : « ابن إسحاق ليس بحجة » وحكم عليه ابن معين فى رواية عنه بأنه سقيم ، وليس بحجة ، وممن جرحه : هشام بن عروة ، ويعقوب بن شيبة ، وسليمان التيمى والدارَقُطْنى ، وقد اتهم بأنه كان يسمع بعض اليهود والنصارى ، ويسميهم أهل العلم الأول وقد اتهم ابن إسحاق بأنه كان يضع فى السيرة شعراً مصنوعاً .

المتوسطون فى الرأى فيه : وكما نسب إلى أحمد اتهامه لابن إسحاق فإنه نسب إليه قوله عنه : « حَسَن الحديث . أو : هو صالح الحديث، ماله ذنب عندى إلا ما روى فى السيرة من الأخبار المنكرة » وقد نسب إلى محمد بن عبد الله بن نمير قوله عنه : كان ابن إسحاق يُرْمى بالقدر ، وكان أبعد الناس منه . وقوله : « إذا حدث عن المعروفين ، فهو حسن الحديث صدوق ، وإنما أتى من أنه يحدث عن المجهولين أحاديث باطلة »

المُعَدِّلون له : ينسب إلى ابن معين أيضاً قوله : « ابن إسحاق ثَبْتٌ فى الحديث » ونسب إلى ابن عيينة قوله : « ما رأيت أحداً يتهم ابن إسحاق » وقال أبو زرعة : « قد أجمع الكبراء من أهل العلم على الأخذ منه » وقد استشهد به مسلم ، وصحح له الترمذى ، وروى له أبو داود والنسائى وابن ماجة .

وأرى — قياسا على السيرة — أن أصدق قول قيل فيه هو قول ابن

رفع المسلم

عبد الله بن نمير؛ فقد روى فى السيرة عن المجهولين مالا يحترمه الصدق، وروى أيضا ما ينفح بطيب الحق، وقد بقى فيها ما لا يصح، رغم قيام ابن هشام بتهذيبها، وهو الذى يقول عن ابن إسحاق فى مقدمة كتابه من أنه سيترك مما ذكر ابن إسحاق «أشعاراً ذكرها، لم أر أحداً من أهل العلم بالشعر يعرفها وأشياء بعضها يشنع الحديث به، وبعض يسوء بعض الناس ذكره وبعض لم يقر لنا البَكَّائى بروايته، ومستقص - إن شاء الله تعالى - ، سوى ذلك منه بمبلغ الرواية له والعلم به».

رفع
المسلم
عز الله له وله الدين

ترجمة ابن هشام

جاء عنه فى وفيات الأعيان : « قال أبو القاسم السهيلى عنه فى كتاب الروض الأنف شرح سيرة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : إنه مشهور بحمل العلم ، متقدم فى علم النسب والنحو ، وهو من مصر ، وأصله من البصرة ، وله كتاب فى أنساب حمير وملوكها ، وكتاب فى شرح ما وقع فى أشعار السير من الغريب فيما ذكر لى .

وتوفى بمصر سنة ثلاث عشرة ومائتين رحمه الله تعالى » . قلت — أى ابن خلكان — وهذا ابن هشام هو الذى جمع سيرة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من المغازى والسير لابن إسحاق وهذبها ولخصها وشرحها السهيلى المذكور ، وهى الموجودة بأيدى الناس المعروفة بسيرة ابن هشام ، وقال أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس صاحب تاريخ مصر المقدم ذكره فى تاريخه الذى جعله للغرباء القادمين على مصر : إن عبد الملك المذكور توفى لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر سنة ثمانى عشرة ومائتين بمصر والله أعلم بالصواب . وقال : إنه ذُهَلِىٌّ والحميرى (١) قد تقدم الكلام عنه والمعَافِرِىُّ هذه النسبة إلى المعافر بن (٢) يَعْفُرَ قبيل كبير ينسب إليه بشر كثير »

---

(١) نسبة إلى حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، وفى حمير بطون وأفخاذ كثيرة (ص ١٢٠ الإنباه لابن عبد البر)

(٢) هو معافر بن يعفر بن مالك بن الحارث بن مرة بن أدد بن الهميسع بن عمرو ابن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ ، وفي معافر بطون كثيره (الإنباه لابن عبد البر ص ١١٨)

رفع المسيهم

ترجمة الإمام السهيلى

وردت ترجمته فى عدة كتب : « الضبى فى البغية ، وابن خلكان فى وفيات الأعيان ، وابن دحية فى المطرب الورقة ٧٤ ، والسيوطى فى البغية ، والمقرى فى نفح الطيب ، وابن تغرى بردى فى النجوم الزاهرة ، وابن عماد الحنبلى فى شذرات الذهب ، وكتاب المطرب فى حلى المغرب ، ونكت الهميان للصفدى ، والديباج المذهب لابن فرحون » ، وأنقل هنا ترجمته عن الديباج بلفظه معقباً عليها بما له فائدة من المصادر الأخرى

* * *

«عبد الرحمن السهيلى أبو القاسم ، وأبو زيد عبد الرحمن بن الخطيب ، أبى محمد ابن عبد الله بن الخطيب ، أبى عمر أحمد بن أبى الحسن أصبغ بن حسين بن سعدون بن رضوان بن فتوح السهيلى ، الإمام المشهور ، صاحب كتاب «الروض الأنف» فى شرح سيرة سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وله كتاب «التعريف والإعلام فيما أبهم فى القرآن من الأسماء الأعلام». وله كتاب «نتائج الفكر» وكتاب «شرح آية الوصية فى الفرائض» كتاب بديع «ومسألة رؤية النبى - صلى الله عليه وسلم - فى المنام[1]» ، «ومسألة السر فى عور الدجال» إلى غير ذلك من تآليفه المفيدة[2] وأوضاعه الغريبة ، وكان له حظ وافر من العلم والأدب أخذ الناس عنه ، وانتفعوا به[3] ومن شعره - قال ابن دحية : أنشدنى ، وقال : ما سأل الله بها حاجة إلا أعطاه إياها ، وكذلك من استعمل إنشادها وهى :

---

(١) فى الوفيات . أن الكتاب فى رؤية الله وفى رؤية النبى

(٢) زاد الصفدى فى نكت الهميان كتاب . شرح الجمل وقال . لم يتم

(٣) فى نكت الهميان « ناظر على بن الحسين بن الطراوة فى كتاب سيبويه ، وسمع منه كثيراً من اللغة والآداب ، وكان عالما بالعربية واللغة والقراءات بارعا فى ذلك . تصدر للإفتاء والتدريس والحديث ، وبعد صيته . وجل قدره جمع بين الرواية والدراية » .

رفع المسهم

يا من يرى ما فى الضمير ويسمع   أنت المعدُّ لـكل ما يُتَوَقَّع
يا من يُرجَّى للشدائد كلها   يا من إليه المشتكى والمفزعُ
يامن خزائن ملكهِ فى قول : كن   امنن فإنَّ الخير عندك أجمع
مالى سوى فقرى إليك وسيلة   فبالافتقار إليك فقرى أدفع
مالى سوى قرْعى لبابك حيلةٌ   فلئن رددت ، فأى باب أقرع؟!
ومن الذى أدعو ، وأهتف باسمه   إن كان فضلك عن فقيرك يُمنع؟!
حاشاً لجدِك أن تقنط عاصياً   والفضلُ أجزلُ والمواهبُ أوسع
ثم الصلاة على النبى وآله   خير الأنام، ومن به يستشفع (١)

وله أشعار كثيرة ، وكان ببلده يتسوغ بالعفاف، ويتبلغ بالكفاف، حتى نمى خبره إلى صاحب مراكش، فطلبه إليها، وأحسن إليه وأقبل بوجهه كل الإقبال عليه ، وأقام بها نحو ثلاثة أعوام(٢) ،وذكره الذهبى : فقال: أبوزيد، وأبو القاسم وأبو الحسن : عبد الرحمن ، العلامة الأندلسى المالقى النحوى الحافظ العلم ، صاحب التصانيف ، أخذ القراءات عن سليمان بن يحيى وجماعة ، وروى عن ابن العربى القاضى أبى بكر وغيره من الكبار ، وبرع فى العربية واللغة والأخبار والأثر ، وتصدر للافادة، وذكر الآثار، وحكى عنه أنه قال : أخبرنا أبو بكر بن العربى فى

---

(١) فى مصادر أخرى مغايرة طفيفة لما هنا مثل : يا من خزائن رزقه . فبالافتقار إليك ربى أضرع، إن كان فضلك عن فقير يمنع .ولا يستشفع برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن الشفاعة لله جميعا .

(٢) وولاه بها قضاء الجماعة . وصاحب مراكش هو : أبو يعقوب يوسف ابن عبد المؤمن الذى تولى إمرة الموحدين فى المغرب سنه ٥٥٨ . وأظن أنه استدعى السهيلى سنه ٥٧٨ هـ .

رفع المسهم

مشيخته عن أبي المعالى ، أنه سأله فى مجلسه رجلٌ من العوام فقال : أيها الفقيه الإمام : أريد أن تذكر لى دليلا شرعيا على أن الله تعالى لا يوصف بالجهة ، ولا يحدد بها . فقال : نعم قول رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : « لا تفضلونى على يونس بن مَتَّى » فقال الرجل : إنى لا أعرف وجه الدليل من هذا الدليل ، وقال كل من حضر المجلس مثل قول الرجل ، فقال أبو المعالى : أضافنى الليلة ضيف له علىّ ألفُ دينار ، وقد شغلت بالى ، فلو قضيت عنى قلتها ، فقام رجلان من التجار ، فقالا : هى فى ذمتنا ، فقال أبو المعالى : لو كان رجلا واحداً يضمنها كان أحب إلىّ فقال أحد الرجلين أو غيرهما : هى فى ذمتى ، فقال أبو المعالى : نعم إن الله تعالى أسرى بعبده إلى فوق سبع سموات ، حتى سمع صرير الأقلام ، والتقم يونس الحوت ، فهوى به إلى جهة التحت من الظلمات ما شاء الله ، فلم يكن سيدنا محمد — صلى الله عليه وسلم — فى علو مكانه بأقرب إلى الله تعالى من يونس فى بعد مكانه (١) ، فالله تعالى لا يتقرب إليه بالأجرام والأجسام ، وإنما يتقرب إليه بصالح الأعمال ، ومن شعره :

إذا قلت يوماً : سلام عليكم ... ففيها شفاء ، وفيها السقامْ

شفاء إذا قلتها مقبلا ... وإن أنت أدبرت فيها الحِمَامْ

قال صاحب الوفيات : « والسُّهَيْلِيُّ بضم السين المهملة وفتح الهاء وسكون

---

(١) هذا دليل مصنوع ، ومدفوع ، فالله يقول « أأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الأرض » وقد سأل الرسول — صلى الله عليه وسلم : أين الله ياجارية ؟ فقالت : فى السماء . فقال لصاحبها : أعتقها فإنها مؤمنة . إنه معنا حيث كنا وهو مستو على العرش .

رفع المسهم

الياء المثناة من تحت ، وبعدها لام ، ثم ياء هذه النسبة إلى سُهَيْل ، وهى قرية بالقرب من مالقة سميت باسم الكوكب (١) لأنه لا يرى فى جميع الأندلس إلا من جبل مُطِلّ عليها ، ومالقة بفتح اللام والقاف ، وهى مدينة بالأندلس . وقال السمعانى بكسر اللام وهو غلط ، وتوفى بمراكش سنة إحدى وثمانين وخمسمائة وكان — رحمه الله — مكفوفاً ، وعاش اثنتين وسبعين سنة » . هذا ما فى الديباج المذهب لابن فرحون ، ويقول الصفدى فى كتابه نكت الهميان : « ومن شعره يرثى بلده ، وكان الفرنج قد ضربته ، وقتلت رجاله ونساءه [وقتلوا أهله وأقاربه وكان غائبا عنهم ، فاستأجر من أركبه دابة ، وأتى به إليه ، فوقف إزاءه وقال : (٢)

يا دار أين البيض والآرام! ... أم أين جيران علىّ كرام
رابَ المحبَّ من المنازل أنه ... حيًّا ، فلم يَرْجِعْ إليه سلام !
أخَرِسْنَ أم بَعُدَ المدى ، فَنَسِينَه ... أم غال من كان المجيبَ حِمَامُ !
دمعى شهيدى أننى لم أنْسَهُمْ ... إن السُّلوَّ على المحبِّ حرام
لما أجابنى الصدى عنهم ، ولم ... يلج المسامعَ للحبيب كلامُ
طارحتُ وُرْقَ حمامِها مترنماً ... بمقال صَبٍّ ، والدموع سِجامُ
يا دار ما صنعت بك الأيام ... ضامتك ، والأيامُ ليس تضامُ

---

(١) وهو سهيل . وهو كوكب يمان لا يرى بخراسان ، ويرى بالعراق ، وقال ابن كناسة : سهيل يرى بالحجاز ، وفى جميع أرض العرب ، ولا يرى بأرمينية « عن اللسان » .

وعند الصفدى : « وأصله من قرية بوادى سهيل من كورة مالقة ، وهى — كما وصفها ياقوت فى معجمه — سورها على شاطىء البحر بين الجزيرة الخضراء والمرية .

(٢) ما بين قوسين من المغرب فى حلى المغرب .

ويقول ابن خلكان عنه : « ومولده سنة ثمان وخمسمائة بمدينة مالقة ، وتوفى بحضرة مراكش يوم الخميس ، ودفن وقت الظهر ، وهو السادس والعشرون من شعبان سنة إحدى وثمانين وخمسمائة» ، وقال عنه إنه خثعمى نسبة إلى خَثْعَم بن أنمار ، وهى قبيلة كبيرة . وذكر صاحب النجوم الزاهرة أيضا أنه مات فى شعبان .

رفع
المسارهم
غفر الله له ولوالديه

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الروض الأنف

حمداً لله المُقدَّم على كل أمرٍ ذى بالٍ ، وذكرُه — سبحانه — حَرِىٌّ ألاَّ يفارِقَ الخَلَد والبال ، كما بدأنا — جلَّ وعلا — بجميل عوارفِهِ قبلَ الضراعة إليه والابتهال . فلله الحمد — تعالى — حمداً لا يزال دائم الاقتبال . ضافِىَ السِّرْبال (١) ، جديداً على مَرِّ الجديدين (٢) غير بالٍ . على أن حمده — سبحانه — وشكره على نعمه ، وجميل بلائه مِنَّةٌ من مِننه . وآلاء من آلائه . فسبحان مَن لا غاية لجوده ونعمائه ! ولا حدَّ لجلاله ، ولا حَصْر لأسمائه

والحمد لله الذى ألحقنا بعصابة الموحدين ، ووفقنا للاعتصام بعُروة هذا الأمر المتين ، وخلقنا فى إبَّان الإمامة الموعود ببركتها على لسان الصادق الأمين ، إمامة سيدنا الخليفة أمير المؤمنين ابن أميرِ المؤمنين ابن أميرِ المؤمنين (٣) ،

---

(١) القميص والدرع ، أو كل ما يلبس (٢) الليل والنهار

(٣) يعنى دولة الموحدين التى بدأ أمرها بمحمد بن تومرت، والتى حكمت المغرب العربى والأندلس ، ويعنى بالخليفة : أبا يعقوب يوسف بن عبد المؤمن الذى تولى إمرة الموحدين سنة ٥٥٨ ﻫ بالمغرب ، وفى عهده تم للوحدين إخضاع الأندلس ، وعنه يقول ابن خلكان : «كان يوسف فقيها حافظا متقنا نشأ فى ظهور الخيل بين أبطال الفرسان» وعنه أيضاً يقول المراكشى فى المعجب : «لم يكن فى بنى عبد المؤمن فيمن تقدم منهم ، وتأخر ملك بالحقيقة غير أبى يعقوب» هذا وقد توفى أبو يعقوب سنة ٥٨٠ ﻫ . وقد بدأ السهيلى فى إملاء كتابه هذا فى المحرم سنة ٥٦٩ ﻫ وانتهى منه فى جمادى الأولى من نفس العام .

رفع المسهم

الساطعةِ أنوارُها فى جميع الآفاق . المطفِئة بصوب سحائبها ، وَجوْب (١) كتائبها جمراتِ الكفر والنفاق :

فى دولةِ لحظ الزمان شعاعها فارْتَدّ منتكِصا بعينَىْ أرْمَدِ
مَنْ كان مولدهُ تقدّم قبلَها أو بعدها ، فكأنه لم يُولد

فله الحمد — تعالى — على ذلك كلِّه ، حمداً لا يزال يتجدد ويتوالى ، وهو المسئول — سبحانه — أن يخص بأشرف صلواته ، وأكثف بركاته ، الْمُجْتَبى من خليقتهِ ، وَالْمَهدِى بطريقته ، المؤدِّى إلى اللَّقَم الأفْيَح(٢) والهادى إلى معالم دين الله من أفلح ، نبيَّه محمداً — صلى الله عليه وآله وسلم — كما قد أقام به الملةَ الْعَوْجَاء ، وأوضح بهديه الطريقة الْبَلْجَاء(٣) ، وفَتح به آذانا صُمًّا ، وعيونا عُمْياً ، وقلوبا غُلْفا(٤) . فصلى الله عليه ، وعلى آله صلاة تُحِلُّه أعلى منازلِ الزُّلفى .

الغاية من تأليف الكتاب

(وبعد) فإنى قد انتحيت فى هذا الإملاء بعد استخارة ذى الطَّوْل(٥) ، والاستعانة بمَنْ له القدرة والحَوْل(٦) . إلى إيضاح ما وقع فى سيرة رسول الله

(١) الصوب : المطر بقدر ما ينفع ، ولا يؤذى ، والجوب : القميص تلبسه المرأة ، والترس والكانون والدلو الضخمة . والأخيرة هى المناسبة
(٢) اللقم : الطريق الواضح (٣) الواضحة .
(٤) جمع أغلف . يقال : غَلِف قلبه ـ بكسر اللام ـ لم يع قلبه الرشد
(٥) الغنى والفضل واليسر (٦) من معانيها الحركة والتحول ، والحيلة والقوة ، وهذه هى المقصودة .

رفع المسهم

— صلى الله عليه وسلم — التى سبق إلى تأليفها أبو بكر محمد بن إسحاق المطَّلبى ، ولخصها عبدُ الملك بن هشام المَعافِرى (١) المِصْرِي النسَّابة (٢) النحوى مِمَّا بلغنى علمهُ ، وَيُسِّر لى فهمُهُ : من لفظ غريب ، أو إعراب غامضٍ ، أو كلامٍ مُسْتَغْلِقْ (٣) ، أوْ نَسَبٍ عَوِيصٍ ، أوْ موضع فقهٍ ينبغى التنبيهُ عليه ، أو خبرٍ ناقص يوجد السبيل إلى تتمته ، مع الاعتراف بكُلُول الحَدِّ ، عن مبلغ ذلك الحَدِّ (٤) ، فليس الغرضُ المعتَمَدُ أن أستولىَ على ذلك الأمَدِ (٥) ، ولكن لاينبغى أن يُدَعَّ الجَحْشُ من بَذِّ الأعْيار (٦) ، ومن سافرت فى العلم همتهُ ، فلا يُلق عصا التَّسْيَار ، وقد قال الأول :

افعلِ الخيرَ ما استطعتَ ، وإن كا … ن قليلا فلن تُحيطَ بكُلِّهْ

ومتى تبلغ الكثيرَ مِنَ الفَضْلِ إذا كنت تاركا لأقَلِّهْ ؟!

نسأل اللهَ التوفيق لما يرضيه ، وشكراً يَسْتَجْلِبُ المزيدَ من فضله ويقتضيه .

---

(١) نسبة إلى معافر بن يعفر ، وهم قبيل كبير نزح بعضهم إلى مصر ، ومن الرواة من يجعله حميريا ، ومنهم من يرد نسبه إلى ذهل ، وآخرون يردونه إلى سدوس .

(٢) العليم بالأنساب ، والتاء للمبالغة .

(٢) استغلقت المسألة : عسر فهمها .

(٤) كلَّ كُلُولة وكلالة : ضعف . وكلَّ حَدّ السيف : لم يقطع . وحَدُّه الرجل : بأسُه . ونفاذه فى نجدته ، وحد الشىء : نهايته .

(٥) الغاية والنهاية .

(٦) الجحش : ولد الحمار . وَبذَّه : غلبه وفاته وسبقه ، والأعيار : جمع عَير : الحمارُ الوحشى والأهلى . ويدع : يدفع .

رفع
المسهم
عزالله ...

لماذا أتقن التأليف :

قال المؤلف أبو القاسم : قلت هذا ؛ لأنى كنت حين شرعت فى إملاء هذا الكتاب خُيِّل إلىّ أن المرامَ عسير ، فجعلت أخطو خَطْوَ الحَسِير (١) ، وأنهض نَهْضَ البَرَقِ الكَسِير (٢) ، وقلت : كيف أرِد مَشْرَعاً لم يسبقنى إليه فارطٌ (٣) ، وأسلُك سبيلا لم تُوطأْ قبلى بخفٍّ ولا حافر ، فبينا أنا أتردد تردُّدَ الحائر ، إذ سَنَح لى هنالك خاطِر : أنّ هذا الكتابَ سَيَرِدُ الحَضْرَةَ العَلِيّةَ المُقَدَّسَةَ الإمَامِيَّة (٤) ، وأنّ الإمامة ستلحظه بعينِ القبولِ ، وأنه سَيُكْتَب للخزانة المباركة — عَمَّرها الله — بحفظه وكَلاءَته ، وأمَدَّ أميرَ المؤمنين بتأييده ورعايته ، فينتظم الكتاب بسِلكْ أعْلاَقِها (٥) ، ويتَّسِقُ مع تلك الأنوار فى مطالع إشراقها ، فعند ذلك امتطيتُ صَهوة الجِدِّ ، وَهَزَزْتُ نَبْعَةَ العَزْمِ (٦). وَمَرَيْتُ أَخْلاَفَ الحفظ (٧) ،

---

(١) حَسَرَ بَصَرُه حسارة : كل وانقطع من طول مدى ، وما أشبه ذلك ،

(٢) البَرَق : الحمل وجمعه : أبراق ، وبُرْقان ، بضم الباء أو كسرها ، وهو معرب : برَه .

(٣) المشرع : مورد الماء ، والفارط : من يسبق القوم إلى الماء ، ليهيئه ويعده .

(٤) كناية عن أبى يعقوب يوسف بن عبد المؤمن ، وقد سبق الكلام عنه .

(٥) جمع علق : وهو النفيس من الشىء

(٦) أصل النَّبْعة : شجرة تتخذ منها القسى . ومن أغصانها السهام وهى تنبت فى قلة الجبل .

(٧) مَرَى الشىء : استخرجه ، ومَرَيتُ الفرس بفتح الميم والراء : حملته على إبراز مقدرته على الجرى ، ومرى الناقه : مسَّ ضرعها ، والأخلاف : جمع : خِلف بكسر الخاء : حلمة الضَّرع ، وضَرْع الناقة .

رفع
المسهم
عزالله الطولاني

وَاجْتَهرتُ ينابيعَ الفكر (١)، وعصرتُ بُلالَةَ الطبع (٢)، فألقيتُ - بحمد الله - الباب فُتُحاً (٣) وسلكتُ سُبُلَ رَبِّي ذُلُلاً (٤)، فتبجَّسَتْ (٥) لى - بمنّ الله تعالى - من المعانى الغريبة عيونُها، وانثالتْ علىَّ من الفوائد اللطيفة أبكارُها وعُونُها (٦)، وَطفقتْ عقائلُ الكَلِمِ يَزْدَلِفنَ (٧) إلىَّ بأيَّتهنَّ أبدأ، فأعرضت عن بعضها إيثاراً للأيجاز، ودفعت فى صدورِ أكثرِها خشية الإطالة والإملال، لكن تحصَّل فى هذا الكتابِ من فوائد العلوم والآداب، وأسماءِ الرجال والأنساب، ومن الفقه الباطن اللُّباب، وتعليل النحو، وصنعة الإعراب، ما هو مُستَخرَجٌ من نيّفٍ على مائة وعشرين ديواناً (٨)، سوى ما أنتجه صدرى، ونَفَحَهُ فِكرى. وَنتَجَه نظرى، وَلَقِنْتُه (٩) عن مشيختى، من نُكَتٍ عِلميَّةٍ لم أُسبَق إليها، ولم أُزْحَم عليها، كل ذلك بيُمْن الله، وبركة هذا الأمر المُحْيِي لخواطرِ الطالبين والموقظِ لهِمَم المُسترشِدين، والمحرِّك للقلوب الغافلة إلى الاطِّلاع على معالم الدين، مع أنى قَلَّلْتُ الفُضولَ (١٠)، وَشذَّبتُ أطرافَ الفصول، ولم أتتبع شُجُونَ الأحاديث، وللحديث شُجُونٌ (١١)، ولا جمحَتْ بى خيلُ الكلامِ إلى غاية لم

---

(١) اجتهر البئر : نقاها من الحمأة ونزحها. (٢) البلالة : النَّدْوة

(٣) مفتوح واسع لا يكاد يغلق. (٤) جمع ذلول : الطريق الممهَّد.

(٥) تفجرت. (٦) انثال عليه القول : تتابع. العون : جمع عَوان، وهى المتوسطة فى العمر بين الكبر والصغر من النساء والبهائم.

(٧) العقائل جمع عقيلة السيدة المخدرة، والزوجة الكريمة، وسيد القوم. ويعنى : الكلمات العظيمة. ازدلف : زلف : دنا وتقدم.

(٨) نيِّف من ١ إلى ٣ أو هو كل مازاد على العقد إلى أن يبلغ العقد الثانى.

(٩) لقِنته : فهمته. (١٠) ما لا فائدة فيه.

(١١) فنون وأغراض.

أرِدها ، وقد عَنَّت لى منه فُنون ، فجاء الكتابُ من أصغر الدواوين حَجْماً . ولكنه كُنَيْفٌ مُلِيء علما(١)، ولو ألّفه غيرى لقلت فيه أكثر من قَوْلِي هذا .

وكان بَدْء إملائى (٢) هذا الكتابَ فى شهرِ المحرم من سنة تسعٍ وستين وخمسمائة ، وكان الفراغ منه فى جُمادى الأولى من ذلك العام .

سنده :

فالكتابُ الذى تَصَدَّينا له من السِّيَرَ هو ما حدَّثنا به الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن الْعَرَبِيّ سماعا عليه قال : ثنا أبو الحسن الْقَرَافِيّ الشافعى ، قال : ثنا أبو محمد بن النحاس ، قال : ثنا أبو محمد عبد الله بن جَعْفَر بن الورد ، عن أبى سعيد : عبد الرحيم بن عبد الله، بن عبد الرحيم بن أبى زُرْعة الزُّهْرى(٣) البَرْقِيّ ، عن أبى محمد عبد الملك بن هشام ، وحدثنا به أيضاً — سماعا عليه — أبو مَرْوَان عبد الملك بن سعيد بن بُوْنُهْ القرشى الْعَبدرى عن أبى بَحْرٍ سُفْيَان بن العاص الأسدى عن أبى الوليد ، هشام بن أحمد الكنانى .

وحدثنى به أيضاً أبو مَرْوَانَ ، عن أبى بكر بن بُرْآلٍ ، عن أبى عمر أحمد بن محمد المُقْرِى الطَّلَمَنْكِي ، عن أبى جعفر أحمد بن عون الله بن حُدَيْر ، عن أبى محمد بن الوَرد عن البرقى عن ابن هشام .

---

(١) تصغير كِنف ، وهو وعاء الراعى الذى يجعل فيه آلته . وهو يشير إلى ما قاله عمر بن الخطاب عن ابن مسعود : كنيف ملىء علما .

(٢) قال هذا لأنه كان كفيف البصر . كُفَّ فى السابعة عشرة .

(٣) فى السند اضطراب .

وحدثنى به أيضاً — سماعا وإجازة — أبو بكر محمد بن طاهر الأشْبِيلِىّ عن أبى على الغسانى ، عن أبى عمر النَّمَرِىّ وغيره عن أشياخة عن الطَّلَمَنْكِىّ بالإسناد المتقدم .

ترجمة ابن إسحاق :

(فصل) ونبدأ بالتعريف بمؤلف الكتاب ، وهو : أبو بكر محمد بن إسحاق بن يسار المُطَّلِبِىّ بالولاء ؛ لأن ولاءه لقيس بن مَخْرَمة بن المطلب بن عبد مناف ، وكان جده يسار من سبى عين التمر (١) ، سباه خالدُ بن الوليد .

ومحمد بن إسحاق(٢) هذا — رحمه الله — ثبتٌ فى الحديث عند أكثر العلماء ، وأما فى المغازى والسِّيَر ، فلا تُجهل إمامته فيها . قال ابن شهاب الزُّهْرِىّ(٣) : من أراد المغازى ، فعليه بابن إسحق . ذكره البخارى فى التاريخ ، وذكر عن سفيان بن

---

(١) عين التَّمْر فتحها المسلمون سنة ١٢ هـ .

(٢) قال عنه ابن شهاب : لا يزال بالمدينة علم جَمٌّ ما كان فيها ابن إسحاق ، وقال أحمد : حسن الحديث ، وقال البخارى : رأيت على بن عبد الله يحتج به وقال ابن نمير : كان يرمى بالقدر . إذا حدث عن المعروفين ، فهو حسن الحديث صدوق ، وقال يعقوب بن شيبة : لم أر لابن إسحاق إلا حديثين منكرين ، ووثقه العجلى وابن سعد : تهذيب الكمال .

(٣) هو محمد بن مسلم بن عبيد الله كان إماما حجة فى الفقه والحديث بصيرا بالقرآن . مات سنة ١٢٥ وقال أبو بكر بن أبى شيبة : أصح الأسانيد : الزهرى عن على بن الحسين ، عن أبيه عن جده على . وقال البخارى : أصحها الزهرى عن سالم عن أبيه .

رفع المسهم

عينيه(١) أنه قال : ما أدركت أحداً يتهم ابن إسحاق فى حديثه ، وذكر أيضا عن شُعبة بن الحجاج أنه قال : ابن إسحاق أميرُ المؤمنين يعنى : فى الحديث ، وذكر أبو يحيى الساجى — رحمه الله — بإسنادٍ له عن الزُّهْرِىِّ أنه قال : خرج إلى قريته باذام ، فخرج إليه طلاب الحديث ، فقال لهم : أين أنتم من الغلام الأحول : أو : قد خلّفت فيكم الغلامَ الأحول يعنى : ابن إسحاق ، وذكر الساجى أيضاً قال : كان أصحاب الزهرى يَلْجئون إلى محمد بن إسحاق فيما شكُّوا فيه من حديث الزهرى ، ثقة منهم بحفظه ، هذا معنى كلام الساجى نقلته من حفظى ، لا من كتاب .

وذكر عن يحيى بن مَعِين ، وأحمد بن حنبل ، ويحيى بن سعيد القطان أنهم وثَّقوا ابن إسحاق ، واحتجوا بحديثه ، وذكر على بن عمر الدارَ قُطْنِى فى السنن حديث القُلَّتين من جميع طرقه (٢) ، وما فيه من الاضطراب ، ثم قال فى حديث جرى : وهذا يدل على حفظ محمد بن إسحاق ، وشدة إتقانه .

قال المؤلف : وإنما لم يخرج البخارى عنه ، وقد وثَّقه ، وكذلك وثَّقه مسلم

---

(١) كان إماما فى علوم القرآن والسنة وحديث الحجازيين ، ثقة حجة ، ولكنه تغير فى آخر عمره ، انتقل من الكوفة إلى مكة ومات بها سنة ١٩٨ هـ ودفن بالحجون .

(٢) يشير إلى الحديث : « إذا كان الماء قلتين لم يحمل الخبث » رواه الخمسة والشافعى وابن خزيمة وابن حبان والحاكم والدار قطنى والبيهقى ، وفى الحديث اضطراب فى الإسناد وفى المتن . قال ابن عبد البر فى التمهيد عن مذهب الشافعى فى الحديث : إنه ضعيف من جهة النظر غير ثابت من جهة الأثر ، لأنه حديث تكلم فيه جماعة من أهل العلم ، ولأن القلتين لم يوقف على حقيقة مبلغهما فى أثر ثابت ولا إجماع .

رفع المسيرهم

ابن الحجاج ، ولم يخرج عنه أيضا إلا حديثا واحداً فى الرَّجم ، عن سعيد المقبرى عن أبيه ، من أجلِ طعْن مالكٍ فيه ، وإنما طعن فيه مالك — فيما ذكر أبو عمر رحمه الله ، عن عبد الله بن إدريس الأَوْدِى — لأنه بلغه أن ابن إسحاق قال : هاتوا حديث مالك ، فأنا طبيبٌ بعِلَلِه ، فقال مالك : وما ابن إسحاق؟! إنما هو دَجّال من الدجاجلة ، نحن أخرجناه من المدينة ، يشير — والله أعلم — إلى أن الدَّجال لا يدخل المدينة(١). قال ابن إدريس: وماعرفت أن دَّجال ! يُجمع على دجاجلة ، حتى سمعتها من مالك ، وذكر أن ابن إسحاق مات ببغداد سنة إحدى وخمسين ومائة ، وقد أدرك من لم يدركه مالك ، روى حديثا كثيرا عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التَّيْمِىِّ(٢) ، ومالك إنما يروى عن رجل عنه ، وذكر الخطيب أحمدُ بن على بن ثابت فى تاريخه — فيما ذكر لى عنه — أنه — يعنى ابن إسحاق — رأى أنسَ بن مالك ، وعليه عمامة سوداء ، والصبيان خلفه يَشْتَدُّون(٣) ، ويقولون : هذا صاحبُ رسولِ الله — صلى الله عليه وسلم — لا يموت حتى يلقى الدجال ، وذكر الخطيب أيضا أنه روى عن سعيد بن المُسَيَّبِ ، والقاسم بن محمد ، وأبى سلمة بن عبد الرحمن .

---

(١) يشير إلى حديث ورد فى مسلم ، وقد جاء فيه على لسان الدجال أن طيبة — أى المدينة — ومكة محرمتان عليه .

(٢) أبو عبد الله المدنى أحد العلماء المشاهير . يروى عن أنس عن جابر عن عائشة فى الترمذى والنسائى فى سننه . قال ابن سعد : كان فقيها محدثا ، وقال أحمد : يروى أحاديث منكرة ، ووثقه ابن معين وأبو حاتم والنسائى وابن خراش توفى سنة ١٢٠ هـ .

(٣) يسرعون .

وذكر أن يحيى بن سعيد الأنصارى شيخَ مالك روى عن ابن إسحاق قال : وروى عنه سفيان الثورى ، والحمادان : حمادُ بن سَلَمه بن دينار ، وحماد ابن زيد بن درهم ، وشُعبة . وذكر عن الشافعى — رضى الله عنه — أنه قال : من أراد أن يتبحَّر فى المغازى ، فهو عيال على محمد بن إسحاق ، فهذا ما بلغنا عن محمد بن إسحاق — رحمه الله .

رواة الكتاب عن ابن إسحاق :

وأما الرواة الذين رووا هذا الكتاب عنه فكثير . منهم : يونُس بن بكير الشَّيْبَانى ، ومحمد بن فُلَيْح ، والبَكَّائِى ، وابراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، وعبد الله بن إدريس ، وسلمة بن الفضل الأسدى ، وغيرهم. ونذكر البَكَّائِى(١) لأنه شيخ ابن هشام ، وهو : أبو محمد زياد بن عبدالله بن طُفَيْل بن عامر القيسى العامرى ، من بنى عامر بن صَعْصَعَة ، ثم من بنى البكاء ، واسم البَكَّاء : ربيعة ، وسمى البَكَّاء لخبر يَسْمُج ذِكْرُه ، كذلك ذكر بعض النسابين . والبَكَّائىُّ هذا ثقةٌ ، خرج عنه البخارى فى كتاب الجهاد ، وخرج عنه مسلم فى مواضعَ من كتابه ، وحَسْبُكَ بهذا تزكيةً .

وقد روى زيادُ عن حميد الطويل ، وذكر البخارى فى التاريخ عن وَكيع قال : زيادُ أشرف من أنْ يَكْذِب فى الحديث ، ووَهِمَ التِّرمِذِىُّ

---

(١) تركه ابن المدينى ، وضعفه النسائى وابن سعد . وقال : ولكنه أثبت الناس فى سيرة ابن إسحاق ، وقال أحمد : ليس به بأس . قال ابن عدى : ما أرى برواياته بأساً ، وقال أبو زرعة : صدوق . وقال أبو حاتم : يكتب حديثه ولا يحتج به . مات سنة ١٨٣ هـ كما ذكر ابن سعد .

رفع المسلم

فقال فى كتابه عن البخارى : قال: قال وكيعٌ : زيادُ بن عبد الله — على شرفه — يكذب فى الحديث ، وهذا وَهْمٌ ، ولم يقل وكيع فيه إلا ما ذكره البخارى فى تاريخه ، ولو رماه وكيع بالكذب ما خرج البخارى عنه حديثا ، ولا مسلم ، كما لم يخرجا عن الحارث الأعور (١) لما رماه الشَّعْبىُّ بالكذب ، ولا عن أبان بن أبى عَيَّاش (٢) لما رماه شُعْبة بالكذب ، وهو كوفى توفى سنة ثلاث وثمانين ومائة .

---

(١) هو الحارث بن عبد الله الهمدانى الحوتى أبو زهير الكوفى الأعور أحد كبار الشيعة . قال الشعبي وابن المدينى : كذاب ، وقال ابن معين فى رواية والنسائى : ليس به بأس ، وقال أبو حاتم والنسائى فى رواية : ليس بالقوى . وقال ابن معين فى رواية : ضعيف توفى سنة ١٦٥ هـ .

(٢) هو فيروز أو دينار العبدى ولاءً أبو إسماعيل البصرى . قال أحمد وابن معين : متروك . مات سنة ١٤٠ هـ .

رفع عبد الرحمن الهاشمى

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمدُ لله ربِّ العالمين ، وصَلواته على سَيدِنا محمد وآلهِ أجمعين

« ذكر سرد النسب الزكى »

« من محمدٍ — صلَّى الله عليه وآله وسلم — إلى آدم عليه السلام »

قال أبو محمد عبدُ الملك بن هشام :

هذا كتاب سيرة رسول الله ـ صلَّى الله عليه وآله وسلم ـ محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب ، واسم عبد المطلب : شَيْبة بن هاشم ، واسم هاشم : عَمْرو بن

ترجمة ابن هشام :

وأما عبد الملك بن هشام ، فمشهور بحمل العلم ، متقدِّم فى علم النسب والنحو ، وهو حِمْيَرِيٌّ مَعَافِرِيٌّ من مصر ، وأصله من البصرة ، وتوفى بمصر سنة ثلاث عشرة ومائتين ، وله كتاب فى أنساب حِمْيَر وملوكها ، وكتاب فى شرح ما وقع فى أشعار السِّيَر من الغريب — فيما ذكر لى — والحمد لله كثيرا ، وصلواته على نبيه محمد وسلامُه .

رفع
المسهم
غفر الله له ولوالديه

. . . .

تفسير نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم

قد ذكرنا فى كتاب التعريف والإعلام بما أبهم فى القرآن من الأسماء الأعلام(١) معانىَ بديعة ، وحكمةً من الله بالغةً فى تخصيص نبيه محمدٍ ـ صلى الله عليه وسلم ـ بهذين الاسمين : محمدٍ وأحمدَ ، فلتُنظر هناك ، ولعلنا أنْ نعودَ إليه فى باب مولِده من هذا الكتابِ ـ إن شاء الله تعالى .

عبد المطلب :

وأما جده عبد المطلب ، فاسمه عامر فى قول ابن قُتَيْبه(٢) ، وشَيْبَة فى قول ابن إسحاق(٣) وغيره ، وهو الصحيح . وقيل : سُمِّى شَيْبَةَ لأنه ولد ، وفى رأسه شَيْبَةَ (٤) ، وأما غيره من العرب ممَّن اسمه شيبة ، فإنما قُصِد فى تسميتهم

---

(١) فى نكت الهميان للصفدى : والأعلام .

(٢) ذكر رأيه هذا فى كتابه المعارف ، وتابعه عليه صاحب القاموس المجد الشيرازى .

(٣) وكذلك ذكر ابن دريد فى الاشتقاق ، والطبرى فى تاريخه . وذكر ابن دريد : أنه مشتق من قولهم : شاب شيبة حسنة ، وشيباً حسناً . ثم قال : وأحسب أن اشتقاق الشيب من اختلاط البياض بالسواد من قولهم : شُبت الشىء بالشىء أشوبه شوباً إذا خلطته .

(٤) وهو رأى القسطلانى فى المواهب اللدنية ، وقد جزم به فى شرحه للبخارى . ويذكر شارح المواهب أن أباه أوصى أمه بذلك . ثم ذكر تعليلا لإضافة شيبة إلى الحمد : إنه رجاء أن يكبر ويشيخ ، ويكثر حمد الناس له . ويقول الطبرى عن سبب تسميته بشيبة : كان فى رأسه شيبة . ويقول ابن دريد أن المطلب أصله مُطْتَلِبٌ على وزن مفتعل بكسر العين ، وأن اشتقاقه من الطلب ، ويقول القسطلانى فى المواهب : وإنما قيل له عبد المطلب ؛ لأن أباه هاشماً قال لأخيه =

بهذا الاسم التفاؤل لهم، ببلوغ سن الحُنكة (١) والرأى، كما سمَّوا بهرم وكبير، وعاش عبد المطلب مائة وأربعين سنة (٢) وكان لِدَةَ (٣) عُبَيد بن الأبرص الشاعر، غير أن عُبَيدًا مات قبله بعشرين سنة، قتله المنذرُ أبو النُّعمان بن المنذر، ويقال: إن عبد المطلب أول من خضب بالسَّواد من العرب، والله أعلم.

وقد ذكر ابن إسحاق سبب تلقيبه بعبد المطلب. والمطلب مُفتَعِل من الطَّلَب.

هاشم:

وأما هاشم فعَمْرٌو — كما ذكر — وهو اسم منقول من أحد أربعة أشياء. من

= المطلب — وهو بمكة حين حضرته الوفاة: أدرك عبدك، ويذكر الزرقانى فى شرحه للمواهب: إنه قال ذلك استعطافاً، أو على عادة العرب فى قولهم لليتيم المربى فى حجر شخص: عبده، فسماه عبداً باعتبار الأول، لأنه رأى نفسه محتضراً، وأنه لا يقوم على ابنه غيره، وذكر القسطلانى وشارح المواهب رأياً آخر فى سبب تسميته بهذا وهو: أن عمه المطلب جاء به إلى مكة رديفه، وهو بهيئة رثة، فكان يُسئل عنه، فيقول: هو عبدى. حياءً من أن يقول: ابن أخى. فلما أدخله مكة وأحسن من حاله. أظهر أنه ابن أخيه. وذكر الزرقانى فى شرحه للمواهب: إنه سمى بهذا، لأن أباه لما مات بغزة، وكان خرج إليها تاجراً وترك أمه بالمدينة، فأقامت عنده أهلها من الخزرج، فكبر عبد المطلب، فجاء عمه المطلب، فأخذه، ودخل به مكة، فرآه الناس مردفه، فقالوا: هذا عبد المطلب، فغلبت عليه، وإلى الرأى الثانى ذهب الطبرى فى قصة طويلة.

(١) التجربة والبصر بالأمور. (٢) كذلك ذكر عالم النسب الزبير بن بكار، وحكاه ابن سيد الناس عن أبى الربيع عنه، وحكاه مغلطاى، وتبعه القسطلانى فى شرحه للبخارى. وقيل إنه عاش ١٢٠ سنة.

(٣) اللِّدَة «بكسر اللام وفتح الدال» من وُلد معك فى وقت واحد.

رفع المسيهم غفر الله له ولوالديه

. . . .

الْعَمْرِ الذى هو العُمْرُ ، أو الْعَمْرِ الذى هو من عُمُور الأسنان ، وقاله القُتَبِيُّ: أو الْعَمْر الذى هو طرف الـكُمِّ ، يقال : سجد على عَمْرَيْهِ أى : على كُمَّيْه ، أو الْعَمْر الذى هو القُرْط ، كما قال التَّنوُخِيُّ :

وعَمْرُو هِنْدٍ كأن اللهَ صوَّره عَمْرَو(١) بن هندٍ يَسُومُ الناسَ تَعْنِيتا

وزاد أبو حَنيفة وجها خامساً ، فقال فى العُمْر الذى هو اسم لنخل السكر ، ويقال فيه عَمْرٌ أيضا ، قال : يجوز أن يكون أحد الوجوه التى بها سمى الرجل : عَمْراً وقال : كان ابن أبى ليلىَ يستاك بعَسيب(٢) الْعُمْر .

عبد مناف :

وعبدُ منافٍ اسمه : للمغيرةُ ـ كما ذكر ـ وهو منقول من الوصف ، والهاء فيه للمبالغة ، أى : إنه مُغيرٌ على الأعداء أو مُغِير من أغار الْحَبْلَ ، إذا أحكمه ، ودخلته الهاء ، كما دخلت فى علاَّمة ونسَّابة ؛ لأنهم قصدوا قصدَ الغاية ، وأجرَوْه مَجرى الطَّامَّة والدَّاهية ، وكانت الهاء أولى بهذا المعنى لأن مَخرَجها غاية الصوت ، ومنتهاه ، ومن ثَمَّ لم يُـكَسَّر ما كانت فيه هذه الهاء ، فيقال فى

(١) يقول إن قرط هند مثل عمرو بن هند أحد الملوك فى الجاهلية .

(٢) العسيب : جريدة النُّخل المستقيمة يكشط خوصها . وما لم ينبت عليه الخوص . وقد ذكر ابن دريد فى الاشتقاق كثيراً مما قيل هنا . كما ذكر أن هاشماً سمى بهذا لهشمه الخبز للثريد . وقال الطبرى : « وإنما قيل له هاشم ، لأنه أول من هشم الثريد لقومه بمكة وأطعمه » ، وفيه قال الشاعر :

عمرو الذى هشم الثريد لقومه ورجال مكة مُسْنِتُون عجاف

وإليه ذهب القسطلانى فى المواهب وغيره .

رفع المسلم

. . . .

عَلاَّمة : عَلالِيم ، وفى نَسَّابة : نساسِيب ؛ كى لا يذهبَ اللفظ الدال على المبالغة ، كما لم يُـكسَّر الاسم المُصَغَّرُ ؛ كى لا تذهب بِنْيَةُ التصغير وعلاَمته .

ويجوز أن تـكون الهاء فى مُغِيرة للتأنيث ، ويكون منقولا من وصف كَتِيبةٍ ، أو خيل مُغيرة ، كما سموا بعسكر . وعبد مناف هذا كان يُلَقَّب قَمَر الْبَطحاء ـ فيما ذكر الطبرى(١) ـ وكانت أمُّه حُبىّ قد أخْدَمَتْهُ مَنَاةَ (٢)، وكان صَنَمًا عظيما لهم ، وكان سُمِّى به عبد مناة ، ثم نظرَ قُصىٌّ فرآه يوافق عَبْدَ مَنَاة بن كِنانَة ، فحَوّله: عَبْدَ منافٍ . ذكره الْبَرْقِىُّ والزبير أيضا ، وفى الْمُعَيطى عن أبى نعيم قال : قت لمالكٍ : ما كان اسم عبد المطلب ؟ قال : شيبة . قلت : فهاشم ؟ قال : عَمْرو ، قلت : فعبدُ مناف ؟ قال : لا أدرى (٣) .

قصى :

وقُصَىٌّ اسمه : زَيْدٌ ، وهو تصغير قَصِىّ أى : بعيد لأنه بَعُدَ عن عشيرته فى بلادِ قُضَاعَةَ حين احتملته أمه فاطمة مع رَابِّه (٤) ربيعَة بن حَرام ، على

---

(١) انظر ص١٨١ جـ٢ المطبعة الحسينية تاريخ الطبرى . (٢) جعلته خادماً له .

(٣) ويقول ابن دريد فى الاشتقاق : « ومناف : صنم . واشتقاقه من ناف ينوف ، وأناف يُنيف إذا ارتفع وعلا . والنوف : السنام ، وبه سمى الرجل : نوفا ... واسم عبد مناف : المغيرة ، والمغيرة : الخيلُ تُغير على القوم ، وفى التنزيل : (فالمغيرات صُبْحا) العاديات : ٣ . والمغيرة : مُفْعِلة من الغارة . يقال : أغار الرجل على القوم يُغير إغارة ، والاسم الغارة ، وموضع الغارة : مُغار . ويقال : أغرت الحبلَ أُغيره إغارة إذا شددت فتله .

ويقال : غرتُ أهلى أغيرهم غيرةً إذا مِرتهم من الميرة « والميرة : الطعام يجمع للسفر » انظر ص ١٦ وما بعدها : الاشتقاق لابن دريد مطبعة السنة المحمدية .

(٤) الرابُّ : زوج الأم يربى ابنها من غيره .

عبدِ مَناف، واسم عبد مناف: المُغِيرة بن قُصَىّ، بن كِلاب، بن مُرّة

ما سيأتى بيانُه فى الكتاب — إن شاء الله تعالى — وصُغِّر على فُعَيْل وهو تصغير فَعِيل(١)، لأنهم كرِهوا اجتماع ثلاث ياءات، فحذفوا إحداهن وهى الياء الزائدة الثانية التى تكون فى فعيل نحو قضيب، فبقى على وزن فُعَيْل، ويجوز أن يكون المحذوف لامَ الفعل، فيكون وزنه فُعَيًا، وتكون ياء التصغير هى الباقية مع الزائدة، فقد جاء ما هو أبلغ فى الحذف من هذا، وهى قراءة قُنْبل: يا بُنَىْ ببقاء ياء التصغير وحدها، وأما قراءة حفص يا بُنَىّ فإنما هى ياء التصغير مع ياء المتكلم، ولام الفعل محذوفة، فكان وزنه فُعَىّ ومن كسر الياء: قال يا بُنَىِّ فوزنه: يا فُعَيْل، وياء المتكلم هى المحذوفة فى هذه القراءة(٢).

---

(١) قال ابن دريد: «وقصى تصغير قاص، وإنما سمى قصيا، لأنه قصا عن قومه، فكان فى بنى عذرة مع أخيه لأمه: يقال قصا الرجل يقصو قَصْوًا». واسم قصى: زيد.. وزيد مصدر من زاد الشىء يزيد زَيْدًا».

ويذكر الطبرى أن كلابا والد قصى هلك بعد أن أنجب زهرة وزيدا — أى قصيا — ، فتزوجت بربيعة بن حرام — وزهرة رجل — وزيد فطيم، فاحتملها إلى بلاده من أرض بنى عذرة من أشراف الشام، فاحتملت معها زيداً لصغره، وتخلف زهرة فى قوم.. وشب زيد فى حجر ربيعة، فسمى زيد. قصيا لبعد داره عن دار قومه «الطبرى ص ٨١ ج ٢».

(٢) ويقول العكبرى فى إعراب يابنى — ابن نوح — فى سورة هود «يا بنى يقرأ بكسر الياء، وأصله: بنيي بياء التصغير وياء هى لام الكلمة، وأصلها واو عند قوم، وياء عند آخرين، والياء الثالثة: ياء المتكلم، ولكنها حذفت لدلالة الكسرة عليها فراراً من توالى الياءات، ولأن النداء موضع تخفيف، وقيل حذفت من اللفظ لالتقائها مع الراء فى اركب، ويقرأ بالفتح — أى فتح الياء — وفيه

رفع
المسهم

. . . .

كلاب :

وأما كِلاب فهو منقول : إما مِن المصدر الذى هو معنى المكالبة نحو : كالبتُ العَدُوَّ مُكالبةً وكِلابا ، وإما من الكِلاَب جمع كَلْب ، لأنهم يريدون الكثْرةَ ، كما سمَّوا بسباعٍ وأنمارٍ (١) . وقيل لأبى الرُّقَيْشِ [الكلابى] (٢)

= وجهان أحدهما : أنه أبدل الكسرة فتحة، فانقلبت ياء الإضافة ألفاً، ثم حذفت الألف ، كما حذفت الياء مع الكسرة لأنها أصلها ، والثانى أن الألف حذفت من اللفظ لالتقاء الساكنين .

ويقول البيضاوى فى تفسير قوله سبحانه : (يا بنى اركب معنا) : « الجمهور كسروا الياء ، لتدل على ياء الإضافة المحذوفة فى جميع القرآن غير ابن كثير؛ فإنه وقف عليها فى لقمان فى الموضع الأول باتفاق الرواة ، وفى الثالث فى رواية قنبل وعاصم فإنه فتح ههنا اقتصاراً على الفتح من الألف المبدلة من ياء الإضافة » وأقول : إذا أضيف المختوم بياء مشددة إلى ياء المتكلم تجمعت فيه ثلاث ياءات متوالية . وهذا ممنوع فى الغالب . ولهذا يكون لمثل هذا الاسم ثلاث أحوال : حذف ياء المتكلم مع بقاء ما قبلها مكسوراً فى كل حال ؛ لتكون الكسرة دليلا على الياء المحذوفة . والحال الثانية : قلب ياء المتكلم ألفاً ، ثم تحذف الألف مع فتح ما قبلها ليكون الفتح دليلا عليها . والحال الأخيرة : حذف إحدى الياءين الأوليين وإدغام الثانية فى ياء المتكلم ، فتنشأ ياء مشددة مكونة من ياءين ، أولاهما : ساكنة ، والأخرى وهى ياء المتكلم مفتوحة ، وصورة هذه كتلك السابقة . ويفضل النحاة الاقتصار على الحال الأولى . وإسكان الياء من بنى قراءة شاذة « شواذ القرآن لابن خالويه ، ص ٦٠ .

(١) فى القاموس : المكالبة : المشارة والمضايقة . يقول ابن دريد : « وأهل الحجاز يسمون الجرىء الذى يخاصم الناس : مكالباً » .

(٢) الزيادة من القلائد للقلقشندى وهو الدقيش . فى اللسان : الدقشة « بفتح =

رفع المسيهم

الأعرابى : لم تُسَمُّون أبناءكم بِشَرِّ الأسماء نحو : كلب وذئب ، وعبيدَكم بأحسنِ الأسماء نحو : مَرْزوق ورَباح ؟ فقال : إنما نسمى أبناءنا لأعدائنا ، وعبيدَنا لأنفسنا ، يريد أن الأبناء عدة الأعداء(١) ، وسهام فى نحورهم ، فاختاروا لهم هذه الأسماء .

مرة :

ومُرَّة منقول من وصف الحنظلة والعَلْقَمة ، وكثيرا ما يسمون بَحَنْظَلَة وعَلْقَمَة ، ويجوز أن تكون الهاء للمبالغة ، فيكون منقولا من وصف الرجل بالمرارة ، ويقوّى هذا قولُهم : تميم بن مُرّ ، وأحسبه من المُسَمَّين بالنبات ، لأن أبا حنيفة ذكر أن المُرَّة بَقْلَة تُقْلع ، فتؤكل بالخل والزيت يشبه ورقُها ورقَ الهِنْدَباء (٢) .

= الدال وسكون القاف وفتح الشين: دويبة رقشاء ، وقيل: رقطاء أصغر من القطاة . وأبو الدقيش كنية . قال الأزهرى : أبو الدقيش كنية . واسمه : الدَّقَش . قال يونس: سألت أبا الدقيش : ما الدقش ؟ فقال : لا أدرى . قلت : ما الدقيش ؟ فقال : ولا هذا . قلت : فاكتنيت بما لا تعرف ما هو ؟ ! ، قال : إنما الكُنى والأسماء علامات، وفى القاموس: الدَّقَشَة بالفتح : دويبة رَقطاء ، أى سوداء يشوبها نقط بياض ، أصغر من القطاة ، أو طائر أرقش . « أى فيه نقط بياض وسواد » . والدَّقش كالنقش وفى حياة الحيوان للدميرى : « الدُّقَيْش بضم الدال وفتح القاف . طائر صغير أصغر من الصُّرَد . وتسميه العامة الدقناش » أقول : والصرد طائر أكبر من العصفور ضخم الرأس والمنقار يصيد صغار الحشرات ، ولم أجد الرقيش .

(١) فى القلائد للقلقشندى « معدة للأعداء » : ص ٢٢

(٢) فى القاموس : والمرة بالضم شجرة أو بقلة . والهندباء أو الهندبا =

بن كَعْب بن لُؤَىٍّ بن فِهْر بن مالك بن النَّضْر بنِ كِنانة بن خُزَيْمة

كعب :

وأما كَعْبٌ فمنقولٌ إما من الكعب الذى هو قطعة من السمن[١] ، أومن كَعْبِ القدَم وهو عندى أشبَهُ ، لقولهم : ثَبَتَ ثُبوت الكعب ، وجاء فى خبر ابن الزُّبَيْر أنه كان يُصلى عند الكعبة يوم قُتِلَ ، وحجارةُ المَنْجَنيقِ[٢] تمر بأذنيه ، وهو لا يلتفت كأنه كَعْبٌ راتبٌ[٣].

وكعبُ ابن لُؤَىّ هذا أول من جمع يوم العَروبة ولم تُسَمَّ العَرُوبة[٤] .

= بكسر الهاء وفتح الدال أو كسرها : بقل زراعى معروف حَوْلِىٌّ من الفصيلة المركبة ، يُطبخ ورقه أو تخلط به « السَّلَطة » وهو عند باعة الخضروات .

(١) فى القاموس « كتلة من السمن ، وقدر صُبَّة من اللبن وفى الاشتقاق لابن دريد : بقية السمن فى النحى .

(٢) آلة قديمة من آلات الحصار كانت ترمى بها حجارة ثقيلة على الأسوار ، فتهدمها وهى مؤنثة معرَّبة . (٣) أى ثابت . (٤) كان يوم الجمعة يسمى فى الجاهلية يوم العروبة ، وقد ذُكِرَ فى تسميته بيوم الجمعة عدة أقوال ، منها : ما ذكر هنا ، ومنها ما أخرجه عبد بن حميد عن ابن سيرين بسند صحيح إليه فى قصة تجميع الأنصار مع أسعد بن زرارة ، فصلى بهم ، وذكرهم ، فسموه الجمعة حين اجتمعوا إليه ، وقيل : سمى بهذا لاجتماع الناس للصلاة فيه ، وبهذا جزم ابن حزم ، وقال : إنه اسم إسلامى لم يكن فى الجاهلية ، ورد الحافظ بأن أهل اللغة قالوا : إن العروبة اسم قديم كان للجاهلية ، وقالوا فى الجمعة : هو يوم العروبة ، فالظاهر أنهم غيروا الأسماء لسبعة الأيام — وكانت تسمى : (أول ، أهون ، جُبَار ، دبار ، مؤنس ، عروبة ، شيار) وذكر الجوهرى أن العرب كانت تسمى يوم الاثنين أهون ، وهذا يشعر بأنهم أحدثوا لها أسماء وهى هذه المتعارفة كالسبت والأحد ودبار بضم الدال وكسرها .

الجمعةَ إلاَّ منذ جاء الإسلام فى قول بعضهم ، وقيل هو أول من سمَّاها الجمعة ، فكانت قُرَيْشٌ تجتمع إليه فى هذا اليوم ، فيخطبهم (١) ويذكِّرهم بمبعث النبي — صلى الله عليه وسلم (٢) — ويُعلمهم أنه مِنْ ولده ، ويأمرهم باتباعِه والإيمان به ، وينشد فى هذا أبياتا منها قوله :

باليتنى شاهدٌ فَحْواءَ دَعْوَتِه ... إذا قُرَيْشٌ تُبَغِّي الحَقَّ خِذْلانا (٣)

---

(١) وذكر مثل هذا الزبير فى كتاب النسب ، وبه جزم الفراء ، وغيره . وقيل إن قصيا هو الذى كان يجمعهم ، ذكره ثعلب فى أماليه .

(٢) التعبير الدقيق الذى ذكره الزبير فى كتاب النسب « ويأمرهم بتعظيم الحرم ، ويخبرهم بأنه سيبعث نبى » وهذا يمكن تصديقه . ففى كتب أهل الكتاب بشارات بنبى يبعث اسمه أحمد . أما من أبوه ومن أيَّة قبيلة يكون ؟ فهذا ما لم يكن معروفاً لأحد بدليل أن محمداً نفسه لم يكن يعرف شيئاً عن هذا قبل بعثه فالله يقول له — (وما كنتَ ترْجو أن يُلْقَى إليك الكتاب إلا رحمةً من ربك ، فلا تكونَنَّ ظهيراً للكافرين) القصص : ٨٦ . ويقول ابن كثير فى تفسيرها (أى ما كنت تظن قبل إنزال الوحى إليك أن الوحى ينزل عليك (إلا رحمة من ربك) أى إنما أنزل الوحى عليك من الله من رحمته بك وبالعباد بسببك) فكيف ننسب إلى كعب بن لؤى أنه كان يعلم مالم يكن يعلمه الرسول — صلى الله عليه وسلم — عن نفسه !؟ الحق أن مكانة الرسول — صلى الله عليه وسلم — فوق هذا ، ولا تحتاج إلى أساطير كهذه لدعمها ، فهو بالوحى فوق كل إنسان فى الوجود وإن كان مثلهم فى بشريته . وقد ذكر الزرقانى فى شرحه على المواهب أن ما أورده القسطلانى عن كعب — وهو نفس ماذكره السهيلى — « قد رواه أبو نعيم فى الدلائل عن كعب الأحبار مطولا . وفى آخره : وكان بين موت كعب ومبعث النبي — صلى الله عليه وسلم — ٥٦٠ سنة » (٣) الفحوى : معنى الكلام ولحنه وفيها لغات ويروى نجواء بدل فحواء ، و (حين العشيرة تبغى) بدلا من (إذا =

وقد ذكر الماوردى هذا الخبر عن كعب فى كتاب الأحكام له .

لُؤَىّ :

وأما لُؤَىّ ، فقال ابن الأنبارىّ هو تصغير اللَّأْى ، وهو الثَّوْرُ الوحشى وأنشد :

يَعْتَادُ أدْحِيَةً بَقِينَ بِقَفْرَةٍ مَيْثَاء يسكنُها اللَّأْى والفَرْقَدُ (١)

قال أبو حنيفة : اللَّأْى هى البقرة . قال: وسمعت أعرابيا يقول : بكم لاءك هذه ، وأنشد فى وصف فلاة :

كَظَهْرِ اللَّأْيِ لو يُبْتَغَى رِيَّةً بها نهاراً لأَعْيَتْ فى بُطُونِ الشَّواجن (٢)

ـــ قريش تبغى) والمعنى ـــ كما ذكر الزرقانى ـــ (يتمنى إدراك زمن دعوته ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ للناس ، وقريش يعارضونه ، ويطلبون خذلان دينه ؛ لينصره ويظهر دينه ، (١) يعتاد : ينتاب . الأدحية ـــ وفيها لغات ـــ : أمكنة بيض النعام . ميثاء : لينة سهلة . الفرقد : ولد البقر (٢) البيت للطرماح وهو فى اللسان : تبتغى على البناء للمجهول ، وعيت بدلا من أعيت . وقد فسره بقوله : هذه الصحراء كظهر بقرة وحشية ليس فيها أكمة ولا وهدة . وفى مكان آخر من اللسان فى مادة لأى :

كظهر اللأى لو يبتغى رية بها ٭ لعنت وشقت فى بطون الشواجن

يبتغى بالبناء للمجهول ، وفتح راء رَيَّة . ورواه فى مادة ورى . وشجن بروايات مختلفة .

رفع المسيّس هم

. . . .

الشواجنُ : شُعَبُ الجبال ، والرِّية : مَقْلوبٌ من وَرَى الزَّنْدُ(١)، وأصله : وِرْيَة ، وهو الْحُرَاقُ الذى يُشْعَل به الشررة من الزَّند ، وهو عندى تصغيرُ لأْيٍ ، واللَّأْىُ : الْبُطء ، كأنهم يريدون معنى الأناة ، وترك الْعَجَلة ، وذلك أنى أَلْفَيْتُه فى أشعار بَدْرٍ مُكَبرًا على هذا اللفظ فى شعر أبى أسامة، حيث يقول :

فَدُو نَكُمُ بنى لأْيٍ أخاكم ودونَكِ مالكًا يا أُمَّ عَمْرِو(٢)

مع ما جاء فى بيت الْحُطَيْئَة فى غيره :

أتت آلَ شَمَّاسِ بن لَأْيٍ، وإنما أتاهم بها الأحلامُ والْحَسَبُ الْعِدُّ(٣)

وقوله أيضاً :

فماتت أمُّ جارة آل لأْيٍ ولكنْ يَضْمَنُون لها قِرَاها

---

(١) وَرَى الزَّند : خرجت ناره ، وَوَرِى الزَّند كذلك وأورى الزَّند خرجت ناره وأخرجها .

(٢) ستأتى القصيدة كاملة فى الشعر الذى قيل فى قتلى بدر من المشركين . والشاهد فيه قوله : بنى لأى يريد : بنى لؤى .

(٣) البيت فى اللسان والقصيدة فى الأغانى، والحطيئة هو أبو مُلَيْكة جرول الشاعر المشهور . كان من أكبر الهجائين والمداحين فى عصره ، وصم بدناءة الخلق ورقة الدين ، إلا أن شعره طار بذكره . جاء عنه فى مهذب الأغانى : « وهو من فحول الشعراء ومتقدميهم ، ومن فصحائهم ، متصرف فى جميع فنون الشعر من المدح والهجاء والفخر والنسيب ، مجيد فى ذلك أجمع ، وهو مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ، فأسلم ثم ارتد » والبيت من عيون قصائده فى المدح . والأحلام : جمع حلم : العقل والأناة وضبط النفس . والحسب : ما يعدُّه الإنسان من مناقبه أو شرف آبائه ، والعِدُّ : القديم .

رفع المستهم

. . . .

وفى الحديث من قول أبى هريرة

[والرَّاوِيَةُ يومئذٍ يُسْتَقَى عليها] أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ شاءٍ ولاءٍ ، فاللاءُ ههُنا جمع اللاَّئِى ، وهو الثور ، مثل الباقِر والجامِل ، وتوهَّم ابن قُتَيْبَةَ أن قوله : لاء مثل ماء خطَّأَ الروايةَ ، وقال : إنما هو ألآء مثل : ألعاع جمع لَأًى ، وليس الصوابُ إلا ما تقدم ، وأنه لاء مثل جاء (١) .

فهر وغيره :

وأما فِهْرٌ (٢) فقد قيل : إنه لَقَبٌ ، والفِهر من الحجارة : الطويلُ ، واسمه

---

(١) مابين قوسين من اللسان. قال ابن الأثير فى النهاية تعليقا على هذا الحديث : « قال القتيبى — يعنى ابن قتيبة — هكذا رواه نقلة الحديث : لاء بوزن جاء ، وإنما هو أَلْأَاء بوزن ألْعاع ، وهى الثيران ، واحدها . لأى بوزن قفا ، وجمعه أقفاء يريد : « بعير يستقى عليه يومئذ خير من اقتناء البقر والغنم » كأنه أراد الزراعة لأن أكثر من يقتنى الثيران والغنم الزراعون » .

ويقول ابن دريد : (واشتقاق لؤى من أشياء ، إما تصغير لواء الجيش وهو ممدود ، أو تصغير لوى الرمل (أى ما التوى من الرمل أو منقطعه) وهو مقصور ، أو تصغير لأى تقديره : لعًى ، وهو الثور الوحشى ، واللوى اعوجاج فى ظهر القوس . واللوى : الوجع يعترى البطن ، وتقول لويت الرجل دينه ألويه ليًّا إذا مطلته .

(٢) لم يذكر هنا غالبًا وهو — كما يقول ابن دريد — فاعل من قولهم : غلب يغلب غلبا . ويقول ابن دريد : الفهر : الحجر الأملس يملأ الكف أو نحوه ، وهو مؤنث يدلك على ذلك أنهم صغروا فهرا : فهيرة ، وقال الخشنى ص ٣ : يذكر ويؤنث ، وخطأ الأصمعى من يؤنثه

رفع المسهم

. . . .

قُريش ، وقيل : بل اسمُه فِهر ، وقريشٌ لقب له على ما سيأتى الاختلاف فيه – إن شاء الله تعالى – ومالكٌ والنَّضرُ وكِنانة لا إشكال فيها (١) .

خزيمة :

وخُزَيْمةُ والدُ كِنانَة تصغيرُ خَزَمَة ، وهى واحدة الْخَزَمِ (٢)، ويجوز أن يكون تصغير خَزْمَة ، وكلاهما موجود فى أسماء الأنصار وغيرهم ، وهى الْمَرَّةُ الواحدة من الْخَزْمَ ، وهو : شد الشىء وإصلاحه ، وقال أبو حنيفة : الْخَزَم مثل الدَّوْمِ تُتَّخَذُ من سَعَفِه الحِبال ، ويُصْنَع من أسافله خلايا للنحل ، وله ثمر لا يأكله الناس ، ولكن تألفه الغربان وتستطيبه .

---

(١) مالك فاعل من (ملك) والنضر هو أبو جميع قريش ، والنضر : الذهب بعينه ، والنضار : الخالص من كل شىء ، وربما سمى الذهب: نضارا ، وكل شىء استحسن فهو نضير . وابن كنانه : الكنانة : كِنانة النَّبْل إذا كانت من أدم «جلد» فهى كنانة فإن كانت من خشب ، فهى جفير ، وإن كانت من قطعتين مقرونتين فهى قرن ، والكنانة تجمع هذا كله . . وكِن كل شىء : ما اكتننت فى ظله .

(٢) الخَزَم : شجر تتخذ من لحائه الحبال ، وهو خوص الدَّوْم . وكانت أسفاط النساء تعمل منه . والدَّوْم : شجر عظام من الفصيلة النخلية يكثر فى صعيد مصر ، وفى بلاد العرب وله ثمار فى غلظ التفاحة ذات قشر صلب أحمر ، ونواة ضخمة ذات لبٌ ، وضخام الشجر من كل نوع ، ومفرد خزم : خزمة .

مدركة والياس :

وأما مُدرِكة (١) فمذكورٌ فى الكتاب ، والياسُ أبوه ، قال فيه ابن الأنْبارِىّ : إلياس بكسر الهمزة ، وجعله موافقا لاسم إلياسَ النبى — صلى الله عليه وسلم — ، وقال فى اشتقاقه أقوالا منها : أن يكون فِعْيَالاً من الألْسِ (٢)، وهى الخديعة وأنشد : من فَهَّةِ الجَهْلِ والألْسة(٣) .

ومنها أن الألْسُ : اختلاط العقْل ، وأنشدوا :

إنى إذاً لَضَعِيفُ العقلِ مألوس .

ومنها : أنه إفعال من قولهم : رَجُلٌ أَليسُ ، وهو الشجاع الذى لاَ يَفِرُّ . قال العجاج :

أَليَسُ عن حَوْبَائِهِ سَخِى (٤) .

---

(١) لقب مدركة ؛ لأنه أدرك الإبل التى كانت قد ضلت ، وهو من أدرك يدرك إدراكا أى : لحق .

(٢) يقال فيه : ألس — بفتح فكسر — غش وخدع . وأُلِس بضم فكسر : اختلط عقله . وابن الأنبارى هو : أبو محمد بن القاسم كان من الحفاظ وعلامة فى النحو واللغة ، توفى سنة ٣٢٨ هـ . والأنبار بلدة قديمة على الفرات .

(٣) الفهة والفهاهة والفهفهة : العِى والزلة والجهلة .

(٤) ليس — بفتح فكسر — لَيَسا بفتح فسكون شجع ، والحوباء : النفس أو روع القلب .

رفع المسهم

وقال آخر :

أَلْيَسُ كالنَّشْوانِ وهْوَ صاح .

وفى غريب الحديث للقُتَبِىّ(١) أن فلانا : أَلْيَسُ أَهْيَسُ أَلَدُّ مِلْحَسٌ . إن سُئِل أَرَزَ ، وإن دُعِى انْتَهَزَ . وقد فسره ، وزعم أن أهْيَسُ مقلوبُ

(١) يعنى: ابن قتيبة، وقد نقله اللسان ، وفيه فى مادة ليس: الأهوس الذى يدق كل شىء ويأكله .. وربما ذموه بقولهم: أهيس أليس، فإذا أرادوا الذم عنى بالأهيس: الأهوس ، وهو الكثير الأكل، وبالأليس: الذى لايبرح بيته ، وهذا ذم . والألد الخصم الشجدِل ، والمِلْحَسُ : الحريص ، أو الذى يأخذ كل ما قدر عليه ، أو الشجاع . جمعها : ملاحس . الأرز : فى القاموس : امتلاء المجلس ، والضيق والممتلىء . وحلب الناقة . وفى النهاية لابن الأثير — المسجد أرزٌ ممتلىء بالناس ، وأتيت الوالى ، والمجلس أرز : كثير الزحام ليس فيه متسع ، والناس أرزٌ إذا انضم بعضهم إلى بعض . وانتهز : قبل وأسرع . وقد جاء فى النهاية لابن الأثير : «وفى حديث أبى الأسود : عليكم فلاناً فإنه أهْيس ألْيس ألدُّ ملحسُ» وعقب بقوله عن ملحس : «هو الذى لايظهر له شىء إلا أخذه ، وهو مفعل من اللحس ويقال : التحست منه حقى أى : أخذته» وفى فتح البارى : إلياس بهمزة قطع وهو اسم عبرانى ، وفى اللسان فى مادة ليس : «وإلياس اسم أعجمى ، وقد سمت به العرب ، وهو إلياس بن مضر» وفى مكان آخر فى مادة سلل : «قال المفضل بن سلمة — وقد ذكر إلياس النبى عليه السلام — فأما الياس بن مضر فألفه ألف وصل، واشتقاقه من اليأس وهو السُّل ، وقال الزبير بن بكار : الياس بن مضر هو أول من مات من السل، فسمى السل يأسا ، ومن قال إنه إلياس بقطع الألف على لفظ النبى عليه الصلاة والسلام ، أنشد بيت قصى . أمهتى خندف والياس أبى» وفى رأى ابن الأنبارى ستكون همزة إلياس مكسورة ، وفى رأى قاسم بن ثابت : ستكون الهمزة مفتوحة لأنها همزة أداة التعريف الْ .

. . . .

الواو ، وأنه مرة من الهَوَسِ ، وجُعِلت واوُه ياء لازدواج الكلام ، فالأَلْيَسُ : الثابت الذى لا يَبْرَح ، والذى قاله غير ابن الأنباريّ أصحّ ، وهو أنه إلياسُ سُمِّى بضد الرجاء ، واللام فيه للتعريف ، والهمزةُ همزة وصل ، وقاله قاسمُ ابن ثابت فى الدلائل(١) ، وأنشد أبياتاً شواهد منها قول قُصَىّ :

إنِّى لَدَى الحَرْبِ رَخِيُّ اللَّبَبِ ... أُمَّهَتِى خِنْدِفُ وَالْيَاسُ أَبِى(٢)

---

(١) هو ابن حزم العوفى المالكى الأندلسى الفقيه المحدث توفى سنة ٣٠٢ ﻫ .

(٢) اللبب ، المنحر ، وموضع القلادة من الصدر ، وما يشد فى صدر الدّابة ، ليمنع استئخار الرَّحْل . وإنّه لرخيُّ اللبب : واسع البال لا يضيق بها ، وفى سعة حال . ويقال : فلان فى لبب رخى : فى سعة وخصب وأمن . والمراد هنا بيان كثرة مبارزته الأقران مما سبب ارتخاء اللبب من كثرة الجرى . وخِنْدف زوجة الياس بن مضر هي : ليلى بنت حلوان بن عمران ، وكان الياس بن مضر خرج فى نجعة ، فنفرت إبله من أرنب ، فخرج إليها عمرو فأدركها ، وخرج عامر فتصيدها ، وطبخها ، وانقمع عمير فى الخباء ، وخرجت أمهم تسرع ، فقال لها الياس : أين تخندفين ؟ فقالت : مازلت أخندف فى إثركم ، فلقبوا — أى أولاد الياس — مدركة ، وهو عامر — كما فى نسب قريش — وطابخة ، وهو عمرو كما ذكر المصدر السابق وقمعة ، الطبرى والقاموس ، وخندف والخندوف : المتبختر فى مشيه كبراً وبطراً . أقول ذكر الزرقانى فى شرح المواهب عن الياس : «وفى سيرة مغلطاى اسمه حبيب ، وفى الخميس إنما سمى الياس ، لأن أباه كبر ، ولم يولد له ، فولد على الكبر واليأس ، فسمى : الياس ، وكنيته : أبو عمرو . وفى الطبرى أن الياس قال لعمرو ابنه : إنك قد أدركت ما طلبتا . وقال لعامر : وأنت قد أنضجت ما طبختا ، وقال لعمير : وأنت قد أسأت ، وانقمعتا . وأمهتى : والدتى ، وقيل إن جمع الأم فى البهائم . أمات ، وفى الناس : أمهات . وقال آخرون . أمهات واحدها أمهة . وقيل : الهاء زائدة ، وقيل أصلية . وقد ورد فى اللسان :

رفع
المسهم
عز الله لطالب

. . . .

ويقال : إنما سُمّى السُّلُ داء ياسٍ؛ وداء اليَاسِ، لأن اليَاسَ بن مُضَرَماتَ منه . قال ابن هَرْمة .

يقول العاذلون إذا رَأَوْنى أُصِبْت بداء يَاسٍ، فهو مُودى

وقال ابن أبى عاصية :

فلوكان داءُ اليَاسِ بى ، وأعاننى طبيبٌ بأرواح العَقِيق شفانيا

= إنى لدى الحرب رخىٌّ لبى عنـــد تناديهم بهال وهب
معـــتزم الصولة عال نسبى أمهتى خندف والياسُ أبى

وهال : زجر للخيل ، وهب : دعاء لها. وفى باب الهاء ورد فى اللسان هكذا .

عنْد تناديهم بهال وهب أمهتى خندف ، والياس أبى
حيْدرة خالى لقيط وعلى وحاتم الطائىٌّ وهاب الـمِئِى

وفيه : وقد جاءت الأمهة فيما لا يعقل

وفى إعراب ثلاثين سورة لابن خالويه : « ولقيط وعدى » وفى خزانة الأدب للبغدادى أن قوله : «وحاتم الطائى وهاب المئى» هو من رجز أورده أبو زيد فى نوادره فى موضعين فى أحدهما : نسبه إلى إمرأة من بنى عقيل تفخر بأخوالها من اليمن وهو :

حيـــدة خالى ولقيط وعلى وحاتم الطائى وهاب المـــئى
ولم يكن كخالك العبد الدعى يأكل أزمان الهزال والسِّنى

هنات عير ميت غير ذكى

وأقول : لا يعقل أن يكون البيت الأول من كلام قصى لأنه كان قبل أن يولد حاتم « انظر اللسان وإعراب ثلاثين سورة لابن خالويه والأمالى والسمط وشرح شواهد الشافية »

. . . .

وقال عُروة بن حزام(١):

بى اليَاسُ أو دَاءِ الْهُيامِ أصابنى فإيَّاكِ عَنِّى لا يَكُنْ بكِ مابيا

ويُذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: لا تَسُبُّوا اليَاسَ، فإنه كان مؤمنا(٢) وذكر أنه كان يُسمع فى صُلبه تَلْبية النبي – صلى الله عليه وسلم – بالحج(٣). يُنظَر فى كتاب المولد للواقدى.

واليَاسُ أول من أهدى الْبُدْنَ(٤) للبيت. قاله الزبير. وأم الياس: الرَّبابُ بنت حُمَيْرَةَ بن مَعَدّ بن عدنان قاله الطبرى(٥)، وهو خلاف ما قاله ابن هشام فى هذا الكتاب.

وأما مُضَر، فقد قال القُتَبيُّ هو من الْمَضِيرَة، أو من اللبن الماضِر، والْمَضِيرَةُ

---

(١) فى الأغانى وتزيين الأسواق أنه للمجنون.

(٢) قال البرهان الزركشى: لاأدرى أنا حال هذا الحديث.

والذى فى الجامع الصغير: «لاتسبوا مضر، فإنه كان قد أسلم» رواه ابن سعد عن عبد الله بن خالد مرسلا، وهو ضعيف.

(٣) أسطورة لا يشرف النبي «ص» أن نخترعها له.

(٤) مفردُها بدنة جمعها: بُدُنٌ وبُدْن. قيل: هى البعير ذكرا كان، أو أنثى. والهاء فيها للوحدة لاللتأنيث، ونقل عن مالك أنه كان يتعجب ممن يخص البدَنة بالأنثى. ويقول الأزهرى فى التهذيب: البدنة لاتكون إلا من الإبل، وأما الـهَدْىُ فمن الإبل والبقر والغنم، وفى الصحاح للجوهرى أن البدنة ناقة أو بقرة تنحر بمكة سميت بذلك لأنهم كانوا يسمنونها.

(٥) الذى فى الطبرى: الرباب بنت حَيْدة، فلا يكون مخالفا لابن هشام.

رفع
المسهم
عبد الله بن ظبي الله

. . . .

شيء يُصنع من اللبن (١) ، فسمي : مُضَر لبياضه (٢) ، والعربُ تسمي الأبيضَ أحمرَ ، فلذلك قيل : مُضَرُ الحمراء ، وقيل بل أوصى له أبوه بقُبَّة حمراء ، وأوصى لأخيه ربيعةَ بفرسٍ ، فقيل : مضر الحمراء ، وربيعةُ الفَرس .

ومضر أول من سَنّ للعرب حُداء الإبلِ(٣) ، وكان أحسنَ النَّاسِ صوتا فيما زعموا – وسنذكر سبب ذلك فيما بعدُ – إن شاء الله تعالى – ، وفي الحديث المروي : «لاتَسُبُّوا مُضَرَ ولا ربيعة ، فإنهما كانا مؤمنين (٤) » ذكره الزُّبَيْرُ بن أبي بكر .

نزار ومعد :

وأمَّا نِزار ، فمن النَّزْرِ وهو القليلُ ، وكان أبوه حين وُلد له ، ونظر إلى

---

(١) مضر اللبن بفتح الميم والضاد مضرا ومضرا بسكون الضاد وفتحها ومضورا حمض ، وابيض ، فهو ماضر .

(٢) وقيل لأنه كان يمضر القلوب لحسنه وجماله لأنه كان يأخذ بقلب من يراه : وقيل اسمه : عمرو ، وكنيته : أبو الياس .

(٣) وفي القاموس : « ومضر الحمراء ، لأنه أعطى الذهب من ميراث أبيه وربيعة أعطى الخيل ، أو لأن شعارهم كان في الحرب : الرايات الحمر » وفي نهاية الأرب أن أولاد نزار اقتسموا ميراثه : فخرج الفرس من نصيب ربيعة ، فسمى ربيعة الفرس ، وكان لمضر الناقة الحمراء ، فسمى مضر الحمراء . » وأما حداؤه للابل ففي الكامل لابن الأثير ٢ : ١١ لأنه سقط عن بعيره ، فجعل يقول : يا يداه ، فأتته الإبل

(٤) رواه الديلمي في مسند الفردوس .

رفع عبد الرحمن المسلم

. . . .

النور بين عينيه ، وهو نورُ النُّبوةِ الذى كان ينتقل فى الأصلاب(١) إلى محمد

(١) يغلو بعض الناس فى تقديس الرسول — صلى الله عليه وسلم — تقديسا ينزِع بهم إلى تأليهه ، أو يسبغ عليه ما أسبغ الأسطوريون على يسوع ، فيرددون ما ردده المؤلف هنا ، وحقائق التاريخ تكذب هذه المفتريات ، والقرآن يدمغها بأنها ضلالة ، والأحاديث الصحيحة تنفيها . فإن هذه المفتريات تزعم أن الرسول — صلى الله عليه وسلم — كان نورا يتنقل فى الأصلاب من آدم إلى عبد الله ، وأن هذا النور كان يشرق فى جباه هؤلاء الذين كان ينتقل فى أصلابهم . ويستشهدون على هذا بقوله سبحانه — (وتقلبك فى الساجدين) وأيضا بما رواه البزار وابن أبى حاتم من طريقين — عن ابن عباس — أنه قال فى هذه الآية : « يعنى تقلبه من صلب نبى إلى صلب نبى حتى أخرجه نورا » والآية القرآنية لا تعطى هذا المفهوم ، وإليك ما يقوله ابن كثير فى تفسير قوله تعالى (الذى يراك حين تقوم ، وتقلبك فى الساجدين) الشعراء : ٢١٨ ، ٢١٩ .

« قال ابن عباس : (الذى يراك حين تقوم) . يعنى إلى الصلاة ، وقال عكرمة : يرى قيامه وركوعه وسجوده . وقال الحسن : (الذى يراك حين تقوم) إذا صليت وحدك ، وقال الضحاك : (الذى يراك حين تقوم) أى من فراشك ، أو مجلسك ، وقال قتادة : (الذى يراك) قائما وجالسا ، وعلى حالاتك وقوله تعالى: (وتقلبك فى الساجدين) قال قتادة : (الذى يراك حين تقوم ، وتقلبك فى الساجدين) قال : فى الصلاة يراك وحدك ، ويراك فى الجمع ، وهذا قول عكرمة . وعطاء الخراسانى ، والحسن البصرى ويقول البغوى : «وقيل معناه : يرى تصرفك وذهابك ومجيئك فى أصحابك المؤمنين ، وقيل تصرفك فى أحوالك كما كانت الأنبياء من قبلك » .

أما ما نقله البزار وابن أبى حاتم عن ابن عباس فهو كلام مفترى على حبر هذه الأمة ابن عباس ؛ ولهذا لم يخرجه أحد من رواة الحديث فى صحيحه أو مسنده أو سننه . وقول ابن عباس الذى نقله ابن كثير يدمغ ما نقله البزار بأنه موضوع . ثم إنا =

رفع
المسلم
عز الله البطالة

— صلى الله عليه وسلم — فرح فرحا شديدا به ، ونحَرَ وأطعم ، وقال : إن هذا كله نَزْرٌ لحقّ هذا المولود ، فسمى : نِزارا لذلك(١) .

وأما مَعَدٌّ أبوه فقال ابن الأنبارِي : فيه ثلاثةُ أقوالٍ ، أحدها ، أن يكونَ مَفْعَلاً من العَدِّ ، والثانى أن يكونَ فَعَلاً من مَعَد فى الأرض أى : أفسد كما قال .

وخارِبَيْنِ خَرَبَا فَمَعَدَا مايَحْسِبان اللهَ إلاَّ رَقَدَا (٢)

= نسأل : أكان آزر والد إبراهيم من الساجدين ؟ وحسبنا هذا ، ولن نتعرض لغيره من تنقل الرسول — صلى الله عليه وسلم — فى أصلابهم كما يزعمون . والله تعالى يأمر فى القرآن نبيه أن يصدع بهذه الآيات : (قل : إنما أنا بشر مثلكم يُوحَى إلىَّ أنما إلهكم إلهٌ واحدٌ) ذكرت مرة فى سورة الكهف ، وأخرى فى فصِّلت ، (قل : ما كنت بِدْعاً من الرُّسل ، وما أدرى ما يفعل بى ، ولا بكم) الأحقاف (ما كنت تدرى ما الكتاب ، ولا الإيمان) (وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب إلاَّ رحمةً من ربك) أفمن خصائص البشرية مايزعم المفترون ؟ وهل تَقلَّبَ الرسل جميعا تقلب محمد ، فهو ليس بدعا من الرسل ؟ وإذا ثبت أن الرسول — صلى الله عليه وسلم — ببرهان القرآن — لم يكن يعرف إيمانا ولا كتابا قبل بعثته ، فمن أين هذه النبوة التى كان يشرق نورها على جباه أصلابه ؟ إن حقائق القرآن تشهد لمحمد — صلى الله عليه وسلم — بأنه خاتم الرسل ، وعلى خلق عظيم ، وبأنه بالمؤمنين رءوف رحيم ، وبأنه ما افترى على الله كذبا . فلنشهد له بما شهد له به القرآن ، لا بما يزينه الشيطان .

(١) وقال صاحب الأغانى : سمى بذلك لأنه كان فريد عصره ، وقيل : لقب به لنحافته ؛ وعن الماوردى أنه كان مهزول البدن ، فقال له ملك الفرس : ما لك يا نزار : ومعناها فى الفارسية ، مهزول .

(٢) فى اللسان : معد فى الأرض : إذا أبعد فى الذهاب ، والخارب : اللص أو سارق الإبل . والرجز هو :

=

وإن كان ليس فى الأسماء ماهو على وزن فَعَل بفتح الفاء إلا مع التضعيف، فإن التضعيف يُدْخل فى الأوزان ماليسَ فيها كما قالوا . شَمَّر وقُشَعْرِيرة ، ولولا التضعيف ما وُجِد مثل هذا ، ونحو ذلك الثالث أن يكونَ من المَعَدَّيْن ، وهما موضع عَقِبَى الفارسِ من الفَرَسِ (١) وأصله على القولين الأخيرين من المَعْد بسكون العين ، وهو القوة ، ومنه اشتقاق المعدة .

عدنان :

وأما عَدْنَانُ فَفَعْلَان من عَدَنَ إذا أقام ، ولعدنان أخوان : نَبْتٌ وعَمْروٌ فيما ذكر الطبرى (٢) .

النسب قبل عدنان :

وأُدَدٌ مَصْروفٌ . قال ابن السراج . هو من الوُد وانصرف ، لأنه مثل ثُقَب ، وليس مَعْدولا كعُمَرَ ، وهو معنى قول سيبويه .

= أخشى عليها طيئا وأسدا : وخاربين خَرَبَا فَمَعَدا : لا يحسبان الله إلا رقدا أى : اختلساها واختطفاها . قال ابن برى عن معد : الميم أصلية ، قال : وكذا ذكر سيبويه : قولهم مَعَدٌّ فقال : الميم أصلية لقولهم تمعدد قال ولا يحمل على تمفعل مثل تمسكن لقلته ونزارته . وفى مادة معد نقل اللسان عن اللحيانى : معد الشىء معدا وامتعد : اختطفه ،فذهب به ، وقيل اختلسه .ثم استشهد بهذا الرجز ، ومعد فى الأرض يَمْعد « بضم العين » معدا ومعودا : إذا ذهب .

(١) فى اللسان أيضا : المعدان : الجنبان من الإنسان وغيره . . والمعدان من الفرس ما بين رءوس كتفيه إلى مؤخر متنه .

(٢) هما أخواه لأبيه كما فى الطبرى .

رفع
المستهم
غفر الله له ولوالديه

. . . .

وقد قيل فى عدنان : هو ابن مَيْدَعَة وقيل ابن يَحْشُم [١] قاله القُتَيبىُّ وما بعد عدنان من الأسماء مُضْطَرِب فيه ، فالذى صح عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أنه انتسب إلى عدنان لم يتجاوزه ، بل قد روى عن طريق ابن عباس أنه لما بلغ عدنان . قال : « كَذَبَ النَّسَّابُون مرتين أو ثلاثا » [٢] ، والأصح فى هذا الحديثِ أنه من قول ابن مسعود [٣] ، وروى عن عمر — رضى الله عنه — أنه قال : إنما ننتسب إلى عدنانَ ، وما فوق ذلك لا ندرى ما هو وأصحُّ شيء رُوِى فيما بعدَ عدنان ما ذكره الدَّوْلَابى [٤] أبو بشر من طريق موسى بن يعقوب ، عن عبد الله بن وهب بن زَمْعَة الزَّمْعِيِّ ، عن عَمَّته ، عن أمّ سَلَمة عن النبى — صلى الله عليه وسلم — أنه قال : « مَعَدُّ بن عَدنانَ بن أُدَد بن زَنْد — بالنون — بن الْيرَىَ بن أَعْراقِ الثَّرى [٥] » قالت أمُّ سَلَمة . فزَنْدٌ هو

---

(١) الذى فى المعارف لابن قتيبة : يحشوم .

(٢) أخرجه ابن عساكر ، وابن سعد والديلمى فى مسند الفردوس وقال ابن عبد البر فى الإنباه : ليس بالإسناد القوى .

(٣) كان ابن مسعود إذا قرأ قوله تعالى : (ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لايعلمهم إلا الله) يقول : كذب النسابون . يعنى أنهم يدعون علم الأنساب ، ونفى الله علمها عن العباد بقوله سبحانه : لا يعلمهم (إلا الله) الزرقانى فى المواهب .

(٤) هو : أبو بشر محمد بن أحمد بن حماد بن سعيد الأنصارى الرازى الدولابى روى عنه ابن أبى حاتم وابن عدى وابن حبان والطبرانى وغيرهم . قال الدارقطنى تكلموا فيه . وقال ابن يونس : ضعيف ولد سنه ٢٢٤ ومات ٣١٠ هـ .

(٥) هو فى الطبرى بدون ال ، وفى غيره : برى — بالباء — وهو الصواب ، فالبرى : التراب وهو يناسب معنى ما بعده . والحديث مكذوب ، فالرسول =

رفع
المسيّهم
عبدالله الطارق

. . . .

الهَمَيْسَعُ ، والْيرَى هو : نبتٌ ، وأعراقُ الثَّرى هو : إسماعيل ؛ لأنه ابن إبراهيمَ ، وإبراهيمُ لم تأكُله النارُ ، كما أن النارَ لا تأكل الثَّرى .

وقد قال الدَّارَقُطنِيُّ : لا نعرف زَنْداً إلا فى هذا الحديث ، وزَنْد بن الجَوْنِ وهو أبو دُلاَمَةَ الشاعر .

قال المؤلف : وهذا الحديث عندى ليس بمعارض لما تقدم من قوله : كذب النسابون ، ولا لقول عمر ـ رضى الله عنه ـ لأنه حديثٌ مُتأوَّل يحتمل أن يكون قولهُ : «ابن اليرى ، ابن أعراقِ الثَّرى» كما قال : «كُلُّكُمْ بنو آدمَ ، وآدمُ من تراب» (١) لا يريد أن الهَمَيْسَعَ ومَنْ دونه ابنٌ لإسمعيلَ لصُلْبِهِ ، ولاَ بُدَّ من هذا التأويلِ أو غيره ؛ لأن أصحابَ الأخبارِ لا يختلفون فى بُعْد المدة ما بين عدنان وإبراهيم ، ويستحيل فى العادة أن يكون بينهما أربعةُ آباء أو سبعةٌ ، كما ذكر ابن إسحاق ، أو عشرةٌ أو عشرون ؛ فإن المدة أطولُ من ذلك كُلِّه ،

= الذى نزل الله عليه القرآن لا يمكن أن يفترى ما يكذب القرآن: فالله تعالى يقول: « لا يعلمهم إلا الله » وقد سبق ذكر ما قاله عمر وابن مسعود وقد قال عروة بن الزبير : « ما وجدنا أحدا يعرف بعد معد بن عدنان » ويروى ابن عبد البر فى الإنباه قول عكرمة : « أضلت نزار نسبها » وسئل مالك عن الرجل يرفع نسبه إلى آدم ، فكره ذلك وقال : من أخبره بذلك ؟ وقال الحافظ أبو الخطاب عمر بن حسن بن على بن محمد المشهور بأنه : ابن دحية : « أجمع العلماء ـــ والإجماع حجة ـــ على أن رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ إنما انتسب إلى عدنان ولم يتجاوزه » وأكثر هذه الانتساب التى بعد عدنان منقول عن أسفار اليهود .

(١) رواه البزار عن حذيفة وروى قريبا منه أبو داود والترمذى ، والبيهقى وتأويل السهيلى لا يناسب مكانة عالم مثله .

رفع
المسار
عبدالله البطال

. . . .

وذلك . أن مَعَدَّ بن عَدْنان كان فى مدة بُخْتنصَّرَ (١) ابنَ ثِنْتَىْ عَشْرَةَ سنةً .

قال الطبرى : وذُكِرَ أن الله تعالى أَوْحَى فى ذلك الزمانِ إلى إرمياء بن حَلْقيا (٢) أنِ اذْهَبْ إلى بُخْتَنَصَّرَ ، فأعلمه أنى قدسلطته على العرب ،

---

(١) يذكر المسعودى عن كثير ممن عنى بأخبار الفرس أنه كان مَرْزُبان العراق والمغرب ، وأنه هو الذى وطىء الشام ، وفتح بيت المقدس ، وسبى بنى إسرائيل « المرزبان يرادبه صاحب ربع المملكة وقائد عسكر ووزير وصاحب ناحية من النواحى ، وواليها » وأسفار اليهود تلقبه : « نبوخذ نصّر » ويقول الدكتور بوست فى قاموسه : « إنه لقب لملك بابل ، وهو مذكور فى أسفار الملوك والأيام وعزرا ونحميا وأستير وأرميا ولا سيما فى دانيال » ويقول : إنه مات سنة ٥٦١ قبل الميلاد وأن مدة ملكه أربع وأربعون سنة وأقول : إنه يلقب فى أسفار اليهود بأنه ملك بابل ، وقد خرب أورشليم (القدس) هدم معابدها وقصور ملكها ، وأحرق كل بيوتها ما عدا بيوت الكرامين والفلاحين وقضى على كهانهم ، واستولى على كل كنوز المعابد «انظر الجزء الثانى من قاموس الدكتور بوست ، والإصحاح الأخير من سفر أرميا » وانظر ص ٢٨٠ ج ١ الطبرى طبع الحسينية، وص ٢٩٢ أيضا ففيه قصة معد الخرافية مع بختنصر وكان سن معد ١٢ سنة

(٢) يقول عنه بوست فى قاموسه : « أحد أنبياء العبرانيين العظام ، وهو ابن حلقيا من نسل الكهنة » ثم يزعم أنه كان حديث السن حينما أقامه الله نبيا فلذلك رفض الدعوة أولا ، غير أن الله وعده بالمعونة والنعمة فما دعاه إليه ، وذكر بوست نفس مايقوله السهيلى ، وفى الطبرى مثله مما يقطع بأن المرجع واحد ، وهو أسفار اليهود . وقد ذكر بوست أن نبوته تشمل مدة ست وأربعين سنة بين سنة ٦٢٨ و سنة ٥٨٦ قبل الميلاد . . . وكان من نبواته فى شأن ما سينزل ببنى إسرائيل ، لأنهم عبدوا الأصنام ، وحادوا عن طريق الرب ، واتبعو الملذات — هولفظ بوست — والفساد . وله سفر هو الرابع والعشرون من أسفار العهد القديم .

رفع المسبهم

. . . .

واحمل معدًّا على البُراقِ كيلا تصيبه النقمةُ فيهم (١) ، فإنى مُستخرِج من صُلبِه نبيا كريما أختم به الرسلَ ، فاحتمل معدًّا على البُراق إلى أرضِ الشامِ ، فنشأ مع بنى إسرائيلَ ، وتزوج هناك امرأةً اسمها : مُعَانة بنت جَوْشَنَ من بنى دُبٍّ بن جُرْهُم ، ويقال فى اسمها : ناعمة . قاله الزبير ، ومن ثَمَّ وَقَع فى كتاب الإسرائيليين نسبُ معد ، ثبَّته فى كتبه رخيا ، وهو يورخ (٢) كاتب إرمياء . كذلك ذكر أبو عمر النَّمَرِيُّ (٣) حدثت بذلك عن الغسَّانِى عنه ، وبينه وبين إبراهيم فى ذلك النسب نحو من أربعين جدا ، وقد ذكرهم كلَّهم أبو الحسن المسعودى على اضطراب فى الأسماء ، ولذلك

---

(١) الذى فى الطبرى أن الله أوحى إلى إرميا وبرخيا أن الله سلط بختنصر على أهل عربة ، كما سلطه على قومهما بنى إسرائيل ، وأنه قال لهما : فعليكما بمعد ابن عدنان ، فخرجا حتى سبقا بختنصر ، فلقيهما عدنان ، فطوياه إلى معد ، فحمله برخيا إلى البراق وردف خلفه ، فانتهيا إلى حران ، وطويت الأرض لإرميا ! ! ص ٢٩٢ ج ١ الطبرى ، وهو كلام يحتاج إلى كلام يثبته ! !

(٢) واسم بروخ فى سفر أرميا : باروخ يقال إنه حمل رسالة إرميا إلى بابل تخبر بما سيحل بالمدينة من قصاص الله ، وكان باروخ فى جملة من عاد إلى مصر والذى ورد فى سفر عزرا : معداى ، وقد ذكره بين بنى الكهنة الذين اتخذوا نساء غريبة ، وذكر أنه من بنى بالى . أما معديا المذكور فى نحميا ، فكان كاهنا ، ويقول الطبرى وكان رجل من مسلمة بنى إسرائيل قد قرأ من كتبهم ، فذكر أن بروخ بن ناريا كاتب إرميا أثبت نسب معد ووضعه فى كتبه .

(٣) أبو عمر بن عبد البر : واسمه يوسف بن عبد الله بن محمد شيخ علماء الأندلس وكبير محدثيها فى عصره توفى سنه ٤٦٣ ، وفتحوا الميم فى النسبة إلى نمر استيحاشا لتوالى الكسرات لأن فيه حرفا واحدا غير مكسور .

رفع المساهم

. . . .

— والله أعلم — أعرض النبي — صلى الله عليه وسلم — عن رفع نسب عدنان إلى إسماعيل ، لما فيه من التَّخْليط ، وتغيير فى الألفاظ ، وَعَوَاصَة تلك الأسماء مع قلة الفائدة فى تحصيلها . وقد ذكرى الطبرى نسبَ عدنان إلى إسْماعيلَ من وُجُوه ذكر فى أكثرِها نحواً من أربعين أبا، ولكن باختلافٍ فى الألفاظِ (١) ، لأنها نُقلت من كتب عِبْرَانِيَّةٍ ، وذكر من وجهٍ قوىٍّ فى الرواية عن نُسَّابِ العرب ، أن نسبَ عدنانَ يرجع إلى قَيْذَرَ (٢) بن إسمعيلَ ، وأن قَيْذَرَ كان الملِكَ فى زمانه ، وأن معنى قَيْذر : الملك إذا فُسِّر ، وذكر الطبرى فى عَمُودِ هذا النسبِ بُورَا بن شُوحَا ، وهو أوَّلُ من عَتَرَ الْعَتِيرَة ، وأن شُوحَا هو : سَعْدُ رَجَب ، وأنَّه أولُ من سَنَّ رَجَباً للعربِ . والعتيرةُ هى الرَّجَبِيَّةُ (٣) .

---

(١) ولكى تعرف مدى اضطرابهم فى هذا أنهم ذكروا — وحملوها لابن عباس ظلما — أن بين عدنان وإسماعيل ثلاثين أبا لايعرفون ، وقيل هم أربعة أو سبعة أو ثمانية أو تسعة أو عشرة أو خمسة عشر أوعشرون أو ثمانية وثلاثون أو تسعة وثلاثون ، أو أربعون ، أو فوق هذا (٢) فى القاموس : قيذار وكذلك فى بعض نسخ مروج الذهب للمسعودى ، وفى المطبوعة : قيدار ، وفى كتاب نسب قريش : قيذار وفى الطبرى : قيدر وقيذر وقيذار ، وقد ذكر نقلا عن ابن إسحاق هذه الحقيقه عن علم الأنساب : «وذلك أنه أخذ من أهل الكتاب الأول» صفحة ١٩٢ ج ٢ الطبرى وفى ص ١٩٤ «وتأويل قيدر : صاحب ملك» (٣) انظر ص ١٩٣ ج ٢ من الطبرى ، وقد كان الرجل — كما فى اللسان وغيره — يقول فى الجاهلية : إن بلغت إبلى مائة عترت عنها عتيرة ، فإذا بلغت مائة ضنَّ بالغنم ، فصاد ظبيا فذبحه ، وعن الأزهرى ، أن العرب فى الجاهلية كانت إذا طلب أحدهم أمرا نذر : لئن ظفر به ليذبحن من غنمه فى رجب كذا ، وكذا ، وهى العتائر أيضا ، فإذا ظفر به فربما ضاقت نفسه عن ذلك ، وضَنَّ بغنمه ، وهى الربيض ، فيأخذ عددها ظباء

رفع المسهم

. . . .

وذكر فى هذا النسب عُبَيْدَ بن ذى يَزَن بن هَمَاذَا ، وهو الطَّعَّان ، وإليه تُنْسَبُ الرِّمَاحُ الْيَزَنِيَّةُ (١) ، وذكر فيهم أيضاً دَوْسَ الْعُتُق ، وكان من أحسنِ الناس وَجْهًا ، وكان يقال فى المثل : أَعْتَقُ مِنْ دَوْسٍ (٢) ، وهو الذى هزم جَيْشَ قَطُورَا بن جُرْهُم .

= فيذبحها فى رجب مكان تلك الغنم ، وقد عتر بفتح التاء يعتر بكسرها عترا بسكونها إذا ذبح العتيرة . وهكذا كان الأمر فى صدر الإسلام ، وأوله ، ثم قضى عليه ولعل الرجبية المعروفة الآن نسبا إلى ذلك . ورجبية السيد البدوى أيضا . ويقول الخطابى : العتيرة : تفسيرها فى الحديث: أنها شاة تذبح فى رجب . وأما العتيرة التى كانت تعتبرها الجاهلية ، فهى الذبيحة التى كانت تذبح للأصنام ، فيصب دمها على رأسها » النهاية لابن الأثير » والرَّجَبِيَّة : ماكان يذبح للأصنام فى الجاهلية فى رجب، ويقول المسعودى فى أسباب تسمية العرب لشهورها : «ورجب لخوفهم إياه ، يقال : رجبت الشىء إذا خفته » وابن الأثير يقول : « أضاف رجبا إلى مضر ، لأنهم كانوا يعظمونه خلاف غيرهم » والرأيان غير متضادين .

(١) الذى فى الطبرى عن ابن إبداعى : « وهو عبيد ، وهو يَزَن الطعان ، وهو أول من قاتل بالرماح ، فنسبت إليه — ابن همادى .

(٢) من العتق ، وهو الكرم والجمال والنجابة والشرف والحرية، فى الطبرى « يقول العرب : أعتق من دوس لأمرين: أما أحدهما ، فلحسنه وعتقه ، والآخر لقدمه . جاء الطفيل بن عمرو الدوسى إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقال: إن دوساً قد هلكت . عصت وأبت فادع الله عليهم ، فظن الناس أنه يدعو عليهم فقال : اللهم اهد دوساً وأت بهم «متفق عليه» . وعن أبى هريرة قال: قال لى النبى: ممن أنت ؟ قلت : من دوس . قال : ماكنت أرى أن فى دوس أحدا فيه خير « الترمذى » وقال : حديث حسن صحيح وأقول : إن الأول أشبه بخلق الرسول صلى الله عليه وسلم .

رفع
المسهم
عبد الله البطل الدين

. . . .

وذكر فيهم إسمعيلَ ذا الأَعْوَج ، وهو فرسه ، وإليه تُنسب الخَيْلُ الأَعْوَجِيّةُ (١) ، وهذا هو الذى يشبه ، فإن بُخْتَنَصَّرَ كان بعد سليمان بمثتين من السنين ، لأنه كان عاملا على العراق «لكى لهراسب» ثم لابنه «كى بستاسب (٢) » إلى مدة بهمن قبل غلبة الإسكندر على دارا بن دارا بن بهمن ، وذلك قريب من مدة عيسى بن مريم فأين هذه المدة من مدة إسمعيل ؟ وكيف يكون بين مَعَدّ وبنيه مع هذا سبعةُ آباء ، فكيف أربعة والله أعلم ؟ .

وكان رجوع معد إلى أرض الحجاز بعد ما رفع الله بأسه عن العرب ورجعت بقاياهم التى كانت فى الشواهقِ إلى مَحَالِّهم ومِياهِهم بعد أن دَوَّخ بلادَهم بُخْتَنَصَّرُ ، وخرب المعمور ، واستأصل أهل حَضُور (٣) ، وهم

(١) الأعوج : فحل كريم تنسب الخيل الكرام إليه . وأعوج أيضا فرس عدى بن أيوب ، وفرس كان لكندة فأخذته بنو سليم ، فصار إلى بنى هلال وليس فى العرب فحل أشهر منه ، ولا أكثر نسلا ، وقيل كان لبنى آكل المرار ثم صار لبنى هلال بن عامر « عن اللسان » .

(٢) اسمهما هكذا فى الطبرى « كى لهراسب وبشتاسب » ، ويذكر الطبرى والمسعودى أن مدة ملك الأول ١٢٠ سنة والآخر ١١٢ سنة ويذكر أن بختنصر عاش أكثر من ٣٠٠ سنه . ص ٢٨٢ جـ ١ الطبرى وص ٢٢٨ جـ ١ المسعودى مطبعة السعادة ، ويذكر بوست أن مدة ملك بختنصر كان ٤٤ سنه ، ويقول عن سليمان إنه ملك أربعين سنة من ١٠٢١ ، ٩٨١ قبل الميلاد ، فيكون بينه وبين بختنصر أكثر من ٤٠٠ سنة . والله أعلم بالصواب .

(٣) بلدة باليمن من أعمال زبيد ، وتروى بالألف الممدودة « مراصد الاطلاع » .

رفع
المستهم

ويقال أُدَدَ بن مُقَوَّم بن ناحور بن تَيْرَح بن يَعْرُبَ بن يَشْجُبَ بن نابت بن إسماعيل

الذين ذكرهم الله تعالى فى قوله : (وكَمْ قَصَمْنَا من قَرْيَة) الأنبياء الآية ؛ وذلك لقتلهم شُعَيْبَ بن ذى مَهْدَم(١) نبيًّا أرسله الله إليهم؛ وقبْرُه بِصِنّين جبل باليمن، وليس بشُعَيْبِ الأول صاحبِ مَدْيَنَ(٢). ذلك شُعَيْب بن عَيْفى ، ويقال فيه ابن صَيْفُون ، وكذلك أهل عدَنٍ ، قتلوا نبياً أرسِل إليهم اسمه : حَنْظَلَةُ بن صفوان ، فكانت سَطْوَةُ الله بالعربِ لذلك ، نعوذ بالله من غضبه وأليم عقابه .

عود إلى النسب :

ثم نعود إلى النسب . فأمّا مُقْوِّم(٣) بكسرِ الواو ، وأبو أُدَدٍ فمفهوم المعنى ،

---

(١) فى القاموس « وذو مهدم كمنبر ومَقْعَد : قيل لحمير وملك الحبش » ولا نقطع بنبوة شعيب هذا إذ لم يرد به نص صريح .

(٢) فى مروج الذهب ص ٤٩ ج ١ « شعيب بن نويت — وفى نسخة نويل بن راعويل بن مر بن عنقاء ، بن مدين ، بن إبراهيم . وفى تفسير الطبرى — لقصة شعيب فى الأعراف — أنه شعيب بن ميكيل بن يشجر واسمه بالسريانية: يثرون، ونسب البغوى فى تفسيره إلى عطاء أنه شعيب بن توبة بن مدين بن إبراهيم، وإلى ابن إسحاق أنه شعيب بن ميكائيل بن يسحر بن إبراهيم . وهكذا كلما بعدنا عن الحق اضطرب القول والفكر . ومدين تجاه تبوك على بحر القلزم بينهما ست مراحل ويقول بوست : إنها كانت تمتد من خليج العقبة إلى موآب وطورسيناء ، أو من شبه جزيرة سيناء إلى الفرات. وقال الشيخ النجار فى قصص الأنبياء : « عن قوم شعيب كانوا نزولا فى بلاد الحجاز — مما يلى الشام على خط عرض يوافق خط عرض قفط فى البر الإفريقى إلى الجنوب من القصير فى الجهة المقابلة » وقفط مدينة بالصعيد الأعلى كما جاء فى مراصد الاطلاع .

(٣) فى الطبرى مُقَوَّم وفى المعارف بتشديد الواو مع كسر .

المسلم رفع عزالله لمعاشه

. . . .

وتيرح فَيْعَل مِن التَّرْحَةِ إن كانَ عربيا . وكذلك ناحُور من النَّحْرِ ، ويَشْجُب من الشَّجَبِ ، وإن كان المعروف أن يقال : شجب بكسر الجيم يشجَب بفتحها (١) ، ولكن قد يقال فى المغالبة : شاجَبْتُه ، فَشجَبْته أَشْجُبُه بضم الجيم فى المستقبل ، وفتحها فى الماضى ؛ كما يقال من العِلم : عالمته فَعَلَمْتُه بفتح اللام أَعْلُمه بضمها . وقد ذكرهم أبو العباس الناشىء فى قصيدته المنظومة فى نسب النبى — صلى الله عليه وسلم — إلى آدم كما ذكرهم ابن إسحاق .

وإبراهيمُ معناه : أبٌ راحمٌ ، وآزر قيل : معناه : يا أعوجُ ، وقيل : هو اسم صَنَمٍ ، وانتصب على إضمار الفعلِ فى التلاوة ، وقيل : هو اسم لأبيه ؛ كان يسمى تارح وآزر (٢) ، وهذا هو الصحيح لمجيئه فى الحديث منسوبا إلى آزر

---

(١) فى القاموس شجب كنصر ، وفرح شجوبا ، وشجباً مثل جلوس . ومثل فرح : هلك والشَّجْبُ : الحاجة والهم ، وعمود من عمد البيت ، وسقاء يابس يحرك فيه حصى تذعر بذلك الإبل ، وأبو قبيلة ، والطويل ، وبالتحريك — شجب — الحزن والعنت يصيب من مرض أو قتال . وشجبه : أهلكه وحزنه وشغله ، والظبى : رماه .

(٢) قرأ عامة قراء الأمصار آزر بالفتح ؛ لأنه بدل من أبيه . ولكنه — أى آزر — ممنوع من التنوين . فيجر بالفتحة . ونسب إلى أبى يزيد والحسن البصرى أنهما كانا يقرآنها بالرفع على أنها منادى : يا آزر . وقد نقل عن السدى أن آزر اسم صنم ، وإنما ورد منصوبا بمعنى : أتتخذ آزر أصناما آلهة . فجعله مفعولا به لفعل مضمر . وقد خطأ الطبرى فى تفسيره رأى السدى ، وقال : إن العرب لاتنصب اسما لفعل بعد حرف الاستفهام ، لا تقول : أخاك . أكلمت ، وهى تريد : أكلمت أخاك . ثم صوب قراءة من قرأ بفتح الراء من آزر باعتبار =

رفع المسهم

. . . .

وأمه : نونا ، ويقال فى اسمها . ليوثى ، (١) أو نحو هذا وما بعد إبراهيم أسماء سُرْيانية فسر أكثَرَها بالعربية ابنُ هشامٍ فى غير هذا الكتاب ، وذكر أن فالع (٢) معناها : القسام ، وشالَخ معناها : الرسول ، أو الوكيل ، وذكر أن

= آزر بدلا من أبيه ، أو باعتباره نعتاله ، وذكر أن المختار عنده هو جعل آزر اسما لوالد إبراهيم ؛ لأن الله تعالى أخبر أنه أبوه ، وهو القول المحفوظ من قول أهل العلم . ورد على من يزعم أن تارح هو اسم لوالد إبراهيم بأنه ليس من المحال أن يكون له اسمان : تارح وآزر ، وجائز أن يكون لقبا .

أقول : والذى سبب هذا الخلاف حول شىء صريح واضح فى القرآن هو أن أسفار اليهود تسمى والد إبراهيم تارح !! بينما يقطع القرآن بأنه آزر !! فكيف نعبث بالقرآن ؛ ليوافق ماجاء فى أسفار اليهود الذين يحرفون الكلم عن مواضعه ؟؟ وفى الطبرى ورد اسم تارح : تارخ ، وكذلك فى المعارف لابن قتيبة . أما مروج الذهب ففى نسخة منه : تارح ، وفى أخرى : تارخ . أما فى سفر التكوين فهو : تارح ، وقد تكرر ذكره مرارا . انظر الطبرى ص١١٩ جـ ١ ، ص١١ المعارف لابن قتيبة المطبعة العامرية ، ومروج الذهب ص ٤٤ جـ ١ وسفر التكوين . أما إبراهيم ، فقد ورد فى الإصحاح السابع عشر من سفر التكوين عنه ما يأتى : « ولما كان أبرام ابن تسع وتسعين سنة ظهر الرب لأبرام ، وقال له : أنا الله القدير . سر أمامى ، وكن كاملا ، فأجعل عهدى بينى وبينك ، وأكثرك كثيرا جدا ، فسقط أبرام على وجهه ، وتكلم الله معه قائلا : أما أنا فهو ذا عهدى معك ، وتكون أبا لجمهور من الأمم ، فلا يدعى اسمك بعد : أبرام ، بل يكون اسمك : إبراهيم ، ويقول « يوست » إن معنى أبرام العبرانى : أبرام السائح أو المهاجر . أما أبرام فمعناها : أب مرتفع ، أما إبراهيم فمعناها : أب جمهور عظيم .

(١) فى الطبرى ص ١٥٩ جـ ١ : نوتا بنت كريتا ، وفى رواية أنموتا .

(٢) وهو أيضا كذلك فى المعارف والطبرى ومروج الذهب ونسب قريش أما فى سفر التكوين إصحاح ٩ ففالج ، ويذكر المسعودى أنه عاش ٢٣٠ سنة وفى نسخة ٢٣٩ سنة .

رفع
المسهم

. . . .

إسماعيل تفسيره : مطيع الله ، وذكر الطبرى أن بين فالغ وعابر أبا اسمه : قَيْنَن(١) أسقط اسمه فى التوراة ؛ لأنه كان ساحرا ، وأَرْفَخْشَذُ (٢) تفسيره : مصباحٌ مُضىء ، وشاذٌ مخفف بالسريانية « الضياء ومنه : حم شاذ » بالسُّرْيانيّة وهو رابع الملوك بعد « جيومرث » ، وهو الذى قتله الضحَّاك ، واسمه « بيوراسب بن إندراسب » والضَّحَّاكُ مُغَيَّرٌ من ازْدِهاق . قال حبيب :

وكأنَّه الضَّحَّاكُ فى فتكاتِه ... بالعالمين وأنت أفْرِيدون(٣)

(١) ورد فى سفر التكوين ما يأتى « وعاش أنوش بن شيث بن آدم تسعين سنة وولد قينان ، وعاش أنوش بعدما ولد قينان ٨١٥ سنة . . وعاش قينان سبعين سنة ، وولد مَهْلَلْئيل ، وعاش قينان بعدما ولد مهللئيل ٨٤٠ سنة ويذكر الطبرى أن قينان هو : ابن يانش بن شيث بن آدم ، وفى مكان آخر أن قينان هو ابن أنوش بن شيث ، وفى مكان آخر ص١٠٧ جـ١ أن قينان بن أرفخشد ويقول بوست : « قينان بن أرفكشاد بن سام بن نوح ، ولا يذكر فى سلسلة نسب أرفكشاد فى الأصل العبرانى ، ويظن أنه أدخل إدخالا فى الترجمة السبعينية ، ومن هذه الترجمة نقل لوقا الإنجيلى اسمه ، فذكره فى جدول أنسابه » أما الطبرى فنص تعبيره عن قينان فى ص ١٠٤ جـ ١ : « ولا ذكر له فى التوراة ، وهو الذى قيل إنه لم يستحق أن يذكر فى الكتب المنزلة ، لأنه كان ساحرا ، وسمى نفسه إلها .

(٢) كذا فى المروج ، وفى القصد والأمم لابن عبد البر وفى الطبرى والمعارف : أرفخشد .

(٣) حم شاذ : هو حمشيد أو جمشيد أوجم وهو أحد ملوك الفرس القدامى . ويقول المسعودى : وقيل : كان فى زمنه الطوفان ، وأن النيروز حدث فى أيامه ، وأنه حكم ٦٠٠ سنة أو ٩٠٠ أما جيومرت ، فهو — كما يزعم الفرس — أول ملوكهم ، وأنه هو آدم ، أو ابن آدم ، أما الضحاك ، فاسمه : بيوراسب ، وهو =

ابن إبراهيم — خليل الرحمن — بن تارح وهو آزر بن ناحور بن ساروغ بن راعو ابن فالخ بن عَيْبَر بن شالَخ بن أرْفَخْشَذ بن سام بن نوح بن لَمْك بن مَتُّوشَلَخ ابن أَخْنوخ ، وهو إدريس النبيّ — فيما يزعمون — والله أعلم ، وكان أول بني آدم

لأن أفريدون هو الذى قتل الضحاك ، بعد أن عاش ألف سنة فى جَوْرٍ وعُتُوّ وطُغيان عظيم ؛ وذلك مذكور على التفصيل فى تاريخ الطبرى وغيره .

نوح ومن قبله :

وذكر نُوحًا — عليه السلام — واسمُه : عبدُ الغفار ؛ وسمى نُوحا لِنَوْحِه على ذنبه ، وأخوه : صابئ بن لامِك ؛ إليه يُنسب دينُ الصابئين(١) فيما ذكروا والله أعلم .

وذكر أن لامِكَ والدُ نوح عليه السلام . ولامِكُ أول من اتخذ العودَ للغناء بسببٍ يَطُول ذِكرُه ، واتخذ مصانعَ الماء . وأبوه : مَتُّوشَلَخ . وذكره

= الازدهاق — والعرب تسميه : الضحاك ، — كما يقول الطبرى ، فتجعل الحرف الذى بين السين والزاى فى الفارسية ضادا ، والهاء حاء ، والقاف كافا ، وينقل الطبرى عن رواته أنه هو النمرود الذى عمل على إحراق إبراهيم ، وهو الذى قتل جمشيد . وقد ذكرته شعراء العرب كثيرا ، وافتخر به أبو نواس ، وزعم أنه من اليمن . وأفريدون أو أفريذون هو الذى حكم بعد الضحاك ونكل به ، وكان ملك أفريدون كما فى المروج ٥٠٠ سنة « انظر ص ٩٧ وما بعدها ج ١ الطبرى » ، ص ٢٢٠ ج ١ مروج الذهب . وبيت الشعر لحبيب بن أوس الطائى المشهور بأبى تمام .

(١) هم عبدة الملائكة أو الكواكب وتطلق أيضا على من يخرج من دين إلى دين ، وقد جاء ذكرهم فى القرآن .

رفع المسـاهم

. . . .

الناشىء فى قصيدته(١) فقال : مَتُوشَلَخ ، وتفسيره : مات الرسول ؛ لأن أباه كان رسولا وهو (٢) خنوخ ؛ وقال ابن إسحاق وغيره : هو إدريس النبى — عليه السلام — وروى ابن إسحاق فى الكتاب الكبير عن شهر بن حَوْشَب عن أبى ذرٍّ عن النبى — صلى الله عليه وسلم — أنه قال : « أولُ مَنْ كتب بالقلم إدريسُ (٣) » وعنه — عليه الصلاة والسلام — أنه قال : « أوَّلُ مَنْ كتب بالعربية إسماعيلُ (٤) » وقالَ أبو عُمَر : وهذه الرواية أصح من رواية من

---

(١) هو أبو العباس عبد الله بن محمد الناشىء . وهى قصيدة طويلة وردت فى ابن كثير والقصد والأمم لابن عبد البر . وموضوعها : مدح الرسول — صلى الله عليه وسلم — وذكر نسبه إلى آدم ، وهى تبلغ ثمانين بيتا تقريبا . وهاك ماقاله عن متوشلخ

ومن قبل لَمْكٍ لم يزل متوشلخ يذود العدا بالذائدات الشوازب

ص ٥٤ الإنباه على قبائل الرواه لابن عبد البر ط ١٣٥٠ هـ و ١٥٧ جـ ٢ البداية

(٢) فى السيرة المطبوعة على هامش « الروض » أخنوخ، وفى طبعة الحلبى أما فى الطبرى لخنوخ .

(٣) رواه أحمد عن أبى ذر فى حديث طويل وعند ابن حبان أن إدريس كان أول من خط بالقلم .

(٤) ذكر ابن عبد البر فى كتابه : « القصد والأمم » روايات مختلفة . فعن كعب الأحبار : أن أول من تكلم بالعربية : جبريل ، وأن أول من وضع الكتاب العربى والسريانى والكتب كلها : آدم ، وعن ابن بريدة أن اللسان العربى المبين هو لسان جرهم ، وعن الكلبى أن أول من تكلم بها عمليق ، وعنه أيضا أنه يعرب بن قحطان ، وأن عادا تكلمت بها ولم تفصح ، وأن الذين تكلموا بها قديما هم قحطان وعاد وثمود وعملاق وطسم وجديس، وروى عن غيره أن الله—

رفع
المسلم
عبد الله الطحاوي

. . . .

روى : أن أولَ مَنْ تكلم بالعربية إسماعيلُ (١) ؛ والخلاف كثير فى أول من تكلم بالعربية . وفى أول من أدخل الكتابَ العربىَّ أرضَ الحجازِ . فقيل : حَرْبُ بن أُمَيَّةَ . قاله الشعْبِيُّ . وقيل : هو شعبان بين أُمَيَّةَ . وقيل : عَبْدُ بن قُصَىّ تعلمه بالحيرةِ أهلُ الحيرة من أهل الأَنْبَار (٢) .

إدريس :

قال المؤلف : ثم نرجع الآن إلى ما كنا بِصَدَدِه . فنقول : إن إدريسَ

= أنطق باللسان العربى يوم تبلبلت الألسن ببابل فى زمن نمرود بن كوش بن كنعان وعن وهب بن منبه أن أول من تكلم بها هود ، وعن غيره أنه إسماعيل مما يدل على كثرة الاضطراب والخلاف !!

(١) نص كلام ابن عبد البر : « وأظن رواية من روى « كتب » أصح من رواية من روى « تكلم » . وأولى بالصواب ! لأن العرب كانت قبل إسماعيل وقبل أبيه وجده ، وقد يحتمل أن يكون المعنى : أول من تكلم باللغة العربية المبينة الفصيحة ، ويحتمل أن يكون أراد « أول من تكلم بالعربية من ولد إبراهيم صلى الله عليه وسلم » ثم يقول : « وأولى ما قيل بالصواب فى ذلك — والله أعلم قول من قال : إن آدم عليه السلام أول من تكلم بالعربية وبالسريانية وغيرهما ، وأول من وضع الكتاب بذلك لأنه علم اللغات » ص ١٧ وما بعدها القصد والأمم لابن عبد البر .

(٢) الحيرة : مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة على النجف . كانت مسكن ملوك العرب فى الجاهلية وهم النعمان وآباؤه ، والأنبار مدينة قرب بلخ بخراسان . ومدينة على الفرات غربى بغداد كانت الفرس تسميها : فيروز سابور . وهى المقصودة .

رفع المسهم

أُعطى النبوّة ، وخطّ بالقلم – ابن يَرْد بن مهْلَيِل بن قَيْنَن بن يانِشَ بن شيثَ بن آدم صلى الله عليه وسلم .

قال أبو محمد عبد الملك بن هشام : حدّثنا زِياد بن عبد الله البكّائى، عن محمد بن إسحاقَ المطّلبى بهذا الذى ذكرتُ من نَسَب محمّد رسول الله صلى الله وآله وسلم إلى آدم عليه السلام ، وما فيه من حديث إدريس وغيره .

– عليه السلام – قد قيل : إنه إلْياسُ ، وإنه ليس بجَدٍّ لِنُوحٍ . ولا هو فى عمودِ هذا النسبِ . وكذلك سمعتُ شيخَنا الحافظَ أبا بَكْرٍ (١) رحمه الله – يقول – ويستشهد بحديث الإسراء – فإن النبى – صلى الله عليه وسلم – كُلَّما لَقىَ نبيا من الأنبياء الذين لَقِيَهُمْ ليلةَ الإسراء ، قال : مرحبًا بالنبىّ الصالح والأخ الصالح . وقال له آدمُ : مرحبا بالنبى الصالح ، والابنِ الصالِح . وكذلك قال له إبراهيم . وقال له إدريسُ : والأخ الصالِح . فلو كان فى عمودِ نسبِه ، لقال له كما قال له أبوه إبراهيم ، وأبوهُ آدمُ ، ولَخَاطبَهُ بالبُنُوَّةِ . ولم يخاطبه بالأخوة . وهذا القول عندى أنبَلُ ، والنفس إليه أميَلُ لما عَضَده من هذا الدليل .

---

(١) يعنى القاضى أبا بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن العربى المعافرى ولد فى إشبيلية سنة ٤٦٨ ه . وله مؤلفات كثيرة ، ومن كبار الآخذين بمذهب مالك . شهد سقوط دولة آل عباد على يد يوسف بن تاشفين فى بدء شبابه وسقوط دولة بنى تاشفين أو المرابطين أو الملثمين على يد عبد المؤمن بن على الذى أرسى قواعد دولة الموحدين . وذهب ابن العربى على رأس وفد من إشبيلية يطلب من عبد المؤمن فى مراكش الاستيلاء على ما بقى من مدائن الأندلس فى أيدى المرابطين، ولكن حبسه عبد المؤمن ، ثم أطلق سراحه، وتوفى سنه ٥٤٣ه.

قال ابن هشام : وحدّثني خَلّاد بن قُرَّة بن خالد السَّدُوسيّ ، عن شَيْبان ابن زُهَيْر بن شقيق بن ثَوْر عن قَتَادة بن دِعامة ، أنه قال :

إسماعيل بن إبراهيم — خليل الرحمن — ابن تارِح — وهو آزر — بن ناحور بن أسرغ بن أرغو بن فالَخ بن عابَر بن شالَخ بن أرْفَخْشَذ بن سام بن نوح بن لَمْك بن مَتُّوشَلَخ بن أخنوخ بن يَرْد بن مَهْلائيل بن قاين بن أنُوش بن شيث بن آدم صلى الله عليه وسلم .

وقال : إدريسُ بن يَرْد(١) ، وتفسيرُه : الضابط. ابن مَهْلَائيل، وتفسيره : المُمَدَّحُ ، وفي زمنه كان بدء عبادة الأصنام(٢) .

« ابن قَيْنَان » وتفسيره : المستوى . « ابن أنوش » وتفسيره : الصادقُ ، وهو بالعربية : أنش ؛ وهو أول من غَرَس النخلة ، وبَوَّبَ الكَعْبَة(٣) وَبذر الحَبَّةَ فيما ذكروا ، « ابن شيث » وهو بالسريانية : شاث . وبالعبرانية : شيث . وتفسيره : عِطيَّةُ اللهِ « ابن آدم » .

---

(١) يذكر في الطبرى أيضا يارد ، وكذلك في سفر التكوين، ويقرر الطبرى أن إدريس هو خنوخ أو أخنوخ ، وأن الله رفعه بعد ٣٦٥ سنة ص ٨٥ ج ١ الطبرى ، ويذكر المسعودى أن الصابئة تزعم أنه هو هرمس ص ٣٩ ج ١ مروج .

(٢) ينسب الطبرى إلى ابن عباس أنه قال : « في زمان يرد عملت الأصنام ، ورجع من رجع عن الإسلام » ، ولطالما حمل القوم ابن عباس أوزارهم ، ونسبوا إليه ما لم يقله !! أقول : وليس لإدريس ذكر في أسفار اليهود . ويرى مؤرخو العرب أنه أخنوخ ، وفي سنة ١٧٧٣ عثر على ثلاث نسخ من كتاب منسوب إلى أخنوخ . وقد طبع سنة ١٨٥٣ . والغاية من الكتاب تبرير العناية الإلهية ، وقد رفض اليهود وآباء الكنيسة هذا الكتاب .

(٣) أول من أقام الكعبة إبراهيم وإسماعيل ، فكيف يقال إن هذا بوبها !؟

رفع
المسلم
عز الله لطال الدين

. . . .

آدم :

وفيه ثلاثة أقوال : قيـل : هو اسمٌ سُرْيانيٌّ وقيل : هو أَفْعَل من الأُدْمَةِ . وقيل : أُخِذ من لفظ الأَدِيم (١) . لأنه خُلِق من أَدِيم الأَرضِ . ورُوى ذلك عن ابن عباس . وذكر قاسمُ بن ثابتٍ فى الدلائل عن محمد بن المُسْتَنِير . وهو : قُطْرُبٌ أنه قال : لو كان من أديم الأَرضِ لـكان على وزن فاعل ، وكانت الهمزةُ أَصْلِيَّةً فلم يكن يمنعه من الصرف مانعٌ ، وإنما هو على وزن أَفْعَل من الأُدْمَة . ولذلك جاء غيرَ مجرى (٢) .

قال المؤلف : وهذا القول ليس بشىء ؛ لأنه لايَمْتنع أن يكونَ من الأديم ويكون على وزن أَفْعَل . تدخل الهمزةُ الزائدةُ على الهمزة الأَصْلية كما تدخل على همزة الأُدْمَة . فأول الأدمة همزة أصلية . فكذلك أولُ الأديمِ همزةٌ أَصْلِيَّة . فلا يُمْتَنَع أن يُبْنَى منها أَفْعَلُ . فيكون غيرَ مَجْرى . كما يقال : رجل أَعْيَنُ وأَرْأَسُ من العين والرأس . وأَسْوَقُ وأَعْنَق من السَّاقِ والعُنُق . مع ما فى هذا القول من المخالفة لقول السلف الذين هم أعـلم منه لسانا ، وأذكى جنَانا .

---

(١) الأديم : ظاهر الشىء والجلد .

(٢) أى ممنوع من التنوين .

« عمل ابن هشام فى سيرة ابن إسحاق » :

قال ابن هشام : وأنا إن شاء الله مبتدىء هذا الكتاب بذكر إسماعيل بن إبراهيم ومَن وَلدَ رسولَ الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ مِن ولدِه ، وأولادهم لأصلابهم ، الأوّلَ فالأوّل ، من إسماعيل إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وما يَعرض من حديثِهم ، وتاركٌ ذِكرَ غيرهم مِنْ ولد إسماعيل على هذه الجهة للاختصار ، إلى حديث سيرة رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وتاركٌ بعضَ ما ذكره ابن إسحاق فى هذا الكتاب ، مما ليس لرسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فيه ذكر ، ولا نزل فيه من القرآن شىء ، وليس سبباً لشىء من هذا الكتاب ، ولا تفسيراً له ، ولا شاهداً عليه ؛ لما ذكرت من الاختصار وأشعاراً ذكرها لم أر أحداً من أهل العلم بالشِّعر يعرفها ، وأشياء بعضُها يَشْنُع الحديثُ به ، وبعضٌ يسوء بعضَ الناس ذِكْرُه ، وبعضٌ لم يُقِرَّ لنا البَكّائىُّ بروايته ، ومستقصٍ ـ إن شاء الله تعالى ـ ما سوى ذلك منه بمبلغ الرواية له ، والعلم به .

حكم التكلم فى الأنساب :

قال المؤلف : وإنَّما تكلَّمْنا فى رَفْع هذا النسب على مذهب مَنْ رأى ذلك من العلماء . ولم يكرهه كابن إسحاق والطَّبَرِى والبُخارىّ والزُّبَيْريِّين . وغيرهم من العلماء . وأما مالك ـ رحمه الله ـ فقد سُئل عن الرجل يرفع نسبه إلى آدمَ فكرِه ذلك . قيل له : فإلى إسمعيلَ ، فأنكر ذلك أيضا . وقال : وَمَنْ يخبره به ؟ ! وكره أيضا أن يرفع فى نسب الأنبياء مثل أن يقال : إبراهيم بن فُلان بن فُلان . قال : وَمَنْ يُخبره به ؟ وقع هذا الكلامُ لمالكٍ فى الكتاب

رفع المسهم

سياقة النسب من ولد إسماعيل عليه السلام

« أبناء إسماعيل عليه السلام » :

قال ابن هشام : حدّثنا زياد بن عبد الله البَكّائيّ ، عن محمد بن إسحاق المُطّلبي قال :

وَلَدَ إسماعيلُ بن إبراهيم ـ عليهما السلام ـ اثنى عشر رجلا : نابتا ـ وكان

الكبير المنسوب إلى المُعيطِيّ وإنما أصله لعبد الله بن محمد بن حُنَيْن[1] . وتممه المُعَيطِيّ ، فنسب إليه . وقولُ مالك هذا نحو مِمَّا روى عن عُرْوَة بن الزُّبَيرِ أنه قال : ما وجدنا أحداً يعرف ما بين عدنان وإسماعيل ، وعن ابن عباس — رضى الله عنه — قال : بين عدنان وإسماعيل ثلاثون أبا لا يعرفون .

(ذكر إسماعيل صلى الله عليه وبنيه)

وقد كان لإبراهيمَ ـ عليه السلامُ ـ بَنُونَ سِوى إسحاقَ وإسماعيلَ منهم ستة من قطورا بنت يَقْطر[2] وهم : مَدْيَانُ وَزَمْرَانُ وسرج بالجيم ونِقْشَانُ

---

(١) فى شرح المواهب للزرقانى « بن جبير » .

(٢) فى سفر التكوين « قالت سارة لإبرام : هو ذا الرب قد أمسكنى عن الولادة . ادخل على جاريتى ، لعلى أرزق منها بنين ، فسمع إبرام لقول ساراى فأخذت ساراى امرأة إبرام هاجر المصرية جاريتها . . وأعطتها لإبرام رجلها زوجة له ، فدخل على هاجر ، فحملت » وفيه أيضا : « وعاد إبراهيم فأخذ زوجة اسمها : قطورة ، فولدت له زَمْران ويقشان ومُدان ومَدْيَان وبشتاق وشوحا . . وهذه أيام سنى حياة إبراهيم التى عاشها ١٧٥ سنة » الإصحاح ١٦ ، ٢٥ وفى الطبرى : أن اسم زوجة إبراهيم التى تزوجها بعد وفاة سارة وهاجر هى : قطورا =

أكبرَهم ـ وقيدَر ، وأذْبلُ ، ومنشا ، ومِسمَعا ، وماشى ، ودِمَّا ، وأذر ، وطيما ، ويَطُورا ، ونَبِش ، وقَيْذُما . وأمهم : بنت مُضَاض بن عمرو الجُرْهُمىّ ـ قال ابن هشام : ويقال : مِضاض . وجُرْهُم بن قَحْطان ـ وقحطان أبو اليمن كلها ، وإليه يجتمع نسبُها — ابن عابر بن شالخ بن أرفَخْشَذ بن سام بن نوح .

— ومن وَلِد نِقْشَانَ البَرْبَرُ فى أحد الأقوالِ — وأمُّهم رِغْوَة . ومنهم نَشق وله بنونَ آخرون من حَجُّون(١) بنت أهين ، وهم : كِيسان وسُورَج وأَمَيْم ولوطان ونافس . هؤلاء بنو إبراهيم .

وقد ذكر ابن إسحاق أسماء بنى إسمعيل ، ولم يذكر بنته ، وهى نَسْمَة (٢)

= بنت يقطن الكنعانية ، وأنها ولدت له ستة هم : يقسان ، وزمران ، ومديان ، ويسبق ، وسوح ، وبسر . وفى رواية : مدن ومدين ويقسان وزمران ويسبق وسوح ، وأمهم قنطورا بنت مقطور ، ويقال فى يسبق : يسباق وفى سوح : ساح . ويذكر ابن خلدون فى تاريخه ، وقال السهيلى : قنطورا بزيادة نون بين القاف والطاء ، ثم يقول : « فولدت له — كما هو مذكور فى التوراة — ستة من الولد » ثم ذكر ستة الأولاد غير أنه ذكر أسبق وشوخ بدلا من بشتاق وشوخ المذكورين فى سفر التكوين ص ٩٩ طبع لبنان ، ويذكر الطبرى أن بعضهم ذكر أن إبراهيم تزوج بعد سارة امرأتين من العرب إحداهما قنطورا بنت يقطان فولدت له ستة ، والأخرى : حَجُّور بنت أرهير ، فولدت له خمسة بنين هم : كيسان وشورح وأميم ولوطان ويافس . أما فى المعارف فيذكر أنه جاء من قطورا بأربعة ، ومن حجورا بسبعة وروايته عن وهب بن منبه ، ولا أدرى من أين ؟!.

(١) انظر ص ٣٠٩ وما بعدها ج ١ الطبرى ، ص ١٢ المعارف .

(٢) فى الطبرى : بسمة ، وفى التكوين أن عيصو أو عيسو تزوج هوديت ابنة بيرى الحثى ، وبسمة ابن إيلون الحثى .

. . . .

بنت إسمٰعيل ،وهى امرأةُ عيصو بن إسحٰق(١) ، وولدت له الرومَ وفارسَ ـ فيما ذكر الطبرى(٢) ـ وقال : أشك فى الأشبان هل : هى أمهم، أم لا ؟ وهم من ولد عِيصو ، ويقال فيه أيضاً : عِيصا ، وذكر فى ولد إسمٰعيل طِيما (٣) ، وقيده الدارَقُطْنِى : ظميا بظاء منقوطة بعدها ميم كأنها تأنيثَ أظمى ، والظَّمَى مَقْصُورٌ : سُمْرَةٌ فى الشَّفَتَيْنِ(٤) .

وذكر دِماً(٥) ، ورأيت للبكْرِىِّ أن دُومَةَ الجَنْدَلِ عُرِفت بدُوما ابنِ إسماعيلَ وكان نَزَلها ، فلعل دِمَّا مُغَيَّرٌ منه ، وذكر أن الطورَ سُمِّىَ بيَطور

---

(١) فى الطبرى : عيص ، وفى التكوين : عيسو . وفيه أيضا أن عيسو ويعقوب توأمان ، وأن عيسو سمي بهذا لأنه ولد أحمر كفروة الشعر ، وسمى يعقوب باسمه هذا لأنه ولد ويده قابضة على عقب عيسو .

(٢) ذكره فى ص ١٦٢ ج ١ .

(٣) طيما بفتح الطاء وكسرها وسكون الياء ، وفى أصول الأنساب ، تيما . أما فى الطبرى ، فطما ، وفى التكوين : تيما .

(٤) يقال . ظلٌّ أظمى أى: أسود ، ورمح أظمى : أسود ، وشفة ظمياء : فيها سمرة وذبول .

(٥) هو دِمَّا أو دمار ، وفى القاموس دُومة ، ودُوماء ، وفى مراصد الاطلاع أنها بالضم والفتح ، وأنكر ابن دريد الفتح وعده من أغلاط المحدثين ، وعند الواقدى : دوما ، وفى ياقوت : دوماء ، وفى معجم البكرى . بضم الدال ، وقال إنها بين الحجاز والشام وأنها سميت بدومان بن إسماعيل إذ كان بها ، وذكر صاحب المراصد أنها سميت كذلك ، لأنها مبنية بها أى بالجنادل ، وهى الصخور العظيمة .

رفع المسـ هم
عز الله لطاله

. . . .

ابن إسماعيلَ ، فلعله محذوفُ الياء أيضاً ـ إن كان صح ما قاله ـ والله أعلم .

وأما الذى قاله أهل التفسير فى الطور ، فهو كل جبل يُنبت الشجر ، فإن لم يُنبت شيئاً فليس بطورٍ (١) ، وأما قَيْذَرُ فتفسيره عندهم : صاحبُ الإبل ، وذلك أنه كان صاحبَ إبلِ إسماعيل . قال : وأمه (٢) : هاجَر . ويقال فيها : آجر ، وكانت سُرِّيَّةً (٣) لإبراهيمَ ، وهبتها له سارة بنت عمه ، وهى سارة بنت تُوبِيل بن ناحور ، وقيل : بنت هاران (٤) بن ناحور ، وقيل : هارانُ بنت تارح .

---

(١) فى مفردات الراغب : أن كل جبل يقال عليه طور ، وفى المعجم الوسيط جبل ينبت الشجر .

(٢) أى أم إسماعيل . (٣) جارية مملوكة .

(٤) فى الطبرى : سارة هى بنت هاران الأكبر عم إبراهيم ، وقيل : إنها كانت ابنة ملك حران ، وفى المعارف أنها بنت هرون ملكى ، أما هاران فأخ له ، وفى التكوين أن هاران أخ لإبراهيم ، وأن ناحور ، الذى هو أخو إبراهيم تزوج ملكة بنت هاران « أى بنت أخيه » ويذكر سفر التكوين أن إبراهيم قال لأبيمالك ملك حران عن سارة إنها أخته ، ولكن الملك رأى فى منامه أنها زوجة إبراهيم فسأل إبراهيم فى هذا ، فقال إبراهيم « بالحقيقة أيضا هى أختى ابنة أبى ، غير أنها ليست أمى » انظر ص ١٢٥ ج ١ الطبرى ، ص ١١ المعارف لابن قتيبة ، والإصحاح المتمم للعشرين من سفر التكوين هذا والآية التى استند إليها لاتدل على وحدة الشريعة ، وإنما تدل على وحدة الدين فى عمومه ، وقد ورد فى نفس الآية ما وصى الله به كل الرسل فى قوله سبحانه : (أن أقيموا الدين ، ولا تتفرقوا فيه) والله تعالى يقول فى سورة المائدة آية رقم ٤٨ : (لِكُلٍّ جعلنا منكم شِرْعَةً ومنها جا) وعن قتادة : « الدين واحد ، والشريعة مختلفة » . وأنا لا أجزم بأمر ، وإنما أريد أن أنبه — فحسب — إلى أن الآية ليست حجة له فيما ذهب إليه .

رفع المسهم

قال ابن إسحاق : جرْهم بن يَقْطَن بن عَيْبَر بن شالخ ، ويقطن هو قحْطان بن عَيْبَر بن شالخ .

« وفاة إسماعيل ، وموطن أمه » :

قال ابن إسحاق : وكان عُمْر إسماعيل — فيما يذكرون — مائة سنة وثلاثين سنة ، ثم مات — رحمة الله وبركاته عليه — ودُفن فى الحِجْر مع أمه هاجَر ، رحمهم الله تعالى .

قال ابن هشام : تقول العرب : هاجر وآجَر ، فيبدلون الألف من الهاء ، كما قالوا : هَرَاقَ الماءَ ، وأراق الماء وغيره : وهاجر من أهل مصر .

وهى بنتُ أخيه على هذا ، وأخت لوط . قاله القُتَبِىُّ فى المعارف ، وقاله النقاش فى التفسير ، وذلك أن نكاح بنت الأخ كان حلالا إذْ ذاكَ فيما ذُكر ، ثم نقض النَّقاشُ هذا القولَ فى تفسير قوله تعالى : (شَرَعَ لكم من الدينِ ما وَصَّى به نُوحاً) الشورى : ١٣ . أن هذا يدل على تحريم بنت الأخ على لسانِ نوحٍ — عليه السلامُ — وهذا هو الحق ، وإنما توهموا أنها بنت أخيه ؛ لأن هاران أخوه ، وهو هارانُ الأصغر ، وكانت هى بنتَ هارانَ الأكبر ، وهو عَمّه ، وبهارَانَ سُمِّيت مدينة حَرَّان ؛ لأن الحاء هاء بلسانهم ، وهو سُرْيَانِىّ(١) وذكر الطبرى أنَّ إبراهيمَ إنما نطق بالعِبْرانيَّةِ حين عَبَرَ النهر فاراً من النمروذ ، وكان النمروذ قد قال لِلطَّلَبِ(٢) الذين أرسلهم فى طلبه : إذا

---

(١) ص ١٥٩ ج ١ .

(٢) طلب بفتح الطاء واللام ، أو ضمها وتشديد اللام مع فتحها جمع طالب .

(حديث فى الوصاة بأهل مصر) :

قال ابن هشام : حدثنا عبد الله بن وَهْب عن عبد الله بن لَهِيعة ، عن عمر مولى غُفْرة أن رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — قال :

اللهَ اللهَ فى أهل الذِّمَّة ، أهل المَدَرةِ السوداء ، السُّحْمِ الجِعَادِ ، فإن لهم نسباً وصهراً .

وجدتم فتىً يتكلم بالسُّرْيَانِيَّةِ ، فرُدُّوه ، فلما أدركوه استنطقوه ، فحول الله لسانه عِبْرانيًّا ، وذلك حين عَبَرَ النهر ، فسُمِّيت العِبْرَانِيَّةَ بذلك ، وأما السُّرْيَانِيَّةُ(١)

---

(١) ويقول بعض الباحثين أن إبراهيم وصف بالعبرانى لأنه منسوب إلى أحد آبائه الأقدمين المعروف باسم : عبر غير أن الدكتور «ولفنسون» الذى كان أستاذا للغات السامية فى جامعة مصرية هى جامعة القاهرة الآن . يرفض الرأيين ، ويزعم أن كلمة عبرى لا ترجع إلى شخص بعينه أو حادثة معينة ، وإنما هى ترجع إلى الموطن الأصلى لبنى إسرائيل ، وكان هؤلاء أمة بدوية صحراوية لا يستقرون فى مكان بل يرحلون من بقعة إلى أخرى بالإبل والماشية بحثا عن الماء والمرعى ، ثم يقول : وكلمة عبرى مشتقة من الفعل الثلاثى عبر بمعنى قطع مرحلة من الطريق أو عبر الوادى ، أو النهر من عُبْره إلى عِبره « شطه وجانبه » أو عبر السبيل شقها ، وكل هذه المعانى نجدها فى هذا الفعل سواء فى العربية والعبرية ، وهى فى مجملها تدل على التحول والتنقل الذى هو من أخص ما يتصف به سكان الصحراء وأهل البادية ، فكلمة عبرى مثل كلمة بدوى ، أى : ساكن الصحراء والبادية ، وقد كان الكنعانيون والمصريون والفلسطينيون يسمون بنى إسرائيل : بالعبريين . ثم نفر بنو إسرائيل من هذه الكلمة بعد أن سكنوا المدن . ثم قال : وليس يوجد فى صحف العهد القديم ما يدل على تسمية لغة بنى إسرائيل بالعبرية ، بل كانت تعرف تارة باسم اللغة اليهودية ، وتارة باسم لغة كنعان ولم تعرف باسم العبرية إلا بعد السبي البابلى فى كتاب حكم ابن سيرا ، وفى مصنفات المؤرخ اليهودى : يوصف ، وفى المشنا والتلمود .

=

رفع
المسيهم
عبدالله الرحمن

. . . .

فيما ذكر ابن سَلام ـ فسميت بذلك ؛ لأن الله ـ سبحانه ـ لما علَّم آدمَ الأسماءَ كُلَّها، عَلَّمَهُ سِرًّا من الملائكةِ ! وأنطقه بها حينئذ ، وكانت هاجرُ قبل ذلك لملك الأُرْدُنّ ، واسمه صادُوق ـ فيما ذكر القُتَبِىُّ ـ دفعها إلى سارَّةَ حين أخذَها من إبراهيمَ تَعجّباً منه بجمالِها ، فَصُرِع مكانَه ، فقال : ادْعِى اللهَ أن يُطْلِقنى . الحديث، وهو مشهور فى الصِّحَاحِ ، فأرسلَها ، وأَخْدَمها هاجر(١) ، وكانت هاجرُ قبل ذلك الملكِ بنتَ ملكٍ من ملوكِ القِبط(٢) بمصرَ ذكره الطبرى من حديث سيف ابن عمر أو غيره أن عمرو بن العاصِ حين حاصر مصرَ ، قال لأهلها : إن نَبِيَّنا عليه السلامِ قد وعدنا بفتحها ، وقد أمرنا أن نَسْتَوْصِىَ بأهلها خيراً ، فإنَّ لهم نَسَباً وصِهْراً ، فقالوا له : هذا نسبٌ لا يَحْفظ حقَّه إلا نبىٌّ ، لأنه نسبٌ بعيدٌ ،

= ويذكر ولفنسون عن السريانية أنها لهجة المنطقة الثالثة للهجات الكتلة الآرامية الشرقية ، وكان مركز المدينة التى عرفت عند العرب باسم : الرُّهَاء وبالمد والقصر مدينة بالجزيرة فوق حران بينهما ست فراسخ » ؛ ثم حرف اسمها فى القرن الخامس عشر إلى أورفا . ويقول إن كلمة سريانى التى اصطلح عليها عوضا عن لفظة آرامى إنما غلبت لأن الآراميين الذين اعتنقوا ديانة المسيح لم يرضوا بهذه التسمية إذا كان هذا اللفظ يمثل فى التوراة جماهير الآراميين الوثنيين ، وعلى هذا ادعوا أنهم سريان أى آراميون اعتنقوا المسيحية ص ٧٧ ومابعدها ، ثم ص ١٤٥ وما بعدها كتاب تاريخ اللغات السامية ط ١ سنه ١٩٢٩ م .

(١) فعل الملك معها هذا ثلاث مرات كما ورد فى البخارى ، وفى الثالثة أطلقها ، وأخدمها هاجر ، وفى الطبرى أيضا أنه فرعون ، وأن هذا كان بمصر ، وأن فرعون هذا هو الذى أخدمها هاجر ص ٢٤٥ جـ ١ الطبرى .

(٢) فى الطبرى بعد هذا : « وكانت من أهل منف ، والملك فيهم » ص ٢٢٩ جـ ٤ .

رفع
المسهم
عزالله لطيا

وَصَدقَ ، كانت أُمُّكم امرأةً لملك من ملوكنا ، فحارَبَنا أهلُ عين شمسٍ ، فكانت لهم علينا دَوْلَةٌ ، فقتلوا الملك واحتملوها ، فمن هناك تَصَيَّرتْ إلى أبيكم إبراهيمَ — أو كما قالوا — وذكر الطبرى أن الملكَ الذى أراد سارَّةَ هو سِنَانُ بن عُلْوانَ ، وأنه أخو الضحَّاك الذى تقدم ذكره ، وفى كتابِ التيجانِ لابنِ هشامٍ أنه عَمْرُو بن امرئ القيسِ بن بابِلْيُون بن سَبَأ ، وكان على مصرَ والله أعلم .

وهاجرُ أولُ امرأةٍ ثُقِبتْ أذناها ، وأول من خَفَضَ من النساء(١) ، وأول مَنْ جَرَّتْ ذيلها ، وذلك أن سارَّةَ غضبت عليها ، فحلفت أن تقطع ثلاثةَ أعضاء من أعضائها ، فأمرَها إبراهيمُ — عليه السلامُ — أن تَبَرَّ قَسَمَها بثقب أُذُنيها وخفاضِها ، فصارت سُنَّة فى النساء ، ومِمَّنْ ذكر هذا الخبر ابن أبى زيد فى نوادره .

وإسمعيل عليه السلام نبى مرسل ، أرسله الله تعالى إلى أخواله من جُرْهُم وإلى العماليق الذين كانوا بأرض الحجاز ، فآمن بعض وكفر بعض .

وقوله : وأمهم بنت مِضَاضٍ ، ولم يذكر اسمها . واسمُها : السيدة ذكره الدَّارَقُطْنِي . وقد كان له امرأةٌ سواها من جُرْهُم ، وهى التى أمره أبوه بتطليقها حين قال لها إبراهيم : قولى لزوجكِ : فَلْيُغَيِّر عتبته(٢) يقال اسمُها : جداء بنت

---

(١) خفض الصبية خفاضا : ختنها والشريعة لا توجب هذا .

(٢) لأنه — كما ورد فى صحيح البخارى — سألها عن عيشهم وهيئتهم ، فقالت : نحن بشرٍّ ، نحن فى ضيق ، وشدة ، فلما جاء إسماعيل ، وأخبرته زوجته =

رفع المسهم

قال عمر مولى غُفْرة : نسبهم: أنّ أم إسماعيل النبىّ — صلى الله عليه وسلم منهم . وصِهرهم ، أن رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — تسرَّر فيهم .

قال ابن لَهيعة : أم إسماعيل : هاجَرُ ، من « أمّ العَرَب » قرية كانت أمام الفرَما من مصر .

وأم ابراهيم : مارية سُرِّيَّة النبىّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ التى أهداها له المُقَوْقِس من حَفْن ، من كُورة أنْصِنا .

قال ابن إسحاق حدثنى محمد بن مُسْلِم بن عُبَيد الله بن شهاب الزُّهْرِىّ : أنّ عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك الأنصارى ، ثم السَّلَمى حدّثه أن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قال :

« إذا افتتحتم مصر ، فاستوصُوا بأهلها خيرا ؛ فإنّ لهم ذِمَّةً ورَحِما » فقلت لمحمد بن مسلم الزهرى : « ما الرحم التى ذكر رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ لهم ؟ فقال : كانت هاجَرُ أمُّ إسماعيل منهم » .

« أصل العرب وأولاد عدنان ومعد وقضاعة » :

قال ابن هشام : فالعرب كلها من ولد إسماعيل وقحطان ، وبعض أهل اليمن يقول : قحطان من ولد إسماعيل ، ويقول : إسماعيل أبو العرب كلها .

سعد ، ثم تزوج أخرى ، وهى التى قال لها إبراهيم فى الزَّوْرة الثانية قولى

= بما حدث بينها وبين أبيه ، وأنه يطلب منه أن يغير عتبة الباب قال إسماعيل : ذاك أبى وقد أمرنى أنْ أفارقك . . والحديث كما قال السهيلى .

. . . .

لزوجك : فليثبت عتبة بيته: الحديث[١]، وهومشهور فى الصِّحاح أيضاً يقال اسم هذه الآخرة : سامَة بنت مُهَلْهِل ، ذكرها ، وذكر التى قبلها الواقدى فى كتاب «انتقال النور» وذكرها المسعودى أيضاً[٢] وقد قيل فى الثانية : عاتكة .

هدايا المقوقس

وقوله : فى حديث عُمَر ُمولى غُفْرة ، وغفرة هذه هى أخت بلال بن رَبَاح. وقول مولى غفرة هذا : إن صِهْرهم لكون رسول الله — صلى الله عليه وسلم — تَسَرَّر[٣] منهم ، يعنى : مارِيَةَ بنت شَمْعُون التى أهداها إليه الْمُقَوْقِسُ ، واسمُهُ : جُرَيْج بن ميناء ، وكان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قد أرسل إليه حاطِبَ بن أبى بَلْتَعَةَ وجَبْراً مولى أبى رُهْم الغِفَارِى ، فقارب الإسلامَ وأهدى معهما إلى النبى — صلى الله عليه وسلم — بغلته التى يقال لها دُلْدُل ، والدُّلْدُلُ : القُنْفُذُ العظيمُ ، وأهدى إليه مارِيَةَ بنت شَمْعُونَ ، والمارِيَةُ : بتخفيف الياء : البقرة الْفَتِيَّة بخطِّ ابن سراجٍ يذكره عن أبى عَمْرو المطرز .

---

(١) لأنها قالت لإبراهيم — عليه السلام — حين سألها عن عيشهم وهيئتهم — كما ورد فى صحيح البخاري — « نحن بخير وسعة ، وأثنت على الله »

(٢) انظر ص ٤٧ وما بعدها ج ٢ مروج الذهب الطبعة الثانية ، وذكر عن جداء أنها من العماليق من بنى كركر .

(٣) تسرر الرجل : اتخذ أَمَةً لفراشه .

رفع
المسافر
عزالله الحلبي

. . . .

وأما اللارِيّةُ بالتشديد ، فيقال قَطَاةٌ مارِيّـة أى : مَلْساء قاله أبو عبيـد في الغريب المصنف .

وأهدى إليه أيضاً قَدَحاً من قوارِيرَ ، فكان رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — يشرب فيه . رواه ابن عباس ، فيقال : إن هِرَقْلَ عزله لما رأى من ميلِه إلى الإسلام . ومعنى المقوقِس : المُطَوَّلُ للبناء ، والقُوسُ : الصَّوْمَعَة العالية ، يقال في مَثَلٍ : أنا في القُوسِ وأنت في القَرْقُوسِ متى نجتمع ؟ وقولُ ابن لَهِيعَةَ بالفَرَمَا من مصرَ . الفَرَمَا : مدينة كانت تنْسَبُ إلى صاحبِها الذى بناها ، وهو الفَرَمَا ابن قيلقوس ، ويقال فيه : ابن قليس ، ومعناه : مُحِبُّ الفرس ، ويقال فيه : ابن بايس . ذكره المسعودى . والأول قول الطبرى ، وهو أخو الإسكندر بن قليس اليونانى ، وذكر الطبرى أن الإسكندر حين بنى مدينة الإسكندرية قال : أبنى مدينةً فقيرة إلى الله ، غَنِيَّةً عن الناس ، وقال الفرما : أبنى مدينة فقيرة إلى الناس ، غنية عن الله ، فسلَّط اللهُ على مدينة الفرما الخرابَ سريعاً ، فذهب رسْمُها ، وعفا أثرُها ، وبقيت مدينة الإسكندر إلى الآن ، وذكر الطبرى أن عَمْرو بن العاص حين افتتح مصرَ (١) ، وقف على آثارِ مدينةِ الفرما ، فسأل عنها ، فحُدِّثَ بهذا الحديث ، والله أعلم .

---

(١) أكثر المؤرخين على أن النبى — صلى الله عليه وسلم — أرسل كتبه إلى الملوك والأمراء — ومنهم المقوقس — فى العام السادس من الهجرة التى أولها ٢٣ مايو سنة ٦٢٧ للميلاد . وقيل إن المقوقس أرسل جاريتين : مارية وشيرين . وأهدى حمارا اسمه : يعفور أو عفير ، وقالوا . أهدى إليه سمنا وعسلا . ويقول ابن عبد الحكم فى كتابه ص ٤٨ عن المقوقس بعد أن جاءه كتاب النبى ص « ثم =

رفع
المسيرهما
غفر الله له ولوالديه

. . . .

. . . .

دعا رجلا عاقلا ، ثم لم يدع بمصر أحسن ولا أجمل من مارية وأختها ، وهما من أهل حفن من كورة أنصنا ، فبعث بهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأهدى له بغلة شهباء وحمارا أشهب، وثيابا من قباطى مصر وعسلا من عسل بنها، ثم يذكر أنه صلى الله عليه وسلم ، اختار مارية لأنها بادرت إلى الإسلام حين عرضه عليها قبل أختها ، ووهب أختها لمحمد بن مسلمة الأنصارى أو لدحية الكلبي . هذا ويقول بتلر فى كتابه « فتح العرب لمصر » أن مارية ماتت سنه ٦٣٦ م . فلم تشهد فتح مصر وخضوعها للعرب ، وقد اختلفت الآراء حول كلمة « المقوقس أو المقوقِس » بفتح القاف الثانية أو كسرها فمن المؤرخين الأجانب من ذكر أنه لقب كان يطلق على العامل على مصر من قبل امبراطور الروم أى على الحاكم العام لمصر وأنه هو «قيرس» البطريق من قبل الرومان وفى ابن عبد الحكم مايؤيد الرأى الأول ، والواضح أن مؤرخى العرب يطلقون على حاكم مصر فى أيام النبى — صلى الله عليه وسلم — المقوقس ، وعلى الحاكم فى زمن فتحها مما يشعر أنهم حسبوه لقبا أصله غير عربى يطلق على حاكم مصر ، وقد عرض الدكتور بتلر « آراء المؤرخين العرب فى هذا » الطبرى والبلاذرى واليعقوبى وابن الأثير ، وياقوت والمكين وابن دقماق ، والمقريزى وأبى المحاسن ، والسيوطى ، ثم بين أن قولهم إنما يدل على أن المقوقس كان الوالى على مصر من قبل هرقل . ويؤيد بهذا رأيه الذى يقرر به أن المقوقس هو عين البطريق « قيرس » الذى كان يحكم مصر من قبل الرومان . ويميل الأستاذ فريد أبو حديد إلى أن اسم حاكم مصر فى زمن النبى هو جيرج بن مينا أو جورج ، وأنه كان الحاكم الأعلى ، والبطريق الملكانى فى مصر قبل قيرس الذى كان يحكم مصر زمن الفتح « انظر كتاب فتح العرب لمصر » تأليف بتلر ترجمة محمد فريد أبو حديد ط ٢ سنة ١٩٤٦ » . ولكن فى تاريخ الحضارة المصرية : «وقد حاول ألفريد بطلر فى كتابه المعروف أن يحل بعض هذه المشكلات فلم يخرج إلا بنتيجة واحدة قبلها الناس زمانا ، ولكنها الآن موضع شك كبير ، ونعنى بذلك قوله أن المقوقس هو : قيرس» . وانتهى الكتاب إلى نتيجة هى أنه كان

قال ابن إسحاق : عادُ بن عَوْص بن إرَم بن سام بن نوح ، وثمود وجَديس ابنا عابر بن إرم بن سام بن نوح ، وطَسْم وعِملاق وأُمَيْم بنو لاوَذ بن سام بن نوح . عربٌ كلهم . فولَدَ نابتُ بن إسماعيل : يَشْجُبَ بن نابت ، فولَدَ يشجبُ يَعْرُبَ بن يشجب ، فولَدَ يعرب : تَيْرَح بن يعرب ، فولد تيرح :

مصر وحقها

وأما مِصْرُ فسميت بمصر بن النبيط ، ويقال : ابن قبط بن النبيط من ولد

= في مصر قبيل الفتح قوتان متعاديتان : القبط في ناحية ، والبيزنطيون في ناحية ، ويمثل القبط المقوقس ، وفرق من جنود القبط كانت مشتركة في الجيش البيزنطي وعدد من الرهبان ورجال الكنيسة ثم بقية أهل البلاد وكلهم على المذهب المونوفيزى القريب من توحيد الإسلام ، وفي ناحية أخرى نجد البيزنطيين تمثلهم حاميات من الجند في المعاقل والحصون والمسالح وخاصة في الإسكندرية ، ويمثل السلطان البيزنطي « الروماني » كله قيرس الذى أقامه هرقل بطركا لمصر وأطلق يده في شئونها ، ويقول في مكان آخر أن قيرس كان قد أساء إلى الأقباط ، فصار المقوقس مستعدا للتفاهم مع أى قوة تخلص القبط من اضطهاد البيزنطيين ، فلما أقبل العرب وتوالت هزائم البيزنطيين ، استطاع المقوقس أن يحصل من العرب على عهد يؤمن القبط على عقيدتهم وأموالهم ، فكانت نتيجة هذا دخول مصر في طاعة العرب بعد أن انضمت فرق الجيش من القبط والرهبان ومن إليهم من أهل البلاد إلى المقوقس وائتمرت بأمره ص ٣٢٥ ومابعدها المجلد الثانى . وفي النهاية لابن الأثير : المرِىّ بوزن صبى ، والمرِيّة : الناقة الغزيرة الدَّر من المرْى ، وهو الحلب ، وفي القاموس : المرْيَة ، والمِرْية بضم الميم وكسرها وإسكان المراء وفتح الياء الناقة التى دَرَّ لبنها ، وناقة مَرِيٌّ بفتح الميم وكسر الراء : غزيرة اللبن . والمارِيَّة بكسر الراء وتشديد الياء مع فتح القطاة الملساء والمرأة البيضاء البراقة ، والمارِيَّة : البقرة ذات الولد المارى ، والقوارير ، وقوارير : زجاج .

. . . .

. . . .

= والقونس كما قال السهيلي ، ولكن ابن فارس يقول فى معجمه : وما أراها عربية ، والقَرَقُوسُ . القاع الأملس والسين زائدة . وابن لهيعة هو عبد الله ابن لهيعة الحضرمى الغافقى المصرى . ولاه أبو جعفر المنصور القضاء بمصر فى مستهل سنة ١٥٥ ، ثم صرف عنه . ولد سنة ٩٧ وتوفى سنة ١٧٠ . والفَرَما . مدينة على الساحل من ناحية مصر أو حصن لطيف فاسد الهواء ، ومدينة قديمة بين العريش والفسطاط خراب ، قد سفت الرمال عليها .

والذى فى المروج عن ابن قليس أنه ابن فليبس — وهو الصواب — ومعناه : محب الغرس ، وقيل اسمه . يلبس — أو ملبص ، وقيل : فيلفوس ، وفى الطبرى أنه ابن فيلسوف ، أو فليفوس ، أو بيلبوس . وفى ابن خلدون : فيلقوس والصحيح فى هذا كله : فيلبس . وقد ولد الإسكندر سنة ٣٥٦ق‌م ، وتوفى سنه ٣٢٣ق‌م وقد ادعى فى مصر أنه ابن الشمس ، وطلب من المصريين أن يعبدوه وفى سنة ٣٢٤ق‌م ، أرسل إلى كل الدول اليونانية — ماعدا مقدونية — يبلغها أنه يرغب فى أن يعترف به من ذلك الوقت ابنا لزيوس — أمون ، وصدعت معظم الدول بما أمر . وفى سنة ٣٣١ ق م ، بنيت مدينة الإسكندرية ، ويقول المؤرخون إن اليونانيين المقيمين فى نقراطس هم الذين أشاروا عليه بإنشائها ؛ لأنها بموقعها هذا على ساحل البحر الأبيض المتوسط غربى الفرع الكانوبى — اسم لأحد فروع النيل القديمة الذى كان يشق مديرية البحيرة ويصب قرب « أبو قير » وسمى هكذا باسم مدينة كانت واقعة عليه عند مصبه — لتكون مستودعا عاما للتجارة اليونانية الكبيرة ، والإسكندر هو الذى خطط أسوارها ، وحدد شوارعها الرئيسية ومواضع الهياكل التى اعتزم أن يقيمها لآلهة المصريين واليونان ، ثم ترك الباقى لمهندس دنقراطيس . انظر قصة الحضارة الجزء الثانى من المجلد الثانى ، وتاريخ اليونان . وعن فتح مصر يقال إنه اجتمع عمرو بن العاص بعمر بن الخطاب فى الجابية بقرب دمشق ، وراح يزين له فتح مصر ، وذلك فى خريف ٦٣٠ م . ومما أبداه من أسباب أن =

رفع المسهم

ناحورَ بن تيرح ، فولَدَ ناحور : مُقَوّم بن ناحور : فولَدَ مُقَوِّمٌ أُدَدَ بن مقوِّم : فولَدَ أدد : عدنان بن أُدُدَ . قال ابن هشام : ويقال : عدنان بن أُدّ .

قال ابن إسحاق : فمن عدنان تفرّقت القبائل من ولد إسماعيل بن إبراهيم ـ عليهما السلام ـ فولَدَ عدنانُ رجلَيْن : معدّ بن عدنان ، وعكّ بن عدنان .

كوش بن كَنْعان(١) . وأما حَفْن التى ذكر أنها قرية أمّ إبراهيمَ بنِ النبى — صلى الله عليه وسلم — فقرية بالصعيد معروفة ، وهى التى كلم الحسنُ بن على — رضى الله عنهما — معاويةَ أن يضعَ الخراجَ عن أهلِها ، ففعل معاويةُ ذلك حفظا لوصية رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بهم ، ورعاية لحرمة الصهر ، ذكره أبو عبيد فى كتاب الأموال : وذكر أنْصِنا(٢) وهى قرية بالصعيد

= مصر ستكون قوة للسلمين إذا هم ملكوها ، وأن حاكم الروم على بيت المقدس هرب إلى مصر ، وراح يجمع فيها جنود الدولة ، فيجب المبادرة إلى القضاء عليه وقد أقام عمرو عيد الأضحى بالعريش من عام ١٨ هـ — ١٢ من ديسمبر سنه ٦٣٩ م ، وقد تم تسليم الإسكندرية بعد هذا بعامين « من المؤرخين من يذكر أن فتح مصر حدث سنه ٢٠ أو ٢٥ أو ١٦ » .

(١) فى الطبرى ص ١٠٢ ج ١ أن القبط هم أولاد قوط بن حام بن نوح ، وفى رواية أن مصرايم بن حام بن نوح هو والد المصريين ، وفى المسعودى ص ٣٥٧ ج ١ أن الأقباط هم أولاد قبط بن مصر بن بيصر بن حام بن نوح وأنه قيل لكل قبط : مصر . أما فى القصد والأمم لابن عبد البر فهم « أبناء قبط بن حام » ص ٢٤ .

(٢) يقول عنها صاحب مراصد الاطلاع أنها مدينة أزلية بصعيد مصر فيها برابى وآبار كثيرة . والبرابى جمع بربا بفتح فسكون كلمة قبطية : قصور مبنية فى عدة مواضع من صعيد مصر بها صور ثابتة فى الحجارة من كل حيوان مختلف وقد ركب رءوس بعضها على أبدان غيرها ، وخولفت أشكالها يقال إنها كانت من عمل السحرة « المراصد » ويقول ابن عبد الحكم أن العجوز دلوكة ابنة زباء وهى صاحبة حائط العجوز وضعت بها مقياسا للنيل .

رفع المسار

. . . .

يقال : إنها كانت مدينة السَّحَرَةِ . قال أبو حنيفةَ : ولا ينبت اللَّبَخُ إلا بأنْصِنا، وهو عود تُنْشَر منه ألواحٌ للسفنِ ، وربما ، رَعَفَ ناشرُها ، ويباعُ اللوحُ منها بخمسينَ ديناراً ، أو نحوها ، وإذا شُد لوحٌ منها بلوحٍ ، وطرح فى الماء سنةً التأما ، وصارا لوحاً واحداً (١).

عَكٌّ

فصل : وذكر عَكَّ بن عَدْنانَ ، وأنْ بعضَ أهل اليمن يقول فيه : عَكُّ ابن عَدْنان بن عبد الله ، بن الأزْدِ ، وذكر الدَّارَقُطْنى فى هذا الموضع عن ابن الحباب أنه قال فيه . عَكُّ بن عبد الله ، بن عُدْثان بالثـــاء المثلثة ، ولا خلافَ فى الأولِ أنه بنونَيْن ، كما لم يُختلف فى دَوْسِ بن عُدثان ، أنه بالثاء ، وهى قبيلة من الأزْدِ أيضاً ، واسم عَكٌّ : عامرٌ . والدِّيثُ الذى ذكره هو بالثاء(٢) ، وقاله الزبير : الذِّيب بالذال والياء ، ولعدنان أيضاً

---

(١) وكذلك فى القاموس ، وزاد أن للَّبَخة ثمراً كالتمر حلواً لكنه كريه ثم ينقل أسطورة منها أن اللَّبَخَ كان سما بفارس ، فنقل إلى مصر ، فزالت سُمِّيته وفى المعجم الوسيط : أنه ينبت فى البلاد الحارة . ورعف : مثل نصَر ، ومنع ، وكرُم وعُنى ، وسمع : خرج من أنفه الرُّعاف . وهو الدم .

(٢) أكثر النسابين الذين تكلموا عن نسب الأزد لم يذكروا الديث . وفى القلائد للقلقشندى : وعك واسمه : الديث ، وفى كتاب نسب قريش : أن عكًا اسمه : الحارث ، وفى جمهرة ابن حزم أن عكا هو ابن الديث بن عدنان ، والنساب يختلفون فى نسب معد بن عدنان ، فبعضهم يقول : هو من ولد قيدار ، وبعضهم

. . . .

ابن اسمه : الحارث ، وآخر يقال له الْمُذْهَبُ(١) ، ولذلك قيل فى المثل : أَجْمَلُ من الْمُذْهَب ، وقد ذكر أيضاً فى بَنِيه الضَّحَّاك وقيل فى الضَّحَّاكِ إنه ابن مَعَدٍّ ، لا ابنُ عَدْنان ، وقيل إنَ عَدَنَ الذى تُعرف به مَدينةُ عدن ، وكذلك أَبْيَن هما(٢) ابنا عدنانَ ، قاله الطبرى . ولِعدنانَ بن أُدَدٍ أخوان : نَبْتُ بن أُددٍ ، وعَمْرُو بن أُدَدٍ . قاله الطبرى أيضاً .

(ذكر قحطان والعرب العاربة)

أما قَحْطَانُ فاسمهُ مِهْزَمٌ ـ فيما ذكر ابن مَا كولا ـ وكانوا أربعةَ إخوةٍ فيما روى عن ابن مُنَبِّهٍ : قحطانُ وقاحِطٌ ومِقْحَط وفَالِغٌ . وقحطانُ أولُ من قيل له: أَبَيْتَ اللَّعْنَ ، وأول من قيل له : عِمْ صَبَاحًا(٣) ، واختلف فيه ، فقيل:

= يقول: هو من ولد نبت ، وكان نبت بكر إسماعيل ، ويقول ابن حجر فى الفتح إنه وقع اضطراب شديد فى النسب بين عدنان وإسماعيل وأنه قد وقع له مما جمعه أكثر من عشرة أقوال ، وذكر هذه الأقوال ص ٤٦٩ ج ١ فتح البارى ط ١ ١٣٤٨ هذا والبيت الذى رواه ابن هشام « وعك بن عدنان » يروى : بمذحج .

(١) وبه أيضا كان يلقب قثم بن العباس .. وأصل المذهب : الذهيب : المموه بالذهب .

(٢) أى عَدَن وأَبْيَن .

(٣) جملة دعائية ، كان ـ كما روى ـ ملوك لخم وجذام يخاطبون بها ، ومعناها : أبيت أن تفعل شيئا تُلْعَنُ به ، وعم صباحا : تحية تقال فى الصباح ولعل عم اختصار نعم ينعم انعم ، فحذف منها الألف والنون .

رفع المسيٰهم

قال ابن هشام : فصارت عكٌّ فى دار اليمن ، وذلك أن عكًّا تزوَّج فى الأشعريِّين ، فأقام فيهم ، فصارت الدار واللغة واحدةً ، والأشعريون : بنو أشعر بن نَبْت بن أُدَدَ بن زيد بن هَمَيْسَع بن عمرو بن عَرِيب بن يَشْجُب بن زَيْد بن كَهْلان ابن سَبَأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قحطان ، ويقال : أشعرُ : نَبْتِ بن أُدَدَ ، ويقال : أشعر : بنُ مالك ، ومالكٌ : مَذْحِجُ بن أُدَدَ بن زيد بن هَمَيْسع . ويقال أشعر : بنُ سبأ بن يَشْجُب .

هو ابن عابِرِ بن شالِخ ، وقيل : هو ابنُ عبدِ الله أخو هود ، وقيل : هو هُودٌ نفسُه ، فهو على هذا القولِ من إرَمَ بن سام ، ومَنْ جعل العربَ كلَّها من إسمٰعيلَ قالوا فيه : هو ابن تَيمَنَ بن قَيْذَرَ بن إسمٰعيلَ . ويقال . هو ابنَ الْهَمَيْسَع ابن يَمَن(١) وبيمن سُمِّيت اليمن فى قول ، وقيل : بل سُمِّيَتْ بذلك لأنها عن يمينِ الكعبة . وتفسيرُ الْهَمَيْسَع : الصَّرَّاع . وقال ابن هشامٍ : يَمَن هو . يَعْرُبُ بن قحطانَ ، سُمِّىَ بذلك ؛ لأن هودا عليه السلام قال له : أنت أَيْمَنُ ولدى نَقيبةً(٢) فى خبر ذكره . قال : وهو أول من قال الْقَرِيضَ والرَّجَزَ ، وهو الذى أَجْلَى بنى حامٍ إلى بلاد المغرب بعد أن كانوا يأخذون الجزية من وَلَدِ قُوطَة بن يافثٍ . قال : وهى أول جِزْيَةٍ وخراجٍ أُخِذَتْ فى بنى آدمَ . وقد احتجوا(٣) لهذا القول أعنى : أن قحطانَ من ولد إسمٰعيل

---

(١) اختلف النسابون فى نسب قحطان ، فمنهم من نسبه إلى آدم وآخرون إلى عابر بن شالح بن سام بن نوح ، وآخرون إلى إسماعيل بن إبراهيم . وكل قول تشعب إلى ثلاثة أقوال . وقد ذكر ابن عبد البر كل هذا فى الإنباه ص ٥٥ .

(٢) نفسا .

(٣) انظر ص ٥٧ الإنباه على قبائل الرواة لابن عبد البر .

رفع المسبهم

. . . .

عليه السلام بقول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ « ارْمُوا يا بَنِي إسمٰعيل فإن أباكم كان راميا(١) » قال هذا القول لقوم من أسْلَمَ بن أفْصَى ، وأسلم أخو خُزَاعة وهم بَنُو حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ، وهم من سبأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قحطانَ ، ولا حُجَّة عندى فى هذا الحديث لأهل هذا القول ؛ لأنَّ اليمنَ لو كانت من إسمٰعيل ـ مع أن عدنان كلها من إسمٰعيل بلا شكٍّ ـ لم يكن لتخصيصِ هؤلاء القوم بالنسب إلى إسماعيل معنى ؛ لأن غيرَهم من العرب أيضاً أبوهم إسمٰعيلُ ، ولكنْ فى الحديث دليلٌ ـ والله أعلمُ ـ على أن خزاعةَ من بنى قَمَعَةَ (٢) أخى مُدْرِكة بن الْياسِ بن مُضَرَ ، كما سيأتى بيانه فى هذا الكتاب عند حديث عمرو بن لُحَىٍّ ـ إن شاء اللهُ ـ وكذلك قولُ أبى هريرةَ ـ رضى الله عنه ـ

---

(١) نص الحديث كما رواه البخارى فى صحيحه : عن سلمة بن الأكوع قال : « خرج علينا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على قوم من أسلم يتناضلون بالسوق ، فقال : ارموا بنى إسماعيل ؛ فإن أباكم كان راميا ، وأنا مع بنى فلان ـ لأحد الفريقين ـ فأمسكوا بأيديهم فقال : مالكم ؟ قالوا : كيف نرمى ، وأنت مع بنى فلان ؟ قال : ارموا ، وأنا معكم كلكم » انفرد به البخارى . ويتناضلون: يترامون على سبيل المسابقة ، وعند ابن حبان والبزار نحو هذه القصة وفيها : وأنا مع ابن الأدرع ، واسمه : محجن ، وقع ذلك من حديث حمزة بن عمرو الأسلمى فى هذا الحديث عند الطبرانى ، قال فيه : وأنا مع محجن بن الأدرع ، ومثله فى مرسل عروة وقيل اسم ابن الأدرع : سلمة . وورد أن القائل : كيف نرمى هو : فضلة الأسلمى جـ ٦ ١٠٤ فتح البارى .

(٢) لقب عمير بن الياس بن مضر .

وأنشدنى أبو مُحْرِزٍ خَلفٌ الأحمر، وأبو عُبَيْدة، لعبَّاس بن مِرداس، أحدِ بنى سُلَيم بن منصور بن عِكْرِمَة بن خَصَفة بن قيس بن عَيْلان بن مُضَر بن نزار بن معد بن عدنان، يفخر بعكٍّ:

«هى أمُّكُمْ يا بنى ماءِ السَّماء» (١) يعنى: هاجرَ، يَحتملُ أن يكونَ تأوَّلَ فى قحطانَ ما تأوَّلَهُ غيرُه، ويَحْتملُ أن يكونَ نَسَبهُم إلى «ماءِ السماءِ على زَعْمِهِمْ» فإنهم يَنْتَسِبون إليه، كما ينتسب كثيرٌ من قبائل العرب إلى حاضِنتهم وإلى رَابِّهِم، أى: زوجِ أُمِّهم - كما سيأتى بيانه فى باب قُضاعةَ إن شاء اللهُ.

سبأ وأصيم ووبار:

وسبأ اسمهُ: عبدُ شمس - كما ذكر - وكان أولَ من تَتَوَّجَ من ملوك العرب، وأول من سَبَى فسُمِّى سَبَأً، ولست من هذا الاشتقاقِ على يقينٍ؛ لأن سبأ مهموزٌ والسَّبْيُ غير مهموز (٢).

---

(١) جزء من حديث أخرجه البخارى فى باب قوله سبحانه: «واتخذ الله إبراهيم خليلا»، عن محمد بن محبوب عن حماد بن زيد عن أيوب عن محمد عن أبى هريرة، وقد تفرد به من هذا الوجه موقوفا، وقد رواه البزار، وأخرجاه من حديث هشام. ويقول ابن عبد البر، وهو يتحدث عن نسب خزاعة: «ولحى اسمه: ربيعة بن حارثه بن عمرو، أو هو مزيقياء بن عامر، وهو ماء السماء بن حارثه بن امرئ القيس، وفى مكان آخر يقول: «وحوط بن أبى حوط أخو المنذر بن ماء السماء لأمه. أمهما جميعا: ماء السماء بنت عوف بن جشم بن هلال»، وفى مكان آخر عن مزيقياء: «وأبوه عامر وهو المعروف بماء السماء» ص ٩٣، ٩٩، ١٠٧ الإنباه. وفى القاموس: «ماء السماء أم بنى السماء».

(٢) ذكره القاموس فى مادة سبأ وسبي. وفى نهاية الأرب: لأنه أول من أدخل بلاد اليمن السبي، وفى المسعودى السبية والسبايا، وكذلك فى البداية لابن =

رفع المسهم

وعكٌّ بنُ عدنان الذين تَلَقَّبوا بغسَّان حتى طُرِّدوا كل مَطرَد

وهذا البيت فى قصيدة له . وغسَّان : ماء بِسَد مأرِب باليمن ، كان شِرْبًا لولد مازن بن الأسْد بن الغَوْث ، فسمُّوا به ، ويقال : غَسان : ماء بالمُشَلَّل قريب من الجُحْفَة ، والذين شربوا منه تحزبوا ، فسمَّوْا به قبائل من وَلَد مازن بن الأسْد ابن الغَوْث بن نَبْت ، بن مالك ، بن زَيد بن كَهْلان ، بن سبأ ، بن يَشْجُب بن يَعْرُب ، بن قحْطان .

وذكر أُمَيْماً ، ويقال فيه : أَمِيم : ووجدت بخط أشياخ مشاهير : أُمَيم ، وأَمِّيم بفتح الهمزة وتشديد الميم مكسورة ، ولا نظير له فى الكلام ، والعرب تضطرب فى هذه الأسماء القديمة قال المعرى : (١)

يراه بنو الدهر الأخير بحاله كما قد رأته جُرْهُمٌ وأَمِيمُ

= كثير ، وفى الأغانى كذلك ، وقال : اسم سبأ عامر ،وكان يقال له عَبُ الشمس أى : عديل الشمس ، سمى بذلك لحسنه . ويقول صاحب نهاية الأرب — وهو يتحدث عن الملك فى العرب — : « لم يكن للعرب ملك حقيق ، وإنما كان من ملك حمير فى بلاد اليمن سمى ملكا . . . وأول ملوك قحطان : عبد شمس وهو : سبأ ، ويذكر نقلا عن كمامة الزهر أنه ملك ٤٨٤ سنة ، وأن يعرب بن قحطان هو أول من نطق بالعربية ، ومن حيي بتحية الملك : أبيت اللعن ، وأنعم صباحا ، ثم قال: والأشهر أن عبد شمس هو أول ملوكهم ج ١٥ ص ٢٩١ . ويقول ابن دريد : «وسبأ : اسم يجمع القبيلة كلهم ، وهو فى التنزيل مهموز فمن صرف سبأ » أى نوّنها « جعله اسم الرجل بعينه ، ومن لم يصرفه جعله اسم القبيلة ، واشتقاق سبأ من قولهم : سبأت الخمر أسْبَؤها سَبْئًا إذا اشتريتها ، أو من قولهم : سبأت النار جلده إذا أثرت فيه » ص ٣٦١ ولا تنون كلمة سبأ إذا قصدبها القبيلة للعلمية والتأنيث .

(١) أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعرى التنوخى الشاعر الفيلسوف عاش يضربه الشك ، وتأخذ به الحيرة ، فكثرت المتناقضات في شعره فهو يتناوح بين إيمان

. . . .

فجاء به على وزن فَعيل، وهو الأكثر، وأُميم — فيما ذكروا — أول من سَقَفَ البيوت بالخشب المنشور، وكان ماسكاً، وكان يُسَمَّى: آدم، وهو عند الفُرسِ: آدمُ الصغير، وولده: وَبَار، وهم أمة هلكت فى الرَّمل، هالت الرِّياحُ الرملَ على فِجَاجِهم ومَنَاهِلِهم[1] فهلكوا. قال الشاعر:

ــوجنوح عنه. آية شعره فى الكهولة جزالة اللفظ، وبداوة الأسلوب والغموض فى التراكيب، ووجود الغريب من الألفاظ، وهو فوق المتنبى فى دقة الخيال وتصريف القول فى الفلسفة وطبائع البشر ولد بمعرة النعمان سنه ٣٦٣ وعاش عزبا حتى مات سنة ٤٤٩ هـ.

(١) فى القاموس: وَبَار كَقَطَام قد يُصرف: أرض بين اليمن، ورمال بيرين سميت بوبار ابن إرم لما أهلك الله تعالى أهلها عادا. وفى المراصد أنها أرض واسعة بين الشِّحْر إلى صنعاء زهاء ثلثمائة فرسخ فى مثلها. قيل كانت من محال عاد بين رمال بيرين واليمن .. وقيل ما بين نجران وحضرموت، وما بين بلاد مهرة والشحر والمهرة بفتح الميم والهاء — وهو الأصح — بخلاف ينسب إليه مهرة، وهم قبيلة من قضاعة بينه وبين عمان نحو شهر، وكذلك بينه وبين حضرموت والشِّحْر بتشديد الشين وكسرها وسكون الحاء بلدة صغيرة بين عدن وظفار، أو هى صقع على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن، وهو عدة مدن يتناولها هذا الاسم انظر مراصد الاطلاع، وتقويم البلدان لأبى الفداء. والبيت الذى استشهد به السهيلى أنشده سيبويه للأعشى، وهو فى اللسان:

« فهلكت جهرة وبارُ »

بضم الراء، فمن العرب من يجرى وبار مجرى نزال بكسر اللام، ومنهم من يجريها مجرى سعاد. وقد أعرب فى الشعر، ودليله هذا البيت فالقوافى مرفوعة فى القصيد. والفجاج جمع فجّ. وهو الطريق الواسع بين جبلين، والمناهل: جمع مَنهَل: المورد، وهو عين ماء ترده الإبل فى المراعى، وتسمى المنازل التى فى المفاوز على طريق السُّفَّار مناهل لأن فيها ماء.

رفع المسهم

. . . .

وكَرَّ دَهْــرٌ على وبارِ   فأهلكَتْ عَنــوَةً وَبارُ

والنسب إليه أبَارِيّ على غير قياسٍ ، ومن العماليقِ(١) ملوكُ مصرَ الفراعنةُ ، منهم : الوليد بنُ مُصْعَبٍ صاحبُ موسى(٢) وقابوسُ بن مُصْعَب بن عَمْرو بن مُعاوية بن إرَاشَةَ بن معاوية بن عِمْليق أخو الأول ، ومنهم : الرَّيَّانُ ابن الوليد صاحبُ يوسفَ عليهِ السَّــلام ، ويقال فيه : ابن دَوْمَع فيما

---

(١) العمالقة قوم تفرقوا فى البلاد من ولد عِمْليق بكسر العين . أو عملاق ابن لاوُذ بن إرَمَ بن سام ، وعِمْليق هو أخوطسم وجديس . وقد تفرق العماليق فى البلاد ، فنزل بعضهم الحرم والبعض الشام ، والبعض فارس والممْلقة : البول والسَّلحَ أو الرمى بهما ، وفرْعون لقب كل من ملك مصر قديما . أو كل عات متمرد كفرعُون ، أو فُرْعَون ؛ بضم الفاء فيهما وضم العين فى الأولى وفتحها فى الثانية : وتفَرْعَنَ تخلق بخلق الفراعنة ، والفرعنة : الدهاءُ والنُّكر

(٢) لم يجزم التاريخ برأى حول اسم فرعون صاحب موسى ، فنهم من يقول إنه : رمسيس الثانى الذى توفى عام ١٢٢٥ قبل الميلاد ، ويزعم الأستاذ جارستاخ عضو بعثة جامعة هزبول إنه كشف فى مقابر أريحا الملكية أدلة تثبت أن موسى قد أنجته فى عام ١٥٢٧ قبل الميلاد بالتحقيق الأميرة حتشبسوت الملكة فيما بعد ، وأنه تربى فى بلاطها بين حاشيتها ، وأنه فر من مصر حين جلس على العرش عدوها تحتمس الثالث . وكانت زوجة لأخيها تحتمس الثانى ، ولما ارتقى تحتمس الثالث العرش استطاعت حتشبسوت تنحيته .

لكن الذى ورد فى القرآن أن المرأة التى أنجته كانت امرأة لفرعون وقت إنجائه يقول سبحانه : (وقالت امرأة فرعون : قُرَّةُ عينٍ لى ولك لا تقتلوه . عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا ، وهم لا يشعرون) القصص . وفى الإصحاح الأول من سفر الخروج ورد أن التى أنجته هى ابنة فرعون لا امرأته ، وهذا تحريف للكلم عن مواضعه .

. . . .

ذكر المسعودي(١) .

وأما طَسْمٌ وَجَدِيسٌ فأفنى بعضُهم بعضاً قتلت طَسْمٌ جَدِيساً لسوء مَلَكَتِهِمْ إياهم ، وجَوْرِهِم فيهم ، فأفلت منهم رجلٌ اسمه : رَبَاحُ بن مُرَّةَ ، فاسْتَصْرخ بِتُبَّعٍ(٢) ، وهو حسان بن تُبَّان أَسْعَد(٣) ، وكانت أختُه اليمامةُ ، واسمها عَنْزُ ناكحاً فى طَسْم ، وكان هواها معهم ، فأنذرتهم ، فلم يقبلوا ، فَصَبَّحَتْهُمْ جنودُ تُبَّعٍ فأفنَوْهُمْ قتلاً ، وصَلَبوا اليمامة الزَّرْقَاءَ بباب جَوّ ، وهى المدينة ، فسميت جَوٌّ باليَمَامَة من هنالك إلى اليوم(٤) وذلك فى أيام ملوك الطوائفِ ،

---

(١) والمسعودي يذكر اختلاف الناس فى شأن فرعون ، فنهم من رأى أنه من العماليق ، ومنهم من رأى أنه من لخم من بلاد الشام ، ومنهم من رأى أنه من الأقباط من ولد مصر بن بيصر وكان يعرف بظلما ونص ما ذكره السهيلى هو فى ص ٣٥٨ ج ١ المروج .

(٢) فى نهاية الأرب : رِباح بكسر الراء وجمع تبع تبابعة وقد كانت حمير — وهم سبأ — كلما ملك فيهم رجل سموه : تبعا .

(٣) كنيته : أبو كرب وتبان فى وزن غراب أو رمان .

(٤) ذكر بعض المؤرخين أن طسما وجديسا أخوان لثمود بن كاثر وكانت اليمامة ديار جديس وكانت البحرين ديارا لطسم . وعند الطبرى أنهما للاوذ بن سام بن نوح ، وكانت ديارهم اليمامة ، وكان عليهم ملك من طسم ، وكان غشوما سادرا فى غيه . ويقال له : عملوق ، وكان مستذلا لجديس . حتى كان يأبى أن تزف البكر إلى زوجها إلا بعد أن يفترعها ، فدبر أحد أبناء جديس كيدا استطاع به القضاء على عملوق أو على عمليق وعلى الرؤساء الذين معه ، ولكن أفلت منهم رباحُ بن مُرة ابن طسم ، واستغاث بحسان بن تبع ، فسمع له ، فقال له رباح فى الطريق إن لى أختا متزوجة فى جديس ، وإنها لتبصر الراكب على ثلاث مراحل ، وأخاف أن تنذر =

رفع المسهم

. . . .

وبقيت بعد طَسْم يبَاباً لايأكل ثمرَها إلاَّ عَوافِي الطيرِ والسِّباعِ (١) ، حتى وقع عليها عُبَيْدُ بن ثَعْلَبَةَ الحنفى ، وكان رائداً لقومه فى البلاد ، فلما أكل الثمر قال : إن هذا لطَعَامٌ ، وَحَجَّر بعصاه على موضع قَصَبَــةِ الْيمَامة ، فسُمِّيت : حِجْراً (٢) ، وهى منازلُ حَنيفَةَ إلى اليوم ، وخبرُ طَسْمٍ وجَديسٍ مشهورٌ اقتصرنا منه على هذه النُّبْذَةِ لشهرته عند الإخباريين .

= القوم بك ، فقطع كل رجل من قوم حسان شجرة ، وجعلها أمامه وهو يسير بمشورة رباح ، فأبصرتهم اليمامة ، فأنذرت جديسا ، ولكنهم لم يصدقوا ، فدهمهم حسان ، فأبادهم ، وأخرب بلادهم ، ـ وكانت تسمى اليمامة جوا والقرية ، وأتى حسان باليمامة ابنة مرة ، فأمر بها ، ففقئت عيناها ، وسميت جو باليمامة . هذا ما رواه الطبرى ص ٣٨ وما بعدها ج ٢ ونقله عنه أيضا ابن خلدون فى تاريخه ص٤٣ ومابعدها ج ٦ طبع لبنان وانظر أيضا ص ٣٣٩ ج١٥ نهاية الأرب ط ٢ وبين ما ذكرت وبين ما رواه السهيلى خلاف . فهو يذكر طسما مكان جديس ، وهو فى هذا يتابع بعض ما رواه المؤرخون حول هذه القصة كما بين ابن خلدون فى تاريخه ص ٤٦ ج ٦ وعنز هى زرقاء اليمامة التى يضرب بها المثل فى حدة البصر .

(١) اليباب : الخراب ، العوافى : طلاب الرزق من الناس والدواب والطير .

(٢) حَجَّر : يقال حجَّر الأرض ، وعليها ، وحولها : وضع على حدودها أعلاما بالحجارة ونحوها لحيازتها ، وقصبة البلاد : مدينتها . وحجر اسم ديار ثمود بوادي القرى مدنية بين الشام والحجاز .

قال حسّان بن ثابت الأنصاريّ — والأنصار بنو الأوس والخزرج ، ابْنَىْ حارثة ، بن ثعْلبة بن عمرو ، بن عامر ، بن حارثة ، بن امرىء القيس ، بن ثعلبة ، بن مازن بن الأسْد بن الغوث :

إمّا سألتِ فإنّا معْشَرٌ نُجُبٌ الأَسْدُ نِسبتُنا والماء غسّان

وهذا البيت فى أبيات له .

فقالت اليمن : وبعض علكّ ، وهم الذين بخراسان منهم : علكّ بن عدنان ابن عبد الله بن الأسْد بن الغوث ، ويقال : عُدْثان بن الدِّيث بن عبد الله ابن الأسْد بن الغوْث .

(ذكر نسب الأنصار)

وهم الأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ ، والأوسُ : الذِّئْبُ وَالْعَطِيَّة أيضاً ، والخزرجُ : الريحُ الباردة ، ولا أحسبُ الأوسَ فى اللغة إلا الْعَطِيَّةَ خاصةً ، وهى مصدر أُسْتُهُ(١) وأمّاَ أوسٌ الذى هو الذئب فَعَلَمٌ كاسمِ الرَّجُل ، وهو كقولِك : أُسَامَةَ فى اسمِ الْأَسَدِ . وليس أوسٌ إذا أردتَ الذئب ، كقولك : ذئبٌ وأسدٌ ، ولو كان كذلك لُجمِعَ وعُرّف — قال — كما يفعل بأسماء الأجناس ،

---

(١) فى القاموس : الأوس : الإعطاء والتعويض من الشىء والذئب والنهزة بضم النون وسكون الهاء ، وفى المعجم الوسيط : آسه أوْسا وإياسا : أعطاه ، وعوّضه مما فقده ، وأعانه ، وفى معجم ابن فارس : الهمزة والواو والسين كلمة واحدة ، وهى العطية . وقالوا : أُسْتُ الرجل . أءوسُه أوْسا : أعطيته ، ويقال الأوسُ : العِوض . وأوس : الذئب ، ويكون اشتقاقه مما ذكرنا .

. . . .

ولقيل فى الأنثى : أوْسَة كما يقال : ذِئْبة ، وفى الحديث ما يقوِّى هذا ، وهو قوله عليه السلام : « هذا أُوَيْسٌ يَسْتَلُكم من أموالكم » فقالوا : « لا تطيبُ له أنفُسُنا بشىء » ولم يقُل : هذا الأوْسُ فتأمَّله ، وليس أوس على هذا من المُسَمَّيْنَ بالسِّباع ، ولا منقولاً من الأجناسِ إلا من العطية خاصة .

وفيه عَمْرو ، وهو مُزَيْقِياء ، لأنه — فيما ذكروا — كان يُمزِّق كل يوم حُلَّةً . ابنُ عامر ، وهو : ماء السماء . ابن حارثة الغِطْرِيف(١) بن امرئ القيسِ ، وهو : البُهْلولُ بن ثعلبة الصَّنَم ابن مازِن السِّراج ابن الأسد ، ويقال لثعلبة أبيه : الصَّنَم ، وكان يقال لثعلبة ابن عَمْرٍو جد الأوس والخزرج : ثَعْلَبَةُ العَنْقَاء ، وكأنهم ملوكٌ مُتوَّجون ، ومات حارثةُ بن ثعلبة العَنْقاء(٢) والدُ الأوسِ والخزرجِ بالمدينةِ بعدَ ظهورِهم على الرومِ بالشامِ ، ومُصالحةِ غسَّانَ لملِكِ الروم ، وكان موتُ حارثةَ وجِذْعِ بنِ سِنان من صَيْحةٍ كانت بين السماء والأرض سُمع فيها صَهيلُ الخيل ، وبعد موت حارثةَ كان ما كان من نَكْثِ يهُودَ العُهودَ ، حتى ظهرت الأوسُ والخزرجُ عليهم بمن استنصروا به من ملوكِ جَفْنةَ(٣) ويقال فى الأسْدِ : الأزْد بالسين والزاى(٤) واسمُه :

---

(١) فى الاشتقاق لابن دريد ص ٤٣٥ : البطريق .

(٢) لقب بهذا — كما فى القاموس والاشتقاق لابن دريد — لطول عنقه .

(٣) واشتقاقها إمَّا من الجفنة المعروفة — وهى القصعة والبئر الصغيرة أو من الجفن بفتح الجيم والفاء وهو الكرْم بسكون الراء وجَفْن السيف غمده وجَفْن الإنسان معروف « عن الاشتقاق » .

(٤) وهو بالسين أفصح ،

قال ابن إسحاق : فولَدَ معدّ بن عدنان أربعةَ نفر: نزار بن معدّ ، وقضاعة بن معدّ ، وكان قضاعة بكرَ معدٍّ الذى به يكنى -فيما يزعمون- وقُنُصَ بن معدّ ، وإيادَ بن معدّ

فأمّا قُضاعة فتيامنت إلى حِمْير بن سَبأ - وكان اسم سبأ: عبدَ شمس، وإنما سمىّ سبأ ؛ لأنه أول من سَبَى فِى العرب - ابن يشْجُب بن يَعْرُب بن قحطان.

قال ابن هشام : فقالت اليمن وقُضاعة : قضاعة بن مالك بن حمير . وقال

الازْدِرَاء (١) ابن الغوث . قاله وَثِيمَةُ بن موسى بن الفرات . وقال غيره : سُمِّى أَسْداً لكثرة ما أسْدى إلى الناس من الأيادى (٢) . ورفع فى النسب إلى كهلانَ بن سبأ ، وكهلانُ كان ملكا بعد حِمْيرَ ، وعاش -فيما ذكروا- ثلاثمائة سنة ثم تحول الْمُلْكُ إلى أخيه (٣) حِمْيرَ ، ثم فى بنيهم ، وهم : وائِل (٤) ومالك وعَمْرو وعامر وسَعْد وعوف .

وذكر لُطمَة وَلدِ عَمْرو بن عامر لأبيه ، وأنه كان أصغرَ ولدِه . قال

---

(١) فى نهاية الأرب . دِراء أو دِرْه ص ٣١١ ج ٢

(٢) أما ابن دريد ، فيقول فى الاشتقاق إنه من قولهم : أَسِد الرجل يأسَدُ أسَدًا إذا تشبه بالأسد .

(٣) هما : ابنا سبأ وفى المسعودى أن الذى تولى الملك بعد كهلان هو أبو مالك عمرو بن سبأ وكان ملكه ٣٠٠ سنة ، وقيل : إن الذى ملك بعد كهلان : الحارث بن شداد الملقب بالرائش المعروف بذى المنار ص ٧٤ ج ٢ .

(٤) فى نهاية الأرب وائلة .

رفع
المسهم
عزالدين الحلبي

. . . .

المسعودى : واسمه : مالك ، وقال غيره : ثعلبةُ . وقال : ويقال إنه كان يتيما فى حِجْره .

وقول حسان(١) :

إمّا سألتِ فإنا مَعْشَرٌ أُنُفٌ(٢) الأَسْدُ نِسبَتُنا ، والماءُ غَسّانُ
يا أُخْتَ آلِ فراسٍ إننى رَجُلٌ مِنْ مَعْشَرٍ لَهُمْ فى المجد بُنْيانُ

واشتقاقُ غَسّانَ اسمُ ذلك الماء من الغُسِّ ، وهو الضعيف كما قال :

غُسُّ الأمانة صُنبورٌ فَصُنْبُورُ(٣) .

(١) هو صاحب الرسول وشاعره الذائد عنه بشعره . واسمه : حسان بن ثابت بن المنذر بن حَرام ، ولد بالمدينة ، عاش قبل إسلامه على مدح المناذرة والغساسنة ، ولكنه بالغ فى مدح آل جفنة من ملوك غسان ثم أسلم ، وعاش إبان البعثة وشعره لمحمد — صلى الله عليه وسلم — توفى سنة ٥٤هـ عاش — كما جاء فى الأغانى — ١٢٠ سنة .

(٢) فى السيرة : نجب بدلا من أنف ، وكذلك فى اللسان وفى القاموس الغَسْنُ المضغُ ، وبالضم الضعيفُ . والغُسْنةُ والغُسْناه : خصلة الشعر وعند ابن دريد هى من الغُسْنة أو من قولهم غَيسان الشباب وهو أوله وطراءته .

(٣) البيت فى ديوان أوس بن حجر وفى معجم مقاييس اللغة لابن فارس
مُخَلَّفُون ويقضى الناسُ أمرهم غُسُّو الأمانة صُنْبُورٌ فصُنْبور

ويقول الأستاذ عبد السلام هرون فى تعليقه على المادة فى معجم مقاييس اللغة إنّ اللسان ذكرها فى (صنبر وغشش ، برواية غش الأمانة بالشين وفى غنس : غس بالسين وضم الغين ، ونبه فى هذا الموضع الأخير على روايته بجمع المكسر «غُسُّ» ، وغُسٌّ ، بالنصب على الذم ، وبجمع التصحيح غُسُّو الأمانة بالرفع والإضافة وغُسِّى بالنصب والإضافة لما بعده ، وابن فارس يقول عن غس : « ليس فيه إلا قولهم : رجل غس إذا كان ضعيفا ، وأصل الصنبور : النخلة تبقى منفردة وينتشر ويدق أسفلها .

. . . .

ويروى غُسِّى ، ويقال لِلْهِرِّ إذا زُجِر : غِسْ بتخفيف السين قاله صاحب العين . والغَسِيسَةُ(١) من الرطب : التى يبدأها الإرطاب من قِبَل مِعْلاقها ، ولا تكون إلا ضعيفة ساقطة .

سبأ وسيل العرم :

فصل : وذكر تَفَرُّقَ سبأ ، والعرب تقول : تَفَرَّقوا أيدى سَبَا وأيادى سَبَا نَصباً على الحال ، وإن كان معرفة فى الظاهرِ لأن معناه : مثل أيدِىْ سبا والياء ساكنة فيه فى موضع النصب ، لأنه صار بمنزلة اسمين جُعِلا اسْمًا واحدا(٢) مثل : مَعْدِى كَرِبَ ، ولم يسكنوها فى ثمانِىَ عَشْرةَ ، لأنها متحركة فى ثمانية عشر .

(١) فى القاموس « غس — بفتح الغين — زجر القط فقال : غس » بكسر الغين » والمغسوسة : نخل ترطب ولا حلاوة لها . والغس : الضعيف واللئيم والغسيس الرطب الفاسد .

(٢) فى اللسان : « وقالوا : تفرقوا أيدى سبا ، وأيادى سبا ، فبنوه وليس بتخفيف عن سبأ لأن صورة تحقيقه ليست على ذلك ، وإنما هو بدل لكثرته فى كلامهم . قال من صادر أو وارد أيدى سبا .

وقال كثير :

أيادِى سَبَا يا عَزُّ ما كنت بعدَكم فلم يحل للعينين بعدك منزل

وضربت العرب بهم المثل فى الفرقة ، لأنه لما أذهب الله عنهم جنتهم ، وغرق مكانهم تبددوا فى البلاد . وقولهم : ذهبوا أيدى سبا أى متفرقين شبهوا بأهل سبأ لما مزقهم الله فى الأرض كل ممزق . فأخذت كل طائفة منهم طريقا على حدة ، واليد : الطريق .

رفع المستهم

. . . .

فصل : وذكر سَيل الْعَرِمِ، وفى الْعَرِمِ أقوال : قيل: هو الْمُسَنَّاةُ(١) أى: السد وهو قول قتادة ، وقيل : هو اسم للوادى ، وهو قول عطاء ، وقيل : هو الْجُرَذُ الذى خَرَّب السد ، وقيل : هو صِفَةٌ للسيل من الْعَرَامَة ، وهو معنى رواية عَلِىٍّ ابن أبى طَلْحَة عن ابن عباس ، وقال البخارى : الْعَرِمُ(٢): ماء أحمرُ حفر فى الأرضِ حتى ارتفعت عنه الجَنَّتَان ، فلم يَسْقهما ، حتى يَبِسَتْ ، وليس الماء الأحمر من السَّدِّ ، ولكنه كان عذابا أُرسِل عليهم . انتهى كلام البخارى . والعرب تضيف الاسمَ إلى وَصْفِه ، لأنهما اسمان ، فَتُعَرِّف أحدَهما بالآخر . وحقيقة إضافة الْمُسَمَّى إلى الاسم الثانى ، أى : صاحب هذا الاسم كما تقول : ذو زيد أى . المسمى بزيد ، ومنه سَعْدُ ناشِرَة وعَمْرُو بَطَّةَ(٣) .

(١) فى المطبوعة : المنسأة ولكنها : المُسَنَّاةُ التى تحبس الماء .

(٢) واحد العرم: العرمة بفتح العين والراء أوكسرها ، وفى الطبرى أنها هكذا بلسان حمير أو بلحن اليمن ، وهى صفة للسناة وليست اسمالها ، وفى القاموس : عرم بفتح فكسر : جمع بلا واحد ، أو هو الأحباس تبنى فى الأودية ، والجرذ . ضرب من الفيران والعرم أيضا المطر الشديد ، وواد ، والعرامة : الشده . وفى نهاية الأرب أيضا أن بانى السد هو لقمان الأكبر بن عاد أحد ملوك حمير «ص ٢٣٧ جـ ٥ نهاية الأرب » .

(٣) فى اللسان : « وزيد بطة لقب . قال سيبويه : إذا لقبت مفردا بمفرد أضفته إلى اللقب وذلك قولك : هذا قيس بطة . جعلت بطة معرفة لأنك أردت المعرفة التى أردتها إذا قلت : هذا سعيد ، فلو نونت بطة صار سعيد نكرة ، ومعرفة بالمضاف إليه ، فيصير بطة ههنا كأنه كان معرفة قبل ذلك ، ثم أضيف إليه ، وقالوا : هذا عبد الله بطة « بضم الآخر » فجعلوا بطة تابعا للمضاف الأول قال سيبويه . فإذا لقبت مضافا بمفرد جرى أحدهما على الآخر كالوصف، وذلك =

. . . .

وقول الأعشى (١) :

ومأرِب عفىّ عليها العَرِمْ .

يقوى أنه السَّيْلُ . ومأْرب بسكون الهمزة : اسم لقصر كان لهم ، وقيل : هو اسمٌ لكل ملك كان يلى سَبَأ ، كما أن تُبَّعًا اسمٌ لكل من وَلِى اليمن ، وحَضْرَمَوْتَ والشِّحْر . قاله المسعودى . وكان هذا السَّد من بناء سبأ بن يَشْجُبَ بن يَعْرُبَ(٢) ، وكان ساق إليه سبعين واديا ، ومات قبل أن يستتمه ، فأتمته ملوكُ حِمْيَرَ بعده . وقال المسعودى : بناه لقمانُ بن عاد ، وجعله فَرْسخا ، وجعل له ثلاثين مَثْقَبًا .

= قولك : هذا عبد الله بطة يا فتى « اللسان مادة بط » أما سعد ناشرة فكوكبان بينهما فى المنظر نحو ذراع ، هذا وفى العرب سعود كثيرة : سعد تميم وسعد قيس وسعد هذيل وسعد بكر .

(١) هو أبو بصير ميمون بن قيس بن جندل ، نشأ فى اليمامة . وسمع بأمر الرسول — صلى الله عليه وسلم — فصنع قصيدة فى مدحه ، ولكن قريشا أعطته مائة من الإبل ، فرجع ولكنه سقط عن ناقته ، فدقت عنقه قرب اليمامة ، وهو راجع . لقب بصناجة العرب . والشطرة التى ذكرها السهيلى من بيت أوله :

فنى ذاك لِلمُؤْتسى أسْوةٌ ومأرب عفـّى عليـه العرم
رجام بَنَتْه لهم حِمْير إذا جاء ماؤهم لم يرم

والقصيدة فى ديوانه ص ٤٣ من طبع القاهرة من قصيدة فى مدح قيس بن معد يكرب . وفيه « قفـّى . رخام ومواره » مكان عنى ورجام ، وماؤهم . والرجام : الصخوز .

(٢) ويقال : إنها بِلـْقِيس .

رفع عبد الرحمن ... المسيهم

. . . .

وقول الأعشى :

إذا جاء مَوّارُهُ لَمْ يَرِمْ . من قوله تعالى : (يَوْمَ تَمُورُ السَّماءُ مَوْراً) . فهو مفتوح الميم ، وبعضهم يَرْوِيه مضمومَ الميم ، والفتح : أصَحُّ . ومنه قولهم : دَمٌ مائرٌ أى : سائل . وفى الحديث : « أَمِرِّ الدَّمَ بما شئت »(١) أى أرسله ، ورواه أبو عبيد أمْرِ بسكون الميم ، جعله من مَرَيْتُ الضَّرع . والنفسُ إلى الرواية الأولى أمْيَلُ من طريق المعنى ، وكذلك رواه النقاش ، وفسره .

وقوله : لم يَرِمْ أى : لم يُمسكه السد حتى يأخذوا منه ما يحتاجون إليه . وقوله : فأروى الزروع وأعنابها أى : أعناب تلك البلاد ، لأن الزروعَ لا عنب لها .

وأنشد لأُمَيَّةَ بن أبى الصَّلْتِ :

من سبأ الحاضرينَ مأربَ إذ يبنون مِنْ سَيْلِهِ الْعَرِمَا(٢)

وهذا أبين شاهدٍ على أن الْعَرِم هو السد ، واسم أبى الصلت : ربيعةُ ابن وَهْب بن عِلاَجٍ الثَّقَفِيّ وأمه : رُقَيَّة بنت عبد شمس بن عبد مناف .

---

(١) الحديث رواه أحمد فى مسنده ، وأبو داود . وابن ماجة والحاكم عن عدى بن حاتم .

(٢) البيت فى اللسان هكذا : شرد من دون سيله العرما . ويقال إن مأرب اسم لقصر الملك وفيه يقول أبو الطمحان .

ألم تروا مأربا ما كان أحصنه وما حواليه من سور وبنيان

رفع المسهم

عمرو بن مرّة الْجُهَنِيّ ، وجُهَينة بن زيد ، بن ليث بن سَوْدِ ، بن أَسْلُمِ ، بن الحاف بن قضاعة :

نحن بنو الشيخ الْهِجَانِ الْأَزْهَرِ قضاعة بن مالكِ بن حِمْيرِ
النَّسبِ المعروفِ غيرِ المُنْكَرَ فى الحجَر المنقوش تحت المِنْبر

« قنص بن معد ونسب النعمان » :

قال ابن إسحاق : وأمّا قُنُص بن معدّ فهلكت بقيَّتهم — فيما يزعم نُسَّاب معدّ — وكان منهم النُّعمان بن المنذر ملك الحيرة .

قال ابن إسحاق : حدثنى محمد بن مسلم بن عبد الله بن شِهاب الزُّهْرى : أن النعمان بن المنذر كان من ولد قُنُص بن معدّ . قال ابن هشام : ويقال : قَنَص .

(ذكر معد وولده)

قوله : وَوَلَد مَعَدٌّ أربعة نفر، أما نزارٌ فمتّفَقٌ على أنه ابنُ مَعَدّ ، وسائرُ ولدِ مَعَدّ فمختلفٌ فيه ، فمنهم جُشَمُ بن معد وسِلْهِم بن مَعَدّ وجُنَادةُ بن معد ، وقُنَاصة بن مَعَدّ ، وقَنَصُ (١) بن معدّ وسَنَامُ بنُ معد ، وعَوْف — وقد انقرض عقبُه — وَحَيدانُ، وهم الآن فى قُضاعة ، وأوْد ، وهم فى مَذْحِج ينسبون بنى أوْدِ بن عَمرو ، ومنهم عُبَيد الرَّمّاحُ وحَيدَة وَحيادَة وجُنَيْد وقَحْم ، فأما قُضَاعَةُ فأكثر النَّسابين يذهبون إلى أن قُضاعَة هو : ابنُ مَعَدّ ، وهو مذهبُ الزُّبَيْرِيِّينَ ، وابن هِشام ، وقد رُوى من طريقِ هشامِ بن عُرْوة عن

---

(١) وقنص أيضا بضم القاف والنون .

. . . .

عائشة عن النبي — صلى الله عليه وسلم — أنه سُئِل عن قُضاعة ، فقال : هو ابنُ مَعَدّ ، وكان بِكْره . قال أبو عُمَر : وليس دون هشام بن عُرْوَة مَنْ يُحتجّ به فى هذا الحديث(١) ، وقد عارضه حديثٌ آخر عن عقبة بن عامر الْجُهَنِيّ . وجُهَيْنَة : هو ابن زَيْد بن لَيْث بن سَوْد بن أَسْلُم — بضم اللام — ابن الْحافِ ابن قُضاعة أنه قال : يارسول الله : لمن نحن ؟ فقال : أنتم بنو مالك بن حِمْير(٢) . وقال عَمْرو بن مُرَّة — وهو من أصحاب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ويُكنى أبا مريم :

يأيُّها الداعى ادْعُنَا وأبْشر ... وكُنْ قُضاعِيًّا ولا تَنزَّرِ
نحن بنو الشيخ الْهِجَانِ الْأَزْهَر ... قضاعة بن مالك بن حِمْيَر(٣)

---

(١) فى الإنباه ص ٥٩ لابن عبد البر .

(٢) ذكره ابن عبد البر فى الإنباه وقال : رواه جرير بن حازم عن ابن لهيعة عن معروف بن سويد عشانة المغافرى عن عقبة بن عامر الجهنى .

(٣) يقول ابن عبد البر فى الإنباه ص ٦١ « وكان أول من انتسب من قضاعة إلى مالك بن حمير الأفلح بن يعقوب حيث يقول :

يأيها الداعى ادعنا وأبشر ... وكن قضاعيا ولا تَنَزَّر
نحن بنو الشيخ الهجان الأزهر ... قضاعة بن مالك بن حمير

النسب المعروف غير المنكر

وفى الأغانى جـ ٨ ص ٩٠ طبع لبنان : « وقال راجز من قضاعة ينسبهم إلى حمير .

قضاعة الأثرون خير معشر ... قضاعة بن مالك بن حمير

ثم : يأيها الداعى ادعنا وأبشر ... وكن قضاعيا ولا تنزر =

رفع المسهم

. . . .

قال ذو الحُسَيْنِ : قال الزبير : الشعر لأفاحَ بن اليَعْبُوب . وعمْرو بن مُرّة هذا له عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — حديثان أحدهما : فى أعلام النُبُوّةِ ، والآخرُ : «مَنْ وَلِيَ أمرَ الناس، فَسَدَّ بابَه دون ذَوِى الحاجَةِ ، والخَلّةِ والمسكنةِ سد الله بابَه دون حاجته وخَلته ومَسْكنته يوم القيامة (١) »
ومما احتج به أصحاب القول الأول أيضا قول زهير(٢) :

= قضاعة الأزهرون الخ ثم يقول : قال مؤرج بن عمرو : « وهذا شىء قيل فى آخر أيام بنى أمية » . وفى نسب قريش ص٥ وردت هذه الأبيات أيضا مع تقديم وتأخير . ومعنى تعزو انتمى إلى قبيلة نزار ، أو تشبه بهم ، والهجان الكريم الحسب النقية . والأزهر كل لون أبيض صاف مشرق مضىء .

(١) رواه الترمذى . ورواه أبو داود ولفظه بسنده عن عمرو بن مرة الجهنى أنه قال لمعاوية : « سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : « من ولاه الله شيئا من أمور المسلمين ، فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم ، احتجب الله دون حاجته وخلته وفقره يوم القيامة » فجعل معاوية رجلا على حوائج المسلمين، ورواه الحاكم بنحو لفظ أبى داود وقال : صحيح الإسناد . وعقبة بن عامر أشهر كنية له . أبو حماد ولى البصره سنة ٤٤ فى عهد معاوية . وظل فيها ثلاث سنوات وتوفى سنة ٥٨ وله خمسة وخمسون حديثا . والخلة . الحاجة والفقر .

(٢) زهير بن أبى سلمى ربيعة بن رباح المزنى ، وقد نشأ فى بيت عريق فى الشاعرية فأبوه وخاله وأختاه سلمى والخنساء ، وولداه كعب وبجير من الشعراء النابهين . ويدور التفاضل بينه وبين النابغة وامرىء القيس ، أما لبيد ، فهو أبو عقيل لبيد بن ربيعة العامرى يقال . إنه عاش حتى أدرك الإسلام ، فأقبل على الرسول — صلى الله عليه وسلم— فى وفد من قومه ، فأسلم وحفظ القرآن وينسب إليه أنه لم يقل بعد إسلامه سوى :

الحمد لله إذ لم يأتنى أجلى حتى لبست من الإسلام سربالا =

رفع المسبهم

. . . .

قُضَاعِيَّةٌ أو أُخْتُها مُضَرِيَّةٌ ... يُحرّقُ فى حافاتها الحَطَبُ الجَزْلُ

فجعل قُضاعة ومُضَر أخوين : وأشعار كثيرة للبيد وغيره ، وقد قال الكُميت يعاتب قضاعة فى انتسابهم إلى اليمن :

علامَ نزلتُم من غيرِ فقرٍ ... ولا ضرّاءَ منزلةَ الحميـــل

والحميلُ : المَنسِيُّ لأنه يُحمَل من بلد إلى بلد. قال الأعمشُ : كان أبى حَميلا فورّثه مَسْرُوقٌ . أراد أن مسروقا كان يرى التوارث بولادة الأعاجم . وقال ابن الماجُشُون : كان أبى ومالكٌ وابن دينار والمغيرةُ يقولون فى الحميلِ – وهو المنسِيُّ – بقول ابن هُرْمُز(١) ثم رجع مالك قبل موته بيسير إلى قول ابن شهاب ،

= وكانت وفاته بالكوفة سنة ٤١ هـ . والكميت هو أبو المستهل الكميت بن زيد الأسدى الكوفى هو أشعر شعراء المتشيعين لبنى هاشم ، وأهل بيت على رضى الله عنه ولد سنة ٦٠ هـ ومات سنة ١٢٦ هـ . الحميل . الدّعىُّ – أى المطعون فى نسبه ، والمنسوب إلى غير أبيه . والحميل أيضا : الطفل المنبوذ يحمله قومه فيربونه . والبيت فى الإنباه أيضا .

(١) الأعمش هو : أبو محمد سليمان بن مهران الكوفى ، كان حافظا متثبتا ، ولكن كان فيه تشيع ولد سنة ٦١ ، وتوفى سنة ١٤٨ هـ وابن الماجشون من أهل المدينة وأصحاب مالك . اسمه : عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الله بن أبى سلمة الماجشون – وهى المورد بالفارسية – سمى بهذا لحمرة فى وجهه ، وكان فى زمانه مفتى المدينة توفى سنة ٢١٢ ، أو ٢١٤ . ومسروق هو : مسروق بن الأجدع بن مالك أبو عائشة الكوفى كان فقيها من أصحاب ابن مسعود . روى عن الخلفاء الراشدين الاربعة قال عنه ابن المدينى . ما أقدم على مسروق من أصحاب عبدالله أحدا توفى سنة ٦٢هـ . ومالك هو : مالك بن أنس بن مالك بن أبى عامر صاحب =

. . . .

وأنهم يتوارثون بشهادة العُدول ، ولما تعارضَ القولان فى قُضَاعَةَ ، وتكافأت الحجاج نظَرنا فإذا بعضُ النَّسَّابينَ — وهو الزُّبَيْرُ — قد ذكر مايدل على صدق الفريقين وذكر عن ابن الكلبىّ أو غيره أن امرأة مالك بن حِمْيرَ ، واسمها : عُكْبُرَةُ آمَتْ منه (١) وهى تُرضع قُضاعةَ ، فتزوجها مَعَدٌّ ، فهو رَابُّه ، فتبنَّاه ، وتكنَّى به ، ويقال : بل ولدته على فراشه ، فنُسب إليه ، وهو قول الزبير ، كما نُسب بنو عَبْدمَناةَ بن كِنَانَةَ إلى علىّ بن مسعود بن مازن بن الذِّئب الأسدى ، لأنه كان حاضنَ أبيهم ، وزوجَ أمهم ، فيقال لهم : بنو علىٍّ إلى الآن ، وكذلك عُكْل (٢) ، وهو حاضن بنى عوف بن وُدٍّ بن طابخة ، ولكن لا يُعرفون إلا

الموطأ . قال عنه الذهبى : اتفق لمالك مناقب ماعلمتها اجتمعت لغيره . طول العمر وعلو الرواية ، والذهن الثابت ، والفهم ، وسعة الاطلاع ، واتفاق الأئمة على أنه حجة صحيح الرواية تجمعهم على دينه وعدالته ، واتباع السنن ، تقدمه فى الفقه والتقوى ولد سنة ٩٣ وتوفى سنة ١٧٩ والمغيرة هو : المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث ابن عبد الله . قال عنه الزبير بن بكار . كان المغيرة فقيه أهل المدينة بعد مالك . توفى المغيرة سنة ١٨٦ هـ وابن دينار : هو محمد بن إبراهيم بن دينار الجهنى أبو عبد الله كان مفتى أهل المدينة مع مالك وعبد العزيز بن أبى سلمة وبعدهما . ودرس مع مالك على ابن هرمز توفى سنة ١٨٢ هـ

(١) أصل العُكْبُرَة . المرأة الجافية فى خلقها ، وآمَتْ المرأة ، أيماً ، وأيوما وأيمةً . أقامت بلا زوج بكرا أو ثيبا ، وفقدت زوجها .

(٢) عكل بضم العين أو كسرها . اللئيم — وفى القاموس : وعكل أبو قبيلة فيهم غباوة اسمه : عوف بن عبد مناة حضنته أمة تدعى : عكل فلقب به ، وعند ابن دريد أن اشتقاق عكل من عكلت الشىء عكلا إذا جمعته وفى الإنباه : عكل : امرأة حضنت ابن عوف بن قيس بن وائل بن عوف بن عبد مناة بن أد ، فنسبوا إليها ، وسودان وثعلبة بنو عمرو بن الغوث من طىء نسبوا إلى حواضنهم أيضا .

. . . .

بِعُكل ، وكذلك سعدُ بن هُذَيم (١) إنما هم بنو سَعْدِ بن زيد من قُضَاعَةَ ، وهُذَيم كان حاضنَ سعدٍ ، فنُسِب إليه ، وهذا كثيرٌ فى قبائلِ العرب ، وسيأتى منه فى الكتاب زيادةٌ - إن شاء الله - وتفسير قضاعة فيما ذكر صاحب العين : كَلْبُ الماء ، فهو اسم منقولٌ منه ، وهو لقب له ، واسمه: عَمْرو ، ويُكنى أبا حَسَن وكُنْيته : أبا حكم فيما ذكروا (٢) .

وقول ابن إسحق : كان بكرَ معدٍّ ، فالبكر أولُ ولدِ الرجلِ ، وأبوه بكر والثِّنْيُ ولده الثانى ، وأبوه ثِنْيٌ ، والثِّلْثُ ولده الثالث ، ولا يقال للأب ثِلْثٌ ، ولا يقال فيما بعد الثالث شيءٌ من هذا ، قاله الخطابى . ومما عوتبت به قُضاعة فى انتسابهم إلى اليمن قول أعشى بنى تغلب ، وقيل هى لرجل من كَلْب ، وكَلْب من قضَاعَة .

أَزَنَّيْتُمْ عجوزَكم ، وكانت قديمـا لا يُشَمّ لها خِمار
عجوز لودنا منها يمان للاقى مثل مالاقى يَسَارُ (٣)

---

(١) فى القاموس « سعد بن هذيم كزبير أبو قبيلة » وهو ابن زيد لكن حضنه عبدٌ أسود اسمه هذيم : فغلب عليه .

(٢) وعند ابن دريد أن قضاعة مشتقة من شيئين . إما من قولهم . انقضع الرجل عن أهله إذا بعد عنهم! أو من قولهم . تقضع بطنه إذا أوجعه ، ووجد فى جوفه وجعا ، وفى القاموس : قضاعة إنها كلبة الماء ، وغبار الدقيق ، وما يتحتت من أصل الحائط ، وبقضاعة لقب عمرو بن مالك بن حمير ، ثم ذكر أنها قد تكون فوق هذا من قضعه بفتح أى قهره وانظر أيضا ص ٢٨٣ ج ٢ نهاية الأرب وانظر ص ٦١ من الإنباه لابن حزم ، وص ٩٠ ج ٨ .

(٣) فى الإنباه : وقيل : إنها لبعض بنى تيم اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب يخاطب قضاعة ص ٦٢ ١٢ زناه نسبه إلى الزنا ، واتهمه به ، وفى الإنباه عن =

. . . .

يريد : يَسَار الكواعب الذى هم بهن فَخَصَيْنَه ، وقال بعض شعراء حِمْير فى قُضَاعة :

مَرَرْنا على حَيَّىْ قضاعة غُدْوَةً وقد أخذوا فى الزَّفْنِ والزَّفَنان
فقلت لهم : ما بال زَفْنِكمْ كذا لِعُرْسٍ نرى ذا الزَّفْنَ أو لِخِتَانِ
فقالوا : ألا إنا وَجَدْنا لنا أباً فقلتُ: لِيَهْنِئْكُمْ! بأىِّ مَكَانِ؟!
فقالوا : وجدناه بجَرْعَاء مالك فقلت : إذاً ما أُمُّكُمْ بحَصَانِ
فأمسَّ خُصياً مالكٍ فَرْجَ أُمِّكُمْ ولا باتَ منه الفَرْج بِالْمُتَدَانى
فقالوا : بلى والله حتى كأنَّمَا خُصْيَاه فى باب استِها جُعلانِ (١)

ذكره أبو عُمَر — رحمه الله — فى كتاب الإنباه له ، وقال جميل بن مَعْمَرٍ ،وهو من بنى حُنٍّ بنِ ربيعة من قُضاعة يصف بُثَيْنَة ، وهى من حُنّ أيضا :

= يسار «وكان زنى فى غير قومه فأخذ فخصى، وذكر من القصيدة. كما روى لأعشى تغلب ثمانية أبيات فى هجو قضاعة .

(١) ص ٦٣ الإنباه وفيه « من تحت » بدلا من « فى باب » وجرعاء الأرض ذات الحزونة تشاكل الرمل ، أو موضع فيه سهولة ، ورمل لا تنبت ، وجرعاء مالك بالدهناء قرب حزوى « بضم الحاء وإسكان الزاى وفتح الواو » موضع بنجد . والدهناء هى من ديار بنى تميم فى نجد ، وقيل غير هذا ، والحصان: العفيفة أو المتزوجة ، الخصيان بضم الخاء وكسرها معروفان ، وهما عضوان من أعضاء التناسل ، والجعلان مثنى : جعل ، وهو حيوان كالخنفساء يكثر فى المواضع الندية وليت الكميت تبرأ من مثل هذه الأبيات القذرة، ولولا الحفاظ على النص لحذفتها.

رفع
المسهم
غفر الله له

. . . .

رَبَتْ فى الرَّوابِي من مَعَدٍّ ، وفُضِّلَتْ   على المُحصَنَاتِ البِيضِ وهى وَلِيدُ(١)

وقال جميل أيضا وهو يحدو بالوليد بن عبد الملك :

أنا جميلٌ فى السَّنامِ مِنْ مَعَدّْ   الضاربين الناسَ فى الرُّكْنِ الأشَدّْ(٢)

(١) جميل بن عبد الله بن مَعْمَر المعروف بجميل بثينة . يقول عنه الأصفهانى فى الأغانى : « وجميل وبثينة كلاهما من بنى عُذْرَة . والجمال والعشق فى بنى عذرة كثير » ، وقد اشتهر عشقهم بالعفة ، فقيل : حب عذرى مات سنة ٨٢ هجرية فى عهد عبد العزيز بن مروان . وبيت « ربت الروابى » فى الأصل بدون «فى» والتصويب من البيان والتبيين ص ٢٢٣ ح ١ وقد ورد البيت هكذا .

نمت فى الروابى من معد وأفلجت   على الخفرات الغرّ وهى وليد
أناة على نيرين أضحى لداتها   بَلِينَ بِلاءَ الرَّيْط ، وهى جديد

نمت : شبّت . الروابى من معد . البيوت الشريفة . أفلجت . أظهرت والخفرات . الحييات . الأناة . المرأة التى فيها فتور عند القيام . وقوله . على نيرين . وصفها بالقوة كالثوب ينسج على نيرين ، وهو الثوب الذى له سديان كالديباج وما أشبهه . اللدة . القرينة فى المولد والمنشأ ، فيقول . إن أقرانها قد بلين وهى جديد لحسن غذائها . والرَّيط . جمع ريطة ، وهى الملاءة كلها نسيج واحد أو قطعة واحدة . والمحصنات العفيفات .

(٢) فى الأغانى ح ٨ ص ٩٠ وردت الشطرة الثانية هكذا « فى الأسرة الحصداء والعيص الأشد » وفى ص ١٣٤ منه وفى نسب قريش ص ٦ « فى الذروة العلياء والركن الأشد » وفى نسب قريش « كان الوليد فى سفر ، فرجز ابن العُذرى والوليد على نجيب ، فقال :

يا بكر هل تعلم من علاكا   خليفة الله على ذراكا

فقال الوليد لجميل . انزل فارجز ، فنزل ، فقال :

. . . .

(ذكر قنص بن معد)

وكان قُنُصُ بن مَعَدٍّ قد انتشر وَلَدُه بالحجاز ، فوقعت بينهم وبين أبيهم حرب ، وتضايقوا فى البلاد ، وأَجْدَبَتْ لهم الأرض ، فساروا نحو سواد العراق ، وذلك أيام ملوك الطوائف فقاتلهم الأَرْدَانِيُّون (١) وبعضُ ملوك الطوائف ، وأَجْلَوْهُمْ عن السوادِ ، وقتلوهم إلاَّ أَشْلاَءَ لحقت بقبائل العرب ، ودخلوا فيهم ، وانتسبوا إليهم .

فصل : وذكر ابن إسحاق حديث جُبَيْر بن مُطْعِم حين أَتى عُمَرُ بسيفِ

= أنا جميل فى السنام من مَعَد فى الذروة العلياء والركن الأشد

فقال له : اركب لا حملك الله ولم يمدح جميل أحداً قط ، ص ٦ نسب قريش وانظر القصة أيضاً ص ١٣٤ ح ٨ أغانى.

(١) الطوائف هم الذين ملكوا بابل بعد الاسكندر ولقبهم الأشغانون، وكان ملكهم — كما يقول الطبرى — ٢٦٦ سنة والأردانيون — أو الأردِنيوُّن هم أنباط السواد ، والانباط قوم من الساميين يرجعون إلى أصلين أحدهما : آرامى والآخر عربى ، ودولتهم كانت فى القرن السابع قبل الميلاد ، وسقطت فى أوائل القرن الثانى بعد الميلاد ، وامتدت أملاكهم من الجزء الجنوبى الشرقى من فلسطين إلى رأس خليج العقبة . والسواد موضعان ، أحدهما : قرب البلقاء ، من أعمال دمشق بين الشام ، ووادى القرى قصبتها عمان ، والموضع الثانى : رستاق من رساتيق العراق وضياعها التى افتتحها المسلمون على عهد عمر . وهو ما بين البصرة والكوفة .وأنظر مع الطبرى تاريخ ابن خلدون ح ٧ ص ٣٤١ ، وفى ح ٨ ص ٤٥٨ نقل ابن خلدون نص السهيلى وفيه « الأردوانيون » وفى البكرى كذلك .

رفع المسام

قال ابن إسحاق : وحدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس ، عن شيخ من الأنصار من بني زُرَيق أنه حدّثه : أن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ حين أتى بسيف النعمان ، بن المنذر ، دعا جبير بن مُطْعِم بن عديّ بن نوفل بن عبد مناف بن قصيّ ـ وكان جبير من أنسب قريش لقريش ، وللعرب قاطبة ، وكان يقول: إنما أخذتُ النسبَ من أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه ، وكان أبو بكر الصدّيق أنسبَ العرب ـ فسلّحه إياه ، ثم قال : ممّن كان يا جبير : النُّعمانُ بن المنذرُ ؟ فقال : كان من أشلاء قُنُص بن معدّ .

قال ابن إسحاق : فأما سائر العرب فيزعمون أنه كان رجلاً من لخم ، من ولد ربيعة بن نصر ، فالله أعلم أيّ ذلك كان :

« لخم بن عدى » :

قال ابنُ هشام : لخم : ابن عديّ بن الحارث بن مرّة بن أُددَ بن زَيْد بن هَمَيسع بن عمرو بن عَرِيب بن يشجب بن زَيْد بن كهلان بن سبأ ؛ ويقال : لَخْمُ : ابن عديّ بن عمرو بن سبأ ، ويقال : ربيعة بن نصر بن أبي حارثة بن عمرو بن عامر ، وكان تخلّف باليمن بعد خروج عمرو بن عامر من اليمن .

النُّعمانِ بن المُنْذر(١) ، وكان جبير أنسبَ الناس ـ الحديث . وذكر الطبرى

---

(١) جبير أحد أصحاب الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وروى عنه ، وكان يؤخذ عنه النسب ، وهو أحد الذين دفنوا عثمان بن عفان ، وصلى عليه ، وأمه : أم جميل بنت شعبة . في الإصابة والاستيعاب ، سعيد . انظر ص ٢٠١ نسب قريش لأبي عبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب الزبيري دار المعارف أما عمر فهو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وهو غني عن التعريف

رفع المسهم

أن سيف النعمان بن المنذر إنما أتى به عمر حين افتتحت المدائن — ، وكانت بها خرائب كسرى وذخائره ، فلما غلب عليها فر إلى إصطخر(١) ، فأخذت أمواله ونفائس عدده ، وأخذ له خمسة أسياف لم ير مثلها . أحدها : سيف كسرى أبرويز ، وسيف كسرى أنوشروان وسيف النعمان بن المنذر الذى كان استلبه منه ، حين قتله غضباً عليه ، وألقاه إلى الفيلة فخبطته بأيديها ، حتى مات . وقال الطبري : إنما مات فى سجنه فى الطاعون الذى كان فى الفرس ، وسيف خاقان ملك الترك ، وسيف هرقل ، وكان تصير إلى كسرى أيام غلبته على الروم فى المدة التى ذكرها الله تعالى فى قوله : (ألم غلبت الروم فى أدنى الأرض) الآية . فهذا كان سبب تصيّر سيف النعمان إلى كسرى أبرويز ، ثم إلى كسري يزدجرد ، ثم إلى عمر — رضي الله عنه — وكان الذى قتل النعمان منهم أبرويز بن هرمز بن أنو شروان(٢) وكان لأبرويز فيما ذكر ألف

= أما النعمان بن المنذر ، فهو أحد ملوك الحيرة الواقعة على نحو عشرة أميال جنوبى بابل ، وقد استولى المنذر على الحيرة سنة ٥٧٥ م ، ودمرها ، وكان هؤلاء وثنيين على حين كان أتباعهم يعتنقون المذهب النسطورى المسيحى ، . ثم اعتنق النعمان الثالث النصرانية ، وقد ضاق به الفرس ذرعا فاستدرجه كسرى الثانى إلى عاصمته المدائن وخلعه عن العرش . ص ٢٤ جـ ١ تاريخ الشعوب الإسلامية لبروكلمان .

(١) اصطخر بلد بفارس .

(٢) خاقان : علم واسم لكل ملك خقّنه الترك بفتح وقاف مفتوحة مشددة الترك على أنفسهم . أى : ملّكوه . ورأسوه ، وهرقل بكسر ففتح فسكون اسم لملك الروم . وكسرى ، بفتح الكاف وكسرها : ملك =

رفع المسهم

أمر عمرو بن عامر فى خروجه من اليمن

وقصة سد مأرب

وكان سبب خروج عَمْرو بن عامر من اليمن ـ فيما حدثنى أبو زَيْد الأنصاريّ أنه رأى جُرَذاً يحفِر فى سدّ مارب الذى كان يَحبس عليهم الماء فيُصرّفونه حيث شاءوا من أرضهم ، فعلم أنه لا بقاء للسد على ذلك ، فاعتزم على النُّقلة من اليمن ، فكاد قومَه ، فأمر أصغرَ ولده إذا أغلظ له، ولطمه أن يقوم إليه فيلطِمه ، ففعل ابنُه ما أمره به ، فقال عمرو : لا أقيم ببلد لَطَم وجهى فيه أصغرُ ولدى ، وعرض أمواله ، فقال أشراف من أشراف اليمن : اغتنِموا غَضْبة عمرو فاشتروا منه أمواله . وانتقل فى ولده وولد ولده . وقالت الأزد : لا نتخلّف عن عمرو بن عامر ، فباعوا أموالهم ، وخرجوا معه ، فساروا حتى نزلوا بلاد عَكّ مجتازين يرتادون البُلدان . فحاربتهم عكّ ، فكانت حربهم سِجالا . ففى ذلك قال عباس بن مِرْدَاس البيت الذى كتبنا ، ثم ارتحلوا عنهم فتفرّقوا فى البُلدان ، فنزل

= الفرس . معرب خسروا أى : واسع الملك ، وأبرويز بن هرمز بن أنوشروان ـ ملك من ملوك فارس فى عهده حدثت حروب ذى قار لتمام أربعين سنة من مولد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو بمكة بعد أن بعث ، وقيل بعد أن هاجر . وقيل : إنها كانت بعد بدر بأربعة أشهر ، أما يزد جرد فهو ابن شهريار ابن كسرى أبرويز بن هرمز بن أنو شروان بن قباذ بن فيروز بن بهرام ، كان ملكه إلى أن قتل بمرو من بلاد خراسان عشرين سنة ، وذلك لسبع سنين ونصف خلت من خلافة عثمان وهى سنة ٣١ من الهجرة وانظر ح ١ من تاريخ المسعودى فى باب « ذكر ملوك الساسانية من ص ٢٦٩ .

رفع المسهم

آلُ جَفْنة بن عمرو بن عامر الشامَ ، ونزلت الأوسُ والخزرج يثربَ ، ونزلت خُزاعة مَرًّا ، ونزلت أزدُ السَّراةِ السَّراةَ . ونزلت أزدُ عُمانَ عُمانَ . ثم أرسل الله تعالى على السدّ السيلَ فهدمه ، ففيه أنزل الله تبارك وتعالى على رسوله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (لقد كان لِسَبَأٍ في مَسْكَنِهِمْ آيةٌ جنَّتَانِ عن يَمين وشِمالٍ ، كُلوا من رِزْقِ رَبِّكم ، واشكُرُوا له . بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وربٌّ غَفُورٌ ، فأَعرضوا فأَرْسَلْنا عليهم سَيْلَ العَرِمِ [وَبَدَّلْنَاهم بجنتيهم جنتين ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وأَثْلٍ وشَىْءٍ منْ سِدْرٍ قَليل]) . [سبأ : ١٥ ، ١٦]

والعَرِمُ : السدّ ، واحدته : عَرِمة ، فيما حدثنى أبو عُبيدة

قال الأعشى : أعشى بنى قَيْس بن ثعلبة بن عُكابة بن صَعْب بن علىّ بن بكر بن وائل بن هِنْب بن أفْصَى بن جَدِيلة بن أسد بن ربيعة بن نِزار بن معدّ قال ابن هشام : ويقال : أفصى بن دُعْمِىّ بن جَدِيلَةَ ، واسم الأعشى : ميمون بن قيس بن جَنْدَل بن شَرَاحِيل بن عوف بن سَعْد بن ضُبَيْعة بن قيس بن ثعلبة .

فيل ، وخمسون ألف فرسٍ ، وثلاثة آلاف امرأة ـ فيما ذكر الطبرى(١) ـ وتفسير أنو شروان بالعربية : مُجَدِّدُ المُلْكِ ـ فيما ذكروا والله أعلم ـ وكذلك تفسير أَبَرْوِيز : المُظَفَّر . قاله المسعودى والطبرى أيضا ، وزاد الطبرى فى حديث جبير(٢) حين سأله عُمَر عن نسب النعمان قال : كانت العربُ تقول إنه من أشْلاءِ قَنَصِ بن مَعَدٍّ ، وهو ولد عُجَمِ بن قنَص إلّا أنَّ الناسَ لم يدروا

---

(١) وانظر ص ٢٧٩ ج ١ المسعودى .

(٢) هو فى الإنباه لابن عبد البر ص ١٠٥ .

رفع المسهم

وفى ذلك للمُؤتسِى أُسْوَةٌ ومأرِبُ عَفّى عليها العَرِمْ
رُخامٌ بَنَتْهُ لهم حِمْيَرٌ إذا جاء مَوّارُه لم يَرِمْ
فأروى الزُّروعَ وأعنابَها على سَعَةٍ ماؤهم إذ قُسِمْ
فصاروا أيادِىَ ما يقدِرو ن منه على شُرْبِ طِفلٍ فُطِمْ

وهذه الأبيات فى قصيدة له.

وقال أُمَيَّة بن أبى الصلت الثَّقفى — واسم ثقيف: قَسِىُّ بن مُنَبِّه بن بكر بن هوازن بن منَصور بن عِكْرِمة بن خَصَفَة بن قيس بن عَيْلان بن مُضَر بن نِزار بن معدّ بن عدنان.

مِنْ سبأ الحاضرين مأربَ إذ يَبْنون من دون سَيْلِه العَرِما

وهذا البيت فى قصيدة له. وتُروى للنابغة الجعدى، واسمه: قَيْس بن عبد الله أحد بنى جَعْدة بن كعب بن رَبيعة بن عامر بن صَعْصَعة بن معاوية ابن بكر بن هَوازِن.

وهو حديث طويل، منعنى من استقصائه ما ذكرت من الاختصار.

ما عَجْمٌ فجعلوا مكانه لَخْماً: فقالوا: هو من لخم، ونسبوا إليه. وأَبَرْوِيز هو الذى كتب إليه النبىُّ — صلى الله عليه وسلم — فمزّق كتابه، فدعا عليهم النبى — صلى الله عليه وسلم — أن يُمزَّقوا كُلَّ مُمزَّق.

(حديث ربيعة بن نصر ورؤياه)

وبعضُهم يقول فيه: نصر بن ربيعة، وهو فى قول نُسّاب اليمن: ربيعةُ ابن نصر بن الحارث بن نُمارَة بن لَخْم. وقال الزُّبَيْر فى هذا النسب:

رفع المسهم

. . . .

نَصر بن مالك بن شَعوَذ بن مالك بن عَجْم بن عَمْرو بن نُمارة بن لَخْم (١) ولَخْمٌ أخو جُذام ، وسُمِّى لَخْماً لأنَّه لخَمَ أخاه ، أى : لطمه ، فعضه الآخر فى يده فجذمها ، فسمى جُذاما ، وقال قُطْرُبٌ : اللُّخْم سَمَكَة فى البحر بها سمى الرجل لَخْماً (٢) وأكثر المؤرخين يقولون فيه : نَصْرُ بن ربيعة وقد تقدم ماقاله سعيد بن جُبَير (٣) فى نسب النعمانِ ، وهو من ولد ربيعة ، وأن لَخْماً فى نسبه تَصْحيفٌ من عُجْم بن قنَص .

وذكر رؤياه وسَطيحًا الكاهنَ (٤) ونسبه ، وقد خالفه محمد بن حبيب

---

(١) ونسبه فى الاشتقاق هكذا « نصر بن ربيعة بن عمرو بن الحارث بن سعود بن مالك بن عمم « بفتح وفتح » بن نمارة بن لخم » ومن نسله النعمان ابن المنذر بن المنذر . وقال عن زمن ملوك الحيرة إنه كان خمسمائة سنة

(٢) فى الاشتقاق: واشتقاق لخم من الغلظ والجفاء .وانظر ص١٠٤ الإنباه ففيها ذكر ابن عبد البر ماذكر السهيلى، وفى القاموس : اللخم القطع واللطم ، وبالضم.سمك بحرى ، واللَّخَمَة واللُّخْمَة . الثقيل الجبس ، ولخم بفتح وضم كثر لحم وجهه وغلظ : وقطرب : لقب محمد بن المستنير النحوى ، وكان يبكر إلى سيبويه فيفتح سيبويه بابه ، فيجده هناك ، فيقول : ما أنت إلا قطرب ليل ، فلقب قطربا . والقطرب دويبة كانت فى الجاهلية يزعمون أنها ليس لها قرار البتة .

(٣) سعيد بن جبير كان كاتبا لعبد الله بن عتبة بن مسعود خرج مع ابن الأشعث على بنى أمية ، فلما هزم هرب سعيد إلى مكة ، فظفر به الحجاج فقتله سنة ٩٥ ، وسنه ٤٩ .

(٤) ستأتى من السهيلى فى ص١٣٤ وقد قال ابن الأثير فى مفرداته . والكاهن الذى يتعاطى الخبر عن الكائنات فى مستقبل الزمان ويدعى معرفة الأسرار ، وقدكان فى العرب كهنة كشق وسطيح وغيرهم ، فنهم من كان يزعم أن له تابعا من الجن ورئيًّا : أى جنيا يعرض =

رفع عبد الرحمن الهجري المسيهم

. . . .

. . . .

= للانسان ويطلعه على ما يزعم من الغيب ، ويلقى إليه الأخبار ، ومنهم من كان يزعم أنه يعرف الأمور بمقدمات أسباب يستدل بها على مواقعها من كلام من يسأله ، أو فعله أو حاله ، وهذا يخصونه باسم العراف ، كالذى يدعى معرفة الشىء المسروق ومكان الضالة ونحوهما . . ، وجمع كاهن . كهنة وكهان ، ومنه حديث الجنين : إنما هذا من إخوان الكهان . إنما قال له ذلك من أجل سجعه الذى سجع ، ولم يعبه بمجرد السجع دون ما تضمن سجعه من الباطل . . وإنما ضرب المثل بالكهان لأنهم كانوا يروجون أقاويلهم الباطلة بأسجاع تروق السامعين ، فيستميلون بها القلوب ، ويستصغون إليها الأسماع ، أما الراغب فجعل الكاهن هو الذى يخبر بالأخبار الماضية الخفية بضرب من الظن ، والعراف الذى يخبر بالأخبار المستقبلة على نحو ذلك . وفى القاموس من تعريفات الكاهن : من يقوم بأمر الرجل ، ويسعى فى حاجته ، وقد فصل المسعودي القول فى الكهانة وأنواعها وتنازع الناس فيها ، وينسب إلى حكماء اليونان أن صنفا منهم ادعى أن نفوسهم قد صفت ، فهى مطلعة على أسرار الطبيعة ، وعلى ماتريد أن يكون منها ؛ لأن صور الأشياء عندهم فى النفس الكلية ، وصنف منهم ادّعى أن الأرواح المنفردة - وهى الجن - تخبرهم بالأشياء قبل كونها ، أما النصارى فنسبوا إلى المسيح أنه كان يعلم الغائبات من الأمور ، ويخبر عن الأشياء قبل كونها . لأنه كانت فيه نفس عالمة بالغيب ، ولو كانت تلك النفس فى غيره من أشخاص الناطقين لكان يعلم الغيب . ثم يقول المسعودى : « ولا أمة خلت إلا وقد كان فيها كهانة ، ولم يكن الأوائل من الفلاسفة اليونانية يدفعون الكهانات » . . . ثم يقول : « وطائفة ذهبت إلى أن التكهن سبب نفسانى لطيف . يتولد من صفاء مزاج الطباع ، وقوة النفس ، ولطافة الحس . وذكر كثير من الناس أن الكهانة تكون من قبل شيطان يكون مع الكاهن يخبره بما غاب عنه ، وأن الشياطين كانت تسترق السمع ، وتلقيه على ألسنة الكهان ، فيؤدون إلى الناس الأخبار بحسب مايرد إليهم » ص ١٧٢ ج ٢ مروج الذهب . فما موقف الإسلام من هذا ؟ يقول ربنا =

. . . .

النَّسَّابة فى شىء من هذا النسب فى كتاب المُحَبَّر ، وكان سَطيح جَسَداً مُلقىً لا جوارح له(١) — فيما يذكرون — ولا يقدر على الجلوس إلا إذا غضب انتفخ

سبحانه : (هل أنبئكم على مَن تَنَزَّل الشياطين ، تَنَزَّل على كلِّ أفاك أثيم ، يُلقُون السَّمعَ ، وأكثرهم كاذبون) الشعراء ٢٢١ — ٢٢٣ . ويقول سبحانه قاصًّا قول الملائكة نافية به عنها علم الغيب : « قالوا : سبحانك لا عِلمَ لنا إلا ما علمتنا . إنك أنت العليم الحكيم» البقرة : ٣٢ وعن الجن وسليمان : « فَلمَّا خر تَبيَّنَت الجنُّ أن لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا فى العذاب المهين » سبأ: ١٤ ويقول سبحانه : « عالمُ الغيب ، فلا يُظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه،ومن خلفه رصَدا ، ليعلم أن قدأبلغوا رسالات ربهم » الجن ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ . فلا الملائكة يعلمون الغيب، ولا الجن ولاالرسل، فما بالك بغيرهم ؟ ثم إن القرآن يؤكد أن الشياطين لاتنزل إلا على كل أفاك أثيم. وقد وردت أحاديث مثل : « من أتى عرافا ، فسأله عن شىء ، لم تقبل له صلاة أربعين يوما » رواه مسلم وأحمد فى مسنده ، وقال عنه السيوطى: صحيح: « من أتى عرافا أو كاهنا فصدقه بما يقول ، فقد كفر بما أنزل على محمد » أبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجة وأحمد فى مسنده والحاكم : « من أتى عرافا أو ساحرا ، أو كاهنا يؤمن بما يقول ، فقدكفر بما أنزل على محمد » رواه الطبرانى فى الكبير ورواته ثقات . ولا تسود هذه الأساطير إلا حيث يسود الجهل وضعف الإيمان بالله .

(١) بل يقول المسعودى عن سطيح أنه كان يدرج سائر جسده كما يدرج الثوب ، لا عظم فيه إلا جمجمة الرأس ، وكانت إذا لمست باليد يلين عظمها » ص ١٧٩ ثم يذكر فى ص ١٩٢ أن أول كهانة له . « والضياء والشفق ، والظلام والغسق ، ليطرقنكم ما طرق » ص ١٧٩ ، ١٩٢ ج ٢ المروج وكل هذه أساطير يهودية ملعونة ، وتدبر دائما قول الله: « قُل : لا يعلم مَنْ فى السموات والأرض الغيْب إلا الله » .

رفع
المستهم
عزالله المطلالي

حديث ربيعة بن نصر ورؤياه

رؤيا ربيعة : قال ابن إسحاق : وكان ربيعة بن نَصْر ملك اليمن بين أضعاف ملوك التبابعة ، فرأى رؤيا هالته ، وفَظِعَ بها ، فلم يدع كاهنا ، ولا ساحرا ، ولا عائفا ، ولا مُنَجِّماً من أهل مملكته إلا جمعه إليه ، فقال لهم : إنى قد رأيت رُؤْيا هالتنى ، وفَظِعْتُ بها ، فأخبرونى بها وبتأويلها ، قالوا له : اقصصها علينا نخبرك بتأويلها ، قال : إنى إن أخبرتكم بها لم أطمئنّ إلى خبركم عن تأويلها ، فإنه لا يعرف تأويلَها إلا مَنْ عرفها قبل أن أخبره بها ، فقال له رجل منهم : فإن كان الملك يريد هذا فليَبعث إلى سَطِيحٍ وشِقٍّ ، فإنه ليس أحدٌ أعلمَ منهما ، فهما يخبرانه بما سأل عنه .

فجلس ، وكان شِقٌّ شِقَّ إنسان — فيما يذكرون — إنما له يدٌ واحدة ، ورِجْلٌ واحدة ، وعينٌ واحدةٌ ، ويذكر عن وَهْب بن مُنَبِّه(١) أنه قال : قيل لسطيح : أنَّى لك هذا العلم ؟ فقال : لى صاحبٌ من الجن استمع أخبار السماء من طورِ سَيْنَاء حين كلم الله تعالى منه موسى — عليه السلامُ — فهو يؤدِّى إلىَّ من ذلك مايؤدِّيه .

---

(١) كان ممن يروجون قصص الماضين . يقول عنه ابن خلكان « كانت له معرفة بأخبار الأوائل ، وقيام الدنيا وأحوال الأنبياء » توفى سنة ١١٠ أو ١١٤ أو ١١٦ . لكنى أسأل . من أين كان يأتى بهذه الأخبار التى لا توجد فى كتاب الله ؟ لقد كان وهب فى أول أمره يهوديا ، وبهؤلاء وجدت الخرافة الكافرة لها طريقا إلى القلوب . وكل مايقال عن شق من قدرة على معرفة الغيب ، وهذه الأوصاف الجسدية التى لا تعقل ، ولا تستقيم مع سنن الفطرة البشرية . كل هذا هراء من الإفك وخبث من الكيد الدنىء يراد به القضاء على الفكر والدين .

. . . .

وَوُلد سَطِيحٌ وشِقٌّ فى اليوم الذى ماتت فيه طريفةُ الكاهنة امرأةُ عَمْرو بن عامر، وهى بنت الخَيْرِ الْحِمْيَرِيَّة، ودَعَتْ بسطيح قبل أن تموت، فأُتِيَتْ به، فتفَلَتْ فى فيه، وأخبرت أنه سيَخْلُفُها فى علمها، وكهانتها، وكان وجْهه فى صدره لم يكن له رأسٌ ولا عُنقٌ ودعت بشِقٍّ، ففعلت به مثل ما فعلت بسطيح، ثم ماتت، وقَبْرُها «بالجُحْفَة»(١)، وذكر أبو الفرج أن خالدَ بن عبد الله القَسْرِىّ كان من وَلد شِقٍّ هذا، فهو خالدُ بن عبد الله بن أَسَد ابن يزيد بن كُرْز، وذكر أنّ كُرْزًا كان دَعِيًّا، وأنه كان من اليهود، فجنى جناية فهَرَبَ إلى بَجِيلَة(٢)، فانتسب فيهم، ويقال: كان عبدا لعبد القَيْسِ، وهو ابن عامر ذى الرُّقعَةِ، وسُمّى بذى الرقعة؛ لأنه كان أعورَ يُغَطِّى عينه برقعة. ابنِ عَبْد شمس بن جُوَيْنِ بن شِقٍّ الكاهن بن صَعْب.

وقولهفىحديث الرؤيا: أكلت منها كلَّ ذات جُمْجُمَة، وكلَّ ذاتِ نَسَمَةٍ. نصبُ كلَّ أصحُّ فى الرواية، وفى المعنى؛ لأنَّ الْحُمَة نار، فهى تأكل، ولا تؤكل، على أن فى رواية الشيخ برفع كُلّ، ولها وَجْهٌ، لكنْ فى حاشية كتابه أن فى نسخة البَرْقِىِّ التى قرأها على ابن هشام: كلَّ ذات، بنصب اللام.

---

(١) فى مراصد الاطلاع. «كانت قرية كبيرة ذات منبر على طريق مكة، وهى ميقات أهل مصر والشام — إن لم يمروا على المدينة». وفى تقويم البلدان لأبى الفداء. وهى رسم خال لا ساكن به واسمها مشهور، وهى بالقرب من رابغ.

(٢) هم إخوة خثعم، وبجيلة: أمهم ص ٥١٥ الاشتقاق، ٥٢٦ جـ ٨ تاريخ ابن خلدون ط. لبنان.

. . . .

وقوله : « خرجت من ظُلُمة » أى من ظُلْمة ، وذلك أن الْحُمَمَةَ قطعةٌ من نار ، وخروجها من ظُلُمة يشبه خروج عَسْكر الْحَبَشَة من أرض السودان ، والْحُمَمَةُ : الْفَحْمَةُ ، وقد تكون جَمْرةً مُحْرِقة ، كما فى هذا الحديث ، فيكون لفظها من الحميم ، ومن الْحُمَّى أيضا لحرارتها ، وقد تكون مُنْطفئة ، فيكون لفظُها من الْحُمَّة ، وهى السواد ، يقال حَمَّمْتُ وَجْهَه إذا سَوَّدْته ، وكلا المعنيين حاصل فى لفظ الْحُمَمَة ههُنا .

وقوله : بين رَوْضَة وأَكَمَة ؛ لأنها وَقَعَتْ بين صَنْعاء وأحْوازِها(١) .

وقوله : فى أرض تَهَمَة أى : مُنْخَفضة ، ومنه سُمِّيَتْ تِهامة .

وقوله أَكَلَتْ منها كلَّ ذاتِ جُمْجُمة ، ولم يَقُلْ كلَّ ذِى جُمْجُمة ، وهو من باب قوله تعالى سبحانه : (ولا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ، وإنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إلى حِمْلِها لا يُحْمَلْ مِنْه شىء) فاطر : ١٨

لأن القصدَ إلى النَّفْسِ والنَّسَمَة ، فهو أعم ، ويدخل فيه جميعُ ذَواتِ الأرواح ، ولو جاء بالتذكير ، لكان إمَّا خاصا بالإنسان ، أو عامًّا فى كل شىء حىٍّ أو جماد ، ومنه قوله — صلى الله عليه وسلم — [تَنَحَّ عنى ، فإن] كُلَّ بائلة(٢) تَفيخُ ، أى : يكون منها إفاخة ، وهى الحدَثُ ، وقال النحاس . هو تأنيث الصِّفة والخلقة .

---

(١) جمع حوزة . الناحية .

(٢) فى المطبوعة . قائلة ، وهو خطأ ، ويقول ابن الأثير فى النهاية : فيه أنه خرج يريد حاجة ، فأتبعه بعض أصحابه ، فقال : تنحَّ عنى ، فإن كل بائلة تفيخ ، الإفاخة : الحدث بخروج الريح خاصة ، والسهيلى يخلط فى الشرح بين كلام شق وسطيح .

واسم سَطِيح : رَبيع بن رَبيعة بن مَسْعود ، بن مازن ، بن ذئب ، بن عدىّ ، بن مازن غسّان .

وشِقّ : بن صَعْب بن يَشْكر ، بن رُهْم ، بن أفْرك بن قَسْر بن عَبْقَرَ بن أنمار بن نزار ، وأنمار أبو بَجيلة وخَثْعَم .

نسب بجيلة : قال ابن هشام : وقالت اليمن : وبجيلة : بنو أنمار ، بن إراش ابن لِحْيان ، بن عمرو ، بن الغَوْث ، بن نَبْت ، بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ ، ويقال : إراش بن عمرو بن لِحْيان بن الغوث. ودار بجيلة وخثعم يمانية .

قال ابن إسحاق : فبعث إليهما ، فقدم عليه سَطِيحٌ قبلَ شِقٍّ ، فقال له: إنى رأيت رؤيا هالتنى ، وفَظِعتُ بها ، فأخبرنى بها ، فإنك إن أصبتَها أصبتَ تأويلها . قال : أفعلُ . رأيتَ حُمَمَةً ، خرجت من ظُلُمَة ، فوقعت بأرض تَهَمَه، فأكلَتْ منها كلَّ ذات جُمْجُمة ، فقال له الملك : ما أخطأتَ منها شيئا

وقوله : لَيَهْبِطَنَّ أرضكم الحبشُ هم : بنو حَبَشِ بن كُوش بن حامٍ (١) ابن نوح ، وبه سُمِّيَت الحبشةُ .

وقوله : ما بين أبْين إلى جُرَش ذكره سيبويه بكسر الهمزة على مثل إصْبَع ، وجوّز فيه الفتحَ ، وكذلك تقيد فى هذا الكتاب ، وقال ابن

---

(١) فى قاموس الدكتور بوست عن حام أنه أحد أولاد نوح ، وأنه كان له أربعة بنين كوش ومصرايم وفوط وكنعان ، فكان كوش أبا للقبائل التى قطنت بابل وجنوبى بلاد العرب والسودان وفى سفر التكوين ١٠ : ٨ وبنو كوش سبأ وحويلة وسبتة ورعمة وسبتكا ونقل الطبرى عن ابن إسحاق أن الهند والسند والحبشة من بنى السودان من ولد كوش .

يا سَطيح ؛ فما عندك فى تأويلها ؟ فقال : أحْلف بما بين الحرّتين من حَنَش ، لتهبطنّ أرضَكم الحبش ، فليملِكُنّ ما بين أبْيَن إلى جُرَش، فقال له الملك : وأبيك يا سَطِيح ، إن هذا لنا لغائظ مُوجِع ، فمتى هو كائن ؟ أفى زمانى هذا ، أم بعده؟قال : لا ، بل بعده بحين ، أكثر من ستين أو سبعين ، يمضين من السنين قال : أفيدوم ذلك من مُلْكهم أم ينقطع ؟ قال : لا ، بل ينقطع لبضع وسبعين من السنين ، ثم يقتلون ويخرجون منها هاربين ؛ قال : ومن يلى ذلك من قتلهم وإخراجهم ؟ .

قال : يليه إرَم ذى يَزَن ، يخرج عليهم من عَدَن ، فلا يترك أحدا منهم باليمن .

قال: أفيدوم ذلك من سلطانه ، أم ينقطع ؟

قال : لا ، بل ينقطع .

قال : ومَنْ يقطعه ؟ قال : نبىّ زكىّ ، يأتيه الوحى من قِبَل العلىّ ، قال : وممّن هذا النبى ؟ .

قال : رجل من ولد غالب بن فِهر بن مالك بن النَّضْر ، يكون الملك فى قومه إلى آخر الدهر .

ماكولا : هو أبْيَن بن زُهَير بن أيْمنَ بن الْهَمَيْسَع من حمير ، أو من ابن حمير سُمِّيَت به البلدةُ ، وقد تقدم قول الطبرى أن أبْينَ وعَدَنَ ابنا عدن ، سُمِّيَت بهما البلدتان .

وقوله : بغلامٍ لا دَنِىٍّ ولا مُدَنّ . الدنىُّ مَعروف ، والْمُدَنّ الذى جمع الضَّعْفَ مع الدناءةِ . قاله صاحب العين

قال: وهل للدهر من آخر؟ قال: نعم، يومٌ يُجْمع فيه الأوّلون والآخرون يَسْعد فيه المحسنون، ويشقَى فيه المسيئون قال: أحقٌّ ما تخبرنى؟ قال: نعم. والشَّفق والغسق، والفلَق إذا اتَّسق، إن ما أنبأتُك به لحقٌّ.

ثم قدم عليه شقٌّ، فقال له كقوله لسَطيح، وكتمه ما قال سطيح، لينظر أيتفقان أم يختلفان، فقال: نعم، رأيتَ حُممة، خرجت من ظُلُمة، فوقعت بين روضة وأكمة، فأكلت منها كلَّ ذات نسمة.

قال: فلما قال له ذلك، عرف أنهما قد اتفقا، وأن قولهما واحد إلا أن سَطيحا قال: «وقعت بأرض تَهَمَة، فأكلت منها كلَّ ذات جُمْجمة».

وقال شقٌّ: «وقعت بين روضة وأكمة، فأكلتْ منها كلَّ ذات نسمة».

فقال له الملك: ما أخطأت ياشِقٌّ منها شيئا، فما عندك فى تأويلها؟.

قال: أحلف بما بين الحرّتين من إنسان، لينزلنّ أرضَكم السودان، فَلَيَغلِبُنَّ على كل طَفْلَة البَنان، وليملكُنّ ما بين أبْيَن إلى نَجْران.

فقال له الملك: وأبيك ياشِقٌّ، إن هذا لنا لغائظ مُوجِع، فمتى هو كائن؟ أفى زمانى، أم بعده؟ قال: لا، بل بعده بزمان، ثم يَسْتنقذكم منهم عظيمٌ ذو شأن، ويُذِيقهم أشدَّ الهوان.

وقوله: لَحَقٌّ ما فيه أمضٌ: أى: مافيه شك ولامُسْتراب، وقد عمر سَطيحٌ زمانا طويلا بعد هذا الحديث، حتى أدرك مَولدَ النبي — صلى الله عليه وسلم —

رفع المسهم

قال : ومَنْ هذا العظيم الشأن ؟ قال : غلام ليس بِدَنِىّ ، ولا مُدَنّ ، يخرج عليهم من بيت ذى يزَن ، فلا يترك أحدا منهم باليمن .

قال : أفيدوم سلطانه ، أم ينقطع ؟ قال : بل ينقطع برسول مُرسَل يأتى بالحقّ والعدل ، بين أهل الدّين والفضل ، يكون المُلك فى قومه إلى يوم الفَصْل ؛ قال : وما يوم الفصل ؟ قال : يوم تُجْزَى فيه الوُلاة ، ويُدعى فيه من السماء بدَعَوات ، يسمع منها الأحياء والأموات ، ويُجمع فيه بين الناس للميقات ، يكون فيه لمن اتقى الفوز والخيرات .

فرأى كِسْرَى أنو شِرْوَانَ بن قُباذ بن فيرُوزَ ما رأى من ارتجاس الإيوان(١) وخمود النيرانِ ، ولم تكن خَمَدَت قبل ذلك بألف عام ، وسقطت من قَصْرِه أرْبَعَ عَشْرَةَ شُرفة ، وأخبره المُوبَذانُ ، ومعناه : القاضى ، أو المفتى بلغتهم

---

(١) كسرى هذا هو من ملوك الساسانية أو الفرس الثانية حكم - كما يقول المسعودى- ثمانيا وأربعين سنة أو سبعا وأربعين ، وهو الذى قتل مزدك ، وأتبعه بثمانين ألفاً من أصحابه ، ومزدك صاحب الشيوعية المطلقة الداعى إلى المشاركة العامة فى الأموال والأزواج والأهلين ص ٢٦٣ حـ ١ مروج . والارتجاس : ارتجس الإيوان اضطرب وتحرك حركة سمع لها صوت . والارتجاس : الصوت الشديد من الرعد ، والإيوان بوزن الديوان : بناء أزج غير مسدود الوجه . والأزج بيت يبنى طولا . ويقال إوان بوزن كتاب . وكان بالمدائن من العراق ويقال إن سمكه كان مائة ذراع فى طولها . وروى حديث الارتجاس البيهقى وأبو نعيم والخرائطى وابن عساكر وابن جبير . وهى رواية لأسطورة لا حقيقة انظر ص ١٢١ المواهب حـ ١ والنيران هى التى كان يعبدها المجوس فى فارس .

رفع المسامر

قال : أحقّ ما تقول ؟ قال: إى وربّ السماء والأرض ، وما بينهما من رَفْعٍ وخَفْض ، إن ما أنبأتك به لَحَقٌّ ما فيه أَمْضٌ .

قال ابن هشام : أمض . يعنى : شكًّا ، هذا بلغة حمير ، وقال أبو عمرو . أَمْض أى : باطل .

أنه رأى إبلاً صعابا ، تقود خيلا عِرابا (١) ، فانتشرت فى بلادهم ، وغارت بُحيرة ساوَة (٢) ، فأرسل كسرى عبدَ المسيح بن عَمْرو بن حَيَّان بن نُفَيْلَةَ الغَسَّانى إلى سطيح ، وكان سطيح من أخوال عبد المسيح ، ولذلك أرسله كِسْرى فيما ذَكر الطبرى (٣) إلى سطيح يستخبره علمَ ذلك ، ويَسْتَعْبِره رُؤْيا المُوبَذان ، فقدم عليه ، وقد أَشْفَى على الموت ، فسلم عليه فلم يُحِرْ إليه سطيحٌ جوابًا فأنشأ عبدُ المسيح يقول :

أَصَمُّ أم يسمعُ غِطْرِيفُ اليَمَنْ ... أم فادَ فازْلَمَّ به شَأْوُ العَنَنْ
يا فاصلَ الخُطَّةِ أعيَتْ مَن ومَن ... أتاك شيخ الحىِّ من آلِ سَنَن
وأمُّه من آلِ ذِئبِ بنِ حَجَنْ ... أبيضُ فَضْفَاضُ الرِّداءِ والبَدَن

---

(١) الإبل الصعاب الشداد : والخيل العراب ، أى عربية منسوبة إلى العرب قالوا فى الناس عرب وأعراب ، وقالوا فى الخيل عراب بكسر العين .

(٢) وساوة من قرى بلاد فارس كانت بحيرتها بحيرة كبيرة بين همذان وقم ، ويقال إنها كانت أكثر من ستة فراسخ فى الطول والعرض . وفى رواية الكثيرين أنها بحيرة طبرية التى ما زالت باقية .

(٣) ص ١٦٧ ج ٢ ط المعارف ، وفيه : بُقَيْلة بدلا من نفيلة .

رفع المسهم

. . . .

رسولُ قَيْلِ العُجْمِ يَسْرِى للوَسَنْ لا يرهبُ الرَّعْدَ، ولا رَيْبَ الزَّمن
تجوبُ بى الأرضَ علنداةٌ شزَنْ ترفعنى وَجْنًا وتهوى بى وَجَنْ
حتى أتى عارى الجآجى والقَطَنْ تَلُفُّه فى الريح بَوغاء الدِّمَنْ
كأنما حُثْحِثَ من حِضْنَىْ ثَكَنْ! (١)

(١) القصيدة فى الطبرى ح ٢ ص ١٦٧ مع اختلاف عما هنا فترتيب الشطرات مختلف مع وجود نقص وزيادة، وهى فى اللسان فى مادة سطح، وفيها اختلاف أيضا عما هنا، وقد ضبطتها كما وردت فى اللسان. والغطريف: السيد الكريم. ومثلها غطارف بضم الغين جمعها: غطاريف، وازلم: ذهب مسرعا، وشأو العنن: اعتراض الموت على الخلق. وقيل: ازلم: قُبِض بضم القاف، والعنن: أى عرض له الموت، فقبضه. وقد فسر ابن كثير عننا بقوله: يريد اعتراض الموت وسبقه. والخطة: الحال والأمر والخطب، وفاصل الخطة: إذا نزل به أمر مشكل فصله برأيه. وأعيا عليه الأمر: أعجزه فلم يهتد لوجهه. والقيل هو الملك النافذ القول والأمر، وجمعه الأقوال أو الأقيال، والقيل أيضا: لقب لمن يكون من ملوك حمير دون الملك الأعظم. والعجم خلاف العرب. والعلنداة: القوية من النوق. شزن ــ وفى الطبرى طبع المعارف ــ شذن، وفسرها المحقق فى هامشه على أنها شزن، وفى مفردات ابن كثير: شجن وفى الأصل: شرن وهو خطأ. والشجن: الناقة المتداخلة الخلق كأنها شجرة متشجنة أى متصلة الأغصان بعضها ببعض. وشَزَن: تمشى من نشاطها على جانب. والوجن بسكون الجيم، وفتحها، والواجن والوجين: أرض صلبة ذات حجارة، وتروى بضم الواو جمع: وجين بنفس المعنى: والجآجى جمع: جؤجؤ وهو الصدر. القطن: أصل ذنب الطائر، وأسفل الظهر من الإنسان. وقيل صوابها: بكسر الطاء جمع قِطنة بكسر القاف وإسكان الطاء: وهى ما بين الفخذين. البوغاء: التراب الناعم، والدِّمن: ما تَدَمَّن منه أى: تجمع وتلبد. وهذا اللفظ كأنه من المقلوب تقديره: تلفه الريح فى بوغاء الدمن. وحثحث: يقال حثه على الشىء، وحثحثه يعنى: أسرع. وثكن اسم جبل حجازى. والحضن الجنب.

رفع
المسهم
غفر الله له ولوالديه

. . . .

ثبكن : اسم جبل ، فلما سمع سطيحٌ شِعرَه رفع رأسه ، فقال : عبدُ المسيح على جملٍ مُشيحٍ (١) جاء إلى سطيح ، حين أوفى على الضريح ، بعثك مَلكُ بني ساسانَ لا رتجاس الإيوان ، وخمود النيران ، ورؤيا المُوبذان . رأى إبلا صِعابا ، تقود خيلا عِرابا ، قد قطعت دِجْلةَ ، وانتشرتْ في بلادها . يا عبد المسيح : إذا كثُرت التِّلاوةُ ، وظهر صاحبُ الهِراوة ، وخمدت نارُ فارس ، وغارت بحيرة ساوَة ، وفاض وادى السَّماوة (٢) فليست الشَّامُ لسطيح شاماً ، يملك منهم مُلوكٌ ومَلكاتٌ ، على عدد الشُّرُفات ، وكل ما هو آتٍ آت ، ثم قضى سطيحٌ مكانه .

وقوله : فازْ لَمَّ به معناه : قُبِضَ ، قاله ثعلب ، وقوله : شأْوُ العَنن . يريد : الموت ، وما عَنَّ منه قاله الخطابي . وفاد : مات . يقال منه : فاد يَفُود ، وأما يَفِيدُ فمعناه : يَتبختر .

وقول ابن إسحاق في خبر ربيعة بن نصر ، فجهَّز أهله وبنيه إلى الحيرة ، وكتب لهم إلى ملكٍ يقال له : سابورُ بن خُرَّزاد .

من تاريخ ملوك الفرس

قال المؤلف الشيخ الحافظ أبو القاسم — عفا الله عنه — ولا يعرف

---

(١) جادٌّ مسرع ، وفي الطبري : يشيح .

(٢) بادية بين الكوفة والشام ، وأرض مستوية لا حجر فيها ، وماءةٌ بالبادية وقيل ماءة لكلب .

رفع المسيام

خُرَّزَاذ فى ملوكِ بنى ساسَانَ من الفرس ، وهم من عهد أَرْدَشير بن بابكٍ إلى يَزْدَجِرْد الذى قُتِل فى أول خلافة عثمانَ — رضى الله عنه — معروفون مُسَمَّوْنَ بأسمائهم (١) ، وبمقادير مُدَدِهم . مَشْهورٌ ذلك عند الإخباريين والمؤرخين ولكنه يحتمل أن يكونَ ابنُ خُرَّزَاذَ هذا مِلكا دونَ الملكِ الأعظمِ منهم ، أو يكون أحدَ ملوكِ الطوائف ، وهو الظاهر فى مدة ربيعة بن نصر لأنه جَدُّ عَمرو بن عَدِىّ وابنُ أختِ جذيمَةَ الأبْرش (٢) ، وكان مُلكُ جذيمة أولُه فيما أحسب فى مدة مُلوكِ الطوائفِ (٣) ، وآخرُه فى مدة الساسانيين ، وأول من

(١) فى نقله عن ابن إسحاق اختصار ، وهناك ملك فارسى اسمه : خرزاذ خسروا من ولد أبرويز أو فرخزذاد « انظر ج ٢ ص ٢٣٣ الطبرى طبع المعارف » وفى ابن خلدون خرداد بن سابور عميد ملوك الطوائف ص ١٠٦ م ٢ أما سابور فليس إلا سابور ذو الأكتاف بن هرمز ، وسابور بن سابور بن هرمز .

(٢) ويلقب أيضا بالوضاح ، وقد ملك جذيمه من مشارق الشام إلى الفرات من قبل الروم ، وأقام ملكا فى زمن ملوك الطوائف خمسا وتسعين سنة ، ثم فى ملك أردشير ثلاثا وعشرين سنة . قتلته الزباء بنت عمرو بن ظرب بن حسان وملك بعده ابن أخته عمرو بن عدى بن نصر بن ربيعة .

(٣) حين خرب الإسكندر ملك دارا بن دارا الفارسى صمم على ألا يلتئم لهم شمل ، فجعل يقر كل ملك على طائفة من الناس فى إقليم من أقاليم الأرض ما بين عربها وأعاجمها . وظل الأمر كذلك حتى كان أزدشير بن بابك من بنى ساسان ، فأعاد ملكهم إلى ما كان عليه ، وأزال ملوك الطوائف . وبقى صاحب الحضر واسمه : الساطرون أو الضيزن إذ كان أعظمهم وأشدهم . فقضى عليه سابور بن أزدشير « البداية ج ٢ ص ٨٤ » والحَضْرُ : اسم مدينة فى البرية بإزاء تكريت بينها وبين الموصل والفرات . يقال : لم يبق منها إلا رسم السور وآثار تدل على عظمتها . وقيل : إن ملوك الطوائف هم الذين فرق الإسكندر بلاد فارس بينهم وهؤلاء هم الأشغانون الذين حكموا ٢٦٦ سنة أولهم : أشك بن أشغان ، وكل ملك منهم كان ينتهى نسبه بكلمة الأشغانى .

رفع المسـلم عبد الله الطالب

مَلك الحيرة من السَّاسانيَّة : سابورُ بن أزدَشير ، وهو الذى خَرَّبَ الحَضْر ، وكانت ملوكُ الطوائف متعادين يغير بعضُهم على بعض ، قد تحصَّن كلٌّ واحد منهم فى حصنٍ ، وتحوَّزَ إلى حَيِّزٍ منهم عَرَبٌ . ومنهم أشغانيون على دين الفرس ، وأكثرُهم ينتسبون إلى الفرس من ذُرِّيَّةِ دارا بن دارا ، وكان الذى فرَّقهم وشتَّت شملَهم ، وأدخل بعضَهم بين بعضٍ ؛ لئلا يَستَوْثِق لهم مُلكٌ ، ولا يَقومُ لهم سُلطانٌ : الإسكندر بن فيلبش(١) اليونانى ، حين ظهر على دارا ، واستولى على بلاد مملكته ، وتزوج بنته روشنك . بوصية أبيها دارا له بذلك حين وجده مُثخَناً فى المعركة ، ولم يكن الإسكندر أراد قتله ؛ لأنه كان أخاه لأمّه فيما زعموا ، فوضع الإسكندرُ رأسَه على فخذِهِ ـ فيما ذكروا ـ وقال : ياسيد الناس لم أُرِدْ قتلَك ، ولا رضيته ، فهل لك من حاجةٍ ؟ قال : نعم . تَزَوَّج ابنتى روشنك ، وتقتل من قتلنى ، ثم قضى دارا ، ففعل ذلك الإسكندر ، وفرَّق الفرس ، وأدخل بينهم العَرَبَ . فتحاجزوا ، وسُمُّوا : ملوكَ الطوائف ؛ لأن كل واحد منهم كان على طائفة من الأرض ، ثم دام أمرُهم كذلك أربعمائة وثمانين سنة فى قول الطبرى ، وقد قيل أقل من ذلك ، وقال المسعودى : خمسمائة وعشرين سنة ، وفى أيامهم بُعث عيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ وذلك بعد موت الإسكندر بثلاثمائة سنة . فابن خُرَّزَاذ(٢) هذا — والله أعلم — من أولئك . وبنوساسان القائمون بعد ملوكِ الطوائفِ ، وبعد ملوكِ الأشغانيين : هم بنوساسان بن بهمن .

---

(١) الذى رسم له مبدأ « فرق تسد » هو وزيره أرسطو الفيلسوف اليونانى وقصة هؤلاء الملوك فى الطبرى ص ٥٨٠ ج ١ ط المعارف (٢) فى صفحة ١٤٦

رفع المستهم

فوقع فى نفس رَبيعة بن نَصْر ما قالا ، فجهّز بنيه ، وأهلَ بيته إلى العراق بما يُصْلِحُهم ، وكتب لهم إلى ملك من ملوك فارس يقال له : سابور بن خُرّزاذ فأسكنهم الحِيرة .

نسب النعمان بن المنذر :

فمن بقيّة ولد ربيعة بن نصر النُّعمان بن المنذر ، فهو فى نسب اليمن وعلمهم: النعمان بن المُنْذر بن النعمان بن المنذر بن عمرو بن عدىّ بن ربيعة بن نصر ، ذلك الملك .

قال ابن هشام : النعمان بن المنذر بن المنذر ، فيما أخبرنى خلف الأحمر .

وهو من الكينية ، وإنما قيل لهم الكينية ؛ لأن كل واحد منهم يضاف إلى كىِ ، وهو البَهاء .ويقال معناه : إدراك الثأر. وأوّل من تَسَمّى بِكى : أفْرِيذُونُ ابن أثفيان قاتل الضحاكِ بثأر جدِّه جَم ، ثم صار الملك فى عَقِبه إلى منوشهر الذى بُعث موسى — عليه السلام — فى زمانه إلى كى قاووس . وكان فى زمن سليمان — عليه السلام — وسيأتى طرف من ذكره فى الكتاب إلى كى يستاسب الذى ولى بُخْتُنَصَّرَ ومَلَّكَه. وبُخْتُ نَصَّرَ هو الذى حَيَّرالحيرة(١) حين جعل فيها سَبَايا العربِ ، فتحيَّروا هناك ، فسُمِّيت الحيرة ، وأخِذ اسمه من بُوخت وهى النخلة ؛ لأنه وُلد فى أصل نخلةٍ . ثم كان بعد كى يستاسب بهمن بن اسبندياذ ابن يستاسب .

وكان له ابنان : دارا وساسان ، وكان ساسان هو الأكبر ، فكان قد طمع فى الملك بعد أبيه ، فصرف بهمن الأمر عنه إلى دارا لخبر يطول ذكره

---

(١) فى المراصد أنها سميت بهذا لأن تبعا لما قصد خراسان خلف ضعفة جنده بهذا الموضع ، وقال لهم : حيروا به أى أقيموا .

رفع المسا هم

. . . .

حَمَلَتْهُ على ذلك « خانا أم دارا » ، فخرج « ساسان » سائحا فى الجبال ، ورفض الدنيا ، وهامت عليه ، وعهد إلى بنيه متى كان لهم الأمر : أن يقتلوا كل أشغانى وهم نسل « دارا » ، فلما قام « أزدشير بن بابك » وقيده الدَّارَ قُطْنِىُّ « أردشير » بالراء المهملة ، ودعا ملوك الطوائف إلى القيام معه على من خالفه ، حتى ينتظم له ملك فارس ، وأجابه إلى ذلك أكثرُهم ، وكانوا يدًا على الأقل ، حتى أزالوه ، وجعل « أزدشير » يقتل كلَّ من ظهر عليه من أولئك الأشغانيين ، فقتل ملكا منهم يقال له : الأَرْدَوَان(١) ، واستولى على قصره ، فألفى فيه امرأة جميلة رائعة الحسن ، فقال لها : ما أنت ؟ فقالت : أَمَةٌ من إماء المَلِكِ(٢) ، وكانت بنت المَلِكِ الأَرْدَوَان لاذت بهذه الحيلة من القتل ، لأنه كان لا يُبْقِى منهم ذَكَراً ولا أنثى(٣) ، فصدق قولها ، واسْتَسَرَّها(٤) فحملت منه ، فلما أَثْقَلَتْ اسْتَبْشَرت بالأمان منه ، فأقرّت أنها بنت الأشغانى الذى قُتِل ، واسمه أَرْدَوَان — فيما ذكروا — فدعا وزيرا له ناصحا ـ وقد سماه الطبرى فى التاريخ(٥) ـ فقال: اسْتَوْدِعْ هذه بطنَ الأرض ، فكره الوزيرُ أن يقتلَها ، وفى بطنها ابنٌ للملك ، وكره أن يعصى أمره ، فاتخذ لها قصراً تحت الأرض ، ثم

(١) يلقب بالأصغر ومدة ملكه على ما فى الطبرى ١٣ سنة .

(٢) فى الطبرى أنها قالت له : إنها كانت خادما لبعض نساء الملك ص ٤٤ ج ٢ الطبرى ط المعارف .

(٣) فى الطبرى أنه قتلهم جميعا نساءهم ورجالهم ، فلم يستبق منهم أحدا .

(٤) أى اتخذها سرية له أى أمة .

(٥) سماه الطبرى وهر جبذا أبرسام ، وقال عنه إنه كان شيخا مسنا ص ٤٤ المصدر السابق .

رفع المسَاهِم

. . . .

خَصَى نفسه ، وصَبَّرَ مذاكيره، وجعلها فى حرية، ووضع الحريرةَ فى حُقٍّ ، وختم عليه ، ثم جاء به الملك فاستودعه إياه ، وجعل لايدخل إلى المرأة فى ذلك القصر سواه ، ولا تراها إلا عينهُ ، حتى وضعت المولودَ ذكرا ، فكره أن يسميه قبل أبيه ، فسماه : شاهَبُورَ ، ومعناه : ابن الملك ، فكان الصبي يُدعى بهذا ، ولا يعرف لنفسه اسماً غيره ، فلما قبل التعليمَ نظر فى تعليمه ، وتقويم أَوَدِه . واجتهد فى كل ما يصلحه إلى أن ترعرع الغلام . فدخل الوزير يوما على أزدشير ، وهو واجم ، فقال : لا يسوءك الله أيها الملك ! فقد ساءنى إطراقك ووجومك، فقال: كبرتْ سنى، وليس لى ولد أقلده الأمر بعدى ، وأخاف انتشار الأمر بعد انتظامه ، وافتراقَ الكلمة بعد اجتماعها ، فقال له : إن لى عندك وديعة أيها الملك ، وقد احتجت إليها ، فأخرج إليه الحُقَّةَ(١) بخاتمها ، ففض الخاتمَ، وأخرج المذاكير منها، فقال له الملك : ماهذا؟ فقال : كرهت أن أعصى الملك حين أمرنى في الجاريه بما أمر ، فاستَوْدَعْتُها بطنَ الأرض حَيَّةً ، حتى أخرج الله منها سليلَ المَلِكِ حَيًّا ، وأرضعتْه وحضنته ، وها هو ذا عندى ، فإن أمرَ الملكُ جئتهُ به ، فأمره أزدشير بإحضاره فى مائة غلام من أبناء فارس، بأيديهم الصوالج(٢)

(١) هى الحق ، وجمعها حقق وحقوق وحقاق ، وحق ، وأحقاق ، وفى الطبرى أنه طلب من الملك أن يختم الحق بخاتمه .

(٢) مفردها : الصولج ، والصولجة ، وهى عصا معقوف طرفها يضرب بها الفارس الكرة ، وأيضا صولجانه وجمعها : صوالج وصوالجة وهى معربة ، وفى الطبرى أنه طلب مائة غلام من أترابه وأشباهه فى الهيئة والقامة . ثم أمر الشيخ أن يدخلهم عليه جميعا ، لا يفرق بينهم فى زى ولا قامة ولا أدب ، ففعل الشيخ ذلك ، فلما نظر إليهم أردشير قبلت نفسه ابنه من بينهم واستحلاه من غير أن يكون أشير له إليه ، أولحن به . ثم حدثت قصة الصوالج .

. . . .

يَلعَبُونَ الكرة ، فلعبوا فى القصر ، فكانت الكرة تقع فى إيوان الملك ، فيتهيبون أخذَها حتى طارت للغلام ، فوقعت فى سرير الملك ، فتقدم حتى أخذها ، ولم يهب ذلك ، فقال الملك : ابنى والشمسِ !! متعجبًا من عزة نفسه وصرامته ، ثم قال له : ما اسمك يا غلام ؟ فقال له : شَاهَبُور ، فقال له : صدقتَ ! أنت ابنى ، وقد سميتك بهذا الاسم ، وبور : هو الابنُ ، وشاه : هو الملك بلسانهم ، وإضافتهم مقلوبة ، يقدمون المضاف إليه على المضاف ، كما تقدم فى « الكى » الكلمة التى كانت فى أوائل أسماء الملوك الكينية ، فكانوا يضافون إلى الكى ، ثم إن أزدشير عهد إلى ابنه شَاهَبُورَ ، وسيأتى فى الكتاب فى قول الأعشى :

أقام به شَاهَبُورُ الجنودَ حَوْلَيْن يضرب فيه القدُم

ثم غيرت العرب هذا الاسم ، فقالوا : سابور ، وتسمى به ملوك بنى ساسان منهم : سابور ذو الأكتاف الذى وطىء أرض العرب ، وكان يخلع أكتافهم ، حتى مرّ بأرض بنى تميم ، ففروا منه[1] ، وتركوا عَمْرَو بن تميم . وهو ابن ثلاثمائة سنة ، لم يقدر على الفرار ، وكان فى قُفَّة[2] مُعَلَّقًا من عمود الخيمة من الكِبَرِ ، فأُخذ ، وجيء به الملكَ ، فاستنطقَهُ سابور ، فوجد عنده

---

(١) يقول الطبرى : إن سابور ضرى بقتل العرب ، ونزع أكتاف رؤسائهم إلى أن هلك ، وكان سبب تسميتهم إياه ذا الأكتاف ص ٦٠ ج ٢ الطبرى ويذكر أن ملكه كان ٧٢ سنة .

(٢) كلمة مولدة وهي معروفة .

رفع المسبهم

. . . .

رأيا ودهاء ، فقال له : أيها الملك . لم تفعل هذا بالعرب ؟ فقال : يزعمون أن مُلْكنا يصل إليهم على يدِ نَبِيٍّ يبعث فى آخرِ الزمان ، فقال عمرو : فأَيْنَ حِلمُ الملوكِ وعقلُهم ؟ ! إن يكن هذا الأمرُ باطلا فلا يضرك ، وإن يكن حقا ألفاك ، وقد اتخذتَ عندهم يدا ، يكافئونك عليها ، ويحفظونك بها فى ذويك ، فيقال : إن سابور انصرف عنهم ، واستبقى بقيَّتهم ، وأحسن إليهم بعد ذلك والله أعلم :

وأما أَبْرَوِيز بن هُرْمُز — وتفسيره بالعربية : مُظَفَّر — فهو الذى كتب إليه النبي — صلى الله عليه وسلم — وسيأتى طرف من ذكره ، وهو الذى عُرِض على الله تعالى فى المنام(١) ، فقيل له : سلِّم ما فى يديك إلى صاحب الهِراوة ، فلم يزل مَذْعورا من ذلك ، حتى كتبَ إليه النعمانُ بظهور النبي — صلى الله عليه وسلم — بتِهامةَ ، فعلم أن الأَمْرَ سيصير إليه ، حتى كان من أمره ما كان ، وهو الذى سئل عنه رسول الله — صلى الله عليه وسلم — مَا حُجَّةُ الله على كسرى ؟ فقال : إن الله تعالى أرسل إليه مَلَكاً ، فسَلَكَ يَدَه فى جِدار مجلسه ، حتى أخرجها إليه ، وهى تتَلأْلأُ نُورًا (٢) ، فارتاع كسرى ، فقال له المَلَك : لم تُرَعْ يا كسرى . إن الله قد بعث رسولَه ، فأسلم تسلم [دنياك وآخرتك](٣) ، فقال : سأنظر . ذكره الطبرى ، فى أعلام كثيرة من النبوة ،

---

(١) يردد مالا يصح !!

(٢) انظر ص ١٩٠ ج ٢ طبرى ط المعارف ، وما هنا بينه وبين ما فى الطبرى اختلاف يسير وهى أسطورة !!

(٣) الزيادة من الطبرى .

. . . .

عُرضت على أبرَوَيز أضربنا عن الإطالة بها ، فى هذا الموضع ، وتَسَمىَّ أيضا سابورَ بعد هذا سابورُ بن أبرَوَيز أخو شيرَويه ، وقد ملك نحوا من شهرين فى مدة النبى — صلى الله عليه وسلم — وملك أخوه شيرويه نحوا من ستة أشهر ، ثم ملكت بُورانُ أختهما ، فبلغ ذلك النبى — صلى الله عليه وسلم — فقال : « لا يُفلح قوم ملكتهم امرأة »(١) فملكت سنةً ، وهلكت وتشتت أمرهم كُلَّ الشتات. ثم اجتمعوا على يَزْدَجرْدَ بن شَهْريار ، والمسلمون قد غلبوا على أطراف أرضهم ، ثم كانت حروبُ القادسية معهم إلى أن قهرهم الإسلام ، وفتحت بلادهم على يدىْ عُمَر بن الخطاب — رضى الله عنه — ، واستُؤْصِل أمرُهم ، والحمدُ لله(٢).

وسابور تُنسَبَ إليه الثياب السَّابِريةَّ(٣) قاله الخطابى ، وزعم أنه من النَّسب الذى غُيِّر ، فإذا نسبوا إلى نيسابور المدينة ، قالوا : نَيْسَابُورِىّ على القياس ، وزعم بعضهم أن : نَى هى : القصب ، وكانت مَقْصَبَةً ، فبناها سابور مدينة ، فنُسِبت إليه ، والله أعلم.

رجوع إلى حديث سطيح وذى يزن

فصل : وقول سطيح فى حديث ربيعة : إرَمَ ذى يَزَنَ،المعروفُ : سيفُ بن ذى يَزَنَ ، ولكن جعله إرماً ، إمّا لأن الإرمَ هو العَلَمُ فمدحه بذلك ،

(١) أحمد فى مسنده والبخارى والترمذى والنسائى عن أبى بكرة ، وقال عنه السيوطى : صحيح، وفى روايته : لن بدلا من : لا .

(٢) فى المراصد عن القادسية أنها فتحت فى عهد عثمان ، وقيل : فى عهد عمر ، ثم انتقضت ، ففتحت ثانيا فى عهد عثمان على يد ابن عامر .

(٣) والثياب السابرية نوع من أجود الثياب وأرقها يرغب فيه بأدنى عرض. ومنه عرض « بفتح العين وسكون الراء » سابرى يقوله : من يعرض عليه الشيء عرضا لا يبالغ فيه .

رفع
المسهم
عز الله الطاهرالدين

. . . .

وإمّا شبهه بعاد إرم فى عِظَمِ الْخَلْقِ والْقُوة ، قال الله تبارك وتعالى: [ألم تر كيف فعل ربُّك] بعادٍ إرَمَ ذاتِ الْعِماد .

وربيعةُ بن نَصْرٍ هذا هو : أحد ملوكِ الحِيرة ، وهم آلُ الْمُنْذر ، والمنذرُ هو : ابنُ ماءِ السماء ، وهى : أمه عُرِف بها ، وهى من النَّمِرِ بنِ قاسطوابْنُهُ عَمْروُ بن هِنْد عُرِفَ بأمهِّ أيضاً ، وهى بنت الحارث(١) آكل الْمُرَارِ جَدِّ امرىء القيس الشاعرِ ، ويُعرف عَمْرو بمُحَرِّق لأنه حَرَّق مدينة ، يقال لها : مَلْهَم ، وهى عند اليمامة ، وقال المُبَرِّدُ والْقُتَيبِيُّ سمى: مُحَرِّقًا ، لأنه حَرَقَ مائةً من بنى تميم ، وذكر خبرهم(٢) .

وولدُ نصرِ بنِ ربيعةَ هو : عَدِىٌّ ، وكان كاتبا لِجَذِيمَةَ الأَبْرَشِ ، وابْنُهُ: عَمْرو ، وهو ابن أخت جَذِيمَةَ ، ويكنى جَذِيمة : أبا مالك فى قول المسعودى ، وهو منادم الْفَرْقَدَيْن ، واسمُ أختُ جذيمة : رَقَاشِ بنت مالك بن فَهْمِ بن غَنْم ابن دَوْس ، وهو الذى اختطفته الجنُّ ، وفيه جرى المثل : شَبَّ عَمْرٌو

---

(١) هى كما قيل أيضا بنت عمرو بن حجر الكندى آكل المرار أو دارية بنت ثعلبة .

(٢) وفى جمهرة ابن حزم كذلك ص ٢٢ أما فى الاشتقاق ص ٤٣٥ فالمحرق هو : الحارث بن عمرو بن عامر ، وقد عرف عمرو بأنه المحرق الثانى ، لأنه ألقى بقتلى تميم فى النار أخذا بثأر أخيه ، وقد لقب امرؤ القيس الأول ابن عمرو بن عدى بن ربيعة بن نصر بالمحرق الأول ، ومحرق العرب ، ومحرق الحرب ، وفى التاريخ الخاص بالحيرة تصادفنا كلمة المحرق ، ومحرق وآل محرق ، وقد أطلقت

رفع عبد الرحمن الهجري ... المسار

. . . .

عن الطَّوْقِ . وهو قاتل الزَّبَّاء بنت عمْرو (١) واسمها : نائلة في قول

=على الغساسنة أيضا ، ويرى بعض مؤرخي الغرب أنها علم لأشخاص ، وكان بين أصنام الجاهلية صنم يدعى : محرق . ومن الجاهليين من كان اسمه : عبد محرق،فلعله سمى بهذا تيمنا ـ في ظنه ـ باسم الصنم ، ويظهر أن محرقا كان من الشخصيات الجاهلية القديمة الواردة في الأساطير « انظر ص ٣٢ ج ٤ تاريخ العرب قبل الإسلام » وفي اللسان عن آكل المرار : المرار شجر مر، ومنه: بنو آكل المرار قوم من العرب.. وآكل المرار معروف . قال أبو عبيد : أخبرني ابن الكلبي : إن حُجْرا « بضم الحاء وإسكان الجيم » إنما سمي آكل المرار أن ابنة كانت له سباها ملك من ملوك سَليح يقال له: ابن هَبُولة ،فقالت له ابنة حجر : كأنك بأبي قدجاء كأنه جمل آكل المرار، يعني: كاشرا عن أنيابه،فسمى بذلك . وقيل: إنه كان في نفر من أصحابه في سفر،فأصابهم الجوع ، فأما هو فأكل من المرار حتى شبع ونجا ، وأما أصحابه ، فلم يطيقوا ذلك ، حتى هلك أكثرهم، ففضل عليهم بصبره على أكله المرار .

(١) يمثل أسطورة خطف الجن للناس سيطر الدجاجلة على الذين لادين لهم ولا عقل . والطوق : حلي للعنق وكل ما استدار بشيء والوسع والطوق . والمثل يضرب لمن يلابس ما هو دون قدره . والمثل مفصل في مادة طوق من القاموس وفي باب الكاف من مجمع الأمثال الميداني ، وفي ص ٦١٤ ج ١ الطبري . وغير هذه ، وخلاصته أن عديا كان يخدم جذيمة مع غلمان من أبناء الملوك فأحبته رقاش أخت جذيمة ، وطلبت منه أن يخطبها من أخيها ، وهو في سكره ، ففعل ، فلما أفاق جذيمة . وعلم بما حدث أنكره ، وأقبل على رقاش قائلا :

حدثيني وأنت غير كذوب ... أبحُرٌّ زنيت أم بهجين ؟!
أمْ لعبد ، وأنت أهل العبد ... أم بدون وأنت أهل لدون

قالت بل زوجتني كُفْئًا كريما من أبناء الملوك . — أو كما ورد في الطبري — بل أنت زوجتني امرءا عربيا معروفا حسيبا ، ولم تستأمرني في نفسي ، ولم أكن مالكة لأمري . وفي مروج الذهب أنها أجابته بقولها : =

رفع
المسيرهم
غفر الله له ولوالديه

. . . .

الطَّبرَى وَيعْقُوب بن السِّكِّيت ، ومَيْسُونُ فى قول دُرَيْد ، واستشهد الطبرى بقول الشاعر(١) :

أتعرف مَــنْزِلاً بَينَ الْمُنَقَّى وبَيْنَ مَجَرِّ نائلة الْقَــدِيمِ

وقد أملينا فى غير هذا الموضع ذكر نسبها وطرفا من أخبارها .

= أنت زوجتى وما كنت أدرى وأتانى النساء للــتزيين
ذاك من شربك المــدامة صرفا وتماديك فى الصبا والمجون

وهرب عدى ومات فى مهربه ، وجاءت منه رقاش بغلام سماه جذيمة : عمرا وتبناه ، وخرج الصبي ذات يوم ، فضل عن العودة ، ولبث زمانا مفقودا ، ولهذا يزعمون أن الجن اختطفته، وهو حديث خرافة ، ثم وجده رجلان فأتيا به إلى خاله، فاستطار به فرحا ، وأرسل به إلى أمه ، فأدخلته الحمام ، وألبسته وطوقته طوقا كان له من ذهب ، فلما رآه جذيمة قال : كبر عمرو عن الطوق والشطرة الأولى فى الطبرى : حدثينى وأنت لا تكذبينى . وكان بجذيمة برص، فتهيب العرب أن تسميه به ، أو تنسبه إليه،فكنت عنه بالأبرش أو الوضاح.وقدقتل عمرو الزباء. لأنها قتلت خاله جذيمة غدرا . فاحتال بواسطة قصير حتى وصــل إليها فى مكمنها ببلادها ، فلما رأته شربت السم، وقالت « بيدى لا بيدك ياعمرو» فذهبت مثلا ، ثم تلقاها عمرو ، فجللها بالسيف فقتلها ، والزباء هى نائلة بنت عمرو بن ظرب التى تولت الملك بعد مقتل أبيها بيد جذيمة الأبرش . وكان ملكها أرض الجزيرة ، ومشارف بلاد الشام « انظر ص ٦١٧ وما بعدها ج ١ الطبرى » طبع المعارف ، وقد اختلف المؤرخون المحدثون حولها فنهم من ذهب إلى أنها عربية، وقيل هى عربية الأب مصرية الأم . والأكثرون على أنها عربية .

(١) هو القعقاع بن الدرماء الكلبى .

وأخو عمرو بن هند: النعمانُ بن المُنْذر ، وهو ابن مَامَة ، وكان ملكه بعد عمرو ، وفى مُلْكِ عَمْرٍو وُلد رسول الله —صلى الله عليه وسلم —[١] وفى زمن كسرى أنو شروان بن قباذ .

وأسقط ابن إسحاق من هذا النسب رجلين ، وهما : النعمان بن امرىء القيس وأبوه : امْرؤُ القَيْس[٢] بن عَمْرو بن عَدى . وقد قيل ، إن النعمان هذا هو أخو امرىء القيس ، وملك بعده ، وسيأتى ذكر النعمان بعد هذا عند ذكر صاحب الحَضْرِ إن شاء الله تعالى ، وأنه الذى بنى الخَوَرْنَقِ وَالسَّدِير .

قوم تبع

فصل : وقوله[٣] فى نسب حَسَّانٍ : بن تُبَّانٍ أسعد : هو تُبَّانُ أسعدُ . اسمان جُعلا اسما واحداً ، وإن شئت أضفتَ كما تضيف معدى كرب ، وإن شئت

---

(١) المشهور أن النبى صلى الله عليه وسلم ولد سنة ٥٧١ ميلادية ، وكان قابوس أخو عمرو فى الغارة على الشام سنة ٥٦٧ ، م وقد قتل عمرو بن هند — كما هو مشهور — بيد الشاعر عمرو بن كلثوم ، ومن الألقاب التى اشتهر بها عمرو بن هند : مضرط الحجارة ، وشقيقاه لأمه : قابوس والمنذر واسم أم النعمان فى المطبوعة : « ابن مامة » ويقال : أمامه . والذى تولى الملك بعد عمرو — كما فى بعض الروايات — هو أخوه الشقيق قابوس « ص ٨٢ ح ٤ تاريخ العرب قبل الإسلام للدكتور جواد على مطبعة المجمع العلمى العراقى ١٣٧٤ - ١٩٥٥

(٢) ينسب ملك الحيرة إلى عمرو بن عدى ، ثم إلى ابنه امرىء القيس الأول الذى نكل سابور بالعرب فى أيامه ، ثم إلى ابنه عمرو ، ثم إلى النعمان الأول بن امرىء القيس الذى ينسب إليه أكثر المؤرخين قصر الخورنق (٣) فى صفحة ١٥٦

رفع
المسهم
عبد الله الطحاوي

استيلاء أبي كرب تبان أسعد على ملك اليمن

وغزوه إلى يثرب

قال ابن إسحاق : فلما هلك ربيعة بن نصر رجع مُلْك اليمن كله إلى حسان بن تُبَّان أسعد أبي كرب — وتُبَّانَ أسعد هو : تُبَّع الآخِر — ابن كُلْكِي كَرِبَ بن زيد ، وزيد هو تُبَّع الأوّلُ بن عمرو ذى الأذْعَار بن أبرهة ذى المَنار بن الرَّيِش — قال ابن هشام : ويقال :الرائش — قال ابن إسحاق : ابن عديّ بن صيفى ابن سبأ الأصغر ، بن كَعْب ، كَهْف الظُّلْم بن زَيْد ابن سَهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جُشَم بن عبد شَمْس بن وائل ابن الغَوْثِ ، بن قطَن ، بن عَرِيب بن زهَير ، بن أيمَنَ بن ، الهَمَيْسع بن العَرَنْجَجِ ، والعَرَنْجَجُ : حِمْير بن سبأ الأكبر ابن يَعرُب ، بن يَشْجُب ابن قَحْطان .

جعلت الإعراب فى الاسم الآخر، وتُبَّان من التَّبانَةِ ، وهى : الذكاء والفطنة. يقال : رجل تَبِنٌ وَطَبِنٌ .

وكلْكى كَرِبُ اسمٌ مركَّب أيضاً وسيأتى معنى الكَرِب فى لغة حِمْير عند ذكرمَعْدِى كرب — إن شاء الله تعالى — وكان ملك كلْكى كَرِبَ(١) خمساً وثلاثين سنة ، وكان مُضْعَفاً ساقط الهِمَّة لم يغزُ قطّ .

وقوله : فى نسب حَسَّان : ابن تبان أسعد وتُبَّان الأسعد [هو] تُبَّع [الآخرُ] نقص من النسب أسماء كثيرةً وملوكا ؛ فإن عَمْراً ذا الأذْعار(٢) كان بعده ناشرُ

---

(١) فى الاشتقاق : ملكى كرب وفى غيره كلى بضم الكاف وفتحها .

(٢) يزعم ابن الكلبي أنه سمى بهذا لأنه جلب النسناس إلى اليمن فذعر الناس « الاشتقاق ، ص ٥٤٢ وسيأتى . كهف الظلم : لقب بهذا لأنه ينصر الظلم .

رفع
المسلم
عبد الله الجليل

. . . .

بن عمرو ، ويقال له : ناشر النعم ، [بن عمرو بن يعفر](١) وإنما قيل له ناشر ؛ لأنه نشر الملك ، واسمه مالك . ملك بعد قتل رجعيم (٢) بن سليمان عليه السلام بالشام ، وهو الذى انتهى إلى وادى الرمل ، وماتت فيه طائفة من جنده جرت عليهم الرمال ، وبعده : تبع الأقرن وأفريقيس بن قيس الذى بنى أفريقية ، وبه سميت ، وساق إليها البربر من أرض كنعان ، وتبع بن الأقرن وهو التبع الأوسط ، وشمر بن مالك الذى سميت به مدينة سمرقند (٣) ، ومالك هو : الأملوك ، وفى بنى الأملوك يقول الشاعر :

---

(١) فى الطبرى اسمه : ياسر بن عمرو بن يعفر الذى كان يقال له : ياسر أنعم وإنما سموه : ياسر أنعم لإنعامه عليهم بما قوى من ملكهم ، وجمع من أمرهم والزيادة من المروج والطبرى

(٢) اسمه عند الكتابيين « رحبعام »

(٣) فى المروج ترتيب ملوكهم هكذا : أبرهة بن الرائش وبعده أفريقس بن أبرهة ثم العبد بن أبرهة ، ثم الهدهاد بن شرحبيل ، ثم تبع الأول ، ثم بلقيس ، ثم ناشر النعم ، ثم شمر بن أفريقس ، ثم كليكرب ، ثم حسان بن تبع ، ثم عمرو بن تبع – وهو الذى قتل أخاه حسان – ثم تبع بن حسان إلخ ص ٧٥ ج ٢ وترتيبهم فى الطبرى ص ٥٦٦ ج ١ يختلف عما هنا اختلافا يسيرا . وفى تاريخ العرب قبل الإسلام للدكتور جواد على : « وأول ملك نعرفه حمل اللقب الجديد لقب « ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنات » هو الملك شمر يهرعش المعروف : بشمر يرعش عند الإسلاميين ، أما والده فهو ياسر يهنعم ، وكان ملكا من ملوك سبأ وذى ريدان ، ويدعى ناشر النعم فى كتب الأخباريين » ص ١٣٩ ج ٣ . وفى القاموس عن شمر « وشمر بن أفريقش ككتف غزا مدينة السغد فقلعها ، فقيل : سمر كنذا ، أو بناها ، فقيل . سمشر كنثت . وهى بالتركية : القرية ، فعربت سمرقند » بفتح ففتح فسكون ففتح . وكنداى : خرب ، وخطأ ابن خلدون السهيلى فى رأيه عن الأملوك انظر ص ٩٨ م ٢ ط . لبنان

رفع عبد الرحمن النجدي
المسيرهما

. . . .

فَنَقِّبْ عن الأُمْلُوكِ واهْتِف بِيَعْفُرٍ وعِشْ جَارَ عِزٍّ لا يغالُبه الدَّهْرُ

وقد قيل : إن الأُمْلُوكَ كان على عهد منوشهر ، وذلك فى زمن موسى — عليه السلام — كل هؤلاء مذكورون بأخبارهم فى غير هذا الكتاب .

وعَمْرو ذو الأذعار كان على عهد سليمان ، أو قبله بقليل ، وكان أوْغَل فى ديار المغْرب ، وسبا أمَّةً وجوهُها فى صُدورها ، فذُعِر الناسُ(١) ، منهم فسمى: ذا الأَذْعار، وبعده ملكت بنت بِلْقِيسُ هُدَاهِد بن شُرَحْبِيلَ صاحبةَ سليمان — عليه السلام — واسم أمها يَلْمَقَة (٢) بنت جنى ، وقيل : رَوَاحَةُ بنت سُكَيْن . قاله ابن هشام . وزعم أيضا أنها قتلت عَمْراً ذا الأَذْعار بحيلةٍ ذكرها، وأنه سُمِّى ذا الأَذْعارِ لكثرةِ ما ذُعِر الناس منه لجوْرِه ، وأنه ابن أَبْرَهَةَ ذى المنار بن الصَّعْبِ ، وهو ذو القرنين بن ذى مراثل الحِمْيَرى ، وأبوه: أَبْرَهَةُ ذو المنار سمى بذلك ؛ لأنه رفع نيرانا فى جبالٍ ؛ ليهتدى بها (٣) .

وأمَّا حسَّانُ الذى ذكَر فهو الذى استباح طَسْماً ، وصَلَب اليمامةَ الزَّرْقاء ، وذلك حين استَصْرَخَهُ عليهمْ رَباحُ بن مُرَّةَ أخو الزرقاء ، وهو من فَلٍّ جديسٍ ، وقد تقدم الإيماء إلى خبرهم .

---

(١) فى القاموس جاء بتعبير دقيق « وذو الأذعار تبع لأنه سبى قوما وحشة الأشكال . فذعر منهم الناس ، أو لأنه حمل النسناس إلى اليمن » .

(٢) فى المروج وفى نسخة أخرى : الهدهاد ، وفى المحكم أن هدد بن هاد زوج يلمقه وهى بلقيس بنت يليشرح وأصلها : يلب شرخ . وفى المحبر والطبرى : أليشرح ، وفى التيجان أنها بلقيس بنت الهدهاد ، وفى الطبرى أيضا ابنة إيلى شرح ويقول بعضهم ابنة ذى شرح بن ذى جدن بن إيلى شرح « الاشتقاق ص ٥٣٢ والحاشية بقلم الأستاذ عبد السلام هارون . وفى جمهرة ابن حزم أن شدد ـ بفتح ابن زرعة « بضم فسكون » هو زوج بلقيس ، وأن إيلى هو والدها .

(٣) فى القاموس لأنه أول من ضرب المنار على طريقه فى مغازيه ، ليهتدى بها إذا رجع ، وفى الاشتقاق؛ لأنه أول من بنى الأميال على الطرق . وليس بين قوم تبع من اسمه مراثل ، إنما هو مَرْثد أو مراثد وسيأتى بعد .

قال ابن هشام : يَشْجُب : ابن يعرب بن قَحطان .

قال ابن إسحاق : وتُبّان أسعد أبو كَرِب الذى قدم المدينة ، وساق الحِبْرين من يهود المدينة إلى اليمن ، وعمَّر البيت الحرام وكساه ، وكان ملكه قبل مُلك ربيعة بن نصر .

ومعنى تُبَّع فى لغة اليمن : الملك المتبوع ، وقال المسعودى : لا يقال للملك : تُبَّع حتى يغلبَ اليمن والشِّحْر وحَضْرَمَوت . وأولُ التَّبابعة : الحارثُ الرائش ، وهو ابن هَمَّال بن ذى شَدَد(١) وسُمِّى : الرائش ، لأنّه راشَ الناسَ

---

(١) النسب فى جمهرة ابن حزم هكذا « شمر بن الأفريقس بن أبرهة ذى المنار بن الحارث الرائش بن شدد بن الملطاط بن عمرو » ص ٤١٠ . وأحسن بما يقول ابن حزم عن أنساب قوم تبع « وفى أنسابهم اختلاف وتخليط وتقديم وتأخير ونقصان وزيادة ، ولا يصح من كتب أخبار التبابعة وأنسابهم إلا طرف يسير لاضطراب أحوالهم وبعد العهد » ص ٤١١ وإليك ما ذكر فى خزانة الأدب للبغدادى عن أذواء اليمن باختصار وتصرف : ذو جدن : اسم مرتجل ، وهو من أذواء اليمن ، والأذواء بعضهم ملوك ، وبعضهم أقيال ، والقيل دون الملك . قال فى الصحاح : والقيل : ملك من ملوك حمير دون الملك الأعظم . والمرأة قيلة ، وأصله قيِّل بالتشديد ، كأنه الذى له قول . أى : ينفذ قوله . والجمع . أقوال وأقيال أيضا ومن جمعه على أقيال لم يجعل الواحد منه مشددا والمقول — بالكسر — القيل أيضا بلغة أهل اليمن والجمع المقاول .

ومن الأذواء الأوائل : أبرهة ذو المنار ، وابنه : عمرو ذو الأذعار ، أو الأدعار كما ذهب إليه ابن الشجرى فى أماليه جمع دَعِر — بفتح فكسر — العود الكثير الدخان ، وذو معاهر — واسمه حسان — من العهر وهو الفجور ، وذو رعين الأكبر ، واسمه : يريم — وزن يميل — ورعين اسم حصن كان له وذو رعين الأصغر ، واسمه : عبد كلال ، وذو شناتر ، واسمه : ينوف ، =

رفع المسهم

. . . .

بما أوسعهم من العطاء ،وقسم فيهم من الغنائم ، وكان أول مَنْ غَنِم،فيما ذكروا .

وأما الْعَرَنْجَجُ الذى ذكر أنه حِمْير بن سَبَأ ، فمعناه بالحميَرية : العتيق . قاله ابن هشام ، وفى عهد زَمَن تُبَّع الأوسط ــ وهو حسَّان بن تُبَان أسعد ــ كان خروج عَمْرو بن عامر من اليمنِ من أجل سيل الْعَرِمِ ، فيما ذكر الْقُتَبِىُّ .

وأما عَمْرو أخو حسَّان الذى ذكر ابن إسحاق قصته ، وقتلَه لأخيه . فهو المعروف : بمَوْثَبان .سُمِّى بذلك للزُومه الوثاب وهو [السرير و] الْفِراش وقلة غَزْوه . قاله الْقُتَبِىُّ .

ــــــــــ

= والشناتر: الأصابع فى لغة اليمن . وذو القرنين ، واسمه : الصعب ، وذو غيمان من الغيم الذى هو العطش وحرارة الجوف . وذو أصبح ، وذو سَحَر وذو شعبان ، وذو فائش، واسمه : سلامة ــ من الفياش وهو المفاخرة . وذو حمام ــ بضم الحاء ــ والحمام حمى الإبل ــ وذو تُرْخَم ، وذو يحصب ، وذو عَسِيم ــ من العسَم، وهو يبس فى المرفق ، أو من العسْم ، وهو الطمع ، وذو قثاث ، وذو حوال ، واسمه : عامر ، وذو مِهْدَم ، واسمه : شمر ، وذو أنس ، وذو سحيم ، وذو الكباس ، وذو حفار ، وذو نواس ، واسمه : ذرعة ، ومنهم ذو الكلاع الأكبر، وذو الكلاع الأصغر ، وهذا أدركه الإسلام وأسلم وأعتق أربعة آلاف عبد ، وهاجر بقومه فى أيام أبى بكر ــ كما فى خزانة البغدادى ـ وذو عشكلان ، وذو ثُعلبان وذو زهران ، وذو مكارب ، وذو مناخ ، وذو ظليم ، واسمه : حو شب ، وهو العظيم البطن ، ومنهم ذو يزن ملك اليمن ، ويزن اسم مرتجل ، وهو غير منصرف لأن أصله يزأن على وزن يسأل ، فخففوا همزته فصار وزنه يفل ، ومنهم من رد عينه فى النسب ، فقال: رمح يزأنى ، وقيل : أصله من وزن يزن. فحذفت الواو ثم أبدلت الكسرة فتحة ، واسم ذى يزن : عامر بن أسلم بن زيد بن غوث . انتهى باختصار . ص ١٠٠ ح ٢ ط دار العصور

قال ابن هشام : وهو الذى يقال له :

لَيتَ حظِّى من أبى كَرِب أن يَسُدَّ خَيْرُه خَبَلَه

« سبب غضب تبان على أهل المدينة » :

قال ابن إسحاق : وكان قد جعل طريقه — حين أقبل من المشرق — على المدينة ، وكان قد مرَّ بها فى بَدْأته ، فلم يَهِج أهلها ، وخلَّف بين أظهرهم ابنا له ، فقُتِل غِيلة ، فقدمها وهو مُجمع لإخرابها ، واستئصال أهلها ، وقطع نخلها ، فجمع له هذا الحىُّ من الأنصار ، ورئيسهم عَمْرو بن طَلَّة أخو بنى النجّار ، ثم أحد بنى عمرو بن مَبْذول ، واسم مَبْذُولٍ : عامر بن مالك بن النجّار ، واسم النجار : تيم الله بن ثعلبة ، بن عمرو ، بن الخزرج ، بن حارثة ، بن ثعلبة ، بن عمرو ، بن عامر .

وأما ما ذكره من غَزْو تُبع المدينة ، فقد ذكر القُتَبِىُّ أنه لم يقصد غَزْوها ، وإنما قصد قتلَ اليهود الذين كانوا فيها ، وذلك أن الأوْسَ والخزرج كانوا نزلوها معهم ، حين خرجوا من اليمن على شروطٍ وعهودٍ كانت بينهم ، فلم يفِ لهم بذلك يهودُ ، واستضاموهم ، فاستغاثوا بتُبَّع ، فعند ذلك قَدِمها وقد قيل : بل كان هذا الخبرُ لأبى جُبَيْلَةَ الغَسَّانِىِّ ، وهو الذى استَصْرَخته الأوسُ والخزرج على يهود ، فالله أعلم .

والرَّجُل الذى عدا على عَذْقِ الملك ، وجَدَّه من بنى النجارِ هو : مالك ابن العَجْلانِ فيما قال القُتَبِىُّ ، ولا يصح هذا عندى فى القياس لبعد عهد تُبَّع من مدة ملك ابن العجلان .

رفع المساهم

. . . .

وخَبَرُ ملك ابن العَجْلان إنما هو مع أبى جُبَيْلَةَ الغَسَّانِى حين اسْتَصْرَخَتْ به الأنصار على اليهود ، فجاء حتى قتَل وجُوها من يهود . وأما تُبّع فحديثه أقدمُ من ذلك . يقال : كان قبل الإسلام بسبعمائة عام ، والصحيح فى اسم أبى جُبَيْلَةَ : جُبَيْلَةُ غير مَكْنِى ، ابنُ عَمْرو بن جَبَلة بن جَفْنَة ، وجَفْنَة هو : عَلَبةُ ابن عَمْرو بن عامر ماء السماء(١) . وجُبَيلةُ هو : جد جبلة بن الأَيْهَمِ (٢) آخر ملوك بنى جَفْنة ، ومات جُبَيْلةُ الغسانى من عَلَقَةٍ شَرِبها فى ماء ، وهو مُنصرف عن المدينة .

وذكر أن تُبّعاً أراد تخريبَ المدينة ، واسْتئصال اليهود ، فقال له رجل منهم ، له مائتان وخمسون سنةً : الملك أجَلُّ من أن يطيربه نَزَقٌ ، أو يستخِفّه غَضَب ، وأمْره أعظمُ من أن يضيقَ عنا حِلْمُه ، أو تُحْرَمَ صَفْحَه ، مع أن هذه البَلْدَةَ مُهَاجَرُ نَبِيٍّ يبعث بدين إبراهيم . وهذا اليهودِيُّ هو أحد الحَبْرَيْنِ

---

(١) انظر ص ٤٣٥ الاشتقاق . وعند بعض المؤرخين أن جفنة بن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرىء القيس البطريق بن ثعلبة بن مازن بن الأسد ابن الغوث هو أول ملك ملك من غسان فى أيام القيصر أنسطاس (٤٩١-٥١٨ م) . وعند غير هؤلاء أن أول ملك هو الحارث بن عمرو ابن عامر بن حارثة بن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن غسان بن الأزد بن الغوث ، وبعده الحارث بن ثعلبة بن جفنة بن عمرو بن عامر بن حارثة ، وهو ابن مارية ذات القرطين . أما الأول فيذكرون أن عمرو بن جفنة هو الذى تولى بعد أبيه . ثم ثعلبة بن عمرو بن جفنة ، ثم الحارث بن ثعلبة ، ثم جبلة بن الحارث . ص ١٢٥ ج ٤ تاريخ العرب قبل الإسلام . جواد على .

(٢) وهو الذى ارتد ولحق بالروم ، ونسبه فى الإنباه ، جبلة بن الأيهم بن جبلة الحارث بن جبلة بن الحارث بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة ، ص ١١١

رفع المسهم

اللذين ذكر ابن إسحاق، قال: واسمُ الحبرين سُحَيتٌ، والآخر: مُنَبِّه(١).
ذكر ذلك قاسم بن ثابت فى الدّلائل، وفى رواية يونس عن ابن إسحاق، قال: واسمُ الحبرِ الذى كلم الملكَ: بلياميِن، وذكر أن امرأةً اسمُها: فُكَيْهَةُ من بنى زُرَيْق كانت تحمل له الماء من بئر رُومَةَ(٢) بعد ما قال له الحبْرَانِ ما قالا، وكفَّ عن قتالِ أهلِ المدينة، ودَخلُوا عَسْكَره، فأعطى فُكَيْهَةَ، حتى أغناها، فلم تَزَلْ هى وعشيرتُها من أغنى الأنصار حتى جاء الإسلامُ، ولما آمن الملكُ بمحمد — صلى الله عليه وسلم — وأعلم بخبره، قال:

شَهِدتُ على أحمد أنَّه ... نبىٌّ من الله بارِى النَّسَمْ
فلو مُدَّ عُمْرِى إلى عُمْرِهِ ... لكُنتُ وَزيراً له، وابنَ عَمْ
وجاهَدْتُ بالسَّيْفِ أعداءه ... وفَرَّجْتُ عن صَدْرِه كُلَّ هَمْ

وذكر ابنُ أبى الدُّنيا فى كتابِ القُبورِ، وذكره أيضاً أبو إسحاق الزَّجَّاج فى كتاب المغازى له، أن قبرا حُفِر بصَنْعاء، فوُجد فيه امرأتان، معهما لَوْحٌ من فِضَّةٍ مَكْتوبٌ بالذَّهَبِ، وفيه: هذا قبر لَمِيس وحُبَّى ابْنَتَىْ تُبَّع ماتا، وهما تشهدان: لا إله إلا الله وحدَه، لا شريكَ له، وعلى ذلك مات الصالحون

(١) فى التوراة والإنجيل بشارات ببعث نبي إسمه: أحمد، واسم الحبرين فى الطبرى: كعب وأسد من بنى قريظة ص١٠٥ ج٢. والحديث عن الحبرين ص١٦٥

(٢) بئر بالمدينة، ويقال إنها التى اشتراها عثمان وسبلها.

عمرو بن طَلَّةَ ونسبه :

قال ابن هشام : عمرو بن طَلَّةَ : عمرو بن معاوية بن عمرو بن عامر بن مالك بن النجَّار ، وطَلَّةُ : أمه ، وهى : بنت عامر بن زُرَيق، بن عامر بن زريق ابن عبد حارثة بن مالك بن غَضْب بن جُشَم بن الخزرج .

قصة مقاتلة تبان لأهل المدينة :

قال ابن إسحاق : وقد كان رجل من بنى عدىّ بن النجار، يقال له : أحمر عدا على رجل من أصحاب تُبَّع حين نزل بهم فقتله ، وذلك أنه وجده فى عَذْقٍ

قبلهما ، وقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : « لا أدرى أَتُبَّعٌ لعينٌ أم لا » ورُوِى عنه — صلى الله عليه وسلم — أنه قال : «لا تَسبُّوا تُبَّعاً ؛ فإنه كان مؤمنا(١) » ، فإن صح هذا الحديث الأخير ، فإنما هو بعدما أُعلِم بحاله ، ولا ندرى : أىّ التبابعة أراد ، غير أن فى حديث مَعْمَر عَنْ هَمَّام بن مُنَبِّه عن أبى هُرَيْرة أن رسول الله —صلى الله عليه وسلم— قال : «لا تَسبُّوا أَسْعَدَ الحِمْيَرِىَّ ، فإنه أولُ من كسا الكعبة»(٢) فهذا أصح من الحديث الأول ، وأَبْيَنُ ،

---

(١) رواه أحمد فى مسنده عن سهل بن سعد ، وله ثمانية وثمانون ومائة حديث اتفق البخارى ومسلم على ثمانية وعشرين منها ، وانفرد البخارى بأحد عشر والحديث فيه معارضة لما قبله ، وفيه سمة الضعف . وما يحب مسلم أن يُكذِّب أحد رسول الله صلى الله وسلم فى قوله .

(٢) لم يرو إلا فى كتب السيرة كسيرة أبى ذر والأزرق وأبى الفرج فى مثير الغرام ، وليس عليه نفحة النبوة .

رفع المسـ هم
عبد الله الطويل

له يَجُدُّهُ ، فضرب به بِمِنْجَله فقتله ، وقال : إنما التمر لمن أَبَّرَهُ ، فزاد ذلك تُبَّعا حنَقًا عليهم ، فاقتتلوا ، فتزعُم الأنصار أنهم كانوا يقاتلونه بالنهار ، ويَقْرُونه بالليل ، فيعجبه ذلك منهم ، ويقول : والله إن قومنا لكرام .

فبينا تُبَّعٌ على ذلك من قتالهم ، إذ جاءه حَبْران من أحبار اليهود ، من بنى قُرَيْظَةَ —وقُرَيْظة والنضير والنَّجَّام وعمرو— وهو هَدْل— بنو الخزرج بن الصريح

حيث ذكر فيه أسعد . وتُبَّان أسعد الذى تقدم ذكره ، وقد كان تُبَّعٌ الأولُ مؤمناً أيضا بالنبي — صلى الله عليه وسلم — وهو الرائش ، وقد قال شعرا يُنْبِىء فيه بمبعث النبي — صلى الله عليه وسلم — يقول فيه :

ويأتى بعدَهم رَجُلٌ عظيمٌ نبىٌّ لا يُرَخِّصُ فى الحرام

وقد قيل إنه القائل :

مَنَعَ البقاء تَصَرُّفُ الشَّمس وطلوعُها من حيث لا تُمسى
اليومَ أعلمُ ما يجىء به وَمَضَى بفصل قضائه أَمْسِ
وطلوعُها بيضاء مُشْرِقَةً وغروبُها صفراء كالْوَرْسِ
تجرى على كَبِدِ السماء ، كما يجرى حِمَامُ الموتِ فى النفس

وقد قيل : إن هذا الشعر لِتُبَّعٍ الآخر [وقيل لأسقف نجران] ، فالله أعلم ، ومن هذا أخذ أبو تمام قوله :

ألقى إلى كعبة الرَّحْمنِ أَرْحُلَه والشَّمسُ قدنفضتْ وَرْسًا على الأُصُلِ

رفع المسهم غفر الله له ولوالديه

ابن التَّوْمان ، بن السِّبط بن اليَسَع ، بن سعد ، بن لاوىّ ، بن خَيْر ، بن النَّجَّام ، بن تَنْحوم ، بن عازَر ، بن عِزْرَى ، بن هارون ، بن عمران ، بن يَصْهر ، ابن قاهث ، بن لاوى ، بن يعقوب – وهو إسرائيل – بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن – صلى الله عليهم – عالمان راسخان فى العلم ، حين سمعا بما يريد من إهلاك المدينة وأهلها ، فقالا له : أيها الملك ، لا تفعل ، فإنك إن أبيتَ إلا ما تريد حِيل بينك وبينها ، ولم نأمن عليك عاجلَ العقوبة ، فقال لهما : ولِمَ ذلك ؟ فقالا : هى مُهاجَرُ نبىّ يخرج من هذا الحرَم من قريش فى آخر الزمان ، تكون دارَه وقرارَه ، فتناهى عن ذلك ، ورأى أن لهما علما ، وأعجبه ما سمع منهما ، فانصرف عن المدينة ، و أتبعهما على دينهما ، فقال خالدبن عبد العُزَّى بن غَزِيَّة ابن عمرو بن عبد بن عَوف بن غَنْم بن مالك بن النجار يفخر بعمرو بن طَلَّةَ :

أصحا أم قد نهى ذُكَرَه ... أم قضَى مِنْ لَذَّةٍ وَطَرَه
أم تذكَّرتَ الشَّبابَ ، وما ... ذِكْرُكَ الشبابَ أو عُصُرَه
إنها حَرْبٌ رَباعِيَةٌ ... مثلها آتى الفتى عِبَرَه
فاسألا عِمْران ، أو أسدا ... إذ أتت عَدْواً مع الزُّهَرَه
فَيْلَقٌ فيها أبو كَرِبٍ ... سُبَّغ أبدانُها ذَفِرَهْ
ثم قالوا : من نَؤُمّ بها ... أبَنِى عَوْفٍ ، أم النَّجَره ؟

(غريب حديث تبع)

ذكر فيه : نجدّ عِذقَ الملك . العَذْق : النخلة بفتح العين ، والعِذق بالكسرة : الكِباسة بما عليها من التَّمر ، وذكر فى نسب قُرَيظَةَ والنضير عَمْراً ، وهو هَدَل بفتح الدال ، والهاء ، كأنه مصدر هَدَل هَدْلا إذا استرخت

. . . .

شفتُة ، وذكره الأميرُ ابن ما كولا عن أبى عبدة النَّسَّابة فقال فيه : هَدْل بسكون الدال .

وذكر فيه بن التَّوْمان على وزن فعلان ، كأنه من لفظ التُّوَم(١) ، وهو الدُّرُّ أو نحوه .

وفيه ابن السِّبِط بكسر السين ، وفيه ابن تَنْخُوم بفتح التاء وسكون النون والحاء المهملة ، وهو عِبْرانىٌّ ، وكذلك عازَر وعِزْرى بكسر العين من عِزرى .

وقاهث ، وبالتاء المنقوطة باثنتين . وهكذا وقع فى نسخة الشيخ أبى بحر . وفى غيرها بالثاء المثلثة ، وكلها عِبْرَانيةٌ . وكذلك إسرائيل، وتفصيله بالعربية : سَرِىُّ الله .

وقوله فى شعر خالد بن عبد الْعُزَّى:أصحا أم قد نهى ذُكَرَه(٢) . الذُّكَرُ:

(١) مفردة: تومة بضم التاء وفتح الميم، والجمع توم، بضم التاء وسكون الواو أو فتحها.

(٢) الذكر بكسر الذال، والذكرى والذكر بضم الذال ضد النسيان، وفى الشافية عن جمع ما آخره ألف التأنيث :وتكسيره على ضربين. الأول:أن يجمع الجمع الأقصى وذلك إذا اعتد بالألف،فيقال فى المقصورة فعال: وفعالى ـ بفتح الفاء ـ فى الاسم كدعاو ودعاوى، وفى الصفة : فعالى ـ بفتح الفاء واللام ـ بالألف لا غير كحبالى وخنائى : والثانى أن يجمع على فعال ـ بكسر الفاء ـ كإناث وعطاش وبطاح وعشار فى أنثى وعطشى وبطحاء وعشراء ـ بضم العين وفتح الشين ـ ، وإنما يجىء هذا الجمع فيما لا يجىء فيه الجمع الأقصى ، فلما قالوا : إناث لم يقولوا : أناثى . ولما قالوا : خنائى لم يقولوا : خناث ، ورد فى اللسان والقاموس : أناثى وخناث ، وكان الأصل فى هذا الباب الجمع الأقصى اعتدادا بألف التأنيث للزومها ، فتجعل كلام الكلمة ، =

رفع
المستهم
عز الله له طالدة

. . . .

جمعُ ذُكْرَة . كما تقول : بُكْرة وبُكَر ، والمستعمل فى هذا المعنى ذكرى بالألف ، وقلما يجمع فعلى على فُعَل ، وإنما يجمع على فِعال ، فإن كان أراد فى هذا البيت جمع : ذِكرى ، وشبَّه ألفَ التأنيث بهاء التأنيث ، فله وَجْهٌ : قد يحملون الشيء على الشيء إذا كان فى معناه .

وقوله : ذكرُكَ الشبابَ أَوْعُصُرَه ، أراد : أو عَصْره . والعَصْر والعُصُر لغتان . وحركَ الصَّاد بالضم (١) قال ابن جنى : ليس شَيْءٌ على وَزْن فَعْل بسكون العين ، يمتنع فيه فُعُل .

وقوله : إنها حربٌ رَبَاعِيَة .مِثْلُ . أى : ليست بصغيرة ولا جَذَعَة(٢).

ــوأما حذفها فى الجمع على فعال ، فنظرا إلى كون الألف علامة للتأنيث ، فيكون كالتاء ، فيجمع الكلمة بعد إسقاطه ، كما فى التاء ، فيجعل نحو: عطشى وبطحاء وأنثى كقصعة وبُرْمة ، فيكون عطاش وبطاح وإناث كقصاع وبرام » ص ١٥٨ وما بعدها جـ ٢ شرح الشافية .

(١) العصر مثلثة العين وبضمتين : الدهر ، وجمعها : أعصار وعصور وأعصر وعصر بضمتين . ويقول ابن مالك فى كتابه « الإعلام بمثلث الكلام »

والقزُّ ذوُ تَقَزُّزٌ والدهر   يقال فيه عُصر أو عصر

والعِصْر مَرْوِىٌّ كذاك العَصْر   ثم الصوان محفظ الثياب

(٢) الجذعة قبل الثنىّ ، والثنى التى ألقت ثنيَّتها فى السنة الثالثة إذا كانت من ذات الظلف والحافر ، وفى السنة السادسة إذا كانت من ذات الخف. والعوان : النصف فى سنها من كل شىء ، والعوان من الحرب: التي قوتل فيها مرة بعد مرة كأنهم جعلوا الأولى بكرا .

. . . .

بل : هى فوق ذلك ، وضُرِب سن الرَّباعِيَة مَثَلاً ، كما يقال : حرب عَوَان لأن العَوان أقوى من الفَتيَةِ وأدرَبُ .

وقوله : غَدَوْا مع الزُّهَرَة . يريد : صَبَّحْهم بغَلَسٍ قبل مغيب الزُّهَرَة[1] .

وقوله : أبدانُها ذَفِرة ، يعنى : الدُّروعَ . وذَفِرة من الذَّفَر . وهى . سُطوع الرائحة طيبةً كانت ، أو كريهةً[2] وأما الدَّفْر ، بالدال المهملة ، فإنما هو فيما كره من الروائح ، ومنه قيل للدنيا : أمُّ دَفْر ، وذكره القالى فى الأمالى بتحريك الفاء ، وغلط فى ذلك ، والدَّفْرُ بالسكون أيضاً : الدفع[3] .

وقوله: أم النَّجَرة . جمع ناجر، والناجر والنجار: بمعنى واحد، وهذا كما قيل: المناذرة فى بنى المُنذِر والنجار ، وهم : تيْم الله بن ثَعلَبَة بن عَمْرو بن الخَزْرَجِ ، وسُمّى النجار ؛ لأنه نَجَرَ وَجْهَ رجل بقدوم فيما ذَكَر بعضُ أهل النسب[4] .

---

(١) الغلس بفتحتين : ظلمة آخر الليل ، والزهرة بضم الزاى وفتح الهاء كوكب شديد اللمعان .

(٢) ومن معانى الذفر أيضا بالذال مع فتح الفاء : الصُّنان ، رجل ذفر بكسر الفاء أى : له صنان ـ بضم الصاد وفتح النون ـ وخبث ريح .

(٣) وبالتحريك : وقوع الدود فى الطعام والدُّلُّ والنَّتَن . ويقال للدنيا : أم دفار أيضا .

(٤) فى الاشتقاق لابن دريد «من قبائل الخزرج : تيم الله بن ثعلبة وهو النجار سمى النجار؛ لأنه ضرب رجلا فنجره أى : قطعه . فمن بنى النجار المنذر بن حرام ابن عمرو الذى تحاكمت إليه الأوس والخزرج فى حربهم ، وهو جد حسان بن ثابت بن المنذر» ص ٤٤٨ ومابعدها ، وفى الإنباه لابن عبد البر : «وأما الخزرج فمن بطونهم : النجار، واسمه : تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج ، وفى النجار بطون كثيرة» ص ١١٠ وما بعدها .

رفع المسهم

بل بنى النجّار إنّ لنا فيهمُ قتلى ، وإنّ تِرَه
فتلقَّتهم مُسَايِفَةَ مدُّها كالغَبِيـة النَّثِره
فيهمُ عَمْرو بن طَـلَّةَ مَـأّـى الإلهُ قومَه عُمُرَه
سَيِّدٌ سامِي الملوكَ ومَنْ رامَ عَمْرا لا يكن قدَرَه

وقوله : فيهم قَتْلى وإنَّ تِره. أظهر إن بعد الواو . أراد: إن لنا قَتْلى وَتِرَةً، والتِّرة : الْوِتْرُ ، فأظهر المضمَر ، وهـذا البيت شاهد على أن حُروف العطف يُضْمَر بعدها العامل المتقدِّم نحو قولك : إن زيدا وعَمْراً فى الدار ، فالتقدير : إن زيدا ، وإن عمرا فى الدار ، ودلَّت الواو على ما أردت ، وإن احتجتَ إلى الإظهار أظهرتَ ؛ كما فى هذا البيت إلاّ أن تـكونَ الواوُ الجامعة فى نحو اختصم زيد وعَمْرو ، فليس ثَمَّ إضمار لقيام الواو مقامَ صيغةِ التثنية ، كأنك قلت : اختصم هذان ، وعلى هذا تقول : طلع الشمس والقمر ، فتغلِّب المذكَّر ، كأنك قلت : طلع هذان النيران ، فإن جعلتَ الواو ، هى التى تُضْمِر بعدها الفعلَ ، قلتَ : طلعت الشمسُ والقمرُ ، وتقول فى نفى المسْئلة الأولى : ما طلع الشمسُ والقمر ، ونفى المسئلةِ الثانية : ماطلعت الشمس ، ولا القمرُ تعيد حرف النفى . لينتفى به الفعل المضمرَ . ويتفرع من هذا الأصل فى النحو مسائل كثيرة ، لا نُطَوِّلُ بذكرها .

وقوله : فتلقتهم مُسايفة بكسر الياء أى كتيبة مسايفة . ولو فتحت الياء ، فقلت : مسايَفة لـكان حالا من المصدر التى تـكون أحوالا مثل : كلمته مُشَافَهة ، ولعل هذه الحال أن يكون لها ذكر فى الـكتاب ، فنـكشف عن سرها ، ونبين ما خفى على الناس من أمْرِها ، وفى غير نسخة الشيخ : فَتَلَقَّتْهُمْ

مُسابقةً بالباء والقاف . والغَبْيَةُ : الدَّفْعَةُ من المطر(١) .

وقوله : النَّثِرة أى : المُنتثرة ، وهى التى لا تُمْسِك ماء . وقوله : [مَلِّ] الإله من قولهم : تَمَلَّيْتُ حيناً أى : عشت معه حيناً ، وهو مأخوذ من المَلاوَةِ والمَلَوَيْنِ(٢) قال ابن أحمر :

ألاَ يا ديارَ الحىِّ بالسَّبُعَانِ أَمَلَّ عليها بالبلى المَلَوَان

ألاَ يا ديارَ الحىِّ لا هَجْرَ بيننا ولا كُنَّ روعات من الحَدَثَانِ

نهارٌ وليلٌ دائبٌ مَلَوَاهما على كُلِّ حالِ الناسِ يختلفان(٣)

---

(١) وأيضا : الصب ، الكثير من الماء والسياط ، ومن التراب ما سطع من غباره كالغبياء ومسايفة بكسر الياء قوم يتقاتلون بالسيوف ، ومسايفة بفتحها فعناه : مقاتلة يعنى المصدر « الخشنى » .

(٢) ملاه الله العيش وأملاه ، وملاّك الله حبيبك : أمتعك به وأعاشك معه طويلا ، وتملى عمره : استمتع فيه ، وتملى إخوانه : متع بهم ، وتملى العيش أمهل له وطول . والملاوة مثلثة الميم : مدة العيش . والملوان : الليل والنهار أو طرفاهما الواحد : ملا . وتنسب الأبيات إلى ابن مقبل .

(٣) السبعان لم يأت على فَعُلان سواها ، وهى موضع فى ديار بكر أو ديار قيس ، وأمل : دأب ولازم . الحدثان : الليل والنهار ونوائب الدهر وحوادثه . هـــذا والقصيدة التى شرحها السهيلى توجد فى ص ١٠٦ ج ٢ من الطبرى طبع المعارف ، وبينها وبين ما فى سيرة ابن هشام اختلاف . فى البيت الأول مثلا : انتهى فى الطبرى بدلا من قد نهى . والبيت الرابع هكذا فى الطبرى .

فسلا عمران أو فسلا أسداً إذ يغدو مع الزهرة

والبيت التاسع فى السيرة غير موجود فى الطبرى . الخ

وهذا الحىّ من الأنصار يزعمون أنه إنما كان حنق تُبَّع على هذا الحىّ مِنْ يهود الذين كانوا بين أظْهُرِهِم، وإنما أراد هلاكهم ، فمنعوهم منه، حتى انصرف عنهم ، ولذلك قال فى شعره :

حَنقا على سِبْطَيْن حَــــلاَّ يثربا أَوْلى لهم بعقــــاب يوم مُفْسِدِ

قال ابن هشام : الشعر الذى فيه هذا البيت مصنوع ، فذلك الذى منعنا من إثباته .

معنى قول الشاعر : دائبٌ ملواهما . والْمَلَوَانِ : الليل والنهار . وهو مُشْـكل ؛ لأن الشىء لايضاف إلى نفسه . لـكنه جاز هٰهنا لأن الْمَلاَ هو : المتَّسَعُ من الزمان والمـكان ، وسمى الليل والنهار : مَلَوَيْن ، لا نفساحهما ، فـكأنه وَصْف لهما ، لا عبارة عن ذاتيهما ؛ ولذلك جازت إضافته إليهما ، فقال : دائب ملواهما أى : مداهما وانفساحهما . وقد رأيت معنى هذا الـكلام فى هذا البيت بعينه لأبى علىٍّ الفسوى فى بعض مسائله الشيرازية .

وقوله : لا يَــكُن قَدرَهَ . دعاء عليه : والهاء عائدة على عَمْرٍو . أراد لا يكن قَدَر عليه . وحذف حرف الجر ، فتعدَّى الفعل ، فنصب ، ولا يجوز حذف حرف الجر فى كل فعل ، وإنما جاز فى هذا ، لأنه فى معنى : استطاعَه ، أو أطَاعه ، فحُمل على ما هو فى معناه ، ونظائره كثيرة ، والبيت الذى أنشده :

ليتَ حَظِّى من أبى كَرِبٍ (١) أنْ يَسُدَّ خَيْرُه خَبَلَه

---

(١) هو ابن ملك كرب يهأمن الذى كان على اليمن سنة ٣٧٨ للميلاد ، وقد تولى أبو كرب الملك من سنة ٤٠٠ بعد الميلاد حتى حوالى سنة ٤٢٥ أو ٤٢٠ =

تبان يعتنق النصرانية ويدعوا قومه إليها :

قال ابن إسحاق : وكان تُبَّع وقومه أصحاب أوثان يعبدونها ، فتوجَّه إلى مكة ، وهى طريقه إلى اليمن ، حتى إذا كان بين عُسفان ، وأمج ، أتاه نفر من هُذَيل بن مُدْرِكة بن الياس بن مضر بن نزار بن معدّ ، فقالوا له : أيها الملك ، ألاندلك على بيت مال داثر، أغفلته الملوك قبلك، فيه اللؤلؤ والزَّبَرْجَد والياقوت والذهب والفضة ؟ قال : بلى ، قالوا : بيت بمكة يعبده أهلهُ ، ويصلون عنده . وإنما أراد الْهذَلِيُّون هلاكه بذلك ، لما عرفوا من هلاك مَنْ أراده من الملوك وبَغَى عنده . فلما أجمع لما قالوا ، أرسل إلى الْحَبْرَيْن ، فسألهما عن ذلك ، فقالا له:

قال الْبَرْقِيُّ : نُسب هـذا البيت إلى الأعشى ، ولم يصح قال : وإنما هو لعجوز من بنى سالم. أحبه قال فى اسمها: جميلة ، قالته حين جاء مالِك بن الْعَجْلاَن بخبر تُبَّع ، فدخل سراء فقال لقومه : قد جاء تُبَّع ، فقالت العجوزُ البيتَ .

وقوله فى حديث تُبَّع : وقومٌ يزعمون أن حَنَقَه إنما كان على هـذين السِّبْطَيْن من يهودَ يقوى ما ذكرناه قبل هذا عنه .

والشعر الذى زعم ابنُ هشام أنه مصنوع قد ذكره فى كتاب التيجان ، وهو قصيدٌ مطول أولُهُ :

ما بال عينك لاتنامُ ، كأنما   كُحِلَتْ مَآقيها بسُمّ الأَسْوَدِ

ويظهر أن عقيدة التوحيد كانت معروفة فى عهده ، وفى عهد من جاءوا بعده ، فقد ورد فى بعض النصوص أن أباه ملك كرب وابنيه « أبو كرب أسعد وإودوا أمر أيمن » قد أقاموا معبداً للاله « ذو سموى » أى إله السماء فى سنة ٣٧٨ م انظر جـ ٣ ص ١٥٢ تاريخ العرب قبل الإسلام .

. . . .

حَنقًا على سِبطَين حلاَّ يَثرِباً   أَوْلى لهم بِعِقاب يَوْم مُفسِدِ

وذكر في القصيدة ذا القرنين ، وهو الصَّعْبُ بن ذى مَرَاثِد ، فقال فيه :

ولقد أذل الصعب صَعْب زمانه   وأناط عُرْوَةَ عزِّه بالفَرْقَدِ

لم يدفع ٱلمَقْدُورَ عنه قُوَّةٌ   عند ٱلمَنُونِ ، ولا سموّ ٱلمَحْتِدِ

والصنعة بادية فى هذا البيت ، وفى أكثر شعره ، وفيه يقول :

فأتى مغارَ الشمس عند غُروبها   فى عَيْن ذى خُلُبٍ وَثَأْط حَرْمَد(١)

والخُلُبُ : الطينُ ، والثَّأْط الحَرْمَدُ : وهو الحَمَأُ الأسود . وروى نقلة الأخبار أن تُبَّعًا لما عمد إلى البيت يريد إخرابه رمى بداء تمخَّض منه رأسُه قيحًا وصديدًا يَثُجُّ ثَجًّا ، وأنْتَن ، حتى لا يستطيع أحدٌ أنْ يدنو منه قِيدَ الرُّمح ، وقيل : بل أرسلت عليه ريح كَتَّعَتْ منه يديه ورجليه ، وأصابتهم ظلمة شديدة حتى دَفَّتْ خيلَهم(٢) ، فسمى ذلك المكانُ : الدُّفّ ، فدعا بالحُزَاة(٣) والأطباء ، فسألهم عن دائه ، فهالهم ما رأوا منه ، ولم يجد عندهم فَرَجا . فعند ذلك قال له الحبرْانِ : لعلك هممت بشىء فى أمر هذا البيت ، فقال : نعم أردت هَدْمه .

---

(١) القصيدة بطولها فى الطبرى ص ١٠٩ جـ ٢ المعارف وليس فيها « ولقد أذل الصعب » وما بعده . وهى ثلاثة وعشرون بيتا

(٢) دف الشىء نسفه واستأصله .

(٣) جمع حازى وهو الكاهن أو الذى ينظر فى النجوم ويقضى بها .

رفع
المسامر

ماأراد القومُ إلا هلاكَك وهلاكَ جندك . ما نعلم بيتا لله اتخذه فى الأرض لنفسه غيرَه ، ولئن فعلت مادَعَوْكَ إليه، لتهلكنّ، وليهلكنّ من معك جميعا، قال: فماذا تأمرانني أن أصنع إذا أنا قدمت عليه؟ قالا : تصنع عنده مايصنع أهله : تطوف به وتعظِّمه وتكرّمه ، وتحلق رأسك عنده وتذِلّ له ، حتى تخرج من عنده ، قال : فما يمنعكما أنتما من ذلك؟ قالا: أما والله إنه لبيتُ أبينا إبراهيم،وإنه لكما أخبرناك، ولكنّ أهلَه حالوا بيننا وبينه بالأوثان التى نصبوها حولَه، وبالدماء التى يُهَرِيقون عنده، وهم نَجَس أهل شرك -أو كما قالا له- فعرف نصحَهما وصِدْقَ حديثهما فقرّب النفرَ من هُذَيل ، فقطع أيديهم وأرجلَهم، ثم مضى حتى قدم مكة ، فطاف بالبيت، ونحر عنده، وحلق رأسه وأقام بمكة ستة أيام -فيما يذكرون- ينحر بها للناس ، ويُطعم أهلها، ويسقيهم العسل، وأُرى فى المنام أن يكسوَ البيتَ، فكساه الخَصَفَ

فقالا له : تُب إلى الله مما نَوَيت فإنه بيت الله وحرمه ، وأمراه بتعظيم حُرمته ففعل فبرىء من دائه ، وصَحَّ من وَجَعِه . وأَخْلِقْ بهذا الخبر أن يكون صحيحا فإن الله - سبحانه- يقول : « وَمَنْ يُرِدْ فيه بإلحاد بظلم نُذِقْهُ مِنْ عذاب أليم » الحج : ٢٥ . أى : ومن يُسْهِم فيه بظلم . والباء فى قوله : بظلم تدل على صحة المعنى ، وأن مَنْ هَمّ فيه بالظلم - وإن لم يفعل - عُذّب تشديداً فى حقه وتعظيما لحُرمته ، وكما فعل الله بأصحاب الفيل أهلكهم قبل الوصول إليه .

وقوله : فكسا البيتَ الخَصَف . جَمْعُ : خَصَفَة ، وهى شىء ينسج من الخوص والليف ، والخَصَفُ أيضاً : ثيابٌ غلاظ . والخَصَفُ لغــة فى الخَزَف فى كتاب العين . والخُصْف بضم الخاء وسكون الصاد هو : الجوْز . ويروي أن تُبّعاً لما كسا البيتَ المسوح والأنطاع . انتفض البيتُ فزال ذلك عنه ، وفعل ذلك حين كساه الخَصف ، فلما كساه المُلاَءَ والوصائل قَبِلها .

ثم أُرِىَ أن يكسوه أحسن من ذلك ، فكساه المَعافر ، ثم أُرِىَ أن يكسوه أحسن من ذلك، فكساه المُلاء والوصائل، فكان تُبَّع - فيما يزعمون - أول من كسا البيت ، وأوصى به وُلاتَه من جُرْهم ، وأمرهم بتطهيره وألاَّ يُقرّبوه دما ، ولا ميتة ، ولا مئلات ، وهى المحايض ، وجعل له بابا ومفتاحا ، وقالت سُبَيعة بنت الأحَبّ ، بن زَبينة ، بن جذيمة ، بن عوف ، بن معاوية ، بن بكر، بن هَوازِن، بن منصور ، بن عِكرِمة، بن خَصَفة بن قيس بن عَيلان وكانت عند عبد مناف ، بن كعب ، بن سعد ، بن تَيْم ، بن مُرّة ، بن كعب بن لؤىّ ، بن غالب ، بن فِهر، بن مالك ، بن النضر، بن كنانة ، لابنٍ لها منه يقال له : خالد : تُعَظِّم عليه حُرْمة مكة ، وتنهاه عن البغى فيها ، وتذكر تُبَّعا وتَذَلُّلَه لها ، وما صنع بها :

وممن ذكر هذا الخبرَ : قاسم فى الدلائل . وأما الوصائل فثيابٌ موصلة من ثياب اليمن . واحدتُها : وِصيلة (١) .

---

(١) لاريب فى أن ماتقدم حديث خرافة . وقد تحدث عن هذا الخَرَفِ الأزرقى وصاحب مثير الغرام ، وقد روى أحاديث كسوة الكعبة غير من تقدم الواقدى وسعيد بن منصور ، وهى أحاديث واهية ، ولكن أخرج مالك عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه كان يجلل بدنه القباطىَّ والأنماط والحلل ، ثم يبعث بها إلى الكعبة ،القباطى جمع قُبْطيةٍ ، وهو ثوب رقيق أبيض من ثياب مصر كأنه منسوب إلى قبط بكسر القاف ، والضم من تغيير النسب ، والأنماط مفردها : نمط : ضرب من البسط ، والوصائل : ثياب حمر مخططة يمانية يوصل بعضها إلى بعض والمسوح : جمع مسح بكسر الميم : الكساء من شعر والأنطاع : جمع نطع بكسر النون وفتحها وبتسكين الطاء وفتحها: بساط من الجلد. والمعافر بفتح الميم اسم بلد ، واسم أبى حى من همدان وإلى أحدهما تنسب الثياب المعافرية ، والملاء : =

. . . .

وقوله : ولا تقربوه بمثلاتٍ ، وهى : الحائض . لم يُرِدِ النساء الْحُيَّضَ ؛ لأنَّ حائضا لا يجمع على محائض (١) ، وإنما هي جمع مَحِيضة ، وهى خِرْقة المحيض ، ويقال للخرقة أيضا : مئلاة ، وجمعها : المـآلى قال الشاعر :

كأن مُصَفَّحَاتٍ فى ذُرَاهُ وأنواحاً عليهن المـآلى (٢)

وهى هنا خِرَقٌ تمسكهن النواحات بأيديهن ، فكأن المئلاتُ كلّ خِرْقةٍ دَنِسةٍ لحيضٍ كانت ، أو لغيره وَزْنُها مِفْعَلَة من ألَوْتُ : إذا قصَّرت وضيَّعت ، وجعلها صاحب العين فى باب الإلْيَة والأَلْيَة ، فلام الفعل عنده ياء على هذا ، والله أعلم ، ويروى فى هذا الموضع : مثلاثاً بثاء مثلثة ، ومن قوله حين كسا البيت :

ـــــــــــــــــــ

= الرَّيطة ذات لفقين ، أو الملحفة على أنه ورد أن الكعبة كانت تكسى فى الجاهلية كسى شتى من البرود المخططة ، ومن عصب اليمن ، وهي برود يمنية ، وقيل إن نتيلة بنت جناب أم العباس بن عبد المطلب كستها الحرير والديباج ، وكان المـأمون يكسوها ثلاث مرات ، فيكسوها الديباج يوم التروية ، والقباطى يوم إهلال رجب ، والديباج الأبيض فى اليوم السابع والعشرين من رمضان وذلك سنة ٢٠٦ ، وليت من يقيمون كسوتها يقيمون مناسك الله سبحانه . (١) فى القاموس المرأة تحيض حيضا ومحيضا ومحاضا فهى حائض وحائضة وجمها : حوائض : وحيض بضم الحاء وتشديد الياء مع فتح والحيضة الخرقة ، وكذلك المحيضة .

(٢) البيت للبيد يصف سحابا ، والمصفحات : السيوف ، ومن رواها بكسر الفاء ، فهى النساء . شبه لمع البرق بتصفيح النساء إذا صفقن بأيديهن .

أبُنَيَّ : لا تظلِم بمكّةَ لا الصغيرَ ولا الكبيرْ
واحفظ محارمَها بُنَيَّ ولا يغرنْك الغَرورْ
أبُنَيَّ : من يظلم بمكَّة يلق أطرافَ الشُّرورْ
أبُنيّ : يُضرَبْ وجهُه ويلُحْ بخدّيه السعيرْ
أبُنيّ : قد جرّبْتُها فوجدتُ ظالمها يبور
اللهُ أمّنها ، وما بُنِيت بعرْصَتها قُصورْ
ولقد غزاها تُبَّع فكسا بَنِيَّتَها الحَبير
وأذلّ ربى مُلْكَه فيها فأوْفى بالنّذُورْ
يمشى إليها — حافيا بفنائها — ألفا بَعيرْ
يَسْقيهمُ العسلَ المُصفّى والرّحيضَ من الشعيرْ
والفيل أُهلك جَيْشه يُرْمَوْنَ فيها بالصخورْ
والملْك فى أقصى البلاد وفى الأعاجم والخزير
فاسمع إذا حُدّثتَ ، وافهم كيف عاقبة الأمورْ

وكَسَونا البيتَ الذى حرّمَ اللهُ مُلاءً مُعَضَّدًا وبرودا
فأقمنا به من الشهر عشراً وجعلنا لبابه إقْليدا
ونحرنا بالشِّعب ستّةَ ألفٍ فترى الناسَ نحوهن ورودا
ثم سرنا عنه نؤمُّ سُهَيلاً فرفعنا لواءنا معقودا (١)

---

(١) هو من الشعر المنحول، ولهذا أضرب عن ذكره ابن هشام . والمُلاءُ المعضَّد : الذى له علامة فى موضع العضد . وقد تقرأ منعضد، أى: بعضه فوق بعض منسقا . والبرود : نوع من الثياب المخططة . والإقليد : المفتاح. والشعب بكسر

وقال القُتَيبِىُّ ، كانت قصة تُبَّع قبل الإسلام بسبعمائةِ عامٍ (١) .

وقوله بنت الأحَبّ بالحاء المهملة ابن زَبِينَةَ : بالزاى والباء والنون : فَعِيلة من الزَّبْن(٢)، والنسب إليه زَبَانِىٌّ على غير قياسٍ . ولو سُمِّى به رجلٌ لقيل فى النسب إليه . زَبَنِىٌّ على القياس . قال سيبويه : الأَحب بالحاء المهملة . يقوله أهل النسب ، وأبو عُبَيْدة يقوله بالجيم ، وإنما قالت بنت الأحب هذا الشعرَ فى حربٍ كانت بَيْن بنى السَّبَّاقِ بن عبدالدار ، وبين بنى على بن سَعْد بن تَمِيم حتى تَفَانَوْا . ولحقت طائفة من بنى السباق بعكَّ . فهمُ فيهم . قال : وهو أول بَغْيٍ كان فى قريش . وقد قيل: أول بغى كان فى قريش(٣) بغى الأقايِش ، وهم بنو أُقَيْش من بنى سَهْم ، بغى بعضُهم على بعض ، فلما كثر بغيهم على الناس أرسل الله

=الشين: الطريق فى الجبل، أوما انفرج بين جبلين ، وهو اسم لماء بين العقبة والقاع فى طريق مكة على ثلاثة أميال .

(١) كان قبله بأقل من ذلك بكثير كما سبق بيانه

ملحوظة : تذكر هنا معانى بعض كلمات قصيدة سبيعة : يبور : يهلك . عرصة : ساحة الدار ، والبقعة الواسعة بين الدور لابناء فيها . العصم جمع أعصم ، وهو فى الأصل كل حيوان فى ذراعيه ، أو أحدهما بياض وسائره أسود أو أحمر . ويعنى الظباء والوعول . ثبير : جبل بمكة . بنية : تعنى الكعبة . المهارى : نوع جيد من الإبل نسبة إلى مهرة بن حيدان . والجزور مايصلح لأن يذبح من الإبل. الرحيض : المنقى المصفى : الخزير هى أمة من العجم يقال لهم : الخزر . وكلمة ذرهم التى فى حديث تبع : حضهم وشجعهم

(٢) الدفع .

(٣) فى الاشتقاق : وكان بنو السباق أول من بغى بمكة فأهلكوا .

قال ابن هشام : يوقف على قوافيها لا تعرب

« أصل اليهودية باليمن » :

ثم خرج منها متوجها إلى اليمن بمن معه من جنوده وبالحَبْرَيْنِ حتى إذا دخل اليمن دعا قومه إلى الدخول فيما دخل فيه ، فأبَوْا عليــه ، حتى يحا كموه إلى النار التى كانت باليمن .

قال ابن إسحاق : حدثنى أبو مالك بن ثعلبه بن أبى مالك القُرَظىّ ، قال: سمعت إبراهيم بن محمد بن طلحه بن عبيد الله يحدّث : أن تُبَّعا لمّا دنا من اليمن ليدخلها حالت حِمْيَرُ بينه وبين ذلك ، وقالوا : لا تدخلها علينا ، وقد فارقت دينَنا

عليهم فأرةٌ تحمل فَتيلَةً ، فأحرقت الدار التى كانت فيها مساكنُهم ، فلم يَبق لهم عَقِبٌ .

كسوة الكعبة:

وقولها : وكسا بَنِيَّتها الحَبِير . تريد : الحِبَرَاتِ[1] والرحيضُ من الشعير أى المُنَقَّى والمصفى منه ، وقال ابن إسحاق فى غير هذا الموضع : أول من كسا الكعبة الديباجَ : الحجاجُ ، وذكر جماعةٌ سواه منهم الدَّارَقُطْنِيّ . فُتَيْلَة بنت جَنَاب أم العباس بن عبد المطلب . كانت قد أضلّت العباسَ صغيرا ، فنزرت : إن وجدته أنْ تكسوَ الكعبةَ الديباجَ ، ففعلت ذلك حين وجدته . وكانت من بيت مملكةٍ ، وسيأتى ذكر نسبها فيما بعدُ — إن شاء الله .

---

(١) جمع حبرة بكسر ففتح ما كان من البرود مخططا .

دينَنا ، فدعاهم إلى دينه وقال : إنه خير من دينكم ، فقالوا : فحا كِمْنا إلى النار قال : نعم . قال : وكانت باليمن ـ فيما يزعم أهل اليمن ـ نار تحكم بينهم فيما يختلفون فيه ، تأكل الظالمَ ولا تضرّ المظلوم، فخرج قومه بأوثانهم ومايتقرّبون به في دينهم ، وخرج الحَبْران بمصاحفهما في أعناقهما متقلّدَيْها ، حتى قعدوا للنار عند مخرجها الذى تخرج منه ، فخرجت النار إليهم ، فلما أقبلت نحوهم حادوا عنها وهابوها ، فذَمَّرهم مَنْ حضرهم من الناس ، وأمروهم بالصبر لها ، فصبروا حتى غَشِيَتْهم، فأكلت الأوثانَ وما قرّبوا معها ، ومَنْ حمل ذلك من رجال حِمْير ، وخرج الحَبْران بمصاحفهمافى أعناقهما تَعْرَق جباههما لم تضرّهما،فأصفقت عند ذاك حمير على دينه ، فمن هنالك ، وعن ذلك كان أصل اليهودية باليمن .

قال ابن اسحاق : وقد حدثنى محدّث أن الحَبْرين ، ومَنْ خرج من حمير ، إنما اتبعوا النار ، ليردّوها ، وقالوا : من ردها فهو أولى بالحق ، فدنا منها رجال من حمير بأوثانهم ليردوها فدنت منهم لتأكلهم ، فحادوا عنها ولم يستطيعوا ردّها ، ودنا منها الحَبْران بعد ذلك، وجعلا يتلوان التوراة وتنكص عنهما، حتى ردّاها إلى مخرجها الذى خرجت منه ، فأصفقت عند ذلك حمير على دينهما . والله أعلم أىّ ذلك كان .

وقال الزبير النسّابة : بل أول من كساها الدّيباج عبدُ الله بن الزُّبير(١) .

---

(١) وذكر الواقدى أن أول من كساها الديباج هو يزيد بن معاوية ، واتبع ابن الزبير أثره ، وكان يبعث إلى مصعب بن الزبير بالكسوة كل سنة ، فكان يكسو يوم عاشوراء .

رفع
المسهم
عز الله لطف الله

« مصير رئام » :

قال ابن اسحاق: وكان رئام بيتا لهم يعظّمونه، وينحرون عنده، ويكلّمون منه، إذ كانوا على شركهم، فقال الحَبْران لتُبَّع: إنما هو شيطان يفتنهم بذلك فخلّ بيننا وبينه، قال: فشأنكما به، فاستخرَجا منه - فيما يزعم أهل اليمن - كلبا أسود فذبحاه، ثم هدما ذلك البيت، فبقاياه اليوم - كما ذُكر لى - بها آثار الدماء التى كانت تُهْرَاق عليه

رئام :

وذكر البيت الذى كان لهم يقال له: رِئام، وهو فِعال من رَئِمت الانثى ولدها تَرْأمُه رِئْمًا ورِئَامًا: إذا عطفت عليه ورحمته. فاشتقوا لهذا البيتِ اسما لموضِع الرحمة التى كانوا يلتمسون فى عبادته، والله أعلم.

وفى رواية يونس عن ابن إسحاق أن رِئاما كان فيه شيطان، وكانوا يَمْلئون له حياضا من دماء القربانِ، فيخرج فيصيب منها، ويكلمهم، وكانوا يعبدونه، فلما جاء الْحَبْران مع تُبَّع نشرا التوراةَ عنده، وجعلا يقرآنها؛ فطار ذلك الشيطانُ حتى وقع فى البحر (١).

(١) فى اللسان والقاموس: مصدر رئم هو رأم بوزن ضرب ورأمان، ورئمان بكسر فسكون، ومرة أخرى: يردد حديث خرافة ولا أدرى كيف كانت تجوز على السهيلى وأمثاله. على أن هذا البيت كان مخصصا لإله قبيلة همدان المعروف بتالب حتى عرف « تألب ريام » ويقول البكرى فى معجمه أنه سمى برئام بن نهفان بن تبع بن زيد بن عمرو بن همدان وأحب أن أشير هنا إلى الخطأ الفاحش الذى يتردى فيه الكاتبون عن الأديان، فاليهودية ليست دينا إلهيا، إنما هي دين

رفع المسبهم

. . . .

لغة ونحو : وقوله فى حديث عَمْرو أخى حسان وهو الذى كان يقال له : مَوْثبَان(١) وقد تقدم : لِمَ لُقِّب بذلك . وقول ذِى رُعَيْن له فى البيتين :

ألاَ مَنْ يشترى سهراً بنوم سَعيدٌ مَنْ يبيت قرير عَيْن (٢)

معناه : أمَنْ يَشْترى ، وحَسُن حَذْف ألِف الاستفهام هٰهنا لتقدم همزةِ ألا . كما حَسُن فى قول امرىء القيس : أحَارِ ترَى بَرْقاً أريكَ وَميضَه . أراد : أترى وفى البيت حَذْفٌ تقديرُه : بل مَنْ يبيت قرير عين هو السعيد . فحذف الخبر لدلالةِ أول الكلام عليه . وفى كتاب ابن دريد : سَعيدٌ أمْ يَبيت بحذف مَنْ ، وهذا من باب حذف الموصوف ، وإقامة الصفه مقامه : لأن من ههنا نكرة موصوفة ، ومثله قول الراجز :

لو قلت ما فى قَوْمِها لم تأثم يَفْضُلهـــا فى حَسَبٍ ومِيسَم

أى : من يَفْضُلها ، وهذا ، إنما يوجد فى الكلام إذا كان الفعل مضارعاً لا ماضياً ، قاله ابن السراج وغيرُه .

= وضعى افترى أكثرهُ أحبار اليهود ، ومزجوه ببعض شرع الله المنزل فى التوراة ، أما دين موسى فهو الإسلام . ومن تاريخ اليهود فى اليمن يبدو أنهم كانوا ذوى مال وفير سيطروا به على الحياة الاقتصادية فى اليمن على المواضع الحساسة فى جسم الدولة ، وعلى الملوك ص ١٤٣ جـ ٣ تاريخ العرب قبل الإسلام .

(١) فى الطبرى : لأنه وثب على أخيه حسان بفُرْضَة نُعْم . فقتله — قال : وفرضة نعم : رحبة طوق بن مالك ، وكانت نعم سرية تبع حسانَ بن أسعد . ص ١١٧ جـ ٢ الطبرى .

(٢) البيتان فى الاشتقاق ص ٥٢٥ وفى الطبرى أيضا حـ ٢ ص ١١٦ .

. . . .

وذُو رُعَيْنٍ تصغيرُ رَعْن ، والرَّعْنُ : أنفُ الجبل ، ورُعَيْن جبَل باليمن (١) قاله صاحب العين ، وإليه يُنسب ذُو رُعَيْن .

وقوله فى الأبيات بعد هذا : لاهِ مَن رأى مثل حَسَّان (٢) أراد لله وحذف لامَ الجرِّ واللامَ الأُخرى مع ألف الوصل ، وهذا حذف كثير . ولكنه جاز فى هذا الاسم خاصةً لكثرة دوره على الألسنة . مثل قول الفراء : لَهِنَّكَ مِنْ بَرقٍ علىَّ كريم (٣) . أراد : والله إنَكَّ . وقال بعضهم : أراد لأنَّك وأبدل الهمزة

---

(١) فى الاشتقاق : والرَّعن : أنف الجبل النادر حتى يستطيل فى الأرض ، وفى المراصد ، أنها تصغير لرُعْن بضم الراء ، وهى مخلاف من مخاليف اليمن ، واسم قصر عظيم باليمن ، وجبل بها فيه حصن سمى ذورُ عَين .

(٢) فى الطبرى : إن لله من رأى مثل حسان الخ . وقتلته الأقيال من خشية الجيش وقالوا له : َلباب لباب ، وبقية الخبر فى الطبرى أن عمرو بن تبان سعد قتل أكثر الذين أمروه بقتل أخيه حسان ونسب إليه قصيدة مطولة ص ١١٦ ج ٢ . وفى جمهرة أنساب العرب ص ٤٠٦ أن اسم ذى رعين : يريم بن زيد بن سهل بن عمل بن قنس .

(٣) ومنه قول ذى الإصبع العدوانى وهو حرثان بن الحارث بن محرث :

لاه ابن عمك لا أفضلتَ فى حَسب عنى ، ولا أنت ديانى فتخزونى

معناه: لله ابن عمك. فإنه مثلك فى الحسب ورفعة الأصل وما لك من فضل تفخر به عليه ولست وليا لأمره مدبرا لشئونه ، حتى تقوم بإذلاله . وأصل لاه : لله جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر مقدم ، وابن مبتدأ مؤخر . وفى الخصائص لابن جنى أنه روى بيت عن محمد بن سلمة عن أبى العباس المبرد :

ألا يا سنا برقٍ على قلل الحمى لهنّك من برق علىَّ كـريم =

رفع
المسـاهم
غفر الله له ولوالديه

. . . .

هاء . وهذا بعيد، لأن اللامَ لا تجمع مع إنّ، إلا أن تؤخَّر اللام إلى الخبر، لأنهما حرفان مؤكدان، وليس انقلاب الهمزة هاء بمُزيلٍ العلةَ المانعةَ من اجتماعهما .

المقاول :

وقوله : قتلته المقاول : يريد الأقيالَ ، وهم الذين دون التَّبابعة (١) واحدهم : قَيْل مثل سيّد ، ثم خفف واستعمل بالياء فى إفراده وجمعه ، وإن كان أصله الواو ، لأنّ معناه : الذى يقول ويُسمع قولُه ، ولكنهم كرِهوا أن يقولوا : أقوال ، فيلتبس بجمع قول ، كما قالوا : عِيد وأعياد ، وإن كان من عادَ يعُود لكن أماتوا الواوَ فيه إماتة ، كى لا يُشبه جمعَ العود ، وإذا أرادوا إحياء الواو فى جمع قيل ، قالوا : مَقاول كأنه جمع مِقْوَل ، أو جمع : مَقال ومقالة ، فلم يبعدوا من معنى القول ، وأمِنوا اللّبسَ ، وقد قالوا : محاسن ومذاكر لا واحدَ لها من لفظها ، وكأنهم ذهبوا أيضاً فى مقاول مذهب المَرازِب ، وهم ملوك العجم ، والله أعلم .

= ومثله قول عروة الرحال :

ثمانين حولا لا أرى منك راحة   لهنّك فى الدنيا لباقية العمر

وقد تكلمت عن لهنك فى موضع آخر . انظر ص ٣١٥ ج ١ الخصائص لابن جنى ط ٢ . وضبط لهنك بكسر اللام وفتح الهاء

(١) يروى الطبرى عن ابن عباس أن أهل اليمن يسمون القائد قيلا ص ٤٩١ ج ١ طبع المعارف . وفى القاموس : المقول كمنبر اللسان والملك أو من ملوك حمير يقول ما يشاء ، فينفذ ، كالقيل أو هو دون الملك الأعلى ، وأصله قيّل كفيعل سمى؛ لأنه يقول مايشاء فينفذ، جمعه: أقوال وأقيال ومقاول ومقاولة ، وفى ابن دريد ص ٤٨٠ القيل : ما كان دون الملك نفسه كأنه بعد الملك وقد سبق .

ملك حسان بن تبان وقتل عمرو أخيه له

فلما ملك ابنه حسان بن تُبان أسعد أبى كَرِب ، سار بأهل اليمن ، يريد أن يطأ به أرضَ العرب ، وأرضَ الأعاجم ، حتى إذا كانوا ببعض أرض العراق – قال ابن هشام : بالبَحْرين ، فيما ذَكَر لى بعضُ أهل العلم – كرهت حِمْير وقبائلُ اليمن المسيرَ معه ، وأرادوا الرّجعة إلى بلادهم وأهلهم ، فكلّموا أخًا له يقال له عمرو ، وكان معه فى جيشه ، فقالوا له : اقتل أخاك حسّان ، ونملّكك علينا ، وترجع بنا إلى بلادنا ، فأجابهم ، فاجتمعت على ذلك إلا ذا رُعَين الحميرىّ ، فإنه نهاه عن ذلك فلم يقبل منه . فقال ذو رُعَين :

ألا مَنْ يَشْتَرِى سَهَرًا بنوْمٍ ... سَعيدٌ مَن يبيت قريرَ عَيْنِ

فإمّا حِمْيرٌ غدرتْ ، وخانت ... فمعذرةُ الإله لذى رُعَيْنِ

ثم كتبهما فى رقعة ، وختم عليها ، ثم أتى بها عمرًا ، فقال له : ضع لى هذا الكتاب عندك ، ففعل ، ثم قتل عمرو أخاه حسّان ، ورجع بمن معه إلى اليمن . فقال رجل من حمير :

على أنهم قالوا : أقيال وأقوال ، ولم يقولوا فى جمع عيد إلا أعياد ، ومثل عيدٍ وأعيادٍ : ريح وأرياح فى لغة بنى أسدٍ ، وقد صرّفوا من القَيْلِ فعلا ، وقالوا: قال علينا فلان ، أى : مَلَك والقيالة : الإمارة ، ومنه قول النبى — صلى الله عليه وسلم — فى تسبيحه الذى رواه التّرمذى : « سبحان الذي لبس العزّ ، وقال به » . أى مَلَك به وقهر . كذا فسره الهَرَوِىُّ فى الغَرِيبين .

لاهِ عَينا الذى رأى مثل حسَّان قتيلاً فى سالف الأحقابِ
قتلته مَقاوِلٌ خشيةَ الحَبس غداةً قالوا : لبَابِ لبَابِ
ميْتُكُم خيرُنا وحَيُّكم رَبٌّ علينا ، وكُلُّكم أربابى

قال ابن إسحاق : وقوله: لباب لباب : لا بأس لا بأس ، بلغة حمير . قال ابن هشام : ويروى : لِباب لِباب .

هلاك عمرو :

قال ابن إسحاق : فلما نزل عمرو بن تُبَّان اليمنَ مُنع منه النوم ، وسُلِّط عليه السهر ، فلما جَهَدَه ذلك سأل الأطباء والحُزاة من الكُهَّان والعرَّافين عما به ، فقال له قائل منهم : إنه ماقتل رجل قطُّ أخاه ، أو ذا رَحِمه بغياً على مثل ماقتلتَ أخاك عليه ، إلا ذهب نومُهُ ، وسُلِّط عليه السهر ، فلما قيل له ذلك جعل يقتل كل من أمره بقتل أخيه حسَّان من أشراف اليمن ، حتى خلَص إلى ذى رُعَين ، فقال له ذو رُعَين : إن لى عندك براءةً ، فقال ، وما هى ؟ قال : الكتاب الذى دفعتُ إليك ، فأخرجه فإذا البيتان ، فتركه ، ورأى أنه قد نصحه. وهلك عمرو ، فَمَرِج أمرُ حِمير عند ذلك وتفرَّقوا .

(خبر لخنيعة وذى نواس)

وقال فيه ابن دريد: لَخنيعة وقال : هو من اللَّخَع، وهو استرخاء فى الجسم، وذو شناتر . الشَّنَاتِرُ : الأصابع بلغة حِمير ، واحدُها: شُنْتُرةُ ، وذُو نواس(١)

---

(١) هو من أذواء اليمن ، وقيل إنه - كما يذكر الطبرى وابن خلدون - تسمى بيوسف بعد توليه ملك آبائه ، وقد حكم - كما يقول بعض المؤرخين - من سنة ٥١٥ م حتى سنة ٥٢٥ م، وبه ختمت سلسلة ملوك حمير. أما لخنيعة ويسمى=

رفع المسابهم غفر الله له ولوالديه

(خبر لخنيعة وذى نواس)

فوثب عليهم رجل من حِمْير لم يكن من بيوت المملكة ، يقال له : لَخْنيعة ينوف ذو شَناتر ، فقتل خيارَهم ، وعبث ببيوت أهل المملكة منهم ، فقال قائل من حِمْير للخنيعة .

تُقتِّلُ أبناءها وتَنْفى سَرَاتَها ... وتبنى بأيديها لَهَا الذلَّ حِمْيَرُ
تُدَمِّرُ دُنْياها بطَيْش حُلُومها ... وماضيَّعت من دينها فهو أكثر
كذلك القُرونقبلذاك بُظلمها ... وإسرافها تأتى الشرورَ فتخسر

اسمه : زُرْعَة ، وهو من قولهم للغلام: زَرَعك اللهُ ، أى أنبتك ، وسموا بزارِع كما سموا بنابت ، وقال الله تعالى . ﴿ أأنتُمْ تزْرَعُونه أمْ نحن الزارعون ﴾ [الواقعة : ٦٤] أى: تنبتونه ، وفى مُسْنَد وكيع بن الجراح عن أبى عبد الرحمن الْجَبَلِىّ أنه كان يكره أن يقول الرجل: زَرَعت فى أرضى كذا وكذا، لأن اللهَ هو الزارع . وفى مسند الْبَزّار – مرفوعاً – إلى النبى – صلى الله عليه وسلم – النهىُ عن ذلك أيضاً ، وقد تكلمنا على وجه هذا الحديث ، فى غير هذا الإملاء فقد جاء فى الصحيح : «ما من مُسْلم يغرس غرساً، أو يزرع زرعاً» الحديث(١) وفى كتاب الله أيضاً قال: ﴿ تَزْرَعُون سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا ﴾ [يوسف:٤٧] ، وسُمِّى

= أيضا « لحيعثت ينف » لحكم من ٤٨٠ حتى ٥٠٠ م ويقال إنه كان بين لخنيعة وذى نواس معد يكرب ينعم وهو أخو لخنيعة وبعده ملك آخر هو مرثد ألن الذى وقع فى عهده هرج شديد ص ١٦٤ وما بعدها ج ٣ تاريخ العرب قبل الإسلام .

(١) بقية الحديث : « فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة » رواه البخارى ومسلم وأحمد فى مسنده والترمذى عن أنس .

رفع المسيهم

فسوق لخنيعة :

وكان لخنيعة امرأ فاسقاً يعمل عملَ قوم لوط ، فكان يُرسل إلى الغلام من أبناء الملوك ، فيقع عليه فى مَشْرُبة له قدصنعها لذلك ، لئلاّ يَملك بعد ذلك ثم يطلُع من مشرُبته تلك إلى حَرَسه ومن حضر من جنده ، قد أخذ مِسْواكا ، فجعله فِى فيه ، أي : ليُعلمهم أنه قد فرغ منه ، حتى بعث إلى زُرْعَةَ ذى نُواس ابن تُبان أسعد أخى حسّان ، وكان صبياً صغيراً حين قُتل حسّان ، ثم شبّ غلاما جميلا وسيما ، ذا هيئة وعقل ، فلما أتاه رسولُه ، عرف مايريد منه ، فأخذ سكيناً حديداً لطيفاً ، فخبّأه بين قدمه ونعله ، ثم أتاه ، فلما خلا معه وثب إليه فواثبه ذو نواس ،فوَجَأَهُ حتى قتله . ثم حزّ رأسه ، فوضعه فى الكُوّة التى كان يُشرف منها ، ووضع مِسْواكَه فى فيه ، ثم خرج على الناس ، فقالوا له : ذانواس أرَطْبٌ أم يَباس فقال : سَلْ نَخْماس استرْطُبان ذو نواس . استرطبان لاباس

ذا نواس بغديرتين كانتا له تَنُوسان ، أى ضفيرتان من شعر ، والنَّوْسُ : الحركة والاضطرابُ فيما كان متعلّقا ، قال الراجز :

لو رأتنى والنعاسُ غالِبى   على البعير نائسًا ذَبَاذِبى

يريد : ذَبَاذبَ القميص(١) ، وقال ابن قتيبة : أراد بالذّبَاذِب مَذاكيرَه ، والأوّلُ أشبهُ بالمعنى .

---

(١) فى اللسان: ذباذب:أشياء تعلق بالهودج، أو رأس البعير للزينة، والواحد ذبذب « بضم فسكون فضم » ... والذباذب : المذاكير ، والذباذب : ذكر الرجل ، وقيل : الذباذب : الخصى واحدتها : ذبذبة « بفتح فسكون ، ففتح .

رفع المسهم

قال ابن هشام : هذا كلام حِمْير . ونخماس : الرأس . فنظروا إلى الكوّة فإذا رأس لَخنيعة مقطوع ، فخرجوا فى إثر ذى نواس حتى أدركوه : فقالوا : ماينبغى أن يملكنا غيرك ، إذ أرحتنا من هذا الخبيث .

ملك ذى نواس

فملّكوه ، واجتمعت عليه حمير وقبائل اليمن ، فكان آخرَ ملوك حمير . وهو صاحب الأخدود ، وتسمّى : يوسف ، فأقام فى ملكه زمانا .

« بقايا من أهل دين عيسى بنجران » :

وبنَجْران بقايا من أهل دين عيسى بن مريم عليه السلام على الإنجيل . أهل فضل واستقامة من أهل دينهم ، لهم رأس يقال له : عبد الله بن الثامر .

وذكر قول ذى نواس للحرس حين قالوا له : أَرَطْبٌ أم يبَاسٌ ، والْيَبَاسُ والْيَبِيسُ(١) : مثل الكِبار والكَبير فقال لهم : سل نَخْماسَ ، والنّخماسُ فى لغتهم هو الرّأس كما ذكر ، ووقع فى نسخة أبى بحر التى قيدها على أبو الوليد الوقشى : نَخْماس بنون وخاء منقوطة ، ولعل هذا هو الصحيح إذ يحتمل أن يكون النخماس فى لغتهم هو : الرأس ثم صُحّف وقيده كراع بالتاء المنقوطة باثنتين من فوق والحاء المهملة ـ فيما ذُكر لى ـ وقوله : استرْطُبَان إلى آخر الكلام مُشكل يفسره ما ذكره أبو الفَرَج فى الأغانى قال : كان الغلامُ إذا خرج من

---

(١) هى اليابس عكس الرطب ، وهى السوءة والعورة ، وعسفان بضم العين فى المراصد : منهلة من مناهل الطريق بين الجحفة ومكة ، وقيل بين المسجدين ، وهى من مكة على مرحلتين ، وقيل قرية جامعة على ستة وثلاثين ميلا من مكة ، وهى حدتهامة . وأمج بلد من أعراض المدينة . ومشربة : غرفة مرتفعة .

رفع
المسيّهم
غفر الله له ولوالديه

وكان موقع أصل ذلك الدين بنجران ، وهى بأوسط أرض العرب فى ذلك الزمان ، وأهلُها وسائرُ العرب كلها أهل أوثان يعبدونها ، وذلك أن رجلا من بقايا أهل ذلك الدين يقال له : فَيْمِيُون ، وقع بين أظهرهم ، فحملهم عليه . فدانوا به .

ابتداء وقوع النصرانية بنجران

« حديث فيميون » :

قال ابن إسحاق : حدثنى المغيرة بن أبى لبيد مولى الأخْنَس عن وهب ابن مُنَبِّه اليمانى أنه حدثهم أن موقع ذلك الدين بنجران كان أنَّ رجلا من بقايا أهل دين عيسى بن مريم يقال له فَيْمِيُونُ ، وكان رجلا صالحًا مجتهداً زاهداً فى الدنيا ، مجاب الدعوة ، وكان سائحًا ينزل بين القرى ، لا يُعْرَف بقرية

عند لَخْنيعة ، وقد لَاطَ به قطعوا مَشافِرَ ناقته وذَنبها : وصاحو به : أَرَطْبٌ أم يَبَاس ، فلما خرج ذو نواس من عنده ، وركب ناقةً له يقال لها : السَّراب ؛ قالوا : ذا نواس أَرَطْبٌ أم يَبَاس ، فقال : « ستعلم الأحراسُ استَ ذى نُواس استُ رَطْبَان أم يَبَاسَ » فهذا اللفظ مفهومٌ . والذى وقع فى الأصل هذا معناه ، ولفظه قريب من هذا ، ولعله تغيير فى اللفظ ـ والله أعلم ـ وكان ملك لَخْنيعَة سبعاً وعشرين سنةً ، وملك ذو نواس بعده ثمانيا وستين سنة . قاله ابن قُتَيبَة(١) .

---

(١) حكم لخنيعة كما قدر المحققون قرابة عشرين أو خمس وعشرين سنة ، وحكم ذو نواس عشر سنوات تقريبا .

رفع
المسـاهم

إلا خرج منها إلى قرية لا يُعرف بها ، وكان لا يأكل إلا من كَسْب يديه . وكان بنّاء يعمل الطين ، وكان يعظِّم الأحد ، فإذا كان يوم الأحد لم يعمل فيه شيئاً ، وخرج إلى فَلاة من الأرض يصلّى بها حتى يُمسى . قال : وكان فى قرية من قرى الشام يعمل عمله ذلك مستخفياً ، ففَطِن لشأنه رجلٌ من أهلها يقال له : صالح ، فأحبَّه صالح حبّاً لم يحبّه شيئاً كان قبله . فكان يتبعه حيث ذهب . ولا يفطن له فَيْميون ، حتى خرج مرة فى يوم الأحد إلى فلاة من الأرض . كما كان يصنع ، وقد اتبعه صالح و فَيْميُون لا يدرى — فجلس صالح منه منظر العين مستخفياً منه . لا يحبّ أن يعلم بمكانه ، وقام فيميون يصلى ، فبينما هو يصلى إذ أقبل نحوه التِّنِّين — الحية ذات الرءوس السبعة — فلما رآها فيميون دعا عليها فماتت ، ورآها صالح ولم يدر ما أصابها ، فخافها عليه ، فعِيلَ عَوْلُه .

(حديث فيمؤن)

ويُذكَر عن الطبرى أنه قال فيه : قيمؤن بالقاف ، وشكّ فيه ، وقال القُتَبىُّ فيه : رجل من آل جَفْنَةَ من غَسَّان جاءهم من الشام ، فحملهم على دين عيسى ـ عليه السلام ـ ولم يُسَمِّهِ ، وقال فيه النقاش : اسمُهُ : يحيى ، وكان أبوه ملكاً فتوفى ، وأراد قَومُهُ أن يملّكوه بعد أبيه ، ففر من الملك ، ولزم السِّيَاحة (١) ، وذكر الطبرى قصة الرَّجُلِ الذى دعا لابنِه ، فشُفى بأتم مما ذكرها ابن إسحق ، قال : فيمؤن حين دخل مع الرجل ، وكشف له عن ابنه : « اللّهُمَّ عبدٌ من عبادك دخل عليه عدوُّك فى نعمتك ، ليفسدَها عليه ، فاشفه وعافه وامنعه منه » ، فقام

(١) فيمؤن فى الطبرى أيضا : فيميون ، وقد وصف بالزهد ، والأولى أن يوصف بالتقوى ، فالزهد ليس من شعائر الإسلام ، وإنما هو مانوية الفرس .

فصرخ : يافَيْمِيُونُ ! التنين قد أقبل نحوك ، فلم يلتفت إليه ، وأقبل على صلاته حتى فرغ منها وأسى ، فانصرف ، وعَرَف أنه قد عُرِف ، وعرف صالح أنه قد رأى مكانه . فقال له : يا فيميون ! تعلم والله أني ما أحببت شيئاً قط حبَّكَ ، وقد أردت صحبتك ، والكينونة معك حيث كنت ، فقال : ماشئت . أمري كما ترى ، فإن علمتَ أنك تقوى عليه فنعم ، فلزمه صالح ، وقد كاد أهل القرية يفطنون لشأنه ، وكان إذا فاجأه العبدُ به الضُّرّ دعا له فشُفى ، وإذا دُعى إلى أحد به ضرّ لم يأته ، وكان لرجل من أهل القرية ابنٌ ضرير ، فسأل عن شأن فَيميون ، فقيل له : إنه لايأتى أحداً دعاه ، ولكنه رجل يعمل للناس البنيان بالأجْر فعمد الرجل إلى ابنه ذلك ، فوضعه فى حُجرته ، وألقى عليه ثوبا ، ثم جاءه فقال له :

الصبى : ليس به بأس(١) . فتبين من هذا أن الصبىّ كان مجنوناً لقوله : دخل عليه عدوُّك ، يعنى : الشيطان ، وليس هذا فى حديث ابن إسحٰق .

وذكر ابن إسحٰق فى الرواية الأُخرى عن محمد بن كعب القُرَظِىِّ ، وعن بعض أهل نَجْران ، وما ذكروه من خبر فيمُون ، قال : ولم يُسَمُّوه لى بالاسم الذى سماه ابن مُنَبِّهٍ . قال المؤلف رحمه الله : يحتمل أنهم سَمَّوْه : يحيى ، وهو الاسم الذى تقدم ذكرُه ، وما قاله النقاش والقُتَبِىُّ .

وفيه ذكر قرية نجران فى هذا الحديث ، ونجرانُ اسمُ رجل كان أول من نزلها ، فسُمِّيت به ، وهو نَجْران بن زَيْد بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قحطان . قاله البكرى(٢) .

---

(١) فى ص ١٢٠ ج ٢ الطبرى كما ذكر السهيلى تماما .

(٢) فى القاموس مثله وفيه زيدان بدلا من زيد ، وكذلك فى جمهرة ابن حزم : زيدان

رفع المسيحاوي

يافيميون ، إنى قد أردت أن أعمل فى بيتى عملا ، فانطلق معى إليه حتى تنظر إليه ، فأشارطك عليه ، فانطلق معه حتى دخل حجرته ، ثم قال له : ما تريد أن تعمل فى بيتك هذا ؟ قال : كذا وكذا ، ثم انتشطَ الرجلُ الثوبَ عن الصبىّ ثم قال له : يافيميون ، عبد من عباد الله أصابه ماترى ، فادع الله له ، فدعا له فَيْمِيُون ، فقام الصبىّ ليس به بأس ، وعرف فيميون أنه قد عُرِف ، فخرج من القرية ، واتبعه صالح ، فبينما هو يمشى فى بعض الشام ، إذ مرّ بشجرة عظيمة ، فناداه منها رجل ، فقال : يافيميون . قال : نعم . قال : ما زلتُ أنظرك ، وأقول : متى هو جاء ؟ حتى سمعت صوتك ، فعرفت أنك هو . لا تَبْرَحْ حتى تقوم علىّ ، فإنى ميت الآن . قال : فمات ، وقام عليه حتى واراه ثم انصرف ، وتبعه صالح ، حتى وطئا بعضَ أرض العرب ، فعدوا عليهما ، فاختطفتهما سيّارة من بعض العرب ، فخرجوا بهما ، حتى باعوهما بنَجْران ، وأهلُ نجران يومئذ على دين العرب ، يعبدون نخلة طويلة بين أظهرهم ، لها عيد فى كل سنة ، إذا كان ذلك العيد علّقُوا عليها كل ثوب حسن وجدوه ، وحلىّ النساء ثم خرجوا إليها ، فعكفوا عليها يوماً .

فابتاع فيميونَ رجلٌ من أشرافهم ، وابتاع صالحا آخرُ ، فكان فيميون إذا قام من الليل — يتهجَّد فى بيت له أسكنه إياه سيده — يصلى ، استسرج له البيت نورا ، حتى يصبح من غير مصباح ، فرأى ذلك سيدُه ، فأعجبه ما يرى منه ، فسأله عن دينه ، فأخبره به ، وقال له فَيْمِيُونُ : إنما أنتم فى باطل . إن هذه

وذكر أصحاب الأخدود ، وما أنزل الله تعالى فيهم ، وقد روى ابن سنجر عن جُبَيْر بن نُفَيْر ، قال : الذين خددوا الأخدود ثلاثةٌ : تُبَّعٌ صاحب اليمن ، وقُسْطَنْطِينُ بن هِلانى — وهى أمُّه حين صرف النصارى عن التوحيد ، ودينِ

النخلة لا تضرّ ولا تنفع ، ولو دعوت عليها إلهى الذى أعبده ، لأهلكها ، وهو الله وحده لا شريك له ، قال : فقال له سيده : فافعل ، فإنك إن فعلت دخلنا فى دينك ، وتركنا ما نحن عليه . قال : فقام فيميون ، فتطهّر وصلّى ركعتين ، ثم دعا الله عليها ، فأرسل الله عليها ريحا فجعفتها من أصلها فألقتها فاتبعه عند ذلك أهلُ نجْران على دينه ، فحملهم على الشريعة من دين عيسى ابن مريم عليه السلام ، ثم دخلت عليهم الأحداث التى دخلت على أهل دينهم بكل أرض ، فمن هنالك كانت النصرانية بِنَجْرَان فى أرض العرب .

قال ابن إسحاق : فهذا حديث وَهَب بن مُنَبِّه عن أهل نجران .

المسيح إلى عبادة الصليب (١) ، وبُخْتُنَصَّرُ من أهل بابل حين أمر الناس أن يَسْجدوا إليه ، فامتنع دانيالُ وأصحابُه ، فألقاهم فى النار ، فكانت برداً وسلاماً عليهم ، وحرق الذين بغَوا عليهم .

---

(١) دانت له كل أنحاء الدولة الرومانية سنة ٣٢٣ م. يقول عنه ول ديورانت فى ص ٣٨٧ جـ ٣ من المجلد الثالث : « كانت المسيحية عنده وسيلة لا غاية » وقد سأل « هل كان قسطنطين حين اعتنق المسيحية مخلصا فى عمله هذا ؟ وهل أقدم عليه عن عقيدة دينية ؟ أو هل كان ذلك العمل حركة بارعة أملتها عليه حكمته السياسية ؟ » وأجاب نفس المؤرخ : « أكبر الظن أن الرأى الأخير هو الصواب » وأمه هلينا هى التى اعتنقت المسيحية قبله ، وفى عهده كان مجمع نيقية الذى عقد فى سنة ٣٢٥ م ، وتدخل قسطنطين فيه ، حتى حمل المجمع على القول بألوهية عيسى ، ثم أمر بتحريق كل كتاب يخالف هذا ، وأمه هيلانة هى التى أظهرت صليبا زعمت أنه هو الذى صلب عليه عيسى فى زعمهم بعد الحادثة بمائتى سنة ، وفى حديث فيميون ما يخرج به عن حدود العقل والدين ولا سيما قوله : فإنى ميت الآن ، فالله يقول : « وما تدرى نفس بأى أرض تموت » .

رفع
المسيهم
عبد الله الطائي

أمر عبد الله بن الثامر، وقصة أصحاب الأخدود

« فيميون والساحر » :

قال إبن إسحاق : وحدثنى يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القُرَظِىّ ، وحدثنى أيضا بعض أهل نَجْران عن أهلها : أن أهل نجران كانوا أهل شِرْك يعبدون الأوثان ، وكان فى قرية من قراها قريباً من نَجْران ـ ونجرانُ : القرية العُظْمى التى إليها جِمَاعُ أهل تلك البلاد — ساحرٌ يعلّم غلمان أهل نجران السحرَ ، فلما نزلها فَيْمِيُون — ولم يسمُّوه لى باسمه الذى سمّاه به وَهْب بن مُنَبِّه ، قالوا : رجل نزلها — ابتنى خيمة بين نجران ، وبين تلك القرية التى بها الساحر ، فجعل أهل نجران يُرْسِلون غلمانهم إلى ذلك الساحر ، يعلّمهم السحر ، فبعث إليه الثّامرُ ابنَه عبدَ الله بن الثامر مع غلمان أهل نجران ، فكان إذا مرّ بصاحب الخيمة أعجبه ما يرى منه من صلاته وعبادته ، فجعل يجلس إليه ،

(خبر ابن الثامر)

التفاضل بين الأسماء الإلهية :

وذكر فيه الاسم الأعظم ، وقول الراهب له : إنك لن تطيقه . أى : لن تطيق شروطه ، والانتهاض بما يجب من حقه ، وقد قيل فى قول الله تعالى : (وقال الذى عنده عِلمٌ من الكتاب) [النمل ٤٠] إنه أوتى الاسمَ الأعظمَ الذى إذا دُعى اللهُ به أجاب ، وهو آصف بن برخيا فى قول أكثرهم ، وقيل غير ذلك(١) .

---

(١) ورأى آخر أحق بالتقديم يقرر أنه نفس سليمان ، فهو الذى كان عنده علم من الكتاب .

رفع المسهم

ويسمع منه حتى أسلم ، فوحّد الله وعبده ، وجعل يسأله عن شرائع الإسلام حتى إذا فقُه فيه جعل يسأله عن الاسم الأعظم ـ وكان يعلمه ـ فكتمه إياه وقال له : يا بن أخي إنك لن تحملهُ ، أخشى عليك ضعفك عنه ـ والثامر أبو عبد الله لا يظن إلا أنّ ابنه يختلف إلى الساحر كما يختلف الغلمان ، فلما رأى عبدُ الله أنّ صاحبه قد ضنّ به عنه ، وتخوف ضعفه فيه ، عمد إلى قداح فجمعها ، ثم لم يُبْقِ لله اسما يعلمه إلاّ كتبه في قِدْح ، لكلّ اسمٍ قِدْحٌ ، حتى إذا أحصاها أوقد لها ناراً ، ثم جعل يقذفها فيها قِدْحا قِدْحا ، حتى إذا مر بالاسم الأعظم قذف فيها بقِدْحه ، فوثب القِدْح حتى خرج منها لم تضرّه شيئا . فأخذه ثم أتى صاحبه ، فأخبره بأنه قد علِم الاسمَ الذي كتمه ، فقال: وما هو ؟ قال : هو كذا وكذا ، قال : وكيف علِمْته ؟ فأخبره بما صنع ، قال : أيِ ابنَ أخي ، قد أصبته فأمسك على نفسك ، وما أظنّ أن تفعل .

وأعجب ما قيل فيه : إنه ضَبّةُ بن أُدّ بن طابخة قاله النقاش ، ولا يصح ، وهي مسئلة اختلف فيها العلماء ، فذهبت طائفة إلى ترك التفضيل بين أسماء الله تعالى ، وقالوا: لا يجوز أن يكون اسمٌ من أسمائه أعظمَ من الاسم الآخر ، وقالوا : إذا أمر في خبر ، أو أثر ذكرُ الاسم الأعظم ، فمعناه : العظيم ؛ كما قالوا : إني لأوْجَل أي : وَجِل ، وكما قال بعضهم في أكبر من قولك : الله أكبر: إن أكبرَ بمعنى كبير ، وإن لم يكن قول سيبويه ، وذكروا أن أهونَ بمعنى : هَيِّن من قوله عز وجل : (وهو أهْوَنُ عليه) [الروم : ٢٧] وأكثروا الاستشهادَ على هذا ونسب أبو الحَسَنِ بن بَطّال هذا القولَ إلى جماعةٍ منهم: ابن أبي زيد، والقابسي وغيرهما ، ومما احتجوا به أيضاً : أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لم يكن ليحرِّم العلمَ بهذا الاسم ، وقد علمه مَنْ هو دونه مَنْ ليس بِنَبِيٍّ ؛

ولم يكن ليدعو حين اجتهدَ فى الدعاء لأمته ألاّ يجعل بأسَهم بينهم ، وهو رءوف بهم، عزيز عليه عَنَتُهم إلا بالاسم الأعظم ، ليُستَجابَ له فيه ، فلما منع ذلك علمنا أنه ليس اسم من أسماء الله إلا وهو كسائر الأسماء فى الحكم والفضيلة ، يستجيب الله إذا دُعى ببعضها إن شاء ، ويمنع إذا شاء ، وقال الله سبحانه : ﴿قُلِ ادعُو اللهَ أو ادعُوا الرحمنَ أيًّامًّا تدعو ، فَلَهُ الأسماءُ الحُسنَى﴾ [الإسراء : ١١٠] ، وظاهرُ هذا الكلامِ : التسويةُ بين أسمائه الحسنى ، وكذلك ذهب هؤلاء وغيرهمُ من العلماء إلى أنه ليس شىء من كلام الله تعالى أفضل من شىء ، لأنه كلام واحد من رب واحد ، فيستحيل التفاضل فيه .

قال الشيخ الفقيه الحافظ أبو القاسم — عفا الله عنه : وجه استفتاح الكلام معهم أن يقال : هلْ يستحيل هذا عقلا ، أم يستحيل شرعا ؟ ولا يستحيل عقلا أن يفضِّل الله سبحانه عملا من البر على عمل ، وكلمةً من الذِّكر على كلمة، فإن التفضيلَ راجع إلى زيادة الثوابِ ونُقصانه ، وقد فُضِّلت الفرائضُ على النوافل ، بإجماع ، وفضلت الصلاةُ والجهاد على كثير من الأعمال والدعاء ، والذكرُ عملٌ من الأعمال ، فلا يبعد أن يكون بعضُه أقربَ إلى الإجابة من بعض ، وأجزلَ ثوابًا فى الآخرة من بعض ، والأسماء عبارة عن المسمَّى ، وهى من كلامِ الله سبحانه القديم(١) ، ولا نقول فى كلامِ الله : هُو هُو ، ولا هُو

---

(١) لا يجوز الإخبار عن الله بأنه قديم؛ إذ لم يرد هذا فى قرآن أو حديث ، وإنما يقال عنه : إنه الأول بدلا من القديم . فقد وصف الضلال بأنه قديم ، والعرجون كذلك والبيت القديم . ثم القدم لا يمنع من أن يكون له أول أو بداية .

غيره، كذلك لانقول فى أسمائه التى تضمنها كلامُه: إنها هُوَ، ولا هِى غيره (١) فإن تكلمنا نحن بها بألسنتنا المخلوقةِ وألفاظنا المُحدَثه، فكلامُنا عمل من أعمالنا، والله — سبحانه وتعالى — يقول: ﴿والله خلقكُمْ وما تعملون﴾ (٢) [الصافات : ٣] ، وقُبحاً للمعتزلة (٣) ؛ فإنهم زعموا أن كلامَه مخلوق

(١) الرجل أشعرى العقيدة . ورأيهم فى الصفات منبوذ من سلف الأمة ، وقد رجع الأشعرى عن هذا المذهب فى كتابيه الإبانة ومقالات الإسلاميين .

(٢) كنا نود أن يبرأ الكتاب من سفسطة علم الكلام . والسهيلى ينزع عن عقيدته الأشعرية التى تقرر أموراً تستلزم القول ببطلان الثواب والعقاب ، والقول بالجبرية . والآية لاتؤيد الأشعرية فيما ذهبوا إليه . فالله يقص عن إبراهيم قوله لقومه : « أتعبدون ما تنحتون ، والله خلقكم وما تعملون » فما موصولة . والمعنى : خلقكم وخلق الأحجار التى تنحتون منها أصنامكم ، ولكن الأشعرية يجعلون « ما » مصدرية ، فيصير المعنى : والله خلقكم وخلق أعمالكم ، والقرآن يقرر فى عديد من آياته أن العمل هو سبيل الإنسان إلى مصيره (وَلَتُسْئَلُنَّ عمَّا كنتم تعملون) النحل : ٩٣ « ومن جاء بالسيئة ، فكُبَّت وجوههم فى النار هل تجزون إلا ما كنتم تعملون » النمل : ٩٠ .

(٣) يقول الشهرستانى : « الذى يعم طائفة المعتزلة من الاعتقاد : القول بأن الله تعالى قديم ، والقدم أخص وصف ذاته ، ونفوا الصفات القديمة أصلا . فقالوا: هو عالم لذاته ، قادر لذاته ، حى لذاته ، لا بعلم وقدرة وحياة هى صفات قديمة ومعانى قائمة ، لأنه لو شاركته الصفات فى القدم الذى هو أخص الوصف لشاركته فى الإلهية ، واتفقوا على أن كلامه محدث مخلوق فى محل ، وهو حرف وصوت ، كتب أمثاله فى المصاحف . . واتفقوا على أن الإرادة والسمع والبصر ليست معانى قائمة بذاته ، لكن اختلفوا فى وجوه وجودها ومحامل معانيها كما سيأتى . . وأوجبوا تأويل الآيات المتشابهة، واتفقوا على أن العبد قادر خالق لأفعاله خيرها وشرها ، وسبب تسميتهم بالمعتزلة أن واصل بن عطاء خالف الحسن البصرى فى =

. . . .

. . . .

= مسألة مرتكب الكبيرة . فقد قرر واصل أن مرتكبها ليس بمؤمن ولا كافر ، وإنما هو فى منزلة بين المنزلتين، فطرده الحسن من مجلسه، فسمي وأتباعه بالمعتزلة. وهم فرق عديدة أطلقت على نفسها: أصحاب العدل والتوحيد، وفى أيامنا هذه طبع كثير من كتبهم فى مصر . هكذا كلما بعد المرء عن هدى القرآن ضل . ولعلك تلحظ أنهم بنوا معتقداتهم على إيمانهم بأن الله قديم !! وتبعا لهذا دانو بما دانوا فى مسألة الصفات وما تفرع عنها ، فبنوا دينهم على وهم ، أو على صفة لا يوصف الله بها ، ولا يسمى . فلو أنهم والأشعرية دانوا بما وصف الله به نفسه ما ترددوا فى هذه المهلكات أو المتناقضات . لقد نفى المعتزلة الصفات ، لأنهم لو أثبتوها فى ظنهم لأثبتوا مع الله عدة قدماء ، وجاء الأشعرية هنا بمضحكات فقالوا عن الصفات : لا هى هو ، ولا هى غيره !! قضيتان كلتاهما تبطل الأخرى . لو قالوا : هى هو لنفوا الصفات ، وللزمهم القول بأن الصفة عين الموصوف ولو قالوا هى غيره للزمهم القول بتعدد القدماء !! هكذا يضرب الله من يضل عن سبيله ، فلا يرى نورا ولا صباحا لليله المظلم الطويل. والفيلسوف ابن رشد — على ما فيه — يقول: « ومن البدع التى حدثت فى هذا الباب : السؤال عن هذه الصفات : هل هى الذات أم زائدة على الذات ؟ » ثم يقول فى مكان آخر من كتابه مناهج الأدلة : « الذى ينبغي أن يعلم الجمهورُ من أمر هذه الصفات هو ما صرح به الشرع فقط وهو الاعتراف بوجودها دون تفصيل الأمر فيها هذا التفصيل » ثم يقول عن دواء القرآن فى الصفات : « وأول من غير هذا الدواء الأعظم ، هم الخوارج ، ثم المعتزلة بعدهم ، ثم الأشعرية ، ثم الصوفية ، ثم جاء أبو حامد — يعنى الغزالى — فطم الوادى على القرى » . لقد أثبت المعتزلة ذاتا مجردة عن الصفات فعطلوا ، وجاء الأشاعرة ، فوقفوا بين مثبتة الصفات ونفاتها ، وما كان لهؤلاء السير وراء السؤال القلق : هل الصفات زائدة على الذات أو لا ، لأن كل ذات لها وجود تستلزم فى نفس الأمر وجود الصفات ، إذ لا يمكن تصور ذات مجردة عن الصفات ، بل إن نفس اللفظ « ذات » — وهو مولدٌ — يستلزم ذلك إذ =

. . . .

. . . .

= أصله أن يقال : ذات علم ، ذات قدرة ، ذات سمع ، فهى مؤنث لفظ يستلزم الإضافة وهو ذو ، والذات المجردة عن الصفة لا توجد إلا فى الذهن فقط . أما الموجودات فى أنفسها فلا يمكن فيها وجود ذات مجردة عن الصفات . يقول الإمام ابن تيمية « وأصل النفاة المعطلة من الجهمية والمعتزلة أنهم يصفون الله بما لم يقم به ، بل بما قام بغيره ، أو بما لم يوجد . ويقولون : هذه إضافات لا صفات ، فيقولون : هو رحيم ويرحم ، والرحمة لا تقوم به ، بل هى مخلوقة ، وهى نعمته ، ويقولون : هو يرضى ويغضب ، والرضا والغضب لا يقوم به ، بل هو مخلوق ، وهو ثوابه وعقابه ويقولون : هو متكلم ويتكلم ، والكلام لا يقوم به ، بل هو مخلوق قائم بغيره » جواب أهل العلم والإيمان ص ٨٨ . وأقول : ترى لو وقف هؤلاء عند قولهم : هو يرضى ويغضب ، هو متكلم ويتكلم ، هو رحيم ويرحم أكان الله سائلهم يوم القيامة : أهذه صفات أم إضافات ؟ إنها لعنة علم الكلام الذى استمد من ضلالات السابقين . ثم يقول الإمام ابن تيمية : « مذهب السلف والأئمة إثبات الصفات ونفى مماثلتها بصفات المخلوقات ، فالله تعالى موصوف بصفات الكمال الذى لا نقص فيه ، منزه عن صفات النقص مطلقا ، ومنزه عن أن يماثله غيره فى صفات كماله ، فهذان المعنيان جمعا : التنزيه ، وقد دل عليهما قوله تعالى : «قل : هو الله أحد ، الله الصمد» فالاسم الصمد يتضمن صفات الكمال . والاسم الأحد يتضمن نفى المثل ... فالقول فى صفاته كالقول فى ذاته ، والله تعالى ليس كمثله شىء ، لا فى ذاته ، ولا فى صفاته ، ولا فى أفعاله . لكن يفهم من ذلك أن نسبة هذه الصفة إلى موصوفها ، كنسبة هذه الصفة إلى موصوفها ، فعلم الله وكلامه ونزوله واستواؤه هو كما يناسب ذاته ، ويليق بها كما أن صفة العبد هى كما يناسب ذاته ، ويليق بها ، ونسبة صفاته إلى ذاته كنسبة صفات العبد إلى ذاته ولهذا قال بعضهم : إذا قال لك السائل : كيف ينزل ، أو كيف يستوى أو كيف يعلم ، أو كيف يتكلم ، ويقدر ويخلق ؟ فقل له : كيف هو فى نفسه ؟ فإذا قال : أنا لا أعلم كيفية ذاته . فقل له : وأنا لا أعلم كيفية صفاته ؛ فإن العلم بكيفية الصفة يتبع العلم بكيفيه الموصوف » شرح حديث النزول ص ١٠ طبع ١٣٦٦ هـ =

رفع المسيّهم

. . . .

فأسماؤه على أصلهم الفاسد مُحْدَثة غير الْمُسَمَّى بها ، وسَوَّوا بين كلامِ الخالق ، وكلام المخلوق فى الْغَيْرِيَّة والحدوث ، وإذا ثبت هذا ، وصح جواز التفضيل بين الأسماء إذا دعونا بها ، فكذلك القولُ فى تفضيل السور ، والآى بعضها على بعض، فإن ذلك راجع إلى التلاوة ، التى هى عملنا ، لا إلى الْمَتْلُوِّ الذى هو كلام ربنا ، وصفة من صفاته القديمة ، وقد قال — صلى الله عليه وسلم — لأُبَىٍّ : « أىُّ آيةٍ معك فى كتاب الله أعظم ؟ فقال : « الله لا إله إلا هو الحى القيوم » فقال : « لِيَهْنِكَ العلمُ أبا الْمُنْذِر(١) » ، ومحال أن يريد بقوله : أعظم معنى عظيم ؛ لأن القرآنَ كله عظيم ، فكيف يقول له : أى آية فى القرآن عظيمة ، وكل آية فيه عظيمة كذلك ؟ وكل ما استشهدوا به من قولهم : أكبر بمعنى كبير ، وأهون بمعنى هَيِّن باطل عند حُذَّاق النحاة ، ولولا أن نخرج عما نحن بصدَدِه ، لأوضحنا بطلانَه ، بما لا قِبلَ لهم به ، ولو كان صحيحا فى العربية ، ما جاز أن يُحْمل عليه قوله : أىُّ آية معك فى كتاب الله أعظم ، لأن القرآنَ كله عظيم ، وإنما سأله عن الأعظمِ منه ، والأفضل فى ثواب التلاوة ، وقرب الإجابة ، وفى هذا الحديث دليل أيضاً على ثبوت الاسم الأعظمِ ، وأن لِله اسما هو أعظم أسمائه ، ومحالٌ أن يَخْلُوَ القرآن عن ذلك الاسم ، والله تعالى

= والحق فيما ذهب إليه الإمام الجليل. فليسكن قلب كل مسلم إلى صفات الله وأسمائه وليدن بها وهو ثابت اليقين ، دون أن يسأل نفسه : كيف يتكلم ، كيف استوى ، ما حقيقة اليدين ؟ ودون أن ينفى شيئا أثبته الله ، وإلا بهت الله بأنه لم يحسن وصف نفسه ، أو أصابه العى فلم يستطع البيان عن صفات وأسماء نفسه .

(١) المسئول هو أبي بن كعب ، والحديث فى مسلم ومسند أحمد .

رفع المسهم

يقول : ﴿ ما فَرَّطْنَا فى الكتابِ مِنْ شىء ﴾ (١) [الأنعام : ٣٨] ، فهو فى القرآن لا مَحَالَة . وما كان الله لِيحرمَه محمداً ، وأمتَه ، وقد فضله على الأنبياء ، وفضّلهم على الأُمم، فإن قلتَ : فأيْن هو فى القرآن ؟ فقد قيل: إنه أُخفى فيه ، كما أُخفيت الساعة فى يوم الجمعة، وليلةُ القَدْرِ فى رمضان ؛ ليجتهدَ الناسُ ولا يتّكلوا

قال الفقيه الحافظ أبو القاسم — رضى الله عنه — فى قول النبى — صلى الله عليه وسلم — لأُبىّ: أى آية معك فى كتاب الله أعظم ، ولم يقل : أفضل إشارة إلى الاسم الأعظم أنه فيها ، إذ لا يُتصَوّرَ أن تكون هى أعظم آيةٍ ، ويكون الاسمُ الْأعظمُ فى أخرى دونها . بل : إنما صارت أعظمَ الآياتِ ؛ لأن الاسمَ الأعظمَ فيها . ألا ترى كيف هَنَّأَ رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أُبيًّا ، بما أعطاه الله تعالى من العِلمْ ، وما هَنّأه إلا بعظيم بأن عرف الاسمَ الأعظم ، والآية العُظمى التى كانت الأُمم قبلنا لا يعلمه منهم إلا الأفراد ، عبدُ الله بن الثامر ، وآصف صاحب سليمان عليه السلام ، وبَلْعُوم قبل أن يتبعه الشيطان (٢)

---

(١) هو الكتاب الذى كتب الله فيه كل شىء قبل الخلق ، لا القرآن .

(٢) لست أدرى من أين جاء بهذا ؟! ولقد دار حول الاسم الأعظم مادار ، من أقاويل وأساطير مفتراة تزعم أن فلانا كان يسخر به الجن والإنس ، وأن غيره كان ، وكان ، ! ! وغير هذا مما يأفكه المبطلون المشعبذون الذين يفترون أنهم يعرفون اسم الله الأعظم ، والله لا يحرم أمة من معرفة اسمه الأعظم الذى هو « الله » .

وفى مسألة تفضيل بعض كلام الله على بعض يقول الإمام ابن تيمية « الناس متنازعون فيها — أى فى مسألة التفضيل — نزاعا منتشرا فطوائف يقولون : بعض كلام الله أفضل من بعض، كما نطقت به النصوص النبوية ، حيث أخبر عن =

. . . .

فكان من الغاوين ، وقد جاء منصوصاً فى حديث أم سلمة ـ رضى الله عنها ـ الذى خرّجه الترمذى وأبو داود ، ويروى أيضاً عن أسماء بنت يزيد ـ وكنيتها: أم سلمة ـ فلعل الحديث واحد أنها سألت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن الاسم الأعظم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هو فى هاتين الآيتين ﴿الله لا إله إلا هو الحىّ القيّوم﴾ و ﴿الم الله لا إله إلا هو الحىّ القيوم﴾ . وقال سبحانه : ﴿ هو الحىُّ لا إله إلا هو ، فادعوهُ مخلصين له الدين ﴾ الآية أى : فادعوه بهذا الاسم ، ثم قال: ﴿ الحمدُ لله رب العالمين ﴾ تنبيها لنا على حمده

= الفاتحة أنه لم ينزل فى الكتب الثلاثة مثلها ، وأخبر عن سورة الإخلاص أنها تعدل ثلث القرآن . وجعل آية الكرسى أعظم آية فى القرآن . . وروى أنها سيدة القرآن ، ثم يقول : « والقول بأن كلام الله بعضه أفضل من بعض هو القول المأثور عن السلف . وهو الذى عليه أئمة الفقهاء من الطوائف الأربعة وغيرهم ، وكلام القائلين بذلك كثير منتشر فى كتب كثيرة » ثم يقول : « والنصوص والآثار فى تفضيل كلام الله ـ بل وتفضيل بعض صفاته ـ على بعض متعددة . وقول القائل : صفات الله كلها فاضلة فى غاية التمام والكمال ليس فيها نقص، كلام صحيح، لكن توهمه أنه إذا كان بعضها أفضل من بعض كان المفضول معيبا منقوصا خطأ منه ، فإن النصوص تدل على أن بعض أسمائه أفضل من بعض ، ولهذا يقال : دعا الله باسمه الأعظم ، وتدل على أن بعض صفاته أفضل من بعض ، وبعض أفعاله أفضل من بعض » ثم ساق الكثير من النصوص التى تثبت ما ذهب إليه وهو حق (جواب أهل العلم والإيمان جـ ١ ط السلفية ١٣٧٥ ص ٧ ، ٩ ، ٥٤ . وانظر ص ٤٣٨ جـ ١ البرهان للزركشى) .

دين ابن الثامر : فى قصته عن الذين كانوا يلبون دعوته « فيوحد الله ويسلم » أى : يصير مسلما . ولهذا لا يجوز بعد ذلك أن نقول : دين نصرانى ، فالنصرانية ليست دينا من الله سبحانه ، فدين الرسل جميعا هو الإسلام .

« ابن الثامر يدعو إلى الإسلام » :

فجعل عبدُ الله بن الثَّامر إذا دخل نَجْران لم يَلْقَ أحداً به ضرٌّ إلا قال: يا عبد الله ، أتوحّد الله ، وتدخل فى دينى ، وأدعو الله ، فيعافيك مما أنت فيه من البلاء ؟ فيقول : نعم ، فيوحّد الله ويُسْلِم ، ويدعو له فَيُشفَى ، حتى لم يبق بنجْران أحدٌ به ضرٌّ إلا أتاه فاتَّبعه على أمره ، ودعا له فعُوفى ، حتى رُفع شأنه إلى ملك نجران ، فدعاه فقال له : أفسدتَ علىَّ أهلَ قَرْيتى ، وخالفتَ دينى ودين آبائى ، لأمثّلنَّ بك ، قال : لا تقدر على ذلك . قال : فجعل يُرسل به إلى الجبل الطويل ، فيُطْرَح على رأسه ، فيقع إلى الأرض ليس به بأس ، وجعل يبعث به إلى مياه بنَجْران ، بُحور لا يقع فيها شىء إلا هلك ، فيُلْقَى فيها ، فيخرج ليس به بأس ، فلما غلبه ، قال له عبد الله بن الثامر : إنك والله لن تقدر على قتلى

وشكره ، إذ علَّمنا من هذا الاسم العظيم ما لم نكن نعلم ، فإن قلت : فقد روى أبو داود والترمذى أيضاً أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ سمع رجلا ـ وهو زيد أبو عَيَّاشٍ الزُّرَقِىّ ـ ذكر اسمه الحرث بن أبى أسامة فى مسنده ـ يقول : « اللهم إنى أسألك ، بأن لك الحمد لا إله إلا أنت الْمَنَّان بديع السموات والأرض ذو الجلال والإكرام ، فقال : لقد دعا الله باسمه الأعظم[١] » ويروى أنه قال له فى هذا الحديث : غفر الله له غفر الله له . وروى الترمذى نحو هذا فيمن قال : « اللهم إنِّى أسألك ؛ فإنك الله الذى لا إله إلا أنتَ الأحد الصمد الذى لم تلد ولم تُولد[٢] » وهذا معارض لحديث أم سلمة ، قلنا : لا مُعارضة بين هذا ،

---

(١) الترمذى وأبو داود والنسائى وابن ماجة .

(٢) الترمذى وأبو داود .

وبين ما تقدم ، فإنا لم نقل : إن الاسمَ الأعظَمَ ، هو الحيُّ القيُّوم ، بل : الحيُّ القيومُ : صفتان تابعتان للاسم الأعظم . وتتميم لذكره ، وكذلك المنَّان . وذو الجلال والإكرام فى حديث أبى داود ، وقد خرجه الترمذى أيضاً فى الدعوات ، وكذلك الأحد الصَّمَدُ فى حديث الترمذى . وقولك : الله لا إله إلا هو: هو الاسمُ ، لأنه لاسَمِيَّ له ، ولم يَتَسَمَّ به غَيْرُه ، وقدقال بعضُ العلماء فى التسعة والتسعين اسما : إنها كلها تابعة للاسم الذى هو الله ، وهو تمام المائة ، فهى مائةٌ على عَدَد درج الجنة ، إذ قد ثبت فى الصحيح أنها مائةُ دَرجةٍ (١) بين كل دَرجتين مسيرةُ مائة عام ، وقال فى الأسماء : « من أحصاها دخل الجنة (٢) » فهى على عدد درج الجنة ، وأسماؤه تعالى لا تُحصَى ، وإنما هذه

---

(١) ورد عدد درجات الجنة فى حديث رواه البخارى والترمذى ، ورواية البخارى: « ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض » ورواية الترمذى: « ما بين كل درجتين مائة عام » وفى الطبرانى : ما بين كل درجتين خمسمائة عام .

(٢) يشير إلى الحديث : « إن لله تسعة وتسعين اسما، مائة إلا واحداً لا يحفظها أحد إلا دخل الجنة،وهو وتر يحب الوتر » متفق عليه . وفى رواية أخرى : «من أحصاها دخل الجنة » متفق عليها، ورواها الترمذى وابن ماجة ومعنى الإحصاء والحفظ : التدبر والعمل بما يوجبه رب هذه الأسماء ، لا بمجرد الإحصاء والحفظ كما يفعل نعقة المقابر . والحديث الذى أحصيت فيه الأسماء قال عنه الترمذى . حديث غريب أى : ضعيف ، ويقول عنه ابن كثير فى تفسير الأعراف: «وقد روى من غير وجه عن أبى هريرة ، ولا نعلم فى كثير من الروايات ذكر الأسماء إلا فى هذا الحديث، ورواه ابن حبان فى صحيحه من طريق صفوان به، وقد رواه ابن ماجة فى سننه من طريق آخر عن موسى بن عقبة ، عن الأعرج عن أبى هريرة مرفوعا، فسرد الأسماء بزيادة ونقصان ، والذى عول عليه جماعة من الحفاظ أن سرد الأسماء فى هذا الحديث مدرج فيه »

. . . .

الأسماء هي المفضلة على غيرها ، والمذكورةُ في القرآن . يدل على ذلك قوله في الصحيح : « أسألك بأسمائك الحُسنى ما علمتُ منها وما لم أعلم » ووقع في جامع ابن وَهْب: «سبحانك لا أحصى أسماءك» ومما يدل على أنه الاسم الأعظم أنك تضيف جميع الأسماء إليه ، ولا تضيفه إليها . تقول : العزيز اسم من أسماء الله ، ولا تقول : اللهُ اسمٌ من أسماء العزيز ، وفُخِّمت اللامُ من اسمه — وإن كانت لا تُفَخَّم لام في كلام العرب إلا مع حروف الإطباق نحو الطلاق ، ولا تُفخَّم لام في شيء من أسمائه ، ولا شيء من الحروف الواقعة في أسمائه التي ليست بمستعلية إلا في هذا الاسم العظيم (١) المنتظم من ألفٍ ولامَيْن وهاء .

(١) يقول ابن كثير : « ثم ليعلم أن الأسماء الحسنى غير منحصرة في تسعة وتسعين ، ثم روى الحديث الذى رواه أحمد، وأبو حاتم بن حبان البستى ، وفيه « أسألك بكل اسم هو لك ، سميت به نفسك ، أو أنزلته في كتابك ، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب» وحروف الإطباق هي: الصاد والضاد والطاء والظاء ، والمستعلي من الحروف: الخاء والغين والقاف والضادوالصاد والطاء والظاء ، وأربعة منها مع استعلائها إطباق ، وهي ما عدا الخاء والغين والقاف ومعنى استعلائها أن تتصعد في الحنك الأعلى . والإطباق : أن ترفع ظهر لسانك إلى الحنك الأعلى مطبقا له . هذا ، وقد تكلم ابن القيم في بدائع الفوائد كلاما قيما في هذا الشأن اخترت منه : « الثاني عشر : في بيان مراتب إحصاء أسمائه التي من أحصاها دخل الجنة ، وهذا هو قطب السعادة ومدار النجاة والفلاح . المرتبة الأولى : إحصاء ألفاظها وعددها . المرتبة الثانية : فهم معانيها ومدلولها . المرتبة الثالثة : دعاؤه بها كما قال تعالى : (ولله الأسماء الحسنى ، فادعوه بها) وهو مرتبتان : إحداهما : دعاء ثناء وعبادة ، والثانية : دعاء طلب ومسئلة ، فلا يثنى عليه إلا بأسمائه الحسنى ، وصفاته العلا ، وكذلك لا يسئل إلا بها ، فلا يقال: ياموجود، أويا شيء ، أويا ذات: اغفرلي وارحمني، بل يسئل في كل مطلوب باسم=

رفع المسهم

. . . .

فالألف من مبدأ الصوت ، والهاء راجعة إلى مخرج الألف ، فشا كل اللفظُ المعنى ، وطابقه ، لأن المسمَّى بهذا الاسم منه المبدأ ، وإليه المعاد . والإعادةُ أهون من الابتداء عند المخاطبين ، فكذلك الهاء أخف وألين فى اللفظ من الهمزة التى هى مبدأ الاسم . أخبرت بهذا الكلام أو نحوه فى الاسم وحروفه عن ابن فَوْرك رحمه الله . ذكره أبو بكر شيخُنا فى كتاب شرح الأسماء الحسنى له . فإن قيل : فأين ما ذكروه عن الاسم الأعظم ، وأنه لا يُدعى الله به إلَّا أجاب ، ولا يُسئل به شيئاً إلا أعطاه .

قلنا: عن ذلك جوابان، أحدهما: أن هذا الاسمَ كان عندمن كان قبلنا ـ إذا علمه ـ مصونا غير مبتذلٍ ، معظما لا يمسه إلا طاهر ، ولا يلفظ به إلا طاهر ، ويكون الذى يعرفه عاملا بمقتضاهُ مُتَأَلِّها مُخْبِتا ، قد امتلأ قلبُه بعظمة المسمَّى به لا يَلتفت إلى غيره ، ولا يخاف سواه ، فلما ابْتُذِل وتُكلِّم به فى مَعْرِض البطَّالات والهزل ، ولم يُعمل بمقتضاه ذهبت من القلوب هيبتُهُ ، فلم يكن فيه من سرعة الإجابة ، وتعجيل قضاء الحاجة للداعى ما كان قبل . ألا ترى قولَ

= يكون مقتضيا لذلك المطلوب ، فيكون السائل متوسلا إليه بذلك الاسم ، ومن تأمل أدعية الرسل ، ولاسيما خاتمهم وإمامهم وجدها مطابقة لهذا » ص ١٦٤ ويقول : « إحصاء الأسماء الحسنى ، والعلم بها أصل للعلم بكل معلوم ، فمن أحصى أسماءه كما ينبغى للمخلوق أحصى جميع العلوم ؛ إذ إحصاء أسمائه أصل لإحصاء كل معلوم » ص ١٦٣ ويقول فى شأن « من أحصاها دخل الجنة » إنها صفة لا خبر مستقل . والمعنى : له أسماء متعددة من شأنها أن من أحصاها دخل الجنة وهنا لا ينبغى أن يكون له أسماء غيرها ص ١٦٧ . وقد أبدع ابن القيم فى هذا فانظر كتابه بدائع الفوائد ج ١

رفع المسهم

أيوب عليه السلام في بلائه : « قد كنت أمر بالرجلين يتنازعان ، فيذكران الله — يعني في تنازعهما ، أي تخاصمهما — فأرجع إلى بيتي ، فأكفر عنهما كراهة أن يُذكرَ اللهُ إلا في حق » وفي الحديث عن النبي — صلى الله عليه وسلم — : « كرهت أن أذكر الله إلا على طُهْر » فقد لاح لك تعظيم الأنبياء له .

والجواب الثاني : أن الدعاء به إذا كان من القلب ، ولم يكن بمُجَرَّد اللسان استُجيب للعبد ، غير أن الاستجابة تنقسم كما قال — عليه السلام — إما أن يُعَجِّل له ما سأل وَ إما أنْ يُدَّخر له ، وذلك خيرٌ مما طلب ، وإما أن يُصرف عنه من البلاء بقدر ما سأل من الخير(١) ، وأما دعاء النبي — صلى الله عليه وسلم — لأمته ألاَّ يجعلَ بأسهم بينهم(٢) ، فمُنِعَهَا ، فقد أعطى عِوضاً لهم من ذلك : الشفاعة لهم في الآخرة ،

(١) يشير إلى الحديث : « ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ، ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث : إما أن يعجل له دعوته ، وإما أن يدخرها له في الآخرة ، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها ، قالوا : إذا نكثر . قال : الله أكثر » أحمد والبزار وأبو يعلى بأسانيد جيدة ، والحاكم ، وقال : صحيح الإسناد .

(٢) يشير إلى حديث « سألت ربي ثلاثا . سألته ألا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها ، وسألته ألا يهلك أمتي بالسنة » أي الجدب « فأعطانيها ، وسألته ألا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها » مسلم وأحمد . والأحاديث في هذا تكاد تجمع على أن التي منعها هي ألا يجعل بأسهم بينهم . أما اللتان استجيبتا ففيهما خلاف . ففي بعض الأحاديث ألا يظهر عليهم عدوا ، ولا يهلكهم بالسنين ؛ وفي بعضها ألا يهلكهم بغرق ، وألا يسلط عليهم عدوا ، وفي بعضها ألا يهلك أمته بما أهلك به الأمم قبلنا . وهكذا .

رفع المسهم

حتى توحِّد الله ، فتؤمن بما آمنت به ، فإنك إن فعلت ذلك ، سُلِّطت على فقتلتنى . قال : فوحَّد الله تعالى ذلك الملكُ ، وشهد شهادة عبد الله بن الثامر ، ثم ضربه بعصا فى يده ، فشجَّه شجَّة غير كبيرة ، فقتله ، ثم هلك الملك مكانَه ، واستجمع أهلُ نجْران على دين عبد الله بن الثامر — وكان على ماء جاء به عيسى بن مريم من الإنجيل وحُكمِهِ — ثم أصابهم مثلُ ما أصاب أهلَ دينهم من الأحداث ، فمن هنالك كان أصل النصرانية بنجْران ، والله أعلم بذلك .

وقد قال : « أمتى هذه أمة مرحومة ، ليس عليها فى الآخرةِ عذابٌ ، عذابُها فى الدنيا : الزلازلُ وَالفِتَنُ » . خرجه أبو داود(١) ، فإذا كانت الفتنُ سبباً لصرْف عذاب الآخرة عن الأمة ، فما خاب دعاؤه لهم . على أننى تأمَّلت هذا الحديث ، وتأملت حديثه الآخر حين نزلت : ﴿قلْ : هو القادر على أن يَبْعثَ عليكم عَذاباً من فوقِكم ﴾ [الأنعام : ٦٥] . فقال : أعوذ بوجهك . فلما سَمِع : ﴿ أَوْ مِنْ تحتِ أرجلِكم﴾ قال : أعوذ بوجهك ، فلما سمع : ﴿أَوْ يَلبسَكُمْ شِيَعًا ، ويذيقَ بعضَكم بأسَ بعضٍ ﴾ . قال : هذه أهون (٢) .

---

(١) ورواه أيضا الطبرانى فى الكبير ، والحاكم فى مستدركه ، والبيهقى فى الشعب . ولكن لن تكون شفاعة إلا بعد إذن الله ، فالرسول ـ صلى الله عليه وسلم لا يملكها ـ وآيات القرآن كلها تظاهر هذا المعنى ، وحديث أبى داود الذى ينفى عذاب الآخرة عن هذه الأمة حديث يخالف الآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة المتفق عليها ، ولا سيما حديث الحوض الذى يقول فيه عن الذين منعوا الدنو من الحوض : فأقول : ألا سحقا ، ألا سحقا أوما فى معنى هذا

(٢) البخارى والنسائى والحميدى وابن حبان وابن جرير وابن مردويه وسعيد بن منصور .

قال إبن إسحاق : فهذا حديث محمد بن كعب القُرَظِىّ و بعضِ أهلِ نَجْران عن عبد الله بن الثامر ، والله أعلم أىّ ذلك كان.

فَمِنْ ها هنا — والله أعلم — أعيذت أمته من الأُولى والثانية ، ومنع الثالثة، حين سألها بعدُ . وقد عرضتُ هذا الكلامَ على رجلٍ من فقهاء زماننا، فقال : هذا حسن جدا ، غير أنا لا ندرى : أكانت مسألتُه بعد نزول الآية ، أم لا ؟ فإن كان بعد نزول الآية ، فأَخْلِقْ بهذا النظرِ أن يكون صحيحاً . قلت له : أليس فى المُوَطَّأِ أنه دعا بها فى مسجد بنى معاويةَ ، وهو فى المدينة ، ولاخلاف أن سورةَ الأنعامِ مكية؟ فقالَ : نعم ، وسلَّم وأذعن للحق ، وأقرّ به . رحمه الله .

هل الشهداء أحياء فى قبورهم ؟

فصـــل : وذكر من وجدان عبد الله فى خَرِبَةٍ من خرِبِ نجران . يصدقه قولُه تعالى : ﴿ولا تحْسَبَنَّ الذين قُتِلوا فى سبيلِ اللهِ أمواتاً بل أحْياءٌ﴾(١) [آل عمران : ١٦٩] الآية وماوجد فى صدرِ هذه الآيةِ من شهداء أحد ، وغيرِهم على هذه الصورةِ لم يتغيروا بعد الدُّهُورِ الطويلةِ كحمزة بن عبدالمطلب — رضى الله عنه — فإنه وُجد حين حفر معاويةُ العينَ صحيحاً لم يتغير ، وأصابت الفأسُ أصبعَه ، فدميت ، وكذلك أبو جابر عبد الله بن حَرام ، وعَمْرو بن الجَمُوح ، وطلحة بن عبد الله — رضى الله عنهم — استخرجته بنتهُ عائشةُ من قبره حين

---

(١) لم يرو قصة ابن التامر غير ابن إسحاق ، ولم يخرجها أحد من أصحاب الصحيح . وفى الآية رد على ما يفترى من مثل هذه الأساطير فالآية تقول : «عند ربهم» لا «فى قبورهم» كما يريد السهيلى أن يفهم هو ومن يذهب معهم مذاهبهم.

رفع
المسهم
غفر الله له ولوالديه

. . . .

رأته فى المنام ، فأمرها أن تنقله من موضعه ، فاستخرجته من موضعه بعد ثلاثين سنةً لم يتغير . ذكره ابن قتيبة فى المعارف . والأخبار بذلك صحيحة (١) . وقد قال -عليه السلام- «إن اللهَ حرم على الأرض أن تأكلَ أجساد الأنبياء» . خرجه سُلَيْمَان بن الأشعث . وذكر أبو جَعْفر الداوودى فى كتاب الناس هذا الحديث بزيادة : ذكر الشهداء والعلماء والمؤذنين ، وهى زيادة غريبة لم تقع لى فى مسند ، غير أن الداوودى من أهل الثقة والعلم . وفى المسند من طريق أنسٍ - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- « الأنبياء أحياء يصلون فى قبورهم » . انفرد به ثابت البُنَانِىُّ عن أنسٍ ، وقد روى أن ثابتاً الْتُمس فى قبره بعد ما دُفن ، فلم يوجد ، فذكر ذلك لبنته . فقالت : كان يصلى فلم تَرَوْه ، لأنى كنت أسمعه إذا تهجَّد بالليل يقول . «اللهم اجعلنى مِمَّن يُصَلِّى

---

(١) إنما هى أساطير تسكر العاطفة ، فتذهلها عن هدى الكتاب والسنة . . فما ورد شىء من هذا ، لا فى الكتاب ، ولا فى السنة ، وحياة الشهداء عند ربهم حياة غيبية نؤمن بها ، ولا نكلف أنفسنا البحث عن حقيقتها ، ولا نرجم فيها بالغيب أو نهوم مع الظنون والتخيلات المجنحة بالتهويلات الخرافية ، ولا نكفر بها . وليست كرامة الشهداء فى بقاء أجسادهم ، وإلا فقد بقيت أجساد كفرة عشرات السنين ، بل مئاتها . والصوفية هى التى تحمل وزر ما قاله السهيلى ، أما أبو جابر فقد ثبت فى الصحيح قول جابر عنه : « لما قتل أبى جعلت أبكى ، وأكشف الثوب عن وجهه ، فجعل أصحاب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ينهونى ، والنبى — صلى الله عليه وسلم — لم ينه ، فقال النبى — صلى الله عليه وسلم — : لا تبكه ، أو ما تبكيه ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفع ، وقد أسنده هو ومسلم والنسائى من طرق . وجميع الأحاديث الصحيحة التى تحدثت عن حياة الشهداء لم تذكر شيئاً مما ذهب إليه السهيلى .

رفع المسهم

« أصحاب الأخدود ومعناه » :

فسار إليهم ذو نواس بجنوده ، فدعاهم إلى اليهودية ، وخيرهم بين ذلك والقتل فاختاروا القتل ، فخدّ لهم الأخدود ، فحرّق من حرق بالنار ، وقتل من قتل بالسيف ، ومثّل بهم ، حتى قتل منهم قريبا من عشرين ألفا ، ففي ذى نواس وجنده تلك أنزل الله تعالى على رسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم : (قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ. النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ. إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ. وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ. وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ) . البروج

فى قبره بعد الموت »(١) وفى الصحيح : أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال : (مررت بموسى — عليه السلامُ — وهو يصلى فى قبره(٢)) .

أصحاب الأخدود :

وحديث عبد الله بن الثامر إنما رواه ابن إسحاق موقوفاً على محمد بن كعب القُرَظىّ عن بعض أهل نجران ، ليصل به حديث فيمون ، وهو حديث ثابت عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — من طريق ابن أبى ليلى عن صُهَيْب عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فهو أولى أن يُعتمد عليه : وهو يخالف حديث ابن إسحاق فى ألفاظ كثيرة . قال : كان رسول الله — صلى الله

---

(١) هذا وما قبله لا يتفق لا مع النقل الصحيح ، ولا مع العقل الصريح . إنما هو خرافات يراد بها ربط الناس بالموتى ، لا بالحى القيوم ، وحمم تجتاح الصحيح من الدين .

(٢) كان هذا ليلة الإسراء ، وهى من خصائص الرسول صلى الله عليه وسلم ، وإلا ففي نفس الحديث أنه لقيه فى السماء ا ه

قال ابن هشام : الأُخْدُودُ : الحفر المستطيل فى الأرض ، كالخندق والجدول ونحوه ، وجمعه : أخاديد . قال ذو الرِّمَّة — واسمهُ : غَيلان بن عُقْبة ، أحد بنى عدى بن عبد مناف بن أدّ بن طابخة بن الياس بن مُضَر .

مِنَ العراقيّة اللاتى يُحيل لها بين الْفَلَاةِ وبين النخل أُخْدُودُ

يعنى : جدولا . وهذا البيت فى قصيدة له . قال : ويقال لأثر السيف والسكين فى الجلد وأثَر السوط ونحوه : أُخْدود : وجمعه أخاديد .

عليه وسلم — إذا حدث بهذا الحديث يعنى حديثاً تقدم قبل هذا الحديث يحدث بهذا الحديث الآخر . قال : كان ملك من الملوك ، وكان لذلك الملك كاهنٌ (١) يَكْهُنُ له ، فقال الكاهن : انظروا لى غلاما فَهِماً أو قال : فَطِناً لَقِناً ؛ فأُعَلِّمه على هذا ، فإنى أخاف أن أموتَ ؛ فينقطعَ منكم هذا العلم ، ولا يكون فيكم من يعلمه قال : فنظروا له غلاماً على ما وصف ، فأمروه أن يَحْضُرَ ذلك الكاهن وأن يختلف إليه ، فجعل يختلف إليه ، وكان على طريق الغلام راهبٌ فى صَوْمعة قالَ مَعْمر : أحسب أن أصحابَ الصوامع يومئذ كانوا مسلمين (٢) قال: فجعل الغلامُ يسأل الراهبَ كُلَّما مر به ، فلم يزل به حتى أخبره ، فقال: إنما أعبد الله ، قال : فجعل الغلام يمكث عند الراهب ، ويبطىء على الكاهن ، فأرسل الكاهنُ إلى أهل الغلام أنه لا يكاد يحضرنى ، فأخبر الغلامُ الراهبَ بذلك ، فقال له الراهب : إذا قال لك الكاهنُ : أين كنتَ ، فقل: كنتُ عند أهلى ، فإذا قال

---

(١) فى رواية ساحر .

(٢) هذا تعبير دقيق ؛ فكل من آمن بالله وبالرسول فهو مسلم .

رفع المسيهم

. . . .

لك : أهلُكَ : أين كنت ؟ فأخبرهم أنك كنت عند الكاهن ، قال : فبينما الغلام على ذلك إذ مر بجماعة من الناس كثير قد حبستهم دابّةٌ ، فقال بعضهم : إن تلك الدّابّة كانت أسداً ، فأخذ الغلامُ حجراً ، فقال : اللهم إن كان ما يقول الراهب حقا فأسألك أن تقتلها ، قال : ثم رمى ، فقتل الدابّةَ ، فقال الناسُ : منْ قتلها ؟ فقالوا : الغلامُ ، ففزع الناس ، وقالوا : لقد علم هذا الغلامُ علما لم يعلمه أحدٌ ؛ قال : فسمع به أعمى ، فقال له : إن أنتَ رَدَدْتَ بصرى فلك كذا وكذا ، فقال له : لا أريد منك هذا ، ولكن أرأيت إن رجع إليك بصرُك أتؤمن بالذى رده ؟ قال : نعم . قال : فدعا الله ، فرد عليه بصَره فآمن الأعمى ، فبلغ الملكَ أمرُهُمْ ، فبعث إليهم ، فأتى بهم ، فقال : لأقتلنّ كل واحد منكم قتْلة لا أقتل بها صاحبَه ، فأمر بالراهب وبالرّجل الذى كان أعمى ، فوضع المِنْشارَ على مَفْرِق أحدهما فقتله ، ثم قتل الآخر بقتلة أخرى ، ثم أمر بالغلام ، فقال : انطلقوا به إلى جبل كذا وكذا ، فألقوه من رأسه ، فانطلقوا به إلى ذلك الجبل ، فلما انْتَهَوْا إلى ذلك المكان الذى أرادوا أن يُلقوه منه ، جعلوا يتهافتون من ذلك الجبل ، ويتردّوْن منه ، حتى لم يبق منهم إلا الغلام ، قال : ثم رجع فأمر به الملكُ أن ينطلقوا به إلى البحر ، فيلقونه فيه ، فانطُلِقَ به إلى البحر ، فغرّق الله الذين كانوا معه ، وأنجاه ، فقال الغلام للملك : إنك لا تقتلنى حتى تصلبنى وترمينى ، وتقول إذا رَمَيْتَنى : « باسم الله ربِّ هذا الغلام » قال : فأمر به ، فَصُلب ثم رماه ، فقال : باسم الله ربِّ هذا الغلام ، قال : فوضع الغلام يدَه على صُدْغه حين رمى ثم مات ، فقال الناس : لقد علم هذا الغلامُ علما ما عَلِمه أحدٌ ، فإنا نؤمن برب هذا الغلام ، قال : فقيل للملك : أجزعت أن خالفك ثلاثةٌ ،

. . . .

فهذا العالم كلهم قد خالفوك ، قال : نخدَّ أُخدُودا[1] ، ثم ألقى فيه الحطب والنار ، ثم جمع الناسَ ، فقال : من رجع عن دينه تركناه ، ومن لم يرجع ألقيناه فى هذه النار ، فجعل يلقيهم فى ذلك الأُخدود . قال : يقول الله سبحانه — (قُتِل أصحابُ الأُخْدُودِ النارِ ذاتِ الوَقُودِ) حتى بلغ : (العزيز الحميد) : البروج قال : فأما الغلامُ فإنه دُفن . قال : فيذكر أنه أُخْرِج فى زمن عُمَر بن الخطاب — رضى الله عنه — وأصبعُه على صُدغه ، كما وضعها حين قُتل . رواه الترمذى عن محمود بن غَيْلان عن عبد الرزاق عن مَعْمر ، ورواه مُسلم عن هَدَّاب بن خالد عن حَمَّاد بن سَلَمة ، ثم اتفقا عن ثابت ، عن ابن أبى ليلى عن صُهَيْب غير أن فى حديثِ مسلم أن الأعمى الذى شفى ، كان جليسا للملك ، وأنه جاءه بعد ماشُفى ، فجلس من الملك كما كان يجلس فقال : مَنْ رد عليك بصَرك ، قال: رَبِّى، قال: وهل لك رَبٌّ غيرى ؟ ! فقال: الله ربى وربُّك، فأمر بالمِنشارِ، فجعل على رأسه حتى وقع شِقَّاه ، وأمر بالراهب ففعل به ، مثل ذلك ، وزاد مسلم فى آخر الحديث . قال: فأُتى بامرأةٍ لتُلْقى فى النار ، ومعها صبى يرضع فقال لها الغلام : يا أُمّه لا تجزعى ، فإنك على الحق ، وذكر ابن قتيبة أن الغلام الرضيع كان من سَبعة أشهر[2] .

---

(١) خد : شق ، والأخدود : شق فى الأرض مستطيل غائص . جمعه : أخاديد وقد شرحه ابن هشام .

(٢) ورواه أحمد أيضا . وقد قال الحافظ المزى عن سياق القصة : يحتمل أن يكون من كلام صهيب الرومى ، فإنه كان عنده علم من أخبار النصارى ، وقد ذكر السدي : كانت الأخدود ثلاثة ، خد بالعراق ، وخد بالشام ، وخد باليمن ، =

« مصير عبد الله بن الثامر » :

قال ابن إسحاق : ويقال : كان فيمن قتَل ذو نُوَاس ، عبدُ الله بن الثامر رأسُهم وإمامُهم

قال ابن إسحاق : حدثنى عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم أنه حدَّث : أن رجلا من أهل نَجْران كان فى زمان عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — حفر خَرِبة من خَرِب نَجْران لبعض حاجته ، فوجدوا عبد الله بن الثامر تحتَ دَفْن منها قاعداً ، واضعا يده على ضَرْبة فى رأسه ، ممسكا عليها بيده ، فإذا أُخرتْ يده عنها تنبعث دما ، وإذا أُرْسلت يده ردّها عليها ، فأمسكت دمَها ، وفى يده خاتم مكتوب فيه : « ربى الله » فكُتِبَ فيه إلى عمر بنِ الخطّاب يُخبَر بأمره ، فكتب إليهم عمرُ رضى الله عنه : أن أقِرُّوه على حاله ورُدُّوا عليه الدفنَ الذى كان عليه ، ففعلوا .

(حديث الحبشة (١))

وذكر فيه دَوْساً ذا ثَعْلبان الذى أتى قيصرَ . ودوس : هو ابن تُبَّع الذى قتله أخوه ، قاله ابن إسحاق فى غير رواية ابن هشام .

= رواه ابن أبى حاتم ، وعن مقاتل : إنها واحدة بنجران باليمن ، والأخرى بالشام ، والأخرى بفارس حرقوا بالنار ، أما التى بالشام فهو أنطنايوس الرومى ، وأما التى بفارس فهو بختنصر ، وأما التى بأرض العرب ، فهو يوسف ذو نواس ، فأما التى بفارس والشام فلم ينزل الله تعالى فيهم قرآنا ، وأنزل فى التى كانت بنجران

(١) الحبش عند بعض المؤرخين الأوربيين هم سكان حبشت فى العربية الجنوبية ، وهم فرع من شعب قديم كان يسكن جزيرة العرب اسمه : بوين ، وهو =

رفع
المسهم
عبد الله الطيار

. . . .

وذكر فيه قيصر وكتابه للنجاشي . وقيصر اسم علَم لكل من ولى الروم وتفسيره بلسانهم : البقير الذى بُقِر بَطنُ أمّه عنه(١) ، وكان أول من تسمى به بُقَيْراً ، فلما ملك وعُرف به ، تسمى به كل من ملك بعده . قاله المسعودى .

وإنما كتب بذلك إلى النجاشيّ ؛ لأنه على دينه ، وكان أقرب إلى اليمن منه ، وذكر غير ابن إسحاق أن ذا نُواس أدخل الحبشة صنعاء اليمن ، حين رأى أن لا قِبَلَ له بهم ، بعد أن استنفر جميعَ المَقَاوِلِ ، ليكونوا معه يدا واحدة عليهم ، فأبوا إلا أن يحمى كلٌّ واحد منهم حَوْزَته على حدته ، فخرج إليهم ومعه مفاتيح خزائنه وأمواله ، على أن يُسالموه ومن معه ، ولا يقتلوا أحدا فكتبوا إلى النجاشي بذلك ، فأمرهم أن يَقْبَلوا ذلك منهم ، فدخلوا صنعاء ودفع إليهم المفاتيح ، وأمرهم أن يَقْبضوا ما فى بلاده من خزائن أمواله ، ثم كتب هو إلى كل موضع من أرضه : أن اقْتُلوا كل ثور أسودَ ، فقتل أكثر الحبشة ، فلما بلغ

= شعب لايعرف من أمره شىء يذكر . ويرى هؤلاء أن الحبشة فى الأصل هى أرضون فى جنوب الجزيرة على الساحل فى شرق حضرموت ، منها هاجر أهل حبشة على رأيهم إلى إفريقية ، حتى أطلقت كلمة حبشة على الأرض التى أطلق عليها اسم أثيوبية : «أثيوبية عند اليونان : الوجه المحترق» أى أطلقت على البلاد الواقعة جنوب مصر ، وعلى سواحل إفريقية الواقعة على البحر الأحمر والمحيط الهندى ، وأطلقت على العربية الجنوبية وهى تقابل كلمة كوش فى التوراة . ص ١٥٠ ج ٣ تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد على .

(١) فى المروج « بقر » بدلا من بقير . ثم يفسرها بقوله : « أى شق عنه وذلك أن أمه ماتت ، وهى حامل ، فشق بطنها ، فكان هذا الملك يفتخر فى وقته بأن النساء لم تلده ، وكذلك من حدث بعده » ج ١ ٣٠٩ ويطلق على هذا النوع من الولادة حتى الآن القيصرية .

رفع المسا هم

. . . .

ذلك النجاشيّ وجه جيشا إلى أبرهة ، وعليهم أرياطُ وأمره أن يقتل ذانُواس ، ويخرب ثلث بلاده ، ويقتل ثلث الرجال ، ويسبي ثلث النساء والذرية ففعل ذلك أبرهة . وأبْرَهة بالحبشة : هو الأبيض الوجهِ ، وفى هذا قوة لقول من قال : إن أبرهة هذا هو أبْرَهَة بن الصُّبَاح الحميرى ! وليس بأبى يَكْسُوم الْحَبَشِيّ ، وإن الحبشةَ كانوا قد أمَّروا أبْرَهَة بن الصُّبَاح(١) على اليمن ، وهذا القول ذكره ابن سلام فى تفسيره ، واقتحم ذونُواس البحر ، فهلك وقام بأمره من بعده ذوجَدَن ، واسمه : عَلَس بن الحارثِ أخو سُبَيْع(٢) بن الحارث ، والْجَدَنُ : حُسن الصوت ، يقال : إنه أول من أظهر الغناء باليمن فسمى به ، وجَدَن أيضاً : مفازة باليمن ، زعم البكري أن ذا جَدَنٍ إليها يُنسب ، فحارب الحبشة بعد ذى نُواس فكسروا جُنْدَه ، وغلبوه على أمره ، فَفَرَّ إلى البحر كما فعل ذو نُواس ، فهلك فيه ، وذكروا سبب منازعة أبْرَهَة لأرْياط ، وأن ذلك إنما كان ، لأن أبرهة بلَّغ النجاشِيّ أنه استبد بنفسه ، ولم يرسل إليه من جباية اليمن شيئا ، فوجّه أرياطًا إلى خلعه ، فعند ذلك دعاه أبرهة إلى المبارزة — كما ذكر ابن إسحاق — وذكر الطبرى أن عَتْوَدَةَ الغلام(٣) الذى قتل

---

(١) أبرهة بن الصباح بن لهيعة بن شيبة بن مدثر . وكان يلقب بذى المنار ابن الصعب ، والأكثرون على أنه أبو يكسوم الحبشى . واسم النجاشى الذى غزا الحبشة « الإعميدا » وكان وثنيا ، ولهذا يرجح أن غزوه للحبشة كان لأسباب اقتصادية لا دينية ، ويقال إن الغزو كان سنة ٣٤٥ بعد الميلاد ص ١٤٩ تاريخ العرب لجواد على .

(٢) فى القاموس « علس بن يشرح — بفتح الياء والراء — ابن الحارث » وفى القاموس أيضاً ما ذكر عنه . (٣) ص ١٢٩ ح ٢ الطبرى

أمر دوس ذى ثعلبان ، وابتداء ملك الحبشة

وذكر أرياط المستولى على اليمن

« دوس يستنصر بقيصر » :

قال ابن إسحاق : وأفلت منهم رجلٌ من سبأ ، يقال له دَوْس ذو ثُعْلُبان على فرس له ، فسلك الرملَ فأعجزهم ، فمضى على وجهه ذلك ، حتى أتى قيصرَ ملكَ الروم ، فاستنصره على ذى نواس وجنوده ، وأخبره بما بلغ منهم ، فقال له . بَعُدَتْ بلادُك منا ، ولكن سأكتب لك إلى ملك الحبشة فإنه على هذا الدين ، وهو أقرب إلى بلادك ، وكتب إليه يأمره بنصره والطلب بثأره .

أرياطًا . والعَتْوَدَةُ : الشدة ، وقد قيل فى اسمه أَرْبَجْدَةُ(١) . قال له أبرهة : احتكم علىَّ ، قال : أحتكم : أنْ لا تزف امرأة إلى بعلها ، حتى أكونَ أنا الذى أبدأ بها قبله ، ففعل ذلك أبرهة ، وغَبَرَ العبدُ زمانا يفعل ذلك ، فلما اشتد الغيظُ بأهل اليمن ، قتلوا عَتْوَدة غِيلة ، فقال لهم الملك : قد أنى لكم يأهل اليمن أن تفعلوا فعل الأحرار ، وأن تغضبوا لِحُرَمِكُمْ ، ولو علمت أن هذا العبد يسألنى هذا الذى سأل ما حكَّمتهُ ، ولكن والله لا يؤخذ منكم فيه دِية ، ولا تُطْلَبون بذَحْل(٢) ، وحيثما وقع اسم أرياط فى رواية يونس ، لم يسمه بهذا الاسم ، إنما سماه رَوْزَنة أو نحو هذا .

---

(١) فى الطبرى أرنجدة ، وهو فى رواية هشام بن محمد .

(٢) الحقد والثأر وبسكون الحاء فيجمع على ذحول ، وبفتحها فيجمع على أذحال .

. . . .

وذكر الطبرى أن سيف بن ذى يزن لما فعل ذونواس بالحبشة ما فعل ، ثم ظفروا به بعث عظيمهم(١) إلى أبى مُرَّة سيف بن ذى يزن ، فانتزع منه ريحانة بنت عَلْقَمَة بن مالك ، وكانت قد ولدت له مَعْدى كرب . فملكها أبرهة . وأَوْلَدَهَا مسروقَ بن أبرهة ، وعند ذلك توجه سيف إلى كسرى أنو شِرْوان يطلب منه الغوث على الحبشة ، فوعده بذلك وأقام عنده سنين ، ثم مات وخلفه ابنهُ مَعْدِى كَرِبُ فى طلب الثأر ، فأُدخل على كسرى ، فقال له : من أنت ؟ فقال : رجل يطلب إرث أبيه ، وهو وَعْد الملك الذى وَعَد به ، فسأل عنه كسرى : أهو من بيت مملكة أم لا ؟ فأُخبر أنه من بيت مُلك فوجَّه معه وهْرَزَ القارس فى سبعة آلاف وخمسمائة من الفرس ، وقال ابن إسحاق : فى ثمانمائة غرق منهم مائتان ، وسلم ستمائة ، والقول الأولُ قولُ ابن قتيبة وهو أشبه بالصواب ، إذ يبعد مقاومة الحبشة بستمائة ، وإن كان قد جمع إليهم من العرب — كما ذكر ابن إسحاق — ما جمع . ثم إن مَعْدِ يكَرِبَ ابن سيف لما قتل الحبشة وملك هو وَوَهْرَزَ اليمنَ أقام فى ذلك نحو أربع سنين . ثم قتلته عَبيد له ، كان قد اتخذهم من أولئك الحبشة ، خرج بهم إلى الصيد فزَرَقُوه(٢) بحرابهم ، ثم هربوا فأُتبعوا فقُتِلوا . وتفرق أمر اليمن بعده إلى مخالف عليها مقاولٌ كملوك الطوائف لا يدين بعضُهم لبعض إلا ما كان من صنعاء ، وكون الأبناء(٣) فيها ، حتى جاء الإسلام .

---

(١) ص ١٣٦ حـ ٢ الطبرى . واسم العظيم : أبرهة فهو الذى انتزع امرأة سيف بن ذى يزن الذى كان يكنى بأبى مرة . (٢) طعنوه .

(٣) المخالف : جمع مخلاف وهو الكورة — بضم الكاف — المدينة أو الصقع وهو =

« هزيمة ذى نواس وانتحاره » :

فقدم دَوْسٌ على النَّجاشيِّ بكتاب قيصر ، فبعث معه سبعين ألفاً من الحبشة ، وأمَّر عليهم رجلا منهم يقال له : أرياط — ومعه فى جنده أبْرهة الأشرم — فركب أرياط البحرَ حتى نزل بساحل اليمن ، ومعه دوس ذو ثُعْلبان وسار إليه ذو نُواس فى حِمْير ، ومَنْ أطاعه من قبائل اليمن ، فلما التقوا انهزم ذو نواس وأصحابه ، فلما رأى ذو نواس ما نزل به وبقومه ، وجَّه فرسَه فى البحر ، ثم ضربه ، فدخل به فخاض به ضَحْضاح البحر ، حتى أفضى به إلى غَمْرِه ، فأدخله فيه ، وكان آخرَ العهد به . ودخل أرْياطُ اليمن ، فملكها .

فصل : واستشهد ابن هشام فى هذا الخبر على الأخدود ببيت ذى الرُّمة ، وهو : غَيْلان بن عُقْبة بن بُهَيْش بضم الباء والشين ، وسمى ذا الرُّمة ببيت قاله فى الوتد : أشعثَ باقى رُمَّةِ التَّقْلِيدِ(١) . وقيل إن مَيَّةَ سمته بذلك ، وكان

= ما يشبه المحافظة فى مصر ، وهى مضافة إلى أسماء القبائل التى يسكنونها ، وغير ذلك ، وقد ورد فى المراصد أسماء أكثر من ثلاثين منها . هذا ويقول محمد بن حبيب فى كتاب أسماء من قتل من الشعراء : « وكل بنى صعصعة إلا عامر بن صعصعة من الأبناء ، وهم : واثلة ومازن وسلوى » ص ٣٣٦ ج ٤ خزانة الأدب للبغدادى والأبناء قوم من العجم سكنوا اليمن .

(١) الرمة بضم الراء وتشديد الميم وفتحها وقد تكسر الراء : قطعة من الحبل بالية . وقد ورد قوله فى اللسان ، وفى القاموس : « بهيش كزبير جد ذى الرمة ، وفى سمط اللآلى « نهيس ، وفى الأغانى نهيس انظر ص ٨٢ سمط اللآلى وفى السمط تبدأ الأبيات بقوله :

لم يبق غير مثل ركود وغير مرضوح القفا موتود

وقوله فى اللسان هكذا : =

. . . .

قد قال لها : أصلحِي لى هذا الدلو ، فقالت له : إنى خَرْقاء ، فولى وهى على عنقه بِرُمَّتِها ، فنادته : ياذا الرُّمَّةِ إن كنتُ خرقاءَ فإن لى أمة صَنَاعاً ؛ فلذلك سماها بخَرْقاء(١) ، كما سمته بذى الرُّمَّة .

فصل : وقوله : نخاض ضَحضَاح البحر إلى غَمْرِه . الضَّحْضَاحُ من الماء: الذى يظهر منه القَعْر ، وكان أصلُه من الضَّحِّ وهو حَر الشمس ، كأن الشمس تُداخِله لِقِلّته ، فقلِبت فيه إحدى الحاءين ضادا ، كما قالوا فى ثَرَّة ثَرْثارة ، وفى تَملَّل تَمَلْمَل(٢)

= لم يبق منها أبد الأبيد غيرُ ثلاث ماثلات سود
وغير مشجوج القفا مولود فيه بقايا رمة التقليد

يعنى ما بقى فى رأس الوتد من رمة الطنب المعقود فيه . والشطرة الأولى تروى هكذا « وغير موضوح القفا موتود » ومية حبيبته هى بنت مقاتل بن طلبة ابن قيس ، أو بنت عاصم بن طلبة بن قيس « الوفيات السمط » .

(١) فى القاموس : « خرقاء : امرأة سوداء كانت تقم مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورضى عنها ، وامرأة من بنى البكاء شبب بها ذو الرمة » والخرقاء . الحمقاء ، ومن لا تحسن الصنعة والعمل والتصرف فى الأمور . والصناع : الحاذقة الماهرة ، ويقول ابن قتيبة عن الخرقاء إنها التى لا تعمل شيئا بيدها لكرامتها على أهلها ، وقيل فى سبب تلقيبه بذى الرمة أنه كان يتفزع ، وهو غلام ، فجاءته أمه بمن كتب له كتابا ، وعلقته عليه برمة من حبل ، ويزعم المرتضى فى أماليه أنه كان من أهل العدل ، أى : المعتزلة انظر ص ٧٤ جـ ١ خزانة الأدب للبغدادى ص ١٤ جـ ١ أمالى المرتضى طبع السعادة .

(٢) ثر السائل ثرا وثرورا : غزر وكثر ، وثر الرجل : كثر كلامه وتشدق، فهو ثار وثر . والثرثار : الذى يكثر الكلام فى تكلف وخروج عن الجد . مللت منه مللا من باب تعب ومَلالة : سئمت وضجرت وتململ : تقلب من الضجر .

« ما قيل من شعر فى دوس » :

فقال رجل من أهل اليمن ـ وهو يذكر ما ساق إليهم دَوْس من أمر الحبشة

« لا كدَوْسٍ ولا كأعلاق رَحْلِهِ »

فهى مثل باليمن إلى هذا اليوم . وقال ذو جَدَنٍ الحميرى :

هَوْنَكِ ليس يَرُدُّ الدمعُ ما فاتا   لا تَهْلِكى أسفاً فى إثْر مَنْ ماتا
أبعد بَيْنُون لا عينٌ ولا أثرٌ   وبعد سَلْحِين يبنى الناسُ أبياتا

وهو قول الكوفيين من النحويين ، ولست أعرف أصلا يدفعه ، ولا دليلا يرده ، ويقال له أيضاً : الرَّقْرَاق والضَّهْل(١) ، وقد يُستعار فى غير الماء ، كقول النبى — صلى الله عليه وسلم — فى عمه أبى طالب حين سُئِل عنه ، فقال : « هو فى ضَحْضَاحٍ من النار ، ولولا مكانى لكان فى الطَّمْطَام » وفى البخارى : وجدته فى غَمَرَاتٍ من النارِ ، فأخرجتُه إلى الضَّحْضَاحِ ، والغَمْرُ هو الطَّمْطَام ، وأما قول ذى جَدَن :

هَوْنَكِ لن يَرُدُّ الدمعُ ما فاتا

وهكذا روى هذا القسيم ناقصا قاله البَرْقِيُّ ، وقد روى عن ابن إسحاق من غير رواية ابن هشام : هَوْنَكُما لن يرد . قال . وهو من باب قول العرب للواحد : افعلا ، وهو كثير فى القرآن والكلام .

---

(١) الضهل أو الضحل : الماء القليل واللبن المجتمع ، والضحضاح : الماء اليسير ، والطمطام : وسط البحر . أقول : ولن يستطيع الإنس والجن والملائكة إخراج واحد من النار إلا بأمر الله فيجب علينا أن يكون إيماننا بهذه الحقيقة مناراً لنا ونحن نقرأ حديث البخارى

. . . .

وفيه :

أَبَعْدَ بَيْنُونَ لاعَيْنٌ ولا أَثَرٌ وبعد سَلْحِينَ يبنى الناس أبياتا (١)

فَبَيْنُون وسَلْحِين مدينتان خَرَّبهما أَرْيَاطُ كما ذكر . قال البكرى فى كتاب « مُعْجَم ما اسْتَعْجَمَ » : سميت بينون لأنها كانت بَيْن عُمَانَ والْبَحْرَيْنِ ، فهى إذاً على قوله : فَعْلُون من الْبَيْن ، والياء أصلية ، وقياس النحويين يمنع من هذا ؛ لأن الإعرابَ إذا كان فى النونِ لَزِمتِ الاسمَ الياء فى جميع أحواله ، كَقِنَّسْرِينَ (٢) وفِلَسْطِينَ ألا ترى كيف قال فى آخر البيت : وبعد سَلْحِين ، فكذلك كان القياسُ ، أن يقول على هذا : أبعد بَيْنِينَ ، وعلى مذهب من جعله مِن العرب بالواو فى الرفع ، وبالياء فى الْخَفْض ، والنَّصْب . يقول أيضاً : أبعد بَيْنِينَ ، وليس للعرب فيه مذهبٌ ثالث (٣) فثبت أنه ليس

---

(١) ينسب هذا البيت والذى قبله إلى علقمة بن شراحيل مع اختلاف يسير فى أول شطرة . ففى اللسان « هونكما ، لاتهلكا » وفى غيره « يا خلى ما برد الخ » وفى البلدان للهمدانى « وبعد سلحين يبنى الناس بنيانا » وفى معجم البكرى تحت مادتها أن بينون سميت باسم بينون بن ميناف بن شُرَحْبيل ابن نيكف بن عبد شمس ، وذكر أنها على وزن فعلول .

(٢) قنسرين : مدينة بينها وبين حلب مرحلة ، وحين غلب الروم سنة ٣٥١ خاف أهل قنسرين ، وجلوا عنها ، فلم يبق منها سوى خان تنزله القوافل ومراصد.

(٣) فى اللسان عن سَيْلَحُون : منهم من يجعل الإعراب فى النون ومنهم من يجريها مجرى مسلمين ، والعامة تقول : سالحون . الليث : سيلحين : موضع : يقال : هذه سيلحون ، وهذه سيلحين « بضم النون » . . وأكثر ما يقال هذه سيلحون مفتوحة النون « كجمع المذكر السالم فى الإعراب » ورأيت =

رفع
المستهم

. . . .

من الْبَيْن ، إنما هو فَـيْعُول ، والواو زائدة من أَبَنَّ بالمكان، وبَنَّ إذا أقام فيه ، لكنه لا ينصرف للتعريف والتأنيث، غير أن أبا سعيد السيرافى ذكر وجها ثالثا للعرب فى تسمية الاسم بالجمع المُسلم ، فأجاز أن يكون الإعراب فى النون ، وتثبت الواو ، وقال فى زَيْتُون : إنه فَعْلون من الزَّيت ، وأجاز أبو الفتح بن جنى أن يكون الزيتون فَيْعُولا من الزَّيت ، ولكن من قولهم زَتَن المكان إذا أنبت الزَّيْتُون، فإن صحت هذه الحكاية عن العرب ، وإلَّا فالظَّاهِرُ أنه من الزَّيت ، وأنه فَعْلُون، وقد كثر هذا فى كلامِ الناس غير أنه ليس فى كلام العربِ القدماء ، ففى المعروفين من أسماء الناس : سُحْنُون وعَبْدون قال الشاعر ـ وهو ابن المعتز :

سَقى الجزيرةَ ذاتَ الظلِّ والشجر ... ودَيْرَ عَبْدُونَ هَطَّالٌ من المطرِ

وَدَيْرُ عَبْدُونَ معروفٌ بالشام ، وكذلك دَيْر فَيْنُونَ غير أنَّ فينون يحتمل أن يكون فَيْعُولا، فلا يكون من هذا الباب، كما قلنا فى بَيْنُون[1]، وهو الأظهر.

= سيلحين ، وكذلك : هذه قنسرون ، ورأيت قنسرين ، ويزعم الهمدانى أن الذى بنى سلحين هم جن سليمان ، وورد فى النصوص القديمة أنه حصن ومقام لملوك مأرب ، ويقال إن موضعه هو حرم بلقيس انظر ص ١٤٨ ج ٣ تاريخ العرب قبل الإسلام .

(١) فى اللسان فى مادة زتن عن الزيتون ، وهو مثل : قيعون من القاع ، كذلك الزيتون: شجر الزيت وهو الدهن ، وأرض كثيرة الزيتون على هذا فيعول مادة على حيالها ، والأكثر فعلون من الزيت . ودير عبدون كما فى معجم البكرى ـ بالعراق بظاهر المطيرة فى ثمر وبساتين، وفى المراصد أنه ينسب إلى عبدون أخى صاعد بن مخلد ؛ لأنه كان كثير الإلمام به، ودير عبدون أيضا قرب جزيرة ابن عمر =

بَيْنون وسَلْحِين وغُمْدان : من حصون اليمن التى هدمها أرياط ، ولم يسكن فى الناس مثلها . وقال ذو جَدَن أيضاً :

دعينى — لا أبالك — لن تُطيقى   لحاكِ اللهُ ! قد أنزفْتِ ريقى
لَدَى عزْفِ القيان إذِ انتشَينا   وإذ نُسقى من الخمر الرحيقِ
وشُرْبُ الخمرِ ليس علىّ عارا   إذا لم يَشْكُنى فيها رَفيقى
فإنّ الموْتَ لا ينهاه ناهٍ   ولو شرب الشفاء مع النَّشُوق
ولا مُترهِّبٌ فى أُسْطُوانٍ   يناطح جُدْرَه بَيْضُ الأنوقِ
وغُمْدان الذى حُدِّثت عنه   بَنَوْه مُسَمَّكا فى رأسِ نِيقِ
بِمَنْهَمَةٍ ، وأسفلهُ جُرُونٌ   وحُرُّ المَوْحَلِ اللَّثِقِ الزليق
مصابيح السَّليط تلوح فيه   إذا يُمسِى كَتَوْماضِ البُرُوق
ونخلتُهُ التى غُرِسَتْ إليه   يكاد البُسْر يَهْصِر بالعُذُوق
فأصبح بَعْدَ جِدَّتِه رَماداً   وغيَّرَ حسنَه لهبُ الحريق
وأسلَمَ ذو نُواس مُسْتَكينا   وحذَّر قومَه ضَنْكَ المَضِيق

وأما حَلَزُون — وهو دود يكون بالعشب ، وأكثر ما يكون فى الرِّمْثِ — فليس من باب فِلَسْطين وقِنَّسْرين ، ولكن النونَ فيه أصلية ، كَزَرَجُون (١) ، ولذلك أدخله أبو عبيد فى باب فَعَلُون ، وكذلك فعل صاحب كتاب

= وبينهما دجلة ، ودير فنيون هو : فثْنيُون فى معجم البكرى والمراصد ومعجم ياقوت . وفى المسالك للعمرى : فاثيون ، وهو بسر من رأى . وكم كان لهذه الأديار من خطر على خلق المسلمين ودينهم .

(١) الرمث : مرعى للابل من الحمض بفتح فسكون ، والزَّرَجُون : الخمر.

. . . .

العين أدخله فى باب الرُّباعى ، فدل على أن النون عنده فيه أصلية وأنه فَعَلُول بلامين .

وقولُ ذى جدن : وبعد سَلْحِين يقطع على أن بَيْنون : فَيعول على كل حال ؛ لأن الذى ذكره السيرافى من المذهب الثالث إن صحّ ، فإنما هى لغة أخرى غير لغة ذى جَدَن(١) الحميرى، إذ لو كان من لغته ، لقال : سَلْحُون، وأعرب النون مع بقاء الواو ، فلما لم يفعل علمنا أن المعتقد عندهم فى بَيْنون : زيادة الياء ، وأن النونين أصليتان كما تقدم . وقوله :

دعينى — لا أبالكِ — لن تطيقى

أىْ : لن تطيقى صَرْفى بالعذل عن شأنى ، وحذف النون من تطيقين للنصب أو للجزم على لغة منَ جَزم بَلنْ إن كان ذلك من لغتة ، والياء التى بعد القاف : اسم مضمَر فى قول سيبويه ، وحرف علامة تأنيث فى قول الأخفش ، وللحجة لهما ، وعليهما موضع غير هذا . وقوله :

قد أنْزَفت ريقى

أى : أكثرتِ علىّ من العَذْلِ حتى أيْبَست ريقى فى فمى ، وقلةُ الريق من الحَصَرِ ، وكثرته من قوة النَّفَس ، وثباتِ الجأش قال الراجز :

إنى إذا زَبَّبَتِ الأشْداقُ
وكَثُرَ اللَّجاجُ واللَّقلاَقُ

---

(١) لقب بهذا لحسن صوته ، والجدن: الصوت بلغتهم ، ويقال : إنه أول من تغنى باليمن ، واسم سيفه : ذو الكف .

وقال ابن الذِّئبة الثقفى فى ذلك — قال ابن هشام : الذئبة أمُّه ، واسمه : ربيعة بن عَبْد ياليل بن سالم بن مالك بن حُطَيْط بن جُشَم بن قَسِيّ .

لَعَمْرُكَ ما للفتى من مَفَرّ ... مع الموت يلحقه والكِبَرْ
لَعَمْرُكَ ما للفتى صُحْرَة ... لَعَمْرُكَ ما إنْ له مِن وَزَرْ
أبعدَ قَبائلَ مِنْ حِمْيَر ... أُبِيدُوا صباحا بذات العَبَرْ
بألْفِ ألوفٍ وحَرَّابة ... كمثل السماء قُبَيْلِ المطر
يُصِمّ صياحهم المُقْرَبَاتِ ... وينفون من قاتلوا بالذَّفَر
سَعَالِيَ مثلُ عديد الترا ... ب تَيْبَس منهم رِطابُ الشجر

تَبِت الجنانِ مِرْجَمْ وَدّاقُ(١)

زَبَّبَتِ الأشداقُ : من الزَّبِيبَتين(٢) ، وهو ماينعقد من الرِّيق فى جانبى الفم عند كثرة الكلام ، وقوله : ودّاق : أىْ يسيل كالوَدْقِ(٣) . يريد : سيلانَ

---

(١) فى اللسان : إنى إذا مازبب الأشداق ، وكثر الضجاج واللقلاق الخ ثم يشرحه اللسان ، أى دان من العدو . ودق ، بفتح الدال ، أى دنا والتزبب : التزيد فى الكلام ، ومرجم : كمِنْبَر : شديد كأنه يرجم عدوه . واللقلاق : شدة الصوت واضطرابه ، واللجاجة : الخصومة .

(٢) فى اللسان : والزبيب : اجتماع الريق فى الصماغين ، والزبيبتان : زبدتان فى شدقى الإنسان إذا أكثر الكلام ، وقد زبب شدقاه : اجتمع الريق فى صامِغيهما ، واسم ذلك الريق : الزبيبتان ، وزبب فم الرجل : إذا رأيت له زبيبتين فى جنبي فيه عند ملتقى شفتيه مما يلى اللسان يعنى ريقا يابسا .

(٣) المطر .

. . . .

الريق ، وكثرةَ القول ، كما قال أبو المُخَشِّ فى ابنه : كان أَشْدَق خُرْطُماَنِيًّا(١) إذا تكلم سال لعابُه . وقولُه : ولو شرب الشِّفَاء مع النَّشُوق .

أى : لو شرب كل دواء يُستشفى به ، وتَنَشَّق كل نَشوقٍ يُجعل فى الأنف للتداوى به ، مانهى ذلك الموت عنه .

وقوله : ولا مُتَرَهِّبٌ يجوز أن يكونَ رفعه عطفاً على ناهٍ ، أى : لا يرد الموتَ ناهٍ ، ولا مُتَرَهِّبٌ . أى : دُعاء مُتَرَهِّب يدعولك ، ويجوز أن يكونَ مترهبٌ رَفْعاً على معنى : ولا ينجو منهُ مُتَرَهِّب . كما قال : تالله يبقى على الأَيَّام ذوحِيَدٍ(٢) . البيت . والأُسْطُوانُ : أفْعُوالُ . النون أصلية ، لأن جمعه أساطين ، وليس فى الكلام أفاعين . وقوله :

يناطح جُدْرَه بَيْضَ الأَنُوقِ

جُدْره : جمع جدار ، وهو مخفف من جُدُورٍ ، وفى التنزيل (أَوْمِنْ وَراء جُدُرٍ) تقيد بضم الجيم ، والجَدْرُ أيضا بفتح الجيم : الحائطُ ، ولكن الروايةفى الكتاب هكذا كما ذكرنا . والأَنُوقُ : الأُنثى من الرَّخَم(٣) ! يقال فى المثل :أعزُّ من بَيْضِ

---

(١) أشدق : بليغ ، والخرطماني : الكبير الأنف .

ملحوظة : لا كدوس ولا كأعلاق رحله . الأعلاق : جمع علق «بكسر العين» : النفيس من الشيء والجراب ، ويفتح أيضا . يعنى : أنه لايوجد كدوس ولا مثل ماحمله من الخير الوفير إلى الحبشة .

(٢) بقيته : بِمُشمَخِرٍّ به الظَّيَّانُ والآسُ . وهو لمالك بن خالد الخناعى

(٣) الرخم : طائر غزير الريش، أبيض اللون مبقع بسواد، له منقار طويل قليل التقوس، رمادي اللون إلى الحمرة ، وأكثر من نصفه مغطى بجلد رقيق .

. . . .

الأنُوقِ ، إذا أراد مالا يوجد؛ لأنها تبيض حيث لا يُدرك بَيضُها من شواهقِ الجبال . هذا قول المبرد فى الكامل ، ولا يوافَق عليه ؛ فقد قال الخليل : الأنُوقُ : الذكر من الرَّخَم، وهذا أشبهُ بالمعنى؛ لأن الذكر لا يبيض ، فمن أراد بَيضَ الأنُوق ، فقد أراد المحال ، كمن أراد : الأبْلَقَ العَقُوقَ(١) وقد قال القالى فى الأمالى : الأنُوقُ يقع على الذكر والأنثى من الرَّخَم .

وقوله : وغُمْدانُ الذى حدثت عنه : هو الحِصن الذى كان لِهَوْذَة بن على ملكِ اليمامة ، وسيأتى طرف من ذكره . ومُسَمَّكا : مُرَفَّعاً من قوله : سَمك السماء، والنِّيقُ : أعلى الجبل . وقوله : بِمَنْهَمَةٍ هو موضع الرهبان . والراهب يقال له : النِّهامِىُّ ويقال للنجار أيضا : نِهَامِىٌّ ، فتكون المَنْهَمَةُ أيضاً على هذا موضع نَجْرٍ(٢) .

وقوله : وأسفلُه جُرون . جمعُ جُرْن، وهو النَّقِيرُ(٣) من جَرَنَ الثوبُ : إذا

---

(١) هو مثل لما لا يمكن أن يكون ، لأن الأبلق من ذكور الخيل ، أو الفحل الذى جاءت أولاده بلقا. العقوق من البهائم : الحامل. والأبلق طبعا لا يحمل : لأن أبلق من صفات الذكور، ولهذا تقول كلمتى بيض الأنوق ، والأبلق العقوق . انظر اللسان. مادة : أنق وبلق وعق ، والأمالى للقالى ج١ ص١٢٨ ط٢ والسمط ص ٢٧٠ .

(٢) فى القاموس: والنهام والنهامى منسوبا مثلثين : الحداد والنجار، والمنهمة: موضع النجر ، والنهامى بالكسر : صاحب الدير وتضم ، وفى اللسان : النهامى بكسر النون وفتحها : الحداد والنجار والراهب

(٣) فى القاموس ، الجرن بالضم : حجر منقور يتوضأ منه ،

. . . .

لان [وانسحق] . وروايةُ أبى الوليد الْوَقْشِيِّ : جُروب بالباء . وكذلك ذكره الطبرى بالباء أيضا . وفى حاشية كتاب الوقشى : الجروب : حجارةٌ سُود . كذا نَقَل أبو بحر عنه فى نسخة كتابه ، فإن صح هذا فى اللغةِ وإلا فالْجُروب : جمعُ جَريب على حذف الياء من جريب ، فقد يُجمع الاسمُ على حذف الزوائد ، كما جمعوا صاحبا على أصحاب . وقالوا : طَوِىٌّ وأَطْواء وغير ذلك . والجريب والجِرْبَة : المزرعة(١) .

وقوله : وحُرُّ الْموحَل بفتح الحاء ، وهو القياس لأنه من وَحِلَ يَوْحَلُ . ولو كان الفعل منه وَحَل على مثل وَعدَ(٢) ، لكان القياسُ فى الموحِل الكسر لا غير ، وقد ذكر الْقُتَبِىُّ فيه اللغتين : الكسرَ والفتحَ ، والأصل ماقدمناه .

وقوله : وحُر بضم الحاء ، وهو خالص كل شىء ، وفى كتاب أبى بحر عن الْوَقْشِىِّ : وحَرّ الْمَوْجَل بفتح الحاء ، والجيم من الموجَل مفتوحة ، وفسر الْموْجَل ، فقال : حجارةٌ مُلسٌ لَينةٌ ، والذى أذهب إليه أن الْموجَل ههُنا واحدُ المواجل ، وهى مناهل الماء ، وفُتحت الجيم ، لأن الأَصْل : مأجَل(٣) كذلك قال أبو عبيد : هى المآجِل ، وواحدها : مأجَل . وفى آثار الْمُدَوَّنة سُئل مالكٌ

---

(١) الجريب : مكيال قدر أربعة أقفزة ، جمعه : أجربة وجُربان ومعناه أيضا : والوادى ، والطوى : البئر .

(٢) يعنى مكسور العين محذوف الفاء فى المضارع وفى وجل لغات : يوجل ويآجل وييجل وكلها بفتح الجيم ، وفى الأخيرة بكسر الياء معها

(٣) فى القاموس : موجِل على مثال موعد : حفرة يستنقع فيها الماء وفى مادة أجل : «وكمقعَد ومعظَّم مستنقع الماء» وفى اللسان «والموحل بالفتح المصدر =

وقال عمرو بن مَعْدى كَرِب الزُّبَيْدى فى شىء كان بينه وبين قَيس بن مَكْشُوح المُرادىّ ، فبلغه أنه يتوعده ، فقال يذكر حِمْير وعِزّها ، ومازال من مُلْكها عنها :

أتُوعِدنى كأنَّك ذو رُعَيْن ... بأفضل عِيشةٍ ، أو ذو نُواس
وكائنْ كان قبلك من نعيم ... ومُلْكٍ ثابتٍ فى الناس رَاسى
قديمٍ عهده من عَهْد عادٍ ... عظيمٍ قاهر الجبروت قاسى
فأمْسى أهلُه بادُوا ، وأمسى ... يُحوَّل من أناسٍ فى أُناس

ـ رحمه الله ـ عن مَوَاجِلِ بُرْقَة ، يعنى : المَناهِلَ ، فلو كانت الواو فى الكلمة أصلا لقيل فى الواحد : مَوْجِل مثل موضِع ، إلاّ أن يراد به معنى الْوَجَل ، فيكون الماضى من الفعل مكسور الجيم والمستقبل مفتوحا ، فيفتح الموجَل حينئذ ، ولا معنى له فى هذا الموضع (١)

= وبالكسر : المكان ، وفى باب أجل ، والمأجل ـ بفتح الجيم ـ مستنقع الماء والجمع : المآجل ، والمأجل ـ بفتح الجيم أيضا ـ شبه حوض واسع يؤجل ، أى يجمع فيه الماء إذا كان قليلا ، ثم يفجر إلى المشارات والمزرعة والآبار وهو بالفارسية طرحه .

(١) يعنى وجل بمعنى : خاف ، فهو مكسور الجيم فى الماضى مفتوحها فى المضارع . وفى باب وجل يقول اللسان : «والموجل ـ بكسر الجيم : حفرة يستنقع فيها الماء » وقال إنها يمانية وفى شرح الشافعية يذكر رواية سيبويه عن يونس « إن ناساً من العرب يقولون من يوجل ـ بفتح الجيم ـ ونحوه : موجل وموحل بالفتح مصدرا كان أو غيره . قال سيبويه : إنما قال الأكثرون موجل بالكسر ؛ لأنهم ربما غيروه فى يوجل ويَوْحَل بفتح الجيم والحاء ، فقالوا : ييجل وياجل ، فلما أعلوه بالقلب شبهوه بواو يوعد بكسر العين المعل بالحذف ، فكما قالوا هناك : موعد قالوا ههنا : موجل ـ بكسر الجيم ـ ومن قال : الموجل بالفتح ، فكأنهم الذين يقولون يوجل فيسلمونه . والأسماء المتصلة بالأفعال تابعة لها فى الإعلال ، وإنما قالوا : مودة بالفتح اتفاقا لسلامة الواو فى الفعل اتفاقا » ص ١٧٠ ج ١

وقوله : اللَّثِقُ الزَّليق . اللَّثِقُ : من اللَّثَقِ ، وهو أن يخلط الماء بالتراب فيكثر منه الزَّلَقُ ، قال بعض الفصحاء : غاب الشَّفَقُ ، وطال الأَرَقُ ، وكثر اللَّثَقُ ، فليَنطِقْ مَنْ نطَقَ . وفى حاشية كتاب أبى بحر : اللَّبِقُ بالباء المنقوطة بواحدة ، وذكر أنه هكذا وجد فى أصل ابن هشام ، ولا معنى للَّبق ههنا ، وأظنه تصحيفا من الرواى — والله أعلم

وقوله فى الشعر : يكاد البُسْرُ يَهْصِر بالعُذوق .

أى : تميل بها ، وهو جمع عِذْق بكسر العين ، وهى الكِباسَةُ أو جمع عَذْق بفتح العين ، وهى النَّخْلَة ، وهو أبلغ فى وصفها بالإيقار(١) أن يكون جمع عَذْق بالفتح . وقوله : وأسلم ذو نواس مستكينا . أى : خاضعا ذليلا ، وفى التنزيل : ﴿فما استكانوا لربهم﴾ [المؤمنون : ٧٦] ، قال ابن الأنبارى فيه قولان . أحدهما : أن يكون من السكون ، ويكون الأصل : استكَن على وزن افتعَل ، ومكّنوا الفتحة ، فصارت ألفا كما قال الشاعر :

وإننى حيثما يَثْنى الهوى بَصرى   من حيث ماسلكوا أدنو فأنظور(٢)

---

(١) لأن العذق بفتح العين هى النخلة بحملها

(٢) هو من بيتين أنشدهما الفراء ، وهما :

الله يعلم أنا فى تلفتنا   يوم الفراق إلى أحبابنا صور

وأننى حوثما يثنى الهوى بصرى   من حوثما سلكوا أدنو ، فأنظور

الصور : جمع أصور : المائل من الشوق . والشاهد هنا : تولد الواو من إشباع ضمة الظاء وحوثما : حيثما .

وقال آخر : ياليتها جرَت على الكَلْكال . أراد الكَلْكَل(١) . والقول الآخر : أن يكونَ استفعل من كان يكون مثل: استقام من قام يقوم. قال المؤلف رحمه الله : هذا القول الأخير جيِّد في التصريف، مستقيم في القياس، لكنه بعيدٌ في المعنى عن باب الخضوع والذلة ، والقولُ الأولُ قريب في المعنى ، لكنه بعيدٌ عن قياس التصريف ؛ إذ ليس في الكلام فعل على وزن افْتَعَالَ بألف ، ولكن وجدت لغير ابن الأنبارِي قولا ثالثا: إنه استفعل من الْكَيْنْ وكَيْنُ الإنسان: مُجزُه ومُؤَخَّرُه ، وكأن للستكِينَ قد حنا ذلكَ منه ، كما يقال : صَلَّى ، أى . حنا صَلاه، والصَّلاَ : أسفلُ الظهر ، وهذا القول جيد فى التصريف ، قريب المعنى من الخضوع(٢) .

وذكر قولَ ابن الذِّئْبة ، واسمَه ، وهو : ربيعة بنَ عبْد ياليل، وقال فيه : لعَمْرُكَ ماللفتى صُحْرَةٌ ، وهو الْمُتَّسَعُ، أُخذ من لفظ الصحراء، والْوَزَرُ : الْمَلْجأ، ومنه اشتق: الْوزير ؛ لأن الملكَ يَلجأ إلى رأيه ، وقد قيل من الْوِزْرِ لأنه يحمل عن الملك أثقالا ، والْوِزْرُ : الثِّقْل ، ولا يصح قول من قال : هو من أزَرَه إذا أعانه ، لأن فاء الفعل فى الوزير واو ، وفى الْأَزْر الذى هو الْعوْن هَمْزة .

---

(١) الكلكل والكلكال هما : الصدر ، أو ما بين الترقوتين أو باطن الزور، ومن الفرس مابين محزمه إلى ماس الأرض منه إذا ربض

(٢) فى القاموس : كان يكين : خضع ، واكتان :حزن . والكينة ـ بكسر الكاف ـ الشدة المذلة . والكين : بفتح الكاف وسكون الياء: لحم باطن الفرج أو غدد فيه كأطراف النوى . وأكانه الله إكانة : خضعه وأدخل عليه الذل ، فلم لاتحملها على هذا ؟ والصلا أيضا: ما عن يمين الذنب وشماله، والفرجة بين الجاعرة (الدبر) والذنب ، وهما صلوان ، والجمع أصلاء .

رفع المسهم

. . . .

وذاتُ الْعَبِرِ أى : ذات الحزن، يقال : عَبِرَ الرجل إذا حزن، ويقال. لأُمّه الْعُبْرُ(١)، كما يقال : لأُمّه الثُّكل . والْمُقْرَبَاتُ : الخيل العِتاق التى لا تسرح فى المرعى ، ولكن تُحبس قرب البيوت مُعَدَّة للعدو . وقوله : ويَنْفون من قاتلوا بالذَّفَر . أى : بريحهم وأنفاسهم ينفون من قاتلوا ، وهذا إفراطٌ فى وصفهم بالكثرة ، قال البرقى : أراد ينفون من قاتلوا بذَفَر آباطِهم ، أى بنتنها والذفر بالذال الْمُعْجَمة تستعمل فى قوة الريح الطيبة والخبيثة. قال المؤلف — رحمه الله — فإن كان أراد هذا فإنما قصده ، لأن السودان أنتنُ الناس آباطا وأعراقا.

وقوله : سَعَالِىَ : شبههم بالسَّعَالِىَ من الجِنِ جمع سِعْلاة [أو سعلاء] . ويقال : بل هى الساحرة من الجن ، وقوله : كمثل السماء أى : كمثل السحابِ لاسوادِ السحابِ ، وظُلمتهِ قُبَيْل المطر .

فصل : وقوله : عَمْرو بنُ مَعْدِى كربَ ، ومَعْدِى كَرِبُ بالحِمْيرِيَة : وجهُ الفَلَّاح . الْمَعْدَى هو : الْوَجْه بلُغَتِهم ، والكَرِبُ هو : الفلَّاح ، وقد تقدم أبو كرب ، فمعناه على هذا : أبو الفلاح . قاله ابن هشام فى غير هذا الكتاب . وكذلك تقدم كلكى كَرِبُ ، ولا أدرى ما كلكى .

وقوله : قيس بن مَكْشُوح الْمُرادِى، إنما هو حليف لمرادِ ، واسم مُراد: يَحابِر بن سعد الْعَشيرة(٢) بن مَذْحِج ، ونسبه فى بَجِيلة ، ثم فى بنى أَحْمَسَ

---

(١) بضم العين وسكون الباء أو بفتحهما .

(٢) فى الاشتقاق لابن دريد : يحابرجمع: يَحْبورة - بفتح أوله وهو ضربٌ من الطير ، وسمى مرادا لأنه أول من تمرد باليمن ، وضبطت يحابر بالضم من القاموس وجمهرة ابن حزم .

رفع المسهم

« نسب زبيد » :

قال ابن هشام : زُبَيْدٍ بن سَلَمة بن مازن بن مُنَبِّه بن صَعْب بن سعد العشيرة بن مَذْحِجٍ ، ويقال : زُبيد بن منبِّه بن صَعب بن سَعد العشيرة ، ويقال زُبيد بن صعب . ومُراد : يُحابِرُ بن مَذْحِج

وأبوه مكشوح اسمه : هُبَيْرة بن هلال ، ويقال : عَبْد يغوث بن هُبَيْرة بن الحارث بن عَمْرو بن عامر بن على بن أسْلَمَ بن أَحْمَسِ بن الْغَوثِ بن أَنْمَار ، وأنمارٌ : هو والدُ بَجيلة وخَثْعَم ، وسمى أبوه مَكْشوحا ، لأنه ضُرب بسيف على كَشْحه(١) ، ويكنى قيس : أبا شَدّاد ، وهوقاتل الْأَسْوَدِ الْعَنْسِيِّ الكذاب (٢)

---

(١) الكشح : بفتح الكاف وسكون الشين مابين الخاصرة إلى الضلع الخلف وفى فتوح البلدان للبلاذرى ص١١٢ أنه سمى المكشوح ، لأنه كوى على كشحه من داء كان به .

(٢) رجل ادعى النبوة على عهد رسول الله ، وغلب على ما بين صَيْهَد مفازة حضرموت إلى عمل الطائف إلى البحرين قبل عدن ، وطابقت عليه اليمن ، وجعل أمره يستطير استطارة الحريق ، وعامله أهل الردة بالكفر والرجوع عن الإسلام وكان خليفته فى مذحج عمرو بن معدى يكرب ، وكان من عمال الرسول على اليمن : شهر بن باذام ، وعامر بن شهر الهمدانى . فقتله الأسود ، وتزوج امرأته ، وهى بنت عم فيروز ، وبقى عامر يناصله ، وكان أمر قوات الأسود إلى رجلين يسميان : فيروز ودا ذويه ، فلما اشتد أمره وأثخن فى الأرض استخف بأمر جنده : قيس بن عبد يغوث وفيروز وداذويه . ويقال إن الرسول — صلى الله عليه وسلم — أذن لعماله الباقين فى اليمن بالخلاص من الأسود بكتاب بعث به مع وبر بن يُحَنّس . واستطاع هؤلاء استمالة آمر جند الأسود : قيس بن عبد يغوث ، ثم فيروز وداذويه واستطاع جشيش أو جشنس الديلمى استمالة زوج الأسود إليه . قال لها : يابنة عم ، قد عرفت بلاء هذا الرجل عند قومك ، قتل زوجك ، وطأطأ فى قومك القتل وأى أسرع فيهم بالقتل ، وسفل بمن بقى منهم ، وفضح النساء ، فهل عندك من ممالأة =

« عود إلى شعر عمرو بن معدى كرب »

قال ابن هشام : وحدثنى أبو عبيدة ، قال :

كتب عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ إلى سَلْمان بن رَبيعة الباهلى ، وباهلة ابن يَعْصُر بن سعد بن قيس بن عَيْلان . وهو بإرْمِينِيَة يأمره أن يُفَضِّلَ أصحاب الخيل العِرَاب على أصحاب الخيل المَقَارِف فى العطاء ، فعرض الخيل ، فمرّ به فرس عمرو بن مَعْدِى كَرِب ، فقال له سَلْمان : فرسك هذا مُقْرِف ، فغضب عمرو ، وقال : هجين عرف هجينا مثله ، فوثب اليه قيس فتوعّده ، فقال عمرو هذه الأبيات .

هو وذَادَوَيه وفيروز ، وكان قيسٌ بطلا بئيسا قُتل مع على ـ رضى الله عنه ـ يوم صِفِّينَ ، وله فى ذلك اليوم مواقف لم يُسمع بمثلها عن بُهمةٍ(١) من البُهَم ، وكذلك له فى حروب الشام مع الروم وقائع ومواقف لم يُسمع بمثلها ، عن أحَد بعد خالد بن الوليد .

= عليه ، فقالت : على أى أمره ؟ فقال : إخراجه . قالت : أو قتله ، فقال : أو قتله قالت : نعم ، والله ماخلق الله شخصا أبغض إلى منه . مايقوم لله على حق ، ولا ينتهى له عن حرمة . وقد استطاعت أن تدلهم على مكان فى القصر أحدثوا فيه نقبا فى المساء ، وانضم إلى هؤلاء قيس بن مكشوح المرادى ـ فى بعض الروايات ، واستطاع هؤلاء قتله تعينهم زوجته . ويقال إن أول أمره إلى آخره كان ثلاثة أشهر ، وقيل : أربعة أشهر . وقيل إن أبا بكر أمضى جيش أسامة فى أول عهده بالخلافة فى آخر ربيع الأول ، وكان مقتل العنسى فى آخر ربيع الأول بعد مخرج أسامة ، وفى هذا خلاف ؛ فقد قيل مثلا إنه قتل قبل وفاة النبى بخمسة أيام

(١) البهمة : الشجاع الذى لا يُهتدى من أين يُؤتى والبئيس : الشجاع

. . . .

وعمرو بن مَعْدِى كربَ — رضى الله عنه — يكنى: أبا ثور تُضرب الأمثال بفروسيته وبسالته ، وفيه يقول الشاعر حين مات :

فقل لزُبَيْدٍ بل لِمَذْحِجَ كُلِّها ... رُزِيتم أبا ثَوْرٍ قريعَكم عَمْرَا

وصَمْصَامتهُ(١) المشهورةُ كانت من حديدة ، وجدت عند الكعبة مدفونة فى الجاهلية ، فصُنِع منها ذو الْفَقَار(٢) والصَّمْصَامة ، ثم تَصَيَّرَتْ إلى خالد بن سعيد بن العاصى . يقال إن عَمْراً وهبها له ليد كانت له عليه ، وذلك أن رَيْحانة أخت عمرو التى يقول فيها عمرو :

أمِنْ رَيحانَةَ الداعى السَّمِيعُ ... يُؤَرِّقُنى وأصحابى هُجُوع

كان أصابها خالد بنُ سعيد فى سَبْىٍ سباه ، فَمَنَّ عليها ، وخلى سبيلها ، فشكر ذلك له عَمْرو أخوها ، وفى آخر الكتاب من خبر قيس بن مكشوح ، وعمرو ابن معدى كرب أكثر مما وقع هُهنا ، والشعر العينى الذى ذكره ابن إسحاق وأوله : أتوعدنى كأنك ذورعين . ذكر المسعودى أن عَمْرا قاله لِعُمر بْن الخطاب — رضى الله عنه — حين أراد ضربَه بالدِّرَّة فى حديث ذكره(٣) ، وفى الشعر زيادة لم تقع فى السيرة وهو قوله :

(١) أصل الصمصام : السيف لاينثنى ، ثم اشتهر سيف عمرو باسم الصمصامة

(٢) فى القاموس : سيف العاص بن مُنَبِّه قتل يوم بدر كافرا ، فصار إلى النبى — صلى الله عليه وسلم — ثم صار إلى على . وريحانة التى سيتكلم عنها هو التى هى أخت عمرو هى : أم دريد بن الصمة بن الحارث القشيرى الشاعر الفارس المشهور الذى أتاه الشعر من قبل خاله عمرو انظر ص ٣٩ ، ٤٠ ، ٦٣ سمط اللآلى .

(٣) شىء يضرب به ، ودرة عمر مشهورة طالما شفت من الشك . وقد ذكر المسعودى قصة عمرو مع عمر فى ص ٢٣٢ ج ٢ طبعة سنة ١٣٦٧ هـ

. . . .

فلا يغرُرْكَ مُلْكُكَ ، كُلُّ مُلْكٍ يصير إِذَلّة بعد الشماس (١)

وذكر سَلْمَان بن ربيعةَ حين هَجَّنَ فَرَسَ عَمْرو ، ونسبه إلى باهلة بن أَعْصُر ، وكذلك هو عند أهل النسب : باهلى ، ثم أحد بنى قُتَيْبَةَ بن مَعْنٍ ، وباهلةُ : أُمُّهم (٢) وهى بنت صَعْب بن سعد الْعَشِيرة بن مَذْحِج ، وأبوهم يَعْصُر ، وهو مُنَبِّهٌ بن سَعْد بن قيس بن عَيْلان ، وسمى : يَعْصُرًا لقوله :

أُعَمَيْر إن أباكَ غَيَّرَ لونَهُ مَرُّ الليالى واختلاف الأَعْصُرِ (٣)

فيقال له : أَعْصُر وَيَعْصُر ، وكان سَلْمانُ بن ربيعة قاضياً لعُمر بن الخطاب — رضى الله عنه — على الكوفة ، ويقال : سلمان الخيل ، لأنه كان يتولى النظرَ فيها ، قال أبو وائل : اختلفتُ إلى سلمانَ بن ربيعة أربعين صَبَاحاً ، وهو قاضٍ ، فما وجدت عنده أحدا يختصم إليه ، واستشهد سلمان بإِرْمِينِيَةَ سنة تِسْعٍ وعشرين .

---

(١) شمس الفرس شموسا وشماسا : مَنَعَ ظهره ، وبين الأبيات التى فى المسعودى وبين التى فى السيرة اختلاف كبير . والهجين : اللئيم ، وعربى ولد من أمة ، أو هو الذى أبوه خير من أمه ، وفرس هجين : أى غير كريم ، والخيول المقارف بفتح الميم : جمع مقرف كمحسن مايدانى الهجنة ، أى أمه عربية لا أبوه ، لأن الإقراف يكون من قبل الفحل ، والهجنة تكون من قبل الأم .

(٢) فى الاشتقاق لابن دريد أن باهلة هى حاضنتهم ، وهى امرأة من مذحج أو من همدان ص ٧١ .

(٣) هى فى اللسان : «أبنى ، وكر الليالى» بدلا من : أعمير ، ومرّ .

« عَوْد إلى شق وسطيح » .

قال ابن هشام : فهذا الذى عَنَى سَطِيح الكاهن بقوله « ليهبطن أرضَكم الحبش ، فليملكُنّ ما بين أَبْيَنَ إلى جُرَش » والذى عنى شِقّ الكاهن بقوله « لينزلنّ أرضَكم السودانُ ، فَلَيَغْلِبُنَّ على كل طَفْلَة البنان ، وليملكن ما بين أَبْيَنَ إلى نجران »

غلب أبرهة الأشرم على أمر اليمن ، وقتل أرياط

قال ابن إسحاق : فأقام أرياط بأرض اليمن سنين فى سلطانه ذلك ، ثم نازعه فى أمر الحبشة باليمن أبرهة الحبشىّ ، حتى تفرقت الحبشة عليهما ، فانحاز إلى كل واحد منهما طائفة منهم ، ثم سار أحدهما إلى الآخر ، فلما تقارب الناس أرسَل أبرهةُ إلى أرياط : إنك لا تصنع بأن تَلقى الحبشةُ بعضها ببعض ، حتى تفنيها شيئاً ، فابرز إلىّ ، وأبرز إليك ، فأينا أصاب صاحبَه انصرف إليه جندُه ، فأرسل إليه أرياط : أنصفتَ نخرج إليه أبرهة — وكان رجلا قصيراً لحيما ، وكان ذا دين فى النصرانية — وخرج إليه أرياط وكان رجلا جميلا عظيما طويلا ، وفى يده حربة له ، وخلفَ أبرهة غلامٌ له ، يقال له : عَتْوَدَة ، يمنع ظهره ، فرفع أرياط الحربة ، فضرب أبرهة يريديافوخه ، فوقعت الحربة على جبهة أبرهة ، فَشَرَمَتْ حاجبَه وأنفه وعينه وشفته ، فبذلك سُمِّى : أبرهة الأشرم ، وحمل عَتْوَدَة على أرياط من خلف أبرهة فقتله ، وانصرف جند أرياط إلى أبرهة ، فاجتمعت عليه الحبشة باليمن ، وَوَدَى أبرهةُ أرياط .

وذكر خبر عَتْوَدَةَ غلام أبرهة ، وقد فرغنا من حديثه فيما مضى ، وما زاد فيه الطبرى وغيره ، وأن العتودة : الشدةُ فى الحرب .

رفع
المسهم

« موقف النجاشى من أبرهة » :

فلما بلغ النجاشىَّ غَضِبَ غضباً شديداً وقال : عدا على أميرى ، فقتله بغير أمرى ، ثم حلف : لايدع أبرهةَ حتى يطأ بلادَه ، ويجزَّ ناصيته ، فحلق أبرهة رأسه ، وملأ جِراباً من تراب اليمن ، ثم بعث إلى النجاشىّ ، ثم كتب إليه :

« أيها الملك ، إنما كان أرياط عبدَك ، وأنا عبدُك ، فاختلفنا فى أمرك ، وكُلٌّ طاعتُه لك ، إلا أنى كنت أقوى على أمر الحبشة ، وأضبطَ لها ، وأسوسَ منه ، وقد حلقتُ رأسى كلَّه حين بلغنى قَسَمُ الملك ، وبعثتُ إليه بجراب تراب من أرضى ؛ ليضعه تحت قدميه ، فيبرَّ قسمه فِيَّ » .

فلما انتهى ذلك إلى النجاشىّ رضى عنه ، وكتب إليه : أن اثبُت بأرض اليمن حتى يأتيَك أمرى ، فأقام أبْرَهة باليمن .

أمر الفيل ، وقصة النسأة

« كنيسة أبرهة » :

ثم إن أبرهة بَنَى القُلَّيس بصنعاء ، فبنى كنيسةً لم يُر مثلُها فى زمانها بشىء من الأرض ، ثم كتب إلى النجاشِىِّ : إنى قد بنيتُ لك أيها الملك كنيسةً لم

وذكر أن أرياطا علا بالحربة أبرهة ، فأخطأ يافوخَه . واليأفوخُ : وسط الرأس(١) . ويقال له من الطفل : غَاذِيَة بالذال ، فإذا اشتد وصَلُب سمى : يأفوخا بالهمز على وزن يَفْعُول ، وجمعه: يآفيخ قال العَجَّاجُ :

---

(١) وتقال دون إظهار الهمزة .

يُبْنَ مثلُها لملك كان قبلك ، ولستُ بِمُنْتَهٍ حتى أصرف إليها حَجَّ العرب ، فلما تحدثت العرب بكتاب أبرهة ذلك إلى النجاشيّ ، غضب رجل من النَّسأة ، أحد بنى فُقَيم بن عدىّ بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمة ابن مدركة بن الياس بن مضر .

« النَّسيء » :

والنَّسأة : الذين كانوا يَنْسَئون الشهور على العرب فى الجاهلية ، فيحلُّون الشهر من الأشهر الحرم ، ويحرّمون مكانه الشهر من أشهر الحلّ ، ويؤخِّرون ذلك الشَّهر ، ففيه أنزل الله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّمَا النَّسِىءُ زِيَادَةٌ فِى الكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا ، يُحِلُّونَهُ عاما ، وَيُحَرِّمُونَهُ عاما ؛ لِيُوَاطِئوا عِدَّةَ ما حَرَّمَ اللهُ ﴾ [التوبة : ٣٧] .

قال ابن هشام : ليواطئوا : ليوافقوا ، والمواطأة : الموافقة ، تقول العرب : واطأتك على هذا الأمر ، أى وافقتك عليه ، والإيطاء فى الشعر : الموافقة ، وهو اتفاق القافيتين من لفظ واحد ، وجنس واحد ، نحو قول العجَّاج — واسم العجَّاج : عبد الله بن رؤبة أحد بنى سَعْد بن زيد مناة بن تميم بن مُرّ بن أُدّ ابن طابخة بن الياس بن مُضَر بن نِزار .

فى أثْعُبانِ المَنْجَنُونِ المرسَل

« ضَربٌ إذا صاب اليآفيخَ حَفَر »

وقوله : شَرَمَ أنفَه وشفته أى : شقّهما .

ثم قال :

مدّ الخليج فى الخليج المرسل

« وهذان البيتان فى أرجوزة له » :

قال ابن إسحاق : وكان أوّل من نسأ الشهور على العرب ، فأحلّت منها ما أحل ، وحرّمت منها ماحرم : القَلَمَّس ، وهو حُذَيفَةَ بن عَبْدِ بن فُقَيْم بن عدىّ بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خُزَيمة ، ثم قام بعده على ذلك ابنه عبّاد بن حذيفة ، ثم قام بعد عبّاد : قَلَع بن عباد ، ثم قام بعد قَلَع أمية بن قَلَع ، ثم قام بعد أمية : عَوف بن أمية ، ثم قام بعد عوف أبو ثُمامة: جُنادة بن عوف . وكان آخرَهم ، وعليه قام الإسلام ، وكانت العرب إذا فرغت من حجها اجتمعت إليه ، فحرّم الأشهر الحرم الأربعة : رجبا ، وذا القعدة ، وذا الحجة ، والمحرّم . فإذا أراد أن يُحلّ شيئاً أحلّ المحرّم فأحلّوه وحرّم مكانه صفر فحرّموه ؛ ليواطئوا عدّة الأربعة الأشهر الحُرُم . فإذا أرادوا الصَّدَر ، قام فيهم فقال : « اللهمّ إنى قد أحللت لك أحد الصَّفَرين ، الصفر الأول ، ونسأت الآخر للعام المقبل » . فقال فى ذلك عُمَيْر بن قَيْس « جِذْلُ الطِّعان » أحدُ بنى فِراس بن غَنْم بن ثعلبة بن مالك بن كنانة ، يفخر بالنسأة على العرب :

(خبر القُلَّيس مع الفيل ، وذكر بنيان أبرهَةَ للقليس)

وهى الكنيسة التى أراد أن يصرف إليها حجَّ العرب ، وسُميت هذه الكنيسة : القُلَّيس لارتفاع بنائها وعلوها(١) ، ومنه القلانس لأنها فى أعلى

(١) وكذلك القليسية إذا فتحت القاف ضممت السين ، وإذا ضممت كسرتها

لقد علمتْ مَعَدٌّ أنّ قَوْمى ... كرامُ النَّاسِ أنّ لهم كِرَاما

فأىّ النّاس فاتونا بوِتْرٍ ... وأىّ الناس لم نُعْلِك لجاما

ألسنا الناسئين على مَعَدّ ... شهورَ الحِلّ نجعلها حرَاما

قال ابن هشام : أوّل الأشهر الحُرُم : المحرّم .

« سبب حملة أبرهة على الكعبة » :

قال ابن إسحاق : فخرج الكِنانىّ حتى أتى القُلَّيْس فقعد فيها — قال ابن هشام : يعنى أحدث فيها — قال ابن إسحاق : ثم خرج فَلحِق بأرضه ، فأُخبر بذلك أبرهة فقال : من صنع هذا ؟ فقيل له : صنع هذا رجلٌ من العرب من أهل هذا البيت الذى تحجّ العرب إليه بمكة لمّا سمع قولك : «أصرف إليها حجّ العربِ» غضب فجاء ، فقعد فيها ، أى أنها ليست لذلك بأهل . فغضب عند ذلك أبرهة وحلف : ليسيرنّ إلى البيت حتى يهدمَه ، ثم أمرَ الحبشة فتهيَّأَت وتجهّزت ، ثم سار وخَرج معه بالفيل ، وسمعتْ بذلك العربُ ، فأعظموه وفَظِعوا به ، ورأوا جهاده حقاً عليهم ، حين سمعوا بأنه يريد هَدْمَ الكعبة ، بيت الله الحرام .

الرءوس ، ويقال: تَقَلْنَس الرجل وتقَلَّس إذا لبس القَلَنْسُوة، وقَلَسَ طعاما أى: ارتفع من معدته إلى فيه، وكان أبرهة قد استذل أهلَ اليمن فى بنيان هذه الكنيسة، وجشّمهم فيها أنواعا من السّخْرِ، وكان ينقل إليها العددَ من الرُّخَامِ المُجزَّع، والحجارة المنقوشة بالذهب من قصر بِلْقِيس صاحبة سليمانَ ـ عليه السلام ـ وكان من موضع هذه الكنيسة على فراسخَ ، وكان فيه بقايا من آثار مُلكها ،

رفع المسـاهم

. . . .

فاستعان بذلك على ما أراده فى هذه الكنيسة من بهجتها وبهائها ، ونصب فيها صلبانا من الذهب والفضة ، ومنابر من العاج والآبنُس (١) ، وكان أراد أن يرفع فى بنائها حتى يشرف منها على عَدن ، وكان حكمه فى العامل إذا طلعت عليه الشمس قبل أن يأخذ فى عمله أن يقطَع يده ، فنام رجل منهم ذات يوم ، حتى طلعت الشمس ، فجاءت معه أمُّه ، وهى امرأة عجوز ، فتضرعت إليه تستشفع لابنها ، فأبى إلا أن يقطع يده ، فقالت : اضْرِب بِمِعْوَلِك اليوم ، فاليومُ لك، وغدا لغيرك، فقال: وَيْحَكِ ماقلت! ؟ فقالت : نعم كما صار هذا الملك من غيرك إليك ، فكذلك يصير منك إلى غيرك ، فأخذته موعظتُها ، وأعفى الناس من العمل فيها بعد . فلما هلك ومُزقت الحبشة كل مُمزَّق ، وأقفرماحول هذه الكنيسة ، فلم يعمرها أحد ، وكثرت حولها السباع والحيات ، وكان كل من أراد أن يأخذ شيئا منها أصابته الجن (٢) ، فبقيت من ذلك العهد بما فيها من العدد والخشب المرصَّع بالذهب والآلات المفضَّضة التى تساوى قناطير من المال ، لا يستطيع أحد أن يأخذ منها شيئا إلى زمن أبى العباس ، فذُكر له أمرُها ، وما يتهيب من جِنِّها وحَيَّاتها ، فلم يَرُعه ذاك. وبعث إليها بابن الربيع عامله على اليمن معه أهلُ الحزْم والْجلادة(٣) ، فخرَّبها، وحصلوا منهامالا كثيرا ببيع ما أمكن بيعُه من رُخامها وآلاتها ، فعفا بعد ذلك رسمُها ، وانقطع خبرها ،

(١) يريد خشب الآبنوس الذى ينبت فى الحبشة والهند، وخشبه أسود صلب واقرأ وصف بنائها فى الطبرى ص ١٣٧ ج ٢ طبعة دار المعارف .

(٢) خرافة ولا شك .

(٣) القوة مع الصبر على المكروه .

رفع
المسهم

ودرست آثارُها ، وكان الذي يصيبهم من الجن ينسبونه إلى كُعَيْبٍ وامرأته صنمين كانت الكنيسة عليهما ، فلما كُسِر كُعَيْبٌ وامرأتُه أصيب الذى كسره بجُذام (١) فافتتن بذلك رَعَاع اليمن وَطَغَامهم (٢) ، وقالوا : أصابه كعيب ، وذكر أبو الوليد الأزرقى أن كُعَيْبًا كان من خشب طوله : ستون ذراعا (٣) .

النسىء والنسأة :

وذكر النَّسَأَة وَالنَّسِيء من الأشهر . فأما النَّسَأة فأولهم : الْقَلَمَّسُ ، واسمه : حُذَيْفَة بن عبد بن فُقَيم ، وقيل له : الْقَلَمَّس لجوده ، إذ الْقَلَمَّسُ (٤) من أسماء البحر ، وأنشد قاسم بن ثابت :

إلى نَضَدٍ من عَبْدِ شَمْسٍ ، كأنهم ... هِضَابُ أَجَا أَرْكانُهُ لم تَقَصَّفِ (٥)

---

(١) عجيب من السهيلى ترديد مالا يصدقه شرع ولا عقل .

(٢) الطغام : الأوغاد من الناس الواحد : طغامة مثل سحابة ، والرعاع بضم الراء وفتحها مفردها : رعاعة وهو من لا قلب له ولا عقل .

(٣) كيف إذن يصيب هذا الخشب الناس بسوء ؟

(٤) الكثير الماء من الركايا والبحر والرجل الخير المعطاء ، والسيد العظيم والرجل الداهية المنكر البعيد الغور ، وفى تفسير ابن كثير أن اسمه كان حفادة بن عوف .

(٥) أجأ : أحد جبلى طيء ، وفيه قرى كثيرة . والنضَد : الشرف والشريف ومن القوم : جماعتهم وعددهم ، ومن الجبال : جنادل بعضها فوق بعض ، وفى القاموس أن القلمس كان يقف عند جَمْرَة العقبة — أحد مشاعر الحج فى منى — ويقول :

رفع المسهم

. . . .

فلامِسة ساسُوا الأمُور فأحكمت سياستها حتى أقرّتْ لِمُرْدِفِ

وذكر أبو على القالى فى الأمالى أن الذى نَسَأَ الشُّهورَ منهم : نُعَيم بن تَغْلَبَة، وليس هذا بمعروفٍ(١)، وأما نَسْؤُهم للشهر، فكان على ضربين. أحدهما :

= «اللهم إنى ناسىء الشهور، وواضعها مواضعها، ولا أعاب، ولا أجاب. اللهم إنى قد أحللتُ أحدَ الصَّفرين — يعنى المحرم وصفرا — وحرمت صفر المؤخّر وكذلك فى الرجبين — يعنى رجبا وشعبان — انفروا على اسم الله تعالى»، وقريب من هذا ما زواه ابن كثير فى تفسيره.

(١) هو فى الأمالى ص ٤ جـ١ طبع دار الكتب الطبعة الثانية، وإليك ماذكره أبو على القالى فى الأمالى :

حدثنى أبو بكر الأنبارى أنهم كانوا إذا صدروا عن منى قام رجل من بنى كنانة يقال له : نعيم بن ثعلبة، فقال . أنا الذى لا أعاب، ولا يرد لى قضاء . فيقولون له : أنسئنا شهرا . أى : أخر عنا حرمة المحرم، فاجعلها فى صفر؛ وذلك أنهم كانوا يكرهون أن تتوالى عليهم ثلاثة أشهر لا تمكنهم الإغارة فيها، لأن معاشهم كان من الإغارة، فيحل لهم المحرم، ويحرم عليهم صفرا، فإذا كان فى السنة المقبلة حرم عليهم المحرم، وأحل لهم صفرا. ص ٤ حـ ١ الأمالى ط ٢ . ورأى القالى — كما يقول الميمنى فى تعليقه على السمط هو قول الكلبى كما فى البحر المحيط ٥/٤٠ . فقول السهيلى فى الروض : إن ما نقله القالى ليس بمعروف منكر . ص ١٠ جـ١ السمط، والكميت بن زيد بن الأخنس الأسدى يكنى أبا المستهل وهو شاعر إسلامى شعر يفخر فيه بقوله :

لنا حوض الحجيج وساقياه وموضع أرجل الركب النُّزول
ومُطّرَد الدماء، وحيث يُلقى من الشَّعَرِ المضفَّرِ والفَليل
وكنا الناسئين على معد شهورهم الحرام إلى الحليل
نحرم تارة : ونحل أخرى وكان لنا المُمَرُّ من السحيل =

. . . .

ما ذكر ابن إسحاق من تأخير شهر المحرم إلى صفر لحاجتهم إلى شَنِّ الغارات ، وطلب الثارات ، والثانى: تأخيرهم الحج عن وقته تحَرِّياً منهم للسنة الشمسية ، فكانوا يؤخرونه فى كل عام أحدَ عشر يوما، أو أكثر قليلا، حتى يدور الدور إلى ثلاث وثلاثين سنةً ، فيعود إلى وقته ، ولذلك قال عليه السلام فى حجة الوداع : « إن الزمانَ قد استدار كهيئته يوم خَلَقَ الله السمواتِ والأَرض» (١) وكانت حجة الوداع فى السنة التى عاد فيها الحجُّ إلى وقته ، ولم يحج رسول الله — صلى الله عليه وسلم — من المدينة إلى مكة غير تلك الحجة ، وذلك لإخراج الكفار الحجَّ عن وقته ، ولطوافهم بالبيت عُراة — والله أعلم — إذ كانت مكة

= وأسد هنا : أسد كنانة فلذلك فخر الكميت بالنسىء . وأسد عم النضر بن كنانة الذى هو أبو قريش ، فلذلك فخر بالسقى والإطعام ومشاعر الحج . والفليلة : الشعر المجتمع ، والسحيل : الخيط الذى يفتل فتلا رخوا ، والممَرُّ . المبرم الشديد الفتل سمط اللآلى. ص١١ ج١ .وفى نسب قريش ص ١٣ :أن أول من نسأ الشهور هو سرير بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر ، وقد انقرض سرير ، ونسأ الشهور من بعده ابن أخيه القلمس — واسمه عدى بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن كنانة — ثم صار النسىء فى ولده ، وكان آخرهم جنادة كما فى السيرة .

(١) البخارى ومسلم وأحمد وغيرهم وبعدها : « السنة اثنا عشر شهرا ، منها أربعة حرم . ثلاثة متواليات ذو القعدة ، وذو الحجة والمحرم ، ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان » الخ ومعنى : « ألا إن الزمان قد استدار » تقرير منه — صلى الله عليه وسلم — وتثبيتا للأمر على ما جعله الله فى أول الأمر من غير تقديم ولا تأخير ولا زيادة ولا نقص ولا نسي ولا تبديل . وهناك للنسىء تفسيرات أخرى .

. . . .

بحكمهم، حتى فتحها الله على نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال شيخنا أبو بكر: نرى أن قول الله سبحانه: ﴿يَسْئَلُونكَ عن الْأَهِلَّةِ قل: هى مواقيتُ للناسِ والحجِّ﴾ [البقرة: ٣٨٩]؟! وخص الحج بالذكر دون غيره من العبادات المؤقتة بالأوقات، تأكيداً لاعتباره بالأهلة دون حساب الأعاجم من أجل ما كانوا أحدثوا فى الحج من الاعتبار بالشهور العجمية، والله أعلم.

وذكر ابن هشام قول العَجَّاج:

فى أثْعُبَانِ الْمَنْجَنونِ الْمُرْسَلِ(١). الأُثْعُبَان: ماينْدفع من الماء من شُعَبه. والمَنْجَنون: أداة السَّانية، والميم فى المنجنون أصلية فى قول سيبويه، وكذلك النون، لأنه يقال فيه: مَنْجَنين مثل عَرْ طَلِيل(٢) وقد ذكر سيبويه أيضاً فى موضع آخر من كتابه أن النونَ زائدة إلا أن بعضَ رواة الكتاب قال فيه: مَنْحَنُون بالحاء، فعلى هذا لم يتناقض كلامُه ـ رحمه الله ـ وفى أداة السانية: الدُّولابُ بضم الدال وفتحها، والشَّهْرَقُ، وهو الذى يُلقى عليه حبل الأقداس، واحدها: قدس، والعامة تقول: قادوس، والعَصامير: عيدان السَّانية قاله أبو حنيفة، وقال صاحب العين: العُصْمورُ: عود السَّانية. وقوله: مَدَّ الخليج. الخليج: الحبل، والخليج أيضا: خليج الماء. وذكر اسمَ العجَّاج ولم يَكْنِه،

---

(١) المنجنون: الدولاب يستق عليه، أو البكرة العظيمة. والسانية: الدلو العظيمة وأداتها.

(٢) العرطليل: الضخم والفاحش، والعرطويل: الحسَنُ الشباب والقد.

. . . .

وكُنيتهُ: أبو الشَّعْثاء ، وسُمى العجَّاج بقوله : حتى يَعِجَّ عندها من عججا(١) .

وقال عمير بن قيس : كرامُ الناس أنَّ لهم كِراما ٠ أى آباءً كراما، وأخلاقا كراما . وقوله : وأى الناس لم نُعْلِك لجاما . أى : لم نَقْدَعُهم ؛ ونكفهم كما يُقْدَع الفرس باللجام. تقول : أعْلَكْتَ الفرسَ لجامَهُ : إذا رددته عن تَنَزُّعِه ، فمضغ اللجام كالعِلْك من نشاطه ، فهو مقْدوع قال الشاعر .

وإذا احْتَبَى قَرَبُوسَهُ بعِنانه عَلَكَ اللِّجام إلى انصراف الزائر (٢)

وكان عَمير هذا من أطول الناس ، وهو مَذْكور فى مقبلى الظعن ، وسُمىِّ جِذل الطِّعان(٣) لثباته فى الحرب ، كانه جِذْلُ شجرة واقف ، وقيل: لأنه كان يُسْتَشْفى برأيه ، ويُستراح إليه، كما تَسْتريح البهيمةُ الجَرْباء إلى الجِذل تحتَكُّ(٤) به ونحو منه قول الحُباب [ابن المنذر] : أنا جُذَيْلُها المُحَكَّكُ ، وعُذَيقُها

---

(١) فى اللسان :

حتى يَعِجَّ ثخناً من عججا ويودى المودى، وينجو من نجا

(٢) احتبى بالثوب : اشتمل ، أو جمع بين ظهره وساقيه بعمامة ، والقربوس: حنو السرج ،ويمكن ضمه مع تسكين الراء ،والعلك بكسر العين وسكون اللام: ما يمضغ

(٣) وفى القاموس أنه لقب علقمة بن فراس من مشاهير العرب وكذا فى معجم المرزبانى ، وفى الخشنى عن أبى عبيدة : جذل الطعان هو : ابن علقمة بن فراس بن غَنم بن ثعلبة ، والجذل: أصل الشجرة وغيرها .

(٤) الجذل هنا : عود ينصب للجربى لتحتك به

رفع المسا هم

. . . .

المُرَجَّب(١) وقول الأعرابى يصف ابنه: إنه لَجِذْلُ حِكَاكٍ ومِدْرَه(٢) لِـكَاكٍ. واللِّـكاكُ : الزِّحام.

فصل: وذكر جُنادة بن عَوْف من النسأة، وعليه قام الإسلام، ولم يذكر هل أسلم أم لا، وقد وجدت له خبرا يدل على إسلامه حضر الحج فى زمن عمر، فرأى الناس يزدحمون على الحج، فنادى: أيها الناس إنى قد أجرته منكم، فخفقه عمر بالدِّرَّة، وقال: ويْحَكَ: إن الله قد أبطل أمرَ الجاهلية. وذكر البرقى عن ابن الـكلبى، قال: فنسأ قَلَعُ بن عَبَّاد سبعَ سنين، ونسأ بعده أميةُ بن قَلَع إحدى وعشرين سنة، ثم نسأ من بعده جُنادة، وهو أبو أمامة وهو القَلَمَّسُ أربعين سنة.

الأشهر الحرم:

وقول ابن هشام: أول الأشهر الحرم: المحرَّم قول، وقد قيل: أوَّلُها ذو القعدة، لأن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بدأ به حين ذكر الأشهرَ الحرُم(٣)، ومن قال: المحرَّمُ أولها، احتج بأنه أول السنة، وفقه هذا الخِلاَف

---

(١) الجذيل: تصغير جذل بكسر الجيم أو فتحها للتعظيم والعذيق: تصغير عذق للتعظيم، وهى النخلة بحملها، وترجيبها: ضم أعذاقها ـ كباساتها ـ مايسمى بالسباطة ـ إلى سعفاتها، وشدها بالخوص، لئلا تنفضها الريح، أو وضع الشوك حولها لئلا يصل إليها آكل

(٢) المذره بكسر الميم وفتح الراء: السيد الشريف وزعيم القوم وخطيبهم المتكلم عنهم.

(٣) راجع حديث «إن الزمان استدار» وقد سبق ذكره

رفع المسهم

. . . .

أن من نذر صيام الأشهر الحُرُم ، فيقال له على الأول : ابدأ بالمحرم ، ثم برجب ثم بذى القعدة ، وذى الحجة ، وعلى القول الآخر يقال له : ابدأ بذى القعْدة حتى يكون آخر صِيامك فى رجب من العام الثانى .

القعود على المقابر :

وقوله : خرج الكنانى حتى قعد فى القُلَّيْس أى : أحدث فيها ، وفيه شاهد لقول مالك ، وغيره من الفقهاء فى تفسير القعود على المقابر المنهى عنه ، وأن ذلك المذاهب(١) ، كما قال مالك ، والله أعلم .

أنساب :

وذكر قول نُفَيْلٍ الخثْعَمِىّ : وهاتان يداى لك على شَهْران وناهس ، وهما

---

(١) جمع مذهب بفتح الميم : المتوضأ . هذا وفى الطبرى أن الرجل فعل هذا فى الهيكل ، وفيه أيضا أن أبرهة أخبر النجاشى بأمر الكنيسة ، وأنه غير منْتَهٍ حتى يصرف إليها العرب ، وأن العرب تحدثوا بكتاب أبرهه إلى النجاشى ، فغضب رجل من النسأة ، فصنع بالكنيسة ماصنع ، ثم عاد إلى أرضه ، وأن أبرهة كان عنده من العرب من يلتمس فضله منهم : محمد بن خزاعى ، الذى رفض أكل طعام أبرهه قائلا : والله لئن أكلنا هذا لا تزال تعيبنا به العرب مابقينا ، ثم إن أبرهه أمر محمد بن خزاعى على مضر ، وأمره أن يسير فى الناس يدعوهم إلى حج القليس ، فنزل بعض أرض بنى كنانة ، وقد بلغ أهل تهامة أمره ، فبعثوا إليه بعروة بن حياض الملاصى الهذلى فرماه بسهم فقتله . فغضب أبرهة فحلف ليغزون بنى كنانة وليهدمن البيت ص ١٣٠ وما بعدها ح ٢ وهو قريب مما فى السيرة

رفع المسهم

. . . .

قبيلا خَثْعَم ، أما خثعم : فاسم جَبَل سمى به بنو عِفرِسٍ [١] بن خُلُف بن أفتَل بن أنمار ؛ لأنهم نزلوا عنده ، وقيل : إنهم تخثَّعَموا بالدم عند حلف عقدوه بينهم ، أى : تلطخوا ، وقيل: بل خَثْعَم ثلاث : شَهْرَانُ وناهس وأكْلُب [٢] غير أن أكْلُب عند أهل النسب هو : ابن ربيعة بن نزار ، ولكنهم دخلوا فى خَثْعم ، وانتسبوا إليهم فالله أعلم . قال رجل من خثعم :

ما أكْلُبٌ منا ، ولا نحن منهمُ ... وما خَثْعَمٌ يومَ الفَخار وأكْلُبُ

قبيلةُ سوءٍ من ربيعةَ أصلُها ... فليس لها عمٌّ لَدَينا ، ولا أبُ

فأجابه الأكْلُبِيُّ فقال :

إنى من القومِ الذين نَسَبْتَنى ... إليهم كريمُ الجدِّ والعمِّ والأبِ

فلو كنتَ ذا علم بهم ما نفَيْتَنى ... إليهم ترى أنى بذلك أثْلَبُ

فإن لا يكُنْ عمَّاى خُلُفاً وناهِساً [٣] ... فإنى امرُؤٌ عمَّاىَ: بكْرٌ وتغلبُ

أبونا الذى لم تُرْكَب الخيلُ قبله ... ولم يَدْرِ مَرْءٌ قبلَه كيف يَرْكَبُ

---

(١) فى الاشتقاق لابن دريد : عفرس بكسر أوله وثالثه وإسكان ثانيه وهو من العفرسة ، وهو الأخذ بالقهر والغلبة . . أما أفتل فمن قولهم بعير أفتل : وهو الذى يتباعد منكباه عن زوره . وشهران إما من الشهرة وإما من الأشهر وهو البياض الذى حول صفرة النرجس وناهس من النهس وهو النهش .

(٢) فى الاشتقاق : وأكلب بطن من خثعم ، وفى الجمهرة لابن حزم ولد خثعم حُلفا ، وولد هذا عفرسا ، وولد هذا ناهسا وشهران وأكلب بن ربيعه بن نزار دخلوا فى بنى خثعم فقالوا : أكلب بن ربيعة بن عفرس .

(٣) فى جمهرة ابن حزم : حلف بضم الحاء وإسكان ثانيه ، وفى رواية حلف بالحاء المفتوحة وكسر اللام .

. . . .

يريد أنه من ربيعةَ ، وربيعةُ كان يقال له : ربيعه الفَرَس .

وأما ثقيفٌ وما ذُكر من اختلافِ النسابين فيهم ، فبعضُهم ينسبهم إلى إياد ، وبعضهم ينسبهم إلى قيس ، وقد نسبوا إلى ثمودَ أيضا . وقد روى فى ذلك حديثٌ عنه — عليه السلام — رواه مَعْمَرُ بن راشد فى جامعه ، وكذلك أيضا روى فى الجامع أن أبا رِغال من ثمودَ ، وأنه كان بالحرمِ حين أصاب قومه الصيحةُ ، فلما خرج من الحرم أصابه من الهلاك ما أصاب قومَه ، فدُفن هناك ، ودُفِن معه غصنَان من ذهب ، وذكر أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — مر بالقبر ، وأمَر باستخراج الغصنين منه، فاستخرجا(١) . وقال جرير أو غيره.

إذا مات الفَرَزْدَقُ فارْجُمُوه كَرَجْمِكُم لِقَبْرِ أبى رِغَالِ

ووقع فى هذه النسخة فى نسب ثقيف الأولِ : ابنُ إيادِ بن مَعد . وفى الحاشية أن القاضى أبَا الوليد غَيَّره ، فجعل مكان ابنِ مَعَد : مِنْ مَعَدٍّ ، وذلك — والله أعلم — لأن إياد هذا هو : ابنُ نزارٍ ، وليس بابن مَعَدٍّ لصُلْبه ، ولمعدٍّ ابنٌ اسمُه : إياد ، وهو : ابنُه لِصُلْبِه ، وقد ذكره ابن إسحاق ، وقد قدمنا ذكره مع بنى معد فى أول الكتاب ، وهو عم إياد ، والإيادُ فى اللغة : التراب الذى يُضَم إلى الخباء ليقيَه من السَّيْل ونحوه ، وهو مأخود من الأَيْد ، وهى القوة ، لأن فيه قوةً للخِباء ، وهو بين النُّؤْيِ والخباء ، والنُّؤْىُ يشتق من النَّأْى ، لأنه حَفِير ينأى به المطر ، أى : يبعد عن الخباء .

---

(١) خرف لا كلام نبى .

رفع المسَاهِم

. . . .

وأنشد لأُمَيَّة بن أبى الصَّلْت، واسم أبى الصَّلْتِ: ربيعَة بن وَهْب فى قول الزبير.

قومى إيادٌ لو أنهم أَمَمٌ أولو أقاموا، فتُهْزَلَ النَّعَمُ

يريد: أى: لو أقاموا بالحجاز، وإن هُزِلت نَعَمُهم؛ لأنهم انتقلوا عنها، لأنها ضاقت عن مسارحهم، فصاروا إلى ريف العراق؛ ولذلك قال: والقِطُّ والقلم، والقِطُّ: ما قُطَّ من الكاغَد والرَّق(١) ونحوه، وذلك أن الكتابة كانت فى تلك البلاد التى ساروا إليها، وقد قيل لقُرَيْش: مِمَّن تعلمتم القِطَّ؟ فقالوا: تعلمناه من أهل الحيرة، وتعلمه أهلُ الحيرة من أهل الأنبار، ونصب قوله: فتُهْزَلَ النَّعَمُ بالفاء على جواب التمنى المضمَّن فى لو، نحو قوله تعالى ﴿فَلَوْ أنَّ لنا كَرَّةً فنكونَ من المؤمنين﴾ [الشعراء: ١٠٢] وأما تسمية قَسِىٍّ بثقيف، فسيأتى سبب ذلك فى غَزْوَةِ الطائف — إن شاء الله تعالى

المغمس:

وقوله: فلما نزل أبرهةُ المُغَمَّس هكذا ألْفَيْتُهُ فى نسخةِ الشيخ أبى بحر المقيدة على أبى الوليد القاضى بفتح الميم الآخِرة من المُغَمَّس. وذكر البكرى فى كتاب المعجم عن ابن دريد وعن غيره من أئمة اللغة أنَّه المُغَمِّس بكسر الميم الآخرة، وأنه أصح ما قيل فيه، وذكر أيضا أنه يُروى بالفتح، فعلى رواية الكسر هو: مُغَمِّس مفعِّل من غَمَّسْتُ، كأنه اشتق من الغَمِيس وهو الغَمِيرُ،

---

(١) الكاغد: القرطاس، معرب، والرق بكسر الراء وفتحها: جلد رقيق يكتب فيه. ماقط: أى ماقطع.

« ذو نفر ونفيل يحاولان حماية البيت » :

فخرج إليه رجل من أشراف أهل اليمن وملوكهم يقال له : ذو نَفْر ، فدعا قومَه ، ومَنْ أجابه من سائر العرب إلى حرب أبرهة ، وجهادِه عن بيت الله الحرام ، وما يريد من هَدْمه وإخرابه ، فأجابه إلى ذلك من أجابه ، ثم عرض له فقاتله ، فهُزم ذو نَفْر وأصحابُه ، وأُخذ له ذو نفْر ، فأتِى به أسيراً ، فلما أراد قتله ، قال له ذو نَفْر : أيها الملك ، لا تقتلنى فإنه عسى أن يكون بقائى معك خيرا لك من قتلى ، فتركه من القتل ، وحبسه عنده فى وَثاق ، وكان أبرهة رجلا حليما .

ثم مضى أبرهة على وجهه ذلك يريد ما خرج له ، حتى إذا كان بأرض خَثْعَم عرض له نُفَيْل بن حبَيب الخَثْعَمِىُّ فى قبيلَىْ خَثْعَم : شَهران وناهس ، ومَنْ تبعه من قبائل العرب ، فقاتله فهزمه أبرهة ، وأُخذ له نُفَيْلٌ أسيراً ، فأُتى به فلما همّ بقتله قال له نُفَيل : أيها الملك ، لا تقتلنى فإنى دليلك بأرض العرب ، وهاتان يداى لك على قبيلَىْ خثعم : شَهْران وناهس بالسمع والطاعة ، فخلَّى سبيلَه .

« بين ثقيف وأبرهة » :

وخرج به معه يدله ، حتى إذا مرّ بالطائف خرج إليه مسعود بن مُعَتِّب ابن مالك بن كعب بن عمرو بن سَعْد بن عَوْف بن ثَقِيف فى رجال ثَقِيف .

وهو النبات الأخضر الذى يَنبت فى الخريف تحت اليابس ، يقال : غَمَّس المكانُ وغَمَّرَ إذا نبت فيه ذلك ، كما يقال: صَوَّحَ ، وشَجَّر(١)، وأما على رواية الفتح ،

---

(١) صوح النبت : يبس حتى تشقق ، وشجر النبات : صار شجرا .

واسم ثقيف : قَسِيُّ بن النَّبيت بن منبِّه بن منصور بن يَقْدُم بن أفصى بن دُعْمِيّ بن إياد بن نزار بن معدّ بن عدنان .

قال أمية بن أبي الصَّلْت الثقفيّ :

قومى إيادٌ لو أنهم أمَمٌ أو : لو أقاموا فتُهزَلَ النَّعَمُ
قومٌ لهم ساحة العراق إذا ساروا جميعا والقِطُّ والقَلَمُ

وقال أُميَّة بن أبي الصَّلت أيضاً :

فإمّاً تَسْألى عنّى — لُبَيْنَى وعن نَسبي — أُخَبِّرْك اليَقينا
فإنّا للنَّبيت أبِي قَسِيٍّ لمَنْصور بن يَقْدُمَ الاقْدَمينا

قال ابن هشام : ثقيف : قَسِيُّ بن مُنبِّه بن بَكْر بن هَوازن بن مَنْصور ابن عِكرمة بن خَصَفَة بن قَيْس بن عَيْلان بن مُضَر بن نزار بن معدّ بن عدنان، والبيتان الأوّلان والآخران فى قصيدتين لأميَّة .

قال ابن إسحاق : فقالوا له : أيها الملك ، إنما نحن عَبيدك سامعون لك مطيعون ، ليس عندنا لك خلاف ، وليس بيتُنا هذا البيتَ الذى تريد — يعنون اللات — إنما تريد البيتَ الذى بمكة ، ونحن نبعث معك مَنْ يدلُّك عليه ، فتجاوزَ عنهم .

فكأنه من غَمَسْتَ الشىء ، إذا غَطَّيْتَه ، وذلك أنه مكان مَستور إمّا بهضاب وإما بِعَضاه(١) ، وإنما قلنا هذا ؛ لأن رسول الله — صلى الله عليه وسلم —

---

(١) العضاه كل شجر له شوك صغر أو كبر .

واللات : بيت لهم بالطائف كانوا يعظِّمُونه نحوَ تعظيم الكعبة .

قال ابن هشام : أنشدنى أبو عُبَيدة النحوىّ لِضرَارِ بن الخطّاب الفِهْرىّ :

وفَرّت ثقيفٌ إلى لاتِها   بمُنْقَلبِ الخائبِ الخاسرِ

وهذا البيت فى أبيات له .

« قصة أبى رغال وقبره المرجوم » .

قال ابن إسحاق : فبعثوا معه أبا رِغال يدلُّه على الطريق إلى مكة ، فخرج أبرهة ومعه أبو رغال حتى أنزله المُغَمِّس ، فلما أنزله به مات أبو رغال هنالك ، فرجمت قبرَه العرب ، فهو القبر الذى يَرْجُم الناسُ بالمُغَمِّس .

« عدوان الأسود على مكة » .

فلما نزل أبرهة المُغَمِّس ، بعث رجلا من الحبشة يقال له : الأسْوَد بن مقصود على خيــــل له ، حتى انتهى إلى مكة ، فساق إليه أموالَ تِهامة من قريش وغيرهم ، وأصاب فيها مِئَتَىْ بعير لعبد المطلب بن هاشم ، وهو يومئذ كبيرُ قريش وسيِّدُها ، فهمَّت قريش وكنانة وهُذَيل ، ومَنْ كان بذلك الحرم بقتاله ، ثم عرفوا أنهم لا طاقةَ لهم به ، فتركوا ذلك .

إذ كان بمكة ، كان إذا أراد حاجة الإنسان خرج إلى المُغَمِّس ، وهو على ثلث فَرْسَخ منها ، كذلك رواه على بن السَّكن فى كتاب السنن له ، وفى السنن لأبى داود أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — كان إذا أراد البراز أبْعَد ، ولم يُبَيِّنَ مقدارَ البعد ، وهو مُبَيَّن فى حديث ابن السكن ـ كما قدمنا ـ ولم يكن

« رسول أبرهة إلى عبد المطلب » :

وبعث أبرهة حُناطَة الحميرىّ إلى مكة ، وقال له : سَلْ عن سيِّد أهل هذا البلدِ وشريفها ، ثم قل له : إن الملك يقول لك : إنى لم آتِ لحربكم ، إنما جئت لِهَدْمِ هذا البيت ، فإن لم تعرضوا دونه بحرب ، فلا حاجة لى بدمائكم ، فإنْ هو لم يُرِدْ حَرْبى ، فأْتِنى به ، فلما دخل حُناطةُ مكةَ ، سأل عن سيِّد قريش وشريفها ، فقيل له : عبدُ المطلب بن هاشم فجاءه ، فقال له ما أمره به أبرهة ، فقال له عبد المطلب : والله ما نريد حربَه ، وما لنا بذلك من طاقة ، هذا بيت الله الحرام ، وبيت خليله إبراهيم عليه السلام — أو كما قال — فإن يَمْنَعْهُ منه ، فهو بيتُهُ وحرمه ، وإن يُخَلِّ بينه وبينه ، فو الله ما عندنا دَفْعٌ عنه ؛ فقال له حُنَاطَةُ : فانطلق معى إليه ، فإنه قد أمرنى أن آتِيَه بك .

« الشافعون عند أبرهة لعبد المطلب » .

فانطلق معه عبد المطلب ، ومعه بعض بَنِيه ، حتى أتى العسكر ، فسأل عن ذى نَفْر ، وكان له صديقا ، حتى دخل عليه وهو فى مَحْبِسِهِ ، فقال له : ياذا نَفْر هل عندكِ من غَنَاء فيما نزل بنا ؟ فقال له ذو نَفْر : وما غَنَاء رجل أسير بيدَىْ مَلِك ينتظر أن يقتله غُدُوًّا أو عشياً ؟! ماعندنا غَنَاء فِى شىء مما نزل بك إلا أن أُنَيسا سائس الفيل صديق لى ، وسأرسل إليه فأُوصيه بك ، وأُعظم عليه حقَّك ، وأسأله أن يستأذن لك على الملك ، فتكلِّمه بما بدا لك . ويشفع لك عنده بخير إن قدر على ذلك ، فقال : حسبى . فبعث ذو نَفْر إلى أُنَيْس ،

رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ليأتى مكانا لِلْمَذْهَبِ إلا وهو مُسْتُورٌ منخفض ، فاستقام المعنى فيه على الروايتين جميعا .

فقال له : إن عبد المطلب سيِّد قريش ، وصاحب عِيرِ مكة ، يُطْعِم الناس بالسهل ، والوحوشَ في رءوس الجبال ، وقد أصاب له الملك مئتى بعير ، فاستأْذِن له عليه ، وَانْفَعْه عنده بما استطعت ، فقال : أفعل .

فكلَّم أنيسٌ أبرهة ، فقال له . أيها الملك ، هذا سيِّد قريش ببابك يستأذن عليك ، وهو صاحب عِيرِ مكة ، وهو يُطعم الناس فى السهل ، والوحوشَ فى رءوس الجبال ، فأْذن له عليك ، فيكلِّمك فى حاجته ، قال : فأذن له أبرهة .

« عبد المطلب وأبرهة »

قال : وكان عبدالمطَّلِبِ أوسمَ الناس وأجملَهم وأعظمهم، فلما رآه أبرهة أجلَّه وأعظمه وأكرمه عن أن يُجلسه تحته، وكره أن تراه الحبشةُ يجلس معه على سرير مُلكه، فنزل أبرهة عن سريره، فجلس على بساطه، وأجلسه معه عليه إلى جنبه، ثم قال لِترْجمانه : قل له : حاجتك ؟ فقال له ذلك التُّرْجمَان ، فقال: حاجتى أن يردَّ علىَّ الملكُ مئتى بَعير أصابها لى ، فلما قال له ذلك ، قال أبرهة لِتَرْجُمانه : قل له : قد كنتَ أعجبتَنِى حين رأيتك ، ثم قد زَهِدْت فيك حين كلَّمتنى ، أتكلِّمنى فى مئتى بعير أصبتُها لك ، وتترك بيتا هو دينك ودين آبائك قد جئتُ لهدمه ، لا تكلمنى فيه ؟ ! قال له عبد المطلب : إنى أنا ربُّ الإبل ، وإنَّ للبيت ربا سيمنعه ، قال : ما كان ليمتنع منى ، قال : أنت وذاك .

وسامة عبد المطلب:

وقوله فى صفة عبد المطلب : أوسمُ الناس وأجمله(١) . ذكر سيبويه هذا

---

(١) فى السيرة : وأجملهم .

رفع المسهم

وكان — فيما يزعم بعض أهل العلم — قد ذهب مع عبدالمطلب إلى أبرهة ، حين بعث إليه حُناطَة ، يَعْمَرُ بْن نُفاثة بن عدىّ بن الدُّئل بن بكر بن مناة بن كنانة — وهو يومئذ سيد بنى بكر — وخويلدُ بن واثلة الهذلى — وهو يومئذ سيِّد هذيل — فعرضوا على أبرهة ثُلثَ أموال تِهامة ، على أن يرجع عنهم ، ولا يهدم البيت ، فأبى عليهم . والله أعلم ، أكان ذلك ، أم لا ، فردّ أبرهة على عبد المطلب الإبلَ التى أصاب له .

« عبد المطلب يستغيث بالله »

فلما انصرفوا عنه ، انصرف عبدالمطلب إلى قريش ، فأخبرهم الخبرَ ، وأمرهم بالخروج من مكة ، والتحرّز فى شَعَف الجبال والشِّعاب : تخوّفا عليهم من مَعَرّة الجيش ، ثم قام عبد المطلب ، فأخذ بحَلْقَة باب الكعبة ، وقام معه نَفَرٌ من قريش يدعون الله ، ويستنصرونه على أبرهة وجنده ، فقال عبدالمطلب وهو آخذ بحلقة باب الكعبة :

لاهُمَّ إنَّ العَبْـدَ يَمْـنع رَحْلَه فامنع حَـلالَك
لايَغْلِـبَنَّ صَلِيبُهُمْ وَمِحالُهمْ غَـدْواً مِحالَك

قال ابن هشام : هذا ما صحّ له منها .

« شاعر يدعو على الأسود »

قال ابن إسحاق : وقال عِكْرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدّار بن قُصىّ :

الكلام مَحْكيًا عن العربِ ، ووجهُه عندهم أنه محمول على المعنى ، فكأنك قلت : أحسن رجل وأجملهُ ، فأفرد الاسمَ المُضْمَرَ التفاتا إلى هذا المعنى ، وهو

لاهُمَّ أخزِ الأسْوَدَ بن مَقْصودْ الآخذَ الهَجْمةَ فيها التقليدْ
بينَ حِرَاءٍ وثَبيرٍ فالبِيدْ يَحْبِسها وهي أُولاتُ التَّطْريدْ
فَضَمَّها إلى طَمَاطِمٍ سُودْ أَخْفِرْه يارَبِّ وأنت مَحْمودْ

قال ابن هشام: هذا ما صحّ له منها، والطماطم: الأعلاج.

قال ابن إسحاق: ثم أرسل عبد المطلب حَلْقة باب الكعبة، وانطلق هو ومن معه من قريش إلى شَعَف الجبال، فتحرّزوا فيها ينتظرون ما أبرهةُ فاعلٌ بمكة إذا دخلها.

« أبرهة والفيل والكعبة »

فلما أصبح أبرهة تهيَّأ لدخول مكة، وهيَّأ فيلَه، وعَبَّى جيشه — وكان اسم الفيل محمودا — وأبرهة مُجْمِعٌ لهدم البيت، ثم الانصراف إلى اليمن. فلما وجَّهوا الفيل إلى مكة، أقبل نُفَيل بن حَبِيب حتى قام إلى جَنْب الفيل، ثم أخذ بأُذنه، فقال: ابْرُكْ محمود، أو ارجع راشدا من حيث جئت، فإنك في بلد الله الحرام، ثم أرسلَ أذنه. فبرك الفيل، وخرج نُفَيل بن حَبيب يشتد حتى أصْعد في الجبل، وضربوا الفيلَ ليقوم فأبَى، فضربوا في رأسه بالطَّبَرْزِين؛ ليقوم فأبى، فأدخلوا مَحاجن لهم في مَرَاقِّه فبَزَغُوه بها ليقوم فأبى، فوجهوه راجعا إلى اليمن فقام يهرول، ووجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك، ووجَّهوه إلى المَشْرق ففَعَل مثلَ ذلك، ووجَّهوه إلى مكة فبرك، فأرسل

عندي مَحْمُولٌ على الجِنسِ، كأنه حين ذكر الناسَ قال: هو أجمل هذا الجنس من الْخلْقِ، وإنما عَدلنا عن ذلك التقدير الأول، لأن في الحديث الصحيح: « خيرُ نساءٍ رَكبْنَ الإبلَ صوالحُ نساءِ قُرَيْشٍ: أَحْنَاهُ على وَلَدِهِ في صِغَرِه،

الله تعالى عليهم طيراً من البحر أمثالَ الخَطاطيف والبَلَسان ، مع كلّ طائرٍ منها ثَلاثَةُ أحجار يحملها : حجر فى منقاره ، وحجران فى رجليه ، أمثال الحِمَّص والعَدَس ، لاتُصيب منهم أحداً إلا هلك ، وليس كلّهم أصابت ، وخرجوا هاربين يبتدرون الطريقَ الذى منه جاءوا ، ويسألون عن نُفيل بن حَبيب ، ليدلّهم على الطريقِ إلى اليمن ، فقال نُفَيْلٌ حين رأى ما أنزل الله بهم من نِقْمته :

أينَ المفَرّْ والإلهُ الطّالِبُ والأشرمُ المَغْلوبُ ليس الغالبُ

قال ابن هشام : قوله : « ليس الغالب » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقال نفيل أيضا :

ألا حُييتِ عنّا يا رُدَيْنا نَعِمْناكم مع الإصباح عينا
رُدَيْنةُ لو رأيتِ — ولا تَرَيْه لدى جَنْب المُحَصَّب ما رأينا
إذاً لعذرْتِني وحمِدتِ أمرى ولم تأسَىْ على ما فاتَ بَيْنا
حَمِدتُ الله إذ أبصرتُ طيراً وخِفْتُ حِجارةً تُلْقَى علينا
وَكُلُّ القوْم يسال عن نُفَيل كأنّ علىّ للحبْشان دَيْنا

فخرجوا يتساقطون بكل طريق ، ويهلِكون بكل مَهْلِك على كل مَنْهَل ، وأصيب أبرهة فى جسده ، وخرجوا به معهم يسقط أُنْمُلةً أُنْمُلةً : كلما سقطت أُنْمُلَة ، أتبعتها منه مدّة تَمُثُّ قَيْحاً ودَما ، حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر ، فما مات حتى انصدع صدرُه عن قلبه ، فيما يزعمون .

وأرْعاه على زَوْجٍ فى ذات يده(١) » ، ولا يستقيم هُهُنا حملُه على الإفراد ، لأن

---

(١) متفق عليه ، وأحمد فى مسنده عن أبى هريرة .

قال ابن إسحاق : حدثنى يعقوب بن عُتْبة أنه حُدّث : أن أول مارُؤيت الحَصْبة والجُدَرِيّ بأرض العرب ذلك العامَ ، وأنه أول ما رُؤى بها مَرائر الشجر : الحَرْمَل والحَنْظَل والعُشَر ذلك العامَ .

« قصة الفيل فى القرآن »

قال ابن إسحاق: فلما بعث الله تعالى محمدا — صلى الله عليه وسلم — كان مما يَعُدُّ الله على قريش من نعمته عليهم وفضله، ماردّ عنهم من أمر الحبشة لبقاء أمرهم ومدتهم، فقال الله تبارك وتعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ . أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ . وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ ﴾ . وقال : ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴾ . أى لئلا يغير شيئا من حالهم التى كانوا عليها ، لما أراد الله بهم من الخير لو قبلوه .

قال ابن هشام : الأبابيل : الجماعات ، ولم تتكلم لها العرب بواحد علمناه ، وأما السِّجِّيل ، فأخبرنى يونس النحوىّ وأبو عُبيدة أنه عند العرب : الشديد الصلب ، قال رُؤْبة بن العجّاج :

ومسّهم ما مَسّ أصحابَ الفيلْ ترميهمُ حجارةٌ من سِجّيلْ
ولعبتْ طيرٌ بهم أبابيلْ

المفردَ هٰهنا امرأة ، فلو نظر إلى واحد النساء لقال : أحناها على وَلَدِه ، فإذًا التقدير : أحنى هذا الجنس الذى هو النساء ، وهذا الصنف ، ونحو هذا .

رفع
المسـاهم

وهـذه الأبيات فى أرجوزة له . ذكر بعض المفسرين أنهما كلمتان بالفارسية ، جعلتهما العرب كلمة واحده ، وإنما هو سِنْجٌ وجِلٌ يعنى بالسنج : الحجر ، وبالجِلّ : الطين، يعنى : الحجارة من هذين الجنسين: الحجر والطين. والعَصْفُ : ورق الزرع الذى لم يُعصَف ، وواحدته عَصْفَة . قال : وأخبرنى أبو عُبيدة النحوىّ أنه يقال له : العُصافة والعَصيفة . وأنشدنى لعلقمة بن عَبَدة أحد بنى رَبيعة بن مالك بن زيد مناة بن تميم :

تَسقى مَذانبَ قد مالت عَصيفتُها حَدُورُها من أتِىِّ الماءِ مَطْمومُ

وهذا البيت فى قصيدة له . وقال الراجز :

فصُيِّروا مثلَ كعَصْفٍ مأكول

قال ابن هشام : ولهذا البيت تفسير فى النحو .

وذكر قول عبد المطلب :

لاهُمَّ إنَّ المـرءَ يمـ ـنع رَحْله فامنع حِلالَكْ

العرب تحذف الألِف واللام من اللّهُمَّ، وتكتفى بما بقى، وكذلك تقول : لاهِ أبوكَ تريد : لله أبوك ، وقد تقدم . قول من قال فى لَهِنَّكَ [أو : لَهِنَّكَ] ، وأن المعنى : والله إنك ، وهذا لكثرة دَوْر هذا الاسم على الألْسنة ، وقد قالوا فيما هو دونه فى الاستعمال : أجِنَّك تفعل كذا وكذا . أى من أجل أنك تفعل كذا وكذا والحِلال فى هذا البيت : القوم الحُلولُ فى المكان ، والحِلال مَرْكب من مراكب النساء . قال الشاعر :

بغير حِلالٍ غادرته مُجحْفَلِ (١)

---

(١) جحفله : صرعه ورماه وبكته . والبيت لطفيل وهو :

وراكضة ما تستجِنُّ بجُنّة بعير حِلال غادرته مُجحْفَلِ

رفع المسيهم

. . . .

والحِلال أيضا : متاعُ البيت ، وجائز أن يستعيره هُهنا ، وفى الرجز بيت ثالث لم يقع فى الأصل وهو قوله :

وانْصُرْ على آلِ الصليبِ وعابديه اليوم آلك (١)

وفيه حجة على النَّحاس والزبيدى حيث زعما ، ومن قال بقولهما أنه لا يقال اللّهم صَلِّ على محمد وعلى آله ، لأن المُضْمَرَ يرد المعتل إلى أصله ، وأصله : أهلٌ فلا يُقال إلا : وعلى أهْلِهِ ، وبهذه المسئلة ختم النحاس كتابه الكافى . وقولهُما خطأ من وجوهٍ ، وغيرُ معروف فى قياسٍ ولا سماعٍ ، وما وجدنا قط مضمَرا يرد معتلا إلى أصله إلا قولهم : أعْطَيْتُكُمُوه برد الواو ، وليس هو من هذا الباب فى وِرْدٍ ولا صَدَرٍ ، ولا نقول أيضا : إن آلاً أصلُه : أهْل ، ولا هو فى معناه ، ولا نقول : إن أهَيْلا تصغيرُ آلٍ ، كما ظن بعضهم ، ولِتوجيه الِحجاج عليهم موضعٌ غير هذا ، وفى الكامل من قول الكتابى لمعاوية حين ذكر عبد الملك من آلك ، وليس منك (٢) .

وقول عكرمة بن عامر : الآخذُ الهَجْمَةَ فيها التقليد (٣) : الهَجْمَة : هى ما بين التسعين إلى المائة ، والمائةُ منها : هُنيدَة ، والمائتان : هِنْد ، وقال بعضهم : والثلاثمائة أمَامة ، وأنشدوا :

---

(١) لما قاله عبد المطلب روايات مختلفة وهى فى الطبرى ستة أبيات ص ١٣٥ ج ٢

(٢) فى اللسان كلام طويل عن آل وأهل فى مادة أهل فانظره .

(٣) التقليد : أى فى أعناقها القلائد .

رفع المستهم

. . . .

تَبَيَّنْ رُوَيْداً ما أُمَامَةُ منْ هِندِ (١) .

وكان اشتقاقَ المَحْمَة من الْهَجيمَةِ ، وهو : الثَّخين من اللَّبَنِ ، لأنه لما كَثُر لبنُها لكثرتها ، لم يُمزَجْ بماء ، وشُرب صِرْفاً ثخينا ، ويقال للقدح الذى يُحلب فيه إذا كان كبيرا : هَجْم (٢) .

فى حديث الفيل :

وقوله : أَخْفِرْهُ يارب . أى انقض عزمه وعهده فلا تؤمنه ، يقال: أَخْفَرْتُ الرجل ، إذا نقضت عهدَه ، وخَفَرْتُهُ أَخْفِرُه: إذا أَجرْتُه ، فينبغى أن لا يضبط هذا إلا بقطع الهمزة وفتحها ، لئلا يصيرَ الدعاء عليه دعاء له .

وقولُه : إلى طَمَاطِمٍ سود . يعنى: الْعُلُوج. ويقال لكل أعجمى: طُمْطُمَانىّ وطِمْطِمٍ ويذكر عن الأخفش : طَمْطَم بفتح الطاء (٣) .

وقوله : عَبىَّ جيشه . يقال : عبَّيْتُ الجيشَ بغير همزه ، وعَبَّأْتُ المتاعَ

---

(١) فى اللسان ورد هكذا فى مادة أمم .

أأبثره مالى ويحتُرُ رفده تَبَيَّنْ رُوَيْدًا ما أمامة من هند

وفى الحماسة وردت شطرته الاولى : أبو عدنى والرمل بينى وبينه .

(٢) ويحرك أيضاً .

(٣) وطمطمى أيضاً بكسر الطاءين ، والطماطم : بفتح الطاء الاولى وكسر الثانية . وفى صفة قريش : ليس فيها طمطمانية حمير . شبه كلام حمير لما فيه من الالفاظ المنكرة بكلام العجم .

بالهمز ، وقد حُكى عبّأْتُ الجيشَ بالهَمْزِ وهو قليل (١) .

وقوله : فبَرك الفيلُ . فيه نظر ؛ لأن الفيلَ لا يَبْرُكُ ، فيحتمل أن يكونَ بُروكُه : سقوطه إلى الأرض ، لما جاءه من أمر الله سبحانه ، ويحتمل أن يكون فَعَلَ فِعْلَ البارك الذى يَلزم موضعه ، ولا يبرح ، فَعُبِّرَ بالبروك عن ذلك ، وقد سمعت من يقول : إن فى الفِيلة صنفا منها يَبْرُكُ كما يَبْرُكُ الجملُ ، فإن صحّ وإلاّ فتأويلُه ما قدمناه .

والأسودُ بن مقصود صاحب الفيل : هو الأسودُ بن مقصود بن الحارث بن مُنَبِّه بن مالكِ بن كعبِ بن الحارثِ بن كعب بْن عَمْرو بن عِلَّةَ ويقال فيه : عُلَةْ على وزن عمر ، ابن خالد (٢) بن مَذْحِج ، وكان الأسود قد بعثه النجاشى مع الفيلة والجيش ، وكانت الفيلة ثلاثة عشر فيلا ، فهلكت كلُّها إلا محموداً ، وهو فيل النجاشي ؛ من أجل أنه أبى من التوجه إلى الحرم والله أعلم .

ونُفَيلٌ الذى ذكره هو : نُفَيْلُ بن عبد الله بن جُزء بن عامر بن مالك بن واهب بن جَليحة بن أَكْلُب بن ربيعة بن عِفِرس بن جلف (٣) بن أَفْتَل ،

(١) فى اللسان : عبأ المتاع ـ بفتح الباء بدون تضعيف عَبْأ وعَبَّأه هيأه وعَبَّأ الجيش أصلحه وهيأه تعبية . وتعبئة وتَعْبيأ ، وقال أبو زيد : عبأته بالهمز .

(٢) فى الاشتقاق وجمهرة ابن حزم : جَلد بفتح الجيم وسكون اللام .

(٣) فى جمهرة ابن حزم حُلف بالحاء المضمومة واللام الساكنة أو حلف بفتح الحاء وكسر اللام . وبنو عفرس فى جمهرة ابن حزم هما : ناهس وشهران فحسب . فولد ناهس حام وأجرم وأوس مناة ، وولد شهران وهب ومر ومحمية والقريح ص ٣٦٨ وفى الاشتقاق ليس لعفرس سوى شهران وناهس .

. . . .

وهو : خَثْعَم . كذلك نسبه البرقى . وفى الكتاب : نفيل بن حبيب ، ونفيل من الْمُسَمَّيْنَ بالنبات قاله أبو حنِيفة . وقال : هو تصغير نَفَل ، وهو نبت مُسْلَنْطِح(١) على الأرض .

وذكر النقاش أن الطير كانت أنيابُها كأنياب السَّبُع ، وأكفُّها كأكُفّ الكلاب ، وذكر البرقى أن ابن عباس قال : أصغرُ الحجارة كرأسِ الإنسان ، وكبارُها كالإبل . وهذا الذى ذكره البرقى ذكره ابن إسحاق فى رواية يونس عنه . وفى تفسير النقاش أن السَّيْل احتَمل جثثهم ، فألقاها فى البحر ، وكانت قصة الفيل أول الْمُحَرَّم من سنة اثنتين وثمانين وثمانمائة من تاريخ ذى القرنين .

وقوله : فضربوا رأسَه بالطَّبْرَزِين هكذا تقيد فى نسخةِ الشيخ أبى بحر بسكون الباء ، وذكره البكرى فى الْمعجم ، وأن الأصل فيه طَبَرْزِين بفتح الباء ، وقال : طَبَرهو الفأس وذكر طبَرَسْتَانَ بفتح الباء ، وقال : معناه : شَجَرٌ قطع بفأس ؛ لأنها قبل أن تُبنى كانت شَجْراء فقُطِعَتْ ، ولم يقل فى طَبَرِيَّة مثل هذا . قال : ولكنها نسبت إلى طَباراء ، وهو اسمُ الملكِ الذى بناها ، وقد ألفيتهُ فى شعرٍ قديمٍ : طَبَرْزِين – بفتح الباء – كما قال البكرى ، وجائز فى طَبَرْزِين — وإن كان ما ذكر أن تسكن الباء — لأن العرب تتلاعب بالأسماء الأعجمية تلاعُبا لايقرُّها على حال . قاله ابن جنى .

وقوله : فبزغوه ، أى : أدْمَوْه ، ومنه سُمّى الْمِبْزَغُ ، وفى رواية يونس

---

(١) يعنى أنه منبسط على الأرض .

. . . .

عن ابن إسحاق أن الفيل رَبَضَ ، فجعلوا يقسمون بالله أنهم رَادُّوه إلى اليمن ، فحرّك لهم أذنيه ، كأنه يأخذ عليهم عهدا بذلك ، فإذا أقسموا له ، قام يُهرول ، فيردُّونه إلى مكة ، فَيَرْبِضُ ، فيحلفون له، فيحرك لهم أذنيه كالمؤكِّد عليهم ، ففعلوا ذلك مرارا .

وقوله : أمثال الحِمَّص والعَدَس يقال : حِمَّص ، وحِمِّص ، كما يقال : جِلَّق وجِلِّق قاله الزبيدى ، ولم يذكر أبو حنيفة فى الحِمَّص إلا الفتح وليس لهما نظير فى الأبنية إلا الحِلِّزة وهو القصير(١) ، وقال ابن الأنبارى : الحِلِّز : البخيل بتشديد الزاى ، وصوّب القالى هذه الرواية فى الغريب المصنف ، لأن فِعَّلا بالتشديد ليس فى الصفات عند سيبويه . ويعنى بمماثلة الحجارة للحِمَّص أنها على شكلها(٢) — والله أعلم — لأنه قد روى أنها كانت ضِخاما تكسر الرءوس ، وروى أن مخالب الطير كانت كأكُفّ الكلاب — والله أعلم — وفى رواية يونس عن ابن إسحاق قال : جاءتهم طيرٌ من البحر كرجالِ الهند، وفى رواية

---

(١) والسيء الخلق ، والبخيل ، ونبات ، والبوم ودُوَيْبّة .

(٢) فى اللسان : «ولم يعرف ابن الأعرابى كسر الميم فى الحِمِّص ، ولا حكى سيبويه فيه إلا الكسر ، فهما مختلفان ، وقال أبو حنيفة . الحِمَّص : عربى ، وما أقل ما فى الكلام على بنائه من الأسماء . الفراء : لم يأت على فِعَّل بفتح العين وكسر الفاء ، إلا قِنَّف وقِلَّف ، وهو الطين المتشقق إذا نَضَب عنه الماء ، وحِمَّص وقِنَّب ، ورجل خِنَّب وخِنَّاب : طويل ، وقال المبرد : جاء على فِعِّل : جِلِّق وحِمِّص ، وحِلِّز وهو القصير ، قال : وأهل البصرة اختاروا حِمِّصا ، وأهل الكوفة اختاروا حِمَّصا ، وقال الجوهرى : الاختيار فتح الميم ، وقال المبرد بكسرها » مادة حمص .

. . . .

أخرى عنه أنهم استَشعَروا العذابَ فى ليلة ذلك اليوم ؛ لأنهم نظروا إلى النجوم كالحةً إليهم ؛ تكاد تكلمهم من اقترابها منهم ، ففزعوا لذلك(١).

وقولُ نُفَيْل :

وَلَمْ تأْسَىْ على مافات بَيْنا

نصَب بَيْنا نَصْب المصدر المؤكِّدِ لما قبله ، إذ كان فى معناه ، ولم يكن على لفظِه ، لأن فات : معنى : فارق وبان ، كأنه قال: على مافات فَوْتاً ، أو بان بينا ، ولا يصح لأنْ يكون مفعولا من أجله يعمل فيه تأسى ، لأن الأسى باطِنٌ فى القلب ، و البين ظاهر ، ولا يجوز أن يكون المفعول من أجله إلا بعكسِ هذا . تقول : بكى أسَفاً ، وخرج خَوْفا ، وانطلق حِرْصا على كذا ، ولو عكستَ الكلامَ كان خلفا من القول وهذا أحد شروطِ المفعول من أجلِه ، ولعل له موضعا من الكتاب فنذكره فيه .

---

(١) كل هذه روايات تحتاج إلى سند ، وحَسْبنا هدى الله عنهم . وأصعد : أى يصعد فى الجبل ، والمحاجن : عصا معوجة فى طرفها حديدة ، ومراقه : أسفل بطنه ، والخطاطيف : جمع خطاف على وزن رمان هو السنونو ، وهو ضرب من الطيور القواطع عريض المنقار ، دقيق الجناح طويله منتفش الذيل . والبلسان : شجر له زهر أبيض صغير بهيئة العناقيد ! ! وفى النهاية لابن الأثير ، وهو يفسر حديث ابن عباس المنسوب إليه « بعث الله الطير على أصحاب الفيل كالبلسان » بفتح الباء واللام والسين نقلا عن عباد بن موسى : « أظنها الزرازير » وهى جمع زرزور : طائر أكبر قليلا من العصفور ، وله منقار طويل ذو قاعدة عريضة وجناحاه طويلان مدببان والمحصَّب : مكان بين مكة ومنى ، وهو إلى منى أقرب وحدُّه من الحجون ذاهبا إلى منى .

. . . .

وقوله: نَعِمْنَا كُمْ مع الإصباح عَيْنا: دعاء، أى: نعِمنا بكم، فعدَّى الفعلَ لما حذف حرفَ الجر، وهذا كما تقول: أنعم الله بك عيناً. وقوله فى أول البيت: ألا حُيِّيت عنا يا رُدَيْنا. هو اسم امرأةٍ، كأنها سُمِّيتْ بتصغير رُدْنَة، وهى القطعة من الرُّدْن وهو الحرير. ويقال لمُقَدَّم الكُمِّ: رُدْنٌ، ولكنهُ مذكَّر، وأما دُرَيْنة بتقديم الدال على الراء، فهو اسمٌ للأحمق(١) قاله الخليل.

وقوله: فى خبر أبْرَهَة: تبعتها مدة تَمُثُّ قَيْحاً ودَماً. ألْفَيْتهُ فى نسخة الشيخ: تَمُثُّ، وتَمِثُّ بالضم والكسر. فعلى رواية الضم يكون الفعلُ متعديا، ونصب قيحا على المفعول، وعلى رواية الكسر يكون غير مُتعدٍّ، ونَصَبَ قَيْحًا على التمييز فى قول أكثرهم، وهو عندنا على الحال، وهو من باب: تصبَّب عرقا، وتَفَقَّأَ شَحْمًا(٢)، وكذلك كان يقول شيخنا أبو الحسين فى مثل هذا، وقد أفصح سيبويه فى لفظ الحالِ فى: ذَهَبْنَ كَلاً كِلاً وصُدورا(٣). وأشْرَق كاهِلاً، وهذا مثله، والكشْف القناع عن حقيقة هذا موضعٌ غير هذا وإنما قلنا: إن مَنْ رواه تَمُثُّ بضم الميم، فهو مُتَعدٍّ، كأنه مضاعف، والمضاعَف إذا كان متعديا، كان فى المستقبل مضمومًا نحو: رَدَّه يَرُدُّه إلاَّ ماشذ منه، نحو عَلَّ يَعُل ويَعِلُّ(٤)، وهرَّ الكأس يَهُرُّ ويَهِرُّ، وإذا كان غير متعد كان

---

(١) فى القاموس كذلك.
(٢) مطاوع فقَّأ. شق الشىء وأخرج ما فيه.
(٣) شطرته الأولى: «مشق الهواجرُ لَحْمَهُنَّ مع السُّرى».
(٤) عَلَّه: سقاه السقية الثانية، وعل هو بنفسه، فهو متعد ولازم تقول فيهما عَلَّ يعل بضم العين وكسرها، وهَرَّ يَهرُّ كذلك، وجاء فى أدب الكاتب بن لا =

. . . .

مكسورا فى المستقبل نحو : خفَّ يخِف، وفر يفِر إلا ستة أفعال جاءت فيها اللغتان جميعا ، وهى فى أدب الكاتب وغيره[١]، فغنينا بذلك عن ذكرها . على أنهم قد أغفلوا : هَبَّ يهُبُّ وخبَّ يَخُبُّ وأَجَّ يؤُجُّ إذا أسرع ، وشك فى الأمر يشُك ، ومعنى تَمِثُّ قَيحًا : أى: تسيل، يقال: فلان يَمُثُّ كما يمُثُّ الزِّقُّ[٢] .

وقوله : يسقط أُنملَةً أُنملَةً[٣] أى : ينتثر جسمُه ، والأُنمُلَةُ: طرف الأُصبَع، ولكنْ قد يُعَبَّرُ بها عن طرف غير الأُصْبُع ، والجزء الصغير . فى مُسْنَد الحارث بن أبى أسامة عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : إن فى الشجرة شجرةً هى مثل المؤمن ، لا تسقط لها أُنمُلَةٌ . ثم قال : هى النخلة ، وكذلك المؤمن لا تسقط له دعوة .

وقوله : مرائر الشجر يقال: شجرةٌ مُرَّةٌ ، ثم تجمع على مرائر ، كما تجمع: حُرَّة على حرائر ، ولا تعرف فُعْلَة تجمع على فعائل إلا فى هذين الحرفين[٤] ،

قتيبة عن الفراء غير هذين : شَدَّ ونَمَّ الحديث . وزاد غيره : بت الشىء. كلها متعدية وبكسر العين فى المضارع وضمها .

(١) الأفعال هى جَدَّ وشب ، وجم ، وصد ، وشح ، وفح كما جاء فى أدب الكاتب لابن قتيبة ص ٤٧١ ج ١ مصطفى محمد .

(٢) الزق : وعاء من جلد ـ يجز شعره ، ولا ينتف ـ للشراب وغيره جمعها أزقاق وزقاق . ومث الرجل مثا : عرق ، ورشح على جلده مثل الدهن . ومث السقاء رشح .

(٣) أنملة بتثليث الميم والهمزة تسع لغات . وهى التى فيها الظفر .

(٤) يرى أبو ذر الخشنى أن مرائر جمع : أمرار، وأمرار جمع : مر . ص ١٨ شرح السيرة .

. . . .

وقياس جمعهما فُعَل نحو : دُرَّة ودُرَر ، ولكن الحُرَّةَ من النساء في معنى : الكريمةِ والعَقيلة ، ونحو ذلك ، فأجرَوْها مَجرَى ما هو في معناها من الفَعِيلَة ، وكذلك المُرُّ قياسة : أن يقال فيه : مرير ؛ لأن المرارة في الشيء طبيعة ، فقياسُ فِعْله : أن يكون فَعُل كما تقول : عَذُبَ الشيء وقَبُحَ . وعَسُر إذا صار عسيرا ، وإذا كان قياسُه فَعُل فقياسُ الصفة منه أن تكون على فَعيل ، والأنثى : فَعِيلَةٌ ، والشيء المُرّ عسيرٌ أكلُهُ شديدٌ ، فأجروا الجمع مجرى هذه الصفات التي هي على فعيل ؛ لأنها طباع وخصال ، وأفعالُ الطِّباع والخِصال كلّها تجرى هذا المجرى .

وذَكَر العُشَرَ . وهو شَجَرٌ مرٌّ يحمل ثمراً كالأُتْرُجِّ ، وليس فيه مُنْتَفَع ، ولبن العُشَرِ تُعالَجُ به الجلودُ قبلَ أن تجعل في المَنِيئَةِ ، وهي: المدبغة كما تعالج بالغَلْقة ، وهي شجرة ، وفي العُشَر : الخُرْفعُ والخِرْفعُ ، وهو شبه القُطن ويُجنى من العُشَر: المَغافير، واحدها : مُغْفُور ، ومَغافِر ، وواحدها: مِغْفَر ، ويقال لها : سُكَّرُ العُشَر ، ولا تكون المغافير إلا فيه ، وفي الرِّمْث ، وفي الثُّمام ، والثُّمامُ: أكثرُهَا لثىً ، وفي المثل : هذا الجَنَى لا أن يُكَدَّ المِغفرُ[١] من كتابِ أبي حنيفة .

---

(١) نفسر هنا بعض ما ورد في السيرة والروض من أسماء الشجر والنبات فالحرمل : نبت له حب أسود كالخردل ، والحنظل: نبت يمتد كالبطيخ على الأرض يضرب المثل بشدة مرارته ، والمغافر ، أو المغافير . صمغ حلو يسيل من شجر العرفج أو العُرفط ، يؤكل أو يوضع في ثوب ، ثم ينقع بالماء ، فيشرب . وفى القاموس . والمغافر والمغافير : المغاثير الواحد مغفر كمنبر ، ومغفور ومغفر بضمهما ، ومغفار ومغفير بكسرهما ، والرمث: مرعى للابل من الحمض وشجر =

. . . .

وذكر ابنُ هشام : الأَبابيل ، وقال : لم يُسْمَع لها بواحدٍ ، وقال غيره : واحدها : إبَّاله ، وإبَّوْل ، وزاد ابن عزيز : وإبِّيل ، وأنشد ابن هشام لرُؤْبَة :

وصُيِّرُوا مثل كَعَصْفٍ مأكول

وقال : ولهذا البيت تفسير في النحو ، وتفسيره : أن الكاف تكون حرفَ جَرٍّ ، وتكون اسما بمعنى : مثل ، ويدلك أنها حرف : وقوعها صِلَة للذى ؛ لأنك تقول : رأيت الذى كزيد ، ولو قلت : الذى مثل زيد لم يحسن ، ويدلك أنها تكون اسما دخولُ حرف الجر عليها ، كقوله : ورُحْنَا بكابْنِ الماء يَنفُضُ رأسَه.. ودخول الكاف عليها ، وأنشدوا : وصَاليات كَكَمَا يُؤَثْفَيْن (١) [أو يُؤْثَفَيْن]. وإذا دخلت

= يشبه الغضا ، والعَلَقة : شجيرة مرة بالحجاز وتهامة غاية للدباغ ، والحبشة تسم بها السلاح فيقتل من أصابه ، والخرفع : القطن الفاسد فى براعيمه ، والثمام : عشب من الفصيلة النجيلية يسمو إلى خمسين ومائة سنتيمتر . والأُتْرُج والأترجة : نوع من الثمر حمضى ، واللثى : مايسيل من بعض الشجر كالصمغ . وفى المطبوعة بدلا من يكد : يكن ، وهو خطأ ، ويروى ، تكد قيل : لأنه لا يجتمع منه فى سنة سوى القليل ويضرب فى تفضيل الشيء على جنسه ، ولمن يصيب الخير الكثير . انظر مجمع الأمثال

وفى اللسان أن المغافير نوع من الصمغ يوضع فى ثوب ، ثم يُنْضَح بالماء ، فيشرب . واحدها : مِغْفَرٌ ، ومَغْفَرٌ ، ومُغْفُرٌ ، ومُغْفُورٌ ، ومغفار ، ومِغْفِيرٌ . . وقد يكون المُغْفُورُ أيضا للعُشَر والسَّلَم والثُّمام والطَّلح وغير ذلك . . ويقال لصمغ الرمث والعرفط : مغافير ومغاثير الواحد : مُغْثُور ، ومُغْفُور ومِغْفَر ، ومِغْثَر . . . والمغافير الذى ورد فى حديث نساء النبى يراد به صمغ العرفط وله ريح كريهة منكرة ، وعن الليث : المغافير : الصمغ يكون فى الرمث ، وهو حلو يؤكل واحدها . مغفورٌ .

(١) من قصيدة لخطام بن نصر بن عياض بن يربوع هو : المجاشعى . وأولها .

حَىَّ دارَ الحىِّ بين الشهبين وطلحة الدوم ، وقد تعفَّيْن =

. . . .

. . . .

= لم يبق من أي بها يُحَلَّيْنْ غير حُطَامٍ ورَمادٍ كِنْفَيْنْ
وغير ود جاذل أو وَدَيْنْ وصالياتٍ كَكَما يُؤَثْفَيْنْ

وفى خزانة الأدب : الشهبين وفى شرح شواهد الشافية للبغدادى أيضا: السهبين والشهبان وطلحه الدوم : موضعان ، والنون فى تعفين ضمير ديار الحى ، وصاليات بالجر : عطفا على ما قبلها ، وهى الأثافى أى: الأحجار التى يوضع القدر عليها ، وصفها بذلك ، لأنها صليت بالنار أى أحرقت حتى اسودت . وما فى قوله «كما » قد تكون مصدرية ، فيكون التقدير: مثل الإثفاء وقد تكون موصولة بمعنى الذى ، والكاف الأولى جارة، والثانية مؤكدة لها، وإذا كان من باب التوكيد جاز أن يكون الكافان اسمين أوحرفين،فلا يكون دليل على اسمية الثانية فقط . وفى شرح أدب الكاتب : أجرى الكاف الجارة مجرى : مثل ، فأدخل عليها كافا ثانية فكأنه قال : كمثل مايؤثفين ، ومامع الفعل بتقدير المصدر . كأنه قال : كمثل إثفائها ، أى أنها على حالها حين أثفيت ، والكافان لايتعلقان بشىء ، فإن الأولى زائدة ، والثانية قد أجريت مجرى الأسماء لدخول الجار عليها . ولو سقطت الأولى وجب أن تكون الثانية متعلقة بمحذوف صفة لمصدر مقدر محمول على معنى الصاليات ؛ لأنها نابت مناب مثفيات . فكأنه قال : ومثفيات إثفاء مثل إثفائها حين نسبت للقدر .

وأما يؤثفين فيحتمل وجهين : أحدهما :أن يكون مثل :يؤكرم ، ويكون على لغة من قال : ثفيت القدر « ثفيت بفتح الثاء وتشديد الفاء وإسكان الياء » ومن قال هذا كانت أثفية «بضم الهمزة وإسكان الثاء وكسر الفاء وتشديد الياء» عنده أفعولة ، واللام واو، ويحتمل أن تكون ياء ، والهمزة زائدة فأصلها : أثفوية،فقلبت الواو ياء ، وأدغمت وكسرت لتبقى الياء على حالها ، والوجه الآخر : أن يكون يؤثفين : يفعلين — بضم الياء وفتح الفاء وإسكان العين وفتح اللام وإسكان الياء وفتح النون — فتكون الهمزة أصلية ، فتكون أثفية على هذا فعلية بضم الفاء وإسكان العين وكسر اللام وتشديد الياء مع فتح، وتكون على لغة من قال : آثفت =

. . . .

على مثلٍ، كقوله تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ﴾ [الشورى :١١] فهى إذاً حرف؛ إذ لايستقيم أن يقال : مثلُ مثلِه ، وكذلك هى حرف فى بيت رُؤْبة : « مثل كَعَصْفٍ » لـكنها مُقحمة لتأكيد التشبيه ، كما أقحموا اللام من قوله : يا بُؤْسَ للحرب؛ ولا يجوز أن يقحم حرفٌ من حروف الجرسوى اللام ، والـكاف ، أما اللام ؛ فلأنها تعطى بنفسها معنى الإضافة ، فلم تغير معناها ، وكذلك الـكاف تعطى معنى التشبيه ، فأُقحمت لتأكيد معنى المماثلة ، غير أن دخول مثل عليها كما فى بيت رُؤْبة قبيح ، ودخولها على مثل كما فى القرآن أحسن شيء ؛ لأنها حرف جر تعمل فى الاسم ، والاسم لا يعمل فيها ، فلا يتقدم عليها إلا أن يقحمها كما أقحمت اللام .

وأنشد شاهدا على العَصيفة قول علقمة ، وآخره :

حَدُورُها من أَتِيِّ الماء مَطْمُومُ . وهذا البيت أنشده أبو حنيفة فى النبات جُدورُها : هو جمع جَدْر بالجيم ، وهى الحواجز التى تحبس الماء ، ويقال للجدْر

= القدر انظر ص١١٥ ـــ ح ٢ خزانة الأدب للبغدادى ، ص ١٩٢ ح ١ المنصف شرح التصريف لابن جنى . والرأى الثانى أولى على ما ذهب إليه البغدادى ، ويرى ابن جنى أن يفعلين أولى من يؤفعلن ، لأنه لاضرورة فيه ، وفى اللسان : تقول : آثف القدر ، وأثفها وأثفاها ، وتقول : أثفيت القدر إذا جعلت لها الأثافى . ويقول ابن جنى : أثفيت القدر ، وأثّفتُها ، وثَفّيْتُها : إذا أصلحت تحتها الأثافى ، وقال صاحب الصحاح : ثَفّيْت القدر تثفية : وضعتها على الأثافى ، وأثفيتها : جعلت لها أثافى. وينسب الشعر للفارسى أيضا ، أما الجوهرى فى الصحاح ، فنسبه إلى هميان بن قحافة انظر ص٤٦٠ الشافية ، ١٩٤ ح١ منها ، ص٩٤ ح٢ منها والكتاب لسيبويه فى مواضع منها ٢٠٣ ، ٢٤١ ح ١

. . . .

حُباسٌ (١) أيضا: وفى الحديث: «أَمْسِكِ الماءَ حتى يَبْلُغَ الجَدْرَ ، ثم أَرْسِلْهُ (٢)» وقد ذكر غيره رواية الجيم ؛ وقال : إنما قال : جُدورها من أَتِيِّ الماءِ مَطْمُوم . وأفرد الخبر ، لأنه رَدَّه على كُلٍّ واحد من الجَدْر كما قال الآخر :

ترى جوانِبهاَ بالشَّحْم مفتوقا .

أي : ترى كل جانب فيها .

فصل: ويقال للعَصيفة أيضا : أَذَنة (٣)، ولما يُحيط به الجُدُور التى تمسك الماء

---

(١) فى القاموس : حبس بكسر الحاء : خشبة أوحجارة تبنى فى مجرى الماء لتحبسه . وحَدُورها : ماانحدر منها .

(٢) هو جزء من حديث رواه البخارى ومسلم وأصحاب السنن الأربعة عن عبد الله بن الزبير قال : خاصم الزبير رجلا من الأنصار فى شراج الحرة ، فقال النبي « ص » : اسق يازبير ، ثم أرسل الماء إلى جارك ، فقال الأنصارى : يارسول الله أن كان ابن عمتك ؟ فتلون وجهه ، ثم قال : اسق يازبير ، ثم احبس الماء ، حتى يرجع إلى الجدر ، ثم أرسل الماء إلى جارك ، واستوعب للزبير حقه ، وكان أشار عليهما بأمر لهما فيه سعة .

وشراج جمع شرجة : مسيل الماء من الحرة إلى السهل . والحرة أرض بظاهر المدينة ذات حجارة سود ، ومعنى : أن كان ابن عمتك : أى أقضيت له بسبب أن كان ابن عمتك . وقد أفرد كلمة « مطموم » فى رواية : جدور ، لأنه أراد ما حول الجدور ، ولولا هذا لقال : مطمومة . وفى النهاية لابن الأثير عن الجدر قيل : هو لغة فى الجدار ، وقيل هو أصل الجدار ، وروى : الجدر بالضم جمع جدار ، ويروى بالذال فيكون المعنى « احبس الماء حتى يبلغ تمام الشرب . من جذر الحساب ، وهو بالفتح ، وبالكسر . أصل كل شيء . وقيل : أراد أصل الحائط .

(٣) الأذنة أيضا : هى ورقة الحنة أول ماتنبت وخوصة الثمام والتبنة .

رفع المسيهم غفر الله له ولوالديه

وإيلاف قريش : إيلافهم الخروج إلى الشام فى تجارتهم ، وكانت لهم خَرْجتان : خَرْجة فى الشتاء، وخَرْجة فى الصيف . أخبرنى أبوزيد الأنصارىّ : أن العرب تقول : ألِفت الشىء إلفًا ، وآلفته إيلافا ، فى معنى واحد ، وأنشدنى لذى الرُّمَّة :

من المُؤْلِفات الرملَ أدماء حُرةٍ شُعاع الضحى فى لونها يتوضَّحُ

وهذا البيت فى قصيدة له ، وقال مَطْرود بن كَعْب الخزاعىّ :

المُنْعِمين إذا النجومُ تغيَّرت والظَّاعنين لِرِحْلَة الإيلافِ

وهذا البيت فى أبيات له سأذكرها فى موضعها إن شاء الله تعالى . والإيلاف أيضا : أن يكون للانسان ألف من الإبل ، أو البقر ، أو الغنم ، أو غير ذلك . يقال : آلف فلان إيلافا . قال الكُميت بن زيد ، أحد بنى أسد ابن خُزَيمة بن مُدرِكة بن الياس بن مُضَر بن نزار معدّ :

بعامٍ يقـــول له المُؤْلِفو ن هذا المُعِيم لنا المُرْجِلُ

دَبْرَةَ(١) وحِبس ومَشارة،ولمَفتح الماءمنها:آغِية بالتخفيف والتثقيل[أو أَتِيّ](٢)

---

(١) فى المعجم الوسيط : الدبرة : قطعة أرض تستصلح للزراعة ، والساقية بين المزارع ، وجمع مشارة : مشاور ، ومشائر .

(٢) فى اللسان « الأتى » بفتح الهمزة وكسر التاء وتشديد آخره « النهر يسوقه الرجل إلى أرضه وقيل : هو المفتح « بفتح الميم أو كسرها وسكون الفاء وفتح التاء » وكل مسيل سهلته لماء : أتى ، وهو الأتى « بضم الهمزة وتضعيف الياء وكسر التاء » حكاه سيبويه . وقيل : الأتى « بالضبط السابق » : جمع ، وفى القاموس أن الأتى جدول تؤتيه إلى الأرض ، وأن الهمزه والتاء يثلثان . والأتي مايقع فى النهر من خشب وغيره .

وهذا البيت فى قصيدة له . والإيلاف أيضا : أن يصير القوم ألفا ، يقال آلف القوم إيلافا . قال الكميت بن زيد :

وآل مُزَيقياءَ غداةَ لاقَوْا ... بنى سَعْد بنِ ضَبَّةَ مُؤلِفينا

وهذا البيت فى قصيدة له . والإيلاف أيضا : أن تؤلِّف الشىء إلى الشىء فيألفه ويلزمه ، يقال : آلفته إياه إيلافا . والإيلاف أيضا : أن تصيِّر مادون الألف ألفا ، يقال : آلفته إيلافا .

«مصير الفيل وسائسه» .

قال ابن إسحاق : حدثنى عبد الله بن أبى بكر ، عن عمرة بنة عبد الرحمن ابن سعد بن زُرَارَة ، عن عائشة — رضى الله عنها — قالت : « لقد رأيتُ قائدَ الفيل وسائسَه بمكة أعميَيْنِ مُقْعَدَيْن يستطعمان الناس » .

ماقيل فى صفة الفيل من الشعر

قال ابن إسحاق : فلما ردّ الله الحبشةَ عن مكّة ، وأصابهم بما أصابهم به من النقمة ، أعظمت العربُ قريشا ، وقالوا : هم أهل الله ، قاتل الله عنهم وكفاهم مئونةَ عدوِّهم ، فقالوا فى ذلك أشعاراً يذكرون فيها ماصنع الله بالحبشة ، وما ردّ عن قريش من كيدهم .

فقال عبدالله بن الزِّبَعْرَى بن عَدِىّ بن قَيْس بن عَدِىّ بن سُعَيْدِ بن سَهْم ابن عمرو بن هُصَيْص بن كعب بن لؤىّ بن غالب بن فِهْر .

وذكر إيلافَ قريش للرحلتين . وقال: هو مصدر أَلِفْتُ الشىءَ وآلَفْتُه فجعله من الإلْفِ للشىء ، وفيه تفسير آخر أليق ، لأن السفر قطعة من العذاب ،

تنكّلوا عن بطن مكّة ، إنها ... كانت قديما لا يُرَامُ حَرِيمُها
لم تخلق الشِّعرى ليالىَ حُرِّمتْ ... إذْ لاعَزِيزَ مِنَ الأنامِ يرومُها
سائِلْ أمير الجَيش عنها ما رأى ... ولَسَوْفَ يُنْبي الجاهلين عليمُها
ستُّونَ ألفا لم يئوبوا أرضَهم ... ولم يَعِشْ بعد الإياب سَقيمها
كانت بها عادٌ ، وجُرْهُم قبلَهم ... واللهُ مِنْ فوق العباد يُقِيمها

قال ابن إسحاق : يعنى ابنُ الزبعرى بقوله :

بعد الإياب سقيمها

أبرهة ، إذ حملوه معهم حين أصابه ما أصابه ، حتى مات بصنعاء .

وقال أبو قَيْس بن الأسلَت الأنصارىّ ثم الخَطْمِىّ ، واسمه : صَيفِىّ .

قال ابن هشام : أبو قيس : صَيْفِىّ بن الأسلت بن جُشَم بن وائل بن زَيْد بن قيس بن عامرة بن مرّة بن مالك بن الأوس :

ومن صُنْعه يوم فِيل الحبُو ... شِ إذْ كُلَّما بعثوه رَزَمْ
مَحاجِنُهم تحتَ أقْرَابِهِ ... وقد شَرَّموا أنفَه فانخرم
وقد جعَلوا سَوْطَهُ مِغْولاً ... إذا يَمَّمُوه قَفاه كُلِم
فولّى وأدْبَرَ أدْرَاجَهُ ... وقد باء بالظُّلم مَنْ كانَ ثَمْ
فأرْسَلَ مَنْ فَوْقِهم حاصِبا ... فلَفّهم مثلَ لفّ القُزُمْ
تحُضُّ على الصّبر أحبارُهم ... وقد ثأجُوا كثُؤاج الغَنَمْ

قال ابن هشام : وهذه الأبيات فى قصيدة له .

ولا تألفه النفس ، إنما تألف الدَّعَةَ والكَيْنُونَةَ مع الأهلِ . قال الهروى : هى حبالٌ ، أى : عهودٌ كانت بينهم وبين ملوك العجَم، فكان هاشم يؤالف إلى

والقصيدة أيضا تروى لأمية بن أبى الصَّلْت .

قال ابن إسحاق : وقال أبو قَيْس بن الأَسْلَت :

فقُومُوا فصَلُّوا ربَّكم، وتَمسَّحُوا ... بأركان هذا البيت بين الأخاشب

فعِنْدكم منهُ بَلاءٌ مُصَدَّق ... غداةَ أبى يَكْسُومَ هادِى الكتائب

كتيبتهُ بالسهل تُمْسى ، ورَجْلُهُ ... على القاذفات فى رءوس المَناقب

فلما أتاكم نَصْرُ ذى العرش رَدَّهم ... جنودُ المليك بين ساف وحاصب

فولَّوْا سراعا هاربين ولم يَؤُب ... إلى أهله مِلْحَبْشِ غيرُ عصائب

قال ابن هشام : أنشدنى أبو زيد الأنصاريّ قولَه :

على القاذفات فى رءوس المناقب

وهذه الأبيات فى قصيدة لأبى قيس ، سأذكرها فى موضعها إن شاء الله . وقوله : « غداة أبى يَكْسوم » : يعنى : أبرهة ، كان يكنى أبا يكسوم .

قال ابن إسحاق : وقال طالب بن أبى طالب بن عبد المطلب :

ألم تعلموا ما كان فى حرب داحسٍ ... وجيش أبى يَكْسوم إذ مَلئوا الشِّعْبا

فلولا دفاعُ الله لا شىءَ غيرُهُ ... لأصبحتم لا تمنعونَ لكم سِرْبا

قال ابن هشام : وهذان البيتان فى قصيدة له فى يوم بَدْر ، سأذكرها فى موضعها إن شاء الله تعالى .

قال ابن إسحاق : وقال أبو الصَّلت بن أبى ربيعة الثَّقفى فى شأن الفيل ،

مَلِكِ الشام ، وكان المُطَّلِبُ يؤالف إلى كِسرى ، والآخران يؤالفان أحدُهما

ويذكر الحنيفيَّة دين إبراهيم عليه السلام . قال ابن هشام : تُروى لأمية بن أبى الصلت بن أبى ربيعة الثَّقفىّ :

إنَّ آياتِ رَبِّنا ثاقِباتٌ لا يُمارِى فِيهنَّ إلا الكَفُورُ
خُلِقَ الليْل والنَّهار فكُلٌّ مُسْتبِينٌ حِسابُهُ مَقْدور
ثم يَجلو النَّهارَ رَبٌّ رحيم بِمَهاةٍ شُعَاعُها مَنْشُور
حُبِس الفيلُ بالمُغَمَّسِ ، حتى ظلّ يحبو كأنه مَعْقُورُ
لازما حَلْقَة الجِرَان كما قُطِّر من صخر كَبْكَبٍ مَحْدور

إلى مَلِكِ مصرَ ، والآخر إلى ملك الحبشة ، وهما: عَبْدُ شمس ونوفلٌ (١).قال

---

(١) نقل اللسان عن ابن الأعرابى ، أصحاب الإيلاف أربعة إخوة : هاشم وعبد شمس ، والمطلب ، ونوفل بنو عبد مناف ، وكانوا يؤلفون الجوار يتبعون بعضه بعضا يجيرون قريشا بميرهم ، بكسر الميم وفتح الياء وكسر الراء جمع : ميرة : الطعام يمتاره الإنسان ، ، وكانوا يسمون : المجيرين ، ثم يقول إن المطلب أخذ حبلا من ملوك حمير. ونوفل: هو الذى أخذ من كسرى . وعبد شمس أخذ من النجاشى ، وهاشم من ملك الروم ، فكان تجار قريش يختلفون إلى هذه الأمصار بحبال — أى عهود — هؤلاء الإخوة . فلا يتعرض لهم . وقال ابن الأنبارى : من قرأ لإلافهم وإلفهم فهما من : ألف — كعلم — يألف،ومن قرأ : لإيلافهم فهو من آلف يؤلف. وفى اللسان أيضا حديث ابن عباس : «وقد علمت قريش أن أول من أخذلها الإيلاف لهاشم الإيلاف : العهد والذمام» . وقد تكون الهاء فى إيلافهم مفعولا ، ورحلة مفعولا ثانيا . ويجوز أن يكون المفعول هنا واحدا على قولك آلفت الشىء كألفته ، وتكون الهاء والميم فى موضع الفاعل مثل عجبت من ضرب زيد عمرا . وفى اللسان «أهلكت أصحاب الفيل لأولف قريشا مكة ، ولتؤلف قريش رحلة الشتاء والصيف أى تجمع بينهما إذا فرغوا من ذه أخذوا فى ذه ، وهو كما تقول : ضربته لكذا لكذا بحذف الواو »

حوله من ملوك كِنْدة أبطا لٌ ملاويثُ فى الحُروب صُقُور

خلفوه ثم ابذَعَرُّوا جميعا كلهم عَظْمُ ساقه مَكسورُ

كلُّ دينٍ يومَ القيامة عند الله إلا دينَ الحنيفة بُور

قال ابن هشام : وقال الفرزدق — واسمه همّام بن غالب أحد بنى مُجاشع بن دَارِم بن مالك بن حَنْظلة بن مالك بن زَيْد مَناة بن تميم — يمدح سليمان ابن عبد الملك بن مَرْوان ، ويهجو الحجَّاج بن يوسف، ويذكر الفيل وجيشَهُ .

ومعنى يؤالِف: يعاهد ويصالح، ونحو هذا ، فيكون الفعل منه أيضا آلفَ على وزن فَاعَل ، والمصدر إلافا بغير ياء مثل : قِتالا ، ويكون الفعل منه أيضا آلفَ على وزن أفْعَل مثل : آمن ، ويكون المصدر : إيلافا بالياء مثل : إيمانا ، وقد قُرِىء لإلاف قريش بغير ياء ، ولو كان مِن آلَفْتُ الشىء على وزن أفعلْتُ إذا ألِفْته لم تكن هذه القراءةُ صحيحة ، وقد قرأها ابن عامر ، فدلّ هذا على صحة ماقاله الهروى ، وقد حكاه عمّن تقدمه . وظاهرُ كلامُ ابنْ إسحاق أن اللامَ من قوله تعالى: ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴾ متعلقة بقوله سبحانه: ﴿ فجعلهم كعصْفٍ مأْكُول ﴾ وقد قاله غيرُه ، ومذهب الخليل وسيبويه : أنها متعلقة بقوله : ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هذا البيت ﴾ أى : فليعبدوه من أجل ما فعل بهم (١) . وقال قوم : هى لامُ التعجب ، وهى متعلقة بمضمر، كأنه قال : اعْجَبْ لإيلافِ قريش ، كما قال

---

(١) ابن جرير الطبرى . وهذا بناء على أنها سورة منفصلة عما قبلها . أما محمد بن إسحاق وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، فقدصرحا بأنها متعلقة بماقبلها، فالمعنى عندهما : حبسنا عن مكة الفيل ، وأهلكنا أهله لإيلاف قريش أى لائتلافهم واجتماعهم فى بلدهم آمنين . أقول : وعلى هذا يصح المعنى الذى نفاه السهيلى .

رفع المسهم

. . . .

ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى سعدِ بن مُعاذ (١) ـ رضى الله عنه !! ـ حين دفن : «سُبْحَانَ الله لهذا العبد الصالح ضم فى قبره ، حتى فَرّج الله عنه !!» وقال فى عبد حبشي مات بالمدينة : «لهذا العبد الحَبَشيِّ جاء من أرضه وسمائه إلى الأرض التى خُلق منها» أى : اعْجَبُوا لهذا العبد الصالح .

وأنشد للكُمَيْت :

بعامٍ يقول له المُؤْلِفُو نَ : أهذا المُعِيمُ لنا المُرْجِلُ

المُؤْلِفُ : صاحبُ الأَلْفِ من الإبلِ ، كما ذكر ، والمُعِيمُ بالميم : من العَيْمة (٢) أى : تجعل تلك السنةُ صاحبَ الألْف من الإبل يَعَامُ إلى اللبن ، وتُرْجِلُه ، فَيمشى راجلا ، لَعجفِ الدوابِّ وهُزالِها .

وذكر قول ابن الزِّبَعْرَى : تَنَكَّلُوا عن بَطْن مكة . البيت ، ونسبه إلى عدي بن سُعَيْد بن سَهْم ، وكرر هذا النسبَ فى كتابه مراراً وهو خطأ ، والصواب : سَعْد بن سهم ، وإنما سُعَيْدٌ : أخو سَعْد ، وهو فى نسب عَمْرو بن العاص بن وائل (٣) . . وقد أنشد فى الكتاب ما يدل على خلاف قوله : وهو

---

(١) شهد بدرا باتفاق ، ورمى بسهم يوم الخندق ، وعاش بعد ذلك شهرا حتى حكم فى بنى قريظة ، وأجيبت دعوته فى ذلك ، ثم انتقض جرحه فمات سنة خمس من الهجرة .

(٢) العيمة : شهوة اللبن والعطش تقول : عام ، يعيم ، ويعام ، وعام معيم : طويل .

(٣) فى السيرة هو ابن عدى بن قيس بن عدى ، وفى الاشتقاق لابن دريد هو ابن قيس بن عدى ، وفى جمهرة أنساب العرب أن سهم بن عمرو كان له سعد =

قول المُبْرِق ، وهو عبدُ الله بن الحارث بن عَدىّ بن سَعْد (١) :

فإن تكُ كانت فى عَدِىّ أمانةٌ عَدِى بنِ سَعْدٍ فى الخطوب الأوائل

فقال : عدى بن سعد ، ولم يقل : سُعَيْد ، وكذلك ذكره الواقدى والزُّبَيريُّون وغيرهم .

حول الشعر الذى قيل في الفيل :

وقوله : تنكلوا عن بطن مكة إنها . وهذا خَرْم فى الكامل ، وقد وجد فى غير هذا البيت فى أشعار هذا الكتاب الخَرَمُ فى الكامِلِ ، ولا يبعد أن يدخل الخَرْمُ فى مُتفَاعل ، فيحذف من السبب حَرْفٌ ، كما حُذف من الوَتَدِ فى الطويل حرف ، وإذا وجد حذف السبب الثقيل كُلِّه ، فأحرَى أن يجوز حذفُ حرف منه ، وذلك فى قولِ ابن مُفَرِّغ :

= وسُعيد بضم السين وفتح العين ، فأنجب سعد : سعيدا ـ بالضبط السابق ـ وعديا وغيرهما ثم أنجب عدى بن سعد بن سهم قيسا سيد قريش فى زمانه وغيره ، ثم جاء قيس بالزبعرى ، وجاء الزبعرى بعبد الله ، وقد ضبط ابن حجر فى الإصابه الزبعرى بكسر الزاى والباء وقد جاء فى نسب قريش ص ٤٠١ كما قال السهيلى وأسقط كابن حزم من نسب عبد الله عديا ، فقال : عبد الله بن الزبعرى بن قيس الخ . . والزبعرى معناها : السيء الخلق والغليظ ، وكان ابن الزبعرى يؤذى رسول الله «ص» بشعره ثم أسلم فى الفتح وحسن إسلامه ص ١٥٦ جمهرة ابن حزم .

(١) استشهد عبد الله يوم الطائف وستأتى قصيدته فى الحديث عن المهاجرين .

رفع المسهم

. . . .

هَامَةٌ تدعـــو صَدًى بين الْمُشَقَّرِ واليمامة (١)

وهو من الْمُرَفَّل، والمرفلُ من الكامل . ألا ترى أن قبله :

وشَرَيْتُ بُرْداً لَيتنى من بعد بُرْدٍ كنت هَامَة

فالمحذوفُ من الطويل إذا خُرم حَرْف من وتَد مجموع، والمحذوف من الكامل إذا خرم : حرف من سَبَب ثقيل، بعده سببٌ خفيف، ولما كان الإضمارُ فيه كثيراً، وهو إسكان التاء من مُتَفَاعِلن، فمن ثَمَّ قال أبو على : لا يجوز فيه الْخَرْمُ، لأن ذلك يؤول إلى الابتداء بساكن، وهذا الكلام لِمَنْ تدَبَّره بارد غَثٌّ؛ لأن الكلمة التى يدخلها الْخَرْمُ لم يكن قَطُّ فيها إضمار نحو : تَنَكَّلوا عن بطن مكةَ، والتى يدخلها الإضمار، لا يُتَصَوَّرُ فيها الْخَرْمُ

(١) الهامة : من طير الليل وهو الصدى، وكانت العرب تزعم أن روح القتيل الذى لا يدرك بثأره تصير هامة، فتزقو عند قبره قائلة : اسقونى، فإذا أدرك بثأره طارت . وهى أيضا : طائر صغير من طير الليل يألف المقابر . ولعله يريد أنها تنادى ذكرها . والمشقر حصن بين البحرين ونجران . واليمامة بلد كبير فى نجد وابن مُفَرِّغ هو : يزيدُ بن ربيعة رجل من يَحْصُبَ، وكان هجَّاء، فهجا عبادا والى سجستان من قِبَل عبد الله بن زياد، وكان على ابن مفرغ دين فاستعدى عليه عباد، فباع رحله ومتاعه، وقضى الغرماء، وكان فيما بيع له عبد يقال له برد، وجارية يقال لها أراكة فقال :

أصرمت حبلك من أمامه من بعـــد أيام برامه

ومنها :

العبـــد يقرع بالعصا والحر تكفيه الملامة

ص ٢٩ أمالى الزجاج ط ١٣٢٤

. . . .

نحو : لا يَبْعَدَنْ قومى(١) ونحو قوله : «لم تُخْلَقِ الشِّعرى ليالى حُرِّمت» فتمليله

(١) لايبعدن قومى من قول خرنق بنت هفان من بنى قيس بن ثعلبة، وقولها :

لا يَبْعَدَنْ قومى الذين هم سم العداة وآفة الجزر
النازلون بكل معترك والطيبون معاقد الأزر
والخالطين نحيتهم بنضارهم وذوى الغنى منهم بذى الفقر

وكل ما فات مصطلحات من العروض ، وهو علم وزن الشعر . والسبب والوتد من المقاطع العروضية ، فالسبب الخفيف : حركة فسكون مثل : قد ، والثقيل : حركتان مثل بك ولك .والوتد المجموع : حركتان فساكن ، مثل : على والمفروق : حركة فساكن فحركة : مثل: جاء . وفى العروض مايسمى بالزحافات ، وهو تغيير فى حشو البيت خاص بثوانى الأسباب، ومايسمى بالعلل،وهى: تغيير فى تفعيلة العروض أو الضرب ، ومتى وردت عليه فى أول بيت لزمت كبعض أنواع الزحاف. والخرم هو: إسقاط أول الوتد المجموع فى صدر المصراع الأول، وهو نوع غريب ، ومثاله فى البحر الطويل .

« قد كنت أعلو الحب حينا فلم يزل »

فحذف اللام من قد ، فوقع فى الخرم . ولو أنه قال :لقد ، ما كان الخرم ، وقد اصطلح على أنه لا يدخل إلا فعولن ومفاعلتن ومفاعيلن ، وقد أوغل العروضيون فى مصطلحات الخرم، حتى جاءوا منه بأقسام كثيرة، والخرم لايدخل البحر الكامل بخلاف ما ذهب إليه السهيلى ، ويسمى علماء العروض هذا الذى حدث فى الشطرة الأولى من قصيدة الزبعرى : وقصا ، وهو حذف الثانى المتحرك ، وهذا يكون فى متفاعلن ، فتصير مفاعلن فى البحر الكامل ، والترفيل : زيادة سبب خفيف على ما آخره وتد مجموع ، ويدخل المتدارك والكامل فتصير متفاعلن : متفاعلاتن . والكامل التام له ست تفعيلات : بتكرار متفاعلن ثلاث مرات فى كل شطرة . وقد يحذف ثلثه فيسمى مجزوءا ، أما الطويل فيكون بالإتيان بفعولن مفاعيلن مرتين فى كل شطرة . هذا وقد سمى المؤلف حذف حرف من سبب ثقيل بعده سبب خفيف فى البحر الكامل : خَرْما وهو مخالف ـ كما قلنا ـ لمصطلحات العروضيين .

رفع
المسهم
غفر الله له ولوالديه

. . . .

فى هذا الشعر إذاً لا يفيد شيئا ، وما أبعد العربَ من الالتفات إلى هذه الأغراض التي يستعملها بعضُ النحاة ، وهى أوهى من نسج الْخَزَرْنَقِ (١) .

وقوله :

لم تُخْلَقِ الشِّعْرى ليالِيَ حُرِّمت

إن كان ابن الزِّبَعْرَى قال هذا فى الإسلام فهو مُنْتَزَعٌ من قول النبى — صلى الله عليه وسلم — « إن الله حَرَّم مكةَ ، ولم يحرمها الناس » ومن قوله : فى حديث آخر : إن الله حَرَّمها يوم خَلَق السمواتِ والأرضَ (٢) ، والتربة خُلِقت قبل خلق الكواكب ، وإن كان ابن الزِّبَعْرَى قال هذا فى الجاهلية ، فإنما أخذه — والله أعلم — من الكتاب الذى وجدوه فى الحجر بالخط الْمُسْنَد (٣) حين بَنَوا الكعبة ، وفيه : أنا اللهُ رَبُّ مكَّه خلقتُها يوم خَلَقْتُ السموات والأرضَ . الحديثَ .

وقوله : « ولم يَعِشْ بعد الإيابِ سقيمُها » هكذا فى النسخة المقيدة على أبى الوليد المقابلة بالأَصْلين اللذَيْن كانا عنده ، وقابلها أبو بَحْرٍ — رحمه الله — بهما مرتين ، وحَسِبَ بعضُهم أنه كَسْرٌ فى البيت ، فزاد من قِبَل نفسه ، فقال : بل لم يعش . فأفسد المعنى ، وإنما هو خَرْمٌ (٤) فى أول القسم من عَجُز البيت كما كان فى الصَّدْر من أول بيت منها .

---

(١) الخَزَرْنَق كسفرجل : العنكبوت .

(٢) أخرجهما البخارى ومسلم . والشعرى فى شعر ابن الزبعرى : اسم نجم وهما اثنتان إحداهما : الغميصاء ، والأخرى تتبع الجوزاء .

(٣) خط حمير . (٤) هو وقص فى اصطلاح العروضيين .

رفع المسلم

. . . .

وقول قيس بن الأسلت : مثل لفّ القُزُم . القُزُم : صِغار الغَنَم . ويقال: رُذَال للنال ، ورَزَم : ثبت ولزِم موضعه ، وأرْزَم من الرَّزيم ، وهو صوتٌ ليس بالقوى ، وكذلك صَوْتُ الفيل ضئيلٌ على عِظَمِ خِلْقَتِه ، ويَفْرَق من الهِرّ وينفِرُ منه ، وقد احتِيلَ على الفِيَلَةِ فى بعض الحروب مع الهند . أحضِرتْ لها الهِرَّة ، فذُعِرت ووَلَّت ، وكان سببا لهزيمة القوم . ذكره المسعودى ، ونسَبَ هذه الحيلة إلى هرون بن موسى حين غزا بلادَ الهند ، وأولُ مَنْ ذلل الفِيلةَ — فيما قال الطبرى — أفريدون بن أثفيان ، ومعنى أثفيان : صاحب البقر ، وهول أول من نَتَجَ البغالَ ، واتخذ للخيل السروج والوُكُفَ(١) — فيما ذكروا — وأما أول من سخَّر الخيلَ وركبها « فطمهورث » وهو الثالث من ملوك الأرضِ — فيما زعموا — وثُؤاجُ الغنم : صوتُها ، ووقع فى النسخة : ثجُّوا ، وعليه مكتوبٌ : الصوابُ : ثأجُوا كثُؤاج الغنم .

وقول ابن الأسلت : فقوموا ، فصلُّوا رَبَّكم وتَمَسَّحوا . سيأتى شرحُ هذه الأبيات فى القصيدة حيث يذكرها ابن إسحاق بكمالها — إن شاء الله .

وذكر قول طالب بن أبى طالب « فأصبحتُم لا تمنعون لكم سَرْبا » ويروى سِرْبا بالكسر ، والسَّرْب بالفتح : المالُ الراعى(٢) ، والسِّرب بالكسر : القطيعُ من البَقَر والظِّباء ، ومن النساءِ أيضا . قال الشاعر :

فلم تَرَ عَيْنى مثلَ سِرْبٍ رأيتُه ... خَرَجْنَ علَيْنا من زُقَاقِ ابن واقف

وطالبُ بن أبى طالبٍ كان أسنَّ من عَقيلٍ بعشرة أعوامٍ ، وكان عَقيلٌ

---

(١) جمع وكاف : بردعة الحمار . (٢) يعنى الماشية كلها .

. . . .

أَسَنَّ من جعفر بعشرة أعوام ، وجعفر أَسَنَّ من عليٍّ – رضى الله عنه – بمثل ذلك ، وذكروا أن طالبا اختطفته الجن ، فذهب ، ولم يذكر أنه أَسْلَمَ (١) .

وذكر شعرَ أبي الصَّلْت ، واسمه : ربيعةُ بن وَهْبِ بن عِلاج . وفيه: حبس الفيل بالْمُغَمِّس ، وأن كسر الميم الآخرة أشهرُ فيه . وفيه : بِمَهَاةٍ شُعَاعُهَا منشور . والْمَهَاةُ : الشمسُ ،سميت بذلك لصفائها، والْمَهَامِنَ الأَجسام : الصافى الذى يُرى باطنُه من ظاهره . والمهاة : الْبِلَّوْرَةُ ، والمهاةُ : الظَّبْيَة . ومن أسماءِ الشمس : الْغَزَالَةُ إذا ارتفعت ، فهذا فى معنى الْمَهَاةِ . ومن أسمائها : الْبُتَيْرَاء . سُئِل عليٌّ بن أبي طالب– رضوان الله عليه – عن وقت صلاة الضحى، فقال : حتى ترتفعَ الْبُتَيْرَاء . ذكره الهروى والخطابى ، ومن أسمائها : حَنَاذِ ، وبَرَاحِ ، والضِّح ، وذُكاء والجارية والبيضاء ، وبُوحٌ ، ويقال : يوحٌ بالياء ، وهو قول الفارسى ، وبالباء ذكره ابن الأنبارى ، والشَّرْقُ والسِّراج

وقوله : « حَلْقَه الجِران » الجِرانُ : العُنُقُ (٢) يريد : ألقى بجرانه إلى الأرض ، وهذا يقوى أنه برك كما تقدم ، ألا تراه يقول : كما قُطِّر (٣) من صَخْرِ كَبْكَبٍ ، وهو : جَبَلٌ . محدورٌ أى : حَجَرٌ حَدَرَ حتى بلغ الأرض .

وقوله : ابْذَعَرُّوا : تفرقوا من ذُعْرٍ (٤)، وهى كلمة مَنْحُوتةٌ من أصلين من الْبَذْرِ والذُّعر . وقوله : إلادين الحنيفة . يريد بالحنيفة: الأُمة الحنيفة،أى:

---

(١) خرافة لا أدرى كيف يؤمن بها الناس ؟!

(٢) باطن العنق من البعير وغيره ومقدم عنقه . (٣) رمى به على جانبه .

(٤) وابْذَعَرَّت الخيل : ركضت تبادر شيئا تطلبه .

رفع عبد الرحمن النجدي المسيرهما

فلمَّا طغى الحَجَّاج حين طغي به ... غِنًى قال : إنى مُرْتقٍ فى السَّلالِم

فكان كما قال ابنُ نوحٍ : سأرتقى ... إلى جبل من خَشْيَةِ الماء عاصمِ

رَمى اللهُ فى جُثْمانه مثلَ ما رَمى ... عن القِبْلة البيضاء ذاتَ المَحارِمِ

جُنودا تسوق الفِيلَ حتى أعادهم ... هَباء ، وكانوا مُطْرَخِمِّى الطَّراخِمِ

نُصِرْتَ كنصر البيت إذ ساق فيلَه ... إليه عظيمُ المشركين الأعاجم

وهذه الأبيات فى قصيدة له .

قال ابن هشام : وقال عبد الله بن قيس الرُّقَيَّاتِ . أحدُ بنى عامر بن لؤى بن غالب يذكر أبرهة – وهو الأشرم – والفيل :

كاده الأشرمُ الذى جاء بالفيـــل فولى وجَيْشُهُ مَهْزومُ

واستهلَّت عليهمُ الطيرُ بالجَنْدل حـــتى كأنَّه مَرْجُومُ

ذاك من يَغزُهُ من الناس يَرْجِـعْ وهْوَ فَلٌّ من الجيوش ذَميمُ

وهذه الأبيات فى قصيدة له .

« ولدا أبرهة »

قال ابن إسحاق : فلما هلك أبرهة ، مَلَكَ الحَبَشة ابنهُ يَكْسُوم بن أبرهة ، وبه كان يُكْنى ، فلما هلك يَكْسوم بن أبرهة ، مَلَكَ اليمنَ فى الحبشة أخوه مسروق ابن أبرهة .

المسلمة التى على دين إبراهيم الحنيف – صلى الله عليه وسلم – وذلك : أنه حَنَفَ عن اليهودية والنصرانية ، أى عدل عنها ، فسمي حنيفا ، أو حَنَفَ عما كان يعبد آباؤه وقومهُ .

رفع المسلم

خروج سيف بن ذى يزن وملك وهرز على اليمن

« سيف وشكواه لقيصر »

فلما طال البلاء على أهل اليمن ، خرَجَ سيفُ بن ذى يَزَنَ الحِمْيَرِىُّ وكان يكنى بأبى مُرّة ، حتى قدم على قيصر ملك الرّوم ، فشكا إليه ما هم فيه ، وسأله أن يخرجهم عنه ، ويَلِيَهم هو ، ويبعث إليهم مَنْ شاء من الروم ، فيكون له ملك اليمن ، فلم يُشْكِه .

« شفاعة النعمان لدى كسرى » .

نخرج حتى أتى النعمان بن المنذر — وهو عاملُ كسرى على الحيرة ، وما يليها من أرض العراق — فشكا إليه أمرَ الحبشة ، فقال له النعمان : إن لى على كسرى وِفادةً فى كلّ عام ، فأقِمْ حتى يكون ذلك ، ففعل ، ثم خرج معه فأدخَلَه على كسرى ، وكان كسرى يجلس فى إيوان مجلسه الذى فيه تاجه ، وكان تاجه مثل القَنْقَل العظيم — فيما يزعمون — يُضرب فيه الياقوت واللؤلؤ والزبرجد بالذهب والفضة ، مُعلّقا بسلسلة من ذهب فى رأس طاقة فى مجلسه ذلك ، وكانت عُنقه لا تحمل تاجَه ، إنما يُستر بالثياب حتى يجلس فى مجلسه ذلك ، ثم يُدخِل رأسَه فى تاجه ، فإذا استوى فى مجلسه كُشِفت عنه الثيابُ ، فلا يراه رجل لم يره قبل ذلك ، إلا بَرَكَ هيبةً له ، فلما دخل عليه سيفُ بن ذى يزن بَرَكَ .

وقوله فى شعر الفَرَزدق : كما قال ابن نوح . اسمه : يام، وقيل : كنعان .

وقوله : « مُطرَخِمّى الطَّراخِم » المُطْرَخِمُّ : الممتلىء كبرا أو غضبًا .

رفع المسلم

« كسرى يعاون ابن ذى يزن »

قال ابن هشام : حدثنى أبو عبيدة : أن سَيْفًا لما دخل عليه طأطأ رأسَه ، فقال الملك : إن هذا الأحمق يدخل علىّ من هذا الباب الطويل ، ثم يطأطىء رأسَه ؟ ! فقيل ذلك لسَيْف ، فقال : إنما فعلتُ هذا لهمّى ، لأنه يَضيق عنه كلُّ شىء .

قال ابن إسحاق : ثم قال له : أيها الملك ، غَلَبَتْنا على بلادنا الأَغْرِبَةُ ، فقال له كِسْرى : أىّ الأغربة : الحَبَشة أم السِّنْد ؟ فقال : بل الحَبَشَة ، فجئتك لتَنْصُرَنى ، ويكون مُلْك بلادى لك ، قال : بَعُدَت بلادُك مع قلّة خَيْرها ، فلم أكن لأُوَرِّطَ جيشا من فارس بأرض العرب ، لا حاجة لى بذلك ، ثم أجازه بعشرة آلاف درهم وافٍ ، وكساه كُسْوةً حسنة ، فلما قبض ذلك منه سَيْفٌ خرج ، فجعل ينثر ذلك الوَرِقَ للناس ، فبلغ ذلك الملكَ ، فقال : إن لهذا لشأنا ، ثم بعث إليه ، فقال : عَمَدت إلى حِباء الملك تنثُره للناس ، فقال : وما أصنع بهذا ؟ ما جبال أرضى التى جئتُ منها إلا ذهبٌ وفضةٌ — يرغبه فيها — فجمع كسرى مَرَازِبَتَهُ ، فقال لهم : ما ذا ترَوْن فى أمر هذا الرجل ، وما جاء له ؟ فقال قائل : أيها الملك ، إن فى سُجونك رجالا قد حبستَهم لِلْقَتْل ، فلو أنك بعثتَهم معه ، فإنْ يَهْلِكوا كان ذلك الذى أردتَ بهم ، وإن ظَفِروا كان مُلْكا ازددتَه ، فبعث معه كسرى مَنْ كان فى سجونه ، وكانوا ثمانمائة رجل

والطَّرَاخِمُ جمع : مُطْرَخِمٍّ على قياس الجمع ، فإن المُطْرَخِمّ اسمٌ من ستة أحرف ، فيحُذف منه فى الجمع والتصغير ما فيه من الزوائد ، وفيه زائدتان : الميم الأولى ، والميم المدغمة فى الميم الآخرة ؛ لأن الحرف المضاعف حرفان ، يقال فى تصغير

رفع المسهم

« انتصار سيف وقول الشعراء فيه » .

واستعمل عليهم رجلا يقال له وَهْرِز ، وكان ذا سنّ فيهم، وأفضلَهم حسبا وبَيْتا ، فخرجوا فى ثمان سفائن ، فغَرِقت سفينتان ، ووصل إلى ساحل عَدَن ستُّ سفائن ، فجمع سَيْف إلى وَهْرِز من استطاع من قومه ، وقال له : رِجْلى مع رِجلك حتى نموت جميعا ، أو نظفر جميعا . قال له وهرِز : أنصفتَ ، وخرج إليه مَسْروق بن أبرهة ملك اليمن ، وجمع إليه جندَه ، فأرسل إليهم وَهْرِز ابنا له ؛ ليقاتلهم ، فيختبر قتالهم ، فقُتِل ابنُ وَهْرِز ، فزاده ذلك حَنَقا عليهم ، فلما تواقف الناس على مَصافِّهم ، قال وَهْرِز : أرُونى مَلِكهم ، فقالوا له : أترى رجلا على الفيل عاقدا تاجَه على رأسه ، بين عَيْنَيْه ياقوتةٌ حمراء ؟ قال : نعم ، قالوا : ذاكَ مَلِكُهم ، فقال : اتركوه ، قال: فوقفوا طويلا ، ثم قال : عَلام هو؟ قالوا : قد تحوّل على الفرَس ، قال : اتركوه . فوقفوا طويلا ، ثم قال: عَلام هو ؟ قالوا : قد تحوّل على البغلة . قال وَهْرِز : بنتُ الحمار ذلّ وذَلَّ مُلْكه ، إنى سأرميه ، فإن رأيتم أصحابَه لم يتحرّكوا ، فاثبتُوا حتى أوذِنَكم ، فإنى قد أخطأتُ الرجل ، وإن رأيتُم القومَ قد استداروا ولاثوا به ، فقد أصبتُ الرجل ، فاحملوا عليهم . ثم وَتَّرَ قوسَه ، وكانت فيما يزعمون لا يُوَتِّرُها غيرُه من شدتها ، وأمر بحاجِبَيْه ، فعُصِبا له ، ثم رماه ، فصَكّ الياقوتةَ التى بين عينيه ،

مُطْرِخِمٌّ : طُرَيْخِمٌ ، وفى جمعه : طراخم ، وفى مُسْبَطِرٌّ : سَبَاطِر(١)، وذكره يعقوبُ فى الألفاظ بالغين ، فقال : اطْرَغمّ الرجلُ ، ولم يذكر الخاء .

---

(١) اسْبَطَرّ: اضطجع وامتد ، واسبطر في السير: أسرع فيه ، واسبطرت البلاد : استقامت .

فتغلغلت النُّشَّابَةُ فى رأسه حتى خرجت من قفاه ، ونُكِس عن دابته ، واستدارت الحَبَشة ولاثت به ، وحملت عليهم الفُرْسُ ، وانهزموا ، فقُتِلوا وهربوا فى كل وجه ، وأقبل وَهْرِز ، ليدخل صنعاء ، حتى إذا أتى بابها ، قال: لا تدخلُ رايتى مُنَكَّسَةً أبدا ، اهدموا الباب ، فَهُدِم ، ثم دخلها ناصبا رايته فقال سيفُ بن ذى يَزَن الحميرىّ :

يظنّ النّاس بالمَلِكَيْنِ أنهما قد الْتَأمَا
ومَنْ يسمع بلأمهما فإنَّ الخطْبَ قد فَقُما
قَتَلْنا القَيْلَ مَسْرُوقا ورَوَّيْنا الكَثِيبَ دَمَا
وإنَّ القَيْلَ قَيْلَ النَّا سِ وَهْرِزَ مُقْسِمٌ قَسَما
يذوق مُشَعْشَعاً حتى يفِيء السَّبْىَ وَالنَّعَمَا

قال ابن هشام : وهذه الأبياتُ فى أبيات له . وأنشدنى خلاد بن قُرَّةَ السَّدُوسى آخرَها بيتا لأعشى بَنِى قيس بن ثعلبة فى قصيدة له ، وغيرُه من أهل العلم بالشعر يُنْكرها له .

قال ابن إسحاق : وقال أبو الصَّلت بن أبى ربيعة الثَّقفى ، قال ابن هشام : وتروى لأمية بن أبى الصَّلْت .

لِيَطْلُبِ الوِتْرَ أمثالُ ابن ذِى يَزَنٍ رَيَّم فى البَحرِ للاعْداء أحوالا
يَمَّمَ قَيْصَرَ لمَّا حان رِحْلَتُهُ فلم يجد عندَهُ بعضَ الذى سالا
ثم انثنى نحو كِسْرى بعد عاشرةٍ من السنينَ يُهِينُ النَّفْسَ والمَالا

وذكر عبد الله بن قَيْس الرُّقَيَّات . واختلف فى تلقيبه : قيس الرُّقَيَّات ،

رفع المسهم

حتى أتى ببَنِي الأحرار يَحْمِلُهُمْ ... إنَّك عَمْرِى لقد أسْرَعَتْ قِلقالا
لله دَرُّهُمُ من عُصْبة خَرَجوا ... ما إنْ أرَى لهمُ فى الناس أمثالا
بِيضاً مَرَازِبَةً ، غُلْبا أساورةً ... أُسْداً تُرَبِّبُ فى الغَيضات أشبالا
يَرمون عن شُدُفٍ كأنها غُبُطٌ ... بزَمْخَرٍ يُعجل المَرْمِيَّ إعجالا
أرسلتَ أُسْدًا على سُود الكلاب فقد ... أضحى شريدُهُم فى الأرض فُلَّالا
فاشْرَبْ هنيئا عليك التَّاجُ مُرْتَفِقاً ... فى رأس غُمْدان داراً منك مِحْلالا
وَاشرَبْ هنيئا فقد شالت نَعامتهم ... وأسْبِلِ اليومَ فى بُرْدَيك إسبالا
تلك المكارِمُ لا قَعْبانِ من لبنٍ ... شِيبا بماء فعادا بَعْدُ أبوالا

قال ابن هشام : هذا ما صحَّ له مما روى ابن إسحاق منها ، إلا آخرها بيتا قوله :

تلك المكارم لا قَعْبانِ من لَبَن

فقيل : كان له ثلاث جدات كلهن : رقية ، فمن قال فيه : ابن الرُّقَيَّات ، فإنه نسبه إلى جَدَّاته ، ومن قال : قيس الرقيات دون ذكر ابن ، فإنه نِسْبَة ، وقيل : بل شَبَّبَ بثلاث نِسوة كلهن تسمى : رقية ، وقيل : بل ببيت قاله وهو : « رُقَيَّةُ ما رُقَيَّةُ ما رُقَيَّةُ أيها الرجل(١) » وقال الزبير : كان يُشبب بِرُقَيَّةَ بنت عبد الواحد

---

(١) فى الأغانى للأصفهانى أنه شبب بثلاث نسوة ، منهن هاتان الرقيتان اللتان سيذكرهما عن الزبير والأخرى : أموية ، وكان يعتبر شاعر قريش ، خرج مع مصعب بن الزبير على عبد الملك بن مروان ، فلما قتل مصعب ، وقتل عبد الله ابن الزبير هرب فلجأ إلى عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، فسأل عبد الملك فى أمره فأمنه ، وفى القاموس : أنه لقب بهذا لعدة زوجات أوجدات ، أو حبات بكسر الحاء له ، أسماؤهن : رقية وفى اللسان مثله .

رفع
المسهم
عفا الله عنه

. . . .

بن أبى السَّرح من بنى ضَباب بن حُجَيْرِ بن عَبْد بن مَعيص، وبابنة عم لها اسمها رقية ، وهو ابن قيس بن شُرَيْحٍ من بنى حُجَيْر أيضا ، وحُجَيْرٌ أخو حُجْر بن عبد بن مَعِيص بن عامر رهط عَمْرو بن أمّ مَكْتوم الأَعمى(١) .

وقوله : « حتى كأنّه مَرْجُومٌ » وهو قد رُجِمَ ، فكيف شبَّهه بالمرجوم وهو مَرْجُومٌ بالحجارة ، وهل يجوز أن يُقَالَ فى مقتول : كأنه مقتول؟ فنقول: لما ذكرا ستهلال الطير ، وجعلها كالسحابِ يَسْتَهِلُّ بالمطرِ ، والمطر ليس برجْمٍ ، وإنما الرجْم بالأكُف ونحوها ، شبَّهه بالمرجوم الذى يرجُمه الآدميون ، أو من يَعْقِل ويتعمد الرجْمَ من عدُو ونحوهُ ، فعند ذلك يكونُ المقتولُ بالحجارة مَرْجُوما على الحقيقة ، ولما لم يكن جيش الحبشةِ كذلك ، وإنما أُمْطِروا حجارةً فمن ثَمَّ قال : كأنه مرجوم .

سيف بن ذى يزن وكسرى :

وذكر سيف بن ذى يزن وخبره مع النعمان وكسرى ، وقد ذكرنا قصته فى أول حديث الحبشة ، وأنه مات عند كسرى ، وقام ابنهُ مقامه فى الطلب ،

---

(١) هكذا ورد نسب هؤلاء فى كتاب « نسب قريش » أما ابن أم مكتوم فنسبه إلى أمه ، وهى : مكتوم بنت عبد الله بن عنكثة « بفتح فسكون ثم فتح بعد ذلك » بن عامر بن مخزوم ، وابن أم مكتوم هو : عمرو بن قيس بن زائدة بن الأصم بن هدم بن رواحة بن حجر ، وهو ابن خال أم المؤمنين خديجة، وضباب بفتح الضاد كما ضبطه الذهبي وفى الأغانى سعد بدلا من السرح .

رفع المسهم

. . . .

وهو سَيْفُ بن ذى يَزَن بن ذى أَصْبَحَ(١) بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو ابن قيس بن معاوية بن جُشَم بن عبد شمس بن وائل بن الغَوْث بن قَطَن بن عَرِيب بن زُهير بن أَيْمَن بن الهَمَيْسَع بن العَرَنجَح وهو : حِمْيَر بن سبأ ، وكسرى هذا هو : أنو شروان بن قُباذ ، ومعناه مُجَدِّدُ المُلك ، لأنه جَمَع مُلكَ فارسٍ بعد شتاتٍ . والنُّعْمانُ : اسمٌ منقول من النُّعْمانِ الذى هو الدمُ . قاله صاحبُ العين ، والقَنْقَلُ الذى شبه به التاج هو مِكيال عظيم . قال الراجز يصف الكَمْأَةَ .

مالك لا تَجْرُفُهـــا بالقَنْقَل   لا خير فى الكَمْأَةِ إنْ لم تفعل

وفى الغريبين للهروى : القَنْقَل : مِـكيالٌ يسَع ثلاثة وثلاثين مَنًّا(٢) ، ولم يذكر : كم المَنَا ، وأحسبه وزن رطلين ، وهذا التاجُ قد أُتى به عُمَر بن الخطاب

---

(١) فى الاشتقاق : يزن موضع . يقال : ذو أزن ، وذو يزن ، وهو أول من اتخذ أسنة الحديد ، فنسبت إليه ، يقال للأسنة : يَزَنِىّ ، وأَزَنِى ، ويَزْأَنِىّ ، وإنما كانت أسنة العرب قرون البقر ، وإلى ذى أصبح نسب السوط فقيل : الأصبحى

(٢) المنا : الكيل أو الميزان الذى يوزن به بفتح الميم مقصور يكتب بالألف والمكيال الذى يكيلون به السمن وغيره ، وقد يكون من الحديد أوزانا وتثنية منا : منوان ومنيان ، والأول أعلى ، قال ابن سيدة : وأرى الياء معاقبة لطلب الخفة ، وهو أفصح من المَنّ ، والجمع : أمناء . وبيت الراجز « مالك لا تجرفها » نسبه اللسان إلى رؤبة ، وهو فى ديوان رؤبة ، والكمأة : واحدها : كمء على غير قياس وهو من النوادر ، أما سيبويه ، فقال : إن فَعْلة ليست جمع تكسير لفعل ، إنما هو اسم للجمع ، وقال غيره : كمأة للواحد . وكمء للجميع ، وهناك أقوال أخرى . والكمأة نبات يُنَقِّضُ الأرض ، فيخرج كما يخرج الفُطر ، بضم الفاء وسكون الطاء .

رفع عبد الرحمن النجدي أسكنه الله الفردوس

. . . .

— رضى الله عنه — حين استلب مِنْ يَزْدَجِرْد بن شهريار ، تصيّر إليه من قبل جده أنو شروان المذكور ، فلما أتى به عمر رضى الله عنه ، دعا سُراقةَ بن مالك الْمُدْلِجىَّ ، فحلاه بأَسْوِرَةِ كسرى، وجعل التاج على رأسه، وقال له : « قل : الحمد لله الذى نَزَع تاجَ كسرى ، مَلِكِ الْأَمْلاكِ من رأسه ، ووضعه فى رأس أعرابى من بنى مُدْلِجٍ ، وذلك بعز الإسلام وبركته لا بِقُوَّتنا » وإنما خَصَّ عمر سُراقة بهذا ؛ لأنَّ رسول الله — صلى الله عليه وسلم — كان قال له. «ياسُراقُ كيف بك إذا وُضع تاجُ كسرى على رأسِك وإسْوارُه(١) فى يديك» أو كما قال صلى الله عليه وسلم .

وذكر قُدومَ سيفٍ مع وَهْرِزَ على صَنْعَاء فى ستمائة ، وقد قدَّمنا قول ابن قُتَيْبَةَ أنهم كانوا سبعة آلافٍ وخمسمائة ، وانضافت إليهم قبائل من العرب .

صنعاء :

وذكر دخول وَهْرِزَ صنعاء وهدمه بابها ، وإنما كانت تسمى قبل ذلك أَوَال(٢).

---

(١) مات سراقة فى خلافة عثمان سنة أربع وعشرين. وهو سراقة بن مالك بن جعشم بن مالك بن عمرو بن تيم بن مدلج بن مرة بن عبد مناة بن كنانة المدلجى . كنيته : أبو سفيان ، وقد روى البخارى قصته فى باب الهجرة ، وهو الذى حاول ملاحقة الرسول «ص» وأبى بكر وهما فى طريقهما إلى المدينة ، ثم انتهى به الأمر إلى الاستسلام ، فطلب منه الرسول «ص» أن يخفى أمره عن الناس ، ففعل ولكن لم يرد فى البخارى ما ذكره السهيلى لكنه فى الإصابة لابن حجر ، وفيها أن عمر أتى بسوارى كسرى ، ومنطقته وتاجه .

(٢) بفتح الهمزه وكسرها ، وفى المراصد : أزال ، وفيها: أوال بضم الهمزة ، وفى اللسان بفتحها .

. . . .

قال ابن الكلبي : وسميت : صنعاء لقول وهب حين دخلها. صَنْعة صنعة ، يريد أنَّ الحبشة أحْكَمَتْ صنعها ، قال ابن مُقْبِل يذكر أَوَال :

عَمَدَ الحُداة بها لعارض قريةٍ ... وكأنها سُفُنٌ بِسِيف أوال(١)

وقال جرير :

وشبهت الْحُدُوج غداة قَوٍّ ... سَفين الْهِندِ رَوَّح من أَوَالا(٢)

وقال الأخطل(٣) :

خُوصٍ كأنَّ شَكيمَهُنَّ مُعَلَّقٌ ... بِقَنَا رُدَيْنَة ، أو جُذُوعِ أوالِ(٤)

---

(١) العارض ما اعترض فى الأفق من سحاب أو جراد أو نحل .

(٢) الحدوج ، جمع حدج بكسر الحاء مركب للنساء كالمحفة وقو ، يقال إنها ، منزل للقاصد إلى المدينة من البصرة بعد النباج ، ويقال إنها واديين اليمامة وهجر ، وقيل : بين فيد والنباج . وجرير بن عطية الخطفى ، شاعر فحل ، والخطفى (بفتح الخاء والطاء والفاء) لقب جدجرير واسمه : حذيفة بن بدر بن سلمة ، وقد اتفق نقاد الشعر على أنه أحد ثلاثة هم الفرزدق والأخطل وجرير لا يوجد من هو أبلغ منهم من الشعراء الذين نشئوا فى ملك الإسلام . مات باليمامة سنه ١١٠ هـ .

(٣) الأخطل : هو أبو مالك غياث الأخطل بن غوث التغلبى النصرانى شاعر الأمويين ، مات فى أول خلافة الوليد وقد نيف على السبعين .

(٤) البيت فى وصف خيل . الخوص : الخيول الغائرة العيون من طول السفر ، والشكيم : جمع شكيمة : حديدة اللجام المعترضة فى فم الفرس . قنا : رماح وردينة : جزيرة ترفأ إليها السفن ، أو قرية تكون بها الرماح ، أو كورة تعمل بها الرماح . يشبه الخيل فى ضمورها بالرماح ، أو بجذوع النخل وفى المطبوعة « تكيمهين » ، وهو خطأ .

رفع
المسابهم
غفر الله له ولوالديه

. . . .

وقد قيل إن صنعاء اسم الذى بناها ، وهو : صنعاء بن أوال بن عبير بن عابر بن شالخ ، فكانت تعرف تارة بأوال ، وتارة بصنعاء .

شرح لامية ابن أبى الصلت :

وقوله فى شعر أمية ابن أبى الصلت : رِيَّمَ فى البَحر . أى : أقام فيه ، ومنه الروايم ، وهى الأثافى ، كذلك وجدته فى حاشية الشيخ التى عارضها بكتابى « أبى الوليد الوقشى » ، وهو عندى غلط ، لأن الروايم من رَأَمت(١) إذا عطفت ، وريَّمَ ليس من رَأَم ، وإنما هو من الرَّيْم ، وهو الدرَجٌ ، أو من الرَّيْم الذى هو الزيادة والفضل ، أو من رام يَرِيم إذا برح ، كأنه يريد : غاب زمانا ، وأحوالا ، ثم رجع للأعداء ، وارتقى فى دَرَجات المجد أحوالا إن كان من الرَّيْم الذى هو الدَّرَج ، ووجدته فى غير هذا الكتاب : خَيَّمَ مكان رَيَّمَ ، فهذا معناه : أقام .

وقوله : عَمْرِى . أراد : لَعَمْرى وقد قال الطائى :

عَمْرِى لقد نصح الزمانُ ، وإنه لمن العجائب ناصحٌ لا يُشْفِق

وقوله : أسرعت قِلقالا بفتح القاف وكسرها ، وكقول الآخر . « وقَلْقَل يبغى العز كُلَّ مُقَلْقَل » وهى شدة الحركة .

وقوله : « يرمون عن شُدُف كأنها غبط(٢) » الشَّدَفُ : الشخص ، ويجمع

---

(١) رئم الشىء كسمع ، ألفه وأحبه ، ورأم القدح ، كمنع : أصلحه . القاموس .

(٢) جمع غبيط وهى عيدان الهودج وأدواته .

رفع المسهم

. . . .

على شُدُف ، ولم يرد ههنا إلا القِسِيّ ، وليس شُدُفٌ جمعا لشَدَف ، وإنما هو جمع شَدُوف ، وهو النشيط المرح يقال : شَدِفَ، فهو شَدِفٌ، ثم تقول: شَدُوف ، كما تقول مَرُوح ، وقد يستعار المَرَح والنشاط للقِسِيّ لحسن تأتّيها وجودة رَمْيها وإصابتها ، وإنما احتجنا إلى هذا التأويل ، لأن فَعَلاً لا يجمع على فُعُل إلا وَثَن وَوُثُن، فإن قلت: فيجمع على فُعول مثل: أُسُود،فتقول:شدوف، ثم تجمع الجمع ، فتقول : شُدُف ، قلنا : الجمع الكثير لا يجمع ، وإنما يجمع منه أبْنية القليل. نحو : أفعال وأفْعُل وأفعلة، وأشبه مايقال فى هذا البيت : إنه جمع على غير قياس ، هذا إن كان الشُّدُفُ : القِسِيّ ، ويجوز أن يكون جمع شَدَفا على شُدْف مثل : أسد وأسْد ، ثم حرك الدال ، وجائز أن يكون أراد : المَرِحَ من الخيل كما تقدم(١) . وجعلها كالغُبُط لإشراف ظهورها وعلوها .

وقوله : يرمون عن شُدُف أى : يدفعون عنها بالرمى ، ويكون الزَّمْخَرُ: القِسِيّ(٢) ، أو النَّبل. والغُبُط : الهَوادجُ، والزَّمْخَرُ : القَصَبُ الفارسى

---

(١) فى اللسان : الشدف بالتحريك ، شخص كل شىء والجمع شدوف ، بضم الشين والدال ، ويقال للقسى الفارسية : شـدف ، بضم الشين والدال ، واحدها: شدفاء ، وفى حديث ابن ذى يزن : يرمون عن شُدُف هى جمع شدفاء وهى . العوجاء يعنى : القوس الفارسية .

(٢) الزَّمْخَرُ أيضا: المزمار والنشاب والكثير الملتف من الشجر والأجوف الناعم الرَّيّان ومن معانى مفردات قصيدة أبى الصلت ، المرازبة:جمع مَرْزُبان من المرزبة كمرحلة:رياسة الفرس . الغلب: الشداد، والأغلب الأسد، الأساورة جمع أسوار قائد الفرس ، والجيد الرمى بالسهام . تربب : مأخوذه من التربية . غيضات : جمع غيضة وهى الشجر الملتف الكثير. الفلال: المنهزمون ، مرتفعا

فإنه للنابغة الجعدى . واسمه : [حِبَّانُ بن] عبد الله بن قيس ، أحد بنى جَعْدة ابن كَعْب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصَعَة بن معاوية بن بكر بن هوازن ، فى قصيدة له .

قال ابن إسحاق : وقال عدىّ بن زَيْد الحِيرِىّ ، وكان أحدَ بنى تميم . قال ابن هشام : ثم أحد بنى امرىء القيس بن زيد مناة بن تميم ، ويقال : عدىّ من العِبَاد من أهل الحيرة :

ما بعدَ صَنْعاءَ كان يَعْمُرُها ولاةُ مُلْكٍ جَزْلٍ مواهبُها
رَفَّعَها مَنْ بَنَى لدى قَزَعِ الـمُزْنِ وتَنْدَى مِسْكًا مَحَارِبُها
محفوفةٌ بالجبال دون عُرَى الـكائِد ما تُرْتَقَى غَوَارِبُها
يَأْنَسُ فيها صَوْتُ النُّهامِ إذا جاوبها بالعَشِىّ قاصبُها
ساقَتْ إليه الأسبابُ جُنْدَ بنى الأحرار فرسانُها مَواكِبُها
وفَوَّزت بالبغال تُوسَق بالـحَتْف وتَسْعَى بها توالبُها
حتى رآها الأقوالُ من طَرَف الـمَنْقَل مُخْضَرَّةً كتائبُها
يوم يُنادون آل بَرْبَر والـيَكْسوم لا يُفْلِحَنّ هاربها
وكان يوم باقى الحديث وزا لت إمَّةٌ ثابتٌ مَرَاتبها
وبُدِّل الفَيْجُ بالزرافة والأيّا مُ جُونٌ جَمٌّ عجائبها
بعد بَنى تُبَّعٍ نَخَاوِرَةٌ قد اطْمأنَّتْ بها مَرَازبها

. . . .

متكئا متمكنا، أسبل : أرخ ثوبك كناية عن الإعجاب والخيلاء . وقعبان مفردها قعب : قدح يحلب فيه ، شيبا : خلطا .

رفع المسيهم

قال ابن هشام : وهذه الأبيات فى قصيدة له . وأنشدنى أبوزيد الأنصارىّ ورواه لى عن المُفَضَّلِ الضَّبِّىِّ ، قوله :

يوم ينادن آل بربر واليَكْسُوم

وهذا الذى عنى سطيحٌ بقوله : « يليه إرم ذى يزن ، يخرج عليهم من عدن ، فلا يترك أحدا منهم باليمن » . والذى عنى شقّ بقوله : « غلام ليس بدَنِىّ ، ولا مُدَن ، يخرج عليهم من بيت ذى يَزَنْ » .

ذكر ما انتهى إليه أمر الفرس باليمن

« مدة ملك الحبشة باليمن »

قال ابن إسحاق : فأقام وَهْرِز والفرس باليمن ، فمن بقية ذلك الجيشِ من الفرس : الأبناء الذين باليمن اليوم . وكان ملك الحبشة باليمن ، فيما بين أن دخلها أرْياط إلى أن قتلت الفرس مسروقَ بن أبرهة وأخْرَجَتِ الحبشة ، اثنتين وسبعين سنة ، توارث ذلك منهم أربعة : أرياط ، ثم أبرهة ، ثم يَكْسوم بن أبرهة ، ثم مسروق بن أبرهة .

« أمراء الفرس على اليمن »

قال ابن هشام : ثم مات وَهْرِز ، فأمَّر كسرى ابنهَ المَرْزُبَان بن وَهْرِز على

وقوله : فى رأس غُمدان . ذكر ابن هشام أن غُمدان أسسه يعرب بن قحطان وأكمله بعده ، واحتله : واثلُ بن حمير بن سبأ ، وكان ملكا متوجا كأبيه وجده (١) .

---

(١) فى المراصد : غمدان : قصر بصنعاء باليمن كان نزل الملوك ، ولم يزل قائما حتى هدمه عثمان ، وفى معجم البكرى أنه كان قصبة صنعاء ، وفى التقويم لأبى الفداء أن غمدان : تل عظيم كان قصر ملوك اليمن .

رفع
المستهام
عز الله لطاعة

اليمن ، ثم مات المَرْزُبان ، فأمَّر كسرى ابْنَهُ التَّيْنُجان بن المَرْزُبَانِ على اليمن ، ثم مات التينُجان، فأمَّر كسرى ابن التَّيْنُجَانِ على اليمن ، ثم عزله وأمَّر باذانَ ، فلم يزل باذانُ عليها حتى بعث الله محمدا النبيَّ — صلى الله عليه وسلم .

« حديث يتنبأ بقتل كسرى »

فبلغني عن الزُّهريّ أنه قال :

كتب كسرى إلى باذان : أنه بلغني أن رجلا من قريش خرج بمكة ، يزعم أنه نبيّ ، فسِرْ إليه فاستَتِبْهُ ، فإن تاب، وإلا فابعث إليّ برأسه ، فبعث باذانُ بكتاب كسرى إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فكتب إليه رسول الله — صلى الله عليه وسلم: « إن الله قد وعدني أن يُقتَلَ كِسْرى في يوم كذا من شهر كذا » فلما أتى باذانَ الكتابُ توقَّف لينظر ، وقال : إن كان نبيًّا ، فسيكون ما قال ، فقتل الله كسرى في اليوم الذي قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال ابن هشام : قتل على يدى ابنه شِيرَوَيْهِ ، وقال خالد بن حِقٍّ الشَّيْبَانِيُّ .

وكِسْرَى إذْ تقَسَّمَهُ بَنُوهُ ... بأسْيافٍ كما اقْتُسِم اللِّحَامُ
تَمَخَّضَتِ المَنُونُ له بيَوْمٍ ... أَنَى ، ولكُلِّ حامِلَةٍ تِمَام

« باذان يسلم »

قال الزهرى : فلما بلغ ذلك باذانَ بعث بإسلامه ، وإسلام من معه من الفرس إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقالت الرسل من الفرس لرسول الله

وقوله: شالت نعامَتهم ، أى : هلكوا ، والنعامة : باطنُ القَدَمِ ، وشالت

رفع المسلم عبد الله الحليم

— صلى الله عليه وسلم — : إلى مَنْ نحن يا رسول الله ؟ قال : « أنتم منَّا وإلينا أهلَ البيت » .

قال ابن هشام : فبلغنى عن الزهرى أنه قال : فمِنْ ثَمَّ قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : « سَلْمان منَّا أهل البيت » .

« عود إلى شق وسطيح »

قال ابن هشام : فهو الذى عنى سطيح بقوله : « نبيّ زكيّ ، يأتيه الوحى من قبل العَلِىّ » . والذى عَنى شقٌّ بقوله : « بل ينقطع برسول مُرْسَل ، يأتى بالحقّ والعدل ، من أهل الدين والفَضْل ، يكون الملك فى قومه إلى يوم الفَصْل »

« كتاب الحجر »

قال ابن إسحاق : وكان فى حَجَر باليمن — فيما يزعمون — كتاب بالزَّبور كُتب فى الزمان الأوّل : « لمن مُلْك ذِمار ؟ لِحمْير الأخيار ، لمن مُلْك ذِمار ؟ للحبشة الأشرار ، لمن مُلْك ذِمار ؟ لفارس الأحرار لمن مُلْك ذِمار ؟ لقريش التجَّار » .

وذِمار : اليمن أوصنعاء. قال ابن هشام : ذَمار : بالفتح، فيما أخبرنى يونس

« الأعشى ونبوءة شق وسطيح »

قال ابن إسحاق : وقال الأعشى — أعشى بَنى قَيْس بن ثعلبة فى وقوع ماقال سَطيح وصاحبه :

ما نظَرَتْ ذاتُ أشفارٍ كنظْرَتها حقًّا كما صدق الذئْبِيُّ إذ سَجَعا

ارتفعت ، ومَن هلك ارتفعت رجلاه ، وانتكس رأسه ، فظهرت نَعامة قدمه ،

وكانت العرب تقول لسَطيح: الذِّئْـبِيّ ؛ لأنه سطيح بن ربيعة بن مسعود ابن مازن بن ذئب .

قال ابن هشام : وهذا البيت فى قصيدة له .

تقول العرب : تَنَعَّمْتَ إذا مشيت حافيا ، قال الشاعر :

تَنَعَّمْتُ لما جاءنى سوء فعلهم ألا إنما الباساء للمُتَنَعِّم

والنعامة أيضا : الظلمة ، والنعامة : الدِّعَامَةُ التى تكون عليها البَكَرَةُ ، والنعامة : الجماعة من الناس ، وابن النعامة : عرق فى باطن القدم[١] .

النابغة وعدى بن زيد :

وذكر النابغة الجعدى واسمه : قيس بن عبد الله ، وقيل إن اسمه : حِبَّان بن قيس بن عبد الله بن وَحْوَح ، والوَحْوَح فى اللغة : وسط الوادى ، قاله أبو عبيد وأبو حنيفة ، وهو أحد النوابغ ، وهم ثمانية ذكرهم البكرى ، وذكر الأعاشى وهم خمسة عشر . والنابغة[٢] شاعرٌ مُعَمَّرٌ عاش مائتين

---

(١) ولها أيضا معان أخر . وقصيدة أبى الصلت اللامية فى ص ١٤٧ ج ٢ الطبرى وفيها عما هنا اختلاف .

(٢) النابغة : الرجل العظيم الشأن ، والنوابغ من الشعراء كما فى القاموس والمزهر هم : زياد بن معاوية الذبيانى ، وقيس بن عبد الله الجعدى ، وعبد الله بن المخارق الشيبانى ، أو جمل بن سعدانة ، ويزيد بن أبان الحارثى ، وهو نابغة بنى الديان ، والنابغة ابن لأى الغنوى ، والحارث بن بكر اليربوعى ، والحارث ابن عدوان التغلبى ، والنابغة العدوانى ولم يُسَمَّ . والأعشى من العشا : سوء البصر بالليل ، ومن الأعاشى الشعراء : أعشى باهلة عامر ، وأعشى بنى نهشل : =

رفع المسـاهم غفر الله له ولوالديه

. . . .

وأربعين(١) سنة أكثرها في الجاهلية ، وقدومه على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وإنشاده إياه ، ودعاء النبي — صلى الله عليه وسلم — ألا يَفْضُضِ الله فاه مشهورٌ ، وفي كتب الأدب والخبر مسطور ، فلا معنى للاطالة به (٢) .

= أسود بن يعفر ، وهمدان: عبد الرحمن بن مالك، وبني أبي زبيعة: صالح بن خارجة وطرود وبني الحرماز ، وبني أسد وعكل: كَهْمَس ، وابن معروف: خيثمة، وبني عقيل ، وبني مالك ، وبني عوف : ضابيء وبني ضَوْزَة: عبدالله ، وبني جلان: سلمة ، وبني قيس: أبو بصير ، والأعشى التغلبي : النعمان، هم في المزهر ثمانية عشر ص ٤٥٧

(١) واسمه ونسبه في الأغاني كما ذكر السهيلي ، وفي الإصابة اختلف في اسمه فقيل: هو قيس بن عبدالله بن عدس بن ربيعة بن جعدة، وقيل بدل عدس وربيعة وحوح ، وفي سنه خلاف كبير فهو بين ١٣٠ سنة وبين ٢٤٠ سنة .

(٢) من القصيدة التي زعموا أنه أنشدها بين يدي الرسول — صلى الله عليه وسلم —

أتيت رسول الله إذ جاء بالهدى ويتلو كتابا كالمجرة نيرا
وجاهدت حتى ماأحس ومن معى سهيلا إذا مالاح ثم تحورا
ولا خير في حلم إذا لم يكن له بوادر تحمي صفوه أن يكدرا
ولا خير في جهل إذا لم يكن له حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا

والقصة المزعومة عن الإنشاد ، وأنه قيل له « لا يفضض الله فاك مرتين » — بفتح الياء وسكون الفاء وكسر الضاد — مروية عن طريق يعلى بن الأشدق ، وهو ساقط الحديث . والقصيدة — كما ذكر ابن عبدالبر — مطولة تبلغ نحو مائتي بيت أولها

خليـــلي غضا ساعة وتهجرا ولوما على ما أحدث الدهر أوذرا

وفي سبب تلقيبه بالنابغة خلاف ، ولعل أحسنها قول الفخذي : كان النابغة قديما شاعرا مفلقا طويل العمر في الجاهلية وفي الإسلام . وعن حياته في الجاهلية يقول أبو عبيدة معمر بن المثنى « كان النابغة ممن فكر في الجاهليه وأنكر الخمر ، والسكر ، وهجر الأزلام ، واجتنب الأوثان ، وذكر دين إبراهيم » انظر الإصابة ص ٢١٨ ج ٦ ط الشرقية ، بسنة ١٣٢٥ هـ، وانظر ص ٦ المجلد الخامس =

. . . .

وذكر شعر عدى بن زيد العِبادِى ، نُسب إلى العِباد، وهم من عبدالقيس ابن أفصَى بن دُعْمِىّ بن جَدِيلة بن أسد بن رَبيعة ، قيل : إنهم انتسلوا من أربعة : عبد المسيح ، وعبد كُلال ، وعبد الله ، وعبد ياليل ، وكذلك سائرهم فى اسم كل واحد منهم: عَبْد، وكانوا قدموا على ملك فتَسَمَّوْا له ، فقال : أنتم العِباد فَسُمُّوا بذلك، وقد قيل غير هذا(١). وفى الحديث المسند: أبعد الناس عن الإسلام الرُّومُ والعِبادُ(٢)، وأحسبهم هؤلاء؛ لأنهم تنصروا ، وهم من ربيعة ، ثم من بنى عبد القيس ، والله أعلم . والذى ذكره الطبرى فى نسب عدى بن زيد أنه ابن زيد بن حماد بن أيوب بن مجروف بن عامر بن عُصَيَّة بن امرىء القيس بن زيد مَناة بن تميم . وقد دخل بنو امرىء القيس بن زيد مناة فى العِباد . فلذلك يُنسَب عدى إليهم .

وقوله : صَوْتُ النُّهام، يريد ذكر اليوم ، وقاصبُها: الذى يزمر فى القصب.

= من الأغانى طبع لبنان . ويزعمون — كما جاء فى الإصابة — أنه بقى أحسن الناس ثغرا كلما سقطت سن عادت أخرى ؛ بسبب الدعاء له بأن لا يفض الله فاه .

(١) فى الاشتقاق لابن دريد : والعِباد : قبائل شَتّى من بطون العرب اجتمعوا بالحيرة على النصرانية ، فأنفوا أن يقال لهم عبيد ، فينسب الرجل : عبادى ، بكسر العين وفتح الباء بدون تضعيف ، ص١١ . وفى اللسان مادة « عبد » كذلك، وزاد : ومنه: عدى بن زيد العِبادى بكسر العين، وكذا وجد بخط الأزهرى وخطأ ابن برى الجوهرى فى قوله عن العباد أنها بفتح العين .

(٢) لا أدرى من أين يأتى بما لا يتفق مع هدى النبوة وحكمتها ، وفى الاشتقاق أن عدى بن زيد شاعر قديم مات فى سجن النعمان وله حديث ، والعبادى منسوب إلى دينه ، لأنه تنصر .

رفع المسابهم

. . . .

وقوله فيها : دونُ عُرى الكائد يريد : عُرى السماء وأسبابها، ووقع في نسخة الشيخ : عَرى بفتح العين ، وهي الناحية ، وأضافها إلى الكائد ، وهو الذي كادهم ، والباري ـ سبحانه وتعالى ـ كيدُه متين (١) .

وقوله : فوَّزَت بالبغال أي : ركبت المفاوز (٢) .

وقوله : تُوسَق بالحتف ، أي : أوسق البغالَ الحتوف ، وتَوالُبها : جمع تَوْلَب ، وهو ولد الحمار ، والتاء في تَولبٍ بدل من واو ، كما هي في تَوْءَم وتَوْلج (٣) وفي توْراة على أحد القولين ، لأن اشتقاق التَّوْلب من الوالبة ، وهي ما يولده الزَّرْع ، وجمعها : أوَالِبَ .

وقوله : من طرف المَنقَلِ أي : من أعالي حصونها ، والمِنقَالُ : الخرْجُ ينقل إلى الملوك من قرية إلى قرية ، فكأن المَنْقَلَ من هذا ، والله أعلم .

---

(١) الغوارب في السيرة : الأعالي ، والعرى : مايستر الشيء عنك.

(٢) المهالك أو الصحاري .

(٣) التوءم : المولود مع غيره في بطن ، والتولج : كناس الوحش أي : مولجه في الغابة ، ويقول أبو عثمان المازني في التصريف : « وزعم الخليل أن قوله : «متخذا من عضوات تولجا » إنما هو فوعل من ولجت وليس بتفعل ، لأن تفعلاً في الأسماء قليل ، وفوعل كثير ، ولكنه علم أنه لو جاء بالواو على أصلها لزمه أن يبدلها همزة ، لئلا تجتمع واوان في أول كلمة ، فأبدل التاء لكثرة دخولها على الواو في باب ولج حين قالوا : أتلج ومتلج ، وهذا أتلج من هذا ، ولم يؤخذ هذا إلا عن الثقات ، ومن شرح ابن جني لهذا قوله : « لأنه لو لم يبدلها تاء للزمه أن يقول : أولج لاجتماع واوين ص ٢٢٦ جـ ١ المنصف . وانظر ص ٣ من نوادر أبي زيد . هذا وقدوهم الجوهري فوضع التوءم في فصل التاء . ومن معنى والبة : أولاد القوم ونسلهم ، ونسل الإبل والغنم.

. . . .

وقوله : مخضرة كتائبها . يعني من الحديد ، ومنه الكتيبة الخضراء(١) .

وقوله : ينادون آل بربر ؛ لأن البربر والحَبَشَة من ولد حام (٢) . وقد قيل إنهم من ولد جالوت من العماليق .

وقد قيل فى جالوت إنه من الخَزَرِ ، وإن أفريقس لما خرج من أرض كنعان سمع لهم بَرْبَرَةً ، وهى اختلاط الأصوات ، فقال. ما أكثر بَرْبَرَتَهُم! . فسموا بذلك ، وقيل غير هذا .

وقوله : والغرب أراد : الغرُب بضم الراء جمع(٣) : غراب ، وإن كان المعروف : أغربة وغِربان ، ولكن القياس لا يدفعه ، وعنى بهم السودان .

وقوله : وبدل الفَيْج بالزرافة ، وهو المنفرد فى مشيته ، والزرافة: الجماعة(٤) وقيل فى الزرافة التى هى حيوان طويل العنق : إنه اختلط فيها النسل بين الإبل الوحشية ، والبقر الوحشية والنعام ، وإنها متولدة من هذه الأجناس الثلاثة . وكذلك ذكر الزبيدى وغيره ، وأنكر الجاحظ هذا فى كتاب الحيوان له ،

---

(١) أقوال فى البيت ص ٣٠٥ ، جمع قيل : لقب من كان دون الملك الأعظم قديما فى اليمن ، وفى حديث الفتح: مر رسول الله « ص » فى كتيبته الخضراء ، وهى التى غاب عليها لبس الحديد . وفى اللسان : المنقل : طريق مختصر ، والنواقل من الخراج ماينقل من قرية إلى أخرى .

(٢) يرد ابن حزم على من نسب البربر إلى حمير أو إلى ابن قيس عيلان بقوله: « ماعلم النسابون لقيس عيلان ابنا اسمه : بر — بفتح فتضعيف — أصلا ، ولا كان لحمير طريق إلى بلاد البربر إلا فى تكاذيب مؤرخى اليمن » ص ٤٦١ الجمهرة .

(٣) لا يوجد فى القصيدة ، ويوجد فى كلام سيف : الأغربة: والإمة : النعة.

(٤) فى القاموس : ومعرب بيك . والفيج : الذى يسير للسلطان بالكتب على رجليه « الخشني » .

رفع المسهم

. . . .

وقال: إنما دخل هذا الغلط عليهم من تسمية الفُرْس لها «اشتر — كاو — ماه[(١)]» والفُرس إنما سمته بذلك ، لأن فى خِلقتها شبها من جَمَلٍ ونَعامة وَبقَرة ، فاشتَر هو : الجمل ، وكاو : النعامة ، وماه : البقرة ، والفُرْس تركب الأسماء وتمزج الألفاظ إذا كان فى المسمَّى شبه من شيئين ، أو أشياء ، ويقال : زرافَّة بتشديد الفاء حكاه أبو عبيد عن القَنَانِيِّ[(٢)] .

وقوله : بعدبنى تُبَّعٍ بَجَاوِرَةٌ . هكذا فى نسخة سفيان بن أبى العاص الأسدى مصححا عليه ، وقد كتب فى الحاشية: نَخَاوِرَةٌ فى الأمين ، وفى الحاشية النَّخَاوِرَةُ : الكرام ، وكذلك فى المسموعة على ابن هشام يعنى نسختى أبى الوليد الوقشى اللتين قابل بهما مرتين ، ويعنى بالحاشية حاشية « تينك الأمين »! وأن فيهما : نخاورة بالنون والخاء المنقوطة[(٣)] ، وهم الكرام كما ذكر .

---

(١) انظر ص ٧٦ ج ٧ طبع ١٣٢٤ هـ من كتاب الحيوان للجاحظ .

(٢) فى الحيوان للدميرى مادة «الزاى» عن الزرافة : « كنيتها أم عيسى ، وهى بفتح الزاى المخففة وضمها » . . ثم ذكر أنها متولدة من الناقة الوحشية والبقرة الوحشية ، والضبعان : ذكر الضباع ، ولذلك قيل لها : الزرافة وهى فى الأصل : الجماعة ، وذكر أن العجم تسميها « اشتركاو يلنك» كما ورد فى الحيوان للجاحظ واشتر: الجمل ، وكاو البقرة ، ويلنك الضبع ، والأيام جون : سود . وأشرح هنا بعض ما تركه دون شرح : جزل : كثير . القزع : السحاب المتفرق . والمحارب: الغرف المرتفعة أو أبهاؤها .

(٣) جمع النخاورة : نخوار « بكسر النون » ونخورى بفتحها .

. . . .

باذان وكسرى :

وذكر قصةَ باذان ، وما كتب به إلى كسرى ، وكِسرى هذا هو أَبَرْوَيزْ بن هُرمُز بن أنو شروان ، ومعنى أَبَرْوَيْز بالعربية : المظَفَّر ، وهو الذى غلبَ الروم حين أنزل الله . ﴿ألم(١) غُلِبت الرُّومُ فى أدنى الأرض﴾ [أول الروم] وهو الذى عُرض على الله فى المنام ، فقال له : سَلِّم مافى يديك إلى صاحب الهِرَاوةِ ، فلم يزل مذعورا من ذلك ، حتى كتب إليه النعمانُ بن المنذر بظهورِ — النبى صلى الله عليه وسلم — بتِهامة (٢) ؛ فعلم أن الأمر سيصير إليه ، حتى كان من أمره ما كان ، وهو الذى كتب إليه النبى — صلى الله عليه وسلم — وحفيدُه: يَزْدَجِرْدُ بن شهريار بن أَبَرْوَيْز ، وهو آخر ملوك الفرس، وكان سَلْبُ مُلكه ، وهَدْمُ سلطانه على يدى عمر بن الخطاب ، ثم قتل هو فى أول خلافة عثمان ، وُجِد مُسْتَخْفِياً فى رَحًى (٣) فقُتل وطُرِح فى قناة الرحى ، وذلك بِمَرْو من أرض فارس .

وذكر حديث باذان ومقتلَ كسرى ، وكان مقتلُ كسرى حين قتله بنوه ليلة الثلاثاء لعشر من جمادى الأولى سنة سبع من الهجرة ، وأسلم باذان باليمن فى سنة عشر ، وفيها بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الأبناء(٤) يدعوهم

---

(١) تقرأ : ألِف لامْ ميمْ .
(٢) قد يكون المقصود بها مكة نفسها .
(٣) الرحا من الأرض : مكان مستدير غليظ يكون بين رمال . أو القارة الضخمة الغليظة .
(٤) الأبناء : هم أبناء الفرس الذين استوطنوا اليمن .

رفع المسهم

. . . .

إلى الإسلام ، فمن الأبناء : وَهْبُ بن مُنَبِّه بن سَيْج (١) بن ذُكْبار ، وطاووس (٢) وذَادَوَيْه وفيروز اللذان قتلا الأسودَ العَنْسِيَّ الكذاب ، وقد قيل فى طاووس: إنه ليس من الأبناء ، وإنه من حِمْيَر ، وقد قيل: من فارس ، واسمه : ذَكْوانُ بن كَيْسان وهو مولى بُجَيْر بن ريسان ؛ وقد قيل : مولى الجَعْد ، وكان يقال له : طاووس القُرَّاء لجماله .

وقول خالد بن حِقٍّ .

تَمَخَّضَتِ المَنُونُ له بيوم ٍ أنى ؛ ولكل حاملةٍ تِمام(٣)

المَنُون : المَنِيَّةُ ، وهو أيضا من أسماء الدهر ، وهو مِن مَنَنْتُ الحبلَ إذا قطعتهُ ، وفَعُول إذا كان بمعنى فاعِل ، لم تدخل التاء فى مؤنثه لِسرٍّ بديع

---

(١) سيج بالفتح وبالكسر وبالتحريك .

(٢) روى عنه الزهرى وخلق سواه. قال عنه عمرو بن دينار : ما رأيت أحدا قط مثل طاووس . مات بمكة سنة ١٠٦ هـ أو ١٠٤ هـ. ويقول أبو الفرج الجوزى فى كتاب الألقاب : إن اسمه : ذكوان ، وطاووس لقب له ، وإنما لقب به ؛ لأنه كان طاووس القراء ، والمشهور أنه اسمه ، وكلمة طاوس تطلق على الجميل من الرجال ، وقال عنه ابن خلكان : الخولانى — بفتح فسكون — نسبة إلى خولان ، والهمدانى بفتح فسكون ففتح — نسبة إلى همدان — اليمانى من أبناء الفرس ،

(٣) معنى البيت كما فى اللسان : أن المنية تهيأت لأن تلد له الموت . والشعر منسوب فى مادة — مخض — إلى عمرو بن حسان أحد بنى الحارث بن همام ابن مرة ، يخاطب امرأته :

ألا يا أم عمرو لا تلومى وأبقى إنما ذا الناس هام

ويقول ابن برى : المشهور : يا أم قيس ، وهى زوجته ، وكان قد نزل به ضيف فذبح ناقته ، فلامته ، فقال هذا الشعر .

. . . .

ذكرناه فى غير هذا الكتاب ، فيقال : امرأة صَبُورٌ وَشكُورٌ ، فمعنى المَنُون : المَقْطُوع ، وتمخضت أى : حملت ، والمَخَاضُ : الحمل ،ووزنه: فَعال ، ومَخاضَة الماء ، ومخاضة [النهر] وزنه : مَفْعَل من الخَوْض .

وقوله : أَنَى أى : حان ، وقد قلبوه ، فقالوا : آن يئين ،والدليل على أنَّ آن يئين مقلوب من: أَنَى يَأْنِى،قوله : آناء الليل ،وواحدها : إِنًى وأَنًى وإِنْىٌ(١) ، فالنون مقدمة على الياء فى كل هذا ،وفى كل ماصُرِّفَ منه نحو: الإناء ،والآنى: الذى بلغ أَناه أى:منتهى وقته فى التسخين ، وهذا المعنى كقولهم فى المثل: الدهر حُبلى لا يدرى ماتضع ، إن كان أراد بالمنون فى البيت : الدهر ، وإن كان أراد بالمنون : المَنِيَّة ، فبعيد أن يقال: تمخضت المَنُونُ له بهذا اليوم الذى مات فيه ، فإن موته: منيته ، فكيف تتمخض المَنِيَّة بالمنية إلا أن يريد أسبابها ، وما مُنِى له ، أى : قُدِّرَ من وقتها ، فتصح الاستعارة حينئذ ويستقيم التشبيه .

وقول ابن حِجِّى : وكسرى إذ تقسمه بنوه . وإنما كان قتله على يدى ابنه شيرويه ، لكن ذكر بنيه لأن بدء الشَّرِّ بينه وبينهم أن فرخان رأى فى النوم : أنه قاعد على سرير الملك فى موضع أبيه ، فبلغ أباه ذاك ، فكتب إلى ابنه شهريار — وكان واليا له على بعض البلاد : أنِ اقتُلْ أخاك فرخان ، فأخفى

---

(١) فى اللسان : أنى الشىء « بفتح الهمزة والنون » يأنِى أنيا « بفتح وسكون ، وإنًى وأنًى بفتح النون فى الكلمتين . . حان وأدرك . وفى القاموس: أنى الشىء أنيا « بفتح وسكون » وأناه بفتح النون ، وإنى بفتح النون ، وأنى الحميمُ : انتهى حره فهو آنٍ ، وبلغ هذا أناه — ويكسر — غايته ،أو نضجه، وفى اللسان : أنى الحميم : انتهى حره ، وأنى الماء : سخُن وبلغ فى الحرارة .

رفع المسهم عز الله

شهريار الكتابَ من أخيه ، فكتب إليه مرة أخرى ، فأبى من ذلك ، فعزله وولى فرخان ، وأمره بقتل شهريار ، فعزم على ذلك ، فأراه شهريار الكتاب الذى كتب له أبوه فيه ، فتواطئا عند ذلك على القيام على أبيهما ، وأرسلا إلى ملك الروم يستعينان به فى خبر طويل ، فكان هذا بدء الشر ، ثم إن الفرس خلعت كسرى لأحداث أحدثها ، وولت ابنه شيرويه(١) ، فكان كسرى أَبْرَوَيْز ربما أشار برأى من تَحْبِسه ، فقالت المَرَازِبة لشيرويه : لا يستقيم لك الملك إلا أن تقتل أباك(٢) ، فأرسل إليه من يقتله ، فيقال : إنه كان يُضرَب بالسيف ، فما يعمل فيه شيئا ، ففُتِّش فَوُجِدَ على عَضُدِه حجر معلق كالخَرَزَة ، فنُزِعَ فعملت فيه السلاحُ(٣) ، وكان قبل يقول لابنه : ياقصير

(١) قال ابن درستويه فى شرح الفصيح عن كسرى : ليس فى كلام العرب اسم آخره واو أوله مضموم ، فلذلك لما عربوا خسروا بنوه على فعلى « بالفتح فى لغة ، وفعلى بالكسر فى لغة أخرى » ، وأبدلوا الكاف فيه من الخاء علامة لتعريبه ، فقالوا : كسرى ص ١٠١ ج ٢ المزهر للسيوطى ، وفى الطبرى ص ٢١٩ ح ٢ ط المعارف أن أولاد كسرى أرسلوا إليه رئيس كتيبة بما كان من إساءته فى تدبيره ، منها سمله لعين أبيه ، وقتله إياه شرقتلة ، ومنها جمعه الأموال من الناس فى عنف شديد ، وغير ذلك من فظائعه واسم شرويه : قباذ بن أبرْيز بن هرمز بن كسرى أنو شرْوان

(٢) فى الطبرى أنهم قالوا له : « إنه لا يستقيم أن يكون لنا ملكان ، فإما أن تأمر بقتل كسرى ، ونحن خَوَلَك « خدمك » المانحوك الطاعة ، وإما أن نخلعك ونعطيه الطاعة » .

(٣) هذه خرافة ولا شك ، ولا أدرى كيف يرويها مصدقا لها رجل كبير كالسهيلى ، ومن قبله الطبرى وغيرهما ، واسم قاتل كسرى هو : « مِهْر هرمز ابن مردانشاه» عاش يضطهده كسرى ، ويحاول قتله ، فكان أن قتله مهر .

رفع
المسبتهم
عبد الله الملك

. . . .

العمر(١)، فلم يدم أمره بعده إلا أقل من ستة أشهر — فيما ذكروا — والله أعلم

« ذمار وحميرَ وفارس والحبشة » :

وقوله : وجد بحجر باليمن : لمن مُلْكُ ذِمارٍ.

وحكى ابن هشام عن يونس ذَمار بفتح الذال، فدل على أن رواية ابن إسحاق بالكسر، فإذا كان بكسر الذال فهو غير مصروف؛ لأنه اسم لمدينة، والغالب عليه التأنيث، ويجوز صرفه أيضا؛ لأنه اسم بلد، وإذا فُتحت الذال، فهو مبنى(٢) مثل: رَقاشِ وحَذامِ، وبنو تميم يعربون مثل هذا البناء فيقولون: رَقاشُ [وحَذامُ] فى الرفع، ورَقاشَ وحَذامَ فى النصب والخفض يعربونه، ولا يصرفونه، فإذا

---

(١) انظر ص٢٢٢ ح ٢ الطبرى وحديث : « سلمان منا أهل البيت » الذى فى السيرة رواه الطبرانى والحاكم عن عمرو بن عوف وسنده ضعيف.

(٢) فى المراصد: ذمار بكسر أوله، ويفتح مبنى على الكسر : قرية باليمن على مرحلتين من صنعاء، وقيل : ذمار اسم لصنعاء. وقد ألف الصغانى تأليفا مستقلا أورد فيه مائة وثلاثين لفظاً على فعال المبنى على الكسر. وخلاصة رأى النحويين فى هذا أنه إذا كان علم المؤنث على وزن فعال « بفتح الفاء وكسر اللام » مثل حذام ورقاش، فإن مذهب بنى تميم إعرابه إعراب الاسم الذى لا ينصرف، لأنه فى رأى سيبويه — علم عدل به عن فاعله ، فأصل حذامِ ورقاش : حاذمة وراقشة، فعدل بهما إلى حذام ورقاش، ويرجح رأيه أن الغالب على الأعلام أن تكون منقولة، أما المبرد فقال: إن العلة فى منع هذه الأسماء من الصرف — أى التنوين : هى أنها علم مؤنث تأنيثا معنويا مثل زينب، ويرجحه أنهم لا يدعون العدل فى نحو ، طُوى، فإن كان فعال مختوما بالراء علما للمؤنث كسفار، اسما لماء أو بئر، ووبار اسما لقبيلة فبنو تميم إلا قليلا منهم يبنونه على الكسر، أما أهل الحجاز فيبنون فعال على الكسر فى الحالين، إذ يشبهونه بنزال فى التعريف والعدل والوزن والتأنيث.

. . . .

كان لام الفعل راء اتفقوا مع أهل الحجاز على البناء والكسر . وذَمارِ : من ذَمَرْتُ الرجل إذا حَرَّضْته على الحرب .

وقوله : لحمير الأخيار ؛ لأنهم كانوا أهل دين ، كما تقدم فى حديث فيمون وابن الثامر .

وقوله : لفارس الأحرار ؛ فلأن الملك فيهم متوارث من أول الدنيا من عهد جيومرت[1] فى زعمهم إلى أن جاء الإسلام، لم[2] يدينوا للملك من غيرهم ، ولاأدوا الإتاوة[3] لذى سلطان من سواهم فكانوا أحرارا لذلك .

وأما قوله : للحبشة الأشرار فلما أحدثوا فى اليمن من العَيْث والفساد وإخراب البلاد ، حتى هموا بهدم بيت الله الحرام ، وسيهدمونه فى آخر الزمان[4] إذا رفع القرآن،وذهب من الصدور الإيمان ، وهذا الكلام المسجّع ذكره المسعودى منظوما .

---

(١) أو كيو مرث والفرس يجمعون على أنه أول ملوكهم ،ولكنهم اختلفوا فى شأنه ، فمنهم من زعم أنه ابن آدم ، ومنهم من زعم أنه أصل النسل ، ومنهم من قال : إنه أميم بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح ، ولهم حوله خرافات، فهو مبدأ النسل ، وهو نبت من نبات الأرض، وهو الريباس هو وزوجته،وجعلوا له أخبارا مع إبليس وقتله انظر ص ٢٢٠ ح ١ مروج الذهب .

(٢) فى الأصل : لن .

(٣) الخراج أو الجزية .

(٤) لعله يشير إلى حديث « اتركوا الحبشة ماتركوكم ، فإنه لا يُستخرج كنز الكعبة إلا ذو السويقتين من الحبشة » وقد رواه أبو داود بسند ضعيف .

رفع عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

. . . .

حين شِيدتْ ذِمارِ قيل : لمن أنـ ت فقالت : لِحِمْيَرَ الأخيار(١)

ثم سِيلت : مَنْ بعد ذاك ؟ فقالت : أنا لِلْحَبْشِ أخبثُ الأشرار(٢)

ثم قالوا مِنْ بعد ذاك : لمن أنـ ت ؟ فقالت : لفارس الأحرار(٣)

ثم قالوا من بعد ذاك : لمن أنـ ت ، فقالت : إلى قريش التِّجَارِ

وهذا الكلام الذى ذكر أنه وجدمكتوبا بالحجرهو ـ فيما زعموا ـ من كلام هود ـ عليه السلام ـ وجد مكتوبا فى منبره، وعند قبره حين كشفت الريح العاصفة عن منبره الرمل ، حتى ظهر ، وذلك قبل ملك بِلْقِيس بيسير ، وكان خَطّه بالْمُسْنَد ، ويقال: إن الذى بنى ذمار هوشَمِر بن الأُمْلُوك، والأملوك هو: مالك ابن ذى المنار ، ويقال : ذِمارِ وظَفارِ ، ومنه المثل : من دخل ظفار حَمَّرَ(٤) أى تكلم بالحميرية .

---

(١) فى مروج المسعودى : يوم شيدت ظفار .

(٢) عند المسعودى : إن ملكى للأحبش الأشرار

(٣) عند المسعودى ، ثم سيلت من بعد ذاك فقالت ، إن ملكى ، وفى المسعودى ثلاثة أبيات لم يذكرها السهيلى ص ٨٨ ج ٢ المروج الطبعة الثانية

(٤) قالوا إن أصل المثل أن أعرابيا دخل على أحد ملوك حمير فقال له : ثب ــ وهى بالحميرية : اجلس ، ولكن الأعرابى وثب ، فتكسر ، فلما عرف الملك أنه أعرابى قال: ليس عندنا عَرَبِّيت بفتح العين والراء والباء مع تضعيف الأخيرة. من دخل ظفار حَمَّر، وقيل إن ظفار اسم لمدينتين باليمن ينسب إلى إحداهما الجزع الظفارى ، وهو نوع من العقيق يعرف بخطوط متوازية مستديرة مختلفة الألوان . وقيل : هى صنعاء نفسها .

. . . .

« زرقاء اليمامة »

وذكر قول الأعشى :

ما نظرت ذاتُ أشْفار(١) كَنَظرتها . البيت . يريد : زَرْقَاء اليمامة ، وكانت تُبصر على مسيرةِ ثلاثة أيامٍ ، وقد تقدم طرف من ذكرها فى خبر جَديس وَطسْم ، وقبل البيت :

قالت: أرى رَجُلاً فى كَفِّه كَتِفٌ أو يَخْصِفُ النَّعلَ لَهْفى أيَّةً صَنَعَا

فكذَّبوها بما قالت ، فصبَّحهُم ذُو آلِ حَسَّان يُزْجى المَوتَ والسَّلَعَا(٢)

وكان جيشُ حَسَّان هذا قد أُمِروا أن يُخَيِّلُوا عليها بأن يُمسكَ كلُّ واحد منهم نَعْلاً كأنه يَخْصِفُها ، وكَتِفًا كأنه يأكلها ، وأن يجعلوا على أكتافهم أغصانَ الشجر ، فلما أبصرتْهم ، قالت لقومها : قد جاءتْكُم الشَّجَرُ ، أو قد غزَتْكُم حِمْيَرُ ، فقالوا : قد كَبِرْتِ وخَرِفْتِ ، فكذبوها ، فاستُبيحَتْ بَيْضَتُهم(٣) ، وهو الذى ذكر الأعشى .

---

(١) جمع شَفْر بفتح الشين : حرف كل شىء . وشفر الجفن : حرفه الذى ينبت عليه الهدب .

(٢) السّلع : شجر مر ينبت فى اليمن ، وهو من الفصيلة الكرمية وفى الطبرى : والشرعا ويخصف النعل : يخرزها ويصلحها . وقصيدتها : ست أبيات « طبرى ج ١ ص ٦٣١ » .

(٣) حوزتهم وحماهم .

قصة ملك الحضر

قال ابن هشام : وحدثنى خَلّاد بن قُرّة بن خالد السّدُوسىّ عن جَنّاد ، أو عن بعض علماء أهل الكوفة بالنسب : أنه يقال : إن النعمان بن المنذر من ولد ساطِرُون ملك الحَضْر . والحَضر : حِصْن عظيم كالمدينة ، كان على شاطىء الفرات ، وهو الذى ذكر عدىّ بن زيد فى قوله :

وأخو الحَضْر إذ بناه وإذ دِجْـلة يُجْبَى إليه والخابُور
شاده مَرْمَراً وجَلّله كِلْساً فللطير فى ذُراه وُكُور
لم يَهَبْه رَيْبُ المَنُونِ فبان الْـمُلْك عنه فبابُه مهجورُ

قال ابن هشام : وهذه الأبيات فى قصيدة له .

والذى ذكره أبو دُوَاد الإيادىّ فى قوله :

وأرى الموتَ قد تدلّى من الحَضْـر على ربّ أهله السّاطِرُونِ

وهذا البيت فى قصيدة له . ويقال : إنها لخلف الأحمر ، ويقال : لحماد الراوية .

« كيف استولى سابور على الحضر »

وكان كسرى سابور ذو الأكتاف غزا ساطِرُون ملك الحَضْر ، فحصره سنتين ، فأشرفت بنتُ ساطِرُون يوما ، فنظرت إلى سابور ، وعليه ثياب ديباج ، وعلى رأسه تاج من ذهب مُكَلّل بالزّبَرْجَدِ والياقوت واللؤلؤ ، وكان جميلا ،

(خبر الحَضر والساطِرون)

ذكر فيه قول من قال : إن النعمان من ولد الساطِرون ، وهو صاحب الحَضر . قال المؤلف : فنذكر شرح قصة الحَضر وصاحبه ، وما قيل فى ذلك

رفع
المسا هم
غفر الله له ولوالديه

فدست إليه : أتتزوّجنى إن فتحتُ لك بابَ الحضْر ؟ فقال : نعم ، فلما أمسى ساطرون شرب حتى سَكِرَ ، وكان لا يبيت إلا سكران ، فأخذت مفاتيحَ بابِ الحَضْرِ من تحت رأسه،فبعثتْ بها مع مولى لها ففتح الباب ، فدخل سابور ، فقتل ساطِرُون ، واستباح الحَضْر وخرّبه ، وسار بهامعه فتزوّجها، فبينا هى نائمة على فراشها ليلا إذ جعلت تَتَمَلْمَلُ لاتنامُ ، فدعا لها بشمع ، ففتّش فراشَها ، فوُجِدَ عليه ورقَة آس ، فقال لها سابور : أهذا الذى أسْهَرَكِ ؟ قالت : نعم ، قال : فما كان أبوكِ يصنع بكِ ؟ قالت : كان يفرش لى الديباجَ ، ويُلبسنى الحَرير ، ويُطْعمنى المخ ، ويَسقْينى الخمر ، قال : أفكان جزاء أبيك ما صنعتِ به ؟ أنت إلىّ بذلك أسرع ، ثم أمَرَ بها ، فرُبطت قُرون رأسها بذَنَب فَرَسٍ ، ثم رَكَض الفرس ، حتى قتلها ، ففيه يقول أعشى بنى قيس بن ثعلبة :

ألم تَرَ للحَضْر إذ أهلُهُ ... بنُعْمَى ، وهل خالدٌ مَنْ نَعِمْ
أقام به شاهَبورُ الجنو ... دَ حَولينَ تَضْرِبُ فيه القُدُمْ
فلمّا دَعا رَبّه دَعْوةً ... أناب إليه فلم يَنْتقم

وهذه الأبيات فى قصيدة له .

وقال عدىّ بن زيد فى ذلك :

والحَضْرُ صَابَتْ عليه دَاهِيةٌ ... من فَوقه أيِّدٌ مناكبُها
رَبيَّةٌ لم تُوَقّ وَالدَها ... لِحَيْنِها إذ أضاع رَاقبُها
إذْ غَبَقَتْه صَهْباء صافيةً ... والخمرُ وَهلٌ يَهيم شارِبُها

مُلَخَّصا بعون الله . الساطِرون بالسريانية : هو المَلِكُ ، واسمُ الساطرون :

رفع المسهم

فأسلمت أهلها بليلتها تظن أن الرئيس خاطبها
فكان حظ العروس إذ جشر الصبح دماء تجرى سبائبها
وخرب الحضر، واستبيح، وقد أحرق فى خدرها مشاجبها

وهذه الأبيات فى قصيدة له.

الضيزن بن معاوية. قال الطبرى: هو جُرْمُقانى(١)، وقال ابن الكلبى: هو قُضَاعى من العرب الذين تنخّوا بالسواد، فسموا: تنوخ، أى: أقاموا بها، وهم قبائلُ شتى، ونسبه ابنُ الكلبى، فقال: هو ابن معاوية بن عَبيد، ووجدته بخط أبى بكر: عُبيد بضم العين بن أجْرَم مِنْ بنى سَليح بن حُلْوان بن الحاف بن قُضاعة(٢)، وأمه: جَيْهَلَة، وبها كان يُعْرف، وهى أيضا قضاعية من بنى تَزِيدَ الذين تُنْسب إليهم الثيابُ التزيدية.

وذكر قولَ أبى دُوَادٍ:

وأرى الموتَ قد تدلَّى من الحضْـ ـرِ على ربِّ أهله الساطِرُونِ (٣)

(١) الجرامقة: قوم من العجم صاروا بالموصل فى أوائل الإسلام. وجرمق بلدة بفارس على جادة المفازه التى بين خراسان وكرمان وأصبهان والرى، وقيل هو من أهل باجرمى: بفتح الجيم وسكون الراء. وفتح الميم وهى – كما ذكر الطبرى – قرية من أعمال البليخ قرب الرقة من أرض الجزيرة.

(٢) فى الطبرى ص ٤٧ ج ٢ ابن العبيد بن الأجرام بن عمرو بن النخع «بفتح النون والخاء» بن سليح «بفتح فكسر» بن حلوان الخ وفى المروج: الضيزن بن معاوية بن العبيد بن حرام بن سعد بن سليح الخ، وفى الأغانى: ابن الأجرام ابن عمر بن النخع بن سليح من بنى تزيد بن حلوان الخ. وأمه فى الأغانى: جيهلة بالباء

(٣) الحضر كما فى المراصد: مدينة مبنية بالحجارة المهندمة بيوتها وسقوفها وأبوابها. ويقولون: كان فيها ستون برجا كبارا بين كل برجين تسعة أبراج صغار=

. . . .

واسم أبى دُوَاد : جاريةُ بن حَجَّاج ، وقيل : حَنظَلَةُ بن شَرْقِىّ وبعد هذا البيت :

صرعته الأيامُ من بعد مُلكٍ ونعيم وجَوْهرٍ مَكْنونُ (١)

وكان الضَّيْزَنُ من ملوك الطوائف ، وكان يقدُمهم إذا اجتمعوا لحربِ عَدوٍّ من غيرهم ، وكانت الحَضْر بين دِجلَة والفُرات ، وكان ملكهُ يبلغ أطْرَارَ الشام ، وكان سابور قد تغيب عن العراق إلى خُراسانَ ، فأغار الضَّيْزَن على بلاده بمن معه من العرب ، فلما قَفَل سابور ، وأُخبر بصنع الضَّيْزَنِ نَهَدَ إليه ، وأقام عليه أربع سنين .

وذكر الأعْشى فى شعره حَوْلَين لا يقدر على فتح الحصن ، وكان للضيزن بنت اسمها : النَّضِيرَةُ ، وفيها قيل :

أقفَرَ الحَضْرُ من نَضِيرَةَ فالمِـ رْبَاعُ منها فجانبُ الثَّرْثَارِ (٢)

وكانت سُنَّتهم فى الجارية إذا عَرَكَتْ أى : حاضت ، أخرجوها إلى

= بإزاء كل قصر . وقال : إنها بإزاء تكريت فى البرية بينها وبين الموصل . وفى الطبرى أنها مدينة حيال تكريت بين دجلة والفرات .

(١) البيت فى المروج ج ٢ ص ٢٥٦ كما يأتى :

ولقد كان آمنا للدواهى ذا ثراء وجوهر مكنون

(٢) المِرباعُ : المكان ينبت نباته فى أول الربيع . والثرثار وادعظيم بالجزيرة يمد إذا كثرت الأمطار ، وهو فى البرية بنجد من قرب سنجار إلى أسفل من تكريت ويمر بالحضر ، ونهر بعينه

رفع المسهم عز الله المطالبه

. . . .

رَبَض المدينة ، فعَركت النضيرةُ ، فأخرِجت إلى رَبَض الحضر (١) ؛ فأشرفت ذات يوم فأبصرت سابورَ – وكان من أجملِ الناس — فهَوِيته فأرسلت إليه أن يتزوجها ، وتفتح له الحضر ، واشترطت عليه ، والتزم لها ما أرادت ، ثم اختُلِف فى السبب الذى دلّت عليه ، فقال ابنُ إسحاق مافى الكتاب ، وقال المسعودى : دلته على نهر واسع [اسمه الثَّرْثَارُ] كان يدخل منه الماء إلى الحضر ، فقطع لهم الماء ، ودخلوا منه (٢) .

وقال الطبرى : دلته على طِلَسْمٍ [أو طِلَّسْمٍ] كان فى الحضرِ ، وكان فى علمهم أنه لا يُفتح حتى تؤخذ حمامة وَرْقاء ، وتُخضَب رجلاها بحيض جارية بكر زَرْقاء ، ثم تُرسَل الحمامة ، فتنزل على سور الحَضرِ ، فيقع الطِّلَّسْمُ ، فيفتح الحَضْر ، ففعل سابور ذلك ، فاستباح الحضر ، وأباد قبائل من قُضَاعَة كانوا فيه ، منهم : بنو عبيد رهط الضَّيْزَنِ ، لم يبق منهم عقب ، وحرق خزائن الضَّيْزَنِ ، واكتسح ما فيها ، ثم قَفَلَ بنضيرة معه ، وذكر الطبرى فى قتله إياها حين تَمَلْمَلَتْ على الفراش الوثير ، ولين الحرير : أنه قال لها : ما كان يصنع بك أبوكِ ؟ فقالت : كان يطعمنى المخ والزبد وشُهْد أبكارِ النحل وصفو الخمر . وذكر أنه كان يرى مخها من صفاء بشرتها ، وأن ورقة الآس أدمتها فى عُكْنَة من عُكَنِها ، وأن الفراش الذى نامت عليه كان من حرير حَشْوُه القزّ (٣) . وقال المسعودى : كان حشوه

---

(١) ربض المدينة : ما حولها .

(٢) انظر ص ٢٥٦ ح ٢ المروج

(٣) ص ٤٨ ح ٢ طبرى . والطلسم بكسر الطاء وفتح اللام بتضعيف ودون تضعيف ، خطوط وأعداد يزعم صاحبها أنه يربط بها روحانيات الكواكب =

رفع
المسيا هم
عز الله الرحمن الرحيم

. . . .

زَغَب(١) الطير ، ثم اتفقوا فى صُورة قتلها(٢) كما ذكر ابن إسحاق غير أن ابن إسحاق قال : كان المستبيحَ للحضْر سابورذ والأكتافِ ، وجعله غير سابوربن أزدشير بن بابك ، وقد تقدم أن أزدشير هو أول من جمع ملك فارس ، وأذلَّ ملوكَ الطوائفِ ، حتى دان الملك له ، والضَّيْزَنُ : كان من ملوك الطوائف ، فيبعد أن تكون هذه القصة لسابورذى الأكتافِ ، وهو سابوربن هُرمز ، وهو ذو الأكتاف ؛ لأنه كان بعد سابور الأكبر بدهر طويل ، وبينهم ملوكٌ مُسَمَّون فى كتب التاريخ ، وهم : هُرْمز بن سابور ، وبهرام بن هُرْمُز ، وبهرام بن بهرام ، وبهرام الثالث ، ونرسى بن بهرام ، وبعده (٣) كان ابنه سابور ذو الأكتاف والله أعلم .

وقول الأعشى : شاهبور (٤) الجنودِ بخفض الدال يدل على أنه ليس بشاهبور ذى الأكتاف ، وأما إنشاده لأبيات عدى بن زيد :

وأخوا لحَضر إذ بناه وإذ دِجْلة يُجْبَى إليه والخَابُورُ

= العلوية بالطبائع السفلية لجلب محبوب أودفع أذى ، وهو لفظ يونانى . والمرأة الزرقاء : البينة الزرقة . وهى الشديدة البياض ، والعكنة : طى فى البطن من السمن ، وذكروا أن ورقة الآس هى التى أرقتها .

(١) الشعيرات الصفر على ريش الفرخ . والذى فى المسعودى زغب النعام .

(٢) ربط غدائرها إلى فرسين جموحين ؛ ثم استركضهما ، فقطعاها

(٣) فى الطبرى أن الذى بعده : هرمز بن نرسى ، ثم سابور ذو الاكتاف ص ٥٤ حـ ٢ الطبرى .

(٤) سيأتى معنى : شاهبور ، وقد ضُبطت الجنود فى الطبرى دار المعارف ، وفى السيرة . دار الحلبى بالفتح على أنها مفعول وتضبط بالكسر على أنها مضاف إليه .

. . . .

فللشعر خبر عجيب . حدثنا إجازةً القاضى الحافظ أبو بكر ، عن ابن أيوب عن البَرْقَانِيّ ، عن أبى الحسن على بن عمر ، قال : حدثنا أبو بكر الأزرق يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن البُهْلُولِ ، قال : حدثنى جدى ، قال : حدثنى أبى ، عن إسحاق بن زياد من بنى سلمة بن لؤى ، عن شبيب بن شيبة، عن خالد بن صفوان بن الأهتم ، قال: أوفدنى يوسف بن عمر إلى هشام بن عبد الملك فى وفد[أهْلِ] العراق قال : فقدمت عليه، وقد خرج مُتَبَدِّيًا بقرابته وأهله وحشمِهِ وغاشيتِهِ من جلسائه، فنزل فى أرض قاع صَحْصَحٍ مُتَنَايِفٍ (١) أفيح فى عام[قد] بَكَّرَ وَسْمِيُّهُ، وتتابع وَلِيُّهُ (٢) ، وأخذت الأرضُ [فيه] زينتها من اختلاف أنوارِ نَبْتِهَا من نَورِ ربيع مُونِقٍ ، فهو أحسن منظرا ، وأحسن مُسْتَنظرا ، وأحسن مُخْتَبَرًا بصعيد كأن ترابه قِطَعُ الكافور ، حتى لو أن قطعة ألقيت فيه لم تَتْرَبْ (٣) قال : وقد ضُرب له سرادق مِنْ حِبَرَةٍ (٤) كان صنعه له يوسف ابن عمر باليمن ، فيه فُسْطاط ، فيه أربعة أفرشة من خَزٍّ أحمر، مثلها مَرَافِقها (٥)

---

(١) حشمه : خاصته الذين يغضبون له . والغاشية الزوار والأصدقاء ينتابونك . القاع : المستوى من الأرض: صحصح : الأرض الواسعة المستوية الجرداء ذات الحصى الصغار . متنايف : مرتفع مشرف على غيره . وفى الأغانى : منيف .

(٢) أفيح : واسع . بكر : بادر . الوسمى : مطر الربيع الأول ، والولى : المطر الذى يليه .

(٣) لم يصبها التراب .

(٤) بوزن عنبه : برديمانى .

(٥) الفسطاط : بيت من الشعر ، والمرافق : جمع مرفق : ما يتكأ عليه .

رفع المسهم

وعليه دُرَّاعَةٌ (١) من خز أحمر ، مثلها عمامتها ، قال : وقد أخذ الناس مجالسهم، فأخرجت رأسى من ناحية الطاق(٢)، فنظر إلىَّ شِبْهَ الْمُسْتَنْطِقِ [لى] ؛ فقلت : أتم الله عليك ياأمير المؤمنين نعمةً سَوَّغَكَها بِشُكْرٍ ، وجعل ماقلّدك من هذا الأمر رُشدا، وعاقبة ماتئول إليه حمدا، وأخلصه لك بالتُّقى ، وكثّره لك بالنماء ، ولا كدر عليك منه ماصفا ، ولا خالط سروره الردى ؛ فقد أصبحتَ للمسلمين ثقة ومُسْتَرَاحًا . إليك يقصدون فى أمورهم ، وإليك يفزعون فى مظالمهم، وما أجد يا أمير المؤمنين شيئا — جعلنى الله فداءك — هو أبلغ فى قضاء حقك وتوقير مجالسك مما من الله [جَلَّ وعَزَّ] به علىّ من مجالَسَتِكَ، والنظرِ إلى وجهك من أن أذَكِّرك نعم الله عليك، وأُنَبِّهك لشكرها، وما أجد يا أمير المؤمنين شيئا هو أبلغ من حديث مَن سلفَ قبلك من الملوك ، فإن أَذِنَ لى أمير المؤمنين أخبرته عنه . قال : فاستوى جالساً — وكان متكئاً — ثم قال : هات يابنَ الأهتم، [قال]: فقلت : ياأمير المؤمنين إن مَلِكاً من الملوك قبلكَ خرجَ فى عامٍ مثل عامنا هذا إلى الخَوَرْنَقِ والسَّدِير (٣) فى عام قد بَكَّرَ وَسْمِيُّه ، وتتابع وَلْيه ،

(١) الضمير فى عليه لهشام بن عبد الملك . والدراعة : جبة مشقوقة المقدم ، وثوب من صوف .

(٢) فى الأغانى : السماط ، وهو الصفوف من الناس .

(٣) الخورنق : قصر كبير بناه النعمان بن امرىء القيس البدىء بن عمرو بن امرى القيس لملك الفرس يزد جرد الأثيم ، وقيل : النعمان بن المنذر : وخورنق : معرب خورنكاه أى موضع الأكل . والسدير : موضع معروف بالحيرة ، وقيل : نهر، وقيل : قصر قريب من الخورنق اتخذه النعمان أيضا لبعض ملوك العجم وسيأتى شىء آخر عنه .

. . . .

وأخذت الأرضُ فيه زينتها من نَوْرِ ربيعٍ مُونقٍ ، فهو فى أحسنِ منظرٍ وأحسن مُسْتَنْظرٍ ، وأحسن مُختبَرٍ بصعيد كأن ترابَه قطعُ الكافور(١) حتى لو أن قطعَةً ألقيت فيه لم تَتْرَب . قال : وقد كان أُعطِى فَتَاء السِّنِّ مع الكثرة والغلبة والقهر ، قال : فنظر فأبعد النَّظَر ، فقال لجلسائه : لمن [مِثْلُ] هذا ؟ هل رأيتم مثل ما أنا فيه ؟ [و]هل أُعطِىأحد مثل ما أُعطِيتُ ؟ قال: وعنده رجل من بقايا حَمَلة الحُجَّة، والمُضِىِّ علىأدب الحقِّ ومنها جِه· قال : ولن تخْلُوَ الأرضُ من قائم لله بحجته فى عباده ، فقال : أيها الملِكُ إنك قد سألت عن أمرٍ : أفتأذَنُ فى الجوابِ عنه ؟ قال : نعم . قال : أرأيتَ ما أنت فيه : أشىء لم تزل فيه ، أم شىء صار إليك ميراثاً من غيرك ، وهو زائلٌ عنك ،وصائر إلى غيرك، كما صار إليك ميراثا من لَدُنْ غيرك ؟ قال: فكذلك هو . قال : فلا أراك [إلا] أُعجبت بشىء يسير تكون فيه قليلا ، وتغيب عنه طويلا ، وتكون غدا بحسابه مُرْتَهناً . قال : وَيْحك فأين المهرب ؟ وأين المَطْلَبُ ؟ قال : إما أن تقيم فى ملكك، تعمل فيه بطاعة[الله] رَبِّك على ماساءك وسرّك، ومَضَّك وأرْمَضَك، وإمَّا أن تضعَ تاجَك،وتضعَ أَطْمارك ، وتلبَسَ أمْساحَك(٢) ،وتَعبُدَ رَبَّك فى هذا الجبل حتى يأتيك أجلُك . قال: فإذا كان فى السَّحَرِ فاقْرَعْ على بابى ، فإنِّى مختارٌ أحد الرَّأْيَيْن ، فإن اخترْتُ ما أنا فيه كنت وزيراً ، لا تُعْصَى ، وإن

---

(١) شجر يتخذ منه مادة شفافة بلورية الشكل يميل لونها إلى البياض .

(٢) مضه : أى آلمه ، وأرمضه : أوجعه . والأطمار: جمع طمر بكسر الطاء : الثوبُ الخَلَق ، أو الكساء البالى من غير الصوف . والأمساح جمع مسح : الكساء من الشعر . وفى الأغانى : وتخلع أطمارك .

. . . .

اختزنتُ خلواتِ الأرض وقفْر البلاد كنت رفيقا ، لا تخالَف. قال : فقرع عليه بابَه عند السحر ، فإذا هو قد وضع تاجَه ، [وخلع أطماره] ولبِس أمساحه ، وتهيأ للسياحة ، قال . فلزِما — والله — الجبلَ حتى أتتهما آجالهما ، وهو حيث يقول أحدُ بنى تميم : عدىُّ بن [زيد] بن سالمٍ المُرِّىّ العَدَوِىّ :

أيها الشامت المُعيِّرُ بالدهـ ... ـرِ أأنتَ المبرَّأ الموْفورُ ؟ !
أمْ لديْكَ العَهدُ الوثيقُ من الأيا ... م ؟ ! بل أنت جاهلٌ مغرور
مَنْ رأيت المَنُونَ خلَّدْنَ ، أم مَنْ ... ذا عليه من أن يُضام خَفير !
أين كسرى كسرى الملوك أنو ... شِرْوانُ أم أين قبله سابور ؟ !
وبنو الأصفرِ الكرامُ ملوكُ الر ... وم ؟ ! لم يبق منهم مذكور
وأخو الحَضْرِ إذ بناه وإذ دِجْـــلَةُ تُجْبَى إليه والخابور
شادَه مَرْمَرًا ، وجلَّله كِلْسًا ... فللطَّيرِ فى ذُراه وُكور
لم يَهَبْهُ رَيْبُ المَنُونِ فبا ... نَ المُلْكُ عنه ، فبابه مهجور
وتذكَّر رَبَّ الخَوَرْنق إذ ... أشرف يوما ، ولِلْهُدَى تفكيرُ
سَرَّه مالُه وكثرةُ ما يملك والبحرُ مُعْرِضا والسَّدير
فارْعَوَى قلبُه ، وقال : وما غِبْطَةُ حَىٍّ إلى المماتِ يصير ؟ !
ثم أضْحَوْا كأنهم وَرَقٌ جفَّ ... فألْوَتْ به الصَّبا والدَّبور
ثم بعدَ الفلاحِ والمُلْك والإمَّةِ وارتْهمُ هناك القبور(١)

---

(١) دجلة : نهر معروف بالعراق ، وهو بكسر الدال وفتحها . والخابور : نهر كبير مخرجه من رأس عين يصب إلى الفرات من أرض الجزيرة عليه ولاية =

رفع
المسهم
عبدالله الطائي

قال فبكى [والله] هشام حتى أخضَل(١) لِحْيَتَه ، وبلّ عمامته ، وأمر بِنَزْع أبنيتِه ، وبنقلان قَرابَتِهِ وأهلِهِ وحَشَمِه وغاشِيَتِه من جلسائه ، ولزم قَصْرَه . قال : فأقبلت الموالى والحَشَمُ على خالد بن صفوان بن الأهتم ، وقالوا: ما أردت إلى أمير المؤمنين ؟! أفسدت عليه لذّتَه ، ونغّصت عليه مأدبته . قال : إليكم عنى فإنى عاهدت الله [عز وجل] عهداً ألاَّ أخلوَ بمالك إلاَّ ذكرته الله عز وجل(٢) .

والذى ذكره عدى بن زيد فى هذا الشعر هو : النعمان بن امرىء القيس جد النعمان بن المنذر ، وأول هذا الشعر :

أرَوَاحٌ مُوَدِّعٌ أم بُكُورُ [لك] فانظُرْ لأيِّ ذاكِ تصير(٣)

قاله عدى ، وهو فى سجن النعمان بن المنذر ، وفيه قُتل وهو : عَدِىُّ

واسعة وبلدان جمة . والخابور أيضاً : خابور الحسنية من أعمال الموصل فى شرق دجلة ، وهو نهر من جبال بأرض الزوزان «المراصد» والمرمر: الرخام ، والكلس: الجير أو مادة كانت تطلى بها القصور ، ومعرض : أعرض الشىء ظهر وبرز ، ارعوى : كف وارتدع يعنى : اتعظ . وألوى به : ذهب به ، والصَّبا ريح مهبها من مشرق الشمس إذا استوى الليل والنهار . والدبور : ريح تهب من المغرب عكس ريح الصبا والإمة : النعمة .

(١) ندّاها وبللها .

(٢) فى الطبرى جزء من قصيدة عدى بن سالم . ويقول ابن كثير بعد أن روى القصة بإيجاز «وقد ذكر قصته مبسوطة: موفق بن قدامة المقدسى فى كتاب التوابين وكذلك أوردها بإسنادمتين: الحافظ أبو القاسم السهيلى» ص١٨٣ جـ١ البداية والقصة والقصيدة أيضا فى الأغانى ص١١٤ جـ٢ ط لبنان والزيادات والتصويب منه .

(٣) فى المطبوعة : حذفت : لك . وفى شعراء النصرانية ولك فاعمد لأى حال تصير .

بن زيد بن حماد بن زيد بن أيوب بن مَحْرُوب(١) بن عامر بن عُصَيَّة بن امرىء القيس بن زيد بن مناة بن تميم(٢). وقال عمرو بن آلة بن الخنساء:

أَلَمْ يُنبِئْكَ والأنباء تَنْمى(٣) بما لاقت سَراة بنى العَبيد
وَمَصْرَع ضَيْزَنٍ وبنى أبيه وأَحْلاس الكتائب من تزيد(٤)
أتاهم بالفُيول مُجَــلَّلات وبالأبطالِ سابُورُ الجُنُود

(١) وهذه سلسلة نسبه فى جمهرة ابن حزم: عدى بن زيد بن أيوب بن مجروف ابن عصية بن امرىء القيس بن زيد مناة، وابنه: زيد بن عدى صاحب النعمان بن المنذر بالحيرة ص ٢٠٣ أما فى الأغانى فكما فى الروض بزيادة ابن قبل مناة فى الروض، وقد كان عدى من تراجمة أبرويز وكان — كما فى الطبرى — جميلا شاعرا خطيبا قرأ كتب العرب والفرس، قال عنه الاصمعى وأبو عبيد: عدى بن زيد فى الشعراء بمنزله سهيل فى النجوم. هذا ويروى ابن قتيبة فى المعارف وهو يتحدث عن الخورنق «ويقال: أنو شروان بن قباذ هو الذى ملكه وأشرف يوما على الخورنق، فنظر إلى ما حوله فقال: أكل ما أرى إلى فناء وزوال؟! قالوا: نعم، قال: فأى خير فيما يفنى؟ لأطلبن عيشا لا يزول، فانخلع من ملكه، ولبس المسوح وساح فى الأرض» ص ٢١٨ وفى الأغانى والطبرى: ابن محروف، وفى جمهرة ابن حزم: مجروف.

(٢) فى الاشتقاق والطبرى وجمهرة ابن حزم والأغانى: زيد مناة بإسقاط ابن بينهما.

(٣) فى الطبرى والمسعودى والأغانى. «ألم يحزنك» وتنمى: تنتشر.

(٤) فى المسعودى: وأحلاف. وأحلاس الكتائب: الشجعان الملازمون لها. وتزيد هو: ابن حلوان كما فى القاموس والأغانى ص ١١ ج ٢ ط لبنان وابن عمران بن الحاف. أما حلوان فأخ له كما فى الاشتقاق، وهم من قضاعة.

رفع
المسهم
عز الله لمطالعه

. . . .

فهدّم من أواسيِ الحَضْرِ صَخْراً كأنَّ ثِقالَه زُبَرُ الحديد(١)

وقال الأعشى :

أقام به شاهبورُ الجنو دِ حولين تضرب فيه القُدُمْ

وقد قدمنا أنَّ شاهبور معناه: ابنُ الملك ، وأن بور هو : الابنُ بلسانهم، وفى هذا البيتِ دليل على ما قلناه من أن سابورَ مُغَيّرٌ عن شاهبور . والقُدُم : جمع قَدُوم، وهو الفأس ونحوه ، والقَدوم: اسمُ موضع أيضاً اختَتَن فيه إبراهيمُ عليه السلام الذى جاء فى الحديث أن إبراهيم اختَتَن بالقَدُوم مُخفف(٢) أيضا ، وقد روى فيه التشديد . وبعده :

فهل زادَه ربُّه قُــوّةً ومثل مُجـاوره لم يُقمْ
وكان دعا قومه دعـــوة هلُمُّوا إلى أمركم قــد صُرِم
فموتوا كراما بأسيافكم أرى الموتَ يَجْشَمُه من جَشِمْ(٣)

---

(١) الأواسى : جمع آسية ، وهو ما أسس من بنيان فأحكم أصله من سارية أو غيرها. وزبر : جمع زبرة : القطعة الضخمة .

(٢) هما روايتان فى البخارى ، أما الرواة فى مسلم فلم يختلفوا فى التخفيف وأنكر يعقوب بن شيبة التشديد أصلا. والراجح — كما يقول الحافظ فى الفتح — أن المراد فى الحديث: الآلة . وعند البخارى: أنه اختتن وسنه ثمانين سنة . وفى الموطأ موقوفا عن أبى هريرة ، وعند ابن حبان مرفوعا أنه كان وسنه مائة وعشرون ، ويقال قدوم على عدة مواضع كما فى المراصد .

(٣) بعض القصيدة فى الطبرى ، وقد أصلحنا خللها من الديوان مثل البيت الثانى فهو فى المطبوعة « وكان قد دعا قومه » .

رفع المسهم

. . . .

وفى الشعر : وهلْ خالدٌ مَنْ نَعِمْ . يقال نَعِمَ يَنْعِم وَيَنْعَم مثل حَسِب يحسِب ويَحْسَبُ . وفى أدب الكاتب أنه يقال : نَعِم يَنعُم مثل فَضِل يفضُل . حكى ذلك عن سيبوبه ، وهو غلط من القُتَبِىّ ، ومَنْ تأمله فى كتاب سيبويه تبيَّن له غَلطُ القُتَبِىّ ، وأن سيبويه لم يذكر الضمّ إلا فى فَضِل يفضُل(١) .

وقول عدى بن زيد : رَبِيَّة لم تُوقّ والدَها . يحتمل أن تكون فَعيلة من ربيتُ إلا أن القياس فى فَعِيلة بمعنى : مفعُولة أن تكون بغيرهاء ، ويحتمل أنه أراد معنى الرَّبو والنماء ؛ لأنها رَبَتْ فى نِعمة فتكون بمعنى فاعلة ، ويكون البناء موافقا للقياس ، وأصح من هذين الوجهين أن يكون أراد : ربيئة بالهمز ، وَسهَّل الهمزة فصارت ياء ، وجعلها ربيئة؛ لأنها كانت طليعة حيث اطَّلعت ، حتى رأت سابور وجنودَه ، ويقال للطليعة ذكرا كان أو أنثى : ربيئة(٢) ، ويقال له: رباء على وزن فعال وأنشدوا : رباء شماء لا يأوي لقلتها ، البيت .

وقوله أضاع راقبُها ، أى أضاع المَرْبأةَ الذى يرقبها ويحرسها ، ويحتمل أن

---

(١) فى المختار : نعم وبابه سهل ، وكذا نعم من باب علم ، وفيه لغة ثالثة مركبة : نعم ينعم مثل فضل يفضل ولغة رابعة : نعم ينعم بالكسر فيهما ، وهو شاذ . وقول ابن قتيبة المنقول من أدب الكاتب هو فى ص ٤٧٧ ط الرحمانية .

(٢) الطليعة الذى يرقب العدو من مكان عال لئلا يدهم قومه ، وفى اللسان : والربيئة : الطليعة ، وإنما أنثوه ؛ لأن الطليعة يقال له : العين ؛ إذ بعينه ينظر ، والعين مؤنثة ، وإنما قيل له : عين ، لأنه يرعى أمورهم ويحرسهم ، وحكى سيبويه فى العين الذى هو الطليعة . أنه ينكرُ ويؤنث ، فيقال : ربء ، وربيئة ، فمن أنث فعلى الأصل ، ومن ذكر فعلى أنه قد نقل من الجزء إلى الكل .

تـكون الهاء عائدة على الجارية أي : أضاعها حافظُها .

وقوله : والخمر وَهْل . يقال : وَهِل الرجلُ وَهْلاً وَوَهَلاً إذا أراد شيئا ، فذهب وهمُه إلى غيره . ويقال فيه : وَهَم أيضا بفتح الهاء ، وأما وهِم بالـكسر ، فمعناه : غلط ، وأوهم بالألف معناه : أسقط .

وقوله : سبائبُها . السبائب جمع : سَبِيبةٍ ، وهى كالعمامة أو نحوها ، ومنه السِّبُّ وهو : الخِمارُ .

وقوله : فى خِدْرها مشاجبُها . المشاجبُ : جمع مِشْجَب ، وهو ما تُعلَّق منه الثياب ، ومنه قول جابر : وإن ثيابى لعلى المِشْجَب(١) وكانوا يسمون القربة : شَجْباً ؛ لأنها جلدماء قد شَجِب أى : عَطِب ، وكانوا لا يمسكون القربة وهى الشَّجْبُ إلَّا مُعلَّقةً ، فالعود الذى تُعلَّق به هو المِشْجَبُ حقيقة ، ثم اتسعوا ، فسموا ما تُعلَّقُ به الثيابُ مِشْجَباً تشبيها به .

وفى شعر عَدِىٍّ المتقدم ذكر الخابور ، وهو واد معروفٌ ، وهو فاعول من خَبَرْتُ الأرْضَ إذا حرثتها ، وهو واد عظيمٌ عليه مزارع . قالت ليلى أختُ الوليد بن طَريف الخارجى الشَّيبانِى ، حين قتل أخوها الوليدُ . قتله يزيدُ بن مَزْيد الشَّيْبانِىّ أيام الرشيد ، فلما قتل قالت أخته :

أيا شَجَرَ الْخابور مالك مُورقاً ... كأنك لم تحزَنْ على ابن طَرِيف(٢)

فقدناه فُقْـدَانَ الربيع وليتنا ... فَدَيْناه من ساداتنا بألوف

(١) هو فى البخارى فى باب الصلاة .

(٢) الخابور : يستعمل فى الطب ، وفى الزينة ، وله زهر زاهى المنظر أصفر جيد الرائحة . والخافور ـ كما فى اللسان ـ نبات تجمعه النمل فى بيوتها ، والحبق =

رفع المساهم

ذكر ولد نزار بن معد

قال ابن إسحاق : فولد نزار بن معدّ ثلاثة نفر : مُضَر بن نِزار ، ورَبيعة ابن نزار ، وأنمار بن نزار .

قال ابن هشام : وإياد بن نزار . قال الحارثُ بن دَوْس الإيادي ، ويروى لأبي دُوَاد الإيادي ، واسمه : جارية بن الحجاج :

وفُتُــــوّ حسنٌ أوجُهُهُمْ ... مِنْ إيادِ بن نِزَارِ بْنِ معدّ

وهذا البيت في أبيات له :

فأمُّ مضر وإياد : سَوْدَة بنت عكّ بن عَدْنان . وأمُّ ربيعة وأنمار : شُقَيقة بنت عكّ بن عَدْنان ، ويقال : جُمْعة بنت عكّ بن عدنان .

« أولاد أنمار »

قال ابن إسحاق : فأنمار : أبو خَثْعَم وبَجيلة . قال جَرير بن عبد الله البَجَلِيّ وكان سيِّد بَجيلة ، وهو الذي يقول له القائل :

لولا جَريرٌ هَلَكَتْ بَجيلهْ ... نِعْمَ الفتى ، وبئْستِ القَبِيلَهْ

وهو ينافر الفُرافِصةَ الكَلْبيّ إلى الأقْرَع بن حابس التَّميمي .

يا أقرعُ بن حابِسٍ يا أقرعُ ... إنكَ إن تَصْرع أخاكَ تُصْرعُ

وأما الخافُور بالفاء فنباتٌ تخثُر ريحُه أي : تقطع شهوة النساء ، كما يفعل

= حبق الماء أو البحر : نبات طيب الرائحة يسمى : نعنع الماء ، وفي المعجم الوسيط عن المرو : نبات عطر طبي من الفصيلة الشعرية من أسمائه : الحرنباش وحبق الشيوخ ، والزعتر في القاموس : المرو الدقيق الورق .

رفع
المسهم

قال :

ابْنَىْ نِزَارٍ انصُرا أخاكا إنّ أبى وَجَدْتُهُ أباكا

لن يُغلَبَ اليومَ أخٌ وَالا كُما

وقد تيامنتْ ، فلَحِقتْ باليمن .

قال ابنُ هشام : قالت اليمن : وَبَجِيلة : أنمارُ بن إراش بن لِحْيان بن عمرو ابن الغَوْث بن نبْت بن مالك بن زيد بن كَهْلان بن سَبأ ، ويقال : إراش بنُ عمرو بن لِحْيان بن الغَوْث . ودار بَجِيلَة وخَثْعم : يمانية .

« أولاد مضر »

قال ابن إسحاق : فولد مُضَر بن نزار رَجُلَيْن : الياس بن مُضَر ، وعَيْلان ابن مضر . قال ابن هشام : وأمهما : جُرْهُمِيَّة .

« أولاد الياس »

قال ابن إسحاق : فولد الياسُ بن مُضَر ثلاثة نفر : مُدرِكة بن الياس ، وطابخة بن الياس ، و قَمَعَة بن الياس وأمهم : خِنْدِف : امرأة من اليمن .

قال ابن هشام : خِنْدِف بنت عِمْران بن الحاف بن قُضاعة .

قال ابن إسحاق : وكان اسم مُدْرِكة عامراً ، واسمُ طابخةَ عمْراً ، وزعموا أنهما كانا فى إبل لهما يَرْعيانها ، فاقتنصا صيداً ، فقَعَدا عليه يطبخانه ، وعَدَتْ عاديةٌ على إبلهما ، فقال عامر لعمْرو : أتدركُ الإبلَ ، أم تطبخ هذا الصيدَ ؟

الْحَبَقُ ، ويقال له النَّمْرُو ، وبهذا الاسم يعرفه الناس وهو الزَّغْبَرُ أيضا .

رفع المساهم

فقال عمرو : بل أطبُخ ، فَلَحِق عامرٌ بالإبل فجاء بها ، فلما راحا على أبيهما حدّثاه بشأنهما ، فقال لعامر : أنت مُدْرِكة ، وقال لعمرو : وأنت طابخة .

وأما قَمَعة فيزعُم نُسَّاب مضر : أن خزاعة من ولد عمرو بن لُحَيّ بن قَمعة بن الياس .

(ذكر نزار بن معد ومن تناسل منهم)

قد ذكرنا أولاد معد العشرة فيما تقدم ، فأما مُضَر فقد تقدم ذكره فى عمود نسب النبي – صلى الله عليه وسلم – وذكرنا أنه أول من سن حُداء الإبل ، وسببُه –فيما ذكروا– أنه سقط عن بعير ، فوثبت يدُه ، وكان أحسنَ الناسِ صوتاً ، فكان يمشى خلف الأبل ، ويقول : وايدياه وايدَياه ، يترنم بذلك فأعنقَتِ الإبل ، وذهب كَلاَلُها ؛ فكان ذلك أصل الحُداء عند العرب ، وذلك أنها تَنشَّط بحدائها الإبل ، فتسرع .

وأما أنمار بن نِزار ، وهو أبو بجَيلة وخَثْعَم فسُمى: بالأنمار جمع نَمِر(١) ، كما سموا بسباع وكلاب ، وأم بنيه : بَجِيلة بنت صَعْب بن سَعْد الْعَشِيرَة ولد له من غيرها أفتَلُ(٢) وهو: خَثْعَمُ(٣) ، وولدت له عَبقَر فى خَمْسة عشر ، سماهم أبو الفرج ، عنهم تناسات قبائلُ بَجيلةَ وهم : وَداعة وخزَيمة وصُهيبة [فى الأصل : صحيم]

(١) روى ابن هشام عن ابن إسحاق من ولد نزار : أنمار . وفى جمهرة ابن حزم «ذكروا أن خثعم وبجيلة من ولد أنمار إلا أن الصحيح المحض. الذى لاشك فيه أن قبائل مضر وقبائل ربيعة ابنى نزار » ص ٩ ، وفى ص ٦ من نسب قريش وكان يقال ربيعة ومضر الصريحان من ولد إسماعيل » .

(٢) وقيل : أقيل وأقيل .

(٣) أمه هند بنت مالك بن الغافق بن الشاهد بن عك « الجمهرة ص ٣٦٥ » .

رفع المسهم

. . . .

والحارث ومالك وشَيْبة وطريفة وَفهْمٌ والغوث وسهل وعبقر وأشهل(١) كلهم بنوأنمار، ويقال: إن بَجيلة حبشية حضنت أولاد أنمار الذين سَمَّينا، ولم تحضُن أفتل، وهو: خثعم، فلم يُنسب إليها. روى التِّرمذِيُّ من طريق فَرْوَة بن مُسيك أنه لما أنزل الله فى سبأ ما أنزل، قال رجل: يا رسول الله ما سبأ: امرأة أم أرض؟ قال: ليس بامرأة ولا أرض، ولكنه رجل وَلَد عشْرةً من العرَب، فتيا من منهم ستة، وتشاءم(٢) أربعة، فأما الذين تشاءموا: فلَخمٌ وجُذام وعامِلة وغسَّان، وأما الذين تيامنوا: فالأزدُ والأشعرون وحمير وَمذْحج وكِندة وأنمار، قال الرجل: وَمَنْ أنمار؟ قال: الذين منهم خثْعم(٣) وبَجيلة. وقوله:

لولا جَريرٌ هلكت بجيلة   نعم الفتى، وبئست القبيلة

---

(١) هم فى جمهرة أنساب العرب: خزيمة، وادعة، عبقر، الغوث، صُهَيْبة، أشهل، شَنْهل، طريف، سنية، الحارث وخذعة، أما فى نهاية الأرب: العقب من أنمار بن إراش بن عمرو بن لحيان بن عمرو بن مالك بن زيد: خمسُ قبائل، الغوث وعبقر وصهيبة، ووداعة وأفتل، وهو خثعم بنو أنمار بن إراش ويقول عن أنمار بن نزار: «فإنها انقلبت فى اليمن.. ومن قال إنها انقلبت فى اليمن يقول فيه: إن خثعم وبجيلة ابنا أنمار بن نزار لحقا باليمن، وانتسبا عن جهل منهما إلى أنمار بن أراش بن عمرو بن الغوث بن النبيت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب به يعرب بن قحطان، انظر ص ٣١٠، ٣٢٨ ج ٢ نهاية الأرب.

(٢) تيامن: أى ذهب إلى اليمن وعاش فيها وتشاءم: قصد الشام وعاش فيها

(٣) قال الترمذى: حسن غريب ورواه أحمد من طريق ابن عباس ورواه عبد عن الحسن موسى عن ابن لهيعة به وهذا إسناد حسن، ولم يخرجوه وفى إسناده من وجه آخر فروة أبو حباب، وقد تكلموا فيه وفى روايات الحديث اضطراب

رفع المسلم هم

. . . .

قال لما سمع هذا: ما مُدح رجُلٌ هُجِيَ قومُه، وجرير هذا هو: ابن عبد الله بن جابر، وهو: الشُّلَيْل بن مالك بن نصر بن ثعلبه بن جُشَم بن عُوَيْف بن جَذِيمَة(١) بن عدى بن مالك بن سعد بن يزيد بن قَسْرٍ، وهو مالك بن عبقر بن أنمار بن إراش بن عمرو بن الغوث، يكنى: أبا عمرو، وقيل: أبا عبد الله، وفيه قال النبى صلى الله عليه وسلم: «يطلع عليكم خيرُ ذى يَمَنٍ، عليه مَسْحَة ملك(٢)» وكان عمر يسميه: يوسف هذه الأمة، وكان من مقبلى الظعن، وكانت نعله: طولها: ذراعٌ فيما ذكروا. ومن النذير بن قسر: العُرَنِيُّون الذين قَدِموا على رسول الله — صلى الله عليه وسلم —، فاجْتَوَوا(٣) المدينة، وحديثهم مشهور، وهم بنو عُرَيْنَة بن النذير، أو بنو عُرَيْنة بن ربيعة بن نذير؛ لأنهما عُرَينتان، وأحدهما: عم الآخر.

وقال ابن إسحاق فى السيرة: من بنى قيس: كُبَّة من بجيلة.

وقوله: وهو ينافر الفُرافِصة [بن الأحوص] الكلبى إلى الأقرع بن حابس

(١) فى الاشتقاق: ابن حزيمة وفى نسب قريش: خزيمة، وفى الإصابة: عوف بن خزيمة.

(٢) رواه الطبرانى فى الأوسط وفيه محمد بن السائب الكلبى، وهو كذاب. وفى القاموس: أنه كان يلقب بذى المسحة.

(٣) أى أصابهم الجوى، وهو المرض وداء الجوف إذا تطاول وذلك إذا لم يوافقهم هواها. واجتويت البلد إذا كرهت المقام فيه، وإن كنت فى نعمه وفى اللسان أنهم ارتدوا، فقتلهم الرسول «ص» هذا وفى السيرة أن أم مضر وإياد هى سودة بنت عك، ولكنها فى نسب قريش: خبية بوزن عليه بنت عك. وفى السيرة أن أم ربيعة وأنمار هى: شقيقة بنت عك، ولكنها فى نسب قريش: حدالة (بضم الحاء) بنت وعلان بن جوشم ص ٦.

. . . .

التميمى . ينافر : أى يحاكم . قال قاسم بن ثابت : لفظ المنافرة مأخوذ من النَّفر، وكانوا إذا تنازع الرجلان ، وادَّعى كل واحد منهم أنه أعز نفراً من صاحبه ، تحاكموا إلى العلاَّمة ، فمن فضَّل منهما قيل : نفَّره عليه أى : فضل نفره على نفرِ الآخر : فمن هذا أُخِذتِ المنافرة ، وقال زُهَيرٌ :

فإن الحــقَّ مقطعُه ثلاثٌ   يمينٌ ، أو نِفارٌ أو جَلاء(١)

والفُرافِصة بالضم : اسمُ الأسد ، وبالفتح اسم الرجل ، وقد قيل : كل فُرافصة فى العرب بالضم إلا الفَرافصة أبا نائلة صهر عثمان بن عفان فإنه بالفتح .

وقوله: إنك إن تصرَع أخاك تُصْرَعُ ، وجدت فى حاشية أبى بحر ، قال : الأشهر فى الرواية: إنْ يُصْرَع أخوك(٢) ، وإنما لم ينجزم الفعل الآخر على جواب الشرط ؛ لأنه فى نية التقديم عند سيبويه ، وهو على إضمار الفاء عند المبرد(٣) ، وماذكر فى أنمار من قول أهل اليمن يشهدله حديث الترمذى المتقدم.

وذكر أم الياس ، وقال فيها : امرأة من جُرْهُم ، ولم يسمها ، وليست من

---

(١) جلاء بفتح الجيم: البينة فى المحاكمة والأمر البين الواضح، وقيل : أراد : البينة والشهود ، وقيل : أراد الإقرار والجلاء بكسر الجيم : ما يعظم به الإنسان من الكنى والألقاب والبيت فى اللسان فى مادة : جلو .

(٢) يستشهد النحاة بهذا البيت على جواز رفع جزاء الشرط المضارع حين يكون الشرط مضارعا أيضا . وهو ضعيف ، وهو فى نسب قريش : إن يصرع أخوك . وفى المزهر ص ٤٩٣ جـ ٢ : كل شىء فى العرب فرافصة بضم الفاء إلا فرافصة بن الأحوص .

(٣) قالا بهذا ، لأن القاعدة وجوب جزم جواب الشرط إن كانا مضارعين واقرأ قصة هذه المنافرة فى ص ٣٠١ جـ ١ بلوغ الأرب .

رفع المسهم

. . . .

جرهم ، وإنما هى الرِّباب بنت حَيْدَةَ (١) بن معد بن عدنان فيما ذكر الطبرى ، وقد قدمنا ذلك فى نسب النبي — صلى الله عليه وسلم .

وأما عَيْلان أخو الياس ، فقد قيل : إنه قيس نفسه لا أبوه ، وسمى بفرس له اسمُهُ : عَيْلان(٢) ، وكان يجاوره قيس كُبَّة من بجَيله عرف بكُبة اسم فرسه فُرِّق بينهما بهذه الإضافة ، وقيل : عَيْلاَن اسم كلب له ، وكان يقال له : النَّاسُ ، ولأخيه : الياس ، وقد تقدم فى أول الكتاب القول فى عمود نسب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وما فيه غُنْيَةٌ من شرح تلك الأسماء .

وذكر مدركة وطابخة وقَمَعة وسبب تسميتهم بهذه الأسماء ، وفى الخبر زيادةٌ ، وهوأن الياس قال لأمهم -وَاسمها ليلى(٣) ، وأمُّها: ضَرِيَّةُ بنت ربيعة بن نزار التى يُنسب إليها : حِمَى ضَرِيَّة ، وقد أقبلت تُخَنْدِف فى مشيتها : مالكِ تُخَنْدفين ؟ فسميت : خِنْدِف ، والخَنْدفَةُ : سُرْعَةٌ فى مشى وقال لمدركة .

(١) فى نهاية الأرب وغيره : حيد . وفى نسب قريش ص ٧ أن أم الياس هى الحنفاء ابنة إياد بن معد ، وفى جمهرة ابن حزم ص ٩ أن اسمها : أسمى بنت سود بن أسلم بن الحارث بن قضاعة .

(٢) فى الطبرى : أنه سمى عيلان لأنه كان يعاتب على جوده . فيقال له لتغلبن عليك العَيْلة ياعيلان وليس فى الأسماء عيلان بالعين غيره .

(٣) وفى نسب قريش ص ٦ . فولد مضر بن نزار : الياس ، وهو عيلان انظر ص ٣٢٢ شرح أدب الكاتب للجواليقى وفى الجمهرة : « وقيس عيلان بن مضر » وخطأ من جعل قيسا بن عيلان وليلى بنت حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة . ويقال لهم : خندف وفى اللسان الشرف كبد نجد وكانت منازل الملوك من بنى آكل المرار وفيها اليوم حمى ضرية وفى حديث عثمان . كان الحمى حمى ضرية على عهده ستة أميال . وضرية امرأة سمي الموضع بها ، وهو بأرض نجد .

. . . .

وأنت قد أدركْتَ ماطَلَبْتَا

وقال لطابخة :

وأنت قد أنضجْتَ ماطبختا .

وقال لِقَمَعَةَ وهو عُمَيْرٌ :

وأنت قد قعدت(١) فانقَمَعْتَا .

وخِنْدِفُ التي عُرف بها بنو الياس ، وهي التي ضُربت الأمثالُ بحزنها على الياسِ ، وذلك أنها تركت بنيها ، وساحت فى الأرض تبكيه ، حتى ماتت كَمدًا ، وكان مات يوم خميس ، وكانت إذا جاء الخميس بكت من أول النهار إلى آخره فما قيل من الشعر فى ذلك :

إذا مُؤْنِسٌ لاحت خَراطِيمُ شمسِه ... بكته به حتى ترى الشَّمسَ تغرُبُ

فما رَدَّ بأسًا حُزنُها وعويلُها ... ولم يُغنِها حُزْنٌ ونَفْسٌ تعذَّبُ

وكانوا يسمون الخميس : مُؤْنِسًا(٢) قال الزبير : وإنما نُسِب بنو الياس

---

(١) فى الطبرى « أسأت » .

(٢) جمع النابغة أسماء الأيام فى الجاهلية فى هذين البيتين :

أؤمل أن أعيش وأن يومى ... بأوَّلَ أو بأهون أو جُبار

أو التالى دُبار فإن يفتنى ... فمؤنسٍ او عروبة أو شيار

وفى صبح الأعشى أنها تسمية العرب العاربة من بنى قحطان وجرهم الأولى . وأول : هو الأحد . وسموا الخميس مؤنسا لأنه يؤنس به لبركته فى زعمهم . ج ٢ صبح الأعشى ، أو لأنهم كانوا يميلون فيه إلى الملاذ . وفى المطبوعة ٣٦٤ فى البيتين : بكتنا به وهو خطأ صوبته من مراجعى .

رفع
المسـاهم
عزالله لطائيالدي

قصة عمرو بن لحى وذكر أصنام العرب

« حديث جرّ عمرو قُصْبَهُ فى النار »

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبدُ الله بن أبى بكر بن محمّد بن عَمْرو بن حَزْم عن أبيه قال :

حُدّثت أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : « رأيت عمرو بن لُحَىّ يجرُّ قُصْبَهُ فى النار ، فسألته عمّن بينى وبينه من الناس ، فقال : هَلَكوا »

قال ابن إسحاق . وحدثنى محمد بن إبراهيم بن الحارث التَّيْمِىُّ أن أبا صالح السَّمّان حدّثه أنه سَمع أبا هُرَيرة — قال ابن هشام : واسم أبى هُرَيرة عبد الله بن عامر ، ويقال اسمه : عبد الرحمن بن صَخْر — يقول :

سمعت رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم يقول لأَكْثم بن الجَوْن الخُزاعِىّ : «يا أَكْثم ، رأيت عمرو بن لُحَىّ بن قَمَعَة بن خِنْدِف يجرّ قُصْبَه فِى النار ، فما رأيت رجلاً أشبه برَجُل منك به ، ولا بك منه . فقال أكْثم : عسى أن يَضرَّنى شَبَهُهُ يا رسول الله ؟ قال : لا ، إنك مؤمن وهو كافر ، إنه كان أوّل مَنْ غيّر دين إسماعيل ، فنصَب الأوْثان ، وَبحَر البَحِيرَةَ وسيَّب السَّائبة ، ووَصَل الوصِيلة ، وحَمَى الحامى » .

لأمهم ؛ لأنها حين تركتهم شُغْلا لحزنها على أبيهم ، رحمهم الناسُ فقالوا : هؤلاء أولاد خِنْدِف الذين تركتهم ، وهم صغارٌ أيتامٌ ، حتى عرفوا ببنى خِنْدِف . وأما عَوَانة بنتُ سعد بن قيس عَيْلاَن فسُمِّيَت : العَوَانة وهى الناقة الطويلة .

رفع
المسهم
عز الله لطول الدنيا

. . . .

وذكر حديث عَمْرِو بن لُحَيّ(١) بن قَمَعَة بن الياس ، وقد تقدم فى نسب خزاعة وأسلم أنهما ابنا حارثة بن ثعلبة ، وأن ربيعة بن حارثة هو أبو خزاعة من بنى أبى حارثة بن عامر ، لا من حارثة ، وسيأتى ذلك . وقول النبى — صلى الله عليه وسلم — لأسلم : « ارْمُوا يا بنى إسماعيل ، فإن أباكم كان راميا(٢) » وهو معارِضٌ لحديثِ أكثم بن الجَوْن فى الظاهر ، إلا أن بعض أهل النسب ذكر أنَّ عَمْرو بن لُحَيّ كان حارثة قد خلف على أمه بعد أن آمَتْ من قَمَعَة ، ولُحَيٌّ صغير ، ولُحَيٌّ هو : ربيعةُ ، فتبناه حارثة ، وانتسب إليه فيكون النسب صحيحا بالوجهين جميعا ، إلى حارثة بالتبنى ، وإلى قَمَعَة بالولادة ، وكذلك أسلم بن أَفْصَى بن حارثة ، فإنه أخو خزاعة ، والقول فيه كالقول فى خزاعة ، وقيل فى أَسْلَمَ بن أَفْصَى : إنهم من بنى أبى حارثة بن عامر ، لا من بنى حارثة ، فعلى هذا لا يكون فى الحديث حُجَّةٌ لمنْ نَسَبَ قحطانَ إلى إسماعيل ؛ والله أعلم . ومِنْ حُجَّةِ مَنْ نَسَبَ خُزاعَةَ إلى قَمَعَةَ مع الحديث المذكور فى ذلك قولُ الْمُعَطَّلِ [الْهُذَلِيِّ] يخاطب قوما من خزاعةَ .

لعلكُمْ مِنْ أُسْرَةٍ قَمَعِيَّةٍ إذا حضروا الا يَشْهَدُونَ الْمُعَرَّفَا(٣)

---

(١) نسبه فى البخارى : عمرو بن عامر بن لحى ، وفى نسب قريش : عمرو بن لحى بن قمعة بن خندف . وخزاعة تقول : عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو ابن عامر بن غسان . وحديث عمرو أخرجه البخارى ومسلم والنسائى وأحمد والحاكم وابن جرير والطبرانى بطرق مختلفة وألفاظ مختلفة . وما فى السيرة رواية ابن جرير بطريقه .

(٢) البخارى وغيره .

(٣) الموقف بعرفة .

. . . .

وقوله فى حديث أكثم الذى يرويه أبو هريرة . اسم أبى هريرة : عبدالله بن عمرو ، وقيل : عبدُ الرحمن بن صَخْر ، وقيل : هو الذى ذكره ابنُ هشام . وقال البخارى : اسمه : عبد شمس بن عبدنُهْم ، وقيل : اسمه عبد غَنْم ، ويحتمل أن يكون هذا اسمه فى الجاهلية ، فبدّله رسول الله — صلى الله عليه وسلم — كما بدّل كثيرا من الأسماء ، وقد قيل : اسمه : يَزيدُ بن عِشْرِقَة ، وقيل : كُرْدوس ، وقيل : سُكَيْن . قاله النفسوى [لعله البَغَوِىُّ أو الفُفُوسِى] وقيل غير هذا . وكنّاه أبا هريرة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لهِرّة رآها معه ، وقد ذكر أن الهِرّةَ كانت وَحْشِيَّة(١) .

وأما أكثم الذى ذكره ، فقد صرح فى حديثه بنسب عمرو والد خزاعة ، وذكره لقوة الشَّبه بين أكثم وبينه يدل على أنه نسبُ ولادة — كما تقدم ولا سيما على رواية الزبير ؛ فإن فيها أنه قال : رأيت عَمْرو بن لُحَىٍّ والد خزاعة يجر قُصْبه فى النار ، وقوله لأكثم : « إنك مؤمن ، وهو كافر(٢) » قد روى الحديث الحارث بن أبى أسامة فى مسنده أن رسول الله — صلى الله

---

(١) وروى الترمذى أن أهله هم الذين كنوه بهذا وقد استوفى ما قيل فى نسبه ابن حجر فى الإصابة وفى اسمه أربعة وأربعون قولا . وفى القاموس : واختلف فى اسم على نيف وثلاثين قولا .

(٢) وقيل عن أكثم إنه ابن أبى الجون ، واسمه : عبد العزى بن منقذ بن ربيعة بن أحرم . وقد أخرج الحاكم حديث أكثم ، وهو مخرج عند مسلم دون قصة أكثم ورواه أحمد من وجه آخر عن جابر ، فقال أشبه من رأيت به معبد بن أكثم ، فذكره .

عليه وسلم — قال هذه المقالة في حديث الدَّجال لعبد العُزَّى بن قَطَن ، وأن عبدَ العُزَّى قال: أيضُرُّني شبهى به يارسول الله ؟ يعني: الدجال ، فقال كما قال لأَكْثم : إنك مؤمن وهو كافر ، وأحسب هذا وهما في الحديث ، والله أعلم كما ذكره البخارى عن الزُّهْرِيِّ . قال : ابن قَطَن رجل من خزاعة هلك في الجاهلية ، ولأكثم عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — حديثان . أحدهما: « خير الرفقاء أربعة » وقد تكلمنا على معناه في كتاب التعريف والإعلام . والآخر : « اغزُ مع غير قومك ، تحسن خلقك » ، قال الإسكاف في كتاب فوائد الأخبار معنى هذا: لأن الرجل إذا غزا مع غير قومه تحفَّظ ، ولم يَسْتَرسِل وتكلَّف من رياضة نفسه مالا يتكلفه في صحبة من يثق باحتماله لنظرهم إليه بعين الرضى ، ولصحَّة إدلاله ، فلذلك تحسن خلقه لرياضة نفسه على الصبر والاحتمال ، فهذا حسن من التأويل غير أن الحديث مختلف في لفظه ، فقد روى فيه : سافر مع قومك ، وذكر الروايتين أبو عُمَر (١) رحمه الله .

وذكر في الحديث عَمْرو بن لُحَيٍّ ، وأنه أول من بحَر البحيرة ، وقد روى أيضا أن أول من بحَرَ البَحيرة: رجل من بنى مُدلِجٍ كانت له ناقتان ، فجدع آذانهما ، وحرم ألبانهما . قال رسول الله —صلى الله عليه وسلم— فرأيته في النار يَخْبِطَانه بأخفافهما ، ويَعَضَّانه(٢) بأفواههما وقال عليه السلام. قد عرفت أول من

(١) وفى حديثه أبو سلمة المعاملى قال ابن أبى حاتم : سمعت أبى يقول عنه : متروك الحديث باطل وفى الإصابة فى حديث أكثم : أعز .

(٢) رواه عبد الرازق ، وهو مخالف لما ورد فى البخارى وغيره . وقد ضبط «أحمد زكى باشا» بحر بتضعيف الحاء فى تحقيقه لكتاب الأصنام للكلبي . وقال—

« أول ما كانت عبادة الحجارة » :

قال ابن هشام : حدثنى بعض أهل العلم أن عمرو بن لُحَىّ خرج من مكة إلى الشام فى بعض أموره ، فلما قدم مآبَ من أرض البَلْقاء ، وبها يومئذ العماليق – وهم ولد عِمْلاق . ويقال : عِمْليق ابن لاوذ بن سام بن نوح – رآهم يعبدون الأصنام ، فقال لهم : ما هذه الأصنام التى أراكم تعبدون؟ قالوا له : هذه أصنامٌ نعبدها ، فنَستمطِرها فتُمْطِرنا ، ونَستنصرها فتَنصرنا ، فقال لهم : أفلا تُعْطُونى منها صنما ، فأسيرَ به إلى أرض العرب ، فيعبدوه ؟ فأعطوه صنما يقال له : هُبَل ، فقدم به مكّة ، فنَصَبه ، وأمَر الناس بعبادته وتعظيمه .

قال ابن إسحاق : ويزعمون أن أوّل ما كانت عبادة الحجارة فى بنى إسماعيل ، أنه كان لا يَظْعَن من مكة ظاعنٌ منهم ، حين ضاقت عليهم، والتمسوا الفُسَحَ فى البلاد ، إلا حَمل معه حجراً من حجارة الحرم تعظيما للحرم ، فحيثما نزلوا وضعوه، فطافوا به كطَوافهم بالكعبة ، حتى سَلَخ ذلك بهم إلى أن كانوا

سيَّب السائبة ، ونصب النُّصب . عمرو بن لُحَىّ رأيته يؤذى أهل النار بريح قُصْبه . رواه ابن إسحاق عن عبد الله بن أبى بكر مرسلا ، ولم يقع فى رواية البكّائىّ عنه .

= فى تعليقة له : وهذا الضبط وارد فى النسخة الزكية هنا وفى موضع آخر ص ٥٨ من هذه الطبعة ، وهو كذلك فى كتاب الروض الأنف . أما بحر مخففا فمعناه : شق الأذن ، ولكن المقام هنا يدل على ابتداع هذه السنة ، فلذلك كان استعمال بحر مشددا وجيها .

يعبدون ما استحسنوا من الحجارة ، وأعجبهم ، حتى خَلَفَ الخُلُوف ، ونَسُوا ما كانوا عليه ، واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل غيرَه ، فعبدوا الأوثان ، وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم قبلَهم من الضلالات ، وفيهم على ذلك بقايا من عهد إبراهيم يتمسَّكون بها : من تعظيم البيت ، والطواف به ، والحجّ والعُمْرَة والوقوف على عرفة والمُزْدَلِفَة ، وهَدْى البُدْن ، والإهلال بالحجّ والعُمرة ، مع إدخالهم فيه ما ليس منه . فكانت كِنانةُ وقُريش إذا أهلُّوا قالوا : « لبَّيْك اللهمّ لبَّيك ، لبَّيك لا شريك لك ، إلا شريك هو لك ، تملكه وما مَلَك » . فيوحِّدُونه بالتلبية ، ثم يُدْخلون معه أصنامَهم ، ويجعلون مِلْكَها بيده . يقول الله تبارك وتعالى لمحمد — صلى الله عليه وسلم — ﴿ وَما يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾ [يوسف : ١٠٦] أى ما يوحِّدونى لمعرفة حقِّى إلا جعلوا معى شريكا من خلقى .

« أصنام قوم نوح » .

وقد كانت لقوم نوح أصنامٌ قد عكفوا عليها ، قصّ اللهُ — تبارك وتعالى — خبرَها على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقال : ﴿ وقالُوا : لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ ، ولا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعا ، وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً ، وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيراً ﴾ [نوح : ٢٢، ٢٣]

« أصنام القبائل العربية » .

فكان الذين اتخذوا تلك الأصنام من ولد إسماعيل وغيرهم ، وسمّوا بأسمائهم حين فارقوا دين إسماعيل : هُذَيلَ بن مُدْرِكة بن الياس بن مضر ، اتخذوا

رفع المسيهم

سُواعا ، فكان لهم بِرُهاط . وكَلْب بن وَبْرة من قُضاعة ، اتخذوا وَدّا بدُومَةَ الجَنْدل .

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك الأنصاري :

وَنَنْسى اللاّتَ والعُزّى ووَدّا وَنسْلُبها القلائِدَ والشُّنُوفَا

قال ابن هشام : وهذا البيت فى قصيدة له سأذكرها فى موضعها إن شاء الله.

قال ابن هشام : وكَلْب بنُ وَبْرَةَ بن تَغْلِب بن حُلْوان بن عِمْران بن الحاف بن قضاعة .

قال ابن إسحاق : وأنْعُم من طَيِّىء ، وأهل جُرَش من مَذْحِج اتخذوا يغوث بجُرَش.

قال ابن هشام . ويقال : أنعَم . وَطَيِّئٌ بن أدد بن مالك ، ومالك : مَذْحِجُ بن أُدَد ، ويقال : طيِء بن أُدَدِ بن زيد بن كَهْلان بن سَبَأ .

قال ابن إسحاق : وخَيْوانُ بَطْنٌ من هَمْدان ، اتخذوا يَعُوقَ بأرض هَمْدان من أرض اليمن .

قال ابن هشام : وقال مالك بن نَمَط الهَمْدانِى

يَرِيشُ الله فى الدنيا ويَبْرِى وَلا يَبْرِى يَعوقُ ولا يَريشُ

وهذا البيت فى أبيات له .

قال ابن هشام : اسم هَمْدان : أَوْسَلة بن مالك بن زيد بن ربيعة بن أَوْسَلَة بن الِخيار بن مالك بن زيد بن كَهْلَان بن سبأ ، ويقال : أوسَلة بنُ زيد بن

أوسَلة بن الخيار . ويقال : هَمْدان بن أُوسَلة بن ربيعة بن مالك بن الخيار بن مالك بن زيد بن كَهْلان بن سبأ .

قال ابن إسحاق : وذو الكَلاع من حِمْير ، اتخذوا نَسْراً بأرض حِمْير .

وكان لِخَوْلانَ صَنَمٌ يقال له : عُمْيانِس بأرض خَوْلان ، يقسمون له من أنعامهم وحروثهم قسما بينه وبين الله بزعمهم ، فما دخل فى حق عُمْيانِس من حقِّ الله تعالى الذى سمّوه له تركوه له ، وما دخل فى حق الله تعالى من حق عُمْيانس ردّوه عليه ، وهم بطن من خَوْلانَ ، يقال لهم : الأديم ، وفيهم أنزل الله - تبارك وتعالى - فيما يذكرون : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا ، فَقَالُوا : هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ ، وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا ، فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ ، وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ ، سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [الأنعام : ١٣٦] .

قال ابن هشام : خَوْلان بن عمرو بن الحاف بن قُضاعة ، ويقال : خَوْلان ابنُ عمرو بن مرة بن أُدَد بن زيد بن مِهْسَع بن عمرو بن عَرِيب بن زيد بن كَهْلاَن بن سبأ ، ويقال : خَوْلان بن عمرو بن سَعْد العَشِيرَة بن مَذْحِج .

قال ابن إسحاق : وكان لبنى مِلْكان بن كِنانة بن خُزيمة بن مُدْركة بن الياس بن مُضَر صنم ، يقال له : سَعْد : صَخْرة بفلاة من أرضهم طويلة ، فأقبل رجل من بنى مِلْكان بإبلٍ له مُؤَبَّلة ؛ ليقفها عليه ، التماسَ بركته - فيما يزعم - فلما رأته الإبل وكانت مَرْعِيَّة لا تُركَب ، وكان يُهَراق عليه الدماء نفرتْ منه ، فذهبتْ فى كل وجه ، وغَضِب ربها المِلْكانى ، فأخذ حجرا فرماه به ،

. . . .

ثم قال . لا بارك الله فيك ، نفَّرت علىّ إبلى ، ثم خرج فى طلبها حتى جمعها ، فلما اجتمعت له قال :

أتَيْنا إلى سَعْدٍ ، ليجمعَ شملنا ... فَشَتَّتَنا سعدٌ ، فلا نحْنُ من سَعْدِ
وهل سَعدُ إلاَّ صخرةٌ بتَنُوفَةٍ ... من الأرْضِ لا تدْعو لِغَىٍّ ولا رُشْدِ

وكان فى دَوْس صنم لعمرو بن حُمَمَة الدَّوْسىّ .

قال ابن هشام : سأذكر حديثه فى موضعه إن شاء الله .

ودَوس بن عُدثان بن عبد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأسْد بن الغوث . ويقال : دوس بن عبد الله بن زهران بن الأسد بن الغوث .

«هُبَل وإساف ونائلة»

قال ابن إسحاق : وكانت قريش قد اتخذت صنما على بئر فى جوف الكعبة يقال له : هُبَل .

قال ابن هشام : سأذكر حديثه إن شاء الله فى موضعه .

قال ابن إسحاق : واتخذوا إسافا ونائلة ، على موضع زمزم ينحرون عندهما ، وكان إساف ونائلة رجلاً وامرأة من جُرْهم ــ هو : إساف بن بَغْى ونائلة بنت دِيك ــ فوقع إسافٌ على نائلة فى الكعبة ، فمسخهما الله حجَرَيْن

قال ابن إسحاق : حدثنى عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، عن عَمْرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زُرَارَةَ أنها قالت : سمعت عائشة

رفع
المسهم
غفر الله له ولوالديه

ـ رضى الله عنها ـ تقول : مازلنا نسمع أن إسافا ونائلة كانا رجلا وامرأة من جُرْهم ، أحدثا فى الكَعْبة ، فمسخهما الله تعالى حَجَرَيْن ، والله أعلم .

قال ابن إسحاق : وقال أبو طالب :

وحيثُ يُنيخ الأشعَرُونَ رِكَابَهم ... بمُفْضَى السُّيول من إسافٍ ونائل

قال ابن هشام : وهذا البيت فى قصيدة له ، سأذكرها فى موضعها إن شاء الله تعالى .

قال ابن إسحاق: واتخذ أهل كل دار فى دارِهم صنما يعبدونه، فإذا أراد الرجل منهم سفراً تمسَّحَ به حين يركب ، فكان ذلك آخر ما يصنع حين يتوجه إلى سفره ، وإذا قدم من سفره تمسَّح به، فكان ذلك أولَ ما يبدأ به قبل أن يدخل على أهله ، فلما بعث الله رسوله محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالتوحيد، قالت قريش: ﴿أجَعَلَ الآلهة إلٰها واحداً ، إن هذا لشىء عُجاب﴾ [ص : ٥] وكانت العرب قد اتخذت مع الكعبة طَواغيت ، وهى بيوت تعظمها كتعظيم الكعبة ، لها سدَنة وحُجَّاب ، وتُهدِى لها كما تُهدِى للكعبة ، وتطوف بها كطوافها بها وتَنْحر عندها ، وهى تعرف فضلَ الكعبة عليها ؛ لأنها كانت قد عرَفت أنها بيتُ إبراهيم الخليل ومسجدُه .

« العزى واللات ومناة »

فكانت لقريش وَبنى كنانة : العُزَّى بنَخْلة ، وكان سَدَنَتَها وحُجَّابَها بنو شَيْبان من سُلَيم ، حلفاء بنى هاشم .

قال ابن هشام : حلفاء بنى أبى طالب خاصة ، وسُلَيمْ : سُلَيمْ بن مَنْصُور ابن عِكْرمة بن خَصَفة بن قَيْس بن عَيْلان .

رفع
المسهم
عز الله لم طل الده

قال ابن إسحاق : فقال شاعر من العرب :

لقد أُنكِحَتْ أسماء رأسَ بُقَيْرَةٍ من الأُدْمِ أهداها امرؤ من بني غَنْم
رأى قَدَعا فى عينها إذ يسوقها إلى غَبْغَبِ العُزَّى فوسَّع فى القَسْم

وكذلك كانوا يصنعون إذا نحروا هَدْيا قسَّموه فى مَنْ حضرهم. والغَبْغَبُ: المنحر ، ومُهْراق الدماء .

قال ابن هشام : وهذان البيتان لأبى خِرَاشٍ الهُذَلِى واسمه : خُوَيْلِدُ بن مُرَّة فى أبيات له .

وَالسَّدَنَةُ : الذين يقومون بأمر الكعبة . قال رؤبة بن العجاج .

فلا وربِّ الآمناتِ القُطَّنِ [يَعمُرْنَ أَمْناً بالحَرامِ المأمَنِ]
بمَحْبَسِ الهَدْى وبيتِ المَسْدَنِ

وهذان البيتان فى أرجوزة له ، وسأذكر حديثها إن شاء الله تعالى فى موضعه

قال ابن إسحاق : وكانت اللات لثقيف بالطائف ، وكان سَدَنَتَها وحُجَّابَها بنو مُعَتِّب من ثَقيف .

قال ابن هشام : وسأذكر حديثها إن شاء الله تعالى فى موضعه .

قال ابن إسحاق : وكانت مَنَاة للأوس والخزرج ، ومن دان بدينهم من أهل يثرب ، على ساحل البحر من ناحية المُشَلَّل بقُدَيْد .

قال ابن هشام : وقال الكُمَيت بن زيد أحد بنى أسد بن مُدْرِكَة .

وقد آلتْ قبائلُ لاتُوَلِّى مَنَاةَ ظُهُورَها مُتَحَرِّفينا

وهذا البيت فى قصيدة له .

قال ابن هشام: فبعث رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — إليها أبا سفيان بن حَرْبٍ فهدمها، ويقال: علىّ بن أبي طالب.

(أصل عبادة الأوثان)

يقال لكل صنم من حجر أو غيره: صنم، ولا يقال: وَثَنٌ إلا لما كان من غير صخرة كالنحاس ونحوه، وكان عمرو بن لُحَىّ حين غلبت خزاعةُ على البيت، ونفت جُرْهم عن مكة، قد جعلته العرب رَبًّا لا يبتدع لهم بدعة إلا اتخذوها شرعة؛ لأنه كان يطعم الناس، ويكسو فى الموسم، فربما نحر فى الموسم عشرة آلاف بَدَنَة، وكسا عشرة آلاف حُلَّة حتى [قيل] إنه اللَّاتُ الذى يَلُتُّ السَّوِيقَ(١) للحجيج على صخرة معروفة تسمى: صخرة اللات، ويقال إن الذى يلُتُّ كان من ثقيف، فلما مات قال لهم عمرو: إنه لم يمت، ولكن دخل فى الصخرة، ثم أمرهم بعبادتها، وأن يبنوا عليها بيتا يسمى: اللاَّت، ويقال: دام أمره وأمر ولده على هذا بمكة ثلثمائة سنة فلما هلك سميت تلك الصخرة: اللات مخففة التاء، واتخذ صنما يعبد، وقد ذكر ابن إسحاق، أنه أول من أدخل الأصنام الحرم، وحمل الناس على عبادتها، وسيأتى ذكر إساف ونائلة، وما كان منه فى أمرهما. وذكر أبو الوليد الأزرقى فى أخبار مكة أن عمرَ بنَ لُحَىّ فقأ أعين عشرين بعيرا، وكانوا يفقئون عينَ الفَحْل إذا بلغت الإبل ألفا، فإذا بلغت ألفين فقئوا العين الأخرى قال الراجز:

وكان شُكْرُ القوم عند المِنَنِ ... كَىُّ الصحيحات، وَفَقْأُ الأعْيُنِ

وكانت التلبيةُ من عهد إبراهيم: لَبَّيْك، لا شريك لك لبيك، حتى كان

---

(١) طعام يتخذ من مدقوق الحنطة والشعير.

رفع المسلم

عمرو بن لُحَيّ ، فبينما هو يُلَبّي تمثل له الشيطانُ فى صورة شيخ يلبي معه(١) ، فقال عمرو : لبيك لا شريك لك ، فقال الشيخ : إلا شريكا هو لك ، فأنكر ذلك عمرو ، وقال : وما هـذا ؟ فقال الشيخ قل : تملكه وما ملَكَ ، فإنه لا بأس بهذا ، فقالها عمرو ، فدانت بها العربُ(٢) .

وذكر ابن إسحاق ما كان فى قوم نوح ومن قبلهم من عبادة الأصنام : وتلك هى الجاهلية الأولى التى ذكر الله فى القرآن فى قوله : ﴿ ولاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجاهِلِيَّة الأولى(٣) ﴾[الأحزاب : ٣٣] وكان بدء ذلك فى عهد مهلايل بن قَيْنَان فيما ذكروا ، وقد ذكر البخاري عن ابن عباس قال : « صَارَت الأوثان

(١) هو شيطان من الإنس مثل عمرو بن لحي .

(٢) فى الصحيحين : أن هذه كانت تلبية المشركين ، وفى صحيح مسلم أنهم كانوا إذا قالوا : لبيك لاشريك لك، قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قَدْ قَدْ أى حسب حسب .

(٣) بل روى ابن جرير فى تفسير هذه الآية أن الجاهلية الأولى كانت بين نوح وإدريس ، وأنها كانت ألف سنة ، وأن بطنا من ولد آدم كان يسكن الجبل ، وكان الآخر يسكن السهل ، وكان فى نساء الجبل دمامة ، وفى رجاله صباحة « جمال » على عكس أهل السهل ، وجاء إبليس فى صورة غلام ، وعمل فتى فى بيت أحد رجال السهل ، فاتخذ شيئا مثل الذى يزمر فيه الرعاء ، واستطاع بنفخه فيه أن يسحر أهل السهل ، وأن يجمعهم حوله ، وأن يحملهم على اتخاذ عيد فى العام يجتمعون فيه، وقد تزين فيه الرجال للنساء، أو تزين النساء للرجال ، ورآهم أهل الجبل ، فاختلطوا بهم ، وظهرت الفاحشة بين الرجال والنساء . وهذه قصة تليق بمعنى الآية ، فالآية فى نهى النساء عن التبرج . على أنه بين عبادة الأوثان وبين فاحشة التبرج صلة وثقى ، لعلها صلة العلة بالمعلول ! ! .

. . . .

التى كانت فى قوم نوح فى العرب بعد ، وهى أسماء قوم صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصِبُوا فى مجالسهم التى كانوا يجلسونها أنصابا ، وسموها بأسمائهم ، ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك وَتَنُوسِخَ العلم عُبدت» . وذكر الطبرى هذا المعنى وزاد أن سواعا كان : ابن شيث، وأن يغوث كان : ابن سواع ، وكذلك يَعُوقُ ونَسْر كلما هلك الأول صورت(١) صورته ، وعُظِّمت لموضعه من الدين ، ولما عَهِدوا فى دعائه من الإجابة ، فلم يزالو هكذا حتى خَلَفَتْ الخُلوفُ ، وقالوا : ما عَظَّم هؤلاء آباؤنا إلا لأنها ترزق وتنفع وتضر ، واتخذوها آلهة ، وهذه أسماء سُرْيانية وقعت إلى الهند ، فَسَمَّوْا بها أصنامهم التى زعموا أنها صُوَرُ الدَّرَارِى السبعة ، وربما كلمهم الجنُّ من جوفها ففتنتهُمْ ، ثم أدخلها إلى العرب عَمْرو بن لُحَىٍّ كما ذكر أو غيره(٢) ، وعلمهم تلك الأسماء ، وألقاها الشيطانُ على ألسنتهم موافقةً لما كانوا فى عهد نوح .

---

(١) إذ قالوا - كما روى الطبرى - « لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم ، فصوروهم » .

(٢) فى البخارى عن ابن عباس: « صارت الأوثان التى كانت فى قوم نوح فى العرب بعد . أما ود : فكانت لكلب بدومة الجندل ، وأما سواع : فكانت لهذيل، وأما يغوث: فكانت لمراد، ثم لبنى غطيف بالجُرُف عند سبأ. أما يعوق، فكانت لهمدان ، وأما نسر فكانت لحمير لآل ذى الكَلاَع ، وهى أسماء رجال صالحين من قوم نوح عليه السلام ، هذا ولم يعتقد مشركو العرب فى هؤلاء أنهم يخلقون أو يرزقون ، إذ كانوا يعتقدون أن الله هو الخالق الذى بيده ملكوت السموات والأرض وتدبر الآيات التى فى آخر « المؤمنون » نجد إيمانا من المشركين يروعك ، ورغم هذا دمغهم الله بالشرك؛ لأنهم كانوا يظنون أن أولياءهم أو أصنامهم - والتعبير فى واقعهم ومشاعرهم واحد - تقربهم إلى الله زلفى .

رفع عبد الرحمن الهجري المسلم

. . . .

وذكر ابنُ إسحاق أن كلب بن وَبْرة من قُضاعة . وَبْرَةُ بِسكون الباء تقيد فى نسخة الشيخ، وهى الأُنثى من الوَبْرِ(١) اتخذوا وَدًّا فى دُومَة الجَنْدَل، ودومة هذه ـ بضم الدال ـ ذكروا أنها سُمِّيَتْ بدُومى بن إسماعيل كان نزلها ، ودُومة أخرى بضم الدال عند الكوفة، ودَوْمة ـ بفتح الدال ـ أخرى مذكورة فى أخبار الرِّدة ، كذا وجدته للبكرى [فى مُعْجم ما استعجم] مقيدا فى أسماء هذه المواضع .

وذكر طيء بن أُدَد ، أو ابن مالك بن أُدَد على الخلاف، ومالك هو : مَذْحِج ، وسُمُّوا مَذْحِجا بأكمة نزلوا إليها .[وطَيٌّ] من الطاءة(٢) ، وهى البُعد الذهاب فى الأرض . قاله ابن جِنِّى، ولم يرض قول القُتَبِىّ إنه أول من طَوَى المناهل ، لأنّ طيئا مهموز(٣) ، وطَوَيْت غير مهموز .

وذكر جُرَش فى مَذْحِج . والمعروف أنهم فى حِمْير(٤) ، وأن مَذْحِج من كهلان بن سبأ ، ويقال : إن المُلْكَ كان لكهلانَ بعد حمير ، وأن ملكه

---

(١) دويبة على قدر السنور غبراء أو بيضاء حسنة العينين ، قيل إنها تدجن البيوت ، وقد ضبطت بفتح الباء فى الاشتقاق والأغانى وجمهرة ابن حزم وفرق بعضهم ، فقال : وبرة بسكون الباء اسم القبيلة وبفتحها في مزينة ، وستأتى .

(٢) فى الاشتقاق أنهم سموا بهذا باسم أكمة ولدت عليها أمهم ، ومذحج من الذحج وهو : الدلك ، والطاءة ـ كالطاعة ـ الإبعاد فى المرعى .

(٣) كذلك قال ابن دريد فى الاشتقاق فى روايته عن الكلبي ص ٣٨٠

(٤) هو كذلك فى الاشتقاق فقد جعلهم من حمير ، وكذلك فى ص ٤٠٩ من جمهرة ابن حزم فمذحج هو : مالك بن أد بن زيد بن يشحب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ فليس هو من نسل حمير .

. . . .

دام ثلثمائة سنة ، ثم عاد فى بنى حِمْير ، قاله المسعودى(١) . وذكر الدَّارَقُطْنِيُّ أن جُرَشَ وخُرَشَ بالخاء أخوان ، وأنهما ابنا عُلَيْمِ بن جَنَابِ الكلبى ، فهما قَبِيلان من كَلْب — والله أعلم .

وذكر مالك بن نَمَط الهَمْدانى [الخارِفِيّ] ، وهو . أبو ثور يلقب ذا المِشْعَار ، وهو من بنى خارف ، وقد قيل . إنه من يَامِ بن أصى ، وكلاهما من هَمْدان(٢) وقوله :

يَرِيشُ اللهُ فى الدنيا ويَبْرِى .

هو من رِشْتُ السهم وبَرَيْتُه ، استعير فى النفع والضر . قال سُوَيد .

فَرِشْنِى بخير طالما قَدْ بَرَيْتَنِى   وخيرُ الموالى مَنْ يريش ولا يَبْرِى(٣)

---

(١) انظر ص ٧٤ ج ٢ مروج الذهب .

(٢) فى المطبوعة : ذا المعشار وهو خطأ نقله أيضا ناشرو سيرة ابن هشام كما هو عن الروض . وقد صوبته من القاموس ، ومن الإصابة والاشتقاق . ذكر عنه القاموس أنه هاجر زمن عمر إلى الشام ، ومعه : أربعة آلاف عبد ، فأعتقهم ، فانتسبوا فى همدان . وفى الإصابة : قال أبو عمر : يقال فيه اليامى ، ويقال الخارفى وهو : الوافد ذو المشعار . والوافد : أى الذى وفد على النبى «ص» مع وفد همدان مرجع الرسول «ص» من تبوك ، وذكر ابن دريد فى الاشتقاق عن همدان : «ومن رجالهم : حمرة ذو المشعار بن أيفع ، كان شريفا فى الجاهلية ص ٤٢١ ، وفى المطبوعة : يام بن أصى ، وفى جمهرة ابن حزم ص ٣٧٠ « يام بن أصنى بن دافع بن مالك بن جشم » وفى الاشتقاق لابن دريد « ومنهم ـ أى من همدان ـ بنو أصْبَى » ص ٤٢٣ وفى نسب همدان اختلاف ، فى الاشتقاق غير ما فى الجمهرة لابن حزم ، وما فى الجمهرة غير ما هنا . انظر ص ٤٦٩ الاشتقاق ، ٣٦٩ الجمهرة ، وانظر نهاية الأرب ج ٢ : ٣٢٠

(٣) نسبه اللسان إلى حمير بن حباب « بتضعيف الباء » ورشت فلانا إذا قويته وأعنته على معاشه وأصلحت حاله . والبرى خلافه .

رفع المسهم

. . . .

وذكر حديث المِلْكانى وقوله :

فشَتَّتنا سَعْدٌ ، فلا نحنُ من سَعْد

ويمتنع فى العربية دخول لا على الابتداء المعرفة والخبر إلا مع تكرار : لا ، مثل : أن تقول : لا زيدٌ فى الدار ولا عَمْرو ، وذكر سيبويه قولهم : لا نَوْلُكَ أن تفعل(١) ، وقال : إنما جازَ هذا ؛ لأن معناه معنى الفعل ، أى : لا ينبغى لك أن تفعل ، وكذلك ينبغى أن يقال فى بيت المِلْكانى : أى : لم يقلها على جهة الخبر ، ولكن على قصد التَّبَرِّى منه ، فكان معنى الكلام : فلا نتولى سعداً ، ولا ندين به ، فهذا المعنى حَسَّن دخولَ لا على الابتداء كما حَسن : لا نَوْلُكَ .

وقوله : إلا صخرة بتَنُوفَة . التَّنُوفة : القَفْرُ(٢) ، وجمعها : تنائف بالهمز ، ووزنها : فَعُولة ، ولو كانت تَفْعُلة من النَّوْف ، وهو الارتفاع لجمعت تناوف ، ولكنه لايجوز أن تكون تفعلة إلَّا أنْ تُحرِّكَ الواو بالضم؛ لئلا يشبه بناء الفعل،

---

(١) ومثلها : نوالك ومنوالك ، وقد قال سيبويه : أما نول : فتقول : نولك أن تفعل كذا ، أى ينبغى لك فعل كذا . وفى الصحاح : أى حقك أن تفعل كذا . وإذا قال : لانولك ، فكأنه يقول : أقصر ، ولكنه صار فيه معنى : ينبغى لك ، وقال فى موضع : لانولك أن تفعل ، جعلوه بدلا من : ينبغى معا قباله ، قال أبو الحسن : ولذلك وقعت المعرفة هنا غير مكررة . وقالوا : ما نولك أن تفعل كذا أى : ما ينبغى لك أن تناله . روى الأزهرى عن أبى العباس أنه قال فى قولهم : للرجل : ما كان نولك أن تفعل كذا قال : النول من النوال يقول : ما كان فعلك هذا حظا لك « اللسان » .

(٢) ولها معان أخر . وقد جعلها اللسان فى مادة تنف .

رفع
المسـ هم
عز الله لطالب العلم

. . . .

ولو قيل فيها : تُنُوفة بضم التاء لاحتمل حينئذ أن تكون فعوله أو تُفعُله على مثال تنفلة ؛ إذ ليس فى الأفعال تُفعل بالضم ، وهذا من دقيق علم التصريف .

وأما مِلْكان بن كِنانة فبكسر الميم . قال أبو جعفر بن حبيب النَّسَّابة : كل شىء فى العرب فهو مِلْكان بكسر الميم ساكن اللام ، غير مَلَكان فى قضاعة، ومَلَكان فى السَّكُون ، فإنهما بفتح الميم واللام فمَلَكَانُ قضاعة هو : ابن جَرْم بن رَبَّان بن حُلوان بن عمران بن الحاف بن قُضاعة ، ومَلَكان السَّكُونِ هو : ابن عباد بن عِياض بن عُقْبة بن السَّكُون بن أشرس من كندة ، وكذلك قال الهمدانى فى مَلَكَان بن جَرْم ، وقال : مثل غَطَفَان ، وقال ابن حبيب: مشايخ خزاعة يقولون: مَلَكان بفتح اللام: قال أبو الوليد يعنى ابن حبيب : ملكان بن أفْصى بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ، وذكر أبو على القالى فى أماليه عن أبى بكر بن الأنبارى، عن أبيه، عن أشياخه : أن كل ملكان فى العرب فهو مِلكان بكسر الميم إلا مَلَكَان فى جَرْم بن رَبَّان(١) .

قال المؤلف : وابن حبيب النسَّابة مصروفٌ اسم أبيه ، ورأيت لابن

---

(١) فى اللسان عن ابن الأنبارى عن شيوخه : « كل مافى العرب ملكان » بكسر الميم وسكون اللام » إلا ملكان » بفتح فسكون » بن حزم بن زَبَّان ، فإنه بفتحها » ، وكذلك فى أمالى القالى ص ٩٠ ج ٤ « حزم بن زبان ، وفى ص ٢٠٩ ج ٣ جَرْم بن رَبَّان ، وفى القاموس : « وملكان بالكسر أو بالتحريك جبل بالطائف، وملكان محركة ابن جرم، وابن عباد فى قضاعة ، ومن سواهما فى العرب فبالكسر » وجرم بن ربان بفتح الجيم وسكون الراء وربان بفتح الراء وتضعيف الباء فى جمهرة بن حزم ص ٤٤١ وكذلك هو فى الاشتقاق [illegible]

رفع المساهم

. . . .

المغربى قال : إنما هو ابن حَبِيبَ بفتح الباء غير مجرى ، لأنها أمه ، وأنكر ذلك عليه غيره، وقالوا : هو حبيب بن المُحَبَّر معروف غير منكر ، وإنما ذكرناه هاهنا لما حكينا قوله فى ما كان .

فصل : وذكر إسافاً ونائلة ، وأنهما رجل وامرأة من جرهم ، وأن إسافاً وقع عليها فى الكعبة فمسخا(١)، وأخرجه رزين فى فضائل مكة عن بعض السلف : ما أمهلهما الله إلى أن يفجرا فيها ، ولكنه قَبَّلها، فمسخا حجرين ، فأُخْرجا إلى الصفا والمروة ، فنصبا عليهما، ليكونا عبرةً وموعظة ، فلما كان عَمْرو بن لُحَىّ نقلهما إلى الكعبة ، ونصبهما على زَمْزَم ، فطاف الناس بالكعبة وبهما ، حتى عُبدا من دون الله .

وأما هُبَلُ فإن عَمْرو بن لُحَىّ جاء به من هِيت(٢)، وهى من أرض الجزيرة حتى وضعه فى الكعبة . وذكر الواقدى أن نائلة حين كسرها النبىُّ — صلى الله

(١) ذكر المسعودى رأيا يطمئن إليه القلب الذى لم يجد نصا صريحا منقولا عن معصوم ، والرأى هو أن إسافا ونائلة حجران نحتا ومثلا بالفاجرين إساف ونائلة ص ٥٠ ج ٢ مروج الذهب . هذا وقد ورد فى حديث رواه الخمسة أن الأنصار كانوا يهلون لأساف ونائلة، وأنهما كانا على شاطىء البحر ، فلما جاء الإسلام كره الأنصار الطواف بين الصفا والمروة . فنزل قوله تعالى : « إن الصفا والمروة من شعائر الله» لكن ورد فى حديث بلفظ البخارى أنهم كانوا يهلون لمناة الطاغية التى كانوا يعبدونها عند المشلل

(٢) سميت باسم بانيها هيت بن البندى ، وهى بلدة على الفرات فوق الأنبار على جهة البرية غربى الفرات .

. . . .

عليه وسلم — عام الفتح خرجت منها سوداء شمطاء تخمش(١) وجهها ، وتنادى بالويل والثبور ، وذكر باقى الحديث .

وقول عائشة : أحدثنا فى الكعبة ، أرادت الحدث الذى هو الفجور كما قال — عليه السلام — : من أحدث [فيها] حدثا ، أو آوى محدثا ، فعليه لعنة الله(٢) [والملائكة والناس أجمعين] . وقال عمر حين كانت الزلزلة بالمدينة : أحدثتم . والله لئن عادت لأخرجن من بين أظهركم .

وقول أبى طالب : من إساف ونائل ، هو ترخيم فى غير النداء للضرورة ، كما قال : أمال بن حنظل(٣) .

وذكر قول الشاعر :

رأى قدعا فى عينها . والقدع : ضعف البصر من إدمان النظر

---

(١) هى من باب ضرب ونصر .

(٢) متفق عليه ، والحديث عن المدينة ، والزيادة من كتب الحديث .

(٣) هو جزء من شواهد بيت من سيبويه فى كتابه تحت باب « هذا باب يكون فيه الاسم بعد ما يحذف منه الهاء بمنزلة اسم يتصرف فى الكلام لم تكن فيه هاء قط » . ثم قال : وقال الأسود بن يعفر تصديقا لهذه اللغة .

ألا هل لهذا الدهر من متعلل   عن الناس مهما شاء بالناس يفعل

ثم قال :

وهذا ردائى عنده يستعيره   ليسلبنى نفسى أمال بن حنظل

ذلك ، لأن الترخيم يجوز فى الشعر فى غير النداء ، فلما رخم جعل الاسم بمنزلة اسم ليست فيه هاء « ص ٣٣٢ ط ١ الكتاب لسيبويه »

رفع المسهم

« ذو الْخَلَصَةِ وفلس ورضاء وذو الكعبات » .

قال ابن إسحاق : وكان ذو الخَلَصَة لدَوْس وخَثْعم وَبَجِيلة ، ومن كان ببلادهم من العرب بتَبَالة .

قال ابن هشام : ويقال : ذو الخُلُصة . قال : رجل من العرب :

لو كنتَ ياذا الخَلَص المَوْتورا مِثْلى وكان شيْخُك المَقْبُورا
لم تَنْهَ عن قَتْل العُداة زُورَا

قال : وكان أبوه قُتِل ، فأراد الطلبَ بثأره ، فأتى ذا الخَلَصَة ، فاستَقْسَم عنده بالأزلام ، فخرج السهم بنَهْيه عن ذلك ، فقال هذه الأبيات . ومن الناس من يَنْحَلُهَا امرأ القيس بنَ حُجْر الكِندىّ ، فبعث إليه رسول الله — صلى الله عليه وسلم — جريرَ بن عبد الله البَجَلِىّ ، فهدمه .

وقوله فى الغَبْغَب : وهو المَنْحَر(١) ومراق الدم ، كأنه سُمّى بحكاية

---

(١) قيل : كان لمعتب بن قيس بيت كانوا يحجون إليه ، يقال له الغبغب ، أو هو الموضع الذى كان ينحر فيه اللات والعزى بالطائف ، وخزانة مايهدى إليهما به ، وهو بيت كان لمناف ، وهو صنم كان مستقبل الركن الأسود .

وكان له غبغبان ، والغبغب : حجر ينصب بين يدى الصنم يذبح بينهما الذبائح « مراصد » وبيتا أبى خراش فى الأصنام لابن الكلبى ص٢٠ ط ١ وفيه : لحى وقذع ، و : فوضّع بدلا من : رأس ، وقدع : فوسع . والذى من بنى غنم هو : غنم بن فراس من كنانة ، وفى الفائق للزمخشرى أن القدع هوا نسلاق العين من كثرة البكاء . وفى الفائق : فتصَّف بدلا من : فوسع . انظر ص ٢٠ ط ١ الأصنام لابن الكلبى .

قال ابن إسحاق : وكانت فُلْس لِطَيِّء ومَن يليها بجَبَلَى طَيِّء ، يعنى سَلمى وأجأ .

قال ابن هشام : فحدثنى بعض أهل العلم أنّ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعث إليها علىّ بن أبى طالب فهدمها ، فوجد فيها سَيْفَيْن ، يقال لأحدهما : الرَّسوب ، وللآخر : المِخْذَم . فأتى بهما رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فوَهبهما له ، فهما سَيْفا علىّ رضى الله عنه .

قال ابن إسحاق : وكان لِحِمْيَر وأهلِ اليمن بيتٌ بصنعاء يقال له : رئام .

قال ابن هشام : قد ذكرت حديثَه فيما مضى .

« رُضاء والمستوغر »

قال ابن إسحاق : وكانت رُضاء بيتا لبنى رَبيعة بن كَعْب بن سَعْد بن زيد مناة بن تميم ، ولها يقول الْمُسْتَوْغِرُ بن ربيعة بن كَعْب بن سَعْد حين هدمها فى الإسلام .

ولقد شددتُ على رُضاء شَدّةً فتركتُها قَفراً بقاع أسْحما

قال ابن هشام : قوله :

فتركتها قَفْرًا بقاع أسْحَما

عن رجل من بنى سَعْد .

ويقال : إن الْمُسْتَوْغِر عُمِّر ثلثمائة سنة وثلاثين سنة ، وكان أطول مُضَر كلِّهَا عمرا ، وهو الذى يقول :

ولقد سئِمْتُ من الحياة وطُولِها وعَمِرْتُ من عَدد السنين مِئِينا

صوتِ الدم عندانبعاثه ، ويجوز أن يكون مقلوباً من قولهم : بئر بُغْبُغٌ و بُغَيْبِغٌ

مِائةٌ حدَتْها بعدها مِئتَان لى ... وازْدَدْتُ من عدد الشهور سنينا

هل ما بَقِى إلا كما قَدْ فاتنا ... يومٌ يَمُرّ ، وليلةٌ تحْدُونا

وبعض النّاس يَرْوِى هذه الأبياتَ لزُهَير بن جَناب الكَلْبى

قال ابن إسحاق : وكان ذو الكَعَبات لبكر وتَغْلب ابنى وائل وإياد بِسَنْدَاد ، وله يقول أعشى بنى قَيْس بن ثَعْلبة :

بَيْنَ الخَوَرْنَق والسّدير وبارقٍ ... والبيتِ ذى الكَعَبات من سَنْدادِ

قال ابن هشام : وهذا البيت للأَسْوَد بن يَعْفُر النَّهشلى : نهشل بن دارم بن مالك بن حَنْظلة بن مالك بن زَيْد مناة بن تَميم فى قصيدة له ، وأنشدنيه أبو مُحْرِزٍ خلَفُ الأحمر .

أهْل الخَوَرْنَق والسَّدِير وبارقٍ ... والبيتِ ذى الشُّرُفات مِنْ سَنْداد

أمر البحيرة والسائبة والوصيلة والحامى

قال ابن إسحاق : فأمّا البَحيرة فهى بنت السّائبة ، والسّائبة : النّاقة إذا تابعت بين عَشْر إناثٍ ليس بينهنّ ذَكَر ، سُيِّبَتْ فلم يُرْكَب ظهرُها ، ولم يُجزّ وَبَرُهَا ، ولم يَشْرَب لبنَها إلا ضيفٌ ، فما نتجت بعد ذلك من أنثى شُقّت أذُنها ، ثم خُلِّى سبيلُها مع أمِّها ، فلم يُرْكَب ظَهْرُهَا ، ولم يُجَزّ وَبَرُهَا ، ولم يَشْرب لبَنَها إلا ضيفٌ ، كما فُعِلَ بأمِّها ، فهى البَحِيرة بنت السائبة . والوَصِيلة :

إذا كانت كثيرة الماء . قال الراجز : بُغَيْبِغٌ قصيرةُ الرِشاء . ومنه قيل لعين أبى نَيْزَر : البُغَيْبِغَةُ . ومعنى هذا البيت : الذّمّ وتشبيهُ هذا المَهْجُوِّ برأسِ بقرةٍ قد قربت أن يذهب بصرُها ، فلا تصلح إلا للذبح والقسم .

الشاةُ إذا أتأمَتْ عَشْرَ إناثٍ مُتتابعات فى خَمْسة أبْطُن ، ليس بينهن ذَكَرٌ ، جُعلت وَصِيلةً . قالوا : قد وَصَلَتْ ، فكان ما وَلَدَتْ بعد ذلك للذكور منهم دون إناثهم ، إلا أن يموت منها شىء ، فيشتركوا فى أكله ، ذكورُهم وإناثُهم .

قال ابن هشام : ويروى : فكان ما ولدت بعد ذلك لذكور بنيهم دون بناتهم

قال ابن إسحاق : والحامى : الفَحْلُ إذا نُتِجَ له عَشْرُ إناث مُتتابعات ليس بينهن ذَكَرٌ ، حُمِىَ ظَهْرُه فلم يُرْكَب ، ولم يُجَزَّ وَبَرُه ، وخُلِّى فى إبله يَضْرِب فيها ، لا يُنتفَع منه بغير ذلك .

قال ابن هشام : وهذا عند العرب على غير هذا إلا الحامى ، فإنه عندهم على ما قال ابن إسحاق . فالبحيرةُ عندهم : الناقةُ تُشَقُّ أذُنُها فلا يُركب ظهرُها ، ولا يُجزّ وَبَرُها ، ولا يَشرب لبنَها إلا ضيفٌ ، أو يُتصدَّق به ، وتُهمَل لآلهتهم ، والسائبة : التى يَنذِرُ الرجل أن يُسيِّبها إن بَرِىء من مرضه أو إن أصاب أمراً يطلُبه . فإذا كان أساب ناقة من إبله ، أو جملا لبعض آلهتهم ، فسابت فرَعَتْ لا يُنتفع بها . والوَصِيلة : التى تَلِد أمُّها اثنين فى كل بطن ، فيَجعل صاحبُها لآلهته الإناث منها ، ولنفسه الذكور منها : فتلدُها أمها ومعها ذكر فى بطن ، فيقولون : وَصَلت أخاها ؛ فيُسيَّب أخوها معها ، فلا يُنتفع به .

قال ابن هشام : حدثنى به يونس بن حبيب النحوى وغيرُه . روى بعضٌ مالم يرْو بعض .

. . . .

رفع المسهم

قال ابن إسحاق : فلما بعث الله تبارك وتعالى رسوله محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنزل عليه : ﴿ مَا جَعَلَ اللهُ مِنْ بَحِيرَةٍ ، وَلاَ سَائِبَةٍ ، وَلاَ وَصِيلَةٍ ، وَلاَ حَامٍ ، وَلَـٰكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ ، وَأَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ ﴾ [المائدة . ١٠٣] . وأنزل الله تعالى : (وَقَالُوا : مَا فِي بُطُونِ هَـٰذِهِ الأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا ، وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا ، وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ ، سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ، إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام : ١٣٩] . وأنزل عليه : ﴿ قُلْ : أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَاما وَحَلاَلاً ، قُلْ : آللهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللهِ تَفْتَرُونَ ﴾ . [يونس . ٥٩] وأنزل عليه : [ومن الأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشاً كلوا مما رزقكم اللهُ ، ولا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشيطان إنه لكم عَدُوٌّ مُبِينٌ] ، ثمانيةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ ، وَمِنَ الْمَعْزِ اثنين . قُلْ : آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ ، أَمِ الأُنْثَيَيْنِ ، أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيهِ أَرْحَامُ الأُنْثَيَيْنِ ، نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ، وَمِنَ الإِبِلِ اثْنَيْنِ ، وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ : آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنْثَيَيْنِ ، أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنْثَيَيْنِ ، أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللهُ بِهَـٰذَا ، فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنعام . ١٤٢ — ١٤٤] .

قال ابن هشام : قال الشاعر :

حَوْلَ الوصائلِ في شُرَيفٍ حِقَّةٌ والحامياتُ ظُهورَها والسُّيَّبُ

رفع
المسهم
غفر الله له ولوالديه

وقال تميم بن أُبَى بن مُقْبل أحد بنى عامر بن صَعْصَعَة :

فيه من الأَخْرَج ِ المِرْبَاعِ قَرْقَرَةٌ   هَدْرَ الدِّيَافِىِّ وسْط الهَجْمة البُحُرِ

وهذا البيت فى قصيدة له . وجمع بحيرة : بحائر وبُحُرٌ . وجمع وصيلة : وصائل ووصل . وجمع سائبة الأكثر : سوائب وسُيَّب ، وجمع حام الأكثر: حوام.

وذكر قلساً(١) فى بلاد طيىء بين أجأ وسَلْمَى . ويذكر عن ابن الكلبي

---

(١) هى فى الأصول: فلس بالفاء مع كسرها . وفى المراصد بضم الفاء واللام وبعضهم ضبطها بفتح الفاء وسكون اللام ، وبعضهم ضبطها بضم الفاء وسكون اللام ، وقصة أجأ وسلمى فى معجم البكرى نقلا عن القالى ، وفيه أن أجأ هرب بصديقته سلمى ومعهما امرأة أخرى كانت هى الوسيلة بينهما اسمها : العوجاء . فلحق بهم زوج سلمى ، وصلب كلا منهم على جبل ، فسمى به ص ١١٠ ، وفى الأصل : العرجاء ، وهو خطأ صوبته من معجم البكرى والمراصد، أما العرجاء ، فهى ذو العرجاء أكمة كأنها مائلة بأرض مزينة، وعن اشتقاق طيىء الذى تكلم عنه السهيلى نذكر ماورد فى شرح أدب الكاتب لأبى منصور موهوب بن أحمد الجواليقى ، وهو يشرح قول ابن قتيبة : « وروى نقلة الأخبار أن طيئا أول من طوى المناهل ، فسمى بذلك ، واسمه : جَلْهَمَة » وقد ورد قول ابن قتيبة فى ص ٨٢ من كتابه أدب الكاتب ط مصطفى محمد . قال الجواليقى : « هذا قول ابن الكلبى ؛ ونسبوا إلى طيىء بيتا قد روى لغيره ، وهو :

فإن الماءَ ماءُ أبى وجدى   وبئرى ذو حَفَرْتُ وذو طويت

وطويت لاهمز فيه ، وقد يجوز أن يقال : لما اجتمعت الياءات فروا إلى الهمز ، وذلك أنهم إذا بنوا فيعلا من طوى اجتمعت ثلاث ياءات ، إحداها : الواو المنقلبة عن الياء ،فليس همزهم فى هذا الموضع أبعد من سيد إذا قالوا : سيايد، ثم نقل أن بعض أهل اللغة قال: إنها مأخوذه من طاء فى الأرض إذا ذهب أو من طاءه وهو الماء =

رفع المسهم عبد الله البطاح

. . . .

أو غيره أن أجأ اسمُ رجلٍ بعينه ، وهو : أجأُ بن عبد الحى، وكان فَجَرَ بسَلْمَى بنت حامٍ ، أو اتُّهِم بذلك ، فَصُلِبا فى ذَيْنِك الجَبَلَين، وعندهما جبل يقال له : العَوْجاء ، وكانت العَوْجاء حاضِنة سلمى — فيما ذكر — وكانت السفيرَ بينها وبين أجأ ، فَصُلِبت فى الجبل الثالث ، فسمى بها .

وذكر ذا الخَلَصَةِ ، وهو بيت دوسٍ . والخَلَصُ فى اللغة : نبات طيبُ الريح يتعلق بالشجر ، له حَبٌّ كعنب الثعلب . وجَمْعُ الخَلَصَةِ(١) : خَلَصٌ . وأن الذى استَقْسَم بالأَزلامِ هو : امْرُؤُ القَيْسِ بن حُجْر . ووقع فى كتابِ أبى الفرج أن امرأ القيس بن حُجْر حين وَتَرَتْهُ بنو أسَد بقتل أبيه استَقْسَم عند ذى الخَلَصَةِ بثلاثة أزلامٍ(٢) ، وهى : الزاجر والآمر والمُتَرَبِّص، فخرج له الزاجرُ ، فَسَبَّ الصنمَ ، ورماه بالحجارة ، وقال له : اعْضُضْ بِبَظْرِ أُمِّك ،

= والطين المختلط ، لأن أرض طىء أرض مياه وطيئة ، ويرى المبرد أنها من طاء يطاء إذا ذهب فى الأرض ، فهو فيعل من هذا ، لأنهم استقلوا عن منازلهم التى كانوا بها وأرضهم إلى أرضين أخر » ص ١٧٣ .

(١) هى بفتح الخاء واللام وبضمهما .

(٢) الاستقسام : طلبُ ماهو مقسوم للانسان . والأزلام : جمع زُلَم بضم وفتح،أوزلم بفتحهما معا ، وهوالقدح بكسر القاف، أو السهم من سهام الاستقسام وسميت أزلاما لأنها سويت ، فهى عيدان تسوى . وفى عددها خلاف كبير ، وكذلك فيما كانوا يكتبونه عليها . والذى يهمنا أن نعرفه هو أنهم كانوا يحاولون بها التوصل إلى معرفه الغيوب فى زعمهم.وفى الأصل : المريض بدلامن المتربص وهو خطأ .

رفع
المسهم
عز الله إلى الله

. . . .

وقال الرَّجِزَ الذي ذكره ابن إسحاق : لو كنت ياذا الخَلَصِ المَوْتورا . إلى آخره ، ولم يَسْتَقْسِمْ أحدٌ عند ذى الخَلَصَةِ بعدُ حتى جاء الإسلام ، وموضعُه اليومَ مسجدٌ جامعٌ لبلدةٍ يُقال لها : العَبلات (١) من أرض خَثْعَم . ذكره المبرد عن أبى عُبَيْدَةَ . واسمُ امْرِىءِ القيس : حُنْدُج ، والحُنْدُجُ : بَقْلَة تنبت فى الرمل . والقَيْسُ : الشِّدَّةُ والنَّجْدَةُ . قال الشاعر :

وأنت على الأعداءِ قَيْسٌ ونَجْدَةٌ   وأنت على الأدنى هِشامٌ وَنَوْفَلُ (٢)

والنَّسَبُ إليه ، مَرْقَسِيٌّ ، وإلى كل امرىء القيس سواه : امْرِئِيٌّ (٣)

---

(١) فى الأصنام لابن الكلبى « وذو الخلصة اليوم عتبة باب مسجد تَبالة بفتح التاء والباء . وكان ذو الخلصة مروة بيضاء منقوش عليها كهيئة التاج وتبالة بين مكة واليمن على مسيرة سبع ليال من مكة . هذا ويستحي من ذكر معنى : اعضض الخ !

(٢) حندج أيضا : الكثيب من الرمل الصغير ، فإن كانت النون زائده فهو من الحدج «بفتح الحاء وسكون الدال» من حدجته بعينى إذا لحظته ، وحدجت البعير أحدجه بكسر الدال — إذا طرحت عليه الحدج — بكسر الحاء وسكون الدال وهو مركب من مراكب النساء «انظر الاشتقاق» وهشام : الجود ، والنوفل : البحر والعطية . وفى سمط اللآلى وردت الشطرة الثانية بروايتين . الأولى : وللطارق العافى ربيع وجدول . أو : وللطارق العافى هشام ونوفل ، وقال البكرى بعدهما : قيس ونجدة على هذه الرواية : رجلان مذمومان . وهشام ونوفل : رجلان محمودان . ص ٣٨ ج ١ .

(٣) النسب إلى المركب — كما قال أبو حيان فى الارتشاف — يكون إلى صدره ، ولكن أجاز الجرمى النسب إلى الجزء الثانى مقتصرا عليه ، فنقول : بكى « بفتح الباء وتضعيف الكاف مع كسرها » فى بعلبك ، أما على رأى أبى حيان =

رفع المسهم

. . . .

وقد قيل : إن حُنْدُجًا اسمُ امرىء القيس بن عابِس ، وله صُحْبَةٌ ، وهو كِنْدِيٌّ مثل الأول ، فوقع الغلط من هُهُنا .

وقوله : لم تَنْهَ عن قَتْلِ العُداة زُورا . نصب : زورًا على الحال من المصدر الذى هو النَّهْىُ . أراد : نَهْيًا زُوراً . وانتصابُ المصدر على هذه الصورة إنما هو حال ، أو مفعول مطلق ، فإذا حذفت المصدر ، وأقمت الصفة مقامه ، لم تكن إلا حالاً ، والدليل على ذلك أنك تقول : ساروا شديداً ، وساروا رُوَيْداً ، فإن رددته إلى مالم يُسَمَّ فاعلُه لم يجز رفعه ؛ لأنه حال ، ولو لفظت بالمصدر ، فقلت : ساروا سيراً رُوَيْدا لجاز أن تقول فيما لم يُسَمَّ فاعلُه : سِير عليه سَيْرٌ رُوَيْدٌ هذا كله معنى قول سيبويه ، فدل على أن حُكْمَهُ إذا لُفظ به غيرُ حُكمه إذا حُذف ، والسر فى ذلك أن الصفة لاتقوم مقامَ المفعول إذا حذف . لا تقول : كلَّمتُ شديدا ، ولا ضربت طويلا ، يقبُح ذلك إذا كانت الصفةُ عامةً ، والحالُ ليست كذلك ؛ لأنها تجرى مجرى الظرف ، وإن كانت صفةً فموصوفُها معها ، وهو الاسم الذى هى حالٌ له ، ومن هذا الباب قوله تعالى : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا ﴾ [المؤمنون : ١١٥] .

وذكر بعثَ جرير البَجَلِىِّ إلى هدم ذى الخَلَصَة ، وذلك قبل وفاة النبى — صلى الله عليه وسلم — بشهرين أو نحوهما ، قال جرير : بعثنى رسولُ الله

═ فتقول: بعلى . أما غير الجرمى ، فلا يجيز هذا إلا منسوبا إليهما قياسا على رامية هرمزية ، نسبة إلى رَامَهُرْمُز مدينة مشهورة بنواحى خوزستان . أو يقتصر على الأول، وقد جعل العرب النسب هكذا إلى امرىء القيس تمييزا له عن غيره ممن سموا بامرىء القيس .

رفع المستهم

. . . .

ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى مائة وخمسين راكباً من أحْمَسَ إلى ذى الخَلَصَة ، فقلت : يارسولَ الله إنى لا أثْبُتُ على الخيل ، فدعا لى ، وقال : « اللهم ثَبِّتْهُ واجعله هادياً مَهْدِياً » وفى كتاب مسلم فى هذا الحديث : « وكان يقال له : الكعبة اليمانِيَةُ والشَّآمِيَةُ(١) » ، وهذا مشكل ، ومعناه : كان يقال : الكعبة اليمانِيَة والشَّآمِيَةُ يعنون بالشآمية : البيت الحرام ، فزيادة له سَهْوٌ ، وبإسقاطه يصحُّ المعنى . قاله بعض المحدثين (٢) والحديث فى جامع البخارى بزيادة : له كما فى صحيح مسلم ، وليس هذا عندى بسَهْو ، وإنما معناه كان يقال له : أى يقال من أجله الكعبةُ الشَّآمية للكعبة ، وهو الكَعْبَةُ اليمَانِيَة ، وله بمعنى من أجله لا تُنْكَرُ ، كما قال ابن أبى ربيعة :

وقُمَيْرٌ مِنْ آخرِ الليلِ قدلا ... حَ ، له قالت الفتاتان قُوما

وذو الخُلُصة بضم الخاء واللام فى قول ابن إسحاق ، وبفتحهما فى قول ابن هشام ، وهو صنم سَيُعْبَد فى آخر الزمان ، ثبت فى الحديث أنه : « لا تقومُ الساعة حتى تَصْطَفِقَ أَلَيَاتُ نساءِ دَوْسٍ وخَثْعَم حول ذى الخَلَصَة »(٣) .

---

(١) هى فى البخارى : أو الشآمية . وفى مسلم رواية أخرى : « كان يدعى كعبة اليمانية » فقط ، والحديث رواه الشيخان والترمذى .

(٢) وقال الكرمانى : الضمير فى له : راجع إلى البيت ، والمراد : بيت الصنم يعنى : كان يقال لبيت الصنم الكعبة اليمانية والكعبة الشامية ، فلا غلط ، ولا حاجة إلى التأويل بالعدول عن الظاهر .

(٣) يشير إلى الحديث الذى رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة « لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس حول ذى الخلصة » وذو الخلصة طاغية دوس التى كانوا يعبدون فى الجاهلية : أى حتى يرتدوا عن دينهم ، ويطوفوا حول الصنم وتضطرب أعجاز نسائهم فى الطواف .

رفع المسهم

. . . .

فصل . وذكر الْمُسْتَوْغِرَ بن ربيعة ، واسمه : كَعْبٌ . قال ابن دُرَيْدٍ : سُمِّيَ مُسْتَوْغِرًا بقوله :

يَنِشُّ الماء في الرَّبَلات منه نَشِيشَ الرَّضْف في اللَّبَنِ الْوَغِيرِ (١)

والْوَغير : فعيل من وَغْرَةِ الحر وهي شدته ؛ وذكر الْقُتَبِي أن الْمُسْتَوْغِرَ حضر سوق عكاظ ، ومعه ابن ابنه ، وقد هَرِم ، والجَدُّ يقوده ، فقال له رجل : ارفُق بهذا الشيخ ، فقد طال ما رَفق بك ، فقال : ومن تراه ؟ فقال : هو أبوك أو جدك ، فقال : ما هو إلا ابن ابني ، فقال : ما رأيت كاليوم ! ولا المستوغر ابن ربيعة ! فقال : أنا المستوغر . والأبيات التي أنشد هاله :

ولقد سَئِمْتُ من الحياة وطُولها وَعَمِرْتُ من عدد السنين مِئِينَا

إلى آخره . ذكر أنها تُروى لِزُهَيْرِ بن جَنَابٍ الْكَلْبِيِّ ، وهو زُهَيْرُ بن جَنَاب بن هُبَل بن عبد الله بن كنانة بن بَكْر بن عَوْف بن عُذْرَةِ بن زَيد اللَّات بن رُفَيدة بن ثَوْر بن كَلْب بن وَبْرَة . وزُهَير هذا من الْمُعَمَّرِين (٢) ، وهو الذى يقول :

---

(١) البيت فى الأصنام لابن الكلبي ص ٣٠ وفى القاموس واللسان وأمالي المرتضى وفيها جميعا : منها بدل : منه ، والربلات واحدها : رَبْلة بفتح الراء وسكون الباء ، أو فتحهما : كل لحمة غليظة ، والنشيش : صوت الماء وغيره إذا غلى ، والرضف : الحجارة المحماة ، والوغير : ابن يلقى فيه حجارة محماة ، ثم يشرب ، أخذ من وغرة الظهيرة ، ومنه الوغرة أشد مايكون من الحر . ومنه : وغر صدر فلان إذا التهب من غيظ أو حقد .

(٢) قيل إنه عاش عشرين ومائتى سنة . وفى هذا يقول :

لقد عمرت حـتى ما أبالى أحتفى فى صباح أم مساء =

. . . .

أبُنَيَّ إن أَهْلِكْ فإنى ... قد بَنَيْتُ لكم بَنِيَّه
وتركتُكم أولادَ ساداتٍ زِنادُهُم وَرِيَّه
مِنْ كُلِّ ما نال الفتى ... قد نِلْتُهُ إلا التَّحيَّه(١)

يريد بالتحية : البقاء ، وقيل :المُلْكُ ، وأعقب هو وإخوته قبائل فى كَلْب

= وحق لمن أتت مائتان عاما ... عليه أن يمل من الثّواء

ومن قوله :

ليت شعرى والدهر ذو حدثان ... أى حين منيتى تلقانى
أسُبَاتٌ على الفراش خُفَاتٌ ... أم بكفَّىْ مُسفجٍّع حرَّانِ

وكان زهير على عهد كليب ، ولم يكن فى العرب أنطق منه ولا أوجه منه عند الملوك . وفى اللسان أنه سيد كلب فى زمانه .

(١) رواها المرتضى فى أماليه هكذا :

وتركتكم أرباب ساداتٍ زِنادُكُم وَرِيَّه

ثم :

فلقد رحلتُ البازلَ الكوْماءَ ليس لها وَلِيَّه
وخطبت خُطْبةَ حازم غير الضعيف ولا العَيِيَّة
فالموت خير للفتى فَلْيَهْلِكَنْ وبه بقية
من أن يرى الشيخ البجا لُ إذا يُهادَى فى العشيه

ومنها فى اللسان ثلاثة أبيات أخرى فى مادة : بجل: الزناد : جمع زند وزندة وهما عودان يقدح بهما النار ، فى أحدهما فروض « جمع فرضة : حز فى الزند » وهى الأنثى . والذى يقدح بطرفه هو الذكر ، ويسمى: الزند الأب . والأخرى : الأم . وكنى بزنادكم ورية عن بلوغهم مآربهم ، والبازل : الناقة بلغت تسع سنين ، ولفظ البازل فى الناقة والجمل سواء ، والكوماء . العظيمة السنام . والولية : البرذعة تطرح على ظهر البعير تلى جلده . والبجال : الذى يبجله قومه .ويهادى بالعشية :أى بماشيه الرجال ، فيسندونه لضعفه . انظر أمالى المرتضى ج ١ ص ١٧٠ ومابعدها.

رفع المسهم

وهم : زُهَيرٌ وعَدِىٌّ وحارثةُ ومالكٌ ، ويعرف مالك هذا بالأصمّ لقوله :

أَصَمُّ عن الخنا إن قيل يوماً   وفى غير الخنا ألفَى سَمِيعا(١)

وأخوه : حارثة بن جَناب، وعُلَيم بن جَناب،ومن بنى عُلَيم : بنو زَيْدَ غير مصروفٍ .عرِفُوا بأمهم: زَيْد بنت مالك، وهم: بنو كعب بن عُلَيمٍ منهم: الرَّباب بنت امرىء القيس(٢) امرأة الحسين بن على ، وفيها يقول :

أحِبُّ لحُبِّها زَيْدا جميعا   وَنَتْلَة كلَّها ، وبنى الرَّبابِ

وأخرى لانَّها من آلِ لأم   أحبهم وطُرًّ بنى جَنابِ

فمن المعمرين من العرب سوى المُسْتوغر مما زادوا على المائتين والثلاثمائة: زهير هذا ، وعبيد بن شَرْيَة ، ودَغْفَل بن حَنْظَلَةَ النسَّابة ، والربيع بن ضبع الفَزَارِىُّ ، وذو الإصْبَع [حُرثان بن مُحَرِّثٍ] العَدْوَانىّ ، ونصر بن دُهمان بن أشجع بن رَيْث بن غطَفَان ، وكان قد اسْوَدَّ رأسُه بعدا بيضاضِه ، وتقوّم ظهرُه بعد انحنائه ، وفيه يقول القائل :

---

(١) الخنا : الفاحشة

(٢) هى أم ولديه: عبد الله الذى قتل صغيراً مع أبيه ،وسكينة .والرباب : أمها : هى بنت امرىء القيس بن عدى بن أوس بن جابر بن كعب بن عُليم بن جناب ص ٥٩ نسب قريش. وفيه البيت الآتى منسوبا إلى الحسين :

لعمرك إننى لأحب دارا   تضيفها سكينةُ والرَّباب

رفع المسلم

. . . .

لِنَصْرِ بنِ دُهْمانَ الهُنَيْدَةَ عاشَها ... وتسعين حَوْلاً ثم قُوِّمَ فانصاتا(١)

وعاد سوادُ الرأسِ بعد ابيضاضِهِ ... ولكنه من بعد ذلك قد ماتا

وأمره عند العرب من أعجب العجب، ومن أطول المُعَمَّرين عُمْرا: دُوَيْد، واسمه: زيد بن نَهْدٍ من قضاعة، وأبوه نَهْدٌ إليه ينسب الحى المعروفون من قضاعة: بنو نَهْد بن زيد(٢) عاش دُوَيدٌ أربعمائة عام — فيما ذكروا — وكان له آثار فى العرب، ووقائع وغارات، فلما جاء الموت قال:

اليوم يُبْنَى لدُوَيْدٍ بيتُه ... وَمَغْنَمٍ، يوم الوغَى حَويتُه

ومِعْصَمٍ مُوَشَّمٍ لويتُه ... لو كان للدهر بِلًى أبليته

أو كان قِرْنِى واحدا كَفَيْتُهُ

وقول المُسْتَوْغِرِ:

ولقد شَدَدْتُ على رُضَاءَ شَدَّةً ... فتركتُها قَفْرا بقاعٍ أسْحَما

يريد: تركتُها سَحْماءَ من آثار النار، وبعده:

وأعانَ عبدَ الله فى مكروهها ... وبمثل عبدِ الله أغْشَى المَحْرَما(٣)

---

(١) البيت فى اللسان لسلمة بن الخُرْشُب الأنمارى. وشطرته الأولى: ونصرُ بن دُهْمانَ الهُنَيدة عاشها: والهنيدة: اسم لكل مائه من الإبل. وقيل: هى المائتان. وانصات المنحنى: استوت قامته.

(٢) نهد بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة.

(٣) يسمِّيها ابن الكلبى: رُضًى بضم الراء، ويذكر عنه ما رواه ابن هشام وقد جاءت الشطرة الثانية من بيته الأول فى الأصنام «فتركتها تلاًّ تنازع أسحما»، ولا حاجة بهذا إلى تأويل السهيلى ووردت الشطرة الأولى من البيت الثانى =

ذكر ذا الكعبات بيت وائل، وأنشد للأسود بن يُعْفُر:

أرض الخَوَرْنَقِ والسَّدِير ودَارم ... والبيت ذى الشُّرُفَات من سِنْدَاد(١)

وَالْخَوَرْنَقُ: قصر بناه النعمان الأكبر ملك الحيرة لسابور، ليكون ولده فيه عنده؛ وبناه بنيانا عجيبا لم تر العرب مثله، واسم الذي بناه له: سِنِمَّار، وهو الذى رُدِّى من أعلاه، حتى قالت العرب: جزانى جزاء سِنِمَّار، وذلك أنه لما تمّ الْخَوَرْنَقُ، وعجب الناس من حُسنه، قال سِنِمَّار: أما والله لو شئت حين بنيته جعلته يدور مع الشمس، حيث دارت، فقال له الملك: أ إنك لتحسن أن تَبْنِىَ أجملَ من هذا؟ وغارت نفسُهُ أن يُبْتنى لغيره مثلُه، وأمر به فَطُرِح من أعلاه، وكان بناه فى عشرين سنة، قال الشاعر [عبد العُزَّى بن امرىء القيس الكَلْبِىّ].

جزانى جَـزاه الله شرَّ جزائه ... جزاء سِنِمَّارٍ، وما كان ذا ذنب

سوى رَصِّه البنيانَ عشرين حِجَّةً ... يُعَلِّ عليه بالقَرامِدِ والسَّكْب

فلما انتهى البنيان يوما تمامَه ... وآضَ كمثل الطَّوْدِ والباذخ الصَّعْب

[وظَنَّ سِنِمَّارٌ به كل حَبْوَةٍ ... وفاز لديه بالمودة والقُرْبِ]

رمى بِسِنِمَّار على حاقِ رأسه ... وذاك لَعَمْرُ الله من أقبح الخَطْب(٢)

= ودعوت عبد الله الخ، والشطرة الأخرى، ولمثل عبد الله يغشى المحرما، وهناك صنم أسود يسمَّى: أسحم. ويعفر بفتح الياء أو ضمها مع ضم الفاء، ٢٤ نوادر أبه زيد».

(١) البيت مخالف بعض المخالفة لما فى السيرة.

(٢) القصيدة لعبد العزى بن امرىء القيس الكلبى، ومنها فى الطبرى عشرة أبيات، ليس منها البيت الأخير. القراميد: مفرده: قرمد، وهو الآجر. والسكب: النحاس أو الرصاص، وآضَ الشىء: تحول. واقرأ قصته فى ص ٦٥ ج ٢ الطبرى طبع المعارف وص ١٢ ح ١ الحيوان للجاحظ والزيادة منه.

رفع عبد الرحمن الهاشمي

ذكر هذا الشعرَ الجاحظُ فى كتاب الحيوان ، والسِّنِمَّارُ من أسماء القمر ، وأول شعر الأسود : ذهب الرقاد فما أحس رقادى .

وفيها يقول :

ولقد عَمِرْتُ، وإن تطاول فى المَدَى   إن السبيل سبيل ذى الأعواد

قيل : يريد بالأعواد النعش ، وقيل : أراد عامر بن الظَّرِب الذى قُرعت له العصا بالعود من الهَرَمِ والخَرَفِ ، وفيها يقول :

ماذا أُؤَمِّلُ بعد آلِ مُحَرِّقٍ   تركوا منازلهم وبعد إياد

نزلوا بأنْقِرَةٍ يسيل عليهم   ماء الفرات يجىء من أطواد

أرض الخَوَرْنَقِ والسَّدير وبارق   والبيت ذى الكَعَبَاتِ من سِنْدَادِ

جَرت الرياحُ على محل ديارهم   فكأنما كانوا على ميعاد

وأرى النَّعِيمَ ، وكُلَّ ما يُلْهَى به   يوما يصيرُ إلى بِلًى ونفَادِ

ومعنى السَّدير بالفارسية : بَيت المُلك . يقولون له : « سِهْدِلِيّ » أى : له ثلاث شعب، وقال البكرى: سمى السَّدِيرَ: لأن الأعراب كانوا يرفعون أبصارهم إليه ، فتَسْدَر من عُلُوِّه ، يقال : سَدِرَ بصره إذا تحَيَّرَ .

البحيرة والسائبة :

فصل : وذكر البَحِيرَةَ والسائبة ، وفسر ذلك ، وفسره ابنُ هشام بتفسير آخر . وللمفسرين فى تفسيرهما أقوالٌ منها : ما يَقْرُبُ ، ومنها ما يبْعُد من قولهما ، وحَسْبُكَ منها ما وقع فى الكتاب ؛ لأنها أمورٌ كانت فى الجاهلية قد أبطلها الإسلامُ ، فلا تمس الحاجةُ إلى علمها .

رفع
المسيرهم
عز الله لإطلالة

وذكر ما أنزل الله فى ذلك، منها قوله تعالى: ﴿ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا، وَمُحَرَّمٌ عَلى أزواجِنَا ﴾ [الأنعام: ١٣٩] وفيه من الفقه: الزَّجْرُ عن التَّشَبُّهِ بهم فى تخصيصهم الذكورَ دون الإناث بِالهِبَاتِ. روت عمرة عن عائشة عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أنه قال: يَعْمِدُ أَحَدُكُم إلى المال، فيجعله عند ذكور ولده. إنْ هذا إلاَّ كما قال الله تعالى: (وقالوا: ما فى بُطُون هذه الأنعامِ خالصةٌ لذكورنا) رواه البخارى فى التاريخ من حديث سُليمان بن حجاج.

وأنشد فى البحيرة:

فيه من الأَخْرَجِ المِرْبَاعِ قَرْقَرَةٌ هَدْرَ الدِّيَافِىِّ وَسْطَ الهَجْمَةِ البُحُرِ (١)

هكذا الرواية: المِرْبَاعِ بالباء من الربيع، والمرباعُ هو: الفحلُ الذى يُبَكِّر بالإلقاح، ويقال للناقة أيضا: مِرباعٌ إذا بكَّرت بالنِّتاج، وللروضة إذا بَكَّرَتْ بالنَّبات.

يصف فى هذا البيت حمار وَحش يقول: فيه من الأخرج، وهو: الظَّليمُ الذى فيه بياضٌ وسوادٌ، أى: فيه منه قَرْقَرَةٌ أي صَوْتٌ وهَدْرٌ مثل هَدْرِ الدِّيَافى أى: الفَحل المنسوب إلى دِياف بلد بالشام، والهَجْمَةُ من الإبل: دون المائة، وجعلها بُحُراً لأنها تأمن من الغارات، يصفها بالمَنَعةِ والحماية، كما تأمن البَحِيرَةُ من أن تُذْبح أو تُنحر، ورأيت فى شعر ابنِ مُقْبل: من الأخرج المرياع بالياء أخت

(١) البيت — كما ورد فى السيرة — لتميم بن مقبل، وصحة نسبه — كما جاء فى جمهرة بن حزم — تميم بنُ أُبَيّ — وزن قصى — بن مقبل بن عوف بن حنيف ابن العجلان بن عبد الله بن كعب ص ٢٧١.

عدنا إلى سياقة النسب

« نسب خزاعة » :

قال ابن إسحاق : وخزاعة تقول : نحن بنو عَمْرو بن عامر من اليمن .

قال ابن هشام : وتقول خزاعة : نحن بنو عمرو بن رَبيعة بن حارثة بن عمْرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثَعْلَبَة بن مازن بن الأَسْد بن الغَوْث ، وخِنْدِف أمها ، فيما حدثنى أبو عُبيدة وغيره من أهل العلم . ويقال : خُزاعة : بنو حارثة بن عمرو بن عامر . وإنما سُمّيت خزاعة ، لأنهم تخزّعوا من ولد عمرو بن عامر ، حين أقبلوا من اليمن يريدون الشام ، فنزلوا بمرِّ الظَّهْران، فأقاموا بها . قال عون بن أيوب الأنصارىّ أحد بنى عمرو بن سَواد بن غَنْم بن كعب بن سَلَمة من الخزرج فى الإسلام :

فلما هبطْنا بَطْن مَرٍّ تخزّعتْ   خُزاعة مِنّا فى خيول كَرَاكِرِ
حَمَتْ كلَّ وَادٍ من تِهامَةَ واحتمتْ   بِصُمِّ القَنا والمُرْهَفات البواتِر

وهذان البيتان فى قصيدة له .

الواو ، وفسره فى الشرح من راع يَريع إذا أسرع الإجابة ، كما قال طرفةُ :
« تَرِيعُ إلى صوت المُهيب وتَتّقى(١) » .

---

(١) بقيته : « بذى خصل روعات أكلف ملبد » ، وخصل بضم الخاء وفتح الصاد . وروعات بفتح الراء وسكون الواو ، وملبد بوزن : مقبل .

والمهيب : داعى الإبل . أراد : تتقى بذنب ذى خصل . وروعات : فزعات . والأكلف : الفحل الذى يشوب حمرته سواد ، والملبد الذى يخطر بذنبه ، فيتلبد البول على وركيه . وأصل مهيب من أهاب ، وهاب : زجر للإبل عند السوق .

وقال أبو المطهَّر إسماعيل بن رافع الأنصاريّ ، أحدُ بَنى حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس :

فلمَّا هبطنا بطنَ مكة أحْمَدَت خُزاعةُ دار الآكل المُتحاملِ
فحلَّت أكاريسا ، وشَتَّت قنابلاً على كلّ حيٍّ بين نَجْد وساحل
نَفَوا جُرْهُما عن بطن مكة ، واحْتَبَوا بعِزٍّ خُزاعيٍّ شديد الكواهل

قال ابن هشام :

وهذه الأبيات فى قصيدة له ، وأنا إن شاء الله أذكر نَفْيَها جُرْهُما فى موضعه

« أولاد مدركة وخزيمة وكنانة والنضر »

قال ابن إسحاق : فولد مُدْرِكة بن الياس رجلين : خُزَيمة بن مُدْرِكة ، وهُذَيل بن مُدْرِكة ، وأمهما : امرأة من قُضاعه [قيل : سلمى بنت أسد ابن ربيعة بن نزار — كما فى نسب قريش] . فولد خُزَيمة بنُ مُدْرِكة أربعةَ نفر : كِنانة بن خُزَيمة ، وأسَد بن خُزَيمة ، وأسَدَة بن خُزَيمة ، والهُون بن خُزَيمة ، فأمُّ كِنانة : عَوانَةُ بنت سَعْد بن قَيْس بن عَيْلان بن مُضَر

قال ابن هشام : ويقال الهَوْن بن خُزَيمة .

قال ابن إسحاق : فولد كِنانة بن خُزَيمة أربعةَ نفر : النَّضْر بن كِنانة ، ومالك بن كِنانة ، وعبد مناة بن كِنانة ، ومِلْكان بن كِنانة فأمُّ النضر : بَرّةُ بنتُ مُرّ بن أدّ بن طابخة بن الياس بن مُضر ، وسائر بَنيه لامرأة أخرى .

قال ابن هشام : أم النضر ومالك ومِلْكان . بَرّةُ بنت مُرّ ، وأم عبد

والنفس إلى الرواية الأولى أسكن ، وحكى عن ابن قُتَيبة أنه قال : فى

رفع المسهم

مَنَاةَ : هالة بنت سُوَيد بن الغِطْريف من أزد شَنُوءَةَ . وشنوءة : عبد الله بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نَصْر بن الأسْد بن الغوث ، وإنما سُمُّوا شَنُوءَةَ ؛ لِشَنَآنٍ كان بينهم . والشنآن : البغض .

قال ابن هشام : النَّضْرُ : قُرَيْشٌ ، فَمَنْ كان من ولده فهو قُرَشيٌّ ، ومَن لم يكن من ولده فليس بقرشيّ . قال جرير بن عطيَّة أحد بنى كُلَيْبِ بن يَرْبُوع ابن حَنْظلة بن مالك بن زَيْدمناة بن تميم يمدح هشامَ بن عبد الملك بن مروان :

فما الأمُّ التى وَلَدَتْ قريشا   بمُقْرِفَةِ النِّجَارِ ولا عَقِيمِ
وما قَرْمٌ بأَنْجَبَ من أبيكم   وما خالٌ بِأَكْرَمَ من تَمِيمِ

يعنى : بَرّة بنت مرّ أخت تميم بن مر ، أم النضر . وهذان البيتان فى قصيدة له ..

ويقال : فِهْرُ بنُ مالكٍ : قريش ، فمن كان من ولده فهو قُرَشيٌّ ، ومن لم يكن من ولده فليس بقرشيّ ، وإنما سُمّيت قريش قريشا من التَقرُّشِ ، والتَّقرُّش : التجارة والاكتساب . قال رؤْبة بن العَجّاج :

قد كان يُغْنيهم عن الشُّغُوشِ   وَالْخَشْلِ مِن تساقط القُرُوش
شَحْمٌ ومَحْضٌ ليس بالمَغْشوشِ

قال ابن هشام : والشُّغُوش : قمح يسمى : الشَّغوش . والخشل : رءوس الخلاخيل والأَسْوِرَةِ ونحوه . والقروش : التجارة والاكتساب ، يقول : قد كان يغنيهم عن هذا شحم ومحض ، والمَحْضُ : اللبن الحليب الخالص .

رفع
المساهم
غفر الله له ولوالديه

وهذه الأبيات فى أرْجُوزَةٍ له. وقال أبو جِلْدَة اليشكُرِىّ ، ويَشْكُرُ: بن بكر بن وائل :

إخوةٌ قَرّشوا الذُّنوبَ علينا ... فى حديث من عُمْرِنا وقَديمِ

وهذا البيت فى أبيات له .

قال ابن إسحاق : ويقال : إنما سميت قريش : قريشا لتجمعها من بعد تفرُّقِها ويقال للتجمع : التَّقَرُّشُ .

فولد النَّضْرُ بن كِنانَة رجلين : مالكَ بن النضر ، ويَخْلُدَ بن النضر ، فأمُّ مالك : عاتكةُ بنت عَدْوان بن عمرو بن قَيس بن عَيْلان ، ولا أدرى أهى أمّ يَخْلُد أم لا .

قال ابن هشام : والصَّلْت بن النَّضْرِ - فيما قال أبو عمرو المَدَنِىّ - وأمهم جميعا : بنت سعد بن ظَرِب العَدْوانى. وعَدْوان: بن عمر بن قيس بن عَيْلانَ . قال كُثَيِّر بن عبد الرحمن - وهو كُثَيِّر عَزّة أحد بنى مُلَيح بن عَمْرو ، من خُزاعة

أليس أبى بالصَّلْت أمْ ليس إخوتى ... لكلّ هِجَانٍ من بَنى النَّضْر أزْهَرَا

رأيت ثيابَ العَصْبِ مُخْتلِطَ السَّدَى ... بنا وبهمْ والحَضْرَمِىّ المُخَصَّرا

[إذا ما قطَعْنا من قريش قَرَابَةً ... بأى نِجَادٍ يحمل السيف مَيْسَرا]

فإن لم تكونوا من بنى النَّضْر ، فاتركوا ... أرَاكًا بأذناب الفَوَائِجِ أخضرا

وهذه الأبيات فى قصيدة له .

والذين يُعْزَوْنَ إلى الصَّلت بن النَّضْر من خزاعة : بنو مُلَيح بن عمرو ، رَهط كُثَيِّر عَزّة .

« أولاد مالك وابنه فهر »

قال ابن إسحاق : فولد مالكُ بن النضر: فِهرَ بن مالك ، وأمّه: جَندَلَةُ بنت الحارث بن مُضاض الجُرهُمِيّ .

قال ابن هشام : وليس بابن مُضاض الأكبر .

قال ابن إسحاق : فولد فِهرُ بن مالك أربعةَ نفر : غالب بن فهر ، ومُحارب بن فهر ، والحارث بن فهر ، وأسَد بن فهر ، وأمُّهم : ليلى بنت سعد ابن هُذَيْل بن مُدْرِكة .

قال ابن هشام ، وجَندَلةُ بنت فهر ، وهي أم يَربوع بن حَنظلة بن مالك بن زَيْد مَناة بن تميم ، وأمها: ليلى بنت سَعْد . قال جَرير بن عَطيَّة بن الخطَفَى واسم الخطَفَى: حُذَيفَةُ بن بَدر بن سَلَمَة بن عَوْف بن كُليب بن يَرْبوع ابن حَنظلة .

وإذا غَضِبتُ رَمَى ورائى بالحصَى أبناءُ جَنْدَلةٍ كَخير الجَنْدَل

وهذا البيت فى قصيدة له .

« غالب وزوجاته وأولاده »

قال ابن إسحاق : فولد غالبُ بن فِهر رجلَين : لؤىّ بن غالب ، وتَيم ابن غالب ، وأمهما : سَلمى بنت عمرو الخُزَاعِيّ . وتَيم بن غالب الذين يقال لهم: بنو الأدْرَمِ .

قال ابن هشام : وقَيس بن غالب ، وأمه : سَلمى بنت كَعب بن عمرو الخُزاعىّ ، وهى أمّ لؤىّ وتَيم ابنى غالب .

« نسل لؤى »

قال ابن إسحاق : فولد لؤىّ بن غالب أربعةَ نفر : كَعْب بن لُؤَىّ ، وعامر بن لُؤَىّ ، وسامة بن لُؤَىّ ، وعَوف بن لُؤَىّ ، فأمّ كعب وعامر وسامة : ماوِيَّةُ بنت كعب بن القَيْن بن جَسْر ، من قُضاعة .

قال ابن هشام : ويقال : والحارث بن لُؤَىّ ، وهم : جُشَم بن الحارث ، فى هِزّان من رَبيعة . قال جرير :

بنى جُشَم لستم لِهزّانَ ،فانتَمُوا لأعلى الرّوابى من لُؤَىّ بن غالب
ولا تُنْكِحوا فى آل ضَوْرٍ نساءكم ولا فى شُكَيْس بئس مَثْوى الغَرائب

وسَعْد بن لؤىّ ، وهم بُنانة : فى شَيبان بن ثَعلبة بن عُكَابَة بن صَعْب ابن علىّ بن بَكر بن وائل ، من ربيعة .

وبُنَانَةُ :حاضنةٌ لهم من بَنى القَيْنِ بن جَسْر بن شَيْع الله ، ويقال: سَيْع الله، بن الأسْد بن وَبْرَة بن ثعلبة بن حُلوان بن عِمْرَان بن الحافِ بن قُضاعة .ويقال: بنت النمِر بن قاسط ، من رَبيعة . ويقال : بنت جَرْم بن رَبَّانٍ بن حُلوان بن عِمْران بن الحافِ بن قُضاعة .

وخُزَيْمَةُ بن لُؤَىّ بن غالب ، وهم عائذة فى شَيْبان بن ثَعْلبة . وعائذة امرأة من اليمن ، وهى أم بنى عُبَيْدَة بن خُزَيمة بن لُؤَىّ .

وأم بنى لُؤَىّ كلِّهم – إلا عامر بن لُؤىّ : ماوِيَّةُ بنت كعب بن القَيْن بن جسْر . وأم عامر بن لُؤَىّ : مَخْشِية بنت شَيْبان بن مُحارب بن فِهْر ، ويقال : لَيلى بنت شيبان بن مُحارب بن فِهْر .

أمر سامة

قال ابن إسحاق : فأما سامة بن لُؤَىّ فخرج إلى عُمَان ، وكان بها . ويزعمون أن عامرَ بن لُؤَىّ أخرجه ؛ وذلك أنه كان بينهما شىء ، ففقأ سامةُ عينَ عامر ، فأخافه عامرٌ ، فخرج إلى عُمَان . فيزعمون أنّ سامة بن لُؤَىّ بينا هو يَسير على ناقته ، إذ وضعت رأسَها ترتع ، فأخذت حَيّةٌ بِمِشْفَرِها ، فهصرتْها حتى وقعت الناقة لِشِقّها ، ثم نهشت سامَةَ فقتلته . فقال سامةُ حين أحسّ بالموت فيما يزعمون :

عينِ فابكِي لسامة بن لُؤَىّ ... عَلِقَتْ ما بِسامة العَلاّقه

لا أرى مثلَ سامة بن لؤَىّ ... يوم حَلّوا به قتيـلا لناقه

بلّغا عامراً وكَعْباً رسولا ... أنّ نفسى إليهما مُشتاقه

إنْ تكُن فى عُمَانَ دارى ، فإنّى ... غالِبِىٌّ ، خرجتُ من غير ناقه

رُبَّ كأسٍ هَرَقْتَ يابنَ لُؤَىّ ... حَذَرَ المَوْتِ لم تَكُن مُهراقه

رُمتَ دفعَ الحُتُوف يابنَ لؤَىّ ... ما لِمَنْ رام ذاك بالحَتْفِ طاقه

وخَروسِ السُّرَى تركتَ رذِيّا ... بعد جِدّ وجِـدّةٍ ورَشاقه

قال ابن هشام : وبلغنى أن بعضَ ولده أتى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فانتسب إلى سامة بن لؤَىّ ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : آلشاعرِ ؟ فقال له بعض أصحابه : كأنك يارسول الله أردت قولَه :

رُبَّ كأسٍ هَرَقْتَ يابن لؤَىّ ... حَذَر الموت لم تَكُن مُهراقه

قال : أجل .

البُحُر : هى الغزيرات اللَّبَن لا جمع بَحِيرة ، كأنها : جمع بُحُورٍ عنده ، فظَنَّ هذا يُذهِبُ المعنى الذى ذكرنا من أمْنِها وَمَنَعَتِها ؛ إذ ليس هذا المعنى فى الغَزِيرات اللَّبَن ، لكنه أظهرُ فى العربية ؛ لأن بَحِيرة : فَعِيلة ، وفعيلةٌ لا تُجمع على فُعلٍ إلاَّ أن تُشبَّهَ بسفينةٍ وسُفُن، وخريدة وخُرُدٍ ، وهو قليل.
وقبل البيت فى وصف روض :

بعازِبِ النَّبْتِ يرتاحُ الفؤادُ له ... رَأْدَ النَّهارِ لأصْواتٍ من النُّغَرِ

وبعد البيتِ الواقع فى السيرة :

والأزرق الأخضر السِّرْبالِ مُنتصبٌ ... قَيْدَ العصافوْقَ ذَيَّالٍ من الزَّهَرِ

يعنى بالأزرق : ذُبَابَ الرَّوض ، وكذلك النُّغَر (١) . وقولهُ فى البيت الآخر : حُولُ الوصائل : جمع حائِل ، ويقال فى جمعها أيضا : حُولَلٌ ، ومثله : عائِطٌ وعُوطَطٌ على غير قياس . والشُّرَيْفُ (٢) اسم موضع .

نسب خزاعة :

وقوله فى نَسَبِ خزَاعَة : تقول خُزَاعَة : نحن بنو عَمْرو بن عامر إلى

(١) نبت عازب : لم يرع قط ، ولاوطىء ، والرأد : رونق الضحى . أو بعد انبساط الشمس ، وارتفاع النهار ، والنغر : فراخ العصافير، وجمعها: نغران وهو البلبل عند أهل المدينة ، وقال الجوهرى : هى طير كالعصافير حمر المناقير ونُغَـرَة مفرد للنُّغَـر ، والسهيلى يقصد النُّغَـرَةَ لا النُّغَـر ، والذباب : النحل
(٢) العائط : الناقة أو المرأة لم تحمل من غير عقر . والشريف : ماء لبنى نمير ، وقيل : وادبنجد وحصن من حصون زبيد باليمن .

رفع
المسـاهم

. . . .

آخر النسب ، وقد تقدم أن عَمْراً يقال له : مُزَيْقِيَاء . وأمّا عامرٌ فهو : ماء السماء ، سمى بذلك لجودِه وقيامِه عندهم مقامَ الغَيْث . وحارثةُ : بن امرىء القيس ابن ثَعلَبة وهو الغِطْريفُ(١) .

بطن مر :

وقول عون : فلما هبَطْنَا بَطْنَ مَرٍّ . يريد : مَرَّ الظَّهْرانِ ، وسمى : مَرًّا لأن فى عرقٍ من الوادى من غير لون الأَرْضِ شِبه المِيم الممْدُودة ، وبعدَها را خُلِقَتْ كذلك ، ويذكر عن كثير أنه قال : سُمِّيت : مَرًّا لمرارتها ، ولا أدرى ما صحة هذا .

فلما هبطنا بطن مَرٍّ البيتين وبعدهما :

خُزاعَتُنا أَهْلُ اجتهادٍ وهجرةٍ ... وأنصارُنا جندُ النَّبىِّ المهاجر
وسِرْنا إلى أن قدْ نزلنا بيَثْرِبٍ ... بلا وَهَنٍ منا وغيرِ تشاجُرِ
وسارت لنا سَيَّارةٌ ذاتُ منظَرٍ ... بكُوم المطايا والخيول الجَماهِر(٢)
يؤُمُّون أهلَ الشام حين تمكَّنوا ... ملُوكا بأرض الشام فوق البَرابِرِ
أولاكَ بنو ماءِ السماء توارثوا ... دِمَشْقاً بمُلْكٍ كابراً بعدَ كابر

---

(١) نسبه فى نسب قريش ص ١٠ ، أما الغطريف الأكبر: فعامر من بنى مبشر . والغطريف : السيد ، ونسب حارثة هو : ابن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد بن الغوث بن النبت .

(٢) كوم: جمع كوماء : الناقة العظيمة السنام، والجماهر : الضخم، وقيل جمع جمهور: الفرس الكريمة، والسهيلى يروى : الحلول والكراديس بدلا من الخيول والأكاريس.

. . . .

الحُلُولُ ، جمع : حَالٍّ ، والكراديس جمع : كُرْدُوس : الخيل .

دمشق :

وقوله : دِمَشْقاً ، سُمِّيت مدينة الشام باسم الرجل الذى هاجر إليها مع إبراهيم ، وهو : دامشق بن النُّمْرُوذِ بن كَنْعان (١) ؛ أبوه : الملكُ الكافرُ عدوُّ إبراهيم ، وكان ابنه دامشق قد آمن بإبراهيم ، وهاجر معه إلى الشام . كذلك ذكر بعض النُّسَّاب ، وذكره البكْرى فى كتاب المعجم . والدِّمَشْقُ فى اللغة : الناقةُ المُسِنةُ ـ فيما ذكر بعضهم ـ وكان يقال لِدمَشْقَ أيضا : جَيْرُونُ سميت باسم الذى بناها ، وهو : جَيْرونُ بن سعد [بن عادٍ] ، وفيها يقول أبو دَهْبَل [الجُمَحِيّ] .

صاحِ : حَيًّا الإلهُ حَيًّا ودارا ... عند شَرْق القنَاة من جَيْرُون (٢)

---

(١) فى المراصد : دمشق بن كنعان . وفى القاموس : دِمْشاق بن كنعان أو دامَشْقَيُوش . وفى معجم البكرى : دماشق، وفى المراصد أنها سميت بهذا لأنهم دَمْشَقوا فى بنائها، أى : أسرعوا ، وهى بكسر الدال وفتح الميم أو كسرها.

(٢) جيرون فى المراصد هى سقيفة مستطيلة على عمد وسقائف ، حولها مدينة تطيف بها ، وهى بدمشق . وقيل: هى قرية الجبابرة فى أرض كنعان ، وقيل : هى إرم ذات العماد . وقيل إن إرم هى دمشق ، وقيل : هى الإسكندرية ، وقيل: إرم هى أمة من الأمم ، وجيرون : فعلون من جير ، أو فيعول، فتكون من جرن ، وهذا أصوب ، إذ لو كانت فعلون لتغير ما قبل النون فى الإعراب . والبيت من قصيدة طويلة فى اللسان لأبى دهبل ، ومعها قصة أبى دهبل ، وكان قد تزوج بالشام دون علم أولاده ، فلما عاد إليهم وجدهم قد تقاسموا ميراثه ، فأراد العودة إلى زوجته الشامية فى جيرون ، فبلغه موتها ، فأقام ، وقال هذه القصيدة ، ومنها فى وصفها :.

رفع
المسيّهم

. . . .

بنو كنانة :

وذكر بني كنانة الأربعة : مالِكا ومِلْكان والنَّضْر وعبْدمناة . وزاد الطبريُّ في وَلد كنانة : عامراً والحارث والنَّضير وغَنْماً وسَعْداً وعوْفاً وجرْوَلَ والْحَدَالَ وغزْوان . كلهم بنو كنانة (١) .

= وهي زهراء مثل لؤلؤة الغوا ص ميزت من جوهر مكنون
وإذا ما نسبتها لم تجدها في سَناءٍ من المكارم دون

والبيت في اللسان :

صاح حيا الإله حيا ودورا عند أصل القناة من جيرون

وأول القصيدة :

طال ليلى ، وبت كالمحزون ومَللتُ الثَّواء في جَيْرون

ويروى صاحب الأغاني أن أبادهبل أحبَّ عاتكة بنت معاوية ، وكانت هي تتعهده بالبر واللطف ، ثم انقطعت عن لقائه ، فمرض ، وقال هذه القصيدة ص ١٢٠ مجلد ٧ طبع لبنان ، وانظر معجم البكري مادة جيرون .

وزدت الجمحى من اللسان .

(١) أولاد كنانة في كتاب نسب قريش هم : النضر وملك ، بفتح الميم وسكون اللام ، وملكان ، بالضبط أيضاً ، ومليك ، بضم الميم وفتح اللام ، وغزوان ، بفتح الغين وسكون الزاي ، وعمرو وعامر وأمهم : برة بنت مر . وإخوتهم لأمهم : أسد وأسدة والهون بنو خزيمة . وقد خلف عليها كنانة بعد أبيه ، وذلك نكاح كانت تنكحه الجاهلية ، إذا مات الرجل نكح أكبر بنيه زوجته ، إذا لم تكن أمه ، وورث خيار ماله ، ومن أبناء كنانة : حدال وسعد وعوف و بجَرْبة وأمهم : هالة بنت سويد بن الغطريف ، وفي الجمهرة : هم النضر وملك وملكان وعبد مناة ، وليس في العرب ملك ، بإسكان اللام ، غير ملك بن كنانة وسائرهم : مالك ، وفي نسب قريش أن أم خزيمة هي : سلمى بنت أسد بن ربيعة بن نزار ، وفيه أيضاً أن أم كنانة : هي عوانة بنت قيس بن عيلان ، أما أم الهون وإخوته فبرة بنت مر بن أد بن طابخة . فأرجو مقايسة هذا بما ورد في السيرة .

رفع المسـاهم

. . . .

قريش :

فصل : وذكر النَّضرَ بن كِنانة ، وقول من قال إنه : قُرَيْشٌ ، والقول الآخر فى أن فِهراً هو : قُرَيْشٌ ، وقد قيل : إن فِهْراً لقبٌ ، واسمه الذى سمى به : قُرَيْشٌ(١) .

(١) وإليك معظم ما قيل حول قريش واشتقاقها من فتح البارى .

قريش : هم ولد النضر ، وبهذا جزم أبو عبيدة كما روى ابن سعد فى الطبقات. وقيل : إن قريشا هم ولد فهر بن مالك بن النضر . وهو قول الأكثر وبه جزم مصعب ، وقيل : أول من نسب إلى قريش: قصى بن كلاب؛ فقد روى ابن سعد أن عبد الملك بن مروان سأل محمد بن جبيرة ، متى سميت قريش قريشا ؟ قال: حين اجتمعت إلى الحرم بعد تفرقها ، فقال : ما سمعت بهذا ، ولكن سمعت أن قصيا كان يقال له :القرشى ، ولم يسم أحد قريشا قبله . وقيل : سميت قريش لتجمعها إلى قصى بعد نفى خزاعة من الحرم ، والتقرش : التجمع ، وقيل: لتلبسهم بالتجارة ، وقيل : لأن الجد الأعلى جاء فى ثوب واحد متجمعا فيه ، وقيل من التقرش، وهو أخذ الشيء أولا فأولا . وقيل إن أول من تسمى قريشا: قريش بن بدر بن مخلد بن النضر بن كنانة، وقال المطرزى : سميت قريش بدابة فى البحر هي سيدة الدواب البحرية ، وكذلك قريش ، سادة الناس . وقد أخرج البيهقى من طريق ابن عباس أنه قال : قريش تصغير قرش ، وهى دابة فى البحر لا تمر بشيء من غث ولا سمين إلا أكلته . وقيل: سمي قريشا؛ لأنه كان يقرش عن خلة الناس، وحاجتهم، ويسدها والتقريش : التفتيش ، وقيل: لمعرفتهم بالطعان ، والتقريش: وقع الأسنة . وقيل التقرش : التنزه عن رذائل الأمور . وقيل : هو من أقرشت الشجة إذا صدعت العظم، ولم تهشمه : وقيل : أقرش بكذا إذا سعى فيه، فوقع له : وقيل غير ذلك فتح البارى ٤١٥ ح ٦. وقد ورد بعض هذا الكلام السابق فى كتاب «نسب قريش» لأبى عبد الله المصعب بن عبد الله الزبيرى عم الزبير بن بكار فى ص ١٣ وفيه اختلاف يسير ، فني نسب قريش « فأما بنو يخلد ، فهم فى بني عمرو بن الحارث بن مالك =

وأما يَخْلُدُ بن النَّضْر ، فذكر أبو عبد الله الزبير بن بَكَّارٍ فى أنساب قريش له ، قال : قال عمى : وأما بَنُو يَخْلُدَ بن النضر ، فَذُكر[وا] فى بنى عَمْرِو ابن الحارث بن مالك بن كنانة ، ومنهم : قريش بن بَدْر بن يَخْلُدَ بن النَّضْر ، وكان دليلَ بنى كِنانَة فى تجاراتهم ، فكان يقال : قدمَتْ عِيرُ قريش ، فسميت قُرَيْشٌ به ، وأبوه : بَدْرُ بن يَخْلُدَ صاحبُ بدرٍ الموضع الذى لقى فيه رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قريشا (١) .

وقال عن غير عمه : قريش بن الحارث بن يَخْلُدُ ، وابنه : بدر الذى سُمِّيتْ به بدر ، وهو احتفَرَها . قال : وقد قالوا : اسمُ فهر بن مالك : قريش ، ومن لم يلده فهرٌ ، فليس مِنْ قُرَيْشٍ ، وذكر عن عمه أن فِهْراً هو : قُرَيْشٌ .

وقال أبو عبد الله : حدثنى عَمْرُو بن أبى بكر المُؤَمَّلى عن جدى عبد الله بن مصعب — رحمه الله — أنه سمعه يقول : اسْمُ فِهْرِ بن مالكٍ : قُرَيْشٌ ، وإنما فِهْرٌ لقب (٢) ، وكذلك حدثه المُؤَمَّلِىُّ عن عُثْمان بن أبى سليمان فى اسم فِهْرِ ابن مالك : أنه قريش ، ومثل ذلك ذكر عن المُؤَمَّلىّ عن أبى عُبَيْدة بن

= بن كنانة » والنسب لم يذكر مالكا من بين أبناء كنانة ، ولكن ذكره وهو يتكلم عن بنى يخلد ، وغيره ذكره . ثم الفعل « فذكر » فى الروض لايناسب السياق بعكس مافى النسب . وفى النسب فسميت قريش بذلك ، بدلا من « فسميت قريش به » .

(١) فى ص ١٢ من كتاب نسب قريش ، ومؤلفه هو عم الزبير بن بكار

(٢) نص ما فى كتاب مصعب : « اسم فهر بن مالك : قريش » وفى مكان آخر : « فولد مالك بن النضر فهرا ، وهو قريش ، وأمه : جندلة بنت الحارث » ص ١٢ نسب قريش »

رفع المسهم

. . . .

عبد الله فى اسم فهر بن مالك : أنه قريش . قال : وحدثنى إبراهيم بن المُنذِر ، وقال : حدثنا أبو البَخْتَرِىّ : وَهْبُ بن وَهْبٍ ، قال : حدثنى ابن أخى ابن شهاب عن عمه أن اسم فِهْر بن مالك الذى أسمته أمه : قريش ، وإنما نبزته فِهراً ، كما يُسمى الصبي : غِرارة وشَملة ، وأشباه ذلك ، قال : قلت : وقد أجمع النُّسَّابُ من قريشٍ وغيرهم أن قريشا إنما تفرقت عن فِهر ، والذى عليه من أدركته من نُسَّاب قريش وغيرهم أن ولدَ فِهر بن مالك : قُرَيْشٌ ، وأن من جاوز فِهر ابن مالك بنسبه ، فليس من قريش (١) .

وذكر عن هشام بن محمد بن السائب الكلبى فيما حدثه أبو الحسن الأثرم عنه أن النضر بن كنانة هو : قريش ، وذكر عنه أنه قال فى موضع آخر : ولد مالك بن النضر فِهراً ، وهو جُمَّاعُ قريش ، وقال : قال محمد بن حسن عن نَصر بن مُزَاحم ، عن عمْرو بن محمد عن الشَّعْبي ، قال : النضر بن كنانة (٢) هو قريش ، وإنما سُمِّى قريشاً ؛ لأنه كان يُقَرِّش عن خَلَّة الناس وحاجتهم ، فيسدها بماله ، والتقْريش : هو التفتيش ، وكان بنوهُ يُقَرِّشُون أهلَ الموسم عن الحاجة ، فيَرْفِدُونهم بما يبلغهم ، فسموا بذلك من فعلهم ، وَقرْشِهِمْ : قريشاً . وقد قال الحارث بن حِلِّزَةَ فى بيان القَرْش :

أيها الناطقُ المُقَرِّش عنا عند عَمْرٍو ، فهل له انقاء (٣)

(١) ويؤكد ابن حزم هذا فى الجمهرة بقوله عن فهر : « لا قريش غيرهم ، ولا يكون قرشى إلا منهم ، ولا من ولد فهر أحد إلا قرشى » أما ابن دريد فى الاشتقاق ، فيؤكد أنه النضر . (٢) فى الأصل : النضر وكنانة .

(٣) روايته فى اللسان « عند عمرو ، وهل لذاك بقاء » وكذلك فى المعلقات بشرح الزوزني ، وأيضا في روايتها : المرقش بدلا من المقرش ، وبشرح التبريزي: =

. . . .

وحدثه أبو الحسن الأثرم عن أبى عُبَيْدَة مَعْمَر بن الْمُثَنّى [التَّيْمِى] ، قال: منتهى من وقع عليه اسم قريش : النضر بن كنانة ، فولدُه: قريشٌ دون سائر بنى كنانة بن خُزَيمة بن مُدْرِكة ، وهو عامر بن الياس بن مُضَر ، فأما من ولد كنانة سوى النَّضْر فلا يقال لهم : قريش ، وإنما سمى بنو النضر قُرَيْشاً لتجمعهم ، لأن التَّقَرُّش هو التجمع . قال : وقال بعضهم : التجار يتقارشون : يتجرون ، والدليل على اضطراب هذا القول أن قريشا لم يجتمعوا حتى جمعهم قُصَىٌّ بن كِلاَب ، فلم يجمع إلا ولد فهر بن مالك لا مِرْية عند أحد فى ذلك ، وبعد هذا فنحن أعلم بأمورنا ، وأرعى لمآثرنا ، وأحفظ لأسمائنا ، لم نعلم ولم ندع قريشاً ، ولم نُهِمّهُمْ إلا ولد فهر بن مالك .

قال المؤلف : فى جميع هذا الكلام من قول الزبير ، وماحكاه عن النسابين نقلته من كتاب الشيخ أبى بحر — رحمه الله — ثم أَلْفَيْتُه فى كتاب الزبير كما ذكره ، ورأيت لغيره أنَّ قُرَيْشاً تصغيرُ الْقِرْش ، وهو حُوتٌ فى البحر يأكل حيتانَ البحر ، سُمِّيت به القبيلة ، أو سمى به أبو القبيلة — والله أعلم — وردَّ الزبيرُ على ابن إسحاق فى أنها سميت قريشا لتجمعها ، وأنه لا يُعْرف قريشٌ إلا فى بنى فهر رَدًّا لا يلزم ؛ لأن ابن إسحاق لم يقل : إنهم بنو قُصَىٍّ خاصة ، وإنما أراد أنهم سموا بهذا الاسم مذ جمعهم قصى ، وكذا قال المبرد فى الْمُقْتَضَب: إن هذه التسمية إنما وقعت لِقُصَىٍّ — والله أعلم — غير أنا قدمنا فى قول كعب

= «أيها الشامت المبلغ عنا» وفى الطبرى ص ٢٦٤ ح ٢ : وردت الشطرة الثانية هكذا : « عند عمرو فهل لهن انتهاء » .

رفع
المسيهم
عبد الله الهاشمي

. . . .

بن لُؤىّ ما يدل على أنها كانت تسمى قريشا قبل مولد قُصَى وهو قوله : إذا قُرَيْشٌ تُبغِّى الحقَّ خِذْلانا .

وذكر قول رُؤْبة : قد كان يُغنيهم عن الشُّغُوش . وفسره : ضربٌ من القمح ، وفسر الخَشْل : رءوس الخلاخيل ، وفى حاشية الشيخ عن أبى الوليد قال : إنما الخَشْلُ : المقْلُ(١) ، والقروش : ما تساقط من حُتَاته ، وتقشر منه ، وأنشد لكُثَيِّر بن عبد الرحمن : أليس أبى بالصَّلْت أم ليس إخوتى . البيت وبعده :

رأيت ثيابَ العَصْبِ مُختَلِطَ السَّدى بناوبهم والحَضْرَمِىَّ المُخَصَّرَا

والعَصْبُ : بُرُودُ اليمن ، لأنها تصبغ بالعَصْبِ ، ولا ينبت العَصْبُ ، ولا الوَرْس إلا باليمن ، وكذلك اللُّبَان . قاله أبو حَنِيفة . يريد : إن قدودَنا من قُدُودِهِمْ ، فسَدَى أثوابنا ، مُختلطٌ بسدى أثوابهم . والحَضْرَمِىُّ : النعالُ المُخَصَّرَةُ التى تضيق من جانبيها كأنها ناقصة الخَصْرَيْنِ كما يقال : رجل مُبَطَّنٌ ، أى : ضامر البطن ، وجاء فى صفة نعل النبى — صلى الله عليه وسلم — أنها كانت مُعَقَّبَةً مُخَصَّرةً مُلَسَّنَةً مُخَزَّمة . والمخزمة التى لها خزمة ، وهو كالتحذير فى مقدمها وكانت نعله — عليه السلام — من سِبْتٍ ، ولا يكون السِّبْتُ إلا من جلد بقر مَدبوغ . قاله أبو حنيفة عن الأصْمَعِىِّ وأبى زيد(٢) .

---

(١) حَمْل الدوم ، وهو يشبه النخل ، وصمغ شجرة يسمى الكور ، وهو من الأدوية .

(٢) معقبة لها عقب ، ومُلَسَّنة : دقيقة على شكل اللسان ، ومُخَصَّرة : قطع خصراها ، حتى صارا مستدقين « خصر النعل ما استدق من قدام الأذنين » ، أما

. . . .

وذكر قول جرير بن الخطفى :

يرفعن بالليل إذا ما أسدفا .

أعناق جنان وهاماً رجفا .

وعنقاً باقى الرسيم خيطفا .

والخيطفة : سرعة فى العدو ، فإذا وصفت به العنق والجرى قلت : عنق خيطف ، وإذا سميت به الرجل قلت : خطفى ، وكذلك إن جملته

= مخترمة ففى اللسان : خرثمة النعل بفتح الخاء وكسرها وإسكان الراء وفتح الثاء : رأسها . ولم أر غير ذلك . أما الخترمة فليس فيها إلا ختارم: الرجل المتطير . وفيه أيضاً : مخصّرة معرّضة بلا رأس . وقيل: عريضة . وهذه الأوصاف وردت فى حديث رواه أبو الشيخ عن يزيد بن أبى زياد، وفى البخارى وأبى داود والترمذى وابن ماجة فى اللباس ، والنسائى فى الزينة أن نعل النبى كان لها قبالان « بكسر القاف » . والقبال :هو زمام النعل ،أى السير الذى يعقد فيه الشسع الذى يكون بين الإصبعين الوسطى، والتى تليها ،والمراد أنه كان لكل فردة: قبالان ،وروى البخارى والترمذى فى الشمائل عن عيسى بن طهمان « بفتح الطاء وسكون الهاء» قال : « أخرج إلينا أنس بن مالك نعلين جرداوين لهما قبالان،وذكر ثابت البنانى أنهما كانتا نعلى رسول الله. وفى البخارى ومسلم أن ابن عمر سئل عن لبسه النعال السبتية بكسر السين وسكون التاء وكسر التاء وتشديد الياء مع فتح، أى: المدبوغة، فقال:إنى رأيت رسول الله يلبس النعال التى ليس فيها شعر ،ويتوضأ فيها فأنا أحب أن ألبسها. والسبت كما قال السهيلى : وسميت بذلك لأن شعرها قدسبت عنها أى : حلق وأزيل ، أو لأنها سبتت بالدباغ ، وقد زدت فى قصيدة كثير بيتاً وضعته بين قوسين ، وهو عن نسب قريش ص ١١ ، والقدود : جمع قد : وهو القدر .

رفع المسهم

. . . .

اسماً للمِشْية : فهو مثل : الجَمَزَى والبَشَكَى(١).

بنو الأدرم :

وقوله : وتيم بن غالب وهم : بنو الأَدْرَم(٢) ؛ والأَدْرَم : المدفون الكعبين من اللحم ، يقال : امرأة دَرْماء وكعب أدرَم . قال الراجز :

---

(١) ناقة جمزى أو بشكى : سريعة خفيفة ، والجِنَّان : جمع جان : نوع من الحيات إذا مشت رفعت رءوسها .

وفي اللسان أيضاً : « وعنقا بعد الكلال خيطفا » وأن اسم جد جرير عوف

ويروي أبو عبيدة في كتابه النقائض بين جرير والفرزدق ما يأتي : « واسم الخَطَفى : حذيفة بن بدر بن سلمة ، وحذيفة : جد جرير ، وإنما سمي الخطفى لقوله :

كلفني قلبي ، وماذا كلفا　　هَوَازِ نَيَّاتٍ حَلَلْنَ غَرِيفا

أقمن شهرا بعد ما تصيَّفا　　حتى إذا ما طرد الهيف السَّفا

قربْ شَوْلاً ودليلا مِخْشَفا　　يرفعن بالليل إذا ما أسدفا

أعناقَ جِنَّان ، وهاما رُجَّفا　　وأعينا بعد الكلال ذُرَّفا

وعنقا باقي الرسيم خيطفا

ج ١ ص ٣ النقائض لأبي عبيدة معمر بن المثنى ط ١٩٣٥ م وحكي اللسان عن ابن بري عن أبي عبيدة قوله : الخطفى جد جرير ، واسمه : حذيفة بن بدر .

(٢) يقول صاحب نسب قريش عن أم مالك بن النضر أنها عكرشة ، وأنها أم مالك ويخلد والصلت ، وعن الصلت بن النضر يقول أيضاً : « من بني مليح بن خزاعة من يزعم أنه من ولده » وأستشهد بأبيات كثير السابقة . والقوائم : فسرها صاحب نسب قريش بأنها عيون بأستار ، وقيل هي رءوس الأودية .

رفع
المسيس هم

قامت تُرِيه خَشيةَ أنْ تُصْرَمَا ساقاً بَخَنْدَاةً وكَعْباً أَدْرَمَا
وكَفَلاً مثل النّقا أو أعظما(١)

والأَدْرَمُ أيضاً: المنقُوص الذّقن، وكان تيم بن غالب كذلك، فسمى: الأَدْرَم، قاله الزبير. وبنو الأدرم هؤلاء هم: أعرابُ مكّة، وهم من قُرَيش الظواهر، لا من قريش البِطَاح(٢)، وكذلك بنو مُحارب من فهر، وبنو مَعِيص(٣) بن عامر.

---

(١) فى اللسان. قامت تريك، وبنى تصرم للمعلوم، وساق بخنداة: عظيمة تامة، والكفل: معروف، والنقا: كثيب من الرمل. والشعر أنشده العجاج لأبى هريرة كما ورد فى بعض الأحاديث. اللسان وديوان العجاج.

(٢) قريش البطاح هم: قبائل عبد مناف: بنو عبد الدار، وبنو عبد العزى وبنو عبد بن قصى، وبنو زهرة، وبنو مخزوم، وبنو تيم بن مرة، وبنو جمح وسهم، وبنو عدى، وهم لعقة الدم، وبنو عتيك بن عامر بن لؤى. وقريش الظواهر: النازلون بظهر مكة، وهم بنو محارب والحارث بن فهر، وبنو الأدرم بن غالب بن فهر، وبنو هصيص بن عامر بن لؤى. والبطاح: هم الذين ينزلون بين أخشبي مكة وهما جبلا مكة أبو قبيس والأحمر، وجبلا منى، أكرمهما، والأحلاف من قريش بنو عبد الدار من قصى وسهم وجمح وعدى ومخزوم، والمطيبون بنو عبد مناف، وبنو أسير بن عبد العزى، وبنو زهرة، وبنو تيم وبنو الحارث بن فهر. انظر ص ١٣ نسب قريش والمحبر ص ١٧ عن الأدرم والظواهر والبطاح.

(٣) من المعص بفتح الميم والعين، وهو داء يصيب الرجل فى عصبه من كثرة المشى. وانظر ص ١٠٦ الاشتقاق عن الأدرم.

رفع المسهم

. . . .

ماوية امرأة لؤى :

وذكر بنى لؤى(١) ، فقال : أمُّ عامر: مَاوِيَّةُ بنت كعب بن القَيْنِ . سميت بالماوِيَّةِ ، وهى : المرآة ، كأنها نُسبت إلى الماء لصفائها، وقلبت همزةُ الماء واوا، وكان القياس أن تقلبَ هاء(٢) فيقال : ماهِيَّة ، ولكن شبهوه بما الهمزة فيه منقلبة عن ياء أو واو ، لمّا كان حكم الهاء أن لا تُهمز فى هذا الموضع ، فلما شبهت بحروف المدِّ واللين ، فهمزُوها لذلك ، اطّرد فيها ذلك الشَّبَه ، ويحتمل اسم المرأة أن يكونَ من أوَيْتَهُ ، إذا ضَمَمْتَه إليك ، يقال : أوَيْت مثل : ضَمَمْت ، وآوَيْتة مثل : آذَيْتُه ، ثم يقال فى المفعول من أوَيْتُه على وزن فَعَلت : مَأْوِيّ والمرأة مأْوِيَّةٌ ، ثم تُسهّل الهمزة ، فتكون ألفا ساكنة.

وخالفه ابن هشام فى أم عامر فقال : مَخْشِيَّة بنت شَيْبان بن مُحارب بن فهر ، وماوِيَّة : أم سائر بنيه غير عامر .

بنانة وعائذة وبنو ناجية وزبيان وسامة :

وذكر سعد بن لؤى وأنهم: بُنَانَةُ فى شَيْبان ، عرفوا بحاضِنَةٍ لهم اسمها: بُنَانة، وكان بنو ضُبَيْعَة قد ادعوهم ، وهو ضبيعة أَضْجَم(٣) بن ربيعة ، لا ضُبَيْعَة(٤)

---

(١) فى الجمهرة عن كعب وعامر : وهذان الصريحان من ولد لؤى . وفى كعب : البيت والعدد. وماوية وجسر فى نسب قريش : مارية وجسر بن شيع الله.

(٢) لأن الهاء هى أصل الهمزة فى ماء . (٣) فى الأصل : أضجح

(٤) فى الاشتقاق : ضبيعة بن أسد بن ربيعة ، وفى إحدى نسخه ضبيعة هو ابن ربيعة، وأسد: أخو ضبيعة، وضبيعة هو: أضجم ص٣١٣. وفى المحبر ص٢٣٥ =

ابن أُقَيْش بن ثعلبة ، فلما كان زمن عمر ، قدموا عليه ، وفيهم سيد لهم يقال له : أبو الدَّهماء ، فكلم أبو الدَّهماء عمر أن يُلحقهم بقريش ، فأنكر عمر ذلك ، فأخبره عثمان عن أبيه عفَّان : أنه حدثه بصحة نسبهم إلى قريش ، وسبب خروجهم عنهم ، فواعدهم أن يأتوه العام القابل ، فيلحقهم ، فقُتل أبو الدَّهماء عند انصرافه ، وشُغلوا بأمره ، حتى مات عمر ، فألحقهم عثمان بقريش ، فلما كان عليٌّ نفاهم عن قريش ، وردَّهم إلى شيبان فقال شاعر:

ضَرَبَ التُّجيبيُّ المُضَلِّل ضَرْبةً ... رَدَّتْ بُنانَةَ فى بني شيبانا(١)

= لابن حبيب عن الضبيعات : كلهما من ربيعة ضبيعة بن قيس بن ثعلبة أشرفهن ضبيعة أضجم بن ربيعة بن نزار ضبيعة بن عجل بن لجيم .

(١) التجيبي نسبة إلى تجيب ــ بضم تائه وكسر جيمه ــ وقد تفتح التاء : بطن من كندة : منهم : كنانة بن بشير التجيبي قاتل عثمان ، وهو المقصود بكلمة التجيبي فى بيتي الروض . والقصيدة المنسوبة فى السيرة إلى سامة بن لؤى نسبها صاحب الأغانى إلى أخى سامة يرثيه بها ، وهى فى ترجمة على بن الجهم ، وفيه عن ولد سامة: أن سامة حين مات تزوجت امرأته رجلا من أهل البحرين فولدت الحارث وسعت لتلحقه بقريش ، فصدق كعب أخو سامة أمر الحارث ، ثم عرف بعد ذلك أمره، فنفاه عنه فرجع الحارث إلى البحرين ، وهناك تزوج الحارث، وأعقب هذا العقب ، أما ابن الكلبي فيزعم أن سامة وَلَد غالبا،وأن أمه ناجية ، فلما هلك سامة خلف ابنه الحارث عليها ، ثم هلك ابنا سامة ، ولم يعقبا ، وأن قوما من بنى ناجية بنت جرم بن ربان علاف ادعوا أنهم بنو سامة ، وهم الذين باعهم على بن أبى طالب إلى مصقلة، أما الزبير بن بكار فإنه أدخل بنى ناجية فى قريش ، وسماهم : قريشا العازبة ؛ لأنهم عزبوا عن قومهم، فنسبوا إلى أمهم ناجية بنت جَرْم بن رَبَّان ، وهو علاف . ويزعم الأصفهانى أن الزبير إنما أدخلهم فى نسب قريش حباً فى مخالفة على بن أبى طالب هذا ، وبنو ناجية كانوا قد ارتدوا عن الإسلام ، =

رفع عبد الرحمن الهجري
المسلم
عزالله له ولوالديه

. . . .

والعـــائذىُّ لمثلها مُتَوَقِّع لما يكن ، وكأنه قد كانا

لخصت هذا الخبر من حديث ذكره البَرْقِيُّ عن ابن الكلبي ، والبُنانة فى اللغة : الرائحة الطيبة . وقال أبو حنيفة: البُنانة : الروضة المُعْشِبَة الحالِيَة ، أى :

—فلما تولى على دعاهم إلى الإسلام فأسلم بعضهم ، وبقى الآخرون على الردة ، فسباهم واسترقهم ، فاشتراهم مَصْقلة بن هُبيرة ، ويروى ابن أبى الحديد أن مصقلة بعد أن ابتاع سبى بنى ناجية أعتقه ، فلما طالبه بالمال خاس به — أى غدر — وهرب إلى الشام، كذلك يقول ابن أبى الحديد أنه وجد فى جمهرة النسب لابن الكلبي كلاما قد صرح فيه بأن سامة بن لؤى أعقب، فقال ولد سامة بن لؤى: الحارث ، وأمه هند بنت تيم وغالب بن سامة ، وأمه ناجية بنت جرم بن زبان من قضاعة ، فهلك غالب بعد أبيه ، وهو ابن ثنتى عشرة سنة ، فولد الحارث ابن سامة لؤيا وعبيدة وربيعة وسعدا ، وأمهم : سلمى بنت تيم بن شيبان وأمه : ناجية بنت جرم خلف عليها الحارث بعد أبيه بنكاح مقت ، فهم الذين قتلهم على ص ٣٢٧ ح ١ شرح نهج البلاغة ط ٣ لبنان لعز الدين أبى حامد الشهير بابن أبى الحديد ، واسمه : عبد الحميد بن هبة الله بن محمد . ويروى أبو القاسم الزجاجى عن قصيدة « علقت ساق الخ » شيئا آخر هو أن سامة نزل على رجل من الأزد ، فهويته امرأته ، وعرف زوجها ، فوضع السم لسامة فى حلاب ناقة ، فغمزته المرأة ، فهراق اللبن ، وخرج يسير ، فبينما هو يسير، هوت ناقته إلى عرفجة ، فانتشلتها ، وفيها أفعى ، فنفحتها ، فرمت بها على ساق سامة ، فنهشتها ، فمات ، فقالت المرأة الأزدية هذه القصيدة تبكيه بها ص ٣٤ أمالى الزجاج لأبى القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجى ط ١٣٢٤ ، وفى أمالى الزجاج تختلف القصيدة عما فى السيرة اختلافا يسيرا . مثل : « ماجد ما خرجت من غير ناقة » بدلا من « غالبي خرجت من غير ناقة » .

رفع المستهم

. . . .

قد حليت بالزهر(١).

وذكر خُزَيمَة بن لُؤَيّ ، وأنهم انتسبوا في شَيْبان ، ويعرفون بأمهم عائذة ، قال: وعائذة من اليمن ، وقال غيره : هي بنت الخِمْس(٢) بن قُحافة من خَثْعَم ولدت لعُبيد بن خزيمة مالكا وحارثا ، فهم بنو خزيمة عائذة [قريش] ، ومن بني خزيمة أيضا : بنو حرب بن خُزَيمة ، قتلتهم المُسَوِّدة في قريتهم بالشام ، وهم يحسبونهم بني حرب بن أمية(٣).

وذكر بنت جَرْم بن رَبَّان(٤). وبنت جَرْم هي: ناجية ، واسمها: ليلى ، وجَرْم أبو

---

(١) في الاشتقاق عن بنانة ص ١٠٧ أنها مشتقة من البنة بفتح الباء وتضعيف النون المفتوحة ، وهي الرائحة الطيبة ، أو موضع مرابض الغنم ، وأن سعدًا هو الذي كان يطلق عليه بُنانة ، وهو لقب لأمة سوداء حضنت أولاد سعد ، وفي نسب قريش ص ١٣ عن أم بني لؤي أنها مارية بنت كعب بن القين بن جسر ، وكلامه عن سعد عين ما هنا .

(٢) الخمس في اللغة بكسر الخاء: ظِمْء من أظماء الإبل ، وهو أن ترد يوما ثم ترعى ثلاثا ، ثم تطلب الماء يوما ، وترد في اليوم الخامس ، وكذلك السِّدْس إلى العشر ، وهو آخر الأظماء ، والواحد : ظِمْء بكسر الظاء .

(٣) المسودة هم الذين قاموا مع أبي مسلم الخراساني ضد بني أمية لإقامة دولة بني العباس — أو دولة فارسية — كما كان يريد أبو مسلم ، وكان شعارهم اللون الأسود ، فكانت راياتهم سودا ، وكذلك ثيابهم ، ويعبر بروكلمان عما فعل هؤلاء بأهل الشام ، فيقول : « في بلاد الشام كان رجالهم يتصيدون أفراد هذا البيت ، ويبيدونهم كالوحوش الضارية ، ولم تسلم من انتقامهم قبور الخلفاء نفسها ، فانتهكوا حرمتها جميعا » ص ٢٠٦ جـ ١ تاريخ الشعوب الإسلامية ط لبنان .

(٤) في القاموس عن رِبان أنها على وزن كَتَّان ثم قال : « وليس في العرب ربان غيره ، ومن سواه بالزاي ، وفي جمهرة ابن حزم : أنه حزم بالحاء المفتوحة =

. . . .

جُدَّة الذى نزل جُدَّة من ساحل الحجاز ، فعرفت به ، كما عُرِفت كثيرٌ من البلاد بمن نزلها من الرجال ، وقد تقدم طرف من ذلك ، وسيأتى فى الكتاب كثير إن شاء الله تعالى . وربان هو : عِلَافٌ الذى تُنسب إليه الرِّحال العِلَافِيَّةُ .

وذكر سَعْد بن ذُبيَان ، وقصته مع عوف بن لؤى وذُبْيَان بن بَغِيض : بكسر الذال وضمها ، والكسر أفصح ، وهم أربعة أحياء من العرب : ذِبيان بن بَغِيض فى قيس ، وذِبيان بن ثعلبة فى بَجِيلَة ، وذبيان فى قضاعة ، وذبيان فى الأزْدِ .

وذكر ابن دريد فى كتاب اشتقاق الأسماء له : أن ذُبْيَان فُعْلَان [أو فِعْلان] من ذَبَى العودُ يَذْبِى [ذَبْياً إذا لانَ وَاسْتَرْخَى(١)] . يقال : ذَبى العودُ ، وذَوى بمعنى واحد .

وذكر حديث سَامَة بن لؤى حين قدم على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أحد بنيه ، فانتسب له إلى سامة ، فقال له عليه السلام : آلشاعرِ بخفض الراء من الشاعر ، كذا قيده أبو بحر على أبى الوليد بالخفض ، وهو الصحيح ؛ لأنه مردود على ما قبله ، كأنه مقتضب من كلام المخاطب ، وإن كان الاستفهام لا يعمل ما قبله فيما بعده ، ولكن العامل مُقَدَّرٌ بعد الألف ، فإذا قال لك القائل : قرأت على زيدٍ مثلا ، فقلت : آلعالِمِ بالاستفهام ، كأنك قلت له : أعلى العالم ،

= والزاى الساكنة ، بن زبان بالزاى المفتوحة والباء المضعفة ، وسأكتبها بالأمرين .

(١) فى الاشتقاق أنه على فعلان بضم أو كسر الفاء وسكون الباء ، وذبى يذبى : إذا لان واسترخى وذبى العود مثل ذوى والزيادة من الاشتقاق ص٢٧٥ .

. . . .

ونظير هذا ألف الإنكار إذا قال القائلُ: مررت بزيد، فأنكرت عليه، فقلت أزَيْدِنيه بخفض الدال، وبالنصب إذا قال: رأيت زيدا، قلت: أزَيْدَنيه، وكذلك الرفعُ. ومِنْ بنى سامة هذا: محمدبن عرعرةبن اليزيد شيخ البخارى، وبنو سامة ابن لؤى: زعم بعض النساب أنهم أدعياء، وأن سامة لم يعقب، وقال الزبير: ولد سامةُ: غالباً والنبيتَ والحارثَ. وأمُّ غالب: ناجيةُ بنت جَرْم بن زَبَّان، واسمها: ليلى(١) سميت: ناجية؛ لأنها عَطِشت بأرض فلاة، فجعل زوجها يقول لها: انظرى إلى الماء، وهو يُريها السرابَ حتى نجت، فسميت: ناجية، وإليها يُنْسَبُ [بَكْرُ بن قَيْسٍ] أبو الصِّدِّيقِ النَّاجِى الذى يَروى عن أبى سعيد الْخُدْرِيِّ، وأبو المتوكل الناجِىّ، وكثيرا ما يخرج عنه الترمذى، وكان بنو سامة بالعراق أعداء لعلى — رحمه الله — والذين خالفوا عليا منهم: بنو عَبد الْبَيْت، ومنهم: على بن الْجَهْمِ الشاعر قيل: إنه كان يلعن أباه لما سماه علياً بُغْضاً منه فى على — رحمه الله — ذكره المسعودى(٢).

---

(١) فى الجمهرة لابن حزم أن سامة قد ولد الحارث، وأمه: هند بنت تيم الأدرم، وغالبا أيضاً، وأمه ناجية بنت جَرْم بن زَبان إليها نسب ولد زوجها، فهم بنو ناجية، ولا عقب لغالب، وإنما العقب لأخيه الحارث خلف على ناجية فنسب ولده إليها، وفى ترجمة على بن الجهم فى الأغانى قصة ناجية.

(٢) فى جمهرة ابن حزم: «وبنو ناجية الذين قتلهم على - رضى الله عنه على الردة، وسباهم - من بنى أسامة، ومنهم على بن الجهم» ص ١٢.. وانظر ص ٤١٨ ج٢ مروج، ففيها ما قاله السهيلى عن ابن الجهم.. وفى نفس الصفحة يقول: «ولست تكاد ترى ساميا إلا منحرفا عن على. ويذكر أن الحارث بن راشد الناجى ارتد إلى دين النصرانية ومعه ثلثمائة، كما يذكر أن كثيراً من الناس يقررون أن سامة بن لؤى أعقب، وانظر ص ٤٤٠ نسب قريش عن ولد سامة.

أما عبد البَيْت: فهو ولد الحارث بن سامة بن لؤى

رفع المسيهم

. . . .

الرسول والمرسل

وقوله : بَلِّغَا عامراً وكَعْباً رَسُولا . يجوز أن يكون رسولاً مفعول : بِبَلِّغا إذا جعلتَ الرسول بمعنى : الرسالة ، كما قال الشاعر :

لقد كَذَبَ الواشُون ما بُحتُ عندَهم بِلَيْلَى ، ولا أرسلتهم برسُـــول

أى : برسالة ، وإنما سَمَّوا الرسالة : رسولاً إذا كانت كتابا ، أو ما يقُوم مَقَام الكتاب من شعرٍ منظوم ، كأنهم كانوا يُقيمون الشعر مَقَامَ الكتاب ، فتبلغه الرُّكبان : كما تبلغ الكتابَ يُعرِب عن ضمير الكاتب كما يُعرِب الرسولُ ، وكذلك الشعرُ المُبَلَّغ ، فسمى : رسولا . وبين الرسول والمُرْسَل معنى دقيقٌ يُنتفعُ به فى فهم قولِ الله عز وجل : ﴿وأرسلناك للناسِ رَسُولاً﴾ [النساء : ٧٩] فإنه لا يَحْسُن فى مثل هذا أن يقال : أرسلناك مُرْسَلاً ، ولا نَبَّأناكَ تَنْبيئاً ، كما لا يحسن : ضَرَبْنَاكَ مَضْروباً ، ولكشفِ هذا المعنى وإيضاحِه موضعٌ غير هذا ، واختصارِ القولِ فيه : أنْ ليس كلُّ مُرْسَلٍ رَسُولا ، فالرِّياحُ مُرْسَلَاتٌ ، والحاصِبُ مُرْسَلٌ ، وكذلك كلُّ عذابٍ أرسله الله ، وإنما الرسولُ اسمٌ للمُبَلِّغ عن المُرْسِل .

ويجوز أن يكون رسولاً حالٌ من قوله : بلِّغا عامرا وكَعْباً رسولا ؛ إذ قد يعبر بالواحد عن الاثنين والجماعة فى مثل هذا اللفظ ، تقول : أنتم رَسُولى ، وهى رَسُولى ، تُسَوِّى بين الجماعة والواحد والمذكر والمؤنث . وفى التنزيل : ﴿فأْتِيا فِرْعَوْن فقولا(١) : إنا رسُولُ رَبِّ العالمين﴾ [الشعراء : ١٦] فيكون المفعول

(١) الأمر لموسى وهرون .

. . . .

علي هذا : أنَّ نفسى إليهما مُشتاقةٌ ، ويكون أن على القول الأوَّلِ بدلا من رسولٍ أى : رِسَالة .

وقوله : وخَرُوسِ السُّرى تركتَ رَذِيًّا . إن خفضت فمعناه : رُبَّ خَرُوسِ السُّرى تركت ، فتركت فى موضع الصفةِ لِخَرُوسٍ ، وإن نصبتَ جعلتها مَفْعُولاً بتركتُ ، ولم يكن تركت فى موضع صفةٍ ؛ لأن الصفة لاتعمل فى الموصوف ، والسُّرَى : فى موضِع خفضٍ لِخَرُوسٍ على المجازِ كما تقول : نام ليلُكَ . يريد : ناقةً صَمُوتًا صَبُوراً على السُّرى ، لا تَضجَر منه ، فَسُرَاها كالأخْرس ، ومنه قولُ الكُمَيْتِ :

كَتُومٌ إذا ضَجَّ الْمَطِىُّ ، كأنما تَكَرَّمُ عن أخلاقهن وتَرْغَبُ

وقول الأعشى :

كَتُومُ الرُّغَاءِ إذا هَجَّرَت وكانت بَقِيَّةَ ذَوْدٍ كُتُمْ (١)

وإنما قال : خَرُوس فى معنى الأخْرس ؛ لأنه أراد كَتُوم ، فجاء به على وزنه . قال البَرْقِىُّ : وكانت ماوِيةٌ بنتُ كعبٍ تحب سَامَةَ أكثر من إخوته ، وكانت تقول ، وهى تُرَقِّصُه صغيرا :

وإنَّ ظَنِّى بابنى إنْ كَبَرْ أنْ يَشْترى الحمدَ ، ويُغلِى بالثَّمَنْ

---

(١) ذود : تقال عن ثلاثة أبعرة إلى العشرة أو خمس عشرة أو عشرين وثلاثين، أو ما بين الثنتين والتسع مؤنث ، ولا يكون إلا من الإناث، وهو واحد، أو جمع لاواحد له ، أو واحد.والجمع : أذواد.وكتم جمع كتوم : الناقة لاتشول بذنبها . وقد دخل بيتا الشعر فى قصة حدثت فى مجلس ليزيد بن المهلب ، اقرأها ص ٤١٧ سمط اللآلىء

رفع
المستهم
عز الله لطفه

أمر عوف بن لؤى ونقلته

قال ابن إسحاق: وأما عَوف بن لُؤَىّ فإنه خرج - فيما يزعمون - فى ركب من قُرَيْشٍ، حتى إذا كان بأرض غَطَفَان بن سَعْد بن قَيْس بن عَيْلان، أُبطِئ به، فانطلق مَن كان معه مِنْ قومه، فأتاه ثعلبة بن سَعْد، وهو أخوه فى نسب بنى ذُبيان - ثعلبة بن سعد بن ذُبيان بن بغيض بن رَيْث بن غطفان. وعوف بن سعد بن ذُبْيان بن بغيض بن رَيْث بن غَطَفَانَ - فحبسه وزوّجه والتاطه وآخاه، فشاع نسبُه فى بنى ذُبيان. وثعلبة - فيما يزعمون - الذى يقول لعوف حين أُبطِئ به، فتركه قومُه:

احْبِسْ على ابنِ لُؤَىّ جَمَلَكْ … تَرَكَك القومُ ولا مَتْرَكَ لَكْ

ويهزم الجيشَ إذا الجيشُ ارْجَحَنّ … ويُرَوِّى العَيْمَانَ مِن مَحْض اللّبَنْ(١)

يقال: كَبَنَ وأَكْبَنَ: إذا اشتد.

وذكر قول جرير لبنى جُشَم بن لؤى:

بَنِى جُشَمٍ لستم لِهِزّان، فانتَمُوا … لأعلى الرَّوابِي من لُؤَىّ بن غالب

يقال إنهم أعطَوْا جريرا على هذا الشعر ألفَ عيرٍ رُبىً، وكانوا ينتسبون إلى ربيعة، فما انتسبوا بعد إلا لقريش.

---

(١) ارجحن: مال واهتز، والعَيْمة بفتح العين: شهوة اللبن والعطش وهو عَيْمان، وهى عيمى، وفى نسب مرة بن عوف، يقول ابن حزم فى الجمهرة.. مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن غطفان بن قيس عيلان. وفي الاشتقاق: ذبيان بغيض بن غطفان

« مكانة مرة ونسبه وسادات مرة » :

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن جعفر بن الزُّبير ، أو محمدُ بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حُصَين أنّ عمر بن الخطاب قال : لو كنت مُدّعيا حَيًّا من العرب ، أو مُلْحقهم بنا لادّعيت بَنى مُرّة بن عَوْف ، إنَّا لنعرف فيهم الأشباه مع مانعرف منْ موقع ذلك الرجل حيث وقع ، يعنى: عوفَ بن لؤىّ.

قال ابن إسحاق : فهو فى نسب غَطَفَان : مُرّة بن عوف بن سعد بن ذُبْيَان ابن بَغيض بن رَيْث بن غطفان . وهم يقولون إذا ذُكر لهم هذا النسب : ما ننكره ، وما نجْحَدُه ، وإنه لأحبُّ النسب إلينا .

وقال الحارث بن ظالم بن جَذيمة بن يَرْبوع — قال ابن هشام : أحد بنى مُرّة بن عوفٍ حين هرب من النعمان بن المنذر ، فلحق بقُريش :

فما قَوْمى بثَعْلَبَة بن سَعْدٍ ... ولا بفَزارة الشُّعْرِ الرّقابا
وقَوْمى — إن سألت — بنو لؤىّ ... بمكّة علّموا مُضَر الضِّرابا
سَفِهْنا باتباع بنى بَغيض ... وتَرْكِ الأقْرَبينَ لنَا انتِسابا
سَفاهةَ مُخْلِفٍ لمَّا تَرَوّى ... هَراق المَاءَ ، واتَّبع السَّرَابا
فلو طُووِعْتَ عَمْرَكَ كنت فيهم ... وما أُلفِيتُ أنتجعُ السَّحابا
وخَشّ رَوَاحةُ القُرَشىّ رَحْلى ... بناجيَةٍ ولم يَطْلُب ثوابا

قال ابن هشام : هذا ما أنْشدنى أبو عُبيدة منها .

قال ابن إسحاق : فقال [أبو زيد] الحُصَين بن الحُمَام [بن ربيعة] المُرّى ، ثم أحد بنى سَهْم بن مُرّة يردّ على الحارث بن ظالم ، وينتمى إلى غَطَفان :

رفع المسهم غفر الله له ولوالديه

ألاَ لستم مِنَّا ، ولَسنا إليكم بَرِئْنا إليكم من لُؤَىّ بنِ غالب
أقَمْنا على عز الحجاز ، وأنتمُ بِمُعْتَلج الْبَطْحَاء بين الأخاشب

يعني : قريشا . ثم ندم الحُصَيْن على ما قال، وعرف ما قال الحارث بن ظالم ، فانتمى إلى قُرَيش ، وأَكْذَب نَفْسَهُ ، فقال :

نَدِمْت على قَوْلٍ مَضَى كنتُ قلتُهُ تَبَيَّنْتُ فيه أنه قول كاذب
فليتَ لساني كانَ نصفين منهما بَكيمٌ ، ونصفٌ عند مَجْرى الكواكب
أبونا كِنانِىّ بمكّة قَبْرُهُ بِمُعْتَلَجِ الْبَطْحاء بين الأخاشب
لنا الرُّبع من بَيْتِ الحرام وِرَاثَةً وربع البِطَاحِ عند دار ابن حاطب

أى أن بَنى لؤىّ كانوا أربعة : كعبا ، وعامراً ، وسامة ، وعوفا .

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم أنّ عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لرجال من بنى مُرّة : إنْ شئتم أن ترجعوا إلى نسبكم ، فارجعوا إليه .

قال ابن إسحاق : وكان القوم أشرافا فى غَطَفان ، هم سادتهم وقادتهم . منهم : هَرِم بن سِنَان بن أبى حارثة، وخارجة بن سِنَان بن أبى حارثة، والحارث ابن عَوْف ، والحُصَين بن الحُمَام ، وهاشم بن حَرْمَلَةَ الذى يقول له القائل :

أحيا أباه هاشمُ بن حَرْمَلَهْ
يوم الْهَبَاءات ويَوْم الْيَعْمَلَهْ
تَرَى الْمُلوكَ عِنْدَهُ مُغَرْبَلَهْ
يقتل ذا الذَّنب ، ومَنْ لاذَنْبَ له

قال ابن هشام: أنشدني أبو عُبَيْدة هذه الأبيات لعامر الخَصَفيّ: خَصَفة ابن قَيس بن عَيْلان:

أحيمَا أباهُ هاشمُ بنُ حَرْمَلَهْ
يَومَ الهبَاآت ويَوم اليَعْمَلَهْ
ترَى المُلوكَ عندَه مُغَربله
يقتل ذا الذّنب، ومَنْ لا ذَنْبَ له
ورُمحُه للوالدات مَثْكَلَهْ

وحدّثني أن هاشما قال لعامر: قل فيَّ بيتا جيّداً أُثِبْكَ عليه، فقال عامر البيتَ الأوّل، فلم يعجب هاشما، ثم قال الثانى، فلم يعجبه، ثم قال الثالث، فلم يعجبه، فلما قال الرابع:

يَقْتُلُ ذا الذّنْبَ، ومَنْ لا ذَنْبَ له

أعجبه، فأثابه عليه

قال ابن هشام: وذلك الذى أراد الكُمَيْتُ بن زَيد [بن الأَخْنَسِ الأسدى] فى قوله:

وهاشمُ مُرَّةَ المُفْنِي ملوكا   بلا ذَنْبٍ إليه ومُذنبينا

وهذا البيت فى قصيدة له. وقول عامر: يوم الهباءات. عن غير أبى عبيدة

قال ابن إسحاق: قومٌ لهم صيت وذِكْر فى غَطَفان وقَيس كلها، فأقاموا على نسبهم، وفيهم كان البَسْلُ.

رفع المسـاهم

أمر البسل

والْبَسْلُ — فيما يزعمون — نَسِيئُهُمْ ثمانية أشهر حُرُم ، لهم من كلّ سنة من بين العرب قد عرفت ذلك لهم العربُ لا ينكرونه ، ولا يدفعونه ، يسيرون به إلى أيّ بلاد العرب شاءوا ، لا يخافون منهم شيئا . قال زُهير بن أبى سُلْمى ، يعنى بنى مرة .

قال ابن هشام : زُهَيْرٌ أحد بنى مُزَيْنَةَ بن أُدّ بن طابخة بن الياس بن مضر ، ويقال : زُهَير بن أبى سُلْمَى من غَطَفَانَ ، ويقال : حليف فى غَطَفَانَ .

تأمَّل ، فإن تُقْوِ الْمَرَوْرَاةُ منهمُ ودَارَاتُها لا تُقْوِ منهم إذاً نَخْلُ
بلادٌ بها نادمتُهم وألِفتُهم فإن تُقْوِيا منهم فإنهمُ بَسْلُ

أى : حرامٌ . يقول : ساروا فى حَرمهم .

قال ابن هشام : وهذان البيتان فى قصيدة له .

قال ابن إسحاق : وقال أعشى بنى قَيْس بن ثعلبة :

أجارَتُكم بَسْـلٌ علينا مُحرَّمٌ وجارتُنا حِلٌّ لكم وحَليلُها

قال ابن هشام : وهذا البيت فى قصيدة له .

« أولاد كعب ومرة وأمهاتهم » :

قال ابن إسحاق : فولد كعب بن لؤَىّ ثلاثة نفر : مرّة بن كعب ، وعَدِىّ ابن كعب ، وهُصَيْص بن كعب . وأمهم : وَحْشِيَّة بنت شَيْبان بن مُحارب بن فهر بن مالك بن النضر .

فولد مُرّة بن كَعْب ثلاثة نفرٍ : كِلابَ بن مُرّة ، و تَيم بن مُرّة ، و يَقَظة ابن مُرّة .

فأمُّ كلاب : هِنْد بنت سُرَيْر بن ثَعْلبة بن الحارث بن [فِهر بن] مالك ابن كِنانة بن خُزَيمة . وأم يَقَظة : البارقية ، امرأة من بارق ، من الأَسْد من اليمن . ويقال : هى أم تَيْم . ويقال : تَيْم هِنْد بنت سُرَيْر أم كلاب .

« نسب بارق »

قال ابن هشام : بارق : بَنُو عَدِىّ بن حارثة بن عَمْرو بن عامر بن حارثة ابن امرئ القَيْس بن ثَعْلبة بن مازن بن الأَسْد بن الْغَوْث ، وهم فى شَنُوءة . قال الكُمَيت بن زَيْد :

وأَزْد شَنُوءَةَ اندَرَءوا علينا ... بِجُمٍّ يحسبون لهـا قُرُونا

فما قُلْنا لبارقَ : قـد أسأتم ... وما قُلْنا لبارقَ : أَعْتِبُونا

قال : وهذان البيتان فى قصيدة له . وإنما سُمّوا ببارق ؛ لأنهم تَبِعوا البَرْق .

« ولدا كلاب وأمهما »

قال ابن إسحاق : فولد كِلاب بن مُرّة رجلين : قُصَىّ بن كلاب ، وزهرة ابن كلاب . وأمهما : فاطمة بنت سَعْد بن سَيَل أحد الجَدَرَة ، مِنْ جُعْثُمة الأزد ، من اليمن ، حلفاء فى بنى الدِّيل بن بكر بن عَبْد مناة بن كِنانة .

«نسب جعثمة»

قال ابن هشام : ويقال : جُعْثمة الأَسْد ، وجُعْثمة الأَزْد ، وهو جُعْثُمة

ابن يَشْكُر بن مُبَشِّر بن صَعْب بن دُهْمان بن نَصْر بن زَهْران بن الحارث ابن كَعْب بن عبد الله بن مالك بن نَصْر بن الأسْد بن الغَوْث ، ويقال : جُعْثمة ابن يَشْكُر بن مُبَشِّرِ بن صَعْب بن نَصْر بن زَهْران بن الأسْد بن الغوث .

وإنما سُمُّوا الجَدَرَة ؛ لأن عامر بن عمرو بن جُعْثُمة تزوّج بنت الحارث ابن مِضَاض الجُرْهمى، وكانت جُرْهم أصحابَ الكعبة . فبنى للكعبة جداراً ، فسُمِّى عامر بذلك : الجادر ، فقيل لولده : الجَدَرة لذلك .

قال ابن إسحاق : ولسعد بن سَيَل يقول الشاعر :

ما نرى فى الناس شخصاً واحداً ... مَن عَلِمْناه كسَعْد بن سَيَلْ
فارساً أَضْبطَ ، فيه عُسْرةٌ ... وإذا ما واقفَ القِرْنَ نَزَلْ
فارساً يَسْتَدْرِج الخَيلَ كما اسْـتَدْرَجَ الحُرُّ القَطامِيُّ الحَجَل

قال ابن هشام : قوله : كما استدرج الحرّ . عن بعض أهل العلم بالشعر .

« عود إلى أولاد كلاب »

قال ابن هشام : ونُعم بنت كلاب ، وهى أم سعد وسُعَيد ابنى سهم بن عمرو بن هُصَيْصِ بن كَعب بن لُؤَىّ ، وأمها : فاطمة بنت سَعْدِ بن سَيَلٍ .

« أولاد قصى وعبد مناف وأمهاتهم »

قال ابن إسحاق : فولد قُصَىّ بن كِلاب أربعةَ نَفَرٍ وامرأتين : عبدَ مناف ابن قُصَىّ ، وعبدَ الدار بن قصىّ ، وعبد العُزَّى بن قصىّ ، وعبد بن قصىّ ، وتَخْمُر بنت قُصى، وَبَرَّة بنت قُصَى . وأمهم : حُبَّى بنت حُلَيل بن حَبَشِيَّة بن سَلُول بن كعب بن عمرو الخزاعى .

رفع المسلم

قال ابن هشام : ويقال : حُبْشِيَّة بن سَلول .

قال ابن إسحاق : فولد عبدُ مناف — واسمه : المُغيرة بن قُصَىّ — أربعة نفر : هاشم بن عبد مناف ، وعبد شمس بن عبد مناف ، والمطَّلب بن عبد مناف ، وأمهم : عاتكة بنت مُرّة بن هلال بن فالج بن ذَكْوان بن ثَعْلبة ابن بُهْثَة بن سُلَيم بن منصور بن عِكْرمة ، ونوفل بن عبد مناف ، وأمه : واقدة بنت عمرو المازنية . مازن بن منصور بن عكرمة .

وذكر شِعْرَ الحارث بن ظالم . وقوله(١) : سفاهة مُخْلِفٍ ، وهو المُسْتَقِى [للماء] ، وفيه لم يذكر :

لَعَمْرُكَ إننى لأُحِبُّ كَعْبًا وسامة إخوتى حُبِّ الشَّرابَا

وقوله : وخَشَّ رَوَاحةُ القُرَشىُّ رَحْلى بناجيةٍ . أى : بناقةٍ سريعة يقال : خَشَّ السهمَ بالريش ، إذا راشه به ، فأراد : راشنى وأصلح رحلى بناجية ، ولم يطلب ثوابا بمدحه بذلك . ورواحةُ هذا : هو رَوَاحة بن مُنْقِذ ابن مَعِيص بن عامر كان قد رَبَع فى الجاهلية أى : رأس ، وأخذ المِرْباعَ (٢) .

وقوله : لو طُووعت عَمْرَكَ كنت فيهم ، ونصب عمركَ على الظرف .

---

(١) بدأ يشرح قصيدة الحارث بن ظالم .

(١) كان جُشَم — وهو الحارث بن لؤى — قد دخلوا فى نزار من عنزة ، ثم من ربيعة .

(٢) نسب رواحة فى كتاب نسب قريش : رواحة بن منقذ — فى الروض كانت دالا — بن عمرو بن معيص الخ ص ٤٣٧ . والمرباع : كانوا فى الجاهلية إذا غزا بعضهم بعضاً ، وغنموا ، أخذ الرئيس ربع الغنيمة يقول شاعرهم :

لك المرباع منها والصفايا وحكمك والنشيطة والفضول

الصفايا : ما يصطفيه الرئيس ، والنشيطة : ما أصاب من الغنيمة قبل أن يصير إلى مجتمع الحى ، والفضول : ما عجز أن يقسم لقلته ، وخص به .

رفع
المستهام
عزالله لطيفك

. . . .

وقوله: وما أُلْفِيتُ أنتجِعُ السحابا. أى: كانوا يغنوننى بِسَيْبِهم ومعروفهم عن انتجاع السحاب، وارتياد المراعى فى البلاد.

وقول الحصين: بِمُعْتَلِجِ البطحاء: أى حيث تَعْتَلج السيول، والاعْتِلاَجُ عملٌ بقوة، قال الشاعر:

لو قلت للسَّيْلِ دعْ طريقك والـ ـسَّيْلُ كمثلِ الهضابِ يَعْتَلِجُ

وفى الحديث: إنكما عِلْجان، فعالجا عن دينكما(١)، وفى الحديث: إن الدعاء ليلاقى البلاء نازلا من السماء، فيَعْتَلِجَان إلى يوم القيامة، أى: يتدافعان بقوة.

وقوله: لنا الرُّبع بضم الراء، يريد: أن بنى لؤى كانوا أربعة: أحدهم: أبوهم، زهو عوف، وبنو لؤى هم: أهل الحرم، ولهم وراثة البيت. والأخاشب: جبال مكة، وقد يقال لكل جبل: أخشب، أنشد أبو عبيد:

كأن فوق مَنْكِبَيْهِ أَخْشَبا

وذكر خارجة بن سِنان الذى تزعم قيسٌ أن الجنَّ اختطفته لِتَسْتَفْحِلَهُ(٢) نساؤها لبراعته ونجدته، ونجابة نسله، وقد قدمت بِنْتُهُ على عُمَرَ، فقال لها: ما كان أبوك أعطى زُهَيراً حين مدحه، فقالت: أعطاه مالا ورقيقا وأثاثا أفناه الدهر، فقال: لكن ما أعطاكُم زُهَيْرٌ لم يُفْنه الدهْرُ، وكان خارجة بَقِيرًا

---

(١) العلج: الرجل القوى الضخم، فعالجا: أى مارسا العمل الذى ندبتكما إليه، واعملا به.

(٢) أى لتجعله كل منهن فى مكان الزوج منها، والقول خرافة.

رفع المسيهم

. . . .

أمَرَت أمُّه عند موتها أن يُبقَرَ بطنُها عنه ، ففعلوا فخرج حيًّا ، فسمى خارجة ، ويقال للبقير : خِشْعَة ، قال الحُطَيْئَةُ يعنى خارجة بن سنان :

لقد علِمَتْ خَيلُ ابن خِشعَة أنها متى ما يكن يوما جِلادٌ تُجالد

وقول عامر : ترى الملوك حوله مُغَرْبَلَة . قيل معناه : مُنتَفِخَة ، وذكروا أنه يقال : غربَلَ القتيلُ إذا انتفخ ، وهذا غير معروف(١) وإن كان أبو عبيد قد ذكره فى الغريب المصنف ، وأيضا : فإن الرواية بفتح الباء مُغَرْبَلة ، وقال بعضهم : معناه : يتخير الملوكَ فيقتاهم ، والذى أراه فى ذلك أنه يريد بالغربلة استِقْصاءَهم ، وتتبعهم ، كما قال مَكْحُولٌ الدِّمَشْقِيُّ : ودخلت الشام ، فغَرْبَلْتُهَا غَرْبَلَةً ، حتى لم أدع عِلْماً إلّا حَوَيته ، فى كل ذلك أسئل عن النَّفَل .

وذكر الحديث ، فمعنى هذا : التَّتَبُّعُ والاسْتِقْصاء ، وكأنه من غَرْبَلْتُ الطعام . إذا تتبعته بالاستخراج ، حتى لا تبقى إلا الحُثالة . وقوله :

يقتل ذا الذَّنبِ ومَنْ لا ذَنْبَ له(٢) إنما أعجب هاشما هذا البيت ؛ لأنه

---

(١) المغربل اسم مفعول ـ المقتول المنتفخ . وعند الخشنى ص ٣٥ « مغربلة : مقتولة . يقال : غربل إذا قتل أشراف الناس وخيارهم »

(٢) ورد البيتان فى الاشتقاق ، لابن دريد هكذا :

أحيا أباه هاشم بن حرمله إذ الملوك حوله مُسَرْعبله
ورمحه للوالدات مَشكلة يقتل ذا الذنب ومن لاذنب له

وفى نسخة من نسخ الاشتقاق « وقالوا : مغربلة ؛ فرعبلة مقطعة ، ومغربلة مستأصلة » ص ٢٩٠ بتحقيق الأستاذ عبد السلام هارون

رفع المسـهم

. . . .

وصفه فيه بالعز والامتناع ، وأنه لا يخاف حاكما يُعدِى عليه ، ولا تِرَةً من طالب ثأر. وهاشم بن حَرْمَلَة هذا هو : جد مَنْظُور بن زَبَّان بن يَسَار(١) الذى كانت بنته زُجْلَة عند ابنِ الزُّبَيْر ، فهو جد منظور لأمه ، واسمها : قِبْطِمُ بنت هاشم . كانت قِهْطِمُ قد حملت بمنظور أرْبعَ سنين(٢) ، وولدته بأضراسه، فسُمِّى منظورا لطول انتظارهم إيَّاهُ ، وفى زَبَّان بن سَيَّارٍ والد منظور يقول الْحُطَيْئَة :

وفى آلِ زَبَّان بن سَيَّارَ فِتْيَةٌ   يَرَوْن ثَنَايا الْمَجْد سَهْلاً صِعَابُها

ولم يَصْرِفْ سياراً لما سنذكره بعد — إن شاء الله .

مزينة :

وذكر زُهَيْراً ونسبَه إلى مُزَيْنَة ، وهم بنو عُثْمان بن عَمْرو بن الأطَم ابن أدّ بن طابخة(٣) . قال حَسَّانُ بن ثابت :

فإنَّك خيرُ عثمان بن عَمْرو   وأسناها إذا ذُكِرَ السَّنَاء

يمدح رجلا من مُزَيْنَة ، ومُزَيْنَةُ : أمُّهُمْ ، وهى بنت كَلْب بن وَبْرَة ،

---

(١) فى الاشتقاق : زبان بن سيار لا يسار وسيأتى فى الروض. وقد تزوج بنات منظور: الحسن بن على ، ومحمد بن طلحة ، وعبد الله بن الزبير ، والمنذر بن الزبير .

(٢) إن ربنا سبحانه يرشدنا فى القرآن إلى أن حمل الإنسان وفصاله ثلاثون شهراً فكيف نصدق هذا؟

(٣) فى ترجمة زهير فى الأغانى : عثمان بن عمرو بن أد بن طابخة . وفى الاشتقاق : عمرو بن أد بن طابخة ص ١٨٠ وكذلك فى الجمهرة لابن حزم : عمرو ابن أد بن طابخة، ومزينة هى أم ولد عمر.

. . . .

وأختها: الحَوْأَبُ بنت كَلْب التي يعرف بها ماء الحَوْأَب(١) المذكور في حديث عائشة: أَيَّتُكُنَّ صاحبة الجمل الأَدْبَبِ(٢) تنبحها كلابُ الحَوْأَبِ.

البسل:

وذكر البَسْل وهو الحرام، والبَسْلُ أيضا: الحلال، فهو من الأضداد ومنه: بُسْلَةُ الراقي، أي ما يحلُّ له أن يأخذه على الرُّقية، وَبَسْلٌ في الدعاء بمعنى: آمين، قال الراجز [المُتَلَمِّسُ].

لاخاب مِنْ نفعك مَنْ رَجَاكَ بَسْلاً، وعادى اللهُ مَنْ عاداك(٣)

وكان عمر بن الخطاب يقول في أثر الدعاء: آمين وبَسْلاً، أي: استجابة.

---

(١) حوأب: يقال: وادٍ حوأب: واسع. وعرفه الأزهري بقوله: الحوأب: واد في وهدة من الأرض واسع. وحوأب: ماء أو موضع قريب من البصرة وفي اللسان: أنه منزل بين البصرة ومكة، وهو الذي نزلته عائشة رضي الله عنها لما جاءت إلى البصرة في وقعة الجمل. وفي التهذيب: الحوأب موضع بئر نبحت كلابه أم المؤمنين مقبلها من البصرة، والحوأب: بنت كلب بن وَبْرَة، بسكون الباء ويضبطها الاشتقاق بالفتح دائما.

(٢) إنما أريد: الأدَبُّ بإدغام الباء - ليوازن به كلمة الحوأب، وهو الجمل الكثير الوبر، أو الكثير وبر الوجه، وقد روى أحمد والبزار هذا الحديث، ورواياته مضطربة، وتبدو فيه رائحة شيعية. فلم يروه غير أحمد والبزار.

(٣) في اللسان، والبسل من الأضداد وهو الحرام والحلال، والواحد والجميع والمذكر والمؤنث في ذلك سواء.. والإبسال: التحريم. وعن ابن سيدة: قالوا في الدعاء على الإنسان: بَسْلا وأَسْلا. وفي التهذيب يقال: بَسْلاً له والبيت الذي في الروض للمتلمس، وأنشده ابن جني برفع كلمة بسل، وقال: هو بمعنى: آمين.

. . . .

وقول زُهَير : فإن تَقْوِ المَرَوْرَاةُ منهم . البيت وقع فى بعض النسخ المَرَوْرَاتُ بتاء ممدودة ، كأنه جمع مَرَوْر ، وليس فى الكلام مثل هذا البناء ، وإنما هو المَرَوْرَاة بهاء مما ضُوعفت فيه العينُ واللامُ ، فهو فَعَلْعَلَة مثل صَمَحْمَحَة ، والألف فيه مُنْقَلِبة عن واو أصليَّة ، وهذا قول سيبويه جعله مثل : شَجَوْجَاة ، وأبطل أن يكون من باب عَثَوْثَل ، وقال ابنُ السراج فى قَطَوْطَاة : وهو مثل: مَرَوْرَاة، هو فَعَوْعَل مثل : عَثَوْثَل ، وقال سيبويه فيه : إنه من باب صَمَحْمَحَة ، فالواو زائدة على قول ابن السراج ، ووزنه عنده: فَعَوْعَلَة(١) .

---

(١) فى اللسان فى مادة مرو : المروراة : الأرض أو المفازة التى لا شىء فيها ، وهى "فَعَوْعَلَة" بفتح الفاء والعين وسكون الواو وفتح العين واللام ، والجمع : المَرَوْرَى " بفتح الميم والراء وإسكان الواو وفتح الراء والمَرَوْرَيَات " بفتح الميم والراء وإسكان الواو وفتح الراء ، والمرارى بكسر الراء الأخيرة ، وقال سيبويه هو بمنزلة صَمَحْمَح ، وليس بمنزلة عثوثل ؛ لأن باب الأولى أكثر من باب عثوثل . وقال ابن برى : مروراة عند سيبويه فعلعلة ، قال فى ما تقلب فيه الواو ياء : وأما المروراة فبمنزلة الشَّجَوْجَاة ، وهما بمنزلة صَمَحْمَح ، ولا تجعلهما على عثوثل؛ لأن فعلعلا أكثر، والصمحمح : الشديد القوى ، وجمعه : صمامح، وهى من الثلاثى الملحق بالخماسى أى: بسفرجل ، أما عثوثل فالكثير اللحم الرخو ، وهى من الثلاثى الملحق بالخماسى ، ويرى الفراء ـ كما ورد فى شرح الشافية ص ٦٣ ح (أن صمحمح على وزن "فَعَلَّل" بفتح الفاء والعين وتضعيف اللام " . وقال : لو كان فعلعلا لكان صرصر وزلزل فعفع ـ ويرد عليه الشارح بقوله : وليس ما قال بشىء ، لأننا لا نحكم بزيادة التضعيف إلا بعد إكمال ثلاثة أصول . أما قطوطى ـ وهو البطىء المشى ، فهى عند سيبويه فعوعل كغدودن ، أما المبرد فجعلها على " فَعَلْعَل ، وقال: أصله قطوط " بفتح القاف والطاء وإسكان الواو" . وحجة سيبويه أنه جاء منه: اقطوطى أى: أبطأ فى مشيه =

رفع المسـهم عزالله ...

. . . .

أعلام وأنساب :

وذكر هُصَيْص بن كعب ، وهو : فُعَيْل من الْهَصِّ ، وهو : الْقَبْض بالأصابع . من كتاب العين(١) .

وذكر يَقَظَة بن مُرَّة بفتح القاف ، وقد وجدته بسكون القاف فى أشعار مُدح بها خالد بن الوليد ، فمنها قول الشاعر :

وأنت لِمَخْزُوم بنِ يَقْظَه جنَّةٌ كلا اسْمَيك فيها ماجدٌ وابنُ ماجد

وأم مَخزوم بن يَقَظَة جَدِّ بنى مخزوم : كَلْبَةُ بنت عامر بنِ لُؤَىٍّ . قاله الزبير(٢) .

وذكر بارق ، وهم : بنو عدى من الأَزْد ، وقال : سُمُّوا : بارق ؛ لأنهم اتبعوا البرق ، وقد قيل : إنهم نزلوا عند جَبَل يقال له : بارقٌ ، فسُمُّوا به(٣) .

= مثل اغدودن: افعوعل، وافْعَلْعَل لم يأت فى كلام العرب، ولو كان فعلعلا كما زعم المبرد ، لكان القياس حذف الواو الأولى . والشجوجى: الطويل الظهر القصير الرجل ، وقيل : المفرط الطول الضخم العظام ، والشجوجى : العقعق والأنثى شجوجاة .

(١) والهص « بفتح الهاء » أيضاً : الصلب من كل شىء ، وشدة الغمز والوطء للشىء حتى تشدخه .

(٢) فى ص ٢٩٩ من نسب قريش ماذكره السهيلى عن نسب أم مخزوم

(٣) فى الاشتقاق عن بارق ص ٤٨٠ أنه سمى بارقا بجبل نزله بالسراة ، وإلى هذا ذهب صاحب نسب قريش ص ١٤

. . . .

وقول الكُمَيْت : بِجُمٌّ يَحْسَبُون لها قُرونا . أى : يُنَاطِحُون بلا عُدَّة ولا مُنَّةٍ(١) كالكِباش الجُمِّ التى لاقرون لها ، ويحسبون أن لهم قوةً . والكميت هذا هو : ابنُ زيد أبو المُسْتَهِلِّ من بنى أسد .

وفى أسد : الكُمَيْت بن معرُوف ، كان قبل هذا ، وفيهم أيضا الكميتُ ابن ثعلبة ، وهو أقدم الثلاثة ، وابن معروف هو الذى يقول :

[خُذُوا العَقْلَ إن أعطاكم القومُ عَقْلَكُم ... وكونوا كَمَنْ سِيم الهوانَ فأَرْبعَا]
ولا تُكْثِروا فيه الضِّجاج ، فإنه ... محا السَّيْفُ ماقال ابنُ دَارَةَ أجمعا(٢)

---

(١) القوة

(٢) ابن دارة هو : سالم بن مسافع بن يربوع أحد بنى عبد الله بن غطفان، ودارة : أمه ، كان هجا بعض بنى فزارة هجوا شنيعاً ، فاغتاله زُمَيْلٌ الفزارى وقال :

أنا زُمَيْلٌ قاتلُ ابن دارهْ ... وراحِضُ المخزاةِ عن فَزارة
ثم جعلت عَقْله البِكاره

والعقل : الدية : والبكارة : جمع بكر من الإبل والشعر : «خذوا العقل» منسوب للكميت بن معروف فى البيان والتبيين، وفى حماسة البحترى، وشرح الحماسة للتبريزى ومنسوب إلى الكميت بن ثعلبة فى خزانة البغدادى والمؤتلف ، وقد أخطأ البكرى فى السمط، فنسبه إلى زميل بن أبرد « انظر مجمع الأمثال للميدانى ص ٢٧٩ جـ ٢ ط السنة المحمدية ، ص ٣٨٩ جـ ١ البيان والتبيين بتحقيق الأستاذ عبد السلام هارون ، ص ٦٨٩ السمط للبكرى ، والزيادة فى الشعر من البيان ومجمع الأمثال وقبل البيتين بيت استحييت من ذكره .

رفع المسـاهم

. . . .

الجدرة :

وذكر الْجَدَرَةَ ، وقال : هم بنو عامر بن خُزَيْمَةَ بن جُعْشُمَةَ ، وفى حاشية الشيخ أبى بحر زيادة خزيمة خطأ ، إنما هو : عمرو بن جُعْشُمَةَ ، وذكر غير ابن إسحاق أن السَّيْلَ ذات مرة دخل الكعبة ، وصدع بنيانها ، ففزعت لذلك قريش ، وخافوا انهدادَها إن جاء سيل آخر ، وأن يذهب شرفُهم ودينُهم ، فبنى عامر لها جدارا ، فسُمِّى : الجادر . وقوله فى الجدرة : حُلفاء بنى الدِّيلَ . المعروف عند أهل النسب : أن الدِّيل فى عبد القيس ، وهو الدِّيلُ بن عمرو بن وديعة(١) [ابن أفْصى بن عبد القيس] ، والدِّيل أيضا فى الأزد ، وهو ابن هَدْهَاد بن زيد مناة ، والدِّيل أيضا فى تغلب وهو : ابن زيد بن عمرو بن غَنْم بن تغلب ، والدِّيل أيضا فى إياد ، وهو ابن أمية بن حذافة بن زهير بن إياد ، وأما الذى فى كنانة ، وهم الذين ينسب إليهم أبو الأسود الدُّؤلىّ ، وهو : ظالم بن عمرو ، وهم حلفاء الْجُدَرَةِ ، فابن الكلبى ومحمد بن حبيب وغيرهما من أهل النسب يقولون فيه : الدُّئِل بضم الدال وهمزة مكسورة ، وينسبون إليه دُؤَلِىّ ، وطائفة من أهل اللغة ، منهم : الكسائى ويونس بن حبيب والأخفش يقولون فيه : الدِّيل بكسر

---

(١) ابن وديعة بن لكيز ، بضم اللام وفتح الكاف وإسكان الياء ، ولكيز وأخوه شن: هما قبيلا عبد القيس بن أفصى بن دُعْمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة ابن نزار ، وفى الإنباه لابن عبد البر مثل مافى السيرة . أما فى نسب قريش ففيه عن الجدرة : وهم حلفاء لبنى نفاثة بن عدى بن الدئل بضم الدال وكسر الهمزة ابن بكر بن عبد مناة . وفى جمهرة ابن حزم ، الدُّئل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، وضبط دئل مثل ضبط النسب لها

. . . .

الدال ، وينسبون إليه الدِّيلىّ ، واختاره أبو عبيدة . قال محمد بن حبيب : ابن الكَلْبِى وغيره من أهل النسب أَقْعَدُ بهذا ، وإليهم يرجع فيما أشكل من هذا الباب .

قال المؤلف : وأما الدُّولُ ، فالدُّولُ بن حنيفة ، واسم حنيفة : أُثَال بن لُجَيم ابن صعب بن على بن بكر بن وائل ، وهم رهط مسيلمة الكذاب ، وفى ربيعة أيضا ، ثم فى عمرة : الدُّول بن صباح ، وفى الرِّباب : الدُّول بن جَلّ بن عدى ابن عبد مناة بن أُد ، بن طابِخَة ، وفى الأَسْدِ : الدُّول بن سعد مناة بن غامد .

والذى تقيد عن ابن إسحاق فى الدِّيل بن بكر بكسر الدال والياء الساكنة وقد وافقه على ذلك من النُّسَّاب : العَدوى وابن سالم الْجُمَحِىّ ، ومن تقدم ذكره من أهل اللغة(١) ، والدُّؤَل على وزن فُعَل من : دَأَل يَدْأَلُ إذا مشى بعجلة ، وأما

---

(١) إليك ما ورد فى اللسان وغيره عن الدئل والديل « والدُّئِل بالضم بطن ، أمهما : أم خارجة البجلية التى يضرب بها المثل فى سرعة النكاح » « جمهرة ص ١٧٠ ، ومجمع الأمثال . وفى الاشتقاق : وفى العرب : الديل بكسر الدال . والدول بضم الدال وإسكان الواو . والدئل بضم الدال ثم همزة مكسورة . وفى اللسان : الدئل بضم الدال وهمزة مكسورة : دويبة شبيهة بابن عرس . وفيه البيت : جاءوا بجيش لوقيس معرسه منسوبا إلى كعب بن مالك ولا يوجد اسم على وزن فعل بضم فكسر سوى الدئل ورئم قال الجوهرى نقلا عن الأخفش وهو قول ثعلب أيضا : وإلى المسمى بهذا نسب أبو الأسود الدؤلى بضم الدال وفتح الهمزة إلا أنهم فتحوا الهمزة على مذهبهم فى النسبة استثقالا لتوالى الكسرتين مع ياءى النسب ، كما ينسب إلى نمر : نمرى بفتح النون والميم وربما قالوا : الدولى بقلب الهمزة واوا ، لأن الهمزة إذا فتحت ، وكانت قبلها ضمة

. . . .

الديل بغير همز ، فكأنه سمي بالفعل من ديل عليهم من الدَّولة على وزن

ـــ فإنها تخفف لقلبها واوا محضة، كما قالوا في جُؤْن : جُون ، وفي مُؤْن مُون.
وقال ابن الكلبي : هو أبو الأسود الدِّيلي. فقلبت الهمزة ياء حين انكسرت فإذا انقلبت ياء كسرت الدال لتسلم الياء، كما تقول : قيل وبيع. واسمه : ظالم بن عمرو بن سليمان بن عمرو بن حِلْس بكسر الحاء بن نفاثة بضم النون بن عدي بن الدُّئل ابن بكر بن كنانة ، قال الأصمعي : وأخبرني عيسى بن عمر قال : الدِّيل بن بكر الكناني إنما هو : الدُّئل، فترك أهل الحجاز همزه . وعند السيرافي أن أهل البصرة يقولون الدُّؤلي، وهو من الدُّئل بن بكر بن كنانة . ويقول ابن حبيب : الدُّئل بن كنانة ، ويقول أيضاً: الدُّئل بن مُحَلِّم بن غالب بن مليح بن الهُون ابن خزيمة بن مدركة . وعن يونس أنهم ثلاثة : الدُّول من بني حنيفة : بسكون الواو، والديل من قيس ساكنة الياء. والدُّئل في كنانة رهط أبي الأسود. وجماعة من النحويين منهم الكسائي يقولون : الديلي بكسر الدال وما بعدها ، وعن محمد بن حبيب : الدُّئل في كنانة بضم الدال وكسر الهمزة، وكذلك في الهون بن خزيمة والديل في الأزد بكسر الدال وإسكان الياء . والديل بن هداد بن زيد مناة وفي عبد القيس كذلك : الديل بن عمرو بن وديعة، وفي تغلب كذلك الديل بن زيد بن غنم بن تغلب ، وفي ربيعة بن نزار: الدُّول بن حنيفة ، وفي عنزة: الدُّول بن سعد ابن مناة بن عامر مثله ، وفي ثعلبة : الدول بن ثعلبة بن سعد ضَبَّة. وفي الرِّباب: الدول بن جل بن عدي بن عبد مناة . وعن ابن سيدة : والدُّئِل حي من كنانة وقيل في بني عبد القيس. والنسب إليه دُؤَلِيٌّ ودَئلي وهذه نادرة لما في الكلام فعلى بضم الفاء وكسر العين. وابن السكيت يقول : الدُّؤلي مفتوح الواو مهموز منسوب إلى الدُّئل من كنانة ، والدُّول في حنيفة ينسب إليهم الدُّولي ، والديل في عبد القيس ينسب إليهم الديلي. وما نسبه اللسان إلى ابن الكلبي عين مانسبه السهيلي . وفي القاموس عن نسب أبي الأسود نقلا عن شرح اللمع للأصبهاني إنما هو دِئلي بكسر الدال وفتح الهمزة : نسبة إلى دِئل كعنب .

رفع المسهم

ما لم يسم فاعله . وقد قيل : إن الدُّئل بن بكر سمى بالدُّئل، وهى دُوَيبة صغيرة ، وأنشدوا لكعب بن مالك [الأَنْصَارِيّ] :

جاءوا بجيش لو قِيسَ مُعْرَسُه ماكان إلا كمُعْرَس الدُّئِل (١)

وأنشد فى سعد بن سَيَل ، واسم سَيَل : خير بن حَمالة ، قاله الطبرى ، والسَّيَلُ (٢) هو : السنبل ، وهو أول من حَلَّى السيوف بالذهب والفضة .

(١) فى الاشتقاق ورد فى البيت : معظمه ، كمفحص ، بدلا من : معرسه كمعرس . والمعرس هو مكان القوم ينزلون فيه بالليل وبعده :

عارٍ من النسل والثَّراء ومِنْ أبطال أهل البطحاء والأَسَل

والشعر فى جيش أبى سفيان الذين وردوا المدينة فى غزوة السويق، وأحرقوا النخيل ثم انصرفوا ، والأشهر فى معرس : معرس بتضعيف الراء المفتوحة ، وهو فى البيت يصف الجيش بالقلة والحقارة . يعنى لو قدر مكانهم عند تعريسهم كان كمكان هذه الدابة عند تعريسها ، وذكر صاحب الأغانى أن أبا سفيان ، وهو يتجهز من مكة المكرمة خارجا إلى المدينة المنورة قال أبياتا من الشعر يحرض فيها قريشا :

كِرُّوا على يثرب وجمعهم فإن ما جمعوا لكم نفل
إن يك يوم القليب كان لهم فإن ما بعده لكم دُوَلُ
آليت لا أقرب النساء ، ولا يَمَسُّ رأسى وجلدىَ الغُسُلُ
حتى تبيروا قبائل الأوس والـ خزرج إن الفؤاد مشتعل

فأجابه كعب :

يالهف أم المستمحين على جيش بن حرب بالحرة الفشل

ثم ذكر البيتين السابقين انظر ص ١٣ وما بعدها جـ ٤ شرح الشافية للرضى .

(٢) هى فى جميع ما اطلعت عليه من كتب الأنساب : سيل . وليس من معانى السيل : السنبل ، وإنما الذى بمعنى السنبل هو السبل بالباء لا بالياء

قال ابن هشام : فبهذا النسب خالفهم عُتْبة بن غَزْوان بن جابر بن وهب بن نُسَيْب بن مالك بن الحارث بن مازن بن منصور بن عِكْرِمَةَ .

قال ابن هشام : وأبو عمرو ، وتُماضر ، وقِلابة ، وحَيَّة ، ورَيْطَة ، وأم الأخْثَم [واسمها : هالة] ، وأم سفيان : بنو عبد مناف .

فأمُّ أبي عمرو : رَيطة ، امرأة من ثقيف ، وأم سائر النساء : عاتكة بنت مُرَّة ابن هلال [بن فالج بن ذَكْوَان بن ثعلبه بن بُهْثَة بن سُلَيمْ بن منصور] ، أم هاشم بن عبد مناف ، وأمُّها صَفيَّة بنت حَوْزة بن عَمْرو بن سَلُول [واسمه : مُرَّة] بن صَعْصعة بن مُعاوية بن بَكْر بن هَوازن ، وأم صَفِيَّة : بنت عائذ الله ابن سَعْد العَشِيرة بن مَذْحج .

أولاد هاشم وأمهاتهم :

قال ابن هشام : فولد هاشم بن عبد مناف أربعة نفر ، وخَمْسَ نسوة : عبد المطلب بن هاشم ، وأسد بن هاشم ، وأبا صَيْفِيّ بن هاشم ، ونَضْلة بن هاشم ، والشِّفاء ، وخالدة ، وضعيفة ، ورُقَية ، وحَيَّة . فأم عبد المطلب ورقية : سَلْمى بنت عمرو بن زيد بن لَبيد بن خِدَاش بن عامر بن غَنْم بن عديّ بن النجار . واسم النجار : تَيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر .

فارساً أَضْبَطَ ، فيه عُسْرة .

الأضبط : الذي يعمل بكلتا يديه ، وهو من صفة الأسد أيضا ، قال الجُمَيْحُ : [مُنقِذ بن الطَّمَّاح الأسدي] :

ضَبْطاء تسكن غَيْلا غير مقروب

رفع المسهم

وأمها : عُمَيْرة بنت صخر [بن حبيب] بن الحارث بن ثعلبة بن مازن ابن النجّار . وأم عُمَيْرة : سلمى بنت عبد الأشهل النجّارية . وأم أسد : قَيْلة بنت عامر بن مالك الخزاعيّ . وأم أبى صَيْفى وَحَيَّة : هند بنت عمرو بن ثعلبة الخَزْرجية . وأم نَضْلة والشِّفاء : امرأة من قضاعة . وأم خالدة وضعيفة : واقدة بنت أبى عدىّ المازِنيَّة .

أولاد عبد المطلب بن هاشم

قال ابن هشام : فولد عبدُ المطلب بن هاشم عشرةَ نفر ، وستَّ نِسْوة : العباس وحمزة ، وعبد الله ، وأبا طالب — واسمه : عبد مناف — والزُّبير ، والحارث ، وجَحْلا ، والمقوِّم ، وضِرَارا ، وأبا لهب — واسمه عبد العُزَّى — وصَفِية ، وأم حَكِيم البيضاء ، وعاتكة ، وأُمَيْمة ، وأرْوَى ، وبَرّة .

فأمّ العبَّاس وضِرار : نُتَيْلَةُ بنت جَناب بن كليب بن مالك بن عَمْرو ابن عامر بن زَيْد مناة بن عامر — وهو الضَّحْيان — بن سعد بن الخَزْرج بن تَيْم اللات بن النَّمِر بن قاسط بن هِنْب بن أفْصى بن جَدِيلة بن أسد بن رَبيعة بن نزار .

ويقال : أفصى بن دُعْمِىّ بن جَدِيلة .

وأمّ حمزة والمقوّم وجَحْل — وكان يلقّب بالغَيْداق لكثرة خيره ، وسعة ماله — وصَفِيةَ : هالة بنت أهَيب بن عبد مناف بن زُهْرة بن كلاب بن مُرّة ابن كَعْب بن لُؤَىّ .

وقوله : فيه عُشْرة من هذا المعنى أيضا ، والاسم منه : أعسر .

وأم عبد الله ، وأبى طالب ، والزُّبير ، وجميع النساء غير صَفيَّة : فاطمةُ بنت عمرو بن عائذ بن عِمْران بن مَخْزُوم بن يَقَظة بن مُرّة بن كعب بن لؤَىّ ابن غالب بن فِهرِ بن مالك بن النَّضر .

وأمها : صخْرة بنت عبد بن عِمْران بن مخزوم بن يقظة بن مُرّة بن كعب ابن لُؤَىّ بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضر .

وأم صخرة : تخْمُر بنت عبد بن قُصَىّ بن كِلاب بن مُرّة بن كَعْب بن لُؤَىّ بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضر .

وأم الحارث بن عبد المطلب : سَمْراء [أو صفية] بنت جُنْدب بن جُحَير ابن رِئَابِ بن حُبَيْبِ بن سُوَاءة بن عامر بن صَعْصعة بن معاوية بن بكر بن هَوازن بن مَنصور بن عِكْرمة .

وأم أبي لَهَب : لُبْنى بنت هاجِر بن عبد مناف بن ضَاطِر بن حُبْشية بن سلُول بن كعب بن عَمْرو الخُزَاعىّ .

وذكر حُلَيْل بن حُبْشية ، والحُبْشِيَة : نَملة كبيرة سوداء ، وأن قصيا تزوج ابنتَهُ حُبَّى ، فولدت له عبد مناف وإخوته ، وقال غيره : بل أم عبد مناف : عاتكة بنت هلال بن بالج [أو فالج] (١) بن ذكْوان ، وأم هاشم : عاتكة بنت مُرَّةَ ، فالأولى : عمة الثانية ، وأم وهب جد النبي — عليه السلام — لأمه : عاتكة بنت الأوقَص بن مُرّة بن هلال ، فهن عواتك . وَلَدْنَ النبيَّ

---

(١) وفى نسب قريش ص ١٤ حاشية ٥ فى بعض الكتب بالج وفى بعضها فالج .

. . . .

عليه السلام ، ولذلك قال : أنا ابن العواتك من سُلَيْم (١) ، وقد قيل فى تأويل هذا الحديث : إن ثلاثَ نِسوةٍ من سُلَيم أرضعنه ، كلُّهن تُسَمَّى : عاتكة ، والأول أصح . وأم عاتكة بنت مرة : ماوية (٢) بنت حَوْزَة بن عَمْرو بن مُرة أخى عامر بن صَعْصَعة ، وهم بنو سلول ، وأم ملوية : أم أناس الْمَذْحِجِيَّة .

وقال فى أمهات بنى عبد مناف : وأما صَفِيَّةُ فأمها : بنت عبد الله بن سعد العشيرة بن مَذْحِج ، وهو وَهْمٌ ، لأن سعد العشيرة بن مَذْحِج هو أبو القبائل المنسوبة إلى مَذْحِج إلا أقلها ، فيستحيل أن يكون فى عصر هاشم مَن هو ابْنٌ له لِصُلْبِه ، ولكن هكذا رواه البَرْقِيُّ عن ابن هشام — كما قلنا — ورواه غيره : بنت عبد الله من سعد العشيرة ، وهى رواية الغَسَّانِيِّ ، وقد قيل فيه : عائذ الله ، وهو أقرب إلى الصواب . ولسعد العشيرة ابْنٌ لِصُلْبِه ، واسمه : عيذ الله ،

---

(١) سعيد بن منصور فى سننه . والطبرانى فى الكبير عن سبابة بن عاصم . ملحوظة : فى النسب وجمهرة ابن حزم عن عبد شمس وهاشم ولدى عبدمناف أنهما توأم ، وأن هاشما اسمه : عمرو ، وفى حذف نسب قريش للسدوسى . وفى الجمهرة عن أم نوفل أنها وافدة من بنى مازن بن صعصعة السُّلمية خلف عليها هاشم ابن عبد مناف بعد أبيه ، وكانت العرب تسمى هذا النكاح نكاح المقت ص ١٢ جمهرة . فى ص ٣ حذف نسب قريش . وأم الأخثم بنت عبد مناف المذكورة فى السيرة اسمها : هالة .

(٢) فى نسب قريش « مارية بنت حوزة بن عمرو بن سلول واسمه : مرة ابن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن .

. . . .

وهى قبيلة من قبائل جَنْبٍ من مَذْحِج(١) ، وقد ذكرت بطون جَنْبٍ ، وأسماء ولدِ سعد العشيرة ، أو أكثرهم فى هذا الكتاب ، ولم سميت تلك القبائل بجَنْبٍ ، وأحسب الوهم فى رواية البرقى إنما جاء من اشتراك الاسم ؛ لأن أم صفية المذكورة بنت عيذ الله(٢) ، ولكن ليس بعيذ الله الذى هو ابن سعد العشيرة لصلبه ، ولكنه من سعد العشيرة .

وذكر عبد شمس بن عبد مناف ، وكان تلوا لهاشم ، ويقال : كانا توأمين ، فوُلد هاشم ، ورجله فى جبهة شمس ملتصقة ، فلم يقدر على نزعها إلا بدم ، فكانوا يقولون : سيكون بين ولدهما دماء ، فكان تلك الدماء ما وقع بين بنى هاشم ، وبين بنى أمية بن عبد شمس . وأما سلمى أم عبد المطلب ، فقد ذكر

---

(١) مذحج هو مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ . من جمهرة ابن حزم ، ومذحج : أكمة ولدت عليها أمهم ، فسموا مذحجا ، وليس لسعد العشيرة ولد اسمه : عيذ الله . الجمهرة ص ٣٨٣ .

(٢) اسمه : عائذ الله . أما جنب فى الجمهرة ص ٣٨٨ لابن حزم ، فاسم يطلق على ستة إخوة هم : أولاد يزيد بن حرب بن علة بن جلد بن مالك بن أدد بن زيد بن يشجب الخ ، وقد تحالف هؤلاء الستة على ولد أخيهم صداء بضم الصاد ، ومنهم كان معاوية بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن مُنَبِّه بن يزيد بن حرب بن علة الذى تزوج بنت مُهَلْهِل بن ربيعة التغلبى بنجران ، ومهرها أدما فقال فى ذلك شعراً :

أنكحها فقدها الأراقم فى جَنْبٍ وكان الحباء من أدم
لو بأبانَيْنِ جاء يخطبها ضُرِّج ما أنفُ خاطب بدم

والبيتان فى الأغانى جـ ٥ ص ٥٠ طبع دار الكتب والشعر والشعراء لابن قتيبة جـ١ ص ٢٥٨ وغيرهما . ويقول ابن حزم فى الجمهرة أن سائر جنب ويام من همدان وبنى الحارث بن كعب بن عمرو بن علة بن جلد بن مالك ، وهو مذحج ، هم أنصار الكافر الصلحى لعنه الله القائم بنواحى زبيد بدعوة بنى عبيد .

رفع
المسهم
عز الله له

. . . .

نسبها ، وأمها : عُمَيرة بنت صَخْر(١) المازنية ، وابنها : عمرو بن أُحَيْحَة بن الجُلَاح ، وأخوه : معبد ولدتهما لِأُحَيْحَةَ(٢) بعد هاشم ، وكان عمرو من أجمل الناس وأنطقهم بحكمة ، وقال رجل من بنى هاشم للمنصور : أرأيتَ إن اتَّسَعْنا فى البنين ، وضِقنا فى البنات فإلى من تدفعنا ، يعنى : فى المصاهرة، فأنشد:

عبد شمس كان يتلو هاشما وهما بعــــدُ لأمٍّ ولأبْ

وذكر الدَّارَقُطْنِيُّ : أن الحارث بن حبش السُّلَمِيّ ، كان أخا هاشم وعبد شمس والمطلب لأمهم ، وأنه رثى هاشما لهذه الأُخُوَّة ، وهذا يقوى أن أمهم عاتكة السُّلَمية .

فصل : وذكر ابن إسحاق أن أم حَيَّة بنت هاشم ، وأم أبى صَيْفِيّ : هند بنت [عمرو ابن](٣) ثعلبة [بن الخَزْرَج]، والمعروف عند أهل النسب أن أم حَيَّة : [أم عَدِىّ] : جَحْل بنت حُبَيْب بن الحارث بن مالك بن حُطَيط(٤) الثقفية، وحَيَّة بنت هاشم

---

(١) فى نسب قريش هو صخر بن حبيب بن الحارث بن ثعلبة بن مازن ابن النجار .

(٢) كذلك ولدت معها : نَيْسَة .

(٣) فى كتاب نسب قريش هكذا ، وأنها أم أبى صيفى .

(٤) ابن جشم بن قسى وهو ثقيف بن منبه بن بكر بن هوازن « الجمهرة ، لابن حزم ونسب قريش » هذا ، وأم أسد كان يقال لها الجزور لعظمها ، وأم نضلة هى ـ كما فى نسب قريش ـ أميمة بنت أدبن على من بنى سلامان بن سعد ، وكانت أم خالدة تسمى :قبة الديباج ،وكانت أم حكيم البيضاء تلقب بالحصان بفتح الحاء ، وهى توأمة أبى رسول الله صلى الله عليه وسلم « نسب قريش ص ١٧ »

رفع المسار هما

. . . .

تحت الأجحم بن دِنْدِنة [بن عمْرو بن القَيْن بن رِزاح بن عمرو بن سعد بن كعب بن عمرو] الخزاعى ولدت له : أُسَيْداء، وفاطمة بنت الأجحم التى تقول :

يا عَيْنُ بَكِّى عند كل صَبَاحِ   جُودى بأربعة على الجَرَّاح
قد كنتَ لى جبلا أَلُوذُ بظله   فتركتنى أَضْحَى بِأَجْرَدَ ضاح
قد كنتُ ذاتَ حَمِيَّةٍ ما عِشْت لى   أَمْشِى البَرَازَ، وكنتَ أنت جناحى
فاليومَ أخْضَعُ للذليلِ، وأتَّقِى   منـــه، وأدفع ظالمى بالرَّاح
وأَغُضُّ من بَصَرِى، وأعلم أنه   قد بان حَدُّ فوارسى ورِماحى
وإذا دَعَتْ قُمْرِيَّةٌ شَجَنًا لها   يوماً على فَنَنٍ دعوتُ صَبَاحى(١)

وقع هذا الشعر لها فى الحماسة وغيرها .

وذكر أم العباس، وهى، نُتَيْلة(٢) بنت جناب بن كُلَيب، وهى من بنى

(١) البيت الثانى فقط هو الذى فى الروض ، وبقية الأبيات زدتها لروعتها من ديوان الحماسة لأبى تمام، وفى نسب قريش أن حية بنت هاشم كانت عند هاشم ابن الأجحم بن دندنة. وفى الاشتقاق لابن دريد عن الأجحم: «وأحسب أن أمه خالدة بنت هاشم بن عبد مناف» ص٤٧٥ (٢) فى الأصل بتقديم التاء على النون فى كل ما سيقول عن نتيلة ، وهى فى جمهرة ابن حزم ونسب قريش : نُتَيْلة . وفى نسبها خلاف ؛ ففى نسب قريش وجمهرة ابن حزم : أن عامرا هو ابن النمر ابن قاسط من بنى القرية بكسر فكسر مع تضعيف فتضعيف مع فتح . وزاد فى الجمهرة : ابن قاسط بن ربيعة بن نزار . وفى المعارف لابن قتيبة : نتيلة بنت كلب بن مالك بن جناب ، وفى نسخ أخرى : نتكيلة ، وفى القرى للمحب الطبرى : نتيلة وفى السدوسى : نتلة .

رفع
المسأهم
غفر الله له

عامر الذى يعرف بالضَّحْيَان ، وكان من ملوك ربيعة ، وقد ذكرنا فى خبر تُبّع ، أنها أول من كسا البيت الدِّيبَاجَ ، وذكرنا سبب ذلك ، ونزيد هاهنا ماذكره الماوردى ، قال : أول من كسا البيتَ الديباجَ : خالدُ بن جعفر بن كلاب أخذ لَطِيمَةً من البَزِّ ، وأخذ فيها أنماطا(١) ، فعلقها على الكعبة ، وأم نُتَيْلَةَ : أم حُجْرٍ ، أو أم كُرْز بنت الأزَبّ من بنى بَكِيل من هَمْدَانَ ، وهى نُتَيْلَة بتاء منقوطة باثنتين وهى تصغير : نَتْلة واحدة : النَّتْل ، وهم بيض النعام ، وبعضهم يصحفها بثاء مثلثة(٢) .

وذكر فى بنى عبد المطلب جَحْلاً بتقديم الجيم على الحاء ، هكذا رواية الكتاب . وقال الدَّارَقُطْنِي : هو حَجْلٌ بتقديم الحاء(٣) . وقال : جَحْلٌ بتقديم الجيم هو : الحَكَمُ بن جَحْلٍ يَرْوِى عن عَلِيٍّ ، ومن حديثه عنه أنه قال : من فضَّلَنى على أبى بكر جَلَدْتُه حَدَّ الفِرْيَةِ . والجَحْلُ : السِّقاء(٤)

---

(١) ضرب من البسط وثوب صوف يطرح عليه الهودج . واللطيمة : عير تحمل المسك والبز وغيرهما للتجارة ، والبز : الثياب أو متاع البيت من الثياب.

(٢) فى اللسان : النتل بنون مفتوحة وتاء ساكنة : البيضة ، وهى الدومصة . والنتل بفتح النون وإسكان التاء : بيض النعام يدفن فى المفازة بالماء . والنتل بالتحريك مثله . وهــذا يثبت خطأ ماكان فى الروض ، إذ جعلها ثنل بثاء فنون . وليس فى اللسان مادة ثنل . وفى كتاب حذف من نسب قريش للسدوسى هى نتلة ، بفتح فسكون ففتح ، بنت جناب ، وهى فى السير التى بين أيدينا نتيلة .

(٣) فى السيرة التى بين أيدينا : حجل ، وهو كذلك أيضاً فى نسب قريش . ولكن عند ابن دريد والسدوسى : جحل .

(٤) وله أيضاً هذه المعانى : السيد من الرجال ، وولد الضب والزق والعظيم الجبين والجعل

. . . .

الضَّخْمُ . والجُحْل : الحِرْبَاءُ . وذكر ابن دُرَيْدٍ أن اسم جَحْلٍ : مُصْعَب . وقال غيره : كان اسمُهُ : مُغِيرة(١) ، وجَحْلٌ : لَقَبٌ له . والجُحْلُ : ضَرب من اليَعَاسِيب ، قاله صاحبُ العين . وقال أبو حنيفة : كلُّ شَيْءٍ ضَخْمٍ فهو : جَحْل ، وجَحْلٌ : هو الغَيْدَاقُ ، والغَيْدَاقُ : ولدُ الضَّبِّ ، وهو أكْبَرُ من الحِسْلِ(٢) . ولم يُعقِبْ ، وكذا المُقَوَّمُ لم يُعقِبْ إلا بنتا اسمها : هند . وأمُّ الغَيْداق — فيما ذكر القُتَبِيُّ : مُمَنَّعَةُ بنت عمرو الخُزَاعِية ، وهذا خلاف قول ابن إسحاق .

وذكر فى أعمامه أيضاً : الزبير ، وهو أكبر أعمامِ النبى — صلى الله عليه وسلم — وهو الذى كان يُرَقِّصُ النبىَّ — صلى الله عليه وسلم — وهو طِفل ، ويقول :

مُحَمَّد بن عَبْدَمِ ... عِشْتَ بعيشٍ أنْعَمِ
فى دَوْلَةٍ وَمَغْنَمِ ... دام سَجِيسَ الأَزْلَمِ (٣)

---

(١) هو رأى صاحب نسب قريش . ومن النساب من جعل جحلاً هو الغيداق ، ومنهم من جعله غيره ، كالسدوسى وصاحب نسب قريش

(٢) فى اللسان : الجَحْل : الحرباء . . قال الجوهرى : هو ذكر أم حُبَيْن . . وقيل : هو الضب المسن الكبير ، وقيل : الضخم من الضباب . . ويعسوب النحل والجعل أو العظيم منها . وفى النوادر لأبى زيد الأنصارى : يقال لفرخ الضب حين يخرج من بيضته : حِسْلا ، ثم يكون غَيْدَاقا ، ثم يكون مُطَبِّخا ، ثم يكون ضَبًّا مدركا . والغيداق أيضا : الصبى الذى لم يبلغ ، ص ٩٢ ط لبنان

(٣) فى أمالى القالى أنه دخل على الزبير ، وهو صبى ، فأقعده فى حجره وقال ما ذكره السهيلى ، وفى الأمالى ورد أيضا :

فى فرع عز أسنم ... مكرم معظم

=

. . . .

وبنته : ضُبَاعَةُ(١) كانت تحت المِقدادِ . وعبـــدُ الله ابنه : مذكورٌ في الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ وكان الزُّبَيْرُ — رضى الله عنه — يُكْنَى أبا الطاهر بابنه : الطاهر ، وكان من أظرف فتيانِ قريش ، وبه سَمَّى رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — ابنَه الطاهر . وأُخْبِرَ الزبير عن ظالم كان بمكة أنه مات ، فقال : بأىِّ عُقوبةٍ كان موتهُ ؟ فقيل : مات حَتْفَ أنفه ، فقال : وإن ! فلا بُدَّ من يوم يُنْصِفُ اللهُ فيه المظلومين ، ففى هذا دليلٌ على إقراره بالبعث .

وذكر أبا طالب ، واسمه : عبدُ منافٍ ، وله يقول عبدُ المطلب :

أُوصيكَ يا عبدَ منافٍ بعْدِى بمُوتَمٍ بعد أبيه فَرْدِ(٢)

مات أبوه وهوَ حِلْفُ المَهْدِ

= بعد قوله . فى دولة ومغنم انظر ص ١١ ح ٢ الأمالى الطبعة الثانية، وفيه أيضا ما قاله الزبير للعباس وضرار وأم الحكم ، ومغيث بن جاريته. وابن عبدم قيل : أراد : ابن عبد المطلب ، كما قال الآخر : قلت لها : قفى ، فقالت : قاف . والصحيح أنه أراد : ابن عبد ، وزاد الميم ، كما تزاد فى ابن ، قال الشاعر ـ وهو النمر بن تولب :

لُقَيم بن لقمان من أخته فكان ابن أخت له وابنما

وسجيس الأزلم : أبد الدهر .

(١) صحابية كريمة روت عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وعن زوجها المقداد ، وروى عنها ابن عباس وعائشة وبنتها كريمة ، وابن المسيب وعروة والأعرج وغيرهم . قتل ابنها يوم الجمل مع عائشة رضى الله عنها

(٢) الموتم : المرأة صار ولدها يتيما فلعلها : ميتم بفتح الميم وسكون الياء وفتح التاء : المفرد من كل شىء . وهو لائق بالمراد هنا ، ولعلها بفتح التاء هذا ولم يسلم من أولاد عبد المطلب =

. . . .

وذكر أبا لهب ، واسمُهُ : عَبْدُ الْعُزَّى ، وكُنِيَ : أبا لهب لإشراق وجهه وكان تَقْدِمَةً من الله — تعالى — لما صار إليه من اللهب ، وأمه : لُبْنَى بنت هاجِرٍ بكسر الجيم من بنى ضَاطِرَة بضاد منقوطة . واللُّبْنَى فى اللغة : شىء يتَمَيَّع من بعض الشجر ، قاله أبو حنيفة . ويقال لبعضه : الْمَيْعَة ، وَالدُّوَدِمِ : مثل اللُّبْنَى يسيل من السَّمُر ، غير أنه أحمر ، فيقال : حاضت السَّمُرَةُ(١) إذا رَشَحَ ذلك منها.

(أمهاتُ النبي صلى الله عليه وسلم)

ذكر فى آخرهن : بَرَّةَ بنت عوف بن عُبَيْد(٢) بن عُوَيْج بن عَدِيٍّ وهُنَّ كُلُّهن قُرَشِيَّاتٌ ؛ ولذلك وقف فى بَرَّةَ ، وإن كان قد ذكر أهلُ

═ إلا حمزة والعباس . وأما عماته : فصفية أم الزبير ، واختلف فى إسلامه هو وعاتكة وأروى ، وصحح بعضهم إسلام الأخيرة . وأسن أعمام النبي : الحارث ، وأصغرهم سنا : العباس . وأم حكيم البيضاء كان يقال لها الحصان وهى توأمة أبي رسول الله ، وقد سبق الحديث عنها .

(١) السمر ، بفتح السين وضم الميم ، ضرب من شجر الطلح . وعسل اللبنى : طيب ينضح من شجره ويتبخر به . والعامة تقول: حصى لبان ، والميعة : عطر طيب الرائحة ، أو صمغ يسيل من شجر بالروم ، أو دسم المر الطرى . يدق المر بماء يسير ، ويعتصر بلولب ، فتستخرج الميعة ،أو هى صمغ شجرة السفرجل ، أو شجرة كالتفاح الخ . هذا وقد زاد صاحب نسب قريش ابنين لعبد المطلب أحدهما : قثم ، وقد مات صغيرا . والغيداق واسمه : مصعب ، ولكن ابن هشام يجعل الغيداق لقبا لحجل . ويقول صاحب النسب : إن أم مصعب الملقب بالغيداق من خزاعة ، كما يقول : إن اسم أم العباس : صفية بنت جنب الخ ، بينما يسميها ابن هشام سمراء . فلعل هذا لقب لها .

(٢) فى نسب قريش ص ٢١ : بنت عدي الخ وعند السدوسي : بنت عوف ص ٦

. . . .

النسب بعد هذا : أُمَّ بَرَّةَ ، وَأُمَّ أُمِّها ، وَأُمَّ أُمِّ الأُمِّ ، ولكنهن من غير قريش . قال محمد بن حبيب : وأمُّ بَرَّةَ : قِلاَبَةُ بنت الحارث بن مالك بن طابخة بن صَعْصَعَة بن غادية بن كعب بن طابخة بن لِحْيَان بن هُذَيْل ، وأم قِلابة : أُمَيْمَةُ بنت مالك بن غَنْم بن لِحيان بن غادية بن كعب ، وأم أميمة : دَبَّةُ بنت الحارث ابن لِحْيان بن غادية(١) ، وأمها : بنت [يَرْبُوع بن ناضرة بن غاضرة] كَنْهفِ الظُّلْمِ من ثقيف ، وذكر الزبير قِلاَبَةَ بنت الحارث، وزعم أن أباها الحارث كان يكنى: أبا قلابة ، وأنه أقدم شعراء هذيل ، وذكر من قوله :

لاَ تَأْمَنَنَّ وَإِنْ أَمْسَيْتَ فى حَرَمٍ إِنَّ الْمَنَايَا بِجَنْبَيْ كلِّ إِنسَانِ

وَاسْلُكْ طَرِيقَكَ تَمْشِي غَيْرَ مُخْتَشِعٍ حَتَّى تلاَقِيَ مَا مَنَّى لَكَ الْمَانِي(٢)

---

(١) الذى فى نسب قريش عن أمهات النبي أن أم برة هى : أميمة بنت مالك ابن غنم بن حنش بن عادية بن صعصعة بن كعب بن طابخة بن لحيان - بكسر اللام - ابن هذيل ، وأمها : قلابة بنت الحارث ، فقلابة إذن هى : أم أم برة ، فلعله سقط كلمة أم من الروض، وأم قلابة هى : دبة بنت الحارث بن تميم ، وأمها : لبنى بنت الحارث بن النمر بن جرأة بكسر الجيم بن أسيد بن عمرو بن تميم بن مر بن أد ابن طابخة بن الياس بن مضر بن نزار . صفحة ٢٠ وما بعدها ، وأم حبيب التى ذكر ابن هشام أنها من أمهات النبي يقول عنها السدوسى ص ٦ أنها : حبيبة ، ويقوله السدوسى أيضا ص ٦ من كتابه حذف نسب قريش بعد أن ذكر أمهاته : « وكل العرب قد ولده - صلى الله عليه وسلم - ولكن هؤلاء أمهاته القرشيات » . وما نقله السهيلى عن الزبير يوجد فى كتاب عمه مصعب صاحب نسب قريش ص ٢١

(٢) فى اللسان :

ولا تقولنْ لشيء سوف أفعله حتي تلاقيَ ما يَمْني لك المانى

وفى التهذيب : حتي تبين مايمني لك المانى

. . . .

فَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ مَقْرُونَانِ فِي قَرَنٍ بِكُلِّ ذَلِكَ يَأْتِيكَ الْجَدِيدَانِ

وفيه أيضا :

لاتأمن الموتَ فى حِلٍّ ولا حَرَم إن المنايا توافى كُلَّ إنسانِ

واسلك طريقك فيها غير مُحتشِم حتى تلاقِى ما يَمْنى لك المانى

ويمنى المانى : يقدر الله القادر

وفى نسب قريش ص ٢١ :

إن الرشاد وإن الغى فى قرن بكل ذلك يأتيك الجديدان

ثم : لاتأمنن الخ

وفى أمالى المرتضى : روى أن مسلما الخزاعى ، ثم المصطلقى ، قال : شهدت رسول الله «ص» ـ وقد أنشـــده منشد قول سويد بن عامر المصطلقى :

لاتأمنن وإن أمسيت فى حرم إن المنايا توافى كل إنسان

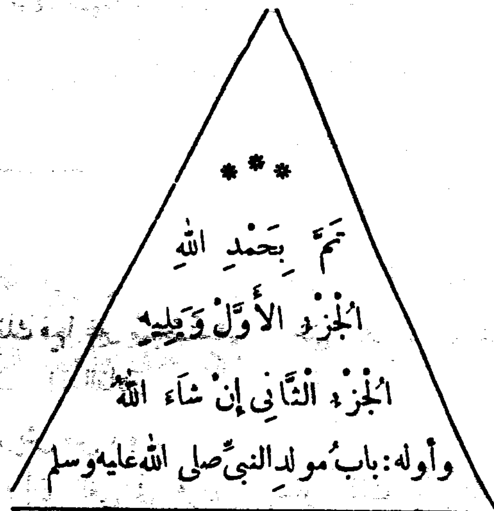
واسلك طريقك فيها غير مختشع حتى تبـين مايمنى لك المانى

فكل ذى صاحب يوما يفــارقه وكل زاد ـ وإن أبقيته ـ فانى

والخير والشر مقرونان فى قرن بـكل ذلك يأتيك الجديدان

فقال رسول الله «ص» : لو أدركته لأسلم ، فبكى مسلم ، فقال : ابنه : ياأبت مايبكيك من مشرك مات فى الجاهلية ؟ فقال : يابنى لاتفعل ، فما رأيت مشركة تلقفت من مشرك خيرا من سويد . ص٢٧ ح ٢ أمالى المرتضى ط ١٣٢٥ هـ وأخرج الحديث البغوى والطبرانى وابن السكن وابن شاهين وابن الأعرابى وابن منده من طريق يعقوب بن محمد الزهرى ، وقد تفرد به . الإصابة .

رفع
المسـهم
غفر الله له ولوالديه



رفع
المسهم
عز الله أيوب الدين

تصويبات

رغم تكرار التجارب والحرص البالغ ، غَلَبَتْنَا على أمرنا هذه الأخطاء التي نَدَّت عن العين ، ولقد كنت بين أمرين أولهما : الحرص على جمال الكتاب وأناقته ، فلا أصوِّب ، وآخرهما : البر بالحقيقة والحرص عليها ، واخترت هذه ، واثقا أن البر بالحقيقة فى تصويب ماغفلت عنه يعطى الكتاب أناقته وجماله .

رفع
المساهم
غفر الله له ولوالديه

ص	سطر	خطأ	صواب	ص	سطر	خطأ	صواب
٣٤	٩	بِسْلِكْ	بِسِلْكِ	٨٢	٢	سُرْيانى	سُرْيانى
٣٦	١٤	المقرِّى	المقَرِّى	٨٢	١٢	يُمتنع	يَمتنع
٣٧	١٥	شبه	شيبة	٨٥	١٤	شوخ	شوح
٣٨	١	عينيه	عُيَيْنَة	٨٧	١٧	استند	سيستند
٣٩	١	المقبرى	المَقْبَرِى	٨٨	١٧	فاراً	فارًا
٣٩	٣	الأُودِى	الأَوْدِىّ	٩٠	١	سبحانِه	سبحانَه
٤٥	١	سُمَّوْا	سَمَّوْا	٩١	١	شمسَ	شمسٍ
٥٤	٣	العَجَلَةَ	العَجَلَة	٩٦	٢٠	المراء	الراء
٥٧	٧	الألسُ	الألسَ	٩٦	٢٣	قوارير	أوعية من
٥٧	٧	رَجَلٌ	رَجُلٌ	١٠١	٥	أددَ	أددٍ
٥٨	٤	أهيس	أهيسَ	١٠٥	٩	ابنَ	ابنُ
٦٥	١٠	مصروفُ	مصروفٌ	١٠٤	٥	زيدٌ	زيدٍ
٦٧	٧	كُلَّكم	كُلُّكم	١٠٥	١٣	بخلاف	مخلاف
٦٩	١، ٢	مَعَدًا	مَعَدًّا	١٠٦	٩	السَّلحَ	السَّلْحُ
٧٠	٥	عبرانيَّةً	عِبْرَانِيَّةً	١٠٦	١٨	تنحيته	تنجيته
٧١	١٦	الحربه	الحربة	١٠٧	٥	عَنَزُ	عَنْزُ
٧٢	٥	مريمْ	مريمَ	١٠٨	٢٣	مدنية	مدينة
٧٣	٥	عدنٍ	عدن	١١٠	٩	بن ثعلبة العنقاء	بن ثعلبة العنقاء
٧٣	٦	سَطوة	سطْوة	١١٣	١٣	لكثرته	وذلك لكثرته
٧٩	٣	شعبان بين	سفيان بن	١١٦	١٢	من سيله	من (دون[1]) سيله
٧٩	٤	بالحيرة	بالحيرة وتعلمه	١١٩	٩	النقية	النقيه
٨١	١٢	عِطيه	عَطية	١٢٠	١٠	شعراء	الشعراء

(١) زيادة (دون) من اللسان فى مادة سبأ ومن السيرة ، وهى ليست فى الروض .

رفع المسهم

ص	سطر	خطأ	صواب
١٢١	١١	تقدمه	وتقدمه
١٢٢	٢٠	ص ٦١	ص٥٩ إلى ٦١
١٢٢	٢٠	حزم	عبد البر
١٢٢	٢٠	ص ٩٠ حـ ٨	ص ٩٠ حـ ٨ الأغانى
١٢٢	٢٢	٦٢ ١٢	٦٢ و
١٢٢	٢٠	الكميت	شاعر حمير أو مضر
١٢٦	١	المغيرةَ	المغيرةِ
١٢٧	١١	النعمانِ	النعمانَ
١٤٢	٢	الأرْض	الأرَضَ
١٥١	٨	بلادَهم	بلادُهم
١٥١	١٠	تَنسبَ	تُنْسَبُ
١٥٨	٦	بنت بلقيس	بلقيس بنت
١٦٤	١١	التبايعة	التبابعة
١٧٠	٦	والَّترة	والتِّرَة
١٧٠	١٥	المضمرَ	المضمرُ
١٧٣	١٠	أحبه	أحسبه
١٧٦	١٣	الخزف	الحرف
١٨٠	٨	ديننا	تحذف الكلمة
١٨٠	١٤	فُتَيلة	نُدَيْلَة(١)

ص	سطر	خطأ	صواب
١٨٥	١٦	بكسر .. وفتح	بفتح .. وكسر
١٨٧	٣	رَبًّ	رَبٌّ
١٨٨	٥	أبناءها	أبناهَا
١٨٨	١١	الجبلى	الْحُبْلِى
١٨٩	٥	ليَعلَمهم	لِيُعَلِّمَهُمْ
١٩٥	٨	وَهَب	وَهْب
١٩٧	١٤	أمر	مُرَّ
١٩٧	٢١	ليحرٍّم	ليحرَم
١٩٨	٩	استفتلح	استفتاح
٢٠٣	١٠	العلْم	العلِم
٢٠٦	١٢	خمسائة	خمسمائة
٢١٠	٤	ماء	ما
٢١١	١١	خَرَب	خَرِب
٢١٢	٤	الناس	الناسى
٢١٩	٣	وأبرْهَةَ	وأَبْرَهَة
٢١٩	٤	هو أَبْرَهَةَ	هو أَبْرَهَةُ
٢٢٧	١٧	فنيون	فينون
٢٢٨	١٠	منَ ، .. بَلَنْ	منْ .. ، بِلَنْ
٢٢٩	٤	صُخُرة	صُخْرَة .
٢٣٠	١١	جدور (٢)	جُدُر

(١) فى الروض تنيلة وهو خطأ .

(٢) هى هكذا فى الروض ولكنه خطأ سهوت عن تصويبه.

ص	سطر	خطأ	صواب
٢٣٠	١٢	تقيد	هكذا تقيد
٢٣٠	١٣	هكذا كما	كما
٢٣٣	١٧	الشافعية	الشافية
٢٣٤	٥	الرواى	الراوى
٢٣٦	٨	بالسعالِيَ	بالسّعالِي
٢٣٨	٤	إرمينية	بإرمينية
٢٤٨	٣	تعابة	ثعلبة
٢٤٩	١٠	افحر	فخر
٢٥٠	٣	نَقْدَعُهم	نَقْدَعُهُمْ
٢٦٦	١٤	لِهَنَّكَ[أو لَهِنَّكَ]	لَهِنَّكَ (١)
٢٦٩	١٣	أَكْلُب	أَكْلُبِ
٢٧٠	٢	نيت	نبت
٢٧٠	١١	طَبَرَسْتان (٢)	طَبَرْسَتان
٢٧٠	١٧	سُمَّى	سُمِّى

ص	سطر	خطأ	صواب
٢٧١	١٩	فِقَّل	فِعِّل
٢٧٤		يعبرَّ	يُعَبَّرُ
٢٧٦	٧	ينفض رأسه	يُجْنَبُ وَسْطَنا (٣)
٢٧٧	٢	يُؤْتفِين	يُؤَثْفَيْن
٢٧٧	٢	إسكان	وإسكان
٢٧٨	٢١	لسيبوته	لسيبويه
٢٨٨	٩	لا يُتَصورُّ	لا يُتَصَوَّرُ
٢٩٣	٢٠	خَشية	خَشْيَة
٢٩٣	٩	جَيْشَةً	جَيْشَةُ
٢٩٧	٩	القيلُ	القيلَ
٣٠٠	٣	أيمنُ	أيمن
٣٠٢	١٠	واد يين	وادٍ بين
٣٠٤	٢٣	مرتفعا	مرتفقا
٣١٠	٤	ووهمدان	وهمدان

(١) وانظر لها نوادر أبي زيد ص ٢٨ ط لبنان

(٢) هي في القاموس كما هي مكتوبة في الخطأ ، وفي البكرى كما هي في التصويب . وفي المراصد بكسر الراء وسكون السين .

(٣) الذى فى جدول الخطأ ليس خطأ ، وإنما رواية للبيت فى الروض . والذى فى جدول التصويب رواية ابن قتيبة فى أدب الكاتب . وبقية البيت : « تصوب فيه العين طورا وترتقى » وقد رواه عند ذكره أن الكاف تدخل على الباء . وينسب البيت أيضا لعمرو بن عمار ، وهو فى وصف فرس . وابن الماء : طائر سريع . يجنب : يقاد . تصوب : تنظر إلى أسفل انظر ص ٥٠١ أدب الكاتب ، ص ٢٥٠ شرح أدب الكاتب للجواليقى .

رفع المسهم

ص	سطر	خطأ	صواب	ص	سطر	خطأ	صواب
٣١١	١١	اليوم	البوم	٣٤٨	٧	النفُوسى	النفُوسى
٣١٨	١٦	شرويه	شـيرويه	٣٤٨	١٤	استرفى	استوفى
٣٢٠	١٩	يُستخرج	يَسْتخرج	٣٤٨	١٦	اسمٍ	اسمه
٣٢٤	٦	أسْهرك	أسْهَرَكِ	٣٥٢	٢	بدومة	بدومة
٣٣٦	٢	ينَعَم	يَنْعُم	٣٦٠	٢٠	أد	أدد
٣٣٦	١٩	ينكر	يذكر	٣٦٦	١٣	اللاَّت	اللاَّت
٣٣٧	١٠	فالعود	فالعُود	٣٦٩	٧	وخُلّى	وخُلَّى
٣٣٨	٢٣	الزعتر	الزُّغْبرُ	٣٧٢	٤	فصلبيت	فصلبت
٣٤٠	٢٢	أقبل وأقيل	أقْبل وأقيل	٣٧٦	١١	غذرة	غُذْرَة أو عذرة
٣٤١	٣	يُنْسبَ	يُنْسَبْ	٣٨٠	١٧	أبه	أبى
٣٤٤	٧	شرخ	شرح	٣٨٢	١٣	قرْقرة	قَرْقَرَة
٣٤٤	٢٠	هـلوك	لملوك	٣٨٣	١٢	الفنا	القنا
٣٤٧	٥	أهلَ	أهلِ				

رفع المساهم

المستهم فهرست
غفر الله له ولوالديه

محتويات الكتاب

(١) س : رمز عن السيرة و : ن.ل رمز عن النحو واللغة .
و ش : رمز عن الشرح أما الروض فبدون رمز أو : ر .

المستهم رفع
غفر الله له ولوالديه

رفع المسهم

رفع المساهم

رفع عبد الرحمن ... المسلم

هـذا الكتاب
والناشر والمطبعة

أما الكتاب فموسوعة ، وقد أرهقني العمل فيه إرهاقا ما شعرت به من قبل ، غير أني كنت أشعر معه بروح تَنَفُّسِي رائع . ولم لا ، ونحن نعمل في كتاب يتكلم عن خاتم النبيين . ففي سبيل الله ماأرهقني من عناء ، وما آذني من نصب . أما الناشر الفاضل فقد بذل للكتاب خير ما يمكنه بذله مما مكن لهذا الكتاب الكبير من الظهور .

أما المطبعة وصاحبها الأخ أحمد حمدي أحمد شعبان وعمالها وعلى رأسهم الأخ محمد محمود مصطفى فقد كانت وكانا عند حسن الظن الكريم بهم . جهد مبذول في سخاء ، وخلق وديع طيب ، وحرص كبير على أن يظهر الكتاب في أجمل صورة . فلله ما بذل الجميع . ضارعين إلى الله في حسن المثوبة ؟ .

عبد الرحمن الوكيل

رفع المسيهم

رفع
المسلم
غفر الله له ولوالديه

الروض الأنف

في شرح السيرة النبوية لابن هشام

الجزء الثاني

رفع
المسلم
غفر الله له ولوالديه

١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

الروض الأنف

في شرح السيرة النبوية لابن هشام

للإمام المحدث عبد الرحمن السهيلي
٥٠٨ — ٥٨١ هـ

ومعه

السيرة النبوية للإمام ابن هشام

المتوفى ٢١٨ هـ

الجزء الثاني

تحقيق وتعليق وشرح
عبد الرحمن الوكيل

توزيع
مكتبة العلم بجدة
حي الشغر
ت ، ٦٨٧٧٠١٤

الناشر
مكتبة ابن تيمية
القاهرة ت : ٨٦٤٢٤٠٢

رفع
المساهم
غفر الله له ولوالديه

جامعة الكويت
إدارة المكتبات - قسم التزويد العربي
رقم التسجيل: ١٧٢٣٨
التاريخ:

رفع
المساهم
غفر الله له ولوالديه

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله والصلاة والسلام على خاتم النبيين ، وسيد ولد آدم أجمعين ، محمد صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الذين اهتدوا بهديه إلى يوم الدين .

« أما بعد » فباسم الله نقدم الجزء الثانى من « الروض الأنف » للسهيلى والسيرة النبوية لابن هشام ، سائلين الله أن يعين على التمام ، وأن يجعل عملنا هذا صالحة عنده . إنه سميع مجيب ؟ .

القاهرة — حلوان — مدينة الزهراء

١٩ من رمضان سنة ١٣٨٧

٢٠ من ديسمبر سنة ١٩٦٧

عبد الرحمن الوكيل

رفع
المسامر
غفر الله له ولوالديه

« أمهات رسول الله صلى الله عليه وسلم » :

قال ابن هشام : فولد عبدُ الله بنُ عبد المطلب رسولَ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ سيِّدَ ولد آدم ، محمدَ بنَ عبد الله بن عبد المطلب ، صلواتُ الله وسلامه ورحمتُه وبركاته عليه وعلى آله . وأمه : آمنةُ بنت وَهب بن عبد مناف بن زُهرة بن كِلاب بن مُرّة بن كعْب بن لُؤَيّ بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضْر .

وأُمها : بَرّة بنت عبد العُزَّى بن عثمان بن عَبْد الدار بن قُصَيّ بن كِلاب ابن مُرّة بن كعْب بن لؤَى بن غالب بن فِهر بن مالك بن النَّضر .

وأم بَرّة : أمُّ حَبيب بنت أسد بن عبد العُزَّى بن قُصَيٍّ بن كلاب بن مُرّة بن كَعْب بن لُؤَىّ بن غالب بن فِهر بن مالك بن النَّضْر .

وأم أم حَبِيب : برّة بنت عَوْف بن عُبيد بن عُويج بن عدىّ بن كعب ابن لؤَىّ بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر .

قال ابن هشام : فرسول الله — صلى الله عليه وسلم — أشرفُ وَلد آدم حسبا ، وأفضلهم نسبا من قِبَل أبيه ، وأمه صلى الله عليه وسلم .

« حديث مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

إشارة إلى ذكر احتفار زمزم: قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال: وكان من حديث رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ما حدثنا به زياد بن عبد الله البكَّائى، عن محمد بن إسحاق المُطَّلِبى: بينما عبد المطَّلب بن هاشم نائمٌ فى الحِجْر، إذ أُتِىَ ، فأُمِر بحفْر زَمْزَم ، وهى دَفْن بين صَنَمىْ قُرَيشٍ : إسافٍ ونائلة ، عند

مَنْحر قريش . وكانت جُرْهم دَفَنَتْها حين ظَعنوا من مكة ، وهى : بئر إسماعيل ابن إبراهيم — عليهما السلام — التى سقاه الله حين ظَمِئَ وهو صغير، فالتمست له أُمُّه ماءً فلم تجده ، فقامت إلى الصَّفا تدعو الله ، وتستغيثه لإسماعيل ، ثم أتت الْمَرْوة ففعلت مثلَ ذلك . وبعث اللهُ تعالى جبريل عليه السلام ، فَهَمز له بعَقِبه فى الأرض ، فظهر الماء ، وسمعت أمه أصواتَ السِّباع فخافتْها عليه ، فجاءت تشتدّ نحوه ، فوجدته يَفْحص بيده عن الماء من تحت خدّه ويشرب ، فجعلته حِسْيًّا [الحسى : الحفيرة الصغيرة] .

أمر جرهم ، ودفن زمزم

قال ابن هشام : وكان من حديث جُرهم ، ودَفْنها زمزم ، وخروجها من مكة، وَمَنْ ولى أمرَ مكة بعدها إلى أن حَفَرَ عبدُ المطلب زمزم ، ماحدثنا به زِياد بن عبد الله البكَّائى عن محمد بن إسحاق الْمُطَّلِبِيِّ ، قال: لما توفى إسماعيل ابن إبراهيم وَلِيَ البيت بعده ابنُه نابت بن إسماعيل - ما شاء اللهُ أن يَليه - ثم ولى البيتَ بعده : مِضاض بن عمرو الُجرْهُمِى :

(باب مولد النبى صلى الله عليه وسلم)

ذكر نسبَ أمه آمنة بنت وَهب بن عَبْدِ مناف بن زُهْرَة ، وأن زُهْرَة هو : ابن كلاب، وفى المعارف لابن قتيبة : أن زُهْرَةَ اسم امرأة عُرِف بها بنو زُهْرَةَ ، وهذا مُنْكرٌ غير معروف ، وإنما هو اسمُ جدهم - كما قال ابن إسحاق والزُّهْرَةُ فى اللغة: إشراقٌ فى اللون ، أى لونٍ كان من بياضٍ أو غيره ، وزعم بعضهم أن الأَزْهرَ هو الأبيض خاصَّة ، وأن الزهر اسمٌ للأبيض من النُّوَّار ،

رفع المسهم

قال ابن هشام : ويقال : مِضاض بن عمرو الْجُرْهُمِىّ .

قال ابن إسحاق : وبنو إسماعيل ، وبنو نابت مع جدّهم : مُضاض بن عمرو وأخوالهم من جُرْهم ، وجُرْهم وقَطُوراء يومئذ أهلُ مكة ، وهما ابنا عمّ ، وكانا ظَعنا من اليمن ، فأقبلا سيَّارةً ، وعلى جُرْهم : مُضاض بن عمرو ، وعلى قطوراء : السَّمَيْدع رَجُلٌ منهم . وكانوا إذا خَرَجوا من اليمن لم يَخرجوا إلا ولهم مَلِكٌ يُقيم أمرَهم . فلما نزلا مكة رأيا بلداً ذا ماء وشَجَرٍ ، فأعجبهما فنزَلا به . فنزَل مُضاض بن عَمْرو بمَنْ معه من جُرْهم بأعْلى مكة بقُعَيْقِعان ، فما حازَ . ونزل السَّمَيْدع بقَطُوراء ، أسفل مكة بأجْياد ، فما حاز . فكان مُضاض يَعْشُر مَنْ دَخَل مكة من أعلاها ، وكان السَّمَيْدع يَعْشُر مَنْ دخل مكة من أسفلها ، وكلٌّ فى قومه لا يدخل واحدٌ منهما على صاحبه . ثم إن جُرْهم وقَطُوراء بَغَى بعضُهم

وخطَّأ أبو حَنِيفة من قال بهذا القول ، وقال : إنما الزُّهْرَة إشراق فى الألوان كلها ، وأنشد فى نَوْر الْحَوْذَانِ ، وهو أصفر :

ترى زَهرَ الْحَوْذَانِ حَوْلَ رياضه ... يُضىء كلَوْنِ الأتْحَمِىِّ الْمُوَرَّسِ (١)

وفى حديث يوم أحد : نظرت إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وعَيْناه تُزْهِران تحت الْمِغْفَر .

---

(١) الحوذان : نبات عشبى من ذوات الفلقتين . منه أنواع يزرع لزهرها ، وأخرى تنبت برية ، ويقال : تحم الثوب : وشاه ، والأتحمى والأتحمية ، والمُتَتحِمة – بضم الميم وسكون التاء وفتح الحاء ، أو بفتح التاء وتضعيف الحاء مع فتح – بُرْدة . ووَرَّس الثوب : صبغه بالورس ، وهو نبت من الفصيلة البقلية ، وهى شجرة ثمرتها قرن مغطى عند نضجه بغدد حمراء ، كما يوجد عليه زغب قليل يستعمل لتلوين الملابس الحريرية لاحتوائه على مادة حمراء .

على بعض ، وتنافسوا المُلك بها ، ومع مُضاض يومئذ: بنو إسماعيل وبنو نابت، وإليه ولايةُ البيت دون السَّمَيْدع . فسار بعضُهم إلى بعض ، فخرج مُضاض ابن عَمْرو من قُعَيْقِعان فى كتيبته سائرا إلى السَّمَيْدع ، ومع كتيبته عُدَّتُها من الرِّماح والدَّرَق والسُّيوف والجِعَاب، يُقَعْقع بذلك معه، فيقال : ماسُمّى قُعَيْقِعان بقعيقعان إلا لذلك . وخرج السَّمَيْدع من أجياد، ومعه الخيل والرجال ، فيقال : ما سمى أجياد : أجياداً إلا لخروج الجياد من الخيل مع السَّمَيْدع منه . فالْتَقَوْا بفاضِح ، واقتتلوا قتالا شديداً ، فقُتل السَّميدع ،وفُضِحت قطوراء . فيقال : ما سُمّى فاضح فاضحا إلا لذلك . ثم إن القوم تداعَوْا إلى الصلح ، فساروا حتى نزلوا المَطابخ : شِعْبا بأعلى مكة ، واصطلحوا به ، وأسلموا الأمرَ إلى مُضاض . فلما جُمع إليه أمْر مكة ، فصار مُلْكُها له نَحَر للناس فأطعمهم ، فاطَّبخ الناسُ وأكلوا ، فيقال : ما سمّيت المَطابخ : المطابخ إلا لذلك . وبعضُ أهل العلم يزعمُ أنها إنما سُمّيت المطابخ ، لِمَا كان تُبَّع نحر بها ، وأطعم ، وكانت منزلَه، فكان الذى كان بين مُضاض والسَّميدع أول بَغْى كان بمكة فيما يزعمون .

ثم نشر الله وَلَدَ إسماعيل بمكة ، وأخوالهم من جُرْهُم ولاة البيت والحكام بمكة ، لاينازعهم ولد إسماعيل فى ذلك لخئولتهم وقرابتهم ، وإعظاما للحُرْمة أن يكون بها بَغْى أو قتال . فلما ضاقت مكة على ولد إسماعيل انتشروا فى البلاد ، فلا يناوِئون قوما إلا أظهرهم الله عليهم بدينهم فوطِئوهم .

زمزم : وذكر فيه خبر إسماعيلَ ، وأمّه ، وقد تقدم طرفٌ منه. وذكر أن جِبْريلَ — عليه السلام — هَمَزَ بعقبه فى موضع زَمْزَم ، فنبع الماء ، وكذلك زَمْزَم

رفع المسلم

استيلاء كنانة وخزاعة على البيت ونفي جرهم

« بنو بكر يطردون جرهما »

ثم إن جُرهما بَغَوْا بمكة ، واستحلُّوا خِلالا من الحرمة ، فظلموا مَنْ دخلها من غير أهلها ، وأكلوا مال الكعبة الذى يُهْدى لها ، فرقّ أمرهم . فلما رأت بنو بَكْر بن عَبْد مَناة بن كِنانة ، وغُبْشان من خُزاعة ذلك ، أجمعوا لحربهم وإخراجهم من مكة . فآذنوهم بالحرب فاقتتلوا ، فغلبتهم بنو بَكْر وغُبْشان ، فنفوْهم من مكة . وكانت مكة فى الجاهليَّة لاتُقِرّ فيها ظُلْما ولا بَغْيا، ولا يَبْغى فيها أحد إلا أخرجته ، فكانت تسمى : النَّاسَّة ، ولا يريدها ملك يستحلُّ حُرْمَتها إلا هلك مكانه ، فيقال : إنها ما سمّيت ببكَّة إلا أنها كانت تَبُكّ أعناق الجبابرة إذا أحدثوا فيها شيئا .

قال ابن هشام : أخبرنى أبو عُبيدة : أن بكة اسم لبطن مكة ؛ لأنهم يتباكُّون فيها ، أى : يزدحمون ، وأنشدنى :

إذا الشَّرِيبُ أخذتهُ أكَّه فَخَلِّه حتى يَبُكّ بكَّه

أى: فدعْه حتى يَبُكَّ إبلَهُ ، أى يُخَلِّيها إلى الماء،فتزدحم عليه ، وهو موضع البيت والمسجد . وهذان البيتان لعامان بن كعْب بن عمرو بن سعْد بن زيد مناة بن تميم .

تسمى : هَمْزَة جبريل بتقديم الميم على الزاى، ويقال فيها أيضاً : هَزْمة جبريل ، لأنها هَزْمَةٌ(١) فى الأرض ، وحكى فى اسمها : زُمَازِمُ وزَمْزَم . حكى ذلك عن المُطرز ، وتسمى أيضاً : طعَام طُعْمٍ ، وشِفَاء سُقْمٍ . وقال الْجُرْبِيّ : سميت :

(١) فى النهاية لابن الأثير : الهزمة : النقرة فى الصدر ، وفى التفاحة إذا

قال ابن إسحاق : فخرج عمرو بن الحارث بن مُضاض الجرهمىّ بغزالى الكعبة وبحجر الركن ، فدفنهما فى زمزم ، وانطلق هو ومن معه من جُرْهم إلى اليمن ، فحزنوا على ما فارقوا من أمر مكة ومُلْكها حزنا شديداً ، فقال عمرو ابن الحارث بن مُضاض فى ذلك ، وليس بمُضاض الأكبر :

وقائلةٍ والدمعُ سَكْبٌ مُبادرُ وقد شَرِقتْ بالدمع منها الْمَحاجِرُ
كأن لم يكن بين الحَجُون إلى الصَّفا أنيسٌ ولم يَسْمُرْ بمكّة سامرْ
فقلتُ لهاَ والقلبُ منىّ كأنما يُلَجْلِجُه بين الجناحين طائر
بلى نحن كُنَّا أهلها ، فأزالنا صُروفُ اللَّيالى ، والْجُدود العَواثر
وكنَّا ولاة البيت من بَعْد نابتٍ نطوفُ بذاك البيت ، والخيرُ ظاهر
ونحن وَلِينا البيتَ من بعد نابت بعزٍّ ، فما يحظى لدينا الْمُكاثر
ملَكْنا فعزَّزْنا فأعْظِمْ بمُلكنا فليس لحىٍّ غيرنا ثَمَّ فاخرُ
ألم تُنْكحوا من خير شخص علمته فأبناؤه منَّا ، ونحن الأصاهر
فإنْ تنْثَن الدُّنيا علينا بحالِهاَ فإنّ لهاَ حالا ، وفيها التَّشاجرُ
فأخرَجنا منها المليكُ بقُدْرة كذلك ـ يا للنَّاس ـ تجرى المقادر
أقولُ إذا نام الخلىّ ، ولم أنم : أذا العرش: لا يَبْعَدْ سُهيل وعامر
وبُدِّلْت منها أوجُها لا أحبُّها قبائلُ منها حِمْيَرٌ ويُحابِر

زمزم ، بزَمْزَمَةِ الماءِ ، وهى صوته ، وقال المسعودِى : سُمِّيتْ زمزم؛ لأن الفُرْسَ كانت تحج إليها فى الزمن الأوَّل ، فزَمْزَمَتْ عليها . والزَّمْزَمةُ : صوتٌ يُخْرِجه الفُرْسُ من خياشيمها عند شرب الماء . وقد كتب عمرُ ـ رضى الله عنه ـ إلى عماله : أن انهو الفرسَ عن الزَّمْزَمَةِ ، وأنشد المسعودى :

رفع
المساهم
عز الله الرحمن

وصرنا أحاديثا وكُنّا بغبطةٍ   بذلك عضّتنا السِّنون الغوابر
فسحّت دموعُ العين تبكى لبلدةٍ   بها حَرَمٌ أمْنٌ، وفيها المشاعر
وتبكى لبيتٍ ليس يُؤذَى حمامُه   يظلّ به أمْناً، وفيه العصافر
وفيه وُحوش — لاتُرام — أنيسةٌ   إذا خرجتْ منه، فليست تُغادر

قال ابن هشام: «فأبناؤه منا»، عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وقال عمرو بن الحارث أيضا يذكر بَكْرا وغُبْشَان، وساكنى مكة الذين خَلَفُوا فيها بعدهم:

يأيها النّاس سيرُوا إن قَصرَكم   أن تُصبحوا ذات يوم لا تَسيرُونا
حُثُّوا المَطِىَّ، وأرْخُوا من أزِمَّتِها   قبل المات، وقَضُّوا ما تُقَضُّونا
كُنَّا أُناسا كما كنتم، فغيَّرنا   دهرٌ، فأنتم كما كنّا تكونونا

قال ابن هشام: هذا ما صحّ له منها. وحدثنى بعضُ أهل العلم بالشعر: أن هذه الأبيات أوّلُ شعر قيل فى العرب، وأنها وُجدتْ مكتوبة فى حَجَرٍ باليمن، ولم يُسمّ لى قائلها.

زَمْزَمَتِ الْفُرْسُ على زَمْزَم   وذاك فى سالفِها الأَقْدَم (١)

---

(١) الزمزمة أيضاً: تراطن الفرس على أكلهم، وهم صُمُوت لا يستعملون اللسان ولا الشفة، لكنه صوت تديره فى خياشيمهم وحلوقهم، فيفهم بعضهم عن بعض. والبيت فى ص ٢٤٢ ج ١ المسعودى. ونص قول المسعودى: «كانت أسلاف الفرس تقصد البيت الحرام، وتطوف به تعظيما له، ولجدها إبراهيم عليه السلام وتمسكا بهديه، وحفظاً لأنسابها، وكان آخر من حج منهم: ساسان بن بابك،

. . . .

وذكر البرقى عن ابن عباس – رضى الله عنه – أنها سميت : زَمْزَم لأنها زُمَّتْ بالتراب ؛ لئلا يأخذ الماء يمينا وشمالا ، ولو تُركت لساحت على الأرض حتى تملأ كلَّ شىء . وقال ابنُ هشام : والزمزمة عند العرب : الكثرة والاجتماع قال الشاعر :

وباشرتْ مَعْطَنَها الْمُدَهْثَما وَيَمَّمَتْ زُمْزُومَها الْمُزَمْزِمَا (١)

سبب نزول هاجر وإسماعيل مكة : الْمُدهثَم : اللَّيِّنُ ، وكان سبب إنزال هاجر وابنها إسماعيل بمكة ونقلها إليها من الشام أنَّ سارَّة بنت عمِّ إبراهيم – عليه السلام – شجر بينها وبين هاجر أمر ، وساء ما بينهما ، فأمرَ إبراهيمُ أن يسير بها إلى مكة ، فاحتملها على الْبُرَاق (٢) واحتمل معه قِرْبة بماء ومِزْوَد تمْرٍ ، وسار بها

---

(١) فى الأصل : المدهشم ، وهو خطأ . والمعطن هو للابل كالوطن للناس ولكنه غلب على مبركها . والزمزوم : الجماعة من الإبل عددها مائة . وقد ذكر اللسان عن ابن برى أن زمزم لها اثنا عشر اسما : زمزم ، مكتومة ، مضنونة ، شباعة «بضم الشين وفتح الباء» سقيا «بضم السين وسكون القاف» ، الرَّوَاء : «بفتح الراء والواو» ركضة جبريل ، هزمة جبريل ، شفاء سقم ، طعام طعام ، حفيرة عبد المطلب . أقول : وذكر لها اسم آخر هو بَرَّة . وفى اللسان أيضاً : الزمزمة بكسر الزاى : الجماعة من الناس ، وفرس يزمزم فى صوته إذا كان يطرب .

(٢) لم يرد له ذكر فى المرويات الصحيحة ، ولم يرد فى حديث يعتد به أن إبراهيم حمل هاجر إلى هنالك ليرضى سارة ، بل الذى ورد أنه حملها بأمر الله ليقضى الله أمره سبحانه . وليس إبراهيم بالرجل الذى يضع أمر امرأته فوق أمر ربه ، أو يرتكب مثل هذا ترضية لامرأته .

رفع المستهم

. . . .

حتى أنزلها بمكة فى موضع البيت (١)، ثم وَلَّى راجعا عوده على بدئه(٢)، وتبعته هاجر(٣) وهى تقول : آللهُ أمرك أن تدعنى ، وهذا الصبىَّ فى هذا البلد الموحش، وليس معنا أنيسٌ ؟ ! فقال: نعم ، فقالت : إذاً لا يضيعنا(٤) ، فجعلت تأكل من التَّمْر، وتشرب من ماء القربة ، حتى نَفِدَ الماء ، وعَطِشَ الصبى، وجعل يَنْشَغُ للموت(٥)،وجعلت هى تسعى من الصفا إلى المروة، ومن الْمَرْوَةِ إلى الصفا ؛ لترى أحدا، حتى سمعت صوتاً عند الصَّبىِّ ، فقالت : قد أسمعْت ، إن كان عندك غوْثٌ ، ثم جاءت الصبىَّ ، فإذا الماء ينبع من تحت خدِّه ، فجعلت تغرِف بيديها، وتجعل فى الْقِرْبة . قال النبى - صلى الله عليه وسلم - : لو تركته لكانت عيْنا ، أو قال : نهراً مَعيناً ، وكلمها الملك ، وهو جبريلُ - عليه السلام - وأخبرها أنها مقر ابنها وولده إلى يوم القيامة (٦) ، وأنها موضعُ بيت الله الحرام ، ثم ماتت

---

(١) فى رواية للبخارى : « وضعها عند البيت عند دوحة فوق الزمزم فى أعلى المسجد ، وليس بمكة يومئذ أحد، وليس بها ماء» .

(٢) كان راجعاً إلى الشام .

(٣) فى رواية ابن جريج : « فأدركته بكداء بفتح الكاف ، أوكدى بضم الكاف والقصر .

(٤) فى رواية : أنها نادته ثلاثا ، وأنه أجابها فى الثالثة ، وأنها قالت له : حسبى ، أو : رضيت بالله ،

(٥) يشهق ويعلو صوته وينخفض كالذى ينازع . وفى روايات : وجعلت تنظر إليه يتلوى ، أو يَتَلبَّط ، أو يتلَمَّظ .

(٦) فى رواية للبخارى : « فقال لها الملك : لا تخافوا الضَّيْعة ، فإن هذا بيت الله يبنى هذا الغلام ، وأبوه ، وإن الله لا يضيع أهله » .

رفع المسهم

. . . .

هاجرُ ، و إسماعيلُ – عليه السلام – ابنُ عشرين سنة ، وقبرُها فى الحِجْر ، وثَمَّ قبر إسماعيل – عليه السلام – وكان الحِجْرُ قبل بناء البيت زَرْبًا لغنم إسماعيل صلى الله عليه وسلم (١) ويقال : إن أول بلد ميرت منه أمُّ إسماعيل عليه السلام ، وابنها التمرْ : القريةُ التى كانت تعرف بالفُرُعْ من ناحية المدينة، والله أعلم

قطورا وجرهم والسميدع : فصل : وذكر نزول جرهم ، وقَطُورا على أم إسماعيل هاجر ، وجُرْهم : هو قحطان بن عامر بن شالخ بن أَرْفَخْشَذ بن سام بن نوحٍ ، ويقال: جُرْهُمُ بن عابرٍ ،وقد قيل: إنه كان مع نوح عليه السلام فى السفينة، وذلك أنه من ولد ولده ، وهم من العرب العاربة ، ومنهم تعلم إسماعيلُ العربية . وقيل : إن الله تعالى أنطقه [illegible] انطاقا ، وهو ابن أ[illegible] عشرة سنة(٢) .

---

(١) من زيادة أبى [illegible]

(٢) [illegible]

[illegible]

عن بنى قحطان [illegible] أنهم بنو قحطان بن عابر بن شالخ [illegible]

وذكر عن عامر أنه أصل عرب اليمن ، وإليه تنسب القحطانية ، ثم يقول : قال فى العبر : « واسمه فى التوراة : يقطن ، فعرب بقحطان. وشذ بعضهم ، فقال إنه ابن قحطان بن الهميسع بن أبين بن قيدار بن نبت بن إسماعيل بن إبراهيم عليه =

رفع المسهم

. . . .

وأما قَطُورا ، فهو قطورا بن كَرْكَر .

وأما السَّمَيْدَعُ الذى ذكره ، فهو السميدع بن هوثر ـ بثاء مثلثة ـ قيدها البكرى ـ بن لاى بن قَطورابن كَرْكَر بن عِمْلاق، ويقال: إن الزَّبّاء الملكة كانت من ذُرِّيته ، وهى بنت عمرو بن أُذَيْنة بن ظَرِب بن حسَّان ، وبين حسان ، وبين السَّمَيْدَع آباء كثيرةٌ ، ولا يصح قول من قال : إن حسان ابنُه لصُلْبه ، لِبُعْدِ زمن الزباء من السَّميْدع ، وقد ذكرنا الاختلاف فى اسمها فى غير هذا الموضع ، وذكر الحارث بن مُضاضٍ الأكبر بن عَمْرو بن سعْد بن الرَّقيب بن هىَّ بن بنت (١) جُرْهُم .

جباد وقعيقعان : فصل : وذكر ولاية جُرْهُم البيت الحرام دون بنى إسماعيل إلى أن بغَوْا فى الحرم ، وكان أول بغى فى الحرم ما ذكره من حرب جُرهم لِقَطُورا .

وأما أجياد فلم يسمَّ بأجياد من أجل جياد الخيل ، كما ذكر لأن جياد الخيل لا يقال فيها: أجياد ، وإنما أجياد : جمع جِيد (٢) .

= السلام . قال أبو عبيد : وليس كذلك . قال فى العبر: وعلى هذا يكون جميع العرب من ولد إسماعيل عليه السلام ، لأن عدنان وقحطان يستدعيان بطون العرب القحطانية والعدنانية » ص ٣٩٦ ط ١٩٥٩ .

(١) هكذا فى الأصل . وفى اللسان عن ابن برى: « ويقال فى النسب : عمرو ابن الحارث بن مضاض بن هىٍّ بن بَىٍّ » بفتح الهاء والباء وتضعيف الياء فى الكلمتين ابن جرهم » . وهى بن بى : كناية عمن لا يعرف، ولا يعرف أبوه ، وقيل: كان من ولد آدم ، ثم انقرض نسله .

. . . .

وذكر أصحابُ الأخبار أن مِضاضا ضرب فى ذلك الموضع أجياد مائة رجلٍ من العمالقة ، فسمى الموضع : بأجياد ، وهكذا ذكر ابنُ هشام فى غير هذا الكتاب ، ومن شِعْبِ أجياد تخرج دابة الأرض التى تُكَلِّمُ الناس قبل يوم القيامة، كذلك رُوى عن صالح مولى التَّوْأَمَةِ عن عبدالله بن عَمْرو بن العاص (١) ، وذكر غيره فى أخبار مكة أن قُعَيْقِعان سمى بهذا الاسم حين نزل تبع مكة ، ونحر عندها وأطعم ، ووضع سلاحه وأسلحة جنده بهذا المكان، فسمى : قُعَيْقِعَان بقَعْقَعَةِ السِّلاح فيه – والله أعلم .

جرهم تسرق مال الكعبة : فصل : وذكر استحلالَ جُرْهُمٍ لحُرْمة الكعبة ، فمن ذلك أن إبراهيم عليه السلام ، كان احتفر بئرا قريبة القعر عند باب الكعبة ، كان يُلْقى فيها ما يُهدى إليها ، فلما فسد أمر جرهم سرقوا مال الكعبة مرةً بعد مرة ، فيذكر أن رجلا منهم دخل البئر ليسرقَ مال الكعبة، فسقط عليه حجرٌ من شَفِير البئر فحبسه فيها ، ثم أُرْسِلَتْ على البئر حيَّةٌ لها رأسٌ كرأس الجَدْى ، سوداء المَتْنِ ، بيضاء البطن ، فكانت تهيب من دنا من بئر الكعبة ، وقامت فى البئر – فيما ذكروا – نحواً من خمسمائة عام ، وسنذكر قصة رفعها عند بنيان الكعبة إن شاء الله .

= قال ابن الأثير : وأكثر الناس يقولونه : جياد بكسر الجيم ، وحذف الهمزة . قال: جياد – بكسر الجيم – موضع بأسفل مكة معروف من شعابها . وبهذا يصح قول ابن هشام ، أما فرس جواد ، فجمعه جياد .

(١) لم يرد هذا فى حديث صحيح . والحديث الذى فى مسلم لا يشير إلى مكان خروج هذه الدابة ، ولا يذكر عنها سوى أنها دابة . والإنسان: دابة . أما ما ورد عنها من صفات أخرى ، فأكثره إسرائيليات رددها وهب بن منبه .

. . . .

بين جرهم وخزاعة : فصل : فلما كان من بغى جُرْهُم ما كان، وافق تفرُّق سبأ من أجل سيل العَرِم ، ونزول حارثة بن ثعلبة بن عَمْرو بن عامر أرض مكة، وذلك بأمر طَريفةَ الكاهنة، وهى امرأة عَمْرو بن مُزَيْقِيَاء(١) وهى من حمير، وبأمر عِمْران ابن عامر أخى عمرو ، وكان كاهنا أيضاً ، فنزلها هو وقومه ، فاستأذنوا جُرْهُماً أن يقيموا بها أياما ، حتى يرسلوا الرُّوَّاد ، ويرتادوا منزلا حيث رأوْا من البلاد، فأبت عليهم جُرْهُمٌ ، وأغضبوهم ، حتى أقسم حارثة ألا يبرحَ مكة إلا عن قتالٍ وغَلَبَةٍ ، فحاربتهم جُرْهُمٌ ، فكانت الدَّوْلَة لبنى حارثة عليهم ، واعتزلت بنو إسماعيل ، فلم تكن مع أحد من الفريقين، فعند ذلك ملكت خُزَاعةُ ـ وهم بنو حارثة ـ مكة ، وصارت ولايةُ البيت لهم ، وكان رئيسُهم عَمْرَو بن لُحَيٍّ الذى تقدم ذكرُه قبل ، فشرّد بقية جُرْهُم ، فسارَ فَلُّهُمْ فى البلاد ، وسُلِّط عليهم الذَّرُّ والرُّعاف(٢)، وأهلك بقيتَهم السيلُ بإضَم، حتى كان آخرهم موتا امرأةً رِيئت تطوف بالبيت بعد خُروجهم منها بزمان، فعجبوا من طولها وعظم خلقتها، حتى قال لها قائل : أجِنِّيَّة أنت أم إنسية؟! ، فقالت : بل إنسية من جُرهم ، وأنشدت رَجَزاً فى معنى حديثهم، واستكْرتْ بعيراً من رجلين من جُهَيْنَة ، فاحتملاها على

---

(١) فى جمهرة «ابن حزم» : عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء ص٤٥٣ . وفى الاشتقاق «لابن دريد» : ولد حارثة عامرا وهو ماء السماء ، وولد عامر عَمْرا «بفتح العين وسكون الميم» وهو مزيقياء ، فعمرو — إذن — هو مزيقياء لا ابن مزيقياء ٤٣٥ .

(٢) الذر : صغار النمل ، والرعاف : الدم .

. . . .

البعير إلى أرض خَيْبَر ، فلما أنزلاها بالمنزل الذى رسَمَتْ لهما ، سألاها عن الماء ، فأشارت لهما إلى موضع الماء ، فولَّيا عنها ، وإذا الذَّرُّ قد تعلَّق بها ، حتى بلغ خياشيمها وعينيها ، وهى تنادى بالوَيْل والثُّبُور حتى دخل حلقها ، وسقطت لوجهها ، وذهب الْجُهَنِيَّانِ إلى الماء ، فاسْتَوْطَنَاه ، فمن هنالك صار موضع جُهَيْنة بالحجاز وقُرْب المدينة ، وإنما هُمْ من قُضاعة ، وقُضاعةُ : من ريف العراق .

غربة الحارث بن مضاض : فصل : رجع الحديث . وكان الحارث بن مُضاض ابن عمرو بن سَعْد بن الرَّقيب بن هىّ بن نبت بن جُرْهُم الْجُرْهُمى قد نزل بِقَنَوْنَا(١) من أرض الحجاز ، فَضَلَّت له إبلٌ ، فبغاها حتى أتى الحرم ، فأراد دخوله ، ليأخذ إبله ، فنادى عمرُو بن لُحَىّ : منْ وجد جُرْهميًّا ، فلم يقتله ، قطعت يده ، فسمع بذلك الحارث ، وأشرف على جبل من جبال مكة ، فرأى إبله تُنْحر ، ويُتوزَّعُ لحمُها ، فانصرف بائساً خائفا ذليلا ، وأبعد فى الأرض ، وهى غُرْبة الحارث بن مِضَاض التى تضرب بها المثل ، حتى قال الطائى :

غُرْبةٌ تقْتدى بغُرْبة قَيْس بـ ـن زُهَيْرٍ والحارث بن مُضاض

وحينئذ قال الحارث الشعر الذى رسمه ابن إسحٰق وهو قوله :

---

(١) سبق هذا ، وبيان الصواب فيه عن هى فى ص ١٥ من هذا الجزء . وقنونى «بوزن فعَوْعل ، بفتح القاف والنون وسكون الواو» من أودية السَّراة ، تصب إلى البحر فى أوائل أرض اليمن ، من جهة مكة قرب حَلْى «بفتح فسكون» وتكتب بالياء حسب القاعدة ، ولكن تركتها كما هى .

(٢) غربة بفتح الغين : النوى والبعد ، وبضمها : النزوح عن الوطن .

كأن لم يكن بين الحَجُون إلى الصَّفا . الشعر ، وفيه :

وَنَبـكى لبيتٍ ليس يُؤْذَى حمامُهُ　　تظلُّ به أمنا ، وفيه الْعَصافرُ(١)

أراد : العصافير ، وحذف الياء ضرورة ، ورفع العصافير على المعنى ، أى: وتأمن فيه العصافير ، وتظل به أمْناً ، أى: ذات أمْن ، ويجوز أن يكون أمْناً جمع آمِن مثل : رَكْب جمع : راكب ، وفيه : ولم يَسْمُرْ بمكة سامر : السامر : اسمُ الجماعة يتحدثون بالليل ، وفى التنزيل : (سامِرًا تَهْجُرون) المؤمنون : ٦٧ والحَجُون(٢) بفتح الحاء على فرسخ وثلثٍ من مكة ، قال الْحُمَيْدِيُّ : كان سُفْيَانُ ربما أنشد هذا الشعر ، فزاد فيه بعد قوله : فليست تغادر :

ولم يَتَرَبَّعْ واسطًا وجَنُوبه　　إلى السِّرِّ من وادى الأراكة حاضر
وأبدلنى ربِّى بهـا دار غُرْبةٍ　　بها الجوعُ باد، والعدوُّ الْمُحَاصِرُ (٣)

---

(١) فى السيرة : يظل بدلا من : تظل .

(٢) والحجون كما فى المراصد : بأعلى مكة عند مقبرة أهلها ، وفى ياقوت عن الأصمعى : أنه الجبل المشرف الذى بحذاء مسجد البيعة على شعب الجزارين .

(٣) أما واسط : فقيل: إن للعرب سبعة مواضع، يقال لكل منها: واسط ، منها : واسط نجد فى شعر خداش بن زهير ، وواسط الحجاز فى شعر كثير ، وواسط الجزيرة فى شعر الأخطل . وواسط اليمامة فى شعر الأعشى ، وواسط العراق : وهناك غير ذلك . وواسط أيضا بمكة . قيل : قرن كان أسفل من جمرة العقبة بين المأزمين . فضرب حتى ذهب، وقيل : تلك الناحية بركة السرى إلى العقبة ، وتسمى: واسط المقيم . وقيل إنه الجبل الذى يجلس عنده المساكين إذا ذهبت إلى منى . والسر : بطن الوادى . ووادى الأراك : قرب مكة . وفى معجم البلدان ونهاية الأرب جـ ١٦ ص ٣٤ وضع هذا بعد البيت : وصرنا أحاديثا، وروايته هكذا :

. . . .

واسط وعامر وجرهم : قال الحُمَيْدِىُّ : واسط : الجبل الذى يجلس عنده المساكين ، إذا ذهبت إلى منى . وقوله فيه :

لا يَبْعَدْ سُهيلٌ وعامر

عامرٌ: جبلٌ من جبال مكة، يدل على ذلك قولُ بلال رضى الله عنه : وهل يَبْدُوَنْ لى عامرٌ وطَفِيلُ(١) . على رواية من رواه هكذا ، وجُرْهُمٌ هذا هو الذى تتحدَّث بها العربُ فى أكاذيبها، وكان من خرافاتها فى الجاهلية أن جُرْهُمًا ابنٌ لِمَلَكٍ أهبط من السماء لذنب أصابه ، فغُضب عليه من أجله، كما أهبط هاروتُ وماروت ، ثم أُلقيت فيه الشهوة ، فتزوج امرأة ، فولدت له جُرْهُمًا، قال قائلهم :

لاهُمَّ إن جُرْهُمًا عبادُكا　　الناسُ طُرْفٌ ، وهُمْ تِلادُكا
[بهم قديما عَمِرَت بلادُكا](٢)

من كتاب الأمثال للأصبهانى :

= وبدلنا كعب بها دار غربة　　بها الذئب يعوى، والعدو المكاشر

وفى مروج الذهب جـ٢ ص٥٠ : «المحاصر» . وفيه بعد : «وكنا ولاة البيت» هذا البيت :

وكنا لإسماعيل صهرا ووصلة　　ولما تدر فيها علينا الدوائر

(١) طفيل : جبل بمكة .

(٢) ما بين قوسين عن الطبرى ص ٢٨٥ جـ ٢ وهذا الرجز ينسب إلى عامر ابن الحارث ، والقصيدة منسوبة فى الطبرى لعامر بن الحارث بن مضاض يقول الطبرى: إن الله بعث على جرهم الرعاف والنمل، فأفناهم، فاجتمعت خزاعة =

رفع عبد الرحمن الهاشمى

. . . .

مكة وأسماؤها : فصل : وذكر مكة وبكّة ، وقد قيل فى بكّة ما ذكره من أنها تَبُكّ الجبابرة ، أى تكسرهم وَتَقْدَعُهُمْ ، وقيل : من التَّبَاكّ ، وهو : الازدحام، ومكّة من تمكّكْت العظم ، إذا اجتذبت مافيه من المخ ، وتمكّك الفصيلُ ما فى ضَرْع الناقة ، فكأنها تجتذب إلى نفسها ما فى البلاد من الناس والأقوات التى تأتيها فى المواسم ، وقيل :لما كانت فى بطن واد،فهى تَمَكّكُ الماء من جبالها وأخاشبها عند نزول المطر ، وتنجذب إليها السيولُ ، وأما قول الراجز الذى أنشده ابن هشام :

إذا الشَّرِيبُ أخذَتْه أَكَّهْ ... فخلّهِ حتى يبكَّ بكّهْ (١)

فالأكّة : الشدة ، وإكاكُ الدهر : شدائده .

=ليجلوا من بقى، فاقتتلوا، فلما أحس عامر بن الحارث بالهزيمة، خرج بغزالى الكعبة وحجر الركن يلتمس التوبة ، وهو يقول : «لاهم إن جرهما الخ فلم تقبل- كما فى الطبرى-توبته، فألقى غزالى الكعبة،وحجر الركن فى زمزم، كما جاء فى السيرة، ثم دفنها، وخرج من بقى من جرهم إلى أرض من أرض جهينة، فجاءهم سيل أَتِيٌّ ، فذهب بهم.

(١) فى اللسان : مَكّ — وزن رد — الفصيل ما فى ضرع أمه يمُكّه — وزن يرد — مَكّا وامتك — بفتح التاء وتضعيف الكاف — وتمككه ، ومككه : امتص جميع مافيه. وشربه كله . . ومك العظم وامتكه وتمككه ، وتمككه امتص مافيه من المخ . والرجز المذكور لعامان بن كعب التميمى- كما ذكر ابن هشام ، وفى الروض : الشريت بدلا من الشريب ، وهو خطأ ، وفيه يبك بدلا من تبك . ومعنى الشريب -كما فى اللسان — الذى يسقى إبله مع إبلك . يقول : خله يورد إبله الحوض . فتباك عليه أى : تزدحم ، فيسقى إبله سقية . وللأكة معان أخر. منها : سكون الريح وضيق الحلق وفورة شديدة فى القيظ . انظر اللسان . وتعليق الأستاذ هارون على المادة فى معجم ابن فارس .

رفع المسهم

. . . .

وذكر أنه كان يقال لها : النّاسَّة ، وهو من نُسْت(١) الشيء إذا أذهبته ، والرواية فى الكتاب بالنون، وذكر الخطابى [فى غريبه] أنه يقال لها : الباسَّة أيضا بالباء ، وهو من بُسَّت الجبالُ بَسًّا، أى: فُتَتَ وثُرِّيتْ، كما يُثرَّى السَّويقُ، قال الراجز :

لا تَخْبِزَا خَبْزاً وبُسَّا بسًّا (٢)

يقول : لاتشتغلا بالخبز، وثَرِّيا الدقيق والتقماه(٣) . يقال : إن هذا البيت للص أعجله الهرب .

وذكر أبوعبيدة أن الخَبْزَ : شدة السَّوْق ، والبَسُّ: ألين منه ، وبعده :

---

(١) النَّسُّ — بفتح النون — المضاء فى كل شىء ، وخص بعضهم به السرعة فى الورد، وهو السوق والزجر الشديد. وفى اللسان : وأنسست الدابة : أعطشتها والناسَّة من أسماء مكة لقلة مائها ، وكأنها تسوق وتدفع من يبغى بها .

(٢) وبعده فى اللسان : «ولا تطيلا بمناخٍ حبسا». والبس: اتخاذ البسيسة وهو أن يلت السويق أو الدقيق أو الأقط المطحون بالسمن أو بالزيت، ثم يؤكل ولا يطبخ . وقال يعقوب : هو أشد من اللت بللا . وذكر أبو عبيدة أن لصا من غطفان ، أراد أن يخبز فخاف أن يعجل عن ذلك ، فأكله عجينا ، ولم يجعل أبو عبيدة البس من السوق اللين . وفى تعليق الأستاذ هرون على معجم ابن فارس ذكر أن الرجز للهفوان العقيلى أحد لصوص العرب . وقد فسر السهيلى البيت بما فسره به ابن فارس .

(٣) ثرى الدقيق — بفتح الثاء وتضعيف الراء — صب عليه الماء . هذا وقد قيل عن بكة إنها اسم للبقعة التى فيها الكعبة، وذهب إليه مالك وابن عباس . وقيل اسم لها ولما حول البيت ، ومكة : اسم لما وراء ذلك ، وقيل : إنها المسجد والبيت ومكة اسم للحرم كله ص ٦٠١ القرى للمحب الطبرى .

رفع المسيرهم غفر الله له ولوالديه

. . . .

ما تركَ السَّيرُ لهن نسَّا

ومن أسماء مكة أيضا: الرأسُ ،وصَلاَحُ، وأمُ رُحْم ،وكُوثى، وأما التى يخرج منها الدجال، فهى : كُوثى رَبًّا(١) ومنها كانت أم إبراهيم عليه السلام، وقد تقدم اسمها، وأبوها هو الذى احتفر نهر كُوثَى، قاله الطبرى.

أسطورة : فصل : وذكر قول الحارث بن مُضاض :

يأيها الناسُ سِيروا إن قَصْرَكُمُ ... أن تُصبحوا ذات يوم لاتسيرونا(٢)

وذكر ابن هشام أنها وجدت بِحَجَرٍ باليمن، ولا يعرف قائلها، وألفيتُ فى كتاب أبى بحر سفيان بن العاصى خبرا لهذه الأبيات، وأسنده أبو الحرث محمد بن أحمد الجُعْفِىّ عن عبد الله بن عبد السلام البصرى، قال : حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن سليمان التَّمَّار، قال أخبرنى ثقة عن رجل من أهل اليمامة، قال : وجد فى بئر باليمامة ثلاثة أحجار، وهى بئر طَسْمٍ وجَدِيس فى قرية يقال لها : مُعْنِق، بينها وبين الحِجْرِ ميل، وهم من بقايا عاد، غزاهم تُبَّعٌ، فقتلهم، فوجدوا فى حجر من الثلاثة الأحجار مكتوبا :

---

(١) صلاح : كقطام وقد تصرف . وكوثى تكتب بالياء لا بالألف كما كان فى الروض، وفى المراصد عن كوثى : أنها ثلاثة مواضع بسواد العراق بأرض بابل وبمكة منزل بنى عبد الدار خاصة، وكوثى بالعراق فى موضعين: كوثى الطريق، وكوثى ربَّا وبها مشهد إبراهيم الخليل عليه السلام، وهما قريتان، وبينهما تلول من رماد، يقال : إنها رماد النار التى أوقدها نمروذ لإحراقه .

(٢) هى فى الطبرى ح ٨ ص ٢٨٥ مع تقديم وتأخير .

. . . .

يأيها الملك الذى بالمُلْكِ ساعده زمانهُ
ما أنت أول من علا وعلا شئونَ الناس شانهُ
أقصِرْ عليك مراقبا فالدهر مَخْـذولٌ أمانهُ
كم من أشَمَّ مُعَصَّب بالتاج مرهوب مكانهُ
قد كان ساعده الزما ن ، وكَانَ ذا خَفْضٍ جنانهُ
تجرى الجداول حوله للجند مُتْرَعَةً جِفَانُهْ
قـد فاجأته مَنِيَّةٌ لم يُنجه منها اكْتِنَانُهُ
وتفرقت أجنـادُه عنـه ، وناح به قِيانهُ
والدهر من يَغْلِقْ به يَطْحَنْهُ ، مُفْتَرِشا جِرانه
والناسُ شتَّى فى الهوى كالمرءِ مُخْتَلِف بنانهُ
والصِّدقُ أفضلُ شِيمةٍ والمرء يقتله لسانهُ
والصمتُ أسْعَدُ لِلفَتَى ولقد يُشَرِّفه بيانهُ

ووجد فى الحجر الثانى مكتوباً أبيات :

كُلُّ عيشٍ تَعِـلَّهْ ليس للدهرِ خَـلَّهْ
يَوْمُ بُؤْسَى ونُعْمَى واجتماعٍ وقِـلَّه
حُبُّنا العيشَ والتـكا ثُرَ جَهْلٌ وضِـلَّه
بينما المرءُ ناعـم فى قصُورٍ مُظِـلَّه
فى ظـلالٍ ونعمةٍ ساحبا ذَيْلَ حُـلَّه
لا يري الشمسَ مِلْغضا رَةِ إذْ زَلَّ زَلَّه

. . . .

لم يُقلْهـــــا ، و بدَّلَتْ عِـــــزَّةَ المرءِ ذِلَّه
آفةُ العيشِ والنعـ ـيم كُرُورُ الأهِلَّهْ
وَصْلُ يوْمٍ بِليْلَةٍ واعتراضٌ بِعِـــــلَّه
والمنـــايا جَوائِمٌ كالصُّقُورِ المُـــدِلَّه
بالذى تــكرهُ النفـ ـوسُ عَليها مُطِلَّه

وفى الحجر الثالث مكتوبا :

يأيُّها الناسُ سيروا إن قَصرَكُمُ أن تُصْبِحُوا ذات يومٍ لا تَسِيرُونا
حُثُّوا المَطِيَّ ، وأرْخُوا من أزِمَّتِهَا قبل المماتِ وقَضُّوا ما تُقَضُّونَا
كنا أُناساً كما كنتُم فَغَيَّرنَا دَهْرٌ فأنتم كما كُناَّ تــكونونا

وذكر أبو الوليد الأزرقى فى كتابه فى فضائل مكة زيادَةً فى هذه الأبيات وهى :

قد مال دَهْرٌ علينا ثم أهْلَكَنا بالبغى فينا وَبزَّ الناسَ نَاسُونَا
إن التفــكرَ لا يُجْدِى بصاحِبِه عنــــد البديهةِ فى عِلْمٍ له دُونَا
قَضُّوا أمورَكم بالحزمِ إن لَهَـا أمورَ رُشْدٍ رَشَدْتُمْ ثم مسنونا
واسْتَخْبِروا فى صنيع الناس قبلــكم كما استبان طريقٌ عنده الهونا
كنا زمانا ملوكَ الناس قبلــكم بِمَسْكَنٍ فى حرامِ اللهِ مَسْكُونا

ووُجد على حائطٍ قصيرٍ بدمشق لبنى أمية مكتوبا :

يأيها القصرُ الذى كانت تَحُفُّ به المواكـــــبْ

استبداد قوم من خزاعة بولاية البيت

قال ابن إسحاق : ثم إن غُبْشان من خُزاعة وَلِيتْ البيتَ دون بنى بكر بن عَبْد مَنَاة ، وكان الذى يليه منهم: عمرو بن الحارث الغُبْشانى ، وقُرَيش إذذاك حُلُولٌ وصِرَمٌ ، وبيوتات متفرّقون فى قومهم من بنى كِنانة ، فَوَلِيَتْ خزاعة البيتَ يتوارثون ذلك كابراً عن كابر ، حتى كان آخرهم حُلَيل بن حَبَشِيَّة بن سَلُول بن كَعْب بن عمرو الخُزَاعِيّ .

قال ابن هشام : يقال حُبْشية بن سَلول .

أين المواكبُ والمضـ ـاربُ والنجائبُ والجنائِبْ
أين العسـاكرُ والدّسـ ـاكرُ والمَقَانِبُ والكَتَائِبْ
ما بالُهُمْ لم يَدْفعوا لما أتت عنكَ النَّوَائِبْ
ما بالُ قَصرِكَ واهيـا قد عادَ مُنْهَدَّ الجَوانِبْ

ووُجد فى الحائط الآخر من حيطانها جوابُها :

يا سائلى عمَّـا مَضَى مِنْ دَهْرِنا وَمِنَ العَجائِبْ
والقصر إذ أَوْدَى ، فأضحى بعدُ مُنْهَـدّ الجوانب
وعن الجنودِ أولى العقو دِ ، ومَنْ بهم كنا نحارب
وبهم قَهَرْنا عَنْـوَةً مَنْ بالمشارق والمغارب
وتقول : لِمْ لَمْ يَدْفعـوا لما أَتَتْ عنك النَّوائِب
هَيْهات لا يُنْجي من المو ت الكَتائبُ والمقانب

تزوج قصى بن كلاب حبى بنت حليل

قال ابن إسحاق : ثم إن قُصَىّ بن كلاب خطب إلى حُلَيْلِ بن حُبْشية بنته حُبَّى ، فرغب فيه حُليل فزوّجه ، فولدت له عبدَ الدار . وعبد مناف ، وعبد العُزَّى ، وعبدا . فلما انتشر ولدُ قصىّ ، وكَثُرَ ماله ، وعظم شَرَفُه ، هلك حُليل .

« قصى يتولى أمر البيت » :

فرأى قُصىّ أنه أولى بالكعبة ، وبأمْر مكة من خُزاعة وبنى بكر ، وأن قريشاً قُرْعة إسماعيل بن إبراهيم وصَريح وَلَده . فكلَّم رجالا من قُرَيش ، وبنى كِنانة ، ودعاهم إلى إخراج خُزاعة وبنى بَكْر من مكة ، فأجابوه . وكان رَبيعة ابن حَرَام من عُذْرة بن سَعْد بن زَيْد قد قَدِم مكةَ بعد ماهَلَكَ كِلاب ، فتزوّج فاطمةَ بنت سعد بن سَيَل ، وزُهْرة يومئذ رجل ، وقصى فَطِيم ، فاحتملهما إلى بلاده ، فحملت قُصَيًّا معها ، وأقام زُهرة ، فولدت لربيعة رِزَاحاً . فلما بلغ قُصىّ ،وصار رجلاً أتى مكة ، فأقام بها ، فلما أجابه قومُه إلى ما دعاهم إليه، كتب إلى أخيه من أمِّه ، رِزَاحِ بن ربيعة ، يدعوه إلى نُصْرته ، والقيام معه ، فخرج رِزَاحُ بن ربيعة ، ومعه إخوته : حُنّ بن ربيعة ، ومحمود بن ربيعة ، وجُلْهُمة بن ربيعه ، وهم لغير أمه فاطمة ، فيمن تبعهم من قُضاعة فى حاجّ العرب ، وهم مجمعون لنُصْرة قُصَىّ . وخُزاعة تزعم أن حُلَيل بن حُبْشية أوصى بذلك قُصَيا وأمره به حين انتشر له من ابنته من الولد ما انتشر . وقال: أنت أولى

بالكعبة ، وبالقيام عليها ، وبأمر مكّة من خُزاعة ، فعند ذلك طلب قُصَىّ ماطلب ، ولم نسمع ذلك من غيرهم ، فالله أعلم أىّ ذلك كان .

ما كان يليه الغوث بن مر من الإجازة للناس بالحج

وكان الغَوْثُ بنُ مُرِّ بن أُدِّ بنِ طابِخَةَ بنِ الياسِ بنِ مُضَرَ يلى الإجازة للناس بالحجّ من عرفة ، وولدُه من بعده ، وكان يقال له ولولَده : صُوفة . وإنما وَلِى ذلك الغوثُ بن مرّ ، لأن أمّه كانت امرأةً من جُرْهم ، وكانت لا تَلِد ، فنذرت لله إن هى ولدتْ رجلاً : أن تَصَّدَّق به على الكعبة عَبْداً لها يخدُمها ، ويقوم عليها ، فولدت الغوْثَ ، فكان يَقُوم على الكعبة فى الدَّهر الأوّل مع أخواله من جُرْهم ، فوَلِى الإجازة بالناس من عَرَفة ، لمكانه الذى كان به من الكعْبة ، وولدُه من بعده حتى انقرضوا . فقال مُرّ بن أُدّ لوفاء نَذْر أُمِّه :

إنى جعلتُ رَبِّ من بَنِيَّه ... رَبيطةً بمكَّةَ العَلِيَّهْ
فباركَنَّ لى بها أَلِيَّهْ ... واجْعله لى من صَالِح البَرِيَّهْ

وكان الغوث بن مُرٍّ ـ فيما زعموا ـ إذا دفَع بالناس قال :

لاهُمَّ إنى تابعٌ تبَاعه ... إن كان إثمٌ فعلى قُضَاعَهْ

قال ابن إسحاق : حدثنى يحيى بن عبَّاد بن عبد الله بن الزُّبير عن أبيه قال : كانت صوفة تدفع بالناس من عَرَفة ، وتُجيز بهم إذا نفَروا من مِنًى ، فإذا كان يوم النَّفْر أتوْا لرَمْى الجمار ، ورجل من صوفة يرمى للناس ، لا يرمون

رفع المسهم

حتى يرمى . فكان ذوو الحاجات المتعجِّلون يأتونه ، فيقولون له : قُمْ فارْمِ حتى نرمى معك ، فيقول : لا والله ، حتى تَميلَ الشمس ، فيظلّ ذوو الحاجات الذين يحبُّون التعجل يرمونه بالحجارة ، ويستعجلونه بذلك ، ويقولون له : ويلك ! قم فارْم ، فيأبى عليهم ، حتى إذا مالت الشمسُ ، قام فرَمى ورَمى الناس معه .

قال ابن إسحاق : فإذا فرغوا من رَمْى الجمار ، وأرادوا النَّفْرَ من مِنى ، أخذت صُوفةُ بجانبَىِ الْعَقَبَةِ ، فحبسوا الناس وقالوا : أجيزى صُوفَةَ ، فلم يَجُزْ أحدٌ من الناس حتَّى يَمرُّوا ، فإذا نفرت صُوفَةُ ومضت ، خُلِّى سبيل الناس ، فانطلقوا بعدهم ، فكانوا كذلك ، حتى انقرضوا ، فورثهم ذلك من بعدهم بالْقُعْدُد بنو سعد بن زَيْدمناة بن تميم ، وكانت من بنى سعد فى آل صَفْوان بن الحارث بن شِجْنة .

قال ابن هشام : صَفْوَان بنُ جناب بن شِجْنَة عُطارد بن عَوْف بن كَعْب بن سعْد بن زيد مناة بن تَميم .

قال ابن إسحاق : وكان صفْوان هو الذى يُجيز للناس بالحجّ من عرَفة ، ثم بنوه من بعده ، حتى كان آخرَهم الذى قام عليه الإسلام ، كَرِبُ بن صَفْوَانَ ، وقال أوْس بن تَميم بن مَغْراءِ السَّعْدى :

لا يَبْرَحُ النَّاسُ ماحَجُّوا مُعَرَّفهم   حتى يُقالَ : أَجِيزُوا آل صَفْوانا

قال ابن هشام : هذا البيت فى قصيدة لأوس بن مغراء .

رفع
المسهم

ما كانت عليه عدوان من إفاضة المزدلفة

وأما قول ذى الإصبع العَدْوانى ، واسمه : حُرْثان بن عمرو ، وإنما سمّى ذا الإصبع ؛ لأنه كان له إصبع فقطعها .

عَذِيرَ الحَىّ من عَدْوا نَ كانوا حَيَّةَ الأرضِ
بَغَى بَعْضُهُم ظُلْماً فلم يُرْعِ على بَعْضِ
ومنهُم كانت السَّادا تُ والمُوفون بالقَرْضِ
ومنهُم مَنْ يُجِيز النَّا سَ بالسُّنَّة والفَرْضِ
ومنهُم حَكَمٌ يَقْضى فَلا يُنْقَضُ ما يَقْضى

وهذه الأبيات فى قصيدة له — فلأن الإضافة من المُزْدلفة كانت فى عَدْوان — فيما حدثنى زياد بن عبد الله البَكّائى عن محمد بن إسحاق — يتوارثون ذلك كابراً عن كابر . حتى كان آخرَهم الذى قام عليه الإسلام أبو سَيَّارة ، عُمَيْلة بن الأعزل ، ففيه يقول شاعر من العرب :

نحن دفعنا عن أبى سَيَّارهْ وعن مَواليه بنى فَزارَه
حتى أجاز سالما حِمارَه مُسْتَقْبِلَ القبلة يدعو جارَه

قال : وكان أبو سيارة يدفع بالناس على أتانٍ له ؛ فلذلك يقول : سالما حِماره .

. . . .

قصى وخزاعة وولاية البيت :

فصل : فى حديث قصى ذكر فيه أن قريشا قُرْعة ولد إسماعيل ، هكذا بالقاف ، وهى الرواية الصحيحة ، وفى بعض النسخ : فَرْعَة بالفاء ، والقُرْعَة بالقاف هى : نُخْبَةُ الشى،وخياره، وقَريع الإبل: فَحْلُها ، وقريع القبيلة : سيدها، ومنه اشتق الأقرع بن حابس وغيره ممن سُمِّى من العرب بالأقرع .

وذكر انتقال ولاية البيت من خُزَاعَةَ إليه ، ولم يذكر من سبب ذلك أكثر من أن قصيا رأى نفسه أحق بالأمر منهم ، وذكر غيره أن حُلَيْلا كان يُعطى مفاتيح البيت ابنتَه حُبَّ ، حين كبر وضعف ، فكانت بيدها ، وكان قُصَىٌّ ربما أخذها فى بعض الأحيان ، ففتح البيتَ للناس وأغلقه ، ولما هلك حُلَيْل أوصى بولايه البيت إلى قصى ، فأبت خُزاعةُ أن تُمضى ذلك لقصى ، فعند ذلك هاجت الحربُ بينه وبين خُزاعة ، وأرسل إلى رِزَاح أخيه يستنجده عليهم .

ويذكر أيضا أن أبا غُبْشَان من خزاعه ، واسمه : سليم ـ وكانت له ولاية الكعبة ـ باع مفاتيح الكعبة من قصى بزِقٍّ خمر ، فقيل : أخسر من صفقة أبى غُبْشَان(١) ذكره المسعودى والأصبهانى فى الأمثال .

وكان الأصل فى انتقال ولاية البيت من ولد مُضَرَ إلى خُزاعة أن الحَرَم حين ضاق عن ولد نزار ، وبغت فيه إياد أخرجتهم بنو مضر بن نزار ، وأجْلَوْهُم

---

(١) بضم الغين أو فتحها . وفى القاموس أيضا قصة أبى غبشان ، وفيه يقول: « ضربت به الأمثال فى الحمق والندم وخسارة الصفقة » .

رفع المسـ هم

. . . .

عن مكة ، فعَمَدوا في الليل إلى الحجر الأسود ، فاقتلعوه ، واحتملوه على بعير فَرَزَحَ البعير به ، وسقط إلى الأرض ، وجعلوه على آخر ، فَرَزَح أيضا ، وعلى الثالث ففعل مثل ذلك ، فلما رأوا ذلك دفنوه وذهبوا ، فلما أصبح أهلُ مكة ، ولَمْ يَرَوْه ، وقعوا في كَرْب عظيم ، وكانت امرأةٌ من خُزاعَة قد بَصُرت به حين دُفن ، فأعلمت قومَها بذلك ، فحينئذ أخذت خزاعةُ على ولاة البيت أن يتخلَّوْا لهم عن ولاية البيت ، ويَدُلُّوهم على الحجرِ ، ففعلوا ذلك ، فمن هنالك صارت ولاية البيت لخزاعة إلى أن صيَّرَها أبو غُبْشَان إلى عبد مناف ، هذا معنى قول الزبير .

نشأة قصى :

فصل : وذكر أن قصيا نشأ في حجر ربيعة بن حَرَامٍ ، ثم ذكر رجوعه إلى مكة ، وزاد غيره في شرح الخبر ، فقال : وكان قصى رضيعا حين احتملته أمه مع بعلها ربيعة ، فنشأ ولا يعلم لنفسه أبا إلا ربيعة ، ولا يدعى إلا له ، فلما كان غلاما يَفَعَةً أو حَزَوَّراً (١) سابَّه رجلٌ من قُضاعة ، فعيَّره بالدعوة ، وقال: لستَ منا ، وإنما أنت فينا مُلصَق، فدخل على أمه ، وقد وَجَم لذلك ، فقالت له : يا بُنيَّ صدق، إنك لست منهم ، ولكنْ رهطُك خيرٌ من رَهْطِه ، وآباؤك أشرفُ من آبائه ، وإنما أنت قُرَشِيٌّ ، وأخوك وبنو عمك بمكة ، وهم جيرانُ بيت الله الحرام ، فدخل في سيارة حتى أتى مكةَ ، وقد ذكرنا أن اسمه : زيد ، وإنما

---

(١) الغلام القوى .

. . . .

كان قصِيًّا أى بعيدا عن بلده فسمى : قُصَيًّا(١) .

الغوث بن مر وصوفة :

فصل : وذكر قصة الغَوْثِ بن مُرّ ، ودفعه بالناس من عرفة (٢) ، وقال بعضُ نَقَلةِ الأخبار أنَّ ولاَيةَ الْغَوْثِ بن مُرّ كانت من قِبَلِ ملوك كِنْدَةَ(٣).

وقوله : إن كان إثما فَعَلَى قُضاعَةَ . إنما خَصَّ قُضاعَةَ بهذا ؛ لأن منهم مُحِلِّينَ يَستَحِلُّون الأشهرَ الْحُرُمَ ، كما كانت خَثْعَم وطَيِّئ تفعل ، وكذلك كانت النَّسَأةُ تقول إذا حَرَّمت صفَراً أو غيره من الأشهرِ بدلا من الشهرِ الحرام — يقول قائلُهم : قد حُرِّمتْ عليكم الدماء إلا دماءَ الْمُحِلِّين .

---

(١) قال الخطابى : « سمى قصيا لأنه قَصَّى قومه ،أى:تقصاهم بالشام ، فنقلهم إلى مكة » . وقال الرُّشاطى : « ثم إن زيدا وقع بينه وبين ربيعة شر ، فقيل له : ألا تلحق بقومك ، وُعيِّر بالغربة ، وكان لا يعرف لنفسه أبا غير ربيعة،فرجع قصى إلى أمه ، وشكا لها ما قيل له ، فقالت له : يا بنى أنت أكرم منه نفسا وأبا ، أنت ابن كلاب بن مرة ، وقومك بمكة عند البيت الحرام ، فأجمع قصى على الخروج ، فقالت له أمه : أقم حتى يدخل الشهر الحرام ، فتخرج فى حاج العرب ، فلما دخل الشهر الحرام خرج مع حاج قضاعة حتى قدم مكة ، فحج وأقام بمكة » ص ٢٠ وما بعدها ج ١٦ نهاية الأرب .

(٢) فى السيرة : « من بعد عرفة » وفى نسخ أخرى : « من عرفة » .

(٣) فى القاموس : وكندة — بالكسر — ويقال : كِنْدِى : لقب ثَوْرِ بن عُفَيْر أبو حى من اليمن، لأنه كند أباه النعمة ، ولحق بأخواله ، والكند : القطع .

. . . .

فصل : وأما تَسْمِيَةُ الغَوْثِ وولدِه صُوفَةَ ، فاختلف فى سبب ذلك .
فذكر أبو عُبَيْد الله الزُّبَيْر بن أبى بكر القاضى فى أنساب قريش له عند ذكر
صوفَة : البيت الواقع فى السيرة لأوْسِ بن مَغْرَاء السَّعْدِى ، وهو :

لا يَبْرَحُ الناسُ ما حَجُّوا مُعَرَّفَهم

البيت . وبعده :

مَجْدٌ بناه لنا قِدْمًا أوائلُنا وأورثوه طِوال الدهرِ أحزانا(١)

ومَغْرَاء : تأنيث أمْغَر ، وهو الأحمر ، ومنه قول الأعرابى للنبى ـ صلى الله
عليه وسلم : أهو هذا الرَّجلُ الأَمْغَرُ ؟ ثم قال : قال أبو عبيدة : وصُوفَة وصُوفَانُ
يقال لكل من وَلِىَ من البيت شيئًا من غير أهْلِه ، أو قام بشىء من خِدْمة
البيت ، أو بشىء من أمْرِ المناسك يُقال لهم : صُوفَة وصُوفَان . قال أبو عبيدة:

---

(١) أوس بن مغراء أحد بنى جعفر بن قريع بن عوف بن كعب بن سعد
ابن زيد مناة بن تميم . وقيل : أوس بن تميم بن مغراء . وله ترجمة فى الإصابة
قال : ويكنى أبا المغراء ، وبقى إلى أيام معاوية، وله شعر فى مدح النبى « ص »
وبعد البيت الذى فى السيرة :

ترى ثِنانا إذا ما جاء بدأهم وبدؤهم إن أتانا كان ثُنْيانا

والثَّنى والثُّنْيان ، وكهدى وإلى : دون السيد ص١٧٦ الأمالى ج ٢ ط٢ وفى
السمط عن أوس ص ٧٩٥ للبكرى : «وهو القائل فى بنى صفوان بن شِجْنة بن
عُطارد بن عوف بن كعب الذين كان فيهم الإفاضة من عرفة ، فلم يذكر الحارث
كما روى ابن إسحاق ، ولاجناب كما روى ابن هشام ، ثم روى البيت كما فى السيرة،
وفى المزهر ص ٤٨٧ ج ٢ أن أوسا هذا غلب على نابغة بنى جعدة .

رفع
المستهم
عز الله له ولوالديه

. . . .

لأنه بمنزلة الصُّوفِ ، فيهم القصيرُ والطويلُ والأسْوَدُ والأحمرُ ، ليسوا من قبيلة واحدة . وذكر أبو عبد الله أنه حدَّثه أبو الحسن الأَثْرَم عن هشام بن محمد بن السائب الْكَلْبِيّ قال : إنما سُمِّي الغوثُ بن مُرٍّ : صُوفَه ، لأنه كان لا يعيش لأمه ولدٌ ، فنذرتْ : لئن عَاش لَتَعْلَقِنَّ برأسه صُوفةً ، ولَتَجْعَلَنَّه رَبِيطاً للكعبة ، ففعلت ، فقيل له : صوفة ، ولولده من بعده ، وهو : الرَّبيط

وحدث إبراهيمُ بن الْمُنْذِر عن عُمر بن عبد العزيز بن عمران ، قال : أخبرني عِقَالُ بن شَبَّةَ قال : قالت أم تميم بن مُرٍّ ـ وولدت نِسْوَةً ـ فقالت : لله عليَّ . لئِنْ ولدتُ غلاماً لأُعَبِّدَنَّه للبيتِ ، فولدت الغوث ، وهو أكبرُ ولدِ مُرٍّ ، فلما ربطته عند البيت أصابه الْحَرُّ ، فمرت به ـ وقد سَقَطَ وذَوَى واسْتَرْخَى فقالت : ما صار ابني إلا صُوفَةً ، فسُمِّي صوفةَ(١).

---

(١) في القاموس عن صوفة أيضا : أو هم قوم من أفناء القبائل تجمعوا ، فتشبكوا كتشبك الصوفة . هذا وقد رواه الجوهري : آل صوفانا . ويقول القاموس : والصواب . آل صفوانا . وهم قوم من بني سعد بن زيد مناة . قال أبو عبيدة : حتى يجوز القائم بذلك من آل صفوان . وفيه أيضا وردت الشطرة الأولى : ولا يريمون في التعريف موقفهم . وما ذكره السهيلي عن سبب تسمية الغوث ـ نقلا عن الكلبي ـ يوجد في القاموس الذي ذكر للربيط عدة معان ، ثم قال : لقب الغوث ابن مر بن طابخة . ويذكر أن الولد عاش ، فجعلته أمه خادما للبيت الحرام حتى بلغ ، فنزعته ، فلقب : الربيط . وقد سقط من هذه المادة في القاموس كلمة «أد» من نسب الغوث على حين ذكرها في مادة صوف . وفي القاموس أيضا : «وكان أحدهم يقوم فيقول : أجيزي صوفة ، فإذا أجازت قال : أجيزي خندف ، فإذا أجازت أذن للناس كلهم في الإجازة » وعرّف القوم : وقفوا بعرفة : والبيت الأول في السيرة موجود أيضا في اللسان بنفس رواية القاموس «ولا يريمون إلخ» وقول أبي عبيدة عن صوفة موجود في اللسان ، وانظر ص ١٨٣ من المحبر .

بنو سعد وزيد مناة :

فصل : وذكر وراثة بنى سَعْدٍ إجازة الحاج بالْقُعْدُدِ من بنى الغوثِ ابن مُرٍّ ، وذلك أن سَعْداً هو : ابن زَيْدِ مَنَاة بن تميم بن مُرٍّ ، وكان سَعْدٌ أَقْعَد بالغوثِ بن مُرٍّ من غيره من العرب (١) ، وزيدُ مَناة بن تميم يقال فيه : مَنَاةوَمَنَاءَةبالهمز(٢) ، وتركه ، ويجوز أن يكون - إذا همز - مَفْعَلةمن ناء يَنُوء ، ويجوز أن يكونَ : فعَالَة من الْمَنِيئَةِ ، وهي : المدبَغة ، كما قالت امرأة من العرب لأخرى: [تقول لك أُمِّي] : أعْطِينِي نَفْساً أو نَفْسَيْنِ أَمْعَسُ به مَنِيئَتِي ، فإني أَفِدَةٌ. النَّفْسُ : قِطعَةٌ من الدِّبَاغ ، والمَنِيئَةُ : الجِلْدُ في الدباغ، وأفدة : مُقاربةٌ لاستتمام ماتريد صلاحَه وتمامه من ذلك الدباغ (٣) وأنشد أبو حنيفة :

---

(١) القُعْدد بضم القاف وسكون العين وضم الدال أو فتحها: القريب من الجد الأكبر، أو أملك القرابة فى النسب، والقربى. وأقعدهم : أقربهم إلى جده الأكبر . وانظر ص ٢٥٧ من المحبر لابن حبيب ، ص ٤٠ من شرح الخشنى .

(٢) وفى اللسان عن مناة: ومناة:صخرة ، وفى الصحاح: صنم كان لهذيل وخزاعة بين مكة والمدينة يعبدونها من دون الله من قولك : منوت الشيء — أى : اختبرته... وعبدمناة بن أد بن طابخة . وزيدُ مناة بن تميم بن مر يمدو يقصر. قال هَوْبَرُ الحارثى

ألا هل أتى التَّيْمَ بن عَبْدِ مناءةٍ على الشَّنْءِ فيما بيننا ابن تميم

وفيه تخطئة من قال: مناة بالهاء ، وغلطوا الطائى فى قوله : إحدى بنى بكر ابن عَبْد مناه .

(٣) فى إصلاح المنطق أن الذى قص هذا هو الأصمعى ، وفيه ، وفى اللسان : أمعس به ، بدلا من : أمعس بها ، كما فى الروض . وفسر نفسا أو نفسين بقوله :=

رفع عبد الرحمن الهجري - المسلم

. . . .

إذا أنت باكَرْتَ المَنِيئَة باكرتْ   قَضِيبَ أَرَاكٍ باتَ في المِسْكِ مُنقَمَا

وأنشد يعقوب :

إذا أنت باكرتَ المنيئةَ باكَرتْ   مَدَاكًا لها من زَعْفَرانٍ وإثْمِدَا (١)

اشتقاق المزدلفة :

فصل : وأما قوله : فلأن الإفاضة من الْمُزْدَلِفة كانت في عَدْوان فالمزدلفة : مُفْتَعِلة من الازْدلاف ، وهو الاجتماع . وفي التنزيل : (وَأَزْلَفنا ثمَّ

= قدر دبغة أو دبغتين ، وفي اللسان : أفد الشيء يأفَد أفَداً فهو أفدٌ : دنا وحضر وأسرع ، والأفد : المستعجل ؛ والمنيئة عند الفارسي : مَفْعِلة بكسر العين من اللحم النيء ، ومنأ تأبى ذلك ، وهي عند غيره كما ذكر السهيلي . والمنيئة : الجلد أول مايدبغ ، ثم هو : أفيق ، ثم : أديم . وأ . عس : أدلك وأحرك ، وفي اللسان : منأ الجلد يمنؤه منأ : إذا أنقعه في الدباغ ، وهي في اللسان فعيلة ، وفي تهذيب إصلاح المنطق للتبريزي : «وآفدة أي : سريعة . يقع في بعض النسخ : الآفدة : التي تشتكي فؤادها ، وقيل : السريعة ، وقيل . المعيبة . قال أبو العلاء : ينبغي أن يقال : فائدة للتي تشتكي فؤادها ، والصواب أن يفسر : آفدة بالسريعة » انظر اللسان ومعجم ابن فارس وإصلاح المنطق لابن السكيت ، ص ٩٤ وتهذيبه للتبريزي ص ١٤٥ .

(١) الشعر لحميد بن ثور وقبله :

فأقسم لولا أن حُدْبًا تتابعت   عليَّ ، ولم أبرح بدَيْنٍ مظردا

لزاحمت مِكسالا كأن ثيابها   تجن غزالا بالخميلة أغيدا

يخاطب زوجته فيقسم : لولا أن حدبا ، وهي السنون المجدبة ـ واحدتها : حدباء ـ تتابعت عليه ، واستدان وطالبه الغرماء . وطردوه لزاحمت مكسالا ، وهي المرأة الثقيلة الأرداف ، الناعمة الجسم ، أي : تزوجت امرأة أحسن منك ، كأن ثيابها تستر =

. . . .

الآخرين) وقيل : بل الازْدِلافُ : هو الاقتراب ، والزُّلْفَةُ : القُرْبَةُ ، فسميت مزدلفة ؛ لأن الناس يَزْدَلِفُون فيها إلى الحرم ، وفى الخبر : أن آدم عليه السلامُ لمَّا هَبَطَ إلى الأرض(١) لَم يَزَلْ يَزْدَافُ إلى حَوَّاء ، وتَزْدلِفُ إليه ، حتى تعارفا بعَرَفَةَ ، واجتمعا بالمُزْدلفة فسميت : جمعا ، وسميت : المزدلفة(٢) .

ذو الإصبع وآل ظرب :

وأما ذو الإصْبَع(٣) الذى ذكره فهو : حُرْثان بن عمرو ، ويقال فيه : حُرْثان ابن الحارث بن مُحَرِّثِ بن ربيعة بن هُبَيْرة بن ثَعْلَبَة بن ظَرِب ، وظَرِبٌ هو : والدعامر بن الظَّرِب الذى كانَ حَكَمَ العرب ، وذكر ابن إسحاق قصته فى الخُنثى ، وفيه يقول الشاعر [المُتَلَمِّس] :

= غزالا . والأغيد : المنثنى . ثم قال : إذا أنت باكرت دباغ الجلود باكرت هى الطيب والمداك ، وهو الحجر الذى يسحق عليه الطيب . والأثمد : الكحل . أى باكرت هى الطيب والاكتحال . انظر ص ١٤٥ تهذيب إصلاح المنطق.

(١) الرأى الراجح أن جنة آدم كانت فى الأرض .

(٢) لم يرد هذا فى حديث صحيح .

(٣) سبب تسميته فى الاشتقاق ص٢٦٨ واسمه : حرثان ، ونسبه فى الأغانى: حرثان بن الحارث بن محرث بن ثعلبة بن سيار بن ربيعة بن هبيرة بن ثعلبة بن ظرب بن عمرو بن عباد بن يشكر بن عدوان بن عمرو بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر ابن نزار ، وفى الجمهرة لابن حزم هو: حرثان بن محرث، ونسبه فى أمالى المرتضى مختلف أيضا فهو : حرثان بن محرث بن الحارث بن ربيعة بن وهب بن ثعلبة وقيل : محرث بن حرثان ، وقيل : حرثان بن حويرث، وقيل: حرثان بن حارثة ابن ظرب إلخ .

رفع المسهم

. . . .

لذى الحلم قبل اليوم ما تُقْرَعُ العَصَا   وما عُلِّمَ الإنسان إلا ليَعْلَما(١)

وكان قد خَرِف ، حتى تَفَلَّتَ ذهنُه ، فكانت العصا تُقْرَع له إذا تكلم في نادى قومه تنبيها له ؛ لئلا تكون له السقطة في قول أو حكم . وكذلك كان ذو الإصْبَع ، كان حَكَماً في زمانه ، وعَمِرَ ثلاثمائة سنة ، وسمى ذا الإصبع ؛ لأن حَيَّةً نَهَشَتْه في أُصْبُعِهِ .

وَجدُّهم ظَرِبُ : هو عَمْرو بن عِيَاذ بن يَشْكُر بن بكر بن عَدْوان ، واسم عَدوان : تيم ، وأمه : جَدِيلة بنت أُدّ بن طابخة ، وكانوا أهلَ الطائف ، وكثر عددهم فيها حتى بلغوا زُهَاء سبعين ألفا ، ثم هلكوا ببغى بعضِهم على بعض ، وكان ثقيف

---

(١) بيت الشعر «لذى الحلم الخ» هو للمتلمس ، وكان ابن الظرب قد كبر ، فقال له ابنه الثانى : إنك ربما أخطأت فى الحكم ، فيحمل عنك ، قال : فاجعلوا لى أمارة أعرفها ، فإذا زغت ، فسمعتها رجعت إلى الحكم والصواب . فكان يجلس قدام بيته ، ويقعد ابنه فى البيت ومعه العصا ، فإذا زاغ ، أو هفا قرع له الجفنة ، فرجع إلى الصواب . هذا وربيعة تدعيه لعبد الله بن عمرو بن الحارث بن همام ، واليمن تدعيه لربيعة بن مخاشن ، وهو ذو الأعواد ، وفى اللسان : أن هذا الحكم هو عمرو بن حُممة الدوسى الذى قضى بين العرب ثلثمائة سنة . والأصبع : مثلثة الهمزة ، ومع كل حركة تثلث الباء ، ففيه تسع لغات ، والعاشر : أصبوع ، وحكام العرب فى الجاهلية هم : أكثم بن صيفى ، وحاجب بن زرارة ، والأقرع بن حابس ، وربيعة بن مخاشن وضَمْرة بن أبى ضمرة لتميم ، وعامر بن الظرب ، وغيلان بن سلمة لقيس ، وعبد المطلب وأبو طالب والعاصى بن وائل والعلاء بن حارثة لقريش . وربيعة ابن حذار لأسد ، ويعمر بن الشدّاخ وصفوان بن أمية ، وسلمى بن نوفل لكنانة وحكيمات العرب : صُحْر بنت لقمان وهند بنت الحسن ، وجمعة بنت حابس وابنة عامر بن الظرب ، وانظر ص ١٨١ من المحبر .

. . . .

وهو قَسِيٌّ بن مُنَبِّه صهراً لعامِرِ بن الظَّرِبِ ، كانت تحته زينب بنت عامر ، وهى أم أكثر ثقيف ، وقيل : هى أخت عامر ، وأختها ليلى بنت الظرب هى : أم دَوْس بن عَدْنان ، وسيأتى طرف من خبره فيما بعد ـ إن شاء الله ـ فلما هلكت عَدْوَان ، وأَخْرَجَتْ بقيتَهم ثقيفٌ من الطائف ، صارت الطائف بأسرها لثقيف إلى اليوم .

وقوله : حَيَّةَ الأرض : يقال فلان حية الأرض ، وحية الوادى إذا كان مَهِيبا يُذْعَر منه ، كما قال حسان :

يا مُحْكم بن طُفَيْلٍ قد أُتيحَ لكم ... لله دَرُّ أبيكم حية الوادى

يعنى بحية الوادى : خالد بن الوليد رضى الله عنه .

فصل : وقوله : عذيرَ الحَيِّ من عَدْوان(١) . نصب عذيرا على الفعل المتروك إظهارُه ، كأنه يقول : هاتوا عذيرَه ، أى : مَنْ يَعْذره ، فيكون العذيرُ بمعنى : العاذر ، ويكون أيضاً بمعنى : العُذْر مصدرا كالحديث ونحوه .

أبو سيارة :

وذكر أبا سَيَّارة ، وهو عُمَيْلة بن الأَعْزَلِ فى قول ابن إسْحَاق ، وقال غيره : اسمه : العاصى . قاله الخطابى . واسم الأعزل : خالد ، ذكره الأصبهانى ، وكانت

---

(١) عدة القصيدة التى فى السيرة هى فى الأغانى : اثنا عشر بيتاً فى ترجمة ذى الإصبع ، والقصيدة عن تفرق عدوان وتشتتهم فى البلاد مع كثرتهم . وفى اللسان عن حية الوادى : إذا كان شديد الشكيمة حاميا لحوزته ، وقال عن بيت ذى الإصبع الأول : « أراد أنهم كانوا ذوى إرب وشدة لا يضيعون ثأرا » .

رفع المسهم

له أتان عَوْراء، خِطامها ليفٌ ، يقال : إنه دفع عليها فى الموقف أربعين سنة، وإياها يعنى الراجز فى قوله : حتى يُجيزَ سالما حماره .

وكانت تلك الأتان سوداء ؛ ولذلك يقول :

لاهُمَّ مالى فى الحمار الأسود أصبحت بين العالمين أحْسَد

فَقِ أبا سيارةَ المُحسَّد من شر كل حاسد إذ يَحْسُد

وأبو سَيَّارةَ هذا هو الذى يقول: أشرِقْ ثَبِير كيما نُغِير ،وهو الذى يقول :

لا هُمّ إنى تابعٌ تَبَاعه(١)

(١) إن العرب لما سمعوا اللهم جرت فى كلام الخلق توهموا أنه إذا ألغيت الألف واللام من الله كان الباقى : لاه ، فقالوا : لاهم ، ويقولون : لاه أبوك . يريدون: لله أبوك ، وقالوا : لهنك أصلها : لله إنك ، فحذف الألف واللام ، فقال: لاه إنك ، ثم ترك همزة إنك ، فقال : لهنك ، وقالوا : لهنا . أصلها : لاه إنا فحذف مدة لاه ، وترك همزة نا . ويرى الفراء أن لهنك أصلها : لأنك ، فأبدل الهمزة هاء مثل : هراق الماء ، وأراق ، وأدخل اللام فى إن لليمين . ويقول ابن جنى فى الخصائص عن اللام فى قولهم : إن زيدا لقائم : إن موضعها أول الجملة وصدرها، لا آخرها وعجزها : ثم قال: ويدل على أن موضع اللام فى خبر إن أول الجملة قبل إن : أن العرب لما جفا عليها اجتماع هذين الحرفين قلبوا الهمزة هاء ليزول لفظ إن ، فيزول أيضا ما كان مستكرها من ذلك فقالوا : لَهِنَّك قائم بفتح فكسر فتضعيف ، أى : لئنك قائم . ثم استشهد ببعض أبيات على هذا . . ورأيه فى هذا رأى سيبويه فى الكتاب ، وضعف رأى من قالوا : إن أصلها : لله إنك الخصائص . ص ٣١٤ ج ١ ط ١٩٥٢ وقد تقدم فى الجزء الأول ذكر هذا .

وثبير : جبال بظاهر مكة ، والأثبرة أربعة : ثبير غَيْنَى ، وثبير الأعرج ، وهما : حراء وثبير . وثبير الأثبرة، وثبير منى، وماء بديار مزينة . ومعنى المثل:=

رفع المسلم

. . . .

وكان يقول فى دعائه : اللهمَّ بَغِّضْ بين رِعائنا ، وحبِّبْ بين نسائنا ، واجعل المالَ فى سُمَحائنا : وهو أول من جعل الدِّيَةَ مائةً من الإبلِ، فيما ذكر أبو اليقظان ، حكاه عنه حَمْزَةُ بن الحسن الأصبهانى .

وقوله : وعن مواليه بنى فَزَارة . يعنى بمواليه : بنى عمه ، لأنه من عَدْوان وعَدْوانُ وفزارةُ : من قَيْس عَيْلاَن ، وقوله : مُسْتَقْبِلَ القبلة يدعو جارَه . أى : يدعو الله عز وجل ، يقول : اللهم كن لنا جارا مما نخافه، أى: مجيرا .

= ادخل يا ثبير فى الشروق ، كى نسرع إلى النحر . قال عمر : إن المشركين كانوا يقولون : أشرق ثبير كيما نغير ، وكانوا لا يفيضون حتى تطلع الشمس « الإفاضة هنا من المزدلفة إلى منى » والمثل يضرب فى الإسراع والعجلة ، وفى شرح الكافية ج ٢ ص ٣٣٢ « واعلم أن من العرب من يقول : لَـهِـنَّك » بفتح اللام وكسر الهاء وتضعيف النون مع فتح « لَـرَجُـلٌ صدق. قال: لَـهِـنَّا لَمَقْضِىٌّ علينا التهاجر . وقال : لهنى لأشقى الناس إن كنت غارما. وقد يحذف اللام ، وهو قليل ، قال :

ألا يا سنا بَرْقٍ على قُلَلِ الحمى لَهِنَّك من بَرْقٍ عَلَىَّ كريم

وفيه ثلاثة مذاهب . أحدها لسيبويه : وهو أن الهاء بدل من همزة إن كإياك وهياك ، فلما غيرت صورة إن بقلب همزتها هاء ، جاز مجامعة اللام إياها بعد الامتناع ، والثانى : قول الفراء ، وهو أن أصله : والله إنك، كما روى عن أبى أدهم الكلابى: « لَه ربى لا أقول ذلك » بقصر اللام ، ثم حذف حرف الجر ، كما يقال : الله لأفعلنَّ ، وحذفت لام التعريف أيضا ، كما يقال : لاه أبوك . أى: لله أبوك ، ثم حذفت ألف فعال ، كما يحذف من الممدود إذا قصر . كما يقال : الحصاد والحصد قال :

ألا لا بارك اللهُ فى سُهَيْلٍ إذَ ما الله بارك فى الرجال

« وحذف مد لام الله . ووقف عليها بالسكون وحذف ألف إذا، ثم حذفت همزة إنك =

أمر عامر بن ظرب بن عمرو بن عياذ بن يشكر بن عدوان

قال ابن إسحاق : وقوله : حكم يقضى يعنى : عامرَ بن ظَرِبِ بن عَمْرو بن عِياذ بن يَشْكُر بن عَدْوان العَدْوانى . وكانت العرب لا يكون بينها نائرة ، ولا عُضْلة فى قضاء إلا أسندوا ذلك إليه ، ثم رضُوا بما قَضَى فيه ، فاختُصِم إليه فى بعض ما كانو يختلفون فيه ، فى رجل خُنْثَى ، له ما الرجل ، وله ما للمرأة ، فقالوا : أنجعله رجلا أو امرأة ؟ ولم يأتوه بأمر كان أعضلَ منه . فقال : حتى أنظر فى أمركم ، فوالله ما نزل بى مثلُ هذه منكم يامَعْشَرَ العرب ! فاستأخروا عنه . فبات ليلتَه ساهراً يُقَلِّب أمْرَه ، وينظر فى شأنه ، لا يتوجَّه له منه وَجْه ، وكانت له جارية يقال لها: سُخَيْلَة ترعى عليه غَنَمَه ، وكان يُعاتبها إذا سرحت فيقول : صبَّحتِ والله ياسُخَيل ! وإذا أراحت عليه، قال: مسَّيت والله ياسُخَيل ! وذلك أنها كانت تؤخر السَّرْحَ حتى يسبقها بعضُ الناس ، وتؤخِّر الإراحة حتى يسبقها بعض الناس. فلما رأت سَهَرَه وقلقه ، وقلَّة قَرَاره على فراشه قالت: مالك لا أبَا لَكَ ! ماعَرَاكَ فى ليلتك هذه ؟ قال : وَيْلَكِ ! دَعِينى ، أمرٌ ليس من شأنك ، ثم عادت له بمثل قولها ، فقال فى نفسه : عسى أن تأتِى مما أنا فيه بفَرَج ، فقال : ويحكِ ! اخْتُصم إلىّ فى ميراث خُنْثى ، أأجعله رجلا أو امرأة ؟

. . . .

= وفيها قال تكلفات كثيرة . والثالث : ما حكى المفضل بن سلمة عن بعضهم أن أصله : لله إنك . واللام للقسم ، فعمل به ما عمل فى مذهب الفراء ، وقول الفراء أقرب من هذا ، لأنه يقال : لهنك لقائم بلا تعجب » .

فوالله ما أدرى ما أصنع ، وما يتوجَّه لى فيه وَجْه ؟ : قال : فقالت سُبحان الله ! لا أبَالَكَ ! أتْبِـعْ القضاء الْمَبَال ، أقْعِدْه ، فإن بال من حيث يبولُ الرجل فهو رجل ، وإن بال من حيث تبولُ المرأة ، فهى امرأة . قال : مَسِّى سُخَيلُ بعدَها ، أو صَبِّحى ، فَرَّجْتِها والله !. ثم خرج على الناس حين أصبح ، فقضى بالذى أشارت عليه به .

غلب قصى بن كلاب على أمر مكة وجمعه أمر قريش

ومعونة قضاعة له

قال ابن إسحاق : فلما كان ذلك العام ، فعلتْ صوفةُ كما كانت تفعل ، وقد عرفت ذلك لها العـــربُ ، وهو دِينٌ فى أنفسهم فى عهد جُرْهم وخُزاعة وولايتهم . فأتاهم قُصَىّ بن كلاب بمن معه مِنْ قومه من قريش وكِنانة وقُضاعة عند العَقَبة ، فقال : لَنَحْنُ أولى بهذا منــكم ، فقاتلوه ، فاقتَتل الناس قتالا شديداً ، ثم انهزمت صُوفةُ ، وغلبهم قُصَــىٌّ على ما كان بأيديهم من ذلك .

وانحازت عند ذلك خُزاعة وبنو بَكْر عن قُصَىّ ، وعرفوا أنه سيمنعهم كما منع صُوفة ، وأنه سَيَحُول بينهم وبين الـكَعبة وأمر مكّة . فلما انحازوا عنه باداهم ، وأجمع لحربهم ، وخرجتْ له خُزَاعة وبنو بَكْر فالْتَقَوْا ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، حتى كثرت القتلى فى الفريقَيْن جميعاً ، ثم إنهم تداعَوْا إلى الصلح ، وإلى أن يُحَـكِّموا بينهم رجلاً من العَرب ، فحـكَّموا يَعْمَر بن عَوْف بن كَعْب بن عامر بن

لَيْث بن بَكْر بن عبد مَنَاة بن كِنانة ، فقضى بينهم بأن قُصَيًّا أولى بالكعبة، وأمْرِ مكة من خُزَاعَةَ ، وأن كل دَمٍ أصابه قُصَيٌّ من خُزاعة وبنى بَكر : موضوع يَشْدَخُه تحت قدميه ، وأنّ ما أصابت خُزاعةُ وبنو بَكْر من قُرَيْشٍ وكِنانة وقُضاعة ، ففيه الدِّيَة مُؤدّاة ، وأن يُخَلَّى بين قُصَيٍّ وبين الكعبة ومكة .

فسُمِّى يَعْمَر بن عَوف يومئذ : الشَّدَّاخ ، لِمَا شَدَخ من الدماء ووضع منها .

قال ابن هشام : ويقال : الشُّدَّاخ .

قال ابن إسحاق : فَوَلِيَ قصىٌّ البيت وأمر مكة ، وجمع قومه من منازلهم إلى مكة ، وتَمَلَّك على قومه وأهلِ مكة فملَّكوه ، إلا أنه قد أقرّ للعرب ما كانوا عليه ، وذلك أنه كان يراه دِينا فى نفسه لا ينبغى تغييرُه ، فأقرَّ آلَ صَفوان وعَدْوان والنَّسَأَة ومُرَّة بن عَوف على ما كانوا عليه ، حتى جاء الإسلام ، فهدم الله به ذلك كلَّه . فكان قصىٌّ أولَ بنى كَعْب بن لُؤَىٍّ أصابَ مُلْكا أطاع له به قومُه ، فكانت إليه الحِجَابة ، والسِّقَاية ، والرِّفادة ، والنَّدْوة ، واللِّواء ، فحاز شَرفَ مكة كلَّه . وقطع مكة رِباعا بين قومه ، فأنزل كلَّ قوم من قُرَيش منازلَهم من مكة التى أصبحوا عليها ، ويزعمُ الناسُ أن قريشاً هابوا قَطْعَ شجر الحرم فى منازلهم ، فقطعها قصىّ بيده وأعوانه ، فسمَّتْه قريشٌ : مُجَمِّعا لما جمع من أمرها ، وتيَمَّنَت بأمره ، فما تُنْكَحُ امرأةٌ ، ولا يتزوّج رجلٌ من قريش ، وما يتشاورون فى أمر نزل بهم ، ولا يَعْقِدون لواء لحرب قومٍ من غيرهم إلا فى داره ، يعقده لهم بعضُ ولده ، وما تَدَّرِعُ جارية

إذا بلغت أن تدَّرِع من قريش إلا فى داره ، يُشَقّ عليها فيها درعها ثم تدَّرِعه ، ثم ينطلق بها إلى أهلها . فكان أمره فى قومه من قُريش فى حياته ، ومن بعد موته ، كالدِّين المُتَّبع لا يُعمل بغيره . واتخذ لنفسه دار النَّدوة ، وجعل بابها إلى مسجد الكعبة ، ففيها كانت قريش تَقْضى أمورَها : قال ابن هشام : وقال الشاعرُ :

قُصَىٌّ لَعَمْرِى، كَان يُدعى مُجَمِّعاً به جَمَّع الله القبائلَ من فِهْرِ

قال ابن إسحاق : حدثنى عبدالملك بن راشد عن أبيه،قال : سمعت السائب ابن خَبَّابٍ صاحب المقصورة يحدث ، أنه سمع رجلا يحدث عمر بن الخطاب ، وهو خليفة ، حديث قُصَىٍّ بن كِلاب ، وماجمع من أمر قومه، وإخراجه خُزاعةَ وبنى بكر من مكَّة ، وولايته البيتَ وأمر مكة ، فلم يردّ ذلك عليه ولم ينكره .

قال ابن إسحاق : فلماَّ فرَغ قُصَىٌّ من حَرْبه،انصرف أخوه رِزَاحُ بن ربيعة إلى بلاده بمَنْ معه من قومه ، وقال رِزَاحُ فى إجابته قُصَيًّا :

لمـَّا أتى من قُصَىٍّ رسول فقال الرّسولُ : أجيبوا الخليلاَ
نَهَضْنا إليه نَقود الجيادَ ونطرح عنَّا المَلُولَ الثَّقيلا
نسير بها الليلَ حتى الصباح ونَكْمِى النهار ؛ لِئَلاَّ نزولا
فَهُنَّ سِراعٌ كَوِرْدِ الْقَطا يُجِبْنَ بنا مِنْ قُصَىٍّ رسولا
جَمَعْنا من السّر من أَشْمَذَيْن ومن كلّ حىٍّ جمعنا قَبيلا
فيالكِ حلبَةَ ما ليلة تزيد على الألف سَيْباً رَسيلا

فلمّا مَرَرْنَ على عَسْجَرٍ   وأسْهَلْنَ من مُسْتَنَاخ سَبيلا
وجاوزن بالركن من وَرِقان   وجاوزن بالعَرْج حيا حُلُولا
مررن على الحَيْلِ ما ذُقْنَه   وعالجن من مَرّ ليلاً طويلا
نُدَنّى من العُوذ أفلاءها   إرادة أنْ يسترقن الصَّهيلا
فلمّا انتهَيْنا إلى مكّة   أبحنا الرجال قبيلاً قبيلا
نُعاورهم ثَمّ حدّ السيوف   وفى كلّ أوبٍ خَلَسْنا العقولا
نُخَبِّزهم بِصِلاَبِ النُّسو   رِ خَبزَ القوىّ العزيز الذّليلا
قَتَلنا خُزاعَةَ فى دارها   وبَكْراً قتَلْنا وجِيلاً فجِيلا
نفيناهُم من بلاد المَليك   كما لا يَحُلُّون أرْضا سُهولا
فأصبح سَبْيُهمُ فى الحديد   ومِنْ كلِّ حَىٍّ شَفَينا الغَليلا

وقال ثَعْلَبَةُ بن عبد الله بن ذُبْيَان بن الحارث بن سَعْدِ بن هُذَيْم القُضَاعِىّ فى ذلك من أمر قصى حين دعاهم فأجابوه :

جَلبنا الخَيْلَ مُضْمرةً تغَالى   من الأعراف أعراف الجِنَاب
إلى غَوْرَى تِهامة ، فالتقينا   من الفَيْفَاء فى قاع يَبَاب
فأمَّا صُوفَة الخُنْثَى ، فَخَلَّوا   منازِلهم مُحاذرةَ الضِّراب
وقام بنو على إذ رأونا   إلى الأسياف كالإبل الطِّراب

وقال قُصَىّ بن كِلاب :

أنا ابنُ العاصِمِين بنى لُؤَىّ   بمكّة مَنْزِلى ، وبها رَبيتُ

رفع
المسار
عبد الله الرحمن

إلى البَطْحاءِ قد علمتْ معَدٌّ ومَرْوَتُها رَضيت بها رَضِيت

فلَسْتُ لغالب إن لم تَأَثَّل بها أولاد قَيْذَرَ ، والنَّبيتُ

رِزَاحٌ ناصِرى ، وبه أُسامِى فلستُ أخافُ ضَيْما ما حَيِيتُ

فلما استقر رِزَاحُ بن ربيعة فى بلاده ، نَشَرَه الله ونَشَرحُنًّا ، فهما قَبيلا عُذْرَةَ اليوم . وقد كان بين رِزَاح بن رَبيعة ، حين قَدِم بلاده ، وبين نَهْدِ بن زَيْد وحَوْتَكَة بن أسْلُم ، وهما بطنان من قُضاعة شىء ، فأخافهم حتى لحقوا باليمن ، وأجْلوا من بلاد قضاعة ، فهم اليوم باليمن ، فقال قُصَىّ بن كِلاب ، وكان يحب قُضاعة ونَماءَها واجتماعَها ببلادها ، لما بينه وبين رِزاح من الرَّحِمِ ، ولبلائهم عنده إذ أجابوه إذ دعاهم إلى نُصْرته ، وكَرِه ما صنع بهم رِزاحٌ :

ألاَ مَن مُبْلغ عَنِّى رِزَاحا فإنى قد لَحَيْتُكَ فى اثنتين

لَحَيْتُك فى بنى نَهْدِ بن زَيْد كما فرَّقتَ بينهم وبَيْنى

وحَوْتَكة بن أسْلُمَ إنّ قوْما عَنَوْهم بالمَساءَة قد عَنَوْنى

قال ابن هشام : وتُرْوى هذه الأبيات لزُهير بن جَناب الكَلْبى .

قال ابن إسحاق : فلما كبر قُصَىٌّ ورقّ عظمه ، وكان عبد الدار بِكْرَه ، وكان عبدُ مناف قد شَرُفَ فى زمان أبيه ، وذهب كلَّ مذهب ، وعبدُ العزَّى وعَبْدٌ . قال قصىٌّ لعبد الدار : أما والله يا بُنَىّ لأُلحقنَّك بالقوم ، وإن كانوا قدشَرُفُوا عليك : لا يدخل رجلٌ منهم الكعبة ، حتى تكون أنت تَفْتحها له ، ولا يَعقد لقريش لواءَ لحربها إلا أنت بيدك ، ولا يشرب أحدٌ بمكة إلا من سِقَايتك ، ولا يأكل أحدٌ من أهل المَوْسم طَعاما إلا من طعامك ، ولا تقطع قريش

. . . .

رفع المسلم

أمراً من أمورها إلا فى دارك، فأعطاه داره دار النَّدْوة، التى لا تقضى قريش أمراً من أمورها إلا فيها، وأعطاه الحِجابة واللواء والسِّقاية والرِّفادة .

مَن فرض الرفادة :

وكانت الرِّفادة خَرْجا تُخرجه قريش فى كلّ مَوْسم من أموالها إلى قُصىّ ابن كِلاَب، فيصنع به طعاما للحاجّ، فيأكله مَنْ لم يكن له سَعة ولا زاد، وذلك أن قُصَياً فرَضه على قريش، فقال لهم حين أمرهم به : يامَعْشَرَ قريش، إنكم جيرانُ الله، وأهلُ بيته، وأهل الحرَم، وإن الحاجّ ضَيْفُ الله وزوّار بيته، وهم أحق الضَّيف بالكرامة، فاجعلوا لهم طعاما وشرابا أيامَ الحجّ، حتى يَصْدُرُوا عنكم، ففعلوا، فكانوا يُخرجون لذلك كلّ عام من أموالهم خَرْجاً، فيدفعونه إليه، فيصنعه طعاما للناس أيام مِنَى، فجرى ذلك من أمره فى الجاهلية على قومه حتى قام الإسلام، ثم جرى فى الإسلام إلى يومك هذا، فهو الطعام الذى يصنعه السلطان كلّ عام بمنى للناس حتى ينقضى الحجّ .

قال ابن إسحاق : حدثنى بهذا من أمْر قُصَىٍّ بن كِلاب، وما قال لعَبْد الدار فيما دفع إليه مما كان بيده : أبى إسحاق بن يَسار، عن الحسن بن محمد ابن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنهم، قال :

سمعته يقول ذلك لرجل من بنى عبد الدار، يقال له : نُبَيْهُ بن وَهْب بن عامر بن عِكْرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قُصىّ .

قال الحسن : فجعل إليه قُصىٌّ كلَّ ما كان بيده من أمر قومه، وكان قصى لا يُخالَف، ولا يُردّ عليه شىء صَنَعه .

الحكم بالأمارات :

فصـــل : وذكر عامِرَ بن الظَّرِبِ وحُكمه فى الخُنْثَى ، وما أفتته به جاريتُه سُخَيْلة ، وهو حكم معمول به فى الشرع ، وهو من باب الاستدلال بالأمارات والعلامات ، وله أصل فى الشريعة ، قال الله سبحانه : (وجاءوا على قميصه بدمٍ كذِبٍ) وجه الدلالة على الكذب فى الدم أن القميصَ الْمُدَمَّي لم يكن فيه خَرْقٌ ولا أثر لأنيابِ الذئب، وكذلك قوله:(إن كان قميصُه قُدَّ مِنْ قُبُلٍ[فَصَدَقَتْ، وهو من الكاذبين] . يوسف : ٢٦) الآية . وقولُ النبى صلى الله عليه وسلم فى المولود : «إن جاءت به أَوْرَق جَعْدًا جُمالِيًّا فهو للذى رُميتْ به(1)» فالاستدلالُ بالأمارات أصلٌ يَنْبنى عليه كثيرٌ من الأحكام فى الحدود والميراث ، وغير ذلك . والحُكمُ فى الْخُنثى أنْ يُعتبر المَبالُ ، ويُعتَبرَ بالحيض ، فإن أشْكَل من كلِّ وَجْهٍ ، حُكِمَ بأنْ يكونَ له فى الميراثِ سَهْمُ امرأةٍ ونصف ، وفى الدِّيَة كذلك ، وأكثر أحكامِه مبنية على الاجتهادِ .

(١) هذا جزء من حديث — رواه أبو داود مطولا ، وفى إسناده عباد بن منصور ، وقد تكلم فيه غير واحد ، وهو فى قذف هلال بن أمية أحد الثلاثة الذين خلفوا امرأته بشريك بن سحماء ، فشكا ذلك إلى النبى صلى الله عليه وسلم فطلب منه الرسول «ص» البينة، وإلا أقام عليه الحد ، فنزلت آيات اللعان من سورة النور ، وقد روى قصة هلال الجماعة وأحمد ، والجعد : القصير الشعر ، والأورق: الأسمر مع بياض. والجمالى : العظيم الخلق كأنه الجمل ، وقد طلب النبى صلى الله عليه وسلم أن تترك المرأة حتى تلد ، فجاءت بالولد فى صفات الرجل الذى رميت به ، فقال صلى الله عليه وسلم : « لولا ما مضى من كتاب الله لكان لى ولها شأن » .

. . . .

الشداخ :

فصل : وذكر يَعْمَرَ الشَّدَّاخ بن عوف حين حَكَّمُوه ، وأنه سمى بالشَّدَّاخ لما شَدَخ من دِماءِ خُزَاعَةَ(١) وَيَعْمَرُ الشَّدَّاخُ هو جَدُّ بنى دَأبٍ الذين أُخذ عنهم كثيرٌ من علم الأَخْبارِ والأَنساب وهم : عيسى بن يَزيد بن [بَكْر] ابن دَأْبٍ ، وأبوه : يَزيدُ ، وحُذَيفَةَ بن دَأْبٍ ، ودَأْبٌ هو : ابن كُرْز بن أَحْمَر من بنى يَعْمَر بن عَوْفٍ الذى شَدَخَ دماءَ خُزَاعَةَ ، أى : أبطلها ، وأصل الشَّدْخ : الكسر والفَضْخُ ، ومنه الغُرَّةُ الشادخة ، شُبِّهت بالضَّرْبة الواسعة . والشَّدَّاخ بفتح الشين كما قال ابن هشام ، والشُّدَّاخُ بضمها إنما هو جَمْعٌ ، وجائز أن يُسَمَّى هو وبنوه : الشُّدَّاخ ، كما يقال : المَنَاذِرَة فى المُنْذِرِ وبنيه ، والأشْعَرُون فى بنى الأشْعَر من سبأ(٢) وهو بابٌ يكثُرُ ويطول . وأُمُّ يَعْمَر الشَّدَّاخ اسمُها : السُّوْمُ بنت عامر بن جُرَّة بضم الجيم ، وسيأتى ذكر جِرَّة بالكسر(٣) ذكره ابن ما كولا . ومن بنى الشَّدَّاخ : بَلْعَاء بن قَيْس بن عبد الله بن يَعْمَرَ

---

(١) فى الاشتقاق : « إنما سمى الشداخ لأنه أصلح بين قريش وخزاعة فى الحرب التى كانت بينهم ، فقال : شدخت الدماء تحت قدمىَّ ، والشدخ : وطؤك الشىء حتى تفضخه ، والفرس الشادخ : الذى انتشرت غرته فى وجهه ، ولم تبلغ العينين ، والجمع : شوادخ ، والفضخ : الكسر ، ويذكر السهيلى عيسى بن يزيد بن دأب ، وهو فى الاشتقاق : عيسى بن يزيد بن بكر بن دأب .

(٢) الأشعر هو : نبت بن زيد بن كهلان بن سبأ .

(٣) فى القاموس : السوم بفتح السين وواو ساكنة بنت جِرة بكسر الجيم : أعرابية ، وفيه : يزيد بن الأخنس بن جُرة بضم الجيم : صحابى .

رفع المسهم

. . . .

الشَّدَّاخ الشاعر المذكور في شعر الحماســة ، اسمه : حُمَيضَةُ ، ولُقِّبَ : بلعاء (١) لقوله :

أنا ابنُ قَيْسٍ سَبُعًا وابن سَبُعْ   أَبَارَ من قيسٍ قبيلاً فالْتَمَع

كأنما كانوا طعاما فابْتَلِـعْ

(ولاية قصي البيت)

ذ كر فيه أمرَ قُصَيٍّ وماجمع من أهل مكةَ ، وأنشد :

قُصَيٌّ لعَمْرِى كان يُدْعَى مُجَمِّعًا(٢) . البيت وبعده :

هُموا مَلئُوا الْبَطْحَاءَ مَجْداً وسُؤْدُدًا   وهُمْ طَرَدُوا عنا غُوَاةَ بَنى بَكْر

ويذ كر أن هذا الشعر لحُذَافَةَ بن جُمَح .

وذ كر أن قُصَيًّا قَطَّعَ مَـكَّةَ رِبَاعًا (٣) ، وأن أهلها هابوا قَطْع شجر الحرم للبنيان . وقال الواقدى : الأَصَحُّ في هذا الخبر أن قريشا حين أرادوا البنيانَ قالوا لِقُصَيٍّ : كيف نصنع في شَجَرِ الحَرَمِ ، فحَذَّرهم قَطْعَها وَخَوَّفهم

---

(١) في الاشتقاق : بلعاء من قولهم : بئر بلعاء : واسعة ، ورجل بلع إذا كان نَـهِما ، وقد أخرج له أبو تمام في ديوان الحماسة ثلاثة أبيات ، أولها :

وفارس في غمار الموت منغمس   إذا تألَّى على مكروهة صدقا

غمار الموت : شدائده ، تألى : حلف ، وفي اللسان : حَـمْـضَـة اسم حى بلعاء وقد كان بلعاء رئيسا في الجاهلية ، وشهد حرب الفجار الثاني ، ومات في تلك الأيام

(٢) في الطبرى ٢٥٦ ج ٢ ، أبو كم قصى كان يدعى مجمعا .

(٣) دورا .

رفع
المسـ‍ـهم
عزالله لطالع

. . . .

العقوبة فى ذلك ، فكان أحدهم يحوف بالبنيانِ حول الشجرةِ ، حتى تكونَ فى منزله . قال : فأوَّلُ من ترَخَّصَ فى قطع شجر الحرم للبنيان عبدُ الله ابن الزُّبير حين ابتنى دُوراً بِقُعَيْقِعَانَ ، لكنه جَعَل دِيَةَ كلِّ شجرةٍ : بقرةً ، وكذلك يُرْوى عن عمر - رضى الله - أنه قطع دَوْحَةً كانت فى دارِ أسدِ بن عبد العُزَّى ، كانت تنال أطرافُها ثيابَ الطائفين بالكعبة ، وذلك قبل أن يُوسَّع المسجد ، فقطعها عمر - رضى الله عنه - وَوَدَاها بقرةً ، ومذهبُ مالك - رحمه الله - فى ذلك : ألاَّ دِيَةَ فى شجرِ الحرم. قال : ولم يبلغنى فى ذلك شىء . وقد أساء من فعل ذلك ، وأما الشافعى - رحمه الله - فجعل فى الدَّوْحَة بقرةً ، وفيما دونها شاةً . وقال أبو حنيفة - رحمه الله - إن كانت الشجرةُ التى فى الحَرَمِ مما يغرسها الناسُ ، ويَسْتَنْبِتُونَهَا ، فلا فِدْيَةَ على مَن قَطع شيئاً منها ، وإن كان مِن غيرها ، ففيه القِيمةُ بالغاً ما بلغتْ .

وذكر أبو عُبَيد : أن عبدَ اللهِ بن عمر - رضى الله عنهما - أفتى فيها بعتق (١) رقبةٍ .

---

(١) وفى القِرى للمحب الطبرى : « عن عطاء أنه كان يقول فى المحرم : إذا قطع شجرة عظيمة من شجر الحرم فعليه بَدَنة ، وفى الدوحة : بقرة . وعنه أنه سئل عمن قطع من شجر الحرم ، فقال : يستغفر الله عز وجل ولا يعود ، وعنه أنه كان يرخص فى القصب والشوك . والسَّنى : نوع من النبات . وعنه لا بأس أن يجنى الكمأة من الحرم ولا بأس بالشعشرق (نبات يتفرش على وجه الأرض عريض الورق وليس له شوك) والكمأة جمع مفرده : كم ، والكم : نبات ينفض الأرض ، فيخرج كما يخرج الفطر ، يأكله الناس والحيوان ، على أنه ورد فى حديث أخرجه البخارى ومسلم أن الحرم لا يعضد شوكه ، أى : لا يقطع .

رفع عبد الرحمن الهاشمي

. . . .

دار الندوة :

وذكر أن قُصَيًّا اتخذ دار الندوة ، وهى الدار التى كانوا يجتمعون فيها للتشاور ، ولفظها مأخوذ من لفظ النَّدِىّ والنادى والمُنْتَدَى، وهو مجلس القوم الذى يَنْدُون حَوْله ، أى : يَذْهَبُون قريباً منه ، ثم يَرْجِعون إليه ، والتَّنْدِيَة فى الخيل . أن تُصْرفَ عن الوِرْد إلى المرعى قريباً ، ثم تعاد إلى الشُّرْب ، وهو المُنَدَّى(١) ، وهذه الدارُ تصيرت بعد بنى عبد الدار إلى حكيم بن حِزَامِ ابن خُوَيْلِدِ بن أسَد بن عَبْد العُزَّى بن قُصَىّ ، فباعها فى الإسلام بمائة ألف درهم، وذلك فى زمن معاوية ، فلامه معاويةُ فى ذلك ، وقال : أبِعْت مَكْرُمةَ آبائك وشرفَهم ، فقال حكيم : ذهبت المكارمُ إلا التقوى . والله : لقد اشتريتها فى الجاهلية بِزِقٍّ خمر ، وقد بعتها بمائة ألف درهم ، وأُشْهدكم أن ثمنها فى سبيلِ الله ، فأيُّنا المغبون ؟ ! ذكر خبر حكيم هذا الدارَقُطْنى فى أسماء رجال المُوَطَّأ له.

من تفسير شعر رزاح :

فصل : وذكر شعر رِزَاح ، وفيه : ونَكْمِى النهارَ أى : نَكْمُنُ ونستتر ، والكَمِىّ من الفرسان ، الذى تَكَمَّى بالحديد . وقيل : الذى يَكْمِى شجاعَته ، أى : يسترها ، حتى يظهرَها عند الوغى . وفيه : مررنا بمَسْجَر ، وهو : اسم موضع ، وكذلك : ورقان اسم جبل ، ووقع فى نسخة سفيان: وَرَقان بفتح الراء ، وقيده أبو عبيد البكرى : وَرِقان بكسر الراء ، وأنشد لِلأَحْوَصِ :

---

(١) والمنتدى أيضاً من أسماء النادى الذى هو مجتمع مجلس القوم ومتحدثهم والمندى : مكان ورد الإبل .

رفع المسبق هم

. . . .

وكيف تُرَجِّى الوصلَ منها وأصبحت ذُرَى وَرِقانٍ(١) دونَها وحَفِير

ويخفف ، فيقال : وَرْقان . قال جميل :

يا خليليَّ إنَّ بَثْنَةَ بانَتْ يوم وَرْقانَ بالفؤاد سَبِيَّا

وذكر أنه من أعظم الجبال ، وذكر أن فيه أوشَالاً(٢) وعُيونا عِذابا ، وسُكانهُ : بنو أوْس بن مُزَيْنة .

وذكر أيضا الحديث ، وهو قول النبي — صلى الله عليه وسلم — : « ضِرْسُ الكافر فى النار مثلُ أُحُدٍ ، وفَخِذُه مثل وَرِقَان »(٣) . وفى حديث آخر أنه عليه السلام ذكر آخر من يموت من هذه الأمة ، فقال : رجلان من مُزَيْنة ينزلان جبلا من جبال العرب ، يقال له : وَرِقان(٤) كل هذا من قول البكرى فى كتاب مُعْجَم ما استعجم .

فصل : وذكر أشمذين بكسر الذال ، وفى حاشية كتاب سفيان بن العاص : الأَشْمَذَانِ : جبلان [بين المدينة وخيبر] ، ويقال : اسم قبيلتين ، ثم قال فى

---

(١) ورقان — بالفتح ثم الكسر — ويروى بسكون الراء : جبل أسود بين العَرْج والرويثة على يمين المصعد من المدينة إلى مكة ، وهو من جبال تهامة .

(٢) مياه تسيل من أعراض الجبال ، فتجتمع ثم تساق إلى المزارع .

(٣) رواه أحمد فى مسنده والحاكم فى مستدركه عن أبى هريرة .

(٤) الذى فى الحاكم : « آخر من حشر : راعيان من مزينة يريدان المدينة ينعقان بغنمهما فيجدانها وحوشا ، حتى إذا بلغا ثَنِيَّة الوداع خرا على وجوههما » ومثل هذه الأحاديث لا يعتد بها .

رفع المسهم

. . . .

الحاشية : فعلى هذا تكون الرواية بفتح الذال وكسر النون من أَشْمَذَيْنِ ـ قال المؤلف رحمه الله ـ فإن صح أنهما اسم قبيلتين ، فلا يبعد أن تكون الرواية كما فى الأصل : أَشْمَذِين(١) بكسر الذَّال، لأنه جَمْعٌ فى المعنى . واشتقاق الأَشْمَذ من شَمَذَتِ الناقةُ بذَنبها أى : رفعته ، ويقال للنحل : شُمذ ، لأنها ترفع أعجازَها .

وفيه : مَررن على الحَيْل(٢) وفسره الشيخ فى حاشية الكتاب ، فقال : هو الماء المستنقع فى بطن واد ، ووجدت فى غير أصل الشيخ روايتين ، إحداهما : مَرَرْنَ على الحَلِّ والأخرى : مَرَرْنَ على الحَلْى ، فأما الحَلُّ : فجَمْع حِلة ، وهى بَقْلةٌ شاكَّةٌ (٣) . ذكره ابنُ دُرَيْدٍ فى الجَمْهَرَةِ . وأما الحَلْى ، فيقال : إنه ثمر القُلْقُلاَن(٤) وهو نَبْتٌ .

---

(١) فى المراصد : أشمذين ـ بفتح أوله والميم والذال مفتوحتان ، والياء ساكنة والنون مكسورة بلفظ التثنية : جبلان بين المدينة وخيبر تنزلهما جهينة وأشجع .

(٢) الحيل فى اللسان كما ذكر الشيخ ، وأيضاً : القطيع من الغنم ، وحجارة تحدر من جوانب الجبل إلى أسفله وفى الأصل « الجبل » وهو خطأ .

(٣) وفى اللسان والقاموس : شجرة شاكَّة .

(٤) عرق هذا الشجر المغاث ، وقد خطأ أبوذر فى شرحه للسيرة هذا الرأى لأن اسم النبات : الحلى بتشديد الياء وكسر اللام . وذكر أنه اسم موضع .

ورزاح بن ربيعة بكسر الراء ، وغيره بالكسر وبالفتح . ومن معانى مفردات قصيدة رزاح : الورد : الواردة . الحلبة : جماعة الخيل . السيب : المشى السريع فى رفق كانسياب الحية . الرسيل : المشى الذى فيه تمهل . وعسجر : موضع قرب مكة . أسهل : حل الموضع السهل ، العرج : واد من نواحى الطائف . العوذ : جمع عائذ : الناقة أو الفرس التى لهما أولاد . والأفلاء : جمع فلو ، المهر العظيم . نعاور : =

رفع المسيهم

. . . .

وقوله فيها : نَخَبِزُهُمْ . أي : نسوقهم سَوْقا شَدِيدا ، وقد تقدم قول الراجز . لا تَخْبِزَا خَبْزاً و بُسَّا بَساً .

وذكر شعر رِزَاح الآخر ، وفيه : من الأعراف أعراف الجِناب . بكسر الجيم ، وهو موضِعٌ من بلادِ قُضاعَةَ .

وفيه : وقام بنو عَلِيٍّ ، وهُمْ بنو كِنانة ، وإنما سموا ببنى على؛لأنَّ عبدَ مناة ابن كِنانة كان ربيبا لعلىٍّ بن مسعود بن مازِن من الأَزْدِ،أخى سَطيح الـكاهن ، فقيل لبنى كِنانة : بنو عَلِيٍّ ، وأحسَبه أراد فى هذا البيتِ بنى بَكْرِ ابن عَبْد مناةَ ؛ لأنهم قاموا مع خُزَاعَةَ .

شعر قصى والعذر عنه :

وذكر شعر قُصَيٍّ : أنا ابن العاصِمين بَنِى لؤَىٍّ . الأبيات . وليس فيها مايشكل .

= تداول مرة بعد أخرى . الأوب : الرجوع . وصلاب النسور : النسور : جمع نسر ، وهو اللحم اليابس الذى فى باطن الحافر . وصلاب النسور كناية عن الخيل القوية ، ومن مفردات قصيدة ثعلبة : التغالى من المغالاة ، وهى ارتفاع الدابة فى سيرها ومجاوزتها حسن السير . والغور : أصله ما تدخل من الأرض ، وانهبط ، ومنه : غور تهامة ، وكل ماوصف به تهامة ، فهو من صفة الغور؛ لأنهما اسمان لمسمى واحد . والفيفاء : الصحراء . القاع : أرض مستوية مطمئنة عما يحيط بها من الجبال والآكام ، تنصب إليها الأمطار ، فتمسكها ، ثم تنبت العشب ، الضراب : يقال : ضرب الفحل ضرابا : أتى الناقة . والطراب : الإبل التى اشتاقت إلى موطنها .

. . . .

وذكر أن رِزَاحا حين استقر فى بلادِهِ نشر الله ولدَه وولدَ حُنٍّ ، ابنِ ربيعة ، فهما حَيَّا عُذْرَةَ .

قال المؤلف : فى قُضَاعَةَ عُذْرَتَان : عُذْرَةُ بن رُفَيْدة ، وهم من بنى كَلْب ابن وَبْرة . وعُذْرَةُ بن سَعْد بن سُودِ بن أَسْلُمَ بن الحافِ بن قُضاعة ، وأسلُمُ هذا هو بضم اللام من ولدحُنٍّ بن ربيعة أخى رِزَاحِ بن ربيعة جَدِّ جميل بن عبدِالله ابن مَعْمَر صاحبِ بثينة ، ومَعْمَرٌ هو ابن ولد الحارث بن خبير بن ظَبْيَانَ ، وهو الضَّبِيسُ بن حُنٍّ . وبُثَيْنَةُ أيضا من ولد حُنٍّ ، وهى بنت حِبَّان بن ثعلبة بن الْهَوْذِى بن عَمْرو بن الأَحَبِّ بن حنٍّ [وفى قضاعة أيضا عُذْرَةُ بن عدى ، وفى الْأزد : عذرة بن عداد] .

حوتكة وأسلم :

وذكر حَوْتَكة بن أَسْلُمَ وبنى نَهْد بن زيد وإجلاء رِزَاح لهم(١)

---

(١) نسب جميل فى جمهرة أنساب العرب : جميل بن عبد الله بن معمر ابن الحارث بن الخبير [فى الروض ابن خيبر فى] ابن طبيان ، وهو خبيس بن جر بن ربيعة ، ويتفق الأغانى مع الجمهرة حتى الحارث ، وبعدها يقول الأغانى « ابن ظبيان بن قيس بن جزء بن ربيعة بن حرام بن ضنة بن عبد بن كثير ، بن عذرة بن سعد — وهو هُذَيم ، سمى بذلك إضافة لاسمه إلى عبد لأبيه ، يقال له : هذيم ، وكان يحضنه ، فغلب عليه ، وفى الاشتقاق كذلك عن سعد وهذيم — بن زيد بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة . ونسب بثينة فى الجمهرة : بثينة بنت حُبَّا ابن ثعلبة بن الشهوذ بن عمرو بن الأحبّ بن جرير بن ربيعة . لأبيها صحبة ص ٤٢٠ جمهرة . وفى الأغانى : بنت حبأ بن ثعلبة بن الشهوذ بن عمرو بن =

رفع المسهم

. . . .

وَحَوْتَـكَةُ هو : عمُّ نَهْدِ بن زَيْدِ بن أَسْلُم ، وليس فى العربِ أسلُم بضم اللام إلا ثلاثة . اثنان منها فى قُضاعه ، وهما : أَسْلُم بن الحافِ هذا ،وأسلُم بن تَدُول ابن تَيْم اللَّاتِ(١) بن رُفَيْدة بن ثَوْرين كَلْبٍ ، والثالث فى عَكٍّ أَسْلُم بن القِيَاَنة بن غَابن(٢) بن الشاهد بن عَكٍّ ، وما عدا هؤلاء فأسلَم بفتح اللام . ذكره ابن حبيب فى المؤتلف والمختلف .

=الأحب بن حن بن ربيعة . وفى الاشتقاق عن عذرة بن رفيدة،وكذلك فى جمهرة ابن حزم: أنه عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وَبْرةَ . وفى كتاب متفق القبائل لابن حبيب ، وفى قضاعة : عذرة بن سعد ، وفى كلب: عذرة ابن زيد اللات ، وعذرة بن عدى ، وفى الأزد: عذرة بن عداد، وفى الجمهرة لابن حزم ضبط أسلم بفتح اللام مرة ، وبضمها فى مكان آخر ، وفيها ما يأتى :

ولد أسلم بن الحافى: سود بن أسلم. فولد سود بن أسلم ليث وحَوتكة «بفتح الحاء وإسكان الواو» بطن بمصر مع بنى خميس بن جهينة ، وإياس بن سود، وهم فى بنى لؤى بن عذرة . وفى أمالى ابن الشجرى عن الحاف أنه مما حذفت العرب ياءه اجتزاء بالكسر مثل: العاص فى اسم العاص بن أمية، والعاص بن وائل السهمى. ومثل اليمان فى أبى حذيفة اليمان ، ومثل الداع فى قوله سبحانه: «أجيب دعوة الداع إذا دعان» انظر الاشتقاق فى قبائل قضاعة، وص ٤١٥ جمهرة . ونقلت ماذكرت عن ابن الشجرى من تعليق للأستاذ هرون فى الاشتقاق . وفى الاشتقاق عن هوذى أنه هَوْذَة .

(١) فى الجمهرة والاشتقاق وغيرهما : زيد اللات . ولكن ورد فى الجمهرة ص ٤٢٩ وهو يتحدث عن بنى كلب بن وبرة: «وبنو أسلم بضم اللام بن تدول بن تيم اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة» .

(٢) فى الجمهرة : أسلم بن القيانة بن غافق ، ومنهم كان أمير الأندلس . وفى اللسان عن أسلم بضم اللام نقل عن كراع أنه جمع: سلم، وذكر أنه لم يفسر أى: سلم — بفتح فسكون — يعنى ، ثم نقل أنه قد يكون جمع سلم — بفتح فسكون —وهى الدلو العظيمة .

رفع المسهم

ذكر ماجرى من اختلاف قريش بعد قصى

وحلف المطيبين

قال ابن إسحاق : ثم إنّ قصَىّ بن كِلاب هَلَكَ ، فأقام أمرَه فى قومه ، وفى غيرهم بنوه من بعده ، فاختَطُّوا مكة رِبَاعا — بعد الذى كانَ قَطَع لقومه بها — فكانوا يَقْطعونها فى قومهم ، وفى غيرهم من حُلفائهم ويَبيعونها فأقامت على ذلك قريشٌ معهم ليس بينهم اختلاف ولا تنازع ، ثم إنّ بنى عبد مناف بن قُصىّ عبدَ شمس وهاشما والمُطَّلِبَ ونَوْفلاً أجمعوا على أن يأخذوا ما بأيدى بنى عبد الدار بن قُصَىّ مماَّ كان قُصَىٌّ جعل إلى عبد الدار ، من الحجابة واللواء والسِّقَايَة والرِّفادة ، ورَأَوْا أنهم أوْلى بذلك منهم لشرفهم عليهم وفضلِهم فى قومهم ، فتفرّقت عند ذلك قريش ، فكانت طائفة مع بنى عبد مناف على رأيهم يرَوْنَ أنهم أحقّ به من بنى عبد الدار لمكانهم فى قومهم وكانت طائفة مع بنى عبد الدار . يرَوْن أن لا يُنْزَعَ منهم ما كان قُصَىٌّ جعل إليهم .

فكان صاحبَ أمر بنى عبد مناف: عبدُ شمس بن عبد مناف، وذلك أنه كان أَسَنَّ بنى عبد مناف ، وكان صاحبَ أمر بنى عبد الدار: عامِرُ بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار . فكان بنو أسد بن عبد العُزّى بن قصى، وبنو زُهْرَة ابن كِلاب ، وبنو تَيْم بن مُرَّة بن كعب ، وبنو الحارث بن فِهْر بن مالك بن النَّضْر ، مع بنى عَبْد مناف .

وكان بنو مخزوم بن يَقَظة بن مُرّة ، وبنو سَهْم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب ، وبنو جُمَح بن عمرو بن هُصَيْص بن كَعب ، وبنو عدى بن كعب مع بنى عبد الدار ، وخرجت عامر بن لُؤَىّ ومحارب بن فِهْر ، فلم يكونوا مع واحد من الفريقين .

فعقد كلّ قوم على أمرهم حِلْفًا مؤكّداً على أن لا يتخاذلوا ، ولا يُسلِم بعضُهم بعضاً ما بَلّ بحرٌ صوفة .

فأخرج بنو عبد مناف جَفْنَة مملوءة طيبا ، فيزعمون أن بعض نساء بنى عَبْد منافٍ ، أخرجَتْهَا لهم ، فوضعوها لأحْلافهم فى المسجد عند الكعبة ، ثم غَمس القوم أيديهم فيها ، فتعاقدوا وتعاهدوا هم وحلفاؤهم ، ثم مسحوا الكعبة بأيديهم توكيدا على أنفسهم ، فسُمُّوا المُطَيَّبِين .

وتعاقد بنو عبد الدار ، وتعاهدوا هم وحلفاؤهم عند الكعبة حلفا مؤكداً ، على أن لا يتخاذلوا ، ولا يُسْلِم بعضُهم بعضا ، فسُمّوا الأحلاف .

ثم سُونِدَ بين القبائل ، ولُزّ بعضُها ببعض ، فَعُبِّيَتْ بنو عبد مناف لبنى سَهْمٍ ، وعُبِّيت بنو أسد لبنى عبد الدار وعُبِّيَتْ زُهْرة لِبَنِى جُمَح ، وعُبِّيَت بنو تيم لبنى مَخْزُوم ، وعُبِّيت بنو الحارث بن فِهْرٍ لبنى عَدىّ بن كعب . ثم قالوا : لِتُفْنِ كلُّ قبيلة من أسند إليها .

فبينا الناس على ذلك قد أجمعوا للحرب إذ تداعوا إلى الصلح، على أن يُعطوا بنى عبد مناف السقاية والرّفادة ، وأن تكون الحجابة واللواء والندوة لبنى

. . . .

رفع المسهم

عبد الدار كما كانت ، ففعلوا ورضى كل واحد من الفريقين بذلك ، وتحاجز الناس عن الحرب ، وثبت كلُّ قوم مع من حالفوا ، فلم يزالوا على ذلك ، حتى جاء الله تعالى بالإسلام ، فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : « ما كان مِنْ حِلْفٍ فى الجاهِلِيَّة ، فإِنَّ الإِسْلامَ لَمْ يَزِدْهُ إلاَّ شِدَّةً » .

حلف الفضول

قال ابن هشام : وأما حِلف الفضول فحدثنى زياد بن عبد الله البكائى عن محمد بن إسحاق قال : تداعت قبائل من قريش إلى حِلْف ، فاجتمعوا له فى دار عبدالله بن جُدْعان بن عَمْرو بن كَعْب بن سعد بن تَيْم بن مُرَّة بن كعب بن لُؤَيّ ، لشرفه وسِنِّه ، فكان حِلفهم عنده : بنو هاشم ، وبنو المطلب ، وأسد بن عبدالعُزَّى ، وزُهْرة بن كِلاب ، وتَيْم بن مُرّة ، فتعاقدوا وتعاهدوا على أن لا يجدوا بمكة مظلوما من أهلها وغيرهم ممن دخلها من سائر الناس إلا قاموا معه ، وكانوا على من ظَلَمَه حتى تردّ عليه مَظْلمته ، فسمت قريش ذلك الحلفَ : حلفَ الْفُضُولِ .

قال ابن إسحاق : فحدثنى محمد بن زيد بن المهاجر بن قُنْفذ التيمى أنه سمع طلحة بن عبد الله بن عوف الزهرىّ يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد شهدت فى دار عبد الله بن جُدْعان حلفا ، ما أُحِبُّ أنّ لى به حُمْر النَّعم ، ولو أُدْعى به فى الإسلام لأجبت» .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهادى الليثى أن محمد بن إبراهيم بن الحارث التَّيْمِىّ حدثه : أنه كان بين الْحُسَين بن على بن أبى

. . . .

رفع عبد الرحمن النجدي
المسلم هميل
غفر الله له ولوالديه

طالب رضى الله عنهما ، وبين الوليد بن عُتْبة بن أبى سُفْيان . والوليدُ يومئذ أمير على المدينة ، أمَّره عليها عمه مُعاوية بن أبى سفيان - منازعة فى مال كان بينهما بذى المَرْوة ، فكان الوليد تحامل على الحسين - فى حقِّه لسلطانه ، فقال له الحسين : أحلف بالله لتنصفنى من حقى ، أو لآخُذَنَّ سيفى ، ثم لأقومنّ فى مسجد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ثم لَأَدْعُوَنَّ بحلف الفضول قال : فقال عبد الله بن الزبير ، وهو عند الوليد حين قال الحسين -رضى الله عنه- ما قال : وأنا أحلف بالله لَئِنْ دعا به لآخذنّ سيفى ، ثم لأقومنّ معه ، حتى يُنْصَف من حقه أو نموت جميعاً . قال : فبلغت المِسْوَر بن مَخْرَمَة بن نوفل الزهرىّ ، فقال مثل ذلك ، وبلغت عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله التَّيْمِىّ ، فقال مثل ذلك ، فلما بلغ ذلك الوليدَ بن عتبة أنصف الحسينَ من حقه حتى رضى .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهادى الليثى عن محمد بن إبرهيم بن الحارث التيمى قال : قدم محمد بن جُبير بن مُطْعِم بن عدىّ بن نوفل بن عبد مناف - وكان محمد ابن جُبير أعلم قريش - فدخل على عبد الملك بن مروان بن الحكم حين قتل ابن الزبير ، واجتمع الناس على عبد الملك ، فلما دخل عليه قال له : يا أبا سَعيد ، ألم نكن نحن وأنتم ، يعنى بنى عبد شمس بن عبد مناف وبنى نوفل بن عبد مناف فى حلف الفضول ؟ قال : أنت أعلم ، قال عبد الملك : لتخبرنى يا أبا سعيد بالحقّ من ذلك ، فقال : لا والله ، لقد خرجنا نحن وأنتم منه ، قال : صدقت .

قال ابن إسحاق : فولى الرِّفادةَ والسِّقايةَ هاشمُ بن عبد مناف ، وذلك أن عبدَ شمس كان رجلاً سَفَّارًا قلَّما يقيم بمكة ، وكان مُقِلاًّ ذا وَلَدٍ ، وكان هاشم

. . . .

مُوسِرا فـكان ـ فيما يزعمون ـ إذا حضر الحجُّ ، قام فى قريش فقال : «يامعشر قريش ، إنـكم جيرانُ الله ، وأهلُ بيتهِ ، وإنه يأتيكم فى هذا الموسم زُوّارُ اللهِ وحُجَّاجُ بيته ، وهم ضَيفُ الله ، وأحقُّ الضَّيْفِ بالـكرامة : ضَيْفُه، فاجْمعُوا لهم ما تصنعون لهم به طَعَاما أيامَهم هذه التى لا بُدّ لهم من الإقامة بها ؛ فإنه ـ والله ـ لو كان مالى يسَع لذلك ما كلَّفتُـكُمُوهُ». فيخرجون لذلك خَرْجاً من أموالهم، كلّ امرىء بقدر ما عنده ، فيُصنع به للحُجّـاج طعامٌ ، حتى يَصْدُرُوا منها .

وكان هاشم ـ فيما يزعمون ـ أوّل من سنّ الرّحلتين لقريش : رحلتى الشتاء والصيف ، وأوّل من أطعم الثريدَ للحجاج بمكة ، وإنما كان اسمه : عَمراً ، فما سُمّى هاشما إلا بِهَشْمِه الخبز بمكة لقومه ، فقال شاعر من قريش أو من بعض العرب :

عَمْرو الذى هَشَم الثريد لقومه ‏ قوم بمكةَ مُسْنِتِينَ عِجَافِ

سُنَّت إليه الرحلتان كلاهما ‏ سَفَرُ الشتاء ، ورِحلةُ الإيلاف

قال ابن هشام : أنشدنى بعض أهل العلم بالشعر من أهل الحجاز

قوم بمكةَ مسنتين عجاف

قال ابن إسحاق : ثم هلك هاشمُ بن عبد مناف بغَزّة من أرض الشام تاجراً ، فولى السقاية والرّفادة من بعده المطّلبُ بن عبد مناف ، وكان أصغرَ من عبد شمس وهاشم ، وكان ذا شرف فى قومه وفَضْل ، وكانت قُرَيش إنمـا تُسَمِّيه : الفيضَ لسماحته وفضله.

وكان هاشم بن عبد مناف قَدِم المدينة ، فتزوّج سَلْمى بنت عَمرو أحد بنى عدىّ بن النجّار ، وكانت قبله عند أُحَيْحَة بن الجُلاَح بن الحرِيش . قال ابن هشام : ويقال : الحريش بن جَحْجَبى بن كُلْفة بن عَوْف بن عمرو

• • • • • • • • • • •

رفع المسهم

ابن عَوْف بن مالك بن الأوس ، فولدت له عمرو بن أُحَيْحَة ، وكانت لاتنكح الرجال لشرفها فى قومها حتى يشترطوا لها أنّ أمرها بيدها ، إذا كرهت رجلاً فارقَتْه .

فولدت لهاشم عبدَ المطلب ، فسمَّته : شَيْبة ، فتركه هاشم عندها حتى كان وَصِيفا ، أو فوق ذلك ، ثم خرج إليه عمه المطلب ؛ ليقبضَه ، فيُلحقه ببلده وقومه فقالت له سَلْمى : لستُ بمُرْسلته معك ، فقال لها المطلب : إنى غيرُ منصرف حتى أخرجَ به معى ، إنّ ابن أخى قد بلغ ، وهو غريب فى غير قومه ، ونحن أهل بيت شرف فى قومنا ، نَلِي كثيراً من أمرهم ، وقومُه وبلده وعشيرته خيرٌ له من الإقامة فى غيرهم ، أو كما قال . وقال شيبة لعمِّه المطلب ـ فيما يزعمون ـ لستُ بمفارقها إلا أن تأذَن لى ، فأذِنَتْ له ، ودفعَتْه إليه ، فاحتمله ، فدخل به مكة مُرْدِفه معه على بعيره ، فقالت قُريش : عبدُ المطلب ابتاعه ، فبها سمّى : شَيْبة عبدَ المُطَّلب . فقال المطَّلب : وَيْحكم ! إنما هو ابن أخى هاشِم ، قدمتُ به من المدينة .

ثم هلك المطَّلب بِرَدْمان من أرض اليمن ، فقال رجل من العرب يَبْكيه :

قد ظمىءَ الحجيجُ بعد المطَّلبْ بعد الجِفان والشَّراب المُنْثَعِبْ
ليت قريشا بعده على نَصَبْ

وقال مَطْرود بن كَعْب الخُزاعىّ ، يبكى المطَّلب وبنى عبد منَاف جميعا حين أتاه نَعْىُ نَوْفل بن عبد مناف ، وكان نوفل آخرَهم هُلْكا :

يا ليلة هَيَّجتِ ليلاتى إحدى ليالىَّ القَسِيَّات

وَما أُقاسى منْ هُمومٍ ، وما عالجتُ من رُزْءِ المنيَّات
إذا تذكَّرْتُ أخى نوفلاً ذَكَّرَنى بالأوَّليَّـــات
ذَكَّرنى بالأُزُرِ الحُمْرِ والْــأرْدِيةِ الصُّفْرِ القَشيبات
أربعة كلُّهمُ سيِّـــد أبناء سادات لسادات
مَيْتٌ برَدْمان ومَيْتٌ بسَلْــمان وميت بين غزّات
وميِّت أسكِن لَحَداً لدى الْــمَحْجوب شَرْقىَّ البنيَّات
أخلَصهم : عبدُ مناف فهُمْ مِنْ لَوْم مَنْ لامَ بمَنْجاة
إنَّ المُغيرات وأبناءها مِنْ خَيْر أحياء وأموات

عن حلف المطيبين :

فصل : وذكر تنازُعَ بنى عبد مناف ، وبنى عبد الدار فيما كان قُصَىٌّ جعلَ إليهم ، وذكر فى ذلك حِلْف المطَيَّبين ، وسماهم ، وذكر أن امرأة من نساء عبد مناف هى التى أخرجت لهم جَفْنَه مِن طيب ، فَغَمَسُوا أيديَهم فيها ، ولم يُسمِّ المرأة ، وقد سماها الزبيرُ فى موضعين من كتابه ، فقال : هى أمُّ حكيم البيضاء بنتُ عبد المطلب عمة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وتَوْأَمَةُ أبيه. قال : وكان المُطَيَّبُون يُسَمَّوْن : الدَّافَة جمع دائف بتخفيف الفاء ؛ لأنهم دَافو الطِّيب(١) .

---

(١) ذكر اسم أم حكيم أيضاً أبو عبد الله المصعب بن عبدالله بن المصعب الزبيرى فى كتابه نسب قريش ص ٣٨٣ ، وذكر أنها قالت بعد وضعها الجنة فى الحجر : «من كان منا فليدخل يده فى هذا الطيب» ، ويذكر أن بنى سهم بن عمرو نحرت جزورا ، وقالوا : «من كان منا فليدخل يده فى هذه الجزور» ، فأدخل من أدخل فسميت =

رفع
المسامر

. . . .

السناد والإقواء :

وذكر أن القبائل سُوند بعضُها إلى بعض ، لتكفى كلُّ قبيلةٍ ما سُوند إليها ، فسُوند: من السِّناد ، وهى مقابلة فى الحرب بين كلِّ فريق ، وما يليه من عَدوِّه ، ومنه أُخذ سِناد الشِّعر ، وهو أن يتقابل المصراعان من البيت ، فيكون قبل حَرْفِ الرَّوِىِّ حرفُ مدٍّ ولينٍ ، ويكون فى آخر البيت الثانى قبل حرف الرَّوِىِّ حرفُ لينٍ ، وهى ياء أو واو مفتوحٌ ما قبلها كقول عمرو بن كلثوم .

ألاَ هُبِّى بصَحْنِك فاصْبِحِينَا

ثم قابله فى بيت آخر بقوله : — تُصَفِّقُها الرياحُ إذا جَرَيْنَا(١) — فكأن الياء المفتوح ما قبلها قد سُوندت بها إلى الياء المكسور ما قبلها ، فتقابلتا ، وهما غير متفقتين فى المد ، كما يتقابل القَبِيلتان ، وهما مختلفتان متعاديتان ، وأما الإقواء

= الأحلاف ، وذكر أن الأسود بن حارثة أدخل يده فى الدم ، ثم لعقها ، فلعقت بنو عدى كلها بأيديها ، فسموا : لعقة الدم ، وانظر أيضا ص١٦٦ المحبر لابن حبيب . وص٥٤ شرح السيرة للخشنى . وداف الشىء دوفا ، وأدافه : خلطه وأكثر ذلك فى الدواء والطيب . وداف يديف : لغة فيه . ومجيئه بالواو أكثر ، ومسك مدوف ومدووف ، وداف الطيب وغيره فى الماء يدوفه فهو دائف .

(١) أول البيت : « كأن غضونهن متون غدر » وفى رواية : متونهن بدلا من غضون ، ويروى : إذا عرينا بدلا من جرينا ، والغدر : جمع غدير . تصفقها الرياح: تضربها . يشبه غضون الدرع بمتون الغدران إذا ضربتها الرياح فى جريها ، والطرائق التى ترى فى الدروع بالتى تراها فى الماء إذا ضربته الريح « عن الزوزنى » فى شرح المعلقات .

رفع
المسهم

. . . .

فهو أن يَنقُصَ قُوّةَ من المِصراع الأول ، كما تَنْقُص قُوّةَ من قُوى الحَبْل (١)، وذلك أن يَنقُصَ من آخر المصراع الأول حرفٌ من الوَتَدِ كقوله :

أَفَبَعْدَ مَقْتَلِ مالكِ بن زُهَيْرٍ ترجو النساءُ عَواقبَ الأطهارِ

وكقول الآخر :

لما رأت ماءَ السَّلَى مَشرُوبا والفَرْثَ يُعْصَرُ فى الإناء أَرَنَّتِ (٢)

---

(١) فى الأصل : الجبل ، والتصويب من اللسان . والقوة : الخَصْلة الواحدة من قوى الحبل . وحبل مقوى : هو أن ترخى قوة، وتغير قوة ، فلا يلبث الحبل أن ينقطع .

وقد عرف أبو عمر بن العلاء الإقواء بأنه اختلاف حركات الروى ، فبعضه مرفوع ، وبعضه منصوب أو مجرور . أما ماقاله السهيلى ، فهو قول أبى عبيدة . واستشهد بقول الربيع بن زياد : « أفبعد مقتل مالك الخ » . وعرفه أبو عمرو الشيبانى بأنه اختلاف إعراب القوافى ، وابن سيدة : المخالفة بين القوافى . والأخفش : رفع بيت وجر آخر . قال : وقد سمعت هذا من العرب كثيرا ، لاأحصى ، وقَلَّتْ قصيدة ينشدونها إلا وفيها إقواء، ثم لايستنكرونه، لأنه لا يكسر الشعر . وفى اللسان أمثلة كثيرة فى مادة قوا ، ثم ذكر ابن جنى أن الإقواء وإن كان عيبا لاختلاف الصوت به فإنه قد كثر .

(٢) البيت لحجل بن نَضلة . وهو فى اللسان .

ولما رأت ماء السَّلى مَشروبَها

والسلى : الجلد الرقيق الذى يخرج فيه الولد من بطن أمه ملفوفا فيه ، وقيل : هو فى الماشية : السلى ، وفى الناس : المشيمة . وفى المثل : وقع القوم فى سلى جَمَل ، أي في أمر لامخرج منه ؛ لأن الجمل لاسلى له . وإنما يكون للناقة .

رفع
المساهم
غفر الله له ولوالديه

. . . .

وكان الأَصْمعِىُّ يُسَمِّى هذا الإقواء : الْمُقْعَد ، ذكره عنه أبو عبيد ، وقال عَدِىّ بن الرِّقَاع [العامِلى] فى السِّنَاد :

وقصيدة قد بِتُّ أجمَعُ بَيْتَهَا حتى أُثَقِّف مَيْلها وسِنَادَها (١)

حلف الفضول

وذكر ابن هشام الحلفَ الذى عقدته قريشٌ بينها على نُصرةِ كلِّ مظلوم بمكة قال : ويُسَمَّى حِلْفَ الْفُضُول ، ولم يذكر سببَ هذه التسمية ، وذكرها ابنُ قُتَيْبَة ، فقال : كان قد سبق قُريشا إلى مثل هذا الحلف جُرْهُم فى الزمن الأول ، فتحالف منهم ثلاثةٌ هُم ، ومن تبعهم ، أحدهم : الفضلُ بن فَضالة ، والثانى : الفضل بن وَداعة ، والثالث : فُضَيْل بن الحرث. هذا قول القُتَبِىِّ . وقال الزبير : الفُضَيْلُ بن شُراعَة ، والفضل بن وَداعة ، والفَضْلُ بن قُضاعة ، فلما أشبه حلفُ

(١) وكذلك سماه الخليل . ونقل عنه أيضاً : إذا كان بيت من الشعر فيه زحاف قيل له : مقعد « بضم الميم وسكون القاف وفتح العين » .

روى ابن جنى فى الخصائص تحت باب : « هل يجوز لنا فى الشعر من الضرورة ما جاز للعرب أولا ؟ ، وأنه سأل أبا على عن هذا ، فقال : كما جاز لنا أن نقيس منثورنا على منثورهم ، فكذلك يجوز لنا أن نقيس شعرنا على شعرهم ، ثم ذكر أن جميع الشعر القديم لم يكن مرتجلا ، بل قد كان يعرض لهم فيه من الصبر عليه والملاطفة فيه والتلوم على رياضته ، وإحكام صنعه نحو مما يعرض لكثير من المولدين . . ثم روى شواهد له على هذا ، وفيها هذا البيت . وفى الخصائص : أقوم بدلا من أثقف ، وبعده :

نظر المُثَقِّف فى كعوب قناته حتى يقيم ثقافه منآدها

انظر ص ٣٢٣ وما بعدها ح ١ الخصائص ط ، ٢ زدت العاملى من الخصائص .

رفع
المسلم
عز الله له ولوالديه

. . . .

قريش الآخر فعلَ هؤلاء الْجُرْهُمِيِّين سُمِّى : حلفَ الفُضُول ، والفُضُول : جمع فَضْل ، وهى أسماء أولئك الذين تقدم ذكرهم . وهذا الذى قاله ابن قُتَيْبَة حَسَنٌ(١) ، ولكن فى الحديث ماهو أقوى منه وأولى . روى الحُمَيْدِيُّ عن سُفْيَان عن عبدالله عن محمد وعبد الرحمن ابنى أبى بكر ، قالا : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : لقد شهدت فى دار عَبْد الله بن جُدْعَانَ حِلفاً لو دُعيتُ به فى الإسلام لأجبت . تحالفوا أن تُرَدَّ الفُضُول(٢) على أهلها ، وألا يَعُزَّ ظالمٌ مَظلوماً . ورواه فى مُسْنَدِ الحرْث بن عبد الله بن أبى أُسامَة التَّميمِيِّ ، فقد بَيَّن هذا الحديثُ : لمِ سُمِّى حلفَ الفُضول ، وكان حِلْفُ الفُضولِ بعد الفِجار ، وذلك أن حرب الفِجَارِ(٣) كانت فى شَعْبَان ، وكان حِلْفُ الفضول

---

(١) أخذ بهذا الرأى ابن الأثير فى النهاية ، لكنه ذكر هو وابن كثير فى البداية : الفضل بن الحارث لافضيل ، والفضل بن شراعة لا فضيل .

(٢) أى تحالفوا ألا يتركوا عند أحد فضلا يظلمه أحدا إلا أخذوه له منه . وفى حديث رواه مسلم وأحمد : « لا حلف فى الإسلام وأيما حلف كان فى الجاهلية ، فإنه لا يزيده الإسلام إلا شدة » ، والمعنى — كما قال ابن كثير — أن الإسلام لا يحتاج معه إلى الحلف الذى كان أهل الجاهلية يفعلونه ، فإن فى التمسك بالإسلام كفاية عما كانوا فيه » .

(٣) أيام الفجار كانت بين قيس وقريش وقيل : أيام الفجار : أيام وقائع كانت بين العرب تفاجروا فيها بعكاظ ، فاستحلوا الحرمات . وقيل : الفجار يوم من أيام العرب ، وهى أربعة أفجرة كانت بين قريش ، ومن معها من كنانة ، وبين قيس عيلان فى الجاهلية ، وكانت الدَّبَرة على قيس ، وإنما سمت قريش هذه الحرب فجاراً ؛ لأنها كانت فى الأشهر الحرم ، فلما قاتلوا فيها قالوا : قد فجرنا ، فسميت فجاراً .

رفع المسهم

. . . .

فى ذى القَعْدَة قبل المبعث بعشرين سنة ، وكان حِلف الفضول أكرَم حِلفٍ سُمع به ، وأشرفه فى العرب ، وكان أولَ مَنْ تكلم به ودعا إليه : الزبيرُ بن عبدِ المطلب ، وكان سببه أن رجلا من زُبَيْد قدم مكة ببضاعة ، فاشتراها منه العاصى بن وائل ، وكان ذا قَدْرٍ بمكة وشَرَفٍ، فحَبَس عنه حقَّه ، فاستَعْدَى عليه الزُّبَيْدِىُّ الأحلافَ : عبدَ الدار ومَخزُوماً وجُمَح وسَهْماً وعَدِىَّ بن كعب ، فأبوا أن يعينوه على العاصى بن وائل ، وزَبَرُوه ، أى : انتهروه ، فلما رأى الزُّبَيْدِىُّ الشر ، أوْفى على أبى قُبَيْس (١) عند طلوع الشمس، وقُرَيشٌ فى أنديتهم حولَ الكعبة ، فصاح بأعلى صوته :

يا آلَ فِهرٍ لمظلوم بضاعته ... ببطن مَكَّةَ نائِى الدار والنَّفرَ
ومُحْرِم أشعَثٍ لم يقْضِ عُمْرَته (٢) ... يَا للرِّجال وبين الحِجْر والحجَر (٣)
إن الحرامَ لمن تَمَّت كرامتُه ... ولا حَرامَ لثوب الفاجِر الغُدَر (٤)

فقام فى ذلك الزبيرُ بن عبد المطلب ، وقال : ما لهذا مَتْرك ، فاجتمعت هاشمٌ وزُهرةُ وتَيمُ بن مرة فى دار ابن جُدْعانَ ، فصنع لهم طعاما ، وتحالفوا فى ذى القَعْدَة فى شهرٍ حرام قياما ، فتعاقدوا ، وتعاهدوا بالله: ليكونُنَّ يدا واحدة

---

(١) جبل بمكة سمى برجل من مذحج .

(٢) فى تجريد الأغانى : « حرمته » .

(٣) فى التجريد : « بين الركن والحجر » .

(٤) فى التجريد بعد البيت السابق ورد هذا البيت :

أقائم من بنى سهم بذمتهم ... أم ذاهبٌ فى ضلال مال معتمر

. . . .

مع المظلوم على الظالم ، حتى يُؤدَّى إليه حقُّه ما بَلَّ بَحْرٌ صُوفةً ، ومارسا حِراءَ وثَبِيرٌ مكانَهما ، وعلى التأسِّي في المعاش ، فسمَّت قُريشٌ ذلك الحلفَ : حلفَ الفُضول ، وقالوا : لقد دخل هؤلاء في فَضْلٍ من الأمر ، ثم مَشَوا إلى العاص ابن وائل ، فانتزعوا منه سِلْعَة الزُّبَيْدِي ، فدفعوها إليه ، وقال الزبير رضي الله عنه :

حَلَفْتُ لنعْقِدَنْ حِلْفًا عليهم وإن كُنَّا جميعا أهلَ دارِ
نُسَمِّيه : الفضولَ إذَا عقدنا يَعِزُّ به الغريبُ لدَى الجِوارِ
وَيعْلَمَ مَنْ حَوالى البيتِ أنَّا أُباةُ الضَّيْمِ نمنَعُ كلَّ عارِ

وقال الزبير بن عبد المطلب :

إن الفُضُولَ تحالفوا ، وتعاقدوا ألاَّ يقيمَ ببطن مكةَ ظالمُ
أمرٌ عليه تعاهدوا ، وتواثَقُوا فالجـار والمُعْتَرُّ فيهم سالمُ

وذكر قاسم بن ثابت في غريب الحديث أن رجلا من خَثْعَم قَدِم مكة مُعْتمِرا ، أو حاجًّا ، ومعه بنتٌ له يقال لها : القَتُول من أوْضأ نساء العالمين ، فاغتصبها منه نُبَيْهُ بن الحجَّاج (١) وغيَّبها عنه ، فقال الخَثْعَمِيُّ : من يُعْدِيني على

---

(١) هو نبيه بن الحجاج بن عامر بن حذيفة بن سعد بن سهم بن عمرو ابن هصيص بن كعب بن لؤى بن غالب . كان هو وأخوه منبه من وجوه قريش وذوى النباهة فيهم ، وكانا ممن نصب لرسول الله «ص» العداوة ، وقتلا معا يوم بدر مشركين «انظر التجريد ص ١٨١٠ ونسب قريش ص ٤٠٤ . وقصته مع القتول في الاغاني .

رفع
المساهم
عفا الله لطالب العلم

. . . .

هذا الرجل ، فقيل له : عليك بحلف الفضول ، فوقف عند الكعبة ، ونادى : يا لَحِلْف الفضول ، فإذا هم يُعْنِقون إليه من كل جانبٍ ، وقد انْتَضَوْا أسيافَهم يقولون : جاءك الغَوْث ، فمالك ؟ فقال : إن نُبَيْهاً ظلمنى فى ابنتى ، وانتزعها منىّ قَسْراً، فساروا معه ، حتى وقفوا على باب الدار ، فخرج إليهم ، فقالوا له : أَخْرج الجاريةَ وَيْحَك، فقد علمت مَنْ نحن ، وما تعاقدنا عليه !! فقال : أفعل ، ولكن متِّعُونى بها الليلة ، فقالوا له : لا : والله ، ولا شُخْبَ لِقْحَة(١) ، فأخرجها إليهم ، وهو يقول :

راح صَحْبى ولم أُحَىِّ القَتُولا ... لم أُوَدِّعْهُمُ وَدَاعا جَميلاَ
إذ أَجَدَّ الفُضُول أن يَمْنَعُوها ... قد أرانى ، ولا أخافُ الفُضولا
لا تَخالِى أنِّى عَشِيَّةَ راح الرَّكْبُ هُنْتُم علىّ ألاَّ أقولاَ

فى أبياتٍ غيرِ هذه ذكرها الزبير ، وذكر من قوله فيها أيضا :

حَلَّت تِهامَةَ حِلَّة ... من بَيْتِها وَوِطائِها
ولها بمكةَ منزلٌ ... مِنْ سَهْلِها وحرائِها
أخذَتْ بَشَاشَةَ قَلْبِه ... ونأت فكيف بنأْيِها(٢)

(١) فى الأصل : ولا شجت . وهو خطأ ، وأصل الشخب : ما خرج من الضرع من اللبن ويضم وبالفتح: الدم . واللقحة بكسر اللام وفتحها : الناقة القريبة العهد بالنتاج ، أو الغزيرة اللبن .

(٢) من القصيدة فى التجريد ص ١٨١٠ .

حي الدويرة إذ نأت ... منا على عُدَوائها =

. . . .

الحلف وابن جدعان :

فصل : وذكر قولَ رسولِ الله صَلى اللهعليه وسلم : « لَقدشَهِدْتُ فى دارِ عبدِ الله بن جُدْعَانَ حِلفاً ما أُحِبُّ أنَّ لى به حُمْرَ النَّعَم ، ولو دُعيت إليه فى الإسلام لأجَبْتُ(١) » وعبدُ الله بن جُدْعان هذا تَيْمِىٌّ هو : ابن جُدْعَان ابن عَمْر بن كعب بن سعد بن تَيم، يكنى: أبا زُهير ابن عم عائشة ـ رضى اللهعنها ـ ولذلك قالت لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : إن ابن جُدْعان كان يُطْعِمُ الطعامَ ، وَيَقْرِى الضيفَ ، فهل ينفعه ذلك يوم القيامة ؟ فقال : « لا إنه لم يقل

= لا بالفراق تنيلنا شيئاً ولا بلقائهـــا

ومنها :

أخـــذت حشاشة قلبه ونأت فكيف بنائها
لولا الفضول وأنه لا أمن من عـــدوائها
لدنوت من أبياتها ولطفت حـــول خبائها
ولجئتهـــا أمشى بلا هاد إلى ظلمائهـــا
فشربت فضلة ريقهـــا ولبت فى أحشائهـــا

وفى نسب قريش : روعائها بدلا من : عدوائها ، ولبثت فى البيت الأخير بدلا من : بت ، وفى الروض : بشاشة ، وهنا حشاشة . وفيه : «ونأت وكيف بنأيها» وهنا : فكيف بنائها . وقد تكرر فى الروض جذعان بالذال بدلا من الدال . ونسبه كما فى كتاب نسب قريش . وتيم هو ابن مرة « انظر نسب قريش ص ٢٩١ »

(١) حديث حضور النبى مع عمومته حرب الفجار، وأنه رمى فيه حديث يروى فى كتب السير والطبقات ، كطبقات ابن سعد وهو فيها فى ج ١ ص ١٢٨ ، وشهوده حلف الفضول أيضا من هذا النوع ، وقد ذكره ابن كثير فى البداية والنهاية ج ٢ ص ٢٩٢ ، ولا يعتد بمثل هذه الروايات التى ليست من الصحيح ، لإقامة حكم دينى عليها .

. . . .

يوما : ربِّ اغفِرْ لى خطيئتى يوم الدين » أخرجه مسلم . ومن غريب الحديث لابن قتيبة أنَّ رسولَ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : كنتُ أَسْتَظِلُّ بِظِلِّ جَفْنَةِ عبدِالله بن جُدْعَانَ صَكَّةَ عُمَىٍّ ، يعنى: فى الهاجرة ، وسُمّيت الهاجِرة: صَكَّةَ عُمَىٍّ لخبرٍ ذكره أبو حنيفة فى الأنواء : أن عُمَيًّا رجلٌ من عَدْوَان ، وقيل : من إيادٍ ، وكان فقيهَ العربِ فى الجاهلية ، فقدِم فى قومٍ مُعْتَمِراً أو حاجًّا : فلما كان على مرحلتين من مكة قال لقومه ، وهم فى نَحْرِ الظهيرة : من أتى مكةَ غدا فى مثل هذا الوقت ، كان له أجْرُ عُمْرَتَين ، فصَكُّوا الإبلَ صَكَّةً شديدةً حتى أتوا مكةَ من الغدِ فى مثل ذلك الوقت ، وأنشَد :

وَصَكَّ بها نَحْرَ الظَّهِيرَةِ صَكَّةً ... عُمَىٍّ وما يَبْغِين إلا ظِلالَهَا(١)

فى أبياتٍ ، وعُمَىٌّ : تصغير أعمى على الترخيم ، فَسُمِّيَت الظهيرةُ صَكَّةَ عُمَىٍّ به . وقال البكرى فى شرح الأمثال : عُمَىٌّ : رجل من العماليق أوقع بالعدوِّ فى مثل ذلك الوقتِ ، فسمى ذلك الوقت : صَكَّةَ عُمَىٍّ ، والذى قاله أبو حنيفة

---

(١) كل ماذكره السهيلى هو فى اللسان : والبيت فيه هكذا .

وصك بها عين الظهيرة غائرا ... عُمَىٌّ ولم ينعلن إلا ظلالها

وقد ضبطت ياء ينعلن بالفتح فى مادة صك ، وبالضم فى مادة عمى ، وعمى تقال بضم العين وإسكان الميم وتخفيف الياء فى الشعر ، والجفنة : القصعة ، فى اللسان أن الظبى إذا اشتد عليه الحر طلب الكناس ، وقد برقت عينه من بياض الشمس ولمعانها ، فيسدر بصره ، حتى يصك بنفسه الكناس لايبصره ، ويقال : صكة أعمى أيضا . ولقيته صكة عمى ، أو أعمى ، أى فى أشد الهاجرة حرا . وابن منظور ينقل عن السهيلى كثيرا فى اللسان .

. . . .

أولى ، وقائله أعلى . وقال يعقوب : عَمِيَ الظبيُ : يتحيَّرُ بصرُه فى الظَّهيرة من شدة الحر . قال ابن قُتَيْبَة : وكانت جَفْنَته يأكل منها الراكبُ على البعير ، وسقط فيها صبي ، فغرق أى : مات . وكان أميَّةُ بن أبى الصَّلْتِ قبل أن يمدحه قد أتى بنى الدَّيَّان من بنى الحرث بن كعب ، فرأى طَعَامَ بنى عبد الْمَدَانِ منهم لُبَابَ ألبُرِّ والشُّهدَ والسَّمْنَ ، وكان ابنُ جُدْعانَ يُطعمُ التَّمرَ والسَّوِيقَ ويسْقِى اللَّبَنَ ، فقال أمية :

ولقد رأيتُ الفاعِلين وفِعْلَهُمْ   فرأيتُ أكرمهم بَنِى الَّديَّانِ
البُرُّ يُلْبَكُ بالشِّهادِ طَعَامُهم   لا ما يُعَلِّلُنَا بنُو جُدْعَانِ(١)

---

(١) السويق : طعام يتخذ من مدقوق البر والشعير سمى بهذا لانسياقه فى الحلق ولباب البر : الخالص من الدقيق ، ومعنى يلبك : يخلط ، والشهاد جمع شهد ، وهو العسل ، وطعام الفرس هو : الفالوذج . وهو كما عرف فى اللسان : لباب القمح بلعاب النحل . يعنى : أنه مصنوع من الدقيق الخالص وعسل النحل ، وفى ذيل الأمالى للقالى ، ورد بعد البيت الأول قوله :

ورأيت من عبد المدان خلائقا   فضل الأنام بهن عبد مـدان

وكذلك فى سمط اللالى للبكرى ، وشطرة البيت الأول فى ذيل الأمالى : « ولقد رأيت القائلين وفعلهم » وفى السمط : « الباذلين » . ويقص أمية أنه دخل على عبد المدان بن الديان فى نجران فأتى بالفالوذج ، ثم يقول : فأكلت طعاما عجيبا ، ثم انصرفت ، وأنا أقول ، وذكر الأبيات » انظر ص ٣٦٢ سمط اللالى للبكرى و ص ٣٨ من الأمالى والنوادر لأبى على القالى . وأمية ابن أبى الصلت اسمه : عبد الله بن أبى ربيعة ، ويكنى : أبا عثمان ، وهو شاعر جاهلى أدرك الإسلام ومات كافرا . هذا ويذكر أبو الفرج فى مثير الغرام ، أن ابن جُدْعان وفد على كسرى ، فأكل عنده الفالوذج ، فسأل عنه ، فقالوا : لباب البر مع العسل ، فقال :=

رفع
المسـ هم
عز الله لرجالها

. . . .

فبلغ شعرُه عبدَ الله بن جُدْعانَ ، فأرسل ألفَىْ بعير إلى الشام ، تحمل إليه البُرَّ والشُّهْدَ والسَّمْنَ ، وجعل مناديا ينادى على الكعبة : ألا هَلُمُّوا إلى جَفْنَة عبد الله بن جُدْعان ، فقال أمية عند ذلك :

له داعٍ بمكة مُشْمَعِلٌّ   وآخرُ فوق كَعْبَتِها يُنادى
إلى رُدُحٍ من الشِّيزَى عليها   لُبابُ البُرِّ يُلْبَكُ بالشِّهاد(١)

وكان ابن جُدْعان فى بدء أمْرِه صُعْلوكاً تَرِب اليدين ، وكان مع ذلك شرِّيراً فاتكا ، لا يزال يَجْنِى الجنايات ، فيَعْقِل عنه أبوه وقومه ، حتى أبغضته عشيرته ، ونفاه أبوه وحلفَ : ألا يؤويه أبدا لما أثقله به من الغُرم ، وحمله من

= ابغونى غلاما يصنعه ، فأتوه بغلام فابتاعه ، فقدم به مكة ، وأمره فصنعه للحجاج ووضع الموائد من الأبطح إلى المسجد ص ٥٠٤ القرى للمحب الطبرى . وفى ذيل الأمالى للقالى أنه أرسل إلى اليمن من جاءه بمن يعمل الفالوذج ص ٣٨ .

(١) اشمعل القوم فى الطلب : بادروا فيه ، وتفرقوا ، والمشمعل : الناقة النشيطة ، والرجل الخفيف الظريف ، أو الطويل . والبيتان من قصيدة طويلة فى ديوانه ص ١٩ وقبله :

وأبيض من بنى تيم بن كعب   وهم كالمشرفيات الفراد

ومنها جزء فى نسب قريش ص ٢٩٢ ، وفى ص ١٤٢ من الاشتقاق لابن دريد :
وكان ابن جدعان يشرب الخمر ويقول :

شربت الخمر حتى قال قومى   ألست عن السقاة بمستفيق
وحتى ما أوسد فى مَبيت   أبيت به سوى الترب السحيق

ثم حرمها على نفسه . والردح : جمع رداح بفتح : الجفنة العظيمة : والشيزى أو الشيز : خشب أسود تصنع منه الجفان ، أو هو الأبنوس ، أو خشب الجوز .

رفع المسهم

. . . .

الدِّيَات ، فخرج فى شِعَابِ مكة حائرا بائرا، يتمنى الموتَ أن ينزل به ، فرأى شقًّا فى جبل ، فظن فيه حَيَّة ، فتعرّض للشّقِّ يرجو أن يكونَ فيه مايقتله فيستريح ، فلم يرَ شيئا ، فدخل فيه ، فإذا فيه ثُعْبانٌ عظيم له عينان تقِدَان كالسراجين ، فحمل عليه الثعبانُ ، فأفْرَج له ، فانساب عنه مستديراً بدَارةٍ عندها بيْت ، فخطا خطوة أخرى ، فصَفَر به الثعبَانُ ، وأقبل عليه كالسّهْم، فأفرَج عنه ، فانساب عنه قُدُما لا ينظر إليه ، فوقع فى نفسه أنه مَصْنُوع ، فأمسكه بيده ، فإذا هو مصنُوعٌ من ذهب، وعيناه ياقوتتان ، فكسره ، وأخذ عينيه ، ودخل البيتَ، فإذا جُثَثٌ على سُرُر طِوال لم ير مثلهم طُولا وعظما ، وعند رءوسهم لوحٌ من فضّة فيه تاريخهم ، وإذا هُمْ رجالٌ من مُلوكِ جُرْهُم ، وآخرهم موتاً : الحرث بن مُضاضٍ صاحبُ الغربة الطويلة ، وإذا عليهم ثيابٌ لا يُمسُّ منهَا شىٌ إلا انتثر كالهباءِ مِن طولِ الزمن ، وشِعرٌ مكتوبٌ فى اللوح فيه عِظَات ، آخر بيتٍ منه :

صَاحِ هل رَيْتَ أو سمعتَ براعٍ ... ردَّ فى الضَّرْع ماقرَى فى الحِلاَب

وقال ابن هشام: كان اللوحُ من رُخامٍ، وكان فيه:أنا نُفَيْلَةُ بن عبدالْمَدَانِ ابن خَشْرَم بن عبد ياليل بن جُرْهم بن قَحْطان بن هود نبى الله ، عشت خمسمائةَ عامٍ ، وقطعت غَوْر الأرضِ باطِنها وظاهِرها فى طلب الثروة والمجد والملك ، فلم يكن ذلك ينجينى من الموت ، وتحته مكتوب :

قد قطعتُ البلادَ فى طَلَبِ الثرْ ... وَةِ والمجـدُ قالصُ الأثوابِ

وَسَرَيْتُ البِلادَ قفْرا لقفْرٍ ... بقَنَاتى وَقُوّتى واكتسابى

رفع
المسـهم
عز الله المطالب

. . . .

فأصاب الرَّدَى بَنَاتِ فؤادى ... بسهامٍ من المنـــايا صِيَاب

فانقضت شِرَّتى ، وأقْصَرَ جَهْلى ... واستراحت عواذلى من عِتابى

ودفعت السَّفاهَ بالحِلْم لما ... نزل الشَّيْبُ فى مَحَلِّ الشباب

صاحِ هل رَيْتَ أو سمعتَ براعٍ ... رَدَّ فى الضَّرع ماقرَى فى الحِلاب(١)

وإذا فى وسط البيت كَوْمٌ عظيمٌ من الياقوتِ واللُّؤْلؤ والذهب والفِضة والزَّبَرْجَدِ ، فأخذ منه ماأخذ، ثم عَلّم على الشقّ بعلامةٍ ، وأغاق بابه بالحجارة وأرسَل إلى أبيه بالمال الذى خرج به يَسْتَرْضيه ويستعطفه ، ووصل عشيرتَه كلَّهم ، فسادَهم وجعل يُنفق من ذلك الكنز ويُطعِم الناسَ ، ويفعل المعروفَ. ذَكر حديثَ كنز ابن جُدْعان موصولاً بحديث الحرْث بن مُضاض: ابنُ هشَام فى غير هذا الكتاب ، ووقع أيضا فى كتاب رِيِّ العاطش ، وأُنْس الواحش لأحمد بن عمار(٢) .

وابن جُدْعان ممن حرَّم الخمر فى الجاهلية بعد أن كان مُغْرًى بها ، وذلك

---

(١) القالص من الثياب : المشمّر القصير . وبنات الفؤاد : طوائفه ، وهى فى الأصل : نبات، والمنايا : جمعَ منية : الموت. وصياب : جمع صائب، كصاحب وصحاب . شرّة الشباب : حرصه ونشاطه . والسفاه بفتح السين : خفة الحلم ونقيضه ، أو الجهل ، وبكسر السين : جمع سفيه ، والحلاب : الإناء يحلب فيه . وقرا : جمع، وفى اللسان : ويروى العلاب مكان الحلاب . وريت: يعنى : رأيت ، وهى فى الروض : رأيت ، والتصويب من اللسان ، ثم إنها تخل بنظام الوزن .

(٢) لا ريب فى أنها أسطورة لا يحنو عليها قلب ولا عقل . يجوز أن يقال إنه عثر على كنز دفين . ولكن فى غير ما صورت الأسطورة .

رفع المسيهما

. . . .

أنه سَكِر ، فتناول القمرَ ليأخذه ، فأخبر بذلك حين صحا ، فحلف : لايشربها أبدا ، ولما كَبِر وهَرِم أراد بنو تَيم أن يمنعوه من تبديد مالهِ ، ولاموه فى العَطاء ، فـكان يدعو الرجلَ ، فإذا دنا منه ، لطَمَه لَطْمَةً خفيفة ، ثم يقول له : قم فانشُدْ لَطْمَتَكَ ، واطلب دِيتها ، فإذا فعل ذلك أعطته بنو تيم من مالِ ابن جُدعانَ حتى يرضى ، وهو جَدُّ عُبَيْدِ الله بن أبى مُلَيْكَةَ الفقيه .والذى وقع فى هذا الحدِيث من ذكر نُفَيلة، أحسبه : نفيلة بالنون والفاء ، لأن بنى نُفَيْلة كانوا ملوك الحيرة ، وهم من غَسَّان ، لا من جُرْهُمٍ ، والله أعلم .

موقف الإسلام من الحلف :

فصل : وذكر خبر الحسين مع الوليد بن عتبة ، وقوله : لآخذنَّ سيفى ، ثم لأدْعُوَنَّ بحلف الفُضول إلى آخر القصة ، وفيه من الفقه : تخصيصُ أهل هـذا الحلفِ بالدعوة وإظهار التعصب ، إذا خافوا ضَيْما ، وإن كان الإسلامُ قد رفع ما كان فى الجاهلية من قولهم: يالَفلانٍ عند التَحزُّب والتعصب ، وقد سمع رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يوم الْمُرَيْسِيع(١) رجلا يقول : يالَلْمُهاجرين ! وقال آخر : يَا للأنصار ! فقال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم : دعوها فإنها مُنْتِنة وقال ــ صلى الله عليه وسلم ــ من ادَّعى بِدَعْوى الجاهلية ، فأَعِضُّوه بِهَنِ أبيه ولا تَـكْنُوا(٢)، ونادى رجل بالْبَصْرَةِ : ياَلعامر ! فجاءه النابغةُ الجَعْدِىُّ بِعصَبةٍ له،

---

(١) مصغر مرسوع : بئر وماء لخزاعة من ناحية قديد إلى الساحل ، وإليه تضاف غزوة بنى المصطلق ، وتروى بالغين ، وقد وقعت سنة ست من الهجرة .

(٢) أى قولوا له : اعضض . . . أبيك ، ولا تكنوا عنه بالهَن . وقد وضعت نقطا بعدا عضض، وسيلمح القارىء الاسم المقصود. والحديث:رواه أحمد والنسائى ـــ

رفع المستهام

. . . .

فضربه أبو موسى الأشعرىُّ — رضى الله عنه — خمسين جَلْدةً ، وذلك أن الله عز وجل جعل المؤمنين إخوةً ، ولا يُقال إلا كما قال عمر رضى الله عنه : يا لله ويا لَلمسلمين ؛ لأنهم كُلهمْ حِزبٌ واحد، وإخوة فى الدين إلا ماخَصَّ الشرعُ به أهلَ حِلفِ الفُضُولِ ، والأصْلُ فى تخصيصه قوله — صلى الله عليه وسلم — ولودُعيت به اليوم لأجبتُ(١) يريد : لو قال قائل من المظلومين: ياَلَحِلْفِ الفضولِ لأجبتُ ، وذلك أنَّ الإسلام إنما جاء بإقامة الحقِّ ونُصْرةِ المظلومين ، فلم يَزْدَدْ به هذا الحلفُ إلَّا قوةً ، وقولُه عليه السلام : «وما كان من حِلْفٍ فى الجاهِلِيَّة ، فلن يزيدهَ الإسلام إلَّا شِدَّة » ليس معناه : أن يقول الحليف : يالَفُلانٍ لحلفائه ، فيجيبوه ، بل الشِّدة التى عنى رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — إنما هى راجعةٌ إلى معنى التواصل والتعاطف والتآلف ، وأما دَعْوَى الجاهلية ، فقد رفعها الإسلام إلا ما كان من حلف الفضول كما قدمنا ، فحكمه باق ، والدعوةُ به جائزةٌ ، وقد ذهبت طائفةٌ من الفقهاء إلى أن الحليفَ يَعقِلُ مع العاقِلة إذا وَجَبَتْ

= وابن حبان عن أبى بن كعب . ورغم هذا أوقن أنه لايجوز أن ينسب إلى أدب الرسول ذى الخلق العظيم مثل هذا الكلام الذى فيه نتن الأوشاب .

(١) سبق الرأى فى هذا الحديث ، وهو أوهن من بيت العنكبوت ، فكيف يقيم السهيلى على مثله حكما دينيا يستهدف تقويم استغاثة شركية ، وحمية جاهلية ؟ وإن افترضنا أنه حديث صحيح ، فإننا نستطيع أن نفهم فيه معنى آخر يستقيم وهدى القرآن ، وهو أنه . لو دعى إلى تنفيذ ما دعا إليه من نصرة المظلوم لأجاب ، ولكن لا باسم حلف ، وإنما باسم الله ، لأن هذا من دينه ، والمسلمون أمة واحدة ، وحزب واحد هو : حزب الله المفلح الغالب .

رفع عبد الرحمن النجدي
المسلم
غفر الله له ولوالديه

. . . .

الدِّيَةُ لقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وما كان من حِلْفٍ في الجاهلية ، فلم يَزِدْه الإسلام إلا شِدَّةً ، ولقوله أيضاً للذى حبَسه فى المسجد : إنما حبستك بجَرِيرَةِ حُلفَائِك .

عن أولاد عبد مناف :

فصل : وذكر بنى عبد مَنافٍ الأربعة ، وقد كان له ولدٌ خامسٌ ، وهو أبو عَمْرو ، واسمه : عُبَيْدٌ ، دَرَجَ(١) ، ولاعَقِب له ، ذكره البرق والزبير ، وكذلك ذكر البرقى أن قُصَيًّا كان سَمَّى ابنَه عبدَ قُصَىٍّ ، وقال : سميتهُ بنفسى وسميت الآخرَ بدارِ الكعبةِ ، يعنى : عبدَ الدار ، ثم إن الناسَ حوَّلوا اسمَ عبدِ قُصَىٍّ ، فقالوا : عبد بن قُصَىٍّ ، وقال الزبير أيضا : كان اسمُ عبدِ الدار عبدَ الرحمن(٢) .

---

(١) مضى ولم يخلف نسلا . وفى طبقات ابن سعد : أن أولاد عبد مناف كانوا ستة نفر وست نسوة . وفى نسب قريش ص ١٥ . يقول عن أبى عمرو إنه انقرض إلا من بنت يقال لها : تماضر ، ولدت لأبى همهمة بن عبد العزى .

(٢) فى القرآن الكريم قوله سبحانه : « وإذا قيل لهم : اسجدوا للرحمن . قالوا : وما الرحمن ؟ ! أنسجد لما تأمرنا ، وزادهم نفورا » الفرقان : ٦٠ ، وفى كتاب الصلح فى غزوة الحديبية دعا ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالكاتب ، فقال : اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال سهيل بن عمرو : وما الرحمن ، فو الله ما أدرى ما هى ؟ ولكن اكتب : باسمك اللهم كما كنت تكتب ، وهذا جزء من حديث رواه البخارى وأبو داود عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان ، يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه ، وهذا كله يوحى بأن اسم الرحمن كان غير معروف عندهم .

. . . .

وذكر هاشما وما صنع في أمر الرِّفَادَةِ(١) وإطعام الحَجِيج، وأنه سُمِّيَ هاشماً لهَشْمِهِ الثَّرِيدَ لقومه، والمعروفُ في اللغةِ أن يقال: ثَرَدْتُ الخبزَ، فهو ثَرِيد وَمَثْرُودٌ، فلم يُسَمَّ: ثارِداً، وسمي هَاشِماً، وكان القياسُ — كما لا يُسَمَّى الثريدُ هَشِيما، بل يقالُ فيه: — ثريدٌ وَمَثْرُودٌ — أنْ يقال في اسمِ الفاعل أيضا كذلك، ولكن سبب هذه التسميةِ يحتاج إلى زيادة بيانٍ. ذكر أصحابُ الأخبارِ أن هاشما كان يستعين على إطعام الحاجِّ بقُرَيْشٍ، فيَرْفِدُونه بأموالهم، ويُعِينونه، ثم جاءت أزمةٌ شديدةٌ فكَرِهَ أن يُكلِّفَ قريشا أمرَ الرِّفادةِ، فاحتمل إلى الشام بجميع ماله، واشترى به أجمعَ كَعْكاً ودقيقا، ثم أتى الموسم فهَشَم ذلك الكَعْكَ كُلَّه هَشْماً، ودَقَّه دَقًّا، ثم صنع للحجاج طعاما شبه الثريدِ، فبذلك سُمِّي هاشما، لأن الكعكَ اليابس لا يُثْرَدُ، وإنما يُهْشَمُ هَشْماً، فبذلك مُدِح، حتى قال شاعرُهُم فيه، وهو عبد الله بن الزِّبَعْرَى:

كانت قُرَيْشٌ بَيْضَةً فَتَفَقَّأَتْ ... فالمُحُّ خالِصُه لِعَبْدِ مَنافِ
الخالطين فقيرَهُمْ بغنيِّهِمْ ... والظاعنين لرحلة الأَضْيَافِ
والرَّائشينَ وليس يُوجَدُ رائشٌ ... والقائلينَ: هَلُمَّ لِلأَضْيَافِ
عَمْرُو العُلا هَشَمَ الثريدَ لقومِهِ ... قومٍ بمكَّةَ مُسْنِتينَ عِجَافِ(٢)

---

(١) الرفادة: شيء كانت تترافد به قريش في الجاهلية، تخرج فيما بينها مالا تشتري به للحجاج طعاما وزبيبا.

(٢) نسبها اللسان والمرتضى في أماليه ٤/١٧٨ لمطرود بن كعب الخزاعي في رثاء عبد المطلب، ونسبها العيني ٤/١٤٠، وابن أبي الحديد ٣/٤٥٣ كما نسبها السهيلي إلى عبد الله بن الزبعرى، ولها في أمالي القالي قصة تزعم أن رسول الله هو=

رفع
المسهم
عز الله لطفي

. . . .

. . . .

=وأبا بكر كانا عند بنى شيبة ، فمر بهما رجل ، وهو يقول :

يأيها الرجل المحول رحله ألا نزلت بآل عبد الدار
هبلتك أمك لو نزلت برحلهم منعوك من عدم ومن إقتار

وتزعم القصة أن الرسول «ص» نظر إلى أبى بكر ، ثم قال : أهكذا قال الشاعر: قال : لا والذى بعثك بالحق ، لكنه قال :

يأيهـا الرجل المحول رحله ألا نزلت بآل عبد مناف

وهى قصة مصنوعة . والأبيات التى وردت فى أمالى المرتضى بعد البيت السابق:

هبلتك أمك لو نزلت عليهم ضمنوك من جوع ومن إقراف
الآخذون العهد من آفاقها والراحلون لرحلة الإيلاف
والمطعمون إذا الرياح تناوحت ورجالُ مكة مسنتون عجافُ

وفى هذا البيت إقواء ، لأن القافية مكسورة ، ولكنها فيه مرفوعة . وقد وردت له رواية أخرى كما فى الروض ، وبعد هذا فى أمالى المرتضى :

والمفضلون إذا المحول ترادفت والقائلون : هلم للأضياف
والخالطون غنيهم بفقيرهم حتى يكون فقيرهم كالكافى

وفى أمالى القالى : « منعوك من عدم ومن إقراف ، وهو فى اللسان كما فى أمالى المرتضى . وفى اللسان أيضا :

والمنعمين إذا النجوم تغيرت والظاعنين لرحلة الإيلاف
والمطعمون إذا الرياح تناوحت حتى تغيب الشمس فى الرجاف

وفى الصحاح رويت الشطرة الأولى من هذا البيت : «المطعمون اللحم كل عشية» وفى غيره: « ويكللون جفانهم بسد يفهم » . ثم نسب المرتضى إلى ابن الزبعرى :

عمرو العلا هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف
وهو الذى سن الرحيل لقومه رحل الشتاء ورحلة الأصياف

وفى الروض : « فالمخ خالصه » بالخاء ، والرواية الصحيحة « فالمح » بالحاء أما=

رفع المسهم

. . . .

وكان سببُ مدح ابنِ الزِّبَعْرى بهذه الأبياتِ ، وهو سَهْمِيٌّ(١) لبنى عبدِ مناف ــ فيما ذكره ابن إسحٰق فى رواية يونس ــ أنه كان قد هَجَا قصيا بشعرٍ كتبه فى أستارِ الكعبةِ ، أولُه :

ــــ

= خالصة فرويت: خالصها ، وخالصة بالتاء . والمح أو المحة : صفرة البيض . وقال ابن سيدة : إنما يريدون فص البيضة . وقال ابن برى : من قال : خالصة بالتاء ، فهو فى الأصل مصدر كالعافية . ومسنتون : أصابتهم سنة مجدبة . وفى سمط اللآلى للبكرى : «والعرب تقول هو بيضة البلد» يمدحونه بذلك، وتقول للآخر: هو بيضة البلد يذمونه به، فالممدوح يراد به: البيضة التى يحتضنها الظليم، «ذكر النعام» ويصونها ويوقيها؛ لأن فيها فرخه.والمذموم يراد به البيضةالمنبوذة بالعراء ، المذرة التى لا حائط لها ، ولا يدرى لها أب ، وهى تريكة الظليم . قال الرمانى : إذا كانت النسبة إلى مثل المدينة والبصرة ، فبيضة البلد مدح ، وإن نسبت إلى البلاد التى أهلها أهل ضعة فبيضة البلد ذم» ص ٥٤٩ ، والرجاف : البحر ، أو يوم القيامة ، وفى أمالى القالى زيادة :

منهم على والنبي محمد القائلان : هلم للأضياف

وأعتقد أنها زيادة شيعية . وقد قال البكرى : «وهذا بيت محدث ذكر أبو نصر أن جده صالحا أبا غالب ألحقه به» وأبو نصر هو: هارون بن موسى بن صالح تلميذ القالى ، وأحد الذين استملوا النوادر عليه ، وستأتى القصيدة فى السيرة .

انظر مادة رجف فى اللسان ، وص ٥٤١ ج ١ وما بعدها سمط اللآلى للبكرى ، بتعليق المحقق الميمنى ، و ص ٢٤١ ج ١ الأمالى للقالى، والتنبيه للبكرى ، ص ١٧٨ ج ٤ أمالى المرتضى . وفى الروض : لرحلة الأضياف ، ولعلها الأصياف . وفيه أيضا : «عمرو الغلا» بالغين ، وهو خطأ صوابه : العلا ص ٧٥ ، وهناك رواية : «عمرو الذى» كما فى الطبرى .

(١) لأنه ابن الزبعرى بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم .

رفع المسلم

. . . .

أَلْهى قُصَيًّا عن المجدِ الأساطيرُ ... ومِشيةٌ مثل ما تَمْشِي الشَّقَارِيرُ(١)

فاسْتَعْدَوْا عليه بنى سهم ، فأسلموه إليهم ، فضربوه وحَلقوا شعرَه ، وربطوه إلى صَخْرَةٍ بالحَجُونِ(٢) ، فاستغاث قَومَه فلم يُغِيثُوه ، فجعل يمدح قُصَيًّا وَيَسْتَرْضِيهم ، فأطلقه بنو عبد منافٍ منهم ، وأكرموه فمدحهم بهذا الشعرِ ، وبأشعارٍ كثيرةٍ ، ذكرها ابن إسحٰق فى رواية يونس .

عبد المطلب وابن ذى يزن :

فصل : وذكر نكاحَ هاشمٍ سَلْمى بنت عَمْرٍو النَّجارِيَّة وولادَتَها له عبدَ المُطَّلِبِ بن هاشم ، ومن أجل هذه الوِلادة قال سَيْفُ بن ذِى يَزَن

---

(١) وجدت فى اللسان : « شقر بضم الشيء وفتحها ، مع فتح القاف : الديك ويقال : إن الناس أصبحوا يوما بمكة ، وعلى باب الندوة مكتوب :

ألهى قصيا عن المجد الأساطير ... ورشوة مثل ما ترشى السفاسير

وأكلها اللحم بحتا لا خليط له ... وقولها : رحلت عير ، أتت عير

فأنكر الناس ذلك . وقالوا : ما قالها إلا ابن الزبعرى ، وأجمع على ذلك رأيهم ، فمشوا إلى بنى سهم ـ وكان مما تنكر قريش وتعاتب عليه أن يهجو بعضها بعضا ـ فقالوا لبنى سهم . . ثم تمضى القصة كما رواها السهيلى ، إلى قوله : فربطوه إلى صخرة بالحجون . انظر ص ١٧٩ وما بعدها ج ٤ أمالى المرتضى تعليق الشنقيطى ط ١٣٢٥ هـ . والسفافير معان عدة فهى : جمع سفسير بكسر السين الأولى والآخرة وسكون الفاء . وهو التابع أو الذى يقوم على الناقة ، أو الإبل ليصلح من شأنها ، والعبقرى والحاذق بصناعته والقهرمان ، والسمسار ، وهذه هى المقصودة هنا .

(٢) فى الأصل : الحجول وهو خطأ .

رفع
المسـاهم

. . . .

أو ابنُه مَعْدِى كربُ بن سيف ملك اليمن(١) لعبد المطلب حين وَفد عليه رَكْبٌ من قُرَيْشٍ : مَرْحَباً بابن أُخْتِنا ، لأن سَلْمَى من الخزرج ، وهُمْ من اليمن من سبأ ، وسَيْفٌ من حِمْيَر بن سبأ ، ثم قال له : مَرْحَباً وأهْلا ، ونَاقةً ورَحْلا ، ومَلِكاً سِبَحْلا ، يُعْطِى عَطَاءً جَزْلا(٢) . ثم بشره بالنبى – صلى الله عليه وسلم – وأنَّه مِنْ وَلَده(٣) ، فقال له عبدُ المطلب : مثلُك أيها الملك سِرٌّ وبِرٌّ ، ثم أجزل الملكُ حِبَاءَه ، وفَضَّله على أصحابه ، وانصرف مَغْبُوطا على ما أعطاه الملك ، فقال : والله لمَا بَشَّرنى به أَحَبُّ إلىّ من كل ما أعطانى . فى خبر فيه طول .

نسب أحيحة :

وذكر نسب أُحَيْحَة بن الْجُلاح بن الْحَرِيشِ بن جَحْجَبَى(٤) ،

---

(١) فى الطبرى عن سيفان بن معد يكرب : من الناس من يقول : إنه سيف بن ذى يزن . ص ١٥٣ ج ٢ .

(٢) نسب القالى فى أماليه هذا إلى عبد المطلب ، وهو خطأ صوبه البكرى فى التنبيه ص ١١٤ . فهو – كما ذكر السهيلى – قول سيف لعبد المطلب وسبحل : بكسر ففتح فسكون ، أو سبحلل مثل : سفرجل ، وسحبل بفتح السين وإسكان الحاء المتقدمة على الباء : الضخم . وروى ملكا ربحلا – بكسر الراء وفتح الباء وسكون الحاء ، وهى مثل: سبحل فى المعنى . والربحلة : العظيمة الجيدة الخلق – بفتح الخاء – فى طول . ويريد هنا : ملكا عظيما . وبعد « جزلا » قول سيف : « قد سمعنا مقالتكم ، وعرفنا قرابتكم ، فلكم الكرامة ما أقمتم ، والحباء إذا رجعتم » انظر ج ٢ ص ٢١٨ الأمالى ط٢ والتنبيه للبكرى ص ١١٤ .

(٣) هذا من الغلو الذى لا يحتاج إليه مقام النبى «ص» الذى لم يكن يعرف هو « ص » ولا أحد من أهله أنه هو النبى المبشر به فى كتب أهل الكتاب .

(٤) فى الروض : جحجبى ، والتصويب من كتب النسب .

. . . .

وقال ابن هشام : هو الحَرِيسُ يعنى . بالسين المُهْمَلة ـ وقال الدَّارَقُطنى عن الزبير بن أبى بكر : أن كلَّ ما فى الأنصارِ فهو : حَرِيس بالسين غير مُعْجَمة إلا هذا ، ووجدت فى حاشيةِ كتابِ أبى بحرٍ ـ رحمه اللهُ ـ صوابَ هذ الاسم يعنى فى نسب أُحَيْحَة بن الُجلاحِ بن الحَرِيش بالشين المعجمة على لفظ الحَرِيش ابن كَعْب البطنِ الذى فى عامر بن صَعْصَعَة(١)

فصل : وأنشد لمطرود بن كعب :

يا ليلةً هَيَّجْتِ لَيْلاَتِى إحدى ليالىَّ الْقَسِيَّاتِ

أى : أنت إحدى ليالىَّ الْقَسِيَّاتِ . فَعِيلات من الْقَسْوَة، أى: لالينَ عندهن، ولا رَأفة فيهن، ويجوز أن يكون عندهم من الدرهم الْقَسِىِّ ، وهو الزائف ، وقد قيل فى الدرهم الْقَسِىِّ : إنه أعْجَمِىٌّ مُعَرَّب ، وقيل : هو من الْقَسَاوة لأنَّ الدرهمَ الطَّيِّبَ أَلينُ من الزائفِ(٢) ، والزائفُ أَصْلَبُ منه . ونصب ليلةً على التمييز كذلك ، قال سِيبَوَيْه فى قول الصَّلَتان(٣) الْعَبدِىّ .

---

(١) فى الاشتقاق : الحريش بالشين بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

(٢) فى اللسان : عام قسى ـ بفتح فكسر مع تضعيف الياء ـ شديد ذو قحط لا مطر فيه ، وعشية قسية : باردة . والقسية : الشديدة ، ويوم قسىٌّ مثال شقى : شديد من حرب أو شر . ودرهم قسىٌّ : جمع قسيان مثل صبى : وقيل درهم قسى : ضرب من الزيف ، أى فضة صلبة رديئة ليست بلينة ، وكل هذا يؤكد أنه استعمال عربى .

(٣) الصلتان: لقب ، وأصل الصلتان: النشيط الحديد الفؤاد من الخيل، أو المضاء فى الأمور ، وهو: قثم بن خبيثة ـ كما نقل ابن قتيبة ـ أو خبية، وقال الآمدى عن أبى =

. . . .

أيا شاعرا لا شاعِرَ اليومَ مِثْلُه

=عبيدة : قُثَمَ بن خُثَيْم ، وهو أحد بنى محارب بن عمرو بن وديعة بن لُكَيز ابن أفصى بن عبدالقيس . والبيت من قصيدة أوردها المبرد فى كتابه الاعتنان ، والقالى فى أماليه ، وابن قتيبة فى كتاب الشعراء ، وتتمة البيت :

جرير ، ولكن فى كليب تواضعُ

وقد نظم الصلتان هذه القصيدة ـ وعدتها ثلاثة وعشرون ـ حينما جعلوا إليه الحكم بين الفرزدق وجرير ، أيهما أشعر ، وأولها :

أنا الصَّلتانىُّ الذى قد علمتم   متى ما يحكم فهو بالحق صادع

وفى الأمالى : «فيا شاعرا لاشاعر اليوم مثله» ص ١٤٢ ج ٢ الأمالى ومن القصيدة :

أرى الخَطَفَى بذ الفرزدق شعرُه   ولكن خيرا من كليب مجاشع
فيا شاعرا لا شاعر اليوم مثله   جرير. ولكن فى كليب تواضع

فرضى الفرزدق حين شرفه عليه، وقومه على قومه، وقال: إنما الشعر مروءة، من لامروءة له ، وهو أخس حظ الشريف ، وأما جرير ، فغضب من المنزلة التى أنزله إياها فهجاه . والبيت المذكور فى اللسان ص ٢٠٨ ج ٢ ، وانظر ص٢٩ ج٢ خزانة الأدب ط دار العصور ، وإليك بعض ما قيل فيه : قال الأعلم الشاهد فيه على مذهب الخليل وسيبويه : نصب شاعرا بإضمار فعل على معنى الاختصاص والتعجب ، والمنادى محذوف ، والمعنى : يا هؤلاء أو يا قوم ، عليكم شاعرا ، أو حسبكم به شاعرا ، وقال النحاس : كأنه قال : يا قائل الشعر عليك شاعرا ، وإنما امتنع عنده أن يكون منادى ، لأنه نكرة يدخل فيه كل شاعر بالحضرة ، وهو إنما قصد شاعرا بعينه ، وهو جرير ، وكان ينبغى أن يبنيه على الضم على ما يجرى عليه المخصوص بالنداء . أما أحمد بن يحيى ، فذكر أن شاعرا منصوب بالنداء وفيه معنى التعجب ، وقال: إن العرب تنادى بالمدح والذم ، وتنصب بالنداء ، فيقولون: يا رجلا لم أر مثله ، وكذا يا طيبتك من ليلة ، وكذا شاعرا ، وف=

رفع المسهم

. . . .

وذلك أن فى الكلام معنى التعجب .

وقوله : وَمَيْت بِغَزَّاتِ . هى : غَزَّةُ ، ولكنهم يجعلون لكل ناحية أو لكل رَبَضٍ (١) من البلدة اسمَ البلدةِ، فيقولون : غَزَّات فى غَزَّة ، ويقولون فى بغدان : بَغادِين ، كما قال بعضُ الْمُحْدَثين :

شَرِبنَا فى بغَادِين على تلك الْمَيادِين

ولهذا نظائر ستمر فى الكتاب ـ إن شاء اللهُ ـ ومن هذا البابِ : حكمهم للبعضِ بحكم الْكُلِّ ، كما سَمَّوْهُ باسمه ، نحو قولهم : شَرِقَتْ صَدْرُ

ـــ الخزانة أيضا : أن المنادى محذوف ، وأن شاعرا ليس بمنادى ، لأنه مقصود إلى واحد بعينه ، والمحذوف يجوز أن يكون هو الشاعر ، ويجوز أن يكون غيره ، فكأنه قال لمن بحضرته : يا هذا حسبك به شاعرا على المدح والتعجب منه ، ثم بين أنه جرير ، ويشبه هذا الإضمار بقولهم : نعم رجلا زيدٌ ، ويجوز أن يكون حسبك به على شريطة التفسير، وبه فى موضع اسم مرفوع لابد منه ، ويجوز أن يكون الهاء للشاعر الذى جرى ذكره ، ثم وكده بقوله : جرير ، أى : هو جرير . وتقدير الخليل ويونس: يا قائل الشعر ، على أن قائل الشعر غير الشاعر المذكور ، كأنه قال : يا شعراء عليكم شاعرا لا شاعر اليوم مثله ، أى حسبكم به شاعرا ، فهذا ظاهر كلام سيبويه . ويجوز أن يكون يا قائل الشعر المحذوف هو الشاعر المذكور ، وينتصب شاعرا على الحال ، ولا شاعر اليوم فى موضع النعت ، واحتاج إلى إضمار قائل الشعر ونحوه ، حتى يكون المنادى معرفة ، كأنه قال : يا قائل الشعر فى حال ما هو شاعر لا شاعر مثله .

(١) ربض المدينة : ماحولها . وفى الروض «ميت بغزات» ولكن فى السيرة «ميت بين غزات» .

رفع المسهم

. . . .

القناةِ من الدَّم ، وذهبتْ بعض أصابعه(١) ، وتواضعت سورُ المدينة . وقد تركبت على هذا الأصلِ مسئلةٌ من الفقة : قال الفقهاء ، أو أكثرهم : مَنْ حلف ألَّا يأكلَ هذا الرغيف ، فأكلَ بعضَه ، فقد حَنِثَ ، فحكموا للبعضِ بحكم الكل ، وأطلقوا عليه اسمَه . وفيه :

إن الْمُغِيراتِ وأبناءَها مِنْ خير أحياء وأمواتِ(٢)

فالمُغَيراتُ : بنو المغيرة ، وهو عبدمناف ، كما قالوا : المناذرة فى بنى الْمُنْذِر ، والأشْعَرُون فى بنى أشْعَر بن أُدَد ، كما قال عَلِيُّ بن عبدِالله بن عباس فى ابن الزبير : آثَرَ عَلَيَّ الْحُمَيْدَاتِ والتُّوَيْتَات والأسَامَاتِ ، يعنى : بنى حُمَيْد ، وبنى تُوَيْت ، وبنى أسامة ، وهم من بنى أسد بن عبد العُزَّى(٣) .

---

(١) يقول الأعشى :

وتشرق بالقول الذى قد أذعته كما شرقت صدر القناة من الدم

وأصل الصدر مذكر ، وأنث هنا ، إما لأنه أراد القناة ، أو لأن صدر القناة قناة ، أو لأن صدر القناة منها كقولهم : ذهبت بعض أصابعه ، لأنهم يؤنثون الاسم المضاف إلى المؤنث « اللسان » ونص تعبير سيبويه فى الكتاب : « وربما قالوا فى بعض الكلام : « ذهبت بعض أصابعه » ، وإنما أنث البعض ، لأنه أضافه إلى مؤنث هو منه ، ولو لم يكن منه لم يؤنثه : لأنه لو قال : ذهبت عبد أمك لم يحسن » ثم استشهد ببيت الأعشى ، ثم قال : « لأن صدر القناة من مؤنث ، ومثله قول جرير » فى ص ٢٥ ج ١ من كتاب سيبويه »

إذا بعض السنين تعرقتنا كفى الأيتام فقد أبى اليتيم

(٢) فى الروض : « وأبناؤها » والصواب ما أثبته من السيرة .

(٣) هم حميد بن أسامة بن زهير بن الحارث بن أسد بن عبد العُزَّى بن قصى وتويت بن حبيب بن أسد بن عبد العزى بن قصى ، وأسامة بن زهير بن الحارث =

وكان اسمُ عبد مناف : الْمُغِيرةَ ، وكان أوّلَ بنى عبد مناف هُلْكا : هاشمٌ ، بِغَزَّةَ من أرض الشام ، ثم عبدُ شمس بمكة ، ثم المطلب بِرَدْمان من أرض اليمن ، ثم نَوْفلاً بسَلْمان من ناحية العراق .

فقيل لمطرود — فيما يزعمون — : لقد قلتَ فأحسنت ، ولو كان أفحل مما قلتَ كان أحسن ، فقال : أنظِرنى ليالى ، فمكث أياما ، ثم قال :

ياعين جُودِى ، وأذرِى الدمعَ وانهمرى ... وابكى على السِّرّ من كَعْب الْمُغِيراتِ
ياعين ، واسْحَنْفِرى بالدمع واحتفلى ... وابكى خبيئةَ نفسى فى الْمُلِمَّات
وابكى على كلّ فيّاض أخى ثِقَةٍ ... ضَخْمِ الدَّسِيعةِ وهَّابِ الْجَزِيلات
مَحْضِ الضَّريبةِ ، عالى الْهَمِّ ، مُخْتَلَقٍ ... جَلْدِ النَّحيزة ، ناء بالعظيمات
صَعْب البديهة لا نِكْس ولا وَكَلٌ ... ماضى العزيمة ، مِتْلاف الكَرِيمات
صَقْرٍ توسَّط من كَعْب إذا نُسِبوا ... بُحْبُوحَةَ الْمَجْد والشُّمّ الرفيعات
ثم اندُبى الفيضَ والفيّاض مُطَّلبا ... واسْتَخْرِطى بعد فَيْضاتٍ بِجَمَّات

وفيه « شرقى البَنِيَّات » يعنى : البَنِيَّة ، وهى : الكعبة ، وهو نحو مما تقدم فى غزّات .

= بن أسد بن عبد العزى بن قصى . والأشعرون فى اللسان : نسبة إلى أشعر بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، وتقول العرب : جاء بك الأشعرون بحذف ياء النسب .

رفع المسأهم

أمسى بِرَدْمان عنّا اليومَ مُغترِبا ... يا لَهْفَ نفسى عليه بين أموات
وابكى -لكِ الويلُ- إمّا كنتِ باكية ... لِعَبْد شمس بِشَرْقِ البَنِيّات
وهاشم فى ضَريحٍ وَسْطَ بَلْقَعةٍ ... تَسْفِى الرياحُ عليه بين غَزّات
ونوفل كان دون القوم خالِصتى ... أمسى بِسَلْمان فى رَمْسٍ بِمَوْماة
لم ألقَ مثلَهمُ عُجْما ولا عَرَبًا ... إذا استقلّت بهم أُدْمُ المَطِيّات
أمست ديارُهمُ منهم مُعطّلة ... وقد يكونون زَيْنا فى السَّرِيّات
أفناهمُ الدّهرُ ، أم كلّت سيوفُهمُ ... أم كلُّ مَنْ عاش أزوادُ المنيّات
أصبحتُ أرضى من الأقوام بعدَهُمُ ... بَسْطَ الوجوه وإلقاء التحيّات
يا عينُ فابكى أبا الشُّعْثِ الشَّجِيّات ... يَبْكينه حُسَّرا مثل البَلِيّات
يبكين أكرمَ مَنْ يَمشى على قَدَم ... يُعْوِلْنَه بدُموع بعد عَبَرات
يبكين شخصاً طويلَ الباع ذا فَجَرٍ ... آبى الهَضيمة ، فرّاج الجليلات
يبكينَ عَمْرو العُلا إذ حان مَصْرعُه ... سَمْحَ السَّجِيّة ، بسّامَ العَشِيّات
يبكينه مُستكينات على حَزَن ... يا طولَ ذلك مِنْ حزن وعَوْلات
يبكين لمّا جلاهنّ الزّمانُ له ... خُضُر الخدود كأمثال الحَمِيّات
مُحتزِمات على أوساطِهِنّ لِمَا ... جرّ الزّمان مِنَ احداث المُصيبات
أبيتُ لَيْلى أُراعى النّجم من ألمٍ ... أبكى، وتبكى معى شَجْوِى بُنَيّاتى
ما فى القُروم لهم عِدْلٌ ولا خَطَر ... ولا لمن تركوا شَرْوَى بَقيّات
أبناؤهم خيرُ أبناء ، وأنفسهم ... خيرُ النّفوس لدى جَهْد الأَلِيّات
كم وَهَبوا من طِمِرٍّ سابحٍ أرِنٍ ... ومن طِمِرّةِ نَهْبٍ فى طِمِرّات

ومن سُيوف من الهِنْدىّ مُخلَصةٍ ... ومِنْ رِماحٍ كأشطان الرَّكيّات
ومن توابع ممَّا يفضِلون بِهـا ... عِندَ المسائل مِنْ بَذْل العطيّات
فلو حَسَبْتُ وأحصَى الحاسبون معى ... لم أقضِ أفعالَهم تلك الهَنيّات
همُ المُدِلُّونَ إمَّا مَعْشَر فَخَروا ... عنـد الفخَارِ بأنساب نَقيّات
زَيْنُ البيوت التى خَلوا مساكنَها ... فأصبحتْ منهم وحْشا خَليَّات
أقولُ والعينُ لا ترقا مدامعُها ... : لا يُبعْد اللهُ أصحابَ الرَّزيّات

قال ابن هشام: الفَجَرَ: العطاء. قال أبو خِراش الهُذَلىّ:

عَجّف أضيافى جميلُ بنُ معمر ... بذى فَجَر تأوى إليه الأراملُ

قال ابن إسحاق: أبو الشُّعث الشَّجيَّات: هاشم بن عبد مناف.

قال: ثم وَلِىَ عبدُ المطلب بن هاشم السِّقايةَ والرِّفادة بعد عمّه المطَّلب، فأقامها للناس، وأقام لقومه ما كان آباؤه يُقيمون قبلَه لقومهم من أمرهم، وشَرُف فى قومه شرفا لم يَبْلُغه أحدٌ من آبائه، وأحبَّه قومُه وعظم خَطَره فيهم.

ذكر حفر زمزم وما جرى من الخلف فيها

ثم إنّ عبد المطلب بينما هو نائم فى الحِجْر إذ أُتى، فأُمِر بحفر زمزم.

قال ابن إسحاق: وكان أوّل ما ابتدىء به عبدُ المطلب من حَفْرها، كما حدثنى يَزيد بن أبى حبيب المصرى عن مَرْثَد بن عبد الله اليَزَنىّ عن

عبد الله بن زُرَيْر الغافقى : أنه سمِع علىَّ بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه يحدّث حديث زمزم حين أُمِرَ عبدُ المطلب بحَفْرها ، قال :

قال عبدُ المطلب : إنى لنائم فى الحجر إذ أتانى آتٍ فقال : احفِرْ طِيبةَ . قال : قلت : وما طيبة ؟ قال : ثم ذهب عنى . فلما كان الغد رجعتُ إلى مضجعى فنِمْتُ فيه ، فجاءنى فقال : احفِر بَرّة . قال : فقلت: وما برّة ؟ قال : ثم ذهب عنى ، فلما كان الغد رجعتُ إلى مَضْجعى ، فنِمت فيه ، فجاءنى فقال : احفر الْمَضنونة قال : فقلت : وما المضنونة ؟ قال : ثم ذهب عنى . فلما كان الغد رجعتُ إلى مضجعى ، فنِمْت فيه ، فجاءنى فقال : احْفِرْ زمزم . قال : قلت : وما زمزم ؟ قال لا تَنْزِف أبداً ولا تُذَمّ ، تسقى الحَجيجَ الأعظم ، وهى بين الفَرْث والدم ، عند نُقْرة الغراب الأعْصم ، عند قَرْية النَّمل .

قال ابن إسحاق : فلما بُيِّن له شأنها ، ودُلّ على موضعها ، وعَرَف أنه قد صُدِق ، غَدَا بمِعْوله ومعه ابنهُ الحارث بن عبد المطلب ، ليس له يومئذ ولدٌ غيرَه فحَفَرَ فيها . فلما بدا لعبد المطلب الطَّىُّ ، كَبَّرَ ، فعرفت قريشٌ أنه قد أدرك حاجتَه ، فقاموا إليه ، فقالوا : يا عبدَالمطلب ، إنها بئرُ أبينا إسماعيل ، وإن لنا فيها حقا فأشرِكْنا معك فيها . قال : ما أنا بفاعل ، إن هذا الأمرَ قد خُصِصْتُ به دونكم ، وأُعْطيته من بينكم ، فقالوا له : فأنصفنا ، فإنا غيرُ تاركيك حتى نخاصمك فيها ، قال : فاجعلوا بينى وبينكم مَن شئتم أُحاكمكم إليه ، قالوا : كاهنة بنى سَعْد هُذَيْمٍ ، قال : نعم ، قال : وكانت بأشراف الشام ، فركب عبدُ المطلب ومعه نَفَر من بنى أبيه من بنى عبدمناف ، وركب من كلّ قبيلة من

. . . .

رفع
المسهم

قريش نَفَر . قال : والأرضُ إذ ذاك مَفَاوز . قال : فخرجوا حتى إذا كانوا ببعض تلك المَفَاوز بين الحجاز والشام ، فَنِيَ ماء عبد المطلب وأصحابه ، فظمئوا حتى أيقنوا بالْهَلَكَة ، فاسْتَسْقَوْا مَنْ معهم منْ قبائل قُرَيش ، فأبَوْا عليهم ، وقالوا : إنّا بمفازَة ، ونحن نخشى على أنفسنا مثل ما أصابكم ، فلما رأى عبدالمطلب ماصنع القومُ ، ومايتخوّف على نفسه وأصحابه،قال : ماذا تَرَوْن ؟ قالوا : مارأْيُنَا إلا تَبَعٌ لرأيك ، فمُرنا بما شئت ،قال : فإنى أرى أن يحفِر كلّ رجل منكم حفرته لنفسه بما بكم الآن من القوّة؛ـ فكلّماماتَ رجل دفعه أصحابُهُ فى حُفْرته ثم واروْه ـ حتى يكون آخركم رجلاً واحدا ، فضَيْعة رجل واحد أيسر من ضَيْعة ركب جميعا ، قالوا : نِعْمَ ما أمرت به . فقام كلّ واحد منهم فحفر حفرته ، ثم قعدوا ينتظرون الموت عطشا ، ثم إن عبد المطلب قال لأصحابه : والله إن إلقاءنا بأيدينا هكذا للموت ، لانضرب فى الأرض، ولانبتغى لأنفسنا ، لَعَجْز ، فعسى الله أن يَرْزقنا ماء ببعض البلاد ، ارْتحِلُوا ، فارتحلوا حتى إذا فَرَغُوا ، ومَنْ معهم من قبائل قُرَيش ينظرون إليهم ماهم فاعلون ، تقدّم عبد المطَّلِب إلى راحلته فَركبها . فلما انبعثت به ، انفجرت من تحت خفها عين ماء عذب ، فكبر عبد المطلب ، وكَبَّر أصحابه ، ثم نزل فشَرب ، وشَرِب أصحابُهُ ، واسْتَقَوْا حتى ملئوا أسْقِيَتَهم ، ثم دعا القبائل من قُرَيش ، فقال : هَلُمّ إلى الماء ، فقد سقانا الله ، فاشربوا واستقُوا ، فجاءوا ، فشَرِبوا واسْتَقَوْا . ثم قالوا : قد ـ والله ـ قُضِى لك علينا يا عبد المطَّلِب ، والله لانخاصمك فى زَمْزم أبدا ، إن الذى سقاك هذا الماءَ بهذه الفَلاة لهو الذى سقاك زمزم، فارجع إلى سقايتك راشداً . فرجع

. . . .

رفع المسهم

ورجعوا معه ، ولم يصلوا إلى الـكاهنة وخلّوا بينه وبينها .

قال ابن إسحاق : فهذا الذى بلغنى من حديث علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه فى زمزم ، وقد سمعتُ من يُحدّث عن عبد المطلب أنه قيل له حين أُمِر بحَفْر زَمزم :

ثم ادْعُ بالمـاء الرَّوِىِّ غيرالـكَدِرْ يَسْقِى حجيجَ الله فى كل مَـبَرّ
ليس يُخاف منه شىء ما عَمَرْ

فخرج عبد المطلب حين قيل له ذلك إلى قريش فقال : تعلّموا أنى قد أُمِرْت أن أحْفِرَ لـكم زمزم ، فقالوا : فهل بُـيِّن لك أين هى ؟ قال : لا . قالوا فارجع إلى مَضجَعك الذى رأيتَ فيه مارأيتَ ، فإن يك حقاً من الله يُبَيَّن لك ، وإن يك من الشيطان فلن يعود إليك . فرجع عبدُ المطَّلب إلى مَضجعه ، فنام فيه ، فأُتى فقيل له : احْفِر زمزم ، إنك إن حفرتها لم تندم ، وهى تراث من أبيك الأعظم ، لا تَنْزِفُ أبداً ولا تُذَمّ ، تسقى الحجيجَ الأعظم ، مثل نعَام جافل لم يُقْسَم ، يَنذِرِ فيها ناذرٌ لِمُنْعِم ، تـكون ميراثا وعَقْداً محكم ، ليستْ كبعض ما قد تعلم ، وهى بين الفَرْث والدم .

قال ابن هشام : هذا الـكلام ، والـكلام الذى قبله ، من حديث علىّ فى حفر زمزم من قوله : « لا تُنْزَفُ أبداً ولا تُذَمّ » إلى قوله : « عند قرية النمل » عندنا سجع وليس شعراً .

قال ابن إسحاق : فزعموا أنه حين قيل له ذلك ، قال : وأين هى ؟ قيل له

. . . .

عند قرية النمل ، حيث ينقُر الغراب غدا . والله أعلم أىّ ذلك كان .

فغدا عبدالمطلب ومعه ابنهُ الحارث، وليس له يومئذ ولدٌ غيره ، فوجدقرية النمل ، ووجد الغراب ينقُر عندها بين الوثنَيْن : إساف ونائلة ، اللذين كانت قريش تنحر عندهما ذبائحها . فجاء بالمِعْوَلِ وقام ليحفِرَ حيث أُمِر ، فقامت إليه قريش حين رأوا جِدّه ، فقالوا : والله لا نتركك تحفر بين وثَنَيْنا هذين اللذين ننحر عندهما ، فقال عبدُ المطلب لابنه الحارث : ذُدْ عنى حتى أحفِر ، فوالله لأمضينّ لمَا أُمرت به . فلما عرفوا أنه غيرُ نازع خلّوا بينه وبين الحَفْر ، وكفُّوا عنه ، فلم يَحْفِرَ إلا يسيرا ، حتى بدا له الطَّىُّ ، فكبَّر وعرف أنه قدصُدِق فلما تمادى به الحفرُ وجد فيهاغزالين من ذهب، وهما الغزالان اللذان دَفنت جُرْهُم فيها حين خرجت من مكة ، ووجد فيها أسيافا قَلْعِيَّة وأدراعا فقالت له قريش يا عبدَ المطلب ، لنا معك فى هذا شِرْكٌ وحقّ ، قال : لا ، ولكن هَلُمّ إلى أمرٍ نَصَفٍ بينى وبينكم ، نضرب عليها بالقِداح ، قالوا : وكيف تصنع ؟ قال : أجعل للكعبة قِدْحين ، ولى قِدْحين ، ولكم قِدْحين ، فمن خرج له قِدْحاه على شىء كان له ، ومن تخلّف قِدْحاه فلا شىء له قالوا : أنصفتَ ، فجعل قِدْحين أصفرين للكعبة ، وقِدْحين أسودين لعبد المطلب ، وقِدْحين أبيضَين لقريش ، ثم أعطوا صاحبَ القِداح الذى يضرب بها عند هُبَل — وهُبَل : صنم فى جوف الكعبة ، وهو أعظم أصنامهم ، وهو الذى يَعْنى أبو سفيان بنُ حَرْب يوم أُحُدٍ حين قال : أعْلِ هُبَل أى : أظهر دينك — وقام عبدُ المطلب يدعو الله عزّ وجلّ ، فضرب صاحبُ القِداح ، فخرج الأصفران على الغزالَيْن

للكعبة ، وخرج الأسودان على الأسياف ، والأدراعُ لعبد المطلب ، وتخلَّف قِدْحا قُرَيش . فضرب عبد المطلب الأسياف بابا للكعبة ، وضرب فى الباب الغزالين من ذهب ، فكان أوّلَ ذهب حُلِّيَتْهُ الكعبة — فيما يزعمون — ثم إن عبدَ المطَّلب أقام سِقاية زمزم للحجَّاج .

ذكر بئار قبائل قريش بمكة

قال ابن هشام : وكانت قريش قبل حفر زمزم قد احتفرت بِئاراً بمكة ، فيما حدثنا زياد بنُ عبد الله البكّائى عن محمد بن إسحاق ، قال :

حفَر عبدُ شمس بن عبد مناف الطَّوِىَّ ، وهى البئر التى بأعلى مكة عند البَيْضاء ، دار محمَّد بن يوسف .

وحفَر هاشم بن عبد مناف بَذَّر ، وهى البئر التى عند المُسْتَنْذَرِ ، خَطْم الخَنْدَمَة على فم شِعْب أبى طالب ، وزعموا أنه قال حين حفرَها : لأجعلنَّها بلاغا للناس .

قال ابن هشام : وقال الشاعر .

سقى اللهُ أمْواها عرفتُ مكانَها جُرابا وَمَلْكُوما وَبَذَّرَ والغمْرا

قال ابن إسحاق : وحفر سَجْلَةَ ، وهى بئر المُطْعِم بن عَدِىّ بن نَوْفل بن عَبْد مَناف التى يَسْقُون عليها اليوم . ويزعُم بنو نوفل أنّ المُطْعِم ابتاعها من أسَد بن هاشم ، ويزعُم بنو هاشم أنه وَهَبها له حين ظهرت زمزم ، فاستَغْنَوْا بها عن تلك الآبار .

. . . .

وحفر أميَّةُ بنُ عبد شمس الحَفْرَ لنفسه ،وحفرت بنو أسَد بن عبد العُزَّى: سُقَيَّة ، وهى بئر بَنى أسَد . وحفرت بنو عبد الدار : أمَّ أحْرَاد . وحفرت بنو جُمَح: السُّنْبُلَةَ ، وهى بئر خَلَف بن وَهْب . وحفرت بنو سَهْم: الغَمْرَ ،وهى بئر بنى سَهْم، وكانت آبار حفائر خارجا من مكَّة قديمة من عهد مُرَّة بن كَعْب ، وكِلاب بن مُرّة ، وكُبَراء قريش الأوائل منها يَشْربون ، وهى رُمّ ، ورُمّ : بئر مُرّة بن كَعْب بن لؤىّ . وخُمُّ ، وخُمّ. بئر بنى كِلابِ بن مُرّة ، والحَفْرُ. قال حُذَيفَة بن غانم أخو بنى عَدىّ بن كَعْب بن لُؤَىّ :

قال ابن هشام : وهو أبو أبى جَهْم بن حُذَيفة :

وقِدْما غنيَنا قبل ذلك حِقْبَةً ولا نَسْتقى إلا بخُمّ أو الحَفْرِ

قال ابن هشام : وهذا البيتُ فى قصيدة له ، سأذكرها إن شاء الله فى موضعها .

قال ابن إسحاق : فعفَّت زمزم على البِئار التى كانت قبلها يَسْقى عليها الحاج وانصرف الناسُ إليها لمكانها من المسجد الحرام ؛ ولفضلها على ماسواها من المياه ؛ ولأنها بئر إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، وافتخرتْ بها بنو عبد مناف على قُرَيش كلِّها ، وعلى سائر العرب ، فقال مُسافر بن أبى عَمْرو ابن أمية بن عبد شمس بن عَبْد مناف ، وهو يَفْخر على قريش بما وَلُوا عليهم من السِّقاية والرِّفادة ، وما أقاموا للناس من ذلك ، وبزَمْزَمَ حين ظَهرتْ لهم ، وإنما كان بنو عَبْد مناف أهلَ بيت واحد ، شَرفُ بعضهم لبعض شرفٌ ، وَفضْلُ بعضِهم لبعض فَضْل .

وَرِثْنا المجْد مِنْ آبا ئِنَا فنمَى بِنا صُعُدَا
أَلَمْ نَسْقِ الحَجِيجَ وَنَنْـــحرُ الدِّلَّافَةَ الرُّفُدَا
ونُلفى عندَ تَصْرِيفِ الْمَـــنايا شُـــدَّدًا رُفُدَا
فإنْ نَهْلِكْ ، فلم نُمْلَكْ وَمَنْ ذَا خالِدٌ أَبَدا
وزَمْزَم فى أرُومتَنِا ونفقأُ عَيْنَ مَنْ حَسَدَ

قال ابن هشام : وهذه الأبيات فى قصيدة له .

قال ابن إسحاق : وقال حُذَيفة بن غانم أخو بنى عَدِىّ بن كَعْب ابن لؤىّ .

وساقِ الحجيج ، ثم للخُبْز هاشم وعبد مناف ذلك السيِّد الفِهْرى
طَوَى زمزَماعند المقام، فأصبحتْ سقايتُه فَخْراً على كلّ ذى فَخْرِ

قال ابن هشام : يعنى عَبْدَ المطَّلب بن هاشم . وهذان البيتان فى قصيدة لحُذَيفة بن غانم سأذكرها فى موضعها إن شاء الله تعالى .

وأنشد له فى القصيدة التاوية : محض الضريبة ، عالى الهم مُخْتَلق : أى عظيم الخلق : جَلْد النَّحيزة ناء بالعظيات . ليس قوله : ناء من النأْى ، فتكون الهمزةُ فيه عينَ الفعل ، وإنما هو من ناء يَنُوء إذا نهض (١) فالهمزة فيه لام الفعل ، كما هو فى جاء عند الخليل ، فإنه عنده مقلوب ، ووزنه : فالع ، والياء التى بعد الهمزة هى : عين الفعل فى جاء يجىء .

---

(١) ناء بالحمل نهض به مثقلا ، وناء به الحمل إذا أثقله .

رفع المسهم

. . . .

وفيه الشُّعث الشَّجيّات . فشدد ياء الشجىّ ، وإن كان أهل اللغة قد قالوا: ياء الشَّجِى مخففة ، وياء الخلىّ مشددة ، وقد اعترض ابن قتيبة على أبى تمام الطائى فى قوله :

أياويح الشَّجِىِّ منَ الخلِىِّ وَوَيْح الدمع من إحدى بَلِىِّ

واحتج بقول يعقوب فى ذلك ، فقال له الطائى : ومن أفصح عندك : ابن الُجْر مُقانيَّة يعقوب ، أم أبو الأسود الدُّؤَلِىّ حيث يقول ؟ ! :

وَيلُ الشَّجِىِّ من الخلىِّ فإنه وَصِبُ الفؤادِ بشَجْوِه مَغْمُومُ

قال المؤلف : وبيت مطرود أقوى فى الحجة من بيت أبى الأسود الدُّؤَلى، لأنه جاهِلى مُحَكَّكٌ ،وأبو الأسود : أول من صنع النحو ، فشعرُه قريب من التوليد، ولا يمتنع فى القياس أيضاً أن يقال: شَجِىٍّ وشَجٍ ، لأنه فى معنى: حَزِنٌ وحزين ، وقد قيل : من شدَّد الياء ، فهو فعيل بمعنى مفعول(١) .

---

(١) رجل شج أى : حزين وامرأة شجية — بكسر الجيم وفتح الياء من دون تضعيف — وفى مثل العرب :ويل للشجى من الخلى ، دون تشديد ياء إحداهما ، وقد تشدد ياء الشجىّ ، والأول أعرف . وحكى الجوهرى عن المبرد أنه شدد ياء الخلى وخفف ياء الشجى . قال: وقد شدد فى الشعر :

نام الخَلِيُّون عن ليل الشجيينا

فإن جعلنا الشجىِّ فعيلاً من شجاه الحزن ، فهو: مشجوٌّ وشجىٌّ بالتشديد لاغير ، وحكى ابن برى أن الصواب هو التشديد فى ياء الشجى ، وأما الشجى بالتخفيف فهو الذى أصابه الشجى،وهو الغصص،وأما الحزين فهو الشجىّ =

. . . .

وفيه بعد قوله : أبا الشعث الشَّجِيَّاتِ . يبكينه حُسَّراً مثل الْبَلِيَّات .
الْبَلِيَّةُ : الناقة التى كانت تُعْقَل عند قبر صاحبها إذا مات ، حتى تموت

═ بتشديد الياء . قال : ولو كان المثل: ويل الشجى بتخفيف الياء، لكان ينبغى أن يقال : ويل الشجى من المسيغ ؛ لأن الإساغة ضد الشجا، كما أن الفرح ضد الحزن ثم قال ابن برى : فلهذا تنظر إلى توجيهه من ناحية القياس — وقد ثبت من جهة السماع تشديد الياء — ثم قال : ووجهه أن يكون الشجى من شجوته أشجوه ، فهو : مشجو وشجىٌّ ، مثل : مجروح وجريح . وأما شجٍ بالتخفيف فهو اسم الفاعل من شجى يشجى ـ بكسر الجيم فى الماضى وفتحها فى المضارع ـ فهو شجٍ . وقال أبو زيد : الشجى : المشغول، والخلى: الفارغ ، وقال ابن السكيت : الشجى مقصور والخلى ممدود . وفى التهذيب عن الشجى: أنه الذى شجى بعظم غصّ به حلقه ، يقال : شجى يشجى شجى، فهو شج ، وكذلك الذى شجى بالهم فلم يجد مخرجا منه . . قال الأزهرى: وهذا هو الكلام الفصيح . . ثم قال: فإن تجامل إنسان، ومد الشجى فله مخارج من جهة العربية تسوغ له مذهبه ، وهو أن تجعل الشجى بمعنى المشجوّ . فعيلا من شجاه يشجوه، والوجه الثانى: أن العرب تمد فعلا بياء . فتقول : فلان قن لكذا وقمين ، وسمج وسميج ، وفلان كر للنائم وكرى . وقيل : إن مذهب العرب توازن اللفظ كما وازنت الغدايا بالعشايا . وجمع الغداة غدوات . ومثل ماساءه وناءه . والأصل أناء . وكذلك وازنوا : الشجى بتشديد الياء بالخلى . ومعناه : ويل المهموم من الفارغ، وعن ثعلب فى الفصيح: ويل للشجى من الخلىّ بتشديد الياءين . وأنشد البيت الذى فى الروض . والشطرة الثانية من البيت«ويل الشجى» وردت مرة فى اللسان : «نصب الفؤاد لشجوه مغموم» ، وأخرى: «بحزنه مغموم» ، وانظر ص ٢٧٢ أدب الكاتب وقول السهيلى : «وبيت مطرود أقوى» يعنى البيت الذى يشرحه: «ياعين فابكى أبا الشعث الشجيات» والجرمقانى — بضم الجيم وسكون الراء وضم الميم وفتح القاف وتضعيف الياء — واحد الجرامقة ، وهم أنباط الشام ، أو هم قوم بالموصل أصلهم من العجم « عن اللسان » .

. . . .

جوعا وعطشا ، ويقولون : إنه يُحشر راكبا عليها ، ومن لم يُفعل معه هذا حُشِر راجلا ، وهذا على مذهب من كان منهم يقول بالبعث ، وهم الأقل ، ومنهم زُهَيْرٌ ، فإنه قال :

يُؤَخَّرْ فيُوضَعْ فى كتابٍ فيُدَّخَرْ ليوم الحسابِ ، أو يُعجَّل فيُنقَم

وقال الشاعر فى الْبَلِيَّة :

والْبَلايا رُءوسُها فى الْوَلايا ما نحات السَّمُوم حرَّ الْخدود(١)

والولايا: هى الْبَرَاذِع ، وكانوا يَنْقُبون الْبَرْذَعة، فيجعلونها فى عُنُق الْبَلِيَّة ، وهى مَعْقُولَةٌ ، حتى تموت ، وأوصى رجلٌ ابنَه عند الموت بهذا :

لا تَتْرُكَنَّ أباكَ يُحْشَر مرةً عَدْوا يَخِرُّ على اليدين ، ويَنْكُب

فى أبيات ذكرها الخطابى .

وقوله : قياما كالْحِيَاتِ . أى : مُحترقات الأكبادِ كالبقَر أو الظباء التى حِميت الماء وهى عاطشة، لحميَّة بمعنى : مَحْمِيَّة ، لكنها جاءت بالتاء، لأنها أجريت

---

(١) البيت فى اللسان وأوله :«كالبلايا» وقد نسبه اللسان إلى أبى زبيد، وهو حرملة بن المنذر بن معد يكرب الطائى شاعر جاهلى إسلامى ، وكان نصرانيا وزعم الطبرى أنه مات مسلما ، وفى اسمه خلاف ، ومن قوله :

عُلِّل المرء بالرجاء ويضحى غرضا للمنون نصْب العود

وكانت العرب تنصب عودا تجعله غرضاً ، فيصيبه بعض السهام ، أو يقع قريباً منه ، أو تشعب منه شيئاً . فضرب ذلك مثلا .

رفع عبد الرحمن الهندي — المسلم — غفر الله له ولوالديه

. . . .

مجرى الأسماء كالرَّمِيَّةِ والضَّحية والطَّريدة(١) وفى معنى الْحَمِى قول رؤبة :
قَواطِنُ مكة من وُرْقِ الْحَمِى (٢) يريد الحمام الْمَحْمِىَّ ، أى : الممنوع .

وقوله : فى رَمْسٍ بِمَوْماة : الأظهرُ فيه أن تكونَ الميم أصلية ، ويكون مما ضوعفت فاؤه وعينه ، وحَمْلُهُ على هذا الأصل أولى لكثرته فى الكلام ، وإن كان أصل الميم أن تكون زائدة ، إذا كانت أولَ الكلمة الرُّباعِيَّة أو الخماسية ، إلا أن يَمنعَ من ذلك اشتقاقٌ ، ولا اشتقاق هُهُنا ، أو يَمْنَعَ من ذلك دخولُه فيما قَلَّ من الكلام نحو : قَلِق وسَلِس . قال أبو على فى الْمَرْمَر : حَمْلُه على باب: قَرْقَر وبَرْبَر أولى من حمله على باب: قَلِق وسَلِس ، يريد : إنك إن جعلتَ الميمَ زائدةً كانت فاء الفعل — وهى الراء — مضاعفةً دون عينِ الفعل ، وهى

---

(١) قال سيبويه : لا يجىء هذا الضرب على مفعل — بفتح الميم وكسر العين — إلا وفيه الهاء ، لأنه إن جاء على مفعل بغيرها اعتل ، فعدلوا إلى الأخف .

(٢) ومنه قبله :

وربِّ هــذا البلد المحــرم
والقاطنات البيت غــير الريم
قواطنـــا مكة من ورق الحمى

« اللسان مادة قطن » وقد استشهد به سيبويه فى كتابه فى باب : « اعلم أنه يجوز فى الشعر ما لا يجوز فى الكلام من صرف مالا ينصرف ، يشبهونه بما ينصرف من الأسماء لأنها أسماء ؛ كما أنها أسماء ، وحذف مالا يحذف ، يشبهونه بما قد حذف ، أو استعمل محذوفا ، كما قال العجاج . أقول : وقواطن منونة منصوبة فى كتاب سيبويه ، وفى اللسان . وروى سيبويه هذه الشطرة مرة أخرى هكذا « أوالفا مكة من ورق الحمى » انظر ص ٨ ، ٥٦ من كتاب سيبويه ط بولاق .

رفع
المسـاهم
عز الله لرحلاتهم

. . . .

الميم ، وإذا جعلت الميمَ الأولى فى مَرْمَر أصلية ، كان(١) من باب ماضوعفت فيه الفاء والعينُ ، وهذا معنى قول سيبويه فى الْمَرْمَرِ : مر ، وهو القياس الْمُسْتَتِبُّ ، والطَّرِيقُ الْمَهْيَعُ دون ما ضوعفت فيه الفاء وحدها ، فتأمله(٢) .

---

(١) فى الأصل وكان .

(٢) يقول المازنى فى كتابه التصريف : «وأما الميم إذا كانت أولا فهى زائدة بمنزلة الهمزة والياء ؛ لأن الميم أولا نظيرة الهمزة» وشرحه ابن جنى بقوله : «لافصل بين الميم والهمزة إذا وقعتا أولا ، فتى وجب فى الهمزة أن تكون زائدة ووقعت الميم موقعها ، فاقض بزيادتها» ص ١٢٩ المنصف لابن جنى . والموماة بفتح وسكون : المفازة الواسعة الملساء ، وهى جماع أسماء الفلوات . وقال المبرد : يقال لها : البوباة أيضا ، وليس للكلمة اشتقاق . ويقول ابن جنى فى الخصائص : «اعلم أنه متى اجتمع معك فى الأسماء والأفعال حرف أصل ، ومعه حرفان مثلان لاغير ، فهما أصلان ، متصلين كانا أو منفصلين . فالمتصلان نحو : الحفف والصدد . وقلق وسلس ، وكذلك إن كان هناك زائد ، فالحال واحدة نحو حام وسالس . وكذلك كوكب ودودح» ثم يقول : «فأما إذا كان معك أصلان ومعهما حرفان مثلان ، فعلى أضرب منها : أن يكون هناك تكرير على تساوى حال الحرفين ، فإذا كانا كذلك كانت الكلمة كلها أصولا نحو : قلقل وقرقر . فالكلمة إذاً لذلك رباعية . وكذلك إن اتفق الأول والثالث ، واختلف الثانى والرابع . فالمثلان أيضا . أصلان ، وذلك نحو . فرفج وقرقل «نبات الرجلة ، وقميص للنساء» ، وكذلك إن اتفق الثانى والرابع ، واختلف الأول والثالث نحو : قسطاس وشعلع «الطويل» فالمثلان أيضا أصلان . وكل ذلك أصل رباعى ، وكذلك إن اتفق الأول والرابع واختلف الثانى والثالث ، فالمثلان أصلان ، والكلمة أيضا من بنات الأربعة مثل : قربق «دكان البقال ، وبلد وراء طرسوس» ، وكذلك إن اتفق الأول والثانى ، واختلف الثالث والرابع ، فالمثلان أصلان ، والكلمة رباعية نحو : زيزفون . ومثاله ، فيعلول . وكذلك أيضا إن حصل معك ثلاثة أحرف أصول ، ومعها =

. . . .

وقوله : طَويلَ الباعِ ذا فَجَرٍ. الْفَجَرُ : الجودُ ، شُبِّهَ بانفجار الماء . ويُروى ذا فَنَعٍ ، و الْفَنَع : كثرة المال ، وقد قال أبو مِحْجَنٍ الثَّقَفِيّ :

وقد أجودُ وما مالى بذى فَنَعٍ وأكْتُمُ السِّرَّ فيه ضَرْبةُ الْعُنُقِ (١)

وقوله : بَسَّام العشيات: يعنى : أنه يضحك للأضيافِ ، ويَبْسِمُ عندلقائهم كما قال الآخر ، وهو حاتم الطائى :

= مثلان غير ملتقيين ، فهما أيضا أصلان . نحو : شفشليق « العجوز المسترخية » ص ٥٦ وما بعدها ،الخصائص ط٢ ج٢،وانظر شرح الشافية ج١ ص٥٩، ومابعدها ويقول ابن جنى فى الخصائص أيضا وهو يتكلم عن الأصلين الثلاثى والرباعى المتداخلين ، كقولهم سلس وسلسل ،وقلق وقلقل : «وذهب أبو إسحاق فى نحو قلقل وصلصل وجرجر وقرقر إلى أنه فعل ،وأن الكلمة لذلك ثلاثية ،حتى كأن أبا إسحاق لم يسمع فى هذه اللغة الفاشية المنتشرة : بزغد وزغدب وسبط وسبطر » ثم يقول : «إن تكرير الفاء لم يأت به ثبت إلا فى مرمريس . وحكى غير صاحب الكتاب : مرمريت ،وليس بالبعيد أن تكون التاء بدلا من السين ، كما أبدلت منها فى ست » ص ٥٢، ٥٣ ج ٢ ،الخصائص ويقول فى ص ١٢ من المنصف أيضا : «الفاء لم تكرر فى كلام العرب إلا فى حرف واحد ، وهو : مرمريس ، وهى الداهية والشدة ، فتكررت الفاء والعين ، ولا نظير لهذه الكلمة » .

(١) والفنع أيضا : الكرم والجود والفضل الكثير ، ونشر الثناء الحسن ونفحة المسك . . وقد روى أن معاوية — رضى الله عنه — قال لابن أبى محجن الثقفى : أبوك الذى يقول :

إذا مت فادفنى إلى جنب كرمة تروى عظامى بعد موتى عروقها
ولا تدفننى فى الفــلاة ، فإننى أخاف إذا ما مت ألا أذوقها

فقال ابن أبى محجن : أبى الذى يقول : وذكر البيت . وقد روى عجزه هكذا : وقد أكر وراء المجحر الفرق .

رفع عبد الرحمن الهاشمي

. . . .

أُضاحك ضَيْفِى قبل إنْزَال رَحْلِهِ ... ويُخْصَبُ(١) عندى، والمَحَلّ جَدِيب

وما الخِصْبُ للأضْيافِ أن يَكْثُر القِرى ... ولكنما وَجْهُ الكريم خَصِيبُ

حديث زمزم

وكانت زَمْزَم ـ كما تقدم ـ سُقْيا إسماعيلَ، عليه السلامُ، فجرَّها له رُوحُ القُدُس بعقِبِه، وفى تفجيره إيَّاهَا بالعَقِبِ دون أن يُفجِّرها باليدِ أو غيرِه: إشارةٌ إلى أنها لعقِبِه وِراثةً، وهو محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأمته، كما قال سبحانه: (وَجَعَلها كلِمَةً باقيةً فى عَقِبِه) الزخرف: ٤٣. أى: فى أمَّةِ محمدٍ ـ عليه السَّلام(٢) ـ ثم إن زَمْزَم لما أَحْدثَت جُرْهُمُ فى الحَرَم، واسْتَخَفُّوا بالمناسِكِ والحُرَم، وبَغى بعضُهم على بعضٍ واجْتَرَمَ، تَغَوَّرَ ماء زَمْزَم واكْتُتِم، فلما أخرج الله جُرْهُمَ من مكةَ بالأسبابِ التى تقدم ذِكرُها عَمَد الحرْثُ بن مِضاض الأصغَرُ إلى ما كان عنده من مالِ الكعبة، وفيه غزالآن من ذَهَبٍ وأسيافٍ قَلْعِيَّة(٣) كان ساسانُ مَلِكُ الفُرْسِ قد أهداها إلى الكعبةِ، وقيل: سابورُ، وقد قدمنا أن الأوائلَ من مُلوكِ

---

(١) من باب علم وضرب.

(٢) قال ابن كثير فى تفسيرها: «هذه الكلمة ـ وهى عبادة الله وحده لاشريك له، وخلع ماسواه من الأوثان، وهى: لا إله إلا الله، أى جعلها دائمة فى ذريته، يقتدى به فيها من هداه الله تعالى من ذرية إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ وقال عكرمة ومجاهد والضحاك وقتادة والسدى وغيرهم: يعنى: لا إله إلا الله لايزال فى ذريته من يقولها، وروى نحوه عن ابن عباس» على أن هناك رواية: أو قال بجناحه.

(٣) نسبة إلى قلعة بفتح فسكون بلد بالهند.

رفع
المسـاهم
غفر الله له ولوالديه

. . . .

الفُرْسِ كانت تحجها إلى عهدِ ساسانَ ، أو سابُورَ ، فلما علم ابن مِضاضٍ أنه مُخْرَجٌ منها ، جاء تحت جُنْحِ الليل حتى دَفن ذلك فى زَمْزَم ، وعَفَّى عليها ، ولم تزَلْ دَارِسَة عافيا أثرُها ، حتى آن مولدُ المُبَارَكِ الذى كان يُسْتَسْقَى بوجْهِه غَيْثُ السماء وتَتَفَجَّر من بنانِه ينابيعُ الماء ، صاحبِ الكَوْثرِ والحوضِ الرَّوَاءِ ، فلما آن ظهورُه أذِن لله تعالى لِسُقْياَ أبيه أن تظهر ، ولما اندَفنَ من مائها أن تُجتهرَ(٢) ، فكان — صلى الله عليه وسلم — قد سقت الناسَ بَركَتُه قبل أن يُولَد وسُقوا بدعوته ، وهو طِفل حين أجْدَبَت البلد ، وذلك حين خرج به جده مُسْتَسْقيًا لقُريش(٣) ، وسيأتى بيان ذلك — فيما بعد إن شاء الله — وسُقِيت الخَلِيقَة كلُّها غُيوثَ السماءِ فى حياته الفَيْنةَ بعد الفَيْنَةِ ، والمرَّة بعد المرة ، وتارة بدعائه ، وتارة من بنانه ، وتارةً بإلقاء سَهْمه ، ثم بعد موته — عليه السلام — اسْتَشْفَعَ عُمرُ بعمِّه — رضى الله عنهما — عامَ الرَّمَادَةِ(٤) ،

---

(١) ولكن هذا الاستقساء ليس من هدى الإسلام .

(٢) اجتهر البئر : نقاها ، أو نزحها أو بلغ الماء .

(٣) قصة موضوعة وليس الاستسقاء الدينى الحق من هذا الزعم .

(٤) ليس من حب الرسول — صلى الله عليه وسلم — أن نكذب له ، أو نكذب عليه ، وعظمة الرسول العظيم ليست فى حاجة إلى كذب يساندها ، لأنها قامت على الصدق الجليل الجميل . وصورة الاستسقاء النبوى نهتدى إليها من هذا الحديث : «جاء أعرابى يوم الجمعة . فقال : يارسول الله . هلكت الماشية ، وهلكت العيال ، وهلك الناس ، فرفع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يديه يدعو ، ورفع الناس أيديهم معه يدعون ، قال : فما خرجنا من المسجد حتى مطرنا » مختصر من البخارى . وحديث استقساء عمر بالعباس : « عن أنس — رضى الله عنه — أن عمر بن الخطاب كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب ، فقال : اللهم إنا كنا نتوسل =

رفع المسهم

. . . .

وأقسم عليه به وبنبيه(١) ، فلم يَبْرَحْ، حتى قَلَصُوا المـازِرَ ، واعْتَلَقوا الحِذاء ،

=إليك بنبينا ، فتسقينا ، وإنا نتوسل إليك بعم نبيك . فاسقنا ، فيسقون) البخارى ويقال: إنه كان فى عام الرمادة العام الثامن عشر ، ويقول العلامة السلفى السهسوانى الهندى تعليقا على هذا فى كتابه : صيانة الإنسان عن وسوسة ابن دحلان : «المراد بالاستسقاء بالعباس والتوسـل به الوارد فى حديث أنس رضى الله عنه : هو الاستسقاء بدعاء العباس على طريقة معهودة فى الشرع ، وهى أن يخرج من يستسقى به إلى المصلى ، فيستسقى ، ويستقبل القبلة داعيا ، ويحول رداءه ، ويصلى ركعتين ، أو نحوه من هيئات الاستسقاء التى وردت فى الصحاح، والدليل عليه قول عمر رضى الله عنه اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا صلى الله عليه وسلم ، فتسقينا ، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا ، فاسقنا ، ففى هذا القول دلالة واضحة على أن التوسل بالعباس كان مثل توسلهم بالنبى صلى الله عليه وسلم ، والتوسل بالنبى لم يكن إلا بأن يخرج صلى الله عليه وسلم ، ويستقبل القبلة ويحول رداءه ، ويصلى ركعتين أو نحوه من الهيئات الثابتة للاستسقاء، ولم يرد فى حديث ضعيف فضلا عن الحسن والصحيح أن الناس طلبوا السقيا من الله فى حياته متوسلين به صلى الله عليه وسلم من غير أن يفعل مايفعل فى الاستسقاء المشروع من طلب السقيا، والدعاء والصلاة وغيرهما مما ثبت بالأحاديث الصحيحة » وأقول : لو كان التوسل بذات الحى أو الميت جائزا — لا بدعائه — لتوسل عمر بذات محمد — وهو ميت — بدلا من توسله بالعباس . ولم يرد فى حديث ما أن أحدا توسل بذات محمد فى استسقاء أو غيره، لأن ذات محمد «ص» ليست من كسب أحد .

(١) لم يرد شىء مما قال فى حديث صحيح . وقد وردت أحاديث الاستسقاء فى البخارى ومسلم وأبى داود والترمذى والنسائى وابن ماجة وأحمد وغيرها ، وكلها تجمع على أنه كان ـ صلى الله عليه وسلم ـ يدعو ، وليس فى شىء منها ماذكره السهيلى ، وقد وردت صيغة الدعاء فى حديث رواه أبو داود وأبو عوانة وابن حبان والحاكم وصححه ابن السكن ، وقال أبو داود : هذا حديث غريب إسناده جيد وهذه هى: (الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين لا إله إلا الله يفعل=

رفع المسهم

. . . .

وخاضوا الغُدْرَان ، وسَمِعتْ الرِّفَاقُ المقبلةُ إلى المدينة فى ذلك اليوم صائحا يصيح فى السَّحاب : أتاكَ الغوثُ أبَا حَفْص ، أتاك الغوث أبا حَفْص(١) ، كل هذا ببركة الْمُبْتَعث بالرحمتين ، والداعى إلى الحياتين الموعود بهما على يديه فى الدارين — صلى الله عليه وسلم — صلاة تصعد ولاَ تنْفَد ، وتتَّصِل ولاَ تنفصِل ، وتُقِيم ، ولا ترِيمُ، إنه مُنْعِمٌ كَرِيم .

أسماء زمزم :

فصل : فأَرىَ عبدُ المطلب فى منامِه: أن احْفِرْ طِيَبة، فسُمِّيت طيبة ، لأنها للطيبين والطيبات من ولد إبراهيم وإسماعيل — عليهما السلام — وقيل له : احْتَفِرْ بَرَّة ، وهو اسم صادق عليها أيضا ،لأنها فاضت للأبرار ، وغاضت عن الفُجار، وقيل له : احفِرْ الْمَضْنُونة. قال وهب بن مُنَبِّه: سُمِّيَتْ زمزم :الْمَضْنُونَة لأنها ضُنَّ بها على غير المؤمنين ، فلاَ يَتَضَلَّع منها منافق ، وروى الدَّارَقُطْنِي ما يقوى ذلك مُسْنداً عن النبى — صلى الله عليه وسلم : مَنْ شرب من زمزم فلْيَتَضَلَّع ، فإنه فَرْقُ مابيننا وبين المنافقين،لايستطيعون أن يَتَضَلَّعو(٢) منها،

= الله ماتريد ، اللهم أنت الله،لا إله إلا أنت،أنت الغنى ونحن الفقراء ، أنزل علينا الغيث ، واجعل ماأنزلت لنا قوة وبلاغا إلى حين »

(١) أساطير مرددة لاتعرفها السيرة العطرة للنبى صلى الله عليه وسلم وصاحبه عمر رضى الله عنه .

(٢) تضلَّع : امتلأ شبعا وريا ، والتضلع أيضا : الامتلاء حتى تمتد أضلاعه على أن مثل هذه الأحاديث لم يروها أصحاب الصحيح . وقد روى هذا الحديث : الدارقطنى وابن ماجة .

رفع المسهم

. . . .

أو كما قال . وفى تسميتها بالمَضْنُونة روايةٌ أخرى ، رواها الزبيرُ : أن عبدَ المطلب قيل له : احْفِر المَضْنُونَةَ ضَننت بها على الناس إلا عليك ، أو كما قال .

العلامات التى رآها عبد المطلب وتأويلها :

ودُلّ عليها بعلاماتٍ ثلاثٍ : بنُقْرةِ الغُراب الأعْصَم ، وأنها بين الفَرْث والدم ، وعند قرية النَّمل ، ويروى أنه لما قام ليَحْفِرَها رأى مارُسِمَ مِن قرية النمل و نُقْرَةِ الغراب ، ولم يَرَ الْفَرْثَ والدم ، فبينا هو كذلك نَدَّت بَقرةٌ بجازرها ، فلم يُدْرِكها ، حتى دخلت المسجدَ الحرام ، فنحَرها فى الموضِع الذى رُسم لعبد المطلب ، فسال هناك الْفَرثُ والدمُ ، فحفر عبدُ المطلب حيث رُسِم له .

ولم تخَصّ هذه العلامات الثلاث(١) بأن تكون دليلا عليها إلا لحكمةٍ إلٰهيّةٍ ، وفائدةٍ مُشاكِلةٍ فى علم التعبير ، والتَّوسُّم الصادق لمعنى زمزَم ومائِها . أما الْفَرْثُ والدَّمُ ، فإن ماءها طعَامُ طُعْم ، وشِفاءُ سُقْم(٢) ، وهى لما شُرِبت له(٣) ، وقد تقوّت(٤)

(١) كل هذا من رواية محمد بن إسحاق فحسب .

(٢) يقول ابن الأثير فى النهاية : «أى يشبع الإنسان إذا شرب ماءها ، كما يشبع من الطعام» وقد ورد فى صحيح مسلم فى حديث إسلام أبى ذر أن رسول الله قال فى زمزم : «إنها لطعام طعم وشفاء سقم» ونسب هذا فى بعض الأحاديث إلى وهب بن منبه وكعب الأحبار .

(٣) روى الإمام احمد : «ماء زمزم لما شرب منه» ورواه ابن ماجة من حديث عبد الله بن المؤمل ، وقد تكلموا فيه . ولفظه : «ماء زمزم لما شرب له» ورواه سويد بن سعيد ولكن سويدا ضعيف . ورواه الحاكم مرفوعا عن ابن عباس ، وفيه نظر . هذا وقد وردت تسمية زمزم ببرة . والمضنونة فى حديث عن كعب الأحبار ، وحسبك به !!

(٤) حديث تقَوُّتِ أبى ذر بماء زمزم فى البخارى ومسلم .

رفع
المستهم

من مائها أبو ذر - رضى الله عنه - ثلاثين بَيْنَ يومٍ وليلةٍ ، فَسَمِنَ حتى تكسّرت عُكَنُه ، [وما وجد على كبده سَخْفَةَ(١) جوع] فهى إذا كما قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى اللبن : إذا شرب أحدكم اللبن ،فليقل : اللهم بارك لنا فيه وزِدْنا منه ، فإنه ليس شىء يَسُدُّ مَسَدَّ الطعام والشَّراب إلا اللبن ، وقد قال الله تعالى فى اللبن : (مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ ودَمٍ لَبناً خالِصاً سَائِغاً للشاربين) النحل : ٦٦ . فظهرت هذه السُّقْيا المباركة بين الْفَرْث والدَّم ، وكانت تلك من دلائلها المشاكلة لمعناها .

وأما قوله : الْغُرَابُ الْأَعْصَمُ ، قال الْقُتَبِيُّ : الأعصَمُ من الْغِربان الذى فى جناحيه بَيَاضٌ ، وَحَمَلَ على أبى عبيد لقوله فى شرح الحديث:الأعصم الذى فى يديه بياض ، وقال : كيف يكون للغراب يَدَان ؟ . وإنما أراد أبو عُبَيْدٍ أن هذا الوصْف لذواتِ الْأَرْبع ؛ ولذلك قال : إن هذا الوصفَ فى الغِربانِ عزيزٌ ، وكأنه ذهب إلى الذى أراد ابنُ قُتَيْبَة من بياض الجناحين ، ولولا ذلك لقال : إنه فى الغربان مُحال لايتصور . وفى مُسْند ابن أبى شَيْبَة من طريق أبى أُمَامَة عن النبى - صلى الله عليه وسلم - ما يُغْنى عن قوليهما ، وفيه الشِّفاء : أنه قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : المرأة الصالِحَةُ فى النساءِ كالغرابِ الأعْصَمِ قيل : يارسول الله ، وما الْغُرَابُ الْأَعْصَمُ ؟ قال : الذى إحدى رجليه بَيْضاء(٢).

---

(١) جمع عكنة : الطى الذى فى البطن من السمن ، ويجمع على أعكان أيضا والسخفة : الهزال .

(٢) وعن الأزهرى فى اللسان: أنه الأحمر الرجلين لقلته فى الغربان ، لأن أكثر الغربان : السود البقع. هذا والعرب تجعل البياض حمرة، فيقال للمرأة البيضاء : الحمراء

رفع المسهم

. . . .

فالغراب فى التأويل : فاسق ، وهو أسود ، فَدَلَّت نُقْرَتُه عند الكعبة على نُقْرَةِ الأَسْوَدِ الحَبَشِيِّ بمِعْوَله فى أساس الكعبة يَهْدِمها فى آخر الزمانِ ، فكان نَقْرُ الغراب فى ذلك المكان يُؤذن بما يفعله الفاسقُ الأسودُ فى آخر الزمانِ بِقِبْلَةِ الرَّحمٰن ، وسُقْيا أهل الإيمان ، وذلك عندما يُرفع القرآنُ ، وتحيا عبادةُ الأوثان ، وفى الصحيح عن رسول — صلى الله عليه وسلم — : «لَيُخَرِّبَنَّ الكعبة ذو السُّوَيقَتَيْنِ من الحبشة(١) » وفى الصحيح أيضا من صفته : أنه [أسود] أَفْحَجُ ، [يقلعها حجرا حَجَراً] وهذا أيضا ينظر إلى كون الغراب أعصَمَ ؛ إذِ الفَحَجُ : تباعُدٌ فى الرِّجلين ، كما أن العَصَمَ اختلافٌ فيهما ، والاختلافُ : تباعدٌ وقد عُرِف بذى السُّوَيقَتَيْنِ ، كما نُعت الغرابُ بصفةٍ فى ساقيه ، فتأمَّلْهُ ، وهذا من خَفِيِّ علم التأويلِ ، لأنها كانت رُؤْيا ، وإن شِئتَ : كان من باب الزَّجْرِ والتَّوَسُّم الصَّادقِ(٢) والاعتبار والتفكيرِ فى معالم حكمة — الله تعالى — فهذا سعيدُ بنُ المُسَيِّب ، وهو مَنْ هُو عِلْما ووَرَعاً حين حُدِّث بحديث البئر فى البستانِ ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم — قعد على قُفِّها(٣) ، وَدَلَّى رجليه فيها ، ثم جاء أبو بكر رضى الله عنه — ففعل مثل ذلك ، ثم جاء عمرُ — رضى الله عنه — ففعل مثلَ

---

(١) الحديث متفق عليه ، وفى أبى داود بسند ضعيف : «اتركوا الحبشة ما تركوكم ، فإنه لايستخرج كنز الكعبة إلا ذو السويقتين من الحبشة» ، والسويقتان مثنى سويقة: تصغير لساق ، وهى مؤنثة . وقد صغر الساق ، لأن الغالب على سوق الحبشة الدقة والحموشة ، وقد أبعد السهيلى وأغرب فى تأويلاته .

(٢) الزجر : أصله هو التيمن والتشوم بالطير ، والتفوّل بطيرانها كالسانح والبارح ، وهو نوع من الكهانة والعيافة . والتوسم . أو الفطنة ، أو الزكانة: الاعتبار

(٣) قف البئر : هو الدكة التى تجعل حولها .

• • • • • • • • • • •

ذلك ، ثم جاء عثمانُ ، فانتبذَ منهم ناحية ؛ وَقَعَدَ حَجْرةً(١) . قال سعيدُ بن المُسَيِّبِ : فأوّلتُ ذلك قبورَهم ، اجتمعت قبورُ الثلاثة ، وانفرد قبرُ عثمان ـ رضى الله عنه ـ والله سبحانه يقول : (إن فى ذلك لآياتٍ للمُتَوَسِّمِينَ) الحجر : ٧٥ . فهذا من التَّوَسُّمِ والفِراسَةِ الصادقة ، وإعمالِ الفكرِ فى دلائِلِ الحكمة ، واستنباطِ الفوائدِ اللطيفة من إشارات الشريعة . وأمّاقريةُ النملِ، ففيها من المُشاكَلَةِ أيضا ، والمناسبة : أن زَمْزَمَ هى عينُ مَكَّةَ التى يَرِدُها الحجيجُ والعُمّارُ من كل جانب ، فيحملون إليها البُرَّ والشَّعِيرَ ، وغير ذلك وهى لاتحرث ولاتُزْرَعُ ، كما قال سبحانه خبرا عن إبراهيم عليه السلام : (رَبَّنَا إِنِّى أَسْكَنْتُ من ذُرِّيَّتِى بوادٍ غير ذى زَرْعٍ) . إلى قوله : (وارْزُقْهُمْ من الثَّمراتِ [لعلهم يشكرون] إبراهيم : ٣٧) وقرية النمل لاتحرثُ ولا تَبْذُر ، وتجلب الحبوب إلى قريتها من كل جانب ، وفى مكَّة قال الله سبحانه : (وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً قَرْيَةً كانت آمنة مُطْمَئِنَّةً يأتيها رزقُها رَغَداً من كُلِّ مكان) النحل : ١١٢ . مع أن لفظ قرية النمل مأخوذ من قَرَيْتُ الماءَ فى الحَوْضِ : إذا جمعتُهُ ، والرُّؤيا تُعبرَّ على اللفظ تارة ، وعلى المعنى أخرى ، فقد اجتمع اللفظُ والمعنى فى هذا التأويل ـ والله أعلم .

من صفات زمزم :

وقد قيل لعبد المُطَّلِبِ فى صفة زَمْزَمَ : لاتُنزَفُ أبدا ، ولا تُذَمُّ(٢) ،

---

(١) قعد حجرة : أى ناحية .

(٢) نزفت ـ بفتح النون والزاى ـ ماء البئر نزفا : إذا نزحته كله ، ونزفت هى =

رفع المسهم

. . . .

وهذا بُرْهَانٌ عظيم ، لأنها لم تَنْزِفْ من ذلك الحين إلى اليوم قط ، وقد وقع فيها حَبَشِيٌّ فَنُزِحَتْ من أجله ، فوجَدُوا ماءها يثور من ثلاثة أَعْيُن ، أقواها وأكثرها ماء : من ناحية الحَجَر الأَسْوَدِ ، وذكر هذا الحديثَ الدَّارَقُطْنِيُّ .

وقوله : ولا تُذَمُّ ، فيه نظرٌ ، وليس هو على ما يَبْدُو من ظاهر اللفظ من أنها لا يَذُمُّها أحدٌ ، ولو كان من الذَّمِّ لكان ماؤُها أعذبَ المياه ، ولَتَضَلَّعَ منه كُلُّ مَنْ يشربهُ ، وقد تَقَدَّم فى الحديث أنه لا يَتَضَلَّعُ منها منافقٌ ، فماؤها إذاً مَذْمُومٌ عندهم ، وقد كان خالدُ بن عَبْد الله القَسْرِيّ أميرُ العراق يذمُّها ، ويسميها : أم جِعْلَان(١) ، واحتفر بئراً خارجَ مكة باسم الوليد بن عبد الملك ، وجعل يُفَضِّلها على زَمْزَم ، ويحمل الناس على التبرُّكِ بها دون زَمْزَم جُرْأَة منه على الله — عز وجل — وقلة حياء منه ، وهو الذى يُعْلن ويفصح بلعن عليٍّ بن أبى طالب — رضوان الله عليه — على المنبر ، وإنما ذكرنا هذا ، أنها قد ذُمَّت ، فقوله إذا : لا تُذَمُّ من قول العرب : بئر ذَمَّة أى : قليلة الماء ، فهو من أذممت البئر إذا وجدتها ذَمَّة : كما تقول : أَجْبَنْتُ الرجل : إذا وجدته جبانا ، وأكذبته إذا

ـــ يتعدى ولا يتعدى ، ونزفت على مالم يسم فاعله ، وعن ابن سيدة : نزف البئر ينزفها وأنزفها بمعنى واحد ، كلاهما نزحها : وأنزفت هى نزحت ، وذهب ماؤها .

(١) جعل الماء بفتح فكسر جعلا ، أى : كثر فيه الجعلان : جمع جعل وهو دابة سوداء من دواب الأرض قيل : هو أبو جعران . ولعلها فرية ، فما كان المسلمون فى مثل هذا الهوان ، الذى يرغمهم على الرضا بهذا الذى نسب إلى خالد .

رفع
المسهم
عبد الله الظاهري

. . . .

وجدته كاذبا(١)، وفى التنزيل: « فإنهم لا يُكَذِّبونك »(٢) [ولكن الظالمين بآيات الله يَجْحدُون] الأنعام ٣٣. وقد فسَّرَ أبو عبيد فى غريب الحديث قوله حتى مررنا ببئر ذَمَّة : وأنشد.

مُخَيَّسَةً خُزْرًا كأن عُيونها ذِمَامُ الرَّكايا أنكزَتْها المواتح(٣)

فهذا أَوْلَى ما حمل عليه معنى قوله . ولا تُذَمّ ؛ لأنه نفى مطلق ، وخبر صادق

---

(١) يقول ابن جرير الطبرى : « أكذبت الرجل إذا أخبرت أنه جاء بالكذب وكذبته — بتضعيف الذال — إذا أخبرت أنه كاذب » .

(٢) الذى فى المصحف هو ما أثبتناه ، ولكن السهيلى يعنى القراءة الثانية ، وهى مشهورة أيضا ، وهى : « لا يكذبونك » بضم الياء وسكون الكاف وتخفيف الذال ، وهى قراءة نافع والكسائى من : أكذب ، أما قراءة المصحف : فمن كذبه بتضعيف الذال .

(٣) البيت لذى الرمة — بضم الراء أو كسرها وتشديد الميم المفتوحه — يصف إبلا غارت عيونها من الكلال . وروايته فى اللسان : « على حميريات » بدلا من « مخيسة خزرا » ، والإبل المخيسة هى التى لم تسرح ، ولكنها حبست للنحر أو القسم ، والخزر : هو كسر العين بصرها خلقة أو ضيقها وصغرها ، أو النظر كأنه فى أحد الشقين ، أو أن يفتح عينيه ويغمضهما ، وحول فى إحدى العينين . وركايا جمع ركية — بفتح الراء وكسر الكاف ، وتضعيف الياء المفتوحة — البئر — كما فى القاموس ، ومواتح : المتح — بفتح الميم وسكون التاء — جذبك رشاء « حبل » الدلو تمد بيد ، وتأخذ بيد على رأس البئر . ومواتح : جمع ماتح وهو المستقى . والمائح الذى يملأ الدلو من أسفل البئر . أنكزتها : أقلت ماءها ، والذمة : البئر القليلة الماء . يقول عن الإبل . إن أعينها غارت من التعب ، فكأنها آبار قليلة الماء . وفى الروض : أنكرتها ، ورواها اللسان فى مادة ذمم « أنكزتها » وفسرها بما نقلته عنه ، ولكنه فى مادة فتح ذكرها : أنكرتها .

. . . .

والله أعلم ـ وحديث البئر الذَّمَّة التى ذكرها أبو عُبَيْد ، حدثنا به أبو بكر بن العربى الحافظ ، قال : أخبرنا القاضى أبو المطهر سعيد بن عبد الله بن أبى الرجاء قال : أخبرنا أبو نعيم الحافظ ، قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن يوسف بن خَلَّاد قال: حدثنا الحرث بن أبى أسامة . قال : حدثنا أبو النضر ،قال: حدثنا سليمان عن حُمَيْدٍ عن يونس عن البَرَاءِ قال : كناَّ مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى مَسِيرٍ فأتينا على رَكِىٍّ ذَمَّة(١) يعنى : قليلة الماء قال : فنزل فيها ستةٌ ـ أنا سادسهم ـ ماحَةً(٢)، فأُدْلِيَتْ إلينا دَلْوٌ، قال: ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم على الرَّكِىِّ. فجعلنا فيها نصفَها، أو قريب ثُلُثَيها . فرفعت إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : فجئت بإنائى. هل أجد شيئاً أجعله فى حلقى، فما وجدتُ، فَرُفعت الدَّلْوُ إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فغَمَس يده فيها ، فقال ما شاء الله أن يقول ـ قال : فأعيدت إلينا الدَّلو بما فيها ، قال : فلقد رأيت أحدَنا أُخْرِجَ بثوب خَشْيَةَ الغرق . قال : ثم ساحت ، يعنى : جَرَتْ نهرا(٣) .

(١) ركىّ ـ بفتح الراء وكسر الكاف ، وتضعيف الياء ـ جنس للركية وهى البئر .

(٢) الميح ـ بفتح الميم وسكون الياء ـ أن تدخل البئر فتملأ الدلو ، وذلك إذا قل ماؤها ، ورجل مائح ، وقوم ماحة بفتح الحاء .

(٣) أصل الحديث فى الصحيح باختصار كثير فى إحدى الغزوات . وهذا الذى فى الروض رواه أحمد والطبرانى . ويقول الحافظ فى الفتح : قال القرطبى : قصة نبع الماء من بين أصابعه « ص » أثر عنه فى عدة مواطن فى مشاهد عظيمة ، ووردت من طرق كثيرة يفيد مجموعها العلم القطعى المستفاد من التواتر المعنوى . قلت : أخذ كلام عياض أو تصرف فيه . قال : ولم يسمع بمثل هذه المعجزة عن غير نبينا ، وحديث نبع الماء جاء من رواية أنس عند الشيخين =

رفع المسهم

. . . .

اشتقاق مفازة :

وذكر حديث عبد المطلب فى مسيره مع قريش إلى الكاهنة ، وذكر المَفَاوِزَ التى عطشوا فيها . المفاوز : جمع مَفَازَة ، وفى اشتقاق اسمها ثلاثة أقوال . روى عن الأَصْمَعِىّ أنها سُمِّيَتْ مَفَازَةً على جهة التفاؤل لراكبها بالفوز والنجاة ، ويذكر عن ابن الأعرابى أنه قال : سألت أبا المكارم : لم سميت الفلاة مفازة؟ فقال : لأن راكبها إذا قطعها وجاوزها فاز . وقال بعضهم : معناها : مَهْلَكَة لأنه يقال : فاز الرجل ، وفَوَّزَ وفَادَ وفَطَسَ : إذا هلك . وذكر فى غير رواية على بن أبى طالب — رضوان الله عليه — ثم ادع بالماء الرَّوِىّ غير الكَدَر يقال : ماء رِوًى بالكسر والقصر ، ورَوَاء بالفتح والمد[١] وفيه :

=وأحمد وغيرهم من خمسة طرق ، وعن جابر بن عبد الله من أربعة طرق ، وعن ابن مسعود عند البخارى والترمذى ، وعن ابن عباس عند أحمد والطبرانى من طريقين .. .. وأما تكثير الماء بأن يلمه بيده ، أو يتفل فيه ، أو يأمر بوضع شىء فيه كسهم من كنانته . فجاء فى حديث عمران بن حصين فى الصحيحين ، وعن البراء بن عازب عند البخارى وأحمد من طريقين ، وعن أبى قتادة عند مسلم ، وعن أنس عند البيهقى فى الدلائل .. وأما من رواها من أهل القرن الثانى فهم أكثر عدداً ، وإن كان شطر طرقه إفراداً » انتهى ما فى الفتح ص ٤٥٦ جـ ٦ وانظر مجمع الزوائد للهيتمى . وأقول : كل ما يحدث هو بأمر الله سبحانه ، ولا يستطيع مسلم أن ينكر أن الله سبحانه فجر الماء لموسى من الحجر ، وقال لعيسى عن المائدة : « إنى منزلها عليكم » والله الذى من بذلك قادر على أن يمن بهذا . وموقفنا الإذعان ، والإيمان بأنه من قدرة الله وإذنه ، لا من قدرة نبى أو ولى ، ولا بإذنه ولا بأمره .

(١) روى كغنى ، وروى مثل : إلى ، ورواء مثل سماء : كثير مرو .

. . . .

الجمع واسم الجمع :

يسقى حَجِيج الله فى كل مَبَرّ. الحجيج: جمع حاج . وفى الجموع على وزن فَعِيل كثير كالعَبِيد والبَقِير والمَعِيز والأبيل !! وأحسبه اسما للجمع ؛لأنه لو كان جمعاله واحد من لفظه، لجرى على قياس واحد كسائر الجموع، وهذا يختلف واحِدُه فحجيج واحده:حاج، وعبيد واحده:عَبْدٌ،وبقِير(١) واحده: بقرة[ومَعِيز: واحده: مَاعِز] إلى غير ذلك،فجائز أن يقال: إنه اسم للجمع غير أنه موضوع للكثرة ؛ ولذلك لا يُصَغَّر على لفظه ، كما تصغر أسماء الجموع ، فلا يقال فى العبيد: عُبَيِّد ، ولا فى النخيل:

---

(١) فى اللسان : البقير اسم للجمع ، أما الأبيل بفتح الهمزة وكسر الباء — فالحزمة من الحشيش والحطب ، والإبيل بكسر الهمزة وتضعيف الباء مع كسرها: القطعة من الطير والخيل . وقيل هى مفرد أبابيل ، وربما كانت إبلا ، وهى تقع على الجمع، وليست بجمع والاسم جمع « قاموس » ويقول الجوهرى إن أسماء الجموع التى لا واحد لها من لفظها إذا كانت لغير الآدميين ، فالتأنيث لازم لها، فإذا صغرتها دخلتها التاء ، فقلت عن إبل : أبيلة ، وعن غنم : غنيمة ، وقد فرق شارح الكافية لابن الحاجب بين الجمع واسم الجمع بفروق تتلخص فى ثلاثة أوجه ، الأول: أن الجمع على صيغة خاصة من صيغ معدودة معروفة ، وهذه الصيغة تغاير صيغة المفرد ، إما ظاهرا ، وإما تقديرا . فالمغايرة الظاهرة إما بالحركات كأسد ، وأسد ونمر ونمر ، وإما بالحروف كرجال : جمع رجل وكتب جمع كتاب ، والمغايرة المقدرة كهجان وفلك ، ومن المغايرة الظاهرة : الجمع السالم مذكرا أو مؤنثا .

والثانى : أن للجمع واحدا من لفظه ، وليس لاسم الجمع واحد من لفظه ، بل له واحد من معناه ، فواحد الإبل : بعير أو ناقة ، وواحد الغنم :شاة . والثالث : أن الجمع يرد إلى واحده فى النسب مطلقا ، وفى التصغير إن كان جمع كثرة . وأما اسم الجمع ، فلا يرد ، لأنه إما ألا يكون له واحد حتى يرد إليه ، وإما أن يكون له واحد ، لكن لا يصح الرد إليه لأن اسم الجمع لم يكن على صيغة من صيغ الجمع فهو كالمفرد فى اللفظ . انظر ص ١٩٣ ج ٢ شرح الشافية للرضي والتلخيص المذكور للأساتذة المحققين للشافية .

رفع المسـاهم غفر الله له ولوالديه

. . . .

نُخَيْل، بل يرد إلى واحده ، كما ترد الجموع فى التصغير، فيقال: نُخَيْلات وعُبَيْدُون، وإذا قلت : نخيل أو عَبيد ، فهو اسم يتناول الصغير والكبير من ذلك الجنس ، قال الله سبحانه : (وزَرْعٌ ونخيلٌ) وقال: (وما ربُّكَ بِظَلَّام للعبيد) فصلت : ٤٦ وحين ذكر المخاطبين منهم قال: العباد ، وكذلك قال حين ذكر الثمر من النخيل : (والنَّخْلَ باسقاتٍ) ق : ١٠ وقال : (أعجازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ) القمر : ٢٠ فتأمل الفرق بين الجمعين فى حكم البلاغة واختيار الكلام ، وأما فى مذهب أهل اللغة ، فلم يفرقوا هذا التفريق ، ولا نبهوا على هذا الغرض الدقيق .

شرح :

وقوله: فى كل مَبَرّ:هو مَفْعَل من البِرِّ ،يريد:فى مناسك الحج ومواضع الطاعة

وقوله : مثل نعام جافل لم يقسم . الجافل : من جفَلَت الغنم : إذا انقلعت بجملتها ، ولم يُقْسَم أى : لم يَتَوَزَّع ، ولم يتفرق .

وقوله : ليس يخاف منه شىء ما عَمَر . أى : ما عمر هذا الماء ، فإنه لا يؤذى ، ولا يُخاف منه ما يُخاف من المياه إذا أفرط فى شربها ، بل هو بركة على كل حال ، وعلى هذا يجوز أن يحمل قوله : لا تَنْزِفُ ، ولا تُذَم عاقبة شربها ، وهذا تأويلٌ سائغٌ أيضا إلى ما قدمناه من التأويل ، وكلاهما صحيح فى صفتها .

وقوله : وضرب [فى الباب] الغزالين(١) حلية الكعبة، وهو أول ذهبٍ حليت به الكعبة ، وقد قَدَّمنا ذكر الغزالين ، ومن أهداهما إلى الكعبة، ومن دفنهما من جُرْهم ، وتقدم أن أول من كسا الكعبة: تُبَّع ، وأنه أول من اتخذ لها غَلَقًا إلى أن

(١) ما بين قوسين زيادة من السيرة .

رفع المساهم

. . . .

ضرب لها عبدُ المطلب بابَ حديد من تلك الأسياف ، واتخذ عبدُ المطلب حوضا لزمزم يسقى منه ، فكان يُخرَّبُ له بالليل حَسَداً له ، فلما غَمَّه ذلك قيل له فى النوم : قل : لا أحلها لمغتسل ، وهى لشارب حِلٌّ وبِلٌّ(١) وقد كُفِيتهم ، فلما أصبح قال ذلك ، فكان بعدُ من أرادها بمكروه رُمِى بداء فى جَسَدِه ، حتى انتهوا عنه . ذكره الزهرى فى سيره .

بئار قريش بمكة :

وقوله : وكانت قريش قبل حفر زمزم قد اتخذت بِئارا بمكة . ذكروا أن قصيًا كانَ يسقى الْحَجِيجَ فى حياضٍ من أَدَم ، وكان ينقُل الماء إليها من آبارٍ خارجةٍ من مكة منها : بِئْرُ مَيْمُون الحَضْرَمِىِّ ، وكان يَنْبِذُ لهم الزبيبَ ، ثم احتفر قُصَىٌّ العَجُولَ فى دار أمِّ هانىء بنت أبى طالب ، وهى أول سِقاية

(١) بل: شفاء ،وقيل : بل: مباح بلغةحمير، وقد روى يونس بن بكير عن ابن إسحاق شعرا قاله عبد المطلب حينئذ وهو :

اللهم أنت الملك المحمود ربى أنت المبدى المعيد
وممسك الراسية الجلمود من عندك الطارف والتليد
إن شئت ألهمت كما تريد لموضع الحلية والحديد
فبين اليوم لما تريد إنى نذرت العاهد المعهود
اجعله رب لى فلا أعود

انظر ص ٢٤٦ ج ٢ البداية. هذا وفى السيرة عند قوله: «ثم أعطوا صاحب القداح» زدت كلمة «القداح» بعد جملة «أعطوا» من البداية ص ٢٤٦ ج ٢ ، وقد جعل عبد المطلب لزمزم حوضين . أحدهما : للشرب ، والآخر : للوضوء ، وقال : لا أحلها لمغتسل؛ لينزه المسجد عن أن يغتسل فيه ج ٢ ص ٢٤٧ بداية .

. . . .

احْتُفِرت(١) بمكة ، وكانت العربُ إذا اسْتَقَوْا منها ارْتَجزُوا ، فقالوا :

نُرْوى على العَجُول ، ثم ننطلِقْ إن قُصَيًّا قد وَفَى وقد صَدق

[بِشِبَعِ الحج ورى مُغْتَبِق](٢)

فلم تزل العَجُول قائمةً حياةَ قصيٍّ ، وبعد موته ، حتى كَبِرَ عبدُ مناف ابن قُصيٍ ، فسقط فيها رجلٌ من بنى جُعَيْل ، فعَطَّلوا الْعَجُول ، واندفنت ، واحْتَفَرَتْ كلُّ قبيلة بئرا ، واحتفر قُصَيٌّ سَجْلة ، وقال حين حفرها :

أنا قُصى ، وحفرت سَجْلَهْ تُرْوى الحَجِيجَ زُغْلَةً فَزُغْلَهْ(٣)

وقيل : بل حفرها هاشم ، ووهبها أسد بن هاشم لعَدِيّ بن نوفل ، وفى ذلك تقول خالدة بنت هاشم :

نحن وَهَبْنا لعَدِيٍّ سَجْـلَه تُرْوِى الحجيج زُغْلَةً فَزُغْلَهْ

وأما أم أحراد التى ذكرها ، فأحراد : جمع : حِرْد ، وهى قطعة من السَّنَام ، فكأنها سُمِّيَتْ بهذا ، لأنها تُنْبِت الشحم ، أو تُسَمِّن الإبل ، أو نحو هذا والحُرْد : القَطا(٤) الواردة للماء ، فكأنها تَرِدُها الْقَطا والطيرُ ، فيكون

---

(١) وفى المراصد: أن العجول أول بئر حفرت بمكة ، وقيل: حفرها عبد شمس قبل خم ، وقيل إن أصلها كانت ركية فى دار أم هانىء ، ثم وسعها قصى ، أو سماها كذلك

(٢) الزيادة من معجم البكرى . ومغتبق : أصل الغبوق — كصبور — مايشرب بالعشى . وغبقه: سقاه ذلك ، فاغتبق هو ، والمغتبق — بضم الميم وكسر الباء — من يفعل ذلك

(٣) الزغلة : الجرعة .

(٤) قطا حرد : سراع . وقال الأزهرى عن هذا : إنه خطأ . وذكر أن القطا ـــ

رفع المسهم

. . . .

أحْرَاد جمع : حُرْد بالضم على هذا . وقالت أُمَيَّة بنت عُمَيْلة بن السَّبَّاق بن عبدِ الدار امرأةُ العَوَّام بن خُوَيْلد حين حفرت بنو عبد الدار أمَّ أحْراد :

نحن حفَرْنا البَحر أمَّ أحرَادِ ليست كَبَذَّر البرور(١) الجمادِ

فأجابتها ضَرَّتُها : صفية بنت عبد المطلب أم الزبير بن العوام رضى الله عنه :

نحن حفَرْنا بَذَّرْ(٢) نسقى الحجيج الأكبرْ

من مُقبِل ومُدْبِرْ وأم أحْرادَ شَرْ(٣)

وأما جُراب ، فيحتمل أن يكون بمعنى : جَرِيب(٤) نحو : كبار وكبير ،

= الحرد هى القصار الأرجل ، وهى موصوفة بذلك . وفى المراصد عن أم أحراد أنها جمع حريد ، وهو المنفرد عن محلة القوم .

(١) هكذا ، وهى غير مناسبة للمعنى ، فلعلها : البثور بضم الباء والثاء : جمع بثر بفتح الباء وسكون الثاء ، وفى اللسان : أنها الكرار — بكسر الكاف — جمع كر المواضع الذى يجمع فيه الماء الآجن ، ليصفو ، ويقال للبخيل: جماد كقطام ذماله .

(٢) فى غير الروض : بثر بفتح فسكون ، والبثر أرض حجارتها كحجارة الحرة إلا أنها بيض ، والماء البثر فى الغدير إذا ذهب ، وبقى على وجه الأرض منه شىء قليل

(٣) البيت : وسقى الله أمواها ، لكثير عزة كما فى اللسان ، وكلها آبار بمكة ، وقال ابن برى : هذه كلها أسماء مياه ؛ بدليل إبدالها من قوله أمواها ، ودعا بالسقيا للأمواه ، وهو يريد أهلها النازلين بها .

(٤) الجريب من الطعام والأرض : مقدار معلوم ، والجريب : مكيال قدر أربعة أقفزة ، والجريب : قدر ما يزرع فيه من الأرض ، قال ابن دريد : لا أحسبه عربيا ، والجمع: أجربة وجربان . وقيل: الجريب المزرعة ، والجريبة: الوادى وجمعه أجربة . ولم أجد فى اللسان جرابا لجريب . ولا فى القاموس .

رفع
المسيهم
غفر الله له ولوالديه

. . . .

والجريب : الوادى ، والجريبُ أيضاً : مِكْيالٌ كبير ، والجريب أيضاً : المزرعة .

وأما مَلْكوم فهو عندى مقلوب ، والأصل : مَمْكُول من : مَكَلْتُ البئر : إذا استخرجت ماءها ، والمُكْلَةَ : ماء(١) الرَّكِيَّة ، وقد قالوا : بئر عَمِيقة ، ومَعِيقة ، فلا يبعد أن يكون هذا اللفظ كذلك يقال فيه : مَمْكول ومَلْكوم ، والمَلْكومُ فى اللغة : المظلوم إذا لم يكن مقلوبا (٢) .

وأما بَذَّر فمن التبذير ، وهو التفريق ، ولعل ماءها كان يخرج متفرقا من غير مكان واحد ، وهذا البناء فى الأسماء قليل ، نحو : شَلَّم وخَضَّم وبَذَّر ، وهى أسماء أعلام ، وشَلَّمُ : اسم بيت المقدس ، وأما فى غير الأعلام ، فلا يعرف إلا البَقَّم ، ولعل(٣) أصله أن يكون أعجميا ، فعرب .

(١) وضع اللسان ملكوم فى مادة لكم ، وفى المراصد : أنها اسم المفعول من لكمه ، وفيه أن المكلة بضم الميم وفتحها وسكون الكاف : جمة البئر . الجمة المكان الذى يجتمع فيه ماء البئر . أو أول مايستقى منها ، وفى اللسان: المكلة بضم الميم الشيء القليل من الماء يبقى فى البئر أو الإناء ، فهو من الأضداد وبئر مكولة : نزح ماؤها .

(٢) لم أجد الملكوم هذا المعنى لافى القاموس، ولافى اللسان، ولها معنى الدفع والضرب باليد مجموعة .

(٣) خضم : اسم عنبر بن تميم ، وقال اللسان عن شلم : إنها عبرانية ، وزاد من الأعلام : عثّر بفتح العين ، وتضعيف الثاء مع فتح — اسم باليمن ، أو واد من أودية العقيق ، أو مأسدة . وفى المراصد أن أهل اليمن ينطقون عثر بتخفيف الثاء وبإسكانها ، انظر المراصد ، ومعجم ما استعجم وياقوت . وفى اللسان أيضا : كتم بوزن عثر : اسم موضع . أما بقم فاسم شجر عظام أو خشبة . وبضم الميم مثل=

رفع المستهم

. . . .

وأما خُمّ وهى بئر مرة ، فهى من خَمَمْتُ البيتَ إذا كنستهُ ، ويقال : فلان مَخْمُومُ القلبِ أى : نَقِيُّه ، فكأنها سُمِّيت بذلك لنقائها .

وأما غَدِيرُ خمّ الذى عند الْجُحْفَة ، فسُمِّيَت بغَيْضَةٍ[1] عنده ، يقال لها : خُمّ فيما ذكروا . وأما رُمّ بئرُ بنى كلاب بن مُرَّةَ ، فمن رَمَمْتُ الشىء إذا جمعته وأصلحته ، ومنه الحديث : كنا أهل ثُمَّةٍ ورُمَّةٍ[2] ، ومنه : الرُّمَّان فى قول سيبويه ، لأنه عنده فُعْلَان ، وأما الأَخْفَشُ فيقول فيه : فُعَّالٌ ، فيجعَل فيه النُّونَ أصْلِيَّة ، ويقول : إن سَمَّيتَ به رجلا صَرَفته . ومن قول عبدِ شَمْسِ بن قُصَىٍّ :

═ سكر شجر جوز ، وزاد ابن مالك ، شمر ، اسم فرس ، فصارت ستة أسماء ، وقد نظم ابن مالك أكثرها فيما يأتى :

وبذر وبقم وشمر وخضم وعثر لفعل

ص ٦٣ جـ ٢ المزهر للسيوطى .

(١) الأجمة ، وهى مغيض ماء يجتمع ، فينبت فيه الشجر .

(٢) هو فى حديث أم عبد المطلب حين أخذه عمه منها : كنا ذوى ثمة ورمة . يقال ، ماله ثم ولا رم . فالثم : قماش البيت : والرم : مرمة البيت أى : متاعه كأنها أرادت : كنا القائمين بأمره منذ ولد إلى أن شب وقوى . وقيل : هو من قول أخوال أحيحة بن الجلاح . قال أبو عبيد : المحدثون يروونه بالضم ، والوجه عندى الفتح ، وهو إصلاح الشىء وإحكامه ، وهو ـ أى الثم والرم ـ بمعنى الإصلاح . وقيل : هما بالضم مصدران . والمعنى على قول أبى عبيدة : كنا أهل تربيته والمتولين لإصلاح شأنه ، وقد رواه الهروى فى حرف الراء من قول أم عبد المطلب ، ورواه فى حرف التاء من قول أخوال أحيحة ، ورواه مالك فى الموطأ عن أحيحة .

رفع المسهم

. . . .

حَفَرْتُ رُمًّا ، وحَفَرْتُ خُمَّا   حتى ترى المجدَ بها قد تَمّاً

وأما شُفَيَّةُ بئرُ بنى أسَدٍ ، فقال فيها الْحُوَيْرِثُ بن أسَدٍ :

ماء شُفَيَّة كماءِ الْمُزْنِ   وليس ماؤُها بطَرْقٍ أجْنِ (٢)

وأما سُنْبُلَةُ : بئر بنى جُمَح ، وهى بئرُ بنى خَلَفِ بنِ وَهْبٍ – فقال فيها شاعرهم :

نحن حفَرْنا للحجيجِ سُنْبُلَهْ   صَوْبَ سَحَابٍ ذوالجلال أنْزَلَهْ

ثم تركناها برأس الْقُنْبُلَهْ   تَصبُّ ماءً مثلَ ماءِ المعبله

نحن سَقَيْنَا الناسَ قبل الْمَسْئَلَهْ

من شرح شعر مسافر :

وأما الغَمْرُ : بئر بنى سَهْمٍ ، فقال فيها بعضُهم :

نحن حفرنا الْغَمْرَ لِلْحَجِيجِ   تَثُجُّ مَاءً أَيَّمَا ثَجِيجِ

ذكر أكثره أبو عُبَيْد الْبَكْرِى ، وبعضُ هذه الْأَرْجَازِ أو أكثره فى كتاب الزُّبَيْرِ بن أبى بكر رحمة الله عليه .

فصل : وذكر شعرَ مُسَافِرِ بن أبى عَمْرو بن أُمَيَّةَ . واسمُ أبى عمرو : ذَكْوَان ، وهو الذى يقول فيه أبو سفيان :

---

(١) هى سقية أو شفية ، وفى النسخة المطبوعة سنة ١٣٣٢ على هامش الروض : سقية .

(٢) الطرق : الماء الذى خوضته الإبل ، وبولت فيه ، والآجن : الماء المتغير الطعم واللون .

. . . .

لَيْت شِعْرِى مُسَافِرَ بن أبى عَمْـ ... رٍو ، ولَيْتٌ يقولها المَحْزُونُ

بُورِكَ المَيِّتُ الغريبُ كما بُو ... رِكَ نَضْحُ الرُّمَّانِ والزَّيْتُون(١)

فى شعرٍ يرثيه به ، وكان مات من حُبِّ صَعْبَة بنت الحضرمِىِّ .

وفى الشعر : ونَنحر الدَّلاَّفَةَ الرُّفُدا(٢)

الرُّفُدُ : جمع رَفُود من الرَّفد ، وهى التى تملأ إناءين عند الحلب .

وقوله :

ونُلْفِى عند تَصْرِيفِ المنايا شُدَّداً رُفُداً

هو جمع رَفُود أيضاً من الرِّفد وهو : العون ؛ والأول من الرَّفد بفتح الراء [وبكسرها] وهو إناء كبير قال الشاعر :

رُبَّ رَفْدٍ هَرَقْتُه ذلك اليَوْ ... م وأَسْرَى من مَعْشَرٍ أَقْتَالِ(٣)

---

(١) ينسب هذا فى اللسان إلى أبى طالب بن عبدالمطلب فى مادة نضح. والنضح تفطر الشجر بالورق.

(٢) فسر الخشنى فى شرحه للسيرة الدلافة بقوله : بالإبل التى تمشى متمهلة لكثرة سمنها . وفى اللسان ، المذلاقة بدلا من : الدلافة . وفسر المذلاقة بأنها الناقة السريعة . أما الدلاقة فى اللسان ، الدلوق والدلقاء : التى تنكسر أسنانها من الكبر فتمج الماء والرفود من الإبل التى تملأ الرفد — بكسر الراء وفتحها ـ القدح الضخم فى حلبة واحدة ، أو هى الدائمة على محلبها ، أو التى تتابع الحلب .

(٣) جمع قتل بكسر القاف ، وهو العدو أو الصديق والنظير وابن العم والشجاع والقرن . والرفد بفتح الراء وكسرها والمرفد — بكسر الميم وفتح =

رفع المسهم

. . . .

وذكر أمَّ عبدِ الله بن عَبْدِ المطلبِ ، وهى : فاطمة بنتُ عَمْرو بن عائِذِ ابن عِمْران(١) هكذا قال ابن هشام . وقال ابن إسحاق : عائِذُ بن عَبْدِ بن عمران ابن مَخْزُومٍ ، والصحيح ماقاله ابنُ هِشامٍ ؛ لأنَّ الزُّبَيْرِيِّينَ ذكروا أن عَبْداً هو أخو عائِذِ بن عِمْرانَ ، وأن بنتَ عبدٍ هى : صَخْرَةُ امرأة عَمْرو بن عائذٍ على قول ابن إسحاق ؛ لأنها كانت له عَمَّةً ، لا ابنتَ عمٍّ ، فتأمله ؛ فقد تكرر هذا النسَب فى السيرة مراراً ، وفى كل ذلك يقول ابن إسحاق : عائذ بن عَبْد ابن عِمْران ، ويخالفه ابنُ هِشامٍ . وصَخْرَةُ بنت عبدٍ أم فاطمة ، أمها : تَخْمُرُ بنتُ عبد بن قُصىٍّ ، وأم تَخْمُر : سَلْمَى بنت عُمَيْرَةَ(٢) بن وَدِيعة ابن الحارث بن فِهرٍ . قاله الزُّبَيْر :

= الفاء ، أو بفتح الميم وكسر الفاء — القدح العظيم ، وفى اللسان : هراقت السماء ماءها تهريق ، والماء مهراق . الهاء فى ذلك كله متحركة ، لأنها ليست أصلية ، إنما هى بدل من همزة : أراق ، وهرقت مثل أرقت . وقد نسبه إلى الأزهرى ، ونسب إليه أيضا أنه قال : ومن قال : أهرقت فهو خطأ فى القياس . ومثل هرقت ـ والأصل أرقت قولهم هرحت الدابة وأرحتها ، وهنرت النار وأنرتها . وقال أبو زيد : الهاء منها زائدة ، كما قالوا : أنهأت اللحم والأصل أنأته . وقال بعض النحويين إنما هو هراق يهريق ؛ لأن الأصل من أراق يريق يؤريق لأن أفعل يفعل كان فى الأصل يؤفعل . والجوهرى يقول : هراق الماء يهريقه بفتح الهاء هراقة — بكسر الهاء — صبه

(١) هى كذلك فى جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ١٣ ونسب قريش ص ١٧ وفى حذف نسب قريش للسدوسى ص ٥ .

(٢) فى نسب قريش : سلمى بنت عامرة بن عميرة الخ ص ١٧ .

رفع
المسا هم
غفر الله له ولوالديه

ذكر نذر عبد المطلب ذبح ولده

قال ابن إسحاق : وكان عبدُ المطَّلب بن هاشم -فيما يزعمون والله أعلم- قد نَذَر حين لَقِىَ من قُريش مالقى عند حَفْر زمزم : لئن وُلد له عشرةُ نَفَر، ثم بلغوا معه حتى يَمْنَعُوه، ليَنْحَرَنّ أحدَهم لله عندَ الكعبة. فلما توافى بنوه عشرةً، وعرف أنهم سيمنعونه، جَمَعهم، ثم أخبرهم بنَذْره، ودعاهم إلى الوفاء لله بذلك، فأطاعوه وقالوا: كيف نَصْنَع؟ قال : ليأخذ كلّ رجل منكم قِدْحا ثم يكتب فيه اسمَه، ثم ائتونى، ففعلوا، ثم أتَوْه، فدخل بهم على هُبَل فى جَوْف الكعبة، وكان هُبَل على بئر فى جوف الكعبة، وكانت تلك البئر هى التى يُجمع فيها ما يُهدى للكعبة.

وكان عند هُبَل قِداح سَبْعة، كل قِدْح منها فيه كتاب. قِدْح فيه العَقْل، إذا اختلفوا فى العَقْل مَنْ يَحْمِله منهم، ضربوا بالقداح السّبعة، فإن خرج العَقْل فعَلَى مَنْ خرَج حَمْلُه. وقِدْح فيه : نعم. للأمر إذا أرادوه يُضرب به فى القِداح، فإن خرَج قِدْح نعم، عملوا به. وقِدْح فيه: لا، إذا أرادوا أمراً ضربوا به فى القِداح، فإن خرج ذلك القِدْاح لم يفعلوا ذلك الأمر، وقِدْح فيه : مِنْكم، وقِدْح فيه مُلْصَق : وقدح فيه : مِنْ غيرِكم : وقِدْح فيه : المياه، إذا أرادوا أن يَحْفِروا للماء ضَرَبوا بالقِداح، وفيها ذلك القِدْح، فحيثما خرَج عملوا به.

وكانوا إذا أرادوا أن يختنوا غلاما، أو يُنْكِحوا منكحا، أو يَدْفنوا

مَيْتا ، أو شكوا فى نسب أحدهم ، ذَهبوا به إلى هُبَل وبمئة درهم وجَزور ، فأعَطَوْها صاحبَ القِداح الذى يَضْرب بها ، ثم قرّبوا صاحبَهم الذى يريدون به ما يريدون ، ثم قالوا : يا إلهنا هذا فلان بن فلان قد أردنا به كذا وكذا ، فأخْرِج الحقّ فيه . ثم يقولون لصاحب القداح : اضرب : فإن خرج عليه : منكم ، كان منهم وسيطا ، وإن خَرَج عليه : من غيركم ، كان حَليفا ، وإن خَرَج عليه : مُلصَق ، كان على مَنْزلته فيهم ، لانَسَب له ، ولا حِلف ، وإن خرج فيه شىء ، مما سِوَى هذا مماَّ يَعمَلون به : نعم عملوا به ، وإن خرج : لا ، أخَّروه عامَه ذلك ، حتى يأتوه به مرّةً أُخْرى ، ينتهون فى أمورهم إلى ذلك مما خرجتْ به القِداح .

فقال عبدُ المطلب لصاحب القِداح : اضربْ على بنىَّ هؤلاء بقِداحهم هذه ، وأخبره بنذره الذى نَذَر ، فأعطاه كلُّ رجل منهم قِدْحه الذى فيه اسمه ، وكان عبد الله بن عبد المطلب أصغرَ بنى أبيه ، كان هو والزُّبير وأبو طالب لفاطمة بنت عَمْرو بن عائذِ بن عبد بن عِمْران بن مخزوم بن يَقَظَة بن مُرّة بن كَعْب بن لُؤَىّ بن غالب بن فِهْر .

قال ابن هشام : عائذ بنُ عِمْران بن مَخزوم .

قال ابن إسحاق : وكان عبدالله — فيمايزعمون — أحبَّ وَلَدِ عبدالمطّلب إليه ، فكان عبدُ المطلب يرى أن السَّهْمَ إذا أخطأه فقد أشْوَى . وهو أبو رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلما أخذ صاحبُ القِداحِ القداحَ ليضرب بها ، قام عبدُ المطلب عند هُبَل يدعو الله ، ثم ضرب صاحبُ القِداح ، فخرج القِدْحُ

على عبد الله ، فأخذه عبدُ المطلب بيده وأخذ الشَّفرة ، ثم أقبل به إلى إساف ونائلة ليذبحه ، فقامت إليه قريش من أنديتها ، فقالوا : ماذا تريد يا عبدالمطلب ؟ قال : أذبحه ، فقالت له قُرَيش وبنوه : والله لا تذبحه أبداً ، حتى تُعْذَر فيه . لئن فعلتَ هذا لا يزال الرجلُ يأتى بابنه حتى يذبَحَهُ ، فما بقاء الناس على هذا ؟ ! وقال له الْمُغيرة بن عبد الله بن عَمْرو بن مخزوم بن يَقَظَة — وكان عبد الله ابنَ أخت القوم : والله لا تذبحه أبداً ، حتى تُعْذِر فيه ، فإن كان فداؤه بأموالنا فَدَيْناه . وقالت له قريش وبَنوه . لا تفعل ، وانطلق به إلى الحجاز ، فإنَّ به عرّافة لها تابع ، فسَلْها ، ثم أنت على رأس أمْرك ، إن أمرتكَ بذبحه ذبحته ، وإن أمرتك بأمر الك وله فيه فرَج قَبِلْته .

فانطلقوا حتى قدموا المدينةَ ، فوجدوها — فيما يزعمون — بخَيْبَر . فركبوا حتى جاءوها ، فسألوها ، وقص عليها عبدُ المطَّلب خبره وخبر ابنه ، وما أراد به ونَذْره فيه ، فقالت لهم : ارجعوا عنى اليومَ حتى يأتينى تابعى فأسأله . فرجعوا من عندها ، فلما خرجوا عنها قام عبدُالمطلب يدعو الله ، ثم غَدَوْا عليها ، فقالت لهم : قد جاءنى الخبرُ ، كم الدّية فيكم ؟ قالوا : عشر من الإبل ، وكانت كذلك . قالت : فارجعو إلى بلادكم ، ثم قرّبوا صاحبَكم ، وقرّبوا عشراً من الإبل ، ثم اضربوا عليها ، وعليه بالقِداح ، فإن خرجت على صاحبكم ، فزِيدُوا من الإبل حتى يَرْضى ربُّكم ، وإنْ خرجتْ على الإبل فانحروها عنه ، فقدرَضِى ربُّكم ، ونجا صاحبُكم .

نخرجوا حتى قَدِموا مكةَ ، فلما أجمعو على ذلك من الأمر ، قام

رفع المسا هم

عبدُ المطلب يدعو الله ، ثم قرّبوا عبدَ الله وعشراً من الإبل ، وعبدُ المطلب قائمٌ عند هُبَل يدعو الله عزّ وجلّ ! ! ثم ضربوا فخرج القِدْح على عبد الله ، فزادوا عشراً من الإبل ، فبلغت الإبلُ عشرين ، وقام عبدُ المطلب يدعو الله عزّ وجلّ ، ثم ضربوا فخرَج القِدْح على عبد الله ، فزادوا عشراً من الإبل ، فبلغت الإبل ثلاثين ، وقام عبدُ المطّلب يدعو الله ، ثم ضربوا ، فخرَج القِدْح على عبد الله ، فزادوا عشراً من الإبل ، فبلغت الإبل أربعين ، وقام عبدُ المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا ، فخرج القِدْح على عبد الله ، فزادوا عشراً من الإبل ، فبلغت الإبل خمسين ، وقام عبد المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا فخرَج القِدْح على عبد الله ، فزادوا عشراً من الإبل ، فبلغت الإبل ستّين ، وقام عبد المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا فخرج القِدْح على عبد الله ، فزادوا عشراً من الإبل ، فبلغت الإبل سبعين ، وقام عبدُ المطلب يدعو الله ، ثم ضرَبوا فخرج القِدْح على عبد الله ، فزادوا عشراً من الإبل ، فبلغت الإبل ثمانين ، وقام عبدُ المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا ، فخرج القِدْح على عبد الله ، فزادوا عشراً من الإبل ، فبلغت الإبل تِسْعين ، وقام عبد المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا ، فخرج القِدْح على عبد الله ، فزادوا عشراً من الإبل ، فبلغت الإبل مئة ، وقام عبدُ المطّلب يدعو الله ، ثم ضربوا فخرَج القِدْح على الإبل ، فقالت قريش ومَنْ حضر : قد انتهى رِضا ربِّك يا عبدَ المطلب ، فزعموا أن عبد المطلب قال : لا والله حتى أضربَ عليها ثلاثَ مرات ، فضربوا على عبد الله ، وعلى الإبل ، وقام عبد المطلب يدعو الله ، فخرج القِدْح على الإبل ، ثم عادوا الثانية ، وعبد المطلب قائم يدعو الله ، فضربوا ، فخرج القِدْح على

رفع
المسـاهم
عزالله لرطالدين

الإبل ، ثم عادوا الثالثة ، وعبد المطلب قائم يدعو الله ، فضربوا ، فخرج القِدْح على الإبل : فنُحِرَت : ثم تُركت لا يُصَدّ عنها إنسان ولا يُمْنع .

قال ابن هشام : ويقال : إنسان ولا سَبُعٌ .

قال ابن هشام : وبين أضعاف هذا الحديث رجز لم يصحّ عندنا عن أحد من أهل العلم بالشعر .

ذكر المرأة المتعرضه لنكاح عبد الله بن عبد المطلب

قال ابن إسحاق : ثم انصرف عبدُ المطلب آخذاً بيد عبد الله ، فمرّ به ـ فيما يزعمون ـ على امرأة من بنى أسَد بن عبد العزّى بن قُصىّ بن كِلاب ابن مُرّة بن كَعْب بن لُؤَىّ بن غالب بن فِهر : وهى أخت وَرَقة بن نَوْفل ابن أسد بن عبدالعُزّى : وهى عند الكعبة : فقالت له حين نظرت إلى وجهه : أين تذهب يا عبد الله ؟ قال : مع أبى . قالت : لك مثلُ الإبل التى نُحِرتْ عنك : وقَع علىّ الآن . قال : أنا مع أبى ، ولا أستطيع خِلافَه . ولا فراقه .

فخرج به عبدُ المطلب حتى أتى به وهبَ بن عبد مناف بن زُهْرة ابن كِلاب بن مُرّة بن كَعْب بن لُؤَىّ بن غالب بن فِهر ـ وهو يومئذ سيِّد بنى زُهْرة نسبا وشرَفا ـ فزوّجه ابنته آمنة بنتَ وَهْب ، وهى يومئذ أفضلُ امرأة فى قُرَيش نسبا وموضعا .

وهى لِبَرّة بنت عبد العُزّى بن عثمان بن عبد الدار بن قُصَىّ بن كِلاب ابن مُرّة بن كَعْب بن لؤَىّ بن غالب بن فِهر . وبَرّة : لأمّ حَبيب بنت

. . . .

أسد بن عبد العزّى بن قُصَىّ بن كِلاب بن مُرّة بن كَعْب بن لُؤَىّ بن غالب بن فِهر . وأمّ حَبيب : لِبَرّة بنت عَوْف بن عُبَيد بن عُوَيج بن عدىّ ابن كَعْب بن لُؤَىّ بن غالب بن فهر .

فزعموا أنه دخل عليها حين أُمْلِكها مكانَه ، فوقع عليها ، فحملتْ برسول الله — صلى الله عليه وسلم — ثم خرج من عندها ، فأتى المرأة التى عرضتْ عليه ما عرضتْ ، فقال لها : مالكِ لا تَعْرِضين علىّ اليومَ ما كنتِ عرضْتِ علىّ بالأمس ؟ قالت له : فارقكَ النورُ الذى كان معك بالأمس ، فليس [لى] بك اليومَ حاجةٌ . وقد كانت تَسْمع من أخيها ورقةَ بن نَوْفل — وكان قد تنصَّر واتبَّع الكُتُبَ : أنه كائنٌ فى هذه الأمة نبىّ .

قال ابن إسحاق : وحدثنى أبى إسحاقُ بن يَسار : أنه حُدّث ، أن عبد الله إنما دخل على امرأة كانت له مع آمنة بنت وَهْب ، وقد عمل فى طين له ، وبه آثارٌ من الطين ، فدعاها إلى نفسه ، فأبطأتْ عليه لِمَا رأت به من أثَر الطين ، فخرج من عندها فتوضّأ وغَسَل ما كان به من ذلك الطين ، ثم خرج عامدا إلى آمنة ، فمرّ بها ، فدعَتْه إلى نفسها ، فأبَى عليها ، وعَمَد إلى آمنة ، فدخل عليها فأصابها ، فحملتْ بمحمد — صلى الله عليه وسلم — ثم مرّ بامرأته تلك : فقال لها : هل لكِ ؟ قالت : لا ، مررتَ بى وبين عَيْنَيك غُرّة بيضاء ، فدعوتُك فأبيتَ علىّ ، ودخلتَ على آمنة فذَهَبَتْ بها .

قال ابن إسحاق : فزعموا أن امرأته تلك كانت تحدّث : أنه مرّ بها وبين عَيْنيه غُرّةٌ مثل غُرّة الفَرَس ، قالت : فدعوتُه رَجاءَ أن تكون تلك

. . . .

رفع المسهم

بى ، فأبَى علىّ ، ودخل على آمنة ، فأصابها ، فحملتْ برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فكان رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أَوْسَطَ قومه نسبا ، وأعظَمَهم شرفا من قِبَل أبيه وأمِّه ـ صلى الله عليه وسلم .

ذكر ما قيل لآمنة عند حملها برسول الله صلى الله عليه وسلم

ويزعمون ـ فيما يتحدّث الناس والله أعلم ـ أنّ آمنة ابنة وَهْب أمّ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كانت تحدّث :

أنها أُتِيَتْ ، حين حمَلَتْ برَسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقيل لها : إنك قد حملتِ بسيِّد هذه الأمة ، فإذا وقع إلى الأرض ، فقُولى : أُعِيذه بالواحد ، من شرّ كلّ حاسد ، ثم سمّيه : محمداً . ورأتْ حين حملت به أنه خرَج منها نورٌ رأتْ به قُصور بُصْرى ، من أرض الشام .

ثم لم يلبثْ عبدُ الله بن عبد المطلب ، أبو رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنْ هلَك ، وأُمُّ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم حاملٌ به .

نذر عبد المطلب :

فصل : وذكر نذَر عبد المطلبِ أن ينحَر ابنه إلى آخر الحديث . وفيه أن عبدَ الله ، يعنى : والدَ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان أصغرَ بنى أبيه ، وهذا غيرُ معروف ، ولعلّ الرواية : أصغر بنى أُمِّه ، وإلا فحمزَةُ كان أصغرَ من عبد الله ، والعباسُ : أصغرُ من حَمْزَةَ ، ورُوِى عن العباس ـ رضى اللهُ عنه ـ أنه قال : أذكر مولد رسولِ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأنا

. . . .

ابنُ ثلاثةِ أعوامٍ أو نحوِها ، فجيء بي حتى نظرت إليه ، وجعل النِّسْوةُ يقلن لي : قَبِّلْ أخاك ، قَبِّلْ أخاك ، فقبلته ، فكيف يصح أن يكونَ عبدُ الله هو الأصغر مع هذا ؟ ! ولكن رواه البَكّائيُّ كما تقدم ، ولروايته وجه ، وهو أن يكونَ أصغرَ ولد أبيه حين أراد نحرَه ، ثم وُلد له بعد ذلك حَمْزَةُ والعباسُ .

وسائرُ حديث عبد المطلب ليس فيه ما يُشْكِل . وفيه أن الدِّيَةَ كانت

---

(١) أولاد عبد المطلب هم — كما فى نسب قريش : عبد الله ، وأبو طالب — واسمه : عبد مناف — والزبير ، وأم حكيم البيضاء الملقبة بالحصان — بفتح الحاء — توأمة عبد الله والد الرسول — صلى الله عليه وسلم — وعاتكة ، ومرة ، وأميمة ، وأروى أمهم : فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم ، وحمزة ، والمقوم ، وحجل أو جحل — واسمه : المغيرة — وصفية وأمهم : هالة بنت أهيب بن عبد مناف بن زهرة ، والعباس وضرار ، وأمهما نتيلة بنت جناب ابن كليب ، والحارث وهو أكبر ولده ، وبه كان يكنى — وقثم هلك صغيرا وأمهما : صفية بنت جندب بن حجير بن رئاب ، وأبو لهب — واسمه عبدالعزى — وأمه : لبنى بنت هاجر بن عبد مناف . والغيداق — واسمه : مصعب ، وأمه خزاعية وفى جمهرة أنساب العرب : عبد الله ، وأبو طالب ، وأبو لهب ، ويكنى أبا عتبة والزبير والمقوم والحارث وحمزة والعباس ، وأربع بنات . فعبد الله ، وأبو طالب والزبير وأم حكيم ، وعاتكة ، ومرة ، وأميمة ، وأروى . أشقاء من أم واحدة .

وحمزة والمقوم وحجل وصفية أشقاء من أم واحدة .

والعباس وضرار شقيقان ، والحارث ، وقثم شقيقان ، وأبو لهب من أم ، والغيداق من أم .

. . . .

بعشرٍ من الإبل قبل هذه القصة : وأول من وُدِى بالمائة إذاً : عبدُ الله . وقد قَدَّمْنَا ما ذكره الأصْبَهانِىُّ عن أبى الْيَقْظَانِ أن أبا سَيَّارة هو أول من جَعَل الدِّيَةَ مائةً من الإبل ، وأما أولُ مَنْ وُدِى بالإبل من العربِ : فَزَيْدُ ابن بَكْر بن هَوَازِنِ قتله أخوه معاويةُ جَدُّ بنى عامر بن صَعْصَعَةَ (١) .

وأما الكاهنةُ التى تحاكموا إليها بالمدينة فاسمها : قُطْبَةُ . ذكرها عبد الغنى فى كتاب الغوامض والمبهمات ، وذكر ابن إسحاق فى رواية يونس أن اسمها : سَجَاح .

تزويج عبد الله :

فصل : وذكرَ تزويجَ عبدِ اللهِ بن عبدِ المطلبِ آمنةَ بنت وَهْبٍ ، وذكر الْبَرْقِىُّ فى سَبَبِ تَزْوِيجِ عبدِ اللهِ آمنةَ : أن عبدَ المطلبِ كان يأتى اليمنَ ، وكان ينزل فيها على عظيم من عظمائهم ، فنزل عنده مَرَّةً ، فإذا عندَه رجلٌ مِمَّن قرأ الكتبَ ، فقال له : ائْذَنْ لى أَقِسْ مَنْخِرَكَ (٢) ، فقال : دُونَكَ فانظر ، فقال : أرى نُبُوَّةً ومُلْكا ، وأراهما فى الْمَنَافَيْنِ : عبدِ منافِ بن قُصَىّ ، وعبدِ مَنَافِ بن زهرة ، فلما انصرف عبدُ المطلب انطلق بابنه عبدِ الله ،

---

(١) اسم زيد فى جمهرة أنساب العرب : يزيد . وفيه أيضا أن يزيد هو الذى قتل معاوية ، فجعل فيه عامر بن الظرب العدوانى مائة من الإبل ، وهى أول دية قضى فيها بذلك ، وتقول العرب إن لقمان كان جعلها قبل ذلك مائة جدى . ص ٢٥٢ جمهرة ابن حزم .

(٢) فى القاموس — بفتح الميم والخاء وبكسرهما وضمهما ، وكمجلس وملمول « بضم الميمين » : الأنف .

رفع المسـ هم

. . . .

فتزوج عبدُ المُطَّلِبِ هالَةَ بنتَ وُهَيْبٍ (١) ، وهى أم حمزة - رضى الله - عنه ، وزَوَّج ابنَه عبدَ اللهِ آمنةَ بنت وَهْبٍ ، فولدت له رسول الله - صلى الله عليه وسلم .

حول أمهات النبي صلى الله عليه وسلم :

وذكر أمَّها وأمَّ أمِّها ، والثالثةَ وهى : بَرَّةُ بنت عَوْفٍ (٢) ، وقد قدمنا فى أول المولدِ ذكر أم الثالثة والرابعة والخامسة (٣) ونسبَهن ، فليُنْظَر هنالك .

وأمَّا أمُّ هالة فهى : الْعَبْلَةُ بنت المطلب ، وأمها : خديجة بنت سُعَيْد بن سَهْم (٤) ، وقد أُشكل على بعض الناسِ فى هذا الخبر أن عبدَ المطلب نَذَر

---

(١) فى نسب قريش : أهيب ص١٧ ، وفى جمهرة ابن حزم ص ١٣ : وهيب .

(٢) فى السيرة : برة بنت عوف بن عبيد بن عويج . وفى كتاب حذف نسب قريش للسدوسى ص ٦ : ضبطت عَوِيج بفتح العين وكسر الواو . وأكثر المراجع ذكرته بضم العين وفتح الواو .

(٣) فى نسب قريش عن أم برة : «وأمها أميمة بنت مالك بن غنم بن حنش ابن عادية بن كعب بن طابخة بن لِحيان بن هُذيل ، وأمها : قلابة بنت الحارث - وهو أبو قلابة الشاعر ، وهو أقدم من قال الشعر فى هذيل . واسم أبى قلابة : الحارث بن صعصعة بن كعب بن طابخة بن لحيان بن هُذَيل . وأمها : دَبَّةُ بنت الحارث بن تميم وأمها : لبنى بنت الحارث بن النَّمْر بن جَرْوَة بن أُسَيِّد بن عمرو بن تميم بن مُرّ بن أد بن طابخة بن الياس ص ٢١ وأم حبيب بنت أسد المذكورة فى السيرة سماها السدوسى : حبيبة ص ٦ .

(٤) فى نسب قريش ص ٩٢ ذكر أن أمها هى خديجة بنت سعيد بن بحر بن سهم بن عمرو بن هُصَيْص ولكنه ذكر فى ص ١٧ أن أمها هى خديجة بنت سُعَيْد بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص : وليس لسهم بن عمرو ولد اسمه

رفع عبد الرحمن المسهم

نحرَ أحدِ بنيه إذا بلغوا عشرة ، ثم ذكر ابنُ إسْحَاق أن تزويجه هالَةَ أمَّ ابنِه حَمزةَ كان بعد وفائه بنذره ، لحمزةُ والعباس ـ رضى الله عنهما ـ إنما وُلدا بعد الوفاء بنذره ، وإنما كان جميعُ أولاده عشرة . ولا إشكال فى هذا ، فإن جماعةً من العلماء قالوا : كان أعمامُهُ ـ عليه السلام ـ اثْنَىْ عشرَ ، وقاله أبو عُمَر ، فإن صح هذا فلا إشكالَ فى الخبر ، وإن صح قولُ مَن قال : كانوا عشرةً بلا مزيدٍ ، فالولدُ يقع على البنين وبنيهم حقيقةً لا مجازا ، فكان عبدُ المطلب قد اجتمع له من وَلَدِه وَوَلَدِ وَلَدِه عشرةُ رجالٍ حين وَفى بنذرِه .

المرأة التى دعت عبد الله :

ويروى أن عبدَ اللهِ بن عبد المطلب حين دعته المرأةُ الأَسَدِيَّةُ إلى نفسها لِمَا رأت فى وجهِه من نورِ النُّبُوّة ، ورجت أن تحملَ بهذا النبى ، فتكون أمَّه دون غيرها ، فقال عبد الله حينئذ فيما ذكروا :

أما الحَرَامُ فالحِمَامُ دونَهْ ... والحِلُّ لا حِلَّ فأستبينَهْ

فكيف بالأمرِ الذى تبغينَه ... يحمى الكريمُ عِرضَه ودينَهْ ؟!

واسم هذه المرأة : رقيةُ (١) بنت نَوْفل أختُ ورقة بن نَوْفل ؛ تُكَنَّى : أمَّ

= بحر . وإنما كل ولده سعد وسعيد ورئاب . ومن ولد سعد : سُعَيْسُدٌ الذى أعقب أولادا منهم : خديجة هذه التى يذكر أنها أم عبلة . انظر ص ٤٠٠ ، ٤٠٦ نسب قريش ، ولم يذكر من أولاد سعيد بن سهم من اسمها خديجة ، وإنما قال : إن أمها بنت سعيد بن سهم ص ٤٠٨ وانظر ص ١٥٤ وما بعدها جمهرة النسب .

(١) فى البداية جـ ٢ ص ٢٦٢ أن اسمها رُقَيْقَة . وقد روى ذلك البيهقى من طريق يونس بن بكير عن ابن إسحاق وانظر ص ٥٣ من شرح السيرة للخشنى .

. . . .

قتال ، وبهذه الكُنْيَةِ وقع ذكرُها فى رواية يُونُسَ عن ابن إسحاقٍ ، وذكر البَرْقِيُّ عن هِشام بن الكَلْبِيِّ ، قال : إنما مر على امرأةٍ اسمها : فاطمة (١) بنت مُرٍّ ، كانت من أجمل النساء وأعفهن (٢) ، وَكانت قرأت الكتبَ ، فرأت نورَ النُّبُوَّةِ فى وجهِه ، فدعته إلى نكاحِها ، فأبى ، فلما أبى قالت :

إنى رأيتُ مُخِيلَةً نَشَأَتْ فتَلَألَاتْ بِحَنَاتِمِ القَطْرِ (٣)
فَلَمَأْتُها نُورًا يُضِىءُ به ما حَوْلَه كإضاءةِ الفَجْرِ (٤)
ورأيتُ سُقْيَاهَا حيًا بَلَدٍ وَقَعَتْ به وعِمَارَةَ القَفْرِ (٥)

(١) كانت - كما روى الخرائطى - كاهنة من أهل تَبالة متهودة خثعمية ، وأنها عرضت عليه مائة من الإبل ليقع عليها فى لحظتها ، فأبى . وأقول : لم ترد مسألة النور هذه فى صحاح الأحاديث ، ولا يرفع من قيمة النبى - صلى الله عليه وسلم - أن نردد هذا . وقرابة بنى زهرة بن كلاب من رسول الله «ص» من وجهين . أحدهما : أنهم أقارب أمه ، والثانى : إخوة قصى بن كلاب بن مرة ، وهو جد والد جد النبى . والمشهور أن زهرة اسم الرجل - وهو المغيرة - أما ابن قتيبة ، فيقول : إنه اسم امرأته ص ٤١٧ ج ١١ فتح البارى .

(٢) فى الأصل وأعفه .

(٣) الشعر ينسب أيضا إلى الخثعمية الكاهنة التى عرضت نفسها على عبد الله والمخيلة : السحابة التى تخالها ماطرة وهى بضم الميم وفتحها . وحناتم : جمع حنتمة : السحابة السوداء لامتلائها من الماء ، وفى الطبرى : لمعت بدلا من : نشأت .

(٤) لمأتها : أبصرتها .

وفى الطبرى : له ، والبدر بدلا من به ، والفجر ، والبيت فى اللسان .

(٥) لا يوجد هذا البيت فى الطبرى .

رفع المستهم

ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام قال : حدثنا زياد بن عبد الله البكائى عن محمدابن إسحاق قال : وُلد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم الاثنين ، لاثنتى عشرة ليلة خلتْ من شهر ربيع الأوّل ، عامَ الفيل .

قال ابن إسحاق : وحدثنى المطَّلب بن عبد الله بن قَيْس بن مَخْرَمَةَ عن أبيه عن جَدِّه قيس بن مَخْرَمَةَ . قال :

ولدتُ أنا ورسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عامَ الفيل : فنحن لِدَتَانِ .

قال ابن إسحاق : وحدثنى صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عَوْف ، عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سَعْدِ بن زُرَارَةَ الأنصارىّ . قال : حدثنى من شِئْت من رجال قومى عن حسَّان بن ثابت ، قال : والله إنى لغلام يفَعَة ، ابن سبع سنين أو ثمان ، أعْقِل كلَّ ما سمعت ، إذ سمعتُ يهوديا يصرخ بأعلى صوته على أطَمَةٍ بيَثْرِبَ : يامعشر يهود ! حتى إذا اجتمعو إليه ، قالوا له : ويلك مالك ؟ ! قال : طَلَع الليلةَ نجمُ أحمد الذى وُلد به .

ورأيتُه شَرَفًا أبوه به(١) ما كُلُّ قادِحِ زَنْدِه يُورِى

لِلّهِ ما زُهْرِيَّةٌ سَلَبَتْ منك الذى اسْتَلَبَتْ وماتَدْرِى(٢)

وفى غريب ابن قتيبة : أن التى عرضت نفسها عليه هى : ليلى الْعَدَوِيَّة .

---

(١) فى الطبرى : فرجوتها فخرا أبوه به .

(٢) فى الطبرى : ثوبيك ما استلبت وما تدرى . هذا وقد ذكر الطبرى لها قصيدة أخرى عدتها ست أبيات وجاء فى آخرها .

ولما حوت منه أمينة ما حوت حوت منه فخرا ما لذلك ثان

رفع المسهم

قال محمد بن إسحاق : فسألت سعيد بن عبد الرحمن بن حسَّان بن ثابت ، فقلت . ابنُ كَمْ كان حسَّان بن ثابت مَقْدَمَ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ المدينة ؟ فقال : ابن ستِّين ، وقَدِمَها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو ابن ثلاث وخَمْسين سنةً ، فسمع حسَّانُ ما سَمِع ، وهو ابن سبع سنين .

قال ابن إسحاق : فلما وضعتْه أمُّهُ ـ صلى الله عليه وسلم ـ أرسلت إلى جدّه عبدِ المطلب : أنه قد وُلد لك غلام ، فأْتِه فانظر إليه ، فأتاه فنظر إليه ، وحدَّثته بما رأت حين حَمَلتْ به ، وما قيل لها فيه ، وما أُمرتْ به أن تُسمِّيه .

فيزعمون أن عبد المطلب أخذه ، فدخل به الكعبةَ ، فقام يدعو الله ، ويشكر له ما أعطاه ، ثم خرج به إلى أمِّه فدَفعه إليها ، والتمس لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الرضعاء .

قال ابن هشام : المراضع . وفى كتاب الله تبارك وتعالى فى قصة موسى عليه السلام : « وحَرَّمْنا عَلَيْه المرَاضع » .

قال ابن إسحاق : فاسترضع له امرأةً من بنى سَعْدِ بن بكر ، يقال لها : حليمة ابنةُ أبى ذُؤَيب .

وأبو ذؤيب : عبد الله بن الحارث بن شِجْنة بن جابر بن رِزَام بن ناصرة بن فُصَيّة بن نَصْر بن سَعْدِ بن بكر بن هوَازن بن مَنْصور بن عِكرمة ابن خَصَفة بن قَيْس بن عَيْلان [بن مضر] .

. . . .

واسم أبيه الذى أرضعه ـ صلى الله عليه وسلم ـ الحارثُ بن عَبْدِ العُزّى ابن رفاعة ابن مَلاّن بن ناصرة بن فُصيَّة بن نَصْر بن سَعْدِ بن بَكْر ابن هَوازن .

قال ابن هشام : ويقال : هلال بن ناصرة .

قال ابن إسحاق : وإخوته من الرضاعة : عبد الله بن الحارث ، وأُنَيْسة بنت الحارث ، وخِدامة بنت الحارث ، وهى الشَّيْماء ، غلب ذلك على اسمها فلا تُعرف فى قومها إلا به . وهم لحليمة بنت أبى ذُؤَيب ، عبدِ الله بن الحارث ، أمّ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم .

ويذكرون أن الشَّيْماء كانت تَحْضُنُهُ مع أمها إذا كان عندهم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى جَهْم بن أبى جَهْم مولى الحارث بن حاطب الجُمَحِىّ : عن عبد الله بن جَعْفر بن أبى طالب ، أو عمّن حدّثه عنه قال :

كانت حليمة بنت أبى ذُؤَيب السَّعْدية ، أمُّ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ التى أرْضعته ، تحدّث : أنها خرجتْ من بَلَدها مع زوجها ، وابن لها صغير تُرضعه فى نِسْوة من بنى سَعْد بن بَكْر ، تلتمس الرضعاء ، قالت : وذلك فى سنة شَهْباء ، لم تُبْق لنا شيئاً . قالت : فخرجتُ على أتان لى قَمْراء ، معنا شارف لنا ، والله ما تَبِضّ بقطرة ، وما ننام ليلَنا أجمعَ من صَبيِّنا الذى معنا ، من بكائه من الجوع ، مافى ثدييّ ما يُغنيه ، وما فى شارفنا ما يغذّيه ـ قال ابن هشام : ويقال : يُغَذِّيه ـ ولكنّا كنّا نرجو الغيثَ والفرج ، فخرجت على أتانى

تلك ، فلقد أدَمْتُ بالرَّكب ، حتى شقّ ذلك عليهم ضعفاً وعَجَفا ، حتى قَدِمْنا مكة نلتمس الرضعاء ، فما منّا امرأة إلا وقد عُرض عليها رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - فتأباه ، إذا قيل لها إنه يَتيم ، وذلك : أنا إنما كنّا نرْجو المعروفَ من أبى الصبيِّ ، فكنّا نقول : يتيم ! وما عسى أن تَصْنع أمُّه وجَدُّه ! فكنا نكرهه لذلك ، فما بقيت امرأة قدمتْ معى إلا أخذتْ رضيعا غيرى ، فلمّا أجْمعنا الانطلاقَ قلت لصاحبى : والله إنى لأكره أن أرجعَ من بين صَواحبى ولم آخذْ رضيعاً ، والله لأذهبنّ إلى ذلك اليَتيم ، فلآخذنّه ، قال : لا عليكِ أن تَفْعلى ، عسى الله أن يجعلَ لنا فيه بركةً . قالت : فذهبتُ إليه فأخذته ، وما حَمَلنى على أخْذه إلا أنى لم أجد غيرَه . قالت : فلما أخذتُه ، رجعت به إلى رَحْلى فلما وضعته فى حِجْرى أقبلَ عليه ثَدياى بما شاء من لبن ، فشرب حتى رَوِىَ ، وشرب معه أخوه حتى رَوِىَ ، ثم ناما ، وما كنّا ننام معه قبلَ ذلك ، وقام زوجى إلى شارفنا تلك ، فإذا إنها لَحافِلٌ ، فحَلَب منها ما شَرِب ، وشربتُ معه حتى انتهينا رِيًّا وشِبَعا ، فبتنا بخير ليلة . قالت : يقول صاحبى حين أصْبحنا . تَعلَّمى والله يا حَليمة ، لقد أخذت نَسمة مباركة ، قالت : فقلت : والله إنى لأرجو ذلك . قالت : ثم خرجنا وركبت أتانى ، وحملتُه عليها معى ، فوالله لقطعتْ بالرَّكب ما يقدر عليها شىء من حُمُرهم ، حتى إنّ صَواحبى ليقلْن لى : يابنة أبى ذُؤَيب ، ويحك ! ارْبَعِى علينا ، أليست هذه أتانك التى كنت خرجت عليها ؟ فأقول لهن : بلى والله ، إنها لهى هى ، فيقلن : والله إن لها لشأنا . قالت : ثم قدمنا منازلَنا من بلاد بنى سَعد . وما أعلم أرضاً من أرض الله أجدَب منها . فكانت غنَمى تروح علىّ حين قَدِمْنا به معنا شِباعا لُبْناً . فنحلُب ونشرب .

وما يحلُب إنسان قَطْرةَ لبن ، ولا يجدها فى ضَرْع . حتى كان الحاضرون من قَوْمنا يقولون لرُعْيانهم : ويلكم اسْرَحوا حيث يسرَح راعى بنت أبى ذُؤَيب فتروح أغنامُهم جياعا ما تَبِضُ بقطرة لبن ، وتروح غنمى شباعا لُبَّناً ، فلم نزل نتعرّف من الله الزيادةَ والخير حتى مضت سنتاه وفصلتُه ؛ وكان يشِبّ شبابا لا يشِبُّه الغِلمان ، فلم يبلغ سنَتَيْه حتى كان غلاما جَفْراً . قالت : فقدِمْنا به على أمِّهِ ونحن أحرصُ شيء على مُكثه فينا ؛ لما كنَّا نرى من بركته . فكلَّمنا أمّه ، وقلت لها : لو تركتِ بُنَيّ عندى حتى يغلُظَ ، فإنى أخشى عليه وَبأ مكة ، قالت : فلم نزل بها حتى ردّته معنا

قالت : فرجعنا به ، فوالله إنه بعد مَقْدَمنا بأشهر مع أخيه لفى بَهْمٍ لنا خلف بيوتنا ، إذ أتانا أخوه يشْتد ، فقال لى ولأبيه : ذاك أخى القُرشى قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض ، فأضجعاه ، فشقَّا بطنَه ، فهما يسُوطانه قالت : فخرجت أنا وأبوه نحوه ، فوجدناه قائما مُنْتَقِعا وجهُه . قالت : فالتزمته والتزمه أبوه ، فقلنا له : مالك يا بنىّ ، قال : جاءنى رجلان عليهما ثياب بيض ، فأضجعانى وشقَّا بطنى ، فالتمسا شيئاً لا أدرى ما هو . قالت : فرجعنا إلى خبائنا .

قالت : وقال لى أبوه : يا حَليمة ، لقد خشيتُ أن يكون هذا الغلامُ قد أُصيب ، فألْحقيه بأهله قبل أن يظهر ذلك به ، قالت : فاحتملناه ، فقدِمْنا به على أمّه ، فقالت : ما أقدمك به يا ظِئْرُ ، وقد كنتِ حريصةً عليه ، وعلى مُكْثه عندك ؟ قالت : فقلت : قد بلغ الله بابنى وقضيتُ الذى علىّ ، وتخوّفت

الأحداث عليه ، فأدّيته إليك كما تحبين . قالت : ما هذا شأنك ، فاصدقينى خبرك . قالت : فلم تدعْنى حتى أخبرتُها . قالت : أفتخوّفت عليه الشيطانَ ؟ قالت : قلت : نعم ، قالت : كلا . والله ما للشيطان عليه من سَبيل ، وإن لبُنَىَّ لشأنا ، أفلا أخبرُك خبرَه . قالت: بلى . قالت : رأيت حين حملت به : أنه خرج منى نورٌ أضاء لى قُصورَ بُصْرَى من أرض الشام . ثم حملت به ، فوالله ما رأيت من حَمْل قطُّ كان أخفَّ ولا أيسرَ منه ، ووقع حين ولدته ، وإنه لواضعٌ يدَيْه بالأرض ، رافع رأسَه إلى السماء . دعيه عنك ، وانطلقى راشدةً .

قال ابن إسحاق : وحدّثنى ثَور بن يزيد ، عن بعض أهل العلم ، ولا أحسبه إلا عن خالد بن مَعْدان الكَلاعى : أنّ نفراً من أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قالوا له : يارسول الله . أخبرْنا عن نَفْسك ؟ قال : نعم ، أنا دعوة أبى إبراهيم ، وبُشْرى أخى عيسى ، ورأت أمى حين حملتْ بى أنه خرج منها نور أضاء لها قُصورَ الشام ، واستُرْضعتُ فى بنى سَعْد بن بَكْر . فبينا أنا مع أخٍ لى خلفَ بيُوتنا نرعى بَهْماً لنا . إذ أتانى رجلان عليهما ثيابٌ بيض بطَسْت من ذهب مملوءة ثلجا . ثم أخذانى فشقَّا بطنى، واستخرجا قَلْبى، فشقّاه. فاستخرجا منه عَلَقةً سوداء فطرحاها . ثم غَسَلا قلبى وبطنى بذلك الثلج حتى أنْقَياه ، ثم قال أحدُهما لصاحبه: زِنْه بعشرة من أمَّته ، فوزَنَنى بهم فوزنتهُم ، ثم قال : زنه بمئة مِن أمَّته . فوزننى بهم فوزنتهُم ، ثم قال : زنه بألف من أمَّته ، فوزننى بهم فوزنتهم . فقال : دعه عنك ، فوالله لو وزنته بأمته لوزنها .

. . . .

فصل فى المولد

فى تفسير بَقِىٍّ بن مَخْلَد أن إبليسَ – لعنه اللهُ – رَنَّ أربعَ رَنَّاتٍ : رَنَّةً حين لُعِن ، ورَنَّةً حين أُهْبِطَ ، ورَنَّةً حين وُلِد رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – ورَنَّةً حين أُنزلت فاتحةُ الكتاب . قال : والرَّنينُ والنُّخارُ (١) من عملِ الشيطانِ . قال : ويُكرَه أن يقال : أمُّ الكتابِ ، ولكن : فاتحةُ الكتاب . وروى عن عُثْمانَ بن أبى العاص عن أمه أمِّ عثمان (٢) الثَّقَفِيَّة ، واسمُها : فاطمةُ بنت عبد الله ، قالت : «حضرتُ ولادةَ رسولِ الله – صلى اللهُ عليه وسلم – فرأيتُ البيتَ حين وُضِعَ قد امتلأ نوراً ، ورأيت النجومَ تدنو حتى ظننتُ أنها ستقع عَلَىَّ » . ذكره أبو عُمَر فى كتاب النساء . وذكره

---

(١) الرنة : الصيحة الشديدة ، والصوت الحزين عند الغناء أو البكاء . والنخار صوت يخرج من الخياشيم .

(٢) فى الأصل : « أبى العاص أمه عن أم عثمان » والتصويب من كتب السنة وقد أسلم عثمان هذا فى وفد ثقيف ، واستعمله النبى على الطائف ، وأقره أبو بكر ، ثم عمر . وهو الذى منع ثقيفا عن الردة إذ خطبهم ، فقال : كنتم آخر الناس إسلاما ، فلا تكونوا أولهم ارتدادا ، وجاء عنه أنه شهد آمنه لما ولدت النبى صلى الله عليه وسلم ، وهى قصة أخرجها البيهقى فى الدلائل والطبرانى من طريق محمد بن أبى سويد الثقفى عنه ، قال : حدثتنى أمى : فعلى هذا يكون عاش نحوا من ١٢٠ سنة « الإصابه رقم ٥٤٣٣ » وحديثها لم يروه سوى البيهقى والطبرى وابن عبد البر . ويقول الزركشى : إن ولادة النبى « ص » كانت نهاراً ، ونقل تضعيف ابن دحية لرواية تدلى النجوم ليلة مولده .

رفع المسهم

. . . .

الطَّبَرِيُّ أيضاً فى التاريخ (١) . ووُلِدرسولُ اللهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ مَعْذُورا مَسْرُورا ، أى : مَخْتُونا مَقْطوع السُّرَّة (٢) يقال : عُذِرَ الصَّبِيُّ وأُعْذِر . إذا خُتِن ، وكانت أمُّه تحدِّث أنها لم تجد حين حَمَلَتْ به ما تجده الحواملُ من ثِقَلٍ ولا وَحَمٍ ، ولا غير ذلك ، ولما وضعته ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقع إلى الأرضِ مَقْبُوضَةأصابِــعُ يديه ، مُشيراً بالسَّبَّابَةِ كالمُسَبِّحِبها ، وذكر ابنُدُرَيْدٍ أنه ألقيت عليه جَفْنَةٌ لئلا يراه أحدٌ قبل جده ، فجاء جدُّه ، والجَفْنَةُ قد انفَلَقَتْ عنه (٣) ، ولما قيل له : ما سَمَّيْتَ ابنَك ؟ فقال : محمداً ، فقيل له :

(١) ص ١٥٦ جـ ٢ الطبرى .

(٢) ضعف ابن كثير كل الأحاديث التى رويت عن هذا ثم قال: «وقد ادعى بعضهم صحته لما ورد له من الطرق ،حتى زعم بعضهم أنه متواتر ، وفى هذا كله نظر » وقال عن الحديث الذى زعم فيه الراوى أن جبريل ختن النبى : « وهذا غريب جدا » . ثم قال : «وقد روى أن جده عبد المطلب ختنه ، وعمل له دعوة جمع قريشاًعليها »ص ٢٦٥ جـ ٢البداية .وقال ابن القيم فى زاد المعاد:«إنه روى فى كونه ولدمختوناًمسروراحديث لايصح،ذكره ابن الجوزى فى الموضوعات» ثم قال : وليس فيه حديث ثابت ، وليس هذا من خواصه ، فإن كثيرا من الناس يولد مختونا ،ويقول ابن العديم : إنه صلى الله عليه وسلم ختن على عادة العرب .

(٣) الذى ذكره ابن دريد : « وكانت سنتهم فى المولود إذا ولد فى استقبال الليل كفئوا عليه قدرا حتى يصبح ، ففعلوا ذلك بالنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأصبحوا ، وقد انشقت عنه القدر » ص ٨ الاشتقاق ط ١ السنة المحمدية ، ولم يسندها إلى أحد .وأقول :كل ما سبق ذكره لم يرد فى حديث يعتد به . وليس الرسول عليه الصلاة والسلام فى حاجة إلى أن نكذب له ، وليس من الصلاة عليه أن نكذب عليه ! !

رفع
المسلم
عز الله لحمل اللة

كيف سمَّيت باسمٍ ليس لأحدٍ من آبائك وقومك ؟ ! فقال : إني لأرجو أنْ يَحْمَدَه أهلُ الأرضِ كلُّهم(١) ، وذلك لرؤيا كان رآها عبدُ المطلب ، وقد ذكر حديثَها عَلِيٌّ القيرَوانيُّ العابر في كتاب البُستان . قال : كان عبدُ المطلبِ قد رأى في منامه كأنَّ سِلْسِلَةً من فِضَّةٍ خرجت من ظَهْرِه لها طَرَفٌ في السماء وطرَفٌ في الأرضِ ، وطرف في المشرقِ ، وطَرَف في المَغْرِب ، ثم عادت كأنها شَجَرَةٌ ، على كُلِّ ورقة منها نورٌ ، وإذا أهلُ المشرِقِ والمَغْرِبِ كأنهم يَتَعَلَّقُون بها ، فقصَّها ، فَعُبِّرت له بمولودٍ يكون من صُلْبِه يَتَّبِعه أهلُ المشرقِ والمغربِ ، ويَحْمَدُه أهلُ السماء والأرضِ(٢) ، فلذلك سَمَّاه : محمداً مع ما حدَّثته به أمُّه حين قيل لها : إنك حَمَلْتِ بسيدِ هذه الأُمَّةِ ، فإذا وَضَعْتِه فسَمِّيه محمداً . الحديث .

اسم محمد وأحمد :

قال المؤلف : لا يُعْرَفُ في العربِ من تَسَمَّى بهذا الاسم قبله — صلى الله عليه وسلم — إلا ثلاثة طمع آباؤهم — حِينَ سمعوا بذكر محمد — صلى الله عليه وسلم — وبقرب زمانه ، وأنه يُبعث في الحجاز — أن يكون ولدا لهم . ذكرهم ابنُ فُورَكٍ في كتابِ الفصول ، وهم : محمد بن سفيان بن مُجاشع ، جَدُّ جدِّ الفَرَزْدَقِ الشاعرِ ، والآخرُ : مُحَمَّد بن أُحَيْحَة بن الجُلاَح بنِ الحَرِيش بن جحجي(٣) بن كُلْفة

---

(١) في الاشتقاق : أردت أن يُحمد في السموات والأرض .

(٢) سيأتي الكلام عن هذا كله والروايات واهية .

(٣) هو جَحْجَبَى — بفتح الجيم الأولى والأخرى . وبسكون الحاء وفتح الباء . فقد ورد هكذا في نسب قريش ، وفي اللسان ، وفي الاشتقاق لابن دريد =

رفع المسهم

. . . .

ابن عَوْف بن عَمْرو بن عَوْف بنِ مالك بن الأَوْسِ ، والآخر : محمد بن حُمْران بن رَبيعة ، وكان آباء هؤلاء الثلاثة قد وَفَدوا على بعضِ الملوكِ ، وكان عنده عِلمٌ من الكتابِ الأوّلِ ، فأخبرهم بمبعثِ النبى - صلى الله عليه وسلم - وباسمه ، وكان كلٌّ واحدٍ منهم قد خَلَّف امرأته حاملا ، فنذَر كلٌّ واحدٍ منهم : إن وُلد له ذَكَر أن يُسَمِّيَه محمدا ، ففعلوا ذلك .

قال المؤلف : وهذا الاسم منقول من الصفة ، فالْمُحَمَّدُ فى اللغة هو الذى يُحْمَد حَمْدا بعد حمد ، ولا يكون مُفَعَّل مثل : مُضَرَّب وُمَمَدَّح إلا لمن تكرر فيه الفعلُ مرة بعد مرة .

وأما أحمد فهو اسْمُه - صلى الله عليه وسلم - الذى سُمِّيَ به على لسان عيسى وموسى - عليهما السلام - ، فإنه منقول أيضاً من الصِّفَة التى معناها

= وفى القاموس ، وفى جمهرة أنساب العرب . وفى الاشتقاق لابن دريد عن محمد بن أحيحة أنه محمد بن بلال بن أحيحة ، وفى جمهرة أنساب العرب : محمد بن عقبة بن أحيحة . وفى اللسان عن ابن برى أن من سمى فى الجاهلية بمحمد هم سبعة ، وقد عدهم وذكر منهم الثلاثة الذين ذكرهم السهيلى . وانظر ص ١٦ نسب قريش ، ص ٩ الاشتقاق ، ص ٢١٥ جمهرة ابن حزم ، ومادة حمد فى اللسان ومادة جحب فى القاموس . وفى الخزانة للبغدادى ورد أن الذين سموا باسم محمد فى الجاهلية يبلغون عشرين أو خمسة عشر ، وذكر مغلطاى أن عددهم خمسة عشر رجلا . انظر ص ٨ ، ٩ الاشتقاق بتعليقات الأستاذ عبد السلام هارون ، هذا ويذكر ابن دريد أن العرب سمت فى الجاهلية : أحمد ، وذكر منهم أربعة ص ٩ وما بعدها .

رفع
المسلم
عزالله ابطال الدين

. . . .

التَّفضيلُ ، فمعنى أحمد : أى أَحْمَدُ الحامدين لربه ، وكذلك هو المعنى ؛ لأنه تُفْتَح عليه فى المقام المحمود محامد لم تُفْتَح على أحد قبله ، فيحمَد ربَّه بها ؛ ولذلك يُعْقَد له لواء الحمد .

وأما محمد فمنقول من صِفةأيضاً ، وهو فى معنى : مَحْمود . ولكن فيه معنى المبالغة والتكرار ، فالمحمَّدُ هو الذى حُمِد مرة بعدَ مرَّة ، كما أن الْمُكرَّمَ مَنْ أُكْرِم مرة بعد مرة ، وكذلك : الْمُمَدَّح ، ونحو ذلك . فاسم محمد مطابق لمعناه ، والله ـ سبحانه ـ وتعالى سماه به قبل أن يُسَمِّى به نفسه،فهذا عَلَمٌ من أعلام نبوته؛ إذ كان اسمه صادقا عليه ، فهو محمود ـ عليه السلام ـ فى الدنيا بما هَدَىَ إليه ، ونَفَع به من العلم والحكمة ، وهو محمود فى الآخرة بالشَّفَاعَةِ ، فقد تكرر معنى الحمدِ كما يقتضى اللفظُ ، ثم إنه لم يكن محمَّداً ، حتى كان أَحْمَدَ حَمَّدِ رَبَّه فنبَّأه وشرَّفه ؛ فلذلك تقدم اسمُ أحمدَ على الاسم الذى هو مُحَمَّدٌ ، فذكره عيسى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : اسمُه أحمدُ ، وذكره موسى ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين قال(١) له ربُّه : تلك أمة أحمدَ ، فقال : اللهم اجعلنى من أمة أحمدَ ، فبأحمد ذُكر قبل أن يُذْكر بمحمد ؛ لأن حمدَه لربه كان قبلَ حَمْدِ الناسِ له ، فلما وُجِد وبُعث ، كان محمداً بالفعل .

وكذلك فى الشفاعة يَحْمَد رَبَّه بالمحامدِ التى يفتحها عليه ، فيكون أحمدَ الحامدين لربه ، ثم يُشَفَّع فيُحْمَد على شفاعته . فانظر : كيف ترتب هذا

---

(١) قبل هذا ورد كما ذكر ابن القيم : « موسى قال لربه : « يا رب إنى أجد أمة من شأنها كذا وكذا ، فاجعلهم أمتى ؟ » ص ١٢٦ جلاء الأفهام وهو حديث ساقط

رفع المسـاهم

. . . .

الاسمُ قبل الاسم الآخر(١) فى الذكرِ والوجودِ ، وفى الدنيا والآخرة تَلُحْ

(١) أطال ابن القيم فى إبداع فى شرح أسماء النبي صلى الله عليه وسلم ، وفرّق بين محمد وأحمد من وجهين. فقال : «أحدهما محمدا إن: هو المحمود حمدا بعد حمد ،فهو دال على كثرة حمد الحامدين له ، وذلك يستلزم كثرة موجبات الحمد فيه ، وأحمد : أفعل تفضيل من الحمد يدل على أن الحمد الذى يستحقه أفضل مما يستحقه غيره ، فمحمد: زيادة حمد فى الكمية ، وأحمد: زيادة فى الكيفية. فيحمد أكثر حمد ، وأفضل حمد حمده البشر. والوجه الثانى : أن محمدا هو المحمود حمدا متكررا كما تقدم ، وأحمد هو الذى حمدُه لربه أفضل من حمد الحامدين غيره، فدل أحد الاسمين وهو: محمد على كونه محمودا، ودل الاسم الثانى ، وهو أحمد على كونه أحمد الحامدين لربه » ثم رد ابن القيم على السهيلى فقال : « وقد ظن طائفة منهم : أبو القاسم السهيلى وغيره أن تسميته — صلى الله عليه وسلم — بأحمد كانت قبل تسميته بمحمد » ثم ذكر ابن القيم ما استدل به السهيلى ، ثم قال : « وبنوا على ذلك أن اسم أحمد تفضيل من فعل الفاعل ، أى: أحمد الحامدين لربه ، ومحمد هو المحمود الذى تحمده الخلائق ، وإنما يترتب هذا الاسم بعد وجوده وظهوره ، فإنه حينئذ حمده أهل السماء والأرض، ويوم القيامة يحمده أهل الموقف ، فلما ظهر إلى الوجود وترتب على ظهوره من الخيرات ما ترتب ، حمده حينئذ الخلائق حمدا مكررا ، فتأخرت تسميته بمحمد ، وهذا يقر به كل عالم من مؤمنى أهل الكتاب » ومضى ابن القيم يناقش رأى السهيلى هذا ، فقال ردا عليه : إن محمدا — صلى الله عليه وسلم — سمى باسم محمد فى التوراة ، وهى قبل الإنجيل ، ثم استشهد ابن القيم على رأيه هذا بآيات ذكر أنها من التوراة ، ومضى يثبت بتفسيرها أنها تؤيد ماذهب إليه ، وقد أطال فى هذا ، ثم قال : « والمقصود أن اسم النبي فى التوراة محمد «ص» ، كما هو فى القرآن محمد ، وأما المسيح ، فإنما سماه : أحمد ... فإذن تسميته بأحمد وقعت متأخرة عن تسميته محمدا فى التوراة، ومتقدمة على تسميته محمدا فى القرآن ، فوقعت بين التسميتين محفوفة بهما وقد تقدم أن هذين الاسمين صفتان فى الحقيقة . والوصفية فيها لا تنافى العلَمِيّة ، وأن معناهما مقصود ، فعرف عند كل أمة بأعرف الوصفين عندها ، فمحمد =

رفع المسلم

. . . .

لك الحكمةُ الإلهيةُ فى تخصيصه بهذين الاسمين ، وانظر : كيف أُنزلت عليه

= مفعَّل من الحمد ، وهو الكثير الخصال التى يحمد عليها حمدا متكررا حمدا بعد حمد. وهذا إنما يعرف بعد العلم بخصال الخير ، وأنواع العلوم والمعارف والأخلاق والأوصاف والأفعال التى يستحق تكرار الحمد عليها ، ولا ريب أن بنى إسرائيل هم أولو العلم الأول . . . فعرف النبى (ص) عند هذه الأمة باسم محمد الذى قد جمع خصال الخير التى يستحق أن يحمد عليها حمدا بعد حمد ، وعرف عند أمة المسيح بأحمد الذى يستحق أن يحمد أفضل مما يحمد غيره ، والذى حمده أفضل من حمد غيره ، فإن أمة المسيح أمة لهم من الرياضات والأخلاق والعبادات ماليس لأمة موسى ، ولهذا كان غالب كتابهم مواعظ وأخلاقا وحضا على الإحسان . . . فجاء اسمه عند هذه الأمة بأفعل التفضيل الدال على الفضل والكمال ، كما جاءت شريعتهم بالفضل المكمل لشريعة التوراة ، وجاء فى الكتاب الجامع لمحاسن الكتب قبله — يعنى القرآن — بالاسمين معا ، فتدبر هذا الفصل . . . وقال : إن الشرائع ثلاثه : شريعة عدل ، وهى : شريعة التوراة فيها الحكم والقصاص ، وشريعة فضل وهى : شريعة الإنجيل مشتملة على العفو ومكارم الأخلاق والصفح والإحسان ، وشريعة جمعت هذا وهذا ، وهى : شريعة القرآن ، فإنه يذكر العدل ويوجبه ، والفضل ويندب إليه . وقول أبى القاسم — يعنى السهيلى — إن اسم محمد — صلى الله عليه وسلم — إنما ترتب بعد ظهوره فى الوجود ؛ لأنه حينئذ حمد حمدا مكررا ، فكذلك يقال فى اسمه أحمد أيضا ، سواء . وقوله فى اسمه أحمد : إنه تقدم لكونه أحمد الحامدين لربه ، وهذا يقدم على حمد الخلائق له فبناء منه على أنه - أى : أحمد - تفضيل من فعل الفاعل ، وأمّا على القول الآخر الصحيح — يعنى التفضيل من فعل المفعول — فلا يجىء هذا ، وقد ذهب ابن القيم إلى أن الاسمين محمدا وأحمد إنما يقعان على المفعول ، لأنه يحمد أكثر مما يحمد غيره وذلك أبلغ فى مدحه وأتم معنى ، لأنه لو أريد به معنى الفاعل لسمى الحماد ، وهو كثير الحمد ، كما سمى : محمدا ، وهو المحمود كثيرا ؛ فإنه كان أكثر الخلق حمدا لربه ، فلو كان اسمه باعتبار الفاعل - يعنى أنه فاعل الحمد — لكان الأولى أن يسمى =

رفع عبد الرحمن المسيهم

. . . .

سورةُ الحمد وخُصَّ بها دون سائر الأنبياء ، وخص بلواء الحمد ، وخص بالمقام المحمود ، وانظر : كيف شرع لنا سُنَّة وقرآنا أن نقولَ عند اختتام الأفعال ، وانقضاء الأمور : الحمدُ للهِ ربِّ العالمين . قال الله سبحانه وتعالى : « وقُضى بينهم بالحقِّ وقيل : الحمدُ للهِ ربِّ العالمين » الزمر : ٧٥ . وقال أيضا : « وآخرُ دَعْواهم : أنِ الحمدُ للهِ ربِّ العالمين » يونس ١٠ . تنبيها لنا على أن الحمدَ مَشروعٌ لنا عند انقضاء الأمور . وسَنَّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ الحمدَ بعد الأكل والشرب ، وقال عند انقضاء السفر : آيبُونَ تائبون عابِدون لِرَبِّنَا حامدُون(١) .

ثم انظر لكونه ـ عليه السلامُ ـ خاتَمَ الأنبياء ، ومؤذنًا بانقضاء الرسالة ، وارتفاعِ الوحى ، ونذيرا بقرب الساعة وتمامِ الدنيا مع أن الحمد كما قدمنا مقْرُونٌ بانقضاءِ الأمورِ ، مشروعٌ عنده ـ تجدْ معانِيَ اسْمَيْهِ جميعاً ، وما خُص به من الحمد والمحامد مُشاكلا لمعناه ، مطابقا لصفتِه ، وفى ذلك بُرهانٌ عظيمٌ ، وعَلَمٌ واضِحٌ على نُبُوتهِ ، وتخصيصُ الله له بكرامتِه ، وأنه

= حمادا ، كما أن اسم أمته : الحمادون . وأيضا فإن الاسمين إنما اشتقا من أخلاقه وخصائله المحمودة التى لاجلها استحق أن يسمى : محمدا ،وأحمد، فهوالذى يحمده أهل الدنيا وأهل الآخرة ، ويحمده أهل السماء والأرض ، فلكثرة خصائله المحمودة التى تفوت عد العادين سمى باسمين من أسماء الحمد يقتضيان التفضيل والزيادة فى القدر والصفة . ص ١٢٥ جلاء الأفهام للامام ابن القيم .

(١) رواه مسلم .

. . . .

قَدَّم له هذه الْمُقَدِّماتِ قبل وجوده تَكْرِمَةً له ، وتَصْدِيقاً لأمره ـ صلى الله عليه وسلم ـ وشرف وكرم .

تعويذ عبد المطلب :

وذُكِرَ أن عبدَ المطلبِ دخل به الكعبةَ وعَوَّذه ، ودعا له . وفى غير روايةِ ابنِ هشامٍ أنَّ عبد المطلب قال وهو يعوذه :

الحمدُ لله الذى أعطانى هذا الغلامَ الطَّيِّبَ الأرْدَانِ
قد ساد فى المَهْدِ على الغِلْمان أُعيذُه بالبيتِ ذى الأرْكَانِ
حتى يكونَ بُلْغَة الفِتيان حتى أراه بالغَ البُنْيانِ
أُعيذُه من كل ذى شَنَآن من حاسِدٍ مُضْطَرِبِ العِنان
ذِى هِمَّةٍ ليس له عينان حتى أراه رافعَ السَّان(١)
أنت الذى سُميتَ فى القرآنِ فى كتبٍ ثابتةِ المَثانِى
أَحْمَد مُكتوبٌ على البيان(٢)

---

(١) كذا ! ! ولعلها الشاق وفى رواية : اللسان .

(٢) فى البداية : اللسان ، وليس لهذا سند صحيح . وفى كلماته دليل أنه كذب مفترى . وكذلك ما روى ابن هشام من قول عبد المطلب . « أعيذه بالواحد من شر كل حاسد » فقد قال العراقى : لا أصل لها. وقد رواه أبو نعيم فى الدلائل، وقال عنه الشامى : وسنده واه جدا .

رفع المساهم

. . . .

تاريخ مولده :

فصل : وذكر أن مولده عليه السلام كان فى ربيع الأول ، وهو المعروف (١)

(١) روى مسلم فى صحيحه أن أعرابيا سأل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — عن صيام يوم الاثنين فقال : « ذاك يوم ولدت فيه ، وأنزل على فيه » انفرد بإخراجه مسلم، وروى أحمد فى حديث تفرد به أنه ولد يوم الاثنين واستنبىء يوم الاثنين. ورفع الحجر الأسود يوم الاثنين .

والجمهور على أنه كان فى ربيع الأول ، لكن متى ؟ ذكر ابن عبد البر فى الاستيعاب والواقدى أنه كان لليلتين خلتا منه .

وممن قالوا بأنه كان لثمان خلون منه : ابن حزم، وقد روى هذا مالك وعقيل ويونس بن يزيد وغيرهم عن الزهرى عن محمد بن جبير بن مطعم ؛ وذكر ابن عبد البر أن أصحاب التواريخ صححوا هذا . وقطع به محمد بن موسى الخوارزمى الحافظ الكبير ، ورجحه أبو الخطاب بن دحية، وقيل : كان لعشر خلون منه. وقيل لثنتى عشرة خلت منه ، وقيل : لسبعة عشر ، وقيل : لثمان بقين منه .

وقيل : إنه ولد فى رمضان نقله ابن عبد البر عن الزبير بن بكار مستندا إلى أنه — صلى الله عليه وسلم — أوحى إليه فى رمضان على رأس أربعين سنة من عمره ، فيكون مولده فى رمضان ، وكان مولده لثنتى عشرة ليلة خلت منه ، وكان مولده عام الفيل على قول الجمهور. قيل : كان بعده بشهر، أو بأربعين يوما .أو بخمسين وقيل : إن عام الفيل كان قبله بعشر سنين . وقيل: بل بثلاث وعشرين سنين . وقيل : بل بثلاثين ، وقيل: بل بأربعين وقال ابن خياط: المجمع عليه أنه ولد عام الفيل .ويقول النووى : ونقل إبراهيم بن المنذر الحزاعى شيخ البخارى وخليفة ابن خياط وآخرون الإجماع عليه — أى: على أنه ولد عام الفيل — واتفقوا على أنه ولد يوم الاثنين من شهر ربيع الأول ، واختلفوا هل هو فى اليوم الثانى أم الثامن أم العاشر أم الثانى عشر .

رفع المسهم

وقال الزبير : كان مولده فى رمضانَ ، وهذا القول موافق لقول من قال : إن أمّه حملت به فى أيامِ التَّشْرِيقِ ، والله أعلم .

وذكروا أن الفيل جاء مكة فى المحرم ، وأنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولد بعد مجيء الفيل بخمسين يوما ، وهو الأكثر والأشهر ، وأهلُ الحسابِ يقولون : وافق مولدُه من الشهورِ الشمسية نيسانَ ، فكانت لعشرينَ مضت منه ، وولد بالْغَفَرِ من المنازل ، وهو مولد النبيين ، ولذلك قيل : خير منزلتين فى الأبدبين الزُّنَابَا والأسَد ، لأن الغَفْرَ يليه من العقرب زُنَاباها ، ولا ضَرَرَ فى الزُّنَابا إنما تضر العقربُ بذَنبِها ، ويليه من الأسد أَلْيَته ، وهو السِّماك ، والأسَدُ لا يضر بأَلْيَته إنما يضر بمِخْلَبه(١) ونابِه .

ووُلد بالشِّعبِ ، وقيل بالدارِ التى عندالصفا ، وكانت بعدُ لمحمد بن يوسف أخى الحجاج ، ثم بنتها زُبَيْدةُ مَسْجِداً حين حجَّت(٢) .

---

(١) خرافة ربط مولد الإنسان وحظوظ عيشه ، وأقدار حياته بالنجوم ومنازلها سخف عقلى ، وعوار فى الدين . ولا أدرى كيف يردد السهيلى مثل هذا الخرف . وغيره يزعم أن مولده « ص » كان والطالع لعشرين درجة من الجدى .وكان المشترى وزحل فى ثلاث درج من العقرب ، وهى درجة وسط السماء وكان موافقا من البروج الحمل عند طلوع القمر أول الليل ص ٢٦١ ج ٢ البداية والعقرب : برج فى السماء ويؤنث ، وزنا بالعقرب أو زبانياها : قرناها . وكوكبان نيران فى قرنى العقرب . والسماك الأعزل والرامح نجمان نيران ، أوهما رجلا الأسد ، والغفر : منزلة للقمر : ثلاثة أنجم صغار وهى من الميزان .

(٢) كانت بزقاق المدكك . وكانت من قبل بيد عقيل بن أبى طالب . ويقول ابن الأثير :إن المصطفى وهبها له،فلما توفى باعها ولده، وهذا الزقاق كان فى شعب=

رفع المسهم

. . . .

تحقيق وفاة أبيه :

وذكر أنه مات أبوه ، وهو حَمْلٌ(١) ، وأكثر العلماء على أنه كان في المهد . ذكره الدَّوْلابي وغيره ، قيل: ابن شهرين ، ذكره [أحمد] ابن أبي خَيْثَمَةَ ، [زهير بن حرب] وقيل: أكثر من ذلك ، ومات أبوه عند أخواله بني النجار ، ذهب لِيَمْتَارَ لأهله تمراً ، وقد قيل : مات أبوه ، وهو ابن ثمانٍ وعشرين شهراً ، وأنشدوا رَجَزا لعبد المطلب يقوله لابنه أبي طالب :

أوصيك يا عبدَ مَنَافٍ بَعْدِي بموتم بعـــد أبيه فَرْدِ
فارقه وهْو ضَجِيعُ المهد

وكان بينه وبين أبيه ـ عليه السلام ـ في السن ثمانيةَ عشرَ عاما .

أبوه من الرضاعة :

وذكر الحارث بن عبد الْعُزَّى أبا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الرضاعة ، ولم يذكر له إسلاما ، ولاذكره كثير ممن ألف في الصحابة ،

= مشهور بشعب بني هاشم من الطرف الشرقي لمكة . ويقال بالردم أو بعسفان ، ولما بيع الموضع لمحمد بن يوسف أدخله في داره التي يقال لها : البيضاء ، ولم يزل ذلك البيت كذلك حتى حجت الخيزران جارية المهدي فجعلته مسجدا يصلى فيه وأخرجته من الدار إلى الزقاق الذي يقال له : زقاق المولد . ص ٦١٤ القرى للمحب الطبري

(١) توفي عن خمس وعشرين ، قال الواقدي: وهو الأثبت أو عن ثلاثين، قاله الحاكم أو عن ثمان وعشرين ، أو عن ثماني عشرة سنة، وصححه الحافظ العلائي وابن حجر واختاره السيوطي .

. . . .

وقد ذكره يونُس بن بكير فى روايته ، فقال : حدثنا ابن إسحاق قال : حدثنى والدى إسحاق بن يَسار ، عن رجالٍ من بنى سعد بن بكر ، قال : قدم الحارث ابن عبد العُزّى ، أبو رسول الله — صلى الله عليه وسلم — من الرضاعة على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بمكةَ حين أُنزل عليه القرآن ، فقالت له قريش : ألا تسمع يا حارِ(١) مايقول ابنُك هذا ؟ فقال : ومايقول ؟ قالوا : يزعم أن الله يَبعث بعد الموت ، وأن لله دارين يعذب فيهما من عصاه ، ويكرم فيهما من أطاعه ، فقد شتَّت أمرَنا ، وفرّق جماعتنا . فأتاه ، فقال : أىْ بُنَىَّ مالَك ولقومِك يشكونك ، ويزعمون أنك تقول : إن الناسَ يُبعثون بعد الموت ، ثم يصيرون إلى جنةٍ ونار ؟! فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم : نعم أنا أزعم ذلك ، ولو قد كان ذلك اليوم يا أبت ، لقد أخذت بيدِك ، حتى أعرِّفك حديثَك اليوم ، فأسلم الحارثُ بعد ذلك ، وحَسُن إسلامه ، وكان يقول حين أسلم : لو قد أخذ ابنى بيدِى ، فعرفنى ما قال ، لم يرسلنى إن شاء الله حتى يدخلَنى الجنة(٢) .

---

(١) ترخيم لحارث

(٢) لم يروه أحد غيره . وخاتمته مجرد تمن فقط ، وإلا فالرسول صلى الله عليه وسلم قال لأعز أهله : العباس وصفية وفاطمة أن يعملوا ، لأنه لايغنى عنهم من الله شيئا . هذا ، وفى أخذ عبد المطلب للرسول « ص » وهو طفل ، ودخوله الكعبة : قد ورد فى أصل الرواية عن ابن إسحاق أنه أدخله على هبل فى جوف الكعبة .

ملحوظة . حديث ابن مخرمة أنه هو ورسول الله لدان . رواه البيهقى وأحمد

رفع المسهم

. . . .

تحقيق اسم ناصرة بن قصية :

وذكرنا ناصِرَة بن قُصَيَّة فى نسب حليمة . وهو عندهم : فُصَيَّةُ بالفاء تصغير : فَصَاة ، وهى النَّواة . ووقع فى الأصل فى جميع النسخ : قُصَيَّة بالقاف(١) . وقال أبو حَنيفةَ أيضا : الْفَصَا : حَبُّ الزَّبيبِ ، وهو من هذا المعنى .

الشيماء :

وذكر الشَّيْماء أختَ رسولِ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الرضاعة ، وقال

= وروى قباث بن أشيم أنه حين ولد رسول الله رأى ـ أى قباث ـ خزق الفيل أخضر محيلا . وقد ورد هذا فى حديث رواه الترمذى والحاكم عن ابن إسحاق .

وحديث اليهودى الذى صرخ . رواه البيهقى وأبو نعيم . ونعرج على رأى سلفى جليل فنجده يقول : « لاخلاف أنه ولد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بجوف مكة ، وأن مولده كان عام الفيل ، وكان أمر الفيل : تقدمة قدمها الله لنبيه وبيته ، وإلا فأصحاب الفيل كانوا نصارى أهل كتاب ، وكان دينهم خيرا من دين أهل مكة إذ ذاك ؛ لأنهم كانوا عباد أوثان ، فنصرهم الله على أهل الكتاب نصرا لاصنع للبشر فيه إرهاصا وتقدمة للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذى خرج من مكة وتعظيما للبيت الحرام » ص ٣٢ ح١ زاد المعاد لابن القيم . وذكر رأيين فى وفاة أبيه أصحهما : أنه مات وهو حمل ، والآخر : أنه توفى بعد ولادته بسبعة أشهر .

هذا : ونيسان هو الشهر السابع من شهور السنة السريانية والعبرية ، ويقابل إبريل . وفى حديث حسان بن ثابت : سعد بن زرارة . صوابه : أسعد . ويفعة : قوى قد طال قده ، مأخوذ من اليفاع ، وهو العالى من الأرض « ص ٥٤ الخشنى » .

(١) فى النسخة المطبوعة على هامش الروض : فصية بالفاء ، ويقول الخشنى ص ٥٤ : أنه هو الصواب .

رفع المسهم

. . . .

فى اسمها : خِذامة بكسر الخاء المنقوطة ، وقال غيره : حُذَافَة بالحاء المضمومة وبالفاء مكان الميم ، وكذلك ذكره يونس فى روايته عن ابن إسحاق ، وكذلك ذكره أبو عُمَر فى كتاب النساء(١) .

(شرح ما فى حديث الرضاع)

الرضعاء والمراضع :

قال ابن إسحاق : فالتمس لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الرُّضَعَاء . قال ابنُ هشامٍ : إنما هو المراضِع . قال : وفى كتاب الله سبحانه : (وحَرَّمنا عليه المَراضِعَ [مِنْ قَبْلُ]) القصص : ١٢ والذى قاله ابنُ هشام ظاهر ؛ لأن المراضِع جمعُ : مُرْضِع ، والرُّضَعَاء : جَمْعُ رَضِيع ، ولكن لرواية ابن إسحاق مَخْرَجٌ من وجهين ، أحدهما : حذف المضافِ كأنه قال : ذَوَات الرُّضَعَاء ، والثانى : أن يكونَ أراد بالرُّضَعَاء : الأطْفَالَ على حقيقةِ اللفظ ؛ لأنهم إذا وجدوا له مُرضِعة تُرضِعه ، فقد وجدوا له رضيعا ، يَرضَع معه ، فلا يبعد أن يقال : الْتَمِسُوا له رَضِيعا ، عِلماً بأَنَّ الرضيعَ لابدَّ له من مُرْضِع .

مرضعاته عليه السلام :

وأرضعته ـ عليه السلام ـ ثُوَيْبة(٢) قبلَ حليمةَ . أرضعته

---

(١) فى رواية : جدامة بضم الجيم أو خدامة أو جِذامة وانظر ص٥٤ . الخشنى .

(٢) توفيت سنة سبع . قال ابن منده : اختلف فى إسلامها ، وقال أبو نعيم : لا أعلم أحدا ذكره ، ص١٢٧ ج ١ المواهب ، وحديث حليمة بهذا السند رواه الحاكم وابن حبان وابن راهويه وأبو ليلى والطبرانى والبيهقى وأبو نعيم . وفى شرح

رفع المساهم

. . . .

وعمَّهُ حمزةَ وعبدَ اللهِ بنَ جحش ، وكان رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - يعرف ذلك لثُوَيْبَةَ ، ويصلها من المدينة ، فلما افتتح مكةَ سأل عنها وعن ابنها مَسْرُوح ، فأُخْبِرَ أنَّهما ماتا ، وسألَ عن قَرابتها ، فلم يجد أحدا منهم حَيًّا . وثُوَيْبَةُ كانت جاريةً لأبي لَهَبٍ ، وسنذكر بقيةَ حديثها - إن شاء اللهُ - عند وفاة أبي لهبٍ .

يغذيه أو يعذيه :

وذكر قولَ حَليمةَ : وليس في شارِفِنا ما يُغَدِّيه . وقال ابنُ هشامٍ : ما يُغَذِّيه بالذال المنقوطة ، وهو أتَمُّ في المعنى من الاقتصار على ذكرِ الغَداء دون العَشاءِ(١) ، وليس في أصل الشيخ روايةٌ ثالثة ، وعند بعض الناس روايةٌ

= المواهب أن النسوة اللاتي خرجت معهن حليمة كن عشرا . والسنة الشهباء : ذات القحط والجدب ، والأرض الشهباء : البيضاء التي لا خضرة فيها لقلة المطر . والأتان : الأنثى من الحمير ، ولا يقال أتانة ، والقمراء : التي في لونها بياض ، والصبي الذي كان مع حليمة هو : عبد الله بن الحارث . والشارف : الناقة المسنة ، ويقال للذكر والأنثى . وماتبض بقطرة معناها : لا ترشح ولا تسيل ، ومن رواها بالصاد فمعناها : مايبرق عليها أثر لبن ، من البصيص ، وهو البريق واللمعان . ص ٥٥ الخشني

(١) يقول أبو ذر الخشني : « ومن رواه مايغذيه فمعناه : مايقنعه ولا يمنعه من البكاء . يقال : أغذيت الرجل عن الشيء : إذا منعته منه . وقال ابن هشام : يغذيه . هذا من لفظ الغذاء ، ومن رواه : يعذيه بالعين المهملة فمعناه : ما يشبعه بعض الشبع مأخوذ من النبات العذي ، وهو الذي يشرب في الصيف والشتاء بغرفة من الأرض دون أن يسقى ، أو الذي لا يسقيه إلا المطر . وتكون هذه هي الرواية الرابعة للكلمة »

رفع المسهم

. . . .

غير هاتين وهى يُعْذِبه بعينٍ مُهْمَلة وذال منقوطة وباء مُعجَمة بواحدة ، ومعناها عندهم : مايُقنعه حتى يرفعَ رأسَه ، وينقطعَ عن الرضاع ، يقال منه: عَذَبْتُه وأعْذَبْتُه : إذا قطعته عن الشُّرب ونحوه ، والعَذُوبُ : الرافعُ رأسَه عن الماء ، وجمعه : عُذُوبٌ بالضم ، ولا يعرف فَعُول جُمع على فُعُول غيرُه : قاله أبو عُبَيْد[١] والذى فى الأصل أصَحُّ فى المعنى والنقل .

من شرح حديث الرضاعة :

وذكر قولها: حتى أذَمَّتْ بالركب . تريد : أنها حَبَسَتْهم ، وكأنه من الماء الدائم ، وهو الواقفُ ، ويروى: حتى أذَمَّتْ . أى : أذَمَّت الأتانُ ، أى: جاءت بما تُذَمُّ عليه ، أو يكون من قولهم: بِئْرٌ ذَمَّةٌ ، أى : قليلةُ الماء ، وليست هذه عند أبى الوليد ، ولا فى أصل الشيخ أبى بَحْرٍ ، وقد ذكرها قاسمٌ فى الدلائلِ ، ولم يذكر روايةً أخرى ، وذكر تفسيرها عن أبى عُبَيْدَةَ : أذَمَّ بالركب : إذا أبطأ ، حتى حَبَسَتْهُمْ : من البئر الذَّمَّةِ ، وهى القليلةُ الماء[٢] .

---

(١) فى اللسان جمعه : عذب بضم العين والذال ، وقد خطأ الأزهرى أبا عبيدة لأن فعولا ـ بفتح الفاء وضم العين ـ لا يكسر على فعول بضم الفاء .

(٢) عند أبى ذر الخشنى : أذمت : تأخرت بالركب ، أى تأخر الركب بسببها والضمير الذى فى أذمت يرجع إلى الأتان ، وفى رواية : أدَمْت بالركب أى : أطلت عليهم المسافة لتمهلهم عليها ، مأخوذ من الشىء الدائم ص ٥٥ . وصاحب حليمة المذكور فى القصة هو زوجها : الحارث بن عبد العزى بن رفاعة السعدى ، وكنيته أبو ذؤيب ، وفى رواية أخرى لحديث الرضاع جاء بعد قول حليمة : فذهبت إليه مابلى : فإذا به مدرج فى ثوب صوف أبيض من اللبن يفوح منه المسك ، وتحته

. . . .

وذكر قولَ حليمةَ : فلما وضعتُه فى حِجْرى أقبل عليه ثدياى بما شاء من لبن ، فشرب حتى رَوِىَ ، وشرب معه أخوه حتى روى .

وذكر غير ابن إسحاق أن رسولَ الله ـ صلى اللهُ عليه وسلم ـ كان لا يقبل إلا على ثديها الواحدِ ، وكانت تعرِضُ عليه الثدىَ الآخر ، فيأباه كأنه قد أُشْعِر ـ عليه السلام ـ أنّ معه شريكاً فى لِبانها ، وكان مَفْطورا على العدل ، مَجْبُولاً على المشارَكة والفضل ـ صلى الله عليه وسلم .

التماس الأجر على الرضاع :

قال المؤلف : والتماسُ الأجر على الرَّضَاع لم يكن محمودا عند أكثر نساء العربِ ، حتى جرى المثلُ : تجوع المرأة ولا تأْكل بِثَدْيِيها(١) ، وكانَ عند بعضِهن لا بأسَ به ، فقد كانت حليمةُ وَسِيطة فى بنى سعد ، كريمةً من كرائم قومِها ، بدليلِ اختيارِ اللهِ ـ تعالى ـ إيَّاهَا لِرَضاع نبيِّه ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما اختار له أشرفَ البُطونِ والأصلابِ . والرَّضاعُ كالنسبِ ؛ لأنه يُغيِّر

= حرير أخضر راقد على قفاه يغط ، فأشفقت أن أوقظه من نومه لحسنه وجماله » المواهب اللدنية فى باب رضاعه ص١٤٣ ج١ ، هذا ورضاعه من ثويبة قد ورد فى سياق حديث عن أم سلمة ، وقد رواه أحمد والبخارى ومسلم والنسائى وابن ماجة والبيهقى « منتخب السنة » ص٦٠ ج١

(١) روايته : تجوع الحرة ، ولا تأكل بثدييها ، أى : لا تكون ظئراً ، وإن آذاها الجوع . ويروى : ولا تأكل ثدييها . وأول من قال ذلك : الحارث بن سليل الأسدى . فى قصة طويلة روتها كتب الأمثال ، يضرب فى صيانة الرجل نفسه عن خسيس مكاسب الأموال « مجمع الأمثال للميدانى »

رفع المسهم

. . . .

الطباعَ . فى المسندِ عن عائشةَ – رضىالله عنها – ترفعه : «لا تسْتَرْضِعُوا الحَمْقَى ؛ فإن اللبَنَ يُورث » ويحتمل أن تكونَ حليمةُ ونساء قومها طلبن الرُّضَعاء اضطرارا للأزمة التى أصابتهم ، والسَّنَة الشَّهْباء التى اقتحمَتْهم .

لم كانت قريش تدفع أولادها إلى المراضع ؟

وأما دَفْع قريشٍ وغيرِهم من أشرافِ العربِ أولادَهُم إلى المراضع ، فقد يكون ذلك لوجوهٍ . أحدُها : تفريغُ النساء إلى الأزواجِ ، كما قال عَمَّارُ بن ياسر لأمِّ سَلَمَةَ – رضى الله عنها – وكان أخاها من الرضاعة ، حين انتزَعَ من حِجْرِها زينبَ بنت أبى سَلَمَةَ ، فقال : « دَعِى هذه المَقْبُوحَةَ المَشْقُوحَةَ (١) التى آذيتِ بها رسولَ الله – صلى الله عليه وسلم » وقد يكون ذلك منهم أيضاً ليَنْشأ الطفلُ فى الأعْرابِ ، فيكونَ أفصحَ لِسانِه ، وأَجْلَدَ لجسْمِه ، وأجدَرَ أن لايفارقَ الهيئةَ المَعَدِّيَةَ (٢) كما قال عُمَرُ رضى الله عنه : تَمَعْدَدُوا و تمَعْزَزُوا (٣) واخْشَوْشِنُوا [رواه ابن أبى حَدْرَد] . وقد قال – عليه السلام – لأبى بكر – رضى الله عنه – حين قال له : مارأيت أفصحَ منكَ يارسولَ اللهِ ، فقال: ومايمنعنى ، وأنا من قريش ، وأرضِعْتُ فى بنى سَعْدٍ ؟! فهذا ونحوه كان يحملُهم على دَفْع

(١) المشقوحة : المكسورة أو المبعدة ، من الشقح ، وهو الكسر أو البعد ومشقوحة اتباع لمقبوحة .

(٢) نسبة إلى قوم معد ، وكانوا أهل غلظ وقشف .

أى : تصلبوا ، وتشبهوا بمعد .

(٣) وتمعززوا : تعزز لحمه : اشتدوصلب ، وتمعز البعير : اشتدعدوه .

. . . .

الرُّضَعَاء إلى المراضع الأعرابيّات . وقد ذكر أن عبدَ الملك بن مَرْوانَ كان يقول : أضرَّ بنا حُبُّ الوليد ؛ لأنَّ الوَليدَ كان لَحَّانًا ، وكان سُلَيْمَانُ فصيحا ؛ لأن الوليد أقام مع أمِّه ، وسليمانُ وغيرُه من إخوته سكنوا البادية ، فتَعَرَّبُوا ، ثم أُدِّبُوا فتَأدَّبوا ، وكان من قُرَيْشٍ أعرابٌ ، ومنهم حَضَرٌ ، فالأعرابُ منهم : بنو الأَدْرَم وبنو مُحَارب ، وأحْسَبُ بنى عامرِ ابن لُؤَيٍّ كذلك ؛ لأنهم من أهل الظواهرِ ، وليسوا من أهل البِطاح (١) .

شق الصدر :

وذكر قول أخيه من الرضاعة : نزل عليه رَجُلَان أبيضان ، فَشَقَّا عن بطنه ، وهما يَسُوطانه ، يقال : سُطْتُ اللَّبَنَ أو الدَّمَ ، أو غيرَهما ، أسُوطه : إذا ضَرَبْتَ بعضَه ببعض . والمِسْوَطُ : عُودٌ يُضْرَب به .

وفى رِوَايةٍ أخرى عن ابن إسحاقٍ أنه نَزَل عليه كُرْكِيَّان (٢) ، فشق أحدُهما بمنقارِه جوفَه ، ومَجَّ الآخرُ بمنقارِه فيه ثَلْجًا ، أو بَرَدًا ، أو نحو هذا ، وهى رواية غريبة ذكرها يونُس عنه ، واختصر ابن إسحاق حديثَ نُزول الملَكين عليه ، وهو أطول من هذا .

وروى ابن أبى الدنيا وغيره بإسناد يرفعه إلى أبى ذَرٍّ — رضى الله

(١) سبق الحديث عن قريش البطاح وقريش الظواهر .

(٢) الكركى : طائر كبير أغبر اللون طويل العنق والرجلين أبتر الذنب . ومج الماء : لفظه .

. . . .

عنه - قال : « قلت : يارسولَ الله كيف علمتَ أنك نبيٌّ ، وبم علمت حتى استَيْقَنتَ ؟ قال : يا أبا ذرٍّ أتانى ملَكان ، وأنا ببَطحاء مَكّة ، فوقع أحدُهما بالأرضِ ، وكانِ الآخرُ بين السماء والأرضِ ، فقال أحدُهما لصاحبه : أهو هُوَ ؟ قال : هُوَ هُوَ : قال : زِنْهُ برجلٍ ، فوزَنَنِي برجلٍ ، فرَجَحْته ، ثم قال : زِنْه بعشرة ، فوزَنَنِي فرَجَحْتُهمْ ، ثم قال : زِنْه بمائةٍ ، فوزَنَنِي ، فرجحتهم ، ثم قال : زِنْه بألفٍ ، فوزننى فرَجَحْتُهم ، حتى جعلوا يتَثَاقَلُونَ علىّ من كِفّة الميزانِ ، فقال أحدُهما لصاحبه : شُقَّ بطنَه ، فشق بطنى ، فأخرج قلبى ، فأخرج منه مَغمزَ الشيطانِ وعَلَقَ الدَّم ، فطَرَحهما ، فقال : أحدُهما لصاحبه : اغسِل بطنَه غَسْلَ الأناء ، واغسِل قلبَه غسل المُلاَء ، ثم قال أحدُهما لصاحبه : خِطْ بطنَه ، نخاط بَطْنِى ، وجعل الخاتم بين كَتِفَيّ كما هو الآن ، ووليا عنى ، فكأنى أعاين الأمْرَ معاينة » ففى هذا الحديث بيان لما أبهم فى الأول ، لأنه قال : فأخرج منه مَغمزَ الشيطانِ ، وعلَقَ الدَّم ، فبيَّن أن الذى التمس فيه هو الذى يغمزه الشيطانُ من كلِّ مولودٍ إلا عيسى بن مريم وأمّه(١) - عليهما السلام - لقول أمها حَنّة : «وَإِنّى

---

(١) يشير إلى ما رواه البخارى ومسلم والترمذى : « مامن مولود يولد إلا نخسه الشيطان ، فيستهل صارخا من نخسة الشيطان إلا ابن مريم وأمه ، قال أبوهريرة : اقرءوا إن شئتم : (وإنى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم)، قال عياض : يريد أن الله قبل دعاءها مع أن الأنبياء معصومون ، وقال النووى : أشار عياض إلى أن جميع الأنبياء يشاركون عيسى فى هذه الخصوصية . وسيأتى أن صدره شق أيضا ليلة الإسراء فى حديث من طريق شريك فى الصحيحين ، ودعوى أنه لامنافاة ، لاحتمال وقوع ذلك مرتين دعوى بلا بينة ، وفى أحاديث خاتم النبوة

رفع المسهم

. . . .

أُعيذُها بكَ وذُرِّيَّتَها من الشيطانِ الرجيم » آل عمران : ٣٦ . فلم يصل إليه لذلك ، ولأنه لم يُخلَق من مَنِيِّ الرِّجالِ فأعيذه من مَغْمَز ، وإنما خُلِق من نَفْخَةِ رُوح القُدُس ، ولا يدل هذا على فضل عيسى عليه السلام على محمد — صلى الله عليه وسلم — لأن محمدا — صلى الله عليه وسلم — قد نُزِع منه ذلك المَغْمَزُ ، ومُلِئ قلبهُ حكمةً وإيمانا ، بعد أن غسَله رُوحُ القُدُسِ بالثَّلجِ والبَرَدِ ، وإنَّما كان ذلك المَغْمَزُ فيــه لموضع الشَّهْوَةِ المُحرِّكة للمَنِيِّ ، والشهواتُ يحضرها الشياطينُ ، لا سيما شهوةُ مَنْ ليس بمؤمِنٍ ، فكان ذلك المَغْمَزُ راجعا إلى الأب ، لا إلى الابنِ المطَّهر — صلى الله وسلم عليه .

وفى الحديث فائدة أخرى ، وهى منْ نفيسِ العِلم ، وذلك أن خاتَمَ النُّبوَّة لم يدر هل خُلِق به ، أم وُضع فيه بعد ماوُلد ، أو حين نُبِّىء ، فبيّن فى هذا الحديث متى وُضع ، وكيف وُضع ، ومَنْ وضعَه ، زادنا الله علما ، وأوْزَعنا شُكْرَ ماعَلَّم ، وفيه البيانُ لما سأل عنه أبو ذر — رضى الله عنه — حين قال : كيف علِمت أنك(١)

= مغايرة لما ورد من وصف الخاتم هنا ، كما أن فى ألفاظ بعض أحاديث الشق مايوحى بأنه أحداث منام، لا أحداث واقع ، أما الإسراء فيقظة بنص القرآن وسيأتى

(١) كل حديث يزعم فيه أن الرسول — صلى الله عليه وسلم — كان يعرف أنه نبى هو حديث كذب ، لا يعتد به، لأنه — صلى الله عليه وسلم — لم يكن يعرف حتى ليلة الوحى أنه نبى . هذا وعن خاتم النبوة ورد فى حديث — رواه الشيخان والترمذى عن السائب بن يزيد : «فنظرت إلى خاتم بين كتفيه مثل زر الحجلة» الزر : البيضة وعن جابر فى مسلم : « رأيت خاتما فى ظهر رسول الله — صلى الله عليه وسلم — كأنه بيضة حمام » وفى مسلم والترمذى: « كان خاتم رسول الله «ص» الذى بين كتفيه غدة حمراء مثل بيضة الحمامة » وعن عبد الله بن سَرْجس : « نظرت إلى خاتم النبوة بين =

رفع
المسهم
عز الله المالك

. . . .

نبي ، فأعلمه بكيفية ذلك ، غير أن في هذا الحديث ، وَهْما من بعضِ النَّقَلَة ، وهو قوله : بينما أنا بِبَطْحاَءِ مكَّة ، وهذه القصة لم تَعَرْض له إلا وهو في بني سَعْدٍ مع حليمة ، كما ذكر ابن إسحاقٍ وغيره ، وقد رواه الْبَزَّار من طريق عُرْوَةَ عن أبي ذرٍّ ـ رضي الله عنه ـ فلم يذكر فيه بَطْحَاء مكة .

= كتفيه عند ناغض كتفه اليسرى جمعاً عليه خيلان ، كأمثال التآليل ، مسلم وأحمد . والناغض: أعلى الكتف ، أو مايظهر من عظمه عند التحرك . جُمْعاً : أي كصورة الكف بعد جمع الأصابع وضمها. الخِيلان : جمع خال وهي الغدة الصغيرة. التآليل: جمع : ثؤلول حبيبات تعلو الجسد ، وفي مسلم أيضا عن جابر بن سمرة أنه كبيضة الحمامة . وعند الحاكم والترمذي وأبي يعلى والطبراني من حديث عمرو بن أحطب أن الخاتم شعر مجتمع عند كتفه ، وعند البخاري في تاريخه والبيهقي أنه: لحمة ناتئة ، وفي جامع الترمذي ودلائل البيهقي : كالتفاحة ، وعند ابن حبان . وفي تاريخ ابن عساكر والحاكم : كالبندقة . وعند الترمذي : كبُضعة ناشزة من اللحم. وعند الطبراني: كان كأنه ركبة عنز على طرف كتفه الأيسر ، وعند ابن حبان : كان مثل البندقة من اللحم .. والحجلة تنطق بفتح الحاء والجيم ، وضم الحاء أو كسرها وإسكان الجيم ، وضم الحاء وفتح الجيم . وجزم الترمذي بأن المراد بالحجلة : الطير المعروف ، وهو في حجم الحمام ،أحمر المنقار والرجلين طيب اللحم،وفسره النووي بأنها واحدة الحجال . وهي بيت كالقبة . لها أزرار كبار وعرا ، أو كما فسره الأزهري في التهذيب : بيت كالقبة يستر بالثياب ، ويجعل له باب من جنسه، فيه زر وعروة تشد إذا علقت

وقال القرطبي : اتفقت الأحاديث الثابتة على أن خاتم النبوة كان شيئاً بارزا أحمر عند كتفيه الأيسر ، قدره إذا قلل قدر بيضة الحمامة ، وإذا كبر جمع اليد . وفي الفتح : باب خاتم النبوة :أي صفته ، وهو الذي كان بين كتفي النبي ،وكان من علاماته التي كان أهل الكتاب يعرفونه بها ، وسيأتي عنه بيان آخر

رفع
المسبهم
غفر الله له ولوالديه

. . . .

حديث السكينة :

وذكر فيه أنه قال : وأُوتِيتُ بالسَّكِينةِ كأنها رَهْرَهَةٌ ، فوُضِعَتْ في صَدْرِي . قال : ولا أعلم لعُرْوَةَ سماعا من أبي ذر . وذكر من طريق آخر عن أبي ذر ، أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال له : « يا أبا ذر ، وُزنتُ بأربعين ، أنت فيهم فرجحتُهم » والرَّهْرَهَةُ : بَصيصُ البشَرة ، فهذا بيانُ وضْعِ الخاتَم متى وُضع .

مسألة شق الصدر مرة أخرى :

وأما متى وجَبَتْ له النُّبُوَّةُ ، فروى عن مَيْسرة أنه قال له : متى وَجَبَت لك النُّبُوَّة يارسولَ الله ؟ فقال : وآدمُ بين الرُّوحِ والجسد ، ويُرْوى : وآدمُ مُجنْدَلٌ في طينته (١) .

---

(١) وهكذا كل إنسان في قَدَر ؛ فإن الله كتب عنده مقادير الكائنات جميعها ، وإلا فالنبي — صلى الله عليه وسلم — لم يكن يعرف حتى ليلة الوحي الأولى أنه نبي أو أن النبوة ستأتيه . وإلا مارجع في ارتجافه الشديد إلى خديجة رضي الله عنها يحدثها أنه خائف على نفسه . وفي رواية للحديث : وإني لمكتوب عند الله من النبيين . وحديث العرباض بن سارية قال: سمعت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقول : إني عبد الله ، وخاتم النبيين ، وإن آدم لمنجدل في طينته ، وسأخبركم عن ذلك : إني دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى ، ورؤيا أمي التي رأت ، وكذلك أمهات النبيين ، وإن أم رسول الله — صلى الله عليه وسلم — رأت حين وضعته نورا أضاءت له قصور الشام ، أحمد وابن حبان والحاكم . وفي حديث أبي أمامة عند أحمد نحوه ، ونصه عن لقمة بن عامر سمعت أبا أمامة قال : قلت يا نبي الله

رفع
المسـ هم
غفرالله له ولوالديه

. . . .

وهذا الخبر يُرْوى عنه ـ عليه السلامُ ـ على وجهين ، أحدهما : أنه شُقَّ عن قلبه ، وهو مع رابَّتِهِ ومُرْضعته فى بنى سعد ، وأنه جىء بطَسْتٍ من ذهب ، فيـــه ثلج فغسل به قلبه ، والثانى فيه : أنه غُسِل بماء زمزم ، وأن ذلك كان ليلة الإسراء حين عُرج به إلى السماء بعد ما بُعث بأعوام ، وفيه أنه أُتى بطَسْتٍ من ذهبٍ ممتلىء حكمةً وإيمانا ، فأُفرِغ فى قلبه . وذكر بعضُ من ألَّف فى شرحِ الحديث أنه تعارضٌ فى الروايتين ، وجعَل يأخذ فى ترجيح الرُّوَاة وتغليطِ بعضِهم ، وليس الأمرُ كذلك ، بل كان هذا التقديسُ وهذا التطهيرُ مرتين .

الأولى : فى حالِ الطُّفُوليَّة لِيُنقَّى قلبُهُ من مَغْمز الشيطان ، وليُطَهَّر ويُقدَّسَ من كل خُلُقٍ ذَميم ، حتى لاَ يتَلَبَّس بشىء مما يُعاب على الرِّجالِ ، وحتى لا يكونَ فى قلبه شىء إلا التوحيد ؛ ولذلك قال : فولَّيا عنى، يعنى : الملكين ، وكأنى أعاين الأمر مُعَاينةً .

والثانية : فى حال الاكْتِهالِ ، وبعد ما نُبِّىء ، وعندما أراد اللهُ أن يرفعه إلى الحضرة المُقَدَّسَةِ التى لا يصعد إليها إلا مُقَدَّس ، وعُرِجَ به هنالك

= ما كان بدء أمرك؟ قال : دعوة أبى إبراهيم ، وبشرى عيسى، ورأت أمى أنه خرج منها نور أضاء منه قصور الشام ، تفرد به أحمد، ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة . وقد روى قصة شق الصدر فى الطفولة أبو نعيم فى الدلائل عن طريق عمر ابن صبح مطولة جدا ، وعمر متروك كذاب متهم بالوضع .

. . . .

لتُفرَضَ عليه الصلاةُ ، وليُصلِّى بملائكةِ السمواتِ ، ومن شأنِ الصلاةِ :الطَّهور ، فقُدِّس ظاهرا وباطنا ، وغُسِل بماء زمزم .

وفى المرة الأولى بالثلج لِما يُشْعِر الثلجُ من ثَلْجِ اليقين وبَرْدِه على الفؤاد ، وكذلك هناك حصل له اليقينُ بالأمر الذى يُراد به وبوحدانيةِ ربه .

وأما فى الثانية ، فقد كان مُوقناً مُنَبَّأً ، فإنما طُهِّر لمعنى آخر ، وهو ماذكرناه من دخول حَضْرَةَ القُدُسِ والصلاةِ فيها ، ولقاء الملِكِ القُدُّوسِ ، فغسَله روحُ القُدُسِ بماء زمزم التى هى هَزْمَة رُوحِ القُدُس ، وهَمْزَة عَقِبه (١) لأبيه إسماعيل عليه السلام — وجىء بطَسْتٍ مُمتلِىء حكمةً وإيمانا ، فأُفرِغ فى قلبه ، وقد كان مؤمنا ، ولكن الله تعالى قال : ﴿ ليَزْدادوا إيماناً مع إيمانهم ﴾ الفتح : ٤ وقال : ﴿ ويَزْدادَ الذين آمنوا إيمانا ﴾ المدثر : ٣١ . فإن قيل : وكيف يكونُ الإيمانُ والحِكمةُ فى طَسْتٍ من ذَهَبٍ ، والإيمانُ عَرَض ، والأعراضُ لايوصف بها إلا مَحَلُّها الذى تقوم به ، ولا يجوز فيه الانتقال ، لأن الانتقال من صِفةِ الأجسام ، لا من صفة الأعراض ؟ قلنا :

إنما عُبِّر عما كان فى الطَّسْتِ بالحِكمة والإيمان ، كما عُبِّر عن اللبنِ الذى شَرِبه ، وأُعطِىَ فضلَه عُمَرُ — رضى الله عنه — بالعلم ، فكان تأويلُ ما أُفرِغَ فى قلبه حِكْمةً وإيمانا ، ولعل الذى كان فى الطَّسْتِ كان ثَلْجاً وبَرَدا — كما ذكر فى

---

(١) هزم البئر : حفرها ، والهمزة : النقرة ، هذا وسيأتى بيان أن الصلاة كانت مفروضة قبل الإسراء بنص القرآن والأحاديث الصحيحة . هذا وقوله : كأنى أعاين الأمر معاينة يؤكد أنه رؤيا منامية .

. . . .

الحديث الأول ـ فعبر عنه فى المرة الثانية بما يؤول إليه ، وعبر عنه فى المرة الأولى بصُورته التى رآها ؛ لأنه فى المرة الأولى كان طفلا ، فلما رأى الثلجَ فى طَسْتِ الذهبِ اعتقده ثَلْجًا ، حتى عَرَف تأويلَه بعد . وفى المرةِ الثانيةِ كان نَبيئًا ، فلما رأى طَسْتَ الذهب مملوءا ثَلجاً عــلم التأويل لِحينه واعْتقده فى ذلك المقام حكمةً وإيمانا ، فـكان لفظُه فى الحديثين على حَسَب اعتقاده فى المقامين .

مناسبة الذهب للمعنى المقصود :

وكان الذهبُ فى الحالتين جميعا مناسباً للمعنى الذى قُصِدَ به . فإن نظرتَ إلى لفظِ الذهبِ ، فمطابق للإذهابِ ، فإن الله ـ عز وجل ـ أراد أن يُذْهِبَ عنه الرِّجْسَ ، ويُطَهِّرَه تطهيرا ، وإن نظرتَ إلى معنى الذهب وأوصافِه وجدْتَه أنقى شىء وأصفاه ، يقال فى المثل : أنقى من الذهب . وقالت بَرِيرَةُ فى عائشة ـ رضى الله عنها ـ ما أعلم عليها إلا ما يَعْلَمَ الصَّائغُ على الذَّهبِ الأحمر . وقال حُذَيفة فى صِلَةَ بن أشْيَمَ رضى الله عنهما : إنما قلبُه من ذهب ، وقال جرير بن حازمٍ فى الخليلِ بن أحمد : إنه لرجلٌ من ذهب ، يريدون : النقاء من الْعُيوبِ ، فقد طابق طَسْتُ الذهب ما أريد بالنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ من نقاءِ قلبه . ومن أوصاف الذهب أيضاً المطابقةِ لهذا المقامِ ثِقَلُه ورُسُوبُه ، فإنه يُجْعَل فى الزِّيبَقِ الذى هو أثقلُ الأشياء ، فيرسب ، والله تعالى يقول : (إنَّا سَنُلْقى عليك قَوْلاً ثَقِيلا) المُزَّمِّل : ٥ . وقال عمرُ بن الخطاب ـ رضى الله عنه : إنما ثَقُلت موازينُ الْمُحِقِّين يوم القيامة ، لاتباعهم الحقَّ ، وحُقَّ لميزانٍ لا يُوضَعُ فيه إلا الحقُّ

. . . .

أن يكونَ ثقيلاً ، وقال فى أهلِ الباطلِ بعكس هذا . وقد روى : أنه أُنزلَ عليه الوحى ، وهو على ناقتِه ، فثقُل عليها حتى ساخت قوائمُها فى الأرض، فقد تطابقت الصفةُ المعقولةُ والصفةُ المحسوسةُ . ومن أوصافِ الذهبِ أيضا أنه لاتأكله النارُ ، وكذلك القرآنُ : لا تأكل النارُ يومَ القيامة قلباً وعاه ، ولا بدناً عمِلَ به ، قال النبي ــ صلى الله عليه وسلم : « لو كان القرآنُ فى إهابٍ ، ثم طُرح فى النار ما احترق(١) » ومن أوصاف الذهب المناسبةِ لأوصافِ القرآن والوحى : أنَّ الأرض لا تُبليه ، وأن الثرى لا يَذرِيه ، وكذلك القرآن لا يَخلَق على كثرة الرَّدِّ ، ولا يُستطاع تغييرُه ولا تبديلُه ، ومن أوصافه أيضا : نفاستُه وعِزَّته عند الناسِ ، وكذلك الحقُّ والقرآنُ عزيزٌ ، قال سبحانه : (وإنه لَكِتابٌ عَزِيز) فُصِّلت : ٤١ . فهذا إذا نظرت إلى أوصافِه ولفظِه ، وإذا نظرت إلى ذاته وظاهره، فإنه زُخرُفُ الدُّنيا وزينتُها ، وقد فتح بالقرآنِ والوحيِ على محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ وأمته خزائنُ الملوكِ ، وتصيَّر إلى أيديهم ذهبُها وفضتُها ، وجميعُ زُخرُفِها وزينتها ، ثم وعِدوا باتباع القرآن والوحى قُصُورَ الذهبِ والفضةِ فى الجنة . قال ــ صلى الله عليه وسلم : «جنَّتانِ من ذَهبٍ ، آنيتُهما ومافيهما من ذهب(٢) » وفى التنزيل: (يُطافُ عليهم بِصِحَافٍ من ذَهَبٍ) الزُّخرُف: ٧١ (وَيُحَلَّوْنَ فيها من أَساوِرَ مِن ذهب ولُؤْلُؤاً وَلِباسُهم فيها حرير) الحج : ٢٣ وفاطر : ٣٣

---

(١) رواه الطبرانى . وفى الجامع للسيوطى أنه ضعيف .

(٢) من حديث رواه الجماعة إلا أباداود : «جنتان من فضة آنيتهما ومافيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم عز وجل إلا رداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن » .

رفع
المسلم
عز الله لطالبي الكتب

. . . .

فكان ذلك الذهبُ يُشعر بالذهب الذى يصير إليه مَن اتبع الحقَّ ، والقرآنُ وأوصافه تشعر بأوصاف الحق ، والقرآن ولفظُه يُشعر بإذهاب الرِّجس ، كما تقدم ، فهذه حكم بالغة(١) لمن تأمل ، واعتبار صحيح لمن تدبر ، والحمد لله .

وفى ذكر الطَّسْتِ وحروفِ اسمــــه حكمة تنظر إلى قوله تعالى : (طس. تلك آياتُ القرآنِ وكتابٍ مبين(٢))النَّمل:١وممَّا يسئل عنه : هل خُص هو – صلى الله عليه وسلم – بغسل قلبه فى الطست ، أم فُعل ذلك بغيره من الأنبياء قبله، ففى خبر التابوت والسكينة ، أنه كان فيه الطَّسْتُ التى غُسِلتْ فيها قلوبُ الأنبياء عليهم السلام . ذكره الطبرى(٣) ، وقد انتزع بعضُ الفقهاءِ من حديث الطَّسْت حيثُ جُعِل مَحلاً للإيمان والحكمةِ جوازَ تحليةِ المُصْحَف بالذهب ، وهو فقه حَسَن(٤) ، ففى حديث أبى ذر – رضى الله عنه – هذا الذى قدمناه ، متى علم أنه نبىّ .

---

(١) تأويلات مغربة ، وإن كانت تشهد بذكاء ، لكنها لاترف بسكينة على القلب ، وشأن القرآن أعظم .

(٢) وهذا أغرب ، وأشد بعدا ، وتقرأ طس هكذا : « طا سين » .

(٣) يشير إلى قوله تعالى: « وقال لهم نبيهم : إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم ، وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة) البقرة : ٢٤٨ . وقد روى العوفى عن ابن عباس أن السكينة هى الرحمة . كما فسرها عطاء تفسيرا طيبا ، إذ قال لابن جريج لما سأله عنها : أما تعرفون من آيات الله فتسكنون إليه . وروى ابن كثير ما ذكره السهيلى بصيغة تفيد تضعيفه إذ جاء قبله بكلمة : وقيل . وخب فيها وهب بن منبه ووضع ، فأتى بالعجب العجاب من الأساطير .فقال : السكينة :رأس هرة ميتة

(٤) رد ابن القيم هذا الرأى .

رفع المسهم

. . . .

الحكمة في ختم النبوة :

والحكمة فى خاتم النبوة على جهة الاعتبار أنه لمَّا مُلِىء قلبُه حكمةً ويقينا ، خُتِم عليه كما يُختَم على الوعاءِ المملوءِ مِسْكاً أو دُرًّا ، وأما وَضْعُه عند نُغْض(١) كتفِهِ ، فلأنَّه معصومٌ من وَسْوَسة الشيطان، وذلك الموضع منه يُوسْوِس الشيطانُ لابن آدم . روى مَيْمُون بن مهران عن عُمَر بن عبدِ العزيز أنّ رجلا سَأل ربَّه أن يُرِيَهُ مَوْضِعَ الشيطان منه(٢) ، فأُرِيَ جَسَدًا مُمَهًى(٣) يُرى داخلُه من خارجِه ، والشيطانُ فى صُورةِ ضِفْدِعٍ عند نُغْضِ كتفه(٤) حِذَاءَ قلبه ، لهُ خُرْطُوم، كخُرْطُومِ البَعُوضَة ، وقد أدخله إلى قلبِه يوسوس ، فإذا ذكر الله تعالى العبدُ خَنَس(٥) .

---

(١) هو أعلى منقطع غضروف الكتف .

(٢) فى شرح المواهب : «موضع الشيطان من ابن آدم» . وفى النهاية: موقع

(٣) ضبطُها فى اللسان وفى معجم ابن فارس وفى النهاية هكذا ، وضبطها الزرقانى بضم الميم الأولى وسكون الثانية، وتخفيف الهاء اسم مفعول من: أمهاه ، أى مصفًّى ، وفى النهاية : أنه رأى ذلك منا ما ، قال : والمها : البلور ، وكل شىء صفىٍّ ، فهو ممهى تشبيها به . زاد فى الفائق : ومقلوب من مموه ، وهو مُفَعَّل من أصل الماء . أى مجعول ماء ص ١٥٤ ج ١ .

(٤) فى شرح المواهب : « وأرى الشيطان فى صورة ضفدع عند كتفه » .

(٥) فى شرح المواهب : « وقد أدخله فى منكبه الأيسر إلى قلبه يوسوس إليه » ، والحديث مقطوع. ص ١٥٤ ج ١ شرح المواهب . وفى اللسان نقلا عن النهاية لابن الأثير: «فرأى فيما يرى النائم جسد رجل مُمَهًّى» . وحذاء : مقابل . وخنس : تأخر وغاب . وانظر ص ٤٣٩ وما بعدها فتح البارى ج ٦ .

رفع المسهم

. . . .

رد حليمة النبي « ص » :

فصل : وكانَ ردُّ حليمةَ إيَّاه إلى أمِّه وهو ابنُ خمسِ سنينَ وشهر ، فيما ذكر أبو عُمَرَ(١) ، ثم لم تره بعد ذلك إلا مرتين : إحداهما بعد تزْويجه خديجة — رضى اللهُ عنها — جاءته تشكو إليه السَّنَة ، وأن قومَها قد أسْنَتُوا(٢) فكلَّم لها خديجةَ ، فأعْطتْها عِشرينَ رأساً من غنَمٍ وبَكَرَاتٍ ، والمرة الثانية : يوم حُنينٍ(٣) وسيأتى ذكرُها إن شاء الله .

تأويل النور الذى رأته آمنة :

فصل : وذكر النورَ الذى رأته آمنة ، حين ولدته عليه السلامُ ، فأضاءت لها قصور الشام ، وذلك بما فتح اللهُ عليه من تلك البلاد ، حتى كانت الخلافةُ فيها مدة بنى أمية ، واستضاءت تلك البلادُ وغيرُها بنورِه — صلى الله عليه وسلم — وكذلك رأى خالدُ بنُ سَعيد بن العاصِى قبل المَبْعَثِ بيسيرٍ نُوراً يخرج من زَمْزَم ، حتى ظهرت له الْبُسْرُ(٤) فى نخيلِ يَثْرِب ، فقصَّها على أخيه عَمْرٍو ،

(١) يعنى ابن عبد البر . وفى الأصل : عمرو وهو خطأ . وفى المواهب نقلا عن ابن عبد البر أنها ردته بعد خمس ويومين ، وتفيد بعض الروايات أنها ردته فى السنة الثالثة ، أو الرابعة ، أو السادسة ، وجزم الحافظ العراقى وابن حجر أنها ردته فى الرابعة ص ١٥٠ ج١ المواهب .

(٢) أسنتوا : أجدبوا .

(٣) ذكره الأموى .

(٤) البسر أوله : طَلْع ثم : خَلال بالفتح ، ثم بلح بفتحتين ، ثم بُسْر ، ثم : رُطب ثم : تمر .

عود إلى حديث ابن إسحاق :

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : «ما مِنْ نَبِيٍّ إلاَّ وَقَدْ رَعَى الغَنَمَ ، قيل : وأنت يا رسولَ الله ؟ قال : وأنا» .

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول لأصحابه : «أنا أعربُكم ، أنا قُرَشِيٌّ ، واسْتُرْضِعْتُ في بني سَعْدِ بن بكر» . [حديث ضعيف]

قال ابن إسحاق : وزعم الناسُ فيما يتحدثون ، والله أعلم : أنّ أُمَّه السعدية لما قدمت به مكة أضلَّها في الناس ، وهي مقبلة به نحو أهله ، فالتمسته فلم تجده ، فأتت عبد المطَّلب ، فقالت له : إني قد قَدِمت بمحمد هذه الليلة ، فلما كنت بأعلى مكَّة أضلَّني ، فوالله ما أدرى أين هو ، فقام عبدالمطَّلِب عند الكعبة يدعو الله أن يردّه ، فيزعمون أنه وجدَه ورقةُ بنُ نوفل بنِ أسَد ، ورجل آخر من قريش ، فأتيا به عبدَ المطلب ، فقالا له : هذا ابنك وجدناه بأعلى مكة ، فأخذه عبدالمطلب ، فجعله على عُنقه ، وهو يطوف بالكعبة يُعوِّذه ويدعو له ، ثم أرسل به إلى أمه آمنة .

قال ابن إسحاق : وحدّثني بعض أهل العلم ، أن مما هاج أمه السعدية على ردِّه إلى أمه ، مع ما ذكرتْ لأمه مما أخبرتها عنه ، أن نفراً من الحبشة نصارى رأوْه معها حين رجعتْ به بعدَ فِطامه ، فنظروا إليه ، وسألوها عنه وقلَّبوه ، ثم قالوا لها : لَنأْخُذَنَّ هذا الغلامَ ، فَلَنَذْهَبَنَّ به إلى مَلِكنا وبَلدنا ؛ فإن هذا غلام كائن له شأن نحن نعرف أمرَه ، فزعم الذى حدثني أنها لم تكَدْ تنفلت به منهم

فقال له : إنها حفيرةُ عبدِ المُطَّلِبِ ، وإن هذا النورَ منهم ، فكان ذلك سببَ مُبادرَته إلى الإسلام .

رفع المسهم

وفاة آمنة

وحال رسول الله صلى الله عليه وسلم مع جده عبد المطلب بعدها

قال ابن إسحاق: وكان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — مع أُمِّه آمنة بنت وَهب، وجدّه عبد المطلب بن هاشم فى كَلاءَة الله وحِفْظِه، يُنْبته الله نباتا حسنا، لما يريد به من كرامته، فلما بلغ رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — ستَّ سنين، توفيت أُمُّه آمنة بنت وَهْب.

قال ابن إسحاق: حدثنى عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم:

أن أمّ رسول الله — صلى الله عليه وسلم — آمنة تُوفِّيت ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم — ابن ستّ سنين بالأبْواء، بين مكة والمدينة، كانت قد قَدِمت به على أخواله من بنى عدىّ بن النَّجَّار، تُزيره إيَّاهم، فماتت، وهى راجعة به إلى مكَّة.

قال ابن هشام: أمّ عبد المطلب بن هاشم: سَلْمى بنت عمرو النجَّارية فهذه الخُئُولة التى ذكرها ابنُ إسحاق لرسول الله — صلى الله عليه وسلم — فيهم.

قال ابن إسحاق: وكان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — مع جده عبد المطلب بن هاشم، وكان يُوضع لعبد المطلب فراش فى ظلّ الكعبة، فكان بَنوه يجلسون حول فِرَاشه ذلك، حتى يخرج إليه، لا يجلس عليه أحدٌ من بنيه إجلالا له، قال: فكان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يأتى، وهو غُلام جَفْر، حتى يجلس عليه، فيأخذه أعمامُه، ليؤخّروه عنه، فيقول عبد المطلب

. . . .

إذا رأى ذلك منهم : دَعُوا ابنى ، فوالله إنّ له لشأنا ، ثم يُجلسه معه على الفراش ، ويمسح ظهره بيده ، ويسره ما يراه يصنع .

رعيه الغنم :

فصل : وذكر قولَ النبيّ - صلى الله عليه وسلم : « ما مِنْ نَبِيٍّ إلا وقد رَعَى الغنَمَ . قيل : وأنت يارسول الله ؟ قال : وأنا » وإنما أراد ابنُ إسحاق بهذا الحديث رِعَايته الغنَمَ فى بنى سَعْدٍ مع أخيه من الرّضاعة ، وقد ثبت فى الصحيح أنه رعاها بمكةَ أيضا على قراريطَ لأهلِ مكةَ . ذكره البخارى ، وذكر البخارى عنه أيضاً أنه قال : ما هَمَمْتُ بشىء من أمرِ الجَاهِلِيَّةِ إلاَّ مرتين ، وروى أن إحدى المرتين كان فى غَنَمٍ يرعاها هو وغُلامٌ من قُرَيْشٍ ، فقال لصاحبه : اكْفِنِى أمرَ الغَنَمِ حتى آتىَ مكةَ ، وكان بهاعُرسٌ فيها لَهوٌ وزَمْرٌ ، فلما دنا من الدارِ ليحضرَ ذلك ، أُلقِىَ عليه النومُ ، فنام حتى ضربته الشمسُ عِصمةً من اللهِ له . وفى المرة الآخرةِ قال لصاحبه مثلَ ذلك ، وأُلقى عليه النومُ فيها ، كما أُلقِىَ فى المرةِ الأولى . ذكر هذا المعنى ابنُ إسحاق فى غير رواية البَكَّائىِّ . وفى غريبِ الحديث لِلْقُتَبِىِّ : « بُعِثَ موسى — صلى الله عليه وسلم — وهو راعى غنمٍ ، وبُعث داودُ — صلى الله عليه وسلم — وهو راعى غنمٍ ، وبعثتُ ، وأنا راعى غنم أهلى بأجْيَادَ(١) » وإنما جعل اللهُ هذا فى الأنبياء

(١) جبل بمكة ، وهما أجيادان كبير وصغير ، وهما محلتان بمكة . وقيل فيه : جياد بغير ألف وقد سبق .

. . . .

تَقْدِمَةً لهم ، ليكونوا رعاةَ الخَلْقِ ، ولتكونَ أُمَمُهُمْ رعاياهم ، وقد رأى رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — أنه يَنْزِع على قَلِيبٍ(١) وحَوْلها غَنَمٌ سُودٌ ، وغَنَمٌ عُفْرٌ(٢) . قال : ثم جاء أبو بكر — رضى الله عنه — فنزَعَ نَزْعاً ضعيفاً ، والله يَغْفِرُ له ، ثم جاء عمرُ فاسْتَحالَتْ غَرْباً(٣) يعنى : الدَّلْوَ ، فلم أر عَبْقَرِيّاً يَفْرِى فَرِيَّهُ(٤) فأوَّلها الناسُ فى الخلافةِ لأبى بكر ، وعمر رضى الله عنهما ، ولولا ذِكْرُ الغَنَمِ السود و العُفْرِ لَبَعُدت الرُّؤْيا عن معنى الخلافةِ والرعاية ؛ إذِ الغَنَمُ السُّودُ والعُفْرُ عبارةٌ عن العربِ والعَجَم ، وأكثرُ المُحدِّثين لم يذكروا الغَنَمَ فى هذا الحديثِ . ذكره البَزَّارُ فى مُسْنَدِه ، وأحمدُ بن حنبلٍ أيضاً ، وبه يصح المعنى ، والله أعلم .

فى كفالة العم :

فصل : وذكر كَوْنَ النبى — صلى الله عليه وسلم فى كفالة عمه يَكْلَؤُه

---

(١) القليب : البئر قبل أن تبنى بالحجارة ونحوها يذكر ويؤنث . وقال أبو عبيدة : هى البئر العادية القديمة . ونزع الدلو : استقى بها .

(٢) العفر : جمع عفراء : ما يعلو بياضها حمرة ، أو البيضاء ليست بالشديدة البياض ، أو التى فى سراتها حمرة ، وخاصرتها بيضاء . والسَّراة : أعلى الظهر والوسط

(٣) الدَّلْو العظيمة .

(٤) يعمل عمله العظيم ، ويقطع قطعه . وفَرِيَّه تقال : بفتح الفاء وسكون الراء وفتح الياء أيضا ، والحديث متفق عليه بدون ذكر الغنم . وحديث : أنا أعربكم رواه ابن سعد والطبرانى ، وفى رواته مبشر بن عبيد ، وهو متروك ، وقال السيوطى : ضعيف .

رفع المسهم غفر الله له

. . . .

ويحفَظه . فَمِنْ حفظ الله له فى ذلك أنه كان يتيما ليس له أبٌ يرحمه ، ولا أمٌّ تَرْأَمُه(١) لأنها ماتت ، وهو صغيرٌ ، وكان عِيَالُ أبى طالبٍ ضَفَفاً ، وعَيْشُهم شَظَفاً(٢) ، فكان يوضع الطعامُ له ولِلصِّبْيَةِ من أولادِ أبى طالبٍ ، فيتطاولون إليه ، ويتقاصر هو ، وتَمْتَد أيديهم ، وتَنْقَبِض يدُه تكرُّماً منه واسْتِحياء ونزاهةَ نفسٍ وقَناعَةَ قلبٍ ، فيصبحون غُمْصاً رُمْصاً ، مُصْفَرَّةً ألوانُهم(٣) ويُصبِحُ هو — عليه السلامُ — صَقِيلاً دَهِيناً(٤) كأنه فى أنعَمِ عَيْشٍ ، وأعز كِفايَةٍ ، لُطْفاً من اللهِ — عز وجل — به . كذلك ذكره القُتَبِىُّ فى غريبِ الحديث .

موت آمنة وزيارته لها :

فصل : وذكر موت أمه آمنة بالأبواء ، وهو مَوْضع مَعْروفٌ بين مكةَ

---

(١) تحبه وتحنو عليه وتعطف . والمذكور فى السيرة مع الحفظ والكلاءة هو : عبد المطلب ، لا أبو طالب كما فى الروض .

(٢) الضفف : كثرة العيال . والشظف والشظاف : الضيق والشدة ، ويبس العيش وشدته .

(٣) الرمص — كما فى الصحاح — وسخ يجتمع فى الموق ، فإن سال فهو غمص ، وإن جمد فهو رمص ، يقال : عين رمصاء ، وهو أرمص . وهو أغمص ، وهى غمصاء

(٤) صقيل : مجلو . ودهين : مدهون بالدهن كناية عن حسنه ونضارته . وفى حديث الرضاع كلمات نفسرها هنا : ظئر : أصلها الناقة التى تعطف على ولد غيرها ، فتدر عليه ، فسميت المرأة التى ترضع ولد غيرها ظئرا . والجفر : الغليظ الشديد. منتقع : متغير . الحافل : الممتلئة الضرع . اربعى علينا : أقيمى وانتظرى . والعجف : الهزال « عن الخشنى ص ٥٦ »

رفع
المسيهم
عز الله الطول الله

. . . .

والمدينة ، وهو إلى المدينةِ أقرب كأنه سُمِّى بجَمْعِ بَوٍّ ، وهو جِلْد الْحُوار(١) الْمَحْشُوِّ بالتبن وغيرِه ، وقيل : سُمِّىَ بالأبواءِ لتبَوُّء السُّيُولِ فيه ، وكذلك ذكر عن كثير . ذكره قاسم بن ثابت .

وفى الحديث أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — زار قبرَ أمِّه بالأبواءِ فى ألفِ مُقَنَّع ، فبكى وأبكى ، وهذا حديث صحيح(٢) ، وفى الصحيح أيضاً أنه قال : استأذنت ربى فى زيارة قبر أمى ، فأذن لى ، واستأذنته أن أستغفر لها ، فلم يأذن لى (٣) . وفى مُسْنَد الْبَزَّار من حديث بُرَيْدَةَ أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين أراد أن يستغفرَ لأمه ، ضرب جبريلُ عليه السلام فى صَدْرِه ، وقال له : لا تستغفر لمن كان مُشْرِكا ، فرجَع وهو حزين .

وفى الحديث زيادةٌ فى غير الصحيح أنه سُئل عن بُكائه ، فقال : ذكرت ضَعْفَها وشدةَ عذابِ الله ، إن كان صَحَّ هذا .

---

(١) ولد الناقة حتى يفصل . وذكر صاحب المراصد : أن الأبواء قرية من أعمال الفرع ، والفرع : قرية من نواحى الربذة عن يسار السقيا ، بينها وبين المدينة ثمانية برد ، من المدينة بينها وبين الجحفة مما يلى المدينة ثلاثة وعشرون ميلا . وقيل : جبل عن يمين آره ويمين المصعد إلى مكة من المدينة .

(٢) رواه أحمد وفيه : « ثم أقبل علينا بوجهه وعيناه تذرفان ، فقام إليه عمر ابن الخطاب ، وفداه بالأب والأم ، وقال : رسول الله ، مالك ؟ قال : إنى سألت ربى عز وجل فى الاستغفار لأمى ، فلم يأذن لى ، فدمعت عيناى رحمة لها من النار » .

(٣) مسلم وابن ماجة .

رفع
المسهم

. . . .

وفى حديثٍ آخرَ مايُصَحِّحُهُ ، وهو أن رجلا قال له : يارسولَ الله : أين أبى ؟ فقال : فى النار ، فلما وَلّىَ الرجلُ ، قال عليه السلام : إن أبى وأباك فى النار (١) ، وليس لنا أن نقولَ نحن هذا(٢) فى أبويه — صلى الله عليه وسلم لقوله عليه السلام : لا تُؤذُوا الأحياءَ بِسَبِّ الأمواتِ ، واللهُ عزَّ وَجَلَّ يقول : ﴿ إن الذين يُؤْذُونَ الله وَرَسُولَه[لعنهم اللهُ فى الدنيا والآخرةِ] ﴾.

---

(١) فى رواية مسلم : فلما قفا : دعاه ، فقال : إن أبى وأباك فى النار . والحديث رواه أبو داود أيضا . وقيل عن الرجل الذى سأل : أنه أبو رزين العقيلى أو حصين بن عبيد والد عمران . وفى مسند أحمد أن أبا رزين سأل عن أمه : أين هى ، فقال : كذلك . هذا ، وقد ذكر البيهقى عدة أحاديث فى هذا ، ثم قال بعد روايته لها فى دلائل النبوة : « وكيف لا يكون أبواه وجده ـ عليه الصلاة والسلام ـ بهذه الصفة فى الآخرة ، وقد كانوا يعبدون الوثن ، حتى ماتوا ، ولم يدينوا دين عيسى بن مريم عليه السلام ، وكفرهم لا يقدح فى نسبه ـ عليه الصلاة والسلام ـ لأن أنكحة الكفار صحيحة . ألا تراهم يسلمون مع زوجاتهم ، فلا يلزمهم تجديد العقد ، ولا مفارقتهن إذا كان مثله يجوز فى الإسلام » ويقول ابن كثير : « وإخباره عن أبويه وجده عبد المطلب بأنهم من أهل النار لا ينافى الحديث الوارد عنه من طرق متعددة أن أهل الفترة والأطفال والمجانين والصم يمتحنون فى العرصات يوم القيامة كما بسطناه سندا ومتنا — فى تفسيرنا — عند تفسير قوله تعالى : (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) الإسراء : ١٥ . فيكون منهم من يجيب ، ومنهم من لا يجيب . فيكون هؤلاء من جملة من لا يجيب ، فلا منافاة ولله الحمد والمنة » ص ٢٨١ جـ٢ البداية ، ورغم هذا فإنى أذكر بقول الله : (تلك أمة قد خلت لهـــا ما كسبت ، ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون) البقرة : ١٤١ .

(٢) إذا سئلنا صدعنا بالحق .

رفع
المسلم
عبدالله الطيالسي

. . . .

الأحزاب : ٧٥ . وإنما قال النبي — صلى الله عليه وسلم — لذلك الرجل هذه المقالة ، لأنه وَجَد فى نفسه ، وقد قيل : إنه قال : أين أبوك أنت ؟ فحينئذٍ قال ذلك ، وقد رواه مَعْمَرُ بن راشدٍ بغير هذا اللفظ ، فلم يذكر أنه قال له : إن أبى وأباك فى النار ، ولكن ذَكَر أنه قال له : إذا مَرَرْتَ بقبرِ كافرٍ ، فبشره بالنار(١) ، ورُوِىَ حديثٌ غريبٌ لعله أن يصحَّ . وجدته بخط جَدِّى أبى عِمْران أحمد بن أبى الحَسَن القاضى — رحمه الله — بسندٍ فيه مجهولون ، ذكر أنه نقله من كتابٍ ، انْتُسِخَ مِن كتابِ مُعَوِّذِ بن داود بن مُعوِّذ الزاهِد يرفعه إلى [عبد الرحمن ابن] أبى الزناد عن [هشام بن] عُروة ، عن [أبيه عن] عائشةَ — رضى الله عنها — أخبرت أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — سأل ربَّه أن يُحْيِىَ أبويه ، فأحياهما له ، وآمنا به ، ثم أماتهما ، والله قادر على كُلِّ شىء ، وليس تعجز رحمتُه وقدرتُه عن شىء ، ونبيُّه عليه السلام أهلٌ أن يَخُصَّه بما شاء من فضله ، ويُنْعِم عليه بما شاء من كرامته — صلوات الله عليه وآله وسلم — قال القرطبى فى تذكرته : جزم أبو بكر الخطيب فى كتاب : السابقِ واللاحق ، وأبو حفص عُمَرُ بن شاهين فى كتاب الناسخ والمنسوخ له فى الحديث بإسناديهما عن عائشة — رضى الله عنها — قالت : حَجَّ بنا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — حجة الوداع ، فمر على قبر أمه ، وهو باكٍ حزين مُغْتَمٌّ ، فبكيت لبكائه — صلى الله عليه وسلم — ثم إنه نزل فقال : يا حُميراء استمسكى ، فاستندتُ إلى جَنْبِ البعير ، فمكث عنى طويلا مَلِيًّا ، ثم إنه عاد إلىّ ، وهو فَرِحٌ مُتَبَسِّم ، فقلت له : بأبى أنت وأمى

---

(١) ورواه البيهقى والبزار والطبرانى فى الكبير وفيه عن الأب : إنه فى النار وقال عنه ابن كثير : غريب ولم يخرجوه من هذا الوجه .

المسلم

وفاة عبد المطلب : وما رثى به من الشعر

فلما بلغ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - ثمانى سنين هلَك عبدُ المطّلِب بنُ هاشم ، وذلك بعد الفيل بثمانى سنين .

قال ابن إسحاق : وحدثنى العبّاس بن عبد الله بن مَعْبد بن عَباس ، عن بعض أهله : أن عبدالمطّلِب تُوفى ورسولُ الله -صلى الله عليه وسلم- ابنُ ثمانى سنين

يارسول الله نزلت من عندى ، وأنت باكٍ حزين مُغْتمٌّ . فبكيت لبكائك . ثم عدتَ إلىّ ، وأنت فَرِحٌ مبتسم ، فَمِمَّ ذا يارسول الله ، فقال : ذهبت لقبر آمنة أمى ، فسألت أن يحييها ، فأحياها فآمنت بى (١) ؛ أو قال : فآمنت . وردها الله عز وجل .

---

(١) قال ابن كثير فى البداية عن حديث ابن أبى الزناد : منكر جداً . وقال فى التفسير عن أحد الأحاديث : وأغرب منه وأشد نكارة مارواه الخطيب البغدادى فى كتاب السابق واللاحق بسند مجهول عن عائشة فى حديث فيه قصة أن الله أحيا أمه الخ وقال الدارقطنى : باطل ، وكذا مارواه السهيلى فى الروض بسند فيه جماعة مجهولون أن الله أحيا له أباه وأمه ، وقال ابن دحية عن حديث إحياء الأم : هذا الحديث موضوع يرده القرآن والإجماع . قال تعالى : « ولا الذين يموتون ، وهم كفار » وقال : «فيمت وهو كافر » فمن مات كافرا لم ينفعه الإيمان بعد الرجعة ، بل لو آمن عند المعاينة لم ينفعه ، وكيف بعد الإعادة ، ص ١٦٨ ح ١ المواهب .

وقيل إن أمه ماتت وسنه أربع كما حكى العراقى ومغلطاى ، وقيل : ست وبه قطع ابن إسحاق . وقيل : سبع كما حكاه ابن عبد البر ، وقيل : تسع ، وينسب إلى حكاية مغلطاى أيضاً ، وقيل : اثنتا عشرة سنة وشهر وعشرة أيام ، وينسب إلى حكاية مغلطاى . وقيل : ثمان ، وهو قول ابن حبيب .

رفع المسهم

قال ابن إسحاق : حدثنى محمد بن سَعيد بن المُسَيِّب : أن عبد المطلب لما حضرته الوفاةُ ، وعَرَف أنه ميت جمع بناتِه ، وكنّ ستّ نِسْوة : صفية ، وبَرّة ، وعاتكة ، وأمّ حكيم البَيْضاء ، وأُمَيْمة ، وأرْوَى ، فقال لهن : ابكين علىّ حتى أسمع ما تقلْن قبل أن أموت .

قال ابن هشام : ولم أر أحداً من أهل العلم بالشعر يعرف هذا الشعر ، إلا أنه لما رواه عن محمد بن سَعيد بن المسيب ، كتبناه :

فقالت صَفِيَّة بنة عبد المطَّلِب تَبْكى أباها :

أرِقْتُ لصَوت نائحةٍ بلَيْلٍ ... على رَجُل بقارِعَة الصَّعيد
فَفاضَتْ عند ذَلكُم دُمُوعى ... على خَدى كمُنْحَدِرِ الفَرِيدِ
على رَجُل كَرِيمٍ غير وَغْل ... له الفَضْلُ المُبِين على العَبيد
على الفَيَّاض شَيْبَةَ ذى المَعالى ... أبيكِ الخَيْرِ وارِثِ كلّ جُود
صَدُوق فى المَواطِنِ غير نِكْس ... ولا شَخْت المَقام ولا سَنِيد
طَوِيلِ الباع ، أرْوَع شَيْظَمِىّ ... مُطاعٍ فى عَشِيرته حَمِيد
رَفيعِ البيت أبْلجَ ذى فُضُول ... وغَيْثِ النَّاس فى الزَّمن الحَرُودِ
كريمِ الجَدِّ ليس بذى وُصُوم ... يَرُوقُ على المُسوَّد والمَسُودِ
عظيمِ الحِلْمِ من نَفَر كِرَام ... خَضَارِمَةٍ مَلاوِثَةٍ أُسُود
فلوْ خَلَد امْرُؤٌ لقديم مجْد ... ولكنْ لاسَبيلَ إلى الخُلُود
لكانَ مُخَلَّداً أخْرَى اللَّيالى ... لِفَضْل المَجد والحَسَب التَّليد

وقالت بَرّة بنت عبد المطلب تبكي أباها :

أعَيْنىّ جُـودَا بدَمْع دِرَرْ　　على طَيِّب الخِيم والمُعْتَصَرْ
على ماجد الجدّ وارى الزِّناد　　جميل المُحَيَّا عظيم الخطَر
على شَيْبَة الحَمْد ذى المَـكْرُمات　　وذى المَجْد والعِزّ والمُفْتَخَر
وذى الحلم والفَضْل فى النَّائبات　　كثير المَـكارِم ، جَمّ الفجَر
له فَضْل مَجْـد على قَومه　　مُنير ، يلوحُ كضَوْء القمَر
أتَتْـهُ المَنايا ، فلم تُشْـوِه　　بصَرْف اللّيالى ، ورَيْب القدَر

وقالت عاتكة بنت عبد المطلب تبكي أباها :

أعَيْنىّ جُـودَا ، ولا تَبْخَلا　　بدمْعِكما بَعْـدَ نَوْم النيامْ
أعَيْنَىَّ وَاسْحَنْفِرَا وَاسْكُبا　　وشُوبا بكاءَكما بالْتِـدام
أعَيْنىّ ، وَاسْتَخْرِطا وَاسْجُما　　على رَجُلٍ غير نِكْس كَهَام
على الْجَحْفَلِ الغَمْرِ فى النَّائبات　　كريم الْمَساعى ، وفىّ الذِّمام
على شَيْبَة الْحَمْدِ ، وَارِى الزِّناد　　وذى مَصْدَق بعدُ ثَبْت الْمَقام
وسَيْف لدَى الحرب صَمْصامَة　　ومِرْدَى الْمُخَاصِم عنْد الخصام
وسَهْل الْخَلِيقة طَلْق اليديْنِ　　وَفٍ عُـدْمُلِىّ صَمِيم لُهَام
تَبَنَّكَ فى باذِخٍ بَيْتُـه　　رفيعُ الذُّؤَابة صَعْب الْمَرام

وقالت أم حَكِيم البَيْضاء بنت عَبْد المطَّلِب تَبْـكى أباها :

ألاَ يا عينُ جُودِى واسْتَهِلِّى　　وبَـكِّى ذا النَّدَى والْمَـكْرُمات

أَلا يا عَــيْنُ وَيْحكِ أَسْعِفِينِى ... بدمْعٍ من دُمُوع هاطلات
وَبَـكّى خيرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطايا ... أَباكِ الْخَــيْرَ تيَّارَ الفُرات
طَوِيل الباع شَيْبَة ذا الْمَعالى ... كريم الخِيم محْمود الْهِبَات
وَصُولاً للقَرَابَة هِــبْرِزِيًّا ... وغَيْثا فى السِّنين الْمُمْحِلات
وَلَيْثا حين تَشْتَجِرُ العَوالى ... تَرُوقُ لَهُ عُيونُ النَّاظِرَات
عَقِيلَ بَنى كِنَانة والْمُرَجَّى ... إذا ما الدَّهْرُ أَقْبَل بالْهِنَات
ومَفْزَعها إذا ما هاجَ هَيْــجٌ ... بداهية ، وخَصْمَ الْمُعْضلات
فَبَكيه ، ولا تَسَمِى بِحُزْن ... وبكّى ، ما بَقيتِ ، الباكيات

وقالت أُمَيْمة بنت عبد المُطلِب تبكى أباها :

أَلا هَلَكَ الراعى العشيرةَ ذو الفَقْدْ ... وساقى الْحَجِيجِ ،والمحامى عن المجد
ومن يُؤْلفَ الضَّيفَ الغريبَ بيوتَه ... إذا ما سماءُ الناس تَبْخَلُ بالرَّعد
كسبتَ وليداً خير ما يَكْسِبُ الفتى ... فلم تَنْفَكِكْ تَزْدادُ ياشَيْبة الحَمْد
أبو الحارث الفَيَّاض ، خَلَّى مكانه ... فلا تَبْعَدَنْ ، فكل حى إلى بُعْدِ
فإنِى لَباكٍ — ما بقيتُ — وَمُوجَعٌ ... وكان له أهلا لما كان من وَجْدى
سقاكَ وَلِىُّ النَّاس فى القبر مُمْطِراً ... فسوف أُبكِّيه،وإن كان فى اللَّحْد
فقد كانَ زَيْنا للعَشيرَة كُلِّها ... وكان حَميداً حيثُ ما كان من حَمْد

وقالت أرْوى بنتُ عبد المطَّلب تبكى أباها:

بكَتْ عَينى ، وحُقَّ لها البُكاء ... على سَمْحٍ ، سَجِيَّتُهُ الحياء

عَلى سَهْلِ الْخَلِيقَةِ أَبْطَحِيّ   كَرِيم الخِيم ، نِيَّتُه العَلاء
عَلى الفيَّاض ِ شَيْبَةَ ذى المعالى   أبيكَ الْخَيْرِ ليسَ له كِفاء
طَويل الباع أملس ، شَيْظَمِيٍّ   أغرّ كأنّ غُرّته ضياء
أقَبِّ الكَشْحِ،أرْوعَ،ذى فُضُول   له الْمَجْدُ الْمُقَدَّمُ والسَّناء
أبىِّ الضَّيْم ، أَبْلَجَ هِبْرِزِيّ   قَديم الْمَجْد ليسَ له خَفاء
ومَعْقِلِ مالكٍ ، ورَبيع فِهْر   وفاصِلِها إذا التُمس القَضاء
وكان هُوَ الفتَى كَرَما وجُوداً   وبأسا حين تَنْسكب الدّماء
إذا هابَ الكُماةُ الْمَوْتَ حتى   كأنّ قُلُوبَ أكثرهم هَواء
مضَى قُدُما بذى رُبَد خَشِيب   عليه حينَ تُبْصره البَهاء

قال ابن إسحاق : فزعم لى محمد بن سَعيد بن الْمُسَيِّب أنه أشار برأسه ، وقد أصْمَت : أنْ هكذا فابكينى .

قال ابن هشام : المسيِّبُ بنُ حَزْن بن أبى وَهب بن عمْرو بن عائذ بن عِمْران ابن مخزوم .

قال ابن إسحاق : وقال حُذَيفة بن غانم أخو بَنِى عَدىّ بن كَعْب بن لُؤَىّ يبكى عبدَ المطَّلب بن هاشم بن عبد مناف ، ويذكر فضله ، وفضلَ قُصىّ على قُريش ، وفضلَ وَلَده من بعده عليهم ، وذلك أنه أُخِذ بغُرْم أربعة آلاف درهم بمكة ، فوقف بها فمرّ به أبو لهَبٍ عبدُ العُزّى بن عبد المطّلب ، فافتَكّه :

أعَيْنَىَّ جُودَا بالدُّموع على الصَّدر   ولا تَسأما ، أُسْقِيتُما سَبَلَ القَطْر

رفع
المسلم

وجُودا بدَمعٍ، واسفَحا كُلَّ شارق ... بُكاءَ امرئٍ لم يُشْوِه نائبُ الدَّهْر
وسُحًّا ، وجُمًّا ، واسجُما ما بَقِيتما ... على ذى حَياء من قُريش، وذى سِتْر
على رجل جَلْد القُوى ، ذى حَفيظة ... جميلِ المُحَيَّا غير نِـكْس ولا هَذْر
على الماجد البُهْلُول ذى الباع واللُّهى ... رَبيع لُؤىٍّ فى القُحُوط وفى العُسْر
على خَيْر حَافٍ من مَعدٍّ وناعلٍ ... كَريم المساعى، طيب الخِيم والنَّجْر
وخَيْرهم أصْلاً وفرْعا ومَعْدِنا ... وأحظَاهُمُ بالمَـكْرُماتِ وَبالذّكْر
وأوْلاهُمُ بالمَجْدِ والحِلْم والنُّهَى ... وبالفَضْل عند المُجْحِفات من الغُبْر
على شَيْبة الحَمْد الذى كان وجهُه ... يُضىء سَوَادَ اللَّيل كالقمر البدْر
وساقى الحَجِيج ثم للخُبْزِ هاشم ... وعبدُ مناف، ذلك السَّيِّد الفِهْرى
طوَى زَمْزَمًا عند المقام، فأصبحتْ ... سِقايتُه فَخْراً على كل ذى فَخْر
لِيَبْكِ علَيْه كُلُّ عانٍ بكُرْبة ... وآلُ قُصَىٍّ من مُقِلٍّ وذى وَفر
بَنُوه سَرَاةٌ ، كَهْلُهُم وشَبابُهُمْ ... تفلَّق عنهمْ بيضة الطائرِ الصَّقر
قُصَىٌّ الذى عادَى كِنانة كلَّها ... ورابطَ بيتَ الله فى العُسْر واليُسر
فإن تكُ غالتْه المَنايا وَصرْفُها ... فقد عاشَ مَيْمُونَ النَّقِيبَة والأمر
وأبقَى رِجالاً سادةً غيرَ عُزَّل ... مَصاليتَ ، أمثالَ الرُّدَيْنِيَّة السُّمْر
أبو عُتْبَةَ المُلْقِى إلىّ حِبَاءه ... أغرُّ، هِجان اللَّوْن من نَفَرٍ غُرّ
وحَمزة مِثل البَدْرِ ، يهتزُّ للنَّدى ... نقىُّ الثياب والذّمام من الغَدْر
وعبدُ مناف ماجد ذو حَفيظة ... وَصولٌ لذى القُرْبى رَحيم بذى الصِّهْر
كُهُولُهمُ خيرُ الـكُهول، ونَسلُهم ... كنَسْل المُلوك، لاتبُور ولا تَحْرى

متى ما تُلاقِ منهمُ الدَّهرَ ناشئًا ... تجِدْه بإجريّا أوائلِه يجرى

هُمُ مَلئوا البَطحاء مجداً وعزَّةً ... إذا استُبِق الخيراتُ فى سالف العَصر

وفيهم بُناةٌ للعُلا ، وعِمارةٌ ... وعبدُ مناف جدُّهمْ ، جابرُ الكَسْر

بإنكاح عَوْف بنتَه ، ليُجيرَنا ... من أعدائنا إذ أسلَمَتْنا بنو فِهر

فَسِرْنا تِهاميَّ البلادِ ونَجْدَها ... بأمْنِه حتى خاضت العِيرُ فى البَحْر

وهُمْ حَضروا والنَّاسُ بادٍ فريقُهم ... وليس بها إلا شُيُوخ بنى عَمْرو

بَنَوْها دِياراً جَمَّةً ، وطَوَوْا بها ... بِئارًا تسُحّ الماء من ثَبَج البَحْرِ

لكى يشربَ الحُجاجُ منها، وغيرُهم ... إذا ابتدَرُوها صُبْحَ تابعة النَّحْر

ثلاثةَ أيامٍ تَظَلّ رِكابُهمْ ... مُخيَّسة بينَ الأخاشب والحِجْر

وقِدْماً غَنِينا قبلَ ذلكَ حِقْبَةً ... ولا نَستقى إلا بِخُمَّ أو الحَفْر

وهُمْ يَغفِرُون الذَّنبَ يُنقَم دونَه ... ويَعْفُون عن قولِ السَّفاهة والهُجْرِ

وهم جمعوا حِلْف الأحابيش كلَّها ... وهم نَكَّلوا عنَّا غُواة بنى بَكْر

فَخارِجَ ، إمَّا أهلِكنَّ ، فلا تزَل ... لهم شاكراً حتى تُغَيَّب فى القَبْر

ولا تنسَ ما أسدَى ابنُ لُبْنَى ؛ فإنه ... قد أسْدَى يداً مَحْقُوقةً منك بالشُّكر

وأنت ابنُ لُبْنَى من قُصَىٍّ إذا انتَمَوْا ... بحيث انتهى قصدُ الفؤادِ من الصَّدْر

وأنتَ تناوَلتَ العُلا ، فجمَعْتَها ... إلى مَحْتِدٍ للمَجْدِ ذى ثَبَجٍ جَسْرِ

سبقتَ ، وفُتَّ القومَ بذلاً ونائلاً ... وسُدتَ وليداً كلَّ ذى سُؤدَدٍ غَمْر

وأمُّك سِرٌّ مِنْ خُزَاعَةَ جَوْهَر ... إذا حصَّل الأنسابَ يوماً ذوُو الخُبْر

إلى سَبَأ الأبطال تُنمى ، وتَنْتَمى ... فأكْرِمْ بها منسوبةً فى ذُرَا الزُّهْر

رفع
المسامر
غفر الله له ولوالديه

أبُو شَمِرٍ منهمْ، وَعَمْرو بنُ مالك ... وذو جَدَنٍ من قومها وأبو الجَبْر
وأسْعد قادَ النَّاسَ عشرين حِجةً ... يُؤَيَّد فى تلك المواطنِ بالنَّصر

قال ابن هشام: « أمُّك سِرّ من خزاعة »، يعنى: أبا لهب، أمه: لُبْنى بنت هاجر الُخزَاعى. وقوله: « بإجْرِيًا أوائله » عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وقال مَطْرود بن كَعْب الُخزاعى يبْكى عبدَ المطلب وبَنى عبد مناف:

يأيُّها الرَّجُلُ الُمحَوِّلُ رَحْلَهُ ... هلاَّ سألْتَ عن آل عَبدِ مَناف
هَبَلَتكَ أمُّك، لو حَلَلْتَ بدَارهم ... ضَمِنُوكَ مِنْ جُرْمٍ ومن إقْراف
الخالِطِينَ غنيَّهم بفقيرهم ... حتى يَعُودَ فقيرُهُمْ كالكافى
الُمنْعِمين إذا النُّجومُ تغيَّرت ... والظَّاعنين لِرحلْة الإيلاف
والُمنْعِمين إذا الرياحُ تناوَحَتْ ... حتى تغيبَ الشَّمسُ فى الرَّجَّاف
إمَّا هلكْتَ أبا الفَعال فما جرَى ... من فوق مثلك عِقْد ذات نِطاف
إلا أبيك أخِى الَمكارِم وحدَه ... والفيض مُطَّلب أبى الأضْياف

قال ابن إسحاق: فلما هَلك عبدُ المطَّلب بنُ هاشم وَلِىَ زمزمَ والسِّقَاية عليهما بعده العباَّسُ بنُ عبد المطلب، وهو يومئذ من أحدث إخوته سِنًّا، فلم تزل إليه، حتى قام الإسلامُ وهى بيده. فأقرَّها رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – له على ما مَضَى من ولايته، فهى إلى آل العبَّاس، بولاية العبّاس إياها، إلى اليوم.

رفع المسهم غفر الله له ولوالديه

كفالة أبي طالب لرسول الله صلى الله عليه وسلم

وكان رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم- بعد عبد المطّلب مع عَمّه أبي طالب ، وكان عبدُ المطّلب - فيما يزعمون - يُوصي به عَمّه أباطالب ، وذلك لأنّ عبدَ الله أبا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبا طالب أخوان لأب وأمٍّ أمُّهما : فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عبد بن عِمْران بن مَخْزُوم [بن يَقَظَةَ بن مُرَّةَ] .

قال ابن هاشم : عائذ بن عِمْران بن مَخزوم .

قال ابن إسحاق : وكان أبو طالب هو الذى يَلي أمرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد جدّه ، فكان إليه ومعه .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عبَّاد بن عبدالله بن الزُّبَير، أن أباه حدثه: أنّ رجلا من لِهْب - قال ابن هشام : ولِهْب : من أَزْدشَنُوءَةَ - كان عائفاً ، فكان إذا قَدِم مكّة أتاه رجالُ قُرَيش بغِلْمانهم ينظر إليهم ، ويَعْتاف لهم فيهم . قال : فأتى به أبو طالب ، وهو غلام مع من يأتيه ، فنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم شغله عنه شيء ، فلما فَرَغ قال : الغلام . عليّ به ، فلمَّا رأى أبو طالب حِرْصَه عليه غَيَّبَه عنه ، فجعل يقول : وَيْلَكُمْ ! رُدُّوا عليَّ الغلام الذى رأيت آنِفاً ، فوالله لَيَكُونَنَّ له شأن . قال : فانطلق أبو طالب .

رفع
المسـاهم
غفرالله له ولوالديه

. . . .

وفاة عبد المطلب

قول صفية :

ففاضت عند ذلكم دُمُوعِي على خَدِّى كَمُنْحَدِرِ الْفَرِيدِ

يروى : كمنحدِر بكسر الدال أى : كالدر المنحدِر ، وَمُنْحَدَر بفتح الدال فيكون التشبيهُ راجعاً للفيضِ ، فعلى روايةِ الكسر : شَبَّهت الدمْعَ بالدُّرِّ الفريد، وعلى رواية الفتحِ شبهت الفيضَ بالانحدارِ .

وقولها : أبيك الْخَيْرِ . أرادت: الخيِّر نخففت ، كما يقال : هَيْنٌ وَهَيِّنٌ ، وفى التنزيلِ : (خَيْرَاتٌ حِسَانٌ) الرحمن: ٧٠ . وكان اسم أُمِّ الدَّرْدَاء : خَيْرَةَ بنت أبى حَدْرَد (١) وكذلك أم الحسن بن أبى الْحَسَنِ البصرى ، اسمها: خَيْرَةُ ، فهذا من المخفَّف ، ويجوز أن يكونَ الْخَيْرُ هٰهُنا هو ضد الشَّرِّ، جعلته كلَّه خيراً على المبالغة كما تقول : ما زيدٌ إلاَّ عِلْمٌ أو حُسْنٌ ، وما أنت إلا سَيْرٌ ، وهو مجاز حَسَنٌ ، فعلى هذا الوجهِ لا يُثَنَّى ولا يُجْمَع ولا يُؤَنَّثُ ، فيقال : خَيْرَة .

---

(١) هى صحابية ، وكانت زوجا لأبى الدرداء . وكانت له زوجتان كل واحدة منهما كنيتها : أم الدرداء ، وهما كبرى وصغرى . والكبرى: هى الصحابية، والصغرى: تابعية، وهى التى روت فى الصحيح . أما الكبرى فليس لها فى الصحيحين حديث . وهى خَيْرَةُ بنت أبى حدرد، واسمه : سلامة بن عمير . وهى أسلمية وفى القاموس : أبو الحدرد الأسلمى : صحابى، ولم يجىء فَعْلَع بتكرير العين غيره . والحدرد : القصير .

رفع المسـ هم

. . . .

وقولها : ولاشَخْتَ المقامِ ولا سَنِيد : الشَّخْتُ : [الدقيق الضامِرُ لا هُزَالاً] ضدُّ الضَّخم ، تقول : ليس كذلك ، ولكنه ضَخْمُ المقام ظاهِرُه . والسَّنِيدُ : الضَّعيفُ الذى لايَسْتَقِلُّ بنفسه ، حتى يَسْنُدَ رأيَه إلى غيره .

وقولها : خَضَارِمَةٍ مَلَاوِثَةٍ . ملاوثه: جَمْعُ مِلْوَاث (١) من اللَّوْثَة ، وهى القوة ، كما قال المُكَعْبَر :

عند الحَفِيظَةِ إنْ ذو لَوْثَةٍ لاثا

وقد قيل : إن اسْمَ الليثِ منه أُخذ ، إلاَّ أنَّ وَاوَه انقَلَبَتْ ياء ؛ لأنه فَيْعَلٌ ، فخُفف كما تقدم : فى هَيْنٍ وَهَيِّنٍ ، ولَيْنٍ ولَيِّنٍ .

وقول بَرَّةَ :

أتته المنايا فلم تُشْوِه

أى: لم تُصِبِ الشَّوَى (٢) ، بل أصابتِ المَقْتَلَ ، وقد تقدم فى حديث عبد المطلب وضرْبه بالقِدَاحِ على عبدالله ، وكان يَرَى أن السَّهْمَ إذا خرج على غيره أنَّه قد أُشْوِى ، أى : قد أخطأ مقتلَه ، أى: مقتلَ عبد المطلب وابنه ،

---

(١) فى اللسان : الملاث بفتح الميم والملوث : السيد الشريف والشيظمى : الفتى الجسم . والخضارمة : جمع خضرم بكسر الخاء والراء : الكثير العطاء . النكس : الضعيف الذى لا خير فيه . الحرود : الناقة القليلة الدر .

(٢) الشواة : جلدة الرأس . والشوى: اليدان والرجلان والأطراف ، وما كان غير مقتل .

رفع
المسَاهِم
غفر الله له ولوالديه

. . . .

ومن رواه : أشوَى بفتح الواو فالسَّهْم هو الذى أشوَى وأخطأ ، وبكلا الضبطين وجدتُه ، ويقال أيضاً : أشوَى الزَّرْعُ : إذا أفركَ (١) فالأول من الشَّوَى ، وهذا من الشَّىِّ بالنارِ ، قاله أبو حنيفة .

وقول عاتكة : ومِرْدَى الْمُخَاصِمِ ، الْمِرْدَى: مِفْعَل من الرَّدَى ، وهو الحجر الذى يَقتل مَنْ أصيب به ، وفى المثل : كُلُّ ضَبٍّ عنده مِرْدَاتُه (٣) [أى : يقرب منه حتفه ، لأنه يُرمى به فيقتل]

وقولُها : وَفِ. أى : وَفِىٌّ، وخفف للضرورة ، وقولها : عُدْمُلِىّ . الْعُدْمُلِىّ: [وَالْعُدَامِلُ وَالْعُدَامِلِى] الشديد . واللُّهامُ : فُعَالٌ من لَهِمْتُ الشىء أَلْهَمُه :إذا ، ابتلعته ، قال الراجز :[رُؤْبَةُ بن العَجَّاج] .

كالحوت لا يُرْوِيه شىء يَلْهَمُهْ يُصبح عَطْشَانًا (٤) وفى البحرِ فَمُهْ

ومنه سمى الجيش : لُهَاماً

---

(١) أفرك : حان له أن يفرك . وفى اللسان : أشوى القمح : أفرك ، وصلح أن يشوى .

(٢) هذا والخيم فى قصيدة برة : السجية والطبيعة . وطيب المعتصر : جواد حين يسأل .

(٣) فى الأصل : عند . وفى مجمع الأمثال وسمط اللآلىء : «عنده» . والمرداة : الحجر الذى يرمى به ، والضب قليل الهداية ، فلا يتخذ جحره إلا عند حجر يكون علامة له. فمن قصده ، فالحجر الذى يرمى الضب به يكون بالقرب منه . فمعنى المثل : لا تأمن الحدثان والسفير . فإن الآفات مُعَدَّة مع كل أحد : يضرب لمن يتعرض للهلكة .

(٤) فى ديوان رؤبة : ظمآن . وانظر ص٣٤٢ حـ ٤ خزانة البغدادى .

رفع
المسار
عبد الله الرحمن

. . . .

وقولها : على الجَحْفَلِ . جعلتْه كالجَحْفَلِ ، أى : يقوم وحده مقامه ، وَالجَحْفَلُ : لفظ مَنحُوتٌ من أصلين ، من: جَحَفَ وَجَفَلَ ، وذلك أنه يَجْحَفُ مايمر عليه أى : يَقْشِره وَ يَجْفِل : أى يَقْلَع (١) ونظيره نَهْشَلُ : الذئبُ ، هو عندهم منحوت من أصلين أيضا، من: نَهَشْتُ اللحمَ ونَشَلْتُه (٢) وعاتكةُ: اسْمٌ منقول من الصِّفَات ، يقال : امرأةٌ عاتِكَةٌ ، وهى المُصَفَّرة لبدنها بالزَّعْفرَانِ والطِّيبِ . وقال القُتَبِيُّ : عَتَكت القوسُ : إذا قَدُمَتْ (٣) وبه سُمِّيت المرأةُ . والقول الأولُ قولُ أبى حنيفة .

وقول أرْوَى : ومَعْقِلُ مالكٍ وربيع فِهْرٍ . تريد : بنى مالكِ بن النضر ابن كِنَانَةَ . وقولها : بذى رُبَدٍ . تريد : سَيفاً ذا طرائقَ . والرُّبَدُ : الطرائقُ. وقالَ صَخْرُ الغىُّ [الهُذَلِىُّ] :

وصارِمٌ أُخْلِصَتْ خَشِيبَته أبيضُ مَهْوٌ فى مَتْنِه رُبَدُ (٤)

---

(١) يجفل فى اللسان ويجحف : يقشر : وفى الأصل : حجف بدلا من جحف ، وهذه أثبتها لخطأ الأولى .

(٢) نهشه : كمنعه ، نهسه . والنهس : أخذ اللحم بمقدم الأسنان ونتفه . ونشل اللحم : أخرجه من القدر بيده بلا مغرفة ، أو أخذ بيده عضوا ، فتناول ما عليه من اللحم بفيه .

(٣) فى القاموس : عتك القوس عتكا . وعتوكا ، فهى عاتك : احمرت قِدَماً ، وكذلك فى اللسان .

(٤) خشيبة فى الأصل : خشيشة ، وهو خطأ صوبته من اللسان . والخشيبة: الطبيعة أخلصتها المداوس والصقل، يقال : خشب السيف . طبعه أو صقله . المهو : السيف الرقيق الشفرتين . وهي على وزن فلع ، لأنها مقلوبة من موه ، لأنها من الماء الذي لامه

رفع المستهم

. . . .

وقول عاتكة : تَبنَّكَ فى باذخٍ بيتهُ . أى : تَبنَّكَ بيتهُ فى باذخ من الشَّرَفِ ، ومعنى تَبَنَّكَ : تأَصَّل من البُنْك وهو : الأَصْلُ . وَالْبُنْكُ أيضاً : ضَرْبٌ من الطِّيب ، وهو أيضاً عود السوس[1] [شجر يغمى به البيوت ،

=هاء ، بدليل قولهم فى جمعه : أمواه . والربد : شبه غبار أو مدب نمل فى جوهره وقيل : الخشب الذى فى السيف هو أن يضع عليه سنانا عريضا أملس، فيدلكه به . والمعنى : أن هذا السيف أرق حتى صار كالماء فى رقته . والبيت فى اللسان فى مادة خشب : ومرهف ـ برفعها ورفع أبيض ـ ومهو . وفى مادة : مها «وصارم» كما فى الروض ، وقد ورد البيت فى معجم ابن فارس فى مادة ربد كما فى الروض وقال عن الربد : «فأما ربد السيف فهو فرند ديباجته ، وهى هذلية» .

وقال فى مهو : «وسيف مهو : رقيق الحد كأنه يمر فى الضريبة مر الماء» . واللسان يرويه فى مادتى ربد ومهو كما ذكر الأستاذ عبدالسلام هارون فى تعليقه على معجم ابن فارس . ويوجد البيت فى ديوان الهذليين وشرح السكرى للهذليين . . ومن معانى قصيدة عاتكة : اسحنفرا : صبا الدموع بكثرة . الالتدام : ضرب النساء وجوههن فى النياحة . استخرط الرجل فى البكاء : لج فيه . الكهام : الرجل الكليل السن . ومن معانى قصيدة أم حكيم : استهلى ، أظهرى البكاء . التيار : معظم الماء . والفرات : الماء العذب . النهبرزىّ : الحاذق فى أموره . تشتجر العوالى : تختلط الرماح فى الحرب . الهنات : جمع هنة ، وهى كناية عن القبيح . ولاتسمى ، أرادت : ولاتسامى. ومن غريب شعر أميمة: ذو الفقد : الفياض الكثير العطاء ، فإنى لباك : أخبرت عن نفسها إخبار المذكر على معنى الشخص . ومن غريب شعر أروى . السجية : الطبيعة ، أبطحى : نسبة إلى بطحاء مكة ، وهو الموضع السهل منها . الأقب : الضامر . الكشح : الخصر.

(١) فى اللسان وفى القاموس ماوضعته بين قوسين عن عود السوس ، ويقول الأزهرى عن البنك : إنها فارسية ومعناها : الأصل . ولهذا يقول ابن فارس فى مادة بنك : كلمة واحدة وهو قولهم : تبنك بالمكان ، أقام به .

. . . .

ويدخل عصيره فى الأدوية ، وفى عروقه حلاوة شديدة ، وفى فروعه مرارة] .

وقوله : فأشار إليهن برأسِه ، وقد أَصْمَت بفتح الهمزة والميم ، هكذا قيده الشيخُ عن أبى الوليد ، ويقال : صَمَتَ وأَصْمَتَ ، وسَكَت وأسْكَت بمعنى واحد ،[وسَمَح وأسمح ، وعصفت الريح وأعصفت ، وطلعت على القوم وأطلعت . ابن قتيبة فى أدب الكاتب] .

أبو جهم :

وذكر شِعْر حُذَيْفَةَ بن غـانمٍ الْعَدَوِىِّ ، وهو والد أبى جَهْم بن حُذَيفة (١) ، واسمُ أبى جَهْمٍ : عُبَيْدٌ ، وهو الذى أهدى الْخَمِيصَةَ (٢)

---

(١) قال البخارى وجماعة : اسمه عامر ، وكنيته فى الإصابة : أبو الجهم . وأبو جهم من المعمرين ، وفى نسب قريش : أبو جهم بن حذيفة بن غانم ، بن عامر ، ابن عبد الله بن عبيد بن عويج ، بن عدى بن كعب القرشى العدوى . وقد ضبط النووى عبيد بفتح العين ، وضبطت فى النسب بضمها . انظر ص ٣٦٩ نسب قريش ، وترجمة أبى جهم فى التهذيب للنووى .

(٢) الخميصة ، ثوب حر ، أو صوف معلم ، وقيل : لا تسمى خميصة إلا أن تكون سوداء مُعلمة . وكانت من لباس الناس قديما . وهو يشير إلى ما روى فى الصحيحين من طريق عروة عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : صلى النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - فى خَمِيصة لها أعلام . فقال : اذهبوا بخميصتى هذه إلى أبى جهم . وائتونى بأنْبِجانية أبى جهم ، فإنها ألهتنى آنفا عن صلاتى . والأنبجانية - بفتح الباء وكسرها وفتح الهمزة - نسبة إلى منبج أو أنبجان ، وهو كساء يتخذ من الصوف ، وله خَمْل [القطيفة أو أهدابها] ، ولا عَلَم له ، وهى من أدون الثياب الغليظة . وإنما طلب الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الأنبجانية لئلا يؤثر رد الهدية - وهى الخميصة - فى قلبه .

. . . .

لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فنظر إلى عَلَمِها . الحديث . وقد رُوِى أيضاً هذا الحديثُ على وجهٍ آخرَ ، وهو أنَّ رسولَ الله - صلى اللهُ عليه وسلم - أُتى بخَميصَتَيْنِ ، فأعطى إحداهما أبا جهمٍ ، وأمسك الأُخْرى ، وفيها عَلَمٌ ، فلما نظر إلى عَلَمِها فى الصلاةِ أرسلها إلى أبى جَهْمٍ ، وأخذ الأُخرى بدلا منها ، هكذا رواه الزُّبَيْرُ(١) . وأم أبى جَهْمٍ : يُسَيْرةُ بنتُ عبد الله بن أَذَاة ابن رِياح ، وابن أَذَاة : هو خالُ أبى قُحَافة ، وسيأتى نَسَبُ أُمِّه ، وقد قيل : إن الشعرَ لِحُذَافةَ بن غانم ، وهو أخو حذيفة والد خارجة بن حذافه ، وله يقول فيه : أخارِجُ إنْ أَهْلِكْ . وفى الشعر : غيرُ نِكس ولا هَذْر . النِّكسُ من السهام : الذى نُكِّسَ فى الكِنَانَة لميزَه الرامى ، فلا يأخذه لرداءته . وقيل : الذى انكسر أعلاه ، فنُكِس وَرُدَّ أعلاه أسفله ، وهو غير جيد للرمى .

وقوله : لاتَبور ولاتَحْرِى . أى: لاتَهلِكُ ولاتَنْقُص ، ويقال للأفعى: حارِيَةٌ لرقَّتِها(٢) وفى الحديث : ما زال جسم أبى بكر يَحْرِى حُزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أى : يَنْقُص لحمه ، حتى مات ، والإِجْرِيَّاء : السيرة وهى إفعيلاَء من الجَرْى(٣) ، وليس لها نظيرٌ فى الأبنية إلا الإِهْجِيرا فى معنى

---

(١) رواه مرسلا .

(٢) هى التى كبرت ، ونقص جسمها ، ولم يبق إلا رأسها ونفسها وسمها .

(٣) فى الأصل: إحرياء والحرى بالحاء،وهو خطأصوابه ماأثبته.والإجرياء فى اللسان : الوجه الذى تأخذ فيه ، وتجرى عليه . وتقصر وتمد .

رفع المسهم

. . . .

الهِجِّيرَى(١)

وفيها قوله : وليس بها إلا شيوخ بنى عمرو . يريد : بَنِي هَاشِم ؛ لأن اسمه عَمْرٌو .

وفيها : غَيْر عُزَّل ، وهو : جمع أعْزَل ، ولا يُجمع أفْعَل على فُعَّل ، ولكن جاء هكذا ؛ لأن الأعزَلَ فى مقابلة الرامح (٢) وقد يحملون الصفة على ضدها ، كما قالوا : عَدُوَّة ـ بتاء التأنيث ـ حَمْلا على صديقة ، وقد يجوز أن يكون أجراه مَجْرى : حُسَّرٍ جمع : حاسِر ؛ لأنه قريبٌ منه فى المعنى (٣)

تهام وشآم :

وقوله : فسرنا تَهَامِيَ البلاد مخففا مثل يمانياً ، والأصلُ فى يَمَانٍ : يَمَنِيٌّ ، خففوا الياء ، وعوَّضوا منها ألفا ، والأصل فى تَهَام: تِهامِيٌّ بكسر التاء من تِهَامِيّ لأنه منسوب إلى تِهامة(٤) ولكنهم حذفوا إحدى الياءين ، كما فعلوا فى يَمانٍ

---

(١) الدأب والعادة والقول السيء وكثرة الكلام. ولا تكاد تستعمل إلا فى العادة الذميمة .

(٢) فى اللسان : العزل ، بضم العين والزاى ، والأعزل الذى لا سلاح معه ، فهو يعتزل الحرب . أو الذى لا رمح معه . وجمعهما أعزال وعُزُل وعُزْلان ، وعُزَّل . والأعزل والرامح: نجمان نيران . قال الأزهرى : وفى نجوم السماء سماكان ، أحدهما : السماك الأعزل ، والآخر: السماك الرامح . وفى شرح الشافية للرضى . « المطرد فى تكسير أفعل: فعلاء . وفى مؤنثه : فُعْل ، ولا يضم عينه إلا لضرورة الشعر ، ويجيء فعلان أيضاً كثيراً . كسودان وبيضان » .

(٣) الحاسر : من لا مِغْفَر له ولا درع ، أولا جنة له .

(٤) تهامة : تساير البحر . منها : مكة . وقيل:طرف تهامة من قبل الحجاز: =

رفع المسلم

. . . .

وفتحوا التاء من تَهامٍ لما حذفوا الياء من آخره ، لتكون الفتحة فيه كالعوض من الياء ، كما كانت الألف فى يمانٍ ، وكذلك الألف فى شَآمٍ بفتح الهمزة ، وألف بعدها عِوَضاً من الياء المحذوفة ، فإنْ شَدَّدْتَ الياء من شآمٍ قلتَ : شأْمِىّ بسكون الهمزة ، وتذهب الألف التى كانت عوضا من الياء لرجوع الياء المحذوفة ، ولا تقول فى غير النسب : شَآمٍ بالفتح والهمز ، ولا فى النسب إذا شددت (١)

= مدارج العرْج ، وأول تهامة قبل نجد: ذات عرق ، وقيل : يخرج من مكة ، فلا يزال فى تهامة حتى يبلغ عُسْفان .

(١) هذا من النسب المسموع ، ويتميز هذا النوع بتخفيف ياء النسب المشددة ، والإتيان بألف للتعويض عنها قبل لام الكلمة . فيقال فى يَمَنِىّ : يمانى وفى شامِىّ : شآمى بياء واحدة ساكنة فيها . وبهذا يصير الاسم منقوصاً ، فتقول : قام اليمانِى ، ورأيت اليمانى ، ومررت باليمانِى . ولا تجتمع ألف التعويض مع الياء إلا شذوذاً فى ضرورة الشعر . ويستحسن الاقتصار على المسموع . ولم يرد غير يمان وشآمٍ وتهامٍ وزاد الجوهرى فى الصحاح : نباطى ونباط ، وفى اللسان : ورجل شآم وتهام إذا نسبت إلى تهامة والشأم ، وكذلك : رجل يمان ، زادوا ألفاً فخففوا ياء النسبة . وفيه أيضاً عن تهامة : والنسبة إليه تِهامىّ بكسر التاء وتشديد الياء ، وتَهامٍ بفتح التاء على غير قياس ، كأنهم بنوا الاسم على تَهْمِىّ أو تَهَمِىّ ، ثم عوضوا الألف قبل الطرف من إحدى الياءين اللاحقتين بعدها . ويقول الجوهرى : إذا فتحت التاء فى تهامٍ لم تشدد ، كما قالوا: يمان وشآم إلا أن الألف فى تهام من لفظها والألف فى يمان وشآم عوض من ياءى النسبة . وفى شرح الشافية ص ٨٣ ح ٢ : وقالوا : يمان وشآم وتهامٍ . ولا رابع لها . والأصل : يمنى وشأْمِى وتَهْمِى حذف فى الثلاثة إحدى ياءى النسبة ، وأبدل منها الألف ، وجاء : يمنى وشأمى على الأصل، وجاء تهامى بكسر التاء وتشديد الياء منسوبا إلى تهامة، وجاء يمانى وشآمى =

رفع
المسهم
غفر الله له ولوالديه

. . . .

الياء شَأْمِيّ . وسألت الأستاذ أبا القاسم بن الرماك ـ وكان إماماً فى صنعة العربية عن البيت الذى أملاه أبو على فى النوادر ، وهو قوله :

[أَتَظْعَن عن حبيبك ثم تَبكى عليه ، فَمَنْ دعاك إلى الفراق]
[كأنك لم تَذُق لِلْبَيْنِ طَعْما فتعــــلم أنه مُرُّ الْمَذاق]
[أَقِمْ وانْعَمْ بطول القرب منه ولا تَظْعَن فتُــكْبَت باشتياق]
فما اعْتَاضَ المُفَارِقُ من حَبِيبٍ ولو يُعطى الشَآمُ مع العِراق

فقال : مُحدث ، ولم يره حُجَّةً . وكذلك وَجَدْتُ فى شِعْر حبيب : الشَآمَ بالفتح كما فى هذا البيت . وليس بحجة أيضا .

[فى اللسان : «وقد جاء الشَآم لغة فى الشأم قال المجنون :

وخُبِّرْتُ لَيْلى بالشَآم مريضةً فأقبلت من مصر إليها أعودها

وقال آخر :

أتتنا قريش قضُّها بقضيضها وأهل الحجاز والشَآم تَقَصَّف (١)]

وقوله :

حذف الياء من هاء الكناية :

حذف الياء من هاء الكناية بِأُمِّهِ حتى خاضت العِيرُ فى البحر *

= وكأنهما منسوبان إلى يمانٍ وشآمٍ المنسوبين بحذف ياء النسبة دون ألفها ، إذ لا استثقال فيه كما استثقل النسبة إلى ذى الياء المشددة لو لم تحذف . والمراد بيمان وشآمٍ فى هذا موضع منسوب إلى الشأم واليمن . فينسب الشىء إلى هذا المكان المنسوب . ويجوز أن يكون يمانى وشآمى جمعاً بين العوض والمعوض عنه وأن يكون الألف فى يمانى للاشباع ، وانظر المزهر للسيوطى ص ١٠١ ج ٢ (١) عن اللسان والأمالى

رفع المسـهم

. . . .

ضرورة ، كما أنشد سيبويه : سأجعل عينيه لِنَفْسِه مَقْنَعَا (١) * فى أبيات كثيرة أنشدها سيبويه ، وهذا مع حذف الياء والواو ، وبقاء حركة الهاء ، فإن سكنت الهاء بعد الحذف ، فهو أقل فى الاستعمال من نحو هذا ، وأنشدوا :

ونِضْوَاى مُشْتاقَانِ لَهْ أرِقَان (٢)

وهذا الذى ذكرناه هو فى القياس أقوى ؛ لأنه من باب حمل الوصل على الوقف نحو قول الراجز :

لما رأى أن لادَعَهْ ولا شِبَعْ

ومنه فى التنزيل كثير نحو إثبات هاء السكت فى الوصل ، وإثبات الألف من أنا ، وإثبات ألف الفواصل نحو : ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ الأحزاب: ١٠ وهذا الذى ذكره سيبويه من الضرورة فى هاء الإضمار إنما هو إذا تحرك ما قبلها نحو : بِهِ ولَهِ ، ولا يكون فى هاء المؤنث البتَّةَ لخفة الألف ، فإن سكن ما قبل الهاء نحو : فيه وبنيه كان الحَذْفُ أحسنَ من الإثباتِ ؛ فإن قلت

---

(١) الشعر لمالك بن خُرَيْم الهمدانى وهو :

فإن يك غثا أو سمينا فإننى ... سأجعل عينيه لنفسه مَقْنَعا

أراد لنفسهى ، لحذف الياء ضرورة فى الوصل تشبيها بها فى الوقف إذ قال : لنفسه . يصف ضيفا فيقول : إنه يقدم إليه ما عنده من القرى ويحكمه فيه ، ليختار منه أفضل ما تقع عليه عيناه ، فيقنع بذلك انظر ص ١٠ حـ ١ الكتاب لسيبويه ط ١ .

(٢) النضو : البعير المهزول والناقة .

رفع المسهم

. . . .

فقد قرأ عيسى بن مينا : نُصْلِهِ ويُؤَدِّه وأرْجِهِ (١) ونحو ذلك فى اثنى عشر

(١) يعنى الآيات القرآنية : (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى، ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ، ونُصْلِه جهنم ، وساءت مصيراً) النساء : ١١٥ و : (ومنْ أهلِ الكتابِ مَنْ إن تأمنه بقنطار يؤدِّه إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لايؤده إليك إلا ما دمت عليه قائماً) آل عمران : ٧٥ و : (قالوا : أرجهْ وأخاه وأرسل فى المدائن حاشرين) الأعراف : ١١١ . وفى « يؤده ونصله » خمس قراءات . إحداها : بكسر الهاء ، وصلتها بياء فى اللفظ ، والثانية : بكسر الهاء من غير ياء . اكتفى بالكسرة عن الياء لدلالتها عليها ، ولأن الأصل ألا يزاد على الهاء شىء كبقية الضمائر ، والثالثة : إسكان الهاء ، وذلك أنه أجرى الوصل مجرى الوقف ، وهو ضعيف ، وحق هاء الضمير الحركة ، وإنما تسكن هاء السكت ، والرابعة : ضم الهاء وصلتها بواو فى اللفظ على تبيين الهاء المضمومة بالواو ، لأنها من جنس الضمة كما بينت المكسورة بالياء . والخامسة : ضم الهاء من غير واو لدلالة الضمة عليها ، ولأنه الأصل ، ويجوز تحقيق الهمزة وإبدالها واوا للضمة قبلها . وأرجه يقرأ بالهمزة وضم الهاء من غير إشباع « أرجئه » ، وهو الجيد ، وبالإشباع وهو ضعيف ، ويقرأ بكسر الهاء مع الهمزة وهو ضعيف ، ويقرأ من غير همزة من أرجيت بالياء ، ثم منهم من يكسر الهاء ويشبعها ومن لا يشبعها . ومنهم من يسكنها . هذا ، ومن معانى مفردات قصيدة حذيفة كما ذكر الخشنى : السبل : المطر : كل شارق : عند طلوع الشمس . سُحًّا : صبا . جُمًّا : أجمعا وأكثرا . واسجا : أسبلا . والحفيظة : الغضب مع عزة . والهذر : الكثير الكلام فى غير فائدة . البهلول : السيد . واللهى : العطايا . وفى رواية : الندى ، وأخرى : النهى . والنجر : الأصل . والمجحفات : التى تذهب بالأموال . والغبر : السنين المقحطات . وسراة : خيار . غالته : ذهبت به . النقيبة : النفس وميمون النقيبة : يسعد فيما يتوجه له . مصاليت : شجعان . ردينية : رماح . حباء : عطاء . هجان اللون : بيض . والإجريا : ما يجرى عليه من أبغال آبائه ويتعوده . وفى القاموس : الوجه الذى تأخذ فيه وتجرى عليه . وهى بالمد =

رفع
المسـ هم
غفر الله له ولوالديه

. . . .

موضعاً بحذف الياء ، وقبل الهاء متحرك ، فكيف حسن هذا ؟ قلنا : إن ماقبل الهاء فى هذه المواضع ساكن ، وهو الياء من نُصْلِيه ويُؤدِّيه ويُؤتيه، ولكنه حذف للجازم ، فمن نظر إلى اللفظ ، وأنَّ ماقبل الهاء متحرك أثبت الياء كما أثبتها فى : به وله ، ومن نظر إلى الكلمة قبل دخول الجازم ، رأى ما قبل الهاء ساكناً ، فحذف الياء ، فهما وجهان حَسَنَان بخلاف ماتقدم

من شرح قصيدة حذيفة :

وذكر فى هذا الشعر : وأسعدُ قاد الناس . وهو أسعد أبو حَسَّان بن أسعد ، وقد تقدم فى التَّبابِعة ، وكذلك أبو شَمِرٍ ، وهو شَمِرٌ الذى بنى سَمَرْقَنْد(١) ، وأبوه : مالك ، يقال له : الأُمْلُوك(٢) ، ويحتمل أن يكونَ أراد أباشَمِرٍ الغَسَّانِيَّ والدَ الحرث بن أبى شَمِرٍ .

وعَمْرو بن مالك الذى ذَكر أَحْسَبه عَمْراً ذا الأذعار ، وقد تقدم فى التبابعة،

= القصر . تهامى البلاد ونجدها : ما انخفض منها وما علا . ثبج الشىء : أعلاه ومعظمه . مخيسة : مذللة . الأخاشب : جبال بمكة وهما جبلان ، لجمعهما مع ما عليهما ، وخم : اسم بئر . والحفر : اسم بئر . والهُجر : القبيح من الكلام الفاحش . والأحابيش : من حالف قريشاً من القبائل ودخل فى عقدها وذمتها . ونكلوا : صرفوا . لخارج : أراد : ياخارجة لحذف حرف النداء ، ورخم . وأسدى : أعطى ، والمحتد : الأصل . جسر : ماض فى أموره قوى عليها . غمر : كثير العطاء . أمك سرٌّ : خالصة النسب .

(١) فى القاموس : شمر بن أفريقش غزا مدينة السغد ، فقلعها ، فقيل : شمركند ، أو بناها ، فقيل : شمر كنت ، وهى بالتركية : القرية فعربت : سمرقند .

(٢) الأملوك : اسم جمع لملك ، وقوم من العرب ، أو هم مقاول حمير .

رفع المسـاهم

. . . .

وهو من ملوك اليمن ، وإنما جعلهم مَفْخَراً لأبى لهب ؛ لأن أمه خُزاعية من سبأ ، والتبابعة كُلُّهم من حِمْيَر بن سَبَإ ، وقد تقدم الخلاف فى خُزَاعَة .

وأبو جَبْرٍ الذى ذكره فى هذا الشعر : ملكٌ من مُلوكِ اليمن ذكر الْقُتَبِىُّ أن سُمَيَّة أم زياد ، كانت لأبى جَبْر ملكٍ من ملوكِ اليمنِ ، دفعها إلى الحٰرث بن كَلَدَة الْمُتَطَبِّبِ فى طِبٍّ طَبَّه .

زيد أفضل إخوته :

وذكر ولايةَ العباس ـ رضى الله عنه ـ السِّقَايَة ، وقال : كان من أحْدَثِ إخْوَتِهِ سنًّا ، وكذلك قال فى صفةِ النبى ـ صلى الله عليه وسلم : كان من أفضلِ قومِهِ مُرُوءةً ، وهذا مما منعه النحويون أن يقال : زيد أفضل إخوته ، وليس بممتنع ، وهو موجود فى مواضع كثيرة من هذا الكتاب ، وغيره ، وحسُن لأن المعنى : زيد يَفْضُلُ إخوتَه ، أو يَفْضُلُ قومَه ؛ ولذلك ساغ فيه التنكير ، وإنما الذى يمتنع بإجماعٍ : إضافة أفعل إلى التثنية مثل أن تقول : هو أكرم أخويه ، إلا أن تقول : الأخوين ، بغير إضافة(١) .

---

(١) مما اشترط النحاة فى أفعل التفضيل المضاف أن يكون المضاف بعضا من المضاف إليه بشرط إرادة التفضيل ، وبقاء معناه ووجوده . ويقول الأشمونى فى شرح الألفية : « وإن لم تنو بأفعل معنى : من ، بأن لم تنو به المفاضلة أصلا ، أو تنويها ، لا على المضاف إليه وحده ، بل عليه وعلى كل ما سواه كقولهم : الناقص والأشج (يعنى يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان لنقصه أرزاق الجند ، وعمر بن عبد العزيز لشجة أصابته بضرب الدابة ، أعدلا بنى مروان . أى : عادلاهم ، فكان أفعل بمعنى فاعل ، وليس فى هذا تفضيل ، ونحو : محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ أفضل قريش ، أى : أفضل الناس من بين قريش . وإضافة هذين النوعين مجرد ـ

رفع المسهم

من شرح شعر مطرود :

فصل : وذكر فى شعر مطرود : منعوك من جَوْرٍ ومن إقراف(١) ،

التخصيص ؛ ولذلك جازت إضافة أفعل فيهما إلى ماليس هو بعضه بخلاف المنوى فيه معنى من ، أى : إرادة التفضيل ، فإنه لا يكون إلا بعض ما أضيف إليه ، فلذلك يجوز : يوسف أحسن إخوته ، إن قصد : الأحسن من بينهم ، أو قصد : حسنهم — رأى جعله صفة مشبهة — ويمتنع إن قصد أحسن منهم ، ص٤١ ج ٣ ط ١٣٠٥ ه ويقول ابن يعيش فى شرح المفصل : « قد علم أن أفعل إنما يضاف إلى ما هو بعضه . فليعلم أنه لا يجوز أن تقول : يوسف أحسن إخوته ، وذلك أنك إذا أضفت الإخوة إلى ضميره خرج من جملتهم ، وإذا كان خارجا منهم ، صار غيرهم وإذا صار غيرهم لم يجز أن تقول : يوسف أحسن إخوته ، كما لا يجوز أن تقول : الياقوت أفضل الزجاج ؛ لأنه ليس من الزجاج ، فحينئذ يلزم من المسألة أحد أمرين ، كل واحد منهما ممتنع . أحدهما : ما ذكرناه من إضافة أفعل إلى غيره ، إذ إخوة زيد غير زيد . والثانى : إضافة الشىء إلى نفسه ، وذلك أنا إذا قلنا : إن زيدا من جملة الإخوة — نظرا إلى مقتضى إضافة أفعل ، ثم أضفت الإخوة إلى ضمير زيد ، وهو من جملتهم — كنت قد أضفته إلى نفسه ، بإضافتك إياه إلى ضميره وذلك فاسد . فأما النوع الثانى — يعنى ابن يعيش : أفعل بمعنى فاعل ؛ وهو غير دال على معنى التفضيل — وهو أن يكون أفعل فيه للذات بمعنى فاعل ، فإنه يجوز أن تقول : يوسف أحسن إخوته ، ولا يمتنع فيه كامتناعه من القسم الأول إذ المراد أنه فاضل فيهم ، لأنه لا يلزم فى هذا النوع أن يكون أفعل بعض ما أضيف إليه ، وعليه جاء قولهم لنصيب الشاعر : أنت أشعر أهل جلدتك ، لأن أهل جلدته غيره . وإذا كانوا غيره لم تسغ إضافة أفعل إذا كان هو إياه إليهم ؛ لما ذكرته ويجوز على الوجه الثانى لأنه بمعنى : الشاعر فيهم ، أو شاعرهم » ص ٨ ج ٣ شرح المفصل لابن يعيش . وبهذا يتبين أن النحويين لم يمنعوا هذا منعا مطلقا . بل أجازوا نفس ما ذكره السهيلى .

(١) الذى فى السيرة ، ضمنوك . والمقرف الذى دانى الهجنة من الفرس وغيره

. . . .

أى : منعوك من أن تُنْكِح بناتِك أو أَخَوَاتِك من لئيمٍ ، فيكون الابن مُقْرِفًا لِلؤم أبيه ، وكرم أمه ، فيلحقك وَضْمٌ من ذلك ، ونحو منه قول مُهَلْهِل (١) :

أنكحَها فقدُها الأراقِمَ فى جَنْبٍ ، وكان الحِباءُ من أَدَمِ (٢)

= وهو الذى أمه عربية ، وأبوه ليس بعربى ، فالإقراف من قبل الأب ، والهجنة من قبل الأم .

(١) المهلهل : قال الآمدى : اسمه : امرؤ القيس بن ربيعة بن الحارث بن زهير ابن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غانم بن تغلب ، وهو الشاعر المشهور ، ويقال اسمه : عدى ، وقال ابن قتيبة : مهلهل بن ربيعة ، هو : عدى بن ربيعة ، وسمى مهلهلا ؛ لأنه هلهل الشعر ، أى : أرقّه ، ويقال : إنه أول من قصد القصيد . وهو خال امرىء القيس صاحب المعلقة . وهو أخو كليب الذى هاج بمقتله حرب البسوس . وقيل : إنه مات أسيرا ، وذلك أنه لما نزل اليمن نزل فى بنى جنب ، وجنب من مذحج ، فخطبوا إليه ابنته . فقال لهم : إنى طريد بينكم ، فمتى أنكحتكم ؟! قالوا : فأجبروه على تزويجها ، وساقوا إليه فى صداقها أدما ، فقال :

أنكحها فقدُها الأراقمَ فى جنب وكان الحباء من أدَم

ثم انحدر ، فلقيه عوف بن مالك أبو أسماء صاحبة المرقش الأكبر ، فأسره ، فمات فى أسره . وقيل فى وفاته غير ذلك ص ٢٣ وما بعدها ج ٢ خزانه الأدب للبغدادى ط دار العصور .

(٢) قيل عن جنب إنه لقب لا اسم أب . وفى نهاية الأرب ج ٣ ص ٦٧ جاء هذان البيتان :

أعــزز على تنغلب بما لقيت أخت بنى الأكرمين من جُشَم
ليسوا بأكفائنا الكرام ، ولا يُغنون من ذلة ولا عــدم =

رفع
المسـاهم
عز الله ليطوالدين

. . . .

أى : أنكحت لغربتها من غير كُفء . قال مَبْرَمان(١) : أنشدنا أبو بكر ابن دريد : وكان الخِباء من أدَم ، بخاء معجمة الأعلى ، وهو خطأ وتصحيف ، وإنما هو بالحاء المهملة ، وهو معدود فى تصحيفات ابن دريد ، وفيه يقول المُفجّع [البصرى] ردًّا على ابن دُرَيْدٍ :

ألستَ قِدْماً جعلتَ تَعْتَرِقُ م — الطَّرْفَ بجَهْلٍ مكان تَعْترق(٢)

وقلت : كان الخِباءُ من أدَمٍ — وهو حِباءٌ يُهْدَى ، ويُصْطَدَقُ

وذلك أن مُهَلْهِلاً نزل فى جَنْبٍ ، وهو حَىٌّ وضيعٌ من مَذْحِج . فخطبت ابنته ، فلم يستطع مَنْعَها ، فزوَّجها ، وكان نقدُها من أدَمٍ ، فأنشد :

أنْكَحَها فَقْدُها الأراقِمَ فى — جَنْبٍ ، وكان الحِباء من أدَمِ

لو بأَبانَيْنِ جاء خاطبُهـــا — ضُرِّجَ ما أنفُ خاطبٍ بدَم (٣)

= والأول منهما قبل : « أنكحها فقدها الخ » والآخر بعد قوله : «لو بأبانين» الذى سيأتى . والأراقم : حى من تغلب قوم المهلهل . وقد تقدم من قبل الحديث عن جنب .

(١) لقب لأبى بكر الأزدى .

(٢) تعترق الطرف : تشغلهم بالنظر إليها عن النظر إلى غيرها لحسنها ، وانظر المزهر ص ٣٦٦ ج ٢ للسيوطى ففيه قول المفجع . وقد رمى بدر الدين الزركشى ابن دريد بهذا التصحيف كما ذكر السهيلى ، وأورده التيجانى فى تحفة العروس وروى الشطرة الأولى هكذا : « ألم تصحف ، فقلت تعترق الخ » وروى أيضا فى غيره : « ألست عما صحفت تعترق .

(٣) الأبانان : جبلان بالبادية اسم أحدهما : أبان ، والآخر : متالع ، أحدهما: =

رفع
المسهم
عبد الله الطوالة

. . . .

وقوله : حتى تغيبَ الشمسُ بالرَّجّافِ(١) يعنى : البحر . لأنه يَرْجُف . ومن أسمائه أيضاً : خُضارَة ، [سُمِّى بذلك لخضرَة مائه] . والدَّأْماء [سمى بذلك لتداؤم أمواجه أى : تراكمها ، وتكسر بعضها على بعض] وأبو خالد .

وقوله : عِقْدُ ذاتُ نِطافِ . النُّطَفُ(٢) : اللؤلؤ الصافى . ووصيفة مُنَطَّفَة [ومُتَنَطِّفَة] أى : مُقَرَّطَة بِتُومَتَيْنِ [والتُّومَة : اللُّؤلؤة ، أو حبة تعمل من الفضة كالدُّرَّةِ] والنَّطَفُ فى غير هذا : التَّلَطُّخُ بالعَيْب ، وكلاهما من أصل واحد ، وإن كانا فى الظاهر متضادين فى المعنى ؛ لأن النُّطْفَةَ هى الماء القليل ، وقد يكون الكثير ، وكأن اللؤلؤ الصافى أُخِذ من صفاء النُّطْفَةِ . والنَّطَفَ الذى هو العيب : أُخذ من نُطْفَةَ الإنسان ، وهى ماؤه ، أى : كأنه لُطِّخ بها .

وقوله : والفَيْض مُطّلب أبى الأضياف . يريد : أنه كان لأضيافه

= أبيض ، وهو لبنى أسد ، والآخر : أسود ، وهو لبنى فزارة ، هذا ، وقد روى اللسان البيتين . وفيهما : « الخباء ، ورُمَّل » بدلا من « الحباء ، وضرج » .

(١) فى السيرة : فى الرجاف .

(٢) مفردها . نطفة كهمزة « بضم النون وفتح الطاء » .

ملحوظة : فى السيرة أن فاطمة بنت عمرو بن عائذ هى أم عبد الله وأبى طالب . فى نسب قريش وعند السدوسى هى : أمهما أيضا ، وكذلك فى جمهرة ابن حزم . وفى السيرة فى نسب فاطمة هذه قال ابن إسحاق : « ابن عائذ بن عبد بن عمران » . وفى نسب قريش لا توجد عبد بين عائذ وعمران ، وكذلك فى جمهرة ابن حزم ، وعند السدوسى ، وإلى هذا ذهب ابن هشام ، وما بين قوسين فى نسب زدته فاطمة من كتب النسب .

كالأب . والعرب تقول لكل جواد : أبو الأضياف . كما قال مُرَّةُ بن مَحْكَان [السَّعْدِي التَّمِيمِيّ سيد بنى رُبَيْع] :

أُدْعَى أباهم ، ولم أُقْرِف بأُمِّهِمُ   وقد عَمِرْتُ . ولم أَعْرِفْ لهم نَسَبَا

اللهبي العائف :

فصل : وذكر خَبَرَ اللِّهْبِيِّ العائفِ . قال ابن هشام : ولِهْبٌ : حَيٌّ من الأَزْدِ : وقال غيره : وهو لِهبُ بنُ أُحْجَن بن كَعْب بن الحارثِ بنِ كعب ابن عبدِ الله بن مالكِ بن نَصْر بن الأَزْد . وهى القبيلة التى تُعْرَفُ بالعِيافة والزَّجْرِ (١) . ومنهم اللِّهْبِيُّ الذى زَجَر حين وقعت الحصاةُ بِصَلْعَةِ عُمَرَ

(١) العيافة : تتبع آثار الأقدام والأخفاف والحوافر فى المقابلة للأثر ، وهى التى تكون فى تربة حرة تشكل بشكل القدم . وقد اشتهر بها قديما بنو مدلج قبيلة من كنانة وبنو لهب «بلوغ الأرب للألوسى ، وانظر ص ٤٩١ الاشتقاق ، واللسان فى مادة لهب » ، والزجر : الاستدلال بأصوات الحيوانات وحركاتها وسائر أحوالها واستعلام ما غاب عنهم . ويقول ابن خلدون عنه : هو ما يحدث من بعض الناس من التكلم بالغيب عند سنوح طائر أو حيوان . ويقول ابن القيم فى مفتاح دار السعادة عنه : «وأصل هذا أن العرب كانوا يزجرون الطير ، والوحش ويثيرونها ، فما تيامن منها وأخذ ذات اليمين سموه سانحا ، وما تياسر منها سموه : بارحا ، وما استقبلهم منها فهو : الناطح ، وما جاءهم من خلفهم فهو القعيد ... ومن العرب من يتيمن بالسانح ويتشاءم بالبارح ومنهم غير ذلك . وقيل عن السانح والبارح غير هذا . ويقول الأزهرى : العيافة : زجر الطير ، وهو أن يرى طائرا ، أو غرابا ، فيتطير ، وإن لم ير شيئا ، فقال بالحدس كان : عيافة أيضا . وفى القاموس : العائف : المتكهن بالطير . وكل هذا حرمه الإسلام ، وقيل فى تعريفهما غير ذلك .

رفع المسـاهم

قصة بحيرى

قال ابن إسحاق : ثم إنّ أبا طالب خرج فى ركْبٍ تاجراً إلى الشام ، فلما تهيَّأ للرحيل ، وأجمع المسيرَ صَبَّ به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم - فيما يزعمون - فرَقَّ له ، وقال : والله لأَخْرُجَنَّ به معى ، ولا يفارقنى ، ولا أفارقه أبدا ، أو كما قال . فخرج به معه ، فلما نزل الركبُ بُصْرَى من أرض الشام ، وبها راهب يقال له : بَحِيرَى فى صَوْمَعَة له ، وكان إليه عِلْمُ أهلِ النصرانية ، ولم يزل فى تلك الصومعة منذ قَطّ راهبٌ ، إليه يصير علمهم عن كتاب فيها - فيما يزعمون

رضى الله عنه - فأدْمَتْه ، وذلك فى الحج ، فقال : أُشْعِر أميرُ المُؤْمنين . والله لا يَحُجُّ بعد هذا العام ، فكان كذلك(١) واللِّهبُ : شَقٌّ فى الجبلِ (٢) [والجمع : ألْهاب ولُهوبٌ] . وبنو ثُمالَةَ رَهْطُ المُبرِّدِ الثُّمَالِيِّ : هُمْ بنو أَسْلَمَ بن أَحْجَن ابن كَعْبٍ . وثُمالَةُ : أُمُّهم . وكانت العِيافة والزجر فى لِهْب قال الشاعر(٣) :

سألتُ أخا لِهْبٍ لِيَزْجُرَ زَجْرَةً ... وقد رُدَّ زَجْرُ العالمين إلى لِهْبِ

وقوله : لِيَعْتَافَ لهم : وهُو يَفْتَعِل من العَيْفِ . يقال : عِفْتُ الطيرَ . واعْتَفْتُها عِيافَةً واعْتِيافاً : وعِفْتُ الطعامَ أعافُه عَيْفاً . وعافت الطيرُ الماءَ عِيافاً .

---

(١) هذا خرف أسطورى . فالله وحده هو عالم الغيب .

(٢) عند ابن دريد فى الاشتقاق ، واللهب : الشعب الضيق فى أعلى الجبل والجمع ألهاب ولهوب .

(٣) هو كثير عزة ، والبيت فى نهاية الأرب هكذا :

تيممت لهبا أبتغى العلم عندها ... وقد رد علم العائفين إلى لهب

رفع المسيّهم

يتوارثونه كابراً عن كابر . فلما نزلوا ذلك العام بِبَحِيرَى، وكانوا كثيراً ما يمرّون به قبلَ ذلك ، فلا يكلّمهم ، ولا يَعْرِض لهم ، حتى كان ذلك العام . فلما نزلوا به قريباً من صَوْمعته صنع لهم طعاماً كثيراً ، وذلك ـ فيما يزعمون ـ عن شيء رآه وهو فى صومعته ، يزعمون أنه رأى رسولَ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو فى صَوْمعته فى الرَّكْب حين أقبلوا ، وغَمامة تُظِلّه من بين القوم . قال : ثم أقبلوا فنزلوا فى ظلّ شجرة قريباً منه ، فنظر إلى الغمامة حين أظلّت الشجرة ، وتهصّرت أغصانُ الشجرة على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى استظلّ تحتها، فلما رأى ذلك بَحِيرَى نزل من صَوْمعته وقد أمر بذلك الطعام فصُنع، ثم أرسل إليهم، فقال: إنى قد صنعتُ لكم طعاماً يا معشرَ قُرَيش ، فأنا أحبُّ أن تحضُروا كلُّكم، وصغيرُكم وكبيرُكم ، وعبدُكم وحُرُّكم ، فقال له رجل منهم : والله يا بَحِيرَى إنّ لك لشأناً اليومَ ! ما كنتَ تصنع هذا بنا ، وقد كنَّا نَمُرّ بك كثيراً ، فما شأنك اليومَ ؟! قال له بحيرىَ : صدقتَ ، قد كان ما تقول ، ولكنّكم ضَيْفٌ ، وقد أحببتُ أن أكرمكم ، وأصنعَ لكم طعاما ، فتأكلوا منه كُلُّكم . فاجتمعوا إليه ، وتخلّف رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من بين القوم ، لحداثة سنه ، فى رِحال القوم تحت الشجرة ، فلما نظَرَ بَحيرىَ فى القوم لم يَرَ الصِّفَةَ التى يعرِفُ ويجِدُ عنده ، فقال : يا معشر قُرَيش : لا يتخلفَنّ أحدٌ منكم عن طعامى ، قالوا له : يا بَحِيرىَ ، ما تخلّف عنك أحدٌ ينبغى له أن يأتيكَ إلا غلامٌ ، وهو أحدثُ القوم سنا ، فتخلّف فى رِحالهم ، فقال : لا تفعلوا ، ادعوه ، فليحضُر هذا الطعامَ معكم قال : فقال رجل من قُرَيش مع القوم : واللّات والعُزّى ، إن كان

لَلُؤْمٌ بنا أن يتخلّف ابن عبد الله بن عبد المطّلب عن طعام من بيننا ، ثم قام إليه فاحتَضَنَه ، وأجلسه مع القوم . فلما رآه بَحيرَى ، جعل يَلْحَظُه لَحْظًا شديداً ، ويَنْظُرُ إلى أشياء من جَسَده ، وقد كان يَجِدُها عنده من صفته ، حتى إذا فرَغ القومُ من طعامهم وتفرّقوا ، قام إليه بَحيرَى ، فقال : ياغلام ، أسألك بحقّ اللّات والعُزّى إلا ما أخبرتني عمّا أسألكَ عنه ، وإنما قال له بَحيرَى ذلك ؛ لأنه سَمِع قومه يَحلِفون بهما ، فزَعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا تسألني باللات والعُزّى شيئاً ، فوالله ما أبغضتُ شيئاً قطُّ بُغْضَهما ، فقال له بَحيرَى : فبالله إلاّ ما أخبرتني عما أسألك عنه ، فقال له : سَلْني عمّا بدالك . فجعل يسأله عن أشياء من حالِه من نَوْمه وهَيْئته وأموره ، فجعل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يُخبره ، فيوافق ذلك ما عند بَحيرَى من صِفَتِه ، ثم نظر إلى ظهْره ، فرأى خاتَمَ النبوّة بين كَتِفَيْه على موضعه من صفَته التي عنده .

قال ابن هشام : وكان مثلَ أثر المِحْجَم .

قال ابن إسحاق : فلما فرَغَ ، أقبل على عَمّه أبي طالب ، فقال له : ما هذا الغلامُ منك ؟ قال : ابني . قال له بَحيرَى : ماهو بابنك ، وماينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حيًّا ، قال : فإنه ابنُ أخي ، قال : فما فعل أبوه ؟ قال : مات وأمه حُبْلَى به ، قال : صدقت ، فارجع بابن أخيك إلى بلده ، واحذَر عليه يهُودَ ، فوالله لئن رأوْه ، وعرفوا منه ما عرفتُ لَيَبْغُنَّه شرّاً ، فإنه كائنٌ لابن أخيك هذا شأنٌ عظيم ، فأسْرِع به إلى بلاده .

فخرج به عمُّهُ أبو طالب سريعا ، حتى أقدمَهُ مكة حين فرَغَ من تجارته بالشام فزعموا فيما روى الناسُ : أن زُرَيْرًا وتمَّاما ودَريسا — وهم نفَر من أهل الكتاب — قد كانوا رأَوْا من رسول الله — صلى عليه وسلم — مثل ما رآه بَحِيرَى فى ذلك السفر الذى كان فيه مع عمّه أبى طالب ، فأرادوه ، فردّهم عنه بحيرى ، وذكّرهم الله وما يجدون فى الكتاب من ذِكْرِه وصفتِه ، وأنهم إن أجمعوا لما أرادوا به لم يخلُصوا إليْه ، ولَمْ يَزَلْ بهم ، حتى عرفوا ماقال لهم ، وصدّقوه بما قال ، فتركوه وانصرفوا عنه . فشبَّ رسول الله — صلى الله عليه وسلم — والله تعالى يَكْلؤُه ، ويحفظه ويحوطُه من أقذار الجاهلية ، لما يريد به من كرامته ورسالته ، حتى بلغ أنْ كان رجلاً أفضلَ قومه مُرُوءةً ، وأحسنَهم خُلقا ، وأكرمَهم حَسَبا ، وأحسنَهم جِوَاراً ، وأعظمهم حِلْما ، وأصدقَهم حديثا ، وأعظمَهم أمانةً ، وأبعدَهم من الفحش والأخلاق التى تُدنِّسُ الرجال ، تَنَزُّها وتَكَرُّما ، حتى ما اسمه فى قومِهِ إلا الأمين ، لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة .

وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم — فيما ذُكر لى — يُحَدّث عما كان الله يحفظه به فى صِغَرِه وأمْر جاهليته ، أنه قال :

لقد رأيْتُنِي فى غِلْمانِ قُريش نَنْقُلُ حجارةً لبعض ما يلعب به الغلْمانُ ، كلُّنا قد تعرّى ، وأخذ إزارَه ، فجعله على رَقَبته ، يحمل عليه الحجارة ، فإنى لأُقْبل معهم كذلك وأُدْبر ، إذ لَكَمَنى لاكِمٌ ما أراه ، لكمةً وَجِيعةً ، ثم قال : شُدَّ عليك إزارك . قال : فأخذتُه وشددتُه علىّ ، ثم جعلت أحمل الحجارة على رقبتى وإزارى علىّ من بين أصحابى .

. . . .

قصة بحيرى :

فصل : فى قصه بحيرى وسَفَر أبى طالبٍ بالنبى – صلى اللهُ عليه وسلَّم – وقع فى سِيَرَ الزُّهْرِيّ أن بَحيرَى كان حَبْرًا من يَهُودِ تَيْماء(١) ، وفى المسعودى : أنه كان من عبد القَيْسِ ، واسمُه : سَرْجِسُ ، وفى المعارف لابن قُتَيْبَةَ ، قال : سُمِع قبل الإسلام بقليلٍ هاتفٌ يهتف : ألاَ إن خيرَ أهلِ الأرْضِ ثلاثة : بَحِيرَى ، ورِبابُ بنُ الْبَرَاء الشَّنِّىّ (٢) والثالثُ : الْمُنتظَرُ ، فكان الثالثُ رسولَ الله – صلى الله عليه وسلم – قال الْقُتَبِيُّ : وكان قَبْرُ رِبَاب الشَّنِّىِّ ، وقبر ولدِه من بعده ، لايزال يُرى عليها طَشٌّ ، والطَّشُّ : المطرُ الضَّعيفُ(٣) .

وقال فيه : فَصَبَّ(٤) رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – بعمه . الصَّبَابَةُ : رِقَّةُ الشوقِ ، يقال : صَبِبْتُ – بكسر الباء – أَصَبُّ ، ويذكر عن بعض السَّلَفِ أنه قرأ : ﴿ أَصَبُّ إليهِنَّ وأكُنْ من الجاهِلين ﴾ يوسف : ٣٣

---

(١) بليد فى أطراف الشام ، بينها وبين وادى القرى على طريق حاج دمشق .

(٢) هو فى المعارف : أرباب بن رئاب من عبد القيس .

(٣) نص قول ابن قتيبة فى المعارف : « كان لا يموت أحد من ولد أرباب فيدفن إلا رأوا طشا على قبره » ونص كلامه عن الرسول – كما زعموا – صلى الله عليه وسلم – « وآخر لم يأت بعد . النبى (ص) » ص ٣٠ تحت باب : من كان على دين قبل مبعث النبى « ص » وهو خبر مصنوع ولاشك

(٤) وفى رواية – كما جاء فى الطبرى وشرح الخشنى – ضبٌّ ، وفسرها الأخير بقوله : تعلق به وامتسك .

. . . .

وفى غير رواية أبى بَحْرٍ: ضَبَثَ به رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - أى: لَزِمه قال الشاعر:

كأن فؤادى فى يد ضَبَثَتْ به مُحاذِرةً أن يَقْضِبَ الحبلَ قاضبُه

فكان رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - إذ ذاك ابنَ تسعِ سنين فيما ذكر بعضُ من أَلَّف فى السِّيَرِ، وقال الطبرى: ابن ثِنْتَىْ عشرة سنة(١).

من صفات خاتم النبوة:

وذكر فيه خاتَمَ النبوة وقول ابن هشام: كان كأثر المِحْجَم يعنى: أثَرَ المِحْجَمَةِ القابضةِ على اللحم، حتى يكون ناتئاً. وفى الخبر أنه كان حوله خِيلاَن فيها شَعَراتٌ سُودٌ. وفى صفته أيضا أنه كان كالتفاحة، وكَزِرِّ الحَجَلَةِ وفسره الترمذى تفسيرا وهِمَ فيه فقال: زِرُّ الحَجَلَة يقال: إنه بَيْضٌ له فتوهَّم الحَجَلَةَ من القَبج (٢) وإنما هى حَجَلَة السَّرير، واحدةُ: الحِجَال، وزِرُّها الذى يدخل فى عُرْوَتِها — قال على — رضوانُ اللهِ عليهِ — لأهل العراق: ياأشْباهَ الرجال:

---

(١) فى الطبرى: وهو ابن تسع سنين، وقيل، ثلاث عشرة. حكاه أبو عمر وقال ابن الجوزى، اثنتا عشرة سنة وشهران وعشرة أيام. وفى سيرة مغلطاى: وشهر

(٢) هو الحجل، وفى اللسان أنه الكروان، وأنه معرب، وهو بالفارسية. كبج معرب؛ لأن القاف والجيم لا يجتمعان فى كلمة واحدة من كلام العرب، وقد ضبط البخارى الحجل بضم الحاء، وقال: إنه من حجل الفرس وبضم الحاء وسكون الجيم الذى بين عينيه، وهو بعيد لأن الذى بين العينين اسمه الغرة لا الحجل، والتحجيل فى القوائم.

رفع المسهم

ولا رِجَالَ، ويا طَغَامَ الأحلامِ. ويا عقولَ رَبَّاتِ الحِجَالِ(١). وفى حديث آخر: كان كبيضَة الحمامة، وفى حديث عَيَّاذِ بن عَبْدِ عَمْرٍو، قال: رأيت خاتَمَ النبوة، وكان كَرُكْبَةِ الْعَنْزِ. ذكره النَّمَرِيُّ مُسْنَداً فى كتاب الاسْتِيعاب، فهذه خمس

(١) من خطبة منسوبة إلى على بن أبى طالب، وقدرواها المبرد فى أول الكامل وهى فى كتاب نهج البلاغة الذى جمع فيه الشريف الرضى خطبا رائعة، ونسبها إلى على. وفى رأى كثير أنها للشريف نفسه، وفى المبرد كما هنا. ومعنى طغام: من لا معرفة عنده — كما ذكر المبرد — أو أوغاد الناس ورذالُ الطير، مفردها: طغامة وفى نهج البلاغة «وحلوم الأطفال وعقولُ ربات الحجال» برفع حلوم وعقول. وربات الحجال: النساء. وبداية الخطبة كما فى النهج: «أما بعد، فإن الجهاد باب من أبواب الجنة، فتحه الله لخاصة أوليائه، وهو لباس التقوى، ودرع الله الحصينة الخ» انظر ص ٧٤ وما بعدها نهج البلاغة ط الرحمانية، و ص ١٦٤ ج ١ شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ط ٣ دار الفكر لبنان.

(٢) أما عياذ فترجمته فى الإصابة عياذ بن عمرو، أو ابن عبد عمرو الأزدى أو السلمى أو عباد بدلا من عياذ، وكان — كما جاء فى بعض الروايات — يخدم النبى «ص» فخاطبه يهودى، فسقط رداؤه عن منكبيه — وكان النبى صلى الله عليه وسلم — يكره أن يرى الخاتم. يقول عياد. فسويته عليه، فقال: من فعل هذا؟ فقلت، أنا. قال: تحول إلى، فجلست بين يديه، فوضع يده على رأسى، فأمرها على وجهى وصدرى، وكان الخاتم على طرف كتفه الأيسر، كأنه رقبة عنز وهذه رواية ابن منده والطبرانى، ومن تبعهما وسنده ضعيف، وللخطيب من هذا الوجه، وفيه أن الخاتم مثل ركبة العنز، وفى سنده من لا يعرف «الإصابة باختصار» هذا وقد سبق الحديث عن الخاتم، ويقول ابن حجر فى الفتح ماورد من أن الخاتم كان كأثر المحجم، أو الشامة السوداء، أو الخضراء — كما فى تاريخ ابن أبى خيثمة — المكتوب عليها: محمد رسول الله — كما فى تاريخ الحاكم وغيره، أو سر فإنك المنصور، لم يثبت منها شىء، ولا يغتر بشىء مما وقع فى صحيح ابن حبان؟ فإنه غفل حيث صحح ذلك.

رفع المسهم

روايات في صفة الخاتم: كالتفاحة وكبَيْضَة الحمامة، وكَزِرّ الحَجَلَة، وكأثر المِحْجَم وكركْبَة العَنز ورواية سادسة: وهي رواية عبد الله بن سَرْجِس: قال: رأيت خاتم النبوة كالجُمْع يعني: كالمِحْجَمَة " [وهي الآلة التي يجتمع بها دمُ الحِجامة عند المص] لا كجُمْع الكَفّ، ومعناه كمعنى الأول أي كأثر الجُمْع. وقد قيل في الجُمْع: إنه جُمْعُ الكَفّ: قاله القُتَبِيّ (١): والله أعلم.

ورواية سابعة عن أبي سعيد الخُدْري - رضي الله عنه - وقد سئل عن خاتم النبوة: فقال: بِضْعَة ناشزة (٢) هكذا: ووضع طَرَف السَّبَّابة في مَفْصِل الإبهام، أو دون المَفْصِل، ذكرها يونس عن ابن إسحاق، وفي صفته أيضاً رواية ثامنة، وهي رواية من شبهه بالسِّلْعة(٣)، وذلك لِنُتُوِّه، وقد تقدم حديث، فيه عن أبي ذر - رضي الله عنه - مرفوعاً بيانُ وَضْع الخاتم بين كتفيه

(١) يقول الزرقاني في شرح المواهب عن تفسير السهيلي . « وهو تكلف والمتبادر في تفسير ابن قتيبة، وقد تبعه عليه عياض، والنووي والمصنف وغيرهم » ص ١٥٧ ج ١ وجمع بضم الجيم. وحكى ابن الجوزي وابن دحية كسرها، وجزم به في المفهم. والجمع صورة الكف بعد أن تجمع الأصابع وتضمها وحديث ابن سرجس في مسلم ومسند أحمد.

(٢) حديث الخدري رواه الترمذي في الشمائل.

(٣) حديث السلعة رواه البيهقي، وبضعة ناشزة: قطعة لحم مرتفعة، وتروى بضعة بفتح الباء، وضمها وكسرها « انظر المواهب ص ١٥٥ ج ١ »، ولأحمد عن الخدري: لحم ناشز بين كتفيه، وللبيهقي، والبخاري في التاريخ عنه. لحمة ناتئة وأحمد وابن سعد من طرق عن أبي رمثة، والسلعة: زيادة تحدث في البدن كالغدة تتحرك إذا حركت، وقد تكون من حمصة إلى بطيخة.

رفع
المسلم
عبد الله الحواج

. . . .

متى كان ، وروى التِّرْمِذِيُّ(١) فى مصنفه ، قال : حدثنا الفضل بن سهل أبو العباس الأعرج البغدادى ، حدثنا عبدُ الرحمن بن غَزْوَان أبو نوح ، أخبرنا يونس ، عن أبى إسحاق ، عن أبى بكر بن أبى موسى ، عن أبيه قال : خرج أبو طالب إلى الشام ، وخرج معه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى أشياخ من قريش ، فلما أشرفوا على الراهب هبطوا ، فَحَلُّوا رحالهم : فخرج إليهم الراهبُ ، وكانوا قبلَ ذلك يمرون به ، فلا يخرج إليهم ، ولا يلتفت : فجعل يَتَخَلَّلُهُمُ الرَّاهبُ : وهم يَحُلُون رِحَالَهم : حتى جاء فأخذ بيَدِ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقال : هذا سيد العالمين ، هذا رسولُ ربِّ العالمين ، يبعثه الله رحمة للعالمين . فقال له أشياخٌ من قريش : ما عَلَّمَكَ ؟ . فقال : إنكم حين أشرفتم من العَقَبَةِ لم يبق حَجَرٌ ، ولا شجر إلا خَرَّ ساجِدا : ولا يسجُدان إلا لنبى ، وإنى أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غُضْرُوف كتفه . ويقال : غُرضُوف مثل التفاحة . ثم رجع : فصنع لهم طعاما ، فلما أتاهم به ـ وكان هو فى رِعْيَة الإبل ـ قال : أرسِلوا إليه . فأقبل وعليه غَمامة تُظِلُّه ، فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فَىْء الشجرة ، فلما جلس مال فَىْءُ الشجرة عليه ، فقال : انظروا إلى فىء الشجرة مال عليه ، قال : فبينما هو قائم عليهم ، وهو يناشدُهم ألاَّ يذهبوا به إلى الرومِ ، فإن الرومَ إن رأوْه عرفوه بالصفة ، فيقتُلُونه ، فالتفت فإذا سبعة قد أقبلوا من الروم ، فاستقبلهم ، فقال : ما جاء بكم فقالوا : جئنا أن هذا النبيَّ خارجٌ فى هذا الشهر ،

---

(١) ورواه أيضاً الحاكم وصححه والبيهقى فى الدلائل وأبو نعيم والخرائطى وابن أبى عساكر ، وابن أبى شيبة .

رفع المسهم

. . . .

فلم يبق طريق إلا بُعِث إليه بأُناسٍ ، وإنا قد اخترنا خيرة بعثنا إلى طريقك هذا ، فقال : هل خَلْفكم أحدٌ هو خير منكم ، فقالوا : إنما اخترنا خيرة لطريقك (١) هذا ، قال : أفرأيتمْ أمراً أراد الله أن يقضيه : هل يستطيع أحدٌ من الناس ردَّه؟ قالوا : لا ، قال : فبايَعُوه (٢) وأقاموا معه . قال : أنشُدُكمْ بالله أيكم وليهُ ؟ قالوا : أبو طالب ، فلم يزل يُناشِدُه حتى رده أبو طالب ، وبعث معه أبو بكر بلالا — رضى الله عنهما — وزوَّده الراهبُ من الكَعْكِ والزيت (٣) ، قال

(١) فى لفظ الحديث اضطراب وخطأ ، وفى المواهب وشرحها ما يأتى : ج ١ ص ١٩٥ : « فلم يبق طريق إلا بعث إليها بأناس ، وأنا هذ أخبرنا خبره بعثنا إلى طريقك هذا ، فقال : هل خلفكم أحد هو خير منكم؟ قالوا : إنما أخبرنا خبره بطريقك هذا » وانظر الخصائص للسيوطى ح ١ ص ٢٠٨ و ١٤٢ ح ١ السيرة الحلبية .

(٢) معناه : بايعوا بحيرا على ألا يأخذوا النبى « ص » ولا يؤذوه على حسب ما أرسلوا فيه ، وأقاموا مع بحيرا خوفا على أنفسهم إذا رجعوا بدونه ، انظر ص ٢٨٥ ح ٢ البداية والمواهب ، ومن أسماء بحيرا : جرجس وجرجيس .

وأكرر مرة أخرى بحجة من القرآن أن رسول الله « ص » لم يكن هو نفسه يعرف عن أمر نبوته شيئاً قبل أن ينزل عليه الوحى ، والآيات التى جعلت آيات له — كما ورد فى القرآن والإنجيل والتوراة — لا تتعلق بصفات جسمية ، وإنما بالحقائق النورانية من دعوته صلى الله عليه وسلم ، فهو نبى أمى اسمه : أحمد يأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، ويحل الطيبات ، ويحرم الخبائث ، ويضع الأغلال والإصر عن البشر .

(٣) يقول القسطلانى والزرقانى فى المواهب وشرحه : « وضعف الذهبى الحديث — حديث بحيرى — لقوله فى آخره : وبعث معه أبو بكر بلالا ، فإن أبا بكر إذ ذاك لم يكن متأهلا . قال ابن سيد الناس : لأنه حينئذ لم يبلغ عشر سنين ، فإن المصطفى أزيد منه بعامين ، وكان له يومئذ تسعة أعوام على ما قاله الطبرى وغيره ، أو اثنا عشر عاما على ما قاله آخرون ، ولا اشترى

رفع
المسلم
عزالله المالكى

. . . .

أبو عيسى : هذا حديثٌ حَسَنٌ غريبٌ ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه . ومما قاله أبو طالب فى هذه القصة :

= بلالا . قال اليعمرى : لأنه لم ينتقل لأبى بكر إلا بعد ذلك بأزيد من ثلاثين عاما ، فإنه كان لبنى خلف الجحيين . وعندما عذب فى الله اشتراه أبو بكر رحمة له ، واستنقاذا له من أيديهم . ولفظ الذهبى فى الميزان فى ترجمة عبد الرحمن ابن غزوان : كان يحفظ وله مناكير ، وأنكر ماله : حديث عن يونس بن أبى إسحاق عن أبى بكر بن أبى موسى عن أبى موسى فى سفر النبى « ص » وهو مراهق مع أبى طالب إلى الشام .

ومما يدل على أنه باطل قوله : وبعث معه أبو بكر بلالا ، وبلال لم يكن خلق ، وأبو بكر كان صبياً ؛ وقال فى تلخيص المستدرك بعد ماذكر تصحيح الحاكم للحديث : قلت: أظنه موضوعا ؛ فبعضه باطل، ويقول عنه عباس الدورى: ليس فى الدنيا أحد يحدث به - أى بهذا الحديث - غير قراد أبى نوح - أى عبد الرحمن بن غزوان - وقد سمعه منه أحمد بن حنبل ، ويحيى بن معين لغرابته وانفراده . وفى رواية الترمذى لم يذكر اسم الراهب ، وهو تارة يهودى ، وتارة نصرانى ، وتارة بحيرى ، وأخرى سرجس وغيره!! هذا وبصرى التى فى القصة بلد بالشام ، وهى قصبة كورة حوران . ولا ريب فى أن قصة بحيرى مخترعة وإفك صراح ، وقد استغلها عدو الإسلام ، فزعموا أنه - صلى الله عليه وسلم - اقتبس دينه مما تعلمه من رهبان النصارى وأحبار اليهود ، وقد تردى فى هذه المهلكة مؤرخ ينتسب إلى الإسلام ، فزعم أن رحلتى الرسول إلى الشام كان لهما أثرهما فيما صدر عنه من تشريع .

وأقول : لو أنها حدثت لتواتر خبرها ، ولاجّ فى مكة وما حولها من القرى ، ولبدا من رسول الله العلم بما جاءه ليلة الوحى الأولى ، وكيف ، وهو كما أكد القرآن — لم يكن يعرف حتى الإيمان قبل الوحى !! .

هذا وفى رواياته متناقضات ، فبحيرى من يهود تيماء ، كما جاء فى بعض السنن للزهرى ، وفى مروج الذهب وغيره أنه كان نصرانياً من عبد القيس . والرحلة كانت مع أبى طالب ، والرحلة مع أبى بكر ، والرحلة وهو فى سن التاسعة =

رفع المسهم

. . . .

أَلَمْ تَرَنِى من بعدِهم همَمْتُه ... بفُرْقَة حُرِّ الوالدين كِرام
بأحمدَ لما أنْ شَدَدْتُ مَطِيَّتى ... لترحلَ إذْ ودَّعتُه بسلامِ
بكى حَزَناً والعِيسُ قد فَصَلَتْ بنا ... وأمسكت بالكفين فَضْلَ زِمامِ
ذكرتُ أباه، ثم رَقْرَقْتُ عَبْرةً ... تجود من العينين ذاتَ سِجامِ
فقلت: تروح راشدا فى عُمومَةٍ ... مواسين فى البَأْساء غير لئام
فرُحْنا مع العِير التى راح أهلها ... شآمِى الهوى، والأصلُ غيرُ شآمِى

═أو الثانية عشرة أو الثامنة عشرة. وأبو بكر هو الذى يتوجه إلى الراهب فى رواية، وبحيرا هو الذى ينزل فى رواية، والراهب مجهول الاسم فى رواية، والراهب سرجس، أو جرجس، أو جرجيس فى رواية!! والراهب يحذر أبا طالب من الروم، والراهب يحذر أبا طالب من اليهود فى رواية، وعدد الروم سبعة، وعددهم تسعة فى رواية. هذا والكاتب الهندى خدا بخش - على ما فى قوله من اتهام لابن عباس بأنه واضع الحديث، وابن عباس برىء من إفكه - يحكم بزيف هذه القصة فيقول: « ولكن القصة بأكملها ليست حقيقية، بل موضوعة، وهى من صنع خيال ابن عباس!! وربما تكون قد دونت حوالى سنة ١٠٠ هـ » ثم يستعرض موقف الصليبية من قصة هذا الراهب، فيذكر أمورا مذهلة ترينا إلى أى حد استغل أعداء الدين هذه القصة المفتراة، فانظر كتابه (الحضارة الإسلامية ترجمة الدكتور الخربوطلى) من ص ٤٠. ويقول المؤرخ سيديو — رغم اعتداله: « وكان أول سفره إلى الشام مع عمه أبى طالب فى سنة ٥٨٣ م فبلغ بصرى، فاجتمع فيها ببحيرى الذى كان اسمه لدى النصارى جرجيس أو سرجيس، فنال حظوة عنده » ص ٦٦ تاريخ العرب العام » ويقول غستاف لوبون عن قصة بحيرى: (وتقول القصة: إن محمدا سافر مرة مع عمه إلى سورية، فتعرف فى بصرى براهب نسطورى فى دَيْرٍ نصرانى، فتلقى منه علم التوراة) ص ١٣٠ حضارة العرب. وذكر هذا فى مثل هذا الأسلوب الهادىء الذى يختال بأنه سكينة من اليقين يفتح قلب من لا يعى هذا الباطل الصريح!!

. . . .

فلما هَبَطْنا أرضَ بُصْرى تَشَرَّفوا ... لنا فوق دُورٍ ينظرون جِسَامِ

فجاء بَحِيرَى عند ذلك حاشداً ... لنا بشراب طيِّبٍ وطَعامِ

فقال : اجمَعُوا أصحابكم لطعامنا ... فقلنا : جمعناً القوم غير غلامِ (١)

ذكره ابن إسحاق فى رواية يونس عنه ، وذكر باقى الشعر .

حفظه فى الصغر :

فصل : وذكر ما كان الله سبحانه وتعالى يحفظه به : أنه كان صغيراً يلعب مع الغلمان ، فتعرَّى فَلَكَمَهُ لا كِمٌ . الحديث . وهذه القصة إنما وردت فى الحديث الصحيح فى حين بُنْيان الكعبة ، وكان رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — ينقُلُ الحجارة مع قومه إليها ، وكانوا يجعلون أُزُرَهُمْ على عواتقهم لتقيهم الحجارةَ ، وكان رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — يحملها على عاتقه ، وإزارُه مَشْدُودٌ عليه ، فقال له العباس رضى الله عنه : يابن أخى ! لو جعلتَ إزارك على عاتقك ، ففعلَ فسقط مَغْشِيًّا عليه ، ثم قال : إزارى إزارى ! فَشَدَّ عليه إزارَه ، وقام يحمل الحجارة(٢) ، وفى حديث آخر : أنه لما سقط ، ضَمَّه العباسُ إلى نفسِه ، وسأله عن شأنه ، فأخبره أنه نُودى من السماء : أنِ اشْدُدْ عليك إزارَكَ يا محمد ، قال : وإنه لأوَّلُ ما نُودِى . وحديثُ ابن إسحاق ، إن صح أنه كان ذلك فى صغره ، إذ كان يلعب مع الغلمان : فَمَحْمَلُه على أن هذا الأمر كان مرتين : مَرَّةً فى حال صغره ، وَمَرَّةً فى أولِ اكْتِهالِه عند بنيان الكعبة .

---

(١) تبدو فى الشعر رائحة الوضع ، فما عليه من العصر الذى قيل فيه سمة ، ولهذا لم يروه ابن هشام .

(٢) الحديث فى البخارى ومسلم .

رفع المسهم

حرب الفجار

قال ابن هشام : فلما بلغ رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أربعَ عشرةَ سنةً ، أو خمسَ عشرةَ سنةً ـ فيما حدثنى أبو عُبيدة النحوىّ ، عن أبى عمْرو بن العلاء ـ هاجت حربُ الْفِجَار بين قُريش ، ومن معها من كِنانة ، وبين قَيْس عَيْلانَ . وكان الذى هاجها أنَّ عُرْوَة الرَّحَّال بن عُتْبَة بن جَعْفَر بن كِلاب بن ربيعة ابن عامر بن صَعْصَعَة بن مُعاوية بن بَكْر بن هَوَازن ، أجار لَطِيمةً للنعمان ابن الْمُنْذر ، فقال له الْبَرَّاض بن قَيْس ، أحد بنى ضَمْرة بن بَكْر بن عَبْدِ مَنَاة ابن كِنانة : أتُجيرها على كِنانة ؟ قال : نعم ، وعلى الخلْق ، فخرج فيها عُرْوَةُ الرَّحَّال ، وخرج الْبَرَّاض يطلب غَفْلته ، حتى إذا كان بتَيْمَنَ ذى طَلَّال بالعالية ، غفل عُرْوَةُ ، فوثب عليه الْبَرَّاض ، فقتله فى الشهر الحرام ، فلذلك سُمِّى : الفِجَار . وقال الْبَرَّاض فى ذلك :

وداهِيَةٍ تُهِمُّ النَّاس قَبْلى ... شَدَدْتُ لها ـ بنى بَكْر ـ ضُلوعى
هدَمْتُ بها بُيُوتَ بنى كِلابٍ ... وأرْضَعْتُ المَوَالىَ بالضُّروع
رفعتُ له بذى طَلَّالَ كَفِّى ... فخَرَّ يميدُ كالجِذْع الصَّرِيع

وقال لَبِيد بن مالك بن جَعْفَر بن كِلاب :

أبْلِغْ ـ إنْ عَرَضْتَ ـ بنى كِلابٍ ... وعامرَ وَالخُطُوبُ لها مَوَالى
وبلغ إنْ عرضْتَ بنى نُمَيْرٍ ... وأخْوَالَ القَتِيل بنى هِلال
بأنّ الوَافِدَ الرَّحَّال أمْسَى ... مُقِيماً عندَ تَيْمَنَ ذى طَلَال

. . . .

وهذه الأبيات فى أبيات له فيما ذكر ابنُ هشام .

قال ابن هشام : فأتى آتٍ قريشا ، فقال : إنّ الْبَرَّاض قد قَتل عُرْوَةَ ، وهم فى الشهر الحرام بعُكاظ ، فارتحلوا ، وهَوازنُ لاتَشْعُرُ ، ثم بلغهم الخبرُ فأتْبعوهم ، فأدركوهم قبل أن يدخلوا الحرم ، فاقتتلوا حتى جاء الليل ، ودخلوا الحرمَ ، فأمسكت عنهم هَوازن، ثم التقَوْا بعدهذا اليوم أياما، والقومُ مُتساندون، على كلّ قَبيل من قريش وكِنانة رئيسٌ منهم ، وعلى كلّ قَبيل من قَيْس رئيسٌ منهم .

وشهد رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - بعض أيامهم ، أخرجه أعمامُه معهم ، وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : كنت أُنَبِّلُ على أعمامى ، أى: أَرُدُّ عنهم، نَبْلَ عدوّهم ، إذا رَمَوْهم بها .

قال ابن إسحاق : هاجت حربُ الفِجَار، ورسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - ابنُ عشرين سنة ، وإنما سمى يوم الفِجَار ، بما استحلّ هذان الحيَّان : كنانةُ وقَيْسُ عَيْلان فيه المَحارم بينهم .

وكان قائدَ قريش وكنانة حَرْبُ بن أميَّة بن عَبْد شمْس ، وكان الظَّفَر فى أوّل النهار لقَيْس على كِنانة ، حتى إذا كان فى وسط النهار كان الظَّفَرُ لكنانة على قيس .

قال ابن هشام : وحديثُ الفِجار أطول ممَّا ذكرت ، وإنما منعنى من استقصائه قَطْعُه حديثَ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

رفع
المسـاهم
غفر الله له ولوالديه

حديث تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة رضى الله عنها

قال ابن هشام : فلما بلغ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ خمساً وعشرين سنة، تزوّج خديجةَ بنتَ خُوَيْلد بن أسَد بن عَبد العُزّى بن قُصَيّ بن كِلاب بن مُرّة بن كَعْب بن لُؤَيّ بن غالب ، فيما حدّثنى غيرُ واحد من أهل العِلْم عن أبى عمرو المَدَنى .

قال ابن إسحاق : وكانت خديجةُ بنتُ خُوَيْلد امرأةً تاجرة ، ذاتَ شرف ومال ، تستأجر الرجال فى مالها ، وتُضاربهم إياه ، بشىء تجعلُه لهم ، وكانت قُرَيش قوماً تِجَاراً ، فلما بلغها عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما بلغها ، من صدْق حَديثه ، وعِظَم أمانته ، وكَرَم أخلاقه ، بعثَتْ إليْه ، فعرضَتْ عليه أن يَخرُج فى مال لها إلى الشام تاجراً ، وتُعطيه أفضلَ ما كانت تُعطى غيرَه من التُّجّار ، مع غُلام لها يقال له: مَيْسَرَة ، فقَبِله رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ منها ، وخرج فى مالها ذلك ، وخرج معه غلامُها مَيْسَرَة ، حتى قَدِم الشام .

فنزل رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى ظِلّ شجرة قريباً من صَوْمَعَةِ راهب من الرّهبان ، فاطّلع الراهبُ إلى مَيْسرة ، فقال له : مَنْ هذا الرجلُ الذى نزل تحت هذه الشجرة ؟ قال له مَيْسرة : هذا رجلٌ من قريش من أهل الحَرَم ، فقال له الراهبُ : ما نزل تحت هذه الشجرة قطُّ إلاّ نبىٌّ .

ثم باع رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – سِلْعَتَهُ التي خرج بها، واشترى ما أراد أن يشتري، ثم أقبل قافِلاً إلى مكة، ومعه مَيْسَرَة، فكان مَيْسرة – فيما يزعمون – إذا كانت الهاجِرَةُ، واشتدّ الحرّ، يرى مَلَكَيْن يُظِلاّنه من الشمس – وهو يسير على بعيره، فلما قَدِم مكةَ على خديجة بمالها، باعتْ ما جاء به، فأضْعف أو قريباً. وحدّثها مَيْسرةُ عن قول الراهب، وعمّا كان يرى من إظلال المَلَكَيْن إياه، وكانت خديجة امرأةً حازمةً شريفة لبيبة، مع ما أراد الله بها من كرامته، فلما أخبرها مَيْسرةُ بما أخبرها به، بعثت إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقالت له – فيما يزعمون: يا بْنَ عَمّ، إني قد رَغِبتُ فيك لقَرابتك، وَسِطَتِك في قومك وأمانتك، وحُسْن خلقك، وصِدْق حديثك، ثم عرضت عليه نفسها، وكانت خديجة يومئذ أوسطَ نساء قريش نسبا، وأعظمَهنّ شرفا، وأكثرَهُنّ مالا، كلٌّ قومها كان حريصا على ذلك منها لو يقدُر عليه.

وهي خديجة بنت خُوَيلد بن أسَد بن عبد العُزّى بن قُصَيّ بن كلاب بن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَيّ بن غالب بن فِهْر. وأمها: فاطمة بنت زائدة بن الأصمّ بن رَواحة بن حَجَر بن عَبْد بن مَعِيص بن عامر بن لُؤَيّ بن غالب بن فِهْر. وأمّ فاطمة: هالة بنت عبد مناف بن الحارث بن عمرو بن مُنْقِذ بن عمرو ابن مَعِيص بن عامر بن لُؤَي بن غالب بن فهر. وأم هَالَةَ: قِلاَبَةُ بنت سُعَيد ابن سَعْد بن سَهْم بن عَمْرو بن هُصَيْص بن كَعْب بن لُؤَي بن غالب بن فِهْر.

فلما قالت ذلك لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – ذَكر ذلك لأعمامه، فخرج معه عمُّه حمزة بنُ عبد المطلب – رحمه الله – حتى دخل على خُوَيلد بن أسَد فخطبها إليه، فتزوجها.

قال ابن هشام : وأصْدَقَها رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — عشرين بَكْرَةً ، وكانت أول امرأة تزوجها رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ولم يتزوج عليها غيرَها حتى ماتت ، رضى الله عنها .

قصة الفجار

والفِجار بكسر الفاء بمعنى : المُفَاجَرة كالقتالِ والمُقَاتَلَة ، وذلك أنه كان قِتالا فى الشهرِ الحرامِ ، ففَجَرُوا فيه جميعاً ، فسمى : الفِجارَ ، وكانت للعرب فِجَاراتٌ أربع ، ذكرها المسعودى ، آخرُها : فِجَارُ البَرَّاضِ(١) المذكور فى السيرة ، وكان لِكنانةَ ولِقَيْسٍ فيه أربعةُ أيام مَذكورة : يوم شَمْطَة ، ويوم الشَّرِبِ ، وهو أعظمُها يوما ، وفيه قَيَّد حَرْبُ بنُ أُمَيَّةَ وسُفْيان وأبو سُفْيانَ أبناء أُمَيَّةَ أنفسَهم كى لا يفرّوا ، فَسُمُّوا : العَنابِسَ(٢) ، ويوم الحُرَيْرَةِ عند نَخْلَةَ ، ويوم الشَّرِبِ انهزمت قيسٌ إلاَّ بنى نَصْرٍ منهم ، فإنهم ثبتوا ، وإنما لم يقاتل رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — مع أعمامه ، وكان يَنْبُلُ عليهم ، وقد كان بلغ سِنَّ القتالِ ؛ لأنها كانت حَرْبَ فِجارٍ ، وكانوا أيضاً كلُّهم كُفَّاراً ، ولم يأذنِ اللهُ تعالى لمؤمن أن يقاتلَ إلاَّ لتكونَ كلمةُ اللهِ هى العُلْيا .

---

(١) هى : فجار الرجل ، أو فجار بدر بن معشر ، وفجار القرد ، وفجار المرأة ، والاولى بين كنانة وهوازن ، والثانية أيضاً : بينهما ، والثالثة : بين قريش وهوازن ، وكانت البراض بين قريش وكنانة كلها وبين هوازن ، وتسمى : ثلاثة الفجارات الاول : أيام الفجار الاول . أما البراض فالفجار الآخر .

(٢) العنبس من أسماء الأسد ، والعنابس من قريش أولاد أمية بن عبد شمس الاكبر ، وهم ستة ، منهم الذين ذكرهم السهيلى والآخرون هم : أبو حرب وعمرو وأبو عمرو ، وسموا بالأسد ، والباقون يقال لهم : الأعياص .

رفع
المسـ هم
غفر الله له ولوالديه

. . . .

والأَطِيمةُ : عِيرٌ تَحْمِلُ الْبَزَّ والْعِطرَ .

وقوله : بذى طَلَاَّلَ(١) بتشديد اللام ، وإنما خففه لَبِيدٌ فى الشعر الذى ذكره ابن إسحاق هٰهنا للضرورة .

منع تنوين العلم :

وقول البرّاضِ : رفعتُ له بذى طَلَاَّلَ كَفِّى . فلم يَصْرفه ، يجوز أن يكونَ جعله اسمَ بُقعةٍ ، فترك إجراء الاسم للتأنيث والتعريف ، فإن قلت: كان يجب أن يقول : بذاتِ طَلَاَّل ، أى : ذات هذا الاسم للمؤنث ، كما قالوا : ذو عَمْرٍو أى : صاحبُ هذا الاسمِ ، ولو كانت أنثى، لقالوا : ذاتُ هذا، فالجواب : أن قوله : بذى يجوز أن يكون وَصْفا لطربق ، أو جانب مضافٍ إلى طَلَاَّل اسم البقعة . وأحسنُ من هذا كُلِّه أن يكونَ طَلَاَّلُ اسْماً مذكراً علَماً ، والاسمُ العلَمُ يجوز تركُ صرفِه فى الشعرِ كثيراً ، وسيأتى فى هذا الكتاب من الشواهدِ عليه ما يدلُّك على كثرته فى الكلام ، ونؤخرُ القولَ فى كشفِ هذه المسئلةِ وإيضاحِها إلى أن تأتىَ تلك الشواهدُ - إن شاء اللهُ - ووقع فى شعر البَرَّاضِ مُشَدَّداً ، وفى شعر لَبيدٍ الذى بعد هذا مُخَفَّفاً ، وقلنا : إن لبيداً خففه للضرورة ، ولم يُقَل : إنه شَدَّدَ للضرورة ، وإن الأصلَ فيه التخفيف، لأنه فَعَّال من الطَّلِّ ، كأنه موضعٌ يكثر فيه الطَّلُّ ، فطَلَاَل بالتخفيف لا معنى له ، وأيضاً، فإنا وجدناه فى الكلام المنثورِ مُشَدَّدا ، وكذلك تقيد فى كلام ابن

---

(١) تنطق بالظاء أيضاً ، وتيمن ذى طلال ، قيل : إنه واد إلى جنب فدك ، والصحيح : أنه بعالية نجد ، كما ذكر ابن هشام . والعالية : كل ما كان من جهة نجد من المدينة من قراها وعمائرها إلى تهامة . وما كان دون ذلك : فالسافلة

رفع
المسـاهم
غفر الله لوالديه

. . . .

إسحاق هذا فى أصلِ الشيخ أبى بحْرٍ (١) .

من تفسير شعر البراصه :

وقوله فى البيت الثانى : وألحقتُ الموالىَ بالضُّروع (٢) . جمع : ضَرْعٍ ، هو فى معنى قولهم : لئيمٌ راضعٌ ، أى : ألحقتُ الموالىَ بمنزلتهم من اللُّؤْمِ ورَضاع الضُّرُوع ، وأظهرت فَسَالتَهم (٣) وهتَكْتُ بيوتَ أشرافِ بنى كِلابٍ وصُرَحائِهم .

وقول لبيد : بَيْن تَيْمَنَ ذى طَلاَلٍ . بكسر الميم وبفتحها ، ولم يصْرِفْهُ لِوَزْنِ الفِعل ، والتعريف ؛ لأنه تَفْعِل ، أوْ تَفْعَل من اليُمْن أو اليَمِينِ .

آخر أمر الفجار :

وكان آخرُ أمرِ الفِجارِ أن هَوَازِنَ وكِنانة تواعدوا للعام القابِل بعُكَاظَ فجاءوا للوعدِ ، وكان حَرْبُ بنُ أُمَيَّةَ رئيسَ قُرَيْشٍ وكِنانة ، وكان عُتْبةُ بنُ رَبيعة يتيماً فى حِجْرِه ، فضَنَّ به حَرْبٌ ، وأشفق من خُروجه معه ، فخرج عُتْبةُ بغير إذْنِه ، فلم يَشْعُروا إلاَّ وهو على بعيره بين الصَّفَّين ينادى : يا مَعْشَرَ مُضَرَ ، علاَمَ تقاتلون ؟ فقالت له هَوازِنُ : ما تدعو إليه ؟ فقال : الصلح ، على أن ندفعَ إليكم دِيَةَ قَتْلاَكُمْ ، ونَعْفو عن دمائِنا ، قالوا : وكيف ؟ قال : ندفع إليكم رَهْناً مِناً ، قالوا : ومَنْ لنا بهذا ؟ قال : أنا . قالوا : ومَنْ أنت ؟ قال : عُتْبَة بن ربيعة بن عبد شَمْس ، فرَضُوا ورضيت كِنانةُ ، ودفعوا إلى هَوازِنَ أربعين رَجُلاً : فيهم : حكيمُ بنُ حِزَامٍ [بن خُوَيْلد] ، فلما رأت بنو عامر بن صَعْصَعَة الرَّهْنَ

(١) انظر عن هذا ص ٦١ شرح السيرة للخشنى .

(٢) فى السيرة : وأرضعت .

(٣) الفسل من الرجال : الرذل .

. . . .

فى أيديهم ، عَفَوْا عن الدماء ، وأطلقوهم وانقضت حَرْبُ الفِجَار(١) ، وكان يقال : لم يَسُدْ من قريشٍ مُمْلِقٌ إلاَّ عُتْبَةُ وأبو طالب ، فإنهما سادا بغير مال .

فصل فى تزويجه عليه السلام خديجة رضى الله عنها

شرح قول الراهب :

ذكر فيه قول الراهب : ما نزل تحت هذه الشجرة إلاَّ نَبِيٌّ . يريد : ما نزل تحتها هذه الساعةَ إلا نَبِيٌّ، ولم يُرِد : ما نزل تحتها قط إلاَّ نبى؛ لبعد العهد بالأنبياء قبل ذلك ، وإن كان فى لفظ الخبر : قَطّ ، فقد تكلم بها على جهةِ التوكيد للنفي ، والشجرةُ لا تُعَمِّر فى العادة هذا العُمُرَ الطويلَ حتى يَدْرِى أنه لم يَنْزِلْ تحتها إلا عيسى ، أو غيرُه من الأَنْبياء — عليهم السلام — ويَبْعُد فى العادة أيضاً أن تكون شجرةٌ تخلو من أن يَنْزِلَ تحتها أحدٌ ، حتى يجىء نبى إلاَّ أنْ تَصِحَّ روايةُ من قال فى هذا الحديث : لم يَنْزِل تحتها أحدٌ بعد عيسى بن مريمَ — عليه السلام — وهى روايةٌ عن غير ابن إسْحاق ، فالشجرةُ على هذا مخصوصةٌ بهذه الآيةِ والله أعلم . وهذا الراهبُ ذكروا أن اسمه نَسْطُورَا(٢) ولَيْسَ هو بحيرا المتقدم ذكره .

---

(١) ومن حديث حرب الفجار نفسر ما يأتى : اللطيمة : الإبل تحمل التجارة والطيب والبز وأشباههما ، القوم متساندون : ليس لهم أمير واحد يجمعهم . ولم يرد فى حضور النبى « ص » حرب الفجار حديث يعتمد به .

(٢) قلت : إن الصليبية استغلت هذه الأكذوبة ، فادعى أحدهم وهو =

. . . .

تحقيق معنى الوسط :

وقول خديجة ـ رضى الله عنها : لِسِطَتِك فى عشيرتك ، وقوله فى وصفها : هى أَوْسَط قُريش نَسَبا . فالسِّطَةُ : من الوَسَطِ، مَصْدَرٌ كالعدة والزِّنة ، والْوَسَطُ من أوصاف المدح والتفضيل ، ولكن فى مقامين : فى ذكر النسب ، وفى ذكر الشهادَة . أما النسب ؛ فلأن أَوْسَطَ القبيلة أعْرَفُها ، وأولاها بالصميم وأبعدُها عن الأطراف والوسيط ، وأجدرُ أن لاتضاف إليه الدعوة ؛ لأن الآباء والأمهات قد أحاطوا به من كل جانب ، فكان الْوَسَطُ من أجل هذا مَدْحاً فى النسب بهذا السبب ، وأما الشَّهادة فنحو قوله سبحانه : (قال أوسطُهم) وقوله : ﴿ وكذلكَ جَعَلناكم أُمَّةً وَسَطًا لتكونوا شُهَداء على الناس ﴾ البقرة : ١٤٣ فكان هذا مدحا فى الشهادة ؛ لأنها غاية الْعَدالة فى الشاهد أن يكون وَسَطا كالميزان ، لا يميل مع أحد ، بل يُصَمِّمُ على الحقِّ تصميما ، لايَجذبُهُ هَوى ، ولا يميل به رغبةٌ ، ولا رَهْبَةٌ من ههنا ، ولا من ههنا ، فكان وصفه بالْوَسَط غايةً فى التزكية والتعديل ، وظن كثير من الناس أن معنى الأَوْسط : الأفضلُ على الإطلاق ، وقالوا : معنى الصلاة الْوُسْطَى: الْفُضْلى ، وليس كذلك ، بل هو فى جميع الأوصاف لامَدْحٌ ولاذَمٌّ ، كما يقتضى لفظ التَّوَسُّطِ ، فإذا كان وَسَطاً فى السِّمَنِ ، فهى بين الْمُمِخَّةِ (١) والْعَجفَاء . والوسطُ فى الجمال بين الحسناء

= « نيكولدس » أن اثنين من اليهود ، ومسيحيا يعقوبيا يدعى : بحيرى أمدا محمداً بكثير من المعلومات التى استفاد منها فى دينه ص ٣ ـ الحضارة الإسلامية ، ويزعم « أندريا داندولو » أن هذا الراهب النسطورى « نسبته إلى فرقة مسيحية » أراد محاربة الكنيسة ، فاستغل محمداً فى هذا . وكلها مفتريات من نتن فرية خبيثة انظر خدابخش الحضارة الاسلامية .

(١) فى اللسان : الممخة بضم فكسر فخاء مشددة مفتوحة : السمينة وفى المثل : بين الممخة والعجفاء .

. . . .

والشَّوْهَاء ، إلى غير ذلك من الأوصاف ، لا يعطى مدحا ، ولا ذما ، غير أنهم قد قالوا فى المثل : أثقل من مُغَنٍّ وَسَطٍ على الذم ؛ لأن المغنى إن كان مُجيدا جدا أمْتَع وأطْرَبَ ، وإن كان بارداً جداً أضحك وألْهى ، وذلك أيضا مما يُمْتِع. قال الجاحظ : وإنما الكَرْبُ الذى يَجْثُمُ على القلوب ، ويأخذ بالأنفاس الغناء الفاتر الوَسَطُ الذى لا يُمْتِع بِحُسْن ، ولا يُضْحِك بلَهْو ، وإذا ثبت هذا فلا يجوز أن يقال فى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — هو : أَوْسَطُ الناس . أى : أفضلهم ، ولا يوصف بأنه وَسَطٌ فى العِلْم ، ولا فى الجود ، ولا فى غير ذلك إلا فى النسب والشهادة ، كما تقدم ، والحمد لله ، والله المحمود .

من الذى زوج خديجة ؟

فصل : وذكر مشى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — إلى خُوَيْلِدِ بْنِ أسدٍ مع عمه حمزة — رضى الله عنه — وذكر غيرُ ابن إسحاق أن خُوَيْلداً كان إذ ذاك قد هلك ، وأن الذى أنكح خديجةَ — رضى الله عنها — هو عمُّها عَمْرو بن أسد ، قاله المبرد وطائفة معه ، وقال أيضاً : إن أبا طالب هو الذى نهض مع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وهو الذى خَطَب خُطْبَة النكاح ، وكان مما قاله فى تلك الخطبة : « أما بعد : فإن محمدا مِمَّنْ لا يُوازَن به فتى من قريش إلا رَجَحَ به شرفا ونُبْلا وفضلا وعقلا ، وإن كان فى المال قُلٌّ ، فإنما المال ظل زائل ، وعارية مُسْتَرْجَعة ، وله فى خديجةَ بنت خُوَيلد رغبة ، ولها فيه مثل ذلك » فقال عمرو : هو الفَحْل الذى لا يُقْدَعُ أنفُه ، فأنكحها منه ، ويقال : قاله وَرَقَةُ بن نَوْفل ، والذى قاله المبرد هو الصحيح ؛ لما رواه

---

(١) ونص الخطبة فى نهاية الارب : «الحمد لله الذى جعلنا من ذرية إبراهيم =

رفع المسلم

. . . .

الطَّبَرِىُّ عن جُبَيْر بن مُطْعِم ، وعن ابن عباس ، وعن عائشةَ — رضى الله عنهم كلهم — قال : إن عَمْرو بن أسد هو الذى أنكَح خديجةَ رسولَ الله — صلى الله عليه وسلم — وأن خُوَيلداً كان قد هلك قبل الفِجَار ، وخُوَيلد ابن أسد هو الذى نازَع تُبَّعا الآخر حين حَجّ ، وأراد أنْ يحتمل الركنَ الأسودَ معه إلى اليمن ، فقام فى ذلك خُوَيلد ، وقام معه جماعةٌ ، ثم إنَّ تُبَّعاً رُوِّع فى منامه تَرويعا شديداً حتى ترك ذلك ، وانصرف عنه والله اعلم .

فصل : وذكر الزُّهْرِىُّ فى سِيَره ، وهى أول سيرة أُلِّفت فى

= وزرع إسماعيل ، وضِئْضِىء معد «أى معدنه وأصله» وعنصر مضر ، وجعلنا حضنة بيته ، وسُوَّاس حرمه ، وجعل لنا بيتاً محجوجاً ، وحرما آمنا ، وجعلنا الحكامَ على الناس ، ثم إن ابن أخى هذا محمد بن عبد الله لا يوزن به رجل إلا رجح به ، فإن كان فى المال قلٌ ، فإن المال ظل زائل ، وأمر حائل ، ومحمدٌ من قد عرفتم قرابته ، وقد خطب خديجة بنت خويلد ، وبذل لها من الصداق ما آجله وعاجله من مالى كذا . وهو والله بعد هذا له نبأٌ عظيم ، وخطب جليل » ص ٩٨ ح ١٦ نهاية الأرب . وفى رواية أن صداقها كان اثنتى عشرة أوقية ذهباً ونَشًّا ، وقال المحب الطبرى فى السمط الثمين : إنه كان عشرين بكرة . وفى المنتقى : أربعمائة دينار . وفيه أيضاً أن ورقة بن نوفل خطب بعد أبى طالب فقال : « الحمد لله الذى جعلنا كما ذكرت ، وفضلنا على ما عددت ، فنحن سادة العرب وقادتها ، وأنتم أهلُ ذلك كله ، لا تنكر العشيرة فضلكم ، ولا يرد أحد من الناس فخركم وشرفكم ، وقد رغبنا فى الاتصال بحبلكم وشرفكم ، فاشهدوا علىَّ يامعاشر قريش بأنى قد زوجت خديجة بنت خويلد ، من محمد بن عبد الله على أربعمائة دينار ثم سكت ، فقال أبو طالب ، قد أحببت . أن يشركك عمها » فقال عمها : اشهدوا على يا معاشر قريش أنى قد أنكحت محمد بن عبد الله خديجة بنت خويلد ، وشهد على ذلك صناديد قريش .

. . . .

الإسلام ، كذا روى عن [عبد العزيز بن محمد بن عبيد] الدَّرَاوَرْدِى أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال لشريكه الذى كان يَتَّجِرُ معه فى مالِ خديجة : هَلُمَّ فَلْنَتَحدثْ عند خديجة ،وكانت تُكرِمُهما وتُتْحِفُهما(١) ، فلما قاما من عندها جاءت امرأة مُسْتَنْشِئة (٢)ـ وهى الكاهنة ـ كذا قال الخطابى فى شرح هذا الحديث ، فقالت له : جئت خاطبا يا محمد ، فقال : كلا ، فقالت : ولم ؟! فوالله مافى قريش امرأة ، وإن كانت خديجة إلا تراك كُفْئًا لها ، فرجع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ خاطبا لخديجة مُسْتَحْيِيا منها ، وكان خويلدٌ أبوها سكرانَ من الخمر ، فلما كُلِّم فى ذلك أنكحها ، فألقت عليه خديجة حُلَّة وَضَمَّخَته بخَلُوق(٣) فلما صحا من سُكْره قال : ما هذه الحُلَّةُ والطِّيب ؟ فقيل: إنك أنكحت محمدا خديجة ، وقد ابتنى بها، فأنكر ذلك ، ثم رَضِيَهُ وأمضاه، ففى هذا الحديث أن أباها كانَ حَيا ، وأنه الذى أنكحها . كما قال ابن إسحاق. وقال راجزٌ من أهل مكة فى ذلك :

لاَ تَزْهَدِى خَــدِيجَ فى محمدِ نَجْمٌ يضىء كإضاء الفَرْقَدِ(٤)

---

(١) التحفة بالضم وكهمزة : البر واللطف والطرفة.

(٢) كانت من مولدات قريش، يقال : يستنشى الأخبار ، أى : يبحث عنها . وقال الأزهرى : إن مُسْتَنْشِئة علم لتلك الكاهنة .

(٣) الخلوق : ضرب من الطيب . والضمخ : لطخ الجسد بالطيب .

(٤) الفرقد : النجم الذى يهتدى به ، وفى شرح المواهب: « كما ضياء الفرقد » بدلا من « كإضاء الفرقد » .

رفع المسَاهِم

أولاده صلى الله عليه وسلم منها :

قال ابن إسحاق : فولدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وَلَدَه كلَّهم إلا إبراهيم : القاسمَ ، وبه كان يُكْنَى صلى الله عليه وسلم ، والطاهر ، وَالطَّيِّب ، وزينبَ ، ورُقية ، وأم كُلثوم ، وفاطمةَ ، عليهم السلام .

قال ابن هشام : أكبرُ بَنيه : القاسم ، ثم الطَّيِّب ، ثم الطَّاهر ، وأكبر بناته : رُقية ، ثم زينب ، ثم أم كُلثوم ، ثم فاطمة.

قال ابن إسحاق : فأما القاسمُ ، والطَّيِّب ، والطاهرُ فهلكوا فى الجاهلية وأما بناتهُ فكلّهن أدركْنَ الإسلام ، فأسلمن وهاجرنَ معه صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام : وأما إبراهيم فأمه : ماريَةُ القبطية. حدثنا عبد الله بن وَهْب عن ابن لَهِيعة ، قال : أمّ ابراهيم : ماريَةُ سُرِّيّةُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم التى أهداها اليه المُقَوْقِسُ من حَفْنٍ من كُورَةِ أنصِناَ .

قال ابن إسحاق : وكانت خديجة بنت خُوَيلد قد ذكرت لوَرَقَةَ بن نَوْفل ابن أسَد بن عبد العُزّى ـ وكان ابنَ عمها، وكان نصرانياً قد تتبّع الكتب، وعَلِم من عِلْم الناس ــ ما ذكر لها غلامُها مَيْسَرَةُ من قولِ الراهب ، وما كان يرى منه إذ كان المَلَكَان يُظلانه ، فقال وَرَقَةُ : لئن كان هذا حقًّا يا خديجةُ ، إن محمداً لنبيّ هذه الأمة ، وقد عرفتُ أنه كائنٌ لهذه الأمّة نبيٌ يُنتَظر ، هذا زمانُه ، أو كما قال :

. . . .

رفع
المسهم

فجعل وَرَقَةُ يستبطئ الأمرَ ويقول : حتى متى ؟ فقال ورقةُ فى ذلك :

لَجِجْتُ وكنتُ فى الذكرى لُجُوجا ... لِهَمٍّ طالما بعث النَّشِيجا
وَوَصْفٍ من خديجةَ بَعْدَ وَصْفٍ ... فقد طَال انتظارِى يا خَدِيجا
بِبَطْنِ المكَّتَين على رجائى ... حَدِيثَكِ أن أرى مِنْهُ خُروجا
بمَا خَبَّرْتِنَا مِنْ قَوْلِ قَسٍّ ... مِنَ الرُّهْبانِ أكْرَهُ أنْ يعُوجا
بأنّ محمدا سَيَسُود فِينا ... وَيخْصِمِ مَنْ يكُونُ لهُ حَجِيجا
ويظهر فى البِلادِ ضِياءُ نُور ... يُقِيم به البَرِيَّةَ أن تَموجا
فيَلْقَى مَنْ يُحارِبُه خَسَاراً ... ويَلْقَى مَنْ يُسَالِمُهُ فُلُوجا
فيالَيْتِى إذَا ما كانَ ذاكُمْ ... شَهِدْتُ فكنت أوَّلَهُم وُلُوجا
وُلُوجا فى الذى كَرِهَتْ قُرَيْشٌ ... ولَوْ عَجَّتْ بمكَّتِها عَجِيجا
أُرَجِّى بالذى كرِهوا جميعا ... إلى ذى العرش إن سَفَلوا عُرُوجا
وهَلْ أمْرُ السَّفالَةِ غيرُ كُفْر ... بمَنْ يختار مَنْ سمكَ البُرُوجا
فإنْ يبقَوْا وَأبْقَ تَكُنْ أُمورٌ ... يَضِجُّ الكافِرُونَ لها ضَجِيجا
وإنْ أهْلِكْ فكلُّ فتى سَيَلْقَى ... مِنَ الأقْدارِ مَتْلَفَةً حَرُوجا

وقيل : إن عمرو بن خُوَيلد أخاها هو الذى أنكحها منه ، ذكره ابن إسحاق فى آخر الكتاب .

أولاده من خديجة :

فصل : وذكر ولده منها ـ صلى الله عليه وسلم ـ فذكر البنات ، وذكر القاسمَ والطاهرَ والطيبَ ، وذكر أن البنين هلكوا فى الجاهلية ، وقال

رفع المسلم

. . . .

الزبير — وهو أعلم بهذا الشأن — ولدت له القاسم و عبدَ الله ، وهو الطاهر ، وهو الطَّيِّبُ سُمِّى بالطاهر ، والطيبِ لأنه وُلد بعد النبوة ، واسمهُ الذى سُمِّى به أوَّلُ هو : عبد الله ، وبلغ القاسمُ المشىَ ، غير أن رضاعَتَه لم تكن كَمُلت ، وقع فى مُسْنَد الْفِرْيابى أن خديجةَ دخل عليها رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — بعد موت القاسم ، وهى تبكى : فقالت : يا رسول الله دَرّت لُبَيْنَة القاسم فلو كان عاش حتى يستكملَ رضاعة لهوَّن علىَّ ، فقال : إن له مُرْضِعا فى الجنة تستكمل رضاعته ، فقالت : لو أعلم ذلك لهون على ، فقال : إن شئت أسمعتُك صوته فى الجنة ، فقالت : بل أصدق الله ورسوله. قولها ، لُبَيْنة هى تصغير لَبَنَة ، وهى قِطعة من اللبن ، كالْعُسَيْلَة ، تصغير عَسَلَةٍ ذكر سيبويه اللَّبَنَةَ والْعَسَلَةَ والشُّهْدة على هذا المعنى . قال المؤلف : وهذا من فقهها — رضى الله عنها — كرهت أن تُؤمن بهذا الأمر مُعَايَنَة ، فلا يكون لها أجرُ التصديق والإيمان بالغيب ، وإنما أثنى الله تعالى على الذين يؤمنون بالغيب . وهذا الحديثُ يدل أيضاً على أن القاسمَ لم يهلك فى الجاهلية . واختلفوا فى الصُّغرى والكبرى من البنات ، غير أن أمّ كلثوم لم تكن الكبرى من البنات ، ولا فاطمة ، والأصحُّ فى فاطمةَ أنها أصغرُ من أم كلثومَ (١)

---

(١) فى نسب قريش ص ٢١ : « فولد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — القاسم ، وهو أكبر ولده ، ثم زينب ، ثم عبد الله ، ثم أم كلثوم ، ثم فاطمة ، ثم رقية هم هكذا الأول فالأول ، ثم مات عبد الله ، ثم ولدت له مارية بنت شمعون ابنه إبراهيم » وفى زاد المعاد . وقد قيل فى كل واحدة منهن إنها أسن من اختيها ، وقد ذكر عن ابن عباس : رقية أسن الثلاث ، وأم كلثوم أصغرهن

. . . .

خديجة وبحيرى ونسبها :

وخديجة بنت خُوَيلد تسمى : الطاهرة فى الجاهلية والإسلام ، وفى سِيَرِ التَّيمى . أنها كانت تسمى : سيدة نساء قريش ، وأن النبى – صلى الله عليه وسلم – حين أخبرها عن جبريل ، ولم تكن سمعت باسمه قط ، ركبت إلى بَحيرى الراهب ، واسمُه سَرْجِس(١) فيما ذكر المسعودى ، فسألته عن جبريل ، فقال : قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ يا سيدةَ نساء قُرَيْش أنَّى لك بهذا الاسم ؟ ! فقالتْ : بعْلى وابنُ عمى محمد أخبرنى أنه يأتيه ، فقال : قُدُّوس قُدُّوسٌ ما عَلم به إلا نبىٌّ مُقرَّب ، فإنه السفير بين الله وبين أنبيائه ، وإن الشيطان لايجترىء أن يَتَمثَّل به ، ولا أن يَتَسمَّى باسمه ، وكان بمكة غلامٌ لِعُتْبَةَ بن ربيعة سيأتى ذكره ، اسمه : عَدَّاس عنده علم من الكتاب ، فأرسلت إليه تسأله عن جبريل ، فقال : قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ ! أنى لهذه البلاد أن يُذْكَرَ فيها جبريلُ ياسيدةَ نساء قريش ، فأخبرته بما يقول النبى – صلى الله عليه وسلم – فقال عَدَّاس مثل مَقاله الراهب ، فكان مما زادها اللهُ تعالى به إيمانا ويقينا .

وذكر ابن إسْحاق نسبَ أمها فاطمة بنت زائدة بن الأصمّ ، ولم يذكر اسم الأصم ، وذكره الزبير وغيره ، فقال : جُنْدُب بن هِدْم بن حَجَر ، بفتح الحاء والجيم من حَجر . كذا قيده الدَّارَقُطْني(٢) ، وأخوه : حُجيْرُ بن عبد بن مَعِيص بن عامر ،

---

(١) استغلت الصليبية هذا الإفك المفترى ، فبهتت القديسة العظيمة خديجة بأنها كانت على صلة بهذا الراهب المزعوم .

(٢) صوب الخشنى أيضاً فى ضبط حجر رواية الدارقطنى ص ٦٢ وفى نسب قريش ص ٢١ ، ٢٣٠ عن أم خديجة : « وأمها : فاطمة بنت زائدة بن جندب ، وهو الأصم بن هدم بن رواحة بن حجير بن عبد بن معيص ، وضبط حجر بضم الحاء » .

. . . .

وأما حَجْر بسكون الجيم ففي حيّ ذي رُعَيْن وإليه ينسب الحَجْرِيُّون ، وأما حجر بكسر الحاء ، ففي بني الدَّيَّان: عبدُ الحِجْر بن عبد المَدَانِ ، وهم من بني الحارث ابن كعب بن مَذْحج ، وذكر يونس عن ابن إسحاق نسب أم خديجة ، كما ذكر في رواية ابن هشام، وزاد فقال: كانت أم فاطمة بنت زائدة: هالةَ بنت عبد مناف بن الحارث بن عَبْد بن مُنْقِذِ بن عَمْرو بن مَعِيص بن عامر بن لُؤَيّ ، وأمها قِلاَبة، وهي العرقة بنت سُعَيْد بن سَعْد(1) بن سهم بن عمرو بن هُصَيْص بن كعب بن لُؤَيّ وأمُّها : أُمَيْمَةُ بنتُ عامرِ بن الحارث بن فِهْرٍ(2) .

من تزوجت خديجة قبل الرسول ؟

وكانت خديجة قبل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عند أبي هالةَ ، وهو هند بن زُرَارَة ، وقد قيل في اسمه : زُرَارَة ، وهند : ابنه، ابن النَّبَّاشِ من بني عَدِيّ ابن جِرْوَةَ بن أُسَيِّد(3) ابن عمرو ابن تميم ، فهو أُسَيْدِي بالتخفيف ، منسوب إلى أُسَيِّد بالتشديد ، كذا قال سيبوَيه في النسبِ إلى أُسَيِّد. وعدى بن جِرْوة يقال

---

(1) في نسب قريش : « قلابة ، وهي العرقة بنت سعيد بن سهم بن عمرو الخ » وأما قلابة بنت سعيد بن سعد بن سهم فلا تلقب بالعرقة انظر ص ٢٢ ، ٤٠٦ ، ٤٠٨ ، ٤٣٨ نسب قريش . وفي نسب هالة جدة خديجة المذكور في ابن هشام مخالفة لما في نسب قريش ، فهو في هذا كما يأتي « هالة بنت عبد مناف بن الحارث بن منقذ بن عمرو بن معيص » ص ٢٢ وص ٤٣٨

(2) في نسب قريش : « أميمة بنت عائش بن ظرب بن الحارث بن فهر » .

(3) في متشابه القبائل لابن حبيب : « أن كل شيء في العرب أسيد ـ بفتح الهمزة وكسر السين سوى أسيد بن عمرو في بني تميم فإنه على مثال التصغير » ص ٤٥١ ج ٢ المزهر .

إن الزُّبَيْرَ صَحَّفه ، وإنما هوى عِذىُ بن جِرْوَةَ ، وكانت قبل أبى هَالَةَ عند عَتيق (١) بن عائذ بن عبد الله بن عَمرو بن مَخْزوم ، ولدت له عبد مَناف بن عَتيق، كذا قال ابن أبى خَيْثَمَةَ ، وقال الزُّبَيْرُ : ولدت لعَتيقٍ جارية اسمُها : هندُ (٢) وولدت لهند أبى هالة ابنا اسمُه : هِنْدُ (٣) أيضاً ، مات بالطاعون طاعونِ البَصْرَة ، وكان قد مات فى ذلك اليوم نحو من سبعين ألفا ، فشُغِل الناسُ بجنائزهم عن جِنازته ، فلم يوجد من يحملها ، فصاحت نادبتُه : واهِنْد بن هِنْداه !! وارَبيبَ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلم تبق جِنازةٌ إلاَّ تُرِكت ، واحْتُمِلَتْ جِنازتُه على أطرافِ الأصابع إعظاما لربيب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذكره الدَّوْلاَبِى ، ولخديجةَ من أبى هالةَ ابنان غير هذا ، اسم أحدهما : الطاهرُ ، واسم الآخر : هَالَةُ . واختلِف فى سِنِّه - صلى الله عليه وسلم - حين تَزَوَّج خديجةَ فقيل ما قاله ابن إسحاق ، وقيل : كان ابن ثلاثين سنةً ، وقيل ابن إحدى وعشرين سنة(٤) .

مارية وإبراهيم :

فصل : وذكر أن خديجةَ - رضى الله عنها - ولدت للنبى صلى الله عليه وسلم ولدَه كلَّهم إلا إبراهيمَ ، فإنه من ماريةَ التى أهداها إليه المُقَوْقِس ،

(١) وقيل : إن عتيق تزوجها بعد أبى هالة والقولان فى الإصابة .

(٢) قيل : إنها أسلمت ولها صحبة .

(٣) صحابى روى حديث صفة النبي شهد بدرا ، وقيل: أحدا. وذكر الدارقطنى وابن بكار أنه قتل مع على يوم الجمل .

(٤) فى البيهقى والحاكم أن عمره كان خمسا وعشرين ، وعمرها خمسا وثلاثين.

رفع المسهم

. . . .

وقد تقدم اسمُ المُقَوْقِس ، وأنه جُرَيْجُ بن مِينا ، وذكرنا معنى المُقَوْقِس في أول الكتاب ، وذكرنا أنه أهدى ماريَةَ مع حَاطِبِ بن أبي بَلْتَعَةَ ، ومع جَبْر مَوْلى أبي رُهْمٍ الغِفَارِيّ ، واسم أبي رُهْمٍ : كُلْثُوم بن الحُصَيْن . وذلك حين أرسلها إليه رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — يدعوه إلى الإسلام ، وأهدى معها أختَها سِيرِينَ ، وهي التي وهبها رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — لِحَسَّان ابن ثابتٍ — رضي الله عنه — فأَوْلَدَها عبدَ الرحمن بن حسان ، وأهدى معها المُقَوْقِسُ أيضاً غلاماً خَصِيًّا اسمُه : مأبورُ ، وبغلةً تسمى : دُلْدُلَ ، وقدحاً من قواريرَ كان رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — يشرب فيه ، وتُوفيت ماريَةُ — رضي الله عنها — سنة ستَّ عَشْرَةَ في خلافةِ عُمَرَ — رضي الله عنه — وكان عُمر هو الذي يَحْشُر الناسَ إلى جِنازتها بنفسهِ ، وهي ماريَةُ بنت شَمْعُونَ (١) القِبْطِيَّة من كُورَةِ حَفْن . وأما إبراهيمُ ابن رسولِ الله — صلى الله عليه وسلم فمات ، وهو ابن ثمانيةَ عَشَرَ شهرًا في سنة عَشْرٍ من الهجرة في اليوم الذي كُسِفَتْ فيه الشمسُ ، وكانت قابلتهُ ، سَلْمَى امرأة أبي رافعٍ ، وأرضعته أمُّ بُرْدَةَ بنت المُنْذِر النَّجَّارية امرأة البَرَاء بن أَوْس ، وسَلْمَى : هي مَوْلاةُ رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وقابلةُ بني فاطمةَ كلِّهم ، وهي غَسَّلتها مع أسماء بنت عُمَيْس الخَثْعَمِيَّة ، وغسلها معهما عليُّ بن أبي طالب — كرَّم الله وجهه — وفي المُسْنَد من طريقِ أنسٍ أنَّ رسول الله — صلى الله عليه وسلم — حين

---

(١) زاد في نسب قريش بعد شمعون : ابن إبراهيم .

. . . .

ولدت له ماريَةُ ابنَه إبراهيم وقع فى نفسِه منه شىء، حتى نَزَل جبريلُ عليه السلامُ ، فقال له : السلام عليك يا أبا إبراهيم(١) .

ترجمة ورقة :

وذكر ورقةَ بن نَوْفل بن أسد بن عَبْد العُزّى ، وأم ورقة : هندُ بنتُ أبى كبير بن عَبْدِ بن قُصَىّ ، ولا عَقِبَ له(٢) ، وهو أحد من آمن بالنبى —

(١) فى زاد المعاد : أن الطيب والطاهر لقبان لولده المسمى : عبد الله الذى ولد بعد النبوة . وأما إبراهيم فذكر ابن القيم أنه ولد فى العام الثامن من الهجرة وأن الذى بشره به هو أبو رافع مولاه. فوهب له عبدا ،أما الحديث المروى عن طريق أنس، ففيه ابن لهيعة ،ولا يعتد بحديث يروى عن طريقه ، وفى روايات الحديث أن مأبورا هذا كان يدخل كثيرا على مارية ، فهل يصدق مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأذن لمثل هذا أن يغشى بيته هكذا؟! وقد اختلف فى مابور ، فقيل إنه أخوها ، وقيل أيضاً : إنه ابن عمها، وهو خصى،ويقول ابن أبى الحديد — على تشيعه — فى شرحه لنهج البلاغة وهو يتحدث عما بهتت به عائشة ، وعن براءتها فى سورة النور « وقوم من الشيعة زعموا أن الآيات التى فى سورة النور لم تنزل فيها .وإنما أنزلت فى مارية القبطية ، وما قذفت به مع الأسود القبطى . وجحدهم لإنزال ذلك فى عائشة جحد لما يعلم ضرورة من الأخبار المتواترة » ص ٤٤٢ حـ ٣ طبع لبنان ، وأما المرتضى صاحب كتاب الأمالى المعروف باسمه ، فافترض صحـــة الحديث ، وراح يؤول ألفاظه انظر ص ٥٤ جـ ١ أمالى المرتضى ط ١ .

(٢) اسم أبى كبير : منهب بضم الميم وسكون النون وكسر الهاء انظر ص٢٠٧ نسب قريش ، ٢٥٦ وما بعدها .

. . . .

صلى الله عليه وسلم ـ قبل البَعْثِ (١) ، وروى التِّرمِذِيُّ أن رسولَ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : رأيته فى المنام ، وعليه ثيابٌ بيضٌ ، ولو كان من أهلِ النار ، لم تكن عليه ثيابٌ بيضٌ ، وهو حديث فى إسناده ضَعفٌ ، لأنه يدور على عُثْمان بن عبد الرَّحمن ، ولكن يُقوّيه ما يأتى بعد هذا من قوله عليه السلام : رأيت القَسَّ يعنى ، وَرَقَةَ وعليه ثيابُ حرير ، لأنه أولُ مَن آمن بى ، وصدقنى ، وسيأتى بقيةٌ من خبره (٢) فيما بعد ـ إن شاء الله ـ وقد أَلْفَيْت للحديث الذى خَرَّجه الترمذىُّ فى وَرَقَةَ إسنادا جيـــدا غير الذى ذكره التِّرمِذِىُّ ، وهو ما رواه الزُّبَيْرُ بن أبى بكر عن عبد الله بن مُعاذ الصَّنْعانِىِّ عن مَعْمَرٍ عن الزُّهْرِىِّ عن عُرْوَةَ بن الزُّبَيْر ـ رضى الله عنه ـ قال : سئل رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن ورقة بن نوفل ، كما بلغنا فقال : رأيتُه فى المنام ، عليه ثيابٌ (٣) بِيضٌ ، فقد أظن أنْ لو كان من أهلِ النارِ لم أرَ عليه البياضَ ، وكان يذكر اللهَ فى سفره فى الجاهلية ، ويسبِّحه ، وهو الذى يقول :

---

(١) يقول ابن عساكر : « لا أعرف أحدا قال إنه ـ أى ورقة ـ أسلم » .

(٢) رواه البيهقى فى الدلائل وقال : إنه منقطع .

(٣) أخرجه أحمد عن طريق ابن لهيعة ، ولا يعتد بحديث يروى عن طريقه . وهكذا كل حديث يتحدث عن إسلام ورقة أو آخرته ، فهو ضعيفه وحسبنا ما ورد عنه فى الصحيحين .

. . . .

لقد نصحتُ لأقوام ، وقلتُ لهم : أنا النذيرُ ، فلا يغرُرْكم أحدُ
لا تَعْبُدُنَّ (١) إلهًا غيرَ خالقِكم فإن دعَوْكُمْ (٢) فقولوا : بيننا جَدَدُ (٣)
سُبْحانَ ذي العرشِ سُبْحانًا يدوم له وقبلنا (٤) سَبَّحَ الْجُودِيُّ والْجُمُدُ
مُسَخَّرٌ كلُّ ما تحت السماء له لا ينبغي أن يُنَاوِي (٥) مُلْكَه أحدُ
لا شَيْء مما ترى تبقى بشاشتُهُ يَبْقَى الإلهُ ويُودِي المالُ والْوَلَدُ
لم تُغْنِ عن هُرْمُز يوما خزائنُهُ والخلد قد حاولت عادٌ فما خَلَدُوا
ولا سُلَيْمان إذ تجري الرياحُ به والإنسُ والجِنُّ فيما بينها مرد (٦)
أين الملوكُ التي كانت لعزتها من كل أوْب إليها وافدٌ يَفِدُ
حَوْضٌ هنالك مَوْرودٌ بلا كذبٍ لا بُدَّ من وِرْدِهِ يوما كما وَرَدُوا (٧)

---

(١) في نسب قريش جعل لا نافية فأثبت الواو وهو خطأ ـ كما أعتقد ـ من محقق الكتاب .

(٢) في النسب « فإن أبيتم » .

(٣) في الأغاني وفي النسب « حدد » بالحاء لا بالجيم .

(٤) « في الأغاني « نعوذ به ، وقبل قد » .

(٥) في النسب : يساوى ، وفي الأغاني كما هنا .

(٦) في الأغاني : « والجن والإنس تجرى بينها البرد » وكذلك في نسب قريش بدون الواو قبل « الجن » .

(٧) هذا البيت غير موجود في الأغاني ص ١١٥ مجلد ٣ والقصيدة في نسب قريش ، وبينها وبين ما هنا اختلافات وزيادات مثل :

سبحان ذي العرش الخ فقد ورد هكذا في نسب قريش

سبحان ذي العرش لا شيء يعادله رب البرية فرد واحد صمد

وورد بعده في نسب قريش : =

رفع المسـاهم

. . . .

نسبه أبو الفرج(١) إلى وَرَقَةَ ، وفيه أبياتٌ تُنسب إلى أُمَيَّةَ بن أبى الصَّلْتِ ، ومن قوله فيما خبرته به خديجةُ — رضى الله عنها — عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم :

يا للرِّجالِ لِصَرْفِ الدَّهْرِ والْقَدَرِ (٢) وما لِشَىْءٍ قضاه اللهُ من غِيَرَ

حتى خديجةُ تدعونى لأُخْبِرَها أمرا أراه سيأتى الناسَ من أُخُرِ (٣)

فخـبَّرَتْنِى بأمرٍ قد سمعت به فيما مضى مِنْ قديم الدهر والعُصُر

بأن أحمدَ يأتيه فيخـبره جبريلُ : إنك مبعوثٌ إلى الْبَشَرِ

فقلت : عَلَّ الذى تَرْجين ينجزُه لك الإلهُ فَرَجِّى الخيرَ وانتظرى

وأرســلته إلينا كى نسائله عن أَمْرِهِ مايَرَى فى النوم والسَّهر

فقال حين أتانا منطِقا عَجَبا يَقِفُّ منه أعالى الجِلْد والشَّعَر

إنى رأيتُ أمينَ اللهِ واجهنى فى صورةٍ أُكملت فى أَهْيَبِ الصُّوَرِ

ثم استمر فكان الخوف يَذْعَرُنى مما يُسَلِّم مِنْ حَوْلى مِن الشَّجَرِ

= سبحانه ثم سبحانا يعود له وقبل سبحه الجودى والجمد

والبيتان الأخيران فى الروض غير مذكورين فى النسب انظر نسب قريش ص ٢٠٨ .

(١) يعنى صاحب كتاب الأغانى .

(٢) فى الإصابة « وصرف الدهر » .

(٣) فى الإصابة

هذى خديجة تأتينى لأخبرها وما لنا بخفى الغيب من خبر

رفع
المسهم

. . . .

فقلت : ظني وما أدرى أيَصْدُقنى ... أنْ سوف تُبعث تتلو مُنزَلَ السُّورِ
وسوف أُبليك إنْ أعلنت دعوتهم ... من الجهاد بلاَ مَنٍّ ولا كَدَرِ

مثنى يقصد به المفرد :

فصل : وفى شعر وَرَقَة :

بِبَطْنِ المكَّتَيْن على رَجَائى ... حديثك أن أرَى منه خُرُوجا

ثنَّى مكة ، وهى واحدةٌ ؛ لأن لها بِطَاحاً وظواهرَ ، وقد ذكرنا مَنْ أهلُ البِطاح ، ومَنْ أهلُ الظواهر فيما قبل ، على أن للعرب مَذْهَباً فى أشعارِها فى تثنية البُقْعة الواحدة ، وجمعِها نحو قوله : وَمَيْتٌ بِغزَّاتِ . يريد : بغزَّةَ وبغادين . فى بَغْدَاد ، وأما التثنية فكثير نحو قوله :

بالرَّقْمَتَيْنِ له أجْرٍ وأعْراسُ ... والحَمَّتَيْنِ سَقَاكِ الله مِنْ دَارِ(١)

وقول زهير : ودار لها بالرَّقْمَتَيْنِ(٢) . وقول ورقة من هذا : ببطن

---

(١) فى اللسان : الرقمة : الروضة ، ورقمة الوادى حيث يجتمع الماء . وأجر : جمع جرو ، وجمع العرس وهى امرأة الرجل ورجلها ، ولبؤة الأسد : أعراس وقد استعاره الهذلى للأسد فقال :

ليثٌ هِزَبْرٌ مُدِلٌّ حول غابته ... بالرقمتين له أجرٍ وأعراسُ

قال ابن برى : البيت لمالك بن خويلد الخناعى وقبله .

يامى لا يعجز الأيامَ مجترئٌ ... فى حومة الموت رَزَّامٌ وفَرَّاس

الرزام الذى له زئير ، والفراس الذى يدق عنق فريسته

(٢) الرقمتان — كما فى اللسان — روضتان بناحية الصَّمَّان ، وإياهما أراد زهير .

ودار لهـا بالرقمتين كأنها ... مراجيع وشم فى نواشر معصم

. . . .

المكتين . لا معنى لإدخال الظواهر تحت هذا اللفظ ، وقد أضاف إليها البطن ، كما أضافه المبرق حين قال :

ببطن مكة مقهورٌ ومفتونُ .

وإنما يقصد العربُ فى هذا الإشارةَ إلى جانبى كل بلدة ، أو الإشارة إلى أعلى البلدة وأسفلها ، فيجعلونها اثنين على هذا المغزى ، وقد قالوا : صِدنا بقَنَوَيْنِ(١) وهو قنا اسم جبل ، وقال عَنْترة .

شَربَتْ بِماءِ الدُّحْرُضَيْنِ(٢) .

وهو من هذا الباب فى أصحِّ القولين ، قال عنترة أيضا ،

بِعُنَيْزَتَيْنِ وأهلُنا بالعَيْلَمِ(٣)

(١) فى القاموس : القَنَوَان . جبلان

(٢) الدُّحْرُضان : موضعان أحدهما : دحرض ، والآخر : وسيع وقال الجوهرى : الدُّحرضان : اسم موضع . وقال : وسيع ودحرض ماءان ثناهما بلفظ الواحد ، وبيت عنترة :

شَرِبَتْ بماء الدُّحْرضين ، فأصبحت
زوْراء تنفر عن حياض الدَّيلم

(٣) فى المراصد : عنيزة . موضع بين البصرة ومكة ، وأيضاً : بئرعلى ميلين من القريتين ببطن الرمة ، وعنيزة من أودية اليمامة قرب سواح ، وقرى عنيزة بالبحرين وعنيزتن تثنية الذى قبله . قيل : هو موضع آخر ، وقيل : هو الذى قبله ، ثنى كما قالوا فى عماية : عمايتان ، وفى رامة : رامتان وأمثاله كثير .

والغيلم بالغين لا بالعين . فى المراصد . واللسان : الغيلم : موضع فى شعر عنترة .

كيف المزار وقد تربع أهلها بعنيزتين وأهلنا بالغيلم

رفع المسـهم

. . . .

وعُنَيْزة اسم موضع ، وقال الفرزدق :

عشِيَّةَ سال الْمِرْبَدان كلاهما(١)

وإنما هو مِرْبد البصرة . وقولهم :

تسألني بَرامَتَين سَلْجَما(٢)

(١) الشعر للفرزدق :

عشيَّةَ سال المِرْبَدان كلاهما عجاجةَ موْت بالسيوف الصوارم

والمربد : المكان الذى يحبسون فيه الإبل وبه سمى مربد البصرة وبه كانت مفاخرات الشعراء ، ومجالس الخطباء . وقال الجوهرى فى بيت الفرزدق إنه عنى به سكة المربد بالبصرة ،والسكة التى تليها من ناحية بنى تميم جعلهما المربدين كما يقال الأحوصان وهما : الأحوص وعوف بن الأحوص « اللسان المراصد ، ياقوت » .

(٢) رامة : منزل فى طريق البصرة إلى مكة وبعده بمرحلة أخرى ديار بنى تميم ، وقيل: جبل لبنى دارم، ورامة أيضاً من قرى بيت المقدس، وللسلجم عدة معان منها أنه نبت، وقيل: هو ضرب من البقول. قال أبو حنيفة السلجم: معرب وأصله بالشين والعرب لا تتكلم به إلا بالسين ، وكذا ذكره سيبويه بالسين فى باب علل ما يجعله زائدا فقال : وتجعل السين زائدة إذا كانت فى مثل سلجم . وقيل لرامى. لم زرعتم السلجم ، فقال معاندة لقوله :

تسألني برامتين سَلْجَما
يامى لو سألت شيئاً أمما
جاء به الكَرِىُّ أو تجشما
لو أنها تطلب شيئا أمما

وفى اللسان « فاما إكثارهم من تثنية رامة فى الشعر فعلى قولهم للبعير . ذو عثانين كأنه قسمها جزأين . ويقول ابن سيدة إنها سميت رامتين للضرورة لأنهما لو كانتا أرضين لقيل : الرامتين » .

. . . .

وإنما هو رامة وهذا كثير . وأحسن ماتكون هذه التثنية إذا كانت فى ذكر جنة وبستان ، فتسميها جنتين فى فصيح الكلام ، إشعاراً بأن لها وجهين ، وأنك إذا دخلتها ، ونظرت إليها يمينا وشمالا رأيت من كلتا الناحيتين ما يملأ عينيك قُرَّةَ ، وصدرَكَ مَسَرَّة ، وفى التنزيل : ([لقد كان لِسَبَأٍ فى مَسْكَنِهِمْ آيةٌ . جَنَّتان] عنَ يمين وشمال) إلى قوله سبحانه : ﴿وبدَّلْناهُم بجنتَيْهِم جنتين﴾ سبأ : ١٥ . وفيه : ﴿جعلنا لأحدهما جنتين﴾ الآية . الكهف : ٣٢ ، وفى آخرها : (ودخل جَنَّتَه) فأفرد بعد ماثنى ، وهى (١) هى ، وقد حمل بعض العلماء على هذا المعنى قوله سبحانه ﴿ وَلِمَنْ خاف مقام ربه جَنَّتان ﴾ الرحمن : ٤٦ ، والقول فى هذه الآية يتسع ، والله المستعان .

النور والضياء :

فصل : وقال فى هذا الشعر : ويظهر فى البلادِ ضياءُ نور . هذا البيت يوضح لك معنى النور ومعنى الضياء ، وأن الضياء هو المنتشر عن النور ، وأن النور هو الأصل للضوء ، ومنه مبدؤه ، وعنه يصدر ، وفى التنزيل : ﴿فلما أضاءت ما حولَه ذهب اللهُ بنورهم﴾ البقرة : ١٧ . وفيه : ﴿جعل الشمسَ ضياء ، والقمرَ نوراً﴾ يونس : ٥ . لأن نور القمر ، لاينتشر عنه من الضياء ماينتشر من الشمس ، [و]لاسيما فى طرفى الشهر ، وفى الصحيح : الصلاة نور ، والصبر ضياء ، وذلك أن الصلاة هى

---

(١) فى البيضاوى : « إفراد الجنة ، لأن المراد . ماهو جنته ، وهى ماتمتع به فى الدنيا تنبيها على أنه لا جنة له غيرها ، ولاحظ له فى الجنة التى وعد المتقون ، أولا تصال كل واحد من جنتيه بالأخرى ، أو لأن الدخول يكون فى واحدة » . وهو أجود .

رفع عبد الرحمن الهاشمي
غفر الله له ولوالديه

. . . .

عمود الإسلام ، وهى ذكر وقرآن ، وهى تنهى عن الفحشاء والمنكر ، فالصبر عن المنكرات ، والصبر على الطاعات هو : الضياء الصادر عن هذا النور الذى هو القرآن، والذكر ، وفى أسماء البارى سبحانه ﴿الله نور السموات والأرض﴾ النور : ٣٥ ولا يجوز أن يكون الضياء من أسمائه ـ سبحانه ـ وقد أمليت فى غير هذا الكتاب من معنى نور السموات والأرض ما فيه شفاء ، والحمد لله .

نون الوقاية فى إن وأخواتها :

فصل : وفى شعر ورقة : فياليتى إذا ما كان ذاكم . بحذف نون الوقاية ، وحذفها مع ليت ردىء ، وهو فى لعل أحسن منه ، لقرب مخرج اللام من النون ، حتى لقد قالوا : لعلّ وَلعَنَّ ولأن بمعنى واحد ، ولاسيما وقد حكى يعقوبُ أن من العرب من يخفض بلعل ، وهذا يؤكد حذف النون من لعلى ، وأحسن ما يكون حذف هذه النون فى إنَّ وأنَّ ولكنَّ وكأن لاجتماع النونات ، وحسَّنه فى لعل أيضاً كثرة حروف الكلمة ، وفى التنزيل: ﴿لعلّى أرجع إلى الناس﴾ يوسف : ٤٦ . بغير نون، ومجىء هذه الياء فى ليتى بغير نون مع أن ليت ناصبة، يدلك على أن الاسم المضمر فى ضربنى هو الياء ، دون النون كما هو فى : ضربك ، وضربه حرف واحد ، وهو الكاف ، ولو كان الاسم هو النون مع الياء ـ كما قالوا فى المخفوض : منِّى وعنِّى بنونين نونِ : من ، ونون أخرى مع الياء ، فإذاً الياء وحدها هى الاسم فى حال الخفض ، وفى حال النصب .

حول تقدم صلة المصدر عليه :

فصل : وفيه : حديثك أن أرى منه خروجا . قوله منه الهاء راجعة على الحديث ،

رفع عبد الرحمن الهندي

. . . .

وحرف الجر متعلق بالخروج ، وإن كره النحويون ذلك ؛ لأن ما كان من صلة المصدر عندهم ، فلا يتقدم عليه ؛ لأن المصدر مقدَّر بأَنْ والفعل، فما يعمل فيه هو من صلة أَنْ ، فلا يتقدم ، فمن أطلق القول فى هذا الأصل ، ولم يخصص مصدراً من مصدر، فقد أخطأ المَفْصِل ، وتاه فى تُضُلِّلٍ ؛ ففى التنزيل: ﴿أَكانَ للناسِ عَجَباً أَنْ أَوْحَيْنا [إلى رجُلٍ منهم] ﴾ يونس : ٢ .ومعناه: أكان عجباً للناس أن أوحينا ، ولا بد للام هاهنا أن تتعلق بعجب ؛ لأنها ليست فى موضع صِفة ، ولا موضع حال لعدم العامل فيها ، وفيه أيضا : ﴿لا يَبْغُون عنها حِوَلا﴾ الكهف : ١٠٨ : ﴿ولم يَجِدوا عنها مَصْرِفا ﴾ الكهف : ٥٣ . وفيه أيضا : ﴿ لو لَّيت منهم فرارا ﴾ الكهف : ١٨ . وتقول : لى فيك رغبة ، ومالى عنك مُعَوَّلٌ ، فيحسُن كلُّ هذا بلا خلاف ، وقد أجاز ابن السراج أبو بكر ،و[محمد بن يزيد] المُبَرِّد أيضا فى ضَرْباً زيداً ، إذا أردت الأمر : أن تقدم المفعول المنصوب بالمصدر ، وقال : لأن ضَرْباً ها هنا فى معنى : اضرب ، فقد خصص لك ضربا من المصادر بجواز تقديم معمولها عليها فإن كان المصدر غير أمر ، وكان نكرة لم يتقدم المفعول خاصة عليه ، بخلاف المجرور والظرف ، فالواجب إذاً رَبْطُ هذا الباب وتفصيله.

متى يجوز تقديم معمول المصدر ؟

فنقول : كل مصدر نكرة غير مضاف إلى ما بعده يجوز تقديم معموله عليه إلا المفعول لأن المصدر النكرة لا يتقدر بأنْ والفعل ؛ لأنك إن قدرته بأنْ والفعل بقى الفعل بلا فاعل ، وما كان مضافا إلى ما بعده، فالمضاف إليه فاعل فى المعنى أو مفعول ؛ فلذلك يصير المصدرُ مقدَّراً بأن والفعل، فقف على هذا الأصل ، فمنه

رفع المسهم

. . . .

حسُن قول ورقة : أن أرى منه خُروجاً ، أى : أرى خروجا منه ، وكذلك لو ذكر الدخولُ ، فقال : أرى فيه دخولا ، يريد : دخولا فيه ، لكان حسنا ، وتقول : اللهم اجعل من أمرنا فَرجاً ومَخرجا ، فمِن أمرِنا : متعلقٌ بما بعده ، وهو مصدر ، ولا خَفَاء فى حُسْن هذا التقديم لما ذكرناه .

ومن قول وَرَقَة بن نوفل فى معنى ما تقدم من رواية يونس عن ابن إسحاق :

أَتُبْكِرُ أم أنت الْعَشِيَّةَ رائحُ ... وفى الصدر من إضْمارِكَ الحزنَ قادح (١)
لِفُرْقَةِ قومٍ لا أحب فِرَاقَهُمْ ... كأنك عنهم بعد يومين نازح
وأخبارِ صِدْقٍ خَبَّرَت عن محمد ... يخبرها عنه إذا غاب ناصح
فتاك الذى وجهت ياخيرَ حُرَّةٍ ... بِغَوْرٍ وبالنَّجْدَيْنِ حيث الصَّحاصِحُ (٢)
إلى سُوقِ بُصْرَى فى الركاب التى غدت ... وَهُنَّ من الأحمال قُعْصٌ دَوَالِحُ (٣)
فخَبَّرنا عن كلِّ خير بِعلمه ... وللحق أبوابٌ لهُنَّ مفاتح

---

(١) إما أن تكون اسم فاعل من قدح الزند ، أو هى أكال يقع فى الشجر والأسنان ، وهى الصدع فى العود .

(٢) الغور : ما بين ذات عرق إلى البحر ، وكل ما انحدر مغربا عن تهامة ، وموضع بديار بنى سليم . والنجد : ماخالف الغور أى تهامة : أعلاه : تهامة واليمن ، وأسفله : العراق والشام ، وأوله من جهة الحجاز . ذات عرق ، والصحاصح : جمع صحصح الأرض الجرداء المستوية .

(٣) دلح كمنع مشى بحمله منقبض الخطو لثقله ، والقعص : الموت السريع والقعاص : داء فى الصدر كأنه يكسر العنق ، وشاة قعوص : تضرب حالبها وتمنع الدرة .

رفع المسهم

حديث بنيان الكعبة وحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بين قريش فى وضع الحجر

قال ابن إسحاق: فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وثلاثين سنة اجتمعت قريش لبنيان الكعبة، وكانوا يَهُمُّون بذلك، ليُسقِّفُوها ويهابون هَدْمها، وإنما كانت رَضْما فوق القامة، فأرادوا رَفْعها وتَسْقِيفها، وذلك أن نفراً سرقوا كنزاً للكعبة، وإنما كان يكون فى بئر فى جوف الكعبة، وكان الذى وُجد عنده الكنز دُوَيْكا مولى لبنى مُليح بن عمرو من خزاعة. قال ابن هشام: فقطعت قريشٌ يده. وتزعم قريش أن الذين سرقوه وضعوه عند دُوَيْك وكان البحر قد رمى بسفينة إلى جُدّةَ لرجل من تجّار الروم، فتحطّمت، فأخذوا خَشَبها فأعدّوه لتسقيفها، وكان بمكة رجل قبطىّ نجار، فتهيأ لهم فى أنفسهم بعضُ ما يُصْلحها وكانت حَيَّةٌ تخرج من بئر الكعبة التى كان يُطْرَح فيها مايهدى لها كل يوم، فتَتَشرّقُ على جدار الكعبة، وكانت مما يهابون، وذلك أنه كان لا يدنو منها أحد إلا احْزَأَلَّتْ وَكَشَّتْ، وفتحت فاها، وكانوا يهابونها. فبينا هى ذات يوم تَتَشرّق على جدار الكعبة، كما كانت تصنع

بأن ابنَ عبدِ الله أحمدَ مُرْسَلٌ ... إلى كلِّ مَنْ ضُمَّتْ عليه الأباطح
وظنِّى به أنْ سوف يُبْعَث صادقا ... كما أُرْسِلَ العبدان هُودٌ وصالح
وموسى وإبراهيمُ حتى يُرى له ... بهاءٌ ومنشورٌ من الذكر واضح
ويتبعه حَيَّا لُؤَىٍّ جماعة ... شبابُهم والأشْيَبُون الجَحاجحُ (١)

---

(١) جمع جحجح وجحجاح: السيد.

رفع
المسهم

بعث الله إليها طائراً فاختطفها ، فذهب بها ، فقالت قريش : إنا لنرجو أن يكون الله قد رَضِيَ ما أردنا ، عندنا عامل رفيق ، وعندنا خشب ، وقد كفانا الله الحيَّةَ .

فلما أجمعوا أمرَهم فى هَدْمها وبنائها ، قام أبو وَهْب بن عمرو بن عائذ ابن عبد بن عِمران بن مخزوم . قال ابن هشام : عائذ : ابنُ عمران بن مخزوم . فتناول من الكعبة حجراً ، فوثب من يده ، حتى رجع إلى موضعه . فقال : يا مَعْشرَ قريش ، لا تُدْخلوا فى بنائها من كَسْبكم إلا طَيِّباً ، لا يدخل فيها مَهْرُ بَغِيٍّ ولا بيعُ رِباً ، ولا مَظْلَمَةُ أحد من الناس ، والناس يَنْحَلون هذا الكلام الوليدَ بن المُغيرَة عبد الله بن عُمر بن مخزوم .

قال ابن إسحاق : وقد حدثنى عبد الله بن أبى نجيح المكِّىّ أنه حُدِّث عن عبد الله بن صَفْوان بن أُمَيَّة بن خَلَفِ بن وهب بن حُذَافَة بن جُمَح بن عمرو ابن هُصَيص بن كَعْب بن لُؤَىّ . أنه رأى ابنا لجعدة بن هُبَيرة بن أبى وَهْب بن عَمْرو يطوف بالبيت ، فسأل عنه ، فقيل : هذا ابنٌ لجَعْدَةَ بن هُبَيْرَة ، فقال عبد الله بن صفوان عند ذلك : جدُّ هذا ، يعنى : أباوهب الذى أخذ حجراً من الكعبة حين أجمعت قريش لهدمها ، فوثب من يده ، حتى رجع إلى موضعه ، فقال عند ذلك : يامعشر قريش : لا تُدْخِلُوا فى بنائها من كسبكم إلا طيباً . لاتدخلوا فيها مهر بَغِيٍّ ، ولا بيع ربا ، ولا مظلمة أحد من الناس .

فإن أبْقَ حتى يُدركَ الناسَ دهرُه ... فإنى به مُسْتَبْشِرُ الود فارح

وإلا فإنى يا خديجة — فاعلمى ... عن ارضِك فى الأرض العريضة سائح

رفع المستهم

قال ابن اسحاق : وأبو وهب : خالُ أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وكان شريفا ، وله يقول شاعر من العرب :

ولو بأبي وَهب أنختُ مَطِـيَّتي   غَدَتْ من نَدَاهُ رَحْلُها غيرُ خائبِ
بأبيضَ من فَرْعَيْ لُؤَيِّ بن غالب   إذا حُصِّلت أنسابُها في الذَّوائبِ
أبِيٍّ لأخذِ الضَّيم يرتاح للَّندى   توسَّط جَدَّاه فُرُوعَ الأطايبِ
عظيم رَماد القِدْر يملا جِفانَه   من الخبز يعلوهنَّ مثلُ السَّبائبِ

ثم إن قُريشا تجزَّأت الكعبة ، فكان شِقُّ الباب لبني عبدمناف وزُهْرَةَ وكان ما بين الركن الأسود والركن اليماني لبني مخزوم ، وقبائل من قريش انضموا إليهم ، وكان ظهر الكعبة لبني جُمَحٍ وسهم، ابني عمرو بن هُصَيْص بن كعب بن لُؤَي . وكان شِقُّ الحِجْرِ لبني عبد الدار بن قُصَيّ ، ولبني أسَد بن العُزَّى بن قُصيّ ، ولبني عَدِيِّ بن كعب بن لُؤَيّ وهو الحَطِيمُ

ثم إن الناس هابوا هَدْمها وفَرِقُوا منه . فقال الوليد بن المغيرة : أنا أبدؤكم في هَدمها ، فأخذ المِعْوَلَ ، ثم قام عليها ، وهو يقول : اللهم لم تُرَعْ – قال ابن هشام : ويقال : لم نَزِغْ – اللهم إنا لا نريد إلا الخير ، ثم هدم من ناحية الركنَيْن ، فتربَّص الناسُ تلك اللَّيلةَ ، وقالوا : ننظرُ ، فإن أُصيب لم نهدم منها شيئاً ورددْناها كما كانت ، وإنْ لم يُصِبه شيء ، فقد رضى الله صُنْعَنا ، فهدَمْنا . فأصبح الوليدُ من ليلته غاديا على عمله ، فهَدَمَ وهَدَمَ الناسُ معه ، حتى إذا انتهى الهدمُ بهم إلى الأساس أساسِ إبراهيم عليه السلام أفضَوْا إلى حجارة خُضْر كالأسْنِمة آخذٍ بعضُها بعضا .

رفع
المسهم

قال ابن إسحاق : فحدثنى بعض مَنْ يَرْوِى الحديث : أنّ رجلا من قُرَيش ، ممن كان يهدمها ، أدخل عَتَلَةً بين حَجَرين منها ليَقْلَعَ بها أحدهما ، فلما تحرّك الحجر تَنَقَّضَتْ مكةُ بأسرها ، فانتهوا عن ذلك الأساس .

قال ابن إسحاق : وحُدثت أن قريشاً وجدوا فى الركن كتاباً بالسُّرْيانية ، فلم يدروا ما هو ، حتى قرأه لهم رجل من يَهود ، فإذا هو : « أنا الله ذو بَكَّة ، خلقتها يوم خلقتُ السمٰوات والأرض ، وصوّرتُ الشَّمْس والقمر ، وحَفَفْتُها بسبعة أملاكٍ حُنفاء ، لا تزول حتى يزولَ أخْشباها ، مُبارَكٌ لأهلها فى الماء واللبن » .

قال ابن هشام : أخشباها : جبلاها .

قال ابن إسحاق : وحُدثت أنهم وجدوا فى المقام كتاباً فيه : « مكة بيت الله الحرام يأتيها رِزْقُها من ثلاثة سُبُل ، لا يُحلُّها أوّلُ مِنْ أهلها » .

قال ابن إسحاق : وزعم ليثُ بن أبى سُلَيم أنهم وجدوا حجراً فى الكعبة قبل مَبْعث النبىّ صلى الله عليه وسلم بأربعين سنة - إنْ كان ما ذكر حقاً - مكتوبا فيه : « مَنْ يَزْرَعْ خيراً ، يَحصُد غِبْطَةً ، ومن يزرع شراً ، يَحصُدْ نَدَامَةً . تعملون السيئات ، وتُجزَوْن الحسنات ! أجَل ، كما لا يُجتنى من الشَّوك العِنَب » .

قال ابن إسحاق : ثم إنّ القبائل من قُرَيش جَمَعَت الحجارةَ لبنائها ، كلُّ قَبيلة تجمع على حِدَةٍ ، ثم بَنَوْها ، حتى بلغ البُنيان موضعَ الركن ، فاختصموا فيه ، كلُّ قبيلة تُريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى ، حتى تحاوَرُوا

رفع المسهم

وتحالفوا ؛ وأعدّوا للقتال ، فقربت بنو عبد الدار جَفْنةً مملوءةً دما ، ثم تعاقدوا هم وبنو عديٍّ بن كَعْب بن لُؤَيّ على الموت ، وأدخلوا أيديهم فى ذلك الدم فى تلك الجفنة ، فَسُمُّوا : لَعقة الدم ، فمكثت قُرَيش على ذلك أربعَ ليال أو خمسا ، ثم إنهم اجتمعوا فى المسجد ، وتشاوروا وتناصفوا .

فزعم بعضُ أهل الرواية : أن أبا أميَّة بن المُغيرة بن عبد الله بن عُمَر بن مَخْزُوم ، وكان عامَئذٍ أسنَّ قُرَيش كلها ، قال : يا معشرَ قُرَيش ! اجعلوا بينكم - فيما تختلفون فيه - أوّلَ من يدخل من باب هذا المسجد يقضى بينكم فيه ، ففعلوا : فكان أولَ داخل عليهم رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم ، فلما رأوه قالوا : هذا الأمين ، رَضِينا ، هذا محمد ، فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبرَ ، قال صلى الله عليه وسلم : هَلُمَّ إلىّ ثوبا ، فأُتى به ، فأخذ الركن فوَضَعه فيه بيده ، ثم قال : لِتأْخُذْ كل قبيلة بناحية من الثوب ، ثم ارفعوه جميعاً ، ففعلوا : حتى إذا بلغوا به موضعَه ، وضعه هو بيده ، ثم بنى عليه .

وكانت قُرَيش تسمِّى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبل أن ينزل عليه الوحى : الأمين . فلما فرَغوا من البنيان ، وبنَوْها على ما أرادوا ، قال الزُّبَير بن عبد المطلب ، فيما كان من أمر الحية التى كانت قريش تهاب بُنْيانَ الكعبة لها .

عجِبْتُ لِمَا تَصوَّبَتِ العُقَابُ ... إلى الثُّعبان وهْىَ لها اضْطِرَابُ

وقدْ كانَتْ يكُونُ لهَا كَشِيشٌ ... وأحْيـانًا يكُونُ لهَا وِثَاب

إذا قُمْنا إلى التَّأسيس . شَدّت ... تُهَيِّبُنا البِناء . وَقدْ تُهَاب

فلما أن خَشِينا الرِّجْزَ . جاءت عُقابٌ تَتْلَئِبُّ لها انصِباب
فضَمَّتْها إليها ، ثم خَلَّتْ لَنا البُنْيانَ ، لَيْسَ لهُ حِجاب
فقُمْنا حاشِدِينَ إلى بناء لنا منهُ القَواعدُ والتُّرَاب
غداةَ نُرَفِّع التَّأسيسَ منهُ وَلَيْسَ على مُسَوِّينا ثِياب
أعَزَّ بِهِ المليكُ بَنِي لُؤَيٍّ فلَيْس لأصْله منهمْ ذَهاب
وقدْ حَشَدَتْ هُناك بنو عديٍّ ومُرَّةُ قد تَقدَّمَها كِلاب
فَبَوَّأنا المَليكُ بذاكَ عِزًّا وعندَ الله يُلْتَمَسُ الثَّوَاب

قال ابن هشام : ويُرْوَى :

وليسَ على مَساوِينا ثِياب

وكانت الكعبة على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثمانى عَشْرَةَ ذراعاً ، وكانت تُكْسَى القَباطِي ، ثم كُسِيَت البُرود . وأوّل من كساها الديباجَ : الحجّاجُ بن يوسف .

بنيان الكعبة

ففى خبرها أنها كانت رَضْماً فوق القامة . الرَّضْمُ : أن تُنَضَّدَ الحجارة بعضها على بعض من غير مِلاَطٍ(١) كما قال :

رُزِئْتُهُمُ فى ساعةٍ جَرَّعَتْهُمُ كُئُوسَ المنايا تحت صَخْرٍ مُرَضَّمِ

وقوله : فوق القامة ، كلامٌ غيرُ مُبَيِّنٍ لمقدارِ ارتفاعها إذ ذاك ، وذكر

---

(١) الطين يجعل بين ساقى البناء ، ويملط به الحائط .

رفع المسهم

. . . .

غيره أنها كانت تِسعَ أذرع من عهد إسماعيل ، ولم يكن لها سقف ، فلما بنتها قريشٌ قبل الإسلام زادوا فيها تسعَ أذرع، فكانت ثمان عشرة ذراعا ، ورفعوا بابها عن الأرض ، فكان لا يُصعَد إليها إلا فى دَرَج ٍ أو سُلَّم ، وقد ذكرنا أول من عمل لها غَلَقاً ، وهو تُبَّع . ثم لما بناها ابنُ الزبير زاد فيها تسع أذرع ، فكانت سبعا وعشرين ذراعا ، وعلى ذلك هى الآن ، وكان بناؤها فى الدهر خمس مرات . الأولى : حين بناها شيثُ بن آدم(١) ، والثانية : حين بناها إبراهيم على القواعد الأولى ، والثالثة : حين بنتها قريشٌ قبل الإسلام بخمسة أعوام ، والرابعة : حين احترقت فى عهد ابن الزبير بشرارة طارت من أبى قُبَيْس ، فوقعت فى أستارها ، فاحترقت ، وقيل إن امرأة أرادت أن تُجْمِرها ، فطارت شرارة من المِجْمَرِ(٢) فى أستارها ، فاحترقت ، فشاوروا ابنَ الزبير فى هدمها مَنْ حضره ، فهابوا هدمها ، وقالوا : نرى أن تصلح ما وهَى ، ولا تهدم . فقال : لو أن بيتَ أحدِكم احترق لم يرض له إلا بأكمل صلاح . ولا يكمل إصلاحُها إلا بهدمها . فهدمها حتى أفضى إلى قواعد ابراهيمَ ، فأمرهم أن يزيدوا فى الحفر . فحركوا حَجَرا فرأوا تحته نارا وهَوْلا(٣) . أفزعهم فأمرهم أن يقرُّوا

---

(١) أول من بناها إبراهيم .

(٢) ما يوضع فيه الجمر بالدخنة ، والعود نفسه . ويقال أيضاً بضم الميم الأولى وفتح الثانية .

(٣) لم يرد فى الحديث الذى أخرجه مسلم ذكر لهذه النار بل ورد: «فنقضوه أى بناء الكعبة ـ حتى بلغوا به الأرض، فجعل ابن الزبير أعمدة يستر عليها الستور حتى ارتفع بناؤه» . وفيه أنه زاد فيه خمسة أذرع ، وأن طول الكعبة كان ثمانية عشر ذراعا ، فلما زاد فيه استقصره ، فزاد فى طوله عشرة أذرع وجعل له بابين أحدهما : يدخل منه ، والآخر يخرج منه.

رفع
المسهم
عز الله له ولوالديه

. . . .

القواعِد ، وأن يبنوا من حيث انتهى الحفرُ . وفي الخبر أنه سترها حين وصل إلى القواعِد ، فطاف الناس بتلك الأستار ، فلم تخل قَطُّ من طائف حتى لقد ذكِر أن يوم قتل ابن الزبير اشـتدت الحربُ ، واشتغل الناس فلم يُر طائف يطوف بالكعبة إلا جملٌ يطوف بها ، فلما استتم بنيانها ، ألصق بابها بالأرض ، وعمل لها خَلْفاً أي : بابا آخر من ورائها ، وأدخل الحِجْرَ فيها ، وذلك لحديث حدثته به خالتهُ عائشة ، عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أنه قال : ألم تَرَيْ قومَك حين بَنَوا الكعبة اقتصروا عن قواعد إبراهيم حين عجزت بهم النفقة ، ثم قال عليه السلام : لولا حِدْثان عهد قومك بالجاهلية لهدمتها ، وجعلت لها خَلْفاً(١) وألصقت بابها بالأرض ، وأدخلت فيها الحِجْرَ أو كما قال — عليه السلام — قال ابن الزبير : فليس بنا اليوم عجز عن النفقة ، فبناها على مقتضى حديث عائشة ، فلما قام عبد الملك بن مروان ، قال . لسنا من تخليط أبي خُبَيْب(٢) بشيء ، فهدمها وبناها على ما كانت عليه في عهد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فلما فرغ من بنيانها جاءه الحارث بن أبي ربيعة المعروف بالقُبَاع(٣) ، وهو أخو عمر بن أبي ربيعة الشاعر ، ومعه رجل آخر ،

---

(١) وردت في معناه أحاديث رواها البخاري ومسلم وأحمد وأبو داود والنسائي والترمذي .

(٢) هو عبد الله بن الزبير ، ويقال عنه وعن ابنه أو أخيه مصعب : الخبيبان

(٣) القباع بضم القاف وفتح الباء : مكيال ضخم ، ولقد لقب الحارث بهذا لأنه اتخذه ، أو لأنه قال لأهل البصرة حين ولي عليهم وأتوه بمكيال : إن مكيالكم هذا لقباع ، وهو : الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة . وقد سقط من الروض « ابن عبد الله » وأمه : بنت أبرهة . ويقال إنه وجد الصليب في =

رفع
المسلم
عبد الله البطاليه

. . . .

فحدثاه عن عائشة ، عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بالحديث المتقدم ،

= عتقها حين ماتت، فخرج إلى الناس ، فقال: انصرفوا رحمكم الله ، فإن لها أهل دين هم أولى بها منا ومنكم ، فاستحسن ذلك منه . يقول عنه ابن سبة : « كان الحارث ابن عبد الله شريفا كريما دينا وسيدا من سادات قريش » وله قصص طريفة مع أخيه الشاعر عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة . انظر ص ٣١٨ نسب قريش ط ١ وص ١١٤ المجلد الأول من الأغانى طبع لبنان .

وفى حديث مسلم عما ذكره الروض عن هذا أن الحجاج لما قتل ابن الزبير كتب إلى عبد الملك يخبره أن ابن الزبير قد وضع البناء على أس نظر إليه العدول من أهل مكة ، فكتب إليه عبد الملك : إنا لسنا من تلطيخ ابن الزبير فى شىء ، أما مازاده فى طوله فأقره ، وأما ما زاد فيه من الحجر ، فرده إلى بنائه ، وسد الباب الذى فتحه ، فنقضه وأعاده إلى بنائه . وفى رواية أخرى أن الحارث بن عبد الله وفد على عبد الملك بن مروان فى خلافته ، فقال عبد الملك . ما أظن أبا خُبَيب سمع من عائشة ما كان يزعم أنه سمعه منها ، فقال الحارث : « بلى أنا سمعته منها . قال: سمعتها تقول ماذا ؟ قال : قالت : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — إن قومك استقصروا من بنيان البيت ولولا حداثه عهدهم بالشرك أعدت ما تركوا ، فإن بدا لقومك من بعدى أن يبنوه فهلمى لأريك ما تركوا منه ، وأراها قريباً من سبعة أذرع . هذا حديث عبد الله بن عبيد بن عمير فى مسلم، وزاد عليه الوليد بن عطاء : قال النبى صلى الله عليه وسلم: ولجعلت لها بابين موضوعين فى الأرض، شرقياً وغربياً، وهل تدرين لم كان قومك رفعوا بابها؟ قالت : قلت : لا . قال : تعززاً ألا يدخلها إلا من أرادوا ، فكان الرجل إذا هو أراد أن يدخلها يدعونه حتى يرتقى ، حتى إذا كاد أن يدخل دفعوه فسقط » . وفى رواية : أن عبد الملك قال : قاتل الله ابن الزبير حيث يكذب على أم المؤمنين — ثم ذكر حديث عائشة — فقال الحارث لاتقل هذا ياأمير المؤمنين؛ فإنى سمعت أم المؤمنين تحدث هذا . قال: لو كنت سمعته قبل أن أهدمه لتركته على ما بنى ابن الزبير . ويقول ابن كثير : فهذا الحديث

. . . .

فندم ، وجعل يَنْكُتُ فى الأرض بِمِخْصَرَةٍ فى يده ، ويقول : وَدِدْتُ أنى تركت أبا خُبَيْب ، وما تحمَّل من ذلك ، فهذه المرة الخامسة ، فلما قام أبو جعفر المنصور ، وأراد أن يبنيها على ما بناها ابن الزبير ، وشاور فى ذلك ، فقال مالك بن أنس : أَنْشُدك الله يا أمير المؤمنين ، وأن تجعل هذا البيتَ مَلْعَبَةً للملوك بعدك ، لا يشاء أحد منهم أن يُغَيِّره إلا غيَّره[1] فتذهب هيبتُه من قلوب الناس ، فصرفه عن رأيه فيه ، وقد قيل : إنه بنى فى أيام جُرْهم مرة أو مرتين ؛ لأن السيل كان قد صدع حائطه ، ولم يكن ذلك بنيانا على نحو ما قدمنا ، إنما كان إصلاحاً لما وَهَى منه ، وجِداراً بُنِى بينه وبين السيل ، بناه عامر الجارود[2] ، وقد تقدم هذا الخبر ، وكانت الكعبة قبل أن يبنيها شيثٌ عليه السلام خيمةً من يا قوتة حمراء يطوف بها آدم ، ويأنس إليها ؛ لأنها أنزلت إليه من الجنة ، وكان قد حج إلى موضعها من الهند ، وقد قيل : إن آدم هو أول من بناها ، ذكره ابن إسحاق فى غير رواية البَكَّائى . وفى الخبر أن موضعها كان غُثَاءَةً على الماء قبل أن يخلق اللهُ السموات والأرض ، فلما بدأ الله بخلق الأشياء خلق التُّرْبَةَ قبل السماء ، فلما

= كالمقطوع به إلى عائشة ؛ لأنه قد روى عنها من طرق صحيحة متعددة ، فدل هذا على صواب ما فعله ابن الزبير ، فلو ترك لكان جيداً . ولكن بعد ما رجع الأمر إلى هذا الحال ، فقد كره بعض العلماء أن يغير عن حاله .

(١) نقل النووى وعياض أن هذا حدث من الرشيد أو أبيه المهدى ، وأن ما لكا قال : مالك يا أمير المؤمنين . لا تجعل كعبة الله ملعبة للملوك لا يشاء أحد أن يهدمها إلا هدمها .

(٢) انظر ص ١٤ من نسب قريش .

. . . .

خلق السماء ، وقضاهن سبع سموات دحا الأرض ، أى : بسطها ، وذلك قوله سبحانه:﴿والأرض بعد ذلك دحاها﴾النازعات: ٣. وإنما دحاها من تحت مكة؛ ولذلك سُمِّيَتْ أم القرى، وفى التفسير أن الله سبحانه حين قال للسموات والأرض ﴿ ائْتِيَا طَوْعا أو كَرْها قالتا أتينا طائعين ﴾ فصلت : ١١ لم تجبه بهذه المقالة من الأرض إلا أرض الحرم(١) ، فلذلك حرمها . وفى الحديث : أن الله حرم مكة قبل أن يخلق السموات والأرض ، فصارت حرمتها كحرمة المؤمن، لأن المؤمن إنما حرُم دمه وعرضه وماله بطاعته لربه ، وأرض الحرم لما قالت : أتينا طائعين ، حرُم صيدُها وشجرُها وخَلاها إلا الإذْخِر(٢) ، فلا حُرْمَةَ إلا لذى طاعةٍ ، جعلنا الله مِمَّن أطاعه .

---

(١) هذا من كلام كعب الأحبار وهو معروف بإسرائيلياته . وكل ما قيل عن حج آدم ، وعن أصل الكعبة وعن موضعها قبل إبراهيم وعن إجابة أرض الحرم . كل هذا أكاذيب مفتراة . ومن عيوب السهيلى أنه يأتى أحياناً بأسطورة ثم يقيم عليها بناء يتوهمه ثابتا ، فليست أرض الحرم وحدها هى التى أطاعت الله ، بل الأرض كلها ، كما بين القرآن فما بالها لم تحرم ؟ !

(٢) فى حديث أخرجه البخارى ومسلم . « إن هذا البلد حرمه الله تعالى يوم خلق السموات والأرض، فهى حرام بحرمة الله تعالى إلى يوم القيامة،ومعناه: أن الله قضى هذا كما قضى كل أمر له . هذا وفى حديث رواه مسلم : « إن إبراهيم حرم مكة ، وإنى أحرم ما بين لابتيها، وفى الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عن المدينة . « اللهم إنى أحرم ما بين جبليها مثل ما حرم إبراهيم مكة » وفى حديث رواه البخارى : « إن إبراهيم حرم مكة ، ودعا لها ، وحرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة » وهذه الأحاديث تؤكد أن إبراهيم هو الذى حرم مكة ، وأن النبى صلى الله عليه وسلم حرم المدينة كما حرم إبراهيم مكة . . =

رفع
المسـاهم
غفر الله له ولوالديه

. . . .

سبب آخر لبنيان البيت :

وروى فى سبب بنيان البيت خبر آخرُ ، وليس بمُعارِضٍ لما تقدم ، وذلك أن الله سبحانه لما قال لملائكته : ﴿ إنى جاعلٌ فى الأرضِ خليفةً ، قالوا : أتجعل فيها من يُفْسِد فيها ﴾ البقرة : ٢٩ .

خافوا أن يكون الله عاتباً عليهم لاعتراضهم فى علمه ، فطافوا بالعرش سبعاً ، يسترضون ربَّهم ، ويتضرعون إليه ، فأمرهم سبحانه أن يبنوا البيت المعمور فى السماء السابعة ، وأن يجعلوا طوافهم به ، فكان ذلك أهونَ عليهم من الطواف بالعرش ، ثم أمرهم أن يبنوا فى كل سماء بيتا ، وفى كل أرض بيتا ، قال مجاهـــد : هى أربعةَ عَشَر بيتا ، كل بيتٍ منها مَنَا صاحبِه ، أى : فى مقابلته ، لو سقطت لسقطت بعضها على بعض .

حول بناء الكعبة مرة أخرى :

روى أيضاً أن الملائكة حين أسست الكعبة انشقت الأرضُ إلى منتهاها ، وقذفت فيها حجارة أمثال الإبل ، فتلك القواعد من البيت التى رفع إبراهيم وإسمٰعيل ، فلما جاء الطوفان رفعت، وأودع الحجر الأسود أبا قبيس [1] .

= وفى هذا نظر ، فالله جل شأنه هو الذى يحل ويحرم لا النبيون ، ولم يذكر تحريم المدينة فى القرآن كما ذكر تحريم مكة ، « والإذخر » : الحشيش الطيب الرائحة .

(١) ليس لكل ما قاله عن الملائكة هنا سند صحيح، ولم يرد حديث طواف الملائكة المذكور هنا سوى : « أبو الفرج » فى كتابه « مثير الغرام » ، وليس من البر فى الدين أن تفترى الأكاذيب لتعظيم أمر ، شأنه بالصدق فى النفوس أعظم ، والحق لا يحميه لباطل ، والجمال يشينه الكذب

رفع
المسـاهم
غفر الله له ولوالديه

. . . .

وذكر ابن هشام أن الماء لم يَعْلُها حين الطوفان ، ولكنه قام حولها ، وبقيت في هواء إلى السماء (١) ، وأن نوحا قال لأهل السفينة ، وهي تطوف بالبيت : إنكم في حرم الله ، وحول بيته ، فأحرموا لله ، ولا يمس أحد امرأة ، وجعل بينهم وبين السماء حاجزا ، فتعدى حام ، فدعا عليه نوح أن يَسْوَدَّ لون بنيه ، فاسْوَدَّ كُوشُ بن حام ونسله إلى يوم القيامة ، وقد قيل في سبب دعوة نوح على حام غير هذا (٢) ، والله أعلم .

وذكر في الخبر عن ابن عباس ، قال : أولُ من عاذ بالكعبة حوتٌ صغير ، خاف من حوت كبير ، فعاذ منه بالبيت ، وذلك أيام الطوفان . ذكره يحيى بن سلام ، فلما نَضَبَ ماء الطوفان ، كان مكان البيتِ رَبْوةً من مَدَرَةٍ (٣) وحج إليه هود وصالح ، ومن آمن معهما ، وهو كذلك (٤) .

---

(١) كلام لا سند له ، وقد روى أن من أسباب بنائها احتراقها أو تصدعها من السيل ، فكيف لم ترتفع إلى الهواء .

هذا وفي السيرة عن السفينة أنها كانت لرجل من تجار الروم، ولكن ورد عن الأموي أنها كانت لقيصر ملك الروم تحمل آلات البناء من الرخام والخشب والحديد سرحها قيصر مع باقوم الرومي إلى الكنيسة التي أحرقها الفرس للحبشة وقيل عن باقوم القبطي إنه كان مولى سعيد بن العاصي بن أمية وفي الإصابة أن اسم الرجل الذي بنى الكعبة لقريش باقوم وكان روميا ، وكان في سفينة حبستها الريح ، فخرجت إليها قريش ، وأخذوا خشبها ، وقالوا له : ابنها على بناء الكنائس .

(٢) لأنه رأى عورة أبيه إصحاح ٩ سفر التكوين .

(٣) المدر — محركة — قطع الطين اليابس ، أو العلك الذي لا رمل فيه واحدة مدرة .

(٤) لم يرد هذا في نقل صحيح .

رفع المسهم

. . . .

ويُذْكر أن يَعْرُبَ قال لهود عليه السلام : ألا نَبنيه ؟ قال : إنما يبنيه نبي كريم يأتي من بعدي يتخذه الرحمن خليلا ، فلما بعث الله إبراهيم وشبَّ إسمعيلُ بمكة أمرَ إبراهيمُ ببناء الكعبة ، فدلته عليه السَّكِينة(١) ، وظَلَّلَتْ له على موضع البيت ، فكانت عليه كالْجُحْفة(٢) ، وذلك أن السَّكِينة من شأن الصلاة ، فجُعلت عَلَما على قبلتها حكمةً من الله سبحانه(٣) ، وبناه عليه السلام من خمسة أجْبُل ، كانت الملائكة تأتيه بالحجارة منها ، وهي : طَورُ تَينَا ، وطُور زَيْتا(٤) اللذين بالشام ، والجُودِيّ وهو بالجزيرة(٥) ، ولُبْنَان(٦) وحِراء وهما بالحرم ، كل هذا جمعناه من آثار مروية . وانتبه لحكمة الله كيف جعل بناءها من خمسة أجبل ، فشاكل ذلك معناها ؛ إذ هي قبلة للصلاة الخمس وعمود الإسلام ، وقد بني على خمس ، وكيف دلت عليه السكينة ؛ إذ هو قبلة للصلاة ، والسَّكينةُ من شأن الصلاة . قال عليه السلام : « وأْتُوها

---

(١) وهي عند رواة هذا : ريح خجوج ، ولها رأسان ، فاتبع أحدهما صاحبه حتى انتهت إلى مكة ، فتطوت على موضع البيت كطي الجحفة . والخجوج : الريح الشديدة المَرّ ، أو الملتوية في هبوبها .

(٢) بقية الماء في جوانب الحوض .

(٣) مرة أخرى يبني على أسطورة رأيا وحديث السكينة ليس له سند صحيح

(٤) تينا تقال بالكسر وبالفتح ويقول القاموس وتينا هي بمعنى سيناء

(٥) يعني جزيرة ابن عمر في شرقي دجلة من أعمال الموصل

(٦) في المراصد ، لبنان جبلان قرب مكة يقال لهما ، ابن الأسفل وابن الأعلى وفوق ذاك جبل يقال له : المبرك برك الفيل به

. . . .

وعليكم السكينة(١) » فلما بلغ إبراهيمُ الركن جاءه جبريلُ بالحجر الأسود من جوف أبى قُبَيْس ، وروى الترمذى عن ابن عباس عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : « أُنزل الحجر الأسودُ من الجنة أشد بياضا من اللبن ، فسوَّدته خطايا بنى آدم(٢) » ، وروى الترمذى أيضاً من طريق عبد الله بن عمرو مرفوعاً أن الركن الأسود والركن اليمانى ياقوتتان من الجنة ، ولولا ما طُمِسَ من نورهما لأضاءتا ما بين المشرق والمغرب ، وفى رواية غيره : لأَبْرَءَا من استلمهما من الخَرَسِ والجُذام والبَرَصِ(٣) ، وروى غير الترمذى من طريق على رحمه الله أن العهدَ الذى أخذه الله على ذرية آدم حين مسح ظهرَه ألا يُشركوا به شيئاً كتبه فى صَكٍّ ، وألقمه الحجَر الأسوَد ، ولذلك يقول المستلم له : إيمانا بك ، ووفاء بعهدك(٤) ، وذكر هذا الخبر الزبيرُ ، وزاد عليه أن الله سبحانه أجرى نهرا أطيب

---

(١) فى حديث رواه الجماعة إلا الترمذى : « إذا سمعتم الإقامة ، فامشوا إلى الصلاة وعليكم السكينة والوقار ، ولا تسرعوا ، فما أدركتم ، فصلوا، وما فاتكم فأتموا »

(٢) لا يعتد بمثل هذا . وفى البخارى : « فجعل إسماعيل يأتى بالحجارة ، وهما - أى إبراهيم وإسماعيل - يقولان : ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم » وهو عند ابن أبى حاتم من كلام السدى ، ولم يرو البخارى ولا مسلم شيئاً من هذا .

(٣) الأحاديث الصحيحة تخالف ما رواه الترمذى، وتخالف ما رواه بعده ، والقرآن يؤكد أن الله هو الذى بيده الشفاء لا الركن اليمانى . إنما هو مكر الأساطير بدين الله الحق ! !

(٤) لا يشهد لما قاله حديث صحيح ، ولا آية من كتاب الله ، وإليك التفسير الصحيح لآية أخذ العهد عن الحسن البصرى ، كما رواه عنه جماعة من السلف والخلف =

رفع المسهم

. . . .

من اللبن ، وأبين من الزبد ، فاستمد منه القلمُ الذى كتب العهدَ ، قال : وكان أبو قُبَيْس يسمى : الأمين ؛ لأن الركن كان مُودَعا فيه ، وأنه نادى إبراهيمَ حين

= (وإذ أخذ ربك من بنى آدم) ولم يقل من آدم (من ظهورهم) ولم يقل من ظهره (ذرياتهم) أى جعل نسلهم جيلا بعد جيل ، وقرناً بعد قرن ، كقوله تعالى (وهو الذى جعلكم خلائف الأرض) وقال : (ويجعلكم خلفاء الأرض) وقال : (كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين) ثم قال : (وأشهدهم على أنفسهم : ألست بربكم ، قالوا : بلى) أى : أوجدهم شاهدين بذلك ، قائلين له حالا . وقال — أى الحسن البصرى — والشهادة تكون تارة بالقول ، وتارة تكون حالا . . كما أن السؤال تارة يكون بالمقال ، وتارة يكون بالحال . قالوا — يعنى جماعة من السلف والخلف — ومما يدل على أن المراد بهذا هذا أن جعل هذا الإشهاد حجة عليهم فى الإشراك ، فلو كان قد وقع هذا — يعنى استخراج الذرية من ظهر آدم واستنطاق الله لها — كما قال من قال لكان كل أحد يذكره ليكون حجة له) ثم فسروا هذا الإشهاد بأنه الفطرة التى فطر الله الناس عليها من الإقرار بالتوحيد . انظر ابن كثير فى تفسير الآية . هذا وقد حكم الطبرى بعدم صحة نسبة ماروى من أحاديث فى هذا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالحديث موقوف على ابن عمر . ولهذا قال : الظاهر يدل على أنه خبر من الله عن قيل بنى آدم بعضهم لبعض ، لأنه جل ثناؤه قال : « وأشهدهم على أنفسهم . ألست بربكم ؟ قالوا : بلى شهدنا » فكأنه قيل : فقال الذين شهدوا على المقرين حين أقروا . فقالوا : بلى شهدنا عليكم بما أقررتم به على أنفسكم . وفى مكان آخر : « وأشهدهم على أنفسهم » أى : أشهد بعضهم على بعض بإقرارهم بذلك . ويقول المرتضى فى أماليه . « وقد ظن بعض من لا بصيرة له ، ولا فطنة عنده أن تأويل هذه الآية أن الله استخرج من ظهر آدم جميع ذريته ، وهم فى خلق الذر ، فقررهم بمعرفته ، وأشهدهم على أنفسهم وهذا التأويل مع أن العقل يبطله ويحيله مما يشهد ظاهر القرآن بخلافه ، لأن الله تعالى قال : وإذ أخذ ربك من بنى آدم ، ولم يقل . من آدم ، وقال : من ظهورهم ، ولم يقل : من ظهره ، وقال : ذرياتهم ، ولم يقل . ذريته ، ثم أخبر تعالى بأنه =

رفع
المسـ هم
غفر الله له ولوالديه

. . . .

بلغ بالبنيان إلى موضع الركن ، فأخبره عن الركن فيه، ودله على موضعه(١) منه ، وانتبه من هٰهنا إلى الحكمة فى أن سوّدته خطايا بنى آدم دون غيره من حجارة الكعبة وأستارها ، وذلك أن العهدَ الذى فيه هى الفِطْرة التى فُطِر الناسُ عليها من توحيد الله ، فكل مولود يولد على تلك الفطرة، وعلى ذلك الميثاقِ ، فلولا أن أبويه يُهَوِّدانه ويُنصِّرانه ويُمجِّسانه ، حتى يسودَّ قلبُه بالشرك ، لما حال عن العهد ، فقد صار قلب ابن آدم محَلا لذلك العهد والميثاق ، وصار الحجرُ محلا لما كتب فيه من ذلك العهد والميثاق ، فتناسبا ، فاسْوَدَّ من الخطايا قلبُ ابنِ آدم بعدما كان وُلد عليه من ذلك العهد ، واسود الحجرُ بعد ابيضاضه ، وكانت الخطايا سببا فى ذلك حِكْمَةً من الله سبحانه ، فهذا ما ذُكر فى بنيان الكعبة ملخصا ، منه ما ذكر الْمَاوَرْدِىُّ ، ومنه ماذكره الطبرى ، ومنه ماوقع فى كتاب التمهيد لأبى عُمر، ونبذ أخذتها من كتاب فضائل مكة لِرَزِين بن معاوية ، ومن كتاب أبى الوليد الأزرقى فى أخبار مكة ، ومن أحاديث فى المسندات المروية ، وسنورد فى باقى الحديث بعض ما بلغنا فى ذلك مستعينين بالله . وأما الركن

= فعل ذلك ، لئلا يقولوا : إنهم كانوا عن هذا غافلين ، أو يعتذروا بشرك آبائهم ، وأنهم نشئوا على دينهم وسنتهم ، وهذا يقتضى أن الآية لم تتناول ولد آدم لصلبه ، وأنها تناولت من كان له آباء مشركون ، وهذا يدل على اختصاصها ببعض ولد آدم ، فهذه شهادة الظاهر ببطلان تأويله » ثم استشهد بدليل عقلى على بطلانه أيضاً . واستدل ببعض النقول الصحيحة ، انظر ص ٢٠ وما بعدها حـ ١ ط ١

(١) لست أدرى — والسهيلى رجل كبير العقل — كيف يردد هذه الأساطير الصغيرة ؟ ! .

رفع المستهام

. . . .

اليمانى فسُمِّى باليمانى ـ فيما ذكر القُتَبِىُّ ـ لأن رجلا من اليمن بناه اسمه : أُبَىُّ بن سالم وأنشد :

لنا الركنُ من بيتِ الحرام وراثةً بقيةَ ما أبـــقى أُبَىُّ بنُ سالم

حول بناء المسجد الحرام :

وأما المسجدُ الحرام فأول من بناه عمر بن الخطاب ، وذلك أن الناس ضيقوا على الكعبة ، وألصقوا دورهم بها، فقال عمر : إن الكعبة بيت الله ، ولابد للبيت من فناء ، وإنكم دخلتم عليها ، ولم تدخل عليكم ، فاشترى تلك الدورَ من أهلها وهدمها ، وبنى المسجدَ المحيط بها ، ثم كان عثمان ، فاشترى دورا أخرى ، وأغلى فى ثمنها ، وزاد فى سعـــة المسجد فلما كان ابنُ الزبير زاد فى إتقانه ، لافى سَعَته ، وجعل فيه عَمَداً من الرُّخَام ، وزاد فى أبوابه ، وحسَّنَها ، فلما كان عبد الملك بن مَرْوان زاد فى ارتفاع حائطِ المسجد ، وحمل إليه السَّوارِى فى البحر إلى جُدَّةَ ، واحتملت من جُدَّة على العجل إلى مكةَ ، وأمر الحجاج بن يوسف فكساها الديباجَ ، وقد كنا قدَّمنا أن ابنَ الزبير كساها الديباجَ قبل الحجَّاج، ذكره الزبير بن بكار ، وذكرنا أيضا أن خالد بن جعفر بن كِلاَبٍ ممن كساها الديباجَ قبل الإسلام ، ثم كان الوليدُ بن عبد الملك ، فزاد فى حَلْيها ، وصرف فى مِيزابها وسَقْفها ما كان فى مائدة سليمان بن داود عليهما السلام من ذهبٍ وفضةٍ ، وكانت قد احتملت إليه من طُلَيْطِلَة من جزيرةِ الأَنْدُلس ، وكانت لها أطواقٌ من ياقوتٍ وزَبَرْجَدٍ ، وكانت قد احتُمِلت على بغل قوى فتفسَّخ تحتها ، فضَرَب منها الوليدُ حِلْية

. . . .

للكعبة ، فلما كان أبو جعفر المنصور وابنهُ محمد المهديُّ زاد أيضا فى إتقان المسجد ، وتحسين هيئته ، ولم يحدُث فيه بعد ذلك عملٌ إلى الآن . وفى اشتراء عمر وعثمان الدورَ التى زادا فيها دليلٌ على أن رِباعَ أهل مكة مِلكٌ لأهلها ، يتصرفون فيها بالبيع والشراء إذا شاءوا ، وفى ذلك اختلاف .

كنز الكعبة والنجار القبطى :

فصل : وذكر ابنُ إسحاق دُوَيْكاً الذى سرق كنزَ الكعبة ، وتقدَّم أن سارقاً سرق من مالها فى زمن جُرْهم ، وأنه دخل البئر التى فيها كنزُها فسقط عليه حجرٌ فحبسه فيها، حتى أُخرج منها ، وانتُزِع المالُ منه، ثم بعث الله حَيَّة لها رأس كرأس الجَدْيِ ، بيضاء البطن سَوْدَاء المَتْنِ ، فكانت فى بئرِ الكعبة خمسمائة عام فيما ذكر رزين ، وهى التى ذكرها ابن إسحاق ، وكانت لا يدنو أحدٌ من بئر الكعبة إلا احْزَأَلَّت(١) أى : رفعت ذَنَبها ، وكَشَّت أى: صَوَّتت(٢) .وذكر ابن إسحاق أن سفينةً رماها البحر إلى جدة، فتحطَّمت ، وذكر غيرُه عن ابن مُنَبِّهٍ أن سفينة خجَّتها الريح إلى الشُّعَيْبة ، وهو مَرْفَأُ السفن من ساحل بحر الحجازِ ، وهو كان مرفأ مكة ومرسى سفنها قبل جدة . والشُّعيبة بضم الشين ذكره البكرى ، وفسر الخطابى خجَّتها : أى دفعتها بقوة ، من الريح الخَجُوج أى : الدَّفُوع .

---

(١) فى الأصل، وفى شرح السيرة للخشنى: اخزألت بالخاء ، وهو خطأ صوبته من نسخ أخرى للسيرة ومن اللسان والقاموس .

(٢) وللخشنى : الكشيش صوت جلدها إذا تقبض بعضه فى بعض . وفى السيرة . تنشرق : أى تبرز للشمس .

رفع المسهم

. . . .

قال ابن إسحاق : وكان بمكة نجار قِبطى ، وذكر غيره أنه كان عِلْجاً (١) فى السفينة التى خَجَّتها الريحُ إلى الشُّعَيْبة ، وأن اسمَ ذلك النجار : يا قوم(٢) وكذلك روى أيضا فى اسم النجار الذى عمل مِنْبَر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من طَرْفاء الغابة ، ولعله أن يكون هذا ، فالله أعلم .

الحية والدابة :

فصل : وذكر خبر العُقَاب، أو الطائر الذى اختطف الحية من بئر الكعبة ، وقال غيره : طرحها الطائر بالحَجُونِ ، فالتقمتها الأرض . وقال محمد بن الحسن المقرى هذا القولَ ، ثم قال : وهى الدابة التى تكلم الناسَ قبل يوم القيامة، واسمها : أقْصَى فيما ذُكِر ، ومحمد بن الحسن المقرى هو النَّقَّاشُ ، وهو من أهل العلم - والله أعلم بصحة ما قال ، غير أنه قد روى فى حديث آخر أن موسى عليه السلام سأل ربَّه أنْ يُرِيَه الدابة التى تُكَلِّمُ الناسَ ، فأخرجها له من الأرضِ ، فرأى منظرا هالهَ وأفزعه ، فقال : أىْ رَبِّ : رُدَّها ، فردَّها(٣) .

لم نزع :

وذكر ابن إسحاق حديثَ الحجَر الذى أُخِذَ من الكعبة ، فوثب من يد آخذه ، حتى عاد إلى موضعه ، وقال غيره: ضربوا بالمِعْوَل فى حجر من أحجارها،

---

(١) الرجل من كفار العجم .

(٢) وقيل . يا قوم أوبا قول . وقد سبق وانظر ص ٦٣ شرح السيرة للخشنى .

(٣) لا يروى فى حقيقة صفات الدابة حديث يعتد به. والدابة تطلق على الإنسان. فلنقف عند القرآن والنقاش يكذب ويروى المناكير وليس فى تفسيره حديث صحيح.

رفع المسهم

. . . .

فلمعت برقة كادت تخطِف أبصارهم ، وأخذ رجل منهم حجرا ، فطار من يده ، وعاد إلى موضعه . وذكر ابن إسحاق قولهم : اللهم لم تُرَعْ ، وهى كلمة تقال عند تسكين الرَّوع ، والتأنيس ، وإظهار اللين والبر فى القول ، ولارَوْع فى هذا الموطنِ فيُنْفى ، ولكن الكلمةَ تقتضى إظهار قصد البِر ؛ فلذلك تكلموا بها ، وعلى هذا يجوز التكلم بها فى الإسلامِ ، وإن كان فيها ذكر الرَّوْع الذى هو مُحالٌ فى حق البارى تعالى ، ولكن لما كان المقصود ما ذكرنا ، جاز النطقُ بها (١)، وسيأتى فى هذا الكتابِ إن شاء الله زيادة بيان عند قوله : فاغفر فداءً لك ما اقتفينا .

ويروى أيضاً : اللهم لم نَزِغْ ، وهو جَلِىٌّ لا يشكل .

من تفسير حديث أبي لهب : وذكر قولهم : لا تَدخِلوا فى هذا البيت مهرَ بَغِىٍّ وهى الزانية ، وهى فَعُول من البِغاء ، فاندغمت الواو فى الياء ، ولا يجوز عندهم أن يكون على وزن فَعيل ، لأن فعيلا بمعنى : فاعل يكون بالهاء فى المؤنث كرحيمة وكريمة . وإنما يكون بغير هاء إذا كان فى معنى : مفعول نحو : امرأة جَريح وقتيل .

وقوله : ولا بيع ربا يدل على أن الرِّبا كان محرَّما عليهم فى الجاهلية ، كما كان الظلم والبغاء ، وهو الزنا محرما عليهم ، يعلمون ذلك ببقية من بقايا شرع

(١) الروع : الفزع ، ولا يجوز مطلقاً نسبته إلى الله ، ثم إنه لم يرد قول صحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا . وفى شرح الزرقانى على المواهب : « اللهم لم ترع » أى : لم تفزع الكعبة ، فأضمرها لتقدم ذكرها ، وهذا أولى من إعادة السهيلى الضمير لله ، وهو نقد حق ، وهو رأى الخشنى فى شرحه للسيرة . هذا إن كان للحديث سند صحيح .

رفع المسهم غفر الله له ولوالديه

. . . .

إبراهيم عليه السلام ، كما كان بقى فيهم الحجُّ والعُمْرة وشىء من أحكام الطلاق والعِتْقِ وغير ذلك . وفى قوله سبحانه : ﴿ وأَحَلَّ اللهُ البَيْعَ وحرَّم الربا ﴾ البقرة : ٢٧٥ دليل على تقدم التحريم .

الحجر الذى كان مكتوبا :

فصل : وذكر الحجر الذى وُجد مكتوباً فى الكعبة ، وفيه: أنا الله ذو بكَّة الحديث . روى مَعْمَرُ بن راشد فى الجامع عن الزهرى أنه قال : بلغنى أن قريشا حين بنَوْا الكعبة ، وجدوا فيها حجرا ، وفيه ثلاثةُ صُفُوحٍ(١) فى الصَّفح الأول : أنا الله ذُو بَكَّةَ صُغْتُها يوم صُغْت (٢) الشمسَ والقمر إلى آخر كلام بن إسحٰق ، وفى الصَّفح الثانى : أنا الله ذو بَكَّة ، خلقت الرَّحِمَ ، واشتقت لها اسما من اسمى ، فمن وصلها وصلته، ومن قطعها بَتَتُّه ، وفى الصَّفْح الثالث : أنا الله ذو بَكَّة(٣) ، خلقت الخير والشر ، فطُوبَى لمن كان الخير على يديه ، وويلٌ لمن كان الشر على يديه ، وفى حديث ابن إسحٰق : لا يُحِلُّها أولُ من أَهْلها، يريد ـ والله أعلم ـ ما كان من استحلالِ قريشٍ القتالَ

(١) فى البداية « أصفح » وهو أنسب وصفحة الشىء : جانبه

(٢) . فى البداية : صنعتها وهو يناسب رواية : خلقتها التى فى السيرة

(٣) فى البداية : «إنى أنا الله» فى جميع المواضع . والقصة ولاشك مصنوعة، ووراء بعضها رجل من أهل الكتاب ، ففيما ذكر السهيلى وابن هشام ما يدل على هذه النسبة . وإن كانت كلمات حق . ففى الإصحاح الخامس والسادس والسابع من إنجيل متى بعض كلماته . أما قوله : « خلقت الرحم ـ إلى تبته » فحديث رواه أبو داود والترمذى « أنا الله وأنا الرحمن ، خلقت الرحم وشققت لها من اسمى ، فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته »

. . . .

فيها أيام ابن الزبير ، وحُصَيْنِ بن نُمَيْرٍ ثم الحجاج بعده ، ولذلك قال ابن أبى ربيعة :

ألا مَنْ لقلبٍ مُعَنًّى غَزِلْ   بِحُبِّ الْمُحِلَّةِ أختِ الْمُحِلّ

يعنى بالمحل : عبدَ الله بن الزبير لقتاله فى الحرم .

حول الحجر الأسود وقواعد البيت :

فصل : وذكر اختلافَهم فى وضع الركن ، وأن رسولَ الله – صلى الله عليه وسلم – هو الذى وضعه بيده ، وذكر غيره أن إبليس كان معهم فى صورة شيخ نَجْدِيٍّ ، وأنه صاح بأعلى صوته : يامعشر قريش : أرضيتم أن يضع هذا الركنَ ، وهو شرفكم غلامٌ يتيمٌ دون ذوى أسنانكم ، فكاد يثير شرًّا فيما بينهم ، ثم سكنوا ذلك . وأما وضع الركن حين بُنيت الكعبة فى أيام ابن الزبير ، فوضعه فى الموضع الذى هو فيه الآن حمزةُ بنُ عبد الله بن الزُّبَيْر ، وأبوه يصلى بالناس فى المسجد اغتنم شُغْلَ الناس عنه بالصلاة لما أحس منهم التنافسَ فى ذلك ، وخاف الخلافَ ، فأقره أبوه . ذكر ذلك الزبيرُ بن أبى بكر . وذكر ابن إسحٰق أيضاً أنهم أَفْضَوا إلى قواعد البيت ، وإذا هى خُضْرٌ كالأسْنِمَة ، وليست هذه رواية السيرة ، إنما الصحيح فى الكتاب : كالأَسِنَّة ، وهو وهم من بعض النَّقَلة عن ابن إسحٰق والله أعلم ؛ فإنه لا يوجد فى غير هذا الكتاب بهذا اللفظ لا عند الواقدى ولا غيره ، وقد ذكر البخارى فى بنيان الكعبة هذا الخبر ، فقال فيه عن يزيد بن رُومان : فنظرت إليها ، فإذا هى كأسْنِمة الإبل ، وتشبيهُها بالأسِنة لا يشبه إلا فى الزُّرْقة ، وتشبيهها بأسنمة

. . . .

الإبل أولى ، لعظمها ، ولما تقدم فى حديث بنيان الملائكة لها قبل هذا (١) .

شعر الزبير بن عبد المطلب :

فصل : وذكر شعر الزبير بن عبد المطلب : عجبت لِمَا تَصَوَّبت العُقاب . إلى قوله : تَتْلَئِبُّ لها انْصِباب . قوله : تَتْلَئِبُّ، يقال : اتْلَأَبَّ على طريقه إذا لم يُعَرِّج يَمْنَة (٢) ولا يَسْرة، وكأنه مَنْحُوتٌ من أصلين كما تقدم فى مثل هذا من تلا : إذا تبع ، وألَبَّ : إذا أقام ، وأَبَّ أيضاً قريبٌ من هذا المعنى . يقال : أَبَّ إبابة — من كتاب العين — إذا استقام وتهيأ ، فكأنه مُقيمٌ مُسْتَمِرٌّ على ما يتلوه ويتبعه مما هو بسبيله ، والاسم من اتْلَأَبَّ : التُّلَأْبِيبَة على على وزن الطُّمأنينة والقُشَعْرِيرة ، قاله أبو عبيد .

وقوله : وليس على مُسَوِّينا ثيابُ . أى : مُسَوِّى البنيان . وهو فى

(١) عند أبى ذر الخشنى فى تفسير تشبهها بالأسنمة . « أراد أن الحجارة دخل بعضها فى بعض كما تدخل عظام السنام بعضها فى بعض ، ومن رواه كالأسنة فهو جمع سنان الرمح شبهها بالأسنة فى الخضرة » وفى القصيدة البائية فى السيرة . الذوائب : يريد الأنساب الكريمة . والسبائب : جمع سبيبة وهى ثياب رقاق بيض تشبه الشحم الذى يعلو الجفان بها « عن الخشنى » والحطيم : سمى حطيما ؛ لأن الناس يزدحمون فيه ، حتى يحطم بعضهم بعضا » وقيل : لأن الثياب كانت تجرد فيه عندالطواف . وذومكة : اسم المسجد ، ومكة : اسم البلدة . تحاوزوا : انحازت كل قبيلة إلى جهة . هلم إلى ثوبا : هى كلمة سمى بها الفعل . ومعناه : أقبلوا إلينا تتلئب : تتابع فى انقضاضها

(٢) وفى القاموس : استقام وانتصب

رفع المسهم

حديث الحمس

قال ابن إسحاق : وقد كانت قُرَيش ـ لا أدرى أقبلَ الفيل أم بعده ـ ابتدعت رأى الُحْمس رأيا رَأَوْهُ وأداروه ، فقالوا : نحن بنو إبراهيم ، وأهلُ الُحرمة ، وولاة البيت ، وقُطَّان مكة وساكنُها ، فليس لأحدٍ من العرب مثلُ حقّنا ، ولا مثلُ منزلتنا ، ولا تَعْرِفُ له العربُ مثلَ ما تعرف لنا ، فلا تعظموا شيئا من الحِلّ كما تعظّمون الحرم ، فإنكم إنْ فعلتم ذلك استخفت العربُ بحُرْمتكم ، وقالوا : قد عظّموا من الحِلّ مثل ما عظموا من الحرم . فتركوا الوقوفَ على عَرَفة ، والإفاضة منها ، وهم يَعْرِفون ويُقِرّون أنها من المَشاعر والحجّ ودين إبراهيم ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويَرَوْنَ لسائر العرب أن يُفيضوا منها ، إلا أنهم قالوا : نحن أهلُ الَحرَم ، فليس ينبغى لنا أن نخرج من الُحرمة ، ولا نعظّم غيرها ، كما نُعظّمها نحن الحُمْس ، والحُمس : أهلُ الحرم ، ثم جعلوا لمن وَلدوا من العرب من ساكن الحِلّ والحَرَم مثلَ الذى لهم ، بولادتهم إياهم ، يَحلّ لهم ما يحلّ لهم ، ويَحْرُم عليهم ما يَحْرُم عليهم . وكانت كنانَةُ وَخُزاعَةُ قد دخلوا معهم فى ذلك .

قال ابن هشام : وحدثنى أبو عُبَيدة النحوىّ : أن بنى عامر بن صَعْصعة معاوية بن بَكْر بن هوازن دخلوا معهم فى ذلك ، وأنشدنى لعَمرو بن مَعْديكرب:

معنى الحديث الصحيح فى نقلانهم الحجارةَ إلى الكعبة أنهم كانوا ينقلونها عُراةً ، ويرون ذلك دِينا ، وأنه من باب التَّشْمير والِجْدِّ فى الطاعة . وقول ابن هشام : ويروى : مَساوِينا ، يريد : السَّوْءآت ، فهو جمع مَسَاءة ، مفعلة من السَّوْءة والأصل مَساوِىء ، فسهلت الهمزة .

أعبّاسُ لوْ كانتْ شِياراً جِيادُنا بتثْليثَ ما ناصَبْتَ بعدى الأحامِسا

قال ابن هشام : تثليث : موضع من بلادهم . والشِّيار : الحسان . يعنى بالأحامس : بنى عامر بن صَعْصعة . وبعبَّاس : عباسَ بن مِرْداس السُّلَمِى ، وكان أغار على بنى زُبَيد بتثليث . وهذا البيت فى قصيدة لعمرو .

وأنشدنى للَقِيط بن زُرارة الدَّارِمى فى يوم جَبَلَة :

أجْذِمْ إليكَ إنها بَنُو عَبْس المَعْشَرُ الجِلَّةُ فى القوْم الُحمْس

لأن بنى عَبْس كانوا يوم جبلة حُلفاء فى بنى عامر بن صَعْصعة .

ويومُ جَبَلة : يومٌ كان بين بنى حَنْظلة بن مالك بن زَيد مَناةَ بن تميم ، وبين بنى عامر بن صَعْصعة ، فكان الظَّفر فيه لبنى عامر بن صَعْصعة على بنى حَنظَلة ، وقُتِل يومئذ لَقِيطُ بن زُرارَة بن عُدُس ، وأُسِر حاجب بن زُرارة بن عُدُس ، وانهزم عَمْرو بن عَمْرو بن عُدُس بن زَيدْ بن عبد الله بن دَارِم بن مالك بن حَنْظلة . ففيه يقول جرير للفرزدق :

كأنَّكَ لم تَشْهَدْ لَقِيطا وحاجِبا وعَمْرَ بن عَمْرٍو إذْ دَعَوْا : يالَدارِمِ

وهذا البيت فى قصيدة له :

ثم التقوا يومَ ذى نَجَب فكان الظَّفر لحنظلة على بنى عامر ، وقُتل يومئذٍ حسَّان بن مُعاوِيَة الكِنْدِىّ ، وهو أبو كَبْشة . وأُسِر يَزيد بن الصَّعِق

. . . .

رفع
المسـاهم

الكِلابى، وانهزم الطُّفَيل بن مالك بن جَعْفر بن كِلاب ، أبو عامر بن الطفَيل . ففيه يقول الفرزدق :

ومنهنّ إذ نجّى طُفَيل بن مالك ... على قُرْزُل رَجْلا رَكُوضَ الهزائمِ

ونحنُ ضَرَبْنا هامةَ ابن خُوَيلد ... يَزيد على أمِّ الفِراخ الجَوائمِ

وهذان البيتان فى قصيدة له :

فقال جرير :

ونحنُ خَضَبْنا لابن كَبْشة تاجَه ... ولاقى امْرَأً فى ضَمّة الخَيْل مِصْقَعا

وهذا البيت فى قصيدة له .

وحديث يوم جَبَلة ، ويوم ذى نَجَبٍ أطول مما ذكرنا . وإنما منعنى من استقصائه ما ذكرتُ فى حديث يوم الفِجار .

قال ابن إسحاق : ثم ابتدعوا فى ذلك أموراً لم تكن لهم ، حتى قالوا : لا ينبغى للحُمْس أن يَأتقِطوا الأَقِطَ ، ولا يَسْلَئُوا السمن وهم حُرُم ، ولا يدخلوا بيتا من شَعَرٍ ، ولا يَسْتَظِلّوا — إن استظلوا — إلا فى بيوت الأَدَم ما كانوا حُرُما ، ثم رفعوا فى ذلك ، فقالوا : لا ينبغى لأهل الحِلّ أن يأكلوا من طعام جاءوا به معهم من الحلّ إلى الحرم إذا جاءوا حُجّاجا أو عُمّارا ، ولا يطوفوا بالبيت إذا قَدِموا أوّلَ طَوافهم إلا فى ثياب الُحمس . فإن لم يجدوا منها شيئا طافوا بالبيت عُراةً ، فإن تكرّم منهم مُتَكَرِّمٌ من رجل أو امرأة ، ولم يجد

ثياب الحُمْس . فطاف فى ثيابه التى جاء بها من الحِلّ ، ألقاها إذا فرغ من طَوافه ، ثم لم ينتفع بها ، ولم يَمَسَّها هو ، ولا أحدٌ غيرهُ أبدا .

وكانت العرب تسمى تلك الثياب : اللَّقَى ، فحملوا على ذلك العربَ . فدانت به ، ووقفوا على عرفات ، وأفاضوا منها ، وطافوا بالبيت عُراةً ، أمّا الرجال فيطوّفون عراة . وأمّا النساء فتَضع إحداهنّ ثيابَها كلَّها إلا دِرْعا مُفَرّجا عليها ، ثم تَطوف فيه ، فقالت امرأة من العرب ، وهى كذلك تطوف بالبيت :

اليْومَ يَبْدُو بَعْضُهُ ، أَو كُلُّهُ وما بَدا منـــهُ فَلا أُحِلُّه

ومَنْ طاف منهم فى ثيابه التى جاء فيها من الحِل ألقاها ، فلم ينتفع بها هو ولا غيره ، فقال قائلٌ من العرب يذكر شيئا تركه من ثيابه ، فلا يَقْرَبُه ـ وهو يُحبُّه ـ :

كفَى حزناً كَرِّى عليها كأنها لقىً بينَ أيْدى الطّائفينَ حَرِيمُ

يقول : لا تُمَسُّ .

فكانوا كذلك حتى بعث الله تعالى محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأنزل عليه حين أحكم له دينَه . وشَرعَ له سُنَنَ حجِّه : ﴿ ثمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفاضَ النَّاسُ واسْتَغْفِرُوا اللهَ . إنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيم ﴾ البقرة : ١٩٩ . يعنى قريشا ، والناس: العرب ، فرفعهم فى سُنَّة الحجّ إلى عرفات ، والوقوف عليها والإفاضة منها ،

رفع المسهم

وأنزل الله عليه فيما كانوا حرّموا على الناس من طعامهم ولبوسهم عند البيت . حين طافوا عُراةً ، وحرّموا ما جاءوا به من الحلّ من الطعام : « يا بَنِى آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُم عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ، وكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا . إنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ. قُلْ: مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ التى أَخْرَجَ لِعِبادِهِ وَالطَّيِّباتِ مِنَ الرِّزْقِ . قُلْ : هِىَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِى الحَياةِ الدُّنْيا خالِصَةً يَوْمَ القِيامَةِ. كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآياتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ » الأعراف : ٣١ : ٣٣ . فوضع الله تعالى أمرَ الحُمس، وما كانت قُرَيش ابتدعت منه، عن الناس بالإسلام ، حين بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : حدثنى عبدُ الله بنُ أبى بَكر بن محمد بن عَمرو بن حزم، عن عثمان بن أبى سُلَيمان بن جُبير بن مُطْعِم ، عن عمِّه نافع بن جُبَيْر عن أبيه جُبَير بن مُطْعِم . قال : لقد رأيت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قبل أن ينزل عليه الوحىُ ، وإنه لواقفٌ على بَعير له بعرَفات مع الناس من بين قومه حتى يدْفع معهم منها توفيقا من الله له ، صلى الله عليه وسلم تسليما كثيراً .

الحمس

فصل : وذكر الْحُمْسَ ، وما ابتدعته قريشٌ فى ذلك ، والتَّحَمُّس : التشدد، وكانوا قد ذهبوا فى ذلك مذهبَ التَّزَهُّدِ والتَّأَلُّه(١) ، فكانت نساؤهم

---

(١) فى البداية أنهم لقبوا بهذا من الشدة فى الدين والصلابة ، لأنهم عظموا الحرم تعظيما زائدا بحيث التزموا بسببه ألا يخرجوا من ليلة عرفة . . فكانوا لا يقفون بعرفات مع علمهم أنها من مشاعر إبراهيم عليه السلام ، حتى لا يخرجوا عن نظام ما كانوا قرروه من البدعة الفاسدة

رفع
المسبهم
غفر الله له ولوالديه

. . . .

لا يَنسُجنَ الشَّعرَ ولا الوَبَرَ ، وكانوا لا يَسْلَئُونَ السَّمْنَ ، وَسَلْأُ السَّمْن أن يُطْبخ الزُّبْدُ ، حتى يصير سَمْناً ، قال أبرهة :

إن لنا صِرْمَةً مُخَيَّسَة نشرب ألبانَها ونَسْلَؤُها(١)

ذكر قول ابن معد يكرب : أعباسُ لو كانت شِياراً جِيادُنا . البيت : شِيارا من الشارة الحسنة يعنى : سِمانا حِسانا وبعد البيت :

ولكنها قِيدَتْ بصَعْدَةَ مَرَّةً فأصْبَحْن مايمشين إلا تَكارُسا(٢)

وأنشد أيضاً : أجْذِم إليك إنها بنو عَبْس(٣) . أَجْذِمَ : زَجْرٌ معروفٌ للخيل وكذلك : أرْحِبْ ، وهَبْ وهِقِطْ وهقط وهِقَبْ(٤) .

---

(١) صرمة بكسر الصاد: الإبل. مخيسة: لم تسرح ، وإنما حبست للنحر أو القسم

(٢) تكارس الشيء : تراكم وتلازب ، وناصيت فى البيت الذى قبله فى السيرة بالياء والباء معا — كما يقول الخشنى — معناها وهى بالياء : عارضت ، وأردت المساواة فى المنزلة ، وقد يكون ناصبت : بمعنى إظهار العداوة ، وتثليث موضع بالحجاز قرب مكة

(٣) فى السيرة : « المعشر الجلة » الجلة : العظماء ، ومن رواه الحلة ، فمعناه الذين يسكنون الحل ، وفى رواية أبى ذر المعشم — وزن مقعد — بدلا من معشر »

(٤) هقط : تكرار من الطبع ، وفى اللسان : أرحبى أيضاً ، ولم أجد فى مادة هب إلا « هبِ إذا زجر » وفى مادة رحب روى بيت الكميت بن معروف

نعلمها هبِي وهلا وأرحِبْ وفى أبياتنا ولنا افتلينا

رفع المستهم

يوم جبلة :

وذكر يوم جَبَلة . وجَبَلَة(١) هضبة عالية ، كانوا قد أَحْرَزُوا فيها عيالَهم وأموالَهم ، وكان معهم فى ذلك اليوم رئيسُ نَجْرانَ ، وهوابن الجَوْنِ الكِنْدِىّ وأخٌ للنعمان بن المنذر ، أحسب اسمه : حَسَّانَ بن وَبَرَةَ ، وهو أخو النعمان لأُمِّه ، وفى أيام جَبَلَة كان مولدُ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولِثِنْتَيْن وأربعين سنةً من ملك أَنُوشِرْوَانَ بن قُبَاذ ، وكان مولد أبيه عبد الله لأربعٍ وعشرين مَضت من ملك أنو شروان المذكور ، فبينه - عليه السلام - وبين أبيه عبد الله نحوٌ من ثمانِ عَشْرَةَ سنةً .

عدس والحلة والطلس :

وذكر زُرارة بن عُدُس بن زيد ، وهو : عُدُسٌ بضم الدال عند جميعهم إلا أبا عبيدة ، فإنه كان يفتح الدال منه ، وكل عُدَسٍ فى العرب سواه فإنه مفتوح الدال . وذكر الحِلَّة وهم ماعدا الحُمْس ، وأنهم كانوا يطوفون عُرَاةً إن لم يجدوا ثياب أَحْمَس ، وكانوا يَقْصِدون فى ذلك طَرْح الثياب التى اقترفوا فيها الذنوبَ عنهم ، ولم يذكر الطُّلْسَ من العَرب ، وهم صِنْفٌ ثالث غير الحِلَّة ، والحُمْسِ كانوا يأتون من أقصى اليمن طُلْساً من الغُبَارِ ، فيطوفون بالبيت فى تلك الثياب الطُّلْسِ ، فسُمُّوا بذلك . ذكره محمد بن حبيب.

---

(١) فى حـ ٢٥ من نهاية الأرب كلام طويل عن أيام العرب . وفيه عن يوم جبلة أنه كان قبل الإسلام بأربعين سنة ، وفى الأغانى بتسع وخمسين سنة ، وفى النقائض بسبع وخمسين . وأم الفراخ : الرماح . الجواثم : الساكنة اللاطئة مع الأرض ، وسيأتى تفسير السهيلى لهما ، وهو مخالف للخشنى

رفع
المسار
عز الله لا طالدمية

. . . .

اللقى :

فصل : وذكر اللَّقى وهو الثوب الذى كان يُطْرَح بعد الطواف فلا يأخذه أحدٌ ، وأنشد :

كفى حزَنا كرِّى عليه كأنه   لَقًى بين أيدى الطائفين حَريمُ

حريم : أى مُحَرَّم ، لا يؤخذ ، ولا ينتفع به ، وكل شىء مُطَرَّح ، فهو لَقًى. قال الشاعر يصف فرخ قَطَا :

تَرْوِى لَقًى أُلْقِىَ فى صَفْصَفٍ(١)   تَصْهَرُهُ الشمسُ ، فما يَنْصَهِر

تَرْوى بفتح التاء أى : تَسْتقى له ، ومن اللَّقى : حديث فاختة أم حكيم ابن حزام ، وكانت دخلت الكعبة وهى حامل مُتِمٌّ بحكيم بن حزام ، فأجاءها الْمَخَاضُ ، فلم تستطع الخروجَ من الكعبة ، فوضعته فيها ، فلُفَّت فى الأنطاع هى وجنينُها ، وطُرِحَ مَثْبِرُها(٢) وثيابُها التى كانت عليها ، فجعلت لَقًى لاتقرب .

رجز المرأة الطائفة :

فصل : وذكر قول المرأة : اليوم يبدو بعضه ، أو كله(٣) البيتين ويُذكر

---

(١) البيت لابن أحمر ، والصفصف : المستوى من الأرض

(٢) الموضع تلد فيه المرأة

(٣) فى مسلم والنسائى وابن جرير عن ابن عباس قال : كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال والنساء . الرجال بالنهار والنساء بالليل ، وكانت المرأة تقول ، ثم ذكر البيت : اليوم يبدو بعضه الخ

رفع المسهم

. . . .

أن هذه المرأة ، هى ضُباعة بنت عامر بن صَعْصَعَة ، ثم من بنى سَلَمَةَ بن قُشَيْر ، وذكر محمد بن حبيب أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم خطبها ، فذُكرت له عنها كِبْرة ، فتركها ، فقيل : إنها ماتت كَمَداً وحُزنا على ذلك قال المؤلف : إن كان صح هذا ، فما أخَّرها عن أن تكون أمًّا للمؤمنين ، وزوجا لرسول رب العالمين إلا قولها : اليوم يبدو بعضهُ أو كله . تَكْرِمَةً من الله لنبيه وعِلْمًا منه بغَيْرته ، والله أغْيَرُ منه .

أسطورة :

ومما ذُكر من تعَرِّيهم فى الطواف أن رجلا وامرأة طافا كذلك ، فانضم الرجل إلى المرأة تَلذُّذاً واستمتاعا ، فلصِق عَضُدُه بعُضِدها ، ففزعا عند ذلك ، وخرجا من المسجد ، وهما ملتصقان ، ولم يقدر أحدٌ على فَكِّ عضُده من عَضِدُها ، حتى قال لهما قائل : توبا مما كان فى ضمير كما ، وأخلِصا لله التوبة ، ففعلا ، فانحل أحدهما من الآخر(١)

قرزل وطفيل :

وأنشد للفرزدق :

ومهن إذنجى طُفَيْل بن مالك على قُرْزُلٍ رَجْلاً رَكُوضَ الهزائم(٢)

قُرْزُل : اسم فرسه ، وكان طفيل يسمى : فارسَ قُرْزُل ، وقرزل : القيد سمى الفرس به ، كأنه يقيد ما يسابقه(٣) ، كما قال امرؤ القيس :

---

(١) هى أسطورة تروى .

(٢) فى النقائض : أرخى : ورجلى .

(٣) وله عدة معان أخر .

. . . .

بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الأوابدِ هَيْكَلِ

وطُفَيْلٌ هذا هو : والد عامر بن الطفيل ، عدو الله وعدو رسوله ، وأخو طفيل هذا : عامرٌ مُلاعِب الأسِنَّة ، وسنذكر لم سُمِّى ملاعب ، ونذكر إخوته وألقابهم فى الكتاب إن شاء الله .

الهامة :

وقوله : على أم الفِراخ الجَواثِم . يعنى : الهامة ، وهى البُوم ، وكانوا يعتقدون أن الرجُل إذا قُتِل خرجت من رأسِه هامةٌ تصيح : اسقونى اسقونى ، حتى يُؤخذ بثأره . قال ذو الإصبع العَدْوَانِى :

أَضْرِبْكَ حتى تقول الهامَةُ اسقونى(١)

شرح بيت جرير :

فصل : وأنشد لجرير :

ونحن خَضَبْنا لابن كَبْشَةَ تاجَه ولاقى أمرأ فى ضَمَّة الخيل مِصْقَعا

وجدت فى حاشية الشيخ أبى بحر هذا البيت . المعروف فى اللغة أن ـ المِصْقَع : الخطيبُ البليغ ، وليس هذا موضعه ، لكن يقال فى اللغةِ : صَقعه : إذا ضَربَه على شىء مُصْمَتٍ يابس ، قاله الأصمعى ، فيشبه أن يكون مِصْقَع فى هذا البيت من

---

(١) البيت من عيون قصائده ، والشطرة الاولى منه :
ياعمرو إلا تدع شتمى ومنقصتى

. . . .

هذا المعنى ، فيقال منه : رجل مِصْقَع كما يقال : مِحْرَب وفى الحديث : إن سعدا لَمِحْرَبٌ (١) ، يعنى [ابن] أبى وقاص.

ما نزل من القرآن فى أمر الحمس :

فصل : وذكر ما أنزل الله تعالى فى أمر الْحُمْسِ ، وهو قوله تعالى : ﴿يا بنى آدمَ خُذُوا زينَتكم عند كلِّ مَسْجِد،وكلوا واشْربوا ﴾الآية. «الأعراف:٣٠» فقوله : وكلوا واشربوا إشارةٌ إلى ما كانت الْحُمْسُ حرمته من طعام الحج إلا طعامَ أَحْمَس ، وخذوا زينتكم: يعنى اللباسَ ، ولاَ تَتَعَرَّوا ، ولذلك افتتح بقوله: يا بنى آدم ، بعد أن قص خبر آدم وزوجه ، إذْ يخْصِفان عليهما من وَرَق الجنة ، أى : إن كنتم تحتجون بأنه دينُ آبائكم ، فآدم أبوكم ، ودينه : سترُ الْعَوْرة ، كما قال : ملة أبيكم إبراهيم ،أى : إن كانت عبادَةُ الأصنام دينَ آبائكم ، فإبراهيم أبوكم ، ولم يكن من المشركين ، ومما نزل فى ذلك : ﴿وما كان صلاتُهم عند البيت إلا مُكاَءً وتَصْدِيَة ﴾ الأنفال : ٣٥ . ففى التفسير أنهم كانوا يطوفون عُراة ، ويصفقون بأيديهم ويصفِّرون . فالمكاء : الصفير ، والتصْدِيَة التصفيق(٢) قال الراجز : وأنا من غَرْوِ الهوى أُصَدِّى . ومما نزل من أمر الحمس : ﴿ وليس البِرُّ بأنْ تأْتُوا البيوتَ من ظُهورها ﴾ البقرة : ١٨٩ .

(١) تتشابه ألفاظه هنا بالخشنى فى شرح السيرة . يقال : رجل حرب بفتح فسكون ، ومحرب ـ بوزن منبر ـ ومحراب : شديد الحرب شجاع

(٢) رواه ابن أبى حاتم، وقال مجاهد : وإنما كانوا يصنعون ذلك ، ليخلطوا بذلك على النبى « ص » صلاته . وقال الزهرى : يستهزئون بالمؤمنين

. . . .

لأن الحُمْسَ لا يدخلون تحت سقف ، ولا يحول بينهم وبين السماء عتبةُ باب ولا غيرها ، فإن احتاج أحدهم إلى حاجة فى داره تسنَّم البيتَ من ظهره ، ولم يدخل من البابِ ، فقال الله سبحانه : ﴿ وأْتُوا البيوتَ من أبوابِها ، واتَّقوا الله لَعلكم تُفْلِحون ﴾ البقرة : ١٨٩(١) .

وقوف النبي بعرفة قبل الهجرة والنبوة :

وذكر وقوف النبي صلى الله عليه وسلم بعرفةَ مع الناس قبل الهجرة ، وقبل النبوة توفيقا من الله ، حتى لا يفوته ثوابُ الحج ، والوقوف بعرفة قال جبيرُ بن مُطْعِمٍ حين رآه واقفا بعرفةَ مع الناس : هذا رجل أحْمَسُ ، فما باله لا يقف مع الحُمْس حيث يقفون(٢) ؟ !

---

(١) فى هذا ورد عن البراء فى البخارى : « كانوا إذا أحرموا فى الجاهلية أتوا البيت من ظهره ، فأنزل الله : « وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها » وقال الحسن البصرى : كان أقوام من أهل الجاهلية إذا أراد أحدهم سفراً ، وخرج من بيته يريد سفره الذى خرج له ، ثم بدا له بعد خروجه أن يقيم ، ويدع سفره لم يدخل البيت من بابه ، ولكن يتسوره من قبل ظهره ، فقال الله تعالى : وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها . الآية . أقول : وهذا أقرب إلى مفهوم الآية وكذلك ما ذكر عن عطاء بن أبى رباح : كان أهل يثرب إذا رجعوا من عيدهم دخلوا منازلهم من ظهورها ، ويرون أن ذلك أدنى إلى البر . وسورة البقرة مدنية .

(٢) أخرج البخارى عن عائشة قالت : كانت قريش ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة ، وكانوا يسمون : الحمس ، وسائر العرب يقفون بعرفات ، فلما جاء الإسلام أمر الله نبيه — صلى الله عليه وسلم — أن يأتى عرفات ، ثم يقف بها ، ثم يفيض منها ، فذلك قوله : « من حيث أفاض الناس » وكذا قال ابن عباس ومجاهد وعطاء وقتادة والسدى وغيرهم ، واختاره ابن جرير ، وحكى عليه الإجماع =

رفع المسـاهم

إخبار الكهان من العرب، والأحبار من يهود والرهبان من النصارى

قال ابن إسحاق : وكانت الأحبار من يهود، والرُّهبان من النصارى، والكُهَّانُ من العرب، قد تحدثوا بأمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبل مَبْعثه، لما تقارَب من زمانه. أمَّا الأحبار من يهود، والرهبان من النصارى، فعمَّا وَجدوا فى كتُبهم من صِفته وصِفة زمانه، وما كان من عَهْد أنبيائهم إليهم فيه، وأمَّا الكُهَّان من العَرب : فأتتهم به الشَّياطينُ من الجنّ فيما تَسْترِق من السمع إذ كانت وهى لا تُحجَب عن ذلك بالقذْف بالنجوم، وكان الكاهنُ والكاهنة لا يزال يَقع منهما ذِكْرُ بعضِ أموره، لا تُلْقى العربُ لذلك فيه بالاً، حتى بعثه الله تعالى، ووقعت تلك الأمور التى كانوا يَذْكرون. فعرفوها.

فلما تقارب أمرُ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وحَضَر مَبْعثه. حُجبت الشياطينُ عن السَّمْع؛ وحِيل بينها وبين المَقاعد التى كانت تَقْعُد لاستراق السمع فيها، فرُمُوا بالنُّجوم، فعرفت الجنّ أن ذلك لأمْرٍ حدث من

. . . .

= وأخرج الإمام أحمد عن جبير بن مطعم قال : أضللت بعيرا لى بعرفة . فذهبت أطلبه فإذا النبي - صلى الله عليه وسلم - واقف، قلت : إن هذا من الحمس ما شأنه هينا، وأخرجه البخارى ومسلم، ثم رواه البخارى من حديث موسى ابن شعبة عن كريب عن ابن عباس بما يفيد أن المراد من الإفاضة هى الإفاضة من المزدلفة لرمى الجمار .

رفع المسهم

أمر الله فى العباد ، يقول الله تبارك وتعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم حين بعثه ، وهو يقص عليه خبر الجنّ إذ حُجبوا عن السّمع ، فعرَفوا ما عرفوا ، وما أنكروا من ذلك حين رأوا ما رأوْا : ﴿ قُلْ : أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ . فقالُوا : إنّا سَمِعْنا قُرآنا عجبا يَهْدِي إلى الرُّشْدِ ، فَآمَنَّا بِهِ ، وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحداً . وَأَنَّهُ تعالى جَدُّ رَبِّنا ، ما اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلاَ وَلداً . وَأَنَّهُ كانَ يقُول سَفِيهُنا على الله شَطَطا ، وَأَنّا ظَنَنّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الإنْسُ وَالجن على الله كَذِبا . وأنَّهُ كانَ رِجالٌ مِنَ الإنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجالٍ من الجن ، فَزَادُوهُمْ رَهَقا » . . إلى قوله : « وأنّا كُنّا نَقْعُدُ منها مَقاعدَ للسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابا رَصَداً . وأنّا لا نَدْرِي أشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الأرْضِ ، أمْ أرادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَداً ﴾ الجنّ : ١ – ٦ ثم ٩ ، ١٠

فلما سمعت الجن القرآن عرفتْ أنها إنما مُنعت من السّمْعِ قبل ذلك ، لئلا يُشْكل الوحيُ بشيء خَبر السماء ، فيَلتبس على أهل الأرض ما جاءهم من الله فيه ، لوُقوع الحجَّة ، وقَطْع الشبهة . فآمنو وصدقوا ، ثم : ﴿ وَلَّوْا إلى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ . قالُوا : ياقَوْمَنا إنّا سَمِعْنا كتابا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقا لِما بينَ يَدَيْهِ ، يَهْدِى إلى الحَقّ ، و إلى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ . . . الآية . الأحقاف : ٣٠

وكان قول الجنّ : « وأنّهُ كانَ رِجالٌ مِنَ الإنْسِ يعُوذُونَ بِرِجالٍ مِنَ الجِنّ ، فَزَادُوهمْ رهقا » . أنه كان الرجلُ من العرَب من قُرَيش وغيرهم

رفع
المسهم

إذا سافر فنزل بطنَ وادٍ من الأرض ليَبيتَ فيه ، قال : إني أعوذ بعزيز هذا الوادي من الجنّ الليلةَ من شرّ مافيه .

قال ابن هشام : الرهق : الطغيان والسّفه . قال رؤبة بن العجّاج .

إذ تستبي الهَيّامة المُرَهَّقا

[بِغُفْلَتَيْ رِيمٍ وجيدٍ أرشقا]

وهذا البيت في أرجوزة له . والرَّهَقُ أيضا : طَلَبك الشيء حتى تدنو منه ، فتأخذه ، أوْ لا تأخذه . قال رؤبة بن العجّاج يصف حمير وَحْش :

بَصْبَصْنَ واقْشَعَرَرْن من خَوْف الرَّهَقْ

[يَمْصَعْن بالأذناب من لَوْح وبَقْ]

وهذا البيت في أرجوزة له . والرهق أيضا : مصدر لِقول الرجل : رَهِقت الإثمَ أو العُسْرَ ، الذي أرهقتَنِي رَهَقًا شديدا ، أي : حملتُ الإثم أو العسر الذي حملتني حملا شديدا ، وفي كتاب الله تعالى: ﴿ فخَشِينا أنْ يُرْهِقَهما طغْيانًا وكُفْرًا ﴾ الكهف: ٨٠ ، وقوله: ﴿ولا تُرْهِقْنِي مِنْ أمْري عُسْرًا﴾ الكهف: ٧٣ .

قال ابن إسحاق: وحدثني يَعْقوب بن عُتْبة بن المُغِيرة بن الأخنس أنه حدّث أن أوّل العرب فَزِع للرّمي بالنجوم – حين رُمي بها – هذا الحيُّ من ثقيف ، وأنهم جاءوا إلى رجل منهم يقال له: عمرو بن أمية أحد بني عِلاَجٍ – قال: وكان أدهى العرب وأنكرَها رأيا – فقالوا له : ياعمرو : ألم ترَ ما حدث في السماء من القَذْف بهذه النجوم ؟ قال : بلى فانظروا ، فإن كانت معالم النُّجُوم

رفع
المسهم

التي يُهتدى بها في البر والبحر ، ويُعرف بها الأنواء من الصيف والشتاء ، لِمَا يُصلح الناس في معايشهم ، هي التي يُرمى بها ، فهو والله طيُّ الدنيا ، وهلاكُ هذا الخلق الذى فيها ، وإن كانت نجوماً غيرها ، وهى ثابتة على حالها ، فهذا لأمرٍ أراد الله به هذا الخلق ، فما هو ؟

وقال ابن إسحاق : وذكر محمد بن مُسلم بن شهاب الزهرى ، عن علىّ ابن الحسين بن علىّ بن أبى طالب ، عن عبد الله بن العبّاس ، عن نفر من الأنصار : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال لهم : « ماذا كنتم تقولون فى هذا النّجم الذى يُرمى به ؟ قالوا : يانبىّ الله كنّا نقول حين رأيناها يُرمى بها : مات مَلِك ، مُلِّكَ مَلِكٌ ، وُلد مولود ، مات مولودٌ ، فقال رسول الله صلى الله وسلم : ليس ذلك كذلك ، ولكن الله تبارك وتعالى كان إذا قضى فى خلقه أمرا سمعه حَمَلَةُ العرش ، فسبَّحوا ، فسبَّح مَن تحتهم ، فسبح لتسبيحهم مَن تحت ذلك ، فلا يزال التسبيح يهبط حتى ينتهى إلى السماء الدنيا ، فيسبّحوا ثم يقول بعضهم لبعض : مِمَّ سبَّحتم ؟ فيقولون : سبَّح مَن فوقنا فسبَّحنا لتسبيحهم ، فيقولون : ألا تسألون مَن فوقكم : مِمّ سبَّحوا ؟ فيقولون مثل ذلك ، حتى ينتهوا إلى حَمَلَةِ العرش ، فيقال لهم : ممّ سبّحتم ؟ فيقولون : قضى الله فى خلقه كذا وكذا ، للأمر الذى كان ، فيهبِطُ به الخبرُ من سماء إلى سماء حتى ينتهى إلى السماء الدنيا ، فيتحدّثوا به ، فتسترقه الشياطين بالسّمع ، على توهُّم واختلاف ، ثم يأتوا به الكهان من أهلِ الأرض ، فيحدثوهم به ، فيخطئون ويصيبون ، فيتحدث به الكُهَّان ، فيصيبون بعضا ويُخطئون بعضا . ثم

• • • • • • • • •

إن الله عز وجلّ حجب الشياطين بهذه النجوم التى يُقذفون بها ، فانقطعت الكهانةُ اليومَ ، فلا كهانة » .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عَمْرو بن أبى جعفر ، عن محمد بن عبد الرحمن ابن أبى لَبِيبة ، عن علىّ بن الحسين بن علىّ رضى الله عنه بمثل حديث ابن شهاب عنه .

قال ابن إسحاق : وحدثنى بعض أهل العلم : أن امرأةً من بنى سَهْم يقال لها الغَيْطَلَةُ ، كانت كاهنةً فى الجاهلية ، فلما جاءها صاحبها فى ليلةٍ من الليالى ، فأنْقَضَ تحتها ، ثم قال : أدْرِ ما أدْرِ ، يوم عَقْر ونَحْر ، فقالت قُرَيش حين بلغها ذلك : ما يريد ؟ ثم جاءها ليلة أخرى ، فأنْقَضَ تحتها ، ثم قال : شُعُوبٌ ، ما شُعُوبْ ، تُصرع فيه كَعْبٌ لِجُنُوب : فلما بلغ ذلك قريشا ، قالوا : ماذا يريد ؟ إن هذا لأمرٌ هو كائن ، فانظروا ما هو ؟ فما عرفوه حتى كانت وقعة بَدْر وأُحُد بالشِّعب ، فعرفوا أنه الذى كان جاء به إلى صاحبته .

قال ابن هشام : الغَيْطَلَةُ : من بنى مُرَّةَ بن عَبْد مناة بن كِنانة ، إخوة مُدْلِج بن مرة ، وهى أم الغياطل الذين ذكر أبو طالب فى قوله :

لقد سَفُهَتْ أحلامُ قَوْمٍ تبدَّلوا بنى خَلَفٍ قَيْضاً بنا والغَيَاطِلِ

فقيل لولدها : الغياطل ، وهم من بَنى سهم بن عَمْرو بن هُصَيْص . وهذا البيت فى قصيدة له ، سأذكرها فى موضعها إن شاء الله تعالى .

قال ابن إسحاق : وحدثنى علىّ بن نافع الجُرَشِىّ : أنّ جَنْبا بَطْناً

من اليمن ، كان لهم كاهنٌ فى الجاهلية ، فلما ذُكر أمر رسول الله صلى الله وسلم ، وانتشر فى العرب ، قالت له جَنْب : انظرْ لنا فى أمر هذا الرجل ، واجتمعوا له فى أسفل جبله ، فنزل عليهم حين طلعت الشمس ، فوقف لهم قائما مُتَّكِئا على قوس له ، فرفع رأسه إلى السماء طويلاً ، ثم جعل يَنْزُو ، ثم قال : أيها الناس ، إن الله أكرم محمدا واصطفاه ، وطهّر قلبه وحشاه ، ومُكْثُه فيكم أيها الناس قليل ، ثم اشْتَدَّ فى جبله راجعا من حيث جاء .

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتَّهم عن عبد الله بن كَعْب ، مولى عثمان بن عفّان ، أنه حدّث : أن عمر بن الخطاب ، بينا هو جالس فى مَسْجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ أقبل رجل من العرب داخلاً المسجدَ ، يريد عمرَ بن الخطاب ، فلما نَظَر إليه عمر رضى الله عنه ، قال : إن هذا الرجلَ لَعَلَى شِرْكه ما فارقه بعدُ ، أو لقد كان كاهنا فى الجاهلية . فَسَلَّم عليه الرجلُ ، ثم جلس ، فقال له عمر ـ رضى الله عنه : هل أسلمتَ ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، قال له : فهل كنت كاهنا فى الجاهلية ؟ فقال الرجل: سُبحان الله يا أمير المؤمنين ! لقد خِلْتَ فِيَّ ، واستقبلتنى بأمر ما أراك قلته لأحد من رَعِيَّتِك منذ وَلِيتَ ما وليتَ ، فقال عمر : اللهمّ غَفْراً ، قد كنَّا فى الجاهلية على شرٍّ من هذا ، نعبد الأصنام ، ونَعْتَنِق الأوثان ، حتى أكرمنا الله برسوله وبالإسلام ، قال: نعم ، والله يا أمير المؤمنين ، لقد كنتُ كاهنا فى الجاهلية ، قال: فأخبرنى ما جاءك به صاحِبُك ، قال: جاءنى قبل الإسلام بشهر أو شَيْعِه ، فقال: ألم تَرَ إلى الجنّ وإبلاسها، وإياسها من دينها، ولُحوقها بالقِلاص وأحْلاسها .

قال ابن هشام : هذا الكلام سجع ، وليس بشعر .

قال عبد الله بن كعب : فقال عمرُ بن الخطاب عند ذلك يُحَدِّث الناس : والله إنى لَعِنْدَ وثَنٍ من أوثان الجاهلية فى نَفَر من قريش ، قد ذَبح له رجل من العرب عجلاً ، فنحن ننتظر قَسْمه ليَقْسِم لنا منه ، إذ سمعت من جوف العجل صوتا ماسمعت صوتا قطُّ أنفذَ منه ، وذلك قُبيل الإسلام بشهر أو شَيْعه ، يقول : يا ذَرِيح ، أمرٌ نجِيح ، رجل يَصيح ، يقول : لا إله إلا الله .

قال ابن هشام : ويقال : رجل يصيح ، بلسان فصيح ، يقول : لا إله إلا الله . وأنشدنى بعض أهل العلم بالشعر .

عَجِبْتُ للجِنّ وإبْلاسِها وشَدِّها العِيسَ بأحْلاسِها
تَهْوِى إلى مكّة تبغى الهُدَى ما مُؤمنو الجِنّ كأنجاسِها

قال ابن إسحاق : فهذا ما بلغنا من الكُهّان من العرب .

فصل فى الكهانة

رُوِى فى مأثور الأخبار أن إبليسَ كان يخترق السَّمٰوات قبل عيسى ، فلما بُعث عيسى ، أو وُلد حُجب عن ثلاث سماوات ، فلما وُلد محمدٌ حُجب عنها كلِّها ، وقُذفت الشياطينُ بالنجوم وقالت قريش حين كثر القذف بالنجوم : قامت الساعة ، فقال عُتْبة بن ربيعة : انظروا إلى العَيُّوق(١) فإن كان رُمى به ، فقد آن قيامُ الساعة ، وإلاّ فلا ، وممن ذكر هذا الخبر الزبير بن أبى بكر .

---

(١) نجم أحمر مضىء فى طرف المجرة الأيمن يتلو الثريا لا يتقدمها .

رفع المسهم

. . . .

رمي الشياطين :

وذكر ابن إسحاق في هذا الباب ما رُمِيَت به الشياطين ، حين ظهر القذفُ بالنجوم ، لئلا يلتبِسَ بالوحى ، وليكون ذلك أظهر للحجة ، وأقطع للشبهة ، والذى قاله صحيح : ولكن القذفَ بالنجوم قد كان قديما ، وذلك موجود فى أشعار القدماء من الجاهلية . منهم : عَوْفُ بن الجِزْع ، وأوْسُ بنُ حَجَر ، وبِشْر بن أبى خازم ، وكلهم جاهلى ، وقد وصفوا الرمى بالنجوم ، وأبياتُهم فى ذلك مذكورة فى مُشْكِلِ ابن قُتَيْبَة فى تفسير سورة الجن(١) ، وذكر عبد الرزاق فى تفسيره عن مَعْمَرٍ عن ابن شهاب أنه سئل عن هذا الرمى بالنجوم : أكان فى الجاهلية ؟ قال: نعم ، ولكنه إذ جاء الإسلام غُلِّظَ وشُدِّدَ ، وفى قول الله سبحانه : ﴿ وأنَّا لَمَسْنَا السماءَ فوجدناها مُلِئَتْ حَرَساً شديدا وشُهُباً ﴾ الجن : ٨ الآية ولم يقل :حُرِست دليل على أنه قد كان منه شىء ، فلما بُعث النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ مُلِئَتْ حرسا شديداً وشُهباً ، وذلك لِيَنْحَسِمَ أمرُ الشياطين ، وتخليطُهم ، ولتكون الآية أبْيَنَ ، والحجة أقطعَ ، وإن وجد اليوم كاهن ، فلا يدفع ذلك بما أخبر الله به من طرد الشياطين عن استراق السمع ، فإن ذلك التغليظ والتشديد كان زمنَ النُّبُوَّةِ ، ثم بقيت منه ، أعنى من استراقِ السمع بقايا يسيرة

---

(١) انظر ص ١٨٤ ح ٢ ط ١ كتاب القرطين الذى هذب فيه ابن مطرف الكنانى كتابى مشكل القرآن أو غريبه لابن قتيبة . وفى هذا يقول ابن قتيبة « وفى أيدى الناس كتب الأعاجم ، وسيرهم تنبىء عن انقضاض النجوم فى كل عصر ، وكل زمان » وفيه بشر بن خارم وهو خطأ صوابه ما أثبته « انظر ترجمة ابن أبى خازم فى الشعر والشعراء لابن قتيبة »

رفع
المسهم
غفر الله لمطالعه

. . . .

بدليل وجودِهم على النُّدُور فى بعض الأزمنة ، وفى بعض البلاد . وقد سئل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن الكُهّان فقال : ليسوا بشىء ، فقيل: إنهم يتكلمون بالكلمة ، فتكون كما قالوا ، فقال : تلك الكلمة من الجن يحفظها الجنى ، فيُقِرُّها فى أذن وَليه قَرَّ الزُّجاجة (١) فيخلط فيها أكثرَ من مائةِ كذبة ، ويروى: قَرَّ الدَّجاجَة بالدال، وعلى هذه الرواية تكلم قاسم بن ثابت فى الدلائل. والزجاجة بالزاى أولى ؛ لما ثبت فى الصحيح ، فيُقِرّها فى أذن وليه ، كما تُقَرُّ القارورة ، ومعنى يُقِرُّها: يَصُبُّها ويُفْرغها ، قال الراجز :

لا تُفرِغَنْ فى أُذُنِى قَرَّها ما يَسْتَفِزُّ فأرِيك فقرها

وفى تفسير ابن سلام عن ابن عباس، قال: إذا رمى الشهابُ الجِنىَّ لم يُخْطِئْه، ويحرق ما أصاب ولا يقتله ، وعن الحسن قال : فى أسرع من طرفة العين ، وفى تفسير ابن سلام أيضا عن أبى قَتادَة أنه كان مع قوم ، فرُمِى بنجم ، فقال: لا تُتْبِعوه أبصارَكم ، وفيه أيضا عن حَفصٍ أنه سأل الحسَن : أيُتْبِعُ بصره الكوكب . فقال : قال سبحانه : ﴿ وجعلناها رُجُوما للشياطين ﴾ الملك : ٥ . وقال : ﴿ أوَلم يَنْظروا فى مَلَكُوتِ السَّموات والأرض ﴾ الأعراف : ١٨٥ . قال : كيف نعلم إذا لم ننظر إليه ، لأُتْبِعَنَّه بصرى .

الجن الذين ذكرهم القرآن :

وذكر النفر من الجن الذين نزل فيهم القرآن والذين : ﴿ ولَّوْا إلى قومهم

---

(١) وفى رواية : قر الزجاجة بالزاى ، أى : بصوتها إذا صب فيها الماء

رفع المسهم

. . . .

مُنذرين، قالوا: ياقومنا إنا سَمِعْنا كتاباً أُنْزِل من بعدِ موسى﴾الأحقاف: ٣٠ . وفى الحديث أنهم كانوا من جِنِّ نَصِيبِين(١) . وفى التفسير أنهم كانوا يَهُوداً ؛ ولذلك قالوا : من بعد موسى ، ولم يقولوا من بعد عيسى ذكره ابن سلام(٢) . وكانوا سَبْعَةً ، قد ذُكروا بأسمائهم فى التفاسير والمُسْنَدات ، وهم : شاصر ، وماصر ، ومنشى ، ولا شى ، والأحقاب ، وهؤلاء الخمسةُ ذكرهم ابن دُرَيْدٍ ، ووجدتُ فى خبر حدثنى به أبو بكر بن طاهر الإشبيلى القَيْسِىّ عن أبى عَلِىٍّ الْغَسَّانِى فى فضل عمر بن عبد العزيز قال : بينما عمرُ بن عبد العزيز يمشى فى أرض فلاةٍ فإذا حَيَّةٌ مَيِّتَةٌ فكفَّنها بفَضْلَةٍ من رِدَائه ، ودفنها فإذا قائلٌ يقول : يا سُرَّق اشهد ، لَسَمِعْتُ رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقول لك : ستموت بأرض فلاةٍ ، فيكفنك ويدفنك رجلٌ صالح ، فقال : من أنت - يرحمك الله - فقال : رجل من الجنِّ الذين تسمعوا القرآن من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لَمْ يبق منهم إلا أنا وسُرَّقٌ ، وهذا سُرَّقٌ قد مات . وذكر ابن سلام من طريق أبى إسحاق [عَمرو بنِ عبد الله بن على] السَّبِيعِى عن أشياخِهِ عن ابن مَسْعُودٍ أنه كان فى نَفَرٍ من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

---

(١) ذكر أن من العرب من يعربها كجمع المذكر السالم ، فيقول: هذه نصيبون وهى مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل من موصل إلى الشام ونصيبين أيضا من قرى حلب ، ونصيبين كذلك : مدينة على شاطىء الفرات كبيرة تعرف بنصيبين الروم .

(٢) ما هذا الذى ينقله عن ابن سلام ؟ إنه تهويمة خيال . ولعلهم قالوا : من بعد موسى ، لأنه لم ينزل بعد التوراة كتاب تشريع ينسخ الشرائع قبله سوى القرآن ، أما الإنجيل فيذكر بما فى التوراة

رفع المسهم

. . . .

يمشون فرُفع لهم إعصارٌ ، ثم جاء إعصارٌ أعظمُ منه ، ثم انقشع ، فإذا حيّةٌ قتيلٌ ، فعَمَدَ رجال منا إلى ردائه فشقه ، وكفَّن الحية ببعضه ودفنها ، فلما جَنَّ الليلُ إذا امرأتان تتساءلان : أيكم دفن عَمْرو بن جابر ؟ فقلنا : ما ندرى مَنْ عمرو بن جابر ؟ فقالتا : إن كنتم ابتغيتم الأجرَ فقد وجدتموه . إن فَسَقَةَ الْجِنِّ اقتتلوا مع المؤمنين منهم، فقُتِل عمرو، وهو الحيَّة التى رأيتم ، وهو من النفر الذين استمعوا القرآن من محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم وَلَّوْا إلى قومهم مُنذرين ! !

ابن علاط والجن :

فصل : وأما ما ذكره فى معنى قوله سبحانه: ﴿وأنه كان رِجالٌ من الإِنْسِ يعوذون برجالٍ من الجِنّ﴾ الآية،الجن : ٦. فقد رُوى فى معنى ذلك عن حجاج ابن عِلَاطٍ السُّلَمِى ، وهو والد نَصْرِ بن حَجَّاج الذى قيل فيه :

أم لا سبيلَ إلى نصرِ ابن حَجَّاج (١)

---

(١) يقول البغدادى فى الخزانة « وحكى السهيلى فى الروض الأنف هذه الحكاية على خلاف ما تقدم . قال : الحجاج بن علاط : وهو والد نصر الذى حلق عمر رأسه ، فنفاه من المدينة ، فأتى الشام ، فنزل على أبى الأعور السلمى فهويته امرأته ، وهويها ، وفطن أبو الأعور لذلك ، بسبب يطول ذكره ، فابتنى له قبة فى أقصى الحى ، فكان بها ، فاشتد ضناه بالمرأة حتى مات كلفا بها ، وسمى المضنى ، وضربت به الأمثال ، وذكر الأصبهانى فى كتاب الأمثال له خبره بطوله » انتهى . أقول : والقصة مشهورة فى كتب الأدب والأمثال . قالوا : أول من عسّ بالليل فى الإسلام : عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ فبينا يعس ليلة سمع امرأة تقول :

=

رفع المسلم

. . . .

= ياليت شعرى عن نفسى أزاهقة ... منى ، ولم أقض ما فيها من الحاج
ألا سبيل إلى خمر فأشربها ... أم لا سبيل إلى نصر بن حجاج
إلى فتى ماجد الأخلاق ذى كرم ... سهل المحيا كريم غير ججفاج
تنميه أعراق صدق حين تنسبه ... ذى نجدات عن المكروب فراج
سامى النواظر من بهزله كرم ... تضىء سنته فى الحالك الداجى
نعم الفتى فى سواد الليل نصرته ... ليائس أو لملهوف ومحتاج
يامنية لم أرب فيها بضائرة ... والناس من صادق فيها ومن داجى

قالوا : فدعا عمر بالمرأة–وهى الذلفاء لقب فريعة بنت همام أم الحجاج – وضربها بالدرة ضربات، ثم سأل عنها، فلم يخبر عنها إلا بخير، وأتى بنصر، وأمر بشعره فحلق، ثم أرسل به إلى البصرة إلى مجاشع بن مسعود السلمى ، فكان ما كان منه مما ذكره السهيلى مختصراً — كما جاء فى خزانة البغدادى : وقيل إن المرأة أرسلت إلى عمر بهذه الأبيات :

قل للامام الذى تخشى بوادره ... مالى وللخمر أو نصر بن حجاج
إنى فتنت أبا حفص بغيرهما ... شرب الحليب وطرف فاتر ساجى

الخ قالوا : فبكى عمر ، وقال : الحمد لله الذى حبس الهوى التقوى . وبعث عمر إلى المرأة : لم يبلغنا عنك إلا خير، وقد ضرب المثل بالمرأة هذه ، فقالوا : « أصب من المتمنية » وبنصر ، فقالوا : « أدنف من المتمنى » وقالوا : إن هذه المتمنية هى الفريعة بنت همام أم الحجاج بن يوسف الثقفى. والبيت الأول يروى : « ألا سبيل إلى خمر فأشربها » وهى — كما يقص البغدادى — رواية الجاحظ وحمزة الأصبهانى والسهيلى لكنك ترى الرواية فى الروض « أم لا سبيل الخ » وروى المدائنى وغيره : هل من سبيل ، ويروى الزجاج المصراع المذكور فى الروض :

أم هل سبيل إلى نصر بن حجاج

ورواه أبو على الفارسى فى إيضاح الشعر عن أبى عبيدة :

أولا سبيل إلى نصر بن حجاج

رفع المسهم

. . . .

أنه قَدِم مكة في ركب ، فأجَنَّهم الليلُ بواد مَخُوفٍ مُوحش ، فقال له الركب : قم خذ لنفسك أماناً ، ولأصحابك ، فجعل يطوف بالركب ويقول :

أُعِيذ نفسي وأعيذ صَحْبِي
من كل جِنّيّ بهذا النَّقْب
حتى أَءوبَ سالما ورَكْبِي

فسمع قارئا : ﴿ يا مَعْشَرَ الجِنِّ والإِنْسِ إن اسْتَطَعْتُمْ أن تَنْفُذُوا من أقطارِ السَّمٰوات والأرضِ [فانفُذُوا ، لا تَنْفُذُون إلا بسلطان] ﴾ الآية . الرحمن : ٣٣ . فلما قدم مكة خبَّرَ كفارَ قريش بما سمع ، فقالوا : أصبت[(١)] يا أبا كِلابٍ . إن هذا يزعم محمد أنه أُنْزِل عليه ، فقال : والله لقد سمعتُه وسمعه هؤلاء معي ، ثم أسلم وحسُن إسلامُه ، وهاجر إلى المدينة ، وابْتَنَى بها مَسْجداً فهو يُعْرَف به[(٢)] .

= على أن أو بمعنى : الواو . وروايته « ألا » يستشهد بها النحويون على أنه « ألا » تستعمل للتمني . ويقول البغدادي : وقال قوم : هذا الشعر مصنوع إلا البيت الأول « ألا سبيل الخ » وقد جمع البغدادي كل أطراف القصة ، وقال عن الشعر : « ولا يخفى ما فيه من الاختلاف من جميع الجهات حتى في البيت الشاهد» انظر ص ٥٩ وما بعدها ح ٤ ط السلفية خزانة الأدب للبغدادي والأمثال للميداني في حرف الصاد بما جاء منه على وزن أفعل . و ص ٥١٣ ح ٢ ألف باء ليوسف بن محمد البلوى .

(١) روى البلوى نفس القصة . وفيها « صبأت » بدلا من أصبت وهو الأليق

(٢) ماذكره هنالا سند له . وسنذكر ماورد من أحاديث حول استماع الجن . روى البيهقي في الدلائل عن ابن عباس : ما قرأ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على =

رفع المسهم

. . . .

= الجن ولا رآهم . انطلق رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فى طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء ، وأرسلت عليهم الشهب ، فرجعت الشياطين إلى قومهم ، فقالوا : مالكم ؟ فقالوا : حيل بيننا وبين خبر السماء ، وأرسلت علينا الشهب ، قالوا : ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شىء حدث ، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها ، وانظروا ما هذا الذى حال بينكم وبين خبر السماء ؟ فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها يبتغون ما هذا الذى حال بينهم وبين خبر السماء ، فانصرف أولئك النفر الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وهو بنخلة عامداً إلى سوق عكاظ ، وهو يصلى بأصحابه صلاة الفجر ، فلما سمعوا القرآن استمعوا له ، فقالوا : هذا والله الذى حال بينكم وبين خبر السماء ، فهنالك حين رجعوا إلى قومهم : « قالوا : ياقومنا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدى إلى الرشد ، فآمنا به ، ولن نشرك بربنا أحدا » وأنزل الله على نبيه — صلى الله عليه وسلم : (قل : أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن) وإنما أوحى إليه قول الجن » ورواه البخارى عن مسدد بنحوه ، وأخرجه مسلم عن شيبان بن فروخ عن أبى عوانة به ، ورواه الترمذى والنسائى فى التفسير من حديث أبى عوانة ، وروى أحمد عن ابن عباس أنه قال : كان الجن يستمعون الوحى ، فيسمعون الكلمة ، فيزيدون فيها عشرا ، فيكون ما سمعوا حقاً ، وما زادوا باطلا ، وكانت النجوم لا يرمى بها قبل ذلك ، فلما بعث رسول الله — صلى الله عليه وسلم — كان أحدهم لا يأتى بمقعده إلا رمى بشهاب يحرق ما أصابت

فشكوا ذلك إلى إبليس فقال : ما هذا إلا من أمر قد حدث . فبث جنوده فإذا بالنبى — صلى الله عليه وسلم — يصلى بين جبلى نخلة فأتوه ، فأخبروه . فقال: هذا الحدث الذى حدث فى الأرض . ورواه الترمذى والنسائى فى كتابى التفسير وقال الترمذى : حسن صحيح . وروى البخارى ، قال : حدثنا الحميدى حدثنا سفيان حدثنا عمرو قال : سمعت عكرمة ، يقول : سمعت أباهريرة رضى الله عنه يقول: إن نبى الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - قال : إذا قضى الله تعالى الأمر فى السماء =

رفع المسهم

. . . .

ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله كأنه سلسلة على صفوان . فإذا فزع عن قلوبهم ، قالوا : ما ذا قال ربكم ؟ قالوا للذى قال . الحق ، وهو العلى الكبير ، فيسمعها مسترق السمع ، ومسترقو السمع هكذا بعضه فوق بعض ـ وصفه سفيان بكفه فحرفها ، وبدد بين أصابعه ـ فيسمع الكلمة ، فيلقيها إلى من تحته ، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته ، حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن ، فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها ، وربما ألقاها قبل أن يدركه ، فيكذب معها مائة كذبة ، فيقال : أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا : كذا ، وكذا ، فيصدق بتلك الكلمة التى سمعت من السماء ، انفرد بإخراجه البخارى دون مسلم من هذا الوجه . وقد رواه أبو داود والترمذى وابن ماجة من حديث سفيان بن عيينة والله أعلم . وروى أحمد عن ابن عباس قال : كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ جالساً فى نفر من أصحابه ، فرمى بنجم ، فاستنار ، فقال ـ صلى الله عليه وسلم : ما كنتم تقولون إذا كان مثل هذا فى الجاهلية ؟ قالوا : كنا نقول : يولد عظيم ، أو يموت عظيم ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فإنها لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياته ، ولكن ربنا تبارك وتعالى إذا قضى أمراً سبح حملة العرش ، ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم ، حتى يبلغ التسبيح السماء الدنيا ، ثم يستخبر أهل السماء الذين يلونهم ، حتى يبلغ التسبيح السماء الدنيا ، ثم يستخبر أهل السماء الذين يلون حملة العرش . فيقول الذين يلون حملة العرش لحملة العرش : ماذا قال ربكم ؟ فيخبرونهم ، ويخبر أهل كل سماء سماء حتى ينتهى الخبر إلى هذه السماء ، وتخطف الجن السمع ، فيرمون ، فما جاءوا به على وجهه ، فهو حق ، ولكنهم يفرقون فيه ويزيدون ، وقد أخرجه مسلم فى صحيحه من حديث صالح بن كيسان والأوزاعى ويونس ومعقل بن عبيد الله ، أربعتهم ، عن الزهرى عن على بن الحسين عن ابن عباس رضى الله عنهما ، عن رجل من الأنصار به . وكذا رواه النسائى فى التفسير من حديث الزبيدى عن الزهرى به ، ورواه الترمذى فيه عن الحسين بن حريث عن الوليد بن مسلم عن الأوزاعى . عن الزهرى ، عن عبيد الله بن عبدالله ، عن ابن عباس رضى الله عنهما ، عن رجل من الأنصار ـ رضى الله عنه ، وحسب المؤمن فى مثل هذا وغيره أن يتدبر القرآن أولا ، ثم الصحيح المشهود له بالصحة القوية من الحديث

رفع المسهم

. . . .

حول انقطاع الكهانة :

فصل : وذكر ابن إسحاق حديث ابن عباس وفيه : كنا نقول إذا رأيناه : يموت عظيم ، أو يولد(١) عظيم ، وفي هذا دليل على ما قدمناه من أن القذف بالنجوم كان قديما ، ولكنه إذ بعث الرسول عليه السلام ، غلظ وشدد — كما قال الزهري — وملئت السماء حرساً . وقوله في آخر الحديث : وقد انقطعت الكهانة اليوم ، فلا كهانة . يدل قوله : اليوم على تخصيص ذلك الزمان كما قدمناه ، والذي انقطع اليوم ، وإلى يوم القيامة أن تدرك الشياطين ما كانت تدركه في الجاهلية الجهلاء ، وعند تمكنها من سماع أخبار السماء ، وما يوجد اليوم من كلام الجن على ألسنة المجانين إنما هو خبر منهم عما يرونه في الأرض ، مما لا نراه نحن كسرقة سارق ، أو خبيئة في مكان خفي(١) ، أو نحو ذلك ، وإن أخبروا بما سيكون كان تخرصاً وتظنياً ، فيصيبون قليلا ، ويخطئون كثيرا .

وذلك القليل الذي يصيبون هو مما يتكلم به الملائكة في العنان ، كما

= لأن موضوع الجن من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله ، ولا يعرف إلا عن الوحي . وقول الله تعالى في سورة الأحقاف وسورة الجن يؤكد أنه صلى الله عليه وسلم لم ير الجن الذين استمعوا له .

(١) ذكرته من قبل

(٢) هذا إفك يفتريه الدجاجلة . وأحب أن أذكر بقصة الجن الذين مات سليمان أمام أعينهم دون أن يعلموا (فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين) فلنتدبر هذه الآية المحكمة نؤمن بأن الجن لا يعرفون غيباً كما بين الله . بل إنهم لم يعرفوا حتى ما وقع تحت عيونهم ! !

رفع المسهم

. . . .

فى حديث البخارى ، فيُطْرَدُون بالنجوم ، فيضيفون إلى الكلمة الواحدة أكثر من مائةِ كذبة ـ كما قال عليه السلام ـ فى الحديث الذى قدمناه ، فإن قلت : فقد كان صافُ بن صَيَّاد ، وكان يتَكَهَّنُ ، ويدَّعى النبوة ، وخَبَأَ له النبيُّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ خَبِيئاً ، فعلمه ، وهو الدُّخُّ (١) فأين انقطاع الكهانة فى ذلك الزمان ؟ قلنا : عن هذا جوابان،أحدهما ذكره الخطابى فى أعلام الحديث قال : الدُّخُّ نبات يكون من النخيل ، وخَبَأَ له عليه السلام : ﴿ فارْتَقِبْ يوم تأتى السماء بدُخَانٍ مُبِينٍ ﴾ الدُّخان : ١٠ ، فعلى هذا لم يصب ابن صياد ما خَبَأَ له النبى ـ صلى الله عليه وسلم .

(١) بضم الدال وفتحها : الدخان ، ويقول ابن الأثير فى النهاية : وفسر فى الحديث أنه أراد بذلك : (يوم تأتى السماء بدخان مبين) وقيل إن الدجال يقتله عيسى عليه السلام بجبل الدخان . انتهى .فيحتمل أن يكون أراده تعريضاً بقتله ، لأن ابن صياد كان يظن أنه الدجال ، وحديث ابن صياد متفق عليه ، وفيه أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال لابن صياد : ماذا ترى؟ قال ابن صياد : يأتينى صادق وكاذب ، قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ خُلط عليك الأمر ، قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إنى خبأت لك خبيئاً وخبأ له . (يوم تأتى السماء بدخان مبين) فقال : هو الدُّخ ، فقال: اخسأ . فلن تعدو قدرك الحديث . وإذا كان الله سبحانه قد نفى علم الغيب عن الجن وعن الملائكة وعن الرسل ، فكيف يجوز لنا أن ننسب إلى دجال كابن صياد أنه كان يعرف الغيب ؟ ولا أظن أن رسول الله «ص» ـ على فرض الصحة ـ قصد من الاختبار هل يعرف ابن صياد الغيب أو لا ، لأنه صلى الله عليه وسلم يؤمن قبل هذا بأن الله وحده هو عالم الغيب ، وأنه لا ابن صياد، ولا غيره يعلمون من الغيب شيئا . إنما قصد الرسول بالاختبار أن يظهر أمام الحضور وأن يوضح حقيقة ابن صياد. وهى أنه مفتر كذاب ، وأن علم الغيب إنما هو لله وحده .

رفع المسـهم

. . . .

الثانى : أن شيطانه كان يأتيه بما خفِى من أخبار الأرض ، ولا يأتيه بخبر السماء لمكان القذف والرجم ، فإن كان أراد بالدُّخِّ الدخانَ بقوة جُعلت لهم فى أسماعهم ليست لنا ، فأتى الكلمة عن لسان صافٍ وحدها، إذ لم يُمكن سماع سائر الآية ؛ ولذلك قال له النبى ـ عليه السلام : اخسأْ فلن تَعْدُو قدر الله فيك أى : فلن تعدو منزلتك من الْعجْز عن علم الغيب ؛ وإنما الذى يمكن فى حقه هذا القدرُ دون مزيد عليه ، على هذا النحو فسره الخطابى .

الغيطلة الكاهنة وكهانتها :

فصل : وذكر حديث الْغَيْطَلة الكاهنة ، قال : وهى من بنى مُرَّة بن عَبْد مَناة بن كِنانة أخى مُدْلِجٍ ، وهى : أمُّ الغَياطل الذى ذكر أبو طالب ، وسنذكر معنى الْغَيْطَلة عند شعر أبى طالب إن شاء الله . ونذكر هاهنا ما ألفيْته فى حاشية كتاب الشيخ أبى بحر فى هذا الموضع . قال : الغيطلة بنت مالكِ بن الحارثِ بن عمرو بن الصَّعِق ابن شَنُوق بن مُرَّةَ ، وشَنُوق أخو مُدْلِجٍ ، وهكذا ذكر نسبها الزبيرُ .

وذكر قولها : شُعُوب وما شعوب ، تُصرَع فيها كَعْبٌ لجُنُوب . كعبٌ هٰهنا هو : كَعْبُ بن لُؤَىٍّ ، والذين صُرعوا لجنوبهم ببدرٍ وأُحُدٍ من أشرافِ قريش ، معظمُهم من كعب بن لُؤَىٍّ ، وشُعُوبٌ هٰهنا أحسبه بضم الشين، ولم أجده مقيدا ، وكأنه جَمْع شِعبٍ، وقول ابن إسحاق يدل على هذا حين قال : فلم يُدْرَ ما قالت ، حتى قُتِل مَنْ قُتِلَ ببدرٍ وأُحدٍ بالشِّعب(١) .

---

(١) ومن رواه بفتح الشين فهو اسم للمنية لا ينصرف ص ٦٨ الخشنى

رفع المسا هم

. . . .

وذكر قول التابع : أَدْرِ ما أَدْرِ ، وقيد عن أبى عَلِيٍّ فيه رواية أخرى : وما بَدْر ؟ وهى أَبْيَنُ من هذه ، وفى غير رواية الْبَكَّائِيِّ عن ابن إسحاق أن فاطمةَ بنت النعمان النَّجَّارية كان لها تابعٌ من الجن ، وكان إذا جاءها اقتحم عليها فى بيتها ، فلما كان فى أول البعث أتاها ، فقعد على حائطِ الدار ، ولم يدخل فقالت له : لم لا تدخل ؟ فقال : قد بُعث نبي بتحريم الزِّنا ، فذلك أول ما ذُكر النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة(١) .

ثقيف ولهب والرمى بالنجوم :

فصل : وذكر إنكارَ ثقيفٍ للرَّمْى بالنجوم ، وما قاله عَمْرو بن أُمَيَّة أحد بنى عِلاَجٍ إلى آخر الحديث ، وهو كلام صحيح المعنى ، لكنَّ فيه إبهاما لقوله : وإن كانت غير هذه النجوم فهو لأمرٍ حدث ، فما هو وقد فعل مافعلت ثقيف بنو لِهْبٍ عند فزعهم للرمى بالنجوم ، فاجتمعوا إلى كاهن لهم يقال له : خَطَر ، فبين لهم الخبر ، وما حدث من أمر النبوة . روى أبو جَعْفر العقيلى فى كتاب الصحابة عن رجل من بنى لِهْبٍ يقال له : لِهْبٌ أو لُهَيْب(٢) . وقد تكلمنا على نسب لِهْبٍ فى هذا الكتاب . قال لُهَيْب : حضرت مع رسول

---

(١) لا أدرى كيف يلقى السهيلى وأمثاله آذانهم إلى مثل هذا الخرف ، وإلى الباطل الذى يؤكد القرآن أنه باطل . ولنتدبر عشرات الآيات فى القرآن التى تنفى علم الغيب عن غير الله . وتابعها : شيطان إنسى بدليل الزنا ! !

(٢) فى الأصل « لهيب أو لهيب » وهو خطأ صوبته من الإصابة ، فابن منده يقول : « لهيب بالتصغير بن مالك اللهي ، وأبو عمر يقول : لهب مكبرا وبه جزم الرشاطى » .

رفع المسيرهم

. . . .

الله صلى الله عليه وسلم ، فذكرت عنده الكهانة ، فقلت : بأبى وأمى : نحن أول من عرف حراسة السماء ، وزجْرَ الشياطين ، ومنعهم من استراق السمع عند قذف النجوم ، وذلك أنا اجتمعنا إلى كاهن لنا يقال له : خَطَر بن مالك ، وكان شيخاً كبيرا ، قد أتت عليه مائتا سنة وثمانون سنة ، وكان من أعلم كهاننا ، فقلنا : يا خَطَرُ هل عندك علم من هذه النجوم التى يرمى بها ، فإنا قد فزعنا لها ، وخشينا سوء عاقبتها ؟ فقال :

إِئْتونى بسَحَر
أُخْبِرْكُمُ الخبر
أَبِخَيْرٍ أم ضرر
أو لأمْنٍ أو حذر

قال : فانصرفنا عنه يومنا ، فلما كان من غد فى وجه السَّحَر أتيناه ، فإذا هو قائم على قدميه ، شاخص فى السماء بعينيه ، فناديناه : أخَطَرُ يا خَطَرُ ؟ فأومأ إلينا : أنْ أمسكوا ، فانقض نجم عظيم من السماء ، وصرخ الكاهن رافعا صوته :

أصابَهُ إصابه خامَرَهُ عقابُهُ
عاجله عذابُهُ أحرقه شهابُهُ
زايله جوابُهُ
يا وَيْلَه ما حاله بَلْبَلَه بَلْباله
عاوده خَبَالُه تَقَطَّعَتْ حِباله
وغُيِّرت أحواله

. . . .

ثم أمسك طويلا وهو يقول :

يا مَعْشرَ بنى قَحْطَــانِ أُخبركُم بالحقِّ والبيـان
أقسمت بالـكعبةِ والأركانِ والبلدِ المُؤْتَمنِ السُّدّان
لقد مُنِع السمعَ عُتَاةُ الجان بثاقبٍ بِـكَفِّ ذى سلطان
من أجْلِ مَبْعوثٍ عظيم الشانِ يُبْعث بالتنزيل والقرآن
وبالهدى وفاصلِ القرآن تَبْطُل به عبادةُ الأوثان

قال: فقلنا :وَيْحَكَ ياخطر إنك لتذكر أمراً عظيما،فماذا ترى لقومك؟ فقال:

أرى لِقَوْمِي ما أرى لِنَفْسِي أن يَتْبَعوا خيرَ نَبِيِّ الإنس
بُرْهانُه مثلُ شُعاعِ الشمس يُبعثُ فى مكةَ دارِ الحُمْس
بِمُحْـكَمِ التَّنْزيلِ غير اللَّبْس

فقلنا له : يا خَطَرُ ، ومِمّن هو ؟ فقال : والحياة والعَيْش . إنه لمن قريش ، ما فى حِلْمِه طَيش ، ولا فى خالقه هَيْش (١) يكون فى جَيْشٍ ، وأى جَيْش ، من آل قَحْطانَ وآل أَيْش ، فقلت له : بين لنا: من أى قريش هو ؟ فقال : والبيت ذى الدعائم ، والركن والأحائم ، إنه لَمِنْ نجــل هاشم ، من معشر كرائم ، يُبْعَثُ بالْمَلاَحِمْ ، وقتل كل ظالم ، ثم قال : هذا هو البيان ، أخبرنى به رئيس الجان ، ثم قال : الله أكبر ، جاء الحق وظهر ، وانقطع عن الجن الخبر ـ ثم سكت وأغمى عليه ، فما أفاق إلا بعد ثلاثة ، فقال : لا إله إلا

(١) ليس فى طبيعته وسجيته قول قبيح .

رفع المسـاهم

. . . .

الله ؛ فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : لقد نطق عن مثل نُبُوَّة ، وإنه لَيُبْعَثُ يوم القيامة أمة وحده (١).

أصل ألف أصابة :

قال المؤلف : فى هذا الخبر قوله : أصابه إصابه ، هكذا قيدته بكسر الهمزة من إصابه عَلَى أبى بكر بن طاهر ، وأخبرنى به عن أبى على الغَسَّانِيِّ ، ووجهه أن تكون الهمزة بدلا من واو مكسورة مثل وِشاح وإشاح [ووسادة وإسادة] ، والمعنى : أصابه وصَابه جمع : وَصَب مثل : جَمَل وجِمَالة ،

معنى كلمة أيش والأهام :

وقوله : من آل قحطان وآل أيشٍ ، يعنى بآل قحطان : الأنصار؛ لأنهم من قحطان . وأما آل أيش ، فيحتمل أن تكون قبيلة من الجن المؤمنين، ينسبون إلى أَيْش، فإن يكن هذا، وإلا فله معنى فى المدح غريب، تقول : فلان أيش هو وابن أيش، ومعناه : أى شىء أى شىء عظيم فكأنه أراد من آل قحطان، ومن المهاجرين الذى يقال فيهم مثل هذا ، كما تقول : هم ، وما هم؟ وزيد وما زيد، وأى شىء زيد، وأيش فى معنى : أى شىء ، كما يقال وَيْلُمِّه فى معنى : ويل أمه (٢) على الحذف.

---

(١) هو فى الإصابة مع اختصار واختلاف يسير عما هنا . وعيب السهيلى أنه يصدق مثل هذا ، ويعلق عليه كأنه صحيح . بينما يقول أبو عمر : إسناده ضعيف ، ورواته مجهولون، وعمارة بن زيد راوى الحديث اتهموه بوضع الحديث.

(٢) ويل أمه : أى هو داهية . ويقول ابن جنى « وأما وزن قوله: « ويلمه فإن حكيت أصله ، فوزنه (فع لُ عـله) وإن وزنت على ما صار إليه بعد التركيب فمثالها (فيعلة) بسكون الياء وضم العين وتضعيف اللام مع فتح فإن قلت : فإن هذا مثال غير موجود ، قيل : إنما ينكر هذا : لو كان المثال أصلا برأسه ، فأما وهو فرع أدى إليه التركيب شيئاً بعد شىء ، فلا ينكر ذلك... ويجوز =

رفع المسهم

. . . .

لكثرة الاستعمال ، وهذا كما قال : هو فى جيش أيما جيش ، والله أعلم . وأحسبه أراد بآل أيش : بنى أُقَيش ، وهم حلفاء الأنصار من الجن ؛ فحذف من الاسم حرفا ، وقد تفعل العرب مثل هذا ، وقد وقع ذكر بنى أُقَيش فى السيرة فى حديث البَيْعَة .

وذكر الركن والأحائم يجوز أن يكون أراد : الأحاوم بالواو ، فهمز الواو لانكسارها ، والأحاوم : جمع أحوام والأحوام جميع حَوْم ، وهو الماء فى البئر ، فكأنه أراد : ماء زمزم ، والحَوْم أيضاً : إبل كثيرة ترد الماء ، فعبر بالأحائم عن وُرّاد زمزم ، ويجوز أن يريد بها الطير وحمامَ مكةَ التى تحوم على الماء ، فيكون بمعنى الحوائم ، وقلب اللفظ ، فصار بعد فواعل : أفاعل ، والله أعلم .

دى جنب :

فصل : وذكر أن جَنْباً وهم حَىٌّ من اليمن اجتمعوا إلى كاهن لهم ، فسألوه عن أمر النبى — صلى الله عليه وسلم — حين رمى بالنجوم إلى آخر الحديث : جَنْبٌ هم من مَذْحِج ، وهم : عَيِّذُ الله ، وأَنَس الله ، وزَيْدُ الله ، وأَوْسُ الله ، وجُعْفِى ، والحكم ، وجرْوة ، بنو سعد العشيرة(١) بن مَذْحِج ، ومَذْحج هو : مالك بن أُدَد ، وسُمّوا : جنباً لأنهم جانبوا بنى عمهم صُدَاء

=أن يكون قولهم : (ويلمه) أصله : ويل لأمه ، ثم حذف حرف الجر والهمزة — التى هى فاء — والتنوين ، أو لم ينون ، لأنه نوى المعرفة كغاق ، فبقى : ويلمه) ص ١٦ التمام فى تفسير أشعار هذيل ط بغداد . وقال ابن الشجرى ، أنها تقال بضم اللام وكسرها ، وانظر ص ٢٥١ ح ٣ خزانة البغدادى ط السلفية ، فقد فصل القول فيها . وفيه أن معناها مدح خرج بلفظ الذم . وأنها تقال للمستجاد وللداهية .

(١) فى جمهرة ابن حزم عن ولد سعد العشيرة أنهم : الحكم — وبه كان يكنى — والصعب ونمرة لأمهات شتى ، وجعفى وعائذ الله ، وأوهن الله ، وزيد الله وأنس الله ، والحر أمهم : أسماء بنت أبى بكر بن عبد مناة بن كنانة ص ٣٨٣

رفع المسامه

. . . .

ويزيدا بنى سعد العشيرة بن مَذْحج(١) . قاله الدارَقُطْنِى . وذكر فى موضع آخر خلافا فى أسمائهم ، وذكر فيهم بنى غَلِىّ بالغين ، وليس فى العرب غَلِىّ غيره ، قال مهلهل :

أنْكحها فَقْدُها الأراقِمَ فى جَنْبٍ، وكان الحِباء من أَدَم

معنى خلت فى وشيعه

فصل : وذكر حديث عمر ، وقوله للرجل : أكنت كاهناً فى الجاهلية؟ فقال الرجل : سُبْحانَ الله يا أمير المؤمنين لقد خِلْتَ(٢) فىَّ ، واستقبلْتَنى بأمر ما أراك استقبلت به أحداً منذ وليت ! وذكر الحديث ، وقوله : خِلت فىَّ هو من باب حذف الجملة الواقعة بعد خِلت وظننت ، كقولهم فى المثل: مَنْ يسمع يَخَلْ ، ولا يجوز حذف أحد المفعولين مع بقاء الآخر ، لأن حكمهما حكم الابتداء والخبر ، فإذا حذفت الجملة كلها جاز ؛ لأن حكمهما حكم المفعول ، والمفعول قد يجوز حذفه ، ولكن لابد من قرينة تدل على المراد ، ففى قولهم : من يسمع يَخَلْ دليل يدل على المفعول ، وهو يسمع ، وفى قوله ، خِلْتَ فِىَّ دليل أيضاً ، وهو قوله : فِىَّ ، كأنه قال : خِلتَ الشَّرفِىَّ أو نحو ، هذا وقوله : قبل الإسلام بشهر أو شَيْعه أى : دونه بقليل ، وشَيْع كل شىء : ما هو تَبَع له ، وهو من

(١) فى الاشتقاق لابن دريد وهو يتكلم عن مذحج (ومن بطونهم بنو منبه ابن حرب بن يزيد والحارث والغلى وسَيْحان وشُمران وهِفَّان يقال لهم جنب لأنهم جانبوا قومهم) ص ٤٠٥ .

(٢) يقال : خلت بالكسر إخال وهو الأفصح ، وبنوأسد يقولون : أخال بالفتح وهو القياس . المعنى : من يتسمع أخبار الناس ومعايبهم ، يقع فى نفسه عليهم المكروه .

رفع المسا هم

. . . .

الشِّياع وهى : حَطَب صغار تجعل مع الكبار تبعاً لها ، ومنه: المُشَيَّعة، وهى : الشاة تتبع الغنم ، لأنها دونها فى القوة .

جليح وسواد بن قارب :

والصوت الذى سمعه عمر من العجل يا جَلِيح(١) سمعت بعض أشياخنا يقول :هو اسم شيطان ، والجليح فى اللغة : ما تطاير من رءوس النبات ، وخف نحو القطن وشبهه ، والواحدة : جليحة ، والذى وقع فى السيرة : ياذريح ، وكأنه نداء للعجل المذبوح لقولهم : أحمر ذَرِيحِىٌّ ، أى : شديد الحمرة ، فصار وصفاً للعجل الذبيح من أجل الدم : ومَن رواه : يا جليح ، فمآله إلى هذا المعنى ؛ لأن العجل قد جُلح أى : كشف عنه الجلد ، فالله أعلم ، وهذا الرجل الذى كان كاهنا هو سواد بن قارب الدوسِىّ فى قول ابن الكلبى ، وقال غيره : هو سَدُوسِىّ (٢) وفيه يقول القائل :

أَلاَ لِلهِ علم لا يُجَارَى إلى الغايات فى جَنْبى سواد
أتيناه نسائله امتحانا فلم يَبْعَل ، وأخبر بالسَّدَاد(٣)

وهذان البيتان فى شعر وخبر ذكره أبو على القالى فى أماليه ، وروى غير ابن إسحاق هذا الخبر عن عمر على غير هذا الوجه، وأن عمر مازحه، فقال: مافعلت :

(١) هذه رواية البخارى .

(٢) قال ابن حبيب : كل سدوس فى العرب مفتوح إلا سدوس بن أجمع ابن أبى عبيد بن ربيعة بن نصر .

(٣) فى الأمالى (وتحسب أن سيعمد بالعناد) والخبر كما قال مطولا فى الأمالى ص ٢٨٩ ج ٢ ط ٢ والشعر منسوب إلى عارف الشاعر . وهو كلام لخسبه كلام لا يحنو عليه عقل ، ولا يصالحه دين

. . . .

كهانتك ياسواد؟! فغضب، وقال: قد كنت أنا وأنت على شرٍّ من هذا من عبادة الأصنام وأكل الميتات، أفتعيرنى بأمر تبت منه؟! فقال عمر حينئذ: اللَّهُمَّ غَفْراً. وذكر غير ابن إسحاق فى هذا الحديث سياقةً حسنة وزيادة مفيدة، وذكر أنه حدّث عمر أن رَئِيَّه جاء ثلاث ليال متواليات، هو فيها كلها بين النائم واليقظان، فقال: قم ياسَوَادُ، واسمع مقالتى، واعقل إن كنت تعقل، قد بُعث رسول لله — صلى الله عليه وسلم — من لُؤَىِّ بن غالب يدعو إلى الله وعبادته، وأنشده فى كل ليلة من الثلاث الليالى ثلاثة أبيات معناها واحد وقافيتها مختلفة:

عجبت لِلْجِنِّ وتَطْلَابها ... وشَدِّها العيسَ بأَقْتَابِها
تَهوِى إلى مكةَ تبغى الهدى ... ما صادقُ الجن كَكَذّابها
فارحَل إلى الصَّفْوَة من هاشم ... ليس قُدامَاها(١) كأَذْنابها

وقال له فى الثانية:

عَجِبْتُ للجن وإبلاسِها ... وشَدِّها العِيسَ بأَحْلاسِها
تهوى إلى مكة تبغى الهُدى ... ما طاهرُ الجنِّ كأنجاسِها
فارْحَل إلى الصفوةِ من هاشمٍ ... ليس ذُنَابَى الطيرِ من رأسِها(٢)

(١) فى الخصائص للسيوطى: قدام، وهو صحيح المعنى أيضا.

(٢) فى البداية لابن كثير، وفى الخصائص للسيوطى: ما مؤمنوها مثل أرجاسها — واسم بعينيك إلى رأسها. وفى السيرة الحلبية: ما خير الجن كأنجاسها، وارم بعينيك إلى رأسها، بدلا من: «ما طاهر الجن الخ و ليس ذنابى الطير الخ».

رفع المسهم

. . . .

وقال له فى الثالثة :

عجبت للجنِّ وتنفارها(١) وشدّها العيسَ بأكوارها
تهوى إلى مكة تبغى الهدى ماموءمنُ الجن ككفّارها(٢)
فارحل إلى الأتقين من هاشم ليس قُداماها كأدبارها(٣)

وذكر تمام الخبر، وفى آخر شعر سواد قدم على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأنشده ما كان من الجنى رَئِيِّه ثلاث ليال متواليات، وذلك قوله :

أتانى نجيّى بعد هدْء ورقْدة(٤) ولم يك فيما قد بَلَوْتُ بكاذب
ثلاثَ ليال قولُه كل ليلة أتاك نبىٌّ(٥) من لُؤَىِّ بن غالب
فرفّعتُ أذيال الإزار وشمّرتْ بِىَ العِرْمِسُ الوَجْنَاءُ جُولَ السّبَاسِبِ(٦)
فأشهد أن اللهَ لا شىءَ غيرُه وأنك مأمون على كل غائب

---

(١) فى الخصائص : وتجسارها.
(٢) فى الخصائص : ليس ذو الشر كأخيارها .
(٣) فى الخصائص : ماموءمنو الجن ككفارها .
(٤) فى الخصائص: « رئى ، وليل وهجعة » .
(٥) فى الخصائص : رسول .
(٦) فى الخصائص :
فشمرت عن ساقى الإزار ، ووسطت بى الذعلبُ الوجناء عندالسباسب
والعرمس : الناقة الصلبة . والوجناء : العظيمة الوجنتين . والهجول : جمع هجل : المطمئن من الأرض . والسباسب : جمع . سبسب ، وهى المفازة من الأرض ، أو الأرض البعيدة المستوية . والذعلب بكسر الذال واللام أو الذعلبة: الناقة السريعة .

رفع المسلم

. . . .

وأنك أدنى المرسلين وَسِيلةً (١) | إلى الله يا ابن الأكرمين الأطايب
فمُرْنا بما يأتيك من وحي ربِّنا (٢) | وإن كان فيما جئت شَيْبُ الذوائب
وكن لى شفيعا يوم لا ذُو شفاعةٍ | بِمُغْنٍ (٣) فَتيلاً عن سَوَادِ بن قارب

(١) فى الخصائص : شفاعة، ولا يجوز أن نفهم أنه وسيلة إلى الله إلا بالمعنى الشرعى المحكم الذى ينفى الشرك ، ويثبت التوحيد ، والوسيلة هنا : حبه وحب الله وطاعته وطاعة الله ، أى : اتباع ما جاء به ، والانتهاء عما نهى عنه . أما المعنى الشركى الذى ينفى الإيمان ، فهو أن نتوسل بذاته أو قبره لا بطاعته وحبه .

(٢) فى الخصائص : يا خير من مشى ، وفى رواية : يا خير مرسل .

(٣) فى الخصائص : سواك . وطلب الشفاعة من غير الله هو طلبها ممن لا يملكها ، ولا ينبغى لمسلم أن يطلب من رسول الله الشفاعة ؛ لأنه لا يملكها ، وإنما له أن يطلبها من الله سبحانه ، ولنتدبر معا قوله سبحانه : « من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه » وغيرها من الآيات التى تقطع بأن أحدا لا يملك من أمر الشفاعة شيئا إلا الله سبحانه ، وهذا البيت يؤكد أن القصة موضوعة ، وأن القصيدة مصنوعة ، فلم يكن من دين صحابى ، بل لم يكن من دين مسلم أن يتوجه بطلب الشفاعة إلى رسول الله «ص» . والبيت من البيوت التى يستشهد بها النحويون . والشاهد فيه قوله : « بمغن » حيث أدخل الباء الزائدة فى خبر لا ، كما تدخل فى الخبر المنفى بليس وما ، وذاك قليل ، وهذه الباء لتأكيد النفى عند الكوفيين ، أما عند البصريين فهى لدفع توهم الإثبات . ورأى الكوفيين هو الصحيح . ولا نافية حجازية تعمل عمل ليس ، ولهذا رفعت ذو . وقد روى البخارى قصة سواد بن قارب فى إسلام عمر عن يحيى بن سليمان الجوفى عن ابن وهب ، عن عمرو — وهو محمد بن زيد — أن سالما حدثه عن عبد الله بن عمر — بنحو مما ذكره ابن هشام . وسواد بن قارب من أهل السراة — كما قيل — من جبال البلقاء له صحبة — كما يحكى — ووفادة . وقيل : كان من أشراف اليمن ، وهناك فى بعض الطرق التى روى منها هذا الحديث ما يثير حوله الشك ، بل فى ألفاظه نفسها . والقرآن لا يشهد له ، وتدبر قول الله سبحانه : (إنه يراكم هو وقبيله من حيث =

رفع
المسهم
عفا الله له ولوالديه

. . . .

سواد ودوس عند وفاة الرسول « ص » :

واسَوَادِ بنُقارب هذا مقامٌ حميدٌ فى دَوْسٍ حين بلغهم وفاةُ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقام حينئذ سوادٌ، فقال : يامعشر الأَزْدِ، إن من سعادة القوم أن يتعظوا بغيرهم ، ومن شقائهم ألاَّ يتعظوا إلا بأنفسهم، ومن لم تنفعه التجارب ضرته ، ومن لَمْ يَسَعْه الحقُّ لم يسعه الباطلُ ، وإنما تسْلمون اليوم بما أسلمتم به أمس ، وقد علمتم أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد تناول قوما أَبْعَدَ منكم فَظفِر بهم ، وأَوْعَد قوما أكثر منكم فأخافهم ، ولم يمنعه منكم عُدَّة ولا عدد ، وكل بلاء مَنْسِيٌّ إلا ما بقى أثره فى الناس، ولا ينبغى لأهل البلاء إلا أن يكونوا أذكر من أهل العافية للعافية ، وإنما كَفَّ نبىَّ الله عنكم ما كفكم عنه ، فلم تزالوا خارجين مما فيه أهلُ البلاء ، داخلين مما فيه أهلُ العافية ، حتى قدم على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ خطيبُكم ونقيبُكم فعَبّر الخطيبُ عن الشاهد ، ونقّب النقيب عن الغائب ، ولست أدرى لعله تكون للناس جَوْلَةٌ فإن تكن ، فالسَّلاَمَةُ منها: الأَناةُ ، والله يُحبُّها، فأَحِبُّوها . فأجابه القوم وسمعوا قوله ، فقال فى ذلك سوادُ بن قارب :

= لا ترونهم » ، والجليح ـ كما فسر ـ هو الوقح المكافح بالعداوة ، وفى رواية . يا آل ذريح ، وهو بطن مشهور فى العرب ، والقلاص : جمع قلص ، وهذه جمع قلوص . الفتية من النياق ، والأحلاس: جمع حلس ما يوضع على ظهر البعير ليق الرجل من الدبر ، وأبلس الرجل : سكت ذليلا أو مغلوبا ، والعيس : الإبل الكرام . انظر ص ١٤٤ ح ٧ فتح البارى ، و ص ٢٥٢ ح ١ الخصائص للسيوطى ح ١ دار الكتب الحديثة ، ص ٦٨ شرح السيرة للخشنى ، وبلوغ الأرب ح ٢ ص ٢٣٠ ، ٣٠٢ ، ومجمع الزوائد للهيثمى .

رفع المسيرهم

. . . .

جلّت مصيبتُك الغداةَ سواذُ ... وأرى المصيبةَ بعدها تزداد
أبقى لنا فَقْــــدُ النبى محمدٍ ... ـ صلى الإله عليه ـ ما يعتاد
حُزْنا لعَمرُكَ فى الفؤادِ مُخامِرًا ... أوهل لمن فقــــد النبىَّ فؤاد ؟
كنا نَحُلُّ به جنابًا مُمرِعًا ... جَفَّ الجنابُ ، فأجدب الرُّوَّادُ
فبكت عليه أرضُنا وسماؤنا ... وتصدَّعت وَجْداً به الأكباد
قلَّ المتاعُ به ، وكان عِيانُه ... حُلُماً تضمَّنَ سَكْرَتَيْه رُقاد
كان العِيان هو الطَّريفَ وحزنُه ... باقٍ لعَمرُكَ فى النفوسِ تِلادَ
إنّ النبىَّ وفاته كحياته ... الحقُّ حَقٌّ والجهــــادُ جهادُ
لو قيل : تَفدُون النَّبِىَّ محمَّدًا ... بُذِلت له الأموالُ والأولاد
وتسارعت فيه النفوسُ ببذلِها ... هذا له الأغياب والأشهاد
هذا ، وهذا لا يرد نبيَّنا ... لو كان يَفْديه فداه سَواد
أنّى أحاذر والحوادثُ جَمَّةٌ ... أمرًا لِعاصفِ ريحه إرْعَادُ
إن حَلَّ منه ما يُخاف فأنتُمُ ... للأرض ـ إن رجفت بنا ـ أوتاد
لو زاد قومٌ فَوْق مُنْية صاحبٍ ... زِدْتُم ، وليس لِمُنْيَةٍ مزدادُ

كاهنة قريش

فأعجب القومَ شِعْرُه، وقولُه : فأجابوا إلى ما أحب ، ومن هذا الباب خَبَرُ سَوْدَاء بنت زُهْرَة بن كلاب ، وذلك أنها حين وُلدت ورآها أبوها زرقاء شَيْماء (١) أمر بِوأْدِها ، وكانوا يئِدُون مِنَ البنات ما كان على هذه الصفة فأرسلها إلى الحَجُون لتدفن هناك، فلما حفرلها الحافرُ، وأراد دفنها سمع هاتفا يقول:

(١) صافية البياض فيها شامة ، تعطيها جمالا .

. . . .

لا تئدن الصَّبيَّة ، وخلّها فى البريَّة ، فالتفت فلم ير شيئا ، فعاد لدفنها ، فسمع الهاتفَ يهتف بسجع آخر فى المعنى ، فرجع إلى أبيها ، فأخبره بما سمع ، فقال : إن لها لشأنا ، وتركها ، فكانت كاهنةَ قُرَيْش ، فقالت يوما لبنى زُهْرة : إن فيكم نذيرةً ، أو تلد نذيراً ، فاعْرِضوا علىَّ بناتكم ، فعُرِضْنَ عليها ، فقالت فى كل واحدة منهن قولا ظهر بعد حين ، حتى عُرِضت عليها آمنةُ بنتُ وَهْبٍ ، فقالت : هذه النذيرةُ ، أو تلد نذيرا ، وهو خبر طويلٌ ذكر الزُّبَيْرُ منه يسيرا ، وأورده بطوله أبو بكر النَّقَّاشُ ، وفيه ذكر جَهَنَّمَ — أعاذنا اللهُ منها — ولم يكن اسمُ جَهَنَّمَ ، مَسْمُوعا به عندهم ، فقالوا لها : وماجَهَنَّم ، فقالت : سيخبركم النذيرُ عنها (١) .

---

(٢) ليس صدق النبوة فى حاجة إلى أن نكذب له . وتصديق مثل هذه المفتريات تكذيب للقرآن الذى يؤكد أن علم الغيب إنما هو لله وحده . وإذا كان محمد « ص » نفسه لم يكن يعرف الإيمان قبل النبوة ، ولم يكن يعرف بالتالى أنه نبى ، فكيف ننسب هذا العلم إلى غيره من طواغيت الوثنية ؟ ! هذا وبعض اللغويين يقول عن جهنم : إنها معربة ، والأكثرون على أنها عربية أصيلة من جهنام مثلثة الجيم - يقال : ركية جهنام أو جهنم : بعيدة القعر وحديث عاصم بن عمرو هو فى البداية عاصم بن عمر بن قتادة الأنصارى ، وفى تفسير ابن كثير : عاصم بن عمرو عن قتادة . ورواه ابن إسحاق أيضا عن محمد بن أبى محمد عن عكرمة ، أو سعيد ابن جبير عن ابن عباس أن يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه ، فلما بعثه الله من العرب كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون فيه ، فقال لهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء بن معرور وداود ابن سلمة : يامعشر يهود اتقوا الله وأسلموا ، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد صلى الله عليه وسلم ، ونحن أهل شرك ، وتخبروننا بأنه مبعوث ، وتصفونه بصفته ، =

إنذار يهود برسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن سحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قَتَادة ، عن رجال من قومه، قالوا : إن مما دعانا إلى الإسلام ، مع رحمة الله تعالى وهُداه ، لِمَا كنّا نسمع من رجال يَهود ، كنّا أهلَ شِرْك أصحابَ أوثان ، وكانوا أهلَ كتاب ، عندهم علمٌ ليس لنا ، وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور ، فإذا نِلْنا منهم بعضَ ما يكرهون ، قالوا لنا : إنه تقارب زمانُ نبيّ يُبعَث الآن نقتلُكم معه قَتْلَ عادٍ وإرَم ، فكنّا كثيراً ما نسمع ذلك منهم ، فلما بعث الله رسولَه صلى الله عليه وسلم أجَبْناه حين دعانا إلى الله تعالى ، وعرَفنا ما كانوا يتوعّدوننا به ، فبادرناهم إليه ، فآمنّا به ، وكفروا به ، ففينا وفيهم نَزل هؤلاء الآياتِ من البقرة : ﴿ وَلَمَّا جاءَهُمْ كِتابٌ مِن عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ ، وكانُوا مِن قَبلُ يَسْتَفْتِحُونَ على الَّذِين كَفَرُوا فَلَمَّا جاءَهُمْ ما عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ؛ فَلَعْنَةُ اللهِ على الكافِرِين ﴾ . البقرة : ٧٩

قال ابن هشام : يستفتحون : يستنصرون ، ويستفتحون أيضا : يتحاكمون ، وفي كتاب الله تعالى : ﴿رَبَّنا افْتَحْ بَيْنَنا وَبينَ قَوْمِنا بالحق،

= وقال سلام بن مشكم أخو بني النضير : ما جاءنا بشيء نعرفه ، وما هو بالذي كنا نذكر لكم .

وقال أبو العالية في تفسير الآية : كانت اليهود تستنصر بمحمد صلى الله عليه وسلم على مشركي العرب يقولون : اللهم ابعث هذا النبي الذي نجده مكتوبا عندنا حتى نعذب المشركين ونقتلهم ، فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم ، ورأوا أنه من غيرهم كفروا به حسدا للعرب ، وهم يعلمون أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم . وروى البيهقي : كانت اليهود تقول : اللهم ابعث لنا هذا النبي يحكم بيننا وبين الناس ، يستفتحون به ، أي : يستنصرون به .

رفع المسهم

وأنتَ خَيْرُ الفاتِحِينَ) . الأعراف : ٨٩ .

قال ابن إسحاق : وحدثنى صالحُ بن إبراهيم بن عَبْد الرحمن بن عَوْف عن محمود بن لَبيد أخى بَنى عَبْد الأشْهل عن سَلَمة بن سَلَامة بن وَقْش -وكان سَلَمَةُ من أصحاب بَدْر - قال : كان لنا جارٌ من يَهُودَ فى بنى عَبْد الأشْهل ، قال : فخرج علينا يوما من بيته ، حتى وقف على بنى عَبْد الأشْهل — قال سَلَمَةُ : وأنا يومئذ أحْدثُ مَن فيه سِنًّا ، علىَّ بُرْدةٌ لى ، مُضْطَجِعٌ فيها بفِناء أهلى — فذكر القيامةَ والبَعْث والحِساب والميزان والجنَّة والنار ، قال : فقال ذلك لقوم أهلِ شِرْكٍ أصحاب أوثان ، لا يرَوْن أنّ بعثا كائنٌ بعد الموت ، فقالوا له : وَيْحَكَ يافلان !! أوَ ترى هذا كائنا ، أنّ الناس يُبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنَّة ونار ، يُجزَون فيها بأعمالهم ؟ قال : نعم ، والذى يُحلَف به ، ويَوَدُّ أن له بحظِّه من تلك النار أعظمَ تَنُّورٍ فى الدار ، يُحْمُونه ثم يُدخلونه إياه فيُطَيِّنونه عليه ، بأن يَنْجو من تلك النار غدا ، فقالوا له : وَيحكَ يافلان ! فما آية ذلك ؟ قال : نبىٌّ مَبْعوث من نحو هذه البلاد - وأشار بيده إلى مكة واليمن - فقالوا : ومتى تراه ؟ قال : فنظر إلىَّ ، وأنا من أحدثهم سِنًّا ، فقال : إن يَسْتنفِدْ هذا الغلامُ عمرَه يُدْركه. قال سَلَمة : فو الله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله محمدا رسوله - صلى الله عليه وسلم - وهو حَىٌّ بين أظهرنا ، فآمنَّا به ، وكفر به بَغْيًا وحسداً. قال : فقلنا له : وَيْحكَ يافلان !! ألست الذى قلتَ لنا فيه ما قلت ؟ قال : بلى . ولكنْ ليس به .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عُمر بن قَتادة عن شيخ من بنى قُرَيظة قال :

قال لى : هل تدرى عَمّ كان إسلام ثَعْلبة بن سَعْية وأسِيد بن سَعْية وأسَد ابن عبيد نَفَرٍ من بنى هَدْل ، إخوة بنِي قُريظة ، كانوا معهم فى جاهليتهم ثم كانوا ساداتهم فى الإسلام . قال : قلت : لا ، قال : فإن رجلاً من يَهُودَ من أهل الشام ، يقال له : ابن الهَيِّبان ، قَدِم علينا قُبيل الإسلام بسنين ، فحل بين أَظْهرِنا ، لا والله ما رأينا رجلاً قطُّ لا يصلى الخمس أفضل منه ، فأقام عندنا فكنا إذا قَحط عنا المطرُ قُلْنا له : اخرُج يا ابن الهَيِّبان فاستَسْق لنا ، فيقول : لا والله ، حتى تُقَدِّموا بين يدى مَخْرَجكم صدقةً ، فنقول له : كم ؟ فيقول: صاعا من تمر : أو مُدَّيْن من شَعِير . قال : فنُخرجها ، ثم يَخْرج بنا إلى ظاهر حَرَّتنا ، فيستسقى اللهَ لنا . فوالله ما يَبْرَحُ مجلسه ، حتى تمرّ السحابة ونُسْقَى ، قد فعل ذلك غيرَ مرّة ولا مرتين ولا ثلاث . قال : ثم حَضَرَتْه الوفاةُ عندنا . فلما عَرَف أنه ميّت ، قال : يامعشر يَهُودَ ، ما ترونه أخرجنى من أرض الخَمْر والخَمِير إلى أرض البؤس والجوع ؟ قال : قلنا : إنك أعلم ، قال : فإنى إنما قَدِمتُ هذه البلدةَ أتوكَّف خروجَ نبىّ قد أظَلّ زمانُه ، وهذه البلدة مُهاجَره ، فكنت أرجو أن يُبعثَ ، فأتبعه ، وقد أظلّكم زمانُه ، فلا تُسْبَقُنّ إليه يا معشر يهود ، فإنه يُبعث بسَفْك الدماء ، وسَبْى الذَّرارى والنساء ممّن خالفه . فلا يمنعكم ذلك منه . فلما بُعث رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وحاصَرَ بنى قُرَيظة ، قال هؤلاء الفِتْية ، وكانوا شبابا أحداثا : يا بنى قُرَيظة ، والله إنه للنَّبِيُّ الذى كان عَهِد إليكم فيه ابنُ الهَيِّبان ، قالوا : ليس به ، قالوا : بلى والله ، إنه لهو بصفته ، فنزلوا وأسلموا ، وأحْرزوا دماءهم وأموالَهم وأهليهم .

قال ابن إسحاق : فهذا ما بلغنا عن أخبار يهود .

حديث سلمة :

فصل : وذكر ابن إسحاق حديث سَلَمَة بن سَلَامة بن وَقْشٍ ، وما سمع من اليهودى حين ذكر الجنةَ والنار ، وقال : آية ذلك نبيٌّ : مبعوثٌ قد أظلَّ زمانُه إلى آخر الحديث ، وليس فيه إشكال ، وابن وَقْشٍ يقال فيه : وَقَش بتحريك القاف وتسكينها ، والوَقْش : الحركة (١) .

حديث ابن الهيبان وبنو سعية :

فصل : وذكر حديث ابن الْهَيَّبَان (٢) ، وما بَشَّر به من أَمْرِ النبى — صلى الله عليه وسلم — وأن ذلك كان سببَ إسلام ثعلبة بن سَعْيَة وأَسِيد بن سَعْية وَأَسَدَ بن سَعْيَة، وهم من بنى هَدْل ، والْهَيَّبَانُ من المسمين بالصفات ، يقال: قُطن هَيَّبان أى : منتفش ، وأنشد أبو حنيفة :

---

(١) روى حديث ابن وقش أحمد ، وصححه ابن حبان من طريقه ، ورواه البيهقى عن الحاكم بإسناده من طريق يونس بن بكير « ج ٦ ص ٤٥٤ فتح البارى » ص ٣٠٩ ج ٢ البداية . وقد ورد أن اسم الجار اليهودى هو : يوشع ، وهناك بعض كلمات فى أحمد تخالف ما هنا . فقد ذكر فروة مكان بردة ، ويطبقونه مكان يطينونه . ووضع كلمة نحو مكان: إلى فى قوله: إلى مكة . وذكر : ومتى تراه بدلا من : متى تراه ؟

(٢) معناها : الكثير والجبان والتيس والخفيف والراعى والتراب وزبد أفواه الإبل ، وقد يخفف ، وقد يقال : هيفان . بتضعيف الياء مع فتحها - وقوله فى حديث ابن الهيبان : أتوكف خروج نبى : أنتظر وأستشعر . أظل زمانه : أشرف وقرب .

رفع المسهم

. . . .

تُطِير اللُّغَامَ الْهَيَّبَان ، كأنه جَنَى عُشَرٍ تَنفِيه أشْداقُها الْهُدْلُ (١)

والْهَيَّبَان أيضا : الجبان ، وقد قدمنا الاختلاف فى هَذَلٍ ، وأما أَسِيد ابن سَعْيَة ، فقال إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف المدنى ، عن ابن إسحاق ، وهو أحد رواة المغازى عنه أُسَيد بن سعية بضم الألف ، وقال يونس بن بكير عن ابن إسحاق ، وهو قول الواقدى وغيره أَسِيد بفتحها قال: الدارَقُطْنِي : وهذا هو الصواب ، ولا يصح ما قاله إبراهيم عن ابن إسحاق ، وبنو سَعْيَةَ هؤلاء فيهم أنزل الله عز وجل (٢) ﴿ من أهل الكتاب أُمَّةٌ قائمةٌ ﴾ آل عمران : ١١٣ الآية ، وسَعْية أبوهم يقال له : ابن العريض ، وهو بالسِّين المهملة ، والياء المنقوطة باثنين .

---

(١) البيت لذى الرمة يصف إبلا وإزباد مشافرها ، قال الأزهرى : وجى العشر : يخرج مثل رمانة صغيرة ، فتنشق عن مثل القز ، فشبه لغامها به . . . وهو فى اللسان : تمج . واللغام : زبد أفواه الإبل . والعشر : نوع من الشجر ، يحشى فى المخاد . والهدل : استرخاء المشفر الأسفل من الجمل ، أو عظم الشفة واسترخاؤها . وهدل: جمع هدلاء . وفى الروض : خبى عشر تبقيه وهو خطأ .

(٢) فى ابن كثير نقلا عن ابن عباس أنها نزلت فيمن آمن من أحبار أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأسد بن عبيد ، وثعلبة بن شعبة . وفى مسند أحمد عن ابن مسعود : أخر رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العشاء . ثم خرج إلى المسجد . فإذا الناس ينتظرون الصلاة فقال : أما إنه ليس من أهل هذه الأديان أحد يذكر الله هذه الساعة غيركم . فنزلت : (لَيْسُوا سَوَاء من أهل الكتاب — إلى قوله — والله عليم بالمتقين) .

رفع المسهم

. . . .

سعنة الحبر وإسلامه :

وأما سُعْنَةُ بالنون ، فزيد بن سُعنة حبر من أحبار يهود ، كان قدداين النبيَّ — صلى الله عليه وسلم — فجاءه يتقاضاه قبل الأجل ، فقال : ألا تَقضِينى يامحمد ، فإنكم يابنى عبد المطلب مُطْلٌ ، وما أردت إلا أن أعلم علمكم ، فارتعد عمر ، ودار ، كأنه فى فَلَكَ ، وجعل يلحظ يميناً وشمالاً ، وقال : تقول هذا لرسول الله ياعدوَّ الله ؟ ! فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنا إلى غير هذا منك أحوجُ ياعمر : أنْ تأمرَنى بحسن الأداء ، وتأمرَه بحسن التَّبِعَة ، قم فاقضِهِ عنى ، فو الله ماحل الأجَلُ ، وزده عشرين صاعاً بما روَّعته ، وفى حديث آخر : أنه قال : دعه ؛ فإن لصاحب الحق مقالا ، ويذكر أنه أسلم(١) لما رأى من موافقة وصف النبى عليه السلام لِما كان عنده فى التوراة ، وكان يجده موصوفا بالحلم ، فلما رأى من حِلمه ما رأى أسلم ، وتوفى غازيامع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فى غزوة تَبُوك ، ويقال فى اسمه : سَعْيَة بالياء كما فى الأول ، ولم يذكره الدارقطنى إلا بالنون .

---

(١) روى قصة إسلامه الطبرانى وابن حبان والحاكم وأبو الشيخ فى كتاب أخلاق النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وغيرهم من طريق الوليد بن مسلم عن محمد بن حمزة بن يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه عن جده عن عبد الله بن سلام ، قال زيد بن سعنة : ما من علامات النبوة شىء إلا وقد عرفته فى وجه محمد حين نظرت إليه إلا خصلتين. لم أخبرهما منه : يسبق حلمه جهله ، ولا يزيده شده الجهل عليه إلا حلما . . فذكر الحديث بطوله . . ومدار الحديث على محمد بن أبى السرى الراوى له عن الوليد ، وثقه ابن معين ، ولينه أبو حاتم ، وقال ابن عدى : محمد كثير الغلط . وأخرجه أبو نعيم فى الدلائل.

رفع
المسهم

حديث إسلام سلمان رضى الله عنه

قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصمُ بن عُمر بن قَتادة الأنصارى ، عن محمود بن لَبِيد ، عن عبد الله بن عبّاس ، قال : حدثنى سَلْمان الفارسى مِنْ فيه قال : كنتُ رجلاً فارسيًّا من أهل إصْبَهان من أهل قَرْية يُقال لها : جَىّ ، وكان أبى دِهْقانَ قَرْيته ، وكنتُ أحبَّ خَلْق اللهِ إليه ، لم يزل به حُبُّه إياى حتى حَبسنى فى بيته كما تُحْبَس الجارية ، واجتهدت فى المجوسية حتى كنتُ قَطِنَ النار الذى يوقدها ، لا يتركها تخبو ساعةً . قال : وكانت لأبى ضيعةٌ عظيمة ، قال: فشُغل فى بُنيانٍ له يوماً ، فقال لى : يا بنى ، إنى قد شُغلت فى بُنيانى هذا اليوم عن ضَيْعتى ، فاذهب إليها ، فاطّلعها — وأمَرنى فيها ببعض ما يُريد — ثم قال لى : ولا تَحْتَبِسْ عنى ؛ فإنك إن احتبستَ عنى كنتَ أهم إلى من ضَيْعتى ، وشَغَلْتنى عن كل شىء من أمرى . قال : فخرجت أريد ضيعتَه التى بعثنى إليها ، فمررتُ بكنيسة من كنائس النَّصارى ، فسمعت أصواتَهم فيها وهم يصلُّون ، وكنت لا أدرى ما أمْرُ الناس ، لِحَبْس أبى إيّاى فى بيته ، فلما سمتُ أصواتَهم دخلتُ عليهم ، أنظر ما يَصنْعون ، فلما رأيتُهم ، أعجبتْنى صلاتهم ، ورغبتُ فى أمرهم ، وقلت : هذا والله خير من الدين الذى نحن عليه ، فوالله ما بَرِحْتُهم حتى غَرَبت الشمسُ ، وتركت ضيعة أبى فلم آتِها ، ثم قلت لهم : أين أصْل هذا الدين ؟ قالوا : بالشام . فرجعت إلى أبى ، وقد بعث فى طلبى ، وشغلته عن عمله كله ، فلما جئته قال : أىْ

• • • • • • • •

رفع المسـاهم

بنىّ أين كنت ؟ أو لم أكُنْ عَهِدْتُ إليك ما عهدتُ ؟ قال : قلت له : يا أبتِ ، مررتُ بأناس يصلُّون فى كنيسة لهم ، فأعجبنى ما رأيت من دينهم ، فوالله ما زِلْت عندهم حتى غَرَبت الشمس ، قال : أى بُنى ، ليس فى ذلك الدينِ خيرٌ ، دينُك ، ودينُ آبائك خيرٌ منه ، قال : قلت له : كلا والله ، إنه لخيرٌ من ديننا . قال : نخافنى ، فجعل فى رِجْلَىَّ قيداً ، ثم حبسنى فى بيته .

قال : وبعثت إلى النَّصارى فقلت لهم : إذا قدم عليكم رَكْبٌ من الشام فأخبرونى بهم . قال : فَقَدِم عليهم ركبٌ من الشام تُجار من النصارى ، فأخبرونى بهم ، فقلت لهم : إذا قَضَوْا حوائجهم ، وأرادُوا الرَّجعة إلى بلادهم ، فآذِنونى بهم : قال : فلما أرادوا الرجعة إلى بلادهم ، أخبرونى بهم ، فألقيتُ الحديدَ من رِجلىّ ، ثم خرجت معهم ، حتى قَدِمْت الشام فلما قَدِمتُها قلت : مَنْ أفضلُ أهل هذا الدين عِلْما ؟ قالوا : الأُسقُفّ فى الكنيسة .

قال : فجئته ، فقلت له : إنى قد رَغِبْت فى هذا الدين ، فأحببت أن أكونَ معك ، وأخدُمُك فى كنيستك ، فأتعلَّم منك ، وأصلى معك ، قال : ادخُل ، فدخلت معه . قال : وكان رَجُلَ سَوْء ، يأمرهم بالصدقة ، ويرغِّبهم فيها ، فإذا جمعوا إليه شيئا منها اكتنزه لنفسه ، ولم يُعطه المساكين ، حتى جمع سَبْع قِلال من ذهب ووَرِق . قال . فأبغضتهُ بغضا شديدا ، لما رأيته يَصْنع ، ثم مات ، فاجتمعت إليه النصَّارى ، ليدفنوه ، فقُلْتُ لهم : إنّ هذا كان رجلَ سَوْء ، يأمركم بالصدقة ، ويرغِّبكم فيها ، فإذا جئتموه بها ، اكْتَنَزَها لنفسه ، ولم يُعْطِ المساكينَ منها شيئا . قال : فقالوا لى : وما عِلْمُكَ بذلك ؟

قال : قلت لهم : أنا أدلكم على كنزه ، قالوا : فدُلَّنا عليه ، قال : فأريتهم موضِعَه ، فاستخرجوا سَبْع قِلال مملوءة ذهبا وَوَرِقا . قال : فلما رأوها قالوا : والله لاندفنه أبداً . قال : فصَلبوه ، ورجموه بالحجارة ، وجاءوا برجل آخر ، فجعلوه مكانه .

قال : يقول سلمان : فما رأيتُ رجلا لا يصلى الخمس ، أرىَ أنه كان أفضلَ منه ،وأزهد فى الدنيا ، ولا أرغبَ فى الآخرةولا أدأبَ ليلاولانهاراًمنه . قال : فأحببته حبًا لم أحبَّهشيئا قبله مِثْلَه . قال : فأقمتُ معهزمانا ، ثم حضرتْه الوفاةُ ، فقلتُله : يافلان ، إنى قد كنت معك،وأحببتك حبًّا لم أحبَّه شيئا قبلك ، وقد حَضَركَ ماترى من أمر الله تعالى ، فإلى مَنْ تُوصى بى ؟ وبم تأمرنى ؟ قال : أىْ بُنَىّ ، والله ما أعلم اليوم أحداً على ما كنتُ عليه ، فقد هلك الناس ، وبدّلواوتركوا أكْثَر ما كانواعليه ، إلارجلابالمَوْصِل ، وهو فلان ، وهو على ما كنتُ عليه فالحَق به .

فلما مات وغُيِّب لحقتُ بصاحب المَوْصل ، فقلت له : يا فلان ، إن فلانا أوصانى عند موته أن ألحقَ بك ، وأخبرنى أنكعلى أمره، قال: فقاللى : أقِمْ عندى ، فأقمتُ عنده ، فوجدتُه خيرَ رجلٍ على أمْرِ صاحبه ، فلم يلبث أن مات ، فلما حضرتْه الوفاة ، قلت له يا فلان : إن فلانا أوصى بى إليك ، وأمرنى باللحوق بك ، وقد حضرك من أمر الله ماترى ، فإلى من تُوصى بى ؟ وبِمَ تأمرنى؟ قال : يا بنىّ ، والله ما أعلم رجلاً على مثل ما كنَّا عليه ، إلا رجلا بنَصيبين ، وهو فلان ، فالحق به .

رفع
المسـاهم
غفر الله لها ولوالديه

فلما مات وغُيِّب لحقت بصاحب نَصِيبين ، فأخبرته خبرى ، وما أمرنى به صاحباىَ ، فقال : أَقِمْ عندى ، فأقمتُ عنده فوجدته على أمر صاحبيه . فأقمتُ مع خَيرِ رجلٍ ، فو الله مالَبِث أن نَزل به الموتُ ، فلما حُضِر ، قلت له : يا فلان ، إن فلانا كان أوصى بى إلى فلان ، ثم أوصى بى فلان إليك ، فإلى من تُوصى بى ؟ وبِمَ تأمرنى ؟ قال : يا بنىّ ، والله ما أعلمه بَقِى أحدٌ على أمرنا آمُرك أنْ تأتيه إلا رجلاً بعَمُّورِيَةَ من أرض الروم ، فإنه على مثل ما نحن عليه ، فإن أحببت فأته ، فإنه على أمْرِنا .

فلما مات وغُيِّب لحقت بصاحب عمورية ، فأخبرته خَبرى ، فقال : أقِمْ عندى ، فأقمت عند خَيرِ رجلٍ ، على هَدْى أصحابه وأمْرِهم . قال : واكْتَسَبت حتى كانت لى بقرات وغُنَيمة . قال : ثم نزل به أمرُ الله ، فلما حُضِر ، قلت له : يا فلان ، إنى كنت مع فلان ، فأوصى بى إلى فلان ، ثم أوصى بى فلان إلى فلان ، ثم أوصى بى فلان إليك ، فإلى مَنْ تُوصى بى ؟ وبِمَ تأمرنى ؟ قال : أى بنى ، والله ما أعلمه أصبح اليوم أحد على مثل ما كنَّا عليه من الناس آمرك به أن تأتيه ، ولكنه قد أظلّ زمان نبىّ ، وهو مبعوث بدين إبراهيم عليه السلام ، يخرج بأرض العرب ، مُهاجَره إلى أرض بين حرّتين ، بينهما نخل ، به علامات لا تخفى ، يأكل الهديَّة ، ولا يأكل الصدقة ، وبين كَتفَيْه خاتم النبوّة ، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل .

قال : ثم مات وغُيِّب ، ومكثت بعمّورِيَةَ ماشاء الله أن أمكث ، ثم مر بى نَفَر مِنْ كَلْبٍ تجّار ، فقلت لهم : احملونى إلى أرض العرب ، وأعطيكم بَقراتى

هذه وغُنَيمتى هذه ، قالوا : نعم فأعْطَيتُهُمُوها ، وحملونى معهم ، حتى إذا بلغوا وادى القُرى ظلمونى ، فباعونى من رجل يهودى عَبْداً ، فكنت عنده ، ورأيت النخلَ ، فرجوت أن يكون البلد الذى وَصَف لى صاحبى ، ولم يَحِقّ فى نفسى ، فبينا أنا عنده ، إذ قَدِم عليه ابنُ عمّ له من بَنى قُرَيظة من المدينة ، فابتاعنى منه ، فاحتملنى إلى المدينة ، فو الله ما هو إلا أن رأيتها ، فعرفتها بصِفة صاحبى ، فأقمت بها ، وبُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأقام بمكة ما أقام، لا أسمع له بذكر، مع ما أنا فيه من شغل الرِّقّ ، ثم هاجر إلى المدينة ، فوالله إنى لفى رأس عَذْق لسيدى أعمل له فيه بعضَ العمل ، وسيّدى جالس تحتى ، إذ أقبل ابنُ عمّ له، حتى وقف عليه ، فقال : يا فلان ، قاتل الله بنى قَيْلة ، والله إنهم الآن لمجتمعون بقُباء على رجل قَدِم عليهم من مكّة اليوم ، يزعمون أنه نبىّ .

قال ابن هشام : قيلة : بنت كاهل بن عُذْرة بن سَعْد بن زَيْد بن لَيْث ابن سَوْد بن أسْلُم بن الحافِ بن قُضاعة ، أم الأوس والخزرج .

قال النعمان بن بَشير الأنصارى يمدح الأَوْسَ والخَزْرَجَ :

بهاليلُ مِنْ أولاد قَيْلة لم يَجِدْ ... عليهم خَليطٌ فى مُخالطةٍ عَتْباً
مسَاميح أبْطال يُرَاحُون للندَى ... يَرَوْنَ عليهم فِعْلَ آبائهم نَحْبَا

وهذان البيتان فى قصيدة له :

قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عُمر بن قتادة الأنصارىّ ، عن محمود

رفع
المسهم
غفر الله له ولوالديه

ابن لَبيد ، عن عبد الله بن عبَّاس ، قال: قال سَلْمان : فلما سمعتُها أخذَتنى العُرَواء . قال ابن هشام : العُرَوَاء : الرِّعدة من البرد والانتفاض ، فإن كان مع ذلك عَرَق فهى الرُّحَضاء ، وكلاهما ممدود ـ حتى ظننتُ أنى سأسقط على سيدى ، فنزلت عن النخلة ، فجعلت أقول لابن عمه ذلك : ماذا تقول ؟ ماذا تقول ؟ فغضب سيِّدى ، فلَكمنى لَكْمَةً شديدة ، ثم قال : مالك ولهذا ؟ أقبِلْ على عملك . قال : قلت : لاشىء ، إنما أردت أن أستَثبتَه عما قال .

قال : وقد كان عندى شىء قد جمعته ، فلما أمسيتُ أخذتُه ، ثم ذهبت به إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو بقُباء ، فدخلت عليه ، فقلت له : إنه قد بلغنى أنك رجلٌ صالح ، ومعك أصحاب لك غُرباء ذَوُو حاجة ، وهذا شىء قد كان عندى للصَّدَقة ، فرأيتكم أحقَّ به من غيركم ، قال : فقرَّبته إليه ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأصحابه : كلوا ، وأمسَكَ يدَه ، فلم يأكل . قال : فقلت فى نفسى : هذه واحدة . قال ثم انصرفتُ عنه ، فجَمعت شيئا ، وتحوّل رسول الله ـ صلى الله عليه وسَلَّمَ ـ إلى المدينة ، ثم جئته به، فقلت له: إنى قد رأيتك لا تأكل الصدقة ، فهذه هَديَّة أكرمتكَ بها . قال : فأكل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ منها ، وأمر أصحابه ، فأكلوا معه . قال : فقلت فى نفسى : هاتان ثِنْتَانِ ، قال: ثم جئت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو ببَقِيع الغَرْقَدِ ، قد تَبِعَ جِنَازَةَ رجلٍ من أصحابه، علىَّ شَمْلَتَانِ لى ، وهو جالس فى أصحابه ، فسلَّمت عليه ثم استدرت أنظر إلى ظهره ، هل أرى الخاتَمَ الذى وَصف لى صاحبى ، فلما رآنى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

استَدْبَرْتُه ، عَرَفَ أني أستَثْبِتُ في شيء وُصِف لي ، فألقى رداءه عن ظهره ، فنظرت إلى الخاتم فعرفته ، فأكببت عليه أُقَبِّله ، وأَبْكي . فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : تحوّل ، فتحوّلت فجلستُ بين يديه . فقصصت عليه حديثي ، كما حدّثتُك يابن عبّاس ، فأعجب رسول الله ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ أن يسمع ذلك أصحابُه . ثم شغل سَلْمانَ الرِّقُّ حتى فاته مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بدرٌ و أُحُد .

قال سَلْمانُ : ثم قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : كاتِبْ ياسَلْمان . فكاتبت صاحبي على ثلثمائة نخلة أُحْييها له بالفَقِير ، وأربعين أوقية . فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأصحابه : أعينوا أخاكم ، فأعانوني بالنخل ، الرجلُ بثلاثين وَدِيَّةً ، والرجل بعشرين وَدِيَّةً ، والرجل بخَمْسَ عشرةَ ودِيَّةً ، والرجل بعشرٍ ، يُعين الرجل بقَدر ما عنده ، حتى اجتمعت لي ثلثمائة ودِيَّةٍ ، فقال لي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : اذهب ياسَلْمان فَفَقِّر لها ، فإذا فَرَغت فأْتِني ، أكُنْ أنا أضعها بيدي . قال : فَفَقَّرت ، وأعانني أصحابي ، حتى إذا فرغتُ جئتُه ، فأخبرتُه ، فخرج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ معي إليها ، فجعلنا نقرّب إليه الوَدِيّ ، ويضعه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بيده ، حتى فَرَغْنا . فوالذي نَفْس سَلْمان بيده ، ما ماتت منها وَدِيةٌ واحِدة . قال : فأدّيتُ النخل ، وبَقِي عليّ المال . فأُتِيَ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بمثل بَيْضة الدَّجاجة من ذهب ، من بعض المَعادن ، فقال : ما فعل الفارسيّ المُكاتَب ؟ قال : فدُعيت له ، فقال : خُذْ هذه ، فأدِّها ممَّا عليك ياسَلْمان »

رفع
المسبهم
غفرالله له ولوالديه

قال : قلت : وأين تقع هذه يا رسول الله مما على ؟ فقال : خُذْها ، فإنّ الله سيؤدّى بها عنك . قال : فأخذتها ، فوزنت لهم منها ـ والذى نفسُ سَلْمان بيده ـ أربعينَ أوقية ، فأوفيتهم حقَّهم منها ، وعَتَق سَلْمانُ . فشهدتُ مع رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ الخَنْدَقَ حُرًّا ، ثم لم يَفُتْنى معه مَشْهَدٌ .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يزيد بن أبى حَبيب ، عن رجل من عَبْد القَيْس عن سَلْمان : أنه قال : لمَّا قلت : وأين تقع هذه مِنَ الذى علىّ يارسول الله ؟ أخذها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فقلَّبها على لسانه ، ثم قال : خذها فأوْفِهمْ منها . فأخذتها ، فأوفيتهم منها حقَّهم كلَّه ، أربعين أوقية .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عُمَر بن قَتادة ، قال : حدثنى من لاأتهم عن عُمر بن عبدالعزيز بن مَرْوان ، قال : حُدثتُ عن سلمان الفارسىّ : أنه قال : لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين أخبره خبرَه : إنّ صاحبَ عَمُّورِيَة قال له : ائْتِ كذا وكذا من أرض الشام ، فإنّ بها رجلا بين غَيْضَتَيْن ، يخرج فى كل سنة مِن هذه الغَيْضة إلى هذه الغَيْضة مُسْتَجِيزاً ، يعترضه ذَوُو الأسقام ، فلا يدعو لأحدٍ منهم إلا شُفِى ، فاسأله عن هذا الدين الذى تبتغى ، فهو يخبرك عنه ؛ قال سَلْمان : فخرجتُ حتى أتيت حيث وصف لى ، فوجدتُ الناسَ قد اجتمعُوا بمَرْضاهم هنالك ، حتى خرج لهم تلك الليلةَ ، مُسْتَجِيزاً من إحدى الغَيْضَتَيْنِ إلى الأخرى ، فَغَشِيَه الناسُ بمَرْضاهم ، لا يدعو لمريض إلا شُفى ، وغلبونى عليه ، فلم أخلُص إليه حتى دخل الغَيْضة التى يريد أن يدخل ،

إلا مَنْكِبَهُ . قال : فتناولتهُ : فقال : مَنْ هذا ؟ والتفتَ إليَّ ، فقلت : يرحمك الله ، أخبرنى عن الحَنِيفِيَّة دين إبراهيم . قال : إنك لتسألني عن شيء ما يسأل عنه الناسُ اليومَ ، قد أظلَّكَ زمانُ نبيّ يُبعث بهذا الدين من أهل الحرم ، فأْتِه فهو يَحْمِلك عليه . قال : ثم دخل . قال : فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لسلمان : لئن كنتَ صدَقتنى يا سلمان ، لقد لقِيتَ عيسى بنَ مَرْيَم على نبيِّنا وعليه السلام .

حديث سلمان :

فصل : وذكر حديث سَلْمان بطوله ، وقال : كنت من أهل إصْبَهان هكذا قيده البكرى فى كتاب المُعْجَم بالكسر فى الهمزة (١) ، وإصْبَه بالعربية : فَرَسٌ ، وقيل : هو العسكر ، فمعنى الكلمة : موضع العسكر أو الخيل (٢) ، أو نحو هذا . وليس فى حديث سلمان على طوله إشكال ، ووقع فى الأصل

---

(١) فى المراصد : فتح الهمزة هو الأكثر والأشهر .

(٢) فى البكرى : إصبه بلسان الفرس : البلد ، وهان : الفرس ، فمعناه : بلد الفرسان . وقال : إن إصبه بالفارسية : العسكر ، وإن هان معناه : ذاك ، فمعنى الاسم : العسكر ذاك . وفى المراصد : إنها لفظ معرب من سباهان بمعنى : الجيش ، فيكون معناه على حذف المضاف : مدينة الجيش . وإصبهان — كما فى المراصد - مدينة عظيمة ، مشهورة من أعلام المدن وأعيانها . وأصبهان : اسم للاقليم بأسره ، وكانت مدينتها أولا : جىّ ، ثم صارت اليهودية ، وهى من نواحى الجبل .

رفع المسهم

. . . .

فى هذا الحديث : فلما رآنى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — اسْتَدْبَرْتُه ، ورأيت فى حاشية الشيخ : أَسْتَدِيرُ به ، وكذلك وقع فيه : أحييها له بالفَقِير ، وفى حاشية الشيخ : الوجه التَّفْقِير .

أسماء النخلة :

والفَقِيرُ للنَّخلة (١) . يقال لها فى الكَرْمَةِ : حَبِيَّة ، وجمعها : حَيَايَا ، وهى الحَفِيرة ، وإذا خرجت النخلة من النواة فهى : ءَرِيسة ، ثم يقال لها: وَدِيَّة ، ثم فَسِيلة ، ثم أَشَاءَة ، فإذا فاتت اليد فهى : جَبَّارة ، وهى العَضِيد ، والكَتِيلة ، ويقال للتى لم تخرج من النواة ، لكنها اجْتُثَّتْ من جنب أمها: قَلْعَة وجَثِيثة ، وهى الجثائث والهِرَاء ، ويقال للنخلة الطويلة : عَوَانة بلغة عمان ، وعَيْدَانة بلغة غيرهم ، وهى فَيْعَالة من عَدَن (٢) بالمكان ، واختلف فيها قول صاحب كتاب العين ، فجعلها تارة : فَيْعَالة من عَدَن ، ثم جعلها فى باب المعتل العين فَعْلانة .

ومن الفَسِيلة حديث أنس : أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم —

(١) فى الخشنى « أحييها له بالفقير ، أى : بالحفر وبالغرس ، يقال ، فقر الأرض : إذا حفرها ، ومنه سميت البئر : فقيرا . وقال الوقشى : الصواب هنا: التفقير . وأراد الوقشى هنا : المصدر ، وهو الأحسن . والفقير أيضا : البئر تغرس فيها النخلة الصغيرة ، والمكان السهل يحفر فيه ، ومخرج الماء من القناة

(٢) لزم المكان ، فلم يبرحه .

رفع
المستهام
غفر الله له ولوالديه

. . . .

قال : إن قامت الساعة ، وبِيَدِ أحدكم فَسِيلة ، فاستطاع أن يغرسها قبل أن تقوم الساعة ، فلْيَغْرِسها[1] من مصنف حماد بن سلمة . والذين صحبوا سلمان من النصارى كانوا على الحقّ على دين عيسى بن مريم ، وكانوا ثلاثين يُداولُونه سيداً بعد سيد[2] .

من فقه حديث سلمان :

وذكر في آخر الحديث أنه جمع شَيْئاً ، فجاء به النبيّ — صلى الله عليه وسلم — ليختبره : أيأكل الصدقة ، أم لا ، فلم يَسْئله رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أحُرٌّ أنت أم عَبْدٌ ، ولا : من أين لك هذا ، فقى هذا من الفِقْهِ : قبولُ الهديَّةِ وتركُ سؤال المُهْدِى ، وكذلك الصَّدقة .

حكم الصدقة للنبي ومصدر مال سلمان :

وفي الحديث : مَنْ قُدِّمَ إليه طعَامٌ فليأكل ولا يَسْئَل . وذكر أبوعبيد في كتاب الأموال حديث سَلْمَانَ حُجَّةً على من قال إن العبد لا يَملِك ، وقال : لو كان لا يملِك ماقبل النبي — صلى الله عليه وسلم — صدقَتَه ، ولا قال لأصحابه : كلوا صدقته . ذكر غير ابن إسحاق في حديث سَلْمان الوجهَ الذي جمع منه سلمانُ ما أهدى للنبي — صلى الله عليه وسلم — فقال : قال سَلْمان : كنت عبداً لامرأةٍ ، فسألتُ سيدتي أن تهبَ لي يوما ، فعملت في ذلك اليوم على صاع أو

---

(١) أحمد في مسنده ، والبخاري في الأدب المفرد ، وقال السيوطي : ضعيف
(٢) في البخاري : تداول سلمان بضعة عشر من رب إلى رب .

رفع
المسهم
عبد الله الطالع

. . . .

صاعين من تَمْر ، وجئت به النبي – صلى الله عليه وسلم – فلما رأيته لا يأكل الصدقة، سألت سيدتي أن تَهَبَ لي يوما آخر ، فعملت فيه على ذلك، ثم جئت به هدية للنبي – صلى الله عليه وسلم – فقبله وأكل منه، فبيَّن في هذا الرواية الوجهَ الذي جمع منه سلمانُ ما ذُكر في حديث ابن إسحاق ، والصدقة التي قال النبي عليه السلام : لا تحِلُّ لمحمد ، ولا لآل محمد هي المفروضة دون التَّطَوُّع ، قاله الشافعي، غير أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لم يكن تحل له صدقة الفَرض ولا التطوع ، وهو معنى قول مالك .

وقال الثوري : لا تَحِلُّ الصدقة لآل محمد فرضُها ولا نفلُها ولا لمواليهم ، لأن مَوْلَى القوم من أنفسهم، بذلك جاء الحديث. وقال مالك : تحل لمواليهم ، وقالت جماعة، منهم أبو يوسف : لا تَحِلُّ لآل محمد صدقة غيرهم، وتَحِلُّ لهم صدقة بعضهم على بعض ، وهم بنو هاشم وبنو عبد المطلب (١) .

---

(١) في حديث رواه مسلم : إنا لا نأكل الصدقة ، وفي حديث رواه أحمد بإسناد قوي : إنا آل محمد لا تحل لنا الصدقة. ويقول القسطلاني : والحكمة في ذلك صيانة منصبه الشريف عن أوساخ أموال الناس: ويقول الزرقاني عن الصدقة، ولأنها تنبيء عن ذل الآخذ وعز المأخوذ منه . ص ٢٢٠ وما بعدها ج ٥ المواهب اللدنية . أما الهدية فكان يقبلها ، ففي البخاري أنه أهديت إليه ديباج مزررة بالذهب ، فقسمها في ناس من أصحابه ، وعزل منها واحدا لمخرمة بن نوفل . وفيه أيضا أن ملك أيلة أهدى إليه بغلة بيضاء ، فكساه رسول الله بردة وكان أصحابه يهدون إليه ، فيكافئهم أضعافها. وفي حديث سلمان بضع كلمات إليك معناها . دهقان : شيخ القرية العارف بالفلاحة ، وما يصلح الأرض . قطن النار =

. . . .

أول من مات بعد الهجرة :

وقول سَلمان : فأتيت رسول الله وهو فى جنَازَةِ بعض أصحابه . صاحبُه الذى مات فى تلك الأيام : كُلثُوم بن الهِدْم الذى نزل عليه النبى ـ صلى الله عليه وسلم . قال الطبرى : أول من مات من أصحاب النبى ـ صلى الله عليه وسلم بعد قدومه المدينة بأيام قليلة : كُلْثُومُ بن الهِدْمِ (١) ، ثم مات بعده أسعد بن زُرَارَةَ .

فصل : وذكر ابن إسحاق فى مكاتبة سلمان أنه فَقَر لثلاثمائة وَدِيَّةٍ أى : حفر ، وأن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وضعها كلها بيده ، فلم تمت منها وَدِيَّةٌ واحدة ، وذكر البخارى حديث سَلْمَان كما ذكره ابن إسحاق غير أنه ذكر أن سلمان غرس بيده وَدِيَّةً واحدة ، وغرس رسول الله ـ

= خادمها . الأسقف فى الكنيسة : هو عالم النصارى الذى يقيم لهم أمر دينهم ، ويقال : أسقف بتخفيف الفاء أو تضعيفها مع ضم الهمزة وإسكان السين وضم القاف . العذق بفتح العين : النخلة . وبكسرها : الكباسة وهى عنقود النخلة وبها ليل : جمع بهلول ، السيد . يراحون ؛ يهتزون . النحب : النذر . العرواء : الرعدة . الشملة . الكساء الغليظ يلتحف به .

(١) ابن امرىء القيس بن الحارث بن زيد بن عبيد بن زيد بن مالك بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصارى الأوسى . ذكر ابن عقبة وغيره أن النبى « ص » نزل عليه بقباء أول ما قدم المدينة . وآخرون قالوا : إنه نزل على سعد بن خيثمه . قال الواقدى : كان نزوله على كلثوم ، وكان يتحدث فى بيت سعد ابن خيثمة ؛ لأن منزله كان منزل القرآن .

صلى الله عليه وسلم ـ سائرها ، فعاشت كلها إلا التي غرس سلمانُ . هذا معنى حديث البخاري .

أسطورة نزول عيسى قبل بعثة النبي :

فصل : وذكر عن داود بن الحُصَيْن قال : حدثني مَنْ لا أتهم عن عمر ابن عبد العزيز قال : قال سلمانُ للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وذكر خبرَ الرجل الذي كان يخرج مُسْتَجِيزاً من غَيْضَةٍ إلى غَيْضَةٍ ، ويلقاه الناسُ بمرضاهم ، فلا يدعو لمريض إلا شُفِي ، وأن النبي — صلى الله عليه وسلم — قال : إن كنت صَدَقْتَنِي يا سلمان ، فقد رأيتَ عيسى بن مريم . إسنادُ هذا الحديث مقطوع ، وفيه رجل مجهول ، ويقال: إن ذلك الرجلَ هو الحسنُ بن عمارة (١) ، وهو ضعيف بإجماع منهم ، فإنْ صح الحديثُ ، فلا نَكَارَةَ في مَتْنِه ، فقد ذكر الطبري أن المسيح عليه السلام نزل بعد ما رفع ، وأمُّه وامرأةٌ أُخْرى عند الجِذْع الذي فيه الصليب يَبْكِيَان (٢) ، فكلمهما ، وأخبرهما أنه لم يُقْتَل ، وأن الله رفعه

---

(١) وقيل عن الرجل المبهم إنه شيخ عاصم بن عمر بن قتادة . والحديث أيضا منقطع بل معضل بين عمر بن العزيز وسلمان رضى الله عنه . وقوله : لئن كنت صدقتنى الخ غريب جداً بل منكر — كما ذكر ابن الأثير في البداية ص ٣١٤ ح ٢ .

(٢) إنها كذبة صليبية لا يجوز ترديدها . وانتدبر أن الله سبحانه لم يذكر لعيسى عليه السلام سوى ثلاثة أطوار ككل البشر : «والسلام علىَّ يوم وُلدت، ويوم أمُوت ، ويوم أبْعَث حيا » كما قيلت تماما عن يحيي ، والصليبيون يزعمون أنه سينزل ، ويجعل العالم كله يكرز بالإنجيل، وآيات نزوله: عودة ملك سليمان إلى اليهود او من

. . . .

وأرسل إلى الحواريين ، ووجههم إلى البلاد ، وإذا جاز أن ينزل مرة جاز أن ينزل مرارا، ولكن لا يُعلم أنه هو حتى ينزلَ النزول الظاهرَ فيكسر الصليبَ ويقتل الخنزيرَ كما جاء فى الصحيح والله أعلم ، ويروى أنه إذا نزل تزوج امرأة من جُذام(١) ، ويدفن إذا مات فى الرَّوضة التى فيها النبى عليه السلام .

= أين جاء الطبرى وغيره مما زعموه عن نزول عيسى؟ وقد يقال هنا — كما قالوا — لئن صح الخبر ، فإنه يدل على أن عيسى قدهرب من الذى جاءوا يطلبونه ليصلبوه، وأن هؤلاء الطالبين أخذوا غيره ، وأن الذين رأوا عيسى بعد هذا ظنوا أنه بعث بعد صلبه ؛ إذ كانوا يظنون أنه قد أخذ ، وصلب .

(١) لا يستفيد من ترديد مثل هذا سوى الذين يحبون القضاء على الإسلام . وقد روى حديث نزول عيسى الشيخان والترمذى وأحمد ، أما تزوجه فقد ذكره ابن الجوزى فى كتاب الوفا . وقد قيل: إن هذا الحديث معارض فى دلالته بما تدل عليه أحاديث أخرى ،كالحديث الذى ورد فى الصحيحين دالا على أن الحبش سينقضون الكعبة ، والحديث الذى ورد فى البخارى مؤكدا أن بين يدى الساعة أى : قرب مجيئها — أياما ينزل فيها الجهل ، ويرفع العلم ، ويكثر فيها الهرج — أى القتل — وكالحديث الذى شكا فيه بعض الناس لأنس من ظلم الحجاج فقال لهم : اصبروا فإنه لا يأتى عليكم زمان إلا والذى بعده شرٌّ منه حتى تلقوا ربكم ، سمعته من نبيكم . على حين يذكر فى حديث عيسى أنه سيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، وأن المال سيفيض حتى لا يقبله أحد ، كما يؤكد زوال الشحناء والتباغض والتحاسد . فأين هذا من ذاك؟ وهل يعتبر هذا شراً من أيامنا هذه ، كما يقول الحديث السابق ؟ وقيل : إنه معارض أيضا بقوله سبحانه الذى يقص به قول عيسى يوم القيامة : « ما قلت لهم إلا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم ، وكنت عليهم شهيداً مادمت فيهم . فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم ، وأنت على كل شىء شهيد » فأين الحديث هنا عن كسر الصليب وقتل الخنزير ؟ لماذا لم يقل : فلما أنزلتنى فعلت وفعلت ، وعلمت أنهم غيروا ؟!

ذكر ورقة بن نوفل بن أسد بن العزى وعبيد الله

ابن جحش وعثمان بن الحويرث وزيد بن عمرو بن نفيل

قال ابن إسحاق : واجتمعت قُرَيش يوما فى عيدٍ لهم عند صنم من أصنامهم، كانوا يعظِّمونه ويَنْحَرُون له، ويعكُفُون عنده، ويُدِيرون به، وكان ذلك عِيداً لهم، فى كل سنة يوما، فخلَص منهم أربعةُ نَفَر نَجِيًّا، ثم قال بعضُهم لبعض : تصادقُوا، وليكتُم بعضُكم على بعض، قالوا : أجل، وهم : وَرَقة ابن نَوْفل بن أسَد بن عبد العُزَى بن قُصَىّ بن كِلاب بن مُرّة بن كَعْب بن لؤى، وعُبيد الله بن جَحْش بن رِئاب بن يَعْمَر بن صَبْرة بن مُرّة بن كبير بن غَنْم ابن دُودان بن أسد بن خُزَيْمَة، وكانت أمه أُمَيْمَةَ بنت عبد المطلب. وعثمان ابن الحُوَيْرِث بن أسَد بن عبد العُزَّى بن قُصى، وَزَيْد بن عَمْرو بن نُفَيل ابن عبد العُزَّى بن عبد الله بن قُرْط بن رِيَاح بن رِزَاح بن عدىّ بن كَعْب ابن لؤىّ، فقال بعضهم لبعضٍ : تعلَّموا والله ما قومُكم على شىء! لقد أخْطَئوا دينَ أبيهم إبراهيم! ما حَجَرٌ نُطيف به، لا يسمع ولا يُبْصر، ولا يضرّ ولا ينفع؟! ياقوم التمسوا لأنفسكم، فإنكم والله ما أنتم على شىء، فتفرّقوا فى البُلْدان يلتمسون الحنيفية، دينَ إبراهيم.

فأمَّا وَرَقة بن نوفل فاستحكم فى النصرانية، واتَّبعَ الكتبَ من أهلها، حتى علم علما من أهل الكتاب. وأمَّا عُبيد الله بن جَحْش، فأقام على ما هو عليه من الالتباس حتى أسلم، ثم هاجر مع المسلمين إلى الحبشة، ومعه امرأتهُ أمّ

حَبيبة بنت أبي سُفيان مُسْلِمَةً ، فلما قدمها تنصَّر ، وفارق الإسلام ، حتى هلك هنالك نَصْرانيًّا .

قال ابن إسحاق : فحدثني محمد بن جعفر بن الزُّبير ؛ قال : كان عُبَيدالله ابن جَحْش — حين تنصَّر — يَمُرّ بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم هنالك من أرض الحبشة ، فيقول : فقَّحْنا وصَأْصَأْتم ، أي : أبصرنا وأنتم تلتمسون البصر ، ولم تُبصروا بعد ، وذلك أن وَلَد الكَلْب إذا أراد أن يفتح عينيه لينظر ، صأصأ ؛ لينظر . وقوله : فقَّح : فتح عينيه .

قال ابنُ إسحاق : وخَلَف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بعده على امرأته أم حَبيبة بنت أبي سفيان بن حَرْب .

قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن عليّ بن حسين: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث فيها إلى النَّجاشيّ عَمْرو بن أُميَّة الضَّمْريّ ، فخطبها عليه النجاشي ؛ فزوّجه إياها ، وأصدقها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعمائة دينار . فقال محمد بنُ عليّ : ما نرى عبدَ الملك بن مَرْوان وَقَفَ صَدَاقَ النساء على أربعمائة دينار إلا عن ذلك . وكان الذي أمْلكها للنَّبيّ صلى الله عليه وسلم خَالدُ بن سَعيد بن العاص .

قال ابن إسحاق : وأمَّا عثمان بن الحُوَيرث ، فَقَدِمَ على قَيْصَرَ ملك الروم فتنصَّر ، وحسنت منزلته عنده . قال ابن هشام : ولعثمان بن الحُوَيرث عند قيصر حديثٌ ، منعني من ذكره ما ذكرتُ في حديث حرب الفِجار .

قال ابن إسحاق : وأمّا زيد بن عَمْرو بن نُفَيل فوقف ، فلم يدخل فى يهوديَّة ولا نَصْرانية ، وفارق دينَ قومه ؛ فاعتزل الأوثان والمَيْتَة والدم والذبائح التى تذبح على الأوثان ، ونَهَى عن قتل المَوءودة ، وقال : أعْبدُ ربَّ إبراهيم ، وبادَى قومَه بعَيْبِ ما هم عليه .

قال ابن إسحاق : وحدثنى هشام بن عُرْوَة عن أبيه ، عن أمّه أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما ، قال : لقد رأيت زيدَ بن عمرو بن نُفَيل شيخا كبيرا مُسْنِدا ظهرَه إلى الكعبة ، وهو يقول : يا مَعْشَرَ قريش ، والذى نفسُ زيدِ ابن عمرو بيده : ما أصبح منكم أحدٌ على دين إبراهيم غيرى ، ثم يقول : اللهمّ لو أنى أعلم أىّ الوجوه أحبّ إليك عَبدَتك به ، ولكنى لا أعلمه ، ثم يسجد على راحته .

قال ابن إسحاق : وحُدّثت أن ابنَه سعيدَ بن زَيْد بن عمرو بن نُفَيْل وعُمَرَ بن الخطاب ، وهو ابن عمّه ، قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أنَسْتَغْفِر لزيد بن عمرو ؟ قال : نعم ، فإنه يُبعث أمّةً وحده .

وقال زيد بن عمرو بن نُفَيْلٍ فى فِراق دين قومه ، وما كان لَقِىَ منهم فى ذلك :

أرَبًّا وَاحِداً ، أمْ ألفَ رَبٍّ أدينُ إذا تُقُسِّمت الأمُورُ
عَزَلْتُ اللاتَ والعُزَّى جميعاً كَذَلك يَفْعَل الجَلْدُ الصَّبُورُ
فَلا العُزَّى ، أدينُ ولا ابْنَتَيْها ولا صَنَمَىْ بنى عمرٍو أزُورُ

ولا هُبَلاً أدينُ ، وكانَ رَبًّا   لنا في الدَّهرِ إذْ حِلْمِي يَسِيرُ
عَجِبْتُ . وفي اللَّيالي مُعْجِباتٌ   وفي الأيَّامِ يَعْرِفُها البَصيرُ
بأنَّ اللهَ قدْ أفْنَى رجالاً   كثيراً كان شأنَهُمُ الفُجُورُ
وأبقى آخَرين بِبِرِّ قَوْمٍ   فيَرْبُلُ مِنْهُمُ الطفلُ الصَّغيرُ
وَبَيْنا المَرْءُ يعثُرُ ثاب يوما   كما يَتَرَوَّحُ الغُصْنُ المَطيرُ
وَلَكِنْ أعْبُدُ الرَّحمنَ ربي   لِيَغفِرَ ذَنْبِيَ الرَّبُّ الغَفُورُ
فتقْوَى الله رَبِّكُمُ احفَظُوها   مَتى ما تحْفَظُوها . لا تَبُورُوا
تَرَى الأبْرَارَ . دارُهُمُ جِنان   وللكُفَّارِ حامِيَةٌ سَعيرُ
وخِزْيٌ فِي الحَياةِ وَإنْ يَمُوتوا   يُلاقُوا ما تَضِيقُ به الصُّدُورُ

وقال زيد بن عمرو بن نفيل أيضاً — قال ابن هشام : هى لِأُمَيَّةَ بن أبى الصَّلْتِ فى قصيدة له . إلا البيتين الأولين والبيت الخامس وآخرها بيتا . وعجز البيت الأول عن غير ابن إسحاق : —

إلى اللهِ أُهْدِي مِدْحتي وثَنائِيا   وقَوْلاً رَصِينا لا يَنِي الدَّهرَ باقِياَ
إلى المَلِك الأعلى الذى ليس فوقه   إله ، وَلا رَبٌّ يكونُ مُدانِيا
ألا أيها الإنسانُ إيَّاك والرَّدَى   فإنَّك لا تخْفِي مِنَ اللهِ خافِياَ
وإيَّاكَ لا تجْعَلْ مَعَ الله غيرَه   فإنَّ سَبيلَ الرُّشْد أصبحَ بادِياَ
حَنانَيْكَ إن الجن كانت رَجاءَهم   وأنتَ إلهى رَبُّنا وَرَجائِياَ
رضيتُ بكَ — اللّهم — رَبًّا فلن أرَى   أدينُ إلهاً غيركَ اللهُ ثانِيا

وأنت الذى مِنْ فضلِ مَنٍّ ورحمة بعثتَ إلى موسى رسولاً مُنادِيًا

فقلت له : يااذْهَبْ وهارون فادْعُوا إلى الله فِرْعَوْنَ الذى كان طاغيا

وقولا له : آأنتَ سَوّيتَ هذه بلا وَتَدٍ ، حتى اطمأنَّتْ كما هيا

وقولا له : آأنت رفَّعت هذه بلا عَمَدٍ ، أَرْفِقْ ـ إذاً ـ بك بانيا

وقولا له : آأنت سوّيت وَسْطها مُنيراً ، إذا ما جَنَّه الَّليلُ هاديا

وقولا له : من يُرْسِلُ الشمسَ غُدوةً

فيُصْبِح ما مسَّت من الأرض ضاحيا

وقولا له : من يُنْبت الحبَّ فى الثَّرَى

فيُصبح منه البَقْلُ يَهْـتزّ رابيا

ويُخرج منه حبَّه فى رءوسه وفى ذاك آياتٌ لمن كان وَاعِيا

وأنت بفَضْلٍ منكَ نَجَّيْت يُونُسًا وقد بات فى أضعاف حُوتٍ لياليا

وإنى لو سَبَّحْتُ باسمِكَ رَبَّنا لَأُكْثِرُ ـ إلا ماغفرتَ ـ خَطائيا

فربَّ العِبادِ أَلْقِ سَيْبا ورحَمةً علىَّ ، وبارِكْ فى بَنِىَّ وماليا

وقال زيد بن عمرو يعاتب امرأته صفية بنت الحضرمىّ .

قال ابن هشام : واسم الحضرمىّ : عبدُ الله أحد الصَّدِف، واسم الصَّدف : عمرو بن مالك أحد السَّكُون بن أشْرَس بن كِنْدِىّ ، ويقال : كِنْدة بنُ ثَوْر بن مُرْتِعٍ بن عُفَيْر بن عَدِىّ بن الحارث بن مُرّة بن أُدَدَ ابن زيد بن مِهْسَع ابن عمرو ابن عَريب بن زيد بن كَهْلاَنِ بن سبأ ، ويقال : مُرْتِع بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ .

قال ابن إسحاق: وكان زيد بن عمرو قد أجمع الخروجَ من مكة، ليضرب في الأرض يطلب الحنيفية دين إبراهيم صلى الله عليه وسلم، فكانت صَفية بنت الحضرمي كلما رأته قد تهيأ للخروج، وأراده؛ آذنت به الخطّاب بن نُفَيل، وكان الخطّاب ابنُ نُفَيل عمه وأخاه لأمه، وكان يعاتبه على فِراق دين قومه، وكان الخطّاب قد وكَّل صفيَّة به، وقال: إذا رأيتيه قد همَّ بأمر فآذِنيني به — فقال زيد:

لا تحبسيني في الهَوا ن صَفيَّ ما دابي ودابُهْ
إني إذا خِفْت الهَوا ن، مُشَيَّعٌ ذُلُلٌ رِكابه
دُعْمُوصُ أبوابِ المُلو ك وجائبٌ للخَرْقِ نابُه
قَطَّاع أسباب تَذِل بغير أقران صِعابه
وإنما أخذ الهَوا نَ العَيْرُ إذ يُوهَى إهابه
ويقول: إني لا أذلّ بصكّ جَنْبيه صِلابه
وأخي ابن أمي، ثم عَمِّـ ـيَ لا يُواتيني خطابه
وإذا يُعاتبني بسُو ء قلت: أعياني جَوابه
ولو أشاء لقُلْتُ: ما عندي مَفاتحُهُ وبابه

قال ابن إسحاق: وحُدِّثت عن بعض أهل زَيْد بن عمرو بن نُفَيل: أن زيداً إذا كان استقبل الكعبة داخل المسجد، قال: لبَّيك حقًّا حقا، تعبُّداً ورِقًّا.

. . . .

عُذْت بما عاذ به إبراهيم ، مستقبلَ القبلة ، وهو قائمٌ

إذ قال :

أنفي لك اللهمّ عانٍ راغمُ مهما تُجَشِّمْني فإني جاشمُ

البرَّ أبغي لا الخال ، ليس مُهَجِّرٌ كمن قال .

قال ابن هشام : ويقال : البر أبقَى لا الخال ، ليس مُهَجِّرٌ كمن قال : قال وقوله : « مستقبل الكعبة » عن بعض أهل العلم .

قال ابن إسحاق : وقال زيد بن عمرو بن نُفيل :

وأسلمْت وَجْهي لمن أسلمت له الأرضُ تحمِلُ صخْراً ثِقالا

دَحاها فلمّا رآها استوَت على الماء ، أرسى عليها الجبالا

وأسلمْت وَجْهي لمن أسلمتْ له الْمُزْنُ تحمِل عَذْبا زُلالا

إذا هي سِيقَت إلى بَلْدَةٍ أطاعَت ، فصَبَّت عليها سِجالا

وكان الخطاب قد آذى زيدا ، حتى أخرجه إلى أعلى مكة ، فنزل حِراء مقابل مكة ، ووكّل به الخطابُ شبابا من شباب قريش وسفهاء من سفهائهم ، فقال لهم : لا تتركوه يدخل مكة ، فكان لا يدخلها إلا سرّا منهم ، فإذا علموا بذلك ، آذنوا به الخطّاب ، فأخرجوه ، وآذَوْه كراهيةَ أن يُفْسد عليهم دينَهُم ، وأن يُتابعه أحدٌ منهم على فِراقه . فقال - وهو يعظِّم حُرْمته على من استحلّ منه ما استحل من قومه :

. . . .

رفع المسلم

لَاهُمَّ إنى مُحْرِمٌ لا حِلَّهْ وإنّ بَيْتِى أَوْسَطَ الْمَحِلَّهْ

عند الصَّفَا ليس بذى مَضَلَّهْ

ثم خرج يطلب دينَ إبراهيم عليه السلام ، ويسأل الرهبان والأحْبار ، حتى بلغ المَوْصِلَ والجزيرة كلَّها ، ثم أقبل فجال الشَّامَ كلَّه ، حتى انتهى إلى راهب بِمَيْفَعَةَ من أرض البَلْقاء ، كان ينتهِى إليه عِلْمُ أهلِ النَّصرانية فيما يزعمون ، فسأله عن الحنيفِيَّةِ دين إبراهيم ، فقال : إنك لتطلب دينا ما أنت بواجدٍ مَنْ يَحْمِلُك عليه اليومَ ، ولكن قد أظلَّ زمانُ نبيّ يخرج من بلادك التى خرجت منها ، يُبعث بدين إبراهيم الحنيفيَّة ، فالْحَق بها ، فإنه مبعوثٌ الآن ، هذا زمانه ، وقد كان شامَّ اليهوديةَ والنَّصرانيةَ ، فلم يَرْضَ شيئاً منهما ، فخرج سريعاً ، حين قال له ذلك الراهبُ ما قال ، يريد مكة ، حتى إذا توسَّط بلاد لَخْمٍ ، عَدَوْا عليه فقتلوه ـ فقال وَرَقَةُ بن نوفل بن أسَد يبكيه :

رَشَدْتَ ، وأنعمتَ ابنَ عمرو ، وإنما تجنَّبت تنُّوراً من النَّار حامياً

بِدِينِكَ رباًّ ليس ربٌّ كمِثْله وتَرْكِكَ أوثانَ الطَّواغى كما هِيا

وإدْرَاكِكَ الدينَ الذى قد طلبتَه ولم تَكُ عن تَوْحيد ربِّك ساهيا

فأصبحت فى دارٍ كريمٍ مُقامُها تُعَلَّلُ فيها بالكرامة لاهيا

تُلاقى خَليلَ الله فيها ، ولم تكُنْ من النَّاس جَبَّاراً إلى الدار هاويا

وقد تُدرِكُ الإنسانَ رحمةُ ربِّه ولو كان تحت الأرض سبعين واديا

قال ابن هشام : يُروى لِأُمَيَّةَ بن أبى الصَّلْت البيتان الأولان منها ، وآخرها

بيتا فى قصيدة له . وقوله : « أوثان الطواغى » عن غير ابن إسحاق .

ذكر حديث ورقة بن نوفل :

فصل : وذكر حديث وَرَقَة بن نوفل (١) ، وعبيد الله بن جَحْش ، وعثمان ابن الْحُوَيْرِث ، وزَيْد بن عَمْرو بن نُفَيْل وما تَنَاجَوْا به ، وقال : زيد بن عمرو ابن نفيل إلى آخر النسب ، والمعروفُ فى نسبه ونسب ابن عمه عمر بن الخطاب : نُفَيل بن رِياح(٢) بن عبد الله بن قُرْط بن رِزاح(٣) بتقديم رياح على

---

(١) نسب ورقة ، هو ابن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب وقد تقدم الكلام عنه . وفى الصحيحين ما يدل على أنه لقى النبى ، ولكنه مات قبل أن يدعو رسول الله إلى الإسلام . وحديث رؤية النبى لورقة فى الجنة حديثه منقطع ، وحديث أنه سأل رسول الله « ص » عن كيفية مجىء الوحى ، وأنه قال : يأتينى من السماء وجناحاه لؤلؤ ، وباطن قدميه أخضر . هذا مروى عن طريق روح بن مسافر ، وهو أحد الضعفاء ، والحديث فى روايته سماع ابن عباس من ورقة ، وابن عساكر يقول : لم يسمع ابن عباس من ورقة ، ولا أعرف أحدا قال : إنه أسلم .

(٢) فى الإصابة : نفيل بن عبد العزى بن رياح .

(٣) فى الإصابة بعده : ابن عدى بن كعب بن لؤى بن غالب . وإليك ما ذكر المصعب الزبيرى عن هذا النسب : عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح ابن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر « ٣٤٦ نسب قريش » ورزاح بكسر الراء وفتحها . والفتح عند الدارقطنى . وقد وردت عن زيد عدة أحاديث ، منها مارواه البخارى ، وفيه : « كان يحيى الموءودة يقول للرجل ، إذا أراد أن يقتل ابنته : لا تقتلها أنا أكفيكها مؤنتها ، فيأخذها ، فإذا ترعرعت قال لأبيها : إن شئت دفعتها إليك ، وإن شئت كفيتك مؤنتها » .

وحديث إسناد ظهره إلى الكعبة ـ وسيأتى فى الروض ـ أخرجه البخارى من

رفع المسهم غفر الله له ولوالديه

. . . .

عبد الله ، ورِزاح بكسر الراء قيده الشيخُ أبو بحر ، وزَعم الدارَقُطنى أنه رَزاح بالفتح ، وإنما رِزاح بالكسر : رِزاح بن ربيعة أخو قُصَىٍّ لأمه الذى تقدم ذكره(١) .

الزواج من امرأة الأب فى الجاهلية :

وأمُّ زيد هى : الحَيْدَاء بنت خالد الفَهْمية ، وهى امرأة جده نُفَيْل ولدت له الخَطَّابَ (٢) فهو أخو الخطاب لأمه ، وابن أخيه ، وكان ذلك مُبَاحا فى الجاهلية بشرع متقدِّمٍ(٣) ، ولم تكن من الحُرُمَاتِ التى انتهكوها ، ولا من العظائم التى ابتدعوها ، لأنه أمر كان فى عمود نسب رسول الله — صلى الله

طريق هشام من طريق الليث تعليقا ، والنسائى من طريق أبى أسامة ، والبغوى من طريق على بن مسهر كلهم عن هشام ، وزادوا فيه : « يحيى الموءودة يقول للرجل إن أراد أن يقتل ابنته : لا تقتلها ، فأنا أكفيك مؤونتها » ، وورد فى رواية الطبرانى أنه كان يسجد للكعبة بدلا من راحته وقال عنه ابن دريد فى الجمهرة : رفض الأوثان فى الجاهلية ، وامتنع من أكل ما ذبح لغير الله — عز وجل — والتزم الحنيفية دين إبراهيم ، إلى أن قتله أهل ميفعة ، قرية من قرى البلقاء بقرب دمشق من لخم أو جذام .

(١) والحديث الذى ذكره ابن إسحاق ، وفيه سؤال سعيد بن زيد وعمر ، بن الخطاب لرسول صلى الله عليه وسلم الاستغفار لزيد . . . فى رواية أحمد والطبرانى والبزار أن سعيدا هو الذى سأل ، وقال البيهقى عن الحديث : فيه المسعودى وقد اختلط ، وبقية رجاله ثقات .

(٢) وكان عمرو بن نفيل قد خلف على امرأة أبيه بعد أبيه ، وكان لها من نفيل أخوه الخطاب .

(٣) من أين له هذا ؟

رفع
المسهم
عز الله لطاعته

. . . .

عليه وسلم — فكنانة تزوج امرأة أبيه خُزَيْمة ، وهي بَرَّةُ بنت مُرٍّ ، فولدت له النَّضْرَ بن كنانة ، وهاشمٌ أيضا قد تزوج امرأة أبيه واقدة فولدت له ضعيفة (١) ، ولكن هو خارج عن عمود نسب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لأنها لم تلد جدًّا له ، أعني : واقِدة ، وقد قال عليه السلام : أنا من نكاح لا من سِفاح (٢) ، ولذلك قال سبحانه : (ولاَ تَنْكِحُوا ما نكح آباؤكم من النساء إلاَّ ما قد سَلَف) النساء : ٢٢ . أى : إلا ما سلف من تحليل ذلك قبل الإسلام : وفائدة هذا الاستثناء ألاَّ يُعاب نسبُ رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) وليعلم أنه لم يكن في أجداده من كان لِغَيَّةٍ (٤) ولا من سِفاح . ألا نرى أنه لم يقل في شيء نهى عنه في القرآن : إلا ما قد سلف ، نحو قوله : (ولا تقربوا الزِّنا) ولم يقل إلا ما قد سلف : (ولا تقتلوا النفسَ التى حَرَّم الله) الإسراء : ٣٠ ولم يقل إلا ما قد سلف ، ولا في شيء من المعاصي التى نهى عنها إلا في هذه ، وفي الجمع بين الأختين ؛ لأن الجمع بين الأختين قد كان مباحا أيضا في شرع من قبلنا ، وقد جمع يعقوبُ بين راحِيل وأختها لِيا (٥) فقوله : إلا ما قد سلف

---

(١) يقول المصعب الزبيرى في نسب قريش ص ١٧ : « وكانت ضعيفة بنت هاشم عند عبد مناف بن زهرة بن كلاب ، فولدت له عبد يغوث ، وعبيد يغوث »

(٢) لا ريب في طهارة نسبه الشريف ، ولا ريب في أنه كان من نكاح صحيح بين عبد الله أبيه وآمنة أمه . لكن هذه الأحاديث التى ترفع هذه الشكلية ، حتى آدم أحاديث ضعيفة ، ولهذا لم يخرجها أحد من أصحاب الكتب الستة ، فلا تراها إلا عند ابن سعد وابن عساكر وابن أبي شيبة . وأحسن تعبير عن هذه الحقيقة جزء من حديث أخرجه أبو نعيم : « لم يلتق أبواى قط على سفاح » .

(٣) لا يجوز قصر الآية على ما ذكر وحده .

(٤) الزِّنا ، وتقال بكسر الغين وفتحها .

(٥) هما في سفر التكوين : راحيل وليئة ابنتا لابان ، وقصتهما مع يعقوب =

رفع
المسَهم
عبد الله الهوالحبي

. . . .

الْتِفَاتَةٌ إلى هذا المعنى، وتنبيه على هذا المغزَى ، وهذه النكتة لَقِنْتُها من شيخنا الإمام الحافظ أبي بكر محمد بن العربى ـ رحمه الله ـ وزيد هذا هو : والد سعيد ابن زيد أحد العشرة الذين شُهِد لهم بالجنة ، وأم سعيد : فاطمة بنت نَعْجَة ابن خلف الْخُزاعى [عند الزبير : بَعْجَة بن أُمَيَّة بن خُوَيْلِد بن خالد بن اليعمر بن خزَاعة] .

تفسير بعض قول ابن جحش :

وذكر قول عبد الله بن جحش حين تنصر بالحبشة : فَقَّحْنا وصَأْصَأْتُم ، وشرح فَقَّحْنا بقوله : فَقَّح الجَرُوُ : إذا فتح عينيه ، وهكذا ذكره أبو عبيد ، وزاد: جَصَّص أيضا ، وذكر أبو عبيد : بَصَّص بالباء حكاها عن أبي زيد (١) ، وقال القالى : إنما رواه البصريون عن أبي زيد بياء منقوطة باثنتين ، لأن الياء تبدل من الجيم كثيرا كما تقول : أيل وأجل ، ولرواية أبي عبيد وَجْهٌ ، وهو أن يكون بَصَّص من البصيص ، وهو البريق .

بعض الذين تنصروا :

فصل : وذكر عثمان بن الْحُوَيْرِث مع زيد ، وورقة وعبيدالله بن جحش ، ثم قال : وأما عثمان بن الحويرث فإنه ذهب إلى الشام ، وله فيها مع قيصر خبر ، ولم يذكر ذلك الخبر ، وذكر الْبَرْقِيُّ عن ابن إسحاق أن عثمان بن الْحُوَيْرِث قدم على قيصر ، فقال له : إنى أجعل لك خَرْجا على قريش إن جاءوا

= فى الإصحاح التاسع والعشرين من التكوين ، وفيه أن لابان خدع يعقوب وزوجه غير التى كان يريدها أولا ، لأنها الكبرى ، ثم زوجه ليئة .

(١) فى القاموس : بصص الجرو : جصص . وانظر ص ١٣٦ نوادر أبي زيد

الشام لتجارتهم ، وإلا منعتهم ، فأراد قيصر أن يفعل فخرج سعيد بن العاصى ابن أُمَيَّة وأبو ذئب ، وهو : هشام بن شُعْبة بن عبد الله بن أبى قيس بن عبدوَدٍّ بن نَصْر بن مالك بن حِسْل بن عامر إلى الشام ، فأُخذا فحبسا ، فمات أبو ذئب فى الحبس ، وأما سعيد بن العاص ، فإنه خرج الوليد بن المغيرة ، وهو أمية فتخلصوه فى حديث طويل ، رواه ابن إسحاق عن يعقوب بن عُتْبَة بن المغيرة ابن الأَخْنَسِ . وأبو ذئب الذى ذكر هو : جد الفقيه محمد بن عبد الرحمن ابن المغيرة بن الحارث بن أبى ذئب ، يُكَنَّى : أبا الحارث من فقهاء المدينة، وأمه بُرَيْهَةُ بنت عبد الرحمن بن أبى ذئب ، وأما الزبير فذكر أن قيصر كان قد توّج عُثْمانَ ، وولاّه أمر مكة ، فلما جاءهم بذلك أنِفوا من أن يدينوا الملك ، وصاح الأسود بن أسد بن عبد العزى : ألا إنَّ مكة حَىٌّ لَقَاحٌ لا تدين الملك (١) . فلم يتم له مرادُه ، قال : وكان يقال له : البِطْرِيق (٢) ، ولا عقب له ، ومات بالشام مسموما ، سمه عَمْرُو بن جَفْنَة الغَسَّانى الملك .

اعتزال زيد بن عمرو بن نفيل الأوثان :

فصل : وذكر اعتزال زيد الأوثان وتركه طواغيتَهم ، وتركه أكل ما نُحِرَ [على الأوثان] (٣) والنُّصُبِ . روى البخارى عن محمد بن أبى بكر ،

---

(١) أى لا تخضع للملوك .

(٢) فى القاموس : البطريق : كـكبريت ، القائد من قواد الروم تحت يده عشرة آلاف رجل ، ثم الطرخان على خمسة آلاف ، ثم القـومـس على مائتين ، والمختال .

(٣) ما بين القوسين زدته من السيرة .

رفع المسهم

. . . .

قال : أخبرنا فُضَيْل بن سليمان ، قال : أخبرنا موسى ، قال : حدثنى سالم ابن عبد الله ، عن عبد الله بن عمر : أن النبى – صلى الله عليه وسلم – لقى زيدَ ابن عَمْرو بن نُفَيْل بأسفل بَلْدَح (١) قبل أن ينزل على النبى – عليه السلام – الوحى ، فقُدِّمت إلى النبى – صلى الله عليه وسلم ، سُفْرةٌ أو قَدَّمها إليه النبىُّ صلى الله عليه وسلم، فأبى أن يأكل منها ، ثم قال زيد: إنى لست آكل ماتذبحون على أنصابكم ، ولا آكل إلا ماذُكر اسمُ الله عليه ، وأن زيد بن عمرو بن نفيل كان يعيب على قريش ذبائحهم ، ويقول : الشاةُ خلقها الله ، وأنزل لها من السماء الماء ، وأنبت لها من الأرض الْكَلَأَ ، ثم تذبحونها على غير اسم الله ؟! إنكاراً لذلك ، وإعظاما له . قال موسى بن سالم بن عبد الله : ولا أعلم إلا ما تُحدث به عن ابن عمر أن زيد بن عمرو بن نُفَيْل خرج إلى الشام يسأل عن الدين ، ويَتْبعُه ، فلقى عالما من اليهود فسأله عن دينهم ، وقال له إنى لعلى أن أدين بدينكم ، فأخبِرُونى ، فقال: لا تكون على ديننا ، حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله ، قال زيد : ما أفرُّ إلا من غضب الله ، ولا أحمل من غضب الله شيئاً أبداً ، وأنَّى أستطيعه ، فهل تدلنى على غيره؟ قال: ما أعلمه إلا أن يكون حنيفا ، قال: وما الحنيف؟ قال: دين إبراهيم ، لم يكن يهوديا ولا نَصْرانيا ، ولا يعبد إلا الله ، فخرج زيد فلقى عالما من النصارى ، فذكر مثله ، فقال لن : تكون على ديننا ، حتى تأخذ بنصيبك من لعنة الله ، قال: ما أفرّ إلا من لعنة الله ، ولا أحمل من لعنة الله ، ولا من غضبه شيئاً أبدا ، وأنى أستطيع ، فهل تدلنى على غيره ؟ قال : ما أعلمه إلا أن

---

(١) بلدح : واد قبل مكة من جهة المغرب ، أو مكان فى طريق التنعيم .

رفع المسهم

. . . .

يكون حنيفا ، قال: وما الحنيفُ ؟ قال: دين إبراهيم لم يكن يهوديا ولا نصرانيا، ولا يعبد إلا الله ، فلما رأى زيد قولهم فى إبراهيم خرج ، فلما برز رفع يديه، فقال: اللهم إنى أُشْهِدُكَ أنى على دين إبراهيم. وقال الليث: كتب إلىّ هشام بن عُرْوَةَ عن أبيه، عن أسماء بنت أبى بكر الصديق – رضى الله عنه – قالت: رأيت زيد بن عمرو بن نُفَيْل قائما مُسنِداً ظهرَه إلى الكعبة ، يقول : يا معشر قريش ، والله ما منكم على دين إبراهيم غيرى، وكان يُحْيِي الْمَوْءودة، يقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته: لا تقتلها، أكفيك مَئُونتها، فيأخذها، فإذا تَرَعْرَعَت قال لأبيها : إن شئت دفعتها إليك، وإن شئت كفيتك مَئُونتها. إلى هاهنا انتهى حديث البخارى.

وفيه سؤال يقال: كيف وفق الله زيداً إلى ترك أكل ما ذبح على النُّصُب، وما لم يذكر اسمُ الله عليه ، ورسول الله – صلى الله عليه وسلم – كان أولى بهذه الفضيلة فى الجاهلية لما ثبت الله له ؟ فالجواب من وجهين ، أحدهما : أنه ليس فى الحديث حين لقيه بِبَلْدَح ، فقُدِّمت إليه السُّفْرَة أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أكل منها ، وإنما فى الحديث أن زيداً قال حين قُدِّمت السفرة : لا آكل مما لم يُذكر اسم الله عليه : الجواب الثانى (١): أن زيداً إنما فعل ذلك برأى

---

(١) جوابه الثانى غير مقبول ، وزعمه أن ما ذبح لغير الله لم يكن محرما فى دين إبراهيم قول بغير دليل . والأنصاب : أحجار كانت حول الكعبة يذبحون عليها للأصنام . وإليك بعض الآراء حول هذا الحديث .

قال ابن بطال: كانت السفرة لقريش قدموها للنبى، فأبى أن يأكل منها ، فقدمها النبى « صلى الله عليه وسلم » لزيد بن عمرو ، فأبى أن يأكل منها ، وقال مخاطباً لقريش الذين قدموها أولا : إنا لا نأكل ما ذبح على أنصابكم . وقال صاحب الفتح : وما قاله محتمل ، لكن لا أدرى من أين له الجزم بتلك .

رفع
المسهم

رآه، لا بشرع متقدم، وإنما تقدم شرع إبراهيم بتحريم الميتة، لا بتحريم ماذُبح لغير الله، وإنما نزل تحريمُ ذلك فى الإسلام، وبعض الأصوليين يقولون: الأشياء قبل وُرود الشرع عَلَى الإباحة، فإن قلنا بهذا، وقلنا إن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم كان يأكل مما ذُبح على النصب، فإنما فعل أمراً مباحا، وإن كان لا يأكل منها فلا إشكال، وإن قلنا أيضاً: إنها ليست على الإباحة، ولا على التحريم، وهو الصحيح، فالذبائح خاصةً لها أصل فى تحليلِ الشرع المتقدم كالشاة والبعير، ونحو ذلك، مما أحلَّه الله تعالى فى دين من كان قبلنا، ولم يقدَحْ فى ذلك التحليل المتقدم ما ابتدعوه، حتى جاء الإسلام، وأنزل الله سبحانه: (ولا تأكُلوا ممَّا لم يُذكر اسمُ الله عليه) الأنعام: ١٢١. ألا ترى كيف بَقيت ذبائحُ أهل الكتاب عندنا على أصلِ التحليل بالشَّرْع المتقدِّم، ولم يقدَحْ فى التحليل ما أحدثوه من

ـــ وقال الخطابى. كان النبى «صلى الله عليه وسلم» لا يأكل مما يذبحون عليها للأصنام، ويأكل ماعدا ذلك، وإن كانوا لا يذكرون اسم الله عليه، لأن الشرع لم يكن نزل بعد، بل لم ينزل الشرع بمنع أكل مالم يذكر اسم الله عليه إلا بعد المبعث بمدة طويلة. وقال صاحب الفتح: وهذا الجواب أولى مما ارتكبه ابن بطال، وعلى تقدير أن يكون زيد بن حارثه ذبح على الحجر المذكور، فإنما يحمل على أنه إنما ذبح عليه لغير الأصنام. وأما قوله تعالى: «وما ذبح على النصيب»، فالمراد به ماذبح عليها للأصنام، وفى الفتح أيضاً: أن الجواب على قوله: فذبحنا شاة على بعض الأنصاب يعنى: الحجارة التى ليست بأصنام، ولا معبودة وإنما هى من آلات الجزار التى يذبح عليها؛ لأن النصب فى الأصل حجر كبير، فمنها ما يكون عندهم من جملة الأصنام، فيذبحون له، وعلى اسمه، ومنها مالا يعبد، بل يكون من آلات الذبح، فيذبح الذابح عليه لا للصنم، وكان امتناع زيد منها حسما للمادة.

رفع المسهم

. . . .

الكُفْرِ، وعبادة الصُّلْبان، فكذلك كان ما ذبحه أهلُ الأوثانِ مُحَلاً بالشرع المتقدم، حتى خصه القرآن بالتحريم.

زيد وصعصعة والموءودة:

فصل: وذكر خبر الْمَوْءُودَةِ، وما كان زيد يفعل فى ذلك، وقد كان صَعْصَعَةُ بن معاويةَ جدّ الفَرَزْدَقِ رحمه الله يفعل مثل ذلك، ولما أسلم سأل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم: هل لى فى ذلك من أجر؟ فقال فى أصح الروايتين: لك أجرُه إذا مَنّ الله عليك بالإسلام، وقال الْمُبَرِّد فى الكامل عن النبى - صلى الله عليه وسلم - كلاما لم يصح لفظُه ولا معناه، ولا يشهد له أصل. والأصول تشهد له بهذه الرواية التى ذكرناها؛ لما ثبت أن الكافر إذا أسلم، وحَسُن إسلامُه، كُتب له كلُّ حسنة كان زَلَفها، وهذا الحديث أخرجه البخارى، ولم يَذْكر فيه: كل حسنة كان زَلَفها، وذكرها الدارَقُطْنى وغيره، ثم يكون القِصاص بعد ذلك: الحسَنةُ بعَشر أمثالِها، والموءودةُ مَفْعُولَةٌ من وَأَده إذا أثقله قال الفرزدق:

ومِنّا الذى مَنَع الوائدا تِ، وأحيا الْوَئيدَ، فلم يُوأَدِ

يعنى: جدَّه صَعْصَعة بن مُعاوية بن ناجية بن عِقَال بن محمد بن سفيان بن مُجاشع. وقد قيل: كانوا يفعلون ذلك غَيْرةً على البنات، وماقاله الله فى القرآن هو الحق من قوله: (خَشْيَةَ إمْلاقٍ) وذكر النقاش فى التفسير: أنهم كانوا يئِدون من البنات، ما كان منهن زَرْقاء أو بَرْشاء أو شيماء أو

. . . .

كَشْحاء (١) تشاؤماً منهم بهذه الصفاتِ قال الله تعالى : ﴿ وإذا المَوْءودةُ سُئِلَتْ بأيِّ ذَنْبٍ قُتِلت (٢) ﴾ التكوير : ٨ : ٩ .

العزى :

فصل : وذكر شِعْرَ زيد بن عَمْرو وفيه : عَزَلْتُ اللاَّت والعُزَّى جميعاً . فأما اللاَّتُ فقدتقدم ذكرها ، وأما العُزَّى ، فكانت نخلاتٍ مجتمعةً ، وكان عَمْرُو بن لُحَيّ قد أخبرهم ـ فيما ذكر ـ أن الربَّ يُشَتِّي بالطائف عند اللات ، و يُصَيِّف بالعُزَّى ، فعظموها وبَنَوْا لها بيتاً ، وكانوا يهدون إليه كما يهدون إلى الكعبة ، وهى التى بعَثَ رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — خالدَ بن الوليد ليكسرها ، فقال له سادنها : يا خالد احْذَرْها ؛ فإنها تَجْدَع

---

(١) الزرقاء : العمياء أو من بها ذلك . والبرشاء : من فى لونها نقط مختلفة حمراء ،وأخرى سوداء أو غبراء .والشيماء:من كثرت فى بدنها الشامات،والشامة . علامة فىالبدن، يخالف لونها لون سائره ، والكشحاء: الموسومة بالنار فى كشحها، بسبب داء فى كشحها ، وربما كانت : الكسحاء .

(٢) ورد فى فتح البارى ص ١١٥ ج ٧ : «كان أهل الجاهلية يدفنون البنات وهن بالحياة ، ويقال : كان أصلها من الغيرة علهن لما وقع لبعض العرب حيث سبى بنت آخر فاستفرشها ، فأراد أبوها أن يفتديها منه ، فخيرها ، فاختارت الذى سباها ، فحلف أبوها : ليقتلن كل بنت تولد له ، فتبع على ذلك ، غير أن القرآن ذكر أن وأدهن كان خشية الفقر ،أو من الفقر . ولهذا قال سبحانه : « نحن نرزقهم وإياكم» لمن كانوا يئدون خشية الفقر ، وقال لمن يئدون من الفقر : « نحن نرزقكم وإياهم» . عجل لهم البشارة برزق الوالدين ، فهى فى هذا المقام أولى بالذكر .

رفع المسهم

. . . .

ومُكنّع ، (١) فهدمها خالدٌ وترك منها جِذْمَها(٢) وأساسها ، فقال قَيِّمُها : والله لتعودَنَّ ولتنتقِمَنَّ مِمَّن فعل بها هذا ، فذُكِر – والله أعلم – أن رسولَ الله – صلى الله عليه وسلم – قال لخالد : هل رأيت فيها شيئاً ؟ فقال : لا ، فأمره أن يرجع ، ويستأصل بقيتها بالهدم ، فرجع خالد ، فأخرج أساسَها ، فوجد فيها امرأة سَوْداء مُنْتَفِشَة الشعر تَخْدِش وجْهَها ، (٣) ، فقتلها ، وهرب القَيِّمُ ، وهو يقول : لا تُعْبَد العُزَّى بعد اليوم . هذا معنى ما ذكر أبو سعيد النَّيسابورى فى المَبْعَث . وذكره الأزْرَقِى أيضاً ورَزِين .

معنى يربل :

وقوله : فيَرْبُل منهم الطفلُ الصغير . ألفيت فى حاشية الشيخ أبى بحر رَبَل الطفلُ يَرْبل إذا شب وعظم . يربَل بفتح الباء أى يكبر وينبت ، ومنه أخذ تَرْبيل الأرض(٤) . وقوله : كما يَترَوَّحُ الغصنُ : أى : يَنْبُت ورقه بعد سقوطه(٥) .

---

(١) فى بعض الروايات ورد: أن ذلك كان حين أرسل خالد إلى ذى الخلصة ليهدمها ، وفيها صنم يعبدونه ، فقال له السادن : « لا تفعل ، فإنها مكنعتك » بضم الميم وفتح الكاف وتضعيف النون مع كسرها أى مقبضة يديك ، ومشلتهما .

(٢) الجذم بكسر الجيم وفتحها : الأصل

(٣) يجب أن نفهم أنها إن صح الحديث شيطانة من الإنس كانت تخدع الناس بحيلها ، فيظنون أن للعزى حياة وقدرة أو جنيا يتلبس بها

(٤) فى القاموس : ربلوا يربلون ا — بكسر الباء أو ضمها فى المضارع ، كثروا أو كثرت أموالهم وأولادهم وفى الخشنى : ربل الطفل يربل بضم الباء فى المضارع : شب وعظم ، والربل : ما اخضر من الشجر

(٥) عند الخشنى : يهتز ويخضر

. . . .

إعراب نعت النكرة المتقدم :

وقوله : وللكفار حاميةً سَعِير . نصب حاميةً على الحال من سعير ؛ لأن نعت النكرة إذا تقدم عليها نصب على الحال ، وأنشد سيبويه فى مثله :

لِمَيَّةَ مُوحِشاً طَلَلُ(١)

وأنشد أيضاً [لذى الرُّمَّة] :

وتحت الْعَوالِي والْقَنا مُسْتَكِنَّةً ظِباءٌ أعارَتْها العيونَ الجآذِرُ

(١) يرى ابن الحاجب فى أماليه على أبيات المفصل أنه يجوز أن تكون كلمة موحشا حالا من الضمير فى « لمية » لأن جعل الحال من المعرفة أولى من جعلها من النكرة متقدمة عليها ، لأن هذا هو الكثير الشائع ، وذلك قليل ، فكان أولى ، ويذهب ابن جنى فى شرح الحماسة والزمخشرى فى تفسير : « وجعلنا فيها فجاجا سبلا » والخبيصى فى شرحه لكافية ابن الحاجب يذهبون إلى أن موحشا حال من طلل ، لأنها وصف لنكرة ، وتقدمت عليها , والكرمانى يرى أن موحشا لا يجوز أن تكون حالا من طلل؛ لأنها مبتدأ، والحال لا تكون إلا من الفاعل أو المفعول ، والبيت هو :

لميــة موحشا طلل يلوح كأنــه خلل

والخلل ـ بكسر الخاء ـ جمع خلة وهى بطائن يغشى بها أجفان السيوف منقوشة بالذهب وغيره والبيت ينسب لكثير عزة كما فعل سيبويه ص ٢٧٦ ح ١ الكتاب، ومن يقول بهذا يرويه « لعزة موحشا » لأن عزة اسم محبوبة كثير ، وقيل إن البيت لذى الرمة ، ومن يقول بهذا يرويه : « لمية موحشا » لأن مية اسم محبوبة ذى الرمة انظر ص ٣٤٤ ح ٢ ، ص ١٨٩ ح ٣ خزانة الأدب للبغدادى طبع السلفية وهناك آخر :

لميــة موحشا طلل قديم عفــاه كل أسحم مستديم

. . . .

والعامل فى هذا الحال: الاستقرارُ الذى يعمل فى الظرفِ،ويتعلَّق به حرف الجر ، وهذا الحال على مذهب أبى الحسن الأَخْفَشِ لا اعتراضَ فيها ؛ لأنه يجعلُ النكرة التى بعدها مرتفعةً بالظرف ارتفاعَ الفاعل ، وأما على مذهب سيبويه ، فالمسئلةعَسيرةٌ جداً؛ لأنه يلزمه أن يجعَلها حالا من المضمَر فىالاستقرار؛ لأنه معرفة ، فذلك أولى من أن يكون حالا من نكرة ، فإن قدر الاستقرار آخر الكلام ، وبعد المرفوع كان ذلك فاسداً ؛ لتقدم الحال على العامل المعنوى. وللاحتجاج له وعليه موضع غير هذا .

من معانى شعر زيد :

فصل : وأنشد أيضاً لزيد : إلى الله أُهدى مِدْحَتى وثنائيا . وفيه : ألا أيها الإنسان إيَّاكَ والرَّدَى . تحذير من الردى ؛ والردى هو الموت ، فظاهر اللفظ متروكٌ ، وإنما هو تحذير مما يأتى به الموتُ ، ويبديه ويكشفه من جزاء الأعمال ؛ ولذلك قال : فإنك لا تخفى من الله خافياً . وفيه :

وإنى وإن سَبَّحْتُ باسمك رَبَّنا لأُ كْثِرُ إلا ما غفرت خَطَايِيا

معنى البيت : إنى لأُ كْثِرمن هذا الدعاء الذى هو باسمِك رَبَّنا إلا ما غفرتَ « وما » بعد إلا زائدة ، وإن سبحت : اعتراضٌ بين اسم إن وخبرها، كما تقول : إنى لأُ كْثِر من هذا الدعاء الذى هو باسمك رَبَّنا إلا والله يغفر لى لأفعل كذا ، والتسبيح هنا بمعنى الصلاة ، أى : لا أعتمد وإن صليت إلا على دعائك واستغفارك من خطاياى .

. . . .

تفسير حنانيك :

وقوله : حَنَانَيْكَ بلفظ التثنية ، قال النحويون : يريد حنانا بعد حنان ، كأنهم ذهبوا إلى التضعيف والتكرار ، لا إلى القصر على اثنين خاصة دون مزيد . قال المؤلف رحمه الله : ويجوز أن يريد حنانا فى الدنيا ، وحنانا فى الآخرة ، وإذا قيل هذا لمخلوق نحو قول طَرَفَةَ :

أبا مُنْذِرٍ أَفْنَيْتَ فاسْتَبْقِ بعضَنا ... حَنَانَيْكَ بعضُ الشَّرِّ أهون من بعض

فإنما يريد : حنانَ دَفْعٍ ، وحَنَانَ نَفْعٍ ؛ لأن كل من أمَّل ما لكا ، فإنما يؤمله ليدفع عنه ضَيْرًا ، أو ليجلب إليه خيرا .

تعدية أدين :

وقوله : فلن أرى أدين إلٰها . أى : أدين لإلٰهٍ ، وحذَفَ اللامَ وعدَّى الفعل ؛ لأنه فى معنى : أعبد إلٰها .

حول اسم الله :

وقوله : غيرك اللهُ برفع الهاء ، أراد : يا ألله ، وهذا لا يجوز فيما فيه الألف واللام ، إلا أن حكم الألف واللام فى هذا اللفظ المعظم يخالف حكمها فى سائر الأسماء ، ألا ترى أنك تقول : يأيها الرجل ، ولا ينادى اسم الله بيأيُّها ، وتقطع همزته فى النداء ، فتقول : يا ألله ، ولا يكون ذلك فى اسمٍ غيره إلى أحكام كثيرة يخالف فيها هذا الاسم لغيره من الأسماء المعرفة ، ولعل بعض

رفع المسهم

. . . .

ذلك أن يُذكر فيما بعد – إن شاء الله – وقد استوفيناه فى غير هذا الكتاب ، وفيه بيت حَسَن لم يذكره ابن إسحاق ، وذكره أبو الفرج(١) فى أخبار زيد وهو :

أدِين إلهًا يُستجار ، ولا أرى   أدين لمن لم يسمع الدهرَ داعيا

حذف المنادى مع بقاء الياء :

وفيه : فقلت : ألا يا اذهب(٢) على حذف المنادى ، كأنه قال : ألا يا هذا اذهب ، كما قرىء : ألا يااسجدوا ، يريد : ياقوم اسجدوا ، وكما قال غَيْلان :

ألا يا اسْلَمِى يا دارَمَىَّ على البِلى(٣)

---

(١) فى كتابه الأغانى .

(٢) الذى فى السيرة : فقلت له : يا اذهب ، وفى بعض نسخها : فقلت له : اذهب .

(٣) هو لذى الرمة ،غيلان بن عقبة من بنى صعب بن مالك بن عبد مناة ويكنى أبا الحارث . انظر ص ٧٤ ج ١ خزانة الأدب ، ففيها تفصيل الأسباب التى من أجلها لقب غيلان بذى الرمة ، وفى الروض بعضها ، وبيت الشعر كما قال ، وبقيته: « ولا زال منهلا بجرعائك القطر » . ويرى الجوهرى فى الصحاح أن قوله سبحانه: « ألا يااسجدوا » بالتخفيف معناه : يا هؤلاء اسجدوا ، لحذف المنادى اكتفاء بحرف النداء . وقال غيره : إن يافى هذا الموضع إنما هى للتنبيه ، كأنه قال : ألا اسجدوا ، فلما أدخلت عليه ياء التنبيه سقطت الألف التى فى اسجدوا ، لأنها ألف وصل ، وذهبت الألف التى فى « يا » لاجتماع الساكنين ، لأنها والسين ساكنتان

. . . .

وفيه : اذهب وهارونُ ، عطفا على الضمير فى اذهب ، وهو قبيح إذا لم يؤكد ، ولو نصبه على المفعول معه لكان جيدا .

تصريف اطمأنت وأشياء :

وقوله : اطمأنت كما هيا ، وزنه افْلَعَلَّت ، لأن الميم أصلها أن تكون بعد الألف ، لأنه من تطأمن أى : تطأطأ ، وإنما قدموها لتباعد الهمزة التى هى عين الفعل من همزة الوصل ، فتكون أخف عليهم فى اللفظ كما فعلوا فى أشياء حين قلبوها فى قول الخليل وسيبويه فرارا من تقارب الهمزتين (١). كما هيا . ما : زائدة لِتَكُفَّ الكاف عن العمل ، وتهيئها للدخول على الجمل ، وهى : اسم مبتدأ ، والخبر محذوفٌ ، التقدير : كما هى عليه ، والكاف فى موضع نصب على الحال من المصدر الذى دل عليه ، اطمأن ، كما تقول : سِرْتَ مثلَ سير زيد ؛ فمثلُ حالٌ من سَيْرِك الذى سرته ، وفيه : أَرْفِقْ إذاً بك بانيا . أَرْفِقْ تعجب ، وبك فى موضع رفع لأن المعنى : رَفُقْت ، و بانيا تمييز ، لأنه يصلح أن يجر بمن ، كما تقول : أحْسِنْ بزيدٍ مِنْ رجلٍ ، وحرف الجر متعلق بمعنى التعجب ؛ إذ قد

---

(١) وزن أشياء عند الأخفش : أفعلاء . وعند غيره أفعال ، وعند سيبويه والخليل ، لفعاء ، ويقول الخليل : أشياء اسم للجمع ، كان أصله : فعلاء ، شيئاء فاستثقلت الهمزتان ، فقلبوا الهمزة الأولى إلى أول الكلمة ، فجعلت لفعاء ، كما قلبوا أنوقا ، فقالوا : أينقاً ، وكما قلبوا ، قووسا : قسيا . وقول الخليل هو مذهب سيبويه والمازنى ، وجميع البصريين إلا الزيادى منهم . أما الأخفش ، فيقول : أصل أشياء ، أشيئاء على وزن أشيعاع ، فاجتمعت همزتان بينهما ألف . فحذفت الهمزة الأولى .

رفع المساهم

. . . .

علم أنك متعجب منه ، ولِبَسْطِ هذا المعنى وكشْفه موضع غير هذا ـ إن شاء الله ـ وبعد قوله :

وقد بات فى أضعاف حُوتٍ لياليا

بيت لم يذكره ابن إسحاق ، ووقع فى جامع ابن وهب وهو :

وأنبت يَقْطِيناً عليه بِرَحْمَةٍ من الله لولا ذَاكَ أصبح ضَاحِياً(١)

صفية بنت الحضرمى :

وذكر صفيةَ بنت الحَضْرَمِىّ ، واسم الحضرمى : عبد الله بن عمار(٢) ، وسيأتى ذكر نسبها عند ذكر أخيها بَعْدُ .

الدعموص والحرم في الشعر :

وقوله : دُعْموص أبواب الملوك . يريد : ولاَّجاً فى أبواب الملوك ، وأصل الدُّعْموص : سمكة صغيرة كَحَيَّةِ الماء ، فاستعاره هنا ، وكذلك جاء فى حديث أبى هريرة يرفعه : صغاركم دَعاميص(٣) الجنة ، وكما استعارت عائشة العصفور

---

(١) اليقطين : كل شىء ذهب بسطا فى الأرض ، ومنه : القرع والبطيخ وغيرهما. وضاحيا : عاريا بارزا للشمس .

(٢) فى السيرة ورد اسم الحضرمى : عبد الله بن عباد . ويقول الخشنى : والصواب : عماد لا عبَّاد . قاله ابن الدباغ وابن أبى الخصال وغيرهما .

(٣) رواه أحمد ومسلم والبخارى فى الأدب . وقد فسر الخشنى الدعموص =

. . . .

حين نظرت إلى طفل صغير قد مات ، فقالت : طُوبَى له عصفور من عصافير الجنة ، لم يعمل سوءاً ، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم : « وما يدريك ؟ إن الله خلق الجنة ، وخلق لها أهلا ، وخلق النار ، وخلق لها أهلا » أخرجه مسلم ، وفى هذه الأبيات خَرْم فى موضعين ، أحدهما قوله :

ولو أشاء لقلت ما عندى مَفَاتِحُهُ وبابه

والآخر قوله :

وإنما أخذ الهوانَ الـ عَيْرُ إذ يُوهى إهابه

وقد تقدم مثل هذا فى شِعر ابن الزِّبَعْرَى ، وتكلمنا عليه هنالك بما فيه كفاية . وقوله : ويقول . إنى لا أَذِلُّ أى : يقول العير ذلك بِصَكِّ جَنْبَيْه صِلابُهُ ، أى : صِلاب ما يوضع عليه ، وأضافها إلى العَيْر لأنها عِبْؤُه وحمله .

لغويات ونحويات :

وذكر قوله : البِرَّأَ بغى لا الخال(١) قال ابن هشام : البرَّ أبغى : بالنصب ، والخال : الْخُيَلاء والكِبر : وقوله : ليس مُهَجِّر كمن قال ، أى : ليس من هَجَّر وَتكَيَّس ،

= بقوله . « دويبة تغوص فى الماء مرة بعد مرة ، يشبه بها الرجل الذى يكثر الدلوج فى الأشياء . فيعنى أنه يكثر الدخول على الملوك » .

(١) هو فى الطبرانى والبزار مع اختلاف يسير ، وفيه المسعودى ، وقد اختلط

. . . .

كَمَنْ آثَر القائلةِ والنوم(١)، فهو من : قال يَقِيل ؛ وهو ثلاثى ، ولكن لا يُتعجَّب منه . لا يقال: ما أُقيله!! قال أهل النحو : استَغْنَوْا عنه : بما أنْوَمه ، ولِذِكر السر(٢) فى امتناع التعجب من هذا الفعل موضع غير هذا . وقول زيد: إنى مُحْرِمٌ لا حِلَّة . مُحْرِمٌ أى : ساكن بالحرَم ، والحِلَّة: أهلُ الحِلِّ . يقال للواحد والجميع : حِلَّة. ذكر لقاء زيد الراهبَ بِمِيْفَعَة هكذا تقيد فى الأصْل بكسر الميم من مِيْفَعة(٣)، والقياس فيها : الفتحُ ؛ لأنه اسمٌ لموضعٍ أخذ من اليَفَاع ، وهو المرتفع من الأرض . وقوله : شامٌّ اليهوديةَ والنصرانية، هو فاعل من الشَّمِّ كما قال يزيد بن شَيْبان حين سأل النَّسَّابة من قُضَاعَةَ ، ثم انصرف ، فقال له النَّسَّابة : شامَمْتنا مُشامَّة الذئبِ الغنمَ(٤)، ثم تنصرف . فى حديث ذكره أبو علىّ

---

(١) تعبير الخشنى فى تفسيرها أبسط، فقد قال : المهجر الذى يسير فى الهاجرة أى : القائلة وقوله : كمن قال : يريد كمن استراح فى القائلة ، ولم يسر ص ٧٤ .

(٢) فى المطبوعة : السير .

(٣) فى المراصد : بفتح الميم وبالفاء المفتوحة : قرية من أرض البلقاء من الشام ، وهى أيضاً فى دار همدان باليمن .

(٤) الخبر فى الأمالى لأبى على القالى ص ٢٩٧ حـ٢ ط٢ . وفيه أن يزيد سأل الشيخ : من الرجل ؟ ومن القوم ؟ فأرمَّ القوم ينظرون إلى الشيخ هيبة له ، فقال الشيخ : رجل من مهرة - بفتح الميم وإسكان الهاء وفتح الراء - ابن حيدان - بفتح الحاء وسكون الياء - ابن عمرو بن الحاف بن قضاعة ، فقلت - القائل يزيد - حياكم الله ، وانصرفت فقال الشيخ : قف أيها الرجل ، نسبتنا فانتسبنا لك ، ثم انصرفت ، ولم تكلمنا .. أو شاممتنا مشامة الذئب الغنم ، ثم انصرفت ، والخبر كله خبر أدبى لطيف .

. . . .

في النوادرِ ، ومعناه : استَخبَرَ فاستعاره من الشم ، فنصب اليهوديةَ والنصرانيةَ نَصْبَ المفعول ، ومن خفض جعل شامّ اسم فاعل من شَمَمْت ، والفعل أولى بهذا الموضع ، كما تقدم ، وقول ورقة : رَشِدْت وأنعمت ابن عمرو ، أى : رَشَدْت وبالغت فى الرشد ، كما يقال : أمْعَنت النظر وأنعمته ، وقوله : ولو كان تحت الأرض سبعين واديا بالنصب . نصب سبعين على الحال ، لأنه قد يكون صفةً للنكرة ، كما قال : فلو كنت فى جُبٍّ ثمانين قامة[1] وما [يكون] صفة للنكرة يكون حالاً من المعرفة ، وهو هنا حال من البعد ، كأنه قال : ولو بَعُد تحت الأرض سبعين . كما تقول : بَعُد طويلا ، أى : بعداً طويلا ، وإذا حذفت المصدر ، وأقمت الصفة مقامه لم تكن إلا حالا ، وقد تقدم قولُ سيبويه فى ذلك فى مسئلة : ساروا رُوَيْداً ، ونحو هذا : دارى خَلْفَ دارِك فَرْسَخاً ، أى : تقرب منها فَرْسَخاً إن أردت القرب ، وكذلك إن أردت البعد ، فالبعد والقرب مقدَّران بالفرسخ ، فلو قلت : دارى تقرب منك قربا مقدرا بفرسخ ، لكان بمنزلة من يقول : قُرْبا كثيرا أو قليلا ، فالفرسخ موضوع موضعَ كثيرٍ أو قليل فإعرابه كإعرابه ، وكذلك قول الشاعر :

لا تعجبوا فلو ان طول قَنَاته ... مِيلٌ إذا نظم الفَوارسَ مِيلا

---

(١) الشعر للأعشى ، وهو كما فى اللسان :

لئن كنت فى جب ثمانين قامة ... ورقيت أسباب السماء بسلم

وصف بالثمانين ، وإن كان اسما لأنه فى معنى طويل . والبيت من شواهد سيبويه .

رفع
المسـاهم
عز الله له طريق الدين

صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الإنجيل

قال ابن إسحاق : وقد كان — فيما بلغنى عما كان وضَعَ عيسى بنُ مريم فيما جاءه من الله فى الإنجيل لأهل الإنجيل — من صفَةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مما أثبت يُحَنّس الحوارىُّ لهم ، حين نَسخ لهم الإنجيلَ عن عهد عيسى بن مريمَ عليه السلام فى رسول الله — صلى الله عليه وسلم إليهم أنه قال : من أبغضنى فقد أبغض الربّ ، ولولا أنى صنعت بحضرتهم صنائعَ لم يَصْنعها أحدٌ قبلى ، ما كانت لهم خطيئةٌ ، ولكن من الآن بَطِرُوا وظَنُّوا أنهم يَعُزُّوننى ، وأيضا للربّ ، ولكن لا بُدّ من أن تتم الكلمة التى فى النَّاموس : أنهم أبغضونى مجَّانا ، أى : باطلاً . فلو قد جاء المُنْحَمَنّا هذا الذى يُرسله الله إليكم من عند الربِّ ، وروح القدس هذا الذى من عند الربّ خَرَج ، فهو شَهيدٌ علىّ وأنتم أيضا ؛ لأنكم قديما كنتم معى فى هذا ، قلتُ لكم : لكيما لا تشكوا .

والمُنْحَمَنّا بالسُّريانيَّة : محمد : وهو بالرومية : البَرَقْلِيطس ، صلى الله عليه وآله وسلم .

أى : نظمهم نظما مستطيلا ، ووضع مِيلا موضعَ مُسْتَطِيلا ، فإعرابُه كإعرابه ، فهو وَصْفٌ للمصدر ، وإذا أقيم الوصفُ مقام الموصوف فى هذا الباب لم يكن حالاً من الفاعل ، لكن من المصدر الذى يدل الفعلُ عليه بلفظه نحو : ساروا طويلا ، وسقيتها أحْسَنَ من سَقْى إبلك ، ونحو ذلك .

. . . .

يحنس الحوارى :

فصل : وذكر يُحَنَّس الحَوارِىّ(١) وسيأتى فى آخر الكتاب ذكرُ الحَوَارِيِّينَ كُلِّهم بأسمائهم . وذكر قوله : أبغضتمونى مَجَّانًا ، أى : باطلا ». وكذلك جاء فى الحكمة : يابْنَ آدمَ علِّمْ مجَّانًا ، كما عُلِّمتَ مجَّانًا ، أى : بلاثمن ». وفى وصايا الحكماء : شاوِرْ ذَوِى الأَسْنان والعقول يُعطُوكَ من رأيهم مَجَّانًا

(١) هو يوحنا صاحب الإنجيل الرابع فى العهد الجديد . هذا وقد ورد ما قاله ابن هشام فى الإصحاح الخامس عشر والسادس عشر من إنجيل يوحنا، وأذكره هنا — كما هو اليوم فى هذا الإنجيل — لنوازن ، ولنعرف تحريف الكلم عن مواضعه : « الذى يبغضنى يبغض أبى أيضاً ، لو لم أكن قد عملت بينهم أعمالا لم يعملها أحد غيرى لم تكن لهم خطية ، وأما الآن ، فقد رأوا ، وأبغضونى أنا وأبى ، لكن لكى تتم الكلمة المكتوبة فى ناموسهم إنهم أبغضونى بلاسبب . ومتى جاء المعزى الذى سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحق الذى من عند الآب ينبثق ، فهو يشهد لى ، وتشهدون أنتم أيضاً ، لأنكم معى من الابتداء . قد كلمتكم بهذا لكيلا تعثروا » وأنقل ما ورد بعد هذا من نفس الإنجيل ، وفى نفس الغرض من الإصحاح رقم ١٦ . « أقول لكم الحق : إنه خير لكم أن أنطلق ، لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزى » فى نسخة : الفارقليط » ولكن إن ذهبت أرسله إليكم ، ومتى جاء ذاك يبكت العالم على خطية ، وعلى بر ، وعلى دينونة .. إن لى أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم ، ولكن لا تستطيعون أن تحملوا الآن ، وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق ، لأنه لا يتكلم من نفسه ، بل كل ما يسمع ، يتكلم به ، ويخبركم بأمور آتية » وهذه البشارة تنطبق تماما على محمد صلى الله عليه وسلم . وهنالك كثير من البشارات التى وردت فى العهد القديم والعهد الجديد . وقد حرف المغرضون ترجمة كلمة الفارقليط لكيلا تنطبق البشارات على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . وحسبنا هذا .

رفع المسهم غفر الله له ولوالديه

. . . .

ما أخذوه باليمن ، أى بطول التجارب ، ومن صفة النبى — صلى الله عليه وسلم — يقول الله سبحانه : أنت عَبْدى ورسولى (١) سَمَّيْتُكَ المتوكلَ ، ليس بِفَظٍّ ولاغليظ ، ولاسَخَّاب(٢) فى الأَسْواق ، ولايَدْفع السَّيِّئَة بالسيئة ، ولكن يعفو ويصفح ، ولن يقبضَه الله حتى يقيم به الْمِلَّةَ الْعَوْجاء ، فيفتح به عيونا عُمْياً وآذانا صُمًّا ، وقلوبا غُلْفاً ؛ بأن يقولوا : لا إله إلاَّ اللهُ .

من صفات النبى عند الأحبار

ومما وجد من صفته — صلى الله عليه وسلم — عند الأحبار ما ذكره الواقدى من حديث النعمان التَّيْمى . قال : وكان من أحبار يهودَ باليمن ، فلما سمع بذكر النبى — صلى الله عليه وسلم — قدم عليه ، فسأله عن أشياء ، ثم قال : إن أبى كان يختم على سِفْرٍ ، ويقول : [لا تقرأه] على يهود (٣) حتى تسمع بنبى قد خرج بيَثْرِبَ ، فإذا سَمِعْتَ به فافتحه . قال نعمان : فلما سمعتُ بك فتحت السفر ، فإذا فيه صِفَتُكَ كما أراك الساعة ، وإذا فيه : ما تُحِلُّ وما تُحَرِّم ، وإذا فيه : إنك خيرُ الأنبياء وأمتُكَ خير الأمم ، واسمك : أحمد ، وأمتك الحامدون . قُرْبانهم: دماؤُهم ، وأناجيلُهم : صُدورُهم ، وهم لا يحضرون قتالا

---

(١) جاء قبله : « إنه لموصوف فى التوراة ببعض صفته فى القرآن . (يأيها النبى إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً) وحرزا للأميين » .

(٢) فى رواية : صخاب أو صخوب .

(٣) أصل العبارة فى الروض : « على سفر يقول . على يهود » والتصويب من السيرة الحلبية ص ٢٥٠ ح ١ .

رفع
المستهم
عز الله ابن علي الدين

مبعث النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما

قال : حدَّثنا أبو محمد عبدُ الملِك بن هشام ، قال : حدثنا زيادُ بنُ عبدِ الله الْبَكَّائي عن محمد بن إسحاق المطلبي قال : فلما بلغ محمدٌ رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — أربعين سنةً بعثه الله تعالى رحمةً للعالمين ، وكافَّةً للناس بشيراً ، وكان الله تبارك وتعالى قد أخذ الميثاق على كل نبي بعثه قبلَه بالإيمان به ، والتصديق له ، والنصر له على من خالفه ، وأخذ عليهم أن يؤدّوا ذلك إلى كل مَنْ آمن بهم وصدقهم ، فأدَّوْا من ذلك ما كان عليهم من الحق فيه . يقول الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم : ﴿ وإذْ أخَذَ اللهُ مِيثاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ ، لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ ولَتَنْصُرُنَّهُ ، قال : أأقْرَرْتُمْ وأخَذْتُمْ على ذَلِكُمْ إصْرِي ﴾ : أي ثِقَل ما حمَّلتكم من عَهْدِي : ﴿ قالُوا أقْرَرْنا ، قال : فاشْهَدُوا وأنا مَعَكُمْ مِنَ الشاهِدِينَ ﴾ آل عمران : ٨١ ، فأخذ

إلا وجبريلُ معهم ، يتحنّن الله عليهم كتَحنُّن النَّسْر على فراخه ، ثم قال لي : إذا سمعت به فاخرج إليه ، وآمِنْ به ، وصدِّق به ، فكان النبي — صلى الله عليه وسلم — يحب أن يسمع أصحابُه حديثه ، فأتاه يوما ، فقال له النبي — صلى الله عليه وسلم : يا نُعمانُ حدِّثنا ، فابتدأ النعمانُ الحديث من أوله ، فرُؤِيَ رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — يومئذ يتبسم ، ثم قال : أشهد أني رسول الله ، وهو الذي قتله الأسودُ الْعَنْسِيُّ ، وقطّعه عضوا عضوا ، وهو يقول : إن محمدا رسولُ الله ، وإنك كذاب مُفْتَرٍ على الله ، ثم حرَّقه بالنار .

رفع
المسهم

الله ميثاق النَّبيِّين جميعا بالتصديق له ، والنصر له ممن خالفه ، وأدَّوْا ذلك إلى مَنْ آمن بهم ، وصدقهم من أهل هذين الـكتابين .

قال ابن إسحاق : فذكرَ الزُّهْرىّ عن عُرْوة بن الزُّبير ، عن عائشة رضى الله عنها أنها حدَّثته : أن أوّل ما بُدِىء به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من النُّبوّة ، حين أراد الله كرامته ورحمة العباد به : الرُّؤيا الصادقة ، لا يرى رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم- رؤيا فى نومه إلا جاءت كفَلَق الصبح . قالت : وحَبَّب اللهُ تعالى إليه الخَلْوة ، فلم يكن شىء أحبّ إليه من أن يخلوَ وحدَه .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الملك بن عُبَيْد الله بن أبى سُفْيان ابن العَلاَء ابن جارية الثَّقَفِيّ ، وكان واعيةً ، عن بعض أهل العلم :

أنّ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حين أراده الله بكرامته ، وابتدأه بالنبوّة ، كان إذا خرج لحاجته أبْعَدَ حتى تَحسَّرَ عنه البيوتُ ، ويُفضِى إلى شِعاب مكة وبُطون أوْديتها ، فلاَ يمرُّ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بحجَر ولا شَجَر ، إلا قال : السلام عليك يا رسول الله . قال : فيلتفت رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حولَه ، وعن يمينه وشماله وخلفه ، فلا يرى إلا الشجَر والحجارة . فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك يرى ويسمع ، ما شاء اللهُ أن يمكث ، ثم جاءه جبريل عليه السلام بما جاءه من كرامة الله ، وهو بحراء فى شهر رمضان .

قال ابن إسحاق : وحدّثنى وَهْب بنُ كَيْسان ، مولى آل الزبير .

. . . .

رفع
المسـاهم

قال : سمعتُ عبد الله بن الزُّبير وهو يقول لعُبَيد بن عُمَير بن قَتَادة الليثيّ :

حدِّثنا ياعُبيد ، كيف كان بدء ما ابتُدىء به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من النبوّة ، حين جاءه جبريلُ عليه السلام ؟ قال : فقال عبيدٌ — وأنا حاضرٌ يُحدّث عبدَ الله بن الزبير ، ومَنْ عنده من الناس : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُجاور فى حِرَاء من كلّ سنة شهراً ، وكان ذلك مما تَحنَّثُ به قريشٌ فى الجاهلية . والتَّحنُّث : التَّبَرُّرُ .

قال ابن إسحاق : وقال أبو طالب :

وثَوْرٍ ومَنْ أرْسَى ثَبيراً مكانَه ... وراقٍ ليَرْقى فى حِراء ونازِلِ

قال ابن هشام : تقول العرب : التحنُّث والتحنُّف ، يريدون الحَنيفية فيُبْدِلون الفاء من الثاء ، كما قالوا : جَدَفٌ وجَدَثٌ ، يريدون . القبر . قال رؤبة ابن العَجَّاج :

لو كان أحْجَارى مع الأجْدَاف

يريد : الأجداث : وهذا البيت فى أرجوزة له . وبيت أبى طالب فى قصيدة له ، سأذكرها إن شاء الله فى موضعها .

قال ابن هشام : وحدثنى أبوعُبيدة أن العرب تقول : فُمَّ ، فى موضع : ثُمَّ ، يبدلون الفاء من الثاء .

قال ابن إسحاق : حدثنى وهب بنُ كَيْسان قال : قال عُبيد [بن عمير] :

رفع
المسـاهم

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُجاور ذلك الشّهرَ من كلّ سنةٍ ، يُطْعِم مَنْ جاءه من المساكين ، فإذا قضى رسول الله صلى عليه وسلم جواره ، من شهره ذلك ، كان أوّلَ ما يبدأ به ـ إذا انصرف من جواره ـ الكعبةُ ، قبل أن يدخل بيتَه ، فيطوف بها سَبْعا ، أو ماشاء الله من ذلك ، ثم يرجع إلى بيته ، حتى إذا كان الشهرُ الذى أراد اللهُ تعالى به فيه ما أراد من كرامته ، من السَّنة التى بعثه اللهُ تعالى فيها ، وذلك ، الشهر: شهر رمضان ، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حِراء ، كما كان يخرج لِجواره ومعه أهلُه ، حتى إذا كانت اللَّيلةُ التى أكرمه اللهُ فِيها برسالته ورَحِم العبادَ بها ، جاءه جبريلُ عليه السلام بأمر الله تعالى . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فجاءنى جبريلُ ، وأنا نائم ، بنَمَط من دِيباجٍ فيه كتابٌ ، فقال: اقرأ ، قال : قلت: ما أقرأ؟ قال فغَتَّنى به ، حتى ظننتُ أنه الموت ، ثم أرسلنى ، فقال: اقرأ ، قال . قلت: ما أقرأ ؟ قال : فغَتَّنى به ، حتى ظننت أنه الموت . ثم أرسلنى ، فقال : اقرأ ، قال : قلت : ماذا أقرأ ؟ قال : فغَتَّنى به ، حتى ظننتُ أنه الموت ، ثم أرسلنى ، فقال : اقرأ ، قال : فقلت : ماذا أقرأ ؟ ما أقول ذلك إلا افتداء منه أن يعود لى بمثل ماصنع بى ، فقال: « اقرأْ باسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ خَلَقَ الإنْسانَ مِنْ عَلَقٍ . اقرأْ وَرَبُّكَ الأكْرَمُ الَّذِى عَلَّمَ بالقَلَمِ . عَلَّمَ الإنْسانَ مالَمْ يَعْلَمْ » : قال : فقرأتها ، ثم انتهى ، فانصرف عنى ، وهببتُ من نومى ، فكأنما كُتِبتْ فى قلبى كتابا . قال : فخرجتُ حتى إذا كنتُ فى وسط من الجبل سمعت صوتا من السماء يقول يا محمد أنت رسول الله ، وأنا جبريل قال : فرفعت رأسى إلى السماء أنظرُ ، فإذا جبريلُ فى صورة رجل صافٍّ قدَمَيْه فِى أفق السماء يقول :

يامحمد ، أنت رسولُ الله وأنا جبريل . قال : فوقفت أنظر إليه فما أتقدّم وماأتأخَّرُ ، وجعلت أصرف وجهى عنه فى آفاق السماء ، قال : فلا أنظر فى ناحية منها إلا رأيته كذلك ، فمازلتُ واقفا ما أتقدّم أمامى،وما أرجع ورائى ، حتى بعثتْ خديجةُ رُسلَها فى طلبى ، فبلغوا أعْلى مكة ، ورجعوا إليها ، وأنا واقف فى مكانى ذلك ، ثم انصرف عنى .

وانصرفتُ راجعا إلى أهلى،حتى أتيت خديجةَ، فجلست إلى فخذها مُضيفا إليها، فقالت: ياأبا القاسم ، أين كنتَ ؟ فوالله لقد بعثتُ رُسلى فى طلبك ، حتى بلغوا مكة ورجعوا لى ، ثم حدثْتها بالذى رأيتُ ، فقالت : أبشر يابنَ عمٍّ واثبُتْ فو الذى نفسُ خديجةَ بيَدِهِ إنى لأرجو أن تكون نبيَّ هذه الأمّة .

ثم قامت فجمعت عليها ثيابَها ، ثم انطلقت إلى ورَقَة بن نوفل بن أسد بن عبد العُزّى بن قُصَيّ ، وهو ابن عمها ، وكان ورقة قد تنصَّر ، وقرأ الكتبَ ، وسَمِع من أهل التوراة والإنجيل ، فأخبرتْه بما أخبرها به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ،أنه رأى وسمع ، فقال ورقةُ بن نوفَل : قُدُّوس قُدُّوس ، والذى نفس ورقةَ بيده، لئن كنتِ صَدَقْتِينى ياخديجةُ لقد جاءه النامُوسُ الأكبرُ الذى كان يأتى موسَى ، وإنه لنبيُّ هذه الأمة ، فقولى له : فليثبُتْ . فرجعت خديجة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبرته بقول ورَقة بن نوفل ، فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم جِوارَه وانصرف ، صنع كما كان يصنع بدأ بالكعبة ، فطاف بها ، فلَقيه ورقةُ بن نوفل ، وهو يطوف بالكعبة ،فقال : يابن أخى أخْبرنى بما رأيتَ وسمعتَ ، فأخبره رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له ورقةُ : والذى نفسى بيده ، إنك لنبى هذه الأمة ، ولقد جاءك النّاموسُ

. . . .

رفع
المسامر

الأكبرُ الذى جاء موسى ، وَلتُـكَذَّبَنَّهْ ولتؤْذَيَنَّهْ ، ولتخرَجَنَّهْ ، ولَتُقاتَلَنْهْ ، ولئن أنا أدركتُ ذلك اليومَ لأَنصُرَنَّ الله نصرا يعلمه ، ثم أدنى رأسه منه ، فقبَّل يافوخه ، ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى منزله .

قال ابن إسحاق : وحدثنى إسماعيل بن أبى حَكيم مولى آل الزبير : أنه حُدّث عن خديجة رضى الله عنها أنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أى ابنَ عمّ ، أتستطيع أن تُخْبرنى بصاحبك هذا الذى يأتيك إذا جاءك ؟ قال : نعم قالت : فإذا جاءك فأخْبرنى به . فجاءه جبريلُ عليه السلام، كما كان يصنع ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لخديجة : ياخديجة ، هذا جبريلُ قد جاءنى ، قالت : قم يابن عمّ فاجلس على فخذى اليسرى ، قال: فقام رسول ــ الله صلى الله عليه وسلم ــ فجلس عليها ، قالت : هل تراه ؟ قال : نعم، قالت : فتحولْ ، فاجلس على فخذى اليمنى ، قالت : فتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجلس على فخذها اليمنى ، فقالت : هل تراه ؟ قال : نعم ، قالت : فتحول فاجلس فى حجرى ،قالت : فتحول رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فجلس فى حجرها ، قالت : هل تراه ؟ قال : نعم ، قال : فَتَحَسَّرت وألقت خِمارها ــ ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فى حِجرها ــ ، ثم قالت له : هل تراه ؟ قال : لا ، قالت يابن عمّ ، اثبُتْ وأبْشِر ، فوالله إنّه لمَلَكٌ وما هذا بشيطان .

قال ابن إسحاق : وقد حدثتُ عبدَ الله بن حسن هذا الحديث ، فقال : قد سمعتُ أمى فاطمة بنت حُسين تحدّث بهذا الحديث عن خديجة ، إلا أنى سمعتها تقول : أدخلتْ رسول الله صلى الله عليه وسلم بينها وبين درْعها ، فذهب عند

رفع المستهم

ذلك جبريلُ ، فقالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إن هذا لَمَلَكٌ ، وما هو بشيطان .

كتاب المبعث

متى بعث رسول الله ؟ :

ذكر ابن إسحاق أن رسولَ الله — صلى الله عليه وسلم — بُعث على رأس أربعين من مولده عليه السلام (١) ، وهذا مَرْوِيٌّ عن ابن عباس ، وجُبَيْر بن مُطْعِم وقَبَاثِ بن أَشْيَم ، وعطاء وسعيد بن المُسَيَّب ، وأنس بن مالك وهو صحيحٌ عند أهل السِّير والعلم بالأثَر ، وقد روى أنه نُبِّئَ لأربعين وشهرين من مولده ، وقيل لقباث بن أَشْيَم : من أكبر ، أنت أم رسول الله — صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : رسولُ الله أكبرُ مني ، وأنا أَسَنُّ منه ، ووُلد رسول

(١) اضطربت الأقوال حول سنه صلى الله عليه وسلم حين بعث . فبعض يقول : إنه بعث بعد اثنتين وأربعين سنة ، وهو مروى عن مكحول . وآخرون يقولون : وهو ابن ثلاث وأربعين ، وهو رأى الواقدى وابن عاصم والدولابى . ومما ذكره ابن حجر فى الفتح . حديث ابن عباس : فمكث بمكة ثلاث عشرة أصح مما عند أحمد من وجه آخر عنه . أنزل على النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو ابن ثلاث وأربعين ، فمكث بمكة عشرا ، وأصح مما أخرجه مسلم من وجه آخر عنه : أقام بمكة خمس عشرة سنة .

وبعثه فى رمضان هو المشهور عند الجمهور . وفى الفتح أيضاً . فعلى الصحيح المشهور أن مولده فى ربيع الأول يكون حين أنزل عليه ابن أربعين سنة وستة أشهر ، وفى حديث رواه الشيخان والترمذى أنه بعث لأربعين سنة ، ومكث بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه .

رفع المسهم

الله — صلى الله عليه وسلم — عام الفيل ، ووقفت بى أمى على رَوْثِ الفيل ويُرْوى: خَزْقِ الطير،فرأيته أَخْضَرَ مُحِيلاً ، أى: قد أتى عليه حَوْل ، وفى غير رواية البَكَّائى من هذا الكتاب أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال لبلال : لا يَفُتْكَ صيامُ يوم الاثنين ؛ فإنى قد وُلدت فيه ، وبُعثت فيه ، وأموت فيه (١) .

إعراب لما آتيتكم :

وذكر ابن إسحاق قول الله سبحانه : « وإذ أَخَذَ اللهُ ميثاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتيتُكم من كتابٍ وحِكْمَةٍ »(٢) الآية . وما فى هذه الآية : اسمٌ مبتدأ (٣) بمعنى : الذى ، والتقدير : لَلَّذِى آتيناكم من كتاب وحكمة ، ولا يصح أن تكون فى موضع نصب على إضمار فعل ، كما ينتصب ما يشتغل عنه الفعل

---

(١) فى مسلم عن أبى قتادة أن النبى صلى الله عليه وسلم ، سئل عن صوم يوم الاثنين ، فقال : « ذلك يوم ولدت فيه ، وأنزل على فيه » أحمد ومسلم وأبو داود . وزيادة : « وأموت فيه » لا تتفق وهدى القرآن ، فالبشر لا يعرفون : متى يموتون حتى النبيون .

(٢) يقول طاووس والحسن البصرى وقتادة فى تفسير الآية : « أخذ الله ميثاق النبيين أن يصدق بعضهم بعضا » وهذا التفسير حق . وتنكير كلمة رسول فى الآية يؤيده .

(٣) يقول العكبرى فى إعرابها : « فيها وجهان . أحدهما أن ما بمعنى الذى وموضعها رفع بالابتداء ، واللام : لام الابتداء دخلت لتوكيد معنى القسم ، وفى الخبر وجهان . أحدهما : من كتاب وحكمة . أى الذى أو تيتموه من الكتاب . والنكرة هنا كالمعرفة ، والثانى : الخبر: لتؤمنن به والهاء عائدة على المبتدأ . واللام

رفع
المسلمين
عز الله لطوله

. . . .

بضميره ، لأن ما بعد اللام الثانية لا يجوز أن يعمل فيما قبلها ، وما لا يجوز أن يعمل فيه ما قبله ، فلا يجوز أن يكون تفسيراً لما يعمل فيه ، وقد قيل : إن ماهذه شَرْط . والتقدير : لمهما آتيتكم من كتاب وحكمة لتؤمِنُنَّ به ، وهو ظاهر قول سيبويه ، لأنه جعلها بمنزلة: إن ، وقول الخليل : إنها بمنزلة الذى، أى : إنها اسمٌ لا حرف ، ويمكن الجمع بين قوليهما على هذا ، فتكون اسما، وتكون شرطا ، ويحتمل أيضاً أن تكون على قول الخليل : خبرية فى موضع رفع بالابتداء ، ويكون الخبر: لَتُؤْمِنُنَّ به ولتنصُرُنه ، وإن كان الضميران عائدين على الرسول ، لا على الذى ، ولكن لما قال: رسول مُصَدِّقٌ لما معكم ، ارتبط الكلام بعضه ببعض ، واستغنى بالضمير العائد على الرسول عن ضمير يعود

= جواب القسم ، لأن أخذ الميثاق قسم فى المعنى ، فأما قوله : «ثم جاءكم» ، فهو معطوف على: ما آتيتكم، والعائد على «ما» من هذا المعطوف فيه وجهان . أحدهما: تقديره : ثم جاءكم به ، واستغنى عن إظهاره بقوله: به فيما بعد . والثانى :أن قوله: لما معكم فى موضع الضمير ، تقديره : مصدق له ؛ لأن الذى معهم هو الذى آتاهم. ويجوز أن يكون العائد ضمير الاستقرار العامل فى مع ، ويجوز أن تكون الهاء فى : به ، تعود على الرسول ، والعائد على المبتدأ : محذوف ، وسوغ ذلك طول الكلام ، وأن تصديق الرسول تصديق للذى أوتيه ، والقول الثانى: أن ما : شرط. واللام قبله ، لتلقى القسم كالتى فى قوله : لئن لم ينته المنافقون ، وليست لازمة بدليل قوله: وإن لم ينتهوا عما يقولون، فعلى هذا تكون «ما» فى موضع نصب بآتيت. والمفعول الثانى: ضمير المخاطب ، و «من كتاب» مثل «من آية» فى قوله : ما ننسخ من آية ، وباقى الكلام على هذا الوجه ظاهر ، ثم ذكر وجه إعرابها إذا قرئت بفتح اللام وتشديد الميم ، كما ذكر قبل وجه إعرابها إذا قرئت بكسر اللام وتخفيف الميم ص٨٣ ج١ إملاء ما من به الرحمن لأبى البقاء عبدالله بن الحسين بن عبدالله العكبرى.

رفع
المسهم
عزالله الرحمن

. . . .

على المبتدأ ، وله نظير فى التنزيل منه قوله تعالى : (والذين يُتَوَفَّوْن منكم) البقرة : ٢٣٤ خبره : يَتَربَّصْنَ بأنفسهن ، ولم يعد على المبتدأ شيء ، لتشَبُّث الكلام بعضه ببعض ، وقد لاح لى بعد نظرى الكتابَ أن الذى قاله الخليل وقول سِيبَوَيْه قَوْلٌ واحد ، غير أنه قال : ودخول اللام على ما ، كدخولها على إن ، يعنى : فى الجزاء ، ولم يرد أن يعمل ما جزاء ، وإنما تكلم على اللام خاصّة والله أعلم .

النبوة وأولو العزم :

وذكر قول ابن إسحٰق : والنُّبُوءة أثقال ومُؤْنة لا يحملها ولا يستطيعها إلا أهلُ القوة والعزم من الرسُلِ ، ووقع فى رواية يونس عن ابن إسحٰق فى هذا الموضع عن ربيعة ابن أبى عبد الرحمن قال : سمعت وهب بن مُنَبِّهٍ وهو فى مسجد منى — وذُكر له يونسُ النبى — صلى الله عليه وسلم — فقال : كان عبداً صالحاً ، وكان فى خُلُقه ضيق ، فلما حُمِلت عليه أثقالُ النُّبُوءة ، ولها أثقال تَفَسَّخَ تحتها تَفَسُّخ الرُّبَعِ تحت الحِمْل الثقيل (١) ، فألقاها عنه وخرج هاربا ، وفى رواية عن ابن إسحٰق : إن أُولى العزم من الرسُل منهم : نوحٌ وهودٌ وإبراهيمُ أما نوحٌ فلقوله : (ياقوْمِ إنْ كان كَبرُ عليكم مَقَامى وتذكيرى بآياتِ الله) يونس : ٧١ وأما هود فلقوله : (إنى أُشْهِد الله واشْهدوا أنّى بَرِىءٌ مِمَّا تُشْرِكون) هود : ٥٤ وأما إبراهيم ، فلقوله هو والذين معه : (إنا بُرَآء منكم ومِمَّا تَعْبدون من دون

---

(١) الرُّبَع بضم الراء وفتح الباء : الفصيل ، ينتج فى الربيع ، وهو أول النتاج والمقصود : ضعف وعجز .

. . . .

الله) وأمر الله نبينا أن يصبر كما صبر هؤلاء (١) .

أول مابدئ به النبي صلى الله عليه وسلم من النبوة :

﴿ فصل ﴾ وذكر ابن إسحٰق : مابدىء به النبي — صلى الله عليه وسلم — من النُّبُوة، إذ كان لايمر بحجر، ولاشجر إلا قال: السلامُ عليك يارسول الله (٢)، وفى مصنف التِّرْمِذِي ومسلم أيضاً أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: إنى لأعرف حجرا بمكة كان يسلم عَلَيَّ قبل أن يُنَزَّل عَلَيَّ ، وفى بعض المسندات زيادة أن هذا الحجرَ الذى كان يُسَلِّم عليه هو الحجر الأسود ، وهذا التسليم : الأظهر فيه أن يكون حقيقةً، وأن يكون الله أنطقه إنطاقا كما خلق الحنينَ فى الجِذْع (٣)، ولكن ليس من شرط الكلام الذى هو صوت وحرف : الحياةُ والعلمُ والإرادة ، لأنه صوتٌ كسائرِ الأصوات ، والصوتُ : عَرَض فى قول

(١) من أشهر الأقوال عن أولى العزم أنهم : نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ، ودليلهم أن الله نص على أسمائهم فى الأحزاب فقال : (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ، ومنك ، ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا) الأحزاب : ٧ كما نص عليهم فى سورة الشورى: « شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى أوحينا إليك ، وماوصى به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولاتتفرقوا فيه » الشورى: ١٣ . وقيل إنهم جميع الرسل ، وتكون من لبيان الجنس .

(٢) فى الترمذى والدارمى « قال على : كنت مع النبى « ص » بمكة فخرجنا فى بعض نواحيها ، فما استقبله جبل ولاشجر إلا وهو يقول: السلام عليك يارسول الله» وروى مثله الطبرانى فى الأوسط ، وفيه مجهول .

(٣) ورد حنين الجذع فى حديث رواه البخارى والنسائى والترمذى .

رفع
المسهم
عز الله لطالب الدين

. . . .

الأكثرين ، ولم يخالف فيه إلا النَّظَّام ، فإنه زعم أنه جِسْمٌ ، وجعله الأشعريُّ اصْطِكاكاً في الجواهر بعضها لبعض ، وقال أبو بكر بن الطيب : ليس الصوت نفسَ الاصطكاك ، ولكنه معنى زائد عليه ، وللاحتجاج على القولين ولهما موضع غير هذا ، ولو قَدَّرت الكلام صفةً قائمة بنفس الحجَر والشَّجر ، والصوتَ عبارة عنه ، لم يكن بُدٌّ من اشتراط الحياة والعلم مع الكلام ، والله أعلم : أى ذلك كان ، أكان كلاما مقرونا بحياة وعلم ، فيكون الحجر به مؤمنا ، أو كان صوتا مجردا غير مقترن بحياة ؟ وفى كلا الوجهين هو عَلَمٌ من أعلام النُّبُوءة (١)، وأما حَنِين الجِذْع فقد سمى حنينا ، وحقيقة الحنين يقتضى شرط الحياة ، وقد يحتمل تسليمُ الحجارة أن يكون مضافا فى الحقيقة إلى ملائكة يسكنون تلك الأماكن ، يَعْمُرُونها ، فيكون مجازا من قوله تعالى : (واسْئَلِ القَرية)(٢) والأول أظهر ، وإن كانت كل صورة من هذه الصور التى ذكرناها فيها عَلَمٌ على نبوته — عليه السلام — غير أنه لا يسمى معجزة(٣) فى اصطلاح المتكلمين إلا ما تَحَدَّى به الخَلْقَ ، فعجزوا عن معارضته .

---

(١) ليس لأحد أن يتكلم عن حقيقة مثل هذا ، فالله وحده هو أعلم بالحقيقة .

(٢) القرية — كما يقول الراغب فى مفرداته — اسم للموضع الذى يجتمع فيه الناس ، وللناس جميعا . وبهذا لا يكون فى الآية مجاز كما هو المشهور .

(٣) يجب أن نسميها بما سمى الله ، وهى : آية ، وبهذا تتجاوب الكلمة مع سكينة القلب والفكر وتقديسهما ، ونخلصها مما دار حول المعجزة من جدال ، واضطرم من شحناء وموازنات بينها وبين السحر والكرامة . والله سبحانه يسمى ما أعطاه للرسل آيات ، لا معجزات فلنقف عند هذا .

رفع
المسـاهم
عز الله الملك

. . . .

مدلول تفعل :

وذكر حديث عُبَيْدِ بن عُمَيْرٍ أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كان يجاور بغار حِرَاء (١) ويتحنَّثُ فيه، قال : والتَّحَنُّثُ : التَّبَرُّرُ . تَفَعُّلٌ من البِرِّ، وتَفَعُّلٌ : يقتضي الدخول فى الفعل، وهو الأكثر فيها مثل: تفقَّه وتعبَّد وتنسَّك وقد جاءت فى ألفاظ يسيرة تعطى الخروج عن الشيء واطِّراحه، كالتَّأَثُّم والتَّحَرُّج. والتَّحَنُّثُ بالثاء المثلثة (٢) ، لأنه من الحِنْث ، وهو الحِمْل الثَّقِيلُ ، وكذلك

---

(١) جبل بينه وبين مكة ثلاثة أميال على يسار الذاهب إلى منى، ويقصر ويمد

(٢) فى كتاب الأضداد للصغانى : تحنث إذا أتى الحنث ، وإذا تجنبه ، ومثله فى كتاب الأضداد لأبى بكر الأنبارى ، وفيه : تحوب الرجل إذا تجنب الحوب ، وهو الإثم العظيم ، ولا يستعمل تحوب فى المعنى الآخر . وقال بعض أهل اللغة . تصدق الرجل إذا أعطى ، وتصدق إذا سأل « ص ١٤٥ ، ١٥٤ الأضداد ط ١٣٢٥ ﻫ لمحمد ابن القاسم بن بشار الأنبارى أبى بكر . ويقول الخشنى عن رأى ابن هشام فى التحنث وأنه التحنف : « فالجيد فيه أن يكون فيه التحنث هو الخروج من الحنث أى : الإثم ، كما يكون التأثم الخروج عن الاثم، لأن تفعّل قد تستعمل فى الخروج عن الشيء ، وفى الانسلاخ عنه ، ولا يحتاج فيه إلى الإبدال الذى ذكره ابن هشام » ص ٧٥ :هذا ولصيغة تفعّل معان مذكورة فى مصادرها فانظرها مثل ج ١ ص ١٤٠ الشافية للرضى. وفى الصحيحين أنه جاور بحراء شهراً . وذكر ابن إسحاق أنه شهر رمضان . وليس هنالك نص صريح أو صحيح يبين لنا كيف كان يتحنث . وأذكر هنا بقول الله سبحانه عما كان عليه محمد قبل البعثة : « ما كنتَ تدرى ما الكتابُ ولا الإيمانُ » وقوله : « ووجدك ضالا فهدى » فهى إذا كانت عزلة عن مجتمع جاهلى عربدت فيه الخطيئة . والمفهوم من كلام ابن هشام أن هذا التحنث أمر كانت تأتيه قريش فى جاهليتها .

رفع المسأهم

. . . .

التَّقَذُّر ، إنما هو تباعدٌ عن القَذَر ، وأما التَّحنُّفُ بالفاء ، فهو من باب التَّبَرُّر ، لأنه من الحنيفيَّة دين إبراهيم ، وإن كان الفاء مُبْدَلَةً من الثَّاء ، فهو من باب التَّقَذُّر والتأثُّم ، وهو قول ابن هِشَام ، واحتجَّ بجَدَف وجَدَث ، وأنشد قول رُؤْبَةَ : لوكان أحْجَارِى مع الأجْدَاف ، وفى بيت رُؤْبَةَ هذا شاهدٌ وردٌّ على ابن جِنِّى حيث زعم فى سِرِّ الصناعة أن جَدَف بالفاء لايجمع على أجدَاف ، واحتج بهذا لمذهبه فى أن الثاء هى الأصل ، وقول رُؤْبَةَ (١) ردٌّ عليه ، والذى نذهب إليه أن الفاء هى الأصل فى هذا الحرف ، لأنه من الجَدْف وهو القَطْع ، ومنه مِجْدَافُ السفينة ، وفى حديث عمر فى وصف الجن : شرابهم الجَدَفُ وهى الرَّغْوَة ، لأنها تُجْدَف من الماء ، وقيل : هى نبات يقطع ويؤكل . وقيل : كل إناء كشف عنه غطاؤه : جَدَفٌ ، والجَدَفُ : القبر من هذا ، فله مادة وأصل فى الاشتقاق ، فأجْدِر بأن تكون الفاء هى الأصل والثاء داخلة عليها . (٢)

حول مجاورته فى حراء :

وقوله : يُجاور فى حراء إلى آخر الكلام . الجِوار بالكسر فى معنى المجاورة

---

(١) هو جزء من بيت من أرجوزة يعاتب بها رؤبة أباه العجاج . وقبله .

لا تُعجلَنَّ الحتفَ ذا الإتلاف   والدَّهرُ إن الدهر ذو ازدلاف
بالمرء ذو عصف وذو انصراف   لو كان أحجارى مع الأجداف
تعفو على جُرثومة العوافى   تضربها الأمطار والسوافى

انظر ص ١٠٠ من ديوان رؤبة ط ليبسيج ببرلين

(٢) الجدف بالذال والدال : القبر ، وكذلك الجدث . وفى القاموس عن الجدف أنه نبات باليمن يغنى آكله عن شرب الماء عليه . وهو أيضا مارمى به التراب من زبد أوقذى . وكل ماهو بالدال من هذا يقال بالذال أيضا .

رفع
المسهم
عزالله الرطيالدين

وهى الاعتكاف ، ولا فرق بين الجوار والاعتكاف إلا من وجه واحد ، وهو أن الاعتكاف لايكون إلا داخل المسجد ، والجوارُ قد يكون خارجَ المسجد كذلك قال ابن عبد البر ، ولذلك لم يُسَمَّ جوارُه بِحِراء اعتكافا ، لأن حراء ليس من المسجد، ولكنه من جبال الحرم ، وهو الجبل الذى نادى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم — حين قال له ثَبِيرُ وهو على ظهره : اهبط عنى ؛ فإنى أخاف أن تُقْتَل على ظهرى فأعذَّب ، فناداه حِراء : إلىَّ إلىَّ يارسولَ الله (١).

كيفية الوحى :

فصل : وذكر نزول جبريل على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : فى الحديث : فأتانى وأنا نائم، وقال فى آخره : فهببت من نومى، فكأنما كُتِبَتْ فى قلبى كتابا، وليس ذكرُ النوم فى حديث عائشة ولا غيرها، بل فى حديث عروة عن عائشة مايدل ظاهره على أن نزول جبريل حين نزل بسورة اقرأ ، كان فى اليقظة؛ لأنها قالت فى أول الحديث : أول ما بُدِىء به رسول الله — صلى الله عليه وسلم : الرؤيا الصادقة ، كان لايرى رؤيا إلا جاءت مثل فَلَق الصبح ، ثم حَبَّبَ الله إليه الخلاء — إلى قولها — حتى جاءه الحقُّ ، وهو بغار حراء ، فجاءه جبريلُ . فذكرت فى هذا الحديث أن الرؤيا كانت قبل نزول جبريل على النبى — عليه السلام — بالقرآن ، وقد يمكن الجمع بين الحديثين بأن النبى — صلى الله عليه وسلم — جاءه جبريلُ فى المنام قبل أن يأتيه فى اليقظة تَوْطِئَةً وتيسيراً عليه.

(١) حديث يروى فى السير ، وذكره عياض فى الشفاء بلاسند فهى أسطورة.

ورفقاً به ، لأن أمر النُّبُوءة عظيم ، وعِبْؤُها ثقيل ، والبشر ضعيف ، وسيأتى في حديث الإسراء من مقالة العلماء مايؤكد هذا ويصححه . قد ثبت بالطرق الصِّحاح عن عامر الشَّعبى أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وكل به إسرافيلُ، فكان يتراءى له ثلاث سنين، ويأتيه بالكلمة من الوحى والشىء (١) ثم وكل به جبريلُ فجاءه بالقرآن والوحى، فعلى هذا كان نزولُ الوحى عليه — صلى الله عليه وسلم — فى أحوال مختلفة، فمنها: النوم كما فى حديث ابن إسحاق، وكما قالت عائشة أيضاً: أول مابدىء به رسول الله — صلى الله عليه وسلم : الرؤيا الصادقة (٢) وقد قال إبراهيم عليه السلام : ﴿إنى أرى فى المنام أنى أذْبَحُكَ فانظُرْ ماذَا تَرى﴾ فقال له ابنه : ﴿ افْعَلْ ماتُؤْمَر ﴾ الصافات : ١٠٢ ، فدل على أن الوحى كان يأتيهم فى المنام ، كما يأتيهم فى اليقظة .

ومنها : أن يُنْفثَ فى رُوعه الكلام نَفْثاً ، كما قال عليه السلام : إن رُوح القُدُس نَفَث فى رُوعِى أن نفساً لن تموتَ ، حتى تَستكملَ أجَلَهَا ورزقَها ».

---

(١) هذا مخالف لما ثبت فى الأحاديث الصحيحة .

(٢) ورد هذا فى حديث — رواه الشيخان والترمذى . وقد روى البخارى حديث الوحى فى كتاب التعبير من صحيحه وفى التفسير ، وفى بدء الوحى ، واختار ما فى التعبير، لأن سياقه فيه أتم . وفى زاد المعاد أنه قيل: إن مدة الرؤية كانت ستة أشهر ويقول النووى عن حديث الرؤيا الذى روته عائشة: إنه من مراسيل الصحابة ؛ لأن عائشة لم تدرك هذه القصة ، فتكون سمعتها من النبى « ص » أو من صحابى ». ص ٥٨١ ج ٨ فتح البارى .

رفع عبد الرحمن الهجري - أسكنه الله الفردوس

فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب[١] . وقال مجاهد ، وأكثر المفسرين فى قوله سبحانه: ﴿وما كان لبشرٍ أن يُكلِّمَهُ اللهُ إلا وَحْياً﴾ الشورى : ٥١ . قال هو أن يَنْفُثَ فى رُوعه بالوحى .

ومنها : أن يأتيه الوحى فى مثل صَلْصَلَةِ الجَرَسِ[٢] ، وهو أشدُّه عليه ، وقيل : إن ذلك ليَسْتَجْمِعَ قلبه عند تلك الصلصلة ، فيكون أوعى لما يسمع ، وألْقَنَ لما يلقى .

ومنها : أن يتمثل له الملَكُ رجلا ، فقد كان يأتيه فى صورة دِحْية[٣] بن

---

(١) أبو نعيم فى الحلية عن أبى أمامة ، وعلم عليه السيوطى بأنه ضعيف ، ورواه بتمامه ابن أبى الدنيا فى كتاب القناعة والحاكم من حديث ابن مسعود ، وابن ماجة عن جابر ، والطبرانى من حديث أبى أمامة . والروع بضم الراء : النفس والقلب والذهن والعقل .

(٢) ورد هذا فى حديث متفق عليه .

(٣) دحية بكسر الدال وقد تفتح ـ بن خليفة بن فروة بن فضالة بن زيد ابن امرىء القيس بن الخزرج ، أول مشاهده الخندق . نزل دمشق وسكن المزة ، وعاش إلى خلافة معاوية . وذكر مقاتل أن التجارة التى سيأتى ذكرها كانت لدحية قبل إسلامه . وكان معها طبل ، كما ورد فى كتاب المراسيل فى حديث رواه أبو داود . هذا وقد نزل جبريل على الرسول «ص» بصورة رجل غير دحية ، كما جاء فى حديث أبى هريرة فى الصحيحين ، وذلك حين جاءه جبريل يسأله عن الإيمان والإسلام والإحسان . وفى آخر الحديث . هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم . وقد وصف جبريل فى صورته هذه ـ كما جاء فى مسلم ـ بأنه رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد ، فلو أنه كان فى صورة دحية لعرفوه .

رفع المسهم

خليفة ، ويُروى أن دِحْية إذا قدم المدينة لم تبق مُعْصِرٌ(١) إلا خرجت تنظر إليه لفرط جَماله . وقال ابن سلام فى قوله تعالى : ﴿وإذا رأوا تجارةً أو لهْواً﴾ الجمعة : ١١ . قال : كان اللهو نظَرَهم إلى وجه دِحْيةَ لجماله .

ومنها : أن يتراءى له جبريل فى صورته التى خلقه الله فيها ، له ستمائة جناح ، ينتشر منها اللؤلؤ والياقوتُ .

ومنها : أن يكلمه الله من وراء حجابٍ : إما فى اليقظة كما كلمه فى ليلة الإسراء ، وإمّا فى النوم ، كما قال فى حديث معاذ الذى رواه الترمذى ، قال : أتانى ربى فى أحسن صورة ، فقال : فيم يختصم الملأ الأعلى ، فقلت : لا أدرى . فوضع كفَّه بين كتفىَّ ، فوجدت بَرْدَها بين ثُنْدُوَتَىَّ(٢) وتجلى لى علم كل شىء ، وقال : يامحمد ، فيم يختصم المَلأُ الأعلى ، فقلت : فى الكفّارات ، فقال : وما هُنَّ !؟ فقلت : الوضوء عند المكريهات ، ونقْل الأقدام إلى الحسنات ، وانتظار الصلوات بعد الصلوات ، فمن فعل ذلك عاش حَميداً ، ومات حَميداً ، وكان من ذنبه كَمَنْ ولدته أمُّه ، وذكر الحديث(٣) . فهذه ستة أحوال ، وحالة سابعة قد قدمنا ذكرَها ، وهى

---

(١) المرأة بلغت شبابها وأدركت .

(٢) ثندوة بضم فسكون ، فضم فواو مفتوحة فتاء ، وقد تفتح الثاء : لحمة الثدى أو أصله .

(٣) أحمد وعبد الرازق والترمذى والطبرانى عن ابن عباس مرفوعا ، وابن مردويه والطبرانى من حديث معاذ ، وقال البيهقى فى الأسماء والصفات : « هذا حديث مختلف فى إسناده . ثم ذكر طرقه ، وقال : وكلها ضعيف ، وأحسن طريق فيه رواية جهضم بن عبد الله ـ وهى منقطعة ـ ثم رواية موسى بن خلف =

. . . .

نزول إسرافيل عليه بكلمات من الوحى قبل جبريل[١] فهذه سبعُ صور فى كيفية نزول الوحى على محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم أر أحداً جمعها كهذا الجمع ، وقد استشهدنا على صحتها بما فيه غُنْيَة ، وقد أملينا أيضاً فى حقيقة رؤيته عليه السلام ربَّه فى المنام على أحسن صورة ، ويُروَى : على صورة شاب مسألة بديعةً كاشفة لقناع اللَّبْس ، فاتُنْظر هنالك .

من تفسير حديث الوحى :

فصل : وذكر فى الحديث أن جبريل أتاه بِنَمَطٍ[٢] من ديباج فيه كتاب، فقال : اقرأ، قال بعض المفسرين فى قوله : (الم ذلك الكتاب لاريب فيه) إنها إشارة إلى الكتابِ الذى جاءه به جِبْريلُ حين قال : اقرأ، وفى الآية أقوال غير هذه ، منها : أنها إشارة إلى ما تضمنه قوله سبحانه: الم ؛ لأن هذه الحروف المقطعة تضمنت معانى الكتاب كله ، فهى كالترجمة له .

= وفيه ما يثبت أنه كان فى النوم ، وذكر ابن الجوزى أن طرق هذا الحديث مضطربة .

(١) ورد فى أثر عن الشعبى فى تاريخ الإمام أحمد ويعقوب بن سفيان وابن سعد والبيهقى . وهو مرسل أو معضل . وكلاهما من أقسام الضعيف ، وقد أنكره الواقدى ، وقال : لم يكن به من الملائكة إلا جبريل . قال الشامى : وهو المعتمد . وهو معارض للأحاديث الصحيحة .

(٢) وعاء كالسفط . وهذا من مرسلات عبيد بن عمير .

رفع المسهم عبد الله الرحمن

. . . .

معنى اقرأ باسم ربك :

وقوله : ما أنا بقارىء ، أى : إنى أُمِّىٌّ ، فلا أقرأ الكتب ، قالها[١] ثلاثا فقيل له : اقرأ باسم ربك ، أى : إنك لاتقرؤه بِحَوْلِكَ ، ولا بصفة نفسك ، ولا بمعرفتك ، ولكن اقرأ مفتتحا باسم[٢] ربك مستعينا به ، فهو يعلمك كما خلقك وكما نزع عنك عَلَقَ الدم ، ومَغْمَزَ الشيطان بعد ما خلقه فيك ، كما خلقه فى كل إنسانٍ . والآيتان المتقدمتان لمحمد ، والآخرتان : لأمته ، وهما قوله تعالى : (الذى علَّم بالقلم علَّم الإنسان مالم يعلَمْ) لأنها كانت أُمَّةً أُمِّيَّةً لا تكتب ، فصاروا أهل كتابٍ ، وأصحابَ قلمٍ ، فتعلموا القرآن بالقلم ، وتعلمه نبيُّهم تلقينا من جبريل نزله على قلبه بإذن الله ، ليكون من المرسلين .

حول بسم الله :

فصل : وفى قوله : اقرأ باسم ربك من الفقه : وجوب استفتاح القراءة ببسم الله الرحمن الرحيم[٣] ، غير أنه أَمْرٌ مُبْهَمٌ لم يبين له بأى اسم من أسماء ربه يفتتح ،

---

(١) قيل إن ما استفهامية ، لما ورد فى رواية أبى الأسود عن عروة : كيف أقرأ ؟ وابن إسحاق عن عبيد بن عمير ، ماذا أقرأ ؟ وقد جوز الأخفش دخول الباء على الخبر المثبت ، وجزم به ابن مالك فى : بحسبك زيد ، فجعل الخبر بحسبك وجعل الباء زائدة وسيأتى فى الشرح وفى الروض .

(٢) أى ناويا بقراءته وجه الله سبحانه ، ويجب فى قراءة القرآن الاستفتاح أولا بالاستعاذة ، فقد جاء الأمر بها صريحاً فى القرآن .

(٣) يقول ابن كثير : افتتح بها الصحابة كتاب الله ، واتفق العلماء على أنها بعض آية من سورة النمل ، ثم اختلفوا : هل هى آية مستقله فى أول كل سورة ، =

. . . .

حتى جاء البيان بعدُ فى قوله: (بسم الله مَجْرِيها) هود: ٤١ ثم قوله تعالى: (وإنه بِسْم الله الرحمن الرحيم) النمل: ٣٠. ثم كان بعد ذلك ينزل جبريل عليه ببسم الله الرحمن الرحيم مع كل سورة، وقد ثبتت فى سواد المصحف بإجماع من الصحابة على ذلك، وما ذكره البخارى من مصحف الحسن البصرى، فشذوذ، فهى على هذا من القرآن، إذ لا يكتب فى المصحف ما ليس بقرآن، ولا يلتزم قول الشافعى أنها آية من كل سورة، ولا أنها آية من الفاتحة، بل نقول: إنها آية من كتاب الله تعالى، مقترنة مع السورة، وهو قول داود وأبى حنيفة، وهو قول بيِّن القوة لمن أنصف، وحين نزلت بسم الله الرحمن الرحيم سبَّحت الجبال، فقالت قريش: سَحَرَ محمد الجبال (١) ذكره النقاش، وإن صح ما ذكره، فلمعنًى مّا سبَّحت عند نزولها خاصة، وذلك أنها آية أنزلت على آل داود، وقد كانت الجبال تسبِّح مع داود، كما قال الله تعالى: (إنا سخَّرنا الجبالَ معه يُسَبِّحْنَ بالعَشِيِّ والإشراق) ص: ١٨ وقال: (إنه من سُلَيْمانَ، وإنه بِسْم الله الرحمن الرحيم) النمل: ٣٠.

وفى الحديث ذكر نَمَطَ الديباج من الكتاب، وفيه دليل وإشارة إلى

= كتبت فى أولها، أو أنها بعض آية من كل سورة، أو أنها كذلك فى الفاتحة دون غيرها: أو أنها إنما كتبت للفصل بين السور لا أنها آية. على أقوال العلماء سلفا وخلفا؟ هذا وفى صحيح البخارى عن أنس أنه سئل عن قراءة النبى صلى الله عليه وسلم فقال: «كانت قراءته مدا مدا، ثم قرأ: بسم الله الرحمن الرحيم يمد باسم الله، ويمد الرحمن، ويمد الرحيم».

(١) كيف عرفت قريش أنه تسبيح للجبال؟ والله يقول: «ولكن لا تفقهون تسبيحهم» فكيف يفقهه عتاة الشرك؟

رفع
المسار

أن هذا الكتابَ يفتح على أمَّته مُلكَ الأعاجم ، ويسلبونهم الديباجَ والحرير الذى كان زِيَّهم و زينَتهم ، وبه أيضا ينال ملكُ الآخرة ولباسُ الجنة وهو الحرير والديباج (١) ، وفى سِيَرِ موسى بن عقبة ، وسير سليمان بن المعتمر زيادة ، وهو أن جبريلَ أتاه بدُرْنُوكٍ(٢) من ديباج مَنْسوج بالدُّر والياقوت ، فأجلسه عليه ، غير أن موسى بن عقبة قال: ببساط ، ولم يقل: دُرْنُوك ، وقال فى سير ابن المعتمر: إن الله تعالى أنزل عليه : (أَلَمْ نَشْرَح لكَ صَدْرَكَ) الآيات، كأنه يشير به ، فمسح جبريلُ صدره ، وقال : اللهم اشرحْ صدرَه ، وارفع ذكره ، وضع عنه وِزرَه ، ويصحح مارواه ابن المعتمر أن الله تعالى أنزل عليه : (ألم نشرح لك صدرك) الآيات ، كأنه يشير إلى ذلك الدعاء الذى كان من جبريل ، والله أعلم(٣) .

الغط :

وقوله فى الحديث : فغطَّنى (٤) ، ويروى : فَسَأَبنى ، ويروى : سَأَتَنى ، وأحسبه أيضا يروى : فَذَعَتَنى (٥) وكلها بمعنى واحد ، وهو الخَنْق والغَمّ ، ومن الذَّعْتِ حديثه الآخر : أن الشيطانَ عرض له ، وهو يصلى قال : فَذَعَتُّه ، حتى وجدت بَرْدَ لِسانه على يدى ، ثم ذكرت قول أخى سليمان : (رَبِّ هَبْ لى مُلكاً

(١) هكذا يبنى على روايات واهية أمورا هى حقائق لاتبنى على مثل هذا الباطل .

(٢) فى النهاية لابن الأثير : ستر له خمل وجمعه : درانك ، ويقال : درموك أيضا ، وفى القاموس . ضرب من الثياب أو البسط كالدرنيك بكسر الدال والطنفسة كالدِّرنك كزبرج .

(٣) رواية ضعيفة لايعتد بها فلماذا يعتد بها السهيلى ؟

(٤) غطنى : ضمنى وعصرنى ، والغت : حبس النفس .

(٥) ذعته — أيضا — : ذأته ومعكه فى التراب ، ودفعه دفعا عنيفا وتقال بالدال أيضا والسَّأبُ : العصر فى الحلق ، والسأت : الخنق .

رفع المسلم

. . . .

لاينبغى لأحدٍ من بَعْدِى) الحديث ، وكان فى ذلك إظهارٌ للشدة والجِد فى الأمر ، وأن يأخذ الـكتابَ بقوة ، ويترك الأناةَ فإنه أمر ليس بالْهُوَيْنَى، وقد انتزع بعضُ التابعين وهو شُرَيْحٌ القاضى من هذا : ألا يُضرَب الصبى على القرآن

---

(١) فى البخارى فى باب التفسير : «إن عفريتا من الجن تفلت على البارحة — أوكلمة نحوها — ليقطع على الصلاة ، فأمكننى الله تبارك وتعالى منه، وأردت أن أربطه إلى سارية من سوارى المسجد ، حتى تصبحوا وتنظروا إليه كلكم ، فذكرت قول أخى سليمان — عليه الصلاة والسلام : رب اغفر لى ، وهب لى ملـكا لا ينبغى لأحد من بعدى ، قال روح — يعنى ابن عبادة راوى الحديث : فرده خاسئا . وهكذا رواه مسلم والنسائى من حديث شعبة به ، وروى مسلم فى صحيحه عن أبى الدرداء قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى ، فسمعناه يقول : أعوذ بالله منك ، ثم قال ألعنك بلعنة الله ثلاثا ـ وبسط يده كأنه يتناول شيئا ، فلما فرغ من الصلاة قلنا : يا رسول الله سمعناك تقول فى الصلاة شيئا لم نسمعك تقوله قبل ذلك ، ورأيناك بسطت يدك ، قال صلى الله عليه وسلم : إن عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار ليجعله فى وجهى ، فقلت : أعوذ بالله منك ثلاث مرات ، ثم قلت : ألعنك بلعنة الله التامة ، فلم يتأخر ثلاث مرات ، ثم أردت أن آخذه . والله لولا دعوة أخينا سليمان لأصبح موثقا يلعب به صبيان أهل المدينة . وفى حديث أحمد عن أبى سعيد الخدرى أنه كان فى صلاة الصبح فالتبست عليه القراءة ، وأنه قال بعد انتهاء الصلاة : (لو رأيتمونى وإبليس فأهويت بيدى، فمازلت أخنقه حتى وجدت برد لعابه بين أصبعى هاتين ـ الإبهام والتى تليها ـ ولولا دعوة أخى سليمان لأصبح مربوطا بسارية من سوارى المسجد يتلاعب به صبيان المدينة) ولقد قيل هنا : كيف يقال: إن الرسول صلى الله عليه وسلم ـ ذكر دعوة سليمان ، ولم يذكر إنظار الله لإبليس حتى يوم الدين ؟ وربنا أعلم بما كان .

رفع المسلم

. . . .

إلا ثلاثا كما غَطَّ جبريلُ عليه السلام محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثلاثا ، وعلى رواية ابن إسحٰق أن ذلك في نومه كان(1) ، يكون في تلك الغَطَّات الثلاث من التأويل ثلاثُ شدائد ، يُبْتلى بها أولا ، ثم يأتي الفرج والرَّوْح ، وكذلك كان لَقِيَ هو وأصحابه ، شدةً من الجوع في شِعْب الخيف ، حين تعاقدت قريش ألاَّ يبيعوا منهم، ولا يتركوا مِيرَةً تصل إليهم ، وشدةً أخرى من الخوف والإيعاد بالقتل ، وشدةً أخرى من الإجلاء عن أحب الأوطان إليه ، ثم كانت العاقبة للمتقين ، والحمد لله رب العالمين .

ما أنا بقارئ :

وقوله في حديث ابن إسحٰق : اقرأ ، قال : ما أقرأ ، يحتمل أن تكون ما استفهاما ، يريد : أي شيء أقرأ ؟ ويحتمل أن تكون نفيا ، ورواية البخاري ومسلم تدل على أنه أراد النفي ، أي : ما أحسِن أن أقرأ ، كما تقدم من قوله : ما أنا بقارئ(2) .

---

(1) رواية المنام من مراسيل عبيد بن عمير ، وهي مخالفة لرواية الصحيحين المسندة المرفوعة ، والجمع بين الروايتين بأن هذا كان مرتين : الأولى في المنام والأخرى في اليقظة تأويل فاسد ، فلو أن هذا حدث ، ماحدث له كل ذلك الذي أصابه من شدة الوحي في المرة الأخرى .

(2) فإن قيل : لم كرر ثلاثا ؟ أجاب أبو شامة : بأن يُحمل قوله أولا : ما أنا بقارئ على الامتناع ، وثانيا : على الإخبار بالنفي المحض ، وثالثا : على الاستفهام ، ويؤيده أن في رواية أبي الأسود في مغازيه عن عروة أنه قال : كيف أقرأ ؟ وفي رواية ابن عمير عن ابن إسحاق : ماذا أقرأ ؟ ، وفي مرسل الزهري في دلائل البيهقي : كيف أقرأ . وكل ذلك يؤيد أنها استفهامية .

رفع المسهم

. . . .

رؤيته جبريل ومعنى اسمه:

وذكر رؤيته لجبريل ، وهو صَافٌّ قدميه ، وفي حديث جابر أنه رآه على رَفْرَفٍ[1] بين السماء والأرض ، ويروى: على عرش بين السماء والأرض ، وفي حديث البخاري الذي ذكره في آخر الجامع أنه حين فَتَرَ عنه الوحي ، كان يأتي شواهق الجبال يهم بأن يُلقي نفسه منها ، فكان جبريل يَتَراءى له بين السماء والأرض ، يقول له : أنت رسول الله ، وأنا جبريل . واسم جبريل سُرْيانى ، ومعناه : عبد الرحمن ، أو عبد العزيز . هكذا جاء عن ابن عباس موقوفا ومرفوعا أيضاً ، والوقف أصله . وأكثر الناس على أن آخر الاسم منه هو اسم الله ، وهو: إيل ، وكان شيخنا رحمه الله يذهب مذهب طائفة من أهل العلم في أن هذه الأسماء إضافتها مقلوبة ، وكذلك الإضافة في كلام العجم ، يقولون في غلام زيدٍ: زيد غلامٍ ، فعلى هذا يكون إيل عبارة عن العبد ، ويكون أولُ الاسم عبارةً عن اسم من أسماء الله تعالى ، ألا ترى كيف قال في حديث ابن عباس: جبريل وميكائيل، كما تقول : عبدالله وعبد الرحمن ، ألا ترى أن لفظ عبد يتكرر بلفظ واحد ، والأسماء ألفاظها مختلفة .

حول معنى إل وخرافة الرهبان :

وأما إلّ بالتشديد من قوله تعالى : (إلاً ولا ذِمَّة) التوبة : ١٠ فحَذَارِ

---

(١) البساط أو الستر ، وأصله ما كان من الديباج ، وغيره رقيقا حسن الصنعة ، ثم توسع فيه .

رفع المساهم

. . . .

حَذار من أن تقول فيه : هو اسم (١) الله ، فتسمى الله باسم لم يُسَمِّ به نفسه ألا ترى أن جميع أسماء الله تعالى معرفة ، و « إلٌّ » نكرة ، وحاشا لله أن يكون اسمه نكرة ، وإنما الأَلُّ كل ماله حُرْمة وحق ، فمما له حق ويجب تعظيمه : القرابة والرَّحِمُ والجوار والعهد ، وهو من أَلَلْت : إذا اجتهدت فى الشىء وحافظت عليه ، ولم تضيعه ، ومنه : الأَلُّ فى السير وهو الجِد ، ومنه قول الكُمَيت [يصف رجلا] .

وأنتَ ما أنت فى غَبْراءِ مُجْدِبةٍ ... إذا دَعَتْ أَلَلَيْهَا الكاعبُ الفُضُل (٢)

يريد : اجتهدت فى الدعاء ، وإذا كان الأَلُّ بالفتح المصدرَ ، فالإِلُّ بالكسر : الاسم كالذِّبح من الذَّبح ، فهو إذاً الشىء المحافَظ عليه ، وقول الصِّدِّيق : [عن كلام مُسَيْلِمَة] : هذا كلام لم يخرج من إلٍّ ولا برٍّ ، أى : لم يصدر عن ربوبية ، لأن الرُّبوبية حقُّها واجبٌ مُعظَّمٌ ، وكذلك فسّره أبو عُبَيْد ، واتفق فى اسم جبريل عليه السلام أنه موافق من جهة العربية لمعناه ، وإن كان أعجميا ، فإن الجبرَ هو إصلاح ما وهى ، وجبريل موكل بالوحى ، وفى الوحى إصلاح ما فسد ، وجَبْر ماوَهَى من الدين ، ولم يكن معروفا بمكة ولا بأرض العرب فلما أخبر النبىُّ صلى الله عليه وسلم خديجة به انطلقت تسئل مَنْ عنده علمٌ من الكتاب كعَدَّاس ونَسْطُور الراهب (٣) ، فقال لها : قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ ! أنّى لهذا الاسم أن

---

(١) له الحق فى أن يحذر من هذا ، فهو ليس من الأسماء الحسنى ، وإن كان موجودا فى بعض معاجم اللغة .

(٢) فى الأصل : إليهما ، والبيت فى اللسان هكذا :

وأنت ما أنت فى غبراء مظلمة ... إذا دعت أَلَلَيْها الكاعبُ الفُضُل

(٣) تكلمت عن هذا من قبل ، وعداس - كما قيل - نصرانى من نينوى وانظر قصته فى السيرة الحلبية ص ٢٧٨ ج ١ .

رفع المسلمين

. . . .

يُذكر فى هذه البلاد ، وقد قدمنا هذا الخبرَ عنها ، وهو فى سِيَرِ التَّيْمِي لما ذكرناه قبل ، وفى كتاب الْمُعَيْطِى عن أشهب قال : سئل مالك عن التَّسَمِّى بجبريل أو من يُسَمِّى به ولدَه ، فكره ذلك ، ولم يعجبه .

معنى الناموس :

وقول ورقة : لقد جاءه الناموسُ الأكبرُ الذى كان يأتى موسى . الناموس : صاحب سِرِّ الْمَلِكِ . قال بعضُهم: هو صاحبُ سِرِّ الخير ، والجاسوسُ : هو صاحبُ سر الشر (١) ، وقد فسره أبو عبيد وأنشد :

فأبلغ يَزِيدَ إنْ عَرَضْتَ ومُنْذِراً ... عَمَّهُمَا والْمُسْتَشِرَّ الْمُنَامِسَا (٢)

لم ذكر موسى ولم يذكر عيسى :

وإنما ذكر ورقةُ موسى ولم يذكر عيسى ، وهو أقرب ، لأن وَرَقَةَ كان قد تنصَّر ، والنصارى لا يقولون فى عيسى : إنه نبيٌّ يأتيه جبريلُ ، إنما يقولون فيه : إن أُقْنُوماً (٣) من الأَقَانيم الثلاثة اللاَّهُوتيَّة حل بناسُوتِ الْمَسِيح ، واتَّحَدَ به على اختلافٍ بينهم فى ذلك الحلول ، وهو أُقنومُ الكلمة ، والكلِمةُ عندهم : عبارةٌ عن العِلم ، فلذلك كان المسيحُ عندهم ، يعلم الغيب ، ويخبر بما فى غد ، فلما كان هذا من مذهب النصارى الكذَبة على الله ، المدعين المحال ، عدل عن ذكر

---

(١) جزم البخارى فى أحاديث الأنبياء أنه صاحب السر ، وقال ابن دريد : صاحب الوحى ، وأهل الكتاب يسمون جبريل : الناموس الأكبر . والخشنى يقول : أصل الناموس هو : صاحب سر الرجل فى خيره وشره .

(٢) البيت للكميت كما ذكر اللسان وفيه : « وعميهما ، والمستسر » بدلا من « عمهما والمستشر » ومعنى المُنامس : الداخل فى الناموس .

(٣) الأقنوم : كلمة رومية معناها : الأصل .

رفع عبد الرحمن الهاشمي المسلم

. . . .

عيسى إلى ذكر موسى لعلمه ، أو لاعتقاده أن جبريلَ كان ينزل على موسى ، لكن وَرَقَةَ قد ثبت إيمانهُ بمحمد عليه السلامُ (١) وقد قدمنا حديث الترمذى أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ رآه فى المنام ، وعليه ثياب بيضٌ إلى آخر الحديث .

حول هاء السكت والفعل تدرك :

وقول ورقة : لتُكَذّبَنَّهْ ، ولَتُؤذَيَنَّهْ ، ولا يُنطق بهذه الهاء إلا ساكنة لأنها هاء السكت ، وليست بهاء إضمار . وقوله : إن أُدْرِكْ ذلك اليوم أنصرْكَ نصراً مُؤَزَّرا ، وقال فى الحديث : إن يُدْرِكني يومُك وهو القياسُ ، لأن ورقةَ سابقٌ بالوجودِ ، والسابقُ هو الذى يُدْرِكه من يأتى بعدَه ، كما جاء فى الحديث : أشقى الناس من أدركته الساعة وهو حى ، ورواية ابن إسحاق أيضا لها وَجْهٌ ، لأن المعنى : أرى ذلك اليوم ، فسمَّى رؤيتَه إدراكا ، وفى التنزيل :

---

(١) غير صواب قوله هذا ، فإن الجن الذين سمعوا القرآن قالوا : (سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى) ، وخير أن نقول : إنه قال ذلك ـ كما ذكر الشيخ رشيد رضا رحمه الله فى الوحى المحمدى ـ لأن الشبه بين الوحى إلى موسى ومحمد عليهما السلام أتم ؛ لأن كلامنهما أوتى شريعة تامة مستقلة فى عباداتها ومعاملاتها وسياستها وقوتها العسكرية ، وعيسى عليه السلام كان تابعا لشريعة التوراة ، وناسخا لبعض الأحكام التى يقتضيها الإصلاح ، ومبشرا بالنبى الذى يأتى بعده بالشرع الكامل العام الدائم . ولهذا يرد ابن حجر فى فتح البارى بقوله : « أما ما تمحل له السهيلى من أن ورقة كان على اعتقاد النصارى فى عدم نبوة عيسى ودعواهم أنه أحد الأقانيم ، فهو محال لا يعرج عليه فى حق ورقة وأشباهه ممن لم يدخل فى التبديل ولم يأخذ عمن بدل » ص ٢٩ جـ ١ ط الحلبى وص ٢١٤ جـ ١ شرح المواهب .

رفع عبد الرحمن الهيثمي المسيَّر

. . . .

﴿ لا تُدْرِكُه الأبصارُ ﴾ أى : لا تراه على أحد القولين. وقوله : مُؤَزَّرا من الأَزْر وهو القوة والعون.

شرح : أو مخرجى ؟ :

فصل : وفى حديث البخارى أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال لورقةَ : أَوَ مُخْرِجِيَّ هم . لا بُدَّ من تشديد الياء فى مخرجى ، لأنه جمع ، والأصل مُخْرِجُوىَ فأُدْغمت الواوُ فى الياء (١) وهو خبر ابتداء مقدَّم ، ولو كان المبتدأ اسما ظاهر الجاز تخفيفُ الياء ، ويكون الاسمُ الظاهرُ فاعلا لا مبتدأ ، كما تقول: أضارب قومُك ، أخارجٌ إخوتُك فتفْرِد ، لأنك رفعت به فاعلا ، وهو حَسَنٌ فى مذهب سيبويه والأخفش ، ولولا الاستفهام ما جاز الإفراد إلا على مذهب الأخفش، فإنه يقول : قائم الزيدون دون استفهام ، فإن كان الاسم المبتدأ من المُضْمَرات نحو : أخارجٌ أنت ، وأقائم هو ؟ لم يصح فيه إلا الابتداء ، لأن الفاعلَ إذا كان مُضْمَراً لم يكن منفصلا لا تقول : قام أنا ، ولا ذهب أنت

---

(١) فى المواهب . وأصله مخرجون لى حذفت اللام تخفيفا ونون الجمع للاضافة إلى ياء المتكلم ، فصار : أو مخرجوى اجتمعت الواو والياء وسبقت الواو ـ بالسكون ، فقلبت ياء ، ثم أدغمت فى ياء المتكلم ، وقلبت الضمة : كسرة لمناسبة الياء ، والهمزة للاستفهام . ولم يقل . وأمخرجى مع أن الأصل أن يجاء بالهمزة بعد العاطف نحو . فأين تذهبون ؛ لاختصاص الهمزة بتقديمها على العاطف تنبيها على أصالتها نحو : أولم يسيروا ؟ هذا مذهب سيبويه والجمهور ، والاستفهام : إنكارى ؛ لأنه استبعد إخراجه من وطنه وهو حرم الله من دون سبب يقتضيه وكذلك ورد فى ص ٤٣ بدائع الفوائد ج ٣ للامام ابن القيم .

رفع
المسالم
غفر الله له ولوالديه

. . . .

وكذلك لا تقول : أذاهبٌ أنت على حدِّ الفاعل ولكن على المبتدأ ، وإذا كان على حَدِّ المبتدأ ، فلابد من جمع الخبر ، فعلى هذا تقول : أَمُخْرِجِيَّ هم ، تريد : مخرجون ، ثم أضفت إلى الياء ، وحذفت النون ، وأدغمت الواو كما يقتضى القياس .

حول اليافوخ والذهاب إلى ورقة :

فصل : وذكر أن ورقة بن نوفل لقى النبى عليه السلام ، فقبل يافُوخَه قد تقدم ذكر اليافوخ ، وأنه يَفْعُول مهموز ، وأنه لا يقال فى رأس الطفل يافوخ حتى يشْتَدَّ وإنما يقال له : الغاذية ، وذكرنا قول العجاج :

ضَربٌ إذا أصاب اليآفيخ حَفَر . ولو كان يافوخ فَاعُولاً ، كما ظن بعضهم لم يجز همزهُ فى الواحد . ولا فى الجمع (١) وفى رواية يونس عن ابن إسحاق بسنده إلى أبى مَيْسرةَ عمرو بن شُرَحْبِيل (٢) أن رسول الله صلى الله عليه

---

(١) هو فى اللسان فى مادة أفخ ، وقال : هو حيث التقى عظم مقدم الرأس وعظم مؤخره ، وهو الموضع الذى يتحرك من رأس الطفل . وفيه أيضا : قال الليث : من همز اليأفوخ ؛ فهو على تقدير يفعول . ومن لم يهمز ، فهو على تقدير فاعول من اليفخ ، والهمز أصوب .

وفى القاموس : أفَخَه : ضرب يافوخَه والجمع : يوافيخ ، وهذا يدل على أن أصله يفخ ؛ ووهم الجوهرى فى ذكره هنا . وفى المعجم الوسيط جمعه : يوافيخ ، ولكنه قال : اليافوخ : هو اليأفوخ وهو فجوة مغطاة بغشاء تكون عند تلاقىَ عظام الجمجمة ، وهما يأفوخان ، يأفوخ أمامى ، ويأفوخ خلفى .

(٢) ذكره البخارى وغيره فى التابعين ، ووثقه ابن معين وآخرون ، وقد

رفع المسابهم

. . . .

وسلم. قال لخديجة : إنى إذا خلوت وحدى سمعت نداءً ، وقد خشيتُ والله أن يكونَ لهذا أمرٌ . قالت : مَعَاذَ اللهِ ما كان الله ليفعلَ ذلك بك . فو الله إنك لتؤدى الأمانة وتصل الرحمَ . وتَصْدُقُ الحديث، فلما دخل أبو بكر ، وليس [عندها] رسول الله صلى الله عليه وسلم – ثم ذكرت خديجةُ له ذلك ، فقالت : ياعَتيقُ اذهبْ مع محمد إلى وَرَقةَ ، فلما دخل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أخذ أبو بكر بيده . فقال : انطلق بنا إلى ورقة بن نوفل . فقال : ومن أخبرك ؟ قال : خديجة ، فانطلقا إليه ، فقصَّا عليه ، فقال : إنى إذا خلوت وحدى سمعت نداءً خلفى : يا محمد يا محمد ، فأنطلقُ هارباً فى الأرض . فقال له : لا تفعل ، إذا أتاك فاثبُت ، حتى تسمع مايقول لك . ثم ائتنِى ، فأخبرنى ، فلما خلا ناداه : يامحمد قل : بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين . حتى بلغ : ولاالضالِّين . قل : لا إله إلا الله . فأتى ورقةَ ، فذكر ذلك له ، فقال له ورقة : أبْشِر ، ثم أبْشِر فأنا أشهد أنك الذى بشر به ابنُ مريم ، وأنك على مثل ناموس موسى ، وأنك نبى مرسل ، وأنك ستؤمر بالجهاد بعد يومك هذا . ولئن أدركنى ذلك لأُجاهدَنَّ معك . فلما تُوفِّىَ ورقةُ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد رأيت القَسَّ فى الجنة ، وعليه ثياب الحرير ، لأنه آمن بى وصدقنى ، يعنى : وَرَقَة ، وفى رواية

= أخرج هذا الحديث البيهق ، وذكر أنه منقطع ، وغرضه من سياقه بيان أنه معارض بحديث الصحيح فى أن أول ما نزل : اقرأ . والعجيب أن يحاول العينى التوفيق بين هذه المتضادات بأن خديجة أرسلته مرة مع الصديق ، وذهبت هى به أخرى وسألت عداسا بمكة ، وسافرت إلى بحيرى – كما روى التيمى – وهو توفيق يعتد به .

رفع المسبهم

. . . .

يونس أيضا أنه عليه السلام قال لرجل سَبَّ ورقة : أما عَلِمْتَ أنى رأيت لورقة جَنَّةً أو جنتين ، وهذا الحديث الأخير قد أسنده البزار (١) .

لقد خشيت على نفسي :

فصل : وفى الصحيح أنه قال لخديجة : لقد خشيت على نفسى ، وتكلم العلماء فى معنى هذه الخشية بأقوال كثيرة ، فذهب أبو بكر الإسماعيلى (٢) إلى أن هذه الخشيةَ كانت منه قبل أن يحصل له العلمُ بأن الذى جاءه ملك من عند الله ، وكان أشق شىء عليه أن يقال عنه : مجنون ، ولم يرَ الإسماعيلى أن هذا محال فى مبدإ الأمر ؛ لأن العلمَ الضرورى قد لا يحصل دفعة واحدة ، وضرب مثلا بالبيت من الشعر تسمع أوله ، فلا تدرى أَنَظْمٌ هو أم نثر ، فإذا استمر الإنشاد ، علمت قطعا أنه قُصِد به قَصْد الشعر ، كذلك لما استمر الوحيُ واقترنت به القرائن المقتضية للعلم القطعى ، حصل العلم القَطْعِيّ ، وقد أثنى الله تعالى عليه بهذا العلم فقال : (آمن الرسولُ بما أُنْزِل إليه من ربه والمؤمنون) إلى قوله : (وملائكته وكتبه ورُسُله) فإيمانه بالله وبملائكته إيمان كَسْبِيٌّ موعود عليه بالثوابِ الجزيل ، كما وعد على سائر أفعاله الْمُكْتَسبة كانت من أفعال القلب أو أفعال الجوارح ، وقد قِيل فى قوله : لقد خشيت على نفسى ، أى : خشيت ألا أنهض بأعباء النبوة ، وأن أضعف عنها ، ثم أزال الله خشيته ، ورَزَقه الأيْدَ والقوة والثبات والعصمة ، وقد قيل : إن خشيته كانت من قومه أن يقتلوه ، ولا غَرْوَ ، فإنه بشر يَخْشَى من القتل

---

(١) ورواه الحاكم فى مستدركه . وهذه روايات ساقطة لا يعتد بها .

(٢) أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن العباس الإسماعيلى الجرجانى ، قال الحاكم : كان واحد عصره ، وشيخ المحدثين والفقهاء مات ٣٧١ .

رفع
المسـ هم
عز الله لمولاه

. . . .

والإذاية الشديدة ما يخشاه البشر ، ثم يُهوِّن عليه الصبرُ فى ذات الله كلَّ خشية ، ويجاب إلى قلبه كلَّ شجاعة وقوة ، وقد قيل فى معنى الخشية أقوال غير هذه رغبت عن التطويل بذكرها(١) .

---

(١) فى فتح البارى : «اختلف العلماء فى المراد بها على اثنى عشر قولا . أولها : الجنون ، وأن يكون ما رآه من جنس الكهانة . جاء مصرحا به فى عدة طرق ، وأبطله أبو بكر بن العربى ، وحق له أن يبطل ، لكن حمله الإسماعيلى على أن ذلك حصل له قبل حصول العلم الضرورى له : أن الذى جاءه ملك ، وأنه من عند الله تعالى . ثانيها : الهاجس وهو باطل أيضا ، لأنه لا يستقر ، وهذا استقر ، وحصلت بينهما المراجعة ، ثالثها : الموت من شدة الرعب ، رابعها : المرض ، وقد جزم به ابن أبى جمرة . خامسها : دوام المرض ، سادسها : العجز عن حمل أعباء النبوة ، سابعها : العجز عن النظر إلى الملك من الرعب ، ثامنها : عدم الصبر على أذى قومه ، تاسعها : أن يقتلوه ، عاشرها : مفارقة الوطن ، حادى عشرها : تكذيبهم إياه ، ثانى عشرها : تعييرهم إياه ، وأولى هذه الأقوال بالصواب وأسلمها من الارتياب : الثالث واللذان بعده ، وما عداها معترض والله الموفق » ص ٢٧ جـ١ ط الحلبى .

هذا ، ويحسن أن ننقل هنا بعض ما ورد فى الصحيحين حول هذا عن مشكاة المصابيح عن ابن عباس ، قال : بعث رسول «ص» لأربعين سنة ، فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة يوحىَ إليه ، ثم أمر بالهجرة ، فهاجر عشر سنين ، ومات ، وهو ابن ثلاث وستين سنة . «متفق عليه»

وعنه : قال : أقام رسول الله «ص» بمكة خمس عشرة سنة يسمع الصوت ، ويرى الضوء سبع سنين ، ولا يرى شيئا . وثمانى سنين يوحى إليه ، وأقام بالمدينة عشرا ، وتوفى وهو ابن خمس وستين «متفق عليه» والأولى أضبط .

« بدء الوحى »

وعن عائشة رضى الله عنها : قالت : أول ما بدئ به رسول الله «ص» من

رفع المسهم

. . . .

الوحى : الرؤيا الصادقة فى النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حبب إليه الخلاء ، وكان يخلو بغار حراء ، فيتحنث فيه ـ وهو التعبد ـ الليالى ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ، ويتزود لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها ، حتى جاء الحق ، وهو فى غار حراء ، فجاءه الملك فقال : اقرأ . فقال : ما أنا بقارىء . قال : فأخذنى فغطنى ، حتى بلغ منى الجهد . ثم أرسلنى فقال : اقرأ ، فقلت : ما أنا بقارىء ، فأخذنى ، فغطنى الثالثة حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلنى ، فقال : اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم) فرجع بها رسول الله ـ ص ـ يرجف فؤاده ، فدخل على خديجة ، فقال : زملونى زملونى ، فزملوه حتى ذهب عنه الروع ، فقال لخديجة ـ وأخبرها الخبر : لقد خشيت على نفسى ، فقالت خديجة: كلا ، والله لا يخزيك الله أبدا ، إنك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق ، ثم انطلقت به خديجة إلى ورقة بن نوفل ابن عم خديجة، فقالت : يابن عم . اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة : يا بن أخى ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله ـ ص ـ خبر ما رأى فقال ورقة : هذا هو الناموس الذى أنزل الله على موسى . ياليتنى فيها جذعاً . ياليتنى أكون حيا ، إذ يخرجك قومك ، فقال رسول الله «ص» : أو مخرجى هم ؟ قال : نعم . لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودى ، وإن يدركنى يومك أنصرك نصرا مؤزرا . ثم لم ينشب ورقة أن توفى ، وفتر الوحى « متفق عليه »

وزاد البخارى فى حديث منقطع : « حتى حزن النبى ـ فيما بلغنا ـ وهو الزهرى راوى الحديث السابق عن عائشة ، وأما هذا فرواه بلاغا ، فهو لهذا منقطع ـ حزنا غدا منه مرارا كى يتردى من رءوس شواهق الجبال ، فكلما أوفى بذروة جبل لكى يلقى نفسه منه ، تبدى له جبريل ، فقال : يا محمد : إنك رسول الله حقا ، فيسكن لذلك جأشه ، وتقر نفسه» البخارى .

وعن جابر : أنه سمع رسول الله يحدث عن فترة الوحى قال : فبينا أنا أمشى

. . . .

سمعت صوتا من السماء ، فرفعت بصرى ، فإذا الملك الذى جاءنى بحراء قاعد على كرسى بين السماء والأرض ، فجئثت منه رعبا ، حتى هويت إلى الأرض ، فجئت أهلى ، فقلت : زملونى زملونى ، فزملونى فأنزل الله تعالى : (يأيها المدثر قم فأنذر ، وربك فكبر ، وثيابك فطهر ، والرجز فاهجر) ثم حمى الوحى وتتابع «متفق عليه» .

كيفية الوحى : وعن عائشة أن الحارث بن هشام سأل رسول الله ، فقال : يارسول الله كيف يأتيك الوحى ؟ فقال رسول الله - ص - أحيانا يأتينى مثل صلصلة الجرس - وهو أشده على - فيفصم عنى ، وقد وعيت عنه ما قال ، وأحيانا يتمثل لى الملك رجلا ، فيكلمنى ، فأعى ما يقول . قالت عائشة : ولقد رأيته ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد ، فيفصم عنه ، وإن جبينه ليتفصد عرقا .

مدة المجاورة : عن يحيى بن أبى كثير قال : سألت أباسلمة بن عبد الرحمن عن أول ما نزل من القرآن ، قال : يأيها المدثر ، قلت : يقولون : اقرأ بسم ربك قال أبو سلمة : سألت جابرا عن ذلك ، وقلت له مثل الذى قلت لى : فقال لى جابر : لا أحدثك إلا بما حدثنا به رسول الله - ص - قال : جاورت بحراء شهرا ، فلما قضيت جوارى هبطت ، فنوديت ، فنظرت عن يمينى ، فلم أر شيئا ونظرت عن شمالى فلم أر شيئا ، ونظرت عن خلفى ، فلم أر شيئا ، فرفعت رأسى فرأيت شيئا ، فأتيت خديجة ، فقلت : دثرونى ، فدثرونى ، وصبوا على ماء باردا . فنزلت : (يأيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر ، وثيابك فطهر ، والرجز فاهجر) وذلك قبل أن تفرض الصلاة : «متفق عليه ورواه الترمذى والنسائى» .

ونلحظ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتحنث بعد البعثة فى غار ما ، فهى إذا ليست سنة شرعية ، كان يعتكف فى المسجد العشر الأواخر من رمضان فحسب ، ولو كان يريد عبادة ، لتعبد فى البيت الحرام . إنما أراد البعد عن المجتمع الآبق الشريد . ولكنه فى النبوة عاش فى هذا المجتمع يدعوه إلى الحق

. . . .

ويقاومه بالحق ، لأن الفرار من المعركة إلى خلوة أو كهف ليس من شيمة الرسل ولا المسلمين .

وإليك تفسير بعض ماورد فى الحديث : فلق الصبح : ضوءه وإنارته والصبح نفسه : شبه ماجاء فى اليقظة ، ووجد فى الخارج طابقا لما رآه فى النوم : بالصبح فى إنارته ووضوحه .

« ما أنا بقارىء » ما : نافية ، وقيل : إنها استفهامية ، وضعف القاضى عياض هذا بدخول الباء فى خبرها ، وهذه لا تدخل على ما الاستفهامية ولكن الأخفش يجوز دخول الباء على الخبر المثبت ، وجزم به ابن مالك فى : بحسبك زيد ، فجعل الخبر حسبك ، والباء زائدة ، وقد يقوى هذا ما ذكرته من قبل من روايات حول هذا . «غطنى» ثبت لفظ الغط ثلاثا . فى رواية البخارى للحديث فى بابى التعبير والتفسير ، وسقطت الثانية فى بدء الوحى .

« بلغ منى الجهد » تروى بفتح الجيم والنصب أى بلغ الغط منى غاية وسعى ، وروى بضم الجيم والرفع ، أى : بلغ منى الجهد مبلغه . «زملونى» غطونى بالثياب ولفونى بها « الروع » الفزع « كلا » نفى وإبعاد أى : لا تقل هذا ولا خوف عليك .

«لا يخزيك» لا يهينك ولا يفضحك وللكشميهنى . يحزنك بالنون « تصل الرحم » تصل القرابة بإحسانك إليهم «وتحمل الكل» : أى تحمل الثقل من كل ما يتكلف ، ويدخل فيه الإنفاق على الضعيف واليتيم والعيال وغير ذلك .

« تكسب المعدوم » بفتح التاء . وروى بضمها أى : تعطى الناس مالا يجدونه وتقرى الضيف : تهيىء له طعامه وتنزله «وتعين على نوائب الحق» حوادث الحق ، وهذه جامعة لكل ما سبق ولغيره . وهى صفة جامعة لكل أعمال المروءة والبر والنجدة «ورقة ابن نوفل» وصفه الراوى فى رواية أخرى « وكان امرءا تنصر فى الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبرانى . فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ماشاء الله أن يكتب . وفى رواية يونس ومعمر : ويكتب من الإنجيل بالعربية »

رفع
المسهم
عبد الله الطحاوي

. . . .

ولمسلم : فكان يكتب الكتاب العربى ، وجمع بين الروايات بانه كان يجيد الكتابة بتلك وبهذه . وإنما وصف بالكتابة - كما قيل - لأن حفظ التوراة والإنجيل لم يكن متيسرا . وقد وصف ورقة فى بعض الروايات : « وكان شيخا كبيرا قد عمى » .

فقالت : « يابن عم » وقع فى مسلم : أى عم ، وهو وهم ، وقيل إنها قالت : ابن عم على حذف حرف النداء ، فتصحفت بن بأى « من ابن أخيك » وقيل : قالت هذا ، لأن عبد العزى الأب الثالث لورقة هو أخ لعبد مناف ، وهو الأب الرابع للنبى فكأنها قالت : من ابن أخى جدك . وقيل : لأن والده عبدالله فى عدد النسب إلى قصى الذى يجتمعان فيه سواء ، فكان من هذه الحيثية فى درجة إخوته ، أو قالته على سبيل التوقير لسنه « جذعا » شابا ، وأصل الجذع من أسنان الدواب وهو ما كان منها شابا فتيا « لم ينشب » لم يلبث . وهذا أصح مما روى من أن ورقة كان يمر على بلال وهو يعذب ، وقد قيل : إن ورقة توفى فى السنة الثالثة من النبوة ، وقيل : فى الرابعة ، وزعم الواقدى أنه قتل ببلاد لخم وجذام ، وقرر البلاذرى وغيره أنه دفن بمكة .

« فتر الوحى » احتبس « يتردى » يسقط « شواهق الجبال » أى : طوالها ، وهو العالى الممتنع « الرُّجز » الأوثان .

« صلصلة » صوت وأصلها وقوع الحديد بعضه على بعض . والصلصلة أشد من الصليل « يفصم عنى » ينفك وينجلى « يتفصد » يسيل تشبيها فى كثرته بالفصاد هذا وأول سورة نزلت : اقرأ ، وقد ورد هذا عند الشيخين والترمذى والحاكم والبيهقى والطبرانى وسعيد بن منصور فى سننه . ولكن ورد فى الصحيحين أيضا فى حديث جابر أن يأيها المدثر ، هى أول ما نزل . قبل الفاتحة كما روى البيهقى ، ويقول ابن حجر : الذى ذهب إليه أكثر الأئمة هو الأول .

رفع المسلم

ابتداء تنزيل القرآن

قال ابن إسحاق : فابتُدِئ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالتنزيل في شهر رمضان ، بقول الله عزّ وجلّ : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرآنُ هُدًى لِلنَّاسِ ، وَبَيِّناتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقانِ ﴾ البقرة : ١٨٥ . وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْناهُ فى لَيْلَةِ الْقَدْرِ . وما أَدْراكَ ما لَيْلَةُ الْقَدْرِ . لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ . تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيها بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ . سَلامٌ هِيَ حتى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾ القدر . وقال الله تعالى : ﴿ حم والْكِتابِ الْمُبِينِ . إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ . فِيها يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ، أَمْرًا مِنْ عِنْدِنا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴾ الدخان : ١ — ٥ . وقال تعالى : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللهِ وما أَنْزَلْنا على عَبْدِنا يَوْمَ الْفُرْقانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعانِ ﴾ الأنفال : ٤١ . وذلك مُلْتقى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمُشركين ببدر .

قال ابن إسحاق : وحدثني أبو جَعْفَر محمد بن عليّ بن حُسَين : أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، التقى هو والمُشركون ببدْر يومَ الجمعة . صبيحةَ سَبْعَ عَشْرَةَ من رمضان .

قال ابن إسحاق : ثم تَتامّ الوحيُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهو مؤمنٌ بالله مُصَدّق بما جاءه منه ، قد قبلَه بقَبوله ، وتحمّل منه ما حُمِّله على رضا العباد وسَخَطهم ، والنبوّةُ أثقال ومؤُنة ، لا يحملها ، ولا يستطيع بها

إلا أهل القوّة والعزم من الرسل بعون الله تعالى وتوفيقه ، لما يَلْقَوْن من الناس ، وما يُرَدّ عليهم مما جاءوا به عن الله سبحانه وتعالى .

قال : فمضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على أمْرِ الله ، على ما يَلْقَى من قومه من الخلاف والأذى .

إسلام خديجة بنت خويلد

وآمنت به خديجةُ بنتُ خُوَيلد ، وصدقت بما جاءه من الله ، ووازرته على أمره ، وكانت أوّلَ من آمن بالله وبرسوله ، وصدق بما جاء منه ، فخفف الله بذلك عن نبيه صلى الله عليه وسلم ، لا يسمع شيئاً مما يكرهُهُ مِنْ رَدٍّ عليه وتكذيب له ، فيحزنه ذلك ، إلا فرّج الله عنه بها إذا رجعَ إليها ، تُثَبِّته ، وتخفِّف عليه ، وتصدقُه وتهوّن عليه أمر الناس ، رحمها الله تعالى .

قال ابن إسحاق : وحدثنى هشام بن عُرْوة ، عن أبيه عُرْوة بن الزبير ، عن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه ، قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أُمِرْتُ أنْ أبَشِّرَ خديجة ببيتٍ من قَصب ، لا صَخَب فيه ولا نَصَب .

قال ابن هشام : القصب ههنا : اللؤلؤ المجوَّف .

قال ابن هشام : وحدثنى مَنْ أثق به ، أنّ جبريل عليه السلام أتَى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال : أقرِىء خديجةَ السلامَ من ربها ، فقال

. . . .

رفع المسهم

رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا خديجة ، هذا جبريلُ يُقرئك السلام من ربك ، فقالت خديجة : اللهُ السلامُ ، ومنه السلامُ ، وعلى جبريل السلام .

قال ابن إسحاق : ثم فَتَر الوحي عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فترة من ذلك ، حتى شقّ ذلك عليه ، فأحزنه ، فجاءه جبريلُ بسورة الضحى ، يُقسم له ربه ، وهو الذى أكرمه بمَا أكرمه به ، ما ودّعه وما قلاه ، فقال تعالى : ﴿ وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى . ما وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَما قَلى ﴾ . يقول : ما صَرَمك فتركك ، وما أبغضكَ منذ أحَبَّكَ . ﴿ وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الأُولى ﴾ : أى : لمَا عندى من مَرْجعك إلىّ ، خيرٌ لك مما عَجَّلْت لك من الكرامة فى الدنيا . ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فتَرْضَى ﴾ من الفَلَج فى الدنيا ، والثواب فى الآخرة : ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فآوَى . وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى . وَوَجَدَكَ عائلاً فأغْنَى ﴾ يعرّفه الله ما ابتدأه به من كرامته فى عاجل أمره ، ومنّه عليه فى يُتمه وعَيْلته وضَلالته ، واستنقاذه من ذلك كله برحمته .

قال ابن هشام : سجَى : سكن . قال أمية بن أبى الصَّلْتِ الثقفى :

إذْ أتى مَوْهِنا وقد نام صَحْبى   وسَجا اللَّيلُ بالظلاّم البَهيم

وهذا البيت فى قصيدة له ، ويقال للعَيْن إذا سكن طرْفُها : ساجية ، وسجا طرفها .

قال جرير بن الخَطَفَى :

ولقد رَمَيْنَك — حين رُحْن — بأعين
يَقتُلن من خَلَل السُّتُور سَوَاجِي

وهذا البيت فى قصيدة له . والعائل : الفقير : قال أبو خِراش الهُذلى :

إلى بيتهِ يأوى الضَّريكُ إذا شتا ومُسْتَنْبِحٌ بالِي الدَّريسيْن عائلُ

وجمعه : عالة وعُيَّل ، وهذا البيت فى قصيدة له ، سأذكرها فى موضعها — إن شاء الله ، والعائل أيضاً : الذى يعول العيال . والعائل أيضاً : الخائف . وفى كتاب الله تعالى : ﴿ذَلِكَ أدْنَى ألاَّ تَعُولُوا﴾ النساء : ٣ . وقال أبو طالب :

بِميزانِ قِسْطٍ لا يُخِس شَعيرةً له شاهدٌ من نفسهِ غيرُ عائل

وهذا البيت فى قصيدة له ، سأذكرها — إن شاء الله — فى موضعها . والعائل أيضاً : الشيء المُثْقِل المُعيِي . يقول الرجل : قد عالنى هذا الأمر : أى . أثقلنى وأعيانى ، قال الفرزدق :

تَرَى الغُرَّ الجحاجِحَ من قُرَيْشٍ إذا ما الأمْرُ فى الحدثانِ عالا

وهذا البيت فى قصيدة له .

﴿ فأمَّا اليَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ . وأمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ ﴾ : أى لا تكن جبَّارًا ولا متكبرًا ، ولا فحَّاشا فَظًّا على الضعفاء من عباد الله . ﴿ وأمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ : أى : بما جاءك من الله من نعمته وكرامته من النُّبوّة فحدّث ، أى اذكُرها ، وادْعُ إليها ، فجعل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يذكر ما أنعم الله به عليه ، وعلى العباد به من النبوّة سِرًّا إلى مَنْ يطمئنّ إليه من أهله .

رفع
المسهم
غفر الله له ولوالديه

. . . .

متى نزل القرآن ؟

فصل : وذكر قول الله تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الذى أُنْزِلَ فيه القرآنُ ﴾ البقرة : ١٨٥ . إلى آخر الآية ، مستشهداً بذلك على أن القرآن أنزل فى شهر رمضان ، وفى ليلة القدر من رمضان ، وهذا يحمل تأويلين : أحدهما : أن يكون أراد بدء النزول وأوله ؛ لأن القرآن نزل فى أكثر من عشرين سنة فى رمضان وغيره ، والثانى : ما قاله ابن عباس : أنه نزلَ جملة واحدة إلى سماء الدنيا ، فجُعل فى بيت العزّةِ مَكنوناً فى الصحف المكرّمة ، المرفوعة المُطَهَّرة ، ثم نزلت منه الآية بعد الآية ، والسورة بعد السورة فى أجوبة السائلين ، والنوازل الحادثة إلى أن توفى — صلى الله عليه وسلم — وهذا التأويل أشبه بالظاهر ، وأصح فى النقل والله أعلم(١) .

---

(١) نزول القرآن جملة واحدة إلى بيت العزة ، أو إلى سماء الدنيا : كلام لاسند له . والصحيح وحده هنا هو ماورد فى القرآن : «شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن» . «إنا أنزلناه فى ليلة القدر» ، «إنا أنزلناه فى ليلة مباركة» ، وآيات القرآن فى وضوح جميل جليل يفقهها ذو الفطرة السليمة التى لم يفسدها جدل الكلام وسفسطته . وهى تؤكد أنه بدأ نزول القرآن فى رمضان فى ليلة القدر منه . وقوله تعالى : «وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان» يشير إلى أن تاريخ ليلة القدر هو تاريخ ليلة بدر . وبدر كما يقال كانت فى السابع عشر من رمضان .

ولهذا يقال إن ابتداء نزول القرآن كان فى السابع عشر من رمضان . وإذا رجعنا إلى الأحاديث نستخبرها نبأ ليلة القدر التى فيها نزل القرآن ، فإننا سنجد ما يأتى : قيل : «إنها فى الوتر من العشر الأواخر من رمضان» البخارى ، فى السبع

. . . .

حول إضافة شهر إلى رمضان :

فصل : وفى قوله تعالى : ﴿ شهر رمضان ﴾ فذكر الشهر مضافا إلى رمضان ، واختار الكتاب والموثقون النطق به بهذا اللفظ دون أن يقولوا : كتب فى رمضان ، وترجم البخارى والنَّسَوِىُّ(١) على جواز اللفظين جميعاً وأوردا حديث رسول الله — صلى الله عليه وسلم : من صام رمضان ، وإذا

= الأواخر من رمضان « متفق عليه » فى تاسعة تبقى من العشر الأواخر أو فى سابعة ، أو فى خامسة « البخارى » فى الليلة الحادية والعشرين من رمضان « البخارى » فى الليلة الثالثة والعشرين « مسلم » فى الليلة السابعة والعشرين « مسلم وأحمد وأبو داود والترمذى » فى التاسعة أو السابعة أو الخامسة « البخارى » بل ما من ليلة من ليالى رمضان سوى قلة قليلة إلا ورد فيها ما يفيد أنها ليلة القدر ، ولهذا اختلف العلماء فى شأنها على أقوال كثيرة ، ذكر منها فى فتح البارى مالم يذكر غيره ، وقد ذكرها الشوكانى باختصار فى نيل الأوطار ، فكانت خمسة وأربعين قولا ، منها : أنها رفعت وهو قول الشيعة والفاكهانى من الحنفية ، ومنها : أنها خاصة بسنة واحدة ، وقعت فى زمنه صلى الله عليه وسلم ، ومنها أنها خاصة بهذه الأمة ، ومنها أنها ممكنة فى جميع السنة ، وهو المشهور عن الحنفية وجماعة من السلف ، ومنها أنها فى ليلة معينة مبهمة ، ومنها : أنها أول ليلة من رمضان حكى عن أبى رزين ، ومنها أنها ليلة النصف من شعبان ، أو النصف من رمضان ، أو ليلة سبع عشرة من رمضان الخ . . .

انظر ص ٢٧٢ حـ ٤ نيل الأوطار ط عثمان خليفة . وخير مايقول البغوى : « أبهم الله تعالى هذه الليلة على الأمة ، ليجتهدوا فى العبادة ليالى شهر رمضان طمعاً فى إدراكها كما أخفى ساعة الإجابة فى يوم الجمعة ، وأخفى الصلاة الوسطى فى الصلوات الخمس » تفسير الخازن والبغوى لسورة القدر

(١) هو أبو العباس الحسن بن سفيان النسوى ، وله مسند مشهور .

رفع المستهم

. . . .

جاء رمضان ، ولم يقل : شهر رمضان ، وقد بينت أن لكل مقام مقامه ، ولا بد من ذكر شهر فى مقام ، ومِن حذفه فى مقام آخر ، والحكمة فى ذكره إذا ذكر فى القرآن ، والحكمة أيضاً فى حذفه إذا حذف من اللفظ ، وأين يصلح الحذف ، ويكون أبلغ من الذكر ، كل هذا مبين فى كتاب « نتائج الفكر » ، فهناك أوردنا فيه فوائد تعجز عنها همم أهل هذا العصر . أدناها تساوى رِحْلة عند من عرف قدرها ، غير أنا نشير إلى بعضها ، فنقول : قال سيبويه : ومما لا يكون العمل إلا فيه كله : المحرم وصفر ، يريد أن الاسم العلم يتناول اللفظ كله ، وذلك إذا قلت : الأحد أو الاثنين ، فإن قلت يوم الأحد أو شهر المحرم كان ظرفا ، ولم يجر مجرى المفعولات ، وزال العموم من اللفظ ، لأنك تريد : فى الشهر وفى اليوم ، ولذلك قال عليه السلام : من صام رمضان ، ولم يقل شهر رمضان ؛ ليكون العمل فيه كله ، وهذه إشارة إلى بعض تلك الفوائد التى أحكمناها فى غير هذا الكتاب .

حب الرسول « ص » وطنه :

بقية من حديث ورقة ، وذلك أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : لَتُكَذَّبَنَّهْ ، فلم يقل له النبى صلى الله عليه وسلم شيئاً ، ثم قال : وَلَتُؤْذَيَنَّهْ ، فلم يقل له شيئاً ، ثم قال : ولَتُخْرَجَنَّهْ ، فقال : أو مُخْرِجِيَّ هم ؟ ففى هذا دليل على حب الوطن وشدة مفارقته على النفس ، وأيضاً فإنه حرَم الله وجوار بيته ، وبلدة أبيه إسماعيل ، فلذلك تحركت نفسه عند ذكر الخروج منه مالم تتحرك قبل ذلك ، فقال : أو مُخرِجىّ هم ؟ والموضع الدال على تحرك النفس وتحرقها إدخال الواو بعد ألف الاستفهام مع اختصاص الإخراج بالسؤال عنه ، وذلك أن الواو

رفع المسهم

. . . .

تُرَدّ إلى الـكلام المتقدم ، وتُشعر المخاطَب بأن الاستفهام على جهة الإنـكار ، أو التفجع لـكلامه أو التألم منه .

ذكر عبد الله بن حسن :

فصل : وذكر عبد الله بن حسن بن حسن بن على بن أبى طالب ، وقوله : حدثتنى أمى فاطمة بنت الحسين أن خديجـــة أدخلته بين ثوبها . الحديث(١) عبد الله هذا هو : عبد الله بن حسن بن حسن بن على بن أبى طالب ، وأمُّه : فاطمة بنت الحسين أخت سُكَيْنة ، واسمها : آمنة ، وسكينة لقب لها التى كانت ذات دُعَابةٍ ومَزْح ، وفى سـكينة وأمها الرباب يقول الحسين بن على — رضى الله عن جميعهم :

كأن الليلَ موصولٌ بلَيْلٍ إذا زارت سُكينةُ والرَّباب(٢)

أى : زادت قومها ، وهم : بنو عُلَيْم بن جَنابٍ من كَلْبٍ ، ثم من بنى

---

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط .

(٢) من قصيدة تنسب إلى الحسين فى سكينة ابنته وأمها الرباب زوجته ، منها :

لعمـــرك إنـــنى لأحب دارا تضيفهـــا سكينـــة والرباب
أحبهمـــا وأبذل بعد مالى وليس للائمى فيها عتـــاب
ولست لهـــم وإن عتبوا مطيعا حيـــاتى ، أو يغيبـــنى التراب

وهى فى الأغانى ، ومقاتل الطالبيين ، وفى نسب قريش . انظر ص ٥٩ نسب قريش ط ١ .

. . . .

كَعْبِ بن عُلَيْمٍ (١) ، ويعرف بنو كعب بن عُلَيْم ببنى زَيدَ غير مصروف ؛ لأنه اسم أمهم ، وعبدالله بن حسن هو والد الطالِبِيِّينَ القائمين على بنى العباس، وهم : محمد ويحيى وإدريس(٢) مات إدريس بإفريقية فارًّا من الرشيد ، ومات مسموماً فى دُلاَّعةٍ(٣) أكلها ، ووقع فى كتاب الزبير بن أبى بكر قال : قال عبد الرحمن بن زيد : قال آدم عليه السلام : مما فُضِّل به علىّ ابنى صاحبُ البعير أن زوجَه كانت عوناً له على تبليغ أمر الله ، وأن زوجى كانت عوناً لى على المعصية (٤) .

حديث عبد الله بن جعفر وغيره عن خديجة :

فصل : وذكر حديث عبد الله بن جعفر بن أبى طالب أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم — أمر أن يبشر خديجة ببيت من قَصَبٍ ، لاصَخَب

(١) والرباب أم سكينة هى بنت امرىء القيس بن عدى بن أوس بن جابر ابن كعب بن عليم بن جناب .

(٢) خرج محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن على أبى جعفر المنصور بالمدينة ، وخرج أخوه إبراهيم بالبصرة ، فقتلهما عيسى بن موسى ، أما أخوهما موسى ، فاختفى بالبصرة ، فعثر عليه ، فعفا عنه المنصور ، أما سليمان أخوهم فقتل بفخ فى خلافة موسى ، أما أخوهم إدريس فقام بالمغرب ، وبه مات ، أما يحيى فقام بالديلم ، ولكل منهم عقب سوى عيسى ، ومن أولاد عبد الله بن حسن : فاطمة وزينب ورقية. انظر ص ٥٣ نسب قريش ط ١ وجمهرة ابن حزم ص ٣٩ ط ١ .

(٣) ضرب من محار البحر .

(٤) من أين جاء بهذا ؟ .

رفع عبد الرحمن الهندي

. . . .

فيه ، ولا نَصَب . هذا حديث مُرْسل[١] ، وقد رواه مسلم متصلا عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : ما غِرْتَ على أحد ما غرت على خديجة ، ولقد هَلَكَتْ قبل أن يتزوجنى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بثلاث سنين ، ولقد أمر أن يبشرها ببيت من قَصَبٍ فى الجنة .

وفى حديث آخر أن عائشة قالت : ما تذكُر من عجوزٍ حمراء الشِّدْقين هلكت فى الدهر ، قد أبدلَكَ الله خيراً منها ، فغضب ، وقال : والله ما أبدلنى الله خيراً منها ؛ آمنت بى حين كذبنى الناس ، وواسَتْنِى بمالها حين حَرَمنى الناس ، ورُزِقت الولد منها، وحُرِمته من غيرها ، وروى يونس عن عبد الواحد ابن أيمن المخزومى ، قال : حدثنا أبو نجيحٍ قال : أُهْدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم جَزُورٌ أو لحمٌ ، فأخذ رسول الله — صلى الله عليه وسلم — عظماً منها ، فناوله الرسول بيده ؛ فقال : اذهب بهذا إلى فلانة ، فقالت عائشة: لم غَمِرَتْ[٢] يدُك؟ فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — مغضَبا : إن خديجَةَ أوصتنى بها ، فغارت عائشة ، وقالت: لكأنه ليس فى الأرض امرأة إلا خديجة ، فقام رسول الله — صلى الله عليه وسلم — مغضَباً ، فلبث ما شاء الله ثم رجع ، فإذا أم رُومان قالت يارسول الله : مالك ولعائشة؟! إنها حَدَثَةٌ ، وإنك أحق من تجاوز عنها ، فأخذ بِشِدْقِ عائشة ، وقال : ألست القائلةَ : كأنما ليس على الأرضِ امرأةٌ إلا

---

(١) رواه أحمد وأبو يعلى والطبرانى ورجال أحمد رجال الصحيح غير ابن إسحاق ، وقد وردت البشارة فى حديث رواه الشيخان والترمذى . ويقوله ابن الأثير : لم يتقدمها رجل ولا امرأة بإجماع المسلمين، ص ٢٣٧ ح ١ مواهب .

(٢) الغمر بالتحريك : زنخ اللحم ، ومايعلق باليد من دسمه .

رفع المسيهم

. . . .

خديجة ، والله لقد آمنت بى إذ كفر قومُك ، ورزقت منى الولد وحُرِمتموه ، وفى صحيح مُسْلِم أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : خير نسائها : مريمُ بنت عِمران ، وخير نسائها : خديجة ، والهاء فى نسائها حين ذكر مريم عائدةٌ على السماء ، والهاء فى نسائها حين ذكر خديجة عائدةٌ على الأرض ، وذلك أن هذا الحديثَ رواه وَكِيعٌ وأبو أُسامة وابن نُمَيْر فى آخرين ، وأشار وكيعٌ من بينهم حين حدث بالحديث بإصبعه إلى السماء عند ذكر مريم ، وإلى الأرض عند ذكر خديجة ، وهذه إشارة ليست من رأيه ، وإنما هى زيادة فى حديثه عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وزيادة العدل مقبولة ، ويحتمل أن يكون معنى إشارته إلى السماء والأرض عند ذكرهما ، أى : هما خير نساء بين السماء والأرض وهذا أثبت عندى بظاهر الحديث . ولعلنا أن نذكر اختلاف العلماء فى التفضيل بين مريم وخديجة وعائشة ـ رضى الله عنهن ـ وأزواج النبى ـ صلى الله عليه وسلم ، وما نَزَع به كلُّ فريق منهم .

حول ما بشرت به خديجة :

وأما قوله : ببيتٍ من قَصَبٍ ، فقد رواه الخطَّابى مفسراً ، وقال فيه : قالت خديجة : يارسولَ الله ، هل فى الجنة قَصَبٌ ؟ فقال : إنه قَصَبٌ من لؤلؤٍ مُجَبّى . قال الخطابى : يجوز أن يكون معناه : مُجَوَّباً من قولك : جُبْت الثوبَ إذا خرقته ، فيكون من المقلوب ، ويجوز أن يكون الأصل مُجَبَّباً ببناءين من الجَبّ وهو القطع أى : قطع داخله (١) ، وقلبت الباء ياء ، كما قالوا : تظنَّيت من

(١) هو فى السيرة : مجوف . وفى النهاية لابن الأثير : وقيل : هو من الجوبة وهو نقير يجمع فيه الماء .

الظَّنِّ ، وتقصَّيت أظفارى ، وتكلم أصحاب المعانى فى هذا الحديث ، وقالوا : كيف لم يبشرها إلا ببيتٍ ، وأدنى أهل الجنة منزلةً مَن يُعطى مسيرة ألف عام فى الجنة ، كما فى حديث ابن عمر ، خرَّجه الترمذى ، وكيف لم ينعت هذا البيت بشىء من أوصاف النعيم والبهجة أكثر من نفى الصَّخَب وهو : رفع الصوت ، فأما أبو بكر الإسكاف ، فقال فى كتاب فوائد الأخبار له : معنى الحديث: أنه بُشِّرت ببيت زائد على ما أعد الله لها مما هو ثواب لإيمانها وعملها ؛ ولذلك قال : لا صَخَب فيه ولا نَصَب ، أى : لم تَنْصَب فيه ، ولم تَصْخَب . أى : إنما أُعطِيَتْه زيادة على جميع العمل الذى نصبت فيه. قال المؤلف رحمه الله : لاأدرى ما هذا التأويل ، ولا يقتضيه ظاهر الحديث ، ولا يوجد شاهد يعضده ، وأما الخطابى، فقال : البيت هاهنا عبارة عن قصر ، وقد يقال لمنزل الرجل : بيته ، والذى قاله صحيح ، يقال فى القوم : هم أهل بيت شرف وبيت عز ، وفى التنزيل: (غَيْرَ بيتٍ من الْمُسْلِمِين) ولكن لذكر البيت ههنا بهذا اللفظ ولقوله: ببيت ، ولم يقل: بقصر معنى لائق بصورة الحال ، وذلك أنها كانت ربَّةَ بيت إسلام لم يكن على الأرض بيت إسلام إلاَّ بيتها حين آمنت ، وأيضا فإنها أول من بنى بيتاً فى الإسلام بتزويجها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ورغبتها فيه، وجزاء الفعل يذكر بلفظ الفعل ، وإن كان أشرف منه لما جاء : «من كسا مسلما على عُرْيٍ كساه الله من حُلَلِ الجنة، ومن سقى مسلما على ظمإٍ سقاه الله من الرحيق (١) ، ومن هذا الباب قوله عليه السلام: من بنىً لله

---

(١) روايته : أيما مسلم كسا مسلما ثوبا على عرى كساه الله تعالى من خضر ـ

. . . .

مَسْجِدا بنى الله له مثله فى الجنة (١) لم يرد مثله فى كونه مسجدا، ولا فى صفته ولكن قابل البنيان بالبنيان، أى كما بَنى يُبنى له، كما قابل الكُسْوَة بالكُسْوة والسُّقْيا بالسُّقيا، فهاهنا وقعت المماثلة، لا فى ذات المَبْنِىِّ أو المَكْسُوِّ، وإذا ثبت هذا، فمن هٰهنا اقتضت الفصاحة أن يُعَبَّر لها عما بُشِّرت به بلفظ البيت، وإن كان فيه مالا عينٌ رأته، ولا أذنٌ سَمِعَتْه، ولا خَطَر على قلب بشر، ومِن تَسْمِية الجزاء على الفعل بالفعل فى عكس ما ذكرناه قوله تعالى: (نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُم): (ومَكَرُوا ومَكَرَ اللهُ)(٢).

= الجنة، وأيما مسلم أطعم مسلما على جوع أطعمه الله تعالى يوم القيامة من ثمار الجنة، وأيما مسلم سقى مسلما على ظمأ سقاه الله تعالى يوم القيامة من الرحيق المختوم» ويقول المنذرى عنه: رواه أبو داود من رواية أبى خالد بن يزيد بن عبدالرحمن الدالانى، وحديثه حسن، والترمذى: بتقديم وتأخير، وقال: حديث غريب، وقد روى موقوفا على أبى سعيد، وهو أصح وأشبه، ورواه ابن أبى الدنيا فى كتاب اصطناع المعروف موقوفا على ابن مسعود.

(١) البخارى ومسلم وأحمد والترمذى وابن ماجة عن عثمان، وفيه: «يبتغى به وجه الله».

(٢) يقول الذين يؤولون الصفات التى ورد بها القرآن عن الآيات التى جاء فيها نسبة الكيد والاستهزاء والنسيان إلى الله مايأتى: «هذا كله إنما يحسن على وجه المقابلة، ويحسن أن يضاف إلى الله تعالى ابتداء، فيقال: إنه يمكر ويكيد ويخادع وينسى، ولوكان حقيقة لصلح إطلاقه مفرداً عن مقابله كما يصح أن يقال: يسمع ويرى ويعلم ويقدر» ويرد ابن القيم ردا طيبا فى الصواعق المرسلة، فيقول: «الصواب أن معانيها - أى الكيد وخلافه - تنقسم إلى محمود ومذموم، فالمذموم منها يرجع إلى الظلم والكذب... فما كان منها متضمناً للكذب والظلم، فهو

. . . .

وأما قولُه: لا صَخَبَ فيه ، ولا نَصَبَ ، فإنه أيضاً من باب ما كنا بسبيله.

مذموم ، وما كان منها بحق وعدل ومجازاة على القبيح ، فهو حسن محمود . فإن المخادع إذا خادع بباطل وظلم حسن من المجازى له أن يخدعه بحق وعدل، وكذلك إذا مكر واستهزأ ظالما متعديا ، كان المكر به والاستهزاء عدلا حسنا ، كما فعله الصحابة بكعب بن الأشرف، وابن أبى الحقيق، وأبى رافع وغيرهم ممن كان يعادى رسول الله « ص » فخادعوه حتى كفوا شره وأذاه بالقتل ، وكان هذا الخداع والمكر نصرة لله ورسوله . . وجزاء المسىء بمثل إساءته جائز فى جميع الملل مستحسَنٌ فى جميع العقول ، ولهذا كاد سبحانه ليوسف حين أظهر لإخواته ما أبطن خلافه جزاء لهم على كيدهم له مع أبيه ، حيث أظهروا أمرا وأبطنوا خلافه ، ثم قرر أن هذه الأفعال لا يجوز ذمها على الإطلاق . ولا مدحها على الإطلاق ، كما لا يجوز أن يشتق منها أسماء وصفات لله سبحانه ؛ لأن الله لا يوصف إلا بالأنواع المحمودة على الإطلاق ، ولهذا لم يرد فى أسمائه الحسنى : المريد أو المتكلم أو الفاعل أو الصانع؛ لأن مسمياتها تنقسم إلى ممدوح ومذموم، فلا يجوز مطلقا اشتقاق الماكر والمخادع والمستهزىء مما ورد فى الآيات ، وتسمية الله بها ، لأنه سبحانه لم يصف نفسه بالكيد والمكر والخداع إلا على وجه الجزاء لمن فعل ذلك بغير حق . . فلا يكون الاستهزاء والمكر والخداع منه قبيحا البتة ، فلا يمتنع وصفه به ابتداء لا على سبيل المقابلة . . فإطلاق ذلك عليه سبحانه على حقيقته دون مجازاة ؛ إذ الموجب للمجاز منتفٍ ».

وأقول : كل مسلم يتدبر القرآن لا يشعر أبدا بمثل ما يفتريه المعطلة والجهمية ولا يخر على آياته أصم أعمى ، ويغمر قلبه اليقين بأن الله الذى من علينا فعلمنا البيان يستحيل أن نحكم عليه بأنه أخطأ فى البيان عن صفاته وأسمائه وأفعاله ، أو أراد أن يضلنا بألفاظ لا يراد بها معانيها التى لها فى لغة القرآن ، فلنصف الله بما وصف به نفسه ، ولنسمه بما سمى به نفسه ، ولننسب إليه ما نسبه هو إلى نفسه جل جلاله دون تأويل أو تحريف أو تمثيل أو تشبيه أو تعطيل لشىء من هذا كله فإننا نؤمن بأن قوله ـ سبحانه ـ هو الحق ، وأنه ليس كمثله شىء .

رفع
المسهم
غفر الله له ولوالديه

. . . .

لأنه ـ عليه السلام ـ دعاها إلى الإيمان، فأجابته عَفْواً ، لم تحوجه إلى أن يَصْخَب كما يصخب الْبَعْل إذا تعصَّت عليه حليلَتُه ، ولا أن ينْصَب ، بل أزالت عنه كل نصب، وآنَسَتْه من كل وحشة ، وهَوَّنت عليه كل مكروه ، وأراحته بمالها من كل كَدٍّ ونَصَب ، فوصف منزلها الذى بُشِّرت به بالصفة المقابلة لفعالها وصورته .

وأما قوله : من قَصَب، ولم يقل : من لؤلؤ ، وإن كان المعنى واحداً، ولكن فى اختصاصه هذا اللفظَ من الْمُشاكلة المذكورة والمقابلة بلفظ الجزاء للفظ العمل أنها ـ رضى الله عنها ـ كانت قد أحرزت قَصَب السَّبْقِ إلى الإيمان دون غيرها من الرجال والنِّسْوان . والعربُ تسمى السابقَ مُحْرِزا للْقَصَب . قال الشاعر :

مَشَى ابن الزُّبَيْر الْقَهْقَرَى ، وتقدمت أُمَيَّةُ حتى أَحْرَزُوا الْقَصَبَاتِ

فاقتضت البلاغةُ أن يعبر بالعبارة المشاكِلة لعملها فى جميع ألفاظ الحديث فتأمله

الموازنة بين خديجة وعائشة :

فصل : وذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لخديجة : هذا جبريلُ يُقرئك السلام من ربك. الحديث(١) يُذْكَر عن أبى بكر بن داود أنه

---

(١) فى الحديث المتفق عليه عن أبى هريرة: « أتى جبريل النبى « ص » فقال: يا رسول الله هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام وطعام ، فإذا أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومنى ، وبشرها ببيت فى الجنة من قصب لاصخب فيه ولا نصب » .

. . . .

سُئِل: أعائشة أفضلُ، أم خديجة؟ فقال: عائشةُ أقرأها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم السلامَ من جبريل [1]، وخديجة أقرأها جبريلُ السلامَ من ربِّها على لسان محمد - صلى الله عليه وسلم - فهي أفضل، قيل له: فمن أفضلُ، أخديجةُ أم فاطمةُ؟ فقال: إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم - قال: إن فاطمةَ بَضْعَةٌ مني [2] فلا أعْدِل ببَضْعَة من رسول الله أحداً، وهذا استقراء حَسَنٌ، ويشهد لصحة هذا الاستقراء أنَّ أبا لُبَابَةَ حين ارْتَبَطَ نفسَه، وحلف ألا يَحُلَّه إلا رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - فجاءت فاطمةُ لِتَحُلَّهُ، فأبى من أجل قَسَمه، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: إنما فاطمة مُضْغَةٌ مني، فحلته وسنذكر الحديث بإسناده في موضعِه، إن شاء الله تعالى، ويدل أيضا على تفضيل فاطمة قولُه - عليه السلام - لها: أما تَرْضَيْن أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة [3] إلاَّ مريم؟ فدخل في هذا الحديث أمُّها وأخواتُها، وقد تكلم الناس في المعنى الذي سادت به فاطمةُ غيرَها دون أخواتها، فقيل: إنها وَلَدت سيدَ هذه الأمة، وهو الحسنُ الذي يقول فيه النبي - صلى الله عليه وسلم:

---

(١) عن أبي سلمة أن عائشة قالت: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا عائش: هذا جبريل يقرئك السلام. قالت: وعليه السلام ورحمة الله. قالت: وهو يرى مالا أرى» متفق عليه.

(٢) عن المسور بن مخرمة أن رسول الله «ص» قال: «فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني» وفي رواية: «يريبني ما أرابها، ويؤذيني ما آذها» متفق عليه.

(٥) في حديث متفق عليه عن عائشة «ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة، أو نساء المؤمنين» ولم يأت لمريم فيه ذكر.

. . . .

إن ابنى هذا سيد[1] ، وهو خليفة ، بَعْلُها خليفة أيضاً، وأحسن من هذا القول قول : من قال: سادت أخواتها وأمَّها، لأنهن مُتْن فى حياة النبى – صلى الله عليه وسلم – فكن فى صحيفته ، ومات أبوها وهو سيد العالمين ، فكان رُزْؤه فى صحيفتها وميزانها ، وقد روَى البَزَّار من طريق عائشةَ أنه – صلى الله عليه وسلم – قال لفاطمة : هى خير بناتى ؛ إنها أصيبت بى ، فحق لمن كانت هذه حاله أن يسودَ نساء أهل الجنة ، وهذا حَسَنٌ ، والله أعلم . ومن سُؤدُدِها أيضاً أن المهدى الْمُبشَّر به آخر الزمانِ من ذُرِّيتها ، فهى مخصوصةٌ بهذا كله والأحاديث الواردة فى أمر المهدى كثيرة[2] ، وقد جمعها أبو بكر بن أبى خَيْثَمةَ فأكثر ، ومن أغربها إسناداً ما ذكره أبو بكر الإسكاف فى فوائد الأخبار مسنداً إلى مالك بن أنس عن محمد بن المنكدر عن جابر قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : من كَذَّب بالدَّجال فقد كفر ، ومن كذَّب بالمَهْدِىِّ فقد كفر[3] ، وقال : فى طلوع الشمس من مغربها مثلَ ذلك فيما أحسب[4] .

(١) من حديث رواه البخارى عن أبى بكرة قال : رأيت رسول الله «ص» على المنبر والحسن بن على إلى جنبه ، وهو يقبل على الناس مرة ، وعليه أخرى ، ويقول : « إن ابنى هذا سيد ، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين» ونحن المسلمين لا يصح الآن أن نخوض فى مثل هذا ، فقد أفضت كل واحدة منهن إلى الله سبحانه

(٢) استغل هذه الأسطورة أعداء الله ، فظهر عشرات الدجاجلة يزعم كل منهم أنه هو المهدى ، ولم يخرج البخارى ولا مسلم شيئا عن المهدى ، وجميع الأحاديث الواردة فيه لا تخلو من نقد ، واقرأ فى هذا مقدمة ابن خلدون تحت عنوان « فصل فى أمر الفاطمى »

(٣) لا يشهد لصحة هذا عقل ودلاد بن

(٤) نقل ابن خلدون عن السهيلى هذا فى مقدمته ص ٢٧٢ طبع عبد الرحمن محمد وقال : وحسبك هذا غلوا . على أن أبا بكر الإسكاف عندهم متهم وضاع .

الله السلام :

وقول خديجة : الله السلامُ ، ومنه السلام ، وعلى جبريل السلامُ ، علمت بفقهها ان الله سبحانه لا يُرَدُّ عليه السلام ، كما يُرَد على المخلوق ؛ لأن السلام دعاء بالسلامة فكان معنى قولها : الله السلام ، فكيف أقول عليه السلام ، والسلام منه يُسْئل ، ومنه يأتى ؟ ولكن على جبريلَ السلامُ ، فالذى يحصل من هذا الكلام من الفقة أنه لا يليق بالله سبحانه إلا الثناء عليه ، فجعلت مكان رد التحية على الله ثناء عليه ، كما عملوا فى التشهد حين قالوا : السلام على الله من عباده ، السلام على فلان ، فقيل لهم : لا تقولوا هذا ، ولكن قولوا : التحياتُ لله ، وقد ذكرنا فى غير هذا الكتاب فوائد جمةفى معنى التحيات إلى آخر التشهد . وقولها : ومنه السلام ، إن كانت أرادت السلامَ التحية ، فهو خَبر يرادبه التشكر ، كما تقول : هذه النعمة من الله ، وإن كانت أرادت السلام بالسلامةَ من سوء ، فهو خبرٌ يراد به المسئلة ، كما تقول : منه يُسْئَل الخير . وذهب أكثرُ أهل اللغة إلى أن السلامَ والسلامةَ بمعنى واحد كالرَّضَاع والرَّضَاعة ، ولو تأملوا كلام العرب وما تعطيه هاء التأنيث من التحديد لرأوا أن بينهما فُرْقانا عظيما ، وأن الجَلاَل أعم من الجَلاَلَة بكثير ، وأن اللَّذاذ أبلغ من اللَّذاذة ، وأن الرَّضاعة تقع على الرَّضعة الواحدة ، والرَّضاع أكثرُ من ذلك ، فكذلك السلامُ ، والسلامةُ ، وقِسْ على هذا : تمرةو تمرا ، ولقاة و لقى ، وضَرْبَة وضَرْباً ، إلى غير ذلك ، وتسمى سبحانه بالسلام لما شمل جميع الخليقة ، وعمهم من السلامة من الاختلال والتفاوت إذ الكل جارٍ على نظام الحكمة ، كذلك سَلِم الثَّقَلان من جَوْر وظلم أن يأتيهم من قِبَله سبحانه ، فإنما الكلُّ مُدَبَّرٌ بفضلٍ أو عدل ، أما الكافر فلا يجرى عليه إلا عدله ، وأما المؤمنُ

فيغمره فضله، فهو سبحانه فى جميع أفعاله سلامٌ ، لا حَيْفَ ولاظلم ، ولاتفاوت ولااختلال ، ومن زعم من المفسِّرين لهذا الاسم أنه تسمى به لسلامته من الآفات والعيوب، فقد أتى بشنيع من القول، إنما السلامُ من سُلِم منه، والسالمَن سَلِم من غيره ، وانظر إلى قوله سبحانه : (كونى بَرْداً وسلاما) وإلى قوله : (سلام هى) ولايقال فى الحائط : سالم من العَمى ، ولا فى الحَجَرِ أنه سالم من الزكام ، أو من السُّعال إنما يقال : سالم فيمن تجوز عليه الآفة ، ويتوقعها ثم يَسْلَم منها ، والْقُدُّوسُ سبحانه مُتَعَالٍ عن توقع الآفات مُتَنَزِّهٌ عن جواز النقائص ، ومَن هذه صفته لا يقال : سَلِم ، ولا يَتَسَمَّى بسالم ، وهم قد جعلوا سلاما بمعنى سالم ، والذى ذكرناه أولُ ؛هو معنى قول أكثر السلف والسَّلامة : خَصْلَةٌ واحدة من خِصال السلام (١) :

فترة الوحى :

فصل : وذكر فترة الوحى عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولم يذكر مقدار مدة الفترة ، وقد جاء فى بعض الأحاديث الْمُسْنَدة أنها كانت سنتين ونصفَ سنة ، فمن هنا يتفق ما قاله أنس بن مالك أن مُكْثه بمكة كان عشر سنين ، وقول ابن عباس: ثلاثَ عَشْرَةَ سنةً ، وكان قد ابتدىء بالرؤيا الصادقة ستة أشهر ، فمن عَدَّ مدة الفترة ، وأضاف إليها الأشهر الستة ، كانت كما قال

(١) فى النهاية لابن الأثير عن السلام : «سلامته مما يلحق الخلق من العيب والفناء والسلام فى الأصل : السلامة» :وعند الراغب فى مفرداته:«وصف بذلك من حيث لا يلحقه العيوب والآفات التى تلحق الخلق» وانظر ص١٣٥ ج٢ بدائع الفوائد .

. . . .

ابن عباس ، ومَنْ عدَّها من حين حَمِيَ الوحى وتتابع ، كما فى حديث جابر كانت عشر سنين . ووجهٌ آخر فى الجمع بين القولين أيضا ، وهو أن الشعبى قال : وكل إسرافيلُ بنبوة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثلاث سنين ، ثم جاءه بالقرآن جبريلُ (١) وقد قدمنا هذا الحديث ، ورواه أبو عمر فى كتاب الاستيعاب ، وإذا صح فهو أيضا وجه من الجمع بين الحديثين ، والله أعلم .

شرح شعر الهذلى والفرزدق :

فصل : وذكر ابن إسحاق قولَ أبى خِراشٍ خُوَيْلد بن مُرة الْهُذَلِى

إلى بيته يَأْوِى الضَّريكُ إذا شتا ... ومُسْتَنْبِحٌ بالى الدَّرِيسيْن عائل

الضريك : الضعيف الْمُضْطَر (٢) والْمُستنبِح الذى يضل عن الطريق فى ظلمة الليل ، فينبح ليسمعَ نُباح كَلْب (٣) والدَّرِيس : الثوبُ الْخَلَقُ ، وقول الفرزدق :

---

(١) فى فتح البارى : (هذا الذى اعتمده السهيلى من الاحتجاج بمرسل الشعبى لا يثبت ، وقد عارضه ما جاء عن ابن عباس أن مدة الفترة المذكورة كانت أياما » ص ٣١ ج ١ الحلبى وقال مغلطاى : « يخدش فيه ـ أى فى كلام السهيلى ـ ما فى تفسير ابن عباس أنها كانت أربعين يوما ، وفى تفسير ابن الجوزى ومعانى الزجاج : خمسة عشر ، وفى تفسير مقاتل : ثلاثة أيام ، ولعل هذا هو الأشبه بحاله عند ربه لا ما ذكره السهيلى ، وجنح لصحته » ص ٢٣٦ شرح المواهب ج ١

(٢) الضريك أيضا : النسر الذكر والأحمق والزَّمِن ـ بكسر الميم ـ والضرير .

(٣) عبر عنها الخشنى بتعبير أوضح فقال : « المستنبح الذى يضل بالليل ، فينبح نباح الكلاب ، لتسمعه الكلاب فتجاوبه ، فيعلم موضع البيوت ، فيقصدها » .

ويقول الخشنى عن تثنية الدريس : « وثناه لأنه أراد به الإزار ، والرداء ، وهو أقل ما يكون للرجال من اللباس » ص ٧٧ .

رفع المسهم

. . . .

تَرى الغُرَّ الجَحَاجِحَ[1] من قُرَيْشٍ إذا ما الأمر فى الحَدَثَانِ عَالاَ
قياما ينظرون إلى سعيد كأنهم يرون به هِلالا

يعنى : سعيدَ بن العاصى بن أمية ، ويقال : إن مروان بن الحكم حين سمع الفرزدق ينشد هذا البيت حسده ، فقال له : قل : قعودا ينظرون إلى سعيد يا أبا فراس . فقال له الفرزدق : والله يا أبا عبد الملك : إلا قياما على الأقدام[2] .

وذكر سببَ نزول سورة الضحى ، وأن ذلك لفترة الوحى عنه ، وخرَّج البخارى من طريق جُنْدُبِ بن سفيان[3] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتكى ، فلم يقم ليلتين أو ثلاثا ، فقالت له امرأةٌ : إنى لأرجو أن يكون شيطانُك قد تركك ، فأنزل الله تعالى سورة الضحى[4] .

---

(١) غر : ربما هكذا جمع أغر : المشهور ، وأصله الأبيض . والجحاجح : جمع جحجح وجحجاح : السيد ، وأيضا : الفسل من الرجال ، ومن جمعه : جحاجيج ، وجحاجحة .

(٢) مدح الفرزدق سعيدا بهذا ، وكان حينئذ أمير المدينة من قبل معاوية رحمه الله ، وكان يوليه معاويه سنة ، ويولى مروان سنة أخرى ، ويقال إن الفرزدق قال لمروان : لا أقول إلا قياما ، وإنك يا أبا عبد الملك لصافنٌ من بينهم ، وصفن الرجل إذا رفع إحدى قدميه ، ووقف على الأخرى والخشنى ص ٧٨

(٣) سفيان : جده ، وأبوه : عبد الله . وهو ينسب إلى أبيه وإلى جده .

(٤) وأخرجه مسلم ومالك وأحمد والترمذى والنسائى وابن أبى حاتم وابن جرير وقيل : إن هذه المرأة هى أم جميل امرأة أبى لهب .

رفع
المسيه
عز الله لطي ال

تَمَّ بِحَمْدِ اللهِ

الْجُزْءُ الثَّانِي وَيَلِيهِ الْجُزْءُ الثَّالِثُ

إِنْ شَاءَ اللهُ

وأوله : ﴿ فَرْضُ الصَّلَاةِ ﴾

رفع
المسـ هم
غفر الله له ولوالديه

ملحوظات

تكلم السهيلى عن بئار مكة فى ص ١٢٣ - حـ ٢ وما بعدها ، وقد زاد البلاذرى فى كتابه فتوح البلدان عما ذكره السهيلى ، ففيما يتعلق بالعجول زاد بعد الشطرة الأولى :

قبل صدور الحاج من كل أفق

وزاد فى سجلة بعد الشطرة الأولى :

فى تربة ذات غداة سهلة

وزاد فى شعر صفية المذكور فى ص ١٢٥

فيها الجراد والذر وقذر لا يذكر

وعن بذر ورد :

ليست كبذر النذور الجماد

وبهذا استقام المعنى فقد كانت البرور فى الروض .

ملحوظات عن الجزء الأول

فى ص ٣٣٦ حـ ١ ورد فى السطر الحادى عشر نصف بيت من الشعر اهتديت إلى تمامه ، فقد أنشده اللسان فى مادة أوب وهو :

رَبَّاء شَمَّاء لا يأوى لقلتها   إلا السحابُ وإلا الأُوب السَّبلَ

والأوب اسم جمع ومعناه : النحل ، والسبل : المطر هذا وقد ندت عن العين بعض أخطاء يسيرة جدا نرجو أن نتداركها بعد إن شاء الله .

رفع عبد الرحمن الهاشمي

فهرست المساهم
غفر الله له ولوالديه

محتويات الكتاب

(١) «س» رمز عن السيرة ، و «ن. ل» رمز عن النحو واللغة ، و «ش» رمز عن الشرح ، أما الروض فبدون رمز .

رفع
المساهم
غفر الله له ولوالديه

(١) الموضوع قد يذكر في السيرة وفي الروض ولهذا يتكرر ذكره في الفهرس .

رفع المسهم

(١) تقدم هذا العنوان قبل موضعه بأربعة أسطر.

حمد وثناء

أحمد الله أن أعان ومن بالقدرة على عمل أجهد اليد والفكر والسمع والبصر إجهادا لولا فضل الله ما تحملته . فالذى اتصلت أسبابه المتينة بكتاب الروض الأنف يعلم أى فضل عظيم من الله من علىّ به ، ولا أزعم أنى أديت كل ما يجب ، وإنما أزعم أنى حاولت بصدق . وأعلن هنا شكرى للأخ أحمد حمدى أحمد شعبان صاحب المطبعة ، وإخوتى عمالها على أوفى جهد ، وأكرم تجاوب نبيل ؟

عبد الرحمن الوكيل

رفع المسهم

رفع المساهم

رفع
عبد الرحمن الهجري
المسلم
غفر الله له ولوالديه

الروض الأنف

في شرح السيرة النبوية لابن هشام

الجزء الثالث

رفع
المسلم
غفر الله له ولوالديه

دار النصر للطباعة
أحمد حمدي أحمد شعبان

رفع
المسلم
غفر الله له ولوالديه

الروض الأنف

في شرح السيرة النبوية لابن هشام

للإمام المحدث عبد الرحمن السهيلي
٥٠٨ — ٥٨١ هـ

ومعه

السيرة النبوية للإمام ابن هشام

المتوفى ٢١٨ هـ

الجزء الثالث

تحقيق وتعليق وشرح
عبد الرحمن الوكيل

يطلب من
دار الكتب الحديثة
صاحبها : توفيق عفيفي

رفع
المساهم

جامعة الكويت
إدارة المكتبات - قسم التزويد العربي
رقم التسجيل: ١٧٢٣٨
التاريخ:

رفع
المسهم

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله والصلاة والسلام على خاتم النبيين ، وسيد ولد آدم أجمعين ، محمد صلوات الله وسلامه عليه ، وعلى آله الذين اهتدوا بهديه إلى يوم الدين .

« أما بعد » فبإسم الله نقدم الجزء الثالث من « الروض الأنف » للسهيلي والسيرة النبوية لابن هشام ، سائلين الله أن يعين على التمام ، وأن يجعل عملنا هذا صالحة عنده . إنه سميع مجيب .

القاهرة — حلوان — مدينة الزهراء

عبد الرحمن الوكيل

رفع المسهم

ابتداء ما افترض الله سبحانه وتعالى

على النبي صلى الله عليه وسلم من الصلاة وأوقاتها

وافتُرِضت الصلاة عليه ، فصلَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله ، والسلام عليه وعليهم ورحمة الله وبركاته .

قال ابن إسحاق : وحدثني صالح بن كَيْسان عن عُرْوة بن الزُّبير ، عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : افترِضت الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أوّل ما افتُرضت عليه ركعتين ركعتين ، كلّ صلاة ، ثم إن الله تعالى أتمها في الحضر أربعا ، وأقرها في السفر على فرضها الأول ركعتين .

قال ابن إسحاق : وحدثني بعضُ أهل العلم : أن الصلاة حين افتُرضت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أتاه جبريل وهو بأعلى مكة ، فهَمَزَ له بعَقبه في ناحية الوادي ، فانفجرتْ منه عين . فتوضأ جبريل عليه السلام ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر إليه ، ليُرِيَه كيف الطُّهور للصلاة ، ثم توضأ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم كما رأى جبريلَ تَوَضأ ، ثم قام به جبريلُ ، فصلى به ، وصلى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بصلاته ، ثم انصرف جبريلُ عليه السلام .

فجاء رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خديجة ، فتوضأ لها ليريها كيف الطهور للصلاة ، كما أراه جبريل فتوضأت كما توضأ لها رسولُ الله عليه الصلاة والسلام ، ثم صلى بها رسول الله عليه الصلاة والسلام ، كما صلى به جبريلُ ، فصلّت بصلاته .

رفع
المسلم
عز الله لطيف الدين

قال ابن إسحاق : وحدثني عُتْبَةُ بن مُسْلِم ، مولى بني تميم ، عن نافع بن جُبَير بن مُطْعِم — وكان نافع كثير الرواية — عن ابن عباس قال : لما افتُرِضت الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريلُ عليه السلام ، فصلى به الظهر حين مالت الشمس، ثم صلى به العصر حين كان ظلُّه مثله ، ثم صلى به المغرب حين غابت الشمس ، ثم صلى به العشاء الآخرة حين ذهب الشفق ، ثم صلى به الصبحَ حين طلع الفجر، ثم جاءه ، فصلى به الظهر من غد حين كان ظله مِثْلَه ، ثم صلى به العصر حين كان ظلُّه مثليه، ثم صلى به المغربَ حين غابت الشمس لوقتها بالأمس ، ثم صلى به العشاء الآخرةَ حين ذهب ثلثُ الليل الأوّل ، ثم صلى به الصبح مُسْفِراً غير مشرِق، ثم قال : يامحمد ، الصلاة فيما بين صلاتك اليوم، وصلاتك بالأمس

ذكر أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أول ذكر أسلم

قال ابن إسحاق : ثم كان أوّلَ ذَكَرٍ من الناس آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصلى معه ، وصدّق بما جاءه من الله تعالى : عليُّ بنُ أبي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم — رضوان الله وسلامه عليه — وهو يومئذ ابن عَشْرِ سنينَ .

وكان مما أنعم الله على عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، أنه كان في حِجْر رسولِ الله صلى الله عليه وسلم قبل الإسلام .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي نَجيح ، عن مجاهد بن جَبْر بن أبي الحجّاج ، قال : كان من نعمة الله على عليّ بن أبي طالب ، ومما صنع الله له ، وأراده به من الخير ، أن قريشا أصابتهم أزمة شديدة ، وكان أبو طالب ذا عِيالٍ

كثير ، فقال رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ للعباس عمه ، وكان من أيسر بنى هاشم : يا عبّاس ، إنّ أخاك أبا طالب كثير العيال ، وقد أصاب النّاسَ ما ترى من هذه الأزْمة، فانطلقْ بنا إليه، فَلْنُخففِّفْ عنه من عياله ، آخذُ من بَنيه رجلاً ، وتأخذ أنت رجلاً ، فنـكلهما عنه ، فقال العبّاس : نعم ، فانطلقا حتى أتيا أبا طالب ، فقالا له : إنا نريد أن نخفّـف عنك مِنْ عيالك حتى ينـكشف عن الناس ما هم فيه ، فقال لهما أبو طالب : إذا تركتما لى عَقِيلاً ، فاصنعا ما شئتما

قال ابن هشام : ويقال : عقيلاً وطالبا .

فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً ، فضمّه إليه ، وأخذ العبّاسُ جعفراً فضمّه إليه ، فلم يزل علىّ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى بعثه الله تبارك وتعالى نبياً ، فاتبعه علىّ رضى الله عنه ، وآمن به وصدّقه ، ولم يزل جعفرٌ عند العبّاس ، حتى أسلم واستغنى عنه .

أبو طالب يكتشف إيمان على :

قال ابن إسحاق : ذكر بعضُ أهل العلم أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم كان إذا حضرت الصلاةُ خرج إلى شِعاب مكة، وخرج معه علىّ بن أبى طالب مُستخفيا من أبيه أبى طالب ، ومِنْ جميع أعمامه وسائر قومه ، فيصليان الصلواتِ فيها ، فإذا أمسيا رجعا، فمكثا كذلك ماشاء الله أن يمكثا . ثم إن أباطالب عثر عليهما يوما وهما يصليان ، فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا بن أخى ! ما هذا الدينُ الذى أراك تَدين به ؟ قال : أى عمّ هذا دين الله ، ودين ملائـكته، ودين رُسله ، ودين أبينا إبراهيم ـ أو كما قال صلى الله عليه وسلم ـ بعثنى الله به رسولاً إلى العباد ، وأنت أى عمّ ، أحقُّ مَنْ بذلتُ له النصيحةَ ، ودعوته إلى الهدى ،

وأحقُّ مَنْ أجابنى إليه، وأعاننى عليه، أو كما قال. فقال أبو طالب: أى ابنَ أخى، إنى لا أستطيع أن أفارق دينَ آبائى، وما كانوا عليه، ولكن والله لا يُخْلَص إليك بشىء تكرهه ما بقيتُ.

وذكروا أنه قال لعلىّ: أى بُنَىّ، ما هذا الدِّين الذى أنت عليه؟ فقال: ياأبتِ، آمنت بالله وبرسول الله، وصدّقته بماجاء به، وصلّيتُ معه لله واتبعته. فزعموا أنه قال له: أما إنه لم يَدْعُك إلاّ إلى خيرٍ فالزمْه.

إسلام زيد بن حارثة ثانيا

قال ابن إسحاق: ثم أسلمَ زيدُ بن حارثة بن شُرَحْبيل بن كَعْب بن عبد العُزّى ابن امرىء القَيْس الكلبى، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان أوّل ذَكَر أسلم، وصلى بعد علىّ بن أبى طالب.

قال ابن هشام: زيد بن حارثة بن شَرَاحيل بن كَعْب بن عبد العُزّى بن امرىء القيس بن النعمان بن عامر بن عَبْدوُدّ بن عَوْف بن كِنانة بن بكر ابن عَوْف بن عُذرة بن زيد اللَّاتِ بن رُفَيْدة بن ثور بن كلب بن وَبَرَة. وكان حكيم بن حزام بن خُويلد قدم من الشام برقيق، فيهم زيدُ بن حارثة وصيف. فدخلتْ عليه عمّتُه خديجة بنت خُوَيلد، وهى يومئذ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها: اختارى يا عمّة أىَّ هؤلاء الغلمان شِئْتِ فهو لك، فاختارت زيداً فأخذته، فرآه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عندها، فاستَوْهبه منها، فوهبته له، فأعتقه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وتبنّاه، وذلك قبل أن يوحَى إليه.

وكان أبوه حارثة قد جزع عليه جزعا شديدا ، وبكى عليه حين فقده ، فقال :

بكَيْتُ على زيدٍ ولم أدرِ ما فعَلْ ... أحَيٌّ ، فيُرْجَى أم أتى دونَه الأجَل
فوالله ما أدرِي ، وإنى لسائلٌ ... أغالكَ بعدى السَّهْلُ ، أم غالكَ الجَبَلْ
ويا ليتَ شِعْرِى هل لكَ الدهرَ أوْبَةٌ ... فحَسْبِى من الدنيا رجوعُك لى بَجَلْ
تُذكِّرُنيه الشَّمسُ عند طُلوعها ... وتَعرِضُ ذِكراه إذا غَرْبُها أفَل
وإن هبَّت الأرواح هيَّجْن ذِكْرَه ... فيا طُول ما حزْنِى عليه وما وَجَل
سأُعمِلُ نصَّ العِيس فى الأرض جاهداً ... ولا أسأم التَّطْوافَ أو تسأم الإبل
حياتىَ أو تأتى علىَّ مَنِيَّتى ... فكُلُّ امرئٍ فانٍ ، وإن غرَّه الأمَل

ثم قدم عليه — وهو عند رسول الله صلى الله عليه وسلم — فقال له رسول الله — صلى الله عليه وسلم : إن شئتَ فأقِمْ عندى ، وإن شئت فانطلق مع أبيك ، فقال : بل أقيم عندك . فلم يزل عند رسول الله — صلى الله عليه وسلم — حتى بعثه الله فصدَّقه وأسلم ، وصلى معه ، فلما أنزل الله عزّ وجلّ : « ادْعُوهُمْ لآبائِهِمْ » الأحزاب : ٥ قال : أنا زيد بن حارثة .

إسلام أبى بكر الصديق رضى الله عنه

قال ابن إسحاق : ثم أسلم أبو بَكْر بن أبى قحافة ، واسمه : عَتيق ، واسم أبى قحافة : عثمان بن عامر بن عمرو بن كَعْب بن سعد بن تَيْم بن مُرّة بن كَعْب ابن لؤَىّ بن غالب بن فهر .

قال ابن هشام : واسم أبى بكر : عبد الله ، وعَتيق : لقب لحسن وَجْهه وعتقه

قال ابن إسحاق : فلما أسلم أبو بكر رضى الله عنه : أظهر إسلامه ، ودعا إلى الله وإلى رسوله .

وكان أبو بكر رجلاً مُؤَلَّفا لقومه ، محببًا سَهْلاً ، وكان أنسبَ قريش لقريش ، وأعلم قريش بها ، وبما كان فيها من خير وشر ، وكان رجلا تاجراً ، ذا خلق ومعروف ، وكان رجال قومه يأتونه ، ويألفونه لغير واحد من الأمر ، لعلمه وتجارته وحسن مجالسته ، فجعل يدعو إلى الله ، وإلى الإسلام مَنْ وثق به من قومه ، ممّن يغشاه ويجلس إليه .

فرض الصلاه

وذكر حديث عُرْوَةَ عن عائشة : « فُرِضت الصلاة ركعتين ركعتين ، فزيد فى صلاة الحضر ، وأُقِرّت صلاةُ السفر »(١) ، وذكر المُزَنِىُّ أن الصلاة قبل الإسراء(٢) كانت صلاةً قبل غروب الشمس ، وصلاةً قبل طلوعها ، ويشهد لهذا القول قوله سبحانه : (وَسَبِّح بحمد ربك بالعَشِىِّ والإبكار(٣))غافر : ٥٥ . وقال يحيى

(١) البخارى ومسلم ومالك وأبو داود والنسائى .

(٢) قال الحافظ فى الفتح : « كان صلى الله عليه وسلم قبل الإسراء يصلى قطعا ، وكذلك أصحابه » أقول : وفى ختام سورة المزمل ، وهى التى نزلت بعد القلم : « وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة » آية : ٢٠ وفى سورة القلم : « أرأيت الذى ينهى عبدا إذا صلى » وهى قطعا قبل الإسراء وفى المدثر بعدها عن المجرمين : (ما سلككم فى سقر ، قالوا : لم نك من المصلين) ٤٢ ، ٤٣ وآيات غيرها تؤكد أن الصلاة كانت مفروضة قبل الإسراء .

(٣) لا تصلح دليلا لما يقول ، إذ يمكن أن يفهم أن المقصود هو الأمر بالتسبيح طول اليوم .

رفع المسلم غفر الله له

. . . .

ابن سلام مثله ، وقال : كان الإسراء وفرض الصلوات الخمس قبل الهجرة بعام ، فعلى هذا يحتمل قول عائشة : فزيد فى صلاة الحضر ، أى : زيد فيها حين أكملت خمسا ؛ فتكون الزيادة فى الركعات ، وفى عدد الصلوات ، ويكون قولها : «فرضت الصلاة ركعتين» أى : قبل الإسراء ، وقد قال بهذا طائفة من السَّلَفِ ، منهم : ابن عباس ، ويجوز أن يكون معنى قولها : فُرِضَت الصلاةُ : أى ليلة الإسراء ، حين فُرضت الخمسُ فرضت ركعتين ركعتين ، ثم زيد فى صلاة الحضر بعد ذلك ، وهذا هو المروى عن بعض رواة هذا الحديث عن عائشة ، ومن رواه هكذا الحسن والشَّعْبىُّ أن الزيادة فى صلاة الحضر كانت بعد الهجرة بعام ، أو نحوه ، وقد ذكره أبو عمر ، وقد ذكر البخارى من روايةِ مَعْمَر عن الزُّهْرِىِّ عن عُرْوَة عن عائشة قالت : فرضت الصلاة ركعتين ركعتين ، ثم هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، فَفُرضت أربعا ، هكذا لفظ حديثه وههنا سؤال يقال : هل هذه الزيادة فى الصلاةِ نَسْخ أم لا ؟ فيقالُ : أما زيادة ركعتين أو ركعة إلى ما قبلها من الركوع حتى تكون صلاة واحدة ، فَنَسْخٌ لأن النسخَ رفع الحكم ، وقد ارتفع حكم الإجزاء من الركعتين ، وصار من سَلَّم منهما عامدا أفسدها ، وإن أراد أن يتم صلاته بعد ما سلم ، وتحدث عامدا لم يُجْزِه إلا أن يستأنف الصلاة من أولها ، فقد ارتفع حكم الإجزاء بالنَّسْخ ، وأما الزيادة فى عدد الصلوات حين أكملت خمسا بعد ما كانت اثنتين ، فيسمّى نسْخاً على مذهب أبى حنيفة ، فإن الزيادة عنده على النص نسخ ، وجمهورُ المتكلمين على أنه ليس بنسخ ولاحتجاج الفريقين موضع غير هذا(١) .

(١) ليس فى القرآن آية منسوخة بالمعنى الذى فسر به النسخ علماء الأصول . والآيات التى =

رفع المسهم

. . . .

الوضوء :

فصل : وذكر نزول جبريل عليه السلام بأعلى مكة حين همز له بعقبه، فأنبع الماء، وعلمه الوضوء، وهذا الحديث مقطوع فى السيرة، ومثله لا يكون أصلا فى الأحكام الشرعية، ولكنه قد روى مسندا إلى زيد بن حارثة -يرفعه- غير أن هذا الحديث المسنَد يدور على عبد الله بن لَهِيعَة وقد ضُعِّف، ولم يخرج عنه مُسْلِم ولا البخارى؛ لأنه يقال: إن كتبه احترقت، فكان يحدث من حفظه، وكان مالك بن أنس يحسن فيه القول، ويقال إنه الذى روى عنه حديثَ بيْع العُرْبَانِ(١) فى الموطأ مالك، عن الثقة عنده، عن عَمْرو بن شُعَيْب، فيقال: إن الثقة ههنا ابن لَهِيعة، ويقال: إن ابنَ وَهْب حدث به عن ابن لَهِيعة، وحديث ابن لَهِيعةَ هذا، أخبرنا به أبو بكر الحافظ محمد ابن العربى قال: نا أبو المطهر سعد بن عبدالله بن أبى الرجاء، عن أبى نعيم الحافظ قال: نا أبو بكر أحمد بن يوسف العطار قال: نا الحارث بن أبى أسامة، قال: نا الحسن بن موسى عن ابن لهيعة، عن عقيل بن خالد عن الزهرى، عن عروة عن أسامة بن زيد، قال: حدثنى أبى زيد بن حارثة أن رسول الله -صلى الله عليه

= زعموا أنها منسوخة هى آيات يجب العمل بها. كل آية فى المصحف الذى بأيدينا يجب تدبرها والعمل بمقتضاها. ولنحذر من القول بنسخ آية فيه فنحكم ببطلان ما هو حق

(١) بيع العربان هو أن يشترى السلعة، ويدفع إلى صاحبها شيئا، على أنه إن أمضى البيع حسب من الثمن، وإن لم يمض البيع كان لصاحب السلعة، ولم يرتجعه المشترى، وهو بيع باطل عند الفقهاء لما فيه من الشرط والغرر وأجازه أحمد، قال ابن الأثير، وحديث النهى منقطع. ينظر: ابن الأثير واللسان

وسلم – فى أول ما أوحى إليه أتاه جبريل عليه السلام ، فعلمه الوضوء ، فلما فرغ من الوضوء أخذ غُرْفة من ماء ، فنَضَح بها فَرْجه، وحدثنا به أيضا أبو بكر محمد ابن طاهر ، عن أبى على الغسانى عن أبى عُمَر النَّمَرِىِّ، عن أحمد بن قاسم، عن قاسم بن أَصْبَغ ، عن الحارث بن أبى أسامة بالإسناد المتقدم ، فالوضوء على هذا الحديث مَكِّىٌّ بالفَرْض، مَدَنِىٌّ بالتِّلاوة ، لأن آية الْوضوء مدنية(١) ، وإنما قالت عائشة: فأنزل الله تعالى آية التيمم ، ولم تقل :آية الوضوء ، وهى هى ؛ لأن الوضوء قد كان مفروضا قبلُ ، غير أنه لم يكن قرآنا يتلى ، حتى نزلت آيةُ المائدة .

إمامة جبريل:

وذكر حديث عبد الله بن عباس فى إمامة جبريل للنبى –صلى الله عليه وسلم–

---

(١) يقول ابن حجر فى الفتح عن حديث ابن لهيعه : وهو مرسل ، ووصله أحمد من طريق ابن لهيعة ، لكن قال : عن الزهرى عن عروة عن أسامة بن زيد عن أبيه ، وأخرجه ابن ماجة من رواية راشد بن سعد عن عقيل عن الزهرى نحوه ، لكن لم يذكر زيد بن حارثة فى السند، وأخرجه الطبرانى فى الأوسط من طريق الليث عن عقيل موصولا ، ولو ثبت لكان على شرط الصحيح . لكن المعروف رواية ابن لهيعة . هذا وقد روى حديث صلاة جبريل بالرسول أبوداود والترمذى مع اختلاف يسير عما فى السيرة ، وقال الترمذى : حسن صحيح ، وصححه الحاكم والذهبى والنووى وغيرهم من « المشكاة » . وعن ابن مسعود عن النبى « نزل جبريل فأمنى ، فصليت معه، ثم صليت معه ، ثم صليت معه ، يحسب بأصابعه خمس صلوات . — زاد فى رواية — ثم قال : بهذا أمرت » رواه الخمسة إلا الترمذى — التاج » .

رفع
المسابهم
عزالله البطل الدين

. . . .

وتعليمه إياه أوقات الصلوات الخمس فى اليومين ، وهذا الحديث لم يكن ينبغى له أن يذكره فى هذا الموضع ؛ لأنَّ أهلَ الصحيح متفقون على أن هذه القصة ، كانت فى الغدِ من ليلة الإسراء ، وذلك بعد ما نُبِّئ بخمسة أعوام ، وقد قيل إن الإسراء كان قبل الهجرة بعام ونصف ، وقيل : بعام ، فذكره ابن إسحاق فى بدء نزول الوحى ، وأول أحوال الصلاة .

أول من آمن :

وذكر أن أول ذَكَرٍ آمن بالله عَلِيٌّ - رضى الله عنه - ، وسيأتى قولُ من قال : أول مَن أسلم أبو بكر ، ولكن ذلك - والله أعلم - من الرجال ؛ لأن عليا كان حين أسلم صَبِيًّا لم يدرك ، ولا يختلف أن خديجة هى أول من آمن بالله ، وصدق رسوله ، وكان علىٌّ أصغر من جَعْفر بعشرِ سنين(١) ، وجعفرٌ أصغر من عَقِيل بعشر سنين ، وعقيل أصغر من طالب بعشر سنين ، وكلهم أسلم إلا طالباً اختطفته الجن ، فذهب ولم يعلم بإسلامه(٢) ، وأمُّ علىّ : فاطمة بنت أسد بن هاشم ، وقد أسلمت ، وهى إحدى الفواطم التى قال فيهن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لعلىّ رضى الله عنه : اقسِمْه بين الفواطم الثلاثِ ، يعنى ثوبَ حَرِيرٍ ، قال القُتَبىُّ . يعنى : فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفاطمة بنت أسد ، ولا أدرى من الثالثة ، ورواه عبد الغنى بن سعيد : اقْسِمه بين الفواطم الأربع ، وذكر

---

(١) هو كما قال فى نسب قريش ص ٣٩ .

(٢) خرافة .

فاطمة بنت حمزة مع اللتين تقدمتا ، وقال : لا أدرى مَن الرابعة ، قاله في كتاب الغوامض والمبهمات(١) .

إسلام زيد :

فصل : وذكر حديث زيد بن حارثة ، وقال فيه : حارثة بنُ شُرَحْبِيل ، وقال: ابن هشام شَراحيل ، قال أصحاب النسب كما قال ابن هشام ، ورفع نسبه إلى كلب بن وَبَرة، وَوَبَرَة هو : ابن ثعلب بن حُلوان بن الحافِ بن قضاعة(٢) ، وأم زيد :

(١) استدل من حكموا بسبق على بحديث عند الطبراني أن النبي « ص » صلى أول يوم الاثنين ، وصلت خديجة آخره ، وصلى على يوم الثلاثاء . وبما جاء في المستدرك للحاكم : نبىء النبي يوم الاثنين ، وأسلم على يوم الثلاثاء . وإلى هذا ذهب سلمان وخباب وجابر وأبو سعيد الخدرى ، وبما جاء في الطبراني عن الحسن وغيره : كان أول من آمن على بن أبى طالب ، وهو ابن خمس عشرة سنة ، أو ست عشرة . بينما روى عن عروة أنه أسلم وهو ابن ثمان سنين وفيه ابن لهيعة ، وفيه ضعف .

(٢) في جمهرة ابن حزم : حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة . وجاء في مجمع الزوائد عن نسبه : بن رفيدة بن كليب بن وبرة بن الحارث بن قضاعة وفي جمهرة ابن حزم : زيد بن حارثة بن شراحيل بن عبد العزى بن عامر بن النعمان ابن عامر بن عبدود بن عوف بن كنانة بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة ابن كلب بن وبرة، ونسبه في الإصابة : زيد بن حارثة بن شراحيل بن عبدود بن عوف ابن كنانة بن بكر بن عوف بن زيد اللات بن ثور بن كلب بن وبرة الكلبي وما سأزيده بين قوسين في نسب أمه من الإصابة .

هذا وقد اتفق على أنه أول من أسلم من الموالى . وقيل إن حكيم بن حزام اشتراه لعمته خديجة بأربعمائة درهم كما جاء في الإصابة . أما كونه أول ذكر أسلم ، فهو في حديث مرسل عند الطبراني كما في السيرة . وفي مجمع الزوائد أن خديجة رضى الله عنها هي التي استوهبته .

رفع
المسـ هم
غفر الله له

. . . .

سُعْدَى بنت ثعلبة [بن عبد عامر] من بنى مَعْنٍ من طيِّىء ، وكانت قد خرجت بزيد لتزيره أهلها ، فأصابته خيل من بنى الْقَيْنِ بن جِسْر ، فباعوه بسوق حُبَاشَة ، وهو من أسواق العرب ، وزيدٌ يومئذ ابن ثمانية أعوام ، ثم كان من حديثه ماذكر ابن إسحاق ، ولما بلغ زيدا قول أبيه : بكيت على زيدٍ ، ولم أدر مافعل. الأبيات . قال بحيث يسمعه الرُّكبان :

أحِن إلى أهلى ، وإن كنتُ نائياً ... بأنى قعيدُ البيت عند المشاعر
فكُفّوا من الوجد الذى قدشجاكم ... ولا تُعمِلوا فى الأرضِ نَص الأباعر
فإنى بحمد اللهِ فى خَيْرِ أسْرَةٍ ... كرام مَعَدٍّ كابرًا بعد كابِرِ

فبلغ أباه (١) قوله ، فجاء هو وعمه كعب ، حتى وقفا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بمكة ، وذلك قبل الإسلام ، فقالا له : يابن عبد المطلب ، يا بن سيد قومه ، أنتم جيران الله ، وتفكون العانى ، وتطعمون الجائع ، وقد جئنا كم فى ابننا عبدك(٢) ، لتحسن إلينا فى فدائه ، فقال : أو غير ذلك ؟ فقالا : وماهو؟ فقال : أدعوه وأخيره ، فإن اختاركما فذاك ، وإن اختارنى فوالله ما أنا بالذى

---

(١) فى الإصابة أن بعض الحجاج رأوا زيدا فعرفهم وعرفوه ، فطلب منهم أن يبلغوا أباه:

أحن إلى قومى وإن كنت نائيا ... بأنى قطين البيت عند المشاعر

فانطلق الحجاج ، وأعلموا أباه ، ووصفوا له موضعه

(٢) فى رواية : عندك .

. . . .

أختار على من اختارنى (١) أحـــدا ، فقالا له : قد زدت على النَّصَف ، فدعاه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلما جاء قال : من هذان ؟ فقال : هذا أبى حارثة بن شَرَاحيل ، وهذا عمى : كعب بن شراحيل ، فقال : قد خيرتك إن شئت ذهبت معهما ، وإن شئت أقمت معى ، فقال : بل أقيم معك (٢) ، فقال له أبوه : يا زيد أتختار العبودية [على الحرية و] على أبيك (٣) وأمك وبلدك وقومك ؟ ! فقال : إنى قد رأيت من هذا الرجل شيئاً ، وما أنا بالذى أفارقه أبداً فعند ذلك أخذ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بيده ، وقام به إلى الملأ من قريش (٤) ، فقال : اشهدوا أن هذا ابنى ، وارثاً وموروثاً ، فطابت نفس أبيه عند ذلك ، وكان يدعى : زيد بن محمد ، حتى أنزل الله تعالى : ﴿ ادعوهم لآبائهم ﴾ (٥) الأحزاب : ٥ .

وفى الشعر الذى ذكره ابن إسحاق لحارثة بعد قوله :

حياتى وإن تأتى (٦) علىَّ مَنيَّتى … فكل امرىء فانٍ وإن غره الأمل

(١) فى الإصابة : « فامنن علينا ، وأحسن فى فدائه ، فإنا سنرفع لك . قال : وما ذاك ؟ قالوا : زيد بن حارثة : فقال : أو غير ذلك !. ادعوه ، فخيروه ، فإن اختاركم فهو لكم بغير فداء ، وإن اختارنى فوالله ما أنا بالذى أختار على من اختارنى فداء » .

(٢) فى الإصابة : « أنت منى بمكان الأب والعم » .

(٣) الزيادة من الإصابة

(٤) وقد أخرجه إلى الحجر كما ورد فى الإصابة

(٥) عن عبد الله بن عمر ، قال : « إن زيد بن حارثة ـ رضى الله عنه ـ مولى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد ، حتى نزل القرآن : ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله » الصحيحان والترمذى والنسائى

(٦) فى السيرة : أو تأتى

رفع
المسهم
غفر الله له ولوالديه

. . . .

سأوصي به قيساً وعمراً كليهما   وأوصى يزيد ثم أوصى به جَبَلَ (١)

يعني : يزيد بن كعب [ابن شراحيل] وهو ابن عم زيد وأخوه [لأمه] (٢) ويعني بجبل: جَبَلة بن حارثة أخا زيد ، وكان أسنَّ منه . سئل جبلة : من أكبر أنت أم زيد ؟ فقال : زيد أكبر مني ، وأنا ولدت قبله ، يريد : أنه أفضل منه بسبقه للإسلام (٣) .

إسلام أبي بكر :

فصل : وذكر إسلام أبي بكر ونسبه ، قال : واسمه : عبدُالله ، وسمي عَتِيقا لِعَتَاقَةِ وجهه ، والعَتِيقُ : الحَسَنُ (٤) كأنه أُعتِق من الذم والعَيب — وقيل : سمي عتيقا ؛ لأن أمه كانت لا يعيش لها ولد ، فنذرت إن وُلِدَ لها ولدٌ أن تسميه : عبدَ الكعبة ، وتتصدق به عليها ، فلما عاش وشبَّ ، سمي : عتيقا ، كأنه أعتق من الموت (٥) ، وكان يسمى أيضاً : عبد الكعبة إلى أن أسلم ، فسماه رسول الله —

---

(١) في الإصابة : ثم من بعدهم حبل

(٢) الزيادة من الإصابة

(٣) ورد في البخاري عن ابن عمر : (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : وايم الله إن كان لخليقا للامارة — يعني : زيد بن حارثة — وإن كان من أحب الناس إلى» هذا وقد قتل زيد في غزوة مؤتة ، وهو أمير سنة ٨ هجرية

(٤) العتق أيضا الكرم والنجابة والشرف والحرية .

(٥) في الإصابة : فلما ولدته استقبلت به البيت ، فقالت : اللهم هذا عتيقك من الموت ، فهبه لي ، وقيل : لقب بهذا لأنه قديم في الخير ، أو لأنه لم يكن في نسبه شيء يعاب به أهله .

رفع المسهم

. . . .

صلى الله عليه وسلم ـ : عبد الله (١) ، وقيل : سمى : عتيقا ؛ لأن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال له حين أسلم : أنت عتيقٌ من النار (٢) ، وقيل : كان لأبيه ثلاثة من الولد : مُعْتَق ومُعَيْتِقٌ وعَتِيقٌ (٣) ، وهو : أبو بكر (٤) ، وسئل ابن مَعِين عن أم أبى بكر فقال : أم الخير عند اسمها ، وهى : أمُّ الخير بنت صَخْر بن عَمْرو (٥) بنت عم أبى قُحافة ، واسمها : سلمى ، وتُكْنَى : أم الخير ، وهى من المبايعات ، وأما أبوه عثمان أبو قحافة فأمُّه : قَيْلَةُ ـ بياء باثنتين منقوطة من أسفل ـ بنت أذاة بن رِياح بن عبد الله بن قُرْطِ بن رَزاح بن عدى بن كعب . وامرأة أبى بكر أم ابنه عبد الله وأسماء : قَتْلَة بنت عبد العُزَّى بتاء منقوطة باثنتين من فوق ، وقيل فيها : بنت عبد أسعد بن نصر بن حِسْل بن عامر

---

(١) عند سعيد بن منصور عن عائشة : قالت : اسم أبى بكر الذى سماه عبد الله . ولكن غلب عليه اسم عتيق ، وقال مصعب الزبيرى : قيل له عتيق لأنه ، لم يكن فى نسبه شىء يعاب به .

(٢) فى الترمذى : قالت عائشة : « دخل أبو بكر على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : أنت عتيق الله من النار . قالت : فمن يومئذ سمى : عتيقا » وفى أبى يعلى بسنده إلى عائشة: « من سره أن ينظر إلى عتيق من النار ، فلينظر إلى أبى بكر » .

(٣) فى جمهرة ابن حزم : « ولد أبى قحافة أبو بكر ، واسمه عبد الله ، وعتيق ومعتق لاعقب لهما » ص ١٢٧ .

(٤) ورد نسب أبى بكر فى جمهرة ابن حزم ، وفى نسب قريش كما هو فى السيرة أما فى الاشتقاق لابن دريد ، فليس فيه عمرو ، وفى تهذيب الأسماء واللغات للنووى « عمير » بدلا من عمرو « انظر ص ٢٧٥ نسب قريش » .

(٥) فى الإصابة ، وفى نسب قريش ، وفى تهذيب النووى ، وفى جمهرة ابن حزم : عامر .

رفع
المسهم
عز الله لطالبه

. . . .

وهو قول الزبير (١) وذكر أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عرض عليه الإسلام ،فما عَكَمَ عندذلك ، أى : ماتردد ، وكان من أسباب توفيق الله إياه — فيماذكر — رؤيا رآها قبل ذلك ، وذلك أنه رأى القمر ينزل إلى مكة ، ثم رآه قد تفرق على جميع منازل مكة وبيوتها ، فدخل فى كل بيت منه شُعبة ، ثم كأنه جُمع فى حِجْره ، فقصَّها على بعض الكتابيين ، فعبرها له بأن النبى المنتظر الذى قد أظل زمانه تتبعه ، وتكون أسعدَ الناس به ، فلما دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام ، لم يتوقف ، وفى مدح حَسَّان الذى قاله فيه ، وسمعه النبى صلى الله عليه وسلم ، ولم ينكره دليل على أنه أول من أسلم من الرجال ، وفيه:

خير البرية أتقاها ، وأفضلها بعد النبى ، وأوفاها بما حملا
والثانى التالى المحمود مَشْهَدُه وأول الناس قدماًصَدَّقَ الرُّسُلاَ (٢)

(١) نسبها فى نسب قريش لأبى عبد الله الزبيرى : قتيلة بنت عبد العزى بن عبد أسعد بن نصر بن مالك بن حسل ص ٢٧٦ وفى جمهرة ابن حزم : قتيلة بنت عبد العزى بن عبد بن سعد بن جابر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لؤى ص١٢٧

(٢) قبلهما :

إذا تذكرت شجواً من أخى ثقة فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا

وقيل: إن ابن عباس كان يستشهد بهذه الأبيات على أولية إسلام أبى بكر ، وفى الروض جاء الشطر الثانى من البيت الثانى هكذا : «والثانى التالى صدق المرسلا» وقد روى هذا ابن عبد البر والطبرانى فى الكبير . وقد توفى أبو بكر رضى الله عنه فى ٤ من جمادى الأولى سنة ١٣ من الهجرة . وهو ابن ثلاث وستين ولد بعد الفيل بسنتين وستة أشهر . وأولاده : عبد الله وعبد الرحمن ومحمد وعائشة وأسماء وأم كلثوم . وأم عائشة وعبد الرحمن : أم رومان بنت عامر بن عمير بن ذُهل بن دهمان بن الحارث بن تيم بن مالك بن كنانة ، وفى جمهرة ابن حزم ،وفى نسب قريش : بنت عبد شمس بن عَتَّاب بن أُذَينة بن سبيع بن عامر بن عويمر بن دُهمان بن الحارث بن غنم بن مالك بن كنانة . نسب قريش ٢٧٦ .

رفع المسهم

الذين أسلموا بدعوة أبى بكر

فأسلم بدعائه – فيما بلغنى – عثمان بن عفّان بن أبى العاص بن أميّة ابن عبد شمس بن عبد مناف بن قصىّ بن كِلاب بن مُرّة بن كعب بن لؤىّ ابن غالب ، والزُّبير بن العوّام بن خُوَيلد بن أسد بن عبد العُزّى بن قُصَىّ بن كِلاَب بن مُرّة بن كعب بن لؤىّ .

وعبدُ الرحمن بن عَوْف بن عَبْد عَوْف بن عبد بن الحارث بن زُهرة بن كِلاب بن مُرّة بن كعب بن لؤىّ .

وسَعْدُ بن أبى وقّاص ، واسم أبى وقّاص : مالك بن أُهَيْب بن عبد مناف ابن زُهْرة بن كِلاب بن مُرّة بن كعب بن لؤىّ .

وطَلْحةُ بن عُبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سَعْد بن تَيْم بن مُرّة بن كعب بن لؤىّ ، فجاء بهم إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حين استجابوا له ، فأسلموا وصلّوْا ، وكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول فيما بلغنى : مادعوتُ أحداً إلى الإسلام إلا كانت فيه عنده كَبْوة ، ونَظَر وتردّد ، إلا ما كان من أبى بكر بن أبى قُحافة ، ماعَكَم عنه حين ذكرتُه له ، وما تردّد فيه .

قال ابن هشام : قوله : « بدعائه » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن هشام : قوله : عكم : تلبّث . قال رُؤْبة بن العَجّاج :

. . . .

وانصاع وثَابٌ بها وما عَكَم

قال ابن إسحاق : فكان هؤلاء النفَر الثمانية الذين سبقوا الناس بالإسلام فصلَّوا وصدَّقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بما جاءه من الله .

ثم أسلم أبو عُبَيْدة ، واسمه : عامر بن عبد الله بن الجرَّاح بن هِلال بن أُهَيْبِ بن ضَبَّة بن الحارث بن فِهرٍ . وأبو سَلَمَةَ ، واسمه : عبد الله بن عبد الأسد بن هِلال بن عبد الله بن عمر بن مَخْزُوم بن يَقَظة بن مُرّة بن كَعْب ابن لؤيّ .

والأرقم بن أبي الأرقم . واسم أبي الأرقم : عبد مناف بن أسَد — وكان أسَد يُكنَى : أبا جُنْدُب — بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يَقَظة بن مُرّة بن كَعْب ابن لؤيّ . وعثمان بن مَظْعون بن حَبيب بن وَهْب بن حُذافة بن جُمَح بن عمرو ابن هُصَيص بن كَعْب بن لُؤيّ . وأخواه : قُدامة وعبد الله ابنا مَظْعون بن حبيب

وعُبَيدة بن الحارث بن المُطَّلِب بن عبد مناف بن قصيّ بن كِلاب بن مُرّة بن كَعْب بن لؤيّ ، وسَعيدُ بن زيد بن عمرو بن نُفَيل بن عبد العُزَّى بن عبد الله بن قُرْط بن رِيَاح بن رَزَاح بن عديّ بن كَعْب بن لؤيّ ، وامرأته : فاطمة بنت الخطَّاب بن نُفَيل بن عبد العُزّى بن عبد الله بن قُرْط بن رِياح بن رَزَاح بن عديّ ابن كَعْب بن لؤيّ ، أخت عُمر بن الخطَّاب . وأسماء بنت أبي بَكْر . وعائشةُ بنت أبي بكر ، وهي يومئذ صغيرة . وخَبَّاب بن الأرَتّ ، حليف بني زهرة .

قال ابن هشام : خبَّاب بن الأرَتّ من بني تَمِيم ، ويقال : هو من خزاعة .

رفع المسهم

قال ابن إسحاق : وعُمَيْرُ بن أبي وقَّاص ، أخو سَعْد بن أبي وقَّاص . وعبدُ الله بن مَسْعُود بن الحارث بن شَمْخ بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل ابن الحارث بن تميم بن سَعْد بن هُذيل حليف بني زُهْرَة ، ومسعود بن القاري ، وهو مَسْعُود بن رَبيعة بن عمرو بن سعد بن عبد العُزّى بن حَمالَة بن غالب بن مُحلّم بن عائذة بن سُبَيع بن الهُون بن خُزَيْمَة من القارَة .

قال ابن هشام : والقارَة : لقب ، ولهم يقال :

قد أنْصَفَ القارَةَ مَنْ راماها

وكانوا قوْما رُماةً .

قال ابن إسحاق : وسَليطُ بن عمرو بن عَبد شَمْس بن عبدوُدٍّ بن نصر ابن مالك بن حِسْلِ بن عامر بن لؤيّ بن غالب بن فِهْر . وعيَّاش ابن أبي ربيعة بن المُغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يَقَظَة بن مُرّة ابن كَعْب بن لؤيّ . وامرأته أسماء بنت سَلامَة بن مُخَرِّبة التميمية . وخُنَيس بن حُذافة بن قيس بن عَدِيّ بن سعد بن سَهم بن عمرو بن هُصَيص ابن كَعْب بن لؤيّ . وعامر بن رَبيعة بن عَنْز بن وائل ، حليف آل الخطّاب ابن نُفَيل بن عبد العُزّى .

قال ابن هشام : عَنْز بن وائل أخو بكر بن وائل ، من ربيعة بن نزار .

قال ابن إسحاق : وعبدُ الله بن جَحْش بن رِئاب بن يَعْمَر بن صَبِرَة بن

. . . .

مُرّة بن كَبير بن غَنْم بن دُودَان بن أسَد بن خُزَيمة . وأخوه : أبو أحمد بن جَحْش ، حليفا بنى أُمَيَّة بن عبد شمس . وجعفرُ بن أبى طالب ، وامرأته : أسماء بنت عُمَيس بن النعمان بن كَعْب بن مالك بن قُحافة ، من خَثْعَم ، وحاطبُ بن الحارث بن مَعْمَر بن حَبيب بن وَهْب بن حُذافة بن جُمَح بن عمرو بن هُصَيص بن كَعْب بن لؤىّ ، وامرأته فاطمة بنت المُجَلِّل بن عبد الله أبى قَيْس بن عبدودّ بن نَصْر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لؤى بن غالب بن فهر . وأخوه خَطَّاب بن الحارث ، وامرأته فُكَيهة بنت يَسار . ومَعْمَر بن الحارث ابن مَعْمر بن حَبيب بن وَهْب بن حُذافة بن جُمَح بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لؤَىّ . والسائب بن عثمان بن مَظْعون بن حَبيب بن وَهْب . والمطَّلب ابن أزهر بن عَبْد عَوْف بن عَبْد بن الحارث بن زُهْرة بن كِلاب بن مُرّة بن كعب بن لؤىّ ، وامرأته : رَمْلة بنت أبى عَوْف بن صُبيرَة بن سُعَيد بن سعد بن سَهْم بن عمرو بن هُصَيص بن كَعْب بن لؤَىّ . والنَّحام ، واسمه : نُعَيم بن عبد الله بن أسِيد ، أخو بنى عدىٍّ بن كَعْب بن لؤىّ .

قال ابن هشام : هو نُعَيم بن عبد الله بن أسِيد بن عبد الله بن عَوْف بن عُبَيد بن عُوَيج بن عدىّ بن كَعْب بن لؤَىّ ، وإنما سُمّى النَّحامَ ، لأن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : لقد سمعت نَحْمَه فى الجنة .

قال ابن هشام : نحمه : صوته وحِسُّه .

قال ابن إسحاق : وعامر بن فُهَيرة ، مولى أبى بكر الصدّيق رضى الله عنه

قال ابن هشام : عامر بن فُهَيرة مُوَلَّد من مُوَلَّدى الأسْد ، أسْوَدُ اشتراه أبو بكر رضى الله عنه منهم .

قال ابن إسحاق : وخالد بن سَعيد بن العاص بن أُمَيَّة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قُصَىّ بن كِلاب بن مُرّة بن كَعْب بن لُؤَىّ ، وامرأته أُمَيْنة بنت خَلَف بن أسعد بن عامر بن بَياضة بن سُبَيع بن جِعْثِمَة بن سعد بن مُلَيح بن عمرو ، من خُزاعة .

قال ابن هشام : ويقال : هُمَينة بنت خَلَف .

قال ابن إسحاق : وحاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبدوُدّ بن نَصْر ابن مالك بن حِسْل بن عامر بن لُؤَىّ بن غالب بن فِهر . وأبو حُذَيفة ، واسمه : مِهْشَمٌ ـ فيما قال ابن هشام ـ بن عُتبة بن رَبيعة بن عبد شمس بن عَبْدمناف ابن قُصىّ بن كِلاب بن مرّة بن كعب بن لُؤَىّ . وواقدُ بن عبد الله بن عبد مناف ابن عَرِين بن ثعلبة بن يَرْبوع بن حَنْظَلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، حليف بنى عدىّ بن كَعْب .

قال ابن هشام : جاءت به باهلةُ ، فباعوه من الخطّاب بن نُفَيل ، فتبنّاه ، فلمّا أنزل الله تعالى : « ادْعُوهُمْ لآبائِهِمْ » الأحزاب : ٥ قال : أنا واقد بن عَبْدِ الله ، فيما قال أبو عمرو المدنى .

قال ابن إسحاق : وخالدٌ وعامر وعاقل وإياس بنو البُكَير ابن عبدياليل بن ناشب بن غِيَرة من بنى سعد بن لَيْث بن بكر بن عبد مَناة بن كِنانة حلفاء بنى

رفع
المسهم

عدىّ بن كعب. وعمّار بن ياسر، حليف بنى مخزوم بن يقظة.

قال ابن هشام: عمّار بن ياسر عَنْسِىّ من مَذْحِج.

قال ابن إسحاق: وصُهَيب بن سِنَان، أحد النَّمِر بن قاسط، حليف بنى تَيْم بن مُرّة.

قال ابن هشام: النَّمِر بنُ قاسط بن هِنْب بن أفْصَى بن جَدِيلة بن أسَد ابن رَبيعة بن نزار، ويقال: أفصَى بن دُعْمِىّ بن جَديلة بن أسد، ويقال: صُهَيب: مولى عبد الله بن جُدْعان بن عمرو بن كَعْب بن سَعْد بن تيم.

ويقال: إنه رُومىّ. فقال بعضُ مَنْ ذَكر أنه من النَّمِر بن قاسط: إنما كان أسيراً فى أرض الروم، فاشتُرِى منهم، وجاء فى الحديث عن النبىّ صلى الله عليه وسلم: صُهَيب سابق الروم.

إسلام أبى عبيدة وسعيد بن زيد:

وذكر إسلام أبى عُبَيْدة بن الجرّاح واسمَه، وقد اختلف فيه، فقيل: عبد الله بن عامر، وقيل: عامر بن عبد الله. وأمه: أُمَيْمَةُ بنت غَنْم بن جابر ابن عبد العُزّى بن عامرة بن وَدِيعة بن الحارث بن فِهْر، قاله الزبير (١).

وذكر إسلام سعيد بن زيد، وقد ذكرناه فيما مضى، وذكرنا أمّه فاطمة بنت بَعْجَة(٢) بن خَلَف الخُزاعية، وما وقع فى نسبه من التقديم والتأخير، ومن

---

(١) فى ص ٤٤٥ من نسب قريش لأبى عبد الله الزبيرى، وفى التهذيب للنووى أميمة بنت جابر.

(٢) فى الإصابة: بعجة بن مليح.

. . . .

الفتح فى رَزَاح بن عدى والكسر ، وأن رِزاح بن ربيعة هو الذى لم يختلف فى كسر الراء منه ، ويكنى سعيد : أبا الأعور ، توفى بأرضه بالعقيق ، ودفن بالدينة فى أيام معاوية سنة خمسين أو إحدى وخمسين ، وهو ابن بضع وسبعين سنة ، روى عنه ابن عُمَر ، وعَمْرو بن حُرَيْثٍ ، وأبو الطُّفَيْل عامر بن وَاثِلَةَ وجماعة من التابعين(١) ، ولم يرو عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — إلا حديثين(٢) . أحدهما : « من غَصَب شبرا من أرض طُوِّقه يوم القيامة من سبع أرضين(٣) » وهو أحد العشرة الذين شهد لهم رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بالجنة ، وأحد الذين رجف بهم الجبل ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : « اثبُتْ حِراء ؛ فإنما عليك نبىٌّ أو صديق أو شهيد(٤) » ويروى : اثبت أُحُدُ(٥) ،

(١) من كبارهم : أبو عثمان النهدى ، وابن المسيب ، وقيس بن أبى حازم وغيرهم
(٢) فى ذخائر المواريث ذكر له عشرة أحاديث .
(٣) رواه البخارى فى المظالم وبدء الخلق ، ومسلم فى البيوع

(٤) بعد هذا ورد : فقيل : ومن هم ؟ قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف . قيل : ومن العاشر ؟ قال — أى سعيد بن زيد راوى الحديث — أنا ، رواه الترمذى وأبو داود

(٥) روى قصة أحد البخارى وأحمد والترمذى والنسائى وأبو حاتم وأبو داود . والذين كانوا معه : أبو بكر ، وعمر وعثمان وفيه : « فإنما عليك نبى وصديق وشهيدان » وحديث ثبير — وهو جبل بالمزدلفة على يسار الذاهب إلى منى — عن ثمامة بن شراحيل اليمانى . والذين كانوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم : أبو بكر وعمر وعثمان . وفيه : فإنما عليك نبى وصديق وشهيدان . وقد أخرجه النسائى والترمذى والدارقطنى . وفى حديث حراء المروى عن أبى هريرة أنه كان معه أبو بكر

رفع
المسيهم
عز الله لطفه

. . . .

وأن القصة كانت فى جبل أُحُدٍ ، ويروى أنها كانت فى جَبَل ثَبِير ذكره الترمذى ، وأنهم كانوا أربعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم الخلفاء الأربعة ، ولعل هذا أن يكون مراراً ، فتصح الأحاديث كلها ، والله أعلم .

إسلام سعد وابن عوف والنحام :

وذكر فيمن أسلم بعد أبى بكر سعدَ بن أبى وَقَّاص ، واسم أبى وقاص : مالك بن أُهَيْب ، وأُهَيْب : هو عم آمنة بنت وهب أم النبى — صلى الله عليه وسلم — والوقاص فى اللغة ، هو واحد الوَقَاقيص وهى شباك يصطادبها الطير ، وهو أيضا فَعَّال من وَقَص إذا انكسر عنقه ، وأمُّ سعد : حَمْنَةُ(١) بنت سفيان بن أمية بن عبد شمس ، يكنى : أبا إسحاق ، وهو أحد العشرة ، دعا له النبى – صلى الله عليه وسلم – أن يُسَدِّدَ الله سهمه ، وأن يجيب دعوته ، فكان دعاؤه أسرع الدعاء إجابة (٢) . وفى الحديث أن

وعمر وعثمان وطلحة والزبير ، وفى رواية : وسعد بن أبى وقاص ، ولم يذكر عليا فى هذه الرواية ، وفيه : فما عليك إلا نبى أو صديق أو شهيد . وقد خرجهما مسلم ، والترمذى ، وذكر عليا ، ولم يذكر سعدا . ولكن الثابت أن سعدا مات بقصره بالعقيق قرب المدينة . ولم يستشهد .

(١) فى الإصابة : حمزة ، ولعله خطأ مطبعى ، وكانت غير واضحة فى الروض فأثبتها من نسب قريش ص ٢٦٣ .

(٢) فى البخارى ومسلم والترمذى أن الرسول «ص» كان يقول له يوم أحد «ارم ، فداك أبى وأمى» . وزاد الترمذى أيها الغلام الحزور « الشديد القوى » وروى البخارى عن سعد : « لقد مكثت ثلاثة أيام ، وإنى لثلث الإسلام » يعنى ثالث رجل أسلم ، وروى الترمذى : اللهم استجب لسعد إذا دعاك . مات سعد

رفع
المساهم

. . . .

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : احذروا دعوة سعد . مات فى خلافة معاوية .

وذكر عبد الرحمن بن عوف بن عَبْــد عَوْف بن عبد بن الحارث ابن زُهْرَة (١) ، وهو أيضا أحد العشرة يكنى : أبا محمد ، أُمُّهُ : الشِّفاء بنت عوف ابن عَبْد بن الحارث(٢) وهى بنت عم عَوْفٍ والدِ عبد الرحمن بن عوف ، فأبوها : عَوْف عم عوف وأخو عبد عوف .

رضى الله عنه بالعقيق، وحمل إلى المدينة ، وقال الواقدى : أثبت ما قيل فى وقت وفاته أنها سنة خمس وخمسين ، وهو الذى بنى الكوفة ، وفتح مدائن كسرى واعتزل الفتنة . وعن عائشة قالت : سهر رسول الله « ص » مقدمه المدينة ليلة ، فقال: ليت رجلا صالحا من أصحابى يحرسنى الليلة ، قالت :فبينا نحن كذلك سمعنا خشخشة سلاح ، فقال: من هذا ؟ قال: سعد بن أبى وقاص ، فقال له رسول الله : ما جاء بك؟ فقال : وقع فى نفسى خوف فجئت أحرسك ، فدعا له رسول الله «ص» ثم نام . رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى .

(١) نسبه هكذا فى نسب قريش ، وقد سقط من نسبه فى الإصابة : ابن بين عبد، وبين الحارث ،أما فى جمهرة ابن حزم، فنسبه : عبد الرحمن بن عوف بن عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة بن كلاب .

(٨) فى الإصابة جاء نسبها : أبوها : عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث ابن زهرة . وهو خطأ لأنها بهذا تكون أخت عبد الرحمن . وفى نسب قريش : الشفاء بنت عوف بن الحارث بن زهرة . فأسقط « عبد بن الحارث» من نسبها . وفى مكان آخر: « الشفاء بنت عوف بن عبد » ص ٢٦٥ ، ٢٦٣ وفى الإصابة : واسم أمه: صفية ، ويقال: الصفا ، حكاه ابن منده ذكر البخارى فى تاريخه من طريق الزهرى : قال : أوصى عبد الرحمن بن عوف لكل من شهد بدرا بأربعمائة دينار، فكانه مائة رجل، مات سنة ٣١ أو ٣٢ﻫ وعاش ٧٢ عاما . دفن بالبقيع وصلى عليه عثمان . أو الزبير .

رفع المسهم

. . . .

وذكر نُعَيْم بن عبد الله النَّحَّام (١) ، وقول النبي - صلى الله عليه وسلم : سمعت نَحْمَهُ في الجنة ، ولم يفسر النَّحْم ما هو ، وهى سُعْلة مستطيلة ، ويقال للبخيل : نَحَّام؛ لأنه يَسْعُل إذا سئل يتشاغل بذلك ، وأنشد الزبير :

مالك لاتنْحِم يارَواحهْ إن النَّحيمَ للسُّقَاة راحهْ

قال : ويقال للنَّحْمة : نَحْطَة ، وقال غيره : النَّحْطَة فى الصدر ، والنَّحْمَة فى الحلق ، والنُّحَام أيضاً طائر أحمر فى عظم الإوَزّ (٢) .

عبد الله بن مسعود ومسعود القارى :

وذكر عبد الله بن مسعود (٣) بن شَمْخٍ بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل

---

(١) نسبه فى نسب قريش . نعيم بن عبد الله بن أسيد بن عبد بن عوف . ابن عبيد بن عويج بن عدى بن كعب ، أما فى الإصابة فـكما فى السيرة ، أى : بإسقاط ابن بين عبد وعوف . وقد استشهد نعيم بأجنادين فى خلافة عمر سنة خمس عشرة . وقيل : يوم مؤته فى حياة النبي « ص » .

(٢) فى القاموس : نحط ينحط نحيطا : زفر زفيرا ، النحاط كغراب : تردد البكاء فى الصدر من غير أن يظهر كالنحط . وقال عن النحيم إنه كالزحير أو فوقه . وقال عن النحام بمعنى طائر إنها على وزن غراب ، وخطأ الجوهرى فى فتحها وشدها ، وفى الاستيعاب لابن عبد البر ، وعند ابن الكلبى : أسيد بن عبد عوف انظر الخشنى ص ٨٠ ، وفى كتاب حذف نسب قريش ص ٨٢ لمؤرج بن عمرو السدوسى « أسيد بن عبد عوف » .

(٣) فى الإصابة : عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمخ بن فار ابن مخزوم بن صاهلة بن الحارث بن تيم بن سعد بن هذيل الهذلى أبو عبد الرحمن . فى جمهرة ابن حزم : شمخ وتميم .

رفع المسهم

. . . .

ابن الحارث بن تميم بن سعد بن هُذَيل حليف بنى زهرة ، وقال فى نسبه : كاهَل ، وقيده الوقشى بفتح الهاء من كاهَل ، كأنه سُمِّى بالفعل من كاهل يُكاهِلُ ، كما قال ـ عليه السلام لرجل استأذنه فى الجهاد ـ واسمه : جَاهِمَةُ ـ فقال : هل فى أهلك مِنْ كَاهِلٍ أى : من قَوِىٍّ على التصرف(١) ، والاكتهال : القُوة . وقال أبو عبيد : كاهَل أى : أَسَن ، وقال ابن الأعرابى : إنما لفظ الحديث هل فى أهلك من كاهن ، وغيَّره الراوى له ، فقال : مِنْ كاهِلٍ ، قال : وكاهن الرجال ، هو الذى يخلف الرجل فى أهله يقوم بأمرهم بعد ، يقال منه : كَهَنَ يَكْهُن كهانة .

وذكر فى نسبه أيضا شَمْخا وهو من شَمَخ بأنفه إذا رفعه عزةً . وأم عبد الله هى : أم عبد بنت سَوْدٍ بن قديم بن صاهلة هذلية(٢) .

وذكر مسعوداً القارى ، وهو : مسعود بن ربيعة ورفع نسبه إلى الهُوْن ابن خُزَيمة ، وهم القارَة وفيهم جرى المثل المثل : قد أنصف القارة من راماها . قال الراجز :

قد علمت سَلْمى ، وَمَنْ والاها   أنا نرد الخيلَ عَنْ هواها

---

(١) فى النهاية والقاموس : ويروى من كاهل ـ بفتح ميم من ـ وهاء كاهل باعتبارها فعلا ماضيا أى تزوج . أو أسن

وفى الاشتقاق : من كاهل أى كهل يقوم بأمرهم ذوسن محتنك

(٢) فى الإصابة : أمه : أم عبيد بنت عبدود بن سود أو اسواءة بن مريم وفى جمهرة ابن حزم : وأم عبد الله بن مسعود : أم عبد من المهاجرات الأول من بنى قديم بن صاهلة بن كاهل .

. . . .

نردها داميَــــةً كُلاَهَا قد أنصف القَارَةَ مَن راماها

إنَّا إذا مافئَــــةٌ نَاقَاهَا نَرُدُّ أولاها على أُخْراها

وسُمى بنو الْهُون بن خُزَيمة قارَةً لقول الشاعر منهم فى بعض الحروب :

دَعُــــونا قَارَةً لاتُذْعِرونا فنُجْفِلَ مثل إجفال الظَّليم(١)

هكذا أنشده أبو عُبَيْد فى كتاب الأنساب ، وأنشده قاسمٌ فى الدلائل :

دَعُونا قارة لاتُذْعِرونا فَتَنْبَعِكَ القَرابَةُ والذِّمامُ

وكانوا رُمَاةَ الحدَق(٢) ، فمن راماهم فقد أنصفهم، والقارَة : أرضٌ كثيرة الحجارة ، وجمعها (٣) قُور، فكأن معنى المثل عندهم: أن القارَةلا تَنْفَدُ حجارتُها إذا رمى بها ، فمن راماها فقد أنصف .

وهم فى نسب أبى حذيفة:

وذكر أبا حذيفة بن عتبةَ . قال ابن هشام : واسمه : مِهْشَم ، وهو وَهْم عند أهل النسب ، فإن مِهْشَمًا إنما هو أبو حذيفة بن المغيرة أخو هاشم ، وهشام ابنى المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وأما أبو حذيفة بن عتبة فاسمه :

---

(١) فى الاشتقاق واللسان : لاتنفرونا . وفى مجمع الأمثال : القارة قبيلة،وهم عضل والديش ابنا الهون بن خزيمة ، وإنما سموا قارة ، لاجتماعهم والتفافهم لما أراد الشداخ أن يفرقهم فى بنى كنانة ، وهم اليوم فى اليمن . وقيل غير ذلك .

(٢) يقال : هو من رماة الحدق : حاذق ماهر فى النضال .

(٣) فى الاشتقاق : القارة : أكمة سوداء فيها حجارة ، وفى القاموس جاء أيضا أنها الجبل الصغير المنقطع عن الجبال ، أو الصخرة العظيمة أو الصخرة السوداء وجمعها قارات وقار وقور ، وقيران . هذا وقد ورد فى نسب مسعود فى الإصابة بعد غالب هو ابن عائذة بن تثيع بن مليح ، وعند الكلبى : مسعود بن عامر ابن ربيعة بن عمير بن سعد بن مخلد بن غالب .

رفع المسهم

. . . .

قيس فيما ذكروا(١) .

عميس :

وذكر أسماء بنت عُمَيس امرأة جعفر بن أبى طالب ، وعُمَيْس أبوها هو : ابن مَعْد(٢) بن الحارث بن تَيم بن كعب بن مالك بن قحافة بن عامر بن ربيعة بن زيد بن مالك بن نَسْر بن وَهْب بن شَهْران بن عِفْرِس بن حُلْف بن أَفْتَل ، وهو : جماعة خَثْعَم بن أنمار على الاختلاف فى أنمار هذا ، وقد تقدم . وأمها : هِند بنت عوف بن زهَيْر بن الحارث(٣) من كِنانة ، وهى أخت ميمونة بنت الحارث الهلالية زوج النبى – صلى الله عليه وسلم – أمهما واحدة ، وأخت لُبابة أم الفضل امرأة العباس(٤) ، وكن تسع أخوات(٥) ، فيهن ، قال رسول الله

---

(١) فى الإصابة أيضا مع هذا : وقيل : هاشم . استشهد يوم اليمامة ، وهو ابن ست وخمسين سنة ، وفى الخشنى ص ٨٠ مثل تصويب السهيلى

(٢) هو بإسكان العين أو فتحها . ونسبه فى نسب قريش : عميس بن معبد بن تيم ابن مالك بن قحافة بن عامر بن ربيعة بن عامر بن معاوية بن زيد بن مالك بن نسر بن وهب الله بن شهران بن عفرس بن حلف بن أفتل ، وفى جمهرة ابن حزم ، وعميس بن معد بن الحارث بن تيم بن كعب بن مالك بن قحافة بن عامر بن ربيعة بن عامر بن سعد ، ابن مالك بن بشر بن وهب بن شهران بن عفرس بن حلف بن خثعم » ص ٨٠ . نسب قريش : ٣٦٨ جمهرة » . والإصابة تتفق مع الروض حتى ربيعة . ثم تقول عن ربيعة : ابن غانم بن معاوية بن زيد الخثعمية . وقيل : وعميس هو ابن النعمان ابن كعب ، والباقى سواء » .

(٣) قيل خولة بنت عوف بن زهير .

(٤) فى الاشتقاق : أنها أم بنى العباس بن عبد المطلب إلا تماما وكثيراً .

(٥) قيل : عشر لأم ، وست لأم وأب .

. . . .

ـ صلى الله عليه وسلم : الأخوات مؤمنات ، وكانت قبل جعفر عند حَمْزة ابن عبد المطلب ، فولدت له أمة الله ، ثم كانت عند شداد بن الهاد ، فولدت له عبد الله وعبد الرحمن ، وقد قيل : بل التى كانت عند حمزة ، ثم عند شداد هى أختها : سلمى ، لا أسماء ، وتزوجها بعد حمزة أبو بكر الصديق ، فولدت له محمدَ ابن أبى بكر ، وتزوجها بعده علىُّ بن أبى طالب ، فولدت له يحيى . قال الكلبى: ولدت له مع يحيى عونَ بن على[1] ، ولم يختلف أنها ولدت لجعفر ابنا اسمه : عون[2] ، وولدت له أيضا عبد الله بن جعفر ، وكان جواد العرب فى الإسلام ، وبنات عُمَيْس : أسماء وسلامة وسلمى ، وهن أخوات ميمـــونة وسائر أخواتها لأم .

تصويب فى نسب بنى عدى:

وذكر ابن إسحاق فى السابقين إلى الإسلام من بنى سَهْم : عبدَ الله بن قيس ابن الحارث بن عدى بن سُعَيْد بن سهم[3] ، وحيثما تكرر نسب بنى عدى بن سعد

---

(١) فى الإصابة أن الذى روى هذا هو ابن سعد عن الواقدى . أما ابن الكلبى فقال إنها ولدت له عونا ، وقال أبو عمر : تفرد بذلك ابن الكلبى .

(٢) ولدته له فى الحبشة فى هجرتها . وفى الإصابة أنها تزوجت أبا بكر بعد قتل زوجها جعفر ، وروى عمر بن شبة فى كتاب مكة أن الرسول زوجها أبا بكر يوم حنين .

(٣) المذكور فى السيرة فى هذا الموضع : خنيس ، أما عبد الله فأخوه ، وكان خنيس زوج حفصة رضى الله عنها ـ وقد مات بجراحه يوم أحد ، وقد تزوج النبى صلى الله عليه وسلم حفصة بعده . ونسب خنيس فى نسب قريش هو : خنيس بن حذافة ابن قيس بن عدى بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب ، وهو مطابق لما فى السيرة =

رفع
المسهم
عز الله لمطلوبه

. . . .

ابن سهم يقول فيه ابنُ إسحاق : سُعَيد[1] ، والناس على خلافه ، وإنما هو سَعْدٌ ، وسيأتى فى شعر عبد الله بن قيس شاهد على ذلك ، وإنما سُعَيْدُ بن سَهْم أخو سعد ، وهو جد آل عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سُعيد بن سهم وفى سهم : سُعَيْدٌ آخر ، وهو ابن سعد المذكور ، وهو جد المطلب بن أبى وَدَاعَةَ ، واسم أبى وداعة : عوف بنُ صُبَيْرة[2] ، ابن سُعَيْد بن سعد ، وقد قيل فى صُبَيْرة : ضُبَيْرة بالضاد المعجمة ، وهو الذى كان شابا جميلا يلبس حلة ، ويقول للناس : هل ترون بى بأسا إعجابا بنفسه ، فأصابته المنية بغتة ، فقال الشاعر فيه :

مَنْ يأمن الحَدَثَانَ بعد صُبَـ ـيْرةَ القـــرشى ماتا
سبقت منيتُـــه المَشيـ ـبَ وكان مَنِيَّتُه افْتِلاتا[3]

عنز :

وذكر عامر بن ربيعة ، وقال : هو من عَنْزِ بن وائل . عنز بسكون النون ، ويذكر عن على بن المَدِينىّ أنه قال ، فيه عَنَز بفتح النون ، والسكون أعْرفُ . ذكر أهل النسب أن وائلا [بن قاسط] كان إذا ولد له ولد ، خرج من خبائه ،

= ولهذا يكون السهيلى مخطئا فى نقله عن السيرة إذ ذكر عبد الله بن قيس بن الحارث بن عدى دون خنيس . وليس لعدى ولد اسمه الحارث ، فالحارث ابن قيس ، ووالد قيس هو عدى .

(١) وقوله هنا حق ، وقد صوبتها فى السيرة عن صاحب الروض ، وعن نسب قريش لأبى عبد الله المصعب الزبيرى ص ٤٠٠ وما بعدها ، وعن جمهرة ابن حزم ص ١٥٤ ، وعن الإصابة فى ترجمة خنيس .

(٢) هو كذلك فى النسب أما فى جمرة ابن حزم فهبيرة وهو خطأ

(٣) منية : موت ، افتلات : فجأة

رفع عبد الرحمن الهندي

. . . .

فما وقعت عينه عليه سماه به ، فلما وُلد له بكر وقعت عينهُ على بَكْرٍ من الإبل ، فسماه به ، فلما ولد له تغلب رأى نفسين يتغالبان ، فسماه تَغْلِب ، فلما ولد له عَنْزٌ ، رأى عَنْزا — وهى الأنثى من المعز — فسماه عَنْزاً ، فلما وُلد له الشُّخَيْص خرج فرأى شخصا على بعدٍ صغيرا ، فسماه : الشُّخَيْص ، بهؤلاء الأربع(١) ، هم قبائل وائل ، وهم معظم ربيعة ، وهو عامر بن ربيعة العَنْزِىّ الْعَدَوِىّ حليف لهم ، ويقال : هو عامر بن ربيعة بن كعب بن مالك بن ربيعة بن عامر بن سعد بن عبد الله بن الحارث بن رُفَيْدة بن عَنْز بن وائل بن قاسط ، وقيل : عامر بن ربيعة بن مالك بن عامر بن ربيعة بن حُجَيْر بن سلامان بن هِنب بن أَفْصَى بن دُعْمِى بن جَدِيلة بن أسد بن ربيعَة بن نزار بن مَعَدّ بن عدْنان(٢)

إسلام عامر بن فهيرة :

وذكر عامرَ بن فُهَيْرة مولى أبى بكر ، و فُهَيْرَة : أمُّه ، وهى تصغير فِهْر ، لأن الْفِهْرَ مؤنثة ، وكان عبداً أسود للطُّفَيْل بن الحارث بن سَخْبَرَة(٣) اشتراه

---

(١) القصة فى الاشتقاق لابن دريد ص ٦ وفيها : « فإذا هو بشخيص قد ارتفع له ، ولم تتبينه نظراته » وعن تغلب : « فغلبه أن يرى شيئا فسماه تغلب »

(٢) فى جمهرة ابن حزم ص ٢٨٥ عامر بن ربيعة بن كعب بن مالك ابن ربيعة بن عامر بن ربيعة بن حجير بن سلامان بن مالك بن ربيعة ابن رفيدة بن عنز بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمى بن جديلة ابن أسد بن ربيعة بن نزار . وفى الإصابة كالنسب الأول فى الروض مات سنة ٣٢ هـ وقال أبو عبيدة سنة ٣٧ هـ ،

(٣) فى الإصابه الطفيل بن عبد الله بن سخبرة .

رفع
المسهم
عز الله لطالب الدين

. . . .

أبو بكر فأعتقه ، وأسلم قبل دخول النبي – صلى الله عليه وسلم – دار الأرْقَمِ ، وسيأتي في الكتاب نُبَذٌ من أخباره ، منها : أنه قتله عامرُ بن الطفيل(١) يوم بئر مَعُونَةَ ، فلما طعنه خرج من الطعنة نورٌ ، وكان عامر يقول : مَنْ رَجلٌ لما طعنته رُفع ، حتى حالت السماء دونَه ، هذه رواية البَكَّائِيِّ عن ابن إسحاق ، وفي رواية يونس بن بكير عن ابن إسحاق أن عامراً سأل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حين قدم عليه ، وقال : يا محمد مَنْ رَجلٌ من أصحابك لما طعنتُه رُفع إلى السماء ؟ فقال : هو عامر بن فُهَيْرة ، وروى هشامُ بن عُرْوةَ عن أبيه: أن عامراً التُمِس في القتلى يومئذ فلم يُوجد ، فكانوا يرون أن الملائكة رفعته ، أو دفنته(٢) ذكره ابن المبارك .

---

(١) عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر الكلابي العامري مات كافرا بإجماع أهل النقل. وفي الصحيح أنه قدم على النبي «ص» فقال له : لك أهل السهل ، ولي أهل المدر ، أو أكون خليفتك أو أغزوك بألف أشقر ، وألف شقراء ، فقال «ص» : اللهم اكفني عامرا فطعن في بيت امرأة – فقال : ائتوني بفرسي ، فمات على ظهر فرسه ، وليس هو عامر بن الطفيل الأسلمي الصحابي .

(٢) قتل عامر وسنه أربعون سنة ، وفي البخاري أنه كان غلاما لعبد الله بن الطفيل بن سخبرة أخي عائشة لأمها ، وهو الذي كان يرعى بمنحة من غنم لأبي بكر – كما جاء في البخاري – فيريحها على الرسول «ص» وأبي بكر ، وهما في غار ثور ، فيبيتان – كما جاء في الحديث – في رسل – وهو لبن منحتهما – غنم – ورضيفهما « الرسل اللبن ، والرضيف اللبن الذي وضعت فيه الحجارة المحماة ليذهب وخمه أو اللبن المغلي » حتى ينعق عامر بهذه الغنم بغلس ، وكان يفعل هذا كل ليلة من الليالي الثلاث دون أن يشعر به أحد . وقد روى البخاري أنه لما قتل الذين ببئر معونة ، وأسر عمرو بن أمية الضمري قال له عامر بن الطفيل : من هذا ؟ وأشار =

. . . .

اصدع بما تؤمر وما المصدرية والذى :

فصل : وذكر قول الله سبحانه : ﴿ فاصْدَعْ بما تُؤْمَرُ ﴾(١) الحِجْر : ٩٤ .

والمعنى : اصْدَع بالذى تؤمر به ، ولكنه لما عدَّى الفعل إلى الهاء حَسُن حذفُها ، وكان الحذفُ هٰهنا أحسَن من ذكرها ؛ لأن ما فيها من الإبهام أكثر مما تقتضيه الذى ، وقولُهم : ما مع الفعل بتأويل المصدر ، راجِعٌ إلى معنى الذى إذا

= إلى قتيل ، فقال له عمرو : هذا عامر بن فهيرة ، فقال : لقد رأيته بعد ما قتل رفع إلى السماء ، حتى إنى لأنظر إلى السماء بينه وبين الأرض ، ثم وضع . ونلحظ أن قائل هذا هو عامر بن الطفيل الكافر .

(١) فى البخارى عن ابن عباس . قال : لما نزلت (وأنذر عشيرتك) جعل النبي يدعوهم قبائل قبائل . وعن أبى هريرة أن النبى قال : يابنى عبد مناف . اشتروا أنفسكم من الله . يابنى عبد المطلب اشتروا أنفسكم من الله . يا أم الزبير ابن العوام عمة رسول الله ، يا فاطمة بنت محمد اشتريا أنفسكما من الله . لا أملك لكما من الله شيئا ، سلانى من مالى ما شئتما . وعن ابن عباس أيضا : « لما نزلت وأنذر عشيرتك ، جعل النبي ينادى : يابنى فهر يابنى عدى ببطون قريش » وهذه القصة إن كانت وقعت فى صدر الإسلام بمكة ، فإن ابن عباس لم يدركها . لأنه ولد قبل الهجرة بثلاث سنين ، ولا أبو هريرة لأنه إنما أسلم بالمدينة ، وفى نداء فاطمة يومئذ أيضا ما يقتضى تأخر القصة ؛ لأنها كانت حينئذ صغيرة أو مراهقة ، وإن كان أبو هريرة حضرها ، فلا يناسب الترجمة (يعنى ترجمة البخارى لهذا الباب بقوله : باب من انتسب إلى آبائه فى الإسلام والجاهلية) لأنه إنما أسلم بعد الهجرة ، بمدة ، والذى يظهر أن ذلك وقع مرتين مرة فى صدر الإسلام ـ ورواية ابن عباس وأبى هريرة لها من مراسيل الصحابة ـ ومرة بعد ذلك حيث يمكن أن تدعى فيها فاطمة عليها السلام ، أو يحضر ذلك أبو هريرة أو ابن عباس » الحافظ فى الفتح جـ٦ ص ٤٣٣ طبعة ١ عبد الرحمن محمد . هذا وحديث ابن إسحاق بعد يؤكد فرضية الصلاة قبل الإسراء .

تأملته ، وذلك أن الذى تصلح فى كل موضع تصلح فيه ما التى يسمونها المصدرية نحو قول الشاعر :

عسى الأيامُ أن يَرْجِعْــ ـنَ يَوْماً كالذى كانوا(١)

أى : كما كانوا ، فقول الله عز وجل إذاً : « فَاصْدَعْ بما تُؤْمَرُ » إمّا أنْ يكونَ معناه : بالذى تؤمر به من التبليغ ونحوه ، وإما أن يكون معناه : اصدع بالأمر الذى تؤمره ، كما تقول : عجبت من الضرب الذى تضربه ، فتكون ما هٰهنا عبارة عن الأمر الذى هو أمرُ الله تعالى ، ولا يكون للباء فيه دخولٌ ، ولا تقدير ، وعلى الوجه الأول تكون ما مع صلتها عبارة عما هو فعل للنبى صلى الله عليه وسلم ـ والأظهر أنها مع صلتها عبارة عن الأمر الذى هو قول الله ووحيه ، بدليل حذف الهاء الراجعة إلى : ما ، وإن كانت بمعنى الذى فى الوجهين جميعا ، إلا أنك إذا أردت معنى الأمر لم تحذف إلا الهاء وحدها ، وإذا أردت معنى المأمور به ، حذفت باء وهاء ، فحذفٌ واحد أيسر من حذفين.

---

(١) البيت للفند ـ بكسر الفاء ـ الزمانى بكسر الزاى وتشديد الميم ، وهو شهل ابن شيبان بن ربيعة بن زمان بن مالك بن صعب بن على بن بكر بن وائل جاهلى قديم . وفى الحيوان للجاحظ : الرمانى وهو خطأ ، والقصيدة فى الحيوان ج ٦ ص ١٤٠ ط ١ : ساسى ، والأمالى للقالى ، وهى فيه تسعة أبيات . وفى الحيوان :

عسى الأيام ترجعهم جميعا كالذى كانوا

وفى الأمالى « يرجعن قوما » ويقول البكرى فى السمط عن شهل صاحب الشعر « وليس فى العرب شهل بشين معجمة غيره » انظر ص ٢٦٠ ج ١ ط ١ الأمالى للقالى ، وص ٥٧٨ سمط اللآلى للبكرى

. . . .

مع أن صَدْعَه وبيانه إذا علقته بأمر الله ووحيه ، كان حقيقة ، وإذا علقته بالفعل الذى أمر به كان مجازا ، وإذا صرَّحت بلفظ الذى ، لم يكن حذفُها بذلك الحسن ، وتأمله فى القرآن تجده كذلك نحو قوله تعالى: ﴿وأعلم ما تبْدون، وما كنتم تكتمون﴾ البقرة : ٣٣ ﴿ويعلم ما تسرون وما تعلنون﴾ التغابن: ٤ . و﴿ما خلقْتُ بيَدَّى﴾ ص: ٧٥ و﴿لا أعْبُدُ ما تعبدون﴾ الكافرون. ولم يقل: خلقتُه، وحذف الهاء فى ذلك كله ، وقال فى الذى: ﴿الذين آتيناهم الكتاب﴾ البقرة: ١٢١ و﴿الذى جعلناه للناس سواء﴾ الحج: ٢٥ وما أشبه ذلك ، وإنما كان الحذف مع ما أحسنَ لما قدَّمناه من إبهامها ، فالذى فيها من الإبهام قرَّبها من ما التى هى شرط لفظا ومعنى ، ألا ترى أن ما إذا كانت شرطا تقول فيها : ما تَصْنَعْ أصنعْ مثله ، ولا تقول : ما تصنعه ؛ لأن الفعل قد عمل فيها ، فلما ضارعتها هذه التى هى موصولة ، وهى بمعنى الذى أجريت فى حذف الهاء مجراها فى أكثر الكلام ، وهذه تفرقة فى عود الضمير على ما ، وعلى « الذى » يشهد لها التنزيل ، والقياس الذى ذكرناه من الإبهام ، ومع هذا لم نر أحداً نبَّه على هذه التفرقة ، ولا أشار إليها ، وقارئ القرآن محتاج إلى هذه التفرقة . وقد يحسن حذف الضمير العائد على الذى ؛ لأنه أوجز ، ولكنه ليس كحُسْنِه مع مَنْ وَما ، ففى التنزيل : ﴿ والنور الذى أنزلنا﴾ التغابن: ٨ فإن كان الفعل متعديا إلى اثنين كان إبرازُ الضمير أحسنَ من حذفه ، لئلا يتوهم أن الفعل واقع على المفعول الواحد ، وأنه مقتصر عليه ، كقوله تعالى : ﴿[والمسجدِ الحَرامِ الذى] جعلناه للناس سَوَاء﴾ الحج: ٢٥ و ﴿الذين آتيناهم الكتاب﴾ البقرة: ٢١ وشرح ابن هشام معنى قوله : اصدع شرحا صحيحا ، وتتمته أنه صَدْع على جهة البيان ، وتشبيه لظلمة الشك والجهل بظلمة الليل . والقرآنُ نور ، فصدَع به تلك الظُّلْمة ، ومنه سمى الفجر : صديعا ، لأنه يصدع ظلمةَ الليل ، وقال الشَّمَّاخُ :

مباداة رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه

قال ابن إسحاق : ثم دخل الناس فى الإسلام أرسالاً من الرجال والنساء، حتى فشا ذكر الإسلام بمكة ، وتُحُدِّث به . ثم إن الله – عزّ وجلّ – أمر رسولَه – صلى الله عليه وسلم – أن يصدع بما جاءه منه ، وأن يبادىَ الناسَ بأمره ، وأن يدعوَ إليه ، وكان بين ما أخفَى رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – أمرَه ، واستتَر به إلى أن أمره الله تعالى بإظهار دينه ثلاثُ سنين – فيما بلغنى – من مَبْعثه ، ثم قال الله تعالى له : ﴿فاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ، وأعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ الحجر : ٩٤ . وقال تعالى : ﴿وأنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأقْرَبِينَ . وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، وقُلْ إنِّى أنا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾ الشعراء : ٢١٥ : ٢١٧

ترى السِّرْحانَ مُفْتَرِشًا يديه كأن بياضَ لَبَّته صَدِيعُ (١)

على هذا تأوله أكثر أهل المعانى ، وقال قاسم بن ثابت : الصديع فى هذا البيت : ثوبٌ أسود تلبسه النَّوَّاحة تحته ثوب أبيض ، وتصدع الأسودَ عند صدرها فيبدو الأبيض ، وأنشد :

كأنهن (٢) إذْ وَرَدْنَ لِيمَا نوَّاحةٌ مُجْتابةٌ صَدِيعا

---

(١) نسبه فى اللسان فى مادة صدع إلى عمرو بن معدى كرب ، والشماخ شاعر ذبيانى مخضرم وهو ابن ضرار بن سنان ، وقيل اسمه : معقل والشماخ لقب له ، وقيل اسمه : الهيثم ، والأول أكثر . ص ٥٨ سمط اللآلى .

(٢) فى معجم البكرى : كأنها

قال ابن هشام : فاصدع : افرُق بين الحقّ والباطل . قال أبو ذُؤيب الهذلىّ ، واسمه : خُويلد بن خالد ، يصف أُتُنَ وَحْش وفَحْلَها :

وكأنهُنَّ رِبابَةٌ ، وكأنّه يَسَرٌ يَفيض على القِداح ويَصْدَعُ

أى: يُفرّق على القِداح ويبين أنصباءها . وهذا البيت فى قصيدة له . وقال رؤبة بن العجاج :

أنتَ الحليمُ ، والأميرُ المُنْتَقِم تَصْدَعُ بالحقّ ، وتنفِى مَن ظَلَمْ

وهذان البيتان فى أرجوزة له .

صلاة الرسول وأصحابه فى الشعاب

قال ابن إسحاق : وكان أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلّوا ، ذهبوا فى الشِّعاب ، فاسْتَخْفَوْا بصلاتهم من قومهم ، فبينا سَعْد بن أبى وقّاص فِى نَفَرٍ من أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى شِعْب من شِعاب مكة ، إذ ظهر عليهم نفرٌ من المشركين ـ وهم يصلُّون ـ فناكروهم ، وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم ، فضرب سعدُ بن أبى وقّاصٍ يومئذ رجلاً من المشركين بلَحْى بعير ، فشجَّه ، فكان أوّلَ دم هُريق فى الإسلام .

عداوة الشرك للرسول ومساومته لعمه

قال ابن إسحاق : فلما بادى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قَومه بالإسلام وصدَع به كما أمره الله ، لم يبعد منه قَوْمُه ، ولم يردّوا عليه ـ فيما بلغنى ـ

. . . .

حتى ذكر آلهتهم وعابها ، فلما فعل ذلك أعظموه وناكروه ، وأجمعوا خِلافه وعداوته ، إلا مَنْ عَصم الله تعالى منهم بالإسلام ، وهم قليل مُستخفُون ، وحَدِب على رسول الله صلى الله عليه وسلم عمُّه أبو طالب ، ومنعه وقام دونه ، ومضى رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — على أمْر الله ، مُظهراً لأمره ، لا يردّه عنه شيء . فلما رأت قريش ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يُعتبهم مِنْ شيء ، أنكروه عليه ، مِن فراقهم وعَيْب آلهتهم ، ورأَوْا أن عمَّه أبا طالب قد حَدِب عليه ، وقام دونه ، فلم يُسْلمه لهم ، مشى رجالٌ من أشراف قُريش إلى أبي طالب ، عُتبةُ وشَيْبة ابْنا ربيعة بن عبد شَمْس بن عبد مناف بن قُصَيّ بن كِلاب بن مُرّة ابن كَعْب بن لؤيّ بن غالب . وأبو سفيان بن حَرْب بن أُميَّة بن عبد شَمْس ابن عبد مناف بن قُصَيّ بن كِلاب بن مُرّة بن كَعْب بن لُؤيّ بن غالب بن فِهْر .

قال ابن هشام : واسم أبي سفيان : صَخْر .

قال ابن إسحاق : وأبو البَخْتَرِيّ ، واسمه : العاص بن هشام بن الحارث ابن أسَد ابن عبد العُزّى بن قُصَيّ بن كِلاب بن مرّة بن كَعْب بن لؤيّ .

قال ابن هشام : أبو البَخْتَرِيّ : العاص بن هاشم .

قال ابن إسحاق : والأسود بن المطَّلب بن أسَد بن عبد العزّى بن قُصيّ ابن كلاب بن مُرة بن كَعْب بن لؤيّ . وأبو جهل — واسمه عمرو ، وكان يُكْنى أبا الحَكَم — ابن هشام بن المُغيرة بن عبدالله بن عُمَر بن مخزوم بن يقَظة بن مُرّة ابن كَعْب بن لُؤيّ . والوليد بن المُغيرة بن عبد الله بن عمر بن مَخْزوم بن يقَظة

ابن مُرّة بن كَعْب بن لُؤَىّ . ونُبيه ومُنبِّه ابنا الحجّاج بن عامر بن حُذَيفة بن سعد بن سَهم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لؤَىّ . والعاص بن وائل .

قال ابن هشام : العاص بنُ وائل بن هاشم بن سُعَيد بن سهم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لؤَىّ .

قال ابن إسحاق : أو مَنْ مشى منهم . فقالوا : يا أبا طالب ، إن ابن أخيك قد سبّ آلهتنا ، وعاب ديننا ، وسفَّه أحلامنا ، وضلّل آباءنا ، فإمّا أن تَكُفّه عنّا ، وإما أن تُخَلِّى بيننا وبينه ، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه، فنَكْفيكه فقال لهم أبو طالب قولا رفيقا ، وردهم ردا جميلا ، فانصرفوا عنه .

ومضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على ما هو عليه ، يظهر دينَ الله ، ويدعو إليه ، ثم شَرِى الأمرُ بينه ، وبينهم حتى تباعد الرجالُ ، وتضاغنوا ، وأكثرت قُرَيشٌ ذِكْرَ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بينها ، فتذامروا فيه ، وحضّ بعضُهم بعضاً عليه ، ثم إنهم مَشَوْا إلى أبى طالب مرّة أخرى، فقالوا له : يا أبا طالب ، إن لك سِناً وشرفا ومنزلةً فينا ، وإنا قد اسْتَنْهيناك من ابن أخيك فلم تَنْهه عنّا ، وإنا والله لا نصْبر على هذا مِنْ شَتم آبائنا ، وتَسْفيه أحلامنا ، وعَيْب آلهتنا ، حتى تَكُفّه عنا ، أو نُنازله وإياك فى ذلك ، حتى يَهْلِكَ أحدُ الفريقين ، أو كما قالوا له . ثم انصرفوا عنه ، فعظم على أبى طالب فراقُ قومه وعَداوتهم ، ولم يَطِبْ نفسا بإسلام رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لهم ولا خِذْلانه .

. . . .

رفع المستهم

مناصرة أبى طالب للرسول صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : وحدثنى يعقوب بن عُتْبة بن المُغيرة بن الأخْنس أنه حُدِّث : أنّ قُريشا حين قالوا لأبى طالب هذه المقالة ، بعث إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقال له : يا بن أخى ، إنّ قومك قد جاءونى ، فقالوا لى كذا وكذا ، للذى كانوا قالوا له ، فأبْقِ علىّ ، وعلى نفسك ، ولا تُحمِّلْنى من الأمر مالا أُطيق : فظنّ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قد بدَا لعمه فيه أنه خاذِلُه ومُسْلمه ، وأنه قد ضعُف عن نصرته والقيام معه . قال : رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : يا عمّ ، والله لو وضعوا الشمسَ فى يَمينى ، والقمرَ فى يَسارى على أن أترك هذا الأمرحتى يُظهره الله ، أو أَهْلِكَ فيه ، ما تركتُه . قال : ثم استَعْبَر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فبكى ثم قام ، فلما ولى ناداه أبو طالب ، فقال: أقْبِل يا بن أخى ، قال : فأقبل عليه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : اذهب يا بن أخى ، فقل ما أحببتَ ، فوالله لا أُسْلِمك لشىء أبداً .

قال ابن إسحاق : ثم إن قريشا حين عرفوا أن أبا طالب قد أبَى خذلان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وإسلامه و إجماعه لفراقهم فى ذلك وعداوتهم ، مشَوْا إليه بعُمارة بن الوليد بن المُغيرة ، فقالوا له ـ فيما بلغنى ـ : يا أبا طالب ، هذا عُمَارَةُ بن الوليد ، أَنْهَدُ فتىً فى قريش وأجمَلُه ، فخذْه فلك عَقْله ونَصْرُه ، واتخذه ولدا فهو لك ، وأسْلِمْ إلينا ابنَ أخيك هذا ، الذى قد خالف دينَك ودينَ

رفع
المسهم
عزالله لطالب الدين

آبائك ، وفرّق جماعةَ قومك ، وسفّه أحلامَهم ، فنقتله فإنما هو رجل برجل ، قال : والله لبئس ماتَسُومونني ! أتُعطونني ابنَكم أغذوه لكم، وأعطيكم ابني تقتلونه ! هذا والله ما لا يكون أبداً . قال : فقال المُطْعِم بن عَدِيّ بن نوفل بن عبدمناف بن قُصَيّ : والله ياأباطالب لقد أنصفك قومُك ، وجهدوا على التخلّص مما تكرهه ، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئا ، فقال أبو طالب للمطعم : والله ما أنصفوني ، ولكنّك قد أجمعتَ خذلاني ومُظاهرة القوم عليّ ، فاصنع مابدا لك ، أو كما قال . قال : فحَقِبَ الأمر ، وحَمِيت الحربُ ، وتنابذ القومُ ، وبادى بعضُهم بعضا .

فقال أبو طالب عند ذلك - يعرّض بالمُطْعِم بن عديّ - ويَعُمُّ من خذله من بني عَبْد مناف ، ومَنْ عاداه من قبائل قُرَيش ، ويذكر ما سألوه ، وما تباعد من أمرهم :

ألا قُلْ لعمْرو والوليد ومُطْعِمٍ ... ألا ليتَ حظّي من حِياطَتِكم بَكْرُ
من الخُور حَبْحابٌ كثيرٌ رُغاؤه ... يُرَشّ على الساقين من بَوْله قَطْرُ
تخلّف خلْفَ الوِرْد ليس بلاحق ... إذا ما علا الفَيْفاءَ قيل له : وَبْرُ
أرى أخوَيْنا من أبينا وأمِّنا ... إذا سُئلا قالا : إلى غيرنا الأمْرُ
بلى لهما أمْرٌ ، ولكنْ تجَرْجما ... كما جَرْجَمتْ من رأس ذي عَلَقٍ صَخْرُ
أخُصّ خُصُوصاً عبدشمس ونَوْفلاً ... هما نَبَذانا مِثْلَ ما يُنْبَذُ الجمْرُ
هما أغمَزا للقوْمِ في أخوَيْهما ... فقد أصبحا منهم أكفّهما صِفْرُ

هما أشرَكا في المجدِ مَنْ لا أبا له · من الناس إلا أن يُرَسَّ له ذِكر
وتَيمٌ وَمَخزوم وزُهرة منهمُ · وكانوا لنا مولى إذا بُغِيَ النَّصْر
فواللهِ لا تنفكّ منّا عَداوَة · ولا منهم ما كان من نَسْلنا شَفْر
فقدْ سَفُهتْ أحلامُهم وعُقولُهمْ · وكانوا كَجَفْرٍ بئس ما صنعت جَفْر

قال ابن هشام: تركنا منها بيتين أقذع فيهما.

قال ابن إسحاق: ثم إن قريشا تذامروا بينهم على مَنْ في القبائل منهم من أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الذين أسلموا معه، فوثبتْ كلُّ قبيلة على مَنْ فيهم من المسلمين يعذّبونهم، ويَفْتِنُونهمْ عن دينهم، ومَنَع الله رسولَه – صلى الله عليه وسلم – منهم بعمِّه أبي طالب، وقد قام أبو طالب، حين رأى قريشا يصنعون ما يصنعون في بني هاشم وبني المطلب، فدعاهم إلى ما هو عليه، مِنْ مَنْع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – والقيام دونه، فاجتمعوا إليه، وقاموا معه، وأجابوه إلى ما دعاهم إليه، إلا ما كان من أبي لهب، عدوّ الله الملعون.

فلما رأى أبو طالب من قومه ما سرّه في جَهْدهم معه، وحَدَبهم عليه، جعل يمدحهم ويذكر قديمَهم، ويذكر فضلَ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فيهم ومكانَه منهم، ليشُدّ لهم رأيَهم، وليَحْدَبوا معه على أمره، فقال:

إذا اجتمعَتْ يوما قُريشٌ لِمَفْخَرٍ · فعَبْدُ مناف سِرُّها وصَميمُها
فإن حُصِّلت أشرافُ عبدِ مَنافِها · ففي هاشمٍ أشرافُها وقديمُها

رفع المسهم

وإنْ فَخَرَت يَوْما ، فإنَّ مُحَمَّداً ... هُو المُصْطَفَى مِنْ سِرِّها وكَرِيمُها
تَداعَتْ قُرَيْش غَثُّها وسَمِينُها ... علَيْنا فلم تَظْفَرْ وطاشتْ حلومُها
وكُنَّا قَدِيما لا نُقِرُّ ظُلامَةً ... إذا ما ثَنَوْا صُعْر الخُدود نُقيمها
ونحمى حِماها كلَّ يوْمِ كَرِيهة ... ونَضْرِبُ عن أجحارها من يَرُومُها
بنا انْتَعَش العود الذَّوَاء ، وإنما ... بأكْنافنا تندَى وتَنْمِى أرُومُها

مبادأة رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه

أصل الصلاة لغة :

ذكر فى الحديث : أن أبا طالب حَدِبَ على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقام دونه : أصل الحَدَبِ : انحناء فى الظهر ، ثم استُعِير فيمن عطف على غيره ، ورق له كما قال النابغة :

حَدِبَتْ علىّ بطونُ ضَبَّة كلها ... إنْ ظالما فيهم ، وإنْ مظلوما

ومثل ذلك الصلاة ، أصلها : انحناء وانعطاف من الصَّلَوَيْن وهما : عرقان فى الظهر إلى الفخذين ، ثم قالوا : صَلَّى عليه ، أى : انحنى عليه ، ثم سموا الرحمة حُنُوًّا وصلاة ، إذا أرادوا المبالغة فيها ، فقولك : صلى الله على محمد ، هو أرق وأبلغ من قولك : رحم الله محمدا فى الحنو والعطف(١) . والصلاة أصلها

(١) ذكر القاموس للصلا هذه التعريفات : وسط الظهر منا ، ومن كل ذى أربع ، أو ما انحدر من الوركين ، أو الفرجة بين الجاعرة والدبر ، والذنب ، أو ما عن يمين الذنب وشماله ، وهما صلوان . ويقول المبرد : أصل الصلاة : الرحمة . والمشهور عند كثير من المتأخرين أن صلاة الله على الرسول وعلينا هى رحمته ، وهو رأى ضعيف ، لأن الله يقول عن عباده الصابرين : (أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ، وأولئك هم المهتدون) البقرة : ١٥٧ فعطف الرحمة على الصلوات يقتضى المغايرة بينهما . كما أن صلاة الله سبحانه خاصة =

. . . .

فى المحسوسات عُبِّر بها عن هذا المعنى مبالغة وتأكيداً كما قال الشاعر :

فما زِلت فى لِينى [له] وتعطُّفى عليه ، كما تحنو على الولد الأمُّ

ومنه قيل : صَلَّيت على الميت أى : دعوت له دعاء مَن يحنو عليه ويتعطف عليه ، ولذلك لاتـكون الصلاة بمعنى الدعاء على الإطلاق : لا تقول : صَلَّيتُ على العدو ، أى : دعوت عليه . إنما يقال : صَلَّيتُ عليه فى معنى الْحُنُوِّ والرحمة والعطف ؛ لأنها فى الأصل انعطاف ، ومن أجل ذلك عُدِّيت فى اللفظ بعلَى ، فتقول : صليت عليه ، أى : حَنَوْتُ عليه ، ولا تقول فى الدعاء إلا : دعوتُ له ، فتُعَدِّى الفعل باللام ، إلاَّ أنْ تريد الشرَّ والدعاء على العدو ، فهذا فرق ما بين الصلاة والدعاء ، وأهْلُ اللغة لم يفرقوا ، ولـكن قالوا : الصلاة بمعنى الدعاء إطلاقا ، ولم يفرِّقوا بين حالٍ وحالٍ ، ولا ذكروا التعدى باللام ، ولا بعلى ، ولابد من تقييد العبارة ، لما ذكرناه ، وقد يكون الْحَدَبُ أيضا مستعملا فى معنى المخالفة إذا قُرن بالْقَعَسِ كقول الشاعر :

= بالأنبياء والرسل والمؤمنين . أما رحمته فقد وسعت كل شئ . ولو أننا تتبعنا آيات القرآن لوجدنا أن المواضع التى تذكر فيها الرحمة لا يحسن فيها وضع الصلاة مكانها ، ولهذا يقول ابن القيم عن معنى صلاتنا نحن على الرسول « ص » إنها « الطلب من الله ما أخبر به عن صلاته . وصلاة ملائـكته . وهى ثناء عليه وإظهار لفضله وشرفه وإرادة تـكريمه وتقريبه فهى تتضمن الخبر والطلب . وإرادة من الله أن يعلى ذكره ويزيده تعظيما وتشريفا » ص ٩٩ جلاء الأفهام ، وقد ذكر البخارى فى صحيحه أن صلاة الله على نبيه هى ثناؤه عليه عند الملائـكة

وإن حَدِبُوا ، فاقْعَس ، وإن هُمْ تقاعسوا
لينتزعوا ما خَلْفَ ظهرك فاحْدَب(١)

وكقول الآخر :

ولن يُنَهْنِه(٢) قوما أنت خائفهم كمثل وَقْمِك جُهّالا بجُهّال
فاقْعَسْ إذا حَدِبوا ، واحْدب إذا قَعِسوا ووازن الشرَّ مِثْقالا بمثقال

أنشده الجاحظ فى كتاب الحيوان له .

أبو البختري :

فصل : وذكر مجيء النفر من قريش إلى أبى طالب فى أمر النبى صلى الله عليه وسلم ، وذكر أنسابهم ، وذكر فيهم أبا الْبَخْتَرِيِّ بن هشام ، قال : واسمُه : العاصى بن هشام ، وقال ابن هشام : هو العاصى بن هاشم ، والذى قاله ابن إسحاق هو قول ابن الكلبى ، والذى قاله ابن هشام هو قول الزبير بن أبى بكر وقول مُصْعَبٍ(٣) وهكذا وجدت فى حاشية كتاب الشيخ أبى بحر : سفيان ابن العاصى .

---

(١) القعس بفتح القاف والعين ، ضد الحدب : دخول الظهر وخروج الصدر ، والماضى : قعس كفرح - والبيت من قصيدة منسوبة إلى أبى الأسود الدؤلى ، وهو فى الحيوان هكذا : فإن حدبوا فاقعس .. ليستمسكوا مما وراءك فاحدب ص ١٧٤ ج ٥ الحيوان للجاحظ ط ساسى

(٢) نهنه فلانا عن الشيء : زجره وكفه عنه ، ووقم الرجل يقمه وقما ، أكرهه وأذله وقهره وقسره ، ووقمه عنه : رده أقبح الرد .

(٣) هو كما قال فى كتاب المصعب نسب قريش ص ٢٠٩ وكذلك فى جمهرة ابن حزم ص ١٠٨

رفع المساهم

. . . .

لو وضعوا الشمس فى يمينى :

فصل : وذكر قول النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ والله لو وضعوا الشمس فى يمينى ، والقمر فى شمالى على أن أدعَ هذا الذى جئت به ما تركته ، أو كما قال(١) . خَصَّ الشمسَ باليمين ؛ لأنها الآية الْمُبْصِرةُ ، وخص القمر بالشمال لأنها الآية الْمَمْحُوَّة ، وقد قال عمر ـ رحمه الله ـ لرجل ، قال له : إنى رأيت فى المنام كأن الشمسَ والقمر يقتتلان ، ومع كل واحد منهما نُجُومٌ ، فقال عمر : مع أيهما كنت ؟ فقال : مع القمر ، قال : كنت مع الآية الْمَمْحُوَّة ، اذهب ، فلا تعمل لى عملا ، وكان عاملا له ، فعزَلَه ، فقُتل الرجل فى صِفِّينَ مع معاوية ، واسمه : حابس بن سعد ، وخص رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ النَّيِّرين حين ضَرب المثل بهما ؛ لأن نورَهما محسوسٌ ، والنورُ الذى جاء به من عند الله ـ وهو الذى أرادوه على تركه ـ هو لا مَحالَة أشرفُ من النور المخلوقِ ، قال الله سبحانه : ﴿يُريدون أنْ يُطْفِئوا نُورَ الله بأفواهِهِم ويأبى اللهُ إلاَّ أن يُتِمَّ نورَه﴾ التوبة : ٣٣ . فاقتضت بلاغة النبوة ـ لما أرادوه على ترك النور الأعلى ـ أن يقابله بالنور الأدنى ، وأن يخص أعلى النيّرين ، وهى الآية المبصِرة بأشرف اليدين ، وهى اليمنى بلاغةٌ لامثلها ، وحكمة لايجهل اللبيبُ فضلها .

البداء :

وقول ابن إسحاق : ظن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن قد بدا لعمه بَداء ، أى : ظهر له رأى ، فسمى الرأى بداء ، لأنه شىء يبدو بعد ماخفى ، والمصدر

---

(١) لم يروه أحد من أصحاب الصحاح .

رفع المسار

. . . .

البَدْء(١) والبُدُوُّ ، والاسم : البَدَاء ، ولا يقال في المصدر : بدا له بُدُوٌّ ، كما لا يقال : ظهر له ظهورٌ بالرفع ؛ لأن الذي يظهر ، ويبدو هاهنا هو الاسم : نحو البَدَاء وأنشد أبو علي :

لعلك والموعودُ حَقٌّ وَفاؤُه ... بدا لك في تلك القَلُوصِ بَدَاء(٢)

ومن أجل أن البُدُو هو الظهور ، كان البَداء(٣) في وصف الباري — سبحانه — محالا ؛ لأنه لا يبدو له شيء كان غائبا عنه ، والنَّسْخُ للحكم ليس ببَدَاء كما توهمت الجهلة من الرافضة واليهود ، إنما هو تبديل حكم بحكم بقَدَر قدَّره ، وعلم علِمه ، وقد يجوز أن يقال : بدا له أن يفعل كذا ، ويكون معناه : أراد . وهذا من المجاز الذي لا سبيل إلى إطلاقه إلا بإذن من صاحب الشرع ، وقد صح في ذلك ما خرجه البخاري في حديث الثلاثة : الأعمى والأقرع

---

(١) ليس لما قيل من قبل عن وضع الشمس والقمر سند صحيح ، فكيف يقيم عليه كل هذا ؟!

(٢) القلوص من الإبل : الشابة ، والبيت من أبيات ذكرها أبو علي القالي في أماليه ص ٧١ ج ٢ ط ٢ غير منسوبة إلى أحد ، وهي قول رجل وعد رجلا قلوصا فأخلفه . ونقل البكري في السمط ص ٧٠٥ عن أبي عمرو الشيباني أنها لرجل من مزينة ، وذكر الأستاذ الميمني في تحقيقه للسمط أنها لمحمد بن بشير الخارجي كما ورد في الأغاني

(٣) الشيعة هم القائلون بالبداء ، وله معان — كما يقول الشهرستاني — (البداء في العلم ، وهو أن يظهر له صواب على خلاف ما أراد وحكم ، والبداء في الأمر وهو أن يأمر بشيء ثم يأمر بعده بخلاف ذلك) وهذا محال على الله سبحانه أن يرى شيئا ، ثم يظهر له أن الأمر بخلاف ما رأى ، فالله بكل شيء عليم .

رفع
المسار
عبدالله

. . . .

والأبرص ، وأنه عليه السلام قال : بدا الله أن يبتليهم ، فبدا هنا بمعنى : أراد ، وذكرنا الرّافضة، لأن ابن أعين ، ومن اتبعه منهم ، يجيزون البَدَاء على الله تعالى، ويجعلونه والنسخَ شيئاً واحداً ، واليهود لا تُجيز النسخ يحسبونه بَدَاء ، ومنهم من أجاز البَدَاء كالرافضة ، ويروى أن عليا - رحمه الله - صلى يوما ، ثم ضحك فَسُئِل عن ضَحِكه فقال : تذكرت أبا طالب حين فرضت الصلاة ، ورآنى أصلى مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم بنخلة[1] فقال : ما هذا الفعل الذى أرى ، فلما أخبرناه ، قال : هذا حسن ، ولكنْ لا أفعله أبدا ، لا أحب أنْ تعلُونى اسْتِى فتذكرت الآن قوله ، فضحكت .

عرضه قريش على أبي طالب :

فصل : وذكر قول المَلأ من قريش لأبى طالب : هذا عُمَارة بن الوليد أَنْهَدُ فتى فى قريش ، وأجمله ، نخذْه مكان ابن أخيك. أَنْهَدُ . أى : أقوى وأجلد ، ويقال : فرسٌ نَهْدٌ للذى يتقدم الخيل ، وأصل هذه الكلمة : التقدم ، ومنه يقال : نَهَدَ ثدىُ الجارية ، أى : برز قُدُماً . وعمارة بن الوليد هذا المذكور هو : الذى أرسلته قريش مع عمرو بن العاص إلى أرض الحبشة فسُحِر هناك ، وجن، وسنزيد فى خبره شيئاً بعد هذا إن شاء الله .

---

(١) نخلة: أماكن متعددة منها : نخلة محمود ، وهو موضع بالحجاز قريب من مكة فيه نخيل وكروم، ونخلة الشامية ، وهى ذات عرق وأعلى نخلة ذات عرق، وهى لبنى سعد الذين أرضعوا النبي صلى الله عليه وسلم ، ونخلة اليمانية واد يصب فيه يدعان به مسجد للنبي .

رفع
المسـاهم

وذكروا أن أبا طالب قال لهم حين سألوه أن يأخذ عُمارة بدلا من محمد صلى الله عليه وسلم : أرأيتم ناقة تحن إلى غير فصيلها وتَرْأَمُه(١) لا أعطيكم ابني تقتلونه أبدا ، وآخذ ابنكم أكفله، وأغذوه، وهو معنى ماذكرابن إسحاق قال ابن إسحاق فَحقِب الأمرُ عند ذلك ، يريد : اشتد ، وهو من قولك : حقِب البعير إذا راغ عنه الحَقَب من شدة الجهد والنصب، وإذا عسر عليه البول أيضا لشد الحَقَبِ(٢) على ذلك الموضع ، فيقال منه : حَقِب البعير ، ثم يستعمل فى الأمر إذا عَسِرَ ، وكذلك قوله : فَشَرِى الأمر عند ذلك ، أى : انتشر الشر ، ومنه الشَّرَى ، وهى قُروح تنتشر على(٣) البدن، يقال منه : شَرِى جلدُ الرجل ، يَشْرَى شَرًى .

---

(١) رئم الجرح بكسر الهمزة انضم والتأم ، رئمت الأنثى ولدها رأما ورأمانا ورئمانا أحبته وعطفت عليه .

وينسب إلى أبي طالب أنه قال للنبي هذا الشعر :

والله لن يصلوا إليك بجمعهم ... حتى أوسد فى التراب دفينا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة ... وابشر بذاك وقر منه عيونا
ودعوتني وزعمت أنك ناصحي ... ولقد صدقت ، وكنت ثم أمينا
وعرضت دينا لا محالة أنه ... من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة ، أو حذار مسبة ... لوجدتني سمحا بذاك مبينا

انظر المواهب ص ٢٤٨ .

(٢) الحزام يلى حقو البعير ، أو حبل يشد به الرحل فى بطنه

(٣) عرفها القاموس بقوله : بثور صغار حمر حكاكة مكربة تحدث دفعة غالبا . وتشتد ليلا .

. . . .

شعر أبي طالب :

فصل : وذكر شعر أبي طالب :

أَلا قُلْ لعمرو والوليد . إلى آخر الشعر

وفيـــه :

ألا ليت حَظِّى من حِياطتكم(١) بَكْر

أي : إن بكرا من الإبل أنفع لى منكم ، فليته لى بدلا من حياطتكم كما قال طرفة فى عَمْرو بن هند :

فَلَيت لنـا مكان الْمَلْكِ عَمْرو رَغُوثًا(٢) حولَ قُبَّتِنا تَخُور

وقوله : من الُخوُر حَبْحَابُ . الُخور(٣) الضِّعَاف ، والَحبْحَابُ بالحاء : الصغير . وفى حاشية كتاب الشيخ أبى بحر : جَبْجَاب(٤) بالجيم ، وفسره فقال : هو الكثير الْهَذْر ، وفى الشعر :

إذا ما علا الفيفاءَ قيل له : وَبْرُ

أى يُشَّبه بالْوَبْر لصغره ، ويحتمل أن يكون أراد : يَصْغُرَ فى العين لعلو المكان وبعده ، والْفَيْفاء فَعْلاء ، ولولا قولهم : الفيفُ ، لكان حمله على بابه

(١) فى رواية « حفاظتكم » والحفاظ الغضب ص ٨٢ الخشنى

(٢) الرغوث هى كل مرضعة وفى الأصل : ليت

(٣) جمع أخور

(٤) وتروى بالخاء . الضعيف

رفع
المسيهم
غفر الله له ولوالديه

. . . .

القَضْقَاصِ والجَرْجَارِ أَوْلَى(١) ، ولـكن سُمع الْفَيْف ، فعلم أن الألفين زائدتان(٢) ، وأنه من باب قَلِقَ وسَلِسَ الذى ضوعفت فيه فاء الفعل دون عَيْنه ، وهى ألفاظ يسيرة نحو قَلَقٍ وسَلَسٍ وثُلُثٍ وسُدُسٍ(٣) ، وقد اعتنينا بجمعها من الـكلام ، ولعل لها موضعا تذكر فيه من هذا الـكتاب إن شاء الله تعالى ، ولا تـكون ألف فَيْفَاء للإلحاق فيصرف ؛ لأنه ليس فى الـكلام : فعْلال ، فإن قيل : يكون ملحقاً بقَضْقَاض وبابه ، قلنا : قَضْقَاض ثنائى مضاعف ، فلا يُلْحق به الثلاثى ، كما لا يلحق الرُّباعى بالثلاثى ، ولا الأكثر بالأقل(٤) ، وقد حكى

---

(١) القضقاص : أشنان الشام ، أو شجر من الحمض ، والأسد ، ويضمّ وليس فعلال — يضم الفاء — سواه ، والجرجار كالقرقار : نبت ، ومن الإبل : الـكثير الصوت .

(٢) فى اللسان « بالفيف استدل سيبويه على أن ألف فيفاة زائدة » وفيه عن المبرد : « ألف فيفاة زائدة لأنهم يقولون : فيف » وفى شرح الشافية للرضى «والألف فى الفيفاة زائدة لقولهم : فيف بمعناه وكذلك الزيزاء والصيصاء إذ ليس فى الـكلام فعلال » بكسر الفاء وسكون العين إلا مصدرا كزلزال » ص ٣٧٢ ج٢ مطبعة حجازى والزيزاء بالفتح والـكسر ما غلظ من الارض ، والصيصاء : الحشف من التمر ، أو حب الحنظل ليس فى جوفه لب .

(٣) إذا ضبط ثلث وسدس على أنها فعلان كانا بفتح الفاء والعين ، ومن الأسماء ما هو كذلك : دعد وتوت وطوط « الحبة وغير ذلك » .

(٤) معنى الإلحاق فى الاسم والفعل أن تزيد حرفا أو حرفين على تركيبه زيادة غير مطردة فى إفادة معنى : ليصير ذلك التركيب بتلك الزيادة مثل كلمة أخرى فى عدد الحروف وحركاتها المعينة والسكنات ، كل واحد فى مثل مكانه فى الملحق بها ، وفى تصاريفها : من الماضى والمضارع والأمر والمصدر واسم الفاعل واسم المفعول إن كان الملحقة به فعلا رباعيا ، ومن التصغير والتكسير إن كان =

. . . .

فيفاة بالقصر وليست ألفها للتأنيث ، إذ لا يجمع بين علامتي تأنيث ، فهي إذاً من باب أرطاة ونحوها(١) ، كأنها ملحقة بسَلْهبة(٢) . وفي الشعر :

كما جَرْجَمَتْ من رأس ذِي عَلَق صَخْرُ . وترك صَرْف عَلَق، إما لأنَّه جعله اسم بقعة ، وإما لأنه اسمٌ علم ، وترك صرف الاسم العلم سائغٌ في الشعر ، وإن لم يكن مُؤنثا ولا عَجميا نحو قول عبَّاس بن مِرْداس :

وما كان حِصْنٌ ولا حابسٌ يفوقان مِرْداسَ في المَجْمعِ

ونحو قول الآخر :

يامن جَفَاني ومَــلاَّ نسيتَ أَهْــلاً وسَــهْلاَ
ومات مَرْحَــبُ لما رأيتَ مَالِي قَــلاَّ

= الملحق به اسما رباعيا لاخماسيا ، وفائدة الإلحاق أنه ربما يحتاج في تلك الكلمة إلى مثل ذلك التركيب في شعر أو سجع ص ٥٢ ج ١ شرح شافية ابن الحاجب لرضي الدين الاستراباذي . م حجازي ، وانظر ص ١٣ المنصف شرح ابن جني لكتاب التصريف لأبي عثمان المازني .

(١) شجرة ثمرها مر تأكلها الإبل ، وألفها للالحاق ، فتنون نكرة لامعرفة أو ألفها أصلية ، فتنون دائمــا ، أو ووزنها أفعل وموضعها المعتل م القاموس ، وفي اللسان مادة رطا : « الأرطى شجر من شجر الرمل ، وهو أفعل من وجه ، وفعلى من وجه ، لأنهم يقولون : أديم مأروط إذا دبغ بورقه ، ويقولون : أديم مرطى ، والواحدة : أرطاة ، ولحوق تاء التأنيث فيه يدل على أن الألف فيه ليست للتأنيث ، وإنما هي للالحاق ، أو بنى الاسم عليها

(٢) السلهبة : الجسيمة من النساء

رفع عبد الرحمن الهندي

. . . .

فلم يصرف مَرْحَبا ، وسيأتى فى هذا الكتاب شواهدُ كثيرة على هذا ، ونشرح العِلَّة فيه إن شاء الله تعالى[١] ، ولو روى : من رأس ذى عَلَق الصخر

(١) يقول ابن مالك فى الألفية :

ولاضطرار أو تناسب صرف ... ذو المنع والمصروف قد لا ينصرف

ويقول الأشمونى فى شرحه لها إن الكوفيين أجازوا منع المصروف من الصرف للضرورة ، وأباه سائر البصريين ، والصحيح : الجواز ، واختاره الناظم - يعنى ابن مالك لثبوت سماعه ، وقد فصل بعض المتأخرين بين ما فيه علمية ، فأجاز منعه لوجود إحدى العلتين ، وبين ما ليس كذلك ، فصرفه ويؤيده أن ذلك لم يسمع إلا فى العلم ، وأجاز قوم منهم : ثعلب ، وأحمد بن يحي منع صرف المنصرف اختيارا ص ٢٢٤ جـ ٣ ط الأزهرية . وقد ذكر ابن هشام أن من البصريين من أجاز ذلك ، وهما الأخفش والفارسى وأن من الكوفيين من منع ذلك وهو أبو موسى الحامض من شيوخ الكوفيين وقد حكى الفخر الرازى عن أكثر الكوفيين والأخفش أن السبب الواحد يمنع من الصرف ، ولم يفرق بين العلمية وغيرها انظر ص ٢٢٨ جـ ٢ من كتاب شرح التصريح على التوضيح ط التجارية ، وقد رد الدنوشرى المذهب الذى حكاه الفخر ؛ لأن الأصل فى الأسماء أن تكون منصرفة . المصدر السابق الحاشية بهامشه للعليمى الحمصى . ومن الأبيات التى ورد فيها منع المصروف :

طلب الأزارق بالكتائب إذ هوت ... بشبيب غائلة النفوس غدور

فمنع صرف شبيب وهو علم مصروف وهو شبيب بن يزيد رأس الخوارج الأزارقة ، وفاعل طلب ضمير يعود على سفيان نائب الحجاج ومثله :

وقائلة ما بال دوسر بعدنا ... صحا قلبه عن آل ليلى وعن هند

من معانى قصيدة أبى طالب : حبحاب : من معانيها : قصير ، أو الجمل الضئيل . وتروى بالخاء أيضاً : الضعيف . ها أغمزا للقوم : أى سبيلهم الطعن فيهم تجرجم : سقط وانحدر . ذو علق : جبل فى ديار بنى أسد . والصفر : الخالى من الآنية وغيره . إلا أن يرس له ذكر : أن يذكر ذكرا خفيا . من نسلنا =

. . . .

بحذف التنوين لالتقاء الساكنين ، لـكان حَسَناً ، كما قُرِئ : قل : هو اللهُ أحدُ ، اللهُ الصَّمَدُ » بحذف التنوين من أحد ، وهى رواية عن أبى عمرو بن العلاء ، وقال الشاعر :

حميد الذى أمج دارَه

وقال آخر :

ولا ذاكرُ اللهِ إلا قليلا

وأنشد قول أبى طالب :

إذا اجتمعت يوما قُريش لِمَفْخَرٍ فعَبْدُ مَناف سِرُّها وَصَمِيمُهَا

قوله : سرها أى : وَسَطُها ، وسر الوادى وَسِرَارتُهُ : وَسَطه ، وقد تقدم متى يكون الوسط مدحا ، وأن ذلك فى موضعين : فى وصف الشهود ، وفى النسب ، وبيَّنا السر فى ذلك .

وقال فى القصيدة : ونضرب عن أحجارها مَنْ يرُومها . أى ندفع عن حصونها ومعاقلها ، وإن كانت الرواية : أجحارها بتقديم الجيم ، فهو جمع جُحْر والجُحْر هنا مُستعار ، وإنما يريد عن بيوتها ومساكنها(١) .

= شفر : أى: أحد، يقال: ما بالدار أحد ، وما بها شفر ، وما بها كتيع ، وما بها عريب ، وما بها ذبيح ؛ وما بها نافخ صرمه كلها بمعنى واحد . أى ما بها أحد .

(١) من معانى القصيدة غث : يعنى ليس له نسبة هنالك . وأصل الغث : اللحم الضعيف . طاشت حلومها : ذهبت عقولها . انتعش العود الذواء : حي وظهرت فيه الخضرة ، وأصل نعش : رفع . والعود الذواء الذى جفت رطوبته . الأكناف : النواحى . وأرومها : جمع أرومه : الأصل . انظر ص ٨٣ وما بعدها لأبى ذر الخشنى فى شرح السيرة

رفع المسهم

موقف الوليد بن المغيرة من القرآن

ثم إن الوليدَ بن المُغيرة اجتمع إليه نفرٌ من قُرَيش -وكان ذا سنّ فيهم، وقد حضَر الموسمُ، فقال لهم: يامعشَر قرَيْش، إنه قد حضر هذا الموسمُ، وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه، وقد سَمعوا بأمر صاحبكم هذا، فأجمِعوا فيه رأيا واحد، ولاتختلفوا، فيكذّب بعضُكم بعضا، ويردّ قولُكم بعضُه بعضاً، قالوا: فأنتَ يا أبا عبد شمس، فقُلْ، وأقِمْ لنا رأيا نقول به، قال: بل أنتم، فقولوا أسْمَعْ، قالوا: نقول: كاهن، قال: لا والله ماهو بكاهن، لقد رأينا الكُهّان، فما هو بزَمْزَمة الكاهن ولا سَجْعه، قالوا: فنقول: مجنون، قال: ماهو بمجنون، لقد رأينا الجنون وعرفناه، فما هو بخَنْقه، ولا تخَالجُه، ولا وَسْوسته، قالوا: فنقول: شاعر، قال: ما هو بشاعر، لقد عرفنا الشِّعر كلَّه: رجزَه وهَزجه وقَريضَه ومَقْبوضة ومَبْسوطه، فما هو بالشعر، قالوا: فنقول: ساحر، قال: ماهو بساحر، لقد رأينا السُّحّار وسِحْرَهم، فما هو بنَفْثهم ولا عَقْدهم، قالوا: فما نقول يا أبا عبد شمس؟ قال: والله إنّ لِقوله لحلاوةً، وإن أصلَه لَعَذْق، وإن فَرْعه لَجناة — قال ابن هشام: ويقال: لغَدَق — وما أنتم بقائلين من هذا شيئا إلا عُرِف أنه باطل، وإن أقرب القول فيه لأنْ تقولوا: ساحر، جاء بقولٍ هو سحر يُفرّق به بين المرء وأبيه، وبين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجته، وبين المرء وعشيرته. فتفرقوا عنه بذلك، فجعلوا يجلسون بِسُبُل النّاس حين قدموا الموْسِمَ، لايمرّ بهم أحدٌ إلا حذَّروه إياه، وذكروا لهم أمرَه.

. . . .

ما نزل فى حق الوليد من القرآن :

فأنزل الله تعالى فى الوليد بن المُغيرة، وفى ذلك من قوله : « ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً ، وَجَعَلْتُ لَهُ مالاً مَمدُوداً وَبَنِينَ شُهُوداً ، وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيداً ، ثُمَّ يَطْمَعُ أنْ أَزِيدَ ، كَلاَّ إنَّهُ كانَ لآياتنا عَنِيداً » المدثر : ١١–١٦ أى خَصِيما .

قال ابن هشام : عنيدا : معاند مخالف . قال رؤبةُ بن العجَّاج :

ونحن ضَرَّابون رأس العُنَّدِ

وهذا البيت فى أرجوزة له :

« سأُرْهِقُهُ صَعُوداً ، إنَّهُ فَكَّر وَقَدَّرَ ، فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ . ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ . ثُمَّ نَظَرَ ، ثُمَّ عَبَسَ و بَسَرَ » المدثر : ١٧ : ٢٢ .

قال ابن هشام : بسر : كره وَجْهه . قال العجَّاج :

مُضَبَّرُ اللَّحْيَيْنِ بَسْرا مِنْهَما

يصف كراهية وجهه . وهذا البيت فى أرجوزة له :

« ثُمَّ أَدْبَرَ واسْتَكْبَرَ فَقالَ : إنْ هَذَا إلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ ، إنْ هَذَا إلاَّ قَوْلُ البَشَرِ » . المدثر : ٢٣ – ٢٥ .

قال ابن إسحاق : وأنزل الله تعالى : فى رسوله – صلى الله عليه وسلم – وفيما جاء به من الله تعالى ، وفى النفر الذين كانوا معه يُصنِّفون القول فى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيما جاء به من الله تعالى : « كما أَنْزَلْنا على الْمُقْتَسِمِينَ .

رفع
المسلم
غفر الله له ولوالديه

الَّذِينَ جَعَلُوا القُرآنَ عِضِينَ . فوَرَبِّكَ لَنَسْئَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ . عَمَّا كانُوا يَعْمَلُونَ » الحجر : ٩٠ — ٩٣

قال ابن هشام : واحدة العِضِين : عِضَة ، يقول : عَضَّوْه : فرقوه . قال رؤبة بن العجَّاج :

وليس دينُ اللهِ بالمُعَضَّى

وهذا البيت فى أرجوزة له .

قال ابن إسحاق : فجعل أولئك النفرُ يقولون ذلك فى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لِمَنْ لَقُوا من الناس ، وصدرت العربُ من ذلك الموْسِم بأمر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فانتشر ذكره فى بلاد العرب كلِّها .

أبو طالب يفخر بنسبه وابن أخيه

فلما خَشى أبو طالب دَهْماء العرب أن يركبوه مع قومه ، قال قصيدته التى تعوَّذَ فيها بحُرَم مكة وبمكانه منها ، وتودَّد فيها أشرافَ قومه ، وهو على ذلك يُخبرهم وغيرَهم فى ذلك من شعره أنه غير مُسْلِمٍ رسولَ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولا تاركه لشىء أبداً حتى يهلِك دونه ، فقال :

ولمَّا رأيتُ القَوْمَ لاوُدَّ فيهمُ ... وقد قطعوا كلَّ العُرَى والوَسائلِ
وقد صارَحُونا بالعَدَاوةِ والأذَى ... وقد طاوَعُوا أمْرَ العَدوّ المُزايلِ
وقد حالَفوا قَوْما علَيْنا أظِنَّةً ... يَعَضُّونَ غَيْظا خَلْفنا بالأنامل

صَبَرْتُ لهم نَفْسى بِسَمْراء سَمْحةٍ وأبيضَ عَضْبٍ من تُراثِ المَقاوِل
وأحضرتُ عندالبيت رَهْطى وإخوتى وأمسكت من أثوابِه بالوَصائل
قِياما مَعا مُسْتقبلينَ رِتاجَه لدى حيثُ يَقْضى حَلْفَه كلُّ نافل
وحيثُ يُنيخ الأشْعَرون رِكابَهم بِمُفْضى السُّيولِ من إسافَ ونائل
مُوَسَّمةُ الأعْضادِ ، أو قَصراتِها مُخَيَّسةٌ بينَ السَّديس وبازل
ترى الوَدْع فيها ، والرُّخامَ وزينةً بأعْناقِها مَعْقُودَةً كالعَثاكِل
أعُوذُ بربِّ النّاسِ من كلِّ طاعنٍ علَيْنا بِسُوءٍ ، أو مُلِحٍّ بباطل
ومِنْ كاشِحٍ يَسْعَى لنا بِمَعِيبَةٍ ومن مُلْحِقٍ فى الدين مالم نُحاول
وثَوْرٍ ، وَمَنْ أرْسَى ثَبيراً مكانَه وراقٍ لِيَرْقَى فى حِراءٍ ونازل
وبالبيت ، حَقِّ البيت ، من بطن مكة وباللهِ إنَّ اللهَ ليسَ بغافِل
وبالحجر المُسْوَدِّ إذ يمسَحُونه إذا اكْتَنَفُوه بالضُّحى والأصائل
ومَوْطِىءِ إبراهيمَ فى الصَّخر رَطْبةً على قَدميهِ حافيا غيرَ ناعل
وأشْواطِ بين المَرْوتين إلى الصَّفا وما فيهما من صُورة وَتماثِل
ومَنْ حجَّ بيتَ اللهِ مِنْ كل راكب ومِنْ كل ذى نَذْرٍ ومِنْ كل راجل
وبالمَشْعَر الأقْصَى إذا عَمدوا له إلالٍ إلى مُفْضَى الشِّراج القَوابل
وَتَوْقافِهِم فوْقَ الجبال عَشِيَّةً يُقيمون بالأيدى صُدورَ الرّواحل
وليلةِ جَمْعٍ والمنازل مِن مِنى وهَلْ فوقها من حُرْمة ومَنازل
وَجَمْع إذا ما المُقْرَبات أجَزْنَه سِراعا كما يَخْرُجْنَ من وَقْع وابِل

وبالجمرة الكبرى إذا صمدوا لها ... يؤمون قذفا رأسها بالجنادل
وكندة إذ هم بالحصاب عشية ... تجيز بهم حجاج بكر بن وائل
حليفان شدا عقد ما احتلفا له ... وردا عليه عاطفات الوسائل
وحطمهم سمر الرماح وسرحه ... وشبرقه وخد النعام الحوامل
فهل بعد هذا من معاذ لعائذ ... وهل من معيذ يتقى الله عاذل
يطاع بنا أمر العدا ود أننا ... تسد بنا أبواب ترك وكابل
كذبتم وبيت الله نترك مكة ... ونظعن إلا أمركم فى بلابل
كذبتم -وبيت الله- نبزى محمداً ... ولما نطاعن دونه ونناضل
ونسلمه حتى نصرع حوله ... ونذهل عن أبنائنا والحلائل
وينهض قوم فى الحديد إليكم ... نهوض الروايا تحت ذات الصلاصل
وحتى ترى ذا الضغن يركب ردعه ... من الطعن فعل الأنكب المتحامل
وإنا -لعمر الله- إن جد ما أرى ... لتلتبسن أسيافنا بالأماثل
بكفى فتى مثل الشهاب سميدع ... أخى ثقة حامى الحقيقة باسل
شهوراً وأياما وحولاً محرما ... علينا وتأتى حجة بعد قابل
وما ترك قوم -لا أبا لك- سيداً ... يحوط الذمار غير ذرب مواكل
وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى عصمة للأرامل
يلوذ به الهلاك من آل هاشم ... فهم عنده فى رحمة وفواضل
لعمرى لقد أجرى أسيد وبكره ... إلى بغضنا وجزآنا لآكل

وعثمانُ لم يَرْبَع علينا وقُنفُذٌ ... ولكن أطاعا أمْرَ تلك القبائلِ
أطاعا أُبَيًّا، وابنَ عَبْدِ يغوثِهِم ... ولم يَرْقُبا فينا مقالةَ قائلِ
كما قد لَقِينا مِنْ سُبَيْعٍ ونوفَلٍ ... وكُلٌّ تولى مُعْرِضاً لم يُجامِلِ
فإن يُلفيا، أو يُمكنِ الله منهما ... نَكِلْ لهما صاعا بِصاعِ المُكايلِ
وذاك أبو عمْرو أبى غيرَ بُغضنا ... ليُظعِننا فى أهْلِ شاءٍ وجاملِ
يُناجِى بنا فى كلِّ مُمْسَى ومُصْبَحٍ ... فناجِ أبا عَمْرٍ بنا ثم خاتلِ
ويُؤْلِى لنا بالله ما إنْ يَغُشُّنا ... بَلى قد تراهُ جَهْرَةً غير حائلِ
أضاق عليه بُغْضُنا كلَّ تَلْعةٍ ... من الأرض بين أخْشُبٍ فمجادِلِ
وسائلْ أبا الوَليد ماذا حَبَوْتَنا ... بسَعْيِكَ فينا مُعْرِضاً كالمُخاتِلِ
وكُنتَ امرءًا مِمَّنْ يُعاش برأْيه ... ورَحْمتِه فينا ولستَ بجاهِلِ
فعُتْبةُ لاتسْمع بنا قولَ كاشحٍ ... حَسودٍ كَذوبٍ مُبْغضٍ ذى دَغاوِلِ
وَمَرَّ أبو سُفْيانَ عَنِّىَ مُعْرِضاً ... كما مرَّ قَيْلٌ من عِظام المَقاوِلِ
يَفِرُّ إلى نَجْدٍ وبَرْدِ مِياهِهِ ... ويزعمُ أنى لستُ عنكم بغافِلِ
ويُخبرنا فِعلَ المُناصِحِ أنَّهُ ... شَفيقٌ، ويُخفى عارِمات الدَّواخلِ
أمُطْعِمُ لم أخْذُلْك فى يومِ نَجْدَةٍ ... ولا مُعْظِم عند الأُمور الجلائلِ
ولا يوم خَصْمٍ إذ أتوْك ألِدَّةٍ ... أُولِى جدَلٍ من الخصوم المَساجِلِ
أمُطْعِمُ إنَّ القَوْمَ ساموك خُطَّةً ... وإنى متى أُوكَلْ فلستُ بوائلِ
جزَى اللهُ عنا عبدَ شمسٍ ونوفلاً ... عُقوبةَ شرٍّ عاجلا غيرَ آجلِ

. . . .

بميزان قِسْط لا يُخِسُّ شَعيرةً ... له شاهدٌ من نفسِه غير عائل

لقد سَفُهت أحلامُ قوْم تبدَّلوا ... بنى خَلَفٍ قَيْضاً بنا والغَياطل

ونحنُ الصَّميمُ من ذُؤابة هاشِمٍ ... وآلِ قُصَىٍّ فى الْخُطوب الأوائل

وسَهْمٌ وَمخزُوم تَمالَوْا وألَّبُوا ... علينا العِدَا من كلِّ طِمْل وخاملِ

فعَبْدَ مَناف أنتمُ خيرُ قَوْمكم ... فلا تُشْرِكوا فى أمْرِكم كلَّ واغل

لعَمْرى لقَد وَهَنْتُمُ وعَجَزْتمُ ... وجِئْتم بأمرٍ مُخْطِىء للمفاصِلِ

وكنتم حَديثا حَطْبَ قِدْرٍ وأنتمُ ... ألآنَ حِطابُ أقدُرٍ ومَراجل

ليَهْنِىء بنى عَبْد مَناف عُقوقُنا ... وخِذْلانُنا، وترْكُنا فى المَعاقل

فإنْ نَكُ قوْما نتَّئِرْ ما صنعتمُ ... وَتحتَلِبُوها لِقْحة غيرَ باهِل

وسائطُ كانت فى لؤَىٍّ بن غالبٍ ... نَفاهم إلينا كلُّ صَقْر حُلاحِل

ورهطُ نُفَيل شَرُّ مَن وطىء الحَصَى ... وألْأَمُ حافٍ مِن مَعَدّ وناعِل

فأبلِغ قُصَيًّا أن سيُنشر أمرُنا ... وبَشِّر قُصَيا بعدَنا بالتّخاذل

ولو طرَقت ليلاً قصيًّا عظيمةٌ ... إذاً ما لجأنا دونهم فى الْمَداخل

ولو صَدَقوا ضَرْبا خِلال بُيوتهم ... لكنَّا أُسَى عند النساء المَطافل

فكلُّ صديقٍ وابنِ أُخت نَعُدّه ... لَعَمْرى ـ وَجَدنا غِبَّه غيرَ طائل

سوى أنَ رهطا من كِلاب بن مُرَّة ... بَرَاءٌ إلَيْنا من مَعقَّةِ خاذِل

وَهَناً لَهم حتى تبدَّد جمْعُهمُ ... وَيحسُرَ عنَّا كلُّ باغٍ وجاهل

وكان لَنا حوض السِّقاية فيهم ... ونحنُ الكُدَى من غالب والكَواهل

رفع المسهم

شَباب من الْمُطَيَّبين وهاشِمٍ　　كبيض السُّيوفِ بين أيدى الصَّياقل
فما أدركوا ذَحْلاً، ولاسَفَكوا دما　　ولا حالَفوا إلا شِرار القَبائل
بضربٍ ترَى الفِتْيان فيه، كأنهُم　　ضَوَارى أُسُود فوق لَحْمٍ خَرادِل
بنى أَمَةٍ مَحْبوبةٍ هِنْدِكيَّةٍ　　بنى جُمح عُبَيدِ قيسِ بن عاقل
ولكنَّنا نسلٌ كِرامٌ لسادةٍ　　بهم نُعِيَ الأقوام عند البَواطل
ونعم ابنُ أُختِ القومِ غيرَ مُكذَّب　　زهيرٌ حُساما مُفْرَداً مِنْ حَمائل
أشَمُّ مِنَ الشُّمّ البَهاليل يَنتمى　　إلى حسب فى حَوْمة المجْد فاضل
لعَمْرى لقد كَلِفْتُ وجداً بأحمد　　وإخوته دَأْبَ المحِبِّ المواصل
فلا زال فى الدُّنيا جمالاً لأهلها　　وزَيْناً لمن والاه رب المشاكل
فمَنْ مِثْله فى النَّاس أىُّ مؤَمَّل　　إذا قاسه الحُكَّام عند التَّفاضل
حليمٌ رشيد عادل غيرُ طائش　　يُوالى إلٰها ليسَ عنـــه بغافِل
فوالله لولا أنْ أجىء بسُبَّة　　تُجَرُّ على أشياخِنا فى المحافل
لكنَّا اتبعْناه على كلّ حالَة　　من الدَّهر جِدّا غير قول التَّهازل
لقد عَلِموا أنَّ ابنَنا لا مُكَذَّبٌ　　لَدَيْنا، ولا يُعْنَى بقوْل الأباطل
فأصبح فينا أحمدٌ فى أَرُومَة　　تُقصِّر عنه سَوْرَةُ الْمُتَطاول
حَدِبْتُ بنفسى دونه وحَمَيْتُه　　ودافعتُ عنه بالذُّرا والكَلاكِل
فأيَّدَه ربُّ العِباد بنَصْره　　وأظهر دينا حقُّه غيرُ باطل
رجالٌ كِرامٌ غيرُ مِيلٍ نَماهُم　　إلى الخيْرِ آباء كِرامُ المَحاصل

فإن تكُ كعبٌ من لؤىّ صُقَيْبةً   فلابدَّ يوما مَرَّة مِنْ تَزايُلِ

قال ابن هشام : هذا ما صحّ لى من هذه القصيدة ، وبعضُ أهل العلم بالشعر ينكر أكثرها .

قال ابن هشام : وحدثنى مَنْ أثق به ، قال : أقحط أهلُ المدينة ، فأتَوْا رسولَ الله — صلى الله عليه وسلم — فشَكَوْا ذلك إليه ، فصَعد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المنبرَ فاستسقى ، فما لبث أنْ جاء من المطر ما أتاه أهلُ الضواحى يشكون منه الغَرقَ ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : اللّهُمَّ حَوَالَيْنا ولا علينا، فانجاب السحابُ عن المدينة ، فصار حوَالَيْها كالإكليل ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم : لو أدرك أبو طالب هذا اليومَ لسرّه ، فقال له بعضُ أصحابه : كأنك يارسولَ الله أردت قولَه :

وأبيضَ يُسْتسقى الغمامُ بوَجْهه   ثِمالَ اليَتامى عِصْمةً للأَرامِلِ

قال : أجل

قال ابن هشام : وقوله « وشِبْرِقَهُ » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : والغياطل : من بنى سهم بن عمرو بن هُصَيص ، وأبو سفيان بنُ حرب بن أُمَيَّة . ومُطْعِمُ بن عدىّ بن نَوْفل بن عبد مناف . وزُهير بن أبى أُمَيَّة بن المغيرة بن عبد الله بن عُمَر بن مخزوم ، وأمه : عاتكة بنت عبد المطلب . قال ابن إسحاق : وأَسِيدٌ ، وبِكْرُهُ : عتّابُ بن أسيد بن أبى

. . . .

العِيص بن أُميَّة بن عبد شَمْس بن عَبد مناف بن قصيّ . وعثمان بن عُبيد الله : أخو طلحة بن عُبيد الله التَّيْميّ . وقُنْفذ بنُ عُمير بن جُدْعان بن عَمْرو بن كَعْب بن سعد بن تَيْم بن مُرّة . وأبو الوليد : عُتْبةُ بنُ ربيعة . وأُبيٌّ : الأخنس بن شَرِيق الثقفيّ ، حليف بنى زُهْرة بن كلاب .

قال ابن هشام : وإنما سمى الأخنس ؛ لأنه خَنس بالقوم يوم بدْر ، وإنما اسمُه : أُبيٌّ ، وهو من بنى عِلاج ، وهو عِلاج بن أبى سَلَمة بن عوْف بن عُقْبَة. والأسود بنُ عَبد يَغُوث بن وَهْب بن عبد مناف بن زُهرة بن كلاب . وسُبَيع ابنُ خالد ، أخو بَلْحارث بن فِهْر . ونوفل بنُ خُوَيلد بن أسد بن عبد العُزّى ابن قُصَيّ ، وهو ابن العَدَويَّة . وكان من شياطين قُرَيش ، وهو الذى قَرَن بين أبى بكر الصدّيق وطَلْحة بن عُبَيْد الله رضى الله عنهما فى حَبْل حين أسْلما ، فبذلك كانا يُسمَّيان : القَرينين ، قتله علىُّ بنُ أبى طالب عليه السلام يوم بَدْر. وأبو عمرو : قُرَظَة بن عبد عمرو بن نوفل بن عبدمناف . «وقوم علينا أظِنَّة»: بنو بكر بن عبد مَنَاة بن كنانة ، فهؤلاء الذين عَدَّد أبو طالب فى شعره من العرب .

ذكر الرسول «ص» ينتشر

فلما انتشر أمرُ رسولِ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى العرب ، وبَلَغ البُلْدانَ ، ذُكِر بالمدينة ، ولم يكن حيٌّ من العرب أعلمَ بأمر رسولِ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين ذُكر ، وقبلَ أن يُذكر من هذا الحيّ من الأوْس والخَزْرَج ،

رفع
المسهم
غفر الله له ولوالديه

وذلك لِمَا كانوا يسمعون من أحبار اليهود ، وكانوا لهم حلفاء ، ومعهم في بلادهم . فلما وقع ذِكْره بالمدينة ، وتحدّثوا بما بين قريش فيه من الاختلاف. قال أبو قَيْس بن الأسْلت . أخو بنى واقف .

أبو قيس بن الأسلت ونسبه وشعره فى الرسول «ص»

قال ابن هشام : نَسَبَ ابنُ إسحاق أبا قَيْس هذا ههنا إلى بنى واقف ، ونسبه فى حديث الفِيل إلى خَطْمة ؛ لأن العرب قد تنسب الرجلَ إلى أخى جدّه الذى هو أشهر منه .

قال ابن هشام : حدثنى أبو عُبيدة أنّ الحكم بن عَمْرو الغِفارىّ من ولد نُعَيلة أخى غِفار ، وهو غِفار بن مُلَيل ، و نُعَيْلة بنُ مُليل بن ضَمْرة بن بَكْر ابن عبد مناة ، وقد قالوا : عُتْبة بنُ غَزْوان السُّلَمىّ ، وهو من ولد مازن ابن منصور وسُلَيم : ابن منصور .

قال ابن هشام : فأبو قيس بن الأسلت : من بنى وائلٍ ، ووائلٌ ، وواقف وَخَطْمَةُ إخوة من الأوس .

قال ابن إسحاق : فقال أبو قَيْس بن الأسلت — وكان يحبّ قريشا ، وكان لهم صِهراً ، كانت عنده أرْنب بنت أسَد بن عبد العُزّى بن قُصىّ ، وكان

يُقيم عندهم السنينَ بامرأته — قصيدةً يعظِّم فيها الُحرْمة ، وينهَى قُرَيشا فيها عن الحرب ، ويأمرهم بالكف بعضهم عن بعض ، ويذكر فضلَهم وأحلامَهم ، ويأمرهم بالكَفِّ عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، ويذكِّرهم بلاء الله عندهم ، ودَفْعَه عنهم الفِيل وكيدَه عنهم ، فقال :

يا راكبا إمَّا عرَضتَ فَبَلِّغن ... مُغَلْغَلةً عنّى لُؤَىَّ بن غالبِ
رسولَ امرىءٍ قد راعه ذاتُ بَيْنِكم ... على النأْىِ مَحْزونٍ بذلك ناصبِ
وقد كانَ عندى للهُموم مُعَرَّسٌ ... فلم أَقْضِ منها حاجتى ومآربى
نُبَيِّتُكُم شَرْجَيْن كل قبيلة ... لها أزْمَلٌ مِنْ بين مُذْكٍ وحاطبِ
أُعيذكُمُ باللهِ مِنْ شرِّ صُنْعكم ... وشَرِّ تَباغِيكم ودَسِّ العَقاربِ
وإظْهار أخلاقٍ ، ونَجْوَى سَقيمةٍ ... كَوَخْزِ الأشافى وَقْعُها حقٌّ صائبِ
فذَكِّرْهُمُ باللهِ أوَّلَ وَهْلةٍ ... وإحلال أحرام الظِّباء الشَّوازبِ
وقُلْ لهم واللهُ يحكم حُكْمَهُ ... ذَرُوا الحربَ تذهبْ عنكم فى المَراحبِ
متى تَبْعثوها ، تبعثوها ذَميمةً ... هى الغُول للأَقْصَيْن أو للأقاربِ
تُقطِّع أرْحاما ، وتُهلِكُ أُمَّةً ... وتَبْرى السَّديف من سَنام وغاربِ
وتَسْتبدلوا بالأَتْحَمِيَّة بعدها ... شَليلاً وأصداء ثيابَ المُحارِبِ
وبالمِسْك والكافور غُبْراً سَوابغا ... كأنَّ قَتيرَيْها عيونُ الجنادبِ
فإيّاكُمُ والحربَ لاتَعْلَقَنَّكم ... وحَوْضاً وخِيم الماء مُرَّ المشاربِ
تَزَيَّنُ للأقْوام ، ثُمَّ يَرَوْنها ... بعاقبةٍ إذ بَيَّنت ، أمَّ صاحبِ

. . . .

تُحَرَّق، لا تُشْوِى ضعيفا، وتَنْتَحى ذوى العِزّ منكم بالحُتُوف الصَّوائب
ألم تعلموا ما كان فى حرب داحسٍ فتعتبروا أو كان فى حَرْب حاطب
وكم قد أصابتْ من شَريف مُسوَّد طويلِ العماد، ضيفُه غيرُ خائب
عظيمِ رَمادِ النَّارِ يُحْمَد أمرُه وذى شيمةٍ مَحْضٍ كريم المَضارب
وماء هُرِيق فى الضَّلال كأنما أذاعت به ريح الصَّبا والجَنائب
يخبّركُم عنها امرؤٌ حقٌّ عالمٍ بأيامها والعِلْمُ عِلْمُ التَّجارب
فبِيعُوا الحِرابَ مِلْمُحَارب، واذكُروا
حِسابَكُمُ، واللهُ خـــــيرُ مُحاسِب
ولِىّ امرىء، فاختار دِينا، فلا يَكُنْ
عليــــكم رقيبا غيرَ رَبّ الثَّواقب
أقيمُوا لَنا دينا حَنِيفا، فأنتمُ لنا غايَةٌ قد يُهتدى بالذّوائبِ
وأنتم لِهَذا النَّاسِ نورٌ وعِصْمَةٌ تُؤَمُّون، والأحلام غير عَوازب
وأنتم -إذا ما حُصِّل الناسُ- جَوْهرٌ لكم سُرَّة البَطْحاء شُمُّ الأرانب
تَصونون أجساداً كِراما عَتيقةً مُهذَّبة الأنساب غيرَ أشائبِ
يرى طالبُ الحاجات نحو بُيوتكم عصائبَ هلْكى تَهتَدى بعَصائب
لقد علم الأقوامُ أنّ سَراتَكم على كلّ حال خيرُ أهل الجَباجِب
وأفضله رأيا، وأعلاه سُنَّة وأقْوَلُه للحقّ وَسْط المواكب
فقوموا، فصَلُّوا رَبَّكُم، وتَمسَّحوا بأركان هذا البيت بين الأخاشب

• • • • • • • • •

فعِنْدَكم منــــه بلاء ومَصْدَق
غَــدَاةَ أبى يَكْسُوم هادِى الكَتائب

كتيبتُه بالسّهل تُمْسِى ، ورَجْلُه
على القاذفات فى رُءوس المناقب

فلما أتاكم نَصرُ ذى العَرْش ، ردَّهم
جُنودُ المليك بين سافٍ وحاصِب

فولَّوْا سِرَاعاهارِبينَ ، ولم يؤُبْ
إلى أهله مِ الْحُبْشِ غيرُ عَصائب

فإن تَهْلِكوا ، نَهْلِكْ وتَهلِكْ مَواسم
يُعــــاش بها ، قولُ امرىء غيرِ كاذب

قال ابن هشام : أنشدنى بيتَه : « وماء هُرِيق » ، وبيتَه : « فبيعوا الحراب » ، وقولَه : « ولِيُّ امرىء فاختار » ، وقوله :

على القاذفات فى رءوس المناقب

أبو زيد الأنصارىّ وغيره .

حرب داحس :

قال ابن هشام : وأما قوله :

ألم تعلموا ما كان فى حرب داحس

فحدثنى أبو عُبيدة النحوىّ : أن داحسا فَرَس كان لقَيْس بن زُهير بن جَذيمة بن رَواحة بن رَبيعة بن الحارث بن مازن بن قُطَيْعة بن عَبْس بن بَغيض بن رَيْث ابن غَطَفان ، أجراه مع فرس لحُذَيفة بن بَدْر بن عَمْرو بن زيد بن جُوَيَّة بن

. . . .

اَوْذان بن ثَعْلَبَةَ بن عدىّ بن فَزارة بن ذُبيان بن بَغيض بن رَيْث بن غَطَفان، يقال لها : الغَبْراء . فدسّ حُذيفة قوما وأمرهم أن يضربوا وَجْه داحس ، إن رأوه قد جاء سابقا ، فجاء داحس سابقا ، فضربوا وجهه ، وجاءت الغبراء . فلما جاء فارس داحس أخبر قيسا الخبرَ ، فوثب أخوه مالك بن زُهَير ، فلطم وجهَ الغبراء ، فقام حَمَلُ بنُ بدر ، فلطم مالـكا . ثم إن أبا الجُنَيْدِب العَبْسىّ لقى عوفَ بن حذيفة فقتله ، ثم لقى رجلٌ من بنى فَزارة مالـكا فقتله فقال حَمَلُ بن بَدْر أخو حُذيفة بن بَدْر :

قَتَلْنا بعَوفٍ مالـكا وهو ثأرُنا فإن تطلبوا منَّا سوى الحقّ تَنْدَموا

وهذا البيت فى أبيات له . وقال الربيع بن زياد العَبْسى :

أَفَبَعْدَ مقْتل مالكِ بن زُهَير ترجو النِّساء عواقبَ الأطهار

وهذا البيت فى قصيدة له .

فوقعت الحرب بين عَبْس وفَزارة ، فقُتِلَ حُذيفة بن بدر وأخوه حَمَل ابن بدر ، فقال قيس بن زُهَير بن جَذيمة يرثى حُذيفة ، وجَزِع عليه:

كم فارسٍ يُدْعى وليس بفارسٍ وعلى الهَباءة فارسٌ ذو مَصْدَقِ
فابكوا حُذيفة لن تُرَثوا مثلَه حتى تَبيد قبائلٌ لم تُخْلَق

وهذان البيتان فى أبيات له . وقال قيس بن زهير :

على أنّ الفتى حَمَلَ بنَ بَدْرٍ بَغَى ، والظُّلْمُ مَرْتَعهُ وخيم

وهذا البيت فى أبيات له : وقال الحارث بن زُهير أخو قيس بن زُهَير :

تركتُ على الهَباءة غيرَ فَخرٍ   حُذَيفةَ عنده قِصَدُ العَوالى

وهذا البيت فى أبيات له .

قال ابن هشام : ويقال : أرسل قيسٌ داحسا والغَبْراء ، وأرسل حُذَيفةُ الخطَّارَ والحَنفاء ، والأوّل أصحّ الحديثين . وهو حديث طويل مَنعنى من استقصائه قَطْعُه حديثَ سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حرب حاطب

قال ابن هشام : وأما قوله : « حرب حاطب » . فيَعْنى حاطبَ بن الحارث ابن قَيْس بن هَيْشَة بن الحارث بن أميَّة بن معاوية بن مالك بن عَوْف بن عَمرو بن عَوْف بن مالك بن الأوس ، كان قتل يهوديًّا جاراً للخَزْرَج ، فخرج إليه يزيدُ بن الحارث بن قيس بن مالك بن أحمرَ بن حارثة بن ثَعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج — وهو الذى يقال له : ابن فُسْحُم ، وفُسْحم : أمّه ، وهى امرأة من القَيْن بن جَسْر — ليلاً فى نفر من بَنى الحارث بن الخزرج فقتلوه ، فوقعت الحرب بين الأوس والخزرج فاقتتلوا قتالا شديداً ، فكان الظفر للخزرج على الأوس ، وقُتل يومئذٍ سُوَيد بن صامت بن خالد بن عطيَّة ابن حَوْط بن حَبيب بن عَمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ، قتله المُجذَّر بن ذِيَادٍ البلوى ، واسمه عبد الله ، حليف بنى عَوْف بن الخزرج . فلما كان يوم أُحد

رفع
المسبر هما

خرج المجذّر بن ذيّاد مع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وخرج معه الحارث بن سُوَيد بن صامت ، فوجد الحارثُ بن سُوَيد غِرّة من المُجذّر فقتله بأبيه . وسأذكر حديثه فى موضعه — إن شاء الله تعالى — ثم كانت بينهم حروب منعنى من ذكرها واستقصاء هذا الحديث ما ذكرت فى حديث حرب داحس .

حكيم بن أمية ينهى قومه عن عداوة الرسول

قال ابن إسحاق : وقال حكيم بن أُمَيَّة بن حارثة بن الأوقص السُّلمىّ ، حليف بنى أُمَيَّة وقد أسلم ، يورّع قومه عمّا أجمعوا عليه من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان فيهم شريفا مُطاعا :

هل قائلٌ قولاً من الحقّ قاعدٌ عليه، وهل غضْبانُ للرُّشْد سامعُ
وهل سَيِّدٌ ترجو العشيرةُ نفْعَه لأقصى الموالى والأقارب جامعُ
تبرأتُ إلا وجهَ مَنْ يملك الصَّبا وأهجُرُكم مادام مُدْلٍ ونازع
وأُسْلِم وَجْهِى للإله ومنْطِقِى ولو راعنى مِنَ الصَّديق روائع

موقف الوليد من القرآن :

وذكر خبر الوليد بن المغيرة وقوله : فيما جاء به النبى — صلى الله عليه وسلم من الوحى والقرآن : قد سمعنا الشعر فما هو بهَزَجِه ، ولا رَجَزِه . والهَزَجُ من أعاريض الشِّعر معروفٌ عند العَروضيين ، ولا أعرفُ له اشتقاقا

. . . .

إلا أن يكون من قولهم فى وصف الذباب : هَزِجٌ ، أى : مُتَرَنِّم(١) ، وأما الرَّجَزُ فيحتمل أن يكون من رجزت الحمل إذا عدلته بالرِّجازة ، وهو شىء يعدل به الحمل ، وكذلك الرَّجَزُ فى الشعر أشطار مُعَدَّلة ، ويجوز أن يكون من رَجَزَتْ الناقةُ إذا أصابتها رِعْدَةٌ عند قيامها ، كما قال الشاعر : حتى تقومَ تَكَلُّفَ الرَّجْزَاء (٢) فالْمُرْتَجِزُ كأنه مُرْتَعِدٌ عند إنشادِهِ لِقِصَرِ الأَبيات(٣) .

---

(١) فى المعجم الوسيط : هزج بفتح فكسر هزجا بفتح أوله وثانيه : تغنى . والهزج كل صوت فيه ترنم خفيف مطرب وصوت فيه بحح ، وصوت الرعد وصوت الذباب ، ونوع من بحور الشعر العربى والفارسى ، سمى بذلك لتقارب أجزائه ، وهى : مفاعيلن ست مرات ، بجزوء وجوبا ، أى بأربع تفعيلات ، كل اثنتين فى شطرة

(٢) الشطرة فى اللسان وفيه « الرجزاء » وفى الروض كانت الرجزاء بلا همزة .

وفى أمالى القالى ج ٢ ص ٢٨٠ والرجز أن يرعد عجز البعير إذا أراد النهوض ، وأنشد :

تجد القيام كأنما هو نجدة حتى تقوم تكلف الرجزاء

وفى سمط اللآلى شرح أمالى القالى للبكرى : وهو لأبى النجم ارتجله عند عبد الملك حين قال له : إنك لا تحسن القصيد ، فقال : إنى لأحسنه ، فقال : فقل فى هذه الجارية ، فقال لها : ما اسمك ؟ قالت : شعثاء ، وكانت أدماء ، فقال :

علق الهوى بحبائل الشعثاء والموت بعض حبائل الأهواء

والنجدة الشجاعة والشدة ص ٩٢٤ .

(٣) الرجز : بحر من بحور الشعر ، وقد قال الحربى : لم يبلغنى أنه جرى على =

رفع عبد الرحمن الهاشمي

. . . .

وقوله : قد سمعنا الكهان ، فما هو بزَمْزَمَةِ الكاهن ولا سَجْعه : الزَّمْزَمةُ صوت ضعيف كنحو ما كانت الفُرْسُ تفعله عند شربها الماء ، ويقال أيضا : زَمْزَم الرَّعْد ، وهو صوت له قبل الهَدْرِ ، وكذلك الكُهَّان ، كانت لهم زَمْزَمَةٌ الله أعلم بكَيْفِيَّتها ، وأما زَمْزَمَةُ الفُرْس ، فكانت من أنُوفهم .

وقول الوليد : إن أصله لَعَذْقٌ ، وإن فَرْعَه لجَنَاة . استعارة من النَّخلة التي ثبَتَ أصلها ، وقوى وطاب فرعها إذا جنى[1] ، والنخلة هى : العَذْقُ بفتح

= لسان النبي صلى الله عليه وسلم من ضروب الرجز إلا ضربان : المنهوك والمشطور ولم يعدهما الخليل شعرا ، فالمنهوك كقوله : « فى حديث رواه البخارى وأحمد ومسلم والنسائى » :

أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب

والمشطور كقوله ، فى رواية جندب « هو فى البخارى » .

هل أنت إلا إصبع دميت وفى سبيل الله ما لقيت

وقوله : أنا ابن عبد المطلب ليس افتخارا ، فقد كان يكره الانتساب إلى الآباء الكفار . ولكنه أشار إلى رؤيا رآها عبد المطلب كانت مشهورة عندهم ، رأى تصديقها ، فذكرهم إياها بهذا القول «انظر النهاية لابن الأثير » والرجز مركب من «مستفعلن» ست مرات . والمشطور منه ما كان على ثلاث تفعيلات ، ويعتبر البيت فى الوقت نفسه شطرة فلا يجزأ بعد ذلك مثل :

رب أخ لى لم تلده أمى

والمنهوك ما بقى على تفعيلتين

مثل :

إلهنا ما أعد لك

ولم تكن العرب تعرف لهذه البحور هذه الأسماء .

(١) كل ما يجنى فهو جنى وجناة ، وفى حواشى أبى ذر : أى : فيه تمر يجنى ، وفى =

. . . .

العين ، ورواية ابن إسحاق أفصح من رواية ابن هشام ؛ لأنها استعارة تامة يشبه آخرُ الكلام أولَه ، ورواية ابن هشام : إن أصله لَغَدَقٌ ، وهو الماء الكثير ، ومنه يقال : غَيْدَق الرجلُ إذا كثر بصاقُه ، وأحدُ أعمام النبي — صلى الله عليه وسلم — كان يُسَمى : الْغَيْداق لكثرة عطائه ، والْغَيْدَقُ أيضا ولدُ الضَّبِّ ، وهو أكبر من الحِسْلِ قاله قُطْرُبٌ في كتاب الأفعال والأسماء له (١) .

ذرني ومن خلقت وحيدا :

فصل: وذكر ابن إسحاق قول الله تعالى : « ذَرْنى وَمَنْ خَلَقْتُ وحيداً » الآيات التى نزلت فى الوليد ، وفيها له تهديد ووعيد شديد ، لأن مَعْنى: « ذَرْنى وَمَنْ خلقتُ » أى دَعْنى وإياه ، فسترى ما أصنع به ، كما قال : « فَذَرْنى وَمَنْ يُكَذِّبُ بهذا الحديث » القلم : ٤٤ وهى كلمة يقولها المغتاظ إذا اشتد غيظه وغضبُه ، وكرِه أن يُشْفَعَ لمن اغتاظ عليه ، فمعنى الكلام : أى : لاشفاعةَ تنفع لهذا الكافرِ ، ولا استغفار يامحمدُ منك ، ولامن غيرك وقوله : « وبنين شهوداً » أى : مقيمين معه غير محتاجين إلى الأسفار والغيبة عنه ، لأن ماله كان ممدوداً والمالُ الممدود عندهم : اثنا عشر ألف دينار ، فصاعداً « وَمَهَّدْتُ له تمهيداً »

رواية البيهقى : « وإنه لمثمر أعلاه ، مغدق أسفله ، وإنه ليعلو ، وما يعلى ، وإنه ليحطم ما تحته » وفى رواية الحاكم : « إنه لمنير أعلاه مشرق أسفله » وقد أخرج الحديث الحاكم وصححه عن ابن عباس ، وقريب منه ما رواه ابن جرير وابن أبى حاتم من طرق أخرى .

(١) انظر ص ٩٢ نوادر أبى زيد .

. . . .

أى : هَيَّأْتُ له ، وقدمت له مقدمات اسْتِدْراجاً له ، وقوله تعالى : « سأُرْهِقُه صَعُوداً » هى عَقَبَةٌ فى جهنم ، يقال لها : الصَّعُود مسيرُها سبعين سنةً ، يكلَّفُ الكافر أن يَصْعَدَها ، فإذا صعدها بعد عذاب طويل صُبَّ من أعلاها ، ولا يتنفس ، ثم لا يزال كذلك أبداً ، كذلك جاء فى التفسير (١) .

وقوله سبحانه : « فَقُتِل كيف قَدَّر » أى : لُعِن كيفما كان تقديُره فكيف ها هنا من حروف الشرط، وقيل معنى قتل : أى هو : أهل أن يُدْعى عليه بالقتل ، وقد فسر ابنُ هشام : بَسَر والْبَسْرُ أيضاً : القهر ، والْبَسْرُ حمل الفحل على الناقة قبل وقت الضِّراب . وفسر عِضين ، وجعله من عَضَّيت أى فرّقت ، وفى الحديث : « لا تَعْضِيَة فى ميراث إلا ما احتمله الْقَسْمُ » ومعنى هذا الحديث موافقٌ لمذهب ابن القاسم ورأيه فى كل مالا ينتفع به إذا قسم (٢) أو كان فيه ضرر على الشريكين ألا يقسم ، وهو خلاف رأى مالك ، وحجة مالك قول الله تعالى : « مِمَّا قل منه أو كَثُرُ نصيباً مَفْروضاً » النساء : ٧ . وقد قيل فى عِضين إنه جمع عِضَة ، وهى السِّحر وأنشدوا :

---

(١) رواه أحمد والترمذى ثم قال : غريب لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة عن دراج، وابن لهيعة ضعيف ،وأحسن ماقيل: هو تفسير مجاهد ، فقد قال فى تفسير : سأرهقه صعودا: أى: مشقة من العذاب، وقال قتادة: عذاب لا راحة فيه واختاره ابن جرير . أو قربناه من العذاب الشاق لبعده عن الإيمان .

(٢) مثل لهذا الذى يضار به الورثة : قسم الجوهرة أو الطيلسان وما أشبه . ولهذا يباع ويقسم ثمنه بين الورثة ، لأن التقسيم فيه ضرر كبير على كل الورثة .

رفع المسلم

. . . .

أعوذ برب من النافثا ت في عُقَـد العاضِه المُعْضِه

ومنه قولهم :

يا لِلْعَضِيهَةِ(١) ويا لِلأَفيكَة [ويا لِلْبَهيتة]

شرح لامية أبي طالب :

فصل : وذكر قصيدة أبي طالب إلى آخرها ، وفيها : وأبيض عَضْبٍ من تُراث المَقاول. قد شرحنا الأَقيال والمقاول ، فيما تقدم ، وتراث أصله : وُراث من وَرِثت ، ولكن لا تبدل هذه الواو تاء إلا في مواضع محفوظة ، وعِلتها كثرة وجود التاء في تصاريف الكلمة ، فالتراث مال قد تُوُورث ، وتَوارثه قوم عن قوم ، فالتاء مستعملة في التوريث والتوارث ، وكذلك تجاه البيت ، التاء مستعملة في التَّوَجُّهِ والتَّوْجيه ونحوه ، فلما ألفَوْها في تصاريف الكلمة لم ينكروا قلبَ الواو إليها ، كما فعلوا في ريحان وهو من الرَّوْح لكثرة الياء

---

(١) كسرت اللام في ثلاث الكلمات على معنى : اعجبوا لهذا العضيهة الخ ، فإذا فتحت فمعناه الاستغاثة ، ويقال ذلك عند التعجب من الإفك العظيم والزيادة من اللسان . وعضه بفتح الضاد وكسرها . وأعضه جاء بالعضيهة ، وعضهه يعضهه بفتح الضاد . قال فيه ما لم يكن وفي البخاري عن ابن عباس في هذه الآية أنه قال : هم أهل الكتاب جزأوه أجزاء ، فآمنوا ببعض ، وكفروا ببعض ونسب إلى ابن عباس أيضاً في غير البخاري أنه قال عن عضين : السحر . قال عكرمة : العضه : السحر بلسان قريش . ورأى ابن عباس الذي ذكره البخاري هو الأوفق

. . . .

فى تصاريف الكلمة ، كما قدمنا قبل ، وهى فى تراث وبابه أبعد ؛ لأن الياء المألوفة فى مادة الكلمة زائدة ، وياء ريحان ليست كذلك ، وكذلك التُّكَأَة من توكأت وتَتْرَى من التَّواتر ، والتَّوْلَج من التَّوَلُّج والمُتَّلِج ، لأنهم يقولون : اتَّلَجَ بالتشديد ، فتصير الواو تاء للإدغام ، حتى يقولوا : مُتَّلِج فيجعلونها تاء دون الإدغام ، وهذا أشبه بقياس رَيْحان وبابه ؛ فإن التاء الأولى من مُتَّلِج أصلية وهى فى مُتَّلِج إذا ضُعِّفت أصلية أيضاً ، فهى هى ، فقف على هذا الأصل ؛ فإنه سر الباب(١) . وأراد بالمقاول : آباءه ، شبههم بالملوك ، ولم يكونوا ملوكا ، ولا كان فيهم مِنْ ملكٍ بدليل حديث أبى سفيان حين قال له هرقل : هل كان فى آبائه من ملك ؟ فقال : لا . ويحتمل أن يكون هذا السيف الذى ذكر أبو طالب من هِبَات الملوك لأبيه ، فقد وهب ابنُ ذى يزن لعبد المطلب هباتٍ جَزْلة حين وفد عليه مع قريش ، يهنئونه بظفره بالحبشة ، وذلك بعد مولد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بعامين .

وقوله : مُوسَّمة الأعضاد أو قَصَراتها : يعنى [مُعَلَّمَة] بسمة فى أعضادها(٢) ،

---

(١) جاء فى شرح الشافية للرضى : «اعلم أن التاء قريبة من الواو فى المخرج لكون التاء من أصول الثنايا ، والواو من الشفتين ، ويجمعهما الهمس ، فتقع التاء بدلا منها كثيرا ، لكنه مع ذلك غير مطرد إلا فى باب افتعل نحو تراث وتولج وتترى من المواترة والتلج بضم التاء وفتح اللام «فرخ العقاب» والتكأة وتقوى . وتوراة عند البصريين فوعلة من ورى الزند كتولج ، فإن كتاب الله نور ، وعند الكوفيين هما تفعله وتفعل ، والأول أولى لكون فوعل أكثر من تفعل» ص ٨٠ ﺣ ٣ ومنه تجاه ، وتكلان وتلاد ، وتيقور ، وتهمة وتوأم ، وتخمة وتلاد فأصلها : وجه ، ووكل وولاد ، ووقر ووهم ووأم ووخم وولاد وأصل توراة : ووراة .

(٢) موسمة الأعضاد : معلمة ، والسمة العلامة ، القصرات : أصول الأعناق وزيادة معلمة التى وضعتها بين قوسين يقتضيها السياق .

. . . .

ويقال لذلك الوسم السِّطَاع والخِباط فى الفخذ والرَّقْمَة أيضاً فى الْعَضُد ، ويقال للوسم فى الْـكَشْحِ : الـكِشاح ولما فى قَصرة العُنُقِ : العِلاط ، والْعُلْطَتَانِ والشِّعْب أيضاً فى العنق ، وهو كالمِحْجَن ، وفى الْعُنُقِ وسم آخر أيضاً يقال له: قَيْدُ الفَرَس . قال الراجز :

كُومٌ على أعناقها قَيْدُ الْفَرَسْ   تنجو إذا الليل تدانى ، والْتَبَس

ولوسُوم الإبل أسماء كثيرة وباب طويل ، ذكر أبو عبيد أكثره فى كتاب الإبل ، فمنها الْمُشَيْطَنَةُ والْمُفَقَّاة والقُرْمَة وهى فى الأنف ، وكذلك الْجَرْف والخُطَّاف وهى فى العنق ، والدَّلْو وَالْمُشْط وَالْفِرْتاج والثُّؤْثُور والدِّمَاع فى موضع الدمع ، والصِّداغ فى موضع الصُّدْغ واللِّجَام من الخد إلى العين ، يقال منه : بعير مَلْجوم ، والهِلال والخِرَاش وهو من الصُّدغ إلى الذقن .

وقوله : أو قَصَراتها جمع قَصَرَة ، وهى أصل العنق ، وخفضها بالعطف على الأعضاد ، ولا يجوز أن تكون فى موضع نصب كما تقول : هو ضارب الرجل وزيداً فى باب اسم الفاعل ؛ لأن قوله : موسَّمة الأعضاد من باب الصفة المشبهة ، وهى لا تعمل إلا مُضمرة ، واسم الفاعل يُضْمر إذا عطف على المخفوض ، وذلك أن الصفة لا تعمل بالمعنى ، وإنما تعمل بشَبَهٍ لفظى بينها وبين اسم الفاعل ، فإذا زال اللفظ ، ورجع إلى الإضمار لم تعمل ، وتخالف اسم الفاعل أيضاً ؛ لأن معمولها لا يتقدم عليها ، كما يتقدم المفعول على اسم الفاعل ، وذلك أن منصوبها فاعل فى المعنى ، والفاعلُ لا يتقدم ، والصفة

. . . .

لا يُفصل بينها وبين منصوبها بالظرف ، ويجوز ذلك فى اسم الفاعل ، والصفة لا تعمل إلا بمعنى الحال ، واسمُ الفاعل يعمل بمعنى الحال والاستقبال ، نعم ويعمل بمعنى الماضى إذا دخلت عليه الألف واللام ، ولو رُوى : موسمةَ الأعضادَ بنَصب الدال على معنى: موسمةٌ الأعضادَ بالتنوين ، وحذفه لالتقاء الساكنين ، لجاز كما روى فى شعر حُنْدُجٍ (١) :

كَبِكْرِ مُقَانَاةِ البيــاضُ

---

(١) فى الأصل : جتدح ،ومقنأة التى ستأتى فى الشطرة ، وهما خطأ ،والصواب ما أثبته ، وجاء صواب مقنأة فى موضع آخر من الروض . وحندج هو امرؤ القيس الشاعر الجاهلى ، والشعر من معلقته المشهورة ، والرواية فى المعلقة ، وفى اللسان هكذا .

كبكر المقاناة البيــاض بصفرة غذاها نمير الماء غــير محلل

البكر من كل صنف مالم يسبقه مثله . والمقاناة: الخلط ، والمقاناة — كما يقول الزوزنى — مصوغة للمفعول دون المصدر، وفى اللسان : فى شرح كبكر أخ . . أى : كالبيضه التى هى أول بيضة باضتها النعامة التى قونى بياضها بصفرة ، أى: خلط بياضها بصفرة . . فترك الألف واللام من البكر ، وأضاف البكر إلى نعتها » وفى اللسان له معنى آخر : « أراد : كبكر الصدفة المقاناة البياض بصفرة ؛ لأن فى الصدفة لونين من بياض وصفرة أضاف الدرة إليها » وبكر الصدفه درتها التى لم ير مثلها . شبهها فى صفاء اللون ونقائه بدرة فريدة تضمنتها صدفة بيضاء شابت بياضها صفرة ، ويقول الزوزنى : يروى البيت بنصب البياض وخفضه ، وهما جيدان بمنزلة قولهم زيد الحسن الوجه ، والحسن الوجه الخفض على الإضافة والنصب على التشبيه كقولهم : زيد الضارب الرجل » ص ١٥ وما بعدها لأبى عبدالله الحسين بن أحمد بن الحسين الزوزنى ط ١٢٨٨ واللسان مادة قنا . هذا ورواية مقاناة مقترنة بالألف واللام لا تأتى بالتنوين . وقد جاء تصويب مقنأة فى مكان آخر بمقاناة.

رفع المسهم

. . . .

بالنصبِ وبالرفع أيضاً ، أى : البياض منها على نية التنوين فى مقاناة ، وحذفه لالتقاء الساكنين ، وأما الخفض فلا خفاء به ، وإذا كانت القَصَراتُ مخفوضةً بالعطف على الأعضاد ، ففيه شاهد لمن قال : هو حسن وَجْهِه كما روى سيبويه حين أنشد :

كُمَيْتَا الأعالى جَوْنَتَا مُصْطَلاهُما(١)

---

(١) أنشده سيبويه فى الكتاب ص ١٠٢ ح ١ ط ١٣١٦ فى بيتين للشماخ ابن ضرار من قصيدة تبلغ أكثر من عشرين بيتا ، والبيتان اللذان أنشدهما سيبويه

أمن دمنتين عرس الركب فيهما ... بحقل الرخامى قد عفا طللاهما
أقامت على ربعيهما جارتا صفا ... كميتا الأعالى جونتا مصطلاهما

وتروى الشطرة الثانية من البيت الأول : « قد أنى لبلاهما » وفى الشعر شاهد على أن الصفة المشبهة قد تضاف إلى ظاهر مضاف إلى ضمير صاحبها . والدمنة : الموضع الذى أثر الناس فيه بنزولهم وإقامتهم ، وعرس : نزل آخر الليل قليلا للاستراحة ، والركب : جمع راكب والطلل : ما بقى من آثار الدار ، والرخامى : شجر مثل الضال ، وهو السدر البرى . والبلى : الفناء ، وأنى : حان . والربع : الدار والمنزل ، والضمير فى ربعيهما للدمنتين خلافا للمرتضى الذى يزعم فى أماليه أنه لامرأتين سيأتى ذكرهما ولم يتقدم . والصفا : الجبل . وجارتاه : أثفيتان ـ أى حجران للقدر ـ مقطوعتان من الجبل ، وتقربان منه ، فيكون هو ثالثة الأثافى . وكميتا الأعالى : صفة جارتا صفا ، وكميتا مثنى : كميت بالتصغير من الكمتة ، وهى الحمرة الشديدة المائلة إلى السواد ، الأعالى : أعالى الجارتين شبه أعلاهما بلون الكميت ؛ لأن النار لم تصل إليه فتسوده ، وجونتا مصطلاهما ـ

. . . .

وفى حديث أم زرع : صِفْرُ ردائِها ، ومِلْءُ كسائِها(١) مثل حسنةُ وجهِها ،

= صفة أخرى لجارتا صفا ، والجونة: السوداء ، وهو صفة مشبهة ، والمصطلى اسم مكان الصلاء ، أى : الاحتراق بالنار ، فيكون المصطلى موضع إحراق النار . يريد إن أسافل الأثافى « الأثافى هى أرجل القدر الذى يطبخ عليه » قد اسودت من إيقاد النار بينها . . . كل هذا فى وصف القدر الذى كان للأحبة بجوار الجبل يوقدون فيه النار . ومحل الشاهد فى قوله : جونتا مصطلاهما . فإنه أضاف جونتا إلى مصطلاهما ، فجونتا بمنزلة : حسنتا ، ومصطلاهما بمنزلة . وجهيهما ، والضمير الذى فى مصطلاهما يعود على قوله : جارتا صفا ، وفى خزانة الأدب للبغدادى تفصيل لما دار حول هذا البيت الذى استشهد به سيبويه « أقامت على ربعيهما » الخ فى قرابة عشر صفحات من ٢١٩ إلى ٢٢٨ حـ ٤ ط السلفية ، وانظر كتاب سيبويه ص ١٠٢ حـ ١ ، والأمالى للمرتضى حـ ٢ ص ١١٨ والأشمونى مع حاشية الصبان حـ ٣ ص ١٠ ط ١٣٠٥ .

(١) حديث أم زرع أخرجه البخارى ومسلم والترمذى فى الشمائل والطبرانى وأبو يعلى وغيرهم ، وفيه تتحدث عائشة ـ رضى الله عنها ـ عن إحدى عشرة امرأة من أهل اليمن تعاهدن أن لا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئا ، ثم مضت تقص عائشة ما قالته كل زوجة حتى الحادية عشرة التى قالت : زوجى أبو زرع ، وما أبو زرع ؟ . . ثم مضت هذه فى ثنائها العظم على زوجها وأهله حتى بلغت ذكر ابنة أبى زرع ، فقالت عنها : « طوع أبيها ، وطوع أمها ، وزين أهلها ونسائها ، وملء كسائها ، وصفر ردائها ، وغيظ جارتها » ثم تختم عائشة رضى الله عنها قصة أم زرع بأن زوجها طلقها ، فنكحت بعده رجلا سريا تقول عنه أم زرع : « لو جمعت كل شىء أعطانيه ما بلغ أصغر آنية أبى زرع » قالت عائشة : فقال لى رسول الله «ص» كنت لك كأبى زرع لأم زرع . إلا أنه طلقها ، وإنى لا أطلقك » فقالت عائشة : « بأبى أنت وأمى ، لأنت خير لى من أبى زرع لأم زرع والمقصود من صفر ردائها أنها ضامرة البطن ، فكان رداؤها صفرا أى خاليا لشدة ضمور بطنها ، والرداء ينتهى إلى البطن ، فيقع عليه .

رفع
المسبهم
عزالله إدارة

. . . .

وفى الأمالى من صفة النبى صلى الله عليه وسلم : شَثْنُ الكفين [١] طويلُ أصابعِه ، أعنى : مثل صِفْر ردائها .

وقوله : ترى الودع فيه . الوَدَع ، والوَدْع بالسكون والفتح : خرزات تنظم ، ويتحلى بها النساء والصِّبيان كما قال :

[السِّنُّ من جَلْنَزِيزٍ عَوْزَمٍ خَلَقٍ]
والحِلْمِ حِلْمُ صبى يَمرُسُ [٢] الوَدَعه

وقال الشاعرُ :

إن الرُّواة بلا فَهمٍ لما حفظوا مثل الجمال عليها يُحمَل الوَدَعُ
لا الوَدْعُ ينفعه حملُ الجمال له ولا الجِمالُ بحمل الوَدْع تَنتفع

ويقال : إن هذه الخرزات يقذفها البحر ، وأنها حيوان فى جوف البحر فإذا قذفها ماتت ، ولها بريق ولون حسن ، وتصلب صلابة الحجر ، فتثقب ويتخذ منها القلائد ، واسمها مشتق من وَدَعْته أى : تركته ، لأن البحر ينضب

---

(١) ورد أنه شثن الكفين والقدمين فى أحاديث بعضها رواه البخارى والترمذى ، والمعنى أن كفيه وقدميه يميلان إلى الغلظ والقصر ، وقيل : هو الذى فى أنامله غلظ بلا قصر ويحمد هذا فى الرجل لأنه أشد لقبضته ، ويذم فى النساء وفى حديث المغيرة « شثنة الكف . أى غليظته »

(٢) يلوكه ويمصه والبيت فى الأصمعيات لرجل من تميم

رفع
المسـاهم

. . . .

عنها ويدعها ، فهى وَدَع مثل قَبَض ونفَض(١) ، وإذا قلت الوَدْع بالسكون فهى من باب ما سمى بالمصدر .

وقوله : والرُّخام أى : ما قطع من الرُّخام ، فنظم وهو حجر أبيض ناصع : والعثاكل : أراد العثاكيل(٢) ، فحذف الياء ضرورة كما قال ابن مُضَاض : وفيها العصافر ، أراد : العصافير ، وفى أول القصيدة : وقد حالفوا قوماً علينا أظِنَّة [جمع ظَنِين(٣)] أى مُتَّهم ، ولو كان بالضاد مع قوله : علينا ، لعاد معناه مَدْحًا لهم ، كأنه قال : أشِحَّةً علينا ، كما أنشد عمرو بن بَحْر [الجاحظ] :

لو كنت فى قوم عليك أَشِحَّةً ... عليك ألا إن مَنْ طاح طائحُ

يودون لو خاطوا عليـــك جُلودَهم ... وهـل يدفع الموتَ النفوسُ الشحائحُ (٤).

(١) القبض بمعنى : مقبوض . النفض بفتح وسكون : مصدر نفضت الثوب والشجرة وبالتحريك ماتساقط من الورق والثمر والنفض بفاء ساكنة مع كسر النون : خرء النحل فى العسالة أو مامات منه فيها . أو هو بالقاف وبالتحريك : ما سقط من الورق والثمر وحب العنب حين يوجد بعضه فى بعض .

(٢) العثاكل : جمع عثكال ، وعثكول : الأغصان التى ينبت عليها الثمر « الخشنى » .

(٣) زيادة ليست فى الأصل والسياق يقتضيها .

(٤) البيتان فى البيان والتبيين لأبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ص ٥٠ ح ١ ط ١٩٤٨ والبيت الأول يروى هكذا . .

لقد كنت فى قوم عليك أشحة ... بنفسك لولا أن من طاح طائح

وهما للأغر ، والأغر لقب لشاعرين من بني يشكر بن وائل .

. . . .

وفيها :

وثَوْرٍ ومن أرسى ثَبِيراً مكانَه وراقٍ ليرقَى فى حِرَاء ونازلِ

ثور : جبل بمكة ، وثَبير : جبل من جبالها ذكروا أن ثبيرا كان رجلا من هُذيل مات فى ذلك الجبل ، فعرف الجبل به ، كما عرف أبو قبيس بقُبَيْس بن شالَخ رجل من جُرْهم ، كان قد وشى بين عمرو بن مُضاض ، وبين ابنة عمه مَيَّة ، فنذرت ألا تكلمه ، وكان شديد الكَلَف بها ، فحلف ليقتلَنَّ قُبَيْسا ، فهرب منه فى الجبل المعروف به ، وانقطع خبرُه فإمَّا مات ، وإما تردَّى منه ، فسمى الجبل : أبا قُبيس (١) وهو خبر طويل ذكره ابن هشام فى غير هذا الكتاب .

وقوله : وراق ليرقى قد تقدم القول فيه ، وأصح الروايتين فيه : وراق لِبِرٍّ فى حراء ونازل (٢) . قال البَرْقِيُّ : هكذا رواه ابن إسحاق وغيره ، وهو الصواب . قال المؤلف : فالوهم فيه إذا من ابن هشام ، أو من البكَّائى . والله أعلم .

وقوله : وبالحجر الأسود ، فيه زحاف (٣) يسمى : الكَفّ ، وهو حذف

---

(١) فى القاموس : سمى برجل من مذحج حداد لأنه أول من بنى فيه .

(٢) وفى رواية : وعير وراق فى حراء ونازل . . وعير : اسم جبل .

(٣) فى السيرة : المسود . فلا يكون زحاف الكف

رفع المسهم

. . . .

النون من مفاعيلن(١) وهو بعد الواو من الأسود ونحوه قول جُنْدُجٍ :

ألا رُبَّ يوم لك منهن صالح(٢)

وموضع الزحاف بعد اللام من ذلك .

وقوله : إذا اكتنفوه بالضّحى والأصائل . الأصائل: جمع أصيلة، والأُصُل جمع أصيل ، وذلك أن فعائل جمع فعيلة ، والأصيلة : لغة معروفة فى الأصيل ، وظن بعضهم أن أصائل : جمع آصال على وزن أفعال ، وآصال : جمع أُصُل نحو أطناب وطُنُب ، وأُصُل : جمع أصيل مثل رُغُفٍ : جمع رغيف ، فأصائل على قولهم : جَمْعُ جَمْعِ الجَمْعِ ، وهذا خطأ بيِّن من وجوه ، منها : أن جمعَ جمعِ الجمع لم يوجد قط فى الكلام ، فيكون هذا نظيره ، وعن جهة القياس إذ كانوا لا يجمعون الجمع الذى ليس لأدنى العدد ، فأحْرَى ألا يجمعوا جمع الجمع ، وأبين خطأ فى هذا القول غفلتُهم عن الهمزة التى هى فاء الفعل التى فى أصيل وأُصُل ، وكذلك هى فاء الفعل فى أصائل ، لأنها فعائل ، وتوهموها زائدة كالتى فى أقاويل ، ولو كانت كذلك كانت الصاد فاء الفعل ، وإنما هى عينه ، كما هى فى أصيل وأصل ، فلو كانت أصائل جمع آصال ، مثل أقوال

---

(١) من تفعيلات البحر الطويل وهى : فعولن مفاعيلن . أربع مرات للبيت الواحد .

(٢) هو من معلقته ، وشطرته الأخرى : ولاسيما يوم بدارة جلجل . وللشطرة الأولى رواية لم يدخلها زحاف الكف ، وهى : ألا رب يوم كان منهن صالح. ودارة جلجل : غدير بعينه .

رفع
المسهم

. . . .

وأفاويل لاجتمعت همزة الجمع مع همزة الأصل ولقالوا فيه : أواصيل بتسهيل الهمزة الثانية ، ووجه آخر من الخطأ بيِّنٌ أيضاً ، وهو أن أفاعيل جمع أفعال ، لا بُدَّ من ياءٍ قبل آخره ، كما قالوا فى أقاويل ، فكان يكون أواصيل ، وليس فى أصائل حرف مَدٍّ ولِينٍ قبل آخره إنما هى همزة فعائِل ، ومن الخطأ فى قولهم أيضاً : أن جعلوا أُصُلاً جمعاً كثيراً مثل رُغُف ، ثم زعموا أن آصالا جمعٌ له ، فهم بمنزلة من قال فى رُغُفٍ جمع أرغاف ، فإن قيل : فجمع أى شىء هى آصال ؟ قلنا : جمع أصُل الذى هو اسم مُفْرد فى معنى الأصائل لا جمع أُصُل الذى هو جمع ، فإن قيل : فهل يقال أُصُلٌ واحد ، كما يقال أُصيلٌ واحد ؟ قلنا : قد قال بعضُ أرباب اللغة ذلك ، واستشهدوا بقول الأعشى :

يوماً بأطيبَ منها نَشْرَ رائحةٍ ولا بأَحْسَنَ منها إذْدَنَا الأُصُلُ(١)

أى : دنا الأصيل ، فإن صح أن الأصُل بمعنى الأصيل ، وإلا فآصال جمع أصيل على حذف الياء الزائدة مثل طَوِىٍّ(٢) وأطْواء ، ولا أعرف أحداً قال هذا القول ، أعنى : جَمْعَ جَمْعِ الجَمْعِ غير الزَّجَّاجِىِّ وابن عزيز .

---

(١) قصيدة أولها : « ودع هريرة إن الركب مرتحل » ومنها قبل هذا البيت

ماروضة من رياض الحزنة معشبة خضراء جاد عليها مسبل هطل

يضاحك الشمس منها كوكب شرق مؤزر بعميم النبت مكتهـل

يوما بأطيب منهـا نشر رائحة ولا بأحسن منها إذدنا الأصل

(٢) الطوى كغنى : البئر.

رفع عبد الرحمن الهاشمي

. . . .

وقوله : وموطئ إبراهيم فى الصخر رطبة . يعنى موضع قدميه حين غسلت كَنَّتُه(١) رأسَه ، وهو راكب ، فاعتمد بقدمه على الصخرة حين أمال رأسَه ليُغسلَ ، وكانت سارة قد أخذت عليه عهداً حين استأذنها فى أن يطالع تَرْكَتَه(٢) بمكة ، فحلف لها أنه لاينزل عن دابته ، ولا يزيد على السلام ، واستطلاع الحال غَيْرَةً من سارة عليه من هاجر ، فحين اعتمد على الصخرة أبقى الله فيها أثر قدمه آيةً . قال الله سبحانه : ﴿ فيه آياتٌ بَيِّناتٌ مَقَامُ إبراهيمَ ﴾ آل عمران : ٩٧ أى : منها مقام إبراهيم ، ومن جعل مَقاماً بدلا من آياتٍ ، قال : الْمَقَامُ جمع مقامة ، وقيل : بل هو أثر قدمه حين رفع القواعدَ من البيت وهو قائم عليه(٣) .

وقوله : بين الْمَرْوَتيْنِ : هو كنحو ما تقدم فى بطن المكتين والْحَمَّتَيْن

---

(١) الكنيت بفتح فكسر : سقاء مسيك ـ بكسر فسين مشددة مكسورة ـ كثير الأخذ للماء والكنة : امرأة الابن يعنى امرأة إسماعيل

(٢) بسكون الراء وفتح التاء بيض النعام يريد به ولده إسماعيل وأمه هاجر ولو روى بكسر الراء لكان من التركة ، وهى الشىء المتروك.

(٣) روى عن ابن عباس أن المقام هو الحرم كله ، أو الحج كله ، وعن سعيد بن جبير : الحجر مقام إبراهيم ، فكان يقوم عليه ، ويناوله إسماعيل الحجارة ، ولو غسل رأسه كما يقولون لاختلت رجلاه ، واختار ابن كثير أنه الحجر الذى كان إبراهم عليه السلام يقوم عليه لبناء الكعبة لما ارتفع الجدار أتاه إسماعيل عليه السلام به ليقوم فوقه ، ويناوله الحجارة ، فيضعها بيده لرفع الجدار . وكلما فرغ من جدار نقله إلى الناحية التى تليها ، وكان هذا المقام ملصقا بجدار الكعبة قديما ، ومكانه اليوم معروف .

. . . .

وعُنَيْزَتَين ، مما ورد مُثَنًّى من أسماء المواضع ، وهو واحد فى الحقيقة ، وذكرنا العلة فى مجيئه مثنى ومجموعا فى الشعر . وفيها قوله :

وبالْمَشْعَرِ الأَقْصَى إذا قَصَدُوا له إلاَلاً

البيت . فالمشعر الأقصى : عَرَفَةُ ، وألالاً : جبل عَرَفة . قال النابغة :

يَزُرْنَ إِلاَلاً سَيْرُهُنَّ التَّدَافُعُ(١)

وسمى : إِلالاً لأن الحجيج إذا رأوه ألُّوا فى السير أى : اجتهدوا فيه ليدركوا الموقف قال الراجز :

مُهْرَ أبى الحَبْحَابِ لا تَشَلِّى بارك فيكَ اللهُ من ذى أَلِّ(٢)

والشِّراج : جمع شَرْجٍ ، وهو مسيل الماء ، والقوابلُ : المتقابلة . وفيها قوله : وحَطْمِهِمُ سُمْرَ الصِّفَاحِ : جمع صَفْح ، وهو سَطْح الجبل ، والسُّمْر يجوز أن يكون أراد به السَّمُرَ ، يقال فيه : سَمُر وسَمْر بسكون الميم ، ويجوز نقل ضمة الميم إلى ما قبلها إلى السين ، كما قالوا فى حَسُنَ : حُسْنَ ، وكذا وقع فى الأصل بضم السين ، غير أن هذا النَّقل إنما يقع غالباً فيما يراد به المدح أو الذم

---

(١) شطرة البيت الأولى : « بمصطحبات من لصاف وثبرة » وفى المراصد : إلال : جبل بعرفات . قيل جبل رمل بعرفات عليه يقوم الإمام ، وقيل عن يمين الإمام ، وقيل : هو جبل عرفة نفسه . وفى البكرى قريب مما ذكر المراصد . وقد يقال عنه الإل ، وإلال كسحاب أو كبلال .

(٢) البيت لأبى الخضر اليربوعى يمدح عبد الملك بن مروان ، وكان أجرى مهرا ، فسبق . وانظر ص ٢٣ إصلاح المنطق لابن السكيت .

. . . .

نحو حَسُن وقبُح ، كما قال : وحُسْنَ ذا أدبا . أى حَسُن ذا أَدَبًا[1] ، وجائز أن يراد بالسُّمْرِ هٰهنا جمع : أَسْمَرَ وسَمْراء ويكون وصفا للنبات ، والشجر كما يوصف بالدُّهْمَة إذا كان مُخْضَرًّا ، وفى التنزيل : ﴿ مُدْهَامَّتَانِ ﴾ الرحمن : ٦٤ أى : خضراوان إلى السواد .

وقوله : وشِبْرِقَة . وهو نبات يقال ليابسه : الحَلِيّ ، والرطبة : الشِّبْرِق .

---

(١) يقول الجوهرى : تقول : قد حسن الشىء ، وإن شئت خففت الضمة ، فقلت حسن الشىء بسكون السين ، ولا يجوز أن تنقل الضمة إلى الحاء ، لأنه خبر . وإنما يجوز النقل إذا كان بمعنى المدح والذم لأنه يشبه فى جواز النقل بنعم وبئس ، وذلك أن الأصل فيهما : نعم وبئس . . . قال سهم بن حنظلة الغنوى :

لم يمنع الناس منى ما أردت ، وما أعطيهم ما أرادوا حسن ذا أدبا

أى حسن هذا أدبا ، فخفف ، ونقله « اللسان » فى مادة حسن وقال ابن السكيت فى إصلاح المنطق ص ٤١ « يقال : عظم بضم - الظاء - البطن بطنك - وعظم بسكون الظاء - البطن بطنك بتخفيف الضمة ، ويقال عظم - بضم العين وسكون الظاء - البطن بطنك ، يخففون ضمة الظاء ، وينقلونها إلى العين ، وإنما يكون النقل فيما يكون مدحا أو ذما ، فإذا لم يكن مدحا ولا ذما ، كان الضم والتخفيف ، ولم يكن النقل ، تقول : حسن الوجه - بضم السين - وجهك ، وحسن بفتح الحاء سكون السين الوجه وجهك : وحسن بضم الحاء وسكون السين الوجه وجهك وقد حسن بسكون السين وجهك وفتح الحاء ، وحسن بضم السين وجهك قال : حسن على أن يكون على مذهب نعم وبئس ، نقل وسطه إلى أوله ، ومالم يحسن لم ينقل ، وقد حسن وجهك لا تنقل ضمة السين إلى الحاء وقد فصل هذا أيضاً التبريزى فى تهذيب إصلاح المنطق ص ٥٤ ط أولى ، ثم قال =

رفع
عبد الرحمن
المسهم
غفر الله له ولوالديه

. . . .

وقوله : نبذى محمدا(١) أى نسلبه ونُغْلَب عليه .

وقوله : نُهوضَ الرَّوايا . هى الإبل تحمل الماء واحـــدتها : راوية ، والْأَسْقِيَةُ أيضاً يقال لها : روايا ، وأصل هذا الجمع : رَوَاوِى ثم يصير فى القياس: رَوائى مثل حوائل جمع : حول ، ولـكنهم قلبوا الـكسرة فتحة بعد ما قدموا الياء قبلها، وصار وزنه: فوالع ، وإنما قلبوه كراهية اجتماع واوين ، واو فواعل، الواو التى هى عين الفعل ، ووجه آخر ، وهو أن الواو الثانية قياسها أن تنقلب همزة فى الجمع لوقوع الألف بين واوين ، فلما انقلبت همزة قلبوها ياء ، كما فعلوا فى خطايا وبابه ، مما الهمزة فيه معترضة فى الجمع ، والصَّلاصل . المزادات لها صَلْصَلَة بالماء (٢) ،

وفيها قوله : غير ذَرْبٍ مواكل . وهو مخفف من ذَرِب والذَّرِبُ : اللسان الفاحش المنطق ، والمواكل الذى لاجِد عنده فهو يكل أموره إلى غيره .

= فى شرح هذا البيت : « يريد أنه يقهر الناس ، فيمنعهم ما يريدون منه ، ولا يمنعونه ما يريد منهم لعزه ، وجعله أدبا حسنا ، وقال أبو العلاء فى معنى هذا البيت : كان ينكر على نفسه أن يعطيه الناس ، ولا يعطيهم ، وهو صواب ، وذا فاعل حسن ، وأدبا منصوب على التمييز ، وأراد حسن ، فخفف ، ونقل ، لأن هذا مذهب التعجب

(١) فى السيرة والروض يبذى بالذال وهو خطأ والصواب نبزى أى نسلب ونغلب عليه — كما شرح الخشنى وصاحب الروض — وقد رواه اللسان فى مادة : يبزى على البناء للمفعول ورفع محمد . ونقل عن شمر أن معناه : يقهر ويستذل ، وأنه من باب ضربته وأضربت به . . وأراد : لا يبزى ، فحذف لا من جواب القسم ، وهى مرادة ، أى لا يقهر ، ولم نقاتل عنه وندافع

(٢) فى شرح السيرة للخشنى : الصلاصل : جمع صلصلة . وهى بقية الماء .

. . . .

وفيها قوله : ثِمالَ اليتامى ، أى : يَشْمُلُهم ، ويقوم بهم ، يقال : هو ثِمال مالٍ أى يقوم به .

وفيها : قوله لِيُظْعِنَنَا فى أهل شاء وجامل . الشّاء والشَّوِىُّ : اسم للجمع مثل الباقر والبقير ، ولا واحد لشاء ، والشَّوِىُّ من لفظه ، وإذا قالوا فى الواحد : شاة ، فليس من هذا ؛ لأن لام الفعل فى شاة هاء بدليل قولهم فى التصغير : شُوَيْهة ، وفى الجمع شياه ، والجامل[1] اسم جمع بمنزلة الباقر .

وقوله : وكنتم زمانا[2] حَطْبَ قِدرٍ : حَطْب اسم للجمع مثل رَكْب ، وليس بجمع ، لأنك تقول فى تصغيره : حُطَيْب ورُكَيْب .

وقوله : حِطابُ أَقدُرٍ : هو جمع حاطب فلا يُصغَّر ، إلا أن ترده إلى الواحد ، فتقول : حُوَيْطبون ، ومعنى البيت: أى : كنتم متفقين لا تَحْطِبون إلا لِقِدْرٍ واحدةٍ ، فأنتم الآن بخلاف ذلك .

وفيها قوله : من الأرض بين أَخْشُبٍ ، فَمَجَادِل . أراد الأخاشب ، وهى جبال مكة[3] ، وجاء به على أَخْشُب ، لأنه فى معنى أَجْبُل ، مع أن الاسم

---

(١) فى القاموس أن جامل جمع جمل .
(٢) فى السيرة : وكنتم حديثا
(٣) هى أربعة أخاشب ، فأخشبا مكة : جبلاها ، وأخشبا المدينة : حرتاها المكتنفتان لها ، وهما لابتاها ، وأخاشب الصمان فى محلة بنى تميم ، ويروى : أخشب على أنها مفرد

رفع
المسـاهم
غفر الله له ولوالديه

. . . .

قد يجمع على حذف الزوائد كما يصغرونه كذلك ، والمَجادِل : جمع مِجْدَل وهو : القصر ، كأنه يريد ما بين جبال مكة ، فقصور الشام أو العراق ، والفاء من قوله : فمجادل تعطى الاتصال بخلاف الواو ، كقوله بين الدَّخُول فحَوْمَل ، وتقول : مُطِرْنا بين مكة فالمدينة إذا اتصل المطر من هذا إلى هذه ، ولو كانت الواو لم تعط هذا المعنى .

وقوله : أولِي جَدَلٍ من الخُصُوم المَسَاجِل يُروى بالجيم وبالحاء فمن رواه بالجيم فهو من المُسَاجَلة فى القول ، وأصله فى استقاء الماء بالسَّجْل ، وصبِّه فكأنه جمع مَساجِل على تقدير حذف الألف الزائدة من مفاعل ، أو جمع مِسْجَل بكسر الميم ، وهو من نعت الخصوم ، ومن رواه المساحِل بالحاء ، فهو جمع مِسْحل وهو اللسان ، وليس بصفة للخصوم ، إنما هو مخفوض بالإضافة ، أى : خصماء الألسنة ، وقال ابن أحمر :

مَنْ خطيبٌ إذا ما انحلَّ مِسْحَله (١)

أى : لسانهُ وهو أيضاً من السَّحْل وهو الصَّبُّ ، ومنه حديث أيوب حين فرج عنه ، فجاءت سحابة فسَحَلَتْ فى بَيْدَرِه ذهبا ، وجاءت أخرى فسَحَلت فى البيدرِ الآخر فضة(٢) .

---

(١) روايته فى اللسان :

ومن خطيب إذا ما انساح مسحله مفرج القول ميسورا ومعسورا

ومن معانى مسحل أيضا : الخطيب الماضى وغير هذا .

(٢) البيدر : الجرن أو القمح ونحوه بعد دياسه . ويقول الحافظ فى الفتح

. . . .

فصل : وفيها :

لقد سَفُهَت أحلامُ قوم تبدلوا بنى خَلَفٍ قَيْضاً بنا والغَيَاطِلِ

قَيْضاً أى : معاوضة ، ومنه قول النبى عليه السلام لذى الجَوْشن(١) : إن شئت قايَضْتُك به المختارَ من دُروع بَدْرٍ ، فقال : ما كنتُ لأقيضه

= ولم يثبت عند البخارى فى قصة أيوب شىء سوى : «بينا أيوب يغتسل عريانا خر عليه رجل جراد من ذهب ، فجعل يحثى فى ثوبه ، فناداه ربه : يا أيوب ألم أكن أغنيتك عما ترى ؟ قال : بلى يارب ، ولكن لاغنى لى عن بركتك » . ومسألة السحابة عند ابن أبى حاتم وابن جريج وابن حبان والحاكم ، ولكنها لاتخلو من غرابة ونكارة » أقول : ويجب أن نقف عند الذى ذكره القرآن ، وما صح صحة قوية عن رسول الله «ص» حتى لانرجم بالغيب فى قصص النبيين التى وصلت زياداتها إلينا عن طريق أسفار اليهود ، وألسنة اليهود التى نافقت بكلمة التوحيد ، وخدع بها الكثير من ذوى القلوب الصافية

(١) أصل الجوشن : الصدر والدرع ، قال أبو السعادات ابن الأثير : يقال إنه لقب ذا الجوشن ، لأنه دخل على كسرى ، فأعطاه جوشنا ، فلبسه فكان أول عربى لبسه ، وقال غيره : لأن صدره كان ناتئا ـ وفى القاموس مثله ، واختلف فى اسمه فقيل اسمه : أوس بن الأعور ، وقيل : شرحبيل ـ وهو الأشهر ـ بن الأعور بن عمرو ابن معاوية ، وينتهى إلى عامر بن صعصعة . وقيل : عثمان بن نوفل . وفى القاموس : شرحبيل بن قرط الأعور . ويقول ابن حجر فى الإصابة له حديث عند أبى داود من طريق أبى إسحاق عنه ، ويقال : إنه لم يسمع منه ، وإنما سمعه من ولده شمر . وفى ذخائر المواريث أن حديثه هذا هو الذى ذكره السهيلى : «أتيت النبى «ص» بعد أن فرغ من أهل بدر بابن فرس لى يقال لها القرحاء » وذكر أن أبا داود رواه فى الجهاد عن مسدد .

. . . .

اليوم بشيء يعني : فَرَساً له ، يقال له : ابن القَرْحاء . وقال أبو الشِّيص[١] :

لاتنكرى صَدِّى ولا إعراضى ليس المُقِلُّ عن الزمان براض
بُدِّلت من بُرْدِ الشباب مُلاءَةً خَلَقاً ، وبئس مَثُوبة المُقْتَاضِ

والغياطل : بنو سهم ، لأن أمهم الغَيْطَلةُ ، وقد تقدم نسبها ، وقيل : إن بنى سهم سُموا بالغياطل ، لأن رجلا منهم قتل جَانًّا طاف بالبيت سَبْعاً ، ثم خرج من المسجد فقتله ، فأظلمت مكةُ ، حتى فزِعوا من شدة الظلمة التى أصابتهم[٢] ، و الغَيْطَلَةُ : الظُّلْمة الشديدة ، والغَيْطَلةُ أيضاً : الشجرُ الملتف ، والغَيْطَلةُ : اختلاط الأصوات ، والغيطلة : البقرة الوحشية ، والغيطلة : غَلَبة النعاس ، وقوله : يُخِسُّ شعيرةً ، أى : ينقص ، والخَسيسُ : الناقص من كل شيء ، ويروى فى غير السيره : يَحُصُّ بالصاد والحاء مهملةً من حَصَّ الشَّعر :

(١) هو محمد بن رزين ، أو ابن عبد الله بن رزين ، وأبو الشيص : لقب غلب عليه ، والشيص : ردىء التمر ، وكان من شعراء الرشيد ، فأخمل أبو نواس ومسلم ابن الوليد ذكره ، ومن قصيدته هذه :

ولقد أقول لشيبة أبصرتها فى مفرق ، فنحتها إعراضى
عنى إليك ، فلست منتهيا ، ولو عممت منك مفارقى ببياض
هل لى سوى عشرين عاما قدمضت مع ستة فى إثرهن مواضى
ولقلما أرتاع منك . وإننى فيما هويت وإن وزعت لماض
فعليك ما اسطعت الظهور بلمتى وعلى أن ألقاك بالمقراض

انظر ص ٣٢٧ سمط اللآلى ، ونكت الهميان : « كان أبو الشيص أعمى » وص ١٢٣ حـ ٣ البيان للجاحظ بتحقيق الأستاذ عبد السلام هارون

(٢) أسطورة

. . . .

إذا أذهبه(١) . وقولُه : من كل طِمْلٍ وخاملِ : الطِّمْلُ : اللص ، كذا وجدته في كتاب أبي بحر ، وفي العين : الطِّمْلُ الرجل الفاحش ، والطِّمل والطِّمْلالُ : الفقير ، والطِّمْلُ : الذئب(٢) . وقوله : لِقْحَةٌ غَير باهل : الباهل : الناقة التى لا صِرَارَ على أَخْلَافها ، فهى مباحة الحَلْبِ يقال : ناقة مَصرورة ، إذا كان على خَلْفِها صِرار يمنع الفصيل من أن يرضع ، وليست المُصَرَّاةُ من هـذا المعنى ، إنما هى التى يُجمع لَبَنُها فى ضَرْعِها ، فهو من الماء الصَّرَّى(٣)، وقد غلط أبو على فى البارع ، فجعل المُصَرَّاة بمعنى المَصْرُورَةِ ، وله وجه بعيد ، وذلك أن يُحْتَجَّ له بقلبِ إحدى الراءين ياء مثل : قَصَّيْتُ أظفارى ، غير أنه بعيد فى المعنى ، وقالت امرأةُ المغيرةِ تعاتب زوجَها ، وتذكر أنها جاءته كالناقة الباهِلةِ التى لا صِرار على أخلافِهـا : أطعمتُك مَأْدُومى وأَبْثَثْتُكَ مَـكْتومى ، وجئتُك باهلاً غيرَ ذاتِ صِرَارٍ ، وفى الحديث : لا تورد الإبل بُهْلاً [أو بُهَّـلاً] ، فإن الشياطينَ تَرْضَعُها ، أى : لا أَصِرَّةَ عليها .

وفيها قوله : بُرَاءٌ إلينا من مَعَقَّةِ خاذل . يقال قومٌ بُرَاءٌ [بالضمِّ](٤)

---

(١) ويروى : لايخيس : من قولهم : خاس بالعهد : إذا نقضه وأفسده . والعائل هنا : الحائر « الخشنى ص ٩١» .

(٢) وكذلك الطمل « بكسر الطاء والميم وتشديد اللام » والطملال بكسر الطاء أما الفقير : فالطمل « والطملال والطمليل بكسر الطاء فى الجميع ، والطملول بضمها « اللسان» .

(٣) الذى طال مكثه .

(٤) الزيادة يقتضيها السياق وزيادة بهل من اللسان

. . . .

وبَرَاء بالفتح ، وبِراء بالكسر ، فأما بِراء بالكسر ، فجمعُ برىء ، مثل كريم وكِرام ، وأما بَراء فمصدر ، مثل سَلاَم والهمزةُ فيه ، وفى الذى قبله لام الفعلِ ، ويقالُ : رجلٌ بَراء ورجلان بَرَاء ، وإذا كسرتها أو ضممتها لم يجز إلا فى الجمع ، وأما بُراء بضم الباء ، فالأصل فيه بُرَآء مثل كُرَمَاء فاستثقلوا اجتماعَ الهمزتين ، فحذفوا الأولى ، وكان وزنه فُعَلاَء ، فلما حَذَفوا التى هى لام الفعل صار وزنه فُعَاء ، وانصرف لأنه أشبه فُعالا ، والنسب(١) إليه إذا سميت به : بُراوى ، والنسب إلى الآخرين بَرائىّ وبِرَائى ، وزعم بعضهم إلى أن بُراء بضم أوله من الجمع الذى جاء على فُعال ، وهى ثمانية ألفاظ : فَرير وفُرار وعَرْنَ وعُرْان (٢) ، ولم يصنع شيئاً ، وقال النحاس : بُراء بضم الباء .

(١) حكى الفراء فى براء أنه غير مصروف على حذف إحدى الهمزتين . ونص ابن جنى على أن لبرىء أربعة جموع : براء مثل ظريف وظراف ، وبرآء مثل : شريف وشرفاء ، وأبرياء مثل أصدقاء ، وبراء مثل توام ورباء بضم الأول فيهما جمع توأم ، وربى .

(٢) فى أدب الكاتب ص ٥٥٨ لابن قتيبة : « قال الفراء : الفرار بضم الفاء ولد البقرة الوحشية قال : ويقال : فرير وفرار مثل طويل وطوال وكان غيره يزعم أن فرارا : جمع فرير » ، وفى القاموس : فرير بفتح الفاء وفرار بضم الفاء وفرور بفتح الفاء الخ ولد النعجة والماعز والبقرة الوحشية ، أو هى الخرفان والحملان ، وجمعها فرار نادر . وقال أبو عبيدة ، لم يأت شىء من الجمع على فعال إلا أحرف : هذا أحدها . وأما عرق فالعظم أكل ما عليه من اللحم ، ومثله عراق بضم العين . ويقول القالى فى أماليه : لم يأت من فعال بضم الفاء جمعا إلا أحرف قليلة جداً مثل رباب جمع ربى بضم الراء وتشديد الباء مع فتح وهى الحديثة النتاج ونعم جفال : الكثيرة الشعر ، ونعم كباب كثيرة ، وفرار جمع فرير وهو ولد البقرة ، وبراء : جمع برىء . وعند ابن السكيت والسيرا فى أنها توام جمع=

رفع
المسلم
عن الله لحليل الدين

. . . .

الاستسقاء :

فصل : وذكر حديث استسقاء رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بالمدينة ، وهو حديث مَرْوِى من طرق كثيرة ، وبألفاظ مختلفة .

وقوله : حتى أتاه أهلُ الضواحى يشكون الغرق. الضواحى : جمع ضاحية ، وهى الأرض البَرازُ التى ليس فيها ما يُكِنُّ من المطر ، ولا مَنْجاة من السيول ، وقيل : ضاحية كل بلد : خارجه . وقوله عليه السلام : اللهم حَوَالَيْنا ، ولا علينا ، كقوله فى حديث آخر : اللهم مَنَابِتَ الشجر ، وبطون الأودية ، وظهور الآكام ، فلم يقل : اللهم ارفعه عنا — هو من حسن الأدبِ فى الدعاء ؛ لأنها رحمة الله ، ونعمته المطلوبة منه ، فكيف يطلب منه رفع نعمته ، وكشف رحمته ، وإنما يُسْئَل سبحانه كشف البلاء ، والمزيد من النعماء ، ففيه تعليم كيفية الاستسقاء . وقال : اللهم مَنَابِتَ الشجر ، ولم يقل : اصْرِفها إلى منابت الشجر ؛ لأن الرب تعالى أعلم بوجه اللطف ، وطريق المصاحة كان ذلك بمطرٍ

= تُوأم ، وشاة ربى وغنم رباب ، وظئر وظؤار وعرق بفتح العين وعراق ورخل بكسر الراء ورخال ، وفرير وفرار ، كل الجمع بضم الأول . وقال الزجاجى مثل قول السيرافى . وقال ابن خالويه فى كتاب ليس : عرق وعراق ، ورخل من أولاد الضأن ورخال وشاة ربى ورباب ، وتوأم وتؤام ، وفرير وفرار ولد الظبية ونذل ونذال ورذل ورذال وثنى وثناء ، وهو الولد الذى بعد البكر ، وناقة بسط أو بسط بضم الباء أو كسرها إذا كانت غزيرة والجمع : بساط ، فتكون ثلاث عشرة كلمة . وزاد الزمخشرى : عرام بمعنى عراق . ونظمها فى أبيات وزاد السيوطى عنه : نذال ، ص ٧٢ ، المزهر للسيوطى ج٢

. . . .

أو بِندًى أو طَلٍّ ، أو كيف شاء ، وكذلك بطون الأودية ، والقدر الذى يحتاج إليه من مائها .

فصل : فإن قيل : كيف قال أبو طالب :

وأَبْيضَ يُسْتَسْقَى الغَمامُ بوجهِه

ولم يَرَهُ قط استسقى ، وإنما كانت استسقاءاته عليه السلام بالمدينة فى سفر وحَضَر ، وفيها شوهد ما كان من سرعة إجابة الله له .

فالجواب : أن أبا طالب قد شاهد من ذلك أيضاً فى حياة عبد المطلب مادله على ما قال ، روى أبو سُلَيْمَان حَمَد بن محمد بن إبراهيم [بن الخطاب الخطابى] البُسْتِى النيسابورى(١) ، أن رُقَيْقَةَ(٢) بنت أبى صَيْفِىٍّ بن هاشم قالت: تتابعت على قريش سِنُو جَدْبٍ قد أَقْحَلَتْ الظِّلفَ ، وأَرَقَّت العظم ، فبينا أنا راقدةٌ اللهم ، أو مُهَوِّمة ، ومعى صِنوى إذ أنا بهاتفٍ صَيِّتٍ يصرخ بصوتٍ صَحِلٍ يقول : يا معشر قريش إن هذا النبىَّ المبعوثَ منكم ، هذا إبَّانُ

(١) هو صاحب معالم السنن توفى ببست سنة ٣٨٨ هـ كما فى معجم الأدباء ، وفى وفيات الأعيان . وفى اللباب لابن الأثير أنه توفى سنة ٣٥٤ . وبست مدينة من بلاد كابل بين هراة وغزنة وقد سمع فى اسمه : أحمد ، والأصح حمد كما ذكر والزيادة الموضوعة بين قوسين من اللباب لابن الأثير .

(٢) اسمها فى نسب قريش : رقية ، ونص قوله عن أبى صيفى « انقرض إلا من بنته رقية » ص ١٦ ولكنها رقيقة فى كثير من الكتب . وفى الاشتقاق أن أبا صيفى أحد من حضر من بنى هاشم حلف عبد المطلب وخزاعة ص ٦٩ .

رفع
المسهم

. . . .

نُجُومِه ، فَحَيَّ هَلاً بالحَيَا والخصب ، ألا فانظروا منكم رجلا طُوّالاً عُظّاماً أبيضَ فَطًّا ، أشمّ العِرْنين ، له فخر يَكْظِمُ(١) عليه. ألا فَلْيَخْلُص هو وولدُه ، وليُدْلِف إليه من كل بَطْنٍ رجلٌ ، ألا فَلْيَشُنُّوا من الماء ، وليَمَسُّوا من الطيب ، وَليطوفوا بالبيت سَبْعاً ، ألاَ وفيهم الطيب الطاهر لذاته ، ألا فليدْعُ الرجلُ ، وليؤمِّن القومُ ، ألا فَغِثْتُم أبدا ما عشتم . قالت : فأصبحتُ مذعورة قدَ قَفَّ جلدى ، ووَلِه عقلى ، فاقْتَصَصْتُ رُؤياى ، فوالحُرمةِ والحَرَم إنْ بقى أبْطَحِىٌّ (٢) إلاَّ قال : هذا شَيْبةُ الحَمْدِ ، وَتَتَامَّت عنده قريشٌ ، وانفض إليه الناس من كُلِّ بَطْنٍ رجلٌ ، فَشَنُّوا وَمَسُّوا وَاستلموا وَاطَّوَّفُوا ، ثم ارْتَقَوا أبا قُبَيْسٍ ، وطَفِقَ القوم يَدِفُّون حولَه ، ماإن يدركَ سعيُهُمْ مُهَلَةَ ، حتى قَرُّوا بذروة الجبل ، وَاسْتَكَفُّوا جَنابَيه ، فقام عبدُ المطلب ، فاعْتَضَد ابنَ ابنه محمداً — صلى الله عليه وَسلم — فرفعه على عاتِقه ، وَهو يومئذ غُلام قد أيفَع ، أو قد كَرَبَ ، ثم قال : اللهم سادَّ الخَلَّة ، وكاشفَ الكُرْبة أنت عالم غير مُعلَّم ، ومسئول غيرُ مُبَخَّلٍ ، وهذه عِبِدَّاؤُكَ ، وإماؤك بِعَذِرات حَرَمِك يشكون إليك سَنَتَهم ، فاسْمَعَنَّ اللهم ، وأمطِرنَّ علينا غَيْثاً مَريعاً مُغْدِقاً ، فما راموا والبيت ، حتى انفجرت السماء بمائها ، وكَظَّ الوادي بثَجِيجه . رواه أبو سليمان عن ابن الأعرابى . قال : حدثنا محمد بن على بن البُحْتُرِىّ ، نا يعقوب بن محمد بن عيسى بن عبد الملك بن حميد بن عبد الرحمن بن عوف ،

---

(١) لا يبدو به ولا يظهره .

(٢) فى رواية « فتمت فى شعاب مكة فما بقى بها أبطحى الخ » .

. . . .

نا عبد العزيز بن عِمْران ، عن ابن حُوَيِّصَةَ ، قال يحدث مَخْرَمة بن نُفَيل عن أمه رُقَيْقَة بنت أبى صَيْفِىٍّ .

وذكر الحديث ، ورواه بإسناد آخر إلى رُقَيْقَة ، وفيه : ألا فانظروا منكم رجلا وَسيطا عُظَاما جُسَاما أَوْطَف الأهداب ، وأن عبد المطلب قام ومعه رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قد أَيْفَعَ أو كَرَبَ ، وذكر القصة(١) .

---

(١) دلت الأحاديث الصحيحة على مشروعية صلاة الاستسقاء ، وبذلك قال جمهور العلماء من السلف والخلف ، ولم يخالف فى ذلك إلا أبو حنيفة مستدلا بأحاديث الاستسقاء التى ليس فيها صلاة ، وقد وقع الإجماع من المثبتين للصلاة على أنها ركعتان ، ووقع الاتفاق على أنها سنة غير واجبة . وفى كيفيتها خلاف فارجع إليها فى كتب السنة والفقه . أقول : إذا كان المعتمد هنا هو الحديث ، فلم لا نقول إنها تجوز بصلاة فيها دعاء ، وتجوز بالدعاء من غير صلاة ؟ !

هذا وليس فى البخارى ما رواه ابن هشام إنما فيه ما رواه بسنده عن عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن أبيه قال : سمعت ابن عمر يتمثل بشعر أبى طالب « وأبيض الخ » وروى أيضاً من حديث سالم عن أبيه : ربما ذكرت قول الشاعر وأنا أنظر إلى وجه النبى يستسقى . فما ينزل حتى يجيش كل ميزاب : « وأبيض الخ » أما القول المنسوب إلى الرسول « ص » فى السيرة : لو كان أبو طالب الخ فلم يروه أحد من أصحاب الصحيح كالحديث الذى ذكر فى الروض . وأحب أن أذكرهنا بما رواه الخمسة عن أنس رضى الله عنه قال : جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو يخطب يوم الجمعة ، فقال : يا رسول الله هلكت المواشى ، وانقطعت السبل ، فادع الله ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفى رواية : فرفع يديه — ثم قال : اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا ، فمطروا من جمعة =

رفع المسـهم

. . . .

ابن الأسلت وقصيدته :

فصل : وذكر ابنُ هشام[1] كل من سماه أبو طالب فى قصيدته ،

إلى جمعة ، فجاء رجل ، فقال : يارسول الله تهدمت البيوت ، وتقطعت السبل ، وهلكت المواشى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم على رءوس الجبال والآكام وبطون الأودية ومنابت الشجر ، وفى رواية : اللهم حوالينا ، ولاعلينا ، فانجابت عن المدينه انجياب الثوب ، فجعلت تمطر حولها ، لاتمطر بها قطرة ، فنظرت إلى المدينةوإنها لفى مثل الإكليل رواه الخمسة إلا الترمذى . وفى الحديث المتفق عليه أنه «ص» خرج بالناس إلى المصلى يستسقى ، فصلى بهم ركعتين جهر فيهما بالقراءة ، واستقبل القبلة يدعو ، ورفع يديه ، فما حول رداءه حين استقبل القبلة ، وكان إذا رأى المطر يقول : اللهم صيبا نافعا ، وروى عنه أنه كان يخرج متبذلا متواضعا متخشعا متضرعا « الترمذى والنسائى وأبو داود وابن ماجة » .

ومن الأحاديث الصحيحة ، نؤمن أن الاستسقاء النبوى إنما هو إلى الله ضراعة وابتهال فى صلاة أو فى غير صلاة ، وأن التوسل بذات فلان أو وجهه أو جاهه ليس من هدى الرسول «ص» ولاسنته ، فلنحذر نزغة الشرك ، ولم يخرج قصة عبدالمطلب أحد من أصحاب الصحيح ، وإنما هى عند ابن عساكر وابن أبى الدنيا وابن سعد والبيهقى والطبرانى . ورواية الحديث بهذه الصورة لا توحى بالاقتداء فإنه عمل عبدالمطلب ، وهى لاتثبت جواز الاستسقاء بالوجوه أو بالذوات ،فالرواية تسند إلى عبد المطلب أنه دعا الله ، ولم يدعه بوجه أحد أوذات أحد .

ولم تسند إليه الرواية أنه حمل محمدا معه ليستسقى بوجهه أو بذاته . وحمل عبد المطلب ابن ابنه فى مثل هذا أمر تفرضه عاطفة رجل شيخ ، فقد ابنه ، فهو يحبه مرتين فى هذا الحفيد العظيم .

(١) ذكر ابن هشام حديث الأخنس ، وهو صحابى من مسلمة الفتح شهد حنينا ومات أول خلافة عمر

رفع
المسـهم

أو أشار إليه ، وعرف بهم تعريفاً مُستغنيا عن المزيد . وذكر قصيدة أبى قيس صَيْفِى بن الأَسْلَت ، واسمُ الأسلتِ : عامرٌ ، والأَسْلَتُ : هو الشديد القَطَسِ يقال : سَلَتَ اللهُ أنفَه ، ومن الأسلت حديث بشر بن عاصم حين أراد عمر أن يستعمله ، فلما كتب له عهدَه أبى أن يقبله ، وقال : لا حاجة لى به . إنى سمعت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقول : إن الوُلاةَ يُجاء بهم يوم القيامة ، فيقفون على جِسْرِ جَهَنَّمَ ، فمن كان مُطاوِعاً لله تناوله بيمينه حتى ينجيه ، ومن كان عاصيا لله انخرق به الجسر إلى وادٍ من نارٍ تلتهب التهابا ، قال : فأرسل عمرُ إلى أبى ذَرّ ، وإلى سَلْمانَ ، فقال لأبى ذَرّ : أنت سمعت هذا من رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : نعم والله ، وبعد الوادى وادٍ آخر من نارٍ . قال : وسأل سَلْمانَ ، فكره أن يخبره بشىء ، فقال عمر : من يأخذها بما فيها (١) ؟ فقال أبو ذر . من سَلَتَ اللهُ أنفَه وعينيه ، وأَضْرَعَ خَدَّه إلى الأرض ذكره ابن أبى شيبة .

وأول القصيدة : يا راكبا إمّا عَرَضت فَبَلِّغَنْ . البيت . المُغَلْغَلَةُ : الداخلة إلى أقصى ما يراد بُلوغه منها(٢) ، ومنه تغلغل فى البلاد : إذا بالغ فى الدخول فيها ، وأصله : تَغَلَّلَ وَمُغَلَّلَة ، ولكن قلبوا إحدى اللامين غينا ، كما فعلوا فى كثير من المضاعَف ، وأصله من الغَلَل والغِلالَةِ ، فأما الغَلَلُ فماء يستره النباتُ والشجرُ ، وأما الغِلالَةُ فساترةٌ لما تحتها

وفيها . نُبَيِّئُكم شَرْجَيْن . أى : فريقين مختلفين ، ونُبَيِّئُكم لفظٌ مشكل

(١) يعنى الخلافة .
(٢) المغلغلة : الرسالة .

رفع المسهم

. . . .

وَفى حاشية الشيخ : نبيتكم شَرْجَين(١) ، وَهو بيِّن فى المعنى ، وَفيه زِحاف خَرْم ، وَلكن لا يعاب المعنى بذلك ، وَأما لفظ التَّبَيُّت فى هذا البيت ، فبعيد من معناه ، وَالأزْمَلُ : الصوت ، وَ المُذْكى : الذى يوقد النار ، وَالحاطب : الذى يَحْطِب لها ، ضُرِب هذا مثلا لنار الحرب ، كما قال الآخر :

أرى خَلَلَ الرَّمادِ وَميضَ جَمْرٍ — وَيوشك أن يكونَ لها ضِرام

فإن النارَ بالعُودين تُذْكَى — وإن الحربَ أولُها الكلامُ(٢)

وقوله : هى الغُول للأدنى(٣) ، أى : هى الهلاك ، يقال : الغضبُ : غول الحِلْم ، أى يهلكه ، والغَوْلُ بفتح الغين : وَجَعُ البطن ، قاله البخارى فى تفسير قوله : ﴿ لا فيها غَوْلٌ ﴾ . وقوله : وإحلالُ إحرامِ الظباء الشَّوازِب(٤) . أى : إن بلدَكم بلدٌ حَرَامٌ تأمن فيه الظباء الشوازِبُ التى تأتيه من بُعْدٍ ، لتأمنَ

---

(١) والذى فى السيرة : نبيتكم .

(٢) من أبيات ضمنها نصر بن سيار والى خراسان فى آخر أيام بنى أمية ـ كتابه إلى مروان بن محمد حينما وجد أمر أبى مسلم الخراسانى يشتد فى الدعوة إلى آل العباس . ومنها :

أقول من التعجب : ليت شعرى — أأيقاظ أمية أم نيام

فإن يك قومنا أضحوا نياما — فقل : قوموا ، فقد حان القيام

ففرى عن رحالك ، ثم قولى — على الإسلام والعرب السلام

ص ٢٥٦ ح ٣ مروج الذهب .

(٣) فى السيرة : للأقصين .

(٤) التى يحرم صيدها فى الحرم « الخشنى »

. . . .

فيه ، فهى شازِبة أى : ضامرة من بعد المسافة ، وإذا لم تَحِلُّوا بالظباء فيه ، فَأَحْرَى ألا تَحِلُّوا بدمائكم ، وإحرامُ الظباء : كونُها فى الحرم ، يقال لمن دخل فى الشهر الحرام ، أو فى البلد الحرام : مُحْرِمٌ . والأَتْحَمِيَّةُ : ثيابٌ رِقاقٌ تصنع باليمن ، والشليل : دِرْعٌ قصيرة(١) ، والأَصْدَاء : جمع صَدَأ الحديد ، والقَتِير : حَلَقُ الدِّرْع (٢) شبهها بعيون الجَرَادِ ، وأخذ هذا المعنى التَّنُوخِىُّ فقال :

كأثوابِ الأراقمِ مَزَّقتها ... نخاطتها بأعينها الجرادُ

وقوله فى وصف الحرب :

تَزَيَّن للأقوام ، ثم يَرَوْنَها ... بعاقبةٍ إذْ بَيَّنت أُمَّ صاحب

هو كقول عمرو بن معدى كرب :

الحربُ أولُ ما تكون فَتِيَّةٌ ... تسعى بِبِزَّتِها لكل جَهُول

حتى إذا اشتعلت وشَبَّ ضِرامُها ... ولَّت عجوزًا غيرَ ذاتِ خليل

شَمْطاء جَزَّت رأسَها ، فتنكرت ... مكروهةً للشَّمِّ والتَّقْبِيل

---

(١) أو هى ثياب تلبس تحت الدروع .

(٢) فى اللسان : الصدأ مهموز مقصور : الطبع والدنس يركب الحديد ، وصدأ الحديد : وسخه . وفى شرح الخشنى : أصداء : يعنى دروعا متغيرة بالصدأ . وفى الخشنى أيضاً : أن القتير : مسامير حلق الدروع

رفع
المسهم
عز الله بعطاياه

. . . .

فقوله : أم صاحب ، أى : عجوزاً كأم صاحب لك ، إذ لا يصحب الرجلَ إلا رجُلٌ فى سنه ، وفى جامع البخارى : كانوا إذا وقعت الحرب يأمرون بحفظ هذه الأبيات، يعنى: أبيات عمرو المتقدمة . وقوله : ألم تعلموا ما كان فى حرب داحسٍ . يُذْكَر معنى داحسٍ إذا ذكره ابن إسحاق بعد هذه القصيدة إن شاء الله تعالى .

وقوله فيها : وَلِىّ امرىء فاختار ديناً فإنما (١) . أى : هو ولى امرىء اختار ديناً ، والفاء زائدة على أصلِ أبى الحسن ، قال فى قولهم : زيداً فاضرِب : الفاء مُعَلَّقة أى : زائدة ، ومن لا يقول بهذا القول يجعل الفاء عاطفة على فعل مضمر ، كأنه قال : ولى امرىء تَدَيَّن ، فاختار ديناً ، أو نحو هذا ، وقد تقدم شرح باقى القصيدة فى آخر قصة الحبشة .

وقال فيها : كريم المضارب ، وفى حاشية كتاب الشيخ : لعله الضرائب ، يريد : جمع ضريبة ، ولا يبعد أيضاً أن يكون قال : المضارب . يريد أن مضارب سيوفهِ غير مذمومة ، ولا راجعة عليه إلا بالثناء والحمد والوصف بالمكارم .

وفيها قوله : وماء هُريق فى الضلال . ويروى : فى الضِّلال جمع ضَلَّة ، وهى الأرض التى لا تمسك الماء . أى رُبَّ ماء هُريق فى الضلال من أجل السراب ، لأنه لا يُهْرِيقُ ماءً من أجل السَّرابِ إلا ضال غير مميز بمواضع

(١) فى السيرة : فلا يكن بدلا من « فإنما »

. . . .

الماء ، وأذاعت به، أي: بددته ، فلم ينتفع به ، وهذا مثل ضربه للنظر في عواقب الأمور ، ويروى : وما اهْرِيق في أمر ، ومعناه : والذي أُهْرِيق في أمر الضلال ، فوصل ألف القطع ضرورة ، ويقال : أُرِيق الماء ، وأُهْرِيق بالجمع بين الهمزة والهاء ، وهي أقلها ، ولتعليلها موضع غير هذا .

وقوله فيها : بين سافٍ وحاصب : السافي : الذي يَرْمي بالتراب ، والحاصب الذي يَقْذف بالحصباء .

وفيها ذكر الجَباجِب ، وهي منازل منى . كذا قال ابن إسحاق ، وقال البَرْقِيُّ : هي حُفَر بمنى ، يجمع فيها دم البُدْن ، والهدايا ، والعرب تعظمها وتفخر بها ، وقيل: الجباجب : الكُروش . يقال للكَرِش : جَبْجَبة بفتح الجيم ، والذي تقدم واحدُه : جُبْجُبَة بالضم (١) .

حرب داحس:

فصل : وذكر حديث حرب داحس مختصراً ، وداحس : اسم فرس كان لقيس بن أبي زهير ، ومعنى داحس : مدحوس كما قيل : ماء دافق ، أي : مدفوق ، والدَّحْسُ : إدخال اليد بقوة في ضيق ، كما روى أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — مر بغلام يسلخ شاة ، فأمره أن يتنحى ليريه ، ثم دَحَس (٢)

---

(١) المراصد : الجبجبة بالضم : ماء معروف بنواحي اليمامة . والجبا جب والأخاشب : جبال مكة .

(٢) أدخلها بين جلدها ولحمها ليسلخها ، وفي الأصل عن الإبط التي ستأتي : الاربط : والتصويب من اللسان والنهاية لابن الأثير

. . . .

عليه السلام بيده بين الجِلْد واللحم ، حتى بلغ الإبِطَ ثم صلى ، ولم يتوضأ .
فَدَاحِسٌ سمى بهذا الاسم ؛ لأن أمه كانت لرجل من بنى تَمِيمٍ ، ثم من بنى يَرْبُوعٍ اسمه : قِرْواش بن عَوْف ، وكان اسم الفرس : جَلْوَى ، وكان ذو العُقَّال فرساً عتيقاً لِحَوْطِ بن جابر ، فخرجت به فتاتان له ، لتسقياه ، فبصر بجَلْوَى ، فأَدْلَى حين (١) رآها ، فضَحِك غِلْمَةٌ كانوا هنالك ، فاستحيت الفتاتان ، ونكَّستا رأسيهما ، فأفلت ذو العُقَّال حتى نَزَا على جَلْوى ، وقيل ذلك لِحَوْطٍ فأقبل مغضباً ، وهو يسعى حتى ضرب بيده فى التراب ، ثم دَحَسها فى رَحم الفرس ، فسطَا عليها ، فأخرج ماء الفحل منها ، واشتملت الرحمُ على بقية الماء ، وحملت بمهر فسمَّوه : داحِساً ، وأظهرُ ما فيه أن يكون مِثْلَ : لابِنٍ وتامِرٍ ، وأن لا يكون فاعِلا بمعنى مفعول ، فهوداحس بن ذى العُقَّال بن أَعْوَجَ الذى تُنْسب إليه الخيل الأَعْوَجِيَّة (٢) فى قول بعضهم ، وقد تقدم غير هذا القول ـ ابن سَبَلٍ (٣) ، وكان لغنى بن يَعْصُر ، وفيه يقال :

---

(١) أدلى الفرس وغيره أخرج جردانه ليبول ، أو يضرب .

(٢) أعوج : فرس لبنى هلال تنسب إليه الأعوجيات كان لكندة ، فأخذته سليم ، ثم صار إلى بنى هلال، أو صار إليهم من بنى آكل المرار ، وفرس لغنى ابن أعصر أو يعصر كما فى الروض

(٣) فى اللسان عن الأصمعى أن سبل هى أم أعوج وكانت لغنى ، وأعوج لبنى آكل المرار، ثم صار لبنى هلال بن عامر

رفع المسهم غفرالله له ولوالديه

. . . .

إن الجوادَ بن الجواد بن سَبَل   إنْ دَيَّمُوا جاد ، وإن جادَ وَبَل[(١)]

وفي ذي العُقَّال يقول جرير :

تمسي جيادُ الخيل حول بيوتنا   من آل أعوجَ ، أو لذي العُقَّال[(٢)]

وأنشد :

أَفَبَعْد مَقْتَلِ مالكِ بن زُهَيْرٍ   ترجو النساء عواقبَ الأطهار[(٣)]

وفيه إقواء ، وهو حذف نصف سبب من القسم الأول ، وقد تكلمنا على معنى الإقواء قبل ، وأما اختلاف القوافي فيسمى : اكتفاء ، وإقواء أيضاً لأنه من الكُفْء ، فكأنه جعل الرفع كفئاً للخفض ، فسوى بينهما . وفيها قوله :

---

(١) قال ابن برى : الشعر لجهم بن شبل ، وقال أبو زياد الكلابي : وهو من بني كعب بن بكر . . قال وقد أدركته يرعد رأسه ، وهو يقول :

أنا الجواد بن الجواد بن سبل   إن ديموا جاد ، وإن جادوا وبل

قال ابن برى : فثبت بهذا أن سبل اسم رجل وليس باسم فرس . هذا ماذكره اللسان في مادة سبل ، وفي مادة : دوم رواه : «هو الجواد الخ» .

(٢) وفي النقائض «إن الجياد يبتن حول قبابنا»

(٣) القصيدة للربيع بن زياد بن عبد الله بن سفيان بن قارب العبسي ، وقد ذكر ابن هشام نسبه مختصرا وأول قصيدته :

نام الخلي ، وما أغمض حار   من سيء النبأ الجليل الساري

ص ٨١ وما بعدها ح ١ النقائض بين جرير والفرزدق لأبي عبيدة معمر ابن المثنى ط ١٣٥٣ هـ ، ص ١٥١ ح ١ أمالي المرتضى

رفع
المسـ هم
عز الله أيطيالدين

. . . .

ترجو النساء عواقبَ الأطهار . كقول الأخطل :

قوم إذا حاربوا شدوا مآزرهم   دون النساء ولو باتت بأطهار

فيقال : إن حرب داحس دامت أربعين سنة ، لم تحمل فيها أنثى ، لأنهم كانوا لا يقربون النساء ما داموا محاربين ، وذكر الأَصْبهَانِيُّ أن حرب داحِس كانت بعد يوم جَبَلة بأربعين سنة ، وقد تقدم يوم جَبَلة ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد فى تلك الأيام ، وقال لبيد :

وغَنِيتُ حَرْساً قبل مَجْرى داحسٍ
لو كان للنفسِ اللَّجُوجِ خُـــلُودُ

وكان لبيدٌ فى حربِ جَبَلةَ ابنَ عَشْرِ سنين ، وقوله : حَرْساً أى : وقتاً من الدهر ، وَيروى سَبْتاً وَالمعنى وَاحد ، وَكان إجراء داحس وَالغبراء على ذاتِ الإصادِ موضعٍ فى بلاد فَزَارَةَ ، وَكان آخرُ أيام حرب داحس بقَلَهَى من أرضِ قيس ، وَهناك اصطلحت عبس وَمَنُولة : وَهى أم بنى فَزَارة : شَمْخ وَعَدِى وَمازن ، فيقال لهذا الموضع : قَلَهَى ، وَأما قَلَهِّى فموضع بالحجاز ، وَفيه اعتزل سعدُ بن أبى وَقاص حين قُتل عثمان ، وَأمر ألاّ يُحَدَّث بشىء من أخبار

---

(١) فى اللسان فى مادة سبت وجرى رواه :

وغنيت سبتاً قبل مجرى داحس . وفى الأصل : مجراه

(٢) فى المراصد : الإصاد : اسم الماء الذى لطم عليه داحس ، وكانت الحرب المشهورة بسببها ، وذات الإصاد . ردهة فى ديار بنى عبس وسط هضب القليب

رفع
المسايهم
عزالله لطالدي

ذكرى ما لقيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من قومه

مفتريات قريش وإيذاؤهم للرسول (ص):

قال ابن إسحاق: ثم إن قريشا اشتدّ أمرهم للشقاء الذى أصابهم فى عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومَنْ أسْلم معه منهم، فأغْرَوْا برسول الله صلى الله عليه وسلم: سفهاءهم، فكذّبوه، وآذَوْه، ورموه بالشِّعر والسِّحر والكَهانة والجنُون، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم مُظْهِرٌ لأمر الله لا يَسْتخفى به، مُبادِلهم بما يكرهون من عَيْب دينهم، واعتزال أوثانهم، وفراقه إيَّاهم على كفرهم.

الناس، وَألا يسمع منها شيئاً، حتى يصطلحوا، وَيقال: إن الخَنْفاء كانت فرسَ حُذَيفَةَ(١)، وَأنها أجريت مع الغبراء ذلك اليوم، قال الشاعر:

إذا كان غيرُ الله للمرء عُدَّةً ... أتته الرَّزايا من وُجوه الفوائد

فقد جرَّت الخَنْفاء حَتْفَ حُذَيفَةٍ ... وَكان يراها عُدَّةً للشدائدِ(٢)

وَأما حرب حاطب الذى ذكرها، فهى حربٌ كانت على يد حاطب بن الحارث بن قَيْس بن هَيْشَة بن الأوسِ، فنُسبَت إليه، وَكانت بين الأوس وَالخزْرج.

---

(١) فى اللسان أن الحنفاء أخت داحس لأبيه من ولد العقال، والغبراء: خالة داحس، وأخته لأبيه !! والحنفاء: فرس حجر بن معاويه.

(٢) فصل القول فى حرب داحس كتاب النقائض بين جرير والفرزدق لأبى عبيدة ص ٧٦ ح ١

قال ابن إسحاق : فحدثني يَحْيي بنُ عروة بن الزبير ، عن أبيه عُرْوة ابن الزبير ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال : قلت له : ما أكثرُ ما رأيتَ قريشا أصابوا من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فيما كانوا يُظْهِرون من عداوته ؟ قال : حضرتُهُم ، وقد اجتمع أشرافهم يوما في الحِجر ، فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : ما رأينا مثلَ ماصَبَرْنا عليه من أمر هذا الرجل قطُّ : سفَّه أحلامَنا ، وشتم آباءنا ، وعاب دِينَنا ، وفرّق جماعتنا ، وسبَّ آلهتنا ، لقد صبرنا منه على أمر عظيمٍ ، أو كما قالوا ، فبيناهم في ذلك إذطلع رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم- فأقبل يمشي حتى استلم الركن ، ثم مرّ بهم طائفا بالبيت ، فلما مرّ بهم غَمَزُوه ، ببعض القول ، قال : فعرفت ذلك في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : ثم مضى ، فلما مرّ بهم الثانيةَ غمزوه بمثلها ، فعرفتُ ذلك في وجه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ثم مرّ بهم الثالثةَ فغمزوه بمثلها ، فوقف ، ثم قال : أتسمعون يامعشرَ قُريش ؟! أما والذي نفسي بيده ، لقد جِئْتُكم بالذَّبْح . قال : فأخذت القومَ كلمتُه حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائرٌ واقع ، حتى إن أشدّهم فيه وَصَاةً قَبْل ذلك ليَرْفَؤُه بأحسن ما يجدُ من القول ، حتى إنه ليقول : انصرفْ يا أبا القاسم ، فوالله ما كنتَ جهولا . قال فانصرف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا كان الغدُ اجتمعوا في الحِجْر وأنا معهم ، فقال بعضُهم لبعض : ذكرتم ما بلغ منكم ، وما بلغكم عنه ، حتى إذا بادأكم بما تكرهون تركتموه . فبيناهم في ذلك طلع عليهم رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم- فوثبوا إليه وثبةَ

. . . .

رفع المسهم

برجلٍ واحد ، وأحاطوا به ، يقولون : أنت الذى تقول كذا وكذا ، لِماَ كان يقول من عَيب آلهتهم ودينهم ؟! فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم أنا الذى أقول ذلك ، قال: فلقد رأيت رجلا منهم أخذ بمجمع ردائه . قال : فقام أبو بكر رضى الله عنه دونه ، وهو يبكى ويقول : أتقتلون رجلا أنْ يقول ربى الله ؟ ! ثم انصرفوا عنه ، فإن ذلك لأشدّ ما رأيتُ قريشا نالوا منه قطّ .

قال ابن إسحاق : وحدثنى بعضُ آل أُمّ كُلْثوم ابنة أبى بكر ، أنها قالت : رجع أبو بكرٍ يومئذٍ وقد صَدَعوا فَرْق رأسه ، ممَّا جَبَذُوه بِلِحْيته ، وكان رجلاً كثيرَ الشعر .

قال ابن هشام : حدثنى بعض أهلِ العلم : أن أشدّ مالقى رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش أنه خرج يوما فلم يَلقه أحدٌ من الناس إلا كذّبه وآذاه ، لا حُرّ ولا عَبْد ، فرجع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى منزله ، فتدثَّر من شدّة ما أصابه ، فأنزل الله تعالى عليه : «يأيُّها المُدَّثِرُ ، قُمْ فأَنْذِرْ» المدثر : ١، ٢

إسلام حمزة رضى الله عنه

قال ابن إسحاق : حدثنى رجل من أسْلم ، كان واعيةً : أنّ أبا جهل مرّ برسول الله صلى الله عليه وسلم عند الصَّفا فآذاه وشتمه ، ونال منه بعضَ ما يكره من العَيْب لدينه ، والتضعيف لأمره ، فلم يكلِّمه رسولُ الله — صلى الله

. . . .

عليه وسلم ، ومَوْلاةٌ لعبدالله بن جُدْعان بن عمرو بن كَعْب بن سَعْد بن تَيْم ابن مُرّة فى مَسْكن لها تسمع ذلك ، ثم انصرف عنه ، فعَمَد إلى ناد من قريش عند الكعبة ، فجلس معهم ، فلم يلبث حمزةُ بن عبد المطلب رضى الله عنه أن أقْبل مُتَوَشِّحا قوسَه ، راجعا من قَنَصٍ له ، وكان صاحبَ قَنَصٍ يَرْميه ، ويخرج له ، وكان إذا رجع من قَنَصه لم يصل إلى أهله ، حتى يطوف بالكعبة ، وكان إذا فعل ذلك لم يمرّ على ناد من قريش إلا وقف ، وسلم ، وتحدّث معهم ، وكان أعزّ فتى فى قريش ، وأشدّ شَكِيمة ، فلما مرّ بالمَوْلاةِ ، وقد رجع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى بيته قالت له : يا أبا عُمارة ، لو رأيتَ ما لقى ابنُ أخيك محمدٌ آنفا من أبى الحكَم بن هشام : وَجَده هاهنا جالسا ، فآذاه وسبَّه وبلغ منه مايكره ، ثم انصرف عنه ، ولم يكلِّمه محمدٌ صلى الله عليه وسلم .

فاحتمل حمزةَ الغضبُ لِمَا أراد الله به من كرامته ، فخرج يسعى ، ولم يَقِفْ على أحد ، مُعِدًّا لأبى جهل إذا لَقِيه أن يُوقع به ، فلما دخل المسجد نظر إليه جالسا فى القوم ِ فأقبل نحوه ، حتى إذا قام على رأسه ، رفع القوس ، فضربه بها ، فشجه شجَّةً مُنكرة ، ثم قال : أتشتمه ؟ فأنا على دينه أقول مايقول ؟! فَرُدَّ ذلك علىّ إن استطعت . فقامت رجالٌ من بنى مخزوم إلى حَمْزة ، لينصروا أبا جهل ، فقال أبو جهل : دعُوا أبا عُمارة ، فإنى والله قد سَبَبْتُ ابن أخيه سبًّا قبيحا ، وتَمّ حمزةُ رضى الله عنه على إسلامه ، وعلى ما تابع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من قومه . فلما أسلم حمزةُ عرفت قريشٌ

. . . .

رفع
المسـاهم

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عزّ وامتنع ، وأنّ حمزةَ سيمنعه ، فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه .

عتبة بن ربيعه يذهب إلى الرسول (ص)

قال ابن إسحاق : وحدثنى يزيد بن زياد، عن محمد بن كَعْب القُرَظىّ، قال : حُدّثت أن عُتبة بن ربيعة ـ وكان سيِّداً ـ قال يوماوهو جالس فى نادى قريش، ورسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ جالس فى المسجد وحده : يا معشر قريش ، ألا أقوم إلى محمد فأ كلِّمَه ، وأعْرِضَ عليه أموراً لعلَّه يقبل بعْضَها ، فنعطيه أيَّها شاء ، ويكفّ عنَّا ؟ وذلك حين أسلم حمزةُ ، ورأوْا أصحابَ رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يزَيدون ويكْثُرون ؛ فقالوا : بلى يا أبا الوليد ، قُم إليه ، فكلِّمه ، فقام إليه عُتبةُ حتى جلس إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقال : يا بن أخى ، إنك منَّا حيثُ قد علمتَ من السِّطَة فى العشيرة ، والمكان فى النَّسب ، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم ، فرَّقْتَ به جماعتهم ، وسفَّهت به أحلامهم ، وعِبْت به آلهتهم ودينَهم ، وكفّرت به مَن مضى من آبائهم ، فاسمع منى أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضَها . قال : فقال له رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : قُلْ يا أبا الوليد ، أسمَع ، قال : يا بن أخى إن كنت إنما تريد بما جئتَ به من هذا الأمر مالا ، جمعنا لك من أموالنا ، حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت تريد به شرفا سوّدناك علينا ، حتى لا نقطع أمراً دونك ، وإن كنت تريد به مُلْكا ملَّكناك علينا ، وإن كان

هذا الذى يأتيك رَئِيًّا تراه لا تستطيع ردَّه عن نفسك ، طلبنا لك الطبَّ ، وبذلنا فيه أموالنا حتى نُبرئك منه ، فإنه ربما غلب التابعُ على الرجل حتى يُداوَى منه ، أو كما قال له ، حتى إذا فرغ عتبةُ ، ورسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — يستمع منه ، قال : أقد فرغتَ يا أبا الوليد ؟ قال : نعم ، قال : فاسمَعْ منى ، قال : أفعل ، فقال : ﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ . حمٓ . تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ . كِتابٌ فُصِّلَتْ آياتُهُ قُرآنا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ . بَشِيراً وَنَذِيراً ، فأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ ، فهم لا يَسْمَعُونَ ، وَقالُوا : قُلُوبُنا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونا إِلَيْهِ ﴾ . فصلت : ١ — ٥ . ثم مضى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فيها يقرؤها عليه ، فلما سمعها منه عتبةُ أنصت لها ، وألقى يديْه خلفَ ظهره معتمدا عليهما ، يسمع منه ، ثم انتهى رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — إلى السجدة منها ، فسجد ثم قال : قد سمعتَ يا أبا الوليد ما سمعتَ ، فأنت وذاك .

فقام عتبة إلى أصحابه ، فقال بعضُهم لبعض : نحلف بالله : لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوَجْه الذى ذهب به . فلما جلس إليهم قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد ؟ قال : ورائى أنى قد سمعتُ قولا والله ما سمعت مثلَه قطُّ ، والله ما هو بالشِّعْر ، ولا بالسِّحر ، ولا بالكهانة . يا معشرَ قُريش ! أطيعونى واجعلوها بى ، وخلُّوا بين هذا الرجل ، وبين ما هو فيه ، فاعتزلوه ، فوالله ليكونن لقوله الذى سمعتُ منه نبأٌ عظيم ، فإن تُصبْه العربُ فقد كُفِيتُمُوه بغيركم ، وإن يَظْهَرْ على العرب ، فمُلْكُه مُلْكُكم ، وعزه عزُّكم ، وكنتم أسعدَ الناس به ، قالوا : سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه ، قال : هذا رأيى فيه ، فاصنعُوا مابدا لكم .

بين النبي (ص) وبين قريش

قال ابن إسحاق : ثم إن الإسلام جعل يَفْشو بمكة فى قبائل قريش فى الرجال والنِّساء ، وقُريش تحْبِس مَنْ قَدَرَت على حَبْسه ، وتَفْتن من استطاعت فِتْنَتَه من المسلمين ، ثم إن أشراف قُريش من كل قَبيلة — كما حدثنى بعضُ أهل العلم عن سَعيد بن جبير ، وعن عِكْرِمة مولى ابن عبَّاس ، عن عبدالله بن عباس رضى الله عنهما قال :

اجتمع عُتْبة بن ربيعة ، وشَيْبة بن ربيعة ، وأبو سُفيان بن حَرْب ، والنَّضْر بن الحارث ، أخو بنى عبد الدّار ، وأبو البَخْتَرِىّ بن هشام ، والأسودُ بن المطَّلِب بن أسدٍ ، وَزَمَعة بن الأسود ، والوليد بن المُغيرة ، وأبو جهل بن هشام — لعنه الله — وعبد الله بن أبى أمية ، والعاصُ بن وائل ، ونُبيه ومُنَبِّه ابنا الحجَّاج السّهميَّان ، وأمية بن خلف ، أو من اجتمع منهم . قال : اجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظَهْر الكعبة ، ثم قال بعضهم لبعض : ابعثوا إلى محمد فكلِّموه وخاصموه حتى تُعْذِروا فيه ، فبعثوا إليه : إن أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلِّموك ، فأْتهم ، فجاءهم رسول الله — صلى الله عليه وسلم — سريعا ، وهو يظنّ أنْ قد بدا لهم فيما كلَّمهم فيه بَدَاء ، وكان عليهم حريصا يحب رشدَهم ، ويعزّ عليه عَنَتُهم ، حتى جلس إليهم ، فقالوا له يا محمد ، إنا قد بعثنا إليك ؛ لنكلِّمك ، وإنَّا والله ما نعلم رجلا من العرب أدْخل على قومه مثلَ ما أدخلتَ على قومك ، لقد شتمتَ الآباء ، وعِبْتَ

الدين ، وشتمتَ الآلهة ، وسفَّهت الأحلامَ ، وفرقت الجماعة ، فما بقى أمرٌ قَبيحٌ إلا قد جِئْتَه فيما بيننا وبَيْنك ـ أو كما قالوا له ـ فإن كنتَ إنما جئتَ بهذا الحديث تطلب به مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت إنما تطالب به الشَّرَف فينا ، فنحن نُسَوِّدك علينا ، وإن كنت تريد به مُلكا ملَّكناك علينا ، وإن كان هذا الذى يأتيك رَئِيًّا تراه قد غلب عليك ـ وكانوا يسمون التابع من الجنّ رَئِيًّا ـ فربما كان ذلك ، بذلنا لك أموالَنا فى طَلَب الطبّ لك حتى نُبرئك منه ، أو نُعْذِر فيك ، فقال لهم رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم : ما بى ما تقولون ، ما جئتُ بما جئتكم به أطلبُ أموالكم ، ولا الشرفَ فيكم ، ولا المُلْك عليكم . ولكنَّ الله بعثنى إليكم رسولا ، وأنزل علىّ كتابا ، وأمرنى أن أكون لكم بشيراً ونذيراً ، فبلَّغتكم رسالات ربى ، ونصحتُ لكم ، فإن تقبلوا منى ما جئتكم به ، فهو حظُّكم فى الدنيا والآخرة ، وإن تردوه علىَّ أصبرْ لأمر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم ، أو كما قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ قالوا : يا محمد ، فإن كنت غيرَ قابل منا شيئا مما عَرَضْناه عليك ، فإنك قد علمتَ أنه ليس من الناس أحدٌ أضيقَ بلداً ، ولا أقلَّ ماء ، ولا أشدّ عيشا منَّا ، فسَلْ لنا ربَّك الذى بعثك بمابعثك به ، فليُسَيِّرْ عنا هذه الجبالَ التى قد ضَيَّقَت علينا ، وليبسط لنا بلادَنا ، وليفجِّر لنا فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق، وليبعث لنا مَن مضى من آبائنا ، وليكن فيمن يُبعث لنا منهم : قُصىّ بن كلاب ، فإنه كان شيخَ صِدْق ، فنسألهم عما تقول : أحقّ هو أم باطل ، فإن صدّقوك ، وصنعتَ ماسألناك ، صَدَّقناك ، وعرفنا به منزلَتَك

. . . .

رفع المسهم

من الله ، وأنه بعثك رسولاً — كما تقول — فقال لهم صلواتُ الله وسلامُه عليه : ما بهذا بُعِثْتُ إليكم ، إنما جئتُكم من الله بما بعثنى به ، وقد بلّغتكم ما أُرْسِلت به إليكم ، فإن تقبلوه ، فهو حظُّكم فى الدنيا والآخرة ، وإن تردّوه علىّ أصبر لأمر الله تعالى ، حتى يحكم الله بينى وبينكم ، قالوا : فإذا لم تفعل هذا لنا ، فخذ لنفسك ، سَلْ ربّك أن يبعث معك ملكا يصدّقك بما تقول ، ويراجعنا عنك وسَلْه ، فليجعل لك جنانا وقُصوراً وكنوزاً من ذهب وفضّة يُغنيك بها عما نراك تَبْتغى ، فإنك تقوم بالأسواق كما نقوم ، وتلتمس المعاش كما نلتمسه ، حتى نعرفَ فضلك ومنزلَتك من ربك إن كنت رسولا كما تزعم ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أنا بفاعل ، وما أنا بالذى يسأل ربَّه هذا ، وما بُعِثْت إليكم بهذا ، ولكنّ الله بعثنى بشيراً ونذيراً — أو كما قال — فإن تقبلوا ما جئتكم به ، فهو حظكم فى الدنيا والآخرة ، وإن تردُّوه علىّ أصبرْ لأمر الله ، حتى يحكم الله بينى وبينكم ، قالوا : فأسقط السماء علينا كِسَفا كما زعمت أن ربَّك لو شاء فعل ، فإنّا لا نؤمن لك إلا أن تفعل ، قال : فقال رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم : ذلك إلى الله ، إن شاء أن يفعله بكم فعل ، قالوا : يا محمد ، أفما عَلِم ربُّك أنّا سنجلس معك ونسألك عما سألناك عنه ، ونطلب منك ما نطلب ، فيتقدّمَ إليك فيُعلمك ما تُراجعنا به ، ويخبرك ماهو صانعٌ فى ذلك بنا ، إذا لم نقبل منك ماجئتنا به ! إنه قد بلغنا أنك إنما يعلّمك هذا رجلٌ باليمامة يقال له : الرحمٰن ، وإنّا والله لا نؤمن بالرحمٰن أبداً ، فقد أعذرنا إليك يا محمد ، وإنّا والله لا نتركك

. . . .

وما بلغتَ منَّا حتى نهلكك ، أو تهلكنا . وقال قائلهم : نحن نعبد الملائكة وهي بنات الله . وقال : قائلهم : لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قَبيلا .

فلما قالوا ذلك لرسول الله — صلى الله عليه وسلم — ، قام عنهم ، وقام معه عبدُ الله بن أبي أُمَيَّة بن المُغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم — وهو ابن عمَّته فهو لعاتكة بنت عبد المطلب — فقال له : يا محمد ، عَرَض عليك قومُك ما عَرضوا فلم تقبلْه منهم ، ثم سألوك لأنفسهم أموراً ، ليعرفوا بها منزلَتك من الله كما تقول ، ويصدّقوك ويتّبعوك فلم تفعل ، ثم سألوك أن تأخذَ لنفسك ما يَعْرفون به فضلَك عليهم ، ومنزلَتك من الله ، فلم تفعل ، ثم سألوك أن تعجِّل لهم بعض ما تخوّفهم به من العذاب ، فلم تفعل — أو كما قال له — فوالله لا أومن بك أبداً حتى تتخذ إلى السماء سُلَّما ، ثم ترقى فيه ، وأنا أنظر إليكَ حتى تأتيها ، ثم تأتى معك أربعةٌ من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول . وايم الله أنْ لو فعلتَ ذلك ما ظننتُ أنى أصدّقك ، ثم انصرف عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وانصرف رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — إلى أهله حزينا آسفا لما فاته مما كان يطمع به من قومه حين دَعَوه ، ولِمَا رأى من مُباعدتهم إياه .

فلما قام عنهم رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — قال أبو جهل : يا مَعْشَرَ قريش ، إن محمداً قد أبى إلا ما تَرَوْنَ من عَيْب ديننا ، وشَتْم آبائنا ، وتَسْفِيه أحلامنا ، وشَتْمِ آلهتنا ، وإنى أعاهد الله لأجْلسَنَّ له غداً بحَجَر ما أطيق حَمْله

ـ أو كما قال ـ فإذا سجد فى صلاته ، فَضَخْتُ به رأسه ، فأسلِمونى عند ذلك أو امنعونى ، فليصنَعْ بعد ذلك بنو عبد مَناف ما بدا لهم ، قالوا : والله لا نُسْلمك لشىء أبداً ، فامْضِ لما تريد .

فلما أصبح أبو جهل، أخذ حجراً كما وصف ، ثم جلس لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ينتظره ، وغدا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما كان يغدو ، وكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بمكّة وقِبْلَتُهُ إلى الشام ، فكان إذا صَلَّى صَلَّى بين الركن اليمانى والحجر الأسود ، وجعلَ الكعبة بينه وبين الشام . فقام رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يُصَلِّى وقد غدتْ قُريش ، فجلسوا فى أنْديتهم يَنْتَظرون ما أبو جهل فاعل . فلما سَجَد رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ احتمل أبو جهل الحجر ، ثم أقبل نحوه ، حتى إذا دنا منه رَجَع منهزما . مُنْتَقِعاً لونهُ مرعوبا . قد يَبِست يداه على حَجَره . حتى قَذَف الحَجَر من يده . وقامت إليه رجال قُريش . فقالوا له : مالك يا أبا الحكم ؟ قال : قمتُ إليه لأفعلَ به ما قلتُ لكم البارحةَ ، فلما دنوتُ منه عَرَض لى دونه فَحْلٌ من الإبل ، لا والله ما رأيت مثلَ هامَتِهِ ، ولامثل قَصَرته ، ولا أنيابه لفَحْلٍ قطُّ . فهَمَّ بى أن يأكلنى .

قال بن إسحاق : فذُكِر لى أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : ذلك جبريلُ عليه السلام : لو دنا لأخذه .

فلما قال لهم ذلك أبو جَهْل . قام النَّضرُ بن الحارث بن كَلَدَة بن عَلْقمة ابن عبد مناف بن عبد الدار بن قُصَىّ .

. . . .

قال ابن هشام : ويقال : النضرُ بنُ الحارث بن عَلْقمة بن كَلَدة بن عبد مناف .

قال ابن إسحاق : فقال : يا معشر قريش . إنه والله قد نزل بكم أمرٌ ما أتيتم له بحيلة بعد ، قد كان محمد فيكم غلاما حَدَثا ، أرْضاكم فيكم . وأصدقكم حديثا . وأعظمكم أمانة . حتى إذا رأيتم فى صُدْغيه الشَّيبَ ، وجاءكم بما جاءكم به . قلتم : ساحرٌ ، لا والله ما هو بساحر . لقد رأينا السحرة ونَفْثهم وعَقْدهم ، وقلتم : كاهن . لا والله ما هو بكاهن ؛ قد رأينا الكهنة ، وتخالُجهُمْ وسَمِعْنا سَجْعهم ، وقلتم : شاعر ، لا والله ماهو بشاعر ؛ قد رأينا الشعرَ ، وسَمِعْنا أصنافَه كلَّها : هَزجَه ورَجزه ، وقلتم : مجنون ، لا والله ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنونَ ، فما هو بخَنْقه ، ولا وَسْوسته ، ولا تخليطه ، يا معشر قريش فانظروا فى شأنكم ، فإنه والله لقد نزل بكم أمرٌ عظيم .

وكان النَّضْر بن الحارث من شياطين قُريش ، وممن كان يؤذى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وينصب له العداوةَ ، وكان قد قَدم الحِيرةَ ، وتعلَّم بها أحاديثَ ملوك الفرس ، وأحاديث رُسْتُم وَاسبنديار ، فكان إذا جلس رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مجلسا فذكَّر فيه بالله ، وحذّر قومه ما أصاب مَنْ قبلَهم من الأمم من نقمة الله ، خَلَفه فى مجلسه إذا قام ، ثم قال : أنا والله يا معشر قُريش ، أحسنُ حديثا منه ، فهَلُمَّ إلىّ ، فأنا أحدّثكم أحسنَ من حديثه ، ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورُستم واسبنديار . ثم يقول : بماذا محمدٌ أحسنُ حديثا منى ؟

. . . .

قال ابن هشام : وهو الذى قال فيما بلغنى : سأنزل مثلَ ما أنزل الله .

قال ابن إسحاق : وكان ابن عباس رضى الله عنهما يقول ـ فيما بلغنى : نزل فيه ثمان آيات من القرآن : قولُ الله عزّ وجلّ : ﴿ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ . القلم : ١٥ وكلّ ما ذكر فيه من الأساطير من القرآن .

فلما قال لهم ذلك النضر بن الحارث بعثوه ، وبعثوا معه عُقْبة بن أبى مُعَيط إلى أحبار يهود بالمدينة ، وقالوا لهما : سَلاهم عن محمد ، وصفا لهم صِفَته ، وأخبراهم بقَوْله ، فإنهم أهلُ الكتاب الأوّل ، وعندهم عِلْمٌ ليس عندنا من علم الأنبياء ، فخرَجا حتى قدما المدينةَ ، فسألا أحبارَ يهود عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وَوَصَفا لهم أمْره . وأخبراهم ببعض قوله . وقالا لهم : إنكم أهلُ التَّوراة . وقد جِئْناكم لتُخْبِرونا عن صاحبنا هذا . فقالت لهما أحبار يهود : سَلُوه عن ثلاث نأمُركم بهنّ . فإن أخبركم بهنّ، فهو نبىّ مُرْسَلٌ . وإن لم يفعل فالرجل مُتقوِّل . فرَوْا فيه رأيكم . سَلُوه عن فِتْيَةٍ ذهبوا فى الدّهر الأوّل ما كان أمرهم ، فإنه قد كان لهم حديثٌ عجب ، وسَلوه عن رجل طوّاف قد بلغ مشارقَ الأرض ومغاربها ما كان نَبؤُهُ ، وسلوه عن الرُّوح ماهى ؟ فإن أخبركم بذلك فاتّبعوه ، فإنه نبىّ . وإن لم يفعل ، فهو رجلٌ متقوّل . فاصنعوا فى أمره ما بدا لكم . فأقبل النَّضْر بن الحارث ، وعُقْبة بن أبى مُعيط بن أبى عمرو بن أُميَّة بن عبد شَمس بن عبد مناف بن قُصَىّ حتى قدما مكّة على قُريش . فقالا : يامعشر قريش ، قد جئناكم بفَصْل ما بينكم وبين محمدٍ . قد أخبرَنا أحبارُ يهود أنْ

تسأله عن أشياء أمَرونا بها ، فإن أخبركم عنها فهو نبيّ ، وإن لم يفعل فالرجلُ مُتقوِّل . فروْا فيه رأيَكم .

فجاءوا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقالوا : يا محمد ، أخْبرنا عن فِتْية ذهبوا فى الدّهر الأوّل قد كانت لهم قصّة عَجَبٌ ، وعن رجل كان طوّافا قد بلغ مشارقَ الأرض ومغاربها . وأخْبرنا عن الرُّوح ما هى ؟ قال : فقال لهم رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أخبركم بما سألتم عنه غداً ، ولم يستثْن ، فانصرفوا عنه ، فمكث رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فيما يذكرون — خمسَ عشرةَ ليلةً لا يُحدث الله إليه فى ذلك وَحْيا ، ولا يأتيه جبريل ، حتى أرْجف أهل مكة وقالوا : وَعَدنا محمدٌ غداً ، واليوم خمسَ عشرةَ ليلةً . قد أصبحنا منها لا يخْبرنا بشىء مما سألناه عنه ، وحتى أحزنَ رسولَ الله — صلى الله عليه وسلم — مُكثُ الوحى عنه ، وشقّ عليه ما يتكلَّم به أهلُ مكة ، ثم جاءه جبريلُ من الله عزّ وجلّ بسورة أصحاب الكهف ، فيها معاتبته إياه على حُزْنه عليهم ، وخبرُ ما سألوه عنه من أمر الفِتْيَة ، والرجل الطّوّاف ، والروح .

قال ابن إسحاق : فذُكر لى أن رسولَ الله — صلى الله عليه وسلم — قال لجبريل حين جاءه : لقد احتبستَ عنى يا جبريل حتى سُؤتُ ظنًّا ، فقال له جبريل : ﴿ وما نَتنزّلُ إلاّ بأمْرِ رَبِّكَ ، لَهُ ما بينَ أيْدِينا وما خَلْفَنا ، وما بينَ ذلكَ ، وما كانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ مريم : ٦٤ فافتتح السورة — تبارك وتعالى — بحمده وذكر نُبُوّةَ رسوله ، لما أنكروه عليه من ذلك ، فقال : ﴿ الحمْدُ لِلهِ الّذِى أنْزَلَ على عَبْدِهِ الكِتابَ ﴾ الكهف : ١ : ٢٦ يعنى : محمدا صلى الله عليه وسلم ،

. . . .

رفع
المسهم

إنك رسول منى : أى تحقيق لما سألوه عنه من نبوتك . ﴿ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً قَيِّماً ﴾ : أى : معتدلا ، لا اختلاف فيه . ﴿ لِيُنْذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِنْ لَدُنْهُ ﴾ : أى عاجل عقوبته فى الدنيا ، وَعَذَاباً أليما فِى الآخِرَةِ من عند ربك الذى بعثك رسولا . ﴿ وَيُبَشِّرَ المُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً ، ماكِثِينَ فِيهِ أَبَداً ﴾ : أى دار الخلد لا يموتون فيها الذين صدّقوك بما جئت به مما كذّبك به غيرهم ، وعملوا بما أمرتهم به من الأعمال . ﴿ وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قالُوا : اتَّخَذَ اللهُ وَلَداً ﴾ يعنى : قريشا فى قولهم : إنا نعبد الملائكة ، وهى بنات الله . ﴿ ما لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلا لِآبائِهِمْ ﴾ الذين أعظموا فراقهم وعَيْب دينهم . ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْواهِهِمْ ﴾ أى : لقولهم : إن الملائكة بناتُ الله . ﴿ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِباً ، فَلَعَلَّكَ باخِعٌ نَفْسَكَ ﴾ يا محمد ﴿ على آثارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهذَا الحَدِيثِ أَسَفاً ﴾ أى : لحزنه عليهم حين فاته ما كان يرجو منهم ، أى : لا تفعل .

قال ابن هشام : باخعٌ نفسَك ، أى : مُهْلِك نفسَك ، فيما حدثنى أبو عُبيدة قال ذو الرُّمَّة :

ألا أيُّهذَا الباخع الوَجْدُ نفسَه   لشَيْء نَحَتْه عن يَدَيْه المقادرُ

وجمعه : باخعون وبَخَعة . وهذا البيت فى قصيدة له . وتقول العرب : قد بخعتُ له نُصْحى و نَفْسى ، أى جَهدْت له . ﴿ إنا جَعَلْنا ما على الأَرْضِ زِينَةً لَها لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾ .

قال ابن إسحاق : أى : أيهم أتبع لأمرى ، وأعمل بطاعتى . ﴿وإنا لجاعلون ما عليها صعيداً جرزا﴾ : أى : الأرض ، وإن ماعليها لفانٍ وزائل ، وإن المرجع إلىّ ، فأجزى كلاّ بعمله ، فلا تأسَ ، ولا يحزنك ماتسمع وترى فيها .

قال ابن هشام : الصعيد : الأرض ، وجمعه : صُعُد . قال ذو الرُّمّة يصف ظبيا صغيراً :

كأنّه بالضُّحى ترْمى الصعيدَ به   دبّابةٌ فى عظام الرأسِ خُرْطومُ

وهذا البيت فى قصيدة له . والصعيد أيضا : الطريق . وقد جاء فى الحديث : « إياكم والقعودَ على الصُّعُدات » يريد الطرق . والجرز : الأرض التى لا تنبت شيئا ، وجمعها : أجراز . ويقال : سَنة جُرز ، وسنون أجراز ، وهى التى لا يكون فيها مطر ، وتكون فيها جُدُوبة ويُبْس وشدّة . قال ذو الرُّمّة يصف إبلا :

طوى النَّحْزُ والأجْرازُ مافى بُطونها   فما بقيتْ إلا الضّلوعُ الجَراشِعُ

وهذا البيت فى قصيدة له :

حول سورة الكهف

قال ابن إسحاق : ثم استقبل قصّة الخبر فيما سألوه عنه من شأن الفتية ، فقال : ﴿أمْ حَسِبْتَ أنّ أصحابَ الكهفِ والرَّقيمِ كانُوا مِنْ آياتِنا عَجَبا﴾ :

أى : قد كان من آياتى فيما وضعت على العباد من حُجَجى ماهو أعجب من ذلك .

قال ابن هشام : والرقيم : الكتاب الذى رُقِم فيه بخبرهم ، وجمعه : رُقُم . قال العَجَّاج :

ومُسْتَقَرُّ المُصْحَف المُرَقَّمِ

وهذا البيت فى أرجوة له .

قال ابن إسحاق : ثم قال تعالى : ﴿إِذْ أَوَى الفِتْيَةُ إِلى الكَهْفِ فَقالُوا : رَبَّنا آتِنا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً ، وَهَيِّئْ لَنا مِنْ أَمْرِنا رَشَداً ، فَضَرَبْنا على آذانِهِمْ فِي الكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً . ثُمَّ بَعَثْناهُمْ : لِنَعْلَمَ أَيُّ الحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَداً﴾ . ثم قال تعالى : ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبأَهُمْ بالحَقِّ﴾ : أى : بصدق الخبر عنهم : ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ ، وَزِدْناهُمْ هُدًى ، وَرَبَطْنا على قُلوبِهِمْ إِذْ قامُوا ، فَقالُوا : رَبُّنا رَبُّ السَّمٰواتِ والأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلٰهاً ، لَقَدْ قُلْنا إِذاً شَطَطا﴾ : أى لم يشركوا بى كما أشركتم بى ماليس لكم به علم .

قال ابن هشام : والشطط : الغلو ومجاوزة الحق . قال أعشى بنى قَيْس ابن ثعلبة :

لا يَنْتهون ، ولا يَنْهَى ذَوِى شَطَط　　كالطَّعْنِ يذهبُ فيه الزيتُ والفُتُلُ

وهذا البيت فى قصيدة له .

. . . .

﴿هَؤُلاءِ قَوْمُنا اتَّخذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلاَ يأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطانٍ بَيِّن﴾ .

قال ابن إسحاق : أى بحجة بالغة .

﴿ فَمَنْ أظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى على اللهِ كَذِبا . وإذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ ، ومَا يعْبُدونَ إلا اللهَ ، فأْوُوا إلى الكَهْفِ ، يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَته ، ويُهَيِّئْ لَكمْ مِنْ أمْرِكُمْ مِرْفَقا . وَتَرَى الشَّمْسَ إذَا طَلَعتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ اليَمينِ ، وَإذَا غَرَبَتْ تقرِضُهُم ذَاتَ الشِّمالِ ، وَهُمْ فى فَجْوَةٍ مِنْهُ » .

قال ابن هشام : تزاور : تميل ، وهو من الزَّوَر : وقال امرؤ القيس بن حُجْر :

وإنى زَعيمٌ إن رجعتُ مُمَلَّكا   بسَيْرٍ ترى منه الفُرانِقَ أزْوَرا

وهذا البيت فى قصيدة له . وقال أبو الزَّحف الكُليبى يصف بلداً :

جَأْبُ المُنَدَّى عن هَوانا أزْوَرُ   يُنْضِى المَطايا خِمْسُه العَشَنْزَرُ

وهذان البيتان فى أرجوزة له . و « تَقرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمالِ » : تجاوزهم وتتركهم عن شمالها . قال ذو الرمة :

إلى ظُعُنٍ يَقرِضْن أقوازَ مُشْرفٍ   شِمالاً وعن أيمانهنّ الفوارسُ

وهذا البيت فى قصيدة له . والفجوة : السَّعة ، وجمعها : الفِجاء قال الشاعر :

. . . .

أَأَلْبَسْتَ قَوْمَكَ مَخْزاةً ومَنْقَصةً حتى أُبيحوا ، وخَلَّوْا فجوةَ الدارِ

« ذلكَ مِنْ آياتِ اللهِ » أى فى الُحجة على مَنْ عَرف ذلك من أمورهم من أهل الكتاب ، ممَّن أمر هؤلاء بمسألتك عنهم فى صِدْق نبوَّتك بتَحْقيق الخبر عنهم . ﴿ مَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِداً . وتحسَبُهُمْ أيقاظا وَهُمْ رُقُودٌ ، وَنُقَلِّبُهُمْ ذاتَ اليَمِينِ ، وَذاتَ الشِّمالِ وكَلْبُهُمْ باسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بالوَصِيدِ » .

قال ابن هشام : الوصيد : الباب . قال العَبْسى ، واسمه : عُبَيْد بنُ وَهْب :

بأرضِ فَلاةٍ لا يُسَدُّ وَصِيدُها عَلَيَّ ، ومَعْروفى بها غيرُ مُنْكَرِ

وهذا البيت فى أبيات له . والوصيد أيضا : الفِناء ، وجمعه : وصائد ، ووُصُد ، ووُصْدان ، وأُصُد ، وأُصْدان .

﴿ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَاراً ، وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبا ﴾ . . . إلى قوله : ﴿ قالَ الَّذِينَ غَلَبُوا على أمْرِهِمْ ﴾ أهل السلطان والملك منهم: ﴿ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدا سَيَقُولُونَ ﴾ يعنى: أحبار يهود الذين أمروهم بالمسألة عنهم : ﴿ ثَلاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْما بالغَيْبِ) أى: لا علم لهم (وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبى أعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ ما يَعْلَمُهُمْ إلاَّ قَلِيلٌ ، فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إلاَّ مِرَاءً ظاهِرا ﴾ : أى : لا تكابرهم . ﴿ وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أحَداً ﴾ فإنهم لا علم لهم بهم. ﴿ ولا تقُولَنَّ لِشَىْءٍ : إنى فاعلٌ ذَلِكَ غَداً إلاَّ أنْ يَشاءَ اللهُ ، وَاذْكُرْ

رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ، وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ﴾ : أي : ولا تقولنّ لشيء سألوك عنه كما قلت فى هذا : إنى مخبركم غداً . واستثنِ مَشيئة الله ، واذكر ربك إذا نَسِيت ، وقل : عسى أن يَهْدِين ربى لخير مما سألتمونى عنه رَشَداً ، فإنك لاتدرى ما أنا صانع فى ذلك . ﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثلاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴾ : أى : سيقولون ذلك . ﴿ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا ، لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ ، وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴾ أى لم يخف عليه شيء مما سألوك عنه .

وقال فيما سألوه عنه من أمر الرجل الطواف : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ : سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا . إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ ، وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴾ الكهف : ٨٣ حتى انتهى إلى آخر قصة خبره .

وكان من خبر ذى القرنين أنه أُوتى ما لم يُؤْت أحدٌ غيره فمُدّت له الأسبابُ ، حتى انتهى من البلاد إلى مشارق الأرض ومغاربها ، لا يطأ أرضا إلا سُلط على أهلها ، حتى انتهى من المشرق والمغرب إلى ما ليس وراءه شيء من الخَلْق .

قال ابن إسحاق : حدثنى من يسوق الأحاديث عن الأعاجم ، فيما توارثوا من علمه : أن ذا القرنين كان رجلا من أهل مصر ، اسمه : مَرْزُبان بن مَرْذَبة اليونانى ، من ولد يونان بن يافث بن نوح .

. . . .

رفع
المسهم
عز الله لطيف الدين

قال ابن هشام : واسمه : الإسكندر ، وهو الذى بنى الإسكندرية ، فنسبت إليه .

قال ابن إسحاق : وقد حدثنى ثَوْر بن يزيد عن خالد بن مَعْدان الكَلاعِىّ وكان رجلاً قد أدْرك أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — سُئِل عن ذى القرْنين ، فقال : مَلِك مَسَحَ الأرض من تحتها بالأسباب .

وقال خالد : سمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه رجلا يقول : يا ذا القرنَين ، فقال عمر : اللهمَّ غفْراً ، أما رَضِيتم أن تَسَمَّوْا بالأنبياء حتى تَسَمَّيتم بالملائكة؟!

قال ابن إسحاق : والله أعلم أىّ ذلك كان ، أقال ذلك رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم ، أم لا ؟ فإن كان قاله ، فالحق ما قال .

أسباب نزول بعض الآيات وعن الروح :

وقال تعالى فيما سألوه عنه من أمر الروح : ﴿ ويَسْألُونَكَ عَنِ الروح ، قُلِ : الرُّوحُ مِنْ أمْرِ رَبى ، وما أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إلا قَلِيلاً ﴾ الإسراء : ٨٥ .

قال ابن إسحاق : وحُدِّثت عن ابن عباس ، أنه قال : لما قدم رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — المدينةَ ، قالت أحبارُ يَهود : يا محمد ، أرأيتَ قولَك : ﴿ ومَا أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إلا قليلا ﴾ إيانا تريد ، أم قومك ؟ قال : كُلاًّ ، قالوا : فإنك تتلو فيما جاءك : أنَّا قَدْ أُوتينا التَّوْرَاة فيها بَيان كُلِّ شَىْء . فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم : إنها فى عِلْم الله قليل ، وعندكم فى ذلك مايَكفيكم

لو أقمتموه . قال : فأنزل الله تعالى عليه فيما سألوه عنه من ذلك : ﴿ ولَوْ أنَّ ما فِي الأرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أقْلامٌ ، وَالبَحْرُ يمُدُّه من بَعْدِه سَبْعَةُ أبْحُرٍ ما نَفِدَتْ كَلِماتُ الله ، إنَّ الله عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ لقمان : ٢٧ : أى : إن التوراة فى هذا من علم الله قليل .

عن تسيير الجبال وبعث الموتى :

قال : وأنزل الله تعالى عليه فيما سأله قومُه لأنفسهم من تسْيير الجبال ، وتَقْطِيع الأرض ، وبَعْث مَنْ مَضَى من آبائهم من الموتى : ﴿ وَلَو أنَّ قُرآنا سُيِّرَتْ به الجبال ، أو قُطِّعَت به الأرض ، أو كُلِّمَ به الموتى ، بل لله الأَمرُ جميعا ﴾ أى : لا أصنع من ذلك إلا ماشئت .

وأنزل عليه فى قولهم : خُذْ لنفسك ، ماسألوه أن يأخذَ لنفسه ، أن يجعل له جنانا وقُصوراً وكُنوزاً ، ويبعَث معه ملَكا يصدّقه بما يقول ، ويردّ عنه : ﴿ وقالُوا : ما لِهَذا الرَّسُول يَأْكُلُ الطَّعامَ ، ويمشى فى الأسْوَاق ؟ لَوْلا أنزل إلَيْه مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً ، أوْ يُلْقَى إلَيْه كَنزٌ ، أوْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ يأْكُلُ مِنْها ، وقال الظَّالِمُونَ : إنْ تَتَّبِعُونَ إلا رَجُلاً مَسْحُوراً انظُر : كَيْفَ ضَرَبُوا لك الأمْثالَ ، فَضَلُّوا فَلا يَسْتَطِيعون سَبِيلاً ، تبارَكَ الذى إنْ شاء جعَل لك خَيراً مِنْ ذلك ﴾ : أى من أن تمشى فى الأسواق وتلتمس المَعاش ﴿ جَنات تَجْرِى مِنْ تحتها الأنهار ، ويجعَلْ لكَ قُصُوراً ﴾ الفرقان ٧ : ١٠ .

. . . .

وأنزل عليه فى ذلك من قولهم : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلا إِنَّهم لَيَأْكُلُونَ الطَّعامَ ، ويَمْشُونَ فى الأَسْوَاقِ ، وَجَعَلْنا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً ، أَتَصْبِرُونَ وكان رَبُّكَ بَصِيراً﴾ الفرقان : ٢٠ أى جعلت بعضكم لبعض بلاء ، لتصبروا ، ولو شئتُ أن أجعل الدنيا مع رُسلى فلا يُخالَفوا لفعلت .

وأنزل الله عليه فيما قال عبد الله بن أبى أمية : ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حتى تَفْجُرَ لَنا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعا : أَوْ تَكُونَ لك جَنَّة مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنهارَ خِلالَهَا تَفْجِيراً . أَوْ تُسْقِطَ السَّماءَ كما زَعَمْتَ عَلَيْنا كِسَفاً ، أَوْ تَأْتِىَ بالله وَالمَلائِكَة قَبِيلاً . أَوْ يكُونَ لك بَيْتٌ مِنْ زُخْرُف أَوْ تَرْقَى فى السَّماءِ ، وَلَنْ نُؤْمِن لِرُقِيِّكَ . حتى تُنَزِّل عَلَيْنا كتابا نَقْرَؤُهُ . قُلْ : سُبْحان ربى . هَلْ كُنْتُ إلا بَشَراً رَسُولاً﴾ . الإسراء : ٩٠ - ٩٥ .

قال ابن هشام : الينبوع : ما نبع من الماء من الأرض وغيرها . وجمعه ينابيع . قال ابن هَرْمَة . واسمه : إبراهيم بن عبد الله الفِهْرِىّ .

وإذا هَرَقْتَ بكلّ دارٍ عَبْرةً نُزِفَ الشُّئونُ . ودَمْعُك اليَنبوعُ

وهذا البيت فى قصيدة له . والكِسَف القِطَع من العذاب . وواحدته : كِسْفَةٌ . مثل سِدْرة وسدر . وهى أيضا : واحدة الكِسَف . والقَبيل : يكون مقابلة ومعاينة . وهو كقوله تعالى : ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ العَذَابُ قُبُلاً﴾ : أى : عيانا . وأنشدنى أبو عُبيدة لأعشى بنى قَيْس بنى ثعلبة :

أُصالحكم ، حتى تبوءوا بمثلها كصَرْخة حُبْلَى يَسَّرتها قَبِيلُها

* * * * * * * * * *

يعنى : القابلة ؛ لأنها تُقابلها ، وتقبل ولدها . وهذا البيت فى قصيدة له . ويقال القبيل : جمعه قُبُل ، وهى الجماعات ، وفى كتاب الله تعالى : ﴿ وَحَشَرْنا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلاً ﴾ . الأنعام : ١١١ فقُبل : جمع قَبيل ، مثل سُبل : جمع سَبيل وسُرر : جمع سرير ، وقُمص : جمع قميص . والقَبيل أيضا : فى مَثَل من الأمثال وهو قولهم : ما يعرف قَبيلاً من دَبير : أى : لا يعرف ما أقبل ممَّا أدبر ، قال الكُميت بن زيد :

تفرَّقت الأمُــورُ بِوجْهَتَيْهم فما عرَفوا الدَّبير من القَبيل

وهذا البيت فى قصيدة له ، ويقال : إنما أريد بهذا : الفتل ، فما فُتِل إلى الذراع فهو القَبيل ، وما فُتِل إلى أطراف الأصابع فهو الدَّبير ، وهو من الإقبال والإدبار الذى ذكرتُ . ويقال : فَتْلُ المِغزَل . فإذا فُتل إلى الركبة فهو القَبيل ، وإذا فُتِل إلى الوَرِك فهو الدَّبير . والقَبيل أيضا : قومُ الرجل . والزخرف : الذهب . والمزخرف : المزين بالذهب . قال العجاج :

مِنْ طَلَلٍ أمسى تخال المُصْحَفا رُسومَه والمُذْهَب المُزَخرَفا

وهذان البيتان فى أرجوزة له ، ويقال أيضا لكلّ مُزَيَّنٍ : مُزَخرف .

قال ابن إسحاق : وأُنزل عليه فى قولهم : إنا قد بَلَغَنا أنك إنما يُعلِّمك رجل باليمامة . يقال له : الرحمن . ولن نؤمن به أبداً : ﴿ كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِى أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِها أُمَمٌ لِتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذى أَوْحَيْنا إِلَيْكَ . وَهُمْ

. . . .

يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ . قُلْ : هُوَ رَبِّى . لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴾ . الرعد : ٣٠ .

وأنزل عليه فيما قال أبو جَهْل بن هشام – لعنه الله – وماهمّ به : ﴿ أرأيْتَ الّذى يَنْهَى عَبْداً إذا صَلى ، أرأيْتَ إنْ كانَ على الهُدَى أوْ أمَرَ بالتَّقْوَى ، أرأيْتَ إنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ، ألَمْ يَعْلَمْ بأنَّ اللهَ يَرَى ، كَلاَّ لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعاً بالنَّاصِيَةِ ، ناصيَةٍ كاذِبَةٍ خاطِئَةٍ ، فَلْيَدْعُ نادِيَهُ ، سَنَدْعُ الزَّبانِيَةَ ، كَلاَّ لا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴾ سورة العلق .

قال ابن هشام : لَنَسفعاً : لنجذبن ، ولنأخذن . قال الشاعر :

قومٌ إذا سَمِعوا الصُّراخ رأيتَهم من بين مُلجِم مُهْرِهِ أو سافِع

والنادى : المجلس الذى يجتمع فيه القومُ ، ويقضُّون فيه أمورَهم ، وفى كتاب الله تعالى : ﴿ وتَأْتُونَ فِي نادِيكُمُ المُنْكَرَ ﴾ العنكبوت : ٢٩ وهو النَّدِيُّ . قال عَبيد بن الأبرص:

اذهب إليك فإنى من بنى أسَد أهل النَّدِيِّ ، وأهل الجُرْد والنادِى

وفى كتاب الله تعالى : ﴿ وأحْسَنُ نَدِيًّا ﴾ مريم . ٧٣ . وجمعه : أَنْدية . يقول: فَلْيَدْعُ أهل ناديه . كما قال تعالى : ﴿ واسْئَلِ القَرْيَةَ ﴾ يوسف : ٨٢ يريد أهل القرية . قال سلامة بن جَنْدَل ، أحدُ بنى سَعْد بن زيد مَناة بن تميم :

يَوْمانِ : يومُ مَقامات ، وأنديةٍ ويومُ سَيْرٍ إلى الأعداء تأْويب

وهذا البيت فى قصيدة له . وقال الكُمَيت بن زَيْد :

لا مَهاذير فى النَّدِىِّ مكاثيرَ ولا مُصْمِتِين بالإفحامِ

وهذا البيت فى قصيدة له . ويقال : النادى : الجلساء . والزبانية : الغِلاظ الشِّداد، وهم فى هذا الموضع : خَزَنة النار . والزَّبانية أيضاً فى الدنيا : أعوانُ الرجل الذين يخدمونه ويُعينونه ، والواحد : زِبْنِيَة . قال ابن الزِّبَعْرَى فى ذلك :

مَطاعيمُ فى المَقْرَى ، مَطاعينُ فى الوَغَى
زَبانيةٌ غُلْبٌ ، عِظامٌ حُلومُها

يقول : شِدادٌ . وهذا البيت فى أبيات له . وقال صَخْر بن عَبْد الله الهُذلىّ ، وهو صَخْر الغَىّ :

وَمِنْ كَبيرٍ نَفَرٌ زَبانِيَهْ

وهذا البيت فى أبيات له .

قال ابن إسحاق : وأنزل اللهُ تعالى عليه فيما عَرَضوا عليه من أموالهم : ﴿ قُلْ : ما سألتُكُم مِنْ أجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ، إنْ أجْرِىَ إلاّ على الله ، وَهُوَ على كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ . سبأ : ٤٧ ﴾ .

فلما جاءهم رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بما عرفوا من الحق ، وعرفوا صِدْقه فيما حدث ، ومَوْقع نُبوّته فيما جاءهم به من علم الغُيوب حين سألوه عمّا

. . . .

سألوا عنه ، حال الحسدُ منهم له بينهم وبين اتِّباعه وتَصْديقه فَعَتَوْا على الله وتركوا أمرَه عيانا ، ولَجُّوا فيما هم عليه من الكُفر ، فقال قائلهم : لا تَسْمَعُوا لهذا القرآن والغَوْا فيه لعلكم تَغْلِبون ، أى : اجعلوه لغواً وباطلا ، واتخذوه هُزواً لعلَّكم تَغْلِبونه بذلك ، فإنكم إن ناظرتموه أو خاصمتموه يوما غَلَبكم .

فقال أبو جهل يوما — وهو يهزأ برسول الله صلى الله عليه وسلم وما جاء به من الحق : يا معشر قريش ، يزعمُ محمدٌ أنَّ جنود الله الذين يعذبونكم فى النَّار ، ويَحْبسونكم فيها تسعةَ عشر ، وأنتم أكثر الناس عدداً ، وكَثْرَةً ، أفَيعجِزُ كلُّ مائةِ رجلٍ منكم عن رجل منهم ؟ فأنزل الله تعالى عليه فى ذلك من قوله : ﴿ وماَ جَعَلْنا أصحاَبَ النَّارِ إلاّ مَلائِكَةً ، وماَ جَعَلْنا عِدَّتَهُمْ إلاّ فِتْنَةً لِلّذِينَ كَفَرُوا ﴾ . المدثر : ٣١ إلى آخر القصة ، فلما قال ذلك بعضُهم لبعض ، جعلوا إذا جهر رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالقرآن وهو يصلى ، يتفرقون عنه ، ويأبون أن يَسْتمعوا له ، فكان الرجلُ منهم إذا أراد أن يَسْتمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض ما يتلو من القرآن ، وهو يُصلى ، استرق السمعَ دونهم فرَقا منهم ، فإن رأى أنهم قد عرفوا أنه يَسْتمع منه ذهب خَشْية أذاهم ، فلم يستمع ، وإن خَفَض رسولُ الله — صلى الله عليه عليه وسلم — صوتَه ، فظن الذى يستمع أنهم لا يستمعون شيئاً من قراءته ، وسمع هو شيئاً دونهم أصاخ له يَسْتمع منه .

قال ابن إسحاق : حدثنى داود بن الحُصَين ، مولى عمرو بن عثمان ، أن عِكْرِمة مولى ابن عبَّاس حدثهم أن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما حدثهم :

. . . .

رفع المسهم

إنما أنزلت هذه الآية : ﴿ وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخافِتْ بِها وَابْتَغِ بين ذٰلِكَ سَبِيلاً ﴾ الإسراء : ١١٠ . من أجل أولئك النفر . يقول : لا تجهر بصلاتك فيتفرّقوا عنك ، ولا تُخافتْ بها ، فلا يَسْمعها مَنْ يُحبُّ أن يَسْمعها ممَّن يَسْتَرق ذلك دونهم ، لعله يرْعَوى إلى بعض ما يسمع ، فينتفع به .

أول صحابى جهر بالقرآن :

قال ابن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عروة بن الزّبير ، عن أبيه ، قال : كان أوّلَ من جَهر بالقرآن بعد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بمكة عبدُ الله ابن مَسْعود رضى الله عنه ، قال : اجتمع يوما أصحابُ رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقالوا : والله ما سمعتْ قريشٌ هذا القرآن يُجْهر لها به قطُّ ، فمَنْ رجُل يُسْمعهموه ؟ فقال عبد الله بن مَسْعود : أنا ، قالوا : إنا نخشاهم عليك ، إنما نريد رجلاً له عشيرةٌ يمنعونه من القوم إن أرادوه ، قال : دَعُونى فإن الله سيَمْنَعنى . قال : فغدا ابن مَسْعود حتى أتى المَقام فى الضُّحى ، وقريشٌ فى أنديتها حتى قام عند المَقام ثم قرأ : ﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ رافعا بها صوته ﴿ الرَّحْمٰنُ عَلَّمَ القُرآنَ ﴾ قال : ثم استقبلها يقرؤها . قال : فتأملوه فجعلوا يقولون . ماذا قال ابنُ أمّ عبدٍ ؟ قال : ثم قالوا : ليَتْلو بعض ما جاء به محمدٌ ، فقاموا إليه ، فجعلوا يَضْربون فى وجهه ، وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ . ثم انصرف إلى أصحابه ، وقد أثَّروا فى وجهه ، فقالوا له : هذا الذى خَشِينا عليك فقال : ما كان أعداء الله أهونَ على منهم الآن ، ولئن شئتم لأغادينَّهم بمثلها غداً ، قالوا : لا ، حَسْبُك ، قد أسمعتَهم ما يكرهون .

. . . .

. . . .

مالقى رسول الله (ص) من قومه :

فصل : فيما لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم من قومه ، ذكر ابن إسحاق والواقدى والتَّيْمِى ، وابن عُقْبَةَ وغيرهم فى هذا الباب أموراً كثيرةً تتقارب ألفاظها ومعانيها ، وبعضهم يزيد على بعض ، فمنها حَثْوُ سفهائهم الترابَ على رأسه ، ومنها أنهم كانوا يَنْضِدُون[1] الْفَرْثَ والأَفْحَاث والدماَء على بابه ، ويطرحون رحم الشاة فى بُرْمَتِه ، ومنها : بَصْقُ أُميَّة بن خلف فى وجهه ، ومنها : وطء عقبة بن أبى مُعَيْط[2] على رقبته ، وهو ساجد عند الكعبة حتى كادت عيناه تبرزان ، ومنها أخذُهم بِمُخَنَّقِه حين اجتمعوا له عند الحِجْر ، وقد ذكره ابن إسحاق ، وزاد غيره الخبر أنهم خنقوه خنقاً شديداً وقام أبو بكر دونه فَجَبَذُوا

---

(١) ينضدون : يضعون بعضه فوق بعض ، والأفحاث جمع الفحث — بسكون الحاء وكسرها — شىء متصل بالكرش ذو أطباق وأجواف ، والفرث ما فى داخل الكرش

(٢) قتل بعد بدر ، وقيل : قتل صبرا مع النصر فى بدر وقد روى البخارى فى كتاب خلق أفعال العباد . وأبو يعلى وابن حبان عن عمرو بن العاصى : « مارأيت قريشا أرادوا قتل النبى - صلى الله عليه وسلم — إلا يوم أغروا به وهم فى ظل الكعبة جلوس ، وهو يصلى عند المقام ، فقام إليه عقبة ، فجعل رداءه فى عنقه ، ثم جذبه ، حتى وجب لركبتيه ، وتصايح الناس ، وأقبل أبو بكر يشتد حتى أخذ بضبع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من ورائه ، وهو يقول : أتقتلون رجلا أن يقول : ربى الله ، ثم انصرفوا عنه ، فلما قضى صلاته ، مر بهم ، فقال : والذى نفسى بيده ما أرسلت إليكم إلا بالذبح ، فقال له أبو جهل : يا محمد ما كنت جهولا ، فقال : أنت منهم »

. . . .

رأسَه ولحيته حتى سقط أكثرُ شَعره ، وأما السَّبُّ والهَجْو والتلقيب وتعذيب أصحابه وأحبائه ، وهو ينظر ، فقد ذكر من ذلك ابن إسحاق ما فى الكتاب ، وقد قال أبو جهل لسُمَيَّة أمِّ عمَّار بن ياسر: ما آمنتِ بمحمد إلا لأنك عَشِقْتِه لجماله ، ثم طعنها بالحربة فى قُبُلها حتى قتلها ، والأخبار فى هذا المعنى كثيرة .

السبب في تلقيبه بالمدثر والنذير العريان :

وذكر ابن إسحاق قول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : «دَثِّرُونى دَثِّرُونى» فأنزل الله تعالى: ﴿يأيُّها الْمدَّثِّر قُمْ فأَنْذِر﴾(١) قال بعض أهل العلم : فى تسميته إياه

---

(١) ذكر فى أسباب نزول هذه الآيات — روايتان . أما الأولى : فعن يحيى قال : سألت أبا سلمة رضى الله عنه : أى القرآن أنزل أول ؟ فقال : يأيها المدثر . قلت : أنبئت : أنه اقرأ باسم ربك ، فقال : لا أخبرك إلا بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : جاورت فى حراء ، فلما قضيت جوارى هبطت ، فاستبطنت الوادى ، فنوديت ، فنظرت أمامى وخلفى وعن يمينى ، وعن شمالى فإذا هو جالس على عرش بين السماء والأرض ، فأتيت خديجة ، فقلت : دثرونى ، وصبوا على ماء باردا ، ففعلوا ، وأنزل على : يأيها المدثر ، قم فأنذر ، وربك فكبر » رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى .

أما الرواية الأخرى فعن الزهرى عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن جابر ابن عبد الله رضى الله عنهما قال : سمعت النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو يحدث عن فترة الوحى ، فقال فى حديثه : « فبينا أنا أمشى إذ سمعت صوتا من السماء ، فرفعت رأسى ، فإذا الملك الذى جاءنى بحراء جالس على كرسى بين السماء والأرض ، فجئثت منه رعبا ، فرجعت ، فقلت : زملونى ، فدثرونى ، فأنزل الله تعالى: يأيها المدثر — إلى — والرجز فاهجر قبل أن تفرض الصلاة . البخارى ومسلم والإمام أحمد . والروايتان عن جابر بن عبد الله .

وذكر الطبرانى رواية ثالثة بسند ضعيف عن ابن عباس قال : إن الوليد ابن المغيرة صنع لقريش طعاما ، فلما أكلوا منه قال: ماتقولون فى هذا الرجل؟

رفع المسهم

. . . .

بالمدثر فى هذا المقام مُلاَطَفَةٌ وتأنيسٌ ، ومن عادة العرب إذا قصدت الملاطفة أن تسمى المخاطَب باسم مُشْتَقٍّ من الحالة التى هو فيها ، كقوله عليه السلام لحذيفة: قم يا نَوْمان ، وقوله لعلى بن أبى طالب – وقد تَرِبَ جنبُه: قم أبا تُرابٍ(١) فلو ناداه سبحانه، وهو فى تلك الحال من الكرب باسمه، أو بالأمر المجرد من هذه الملاطفة لَهَالَهُ ذلك ، ولكن لما بدىء بيأيها المدثر أَنِسَ ، وعلم أن ربه راض عنه ، ألا تراه كيف قال عندما لقى من أهل الطائف من شدة البلاء والكرب مالقى : رَبِّ إن لم يكن بك غَضَبٌ عَلَيَّ فلا أبالى(٢) إلى آخر الدعاء ، فكان مطلوبُه رضا ربه ، وبه كانت تهون عليه الشدائد. فإن قيل : كيف ينتظم يأيها المدثر مع قوله : قم فأنذر ، وما الرابط بين المعنيين ، حتى يلتئما فى قانون البلاغة، ويتشاكلا فى حكم الفصاحة ؟ قلنا: من صفته عليه السلام ماوَصَفَ به نفسَه حين قال : أنا النذير العُرْيان ، وهوَ مَثَلٌ معروف عند العرب، يقال لمن أَنْذَرَ بقرب

= فقال بعضهم : ساحر . وقال بعضهم: ليس بساحر ، وقال بعضهم : كاهن ، وقال بعضهم : ليس بكاهن ، وقال بعضهم : شاعر ، وقال بعضهم : ليس بشاعر ، وقال بعضهم : بل سحر يؤثر ، فأجمع رأيهم على أنه سحر يؤثر ، فبلغ ذلك النبى – صلى الله عليه وسلم – فحزن ، وقنع رأسه ، وتدثر ، فأنزل الله تعالى : (يأيها المدثر قم فأنذر ، وربك فكبر ، وثيابك فطهر والرجز فاهجر ، ولاتمنن تستكثر ، ولربك فاصبر) وأخرجه البزار بنحوه عن جابر .

(١) كان على رضى الله عنه قد غاضب فاطمة ، فلما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم منزل فاطمة ، وعلم بهذا ، أرسل من يبحث عنه ، فجاء ، فأخبره أنه فى المسجد ، فجاءه رسول الله «ص» وهو مضطجع قد سقط رداؤه عن شقه وأصابه تراب . فجعل رسول الله « ص » يمسحه عنه ، ويقول : قم أبا التراب ، قم أبا التراب .. مختصر من حديث رواه الشيخان .

(٢) من حديث رواه الطبرانى فى الكبير عن عبد الله بن جعفر .

رفع
المسهم

العدو ، وبالغ فى الإنذار ، وهو النذير العُرْيان(١) ،وذلك أن النذير الجادَّ يُجرِّد ثوبه ، ويُشير به إذا خاف أن يسبق العَدوُّ صوتَه ، وقد قيل : إن أصل المثل لرجل من خَثْعَم سلَبه العدوُّ ثوبَه ، وقطعوا يده ، فانطلق إلى قومه نذيراً على تلك الحال ، فقوله عليه السلام : أنا النذير العريان أى : مثلى مثل ذلك ، والتدثر بالثياب مُضادٌّ للتَّعرِّى ، فكان فى قوله : (يأيها المدثر) مع قوله : (قم فأنذر) والنذيرُ الجادُّ يسمى: العُرْيان : تشاكل بَيِّنٌ ، والتئام بديعٌ وسماقةٌ فى المعنى ، وجزَالة فى اللفظ .

تقديم المفعول على الفعل :

وقوله بعد هذا : (ورَبَّك فكَبِّر) أى : ربك كبر ، لاغيره لايكْبُر عليك شىء من أمر الخلق ، وفى تقديم المفعول على فعل الأمر إخلاصٌ ، ومثله قوله: إيَّاكَ نَعْبُدُ [وإياك نستعين] أى : لانعبد غيرك [ولا نستعين إلا بك](٢) ، ولم يقل: نعبدك ونستعينك ، وفى الحديث: إذا قال العبد : إياك نعبد، وإياك نستعين ، يقول الله تعالى: أخلص لى عبدى العبادةَ ، واستعاننى عليها، فهذه بينى وبين عبدى (٣) .

(١) روى الصحيحان قول النبى «ص» : «إنما مثلى ، ومثل ما بعثنى الله كمثل رجل أتى قومه ، فقال : يا قوم : إنى رأيت الجيش بعينى ، وإنى أنا النذير العريان ، فالنجاء النجاء ، فأطاعته طائفة من قومه ، فأدلجوا ، وانطلقوا على مهلهم ، فنجوا ، وكذبته طائفة منهم ، فأصبحوا مكانهم ، فصبحهم الجيش ، فأهلكهم ، واجتاحهم ، فذلك مثل من أطاعنى ، واتبع ما جئت به ، ومثل من عصانى ، وكذب ما جئت به من الحق » وانظر مجمع الأمثال

(٢) الزيادة يقتضيها سياق الكلام .

(٣) فى رواية مسلم : « وإذا قال: إياك نعبد ، وإياك نستعين، قال: هذا بينى وبين عبدى ، ولعبدى ما سأل »

رفع المسهم

. . . .

عتبة بن ربيعة والرئى :

فصل : وذكر قول عتبة : إن كان هذا رَئِيًّا تراه . ولغةُ بنى تميم : رِئِىّ بكسر الراء ، وكذلك يقولون فى كل فعيل عين الفعل منه همزة ، أو غيرها من حروف الحَلْق ، يكسرون أوله،مثل : رحيم وشهيد والرَّئِىُّ : فَعيل بمعنى مَفعول (١) ، ولا يكون إلا من الجِن ، ولا يكون فَعِيل بمعنى مفعول فى غير الجن . إلا أن يؤثر فيه الفِعْل نحو : جريح وقتيل وذبيح وطحين ، ولا يقال من الشكر : شكير ، ولا ذكرته فهو ذكير ، ولافيمن لُطِم : لطيم إلا أن تغير منه اللطمة ، كما قالوا : لطيم الشيطان. قال ابن الزبير حين قُتل عَمْروُ بن سعيد الأشْدَق [ابن العاص] (٢) : ألاَ إن أبا ذِبَّانَ قتل لطيمَ الشيطان : ﴿كذلك نُوَلِّى بعضَ الظالمين بَعضاً بما كانوا يكسبون﴾ الأنعام : ٢٩ . وقالوا من الحمد : حميد ، ذهبوا به مذهب كريم ، وكذلك قالوا فى الجن : رَئِىٌّ ، وإن كانت الرؤيا لا تؤثر فى المَرْئِىِّ ؛ لأنهم ذهبوا به مذهب قرين ونَجِىّ .

(١) وعن اللحيانى : رئى بكسر الراء — إذا كان يحبه ويؤالفه ، وفى اللسان كذلك : هو فعيل أو فعول سمى به لأنه يتراءى لمتبوعه ، أو هو من الرأى من قولهم : فلان رئى قومه بفتح الراى وكسر الهمزة وتضعيف الياء ، إذا كان صاحب رأيهم . وحروف الحلق هى حروف الهجاء التى تخرج من الحلق عند النطق ، وهى الهمزة والحاء والخاء والعين والغين والهاء .

(٢) الذى قتله عبد الملك بن مروان ، وكان الأشدق يلقب بلطيم الشيطان فلما بلغ ابن الزبير مقتله ، وهو بمكة صعد المنبر ، وقال ماذكره السهيلى ، وأبو ذبان بكسر الذال وتشديد الباء مع فتح كنية لعبد الملك بن مروان ، وقد كنى بها لشدة بخره ، وموت الذباب إذا دنت من فيه (ص ٧٩ الاشتقاق لابن دريد وتعليقاته للأستاذ عبد السلام هارون .

(٣) عن قصة عتبة روى عبد ابن حميد فى مسنده عن ابن أبى شيبة بسنده عن

رفع المسهم

. . . .

جابر وأبو يعلى أيضا بسنده عن جابر : (اجتمعت قريش يوما ، فقالوا : انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر ، فليأت هذا الرجل الذى قد فرق جماعتنا ، وشتت أمرنا ، وعاب ديننا ، فليكلمه ولننظر ماذا يرد عليه ، فقالوا : ما نعلم أحدا غير عتبة بن ربيعه ، فقالوا : أنت يا أبا الوليد ، فأتاه عتبة ، فقال : يا محمد أنت خير أم عبد الله ؟ فسكت رسول الله «ص» فقال : أنت خير أم عبد المطلب ؟ فسكت رسول الله «ص» فقال : إن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك ، فقد عبدوا الآلهة التى عبت ، وإن كنت تزعم أنك خير منهم ، فتكلم حتى نسمع قولك ، وإنا والله ما رأينا سخلة قط أشأم على قومك منك ، فرقت جماعتنا ، وشتت أمرنا ، وعبت ديننا ، وفضحتنا فى العرب حتى لقد طار فيهم أن فى قريش ساحرا وأن فى قريش كاهنا ، والله ما ننتظر إلا مثل صيحة الحبلى أن يقوم بعضنا إلى بعض بالسيوف حتى نتفانى . أيها الرجل ، إن كان إنما بك الحاجة جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش رجلا ، وأخذا ، وإن كان إنما بك من الباءة ، فاختر أى نساء قريش شئت ، فلنزوجك عشرا ، فقال رسول الله « ص » فرغت ؟ قال : نعم ، فقرأ رسول الله « ص » من أول سورة فصلت إلى قوله سبحانه : (فإن أعرضوا فقل : أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) فقال عتبة : حسبك حسبك ماعندك غير هذا ؟ فقال رسول الله «ص» لا . فرجع إلى قريش ، قالوا : ماوراءك . قال : ما تركت شيئا أرى أنكم تكلمون به إلا كلمته قالوا : فهل أجابك ؟ قال : نعم والذى نصبها بنية مافهمت شيئا مما قاله ، غير أنه أنذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود . قالوا : ويلك يكلمك الرجل بالعربية لاتدرى ماقال ؟! قال : لا والله مافهمت شيئا مما قال غير ذكر الصاعقة ، وقد ساقه البغوى بسنده عن محمد بن فضيل عن الأجلح وهو ابن عبد الله الكندى الكوفى ، وقد ضعف بعض الشىء عن الزبال بن حرملة عن جابر ، فذكر الحديث إلى قوله « فإن أعرضوا » فأمسك عتبة على فيه ، وناشده بالرحم ، ورجع إلى أهله ، ولم يخرج إلى قريش ، واحتبس عنهم ، فقال أبو جهل : يا معشر قريش والله مانرى عتبة إلا قد صبأ إلى محمد ، وأعجبه طعامه ، وماذاك إلا من حاجة

رفع المسهم

. . . .

إسلام حمزة :

فصل : وذكر إسلام حمزةَ ، وأمُّه : هالةُ بنت أُهَيب بن عبد مناف بن زُهرة ، وأُهَيبٌ : عمُّ آمنه بنت وهب تزوجها عبدُ المطلب ، وتزوج ابنه عبدُ الله آمنة في ساعةٍ واحدة ، فولدت هالةُ لعبد المطلب حمزة . وولدت آمنةُ لعبد الله رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - ثم أرضعتهما ثُوَيْبَةُ كما تقدم ، وزاد غير

أصابته ، فانطلقوا بنا إليه ، فانطلقوا إليه ، فقال أبو جهل : يا عتبة ما حبسك عنا إلا أنك صبأت إلى محمد ، وأعجبك طعامه ، فإن كانت بك حاجة جمعنا لك من أموالنا ما يغنيك عن طعام محمد ، فغضب عتبة ، وأقسم ألا يكلم محمدا أبداً . وقال : والله لقد علمتم أنى من أكثر قريش مالا ، ولكنى أتيته ، وقصصت عليه القصة ، فأجابنى بشىء والله ما هو بشعر ، ولا كهانة ، ولا سحر . وقرأ السورة إلى قوله تعالى : (فإن أعرضوا . .) فأمسكت بفيه ، وناشدته بالرحم أن يكف ، وقد علمتم أن محمدا إذا قال شيئا لم يكذب ، فخشيت أن ينزل بكم العذاب » وسياق ابن إسحاق أشبه .

(١) حمزة هو أخو النبى «ص» من الرضاعة أرضعتهما - كما سيذكر السهيلى - ثويبة مولاة أبى لهب ، وقد ثبت هذا فى الصحيحين . وقد أسلم حمزة فى الثانية أو الثالثة - كما فى الإصابة والاستيعاب - أو فى السادسة كما ذكر ابن الجوزى .

(١) فى الإصابة أنه ولد قبل النبى بأربع ، ولا يشكل هذا مع حديث الأخوة من الرضاعة إذ يمكن القول بأنها أرضعتهما فى زمنين مختلفين . وكنيته : أبو عمارة بابن له من امرأة من بنى النجـــار ، وقيل : هى بنت له ، وقيل : كنيته أبو يعلى الذى قيل إنه لم يعش له ولد سواه . وفى ابن هشام أن التى كلمته هى مولاة عبد الله بن جدعان . وعند غيره أن صفية أخته هى التى كلمته . ولا منافاة فعند ابن أبى حاتم : أخبرته امرأتان .

رفع عبد الرحمن ... المسلم

. . . .

ابن إسحاق فى إسلام حمزة أنه قال : لما احتملنى الغضب ، وقلت : أنا على قوله ، أدركنى الندم على فراق دين آبائى وقومى ، وبت من الشَّكِّ فى أمر عظيم لا أكتحل بنوم ، ثم أتيت الكعبة ، وتضرعت إلى الله سبحانه أن يشرح صدرى للحق ، ويذهب عنى الريب(١) فما استَتْمَمْتُ دعائى حتى زَاحَ عنى الباطِلُ ، وامتلأ قلبى يقينا — أو كما قال ـ فغدوت إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم فأخبرته بما كان من أمرى ، فدعا لى بأن يُثَبِّتَنِى الله ، وقال حمزة بن عبد المطلب حين أسلم :

حَمِدْتُ اللهَ حين هَدى فُؤادى ... إلى الإسلامِ والدينِ الحَنِيفِ
لِدين جاء من رَبٍّ عزيزٍ ... خبيرٍ بالعبادِ بهم لطيفِ
إذا تُلِيتْ رسائلُهُ علينا ... تحدَّر دمعُ ذى اللُّبِّ الحَصِيفِ
رسائلُ جاء أحمدُ مِن هداها ... بآياتٍ مُبَيَّنَةِ الحُروف
وأحمد مُصْطَفَى فينا(٢) مطاعٌ ... فلا تَغْشَوْه بالقول العنيف
فَلا واللهِ نُسلِمه لقومٍ ... ولَمَّا نَقْضِ فيهم بالسيوف
ونترك منهم قَتْلى بقاعٍ ... عليها الطيرُ كالوِرد العَكُوف

(١) وعند يونس بن بكير عن ابن إسحاق أنه قال لنفسه بعد رجوعه من شج أبى جهل : أنت سيد قريش اتبعت هذا الصابىء ، وتركت دين آبائك . للموت خير لك مما صنعت . ثم قال : اللهم إن كان هذا رشدا ، فاجعل تصديقه فى قلبى ، وإلا فاجعل لى مما وقعت فيه مخرجا . ثم غدا إلى رسول الله يطلب نصيحته ، فوعظه حتى ثبت إيمانه .

(٢) فى الأصل : فينا مصطفى وهو خطأ يكسر البيت .

رفع المساهم

. . . .

وقد خُبِّرت ما صنعت ثقيف به ، فجزى القبائلَ من ثقيف

إلهُ النـاس شرَّ جزاء قومٍ ولا أسقاهم صَوْبَ الخريف.

طلب الآيات :

فصل : وذكر ماسأله قومُه من الآيات وإزالة الجبال عنهم ، وإنزال الملائكة عليه ، وغير ذلك، جهلا منهم بحكمة الله تعالى فى امتحانه الخلقَ ، وتعبُّدِهم بتصديق الرسل ، وأن يكون إيمانُهم عن نظر وفكر فى الأدلة ، فيقع الثواب على حسب ذلك ، ولو كشف الغطاء ، وحصل لهم العلم الضرورى ، بَطَلَتْ الحكمة التى من أجلها يكون الثواب والعقاب ، إذ لايُؤْجَر الإنسان على ماليس من كسبه ، كما لا يؤجر على ماخُلق فيه من لون وشعر ونحو ذلك ، وإنما أعطاهم من الدليل مايقتضى النظَرُ فيه العلمَ الـكَسْبى ، وذلك لايحصل إلا بفعل من أفعال القلب ، وهو النظر فى الدليل ، وفى وجه دلالة المعجزة على صدق الرسول ، وإلا فقد كان قادرا سبحانه أن يأمرهم بكلام يسمعونه ، ويغنيهم عن إرسال الرسل إليهم ، ولـكنه سبحانه قسم الأمر بين الدارين ، فجعل الأمرَ يُعْلَم فى الدنيا بنظرٍ واستدلال وتفـكر واعتبارٍ ؛ لأنها دار تعبد واختبار ، وجعل الأمرَ يُعلم فى الآخرة بمعاينة واضطرار ، لايُستحَق به ثواب ولاجزاء ، وإنما يكون الجزاء فيها على ماسبق فى الدار الأولى ، حكمة دبرها ، وقضية أحكمها ، وقد قال الله تعالى: ﴿وما منعنا أن نُرْسِلَ بالآيات إلا أنْ كذَّبَ بها الأوَّلُونَ﴾ الإسراء : ٥٩ . يريد ـ فيما قال أهل التأويل ـ إن التكذيب بالآيات نحو ماسألوه من إزالة الجبال عنهم وإنزال الملائـكة يوجب فى حكم

. . . .

الله ، ألاَّ يُلَبِّث الـكافرين بها ، وأن يعاجِلَهم بالنقمة ، كما فعل بقوم صالح وبآل فرعون ، فلو أُعطيت قريشٌ ماسألوه من الآيات ، وجاءهم بما اقترحوا ثم كذبوا لم يَلْبَثُوا ، ولـكن الله أكرم محمدا فى الأمة التى أرسله إليهم ، إذ قد سبق فى علمه أن يكذِّب به مَن يكذب ، ويصدق به مَن يصدق ، وابتعثه رحمة للعالمينَ بَرٍّ(١) وفاجرٍ ، أما البَرُّ فرحمته إياهم فى الدنيا والآخرة ، وأما الفاجر ، فإنهم أمنوا من الخَسْفِ والغرَق وإرسال حاصب عليهم من السماء .

كذلك قال بعض أهل التفسير فى قوله : ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ الأنبياء : ١٠٧ مع أنهم لم يسئلوا ماسألوا من الآيات إلا تَعَنُّتا واستهزاء، لاعلى جهة الاسترشاد ، ودفع الشك ، فقد كانوا رأوا من دلائل النبوة مافيه شفاء لمن أنصف ، قال الله سبحانه : ﴿أَوَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أنزلنا عليك الـكتاب﴾ العنكبوت ٥١ الآية ، وفى هذا المعنى قيل :

لولم تـكن فيه آياتٌ مبينة   كانت بداهتهُ تُنبيك بالخبر

وقد ذكر ابن إسحاق فى غير هذه الرواية أنهم سألوا أن يجعل لهم الصفا

---

(١) يقول ابن كثير عن مجلس المشركين وسؤالهم ما سألوا : « وهذا المجلس الذى اجتمع هؤلاء له ، لو علم الله منهم أنهم إنما يسألون ذلك استرشادا لأجيبوا إليه ، ولـكن علم أنهم إنما يطلبون ذلك كفرا وعنادا فقيل لرسول الله «ص» : إن شئت أعطيناهم ماسألوا ، فإن كفروا عذبتهم عذابا لا أعذبه أحداً من العالمين ، وإن شئت فتحت عليهم باب التوبة والرحمة . فقال : بل تفتح عليهم باب التوبة والرحمة » وختام كلام ابن كثير ورد فى حديث رواه أحمد عن ابن عباس .

. . . .

ذهبا ، فَهَمَّ رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يدعو الله لهم ، فنزل جبريل ، فقال لهم : ماشئتم إن شئتم فعلت ماسألتم ، ثم لانُلْبِثُكُمْ إن كذبتم بعد معاينة الآية ، فقالوا : لاحاجة لنا بها(١).

عبد الله بن أبي أمية :

فصل: وذكر قول عبد الله بن أبي أمية له ، واسم أبي أمية : حُذَيْفَةَ : والله لا أومن بك حتى تتخذَ سُلَّمَاً(٢) إلى آخر الكلام ، وقد أسلم عبد الله بن أبي أمية قبل فتح مكة ، وسيأتي ذكر إسلامه .

هم أبي جهل بإلقاء الحجر:

وذكر خبر أبي جهل ، وماهمّ به من إلقاء الحجر على رسولِ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو ساجد ، وقد رواه النَّسَوِيُّ بإسناد إلى أبي هُرَيْرَةَ قال : قال أبو جهل ، وذكر الحديث إلى قوله : فنكص أبو جهلٍ على عَقِبَيْه ، فقالوا: مالك؟ فقال: إن بيني وبينه لَخَنْدَقاً من نار ، وهَوْلاً وأجنحةً ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه سلم ـ لودنا لاختطفته الملائكة عُضوا عضوا ، وخرّجه أيضا مسلم(٣) وذكر النَّسَوِيُّ أيضا بإسناده إلى ابن عباس أن أبا جهل قال له :

---

(١) روى أحمد قريبا منه

(٢) في ابن كثير بعد حديثه في السيرة : حتى تأتيها : «وتأتي معك بصحيفة منشورة ، ومعك أربعة :. الخ »

(٣) وابن حنبل والنسائي وابن جرير وابن أبي حاتم، وسيأتي نص الأحاديث التي ذكرت حول هذا في الصفحة الآتية .

رفع المسهم

. . . .

ألم أنهك ؟ فوالله ما بمكة نادٍ أعز من نادِيّ ، فأنزل اللهُ تعالى : ﴿ أرأيتَ الذى ينهى عَبْداً ﴾ إلى قوله : ﴿ فَلْيَدْعُ ناديه ، سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ (١) ﴾ العلق .

---

(١) روى البخارى عن ابن عباس قال : « قال أبو جهل : لئن رأيت محمداً يصلى عند الكعبة لأطأن على عنقه ، فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم — فقال : لئن فعل ، لأخذته الملائكة » وكذا رواه الترمذى والنسائى فى تفسيرهما ، وهكذا رواه ابن جرير .

وروى أحمد والترمذى والنسائى وابن جرير — وهذا لفظه من طريق داود ابن أبى هند — عن عكرمة عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى عند المقام ، فمر به أبو جهل بن هشام ، فقال : يا محمد ! ألم أنهك عن هذا ؟ وتوعده ، فأغلظ له رسول الله — صلى عليه وسلم ، وانتهره ، فقال : يا محمد بأى شىء تهددنى ؟ ! أما والله إنى لأكثر هذا الوادى ناديا فأنزل الله : (فليدع ناديه ، سندع الزبانية) وقال ابن عباس : لو دعا ناديه لأخذته ملائكة العذاب من ساعته ، وقال الترمذى : حسن صحيح . وعن أبى هريرة قال : قال أبو جهل : هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم ؟ قالوا : نعم ، قال : فقال : واللات والعزى لئن رأيته يصلى كذلك لأطأن على رقبته ولأعفرن وجهه فى التراب ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم — وهو يصلى ليطأ على رقبته ، قال : فما فجأهم إلا وهو ينكص على عقبيه ، ويتقى بيديه ، قال : فقيل له : مالك ؟ فقال إن بينى وبينه خندقا من نار وهولا وأجنحة . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو دنا منى لاختطفته الملائكة عضوا عضوا ، قال : وأنزل الله لا أدرى فى حديث أبى هريرة أم لا : (كلا إن الإنسان ليطغى) إلى آخر السورة ، رواه مسلم وابن حنبل والنسائى وابن جرير وابن أبى حاتم ، وهكذا تؤكد هذه الأحاديث فرضية الصلاة قبل الإسراء .

. . . .

تفسير أرأيت:

قال محمد بن يزيد : فى الـكلام حذفٌ ، تقديرُه : أَرَأَيْتَ الذى ينهى عبداً إذا صَلَّى ، أمُصِيبٌ هو أو مُخْطِئ ؟ وكذلك فى قوله : ﴿أرأيتَ إن كان على الهدى﴾ العلق كأنه قال : أليسَ مَن ينهاه بضالٍّ ؟ وقوله ﴿لَنَسْفَعاً بالنَّاصِية﴾ العلق أى لنأخُذَنَّ بها إلى النارِ ، وقيل معنى السَّفْع هٰهنا : إذلالُه وقَهْرُه ، والنادى والنَّدِيُّ والمُنْتَدَى بمعنى واحدٍ ، وهو : مجلسُ القوم الذين يَتَنَادَوْن إليه ، وقال أهل التفسير فيه أقوالا متقاربةً ، قال بعضهم : فَلْيَدْعُ حَيَّه ، وقال بعضهم : عشيرتَه ، وقال بعضُهم : مجالسَه ، وفى أرأيتَ معنى : أخْبِرْنى ، ولذلك قال سيبويه : لم يجز إلغاؤها ، كما تُلغى : علمتُ إذا قلت : علمت أزَيْدٌ عندك أم عَمْرٌو ، ولا يجوز هذا فى : أرأيت ، ولا بُدَّ من النَّصْبِ إذا قلت : أرأيت زَيْداً ، أبُو مَنْ هو ؟ قال سيبويه : لأن دخولَ معنى أخبرنى فيها لا يجعلها بمنزلة : أخبرنى فى جميع أحوالها ، قال المؤلف : وظاهرُ القرآن يقضى بخلافِ ما قال سيبويه إلاَّ بعد البيان ، وذلك أنها فى القرآن مُلْغاةٌ ؛ لأن الاستفهامَ هو مطلوبُها ، وعليه وقعت فى قوله : ﴿أرأيتَ ، إن كَذَّبَ وتولى ، أَلَمْ يَعْلَمْ﴾ العلق : فقوله : أَلَمْ يعلم : استفهامٌ ، وعليه وقعت : أرأيت ، وكذلك : أَرَأَيْتُمْ ، وأَرَأَيْتَكُمْ فى الأنعام ، فإن الاستفهام واقع بعدها نحو : ﴿هلْ يُهلَكُ إلا القوْمُ الظالمون﴾ الأنعام : ٤٧ . وهذا هو الذى منع سيبويه فى : أرأيتَ وأرأيتَكَ أبو من أنت ؟ وأما البيانُ فالذى قاله سيبويه صحيح ، ولـكن إذا ولى الاستفهامُ : أرأيتَ ، ولم يكن لها مَفْعُولٌ سوى الجملة ، وأما فى هذه المواضع التى فى التنزيل ، فليست الجملةُ المستفهَمُ عنها هى مَفْعُول : أرأيت ، إنما مَفْعُولها محذوفٌ يدل عليه

. . . .

الشرطُ ، ولابد من الشرط بعدها فى هذه الصور ؛ لأن المعنى : أرأيتم صنيعكم إن كان كذا ، وكذا ، كما يقول القائل : أرأيت إن لقيت العدو أتقاتله أم لا؟ تقدير الكلام : أرأيتَ رأيك أو صنيعك إن لقيت العدو فحرف الشرط ، وهو : إن ، دالٌ على ذلك المحذوف ، ومُرْتبط به ، والجملة المستفهَمُ عنها كلامٌ مُسْتأنف منقطِع ، إلا أن فيه زيادةَ بيانٍ لما يستفهم عنه ، ولو زال الشّرط ، ووليها الاستفهامُ لَقَبُحَ كما قال سيبويه ، ويحسُن فى : علمت ، وهل علمت وهل رأيت ، وإنما قُبْحُه مع أرأيت خاصة ، وهى التى دخلها معنى : أخبرنى فتدَبّرْه .

الأساطير وشىء عن الفرس:

فصل : وذكر حديثَ النَّضْر بن الحارث ، ومانزل فيه من قول الله تعالى : ﴿قالوا : أَساطِيرُ الأَوَّلين﴾ واحد الأساطير : أُسْطُورة كأُحْدُوثة وأحاديث ، وهو ماسَطَّره الأَوَّلُون ، وقيل : أساطير : جمع أسطار ، وأسطارٌ جمعٌ : سَطَر بفتح الطاء ، وأما سَطْرٌ بسكون الطاء ، فجمعه : أَسْطُرٌ ، وجمع الجمع : أساطر بغير ياء ، وذكر أن النضر بن الحارث كان يُحَدِّث قريشا بأحاديث رُسْتُم وأسفنديار ، وما تعلَّم فى بلاد الفرس من أخبارهم ، وذكر ما أنزل الله فى ذلك من قوله ، وقد قيل فيه نزلت : ﴿ومن قال: سَأُنْزِلُ مثلَ ماأنزل الله﴾ الأنعام : ٩٣. وأما أحاديث رستم ، ففى تاريخ الطبرى أن رُسْتُم بن ريسان(١) كان يحارب كى يستاسب بن كى لهراسب ، بعد ماقتل أباه لطراسب ابن كى اجو . وكى

---

(١) فى الطبرى ص ٥٠٤ جـ ١ « رستم الشديد بن دستان بن بريمان »

رفع المسيرهما عبدالله الطالع

. . . .

فى أوائل هذه الأسماء عبارة عن البهاء ، ويقال : عبارة عن إدراك الثأر ، ويقال لهؤلاء الملوك : الكينية من أجل هذا ، وكان رُسْتُم الذى يقال له : رُسْتُم سَيِّد بنى ريسان من ملوك الترك ، وكان كى يستاسب قد غضب على ابنه ، فسجنه حسداً له على ماظهر من وقائعه فى الترك ، حتى صار الذكر له ، فعندها ظهرت الترك على بلاد فارس ، وسبَوا بنتين : ليستاسب ، اسم إحداهما : خمانة ، أو نحو هذا ، فلما رأى يستاسب ألاَّ يدَين له بقتالهم أطلق ابنه من السجن ، وهو اسفندياذ ، ورضى عنه وولاه أمر الجيوش ، فنهد إلى رستم ، وكانت بينهما ملاحم يطول ذكرها ، لكنه قتل رستم ، واستباح عساكره ، ودوّخ فى بلاد الترك ، واستخرج أختيه من أيديهم ، ثم مات اسفندياذ قبل أبيه ؛ وكان ملك أبيه نحواً من مائة عام ، ثم عهد إلى بهمن بن اسفندياذ ، فولاه الأمر بعد موته وبهمن بلغتهم : الحسن النية ، ودام ملكه نيفًا على مائة عام ، وكان له ابنان : ساسان ودارا ، وقد أملينا فى أول الكتاب طرفا من حديث ساسان وبنيه ، وهم الساسانية الذين قام عليهم الإسلام ، ورُسْتُم آخرُ مذكور أيضا قبل هذا فى أحاديث كى قباذ ، وكان قبل عهد سليمان ، ثم كان رستم وزيرا بعد كى قباذ لابنه كى قاووس ، وكانت الجن قد سُخِّرت له . يقال إن سليمان أمرهم بذلك ، فبلغ ملكُه من العجائب مالا يكاد أن يصدقه ذوو العقول لخروجها عن المعتاد لكن محمد بن جرير الطبرى ذكر منها أخبارًا عجيبة(١) .

---

(١) إنما سخر الجن بأمر الله لسليمان ، لا بأمر سليمان . وانظر ماقصه السهيلى فى الطبرى ج ١ من ص ٥٠٤ ط المعارف ، وفيه : سياوخش بدلا من شاوخش ، وفيه بعض ما يخالف ما هنا ، ففى ص٥٦٤ ج ١ يذكر الطبرى أن ــــ

رفع المسلم

وذكر أنه همّ بما هم به نمروذ من الصعود إلى السماء ، فطرحته الريح ، وضَعْضَعَتْ أركانه ، وهدمت بنيانه(١) ، ثم ثاب إليه بعض جنوده ، فصار كسائر الملوك يغلب تارة ، ويُغلب بخلاف ما كان قبل ذلك ، وسار بجنوده إلى اليمن فنهد إليه عمرو ذو الأذعار ، فهزمه عَمْرو ، وأخذه أسيرا ، وحبسه في مَحْبِس حتى جاء رُسْتم ، وكان صاحب أمره ، فاسْتَنْقَذَه من عَمْرٍو ، إمَّا بَطَوْعٍ ، وإمَّا بإكراه ، ورده إلى بلاد فارس . ولابنه شاوخش مع قراسيات ملك الترك خبر عجيب ، وكان رستم هو القيِّم على شاوخش والكافل له فى صغره ، وكان آخر أمر شاوخش بعد عجائب أن قتله قراسيات ، وقام ابنه كى خسرو يطلب بثأره ، فدارت بينه وبين الترك وقائع لم يسمع بمثلها ، وكان الظفر له ، فلما ظفروا رأى أمله فى أعدائه ماملأ عينه قُرَّة ، وقلبه سرورا زهد فى الدنيا ، وأراد السياحة فى الأرض ، فَتَعاَتّ به أبناء فارس ، وحذرته من شَتَات الشَّمل بعده ، وشماتة العدو ، فاستخلف عليهم : كى لهراسب ، بن كى اجو ، بن كى كينة ، بن كى قاووس المتقدم ذكره(٢) ، ولا أدرى : هل رستم الذى قتله أسفنديار هو رُسْتَم

= مقتل اسفنديار كان على يد رستم ، وأما الذى قتل رستم وأباه دستان فهو أزدشير بهمن ابن بشتاسب ص ٥٦٨ .

(١) فى الطبرى ص ٥٠٧ ج ١ ويذكر الطبرى عن كى قاوس : «أن الله أعطاه قوة ارتفع بها ، ومن معه فى الهواء ، حتى انتهوا إلى السحاب ، ثم إن الله سلبهم تلك القوة ، فسقطوا ، فهلكوا ، وأفلت كى قاوس بنفسه » أكانت لديهم معرفة بغزو الفضاء ؟ وقد ظهر الترك على بلاد فارس فى عهد ملك الترك خراسف . واسم ابنة ليستنسب الأخرى : باذفراه

(٢) نسبه فى الطبرى هكذا : كيلهراسب بن كيوجى بن كيمنوش بن كيفاوشين ابن كيبيه بن كيقباذ الأكبر ص ٥١٥ ، وتستطيع فصل كى عن كل اسم مما سبق .

. . . .

صاحب كى قاووس ، أم غيره ، والظاهر أنه ليس به ، لأن مدة مابين كى قاووس وكى يستاسب بعيدة جدا ، وأحسبه كما قدمنا أنه كان من الترك ، وهذا كله كان فى مدة الكينية ، وعند اشتغالهم بقتال الترك استعملوا بُخْتَ نَصَّرَ البابلى على العراق ، فكان من أموره مع بنى إسرائيل وإثخانه فيهم ، وهدمه لبيت المقدس وإحراقه للتوراة وقتله لأولاد الأنبياء ، واسترقاقه لنساء ملوكهم وذراريهم مع عيشه فى بلاد العرب حين جاس خلال ديارهم ، ماهو مشهور فى كتب التفاسير ، ومعلوم عند أصحاب التواريخ (١) .

فهذه جملة مختصرة تشرح لك ماوقع فى كتاب ابن إسحاق من ذكر رستم واسفندياذ ، وكانت الكينية قبل مدة عيسى بن مريم ، أولهم فى عهد أفريدون قبل موسى عليه السلام بمئين من السنين ، وآخرهم فى مدة الاسكندر

(١) أخبار بختنصر فى الجزء الأول من تاريخ الطبرى ص ٥٢٨ ، وكان فى أيام لهراسب أحد ملوك الفرس ، ويذكر الطبرى أن بختنصر وجد فى سجن بنى إسرائيل إرميا النبى ، فسأله : ما خطبك : فأخبره أن الله بعثه إلى قومه — بنى إسرائيل ؛ ليحذرهم الذى حل بهم — يعنى : من بختنصر ـ فكذبوه ، وحبسوه ؛ فقال بختنصر : بئس القوم قوم عصوا رسول ربهم . ثم أطلق سراحه ، وأحسن إليه ص ٥٣٨ ج ١ وفى سفر أرميا إصحاح ٢٦ أن بنى إسرائيل هموا بقتل أرميا لأنه قال لهم : « ارجعوا كل واحد عن طريقه الردىء وعن شر أعمالكم .. ولا تسلكوا وراء آلهة أخرى لتعبدوها وتسجدوا لها » إصحاح ٢٥ ، وفيه أيضاً أنه حذرهم من « نبوخذ راصر » أى : بختنصر فإن الله سيسلطه عليهم إن لم يرجعوا . ويقع سفر أرميا هذا فى أكثر من ستين صفحة ، وكله حول هذا . وبعده سفر آخر اسمه : مراثى أرميا ، وهى منسوبة إليه فى رثاء أورشليم بعد تخريب بختنصر لها .

رفع
المسلم
عبد الله بن الحسن

ابن قليس(١) والإسكندر هو الذى سلب ملكهم ، وقتل دارا بن دارا ، وهو آخرهم ، ثم كانت الأشغانية مع ملوك الطوائف أربعمائة وثمانين عاما ، وقيل : أقل من ذلك فى قول الطبرى ، وقولُ المسعودى : خمسمائة وعشر سنين فى خلال أمرهم بُعِث عيسى بن مريم ، ثم كانت الساسانية نحوا عن ثلاثين ملكا حتى قام الإسلام ، ففض خَدَمَتَهُمْ . وخَضَدَ شوكتَهم ، وهدم هيا كلَهم ، وأطفأ نيرانهم التى كانوا يعبدون ، وذلك كله فى خلافة عمر .

عن سورتى الكهف والفرقان — سبب نزول الكهف :

فصل : وذكر ابن إسحاق إرسال قُرَيْشٍ النضرَ بن الحارث وعُقْبَةَ بن أبى مُعَيْط إلى يهود ، وما رجعا به من عندهم من الفصل بينهم وبين النبى صلى الله عليه وسلم ، فسألوه عن الأمورِ الثلاثة التى قالت اليهود : إن أخبركم بها فهو نبى وإلا فهو مُتَقَوِّل ، فقال لهم : سأخبركم غدا ، ولم يقل : إن شاء الله ، فأبطأ عنه الوحى فى قول ابن إسحاق خمسة عشر يوماً(٢) ، وفى سير التَّيمِي وموسى بن عُقْبَةَ

(١) يعنى اسكندر المقدونى بن فليبس .

(٢) جاء فى حديث روى بعضه فى كتب الصحاح مايخالف ما ذهب إليه ابن إسحاق فى شأن إرسال النضر وعقبة ، وإليك ماروى فى هذا الشأن .

روى البخارى ومسلم وأحمد والترمذى وقال : إنه صحيح — عن ابن مسعود : « كنت أمشى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حرث المدينة ، وهو متوكىء على عسيب ، فمر بقوم من اليهود ، فقال بعضهم لبعض : سلوه عن الروح ، وقال بعضهم : لاتسألوه ، قال : فسألوه عن الروح ، فقالوا : يا محمد : ما الروح ؟ فما زال متوكئا على العسيب ، قال : فظننت أنه

. . . .

أن الوحىَ إنما أبطأ عنه ثلاثة أيام ، ثم جاء جبريل بسورة الكهف .

لم قدم الحمد على الكتاب ؟ !

وذكر افتتاحَ الربِّ سبحانه بحمد نفسه، وذكر نبوة نبيه. حمْدُه لنفسه تعالى، خبرٌ باطِنُه الأمْرُ والتعليمُ لعبده كيف يَحمدُه ، إذ لولا ذلك لاقتضت الحالُ الوقوف عن تسميته ، والعباراتِ عن جلاله ، لقصور كلِّ عبارةٍ عما هنا لك من الجلال، وأوصافِ الكمال، ولما كان الحمدُ واجباً على العبد قُدِّم في هذه الآية ليقترِنَ في اللفظ بالحمد الذى هو واجبٌ عليه ، وليستشعرَ العبدُ وجوبَ الحمد عليه ، وفى سورة الفرقان قال : « تبارَكَ الذى نَزَّل الفُرقانَ على عبده » وبدأ بذكر الفُرقانِ الذى هو الكتابُ المبارَك . قال الله سبحانه : ﴿وهذا كتابٌ أنزلناه[1]

= يوحى إليه ، فقال : (ويسئلونك عن الروح، قل: الروح من أمر ربى، وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) قال : فقال بعضهم لبعض : قد قلنا لكم : لا تسألوه ، وفى رواية البخارى : «فلم يرد عليهم شيئا ، فعلمت أنه يوحى إليه ، فقمت مقامى فلما نزل الوحى ، قال : (ويسألونك عن الروح قل : الروح من أمر ربى) ، والمشكل هنا أن سورة الإسراء : مكية وظاهر القصة يوحى بان الآية مدنية . ولو كان الأمر قاصرا على الرواية الأولى : « فظننت أنه يوحى إليه » لقلنا إن الرسول انما سكت ليتذكر الآية التى يرد بها عليهم ، فظن ابن مسعود أنه يوحى إليه ، إما ابن كثير فيقول : «وقد يجاب عن هذا بأنه قد تكون نزلت عليه بالمدينة مرة ثانية ، كما نزلت عليه بمكة قبل ذلك ، أو أنه نزل عليه الوحى بأنه يجيبهم عما سألوه بالآية المتقدم إنزالها عليه . والذى يدل على نزول هذه الآية بمكة ما رواه أحمد أن قريشا قالت ليهود : أعطونا شيئا نسأل عنه هذا الرجل ، فقالوا : سلوه عن الروح ، فنزلت الآية ، وإجابة ابن كثير غير مقنعة والعسيب : غصن من جريد النخلة .

(١) هذا جزء من آية رقم ٩٢ و ١٥٥ من سورة الأنعام . والذى ذكره =

. . . .

مُبَارَكٌ﴾ فلما افتتح السورة بتبارك الذى ، بدأ بذكر الفرقان ، وهو الكتاب المبارك ، ثم قال : على عبده ، فانظر إلى تقديم ذكر عبده على الكتاب ، وتقديم ذكر الكتاب عليه فى سورة الفرقان ، وما فى ذلك من تشاكُلِ اللفظِ والتئامِ الكلامِ نرى الإعجازَ ظاهراً ، والحكمةَ باهرةً ، والبرهانَ واضحاً ، وأنشد لذى الرُّمَّةِ .

شرح شواهد شعرية :

كأنه بالضُّحى ترمى الصعيدَ به   دَبَّابَةٌ فى عظام الرأس خُرْطُومُ

يصف ولدَ الظبية : والخُرْطُومُ : من أسماء الخمر ، أى : كأنه من نشاطه دَبَّتِ الخمرُ فى رأسه . وأنشد له أيضاً :

طوى النَّحْزُ والأجرازُ . البيت . والنَّحْزُ : النَّخْسُ ، والنُّحازُ : داء يأخذ الإبلَ والنحيزَةُ : الغَريزَةُ ، والنحيزة(١) : نسيجة كالحزام : والضلوعُ الجَرَاشِعُ . هو جمع جُرْشُع . قال صاحب العين . الجُرْشُعُ : العظيم الصدر ، فمعناه إذاً فى البيت على هذا : الضلوعُ من الهزال قد نَتَأَتْ ، وبرزت كالصدر البارز .

═ ابن إسحاق فى أسباب نزول «وما نتنزل إلا بأمر ربك» روى فيه الإمام أحمد بسنده عن ابن عباس قال : قال رسول الله «ص» لجبرائيل : ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا ؟! قال : فنزلت هذه الآية ، انفرد بإخراجه البخارى فرواه عند تفسير هذه الآية عن أبى نعيم عن عمر بن ذربة

(١) فى اللسان أيضاً . النحز : الضرب والدفع والسعال عامة ، والنحاز : داء يأخذ الإبل والدواب ، والنحيزة : الطريق بعينه . وشىء ينسج أعرض من الحزام يخاط على طرف شقة البيت ، وفى القاموس : تكون على الفساطيط والبيوت ، والاجراز : جميع جرز : السنة أو الأرض المجدبة .

رفع
المسـاهم
غفر الله له ولوالديه

. . . .

الرقيم وأهل الكهف :

فصل : وذكر الرَّقِيمَ وفيه سوى ما قاله أقوال . روى عن أنس أنه قال : الرقيمُ : الكلبُ ، وعن كعب أنه قال : هو اسم القرية التى خرجوا منها ، وقيل : هو اسم الوادى وقيل : هو صخرة ، ويقال : لوح كتب فيه أسماؤُهم ودينُهم وقصتُهم ، وقال ابن عباس : كل القرآن أعلم إلا الرقيمَ والغِسْلِين وحنانًا و الأَوَّاه(١) ، وقد ذكرت أسماؤهم على الاختلاف فى بعض ألفاظها وهى : مليخا ، كسلميا ، مرطوش ابن أنس ، اريطانس ، أيونس ، شاطيطوش(٢) . وقيل فى اسم مدينتهم : أفوس ، واختلف فى بقائهم إلى الآن ، فروى عن ابن عباس أنه أنكر أن يكون بقى شىء منهم ، بل صاروا ترابا قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم ، وقال بعض أصحاب الأخبار غير هذا ، وأن الأرضَ لم تأكلهم ، ولم تغيرهم ، وأنهم على مَقْرُبة من القُسْطَنْطِينِيَة ، فالله أعلم . روى أنهم سيحجون البيتَ إذا نزل عيسى بن مريم . ألفيتُ هذا الخبرَ فى كتاب البدء لابن أبى خَيْثَمة(٣) .

إعراب أحصى :

وذكر قول الله تعالى : ﴿ لنعلَم أىُّ الحِزْبَيْن أَحْصى لما لبثوا أمداً ﴾ الكهف : ١٢ قد أمْلينا فى إعراب هذه الآية نحوا من كراسة . وذكرنا ما وهم فيه الزَّجَّاجُ من إعرابها ؛ حيث جعل أحصى اسما فى موضع رفع على خبر المبتدأ ، وأمَداً : تمييز وهذا لا يصح ؛ لأن التمييز هو الفاعل فى المعنى ، فإذا قلت : أيهم أعلم أبا ، فالأب هو العالم ، وكذلك إذا قلت أيهم أفرَهُ عَبْدا ، فالعبد هو الفاره ،

---

(١) لاشك فى أنه نقل غير صحيح عن ابن عباس يراد به غرض خبيث .

(٢) رجم بالغيب فالسند فى معرفتها ضعيف جدا .

(٣) الحق فيما نقل عن ابن عباس [illegible]

رفع المسا هم

. . . .

فيلزم على قوله إذاً أن يكونَ الأَمَدُ فاعلا بالإحصاء ، وهذا محال ، بل هو مفعُول ، وأَحصى : فعل ماضٍ ، وهو الناصب له ، وذكرنا فى ذلك الإملاء أنَّ أيهم ، قد يجوز فيه النصبُ بما قبله إذا جعلته خبرا ، وذلك على شُروط بيناها هنالك لمن أراد الوقوف على حقيقتها ، أى : ومواضعها ، وكشفنا أسرارها .

عن الضرب وتزاور الشمس وفائدة القصة :

وقولهسبحانه : ﴿فضربنا على آذانهم﴾ أى : أَنمْناهم ، وإنما قيل فى النائم: ضُرِب على أذنه ؛ لأن النائم ينتبه من جهة السَّمْع ، والضربُ هنا مُستعار من ضربت القُفْلَ على البابِ ، وذكر قوله تعالى : ﴿ تَزَاوَرُ عن كهفهم ذات اليمين ﴾ الآية . وقيل فى تَقرِضُهم : تحاذيهم ، وقيل : تتجاوزهم شيئاً شيئاً من القَرْضِ ، وهو القطع ، أى : تقطع ما هنالك من الأَرض ، وهذا كله شرح اللفظ ، وأمَّا فائدة المعنى ، فإنه بيَّن أنهم فى مَقْنُوَةٍ من الأرض ، لاتدخل عليهم الشمسُ ، فتحرقهم ، وتبلى ثيابهم ، ويقلَّبون ذات اليمين وذات الشمال . لئلا تأكلهم الأرضُ ، والفائدة العُظمى فى هذه الصفة بيان كيفية حالهم فى الكهف ، وحال كلبهم ، وأين هو من الكهف ، وأنه بالوَصيدمنه ، وأن باب الكهف إلى جهة الشمال للحكمة التى تقدمت ، وأن هذا البيان لايكاديعرفه من رآهم ، فإن المطلع عليهم يُملأ منهم رُعبا ، فلا يمكنه تأمُّل هذه الدقائق من أحوالهم ، والنبى عليه السلام لم يرهم قط ، ولا سمع بهم ، ولا قرأ كتاباً فيه صفتُهم ؛ لأنه أُمّىٌّ فى أمة أمية ، وقد جاءكم ببيان لا يأتى به مَن وصل إليهم حتى إن كلبَهم قد ذكر ، وذُكِر موضعُه وبسطُه ذراعيه بالوَصيد ، وهم فى

. . . .

الفجوة، وفى هذا كله برهانٌ عظيم على نبوته، ودليلٌ واضح على صدقِه ، وأنه غير مُتَقَوِّلٍ ، كما زعموا ، فقِفْ بقلبِك على مضمون هذه الأوصاف ، والمرادبها تَعْصَمْ إن شاء الله مما وقعت فيه المُلْحِدةُ من الاستخفاف بهذه الآية من كتاب الله ، وقولهم : أىّ فائدة فى أن تكون الشمسُ تَزَاوَرُ عن كهفهم ، وهكذا هو كل بيت يكون فى مَقْنُوَةٍ ، أى:بابه لجهة الشمال ، فنبَّه أهلَ المعانى على الفائدة الأولى المنبئة عن لطف الله بهم ، حيث جعلهم فى مَقْنُوَةٍ تزاور عنهم الشمسُ فلا تؤذيهم ، فيقال: لمن اقتصر من أهل التأويل على هذا : فما فى ذكر الكلب وبسط ذراعيه من الفائدة ، وما فيه من معنى اللطف بهم ؟ فالجواب : ما قدمناه من أن الله سبحانه لم يترك من بيان حالهم شيئاً ، حتى ذكر حال كلبهم مع أن تأملهم متعذر على من اطلع عليهم من أجل الرعب ، فكيف من لم يرهم ، ولا سمع بهم ، لولا الوحى الذى جاءه من الله سبحانه بالبيان الواضح الشافى ، والبرهان الكافى، والرعب الذى كان يلحق المُطَّلِعَ عليهم ،قيل : كان مما طالت شعورهم وأظفارهم . ومن الآيات فى هذه القصه قوله سبحانه : ﴿ فى فَجْوَةٍ منه ﴾ أى : فى فضاء ، ومع أنهم فى فضاء منه ، فلا تصيبهم الشمس . قال ابن سلام : فهذه آية . قال : وكانوا يقلَّبُون فى السنة مرتين (١) ، ومن فوائد الآية : أنه أخرج الكلب عن التقليب ، فقال : باسط ذراعيه ، ومع أنه كان لا يقلَّب لم تأكله الأرض ؛ لأن التقليب كان من فعل الملائكة بهم ، والملائكةُ أولياء المؤمنين فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، والكلبُ خارجٌ من هذه الآية . ألا تراه

---

(١) قوله : مرتين رجم بالغيب أيضا ، واللفظ يفيد أكثر من مرتين .

. . . .

كيف قال : بالوصيد ، أى : بفناء الغار لاداخلا معهم ؛ لأن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب (١) فهذه فوائد جمة قد اشتمل عليها هذا الكلام . قال ابن سلام : وإنما كانوا يقلَّبون فى الرقدة الأولى قبل أن يبعثوا .

المتنازعون فى أمرهم :

فصل : وذكر قول الله سبحانه : (قال الذين غَلَبُوا على أمرهم لَنَتَّخِذَنَّ عليهم مَسْجِدا) الكهف : ٢١ وقال : يعنى أصحاب السلطان، فاستدل بعض أهل العلم على أنهم كانوا مسلمين بقوله : لنتخِذَنَّ عليهم مسجدا(٢) . وذكر الطبرى أن أهلَ

(١) البخارى ومسلم والترمذى وأحمد والنسائى وابن ماجة . ولكن الله لم يذكر كلب أهل الكهف بما يفيد لعنه ، وقد أباح الله فى القرآن لنا تربية الجوارح ، وأكل ما صادته ، يقول ابن كثير فى تفسير قوله تعالى : (وما علمتم من الجوارح) : « وأحل لكم ما صدتموه بالجوارح وهى من الكلاب والفهود والصقور وأشباهها ، كما هو مذهب الجمهور من الصحابة والتابعين والأئمة . وقد ثبت فى الصحيحين عن عدى بن حاتم قال : قلت : يارسول الله إنى أرسل الكلاب المعلمة ، وأذكر اسم الله ، فقال : إذا أرسلت كلبك المعلم ، وذكرت اسم الله ، فكل ما أمسك عليك قلت : وإن قتلن ؟ قال : وإن قتلن ، مالم يشركها كلب ليس منها ، فإنك إنما سميت على كلبك ، ولم تسم على غيره فأصيب . قلت له : فإنى أرمى بالمعراض الصيد ، فقال : إذا رميت بالمعراض فخزق فكله ، وإن أصابه بعرض ، فإنه وقيذ ، فلا تأكله » خزق السهم وخسق : إذا أصاب الرمية ونفذ فيها . والمعراض بالكسر : سهم بلا ريش ولا نصل ، وإنما يصيب بعرضه دون حده ، وشاة وقيذ : قتلت بالخشب . فلعل المراد : كلب الزينة لا كلب الصيد والحرث .

(٢) ذكرت مراراً أن دين رسل الله جميعاً من لدن نوح إلى محمد صلوات الله وسلامه عليهم ـ هو دين الإسلام . ويقال عن أتباعهم إنهم مسلمون ، والذين

رفع المسـاهم

. . . .

تلك المدينة تنازعوا قبل مبعثهم فى الأجساد والأرواح : كيف تكون إعادتها يوم القيامة ، فقال قوم : تعاد الأجساد كما كانت بأرواحها ، كما يقوله أهل الإسلام ، وخالفهم آخرون ، وقالوا : تبعث الأرواح دون الأجساد ، كما يقوله النصارى ، وشَرِيَ بينهم الشرُّ ، واشتد الخلاف ، واشتد على مَلِكهم مانزل بقومه من ذلك ، فلبس المُسُوح ، وافترش الرماد ، وأقبل على البكاء والتضرع إلى الله أن يريه الفَصْل فيما اختلفوا فيه ، فأحيا الله أصحاب الكهف عندذلك ، فكان من حديثهم ماعرف وشهر ، فقال الملك لقومه : هذه آية أظهرها الله لكم لتتفقوا ، وتعلموا أن الله عز وجل كما أحيا هؤلاء ، وأعاد أرْوَاحهم إلى أجسادهم ، فكذلك يعيد الخلق يوم القيامة كما بدأهم ، فرجع الكل إلى ماقاله الملك ، وعلموا أنه الحق .

= تنازعوا فى أمر الفتية طائفتان . إحداهما : قالت مايقوله المسلم الذى يكل الأمر إلى الله ، ولا يعدو على الغيب . إذ قالت : « ابنوا عليهم بنياناً » ، وعللت الأمر بكلمة مؤمنة ، لا تصدر إلا عن مؤمن ، وهى قولهم : « ربهم أعلم بهم » . وفى كل لفظة هنا إشراقة من نور الإيمان القوى بالله . أما الآخرون ، فقد وصفوا بغير مايوصف به المؤمن التقى الخاشع ، إذ وصفوا بأنهم : « غلبوا على أمرهم » فهم إذاً أخذوا الأمر بالقهر والغلبة دون ترو أو نزوع إلى معرفة أمر الله ، أو انعطاف إلى خشوع . ثم اقترحوا مصممين على مااقترحوا : « لنتخذن عليهم مسجداً » هكذا بالتوكيد والقهر المستعلى . ووازن بين اقتراح الاولين وهو بناء بنيان عليهم ، أى : سد باب الكهف تجده عملا إسلامياً ، وبين اقتراح الآخرين ، وهو اتخاذ مسجد ، واتخاذ المساجد على القبور أمر لعنه الله ورسوله ، وهو أشمل من إقامة مسجد

رفع
المسيهم
عبدالله الرحمن

عن واو الثمانية :

فصل : وذكر قول الله سبحانه ﴿ ويقولون : سَبْعَةٌ وثامنهم كلبُهم ﴾ قد أفردنا للكلام على هذه الواو التى يسميها بعض الناس : واو الثمانية (١) بابا

---

(١) أى الواو التى تأتى بعد استيفاء سبعة أشياء ، ثم تذكر قبل الثامن ، وقد استشهد أصحابها بقوله سبحانه : « التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر » التوبة : ١١٢ فقالوا : إن الواو جاءت بعد استيفاء الأوصاف السبعة . واستدلوا أيضاً بقوله سبحانه : (عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات ، عابدات ، سائحات ثيبات وأبكاراً) التحريم : ٥ فجاءت بعد استيفاء الأوصاف السبعة . واستشهدوا بالآية التى سيتكلم عنها السهيلى : « سبعة وثامنهم » . واستشهدوا أيضاً بقوله سبحانه: (وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا ، حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها » الزمر : ٣ - ٧ . فأتى بالواو لما كانت أبواب الجنة ثمانية. وقال فى النار :« حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها » لما كانت سبعة . وقد رد الإمام ابن القيم على هذا رداً طيبا . فقال عن آية التوبة باختصار: إن كل صفة لم تعطف على ماقبلها فيها كان فيه تنبيه على أنهما فى اجتماعهما كالوصف الواحد لموصوف واحد، فلم يحتج إلى عطف . فلما ذكر الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وهما متلازمان مستمدان من مادة واحدة ، حسن العطف ليتبين أن كل وصف منهما قائم على حدته مطلوب تعيينه ، لا يكتفى فيه حصول الوصف الآخر، بل لابد أن يظهر أمره بالمعروف بصريحه، ونهيه عن المنكر بصريحه ، وأيضاً فحسن العطف ههنا ماتقدم من التضاد ، فلما كان الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ضدين أحدهما : طلب الإيجاد ، والآخر: طلب الإعدام ، كانا كالنوعين المتغايرين المتضادين . وقال : عن آية التحريم : إن دخول الواو قبل أبكار متعين ؛ لأن الأوصاف التى قبلها المراد اجتماعها فى النساء . وأما وصفا البكارة والثيوبة ، فلا يمكن اجتماعهما ، فتعين العطف ، لأن المقصود أنه يزوجه بالنوعين : الثيبات والأبكار، وسيأتى الكلام عن آية الكهف . أما آية الزمر عن الجنة والنار ، فقال: لا دلالة فى اللفظ على الثمانية حتى تدخل الواو لأجلها ، بل هذا من باب حذف =

. . . .

طويلا ، والذى يليق بهذا الموضع أن تعلم : أن هذا الواو تدل على تصديق القائلين لأنها عاطفة على كلام مُضْمَر ، تقديره : نعم ، وثامنهم كلبهم ، وذلك أن قائلا لو قال : إن زيدا شاعرٌ ، فقلت له : وفقيه ، كنت قد صدقته ، كأنك قلت : نعم هو كذلك ، وفقيه أيضا ، وفى الحديث : سُئِلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيتوضأ بما أفضلت الحمر ، فقال : وبما أفضلت السباع . يريد : نعم ، وبما أفضلت السباع . خرجه الدارقطنى . وفى التنزيل : (وارْزُقْ أهلَه من الثمرات مَنْ آمَنَ منهم بالله واليوم الآخر ، قال : ومَنْ كَفَرَ) البقرة : ١٢٦ هو من هذا الباب . فكذلك ما أخبره عنهم من قولهم : ويقولون : سبعة ، فقال سبحانه : «وثامنهم كلبهم» وليس كذلك : سادسُهم كلبهم ، ورابعهم كلبهم ؛ لأنه فى موضع النعت لما

= الجواب لنكتة بديعة ، وهى أن تفتيح أبواب النار كان حال موافاة أهلها ، ففتحت فى وجوههم ؛ لأنه أبلغ فى مفاجأة المكروه ، وأما الجنة فلما كانت ذات الكرامة ، وهى مائدة الله ، وكان الكريم إذا دعا أضيافه إلى داره ، شرع لهم أبوابها ، ثم استدعاهم إليها مفتحة الأبواب ، أتى بالواو العاطفة هكذا ، الدالة على أنهم جاءوها بعد ما فتحت أبوابها ، وحذف الجواب تفخيما لشأنه ، وتعظيما لقدره كعادتهم فى حذف الأجوبة » ويقول عن دعوى واو الثمانية فى مسألة أبواب الجنة فى مكان آخر : « إن هذا لو صح ، فإنما يكون إذا كانت الثمانية منسوقة فى اللفظ واحدا بعد واحد ، فينتهون إلى السبعة ، ثم يستأنفون العدد من الثمانية بالواو ، وهنا لا ذكر للفظ الثمانية فى الآية ولا عدها » انظر ص ٥٢ وما بعدها ج ٣ بدائع الفوائد وص ١٧٤ ج ٢ من نفس الكتاب وفيه قال : « على أن فى كون الواو تجىء للثمانية كلاما آخر قد ذكرناه فى الفتح المكى ، وبينا المواضع التى ادعى فيها أن الواو للثمانية ، وأين يمكن دعوى ذلك ، وأين يستحيل » .

رفع
المسهم
عبد الله الظالمي

. . . .

قبله ، فهو داخل تحت قوله سبحانه : (رَجْماً بالْغَيْبِ) ولم يقل ذلك فى آخر القصة (١) .

آية الاستثناء :

فصل : وذكر قول الله تعالى (ولا تَقُولَنَّ لشىء) وفسره ، فقال : أى استَثْنِ بِمشِيئة الله . المشِّيئة : مصدر شاء يشاء ، كما أن الخِيفة مصدر خاف يخاف ، ولكن هذا التفسير ، وإن كان صحيح المعنى ، فلفظ الآية مُشْكِل جِدًّا ؛ لأن قوله : (لا تقولَنَّ لشىء إنى فاعل ذلك غدًا) الكهف : ٢٣ نهى عن أن يقول هذا الكلام ، ولم ينه عن أن يصله بإلا أنْ يشاء الله ، فيكون العبد المنهى عن هذا القول منهيا أيضا عن أن يصله بقوله إلا أن يشاء الله . هذا محال : فقوله إذاً : إلا أن يشاء الله استثناء من الله ، راجعٌ إلى أول الكلام ، وهذا أيضا إذا تأملته نَقْضٌ لعزيمة النهى ، وإبطالٌ لِحُكْمِه ، فإن السيد إذا قال لعبده : لا تقم إلا أن يشاء الله أن تقوم ، فقد حل عقدة النهى ؛ لأن مشيئة الله للفعل لا تُعلم إلا بالفعل ، فالعبد إذاً أن يقوم ، ويقول : قد شاء الله أن نقوم ، فلا يكون للنهى معنى على هذا ، فإذا لم يكن رد حرف الاستثناء إلى النهى ، ولا هو من

(١) يقول الإمام ابن القيم عن كلام السهيلي هذا «واستنباطه حسن ، غير أنه إنما يفيد «يعنى أن الواو تقتضى تقرير الجملة الأولى» اذا كان المعطوف بالواو ليس داخلا فى جملة قولهم : بل يكون قد حكى سبحانه أنهم قالوا : سبعة ، ثم أخبر تعالى أن ثامنهم الكلب ، فحينئذ يكون ذلك تقريرا لما قالوه ، وإخبارا بكون الكلب ثامنا ، وأما إذا كان الإخبار عن الكلب من جملة قولهم ، وأنهم قالوا هذا ، وهذا ، لم يظهر ما قاله ، ولا تقتضى الواو فى ذلك تقريرا ولا تصديقا فتأمله» ص ١٧٦ ج ٢ بدائع الفوائد «وانظر أيضاً ج ٣ ص ٥٤ .

رفع المسهم

. . . .

الكلام الذى نهى العبد عنه ، فقد تبين إشكاله ، والجواب : أن فى الكلام حذفاً وإضماراً تقديره : ولا تقولن : إنى فاعل ذلك غداً إلاّ ذاكراً إلاّ أن يشاء الله ، أوناطقاً بأن يشاء الله ، ومعناه : إلا ذاكراً مشيئة الله ، كما قال ابن إسحاق ؛ لأن المشيئة مصدر ، وأنْ مع الفعل ، فى تأويل المصدر ، وإعراب ذلك المصدر مفعول بالقول المضمر ، والعرب تحذف القول ، وتكتفى بالمقول ففى التنزيل : (فأما الذين اسْوَدَّتْ وجوهُهُمْ أكَفَرْتم) آل عمران : ١٠٦ أى : يقال لهم : أكفرتم ، فحذف القول ، وبقى الكلام المقول ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ يَدْخُلُون عليهمْ من كُلّ باب : سلامٌ عليكم ﴾ الرعد : ٢٤ أى يقولون: سلام عليكم ، وهو كثير ، وكذلك إذاً قوله ﴿ إلاَّ أنْ يَشَاءَ اللهُ ﴾ هى من كلام الناهى له سبحانه ، ثم أضمر القول ، وهو الذكر الذى قدمناه ، وبقى المقول ، وهو : أن يشاء الله ، وهذا القدر يكفى فى هذا المقام ، وإن كان فى الآية من البسط والتفتيش ماهو أكثر من هذا .

ولبثوا فى كهفهم :

فصل : وقد فسر قوله تعالى : ﴿ ولبثوا فى كَهْفِهِم ﴾ فقال : معناه أى : سيقولون ذلك ، وهو أحد التأويلات فيها ، وعلى هذا القول قرأه ابن مسعود : وقالوا : لبثوا ، بزيادة قالوا . ثم قال ابن إسحٰق : قل : ربى أعلم بما لبثوا ، وهو وهم من المؤلف أو غيره ، وإنما التلاوة : ﴿ قُلِ : اللهُ أعلمُ بما لَبِثوا ﴾ (١)

(١) فى النسخة التى معى : هى كما فى المصحف . وتأويل ابن هشام قوله تعالى : « ولبثوا فى كهفهم » تأويل رائع ، إذ يجعل هذا القول من قول أهل الكتاب ، وبهذا يستقيم فهمنا للآية . ويتفق هذا مع مابعده ، وهو قوله سبحانه : (قل الله أعلم بما لبثوا)

رفع
المسهم

. . . .

وقد قيل : إنه إخبار من الله تعالى عن مقدار لُبثِهم ، ولكن لما علم استبعاد قريش وغيرهم من الكفار لهذا المقدار ، وعُلم أن فيه تنازعا بين الناس ، فمن ثَمّ قال : ﴿ قل : الله أعلم بما لبثوا ﴾ وقوله : ﴿ ثلاثمائة سنين ، وازدادوا تسعا ﴾ أى : إنها ثلاثمائة بحساب العجم ، وإن حسبت الأهلّة ، فقد زاد العدد تسعا ، لأن ثلاثمائة سنةٍ بحساب الشمس تزيد تسع سنين بحساب القمر (١) فإن قيل : فكيف قال ثلاثمائة سنين ، ولم يقل : سنة ، وهو قياس العدد فى العربية(٢) ، لأن المائة تضاف إلى لفظ الواحد ، فالجواب أن سنين فى الآية بدل مما قبله ، ليس على حد الإضافة ولا التمييز ، ولحكمة عظيمة عُدِل باللفظ عن الإضافة إلى البدل ، وذلك أنه لو قال : ثلاثمائة سنةٍ ، لكان الكلام كأنه جواب لطائفة واحدة من الناس ، والناسُ فيهم طائفتان : طائفة عرفوا طول لُبثِهم ، ولم يعلموا كمية السنين ، فعرّفهم أنها ثلاثمائة ، وطائفةٌ لم يعرفوا طول لبثهم ، ولا شيئا من خبرهم ، فلما قال : ثلاثمائة معرفا للأولين بالكمية التى شكُّوا فيها ، مبينا للآخرين أن هذه الثلاثمائة سنون ، وليست أياما ولا شهوراً ، فانتظم البيان للطائفتين

إذ لو كان : « ولبثوا » من كلام الله نفسه ما كان لقوله : قل الله أعلم معنى . وقراءة ابن مسعود قراءة شاذة ورواية قتادة لها منقطعة .

(١) بل تزيد عن هذا . وهذا تأويل لا يليق بكتاب الله ، ولا بكلام الله إنما يضطرون إليه ، لأنهم يرون أن قوله تعالى : « ولبثوا فى كهفهم ثلثمائة سنين » هو من قول الله نفسه ، وليس قولا يقصه الله عن غيره ، وليس فى الآية ما يشير مطلقاً إلى هذا التأويل ، وقد أعرب سنين بدلا ؛ لأن تمييز العدد مائة وما بعدها يكون مفردا مجرورا بالإضافة كقوله تعالى . فأماته الله مائة عام ثم بعثه ، وكقوله : «كألف سنة مما تعدون» .

. . . .

من ذكر العدد ، وجمع المعدود ، وتبين أنه بدل ؛ إذ البدل يراد به : تبيين ماقبله ، ألا ترى أن اليهود قد كانوا عرفوا أن لأصحاب الكهف نبأ عجيبا ، ولم يكن العجب إلا من طول لُبثهم غير أنهم لم يكونوا على يقين من أنها ثلاثمائة أو أقل ، فأخبر أن تلك السنين ثلاثمائة ، ثم لو وقف الكلام هٰهنا لقالت العرب ، ومن لم يسمع بخبرهم : ماهذه الثلاثمائة ؟ فقال كالمبين لهم : سنين ، وقد روى معنى هذا التفسير عن الضحاك ، ذكره النحاس.

السنة والعام :

فصل : وقال : سنين ، ولم يقل أعواما ، والسنة والعام ، وإن اتسعت العرب فيهما ، واستعملت كُلَّ واحد منهما مكان الآخر اتساعا ، ولكنَّ بينهما فى حكم البلاغة والعلم بتنزيل الكلام فَرْقًا ، فَخُذْه أولا من الاشتقاق ، فإن السنة من سَنا يَسْنُو إذا دار حول البئر ، والدابة : هى السَّانِيَة ، فكذلك السنة دَوْرَةٌ من دورات الشمس ، وقد تسمى السنة : دارا ، ففى الخبر : إن بين آدمَ ونوح ألفَ دارٍ ، أى : ألف سنة ، هذا أصل الاسم ، ومن ثَمَّ قالوا : أكلتهم السَّنَةُ ، فَسَمَّوْا شدةَ القحط سَنَةً ، قال الله سبحانه : ﴿ولقد أَخَذْنا آلَ فِرْعَوْنَ بالسِّنِينَ﴾ الأعراف : ١٣ ومن ثم قيل : أَسْنَتَ القومُ إذا أقحطوا ، وكأن وزنه أَفْعَتُوا ، لا أَفْعَلُوا ، كذلك قال بعضهم ، وجعل سيبويه التاء بدلا من الواو ، فهى عنده : أفعلوا ، لأن الجُدوبة والخِصب مُعتبر بالشتاء والصيف ، وحساب العَجَم إنما هو بالسنين الشمسية بها يُؤَرِّخون ، وأصحاب الكهف من أُمَّةٍ عجمية ، والنصارى يعرفون حديثهم ، ويؤرِّخون به ، فجاء اللفظ فى القرآن بذكر السنين الموافقة لحسابهم ، وتمم الفائدة بقوله : وازدادوا تسعا ليوافق حساب العرب ، فإن

. . . .

حسابَهم بالشهور القمرية كالمحرم وصفر ونحوهما(١) وانظر بعد هذا إلى قوله : ﴿ تَزْرَعُون سَبْعَ سِنينَ دَأَباً ﴾ يوسف : ٤٧ الآية ، ولم يقل أعواما ، ففيه شاهد لما تقدم ؛ غير أنه قال : (ثم يأتى من بعد ذلك عام) ، ولم يقل : سنة عدولا عن اللفظ المشترك ، فإن السنة قد يعبر بها عن الشدة والأزمة(٢) كما تقدم ، فلو قال : سنة لذهب الوهم إليها ؛ لأن العامَ أقل أياما من السنة ، وإنما دلت الرؤيا على سَبْع سنين شدادٍ ، وإذا انقضى العدد ، فليس بعد الشدة إلا رخاء ، وليس فى الرؤيا مايدل على مدة ذلك الرخاء ، ولا يمكن أن يكون أقل من عام ، والزيادةُ على العام مشكوكٌ فيها ، لاتقتضيها الرؤيا ، فحكم بالأقل ، وترك مايقع فيه الشك من الزيادة على العام ، فهاتان فائدتان فى اللفظ بالعام فى هذا الموطن ، وأما قوله : (وبلغ أربعين سنةً) فإنما ذكر السنين ، وهى أطول من الأعوام ، لأنه مُخْبِرٌ عن اكْتِهَال الإنسان ، وتمام قوته واستوائه ، فلفظ السنين أولى بهذا الموطن ؛ لأنها أكمل من الأعوام ، وفائدة أخرى : أنه خبر عن السن ، والسن معتبر بالسنين ، لأن أصلَ السِّن فى الحيوان لايعتبر إلا بالسنة الشمسية ، لأن النِّتَاجَ ، والحمل يكون بالربيع والصيف ، حتى قيل رِبْعِىٌّ للبَكِير وصَيْفِى(٣) للمؤخر ، قال الراجز :

---

(١) رأى يحتاج إلى دليل أقوى مما ذكر .

(٢) فى الراغب : أكثر ماتستعمل السنة فى الحول الذى فيه الحرب .

(٣) فى القاموس : « وجمع الربيع : ربع بضمتين ، وكصرد : الفصيل ينتج فى الربيع ، وهو أول النتاج . فإذا نتج فى آخر النتاج فهبع ، وهى هبعة »

. . . .

إن بَنِىَّ صِبْيَةٌ صَيْفِيُّونْ أفْلَحَ مَنْ كان له رِبْعِيُّونْ[1]

فاستعمله فى الآدميين ، فلما قيل فى الفصيل ونحوه : ابن سنة وابن سنتين، قيل ذلك فى الآدميين ، وإن كان أصلُه فى الماشية لما قدمنا ، وأما قوله : ﴿وحَمْلُه وفِصالُه فى عامين﴾ فلأنه قال سبحانه : ﴿يَسْئَلُونَكَ عن الأَهِلَّةِ ، قل : هى مواقيتُ للناس والحج﴾ البقرة : ١٨٩ فالرضاع من الأحكام الشرعية ، وقد قصرنا فيها على الحساب بالأهلة ، وكذلك قوله : ﴿يُحِلُّونَهُ عاماً ويُحَرِّمونه عاما﴾ ولم يقل : سنةً ؛ لأنه يعنى شهر المحرم وربيع إلى آخر العام ، ولم يكونوا يحسبون بأيلول ولا بتشرين ولا بيَنَيْر[2] ، وهى الشهور الشمسية وقوله سبحانه : ﴿فأماته الله مائةَ عامٍ﴾ إخبارٌ منه لمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأمته وحسابهم بالأعوام والأهِلَّةِ كما وقَّت لهم سبحانه ، وقوله سبحانه فى قصة نوح : ﴿فلبث فيهم ألفَ سنةٍ إلا خمسين عاما﴾ العنكبوت : ١٤ قيل: إنما ذكر أولا السنين ؛ لأنه كان فى شدائد

---

(١) البيت لسعد بن مالك بن ضبيعة ، وقيل : هى لأكثم بن صيفى « اللسان مادة ربع ، وصيف » ونسبه أبو زيد الأنصارى فى نوادره إلى أكثم بن صيفى . وقال : « يقال : أصاف الرجل فهو مصيف إذا ترك النساء شابا لم يتزوج ، ثم تزوج بعد ما أسن ، ويقال لولده : صيفيون » ثم استشهد بهذا البيت ثم قال : « الربعيون الذين ولدوا وآباؤهم شباب فهم رجال » ص ٨٧ طبع لبنان .

وفى إصلاح المنطق ص ٤٧٠ : « يقال للرجل إذا ولد له فى فتاء السن : قد أربع ، وهو مربع وولده : ربعيون ، وإذا تأخر ولده إلى آخر عمره قيل : أصاف فلان ، وهو مصيف ، وولده : صيفيون » ثم استشهد بهذا البيت «٢» يعنى يناير .

رفع المسهم عز الله الحراك الرحمن

مدته كلها إلا خمسين عاما منذ جاءه الفرج ، وأتاه الغوث ، ويجوز أن يكون الله ـ سبحانه ـ علم أن عمره كان ألفا ، إلا أن الخمسين منها ، كانت أعواما ، فيكون عمره ألف سنة ، تنقص منها ما بين السنين الشمسية والقمرية فى الخمسين خاصة ؛ لأن خمسين عاماً بحساب الأهلة أقل من خمسين سنة شمسية بنحو عام ونصف ، فإن كان الله سبحانه قد علم هذا من عمره ، فاللفظ موافق لهذا المعنى ، وإلا ففى القول الأول مقنع ، والله أعلم بما أراد ، فتأمل هذا ، فإن العلم بتنزيل الكلام ، ووضع الألفاظ فى مواضعها اللائقة بها يفتح لك بابا من العلم بإعجاز القرآن ، وابن هذا الأصل تعرف المعنى فى قوله تعالى : ﴿فى يوم كان مِقْدارُه خَمْسين أَلْفَ سنة﴾ المعارج : ٤ وقوله تعالى : ﴿[وإن يوما عند ربك] كألف سنة مما تعدون﴾ الحجر : ٤٧ وأنه كلام ورد فى معرض التكثير والتفخيم ، لطول ذلك اليوم والسنة أطول من العام ، كما تقدم ، فلفظها أليق بهذا المقام .

ذكر قصة الرجل الطواف ذى القرنين :

فصل : وذكر قصة الرجل الطواف ، والحديث الذى جاء فيه عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه كان مَلِكا مسح الأرض بالأسباب ، ولم يشرح معنى الأسباب . ولأهل التفسير فيه أقوال متقاربة ، قالوا فى قوله تعالى : ﴿وآتيْناه من كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً﴾ الكهف : ٨٤ : أى : علماً يتبعه ، وفى قوله تعالى : ﴿فأَتْبَع سَبَباً﴾ الكهف : ٨٥ أى : طريقاً موصلة ، وقال ابن هشام فى غير هذا الكتاب السببُ : حبل من نور ، كان ملَكٌ يمشى به بين يديه ، فيتبعه ، وقد قيل فى اسم ذلك المَلَك : زياقيل ، وهذا يقرب من قول من قال : سبباً أى : طريقاً ، ويقرب

رفع المسهم

. . . .

أن يكون تفسيراً لقول النبي صلى الله عليه وسلم : مسح الأرض بالأسباب[١]، واختلف فى تسميته بذى القرنين، كما اختلف فى اسمه، واسم أبيه، فأصح ماجاء فى ذلك ماروى عن أبى الطُّفَيْل عامر بن واثلة قال : سأل ابن الكَوَّاء على بن أبى طالب، فقال: أرأيت ذا القرنين، أنبيا كان أم ملكا؟ فقال : لا نبيا كان، ولا ملكا، ولكن كان عبداً صالحا دعا قومه إلى عبادة الله، فضربوه على قَرْنَىْ رأسه ضربتين، وفيكم مثلُه. يعنى : نفسه، وقيل : كانت له ضفيرتان من شَعر، والعربُ تسمى الْخُصْلَة من الشعر : قرنا، وقيل : إنه رأى فى المنام رؤيا طويلة أنه أخذ بَقَرْنَىِ الشمس، فكان التأويل أنه المشرق والمغرب، وذكر هذا الخبر على بن أبى طالب الْقِيرَوانى العابد فى كتاب البستان له، قال : وبهذا سمى ذا القرنين، وأما اسمه، فقال ابن هشام فى هذا الكتاب : اسمه مَرْزَبَى بن مَرْذَبَة بذال مفتوحة فى اسم أبيه، وزاى فى اسمه، وقيل فيه :

---

(١) قال ابن عباس ومجاهدوسعيد بن جبير وعكرمةوالسدىوقتادةوالضحاك وغيرهم عن السبب : العلم. وقال قتادة أيضاً : منازل الارض وأعلامها . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : تعليم الألسنة . أما كعب الأحبار، فيروى عنه ابن لهيعة أنه قال : كان يربط خيله بالثريا . وقد أنكر معاوية على كعب قوله هذا، وكان يقول عن كعب : وإن كنا لنبلو عليه الكذب . وما أحسن مايقول ابن كثير : « قال الله فى حق بلقيس « وأوتيت من كل شىء » أى : مما يؤتى مثلها من الملوك، وهكذا ذو القرنين يسر الله له الأسباب، أى: الطرق والوسائل إلى فتح الأقاليم والرساتيق والبلاد والأراضى وكسر الأعداء، وكبت ملوك الأرض، وإذلال أهل الشرك قد أوتى من كل شىء مما يحتاج اليه مثله سببا، والله أعلم . خلاصة هذا أن الله من عليه . فعلمه أسباب ما سخره له، ومسألة الملاك يهودية صارخة.

(٢) فى السيرة : مرزبان .

. . . .

هرمس(١) ، وقيل : هرديس . وقال ابن هشام فى غير هذا الكتاب (٢) اسمه الصَّعْب بن ذى مَرَاثِد، وهو أول التَّبَابعة ، وهو الذى حكم لإبراهيم عليه السلام فى بئر السبع حين حاكم إليه فيها ، وقيل : إنه أفريدون بن أثفيان الذى قتل الضحاك(٣) ، ويروى فى خطبة قيس بن ساعدة التى خطبها بسوق عكاظ ، أنه قال فيها : يامعشر إياد ! أين الصعب ذو القرنين ، مَلَكَ الخافِقَيْنِ ، وأذلَّ الثقلين ، وعَمَّرَ ألفين ، ثم كان ذلك كلحظة عين ، وأنشد ابن هشام للأعشى :

والصعبُ ذو القرنين أَصْبَحَ ثَاوِياً ... بالحِنْوِ فى جَدَثٍ أُمَيْمَ مُقيم(٤)

(... ذ ابن ماكولا والدارقطنى .

(٢) ذكره فى كتاب « التيجان » فى ملوك حمير وروايته عن وهب بن منبه

(٣) تقرأ أخبار الضحاك وأفريدون فى الطبرى ص ١٩٤ ج ١ المعارف

(٤) هو فى اللسان والمحبر: للبيد. ورواه ابن كثير فى البداية نقلا عن السهيلى فى الروض الأنف « أشم مقيما » بدلا من « أميم مقيم » كما فى نسخة الروض التى بين أيدينا انظر ص ١٠٥ ج ٢ البداية . وفى فتح البارى : والذى يقوى أن ذا القرنين من العرب أنهم ذكروه كثيرا فى أشعارهم . قال أعشى بن ثعلبة .

والصعب ذو القرنين أمسى ثاويا ... بالحنو فى جدث هناك مقيم

والحنو بكسر المهملة وسكون النون فى ناحية المشرق ، وقال الربيع بن ضبيع :

والصعب ذو القرنين عمر ملكه ... ألفين أمسى بعد ذاك رميما

وقال قيس بن ساعدة .

والصعب ذو القرنين أصبح ثاوياً ... باللحد بين ملاعب الأرياح

وقال النعمان بن بشير الأنصارى الصحابى ابن الصحابى :

ومن ذا يعادينا من الناس معشر ... كرام ، وذو القرنين منا وحاتم

ووقع ذكر ذى القرنين فى شعر امرىء القيس وأوس بن حجر وطرفة وغيرهم ص ٢٦١ ج ٦ فتح البارى للحافظ بن حجر ط ١٣٣٨

. . . .

وقوله بالحِنْو يريد : حِنْو قُرَاقِر الذى مات فيه ذو القرنين بالعراق، وقول ابن هشام فى السيرة : إنه من أهلِ مِصْرَ، وإنه الإسكندر الذى بنى الإسكندرية، فعرفت به : قولٌ بعيد مما تقدم ، ويحتمل أن يكون الإسكندر سمى ذا القرنين أيضاً تشبيها له بالأول، لأنه ملك مابين المشرق والمغرب فيما ذكروا أيضاً، وأذَلَّ ملوكَ فارس ، وقتل دارا بن دارا ، وأذل ملوكَ الروم وغيرهم ، وقال الطبرى فى الإسكندر : وهو اسكندروس بن قليقوس ، ويقال فيه : ابن قليس ، وكانت أمه زِنْجِيَّة ، وكانت أُهدِيَت لدارا الأكبر أو سباها ، فوجد منها نَكْهَةً استثقلها ، فعولجت ببقلة ، يقال لها : اندروس ، فحملت منه بدارا الأصغر ، فلما وضعته ردها ، فتزوجها والد الإسكندر ، فحملت منه بالإسكندروس ، فاسمه عندهم مُشْتَقٌّ من تلك الْبَقْلة التى طهّرت أمه بها فيما ذكروا ، وذكر عن الزبير : أنه قال : ذو القرنين هو : عبد الله بن الضحاك بن مَعَدٍّ [وقال ابن حبيب فى] الْمُحبَّر فى ذكر ملوك الحيرة ، قال: الصَّعْبُ بن قرين [بن الهمال] (٢) : هو ذُو القرنين ، ويحتمل أن يكونوا ملوكا فى أوقاتٍ شَتَّى ، يسمى كلٌّ واحد منهم : ذا القرنين والله أعلم . والأول كان على عهد إبراهيم عليه السلام ، وهو صاحب الخِضْر حين طلب عينَ الحياة فوجَدها الخِضرُ ، ولم يجدها ذُو القرنين ، حالت بينه وبينها الظلماتُ التى وقع فيها هو وأجنادُه فى خبر طويل مذكور فى بعض التفاسير مشهور عند الأخباريين (١) .

---

(١) وهى أخبار ترضى عشاق الأساطير . وأسارى العبودية الوثنية للمجهول ، وقد اخترع المفترون عين الحياة؛ لكى ينسبوا إلى الخضر الخلود والبقاء حتى الآن . وهى فرية لا يصدقها مسلم ؛ لأنها أسطورة .

(٢) الزيادة من المحبر .

رفع
المسـاهم

. . . .

حكم التسمى بأسماء النبيين

وأما قول عمر لرجل سمعه يقول : ياذا القرنين : لم يكفكم أن تتسموا بالأنبياء حتى تسميتم بالملائكة ، إن كان عمر قاله بتوقيف من الرسول عليه السلام ، فهو ملك ، لا يقول رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلا الحق ، وإن كان قاله بتأويل تأوله [فقد] خالفه علىٌّ فى الخبر المتقدم ، والله أعلم أىُّ الخبرين أصحّ نقلا ، غير أن الرواية المتقدمةَ عن علىّ يقويها مانقله أهلُ الأخبار عن ذى القرنين ، والله أعلم(١) . وكان من مذهب عُمَرَ رحمه الله كراهيةَ التَّسَمِّى بأسماء الأنبياء ، فقد أنكر على المغيرة تَكْنِيَتَهُ بأبى عيسى ، وأنكر على صُهَيْبٍ تَكْنِيَتَه بأبى يَحْيى ، فأخبر كلٌّ واحدٍ منهما أن رسولَ الله – صلى الله عليه وسلم – كنَّاه بذلك ، فسكت ، وكأن عمر إنما كره من ذلك الإكثار ، وأنْ يظن أن للمسلمين شَرَفًا فى الاسم إذا سُمِّى باسم نبى ، أو أنه ينفعه ذلك فى الآخرة ، فكأنه استشعر من رعيته هذا الغرضَ أو نحوه ، هو أعلم بما كره من ذلك(٢) . وإلا فقد سَمَّى بمحمد طائفةٌ من الصحابة منهم : أبو بكر وعلىٌّ وطلحةُ وأبو حذيفة وأبو جَهْم ابن حذيفة ، وخاطبٌ وخطَّاب ابنا الحارث ، كل هؤلاء المحمدين كانوا يُكْنَوْن بأبى القاسم إلا محمد بن خطاب ، وسَمَّى أبو موسى ابناً له بموسى ، فكان يُكْنَى به ، وأُسَيْدُ بن حُضَيْر سمى ابنَه بيَحْيى ، وعلم به النبىُّ عليه السلام فلم يُنكر عليه ، وكان لطلحةَ عَشَرَةٌ من الولد ، كُلُّهم يُسَمَّى باسم نَبِىٍّ ، منهم : موسى بن طلحة عيسى ، وإسحاق ويعقوب وإبراهيم ، ومحمد ، وكان للزبير

---

(١) نستطيع الجزم بأن الخبر المنسوب إلى عمر خبر غير صحيح ، لأنه يخالف هدى القرآن ، ويخالف المعروف من سيرة عمر وعلمه وفقهه .

(٢) هذا تعليل طيب من السهيلى .

رفع
المسـاهم
عز الله الراجى

. . . .

عشرةٌ ، كلُّهُم يسمى باسم شهيد ، فقال له طلحة: أنا أسميهم بأسماء الأنبياء، وأنت تسميهم بأسماء الشهداء ، فقال له الزبير : فإنى أطمع أن يكون بنىَّ شهداء ، ولا تطمع أنت أن يكون بنوك أنبياء ' ذكره بن أبى خَيْثَمَةَ، وسمى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ابنه إبراهيم ، والآثارُ فى هذا المعنى كثيرةٌ ، وفى السنن لأبى داود أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : سَمُّوا بأسماء الأنبياء ، وهذا محمول على الإباحة ، لا على الوجوب ، وأما التَّسَمِّى بمحمد ، ففى مُسْنَد الحارث عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : من كان له ثلاثة من الولد ، ولم يُسَمِّ أحدَهم بمحمد ، فقد جَهِل[٤] ، وفى المُعَيْطِى عن مالك أنه سُئل عمَّن اسمُه محمد ، ويكنى أبا القاسم ، فلم يَرَ به بأساً ، فقيل له : أَكَنَّيْتَ ابنك أبا القاسم ، واسمه محمد ؟ فقال : ما كَنَّيْتُه بها ولكن أهله يُكَنُّونه بها ، ولم أسمع فى ذلك نَهْياً ، ولا أرى بذلك بأسا ، وهذا يدل على أنَّ مالكا لم يبلغه ، أو لم يصح عنده حديث النهى عن ذلك ، وقد رواه أهلُ الصحيح[١]

---

(١) عن جابر « رضى الله عنه » قال : ولد لرجل منا غلام فسماه القاسم ، فقالوا لا نكنيه حتى نسأل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : سموا باسمى، ولا تكنوا بكنيتى ، رواه الأربعة ، ولعل المقصود ـــ والله أعلم ـــ العمل بمقتضاه طول مدة حياته ـ صلى الله عليه وسلم ـــ فقط . وسيأتى رأى ابن سيرين . وعن الأسماء ورد حديث رواه ابن عمر رضى الله عنهما : « إن أحب أسمائكم إلى الله عبد الله وعبد الرحمن » مسلم وأبو داود والترمذى . وعن أبى هريرة عن النبى «ص» : « أخنع الأسماء يوم القيامة عند الله رجل تسمى ملك الأملاك » رواه الأربعة « وزاد مسلم » لا مالك إلا الله تعالى » وعن ابن عمر قال : « إن ابنة لعمر كانت تسمى عاصية ، فسماها رسول الله «ص» جميلة » مسلم وأبو داود والترمذى ونستطيع بتدبر هذه الأحاديث تبين الهدى فى الأسماء . وأخنع = أوضع

. . . .

والله أعلم ــ ولعله بلغه حديثُ عائشة أنه عليه السلام ــ قال : ما الذى أحَلَّ اسمى وحَرَّم كُنْيَتى ، وهذا هو الناسخ لحديث النهى ، والله أعلم ، وكان ابن سيرين يكره لكل أحد أن يَتَكَنَّى بأبى القاسم ، كان اسمُه محمداً ، أو لم يكن . وطائفة إنما يكرهونه لمن اسمُه محمد ، وفى الْمُعَيْطِى أيضاً أنه سُئِل عن التسمية بمَهْدِى فكرهه ، وقال : وما علمه بأنه مَهْدِىٌّ ، وأباح التسمية بالهادى ، وقال : لأن الهادى هو الذى يهدى إلى الطريق ، وقد قدمنا كراهية مالك للتسمِّى بجبريل . وقد ذكر ابن إسحاق كراهيةَ عُمَرَ للتسمى بأسماء الملائكة ، وكره مالك التَّسَمِّى بياسين[1] .

الروح والنفس:

فصل : وذكر سؤالهم عن الروح ، وما أنزل الله فيه من قوله تعالى : ﴿ ويَسْئَلُونك عن الرُّوح ﴾[2] الآية ورُوِى عن ابن إسحاق من غير طريق الْبَكَّائِىّ أنه قال فى هذا الخبر : فناداهم رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم : هو جبريلُ ، وهذه الرواية عن ابن إسحاق تدل على خلاف ما روى غيرُه أن يهودَ قالت لقريش : اسْئَلُوه عن الروح ، فإن أخبركم به فليس بنبى ، وإن لم يخبركم فهو نبى ، وقال ابن إسحاق فيما تقدم من الحديث : اسْئَلُوه عن الرجل

---

(١) ليس يا سين اسما للرسول «ص» كما يظن بعض المفسرين ، إنما هى مثل : حم ، وطس وطه ونون فهى مركبة من حرفين : الياء والسين .

(٢) سبق ذكر الأحاديث حول هذا

. . . .

الطّوّافِ ، وعن الفِتْية ، وعن الروح ، فإن أخبركم وإلاّ فالرجلُ مُتقوِّلٌ . فسوّى فى الخبر بين الروح وغيره ، واختلف أهل التأويل فى الروح المسئول عنه ، فقال بعضهم : هو جبريل ؛ لأنه الروح الأمين ، وروح القدس ، وعلى هذا رواية ابن إسحاق أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم - قال لقريش حين سألوه : هو جبريل ، وقالت طائفة : الروح خَلْقٌ من الملائكة على صُوَرِ بنى آدم ، وقالت طائفة: الروحُ خَلْقٌ يرون الملائكة ، ولا تراهم ، فهم للملائكة كالملائكة لبنى آدم ، وروى عن على أنه قال : الرُّوحُ مَلَكٌ له مائة ألف رأسٍ ، لكل رأسٍ مائةُ ألفِ وجه ، فى كل وجه مائةُ ألفِ فم ، فى كل فمٍ مائةُ ألفِ لسانٍ ، يُسَبِّح الله بلغات مختلفة(١) ، وقالت طائفة : الروح الذى سألتَ عنه يهود هو : روحُ الإنسان ، ثم اختلف أصحاب هذا القول ، فمنهم من قال : لم يجبهم رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — عن سؤالهم ، لأنهم سألوه تَعَنُّتاً واستهزاء ، فقال الله له : قُل : الروحُ من أمر ربى ، ولم يأمره أن يُبَيِّنه لهم ، وقالت طائفة: بل قد أخبرهم الله به ، وأجابهم عما سألوا ؛ لأنه قال لنَبيه : قُلِ الرُّوحُ من أمر ربى ، وأمْرُ الرَّبِّ هو الشرع ، والكتابُ الذى جاء به ، فمن دخلَ فى الشرع وتفقه فى الكتابِ والسُّنَّةِ عَرَفَ الرُّوحَ ، فكأن معنى الكلام : ادخلوا فى الدين تعرفوا ما سألتم عنه ، فإنه من أمر ربى ، أى: من الأمر الذى جئت به مُبَلِّغا عن ربى ، وذلك أن الروح لا سبيل إلى معرفته من جهة الطبيعة ، ولا من جهة الفلسفة ، ولا من جهة الرأى

---

(١) إنما هى مفتريات على منها برىء .

رفع المسـاهم

. . . .

والقياس ، وإنما يُعرف من جهة الشرع ، فإذا نظرت إلى ما فى الكتاب والسنة من ذكره نحو قوله سبحانه : ﴿ ثُمَّ سَوَّاه ونَفَخَ فيه من رُوحه ﴾ السجدة : ٩ أى من روح الحياة ، والحياةُ من صفاتِ الله سبحانه ، والنفخُ فى الحقيقة مضافٌ إلى مَلَكٍ ينفخ فيه بأمر ربِّه ، وتنظر إلى ما أخبر به الرسول عليه السلام أن الأرواحَ جُنودٌ مُجَنَّدَةٌ ، وأنها تتعارف[1] وتَتَشَامّ فى الهواء ، وأنها تُقْبَضُ من الأجساد بعد الموت ، وأنها تُسْئَل فى القبر ، فتفهم السؤال وتسمع وترى ، وتُنَعَّم وتُعَذَّب وتلتذ وتَتألم ، وهذه كلُّها من صفات الأجسام ، فتعرف أنها أجسام بهذه الدلائل ، لكنها ليست كالأجساد فى كثافتها وثقلها وإظلامها ، إذ الأجساد خُلقت من ماء وطين وحمإٍ مَسْنُون ، فهو أصلُها ، والأرواحُ خُلِقت مما قال الله تعالى ، وهو النفخ المتقدم المضاف إلى الملك . والملائكة خلقت من نور كما جاء فى الصحيح[2] ، وإن كان قد أضاف النفخَ إلى نفسه ، فكذلك أضاف قَبْضَ الأرواح إلى نفسه فقال : ﴿ الله يَتَوَفَّى الأنفُسَ حين مَوْتِها ﴾ الزمر : ٤٢ وأضاف ذلك إلى الملك أيضاً فقال : ﴿ قُلْ: يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الموتِ ﴾ السجدة : ١١ والفعل مضاف إلى الملك مجازاً ، وإلى الرب حقيقةً ، فهو أيضاً جِسْمٌ ، ولكنه من جِنْس الريح ، ولذلك سُمِّى رُوحاً من لفظ الريح ، ونفخُ الملك فى معنى الريح غير أنه ضُم أوله ؛ لأنه نُورانِى ،

---

(١) « الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف » مسلم والبخارى فى الأدب وغيرهما .

(٢) فى مسلم عن عائشة : « خلقت الملائكة من نور ، وخلق إبليس من مارج من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم » .

رفع المسهم

. . . .

والريح هواء متحرك ، وإذا كان الشرعُ قد عرَّفنا من معانى الروح وصفاته بهذا القدر ، فقد عُرِف من جهة أمره كما قال سبحانه : ﴿ قُل: الروحُ من أمر ربى ﴾ وقوله : من أمر رَبِّى أيضاً ، ولم يقل من أمر الله ، ولا من أمر رَبِّكم يدل على خصوص ، وعلى ما قدمناه من أنه لا يعلمه إلا من أخذ معناه من قول الله سبحانه ، وقولِ رسوله بعد الإيمان بالله ورسوله واليقين الصادق والفقه فى الدين ، فإن كان لم يخبر اليهود حين سألوه عنه ، فقد أحالهم على موضع العلم به(١) .

الفرق بين الروح والنفس :

فصـــل : ومما يتصل بمعنى الروح وحقيقته أن تعرف : هل هى النفسُ أو غيرها ، وقد كثرت فى ذلك الأقوالُ ، واضطربت المذاهبُ ، فتعلق قومٌ

---

(١) وأحسن ما قيل : إن المقصود بالروح هو القرآن نفســـه ، وقد كان الكلام قبل هذا فى شأنه ، وقد وصف كلام الله بأنه روح فى القرآن : (ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده) النحل : ٢ (يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده) غافر : ١٥ (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا) الشورى : ٥٢ وهذا الرأى قريب مما ذكره السهيلى حول أمر الله . وليت السهيلى سكت عند الصحيح المنقول !! فقد بلغت الأقوال فى حقيقة النفس والروح بلغت المائة أو الألف كما نقل الزرقانى فى شرح المواهب عن ابن جماعة : ويقول ابن بطال شارح البخارى ومن شيوخ ابن عبد البر عن الروح الإنسانى : « معرفة حقيقتها مما استأثر الله بعلمه » وقال القرطبى عن الحكمة فى إبهام حقيقة الروح : « إظهار عجز المرء لأنه إذا لم يعلم حقيقة نفسه مع القطع بوجوده كان عجزه عن إدراك حقيقة الحق « أى الله » من باب أولى »

رفع
المسا هم
غفر الله له ولوالديه

. . . .

بظواهر من الأحاديث لا توجب القطع ، لأنها نقل آحاد[١] ، وأيضاً فإن ألفاظها محتملة للتأويل ، ومجازات العرف واتساعاتها فى الكلام كثيرة ، فمما تعلقوا به فى أن الروح هى النفس قولُ بلال: «أخذَ بنفسى الذى أخذَ بنفسك»[٢] مع قول النبى عليه السلام : إن الله قبض أرواحنا ، وقوله — عز وجل — ﴿ الله يتوفى الأنفُس ﴾ والمقبوضة هى الأرواح ، ولم يفرقوا بين القبض والتوفى، ولا بين الأخذِ فى قول بلالٍ : « أَخَذَ بِنَفْسِى الذى أَخَذَ بِنفسِك » وبين قول النبى عليه السلام : « قبض أرواحنا » ، وتنقيح الأقوال وترجيحها يطول .

وقد روى أبو عُمَرَ فى التمهيد حديثاً يدل على خلافِ مَذهبهِ فى أن النفس هى الروحُ ، لكن علله فيه أن الله خلق آدم ، وجعل فيه نفساً وروحاً ، فمن الروح : عفافه ، وفهمه وحلمهُ وسخاؤه ، ووفاؤه ، ومن النفس : شهوته وطيشه وسفهه وغضبه ، ونحو هذا ، وهذا الحديث معناه صحيح إذا تُؤُمِّل صحَّ نقله أو لم يصح ، وسبيلك أن تنظر فى كتاب الله أولاً ، لا إلى الأحاديث التى تُنقل مرة على اللفظ ، ومرة على المعنى ، وتختلف فيها ألفاظ المحدثين[٣] ، فنقول قال الله تعالى : ﴿ فإذا سَوَّيْتُهُ ، ونفختُ فيه من رُوحى[٤] ﴾ ولم يقل : من نفسى وكذلك قال : ﴿ ثُم سَوَّاه ونَفخَ فيهِ من رُوحهِ ﴾ السجدة : ٩ ولم يقل من

---

(١) لماذا إذاً يأخذ بأضعف الأحاديث ؟

(٢) من حديث فى البخارى ومسلم وغيرهما

(٣) هذا مبدأ عظيم، غير أن السهيلى لم يأخذ به فى كثير من الأحيان، فاعتمد على أضعف الأحاديث .

(٤) ذكرت مرة فى سورة الحجر رقم ٢٩ وفى ص رقم ٧٢ .

رفع المسهم

. . . .

نفسه ، ولا يجوز أيضاً أن يقال هذا ، ولا خفاء فيما بينهما من الفرق فى الكلام، وذلك يدل على أن بينهما فرقا فى المعنى ، وبعكس هذا قوله سبحانه : ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ ولم يقل : تعلم ما فى روحى ، ولا أعلم ما فى روحك ، ولا يحسن هذا القول أيضاً أن يقوله غير عيسى(١) ، ولو كانت النفس والروح اسمين لمعنى واحد ، كالليث والأسد لصح وقوع كل واحد منهما مكان صاحبه ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ يقولُون فى أنْفُسِهِمْ ﴾ ولا يحسن فى الكلام: يقولون فى أرواحهم ، وقال تعالى: ﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ ﴾ ولم يقل: أن تقول روحٌ ، ولا يقوله أعرابى ، فأين إذاً كون النفس والروح بمعنى واحد لولا الغفلة عن تدبر كلام الله تعالى ؟! ولكن بقيت دقيقة يُعرف منها السر والحقيقة ، ولا يكون بين القوابين اختلاف متباين إن شاء الله ، فنقول وبالله التوفيق : الروح مشتق من الريح ، وهو جسم هوائى لطيف ، به تكون حياة الجسد عادة ، أجراها الله تعالى ؛ لأن العقل يوجب ألا يكون للجسم حياة ، حتى ينفخ فيه ذلك الروح الذى هو فى تجاويف الجسد ، كما قال ابن فورك وأبو المعالى وأبو بكر المرادى، وسبقهم إلى نحو منه أبو الحسن الأشعرى، ومعنى كلامهم واحد أو متقارب .

الروح سبب الحياة :

فصل : فإذا ثبت أن الروح سبب الحياة عادة ، أجراها الله تعالى ، فهو

---

(١) قول النبوة أزكى الأقوال وأهداها . فلم لا يقولها غير عيسى ؟ !

رفع المسهم

. . . .

كالماء الجارى فى عروق الشجرة صُعُدا ، حتى تحيا به عادة ، فلسميه ماء باعتبار أوَّليته ، ونسمى أيضاً هذا روحاً باعتبار أوليته ، واعتبار النفخة التى هى ريح ، فمادام الجنين فى بطن أمه حيًّا ، فهو ذو روح ، فإذا نشأوا كتسب ذلك الروحُ أخلاقاً وأوصافا لم تكن فيه ، وأقبل على مصالح الجسم كلفا به ، وعشق مصالح الجسد ولذّاته ، ودفع المضارّ عنه سمى : نفساً ، كما يكتسب الماء الصاعد فى الشجرة من الشجرة أوصافا لم تكن فيه ، فالماء فى العنبة مثلاً هو : ماء باعتبار الأصل والبَدْأة ، ففيه من الماء الميوعة والرطوبة ، وفيهِ منَ العنبة الحلاوة ، وأوصاف أخر ، فتسميه مُصْطَارًا إن شئتَ، أوخمرًا إن شئتَ ، أو غير ذلك مما أوجبه الاكتساب لهذه الأوصاف ، فمن قال : إن النفس هى الروحُ على الإطلاق من غير تقييد ، فلم يحسن العبارة ، وإنما فيها من الروح الأوصاف التى تقتضيها نفخة الملك ، وَالملَكُ موصوف بكلِّ خلقٍ كريم ؛ وَلذلك قال فى الحديث : فمن الروح عفافه وَحلمه وَوَفاؤه وَفهمه ، وَمن النفس شهوته وَغضبه وَطيشه ، وَذلك أن الروح كما قدمنا مازج الجسد الذى فيه الدم ، وَيسمى الدم : نفساً ، وَهو مجرى الشيطان ، وَقد حكمت الشريعة بنجاسة الدم لسرٍّ لعله أن يفهم مما نحن بسبيله ، فمنْ يعرف جوهرَ الكلام ، وَيُنزل الألفاظَ منازلها ، لا يُسمى رُوحاً إلا ما وَقع به الفَرق بين الجمادِ والحى ، وَالذى كان سبباً للحياة ، كما فى الكتاب العزيز عند ذكر إحياء النطفةِ ، ونفخ الروح فيها ، ولا يُقال : نفخ النفس فيها إلا عند الاتساع فى الكلام ، وتسمية الشىء بما يؤول إليه ،

---

(١) مصطار بضم الميم : الخمر ، ومسطار بكسر الميم وبالسين : الخمرة الصارعة لشاربها أو الحامضة أو الحديثة .

رفع
المسهم
عبد الله

. . . .

ومن هٰهنا سمى جبريل عليه السلام : روحا ، والوحى: روحا ، لأن به تكون حياة القلوب ، قال الله سبحانه : ﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً [فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا] ﴾ الأنعام : ١٢٢ وقال فى الكفار : ﴿ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ ﴾ النحل : ٢١ وقال فى النفس ما تقدم ، وقال : ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾ يوسف : ٥٣ ولم يقل إن الرُّوحَ لأَمَّارة ؛ لأن الروح الذى هو سبب الحياة لا يأمر بسوء ، ولا يسمّى أيضاً نفسا ، كما قدمنا حتى يكتسب من الجسد الأوصاف المذكورة ، وما كان نحوها ، والماء النازل من السماء جنس واحد ، فإذا مازج أجساد الشجر كالتفاح والفِرْسِك(١) والحَنْظَلِ والعُشَرِ ، وغير ذلك اختلفت أنواعه ، كذلك الروح الباطنة التى هى من عند الله ، هى جنس واحد ، وقد أضافها إلى نفسه تشريفاً لها حين قال : ونَفَخَ فيه من رُوحه، ثم يخالط الأجساد التى خُلقت من طين ، وقد كان فى ذلك الطين طيب وخبيث ، فينزع كلٌّ فرع إلى أصله ، وينزع ذلك الأصل إلى ما سبق فى أم الكتاب ، وإلى ما دبره وأحكمه الحكيمُ الخبير . فعند ذلك تتنافر النفوس ، أو تتقارب ، وتتحابُّ أو تتباغض على حسب التشاكل فى أصل الخلقة ، وهى معنى قول النبى — صلى الله عليه وسلم : فما تَعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف . وقد كتب بعض الحكماء إلى صديق له: « إن نفسى غير مشكورة على الانقياد إليك بغير زمام ؛ فإنها صادفت عندك بعض جواهرها ، والشىء يتبع بعضُه بعضا » .

---

(١) الفرسك: الخوخ أو ضرب منه أجرد أحمر، أو ما يتفلق عن نواه والعشر شجر يخرج من زهره وشعبه سكر .

رفع
المسلم
عز الله إيمانه

. . . .

الإنسان روح وجسد :

فصل : وقد يُعبَّر بالنفس عن جملة الإنسان روحه وجسده ، فتقول: عندى ثلاثة أنفس، ولا تقول: عندى ثلاثة أرواح ، لا يعبر بالروح إلا عن المعنى المتقدِّم ذكره ، وإنما اتسع فى النفس ، وعبر بها عن الجملة لغلبة أوصاف الجسد على الروح ، حتى صار يسمى نفسا ، وطرأ هذا الاسم بسبب الجسد ، كما يطرأ على الماء فى الشجر أسماء على حسب اختلاف أنواع الشجر من حلو وحامض ومُرٍّ وحِرِّيفٍ ، وغير ذلك فتحصَّل من مضمون ماذكرنا ألا يقال فى النفس : هى الروح على الإطلاق ، حتى تُقيد بما تقدم ، ولا يقال فى الروح : هو النفس إلا كما يقال فى الْمَنِيِّ هو الإنسان ، أو كما يقال للماء المغذِّى لِلْكَرْمَة هو : الخمر ، أو الخل ، على معنى أنه ستنضاف إليه أوصاف يسمى بها خمرا أو خلا ، فتقييد الألفاظ هو : معنى الكلام ، وتنزيل كل لفظ فى موضعه ، هو معنى البلاغة فافهمه .

النفس

فصل : وإذا ثبت هذا فلم يبق إلا قولُ بلال : أَخَذَ بنَفْسِى الذى أَخَذَ بنفسك ، فذكر النفس ؛ لأنه معتذر من ترك عمل أمر به ، والأعمال مضافة إلى النفس : لأن الأعمال جَسَدَانِيَّة ، وقول النبى ـ صلى الله عليه وسلم : إن الله قبض أرواحنا ، فذكر الروح الذى هو الأصل ، لأنه أَنسُهم من فزعهم ، فأعلمهم أن خالق الأرواح يقبضها إذا شاء ، فلا تنبسط انبساطها فى اليقظة وروح النائم وإن وُصِف بالقبض ، فلا يدل لفظ القَبْضِ على انتزاعه بالكلية

. . . .

كما لا يدل قوله سبحانه فى الظل : ﴿ ثُمَّ قَبَضْنَاه إلينا قَبْضاً يسيرا ﴾ الفرقان : ٤٦ . على إعدام الظل بالكلية ، وقوله تعالى : ﴿ الله يَتَوَفَّى الأنفسَ ﴾ فلم يقل : الأرواح ، لأنه وعظ العباد الغافلين عنه ، فأخبر أنه يتوفى أنفسهم ، ثم يعيدها حتى يتوفاها ، فلا يعيدها إلى الحشر لِتَزْدَجِرَ النفوسُ بهذه العظة عن سوء أعمالها ؛ إذ الآية مكية ، والخطابُ للكفار ، وقد تنزلت الألفاظ منازلها فى الحديث والقرآن ، وذلك معنى الفصاحة وسر البلاغة .

ابن هرمة :

فصل : واستشهد ابن هشام بقول ابن هَرْمة ونسبه فقال : فِهْرى ، وإنما هو خُلْجِيّ[1] ، والخُلْج اسمه : قيس ابن الحارث بن فهر ، واختلف فى تسمية بنى

---

(١) فى الاشتقاق : والخلج بطن يزعمون أنهم من قريش منهم ابن هرمة الشاعر ، وفيه أيضاً : الخلج بفتح فكسر الشاعر ، واسمه : عبد الله ، وسمى الخلج لقوله :

كأن تخالج الأشطان فيها شآبيب تجود من الغوادى

وفى حاشية الاشتقاق للأستاذ عبد السلام هارون : وأما خلج بكسر الخاء وتخفيف اللام وسكونها فهو عبد الله بن الحارث بن عمرو بن وهب ابن الحا ث . بن سعد الجعفى ، وقيل : الخلج بفتح الخاء وكسر اللام . وفى الطبقات لابن قتيبة عنه : « هو من الخلج من قيس عيلان ، ويقال : إنهم من قريش ، وفى الأغانى أن نسبه ينتهى إلى قيس بن الحارث ، وقيس : هم الخلج .. فلما تولى عثمان أثبتهم فى بنى الحارث بن فهر ، وجعل لهم ديوانا ، فسموا الخلج ، لأنهم اختلجوا عما كانوا عليه من عدوان ، وورد عن ابن هرمة فى سمط اللآلى للبكرى ما نصه : « إبراهيم بن على بن سلمة من هرمة من خلج

. . . .

قيس بن الحارث الخُلْج ، فقيل : لأنهم اختلجوا من قريش وسكان مكة ، وقيل: لأنهم نزلوا بموضع فيه خُلُجٌ من ماء ، ونسبوا إليه ، وابن هَرْمة واسمه: إبراهيم بن علي بن هَرْمة ، وهو شاعر من شعراء الدولة العباسية ، وبيته :

وإذا هَرَقْتَ بكلِّ دار عَبْرَةً نُزِفَ الشُّئُونُ ودمعُك اليَنبوعُ

والشئونُ : مجارى الدمع ، وهى أطباق الرأس ، وهى أربعة للرجل ، وثلاثة للمرأة ، كذلك ذكروا عن أهل التشريح ، وكذلك ذكر قاسم بن ثابت فى الدلائل ، فالله أعلم .

من شرح الآيات :

وكل ماشرح ابن هشام من الآيات التى تلاها ابن إسحاق ، فقد تقدم مايحتاج بيانه منه ، وفى قوله سبحانه : ﴿بَيْتٌ من زُخْرُفٍ﴾ دليل على أن البيت يراد به : القصر والمنزل ، وإن كان عظيما ، فإنه يسمى بيتا كما قدمنا فى شرح بيت القصب فى حديث خديجة .

= قريش - بزيادة : ابن سلمة قبل ابن هرمة - والخلج هو : قيس بن الحارث بن فهر ، سموا بذلك لأنهم كانوا فى عدوان ، ثم فى هوازن ، فلما استخلف عمر أتوه ليفرض لهم ، فأنكر نسبهم ، فلما استخلف عثمان أتوه ، فأثبتهم فى بنى الحارث ابن فهر ، فسموا بذلك : الخلج ، لأنهم اختلجوا ممن كانوا معه ، ثم ذكر أن الموضع الذى نزلوا فيه كان على خالج بالمدينة . وأن ابن هرمة من متقدمى الشعراء وممن أدرك الدولتين الأموية والهاشمية يكنى أبا إسحاق . . وفى السيرة: إبراهيم بن عبد الله ، وعند مصعب الزبيرى عن الكلبي ورد نسبه : سلمة بن عامر بن هرمة بن الهذيل بن ربيع بن عامر بن صبيح بن كنانة بن عدى بن قيس بن الحارث بن فهر انظر ٢٩٨ سمط اللآلى ، والذهبي يضبط الخلج بضم فسكون

رفع
المسـ هم
غفر الله له ولوالديه

. . . .

خزنة جهنم وأبو الأشدين :

فصل : وذكر ابن إسحاق قول أبي جهل مستهزئاً : يزعم محمد أن جنود ربه التي يخوفكم بها تسعةَ عشر ، وأنتم الناس، إلى آخر القصة . وأهل التفسير يعزون هذه المقالة إلى أبي الأشَدَّين الجُمَحِيّ(١) ،واسمه: كَلَدَة بن أُسَيْد بن خلف ، وأبو دَهْبَل الشاعر هو ابن أخيه ، واسمه : وهْب بن زَمْعَة بن أُسيد بن خلف ابن وَهْب بن حُذافة بن جُمَح ، وكانت عند أبي دَهبل التَّوْأمةُ التي يعرف بها صالح مولى التَّوْأمةِ ، وهي أخت عبد الله بن صَفْوان بن أمية ، ولدت له عبد الرحمن قتل يوم الجمل ، وأنه قال : اكفوني منهم اثنين ، وأنا أكفيكم سبعة عشر إعجابا منه بنفسه، وكان بلغ من شدته — فيما زعموا — أنه كان يقف على

---

(١) وقيل كما ذكر ابن أبي حاتم: إن رهطا من اليهود سألوا رجلا من أصحاب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — عن خزنة جهنم ، فقال : الله ورسوله أعلم ، فجاء رجل ، فأخبر النبي — صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله تعالى عليه ساعتئذ :(عليها تسعة عشر) الخ .

وهناك رواية أخرى للترمذي وأحمد والبزار أن رجلا جاء إلى النبي — صلى الله عليه وسلم — فقال له : غلب أصحابك اليوم ، فقال : بأي شيء ، قال : سألتهم يهود: هل أعلمكم نبيكم عدة خزنة أهل النار — ؟ قالوا : لانعلم حتى نسأل نبينا — صلى الله عليه وآله وسلم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، أفغلب قوم يسئلون عما لا يعلمون ، فقالوا : لا نعلم حتى نسأل نبينا صلى الله عليه وسلم — على بأعداء الله ، لكنهم قد سألوا نبيهم أن يريهم الله جهرة ، فأرسل إليهم محمد فدعاهم ، قالوا : يا أبا القاسم : كم عدة خزنة أهل النار : قال : هكذا ، وطبق كفيه ثم طبق كفيه مرتين ، وعقد واحدة الخ

رفع
المسهم

. . . .

جلد البقرة ، ويجاذبه عشرة ، لينتزعوه من تحت قدمه ، فيتمزق الجلد ، ولا يتزحزح عنه ، وقد دعا النبي — صلى الله عليه وسلم — إلى المصارعة ، وقال : إن صرعتنى آمنت بك ، فصرعه رسول الله — صلى الله عليه وسلم مراراً ، فلم يؤمن ، وقد نسب ابن إسحاق خبر المصارعة إلى رُكَانة بن عبد يزيد بن هاشم ابن المطلب ، وسيأتى فى الكتاب والله أعلم ، وأما ما قال أهل التأويل فى خَزَنَة جهنم التسعة عشر ، فروى عن كعب أنه قال : بيد كل واحد منهم عمود له شُعْبَتان ، وإنه ليدفع بالشعبة تسعين ألفا إلى النار ، وقد أملينا فى معنى أبواب الجنة وأبواب النار فائدة عددها وتسميتها ، وذكر الزَّبَانِيَة ، والحكمة فى كونهم عددا قليلا مسئلةً فى قريب من جزء ، فلتنظر هناك .

بهت الرسول «ص» أن بشرا يعلمه :

فصل : وذكر قول قريش : إنما يعلمه رجل باليمامة يقال له : الرحمن ، وإنا لا نؤمن بالرحمن ، فأنزل الله سبحانه : ﴿وهم يَكْفُرُون بالرَّحْمٰن قل: هُوَ رَبِّي﴾ كان مُسَيْلِمَةُ بن حبيب الحنفى ، ثم أحد بنى الدُّول قد تسمى : بالرحمن فى الجاهلية ، وكان من المعمرين ، ذكر وَثِيمَةُ بن موسى أن مسيلمة تسمى بالرَّحْمٰن قبل أن يولد عبدُ الله أو رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم .

كبير :

وأنشد فى تفسير الزَّبانية :

الذين استمعوا إلى قراءة النبي (ص)

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن مُسلم بن شِهاب الزّهرى أنه حُدّث : أن أبا سفيان بن حَرْب ، وأباجهل بن هشام ، والأخنس بن شَرِيق بن عمرو بن وَهْب الثقفىّ حليف بنى زُهْرة ، خرجوا ليلةً ؛ ليستمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يصلى من الليل فى بيته ، فأخذ كلّ رجلٍ منهم مجلسا يستمع فيه ، وكلٌّ لا يعلم بمكان صاحبه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجْرُ تفرّقوا . فجمعهم الطريقُ ، فتلاوَموا ، وقال بعضُهم لبعض : لا تعودوا ، فلو رآكم بعضُ سُفهائكم لأوْقعتم فى نفسه شيئا ، ثم انصرفوا ، حتى إذا كانت الليلة الثانية ، عاد كلّ رجل منهم إلى مجلسه، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجرُ تفرّقوا، فجمعهم الطريقُ ، فقال بعضُهم لبعض مثلَ ماقالوا أوّل مرّة ، ثم انصرفوا . حتى

ومن كَبِيرٍ نَفرٌ زَبانيه(١)

وجدت فى حاشية كتاب الشيخ على هذا البيت : كبير : حَىٌّ من هُذَيْل قال المؤلف : وفى أسد أيضا : كبير بن غَنْم بن دُودَان بن أسد ، ومن ذريته : بنو جَحْش بن رَيَّان بن يَعْمَر بن صَبْوَة بن مُرّة بن كبير(٢) ولعل الراجز أن يكون أراد هؤلاء ، فإنهم أشهر ،والله أعلم، وبنو كبير أيضا : بطن من بنى غامد، وهم من الأزد ، والذى تقدم ذكره من هذيل هو : كبير بن طابخة بن لِحْيان ابن سعد بن هُذَيل .

---

(١) سبق ذكر الأحاديث التى وردت فى هذا الشان ،والذى نقله السهيلى عن كعب الأحبار فى أمر خزنة جهنم لاسند له

(٢) من شعراء هذيل من كنيته أبو كبير ،وفى اللسان : كبير بن هند : حى من هذيل .

إذا كانت الليلةُ الثالثة أخذ كلُّ رجل منهم مجلسَه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجرُ تفرّقوا ، فجمعهم الطريق ، فقال بعضُهم لبعض : لانبرحُ حتى نتعاهد ألا نعود ، فتعاهدوا على ذلك ، ثم تفرّقوا .

فلما أصبح الأخنسُ بن شَريق أخذ عصاه ، ثم خرج حتى أتى أباسفيان فى بيته ، فقال : أخبِرنى يا أباحَنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد ، فقال : ياأباثعلبة والله لقدسمعت أشياء أعرفها ، وأعرف مايُراد بها ، وسمعتُ أشياء ماعرفت معناها ولا مايُراد بها ، قال الأخنسُ : وأنا والذى حلفت به .

قال : ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جَهْل ، فدخل عليه بيتَه ، فقال : يا أبا الحكم ، مارأيُك فيما سمعتَ من محمَّد ؟ فقال :ماذاسمعتُ ، تنازعْنا نحنُ وبنو عبد مناف الشرفَ ، أطعموا فأطْعمنا ، وحَملوا فحَمَلْنا ، وأعْطَوْافأعْطينا ، حتى إذا تحاذينا على الرُّكَب ، وكُنَّا كفرَسَىْ رِهان ، قالوا : منّا نبىّ يأتيه الوحىُ من السماء ، فمتى نُدْرك مثلَ هذه ، والله لا نُؤْمن به أبداً ، ولا نصدّقه . قال : فقام عنه الأخنسُ وتركه .

قال ابن إسحاق : وكان رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — إذا تلا عليهم القرآن ، ودعاهم إلى الله ، قالوا يهزءون به : (قلوبنا فى أكِنَّة مما تدعونا إليه) لانفقه ماتقول : (وفى آذاننا وَقْر) لانسمع ما تقول :(ومن بينناو بينك حجابٌ) قد حال بيننا وبينك (فاعمل) بما أنت عليه (إنَّنا عاملون) بما نحن عليه ، إنَّا لانفقه عنك شيئا ، فأنزل الله تعالى عليه فى ذلك من قولهم : ﴿ وَإذَا قَرَأْتَ

القُرآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وبينَ الَّذينَ لا يُؤْمِنُونَ بالآخِرَةِ حِجابا مَسْتُوراً ﴾ إلى قوله : ﴿ وإذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي القُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا على أدْبارِهِمْ نُفُوراً ﴾ الإسراء : ٤٥ ، ٤٦ أى: كيف فَهِمُوا توحيدَكَ ربَّك إن كنتُ جعلتُ على قلوبهم أكِنَّةً ، وفى آذانهم وقراً ، وبينك وبينهم حجابا بزعْمهم ؛ أى : إنى لم أفعل ذلك . ﴿ نَحْنُ أعْلَمُ بِما يَسْتَمِعُونَ بِهِ ، إذْ يَسْتَمِعُونَ إلَيْكَ : وَإذْ هُمْ نَجْوَى ، إذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ : إنْ تَتَّبِعُونَ إلاَّ رَجُلاً مَسْحُوراً ﴾ الإسراء : ٤٧ أى : ذلك ماتواصَوْا به من تَرك مابعثتُك به إليهم . ﴿ انْظُرْ : كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأمْثالَ فضَلُّوا فَلا يَسْتَطِيعُونَ سبيلا ﴾ الإسراء : ٤٨ أى : أخطئوا المثل الذى ضَربوا لك، فلا يُصيبون به هُدًى ، ولا يَعتدل لهم فيه قول ﴿ وَقَالُوا : أَءِذَا كُنَّا عِظاما وَرُفاتا أئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً ﴾ أى : قد جئت تُخبرنا : أنَّا سنُبعث بعدموتنا إذا كنَّا عظاما ورُفاتا ، وذلك مالا يكون . ﴿ قُلْ : كُونُوا حِجارَةً أوْ حديداً ، أو خَلْقاً مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ ، فَسَيَقُولُونَ : مَنْ يُعِيدُنا ، قُلِ : الَّذِى فَطَرَكُم أولَ مَرَّةٍ ﴾ الإسراء : ٤٩ ـ ٥١ : أى: الذى خلقكم مما تعرفون، فليس خَلْقُكم من تراب بأعزَّ من ذلك عليه .

قال ابن إسحاق : حدثنى عبدالله بن أبى نَجيح ، عن مُجاهد ، عن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : سألته عن قول الله تعالى : ﴿ أوْ خَلْقا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ ﴾ ما الذى أراد اللهُ به ؟ فقال : الموت .

رفع
المسـ هم

ذكر عدوان المشركين على المستضعفين ممن أسلم بالأذى والفتنة

قال ابن إسحاق: ثم إنهم عَدَوْا على من أسْلم، واتَّبع رسولَ الله -صلى الله عليه وسلم- من أصحابه، فوثبتْ كلُّ قبيلةٍ على من فيها من المسلمين، فجعلوا يحبسونهم ويعذِّبونهم بالضرب والجوع والعطش، وبرَمْضاء مكة إذا اشتدَّ الحرّ، مَنْ استضعفوا منهم، يفْتنونهم عن دينهم، فمنهم من يُفْتَن من شدّة البلاء الذى يُصيبه، ومنهم من يَصْلُب لهم، ويَعْصِمه الله منهم.

تعذيب بلال وعتقه

وكان بلالٌ مَوْلى أبى بكر رضى الله عنهما، لبعض بنى جُمَح، مُوَلَّدا من مولديهم، وهو بلالُ بن رباح، وكان اسْمُ أمِّه: حَمامة، وكان صادقَ الإسلام طاهرَ القلب، وكان أُميَّة بن خَلَف بن وَهْب بن حُذافة بن جُمَح يُخرجه إذا حميت الظَّهيرةُ، فيطرَحه على ظهره فى بَطْحاء مكة، ثم يأمر بالصَّخرة العظيمة فتوضع على صَدْره، ثم يقول له: لا تزال هكذا حتى تموت، أوْ تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى؛ فيقول وهو فى ذلك البلاء: أَحَدٌ أَحَدٌ.

قال ابن إسحاق: وحدثنى هشام بن عروة عن أبيه، قال: كان وَرَقة بن نوفل يمرّ به وهو يعذّب بذلك، وهو يقول: أحد أحد، فيقول: أَحَدٌ أَحَدٌ والله يا بلال، ثم يُقْبِل على أُميَّة بن خَلَف، ومن يَصْنع ذلك به من بنى جُمَح، فيقول: أحلفُ بالله لئن قتلتموه على هذا لأتخذنّه حَنَانا، حتى مرَّ به أبو بكر

الصدّيق بن أبي تُحافة ـ رضى الله عنه ـ يوما ، وهُم يصْنعون ذلك به ، وكانت دارُ أبي بكر في بني جُمَح ، فقال لأمية بن خلف : ألا تتقى الله في هذا المسكين؟! إلى حتى متى ؟ قال : أنت الذى أفسدته ، فأنقِذْه مما ترى ، فقال أبو بكرٍ : أفعلُ عندى غلام أسودُ أجْلَدُ منه وأقوى ، على دينك ، أُعْطيكه به ، قال : قد قبلتُ فقال : هولك . فأعطاه أبو بكر الصديقُ رضى الله عنه غلامَه ذلك وأخذه فأعتقه .

من عتقاء أبي بكر

ثم أعْتق معه على الإسلام قبل أن يهاجر إلى المدينة ست رقاب ، بلال سابعهم: عامر بن فُهَيرة ، شَهِد بدراً وأُحُداً ، وقُتِل يوم بئر مَعُونة شهيداً ، وأمّ عُمَيْس وَزِنِّيرة ، وأصيب بصرُها حين أعتقها، فقالت قُريش : ما أذهب بصرَها إلا اللات والعُزّى ؛ فقالت : كذَبُوا ـ وبيت الله ـ ما تضر اللات والعُزّى ، وما تَنفعان ، فردّ اللهُ بصرَها .

وأعتق النَّهدية وبنتَها ، وكانتا لامرأة من بني عَبْد الدار ، فمر بهما وقد بعثتهما سيّدتُهما بطَحين لها ، وهى تقول : والله لا أُعْتقكما أبداً ، فقال أبو بكر رضى الله عنه : حِلاًّ يا أمّ فلان، فقالت: حِلٌّ، أنت أفسدتَهما فأعْتِقهما، قال : فبكم هما ؟ قالت : بكذا وكذا ، قال : قد أخذتُهما وهما حُرّتان ، أرْجعا إليها طَحينها ، قالتا : أوَ نَفرُغ منه يا أبا بكر ، ثم نردّه إليها ؟! قال : وذلك إن شئتُما .

ومرّ بجارية بني مُؤَمَّل ، حيّ من بني عديّ بن كعب ، وكانت مسلمة

وعمرُ بن الخطاب يُعذّ بها لتترك الإسلام ، وهو يومئذ مشركٌ وهو يضربها ، حتى إذا ملّ قال : إنى أعتذر إليك ، إنى لم أتركْك إلا مَلَالةً ، فتقول : كذلك فَعل الله بك ، فابتاعها أبو بكر ، فأعتقها .

بين أبى بكر وأبيه

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن عبد الله بن أبى عَتيق ، عن عامر ابن عبد الله بن الزُّبير ، عن بعض أهله ، قال :

قال أبو قحافة لأبى بكر : يا بُنَىّ ، إنى أراك تُعْتِق رِقابا ضِعافا ، فلو أنك إذ فعلت مافعلتَ أعتقتَ رجالا جُلْداً يمنعونك ، ويقومون دونَك ؟ قال : فقال أبو بكر رضى الله عنه : يا أبتِ ، إنى إنما أُريد ماأُريد ، لله عزّ وجل ، قال: فيُتحدّث أنه مانزل هؤلاء الآياتُ إلا فيه ، وفيما قال له أبوه : ﴿فأمَّا مَنْ أعْطَى ، واتَّقَى وَصَدَّقَ بالْحسْنَى﴾ الليل : ٥ ، ٦ . . . إلى قوله تعالى : ﴿وَما لأحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إلاَّ ابْتِغاء وَجْهِ رَبِّهِ الأعْلَى وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ الليل ١٩ ، ٢١ .

تعذيب عمار بن ياسر

قال ابن إسحاق : وكانت بنو مَخْزُوم يَخْرجون بعمّار بن ياسر ، وبأبيه وأمه ـ وكانوا أهل بيت إسلام ـ إذا حَميتِ الظهيرةُ ، يُعذّبونهم برَمْضاء مكة ، فيمرّ بهم رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيقول ، فيما بلغنى : صبراً آل ياسر ، موعدُكم الجنَّة . فأمّا أمُّه فقتلوها ، وهى تأبى إلا الإسلام .

وكان أبو جهل الفاسق الذى يُغْرِى بهم فى رجال من قريش ، إذا سَمِع

رفع المسهم

بالرجل قد أسلم ، له شرف ومَنَعة أنبّه وأخزاه وقال : تركتَ دِين أبيك وهو خير منك : لَنُسَفِّهَنّ حِلْمَكَ ولنُفَيِّلَنّ رأيك ، ولنضعنّ شرفَك ، وإن كان تاجراً، قال : والله لنُكَسِّدنّ تجارتك ، ولنُهلِكنّ مالك ، وإن كان ضعيفا ضَرب به وأغرى به .

فتنة المعذبين

قال ابن إسحاق : وحدثنى حَكيم بن جُبير عن سَعيد بن جُبير ، قال : قلت لعبد الله بن عبّاس : أكان المشركون يَبْلغون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من العذاب ما يُعذَرون به فى تَرْك دينهم ؟ قال : نعم ، والله ، إن كانوا ليَضْربون أحدهم ، ويُجيعونه ، ويُعطِّشونه حتى ما يقدر أن يستوى جالسا من شدّة الضُر الذى نزل به ، حتى يُعطيهم ما سألوه من الفِتْنة ، حتى يقولوا له ، آللّاتُ والعُزّى إلهُك من دون الله ؟ فيقول : نعم ، حتى إن الجُعَل ليمر بهم، فيقولون له : أهذا الجُعَل إلهُك من دون الله ؟ فيقول : نعم ، افتداء منهم ممّا يبلغون من جَهْده .

رفض تسليم الوليد لتقتله قريش

قال ابن إسحاق : وحدثنى الزبيرُ بن عُكّاشة بن عبد الله بن أبى أحمد أنه حُدّث أن رجالا من بنى مَخزوم مَشَوْا إلى هشام بن الوليد ، حين أسْلم أخوه الوليدُ بن الوليد ، وكانوا قد أجمعوا على أن يأخذوا فتيةً منهم كانوا قد أسلَموا ، منهم : سَلَمةُ بن هشام ، وعيّاش بن أبى ربيعة . قال : فقالوا له — وخشُوا شرّهم : إنا قد أردنا أن نُعاتِب هؤلاء الفِتْية على هذا الدين الذى أحدثوا ، فإنّا نأمن بذلك فى غيرهم . قال : هذا ، فعليكم به . فعاتبوه وإياكم ونفسَه . وأنشأ يقول :

ألا لا يُقْتَلَنَّ أخى عُيَيْشٍ فيبقى بيْننا أبداً تَلاحِى

احذروا على نفسه ، فأُقسم بالله لئن قتلتموه ، لأقتلنّ أشرفكم رجلاً . قال: فقالوا : اللهمّ العنه . من يُغرّر بهذا الخبيث ، فوالله لو أصيب فى أيدينا لقُتل أشرفنا رجلاً . قال:فتركوه ونَزَعوا عنه . قال: وكان ذلك ممادفع الله به عنهم.

ذكر الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة

قال ابن إسحاق : فلما رأى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ما يَصيب أصحابَه من البلاء. وماهو فيه من العافية . بمكانه من الله، ومن عمه أبى طالب ، وأنه لا يقدر على أن يَمْنعهم مما هم فيه من البلاء . قال لهم : لو خرجتم إلى أرض الحبشَة، فإنّ بها مَلِكا لا يُظلم عنده أحد . وهى أرض صِدْق، حتى يجعلَ الله لكم فرجا ممَّا أنتم فيه ، فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — إلى أرض الحبشة ، مخافةَ الفتنة ، وفراراً إلى الله بدينهم . فكانت أولَ هجرة كانت فى الإسلام .

أصحاب الهجرة الأولى إلى الحبشه

وكان أوّلَ من خرج من المسلمين من بنى أُمَيَّة بنِ عَبْد شَمْس ابن عبد مناف ابن قُصَىّ بن كلاب بن مُرّة بن كَعْب بن لُؤَىّ بن غالب ابن فِهْرٍ : عثمانُ بن عفَّان بن أبى العاص بن أمية ، معه امرأتُه : رُقَيَّة بنتُ رسول الله—صلى الله عليه وسلم— ومن بَنى عبد شَمْس بن عبد مناف : أبو حُذيفة

ابن عُتْبة بن رَبيعة بن عَبْد شَمس، معه امرأتهُ : سَهْلَةُ بنت سُهَيْلِ بن عمرو ، أحد بنى عامر بن لُؤَىّ ، ولدت له بأرض الحبشة محمد بن أبى حُذَيفة . ومن بنى أسَد ابن عبد العُزّى بن قصىّ : الزُّبير بن العوّام بن خُوَيلد بن أسَد . ومن بَنى عبد الدار بن قُصَىّ : مُصْعب بن عُمَير بن هاشم بن عبدمناف بن عبد الدار . ومن بنى زُهرة بن كِلاب : عبد الرحمن بن عَوف بن عَبْد عَوْف بن عبد بن الحارث ابن زُهرة . ومن بنى مخزوم ابن يَقَظة بن مُرّة : أبو سَلَمة بن عبد الأسد بن هِلال بن عبد الله بن عُمَر بن مَخْزُوم ، معه امرأتهُ أمُّ سَلَمة بنت أبى أُميَّة ابن المُغيرة بن عبدالله بن عُمَر بن مَخْـزُوم . ومن بني جُمَح بن عمرو بن هُصيص بن كعب : عثمانُ بن مَظْعون بن حَبِيب بن وَهْب بن حُذافة بن جُمح . ومن بنى عدىّ بن كعب : عامرُ بن رَبيعة ، حليف آل الخطّاب ، من عَنز بن وائل معه امرأته : لَيلى بنت أبى حَثْمة بن حُذَيْفة بن غانم بن عامر بن عبد الله بن عَوْف بن عبيد بن عُوَيج بن عدىّ بن كعب . ومن بنى عامر بن لُؤَىّ أبو سَبْرة ابن أبى رُهْم بن عبد العُزّى بن أبى قَيْس بن عبد وُدّ بن نَصْر بن مالك ابن حِسْل بن عامر ، ويقال : بل أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبدوُدّ ابن نصر بن مالك بن حِسل بن عامر .

ويقال : هو أول من قدمها . ومن بنى الحارث بن فهر : سهيل بن بيضاء، وهو : سهيل بن وهب بن ربيعة بن هلال بن أُهَيب بن ضَبَّة بن الحارث . فكان هؤلاء العشرة أول من خرج من المسلمين إلى أرض الحبشة ، فيما بلغنى .

قال ابن هشام : وكان عليهم عثمان بن مظعـــون ، فيما ذكر لى بعض أهل العلم .

قال ابن إسحاق : ثم خرج جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه ، وتتابع المسلمون ، حتى اجتمعوا بأرض الحبشة ، فكانوا بها ، منهم من خرج بأهله معه ، ومنهم من خرج بنفسه لا أهل له معه .

المهاجرون من بنى هاشم و بنى أمية

ومن بنى هاشم بن عبد مناف بن قُصَىّ بن كلاب بن مُرَّة بن كعب ابن لُؤَىّ بن غالب بن فهر : جعفرُ بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم ، معه امرأتهُ : أسماء بنت عُمَيْس بن النعمان بن كعب بن مالك بن قحافة بن خَثْعم ، ولدت له بأرض الحبشة عبد الله بن جعفر ، رجل .

ومن بنى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف : عثمان بن عفان بن أبى العاص ابن أمية بن عبد شمس ، معه امرأتهُ : رقية ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعمرو بن سعيد بن العاص بن أمية ، معه امرأتهُ : فاطمةُ بنت صَفْوان ابن أمية ابن مُحَرِّث بن حَمَلِ بن شِقٍّ بن رَقَبَة بن مُخْدِجٍ الكنانى ، وأخوه خالد بن سعيد بن العاص بن أمية ، معه امرأته : أُمَيْنَةُ بنت خلف بن أسعد ابن عامر بن بَياضة بن سُبَيْع بن جُعْثُمة بن سعد بن مُلَيْح بن عمرو ، من خزاعة

قال ابن هشام : ويقال : هُمَينة بنت خلف .

قال ابن إسحاق : ولدت له بأرض الحبشة سَعيدَ بن خالد ، وأَمَةَ بنت خالد ، فتزوج أَمَةَ بعد ذلك الزبيرُ بن العوام ، فولدت له عمرو بن الزبير ، وخالد بن الزبير .

رفع
المسلم

المهاجرون من بنى أسد وبنى عبد شمس

ومن حلفائهم ، من بنى أسد بن خزيمة : عبد الله بن جَحْش بن رِئاب بن يَعْمَر بن صَبِرَة بن مُرّة بن كَبِير بن غَنْم بن دُودان بن أسَد ؛ وأخوه عُبيد الله بن جَحْش، معه امرأتُه : أمّ حَبيبة بنتُ أبى سُفْيان بن حَرْب بن أُميَّة ؛ وقيسُ بن عبد الله ، رجل من بنى أسد بن خُزَيمة ، معه امرأتُه بَرَكة بنت يَسار ، مولاة أبى سُفيان بن حَرْب بن أمية ، ومُعَيْقيب بن أبى فاطمة ، وهؤلاء آلُ سَعيد بن العاص ، سبعة نفر .

قال ابن هشام : مُعيقيب من دَوْس .

قال ابن إسحاق : ومن بنى عَبْد شَمْس بن عَبْد مناف ، أبو حُذَيفة ابن عُتْبة بن رَبيعة بن عبد شمس ، وأبو موسى الأشعرىّ ، واسمه : عبدُ الله ابن قَيْس حليف آل عتبة بن ربيعة ، رجلان .

المهاجرون من بنى نوفل وبنى أسد

ومن بنى نَوْفل بن عَبْد مناف : عُتْبةُ بن غَزْوان بن جابر بن وهب ابن نَسيب بن مالك بن الحارث بن مازن بن مَنْصور بن عِكْرمة بن خَصَفة ابن قَيْس بن عَيْلان ، حليف لهم ، رجل .

ومن بنى أسَد بن عبد العُزّى بن قُصَىّ : الزبيرُ بن العوّام بن خُوَيلد ابن أسد ، والأسودُ بن نَوْفل بن خُوَيلد بن أسَد ، ويزيد بن زَمْعَة بن الأسود ابن المُطّلب بن أسَد . وعمرو بن أُميَّة بن الحارث بن أسَد ، أربعة نفر .

المهاجرون من بنى عبد وعبد الدار ولدى قصى

ومن بنى عَبْد بن قُصَىّ : طُلَيب بن عُمَير بن وهب بن أبى كثير بن عبد [ابن قُصَى] رجل .

ومن بنى عبد الدّار بن قُصَىّ : مُصْعب بن عُمَير بن هاشم بن عبد مناف ابن عَبْد الدار ، وسُوَيط بن سَعْد بن حَرْملة بن مالك بن عُميلة بن السَّبّاق ابن عبد الدار ، وجَهْم بن قَيْس بن عبد شُرَحْبيل بن هاشم بن عَبْد مناف ابن عبد الدار ، معه امرأتُه أم حَرْملة بنت عبد الأسود بن جذيمة بن أُقَيْشِ بن عامر ابن بيَاضة بن سُبيع بن جُعْثُمة بن سَعْد بن مُليح بن عمرو ، من خزاعة ، وابناه : عَمرو بن جَهْم وخُزَيمة بن جَهْم ، وأبو الرّوم بن عُمير بن هاشم بن عبد مناف ابن عَبْد الدار ، وفِراس بن النَّضْر بن الحارث بن كَلَدة بن علْقمة بن عبد مناف ابن عبد الدار ، خمسة نفر .

المهاجرون من بنى زهرة وبنى هذيل وبهراء

ومن بنى زُهرة بن كِلاب : عبدُ الرحمن بن عَوْف بن عبد عوف بن عَبْد ابن الحارث بن زُهرة ، وعامر بن أبى وقَّاص ، وأبو وقاص : مالك بن أُهيب ابن عَبْد مناف ابن زُهرة ، والمطَّلب بن أزهر بن عبد عَوف بن عَبْد بن الحارث ابن زُهرة ، معه امرأته : رَمْلة بنت أبى عَوْف بن ضُبيرة بن سُعيد بن سَعْد ابن سَهم ، ولدت له بأرض الحبشة عبد الله بن المطَّلب .

ومن حُلفائهم من هُذيل : عبدُ الله بن مَسْعود بن الحارث بن شَمْخ

ابن مَخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل، وأخوه: عُتْبة بن مَسْعود .

ومن بَهْرَاء : الْمِقْدادُ بن عمرو بن ثَعْلبة بن مالك بن رَبيعة بن ثُمامة ابن مَطْرود بن عمرو بن سعد بن زُهير بن لؤى بن ثعلبة بن مالك بن الشَّرِيد ابن أبى أَهْوَز بن أبى فائش بن دُرَيم بن القَيْن بن أَهْوَد بن بَهْرَاء بن عمرو ابن الحاف بن قُضاعة .

قال ابن هشام : ويقال هَزْل بن فاس بن ذرّ ، ودَهِير بن ثور .

قال ابن إسحاق : وكان يقال له : المِقداد بن الأسود بن عَبْد يَغُوث ابن وهب بن عَبْدمناف بن زُهْرة ، وذلك أنه تبنّاه فى الجاهلية ، وحالفه ، ستة نفر .

المهاجرون من بنى تيم وبنى مخزوم

ومن بنى تَيْم بن مرة : الحارثُ بن خالد بن صَخْر بن عامر بن عمرو ابن كَعْب بن سَعْد بْن تَيْم ، معه امرأتهُ رَيْطة بنت الحارث بن جَبَلة بن عامر ابن كَعْب بن سَعْد بن تَيْم ، وَلَدت له بأرض الحَبَشة موسى بن الحارث ، وعائشة بنت الحارث ، وزينب بنت الحارث ، وفاطمةَ بنت الحارث ، وعمرُو ابن عثمان بن عمرو بن كَعْب بن سَعْد بن تَيْم ، رجلان .

ومن بنى مَخزوم بن يَقَظة بن مُرّة : أبو سَلمة بن عبد الأسَد بن هِلال ابن عبدالله بن عمر بن مَخْزوم ، ومعه امرأتُه : أمّ سَلمة بنت أبى أميّة بن المُغيرة

رفع
المسـاهم

ابن عبد الله بن عُمر بن مَخزوم ، ولدت له بأرض الحبشة زينب بنت أبى سَلَمة ، واسم أبى سَلَمة : عبدُ الله ، واسم أمّ سلمة : هند . وشَمّاس بن عثمان بن الشَّريد ابن سُويد بن هَرْمِىّ بن عامر بن مَخزوم .

من سيرة الشماس

قال ابن هشام : واسم شماس : عثمان ، وإنما سمى شَمَّاسًا ؛ لأن شماسا من الشمامسة ، قدم مكّة فى الجاهلية ، وكان جميلا فعجب النّاس من جماله ، فقال عتبةُ بن رُبيعة — وكان خالَ شماسٍ : أنا آتيكم بشماس أحسنَ منه ، فجاء بابن أخته عثمانَ بن عثمان ، فسمى : شَمَّاسا . فيما ذكر ابنُ شهاب وغيرُه .

قال ابن إسحاق : وهَبّار بن سفيان بن عبد الأسد بن هِلال بن عبد الله ابن عمر بن مَخزوم ، وأخوه عبد الله بن سفيان ، وهشام بن أبى حُذيفة ابن المُغيرة بن عبد الله بن عُمر بن مَخزوم ، وسَلَمة بن هشام بن المُغيرة ابن عبد الله بن عُمر بن مَخْزوم ، وعيَّاش بن أبى رَبيعة بن المُغيرة بن عبد الله ابن عُمر بن مَخْزوم .

المهاجرون من حلفاء بنى مخزوم ومن بنى جمح

ومن حلفائهم : مُعتِّب بن عَوْف بن عامر بن الفَضْل بن عَفيف بن كُلَيب ابن حَبَشية بن سَلُول بن كَعْب بن عمرو ، من خُزاعة ، وهو الذى يُقال له : عَيْهامة ، ثمانية نَفر .

قال ابن هشام : ويقال : حُبْشية بن سلول ، وهو الذى يقال له مُعَتِّب ابن حمراء .

* * * * * * * * * * *

رفع
المسلم
عز الله لطالب الدين

ومن بنى جُمح بن عَمْرو بن هُصَيص بن كعب : عثمانُ بن مَظْعون ابن حَبيب بن وَهْب بن حُذافة بن جُمح ، وابنه : السائب بن عثمان ، وأخواه : قُدامة بن مَظعون ، وعبدُ الله بن مَظْعون ، وحاطب بن الحارث بن مَعْمر ابن حَبيب بن وَهْب بن حُذافة بن جُمح ، معه امرأتُه : فاطمةُ بنت المُجَلِّل ابن عبد الله بن أبى قَيْسٍ بن عبدوُدّ بن نَصْر بن مالك بن حِسْل بن عامر ، وابناه : محمد بن حاطب ، والحارث بن حاطب ، وهما لبنت المُجَلِّل ، وأخوه : حطّاب ابن الحارث ، معه امرأته فُكيهة بنت يسار ، وسفيان بن مَعْمر بن حَبيب ابن وهْب بن حُذافة بن جُمح ، معه ابناه جابر بن سُفيان ، وجُنادة بن سفيان ، ومعه امرأته حَسَنة ، وهى أمهما ، وأخوهما من أمهما : شُرَحْبِيل بن حَسَنة ، أحد الغوث .

قال ابن هشام : شرحبيل بن عبد الله أحدُ الغوث بن مُرّ ، أخى تميم ابن مُرّ .

المهاجرون من بنى سهم وبنى عدى وبنى عامر

قال ابن إسحاق: وعثمان بن ربيعة بن أُهْبَان بن وهْبَ بن حُذافة بن جُمَح ، أحدَ عشرَ رجلا .

ومن بنى سَهْم بن عمرو بن هُصَيص بن كَعْب : خُنيس بن حُذافة بن قَيْس بن عدىّ بن سعد بن سَهْم ، وعبد الله بن الحارث بن قَيْس بن عدىّ ابن سعد بن سهل ، وهشام بن العاص بن وائل بن سعد بن سهم .

قال ابن هشام : العاص بن وائل بن هاشم بن سعد بن سهم .

قال ابن إسحاق : وقَيس بن حُذافة بن قَيْس بن عدى بن سعد بن سهم ، وأبو قيس بن الحارث بن قَيْس بن حذافة بن قيس بن عدى بن سعد بن سَهم ، وعبد الله بن حُذافة بن قَيْس بن عدى بن سعد بن سَهم ، والحارث ابن الحارث بن قَيْس بن عدى بن سعد بن سَهم ، ومَعْمر بن الحارث بن قَيس بن عدىّ بن سعد بن سَهم ، وبِشْر بن الحارث بن قَيْس بن عدىّ ابن سعد بن سهم ، وأخ له من أمه من بنى تميم ، يقال له : سعيد بن عمرو ، وسعيد بن الحارث بن قيس بن عدىّ بن سعد بن سهم ، والسائب بن الحارث ابن قيس بن عدىّ بن سعد بن سهم ، وعُمير بن رِئاب بن حُذَيفة بن مُهشِّم بن سعد بن سهم ، ومَحْمِيَة بن الجزاء ، حليف لهم ، من بنى زُبيد ، أربعة عشر رجلاً .

ومن بنى عدىّ بن كعب : مَعْمَرُ بن عبد الله بن نَضْلة بن عبد العُزّى بن حُرثَان بن عوف بن عُبيد بن عُوَيج بن عدىّ ، وعروة بن عبد العزّى بن حُرثان بن عَوْف بن عبيد بن عويج بن عدىّ ، وعدىّ بن نَضْلة بن عبد العُزّى ابن حُرثان بن عَوْف بن عُبيد بن عُوَيج بن عدىّ ، وابنه النعمانُ بن عدىّ ، وعامر بن رَبيعة ، حليف لآل الخَطّاب ، من عَنْز بن وائل ، معه امرأتُه : ليلى بنت أبى حَثْمة بن غانم . خمسة نفر .

ومن بنى عامر بن لُؤَىّ : أبو سَبْرة بن أبى رُهْم بن عبد العُزّى بن أبى قَيس بن عبدوُدّ بن نَصْر بن مالك بن حِسْل بن عامر ، معهُ امرأتُه :

أمُّ كُلثوم بنت سُهيل بن عمرو بن عَبْد شَمْس بن عبدوُدٍّ بن نَصْر بن مالك ابن حِسْل بن عامر ، وعبد الله بن مَخْرمة بن عبد العزّى بن أبى قَيْس بن عبدوُد بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر ، وعبد الله بن سُهيل بن عمرو ابن عبد شَمْس بن عبدودّ بن نَصْر بن مالك بن حِسْل بن عامر ، وسَلِيط بن عَمْرو بن عبد شمس بن عبدود بن نَصْر بن مالك بن حِسْل بن عامر ، وأخوه : السَّكران بن عَمْرو ، معه امرأتُهُ : سَوْدة بنت زَمْعَـة بن قَيْس بن عبد شَمْس ابن عبدودّ بن نَصْر بن مالك بن حِسْل بن عامر ، ومالك بن زَمْعَة بن قَيْس ابن عبد شَمْس بن عبدود بن نَصْر بن مالك بن حِسْل بن عامر ، معه امرأتُه : عَمْرة بنت السَّعْدىّ بن وَقْدان بن عبد شمس بن عبدوُدّ بن نَصْر بن مالك بن حِسْل بن عامر ، وحاطب بن عمرو بن عبد شَمْس بن عبدوُدّ بن نصر بن مالك ابن حِسْل بن عامر ، وسعد بن خَوْلة ، حليف لهم . ثمانية نفر .

قال ابن هشام : سعد بن خَوْلة من اليمن .

المهاجرون من بنى الحارث

قال ابن إسحاق : ومن بنى الحارث بن فِهْر : أبو عبيدة بن الجرّاح ، وهو : عامر بن عبد الله بن الجرّاح بن هِلال بن أُهيب بن ضَبَّة بن الحارث ابن فهر ، وسُهيل بن بَيْضاء ، وهو : سُهيل بن وَهْب بن رَبيعة بن هلال بن أُهَيْب بن ضَبَّة بن الحارث ، ولـكن أمه غلبتْ على نَسبه ، فهو ينسب إليها ، وهى : دَعْد بنت جَحْدم بن أُميَّة بن ظَرِب بن الحارث بن فِهْر ، وكانت

تدعى : بَيضاء ، وعمرو بن أبى سَرْح بن ربيعة بن هلال بن أُهَيب بن ضَبَّة ابن الحارث ، وعِيَاض بن زُهير بن أبى شدّاد بن ربيعة بن هِلال بن أُهيب ابن ضَبَّة بن الحارث ، ويقال : بل ربيعةُ بن هلال بن مالك بن ضبَّة ابن الحارث، وعمرو بن الحارث بن زُهَيْر بن أبى شَدَّاد بن ربيعه بن هِلال بن مالك ابن ضبة بن الحارث ، وعثمان بن عَبْد غَنْم بن زُهير بن أبى شدّاد بن رَبيعة ابن هلال بن مالك بن ضَبَّة بن الحارث، وسعد بن عبد قَيْس بن لَقيط بن عامر ابن أُميَّة بن ظَرب بن الحارث بن فهر ، والحارث بن عبد قَيْس بن لَقِيط ابن عامر بن أُميَّة بن ظَرِب بن الحارث بن فهر . ثمانية نفر .

عدد الذين هاجروا إلى الحبشة

فكان جميع من لحق بأرض الحبشة ، وهاجر إليها من المسلمين ، سوى أبنائهم الذين خرجوا بهم معهم صغاراً وولدوا بها ، ثلاثة وثمانين رجلا ، إن كان عمَّار بن ياسر فيهم ، وهو يُشك فيه .

من شعر الهجرة الحبشية

وكان مما قيل من الشعر فى الحبشة ، أن عبد الله بن الحارث بن قيس ابن عدى بن سعد بن سَهم ، حين أمنوا بأرض الحبشة ، وحمدوا جِوار النجاشى ، وعبدوا الله ، لا يخافون على ذلك أحداً ، وقد أحسن النجاشى جوارهم حين نزلوا به ، قال :

يا راكِباً بَلِّغَنْ عَنِّى مُغَلْغَلَةً　　مَنْ كان يرجو بلاغَ الله والدينِ
كلَّ امرىء من عباد الله مُضْطَهَد　　ببَطْنِ مكةَ مَقْهورٍ وَمَفْتُون

أنّا وَجَدْنا بلادَ الله وَاسِعَةً تُنْجِى من الذلّ والْمَخْزاة والهُون
فلا تقيموا على ذل الحياة ، وخزْ يٍ فى الْممات، وعَيْبٍ غيرِ مأمون
إنّا تَبِعنا رسولَ الله ، واطّرَحوا قول النّبى ، وعالُوا فى الْموازين
فاجْعَل عذابكَ بالقوْم الذين بَغَوْا وعائذا بك أنْ يَعْلوا فيُطغونى

وقال عبد الله بن الحارث أيضاً ، يذكر نَفْىَ قُريش إياهم من بلادهم ، ويعاتب بعضَ قومه فى ذلك :

أبتْ كَبدِى لاأكْذِبَنْك قتالهم عليَّ ، وتأباه علىَّ أناملى
وكَيْفَ قِتالى مَعْشَراً أدّبُوكُمُ على الحق أن لاتأشِبوه بباطِل
نَفَتْهم عبادُ الجنّ مِنْ حرّ أرضِهم فأضْحَوْا على أمْر شَديد البَلابل
فإن تكُ كانت فى عَدِى أمانــــة
عدى بن سَعْد عن تُقَى ، أو تواصل
فقد كنتُ أرجوأنّ ذلكَ فِيكُمُ بحَمْد الذى لا يُطّبَى بالجعائل
وبُدّلت شِبلاً شبلَ كل خبيثة بذى فَجَرٍ مأْوَى الضِّعاف الأرامل

وقال عبد الله بن الحارث أيضاً :

وتلكَ قُرَيشٌ تجْحَدُ الله حقَّه كما جَحَدت عادٌ ومدْينُ والحِجْرُ
فإن أنا لم أبْرِق فلا يَسعَنَّنِى من الأرض برٌّ ذُو فَضاء ولا بحر
بأرْضٍ بها عَبْدُ الإله مُحمدٌ أُبَيِّن ما فى النَّفس إذ بلغ النَّقْرُ

. . . .

رفع المسهم

فسمِّى عبد الله بن الحارث — يرحمه الله — لبيته الذى قال :المُبْرِق .

وقال عثمان بن مَظْعون يُعاتب أُميَّة بن خَلَف بن وهْب بن حُذافة بن جُمَح، وهو ابن عمِّه ، وكان يُؤْذيه فى إسلامه ، وكان أُميَّة شريفا فى قومه فى زمانه ذلك :

أتـيمَ بن عمْرو لِلَّذى جاء بِغْضَةً
ومِنْ دونه الشَّرْمانِ والبَرْكُ أكتعُ
أأخرجْتَنى مِنْ بطْنِ مكَّةَ آمِنا وأسكنْتَنى فى صَرْح بيضاءَ تقذع
تَريش نِبالاً لا يُواتيكَ ريشُها وتَبْرى نبالا ريشُها لكَ أجْمَعُ
وحارَبْتَ أقواما كِرَاماً أعِـزَّةً
وأهلكتَ أقواما بهم كنتَ تَفْزع
ستَعْلم إنْ نابَتْكَ يوْما مُلِمَّةٌ وأسلَمَكَ الأوْباش ما كنتَ تَصْنع

وتيم بن عمرو ، الذى يدعو عثمانُ ، جمحُ ، كان اسمه : تَيْماً .

حول آيات من القرآن :

فصل : وذكر استماع أبى جهل وأبى سفيان والأخنس إلى قول أبى جهل: فلما تجاذينا على الرُّكَب. وقع فى الجمهرة: الجاذِى:المُقْعِى على قدميه[1] قال: وربما جعلوا الجاذى والجاثِى سواء .

---

(١) فى القاموس : جذا جذوا وجذوا كسمو ثبت قائما ، كأجذى ، أو جثا، أو قام على أطراف أصابعه : وتجاذى : نسل ، وهى فى النسخة التى معى لابن هشام : تحاذينا

رفع المستهم

. . . .

وذكر قول الله سبحانه خبراً عنهم : ﴿جَعَلْنَا بينك ، وبين الذين لا يُؤمنون بالآخرةِ حِجاباً مَسْتُوراً﴾ الإسراء : ٤٥ قال بعضهم : مستور بمعنى : ساتر كما قال : «وكان وَعْدُه مأْتِيًا» أى : آتياً ، والصحيح أن مستوراً هنا على بابه ؛ لأنه حِجابٌ على القلب ، فهو لا يُرى .

وذكر حديث ابن عباس حين سئل عن قوله : ﴿أَوْ خَلْقاً مِمَّا يَكْبُرُ

= هذا وقد ذكر ابن هشام سبب نزول قوله سبحانه : «ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها» وإليك هنا ما ورد عن هذا فى الصحيحين وأحمد عن ابن عباس قال : نزلت هذه الآية ورسول الله — صلى الله عليه وسلم — متوار بمكة : (ولا تجهر بصلاتك ، ولا تخافت بها) قال : كان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن ، فلما سمع ذلك المشركون سبوا القرآن ، وسبوا من أنزله ، ومن جاء به ، قال : فقال الله لنبيه — صلى الله عليه وسلم — (ولا تجهر بصلاتك) أى بقراءتك ، فيسمع المشركون ، فيسبون القرآن ، ولا تخافت بها عن أصحابك ، فلا تسمعهم القرآن حتى يأخذوه عنك : (وابتغ بين ذلك سبيلا) ولكن قصر الآية على هذا السبب يجعلها معطلة الآن ، إذ ما ثم بيننا مثل هؤلاء المشركين الذين نخشاهم . ومن زعم أنها للدعاء فقد أخطأ ، فالدعاء يقول الله فيه : (ادعوا ربكم تضرعا وخفية) وقد روى عن ابن عباس : ولا تصل مراءاة الناس ، ولا تدعها مخافة الناس ، وعن الحسن البصرى : لا تحسن علانيتها ، وتسيء سريرتها .

وقد روى ابن جرير عن ابن سيرين قوله : نبئت أن أبا بكر كان إذا صلى فقرأ خفض صوته ، وأن عمر كان يرفع صوته ، فقيل لأبى بكر : لم تصنع هذا ؟ قال : أناجى ربى عز وجل — وقد علم حاجتى . فقيل : أحسنت ، وقيل لعمر : لم تصنع هذا ؟ قال أطرد الشيطان ، وأوقظ الوسنان ، قيل : أحسنت ، فلما نزلت : (ولا تجهر بصلاتك ، ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا) قيل لأبى بكر : ارفع شيئا ، وقيل لعمر : اخفض شيئا . هذا هدى القرآن فى القراءة فى الصلاة

رفع المسهم

. . . .

فى صُدوركم ﴾ فقال : الموت ، وهو تفسير يحتاج إلى تفسير ، ورأيت لبعض المتأخرين فيه، قال : أراد ابن عباس أن الموت سَيَفْنى كما يفنى كل شىء، كما جاء أنه يُذبح على الصِّراط ، فكان المعنى أن لو كنتم حجارة أو حديداً لأدرككم الفناء والموت ، ولو كنتم الموت الذى هو كبير فى صدوركم ، فلابُدَّ لكم من الفناء - والله أعلم - بتأويل ذلك ، وقد بقى فى نفسى من تأويل هذه الآية شىء(١) ، حتى يكمل الله نعمته بفهمها إن شاء الله تعالى - وقوله سبحانه : ﴿ وَلَّوْا على أدبارهم نُفُوراً ﴾ يجوز أن يكون : نفوراً : جمع نافر ، فيكون نصباً على الحال ، ويجوز أن يكون مصدراً مؤكداً لوَلَّوا . ومما أنزل الله فى استماعهم : ﴿ ومنهم مَنْ يَسْتَمِعُون إليك ، أفأنت تُسْمع الصُّمَّ ﴾ يونس:٤٢ ألا ترى كيف جمع يستمعون ، والحمل على اللفظ إذا قرُب منه أحسن ،ألا ترى إلى قوله سبحانه: ﴿ وَمَنْ يُسْلِمْ وجْهَه إلى الله ﴾ فأفرد، حملا على لفظ مَنْ، وقال فى آخر الآية : ولا خوفٌ عليهم ، فجمع حملا على المعنى ، لما بعد عن اللفظ ، وهكذا كان القياس فى قوله : ﴿ ومنهم مَنْ يَسْتَمِعُون ﴾ ، ولكن لما كانوا جماعة ، ونزلت الآية فيهم بأعيانهم ، صار المعنى : ومنهم نفر يستمعون ، يعنى أولئك النفر ، وهم أبو جهل وأبو سفيان والأخنس بن شَرِيق ، ألا ترى كيف قال بعد : ﴿ ومنهم مَنْ ينظر إليك ﴾ فأفرد حملا على اللفظ لارتفاع السبب المتقدم ، والله أعلم .

---

(١) الآية واضحة يعنى : أى خلق يكبر فى صدور هؤلاء ومنهم على شاكلتهم ، ولهذا قال مجاهد : السماء والأرض والجبال , وفى رواية : ماشئتم فكونوا فسيعيدكم الله بعد موتكم .

. . . .

المكره على الكفر والمعصية :

فصل : وذكر تعذيبَ من أسلم وطرحَهم في الرَّمْضاء ، وكانوا يُلبسونهم أدراعَ الحديد ، حتى أعطوهم بألسنتهم ماسألوا من كلمة الكفر إلا بلالا ـ رحمه الله ـ وأنزل الله فيهم : ﴿ إلاَّ مَنْ أُكْرِه وقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بالإيمان ﴾ ونزل في عمَّارٍ وأبيه : ﴿ إلاَّ أَنْ تَتَّقُوا منهم تُقَاةً ﴾[1] ولما كان الإيمانُ أصلهُ في القلب ، رخص للمؤمن في حال الإكراه أن يقول بلسانه إذا خاف على نفسه حتى يأمن . قال ابن مسعود : ما من كلمة تدفع عني سَوْطين إلا قُلْتُها هذا في القول ، فأما الفعل ، فتنقسم فيه الحال : فمنه مالا خلاف في جوازه كشرب الخمر ، إذا خاف على نفسه القتل ، وإن لم يخف إلا مادون القتل ، فالصبر له أفضل ، وإن لم يخف في ذلك إلا كسجن يوم ، أوطرف من الهَوَان خفيف، فلا تحل له المعصية من أجل ذلك ، وأما الإكراه على القتل ، فلا خلاف في حظره ؛ لأنه إنما رخص له فيما دون القتل ، ليدفع بذلك قتل نفس مؤمنة ،

---

(١) روى العوفي عن ابن عباس أن الآية : « إلا من أكره » نزلت في حق عمار ابن ياسر ، وهكذا قال الشعبي وقتادة وأبو مالك وابن جرير، ورواه البيهقي ،وفيه أنه سب النبي «ص» وذكر آلهتهم بخير، فشكا ذلك إلى النبي ، فقال: يارسول الله ما تركت حتى سببتك ، وذكرت آلهتهم بخير ، قال : كيف تجد قلبك ؟ قال : مطمئنا بالإيمان ، فقال : إن عادوا فعد . أما الأخرى فلم يذكر لها سبب . وروى قصة تعذيب بلال أحمد في مسنده ، وروى ابن أبي شيبة أن أبا بكر اشتراه بخمس أواق وهو مدفون ، كما روى الطبراني أن عامر بن فهيرة كان ممن يعذب في الله، فاشتراه أبو بكر وأعتقه .

. . . .

وهى نفسه ، فأما إذا دَفَع عن نفسه بنفسٍ أخرى ، فلا رُخْصَة ، واختلف فى الإكراه على الزِّنى ، فذكر عن ابن الماجُشُونِ أنه قال : لارُخْصَة فيه ؛ لأنه لاينتشر له إلا عن إرادة فى القلب أو شهوة ، وأفعالُ القلب لاتُباح مع الإكراه ، وقال غيره : بل يرخص فى ذلك لمن خاف القتل ، لأن انبعاث الشهوة عند المُمَاسَّة بمنزلة انبعاث اللعاب عند مَضْغ الطعام ، وقد يجوز أكل الحرام إذا أكره عليه .

فصل : واختلف الأصوليون فى مسئلة من الإكراه ، وهى : هل المُكْرَه على الفعل مخاطَبٌ بالفعل، أم لا ؟ فقالت المعتزلة: لا يصح الأمر بالفعل مع الإكراه عليه ، وقالت الأشعرية : ذلك جائز ؛ لأن العزم إنما هو فعل القلب ، وقد يتصور منه فى ذلك الحين العزم والنية ، وهى القصد إلى امتثال أمر الله تعالى، وإن كان ظاهره أنه يفعله خوفا من الناس، وذلك إذا أكره على فرض كالصلاة مثلا، إذا قيل: صَلِّ وإلا قُتلت ، وأما إذا قيل له : إن صليت قُتلت ، فظن القاضى أن الخلاف بيننا وبين المعتزلة فى ذلك ، وغلطه بعض أصحابه ، وقالوا : لاخلاف فى هذه المسئلة أنه مخاطَب بالصلاة مأمور بها ، وإن رخص له فى تركها ، فليس الترخيص مما يخرجه عن حكم الخطاب ، وإنما يرفع عنه الإكراهُ المأثمَ ، ولايخرجه عن أن يكون مخاطباً بها ، وهذا الغلط المنسوب إلى القاضى فى هذه المسألة ليس بقول له ، وإنما حكاه فى كتاب التقريب والإرشاد عن طائفة من الفقهاء . قالوا : لايتصور القصد والإرادة للفعل مع الإكراه عليه . قال القاضى : وهذا باطل؛ لأنه يتصور انكفافه عنه مع الإكراه ، فكذلك يتصور منه القصد إلى الامتثال له ، وبه يتعلق التكليف ، فإنما غلط من نسب إليه من الأصوليين

رفع المسهم

. . . .

هذا القول الذى أبطله ، وبين بطلانه ، وإنما ذكرت ما قالوه قبـــل أن أرى كلامه فى المسألة ، وأقف على حقيقة مذهبه ، وهو برىء من الغلط فيها .

آل ياسر :

فصل : وذكر فيمن عُذِّب فى الله : سُمَيَّةَ أمَّ عمار ، وقد ذكرنا قتلَ أبى جهلٍ لهـا ، وهى أول شهيد فى الإسلام ، وروى أن عماراً قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: لقد بلغ منا العذابُ كل مبلغ ، فقال له النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : صبراً أبا اليقظان(١) ، ثم قال : اللهم لا تعذب أحداً من آل عمار بالنار ، وسُمَيَّة أمه، وهى بنت خَيَّاط(٢)، كانت مَوْلاة لأبى حُذَيْفة بن المغيرة ، واسمه مُهَشِّم ، وهو عم أبى جهل ، وغلط ابن قُتَيْبة فيها ، فزعم أن الأزرق مولى الحارث بن كَلَدة خلف عليها بعد ياسر ، فولدت له سلَمَة بن الأزرق ، وقال أهل العلم بالنساء : إنما سُمَيَّةُ أم سلمة بن الأزرق سُمَيَّةُ أخرى ، وهى أم زياد ابن أبى سفيان، لا أم عمار ، وعمارٌ والحُوَيْرِث وعبود بنو ياسر بن عامر بن مالك ابن كِنانة بن قيس بن الحُصَين بن لوذين ، ويقال الوَذِيم بن ثَعْلَبَةَ بن عوف بن عامر بن حارثة بن زيام بن عَنْس(٣) بن مالك بن أُدَدَ بن زيد العَنسِيِّ المَذْحِجِيِّ

---

(١) ذكره ابن عبد البر .

(٢) وقيل خباط بضم الخاء وتشديد الباء، وعند الفاكهى : خبط بفتح الخاء وسكون الباء وعند ابن سعد أنها بنت سليم

(٣) فى الاشتقاق: عمار والحريث وعبدالله بنو ياسر . وفيه الوذيم. ويام بدلا من زيام وهذه أيضاً فى الإصابة . وقد روى أحمد فى مسنده أن الرسول «ص» مر على عمار وأبيه وأمه، وهم يعذبون. فقال أبو عمار: يارسول الله الدهر هكذا ؟ فقال له:

. . . .

حليف لبنى مخزوم ، ومن ولد عمار : عبدُ الله بن سعد بن الحسن بن عثمان ابن الحسن بن عبد الله بن سعد بن عمار بن ياسر ، وهو المقتول بالأندلس ، قتله عبد الرحمن بن معاوية .

زنيرة وغيرها :

فصل : وذكر زِنِّيرَة(١) التى أعتقها أبو بكر ، وأول اسمها : زاى مكسورة بعدها نون مكسورة مشددة على وزن فِعِّيلة ، هكذا صحت الرواية فى الكتاب ، والزِّنِّيرَة : واحدة الزنانير ، وهى الحصا الصغار(٢) ، قاله أبو عبيدة ، وبعضهم يقول فيها : زَنْبرة بفتح الزاى وسكون النون وباء بعدها ، ولا تُعْرف زَنْبَرَة فى النساء ، وأما فى الرجال فَزَنْبَرَةُ بن زُبير بن مخزوم بن صَاهِلَة بن كاهل بن الحارث ابن تميم بن سعد بن هُذَيل بن مُدْرِكة بن الياس بن مُضَر ، وابنه : خالد بن زَنْبَرَة ، وهو الغَرِقُ قاله الدارقطنى .

أم عميس :

فصل : وذكر أُمَّ عُمَيْسٍ(٣) ، وكانت لبنى تَيْمِ بن مُرَّة أعتقها أبو بكر ،

= النبى «ص» اصبر ثم قال : اللهم غفرا لآل يا سر ، وقد فعلت . وعند الطبرانى فى الأوسط : اصبروا آل ياسر موعدكم الجنة . أو أبشروا آل يا سر موعدكم الجنة

(١) كان أبو جهل يتهكم بها وبمن آمن ، فيقول : « ألا تعجبون إلى هؤلاء وأتباعهم . لو كان ما أتى محمد خيرا وحقا ماسبقونا إليه ، أفتسبقنا زنيرة إلى رشد » ص ٢٦٩ ح ٦ شرح المواهب .

(٢) وذباب صغار أيضاً .

(٣) أو عنيس ، أو عبيس بالتصغير .

رفع
المسهم
غفر الله له ولوالديه

. . . .

وذكر غير ابن إسحاق هؤلاء الذين عذبوا فى الله لما أعطوا بألسنتهم ما سُئلوا من الكفر ، جاءت قبيلةُ كل رجل منهم بأنطاعِ الأُدُمِ فيها الماء ، فوضعوهم فيها ، وأخذوهم بأطراف الأنطاع ، واحتملوهم إلاَّ بلالا .

عن بلال :

وقول وَرَقة بن نَوْفل : لئن قَتَلْتُمُوه يعنى : بلالا ، وهو على هذا الحال لأَتَّخِذَنَّه حنانا[1] . أى : لأَتَّخِذَنَّ قبره مَنْسكاً ومُسْتَرْحماً . والحنان : الرحمة ، وكان بلال رحمه الله يكنى : أبا عبد الكريم ، وقيل :أبا عبد الله ، وأخته غُفْرَة ، وقد تقدم فى أول الكتاب ذكر عمر مولى غُفْرَة ، وهى هذه . والغُفْرَةُ : الأنثى من أولادِ الأَرَاوِىّ[2] ، والذكر : غُفْر .

باب الهجرة إلى أرض الحبشة

وقد ذكرنا نسب الحبشة فى أول الكتاب ، وأما النَّجَاشِىُّ فاسم لكل ملك يلى الحبشة ، كما أن كِسْرى اسم لمن ملك الفرس ، وخاقان اسم لملك الترك كائنا مَنْ كان ، وبَطْلَيْمُوسُ : اسم لمن مَلَكَ يُونَانَ ، وقد ذكرنا هذا المعنى قبل ، واسم هذا النجاشي : أصْحَمَة[3] بن أَبْجَر ، وتفسيره : عطية . وذكر

---

(١) هو عند الزبير بن بكار وأبى الفتح اليعمرى .

(٢) أراوى بفتح أوله وثانيه وكسر الواو وتضعيف الياء: جمع قلة لأروية بضم أو كسر فسكون فكسر ففتح مع تشديد : أنثى الوعول، أو أنثى التيس الجبلى، وكذلك غفرة وجمع الكثرة : أروى على وزن أفعل ، على غير قياس . وفى اللسان عن أبى العباس: « والصحيح عندى أن أراوى تكسير أروية . كأرجوحة وأراجيح ، والأروى: اسم للجمع، وأروى تنون ولا تنون » انظر اللسان مادة روى »

(٣) كذلك ورد اسمه فى البخارى ، وفى مصنف ابن أبى شيبة بحذف الهمزة وحكى

. . . .

فى أول من خرج إلى الحبشة : عثمانَ بن عَفَّان وزوجَه رقية بنت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وكان حين تزوجها يغنيها النساء :

أَحْسَنُ شخصين رأى إنسان رُقَيَّـــــةُ وبَعْلُها عُثْمان

ولدت رقية لعثمان ابنَه عبد الله ، وبه كان يكنى ، ومات عبد الله وهو ابن ست سنين ، وكان سبب موته أن ديكا نقره فى عينه ، فتورم وجهه فمرض ، فمات . وذلك فى جمادى الأولى سنة أربع من الهجرة ، ثم كنى بعد ذلك أبا عمرو ، وهذا هو عبد الله الأصغر . وعبد الله الأكبر هو ابنه من فاختة بنت غَزْوَان ، وأكبر بنيه بعد هذين : عمرو ، ومن بنيه عُمر وخالد وسعيد والوليد والمغيرة وعبد الملك(١) وأبانٌ ، وفى السيرة من غير هذه الرواية أن رقية كانت

الإسماعيلى : أصخمة وقيل : أصحبة وقيل : صحبة ، وقيل : مصحمة ، وقيل اسمه : مكحول . وقال مغلطاى : ملك الترك خاقان ، والروم : قيصر واليمن : تبع ، واليونان : بطليموس ، واليهود : القيطون فيما قيل ، والمعروف : مالح ، وملك الصابئة : النمروذ ودهمز ، وملك الهند : يعفور ، والزنج : زغانة ، ومصر والشام : فرعون ، فإن أضيف إليهما الإسكندرية سمى : العزيز ، ويقال المقوقس . وللملك العجم : كسرى ، وللملك فرغانة : الإخشيد ، والعرب من قبل العجم : النعمان ، وملك البربر : جالوت . وجمع الحبش : أحبوش بضم أوله ، وأما قولهم : الحبش فعلى غير قياس ، وقالوا : حبشان وقالوا : أحبش وأصل التحبيش : التجميع . وكان النجاشى قديما لقبا لملوك الحبشة ، ثم غير إلى الحطى . والنجاشى إما بفتح النون وإسكان الياء أو تشديدها أو بكسر النون مع مد الشين .

(١) فى نسب قريش : عمرو وعمر وخالد وأبان وحريم وأمهم : أم عمرو بنت جندب بن عمر بن حممة من الأزد من دوس . ومنهم الوليد وسعيد وأم عثمان

رفع المسهم

. . . .

من أحسن البشر ، وأن رجالا من الحبشة رأوها بأرضهم ، فكانوا يُدَرْكِلون[1] إذا رأوها إعجابا منهم بحسنها ، فكانت تتأذى بذلك ، وكانوا لا يستطيعون لغربتهم أن يقولوا لهم شيئاً ، حتى خرج أولئك النفر مع النَّجاشِي إلى عدوه الذى كان ثار عليه ، فقتلوا جميعاً ، فاستراحت منهم ، وظهر النجاشى على عدوه ، وروى الزبير فى حديث أسنده أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بعث رجلا بِلُطُفٍ إلى عثمان ورقية ، فاحتبس عليه الرسول ، فقال له عليه السلام : إن شئت أخبرتك ما حبسك ، قال : نعم ، قال : وقفت تنظر إلى عثمان ورقية تعجب من حسنهما .

وذكر ابن إسحاق تسمية المهاجرين[2] إلى أرض الحبشة ، وقد تقدم التعريف ببعضهم ، وذكرنا سبب إسلام عمرو بن سعيد بن العاصى ، وأنه

= أمهم : فاطمة بنت الوليد بن عبد شمس بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم . ومنهم عبد الملك لا بقية له ، وتوفى رجلا ، أمه : أم البنين بنت عيينة بن حصين ابن حذيفة بن بدر . ومنهم : عائشة ، وأم أبان ، وأم عمرو . وأمهم : رملة بنت شيبة بن ربيعة بن عبد شمس ص ١٠٤

(٢) الدركلة كشرذمة وسبحلة أى بكسر ففتح فسكون ففتح : لعبة للعجم أو ضرب من الرقص أو هى حبشية

(٣) فى فتح البارى : « أن الهجرة وقعت مرتين ، وذكر أهل السير أن الأولى كانت فى شهر رجب من سنة خمس من المبعث ، وأن أول من هاجر منهم أحد عشر رجلا وأربع نسوة ، وقيل : وامرأتان ، وقيل : كانوا اثنى عشر رجلا ، وقيل : كانوا عشرة ، وأنهم خرجوا . حتى وصلوا إلى شعيبة مكان على ساحل البحر الأحمر ، فاستأجروا سفينة — فى غير الفتح : سفينتين — بنصف دينار

رفع المسهم

. . . .

رأى نوراً خرج من زمزم أضاءت له منه نخل المدينة ، حتى رأوا البُسْرَ فيها ، فقص رؤياه ، فقيل له : هذه بئر بنى عبد المطلب ، وهذا النور فيهم يكون ، فكان سبباً لِبدارِه للإسلام .

رؤيا سعد وخالد ولدى العاص :

وقد ذكرنا فيما تقدم أن هذه الرؤيا إنما كانت لأخيه ، وأن عمراً هو الذى عبرها له ، وهذا هو الصحيح فيها ، والله أعلم ، وأما أخوه خالد بن سعيد ، فكان يرى — قبل أن يسلم — نفسه قد أشفى على نار تأجّجُ ، وكأن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قد أخذ بحُجْزَتِه [1] ، يصرفه عنها ، فلما استيقظ علم أن نجاته من النار على يدى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فلما أظهر إيمانه ضربه أبوه بِمِقْرَعَةٍ ، حتى كسرها على رأسه ، وحلف ألاّ ينفق عليه ، وأغرى به إخوته ، فطردوه وآذَوه ، فانقطع إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — حتى هاجر إلى أرض الحبشة — كما ذكر ابن إسحاق — وأبوه سعيد بن العاصى أبو أُحَيْحَةَ الذى يقول فيه القائل :

أبو أحيحة :

أبو أُحَيْحَةَ مَنْ يَعْتَمَّ عِمّتَه يُضْرَبْ وإن كان ذا مال وذا عَدد

وكان إذا اعْتَمَّ لم يعتم قرشى إعظاماً له [2] ، وقد قيل فى عِمّتِهِ أيضاً ما أنشده عمْرو بن بحر الجاحظ :

وكان أبو أُحَيْحَةَ قد علمتم بمكة غير مُهْتَضَمٍ ذميم

إذا شَدَّ العصابةَ ذاتَ يَوْمٍ وقام إلى المجالس والخصوم

---

(١) الحجزة : معقد الإزار

(٢) انظر أيضاً ص ٧٨ الاشتقاق ، وفيه يقول فوق ما ذكره السهيلى : أحيحة : تصغير: أحة ، وهو ما يجده الإنسان فى قلبه من حرارة غيظ وحزن .

. . . .

لقد حَرُمت على مَنْ كان يمشي بمكة غير مُحْتَقِرٍ لئيم (١)

مات أُحَيْحَة الذى كان يُكْنَى به فى حرب الفِجَار ، وأسلم من بنيه أربعة أَبَانٌ وخالدٌ وعمرو والحَكَم الذى سَمَّاه رسول الله — صلى الله عليه وسلم — عبدَ الله ، ومات أُحَيْحَة بن سعيد ، والعاصى بن سعيد وغيرهما من بنيه على الكفر ، قتل العاصى منهم يوم بدر كافرا .

أمة بنت خالد وأبوها :

وذكر أَمَةَ بنت خالد بن سعيد التى ولدت بأرض الحبشة ، قال : وتزوجها الزبير بن العوام ، وهى التى كساها رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وهى

---

(١) الأبيات لأبى قيس بن الأسلت ، وهى فى البيان والتبيين للجاحظ ص ٩٧ ح٣ ط لجنة التأليف والترجمة والنشر . والشطرة الثانية من البيت الثالث هكذا : « بمكة غير مدخل سقيم » ، وبعدها :

وكان البخترى غداة جمع يدافعهم بلقمان الحكيم
بأزهر من سراة بنى لؤى كبدر الليل راق على النجوم
هو البيت الذى بنيت عليه قريش السر فى الزمن القديم
وسطت ذوائب الفرعين منهم وأنت ابا سرهم الصميم

وفى الروض : « إذا ماشد العصابة » وهو خطأ .

ملحوظة : مازدته فى الأنساب هو من نسب قريش ، كما حدث فى نسب عبد الرحمن بن عوف . فقد زدت بين عبد الحارث كلمة ابن من صفحة ٢٦٥ ومن الإصابة وثمت خلافات يسيرة عما هنا . ويقول ابن سعد إن الخطاب كان قد تبنى عامر بن ربيعة ، فكان يقال : عامر بن الخطاب حتى نزلت : ادعوهم لآبائهم .

رفع المسلم
عبد الله بن طالب

. . . .

صغيرة ، وجعل يقول : سَنَّاهْ ، سَنَاهْ يا أم خالد !! أى : حَسَنٌ حَسَنٌ[١] بلغة الحبشة ، وكانت قد تعلمت لسان الحبشة ؛ لأنها ولدت بأرضهم ، وولدت للزبير عمراً وخالداً ، يقال : إن أباها خالد بن سعيد أول من كتب : بسم الله الرحمن الرحيم ، مات بأجنادَين[٢] شهيداً ، وكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد استعمله على صَنْعاءَ واليمن ، فلما توفى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أراد أبو بكر أن يستعمله ، فقال : لا أعمل لأحدٍ بعد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أبداً ، ويُروى أن أباه سعيد بن العاصى مرض ، فقال : إن رفعنى الله من مرضى لا يعبد إله ابن أبى كَبْشَةَ[٣] بمكة أبداً ، فقال ابنه خالد : اللهم لا ترفعه فهلك مكانه ، فهؤلاء بنو سعيد بن العاصى بن أمية :

عبد شمس :

وعثمان : هو ابن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس ، ولا يختلف فى عبد شمس أنه بالدال ، وأما عَبْ شمس بن سَعيد بن زَيد مناة بن تميم ،

(١) حديثها فى البخارى ، وأن النبى كساها خميصة لها أعلام ، فجعل رسول الله «ص» يمسح الأعلام بيده ، ويقول : سناه سناه . قال الحميدى : يعنى : حسن حسن ويقال سنا بالتشديد والتخفيف أو سنه

(٢) إذا نطقت بفتح الدال كسرت النون كالمثنى ، وإذا قرئت بكسر الدال فتحت النون كالجمع

(٣) أبو كبشة هو : وجز بن غالب الذى كانت قريش تنسب رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ إليه ؛ لأنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ خالف دين قريش ، فقالت قريش : « نزعه أبو كبشة » لأن أبا كبشة خالف الناس فى عبادة الشعرى ، والعرب تزعم أن أحدا لا يعمل شيئا إلا بعرق ينزعه شبهه . وكان أبو كبشة سيدا فى خزاعة . لم يعيروا رسول الله صلى الله عليه وسلم به من تقصير كان فيه ، ولكنهم أرادوا أن يشبهوه بخلاف أبى كبشة ، فيقولون : خالف كما خالف أبو كبشة . ص ٢٦٢ نسب قريش .

رفع
المسهم
غفر الله له ولوالديه

. . . .

فقال فيه أبوعبيد والْقُتَبِيُّ : عبد شمس كما فى الأول . وقال أكثر الناس فيه: عَبْ شمس(١) ، ثم اختلفوا فى معناه ، فقيل ، معناه : عبدشمس ، لكن أدغمت الدال ، وقيل: بل[عَبُّ شَمْسٍو] عَبُّالشمس هو ضَوْؤُها أو صفاؤها ، وقيل فى المثل : هو أبرد من عَبَقُرٍّ أى : الْبَرَدُ ، وبعضهم يقول : وهو المبرد : من عَبْ قُرٍ أى: بياضِ قُرٍّ،ومن حَبْ قُرٍّ أيضاً(٢) . وفيه قول ثالث : أعنى : عَبْ شَمْس . وهو مروى عن ابن عمر . وقال معناه : عَبْء شمس بالهمز . ثم حُذِفت الهمزة تسهيلا . وعَبْء الشمس . وعَبْوها مثله(٣) .

عمار لم يهاجر الى الحبشة :

وشك ابن إسحاق فى عمار بن ياسر : هل هاجر إلى أرض الحبشة ، أم لا . والأصح عند أهل السير كالواقدى وابن عُقْبَة . وغيرهما أنه لم يكن فيهم .

---

(١) يكتب : عبشمس ، ولقبه : مقروع ويقال بتضعيف الباء مع الإضافة

(٢) فى القاموس . حبقر « بفتح فسكون فضم فراء مشددة ، كفعلل ذكروه فى الأبنية ، ولم يفسروه ، ومعناه : البرد حب الغمام ، يقال : أبرد من حبقر ، ويقال : عبقر ، وأصله : حب قر « بفتح حاء حب وتشديد الباء مع إضافتها إلى قر » والقر — بضم القاف — البرد ، والدليل على ما ذكرته : أن أباعمر ابن العلاء يرويه : أبرد من عب قر ، والعب — بفتح فتضعيف : اسم للبرد . انتهى» . وعب الشمس الذى هو ضوؤها بفتح العين وتشديد الباء أو تخفيفها.

(٣) ضوؤها ويقول محمد بن حبيب فى كتابه متشابه القبائل : كل شىء فى العرب عبد شمس غير عبشمس بن سعد فى تميم ، وعبشمس بن آخر فى طيىء. هكذا قال بسكون الباء فيهما ، وذكر غيره أن الذى فى تميم : عبشمس — بفتح الباء — والذى فى طيء : عبشمس « بكسر الباء» انظر ص ٤٥٠ حـ٢ المزهر

. . . .

حول بني الحارث بن قيس:

وذكر ابن إسحاق من بنى الحارث بن قيس مَن هاجر إلى أرض الحبشة ، ولم يذكر فيهم تميم بن الحارث . وذكره الواقدي وغيره . والحارث ابن قيس كان أبوه[1] من المستهزئين الذين أنزل الله فيهم : ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ الحجر : ٩٥ .

حول بني زهرة وطليب بن عبد :

وذكر من بنى زُهْرة من هاجر إلى أرض الحبشة ، وهم ستة نفر ، ولم يذكر السابع ، وهو : عبد الله بن شهاب[2] جد محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهرى ، وكان اسمه : عبد الجان ، فسماه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : عبد الله[3] مات بمكة بعد الفتح[4] وأخوه : عبد الله الأصغر شهد أحداً مع المشركين ، ثم أسلم .

---

(١) الحارث بن قيس بن عدى السهمى إليه فى الجاهلية كانت الحكومة والأموال . ذكر ابن عبد البر أنه أسلم ، وهاجر إلى الحبشة مع بنيه الحارث وبشر ومعمر ، وتعقبه ابن الأثير بأن الزبير بن بكار وابن الكلبي ذكرا أنه كان من المستهزئين ، وزاد الذهبي فى التجريد : لم يذكر أحد أنه أسلم إلا أبا عمر ، ورده فى الإصابة بأنه ذكره فى الصحابة أيضاً : أبوعبيد ومصعب والطبر وغيرهم ، ولا مانع من أن يكون قد تاب وصحب وهاجر ، والآية ليست صريحة فى عدم توبة بعضهم .

(٢) هو عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن زهرة بن كلاب الزهرى . ذكره الزهرى والزبير وغيرهما فيمن هاجر إلى الحبشة ، ومات بمكة قبل هجرة المدينة وكذا قال الطبرى

(٣) عن ابن سعد والزبير وزاد ابن سعد : ليس له حديث

(٤) رد الحافظ فى الإصابة قوله هذا ؛ لأنه مأخوذ عن رواية الوقاصى

رفع المسهم

. . . .

وذكر المطلب بن عبدعوف ولم يذكر أخاه طايبا ، وكلاهما هاجر إلى أرض الحبشة ، ومات بهـا ، وهما أخوا أزهر بن عبد عوف .

من شعر الهجرة الحبشية ومسائله النحوية :

فصل : وأنشد لعبد الله بن الحارث ماقاله فى أرض الحبشة ، وفيه قوله :

أَلْحِقْ عذَابك بالقوم الذين طَغَوا وعائذا بك أنْ يَعْلُو فيُطْغُونى

أنشده سيبويه فيما ينتصب على الفعل المتروك إظهارُه ، وذلك لحكمة ، وهى أن الفعل لو ظهر لم يخل أن يكون ماضيا أو مستقبلا ، فالماضى يوهم الانقطاع ، والمتكلم إنما يريد أنه فى مقام العائذ ، وفى حال عوذ ، والفعل المستقبل أيضا يؤذن بالانتظار ، وفعل الحال مشترك مع المستقبل فى لفظ واحد ، وذلك يوهم أنه غير عائذ ، فكان مجيئه بلفظ الاسم المنصوب على الحال أدلّ على مايريد ، فإن عائذا كقائم وقاعد ، وهو الذى يسمى عند الكوفيين : الدائم ، فالقائل : عائذا بك يارب ، إنمـا يريد : أنا فى حال عِياذٍ بك ، والعامل فى هـذه الحال : تكلُّمه ونداؤه ، أى : أقول قولى هذا عائذا ، وليس تقديره : عذت ولا أعوذ ، إنما يريد أن يسمعه ربه ، أو يراه عائذاً به .

وقوله : أن يعلو يجوز أن تكون أن مع مابعدها فى موضع نصب ،

= عن الزهرى ، وهى تقول أنه قدم مع جعفر فى السفينة . لكن الوقاصى ضعيف . وذكر البخارى فى تاريخه عن عبد الله أنه أقام بالحبشة .

(١) فى السيرة : فاجعل عذابك . وانظر ص ١٧ ج١ من كتاب سيبوية

رفع
المسابهم
عز الله لرسول الله

. . . .

وفى موضع خفض عند النحويين ، أما النصب فعلى إضمار الفعل ، لأنه قال : عائذاً ، فأعلم أنه خائف ، فكأنه قال : أخاف أن يعلو فيطغونى ، وأما الخفض فعلى إضمار حرف الجر ، فكأنه قال : من أن يعلو ، وهو مذهب الخليل وسيبويه فى أن المخففة وأن المشددة نحو قوله تعالى : ﴿ إن هذه أُمَّتُكُمْ أُمَّةً واحدة ﴾ الأنبياء : ٩٢ تقديره: لأن هذه ، وجاز إضمار حرف الجر فى هذين الموضعين ، وإن كانت حروف الجر لا تضمر ، لأنهما موصولتان بما بعدها ، فطال الاسم بالصلة ، فجاز حذف الجر تخفيفاً .

ولقائل أن يقول : هذه دعوى ادعيتم أن أنْ وما بعدها اسم مخفوض ، وهو لا يظهر فيه الخفض ، ثم بنيتم التعليل على غير أصل ؛ لأن الخفض لم يثبت بعد ، فنقول : إنما علمنا أنه فى موضع خفض لوقوعه فى موضع لا يقع فيه إلا المخفوض بحرف الجر نحو قوله سبحانه : ﴿ وَأَجْدَرُ ألاَّ يعلموا حُدودَ ما أنزل الله ﴾ التوبة : ٩٧ ونحو قوله تعالى : ﴿ أحَقُّ أنْ تقوم فيه ﴾ التوبة ١٠٨ ونحو قوله : ﴿ أنْ تَضِلَّ إحداهما ﴾ البقرة : ٢٨ . فقوله تعالى: أجدر ألا يعلموا، معناه : بأن لا يعلموا ، فلو كان قبل أنْ فِعْلٌ لقلنا : حذف حرف الجر ، فتعدى الفعل ، فنصب ، ولكن أجدر وأحق اسمان لا يعملان ، فمن هاهنا عرف النحويون أنه فى موضع خافض ؛ إذ لا ناصب له ، وأما ما اعتلوا به من طول الاسم بالصلة ، وأن ذلك هو الذى سوّغ لهم إضمار حرف الجر ، فتعليل مدخول ، ينتقض عليهم بالأسماء الموصولة كالذى ومن وما ، فإنها قد طالت بالصلة ، ومع ذلك لا يجوز إضمار حرف الجر فيها ، لا تقول : خرجت ما عندك ، ولا هربت الذى عندك

. . . .

أى : مِن الذى عندك ، وتقول : خرجت أن يرانى زيد ، وفررت أن يرانى عمرو ، أى : مِنْ أن يرانى ، ولأن يرانى بدل ، على أن العلة غير ما قالوا ، وهى أنّ أنْ مع الفعل ليس باسم محض ، وإنما هو فى تأويل اسم ، والاسم المحض ما دل عليه حرف الجر ، فلا بد إذاً من إظهار حرف الجر إذا جئت به ؛ لأنه اسم قابل لدخول الخوافض عليه ، وأما أنْ فحرف محض لا يصح دخول حرف جر عليه ، ولا على الفعل المتصل به فلا تقول : هو اسم مخفوض، إنما هو فى تأويل اسم مخفوض ، فمن هاهنا فرقت العرب بينه ، وبين غيره من الأسماء ، فإذا أدخلت عليه حرف الجر مظهراً جاز ، لأنه فى تأويل اسم ، وإذا أضمرت حرف الجر جاز أيضاً التفاتاً إلى أن الحرف الجار لا يدخل على الحرف ، ولا على الفعل فحسن إسقاطه مراعاة للفظ أنْ ، وللفظ الفعل ، وقلنا : هو فى موضع خفض على معنى أن الكلام يَئُول إلى الاسم المخفوض ، لا أنه يظهر فيه خفض ، أو يقدَّر تقديرَ المبنى الذى منعه البِناء من ظهور الخفض فيه ، حتى يشبه أنْ فنقول : هو اسم مبنى على السكون ، لا بل نقول : هى حرف ، والحرف لا يدخل عليه حرف الجر ، لا مضمراً ولا مظهراً ، وإنما هو تقدير فى المعنى لا فى اللفظ ، فافهمه .

لا يضاف اسم إلى أنْ المصدرية :

فصل : واعلم أنَّ [أنْ] التى فى تأويل المصدر لا يضاف إليها اسم . تقول : هذا موضع أن تقعد ويوم خروجك ، ولا تقول : يوم أن تخرج ؛ لأنها ليست باسم كما قدمنا ، وإنما تضاف إلى الأسماء المحضة ، لا إلى التأويل ، ولا يضاف إليها أيضاً

رفع المسهم

. . . .

اسم الفاعل ، لا بمعنى الْمُضِيِّ ، ولا بمعنى الاستقبال ، ولا المصدر إلا على وجه واحد نحو : مخافة أن تقوم ، وذلك إذا أردت معنى المفعول بأن ومابعدها ، وأما على نحو إضافة المصدر إلى الفاعل ، فلا يجوز ذلك .

وإنما تكون فاعلة مع الفعل إذا ذكرته قبلها نحو : يسرنى أن تقوم ، وأما مع المصدر مضافا إليها فلا ، وتكون مفعولة مع المصدر ومع الفعل معاً ، وكل هذا الأسرار بديعة موضعها غير هذا ، لكنى أقول هٰهنا قولا لائقا بهذا الموضع ، فإنى لم أذكر الخفض بإضمار حرف الجر ، فى أن وإن إلا مساعدة لمن تقدم ، فعليه بنيت التعليل والتأصيل ، وإذا أبيت من التقليد فلا إضمار لحروف الجر فيها ، إنما هو النصب بفعل مضمر أو مظهر ، أما قوله تعالى : ﴿أحق أن تقوم فيه﴾ فإنما لما قال أحق علم أنه يوجب عليه أن يقوم فيه ، وكذلك أجدر ألا يعلموا ، ومعنى أجدر : أخلق وأقرب ، ولما ثبتت لهم هذه الصفة اقتضى ذلك ألا يعلموا ؛ فصار منصوبا فى المعنى ، ولو جئت بالمصدر الذى هو اسم محض نحو : القيام والعلم لم يصح إضمار هذا الفعل ؛ لأن أجدر وأحق ونحوهما اسمان يضافان إلى ما بعدهما ، فلو جئت بالقيام بعد قولك أحق ، فقلت : أحق قيامك لا نقلب المعنى .

ولو نصبته بإضمار الفعل الذى أضمرت مع أن لم يكن دليل عليه ؛ لأن الاسم يطلب الإضافة ، فيمنع من الإضمار والنصب ، وإذا وقعت بعده لم يطلب الإضافة ؛ لما قدمناه من امتناع إضافة الأسماء إليها ، وإنما اخترنا هذا المذهب وآثرناه على ما تقدم من إضمار الخافض ؛ لأنا قد نجدها فى مواضع مجرورة ،

رفع عبد الرحمن المسيسهم

. . . .

ولا يجوز إضمار حرف الجر ، كقولك : سر إلى أنْ تطلع الشمس ، ولا يجوز إضمار إلى ههنا ، وكذلك تقول : هذا خير من أن تفعل كذا ، ولا يجوز أيضاً إضمار من ، ولو كان حرف الجر معها للعلتين المتقدمتين لا طَّرَدَ جواز ذلك فيها على الإطلاق ، وإنما هى أبدا إذا لم يكن معها حرف الجر ظاهرا مفعولة بفعل مضمر ، وقد تكون فاعلة ، ولكن بفعل ظاهر نحو : يعجبنى أن تقوم ، وأما خرجت أن أرى زيدا فعلى إضمار الإرادة والقصد ، كأنك أردت : أن أراه ، أو أن لا أراه ؛ لأن كل من فعل فعلا، فقد أراد به أمراً ما، لكنك إن جعلت مكانها المصدر لم يجز الإضمار أو قَبُح ؛ لأن المصدر تعمل فيه الأفعال الظاهرة إذا كانت متعدية ، وتصل إليه بحرف جر إذا لم تكن متعدية ، وأنْ مع الفعل لا تعمل فيها الحواس ولا أفعال الجوارح الظاهرة ، تقول : رأيت قيام زيد ، ولا تقول : أن يقوم ، وسمعت كلامك ، ولا تقول : سمعت أن تتكلم ، وإنما يتعلق بها ، وتعمل فيها الأفعال الباطنة نحو: خفت واشتهيت وكرهت ، وما كان فى معنى هذا أو قريباً منه ، فإذا سمع المخاطب أن مع الفعل لم يذهب وَهْمُه بحكم العادة إلاَّ إلى هذه المعانى ، فإن كانت ظاهرة فذاك ، وإلا اعتقدنا أنها مضمرة ، وأن الفعل الظاهر دالٌّ عليها ، وغيرها من الأسماء ليس كذلك ، إذا وقع قبلها فعل من أفعال الجوارح الظاهرة ، وقع عليها إن كان متعديا أو وُصل بحرف ، إن كان غير متعد ، ومَنَع من الإضمار أنه لفظى ، والإضمار معنوى إلا فى باب المفعول من أجله ، وقد قدمنا فيه سراً بديعاً فيما سبق من هذا الكتاب .

. . . .

فصل : وأنشد لعبد الله بن الحارث شعراً فيه :

كما جَحَدت عادٌ وَمَدْيَنُ وَالْحِجْرُ

أما عاد فقد تقدم نسبها ، وأما الْحِجْرُ فليست بأُمَّةٍ ، ولكنها ديار ثمود. أراد : أهل الحجر ، وأما مَدْيَنُ فأُمَّة شعيب ، وهم بنو مديان بن إبراهيم عليه السلام ، وأمهم: قطورا ابنت يَقْطَان الكنعانية، ولدت له ثمانية من الولد تناسلت منهم أمم ، وقد سميناهم فى كتاب التعريف والإعلام ، وفى أول هذا الكتاب.

وفيه أيضاً قوله : فإن أنا لم أُبْرِقْ فلاَ يَسَعنَّنِي. البيت ، قال : وبه سمى الْمُبْرِق ، قال المؤلف : وفى هذا حجة على الأَصْمَعِىِّ حين منع أن يقال : أرعد وأبرق ، وذُكر له قولُ الْكُمَيْت :

أَرْعِد وأبرِق يايزيد(١)

فلم يره حجة ، [وقال: الكميت جُرْمقانِىٌّ من أهل الموصل] ليس بحجة ، وألحقه بالمحدثين لتأخر زمانه ، كما فعل بذى الرُّمَّةِ حين احتج عليه بقوله :

---

(١) فى إصلاح المنطق لابن السكيت: وقد برق فى الوعيد ورعد يبرق ويرعد . ـ وزن نصر قال الأصمعى : ولا يقال أرعد وأبرق ، وحكى اللغتين أبو عبيدة وأبو عمرو ، فاحتج على الأصمعى ببيت الكميت .

أرعــد وأبرق يايز يد فما وعيدك لى بضائر

فقال : ليس قول الكميت بحجة، هو مولد ، واحتج ببيت المتلمس :

فإذا حللت ودون بيتى غاوة فابرق بأرضك ما بدالك وارعد

ص ٢١٦ ط د . المعارف . مصر ، وانظر ص ٩٧ جـ ١ أمالى والسمط ص ٣٠٠

رفع المسلم

. . . .

ذو زَوْجَةٍ بالمِصْرِ أم ذُو خُصُومةٍ

فأبى أن يقول : زوجة بهاء التأنيث ، وقال : طالما أكل ذو الرُّمَّةِ الزيتَ فى حوانيت البقالين(١) ، وبيت الْمُبْرِق فى هذا حجة بلا خلاف ، وقد وجد أَرْعَد وأَبْرَق فى غير هذا البيت ، مما تقوم به الحجة أيضاً ، وبيت الْمُبْرِق هذا يحتمل وجها آخر ، وهو أن يكون من أبرق فى الأرض إذا ذهب بها لا من أرعد وأبرق ، وكذلك وجدته فى حاشية كتاب الشيخ على هذا البيت منسوبا للمُصْعَب ، قال: الإبراق : الذهاب(٢) ، وفى العين : أبرقت الناقة بذنبها إذا ضربت به يمينا وشمالا ، وهو فى معنى الذهاب فى الأرض ، لأنه جَوَلَان فيها ، وهى البَرُوق ، قال نَهْشَل بن دارِمٍ لأخيه سَلِيط ـ وقد لامه على ترك الكلام فى بعض المواطن : لاأحسن تَأْتَامَك ، ولا تَكْذَابَك ، تَشُول بلسانك شَوَلَانَ الْبَرُوق . وذكر فى الشعر :

يلين مافى النفس إذ بلغ النَّقْرُ(٣)

ويروى: يُلَيِّن مافى الصدر. والنَّقْر: البحثُ عن الشىء ، وأكثر مايقال فيه : التَّنْقِير ، واستشهد عبدُ الله الْمُبْرِقُ فى غَزْوَة الطائف ، وكان أبوه الحارثُ من المستهزئين ، وكان جدُّه قيس أعزَّ قريش فى زمانه ، يروى أن عبدَ المطلب كانَ

---

(١) يقال : أبرق طعامه بزيت أو سمن : جعل منه فيه قليلا

(٢) فسرها المصعب بما قال السهيلى فى ص ٤٠١ من كتابه نسب قريش .

(٣) فى السيرة : أبـين ما فى النفس ، وفى نسب قريش ص ٤٠١ يبين ما فى الصدر .

. . . .

يُنَفِّز[1] ابنه عبد الله ، والد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وهو طفل ، فيقول :

كأنه فى العزقيسُ بن عدى فى دار قيس النَّدىُّ يَنْتدى[2]

قاله الزبير بن أبى بكر :

حول لام التعجب :

فصل : وذكر شعر عثمان بن مَظْعُون :

أَتَيْمَ بنَ عَمْرٍو لِلَّذِى جاء بِغْضَةً

أراه : عجبا لِلَّذِى جاء ، والعرب تكتفى بهذه اللام فى التعجب ، كقوله عليه السلام : لِهذَا العبدِ الحبشى جاء من أرضه وسمائه إلى الأرض التى خُلق منها ، قاله فى عَبْدٍ حَبَشِىٍّ دُفن بالمدينة ، وقال فى جنازة سعد بن مُعاذ وهو واقف على قبره ، وتقهقر ثم قال : سُبْحَان الله لهذا العبد الصالح ضُمَّ عليه القبرُ ثم فُرِجَ عنه ، وقيل فى قوله سبحانه : ﴿لإِيلاف قُرَيْشٍ﴾ أقوال منها : أنها متعلقة بمعنى التعجب ، كأنه قال : اعجبوا لإيلاف قريش ، وبِغْضَةً نُصِبَ على التمييز

---

(١) فى الأصل ينقر ، وهو خطأ كان أيضاً فى نسب قريش ، وأصلحه محققه ، ففى القاموس : نفزه تنفيزا : رقصه ، وكذلك فى اللسان .

(٢) فى الاشتقاق ص ١٢٠ : « وكان عبد المطلب يرقص ابنه الحارث أو الزبير فيقول :

يا بأبى يا بأبى يا بأبى كأنه فى العز قيس بن عدى

والشطرة الثانية روايتها هكذا « فى دار قيس ينتدى أهل الندى » ص ٤٠٠ نسب قريش .

رفع عبد الرحمن الهاشمي

. . . .

كأنه قال : ياعجبا لمـا جاء به من بِغْضَةٍ ، ويجوز أن يكون مفعولا من أجله ، وروى الزبير هذا البيت :

أَتيْمَ بن عَمْرٍ للذى فارضِغْنُهُ

من معانى شعر ابن مظعون

وكذلك روى فى هذا الشعر : فى صرح بَيطاءَ تُقْدَعُ بالطاء وفتح الباء وكسرها ، وقال بِيطاء : اسم سفينة ، وتُقْدَع بالدال ، أى : تدْفع ، وزعم أن تَيْم بن عمرو وهو جُمَح سُمِّى جُمَحاً ؛ لأن أخاه سهم بن عمرو — وكان اسمه زيداً — سابقه إلى غاية ، فجمَحَ عنها تيم ، فسُمِّى جُمَحاً ، ووقف عليها زيد ، فقيل : قد سَهَمَ[1] زَيْدٌ فسمى : سَهْماً .

وقوله : ومن دوننا الشَّرْمَان . الشَّرم : البحر[2] وقال الشَّرمَان بالتثنية ؛ لأنه أراد البحر الْمِلْحَ ، والبحر العَذْب ، وفى التَّنزيل : ﴿ مَرَجَ الْبَحْرَين ﴾ والشَّرْمُ من : شَرَمْتُ الشىء إذا خَرَقْتَه ، وكذلك البحر من بَحَرْتُ الأرض إذا خرقتها ، ومنه سميت الْبَحِيرَة لخرقِ أذُنها والْبَرْكُ : ما اطمأن من الأرض واتَّسع ، ولم يكن منتصبا كالجبال .

وقوله : فى صرح بيضاء . يريد : مدينة الحبشة ، وأصل الصَّرح : القصر ، يريد : أنه ساكن عند صَرْح النَّجاشِيِّ .

---

(١) يقال : ساهم القوم ، فسهمهم : غلبهم .

(٢) فى القاموس : لجة البحر ، أو الخليج منه ، وفى شرح السيرة للخشنى أيضاً الشرمان بضم النون : موضع . ويقول عن « البرك أكتع » هذه رواية غريبة لأنه أكد بأكتع دون أن يتقدمه : أجمع .

. . . .

وقوله : تُقْذَع أى: تُكْرَه ، كأنه من أقذعت الشئ ، إذا صادفته قَذِعاً ويقال أيضاً : قَذَعْتُ الرجلَ إذا رميته بالفحش ، يريد أن أرض الحبشة مقْذوعة ، وأحسب هذه الرواية تصحيفا ، والصحيح : ما قدمناه من قول الزبير وروايته ، وأنه بَيطَاء بالطاء ، وتُقْدَع بالدال .

وقوله : وأسلمك الأوباش يريد أخلاطا من الناس(١) ، يقال : أوشاب وأوباش ، والأوباش أيضاً شجر متفرق ، والوَبْش بياض فى أظفار الأحداث .

أنساب :

وذكر فيمن هاجر إلى أرض الحبشة من بنى عدى : مَعْمر بن عبد الله ابن نَضْلَةَ ، وقال فيه علىُّ بن الْمَدِينى : إنما هو : مَعْمَر بن عبد الله بن نافع ابن نَضْلَةَ .

وقال ابن إسحاق : نَضْلَة بن عبدالعزى بن حُرْثَان بن عَوْف بن عُبَيْد وفى حاشية كتاب الشيخ قال : إنما هو نَضْلَةُ بن عوف بن عُبَيْدِ بن عُوَيْج ، وذكر أنه قولُ مصْعَب فى كتاب النسب(٢) . وذكر فى بنى عَدِىٍّ : عُرْوَةَ بن عبدِ الْعُزَّى بن حُرثان ، كذا فى كتاب المصعب إلا أنه قال: عمرو بن أبى أُثَاثة أو عُرْوَة بن أبى أُثَاثة على الشَّكِّ وذكره أبو عُمَرَ فى كتاب الاستيعاب فقال فيه : عروة بن أبى أثاثة ويقال ابن أثاثة بن عبد العزى بن حُرْثان ، قال : وأمه ، أم عمرو بن العاصى ، فهو

(١) عند الخشنى : الضعفاء الداخلون فى القوم ، وهو منهم . والبطارقة : الوزراء .

(٢) هو كما ذكر فى جمهرة ابن حزم ص ١٤٧ وما بعدها ، وفى نسب قريش لمصعب الزبيرى ص ٣٨٢ ، ص ٣٨٦ وزاد بعد عويج : ابن عدى بن كعب .

رفع
المسلم
عزالله العالمية

. . . .

أخوه لأُم(١) .

قال المؤلف : وأمهما اسمها : ليلى ، وتلقب بالنابغة ، وهى من بنى ربيعة ثم من بنى جَلاَّنَ(٢) قال أبو عمر : ويقال فيه : ابن أبى أُثاثة ، قال المؤلف : وقد قدمنا أن المصعب الزبيرى شك فيه ، فقال : عروة ، أو عَمْرو ، وأما الزبير : فقال عمرو بن أبى أثاثة ، ولم يشكَّ ، ثم قال أبو عمر : لم يذكره ابن إسحاق فيمن هاجر إلى أرض الحبشة ، وذكره الواقدى ، وأبو معشر وموسى بن عقبة ، قال المؤلف : وهذا وهم من أبى عمر – رحمه الله – فإن ابن إسحاق ذكره فيهم ، غير أنه نسبه إلى جده عبد العُزى ، وأسقط اسم أبيه أبى أثاثة ، وقال حين ذكر من هاجر من بنى عدى بعد ما عدهم خمسة ، قال :

---

(١) فى نسب قريش « ولد أبو أثاثة بن عبد العزى ، عمرو بن أبى أثاثة ، وعروة بن أبى أثاثة ، وهو من مهاجرة الحبشة ، وأمه : النابغة بنت حرملة أخواه لأمه ؛ عمرو بن العاصى وأرنب بنت عفيف بن أبى العاصى بن أمية ابن عبد شمس » ص ٣٨١ . وانظر ٤٠٩ من نفس الكتاب ، فليس فيه شك ، وإنما هما ولدان . أحدهما : عمرو ، والآخر عروة . وتوجد لهما ترجمتان فى الإصابة ، إلا أنه قال عن عروة – ولعله تصحيف – بن أبانة ، ثم قال : ويقال ابن أبى أبانة ابن عبد العزى ، بن حرامن بن عوف بن عبيد بن عويج الخ وفى جمهرة ابن حزم « وعمرو بن أبى أثاثة بن عبد العزى بن حرثان بن عوف بن عويج بن عدى ابن كعب من مهاجرة الحبشة وهو أخو عمرو بن العاص لأمه وأخوه عروة ابن أبى أثاثة من مهاجرة الحبشة ص ١٤٨ وفى ص ١٥٤ منه « وأخواه لأمه – يعنى عمرو وعروة أبنا أبى أثاثة الحبشة » .

(٢) فى نسب قريش أن أمه : سبية من بنى عنزة ص ٤٠٩ وفى الإصابة : أمة من بنى عنزة . وفى جمهرة ابن حزم كما فى نسب قريش واسمها : النابغة ص ١٥٤ .

. . . .

أربعة نفر ، وهو وهم من ابن إسحاق ، وذكر فيهم مع الخمسةِ : ليلى بنت أبى حَثْمَة امرأة عامر بن ربيعة ، فهم على هذا ستة ، غير أنه يحتمل أن يريد أربعة نفر دون حليفهم عامر ، وما أظنه قصد هذا ؛ لأن من عادته أن يعد الحلفاء مع الصميم ؛ لأن الدعوة تجمعهم .

أم سلمة :

وذكر أم سَلَمَة وبعلها أبا سلمة ، توفى عنها بالمدينة ، وخلف عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ وذكر اسمها هذا ، وقيل فى اسمها : رملة[1] ، وأبوها أبو أمية اسمه : حُذَيْفَة يعرف بزاد الراكب[2] .

وذكر أنها ولدت بأرض الحبشة زينبَ بنت أبى سلمة ، وكان اسم زينبَ

---

(١) فى الإصابة اسمها : هند . وقال عن القول بأن اسمها رملة : ليس بشىء .

(٢) وقيل أيضاً : سهيل ولقب بهذا ؛ لأنه كان إذا سافر لم توقد معه نار إلى أن يرجع . ورثاه أبو طالب :

ألا إن خير الناس غير مدافع   بسرو سحيم غيبته المقابر

ومنها :

وكان إذا يأتى من الشام قافلا   تقدمه ـ تسعى إلينا ـ البشائر

وهناك غيره من قريش أزاود الركب : أبو أمية بن المغيرة ، مسافر ابن أبى عمرو بن أمية ، زمعة بن الأسود ، لأنهم ـ كما فى اللسان ـ كانوا إذا سافروا ، فخرج معهم الناس لم يتخذوا زادا معهم ، ولم يوقدوا ، يكفونهم ويغنونهم يقول : المصعب الزبيرى : رثاه أبو طالب :

وقد أيقن الركب الذى أنت فيهم   إذا رحلوا يوما بأنك عاقر

فسمى زاد الركب ، واسمه : حذيفة ، وكانت عنده عاتكة بنت عبد المطلب . انظر الاشتقاق ص ١٥٠ ، ٩٤ واللسان مادة : زود والإصابة ترجمة أم سلمة ، ونسب قريش ص ٣٠٠ .

رفع المسـاهم

. . . .

بَرَّة ، فسماها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - زينب ، كانت زينبُ هذه عند عبد الله بن زَمْعَة ، وكانت قد دخلت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يغتسل ، وهى إذ ذاك طفلة ، فَنَضَحَ فى وجهها من الماء ، فلم يزل ماء الشباب فى وجهها(١) ، حتى عجزت وقاربت المائة ، وكانت من أفقه أهل زمانها ، وأدركت وقعة الحرَّة بالمدينة(٢) ، وقُتِل لها فى ذلك اليوم ولدان ، اسم أحدهما : كبير ، والآخر : يزيد من عبد الله بنِ زَمْعَة ، فكانت تبكى على أحدهما ، ولا تبكى على الآخر ، فسئلت عن ذلك ، فقالت : أبكيه لأنه جرد سيفه وقاتل ، والآخر لا أبكيه لأنه لزم بيته ، وكف يده حتى قتل ، روى أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين ابتنى بأم سلمة دخل عليها بيتها فى ظلمة ، فوطىء على زينب ، فبكت ، فلما كان من الليلة الأخرى دخل فى ظلمة أيضا ، فقال : أنظروا زُنَابَكم أن لا أطأ عليها(٣) ، أو قال : أخّروا ذكره الزبير ، وفى هذا الحديث تَوْهين لرواية من روى أنه كان يرى بالليل ، كما يرى بالنهار .

---

(١) حديث تغيير الاسم أسنده ابن خيثمة من طريق محمد بن عمرو بن عطاء عنها ، وذكر مثله فى زينب بنت جحش ، وأصله فى مسلم فى حق زينب هذه وفى حق جويرية بنت الحارث ، ومسألة نضح الماء ذكرها ابن حجر فى الإصابة . وروى أنها كانت أفقه امرأة بالمدينة ، وأما نداؤها بزناب بضم الزاى ، فقد ورد فى حديث رواه النسائى « فتزوجها — أى أم سلمة — فجعل يأتيها ، فيقول : أين زناب »

(٢) وقعت سنة ٦٣ هـ

(٣) سبق الحديث عن هذا

رفع المسهم

إرسال قريش إلى الحبشة فى طلب المهاجرين إليها

قال ابن إسحاق : فلما رأت قُريش أن أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد أمنوا ، واطمأنوا بأرض الحبشة ، وأنهم قد أصابوا بها دارا وقرارا ، ائتمروا بينهم أن يبعثوا فيهم منهم رجُلَين من قريش جَلْدين إلى النجاشى ، فيردهم عليهم ؛ ليَفْتنوهم فى دينهم ، ويُخْرجوهم من دارهم ، التى اطمأنوا بها وأمنوا فيها ، فبعثوا عبدَ الله بن أبى رَبيعة ، وعمرو بن العاص بن وائل ، وجمعوا لهما هدايا للنجاشى ولبطارقته ، ثم بعثوهما إليه فيهم .

النور الذى كان على قبر النجاشى :

فصل : وذكر حديث عائشة : كنا نتحدث أنه لا يزال يُرى على قبر النجاشى نور ، وقد خرجه أبو داود من طريق سَلَمَة بن الفَضْل ، وعن ابن إسحاق عن يزيد بن رُومان عن عائشة ، وأورده فى باب : النور يُرى عند الشهيد ، وليس فى هذا الحديث ولا غيره مايدل على أن النجاشى مات شهيدا ، وأحسبه أراد : أن يشهد بهذا الحديث ماوقع فى كتب التاريخ من أن عبد الرحمن ابن ربيعة أخا سلمان بن ربيعة الذى يقال له : ذو النور ، وكان على باب الأبواب فقتله الترك زمان عمر ، فهو لا يزال يرى على قبره نور ، وبعضد هذا حديثُ النجاشى ، يقول : فإذا كان النجاشى ـ وليس بشهيد ـ يرى عنده نور ، فالشهيد أحرى بذلك لقول الله سبحانه : ﴿ والشهداء عند ربهم ، لهم أجرُهم ونورهم (١) ﴾ الحديد : ١٩ .

---

(١) الواضح أن هذا فى الآخرة ، ولا أدرى لماذا خالف مبدأه ، فاعتمد على أحاديث واهية . وفى سلمة بن الفضل تشيع وسيأتى حديث النور فى ص ٢٥١ .

رفع
المسـاهم
عز الله له ولوالديه

فقال أبو طالب – حين رأى ذلك من رأيهم وما بعثوهما فيه – أبياتاً للنجاشيّ يحضّه على حُسْن جوارهم، والدَّفْع عنهم:

ألا ليتَ شِعرى كيفَ فى النَّأْى جعفرٌ
وعمرو وأعْداء العدو الأقاربُ

وهل نالت افعالُ النجاشى جعفراً وأصحابَه أو عاق ذلك شاغب

تعلَّمْ – أبيتَ اللَّعن – أنَّك ماجدٌ كريمٌ فلا يَشْقى لديك الْمُجانب

تعلَّمْ بأن اللهَ زادك بَسْطَةً وأسبابَ خَيرٍ كلُّها بك لازب

وأنَّك فيضٌ ذو سِجال غزيرةٍ يَنال الأعادى نفعَها والأقارِب

قال ابن إسحاق: حدثنى محمد بن مُسلم الزُّهرى عن أبى بَكْرِ بن عبد الرحمن ابن الحارث بن هشام المخزومى، عن أم سلَمَة بنت أبى أُمَّية بن الْمُغيرة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالت: لما نزلنا أرضَ الحبشة، جاوَرْنا بها خيرَ جارٍ: النجاشى، أمِنَّا على ديننا، وعبدْنا الله تعالى، لا نُؤْذَى، ولا نَسمع شيئاً نكرهه، فلما بلغ ذلك قريشا، ائتمروا بينهم أن يبعثوا إلى النجاشى فينا رجُلَيْن منهم جَلْدَين، وأن يُهْدُوا للنجاشىِّ هَدايا مما يُستطرَف من مَتاع مكة، وكان من أعجب ما يأتيه منها الأدَمُ، فجمعوا له أدَماً كثيراً، ولم يتركوا من بَطارقته بِطْريقا إلا أهْدَوْا له هديَّة، ثم بعثوا بذلك عبدَ الله بن أبى رَبيعة، وعَمْرو بن العاص، وأمروهما بأمرهم، وقالوا لهما: ادفعاَ إلى كل بِطْريق هديَّته قبل أن تكلما النجاشى فيهم، ثم قدِّما إلى النجاشى هَداياه، ثم سَلاه أن يُسْلِمَهم إليكما قبل أن يكلِّمهم. قالت: فخرَجا حتى قدما على النجاشى،

. . . .

رفع
المسهم
غفر الله له ولوالديه

ونحن عنده بخير دار عند خير جار ، فلم يبقَ من بطارقته بِطْرِيقٌ إلا دَفَعا إليه هديته قبل أن يُكلِّما النجاشى ، وقالا لكلّ بِطْريقَ منهم : إنه قد ضَوَى إلى بَلَد الملك منّا غِلْمانٌ سفهاء ، فارقوا دينَ قومهم ، ولم يدخلوا فى دينكم ، وجاءوا بدين مُبتدَع ، لا نعرفه نحن ولا أنتم ، وقد بَعَثَنا إلى الملك فيهم أشرافُ قومهم ، ليردهم إليهم ، فإذا كلَّمْنا الملك فيهم ، فأشيرُوا عليه بأن يُسْلِمَهُمْ إلينا ، ولا يكلِّمهم ، فإن قومَهم أعْلَى بهم عَيْنا ، وأعلم بما عابوا عليهم ، فقالوا لهما : نعم . ثم إنهما قدما هداياهما إلى النجاشى فقَبِلها منهما ، ثم كلَّماه ، فقالا له : أيها الملك ، إنه قد ضَوَى إلى بلدك منا غِلْمان سفهاء ، فارقوا دينَ قومهم ، ولم يدخلوا فى دينك ، وجاءوا بدينٍ ابتدعوه ، لا نَعْرفه نحن ، ولا أنت ، وقد بَعَثَنا إليك فيهم أشرافُ قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم : لتردهم إليهم ، فهم أعْلَى بهم عينا ، وأعلم بما عابوا عليهم ، وعاتبوهم فيه . قالت : ولم يكن شىء أبغضَ إلى عبد الله بن أبى رَبيعة وعمرو بن العاص من أن يسمع كلامَهم النجاشى . قالت : فقالت بطارقته حوله : صَدَقا أيها الملك ، قومهم أعلى بهم عينا ، وأعلم بما عابوا عليهم ، فأسلِمْهم إليهما ، فليردَّاهم إلى بلادهم وقومهم . قالت : فغضب النجاشى ، ثم قال : لاهَا الله ، إذن لا أُسلمهم إليهما ، ولا يُكادقومٌ جاورونى ، ونزلوا بلادى ، واختارونى على مَنْ سواى ، حتى أدعوهم ، فأسألهم عما يقول هذان فى أمرهم ، فإن كانوا كما يقولان ، أسلمتهم إليهما ، ورددتُهم إلى قومهم ، وإن كانوا على غير ذلك منعتُهم منهما ، وأحسنتُ جوارهم ما جاورونى .

حوار بين النجاشي وبين المهاجرين

قالت : ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فدعاهم ، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ، ثم قال بعضهم لبعض : ما تقولون للرجل إذا جئتموه ؟ قالوا : نقول : والله ما عَلِمْنا ، وما أمرنا به نبيُّنا صلى الله عليه وسلم كائنا فى ذلك ماهو كائن ، فلما جاءوا ، وقد دعا النجاشى أساقفته ، فنشروا مَصاحفهم حولَه سألهم ، فقال لهم : ما هذا الدينُ الذى قد فارقتم فيه قومكم ، ولم تدخلوا فى دينى ، ولا فى دين أحد من هذه الملل ! قالت : فكان الذى كلَّمه جعفر بن أبى طالب ؛ فقال له : أيها الملك ، كنَّا قوما أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتى الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسىء الجوار ويأكل القوى منَّا الضعيفَ ، فكنَّا على ذلك ، حتى بعث الله إلينا رسولاً منا ، نعرف نسبَه وصِدْقه وأمانتَه وعفافَه ، فدعانا إلى الله ؛ لنوحِّدَه ونعبدَه ، ونخلع ما كنَّا نعبد نحنُ وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمَرَنا بصِدْق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصِلة الرحم ، وحُسْن الجوار ، والكَف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفَواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقَذْف المُحْصَنات ، وأمَرَنا أن نعبد الله وحده ـ لا نُشركُ به شيئاً ـ وأمرنا بالصَّلاة والزكاة والصيام ، قالت : فعدد عليه أمورَ الإسلام ـ فصدقناه وآمنَّا به ، واتبعناه على ما جاء به من الله ، فعبدنا الله وحده ، فلم نشرك به شيئاً ، وحرمنا ما حرم علينا ، وأحْلَلْنا ما أحلَّ لنا ، فعدا علينا قومُنا ، فعذَّبونا ، وفتنونا عن ديننا ، ليردُّونا إلى عبادة الأوثان عن عبادة الله تعالى ، وأن نستحل ما كنَّا

نستحلُّ من الخبائث ، فلمَّا قَهرونا وظلَمونا وضيَّقوا علينا ، وحالوا بيننا و بين ديننا ، خرجنا إلى بلادك واختَرْناك على مَنْ سواك ، ورَغِبْنا فى جوارك ، ورَجَوْنا أن لا نُظلم عندك أيها الملك . قالت : فقال له النجاشى : هل معك مما جاء به عن الله من شىء ؟ قالت : فقال له جعفر : نعم ، فقال النجاشى : فاقرأه على ، قالت : فقرأ عليه صدرا من : ﴿ كهيعص ﴾ . قالت : فبكى والله النجاشىُّ ، حتى اخضَلَّت لحيتُه ، وبكت أساقفتُه ، حتى أخْضَلوا مَصاحفهم ، حين سمعوا ما تلا عليهم ، ثم قال النجاشى : إن هذا والذى جاء به عيسى ليخرج من مِشكاةٍ واحدة، انطلقا ، فلا والله لا أُسْلمهم إليكما ، ولا يُكادون .

قالت : فلما خَرجا من عنده ، قال عمرو بن العاص : والله لآتينَّه غداً عنهم بما أستأصِل به خَضْراءهم . قالت : فقال له عبد الله بن أبى ربيعة — وكان أتقَى الرجُلين فينا : لا نفعل ؛ فإنّ لهم أرْحاما ، وإن كانوا قد خالفونا . قال : والله لأُخبرنَّه أنهم يزعمون أن عيسى بنَ مريم عَبْدٌ ، قالت : ثم غدا عليه من الغد ، فقال له : أيها الملك ، إنهم يقولون فى عيسى بن مَرْيم قولا عظيما ، فأرسِل إليهم فسَلْهم عما يقولون فيه . قالت : فأرسل إليهم ، ليسألهم عنه . قالت : ولم ينزل بنا مثلُها قطُّ . فاجتمع القوم ، ثم قال بعضُهم لبعض : ماذا تقولون فى عيسى بن مريم إذا سألكم عنه ؟ قالوا : نقول — والله — [فيه] ما قال الله ، وما جاءنا به نبيُّنا ، كائنا فى ذلك ماهو كائن . قالت : فلمَّا دخلوا عليه ، قال لهم : ماذا تقولون فى عيسى ابن مريم ؟ قالت : فقال [له] جعفر ابن أبى طالب : نقول فيه الذى جاءنا به نبيُّنا صلى الله عليه وسلم : هو عبدُ الله

رفع
المسلم

ورسولُه ، وروحه ، وكَلِمَتُهُ ألقاها إلى مَرْيم العذراء البَتُولِ . قالت : فضرب النجاشيُّ بيده إلى الأرض ، فأخذ منها عودا ، ثم قال : والله ماعدا عيسى ابن مريم ماقاتَ هذا العودَ ، قالت : فتناخَرَتْ بطارِقته حوله حين قال ماقال ، فقال : وإن نَخَرْتُم والله ، اذهبوا فأنتم شيومٌ بأرضى – والشُّيوم : الآمنون – من سَبَّكم غَرِم ، ثم قال : من سَبَّكُمْ غَرِم ، ثم قال : من سبَّكم غَرِم ما أُحبّ أن لى دَبْراً من ذهب ، وأنى آذيت رجلا منكم – قال ابن هشام : ويقال : دَبْرَى من ذهب . ويقال فأنتم سُيُوم ، والدبر – بلسان الحبشة : الجبل – ردّوا عليهما هداياهما ، فلا حاجة لى بها ، فو الله ماأخذ اللهُ منى الرّشوة حين ردَّ علىَّ مُلْكى ، فآخذَ الرّشوَة فيه ، وما أطاع الناس فِىَّ فأطيعهم فيه . قالت : فخرجا من عنده مَقْبوحَيْن ، مَرْدُودًا عليهما ماجاءا به ، وأقمنا عنده بخير دار ، مع خير جار .

المهاجرون وانتصار النجاشى

قالت : فوالله إنَّا لعَلى ذلك ، إذ نزل به رجلٌ من الحبشة ينازعه فى مُلْكه . قالت : فوالله ما علمتُنا حَزِنَّا حزْنا قطُّ كان أشدَّ علينا من حُزْنٍ حَزِنَّاه عند ذلك ، تَخَوُّفا أن يَظْهر ذلك الرجلُ على النجاشىّ ، فيأتى رجلٌ لايعرف مِنْ حَقِّنا ما كان النَّجاشِىّ يَعْرف منه ، قالت : وسار إليه النجاشيُّ ، وبينهما عرضُ النيل ، قالت : فقال أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وعلى آله وسلم – مَنْ رجلٌ يخرج حتى يحضُرَ وَقيعَة القوم ، ثم يأتينا بالخبر ؟ قالت : فقال الزبير ابن العوّام : أنا ، قالوا : فأنت – وكان مِن أحدث القوم سنًّا – قالت : فنفخوا

رفع
المسلم
عبد الله العلي الطالب

له قِرْبةً ، فجعلها فى صَدره ، ثم سَبَح عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التى بها مُلْتقى القوم ، ثم انطلق حتى حَضَرهم ،قالت : فدعونا الله تعالى للنجاشيّ بالظهور على عدوّه ، والتّمْكين له فى بلاده ، قالت : فوالله إنّا لعَلى ذلك مُتوقِّعون لِمَا هو كائن ، إذ طلع الزُّبير وهو يسعى ،فلمع بثَوْبه وهو يقول : ألا أبْشروا ، فقد ظفر النجاشيُّ ، وأهلكَ اللهُ عدوه ، ومكن له فى بلاده . قالت : فوالله ما علمتنا فَرِحنْا فرْحةً قطّ مثلَها . قالت : ورجع النجاشى ، وقد أهلكَ الله عدوَّه ، ومكَّن له فى بلاده ، واستوثَق عليه أمر الحبشة ، فكنا عنده فى خير مَنْزل ، حتى قدمْنا على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة .

قصه تملك النجاشى على الحبشة

قال ابن إسحاق : قال الزهرىّ : فحدّثت عُروة بن الزبير حديثَ أبى بكر ابن عبد الرحمن ، عن أمّ سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : هل تدرى ما قولُه : ما أخذ الله منى الرِّشوَة حين ردّ علىّ مُلْكى ، فآخذ الرِّشوَة فيه ، وما أطاع النّاسَ فِىَّ ، فأطيع الناسَ فيه ؟ قال : قلت : لا ، قال : فإن عائشة أمّ المؤمنين حدّثتنى أن أباه كان ملكَ قومه ، ولم يكن له ولدٌ إلا النجاشى ، وكان للنجاشى عمّ ، له من صلبه اثنا عَشر رجلاً ، وكانوا أهلَ بيت مملكة الحبشة ، فقالت الحبشة بينها :لو أنّا قتلنا أبا النجاشىّ، وملّكنا أخاه فإنه لاوَلَد له غير هذا الغلام ، وإن لأخيه من صُلبه اثنى عَشَر رجلاً ، فتوارثوا مُلْكه من بعده ، بقيت الحبشة بعده دهراً ، فَغَدَوا على أبى النجاشى فقتلوه ، وملّكوا أخاه ، فمكثوا على ذلك حينا .

ونشأ النجاشي مع عمِّه ـ وكان لبيبا حازما من الرجال ـ فغلب على أمْر عمِّه ، ونزل منه بكل منزلة ، فلما رأت الحبشةُ مكانَه منه، قالت بينها : والله لقد غَلَب هذا الفتى على أمر عمِّه ، وإنا لنتخوف أن يملِّكَهُ علينا ، وإن ملَّكه علينا ليقتلنا أجمعين ، لقد عَرَف أنَّا نحن قتلنا أباه . فَمَشَوْا إلى عمِّه ، فقالوا : إمَّا أنْ تقتل هذا الفتى ، وإما أن تخرجه من بين أظهرنا ، فإنَّا قد خِفْناه على أنفسنا ، قال : ويلكم ! قتلتُ أباه بالأمس ، وأقتله اليومَ ! بل أُخرجه من بلادكم . قالت : فخرجوا به إلى السوق ، فباعوه من رجل من التجَّار بستمائة درهم ، فقذفه في سفينة فانطلق به ، حتى إذا كان العَشِيّ من ذلك اليوم ، هاجت سَحَابَةٌ من سحائب الخريف ، فخرج عمُّه يَسْتمطر تحتها ، فأصابته صاعقةٌ ، فقتلته . قالت : ففزعت الحبشةُ إلى وَلَده ، فإذا هو مُحْمِق ، ليس في ولده خيرٌ ، فمرج على الحبشة أمرُهم .

فلما ضاق عليهم ما هم فيه من ذلك ، قال بعضهم لبعض : تعلَّموا والله أن ملككم الذى لا يُقيم أمرَكم غيرُه لَلذِى بِعْتم غدوةً ، فإن كان لكم بأمر الحبشة حاجة ، فأدركوه الآن . قالت : فخرجوا فى طلبه ، وطَلَبِ الرجل الذى باعوه منه حتى أدركوه ، فأخذوه منه ، ثم جاءوا به ، فعقدوا عليه التاجَ ، وأقعدوه على سرير المُلْك ، فملَّكوه .

فجاءهم التاجرُ الذى كانوا باعوه منه ، فقال : إمَّا أن تُعطونى مالى ، وإمَّا أن أُكلِّمه فى ذلك ؟ قالوا : لا نُعْطيك شيئا ، قال : إذن والله أُكلِّمه ، قالوا : فدونك وإيَّاه . قالت : فجاءه فجلس بين يديه ، فقال : أيها الملك ، ابتعتُ

غلاما من قوم بالسوق بستمائة درهم ، فأسلَموا إلىّ غلامى ، وأخذوا دَراهمى ، حتى إذا سِرْت بغلامى ، أدركونى ، فأخذوا غلامى ، ومنعونى دَراهمى . قالت : فقال لهم النجاشى : لَتُعْطُنَّهُ دراهمَه ، أو ليضعنّ غلامُه يده فى يده ، فليذهبنّ به حيث شاء ، قالوا : بل نُعطيه دراهمه . قالت : فلذلك يقول : ما أخذ الله منى رِشوةً حين ردّ علىّ مُلْكى ، فآخذ الرّشوة فيه ، وما أطاع الناس فىّ ، فأُطيع الناس فيه . قالت : وكان ذلك أوّل ما خُبِر من صَلابته فى دينه ، وعَدْله فى حكمه .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يزيد بن رُومان عن عُروة بن الزّبير ، عن عائشة قالت : لما مات النجاشى ، كان يُتحدّث أنه لايزال يُرى على قبره نورٌ .

إسلام النجاشى والصلاة عليه

قال ابن إسحاق : وحدثنى جَعْفر بن محمد ، عن أبيه ، قال : اجتمعت الحبشة ، فقالوا للنجاشىّ : إنك قد فارقتَ دينَنا ، وخرجوا عليه قال: فأرسل إلى جعفر وأصحابه ، فهَيّأ لهم سُفنا ، وقال : اركبوا فيها ، وكُونوا كما أنتم ، فإن هُزمتُ فامضوا حتى تلحقوا بحيث شئتُم ، وإن ظفرتُ فاثبتُوا . ثم عمد إلى كتاب فكتب فيه : هو يشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبدُه ورسولُه ، ويشهد أن عيسى بن مريم عبدُه ورسوله ، وروحه ، وكلمته ألقاها إلى مريم ، ثم جعله فى قَبائه عند المَنْكب الأيمن ، وخرج إلى الحبشة ، وصَفُّوا له ، فقال : يامعشر الحبشة ، ألستُ أحقَّ الناس بكم؟ قالوا : بلى ، قال : فكيف رأيتم

سيرتى فيكم ؟ قالوا : خير سيرة ، قال : فما لكم ؟ قالوا : فارقت ديننا ، وزعمت أن عيسى عبدٌ ، قال : فما تقولون أنتم فى عيسى ؟ قالوا : نقول : هو ابنُ الله ، فقال النجاشىّ ، ووضع يده على صدره على قَبائه : هو يشهد أن عيسى بنَ مريم لم يَزِد على هذا شيئا ، وإنما يعنى ما كَتَب ، فرضوا وانصرفوا ، فبلغ ذلك النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فلما مات النجاشىُّ صلى عليه واستغفر له .

إرسال قريش إلى النجاشى فى أمر أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم

ذكر ابن إسحاق أنهم أرسلوا عمرو بن العاص ، وعبد الله بن أبى ربيعة ابن المغيرة ، وأهدوا معهما هدايا إلى النجاشى . وعبدُ الله بن أبى ربيعة هذا كان اسمه بَحِيرا (١) ، فسماه رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين أسلم : عبد الله ، وأبوه : أبو ربيعة ذو الرمحين ، وفيه يقول ابن الزِّبَعْرى .

بَحِير ابن ذى الرمحين قرّب مجاسى   وَراح علينا فضلُه وهو عاتم(١)

(١) بحير بفتح وكسر أوضم الباء وسكون الياء ، هذا وذكر الذهبى فى أعلام النبلاء جـ ١ ص ١٥١ أن الذين هاجروا كانوا ثمانين . ويؤيده ماروى أحمد بإسناد حسن عن ابن مسعود قال : بعثنا النبى «ص» إلى النجاشى ، ونحن نحو من ثمانين رجلا ص ١٤٨ جـ ٧ فتح البارى ، وذكر ابن جرير أنهم ٨٢ وشك فى عمار هل كان فيهم أولا ، وقيل : إن عدة كل نسائهم كانت ثمانى عشرة امرأة .

(٢) فى نسب قريش : يروح علينا فضله غير عاتم ، وفى الإصابة أيضاً : غير عاتم ، وهو الصواب فعاتم : بطىء ، فقوله : كما فى السهيلى : وهو عاتم لا يستقيم مع غرض الشاعر .

. . . .

واسم أبى ربيعة : عَمْرو، وقيل : حُذَيفةُ ، وأم عبد الله بن أبى ربيعة : أسماء بنت مُخَرِّبَة التميمية[1] ، وهى أم أبى جهل بن هشام ، وعبدُ الله بن أبى ربيعة هذا هو والد عُمَر بن عبد الله بن أبى ربيعة الشاعر ، ووالد الحارث أمير البصرة المعروف بالقُباع ، وكان فى أيام عمر واليًا على الجند ، وفى أيام عثمان ، فلما سمع بحصر عثمان ، جاء لينصره ، فسقط عن دابته فمات .

عمارة بن الوليد بن المغيرة :

فصل : وكان معهما فى ذلك السفر عُمارة بن الوليد بن المغيرة الذى تقدم ذكره حين قالت قريش لأبى طالب : خذ عُمارة بدلا من محمد ، وادفع إلينا محمدا نقتله ، وكان عُمارة من أجمل الناس، فذكر أصحاب الأخبار أنهم أرسلوه مع عمرو بن العاصى إلى النَّجاشِىِّ ، ولم يذكره ابن إسحاق فى رواية ابن هشام، وذكر حديثه مع عمرو فى رواية يونس ، ولكن فى غير هذه القصة المذكورة ها هنا ، ولعل إرسالهم إياه مع عمرو ، كان فى المرة الأخرى التى سيأتى ذكرها فى السيرة عند حديث إسلام عمرو ، وَمِمَّن ذكر قصة عمارة بطولها أبو الفرج الأصبهانى ، وذكر أن عَمْرًا سافر بامرأته ، فلما ركبوا البحر ، وكان عُمارة قد هَوِىَ امرأة عَمْرو وهَوِيته ، فعزما على دفع عمرو ، أو كان ذلك من عمارة على غير قصد فدفع عمرا ، فسقط فى البحر ، فسبح عمرو ، ونادى أصحاب السفينة

---

(١) فى نسب قريش ص ٣١٨ أسماء بنت مخربة بن جندل بن أبير بن نهشل ابن دارم ، وفى الإصابة: بنت مخرمة ، وفى القاموس : أسماء بنت مُخَرِّبة واسم ذى الرمحين فى نسب قريش : عمرو ، أما حذيفة فأخوه زاد الركب .

. . . .

فأخذوه، ورفعوه إلى السفينة، فأضمرها عمرو فى نفسه، ولم يُبدها لعمارة، بل قال لامرأته - فيما ذكر أبو الفرج - قبِّلى ابن عمك عُمارة لتطيبَ بذلك نفسه، فلما أتيا أرض الحبشة مكر به عمرو، وقال: إنى قد كتبت إلى بنى سهم ليبرءوا من دمى لك، فاكتب أنت لبنى مخزوم ليبرءوا من دمك لى، حتى تعلم قريش أنا قد تصافينا، فلما كتب عُمارة، إلى بنى مخزوم، وتبرءوا من دمه لبنى سهم، قال شيخ من قريش: قُتل عُمارة - والله - وعلم أنه مكر من عمرو، ثم أخذ عمرو يحرض عُمارة على التعرض لامرأة النجاشى، وقال له: أنت امرؤ جميل، وهن النساء يُحبِبْن الجمال من الرجال، فلعلها أن تشفع لنا عند الملك فى قضاء حاجتنا، ففعل عُمارة فلما رأى عمْرٌو ذلك، وتكرر عُمارة على امرأة الملك، ورأى إنابتها إليه، أتى الملكَ مُنْتَصِحاً، وجاءه بأمارة عرفها الملك، قد كان عُمارة أطلع عَمْراً عليها، فأدركته غَيْرة الملك، وقال: لولا أنه جارى لقتلته، ولكن سأفعل به ماهو شرٌّ من القتل، فدعا بالسَّوَاحر، فأمرهن أن يَسْحَرنه، فنفخْن فى إحليله(١) نفخَةً، طار منها هائما على وجهه، حتى لحق بالوُحُوشِ فى الجبال، وكان يَرى آدميا فيفر منه، وكان ذلك آخر العهد به إلى زمن عمر ابن الخطاب، فجاء ابنُ عمه عبدُ الله بن أبى ربيعة إلى عمر، واستأذنه فى المسير إليه لعله يجده، فأذن له عمر فسار عبدُ الله إلى أرض الحبشة، فأكثر النِّشْدَة عنه، والفحص عن أمره، حتى أخبر أنه - بحَيْلٍ(٢) يرد مع الوحوش، إذا وردت، ويصدُر معها إذا صدرت، فسار إليه حتى كمَن له فى الطريق إلى

---

(١) الإحليل: مخرج البول من ذكر الإنسان واللبن من الثدى والضرع.
(٢) الحيل: الماء المستنقع فى بطن واد.

. . . .

الماء ، فإذا هو قد غطاه شعرُه ، وطالت أظفارُه ، وتمزقت عليه ثيابه ، حتى كأنه شيطان ، فقبض عليه عبدُ الله ، وجعل يذكره بالرَّحِم ويستعطفه ، وهو ينتفض منه ، ويقول: أرسلني يا بَحِيرُ ، أرسلني يا بُحَيْرُ ، وأبى عبدُ الله أن يرسلَه حتى مات بين يديه ، وهو خبر مشهور اختصره بعضُ من ألَّف في السير ، وطوله أبو الفرج ، وأوردته على معنى كلامه ، متحريا لبعض ألفاظه[1].

عن حديث أصحاب الهجرة مع النجاشي:

فصل : وذكر حديث أصحاب الهجرة مع النجاشي ، وماقال له جعفر إلى آخر القصة[2] ، وليس فيها إشكال ، وفيه من الفقه : الخروج عن الوطن ، وإن كان الوطن مكَّةَ على فضلها ، إذا كان الخروج فراراً بالدين ، وإن لم يكن إلى إسلام ، فإن الحبشةَ كانوا نصارى يعبدون المسيح ، ولا يقولون : هو عبد الله ، وقد تبين ذلك في هذا الحديث ، وسموا بهذه مهاجرين ، وهم أصحاب الهجرتين الذين أثنى الله عليهم بالسبق ، فقال : ﴿ والسابقون الأوَّلُون ﴾ وجاء

---

(١) في نسب قريش : فلما يئس عمرو — يعني من استجابة النجاشي له في أمر المهاجرين محل بعمارة — أي كاده — عند النجاشي فنفخ النجاشي في إحليله سحرا ، فذهب مع الوحش فيما تقول قريش . فلم يزل مستوحشا يرد الماء في جزيرة بأرض الحبشة ، وفيه أنه قال لأخيه عبد الله : يا بحير أرسلني ، فإني أموت إن أمسكتني ، فأمسكه ، فمات في يده ص ٣٢٢ . والقصة خرافة ، ومصعب دقيق في تعبيره إذ يقول : « فيما تقول قريش » فهي إذاً أقاويل !.

(٢) يقول ابن تيمية عن قصة المهاجرين في حديث أم سلمة . « وقد ذكر قصتهم جماعة من العلماء والحافظ كأحمد بن حنبل في المسند ، وابن سعد في الطبقات وأبي نعيم في الحلية وغيرهم وذكرها أهل التفسير والحديث والفقة وهي متواترة عند العلماء » ص ٨١ حـ ١ الجواب الصحيح ، طبع المدني .

. . . .

فى التفسير : أنهم الذين صلوا القبلتين ، وهاجروا الهجرتين ، وقد قيل أيضا : هم الذين شهدوا بيعة الرضوان ، فانظر كيف أثنى الله عليهم بهذه الهجرة ، وهم قد خرجوا من بيت الله الحرام إلى دار كفر ، لما كان فعلهم ذلك احتياطا على دينهم ، ورجاء أن يخلى بينهم وبين عبادة ربهم ، يذكرونه آمنين مطمئنين ، وهذا حكم مستمر متى غلب المنكر فى بلد ، وأوذى على الحق مؤمن ، ورأى الباطل قاهرا للحق ، ورجا أن يكون فى بلد آخر - أى بلد كان - يخلى بينه وبين دينه ، ويظهر فيه عبادة ربه ، فإن الخروج على هذا الوجه حَتْمٌ على المؤمن ، وهذه الهجرة التى لا تنقطع إلى يوم القيامة: ﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ ﴾ البقرة : ١١٥ .

فصل : وليس فى باقى حديثهم شىء يُشْرَح ، قد شرح ابن هشام الشُّيُوم ، وهم الآمنون ، فيحتمل أن تكون لفظة حبشية غير مشتقة ، ويحتمل أن يكون لها أصل فى العربية ، وأن تكون من شِمْت السيفَ إذا أغمدته ، لأن الآمنَ مُغْمَدٌ عنه السيف ، أو لأنه مصُونٌ فى صِوُانٍ[1] وحِرْز كالسيف فى غمده .

وقوله : ضَوَى إليك فِتية[2] أى : أووا إليك ، ولا ذوابك ، وأماضَوِى بكسر الواو ، فهو من الضَّوَى مقصور ، وهو الهزال ، وقال الشاعر :

---

(١) فى الأصل : صور بالحبشية وسيوم : آمن أو جمع سائم بالعربية

(٢) فى السيرة : غلمان

. . . .

فتى لم تلده بنتُ عم قريبـــــــة
فَيَضْوَى ، وقد يَضْوَى رَدِيدُ الْغَرائِب[1]

ومنه الحديث : اغتربوا لا تضْوَوْا ، يقول : إن تزويج القرائب يورث الضَّوَى في الولد[2] ، والضعف في القلب ، قال الراجز :

إنَّ بِلالًا لَمَ تشِنْه أُمُّه لم يتناسب خالُه وعَمُّهْ

إضافة العين إلى الله :

وفيه : قومهم أعلى بهم عينا ، أى : أبْصَر بهم ، أى : عينهم وإبصارهم فوق عين غيرهم فى أمرهم ، فالعين هاهنا بمعنى الرؤية والإبصار ، لا بمعنى العين التى هى الجارحة ، وما سميت الجارحة عيناً إلا مجازا ؛ لأنها موضع العِيان ، وقد قالوا : عانَه يَعِينه عَيْناً إذا رآه ، وإن كان الأشهر فى هذا أن يقال : عاينه معاينة ، والأشهر فى عِنْت أن يكون بمعنى الإصابة بالعين ، وإنما أوردنا هذا الكلام ، لتعلم أن العينَ فى أصل وضع اللغة صفةٌ لا جارحة ، وأنها إذا أضيفت إلى البارى سبحانه ، فإنها حقيقة نحو قول أم سلمة لعائشة : بعين الله مَهْواكِ ، وعلى رسول الله تَرِدِّين ؟ وفى التنزيل : ﴿وِلتصْنَعَ على عينِى﴾ وقد أملينا فى المسائل

---

(١) فى اللسان : القرائب بالقاف .

(٢) تدبر قول الله سبحانه: « يأيها النبى إنا أحللنا لك أزواجك اللاتى آتيت أجورهن ، وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك ، وبنات عمك ، وبنات عماتك وبنات خالك ، وبنات خالاتك اللاتى هاجرن معك ، وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبى إن أراد النبى أن ينكحها خالصة لك من دون المؤمنين » الأحزاب : ٥٠ ، وقوله تعالى : «فانكحوا ماطاب لكم من النساء» «وأنكحوا

. . . .

المفردات : مسئله في هذا المعنى ، وفيها الرد على من أجاز التثنية في العين مع إضافتها إلى الله تعالى[1] ، وقاسها على اليدين ، وفيها الرد على من احتج بقول النبي عليه السلام : إن رَّبكم ليس بأعور[2] ، وأوردنا في ذلك مافيه شفاء ، وأتبعناه بمعان بديعة في معنى عَوَرِ الدَّجَّال ، فلينظر هنا لك .

معنى أن عيسى كلمة الله وروحه :

وقول جعفر في عيسى : هو رُوح الله وكلمته ، ومعنى : كلمته أي : قال له ، كما قال لآدم حين خلقه من تراب ، ثم قال له : كن فيكون ، ولم يقل : فكان ، لئلا يتوهم وقوع الفعل بعد القول بيسير ، وإنما هو واقع للحال ، فقوله :

= الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم » النور : ٣٢ بتدبر هذه البينات يتجلى لك أنها هي الهدى .

(١) الدين الحق في هذا - وهو دين السلف الصالح لا الخلف الطالح — أن نصف الله سبحانه ، ونسميه بكل ما وصف وسمى به نفسه ، وننسب إليه كل ما نسبه جل شأنه إلى نفسه ، وننفي عنه كل ما نفاه عن نفسه ، فلله سبحانه عين حقا ، ولكنها ليست كعين البشر ؛ لأن الله ليس كمثله شيء . ولا يصح تأويل العين تأويلا هو تحريف للكلم عن مواضعه ، فنضع لها معنى مبتدعا ليس لها في لغة القرآن .

(٢) في حديث رواه البخاري ومسلم « إن الله لا يخفى عليكم ، إن الله تعالى ليس بأعور ، وإن المسيح الدجال أعور عين اليمنى — أي الجهة اليمنى — كأن عينه عنبة طافية، هذا عن ابن عمر ، وورد في حديث رواه البخاري ومسلم أيضا عن أنس : « إن ربكم ليس بأعـــور » واقرأ ما كتب الإمام ابن القيم في الصواعق المرسلة عن العين ، وما شابه هذا مما نسب الله إلى نفسه ، لتؤمن بتدبر القرآن أن الله لا ينسب إلى نفسه إلا حقا .

. . . .

فيكون مُشْعِرًا بوقوع الفعل فى حال القول ، وتوجه الفعل بيسير على القول ، لا يمكن مستقدم ولا مستأخر ، فهذا معنى الكلمة ، وأما روح الله ، فلأنه نفخة رُوح القدس فى جَيْبِ الطاهرة المقدسة ، والقُدس : الطهارة من كل مايشين ، أو يعيب ، أو تَقْذَرُه نفس ، أو يكرهه شرع ، وجبريل : روح القدس ، لأنه روح لم يُخلق من مَنِيٍّ ، ولاصدر عن شهوة ، فهو مُضاف إلى الله سبحانه إضافة تشريف وتكريم ؛ لأنه صادر عن الحضرة المقدَّسة (١) ، وعيسى عليه السلام صادر عنه ، فهو : روح الله على هذا المعنى ؛ إذ النفخ قد يسمى : روحا أيضا ، كما قال غَيْلانُ [بن عقبة ذو الرُّمَّة] يصف النار :

فقلت له : ارفعها إليك ، وأحْيِها بُروحك ، واقدرها لها قِيتَةً بدرا (٢)

وأضف هذا الكلام فى روح القدس ، وفى تسمية النفخ روحا إلى

---

(١) كلمة الحضرة لا يجوز نسبتها إلى الله ، إنما هو تعبير مبتدع لهذه النسبة . هذا ويقول ابن تيمية عن رواية ابن إسحاق بسنده عن أم سلمة فى شأن النجاشى : « وقد روى جمل هذه القصة أبو داود فى سننه من حديث أبى موسى » ص ٨٧ ح ١ الجواب الصحيح ، وفى رواية أن جعفر قرأ على النجاشى أربعين آية من أولها إلى قوله سبحانه : « إنا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا يرجعون » وفى رواية : « بلوها بدموعهم » بدلا من : « أخضلوا مصاحفهم » وهى بمعناها . وفى رواية أن النجاشى قال : إن هذا والذى جاء به موسى ليخرج من مشكاة ، وأظنها أدق . هذا وقد راجعت الحديث على رواية ابن تيمية له

(٢) البيت فى اللسان ، وروايته :

فقلت له : خذها إليك وأحيها بروحك واقته لها قيتة قدرا

واقتت لنارك قيتة ، أى : أطعمها ، يأمره بالرفق والنفخ القليل

. . . .

ماذكرناه قبل فى حقيقة الروح ، وشرح معناه فإنه تكملة له .

النجاشى أصحمة :

فصل : وذكر حديثَ عائشة عن النَّجَاشِيِّ حين رد الله عليه ملكه ، وأن قومه كانوا باعُوه ، فلما مَرِجَ أمرُ الحبشة ، أخذوه من سيده واسْتَرَدُّوه . وظاهرُ الحديث يدل على أنهم أخذوه منه قبل أن يأتى به بلادَه لقوله : خرجوا فى طلبه ، فأدركوه ، وقد بين فى حديث آخر أن سيده كان من العرب وأنه استعبده طويلا ، وهو الذى يقتضيه قوله : فلما مَرِجَ على الحبشة أمْرُهم ، وضاق عليهم ماهم فيه ، وهذا يدل على طول المدة فى مغيبه عنهم ، وقد روى أن وقعة بدر حين انتهى خبرها إلى النجاشى علم بها قبل مَنْ عنده من المسلمين ، فأرسل إليهم ، فلما دخلوا عليه إذا هو قد لبس مِسْحاً ، وقعد على التراب والرماد ، فقالوا له : ما هذا أيها الملك ؟! فقال : إنا نجد فى الإنجيل أن الله سبحانه إذا أحدث بعبده ، وجب على العبد أن يحدث لله تواضعا ، وإن الله قد أحدث إلينا وإليكم نعمة عظيمة ، وهى أن النبى محمداً — صلى الله عليه وسلم — بلغنى أنه التقى هو وأعداؤه بوادٍ يقال له : بدر كثير الأراك ، كنت أرعى فيه الغنم على سيدى ، وهو من بنى ضَمْرَة ، وأن الله قد هزم أعداءه فيه ، ونصر دينه ، فدل هذا الخبر على طول مكثه فى بلاد العرب ، فمن هنا — والله أعلم — تعلم من لسان العرب ما فهم به سورة مريم حين تُليت عليه ، حتى بكى ، وأخْضَل لحيته ، وروى عنه أنه قال : إنا نجد فى الإنجيل أن اللعنة تقع فى الأرض إذا كانت إمارة الصبيان .

. . . .

حديث الهجرة إلى الحبشة :

فصل : ومما فى حديث الهجرة إلى الحبشة من الفقه أن جَعْفَر بن أبى طالب قال لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم كيف نصلى فى السفينة إذا ركبنا فى البحر؟ فقال صلى الله عليه وسلم : صلِّ قائماً إلا أن تخاف الغرق . خرجه الدَّارَقُطْنِى ، ولكن فى إسناده مقال ، وفى مُسْند ابن أبى شيبة : وصلى أنسٌ فى السفينة جالسا . وذكر البخارى عن الحسن : يصلى قائماً إلا أنْ يَضُرَّ بأهلها .

حول كتاب النجاشي والصلاة عليه :

فصل : وذكر الكتاب الذى كتبه النجاشى ، وجعله بين صدره وقَبائه ، وقال للقوم : أشهد أن عيسى لم يزد على هذا ، وفيه من الفقه أنه لا ينبغى للمؤمن أن يكْذِب كذبا صُرَاحاً ، ولا أن يعطى بلسانه الكفر ، وإن أُكْره ما أمكنه الحيلة ، وفى الْمَعَارِيض مَنْدُوحَةٌ عن الكذب(١) ، وكذلك قال أهل العلم فى قول النبى عليه السلام : ليس بالكاذب من أصاح بين اثنين ، فقال خيرا . روته أم كلثوم بنت عُقْبة . قالوا : معناه أنْ يُعَرِّضَ ، ولا يُفْصِحَ بالكذب ، مثل أن يقول : سمعته يستغفر لك ، ويدعو لك ، وهو يعنى أنه سمعه يستغفر للمسلمين ، ويدعولهم ؛ لأن الآخر من جملة المسلمين ، ويحتال فى التعريض

---

(١) إن فى المعاريض لمندوحة عن الكذب ، أخرجه ـ كما يقول ابن الأثير ـ أبو عبيد وغيره ، وهو حديث مرفوع . والمعاريض : جمع معراض من التعريض ، وهو خلاف التصريح من القول ، يقال : عرفت ذلك فى معراض كلامه ومعرض كلامه . ومندوحة : فسحة وسعة .

ما استطاع ، ولا يختلق الكذبَ اختلاقا ، وكذلك في خُدْعَةِ الحرب يُوَرِّى ، ويَكْنِي ، ولا يختلق الكذب يستحله بما جاء من إباحة الكذب في خُدَع الحرب ، هذا كله ما وجد إلى الكناية سبيلا .

وذكر أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم : صلى على النجاشي ، واستغفر(١) له ، وكان موتُ النجاشي في رجب من سنة تسع ، ونعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الناس في اليوم الذي مات فيه ، وصلى عليه بالبقيع ، رُفع إليه سَرِيرُه بأرض الحبشة حتى رآه ، وهو بالمدينة فصلى عليه ، وتكلم المنافقون، فقالوا : أيصلي على هذا العِلْج ؟ ! فأنزل الله تعالى(٢) :

﴿ وإنَّ مِنْ أهلِ الكتابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بالله وما أُنْزِل إليكم ، وما أُنزل إليهم ﴾ آل عمران : ١٩٩ ومن رواية يونس عن ابن إسحاق أن أبا نيزر

(١) روى صلاة الرسول «ص» على النجاشي : البخاري ومسلم وأحمد والنسائي والترمذي والطبراني. والرواية المتفق عليها : «توفي اليوم رجل صالح من الحبش فهلموا . فصلوا عليه . فصففنا خلفه . فصلى رسول الله عليه . ونحن صفوف» وعن جابر أن النبي صلى على أصحمة النجاشي . فكبر أربعا

(٢) ليست هذه الرواية في الصحيح ، وإنما هو عند ابن أبي حاتم وابن مردويه وعبد بن حميد . وروى الحاكم أن الآية في حق النجاشي ، وحديث النور على قبره رواه أبو داود بسنده عن محمد بن إسحاق . ولو كان هذا حقا لتواتر خبره . وأحب أن أعرج على مسألة شرعية هي صلاة الجنازة على الغائب وحكمها. وإليك خلاصة القول: ذهب الشافعي وأحمد وجمهور السلف إلى مشروعية الصلاة على الغائب عن البلد ، وذهب الحنفية والمالكية إلى أن صلاة الغائب غير مشروعة مطلقا . واعتذروا عن القصة بأن النجاشي كان بأرض ليس فيها من =

. . . .

مولى على بن أبى طالب ، كان ابناً للنجاشى نفسه[١] ، وأن عليا وجده عند تاجر بمكة ، فاشتراه منه ، وأعتقه مكافأة لما صنع أبوه مع المسلمين .

وذكر أن الحبشة مَرِجَ عليها أمرها بعد النجاشى ، وأنهم أرسلوا وفداً منهم إلى أبى نَيْزَر ، وهو مع على ليملكوه ويتوجوه ، ولم يختلفوا عليه فأبى وقال : ما كنت لأطلب الملك بعدأن من الله على بالإسلام ، قال: وكان أبو نَيْزَر من أطول الناس قامة ، وأحسنهم وجها ، قال : ولم يكن لونه كألوان الحبشة ، ولكن إذا رأيته قلت : هذا رجل من العرب .

= يصلى عليه ، ولهذا قال الخطابى: لا يصلى على الغائب إلا إذا وقع موته بأرض ليس فيها من يصلى عليه ، وترجم بهذا أبو داود .

وقد اختار ابن تيمية هذا مستدلا بما أخرجه الطيالسى وأحمد وابن ماجة وابن قانع والطبرانى والضياء المقدسى ، وعن أبى الطفيل عن حذيفة بن أسيد أن النبى « ص » قال : « إن أخاكم مات بغير أرضكم ، فقوموا فصلوا عليه » . واستدلوا أيضاً بأن صلاة الرسول على النجاشى كانت خاصة لأنه لم يثبت أنه صلى على ميت غائبا غيره ، وردوا على من جاء بأحاديث تثبت غير هذا بأن أسانيد هذه الأحاديث ليست بالقوية . وقال الذهبى عن معاوية بن معاوية الذى زعموا أن النبى صلى عليه أنه لا يعلم فى الصحابة من اسمه معاوية بن معاوية ، وكذلك تكلم فيه البخارى . وقال ابن القيم لا يصح حديث صلاته على معاوية بن معاوية ، لأن فى إسناده العلاء بن يزيد ، وقد قال عنه ابن المدينى أنه كان يضع الحديث ، أقول : وهذا هو الصوب، ولكن إذا كان هذا هو الحكم فإن الإسلام يدعونا إلى أن ندعو لإخواننا الذين سبقونا بالإيمان بالمغفرة .

(١) له ترجمة فى الإصابه . ذكره الذهبى مستدركا ، وقال : يقال إنه ولد النجاشى جاء وأسلم ، وكان مع النبى « ص » فى مؤنته . وقال الحافظ: إنه قرأ قصته فى كتاب الكامل للمبرد ، وأنه كان من أبناء ملوك الأعاجم ، وأنه أسلم صغيراً على يد النبى صلى الله عليه وسلم وأن أمره انتهى إلى أن كان مع فاطمة ثم مع ولدها .

رفع
المسيهم
غفر الله له ولوالديه

ذكر إسلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه

قال ابن إسحاق : ولما قدم عمرو بن العاص ، وعبد الله بن أبى ربيعة على قُرَيش ، ولم يُدركوا ما طلبوا من أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وردّها النجاشىُّ بما يكرهونه ، وأسلم عمرُ بن الخطّاب ـ وكان رجلاً ذا شكيمة لا يُرام ما وراء ظهره ـ امتنع به أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبحَمْزة حتى عازُّوا قُرَيشا ، وكان عبدُ الله بن مسعود يقول : ما كنّا نقدر على أن نصلى عند الكعبة ، حتى أسلم عمر بن الخطّاب ، فلما أسلم قاتل قريشا، حتى صلى عند الكعبة ، وصلَّينا معه ، وكان إسلام عمر بعد خروج مَنْ خَرج من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحبشة .

قال البكائى : قال : حدثنى مِسْعَرُ بن كِدَام ، عن سَعْد بن إبراهيم ، قال: قال عبد الله بن مسعود : إن إسلام عمر كان فتحا ، وإن هجرته كانت نصراً ، وإن إمارته كانت رحمة ، ولقد كنّا مانصلى عند الكعبة حتى أسلم عمر ، فلما أسلم ، قاتل قريشاً حتى صلى عند الكعبة ، وصلّينا معه .

قال ابن إسحاق : حدثنى عبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله بن عَيَّاش بن أبى ربيعة ، عن عبد العزيز بن عبد الله بن عامر بن ربيعة ، عن أمه أم عبد الله بنت أبى حَثْمة ، قالت :

والله إنّا لنترحّلُ إلى أرض الحبشة ، وقد ذهب عامرٌ فى بعض حاجاتنا ،

إذ أقبل عمر بن الخطّاب ، حتى وقف عليّ ، وهو على شركه — قالت : وكنّا نلقى منه البلاء أذًى لنا ، وشدة علينا — قالت : فقال : إنه للانطلاق يا أمّ عبد الله . قالت : فقلت : نعم والله ، لنخرجن فى أرض الله ، آذيتمونا وقهرتمونا ، حتى يجعل الله مخرجا . قالت : فقال : صَحِبكم الله ، ورأيت له رِقّة ، لم أكن أراها ، ثم انصرف وقد أحزنه — فيما أرى — خُروجنا . قالت : فجاء عامر بحاجته تلك ، فقالت له : يا أبا عبد الله ، لو رأيت عمرَ آنفا ورقّته وحُزْنه علينا ! قال : أطمعت فى إسلامه ؟ قالت : قلت : نعم ، قال : فلا يُسلم الذى رأيتِ ، حتى يُسلم حمار الخطّاب ؛ قالت : يأسا منه ، لِما كان يُرى مِنْ غِلْظته وقسْوته عن الإسلام .

قال ابن إسحاق : وكان إسلامُ عمرَ فيما بلغنى أن أُختَه فاطمةَ بنت الخطّاب ، وكانت عند سعيد بن زيد بن عَمْرو بن نُفيل ، وكانت قد أسلمت وأسلم بعلُها سعيدُ بن زيد ، وهما مُستخفيان بإسلامهما من عُمر ، وكان نُعيم بن عبد الله النحّام من مكة ، رجل من قومه ، من بنى عدىّ بن كعب قد أسلم ، وكان أيضاً يستخفى بإسلامه فَرَقا من قومه ، وكان خبّاب بن الأرَتّ يختلف إلى فاطمة بنت الخطّاب يُقرئها القرآن ، فخرج عمرُ يوما متوشّحا سيفَه يريد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ورهطا من أصحابه ، قد ذُكروا له أنهم قد اجتمعوا فى بيتٍ عند الصَّفا ، وهم قريبٌ من أربعين ما بين رجال ونساء ، ومع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — عمّه حمزةُ بن عبد المطلب ، وأبو بكر بن أبى قُحافة الصديق ، وعلى بن أبى طالب ، فى رجال من المسلمين رضي الله عنهم ، ممن كان

. . . .

أقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، ولم يخرج فيمن خرج إلى أرض الحبشة ، فلقيه نُعيم بن عبد الله ، فقال له : أين تريد ياعمرُ ؟ فقال : أريد محمدا هذا الصابىء ، الذى فرّق أمرَ قُريش ، وسفّه أحلامَها ، وعاب دِينها ، وسب آلهتها ، فأقتلُه ، فقال له نُعيم : والله لقد غرتك نفسُك من نفسك ياعمر ، أترى بنى عبد مناف تاركيك تمشى على الأرض وقد قتلت محمداً ! أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرَهم ؟ قال : وأى أهل بيتى ؟ قال : خَتَنُك وابن عمّك سعيد ابن زيد بن عمرو ، وأختك : فاطمةُ بنت الخطّاب ، فقد والله أسلما ، وتابعا محمدا على دينه ، فعليك بهما ، قال : فرجع عمرُ عامداً إلى أخته وختنه ، وعندهما خبّاب بن الأرت معه صحيفةٌ ، فيها : « طه » يقرئهما إيّاها ، فلما سمعوا حس عمر تغيّب خبّاب فى مُخدع لهم — أو فى بعض البيت — وأخذت فاطمةُ بنت الخطّاب الصحيفةَ ، فجعلتها تحت فخذها ، وقد سَمع عمرُ حين دنا إلى البيت قراءة خباب عليهما ، فلما دخل قال : ما هذه الهَيْنمةُ التى سمعتُ ؟ قالا له : ما سمعتَ شيئاً ، قال : بلى والله لقد أُخبرت أنكما تابعتما محمداً على دينه ، وبطش بختنه سعيد بن زيد ، فقامت إليه أخته فاطمة بنت الخطاب لتكفه عن زوجها ، فضربها فشجّها ، فلما فعل ذلك قالت له أخته وختنُه : نعم قد أسلمنا ، وآمنّا بالله ورسوله ، فاصنع ما بدا لك : فلما رأى عمر ما بأخته من الدم نَدِم على ما صنع ، فارْعَوَى ، وقال لأخته : أعطينى هذه الصحيفة التى سَمِعتُكم تقرءون آنفا أنظر ما هذا الذى جاء به محمد ، وكان عمر كاتبا ، فلما قال ذلك ، قالت له أخته : إنّا نخشاك عليها ، قال : لا تخافى ، وحلف لها بآلهته ليردّنها إذا قرأها إليها ، فلما قال ذلك ، طمعتْ فى إسلامه ، فقالت له : يا أخى ، إنك نجَس ، على

شركك ، وإنه لا يمسها إلا الطاهر ، فقام عمرُ ، فاغتسل ، فأعطته الصحيفة وفيها : « طه » فقرأها ، فلما قرأ منها صدراً ، قال : ما أحسن هذا الكلام وأكرمَه ! فلما سمع ذلك خبّاب خرج إليه ، فقال له : ياعمر ، والله إنى لأرجو أن يكون الله قد خصّك بدَعْوة نبيّه ، فإنى سمعته أمس ، وهو يقول : اللهمّ أيِّد الإسلام بأبى الحكم بن هشام ، أو بعُمر بن الخطّاب ، فالله الله ياعمر : فقال له عند ذلك عمر : فدلَّنى ياخبّابُ على محمد حتى آتيه ، فأسلم ، فقال له خباب : هو فى بيت عند الصّفا ، معه فيه نَفَر من أصحابه ، فأخذ عمرُ سيفه فتوشّحه ، ثم عمد إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه ، فضرب عليهم البابَ ، فلما سمعوا صوته ، قام رجلٌ من أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فنظر من خلَل الباب ، فرآه متوشِّحا السيفَ ، فرجع إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو فَزِع ، فقال : يا رسول الله ، هـذا عمرُ بنُ الخطّاب مُتوَشِّحا السيف ، فقال حمزةُ بن عبد المطّلب : فَأْذن له ، فإن كان جاء يريد خَيْرًا بذَلْناه له ، وإن كان جاء يريد شراً قتلناه بسيفه ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : ائذَنْ له ، فأذن له الرجل ، ونهض إليه رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى لقيه فى الحجرة ، فأخذ حُجْزَته ، أو بمجمع ردائه ، ثم جَبذَه به جبذةً شديدةً ، وقال : ما جاء بك يابن الخطّاب ؟ فوالله ماأرى أن تنتهِى حتى يُنزل الله بك قارعةً ، فقال عُمر : يا رسول الله ، جِئتك لأُومن بالله وبرسوله ، وبما جاء من عند الله ، قال : فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبيرةً عرَف أهلُ البيت من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عمر قد أسلم .

رفع المسهم

فتفرق أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من مكانهم ، وقد عزُّوا فى أنفسهم حين أسلم عُمر مع إسلام حمزة ، وعرفوا أنهما سيَمْنعان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ويَنْتصفون بهما من عدوهم . فهذا حديث الرواة من أهل المدينة عن إسلام عمر بن الخطّاب حين أسلم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبدُ الله بن أبى نجيح المكى ، عن أصحابه : عَطاء ، ومجاهد ، أو عمَّن روى ذلك : أن إسلام عمر فيما تحدثوا به عنه ، أنه كان يقول : كنت للإسلام مُباعداً ، وكنت صاحبَ خَمْر فى الجاهليَّة ، أحبُّها وأسر بها ، وكان لنا مجلسٌ يجتمع فيه رجال من قُرَيش بالحَزْوَرة ، عند دُور آل عمر بن عَبْد بن عِمْران المخزومى ، قال : فخرجت ليلةً أُريد جُلسائى أولئك فى مَجْلسهم ذلك ، قال : فجئتهم فلم أجدْ فيه منهم أحداً . قال : فقلت : لو أنى جئتُ فلانا الخمَّار ، وكان بمكة يبيع الخمر ، لعلِّى أجدُ عنده خمراً فأشرب منها . قال : فخرجتُ فجئْته فلم أجده . قال : فقلت : فلو أنى جئتُ الكعبةَ ، فطُفْت بها سبعا أو سبعين . قال : فجئتُ المسجد أُريد أن أطوفَ بالكعبة ، فإذا رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - قائمٌ يصلى ، وكان إذا صلى استقبل الشامَ ، وجعل الكعبة بينه وبين الشام ، وكان مُصلاه بين الرُّكْنين : الركن الأسود ، والركن اليمانى . قال : فقلت حين رأيتُه : والله لو أنى استمعت لمحمدٍ الليلةَ حتى أسمعَ ما يقول ! قال : فقلت : لئن دنوتُ منه أستمع منه لأروِّعنَّه ، فجئت من قِبَل الحِجْرِ ، فدخلت تحت ثيابها ، فجعلتُ أمشى رُوَيداً ، ورسولُ الله - صلى الله عليه وسلم قائمٌ يصلى يقرأ القرآن ، حتى قمت فى قِبلته مستقبله ، ما بينى

وبينه إلا ثيابُ الكعبة . قال : فلما سمعتُ القرآن رقَّ له قلبي ، فبكيتُ ودخلني الإسلامُ ، فلم أزل قائمًا في مكاني ذلك ، حتى قضى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – صلاتَه ، ثم انصرف ، وكان إذا انصرف خرج على دار ابن أبي حسَين ، وكانت طريقه ، حتى يجْزَع المَسْعى ، ثم يَسْلُك بين دار عبَّاس ابن المطَّلب ، وبين دار ابن أزْهر بن عبد عَوْف الزُّهري ، ثم على دار الأخْنس ابن شَريق ، حتى يدخل بيتَه ، وكان مسكنُه – صلى الله عليه وسلم – في الدار الرَّقْطاء ، التي كانت بيدَي مُعاويةَ بن أبي سفيان . قال عمر رضي الله عنه : فتبعتُه حتى إذا دخل بين دار عبَّاس ، ودار ابن أزْهر ، أدركتُه ، فلما سمع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حِسِّي عَرَفني ، فظن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أني إنما تَبِعتْه لأُوذيه ، فَنَهَمني ، ثم قال : ما جاء بك يابن الخطَّاب هذه الساعةَ ؟ قال : قلت : جئت لأُومن بالله وبرسوله ، وبما جاء من عند الله ، قال : فحَمِد الله رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ثم قال : قدهَداك الله ياعمر ، ثم مَسح صَدْري ، ودعا لي بالثَّبات ، ثم انصرفتُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيتَه .

قال ابن إسحاق : والله أعلم أي ذلك كان .

قال ابن إسحاق : وحدثني نافع مولى عبد الله بن عمر ، عن ابن عمر ، قال : لما أسلم أبي عمرُ ، قال : أي قريش أنقَلُ للحديث؟ فقيل له : جميل بن معمر الجُمَحِي . قال : فغدا عليه ، قال عبد الله بن عُمر : فغدوت أتبع أثره ، وأنظر ما يفعل ، وأنا غلامٌ أعقِل كلَّ ما رأيتُ ، حتى جاءه ، فقال له : أعلمتَ ياجميلُ

أنى قد أسلمت : ودخلت فى دين محمد ؟ قال : فوالله ما راجعه حتى قام يجر رداءه. واتّبعه عمر ، واتبعتُ أبى ، حتى إذا قام على باب المسجد صَرَخ بأعلى صوته : يا معشر قريش ، وهم فى أنديتهم حول باب الكعبة ، ألا إن عمر بن الخطاب قد صبأ ، قال : يقول عمرُ من خلفه : كَذَب ، ولكنى قد أسلمتُ ، وشهدتُ أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبدُه ورسوله . وثاروا إليه ، فما برح يقاتلهم ويُقاتلونه حتى قامت الشمس على رءوسهم . قال : وطَلَح ، فقعد وقاموا على رأسه ، وهو يقول : افعلوا ما بدا لكم ، فأحلف بالله أن لو قد كنّا ثلثمائة رجل لتركناها لكم ، أو لتركتموها لنا ، قال : فبينما هم على ذلك ، إذ أقبل شيخٌ من قريش ، عليه حُلّة حِبَرَة ، وقميصٌ مُوشًّى ، حتى وقف عليهم ، فقال : ما شأنُكم ؟ قالوا : صَبَأ عمر ، فقال : فمَهْ ، رجلٌ اختار لنفسه أمراً ، فماذا تريدون ؟ أترون بنى عدى بن كعب يُسلمون لكم صاحبهم هكذا ؟! خلُّوا عن الرجل. قال : فوالله لكأنما كانوا ثوبا كُشِط عنه . قال : فقلت لأبى بعد أن هاجر إلى المدينة : يا أبت ، من الرجلُ الذى زجر القومَ عنك بمكة يوم أسلمت ، وهم يُقاتلونك ؟ فقال : ذلك ، أى بُنى ، العاصُ بن وائل السهمى .

قال ابن هشام : حدثنى بعضُ أهل العلم ، أنه قال : يا أبت ، من الرجلُ الذى زَجر القومَ عنك يوم أسلمتَ ، وهم يقاتلونك ، جزاه الله خيرا ؟ قال : يا بنى ذاك العاص بنُ وائل ، لاجزاه الله خيراً .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الرحمن بن الحارث عن بعض آل عُمر ، أو بعض أهله ، قال . قال عمر : لما أسلمتُ تلك الليلةَ ، تذكَّرت أىَّ أهل مكة

أشد لرسول الله صلى الله عليه وسلم عداوةً حتى آتيه ، فأُخبره أنى قد أسلمتُ ، قال : قلت : أبو جهل – وكان عمر لَحَنْتَمَة بنت هشام بن المُغيرة – قال : فأقبلت حين أصبحتُ ، حتى ضربتُ عليه بابَه . قال : فخرج إلى أبو جهل ، فقال : مرحبا وأهلاً بابن أختى ، ما جاء بك ؟ قال : جئتُ لأخبرك أنى قد آمنت بالله وبرسوله محمد ، وصدقت بما جاء به ، قال : فضرب البابَ فى وجهى ، وقال : قَبَّحك الله ، وقَبَّحَ مَا جِئْتَ بِهِ .

إسلام عمر وحديث خباب :

فصل : فى حديث إسلام عمر . ذكره إلى آخره ، وليس فيه إشكال ، وكان إسلام عمر والمسلمون إذْ ذاك بضعة وأربعون رجلا ، وإحدى عشرة(١) امرأة .

---

(١) فى رواية ابن أبى خيثمة عن عمر نفسه : « لقد رأيتنى ، وما أسلم مع رسول الله إلا تسعة وثلاثون رجلا ، فكملتهم أربعين ، فأظهر الله دينه ، وأعز الإسلام . وروى البزار نحوا من حديث ابن عباس ، ولقد قيل : إنه أسلم فى ذى الحجة سنة ست من المبعث ، وحكى ابن الجوزى فى بعض كتبه الاتفاق عليه ، ولكنه فى التلقيح قال : سنة ست أو خمس ، وروى أبو نعيم فى الدلائل أن إسلامه كان بعد إسلام حمزة بثلاثة أيام ، وحديث ابن مسعود عن أثر إسلامه فى البخارى : فقد روى بسنده إلى عبد الله بن مسعود أنه قال : « مازلنا أعزة منذ أسلم عمر » ، والحديث الآخر من رواية البكائى عن ابن مسعود رواه ابن أبى شيبة ، والطبرانى من طريق القاسم بن عبدالرحمن عن عبد الله بن مسعود ، وفيه : « والله مااستطعنا أن نصلى حول البيت ظاهرين حتى أسلم عمر » وروى ابن سعد من حديث صهيب ، قال : لما أسلم عمر قال المشركون : انتصف القوم منا . وروى البزار =

. . . .

وفيه : أن خَبَّاباً وهو ابن الأَرَتِّ كان يقرئ فاطمة بنت الخطاب القرآن، بالنسب ، وهو خُزاعي بالولاء لأم أنمار بنت سباع الخزاعي ، وكان قد وقع عليه سِباء ، فاشترته وأعتقته ، فولاؤه لها ، وكان أبوه

= والطبراني من حديث ابن عباس نحوه ، وفى حديث إسلام عمر أن أخته هى فاطمة ، وهذا على الأكثر ، وقيل — كما حكى الدارقطنى — اسمها : أميمة. وقال الحافظ فى الإصابة كان اسمها : فاطمة ولقبها : أميمة ، وكنيتها : أم جميل ، وفى نسب قريش لا توجد أخت لعمر اسمها فاطمة ، وإنما صفية وأميمة فقط ص ٣٤٧ .

وفى بعض روايات حديث إسلامه أن عمر قال بعد أن أخبر بإسلام أخته «وقد كان — صلى الله عليه وسلم يجمع الرجل والرجلين إذا أسلما عند الرجل به قوة ، فيكونان معه ويصيبان من طعامه وقد ضم إلى زوج أختى رجلين » .

وحديث : اللهم أيد الإسلام بأبى الحكم بن هشام أو بعمر بن الخطاب ، روايته عند الترمذى : « اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين ، بأبى جهل أو بعمر ، فكان أحبهما إليه عمر ». قال الترمذى : حسن صحيح ، وصححه ابن حبان. وفى إسناد خارجة بن عبد الله صدوق فيه مقال ، ولكن له شاهد من حديث ابن عباس أخرجه الترمذى أيضاً ، ومن حديث أنس ، وروى أحمد نحوه ، ورواه الحاكم بلفظ : أيد ، بدل : أعز . وأخرجه الحاكم ، وصححه عن نافع عن ابن عمر عن ابن عباس رفعه : اللهم أيد الإسلام بعمر بن الخطاب خاصة ، وأخرجه ابن ماجة وابن حبان ، وقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين وأقره الذهبى من حديث عائشة . والرواية الجارية على الألسنة ، بأحب العمرين : لا أصل لها فى شىء من طرق الحديث وهناك رواية طيبة المعنى عن عائشة : قالت : إنما قال صلى الله عليه وسلم : اللهم أعز بالإسلام ، لأن الاسلام يعز ولا يعز ، وقد قال أبو بكر التاريخى أن عمر سئل عن قوله اللهم أيد الإسلام ، فقال : معاذ الله . هذا وقد ولد عمر بعد الفجار بثلاث عشرة سنة .

. . . .

لعوف بن عَبْد عَوْف بن عبد بن الحارث بن زُهرة(١)، فهو زُهْرِى بالحِلْف ، وهو ابن الأرتِّ بن جَنْدَلَة بن سَعْد بن خُزَيمة بن كعب بن سعد بن زَيْدِ مناة بن تميم، كان قَيْناً يعمل السيوف فى الجاهلية ، وقد قيــل : إن أمَّه كانت أمَّ سِبَاعٍ الخُزَاعِيَّة . ولم يلحقه سِبَاء ، ولـكنه انتمى إلى حلفاء أمه بنى زهرة ، يكنى : أبا عبد الله ، وقيل: أبا يحيى ، وقيل أبا محمد مات بالـكوفة سنة تسع وثلاثين بعد ماشهد مع عَلِىّ صِفِّين والنَّهْرَوَان ، وقيل : بل مات سنة سَبْعٍ وثلاثين . ذكر أن عمر بن الخطاب سأله عما لقى فى ذات الله ، فـكشف ظهره ، فقال عمر : مارأيت كاليوم ، فقال : يا أمير المؤمنين ، لقد أُوقِدَت لى نار، فما أطفأها إلا شَحْمِى .

تطهير عمر ليمس القرآن :

فصل : وفيه ذكر تطهير عمر ليمس القرآن ، وقول أخته : ﴿ لاَ يَمَسُّهُ إلاّ الْمُطَهَّرون ﴾ والمطهرون فى هذه الآية هم الملائـكة ، وهو قول مالك فى الموطأ ، واحتج بالآية الأخرى التى فى سورة عبس ، ولـكنهم وإن كانوا الملائـكة ، ففى وصفهم بالطهارة مقرونا بذكر الْمَسِّ ما يقتضى ألاَّ يمســه إلا طاهر اقتداء بالملائـكة المطهرين ، فقد تعلق الحـكم بصفة التطهير ، ولـكنه حكم مندوب إليه ؛ وليس محمولا على الفرض ، وكذلك ما كتب به رسول

---

(١) النسب هكذا فى كتاب نسب قريش ص ٢٦٥ أما فى جمهرة ابن حزم ص ١٢١ ومابعدها : فعوف بن عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة ، وفى الإصابة كما فى نسب قريش، لـكن سقطت كلمة ابن بين عبد وبين الحارث .

رفع المسهم

. . . .

الله — صلى الله عليه وسلم ـ لعَمْرو بن حزم[1] : « وألاّ يَمَسَّ القرآنَ إلا طاهرٌ » ليس على الفرض ، وإن كان الفرض فيه أبين منه فى الآية ؛ لأنه جاء بلفظ النهى عن مسه على غير طهارة ، ولـكن فى كتابه إلى هرقل بهذه الآية : ﴿ يأَهْلَ الـكتاب تعالوا إلى كلمة ﴾ آل عمران : ٦٤ دليل على ما قلناه ، وقد ذهب داود وأبو ثور وطائفة ممن سلف ، منهم الحَـكَمُ بن عُتَيْبَة وحماد بن أبى سُليمان إلى إباحة مسِّ المصحف على غير طهارة ، واحتجوا بما ذكرنا من كتابه إلى هرقل ، وقالوا : حديث عَمْرو بن حزم مُرْسَلٌ ، فلم يروْه حجة ، والدارَقُطْنِي قد أسنده من طرق حِسان ، أقواها : رواية أبى داود الطَّيالِسى عن الزُّهْرِى عن أبى بكر بن محمد بن عَمْرو بن حَزْم ، عن أبيه عن جده ، ومما يقوى أن المُطَهَّرين فى الآية هم الملائـكة ، أنه لم يقل: المتطهرون، وإنما قال المُطَهَّرون ، وفرقُ مابين المتطهِّر والمطهَّر: أن المتطهِّر مَنْ فعل الطُّهُور[1] ، وأدخل نفسه فيه كالمُتَفَقِّه من يدخل نفسه فى الفقه ، وكذلك المُتَفَعِّل فى أكثر الكلام ، وأنشد سيبويه :

---

(١) هو فى الموطأ ، وعند أبى داود فى المراسيل من حديث الزهرى ، قال :قرأت فى صحيفة عند أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « ولا يمس القرآن إلا طاهر » ويعلق ابن كثير على هذا بقوله: ومثل هذا لا ينبغى الأخذ به . وقال عن سندى الدار قطنى للحديث : وفى إسناد كل منهما نظر . أقول : والضمير فى الآية يرجع الى الكتاب المكنون لا إلى القرآن .

(٢) الطهور — بضم الطاء — التطهر ، وبفتحها الماء ، وإن كان سيبويه يرى أن الطهور — بفتح الطاء يقع على الماء والمصدر معا .

رفع
المسـ هم
غفر الله له ولوالديه

. . . .

وَقَيْسُ عَيْلان ومن تَقَيَّسا(١)

فالآدميون مُتَطَهِّرون إذا تطهروا ، والملائكة مُطَهَّرُون خِلْقَةً ، والآدميات إذا تطهرن : مُتَطَهِّراتٌ ، وفى التنزيل : ﴿فإذا تَطَهَّرن فأتوهن مِنْ حيث أمركم الله﴾ البقرة : ٢٢٢ والحور العين مُطَهَّرات ، وفى التنزيل : ﴿لهم فيها أزواجٌ مُطَهَّرة﴾ النساء : ٥٧ وهذا فرقٌ بَيِّن وقوة لتأويل مالك رحمه الله ، والقول عندى

---

(١) فى خزانة الأدب للبغدادى : وقيس عيلان تركيب إضافى ، لأن عيلان اسم فرس قيس لا أبيه كما ظنه بعض الناس — كذا فى القاموس وغيره — وليس عيلان فى لغة العرب غيره . وما عداه غيلان . وفى شرح أدب الكاتب للجواليقى : قيس عيلان بن مضر ، ويقال : قيس بن عيلان ، وكان الناس متلافا ، وكان إذا نفد ماله أتى أخاه الياس ، فيناصفه ماله أحيانا ، ويواسيه أحياناً ، فلما طال ذلك عليه وأتاه قال له الياس : غلبت عليك العيلة ، فأنت عيلان ، فسمى لذلك عيلان ، ومن قال قيس بن عيلان ، فإن عيلان : كان عبدا لمضر حضن ابنه الناس ، فغلب على نسبه ومثله فى الأنساب للكلبى . قال : كان عيلان عبدا لمضر ، فحضن ابنه الناس ص٩٦ ج ١ خزانة الأدب للبغدادى ط دارا لعصور ، وانظر ص٤٥٧ أدب الكاتب لابن قتيبة ، وص ٢٢٢ شرح أدب الكاتب للجواليقى ، وفى اللسان فى مادة قيس : أبو قبيلة من مضر وهو قيس عيلان ، واسمه : الناس بن مضر بن نزار ، وقيس لقبه ، يقال : تقيَّس فلان إذا تشبه بهم ، أو تمسك منهم بسبب إما بحلف أو جوار أو ولاء . وقد نسب سيبويه البيت إلى رؤبة مع رفع السين من قيس . ولكن ابن برى يقول : الرجز للعجاج وليس لرؤبة ، وصواب إنشاده :

وقيس بنصب السين لأن قبله :

وإن دعوت من تميم أرؤسا

وجواب إن فى البيت الثالث :

تقاعس العز بنا فاقعنسسا

رفع
المسـاهم
عبد الله الجهني

. . . .

فى الرسول عليه السلام أنه مُتَطهِّر ومُطَهَّر ، أما متطهِّر ؛ فلأنه بشر آدمى يغتسل من الجنابة ، ويتوضأ من الحَدَث ، وأما مطَهَّر ؛ فلأنه قد غُسل باطنُه ، وشُقّ عن قلبه ، ومُلِئَ حكمة وإيمانا فهو مُطَهَّر ومُتَطهِّر ، واضمم هذا الفصل إلى ماتقدم فى ذكر مولده من هذا المعنى ، فإنه تكملة والحمد لله .

وفى تطهر عمر قبل أن يُظْهر الإسلام قوةٌ لقول ابن القاسم : إن الكافر إذا تطهر قبل أن يظهر إسلامه ، ويشهد الشهادتين أنه مُجْزِئ له ، وقد عاب قول ابن القاسم هذا كثيرٌ من الفقهاء ، وكذلك فى خبر إسلام سعد بن مُعاذٍ على يدى مُصْعَب بن عُمَيْر ، وقد سأله : كيف يصنع من يريد الدخول فى هذا الدين ، فقال : يتطهر ، ثم يشهد بشهادة الحق ، ففعل ذلك هو وأُسَيْد بن حُضَيْر(١) ، وحديث إسلام عمر ، وإن كان من أحاديث السِّيَر ، فقد خرَّجه الدارقُطْنى فى سننه ، غير أنه خرَّج أيضاً من طريق أنس أن أخت عمر قالت له : إنك رِجْسٌ ، ولا يَمَسُّه إلا المطَهَّرُون ، فقم فاغتسل أو توضأ ، فقام فتوضأ ، ثم أخذ الصحيفة وفيها سورة طه ، ففى هذه الرواية أنه كان وضوءاً ، ولم يكن اغتسالا ، وفى رواية يونس : أن عمر حين قرأ فى الصحيفة سورة طه انتهى منها إلى قوله :

---

(١) فى الأصل : حصين وهو خطأ صوابه ماأثبته . وفى القاموس عن أسيد : « وكأمير سبعة صحابيون ، وخمسة تابعيون ، وكزبير : ابن حضير وابن ثعلبة وابن يربوع وابن ساعدة وابن ظهير وابن أبى الجدعاء وابن أخى رافع بن خديج وابن سعية ، أو هو كأمير صحابيون » أما ابن حبيب فى كتابه متشـــابه القبائل ، فيقول : « كل شىء فى العرب أسيد ــ كأمير ــ فهو على فعيل سوى أسيد بن عمرو فى بنى تميم فإنه على مثال التصغير » انظر القاموس وص ٤٥١ المزهر ج ٢

. . . .

﴿لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾ : ١٥ فقال : ماأطيبَ هذا الكلام وأحسنَه، وذكر هذا الحديث بطوله ، وفيه أن الصحيفة كان فيها مع سورة طه : ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ وأن عمر انتهى فى قراءتهـا إلى قوله : ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ﴾ .

زيادة فى إسلام عمر :

فصل : وذكر ابن سُنْجُر زيادة فى إسلام عمر ، قال : حدثنا أبو المغيرة قال : نا صفوان ابن عمرو ، قال : حدثنى شُرَيْحُ بن عبيد ، قال : قال عمر بن الخطاب : خرجت أتعرض رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قبل أن أسلم ، فوجدته قد سبقنى إلى المسجد ، فقمت خلفه ، فاستفتح سورة الحاقَّةِ ، فجعلت أتعجب من تأليف القرآن قال : قلت : هذا والله شاعر ، كما قالت قريش ، فقرأ : ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ، وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ، قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ﴾ قال : قُلْتُ : كاهنٌ عَلِم مافى نفسى ، فقال : ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ إلى آخر السورة (٢) قال : فوقع الإسلامُ فى قلبى كل موقع ، وقال عمر حين أسلم :

الحمدُ لله ذى المَنِّ الذى وَجَبَتْ ... له علينا أيادٍ مالهـا غير
وقد بدأنا فكذَّبْنا ، فقال لنا ... صدقَ الحديث نبيٌّ عنده الخبر
وقد ظلمتُ ابنةَ الخطابِ ثم هدى ... ربى عَشِيَّة قالوا : قد صَبـأ عُمر
وقد نَدِمْتُ على ما كان من زَلَلٍ ... بظلمها حين تُتْـلى عندها السُّور

---

(١) رواه أحمد ، ولعل الرواية التى ذكر فيها أنه سمع القرآن والرسول يصلى جوار الكعبة هى أقرب الروايات اتساقا مع حال عمر .

رفع
المسا هم
عزالله لطوالدين

. . . .

لما دعت ربَّها ذا العرش جاهدة والدمعُ من عينها عَجْلَانَ يَبْتَدِرُ
أيقنتُ أن الذى تدعوه خالقُها فكاد تسبقنى من عِبْرَة دِرَرُ
فقلت : أشهد أن الله خالقنا وأن أحمد فينا اليوم مشتهر
نبيُّ صِدْقٍ أتى بالحق مِنْ ثقةٍ وافى الأمانةِ ما فى عُوده خَوَرُ

رواه يونس عن ابن إسحاق . وذكر البَزَّارُ فى إسلام عمر أنه قال : فلما أخذت الصحيفة ، فإذا فيها : بسم الله الرحمن الرحيم ، فجعلت أفكر : مِن أى شىء اشتق[١] ، ثم قرأت فيها : ﴿ سَبَّح لِلَّهِ ما فى السموات والأرض [وهو العزيز الحكيم] ﴾ أول الحديد . وجعلت أقرأ وأفكر حتى بلغت : ﴿ آمنو بالله ورسوله[٢] ﴾ الحديد : ٧ . فقلت : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله .

من تفسير حديث إسلام عمر :

فصل : وفى حديث إسلام عمر : قال : ما هذه الْهَيْنَمَة ، والْهَيْنَمَةُ : كلام لا يفهم ، واسم الفاعل منهُ مُهَيْنِم ، كأنه تصغير ، وليس بتصغير ، ومثله الْمُبَيْطر ، والْمُهَيْمِن ، والْمُبَيْقِر بالقاف ، وهو المهاجر من بلد إلى بلد ، والْمُسَيْطِر ، ولو صغرّت واحدا من هذه الأسماء لحذفت الياء الزائدة ، كما تحذف الألف من مفاعل ، وتلحق ياء التصغير فى موضعها ، فيعود اللفظ إلى ما كان ، فيقال فى تصغير مُهَيْنِم ومُبَيْطِر : مُهَيْنِمٌ ومُبَيْطِرٌ ، فإن قيل : فَهَلاَّ قلتم : إنه لا يُصَغَّر ؛ إذلا يُعْقَل

(١) فى الأصل : فى أى شىء . والتصويب من شرح المواهب ص ٢٧٤ ج ١
(٢) ولكن سورة الحديد مدنية . وقصة عمر مكية .

. . . .

تصغيرٌ على لفظ التكبير ، وإلا فما الفرق ؟ فالجواب أنه قد يظهر الفرق بينهما في مواضع ، منها : الجمع ، فإنك تجمع مُبَيْطراً : مَباطر بحذف الياء ، وإذا كان مُصَغَّراً لا يجمع إلا بالواو والنون ، فتقول : مُبَيطِرُون ، وذلك أن التصغير لا يكسر ؛ لأن تكسيره يؤدى إلى حذف الياء فى الخماسى ؛ لأنها زائدة كالألف ، فيذهب معنى التصغير[1] ، وأما الثلاثى المصغَّر فيؤدى تكسيره إلى تحريك ياء التصغير أو همزها ، وذلك أن يقال فى فُلَيْس فلائس ، فيذهب أيضاً معنى التصغير لتصغير لفظ الياء التى هى دالة عليه ، ولو بَنَيْتَ اسم فاعل من : بيأس لقلت فيه مُبَيْئس ، ولو سهلت الهمزة حركت الياء فقلت فيه: مُبَيِّيس ، وتقول فى تصغيره إذا صغرته: مُبَيِّس بالإدغام ، كما تقول [فى] أبوس: أبيس ، ولا تنقل حركة الهمزة إلى الياء إذا سهلت ، كما تنقلها فى اسم الفاعل من بيأس ونحوه ، إذا سهلت الهمزة ، وهذه مسئلة من التصغير بديعة يقوم على تصحيحها البرهان .

حول النهيم وهكذا :

فصل : وفى حديث إسلام عمر : فَنَهَمَه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

---

(١) نقل الصبان فى حاشيته على شرح الأشمونى هذه الفقرة عن السهيلى هكذا: « لوكسر حذفت ياؤه ؛ لأنه خماسى ثالثه زائد فيزول علم التصغير » هذا وقد أنكر الأشمونى تصغير هذه الأسماء التى ذكرها السهيلى وفى شرح الشافية للرضى « جرت عادتهم ألا يجمعوا المصغر إلا جمع السلامة إما بالواو والنون أو بالألف والتاء ، قيل : وذلك لمضارعة التصغير للجمع الأقصى بزيادة حرف لين ثالثة ، ولا يجمع الجمع الأقصى إلا جمع السلامة كالصرادين والصواحبات » ص ٢٨١ ثم يقول: «وإذا صغرت مبيطراً ومسيطراً كان التصغير بلفظ المكبر ، لأنك تحذف الياء كما تحذف النون فى منطلق ، وتجىء بياء التصغير ، فى مكانه ، ولو صغرتهما تصغير الترخيم لقلت : بطير ، وسطير » ص ٢٨٣ ج ١

. . . .

أى: زجره، والنَّهِيمُ: زَجْرُ الأسد، والنَّهامِىُّ: الحدَّاد والنُّهام: طائر[1]، وفيه قول العاصى بن وائل قال: هكذا [خلوا] عن الرجل[2]، وهى كلمة معناها: الأمر بالتنحى، فليس يعمل فيها ماقبلها، كما يعمل إذا قلت: اجلس هكذا، أى: على هذه الحال، وإن كان لابد من عامل فيها إذا جعلتها للأمر، لأنها كافُ التشبيه دخلت على ذا، وها: تَنْبيهٌ، فيقدر العامل إذاً مُضْمَراً، كأنك قلت: ارجعوا هكذا، وتأخروا هكذا، واستُغنى بقولك: هكذا عن الفعل، كما استغنى برُوَيْداً عن ارفق.

جميل بن معمر:

فصل: وذكر قول عمر لجميل بن مَعْمَر الْجُمَحى: إنى قد أسلمت، وبايعت محمداً، فصرخ جميل بأعلى صوته: ألا إن عمر قد صبأ. جميل هذا هو الذى كان يقال له: ذو القلبين[3]، وفيه نزلت فى أحد الأقوال: ﴿ما جَعَل الله لرَجُل من قلبين فى جوفه﴾ الأحزاب. ٤٠، وفيه قيل.

---

(١) نهامى: بضم النون أو كسرها وكسر الميم وتشديد الياء: صاحب الدير والطريق السهل، وبفتح النون وكسرها حداد ونجار، وبفتحها وكسرها من غير ياء فى الآخر: حداد ونجار، ونهام بضم النون: طائر، بوم، راهب فى دير، نهام بفتح النون وتشديد الهاء: أسد.

(٢) فى السيرة: هكذا خلوا عن الرجل وقد أضفتها عنها إلى الروض. ويجوز أن تجعل هكذا مع ماقبلها، فيكون الكلام: «يسلمون لكم صاحبكم هكذا» ثم يبدأ الكلام الآخر: خلوا عن الرجل.

(٣) فى الاشتقاق لابن دريد أنه وهب بن عمير وكان من أحفظ الناس، وكانوا

. . . .

وكيف ثوائى بالمدينة بعدما قضى وطراً منها جميلُ بن معْمَر

وهو البيت الذى تغنَّى به عبد الرحمن بن عوف فى منزله ، واستأذن عمر فسمعه ، وهو يتغنَّى ، وينشد بالركبانية ، وهو غناء يُحدى به الرُّكَّابُ ، فلما دخل عمرُ قال له عبد الرحمن : إنا إذا خلونا ، قلنا ما يقول الناس فى بيوتهم ، وقلب المبرد هذا الحديث ، وجعل المنشد عُمَر ، والمستأذنَ عبدَ الرحمن ، ورواه الزبير[1] كما تقدم ، وهو أعلم بهذا الشأن .

= يقولون له قلبان من حفظه ، فأنزل الله عز وجل : (ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه) . أما جميل فقال عنه فى الاشتقاق : كان من أنم قريش لا يكتم شيئاً ، ص ١٣٠ ، وفى نسب قريش ورد كما قال السهيلى ، وأنه قيل له ذو القلبين لعقله ، وأنه شهد مع النبى حنيناً ، فقتل زهير بن الأغر الهذلى ص ٣٩٥ ، ولا نسب بينه وبين جميل صاحب بثينة . وفى ابن كثير أنها نزلت فى رجل من قريش ، يقال له : ذو القلبين ، وأنه كان يزعم أن له قلبين كل منهما بعقل وافر . فأنزل الله هذه الآية ردا عليه . هكذا روى العوفى عن ابن عباس ، وقاله مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة واختاره ابن جرير ، بينما يروى أحمد فى مسنده بسنده ، عن ابن أبى ظبيان أن أباه حدثه قال : قلت لابن عباس : أرأيت قول الله تعالى : (ماجعل الله لرجل من قلبين فى جوفه) ما عنى بذلك ؟ قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً يصلى فخطر خطرة ، فقال المنافقون الذين يصلون معه : ألا ترون له قلبين . قلباً معكم ، وقلباً معهم ، فأنزلها الله ، وهكذا رواه الترمذى ، ثم قال : وهذا حديث حسن ، وكذا رواه ابن جرير وابن أبى حاتم . وروى عبد الرازق بسنده عن الزهرى أنه بلغه أن ذلك كان فى زيد بن حارثة ضرب له مثل . يقول : ليس ابن رجل آخر ابنك ، وكذا قال مجاهد وقتادة وابن زيد . . . أقول . وهذا أليق وأنسب ، فسياق الكلام فى التبنى وزيد بن حارثة .

(١) الذى فى نسب قريش لمصعب الزبيرى أن عمر مر بابن عوف ورباح بن عمرو يغنيهم غناء الركبان : فقال عمر : ماهذا ؟ فقال عبد الرحمن : لا بأس نلهو ونقصر السفر عنا ، فقال لهم عمر رضى الله عنه : فعليكم إذاً بشعر ضرار بن الخطاب ابن مرداس ص ٤٤٨

رفع المسهم

خبر الصحيفة

قال ابن إسحاق : فلما رأت قُريشٌ أنّ أصحاب رسولِ الله صلى الله عليه وسلم قد نزلوا بلداً أصابوا به أمنا وقراراً ، وأن النجاشيّ قد منع مَنْ لجأ إليه منهم ، وأنّ عمر قد أسْلم ، فكان هو وحَمْزة بن عبد المطّلب مع رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه ، وجعل الإسلامُ يَفْشو فى القبائل ، اجتمعوا وائتمروا أن يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بنى هاشم ، وبنى المطّلب ، على أن لا يُنْكِحوا إليهم ولا يُنكحوهم ، ولا يبيعوهم شيئا ، ولا يبتاعوا منهم ، فلما اجتمعوا لذلك كتبوه فى صَحيفة ، ثم تعاهدوا وتَواثقوا على ذلك ، ثم علّقوا الصحيفةَ فى جَوْف الكعبة توكيداً على أنفسهم، وكان كاتبَ الصحيفة منصورُ بن عِكرمة بن عامر بن هاشم بن عَبْد مناف بن عَبْد الدار بن قُصَيّ - قال ابن هشام : ويقال : النضر بن الحارث - فدعا عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فشَلّ بعضُ أصابعه .

قال ابن إسحاق : فلما فعلت ذلك قريش انحازت بنو هاشم وبنو المطّلب إلى أبى طالب بن عبد المطلب ، فدخلوا معه فى شِعْبه واجتمعوا إليه ، وخرج من بنى هاشم : أبو لهَب عبد العُزّى بن عبد المطّلب ، إلى قريش ، فظاهرهم .

موقف أبى لهب من رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : وحدثنى حُسين بن عبد الله : أنّ أبا لهب لقى هِنْد بنت عُتْبة بن رَبيعة ، حين فارق قومهَ ، وظاهر عليهم قريشا ، فقال : يابنت عتبة ؛

هل نصرتِ اللاتَ والعُزّى ، وفارقتِ مَنْ فارقهما وظاهر عليهما ؟ قالت : نعم ، فجزاك الله خيراً يا أبا عُتْبة .

قال ابن إسحاق : وحُدّثت أنه كان يقول فى بعض مايقول : يَعدنى محمدٌ أشياء لاأراها ، يزعم أنها كائنةٌ بعد الموت ، فماذا وضع فى يدىّ بعد ذلك ، ثم ينفخ فى يَدَيْه ويقول : تبًّا لكما ، ماأرى فيكما شيئا مما يقول محمد ، فأنزل الله تعالى فيه : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أبى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ .

قال ابن هشام : تبت : خسرت . والتباب : الخسران . قال حَبيب بن خُدْرة الخارجى : أحدُ بنى هِلال بن عامر بن صَعْصعة :

يا طيب إنّا فى مَعْشرٍ ذهبتْ　　مَسْعاتُهم فى التَّبارِ والتَّببِ

وهذا البيت فى قصيدة له .

شعر أبى طالب

قال ابن إسحاق : فلما اجتمعت على ذلك قُريش ، وصنعوا فيه الذى صنعوا ، قال أبو طالب :

ألا أبلغا عنى على ذاتِ بَيْنِنا　　لُؤَيًّا وخُصًّا من لُؤَىٍّ بنى كَعْبِ
ألم تَعْلَموا أنا وَجَدنا محمداً　　نبيًّا كموسى خُطّ فى أوّل الكُتْب
وأنّ عليه فى العِباد مَحبّةً　　ولا خيرَ ممّن خصّه الله بالحُبّ
وأن الذى ألصقتُمُ من كِتابكم　　لكمْ كائن نحسا كَراغية السَّقْبِ
أفيقوا أفيقوا ، قبل أن يُحفَر الثَّرَى　　ويُصبح مَن لم يَجْنِ ذنبا كذى الذنب
ولا تَتْبعوا أمرَ الوُشاة ، وتَقْطَعوا　　أواصرَنا بعد المَوَدّة والقُرْبِ

رفع
المسهم
عز الله لطلاب

وتَسْتجلبوا حَرْبا عَوانا ، وربما أمرّ على من ذاقه جَلبُ الحَرْبِ
فلسنا — ورب البيت — نُسلمُ أحمداً لعَزَّاءَ من عضّ الزّمان ولا كَرْب
ولمّا تَبِنْ منّا ، ومنكم سَوالف وأيدٍ أُترّت بالقُساسيَّة الشُّهْب
بمُعْتَركٍ ضَيْق ترى كِسَر القَنا به والنسورَ الطُّخْمَ ، يَعْكُفن كالشَّرْبِ
كأنّ مُجال الخيل فى حَجَراته ومَعْمعة الأبطال مَعْركة الحَرْب
أليس أبونا هاشمٌ شَدَّ أزْرَه وأوصَى بَنيه بالطِّعان وبالضَّرْب
ولسنا نَمَلّ الحربَ ، حتى تَمَلَّنا ولا نَشْتكى ماقد يَنوب من النَّكْبِ
ولكنَّنا أهلُ الحفائظ والنُّهى إذا طار أرواحُ الكُماة من الرُّعْب

فأقاموا على ذلك سَنَتين أو ثلاثا ، حتى جُهِدوا لا يصل إليهم شيء ، إلا سراً مستخفيا به مَنْ أراد صِلَتهم من قريش .

من جهالة أبى جهل

وقد كان أبو جهل بن هشام — فيما يذكرون — لِقى حَكيم بن حِزام بن خُويلد بن أسَد ، معه غلام يَحْمل قمحا يُريد به عمته خَديجة بنت خُويلد ، وهى عند رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ومعه فى الشِّعب ، فتعلَّق به ، وقال : أتذهب بالطعام إلى بنى هاشم ! ؟ والله لا تبرح أنت وطعامُك ، حتى أفْضحك بمكة . فجاءه أبو البَخْترى بن هاشم بن الحارث بن أسَد [بن عبد العزى] ، فقال : مالك وله ؟ فقال : يحمل الطعامَ إلى بنى هاشم ، فقال أبو البَخْترىّ : طعامٌ كان لعمَّته عنده بعثت إليه [فيه] ، أفتمنعه أن يأتيها بطعامها ؟ ! خلّ سبيلَ الرجل ، فأبى أبو جهل ، حتى نال أحدُهما من صاحبه ، فأخذ أبو البَخْترىٌّ لَحْىَ بعيرٍ ، فضربه به فشجَّه ، ووطئه وطْأً شديداً ، وحمزةُ بن عبد المطلب قريبٌ يرى

ذلك، وهم يكرهون أن يبلغ ذلك رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه، فيشمتوا بهم، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - على ذلك يدعو قومَه ليلاً ونهاراً، وسرًّا وجهارا، منادياً بأمْر الله لا يتَّقى فيه أحداً من النَّاس.

مالقى رسول الله صلى الله عليه وسلم من قومه

فجعلت قريش حين منعه الله منها، وقام عمُّه وقومُه من بنى هاشم وبنى المطلب دونه، وحالوا بينهم، وبين ما أرادوا من البَطْش به، يَهْمِزونه، ويَسْتَهْزِئون به، ويخاصمونه، وجعل القرآن ينزل فى قُريش بأحداثهم، وفيمن نصب لعداوته منهم، ومنهم من سمى لنا.

أبو لهب وامرأته

ومنهم من نزل فيه القرآن فى عامَّة مَنْ ذكر الله من الكفَّار، فكان ممن سُمّى لنا من قُريش ممن نزل فيه القرآن: عمه أبو لهب بن عبد المطلب وامرأته أمّ جَميل بنت حَرْب بن أُميَّة، حمالة الحطب، وإنما سماها الله تعالى حمالة الحطب؛ لأنها كانت - فيما بلغنى - تحمل الشوك، فتطرحه على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم - حيث يمر، فأنزل الله تعالى فيهما: « تَبَّتْ يَدا أبى لَهَبٍ وَتَبَّ، ما أغْنَى عَنْهُ مالُهُ وَما كَسَبَ، سَيَصْلَى ناراً ذَاتَ لَهَبٍ، وَامرَأتُهُ حَمَّالَةَ الحَطَبِ، فى جِيدها حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ ».

قال ابن هشام: الجيد: العنق. قال أعشى بَنى قَيْس بن ثعلبة:

رفع المسهم

يومَ تُبدى لنا قُتَيلة عَنْ جِيـدٍ أَسِيلٍ تَزِينُه الأطواقُ

وهذا البيت فى قصيدة له . وجمعه : أجياد . والمسد : شجرٌ يدقّ كما يَدقّ الكَتَّان ، فتفتل منه حبال . قال النابغة الذبياني – واسمه : زياد بن عَمْرو ابن معاوية :

مقذوفةٍ بِدَخِيسِ النَّحْضِ بازِلُها له صَرِيفٌ صَرِيفَ القَعْو بالمَسَدِ

وهذا البيت فى قصيدة له ، وواحدته : مَسَدَة .

قال ابن إسحاق : فذُكر لى : أنّ أمّ جميل : حَمَّالة الحطب ، حين سمعت ما نزل فيها ، وفى زوجها من القرآن ، أتت رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، وهو جالس فى المَسْجد عند الكعبة ، ومعه أبو بكر الصدّيق ، وفى يدها فِهْر من حِجارة ، فلما وقفتْ عليهما أخذَ الله ببصَرها عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فلا ترى إلا أبا بكر ، فقالت : ياأبا بكر ، أين صاحبُك ، فقد بلغنى أنه يهجونى ؟ والله لو وجدته لضربتُ بهذا الفهر فاه ، أما والله إنى لشاعرة ، ثم قالت :

مُـذَمَّما عَصَيْنا وأَمْرَه أَبَيْنـا

ودينه قَلَيْنـا

ثم انصرفت ، فقال أبو بكر : يارسول الله أما تُراها رأتك ؟ فقال : مارأتنى ، لقد أخذ الله ببصرها عنى .

قال ابن هشام : قولها : « ودينه قلينا » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وكانت قريش إنما تسمِّى رسولَ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مُذَمَّما ، ثم يسبُّونه ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ألا تعجبون لِما يصرف الله عنى من أذى قريش ، يسبُّون ويهجون مذمَّما ، وأنا محمد !

إيذاء أمية بن خلف للرسول صلى الله عليه وسلم

وأُميَّة بن خلف بن وهب بن حُذافة بن جُمَح ، كان إذا رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم هَمَزه ولَمَزه ، فأنزل الله تعالى فيه : « وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ ، الَّذِى جَمَعَ مالاً وعَدَّدَهُ ، يَحسَبُ أنَّ مالَهُ أخْلَدَهُ ، كَلاَّ لَيُنْبَذَنَّ فِى الحُطَمَةِ . ومآ أدْرَاكَ ما الحُطَمَةُ ، نارُ اللهِ المُوقَدَةُ التى تَطَّلِعُ على الأفْئِدَةِ إنَّها عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ فِى عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ » .

قال ابن هشام : الهُمَزَة : الذى يشتم الرجلَ عَلانية ، ويَكْسِرُ عينيه عليه ، ويَغْمز به . قال حَسَّان بن ثابت :

هَمَزْتُكَ فاخْتَضَعتُ لذلِّ نفسٍ بقافيــةٍ تَأجَّجُ كالشُّواظِ

وهذا البيت فى قصيدة له . وجمعه : همزات . واللُّمَزة : الذى يَعيب الناسَ سرًّا ويُؤذيهم . قال رؤبة بن العجاج :

فى ظلِّ عَصْرِىْ باطلى ولَمْزِى

وهذا البيت فى أُرجوزة له ، وجمعه : لمزات .

. . . .

رفع
المسيرهم

إيذاء العاص للرسول صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : والعاص بن وائل السهمىّ ، كان خبّاب بن الأرتّ ، صاحبُ رسولِ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قَيْنا بمكة يعمل السيوفَ ، وكان قد باع من العاص بن وائل سيوفا عملها له ، حتى كان له عليه مال ، فجاءه يتقاضاه ، فقال له : ياخَبَّابُ أليس يزعمُ محمد صاحبُكم هذا الذى أنت على دينه أن فى الجنة ما ابتغَى أهلُها من ذهب ، أو فضة ، أو ثياب ، أو خدم ؟! قال خبّاب : بلى . قال : فأنظرنى إلى يوم القيامة ياخباب ، حتى أرجع إلى تلك الدار ، فأقضيك هنالك حقّك ، فوالله لاتكون أنت وصاحبك ياخبّاب آثرَ عند الله منى ، ولا أعظم حظًّا فى ذلك ، فأنزل الله تعالى فيه : ﴿أَفَرأيتَ الَّذِى كَفَرَ بآياتِنا وَقالَ لَأُوتَيَنَّ مالاً وَوَلَداً ، أَطَّلَعَ الغَيْبَ﴾ . . . إلى قوله تعالى : ﴿وَنَرِثُهُ مايَقُولُ وَيَأْتِينا فَرْداً﴾ « هى وماقبلها من سورة مريم ٧٧ ـ ٨٠ » .

إيذاء أبي جهل لرسول الله صلى الله عليه وسلم

ولقى أبو جهل بن هشام رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ـ فيما بلغنى ـ فقال له : والله يامحمد ، لتتركنّ سبّ آلهتنا ، أو لَنَسُبنّ إلٰهك الذى تعبد . فأنزل الله تعالى فيه : ﴿وَلاتَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دونِ اللهِ ، فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْواً بغَيْرِ عِلْمٍ﴾ الأنعام : ١٠٨ . فذكر لى أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كفّ عن سبّ آلهتهم ، وجعل يدعوهم إلى الله .

رفع
المسهم

إيذاء النضر لرسول الله صلى الله عليه وسلم

والنضر بن الحارث بن علقمة بن كَلَدَة بن عَبْد مناف بن عَبْد الدار بن قُصَىّ ، كان إذا جلس رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مجلسا ، فدعا فيه إلى الله تعالى، وتلا فيه القرآن ، وحذّر قُريشا ماأصاب الأممَ الخالية ، خَلَفه فى مجلسه إذا قام ، فحدثهم عن رُسْتم الشديد ، وعن اسفنديار ، وملوك فارس ، ثم يقول: والله ما محمد بأحسنَ حديثا منى ، وما حديثه إلا أساطير الأوّلين ، اكتتبها كما اكتتبتها . فأنزل الله فيه : ﴿ وقالُوا : أساطيرُ الأوَّلِينَ اكْتَتَبَها فَهِىَ تُمْلَى عَلَيهِ بُكْرَةً وأصِيلاً ، قُلْ :أنْزَلَهُ الَّذِى يَعْلَمُ السِّرَّ فِى السَّمٰوَاتِ والأرْضِ ، إنه كانَ غَفُوراً رَحِيماً ﴾ الفرقان : ٥ ، ٦ . ونزل فيه : ﴿ إذا تُتْلَى عَلَيْهِ آياتُنا قالَ : أساطِيرُ الأولِينَ ﴾ . ونزل فيه : ﴿ وَيلٌ لِكُلّ أفَّاكٍ أثِيمٍ يَسْمَعُ آياتِ الله تُتْلَى عَلَيْهِ ثم يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كأنْ لَمْ يَسْمَعْها كأنَّ فِى أُذُنَيهِ وَقْراً ، فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أليمٍ ﴾ الجاثية : ٧ ، ٨ .

قال ابن هشام : الأفاك : الكذّاب . وفى كتاب الله تعالى : « ألا إنَّهُمْ مِنْ إفْكِهِم لَيَقولُونَ: وَلَدَ الله وإنَّهُمْ لَكاذِبونَ ﴾ الصافات: ١٥١ ، ١٥٢. وقال رؤبة:

لامْرِئٍ أفَّك قولا إفكا

وهذا البيت فى أرجوزة له .

قال ابن إسحاق : وجلس رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يوما — فيما بلغنى —

رفع المسهم

مع الوليد بن المغيرة فى المسجد ، فجاء النضر بن الحارث ، حتى جلس معهم فى المجلس ، وفى المجلس غيرُ واحد من قريش ، فتكلَّم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فعرض له النضر بن الحارث ، فكلَّمه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى أفحمه ، ثم تلا عليه وعليهم : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ، لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا ، وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ . لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ ، وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴾ الأنبياء ٩٨ — ١٠٠ .

قال ابن هشام : حصب جهنم : كلّ ما أوقدت به . قال أبو ذُؤيب الهذلى واسمُه : خُويلد بن خالد .

فأطفِئْ ، ولا تُوقِدْ ، ولا تَكُ مُحْصِبًا
لنارِ العُداةِ أنْ تَطِيرَ شَكَاتُها

وهذا البيت فى أبيات له . ويُروى : « وَلاتك مِحْضَأً » . قال الشاعر :

حَضأْتُ له نارِي فأبصَرَ ضوءَها … وما كان لولا حَضْأَةُ النار يَهتدى

ابن الزبعرى والأخنس وما قيل فيهما

قال ابن إسحاق : ثم قام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم — وأقبل عبدالله ابن الزِّبَعْرَى السَّهْمِيُّ حتى جلس ، فقال الوليد بن المغيرة لعبد الله بن الزِّبعرى : والله ما قام النضرُ بن الحارث لابن عبد المطَّلب آنفا وماقعد ، وقد زعم محمد أنّا وما نعبد من آلهتنا هذه حَصَب جهنم ، فقال عبد الله بن الزبعرى : أما والله

لو وجدته لخصَمْته ، فسلوا محمدا : أكلّ ما يُعبد من دون الله فى جهنم مع مَنْ عبَده ؟ فنحن نَعْبُد الملائكة ، واليهودُ تعبد عُزَيرا والنّصارى تعبد عيسى ابن مريم عليهما السلام ، فعجب الوليد ، ومن كان معه فى المجلس من قول عبد الله بن الزبعرَى ، ورأوا أنه قد احتج وخاصم . فذُكر ذلك لرسول الله صلى عليه وسلم من قول ابن الزبَعْرَى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كلّ من أحَبّ أن يعبد من دون الله فهو مع مَنْ عبده ، إنهم إنما يعبدون الشياطين ، ومن أمرتْهُمْ بعبادته ، فأنزل الله تعالى عليه فى ذلك : ﴿ إنَّ الَّذينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الحُسْنَى أولَئِكَ عَنْها مُبْعَدُونَ ، لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَها ، وَهُمْ فيما اشْتَهَتْ أنفُسُهُمْ خالِدونَ ﴾ الأنبياء : ١٠١ ، ١٠٢ : أى عيسى بن مريم ، وعُزَيرا ، ومن عُبدُوا من الأحبار والرهبان الذين مضوا على طاعة الله ، فاتخذهم من يعبدهم من أهل الضلالة أربابا من دون الله .

ونزّل فيما يذكرون ، أنهم يعبدون الملائكة ، وأنها بنات الله : ﴿ وقالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمنُ وَلَداً سُبْحانَهُ ، بَلْ عِبادٌ مُكْرَمُونَ . لا يَسْبِقُونَهُ بالقَوْلِ ، وَهُمْ بأمْرِهِ يَعْمَلُون ﴾ الأنبياء : ٢٦ : ٢٧ . . إلى قوله : ﴿ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إنى إلهٌ مِنْ دُونِهِ ، فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ، كَذَلِكَ نَجْزِى الظَّالِمِينَ ﴾ الأنبياء : ٢٩ .

ونزّل فيما ذكر من أمر عيسى بن مريم أنه يُعبد من دون الله ، وعَجبِ الوليد ، ومن حَضره من حُجّته وخصومته : ﴿ ولَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾ الزخرف : ٥٧ . أى : يصدّون عن أمرك بذلك من قولهم .

. . . .

ثم ذكر عيسى بنَ مريم فقال : ﴿ إنْ هُوَ إلاَّ عَبْدٌ أنعَمْنا عَلَيْهِ ، وَجَعَلْناهُ مَثَلاً لِبَني إسْرائيلَ ، وَلَوْ نَشاء لَجَعَلْنا مِنْكُمْ مَلائِكَةً في الأرْضِ يَخْلُفُونَ ، وَإنَّهُ لَعِلْمٌ للسَّاعَةِ فَلا تَمْتَرُنَّ بها وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِراطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ الأنبياء : ٥٩ : ٦١ أى : ماوَضَعْتُ على يديه من الآيات من إحياء الموتى ، وإبراء الأسقام ، فكفى به دليلا على علم الساعة ، يقول : فَلاَ تَمْتَرُنَّ بها وَاتَّبِعُونِ ، هَذا صِراطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ .

والأخنسُ بن شَرِيق بن عَمْرو بن وَهْب الثقفى ، حليف بنى زُهرة ، وكان من أشراف القوم ، وممن يُستمع منه ، فكان يُصيب من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويردّ عليه ، فأنزل الله تعالى فيه : « وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلاَّفٍ مَهِينٍ ، هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴾ القلم : ١٠ ، ١١ . . . إلى قوله تعالى : ﴿ زَنيمٍ ﴾ ، ولم يقل : زَنيم لعيب فى نسبه ؛ لأن الله لا يَعيب أحدا بنسب ، ولكنه حقّق بذلك نعتَه ليُعرف . والزنيم : العَديد للقوم ، وقد قال الخَطِيم التميمىّ فى الجاهلية :

زَنيم تَداعاه الرِّجالُ زِيادةً   كما زِيدَ فى عَرْضِ الأديم الأكارعُ

ماقيل فى الوليد بن المغيرة وأبى بن خلف وعقبة بن أبى معيط

والوليد بن المُغيرة ، قال : أيُنَزَّل على محمد ، وأُترك وأنا كبير قُريش وسيدها ، ويُترك أبو مسعود عمرو بن عُمير الثقفى سيِّد ثقيف ، ونحن عظيما القريتين ؟ ! فأنزل الله تعالى فيه ، فيما بلغنى : ﴿ وَقالُوا : لَوْلا نُزِّلَ هَذَا القُرآنُ على رَجُلٍ مِنَ القَرْيَتَيْنِ عَظِيم ﴾ الزخرف : ٣٠ . . . إلى قوله تعالى : ﴿ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ .

وأُبَىّ بن خَلف بن وَهْب بن حُذافة بن جُمَح ، وعُقْبة بن أبى مُعيط ، وكانا مُتصافيين ، حَسَنا مابينهما . فـكان عقْبة قد جلس إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وسمع منه ، فبلغ ذلك أبيًّا ، فأتى عُقْبة ، فقال : ألم يبلغنى أنك جالست محمدا ، وسمعتَ منه ! ثم قال : وَجْهى من وجهك حَرام أن أُكلِّمك — واستغلظ من اليمين — إن أنتَ جلستَ إليه، أو سمعتَ منه ، أو لم تأته ، فتتْفل فى وجهه . ففعل من ذلك عدوّ الله عُقْبة بن أبى مُعيط لعنه الله . فأنزل الله تعالى فيهما : ﴿ وَيَوْمَ يَعضُّ الظَّالِمُ على يَدَيْهِ يَقُولُ : ياليْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبيلا ﴾ . . . إلى قوله تعالى : ﴿ لِلإِنْسانِ خَذُولاً ﴾ الفرقان : ٢٧ — ٢٩ .

ومشى أُبىّ بن خلف إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بعَظم بالٍ قد ارْفَتّ ، فقال : يامحمد ، أنت تزعم أن يبعث هذا بعد ما أرِمَ ، ثم فتّه بيده ، ثم نفخه فى الريح نحوَ رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم : نعم ، أنا أقول ذلك ، يبعثه الله وإياك بعد ما تـكونان هـكذا ، ثم يُدخلك الله النار . فأنزل الله تعالى فيه : ﴿ وَضَرَبَ لَنا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قالَ : مَنْ يُحْيِ العِظامَ ، وَهِيَ رَمِيمٌ ، قُلْ : يُحْيِيها الَّذِي أنْشَأها أوّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِـكُلّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ، الَّذِي جَعَلَ لَـكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ ناراً ، فإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ ﴾ يس ٧٩ ، ٨٠

ما قيل فى حق الذين اعترضوا الرسول فى الطواف

واعترض رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يطوف بالكعبة — فيما بلغنى — الأسودُ بن المطَّلب بن أسد بن عبد العزّى ، والوليدُ بن المغيرة ، وأميَّة بن خلَف ، والعاصُ بن وائل السهمىّ ، وكانوا ذوى أسنان فى قومهم ، فقالوا : يامحمد ، هَلُمّ فلنعبدْ ما تعبد ، وتعبدُ مانعبد ، فنشترك نحن وأنت فى الأمر ، فإن كان الذى تعبد خيرا مما نعبد ، كنَّا قد أخذنا بحظِّنا منه ، وإن كان مانعبد خيرا مما تعبد ، كنت قد أخذت بحظِّك منه ، فأنزل الله تعالى فيهم : ﴿ قُلْ : يَاأَيُّها الكافِرُونَ ، لا أعْبُدُ ماتَعْبُدُونَ . وَلا أنْتُمْ عابِدُونَ ما أعْبُدُ . لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِين ﴾ الكافرون . أى : إن كنتم لاتعبدون إلا الله ، إلا أن أعبد ماتعبدون ، فلا حاجة لى بذلك منكم ، لكم دينكم جميعا ، ولى دينى .

ما قيل فى حق أبى جهل

وأبو جهل بن هشام — لما ذكر الله عزّ وجلّ شجرةَ الزَّقُّوم تخويفا بها لهم ، قال : يامعشر قريش ، هل تدرون ماشجرة الزَّقُّوم التى يخوفكم بها محمد ؟ قالوا : لا ، قال : عجوة يثرب بالزُّبد ، والله لئن استمكنَّا منها لنتزَقَّمنَّها تزقُّما . فأنزل الله تعالى فيه : ﴿ إنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ ، طَعامُ الأثِيمِ ، كالمُهْلِ يَغْلِى فِى البُطُونِ كَغَلْيِ الحَمِيمِ ﴾ الجاثية : ٤٤ — ٤٦ . أى : ليس كما يقول .

قال ابن هشام : المهل : كل شيء أذبته ، من نحاس أو رصاص ، أو ما أشبه ذلك فيما أخبرني أبو عبيدة .

وبلغنا عن الحسن بن أبي الحسن أنه قال : كان عبد الله بن مَسعود واليا لعمرَ بن الخطاب على بيت مال الكوفة ، وأنه أمر يوما بفضة ، فأذيبت ، فجعلت تلوّنُ ألوانا ، فقال : هل بالباب من أحد ؟ قالوا : نعم ، قال : فأدخلوهم ، فأدخلوا فقال : إن أدنى ما أنتم راءون شبها بالْمُهْل لَهذا ، وقال الشاعر :

يَسْقيه رَبى حميمَ الْمُهْل يَجْرعُهُ يَشْوي الوجوهَ فَهُو فى بَطْنه صَهَرُ

وقال عبد الله بن الزبير الأسدى :

فمن عاش منهم عاش عبداً وإن يَمُتْ فى النار يُسْقَى مُهْلَها وصديدَها

وهذا البيت فى قصيدة له .

ويقال : إن المهل : صديد الجسد .

بلغنا أن أبا بكر الصدّيق – رضى الله عنه – لما حُضِر ، أمر بثوبين لَبِيسين يُغْسلان ، فيكفَّن فيهما ، فقالت له عائشة : قد أغناك الله يا أبت عنهما ، فاشتر كفنا ، فقال : إنما هى ساعة حتى يَصير إلى المهل . قال الشاعر :

شاب بالماء منه مُهلاً كَريها ثم علّ الْمَنون بعد النِّهال

قال ابن إسحاق : فأنزل الله تعالى فيه : ﴿ والشَّجَرَةَ المَلْعُونَةَ فِى القُرآنِ ، ونُخَوّفُهُمْ فَما يَزِيدُهُمْ إلاَّ طُغْيانا كَبِيراً ﴾ الإسراء : ٦٠

قصة ابن أم مكتوم

ووقف الوليد بن المغيرة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم يكلِّمه ، وقد طمع فى إسلامه ، فبينا هو فى ذلك ، إذ مر به

ابنُ أمّ مكتوم الأعمى ، فكلم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، وجعل يَستقرئه القرآن ، فشقّ ذلك منه على رسولِ الله – صلى الله عليه وسلم – حتى أضجره ، وذلك أنه شغله عمّا كان فيه من أمر الوليد ، وماطَمع فيه من إسلامه ، فلما أكثر عليه انصرف عنه عابسا ، وتركه . فأنزل الله تعالى فيه : ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَى ﴾ . . . إلى قوله تعالى : ﴿ فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ ، مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ ﴾ أى : إنما بعثتك بشيراً ونذيراً ، لم أخصّ بك أحداً دون أحد ، فلا تمنعه مِمّن ابتغاه ، ولا تتصدّينّ به لمن لا يريده .

قال ابن هشام : ابن أمّ مكتوم ، أحد بنى عامر بن لؤىّ ، واسمه : عبد الله ، ويقال : عمرو .

حديث الصحيفة التى كتبتها قريش

ذكر فيه قول أبى لهبٍ ليديه : تبًّا لكما ، لا أرى فيكما شيئاً مما يقول محمد ، فأنزل الله تعالى : ﴿ تَبَّتْ يدا أبى لهب وتب ﴾ ، هذا الذى ذكره ابن إسحاق يشبه أن يكون سبباً لذكر الله سبحانه يديه ، حيث يقول : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾ وأما قوله : وتبّ ، فتفسيره ما جاء فى الصحيح من رواية مجاهد وسعيد ابن جُبَيْر عن ابن عباس ، قال : لما أنزل الله تعالى : ﴿ وأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ﴾ الشعراء : ٢١٤ خرج رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حتى أتى الصَّفا ، فصعد

. . . .

عليه ، فهتف : ياصَبَاحَاهْ ، فلما اجتمعوا إليه ، قال: أرأيْتُمْ لو أخبرتُكم أن خَيْلاً تخرج من سَفْح هذا الجبل، أكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟ قالوا : ما جرَّ بنا عليك كذبا، قال : فإنِّي نذيرٌ لكم بين يدَىْ عَذَابٍ شديد . فقال أبو لهب : تبًّا لك ألهذا جمعتنا ؟! فأنزل الله تعالى : ﴿ تبَّتْ يدا أبى لَهَبٍ ﴾(١) ، وقد تبَّ . هكذا قرأ مجاهد والأعمش ، وهى ـ والله أعلم ـ قراءة مأخوذةٌ عن ابن مسعود ، لأن فى قراءة ابن مسعود ألفاظاً كثيرة تعين على التفسير(٢) قال مجاهد : لو كنت

(١) رواه الشيخان والترمذى .

(٢) يجب أن نؤمن بأن هذا المصحف الذى نحن معه نتدبره ، فيه كل كلام الله الذى نزله على محمد صلى الله عليه وسلم دون نقص أو زيادة . ومايروى من مثل هذا . فإما أن تكون رواية ساقطة ، وإما أن يكون من كلام ابن مسعود تعليقا منه على بعض آيات الكتاب المبين . كيف نحكم أن مثل « وقد تب » كانت فى المصحف ثم رفعت منه ؟ أو كيف نحكم أن آية كذا كانت فيه ، ثم حذفت ؟. وأين نحن بهذا من قول الله: (إنا نحن نزلنا الذكر ، وإنا له لحافظون) الحجر :٩ كيف نضرب المتواتر المحفوظ بحفظ الله بروايات ساقطة واهية مهما كان شأن رواتها ، وشأن الكتب التى وردت فيها ؟ وما الفرق بيننا وبين من يزعمون أن مصحفنا هذا ناقص مبتور حذف منه أبو بكر وعمر ماحذفا ؟ ! أقذفوا بكل قول يزعم هذا فى جحيم.

بعض ما قيل عن الصحيفة :

قيل : إنها كانت فى هلال المحرم سنة سبع من النبوة ، ورد هذا فى ابن سعد وابن عبد البر:وجزم به الحافظ فى الفتح ، وقيل : سنة ثمان وكان اجتماعهم بخيف بنى كنانة وهو المحصب واختلف فى اسم كاتب الصحيفة.وفى رواية أنهم تواثقوا على هذا حتى يسلموا رسول الله « ص » للقتل ، وكانت مدة الشعب سنتين كما ذكر ابن سعد أو ثلاثا كما ذكر موسى بن عقبة وفى نسب قريش ص ٢٥٤ أن الذى كتب الصحيفة عامر الشاعر لا منصور ابنه .

رفع المسهم

. . . .

قرأت قراءة ابن مسعود قبل أن أسئل ابن عباس ، ما احتجت أن أسئله عن كثير مما سألته ، وكذلك زيادة قد فى هذه الآية ، فتَيَسرت أنه خبر من الله تعالى ، وأن الكلام ليس على جهة الدعاء ، كما قال تعالى : ﴿قاتلهم الله أنَّى يُؤْفَكُون﴾ التوبة : ٣٠ ، أى : إنهم أهلٌ أن يقال لهم هذا ، فتبت يدا أبى لهب ، ليس من باب : قاتلهم اللهُ ، ولكنه خَبَر مَحْضٌ بأن قد خسر أهله وماله ، واليدان : آلة الكسبِ ، وأهلُه ومالُه مما كسب فقوله : ﴿ تَبَّتْ يدا أبى لَهَبٍ ﴾ ، تفسيره : قوله : ﴿ ما أغنى عنه ماله وما كَسَبَ ﴾ وولدُ الرجل من كَسْبه ، كما جاء فى الحديث ، أى : خسرت يداه هذا الذى كسبت ، وقوله : وتَبَّ ، تفسيره . ﴿ سَيَصْلى ناراً ذات لهبٍ ﴾ أى : قد خَسِر نفسه بدخوله النار ، وقولُ أبى لهب : تَبًّا لكما ، ما أرى فيكما شيئاً ، يعنى : يديه : سببٌ لنزول تبت يدا كما تقدم .

وقوله فى الحديث الآخر : تَبًّا لك يا محمد ، سببٌ لنُزُول قوله سبحانه : ﴿ وتبْ ﴾[١] فالكلمتان فى التنزيل مبنيتان على السببين ، والآيتان بعدهما تفسير للتبَّبَين . تَبَاب يديه ، وتبابِه هو فى نفسه ، والتَّبُ على وزن التَّلَف

---

(١) وحدث عن عبد الرحمن بن أبى الزناد عن أبيه قال . أخبر رجل يقال له : ربيعة بن عباد من بنى الديل ، وكان جاهليا ، فأسلم ، قال : رأيت النبى صلى الله عليه وسلم — فى الجاهلية فى سوق ذى المجاز ، وهو يقول : (يأيها الناس قولوا : لا إله إلا الله تفلحوا) والناس مجتمعون عليه ، ووراءه رجل وضىء الوجه أحول ذو غديرتين يقول : إنه صابىء كاذب يتبعه حيث ذهب ، فسألت عنه ، فقالوا : هذا عمه أبو لهب . تفرد به أحمد .

. . . .

لأنه فى معناه ، والتَّبابُ كالهلاك والخَسارِ وَزْنًا ومعنى ، ولذلك قيل فيه : تَبَبٌ وتبابٌ .

من تفسير شعر أبى طالب :

فصل : ذكر شعر أبى طالب :

ألا أبلغا عنى على ذاتِ بيننا

قال قاسم بن ثابت : ذات بيننا ، وذات يده ، وما كان نحوه : صفةٌ لمحذوفٍ مؤنث ، كأنه يريد الحال التى هى ذات بينهم كما قال الله سبحانه : ﴿ وأَصْلِحُوا ذاتَ بَيْنِكُمْ ﴾ الأنفال : ١ فكذلك إذا قلت : ذات يده . يريد أمواله ، أوْ مكْتَسباته ، كما قال عليه السلام : « أرْعاه على زَوْج فى ذات يده[1] » ، وكذلك إذا قلت : لقيته ذاتَ يوم ، أى : لقاءةً أو مرَّةً ذات يوم ، فلما حُذف الموصوف ، وبقيت الصفةُ صارت كالحال لا تتمكن ، ولا تُرفع فى باب مالم يُسَمَّ فاعلُه ، كما ترفع الظروف المُتمكِّنة ، وإنما هو كقولك : سير عليه شديداً وطويلاً ، وقول الخَثْعَمِى - واسمه : أنس بن مالك [مدرك] : عزمت على إقامة ذات صباح ، ليس هو عندى من هذا الباب ، وإن كان سيبويه قد جعلها لغة لخثعم ، ولكنه على معنى إقامة يوم ، وكل يوم هو ذو صباح ، كما تقول : ما كلمنى ذو شَفَة ، أى : متكلم ، وما مررت بذى نفس ، فلا يكون من

---

(١) هو جزء من حديث رواه الشيخان : « خير نساء ركبن الإبل صالحو نساء قريش أحناه على ولد فى صغره ، وأرعاه على زوج فى ذات يده » .

رفع
المسْتَهِم
غفر الله له ولوالديه

. . . .

باب : ذَاتَ مَرَّةٍ الذى لا يتمكن فى الكلام ، وقد وجدت فى حديث قَيْلَة بنت مَخْرَمة ، وهو حديث طويل وقع فى مسند ابن أبى شَيْبَة:أن أختها قالت لبعلها : إن أختى تريد المسير مع زوجها حُرَيْثِ بن حَسَّان ذا صباح بين سَمْع الأرض وبصرها ، فهذا يكون من باب: ذات مرة ، وذات يوم ، غير أنه ورد مذكَّرا ؛ لأنه تشتغل تاء التأنيث مع الصَّاد ، وتوالى الحركات ، فحذفوها، فقالوا: لقيته ذا صباح ، وهذا لا يتمكن كما لا يتمكن : ذات يوم وذات حين ، ولا يضاف إليه مصدر ، ولا غيره . وقول الخَثْعَمِيِّ : عزمت على إقامة ذى صباح قد أضاف إليه ، فكيف يضيف إليه ، ثم ينصبه ، أو كيف يضارع الحال مع إضافة المصدر إليه؟فكذلك خفضه ، وأخرجه عن نظائره، إلا أن يكون سيبويه سمع خثعم يقولون : سرت فى ذات يوم ، أوسير عليه ذاتُ يوم برفع التاء ، فحينئذ يسوغ له أن يقول : لغة خثعم ، وأما البيت الذى تقدم فالشاهد له فيه ، وما أظن خَثْعَمَ،ولا أحدا من العرب يجيز التمكن فى نحو هذا ، وإخراجه عن النصب ، والله أعلم .

لا التى للتبرئة :

فصل : وفيه : ولا خير ممن خصَّه الله بالحب .

وهو مشكل جداً لأن لا فى باب التبرئة لا تنصب مثل هذا إلا مُنَوَّناً تقول : لا خَيْرًا من زيد فى الدار ، ولا شرًّا من فلان ، وإنما تَنصب بغير تنوين إذا كان الاسم غير موصول بما بعده ، كقوله تعالى : ﴿ لا تَثْرِيب عليكم اليوم ﴾ يوسف : ٩٢ . لأن عليكم ليس من صلة

التثريب ، لأنه فى موضع الخبر ، وأشبه ما يقال فى بيت أبى طالب أن خيرا مخفف ، من خَيِّرٍ كَهَيْنٍ وَمَيْت [من هَيِّن ومَيِّتٍ] وفى التنزيلِ : ﴿ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ﴾ الرحمن : ٧٠ هو مخفف من خَيِّرات .

عود إلى سرح شعر أبى طالب :

وقوله : مِمَّن . من ، متعلقة بمحذوف ، كأنه قال: لا خَيْر أخير مِمَّن خَصَّه الله ، وخَيْر وأَخْيَرُ : لفظان من جنس واحدٍ ، فحُسنَ الحذفُ استثقالا لتكرار اللفظ ، كما حَسُن : ﴿ ولكن الْبِرَّ مَنْ آمن بالله ﴾ البقرة : ١٧٧ . و﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ ﴾ البقرة : ١٩٧ لما فى تكرار الكلمة مرتين من الثقل على اللسان ، وأغرب من هذا قول الله تعالى : ﴿ ولو يُعَجِّلُ اللهُ للناسِ الشَّرَّ استِعْجَالَهُمْ بالْخَيْرِ ﴾ يونس: ١١ أى : لو عجله لهم إذا استَعْجَلوا به اسْتِعْجَالاً مثل استعجالهم بالْخَيْر، فحسن هذا الكلامُ لما فى الكلام من ثقل التكرار ، وإذا حذفوا حرفا واحدا لهذه العلة كقولهم: بَلْحَرث(١) بنو فلان،وظَلْتَ وأحشت فأحرى أن يحذفوا كلمة من حروف ، فهذا أصل مُطَّرِدٌ ، ويجوز فيه وجه آخر، وهو أن يكون حذف التنوين مراعاة لأصل الكلمة؛لأن خَيْرًا من زيد إنما معناه: أخير من زيد ، وكذلك : شَرٌّ من فلان ، إنما أصله : أَشَرُّ على وزن أَفْعَل ،

(١) فى الأصل بياض بعد كلمة بلحرث ، ولكن فى اللسان : « وقولهم : بلحرث لبنى الحرث بن كعب من شواذ الإدغام ، لأن النون واللام قريبا المخرج ، فلما لم يمكنهم الإدغام بسكون اللام حذفوا النون . كما قالوا : مست ، وظلت، بفتح الميم والظاء وسكون السين واللام ، كذلك يفعلون بكل قبيلة تظهر فيها لام المعرفة ، مثل بلعنبر ، وبلهجيم ، فأما إذا لم تظهر اللام ، فلا يكون ذلك » مادة حرث .

. . . .

وحذفت الهمزة تخفيفا ، وأفعل لا ينصرف ، فإذا انحذفت الهمزة انصرف ونُوِّن ، فإذا توهمتها غير ساقطةٍ التفاتا إلى أصل الـكلمة ، لم يبعد حذف التنوين على هذا الوجه مع ما يقويه من ضرورة الشعر .

وقوله : بالقُسَاسِيَّة الشُّهْب ، يعنى : السيوف ، نسبها إلى قُسَاس ، وهو معدن حديد لبنى أسـد ، وقيل اسم للجبل الذى فيه المعدن : قال الراجز يصف فأسا :

أحضر من معدنِ ذِى قُسَاس　　　كأنه فى الحَيْدِ ذى الأضراس

يُرْمى به فى البلد الدَّهَاس(١)

وقال أبو عبيد فى القُسَاسِيَّة : لا أدرى إلى أى شىء نُسِبَ ، والذى ذكرناه قاله المُبَرِّد ، وقوله : ذى قُسَاس كما حـكى ، ذو زيد ، أى : صاحب هذا الاسم ، وفى أقيال حِمْير : ذو كَلَاعٍ ، وذو عَمْرو ، أضيف المسمَّى إلى اسمه ، كما قالوا : زيد بَطَّة ، أضافوه إلى لقبه(٢)

---

(١) فى معجم ابن فارس « قساس » بلد تنسب إليه السيوف القساسية . وفى المراصد : جبل لبنى نمير ، وقيل لبنى أسد ، وبالصاد جبل لهم أيضا فيه معدن حديد تنسب السيوف القساسية إليه ، ويقال : إن قساس معدن الحديد بأرمينية ، والدهاس : المكان السهل .

(٢) الأسماء المفردة تضاف إلى ألقابها ، وحينئذ تكون الألقاب معارف ، وتتعرف بها الأسماء ، كما قيل : قيس قفة . وزيد بطة وسعيد كرز ويجوز بفتح تاء قفة وبطة وزاى كرز . مادة قطن فى اللسان ، وانظر أيضاً مادة بطط وكرز . وذو الـكلاع الأكبر : يزيد بن النعمان . والأصغر : سميفع بن ناكور من نسل الأكبر .

. . . .

وذكر فيه النسور الطخمة ، قيل : هى السود الرءوس ، قاله صاحب العين .
وقال أيضاً : الطُّخْمَةُ سواد فى مقدم الأنف .

وقوله : كراغية السَّقْبِ يريد ولد الناقة التى عقرها قُدار(١) ، فرغا ولدُها ، فصاح بُرغائه كُلُّ شيء له صوت ، فهلكت ثمود عند ذلك ، فضربت العرب ذلك مثلا فى كل هَلَكة . كما قال علقمة [بن عَبَدَةَ] :

رغا فوقهم سَقْبُ السماء فداحِصٌ بِشكَّتِهِ لم يُسْتَلَبْ وسليبُ

وقال آخر :

---

(١) اسمه فى القاموس : قدار بن سالف ، ويقال هو الذى عقر ناقة صالح ، وهو أحيمر ثمود . وروى أحمد بسنده فى مسنده عن عبد الله بن زمعة قال : خطب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فذكر الناقة ، وذكر الذى عقرها ، فقال : إذ انبعث أشقاها ، انبعث لها رجل عارم عزيز منيع فى رهطه مثل أبى زمعة . ورواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن جرير.

وبشؤم قدار ضرب المثل يقول الشاعر :

وكان أضر فيهم من سهيل إذا وافى وأشأم من قدار

ويقال : قدار بن قديرة باسم أمه ، انظر الأمثال للميدانى ، مثل رقم ٢٠٢١ ، وسمط اللآلى ص ٨٤٥ ، وفى معلقة زهير عن الحرب :

فتنتج لكم غلمان أشأم كلهم كأحمر عاد ، ثم ترضع فتفطم

وأحمر عاد هو قدار . والسقب : ولد الناقة عامة ، أو ساعة يولد ، أو خاص بالذكر ، وفى ابن هشام ورد نسب أبى البخترى : « ابن هشام بن الحارث بن أسد » فصوبته من نسب قريش « ابن هاشم بن الحارث بن أسد بن عبد العزى » .

. . . .

لَعَمْرِى لقد لاقت سُلَيْمٌ وعامر على جانب الثَّرْثَار راغيةَ البِكْر (١)

ذكر أم جميل والمسد وعذابها:

فصل : وذكر أم جميل بنت حرب عمة معاوية ، وذكر أنها كانت تحمل الشوك ، وتطرحه فى طريق رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأنزل الله فيها : ﴿ وامرأته حَمَّالة الحَطب ﴾ قال المؤلف : فلما كَنَّى عن ذلك الشوك بالحطب ، والحطبُ لا يكون إلا فى حبل ، مِنْ ثَمَّ جعل الحبل فى عنقها ، ليقابل الجزاء الفعل .

وقوله : من مَسَد ، هو من مَسَدْت الحبل إذا أحكمتَ فَتْله ، إلا أنه قال : من مَسَد ، ولم يقل: حبلٌ مَسَدٌ ولا مَمْسُود لمعنى لطيف، ذكره بعض أهل التفسير ، قال: المسد يعَبَّر به فى العرف عن حبل الدَّلو ، وقد روى أنه يُصنع بها فى النَّار ما يُصنع بالدَّلو ، تُرْفع بالمسد فى عنقها إلى شَفِير جهنم ، ثم يُرمى بها إلى قعرها هكذا أبداً ، وقولهم : إن المسد هو حبل الدلو فى العرف صحيحٌ فإنا لم نجده فى كلام العرب إلا كذلك، كقول [النابغة] الذُّبْيَانى .

له صَرِيفٌ صريفَ القَعْو بالمَسَد (٢)

---

(١) الثرثار : هو فى برية نجد ،واد عظيم بالجزيرة .

(٢) البيت من شواهد سيبويه فى الكتاب. والشاهد فيه نصب «صريف» الأخرى على المصدر المشبه به ، والعامل فيه فعل مضمر دل عليه قوله : « له صريف » ، فكأنه قال : بازلها يصرف صريفا مثل صريف القعو ، ورفعه على البدل جائز . يصف الناقة بالقوة والنشاط ، فيقول: كأنما قذفت باللحم قذفا لتراكمه عليها .

. . . .

وقال الآخر وهو يستقى على إبله :

يامَسَدَ الْخُوصِ تَعَوَّذْ مِنِّى إنْ تك لَدْنًا لَيِّنًا فإنِّى

ما شئت من أشْمَطَ مُقْسَئِنِّ(١)

والنحض: اللحم ، ودخيسه: ماتداخل منه وتراكب، والبازل : سن تخرج عند بزولها، وذلك العام التاسع من سنها ، وعند ذلك تكمل قوتها . ويقال لها : بازل: والصريف: صوت أنيابها إذا حكت بعضها ببعض نشاطا أو إعياء، والقعو : ما تدور فيه البكرة إذا كان من خشب، وجمعها قعى، فإذا كان من حديد ، فهو خطاف ص ١٧٨ ح ١ الكتاب لسيبويه وبيت علقمة ص ١٧٣ أمالى.

(١) أنشده اللسان فى مادتى مسد ، وقسن . وفى الأصل الحوض ، مكسين والتصويب من اللسان ، ومعجم ابن فارس الذى أنشد الأخيرتين فى مادة قسن والمقسئن الصلب من الرجال . ويكون كبير السن ، والأشمط من خالط سواد شعره بياض . وبعد هذه :

تقمص كفاه بحبل الشن مثل قماص الأحرد المستن

يقول : تعوذ منى ، فإنى أستقى بك كثيراً ، فتنقطع إن تك لدنا ، أى: ناعما متثنيا ، فإنى مقسئن وهو الكهل الشديد الذى لم تنقص السنون منه شيئا . ويروى : إن تك شبا ، أى : شابا . وتقمص : ترتفع كفاه بالحبل إذا جذبه . والأحرد : البعير الذى يرفع يديه فى سيره ، ثم يخبط بهما الأرض ، والمستن الذى يمشى على وجهه ، وأراد بالشن : الدلو ص ٨٩ تهذيب إصلاح المنطق لأبى زكريا يحى بن على بن الخطاب التبريزى المتوفى سنة ٥٦٢هـ ط أولى وفى اللسان أيضاً :

المقسين : الشيخ القديم وكذلك البعير ، فاذا اشتقوا منها فعلا على مثل افعال بتشديد اللام همزوا فقالوا : اقسأن . وقيل المقسئن الذى قد انتهى فى سنه، فليس به ضعف كبر ولا قوة شباب وقيل : هو الذى فى آخر شبابه وأول كبره ، واقسأن الشىء اشتد

رفع المسهم

. . . .

وقال آخر :

يارَبَّ عبسٍ لا تُبَارِكْ فى أَحَدْ   فى قائم منهم ، ولافيمن قَعَد
غير الأُولى شَدُّوا بأطرافِ الْمَسَدْ

أى : استقوا ، وقال آخر ، وهو يستقى :

وَمَسَدٍ أُمِرَّ من أَيَانِقِ   ليس بأنيابٍ ولاَ حَقائِقِ(١)

يريد : جمع أَيْنُق ، وأَيْنُق : جمع ناقة مقلوب ، وأصله : أَنْوق ، فقلب ، وأبدلت الواو ياء ؛ لأنها قد أبدلت ياء للكسرة ، إذا قالوا : نياق ، وقلبوه فرارا من اجتماع همزتين لو قالوا : أنوق على الأصل ، يريد أن المسد من جلودها . وفى الحديث أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال فى المدينة : قد حرمتها إلا لِعُصْفُور قَتَبٍ(٢) ، أو مَسَد مَحَالة ، والْمَحَالَةَ : الْبَكَرَةُ . وفى حديث آخر :

---

(١) قبلهما .

إن سرك الإرواء غير سابق   فاعمل بغرب مثل غرب طارق

أو « فاعجل » ويروى : غير سائق . وأمر : فتل . والرجز لعمارة ابن طارق — أو عمار ، أو لعقبة الهجيمى ، والأنياب : جمع ناب ، وهى الناقة الهرمة ، والحقائق جمع : حقة وهى التى دخلت فى السنة الرابعة ، يريد : هو جلد ثنية أو رباعية ، أو سديس أو بازل .

(٢) القتب : جميع أداة السانية أو الساقية ، القتب : بفتح القاف والتاء أو بكسر القاف وسكون التاء ، والعصفور : الخشب الذى يشد به رءوس الأقتاب .

رفع المسامر

. . . .

أنه حرمها بريدا فى بريد إلا الْمِنْجَدَةَ أو مسد ، والْمِنْجَدَةُ : عصا الراعى .
وقال أبو حنيفة فى النبات : كلُّ مَسَدٍ رِشاء ، وأنشد :

وَبكْرَةً وَمِحْوَرَا صَرَّارَا وَمَسداً من أَبَقٍ مُغارَاً

وَالأَبَقُ : الْقِنَّبُ ، وَالزِّبْرُ : الـكَتَّانُ ، وأنشد أيضاً :

أَنزعُها تمطيــا وَمَتَّا بالمسَد الْمَثْلُوثِ أو بَرْمِثا

فقد بان لك بهذا أن الْمَسَد حبل البئر ، وقد جاء فى صفة جهنم ـ أعاذنا الله منها ـ أنها كَطَىِّ البئر لها قَرْنان ، والْقَرْنانِ من البئر : كالدِّعامَتَيْن لِلْبَـكَرَةِ ، فقد بان لك بهذا كله ، ما ذكره أهل التفسير من صفة عذابها أعاذنا الله من عذابه وأليم عقابه ، وبهذا تناسب الـكلام ، وكثرت معانيه ، وتنزه عن أن يكون فيه حَشْوٌ أو لغو ـ تعالى الله منزله ؛ فإنه كتاب عزيز .

وقول مجاهد : إنها السِّلسلة التى ذَرْعها سبعون ذراعا لاينفى ماتقدم ، إذ يجوز أنَ يَرْبُقَ(١) فى تلك السلسلة أُمَّ جميلٍ وغيرها ، فقد قال أبو الدرداء لامرأته : يا أم الدرداء إن لِلهِ سلسلة تغلى بها مراجلُ جهنم منذ خلق الله النار إلى يوم القيامة ، وقد نجاك الله من نصفها بالإيمان بالله ، فاجتهدى فى النجاة من النصف الآخر بالحض على طعام المساكين ، وكذلك قول مجاهد : إنها

---

(١) يربقه : يجعل رأسه فى الربقة ، وهى العروة فى حبل يشد به البهم ، وفى الأصل : يريق ولم أهتد إلى ضبط البيت السابق

رفع المساهم

. . . .

كانت تمشى بالنمائم لاينفى حملها للشوك[1] ، وهو فى كلام العرب سائغ أيضا ، فقد قال ابن الأسلت لقريش حين اختلفوا :

ونُبِّئتُكم شَرْجَيْنِ[2] كل قبيلة لها زُمّل من بين مُذْك وحاطب

فالمُذكى الذى يذكى نار العداوة ، والحاطب الذى يَنِمّ ويغرى كالمحتطب للنار ، ومن هذا المعنى ، وكأنه مُنْتَزَع منه قول النبى ـ صلى الله عليه وسلم : « لايدخل الجنة قَتّات[3] » والقتات هو الذى يجمع القَتّ ، وهو مايوقد به النار من حشيش وحطب صغار .

عن الجيد والعنق :

وقوله : فى جيدها ، ولم يقل : فى عنقها ، والمعروف أن يُذكر العنق إذا ذُكر الغُل ، أو الصَّفْع ، كما قال تعالى : ﴿ إنّا جَعَلْنا فى أعناقهم أغلالاً ﴾ يس : ٨ ويذكر الجيد إذا ذُكر الحُلِىُّ أو الحسن ، فإنما حَسُن هٰهنا ذكر الجيد فى حُكم البلاغة ؛ لأنها امرأة ، والنساء تحلى أجيادهن ، وأم جميل لاحُلِىَّ لهـا فى الآخرة إلا الحبل المجعول فى عنقها ، فلما أقيم لهـا ذلك مقام الحلى ذكر الجيد معه ، فتأمله ؛ فإنه معنى لطيف ، ألا ترى إلى قول الأعشى :

يَوْمَ تُبدى لنا قُتَيْلَة عن جِيد

---

(١) فى الأصل : الشرك

(٢) الشرج : الضرب ، يقال : هما شرج واحد أى : ضرب واحد

(٣) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى ، والقتات هو النمام ، وقيل هو الذى يتسمع على القوم ، وهم لا يعلمون ، ثم ينم .

. . . .

ولم يقل : عن عنق ، وقول الآخر :

وأحسنُ من عقد المليحة جيدُها

ولم يقل : عنقها ، ولو قاله لـكان غَثًّا من الـكلام ؛ فإنما يحسن ذكر الجيد حيث قلنا ، وينظر إلى هذا المعنى قوله تعالى : ﴿ فَبَشِّرْهُمْ بعذابٍ أليم ﴾ آل عِمران: ٢١ أى لا بُشرى لهم إلا ذلك، وقول الشاعر [عَمْرو بن مَعْدى كَرِبَ]:

[وخَيْلٍ قد دَلَفْتُ لها بِخَيْلٍ] تَحِيَّةُ بينهم ضَرْبٌ وجيعُ

أى : لا تحية لهم . كذلك قوله : فى جيدها حبل من مسد ، أى : ليس ثَمَّ جيد يُحَلَّى، إنما هو حبل المسد ، وانظر كيف قال : وامرأتُهُ ، ولم يقل : وزوجه ؛ لأنها ليست بزوج له فى الآخرة ، ولأن التزويج حِلية شَرْعية ، وهو من أمر الدين يجردها من هذه الصفة ، كما جرد منها امرأة نوح وامرأة لوط، فلم يقل : زوج نوح ، وقد قال لآدم : ﴿ اسْكُنْ أنتَ وزوجُك ﴾ البقرة: ٣٥ وقال لنبيه عليه السلام : (قل لأزواجك) ، وقال : (وأزواجه أمهاتهم) ، إلا أن يكون مساق الـكلام فى ذكر الولادة والحمل ، ونحو ذلك ، فيكون حينئذ لفظ المرأة لائقا بذلك الموطن ، كقوله تعالى : ﴿ وكانت امرأتى عاقرا ﴾ مريم : ٥ ، ٨ ﴿ فأقبلت امرأته فى صَرَّة ﴾ الذاريات : ٢٩ لأن الصفة التى هى الأنوثة هى المقتضية للحمل والوضع لا من حيث كانت زوجا .

غلو فى الوصف بالحسن

فصل : وأنشد شاهدا على الجيد قول الأعشى :

يَوْمَ تُبْدِى لنا قُتَيْلَة عن جِيدٍ أسيلٍ تَزِينُه الأطواقُ

وقوله : تزينه أى : تزيده حسنا ، وهذا من القصد فى الـكلام ، وقد أبى

رفع المسهم غفر الله له ولوالديه

. . . .

المُولَّدُون إلا الغلو فى هذا المعنى ، وأن يغلبوه فقال فى الحماسة حسين بن مُطَير [الأَسَدِى] :

مُبَلَّةُ الأطراف زانت عقودَها   بأحْسَنَ مِمَّا زَيَنتها عقودُها

وقال خالد الْقَسْرِى لعمر بن عبد العزيز : من تـكن الخلافةُ زينته ، فأنت زينتها ، ومن تـكن شرَّفته ، فأنت شرَّفتهَا ، وأنت كما قال [مالِكُ ابن أَسْمَاء] :

وتزيدين أطيب الطِّيبِ طِيباً   إن تَمَسِّيه ، أين مثلك أَيْنا

وإذا الدُّرُّ زانــ حُسنَ وجوهٍ   كان لِلدُّرِّ حُسْنُ وجهك زَيْنا!

فقال عمر : إن صاحبكم أعطى مَقُولاً ، ولم يُعْط مَعْقُولاً ، قال المؤلف : وإنما لَمَ يحْسُن هذا من خالد لما قصد به التملق ، وإلا فقد صدر مثل هذا المعنى عن الصِّدِّيق ، فحُسن لمـا عَضَده من التحقيق والتحرى للحق ، والبعد عن الملق والخلابة ، وذلك حين عهد إلى عُمَرَ بالخلافة ، ودفع إليه عهده مختوما ، وهو لا يعرف مافيه ، فلما عرف مافيه رجع إليه حزينا كهيئة الثَّـكْلى : يقول : حملتنى عبئاً لا أضطلع به ، وأوردتنى موردا لا أدرى كيف الصَّدَر عنه ، فقال له الصديق : ما آثرتك بها ، ولـكنى آثرتها بك ، وما قصدت مَسَاءتك ، ولـكن رجوت إدخال السرور على المؤمنين بك ، ومن هٰهنا أخذ الُحطيئة قوله :

ما آثروك بهــا إذ قَدَّموك لهــا   لـكن لأنفسهم كانت بها الإِثَرُ(١)

---

(١) أنشده اللسان وقال : وكأن الإثر : جمع الإثرة ، وهى الأثرة . وفى الأغانى فى أخبار الحطيئة : أن الحطيئة أنشد هذه القصيدة التى منها هذا البيت حين شفع فيه عمرو بن العاص ، فأخرجه عمر من محبسه ومنها :

ماذا تقول لأفراخ بذى مرخ   زغب الحواصل لاماء ولا شجر

رفع عبد الرحمن الهاشمي المسيهم

. . . .

وقدْ سَبَكَ هذا المعنى فى النسيب عبدُ الله بن عباس الرومى ، فقال :

وأحسنُ من عِقْدِ المليحةِ جيدُها   وأحسنُ من سِر بالها المُتَجَرِّدُ

ومما هو دون الغلو ، وفوق التقصير قول الرَّضِىِّ :

حَلْيُه جِيــدُه ، لا ما يُقلّدُهُ   وكُحْلُه مابعينيه من الـكَحَلِ

ونحو منه ما أنشده الثعالبى :

وما الحَلْىُ إلا حِيلةٌ من نَقِيصَةٍ   يُتَمِّمُ من حُسْنٍ إذا الحسنُ قَصَّرا

فأما إذا كان الجمال موفرا   فحسبُك لم يحتج إلى أن يُزَوَّرا

وسمعت القاضى أبا بكر محمد بن العربى يقول: حج أبو الفضل الجوهرى الزاهد ذات مرة ، فلما أشرف على الـكعبة ، ورأى ما عليها من الديباج تمثل ، وقال :

ما عُلِّقَ الحَلْىُ على صدرها   إلا لمـا يُخْشَى من الْعَيْن

تقول والدُّرُّ على نَحْرِها   :مَنْ عَلَّقَ الشَّيْن على الزَّيْنِ

وبيت الأعشى المتقدم بعده :

وقبل البيت الذى رواه السهيلى :

أنت الإمام الذى من بعد صاحبه   ألقى إليك مقاليد النهى البشر

وروايته فى الإغانى: «كانت بك الإثر» وهى أدق . وللبيت رواية أخرى

ما آثروك بها إذ قدموك لهـا   لـكن بها استأثروا إذ كانت الإثر

. . . .

وشَتِيتٍ كالأُقْحُوانِ جَلاه الطَّلُّ فيه عُذوبَةٌ واتِّساقُ
وأثيثٍ جَثْلِ النباتِ تُرَوِّ يه لَعُوبٌ غَرِيرَةٌ مِفْنَاقُ
ـرَّةٌ طَفْلَةُ الأنامِلِ كالدُّمْـ يـةِ لاعَانِسٌ ولا مِهْزاقُ

الفِهر :

وذكر قول أم جميل لأبى بكر : لو وجدت صاحبك لشدخْت رأسه بهذا الفِهر . المعروف فى الفِهر: التأنيثُ ، وتصغيره فُهَيرة ، ووقع ههنا مذكرا (١).

(١) فى المعجم الوسيط أنه يذكر ويؤنث ، وهو — كما فى القاموس — الحجر قدر مايدق به الجوز، أو مايملأ الكف، ويرى الخشنى فى شرح السيرة أنه يذكر ويؤنث، واسم امرأة أبى لهب: أروى . ويقول المصعب فى نسب قريش أن أبا لهب كان يكنى بأسماء بنيه كلهم وهم عتبة ومعتب وعتيبة ، وكنى بأبى لهب لإشراق وجهه ، وكل أولاده من أم جميل التى يقول فيها الأحوص الشاعر الأنصارى :

كل الحبال حبال الناس من شعر وحبلها وسط أهل النار من مسد

وقال ابن كثير : « وكانت عونا لزوجها على كفره وجحوده وعناده : فلهذا تكون يوم القيامة عونا عليه فى عذابه فى نار جهنم » . وعن مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة والثورى والسدى - واختاره ابن جرير - أنها كانت تمشى بالنميمة ، وقال سعيد بن المسيب : كانت لها قلادة فاخرة . فقالت : لأنفقنها فى عداوة محمد — يعنى ، فأعقبها الله منها حبلا فى جيدها من مسد النار ، وقيل : إنها كانت عوراء وقد روى حديث مجيئها إلى رسول الله وأبى بكر وعدم رؤيتها للنبى « ص » البزار بسنده عن ابن عباس ، وروى قريبا منه ابن أبى حاتم بسنده عن أسماء . وقد تحقق ما أخبر به الله . فلم يؤمن أبو لهب وامرأته . وأبيات شعرها: « مذمما الخ » مروة فى كتب أخرى مختلفة الترتيب عما هنا وأخرج ابن أبى حاتم عن عثمان وابن عمر قالا : مازلنا نسمع أن ويل لكل همزة نزلت فى أبى بن خلف ، وأخرج عن السدى أنها نزلت فى الأخنس بن شريق، وأخرج ابن جرير عن

رفع المستهم

حول قولهم : مذمم وحديث خباب :

وذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم : « ألا ترون إلى ما يدفع الله عني من أذى قريش ، يشتمون ويهجون مَذَمَّما وأنا محمد ؟ ! ، وأدخل النَّسوِيُّ هذا الحديثَ في كتاب الطلاق في باب : « من طلق بكلام لايشبه الطلاق، فإنه غير لازم » وهو فقه حسن لقول النبي – صلى الله عليه وسلم : ألا ترون إلى مايدفع الله عني ، فجعل أذاهم مصروفا عنه ، لما سَبُّوامُذَمَّماً ،ومُذَمَّماً لا يشبه أن يكون اسما له ، فكذلك إذا قال لها : كلي واشرَبي ، وأراد به الطلاقَ لم يلزمه وكان مصروفا عنه ؛ لأن مثل هذا الكلام لايشبه أن يكون عبارة عن الطلاق .

فصل : وذكر حديث خَبَّاب[1] مع العاصي بن وائل ، وما أَنْزَلَ اللهُ فيه من قوله : ﴿ أَرَأَيْتَ الذى كَفَر بآياتنا ﴾ وقد تقدم الكلامُ على : أرأيت ، وأنه لايجوز أن يليها الاستفهام ، كما يلي : علمت ونحوها ، وهي هُهُنا : عاملة في الذي كفر ، وقد قدمنا من القول فيها مايغني عن إعادته ههنا ، فلينظر في سورة : اقرأ ، وحديث نزولها

سد الذرائع :

فصل : وذكر قول أبي جهل لتكفَّن عن سب آلهتنا أو لَنَسُبَّن إلٰهك ، فأنزل الله تعالى[2] ﴿ ولاَ تَسُبُّوا الذينَ يَدْعون من دون الله فَيَسُبُّوا الله

= رجل من أهل الرقة أنها نزلت في جميل بن عامر الجمحي، وقد روى ابن المنذر عن ابن إسحاق أنها في حق أمية كما في السيرة .

(١) حديث خباب أخرجه الشيخان والترمذي وأحمد .

(٢) نسب إلى علي بن أبي طالب أنه روى عن ابن عباس أن الذي اقترف =

رفع
المسـ هم
غفر الله له ولوالديه

. . . .

عَدْوا بغير عِلْم﴾ « الأنعام : ١٠٨ » الآية . وهذه الآية أصل عند المالكية في إثبات الذرائع ومراعاتها في البيوع وكثير من الأحكام ، وذلك أن سب آلهتهم كان من الدين ، فلما كان سببا إلى سبهم الباري ـ سبحانه ـ نهى عن سب آلهتهم ، فكذلك مايخاف منه الذريعةُ إلى الربا ، ينبغي الزجر عنه ، ومن الذرائع مايقرب من الحرام ، ومنها مايبعد فتقع الرخصة والتشديد على حسب ذلك ، ولم يجعل الشافعي الذريعة إلى الحرام أصلا ، ولا كره شيئا من البيوع التي تُتَّقى فيها الذريعةُ إلى الربا ، وقال : تهمة المسلم وسوء الظن به حرام ، ومن حجتهم : قول عمر بن الخطاب : إنما الربا على من قصد الربا ، وقول النبي عليه السلام : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىء مانوى[1] » فيه أيضا متعلَّق لهم ، وقالوا : ونهيه تعالى عن سب آلهتهم ، لئلا يُسَب الله تعالى ليس من هذا الباب ؛ لأنه لا تهمة فيه لمؤمن ولاتضييق عليه ، وكما تُتَّقى الذريعةُ

═ هذا إنما هم جماعة من المشركين لا أبو جهل وحده . وذكر عبد الرزاق أن المسلمين هم الذين كانوا يسبون أصنام الكفار . فيسب الكفار الله عدوا . والآية تفيد ذلك

(١) زعم البعض أن هذا الحديث متواتر . وهذا خطأ إذ لم يروه عن النبي « ص » إلا عمر . ولم يروه عن عمر إلا علقمة ، ولم يروه عن علقمة إلا محمد ابن إبراهيم ولم يروه عنه الا يحيى بن سعيد الأنصاري ، وعنه انتشر . فقيل رواه عنه أكثر من مائتى راو . وقيل : سبعمائة . من أعيانهم: مالك والثوري والأوزاعي والليث بن سعد وغيرهم . وقد روى هذا الحديث البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجة وأحمد والدارقطني وابن حبان والبيهقي ، ولم يخرجه مالك في الموطأ . ولكن ابن منده يزعم أن أكثر من صحابي رواه غير أنه اتفق على أنه لايصح مسندا إلا من رواية عمر .

رفع المسهم
عزالله لطفه الدين

. . . .

إلى تحليل ماحرم الله ، فكذلك ينبغي أن يُتقى تحريمُ ما أحل الله ، فكـ
الطرفين ذميم ، وأحل الله البيع وحرم الربا ، والربا معلوم، فما ليس من الربا فهو من البيع ، والكلام في هذه المسألة للطائفتين ، والاحتجاج للفريقين يتسع مجالُه ويصدنا عن مقصودنا من الكتاب (١) .

---

(١) فصل الإمام ابن تيمية القول تفصيلا في هذه المسألة في كتابه القيم « إقامة الدليل على إبطال التحليل » المطبوع مع مجموعة فتاويه فقال : « إن الله سبحانه ورسوله سد الذرائع المفضية إلى المحارم بأن حرمها ، ونهى عنها .

والذريعة : ماكان وسيلة وطريقـــا إلى الشيء ، لكن صارت في عرف الفقهاء عبارة عما أفضت إلى فعل محرم ، ولو تجردت عن ذلك الإفضاء لم يكن فيها مفسدة ، ولهذا قيل : الذريعة : الفعل الذي ظاهره أنه مباح ، وهو وسيلة إلى فعل المحرم ، أما إذا أفضت إلى فساد ليس هو فعلا كإفضاء شرب الخمر إلى السكر، وإفضاء الزنا إلى اختلاط المياه ، أو كان الشيء نفسه فسادا كالقتل والظلم فهذا ليس من هذا الباب ، فإنا نعلم أنما حرمت الأشياء لكونها في نفسها فسادا بحيث تكون ضررا لا منفعة فيه ، أو لكونها مفضية إلى فساد بحيث تكون هي في نفسها فيها منفعة ، وهي مفضية إلى ضرر أكثر منه ، فتحرم فان كان ذلك الفساد فعل محظور سميت: ذريعة ، وإلا سميت سببا ومقتضيا ، ونحو ذلك من الأسماء المشهورة .

ثم هذه الذرائع إذا كانت تفضي إلى المحرم غالبا ، فإنه يحرمها مطلقا، وكذلك إن كانت قد تفضي ، وقد لا تفضي ، لكن الطبع متقاض لإفضائها ، وأما إن كانت إنما تفضي أحيانا ، فإن لم يكن فيهـــا مصلحة راجحة على هذا الإفضاء القليل ، وإلا حرمها أيضاً ، ثم هذه الذرائع منها مايفضي إلى المكروه بدون قصد فاعلها ، ومنها ما تكون إباحتها مفضية للتوسل بها الى المحارم ، فهذا القسم الثاني يجامع الحيل بحيث قد يقترن به الاحتيال تارة ، وقد لا يقترن، كما أن =

. . . .

عن النضر بن الحارث ورستم :

فصل : حديث النضر بن الحارث ، وقال فى نسبه : كَلَدة بن علقمة وغيره من النُسَّاب يقول : علقمة بن كلدة(١) ، وكذلك ألفيته فى حاشية كتاب الشيخ

= الحيل قد تكون بالذرائع ،وقد تكون بأسباب مباحة فى الأصل ليست ذرائع، فصارت الأقسام ثلاثة :

الأول : ما هو ذريعة وهو مما يحتال به كالجمع بين البيع والسلف ، وكاشتراء البائع السلعة من مشتريها بأقل من الثمن تارة . وبأكثر أخرى .

الثانى : ماهو ذريعة لا يحتال بها كسب الأوثان . فانه ذريعة إلى سب الله تعالى ، وكذلك سب الرجل والد غيره فإنه ذريعة إلى أن يسب والده، وإن كان هذان لا يقصدهما مؤمن .

الثالث : ما يحتال به من المباحات فى الأصل كبيع النصاب فى أثناء الحول فرارا من الزكاة ، وكإغلاء الثمن لإسقاط الشفعة .

والغرض هنا أن الذرائع حرمها الشارع ، وإن لم يقصد بها المحرم خشية إفضائها إلى المحرم ، فاذا قصد بالشيء نفس المحرم كان أولى بالتحريم من الذرائع. وللشريعة أسرار فى سد المفاسد ، وحسم مادة الشر لعلم الشارع بما جبلت عليه النفوس ، وبما يخفى على الناس من خفى هداها الذى لايزال يسرى فيها حتى يقودها إلى الهلكة . فمن تحذلق على الشارع ، واعتقد فى بعض المحرمات أنه إنما حرم لعلة كذا ، وتلك العلة مقصودة . فاستباحه بهذا التأويل ، فهوظلوم لنفسه، جهول بأمر ربه . وهو إن نجا من الكفر ، لم ينج غالبا من بدعة أو فسق أو قلة فقه فى الدين،وعدم بصيرة أماشواهد هذه القاعدة فأكثر من أن تحصر ، فنذكر منها ما حضر ، ثم أتى الإمام بثلاثين شاهدا أو دليلا على هذا استغرقت ست صفحات . فانظرها فى كتابه ص ٢٥٦ ومابعدها حـ ٣ الفتاوى الكبرى لأبى العباس تقى الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحرانى نشر دار الكتب الحديثة .

(١) ورد نسبه هكذا فى نسب قريش فى ص ٢٥٥ .

. . . .

أبى بحر عن أبى الوليد ، وحديث النضر : أنه تعلم أخبار رستم واسبندياذ ، وكان يقول : اكتتبتها كما اكتتبها محمد ، ووقع فى الأصل : اكتتبها كما اكتتبها محمد، وفى الرواية الأخرى عن أبى الوليد : اكتتبتها[1] كما اكتتبها ، ورستم الشيد[2] بالفارسية معناه : ذو الضياء ، والياء فى الشيد والألف سواء ، ومنه « أر نخشاذ » وقد تقدم شرحه ، ومنه «جم شاذ» ، وهو من أول ملوك «الأرض ، وهو الذى قتله الضحاك « بيوراسب » ، ثم عاش إلى مدة «أفريذون وأبيه جم» ، وبين « أفريذون » وبين « جم » تسعة آباء ، وقال له حين قتله : ما قتلتك بجم ، وما أنت له بكفء ، ولكن قتلتك بثور كان فى داره ، وقد تقدم طرف من أخبار رستم واسبندياذ فى الجزء قبل هذا .

حديث ابن الزبعرى وعزير :

وذكر حديث ابن الزِّبَعْرَى ، وقوله : إنا نعبد الملائكة ، وأن النصارى تعبد المسيح إلى آخر كلامه ، وما أنزل الله فى ذلك من قوله تعالى : ﴿إن الذين سَبَقَتْ لهم مِنَّا الْحُسْنَى﴾ الآية قال المؤلف : ولو تأمل ابنُ الزِّبَعْرَى وغيرُهُ من كفار قريش الآية لرأى اعتراضه غير لازم من وجهين :

---

(١) فى السيرة التى معى : رواية أبى الوليد .

(٢) فى السيرة : الشديد . هذا ويذكر ابن جرير أن النبى « ص » قتل عقبة بن أبى معيط ، وطعمة بن عدى والنضر بن الحارث يوم بدر صبرا ، وأن المقداد هو الذى أسر النضر ، فلما أمر الرسول بقتله ، قال المقداد : يا رسول الله أسيرى ، فقال رسول الله «ص» إنه كان يقول فى كتاب الله ما يقول. هذا والمحضأ: ما تحرك به النار ، واحتضأ النار : ألهبها وسعرها .

رفع المسهم

. . . .

أحدهما : أنه خطاب متوجه على الخصوص لقريش وعبدة الأصنام ، وقوله إنا نعبد الملائكة حَيْدةٌ ، وإنما وقع الكلام والمُحاجَّة فى اللاَّت والعُزَّى وُهبَل ، وغير ذلك من أصنامهم .

والثانى : أن لفظ التلاوة : ﴿إنكم وماتعبدون﴾ ولم يقل : وَمَن تعبدون ، فكيف يلزم اعتراضه بالمسيح وعُزَيْر والملائكة وهم يعقلون ، والأصنامُ لاتعقل ، ومن ثَمَّ جاءت الآية بلفظ : ما الواقعة على مالا يعقل ، وإنما تقع ما على مايعقل ، وتُعلم بقرينة من التعظيم والإبهام ، ولعلنا نشرحها ونبينها فيما بعد إن قُدر لنا ذلك ، وسبب عبادة النصارى المسيح معروف ، وأما عبادة اليهود عُزَيْزا ، وقولهم فيه : إنه ابن الله سبحانه وتعالى عن قولهم ، وسببه فيما ذكر عبد بن حميد الكَشِّى ، أن التوراة لما احْتَرَقَتْ أيام بُخْتَ نَصَّر[1] ، وذهب بذهابها دين اليهود ، فلما ثاب إليهم أمرهم وجدوا لفقدها أعظم الكرب ، فبينما عزيز يبكى لفقد التوراة ، إذ مر بامرأة جاثمة على قبر قد نشرت شعرَها ، فقال لها عزير : من أنت ؟ قالت : أنا إيليا أم القرى أبكى على ولدى ، وأنت تبكى على كتابك ، وقالت له : إذا كان غداً . فأت هذا المكان ، فلما أن جاء من الغد للساعة التى وعدته ، إذا هو بإنسان خارج من الأرض فى يده كهيئة

---

(١) ضبط كتاب أدب الكاتب لابن قتيبة بخت نصر فتح الباء وضم التاء . والمعروف المشهور ماضبطه به ، يقول شهاب الدين أحمد الخفاجى فى شفاء الغليل عن بختنصر إنه بضم الباء ، واسمه معرب مركب كحضرموت أو بعلبك نص عليه سيبويه . وهو عند ابن السيد معرب بوخت بمعنى : ابن ، ونصر : اسم صنم وجد عنده ، وسمى به إذ لم يعرف له أب .

. . . .

القارورة ، فيها نور ، فقال له : افتح فاك ، فألقاها في جوفه ، فكتب عُزَيْرٌ التوراةَ ـ كما أنزلها الله ، ثم قدر على التوراة بعد ما كانت دفنت أن ظهرت ، فعرضت التوراةُ ، وما كان عزيرُ كَتَب ، فوجدوه سواء ، فمنها قالوا : إنَّه ولدُ الله تعالى عن ذلك(١).

حصب جهنم :

وقوله حَصَبُ جهنم ، هو من باب الْقَبَض والنَّفَض(٢) والْحَصْبُ بسكون الصاد كالقبْضِ والنفْضِ ، ومنه الحاصب في قوله سبحانه : ﴿ أَنْ يرسِل عليكم حاصِباً ﴾ ويروى: حَضَب جهنم بضاد معجمة في شواذ القراءات ، وهو من حضبت النار(٣) بمنزلة حَضأْتها ، يقال : أرَّثْتها وأثقبتها وحَشَشْتها وأَذْكيتها وفسر ابن إسحٰق قوله: يصُدُّون، ومن قرأ : يصِدُّون فمعناه : يعجبون(٤).

(١) لا شك في أنها فرية يهودية . فعزرا الكاهن اليهودى الأكبر هو الذى عبث بالتوراة أيام الأسر ، ودس فيها مادس بعد أن أحرقت ، وراح هو يمليها من حفظه وهواه . وذلك بشهادة كبار مؤرخي الغرب مثل « ول . ديورانت »

(٢) يعني أنه فعل « بفتح الفاء والعين» بمعنى مفعول ، فالنفض بمعنى منفوض وحصب وقبض كذلك. يقول الأزهرى: « الحصب : الحطب الذى يلقى في تنور أو في وقود . أما مادام غير مستعمل للسجور ، فلا يسمى حصبا»

(٣) في اللسان : الحضب : الحطب في لغة اليمن ، وقيل : هو كل ما ألقى في النار من حطب وغيره، يهيجها به، وحضب النار يحضبها : رفعها . وقال الكسائى حضبت النار إذا خبت،فألقيت عليها الحطب ، لتقد . والمحضب : المسعر ، وهو عود تحرك به النار .

(٤) قراءة المصحف بكسر الصاد أى يصيحون فرحا . وقرأ نافع وابن عامر والكسائى بضم الصاد وهو من الصدود أى عن الحق ، وقيل : هما لغتان مثل يعكف ويعكف بكسر عين الفعل وضمها ، وقد أخرج حديث ابن الزبعرى ـــ

رفع المسهم

. . . .

ما نزل فى الأخنس :

فصل : وذكر ما أنزل الله تعالى فى الأخنس بن شَرِيق – واسمه : أبى من قوله تعالى : ﴿ عُتُلٍّ بعد ذلك زنيم ﴾ وقد قيل : نزلت فى الوليد بن المغيرة ، وقد قيل: فى الأسود بن عبد يغوث الزهرى ، وقال ابن عباس : نزلت فى رجل من قريش له زَنَمتَان كزَنَمتَى الشاة . رواه البخارى بإسناده عنه (٦). وفى رواية أخرى أنه قال : الزنيم الذى زَنَمتَان من الشر يعرف بها ، كما تعرف الشاة بزنمتها ، وروى عن ابن عباس أيضا مثل ماقال ابن إسحق أن الزنيم الملصق بالقوم ، وليس منهم ، قال ذلك بن الأزرق الحَرُورى ، وقال : أما سمعت قول

═ابن مردويه. وعند ابن أبى حاتم أنها نزلت لما قال المشركون: فالملائكة وعزيز وعيسى يعبدون ، وروى الإمام أحمد بسنده عن ابن عباس فى سبب نزول: « ولما ضرب ابن مريم مثلا » أنه قال أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا معشر قريش إنه ليس أحد يعبد من دون الله فيه خير ، وقد علمت قريش أن النصارى تعبد عيسى بن مريم: عليهما الصلاة والسلام . وما تقول فى محمد – صلى الله عليه وسلم – فقالوا: يا محمد. ألست تزعم أن عيسى عليه الصلاة والسلام كان نبيا وعبدا من عباد الله صالحا ، فان كنت صادقا كان آلهتهم كما يقولون قال: فأنزل الله عزوجل: « ولما ضرب ابن مريم مثلا » . الآية . ورواه ابن أبى حاتم مع اختلاف يسير .

(٦) رواه البخارى فى باب التفسير : « له زنمة مثل الشاة » وأخرجه الحاكم بطريق أخرى نحوه

(٧) نسبة إلى حروراء موضع على ميلين من الكوفة . وكان أول اجتماع الخوارج به ، فنسبوا إليه، منهم : عمران بن حطان وخلق كثير . وهذا النسب شاذ فان الاسم الذى آخره همزة بعد ألف للتأنيث ، تقلب الهمزة فيه واوا، وشذ عن القاعدة عدة أسماء منها : صنعانى وبهرانى وروحانى، وجلولى وحرورى نسبة إلى صنعاء ، وبهراء قبيلة من قضاعة ، وروحاء موضع قرب المدنية وجلولاء وحروراء وهما موضعان بالعراق ، وسيأتى

. . . .

حَسَّان : زنيم تداعاه الرجال[1] البيت ، وقد أنشد ابنُ هشام هذا البيت مستشهداً به ونسبه لِلْخَطِيم التَّمِيمِىّ ، والأعرف أنه لحسان ، كما قال ابن عباس[2] ، وأما الْعُتلُّ فهو الغليظ الجافى من قوله تعالى : ﴿ خُذُوه فاعْتِلُوه [إلى سَوَاءِ الْجَحِيم] ﴾ الدخان : ٤٧ . وقال عليه السلام : « أنا أنبئكم بأهل النار : كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظ مستكبر جَمَّاع منَّاع » [3].

---

(١) قال أبو عبيدة : الزنيم المعلق فى القوم ليس منهم ، قال الشاعر : زنيم ليس يعرف من أبوه . وقال حسان : وأنت زنيم ليط فى آل هاشم . قال : ويقال للتيس : زنيم له زنمتان ص ٥٣٨ حـ ٨ فتح البارى . ومعنى حديث البخارى أن الرجل كان مشهورا بالسوء كشهرة الشاة ذات الزنمة من بين أخواتها . وبقية بيت حسان : « كما نيط خلف الراكب القدح الفرد » وبقية بيت : « زنيم ليس يعرف » بغى الأم ذو حسب لئيم .

(٢) روى ابن أبى حاتم بسنده عن ابن عباس فى قوله زنيم : قال : الدعى الفاحش اللئيم ، ثم قال ابن عباس : « زنيم تداعاه الرجـــال » البيت . ويقول ابن كثير « ولا جامعا » « والأقوال فى هذا — أى فى معنى زنيم — كثيرة وترجع إلى ما قلناه ، وهو أن الزنيم هو المشهور بالشر الذى يعرف به من بين الناس ، وغالبا يكون دعيا ولد زنا ، فإنه فى الغالب يتسلط الشيطان عليه ، ما لا يتسلط على غيره » والزنمة : شىء يكون للمعز فى آذانها كالقرط ، وهى أيضاً شىء يقطع من أذن البعير ويترك معلقاً .

(٣) فى رواية أحمد عن وكيع : « ألا أنبئكم بأهل النار ؟ كل عتل جواظ مستكبر » وقال وكيع : « كل جواظ جعظرى مستكبر » أخرجاه فى الصحيحين وبقية الجماعة إلا أبا داود من حديث سفيان الثورى وشعبة ، كلاهما عن سعيد ابن خالد به ، ورواه أحمد بسند تفرد به عن عمرو بن العاص أن النبى « ص » قال عند ذكر أهل النار : « كل جعظرى جواظ مستكبر جماع مناع » ورواه بسند

رفع
المسلم
غفر الله له ولوالديه

. . . .

قل يأيها الكافرون:

فصل : وذكر قولهم الذى أنزل الله فيه : ﴿ قل : يأيُّها الـكافرون ﴾ إلى آخرها فقال : ﴿ لا أعبد ماتعبدون ﴾ أى: فى الحال : ﴿ ولا أنا عابد ماعبدتم ﴾ أى: فى المستقبل ، وكذلك : ﴿ ولا أنتم عابدون ما أعبد ﴾ فإن قيل : كيف يقول لهم : ولا أنتم عابدون ما أعبد ، وهم قد قالوا : هَلُمَّ فلنعبد ربك ، وتعبد ربنا ، كيف نفى عنهم ما أرادوا وعزموا عليه ؟ فالجواب من وجهين :

آخر عن عبد الرحمن بن غنم : أن الرسول « ص » قال عن العتل الزنيم : « الشديد الخلق المصحح الأكول الشروب الواجد للطعام والشراب، الظلوم للناس رحيب الجوف » . الجعظرى بفتح الجيم وسكون العين وفتح الظاء وكسر الراء وتشديد الياء : الفظ الغليظ والجواظ بفتح الجيم وتشديد الواو : الضخم المختال والكثير الكلام والجلبة فى الشر .

ويقول ابن كثير عما ذكر من سبب نزول : « ويوم يعض الظالم على يديه » : « وسواء أكان سبب نزولها فى عقبة أو غيره فإنها عامة فى كل ظالم ، فكل ظالم يندم يوم القيامة غاية الندم ، ويعض على يديه » وهو قول جميل ، وقيل : إن العظيمين فيما جاء فى السيرة من سبب نزول : « لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » إنهما الوليد بن المغيرة، وكنانة بن عبد عمرو بن عمير الثقفى . وعن ابن عباس أنهم يعنون جبارا من جبابرة قريش . والقريتان هما : مكة والطائف . وجميل قول ابن كثير : « والظاهر أن مرادهم رجل كبير من أى البلدتين كان » وجميل منه أيضاً أن يقول عن سبب نزول : « وضرب لنا مثلا ونسى خلقه » « هى عامة فى كل من أنكر البعث واللام والألف فى الإنسان للجنس يعم كل منكر للبعث » فقد اختلف فى شأن سبب نزولها فابن أبى حاتم ينسب القصة إلى العاصى بن وائل،وذكر ابن جرير من بين ما ذكر أنه عبد الله ابن أبى، غيرأن هذا منكر؛ لأن ابن أبى مدنى والآية مكية

رفع المسلم

. . . .

أحدهما : أنه علم أنهم لا يفعلون، فأخبر بما علم . الثانى : أنهم لو عبدوه على الوجه الذى قالوه ما كانت عبادة ، ولا يسمى عابداً لله من عبده سنةً، وعبد غيره أخرى ، فإن قيل : كيف قال: ﴿ ولا أنتم عابدون ماأعبد﴾ ولم يقل : من أعبد، وقد قال أهل العربية: إن ما تقع على مالا يعقل ، فكيف عبَّر بها عن البارى تعالى؟ فالجواب : أنا قد ذكرنا فيما قبل أن ماقد تقع على من يعقل بقرينة ، فهذا أوان ذكرها ، وتلك القرينة : الإبهام والمبالغة فى التعظيم والتفخيم ، وهى فى معنى الإبهام (١) لأن مَنْ جلَّت عظمته ، حتى خرجت عن الحصر ، وعجزت الأفهام عن كُنه ذاته ، وجب أن يقال فيه : هو ماهو كقول العرب: سُبْحَان ماسبَّح الرعدُ بحمده ، ومنه قوله : ﴿ والسماء ومابناها ﴾ (٢) فليس كونه عالما مما يوجب له من التعظيم مايوجب له أنه بنى السموات، ودحا الأرض ، فكان المعنى: إنه

(١) ما : اسم مبهم غاية الإبهام حتى إنها تقع على كل شىء ، وتقع على ما ليس بشىء . فيجوز أن تقول: إن الله يعلم ما كان ، وما لم يكن

(٢) ويقول ابن القيم عن هذا: ولأن القسم تعظيم للمقسم به ، واستحقاقه للتعظيم من حيث ما أظهر هذا الخلق العظيم الذى هو السماء. ومن حيث سواها وزينها بحكمته، فاستحق التعظيم . وثبتت قدرته ، فلو قال : ومن بناها لم يكن فى اللفظ دليل على استحقاقه القسم من حيث اقتدر على بنائها ، ولكان المعنى مقصورا على ذاته ونفسه ، دون الإيماء إلى أفعاله الدالة على عظمته المنبئة عن حكمته ، المفصحة باستحقاقه للتعظيم من خليقته ، وكذلك قولهم: سبحان ما يسبح الرعد بحمده، لأن الرعد صوت عظيم من جرم عظيم ، والمسبح به لامحالة أعظم ، فاستحقاقه للتسبيح من حيث يستحقه العظيمات من خلقه ،لا من حيث كان يعلم ، ولا تقل يعقل فى هذا الموضع .

رفع المستهم

. . . .

شيئاً بناها لَعظيم ، أو ماأعظمه من شيء ! فلفظ مافى هذا الموضع يؤذن بالتعجب من عظمته كائناما كان هذا الفاعل لهذا ، فما أعظمه، وكذلك قوله تعالى فى قصة آدم : ﴿ مامَنَعَكَ أنْ تَسْجُد لما خَلَقْتُ بِيَدىَّ ﴾[1] ولمْ يقل : لمن خلقت ، وهو يَعْقِل ، لأن السجودَ لم يجب له من حيث كان يعقل ، ولا من حيث كان لا يعقل ، ولـكن من حيث أُمروا بالسجود له ، فـكائناً ما كان ذلك المخلوق ، فقد وجب عليهم ما أمروا به ، فمن هاهنا حَسُنت مافى هذا الموضع ، لامن جهة التعظيم له ، ولـكن من جهة مايقتضيه الأمر من السجود له، فـكائنا من كان ، وأما قوله تعالى : ﴿ لا أَعْبُدُ ماتَعْبُدُون ﴾ فواقِعةٌ على مالا يعقل ؛ لأنهم كانوا

---

(١) ويقول ابن القيم عن استعمال ما فى الآيه : «هذا كلام و. د فى معرض التوبيخ والتبكيت للعين على امتناعه عن السجود ، ولم يستحق هذا التبكيت والتوبيخ حيث كان السجود لمن يعقل، ولـكن للمعصية والتكبر على مالم يخلقه ؛ إذ لا ينبغى التكبر لمخلوق على مثله ، إنما التكبر للخالق وحده ، فكأنه يقول سبحانه : لم عصيتنى وتكبرت على ما لم تخلقه ، وخلقته أنا .وشرفته ، وأمرتك بالسجود له ؟ فهذا موضع ما، لان معناها أبلغ ولفظها أعم ، وهو فى الحجة أوقع، وللعذر والشبهة أقطع ، فلو قال : ما منعك أن تسجد لمن خلقت ، لكان استفه .ا بجردا من توبيخ وتبكيت ، ولتوهم أنه وجب السجود لله من حيث كان يعقل .والعلة موجودة فى ذاته وعينه ، وليس المراد كذلك ، وإنما المراد توبيخه وتبكيته على ترك سجوده لما خلق الله وأمره بالسجود له ؛ ولهذا عدل عن اسم آدم العلم مع كونه أخص ، وأتى بالاسم الموصول الدال على جهة التشريف المقتضية لإسجاده له وهو كونه خلقه بيديه ، وأنت لو وضعت مكان ما لفظة من لما رأيت هذا المعنى المذكور فى الصلة ، وأن ما جىء بها وصلة إلى ذكر الصلة . فلا معنى إذن للتعيين بالذكر ؛ إذ لو أريد التعيين لكان بالاسم العلم أولى وأحرى .

. . . .

يعبدون الأصنام، وقوله: ﴿ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾ اقتضاها الإبهام، وتعظيم المعبود مع أن الحس منهم مانع لهم أن يعبدوا معبوده كائنا ما كان، فحسنت ما في هذا الموضع لهذه الوجوه، فبهذه القرائن يحسن وقوع ما على أولى العلم[1] وبقيت نكتة بديعة يتعين التنبيه عليها، وهو قوله تعالى: ﴿ولا أنا عابدٌ ما عبدتم﴾ بلفظ الماضي، ثم قال: ﴿ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾ بلفظ المضارع في الآيتين جميعاً، إذا أخبر عن نفسه قال: ما أعبد، ولم يقل: ما عبدت، والنكتة في ذلك أن ما لما فيها من الإبهام — وإن كانت خبرية — تعطي معنى الشرط، فكأنه

---

(١) يعبر ابن القيم عن «ما» في قوله: «لا أعبد ما تعبدون» ما على بابها، لأنها واقعة على معبوده «ص» على الإطلاق؛ لأن امتناعهم من عبادة الله ليس لذاته، بل كانوا يظنون أنهم يعبدون الله، ولكنهم كانوا جاهلين به، فقوله: «ولا أنتم عابدون ما أعبد» أي: لا أنتم تعبدون معبودي، ومعبوده هو «ص» كان عارفا به دونهم، وهم جاهلون به . . . وقال بعضهم: إن ما هنا مصدرية لا موصولة. أي: لا تعبدون عبادتي، ويلزم من تنزيههم «لعلها تبرئته بدليل ما سيأتي» عن عبادته. تنزيههم «لعلها كالسابقة» عن المعبود. لأن العبادة متعلقة به، وليس هذا بشيء؛ إذ المقصود براءته من معبوديهم وإعلامه أنهم بريئون من معبوده تعالى، فالمقصود: المعبود لا العبادة، ثم قال «وعندي وجه: وهو أن المقصود هنا ذكر المعبود الموصوف بكونه أهلا للعبادة مستحقا لها، فأتى بما الدالة على هذا المعنى، كأنه قيل: ولا أنتم عابدون معبودي الموصوف بأنه المعبود الحق، ولو أتى بلفظة من لكانت إنما تدل على الذات فقط، ويكون ذكر الصلة تعريفا، لا أنه هو جهة العبادة، ففرق بين أن يكون كونه تعالى أهلا لأن يعبد تعريف محض، أو وصف مقتض لعبادته. . وهذا معنى قول محققي النحاة أن ما تأتي لصفات من يعلم ص ١٣٣ ح ١ بدائع الفوائد لابن القيم وما بعدها. وقد ذكر وجوها أخرى عظيمة أيضاً

رفع المسهم

. . . .

قال : مهما عبدتم شيئا ، فإنى لا أعبده ، والشرط يحول المستقبل إلى لفظ الماضى ، تقول : إذا قام زيد غداً فعلت كذا ، وإن خرج زيد غداً خرجت ، فما : فيها رائحة الشرط من أجل إبهامها ؛ فلذلك جاء الفعل بعدها بلفظ الماضى ، ولا يدخل الشرط على فعل الحال ، ولذلك قال فى أول السورة : ماتعبدون ؛ لأنه حال لأن رائحة الشرط معدومة فيها مع الحال ، وكذلك رائحة الشرط معدومة فى قوله : عابدون ماأعبد ؛ لأنه ـ عليه السلام ـ يستحيل أن يتحول عن عبادة ربه ؛ لأنه معصوم ، فلم يستقم تقديره بمهما ، كما استقام ذلك فى حقهم ؛ لأنهم فى قبضة الشيطان يقودهم بأهوائهم ؛ فجائز أن يعبدوا اليوم شيئاً ، ويعبدوا غداً غيره ، ولكن مهما عبدوا شيئاً ، فالرسول عليه السلام لايعبده ؛ فلذلك قال : ولا أنتم عابدون ما أعبد فى الحال وفى المآل ، لما علم من عصمة الله له ، ولما علم الله من ثباته على توحيده ، فلا مدخل لمعنى الشرط فى حقه عليه السلام ، وإذا لم يدخل الشرط فى الكلام بقى الفعل المستقبل على لفظه ، كما تراه ، ونظير هذه المسألة قوله تعالى : ﴿ كيف نُكَلِّمُ مَنْ كان فى المهد صبيا ﴾ اضطربوا فى إعرابها وتقديرها لما كانت من بمعنى الذى ، وجاء بكان على لفظ الماضى ، وفهمها الزجاج ، فأشار إلى أن مَنْ فيها طرفٌ من معنى الشرط ؛ ولذلك جاءت كان بلفظ المضى بعده ، فصار معنى الكلام : من يكن صبياً ، فكيف يكلم ؟! لما أشارت إلى الصبى : أنْ كلِّموه ، ولو قالوا : كيف نكلّم من هو فى المهد الآن لكان الإنكار والتعجب مخصوصا به ، فلما قالوا : كيف نكلم من كان ، صار الكلام أبلغ فى الاحتجاج للعموم الداخل فيه . إلى هذا الغرض أشار أبو إسحاق ، وهو الذى أرادَ ، وإن لم يكن هذا لفظه ، فليس المقصود العبارات ،

. . . .

وإنما المقصود تصحيح المعانى المتلقاة من الألفاظ والإشارات[1] .

الزقوم :

فصل : وذكر حديث أبى جهل حين ذكر شجرة الزَّقُّوم[2] يقال : إن هذه الكلمة لم تكن من لغة قريش، وأن رجلا أخبره أن أهل يثرب : يقولون تزَقَّمت : إذا أكلت التمر بالزبد ، فجعل بجهله اسم الزقوم من ذلك استهزاء ، وقيل : إن لهذا الاسم أصلا فى لغة اليمن ، وأن الزقوم عندهم كل مايتقيأ منه . وذكر أبو حنيفة فى النبات : أن شجرة باليمن يقال لها : الزقوم ، لاورق لها وفروعها أشبه شيء برءوس الحيات ، فهى كريهة المنظر ، وفى تفسير ابن سلام

(١) أخذ ابن القيم ما قاله السهيلى وفصله بأسلوب أوضح فى بدائع الفوائد . ثم قال : « فإن قيل : وكيف يكون فيها الشرط ، وقد عمل فيها الفعل ، ولا جواب لها ، وهى موصولة ، فما أبعد الشرط منها ، قلنا : لم نقل : إنها شرط نفسها ، وسكن فيها رائحة منه ، وطرف من معناه لوقوعها على غير معين ، وإبهامها فى المعبودات وعمومها ، وأنت إذا ذقت معنى هذا الكلام وجدت معنى الشرط باديا على صفحاته ، فإذا قلت لرجل ما تخالفه فى كل ما يفعل : أنا لا أفعل ما تفعل . ألست ترى معنى الشرط قائما فى كلامك وقصدك ، وأن روح هذا الكلام : مهما فعلت من شيء فإنى لا أفعله » . ثم قال : « وإذا ثبت هذا فقد صحت الحكمة التى من أجلها جاء الفعل بلفظ الماضى من قوله : ولا أنا عابد ما عبدتم ، بخلاف قوله : (ولا أنتم عابدون ما أعبد) لبعد ما فيها عن معنى الشرط تنبيها من الله على عصمة نبيه أن يكون له معبود سواه . وأن ينتقل فى المعبودات تنقل الكافرين » ص ١٣٦ ج ١ بدائع الفوائد . وقد استوفى القول فى بدائع السورة العظيمة بأسلوب بديع رحمه الله

(٢) يقول ابن كثير « لا شك فى دخوله — أى دخول أبى جهل — فى هذه الآية ، ولكن ليست خاصة به »

. . . .

والماوَرْدِيّ أن شجرة الزقوم فى الباب السادس من جهنم أعاذنا الله منها ، وأن أهل النار ينحدرون إليها . قال ابن سلام : وهى تحيا باللهب كما تحيا شجرة الدنيا بالمطر .

وقوله : الملعونة فى القرآن ، أى : الملعون آكلها[1] ، وقيل : بل هو وصف لها كما يقال : يوم ملعون أى مشئُوم .

حديث ابن أم مكتوم :

فصل : وذكر حديثَ ابن أمِّ مكتوم ، وذكر اسمه ونسبه وأم مكتوم : اسمها : عاتكةُ بنتُ عبد الله بن عَنْكَثَةَ بن عامر بن مَخْزوم[2] .

وذكر الرجل الذى كان شغل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنه الوليد ابن المغيرة ، وقد قيل : كان أمية بن خلف ، وفى حديث الموطأ : عظيم من

---

(١) ذكر البخارى وأحمد أنها شجرة الزقوم ، وقد زعم أعداء بنى أمية أن المقصود بالشجرة هم بنو أمية ، وأتوا بحديث قال عنه ابن كثير : وهو غريب ضعيف . وقد ذكر عنها فى القرآن ما هو قرين اللعنة : « إنها شجرة تخرج فى أصل الجحيم ، طلعها كأنه رءوس الشياطين » الصافات ٦٤ ، ٦٥ (إن شجرة الزقوم طعام الأثيم كالمهل يغلى فى البطون كغلى الحميم) الدخان : ٤٣ — ٤٦ . حسبنا أنها وصفت بأنها ملعونة لنؤمن بأنها ملعونة ، هى ومن ستكون هى طعامه .

(٢) فى نسب قريش عن أم مكتوم « تزوجها قيس بن زائدة بن الأصم ابن هدم بن رواحة بن حجر بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤى فولدت له عمرا ، وهو الأعمى الذى ذكر الله تبارك وتعالى ، فقال : « عبس وتولى أن جاءه الأعمى » . وفى الإصابة وجمهرة ابن حزم أنه كان ابن خال خديجة . انظر ص ٣٤٣ نسب قريش . وفى الجمهرة فى نسب أمه : عنكثه بن عائذ بن مخزوم وفى النسب : « عنكثة بن عامر » انظر ص ١٦٢ جمهرة ابن حزم

رفع
المسهم
عز الله له وللإسلام

. . . .

عظماء المشركين[١] ، ولم يسمه ، وفى قوله سبحانه: ﴿ أنْ جاءه الأعمى ﴾ من الفقه أن لا غِيبَةَ فى ذكر الإنسان بما ظهر فى خلقته من عَمًى أو عَرَج، إلَّا أن يقصد به الازدراء،فيلحق المأثم به؛لأنه من أفعال الجاهلين ، قال الله تعالى : ﴿أتتخذُنا هُزُوًا قال : أعوذ بالله أن أكُونَ من الجاهلين ﴾ البقرة : ٦٧ . وفى ذكره إياه بالعمى من الحكمة والإشارة اللطيفة التنبيه على موضع العتب ؛ لأنه قال : ﴿ أنْ جاءه الْأَعْمَى ﴾ فذكَر المجىء مع العمى ، وذلك ينبىء عن تَجَشُّم كُلْفَةٍ ومن تَجَشُّم القصد إليك على ضعفه ، فحقك الإقبال عليه ، لا الإعراض عنه ، فإذا كان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ مَعْتُوبا على توليه عن الأعمى ، فغيره أحق بالْعَتْبِ، مع أنه لم يكن آمن بعدُ،ألا تراه يقول : ﴿ ومايُدْرِيك لعلَّه يزَّكَّى ﴾ الآية ولو كان قد صحَّ إيمانه ، وعلم ذلك منه لم يعرض عنه رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولو أعرض لكان الْعَتْبُ أشد،والله أعلم ، وكذلك لم يكن ليخبر عنه ، ويسميه بالاسم المشتق من العمى ، دون الاسم المشتق من الإيمان والإسلام ، لو كان دخل فى الإيمان قبل ذلك والله أعلم ، وإنما دخل فيه بعد نزول الآية ، ويدل على ذلك قوله للنبى ـ صلى الله عليه وسلم : اسْتَدْنِنِي يا محمد ولم يقل: اسْتَدْنِنِي[٢] يارسول الله،مع أن ظاهر الكلام يدل على أن الهاء فى لعله يزكى عائدة على الأعمى،لا على الكافر ؛ لأنه لم يتقدم له ذكر بعد ، ولعل

---

(١) وعند أبى يعلى أن الرجل هو أبى بن خلف ، وعنده فى رواية أخرى هو وابن جرير : رجل من عظماء المشركين ، وكذا رواه الترمذى ومالك ، وذكر ابن جرير وابن أبى حاتم أنهم: عتبة بن ربيعة وأبو جهل والعباس بن عبد المطلب.

(٢) فى ابن جرير والترمذى ومالك: أرشدنى كما ذكر ابن كثير ،ولم يذكر =

العائدون من أرض الحبشة

قال ابن إسحاق : وبلغ أصحابَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذين خرجوا إلى أرض الحبشة ، إسلامُ أهل مكة ، فأقبلوا لما بلغهم من ذلك ، حتى إذا دَنَوْا من مكة ، بلغهم أنّ ما كانوا تحدثوا به من إسلام أهل مكة كان باطلا ، فلم يدخل منهم أحدٌ إلا بجوارٍ أو مستخفيا

فكان ممَّن قدِم عليه مكةَ منهم ، فأقام بها حتى هاجر إلى المدينة ، فشهد معه بدراً ، ومَنْ حُبس عنه ، حتى فاته بدرٌ وغيرُه ، ومن مات بمكة . منهم من بنى عبد شمس بن عبد مناف بن قصىّ : عثمانُ بن عفّان بن أبى العاص بن أميَّة بن عبد شمْس ، معه امرأته : رُقَيَّة بنت رسول الله – صلى الله عليه وسلم . وأبو حُذَيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، امرأته سَهْلة بنت سُهَيل .

ومن حلفائهم : عبدُ الله بن جَحْش بن رِئاب .

ومن بنى نَوْفل بن عبد مناف : عُتْبة بن غَزْوان ، حليفٌ لهم ، من قَيس عيلان .

تعطى الترَجِّىَ والانتظار ، ولو كان إيمانه قد تقدم قبل هذا لخرج عن حد الترجى والانتظار للتزَكِّى ، والله أعلم .

= بعدها شيئاً . وفى رواية لابن جرير وابن أبى حاتم ، أن عبد الله جاء يستقرىء الرسول « ص » آية من القرآن ، ويقول : رسول الله علمنى مما علمك الله . وقول السهيلى : أظهر ، فالقرآن يفيد أنه جاء فى خشية يريد أن يزكى

ومن بنى أَسَد بن عبد العُزَّى بن قُصَىّ : الزُّبير بن العوّام بن خُويلد ابن أسد .

ومن بنى عبد الدار بن قُصَىّ : مُصْعَب بن عُمَيْر بن هاشم بن عبد مناف وسُوَيبط بن سعد بن حَرْملة .

ومن بنى عَبْدبن قُصَىّ : طُلَيب بن عُمَير بن وَهْب بن أبى كبير بن عَبْد .

ومن بنى زُهْرة بن كِلاب : عبدُ الرحمن بن عَوْف بن عبد عَوْف بن عبدبن الحارث بن زُهْرة ، والمِقْدادُ بن عمرو ، حليف لهم ، وعبدُ الله بن مسعود ، حليف لهم .

ومن بنى مخزوم بن يَقَظة : أبو سلَمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله ابن عَمرو بن مخزوم ، معه امرأته : أمّ سَلَمة بنت أبى أميَّة بن المُغيرة ، وشمَّاس ابن عثمان بن الشَّريد بن سُوَيد بن هَرْمِىّ بن عامر بن مخزوم . وسَلَمة ابن هشام بن المُغيرة ، حبسه عمه بمكة ، فلم يقدم إلا بعد بدر وأُحد والخندق ، وعياش ، ابن أبى ربيعَة بن المغيرة هاجر معه إلى المدينة ، ولحق به أخواه لأمه : أبو جهل ابن هشام ، والحارث بن هشام ، فرجعا به إلى مكة ، فحبساه بها حتى مضى بدرٌ وأُحُد والخندق .

ومن حلفائهم : عمَّار بن ياسر ، يُشكّ فيه ، أكان خرج إلى الحبشة أم لا ؟ ومُعتِّب بن عَوْف بن عامر من خزاعة .

ومن بنى جُمح بن عمرو بن هُصَيص بن كعب : عثمانُ بنُ مَظْعون بن حَبيب بن وَهب بن حُذافة بن جُمَح ، وابنه : السائب بن عثمان ، وقُدامة بن مظعون ، وعبد الله بن مظعون .

. . . .

رفع المسهم

ومن بنى سَهْم بن عمرو بن هُصَيص بن كَعْب : خُنَيس بن حُذافة بن قَيس بن عدىّ، وهشام بن العاص بن وائل، حُبس بمكة بعد هجرة رسولِ الله صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة، حتى قدم بعدَ بَدْرٍ وأُحُد والخندق .

ومن بنى عَدىّ بن كَعْب : عامر بن رَبيعة، حليف لهم، معه امرأتُه: ليلى بنت أبى حَثْمة بن حُذافة بن غانم .

ومن بنى عامر بن لؤىّ : عبدُ الله بن مَخْرمة بن عبد العُزَّى بن أبى قَيْس، وعبدالله بن سُهَيل بن عمرو، وكان حبس عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم حين هاجر إلى المدينة، حتى كان يوم بَدْر، فانحاز من المشركين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فشهد معه بدراً، وأبو سَبْرة بن أبى رُهْم بن عبد العُزّى، معه امرأته : أم كلثوم بنت سُهَيل بن عمرو، والسكران بن عمرو بن عبد شَمْس، معه امرأته : سَوْدة بنت زَمْعة بن قيس، مات بمكة قبل هجرة رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة، فخلف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على امرأته سَوْدة بنت زَمعة :

ومن حلفائهم سعد بن خَوْلة .

ومن بنى الحارث بن فِهر : أبو عُبَيدة بن الجرّاح، وهو عامر بن عبد الله ابن الجرّاح، وعمرو بن الحارث بن زُهَير بن أبى شدّاد، وسُهيل بن بَيْضاء، وهو سهيل بن وهب بن ربيعة بن هِلال، وعمرو بن أبى سَرْح بن ربيعة ابن هلال « كنيته : أبو سعد كما فى الإصابة » .

فجميع من قَدِم عليه مكةَ من أصحابه من أرض الحبشة ثلاثةٌ وثلاثون

رجلاً، فكان مَنْ دخل منهم بجوارٍ ، فيمن سُمّى لنا : عثمانُ بن مَظْعون بن حبيب الجُمحى ، دخل بجوارٍ من الوليد بن المُغيرة ، وأبو سَلَمَةَ بن عبد الأسد ابن هلال بن عبد الله بن عُمر بن مَخْزوم ، دخل بجوارٍ من أبى طالب بن عبد المطَّلب ، وكان خالَه . وأمُّ أبى سلمة : بَرّة بنت عبد المُطَّلب .

قصة ابن مظعون مع الوليد

قال ابن إسحاق : فأما عثمان بن مَظْعون، فإن صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن ابن عوف حدثنى عمَّن حدّثه عن عثمان ، قال : لما رأى عثمان بن مَظْعون ما فيه أصحابُ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من البلاء ، وهو يغدو ويروح فى أمان من الوليد بن المُغيرة ، قال : والله إن غُدوى ورَواحى آمنا بجوار رجلٍ من أهل الشرك - وأصحابى ، وأهل دينى يَلْقَون من البلاء والأذى فى الله ما لا يُصيبنى - لنقصٌ كبير فى نفسى ، فمشى إلى الوليد بن المُغيرة ، فقال له : يا أبا عبد شَمْس ، وفتْ ذِمَّتُك ، قد رددتَ إليك جوارك ، فقال له : لم يابن أخى ؟ لعله آذاك أحدٌ من قومى ، قال : لا ، ولكنى أرْضَى بجوار الله ، ولا أُريد أن أستجيرَ بغيره ؟ قال : فانطلِقْ إلى المسجد ، فاردُدْ علىّ جوارى عَلانيةً ، كما أجرتُك علانيةً . قال : فانطلقا فخرجا حتى أتيا المسجدَ ، فقال الوليد : هذا عثمان قد جاء يردّ علىّ جوارى ، قال: صَدَق ، قد وجدتُه وَفيًّا كريمَ الجوار ، ولكنى قد أحببتُ أن لا أستجير بغير الله ، فقد رددتُ عليه جوارَه ،

ثم انصرف عثمان ، ولَبيد بن ربيعة بن مالك بن جَعْفر بن كِلاب فى مجلس من قُريش يُنشدهم ، فجلس معهم عثمان ، فقال لَبيد :

ألا كلّ شىء ما خلا الله باطل

قال عثمان : صدقتَ ، قال :

وكلّ نعيم لامحالة زائل

قال عثمان : كذبت ، نعيمُ الجنة لايزول . قال لَبيد بن رَبيعة : يامَعْشر قريش ، والله ما كان يُؤذَى جليسُكم ، فمتى حَدَث هذا فيكم ؟ فقال رجل من القوم : إن هذا سَفيه فى سُفهاء معه ، قد فارقوا دينَنا ، فلا تجدنّ فى نفسك مِنْ قوله ، فردّ عليه عثمان حتى شَرِى أمرُهما ، فقام إليه ذلك الرجلُ ،فلَطَم عينَه ، فخَضَّرها ، والوليدُ بن المُغيرة قريبٌ يرى مابلغ من عثمان ، فقال : أما والله يابن أخى إن كانت عينُك عمّا أصابها لغنيَّة ، لقد كنتَ فى ذمة مَنيعة. قال : يقول عثمان : بل والله إن عينى الصحيحة لفقيرةٌ إلى مثل ما أصاب أختَها فى الله ، وإنى لفى جوار مَنْ هو أعزّ منك وأقدر يا أبا عبدشمْس ، فقال له الوليد : هَلُمّ يابن أخى ، إن شئت فعُدْ إلى جوارك ، فقال : لا .

أبو سلمة فى جوار أبى طالب

قال ابن إسحاق : وأما أبو سَلمة بن عَبْد الأسد ، فحدثنى أبى إسحاق ابنُ يسار عن سَلَمة بن عبد الله بن عُمر بن أبى سَلَمة أنه حدّثه : أن أبا سلمة

رفع
المسهم
غفر الله له

لمـا استجار بأبى طالب ، مشى إليه رجالٌ من بنى مَخزوم ، فقالوا : يا أباطالب ، لقد منعت منا ابنَ أخيك محمداً ، فمالكَ ولصاحبنا تمنعُه منا؟ قال : إنه استجار بى ، وهو ابنُ أختى ، وإنْ أنا لم أمنع ابنَ أختى لم أمنع ابن أخى ، فقام أبو لهب ، فقال : يامعشر قُريش ، والله لقد أكثرتم على هذا الشيخ ، ماتزالون تتواثبون عليه فى جواره من بين قومه ، والله لتنتهُنّ عنه ، أو لنقومنّ معه فى كلّ ماقام فيه ، حتى يبلغَ ما أراد . قال : فقالوا : بل ننصرف عما تكره يا أبا عُتْبة ، وكان لهم وليًّا وناصراً على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأبقَوا على ذلك ، فطمع فيه أبو طالب حين سمعه يقول مايقول ، ورجا أن يقوم معه فى شأن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال أبو طالب يحرض أبا لهب على نصرته ونصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم :

وإنّ امرءًا أبو عُتَيبة عمُّه ... لفى رَوْضَة ما إن يُسامُ المَظالمـا
أقول له ـ وأين منه نَصِيحتى ... أبا مُعْتِب ثَبِّتْ سوادَك قائما
فلا تَقبلنّ الدهرَ ماعشتَ خُطةً ... تُسَبُّ بها ، إمَّا هَبطت المَواسما
ووَلّ سبيل العَجْز غيرَكَ منهمُ ... فإنك لم تُخْلَق على العَجْز لازما
وحاربْ ، فإن الحربَ نُصْفٌ وما ترى
أخا الحرب يُعطَى الخسف حتى يُسالمـا
وكيف ولم يَجْنُوا عليك عَظيمةً ... ولم يخذلوك غانما ، أو مُغارِما
جَزَى اللهُ عناً عبدَ شمس ونوْفلاً ... وتَيْما ومَخْزوما عُقوقا وَمأثما
بتَفْرِيقهم مِنْ بعدوُدٍّ وأُلْفَةٍ ... جماعَتنا ، كيما ينالُوا المَحارما
كذبتم وبيتِ الله نُبزَى محمداً ... ولمـا ترَوْا يوما لدى الشِّعب قائما

قال ابن هشام: نبزَى : نساب . قال ابن هشام : وبقى منها بيت تركناه.

أبو بكر يرد جوار ابن الدغنة

قال ابن إسحاق : وقد كان أبو بكر الصدّيق -رضى الله عنه- كما حدثنى: محمد بن مُسلم الزُّهْرِى ، عن عُرْوة ، عن عائشة رضى الله عنهما ، حين ضاقت عليه مكة ، وأصابه فيها الأذى ، ورأى مِنْ تَظاهر قُريش على رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه مارأى ، استأذن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى الهجرة ، فأذِن له ، فخرج أبو بكر مهاجراً ، حتى إذا سار من مكة يوما أو يومين ، لَقِيه ابنُ الدُّغُنَّة ، أخو بنى الحارث بن عَبْد مناة بن كِنانة ، وهو يومئذ سيد الأحابيش .

قال ابن إسحاق : والأحابيش : بنو الحارث بن عبد مناة بن كِنانة ، والهُوْن ابن خُزيمة بن مُدْرِكة ، وبنو المُصْطلق من خزاعة .

قال ابن هشام : تحالفوا جميعا ، فسموا الأحابيش للحِلْف .

ويقال : ابن الدُّغينة .

قال ابن إسحاق : حدثنى الزهرى ، عن عروة ، عن عائشة قالت : فقال ابن الدُّغُنة : أينَ يا أبا بكر ؟ قال : أخْرَجنى قومى وآذَوْنى ، وضيَّقوا على ، قال : ولِمَ ؟ فوالله إنك لَتَزِين العشيرةَ ، وتُعين على النوائب ، وتفعل المعروف وتَكْسِبُ المَعْدومَ ، ارجع ، وأنت فى جوارى ، فرجع معه ، حتى إذا دخل مكة ، قام ابنُ الدَّغِنة فقال : يامعشر قُريش ، إنى قد أجرتُ ابنَ أبى قُحافة ،

فلا يعرضنّ له أحدٌ إلا بخير . قالت : فكفوا عنه .

قالت : وكان لأبى بكر مَسْجِدٌ عند باب داره فى بنى جُمَح ، فكان يصلى فيه ، وكان رجلا رقيقا ، إذا قرأ القرآن استبكى . قالت : فيقف عليه الصبيان والعَبيد والنِّساء ، يعجبون لما يَرَوْن من هَيْئته . قالت : فمشى رجالٌ من قريش إلى ابن الدُّغُنَّة ، فقالوا له : يابن الدَّغِنَة ، إنك لم تُجِرْ هذا الرجل ، ليُؤذينا ! إنه رجل إذا صلى ، وقرأ ماجاء به محمدٌ يرق ويبكى ، وكانت له هيئة ونحو ، فنحن نتخوّف على صبياننا ونسائنا وضَعَفتنا أن يَفتِنهم ، فأْتِه فمُرْه أن يدخل بيته ، فَلْيَصنع فيه ماشاء . قالت : فمشى ابنُ الدَّغِنَّة إليه ، فقال له : يا أبا بكر ، إنى لم أُجرك لتؤذى قومَك ، إنهم قد كرهوا مكانك الذى أنت فيه ، وتأذّوا بذلك منك ، فادخل بيتَك ، فاصنع فيه ما أحببتَ ، قال : أَوَ أردّ عليك جوارك وأرضى بجوار الله ؟ قال : فاردد على جِوارى ، قال : قد رددته عليك . قالت فقام ابنُ الدُّغُنَّة ، فقال : يامعشر قريش ، إنّ ابنَ أبى قحافة قد ردّ علىّ جِوارى ، فشأنكم بصاحبكم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبدُ الرحمن بن القاسم ، عن أبيه القاسم ابن محمد قال : لَقِيه سفَيه من سُفهاء قريش ، وهو عامد إلى الكعبة ، فحثا على رأسه ترابا . قال : فمرّ بأبى بكر الوليد بن المُغيرة ، أو العاص بن وائل . قال : فقال أبو بكر : ألا ترى إلى مايصنع هذا السفيهُ ؟ قال : أنت فعلتَ ذلك بنفسك . قال : وهو يقول : أى ربّ ، ما أحلَمك ! أى ربّ ، ما أحلمك ! أى ربّ ، ما أحلمك !

رفع
المسهم

حديث نقض الصحيفة

قال ابن إسحاق : وبنو هاشم ، وبنو المطَّلب فى منزلهم الذى تعاقدت فيه قُريش عليهم فى الصحيفة التى كتبوها ، ثم إنه قام فى نقض تلك الصحيفة التى تكاتبت فيها قريشٌ على بنى هاشم وبنى المطَّلب نفرٌ من قريش ، ولم يُبْلِ فيها أحد أحسنَ من بلاء هشام بن عمرو بن رَبيعة بن الحارث بن حُبَيْب بن نَصْر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لُؤىّ ، وذلك أنه كان ابن أخى نَضْلة ابن هاشم بن عَبْد مناف لأُمه، فكان هشام لبنى هاشم واصلاً ، وكان ذا شرف فى قومه فكان - فيما بلغنى - يأتى بالبعير ، وبنو هاشم وبنو المطَّلب فى الشِّعب ليلا ، قد أوْقره طَعاما ، حتى إذا أقبل به فَمَ الشِّعب ، خلع خِطَامه من رأسه ، ثم ضرب على جَنْبه ، فيدخل الشِّعب عليهم ، ثم يأتى به قد أوقره بَزًّا ، فيفعل به مثلَ ذلك .

قال ابن إسحاق : ثم إنه مشى إلى زُهير بن أبى أُميَّة بن المُغيرة بن عبد الله بن عُمَر بن مخزوم - وكانت أمه : عاتكةَ بنت عبد المطَّلب - فقال : يازهير ، أقد رَضيتَ أن تأكل الطعامَ ، وتلبس الثيابَ ، وتنكح النِّساء ، وأخوالُك حيثُ قد علمتَ ، لا يُباعون ، ولا يُبتاع منهم ، ولا يَنكحون ، ولا يُنكَح إليهم ؟ أما إنى أحلِف بالله أن لو كانوا أخوال أبى الحكم بن هشام ، ثم دعوتَه إلى ما دعاك إليه منهم ، ما أجابك إليه أبداً ، قال : ويحك ياهشام ! فماذا أصنع ؟ إنما أنا رجل واحد ، والله لو كان معى رجلٌ آخر ،

لقُمْت فى نَقْضِها حتى أنقضَها ، قال : قد وجدت رجلاً قال : فمن هو ؟ قال : أنا ، قال له زهير : أبْغِنا رجلا ثالثا .

فذهب إلى المُطْعِم بن عدىّ ، فقال له : يامُطعِم أقد رضيتَ أن يَهْلِك بَطْنان من بنى عَبْد مناف ، وأنت شاهدٌ على ذلك ، موافق لقريش فيه ! أما والله لئن أمكنتموهم من هذه لتجدُنّهم إليها منكم سراعا ، قال : ويحك ! فماذا أصنَع ؟ إنما أنا رجلٌ واحد ، قال : قد وجدت ثانيا ، قال : مَنْ هو ؟ قال : أنا ، قال : أَبْغِنا ثالثا ، قال : قد فعلتُ ، قال : من هو ؟ قال : زهير بن أبى أُميَّة ، قال : أبغنا رابعا .

فذهب إلى أبى البَخْتَرِىّ بن هشام ، فقال له نحواً مماً قال لمطعِم بن عدىٍّ ، فقال : وهل من أحد يعين على هذا ؟ قال : نعم ، قال : من هو ؟ قال : زهير ابن أبى أُمية ، والمُطْعِم بن عدىّ ، وأنا معك ، قال : أبغنا خامسا .

فذهب إلى زَمْعَة بن الأسود بن المطَّلِب بن أسَد ، فكلَّمه ، وذكر له قرابتَهم وحقَّهم ، فقال له : وهل على هذا الأمر الذى تَدْعونى إليه من أحد ؟ قال : نعم ، ثم سمى له القوم .

فاتَّعدوا خَطْم الحَجُون ليلا بأعلىَ مكة ، فاجتمعوا هنالك ، فأجمعوا أمرهم وتعاقدوا على القِيام فى الصّحيفة ، حتى يَنْقُضوها ، وقال زهير : أنا أبدؤُكم فأكون أوّلَ مَنْ يتكلّم . فلما أصبحوا غَدَوْا إلى أنْديتهم ، وغدا زُهير بن أبى أمية عليه حُلَّة ، فطاف بالبيت سبْعا ، ثم أقبل على الناس ، فقال : ياأَهلَ

مكة ، أنأكلُ الطعام ، ونَلبس الثِّيابَ ، وبنو هاشم هَلْكى لا يُباع ولا يُبتاع منهم ، والله لا أقعد حتى تُشقَّ هذه الصحيفةُ القاطعة الظَّالمة .

قال أبو جهل — وكان فى ناحية المسجد : كذبتَ والله لا تُشقّ ، قال زَمْعة بن الأسود : أنت والله أكذبُ ، ما رَضينا كتابها حيثُ كُتِبت ، قال أبو البَخْترِى : صَدَق زمْعَةُ ، لا نرضى ما كُتب فيها ، ولا نُقرّ به ، قال المطعم بن عدىّ : صدقتُما ، وكذب مْنَ قال غيرَ ذلك ، نبرأ إلى الله منها ، ومما كُتب فيها ، قال هشام بن عمرو نحواً من ذلك . فقال أبو جهل : هذا أمر قُضِى بليل ، تُشُووِر فيه بغير هذا المكان ، وأبو طالب جالس فى ناحية المسجد ، فقام المُطعِم إلى الصحيفة ليشقَّها ، فوجد الأرَضَة قد أكلتها ، إلَّا : « باسمك اللَّهمّ » .

وكان كاتب الصحيفة مَنْصور بن عِكْرِمة . فشلَّت يدُهُ فيما يزعمون .

قال ابن هشام : وذكر بعضُ أهل العلم : أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال لأبى طالب : ياعمّ ، إن رَبِّىَ الله قد سلّط الأرَضَة على صحيفة قريش ، فلم تَدَع فيها اسما هو لله إلا أثبتته فيها ، ونفت منه الظُّلم والقطيعة والبُهتان فقال : أربُّك أخبرك بهذا ؟ قال : نعم ، قال : فو الله ما يدخل عليك أحدٌ ، ثم خرج إلى قريش ، فقال : يامعشر قريش ، إن ابن أخى أخبرنى بكذا وكذا ، فهَلُمَّ صحيفتكم ، فإن كان كما قال ابن أخى ، فانتهوا عن قَطيعتنا ، وانزلوا عمّا فيها ، وإن يكن كاذبا دفعت إليكم ابنَ أخى ، فقال القوم : رضينا ، فتعاقدُوا على ذلك ، ثم نظروا ، فإذا هى كما قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فزادهم

ذلك شرًّا . فعند ذلك صنع الرَّهْط من قُريش فى نَقْض الصحيفة ماصنعوا .

قال ابن إسحاق : فلما مزقت الصحيفة وبطل مافيها . قال أبو طالب ، فيما كان من أمر أولئك النّفَر الذين قاموا فى نَقْضها يمدحهم :

ألا هَلْ أتى بَحْرِيَّنا صُنْعُ رَبِّنا ... على نَأْيهم واللهُ بالنَّاسِ أرْوَدُ
فيُخبِرَهُم أنَّ الصَّحيفَةَ مُزِّقَتْ ... وأنْ كلُّ مالم يَرْضَهُ اللهُ مُفْسَد
تَرَاوحَها إفْكٌ ، وَسِحْرٌ مُجَمَّع ... ولم يُلْفَ سِحْرٌ آخِرَ الدهرِ يَصْعَد
تَداعى لها مَن ليس فيها بقَرْقَرٍ ... فَطائرُها فى رأسِها يَتَرَدَّد
وكانَتْ كِفاءً رَقْعَةٌ بأثيمةٍ ... ليُقْطَعَ منها ساعِدٌ ومُقَلَّد
ويَظْعن أهلُ المكَّتين ، فيَهرُبُوا ... فرائصُهم من خَشْيَة الشَّرِّ تُرْعَد
ويُترَكَ حَرَّاثٌ يقلِّبُ أمره ... أيُتْهِم فيهم عند ذاك ويُنْجِدُ
وتَصْعَد بين الأخْشَبين كَتيبةٌ ... لها حُدُج سَهْمٌ وقوس ومِرْهَد
فمن يَنْشَ من حُضّار مكة عِزُّه ... فعِزّتنا فى بطن مَكَّة أتْلَد
نَشَأْنا بها ، والنَّاسُ فيها قلائل ... فلم نَنفَكِكْ نَزْدادُ خيراً ونُحْمَد
ونُطعم حتى يترك النَّاسُ فضلَهم ... إذا جعلت أيدى المُفيضين تُرْعَد
جزى الله رهطا بالحَجُون تبايعوا ... على ملأ يَهْدِى لحَزْم ويُرْشِد
قُعوداً لدى خَطْم الحجون كأنهم ... مَقَاوِلة ، بل هم أعزّ وأمجد
أعانَ عليها كلُّ صَقْر كأنه ... إذا مامشى فى رَفْرف الدّرع أحْرَدُ
جَرِىّ على جُلَّى الخطوب ، كأنه ... شهاب بكَفَّىْ قابسٍ يتوقّد

من الأكرمين من لُؤَىّ بن غالب ... إذا سِيم خَسْفا وَجْهُه يتربَّدُ

طويل النِّجاد خارج نصفُ ساقِهِ ... على وَجْهه يُسْقى الغَمام ويُسْعد

عظيم الرماد ، سيد وابن سيِّد ... يَحُضّ على مَقْرَى الضيوف ، ويحْشِد

ويبنى لأبْناء العَشِيرة صالحا ... إذا نحن طُفْنا فى البلاد ، ويَمْهَد

ألظَّ بهذا الصُّلح كل مُبَرّأ ... عظيم اللواء أمره ثمّ يُحمد

قضَوْا ما قضَوْا فى ليلهم، ثم أصبحوا ... على مَهَلٍ ، وسائر النّاس رُقَّد

هُمُ رَجَعوا سَهْلَ بنَ بيضاء راضيا ... وسُرّ أبو بكْر بها ومحمَّد

متى شُرِّكَ الأقوامُ فى جُلّ أمرِنا ... وكُنَّا قديما قَبْلَها نُتودّد

وكنَّا قديما لا نُقِرّ ظُلامةً ... ونُدْرِك ماشئنا ، ولا نتشدَّد

فيا لَقُصَىّ هَلْ لَكُمْ فى نُفوسِكمْ ... وهل لكمُ فيما يجىء به غد

فإنى وإيَّاكمْ كما قال قائلٌ ... لَديك البَيانُ لو تكلمت أسود

وقال حسَّان بن ثابت يبكى المُطعِم بن عدىّ حين مات ، ويذكر قيامَه فى نَقْض الصحيفة :

أيا عين فابكى سيِّدَ القوم واسفَحى ... بدمعٍ ، وإن أنزفتِه فاسكبى الدَّما

وبكِّى عظيمَ المَشْعَرَين كليهما ... على النَّاسِ مَعْرُوفا له ما تكلَّما

فلو كان مجدٌ يُخلد الدَّهرَ واحداً ... من الناس أبقى مجدُه اليومَ مُطْعِما

أجرْتَ رسولَ الله منهم، فأصبحوا ... عبيدَك ، ما لَبَّى مُهِلّ وأحْرَما

فلو سُئلَتْ عنه مَعدّ بأسْرِها ... وقَحْطان ، أو باقى بَقية جُرْهما

فقالوا : هو المُوفى بخُفرة جارِه   وذمَّته يوما إذا ماتَذَمَّما
فما تطلُع الشَّمسُ المُنيرة فوقَهم   على مثله فيهم أعزّ وأعْظَما
وآبَى إذا يأبى وألْيَنَ شِيمَةً   وأنومَ عن جار إذا الَّليلُ أظلما

قال ابن هشام : قوله « كليهما » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن هشام : وأما قوله : « أجرت رسول الله منهم » ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم — لما انصرف عن أهل الطائف ، ولم يُجيبوه إلى مادعاهم إليه ، من تَصْديقه ونصرته ، صار إلى حِرَاء ، ثم بعث إلى الأخنس بن شَرِيق ، ليُجيره ، فقال : أنا حليفٌ ، والحليف لا يُجير ، فبعث إلى سُهيل بن عمرو ، فقال : إن بنى عامر لا تُجير على بنى كَعْب . فبعث إلى المُطعِم بن عدىّ ، فأجابه إلى ذلك ، ثم تسلح المُطعِم وأهل بيته ، وخرجوا حتى أتوا المسجد ، ثم بعث إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أن ادخُل ، فدخل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فطاف بالبيت ، وصلى عنده ، ثم انصرف إلى منزله ، فذلك الذى يعنى حسانُ ابن ثابت .

قال ابن إسحاق : وقال حسَّان بن ثابت أيضا : يمدح هِشامَ بن عمرو لقيامه فى الصحيفة :

هل يُوفينّ بنو أميَّة ذمَّةً   عَقْداً كما أوْفى جِوَارُ هِشامِ
مِنْ مَعْشَر لا يَغْدِرُون بجارِهم   للحارث بن حُبَيِّب بن سُخَام
وإذا بنو حِسْل أجارُوا ذِمَّةً   أوفَوْا وأدَّوْا جارَهم بسلام

وكان هشام أخا سُخَام : قال ابن هشام : ويقال : شحام .

. . . .

قصة الغرانيق وإسلام مكة :

وذكر مابلغ أهل الحبشة من إسلام أهل مكة ، وكان باطلا ، وسببه أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قرأ سورة النجم ، فألقى الشيطانُ فى أُمْنِيَّتِهِ، أى: فى تلاوته عند ذِكْرِ اللّات والعُزى ، وإنّهم لَهُمُ الْغَرَانِقَةُ العُلى ، وإن شَفاعَتَهُمْ لَتُرْتَجَى ، فطار ذلك بمكة ، فسر المشركون ، وقالوا : قد ذكر آلهتنا بخير فسجَد رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى آخرها ، وسجد المشركون والمسلمون، ثم أنزل الله تعالى : ﴿ فينسَخ اللهُ ما يُلقى الشيطان﴾ الآية ، فمن هاهنا اتصل بهم فى أرض الحبشة أن قريشا قد أسلموا، ذكره موسى بن عقبة وابن إسحاق من غير رواية البَكّائى ، وأهل الأصول يدفعون هذا الحديث بالحجة، ومن صححه قال فيه أقوالا ، منها: أن الشيطان قال ذلك وأشاعه . والرسول ـ عليه السلام ـ لم ينطق به ، وهذا جيد لولا أن فى حديثهم أن جبريل قال لمحمد : ما أتيتك بهذا ، ومنها : أن النبىّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ قالها من قبل نفسه ، وعنى بها الملائكة: إن شفاعتهم لَتُرْتَجَى(١) . ومنها : أن النبى ـ عليه السلام ـ قاله حاكيا عن الكفرة ، وأنهم يقولون ذلك ، فقالها متعجبا من كفرهم .

---

(١) وهى أيضاً كلمة لا يقولها خاتم النبيين وأعظم المؤمنين ، فإن الشفاعة لا ترتجى إلا من الله سبحانه ، فهو الذى له وحده الشفاعة: (قل : لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والأرض) الزمر : ٤٤ (يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن) طه : ١٠٩ . والسهيلى على إطالته وإطنابه فى مواضع تستحق الإيجاز لا أدرى كيف خطف القول هنا، وترك الفرية تحاول مخادعة القلوب، فكأن المؤلف الكبير لم يرد لها أن تموت

رفع المسـتـهم

. . . .

والحديث على ماخيلت غير مقطوع بصحته ، والله أعلم[1] .

---

(١) روى الطبرى وابن أبى حاتم وابن المنذر والبزار وابن مردويه وغيرهم هذه الفرية التى نفثها أحقاد الزنادقة فى صورة حديث منسوب إلى ابن عباس وسعيد ابن جبير ، يقول إن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قرأ بمكة : والنجم ، فلما بلغ : أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ألقى الشيطان على لسانه : تلك الغرانيق العلى ، وإن شفاعتهن لترتجى ، فقال المشركون : ماذكر آلهتنا بخير قبل اليوم ،فسجد وسجدوا ، فنزلت الآية . وذكر القاضى عياض ما يلى : ويروى : ترتضى ، وفى رواية : إن شفاعتها لترتجى ، وإنها لمع الغرانيق العلى ، وفى أخرى : والغرانقة العلى تلك الشفاعة ترتجى ، ووقع فى بعض الروايات أن الشيطان ألقاها على لسانه ، وأن النبى « ص » كان تمنى أن لو نزل عليه شىء يقارب بينه وبين قومه ، وفى رواية أخرى : ألا ينزل عليه شىء ينفرهم عنه ، وذكر هذه القصة . وأن جبريل — عليه السلام — جاءه ، فعرض عليه السورة ، فلما بلغ الكلمتين قال له : ما جئتك بها تين . فحزن لذلك النبى « ص » ، فأنزل الله تعالى تسلية له : « وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى » . الآية . وقوله : (وإن كادوا ليفتنونك) وباطل القصة المفتراة أسود قاتم . ولكننى عنيت بنقل الرد عليها ؛ لأن هذه الأسماء الآتية ذكرت مع هذه القصة ، ولا شك فى أن كثيراً منهم لا يمكن أن نصدق أنه يرويها ، أو يصدق بها مثل ابن عباس رضى الله عنه ، وتدبر هذه الأسماء التى جعلتنى أعنى بدحض هذه الفرية الملعونة : « سعيد بن جبير ، شعبة ، أمية بن خالد الذى يقال عنه : إنه ثقة مشهور ، وأبو بشر ، ومحمد بن كعب القرظى ومحمد بن قيس وابن شهاب الزهرى ، والسدى ، وموسى ابن عقبة ، وابن إسحاق وعكرمة وسليمان التيمى ، والعوفى والبزار » من هؤلاء من له ذكر بإيمان عظيم ومن له ذكر بما ينال شيئاً من صدق إيمانه ، وعفا الله عمن رواها دون تعقيب يهدمها من هؤلاء الذين نسبت إليهم رواية ما لهذه الأكذوبة ، وإليك ما رد به القاضى عياض فى الشفاء على تلك الفرية النجسة : « هذا حديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة ، ولا رواه ثقة بسند متصل سليم ، وإنما أولع به وبمثله

. . . .

وسمى الذين قدموا منهم من أجل ذلك الخبر ، وذكر فيهم طُلَيْبا ، وقال

———

المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم ، وصدق القاضى بكر بن العلاء المالكى حيث قال : لقد بلى الناس ببعض أهل الأهواء والتفسير ، وتعلق بذلك الملحدون مع ضعف نقلته واضطراب رواياته، وانقطاع إسناده واختلاف كلماته ، فقائل يقول : إنه فى الصلاة وآخر يقول : قالها فى نادى قومه حين نزلت عليه السورة ، وآخر يقول : إن الشيطان قالها على لسانه ، وأن النبى « ص » لما عرضها على جبريل، قال : ما هكذا أقرأتك وآخر يقول : بل أعلمهم الشيطان أن النبى — ص — قرأها ، فلما بلغ النبى — ص — ذلك قال : والله ما هكذا نزلت — إلى غير ذلك من اختلاف الرواة ، ومن حكيت هذه الحكاية عنه من المفسرين والتابعين ، لم يسندها أحد منهم ولا رفعها إلى صاحب ، وأكثر الطرق عنهم فيها ضعيفة واهية والمرفوع فيها حديث شعبة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ، قال : فيما أحسب أن النبى « ص » كان بمكة وذكر القصة . قال أبو بكر البزار : هذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبى - ص - بإسناد متصل يجوز ذكره إلا هذا، ولم يسنده عن شعبة إلا أمية بن خالد، وغيره يرسله عن سعيد بن جبير، وإنما يعرف عن الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس، فقد بين لك أبو بكر — رحمه الله — أنه لا يعرف من طريق يجوز ذكره سوى هذا ، وفيه من الضعف ما نبه عليه مع وقوع الشك فيه - كما ذكرنا - الذى لا يوثق به ولا حقيقة معه ، وأما حديث الكلبى فما لا يجوز الرواية عنه ، ولا ذكره لقوة ضعفه وكذبه، كما أشار إليه البزار ، والذى منه فى الصحيح أن النبى « ص » قرأ : والنجم وهو بمكة ، فسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس » أقول: قوله الذى فى الصحيح يعنى ماروى فى البخارى ومسلم عن ابن مسعود، وليس فيه حديث الغرانيق، بل روى هذا الحديث من طرق كثيرة ، وليس فيها حديث الغرانيق، وبعد أن فرغ القاضى عياض من،

. . . .

في نسبه: ابن أبي كبير بن عبد بن قصي، وزيادة أبي كبير في هذا الموضع لا يوافق عليه

توهين الفرية من طريق النقل، مضى يكر عليها بالحجة العقلية الدامغة، فيقول: « أجمعت الأمة على عصمته - ص - ونزاهته عن مثل هذه النقيصة إما من تمنيه أن ينزل عليه مثل هذا من مدح آلهة غير الله، وهو كفر، أو أن يتسور عليه الشيطان، ويشبه عليه القرآن، حتى يجعل فيه ما ليس منه، ويعتقد النبي - ص - أن من القرآن ما ليس منه حتى ينبهه جبريل — عليه السلام — وذلك كله ممتنع في حقه - صلى الله عليه وسلم - أو يقول ذلك النبي - ص - من قبل نفسه عمدا، وذلك كفر، أو سهوا، وهو معصوم من هذا كله، وقد قررنا بالبراهين والإجماع عصمته - ص - من جريان الكفر على قلبه أو لسانه لا عمدا ولا سهوا، أو أن يشبه عليه ما يلقيه الملك مما يلقى الشيطان، أو يكون للشيطان عليه سبيل، أو أن يتقول على الله لا عمدا، ولا سهوا ما لم ينزل عليه، وقد قال تعالى: (ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين، ثم لقطعنا منه الوتين، فما منكم من أحد عنه حاجزين) الحاقة: ٤٤ — ٤٧ وقال تعالى: (ولو لا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا، إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات، ثم لا تجد لك علينا نصيرا) الإسراء: ٧٥. ووجه ثان وهو استحالة هذه القصة نظرا وعرفا، وذلك أن هذا الكلام لو كان كما روى لكان بعيد الالتئام، متناقض الأقسام، ممتزج المدح بالذم. متخاذل التأليف والنظم. ولما كان النبي « ص » ولا من بحضرته من المسلمين. وصناديد المشركين ممن يخفى عليه ذلك. وهذا لا يخفى على أدنى متأمل. فكيف بمن رجح حلمه. واتسع في باب التبيان. ومعرفة فصيح الكلام علمه » ثم أكد أن القصة لو حدثت لو جدت بها قريش على المسلمين الصولة. ولأقامت اليهود بها عليهم الحجة. لأنهم كانوا يتربصون بالنبي وبالمسلمين لأقل فتنة، ولكننا نجد هذه القصة مروية عن طريق ضعيفة. وأنه لم يرو عن معاند فيها كلمة، ولا عن مسلم بسببها بنت شفة، ولا شك في إدخال بعض شياطين الجن والإنس هذا الحديث على بعض مغفلي

. . . .

المحدثين ، ليلبس به على ضعفاء المسلمين ص ١١٦ وما بعدها حـ ٢ الشفاء طبعة سنة ١٢٩٠ هـ مطبعة خليل أفندى

وتدبر مع هذا قول الله سبحانه : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) الحجر : ٩ وقوله : (يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك . وإن لم تفعل فما بلغت رسالته) المائدة : ٦٧ فإن زاد أو نقص فما بلغ رسالته . إنما بلغ حقا ممتزجا بباطل . وتدبر قوله العظيم : (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى) النجم : ٣ : ٤ وقوله سبحانه : (سنقرئك فلا تنسى إلا ما شاء الله إنه يعلم الجهر وما يخفى) الأعلى

والفخر الرازى — على ما فيه — يقول : هذه القصة باطلة وموضوعة ولا يجوز القول بها . وقال البيهقى : هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل .

والمراد بالغرانيق : الأصنام . وهى فى الأصل : الذكور من طير الماء . وقيل : الطويل العنق الأبيض ، وقيل : هو الكركى ، واحدها : غرنوق بضم النون والغين وبكسر الغين وإسكان الراء وفتح النون . وبضم الغين وفتح النون . وغرنيق بكسر الغين والنون ، وغرناق بفتح الغين والراء والنون ، وغرناق بكسر الغين وإسكان الراء . وغرانق : الشاب الأبيض الجميل ، وجمعها : الغرانق والغرانيق . وقد شبهوا أصنامهم بالغرانيق وهى الطيور التى تعلو فى السماء وترتفع .. والعجب أن الحافظ بن حجر يحاول فى الفتح الدفاع عن قواعد المحدثين ، ويغفل عن الطعنة الغادرة التى اقترفت ضد الرسالة والرسول . فيقول عن النقد العظيم الذى وجهه القاضى عياض لطرق الحديث « وجميع ذلك لا يتمشى على القواعد . فإن الطرق إذا كثرت وتباينت مخارجها دل ذلك على أن لها أصلا . وقد ذكرت أن ثلاثة أسانيد منها على شرط الصحيح . وهى مراسيل يحتج بمثلها من يحتج بالمراسيل ، وكذا من لا يحتج به لاعتضاد بعضها ببعض ، وإذا تقرر ذلك تعين تأويل ما وقع فيها مما يستنكر » ص ٣٥٥ جـ ٨ لست أدرى أيمكن أن نجعل لقواعد بشرية متهافتة مكانة فوق الحق المبين من هدى الله ؟ إننا هنا يجب أن نعتصم بقواعد الحق المبين ، لا بقواعد المحدثين التى يؤدى الدفاع عنها هنا إلى النيل من قداسة القرآن وعصمة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولاسيما إذا وجدنا أن التأويلات التافهة التى سنساند بها هذه

رفع
المسلم
عبد الله الرحمن

. . . .

وكذلك وجدت فى حاشية كتاب الشيخ التنبيه على هذا[1] وذكره أبو عمر ونسبه كما نسبه ابن إسحٰق بزيادة : أبى كبير ، وكان بدريا فى إحدى الروايتين عن ابن إسحق ، وكذلك قال الواقدى وابن عقبة ، ومات بأَجْنَادَيْن شهيدا لا عقب له .

تأويل : كل شىء ما خلا الله باطل :

فصل : وذكر قول لَبِيد :

القواعد تأويلات لا يشهد لها نقل ، ولا يحترمها عقل ، القضية المعروضة : أيسجد محمد لصنم ، ويثنى على صنم ، ويفترى على الله الكذب ؟ أيخفى على محمد — وقد هداه القرآن — حقيقة الكفر وألفاظ الكفر ويعبث الشيطان به ؟ كل مسلم يلعن من ينسب إلى الرسول هذا الفرية الخبيثة الجاحدة .

وأقول هنا تعليقا على قوله سبحانه : (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته) إنها وردت فى سورة الحج عقب التذكير بالقوم الذين كذبوا رسلهم ، وببعض مواقف المشركين منه صلى الله عليه وسلم ، وإملاء الله للقرى وهى ظالمة ، وكذلك التذكير بمصير الصالحين والمعاندين. إن ورودها كذلك يؤكد أن التمنى المقصود هو تمنيه صلى الله عليه وسلم إسلام قومه . كما تمنى الرسل والنبيون قبله . وأن إلقاء الشيطان فى أمنية الرسول (ص) هو وسوسته التى يبثها فى نفوس أوليائه ؛ ليحملهم على البقاء على الكفر ، فلا تتحقق أمنية الرسول (ص) ، وأما نسخ الله لما يلقى الشيطان ، فهو نصره لرسوله وتأييده له حتى يؤمن الكثير من قومه ، كما فعل بيونس وغيره . والله أعلم .

(١) ورد نسبه فى نسب قريش دون ذكر أبى كبير ص ٢٥٦ أما أبو كبير فهو منهب بن عبد بن قصى فى نسب قريش . شهد بدرا مع النبى « ص » وقتل يوم اليرموك شهيدا . ص ٢٥٧ .

رفع
المسهم

. . . .

ألا كُلُّ شىء ماخلا اللهَ باطل

وقصة ابن مظعون إلى آخرها ، وليس فيها ما يشكل غير سؤال واحد ، وهو قول رسولِ الله ـ صلى الله عليه وسلم : أَصْدَقُ كلمةٍ قالها الشاعرُ قولُ لبيد :

ألا كُلُّ شَىْء ماخَلاَ اللهَ باطلُ(١)

فصدقه فى هذا القول وهو ـ عليه السلام ـ يقول فى مناجاته : «أنت الحق ، وقولك الحق ، ووعدك الحق ، والجنة حق ، والنار حق ، ولقاؤك حق»(٢) ، فكيف يجتمع هذا مع قوله :

ألا كُلُّ شَىْء ما خلا الله باطل

فالجواب من وجهين أحدهما : أن يريد بقوله : ماخلا الله : ماعداه ، وعدا رحمته التى وعد بها من رحمه ، والنار وما توعَّد به من عقابه ، وماسوى هذا فباطل أى : مضمحل والجواب الثانى : أنَّ الجنة والنار وإن كانتا حقا ، فإن الزوال عليهما جائز لذاتهما ، وإنما يبقيان بإبقاء الله لهما ، وأنه يخلق الدوام لأهلهما على

(١) رواه الشيخان عن أبى هريرة . وفى رواية لمسلم : أصدق بيت . وفى رواية لأحمد والترمذى عن أبى هريرة : أشعر كلمة تكلمت بها العرب كلمة لبيد ، وهذه الرواية ترفع إشكال السهيلى ، وقد عد البخارى وابن أبى خيثمة وغيرهما لبيدا ، فى الصحابة . وقيل : عاش قرنا ونصفا أو أكثر ، ومات فى خلافة عثمان . وهو القائل .

ولقد سئمت من الحياة وطولها وسؤال هذا الناس : كيف لبيد

(٢) رواه البخارى

. . . .

قول من جعل الدوام والبقاء معنى زائداً على الذات ، وهو قول الأشعرى ،
وإنما الحق على الحقيقة من لايجوز عليه الزوال ، وهو القديم[١] الذى انعدامه
محال ؛ ولذلك قال عليه السلام : أنت الحق بالألف واللام ، أى المستحق لهذا الاسم
على الحقيقة ، وقولك الحق ؛ لأن قوله قديم ، وليس بمخلوق فيبيد ، ووعدك
الحق ، كذلك ، لأن وعده كلامه ، هذا مقتضى الألف واللام ، ثم قال : والجنة
حق ، والنار حق بغير ألف ولام ، ولقاؤك حق كذلك ؛ لأن هذه أمور مُحدَثات
والمحدَث لا يجب له البقاء من جهة ذاته ، وإنما علمنا بقاءها من جهة الخبر
الصادق الذى لا يجوز عليه الُخلف ، لا من جهة استحالة البقاء عليها ، كما يستحيل
على القديم — سبحانه — الذى هو الحق ، وما خلاه باطل ، فإمّا جوهر وإما
عرض ، وليس فى الأعراض إلا مايجب له الفناء ، ولا فى الجواهر إلا مايجوز
عليه الفناء والبطول ، وإن بقى ولم يبطل فجائز أن يبطل . وأما الحق — سبحانه —

(١) لم يرد فى قرآن ولا سنة وصف الله بالقدم ، وإنما ورد فى القرآن وصفه بأنه الأول . أما القدم فكانت صفة للضلال : (قالوا : تالله إنك لفى ضلالك القديم) يوسف : ٩٥ وللعرجون :(والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم) يس : ٣٩ والإفك : (وإذ لم يهتدوا به ، فسيقولون : هذا إفك قديم) الأحقاف : ١١ والآباء الضالين السابقين :(قال : أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون . فإنهم عدو لى إلا رب العالمين) الشعراء : ٧٦ ولا يجوز وصف الله بصفة هذا استعمالها . وهذه مواردها فى القرآن الكريم ، كما لا يجوز أن يسمى الله أو يوصف إلا بما سمى ووصف به نفسه . ولو وضعت صفة أنه « الأول » بدلا من قديم لاستراح الفكر البشرى من هذا الجدل المحموم الذى استمر حتى الآن حول صفة القدم ومدلولها ونسبتها إلى الله والعالم . فلا ينكر حتى زنادقة الفلسفة وملحدو الإشراقية أنه سبحانه هو : الأول .

رفع المسلم

. . . .

فليس من الجواهر والأعراض ، فاستحال عليه مايجب لها ، أو يجوز عليهما .

ذكر حديث أبي بكر مع ابن الدغنة :

وذكر حديث أبي بكر حين لقى ابن الدُّغُنَّة ، واسمه : مالك ، وهو سيد الأحابيش ، وقد سماهم ابن إسحاق ، وهم : بنو الحارث وبنو الهُون من كنانة ، وبنو المُصْطَلِقِ من خُزَاعة تحبَّشوا ، أى : تجمعوا ، فسموا الأحابيش . قيل : إنهم تحالفوا عند جُبَيل ، يقال له حُبْشِيٌّ[1] ، فاشتق لهم منه هذا الاسم .

وقوله لأبى بكر : إنك لتَكْسِب المعدومَ[2] ، يقال : كَسَبْتَ الرجل مالا ،

---

(١) قال عنه ابن دريد فى الاشتقاق : جبل يقال له حبشى . ص ١٩٣ .

(٢) فى رواية للبخارى أنه قال له : « إنك تكسب المعدوم ، وتصل الرحم وتحمل الكل ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق » ونحن نلحظ أنه عين ما قالته أم المؤمنين خديجة رضى الله عنها للنبى صلى الله عليه وسلم حين عاد إلى البيت ليلة الوحى

والحديث فى البخارى بسنده عن عروة بن الزبير عن عائشة ، وفيه أن أبا بكر خرج مهاجرا إلى أرض الحبشة حتى بلغ برك - الكسر أشهر - الغماد ، والدغنة بفتح الدال وكسر الغين وتخفيف النون ، أو فتحها وفتح النون مع تشديدها ، أو بضم الدال والغين وتشديد النون ، وسمى بهذا لاسترخاء فى لسانه . أو لأن الدغنة أمه ، أو أم أبيه ، وقيل : دابته . وفى رواية البخارى : « وارتحل معه ابن الدغنة فطاف ابن الدغنة عشية فى أشراف قريش ، فقال لهم : إن أبا بكر لا يخرج مثله ولا يخرج ، وفيه أيضاً : « فلبث أبو بكر بذلك يعبد ربه فى داره ، ولا يستعلن بصلاته ، ولا يقرأ فى غير داره ، ثم بدا لأبى بكر ، فابتنى مسجدا بفناء داره ، وكان يصلى فيه ، ويقرأ القرآن ، فيتقذف عليه نساء المشركين وأبناؤهم » . رواه البخارى فى باب الهجرة إلى المدينة مطولا ، وفى مواضع أخرى مختصرا .

رفع المسهم

. . . .

فتعديه إلى مفعولين . هذا قول الْأَصْمَعِي ، وحكى غيره : أكسبته مالا ، فمعنى تَكْسِبُ المعدومَ ، أي : تَكسب غَيْرَكَ ماهو معدوم عنده ، والدَّغِنَة : اسم امرأة عُرِف بها الرجل ، والدَّغْنُ : الغيمُ يبقى بعد المطر .

عن الشعب ونقض الصحيفة :

فصل : وذكر نقض الصحيفة ، وقيام هشام فيها ونسبه ، فقال : هشام ابن الحارث ، بن حُبَيْب ، وفى الحاشية عن أبى الوليد : إنما هو هشام بن عمرو ابن ربيعة بن الحارث (١) ، وهكذا وقع نسبه فى رواية يونس عن ابن إسحاق ، وكان أبوه عمرو أخا نَضْلة بن هاشم لأمه .

وذكر أنه كان يأتى بالبعير قد أَوْقره بَزًّا بالزاى المعجمة ، وفى غير نسخة الشيخ أبى بحر : بُرًّا ، وفى رواية يونس : بَزًّا أو بُرًّا على الشك من الراوى .

وذكر أن منصور بن عِكْرِمَة كان كاتب الصحيفة ، فَشَلَّت يدُه ، وللنُّسَّابِ

(١) لعل المؤلف كانت بيده نسخة من السيرة غير التى معنا ، فالتى معنا فيها : هاشم بن عمرو بن ربيعة ، ونسبه مختلف عما فى كتاب نسب قريش ، فهو فيه هكذا : « هشام بن عمرو بن ربيعة بن الحارث بن حبيب بن جذيمة بن مالك ابن حسل بن عامر بن لؤى ، فهو فى النسب كما ترى من نسل جذيمة بن مالك ، أما فى السيرة فهو من نسل نصر بن مالك شقيق جذيمة ، وقد قال مصعب عن هاشم هذا : « وهو الذى قام فى نقض الصحيفة التى كتبت قريش على بنى هاشم فى نفر قاموا معه ، منهم : مطعم بن عدى بن نوفل وزمعة بن الأسود بن المطلب ، وأبو البخترى بن هشام بن الحارث فى رجال من قريش » ص ٤٣١ ، وانظر أيضاً ص ٤١٢ عن سلالة عامر بن لؤى

رفع
المسهم

. . . .

من قريش فى كاتب الصحيفة قولان، أحدهما : أن كاتبَ الصحيفة هو : بَغِيضُ ابن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، والقول الثانى : أنه مَنْصور ابن عَبْد شُرَحْبِيل بن هاشم من بنى عبدا الدار أيضا ، وهو خلاف قول ابن إسحاق ، ولم يذكر الزُّبَيْرُ فى كاتبِ الصحيفة غير هذين القولين ، والزُّبَيْرِيُّون أعلم بأنساب قومهم(١) .

وذكر ما أصاب المؤمنين مع رسولِ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فِى الشِّعْب من ضيق الحصار لايبايعون ولا يناكحون ، وفى الصحيح : أنهم جُهِدُوا حتى كانوا يأكلون الخَبَطَ ووَرَقَ السَّمُر ، حتى إن أحدَهم لَيَضَعُ كما تَضَعُ الشاةُ(٢) ، وكان فيهم سعدُ بن أبى وَقَّاص . روى أنه قال : لقد جُعت ، حتى إنى وطئت ذات ليلة على شىء رطب ، فوضعته فى فمى وبلعته ، وما أدرى ماهو إلى الآن ، وفى رواية يونس : أن سعداً قال : خَرَجْت ذات ليلة لأبول ، فسمعت قَعْقَعَةً تحت البول ، فإذا قطعةٌ من جِلْدِ بعير يابسة ، فأخذتها وغسلتها ، ثم أحرقتها ثم رَضَضْتُها، وَسَفِفْتُها بالماء، فَقَوِيت بها ثلاثا، وكانوا إذا قدمت العيرُ مكة يأتى أحدُهم السوقَ ليشترى شيئاً من الطعام لعياله ، فيقوم أبو لهب عدُوُّ الله، فيقول :

---

(١) ذكرهما المصعب الزبيرى ص ٢٢٢ نسب قريش ، وذكر أن كنية منصور هى : أبو الروم

(٢) فى اللسان : « وأما الذى فى حديث سعد : إن كان أحدنا ليضع كما تضع الشاة . أراد : أن نجوهم ـ النجو : ما يخرج من البطن من غائط ـ كان يخرج بعراً ليبسه من أكلهم ورق السمر ، وعدم الغذاء المألوف » مادة وضع .

. . . .

يامعشر التجار : غالُوا على أصحاب محمد ، حتى لا يُدركوا معكم شيئا ، فقد علمتم مالى ووفاء ذِمَّتى، فأنا ضامن أن لاخَسارَ عليكم ، فيزيدون عليهم فى السِّلعة قيمتها أضعافا حتى يرجعَ إلى أطفاله ، وهم يَتَضاَغَوْن من الجوع، وليس فى يديه شىء يُطعمهم به ، ويغدو التجار على أبى لهب ، فيربحهم فيما اشتروا من الطعام واللباس ، حتى جُهِدَ المؤمنون ، ومن معهم جوعا وعُرْيًا ، وهذه إحدى الشدائد الثلاث التى دل عليها تأويل الْغَطَّات الثلاث التى غَطَّه جبريل حين قال له: اقرأ، قال : ما أنا بقارئ ، وإن كان ذلك كان فى الْيَقَظَةِ ، ولـكن مع ذلك له فى مقتضى الحـكمة تأويلٌ وإيماء ، وقد تقدمت الإشارة إلى هذا قبل ، وإلى آخر حديث الصحيفة ليس فيها مايشكل (١) .

---

(١) كان ابتداء حصرهم فى المحرم سنة سبع من المبعث. فأقاموا سنتين أو ثلاثة كما روى ابن إسحاق ، وجزم موسى بن عقبة بأنها كانت ثلاث سنين . وذكر الواقدى أن خروجهم من الشعب كان فى سنة عشر من المبعث ، ومات أبوطالب بعد أن خرجوا بقليل . ويقول الحافظ فى فتح البارى: « ولما لم يثبت عند البخارى شىء من هذه القصة اكتفى بإيراد حديث أبى هريرة : نصه : « قال : قال رسول الله (ص) حين أراد حنينا : منزلنا غـدا إن شاء الله بخيف بنى كنانة ، حيث تقاسموا على الـكفر » لأن فيه دلالة على أصل القصة ، لأن الذى أورده أهل المغازى من ذلك كالشرح لقوله فى الحديث : على الـكفر » ص ١٥٢ ومابعدها جـ ٧ فتح البارى .

ويقول الحافظ فى نفس المـكان أيضا عمـا أكلته الأرضة من الصحيفة : « أما ابن إسحاق وموسى بن عقبة وعروة فذكروا عكس ذلك أن الأرضة لم تدع اسما لله إلا أكلته ، وبقى مافيها من الظلم والقطيعة » قال البرهان ما حاصله : وهذا أثبت من الأول ص ٢٩٠ جـ ١ شرح المواهب اللدنية .

رفع
المسهم
عز الله لطف الله

. . . .

شرح دالية أبي طالب :

وقول أبي طالب : ألا[1] قد أتى بَحْرِيَّنا ، يعني الذين بأرض الحبشة ، نسبهم إلى الْبَحْر لركوبهم إياه ، وهكذا وجه النَّسَب إليه ، وقد قال عليه السلام: إذا نشأت بَحْرِيَّة ، وزعم ابن سيدة في كتاب المحكم له أن العَربَ تنسب إلى البحر : بَحْرانِيّ على غير قياس ، وأنه من شَوَاذ النسب ، ونسب هذا القول إلى سيبويه والخليل ، ولم يقله سيبويه قط ، وإنما قال في شواذ النسب : تقول في بَهْرَاء: بَهْرَانِيّ ، وفي صنعاء :صَنْعَانِيّ ، كما تقول: بَحْرَانِيّ في النسب إلى الْبَحْرَيْن التي هي مدينة ، وعلى هذا تلقَّاه جميعُ النُّحاة ، وتأوَّلُوه من كلام سيبويه ، وإنما شبه على ابن سيدة لقول الخليل في هذه المسألة ، أعنى مسألة النسب إلى البحرين، كأنهم بَنَوْا البحر على بَحْرَان ، وإنما أراد لفظ البحرين[2] ألا تراه يقول

---

(١) في السيرة : ألا هل .

(٢) قياسها : بحريني . ولكنهم قالوا : بحراني ، فقياس المثنى المجعول نونه معتقب الإعراب أن يكون في الأحوال بالألف ، فلزوم البحرين الياء شاذ إذن وإذا جعل نون المثنى معتقب الإعراب لم يحذف في النسب لا هو ولا الألف فقيل : بحراني على أنه منسوب إلى البحران المجعول نونه معتقب الإعراب ص٨٢ حـ ٢ شرح الشافية ، وللتوضيح أقول : من العلماء من يلزم المثنى إذا سمى به الألف والنون ويعربه إعراب مالا ينصرف ، ومنهم من يلزمه الألف والنون ويصرفه فتظهر علامات الإعراب على النون رفعا وجرآ ونصباً ، ولا تكون الألف علامة إعراب ، ولهذا ينسب إلى المثنى حينئذ دون حذف شيء منه مثل بحراني. وقياس صنعاء وبهراء في النسب : بهراوى وصنعاوى مثل حمراوى ، ولكنهم أبدلوا النون من الواو شذوذا للمناسبة التي بينهما . وقيل في النون التي في صنعاني إنها بدل من الهمزة في صنعاء ، أو بدل من الواو في نسبها القياسي، وهو صنعاوى كأنهم قالوا : صنعاوى كصحراوى ، ثم أبدلوا من الواو نونا ، وهو المختار عند =

في كتاب العين : تقول بَحْرَانِي في النسب إلى الْبَحْرَين ، ولم يذكر النسب إلى البحر أصلا للعلم به ، وأنه على القياس جار ، وفي الغريب المصنف عن اليزيدى أنه قال : إنما[1] قالوا : بَحْرانِي في النسب إلى الْبَحْرَين ، ولم يقولوا : بَحْرِيّ ليفرقوا بينه وبين النسب إلى الْبَحْرِ ، وما زال ابن سيـــدة يعثر في هذا الكتاب وغيره [عثرات] يَدْمى منها الأَظَلُّ ، ويَدْحَضُ دَحَضات تُخرجه إلى سبيل مَنْ ضل[2] ألا تراه قال في هذا الباب : وذكر بحيرة طَبَرِية ، فقال : هى من أعلام خروج الدجال ، وأن ماءها يَيْبَس عند خروجه ، والحديث : إنما جاء في[3] عين زُغَر ، وإنما ذكرت بحيرة طَبَرِيَّة في حديث يأجوج ومأجوج ،

— الزمخشرى ، لأن النون من الفم ، والهمزة من أقصى الحلق ، فلا مناسبة بينهما ، أما النون فتقارب الواو . وقد سبق ذكر شيء من هذا . هذا وقد ورد في اللسان منسوبا إلى ابن سيدة : «والنسب إلى البحر : بحرانى على غير قياس . قال سيبويه قال الخليل : كأنهم بنوا الاسم على فعلان » ثم نقل ابن منظور بعد هذا عين ماذكره السهيلى ردا على ابن سيدة ، وقد نسبه إلى السهيلى . وفيه : « اشبته على ابن سيدة » بدلا من شبه . والزبيدى بدلا من اليزيدى .

(١) في الأصل : إذا ، والتصويب من اللسان ص ٢٣٣ الذى وردت فيه نفس هذه الفقرة .

(٢) الأظل باطن الإصبع ، ودحض كقطع : زلقت رجله .

(٣) في اللسان : غور . وفي معجم البكرى : عين زغر اختلف فيها ، فقيل هى بالشام . قال الكلبي : زغر : امرأة نسبت إليها هذه العين . وفي حديث على أن عين زغر بالبصرة . وعين زغر هى التي سأل عنها الدجال في حديث تميم الدارى . وقال ابن سهل الأحول : سميت بزغر بنت لوط . وفي المراصد : قرية بمشارف الشام في طرف البحيرة المنتنة ، وتسمى البحيرة بها ، وهى قرب الكرك .

رفع المسهم

. . . .

وأنهم يشربون ماءها ، وقال فى الجار فى غير هذا الكتاب : [إنما] هى التى تُرمى بعرفة ، وهذه هَفْوة لا تُقال ، وعَثْرة [لا] لعًا لها(١) وكم له من هذا إذا تكلم فى النسب وغيره(٢) ، ومن النسب إلى البَحْر قوله عليه السلام لأسماء بنت عُميس حين قدمت من أرض الحبشة : البَحْرِيَّة الحَبَشِيَّة ، فهذا مثل قول أبى طالب : ألا هل أتى بَحْرِيَّنا .

وقوله : والله بالناس أرْوَدُ : أى : أرْفَقُ ، ومنه : رُوَيْدَك ، أى : رِفْقاً جاء بلفظ التصغير ؛ لأنهم يريدون به تقليلا أى : ارْفُق قليلا ، وليس له مكبر من لفظه ؛ لأن المصدر : إرْوادا ، إلا أن يكون من باب تصغير الترخيم ، وهو أن تصغر الاسم الذى فيه الزوائد ، فتحذفها فى التصغير ، فتقول فى أسود : سُوَيْد ، وفى مثل إرواد : رُوَيْد(٣) .

وقوله : من ليس فيها بقَرْقَر : أى : ليس بذليل ، لأن القَرْقَر : الأرضُ

---

(١) لعا : صوت معناه : الدعاء للعاثر بأن يرتفع من عثرته . يقال : لعا لفلان وفى الدعاء عليه بالتعس : يقولون : لا لعاله . والسياق يقتضى وجود كلمة : لا . وقد وضعتها لهذا ، ومع ذلك فهى فى اللسان الذى نقل هذا النص كله عن السهيلى .

(٢) إلى هنا انتهى ما نقله اللسان عن الروض ، وقد نقل من أول : زعم ابن سيدة فى كتاب المحكم .

(٣) تصغير الترخيم شاذ قليل ، ويرى الفراء أن العلم وحده هو الذى يصغر تصغير الترخيم ، لأن ما يبقى منه بعد الترخيم دليـــل على ما حذف لشهرة العلم ، وأجازه البصريون فى غير العلم واستشهدوا بالمثل : عرف حميق جمله فصغر أحمق تصغير ترخيم .

. . . .

الْمَوْطُوءَةُ التى لا تمنع سالكها ، ويجوز أن يريد به : ليس بذى هَزْل ، لأن الْقَرْقَرَة : الضحكُ .

وقوله : وطائرها فى رأسها يتردد . أى : حظها من الشُّؤْمِ والشر ، وفى التنزيل : ﴿ألزمناه طائرَه فى عُنقه﴾ الإسراء : ١٣ ، وقوله : لها حُدُجٌ سَهْمٌ وقَوْسٌ ومِرْهَد ، وجدت فى حاشية كتاب الشيخ مما كتبه عن أبى الوليد الكِنانى على هذا البيت : لعله حُدُج بضم الحاء والدال جمع حِدْج على ماحكى الفارسى ، وأنشد شاهدا عليه عن ثعلب :

قد افأَرْسَنا الْحُمُولَ والْحُدُجْ

ونظيره : سِتْرٌ وسُتُر ، ذكر ذلك عنه ابنُ سيدة فى محكمه ، فيكون المعنى : إن الذى يقوم لها مقام الْحِدْج سَهْمٌ وقَوْسٌ ومِرْهد . إلى هنا انتهى مافى حاشية كتاب الشيخ . قال المؤلف : وفى العين : الحَدَجُ : حَسَكُ الْقُطْبِ [مادام رطبا] فيكون[1] الْحَدَجُ فى البيت مُسْتَعَارا من هذا ، أى : لها حَسَكٌ ، ثم فسره فقال : سهمٌ وقوس ومِرْهَدُ[2] ، هكذا فى الأصل بالراء وكسر الميم

---

(١) القطب : ضرب من النبات يذهب حبالا على الأرض طولا ، وله زهرة صفراء ، وشوكه إذا حصد ويبس يشق على الناس أن يطئوه ، وفى الأصل : الحدج حسك العبط . والعبط : القطن ، وهذا لا يتفق مع ماقبله من قوله : « الحدج حسك » وما أثبته من اللسان ، ومابين القوسين زيادة من اللسان ، وقول الفارسى عن ثعلب موجود فى اللسان ، وقد فسرها أبو ذر الخشنى بما يأتى : « حدج كثرة ، وأصل الحدج : صغار الحنظل والخشخاش ، فشبه كثرتهم به .

(٢) عند الخشنى : مرهد بفتح الميم : رمح لين ، ومن رواه فرهد ، فمعناه

رفع المسهم

. . . .

فيحتمل أن يكون مقلوبا من مَرْهَدٍ : مفْعَل من رَهَد الثوبَ إذا مزقه ، ويعني به رُمحًا أو سيفا ، ويحتمل أن يكون غير مقلوب ، ويكون من الرَّهيد ، وهو الناعم أى : ينعم صاحبُه بالظَّفَر ، أو ينعم هو بالرِّيِّ من الدَّم ، وفى بعض النسخ مَزْهد بفتح الميم والزاى ، فإن صحت الرواية به ، فمعناه : مَزْهد فى الحياة ، وحِرْص على الممات ، والله أعلم . وقوله فيها : إذا جعلت أيدى المفيضين تُرْعَد . يعنى : أيدى المفيضين بالقِداح فى الميسر ، وكان لا يفيض معهم فى الميسر إلا سخى ، ويسمون من لا يدخل معهم فى ذلك : الْبَرَمَ . وقالت امرأة لبعلها — وكان بَرَمًا بخيلا ، ورأته يقرن بَضْعَتين فى الأكل : أَبَرَمًا قَرُونا[1] ويسمونه أيضا : الحَصُور . يريد أبو طالب : إنهم يطعمون إذا بخل النَّاس . والميسر : هى الجَزُورُ التى تُقسَّم ، يقال : يَسَرْتُ إذا قسمت ، هكذا فسره القُتَبِىُّ وأنشد :

أقول لهم بالشِّعبِ إذ يَيْسِرونَنِى ... ألم ييأسوا أنى ابنُ فارسِ زَهْدَمِ[2]

قال : يَيْسِرُونَنى أى : يَقْتَسِمُون مالى ، ويُروى : يَأْسِرونى من الأسْر .

= الرمح الذى إذا طعن به ، وسع الخرق ، ومن رواه مزهد ، فهو ضعيف لا معنى له إلا أن يراد به الشدة على معنى الاشتقاق .

(١) فى اللسان : وفى المثل : أبرما قرونا . أى : هو برم ويأكل مع ذلك تمرتين تمرتين .

(٢) البيت فى اللسان ، وقد نسبه فى مادة يسر إلى سحيم بن وثيل اليربوعى . وفيه : ألم تعلموا بدلا من : ألم ييأسوا . كان وقع عليه سباء فضربه عليه بالسهام . وفى مادة زهدم يقول : قال ابن برى : زهدم : اسم لفرس لسحيم بن وثيل ، وفيه يقول ابن جابر : أقول لهم بالشعب الخ . والزهدم : الصقر ، وزهدم : اسم فرس ، وفارس يقال له : فارس زهدم .

. . . .

وقوله : رَفْرَفِ الدِّرْعِ أَحْرَدُ . رَفْرَفُ الدِّرع : فُضُولها ، وقيل فى معنى : رَفْرَفٍ خُضْرٍ : فضول الفُرُش والبُسُط ، وهو قول ابن عباس ، وعن على أنها : المَرافِق ، وعن سَعِيد بن جُبَيْرٍ : الرفارف : رياض الجنة ، والأَحْرَدُ الذى فى مشيه تثاقُلٌ ، وهو من الحَرَدِ ، وهو : عَيْبٌ فى الرِّجْلِ . وفيه : هم رَجَموا سَهْلَ بن بَيْضاءَ راضِياً . سهل هذا هو : ابن وَهْب بن رَبيعة بن هِلال بن ضَبَّةَ بنَ الحارث بن فِهر ، يعرف : بابن البَيضاء[1] ، وهى أمه ، واسمها : دَعْد بنت جَحْدَم بن أُمَيَّة ابن ضَرِب بن الحارث بن فِهر ، وهم ثلاثة إخوة : سَهْلٌ وسُهيل وصَفْوان بنو البَيْضاء . وقوله :

وإنى وإياهم كما قال قائل   لديك البيانُ لو تكلمت أَسْوَدُ[2]

أسود : اسم جبل كان قد قتل فيه قتيل ، فلم يعرف قاتله ، فقال أولياء المقتول هذه المقالة ، فذهبت مثلا .

---

(١) ورد نسب وهب فى نسب قريش هكذا : « وهب ، بن ربيعة بن هلال ابن مالك بن ضبة بن الحارث » ص ٤٤٦ ولم يذكر غير سهيل وصفوان ابنى وهب بن ربيعة بن هلال ، لكن فى جمهرة ابن حزم : « سهل بن وهب بن ربيعة بن عامر بن مالك بن ضبة بن الحارث بن فهر » ص ١٦٧ جمهرة ابن حزم ، ولم يذكر سهيلا . والأم فى النسب هى : دعد بنت جحدم بن عمرو بن عائش ، وفى جمهرة ابن حزم جاء بعد عائش : ابن المطرف بن حارث بن فهر .

(٢) فى النسخة التى معنا : « فإنى وإياكم » وفى القاموس : أسود العين ، وأسود النساء ، وأسود العشاريات ، وأسود الدم ، وأسود الحمى : جبال ، وفى الخشنى أسود : اسم رجل ، وأراد : ياأسود ، وهو مثل يضرب للقادر على الشىء ولا يفعله ص ١٠٩ .

رفع
المسـاهم

. . . .

قول حسان فى مطعم وهشام بن عمرو :

فصل : وذكر قول حَسَّان فى مُطْعِمِ بن عَدِىٍّ ، ويذكر جواره للنبى — عليه السلام — وذلك حين رجع من الطائف ، وقيامه فى أمر الصحيفة :

فلو كانَ مجدٌ يُخلِد الدهرَ واحدا من الناس أبقى مجدُه اليوم مُطْعِما[1]

وهذا عند النحويين من أقبح الضرورة ، لأنه قدم الفاعل ، وهو مضاف إلى ضمير المفعول ، فصار فى الضرورة ؛ مثل قوله :

جزى رَبُّه عنى عـــدىَّ بنَ حاتم[2]

---

(١) استشهد به ابن عقيل فى شرح الألفية ، وهو يشرح قول ابن مالك .

وشاع نحو خاف ربه عمر وشذ نحو زان نوره الشجر

أى : شاع تقديم المفعول المشتمل على ضمير يرجع إلى الفاعل المتأخر ، وشذ عود الضمير من الفاعل المتقدم على المفعول المتأخر ، وإنما شذ ذلك لأن فيه عود الضمير على متأخر لفظا ورتبة ؛ لأن الشجر مفعول به ، وهو متأخر لفظا ، والأصل فيه أن ينفصل عن الفعل ، فهو متأخر رتبة . وقد أجاز هذا الأخفش وابن جنى وأبو عبد الله الطوال وابن مالك فى التسهيل ، ونصر الجرجانى مذهب الأخفش ، وفى بيتنا هذا أخر المفعول وهو مطعم عن الفاعل ، وهو مجده مع أن الفاعل مضاف إلى ضمير يعود على المفعول . فيقتضى رجوع الضمير إلى متأخر لفظا ورتبة . والبيت فى الاشتقاق : « فلو أن مجدا خلد الخ ص ٨٨ .

(٢) البيت لأبى الأسود الدؤلى يهجو عدى بن حاتم الطائى ، وبقيته : « جزاء الكلاب العاويات وقد فعل » . وقد نسبه ابن جنى إلى النابغة الذبيانى . والشاهد فيه تأخير المفعول وهو عدى ، وقدم الفاعل وهو ربه مع اتصال الفاعل بضمير يعود على المفعول . انظر خزانة الأدب للبغدادى حـ ١ ص ١٩٠ ومابعدها وشرح ابن عقيل للألفية حـ ١ ص ٤٢٠ بتحقيق الشيخ محيى الدين عبد الحميد .

رفع
المسيرهما

. . . .

غير أنه فى هذا البيت أشبه قليلا لتقدم ذكر مُطْعِم ، فكأنه قال : أبقى مجدُ هذا المذكور المتقدم ذِكْرُهُ مُطْعِماً . ووضع الظاهر موضع المضمر ، كما لو قلت : إن زيدا ضَرَبت جاريتُه زيدا ، أى : ضربت جاريتُه إياه ، ولا بأس بمثل هذا ، ولا سِيَّما إذا قصدت قصدَ التعظيم وتفخيم ذكر الممدوح ، كما قال الشاعر :

ومالى أن أكونَ أعيب يحيى ... وَيَحْيَى طَاهِرِ الأثواب بَرُّ

ويجوز نصبُه عندى على البدل من قوله : وَبكَّى عظيمَ المشعرين ، ويكون المفعولُ من قوله : أبقى مجدُه محذوفا ، فكأنه قال : أبقاه مجدُه أبدا ، والمفعول لا قُبحَ فى حذفه ، إذا دل عليه الكلام كما فى هذا البيت .

وذكر قول حسان فى هشام بن عمرو ، وقال فيه : للحارث بن حُبَيِّبِ ابن سُخَام ، وقد تقدم نسبه ، وهو حُبَيْب بالتخفيف تصغير حِبّ ، وجعله حسانُ تصغِير حبيب ، فشدَّده ، وليس هذا من باب الضرورَة ؛ إذ لا يسوغ أن يقال فى فُلَيْس : فُلَيِّس ، ولا فى كُلَيْب : كُلَيِّب فى شِعر ولا غيره ، ولكن لما كان الحِبُّ والحبيب بمعنى واحد جعل أحدهما مكان الآخر ، وهو حَسَنٌ فى الشعْرِ ، وسائغ فى الكلام ، وهشام بن عمرو هذا أسلم ، وهو مَعْدود فى المُؤَلَّفة قلوبُهم ، وكانوا أربعين رجلا فيما ذكروا .

وقوله : ابن سُخَام ، هو : اسم أمه ، وأكثر أهل النسب يقولون فيه : شُحَام بشين معجمة ، وألفيت فى حاشية كتاب الشيخ أن أبا عبيدَة النَّسّابة وعَوَانة يقولون فيه : سُحَام بِسين وحاء مهملتين ، والذى فى الأصل من قول ابن هشام :

رفع المسهم

إسلام الطفيل بن عمرو الدوسى

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على ما يَرى من قومه ، يبذل لهم النَّصيحة ، ويدعوهم إلى النجاة مما هم فيه . وجعلت قريشٌ ، حين منعه اللهُ منهم ، يحذّرونه النَّاس ، ومن قدم عليهم من العرب .

وكان الطفيل بن عمرو الدَّوْسِيّ يحدّث : أنه قدم مكة ـ ورسول الله صلى الله عليه وسلم بها ـ فمشى إليه رجالٌ من قُريش ـ وكان الطفيل رجلاً شريفا شاعراً لبيبا ـ فقالوا له : ياطُفيل ، إنك قدمتَ بلادنا ، وهذا الرجلُ الذى بين أظهرنا قد أعْضل بنا ، وقد فرّق جماعَتنا ، وشتّت أمرنا ، وإنما قولُه كالسِّحر يفرّق بين الرجل وبين أبيه ، وبين الرجل وبين أخيه ، وبين الرجل وبين زوجته ، وإنَّا نَخشى عليك وعلى قومك ماقد دَخل علينا ، فلا تُكَلمنَّه ولاتسمعنّ منه شيئا .

سخام بسين مهملة ، وخاء معجمة [1] ولفظ شُخَام من شَخُمَ الطعام ، وخَشِم إذا تغيرت رائحته ، قاله أبو حنيفة .

---

(١) فى نسب قريش ص ٤٣٢ أن شحاما بالشين والحاء هو : جذيمة بن مالك ابن حسل ، وأنه جد هشام بن عمرو بن ربيعة بن الحارث بن حبيب بضم الحاء ـ ابن جذيمة ابن مالك بن حسل . وفيه أيضا أن حبيبا بن جذيمة يقال له : شحام ، وأن أمه هى مارية بنت عبد معيص . وفى النسب بيت آخر غير ثلاثة الأبيات التى فى السيرة :

أخى بنو خلف وأخى قنفذ ... وأبو الربيع ، وطار ثوب هشام

ونسب هشام فى الجمهرة كما هو فى النسب ص ١٦٠ ، وفى الإصابة : حنيف بدلا من حبيب . وأن هشاما أعطاه النبي (ص) دون المائة من غنائم حنين .

رفع
المسهم
عبد الله المالكي

قال : فوالله مازالوا بى حتى أجمعتُ أن لاأسمع منه شيئا ، ولا أكلّمه ، حتى حشوتُ فى أذنى حين غدوتُ إلى المسجد كُرْسُفًا فَرَقًا من أن يبلغنى شىء من قوله ، وأنا لاأُريدأن أسمَعه . قال : فغدوت إلى المسجد ، فإذا رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قائمٌ يصلى عند الكعبة . قال : فقُمت منه قريبا ، فأبى اللهُ إلا أن يُسمعنى بعضَ قوله . قال : فسمعتُ كلاما حسنا . قال : فقلت فى نفسى : واثُكْل أمى !! والله إنى لرجُل لَبيب شاعرٌ مايخفى علىّ الحَسَنُ من القبيح ، فما يَمنعنى أن أسمَع من هذا الرجل مايقول ! فإن كان الذى يأتى به حسنا قبِلتُهُ ، وإن كان قبيحا تركتُه .

قال : فمكثت حتى انصرف رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى بيته فاتَّبعتهُ ، حتى إذا دخل بيته دَخلتُ عليه ، فقلت : يامحمد ، إنّ قومك قالوا لى كذا وكذا ـ للذى قالوا ـ فوالله مابَرِحوا يُخَوّفوننى أمرَك حتى سددت أذنى بكُرْسُف لئلا أسمع قولَك ، ثم أبى اللهُ إلا أن يُسمعنى قولَك ، فسمعتُه قولاً حسنا ، فاعرض على أمرك . قال : فعرض علىّ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الإسلام ، وتلا علىّ القرآن ، فلا والله ماسمعتُ قولاً قطُّ أحسنَ منه ، ولا أمراً أعدل منه ، قال : فأسلمت ، وشهدت شهادة الحقّ ، وقلت : يانبىّ الله إنى امرؤٌ مُطاع فى قومى ، وأنا راجعٌ إليهم ، وداعيهم إلى الإسلام ، فادعُ اللهَ أن يجعل لى آيةً تكون لى عونا عليهم فيما أدعوهم إليه فقال : اللهمّ اجعل له آية .

قال : فخرجت إلى قومى ، حتى إذا كنت بِثَنيَّة تُطْلِعُنى على الحاضر وَقع

نورٌ بين عينيّ مثلُ المصباح ، فقلت : اللهمّ في غير وَجْهي ، إني أخشى أن يظنُّوا أنها مُثْلة وَقعت في وجهي لفِراق دينهم . قال : فتحوّل فوقع في رأس سَوْطي . قال : فجعل الحاضرُ يتراءَوْن ذلك النور في سَوْطي كالقنديل المعلّق ، وأنا أهبط إليهم من الثَّنِيَّة ، قال : حتى جئتُهم فأصبحتُ فيهم .

إسلام والد الطفيل وزوجته

قال : فلما نزلت أتاني أبي ، وكان شيخا كبيرا ، قال : فقلت : إليك عني يا أبت ، فلستُ منك ، ولستَ مني ، قال : ولم يا بنيّ ؟ قال : قلت : أسلمتُ ، وتابعت دينَ محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : أي بنيّ ، فديني دينُك ، قال : فقلت : فاذهب ، فاغتسل ، وطَهِّر ثيابك ، ثم تعال حتى أعلمك ما عُلِّمتُ . قال : فذهب فاغتسل ، وطهَّر ثيابَه . قال : ثم جاء فعرضتُ عليه الإسلام ، فأسْــــلَم .

قال : ثم أتتني صاحبتي ، فقلت : إليك عني ، فلستُ منك ولست مني ، قالت : لِمَ ؟ بأبي أنت وأمي ، قال : قلت : قد فرّق بيني وبينك الإسلام ، وتابعتُ دين محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ قالت : فديني دينُك ، قال : قلت : فاذهبي إلى حِنَا ذي الشَّرى ـ قال ابن هشام : ويقال : حِمَى ذي الشَّرى ـ فتَطَهَّري منه .

ذو الشَّرى صنما لِدَوْس ، وكان الحمى حِمًى حَمَوْه له ، به وشَلٌ من ماء يَهْبِط من جبل .

قال : قالت : بأبى أنت وأمى ، أتخشى على الصبيَّة من ذى الشَّرى شيئا ؟ قال : قلت : لا ، أنا ضامنٌ لذلك ، فذهبت فاغتسلت ، ثم جاءت فعرضتُ عليها الإسلام ، فأسلمت .

ثم دعوت دَوْسا إلى الإسلام ، فأبطئوا علىّ ، ثم جئتُ رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بمكَّة ، فقلت له : يانبىّ الله ، إنه قد غلبنى على دَوْس الزّنا ، فادْعُ الله عليهم ، فقال : اللهمّ اهْدِ دَوسا ، ارجع إلى قومك فادعهم وارفُق بهم ، قال : فلم أزل بأرض دَوْس أدعوهم إلى الإسلام ، حتى هاجر رسول الله — صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، ومضى بَدرٌ وأُحدٌ والخندقُ ، ثم قدمتُ على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بمن أسْلَمَ معى مِنْ قومى ، ورسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — بِخَيْبَر ، حتى نزلتُ المدينةَ بسبعين أو ثمانين بيتا من دَوس ، ثم لِحَقنا برسول الله — صلى الله عليه وسلم — بخيبر ، فأسْهم لنا مع المسلمين .

ثم لم أزَل مع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — حتى إذا فتح اللهُ عليه مكةَ ، قال : قلت : يارسول الله ، ابعثنى إلى ذى الكفَّين ، صنمِ عمرو بن حُمَمَة حتى أُحْرقه .

قال ابن إسحاق : فخرج إليه ، فجعل طفيل يوقد عليه النار ، ويقول :

ياذا الكَفَّيْنِ لَسْتُ مِنْ عُبَّادِكا   ميلادنا أقْدَمُ مِنْ مِيلادكا

إنى حشوْتُ النَّار فِى فُوءَادِكا

قال : ثم رجع إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فكان معه بالمدينة ، حتى قبض اللهُ رسولَه — صلى الله عليه وسلم — فلما ارتدّت العرب ، خرج مع المسلمين ، فسار معهم ، حتى فرَغوا من طُليحة ، ومن أرض نَجْد كلِّها . ثم سار مع المسلمين إلى اليمامة — ومعه ابنُهُ عَمْرو بن الطُّفيل — فرأى رؤيا وهو متوجِّه إلى اليمامة ، فقال لأصحابه : إنى قد رأيت رؤيا ، فاعبُرُوها لى ، رأيتُ أن رأسى حُلِق ، وأنه خرج من فمى طائرٌ ، وأنه لقِيتْنى امرأةٌ ، فأدخلتنى فى فَرْجها ، وأرى ابنى يَطلبنى طَلَبا حَثيثا ، ثم رأيتُه حُبِس عنى ، قالوا : خيرا . قال : أمَّا أنا والله ، فقد أوَّلتُها ، قالوا : ماذا ؟ قال : أمَّا حلْق رأسى فَوَضْعه ، وأما الطائرِ الذى خرج من فَمِى فَرُوحِى ، وأما المرأة التى أدخلتنى فرجها ، فالأرض تُحْفَرُ لى ، فأُغيَّب فيها ، أما طَلَب ابنى إياى ثم حَبْسه عنى ، فإنى أراه سيَجْهد أنْ يصيبه ما أصابنى ، فقُتل رحمه الله شهيدا باليمامة ، وجُرح ابنه جراحة شديدة ، ثم استبَلّ منها ، ثم قُتل عام اليَرْموك فى زمن عمر رضى الله عنه شهيدا .

من قصة أعشى بن قيس بن ثعلبة

قال ابن هشام : حدثنى خلاد بن قُرّة بن خالد السَّدُوسىّ وغيرُه من مشايخ بَكْر بن وائل مِن أهل العلم : أن أعشى بنى قَيْس بن ثعلبة بن عُكَابة ابن صَعْب بن علىّ بن بَكْر بن وائل ، [بن قاسط بن هِنْبِ بن أفصى بن دُعْمِى ابن جَديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار] خرج إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يريد الإسلام، فقال يمدح رسولَ الله صلى الله عليه وسلم :

أَلَمْ تَغْتَمِضْ عَيْناكَ ليلةَ أَرْمَدَا … وبتَّ كما بات السَّليمُ مُسَهَّدَا
وَما ذاكَ مِنْ عشقِ النِّساء ، وإنما … تناسيتَ قبلَ اليوْم خُلَّة مَهْددا
ولكن أرى الدهرَ الذى هو خائنٌ … إذا أصلحتْ كفَّاى عاد ، فأفسدا
كُهولاً وشُبَّانا فقدتُ وثَرْوةً … فَلِلَّه هذا الدَّهرُ كيف تَرَدَّدا ! !
ومازلتُ أبغى المالَ مُذْ أنا يافعٌ … وليداً وكهلاً حين شِبْت وأمْردا
وأبتذل العيسَ المَراقيل تَغْتلى … مسافةَ مابين النُّجَيْر فصرْخَدا
ألا أيُّهذا السائلى أين يَمَّمتْ … فإنّ لها فى أهلِ يثربَ موْعدا
فإنْ تسألى عنى ، فيارُبَّ سائلٍ … حَفِىٍّ عن الأعشى بهِ حيثُ أصْعدا
أجدَّت برِجلَيْها النَّجاء ، وراجعتْ … يدَاها خِنافاً ليِّنا غيْرَ أحْردا
وفيها - إذاما هجَّرت - عجْرفيَّةٌ … إذا خِلْت حِرْباء الظَّهيرة أصْيدا
وآليْتُ لا آوى لها من كَلالة … ولا من حَفًى حتى تلاقى مُحمَّدَا
متى ما تُناخى عند باب ابنِ هاشم … تُراحِى ، وَتَلْقَىْ من فَواضله ندَى
نبيًّا يَرَى مالا ترَوْن وذكرُه … أغار لعَمْرى فى البلاد وأنجدا
له صَدقاتٌ ماتُغِبّ ونائلٌ … وليس عطاء اليوْم مانعَه غدا
أجِدَّكَ لم تسْمَع وَصاةَ محمد … نبىِّ الإلهِ حيثُ أوْصَى ، وأشهَدا
إذا أنت لم ترحل بزاد من التُّقَى … ولاقيت بعد الموْت مَنْ قد تَزَوّدا
ندمتَ على أن لا تكون كمثْله … فَتُرصِد للأمر الذى كان أرْصَدا
فإيّاكَ والمَيْتات لاتقربنَّها … ولاتأخُذَنْ سهما حديداً ، لتفْصِدا
وذا النُّصُبَ المنصوبَ لا تَنْسُكَنَّه … ولاتعبد الأوثان ، والله فاعبُدا

رفع
المسهم

ولا تقربنَّ حُرّةً كان سِرُّها عليكَ حراما فانْكِحَنْ أو تأبَّدا
وذا الرّحِم القُربَى فلا تقطعَنَّه لعاقبةٍ ولا الأسير المُقيَّدا
وسبِّح على حين العشيّاتِ والضحى ولا تحمَد الشيطانَ والله فاحمَدا
ولا تسخرًا من بائس ذي ضرارة ولا تحسبنّ المال للمرء مُخلِدا

مصير الأعشى

فلما كان بمكة أو قريبا منها ، اعترضه بعضُ المشركين من قريش ، فسأله عن أمره ، فأخبره أنه جاء يريد رسولَ الله — صلى الله عليه وسلم ؛ ليُسلم ، فقال له: يا أبا بصير ، إنه يُحرِّم الزّنا ، فقال الأعشى : والله إن ذلك لأمرٌ مالى فيه من أرَب ، فقال له : يا أبا بصير ، فإنه يحرم الخمْر ، فقال الأعشى : أمّا هذه فوالله إنّ فى النفس منها لَعُلالات ، ولكنى منصرفٌ فأتروّى منها عامى هذا ، ثم آتيه فأسلم . فانصرف فمات فى عامه ذلك ، ولم يَعُد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذلة أبي جهل

قال ابن إسحاق : وقد كان عدوّ الله أبو جهل بن هشام مع عداوته لرسول الله — صلى الله عليه وسلم — وبغضه إياه ، وشدّته عليه ، يُذِلُّه الله له إذا رآه .

رفع
المسار
عز الله الطرق الدين

أبو جهل والإراشى

قال ابن إسحاق : حدثنى عبد الملك بن عبد الله بن أبى سفيان الثقفى ، وكان واعية ، قال : قدِم رجلٌ من إراش – قال ابن هشام : ويقال : إراشة – بإبل له مكةَ ، فابتاعها منه أبو جهل ، فمَطَله بأثمانها . فأقبل الإراشى حتى وقف على نادٍ من قريش ، ورسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – فى ناحية المسجد جالسٌ ، فقال : يامعشر قريش ، مَنْ رجلٌ يؤدّينى على أبى الحَكم بن هِشام ، فإنى رجلٌ غريب ، ابنُ سَبيل ، وقد غلبنى على حقى ؟ : فقال له أهلُ ذلك المجلس : أترى ذلك الرجلَ الجالس – لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهم يهزءون به ؛ لما يعلمون بينه وبين أبى جهل من العداوة – اذهَبْ إليه ، فإنه يُؤَدّيك عليه .

فأقبل الإراشى حتى وقف على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال : ياعبد الله إنّ أبا الحَكم بنَ هشام قد غَلَبنى على حقّ لى قِبَله ، وأنا غريب ابن سَبيل ، وقد سألت هؤلاء القومَ عن رجل يؤدّينى عليه ، يأخذ لى حقّى منه ، فأشاروا لى إليك ، فخُذْ لى حقّى منه ، يرحمك الله ، قال : انطلق إليه ، وقام معه رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – فلما رأوْه قام معه ، قالوا لرجل ممن معهم : اتبعه ، فانظر ماذا يصنع .

قال : وخرج رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حتى جاءه ، فضرب عليه بابَه ، فقال : من هذا ؟ قال : محمد ، فاخرج إلىّ ، فخرج إليه ، وما فى وجهه من رائحة ، قد انتُقِع لونُه ، فقال : أعطِ هذا الرجل حقّة ، قال : نعم ،

رفع
المسيهم
عز الله لي الهداية

لاتبرحْ حتى أعطيـــه الذى له ، قال : فدخل ، فخرج إليه بحقِّه ، فدفعه إليه . قال : ثم انصرف رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقال للإراشى : الحق بشأنك ، فأقبل الإراشى حتى وقف على ذلك المجلس ، فقال : جزاه الله خيراً ، فقد والله أخذ لى حقى .

قال : وجاء الرجل الذى بعثوا معه ، فقالوا : ويحك ! ماذا رأيت ؟ قال : عجبا من العجب ، والله ماهو إلا أن ضَرب عليه بابَه ، فخرج إليه ومامعه رُوحُه ، فقال له : أعط هذا حقَّه ، فقال : نعم ، لاتبرحْ حتى أُخرج إليه حقَّه فدخل فخرج إليه بحقه ، فأعطاه إياه . قال : ثم لم يلبث أبو جهل أن جاء ، فقالوا له : وَيْلك! مالك ؟ والله مارأينا مثل ماصنعت قطُّ ! قال : ويحَـكم ، والله ماهو إلا أن ضربَ علىّ بابى ، وسمعت صوتَه ، فمُلئت رعبا ، ثم خرجتُ إليه ، وإنّ فوق رأسه لفَحْلاً من الإبل ، مارأيت مثلَ هامته ، ولا قَصَرَته ، ولا أنيابه لفَحْلٍ قط ، والله لو أبيتُ لأكلنى .

ركانة ومصارعته

قال ابن إسحاق : وحدثنى أبى إسحاقُ بن يسار ، قال : كان رُكَانَةُ ابن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف أشدَّ قُرَيش ، فخلا يوما برسولِ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى بعض شِعاب مكة ، فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : يارُكانة ، ألا تتقى الله ، وتقبل ما أدعوك إليه ؟ قال : إنى لو أعلم أن الذى تقول حقّ لاتبعتك ، فقال رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم :

أفرأيتَ إن صَرَعتُك ، أتعلم أنَّ ما أقول حقٌّ ؟ قال : نعم ، قال : فقم حتى أصارعك . قال : فقام إليه رُكانة يصارعه ، فلما بطش به رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أضجعه ، وهو لايملك من نفسه شيئا ، ثم قال : عُدْ يامحمد ، فعاد فصرعه ، فقال يامحمد : والله إن هذا لَلعَجَب ، أتصرعنى ! فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : وأعجبُ من ذلك إن شئت أن أُريكه ، إن اتَّقيت الله واتبعت أمرى ، قال: ماهو ؟ قال : أدعو لك هذه الشجرةَ التى ترى فتأتينى ، قال : ادْعُها ، فدعاها ، فأقبلت حتى وقفتْ بين يدَىْ رسولِ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : فقال لها : ارجعى إلى مكانك . قال : فرجعت إلى مكانها !

قال: فذهب رُكانة إلى قومه،فقال : يابنى عبد مناف ، ساحِرُوا بصاحبكم أهلَ الأرض ، فوالله مارأيت أسحرَ منه قطُّ ، ثم أخبرهم بالذى رأى ، والذى صنع .

قدوم وفد النصارى من الحبشة

قال ابن إسحاق : ثم قدم على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو بمكة ـ عشرون رجلاً ، أو قريبٌ من ذلك من النَّصارى ، حين بلغهم خبرهُ من الحبشة ، فوجدوه فى المَسْجد ، فجلسوا إليه وكلَّموه وسألوه ، ورجالٌ من قُريش فى أنديتهم حولَ الكعبة ، فلما فرغوا من مسألة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عما أرادوا ، دعاهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى الله ـ عزّ وجلّ ـ وتلا عليهم القرآن ، فلما سمعوا القرآن فاضت أعينُهم من الدمع ، ثم استجابوا

لله ، وآمنوا به وصدّقوه ، وعرفوا منه ما كان يُوصف لهم فى كتابهم من أمْره . فلما قاموا عنه اعترضهم أبو جَهْل بن هشام فى نَفَر من قُريش ، فقالوا لهم: خيَّبكم الله مِنْ رَكْب ! بعثكم مَن وراءكم مِنْ أهل دينكم ترْتادون لهم ؛ لتأتوهم بخَبر الرجل ، فلم تطمئنّ مجالُسكم عنده ، حتى فارقتم دينَكم ، وصدّقتموه بما قال ، مانعلم ركبا أحمق منكم ، أو كما قالوا ، فقالوا لهم : سلام عليكم ، لانُجاهِلكم ، لنا مانحن عليه ، ولكم ما أنتم عليه ، لم نألُ أنفسَنا خيراً .

ويقال : إن النَّفر من النَّصارى من أهل نَجْران ، فالله أعلم أىّ ذلك كان. فيقال ـ والله أعلم ـ فيهم نزلت هؤلاء الآيات: « الذين آتَيْناهُمُ الكِتابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ . وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قالُوا آمَنَّا بِهِ ، إِنَّهُ الحَقُّ مِنْ رَبِّنا ، إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ » .. . إلى قوله : « لَنا أَعْمالُنا وَلَكُم أَعْمالُكُمْ ، سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِى الجاهِلِينَ » القصص : ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٥ .

قال ابن إسحاق : وقد سألت ابن شهاب الزُّهرىّ عن هؤلاء الآيات فيمن أُنزلن، فقال لى : ما سمع من علمائنا أنَّهن أُنزلن فى النجاشى وأصحابه، والآية من سورة المائدة من قوله : « ذلكَ بأنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْباناً ، وأَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ » .. . إلى قوله : « فاكْتُبْنا مَعَ الشَّاهِدِينَ » المائدة : ٨٢ ، ٨٣ .

قال ابن إسحاق وكان رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا جلس

فى المسجد ، فجلس إليه المُستضعَفون من أصحابه : خبَّابٌ ، وعمَّار ، وأبو فكيهة يسار مولى صَفْوَان بن أميَّة بن مُحرِّث ، وصُهَيب ، وأشباههم من المسلمين ، هَزِئت بهم قريش ، وقال بعضُهم لبعض : هؤلاء أصحابه كما ترون ، أهؤلاء مَنَّ الله عليهم من بَيْننا بالهدى والحقّ ! لو كان ماجاء به محمدٌ خيراً ماسَبَقنا هؤلاء إليه، وما خصهم اللهُ به دُوننا . فأنزل الله تعالى فيهم : « وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُون رَبَّهُمْ بالغَدَاةِ والعَشِيِّ يُريدون وَجْهَهُ ما عليكَ من حِسابِهم مِنْ شَيْءٍ،وما مِنْ حسابك عليهم مِنْ شَيْءٍ فتطرُدَهُمْ فتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ، وكذلكَ فتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْض لِيَقُولُوا : أهؤلاءِ مَنَّ اللهُ عَلَيْهِم مِنْ بَيْننا ، أَلَيْسَ اللهُ بأعْلَمَ بالشَّاكِرِينَ . وَإِذَا جاءكَ الَّذِين يُؤْمِنُونَ بآياتنا ، فَقُلْ : سَلامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ على نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجهالَةٍ ، ثُمَّ تابَ مِنْ بَعْدِهِ وأصْلَحَ فأنَّهُ غفورٌ رحيمٌ » الأنعام : ٥٢ ـ ٥٤

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فيما بلغنى ـ كثيراً مايَجْلس عند المَرْوة إلى مَبِيعَة غلامٍ نَصْرانىّ ، يقال له : جَبْرٌ ، عَبْدٌ لبنى الحَضْرمىّ ، فكانوا يقون : والله ما يعلِّم محمداً كثيراً مما يأتى به إلا جَبْرٌ النَّصرانى ، غلامُ بنى الحضرمى ، فأنزل الله تعالى فى ذلك من قولهم : « وَلَقَدْ نَعْلَمُ أنَّهُمْ يقُولونَ : إنَّما يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لسانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ » النحل : ١٠٣

قال ابن هشام : يُلْحدون إليه: يميلون ، والإلحاد : الميل عن الحقّ

قال رؤبة بن العَجَّاج :

إذا تَبِع الضَّحَّاكَ كلُّ مُلْحِد [ونحن ضَرَّابُون هامَ العُنَّدِ]

ابن هشام : يعنى الضحَّاك الخارجىّ ، وهذ البيت فى أرجوزة له

. . . .

رفع المسهم

. . . .

حول حديث طفيل الدوسي وذي الكفين :

فصل : وذكر حديث طُفَيْلِ بن عمرو الدَّوْسِيِّ ، وهو طُفَيْل بن عَمْرو ابن طَرِيف بن العاصي بن ثعلبة بن سُلَيْم بن جهم بن دَوْس إلى آخره[1] وليس فيه إشكال إلا قوله : حِمَا ذى الشَّرَى ، وقد قال ابن هشام : هو حِمى ، وهو موضع حَمَوْهُ لصنمهم ذى الشَّرى ، فإن صحت رواية ابن إسحاق ، فالنون قد تبدل من الميم ، كما قالوا : حُلاَّن وحُلاَّم للجدى ، ويجوز أن يكون من حَنَوْت العود ، ومن مَحْنِيَةِ الوادى ، وهو ما انحنى منه .

وقوله : ياذا الْكَفَيْنِ لست من عُبَّادكا . أراد : الكفّين بالتشديد ، نخفف للضرورة ، غيرأن فى نسخة الشيخ أن الصنم كان يسمى : ذا الْكَفَيْنِ ، وخفف.

---

(١) فى الإصابة : ابن فهم بدلا من : جهم . وله فيها نسب آخر هو : ابن عبد عمرو بن عبدالله بن مالك ، بن عمرو بن فهم، لقبه : ذو النور ، وحكى المرزبانى فى معجمه أنه الطفيل بن عمرو بن حممة

ويقول ابن حجر فى الإصابة عن قصة الطفيل فى السيرة : « ذكرها ابن إسحاق فى سائر النسخ بلا إسناد ، وأخرجه ابن سعد أيضاً من وجه آخر وكذلك الأموى عن ابن الكلبى بإسناد آخر . هذا وقد ذكر ابن حبان أنه مات باليرموك ، وقيل : بأجنادين كما ذكر موسى بن عقبة وأبو الأسود عن عروة .

(٢) فى الأصنام لابن الكلبى ص ٣٧ ط ١ : « وكان لدوس ثم لبنى منهب ابن دوس صنم يقال له : ذو الكفين ، فلما أسلموا بعث النبى « ص » الطفيل ابن عمر الدوسى فحرقه . وروى الرجز ، وفى جمهرة ابن حزم : « كان لخزاعة ودوس ، كسره عمرو بن حممة الدوسى » ص ٤٦٠ ، وفى المراصد : أن فاءه تخفف وتضعف . وقد ذكره القاموس فى مادة كف .

رفع المسار هما

. . . .

الفاء بخطِّه بعد أن كانت مشددة ، فدل أنه عنده مخفف فى غير الشعر ، فإن صح هذا فهو محذوف اللام ، كأنه تثنية كَفْءٍ ، من كفأتُ الإناء ، أو إذا كفء بمعنى كفء ؟ ! ثم سُهِّلَت الهمزةُ ، وألقيت حركتها على الفاء ، كما يقال : الخَبْء والخَبُ[1] ، وفى الحديث : أن أهل الحاضر من دَوْسٍ كانوا يتراءونه فى الثَّنِيَّة ، وفى سوطه كالقِنْديلِ المعلَّق[2] ، وذكره المبرِّد فقال فى لفظ الحديث : جعلوا ينظرون إلى الجبل ، وهو يهتف من شدة الضياء والنور ، وروى ، أبو الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة قال : لما قال طفيل للنبى — صلى الله عليه وسلم — إن

---

(١) يقول ابن الحاجب فى باب تخفيف الهمزة المتحركة الساكن ما قبلها : « والمتحركة إن كان قبلها ساكن ، وهو واو أو ياء زائدتان لغير الإلحاق قلبت إليها ، وأدغمت فيها كخطية ، ومقروة ، وأفيس . . . وإن كان حرفا صحيحا أو معتلا غير ذلك نقلت حركتها إليه ، وحذفت نحو : مسلة وخب وشى وسو » ص ٣٢ حـ ٣ شرح الشافية ، ويقول الرضى : اعلم أنه إذا وقف على المتحركة المتطرفة ، فإما أن يوقف على مذهب أهل التحقيق ، أو على مذهب أهل التخفيف ، فالأول مضى حكمه مستوفى فى باب الوقف ، وأما على مذهب أهل التخفيف فإنه تخفف الهمزة أولا ؛ لأن حالة الوصل متقدمة على حالة الوقف ، ونقل الهمزة حاصل حالة الوصل ، فتخفف على ما هو حق التخفيف من النقل والحذف فى نحو الخبء والقلب والإدغام فى نحو : برىء ومقروء ، فيبقى الخب بتحريك الباء كالدم ، ثم يوقف عليه بالسكون المحض ، والروم أو الإشمام أو التضعيف » ص ٤٣ حـ ٣ شرح الشافية .

(٢) هذا كلام رواه الطبرى وأبو الفرج الأصبهانى عن طريق ابن الكلبى ، فتأمل الطريق . وحادث مثل هذا كان يدعو إلى أن تتواتر عن الناس أخباره ، لا أن يروى هكذا كوسوسة الشيطان تحصره الملائكة .

. . . .

دَوْسا غلب عليها الزنى والربا ، فادع الله عليهم ، قلنا : هلكت دوس ، حتى قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ اللهم اهد دوسا[1] .

الأعشى ووالبة وحمزة والشرف :

فصل : وذكر ابن هشام حديث الأعشى[2] وقصيدته إلى آخرها ، فلما كان قريبا من مكة لقيه بعض المشركين ، فقال : إلى أين يا أبا بصير ؟ الحديث ، وذكر تحريمه الخمر ، وتحريمه الزنى ، وقول الأعشى : أما الخمر ففى النفس منها عُلالات وقال غير ابن هشام : كان القائلَ لِلأعشى هذه المقالة أبو جهل . قالها فى دار عُتْبَة ابن ربيعة ، وكان نازلا عنده ، قال المؤلف : وهذه غَفْلَةٌ من ابن هشام ، ومن قال بقوله ، فإن الناس مجمعون على أن الخمر لم ينزل تحريمها إلا بالمدينة بعد أن مضت بدر وأحد[3] ، وحرمت فى سورة المائدة ، وهى من آخرِ ما نزل ، وفى

---

(١) رواه الشيخان

(٢) كان أبوه قيس يدعى : قتيل الجوع ؛ لأنه دخل غارا ، فوقعت صخرة ، فسدت الغار ، فمات جوعا ص ٨٣ سمط اللآلى ، وفى طبقات الشعراء لابن قتيبة أن رحلته كانت فى صلح الحديبية ، وهذا يوافق ماذهب إليه السهيلى ، وماذكر عن تحريم الخمر ، وما ورد فى القصيدة

ونسبه فى الأغانى : ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل بن عوف ، ابن سعد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة الحصن الخ وما بين قوسين فى السيرة زدته عن الأغانى . كان الأعشى يلقب بصناجة العرب ، لأنه — كما يقول صاحب الأغانى ـ كان يغنى فى شعره .

(٣) تظاهرت عدة أحاديث تؤيد هذا الرأى ، وفى البخارى بسنده عن جابر قال : «صبح أناس غداة أحد الخمر ، فقتلوا من يومهم شهداء ، وذلك قبل تحريمها »

رفع
المسترهم
غفر الله له ولوالديه

. . . .

الصحيحين من ذلك قصةُ حمزة حين شربها ، وغنَّته القَيْنتان : ألا ياحمزَ ، للشُّرُف[1] النِّوَاءِ ، فبقَر خواصِرَ الشارِفين ، واجْتَبَّ أسْنِمتَهمَا .

(١) الحديث كما قال . وخلاصته أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كان قد أعطى عليا شارفا — والشارف من الإبل الناقة التى قد أسنت — من غنائم بدر غير شارف آخر كان لعلى نصيبا من غنائم بدر ، وذهب على لبعض شأنه ، والشارفان إلى جنب حجرة رجل من الأنصار ، فلما عاد على وجدهما ، وقد قطعت أسنمتهما ، وبقرت خواصرهما ، وأخذ من أكبادهما ، فبكى على ، وعرف أن فاعل ذلك هو عمه حمزة الذى كان مع جماعة من الأنصار يشـــربون الخمر ، فسكر ، وغنته جاريتان شعرا – سيأتى بعد – فقام وفعل بالشارفين ما تقدم ذكره ، فذهب على يشكو للنبى « ص » فذهب النبى « ص » إلى البيت الذى فيه حمزة ، وطفق يلومه ، فراح يصعد النظر فى رسول الله « ص » عدة مرات ، ثم قال حمزة : هل أنتم إلا عبيد لأبى ، فعرف الرسول « ص » أنه قد ثمل — أى غشاه السكر — فنكص على عقبيه القهقرى ، وقد غنت الجاريتان حمزة بما يأتى :

ألا يا حمز للشرف النـــواء وهن معقلات بالفنـــاء
ضـــع السكين فى اللبات منها وضـــرجهن حمزة بالدماء
وعجل من أطايبهـــا لشرب قديداً من طبيخ أو شـــواء

وقد أراد الذى أمر القينتين أن تغنيا هذا بعث همة حمزة — لما عرف من كرمه — لنحر الناقتين . والنواء بكسر النون جمع ناوية ، وهى الناقة السمينة . والشرب بكسر الشين وسكون الراء جمع شارب ، والفناء بكسر الفاء : جانب الدار التى كانوا فيها ، وضرج : لطخ ، القديد : اللحم المطبوخ . وفى معجم الشعراء للمرزبانى أن هذا الشعر لعبد الله بن السائب بن أبى السائب المخزومى ، ولكنه غير أنصارى . والقهقرى : المشى إلى خلف ، وهذه حكمة عظيمة من الرسول « ص » ، إذ خشى ازدياد عبث حمزة فى حال سكره ، فينتقل من القول إلى الفعل . وعند ابن أبى شيبة أن الرسول « ص » أغرم حمزة ثمن الناقتين . وقد روى البخارى الحديث فى باب الخمس ، وغنائم بدر

رفع
المسلم
عز الله لطيفه

. . . .

وقوله للنبي عليه السلام: هل أنتم إلاَّ عَبِيدٌ لآ بائى ، وهو ثَمِل. الحديث بطوله . فإن صح خبر الأعشى ، وماذكر له فى الخمر ، فلم يكن هذا بمكة ، وإنما كان بالمدينة ، ويكون القائل له : أما علمت أنه يحرم الخمر ، من المنافقين ، أو من اليهود ، فالله أعلم . وفى القصيدة ما يدل على هذا قوله : فإن لها فى أهل يثرب موعدا ، وقد ألفيت للقالى رواية عن أبى حاتم عن أبى عبيدة قال : لقى الأعشى عامر بن الطُّفَيْل فى بلاد قيس ، وهو مقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فذكر له أنه يحرم الخمر ، فرجع ، فهذا أولى بالصواب ، وقول الأعشى : أتروّى منها هذا العام ، ثم أعود فأسلم لايخرجه عن الكفر بإجماع ، قال الإسفراينى فى عقيدته : إذا قال المؤمن سأكفر : غداً أو بعد غد ، فهو كافر لحينه بإجماع ، وإذا قال الكافر : سأومن غدا ، أو بعد فهو على كفره ، لايخرجه عن حكم الكفر إلا إيمانه إذا آمن ، ولا خلاف فى هذا والله المستعان .

وقوله: أَلَمْ تَغْتَمِضْ عيناك ليلة أَرْمَدَا ، لم ينصب ليلة على الظرف ؛ لأن ذلك يفسد معنى البيت ، ولكن أراد المصدر فحذفه ، والمعنى : اغتماض ليلة أرمد ، فحذف المضاف إلى الليلة ، وأقامها مقامه ، فصار إعرابها كإعرابه(١) ، وقد روى هذا البيت : ليلك بالكاف ، ومعناه : غَمْضُ أَرْمَد ، وقيل : بل أرمد على هذه

(١) قال الفارسى : أراد : اغتماض ليلة أرمد ، وليس بظرف ، ونسبه الاغتماض إلى الليل ، كما قال عز وجل : « بل مكر الليل والنهار » ص ٥٤٠ سمط اللآلى للبكرى

. . . .

الرواية من صفة الليل ، أى حال منه على المجاز ، كما تقول : ليلك ساهر .

وقوله : تناسيت قبل اليوم خُلّةَ مَهْدَدَا . مَهْدَدٌ : فَعْلَل من المَهْد ، ولولا قيام الدليل على أن الميم أصلية لحكمنا بأنه مَفْعل ؛ لأن الكلمة الرباعية إذا كان أولها ميما أو همزة ، فحملها على الزيادة ، إلا أن يقوم دليل على أنها أصلية ، والدليل على هذه الكلمة ظهور التضعيف فى الدال ؛ إذ لو كانت الميم زائدة لما ظهر التضعيف ، ولقلت فيه : مَهَدّ كما تقولُ : مَردّ وَمكرّ ومَفرّ فى كل ماوزنه مفْعَل من المضاعف ، وإنما الدال فى مَهْدَدَ ضوعفت ليلحق ببناء جَعْفر (١)

(١) يقول أبو عثمان المازنى فى التصريف فى باب الإلحاق المطرد فى الأسماء والأفعال : « أما المطرد الذى لا ينكسر ، فأن يكون موضع اللام من الثلاثة مكررا للالحاق مثل مهدد وقردد وعندد » ص ٤٧

ويقول ابن جنى فى المنصف شرح التصريف : « اعلم أنك إذا استوفيت ثلاثة أحرف من الأصول ثم تكررت اللام قضيت بزيادتها ، وذلك نحو قردد وجلبب فالدال والباء الأخيرتان زائدتان ؛ لأنهما قد تكررتا ، ولو كان موضع الدال الأخيرة حرف غير الدال لكانت الكلمة رباعية » ص ٤٧

وفى ص ١٤١ يقول أبو عثمان المازنى : « ومهدد الميم فيه أصل ؛ لأنها لو كانت زائدة لكانت مهدا : « بفتح الميم والهاء وتضعيف الدال » لأن مفعلا : « بفتح الميم وسكون الفاء وفتح العين » من المضاعف يجىء مدغما نحو مرد ومسد » . ويشرح ابن جنى هذا بقوله : « فظهور الدالين يدل على أنه فعلل بمنزلة قردد فإن قال قائل فقد قالوا : محبب فبينوا وهو مفعل — فما تنكر أن يكون مهدد أيضاً مفعلا من الهد ؟ قيل محبب شاذ لايقاس عليه ، وقياسه محب كمرد ومسد ثم بين أن محبب علم ، والأعلام تغير كثيراً عما عليه أكثر الأسماء ، ولهذا جاز فى محبب إظهار التضعيف » ثم قال : فإن قال قائل فإن مهدد اسم علم ، وهو اسم امرأة ، فما تنكر أن يكون مهدد مثل محبب ، إذ هو علم مثله ؟ ثم أجاب هو عن

. . . .

وقوله : إذا خلت حِرْباء الظهيرة أَصْيَدا . والأصيد : المائل العنق ـ ولما كانت الحِرْباء تدور بوجهها مع الشمس كيفما دارت ، كانت فى وسط السماء فى أول الزوال ، كالأصيد ، وذلك أحر ماتكون الرَّمْضاء . يصف ناقته بالنشاط ، وقوة المشى فى ذلك الوقت .

وقوله : خِنافاً إلْيَنا . فى العين : خَنَفَت الناقة تخنِف بيديها فى السير ، إذا مالت بهما نشاطا ، وناقة خَنُوف قال الراجز .

إن الشِّواءَ والنَّشِيلَ والرُّغُفْ والقَيْنَةَ الحسناء ، والكأسَ الأُنُفْ

للطاعنين الخيلَ ، والخيلُ خُنُفْ(١)

هذا بقوله : إن محبب مفعل من الحب ، أما مهدد فليس فيها دليل يدل على أنها من الهد ، دون المهد ، فيقضى بأنه مفعل ، انظر ص ٤١ ، ٤٧ ، ١٤١ من كتاب المنصف لابن جنى بشرحه التصريف للمازنى ، انظر أيضاً ص ٥٨ جـ ٢ الخصائص وص ١٤ ، ٥٧ ، ٦٣ ، ٦٤ من شرح شافية ابن الحاجب جـ ١

(١) الرجز للقيط بن زرارة ، وفى اللسان : النشيل ، وقطف بدلا من الفسيل وخنف ، وللضاربين الهام بدلا من : الطاعنين الخيل . والشواء : لحم مشوى . والنشيل على رواية اللسان : ما طبخ من اللحم بغير توابل يخرج من المرق ، وينشل . ويقال أيضاً ، نشل اللحم : أخذ بيده عضوا ، فتناول ما عليه من اللحم بفيه وهو النشيل ، واللحم الذى يؤخذ قبل النضج ، والقينة : الجارية المغنية ، الكأس الأنف : هى التى لم يشرب بها قبل ، والقطف : جمع قطوف ، وهى التى تسىء السير

. . . .

وقوله : ايّناً غير أحْرَدا[1] أى : تفعل ذلك من غير حرَد فى يديها ، أى اعوجاج ، والنُّجَيْرُ وصَرْخَدُ بلدان ، وأهل النجير أول من ارتد فى خلافة أبى بكر بعد أهل[2] دَبَا وكان أهل دبا قد حاصرهم حُذَيفَةَ بن أسَيْد ، وحاصر أهل النجير زياد بن لبيد بأمر أبى بكر ، حتى نزلوا على حكمه . وأما صَرْخَدُ فبلد طيب الأعناب ، وإليه تنسب الخمرُ الصَّرْخَديَّة . وفى الأمالى : ولذٍّ كطعم الصَّرْخَدِى تركته

(١) البيت فى اللسان فى مادة : خنف .

(٢) بفتح الدال على وزن فعل مع القصر : سوق من أسواق العرب بعمان ، ومدينة عظيمة مشهورة بعمان كانت قصبتها ، وبضم مع تشديد الباء من نواحى البصرة فيها أنهار وقرى ، والدبا بالتعريف : موضع بظهر الحيرة معروف ، وفى هامش نسخة من معجم مااستعجم : ودبا : إحدى فرضتى العرب يجتمع فيها تجار أهل الهند والسند . والصين وأهل المشرق والمغرب »

(٣) تمام البيت : « بأرض العدا من خشية الحدثان » وبعده :

ومبدلى الشحناء بينى وبينــه دعوت وقد طال السرى ، فدعانى

لذ : يعنى النوم ، والصرخدى : العسل كذا قال أبو المياس ، والعدا : الأعداء ، الحدثان : مايحدث من الامور . وقال أبو بكر : اللذ : اللذيذ يعنى النوم والصرخدى : الخمر ، وقوله : ومبدلى الشحناء ، يعنى : كلبا وذلك أن الرجل إذا تحير فى الليل ، فلم يدر أين البيوت نبح ، فتسمعه الكلاب ، فتنبح ، فيقصد أصواتها . ص ٢١٠ ج ١ أمالى القالى ط ٢ ولم ينسبهما إلى أحد . وهما فى حيوان الجاحظ ص ١٢١ ح ١ . تحت عنوان : وقال آخر يصف كلبا . والبيت الأول فى اللسان رواه فى مادة : لذ ، وصرخد ، وقال . قال ابن برى : البيت للراعى ، وعجزه : دفعته . عشية خمس القوم والعين عاشقة ، أراد أنه لما دخل ديار أعدائه لم ينم حذارا لهم . وبهذه الرواية الأخيرة رواه اللسان فى مادة صرخد .

. . . .

وقوله: وآليت لا آوى لها من كَلاَلة، ولا من وَجًى [١]، أى: لا أرق لها، يقال: آويت للضعيف إِيَّة ومأوِيَة [٢] إذا رقت له كبدك.

وقوله: أغار لَعَمْرى فى البلاد وأنجدا، المعروف فى اللغة: غار وأنجد، وقد أنشدوا هذا البيت: لعمرى غَارَ فى البلاد وأنجدا. والغَورُ: ما انخفض من الأرض، والنجْدُ: ما ارتفع منها، وإنما تركوا القياس فى الغور، ولم يأت على أفعل إلا قليلا، وكان قياسه أن يكون مثل أَنْجَدَ، وأَتْهم؛ لأنه مَن أَمَّ الغور، فقد هبط ونزل، فصار من باب غار الماء، ونحو ذلك، فإن أردت: أَشْرَف على الغَور، قلت: أغار، ولا يكون خارجا عن القياس [٣]

وقال: صرخد: موضع نسب إليه الشراب فى قول الراعى، ثم روى البيت بالرواية الأخيرة.

ولذ كطعم الصرخدى طرحته عشية خمس القوم والقوم عاشقة

وفى المراصد: صرخد: قلعة ملاصقة لبلد حوران حصينة وولاية واسعة حسنة، وينسب إلى صرخد الخمر الجيد. وقد وصفها أبو الفداء فى التقويم وصفا دقيقا، ومن قاله أن من شرقيها يسلك الإنسان طريقا إلى العراق يتطلب من السائر عشرة أيام ليصل إلى بغداد.

(١) فى الأغانى: فآليت لا أرثى. والأغانى حفى كما فى السيرة، وفى تجريد الأغانى: وجى كما فى الروض. وهناك فى الأغانى مغايرة أخرى هينة لما هنا.

(٢) فى القاموس: أوى له كروى أوية، وإية ومأوية، ومأواة: رق.

(٣) وفى الأغانى عن مصيره: «فبلغ خبره قريشا، فرصداه على طريقه، وقالوا: هذا صناجة العرب ما مدح أحدا قط إلا رفع من قدره، فلما ورد عليهم، قالوا له: أين أردت يا أبا بصير قال: أردت صاحبكم هذا لأسلم، قالوا: إنه ينهاك عن خلال ويحرمها عليك وكلها بك رافق ولك موافق، قال: وماهن؟

. . . .

وقوله : وليس عطاء اليوم مانعه غدا . معناه على رفع العطاء ونصب مانع ، أى : ليس العطاء الذى يعطيه اليوم مانعاله غدا من أن يعطيه ، فالهاء عائدة على الممدوح ، فلو كانت عائدة على العطاء لقال: وليس عطاء اليوم مانعه هو، بإبراز الضمير الفاعل ، لأن الصفة إذا جرت على غير من هى له برز الضمير المستتر بخلاف الفعل ، وذلك لسر بيناه فى غير هذا الموضع لم يذكره الناس ، ولو نصب العطاء لجاز على إضمار الفعل المتروك إظهاره ، لأنه من باب اشتغال الفعل عن المفعول بضميره ، ويكون اسم ليس على هذا مضمرا فيها عائدا على النبى صلى الله عليه وسلم .

فقال أبو سفيان بن حرب : الزنا ، قال : لقد تركنى الزنا ، وما تركته ، ثم ماذا ؟ قال : القمار ، قال : لعلى إن لقيته أن أصيب منه عوضا عن القمار ، ثم ماذا ؟ قالوا : الربا . قال : ما دنت ولا أدنت ، ثم ماذا ؟ قالوا : الخمر ، قال : أوه، أرجع إلى صبابة قد بقيت لى فى المهراس ، فأشربها فقال له أبو سفيان : هل لك فى خير مما هممت به ؟ قال : وما هو ؟ قال : نحن ، وهو الآن فى هدنة ، فتأخذ مائة من الإبل ، وترجع إلى بلدك سنتك هذه ، وتنظر ما يصير إليه أمرنا ،فإن ظهرنا عليه كنت قد أخذت خلفا، وإن ظهر علينا أتيته، ورجع بعد أن أخذ مائة بعير .ورواية الأغانى تتفق وما قيل عن تحريم الخمر ، وماروى فى بعض الأحاديث عن زمن تحريمها . وعن مصير الأعشى يقول الأغانى : فلما كان بقاع منفوخة رمى به بعيره فقتله ، ورواية الأغانى قريبة جداً من رواية ابن قتيبة فى طبقات الشعراء

غور كل شىء : قعره وعمقه وبعده ، وقال الفراء : أغار بمعنى : غار . ويقول ابن منظور . وقد روى بيت أعشى مخروم النصف : غار لعمرى فى البلاد وأنجدا . وقال الجوهرى : غار يغور غورا ، أى : أتى الغور ، ولايقال: أغار.وقال الأصمعى عن معنى أغار فى بيت الأعشى : أسرع ، وأنجد: أى ارتفع ، ولم يرد فى البيت : أتى الغور ، ولا نجدا ، قال : وليس عند الأصمعى فى إتيان الغور إلا غار . وانظر مادة غور ، ففيها تفصيل أكثر .

رفع
المسهم
عبد الله الطاهري

. . . .

وقوله : فانــكحن أوْ تأ َّبدا . يريد : أو ترهَّب؛ لأن الراهب أبداً عزَب فقيل له : متأبدًا اشتق من لفظ الأبد .

وقوله : فالله فاعبدا ، وقف على النون الخفيفة بالألف ، وكذلك فانــكحن أو تأبدا ، ولذلك كتبت فى الخط بألف، لأن الوقف عليها بالألف ، وقد قيل فى مثل هذا : إنه لم يُرِد النونَ الخفيفة ، و نما خاطب الواحد بخطاب الاثنين ، وزعموا أنه معروف فى كلام العرب،وأنشدوا فى ذلك :

فإن تَزْجُرانى يا ابْنَ عفان أَزْدَجِرْ وإنْ تَدَعَانِى أحم عِرضاً مُمَنَّعا[1]

وأنشدوا أيضا فى هذا المعنى :

وقلت لصاحبى : لا تَحْبِسَانا بنزع أُصُولها واجْتَثَّ شِيحاَ[2]

---

(١) البيت لسويد بن كراع العكلى ، وكان سويد قد هجا به عبد الله ابن دارم ، فاستعدوا عليه سعيد بن عثمان . فأراد ضربه ، فقال سويد قصيدة أولها :

تقول ابنة العوفى ليلى ألا ترى إلى ابن كراع لا يزال مفزعا
مخافة هذين الأميرين سهدت رقادى وغشتنى بياضا مفزعا

وهذا يدل على أنه خاطب اثنين لا واحدا . بدليل قوله أيضاً .

فإن أنتما أحكمتمانى فازجرا أراهط تؤذينى من الناس رضعا

(٢) فى رواية : واجدز أى : اجتز ، والبيت من أبيات للمضرس بن ربعى الفقعسى الأسدى ، وهى :

وضيف جاءنا والليل داج وريح القر تحفز منه روحا

ونسبه الجوهرى ليزيد بن الطثرية نقلا عن الكسائى ، ولكن ابن بروى فى أماليه على الصحاح يؤكد أنه لمضرس . وفى رواية : فقلت لصاحبى لاتحبسنى

رفع
المسـاهم
غفر الله له ولوالديه

ولا يمكن إرادة النون الخفيفة فى هذين البيتين ، لأنها لاتكون ألفا ، إلا فى الوقف ، وهذا الفعل قد اتصل به الضمير ، فلا يصح اعتقاد الوقف عليه دون الضمير ، وحكى أن الحجاج قال : ياحرسى اضربا عنقه ، وقد يمكن فيه حمل الوصل على الوقف ، ويحتمل أن يريد : اضرب أنت وصاحبك ، وقد قيل فى قوله سبحانه : ﴿ألقيا فى جَهَنَّمَ﴾ إن الخطاب لمالكٍ وحده حملا على هذا الباب ، وقيل : بل هو راجع إلى قوله تعالى : (سائق وشهيد) وفى القصيدة زيادة لم تقع فى رواية ابن هشام وهى قوله فى وصف الناقة :

فأما إذا ما أَدْلَجَتْ ، فترى لها رقيبين نجماً لايغيب وَفَرْقدا

وقع هذا البيت بعد قوله : ليفا غير أحردا

وقوله فى صفة النبى صلى الله عليه وسلم : أغار لعمرى فى البلاد وأنجدا . وبعده :

به أنقذ اللهُ الأنامَ من الْعَمَى وما كان فيهم من يَرِيعُ إلى هُدى

حديث الإراشى :

فصل : وذكر حديث الإراشى الذى قدم مكة ، واستعدى على أبى جهل .

قال ابن إسحاق : هو من إراش ، وهو ابن الغوث أو ابن عمرو[1] ، ابن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ ، وهو والد أنمار الذى ولد بَجيلةَ وخَثْعَم . وإراشة الذى ذكر ابن هشام : بَطْنٌ من خَثْعَم ، وإراشة

---

(١) فى جمهرة ابن حزم : إراش بن عمرو بن الغوث الخ

. . . .

مذكورة فى العماليق فى نسب فِرْعون صَاحب مصر ، وفى بَلِيٍّ أيضاً بنو إراشة[1] ، وقوله : مَنْ [رجل] يؤديني على أبى الحـكم أى : يعيننى على أخذ حق منه ، وهو من الأداة التى توصل الإنسان إلى مايريد ، كأداة الحرب ، وأداة الصانع، فالحاكم يؤدى الخصم ، أى يوصله إلى مطلبه ، وقد قيل : إن الهمزة بدل من عين ، ويؤدِّى ويعدى بمعنى واحد ، أى : يزيل العُدْوان ، والعَداء وهو : الظلم ، كما تقول : هو يُشْكِيك أى : يُزيل شَـكْواك ، وفى حديث خَباب : شكونا إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حَرَّ الرَّمْضاء ، فلم يُشكنا معناه على أحد القولين : لم يرفع شَـكْوانا ولم يُزْلها .

وقوله : فخرج إليه، ومافى وجهه رائحة، أى : بقية روح ، فـكان معناه : روح باقية ؛ فلذلك جاء به على وزن فاعِله ، والدليل على أنه أراد معنى الرُّوح وإن جاء به على بناء فاعلة قول الإراشى فى آخر الحديث : خرج إلىّ ، وماعنده رُوحُه .

مصارعة ركانة :

فصل : وذكر حديث رُكَانة ومصارعته للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ[2]

---

(١) وفى الاشتقاق : ومن بنى عنز إراشة .

(٢) قصة المصارعة مشهورة لركانة لـكن جاء من وجه آخر أنه يزيد ابن ركانة . وفى حديث المصارعة اضطراب . ولقد قال الترمذى عن حديث المصارعة الذى أخرجه هو وأبو داود من رواية أبى الحسن العسقلانى عن أبى جعفر بن محمد بن ركانة عن أبيه : غريب ، وليس إسناده بقائم . وحديث الشجرة التى طلب الرسول «ص» مشهيا لايساندە هدى القرآن .

رفع
المسيّب
عبدالله الطيالسي

. . . .

وقد تقدم مثلُ هذا الحديث عن أبي الأشدين الْجُمَحِيِّ ، ولعلهما أن يكونا جميعاً صارعا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وقد تقدم التعريف بأبي الأشدَّين، وباسمه ونسبه ؛ ورُكَانة هذا هو: ابن عَبْد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب من مَسْلَمَةِ الفتح ، وتوفى فى خلافة معاوية ، وهو الذى طلق امرأته ألبتَّة، فسأله رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — عن نيته ، فقال : إنما أردت واحدة ، فردها عليه(١) ، ومن حديثه عن النبى صلى الله عليه وسلم : أنه قال : إن لـكل

---

(١) روى أبو داود فى سننه عن نافع بن عجير بن عبد يزيد بن ركانة أن ركانة بن عبد يزيد طلق امرأته سهيمة ألبتة ، فأخبر النبي « ص » بذلك ، وقال: والله ما أردت إلا واحدة ، فقال النبي « ص » والله ما أردت إلا واحدة ؟ فقال ركانة : والله ما أردت إلا واحدة ، فردها إليه رسول الله « ص » فطلقها الثانية فى زمن عمر ، والثالثة فى زمن عثمان » وفى جامع الترمذى عن عبد الله ابن يزيد بن ركانة عن أبيه عن جده أنه طلق امرأته ألبتة، فأتى رسول الله «ص» فقال له : ما أردت ؟ قال واحدة ، قال : آلله، قال : آلله . قال : هو على ما أردت ، قال الترمذى : لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وسألت محمدا — يعنى البخارى — عن هذا الحديث ؟ فقال : فيه اضطراب . فتارة يقول : طلقها ثلاثا وتارة يقول : واحدة، وتارة يقول : ألبتة ، وقال أحمد : وطرقه كلها ضعيفة . أقول : إن القرآن يفرض أن يكون الطلاق بشروطه المذكورة فى الكتاب ، مرة بعد مرة حتى يبلغ ثلاثا ، وبعدها لا تحل حتى تنكح زوجا آخر . ولا يصح إيقاع الطلاق مطلقا إلا بعد القيام بما فرض الله من وعظ وهجر فى المضاجع وضرب يقصد به التأديب ، ثم تحكيم مؤمنين خبيرين بالحكومه ، فإن لم يصل معها إلى غاية تقيم البيت على مودة ورحمة ، وتمكنهما من إقامة حدود الله ، تربص بها حتى تطهر مما يأتيها كل شهر ، ثم بعد هذا يوقع الطلاق مرة واحدة قبل أن يمسها وكذلك فى المرة الثانية =

. . . .

دين خُلقا ، وخلق هذا الدين الحياء[1] ، ولابنه يزيد بن رُكَانة صحبَةٌ أيضاً ، ويروى عن يَزِيدَ بن رُكَانة ابنُه على ، وكان على قد أعطى من الأَيْدِ والقوة مالم يُعْطَ أحد ، نَزَع فى ذلك إلى جَدِّ رُكَانة ، وله فى ذلك أخبار ذكرها الفاكهى ، منها : خبره مع يزيد بن معاوية ، وكان يزيد بن معاوية من أشد العرب ، فصارعه يوما ، فصرعه علىٌّ صرعة لم يسمعْ بمثلها ، ثم حمله بعد ذلك على فرس جَمُوح لا يطاق ، فعلم علىٌّ مايراد به، فلما جَمَح به الفرس ضَمّ عليه فخذيه ضَمَّةً نفقَ منها الفرسُ ، وذكر عنه أيضا أنه تأبَّطَ رجلين أَيِّدَيْنِ ، ثم جرى بهما ، وهما تحت إبْطَيْهِ حتى صاحا : الموت الموت ، فأطلقهما .

وفد نصارى الحبشة :

فصل : وذكر قدوم وفد النصارى من الحبشة وإيمانهم ، وما أنزل الله فيهم من قوله تعالى : ﴿ الذين قالوا إنَّا نَصارى ﴾ ولم يقل : من النصارى ، ولا سَمَّاهم هو سبحانه بهذا الاسم ، وإنما حكى قولهم الذى قالوه حين عَرَّفوا بأنفسهم ، ثم شهد لهم بالإيمان ، وذكر أنه أثابهم الجنة ، وإذا كانوا هكذا

= ثم الأخيرة أمام عدلين فى كل مرة. ولنتدبر سورة الطلاق ، وآيات الطلاق فى سورة البقرة نجد القرآن يهدينا إلى أن الله لم يشرع إيقاع الثلاث جملة واحدة ألبتة .

وحسبنا قوله سبحانه : (للطلاق مرتان) فإن العرب فى لغتها لا تعقل وقوع المرتين إلا متعا قبتين ، وثمت أدلة أخرى ، وحسبنا ما ذكرناه .

(١) رواه ابن ماجة عن أنس وابن عباس كما ذكر السيوطى فى الجامع الصغير وقال عنه : ضعيف .

رفع عبد الرحمن ... المسلم

. . . .

فليسوا بنصارى ، هم من أمة محمد ـ عليه السلام ـ وإنما عُرف النصارى بهذا الاسم ، لأن مبدأ دينهم كان من نَاصِرَةَ قرية بالشام ، فاشْتُقَّ اسْمُهم منهم ، كما اشْتُقَ اسم اليهود من يهُوذ بن يعْقوب ، ثم لا يقال لمن أسلم منهم : يهودى اسم الإسلام أولى بهم جميعا من . ذلك النسب (1) .

عن غلام المبيعة وصهيب وأبى فكيهة :

فصل : ذكر أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يجلس إلى مَبيعَة

---

(١) هدى القرآن يؤكد أن كل رسول دعا إلى الإسلام ، لأنه هو دين الله الذى به أرسلوا جميعاً ، ويقول الدكتور بوست فى قاموسه عن يهود : « أطلقت هذه الكلمة أولا على بنى يهوذا تمييزاً لهم عن الأسباط العشرة الذين سموا : إسرائيل إلى أن تشتت الأسباط أولا ، وأسر يهوذا ثانياً ، فمن ثم دعى جميع نسل يعقوب يهودا ، وفى أيام المسيح والرسل انقسم كل العالم إلى يهود وأمم » وقد روى البيهقى حديث هؤلاء فى دلائل النبوة وأعلام الرسالة . هذا وقد ذكر النسائى أن آيات سورة المائدة (ذلك بأن منهم قسيسين) قد نزلت فى حق النجاشى ، بينما يروى الطبرانى أنها فى حق كرابين أى : فلاحين ، جاءوا مع جعفر بن أبى طالب ص ٨٦ ج ٢ تفسير ابن كثير . وهذا الاختلاف يحتم علينا ألا نعتمد كثيراً على ما روى من أسباب النزول . وذكر الإمام أحمد وابن جرير ، وابن أبى حاتم فيما نزل فى حق المستضعفين أن الذى مر على الرسول . « ص » هو الأقرع ابن حابس التميمى وعيينة بن حصن . فطلبوا منه أن يبعد المستضعفين عنه ، وأن يقعد معهم متى شاء حين يفرغون منه ، فأجابهم إلى طلبهم ، ولكن قال ابن كثير عنه : إنه حديث غريب ، لأن الآية مكية . والأقرع وعيينة ، أنما أسلما بعد الهجرة بزمن طويل ، وروى الحاكم غير هذا .

رفع المسهم

. . . .

غُلام[1] . المبيعة : مَفْعلة مثل المعيشة ، وقد يجوز أن يكون مَفْعُلة بضم العين — وهو قول الأخفش ، وأما قولهم : سلعة مَبِيعة فمفعولة ، حُذفت الواوُ منها في قول سيبويه حين سكنوا الياء استثقالا للضمة ، وفي قول أبي الحسن الأخفش إن الياء بدل من الواو الزائدة في مَبْيُوعة ، ووزنها عنده : مَفُولَة بحذف العين ، وللكلام على هذين المذهبين موضع غير هذا .

وذكر صُهَيْباً وأبا فُكَيهة ، وسنذكر اسم أبي فكيهة ، والتعريف به فيما بعد لأنه بَدْرِيّ ، وكذلك صُهَيْبُ بن سِنان ، ونقتصر في هذا الموضع على ذكر اسمه وهو : يسار مولى عبد الدار[2] .

---

(١) هناك خلاف حول اسم هذا الغلام وحول الذين افتروا قالة السوء ، فعن قتادة ، أن اسمه يعيش ، وعن ابن عباس أن اسمه بلعام ، وكان المشركون يرون رسول الله حين يدخل عليه ، ويخرج من عنده ، فقالوا هذه الفرية ، وقال الضحاك : هو سلمان الفارسي ولكن الآية مكية ، وسلمان إنما أسلم بالمدينة ، وروى عن عبد الله بن مسلم أنه كان له غلامان روميان يقرآن كتاباً لهما بلسانهما ، فكان النبي (ص) يمر بهما ، فيسمع منهما ، فقال المشركون ما قالوا . وروى الزهري عن ابن المسيب أن الذي بهت الرسول «ص» بهذه القالة الكاذبة رجل كان يكتب الوحي للرسول «ص» ثم ارتد بعد ذلك . وهي أقوال يضرب بعضها بعضا . ولقد رد الله على الفرية رداً هو الحق الذي يزهق الباطل ، فلنتدبره .

(٢) قيل إنه : مولى صفوان بن أمية . ويقال إن أصله من الأزد ، وقيل إن اسمه أفلح بن يسار ، وإن كان ينسب إلى الأشعريين .

رفع المسهم

سبب نزول سورة الكوثر

قال ابن إسحاق: وكان العاص بنُ وائل السَّهمى — فيما بلغنى — إذا ذُكِر رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: دعوه، فإنما هو رجلٌ أبتر، لاعَقِبَ له، لومات لانقطع ذِكْره، واسترحتم منه، فأنزل الله فى ذلك: (إنَّا أعْطَيْناكَ الكَوْثَرَ) ماهو خير لك من الدنيا ومافيها. والكوثر: العظيم.

الكوثر فى الشعر

قال ابن إسحاق: قال لَبيد بن ربيعة الكِلابىّ:

وصاحبُ مَلْحُوبٍ فُجِعنا بيَوْمِهِ　　　وعند الرِّداعِ بيتُ آخرَ كَوْثرِ

يقول: عظيم.

قال ابن هشام: وهذا البيت فى قصيدة له. وصاحب مَلْحُوب: عَوْف ابن الأَحْوَصِ بن جَعْفَر بن كِلاب، مات بِمَلْحُوب. وقوله: عند الرِّداع بيت آخر كَوْثر: يعنى شُرَيح بن الأحوص بن جَعْفَر بن كِلاب، مات بالرّداع. وكَوْثر: أراد الكثير، ولفظه مشتقّ من لفظ الكثير. قال الكُمَيت بن زَيْد يمدح هِشام بن عبد الملك بن مروان:

وأنت كَثيرٌ يا بن مَرْوان طَيِّب　　　وكان أبوكَ ابنُ العقائل كَوْثَرَ

وهذا البيت فى قصيدة له. وقال أُميّة بن أبى عائذ الهُذلىّ يصف حمار وحش:

يُحامى الحَقيق إذا ما احتدمْن   وحَمْحَمْنَ فى كَوْثر كالجِلال

يعنى بالكوثر : الغبار الكثير ، شبهه لكثرته عليه بالجِلال . وهذا البيت فى قصيدة له .

قال ابن إسحاق : حدثنى جعفر بن عمرو — قال ابن هشام : هو جعفر ابن عمرو بن أُميَّة الضَّمْرى — عن عبد الله بن مُسْلم أخى محمد بن مسلم بن شهاب الزهرىّ ، عن أنس بن مالك ، قال : سمعت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، وقيل له : يارسول الله ، ما الكوثر الذى أعطاك الله ؟ قال : نَهْرٌ كما بين صنعاء إلى أيْلة، آنيتُه كعدد نجُوم السماء ، تَرِده طيورٌ لها كأعناق الإبل . قال : يقول عمر بن الخطاب : إنها يارسول الله لنا عمة ، قال : آكلها أنعم منها .

قال ابن إسحاق : وقد سمعت فى هذا الحديث أو غيره أنه قال — صلى الله عليه وسلم : «مَنْ شَرِبَ منه لا يَظمأ أبداً » .

نزول : (وقالوا لولا نزل عليه ملك)

قال ابن إسحاق : ودعا رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — قومَه إلى الإسلام، وكلَّمهم ، فأبلغ إليهم ، فقال له زَمَعَة بن الأسود ، والنَّضر بن الحارث ، والأسود بن عَبْد يَغوث ، وأُبَىّ بن خَلَف ، والعاص بن وائل : لو جُعل معك يامحمد مَلَك يحدّث عنك الناس وَيُرَى معك ! فأنزل الله تعالى فى ذلك من قولهم : (وَقالُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ، وَلَوْ أَنْزَلْنا مَلَكاً لَقُضِىَ الأمْرُ ثمَّ لا يُنْظَرُونَ ، وَلَوْ جَعَلْناهُ مَلَكاً لجَعَلْناهُ رَجُلاً ، وَلَلَبَسْنا عَلَيْهِمْ ما يَلْبِسُونَ) الأنعام : ٨ ، ٩ .

نزول : (ولقد استهزىء برسل من قبلك)

قال ابن إسحاق : ومرّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم — فيما بلغنى — بالوليد بن المغيرة ، وأمية بن خَلَف ، وبأبى جَهْل بن هشام ، فغمزوه وهَمَزوه ، واستهزءوا به ، فغاظه ذلك : فأنزل الله تعالى عليه فى ذلك من أمرهم : (وَلَقَدْ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ ، فَحاقَ بِالَّذِين سَخِرُوا مِنْهُمْ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئون) الأنبياء : ٤١ .

ذكر الإسراء والمعراج

قال ابن هشام : حدثنا زياد بن عبد الله البكائى عن محمد بن إسحاق المطّلبى قال : ثم أُسرى برسولِ الله — صلى الله عليه وسلم — من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، وهو بيتُ المقدس من إيلياء ، وقد فشا الإسلام بمكة فى قريش ، وفى القبائل كلها .

قال ابن إسحاق : كان من الحديث فيما بلغنى عن مَسْرَاه — صلى الله عليه وسلم — عن عبد الله بن مَسْعود ، وأبى سَعيد الُخدْرىّ ، وعائشة زوج النبىّ صلى الله عليه وسلم ، ومعاوية بن أبى سفيان ، والحسن بن أبى الحسن البصرى ، وابن شهاب الزّهرىّ ، وقَتادة وغيرهم من أهل العلم ، وأمّ هانئ بنت أبى طالب ، ما اجتمع فى هذا الحديث ، كلّ يحدّث عنه بعضَ ما ذكرِ من أمره حين أُسرى به — صلى الله عليه وسلم ، وكان فى مَسْراه ، وما ذكر عنه بلاء وتمحيص ، وأمر مِنْ أمر الله فى قدرته وسلطانه ، فيه عبرة لأولى الألباب ،

رفع المسهم

وهدًى ورحمةٌ وثبات لمن آمن وصدّق ، وكان من أمر الله سبحانه وتعالى على يقين ، فأسْرى به كيف شاء ، ليُريه من آياته ما أراد ، حتى عاينَ ما عاين مِنْ أمره وسُلطانه العظيم ، وقُدْرته التى يَصْنع بها مايُريد .

راوية ابن مسعود

فكان عبدُ الله بن مسعود — فيما بلغنى — عنه — يقول :

أُتِى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالبُراق — وهى الدّابَّة التى كانت تُحمل عليها الأنبياء قبلَه ، تضع حافرَها فى منتهى طرفها — فحُمل عليها ، ثم خرج به صاحبُه ، يرى الآيات فيما بين السماء والأرض ، حتى انتهى إلى بيت المقدس ، فوجد فيه إبراهيمَ الخليلَ وموسى وعيسى فى نَفَر من الأنبياء قد جُمعوا له ، فصلّى بهم . ثم أُتِى بثلاثة آنية ، إناء فيه لبن ، وإناء فيه خمر ، وإناء فيه ماء قال . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فسمعتُ قائلا يقول حين عُرضت علىّ : إنْ أخذ الماء ، غرق وغَرِقتْ أمتّه ، وإن أخذ الخمرَ غَوَى ، وغَوتْ أمته ، وإن أخذ اللبن هُدى ، وهُديت أمته . قال : فأخذتُ إناءَ اللبن فشربتُ منه ، فقال لى جبريل عليه السلام : هُدِيتَ وهُدِيَت أمتك يامحمد .

حديث الحسن

قال ابن إسحاق : وحُدثت عن الحسن أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بينا أنا نائم فى الحِجْر ، إذ جاءنى جبريلُ ، فهمزنى بقدمه ، فجلست فلم أرَ شيئا ، فعُدت إلى مَضْجعى ، فجاءنى الثانيةَ فهمزنى بقدمه ،

فجلستُ فلم أرَ شيئا ، فعدتُ إلى مَضْجعى ، فجاءنى الثالثةَ فهمزنى بقدمه ، فجلستُ ، فأخذ بعَضدى ، فقمت معه فخرج إلى بابِ المسجد ، فإذا دابّةٌ أبيضُ ، بين البغل — والحمار — فى فَخِذيه جنَاحان يحْفِز بهما رجْليه ، يضع يده فى مُنْتهى طرفه ، فحملنى عليه ، ثم خرج معى لايفوتنى ولا أفوته .

حديث قتادة

قال ابن إسحاق ، وحُدِّثت عن قَتادة أنه قال : حُدثت أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال : لمـا دنوتُ منه ؛ لأركبه شَمَس ، فوضع جبريلُ يدَهُ على مَعْرَفته ، ثم قال : ألا تَسْتَحِي يا بُرَاقُ مما تَصْنع ، فوالله ماركبك عَبْدٌ لله قبلَ محمدٍ أكرمُ على الله منه . قال : فاسْتحيا حتى ارْفضّ عَرَقاً ، ثم قَرَّ حتى رَكبته .

من حديث الحسن

قال الحسنُ فى حديثه : فمضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ومضى جبريلُ عليه السلام معه ، حتى انتهى به إلى بيت المقدِس ، فوجد فيه إبراهيمَ ومُوسى وعيسى فى نَفَر من الأنبياء فأمَّهم رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — فصلَّى بهم ، ثم أُتِى بإناءين ، فى أحدها : خمر ، وفى الآخر : لبن . قال : فأخذ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إناءَ اللبن ، فشَرب منه ، وترك إناءَ الخمر . قال : فقال : له جبريلُ : هُديت للفِطْرة ، وهُديتْ أمتك يامحمد ، وحُرِّمت عليكم الخمر ، ثم انصرف رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — إلى مكة ، فلما

أصبح غَدا على قريش ، فأخبرهم الخبرَ . فقال أكثر الناس : هذا والله الإمْرُ البَيِّن ، والله إن العِير لتُطْرد شهرا من مكة إلى الشام مُدبرة ، وشهراً مقبلة ، أفيذهب ذلك محمدٌ فى ليلة واحدة ، ويرجع إلى مكة ! قال : فارتدّ كثيرٌ ممن كان أسلم ، وذهب الناس إلى أبى بَكْر ، فقالوا له : هل لك يا أبا بكر فى صاحبك ، يزعم أنه قد جاء هذه الليلةَ بيتَ المقدس ، وصلّى فيه ، ورجع إلى مكّة . قال: فقال لهم أبو بكر : إنكم تكذبون عليه ، فقالوا: بلى ، هاهو ذاك فى المسجد يحدّث به الناس ، فقال أبو بكر : والله لئن كان قاله لقد صَدق ، فما يُعجبكم من ذلك ؟ ! فوالله إنه ليُخبرنى أنّ الخبر ليأتيه من السماء إلى الأرض فى ساعةٍ من ليل أو نهار فأصدّقه ، فهذا أبعدُ مما تعجبون منه ، ثم أقبل حتى انتهى إلى رسولِ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : يانبىّ الله . أحدّثتَ هؤلاء القومَ أنك أتيت المَقْدس هذه الليلةَ ؟ قال : نعم ، قال : يانبىّ الله ، فصفْه لى ، فإنى قد جِئْته — قال الحسن : فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : فرُفع لى حتى نظرتُ إليه — فجعل رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يَصِفه لأبى بكر: ويقول أبو بكر : صدقتَ، أشهد أنك رسولُ الله ، كلما وصف له منه شيئا ، قال: صدقتَ ، أشهد أنك رسولُ الله ، حتى انتهى ، قال رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأبى بكر : وأنت يا أبابكر الصدّيق ، فيومئذ سمّاه الصِّدّيق .

قال الحسن : وأنزل الله تعالى فيمن ارتدّ عن إسلامه لذلك : (وَما جعَلْنا الرُّؤيا التى أرَيْناكَ إلا فِتْنَةً للناسِ ، والشَّجَرَةَ المَلْعُونةَ فِى القُرآنِ ، ونُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إلاَّ طُغْيانا كَبِيراً » الإسراء : ٦٠ .

رفع المسهم

فهذا حديث الحسن عن مَسْرى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم . وما دخل فيه من حديث قتادة .

الإسراء رؤيا

قال ابن إسحاق : وحدثني بعضُ آل أبي بكر : أن عائشة زوجَ النبيّ صلى الله عليه وسلم كانت تقول : ما فُقِد جَسدُ رسولِ الله –صلى الله عليه وسلم– ولكن الله أسْرىَ بروحه .

قال ابن إسحاق : وحدثني يعقوب بن عُتْبة بن المُغيرة بن الأخْنس : أن معاوية بن أبي سفيان ، كان إذا سُئل عن مَسْرى رسولِ الله – صلى الله عليه وسلم – قال : كانت رُؤْيا من الله تعالى صادقة .

فلم يُنْكَر ذلك من قولهما ، لقول الحسن : إن هذه الآية نزلت في ذلك ، قول الله تبارك وتعالى : (وَمَا جَعَلْنا الرُّؤْيا التي أَرَيْناكَ إلاَّ فِتْنَةً للنَّاس) الإسراء : ٦٠ . ولقول الله تعالى في الخبر عن إبراهيم عليه السلام إذ قال لابنه : (يا بُنَيَّ إنّي أرَى في المَنامِ أنّي أذْبَحُكَ) الصافات : ١٠٢ . ثم مضى على ذلك . فعرفتُ أن الوحي من الله يأتي الأنبياء أيقاظا ونياما .

قال ابن إسحاق : وكان رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – فيما بلغني – يقول : تنام عيناى ، وقلبي يقظان . والله أعلم أيّ ذلك كان قد جاءه ، وعاين فيه ما عاين ، من أمر الله ، على أيّ حاليه كان : نائما ، أو يقظان ، كلّ ذلك حقّ وصدق .

. . . .

رفع المسهم

الصفات التي وصف بها النبي بعض الرسل

قال ابن إسحاق : وزعم الزُّهْرِىّ عن سعيد بن الْمُسَيِّب أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وصف لأصحابه إبراهيمَ ومُوسى وعيسى حين رآهم فى تلك الليلة ، فقال : أما إبراهيم ، فلم أرَ رجلاً أشبهَ بصاحبكم ، ولا صاحبكم أشبه به منه ، وأما موسى فرجل آدمُ طويلٌ ضَرْبٌ جَعْدٌ أقنَى كأنه من رجال شَنُوءَة ، وأما عيسى بن مريم ، فرجل أحمر ، بين القصير والطويل ، سَبْط الشعر ، كثير خِيلان الوجه ، كأنه خرج من دِيماس ، تخال رأسَه يَقْطُرُ ماء ، وليس به ماء ، أشبهُ رجالكم به عُروة بن مَسعود الثقفى

قال ابن هشام وكانت صِفة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فيما - ذكر عُمر مولى غُفْرة عن إبراهيم بن محمد بن علىّ بن أبى طالب ، قال : كان علىّ بن أبى طالب عليه السلام ، إذا نعت رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم قال - : لم يكن بالطَّويل الْمُمَّغِط ، ولا القصير الْمُتَرَدِّد ، وكان رَبْعة من القوم ، ولم يكن بالجَعْد الْقَطَط ولا السَّبْطِ ، كان جَعْداً رَجِلاً ، ولم يكن بالْمُطَهَّم ولا الْمُكَلْثَم وكان أبيضَ مُشْرَباً ، أدْعَج العينين ، أهْدَب الأشْفَار ، جليل الْمُشَاش والْكَتَد ، دقيق الْمَسْرُبَة أجْرَدَ ، شَثْن الكفَّين والقدمين ، إذا مشى تَقلَّع ، كأنما يمشى فى صَبَب ، وإذا التفت التفت معا ، بين كتفيه خاتمُ النبوة ، وهو صلى الله وسلم خاتمُ النَّبيين ، أجْوَدُ الناس كفًّا ، وأجرأ الناس صدرا ، وأصدق الناس لهجة ، وأوفى الناس ذِمَّة ، وألينهم عَرِيكة ، وأكرمهم عِشْرة ،

رفع
المسهم
غفر الله له ولوالديه

من رآه بديهة هابَه ، ومن خالطه أحبَّه ، يقول ناعتُه : لم أر قبله ولا بعده مثله ، صلى الله عليه وسلم

حديث أم هانىء عن الإسراء

قال محمد بن إسحاق : وكان - فيما بلغني - عن أمّ هانىء بنت أبى طالب رضى الله عنها - واسمها : هند - فى مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنها كانت تقول : ماأسرى برسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - إلا وهو فى بيتى ، نائم عندى تلك الليلة فى بيتى ، فصلَّى العشاء الآخرة ، ثم نام ونمنا ، فلما كان قُبيل الفجر أهَبَّنا رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - فلما صلى الصبح ، وصلَّينا معه ، قال : ياأمّ هانىء ، لقد صلَّيتُ معكم العشاء الآخرة كما رأيتِ بهذا الوادى ، ثم جئتُ بيتَ المقدس فصلَّيت فيه ، ثم قد صلَّيت صلاةَ الغَداة معكم الآن كما ترين ، ثم قام ليخرج ، فأخذتُ بطَرف رِدائه ، فتكشَّف عن بَطْنه كأنه قُبْطيَّة مَطْوية ، فقلت له : يانبىّ الله ، لاتحدّث بهذا الناس ، فيكذّبوك ويُؤذوك ، قال : والله لأحدثنَّهموه . قالت : فقلت لجارية لى حَبشيَّة : ويحكِ اتبعى رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - حتى تَسْمعى مايقولُ للناس ، وما يقولون له . فلما خرج رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - إلى الناس أخبرهم ، فعَجبوا وقالوا : ما آيةُ ذلك يامحمد ؟ فإنَّا لم نسمع بمثل هذا قط ، قال : آية ذلك أنى مَرَرْت بعِير بَنى فلان بوادى كذا وكذا ، فأنفرَهم حِسُّ الدابَّة ، فَنَدَّ لَهُمْ بَعِيرٌ ، فدَلَلْتُهم عليه ، وأنا مُوجَّه إلى الشام . ثم أقبلتُ حتى إذا كنتُ بضَجَنان مررتُ بعِيرِ بنى فلان ، فوجدتُ القومَ نياما ، ولهم إناء فيه ماء قد غطَّوا عليه

بشيء فكشفتُ غطاءه وشربتُ مافيه ، ثم غطيتُ عليه كما كان ، وآية ذلك أن عِيرَهم الآن تَصُوب من البيْضَاء ، ثَنِيَّة التَّنْعيم ، يقدُمها جمل أوْرَقُ ، عليه غرارتان ، إحداهما سوداء ، والأخرى بَرْقَاء . قالت : فابتدر القومُ الثنيَّة ، فلم يَلْقهم أولُ مِنَ الجمل كما وصف لهم ، وسألوهم عن الإناء ، فأخبروهم أنهم وَضَعوه مملوءاً ماء ثم غطَّوه ، وأنهم هبُّوا فوجدوه مغطًّى كما غطَّوْه ، ولم يجدوا فيه ماءً . وسألوا الآخرين وهم بمكة ، فقالوا : صدق والله ، لقد أُنْفِرنا في الوادى الذى ذَكَره ، ونَدّ لنا بعيرٌ ، فسمعنا صوتَ رجل يدعونا إليه ، حتى أخذناه .

الأبتر والكوثر :

فصل : وذكر قول العاصى بن وَائل : إن محمدا أَبْتَرُ إذا مات انقطع ذكره ، وأنزل الله تعالى فيه قوله من سورة الكوثر على قول ابن إسحاق ، وأكثر المفسرين . وقيل : إن أبا جهل هو الذى قال ذلك . وقد قيل : كعب ابن الأشرف ، ويلزم على هذا القول الأخير أن تكون سورة الكوثر مدنية ، وقد روى يونس عن أبى عبد الله الْجُعْفِي عن جابر الْجُعْفِي عن محمد بن على ، قال : كان القاسم ابن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قد بَلَغ أنْ يركب الدابة ، ويَسير على النَّجِيبَة ، فلما قبضه الله ، قال العاصى : أصبح محمد أبتر من ابنه ، فأنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم : « إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ » عِوَضا يا محمد من مصيبتك بالقاسم : « فَصَلِّ لِرَبِّكَ وانحر إِنَّ شَانِئَكَ هو الأَبْتَرُ » ولم يقل : إن شانئك أبتر[1] يتضمن اختصاصه بهذا الوصف ، لأن هو فى مثل هذا

---

(١) فى الكلام نقص لعله : « فقوله : هو الأبتر » .

. . . .

الموضع تعطى الاختصاص ، مثل أن يقول قائل : إن زيدا فاسق ، فلا يكون مخصوصا بهذا الوصف دون غيره ، فإذا قلت : إن زيدا هو الفاسق ، فمعناه : هو الفاسق الذى زعمت[1] ، فدل على أن بالحضرة من يزعم غير ذلك ، وهكذا قال الجرجانى وغيره فى تفسير هذه الآية أنَّ هو تعطى الاختصاص ، وكذلك قالوا فى قوله سبحانه : (وأنه هو أغنى و أقنى) لما كان العباد[2] يتوهمون أنَّ غير الله قد يغنى ،قال : هو أغنى وأقنى ، أى : لاغيره ، وكذلك قوله تعالى : « وأنه هو أمات وأحيا » إذ كانوا قد يتوهَّمون فى الإحياء والإماتة ماتوهمه النمرود حين قال:أنا أحْيي وأميت ، أى : أنا أقتل من شئتُ ،وأستحيي من شئت ، فقال عز وجل : وأنه هو أمات وأحيا أى : لاغيره ، وكذلك قوله تعالى:(وأنه هُوَ ربُّ الشِّعْرَى)[3] أى : هو الرَّبُّ لاغيره ، إذ كانوا قد اتخَذُوا أربابا من دونه ، منها : الشِّعْرى ، فلما قال : وأنه خلق الزوجين ، وأنه أهلك عاداً استغنى الكلام عن هو التى تعطى معنى الاختصاص ، لأنه فعلٌ لم يَدَّعِه أحدٌ ، وإذا ثبت هذا ، فكذلك قوله : إن شانئك هو الأبتر أى : لا أنت . والأبتر : الذى لا عَقِب له يتبعه ، فعدمه كالْبَتَر الذى هو عَدَم

(١) فى الأصل : التى .

(٢) التعبير الدقيق : بعض العبيد .

(٣) هذه الآيات من سورة النجم وترتيبها :(وأنه هو أمات وأحيا . وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى من نطفة إذا تمنى ، وأن عليه النشأة الأخرى . وأنه هو أغنى وأقنى ، وأنه هو رب الشعرى) النجم ٤٤ — ٤٩ . وأقنى : أعطى المال المتخذ قنية . والشعرى : كوكب خلف الجوزاء أشد ضياء من الغميصاء وفى القاموس : الشعرى : العبور ، والشعرى : الغميصاء أختا سهيل .

رفع المسهم

. . . .

الذَّنَب، فإذا ماقلت هذا ، ونظرت إلى العاصى ، وكان ذا ولد وعقِب، وولده عَمْرو وهشام ابنا العاصى بن وائل ، فكيف يثبت له الْبَتَر ، وانقطاع الولد ، وهو ذو ولد ونَسْلٍ، ونفيه عن نبيه ، وهو يقول : « ما كان مُحَمَّد أبا أحدٍ من رجالكم » الأحزاب الآية : ٤٠ . فالجواب : أن العاصى ــ وإن كان ذا ولد ــ فقد انقطعت الْعِصْمَةُ بينه وبينهم ، فليسوا بأتباعٍ له ، لأن الإسلام قد حجزهم عنه ، فلا يرثهم ولا يَرِثُونه ، وهم من أتباع محمد عليه السلام ، وأزواجُه أمهاتُهم ، وهو أبٌ لهم ، كما قرأ : أُبَيُّ ابن كعب : « وأزواجُه أمهاتُهم ، وهو أبٌ لهم (١) ، والنبى أولى بهم » كما قال الله سبحانه ، فهم وجميع المؤمنين أتباع النبى فى الدنيا ، وأتباعُه فى الآخرة إلى حوضه ، وهذا معنى الْكَوْثر ، وهو موجود فى الدنيا لكثرة أتباعه فيها ، ليغذى

---

(١) لا يتصور مسلم أن قوله : « وهو أب لهم » آية من القرآن ، لأنها ليست فى المصحف . وما ليس فى المصحف فلا يعده مسلم قرآنا أيا كان راويه . والحديث الذى رواه البخارى حول الآية : ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به فى الدنيا والآخرة . اقرءوا إن شئتم : (النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم) فأيما مؤمن ترك مالا فليرثه عصبته من كانوا ، وإن ترك دينا أو ضياعا فليأتنى ، فأنا مولاه ، ولم ترد تلك القراءة عن طريق صحيح . والعجيب أن تسند هذه القراءة إلى أبى بن كعب وابن عباس ، وأنها تروى عن معاوية ومجاهد وعكرمة والحسن ! ! تدبر هذه الأسماء المحشودة وراء « وهو أب لهم » والله يقول : (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم) ففى القراءة مخالفة صريحة للآية المحكمة ، ثم هى توحى كغيرها من القراءات المفتراة بأن المصحف الذى بأيدينا ينقص بعض آيات أنزلها الله على محمد صلى الله عليه وسلم . ومحاولة التأويل ، أو الدفاع عن هذه القراءات محاولة يكيد بها الشيطان ، ويمكر ضد القرآن ، ومساندة لرواة مجهولين دسوا ، وكتب يحاول بعض الناس أن يرفعوها فوق القرآن .

رفع
المسهم

. . . .

أرواحَهم بما فيه حياتُهم من العلم ، وكثرة أتباعه فى الآخرة ليسقيهم من حَوْضه مافيه الحياة الباقية ، وعدوُّ الله العاصى على هذا هو الأبتر على الحقيقة ، إذ قد انقطع ذَنَبُهُ وأتباعه ، وصاروا تَبعاً لمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولذلك قوبل تَعْييرُه للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بِالبَتَر بما هو ضده من الكَوْثر ؛ فإن الكثرة تضاد معنى القِلَّة ، ولو قال فى جواب اللعين : إنا أعطيناك الْحَوْضَ الذى من صِفته كذا وكذا لم يكن رداً عليه ، ولا مُشا كلا لجوابه ، ولكن جاء باسم يتضمن الخير الكثير ؛ والعددَ الجَمَّ الغفيرَ الْمُضادَّ لمعنى الْبَتَر ، وأن ذلك فى الدنيا والآخرة بسبب الحوض المورود الذى أعطاه ، فلا يختص لفظ الكوثر بالحوض ، بل يجمع هذا المعنى كله ، ويشتمل عليه ، ولذلك كانت آنيتُه كعددِ النُّجُوم[1] ، ويقال : هذه الصفة فى الدنيا : علماء الأمة من أصحابه ومن بعدهم ، فقد قال : أصحابى كالنُّجوم[2] ، وهم يَرْوُون العلم عنه ، ويؤدونه

(١) فى حديث متفق عليه : « حوضى مسيرة شهر ، وزواياه سواء ، ماؤه أبيض من اللبن ، وريحه أطيب من المسك ، وكيزانه كنجوم السماء من يشرب منها فلا يظمأ أبداً » . كما وردت مسألة الكيزان هذه فى روايتين عند مسلم ، إحداهما عن أبى هريرة ، والأخرى عن أنس . ولكن لنذكر مع هذا حديثاً آخر : « قال رسول الله «ص» : « إنى فرطكم على الحوض ، من مر على شرب ، ومن شرب لم يظمأ أبداً ، ليردن على أقوام أعرفهم ، ويعرفوننى ، ثم يحال بينى وبينهم ، فأقول إنهم منى ، فيقال : إنك لا تدرى ماأحدثوا بعدك ، فأقول : سحقا سحقا لمن غير بعدى» متفق عليه .

(٢) فى حديث رواه رزين : «أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم» وقد قال عنه المحدث الفاضل الشيخ محمد ناصر الألبانى : «حديث باطل ، وإسناده واه جداً» . ص ٢١٩ ج ٣ مشكاة المصابيح .

رفع المسهم

. . . .

إلى مَن بعدهم ، كما تَرْوِى الآنيةُ فى الحوض ، وتسقى الواردةَ عليه : تقول : رَوَيْتُ الماءَ،أى: اسْتَقَيْته كما تقول : رَوَيْتُ العلم ، وكلاهما فيه حياة ، ومنه قيل لمن روى علما أو شعرا : راوية تشبيها بالْمَزَادة أو الدَّابة التى يُحمل عليها المـاء وليس من باب عَلاَّمة ونَسَّابة ، وفى حديث أبى بَرْزَةَ فى صفة الحوض أنها تَنْزُو فى أَكُفِّ المؤمنين ، يعنى الآنيةَ،وحَصباءُالحوض : اللؤلؤ والياقوت[1] ، ويقابلهما فى الدنيا الحِكم المأثورةُ عنه ، ألا ترى أن اللؤلؤَ فى علم التعبير حِكَمٌ وفوائدُ علم ، وفى صفة الحوض له المسك،أى:حَمْأَتُهُ[2] ويقابله فى الدنيا : طيبُ الثناء على العلماء، وأتباع النبى الأتقياء ، كما أن المسك،فى: علم التعبير ثناءٌ حَسَنٌ، وعلم التعبير من علم النُّبُوءَةِ مُقْتَبَسٌ . وذكر فى صفة الحوض الطيرُ التى ترده كأعناق الْبُخْتِ[3] ، ويقابله من صفة العلم فى الدنيا وُرودُ الطالبين من كل صُقْعٍ[4] وُقطر على حضرة العلم وانتيابهم إيَّاها فى زمن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبعده،فتأمل صفة الكوثر معقولةَ فى الدنيا ، مَحْسوسةً فى الآخرة مُدْرَكة

---

(١) فى حديث رواه النسائى : حصباؤه اللؤلؤ والياقوت

(٢) كذا بالأصل ، والحمأة:الطين الأسود ، وفى حديث رواه البخارى عن الكوثر : « فإذا طينه مسك أذفر » .

وفى حديث رواه أحمد : « فضربت بيدى فى ترابه ، فإذا مسك أذفر » ، وفى حديث آخر : «وضرب بيده إلى أرضه ، فأخرج من طينه المسك » .

(٣) البخت: نوع من الإبل طويلة الأعناق ، وقد ذكرت فى حديث رواه الترمذى ، وصححه الحاكم، وفيه : أو أعناق الجزر ، جمع جزور : البعير .

(٤) ناحية .

. . . .

بالعِيان - هنالك يبين لك إعجازُ التنزيل ومطابقة السورة - لسبب - نزولها ، ولذلك قال فُضَيل: (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وانْحَر) أى : تواضع لمن أعطاك الكوثر بالصلاة له ، فإن الكثرة فى الدنيا تقتضى فى أكثر الخلق الكبر: وتحدو إلى الفخر والخيرية ، فلذلك كان عليه السلام طأطأ رأسه عامَ الفتح حين رأى كثرة أتباعه ، وهو على الراحلة حتى ألصق عُثْنُونَه(١) بالرَّحْلِ امتثالا لأمر ربه ، وكذلك أمره بالنحر شكرا له ، ورفعِ اليدين إلى النَّحْرِ(٢) فى الصلاة عند استقبال القبلة التى عندها ينحر ، وإليها يهدى معناه : الجمع بين الفعلين. النحرِ المأمور به يوم الأضحى ، والإشارة إليه فى الصلاة برفع اليدين إلى النَّحْر، كما أن القبلَة مَحْجُوجَةٌ مُصَلًّى إليها ، فكذلك يُنْحَر عندها ، ويشار إلى النحر عند استقبالها، وإلى هذا التفتَ عليه السلام حين قال : مَنْ صَلى صلاتنا ، واستقبل قبلتنا ، ونَسَكَ نُسُكَنا فهو مسلم، وقد قال الله سبحانه: «قل : إنَّ صَلاتِي ونُسُكِي ومَحْيايَ وَمَمَاتِى لِلّهِ رب العالمين لا شريك له ، وبذلك أُمِرْتُ ، وأنا أوَّلُ المسلمين] الأنعام ١٦٢، ١٦٣ فقرن بين الصلاة إلى الكعبة ، والنُّسُكَ إليها ، كما قرن بينهما حين قال: « فَصَلِّ لربِّك وانْحَرْ » وذكر فى صفة الحوض: كما بين صَنْعاءَ وأَيْلَةَ(٣) وقد جاء فيه أيضاً فى الصحيح « كما بين جَرْباء وأَذْرُحَ(٤) » وبينهما

---

(١) العثنون : ما نبت على الذقن وتحته سفلا .

(٢) النحر : أعلى الصدر .

(٣) من حديث رواه الطبرانى وابن حبان . وأيلة : مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلى الشام . وأيلة :موضع برضوى.

(٤) جرباء — وفى الأصل : حرباء موضع من أعمال عمان بالبلقاء من أرض الشام . وهما واردتان فى حديث متفق عليه . وجرباء تقصر وتمد ، والقصر أولى .

مسافة بعيدة ، وفى الصحيح أيضاً فى صفته : كما بين عَدَن أَبْيَنَ إلى عَمَّانَ ، وقد تقدم ذكر أَبْيَنَ،وأنه ابن زهير بن أَيْمَن بن حِمْير ، وأن عَدَن سميت برجل من حِمْير عَدَن بها ،أى: أقام ، وتقدم أيضاً ماقاله الطبرى أنَ عَدَنَ وَأَبْيَنَ هما ابنا عَدْنان أخوا معد ، وأما عَمَّانُ بتشديد الميم وفتح العين ، فهى بالشام قرب دمشق ، سميت بِعَمَّان بن لُوط بن هَارَان ، كان سَكَنها ـ فيما ذكروا ـ وأما عُمَانُ بضم العين وتخفيف الميم ، فهو باليمن سميت بعُمَان بن سِنَان ، وهو من ولد إبراهيم ـ فيما ذكروا ـ وفيه نظر ؛ إذلا يُعْرَف فى ولد إبراهيم لصُلبه من اسمه سِنان . وفى صفة الحوض أيضاً كما بين الكوفة ومكة ، وكما بين بيت المقدس والكعبة ، وهذه كلها روايات متقاربة المعانى ، وإن كانت المسافات بعضها أبعدَ من بعض ، فكذلك الحوض أيضا له طول وعرض وزوايا وأركان ، فيكون اختلافُ هذه المسافات التى فى الحديث على حسب ذلك جعلنا الله من الواردين عليه ، ولا أظْمَأ أكبادَنا فى الآخرة إليه . ومما جاء فى معنى الكوثر مارواه ابن أبى نَجيح عن عائشةَ ـ قالت : الكوثر نهر فى الجنة ، لايُدْخل أحد إصْبَعَيْه فى أذنيه إلا سَمِع خريرَ ذلك النهرَ ، وقع هذا الحديث فى السيرة من رواية يونس ، ورواه الدَّارَقُطْنىُّ من طريق مالك بن مِغْوَلٍ عن الشَّعْبىِّ عن مَسْروقٍ عن عائشةَ قالت : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : « إن الله أعطانى نهرا يقالُ له الكَوْثَر لايشاء أحد من أمتى أن يسمعَ خرير ذلك الكوثر إلا سمعه ، فقلت : يارسول الله وكيف ذلك ؟ قال : أَدْخِلِى أُصْبَعَيْك فى أذنيك وشُدِّى ، فالذى تسمعين فيهما من خرير الكوثر (1) » وروى

(1) حديث ابن أبى نجيح منقطع ، وحديث الدارقطنى مرفوع .

. . . .

الدارَقُطْنيُّ من طريق جابر بن عبد الله أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال لعلي : « والذي نفسي بيده إنك لذائدٌ عن حَوْضي يومَ القيامة تذود عنه كُفَّارَ الأمم، كما تذاد الإبلُ الضالّة عن الماء بعصامن عَوْسَج(١) » إلا أن هذا الحديثَ يرويه حَرَامُ بن عُثْمانَ عن ابْنَيْ جابرٍ ، وقد سُئل مالك عنه ، فقال : ليس بثقة ، وأغلظ فيه الشافعي القول ، وأما قوله ـ عليه السلام : ومِنْبَري على حوضي ، فقد قيل في معناه أقوالٌ ،ويفسره عندي الحديث الآخر ، وهو قوله عليه السلام ، وهو عَلَى المنبر : « إني لأنظر إلى حوضي الآن(٢) من مقامي هذا » فتأمله .

استشهاد ابن هشام على معنى الكوثر :

وذكر ابن هشام في الاستشهاد على معنى الكوثر قول لبيد بن ربيعة :

وصاحبُ مَلْحُوبٍ فُجِعْنَا بيومِهِ وعند الرِّداعِ بيتُ آخر كَوْثَرِ

وبالفورةِ الحرّابِ ذو الفَضلِ عامرٌ فنعم ضياء الطارقِ الْمُتَنَوِّرِ(٣)

يعني عامرَ بن مالك مُلَاعِبَ الأَسِنَّةِ ، وهو عم لَبِيدٍ ، وسنذكر : لِمَ سُمِّي مُلاعِبَ الْأَسنَّة إذا جاء ذكرُه إن شاء الله تعالى . وصاحبُ مَلْحُوب : عوفُ

---

(١) شجر من شجر الشوك له ثمر مدور، كأنه خرز العقيق «المعجم الوسيط»

(٢) عجيب من السهيلي أن يعتد بمثل هــــذه الداهيات التي أنف أصحاب الصحيح من ذكرها !!

(٣) بيت الكميت الذي في السيرة في الاشتقاق واللسان ، وفيه : الخلائف مكان : العقائل .

رفع المسهم

ابن الأحْوَص ، وقد ذكره ابن هشام. والذى عند الرَّدَاع : شُرَيْح بن الأحوص فى قوله ، وقال غيره : هو حِبَّان بن عُتْبَةَ بن مالك بن جَعْفر بن كلاب . والرِّادع : من أرض اليمامة . ومَلْحُوب : مَفْعُولٌ من لَحَبْتُ العود ، إذا قشرته ، فكأن هذا الموضع سُمِّى مَلْحُوبا ،لأنه لا أَكَمَ فيه ولا شَجَر .

ذكر حديث المستهزئين :

وذكر حديث الْمُسْتَهْزئين برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وما أنزل الله فيهم من قوله تعالى : «ولقد اسْتُهْزِىَء برُسُلٍ مِنْ قَبْلِك» الآية الأنبياء:٤١ . فقال فيها : اسْتُهْزِىء بِرُسُلٍ ثم قال : فحاق بالذين سَخِروا منهم ، ولم يقل : اسْتَهْزءُوا، ثم قال:ما كانوا به يستهزئون ولم يقل : يَسْخرون . ولا بدَّ فى حكمة فى هذا من جهة البلاغة وتنزيلِ الكلام منازله ، فقوله:اسْتُهْزِىء برُسُلٍ ،أى : أُسْمِعُوا من الكلام الذى يُسَمَّى اسْتِهزاءً ماساءهم تأنيسا له ، ليتأسَّى بمن قبله من الرسل ، وإنما سُمى استهزاء إذا كان مسموعا ، وهو من فعل الجاهلين : قال الله تعالى : « أَتَتَّخِذُنَا هزُواً قال : أعوذ بالله أن أكونَ من الجاهلين » البقرة : ٦٧ . وأما السُّخْرُ والسُّخْرَى ، فقد يكون فى النفس غير مسموع ، ولذلك تقول : سَخِرْت منه ، كما تقول : عَجِبْتُ منه إلا أن الْعجب لا يختص بالمعنى المذموم ، كما يختص السُّخْر ، وفى التنزيل خبرا عن نوح : « إنْ تَسْخَرُوا مِنَّا ، فإنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ ، كما تَسْخَرُون » هود : ٢٨ ولم يَقُل : نَسْتَهْزِىء بكم كما تَسْتَهْزِئون ؛ لأن الاستهزاء ليس من فعل الأنبياء، إنما هو من فعل الجاهلين كما قدمنا من قول موسى عليه السلام ، فالنبى يَسْخَر :أى، يعجب من كُفْرِ مَن

. . . .

يَسْخر به ، ومن سُخْر عقولهم . فإن قلت : فقد قال الله تعالى : (الله يستهزىء بهم» ، قلنا : العربُ تسمى الْجَزاءَ على الفعل باسم الفعل كما قال تعالى : (نَسُوا الله فَنَسِيَهُمْ) وهو مَجازٌ حسن[1] وأما الاستهزاء الذى كُنَّا بصدَدِه ، فهو المسمى استهزاءً حقيقة، ولا يرضى به إلا جهول . ثم قال سبحانه : (فَحَاقَ بالذين سَخِرُوا منهم ما كانوا به يَسْتَهزِئون) أى حاق بهم من الوعيد الْمُبَلَّغ لهم على ألسنة لرسل ما كانوا يستهزؤن به بألسنتهم ، فنزلت كل كلمة منزلها ، ولم يحسن فى حكم البلاغة وضْعُ واحدةٍ مكانَ الأُخرى . وذكر أيضاً قوله سبحانه : (ولو جَعَلناه مَلَكاً لجعلناه رَجُلاً) أى : لو جعلنا الرسول إليهم من الملائكة لم يكن إلا على صُورة رجل ، وَلَدَخَل عليهم من اللَّبْس فيه مادَخَل فى أَمْر مُحَمَّد وقوله : لَبَسْنا يدل على أن الأمرَ كله منه سبحانه ، فهو يُعْمِى من شاء عن الحق ، ويَفْتح بَصيرةَ من شاء ، وقوله : ما يَلْبسون ، مَعناه : يَلْبِسون على غيرهم ، لأن أكثرهم قد عَرَفوا أنه الحقُّ ، ولكن جَحَدُوا بها ، واسْتَيْقَنَتْها أنفسُهم ، فَجعلوا ، يَلْبِسُونَ أى يَلْبِسُ ، بعضُهم على بعض وَيَلْبِسُون على أهليهم وأتباعهم ، أى : يخلطون عليهم بالباطلِ ، تقول العرب : لَبَسْتُ عليهم

---

(١) سبق التعليق على مثل هذا . والنسيان هنا حقيقة لامجاز ، لأن أصل النسيان — كما يقول ابن الأثير : الترك . ويقول ابن فارس فى معجمه عن أصل المادة إنها أصلان : أحدهما يدل على إغفال الشىء ، والثانى : على ترك الشىء ، فيكون المعنى : تركوا الله فتركهم ، هذا لأن دعوى المجاز فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته وأفعاله دعوى تجمع بين الحماقة والجرأة والقول على الله بغير علم . ولا سيما وأنه لم يرد عن خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم شىء من هذا .

رفع
المسهم
عبدالله الطيالدي

. . . .

الأمرَ أَلْبِسُه ، أى: سترتُه وخلطته ، ومن لُبْس الثياب : لَبِسْتُ أَلْبَسُ ، لأنه فى معنى كَسِيتُ ، وفى مُقَابلة عَرِيتُ ، فجاء على وزنه ، والآخر فى معنى : خَلَطْتُ أو سَتَرْت، فجاء على وزنه .

شرح ما فى حديث الإسراء من المشكل

اتفقت الرواة على تسميته إسراءً ، ولم يُسَمِّه أَحَدٌ منهم : سُرًى ، وإن كان أهلُ اللغة قد قالوا : سَرَى وأَسْرَى بمعنى واحد ، فدل على أن أهل اللغة لم يُحَقِّقوا العبارة ،وذلك أن القُرّاءَ لم يختلفوا فى التلاوة من قوله : (سُبْحَانَ الذى أَسْرَى بِعَبْدِهِ) ولم يقل : سَرَى ، وقال : والليل إذا يَسْرِ ، ولم يقل : يُسْرِى ، فدل على أن السُّرَى من سَرَيت من سَرْت إذا سِرْت ليلا ، وهى مؤنثة[1] تقول: طالت سُرَاكَ الليلة ، والإسراءُ مُتَعَدٍّ فى المعنى ، ولكن حذف مفعوله كثيراً حتى ظن أهلُ اللغة أنهما بمعنى واحد ، لما رأوْهُما غير متعديين إلى مفعول فى اللفظ ، وإنما أَسْرَى بعبده ، أى : جعل البُرَاقَ يَسْرِى، كما تقول: أَمْضَيْتُه، أى : جعلته يَمْضِى ، لكن كَثُر حذفُ المفعول لقوة الدلالة عليه ،أو للاستغناء عن ذِكْره،إذ المقصودُ بالخبر ذِكْرُ محمد،لا ذكر الدابة التى سارت به ، وجاز فى قصة لوط عليه السلام . أن يقال له : فَأَسْرِ بأهلك :أى فاسر بهم ، وإن يقرأ فأَسْرِ بأهلك بالقَطْع ، أى:فأَسْرِ بهم ما يَتحَمَّلُون عليه من دابةٍ أو نحوها ، ولم يتصور ذلك فى السُّرى بالنبى صلى الله عليه وسلم ، إذ لا يجوز أن يقال سَرَى بعبده بوجه

(١) فى اللسان أنها تذكر وتؤنث .

. . . .

من الوجوه ؛ فلذلك لم تأت التلاوة إلا بوجه واحـــد فى هذه القصة فتدبره .
وكذلك تسامح النحويون أيضا فى الباء والهمزة ، وجعلوهما بمعنى واحد فى حكم التعدية ، ولو كان ماقالوه أصلا لجاز فى : أمرضْته أن تقول : مَرِضْتُ به ، وفى أسْقَمْتُه : أن تقول : سَقِمْتُ به ، وفى أَعْمَيْتُه أن تقول : عَمِيتُ به قياسا على : أذْهَبْتُهُ وَأَذْهَبْتُ به ، ويأبى الله ذلك والعالمون ؛ فإنما الباء تعطى مع التعدية طَرَفا من المشاركة فى الفعل ، ولا تعطيه الهمزةُ ، فإذا قلت : أقعدته ، فمعناه : جعلته يقعد ، ولـكنك شاركته فى القعود ، فجذبته بيدك إلى الأرض ، أو نحو ذلك ، فلابد من طَرَفٍ من المشاركة إذا قعدت به ، ودخلت به ، وذهبت به بخلاف أدخلته وأذهبته .

فإن قلت : فقد قال الله سبحانه ذهب الله بنورهم ، وذهب بسمعهم وأبصارهم» ويتعالى — سبحانه — عن أن يوصف بالذهاب ، و يضاف إليه طرف منه ، وإنما معناه : أذْهب نورهم وسمعَهم . قلنا : فى الجواب عن هـذا : أن النور والسمع والبصر كان بيده سبحانه ، وقد قال : بيده الخير ، وهذا من الخير الذى بيده ، وإذا كان بيده ، فجائز أن يقال ذَهَبَ به على المعنى الذى يقتضيه قوله سبحانه بيَدِهِ الخيرُ كائنا ما كان ذلك المعنى ، فعليه ينبنى ذلك المعنى الآخر الذى فى قوله : ذهب الله بنورهم مَجازاً كان أو حَقيقةً ، ألا ترى أنه لما ذكر الرِّجسَ كيف قال : « ليُذْهِبَ عنكم الرِّجْسَ » الأحزاب : ٣٣ . ولم يقلْ يَذْهَبُ به ، وكذلك قال : « و يُذْهِبَ عَنْـكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ » الأنفال : ١١ تعليما لعبادهِ حسْن الأدب معه ، حتى لايضاف إلى القُدُّوس سبحـانه — لفظاً ومعنى شىء من الأرجاس ، وإن كانت خَلْقاً له ومِلْـكا

. . . .

فلا يقال : هى بيده على الخصوص ، تحسينا للعبارة وتنزيها له ، وفى مثل النور والسمع والبصر يَحْسُن أن يقال : هى بيده ، فحسُن على هذا أن يقال : ذَهَبَ به ، وأما أسْرَى بعبده ، فإن دخولَ الباء فيه ليس من هذا القبيل ، فإنه فعل يتعدى إلى مفعول ، وذلك المفعول المسْرى هو الذى سَرَى بالعبدِ فشاركه بالسُّرى ، كما قدمنا فى قَعَدْتُ به أنه يُعْطى المشاركةَ فى الفعْل ، أو فى طَرَفٍ منه ، فتأمله[1] .

---

(١) علق ابن القيم على قوله سبحانه : « أسرى بعبده » فقال : « فى قوله تعالى : (أسرى بعبده) دون بعث بعبده ، وأرسل به ما يفيد مصاحبته له فى مسراه فإن الباء هنا للمصاحبة كهى فى قوله : هاجر بأهله ، وسافر بغلامه ، وليست للتعدية فإن أسرى يتعدى بنفسه ، يقال : سرى به ، وأسراه ، وهذا لأن ذلك السرى كان أعظم أسفاره — صلى الله عليه وسلم — والسفر يعتمد الصاحب ، ولهذا كان — صلى الله عليه وسلم — إذا سافر يقول : « اللهم أنت الصاحب فى السفر . فإن قيل : فهذا المعنى يفهم من الفعل الثلاثى لو قيل : سرى بعبده ، فما فائدة الجمع بين الهمزة والباء ، ففيه أجوبة » ثم رفض ما أجاب به غيره ثم قال : « والجواب الصحيح أن الثلاثى المتعدى بالبـــاء يفهم منه شيئان أحدهما : صدور الفعل من فاعله : الثانى : مصاحبته لما دخلت عليه البـــاء . فإذا قلت : سربت بزيد ، وسافرت به كنت قد وجد منك السرى والسفر مصاحبا لزيد فيه . وأما المتعدى بالهمزة ، فيقتضى إيقاع الفعل بالمفعول فقط ، كقوله تعالى : (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم » . ونظائره فإذا قرن هذا المتعدى بالهمزة بالباء أفاد إيقاع الفعل على المفعول مع المصاحبة المفهومة من الباء ، ولو أتى فيه بالثلاثى فهم منه معنى المشاركة فى مصدره ، وهو ممتنع فتأمله » ص ٢٠٣ ح ٣ بدائع الفوائد .

. . . .

أكان الإسراء يقظة أم مناما :

فصل : ونقدم بين يدى الكلام فى هذا الباب : هل كان الإسراء فى يقظة بجسده ، أو كان فى نومه بروحه ، كما قال سبحانه : « اللهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا والتى لم تَمُتْ فى مَنَامِهَا » الزُّمر : ٤٣ وقد ذكر ابن إسحاق عن عائشةَ ومعاويةَ أنها كانت رؤيا حقٌّ ، وأن عائشة قالت : لم تفقد بدَنه ، وإنما عُرِج بروحه تلك الليلة ، ويحتج قائل هذا القول بقوله سبحانه : « وما جَعَلْنَا الرُّؤيَا التى أرَيْناكَ إلاَّ فِتْنَةً للناس » الإسراء ٦٠ . ولم يقل : الرُّؤية ، وإنما يُسَمَّى رؤيا ما كان فى النوم فى عرف اللغة ، ويحتجون أيضاً بحديث البُخارى عن أنس بن مالك قال : ليلة أُسْرِىَ برسول الله — صلى الله عليه وسلم — من مسجد الكعبة أنه جاءه ثلاثةُ نفر قبل أن يوحى إليه ، وهو نائم فى المسجد الحرام ، فقال أولهم : أيهم هو ؟ فقال أوسطُهم : هو هذا ، وهو خيرهم ، فقال آخرهم : خُذوا خيرهم فكان تلك الليلة ، فلم يرهم حتى أتوْه ليلة أخرى ، فيما يرى قلبهُ وتنام عينه ولا ينامُ قلبه ، وكذلك الأنبياء عليهم السلامُ تنام أعينُهم ، ولاتنام قلوبُهم ، فلم يُكلّموه ، حتى احْتَمَلُوه فوضعوه عند بئرِ زَمْزَمَ ، فتولاه منهم جبريلُ . الحديث بطوله ، وقال فى آخره : واستيقظ ، وهو فى المسجد الحرام ، وهذا نص لا إشكال فيه أنها كانت رؤيا صادقة ، وقال أصحابُ القول الثانى : قد تكون الرؤيا بمعنى الرؤية فى اليقظة ، وأنشدوا للراعى يصف صائدا :

رفع
المسهم

. . . .

وكَبَّر للرُّؤيا ، وهَشَّ فؤادُه ... وبَشَّر قلبا كان جَمًّا بلابلُه[1]

قالوا : وفى الآية بيان أنها كانت فى اليقظة ، لأنه قال : « وماجعلنا الرُّؤيا التى أرَيْناكَ إلاَّ فتنة للناس »ولو كانت رؤيا نوم ما افتتن بها الناس حتى ارتد كثير ممن أسلم ، وقال الكفار : يزعم محمد أنه أتى بيتَ الْمَقْدِس ، ورجع إلى مكة ليلته ، والعير تطرد إليها شهراً مُقْبِلةً وشهراً مُدْبِرةً ، ولو كانت رؤيا نوم ، لم يستبعد أحدٌ منهم هذا ، فمعلومٌ أن النائم قد يرى نفسه فى السماء ، وفى المشرقِ والمغرب ، فلا يستبعد منه ذلك واحتج هؤلاء أيضا بشربه الماء من الإناء الذى كان مُغَطًّى عند القوم ، ووجدوه حين أصبح لا ماءَ فيه ، وبإرْشاده للذين نَدَّ بعيرُهم حين أنفرَهم حِسُّ الدابة ، وهو الْبُرَاقُ حتى دلهم عليه ، فأخبر أهل مكة بأمارة ذلك ، حتى ذكر الغِرارَتَيْنِ السَّوْداءِ والْبَرْقَاءِ[2] كما فى هذا الكتاب ، وفى رواية يونس : أنه وعَدَ قريشا بقُدوم الْعِير التى أرشدهم إلى البعير ، وشرب إناءَهم ، وأنهم سَيَقْدُمُون ويُخْبِرون بذلك ،

---

(١) البلابل : شدة الهم والوسواس فى الصدر . والراعى هو : عبيد بن حصين ابن معاوية من بنى نمير ، يكنى أبا جندل أو أبا نوح شاعر إسلامى ، وهم أهل بيت وسؤدد . وسمى الراعى لقوله :

ضعيف العصا بادى العروق تخاله ... عليها إذا ما أمحل الناس إصبعا

حذا إبل إن تتبع الريح مرة ... يدعها ويخف الصوت حتى تربعا

لها أمرها حتى إذا ما تبوأت ... لأخفافها مرعى تبوأ مضجعا

(٢) اجتمع فيها سواد وبياض . وفى الرواية أنها بيضاء

. . . .

فقالوا : يا محمدُ متى يَقْدمُون ؟ فقال : يوم الأربعاء ، فلما كان ذلك اليوم ، ولم يَقْدُموا ، حتى كَرَبَت الشمسُ أن تَغْرُبَ ، فدعا الله فحبس الشمس حتى قَدِموا كما وصف ، قال : ولم يحبس الشمسَ إلاّ له ذلك اليوم ، ولِيُوشَع بن نُونٍ (١) وهذا كلُّه لايكون إلا يَقَظَة ، وذهبت طائفة ثالثة ، منهم : شيخُنا القاضى أبو بكر [ابن العربى] رحمة الله إلى تصديق المقالتين ، وتصحيح الحديثين ، وأن الإسراء كان مرتين ، إحداهما : كان فى نومه وتوطئةً له وتيسيراً عليه ، كما كان بدء نبوته الرؤيا الصادقة ، ليسهل عليه أمر النبوة فإنه عظيم تضعف عنه القوى البشرية ، وكذلك الإسراء سهّله عليه بالرؤيا ؛ لأن هو له عظيم ، فجاءه فى اليقظة على تَوْطِئَةٍ وَتَقْدِمَةٍ ، رِفقا مِن الله بعبده وتسهيلا عليه ، ورأيت المهلب فى شرح البخارى قد حكى هذا القولَ عن طائفةٍ من العلماءِ ، وأنهم قالوا : كان الإسراء مرتين : مرةً فى نومه ، ومرة فى يقظته ببدنه صلى الله عليه وسلم .

---

(١) هو فتى موسى - كما يقال - ونبى بنى إسرائيل بعده ، واسمه عند الكتابيين : يشوع ، وسفره يقع بعد سفر التثنية من العهد القديم ، وهم يروون أن يوشع حاصر أريحا ، فلما غربت الشمس ، أو كادت تغرب ، ويدخل عليهم السبت الذى جعل عليهم ، وشرع لهم قال لها : إنك مأمورة ، وأنا مأمور اللهم احبسها على ، فحبسها الله حتى تمكن من فتح البلد ، وزادوا فقالوا : وأمر القمر ، فوقف عن الطلوع .

ثم يروى ابن كثير حديثا عن الإمام أحمد : « إن الشمس لم تحبس لبشر إلا ليوشع ليالى سار إلى بيت المقدس » فكيف إذن حبست للنبى صلى الله عليه وسلم ؟ وفى مسلم حديث يفيد أن الله حبس الشمس لنبى غزا . لكنه لم يصرح فيه باسم يوشع انظر ص ٣٢٣ ج ١ البداية والنهاية لابن كثير ج ١ ص ١٣٤٨ .

رفع
المسهم

قال المؤلف : وهـــذا القول هو الذى يصح ، وبه تتفق معانى الأخبار ، ألا ترى أنه قال فى حديث أنس الذى قدمنا ذكره : أتاه ثلاثة نفر قبل أن يُوحى إليه ، ومعلوم أن الإسراء كان بعد النبوة ، وحين فُرضت الصلاة[1] كما قدمنا فى الجزء قبل هذا ، وقيل كان قبل الهجرة بعام ، ولذلك قال فى الحديث : فارتدّ كثير ممن كان قد أسلم ، ورواة الحديثين حفاظ ، فلا يستقيم الجمع بين الروايتين إلا أن يكون الإسراء مرتين ، وكذلك ذكر فى حديث أنس : أنه لقى إبراهيمَ فى السماء السادسةِ وموسى فى السابعةِ ، وفى أكثر الروايات الصحيحة أنه رأى إبراهيم عند البيت المعمور فى السماء السابعة ، ولقى موسى فى السادسةِ ،وفى رواية ابن إسحاق أُتِى بثلاثة آنيةٍ ، أحدها ماء فقال قائل : إن أخذ المــاءَ غرِقَ،وغرقت أمته ، وفى إحدى روايات البخارى فى الجامع الصحيح : أنه أُتِى بإناء فيه عَسَلٌ ، ولم يذكر الماء والرواةُ أثباتٌ ، ولاسبيل إلى تـكذيب بعضهم ولا توهينهم ، فدل على صحة القول بأنه كان مرتين ، وعاد الاختلاف إلى أنه كان كله حقا ، ولـكن فى حالتين ووقتين مع مايشهد له من ظاهر القرآن ، فإن الله سبحانه يقول : « ثم دَنَا فَتَدَلَّى فـكان قابَ قَوْسَينِ أو أدنى،فأوْحَى إلى عبده ما أوحى) ثم قال: (ما كَذَبَ الفُؤادُ ما رأى) النجم : ٨ ، ١١ فهذا نحو ماوقع فى حديث أنس من قوله : فيما يراه قلبه،وعينه نائمة[2] والفؤادُ : هو القلبُ ، ثم قال : « أَفَتُمارُونَه على

---

(١) بل الثابت من آيات القرآن أن الصلاة كانت مفروضة قبل الإسراء .

(٢) فى البخارى : باب : كان النبى « ص » تنام عينه ، ولا ينام قلبه » رواه سعيد بن ميناء عن جابر عن النبى « ص » .

ما يَرى) ولم يقل : ماقَدْ رَأى، فدل على أن ثَمَّ رؤيةً أخرى بعد هذه ، ثم قال : (ولقد رآه نَزْلَةً أخْرَى) أى : فى نَزْلَةٍ نَزَلَها جبريلُ إليه مرة ، فرآه فى صورته التى هو عليها (عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ، إذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى) قال : يغشاها فراشٌ من ذَهَبٍ ، وفى رواية : يَنْتَثِر منها الياقوتُ ، وثمرُها مثل قِلَالِ هَجَر[1] ثم قال : (مازَاغَ الْبَصَرُ) ولم يقل : الفُؤاد ، كما قال فى التى قبل هذه ، فدل على أنها رُؤْيَةُ عينٍ وبصرٍ فى النّزلَةِ الأخرى، ثم قال : (لقد رأى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبرى)[2] ، وإذا كانت رؤية عينٍ : فهى من الآياتِ الكبرى ، ومن أعظم البراهين والعِبر ، وصارت الرؤيا الأولى بالإضافة إلى الأخرى ليست من الكُبَر ؛ لأن مايراه العبدُ فى منامه دون مايراه فى يقظته لامحالةَ ، وكذلك قال فى أكثر الأحاديث إنه رأى عند سِدْرة المنتهى نهرين ظاهرين ، ونهرين باطنين ، وأخبره جبريل أن الظاهرَين : النيـلُ والفرات ، وذكر فى حديث أنس أنه رأى هذين النهرين فى السماء الدنيا ، وقال له الملك : هما النيلُ والفراتُ، أصلهما وعنصرهما ، فيحتمل أن يكون رأى فى حال اليقظةِ منبعَهما ، ورأى فى المرة الأولى النهرين دون أن يرى أصلهما والله أعلم . فقد جاء فى تفسير قوله تعالى : (وأنزلنا من السماء ماءً بِقَدَرٍ فأسكنّاه فى الأرضِ) المؤمنون : ١٨ أنهما النيل والفرات أُنْزِلا من الجنة

---

(١) قرية كانت من قرى المدينة ، وليست هجر البحرين ، وكانت تعمل بها القلال تأخذ الواحدة منها مزادة من الماء ، سميت قلة لأنها ترفع وتحمل .

(٢) الآيات السابقة كلها من سورة النجم .

. . . .

من أسفل درجةٍ منها على جَناحِ جبريل ، فأودعهما بطونَ الجبال[1] ثم إن

(١) مما أومن به أنه من الخير تخطئة حديث يرويه راو يخالف المحكم الصريح من كتاب الله ، والواقع المحس بكل نوع من الإحساس ، فهذا أفضل من أن نحتفي بشأن حديث ينتج عنه تكذيب القرآن ، وتكذيب الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، ورمى الإسلام بأنه عفن وخرافة ، والإسلام هو الحق والنور والحياة ، وأرجو أن يكون قولي واضحا : «الحديث الذي يخالف المحكم الصريح من القرآن ، والواقع المشهود الملموس المحس » وقد أكد القرآن الإسراء ، وآياته المحكمة تقطع به وحددت مكان الإسراء ، ومن لمس جانب هذا الحق بأثارة من شك ، فقد أثم إثما عظيما وباء بخسران مبين ، وقارىء القرآن عن الإسراء لايرتاب في شيء ، فإن هو عرج على بعض الأحاديث ، وبعضها يخالف بعض ربما أثارته نزعة من ريبة ، لهذا يجب علينا أن نستمع إلى ما يصادق القرآن منها ، ونضرب صفحا عن الأخرى ، تدبر أمر النيل والفرات ، وأين هما ، ثم اقرأ ماورد في بعض الأحاديث عنهما نجد شيئا لا يمكن تصديقه إلا بضروب بعيدة من خرف التأويل ، ألا يكفى أن نتدبر قوله تعالى : (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله، لنريه من آياتنا ، إنه هو السميع البصير) كلام يملأ القلب والعقل والشعور نورا وهداية وبصرا وإيمانا وتسبيحا لله الذى فعل بعبده ذلك .

هذا وقد عرض السهيلي أمورا منها : رأى القائلين بأن الإسراء كان مرتين مرة في نومه ، ومرة في يقظته .وإليك عرض الإمام ابن القيم لهذا : «قال موسى ابن عقبة عن الزهرى : عرج بروح رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى بيت المقدس ، وإلى السماء قبل خروجه إلى المدينة بسنة . . .

وكان الإسراء مرة واحـــدة ، وقيل : مرتين ، مرة يقظة ، ومرة مناما ، وأرباب هذا القول كأنهم أرادوا أن يجمعوا بين حديث شريك ، وقوله : ثم استيقظت ، وبين سائر الروايات ، ومنهم من قال : بل كان هذا مرتين ، مرة قبل الوحى لقوله في حديث شريك : وذلك قبل أن يوحى إليه ، ومرة بعد

. . . .

=الوحى كما دلت عليه سائر الأحاديث . ومنهم من قال : بل ثلاث مرات ، مرة قبل الوحى ، ومرتين بعده ، وكل هذا خبط ، وهذه طريقة ضعفاء الظاهرية من أرباب النقل الذين إذا رأوا فى القصة لفظة تخالف سياق بعض الروايات جعلوها مرة أخرى ، فكلما اختلفت عليهم الروايات عددوا الوقائع . والصواب الذى عليه أئمة النقل أن الإسراء كان مرة واحدة بمكة بعد البعثة . ويا عجبا لهؤلاء الذين زعموا أنه مرارا كيف ساغ لهم أن يظنوا أنه فى كل مرة تفرض عليه الصلاة خمسين ، ثم يتردد بين ربه وبين موسى ، حتى تصير خمسا ، ثم يقول : أمضيت فريضتى ، وخففت عن عبادى ، ثم يعيدها فى المرة الثانية إلى خمسين ، ثم يحطها عشرا عشرا ؟ ! وقد غلط الحفاظ شريكا فى ألفاظ من حديث الإسراء ، ومسلم أورد المسند منه ، ثم قال : فقدم وأخر ، وزاد ونقص ، ولم يسرد الحديث ، وأجاد رحمه الله » ص ١٣٠ ح ٢ زاد المعاد ط السنة المحمدية . وعن المعراج يقظة أو مناما يقول الإمام الجليل أيضاً : «وقد نقل عن ابن إسحاق عن عائشة ومعاوية أنهما قالا : إنما كان الإسراء بروحه ، ولم يفقد جسده . ونقل عن الحسن البصرى نحو ذلك ، ولكن ينبغى أن يعلم الفرق بين أن يقال : كان الإسراء مناما ، وبين أن يقال : كان بروحه دون جسده ، وبينهما فرق عظيم ، وعائشة ومعاوية لم يقولا : كان مناما ، وإنما قالا : أسرى بروحه ، ولم يفقد جسده . وفرق بين الأمرين ، فإن مايراه النائم قد يكون أمثالا مضروبة للمعلوم فى الصور المحسوسة ، فيرى كأنه قد عرج به إلى السماء ، أو ذهب به إلى مكة وأقطار الأرض ، وروحه لم تصعد ، ولم تذهب ، وإنما ملك الرؤيا ضرب له المثال .

والذين قالوا : عرج برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ طائفتان ، طائفة قالت : عرج بروحه وبدنه ، وطائفة قالت : عرج بروحه ، ولم يفقد بدنه ، وهؤلاء لم يريدوا أن المعراج كان مناما ، وإنما أرادوا أن الروح ذاتها أسرى بها ، وعرج بها حقيقة ، وباشرت من جنس ماتباشر بعد المفارقة ، وكان حالها فى ذلك كحالها بعد المفارقة فى صعودها إلى السماوات سماء سماء ، حتى ينتهى بها=

رفع المسهم

. . . .

= إلى السماء السابعة ، فتقف بين يدى الله عز وجل ، فيأمر فيها بما يشاء ، ثم تنزل إلى الأرض. والذى كان لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليلة الإسراء أكمل مما يحصل للروح عند المفارقة ، ومعلوم أن هذا أمر فوق مايراه النائم ، لكن لما كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم فى مقام خرق العوائد . . عرج بذات روحه المقدسة حقيقة من غير إماتة ، ومن سواه لا ينال بذات روحه الصعود إلى السماء إلا بعد الموت والمفارقة » ص ١٢٨ المصدر السابق ، وهو تأويل جيد للامام الجليل .

ويقول الإمام الشوكانى : « وقد اختلف أهل العلم : هل كان الإسراء بجسده مع روحه ،أو بروحه فقط؟ فذهب معظم السلف والخلف إلى الأول، وذهب إلى الثانى طائفة من أهل العلم ، منهم : عائشة ومعاوية والحسن وابن إسحاق ، وحكاه ابن جرير عن حذيفة بن اليمان ، وذهبت طائفة إلى التفصيل ، فقالوا : كان الإسراء بجسده يقظة إلى بيت المقدس » وإلى السماء بالروح ، واستدلوا على هذا التفصيل بقوله : إلى المسجد الأقصى ، فجعله غاية للاسراء بذاته ، فلو كان الإسراء من بيت المقدس إلى السماء وقع بذاته لذكره، والذى دلت عليه الأحاديث الصحيحة الكثيرة هو ما ذهب إليه معظم السلف والخلف من أن الإسراء بجسده وروحه يقظة إلى بيت المقدس ، ثم إلى السماوات ، ولا حاجة إلى التأويل » ص ١٩٩ حـ ٢ فتح القدير ط مصطفى البابى الحلبى . ولو أن الشوكانى قال : بعض الأحاديث الصحيحة ، لكان أوفق لأن بعض الأحاديث الصحيحة أيضاً تدل على أنه كان بروحه .

تاريخ الإسراء : كما يتحدث الإمام الشوكانى عن تاريخ الإسراء بقوله : « وقد اختلف أيضاً فى تاريخ الإسراء ، فروى أن ذلك كان قبل الهجرة إلى المدينة بسنة ، وروى أن الإسراء كان قبل الهجرة بأعوام، ووجه ذلك أن خديجة صلت مع النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد ماتت قبل الهجرة بخمس سنين ، وقيل بثلاث ، وقيل بأربع ، ولم تفرض الصلاة إلا ليلة الإسراء ، وقد استدل بهذا ابن عبد البر على ذلك ،وقد اختلفت الرواية عن الزهرى . وممن قال : بأن =

رفع المسهم

الإسراء كان قبل الهجرة بسنة الزهرى فى رواية عنه ، وكذلك الحربى ، فإنه قال : أسرى بالنبى صلى الله عليه وسلم ليلة سبع وعشرين من ربيع الأول قبل الهجرة بسنة . وقال ابن القاسم فى تاريخه : كان الإسراء بعد مبعثه بثمانية عشر شهراً قال ابن عبد البر : لا أعلم أحداً من أهل السير قال بمثل هذا . وروى عن الزهرى أنه أسرى به قبل مبعثه بسبعة أعوام ، وروى عنه أنه قال : كان قبل مبعثه بخمس سنين ، وروى يونس عن عروة عن عائشة أنها قالت : توفيت خديجة قبل أن تفرض الصلاة » ص ٢٠٠ المصدر السابق . وأقول : سبق أن بينت أن القرآن يؤكد أن الصلاة فرضت فى بداية مبعثه صلى الله عليه وسلم .

وقد تحدث السهيلى عن قوله سبحانه (ثم دنا فتدلى) الخ

وإليك رأى السلف فى هذا ينقله الإمام ابن القيم أيضاً ، وأنا أنقله عنه من المصدر السابق : « وأما قوله تعالى فى سورة النجم (ثم دنا فتدلى) فهو غير الدنو والتدلى فى قصة الإسراء ، فإن الذى فى سورة النجم هو : دنو جبريل وتدليه ، كما قالت عائشة وابن مسعود ، والسياق يدل عليه ، فإنه قال : (علمه شديد القوى) وهو جبريل : (ذو مرة فاستوى ، وهو بالأفق الأعلى ، ثم دنا فتدلى) فالضمائر كلها راجعة إلى هذا المعلم الشديد القوى ، وهو ذو المرة — أى القوة — وهو الذى استوى بالأفق الأعلى ، وهو الذى دنا فتدلى ، فكان محمد - صلى الله عليه وسلم - قدر قاب قوسين أو أدنى ، فأما الدنو والتدلى الذى فى حديث الإسراء ، فذلك صريح فى أنه دنو الرب تبارك وتعالى وتدليه ، ولا تعرض فى سورة النجم لذلك ، بل فيها أنه رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى . وهذا هو جبريل رآه محمد - صلى الله عليه وسلم - على صورته مرتين مرة فى الأرض ، ومرة عند سدرة المنتهى » ص ١٢٧ المصدر السابق . وبهذا يسقط استدلال السهيلى بأن الإسراء كان مرتين .

وعن مسألة رؤية النبى صلى الله عليه وسلم ربه ليلة الإسراء والمعراج يقول الإمام ابن القيم أيضاً : « واختلف الصحابة : هل رأى ربه تلك الليلة أم لا ؟ فصح

عن ابن عباس أنه رأى ربه ، وصح عنه أنه قال : رآه بفؤاده ، وصح عن عائشة وابن مسعود إنكار ذلك ، وقالا : إن قوله تعالى : (ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى) إنما هو جبريل ، وصح عن أبي ذر أنه سأله : هل رأيت ربك ، فقال : نور أنى أراه أى حال بينى وبين رؤيته النور ، كما قال فى لفظ آخر : رأيت نورا ، وقد حكى عثمان بن سعيد الدارمى اتفاق الصحابة على أنه لم يره .
قال شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه : وليس قول ابن عباس إنه رآه مناقضا لهذا ، ولا قوله : رآه بفؤاده ، وقد صح عنه أنه قال : رأيت ربى تبارك وتعالى ، ولكن لم يكن هذا فى الإسراء ، ولكن كان فى المدينة لما احتبس فى صلاة الصبح ، ثم أخبرهم عن رؤية ربه تبارك وتعالى تلك الليلة فى منامه ، وعلى هذا بنى الإمام أحمد ، وقال : نعم رآه حقا ، فإن رؤيا الأنبياء حق ، ولا بد . ولكن لم يقل أحمد : إنه رآه بعينى رأسه يقظة ، ومن حكى عنه ذلك ، فقدوهم عليه ، ولكن قال مرة : رآه ، ومرة قال : رآه بفؤاده ، فحكيت عنه روايتان ، وحكيت عنه الثالثة من تصرف بعض أصحابه أنه رآه بعينى رأسه ، وهذه نصوص أحمد موجودة ليس فيها ذلك ، وأما قول ابن عباس إنه رآه بفؤاده مرتين ، فإن كان استناده إلى قوله تعالى : (ما كذب الفؤاد ما رأى) ثم قال : (ولقد رآه نزلة أخرى) — والظاهر أنه مستنده - فقد صح عنه - صلى الله عليه وسلم - أن هذا المرئى جبريل ، رآه مرتين فى صورته التى خلق عليها ، وقول ابن عباس هذا هو مستند الإمام أحمد فى قوله : رآه بفؤاده ، والله أعلم » ص ٢٧ المصدر السابق . وقد يقال : رأى آخر هو أن الإسراء به صلى الله عليه وسلم كان بجسده وروحه ، أما المعراج فكان بروحه كما شرح الإمام ابن القيم ، بدليل ما ورد فى بعض الروايات . فرواية شريك لا يذكر فيها الإسراء مطلقا . وفى رواية عن أنس أيضاً : « بينا أنا نائم إذ جاء جبريل عليه السلام ، فوكز بين كتفى ، فقمت إلى شجرة فيها كوكرى الطير ، فقعد فى أحدهما ، وقعدت فى الآخر ، فسمت وارتفعت حتى سدت الخافقين ، وأنا أقلب طرفى ، ولو شئت أن أمس السماء لمسست ، . . . » هذه أيضاً لم يأت فيها ذكر للاسراء إلى المسجد الأقصى ، ولا للبراق . وفى رواية

رفع
المسهم
غفر الله له ولوالديه

أنس عن مالك بن صعصعة يقول : « بينما أنا فى الحطيم ـ وربما قال فتادة فى الحجر مضطجعا ـ إذ أتانى آت ، فجعل يقول لصاحبه : الأوسط بين الثلاثة ، قال : فأتانى ، فقد ما بين هذه إلى هذه أى من ثغرة نحره إلى مشعرته . أو من قصته إلى مشعرته ، ولم يأت كذلك ذكر الإسراء ، وفى رواية أخرى : فرج سقف بيتى ، وأنا بمكة ، فنزل جبريل ، ففرج صدرى ، ثم غسله من ماء زمزم ، ثم جاء بطست من ذهب ممتلىء حكمة وإيمانا ، فأفرغها فى صدرى ثم أطبقه ، ثم أخذ بيدى فعرج بى إلى السماء . . . لعل هذه الروايات تعين على إثبات هذا الرأى الأخير ، وهو أن المعراج شىء ، والإسراء شىء آخر ، وأن أن المعراج كان بالروح ، وهذه هى الرؤيا التى أراه الله ، أما الإسراء ، فكان بجسده وروحه .

هذا وقد أجريت بعض مقارنات بين الروايات المختلفة عن بعض الأمور التى وردت فى قصة ، وإليك بعضها :

المكان الذى كان منه الإسراء : سنغفل التعبير بما يأتى :

« ورد فى رواية » ، وورد فى رواية أخرى للاختصار ، وإليك ما ورد عن مكان الإسراء : المسجد الحرام . فرج عن سقف بيته ، وهو فى مكة . بيت أم هانىء . وقد جاءت هذه الرواية بصورة توكيد ، وذلك إذ تقول أم هانىء «ما أسرى برسول الله « ص » إلا وهو فى بيتى نائم عندى» . وبعض الروايات أغفلت ذكر المكان .

البراق أو ما حمل عليه : بعض الروايات أغفلت ذكره . دابة أبيض فوق الحمار ودون البغل ـ أتى به مسرجا ملجما ، فاستصعب ، فهره جبريل ، فارفض عرقه : حمل على البراق ، فأوثق الدابة ، أو قال : الفرس . شجرة فيها كوكرى الطير ، فقعد فى أحدهما ، وقعد جبريل فى الآخر ، فسمت وارتفعت حتى سادت الخافقين . ينفى حذيفة بن اليمان أنه ربطه ، وإنما سخره له الله . سمى فرسا ، وراح يصفها النبى لأبى بكر ، لأن أبا بكر كان قد رآها من قبل ،

. . . .

شق الصدر : كان قبل الوحى ، وقد جاءه ثلاثة نفر ، وهو نائم فى المسجد الحرام ، فقال أوسطهم : هو خيرهم ، فقال آخرهم : خذوا خيرهم ، فكانت تلك الليلة ، فلم يرهم حتى أتوه ليلة أخرى فيما يرى قلبه وتنام عينه ، ولا ينام قلبه ، فلم يكلموه ، حتى احتملوه ، فوضعوه عند بئر زمزم ، فتولاه منهم جبريل ، فشق ما بين نحره إلى لبته الخ . أتاه ثلاثة ، فشق أحـــدهم من ثغرة نحره إلى مشعرته ، أو من قصته إلى شعرته . . جاء جبريل ومكيال ، فشق بطنه . فرج سقف بيته ، وهو بمكة فنزل جبريل ، ففرج صدره ، ثم غسله من ماء زمزم ، ثم جاء بطست من ذهب ممتلىء حكمة وإيمانا ، فأفرغها فى صدره « ص » ثم أطبقه

صلاته ليلة الإسراء : صلى ركعتين فى بيت المقدس. صلى بطيبة وبطور سيناء وبيت لحم ، حيث ولد عيسى وصلى فى بيت المقدس ، حيث جمع له الأنبياء عليهم السلام ، فقدمه جبريل ، حتى أمهم ، يقسم حذيفة بن اليمان أنه ما صلى فى المسجد الأقصى ، ولا دخله هو وجبريل ، وأنهما مازايلا البراق حتى فتحت لهما أبواب السماء ، صلى فى بيت المقدس حيث اجتمع ناس كثيرون ، ثم أذن مؤذن ، فأقيمت الصلاة ، ويروى الحديث أن النبى « ص » قال : فقمنا صفوفا ننتظر من يؤمنا ، فأخذ بيدى جبريل عليه السلام ، فقدمنى فصليت بهم ، فلما انصرفت ، قال جبريل : يا محمد أتدرى من صلى خلفك ؟ قال : قلت : لا ، قال : صلى خلفك كل نبى ، بعثه الله عز وجل . بعث له آدم فمن دونه من الأنبياء ، فأمهم تلك الليلة. صلى فى بيت المقدس ، وصلى النبيون أجمعون معه . صلى فى بيت المقدس ، كما صلى فى البيت المعمور . هبط إلى بيت المقدس ، وهبط معه الأنبياء ، فصلى بهم . كانت صلاته بالأنبياء فى السماء ، وكانت صلاته أول دخوله إلى بيت المقدس.

الآنية التى شرب منها : أتى بها بعد صلاته ركعتين فى بيت المقدس قبل العروج. وهما : خمر ولبن ، وأسند إلى الرسول « ص » اختيار اللبن . عرض عليه خمر وماء ولبن عند بيت المقدس . عرضت عليه الآنية فى السماء بعد أن رفع إلى البيت المعمور . وكانت آنيته آنية خمر ولبن وعسل . إناء من لبن وإناء عسل بين يدى

. . . . : . . . . . .

شيخ متكىء ، وهو الذى قال لجبريل : اختار صاحبك الفطرة . بعد انصرافه من بيت المقدس أتى له بقدحين من لبن وعسل . جىء له بكأس من عسل ولبن ، وهو فى المسجد . بعد خروجه من بيت المقدس جىء له بإناء فيه ماء ، فشرب يسيرا ، وبإناء فيه لبن فشرب حتى روى ، وبإناء فيه خمر فلم يشرب .

الأنبيـــاء الذين لقيهم فى السموات : سأذكر ما ورد فى عدة روايات فى الرواية الأولى : فى السماء الأولى آدم وعنصرا النيل والفرات والكوثر ، وفى الثانية إدريس ولم يذكر من فى الثالثة ، وفى الرابعة : هارون، ومن فى الخامسة لم يحفظ الراوى اسمه ، وفى السادسة : إبراهيم ، وفى السابعة موسى .

فى الرواية الثانيـــة آدم فى السماء الأولى ، وفى الثانية : يحي وعيسى . وفى الثالثة : يوسف ، وفى الرابعة إدريس ، وفى الخامسة : هارون ، وفى السادسة : موسى ، وفى السابعة : إبراهيم وهو مستند إلى البيت المعمور .

وفى الرواية الثالثة : فتح له باب من أبواب السماء ، فرأى النور الأعظم ، وإذا دون الحجاب : رفرف الدر والياقوت ، وأوحى إلى الرسول « ص » ماشاء الله أن يوحى . ولم يذكر شيئا عن النبيين .

وفى الرواية الرابعة : فى السماء الأولى : آدم فى الأولى ، وفى الثانية : عيسى ويحى وفى الثالثة يوسف ، وفى الرابعة : هارون ، وفى الخامسة إدريس ، وفى السادسة : موسى ، وفى السابعة إبراهيم .

وفى الرواية الخامسة : آدم فى الأولى ، فى الثانية عيسى وابن خالته يحي ، فى الثالثة : يوسف . فى السماء الرابعة : إدريس ، فى الخامسة : هارون ، فى السادسة : موسى ، فى السابعة : إبراهيم . والكوثر فوق السابعة .

وفى الرواية السادسة : فى الأولى : آدم ، فى الثانية : عيسى ويحي، فى الثالثة : يوسف . فى الرابعة : إدريس ، فى الخامسة : هارون . فى السادسة : موسى ، فى السابعة : إبراهيم . وعند سدرة المنتهى فوق ذلك وجد أربعة الأنهار منها : النيل والفرات ، ثم رفع إلى البيت المعمور .

=

رفع المسـاهم

. . . .

وفى الرواية السابعة : فى الأولى : آدم ، ثم عرج إلى السماء الثانية ، وذكر أنه وجد فى السماوات إدريس وموسى وعيسى ، ولكن لم يثبت منازلهم ، وذكر أنه وجد إبراهيم فى السادسة

وفى الرواية الثامنة : كالرواية السابقة . وفى الرواية التاسعة : وجد ملكا يقال له : إسماعيل ، وهو صاحب السماء الدنيا ، ووجد فى السماء الأولى آدم، وفى الثانية : يوسف ، وفى الثالثة : يحيى وعيسى ، وفى الرابعة : إدريس ، وفى الخامسة : هارون، وفى السادسة : موسى ، وفى السابعة : إبراهيم .

وفى الرواية العاشرة :فى الأولى : آدم ، وفى الثانية : عيسى ويحيى .فى الثالثة : يوسف ، فى الرابعة : إدريس : فى الخامسة : هارون . فى السادسة : موسى يبكى . فى السابعة : إبراهيم .

الأنهار :فى السماء الدنيا نهران ، هما : عنصرا النيل والفرات ، كما وجد الكوثر:فوق ظهر السماء السابعة عند سدرة المنتهى : أربعة أنهار ، اثنان باطنان والآخران:النيل والفرات .الكوثر:ينشق من عين تخرج من سدرة المنتهى التى فوق السماء السابعة ، وهناك أيضاً نهر يسمى الرحمة اغتسل فيه النبى « ص » فغفر له كل ذنب، أنهار أولها:رحمة الله، والثانى:نعمة الله،والثالث: سقاهم ربهم شرابا طهورا .

بهذا العرض يتجلى لنا وجود ما لا يمكن أن يوصف إلا بالتضاد أو التناقض ، ولا يمكن أن يتصور مسلم أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يأتى بمثل هذا التناقض ، أو يحكم على الشىء بالنفى ، وبالإثبات فى آن واحد .

الإسراء حق ، لأنه من إخبار القرآن ، فلنحرص على عدم التوسع فى ذكر الروايات التى يناقض بعضها بعضا ، أو يحكم عليه الواقع المشهود المحسوس بأنه وضع خيال .

وليحذر المتهوكون الظن بأننا نضرب صفحا عن أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، إنما نضرب صفحا عن أحاديث الرواة الذين يخطئون ساهين، أو يتعمدون الخطأ ماكرين . ألا ترون إلى المفسر السلفى الجليل الإمام ابن كثير كيف يقول عن شريك بن عبد الله بن أبى نمر الذى أخرج له البخارى حديثا

. . . .

الله سبحانه سيرفعهما ، ويذهب بهما عند رفع القرآن وذَهَابِ الإيمان ، فلا يبقى على الأرض خير ، وذلك قوله تعالى : (وإنا عَلَى ذَهَابٍ به لَقَادِرُونَ) وفى حديثٍ مُسْنَدٍ ذكره النحاس فى المعانى بأتم من هذا فاختصرته ، ووقع فى كتاب المعلم للمَازَرِيِّ قول رابع فى الجمع بين الأقوال قال : كان الإسراء بجسده فى اليقظة إلى بيت المقدس ، فكانت رؤيا عين ، ثم أسرى بروحه إلى فوق سبع سمٰوات ، ولذلك شَنَّعَ الكُفَّارُ قوله : وأَتَيْتُ بيتَ المقدس فى ليلتى هذه ، ولم يَشْنَعُوا قوله فيما سوى ذلك(١) .

= الإسراء فى كتاب التوحيد : « إن شريك . اضطرب فى هذا الحديث ، وساء حفظه ، ولم يضبطه » ويقول عن روايات حديث الإسراء : « وإن اختلفت عبارات الرواة فى أدائه ، أو زاد بعضهم فيه ، أو نقص منه ، فإن الخطأ جائز على من عدا الأنبياء عليهم السلام ، ومن جعل من الناس كل رواية خالفت الأخرى مرة على حدة ، فأثبت إسراءات متعددة ، فقد أبعد ، وأغرب ، وهرب إلى غير مهرب ، ولم يتحصل على مطلب ، وقد صرح بعضهم من المتأخرين بأنه عليه السلام أسرى به مرة من مكة إلى بيت المقدس فقط ، ومرة من مكة إلى السماء فقط ، ومرة إلى بيت المقدس ، ومنه إلى السماء ، وفرح بهذا المسلك ، وأنه قد ظفر بشيء يخلص به من الإشكالات ، وهذا بعيد جداً » انظر تفسير سورة الإسراء من تفسير ابن كثير ، ولعلنا ندرك أنه ما دفع هؤلاء إلى هذا إلا التناقض البادى بين روايات حديث الإسراء ، وإلا إيمانهم بأن كل هذه المتناقضات تنتسب حقا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أما أنا فأومن أن الرسول لا يقول إلا حقا وصدقا ، ولا يمكن أن يصيبه النسيان الماكر ، وهو يقص علينا آية من آيات ربه الكبرى . وما عرضت نفسى لغضب الناس إلا اتقاء لغضب الله ، فإن يك هذا الظن منى صوابا فمن الله ، وإلا فمنى ، والله الهادى إلى ما يحبه ويرضاه .

(١) هذا رأى سديد ، وهو بعض ماذهب إليه الإمام ابن القيم .

رفع المسـاهم

. . . .

شماس البراق :

فصل : ومما يُسْأل عنه فى هذا الحديث شِماسُ الْبُراقِ حين ركبه النبى — صلى الله عليه وسلم — فقال له جبريل : أما تستحيي يابُراقُ ، فما ركبك عبدٌ لله قبْل محمد هو أ كْرَمُ عليه منه ، فقد قيل : فى نفرته ماقاله ابن بَطَّال فى شرح الجامع الصحيح ، قال : كان ذلك لبعد عهد الْبُراقِ بالأنبياء ، وطول الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام ، وروى غيره فى ذلك سبباً آخر قال فى روايته فى حديث الإسراء : قال جبريل لمحمد عليه السلام حين شَمَسَ به الْبُراقُ : لعلك يامحمد مَسَسْتَ الصَّفْرَاءَ اليوم ، فأخبره النبى — صلى الله عليه وسلم — أنه مامَسَّها إلاَّ أنه مَرَّ بها ، فقال : تَبًّا لمن يعبُدك من دون الله ، ومامسها إلا لذلك ، وذكر هذه الرواية أبو سعيد النَّيْسَابُورِى فى شرف المصطفى ، فالله أعلم ، وقد جاء ذكر الصَّفْراء فى مُسْنَدِ البَزَّار ، وأنها كانت صَنَماً بعضُه من ذهب فكسرها رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — يوم الفتح ، وفى الحديث الذى خرجه التِّرْمِذِىّ(١) من طريق بُرَيْدَةَ الْأَسْلَمِىّ(٢) أنه — عليه السلام — حين انتهى

---

(١) يقول ابن الأثير فى اللباب إنها نسبة إلى مدينة قديمة على طرف نهر بلخ الذى يقال له جيحون ، والناس مختلفون فى كيفية هذه النسبة ، بعضهم يقول بفتح التاء وبعضهم بضمها ، وبعضهم بكسرها . والمتداول على لسان أهل تلك المدينة : بفتح التاء وكسر الميم ، والذى كنا نعرفه فيه قديما كسر التاء والميم جميعا ، والذى يقوله المتقوقون ، وأهل المعرفة بضم التاء والميم ، وبعض هذا فى المراصد .

(٢) قيل اسمه عامر : وبريدة لقب ، وفى الصحيحين أنه غزا مع النبى « ص » ست عشرة غزوة

. . . .

إلى بيت المقدس ، قال جبريل : بإصْبَعه إلى الصخرة ، نخرَقَها فشَدّ بها البُراقَ[1]، وصلّى ، وأنّ حُذَيْفَةَ أنكر هذه الرواية ، وقال : لم يفر منه وقد سَخّره له عالمُ الغَيْب والشّهادة[2] ، وفى هذا من الفقه على رواية بُرَيْدَة : التنبيهُ على الأخذ بالحزم مع صحة التوكل ، وأن الإيمان بالقدَرِ كما - روى عن وَهْب بن مُنَبِّهٍ - لايمنع الحازمَ من تَوَقّى المهالك . قال وهب :وَجَدْتُهُ فى سبعين كتابا من كُتُبِ

---

(١) رواه أبو بكر البزار ، وقال : لانعلم رواه عن الزبير بن جنادة إلا أبو نميلة ، ولا نعلم هذا الحديث إلا عن بريدة . وقدرواه الترمذى فى التفسير من جامعه عن يعقوب بن إبراهم . وقال : غريب .

(٢) فى الأصل : لم أيفر منه . وفى حديث حذيفة هذا تعبير محكم المعنى ، فقد سمع زر بن حبيش - يحدث عن ليلة الإسراء ، فقال له : ما اسمك يا أصلع ؟ ! فأنا أعرف وجهك ، ولا أدرى ما اسمك ؟ قال زر : أنا زر بن حبيش ، فقال له حذيفة : فما علمك بأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم صلى فيه ليلتئذ ، أى : فى بيت المقدس ؟ فقال زر : القرآن يخبرنى بذلك ، فقال حذيفة كلمته الرائعة التى تشع بنور الحق العظيم : من تكلم بالقرآن أفلح ، ثم طلب من زر أن يقرأ ، فقرأ : سبحان الذى أسرى ، فقال حذيفة : ياأصلع !! هل تجد صلى فيه ؟ فقال زر : لا : فقال حذيفة : والله ما صلى فيه رسول الله « ص » ليلتئذ ، ولو صلى فيه لكتبت عليكم صلاة فيه ، كما كتب عليكم صلاة فى البيت العتيق . والله مازايلا البراق حتى فتحت لهما أبواب السماء ، فرأيا الجنة والنار ، ووعد الآخرة أجمع ، ثم عادا عودهما على بدئهما ، قال زر :ثم ضحك حتى رأيت نواجذه قال حذيفة : ويحدثون أنه ربطه لايفر منه ، وإنما سخره له عالم الغيب والشهادة . وقد روى حديث حذيفة هذا الإمام أحمد ، وأبو داود الطيالسى ، والترمذى والنسائى ، وقال الترمذى : حسن

رفع المسهم

. . . .

الله القديمة(١) ، وهذا نحو من قوله صلى الله عليه وسلم : « قَيِّدها وتَوَكّل» (٢) فإيمانُه صلى الله عليه وسلم بأنه قد سُخِّر له كإيمانه بقدَرِ الله وعلمِه بأنه سبق في عِلم الكتاب ماسبق ، ومع ذلك كانَ يَتزَوَّدُ في أسفاره و يُعِدُّ السلاح في حُروبه ، حتى لقـــد ظاهر بين دِرْعين في غَزْوة أُحُدٍ . ورَبْطُه للبُراق في حَلْقةِ البابِ من هذا الفن ، وهو حديث صحيح ، وقد رواه غير بُرَيْدَة ووقع في حديث الحارث بن أبي أسامة من طريق أَنَس ، ومن طريق أبي سعيد ، وغيرهما أعنى رَبْطَه للبُراق في الحْلْقَة التى كانت تَرْبِطُه فيها الأنبياء ، غير أن الحديثَ يرويه داود بن المُحَبِّر ، وهو ضعيف .

معنى قول الملائكة : من معك

معنى قول الملائـكة : من معك ومما يُسْأَلُ عنه قولُ الملائـكة في كل سماء لجبريل : مَنْ معك ، فيقول : محمد ، فيقولون : أَوَقد بعث إليه فيقول : نعم هـكذا لفظ الحديث في الصِّحاح ، ومعنى سؤالهم عن البَعْثِ إليه فيما قال بعض أهل العلم ، أي : قد بعث اليه إلى السماء ، كما قد وجدوا في العلم أنه سيعرج به ، ولو أرادوا بَعثَه إلى الخلق ، لقالوا : أوقد بُعِثَ ، ولم يقولوا إليه ، مع أنه يبعد أن يخفى عن الملائـكة بعثُه إلى الخلق ، فلا يعلمون به إلى ليلة الإسراء ، وفي الحديث الذى تقدم في هذا الـكتاب بيانٌ أيضا حين ذكر تسبيح ملائـكة السماء السابعة ، ثم تسبيح ملائـكة كل سماء ، ثم يسأل بعضهم بعضا: ممَّ سَبَّحتم حتى ينتهى السؤال إلى ملائـكة السماء السابعة ، فيقولون : قَضَى ربُّنا في خَلْقه

---

(١) ياويل التفسير من مخترعات وهب

(٢) في الجامع الصغير للسيوطى : « اعقلها وتوكل » وراه الترمذى عن أنس وهو ضعيف

كذا ، ثم ينتهي الخبرُ إلى سماء الدنيا ـ الحديث بطوله ، وفي هذا مايدل على أن الملائكة قد علمت بنبوة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين نُبِّيء ، وإنما قالت : أوقد بعث إليه ، أي قد بعث إليه بالبُرَاقِ كما تقدّم على أن في حديث أنس أن ملائكةَ سماء الدنيا قالت لجبريل : أوقد بعث ، كما وقع في السيرة وليس في أول الحديث : إليه ، هذا إنما جاء في حديث الرؤيا التي رآها بقلبه ، كما قدمنا ، وأن ذلك قبل أن يُوحى إليه كما جاء في الحديث بعينه ، وفي هذا قوة لما تقدم من أن الإسراء كان رُؤْيا ، ثم كان رؤية ؛ ولذلك لم نجد في رواية من الروايات أن الملائكة قالوا : أوقد بُعِثَ إليه إلا في ذلك الحديث ، فالله أعلم .

باب الحفظة :

وذكر باب الحَفَظَةِ ، وأن عليه ملَكا يقال له : إسماعيل ، وقد جاء ذكره في مُسْنَدِ الحارثِ ، وفيه أن تحت يده سبعون ألف ملك تحت يد كل ملك سبعون ألف(١) ملك ، هكذا لفظُ الحديث في رواية الحارثِ ، وفي رواية ابن إسحاق : اثنا عشر ألف ملك هكذا لفظ الحديث ، وفي مُسْنَد الحارث أيضاً .

---

(١) أخرجه البيهقي في كتاب دلائل النبوة وأوله يخالف الروايات الأخرى وفبينما أنا نائم عشاء في المسجد الحرام ، إذ أتاني آت ، فأيقظني ، فاستيقظت ، فلم أر شيئا ، فإذا أنا بكهيئة خيال ، فأتبعته بصري ؛ حتى خرجت من المسجد الحرام الخ .

رفع المسهم

. . . .

وذكر سِدْرَةَ الْمُنتَهَى، فقال: لو غطيت بورقة من ورقها هذه الأُمَّةُ لغطتهم وفى صفتها من رواية الجميع: فإذا ثمرها كقِلَال هَجَر، وفى حديث الْقُلَّتَيْنِ من كتاب الطهارة، من رواية ابن جُرَيْج: إذا كان الماء قُلَّتَيْنِ من قِلَال هَجَر لم يحمل الخبث[1] قالوا: والقلتان منها تسعان خمسمائة رطل، قال الترمذى: وذلك نحو من خَمْسِ قِرَبٍ، وفى تفسير ابن سلام قال عن بعض السلف: إنها سُمِّيَتْ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى، لأن روح المؤمن ينتهى به إليها، فتصلى عليه هنالكَ الملائكةُ المقربون. قال ذلك فى تفسير عِلِّيين.

آدم فى سماء الدنيا والأسودة التى رآها:

فصل: وفيه أنه رأى آدم فى سماء الدنيا، وعن يمينه أسْودة، وعن شماله أسْوِدة، وأن جبريلَ أعلمه أن الأسوِدة التى عن يمينه هم: أصحابُ الْيَمين، وفى رواية ابن إسحاق: تعرض عليه أرواحُ ذُريته، فإذا نظر إلى الذين عن يمينه ضحك، وقد سئل عن هذا، فقيل: كيف رأى عن يمينه أرواحَ أصحاب اليمين، ولم يكن إذ ذاك من أصحاب اليمين إلا نَفَرٌ قليل، ولعله لم يكن ماتَ

---

(١) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج القرشى الأموى مولاهم المكى أبو الوليد، ويقال: أبو خالد، وهو من تابعى التابعين توفى سنة ١٥٠ وقيل غير ذلك.

(٢) تكلمنا عنه من قبل، وأقول: ورد فى نيل الأوطار الامام الشوكانى: «وأما التقييد بقلال هجر، فلم يثبت مرفوعا إلا من رواية المغيرة بن صقلاب عند ابن عدى، وهو منكر الحديث. قال النفيل: لم يكن مؤتمنا على الحديث. وقال ابن عدى: لا يتابع على عامة حديثه» ص ٣١ ج ١ ط عثمان خليفة.

تلك الليلة منهم أحد ، وظاهرُ الحديث يقضى أنهم كانوا جماعة . فالجوابُ أن يقال : إنْ كان الإسراء رؤيا بقلبه ، فتأويلها أن ذلك سيكون ، وإن كانت رُؤيا عين ، كما قال ابن عباس وغيره بمعناه : أن ذلك أرواحُ المؤمنين رآها هنالك ، لأن الله تعالى يتوفى الخلقَ فى منامِهم ، كما قال فى التنزيل : ﴿ اللهُ يَتوَفّى الأَنفُسَ حينَ مَوْتِها ﴾ الزمر ٤٣ فصعد بالأرواح إلى هنالك ، فرآها ثم أعيدت إلى أجسادها . وجوابٌ آخر : وهو أنَّ أصحابَ اليمين الذين ذكرهم اللهُ تعالى فى سورة المُدَّثِر فى قوله تعالى : ﴿ إلا أصحابَ اليَمِين . فى جَنَّاتٍ يَتَساءَلُون عن المُجْرِمين ﴾ ٣٩ : ٤٠ . قال ابنُ عباس : هم الأطفال الذين ماتوا صغاراً ، ولذلك سألوا المجرمين : (مَا سَلَكَكُمْ فى سَقَر) لأنهم ماتوا قبل أن يعلموا بكفر الكافرين ، وقد ثبت فى الصحيح أن أطفال المؤمنين والكافرين فى كفالة إبراهيم عليه السلام ، وأن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال لجبريل حين رآهم فى الروضة مع إبراهيم : مَنْ هؤلاء ياجبريل ؟ فقال : أولاد المؤمنين الذين يموتون صغاراً ، فقال له : وأولاد الكافرين ، قال : وأولاد الكافرين . خرجه البخارى فى الحديث الطويل من كتاب الجنائز ، وخرجه فى موضع آخر ، فقال فيه : أولاد الناس ، فهو فى الحديث الأول نَصٌّ ، وفى الثانى عموم ، وقد روى فى أطفال الكافرين أنهم خدم لأهل الجنة ، فعلى هذا لا يبعد أن يكون الذى رآه عن يمين آدم من نَسَمِ ذريتِه أرْواحَ هؤلاء ، وفى هذا مايدفع تَشْعيبَ هـــذا السؤال والاعتراض منه .

. . . .

من حكم الماء :

فصل : وفيه شُرْبُه من إناءِ القوم ، وهو مُغطًّى ، والماء وإن كان لا يُملَكُ والناس شُرَكاءُ فيه ، وفى النار والكَلأ كما جاء فى الحديث ، لكن المستقى إذا أحرزه فى وعائه ، فقد ملكه ، فكيف استباح النبى صلى الله عليه وسلم شُرْبه وهو مِلْكٌ لغيره ، وأملاكُ الكفار لم تكن أبيحت يومئذ ، ولادماؤهم.

فالجواب أن العربَ فى الجاهلية كان فى عُرْف العادة عندهم إباحة الرِّسْلِ لابن السبيل فضْلا عن الماء ، وكانوا يعهدون بذلك إلى رِعائهم ، ويشترطونه عليهم عند عقد إجارتهم : ألاَّ يمنعوا الرِّسْلَ ، وهو اللبن من أحدٍ مرَّ بهم ، وللحكم فى العُرْفِ فى الشريعة أصولٌ تشهد له ، وقد تَرْجم البخارىُّ عليه فى كتاب البيوعِ ، وخرج حديثَ هِنْدِ بنتِ عُتْبَة ، وفيه : خُذِى مايكفيك وولدَك بالمعروف .

عن دخول بيت المقدس وصفة الأنبياء :

فصل : وذكر فيه أنه دخل بيتَ المَقدِس ، ووجد فيه نفراً من الأنبياء ، فصلَّى بهم ، وفى حديث التِّرمِذىِّ الذى قدَّمناه عنْ حُذَيفَةَ أنه أنكر أن يكونَ صلَّى بهم ، وقال : مازال من ظَهرِ البُرَاقِ ، حتى رأى الجنةَ والنار ، وما وعده الله تعالى ، ثم عاد إلى الأرض ، وزيادة العدل مقبولةٌ ، ورواية من أثبتَ مُقدَّمةٌ على رواية مَنْ نَفَى ، وذكر فيه صفة الأنبياء ، وقال فى عيسى : كأن رأسَه يَقْطُرُ ماءً وليس به ماء ، وكأنه خرج من دِيماسٍ والدِّيماسُ : الحَمَّامُ ،

وأصله : دِمَّاس ويجمع على دَمَامِيس ، وقد قيل فى جمعه : دَيَاميس[١] ، ومثله : قيراط ودينار ودِيباج، الأصل فيها كلها: التضعيف، ثم قُلبَ الحرف المدغمُ ياء ، فلما جَمعوا وصَغَّروا ، ردُّوه إلى أصلِه ، فقالوا : قراريط ودنانير : [وقُرَيْرِيط ودُنَيْنِير][٢] ، غير أنهم لم يقولوا : دنانير ولا قياريط ، كما قالوا : دَياميس ، وقالوا : دَبابيج ودَيابيج [٣] ، وأصلُ الدَّمْس : التغطية ومنه لَيلٌ دامِسٌ ، وفى هذه الصفة من صفات عيسى عليه السلام إشارة إلى الرِّىِّ والخِصْبِ الذى يكون فى أيامه إذ أُهْبِط إلى الأرض والله أعلم .

وذكر فى صفة موسى أنه آدمُ طوّالٌ ، ولوصفه إياه بالأُدْمَةِ أصلٌ فى كتاب الله تعالى ، قاله الطَّبَرى عند تفسير قوله : ﴿ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾ قال : فى خُروج يده بيضاَء آيةٌ فى أن خرجت بيضاءَ مخالفا لونُها لسائر لونِ جسدِه ، وذلك دليل بيِّن على الأُدْمَة التى هى خلافُ البياض[٤] .

وذكر إبراهيمَ فقال: لم أرَ رجلاً أشبهَ بصاحِبِكم ولا صاحبكم أشْبَهَ به منه ،

---

(١) فى اللسان « إن فتحت الدال جمع على دياميس مثل شيطان وشياطين ، وإن كسرتها جمعت على دماميس » .

(٢) زيادة يقتضيها السباق .

(٣) فى اللسان مادة دنر : « قال أبو منصور : دينار وقيراط وديباج أصلها أعجمية ، غير أن العرب تكلمت بها قديما ، فصارت عربية » .

(٤) الذى فى الطبرى فى تفسير الآية : « ذكر أن موسى عليه السلام كان رجلا آدم ، فأدخل يده فى جيبه ، ثم أخرجها بيضاء من غير سوء من غير برص مثل الثلج ، ثم ردها ، فخرجت كما كانت على لونه » .

. . . .

يعنى : نفسه ، وفى آخر هذا الكلام إشكالٌ من أجل أن أشْبَهَ منصوبٌ فى الموضعين ، ولكن إذا فهمت معناه ، عرفت إعرابَه ، ومعناه : لم أر رجلا أشبهَ بصاحبكم ولا صاحبُكم به منه[1] ، ثم كرر أشبه توكيدا فصارت لغواً كالمُقْحَم وصاحبكم معطوفٌ على الضمير الذى فى أشبه الأول الذى هو نعتٌ لرجل ، وحسن العطفُ عليه ، وإن لم يؤكدَ بهو ، كما حسن فى قوله تعالى : ﴿ما أشرَكْنَا ولا آباؤنا﴾ من أجل الفصل بلا النافية ، ولو أسقط من الكلام أشْبَهَ الثانى ، لكان حَسَناً جدا ، ولو أخَّر صاحبكم فقال : ولا أشبه به صاحبُكم منه لجازَ ، ويكون فاعلا بأشْبَهَ الثانية ، ويكون من باب قولهم : مارأيتُ رجلا أحسنَ فى عينه الكحلُ مِنْ زَيْدٍ ، وهى مسألة عَذْرَاء لم تَفْتَرِعْها أيدى النُّحاةِ[2] ، بعد ولم يشف منها مُتَقَدِّمٌ منهم ، ولا متأخِّرٌ مِمَّن رأينا كلامه فيها وقد أمْلَيْنَا فى غيرِ هذا الكتابِ فيها تحقيقاً شافيا .

صفة النبى صلى الله عليه وسلم :

فصل : وذكر فى صفة — النبى — صلى الله عليه وسلم — مما نعته به علىٌّ بن أبى طالب — رضى الله عنه — فقال : لم يكن بالطويل المُمَغط بالغين المعجمة ،

---

(١) رواية مسلم « أشبه الناس به صاحبكم — يعنى نفسه » .

(٢) هى مسألة مفصلة فى كتب النحو عن عمل أفعل التفضيل ورفعه للاسم الظاهر ، فانظر لها مثلا ص ١٠٦ ﺣ ٢ من شرح التصريح على التوضيح ، ص ٤٦ ﺣ ٣ من حاشية الصبان على شرح الأشمونى ط ١٣٠٥ ﻫ ص ٢٥٢ ﺣ ٣ النحو الوافى للأستاذ عباس حسن .

رفع المسهم

وفى غير هذه الرواية بالعين المهملة ، وذكر الأوصاف إلى آخرها وقد شرحها أبو عُبَيْد ، فقال عن الأصمعى ، والكسائى وأبى عَمْرو وغير واحد : قوله: ليس بالطويل المُمَغَّط أى : ليس بالبائن الطويل ، ولا القصير المُتَرَدِّدِ[1] يعنى : الذى تردد خَلْقُه بعضُه على بعض ، وهو مجتمع ليس بِسَبْطِ الخَلْقِ يقول : فليس هو كذلك ، ولكن رَبْعَة بين الرجلين ، وهكذا صِفَتُه ـ صلى الله عليه وسلم ـ وفى حديث آخر : ضَرْب اللَّحم بين الرجلين .

وقوله : ليس بالمطهم ، قال الأصمعى : هو التام كل شىء منه على حدته ، فهو بارع الجمال ، وقال غير الأصمعى المُكَلْثم المُدَوَّر الوجه ، يقول : ليس كذلك ، ولكنه مسْنُونٌ ، وقوله : مشرب يعنى الذى أُشْرِب حُمْرَةً ، والأدعج العين : الشديدُ سَوادِ العين قال الأصمعى : الدُّعْجَةُ : هى السواد ، والجليل المُشَاشِ : العظيمُ العظام مثل الركبتين والمِرْفَقَيْن والمَنْكِبَيْن ، وقوله : الكَتَد هو : الكاهِلُ ، ومايليه من جسده ، وقوله شَثْن الكفّين والقدمين يعنى : أنهما إلى الغِلَظ . وقوله : لَيْسَ بالسبْط ولا الجَعْدِ القَطَطِ ، فالقَطَطُ : الشديدُ الجُعُودَةِ مثل شُعور الحَبَشة ، ووقع فى غريب الحديث لأبى عبيد التامُّ كلُّ شىء منه على حِدَته . يقول : ليس كذلك ، ولكنه بارع الجمال ، فهذه الكلمة ، أعنى : ليس كذلك مخِلَّة بالشرح ، وقد وجدته فى رواية أخرى عن أبى عبيد بإسقاط : يقول كذلك ، ولكن على نص ذكرناه آنفا

(١) وردت هذه الأوصاف فى حديث رواه الترمذى وإسناده ضعيف .

قصة المعراج

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم عن أبى سعيد الخدرىّ ـ رضى الله عنه ـ أنه قال: سمعتُ رسولَ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : لما فرغتُ مما كان فى بيت المقدس ، أُتى بالمعراج ـ ولم أر شيئا قطُّ أحسنَ منه ـ وهو

عنه عن الأصمعى ، والذى فى غريب الحديث من تلك الزيادةِ وَهْمٌ وقع فى الكتاب ، والله أعلم .

وأما ماروا ه الترمذى عن الأصمعى فى شرح المطهم قال : هو البادن: الكثير اللحم ، ذكره عن أبى جعفر ، عن الأصمعى ، وذكر عنـــه فى المُمَّغط نحو ماقدمناه ، قال : وسمعت أعرابيا يقول تمغَّط فى نُشَّابة أى : مَدَّها ، وفى كتاب العين : مَغَطْتُ الشىء إذا مَدَدته ، وقال فى باب العين المهملة مَعَطْت[1] الشىء إذا مددته ، كما قال فى الغين المعجمة ، فعلى هذا يقال فيهُ مَمِّغط ومُمَّعط ، ووزنه مُنْفَعِل ، واندغمت النونُ فى الميم ، كما اندغمت فى محوته فامَّحَى لمـا أمن التباسه بالمضاعف ، ولم يدغموا النون فى الميم فى شاةٍ زَنْمَاء ، ولافى غَنَم لئلا يلتبس بالمضاعف ، لو قالوا : أَزَمَّاء وغَمَّا ، وقد ذكرنا قبل َماوَهِمَ فيه التِّرمِذِىُّ من تفسير زِرِّ الحَجَلَةِ حيث قال : يقال إنه بيْض له ، حيث تـكلمنا على خاتم النبوة وصفته ، واختلاف الرواية فيه والحمد لله .

---

(١) كذلك يقول اللسان .

الذى يَمُدّ إليه ميتُـكم عَيْنَيه إذا حُضر ، فأصْعدني صاحبي فيه ، حتى انتهى بى إلى بابٍ من أبواب السماء ، يقال له : باب الحَفَظة ، عليـــه مَلَك من الملائـكة ، يقال له : إسماعيل ، تحت يديه أثنا عَشَرَ ألفَ مَلَكٍ ، تحت يدى كلّ مَلَك منهم اثنا عشر ألفَ مَلك ـ قال : يقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين حدّث بهذا الحديث : ومايعلم جنود ربك إلا هو ـ فلما دُخِل بى ، قال : مَنْ هذا ياجبريل ؟ قال : هذا محمد . قال : أو قد بُعث ؟ قال : نعم . قال : فدعا لى بخير : وقاله .

قال ابن إسحاق : وحدثنى بعضُ أهل العلم عمّن حدّثه عن رسولِ الله — صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : تلقّتنى الملائـكةُ حين دخلتُ السماء الدنيا ، فلم يلقنى مَلَكٌ إلا ضاحكا مستبشرا ، يقول خيرا ويدعو به ، حتى لقينى مَلَكٌ من الملائكة ، فقال مثلَ ماقالوا ، ودعا بمثل مادَعَوْا به ، إلا أنه لم يضحك ، ولم أرَ منه من البِشْر مثل مارأيت من غيره ، فقلت لجبريل : ياجبريل من هذا الملك الذى قال لى كما قالت الملائـكةُ ولم يضحك إلىّ ، ولم أرَ منه من البِشر مثل الذى رأيتُ منهم ؟ قال : فقال لى جبريلُ : أما إنه لو ضَحك إلى أحدٍ كان قبلك ، أو كان ضاحكا إلى أحد بعدك ، لَضَحِك إليك ، ولـكنه لايضحك ، هذا مالكٌ خازن النار ، فقال رسولُ الله — صلى الله عليـــه وسلم — فقلت لجبريل ، وهو من الله تعالى بالمـكان الذى وصف لـكم (مُطاعٍ ثَمَّ أمِين) : ألا تأمره أن يُرِينى النار ؟ فقال : بلى ، يامالك ، أرِ محمداً النَّار . قال : فكشف عنها غِطاءها ، ففارت ، وارتفعت ، حتى ظننت : لتأخذنّ ما أرى . قال :

فقلت لجبريل : ياجبريل ، مُرْه ، فَليردّها إلى مكانها . قال : فأمره ، فقال لها : اخْبِي ، فرجعتْ إلى مكانها الذى خَرجت منه . فما شبَّهتُ رُجوعَها إلا وقوع الظلّ . حتى إذا دخلت من حيثُ خَرجت رَدّ عليها غطاءها .

قال أبو سَعيد الُخدْرىّ فى حديثه : إن رسولَ الله — صلى الله عليه وسلم — قال : لما دخلتُ السماء الدنيا ، رأيت بها رجلا جالسا تُعرض عليه أرواح بَنى آدم ، فيقول لبعضها ، إذا عُرضت عليه خيراً ويُسرّ به ، ويقول : روح طيِّبة خَرجت من جَسد طيب ، ويقول لبعضها إذا عُرضت عليه : أُفٍّ ، ويَعْبِس بوجهه ويقول : روح خَبيثة خرجت من جَسد خبيث . قال : قلت : من هذا ياجبريل؟ قال : هذا أبوك آدم ، تُعرَض عليه أرواح ذرّيته ، فإذا مَرّت به روح المُؤمن مِنْهم سُرّ بها : وقال روح طيبة خرجت من جَسد طيب . وإذا مرّت به روح الكافر منهم أفّف منها ، وكَرِهها ، وساء ذلك ، وقال : روحٌ خبيثةٌ خرجت من جَسد خبيث .

قال ثم رأيت رجالاً لهم مَشافر كمَشافِر الإبل ، فى أيديهم قِطَع من نار كالأفهار ، يقذفونها فى أفواههم ، فتخرج من أدبارهم . فقلت : من هؤلاء ياجبريل ؟ قال : هؤلاء أكلة أموال اليتامى ظُلْما .

قال : ثم رأيت رجالا لهم بُطون لم أرَ مثلَها قطُّ بسَبيل آل فرعون ، يمُرّون عليهم كالإبل الَمهْيُومة حين يُعْرضَون على النار ، يطئونهم لا يقدرون على أن يتحوّلوا من مكانهم ذلك . قال قلت : من هؤلاء ياجبريل ؟ قال هؤلاء أكلة الربا .

قال : ثم رأيتُ رجالا بين أيديهم لحم ثمين طيِّب ، إلى جنبه لحم غَثٌّ منتن ، يأكلون من الغثّ المنتن ، ويتركون السمين الطيب . قال : قلت : من هؤلاء ياجبريل ؟ قال : هؤلاء الذين يَتركون ما أحلّ الله لهم من النِّساء ، ويَذهبون إلى ماحرّم الله عليهم منهنّ .

قال : ثم رأيت نساء معلَّقات بثديّهنّ ، فقلتُ : مَن هؤلاء ياجبريل ؟ قال: هؤلاء اللاتى أدخلن على الرجال من ليس من أولادهم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى جَعفر بن عَمْرو ، عن القاسم بن محمد أن رسولَ الله — صلى الله عليه وسلم — قال : اشتدّ غضب الله على امرأة أدخلت على قوم مَنْ ليس منهم ، فأكل حَرائبهم ، واطلع على عوراتهم .

عود إلى حديث الخدرى : ثم رجع إلى حديث أبى سَعيد الُخدرىّ ، قال : ثم أصعدنى إلى السماء الثانية ، فإذا فيها ابنا الخالة : عيسى بن مَرْيم ، ويحيى بن زكريَّا ، قال : ثم أصْعدنى إلى السماء الثالثة ، فإذا فيها رجل صورته كصورة القمر ليلة البَدْر ، قال : قلت : من هذا ياجبريل ؟ قال : هذا أخوك يوسف بن يعقوب. قال : ثم أصْعدنى إلى السماء الرابعة ، فإذا فيها رجل فسألته : من هو ؟ قال : هذا إدريس — قال : يقول رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم : ورفعناه مكانا عليًّا — قال : ثم أصْعدنى إلى السماء الخامسة فإذا فيها كَهْل أبيضُ الرأس واللِّحية ، عظيم العُثْنون ، لم أر كَهْلا أجملَ منه ، قال قلت : من هذا يا جبريل؟ قال : هذا المُحَبَّبُ فى قومه هارون بن عِمران ، قال : ثم أصْعدنى إلى السماء السادسة ، فإذا فيها رجل آدمُ طويلٌ أقْنى كأنه من رجال شَنُوءَة ؛ فقلت له :

من هذا ياجبريل ؟ قال : هذا أخوك موسى بن عِمْران . ثم أصعدنى إلى السماء السابعة ، فإذا فيها كَهْل جالس على كرسىّ إلى باب البيت المَعمور ، يدخله كلّ يوم سَبعون ألفَ ملَك ، لايرجعون فيه إلى يوم القيامة . لم أرَ رجلا أشبهَ بصاحبكم ، ولاصاحبكم أشبه به منه ، قال : قلت : من هذا ياجبريل ؟ قال : هذا أبوك إبراهيم . قال : ثم دخل بى الجنة ، فرأيتُ فيها جاريةً لعساء ، فسألتها : لمن أنت ؟ وقد أعجبتنى حين رأيتُها ، فقالت : لزيد بن حارثة ، فبشّر بها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة .

قال ابنُ إسحاق : ومن حديث عبد الله بن مسعود — رضى الله عنه — عن النبى — صلى الله عليه وسلم — فيما بلغنى : أن جبريل لم يصعد به إلى سماء من السموات إلا قالوا له حين يستأذن فى دخولها : من هذا ياجبريل ؟ فيقول : محمد ، فيقولون : أو قد بعث ؟ فيقول : نعم ، فيقولون : حياه الله من أخ وصاحب ، حتى انتهى به إلى السماء السابعة ، ثم انتهى به إلى ربه ، ففرض عليه خمسين صلاة فى كلّ يوم .

قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : فأقبلت راجعا ، فلما مررت بموسى بن عِمران ونِعْم الصاحبُ كان لكم ، سألنى كم فُرض عليك من الصلاة ؟ فقلت خمسين صلاة كلّ يوم ؛ فقال : إن الصلاة ثقيلة ، وإن أمتك ضعيفة ، فارجع إلى ربك ، فاسأله أن يخفِّف عنك وعن أمتك . فرجعتُ فسألت ربى أن يخفِّف عنى ، وعن أمتى ، فوضع عنى عشرا . ثم انصرفت فمررت على موسى فقال لى مثلَ ذلك ، فرجعت فسألت ربى ، فوضع عنى عشراً .

. . . .

ثم انصرفت ، فمررت على موسى ، فقال لى مثلَ ذلك، فرجعت فسألته، فوضع عنى عشراً ، ثم لم يزل يقول لى مثل ذلك ، كلما رجعت إليه ، قال : فارجع فاسأل ، حتى انتهيتُ إلى أن وضع ذلك عنى ، إلا خمس صلوات فى كلّ يوم وليلة . ثم رجعت إلى موسى ، فقال لى مثل ، ذلك ، فقلت : قد راجعتُ ربى وسألته ، حتى استحييتُ منه ، فما أنا بفاعل رواه البيهقى فى كتاب دلائل النبوة وابن جرير وابن أبى حاتم .

فمن أدّاهنّ منكم إيمانا بهنّ ، واحتسابا لهنّ ، كان له أجرُ خمسين صلاة مكتوبة . رواه .وفى الحديث غرابة ونـكارة .

رؤية النبي ربه :

فصل : وقد تـكلم العلماء فى رؤية النبى صلى الله عليه وسلم لربه ليلة الإسراء ، فروى مسروقٌ عن عائشة أنها أنـكرت أن يكون رآه ، وقالت من زعم أن محمدا رأى ربَّه ، فقد أعظم على الله الفِرْية ، واحتجت بقوله سبحانه (لاتُدْرِكُه الأبْصارُ ، وهو يُدْرِكُ الأَبْصارَ ﴾ الأنعام : ١٠٣ وفى مصنف الترمذى عن ابن عباس وكعب الأحبار أنه رآه ، قال كعب : إن الله قسم رؤيته وكلامَه بين موسى ومحمد ، وفى صحيح مسلم عن أبى ذَرٍّ قلت : يارسول الله هل رأيتَ ربَّك ؟قال: رأيتُ نوراً ، وفى حديث آخر من كتاب مسلم أنه قال : نوراً أنى أراه ، وليس فى هذا الحديث بيان شاف أنه رآه ، وحكى عن أبى الحسن الأشعرى أنه قال : رآه بعينى رأسِه ، وفى تفسير النقاش عن ابن حنبل أنه سئل : هل رأى محمدٌ ربَّه ، فقال : رآه رآه رآه حتى انقطع صوته ، وفى تفسير

رفع
المسـ هم
عز الله الرحمن الرحيم

. . . .

عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى وذكر إنكار عائشة أنه رآه ، فقال الزهرى : ليست عائشةُ أعلمَ عندنا من ابنِ عباس ، وفى تفسير ابن سلام عن عروة أنه كان إذ ذكر إنكار عائشة أن يكون رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — رأى ربه يشتد ذلك عليه ، وقول أبى هريرة فى هذه المسألة كقول ابن عباس أنه رآه؟ روى يونس عن ابن إسحاق عن داود بن الحصين قال : سأل مروان أبا هريرة : هل رأى محمد ربه ؟ قال : نعم ، وفى رواية يونس أن ابن عمر أرسل إلى ابن عباس يسأله : هل رأى محمد ربه ؟ فقال : نعم رآه ، فقال ابن عمر : وكيف رآه ، فقال ابن عباس كلاما كرهت أن أورده بلفظه لما يُوهم من التشبيه ، ولو صح لكان له تأويل والله أعلم ، والمتحصل من هذه الأقوال — والله أعلم — أنه رآه لا على أكمل ما تكون الرؤية على نحو ما يراه فى حظِيرة القُدْسِ عند الكرامة العظمى والنعيم الأكبر ، ولكن دون ذلك ، وإلى هذا يُومى قولُه : رأيت نوراً ونوراً أنى أراه فى الرؤية الأخرى والله أعلم .

وأما الدُّنُوُّ والتَّدلِّى فهما خبرٌ عن النبى — صلى الله عليه وسلم — عن بعضِ المفسرين ، وقيل إن الذى تدلى هو جبريلُ عليه السلام تدلى إلى محمد حتى دنا منه وهذا قول طائفة أيضا ، وفى الجامع الصحيح فى إحدى الروايات منه : فتدلّى الجبار ، وهذا مع صحة نقله لا يكاد أحدٌ من المفسرين يذكره لاستحالة ظاهره ، أو للغفلة عن موضعه ، ولا استحالة فيه ؛ لأن حديثَ الإسراء إن كان رؤيا رآها بقلبه وعينُه نائمة — كما فى حديث أنس فلا إشكال فيما يراه فى نومه عليه السلام فقد رآه فى أحسن صورةٍ ووضع كفّه بين كتفيه ، حتى وجد بَرْدَها بين ثدييه

. . . .

رواه الترمذى[1] من طريق معاذ فى حديث طويل ، ولما كانت هذه رؤيا

(١) الحديث كما رواه أحمد بسنده عن ابن عباس أن رسول الله ص قال : أتانى ربى الليلة فى أحسن صورة - أحسبه يعنى فى النوم - فقال : يا محمد أتدرى فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قال : قلت لا ، فوضع يده بين كتفى حتى وجدت بردها بين ثديى - أو قال نحرى فعلمت ما فى السموات والأرض ، ثم قال : يا محمد هل تدرى فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قال : قلت : نعم يختصمون فى الكفارات والدرجات . قال : وما الكفارات ؟ قال : قلت المكث فى المساجد بعد الصلوات ، والمشى على الأقدام إلى الجماعات ، وإبلاغ الوضوء فى المكاره ، من فعل ذلك عاش بخير ، ومات بخير ، وكان من خطيئته كيوم ولدته أمه ، وقال : قل يا محمد إذا صليت . اللهم إنى أسألك فعل الخيرات ، وترك المنكرات ، وحب المساكين ، وإذا أردت بعبادك فتنة أن تقبضنى إليك غير مفتون . قال : والدرجات : بذل الطعام ، وإفشاء السلام ، والصلاة بالليل والناس نيام » ورواه أحمد أيضاً بسنده عن معاذ قال : احتبس علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات غداة من صلاة الصبح ، حتى كدنا نتراءى قرن الشمس ، فخرج - صلى الله عليه وسلم - سريعاً فثوب بالصلاة ، فصلى ، وتجوز فى صلاته ، فلما سلم ، قال - صلى الله عليه وسلم - كما أنتم ، ثم أقبل إلينا فقال : إنى قمت من الليل ، فصليت ما قدر لى ، فنعست فى صلاتى حتى استيقظت ، فإذا أنا بربى عز وجل فى أحسن صورة » الخ ولكنه قال فى هذه الرواية : فتجلى لى كل شىء وعرفت ، بدلا من : فعلمت ما فى السموات الأرض . وشتان ما هما فى الدلالة . وعن الدرجات قال فيها : لين الكلام بدلا من إفشاء السلام . أما الدعاء ففى رواية معاذ أن الله قال له : سل ، قلت : اللهم إنى أسألك فعل الخيرات ، وترك المنكرات ، وحب المساكين ، وأن تغفر لى ، وترحمنى ، وإذا أردت فتنة بقوم فتوفنى غير مفتون ، وأسألك حبك ، وحب من يحبك وحب عمل يقربنى إلى حبك » أما فى رواية ابن عباس ، فقد ورد أن الله هو الذى طلب منه أن يقول هذا ، وعلمه إياه . هذا والحديث رواه الترمذى من حديث جهضم بن عبدالله

. . . .

اليمامى ، وقال : حسن صحيح ، وهو فى السنن من طرق . ويقول ابن كثير : وهو حديث المنام المشهور ، ومن جعله يقظة ، فقد غلط .

وما أعظم فقه أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها فيما رواه أحمد بسنده عن عامر ، قال : أتى مسروق عائشة ، فقال : يا أم المؤمنين : هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم — ربه عز وجل ؟ قالت سبحان الله لقد قف شعرى لما قلت . أين أنت من ثلاث من حدثكهن ، فقد كذب . من حدثك أن محمدا رأى ربه ، فقد كذب ، ثم قرأت : (لا تدركه الأبصار ، وهو يدرك الأبصار) (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب) ومن أخبرك أنه يعلم ما فى غد ، فقد كذب . ثم قرأت : (إن الله عنده علم الساعة ، وينزل الغيث ، ويعلم ما فى الأرحام) الآية . ومن أخبرك أن محمدا قد كتم ، فقد كذب ، ثم قرأت : (يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك) ولكنه رأى جبريل فى صورته مرتين ، وتدبر ما رواه أحمد بسنده عن مسروق قال: « كنت عند عائشة ، فقلت : أليس الله يقول : (ولقد رآه بالأفق المبين — ولقد رآه نزلة أخرى) فقالت : أنا أول هذه الأمة ، سألت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — عنها ، فقال : إنما ذاك جبريل . لم يره فى صورته التى خلق عليها إلا مرتين ، رآه منهبطا من السماء إلى الأرض سادا عظم خلقه ما بين السماء والأرض » وأخرجاه فى الصحيحين من حديث الشعبى به . ولمسلم فى الرؤية طريقان بلفظين عن أبى ذر قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل رأيت ربك ؟ فقال : نورانى أراه . والآخر : رأيت نورا . وقد حكى الخلال فى علله أن الإمام أحمد سئل عن هذا الحديث ، فقال : مازلت منكرا له ، وماأدرى ماوجهه . . ويقول الأئمة : إن عائشة سألت عن الرؤية بعد الإسراء ، ولم يثبت لها النبى الرؤية ، ومن قال : إنه خاطبها على قدر عقلها ، أو حاول تخطئتها فيما ذهبت إليه كابن خزيمة فى كتاب التوحيد ، فإنه هو المخطىء . وقد ثبت فى صحيح مسلم عن أبى هريرة أنه قال فى قوله تعالى :(ولقد رآه نزلة أخرى) قال : رأى جبريل عليه السلام . وحسبنا هذا .

رفع
المسهم
غفر الله لها ولوالديها

. . . .

لم ينكرها أحدٌ من أهل العلم ، ولا استبشعها ، وقد بينا آنفا أن حديث الإسراء كان رؤيا ثم كانَ يقظة فإن كان قولُه فتدلى الجبّارُ فى المرة التى كان فيها غير نائم ، وكان الإسراء بجسده ، فيقال فيه من التأويل ما يقال فى قوله : ينزل ربُّنا كلَّ ليلةٍ إلى سماء الدنيا ، فليس بأبعدَ منه فى باب التأويل ، فلا نَكارَةَ فيه كان فى نوم أو يقظه ، وقد أشرنا إلى تمام هذا المعنى فى شرح ما تضمنه لفظ الْقَوْسَين من قوله : قَابَ قَوْسَيْن فى جزء أمليناه فى شرح سبحان الله وبحمده . تَضَمَّن لطائف من معنى التّقْديس والتسبيح ، فلينظر هناك وأملينا أيضاً فى معنى رؤيةِ الرب سبحانه فى المنام ، وفى عَرَصَاتِ القيامة مسألة لقناع الحقيقة فى ذلك كاشفةً فمن أرادفهم الرُّؤْية والرؤيا فلينظرها هنالك ، ويقوى ما ذكرناه من معنى إضافة التدلِّى إلى الرَّبِّ سبحانه كما فى حديث البخارى ما رواه ابن سنجر مُسْنَداً إلى شُرَيح بن عبيد ، قال : لما صعد النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى السماء ، فأوحى إلى عبده ما أوحى ، فلما أحس جبريل بدُنوِّ الرَّبِّ خرَّ ساجد ، فلم يزَلْ يُسبِّح سُبْحانَ رَبِّ الْجبَرُوتِ والْمَلَكُوتِ والْكِبْرياء والعظمة حتى قضى الله الى عبده ما قضى ، قال : ثم رفع رأسَه ، فرأيته فى خَلْقه الذى خُلِق عليه منْظُوماً أجنحتُه بالزَّبَرجَدِ واللؤلؤ والياقوت ، فخُيِّل إلىَّ أن ما بين عينيه قد سد الأفقين ، وكنت لا أراه قبل ذلك إلا على صُوَرٍ مختلفة ، وكنت أكثر ما أراه على صورة دِحْيَة بن خليفة الكَلْبِى ، وكان أحيانا لا يراه قبل ذلك إلا كما يرى الرجلُ صاحبَه من وراء الغربال[1] .

---

(١) حديث متهافت . أما رؤيته صلى الله عليه وسلم لجبريل على صورة دحية ، فقد ورد فى روايات صحيحة .

رفع المسهم

. . . .

لقاؤه للنبيين :

فصل: ومما سئل عنه من حديث الإسراء، وتكلم فيه لقاؤه لآدم فى السماء الدنيا ، ولإبراهيم فى السماء السابعة ، وغيرهما من الأنبياء الذين لقيهم فى غير هاتين السماءين ، والحكمةُ فى اختصاص كل واحد منهم بالسماء التى رآه فيها ، وسؤال آخر فى اختصاص هؤلاء الأنبياء باللقاء دون غيرهم ، وإن كان رأى الأنبياءَ كلهم ، فما الحكمة فى اختصاص هؤلاء الأنبياء بالذكر ؟ وقد تكلم أبو الحسن بن بطال فى شرح البخارى على هذا السؤال ، فلم يصنع شيئاً ، ومغزى كلامه الذى أشار إليه أن الأنبياء لما علموا بقدومه عليهم ابتَدَرُوا إلى لقائه ابتدار أهل الغائبِ للغائب القادم ، فمنهم من أسرع ، ومنهم من أبطأ . إلى هذا المعنى أشار فلم يزد عليه ، والذى أقول فى هذا : إن مأخذ فهمه من علم التعبير ، فإنه من علم النُّبوءة ، وأهلُ التعبير يقولون : من رأى نبيا بعينه فى المنام ، فإن رؤياه تُؤذِن بما يُشبه حال ذلك النبى من شِدَّةٍ أو رَخاء أو غير ذلك من الأمور التى أخبِر بها عن الأنبياء فى القرآن ، والحديثِ ، وحديثُ الإسراء كان بمكةَ وهى حَرَم الله وأمنه وقُطَّانُها جيرانُ الله ، لأن فيها بيتَه ، فأول ما رأى عليه من الأنبياء آدم الذى كان فى أمن الله وجوارِه ، فأخرجه عدوُّه إبليسُ منها ، وهذه القصة تشبهها الحالة الأولى من أحوال النبى ـ صلى الله عليه وسلم حين أخرجه أعداؤُه من حَرَمِ الله وجوار بيته ، فَكَرَبه ذلك وغَمَّه . وأشبهت قصتُه فى هذا قصة آدم ، مع أن آدم تُعْرَض عليه أرواحُ ذريتِه البَرِّ والفاجر منهم ، فكان فى السماء الدنيا بحيث يرى الفريقين ، لأن أرواحَ أهلِ الشقاء لا تَلِجُ فى السماء ، ولا تُفتَح لهم أبوابُها كما قال الله تعالى ، ثم رأى

. . . .

فى الثانية عيسى ويحيى وهما الممتحنان باليهود ، أما عيسى فكذبته اليهودُ وآذته ، وهمُّوا بقتله فرفعه الله ، وأما يحيى فقتلوه ، ورسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد انتقاله إلى المدينة صار إلى حالة ثانية من الامتحان ، وكانت محنتُه فيها باليهود ، آذَوْه وظَاهَروا عليه وَهمُّوا بإلقاء الصَّخْرة عليه ، ليقتلوه فَنجَّاه الله تعالى كما نَجَّى عيسى منهم ، ثم سَمُّوه فى الشاة ، فلم تزل تلك الأَكْلَة تعاوده ، حتى قطعت أَبْهَرَهُ(١) كما قال عند الموت ، وهكذا فعلوا بابنَىْ الخالة : عيسى ويحيى ، لأن أمَّ يحيى أشياعُ بنت عمْران أخت مريم ، أمهما : حَنَّة ، وأما لقاؤه ليوسفَ فى السماء الثالثة ، فإنه يؤذن بحالة ثالثة تشبه حال يوسف ، وذلك بأن يوسف ظَفِر بإخوته بعد ماأخرجوه من بين ظَهْرانَيْهِمْ فصفح عنهم ، وقال لا تَثْرِيبَ عليكم الآية ، وكذلك نبينا ـ عليه السلام أَسَرَ يوم بدْرٍ جُمْلَة من أقاربه الذين أخرجوه فيهم عمه العباسُ ، وابن عمه عقيل ، فمنهم من أطلق ، ومنهم من قبِل فداءه ، ثم ظهر عليهم بعد ذلك عامَ الفتح فجمعهم ، فقال لهم : أقول ما قال أخى يوسف لا تَثْرِيبَ عليكم اليوم ، ثم لقاؤه لإدريسَ فى السماء الرابعة ، وهو المكان الذى سماه الله مكانا عليا ، وإدريس أول من آتاه الله الخطَّ بالقلم ، فكان ذلك مُؤْذنا بحالةٍ رابعة ، وهى عُلُوُّ شأنه ـ عليه السلام ـ حتى أخاف الملوكَ وكتب إليهم يدعوهم إلى طاعته ، حتى قال أبو سفيان ، وهو عند ملك الروم ، حين جاءه كتابُ للنبى عليه السلام ، ورأى ما رأى من خَوْف هِرقل :

---

(١) الأبهر : الظهر وعرق فيه ، ووريد العنق والأكحل . وقد ذكر قصة الشاة المسمومة البخارى وغيره .

. . . .

لقد أمِرَ أمْرُ ابنِ أبى كَبْشَةَ[1] ، حتى أصبح يخافه مَلكُ بنى الأَصْفَرِ ، وكتب عنه بالقلم إلى جميع ملوك الأرض ، فمنهم من اتبعه على دينه كالنَّجاشِي ، ومَلِكَ عمان ، ومنهم من هادنه ، وأهدى إليه وأتحفه كَهِرَقْل والْمُقَوْقِس ومنهم من تعَصَّى عليه ، فأظهره اللهُ عليه ، فهذا مقام علىّ ، وخط بالقلم كنحو ماأوتى إدريس — عليه السلام — ولقاؤه فى السماء الخامسة لهارون الْمُحَبَّبِ فى قومه يؤذن بحب قريشٍ ، وجميع العرب له بعد بُغْضهم فيه ، ولقاؤه فى السماء السادسة لموسى يؤذن بحالة تشبه حالة موسى حين أمر بغزو الشام فظهر على الجبابرة الذين كانوا فيها ، وأدخل بنى إسرائيل البلد الذى خرجوا منه بعد إهلاك عدوهم ، وكذلك غزا رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — تبُوكَ من أرضِ الشام ، وظهر على صاحب دَوْمَةَ حتى صالحه على الجِزْية بعد أن أتى به أسيرا ، وافتتح مكة ، ودخل أصحابه البلدَ الذى خرجوا منه ، ثم لقاؤه فى السماء السابعة لإبراهيمَ — عليه السلام — لحكمتين : إحداهما : أنه رآه عند البيت المعمور مُسْنِداً ظهره إليه والبيتُ المعمورُ حيال مكة ، وإليه تحج الملائكة ، كما أن إبراهيم هو الذى بنى الكعبة ، وأذَّن فى الناس بالحج إليها والحكمة الثانية أن آخر أحوالِ النبى — صلى الله عليه وسلم حِجَّه إلى البيت الحرام ، وحَجّ معه نحوٌ من سبعين ألفا من المسلمين ، ورؤيةُ إبراهيمَ عند أهلِ التأويل تؤذن بالحج ، لأنه الداعى إليه والرافع لقواعدِ الكعبة المحجوبة ، فقد انتظم فى هذا الكلام الجوابُ عن

---

(١) أى كثر وارتفع شأنه يعنى النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد تقدم ذكر أبى كبشة

. . . .

السؤالين المتقدمين ، أحدهما : السؤال عن تخصيص هؤلاء بالذكر ، والآخر : السؤال عن تخصيصهم بهذه الأماكن من السماء الدنيا إلى السابعة ، وكان الحزمُ تركَ التكلُّف لتأويل مالم يرد فيه نصٌّ عن السلف ، ولكن عارضَ هذا الغرضَ مايجب من التفكير فى حكمة الله ، والتدبر لآيات الله ، وقولُ الله تعالى: ﴿ إنّ فى ذلك لآياتٍ لقومٍ يتفكرون ﴾ وقد رُوِىَ أن تفكُّرَ ساعةٍ خيرٌ من عبادةِ سنةٍ[1] مالم يكن النظر والتفكير مجردا من ملاحظة الكتابِ والسنّةِ ومقتضى كلام العرب ، فعندذلك يكون القولُ فى الكتاب والسنة بغير علم عصمنا الله ـ تعالى ـ من ذلك[2] ، وجعلنا من المُمْتَثِلينَ لأمْرِه حيث يقول : فاعتبروا يا أولى الأبصارْ وليدَّبروا آياتِه ، ولِيَتَذَكَّر أولو الألبابِ ، ولولا إسراعُ الناسِ إلى إنكار ماجهلوه ، وغِلَظُ الطباع عن فَهْم كثير من الحكمة لأَبْدَيْنَا مِنْ سِرِّ هذا السؤالِ ، وكشفْنا عن الحكمة فى هؤلاء الأنبياء المسلمين فى هذه المراتب أكثر مما كَشَفْنَا[3] .

البيت المعمور :

فصل : وذكر البيت المعمور ، وأنه يَدْخُلُه كل يوم سبعون ألف ملكٍ روى ابن سنجر عن على ـ رحمه الله ـ قال: البيتُ المعمور بيتٌ فى السماء السابعة

(١) التفكير نفسه فى خلق السموات والأرض وغيرهما من أجل أنواع العبادة ، فكيف نجعل التفكير شيئاً والعبادة شيئاً آخر ؟ وهذا يدل على ضعف الحديث .

(٢) هذه رائعة من السهيلى ، فلنتدبرها باحتفال تستحقه

(٣) والحق أنه لم يكشف ، وإنما اعتسف .

. . . .

يقال له : الضُّرَاحُ ، واسم السماء السابعة : عَرِيباً[1] ، روى أبو بكر الخطيب بإسناد صحيح إلى وَهْب بن مُنَبِّه قال : من قرأ البقرة وآل عمران يوم الجمعة كان له نُورٌ يملأ مابين عَرِيباءَ وجريباء وجريبا ، وهى الأرض السابعة[2] ، وذكر عن عبد الله بن أبى الهذيل قال : البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف دِحْيَة عند كل دِحْيَةٍ سبعون ألف ملك رواه عنه أبو التَّيَّاح [يزيد الضُّبَعِيّ] قال أبو سلمة : قلتُ ما الدِّحْيَةُ ؟ قال : الرئيس . وروى ابنُ سنجر أيضا من طريق أبى هريرة عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم قال : فى السماء السابعة بيتٌ يقال له : الْمَعْمُور بِحِيالِ مَكَّةَ ، وفى السماء السابعة نهرٌ يقال له الحيوان[3] يدخله جبريل كل يوم فينغمس فيه انغماسةً ، ثم يخرج فينتفض انتفاضة، يَخِر عنه سبعون ألف قَطْرَةً ، يخلق الله من كل قطرة ملكا ويؤمرون أن يأتوا البيت المعمور ويصلوا فيه فيفعلون ثم يخرجون فلا يعودون إليه أبداً ، [و] يولى عليهم أحدهم يؤمر أن يقف بهم من السماء موقفا يُسَبِّحون الله [فيه]

---

(١) فى القاموس واللسان والنهاية لابن الأثير أن اسم السماء السابعة : عروباء

(٢) فى اللسان : الجرباء : السماء سميت بذلك لما فيها من الكواكب ، وقيل: سميت بذلك لموضع المجرة كأنها جربت بالنجوم . وقيل : الجرباء من السماء : الناحية التى لا يدور فيها فلك الشمس والقمر . . والجرباء والملساء : السماء الدنيا . . وأرض جرباء ممحلة وقحوطة لا شىء فيها ، وفى القاموس عن الجرباء أنها قرية بجنب أذرح ، ثم قال : وغلط من قال : بينهما ثلاثة أيام ، وإنما الوهم من رواة الحديث من إسقاط زيادة ذكرها الدارقطنى ، وهى : ما بين ناحيتى حوض كما بين المدينة وجرباء وأذرح .

(٣) فى ابن أبى حاتم : « وفى السماء الرابعة نهر يقال له الحيوان .

رفع المسهم

. . . .

إلى أن تقوم الساعة »(١)

فرضه الصلاة :

فصل : وأما فرض الصلاة عليه هنالك ، ففيه التنبيه على فضلها ، حيث لم تُفرض إلاَّ في الحضرة(٢) المُقَدَّسَةِ ؛ ولذلك كانت الطهارةُ من شأنها ، ومن شرائط أدائها ، والتنبيه على أنها مناجاةُ الرب ، وأن الرب تعالى مُقْبِلٌ بوجهه على المصلِّي يناجيه يقول : حِمَدَنى عبدى ، أَثْـنَى عَلَيَّ عَبْدِى(٣) إلى آخر

(١) الحديث أخرجه ابن أبي حاتم ، وقد تكلم عنه ابن كثير ، فقال : «هذا حديث غريب جداً تفرد به روح بن جناح ، هذا وهو القرشي الأموي مولاهم أبو سعيد الدمشقي ، وقد أنكر عليه هذا الحديث جماعة من الحفاظ ، منهم : الجوزجاني والعقيلي والحاكم أبو عبد الله النيسابوري وغيرهم ، وقال الحاكم : لا أصل له من حديث أبي هريرة ، ولا سعيد ، ولا الزهري » تفسير سورة الطور .

(٢) سبق بيان أن آيات القرآن تؤكد أن الصلاة كانت مفروضة قبل هذا ، وإلا وجب القول بأن الإسراء كان في عقب المبعث مباشرة . هذا ، ولا يجوز أن نقول « الحضرة المقدسة » فإنه لا يعد تعبيرا إسلاميا ، ولكنه تعبير صوفي قديم ولم يرد في قرآن أو حديث ، ولم يجر على لسان صحابي أو تابعي ، ولا يجوز أن ننسب إلى الله سبحانه إلا ما نسب هو ـ جل شأنه ـ إلى نفسه .

(٣) من حديث رواه مسلم والنسائي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن ، فهي خداج ـــ ثلاثا ـــ غير تمام فقيل لأبي هريرة : إنا نكون خلف الإمام ، فقال اقرأ بها في نفسك ، فإني سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : قال الله ـ عز وجل ـ قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين . ولعبدي ما سأل ، فإذا قال العبد : الحمد لله رب العالمين قال الله : حمدني عبدي ، وإذا قال : الرحمن الرحيم ، قال الله أثنى على عبدي ، =

. . . .

السورة ، وهذا مُشا كِلٌ لفرضها عليه فى السماء السابعة حيث سمع كلام الرب، وناجاه، ولم يعرج به حتى طُهِّرَ ظاهرُه وباطنهُ بماء زمزم كما يتطهر المصلى للصلاة، وأخْرِج عن الدنيا بجسمه ، كما يخرج المصلى عن الدنيا بقلبه ، ويحرُم عليه كل شىء إلا مناجاة ربه وتوجهه إلى قبلته فى ذلك الحين ، وهو بيت المقدس ، ورفع إلى السماء كما يرفع المصلى يديه إلى جهة السماء إشارة إلى القبلة العليا فهى البيت المعمور ، وإلى جهة عرش من يناجيه ويصلى له سبحانه .

فرضه الصلوات خمسين

فصل وأما فرض الصلوات خمسين ثم حط منها عشرا بعد عشر إلى خمس صلوات . وقد روى أيضا أنها حطت خمساً بعد خمس ، وقد يُمكن الجمع بين الروايتين لدخول الخمس فى العشر ، فقد تكلم فى هذا النقص من الفريضة :

= فإذا قال: مالك يوم الدين، قال الله: مجدنى عبدى، وقال مرة : فوض إلى عبدى. فإذا قال : إياك نعبد ، وإياك نستعين قال : هذا بينى وبين عبدى ، ولعبدى ماسأل ، فإذا قال : إهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ، ولا الضالين ، قال الله : هذا لعبدى ، ولعبدى ما سأل ، وقال الترمذى : هذا حديث حسن . أقول : إن القرآن يفرض على كل مسلم إذا قرىء القرآن أن يستمع وينصت ، وعلى هذا يجب على المأموم ـ خلافا لما فى الحديث ـ ألا يقرأ بالفاتحة فى نفسه ، وهو يسمع القرآن من الإمام ، لأن الله يقول : (وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له ، وأنصتوا لعلكم ترحمون) الأعراف : ٢٠٤ . والقول بأن الأمر موجه إلى من يكونون فى غير الصلاة قول على الله بغير علم .

رفع المسار

. . . .

أَهُو نَسْخٌ أم لا ؟ على قولين ، فقال قوم : هو من باب نَسْخ العبادة قبل العمل بها ، وأنكر أبو جعفر النحاس هذا القول من وجهين ، أحدهما البناء على أصلِه ومذهبه فى أن العبادة لايجوز نسخُها قبل العمل بها ، لأن ذلك عنده من الْبَدَاءِ ، والْبَدَاءُ محالٌ على الله سبحانه . الثانى : أن العبادةَ إن جاز نسخُها قبل العمل بها عند من يرى ذلك ، فليس يجوز عند أحدٍ نسخُها قبل هبوطها إلى الأرض ووصولها إلى المخاطبين : قال : وإنما أدعى النسخ فى هذه الصلوات الموضوعةعن محمد وأمته القاشانى ، ليصحح بذلك مذهبَه فى أن البيان لايتأخر ، ثم قال أبو جعفر : إنما هى شفاعة شفعها رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لأمته ومراجعةٌ راجعها ربه ، ليخفف عن أمته ، ولا يسمى مثل هذا نسخا .

قال المؤلف : أما مذهبه فى أن العبادة لا تُنْسَخ قبل العمل بهـا ، وأنه ذلك بَدَاء فليس بصحيح ، لأن حقيقة البَداء أن يَبْدُو للآمرِ رأىٌ يتبين له الصوابُ فيه بعد أن لم يكن تبينه ، وهذا محال فى حق من يعلم الأشياء بعلم قديم[1] ، وليس النسخ من هذا فى شىء إنما النسخ تبديلُ حكم بحكم ، والـكلُّ

---

(١) فى اللسان : « البداء : استصواب شىء علم بعد أن لم يعلم ، وذلك على الله غير جائز » ويقول الشهرستانى فى الملل والنحل : « والبداء له معان : البداء فى العلم ، وهو أن يظهر له صواب على خلاف ما أراد وحكم ، والبداء فى الأمر ، وهو أن يأمر بشىء ، ثم يأمر بعده بخلاف ذلك » قال هذا وهو يتحدث عن المختار بن عبيد الثقفى أحد زعماء فرق الشيعة الأوائل ، ثم قال : « وإنما صار المختار إلى اختيار القول بالبداء ، لأنه كان يدعى علم ما يحدث من الأحوال إما بوحى يوحى إليه ، وإما برسالة من قبل الإمام ، فكان إذا وجد أصحابه بكون شىء ، وحدوث حادثة ، فإن وافق كونه قوله جعله دليلا

. . . .

فى سابق علمه ومقتضى حكمته، كنسخه المرضَ بالصحة، والصحةَ بالمرض، ونحو ذلك ، وأيضاً بأن العبدَ المأمور يجب عليه عند توجه الأمر إليه ثلاثُ عبادات: الفعل الذى أُمِر به ، والعزم على الامتثال عند سماع الأمر ، واعتقاد الوجوب إن كان واجبا فإن نُسِخ الحكم قبل الفعل ، فقد حصلت فائدتان: العزمُ واعتقادُ الوجوب . وعلم الله ذلك منه ، فصحَّ امتحانُه له واختباره إياه ، وأوقع الجزاء على حسب ماعلم من نيته ، وإنما الذى لايجوز نسخ الأمر قبل نزوله ، وقبل علم المخاطب به ، والذى ذكر النحاس من نَسْخ العبادة بعد العمل بها ، فليس هو حقيقة النسخ ، لأن العبادة المأمور بها قد مضت ، وإنما جاء الخطاب بالنهى عن مثلها لاعنها ، وقولنا فى الخمسِ والأربعين صَلاةً الموضوعةَ عن محمد وأمته أحد وجهين ، إما أن يكون نسخ ماوجب على النبى صلى الله عليه وسلم من أدائها ورفع عنه استمرار العزم واعتقادالوجوب،وهذا قد قدمنا أنه نسخٌ على الحقيقة ، ونسخ عنه ماوجب عليه من التبليغ ، فقد كان فى كل مرة عازما على تبليغ ماأمر به ، وقول أبى جعفر : إنما كان شافعا ومراجعا ينفى النسخ فإن النسخ قد يكون عن سبب معلوم ، فشفاعته عليه السلام لأمته كانت سببا للنسخ لامُبْطِلةً لحقيقته،

= على صدق دعواه ، وإن لم يوافق قال: قد بدا لربكم ، وكان لايفرق بين النسخ والبداء ، ص ٢٣٧ ح ١ الملل والنحل للشهرستانى ط مكتبة الحسين التجارية فالبداء إذن أسطورة ملعونة ، ومحال نسبتها إلى الله سبحانه ولا يجوز وصف علم الله بأنه قديم ، كما لايجوز وصف الله بهذه الصفة كما سبق بيانه . كما أنه لايجوز أن يقال عن آية فى القرآن إنها منسوخة ، فكل آية فى القرآن هى حق لا ريب فيه ، وكل آية فيه يجب أن نؤمن بأنها غير منسوخة .

رفع المسلم

. . . .

ولكن المنسوخ ماذكرنا من حكم التبليغ الواجب عليه قبل النسخ وحكم الصلوات الخمس فى خاصته ، وأما أمته فلم ينسخ عنهم حكم إذ لايتصور نسخ الحكم قبل بلوغه إلى المأمور ، كما قدمنا ، وهذا كله أحد الوجهين فى الحديث.

والوجه الثانى أن يكون هذا خبرا لا تعبُّدا ، وإذا كان خبرا لم يدخله النسخُ ، ومعنى الخبر أنه عليه السلام أخبره ربُّه أن على أمته خمسين صلاة ، ومعناه : أنها خمسون فى اللوح المحفوظ ، وكذلك قال فى آخر الحديث : هى خمسٌ وهى خمسون ، والحسنة بعشر أمثالها فتأوله رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على أنها خمسون بالفعل ، فلم يزل يراجع ربَّه حتى بيَّن له أنها خمسون فى الثواب لابالعمل . فإن قيل : فما معنى نقصها عشرا بعد عشر ؟ قلنا : ليس كل الخلق يحضر قلبه فى الصلاة من أولها إلى آخرها ، وقد جاء فى الحديث أنه يكتب له منها ماحضر قلبه فيها ، وأن العبد يصلى الصلاة ، فيكتب له نصفها ربعها حتى انتهى إلى عشرِها ، ووقف ، فهى خمسٌ فى حق من كتب له عشرها ، وعشر فى حق من كتب له أكثر من ذلك ، وخمسون فى حق من كملت صلاتُه وأداها بما يلزمه من تمام خشوعها وكمال سجودها وركوعها .

أوصاف من الملائكة :

فصل : وذكر أنه عليه السلام لم يلقه مَلَكٌ من الملائكة إلا ضاحكا مستبشرا إلا مالكاً خازنَ جهنم ، وذلك أنه لم يضحك لأحدٍ قبله، ولاهوضاحك لأحدٍ ، ومِصْداق هذا فى كتاب الله تعالى ، قال الله سبحانه ﴿ عليها ملائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ ﴾ التحريم : ٦ وهم موكلون بغضب الله تعالى ، فالغضب لايزايلهم

رفع
المسهم
عبد الله الدلالمانى

. . . .

أبدا ، وفى هذا الحديث معارضة للحديث الذى فى صفة ميكائيل أنه ماضحك منذ خلق الله جهنم ، وكذلك يعارضه ما خرَّج الدَّارَقُطْنِيُّ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ تبسم فى الصلاة ، فلما انصرف سُئل عن ذلك ، فقال : رأيت ميكائيلَ راجعا من طلب القوم ، على جناحيه الغبارُ فضحِك إلىّ ، فتبسمت إليه ، وإذا صح الحديثان ، فوجه الجمع بينهما : أن يكون لم يضحك منذ خلق الله النار إلى هذه المدة التى ضحك فيها لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيكون الحديثُ عامًّا يُراد به الخصوص ، أو يكون الحديث الأول حدَّث به رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قبل هذا الحديث الأخير ثم حدث بعدُ بما حَدَّث به من ضَحِكِهِ إليه ، والله أعلم ولمَ يَرَ مالكا على الصورة التى يراه عليها المعذبون فى الآخرة ، ولو رآه على تلك الصورة ما استطاع أن ينظر إليه .

أكلة الربا في رؤيا المعراج :

وذكر أَكَلَة الرِّبا وأنهم بسبيل آل فرعون يمرون عليهم كالإبل المهيومة ، وهى العِطاش ، والهُيَام : شدة العطش ، وكان قياس هذا الوصف ألا يقال فيه مَهْيومة ، كما لا يقال معطوشة ، إنما يقال هائم وَهيْمان ، وقد يقال : هُيُومٌ ويجمع على هيم ، ووزنه فعل بالضم لكن كُسر من أجل الياء كما قال تعالى : ﴿ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ ﴾ الواقعة : ٥٥ ولكن جاء فى الحديث مَهْيُومة ، كأنه شىء فعل بها كالمَحْمُومة والمجنُونة وكالمنْهُوم ، وهو الذى لا يَشْبع وكان قياس الياء أن تعتل ، فيقال : مَهِيمة ، كما يقال : مَبِيعة فى معنى مَبْيُوعة ،

. . . .

ولكن صحت الياء ، لأنها فى معنى الهيومة كما صحّت الواو فى عور لأنه فى معنى أعور ، كما صحت فى اجْتورُوا لأنه فى معنى : تَجاوَرُوا ، وإنما رآهم مُنْتَفِخَةً بطونُهم ؛ لأن العقوبةَ مُشاَكِلةٌ للذنب ، فآكل الربا يَرْبو بطنُه ، كما أراد أن يَرْبُو مالُه بأكل ماحُرِّم عليه ، فَمُحِقَت البركةُ من ماله ، وجُعِلت نَفْخاً فى بطنه، حتى يقومَ كمايقومُ الذى يتخبَّطه الشيطانُ من المَسِّ ، وإنما جُعِلوا بطريق آلَ فرعون يمرون عليهم غُدُوًّا وعَشِيًّا لأن آلَ فرعون هم أشد الناس عذابا يوم القيامة ، كما قال سبحانه : ﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ غافر : ٤٦ . فَخصُّوا بسبيلهم ، ليعلَم أن الذين هم أشدُّ الناس عذابا يطئونهم فضلا عن غيرهم من الكفار ، وهم لايستطيعون القيامَ ، ومعنى كونهم فى طريق جهنم بحيثُ يُمَرُّ بالكفار عليهم ، أن الله سبحانه قد أوقف أمرَهم بين أن ينتهوا ، فيكون خيرا لهم ، وبين أن يعودوا و يصروا ، فيدخلهم النار ، وهذه صفةُ مَنْ هو فى طريق النار قال الله تعالى : ﴿فمن جاءَهُ مَوعِظَةٌ من ربه فانتهى فله ماسلف وأمره إلى الله﴾ البقرة : ٢٧٥ . إلى آخر الآية وفى بعضَ المسنَدات أنه رأى بطونَهم كالبيوت ، يعنى : أَكَلَةَ الرِّبا ، وفيها حيَّاتٌ ترى خارج البطون. فإن قيل : هذه الأحوال التى وصفها عن أَكَلة الربا إن كانت عبارةً عن حالهم فى الآخرة ، فآلُ فرعون فى الآخرة قد أُدْخِلوا أشدَّ العذاب ، وإنما يُعرَضُون على النارِ غُدُوًّا وعَشيًّا فى الْبَرْزَخ ، وإن كانت هذه الحالُ التى رآهم عليها فى البَرْزَخ ، فأى بُطون لهم ، وقد صاروا عِظاما ورفاتا ، ومُزِّقوا كُلَّ مُمزَّقٍ فالجواب أنه إنما رآهم فى البرزخ ، لأنه حديثٌ عما رأى ، وهذه الحال هى حال

. . . .

أرواحهم بعد الموت ، وفيها تصحيح لمن قال : الأرواحُ أجسادٌ لطيفة قابلة للنعيم والعذاب ، فيخلق الله فى تلك الأرواح من الآلام ما يجده مَنْ انتفخ بطنُه حتى وُطِىء بالأقدام ، ولا يستطيع مِنْ قيامٍ ، وليس فى هذا الحديث دليلٌ على أنهم أشد عــــذابا من آلِ فرعونَ ، ولكن فيه دليل على أنهم يَطَؤُهم آلُ فرعون وغيرهم من الكفار الذين لم يأكلوا الرِّبا ماداموا فى البرزخ إلى أن يقوموا يوم القيامة ، كما يقوم الذى يتخبَّطه الشيطانُ من المَسِّ ، ثم ينادى منادِى الله ﴿ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ العذاب ﴾ غافر : ٤٦ وكذلك ما رأى من النساء المُعَلّقات بثديهن(١) يجوز أن يكون رأى أرواحَهُنّ ، وقد خُلق فيها من الآلام ما يجده مَنْ هذه حالُه ، ويحتمل أيضاً أن يكون مثِّلَت له حالهن فى الآخرة ، وذكر الذينَ يدعُون ما أحل اللهُ من نسائهم ، ويأتون ما حرم عليهم ، وهذا نص على تحريم إتيان النساء فى أعجازهن ، وقد قام الدليل على تحريمه من الكتاب والسنة والإجماع ، وقد ذكرنا المواضع التى يقوم منها التحريم على هذه المسألة من كتاب الله ، ومن حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وذكرنا ما جاء فى ذلك عن ابن عباس من قوله : هو الكفر ، وقول ابن عمر : هى اللُّوطيَّة الصغرى ، وأما الإجماع ، فإن المرأةَ تُرَدُّ بداء الفَرْج ، ولو جازَ وطْؤُها فى المسلك الآخر ما أجمعوا على رَدِّها بداء الفرج ، وقد مهّدنا الأدلة على هذه المسألة مُفْردة فى غير هذا الإملاء بما فيه شفاء والحمد لله

---

(١) لم يخرجه أحد من أصحاب الصحيح ، وفى بعض رواياته غرابة ونكارة ..

. . . .

الولد لغير رشدة :

وقوله : فأكل حرائبهم : الحَرِيبَةُ : المال ، وهو من الحرب ، وهو السَّلَبُ، يريد أن الولد إذا كان لغير رِشْدَةٍ نُسب إلى الذى وُلد على فراشه ، فيأكل من ماله صغيرا ، وينظر إلى بناته من غير أمه وإلى أخواته ، ولَسْنَ بعَمَّاتٍ له ، وإلى أمِّه وليست بجدَّة له ، وهذا فساد كبير ، وإنما قدّم ذكر الأكل من حَرِيبته وماله قبل الاطلاع على عَوْراتهم ، وإن كان الاطلاعُ على الْعَوْرَاتِ أشنع ، لأن نفقته عليه أول من حال صغره ، ثم قد يبلغ حد الاطلاع على عَوْراته ، أولا يبلغ ، وأيضاً فإن الأم أرضعته بلبانها ، ولم تدفعه إلى مرضعة كان الزَّوْجُ أبًا له من الرضاعة ، وكان حكمه حكم الابن من الرضاعة ، وفى ذلك نقصان من الشناعة ، فإن بلغ الصَّبِى ، وتابت الأم ، وأعلمته أنه لغير رِشْدَة ليستعفَّ عن ميراثهم ، ويكف عن الاطِّلَاع على عَوْراتهم ، أو علم ذلك بقَرِينةِ حالٍ وجب عليه ذلك وإن كان شرَّ الثلاثة كما جاء فى الحديث فى ابن الزِّنا ، وقد تُؤُوِّلَ حديثُ شَرِّ الثلاثة على وُجوهٍ ، هذا أقربها إلى الصواب ، لقوله عليه السلام : أَكَلَ حَرائِبهَم ، واطَّلَع على عَوْراتهم ، ومن فعل هذا عن عَمْدٍ وقصد فهو شر الناس ، وإن لم يعلم فأكلُه واطلاعُه شرُّ عمل ، وأبواه حين زَنَيــا فارقا ذلك العمل الخبيث لحينهما والابن فى عمل خبيثٍ من مَنْشَئِه إلى وفاته ، ، فعملُه شَرُّ عمل .

حكم الحاكم لايحل الحرام :

وفى هذا الحديث من الفقه أيضاً أن حكم الحاكم لايُحِلُّ حراما ، وذلك أن الولد فى حكم الشريعة للفِراش إلا أن يُنْفَى باللِّعَان ، فإذا حكمَ الحاكم بهذا ، وعلم

. . . .

الولدُ عند بلوغه خلافَ ماحكم به الحاكم لم يحل له بهذا الحكم ماحَرَّم الله عليه من أكل الحرائب والاطلاع على العورات ، وفى هذا ردٌّ لمذهب أبى حنيفة من قوله: إن حكم الحاكم قد يحل مايعلَم أنه حرام مثل أن يشهد شاهدان على رجل أنه طلَّق، وهما يعلمان أنه لم يطلق فيقبل القاضى شهادتهما فيطلق المرأة على الرجل ، فإذا بانَتْ منه كان لأحد الشاهدين أن يَنْكِحَها مع علمه بأنه قد شَهِد زُوراً ، لم يقل أبو حنيفة بهذا القول فى الأموال لقول النبى عليه السلام «إنما أنا بَشَرٌ وإنكم تختصمون إلىَّ ، ولعلَّ أَحَدَكُم أن يكون أَلْحَنَ بحُجَّتِه من صاحبه ، فأقضى له على نحو ما أسمع ، فمن قَضَيْتُ له بشَىءٍ من حَقِّ أخيه ، فلا يأخذه ، فإنما أقطع له قطْعَةً من النار(١) » فى هذا الحديث مع الذى تقدمَ ردٌّ لمذهبه ، ولا حجة له فى أن يقول ذلك مخصوص بالأموال من وجهين : أحدها : أن القياسَ أصل من أصوله ، وقياس المسألتين واحد ، الثانى : أنه قال من حق أخيه ، ولم يقل من مال أخيه ، وهذا لفظ يعم الحقوق كلها قال المؤلف: وعندى أن أبا حنيفة رحمه الله : إنما بنى هذه المسألة على أصله فى طلاق المُكرَه ، فإنه

---

(١) رواه الجماعة . ومعنى ألحن : أبلغ كما وقع فى الصحيحين أى : أحسن إيرادا للكلام ، ولابد من تقدير محذوف لتصحيح معناه . وهو أى وهو كاذب ، ويسمى هذا عند علماء الأصول : دلالة اقتضاء ، لأن اللفظ الظاهر المذكور يقتضى هذ المحذوف ، وقد يكون معناه : أعرف بالحجة ، وأفطن لها من غيره ويقال : لحنت لفلان إذا قلت له قولا يفهمه ، ويخفى على غيره لأنك تميله بالتورية عن الواضح المفهوم ، فاللحن : الميل عن جهة الاستقامة ، يقال : لحن فلان فى كلامه : إذا مال عن صحيح المنطق . وفى رواية « ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض ، فأقضى بنحو مما أسمع »

. . . .

عنده لازم فإذا أكره الرجلُ على الطلاق ، وقلنا يلزم الطلاق له ، فقد حرمت المرأة عليه ، وإذا حرمت عليه جاز أن ينكحها من شاء فالإثم إنما تعلق فى هذا المذهب بالشهادة دون النكاح ، وقد خالفه فقهاء الحجاز فى طلاق المكرَه ، وقولهم يعضده الأثر ، وقول أبى حنيفة يعضده النظر ، والخوض فى هذه المسألة يصدُّنا عما نحن بسبيله .

مطلب إدريس

فصل : وذكره لإدريس فى السماء الرابعة مع قوله تعالى : (وَرَفَعْناهُ مَكَانًا عَلِيًّا) مريم ، مع أنه قد رأى موسى وإبراهيم فى مكان أعلى من مكان ادريس فذلك والله أعلم لما ذكر عن كعب الأحبار أن ادريس خص من جميع الأنبياء أن رفع قبل وفاته إلى السماء الرابعة ، ورفعه ملَكٌ كان صديقا له ، وهو الملك الموكّل بالشمس فيما ذكر ، وكان إدريس سأله أن يُريه الجنة ، فأذن له الله فى ذلك ، فلما كان فى السماء الرابعة رآه هنالك ملَكُ الموت ، فعجب ، وقال أمرت أن أقبض روحَ إدريس الساعة فى السماء الرابعة ، فقبضه هنالك ، فرفعه حيًا إلى ذلك المكان العلى خاصٌ له دون الأنبياء[1] .

---

(١) يقول ابن كثير عن هذا : « وقد روى ابن جرير ههنا أثراً غريبا عجيبا » ثم ذكر الأثر بطوله ، بخرقه المشئوم ، وكذبه الملعون ، ثم قال بعده : « هذا من أخبار كعب الأحبار الإسرائيليات ، وفى بعضه نكارة والله أعلم» تفسير الآية من سورة مريم . أما المكان العلى فقد ذكر الحسن وغيره أنه الجنة . ولنحذر من موبقات كعب

رفع المسلم

. . . .

قول الأنبياء فى كل سماء :

فصل : وذكر من قول الأنبياء له فى كل سماء : مَرْحَباً بالأخ الصالح ، وقول آدم وابراهيم : بالابن الصالح وقد ذكرنا فى أول هذا الكتاب حُجَّةً لمن قال: إن إدريسَ ليس بجدٍّ لنُوحٍ ، ولا هو من آباء رسولِ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأنه قال مَرْحَباً بالأخ الصالح ، ولم يقل : بالابن الصالح

خرافة طلب موسى أن يكون من أمة أحمد :

وأما اعتناء موسى ـ عليه السلام ـ بهذه الأُمَّة وإلحاحُه على نبيها أن يشفع لها ، ويَسأل التخفيفَ عنها ، فالقوله ـ والله أعلم ـ حين قُضِيَ إليه الأَمرُ بجانِبِ الغَربيِّ ، ورأى صفات أمة محمد عليه السلام فى الألواح ، وجعل يقول : إنى أجد فى الألواح أمَّةً صفتُهم كذا ، اللهم اجعلهم أمتى ، فيقال له : تلك أمة أحمد ، وهو حديث مشهور(١) ، فكان إشفاقه عليهم واعتناؤه بأمرهم كما يعتنى بالقوم مَنْ هُو منهم ، لقوله : اللهم اجْعَلْنى منهم ، والله أعلم .

---

(١) هو مشهور ، ولكن شهرة الباطل الماكر ، والضلالة اللئيمة ، وقد أخرجه أبو نعيم فى الدلائل ، ولم يخرجه أحد من أصحاب الصحيح . وكيف يطلب موسى من الله أن تكون هذه الأمة التى ستأتى بعده بقرون أمته ؟ وكيف نصدق أو كيف يستقيم القول بأنه أعطى خصلتى الرسالة والتكليم بعد هذه المناقشة ، على حين كان هو رسولا مكلما قبل أن تنزل الألواح عليه . فقد ورد فى ختام الحديث . أن موسى قال : « يارب فاجعلنى من أمة أحمد ، فأعطى عند ذلك خصلتين ، فقال : (يا موسى إنى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى ، فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين) إنها خرافة ظاهرها يـــنزع إلى تمجيد النبى « ص » وباطنها ـ بهته بالكذب والخرف الأحمق »

رفع المسيرهم

. . . .

بعض مارأى :

ومما جاء فى حديث الإسراء مما لم يذكره ابن اسحاق فى مُسْند الحارث ابن أبى أسامة أنه ـ عليه السلام ـ ناداه مناد ، وهو على ظهر الْبُراق : يامحمد ، فلم يعرج عليه ، ثم ناداه آخر : يامحمد يامحمد ثلاثا ، فلم يعرج عليه ، ثم لقيته امرأة عليها من كُلِّ زينة ناشرةً يديها ، تقول : يامحمد يامحمد ، حتى تَغَشَّته ، فلم يعرج عليها ، ثم سأل جبريلَ عما رأى ، فأخبره ، فقال : أما المنادى الأول ، فداعى اليهود لو أجبْته لتَهَوّدَت أمتك ، وأما الآخر فداعى النصارى ، ولو أجبتَه لتَنَصَّرتْ أمتك ، وأما المرأة التى كان عليها من كل زينة ، فانها الدنيا لو أَجَبْتَها لآثرتَ الدنيا على الآخرة[1] .

---

(١) وردت فى حديث رواه البيهقى فى الدلائل بسنده إلى أبى سعيد الخدرى وابن جرير . ورواه ابن أبى حاتم بسياق طويل كما يقول ابن كثير ـ حسن أنبق أجود مما ساقه غيره على غرابته وما فيه من النكارة .

تم بحمد الله

الجزء الثالث ويليه الجزء الرابع

ان شاء الله

وأوله : ﴿ كفاية الله أمر المستهزئين ﴾

رفع المسهم
غفر الله له ولوالديه

رفع
المسهم
غفر الله له ولوالديه

المستهم فهرسة
غفر الله له ولوالديه

فهرس

الجزء الثالث من الروض الأنف

س = سيرة. ش = شرح. وما ليس أمامه شىء أو أمامه راء فهو من الروض، و«ن ل» مسائل نحوية ولغة

رفع
المستهم
غفر الله له ولوالديه

رفع
المسلم
عبد الله بن على الديا

رفع المسهم

(١) ذكرت خطأ في العنوان (ع . ن)

بعون الله وجميل توفيقه قد تم طبع الجزء الثالث من
كتاب الروض الأنف بمطابع دار النصر ١٣ شارع
سعد الله بالدرب الأحمر ـ بالقاهرة

محرم سنة ١٣٨٩ هـ
مارس سنة ١٩٦٩ م

دار النصر

رفع
المسلم
عزالله لطيف الدين

رفع
المسهم
غفر الله له ولوالديه

الروض الأنف

في شرح السيرة النبوية لابن هشام

رفع
المسهم
غفر الله له ولوالديه

رفع المساهم

الروض الأنف

فى شرح السيرة النبوية لابن هشام

للإمام المحدث عبد الرحمن السهيلى
٥٠٨ — ٥٨١ هـ

ومعه

السيرة النبوية للإمام ابن هشام

المتوفى ٢١٨ هـ

الجزء الرابع

تحقيق وتعليق وشرح
عبد الرحمن الوكيل

يطلب من
دار الكتب الحديثة
١٤ شارع الجمهورية - تليفون ٩١٦١٠٧
صاحبها توفيق عفيفى

رفع
المساهم

جامعة الكويت
إدارة المكتبات - قسم التزويد الصرفي
رقم التسجيل: ١٧٢٣٨
التاريخ:

رفع
المسهم
غفر الله له ولوالديه

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين محمد صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الأئمة المهتدين .

« وبعد » فهذا هو الجزء الرابع من السيرة وشرحها « الروض الأنف » للامام السهيلي والله وحده أسأل أن يعين على تمامه ؟

عبد الرحمن الوكيل

رفع المسار
عز الله لي

كفاية الله أمر المستهزئين

قال ابن إسحاق : فأقام رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على أمر الله تعالى صابرا محتسبا ، مؤدّيا إلى قومه النصيحة على مايلقى منهم من التكذيب والأذى والاستهزاء . وكان عظماء المستهزئين ـ كما حدثنى يزيد بن رُومان ، عن عُروة بن الزبير خمسةَ نَفَر من قومهم ، وكانوا ذوى أسنان وشرف فى قومهم .

من بنى أسَد بن عبد العُزّى بن قُصَىّ بن كِلاب : الأسودُ بن المطلب بن أسد أبو زَمعة ، وكان رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - فيما بلغنى ـ قد دعا عليه لما كان يبلغه من أذاه واستهزائه به ، فقال : اللهمّ أعْم بصره وأثْكِله ولَده .

ومن بنى زُهرة بن كلاب : الأسودُ بن عبد يَغوث بن وَهْب بن عبدمناف ابن زُهرة .

ومن بنى مخزوم بن يَقظة بن مُرّة : الوليد بن المُغيرة بن عبد الله بن عمر ابن مخزوم .

ومن بنى سَهْم بن عمرو بن هُصَيص بن كَعْب : العاصُ بن وائل بن هشام.
قال ابن هشام : العاصُ بن وائل بن هاشم بن سُعَيد بن سَهْم .

ومن بنى خُزاعة : الحارث بن الطُّلاطِلة بن عمرو بن الحارث بن عبد عمرو ابن لُؤَىّ بن مِلْكان .

رفع
المستهم

فلما تمادوا فى الشرّ ، وأكثروا برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الاستهزاء، أنزل الله تعالى عليه: ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ. إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللهِ إِلٰهاً آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ الحجر : ٩٣ — ٩٥.

قال ابن إسحاق فحدَّثنى يزيد بن رُومان ، عن عُرْوة بن الزبير ، أو غيره من العلماء أن جبريل أتى رسولَ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهم يطوفون بالبيت ، فقام ، وقام رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى جَنْبه فمرّ به الأسودُ بن المطلب ، فرمى فى وجهه بورقة خضراء ، فعَمِىَ ، ومرّ به الأسودُ بن عبد يغوث ، فأشار إلى بطنه ، فاستسقى فمات منه حَبَنا . ومرّ به الوليدُ بن المغيرة فأشار إلى أثر جُرح بأسفل كعب رجله ، كان أصابه قبل ذلك بسنين ، وهو يَجرُّ سَبَله ، وذلك أنه مرّ برجل من خُزاعة وهو يَريش نَبلا له ، فتعلق سهم من نبله بإزاره ، فخدش فى رجله ذلك الخدشَ ، وليس بشىء ، فانتقض به ، فقتله . ومرّ به العاص بن وائل ، فأشار إلى أخمص رجله ، وخرج على حمارٍ له يريد الطائف ، فرَبض به على شُبارقة ، فدخلت فى أخْمَص رجله شوكةٌ ، فقتلته ومرّ به الحارث ابن الطُّلاطِلَة ، فأشار إلى رأسه ، فامتخض قَيحا فقتله .

الوليد وأبو أزيهر

قال ابن إسحاق : فلما حضرت الوليدَ الوفاةُ دعا بنِيهِ ، وكانوا ثلاثة : هشام بن الوليد ، والوليد بن الوليد ، وخالد بن الوليد ، فقال لهم : أى بَنِىّ ،

أوصيكم بثلاث ، فلا تُضيِّعوا فيهن : دَمى فى خُزاعة ، فلا تَطُلُّنَّهُ ، والله إنى لأعلم أنهم منه بُرآء ، ولكنى أخشى أن تُسَبُّوا به بعد اليوم ، ورِباى فى ثقِيف ، فلا تدَعوه حتى تأخذوه ، وعُقْرى عند أبى أُزَيْهِر ، فلا يفو تَنَّكم به . وكان أبو أُزَيْهر قد زوّجه بِنْتا ، ثم أمسكها عنه فلم يُدخلها عليه حتى مات.

فلما هلك الوليد بن المغيرة ، وثبت بنو مخزوم على خزاعة يطلبون منهم عقل الوليد ، وقالوا : إنما قتله سَهْمُ صاحبكم – وكان لبنى كعب حِلْف من بنى عبد المطلب بن هاشم – فأبت عليهم خُزاعة ذلك ، حتى تقاولوا أشعاراً ، وغَلُظ بينهم الأمر – وكان الذى أصاب الوليدَ سهمُه رجلا من بنى كعب بن عمرو من خزاعة – فقال عبدُ الله بن أبى أُمَيَّة بن المُغيرة بن عبد الله بن عمر ابن مَخزوم :

إنى زَعيم أن تَسيرُوا ، فتَهرُبوا ... وأن تتركوا الظَّهْرَان تَعْوِى ثعالِبُه
وأن تتركوا ماء بجِزْعةِ أطْرِقا ... وأن تسألوا : أىّ الأَراكِ أطايبه؟
فإنّا أناسٌ لاتُطَلّ دماؤُنا ... ولا يَتعالى صاعداً مَنْ نحاربه

وكانت الظَّهْران والأَراكُ منازلَ بنى كَعْب ، من خُزاعة . فأجابه الجَوْنُ ابن أبى الجَوْن ، أخو بنى كعب بن عَمْرو الُخزاعىّ ، فقال :

والله لانُؤْتِى الوليدَ ظُلامةً ... ولمّا قَرَوْا يوما تَزول كَواكِبُهْ
ويَصْرَعُ منكم مُسْمِنٌ بعد مُسْمِن ... وتُفْتَح بعد المَوْت قَسْراً مَشاربه
إذا ما أكلتم خُبزكم وخَزِيرَكم ... فكلُّكم باكى الوليدِ ونادبه

ثم إن الناسَ تَرادّوا وعَرَفوا أنما يَخْشَى القومُ السُّبة ، فأعطتهم خزاعةُ بعض العَقْل ، وانصرفوا عن بعض . فلما اصطلح القومُ قال الجَوْن بن أبى الجَوْن :

وقائلةٍ لمّا اصطلحْنا تَعجُّبا ... لِما قد حَمَلْنا للوليـد وقائلِ
ألم تُقْسموا تُؤْتوا الوليدَ ظُلامةً ... ولمّا تَروْا يوما كثيرَ البَلابل
فنحن خَلطْنا الحربَ بالسِّلْم فاستوتْ ... فأمَّ هواه آمنا كل راحل

ثم لم يَنْتهِ الجَوْنُ بن أبى الجَوْن حتى افتخر بقَتْل الوليد ، وذكر أنهم أصابوه ، وكان ذلك باطلا . فلحق بالوليد وبوَلَده وقَوْمه من ذلك ما حَذره ، فقال الجَوْن بن أبى الجَوْن :

ألا زَعَم المُغيرة أنْ كَعْبا ... بمكّة منهمُ قَدْرٌ كَثيرُ
فلا تَفْخر مُغيرةُ أنْ تَراها ... بهـا يَمْشى المُعَلْهَج والمَهِير
بِها آباؤُنا ، وبهـــا وُلِدْنا ... كما أرْسَى بمَثْبَته ثَبيرُ
وما قال المُغيرة ذاك إلا ... ليَعْـلم شأنَنا أو يَسْتَثير
فإنّ دمَ الوليـــد يُطَلّ إنّا ... نُطَلّ دِماءً انت بهـا خبيرُ
كساهُ الفاتكُ المَيْمونُ سَهْما ... زُعافا وهو ممتــلئٌ بَهِيرُ
فخَرّ ببطْن مَـكّة مُسْلَحِبًّا ... كأنّهُ عنـــد وجْبَته بَعير
سيَكْفينى مِطالَ أبى هشام ... صِغارٌ جَعْـدةُ الأوبار خُور

قال ابن هشام : تركنا منها بيتا واحدا أقذع فيه

رفع
المسـاهم
غفر الله له ولوالديه

ثورة لمقتل أبى أزيهر

قال ابن إسحاق : ثم عدا هشامُ بن الوليد على أبى أزَيْهر ، وهو بسُوق ذى المَجاز ، وكانت عند أبى سُفيان بن حَرْب بنت أزَيهر ، وكان أبو أزَيهر رجلا شريفا فِى قومه ـ فقتله بعُقْر الوليد الذى كان عنده ، لوصيَّة أبيه إيَّاه ، وذلك بعد أن هاجر رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى المدينة ومضى بدرٌ ، وأُصيب به مَنْ أُصيب من أشراف قُرَيش من المشركين ؛ فخرج يَزيد بنُ أبى سُفيان ، فجمع بَنى عبد مناف ، وأبو سفيان بذى المَجاز ، فقال الناس : أُخْفِرَ أبو سفيان فى صِهْره ، فهو ثائر به ، فلمَّا سمع أبو سفيان بالذى صَنع ابنُه يزيد ـ وكان أبو سفيان رجلا حليما مُنْكَراً ، يحبّ قومه حبا شديدا ـ انحطّ سريعا إلى مكة ، وخشى أن يكون بين قريش حَدَثٌ فى أبى أزَيهر ، فأتى ابنَه وهو فى الحديد ، فى قَوْمه من بنى عَبْد مناف والمطيِّبين ، فأخذ الرمحَ من يده ، ثم ضرب به على رأسه ضربةً هدَّه منها ، ثم قال له ؛ قبَّحك الله ! أتريد أن تضرب قُرَيشا بعضَهم ببعض فى رجل من دَوْس . سنُؤتيهم العَقْل إن قبلوه ، وأطْفأ ذلك الأمرَ .

فانبعث حسَّان بن ثابت يُحَرِّض فى دَم أبى أزَيهر ، ويعيِّر أبا سفيان خُفْرَته ويُجَبِّنه ، فقال :

غدا أهلُ ضَوْجَىْ ذى المجاز كِلَيهما ... وجارَ ابن حَرْب بالغَمَّس مايغْدو

ولم يمنع العيْرُ الضَّروطُ ذِمارَه ... وما منعت مخزَاةَ والِدِها هِنْد

كساكَ هشامُ بنُ الوَليدِ ثيابَهُ ... فأبْلِ وأخْلِفْ مثلَها جُدُداً بعدُ
قَضَى وَطَراً منه فأصْبح ماجداً ... وأصبحتَ رخواً ماتخبُّ وما تعْدُو
فلو أنَّ أشْياخا ببدرٍ تَشاهدوا ... لَبَلَّ نعالَ القوم مُعْتَبِطٌ وَرْد

فلما بلغ أبا سُفْيان قولُ حسَّان قال : يريد حَسان أن يَضْرب بعضَنا ببعض فى رجل من دَوْس ! بئس والله ماظنّ !

آية الربا من البقرة

ولمـا أسلم أهلُ الطَّائف كلَّم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم خالدُ بن الوليد فى رِبا الوليد ، الذى كان فى ثقيف ، لمـا كان أبوه أوصاه به .

قال ابن إسحاق : فذكر لى بعضُ أهل العلم أن هؤلاء الآيات من تحريم ما بَقِى من الربا بأيدى الناس نزلن فى ذلك من طلب خالد الرّبا : (يٰأَيُّها الَّذِينَ آمَنُو اتقُوا اللهَ ، وَذَرُوا ما بَقِىَ مِنَ الرِّبا إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) البقرة :٢٧٨ إلى آخر القصة فيها .

الهمّ بأخذ ثأر أبى أزيهر

ولم يكن فى أبى أُزَيهر ثأرٌ نعلمه ، حتى حَجَز الإسلامُ بين الناس ، إلا أن ضِرار بن الخطَّاب بن مِرْداس الفِهْرى خَرج فى نَفَر من قُرَيش إلى أرض دَوْس ، فنزلوا على امرأة يقال لها أمّ غَيْلان ، مولاة لدَوْس ، وكانت تَمْشُط النِّساء ، وتجهِّز العرائس ، فأرادت دَوْس قتلَهم بأبى أُزَيهر ، فقامت دونهم أمُّ غيلان ونسوةٌ معها ، حتى منعتهم ، فقال ضرار بن الخطاب فى ذلك :

جَزَى الله عنّا أمّ غَيْلان صالحا ... ونسوتَها إذ هُنّ شُعْثٌ عَواطلُ
فهنّ دَفَعن الموتَ بعد اقترابه ... وقد بَرَزَتْ للثّائرين المَقاتل
دعتْ دعوةً دَوْساً فسالت شعابُها ... بعزّ وأدّتها الشّراج القَوابل
وَعمْراً جزاه الله خيرا فما وَنى ... وما بردتْ منه لدىّ المَفاصِل
فجرّدتُ سَيْفى ثم قمتُ بنَصْله ... وعن أىّ نَفْس بعد نفسى أقاتل

عمل أم غيلان

قال ابن هشام : حدثنى أبو عبيدة : أن التى قامت دون ضِرار أمُّ جميل ، ويقال : أمّ غَيلان ، قال : ويجوز أن تكون أمُّ غَيلان قامت مع أمّ جميل فيمن قام دونه .

فلما قام عمرُ بن الخطّاب أتته أمُّ جميل ، وهى تُرى أنه أخوه : فلما انتسبت له عَرف القِصّة ، فقال : إنى لستُ بأخيه إلا فى الإسلام ، وهو غاز ، وقد عرفتُ مِنّتَك عليه ، فأعطاها على أنها ابنة سَبيل .

قال الراوى : قال ابن هشام : وكان ضِرار لحق عمرَ بن الخطاب يوم أحد، فجعل يَضرِبه بعَرض الرمح ، ويقول : انجُ يابن الخطّاب لا أقتلك ، فكان عمر يعرفها له بعد إسلامه .

من المؤذين لرسول الله

قال ابن إسحاق : وكان النَّفَر الذين يُؤذون رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى بيته أبا لَهَب ، والحَكَم بن العاص بن أُميّة ، وعُقْبة بن أبى مُعَيط ، وعدىّ

ابن حَمْراء الثَّقفيّ ، وابنَ الأصْداء الهُذليّ ، وكانوا جِيرانه لم يُسْلِم منهم أحد إلا الحَكَمَ بن أبى العاص ، فكان أحدهم ـ فيما ذكر لى ـ يطرح عليه صلى الله عليه وسلم رَحِمَ الشاة وهو يُصَلِّى ، وكان أحدهم يطرحها فى بُرْمته إذا نُصبت له ، حتى اتخذ رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حِجْراً يستتر به منهم إذا صلى ، فكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إذا طرحوا عليه ذلك الأذى ، كما حدثنى عمرُ بن عبد الله بن عُروة ابن الزبير ، عن عُروة بن الزبير ، يخرج به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على العود ، فيقف به على بابه ، ثم يقول : يا بَنى عبد مناف ، أىّ جوارٍ هذا ! ثم يُلقيه فى الطريق .

ماعاناه الرسول صلى الله عليه وسلم بعد وفاة أبى طالب وخديجة

قال ابن إسحاق : ثم إن خديجة بنت خُويلد وأبا طالب هَلَكا فى عام واحد ، فتتابعت على سولِ الله صلى الله عليه وسلم المصائبُ بُهْلك خَديجة ، وكانت له وَزيرَ صِدْق على الإسلام ، يشكو إليها ، وبهُلْك عَمِّه أبى طالب ، وكان له عضداً وحِرْزاً فى أمره ، ومَنَعَة وناصرا على قومه ، وذلك قبل مُهاجره إلى المدينة بثلاث سنين . فلما هلك أبو طالب ، نالت قريشٌ من رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأذى مالم تكن تَطْمع به فى حياة أبى طالب ، حتى اعترضه سَفِيهٌ من سُفهاء قريش ، فنثر على رأسه ترابا .

قال ابن إسحاق : فحدثنى هشام بن عُروة ، عن أبيه عروة بن الزبير ، قال: لما نثر ذلك السفيهُ على رأس رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ذلك الترابَ

. . . .

رفع المسهم

دخل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بيتَه والترابُ على رأسه ، فقامت إليه إحدى بناته ، فجعلت تغسل عنه الترابَ وهى تبكى ، ورسول الله صلى عليه وسلم يقول لها : لاتبكى يا ُبنيّة ، فإن الله مانعٌ أباكِ . قال : ويقول بين ذلك : مانالت منى قريش شيئا أكرهه ، حتى مات أبو طالب .

ماحدث بين النبى صلى الله عليه وسلم
وبين أبى طالب والمشركين

قال ابن إسحاق : ولما اشتكى أبو طالب ، وبلغ قريشا ثِقَلُه ، قالت قريش بعضها لبعض : إن حَمْزة وعمر ، قد أسلما وقد فشا أمرُ محمد فى قبائل قُريش كلها ، فانطلِقوا بنا إلى أبى طالب ، فليأخذ لنا على ابن أخيه ، وليُعطِه منَّا ، والله ما نأمن أن يَبْتَزُّونا أمرنا .

قال ابن إسحاق : فحدثنى العبَّاسُ بن عبد الله بن مَعْبد عن بعض أهله ، عن ابن عبَّاس ، قال : مَشَوْا إلى أبى طالب فكلَّموه ، وهم أشراف قومه : عُتبة ابن ربيعة ، وشَيْبة بن ربيعة ، وأبو جهل بن هشام ، وأُميَّة بن خَلَف ، وأبو سفيان بن حَرْب ، فى رجال من أشرافهم ، فقالوا : يا أبا طالب ، إنك منَّا حيث قد علمتَ ، وقد حَضَرَك ماترى ، وتخوّفنا عليك ، وقد علمتَ الذى بيننا وبين ابن أخيك ، فادعُه ، فخُذْ له منَّا ، وخُذْ لنا منه ، ليكف عنا ، ونكفّ عنه ، وليدعنا ودينَنا ، وندعه ودينَه ، فبعث إليه أبو طالب ، فجاءه فقال : يابن أخى : هؤلاء أشرافُ قومك ، قد اجتمعوا لك ، ليُعطوك ،

. . . .

وليأخذوا منك . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ، كلمة واحدة تُعطونيها تملكون بها العرب ، وتَدين لكم بها العجم . قال : فقال أبو جهل : نعم وأبيك ، وعشر كلمات ، قال : تقولون : لا إله إلا الله ، وتَخْلعون ماتعبدون من دونه . قال : فصفَّقوا بأيديهم ، ثم قالوا : أتريد يامحمد أن تجعل الآلهةَ إلٰها واحدا ، إنّ أمرك لعَجب : ثم قال بعضُهم لبعض : إنه والله ماهذا الرجل بمُعْطيكم شيئا ممـا تُريدون فانطلِقُوا ، وامْضُوا على دين آبائكم ، حتى يحكم الله بينكم وبينه . قال : ثم تفرّقوا .

الرسول يرجو أن يسلم أبو طالب

فقال أبو طالب لرسول الله صلى الله عليه وسلم : والله يا ابن أخى ، ما رأيتُك سألتَهم شَطَطاً ؛ فلما قالها أبو طالب طَمِع رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى إسلامه ، فجعل يقول له : أى عمّ ، فأنتَ فقُلها ، أستحلّ لك بها الشَّفاعة يوم القيامة . قال : فلما رأى حرصَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : يابن أخى ، والله لولا مخافة السُّبَّة عليك ، وعلى بنى أبيك من بَعدى ، وأن تظنّ قُرَيش أنى قلتها جَزعا من الموت لقلتها ، لا أقولها إلا لأسرّك بها . قال : فلما تقارب من أبى طالب الموتُ ، قال : نظر العباسُ إليه يحرّك شفتيه ، قال : فأصغى إليه بأذنه ، قال : فقال يابن أخى ، والله لقد قال أخى الكلمة التى أمرتَه أن يقولها ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لم أسمع .

ما نزل فيمن طلبوا العهد على الرسول عند أبي طالب

قال : وأنزل الله تعالى فى الرهط الذين كانوا اجتمعوا إليه ، وقال لهم ما قال ، وردّوا عليه ماوردّوا : « صٓ . والقُرآن ذى الذِّكْر ، بَل الَّذين كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقاقٍ) . . إلى قوله تعالى : (أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلٰهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجابٌ . وانْطَلَقَ المَلأُ مِنْهُمْ أن امْشُوا وَاصْبِرُوا على آلِهَتِكُمْ . إنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَاد . ما سَمِعْنا بِهَذَا فِي المِلَّة الآخِرَة) يعنون النصارى ، لقولهم : (إِنَّ اللهَ ثالِثُ ثَلاثَةٍ) - (إِنْ هَذَا إِلاَّ اخْتِلاقٌ) ثم هلك أبو طالب .

عن المستهزئين وملطاه

فصل : وذكر حديثَ المستهزئين الذين أنزل الله فيهم : ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئين﴾الحجر:٩٥ وذكر فيهم الحارث بن الطُّلاطِلَة[1]، والطُّلاطِلَة : أُمّه، قاله أبو الوليد الوقشى ، والطُّلاطِلَةُ فى اللغة : الداهية ، قال أبو عبيد : كُلُّ داء عُضَال فهو : طُلاطِلَة ، وذكر فى نسبه عبدَ عمرو بن مِلْكان بالضبطين جميعا، وفى حاشية كتاب الشيخ الحافظ أبى بحر ، قال : قد تقدم من قول ابن حبيبَ النحوى أن الناس ليس فيهم مَلَكان بفتح الميم واللام إلا مَلَكَان بن جَرْم بن زَبَّان بن حُلْوان عِمْران بن الْحَافِ بن قُضَاعَة ، ومَلَكَانُ بن عباد بن عِياض ابن عُقبة بن السَّكُون بن أشرس ، وإخوة عدى هم : تُجِيب عرفوا بأمهم

---

(١) هو فى تفسير ابن كثير : ابن غيطلة ، وغيطلة أمه

. . . .

تُجِيب بنت دُهْم بن ثوبان ، وهم من كِنْدة ، وكل من فى الناس وغيرهم مِلْكان مكسور الميم ساكن اللام ، وقال مشايخ خزاعة : فى خزاعة مَلَكَان(١) بفتح الميم ، قال القاضى : يعنى ابن حبيب : مَلَكان بن أفْصَى بن حارثة بن ثَعْلبة ابن عمرو بن عامر ، وقال غير ابن حبيب كالذى يخرج من عبارته : إن الذى فى خُزَاعَة إنما هو مِلْكان بن أفْصى مثل مِلْكان بن عدى بن عَبد مناة من الرباب الذين منهم ذو الرُّمة الشاعر ، ومثل مِلْكان بن عَبْدمناة من الرباب أيضاً رهط سُفْيان بن سَعِيد الثَّورى . وذكر فى المستهزئين الأسود بن عَبْد يَغُوث الزهرى روى أنه لما أنزل اللهُ تعالى : ﴿إنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئين﴾ نزل جبريل عليه السلام فحنا ظَهْرَ الأسود ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: خالى خالى(٢)، فقال له جبريل : خَلِّ عنك ، ثم حناه حتى قتله ، ذكره الدَّارَقُطْنِي .

---

(١) ضبط أبو على القالى نقلا عن ابن الأنبارى ملكان بن حزم بن زبان بفتح الميم وسكون اللام فى ص ١٩٠ ح ٢ وفى ص ٢٠٩ ح ٣ قال : كل ما فى العرب : ملكان ، بكسر الميم مع سكون اللام ، إلا ملكان ، بفتح الميم وسكون اللام ، بن جرم بن ربان بالجيم والراء فى جرم وبالراء فى ربان . وقال البكرى فى التنبيه على أوهام القالى فى أماليه : « الذى فى جرم بن ربان هو : ملكان بفتح اللام والميم ، وليس هو بإسكان اللام كما أورده ، وكذلك ملكان بن عباد ابن عياض بن عقبة بن السكون ، وهذا باب واسع ، والذى ذكر منه أبو على برض ، قليل ، من عد ، وغيض من فيض ، ص ١١٦ التنبيه ط ٢

(٢) هو ابن خال النبى صلى الله عليه وسلم لا خاله ، وقد اضطربت الروايات فى مصيره ، فإحداهن ماذكر ابن إسحاق فى السيرة ، والثانية هذه التى نقلها السهيلى عن الدارقطنى ، وهى عند ابن أبى حاتم والبلاذرى عن عكرمة ، وأنه حنا ظهره حتى احقوقف صدره ، أى انحنى ، وأخرى أنه خرج من عند أهله حتى فأصابته

رفع المسهم

. . . .

حديث الوليد بن المغيرة :

فصل : وذكر وفاةَ الوليـــد بن المغيرة ، وقولَه لبنيه : وعُقْرى عند أبى أزَيْهِرِ الدَّوْسِى لاتدعوه[1] العُقْرُ : دِيَةُ الْفَرْجِ المَغْصُوبِ ، وأصلُه فى الْبِكر من أجل التَّدْمِية ، ومنه عَقَر السَّرْجُ الْفَرَسَ : إذا أدماه ، وبَيْضَةُ الْعُقْرِ منه ؛ لأنهم كانوا يقيسون البِكر بالْبَيْضَةِ[2] ، ليعرفوا بكورتها ، وقيل : عُقْر بضم العين ، لأنه بمعنى بِضع .

عن مقتل أبى أزيهر وموقف دوس :

وذكر قَتْل هشامِ بنِ الوليد لأبى أُزَيْهِر وخبرَ أم غَيْلان مع ضِرَار حين أجارته ، ومن تمام الخبر : أن دَوْسا لما بلغها مقتلُ أبى أزيهر الدوسى ، وثبت على رجال من قريش كانوا عندهم ، فقتلوا منهم بُجَيْر بن الْعَوَّام أخا الزُّبَيْر ، وأرادوا قتلَ ضِرارِ بن الخطاب ، فأجارَته أمُّ غَيْلَان وابنُها عوف ، قال ضرار : لقد أدخلتنى بين درعها وبدنها ، حتى إنى لأجد تَسْبِيدَ رُكَبها ، والتَّسْبِيد : موضع الحَلْق من الشعر ، وكان الذى قتل بُجَيْراً صبيحُ بن سعد أو مَلِيح ابن سَعْد جد أبى هُرَيْرَة لأمه ؛ لأن أمَّه أميمة بنتَ مَلِيح أو صبيح .

= السموم ، حتى صار حبشيا ، فلم يعرفه أهله ، فصار يطوف بشعاب مكة ، حتى مات عطشا ، وأخرى أنه عطش ، فشرب حتى انشق بطنه ، وأخرى . وأخرى . فهل يسكن قلب إلى مثل هذه المضطربات ؟

(١) الذى فى السيرة : فلا يفوتنكم .

(٢) فى القاموس عن العقر أنه استبراء المرأة ، لينظر أبكر هى أم غير بكر .

. . . .

عن أطرقا ومن أعظامه أنه :

فصل : وذكر شعر عبد الله بن أبى أمية بن المغيرة وفيه :

وأن تتركوا ماءً بِجزْعَةِ أطْرِقا

والجَزْعَةُ والجِزْعُ بمعنى واحد ، وهو معظم الوادى ، وقال ابن الأعرابى : هو ما انثنى منه ، وأطْرِقا اسم عَلَم لموضع سمى بفعل الأمْر للاثنين ، فهو مَحْكِىٌّ لا يُعْرَبُ ، وقيل : إن أصل تسميته بذلك أن ثلاثةَ نفر مروا بها خائفين ، فسمع أحدهم صوتا ، فقال لصاحبيه : أطْرِقا ، أى : أنصتا ، حتى نرى ما هذا الصوت ، فسمى المكان بأطرِقا[1] ، والله أعلم . وذكَر شِعْر الجَوْنِ بن أبى الجَوْن ، وفيه :

ألم تُقْسِمُوا تُؤْتُوا الوليد ظُلَامَةً

أراد : أن تؤتوا ، ومعناه : أن لا تُؤتوا كما جاء فى التنزيل : (يُبَيِّنُ اللهُ لكم أن تضِلوا) النساء : ١٧٦ فى قول طائفة ، ومعناه عندى : كره لكم أن تَضِلُّوا[2] ، وقد قدمنا فى الجزء قبل هذا كلام على أن ، ومقتضاها وشيئا من

---

(١) هو كما ذكر فى مراصد الاطلاع ، وفيه أن أطرقا موضع بنواحى مكة من منازل خزاعة وهذيل .

(٢) يقول البيضاوى فى تفسير الآية : « أى يبين الله لكم ضلالكم الذى من شأنكم إذا خليتم وطباعكم لتحترزوا عنه ، وتتحروا خلافه ، أو يبين لكم الحق والصواب كراهة أن تضلوا ، وقيل : لئلا تضلوا ، فحذف لا ، وهو قول الكوفيين »

. . . .

آسرارها فيه غنية ، وإذا كان الكلامُ محمولا على معناها فالنصب جائزٌ ، والرفع جائز أيضا ، كما أنشدوا :

أَلا أَيُّهذا الزّاجِرِى أَحْضُرُ الوَغى (١)

بنصب : أحضرَ ورفعه ، وأنشد سِيبَوَيْه :

وَنَهْنَهْتُ نفسِى بعدما كِدْتُ أَفْعَلَه (٢)

يريد : أن أفعلَه ، وإذا رفعت فى هذا الموضع لم يُذهِب الرفعُ معنى أن فقد

---

(١) البيت من معلقة طرفة بن العبد البكرى ، وتتمته :

وأن أشهد اللذات هل أنت مخـــلدى

وبعده :

فإن كنت لا تستطيع دفع منيتى فذرنى أبادرها بما ملكت يدى

والبيت من شواهد سيبويه فى الكتاب ص ٤٥٢ ج ١ ، ويستدل به الكوفيون على أن أن الناصبة تعمل فى غير المواضع المعدودة ، ودليلهم : أن الشاعر عطف عليه قوله : وأن أشـــهد . ومنع البصريون ذلك بأن عوامل الأفعال ضعيفة لا تعمل مع الحذف ، وإذا حذفت ارتفع الفعل . وقالوا : إن رواية البيت عندهم إنما هى بالرفع . انظر ص ٨٣ ج ١ خزانة الأدب ص ٢٣٨ شرح شواهد ابن عقيل للشيخ عبد المنعم الجرجاوى ط ١٩١٤ ، ص ٤٥٢ ج ١ الكتاب لسيبويه

(٢) هو من شواهد سيبويه . وقد نسبه إلى عامر بن جوين الطائى ، وأوله :

فلم أر مثلها خباسة واحد

وقد عقب عليه سيبويه بقوله : وحمله على أن ؛ لأن الشعر قد يستعملون أن ههنا مضطرين كثيرا . ص ١٥٥ ج ١ الكتاب لسيبويه ، وقال عنه اللسان : هو لعمرو بن جوين ، أو امرىء القيس ، وفيه : واجد بدلا من : واحد ونقل عن سيبويه ما قاله . والخباسة : المغنم .

. . . .

حكى سيبويه : مره يحفرها[1] ، وقدره تقديرين ، أحدهما : أن يريدَ الحالَ أى : مُرْه حافِراً لهـا ، والثانى : أن يريد : مُرْه أن يحفرَها ، وارتفع الفعل لما ذهبت أن من اللفظ ، وبَيَّن ابنُ جنى الفرقَ بين التقديرين ، وقال : إذا نويت أن فالفعلُ مستقبل ، وإذا لم تَنْوِها فالفعل حاضر ، وهُهُنا مسألةٌ من العرب ذكرها الطبرى ، قال : العرب تقول لمن توجه فى أمر : تصنع ماذا وتفعل ؟ماذا على تقدير : تريد أن تصنع ماذا ، فإذا قالوا : تريد ماذا لم يكن إلا رفعا ، لأن المعنى الذى يجلب معنى أن الناصبة ليس فى قوله : تريد ؛ إذ لا يستقيم أن تقول : تريد أن تريد ماذا ، يعنى : أن الإرادة لا تُراد .

شعر الجون :

وذكر شعر الجَوْن أيضا ، وفيه :

بهـا يمشى الْمُعَلْهَجُ والْمَهِيرُ

المهير : ابن المهورة الْحُرَّة والْمُعَلْهَجُ : المتردد فى الإماء[2] كأنه منحوت من

---

(١) ورد قوله هذا فى ص ٤٥١ ومابعدها جـ ١ الكتاب لسيبويه ، وهو من شواهده المذكورة تحت باب : « هذا باب من الجزاء ينجزم فيه الفعل إذا كان جوابا لأمر أو نهى أو استفهام أو تمن أو عرض »

(٢) فى شرح السيرة لأبى ذر الخشنى : « والمهير : الصحيح النسب ، يريد أن أمه حرة بمهر ، والمعلهج : المطعون عليه فى فيه ، وهو الأحمق أيضاً » وفى اللسان : المعلهج أن يؤخذ الجلد فيقدم إلى النار حتى يلين ، فيمضغ ، ويبلع ، وكان ذلك من مأكل القوم فى المجاعات . . والمعلهج : الذى ولد من جنسين مختلفين ، والذى ليس بخالص النسب .

. . . .

أصلين : من العِلج لأن الأمة : عِلجَة ، ومن اللَّهج(١) ، كأن وَاطِىءَ الأَمَةِ قد لَهِجَ بها ، فَنُحِتَ لفظِ المُعَلْهَج من هذين اللفظين .

وفيـــــه :

كما أرْسَى بِعَثْبَتِهِ ثَبِيرُ

كذاصحت الرواية فى أرسى بالتخفيف وهو زِحاف داخلٌ على زحاف : لأن تسكينَ اللام مِن مُفاعَلْتُن فى الوافر زِحاف ، ولكنه حَسَنٌ كثير ، فلما كثر شَبَّهه هذا الشاعرُ بمفاعيل ؛ لأنه على وزنه ، ومَفَاعِيلُنْ يَحْسُن حذفُ الياء منها فى الطويل ، فيصير فعولن مَفَاعِلُن فلذلك أَدخَل هذا الشاعرُ الزحافَ على مُفاعَلْتُن لأنه بعد السكون فى وزن مفاعيلن التى تحذف ياؤها حذفا مستحسنا ، فتدبره ، فإنه مليح فى علم العروض(١) .

من أسواق العرب :

فصل : وأنشد لحسَّانِ بن ثابت :

---

(١) من معانى العلج : الرجل من كفار العجم . واللهج : الولوع بالشىء . ولهج به إذا أغرى به ، فثابر عليه ، ومن معانى القصيدة كما ذكر الخشنى . أرسى : استقر وثبت ، والزعاف : الذى فيه السم ، والبهير من البهر وهو انقطاع النفس ، والمسلحب : الممتد وبالحاء المهملة ذكره صاحب كتاب العين لاغير . وعند وجبه : أى سقطته والخوز : العزيزات اللبن

(٢) سبق الكلام عن هذه المصطلحات .

. . . .

غدا أهلُ ضَوْجَيْ ذى المجاز بُسحْرَةٍ(١)

ضَوْجُ الوادى : جانبه ، وذو المجاز : سوقٌ عند عَرَفَةَ كانت العربُ إذا حَجَّت أقامت بسوق عكاظٍ شهرَ شَوَّالٍ ، ثم تنتقل إلى سوق مَجَنَّة(٢) فتقيم فيه عشرين يوما من ذى القَعْدَة ، ثم تنتقل إلى سوق ذى المجاز(٣) فتقيم فيه إلى أيام الحج ، وكانوا يتفاخرون فى سوق عكاظ شهر شوال إذا اجتمعوا ، ويقال : عَكَظَ الرجلُ صاحبَه إذا فاخره وغَلَبَه بالمفاخرة ، فسُمِّيت عُكَاظ لذلك(٤) .

---

(١) السحرة : السحر الأعلى . والبيت فى النسخ التى بين يدى ، وفى شرح السيرة للخشنى : غدا أهل ضوجى ذى المجاز كليهما .

(٢) فى المراصد عن مجنة : اسم سوق للعرب كانت فى الجاهلية ، قيل : بمر الظهران ، قرب جبل يقال له : الأصفر كانت به تقوم العشر الأواخر من ذى القعدة ، وقبلها من أوله عكاظ ، وقيل مجنة : بلد على أميال من مكة ، وقيل : جبيل بجنب طفيل ، وهو لبنى الديل . ويقول ياقوت فى معجمه : وإياه أراد بلال حين كان يتمثل :

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة بواد ، وحولى أذخر وجليل
وهل أردن يوما مياه مجنة وهل يبدون لى شامة وطفيل

(٣) ذو المجاز : موضع سوق بعرفه على ناحية كبكب عن يمين الإمام على فرسخ كانت به تقوم فى الجاهلية ثمانية أيام ، وقيل : هو ماء من أصل كبكب لهذيل خلف عرفة . وكبكب جبل خلف عرفات مشرف عليه ، قيل هو الجبل الأحمر الذى يجعله الواقف بعرفة فى ظهره .

(٤) فى القاموس . عكظه يعكظه : حبسه وعركه ، وقهره ورد عليه فخره ، وكغراب : سوق بصحراء بين نخلة والطائف ، كانت تقوم هلال ذى القعدة ، وتستمر عشرين يوما . وتجتمع قبائل العرب ، فيتعاكظون ، أى يتفاخرون ويتناشدون .

رفع
المسيهم
عزالله أو طول الدين

. . . .

وذكر :

لَبَلَّ نِعالَ القوم مُعْتَبِطٌ وَرْدُ

يعنى : الدَّمَ الْعَبِيطَ(١).

ما أنزل الله فى الربا

فصل : وذكر ما أنزل الله فى الربا الآيات من سورة البقرة ، وقد قدمنا فى حديث بنيان الكعبة من قولهم : لاتنفقوا فيها رِبًا ولا مَهْرَ بغِيٍّ ، وأن فى ذلك دليلا على قِدَم تحريمه عليهم فى شرع إبراهيمَ عليه السلام ، أوفى غيره من الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين(٢) وذلك أنَّه من أقبح الأعمالِ لما فيه من هَدْم جانب المروءة ، وإيثار الحرص مع بعد الأمل ، ونسيان بَغْتة الأجل ، وترك التوسعة وحسن المعاملة ، ومن تأمل أبوابَ الرِّبا لاح له شر التحريم من جهة الجَشَع المانع من حسن المعاشرة والذَّريعة إلى ترك الْقَرْض ، ومافيه ، وفى التوسعة من مكارم الأخلاق ، ولذلك قال سبحانه : ﴿ فإن لم تفعلوا فأْذَنوا بِحَرْبٍ من الله ورسوله(٣) ﴾ البقرة : ٢٧٩ . غضبا منه على أهله ، ولهذه النُّكتة

---

(١) الخالص الطرى .

(٢) ورد فى الإصحاح الثانى والعشرين من سفر الخروج أحد أسفار العهد القديم الذى بيد اليهود والمسيحيين : « إن أقرضت فضة لشعبى الفقير الذى عندك فلا تكون له كالمرابى لا تضعوا عليه ربا) رقم ٢٦ .

(٣) يقول الإمام ابن القيم حول هذه الآية : « ولم يجىء هذا الوعيد فى كبيرة سوى الربا ، وقطع الطريق ، والسعى فى الأرض بالفساد ، لأن كل واحد منهما مفسد فى الأرض ، قاطع الطريق على الناس . هذا بقهره لهم ، وتسلطه عليهم ،=

. . . .

فقالت عائشة لأم محبة مولاة زيد بن أرقم : أبلغى زيداً تعنى زَيْدَ بنَ أرقم أن قد أَبْطَلَ جهادَه مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين ذكرت لها عنه مسألةً من البيوع تشبه الربا ، فقالت : أَبْطَلَ جهادَه ، ولم تقل صَلاتَه ولاصيامه ، لأن السيئات لا تُحْبِط الحَسَناتِ ، ولـكن خصَّت الجهادَ بالإبطال ، لأنه حرب لأعداء الله ، وآكلُ الربا قد أذن بحربٍ من الله ، فهو ضده ، ولا يجتمع الضدان ، وهذا معنًى ذكره أبو الحسن بن بطال فى شرح الجامع ، وتلك المسألة مذكورة فى المُدَوَّنة ، لـكن إسنادُها إلى عائشة ضعيف .

وفاة أبى طالب ووصيته

ذكر ابن إسحاق وفاة أبى طالب إلى آخر القصة ، وفيها قال العباس : والله لقد قال أخى الـكلمة التى أمرته بها ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : لم أسمع .

= وهذا بامتناعه من تفريج كرباتهم إلا بتحميلهم كربات أشد منها ، فأخبر عن قطاع الطريق بأنهم يحاربون الله ورسوله ، وآذن هؤلاء إن لم يتركوا الربا بحربه وحرب رسوله » التفسير القيم لابن القيم ص ١٧٢ ط السنة المحمدية ١٣٦٨ ، ١٩٤٩ . وقد ورد حديث « لعن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ آكل الربا ، وموكله وشاهديه ، وكاتبه الخ » وقد رواه أحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجة . جنبنا الله لعنته .

من معانى قصيدة ضرار بن الخطاب : الشعث : المتغيرات الشعور ، العواطل : اللائى لا حلى لهن . الشعاب : جمع شعبة ، وهو مسيل الماء فى الحرة ، والقوابل : التى تقابل بعضها بعضا ، الشراج : جمع شرج وهو مسيل الماء من الحرة إلى السهل . الونى : الضعف والفتور ، ونصل السيف : حده . « عن شرح السيرة لأبى ذر والقاموس » .

رفع المسهم غفر الله له ولوالديه

. . . .

قال المؤلف : شهادة العباس لأبى طالب لو أداها بعد ما أسلم ، لـكانت مقبولةً ، ولم يرد بقوله لم أسمع ، لأن الشاهد العدل إذا قال : سمعت ، وقال من هو أعدل منه : لم أسمع أُخِذَ بقول من أثبت السماع ، لأن عدم السماع يحتمل أسبابا منعت الشاهد من السمع ، ولـكن العباس شهد بذلك قبل أن يُسْلِمَ مع أن الصحيحَ من الأثر ، قد أثبت لأبى طالب الوفاةَ على الـكفر والشرك(١) وأثبت نزول هذه الآية فيه : ﴿ ما كان لِلنَّبِيِّ والذين آمنوا أن يَسْتَغْفِروا لِلْمُشْرِكين ﴾ التوبة : ١١٣ وثبت فى الصحيح أيضا أن العباس قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أبا طالب كان يَحُوطك وينصرك ، ويغضب لك ، فهل ينفعه ذلك ؟ قال : « نعم وجدته فى غَمَرَاتٍ من النار،فأخرجته إلى ضَحْضَاح » وفى الصحيح أيضاً من طريق أبى سعيد ، أنه ـ عليه السلام ـ قال : لعله تنفعه شَفَاعتى يوم القيامة، فيجعل فى ضَحْضَاحٍ من النار يبلغ كعبيه يغلى منه دماغه» وفى رواية أخرى : كما يغلى المِرْجَلُ بالقُمْقُم ،وهى مُشْكِلة(٢) ، وقال بعض أهل العلم :

---

(١) أخرج الإمام أحمد بسنده عن ابن المسيب عن أبيه قال : « لما حضرت أبا طالب الوفاة دخل عليه النبى ـ ص ـ وعنده أبو جهل ، وعبد الله بن أبى أمية . فقال : أى عم ، قل : لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله عز وجل . فقال أبو جهل وعبد الله بن أبى أمية : يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فقال : أنا على ملة عبد المطلب ، فقال النبى ـ ص ـ لأستغفرن لك مالم أنه عنك، فنزلت : (ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين، ولو كانوا أولى قربى من بعد ماتبين لهم أنهم أصحاب الجحيم) قال : ونزلت فيه : (إنك لا تهدى من أحببت ، ولـكن الله يهدى من يشاء) وقد أخرجه البخارى ومسلم

(٢) لأن المرجل : قدر من نحاس ، والقمقم أيضا : ما يسخن فيه الماء من نحاس وغيره ، ويكون ضيق الرأس ، ويقول ابن الأثير فى النهاية تعليقا على هذه

رفع عبد الرحمن النجدي المسلم

. . . .

القُمْقُم : هو البُسْرُ الأخضر يُطبخ فى المِرْجَل استعجالا لنضجه ، يفعل ذلك أهل الحاجة ، وفى رواية يونس عن ابن إسحاق زيادة ، وهى أنه قال : يغلى منها دماغُه حتى يسيلَ على قدميه ، ومن باب النظر فى حكمة الله ، ومشاكلة الجزاء للعمل أن أبا طالب كان مع رسول الله بجملته مُتَحَزِّبا له ، إلا أنه مثبت لقدميه على مِلَّة عبد المطلب ، حتى قال عند الموت : أنا على مِلَّة عبد المطلب ، فسُلِّط العذابُ على قدميه خاصَّةً لتثبيته إياهما على ملة آبائه ، ثبتنا الله على الصراط المستقيم .

وذكر قول الله تعالى : ﴿ ما كان للنَّبىِّ والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ﴾ التوبة : ١٣ وقد استغفر عليه السلام يوم أُحُدٍ فقال : اللهم اغفر لقومى ، فإنهم لَايعلمون ، وذلك حين جَرَح المشركون وجهَه وقَتَلوا عمَّه . وكثيرا من أصحابه ، ولايصح أن تكون الآية نزلت فى عمه ناسخةً لاستغفاره يوم أُحُدٍ ، لأنَّ وفاةَ عمه كانت قبل ذلك بمكة ، ولاينسخ المتقدمُ المتأخرَ ، وقد أجيب عن هذا السؤال بأجوبة : أن قيل : استغفارُه لقومه مشروطٌ بتوبتهم من الشرك ، كأنه أراد الدعاء لهم بالتوبة حتى يغفَر لهم ويُقوِّى هذا القول روايةُ من روى : اللهم اهْدِ قومى فإنهم لايعلمون ، وقد ذكرها ابن إسحاق ، رواها عنه بعض رواة الكتاب بهذا اللفظ ، وقيل مغفرة تَصرف عنهم عقوبة الدنيا من المَسْخ والخَسْف ، ونحو ذلك ، ووجهٌ

= الرواية : « هكذا روى ، ورواه بعضهم : كما يغلى المرجل والقمقم وهو أبين إن ساعدته صحة الرواية »

. . . .

ثالث ، وهو أن تكون الآية تأخر نزولها ، فنزلت بالمدينة ناسخةً للاستغفار للمشركين ، فيكون سبب نزولها متقدما ، ونزولها متأخراً لاسيما ، وهى فى سورة براءة وبراءةُ ، من آخر ما نزل ، فتكون على هذا ناسخةً للاستغفارين جميعا ، وفى الصحيح أن رسولَ الله — صلى الله عليه سلم — دخل على أبى طالب عند موته ، وعنده أبو جهل ، وعبد الله بن أبى أمية ، فقال : ياعَمِّ قل : لا إله إلا الله كلمةً أشهد لك بها عند الله ، فقال له أبو جهل وابن أبى أمية : أترغبُ عن مِلَّة عبد المطلب ، فقال : أنا على ملة عبد المطلب ، وظاهر الحديث يقتضى أن عبد المطلب مات على الشرك ، ووجدت فى بعض كتب المسعودى اختلافا فى عبد المطلب ، وأنه قد قال فيه : مات مسلما لما رأى من الدلائل على نُبُّوة محمدٍ — صلى الله عليه وسلم — وعلم أنه لا يبعث إلا بالتوحيد[1] ، فالله أعلم ، غير أن فى مسند البزار ، وفى كتاب النسوى من حديث عبد الله بن عمر أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال لفاطمة ، وقد عَزَّت قوما من الأنصار عن مَيِّتهم : لعلك بلغت معهم الْكُدَى ، ويروى الكرى بالراء ، يعنى : القبور ، فقالت : لا ، فقال : لو كنت معهم الْكُدَى[2] أو كما قال ، مارأيت

---

(١) النبى — صلى الله عليه وسلم — نفسه لم يكن يعلم شيئا عن نبوته قبل المبعث تدبر قول ربنا سبحانه : (ووجدك ضالا فهدى) وقوله : (ماكنت تدرى ماالكتاب ولاالإيمان).

(٢) الرواية لو بلغت معهم الكدى ، أو : لو بلغتها معهم . وقد ورد تفسير الكدى بالقبور عن ربيعة بن سيف من تابعى أهل مصر ، وفيه مقال لا يقدح فى حسن الإسناد ، وفى الرواية أن الرسول «ص» حين سأل فاطمة عن ذلك أنها قالت له : معاذ الله ، وقد سمعتك تذكر فيها ماتذكر. رواه أبوداود والنسائى

رفع
المسهم

. . . .

الجنةَ ، حتى يراها جدُّ أبيك ، وقد أخرجه أبو داود ، ولم يذكر فيه حتى يدخلها جد أبيك ، وكذلك لم يذكر فيه : مادخلت الجنة ، وفى قوله : جد أبيك، ولم يقل : جدك يعنى : أباه توطئة للحديث الضعيف الذى قدمنا ذكره أن الله أحيا أمه وأباه ، وآمنا به ، فالله أعلم ، ويحتمل أن يكون أراد تخويفها بقوله ، حتى يدخلها جد أبيك ، فتتوهم أنه الجد الكافر ، ومن جدوده عليه السلام : إسماعيل وإبراهيم ، لأن قوله عليه السلام حق ، وبلوغها معهم الْكُدَى لايوجب خلودا فى النار ، فهذا من لطيف الكناية فافهمه ، وحكى عن هشام ابن السائب أو ابنه أنه قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة جمع إليه وجوه قريش ، فأوصاهم ، فقال : يامَعْشَرَ قريش ، أنتم صَفْوةُ الله من خلقه ، وقلبُ العرب ، فيكم السيد المطاع ، وفيكم المقـدم الشجاع ، والواسع الباع ، واعلموا أنكم لم تتركوا للعرب فى المآثر نصيباً إلا أحْرَزْتموه ، ولا شرفا إلا أدركتموه ، فلكم بذلكم على الناس الفضيلةُ ولهم به إليكم الوسيلة ، والناسُ لكم حِزْب ، وعلى حربكم ألْبٌ ، وإنى أوصيكم بتعظيم هذه الْبَنِيَّة[1] ، فإن فيها مَرْضاةً للرب ، وقواما للمعاش ، وَثَبَاتا لِلْوَطْأة ، صِلوا أرحامَكم ولا تقطعوها ، فإن فى صلة الرحِم مَنْسَأَةً فى الأجل ، وسِعةً فى العدد ، واتركوا الْبَغْى والْعُقوقَ ، ففيهما هَلَكَة القرون قبلكم ، أجيبوا الداعى ، وأعطوا السائل ، فإن فيهما شرف الحياة والممات ، عليكم بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، فإن فيهما محبةً فى الخاص ، ومَكْرُمةً فى العامِّ ، وإنى أوصيكم بمحمد خيراً ، فإنه الأمين.

---

(١) البنية : الكعبة .

. . . .

فى قريش ، والصديق فى العرب ، وهو الجامع لـكل ما أوصيتكم به ، وقد جاء بأمرٍ قبله الْجَنَانُ ، وأنـكره اللِّسان مخافةَ الشَّنَآنِ ، وايْم الله كأنى أنظر إلى صَعَاليك(١) العَرب ، وأهل البر فى الأطراف والْمُسْتَضْعَفين من الناس ، قد أجابوا دعوته ، وصدقوا كلمته وعظموا أمره ، نخاض بهم غَمَراتِ الموت ، فصارت رؤساء قريش وصناديدُها أذنابا ودورُها خرابا ، وضعفاؤها أربابا ، وإذا أعظمُهم عليه ، أحْوَجهم إليه ، وأبْعَدهم منه ، أَحْظَاهم عنده ، قد مَحَضَتْه العربُ وِدادَها ، وأصْفَتْ له فُؤادَها ، وأعطته قيادَها ، دونـكم يامعشرَ قريش ابن أبيكم ، كونوا له ولاةً ولحزبه حُمَاةً ، واللهِ لايسلك أحدٌ منكم سبيلَه إلا رَشَد ، ولا يأخذ أحد بهَدْيه إلا سَعِد ، ولوكان لنفسى مدة ، ولأجلى تأخير ، لـكَفَفْتُ عنه الْهَزَاهِز(٢) ، ولدافعتُ عنه الدَّوَاهى ، ثم هلك :

تفسير المشى فى سورة ص :

فصل : وذكر ماأنزل الله تعالى فى قولهم : ﴿ أنِ امْشُوا ، واصْبِروا على آلهتِكم ﴾ وذكر بعض أهل التفسير أن قولهم : امْشُوا من الْمَشَاء ، لامن الْمَشْيِ والْمَشَاء : نَماء المـال وزيادته ، يقال مَشَى الرجلُ ، وأَمْشَى : إذا نَما مالُه. قال الشاعر :

وكُلُّ فَتىً وإن أَمْشَى وأثْرَى ... سَتَخْلِجُهُ عن الدُّنيامَنُون(٣)

---

(١) جمع : صعلوك : الفقير

(٢) الهزاهز : الفتن يهتز فيها الناس . وفى الأصل : عند الهزاهر وهو خطأ

(٣) البيت للنابغة الذبيانى ، وبعده :

وكل فـتى بما عملت يداه ... وما أجرت عوامـله رهين

رفع المسلم غفر الله له ولوالديه

. . . .

وقال الراجز :

والشَّاةُ لَا تَمْشِي على الْهَمَلَّعِ(١)

أى : لاتَـكْثُر ، والْهَمَلَّعُ : الذئب ، وقاله الخطابى فى معنى الآية ، كأنهم أرادوا أن الْمَشَاءَ والبركة فى صبرهم على آلهتهم ، وحَمْلُهَا على الْمَشْى أظهر فى اللغة ، والله أعلم .

تتابع المصائب بموت خديجة :

وذكر تَتَابُعَ المصائبِ على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بموت خديجة ثم بموت عمه ، وذكر الزبير فى حديث أسنده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على خديجةَ ، وهى فى الموت ، فقال : تـكرهين ما أرى منك ياخديجة ،

---

(١) الرجز غير منسوب فى اللسان إلى أحد فى مادتى هملع ، ومادة مشى ، وهو فى هذه هكذا :

مثلى لا تحسن قولا فعفعى
العير لا يمشى مع الهملع
لا تأمرينى ببنات أسـفع

يعنى الغنم . وأسفع : اسم كبش

وفى مادة هملع :

لاتأمرينى ببنـات أسفع
فالشاة لا تمشى مع الهملع

والهملع والسملع : الذئب الخفيف ، وقوله لاتمشى مع الهملع ، أى : لا تـكثر مع الذئب .

الرسول يسعى إلى الطائف

قال ابن إسحاق : ولما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم من الأذى مالم تكن تنال منه فى حياة عمّه أبى طالب، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف، يلتمس النُّصرة من ثقيف، والمَنعة بهم من قومه ، ورجاء أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله عزّ وجلّ، فخرج إليهم وحدَه .

موقف ثقيف من الرسول صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : فحدثني يزيد بن زياد، عن محمد بن كعب القُرظى، قال : لما انتهى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف، عَمَد إلى نفر من ثقيف، هم يومئذ سادةُ ثقيف وأشرافهم، وهم إخوة ثلاثه : عَبْد ياليْل بن عمرو بن عُمير، ومسعود بن عَمرو بن عُمير، وحَبيب بن عمرو بن عُمير بن عوف بن

وقد يجعل الله فى الكره خيرا أشعرت أن الله قد أعلمنى أنه سيُزَوِّجنى معك فى الجنة مريمَ ابنةَ عِمْران، وكُلْثُوم أخت موسى، وآسية امرأةَ فِرْعَوْن، فقالت. آلله أعلمَك بهذا يارسول الله ؟ فقال: نعم، فقالت : بالرفاء والبنين، وذكر أيضاً فى الحديث أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أطعمَ خديجةَ من عِنَبِ الجنة (١) .

---

(١) ليس لهذا سند صحيح

عُقْدة بن غِيَرَة بن عَوْف بن ثقيف ، وعند أحدهم امرأة من قُرَيش من بنى جُمَح ، فجلس إليهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فدعاهم إلى الله ، وكلَّمهم بما جاءهم له من نُصرته على الإسلام ، والقيام معه على من خالفه من قومه ؛ فقال له أحدهم : هو يَمْرُط ثيابَ الكعبة إن كان الله أرسلك ؛ وقال الآخر : أما وجد الله أحداً يُرسله غيرك ! وقال الثالث : والله لا أكلمك أبداً . لئن كنتَ رسولاً من الله كما تقول ، لأنت أعظم خطرا من أن أرُدّ عليك الكلام ، ولئن كنت تكذب على الله ، ماينبغى لى أن أكلِّمك . فقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من عندهم وقد يئس من خير ثقيف ، وقد قال لهم — فيما ذُكر لى — : إذا فعلتم مافعلتم فاكتُموا عنى ، وكَره رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن يبلغ قومَه عنه ، فيُذْئِرهم ذلك عليه . قال ابن هشام : قال عَبيد بن الأبرص :

ولقَدْ أتانى عَن تَمـيم أنهُم ۝ ذَئِرُوا لقَتْلَى عامِر وتعصّبوا

فلم يفعلوا ، وأغرَوا به سفاءهم وعَبيدَهم ، يسبونه ويَصيحون به ، حتى اجتمع عليه الناس ، وألجئوه إلى حائط لعُتبة بن ربيعة وشَيْبة بن ربيعة ، وهما فيه ، ورجع عنه من سفهاء ثَقيف من كان يتبعه ، فعَمَد إلى ظلّ حَبَلة من عنب ، فجلس فيه . وابنا ربيعة ينظران إليه ، ويَرَيان مالقى من سُفهاء أهل الطائف ، وقد لقى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم — فيما ذُكر لى — المرأةَ التى من بنى جُمَح ، فقال لها : ماذا لَقِينا من أحمائك ؟

فلما اطمأنّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قال : فيما ذُكر لى : اللّهمّ إليك أشكو ضَعْف قُوّتى ، وقِلَّة حيلتى ، وهَوانِى على الناس ، يا أرحم الراحمين ،

أنت ربّ المستضعفين ، وأنت ربى ، إلى مَنْ تَـكِلُنى ؟ إلى بعيد يتجهّمنى ؟ أم إلى عدوّ مَلَّـكْتَه أمرى ؟ إن لم يكن بك علىّ غَضَب فلا أُبالى ، ولـكن عافيتَك هى أوسع لى ، أعوذ بنور وَجْهك الذى أشرقتْ له الظُّلمات ، وصَلَح عليه أمرُ الدنيا والآخرة من أنْ تُنزل بى غضَبك ، أو يحلّ علىّ سُخْطك ، لك العُتبى حتى تَرْضَى ، ولاحول ولاقوّة إلا بك .

قال : فلما رآه ابنا رَبيعة ، عُتْبةُ وشَيْبةُ ، ومالَقِى ، تحرّكت له رَحِمُهُما فدَعَوَا غلاما لهما نَصرانيا ، يقال له عدَّاس فقالا له : خذ قِطْفا من العنب ، فضَعْه فى هذا الطَّبق ، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل ، فقل له يأ كل منه . ففعل عَدّاسٌ ، ثم أقبل به حتى وَضعه بين يدى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم قال له : كُل ، فلمَّا وضع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فيه يَده ، قال : باسم الله ، ثم أ كل ، فنظر عَدّاس فى وجهه ، ثم قال : والله إن هذا الـكلامَ مايقوله أهلُ هذه البلاد ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ومِنْ أهل أىّ البلاد أنت ياعَدّاس ، وما دينك ؟ قال : نَصْرَانى ، وأنا رجل من أهل نِينوى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قرية الرجل الصالح يونس بن متى ؟ فقال له عَدّاس : وما يُدْريك ما يونسُ بن متى ؟ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ذاك أخى ، كان نبيًّا وأنا نبى ، فأ كبّ عدّاس على رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبِّل رأسَه ويدَيْه وقَدَميه .

قال : يقول ابنا ربيعة أحدُهما لصاحبه : أمَّا غُلامك فقد أفسده عليك . فلما جاءهما عدّاس ، قالا له : ويلك ياعدّاس ! مالك تقبِّل رأسَ هذا الرجل ويدَيه وقدميه ؟ قال : ياسيدى مافى الأرض شىء خير من هذا ، لقد أخبرنى

بأمر مايَعلمه إلا نبىّ ، قالا له : ويحك ياعدّاس ، لا يَصْرفنّك عن دينك ، فإنّ دينَك خير من دينه .

أمر جن نصيبين

قال : ثم إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - انصرف من الطائف راجعا إلى مكةَ ، حين يئِس من خَيْر ثقيف ، حتى إذا كان بنَخلة قام من جَوْف الليل يصلى ، فمرّ به النَّفر من الجنّ الذين ذكرهم الله تبارك وتعالى ، وهم — فيما ذكر لى — سبعة نفر من جنّ أهل نَصِيبِين فاستمعوا له ، فلما فرَغ من صلاته ولَّوْا إلى قومهم منذرين ، قد آمنوا وأجابوا إلى ماسمعوا . فقصّ الله خبرَهم عليه صلى الله عليه وسلم ، قال الله عزّ وجلّ ﴿ وَإِذْ صرَفْنا إِلَيْكَ نَفَراً مِنَ الجِنّ يَسْتَمِعونَ القرآنَ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ ويُجِرْكُمْ مِنْ عَذابٍ أَلِيمٍ ﴾ وقال تبارك وتعالى : ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيّ أَنّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الجِنّ ﴾ إلى آخر القصة من خبرهم فى هذه السورة .

عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه على القبائل

قال ابن إسحاق : ثم قَدم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مكة ، وقومُه أشد ما كانوا عليه من خِلافه وفراق دينه ، إلا قليلا مُسْتضعَفين ، ممن آمن به . فكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يَعْرض نفسَه فى المَواسم ، إذا كانت ،

رفع المساهم

على قبائل العرب يدعوهم إلى الله ، ويخبرهم أنه نبيّ مُرْسَل ، ويسألهم أن يصدّقوه وَيمنعوه حتى يبين عن الله مابعثه به .

قال ابن إسحاق : فحدثنى من أصحابنا ، من لاأتّهم ، عن زَيد بن أَسْلَمَ عن ربيعة بن عِبَادِ الدِّيلى أو مَن حدثه أبو الزناد عنه ــ قال ابن هشام : ربيعة ابن عِبَاد .

قال ابن إسحاق : وحدثنى حُسَين بن عبد الله بن عُبيد الله بن عبّاسٍ ، قال : سمعت ربيعة بن عبَاد ، يحدثه أبى ، قال : إنى لغلام شاب مع أبى بِمِنَى ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقف على منازل القبائل من العرب ، فيقول : يابنى فلان ، إنى رسولُ الله إليكم ، يأمركم أن تَعْبُدوا الله ولاتشركوا به شيئا ، وأن تَخْلَعُوا ماتعبدون من دونه من هذه الأنْداد ، وأن تؤمنوا بى ، وتصدّقوا بى ، وتمنعونى ، حتى أُبَيِّن عن الله مابعثنى به . قال : وخَلْفه رجل أحْوَلُ وَضِىء ، له غَدِيرَتان عليه حُلَّة عَدَنيَّة ، فإذا فرغ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من قوله ، وما دعا إليه ، قال ذلك الرجل : يابَنى فلان ، إنّ هذا إنما يدعوكم أن تسلُخوا اللات والعُزّى من أعناقكم ، وحلفاءكم من الجنّ من بَنى مالك ابن أُقَيْش ، إلى ماجاء به من البِدْعة والضلالة ، فلاتُطيعوه ، ولاتسمعوا منه .

قال : فقلت لأبى : ياأبت ، مَن هذا الذى يتبعه ويردّ عليه مايقول ؟ قال : هذا عمّه عبد العُزّى بن عبد المطّلب ، أبو لهب .

قال ابن هشام : قال النابغة :

رفع
المسلم
عبدالله الرحمن الدين

كأنك مِنْ جمال بَنِى أُقَيْشٍ يُقَعْقَعُ خلفَ رجْلَيه بِشَنِ

قال ابن إسحاق : حدثنا ابنُ شهاب الزهرىّ : أنه أتى كِنْدة فى منازلهم، وفيهم سيِّدلهم يقال له : مُلَيح ، فدعاهم إلى اللهعزّ وجلّ ، وعرَض عليهم نفسَه، فأبَوْا عليه .

العرض على بنى كلب

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حصين : أنه أتى كَلْبا فى منازلهم ، إلى بَطْن منهم يقال لهم: بنو عبد الله ، فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسَه ، حتى إنه ليقولُ لهم : يابنى عبد الله ، إن الله عزّ وجلّ قد أحسن اسم أبيكم ، فلم يقبلوا منه ماعرض عليهم .

العرض على بنى حنيفة

قال ابن إسحاق: وحدثنى بعضُ أصحابنا عن عبدالله بن كعب بن مالك : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بنِى حَنيفة فى منازلهم ، فدعاهم إلى الله وعَرض عليهم نفسه ، فلم يكن أحدٌ من العرب أقبحَ عليه ردا منهم .

العرض على بنى عامر

قال ابن إسحاق : وحدثنى الزهرى أنه أتى بَنى عامر بن صَعْصعة ، فدعاهم إلى الله عزّ وجلّ ، وعَرض عليهم نفسَه ، فقال له رجل منهم ـ يقال له :

بَيْحَرة بن فِرَاس . قال ابن هشام : فِراس بنُ عبد الله بن سَلمة بن قُشَير ابن كَعْب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصعة : والله ، لو أنى أخذت هذا الفتى من قُريش ، لأكلتُ به العربَ ، ثم قال : أرأيتَ إن نحن تابعناك على أمرك ، ثم أظهرك اللهُ على من خالفك ، أيكون لنا الأمر من بعدك ؟ قال : الأمرُ إلى الله يَضعه حيث يشاء ، قال : فقال له : أفَنُهدِف نحورنا للعرب دونك ، فإذا أظهرك الله كان الأمرُ لغيرنا ! لاحاجة لنا بأمرك ، فأبَوْا عليه .

فلما صدر الناسُ رجعتْ بنو عامر إلى شيخ لهم ، قد كانت أدركته السن ، حتى لايقدر أن يُوافِيَ معهم المواسمَ ، فكانوا إذا رجَعوا إليه حدَّثوه بما يكون فى ذلك المَوْسم ، فلما قَدموا عليه ذلك العامَ سألهم عمَّا كان فى مَوْسمهم ، فقالوا : جاءنا فَتًى من قُريش ، ثم أحَدُ بنى عبد المطَّلب ، يزعم أنه نَبىّ ، يدعونا إلى أن نمنعه ونقومَ معه ، ونخرج به إلى بلادنا . قال : فوضع الشيخ يَدَيْه على رأسه ثم قال : يابَنى عامر ، هل لها من تَلاف ، هل لِذُنَابَاها من مَطْلب ، والذى نَفْسُ فلان بيده ، ما تَقَوَّلها إسماعيلىّ قَطّ ، وإنها لحقّ ، فأين رأيُكم كان عنكم .

عرض على العرب فى المواسم

قال ابن إسحاق : فكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على ذلك من أمره ، كلما اجتمع له الناسُ بالمَوْسم أتاهم يدعو القَبائلَ إلى الله وإلى الإسلام ، ويَعْرض عليهم نفسَه ، وماجاء به من الله من الهُدى والرحمة ، وهو لايسمع

بقادم يقدَم مكةَ من العرب ، له اسمٌ وشرف ، إلا تصدّى له ، فدعاه إلى الله ، وعرَض عليه ماعنده .

حديث سويد بن صامت

قال ابن إسحاق: وحدثنى عاصم بن عُمر بن قَتادة الأنصاريّ ، ثم الظَّفرىّ عن أشياخ من قومه ، قالوا :

قَدم سُوَيد بن صامت ، أخو بنى عمرو بن عَوْف، مكةَ حاجًّا أو مُعتمرا، وكان سُوَيد إنما يسمِّيه قومُه فيهم : الكاملَ ، لجَلَده وشعره وشَرفه ونَسبه، وهو الذى يقول :

ألا رُبَّ مَن تدعو صَديقا ولو ترى ... مقالَته بالغَيبِ ساءك ما يَفْرى

مقالَتُه كالشَّهد ما كان شاهداً ... وبالغَيْب مأثورٌ على ثُغْرة النحر

يَسُرُّك باديه وتحت أديمِه ... نميمةُ غشٍّ تَبْتَرى عَقبَ الظَّهْر

تُبين لك العَيْنان ماهو كاتمٌ ... من الغِلِّ والبَغْضاء بالنظَر الشزْر

فَرِشْنى بخيرٍ طالما قد بَرَيْتَنِى ... وخيرُ الموالى من يَريش ولا يَبْرى

وهو الذى يقول : ونافر رجلاً من بنى سُلَيم ، ثم أحد بنى زُعْبِ بن مالك مئة ناقة ، إلى كاهنة من كُهّان العرب ، فقضتْ له . فانصرف عنها هو والسُّلمىّ ليس معهما غيرها ، فلما فرّقت بينهما الطريقُ ، قال : مالى ، يا أخا بنى سُلَيم قال : أبعثُ إليك به ؛ قال : فمن لى بذلك إذا فُتَّنى به ؟ قال : أنا ،

قال : كلا ، والذى نفس سُوَيدٍ بيده ، لاتفارقَنِّى حتى أوتى بمالى ، فاتَّخذا فضرب به الأرضَ ، ثم أوثقه رباطا ثم انطلق به إلى دار بَنى عمرو بن عوف ، فلم يزل عنده حتى بعثتْ إليه سُليم بالذى له ، فقال فى ذلك :

لاتحسبَنِّى يابن زُغْبِ بن مالك كمن كنتَ تُرْدى بالغيوب وتَخْتِلُ

تحوّلت قِرْنا إذ صُرعتَ بعزّة كذلك إنّ الحازمَ المتحوّل

ضَرَبتُ به إبْطَ الشِّمال فلم يزَل على كلّ حال خدّه هو أسفل

فى أشعار كثيرة كان يقولها .

فتصدّى له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به ، فدعاه إلى الله وإلى الإسلام ، فقال له سُوَيد : فلعلّ الذى معك مثلُ الذى معى ، فقال له رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم : وما الذى معك ؟ قال مجَلَّة لقمان — يعنى حكمة لقمان . فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : اعرضها علىّ فعَرَضها عليه ، فقال له : إن هذا الكلامُ حَسَنٌ ، والذى معى أفضلُ من هذا ، قرآن أنزله الله تعالى علىّ ، هو هُدًى ونور . فتلا عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم القرآن ، ودعاه إلى الإسلام ، فلم يَبْعُد منه ، وقال : إن هذا لقولٌ حسن . ثم انصرف عنه ، فقدم المدينة على قومه ، فلم يلبث أن قتلته الخزْرج ، فإن كان رجالٌ من قومه ليقولون : إنا لنراه قد قُتل وهو مُسْلم . وكان قَتْله قبل يوم بُعاث .

إسلام إياس بن معاذ وقصة أبى الحيسر

قال ابن إسحاق : وحدثنى الحُصَين بن عبد الرحمن بن عَمرو بن سعد ابن مُعاذ عن محمود بن لَبيد ، قال : لما قَدِم أبو الحَيْسَر ، أنس بن رافع ، مكةَ ومعه فِتْية من بنى عَبْد الأشهل ، فيهم إياس بن مُعاذ ، يلتمسون الحِلْف من قريش على قومهم من الخزرج ، سَمِعَ بهم رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — فأتاهم فجلس إليهم ، فقال لهم : هل لكم فى خير مما جئتم له ؟ فقالوا له : وماذاك؟ قال : أنا رسولُ الله بعثنى إلى العباد ، أدعوهم إلى أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئا ، وأنزل علىّ الكتاب . قال : ثم ذكر لهم الإسلام ، وتلا عليهم القرآن . قال : فقال إياس ابن مُعاذ ، وكان غلاما حَدثا : أى قوم ، هذا والله خيرٌ مما جئتم له . قال : فيأخذ أبو الحَيْسر ، أنسُ بن رافع ، حَفْنة من تراب البطحاء ، فضرب بها وجهَ إياس بن مُعاذ ، وقال : دَعْنا منك ، فلَعَمْرى لقد جئنا لغير هذا . قال : فصمت إياس ، وقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عنهم ، وانصرفوا إلى المدينة ، وكانت وقعة بُعَاث بين الأوس والخزرج .

قال : ثم لم يلبث إياس بن مُعاذ أن هلك . قال محمود بن لبيد : فأخبرنى مَنْ حَضَره من قومه عند موته : أنهم لم يزالوا يسمعونه يهلِّل الله تعالى ويكبِّره ويحمده ويُسَبِّحه حتى مات ، فما كانوا يشكون أنْ قد مات مسلما ، لقد كان استشعر الإسلام فى ذلك المجلس ، حين سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم ماسمع .

الرسول مع نفر من الخزرج عند العقبة

قال ابن إسحاق : فلما أراد الله عزّ وجلّ إظهارَ دينه ، وإعزاز نبيِّه صلى الله عليه وسلم ، وإنجاز موعده له ، خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فى المَوْسم الذى لقيه فيه النَّفرُ من الأنصار ، فعرض نفسَه على قبائل العرب ، كما كان يصنع فى كلّ مَوْسم . فبينما هو عند العقبة لَقِى رهطا من الخزرج أراد الله بهم خيراً .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عُمر بن قَتادة ، عن أشياخ من قومه ، قالوا : لما لقيهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، قال لهم : من أنتم ؟ قالوا : نَفَر من الخزرج ، قال : أمِنْ موالى يهود ؟ قالوا : نعم ، قال : أفلا تجلسون أُكلِّمكم ؟ قالوا : بلى . فجلسوا معه ، فدعاهم إلى الله عزّ وجلّ ، وعَرَض عليهم الإسلامَ ، وتلا عليهم القرآن . وكان مما صنع الله لهم به فى الإسلام ، أن يهود كانوا معهم فى بلادهم ، وكانوا أهل كتاب وعِلْم ، وكانوا هم أهلَ شرك وأصحابَ أوثان ، وكانوا قد عزُّوهم ببلادهم ، فكانوا إذا كان بينهم شىء قالوا لهم : إن نَبِيًّا مبعوثٌ الآن ، قد أظل زمانه ، نتَّبعه فنقتلكم معه قتلَ عاد وإرَم . فلما كلَّم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أولئك النفر ، ودعاهم إلى الله ، قال بعضُهم لبعض : ياقوم ، تعلَّموا والله إنه للنبىّ الذى توعَّدكم به يهود ، فلا تسبقُنَّكم إليه . فأجابوه فيما دعاهم إليه ، بأن صدّقوه وقَبِلوا منه ماعَرَض عليهم من الإسلام ، وقالوا : إنا قد تركنا قومَنا ، ولاقوم بينهم من العداوة

والشرّ ما بينهم ، فعسى أن يجمعهم الله بك ، فسنقدَم عليهم ، فندْعوهم إلى أمرك ، وتَعرض عليهم الذى أجبناك إليه من هذا الدّين ، فانْ يجمعهم الله عليه فلا رجل أعزّ منك .

ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين إلى بلادهم ، وقد آمنوا وصدّقوا .

أسماء الخزرجيين الذين التقوا بالرسول عند العقبة

قال ابن إسحاق : وهم ـ فيما ذُكر لى : ستة نفر من الخزرج ، منهم من بنى النجار ـ وهو تَيْم الله ـ ثم من بنى مالك بن النجّار بن ثعلبة بن عَمْرو بن الخزرج بن حارثة بن عمرو بن عامر : أسعدُ بن زُرَارةَ بن عُدَس بن عُبيد ابن ثعلبة بن غَنْم بن مالك بن النَّجار ، وهو أبو أمامة ، وعوفُ بن الحارث ابن رفاعة بن سَوَاد بن مالك بن غَنْم بن مالك بن النَّجار ، وهو ابن عَفراء .

قال ابن هشام : وعَفراء بنتُ عُبَيد بن ثَعْلبة بن عُبَيد بن ثعلبة بن غَنْم ابن مالك بن النَّجار .

قال ابن إسحاق : ومن بنى زُرَيق بن عامر بن زُرَيق بن عَبْد حارثة بن مالك بن غَضْب بن جُشَم بن الخزرج : رافعُ بن مالك بن العَجْلان بن عَمرو بن عامر بن زُرَيق .

قال ابن هشام : ويقال عامر بنُ الأَزْرق .

قال ابن إسحاق : ومن بنى سَلِمة بن سَعْد بن علىّ بن ساردة بن تزيد ابن جُشَم بن الخزرج ، ثم من بنى سَواد بن غَنْم بن كَعْب بن سَلمة : قُطْبَةُ ابن عامر بن حَدِيدة بن عمرو بن غَنْم بن سَواد .

قال ابن هشام : عمرو بنُ سواد ، وليس لسَواد ابنٌ يقال له : غَنم .

قال ابن إسحاق : ومن بنى حَرَام بن كَعْب بن غَنْم بن كَعْب بن سَلَمة : عُقْبَةُ بن عامر بن نابى بن زَيْد بن حَرام .

ومن بنى عُبَيد بن عَدىّ بن غَنْم بن كَعْب بن سلَمة : جابر بن عبد الله ابن رِئاب بن النُّعمان بن سِنَان بن عُبَيد .

فلما قَدِمُوا المدينةَ إلى قومهم ذَكَروا لهم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ودَعَوهم الى الإسلام حتى فشا فيهم ، فلم يبقَ دارٌ من دُور الأنصار إلا وفيها ذكرٌ من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

خروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى الطائف

وسنذكر السبب فى تسميتها بالطائف ، وأن الدمون !! رجل من الصَّدِف من حَضْرَمَوْتَ نزلها ، فقال لأهلها . ألا أبنى لكم حائطا يطيف ببلدتكم فبناه ، فسميت : الطائف ، وقيل غير ذلك مما سنذكره .

وقوله : فَيُذْئِرها عليه ، قد فسره ابن هشام ، وأنشد :

ذَئِرُوا لقتلَى عامرٍ وتَعصَّبوا

. . . .

وفى الحديث لما نهى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن ضرب النساء قال: ذئِر النساء على أزواجهن، وفسره أبو عبيد بالنُّشُوز على الأزواج ، وأنشد البيت الذى أنشده ابن هشام ، ومعنى كلامهما واحد .

وذكر مالقى من أشراف ثَقِيفٍ ، وذكر موسى بن عقبة زيادةً فى الحديث حين أَغْرَوْا به سفهاءَهم ، قال : وكان يمشى بين سِماطين منهم ، فكلما نقلوا قدما ، رَجَموا عَراقيبَه بالحجارة ، حتى اختضب نعلاه بالدماء ، وذكر التَّيْمِىُّ كما ذكر ابن عقبة، وزاد قال : كان إذا أَذْلَقَتْه[1] الحجارةُ ، قعد إلى الأرض، فيأخذون بِعَضِديه[2] ، فيقيمونه فاذا مشى رَجَموه ، وهم يضحكون حتى انتهى إلى الموضع الذى ذكره ابن إسحاق من حائط عُتْبة وشَيْبَة .

قال ابن إسحاق : فجلس إلى ظل حَبَلة ، والحَبَلَةُ الكَرْمة ، اشتق اسمُها من الحَبَل ، لأنها تحمل بالعنب ، ولذلك فتح حَمْل الشجرة والنخلة ، فقيل : حَمْل بفتح الحاء تشبيها بحَمْل المرأة ،وقد يقال فيه : حِمْل بالكسر تشبيها بالحِمْل الذى على الظهر[3] ، ومن قال فى الكرمة حَبْلة بسكون الباء،فليس بالمعروف ،

---

(١) فى النهاية لابن الأثير : « فى حديث ماعز : فلما أذلقته الحجارة جمز وفر ، أى بلغت منه منتهى الجهد حتى قلق»

(٢) فيها أربع لغات : كسر الضاد وضمها وسكونها مع فتح العين ، وبضم العين مع سكون الضاد

(٣) فى إصلاح المنطق لابن السكيت : الحمل - بفتح الحاء - ما كان فى بطن ، أو على رأس شجرة ، وجمعه أحمال ، والحمل - بكسر الحاء - ما حمل على ظهر أو رأس

رفع
المسهم

. . . .

وقد قال أبو الحسن بن كَيْسان في نَهْي النبي صلى الله عليه وسلم عن بَيْع حَبَلِ الحَبَلَةِ[1]، إنه بيع العنب قبل أن يَطيب ، كما جاء في الحديث الآخر من نَهْيه عن بيع التمر قبل أن يبدو صلاحُه ، وهو قول غريب لم يذهب إليه أحد في تأويل الحديث ، وقد قال عمر بن الخطاب في الأَرضِين التي افتتحت في زمانه ـ وقد قيل له : قسمها على الذين افتتحوها ـ فقال : والله لأدعَنّها حتى يجاهدَ بها حَبَل الحَبَلَة ، يريد : أولادَها في البطون. ذكره أبو عبيد في كتاب الأموال. والقول الذي ذكره أبو الحسن في حَبَل الحَبلَة وقع في كتاب الألفاظ ليعقوب وإنما أشكل عليه وعلى غيره دخولُ الهاء في الحَبَلَة ، حتى قالوا فيه أقوالا كلها هَباء ، فمنهم من قال : إنما قال الحَبَلَة لأنها بهيمة أو جَنينة ، ومنهم من قال : دخلت للجماعة ، ومنهم من قال : للمبالغة ، وهذا كله ينعكس عليهم بقوله : حَبَل الحَبلَة ، فإنه لم تدخل التاء إلا في أحد اللفظين دون الثاني ، وتبطل أيضاً على من قال أراد : معنى البهيمة بحديث عمر المتقدم ، وإنما النكتة في ذلك أن الحَبَل مادام حَبَلا لايدرى : أذكرٌ هُو أم أنثى ، لمُ يسَمَّ حَبَلاً ، فإذا كانت أنثى ، وبلغت حد الحمل ، فحبلت فذاك الحبل هو الذي نهى عن بيعه. والأول قد علمت أنوثته بعد الولادة ، فعبر عنه بالحبلة ، وصار معنى الكلام أنه نهى عن بَيْع حَبَل الجَنينَة التي كانت حَبَلاً لايعرف ماهي ، ثم عرف بعد الوضع ، وكذلك في الآدميين ، فإذاً لايقال لها : حبلة إلا بعد المعرفة بأنها أنثى.

---

(١) في القاموس : الحبلة ـ بضم الحاء ـ الكرم أو أصل من أصوله. والحبل محركة : شجر العنب ، وربما سكن

وعند ذكر الحبل الثانى لأن هذه الأنثى قبل أن تحبل ، وهى صغيرة : رِخْلى ، وتسمى أيضا حائلا وأشباه ذلك ، وقد زال عنها أسم الحبل فإذا حبلت ، وذكر حملها وازدوج ذكره مع الحالة الأولى التى كانت فيها حبلا فُرِّق بين اللفظين بتاء التأنيث ، وخص اللفظ الذى هو عبارة عن الأنثى بالتاء دون اللفظ الذى لايُدرى ماهو : أذكر أم أنثى ، وقد كان المعنى قريبا والمأخذ سهلا لايحتاج إلى هذه الإطالة لولا ماقدمناه من تخليطهم فى تأويل هذا الكلام الفصيح البليغ الذى لاَيقْدُر قَدْرَه فى البلاغة إلا عالم بجوهر الكلام .

نور الله ووجهه

فصل : وذكر دعاءه ـ عليه السلام ـ عند الشدة ، وقوله : اللهم إنى أشكو إليك ضَعْفَ قُوَّتى وقلةَ حيلتى إلى آخر الدعاء ، وفيه : أعوذ بنور وجْهك الكريم الذى أشرقت به الظلماتُ ، وصَلَح عليه أمرُ الدنيا والآخرة ، ويُسأل عن النور هنا ، ومعنى الوجه ، وإشراق الظلمات ، أما الوَجْه إذا جاء ذكره فى الكتاب والسنة ، فهو ينقسم فى الذِّكر إلى موطنين : موطن تقرب واسترضاء بعمل ، كقوله تعالى : ﴿ يُريدون وَجْهَه ﴾ وكقوله : ﴿ إلاَّ ابْتِغاء وَجْه رَبِّه الأعلى ﴾ فالمطلوب فى هذا الموطن : رضاه وقُبوله للعمل ، وإقباله على العبد العامل ، وأصله أن من رضى عنك ، أقبل عليك ، ومن غضب عليك أعرض عنك ، ولم يُرِكَ وَجْهَه ، فأفاد قولُه : بوجهك هاهنا معنى الرضى والقبول ، والإقبال ، وليس بصلة فى الكلام كما قال أبو عبيدة لأن قوله ذلك هُراء من القول ، ومعنى الصلة عنده : أنها كلمة لاتفيد إلا تأكيداً للكلام ،

رفع
المسهم

وهذا قولُ من غَلُظ طبعُه وبَعُد بالعُجْمَةِ عن فهم البلاغَةِ قلبُه وكذلك قال هو ومن قَلَّده فى قوله تعالى : ﴿ وَيَبْقى وَجْهُ رَبِّك ﴾ الرحمن : ٢٧ أى يبقى رَبُّك، وكُلُّ شىء هالك إلا وجهه، أى : إلا إيَّاه ، فعلى هذا قد خلا ذكر الوجه من حِكْمةٍ ، وكيف تخلو كلمة منه من الحكمة ، وهو الكتاب الحكيم ، ولكن هذا هو الموطن الثانى من مواطن ذكر الوجه ، والمعنى به ماظهر إلى القلوب والبصائر من أوصاف جلاله ومجده ، والوَجْهُ لغةً ماظهر من الشىء معقولاً كان أو محسوسا ، تقول : هذا وجهُ المسألة ، ووجْهُ الحديث ، أى : الظاهر إلى رأيك منه ، وكذلك الثوب ماظهر إلى بصرك منه ، والبصائر لاتحيط بأوصاف جلاله ، ومايظهر لها من ذلك أقل مما يغيب عنها ، وهو الظاهر والباطن ـ تعالى وجَلَّ ـ وكذلك فى الجنة نظر أهلها إلى وجهه سبحانه إنما هو نظر إلى مايَرَوْن من ظاهر جلاله إليهم عند تجليه ، ورفع الحجاب دونهم ، ومالا يدركون من ذلك الجلال أكثر مما أدركوا .

وقوله سبحانه : ﴿ كُلُّ مَنْ عليها فانٍ ، ويبقى وَجْهُ ربك ذو الجَلَال والإكرام ﴾ الرحمن : ٢٦ ، ٢٧ لما كانت السموات والأرض ، قد أظهرت من قُدرته وسلطانه، ما أظهرت أخبر تعالى أَن فناءها لا يُغيِّر ما علم من سلطانه وظهر إلى البصائر من جلاله ، فقد كان ذلك الجلالُ قبل أن يخلُقَها ، وهو باقٍ بعد فنائها كما كان فى القِدَم، فهو ذو الجلال والإكرام، قال الحسن : معناه : تَجَلَّل بالبهاء وأكرم من شاء بالنظر إلى وجهه أما الأشعرى فذهب فى معنى الوجه إلى ماذهب فيه من معنى العين واليد ، وأنها صِفَاتٌ لله تعالى لم تُعْلَم من جهة

. . . .

المعقول ، ولا من جهة الشرع المنقول ، وهذه عُجمةٌ أيضاً فإنه نزل بلسان عربي مبين ، فقد فهمته العربُ لما نزل بلسانها ، وليس في لغتها أن الوجهَ صفةٌ ولا إشكال على المؤمن منهم ، ولا على الكافر في معنى هذه الآى التي احتيج آخر الزمان إلى الكلام فيها مع العجمان ، لأن المؤمن لم يخش على عقيدته شكاً ولا تشبيها ، فلم يستفسر أحدٌ منهم رسولَ الله عليه السلام ، ولا سأله عن هذه الآية التي هي اليوم مشكلة عند عوام الناس[1] ، ولا الكافر في ذلك

---

(١) كلامه هنا جيد ، ولقد سأل الصحابة عن المحيض ، والأنفال واليتامى ، والقتال في الشهر الحرام ، وعن الخمر والميسر ، وعما ينفقون ، وعن غير ذلك كما بين كتاب الله ، والمتدبر لما أثبته القرآن من أسئلتهم لا يجد من بينها سؤالا عن عين الله أو وجهه أو يديه مما يؤكد أنهم آمنوا بأن لله سبحانه كل هذا الذي ذكر في القرآن ، وأنهم آمنوا بأن ما يضاف إلى الخلاق لا يمكن أن يكون مشبها لما يضاف إلى المخلوق ، لأن الله يقول (ليس كمثله شيء) ولأن العقل الصحيح يحيل ذلك

أما الأشعرى فهو على بن إسماعيل بن إسحاق وكنيته أبو الحسن ولد بالبصرة سنة ٢٧٠ هـ . أو ٢٦٠ هـ وقد أقام على دين المعتزلة قرابة أربعين عاما ، ثم غاب عن الناس مدة خمسة عشر يوما ، ثم خرج إلى المسجد الجامع بالبصرة ، فصعد على منبره ونادى بصوت جهورى : أنا فلان بن فلان ، اشهدوا على أنى كنت على غير دين الإسلام ، وأنى قد أسلمت الساعة . وأنى تائب مما كنت أقول بالاعتزال ، ثم نزل ، ومضى يؤلف الكتب ضد المعتزلة والرافضة والجهمية والخوارج ، ولكن كان لايزال يعانى مسا من الاعتزال بدا في تأويله لبعض الصفات فكان مذهبه مزيجا من آراء المعتزلة وآراء المحدثين ، ثم انتهى به الأمر إلى تأييد مذهب أهل السنة في الصفات . وإليك ما انتهى إليه أمره في أمر الصفات الإلهية : « إن كثيرا من الزائغين عن الحق من المعتزلة ، وأهل القدر مالت بهم =

. . . .

= أهواؤهم إلى تقليد رؤسائهم ، ومن مضى من أسلافهم ، فتأولوا من القرآن على آرائهم تأويلا لم ينزل الله به سلطانا ، ولا أوضح به برهانا ، ولا نقلوه عن رسول رب العالمين ، ولا عن السلف المتقدمين ، فخالفوا روايات الصحابة عليهم السلام عن نبي الله صلوات الله عليه وسلامه في رؤية الله عز وجل بالأبصار ، ودفعوا أن يكون لله وجه مع قوله عز وجل : (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) وأنكروا أن يكون له يدان مع قوله : (لما خلقت بيدى) وأنكروا أن يكون له عين مع قوله (تجرى بأعيننا) ، (ولتصنع على عنى)

وبعد أن أصدر حكمه على مؤولة الصفات ومعطلتها بالزيغ قال : « فإن قال لنا قائل : قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة . فعرفونا قولكم الذى به تقولون وديانتكم التى بها تدينون ، قيل له : قولنا الذى نقوله به ، وديانتنا التى ندين بها : التمسك بكتاب ربنا عز وجل وبسنة نبينا « ص » ، وماروى عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ، ونحن بذلك معتصمون » ثم فصل معتقده تفصيلا واضحا ، ورد فى قوة على مؤولة الصفات ، وإليك بعض ماقاله : « فمن سألنا ، فقال : أتقولون : إن لله سبحانه وجها ؟ قيل له نقول ذلك خلافا لما قاله المبتدعون . وقد دل على ذلك قول الله عز وجل : (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) وإن سئلنا : أتقولون إن لله يدين ؟ قيل نقول ذلك ، وقد دل عليه قوله عز وجل : (يد الله فوق أيديهم) وقال عز وجل : (لما خلقت بيــــدى) وقال عز وجل : (بل يداه مبسوطتان) الخ . وقد ذكر كل هذا فى كتابه الإبانة تحت هذا العنوان « باب الكلام فى الوجه والعينين والبصر واليدين » كما فصل معتقده فى كتابه (مقالات الإسلاميين ، وقد ورد معتقده فى كتاب الإبانة من ص ٧ إلى ص ٤١ وهو مطبوع سنة ١٣٤٨ . أما فى مقالات الإسلاميين فقد ورد فى ص ٣٢٠ ومابعدها ح ١ من طبع النهضة . وانظر أيضاً تبيين كذب المفترى فيما نسب إلى الإمام أبى الحسن الأشعرى للامام ابن عساكر فقد فصل ماذكره الأشعرى فى الإبانة ، وانظر كتابى « الصفات الإلهية » فقد استقصيت فيه القول عن الصفات عن =

. . . .

الزمان لم يتعلق بها فى معرض المناقضة والمجادلة ، كما فعلوا فى قوله تعالى : ﴿إنكم

= أكثر أئمة الأشاعرة كالباقلانى والجوينى وابن فورك والرازى والغزالى .

هذا وقد فصل الإمام الجليل ابن القيم آراء المؤولة والمعطلة فى الصفات كتابه الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ط السلفية سنة ١٣٤٨ وإليك بعض ما ذكره باختصار « وجه الرب جل جلاله حيث ورد فى الكتاب والسنة ، فليس بمجاز بل على حقيقته ، واختلف المعطلون فى جهة التجوز فى هذا فقالت طائفة : لفظ الوجه زائد ، والتقدير : ويبقى ربك . . وقالت فرقة أخرى منهم الوجه بمعنى الذات ، وهذا قول أولئك وإن اختلفوا فى التعبير عنه ، وقالت فرقة : ثوابه ، وجزاؤه ، فجعله هؤلاء مخلوقا منفصلا ، قالوا : لأن المراد هو الثواب ، وهذه أقوال نعوذ بوجه الله العظيم من أن يجعلنا من أهلها » ثم ذكر الإمام ابن القيم مارد به عثمان بن سعيد الدرامى على بشر المريسى فقال : « لما فرغ المريسى من إنكار اليدين ونفيهما عن الله أقبل قبل وجه الله ذى الجلال والإكرام ، لينفيه عنه ، كما نفى عنه اليدين ، فلم يدع غاية فى إنكار وجه الله ذى الجلال والإكرام والجحود به حتى ادعى أن وجه الله الذى وصفه بأنه ذو الجلال والإكرام مخلوق ، لأنه ادعى أنه أعمال مخلوقه يتوجه بها إليه ، وثواب وإنعام مخلوق يثيب به العامل ، وزعم أنه قبلة الله ، وقبلة الله لاشك مخلوقة » ثم ذكر بالتفصيل مارد به الدارمى على المريسى لإثبات أن لله وجها حقيقة لا مجازا بستة وعشرين وجها منها : أن الصحابة رضى الله عنهم والتابعين وجميع أهل السنة والحديث والأئمة الأربعة وأهل الاستقامة من أتباعهم متفقون على أن المؤمنين يرون وجه ربهم فى الجنة ، وهى الزيادة التى فسر بها النبى « ص » والصحابة : (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) فروى مسلم فى صحيحه بإسناده عن النبى « ص » فى قوله : (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال : النظر إلى وجه الله تعالى ، فمن أنكر حقيقة الوجه ، لم يكن للنظر عنده حقيقة ولاسيما إذا أنكر الوجه والعلو فيعود النظر عنده إلى خيال مجرد ص ١٧٤ ومابعدها ح ٢ الصواعق المرسلة .

رفع
المستهم
عز الله له طال الدهر

. . . .

وما تَعبُدُون من دُون الله حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ الأنبياء : ٩٨ ولا قال أحدٌ منهم : يزعم محمد أن الله مايشبهه شيء من خلقه ، ثمَّ يُثْبت له وجها ويدين إلى غيرِ ذلك فدل على أنهم لم يرَوْا في الآية إشكالا ، وتلَقَّوا معانيها على غير التشبيه ، وعرفوا من سَمَانَةِ الكلام ، ومَلَاحة الاستعارة أنهُ مُعْجِزٌ ، فلم يَتَعاطَوْا له مُعارضة ، ولا توهَّموا فيه مُناقضة ، وقد أملينا في معنى اليدين والعين مسألةً بديعة جدا ، فلتنظر هنالك .

وأما النورُ فعبارة عن الظهور وانكشاف الحقائق الإلٰهية ، وبه أشرقت الظلمات ، أي أشرقت محالها وهي القلوب التي كانت فيها ظلماتُ الجهالة والشكوك ، فاستنارت القلوبُ بنور الله ، وقد قال المفسرون في قوله تعالى : ﴿ مَثَلُ نوره ﴾ أي : مَثَلُ نورِه في قلب في المؤمن كَمِشْكَاة ، فهو إذاً نور الإيمان والمعرفة : الْمُجْلِي لكل ظلمةٍ وشك ، قال كعب : الْمِشْكَاةُ مَثَلٌ لِفَمِهِ ، والمصباحُ مَثَلٌ للسانه ، والزجاجة : مثلٌ لصَدْرِه ، أو لقلبه أي : قلب محمد صلى الله عليه وسلم ، وقال أعوذ بنور وجهك ، ولو قال : بنورك لحسُن ، ولكن توسل إليه بما أودع قلبه من نوره ، فتوسل إلى نعمته بنعمته وإلى فَضْله ورحمته بفضله ورحمته ، وقد تكون الظلماتُ هاهنا أيضاً الظلمات المحسوسة وإشراقها جلالتها على خالقها ، وكذلك الأنوار المحسوسة ، الكلُّ دالٌّ عليه فهو نور النور ، أي : مظهره مُنوِّر الظلمات ، أي جاعلها نوراً في حكم الدلالة عليه سبحانه وتعالى(١) .

---

(١) الله نور : رد الإمام ابن القيم على من زعم أن هذا الاسم مجاز في كتابه =

. . . .

= «الصواعق» ردا عظيما، وإليك بعض ما ذكره «إن النور جاء فى أسمائه تعالى، وهذا الاسم مما تلقته الأمة بالقبول، وأثبتوه فى أسمائه الحسنى .. ومحال أن يسمى نفسه نورا، وليس له نور ولاصفة النور ثابتة له، كما أن من المستحيل أن يكون عليما قديرا سميعـــا بصيرا، ولا علم له ولا قدرة بل صحة هذه الأسماء عليه مستلزمة لثبوت معانيها له، وانتفاء حقائقها عنه مستلزم لنفيها عنه، والثانى باطل قطعا فتعين الأول» ثم يقول: «إن النبى «ص» لما سأله أبوذر هل رأيت ربك، قال: «نور أنى أراه» رواه مسلم فى صحيحه، وفى الحديث قولان: أحدهما: أن معناه: ثم نور، أى: فهناك نور منعنى رؤيته، ويدل على هذا المعنى شيئان أحدهما: قوله فى اللفظ الآخر فى الحديث. رأيت نورا، فهذا النور الذى رآه، هو الذى حال بينه وبين رؤية الذات. الثانى: قوله فى حديث أبى موسى: «إن الله لا ينام، ولا ينبغى له أن ينام، يخفض القسط، ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور، لو كشفه، لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه» رواه مسلم فى صحيحه .. المعنى الثانى فى الحديث أنه سبحانه نور، فلا يمكننى رؤيته، لأن نوره الذى لو كشف الحجاب عنه لاحترقت السموات والأرض وما بينهما مانع من رؤيته، فان كان المراد هو المعنى الثانى، فظاهر، وإن كان الأول فلا ريب أنه إذا كان نور الحجاب مانعا من ذاته، فنور ذاته سبحانه أعظم من نور الحجاب، بل الحجاب إنما استنار بنوره، فإن نور السموات إذا كان من نور وجهه — كما قال عبد الله بن مسعود — فنور الحجاب الذى فوق السموات أولى أن يكون من نوره، وهل يعقل أن يكون النور حجاب من ليس له نور؟! هذا أبين المحال، وعلى هذا، فلا تناقض بين قوله: «ص»: رأيت نورا، وبين قوله: «نور أنى أراه» فإن المنفى مكافحة الرؤية للذات المقدسة، والمثبت: رؤية ماظهر من نور الذات» ثم يقـــول: «ما ثبت فى الصحيحين عن ابن عباس أن النبى «ص» كان يقول إذا قام من الليل: «اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض» الحديث وهو يقتضى أن كونه =

= نور السموات والأرض مغاير لكونه رب السموات والأرض ، ومعلوم أن إصلاحه السموات والأرض بالأنوار وهدايته لمن فيها هى ربوبيته ، فدل على أن معنى كونه نور السموات والأرض أمر وراء ربوبيتهما» ثم ذكر ما نقله ابن فورك عن مذهب الأشعرى فى هذا ، فقال : «إن المشهور من مذهبه - يعنى مذهب الأشعرى - بأن الله سبحانه نور لا كالأنوار حقيقة لا بمعنى أنه هاد ، وعلى ذلك نص — أى الأشعرى — فى كتاب التوحيد فى باب مفرد لذلك تكلم فيه على المعتزلة ، إذ تأولوا ذلك على معنى أنه هاد ، فقال : إن سأل عن الله عز وجل أنور هو ؟ قيل له : كلامك يحتمل وجهين إن كنت تريد أنه نور يتجزأ يجوز عليه الزيادة والنقصان ، فلا وهذه صفة النور المخلوق ، وإن كنت تريد معنى ما قاله الله سبحانه : (الله نور السموات والأرض) فالله سبحانه نور السموات والأرض على ما قال ، فإن قال : فما معنى قولك : نور ؟ قيل له : قد أخبرناك ما معنى النور المخلوق ، وما معنى النور الخالق ، وهو سبحانه الذى ليس كمثله شىء ، ومن تعدى أن يقول : الله نور ، فقد تعدى إلى غير سبيل المؤمنين ، لأن الله لم يكن يسمى نفسه لعباده بما ليس هو به ، فإن قال لا أعرف النور إلا هذا النور المضىء المتجزىء ، قيل له : فإن كان لا يكون نور إلا كذلك ، فكذلك لا يكون شيئا إلا وحكمه حكم ذلك الشىء ، ثم قال ابن فورك : فإذا قال الله عز وجل : إنى نور ، قلت : أنا هو نور على ما قال سبحانه وتعالى ، وقلت أنت ليس هو نورا ، فمن المثبت له على الحقيقة : أنا أو أنت ؟ وكيف يتبين الحق فيه إلا من جهة ما أخبر الله سبحانه ، والدافع لما قال الله كافر بالله » ثم ذكر ابن القيم ما يأتى : « وقال أبو بكر بن العربى : قد اختلف الناس بعد معرفتهم بالنور على ستة أقوال . الأول : معناه : هاد ، قاله ابن عباس ، والثانى معناه : منور ، قاله ابن مسعود . : . والثالث ، مزين ، وهو يرجع إلى معنى منور قاله أبى بن كعب ، الرابع : أنه ظاهر ، الخامس : ذو النور . السادس : أنه نور لا كالأنوار ، قاله أبو الحسن الأشعرى قال : وقالت المعتزلة : لا يقال له نور إلا بإضافة ، قال : الصحيح عندنا أنه نور ، لا كالأنوار ، لأنه حقيقة ، =

. . . .

خبر عداس

فصل : وذكر خبر عَدَّاس غلام عُتْبَةَ وشَيْبَةَ ابنى ربيعة حين جاء بالقِطْفِ من عندهما إلى آخر القصة ، وفيه قبولُ هدية المشرك ، وأن لا يتورّع عن طعامه ، وسيأتى استقصاء ذلك إن شاء الله تعالى ، وزاد التَّيْمِيُّ فيها أن عَدَّاساً حين سمعه يذكر يُونُسَ بن مَتَّىَ قال : والله لقد خَرَجْتُ منها يعنى : نينَوى[1] ، وما فيها عَشَرةٌ يعرفون : مامَتَّى ، فمن أين عرفت أنت مَتَّى ، وأنت أمى ، وفى أمة أُمِّيَّةٍ ؟ فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : هو أخى ، كان نبيا ، وأنا نبى ، وذكروا أيضاً أن عَدَّاساً لما أراد سيداه الخروج إلى بدر أمراه بالخروج معهما فقال لهما : أقتال ذلك الرجل الذى رأيته بحائط كما تريدان ، والله ماتقوم له الجبال ، فقالا له : وَيْحَكَ ياعَدَّاس : قد سَحَرَكَ بلسانه ، وعند مالقى رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — من أهل الطائف ، مالقى ، ودعا بالدعاء[2] المتقدم ، نزل عليه جبريلُ ومعه ملَكُ الجبال كما روى البخارى عن عبد الله بن يوسف ، عن يونس ، عن ابن شهابٍ قال : حدثنى عُرْوَةُ أن عائشةَ زوج النبى — صلى الله عليه وسلم — حدثته أنها قالت للنبى عليه السلام : هل أتى عليك يومٌ كان أشدَّ

والعدول عن الحقيقة إلى أنه هاد ومنور ، وماأشبه ذلك هو مجاز من غير دليل لا يصح ، ثم ضعف مانقل عن ابن عباس ، لأنه منقطع — راجع الجزء الثانى من الصواعق المرسلة من ص ١٨٨ إلى ص ٢٠٥ .

(١) تروى بضم النون أيضا والفتح أشهر « الخشنى »

(٢) لم يخرج حديث هذا الدعاء سوى الطبرانى عن عبد الله بن جعفر

. . . .

عليك من أُحُدٍ ؟ فقال : لقد لقيتُ من قومك ، وكان أشدّ مالقيت منهم يوم العَقَبة إذ عَرَضْتُ نفسى على ابن عَبْدِ ياليلَ بن عَبْدِ كُلالٍ ، فلم يجبنى إلى ما أردت ، فانطلقت على وجهى ، وأنا مهموم ، فلم أَسْتَفِقْ إلا وأنا بقَرْنِ الثَّعَالِبِ(١) ، فرفعت رأسى ، فإذا أنا بسحابة قد أظلّتنى ، فنظرتُ فإذا فيها جبريلُ ، فنادانى فقال : إن الله قد سمع قول قومك لك ، ومارَدُّوا عليك ، وقد بعث إليك مَلَكَ الجبال ، لتأمرَه بما شئت فيهم ، فنادانى مَلَكُ الجبال ، فسلَّم عَلَيّ فقال : يامحمد ذلك لك ، إن شئت أطبق عليهم الأَخْشَبَيْنِ ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : بل أرجو أن يخرج اللهُ من أصلابهم مَنْ يعبد الله وحده ، ولا يشرك به شيئاً . هكذا قال فى الحديث : ابن عَبْدِ كُلَالٍ ، وهو خلاف مانسبه ابن إسحاق .

جن نصيبين :

فصل : وذكر حديث وفد جنّ نَصِيبِين ، وماأنزل الله فيهم ، وقد أملينا أول المبعثين من هذا الكتاب طرفا من أخبارهم وبيّنا هنالك أسماءَهم ، ونَصِيبِين مدينةٌ بالشام أثنى عليها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم . رُوِى أنه قال : رفعت إلىّ نصيبين حتى رأيتُها فدعوت الله أن يَعْذُب نَهْرُها ، ويَنْضُر شجرُها ، ويطيبَ ثمرُها أو قال : ويَكْثُر ثمرُها ، وتقدم فى أسمائهم ماذكره ابن دُرَيْد . قال : هم : منشى وماشى وشاصر وماصر والأحقب ، ولم يزد على

---

(١) هى ميقات أهل نجد تلقاء مكة على يوم وليلة .

. . . .

تسمية هؤلاء ، وقد ذكرنا تمام أسمائهم فيما تقدم ، وفى الصحيح أن الذى أذن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالجن ليلة الجن شجرة ، وأنهم سألوه الزاد ، فقال: كُلُّ عَظْمٍ ذُكِرَ اسم الله عليه يقع فى يد أحدهم . أوفر مايكون لحمًا ، وكل بَعْرٍ علفٌ لدَوابِّهم . زاد ابن سلام فى تفسيره أن البَعْر يعود خَضِرًا لدوابهم ، ثم نهى رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يُسْتَنْجى بالعظم والرَّوْث ، وقال: إنه زاد إخوانكم من الجن ، ولفظ الحديث فى كتاب مسلم كما قدمناه : « كل عظم ذُكِرَ اسمُ الله عليه » ، ولفظه فى كتاب أبى داود : « كل عظم لم يُذْكر اسم الله عليه » ، وأكثر الأحاديث تدل على معنى رواية أبى داود ، وقال بعضُ العلماء رواية مُسْلم فى الجن المؤمنين ، والرواية الأُخرى فى حق الشياطين منهم ، وهذا قول صحيح تعضده الأحاديث إلا أنا نكره الإطالة ، وفى هذا رَدٌّ على من زعم أن الجنَّ لا يأكل ولا يشرب ، وتأولوا قوله ـ عليه السلام إن الشيطان يأكل بِشِماله ، ويشرب بِشِماله على غير ظاهره ، وهم ثلاثة أصناف كما جاء فى حديث آخر : صِنفٌ على صُوَرِ الحيَّات ، وصِنْفٌ على صُوَرِ الكلاب سُودٌ وصِنفٌ ريحٌ طَيَّارة أو قال : هَفَّافَة ذَوُوا أجنحةٍ ، وزاد بعضُ الرواة فى الحديث : وصِنْف يَحُلُّون ويَظْعَنُون ، وهم السَّعَالَى ، ولعل هذا الصِّنف الطَّيَّارَ هو الذى لايأكل ، ولايَشْرب إن صح القول المتقدم والله أعلم . وروينا فى حديث سمعتُهُ يقْرأ على الشيخ الحافظ أبى بكر بن العربى بسنده إلى جابر بن عبد الله ، قال : بينا أنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نمشى إذ جاءت حَيَّةٌ ، فقامت إلى جنبه ، وأدنت فاها من أذنه ، وكانت تناجيه ، أو نحو هذا ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : نعم فانصرفت ، قال جابر : فسألته ، فأخبرنى أنه

رفع المسهم

. . . .

رجل من الجن ، وأنه قال له : مُرْ أمتك لا يستنجوا بالرَّوْثِ ، ولا بالرِّمَّة ، فإن الله جعل لنا فى ذلك رزقا .

ذكر عرضه نفسه على القبائل :

فصل : وذكر عَرْضَه نفسَه — صلى الله عليه وسلم — على القبائل ، ليؤمنوا به ، ولينصروه قبيلةً قبيلةً ، فذكر بنى حنيفة ، واسم حنيفَة : أُثَال بن لُجَيْم ، ولجيم : تصغير اللُّجْمِ ، وهى دُوَيْبَةٌ ، قال قُطْرُب ، وأنشد :

لهـا ذَنَبٌ مثلُ ذَيْلِ العرو س إلى سَبَّةٍ مثل جحْرِ اللُّجَمْ

ابن صَعْب بن على بن بكر بن وائل ، وسمى حَنيفة لحنَفٍ كان فى رجليه ، وقيل : بل حنيفة أمهم ، وهى بنت كاهل بن أسد عُرِفوا بها ، وهم أهل اليمامة ، وأصحاب مُسَيْلمة الكذّاب ، وقد أملينا فى أول الكتاب سببَ نزولهم اليمامةَ وأول من نزلها منهم .

وذكر بَيْحَرة بن فراس العامرى ، وقولَه لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أَفَنُهْدِفُ نُحورَنا ، للعرب دونك . نُهْدِف أى : نجعلها هَدَفًا لسهامهم ، والهَدَفُ : الغرض .

وذكر قولَ الشيخ : هل لها من تَلَافٍ ، أى : تَدارُك ، وهو تَفاعُل من من : تَلَافَيْتُهم ، وهل لذناباها من مطلب : مَثَلٌ ضُرِب لما فاته منها ، وأصله : من ذُنَابَى الطائر : إذا أفلت من الحِبَالة ، فطلبت الأخذ بِذُنَاباه ، وقال : ما تقوَّلها إسماعيلى قط . أى : ما ادعى النبوة كاذبا أحدٌ من بنى إسماعيل

رفع المستهام

. . . .

عرضه نفسه على كندة :

فصل : وذكر عرضه نفسه على كِنْدَةَ ، وهم بنو ثَوْر بن مُرَّة بن أُدَد بن زَيْد بن ميسع بن عَمْرو بن عَرِيب بن زَيْد بن كَهْلان بن سبأ[1] على أحد الأقوال بين النسابين فى كِنْدَة ، وسمى كِنْدة لأنه كَنَد أباه ، أى عَقّه[2] ، وسمى ابنه مُرْتِعاً لأنه كان يجعل لمن أتاه من قومه مَرْتَعاً ، فهم بنو مُرْتع ابن ثور ، وقد قيل إن ثوراً هو مُرْتِع ، وكندة أبوه[3] .

فى هذا الكتاب تتمة لفائدته

فصل : وذكر غير ابن إسحاق مالم يذكر ابنُ إسحاق مما رأيت إملاء بعضِه فى هذا الكتاب تتمة لفائدته . ذكر قاسمُ بن ثابت والخطابى عرضَه

---

(١) نسب ثور فى جمهرة ابن حزم هكذا : وهؤلاء بنو كندة ، وهو ثور ابن عفير بن عدى بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب ابن زيد بن كهلان بن سبأ ص ٣٩٤ ، ٣٩٩ وهو فى قلائد الجمان للقلقشندى أبى العباس أحمد بن على ص ٧١ كما فى الجمهرة .

(٢) فى الاشتقاق لابن دريد : ومن قبائل زيد بن كهلان : كندة ، وهو كندى ، واسمه : ثور وكندة من قولهم : كند نعمة الله عز وجل ، أى كفرها ، ومن قول الله جل ثناؤه : إن الإنسان لربه لكنود ص٣٦٢ وقال صاحب حماة ، وسمى كندة لأنه كند أباه أى كفر نعمته ص ٧١ قلائد الجمان .

(٣) فى جمهرة ابن حزم « ولد كندة بن عفير : معاوية وأشرس » ثم يقول : من بطون كندة : معاوية ووهب وبدار والرائش بطون كبار ، وهم بنو الحارث ابن معاوية بن ثور بن مرتع ، وهو عمرو بن معاوية بن كندة ، ص ٣٩٩ وعلى هذا يكون مرتع هو ابن ابن كندة .

رفع المسهم

. . . .

نفسه على بنى ذهْلِ بن ثعلبة ، ثم على بنى شَيْبان بن ثعْلبة ، فذكر الخطَّابى وقاسم(١) جميعا ما كان من كلام أبى بكر مع دَغْفَل بن حَنْظَلَة الذُّهلى زاد قاسم تكملة الحديث فرأينا أن نذكر زيادة قاسم ، فإنها مما تليق بهذا الكتاب قال : ثم دفعنا إلى مجلس آخر عليهم السكينةُ والوقار ، فتقدم أبو بكر ، فسلم قال على : وكان أبو بكر مُقدَّما فى كل خير ، فقال مِمَّن القومُ ، فقالوا : من شَيْبان بن ثعْلَبة ، فالتفت أبو بكر إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : بأبى أنت وأمى ، هؤلاء غُرَرٌ فى قومهم ، وفيهم مَفْرُوقُ بن عمرو وهانىء بن قَبِيصَة ، ومُثَنَّى بن حارثة ، والنعمان بن شَرِيك ؛ وكان مفروق بن عمرو قد غلبهم جَمالا ولِساناً(٢) وكانت له غَدِيرَتان تسقطان على تَرِيبَتَيه(٣) ، وكان أدنى القوم مجلسا من أبى بكر ، فقال له أبو بكر : كيف العدد فيكم ؟ قال له مَفْروق إنا لنزيد على الألف ، ولن تُغْلَب ألفٌ من قِلَّة فقال أبو بكر : كيف المنعة

---

(١) ذكر الزرقانى فى شرحه على المواهب ص ٣٠٩ ج١ شرح المواهب أن هذا الحديث أخرجه الحاكم وأبو نعيم والبيهقى بإسناد حسن عن ابن عباس . واقرأ فى الأمالى صفحتى ٢٨٤ ج٢ ، ص٢٥ ج ٣ الأمالى ج٢ وفى حاشية الاشتقاق بقلم الأستاذ عبد السلام هارون : « بخط مغلطاى : دغفل هذا لقى النبى عليه السلام ، وهو ابن ثلاث وستين سنة قاله البخارى . وقال : لا يعرف له إدراك النبى عليه السلام وتابعه على القول جماعة منهم : ابن حبان والزهرى وابن سعد وابن أبى حاتم ، والعسكرى » ص٣٥١ الاشتقاق .

(٢) انظر الاشتقاق ص ٣٥٨ ، وفيه عن هانىء : وكان شريفا عظيم القدر . وكان نصرانيا ، وأدرك الإسلام فلم يسلم ، ومات بالكوفة .

(٣) التريبة : واحدة الترائب ، وهى عظام الصدر .

. . . .

فيــكم؟ فقال مَفْروق: علينا الجهد ، ولــكل قوم جد ، فقال أبو بكر : كيف الحرب بينكم وبين عدوكم؟ فقال مفروق : إنا لأشدُّ مانــكون غَضَباً لحين نلقى ، وإنا لأشد مانــكون لقاءً حين نغضب ، وإنا لنؤثر الجيادَ على الأولاد ، والسلاحَ على اللِّقَاح⁽١⁾ ، والنصرُ من عند الله ، يُدِيلنا مَرَّةً ويُديل عَلَيْنا ، لعلك أخو قريش؟ فقال أبكر أَو قَدْ بلغــكم أنه رسول الله ، فهاهو ذا ، فقال مَفْروق : قد بلغنا أنه يذكر ذلك ، فإلى م تدعو إليه يا أخا قريش ؟ فتقدم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أدعو إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأنى رسولُ الله ، وإلى أن تؤْوُونى ، وتَنْصرونى ، فإن قريشا قد ظاهرت على أمر الله ، وكذبت رسولَه ، واستغنت بالباطل عن الحق والله هو الغنى الحميد ، فقال مفروق : وإلى م تدعو أيضا يا أخا قريش ؟ فتلا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ قُلْ تَعالَوْا أتلُ ماحَرَّم رَبُّــكم عليكم ألاَّ تُشْرِكوا به شَيْئاً ، وبالوالدين إحسانا ، ولاَتقتلوا أولادَكم من إمْلَاقٍ ، نحن نرزقــكم وإيَّاهُمْ ، ولاَتقْربوا الفواحشَ ماظَهر منها ومابَطَن ، ولا تقتلوا النفسَ التى حــرّم الله إلا بالحق ، ذلــكم وصاكم به لعلــكم تعقلون) الأنعام : ١٥١ فقال مفروق : وإلى مم تدعو أيضاً يا أخا قريش؟ فتلا رسولُ الله ـ صلى الله عليه سلم ـ (إنَّ اللهَ يأمر بالعَدْلِ والإحسانِ ، وإيتاءذى القُربى ، وَيَنْهَى عن الفَحْشاءِ والمُنْــكر والبَغْى ، يَعِظُــكُمْ لَعَلَّــكم تَذَكَّرُون ﴾ النحل : ٩٠ فقال مفروق : دعوتَ والله يا أخا قريش إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال ، والله لقد أَفِكَ قومٌ كذَّبوك ، وظاهروا عليك ، وكأنه أراد أن يَشْرَكه

---

(١) اللقاح : الإبل .

رفع
المسـاهم
عز الله الرطيل الدين

. . . .

فى الكلام هانىء بن قَبيصة ، فقال : وهذا هانىءبن قَبيصة شيخُنا ، وصاحب دِيننا ، فقال هانىء : قد سَمِعت مقالتَك يا أخا قريش ، وإنى أرى أنَّ تَرْكَنا دِينَنَا واتباعنا إيَّاكَ على دينك لمجلس جلسته إلينا ليس له أول ولا آخر زَلَّة فى الرأى ، وقِلَّة نظرٍ فى العاقبة ، وإنما تكون الزَّلَّة مع العَجَلة ، ومِنْ ورائنا قومٌ نكره أن نعقد عليهم عَقْدا ، ولكن ترجع ونرجع وتنظر وننظر ، وكأنه أحب أن يَشْرَكه فى الكلام المُثَنَّى ، فقال : وهذا المُثَنَّى بن حارثة شيخنا وصاحب حَرْبنا ، فقال المثنى : قد سمعت مقالتك يا أخا قريش ، والجوابُ : هو جوابُ هانىء بن قَبيصَة فى تركنا ديننا ، واتباعنا إيَّاكَ لمجلس جلسته إلينا ليس له أول ولا آخر ، وإنا إنما نزلنا بين صَرَيان اليمامة والسَّمَاوة(١) ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ماهذان الصَّرَيان ؟ فقال أنهار كسرى ، ومياه العرب ، فأما ما كان من أنهار كسرى ، فذنْبُ صاحبيه غيرُ مغفور ، وعُذْرُه غير مقبول ، وأما ما كان من مياه العرب ، فذنبهُ مغفور وعذره مقبول ، وإنما نزلنا على عهدٍ أخذه علينا كِسرى أن لا نُحدِث حَدَثاً ولا نُؤوى مُحدِثا ، وإنى أرى هذا

---

(١) فى النهاية لابن الأثير « وإنما نزلنا الصريين » وهو الصواب ، ثم قال اليمامة والسمامة » وقال عن المصرى : وهو الماء المجتمع ، وذكرها مرة أخرى فى مادة صير « وفى حديث عرضه على القبائل : قال له المثنى بن حارثة : إنا نزلنا بين صيرين : اليمامة والسمامة . فقال رسول الله ص » : وما هذان الصيران ؟ فقال : مياه العرب ، وأنهار كسرى

الصير : الماء الذى يحضره الناس ، وقد صار القوم يصيرون إذا حضروا الماء . ويروى : بين صيرتين وهى فعلة منه ، ويروى بين صريين تثنية صرى ، وقد تقدم النهاية مادة صرى وصير لابن الأثير . والصواب : السمادة ، وهى بادية بين الكوفة والسماء . أدماءة لكلب .

. . . .

الأمرَ الذى تدعونا إليه هو مما تكرهه الملوكُ ، فإن أحببتَ أن نُؤْويك وننصرك مما يلى مياه العرب ، فعلنا فقال رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما أسأتم فى الرد ، إذْ أفصحتم بالصِّدق ، وإن دين الله لن ينصره إلا من حاطَه من جميع جوانبه أرأيتُم إن لم تلبثوا إلا قليلا حتى يورثكم الله أرضَهم وأموالَهم ويفرشكم نساءهم ، أتُسَبِّحون الله وتُقدِّسونه ، فقال النعمان بن شريك : اللهم لك ذا ، فتلا رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم : ﴿ إنا أرسلناك شاهداً ومُبَشِّراً ونذيرا . وداعياً إلى الله بإذنه وسِرَاجا منيرا ﴾ ثم نهض النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأخذ بيدى ، فقال : يا أبا بكر يا أبا حسن أية أخلاق فى الجاهلية ، ما أشرفها بها يدفع الله بأْس بعضهم عن بعض ، وبها يتحاجزون فيما بينهم قال : ثم دفعنا إلى مجلس الأوس والخزرج ، فما نهضنا حتى بايعوا النبىَّ صلى الله عليه وسلم ، وكانوا صُدَقاء صُبَراءَ ، وروى فى حديثٍ مُسْنَدٍ إلَى طارق ، قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين : رأيته بسوقِ ذى المَجَازِ يعرضِ نفسه على القبائل ، يقول : يا أيها الناسُ قولوا : لا إله إلا الله تُفْلِحوا ، وخَلْفَه رجلٌ له غديرتان يَرْجُمه بالحجارة ، حتى أدْمَى كَعْبيه ، يقول : يا أيها الناسُ لاتسمعوا منه ، فإنه كذَّاب ، فسألت عنه ، فقيل : هو غلام عبد المطلب ، قلت ومن الرجل يرجمه ؟ فقيل لى : هو عمه عَبْدُ الْعُزَّى أبو لهب ، وذكر الحديثَ بطوله . خرَّجه الدَّارَقُطْنِي ، ووقع أيضا فى السيرة من رواية يونس .

رفع
المسبهم
عز الله لرطولله

. . . .

حديث سويد بن صامت:

فصل: ذكر حديث سُوَيد بن صامت وشعره، وفي الشعر:

وبالغَيْبِ مأثورٌ على ثُغْرَةِ النَّحْرِ

يعني السيفَ، ومأثورٌ: من الأَثر وهو: فِرِنْدُ[١] السيف، ويقال فيه: أَثْر وإِثْر. قال الشاعر:

جلاها الصَّيْقَلُون فأَخلَصُوها
خِفَافًا كُلُّها يَتْقِي بأَثْرِ[٢]

أراد: يَتَّقِي، وسُوَيْد: هو: الكامل، وهو ابن الصَّامِتِ بن حَوْط

---

(١) جوهر السيف ووشيه والسيف نفسه

(٢) البيت أنشده عيسى بن عمر لخفاف بن ندبة.

وقبل البيت:

ولم أر قبلهم حياً لقاحا ... أقاموا بين قاصية وحجر
رماح مثقف حملت نصالا ... يلحن كأنهن نجـوم بدر

انظر ص ١٢٥ ج ٢ الأمالي للقالي ط ٢، ص ٧٥٢ سمط اللآلي للقالي

والمعنى: إذا نظر الناظر إليها اتصل شعاعها بعينه، فلم يتمكن من النظر إليها فذلك اتقاؤها بأثرها والأصمعي لا يعرف في الأثر إلا الفتح يقال: سيف مأثور أي في متنه أثر، وقيل هو الذي يقال إنه يعمله الجن، وليس من الأثر الذي هو الفرند. قال ابن سيدة: وعندي أن المأثور مفعول لا فعل له كما ذهب إليه أبو علي في المفئود الذي هو الجبان

ابن حَبِيب بن عَوْف بن عمرو بن عَوْف بن مالكِ بن الأَوْسِ [1] وأمه لَيْلَى بنت عمرو النجارية أخت سَلْمَى بنت عمرو [بن زيد بن لبيد بن خِداش بن عامر ابن غنم بن عدى بن النجار [تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج] أم عبد المطلب ابن هاشم، فَسُوَيْدٌ هذا ابن خالة عبد المطلب، وبنتُ سويد هى أمُّ عاتِكَة أخت سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل امرأة عمر بن الخطاب، فهو جدُّها لأُمِّها واسم أمها: زينب، وقيل: جليسة بنت سُوَيد، هكذا ذكره الزُّبَيْر بن أبى بكر [2].

ذكر مجلة لقمان:

فصل: وذكرَ مَجلَّة لُقْمَان، وهى الصحيفة، وكأنها مفعلة من الجَلَال والجَلَالَة، أما الجَلَالَةُ فمن صفة المخلوق، والجلال من صفة الله تعالى، وقد أجاز بعضُهم أن يقال فى المخلوق جَلَالٌ وجَلَالَةٌ وأنشد:

---

(١) نسبه فى جمهرة ابن حزم هكذا: «سويد بن الصامت بن خالد بن عطية ابن خوط بن حبيب بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس»، وقد تقدم نسبه فى السيرة كما ذكر ابن حزم، ولكن فيها حوط بالحاء المهملة، وفى الإصابة: سويد بن الصامت بن خالد بن عقبة الأوسى ذكره ابن شاهين وقال: شك فى إسلامه، وقال أبو عمر: أنا أشك فيه كما شك غيرى. ويعلق ابن حجر على ماروى ابن إسحاق بقوله: فإن صح ما قالوا لم يعد فى الصحابة لأنه لم يلق النبى «ص» مؤمنا.

(٢) يقول الخشنى فى شرح السيرة ص ١١٧ عن بنى زعب إنها بفتح الزاى وضمها وكسرها والعين المهملة. وزغب بالزاء المكسورة والغين المعجمة قيده الدارقطنى، وذكر أن الطبرى حكاه كذلك

. . . .

فَلاذا جَلالٍ هِبْنه لِجَلالَةٍ   ولاذا ضَياعٍ هنّ يترُكْنَ لِلفَقْرِ [١]

ولُقْمانُ كان نوبيا من أهل أَيلَةَ وهو لقمان بن عَنْقاءَ بن سرور [٢] فيما ذكروا وابنه الذى ذُكِرَ فى القرآن هو ثاران فيما ذكر الزّجّاج وغيره ، وقد قيل فى اسمه غير ذلك ، وليس بلقمان بن عاد الحِمْيَرِىّ .

ذكر قدوم أبي الخيسر :

فصل : وذكر قدوم أبى الحَيْسَرِ أنس بن رافع بن يطلب الحِلف ، وذلك

---

(١) البيت لهدبة بن خشرم بن كرز : بن حجر بن أبى حية الكاهن صاحب العزى وسادنها أحد بنى سعد هذيم من قضاعة . وهدبة : شاعر إسلامى يكنى أبا عمير : وقبل البيت :

رأيت أخا الدنيا ، وإن كان خافضا   أخا سفر يسرى به ، وهو لا يدرى
والأرض كم من صالح قد تكمأت   عليـــه فوارته بكماعة القفر

ويروى البيت الأول هكذا :

ألا يالقوم للنوائب والدهر   وللمرء يأتى حتفه وهو لا يدرى

انظر ص ٢٤٦ حـ ١ الأمالى للقالى ط ٢ وص ٥٥٦ ، ٦٣٩ سمط اللآلى للبكرى ومرجع السهيلى فى هذا هو الأمالى ، ورأى الأصمعى أن الجلال لا يقال إلا فى الله عز وجل ، وقال أبو حاتم وقد يقال :

ويعقب البكرى فى السمط على رأى القالى فى كلمة مجلة بفتح الجيم : إنما هو مجلة — بكسر الجيم . قال أبو عبيدة : كل كتاب عند العرب مجلة بكسر الجيم ، وقد روى غيره فيه الفتح

(٢) فى تفسير ابن كثير : سدوس ، وفيه يذكر أن الأكثرين من السلف على أن لقمان كان عبداً صالحاً من غير نبوة . وفيه وفى غيره تفصيلات كثيرة عنه .

بسبب الحرب التى كانت بين الأوْس والخَزْرَج ، وهى حرب بُعاث المذكورة ، ولهم فيها أيام مشهورة هلك فيها كثيرٌ من صَنَادِيدهم وأشرافهم ، وبُعاث اسم أرضٍ بها عرفت[1] .

بدء إسلام الأنصار

ولم يكن الأنصار اسما لهم فى الجاهية ، حتى سَمَّاهم الله به فى الإسلام ، وهم : بنو الأوْسِ والخَزْرَجِ ، والخزرجُ : الريح الباردة[2] وقال بعضهم : وهى الجُنُوبُ خاصَّةً ، ودخول الألِف واللام فى الأوس على حد دخولها فى التَّيْم جمع : تَيْمِيٍّ وهو من باب : رُومِيّ ورُوم،لأن الأَوْسَ هى العطِيَّة أو العِوض، ومثل هذا إذا كان عَلَماً لايدخله الألف واللام ، ألا ترى أنّ كل أَوْسٍ فى العرب غير هذا ، فإنه بغير ألف ولام كأُوس بن حارثة الطَّائِىّ وغيره

---

(١) يقول الخشنى « ويروى هنا : بغاث بالغين المعجمة أيضاً ، ويصرف ولايصرف» ويقول البكرى فى معجم ما استعجم « ذكر عن الخليل : بغاث ولم يسمع من غيره »

هذا ويقال إن القبائل التى عرض نفسه عليها أيام المواسم هى بنو عامر وغسان وبنو فزارة ، وبنو مرة وبنو حنيفة ، وبنو سليم ، وبنو عبس ، وبنو نصر ، وثعلبة بن عكابة ، وكندة ، وكلب ، وبنو الحارث بن كعب ، وبنو عذرة وقيس ابن الخطيم، وأبو الحيسر أنس بن أبى رافع « هكذا فى إمتاع الأسماع لتقى الدين أحمد بن على المقريزى حـ ١ ط ١٩٤١ ص ٣٠ ، وفيه أنه بدأ بكندة ، ثم أتى كلبا ثم بنى حنيفة ، ثم بنى عامر .

(٢) فى الاشتقاق لابن دريد : الخزرج : الريح العاصف ص ٤٣٧ .

رفع المسلم

وكذلك ، أوس[1] وأُوَيْس: الذئب قال الراجز :

يا لَيْتَ شِعْرِى عَنْه والأَمْرُ عمم   مافعل اليومَ أُوَيْسٌ بالْغَنَم[2]

وأبوهم[3] حارثة بن ثعلبة [بن عمرو مُزَيْقياء بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزدى] ، وهو أيضاً : والدُ خُزَاعةَ على أحد القولين ، وأمهم[4] : قَيْلَةُ بنت كاهل بن عُذْرَةَ قُضَاعِيَّة ويقال : هى بنت جَفْنَة ، واسمه عَلْبَةُ بن عَمْرو بن عامر ، وقيل : بنت سَيْع[5] ابن الْهَوْن بن خُزَيْمَةَ بن مدركة، قاله الزبير بن أبى بكر فى كتاب أخبار المدينة.

والأنصار : جمع ناصِر على غير قياس فى جمع فاعل[6] ، ولكن على

(١) أوس بن حارثة بن لأم رأس طيء ، عاش — كما قيل — مائتى سنة، وهناك أوس بن حجر الشاعر الجاهلى ، وأوس بن حذيفة من فرسان ثقيف الذى أدرك الإسلام وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وأوس بن المعلى ، وأوس مغراء وأوس مناة الحنيك من خثعم ، ولكن هناك الأوس من صعب بن هنان.

(٢) البيت للهذلى ، و هو فى اللسان :

يا ليت شعرى عنك ، والأمر أمم   مافعل اليوم أويس فى الغنم

(٣) أى والد الأوس والخزرج .

(٤) أى أم الأوس والخزرج ، ونسبها فى جمهرة ابن حزم هكذا . وقيلة بنت الأرمم بن عمرو بن جفنة بن عمرو مزيقياء ، ص ٣١٢ ط ١ والزيادة التى زدتها من الجمهرة .

(٥) اسمه فى نسب قريش . يثيع .

(٦) إذا كان فاعل وصفا دالا على غريزة وسجية أو أمر فطرى فإنه يجمع

. . . .

تقدير حذف الألف من ناصر ، لأنها زائدة ، فالأسم على تقدير حذفها : ثُلَاثِى والثلاثى يجمع على أفْعال ، وقد قالوا فى نحوه صاحب وأصحاب وشاهد وأشهاد .

وذكر قول النبي – صلى الله عليه وسلم – لِلنَّفَر من الأنصار : أمن موالى يهود أنتم أى من حلفائهم ، والمولى يجمع :الحليفَ وابن العم والْمُعْتِق والْمُعْتَق لأنه مَفْعَلٌ من الولاية ، وجاء على وزن مفعل ، لأنه مَفْزَع ومَلْجَأ لوليِّه فجاء على وزن ماهو فى معناه .

وذكر النفر القادمين فى العام الثانى الذين بايعوه بَيْعَةَ النساء ، وقد ذكر الله تعالى بَيْعَة النساء فى القرآن فقال : ﴿ يُبايِعْنَكَ على أن لا يُشرِكْنَ بالله شَيْئاً ﴾ الممتحنة ١٢ الآية ، فأراد ببيعة النساء أنهم لم يبايعوه على القتال ، وكانت مبايعته للنساء أن يأخُذَ عليهن العهدَ والميثاق ، فإذا أقررن بألسنتهن قال : قد بايَعتُكُنَّ ، ومامست يدُه يدَ امرأة فى مبايعة[1] كذلك قالت

على فعلاء مثل شاعر وشعراء ، وعاقل وعقلاء ، وكذلك إذا كان دالا على مايشبه الغريزة والسجية فى طول بقائها مثل صالح وصلحاء ، وإذا كان فاعل دالا على وصف يدل على آفة طارئة من ألم أو عيب ، أو نقص ، أو موت جمع على فعلى مثل هالك وهلكى .

(١) فى حديث رواه البخارى عن عائشة أنها قالت : « ولا والله ما مست يده يد امرأة فى المبايعة قط ، ما يبايعهن إلا بقوله : قد بايعتكن على ذلك » وفى حديث آخر رواه أحمد والترمذى والنسائى وابن ماجة من حديث سفيان ابن عيينة ، والنسائى أيضاً من حديث الثورى ومالك بن أنس كلهم عن محمد

بيعة العقبة الأولى

حتى إذا كان العامُ المُقْبِل وافَى المَوْسم من الأنصار اثنا عشر رجلا ، فلقوه بالعقبة ؛ وهى العقبة الأولى ، فبايعوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على بَيْعة النساء ، وذلك قبل أن تُفترض عليهم الحرب .

منهم من بَنى النجَّار ، ثم بنى مالك بن النجَّار : أسعدُ بن زرارة بن عُدَس ابن عُبيد بن ثعلبة بن غَنْم بن مالك بن النجار ، وهو أبو أُمَامة ؛ وعَوْف ، ومعاذ ، ابنا الحارث بن رفاعة بن سَواد بن مالك بن غَنْم بن مالك بن النجَّار ، وهما ابنا عفراء .

عائشة ، وقد روى أنهن كن يأخذن بيده في البيعة من فوق ثَوْبٍ ، وهو قول عامر الشعبى ، ذكره عنه ابن سلام فى تفسيره ، والأول أصح وقد ذكر أبو بكر محمد بن الحسن المقرى النقاش فى صفة بيعة النساء وجها ثالثا أورد فيه آثارا ، وهو أن رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - كان يغمس يده فى إناء وتغمس المرأة يدها فيه عند المبايعة ، فيكون ذلك عقداً للبيعة ، وليس هذا بالمشهور ، ولا هو عند أهل الحديث بالثبت ، غير أن ابن إسحاق أيضاً قد ذكره فى رواية عن يونس عن أبَان ابن أبى صالح ، وذكر أنسابَ الذين بايعوه ، وسنعيده فى بيعة العقبة وغَزَاة بدر ، وهناك يقع التنبيه على مايحتاج إليه بعون الله .

ابن المنكدر ، وقال الترمذى : حسن صحيح ، لا نعرفه إلا من حديث محمد ابن المنكدر . فى هذا الحديث ورد « قلنا يارسول الله : ألا تصافحنا ؟ قال إنى لا أصافح النساء ، إنما قولى لامرأة واحدة قولى لمائة امرأة » .

ومن بنى زرَيق بن عامر : رافعُ بن مالك بن العَجْلان بن عمرو بن عامر ابن زريق ، وذَكْوان بن عبد قَيْس بن خَلَدة بن مُخْلِد بن عامر بن زُرَيق .

قال ابن هشام : ذَكْوان ، مهاجرىّ أنصارىّ .

ومن بنى عَوْف بن الخزرج ، ثم من بنى غَنْم بن عوف بن عمرو بن عَوْف بن الخزرج ، وهُم الْقَوَاقِلُ : عُبَادَة بن الصامت بن قَيْس بن أَصْرم ابن فِهْر بن ثعلبة بن غَنْم ؛ وأبو عبد الرحمن ، وهو يزيد بن ثعلبة بن خَزْمة ابن أَصْرم بن عمرو بن عَمَّارة ، من بنى غُصَيْنة ، من بَلِىّ ، حليف لهم .

قال ابن هشام : وإنما قيل لهم : القواقل ، لأنهم كانوا إذا استجار بهم الرجل دفعوا له سهما ، وقالوا له : قَوْقِلْ به بِيَثْرِبَ حيث شئت .

قال ابن هشام : الْقَوْقَلَةُ : ضرب من المشى .

وقال ابن إسحاق : ومن بَنى سالم بن عَوْف بن عمرو بن الخزرج ، ثم من بنى العَجْلان بن زيد بن غَنْم بن سالم : العباس بن عُبادة بن نَضْلة بن مالك ابن العَجْلان .

ومن بنى سَلِمة بن سَعْد بن علىّ بن أسد بن ساردَة بن تَزِيد بن جُشَم ابن الخزرج ، ثم من بنى حَرام بن كعب بن غَنْم بن سَلمة : عُقْبة بن عامر ابن نابى بن زَيْد بن حَرام .

ومن بنى سواد بن غَنْم بن كَعْب بن سَلمة قُطْبة بن عامر بن حَديدة بن عمرو بن غَنْم بن سَواد .

رجال العقبة من الأوس

وشَهِدها من الأوس بن حارثة بن ثَعْلَبة بن عَمْرو بن عامر ثم من بنى عَبْد الأشهل بن جُشَم بن الحارث بن الخَزْرج بن عَمْرو بن مالك بن الأوس: أبو الهيثم بن التَّيِّهان، واسمه مالك.

قال ابن هشام: التَّيْهان: يخفف ويثقل، كقوله ميت وميِّت.

رجال العقبة الأولى من بنى عمرو

ومن بنى عمرو بن عَوْف بن مالك بن الأوس: عُوَيم بن ساعِدة.

بيعة العقبة

قال ابن إسحاق: وحدثنى يزيد بن أبى حَبيب، عن (أبى) مَرْثَد ابن عبد الله اليزنى، عن عبد الرحمن بن عُسَيلة الصُّنابحى، عن عُبادة بن الصامت، قال: كنت فيمن حَضَر العقبةَ الأولى، وكنَّا اثنَىْ عَشَر رجلا، فبايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بَيْعة النساء، وذلك قبل أن تُفترض الحرْب، على أن لا نُشرك بالله شيئا، ولا نَسْرق، ولا نَزْنى، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتىَ ببهتان نَفْتريه من بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيَه فى معروف. فإن وَفَّيتم فلكم الجنة. وإن غَشِيتم من ذلك شيئاً فأمرُكم إلى الله عزّ وجلّ إن شاء عذّب وإن شاء غَفر.

قال ابن إسحاق وذكر ابنُ شهاب الزهرىّ، عن عائذ الله بن عَبد الله

رفع
المسلم
عزالله الربانية

الخَوْلانى أبى إدريس أنّ عُبادة بن الصامت حدّثه أنه قال : بايعنا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ليلةَ العَقَبَة الأولى على أن لا نُشْرِكَ بالله شيئا ، ولا نسرق ، ولا نزنى ، ولا نقتل أولادَنا ، ولا نأتى بِبُهْتانٍ نَفتريه من بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نَعْصيه فى معروف ، فإن وَفَيْتم فلكم الجَنَّة ، وإن غَشِيتم من ذلك فأُخِذتم بحَدّه فى الدنيا ، فهو كفَّارة له ، وإن سُتِرْتم عليه إلى يوم القيامة فأمْرُكم إلى الله عزّ وجلّ ، إن شاء عذّب ، وإن شاء غَفَر .

مصعب بن عمير ووفد العقبة

قال ابن إسحاق : فلما انصرف عنه القومُ ، بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم معهم مُصعب بن عُمير بن هاشم بن عبد مَناف بن عَبْد الدار بن قُصَىّ ، وأمره أن يُقْرِئهم القرآن ، ويعلّمهم الإسلام ، ويفقِّههم فى الدين ، فكان يُسَمَّى المُقْرِئَ بالمدينة : مُصْعَبٌ . وكان مَنْزِلُه على أسْعد بن زُرارة بن عُدَس ، أبى أمامة .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عُمر بن قتادة : أنه كان يصلى بهم ، وذلك أن الأوسَ والخزْرَج كَره بعضُهم أن يَؤُمَّه بعضٌ .

أول جمعة أقيمت بالمدينة

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن أبى أمامة بن سَهل بن حُنيف ، عن أبيه أبى أمامة ، عن عبد الرحمن بن كَعْب بن مالك ، قال : كنت قائدَ أبى ،

كعب بن مالك ، حين ذهب بصره ، فكنتُ إذا خرجتُ به إلى الجُمُعة ، فسمع الأذان بها صلى على أبي أُمامة ، أسعد بن زُرارَة . قال : فمكث حينا على ذلك : لا يَسْمع الأذان للجُمعة إلا صلى عليه واستغفر له . قال : فقلت في نفسي : والله إن هذا بي لعَجْز ، ألا أسأله ماله إذا سمع الأذان للجمعة صلى على أبي أمامة أسعد بن زُرارَة ؟ قال : فخرجت به في يوم جُمعة كما كنت أخرج ، فلما سمع الأذانَ للجمعة صلى عليه واستغفر له . قال : فقلت له : يا أبتِ ، مالك إذا سمعتَ الأذان للجمعة صلَّيت على أبي أُمامَةَ ؟ قال : أيْ بُنيّ ، كان أوّل من جَمَّع بنا بالمدينة في هَزْم النَّبِيت ، من حَرَّة بني بَياضَة ، يقال له : نَقِيع الخَضِمات ، قال قلت : وكم أنتم يومئذ ؟ قال : أربعون رجلا .

إسلام سعد بن معاذ وأسيد بن حضير

قال ابن إسحاق : وحدثني عبيد الله بن المُغيرة بن مُعَيْقِب ، وعبد الله ابن أبي بكر بن محمد بن عَمْرو بن حَزْم : أن أسعد بن زُرارَةَ خرج بمُصْعَب ابن عُمَيْر يريد به دارَ بني عَبْد الأَشْهَل ، ودارَ بني ظَفَر ، وكان سعدُ بن مُعاذ ابن النعمان بن امرئ القيس بن زَيْد بن عبد الأشهل ابن خالة أسعد بن زُرارة ، فدخلَ به حائطا من حَوائط بني ظَفَر .

قال ابن هشام : واسم ظَفَر : كَعْب بن الحارث بن الخَزْرج بن عمرو بن مالك ابن الأوس — قالا : على بِئْر يقال لها : بئر مَرَق ، فجلسا في الحائط ، واجتمع إليهما رجال ممن أسلم ، وسعد بن معاذ ، وأُسَيْد بن حُضَيْر ، يومئذ سيدا قومهما من بني عبد الأشهل ، وكلاهما مُشْرك على دين قومه ، فلمَّا سمعا به

قال سعدُ بن مُعاذٍ لأُسَيْد بن حُضَيْر : لا أبالك ، انطلق إلى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارَينا ليسفِّها ضُعفاءنا ، فازجُرْهما وانْهَهُما عن أن يَأْتيا دارَيْنا ، فإنه لولا أن أسعد بن زرارة منى حيث قد علمت كفيتُك ذلك،هو ابن خالتى ، ولا أجد عليه مقدّما ، قال : فأخذ أسيد بن حُضَير حَرْبته ثم أقبل إليهما ، فلما رآه أسعدُ بن زُرَارَة ، قال لمصعب بن عمير :هذا سيِّد قومه قد جاءك ، فاصدُق الله فيه ، قال مصعب : إن يجلسْ أكلمه . قال : فوقف عليهما مُتَشَتِّما ، فقال : ماجاء بكما إلينا تسفِّهان ضعفاءنا ؟ اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة ،فقال له مصعب : أوَ تجلسُ فتسمعَ ، فإن رضيتَ أمراً قبلتَه ، وإن كرهته كُفّ عنك ماتكره ؟ قال : أنصفتَ ، ثم رَكَزَ حَرْبتَه وجلس إليهما ، فكلَّمه مُصْعب بالإسلام ، وقرأ عليه القرآن ؛ فقالا : فيما يذكر عنهما : والله لعَرَفْناَ فى وجهه الإسلامَ قبل أن يتكلّم فى إشراقه وَتَسَهُّله ، ثم قال : ماأحسنَ هذا الكلامَ وأجمَله ! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا فى هذا الدين ؟ قالا له : تغتسل فتطهر وتطهر ثوبيك ، ثم تَشهد شهادة الحقّ ، ثم تصلى . فقام فاغتسل وطهّر ثوبيه ، وتشهد شهادة الحقّ ، ثم قام فركع ركعتين ، ثم قال لهما : إنّ ورائى رجلا إن اتبعكما لم يتخلّف عنه أحد من قومه ؛ وسأُرسله إليكما الآن، سعدَ بن معاذ،ثم أخذ حَرْبته وانصرف إلى سعد وقومه وهم جلوس فى ناديهم،فلمانظر إليه سَعْد بن معاذ مُقْبلا ،قال : أحلف بالله لقد جاءكم أُسَيْدٌ بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم ، فلما وقف على النادى قال له سعد : مافعلت ؟ قال : كلَّمت الرجلين ، فوالله ما رأيت بهما بأسا،وقد نهيتُهما فقالا : نفعل ما أحببتَ،

رفع
المسلم
عبد الله الإيراني

وقد حُدّثت أن بنى حارثة قد خرجوا إلى أسعد بن زُرَارَة ليقتلوه، وذلك أنهم قد عرفوا أنه ابن خالتك، ليُخفروك قال: فقام سعد مُغْضَبا مبادراً، تخوّفا للذى ذُكر له من بنى حارثة، فأخذ الحربة من يده، ثم قال: والله ما أراك أغنيت شيئا، ثم خرج إليهما؛ فلما رآهما سعدٌ مطمئنين، عرف سعدٌ أن أُسيداً إنما أراد منه أن يسمع منهما، فوقف عليهما متشتِّما، ثم قال لأسعد بن زُرارة: يا أبا أمامة، لولا ما بيني وبينك من القرابة مارُمْت هذا مني، أتغشانا فى دارينا بما نكره — وقد قال أسعدُ بن زرارة لمصعب بن عُمير: أى مُصْعب، جاءك والله سيِّد مَنْ وراءه من قومه، إن يتبعك لا يتخلّف عنك منهم اثنان — قال: فقال له مصعب: أو تقعد فتسمع، فإن رضيتَ أمراً ورَغبت فيه قَبِلْتَه، وإن كرهته عزَلنا عنك ماتكره؟ قال سعد. أنصفت ثم ركز الحربةَ وجلس، فعرض عليه الإسلامَ، وقرأ عليه القرآن، قالا: فعرفنا والله فى وجهه الإسلام قبل أن يتكلّم، لإشراقه وتسهُّله؛ ثم قال لهما: كيف تَصْنَعُون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم فى هذا الدين؟ قالا: تغتسل فتطهَّر وتطهر ثوبيك، ثم تشهد شهادة الحقّ، ثم تصلى ركعتين، قال. فقام فاغتسل وطهَّر ثوبيه، وتشهَّد شهاة الحقّ، ثم ركع ركعتين، ثم أخذ حربته، فأقبل عامداً إلى نادى قومه ومعه أُسيَد بن حُضَير.

قال: فلما رآه قومُه مقبلا، قالوا: نحلف بالله لقد رجع إليكم سعدٌ بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم، فلما وقف عليهم قال: يا بنى عبد الأشهل، كيف تعلمون أمرى فيكم؟ قالوا: سيدنا وأفضلُنا رأيا، وأيمننا نقيبةً؛ قال: فإن

. . . .

كلام رجالكم ونسائكم علىّ حرام حتى تؤمنوا بالله وبرسوله .

قالا : فوالله ما أمسى فى دار بنى عبد الأشهل رجلٌ ولا امرأة إلا مسلما ومسلمة ، ورجع أسعد ومُصْعب إلى منزل أسعد بن زُرارة ، فأقام عنده يدعو الناس إلى الإسلام ، حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون ، إلا ما كان من دار بنى أميَّة بن زيد ، وخطْمة ووائل وواقف ، وتلك أوس الله ، وهم من الأوس بن حارثة ؛ وذلك أنه كان فيهم أبو قيس بن الأسلت ، وهو صيفى ، وكان شاعراً لهم قائدا يستمعون منه ويُطيعون ، فوقف بهم عن الإسلام ، فلم يزل على ذلك حتى هاجَر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، ومضى بدرٌ وأُحد والخندق ، وقال فيما رأى من الإسلام ، وما اختلف الناس فيه من أمره :

أَرَبَّ النَّاسِ أشياء أَلَمَّتْ ... يُلَفُّ الصَّعْبُ منها بالذَّلُولِ
أربَّ النَّاسِ أمَّا إذْ ضَلَلْنا ... فَيَسِّرْنا لِمَعْروفِ السَّبيل
فلولا رَبُّنا كُنَّا يَهُوداً ... وما دين اليهود بذى شُكول
ولولا رَبُّنا كُنَّا نَصارَى ... مع الرُّهْبان فى جَبَل الجليل
ولَكِنَّا خُلِقْنا إذْ خُلِقْنا ... حَنِيفاً دِينُنا عن كُلّ جيل
نسوق الهَدْى ترسُف مُذْعنات ... مكشَّفةَ المَنا كب فى الجُلُول

قال ابن هشام : أنشدنى قوله : فلولا ربنا ، وقوله : لولا ربنا ، وقوله : مكشفة المناكب فى الجلول ، رجل من الأنصار ، أو من خزاعة .

أمر العقبة الثانية

قال ابن إسحاق : ثم إن مُصْعب بن عُمير رجَع إلى مكة ، وخرج مَنْ خرج من الأنصار المسلمين إلى المَوْسم مع حُجَّاج قومهم من أهل الشِّرك ، حتى قَدموا مكة ، فواعدوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم العقبةَ ، من أوسط أيام التشريق ، حين أراد الله بهم ما أراد من كرامته ، والنصر لنبيِّه ، وإعزاز الإسلام وأهله ، وإذلال الشرك وأهله .

البراء بن معرور وصلاة الكعبة

قال ابن إسحاق : حدثني مَعْبد بن كَعْب بن مالك بن أبى كعب بن القَيْن ، أخو بنى سلمة ، إن أخاه عبد الله بن كعب ، وكان من أعلم الأنصار ، حدثه أن أباه كعبا حدثه ، وكان كعبٌ ممن شَهِد العقبة وبايع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بها ، قال : خرجنا فى حُجَّاج قومنا من المُشْركين ، وقد صلَّينا وفَقِهنا ، ومعنا الْبَرَاء بن مَعْرُور ، سيِّدُنا وكبيرنا ، فلما وَجَّهْنا لِسَفَرِنا ، وخَرَجْنا من المدينة ، قال البَرَاء لنا : ياهؤلاء ، إنى قد رأيت رأيا ، فوالله ما أدْرى ، أتوافقوننى عليه ، أم لا ؟ قال : قلنا : وماذاك ؟ قد رأيت أنْ لا أدع هذه البَنِيَّة منى بظَهْرٍ ، يعنى : الكعبة ، وأن أُصَلِّى إليها . قال : فقلنا ، والله ما بلَغنا أن نبيَّنا صلى الله عليه وسلم يصلى إلا إلى الشام ، وما نريد أن نخالفه . قال : فقال : إنى لمصلٍّ إليها قال : فقلنا له : لكنَّا لا نفعل . قال : فكنا إذا حضرت الصلاةُ صلَّينا إلى الشام ، وصلى إلى الكعبة ، حتى قَدِمنا مكة . قال : وقد

. . . .

كنا عِبنْا عليه ماصنع ، وأَبَى إلا الإقامة على ذلك . فلما قَدمنا مكة قال لى : ياابن أخى ، انطلقْ بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلمُ ، حتى نسأله عما صنعتُ فى سَفرى هذا ، فإنه والله لقد وَقَع فى نفسى منه شئ ، لِما رأيتُ من خِلافكم إيَّاى فيه . قال : فخرجنا نسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكنَّا لانعرفه ، ولمْ نَرَه قبل ذلك فلقيَنا رجلا من أهل مكة ، فسألناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : هل تعرفانه ؟ فقلنا : لا ؛ قال : فهل تعرفان العبَّاس بن عبد المطَّلب عَمَّه ؟ قال : قلنا : نعم — قال : وقد كنَّا نعرف العبَّاس ، كان لايزال يقدَم علينا تاجراً — قال : فإذا دخلتما المسجد فهو الرجلُ الجالسُ مع العبَّاس . قال : فدخلنا المسجد فإذا العبَّاس جالسٌ ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم جالسٌ معه ، فسلَّمنا ثم جلسنا إليه . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم للعبَّاس : هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفَضْل؟ قال : نعم ، هذا البرَاء بن مَعْرور ، سيِّد قومه ، وهذا كعب بن مالك . قال : فوالله ما أنسى قولَ رسول الله صلى الله عليه وسلم : الشاعر ؟ قال : نعم . فقال البَرَاء بنُ مَعْرور : يانبيّ الله ، إنى خرجتُ فى سفرى هذا ، وقد هدانى الله للإسلام ، فرأيت أن لا أجعل هذه البَنِيَّة منى بظَهْر ، فصلَّيتُ إليها ، وقد خالفنى أصحابى فى ذلك ، حتى وقع فى نفسى من ذلك شَىء ، فماذا ترى يارسول الله؟ قال : قد كنتَ على قِبْلة لو صبرتَ عليها . قال : فرجع البَرَاء إلى قِبْلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصلى معنا إلى الشام . قال : وأهلُه يزعمون أنه صلى إلى الكعبة حتى مات ، وليس ذلك كما قالوا ، نحن أعلم به منهم .

رفع المسهم

قال ابن هشام : وقال عَوْن بن أيوب الأنصاريّ :

ومِنَّا المُصَلِّى أوّلَ الناسِ مُقْبِلاً   على كَعْبَةِ الرَّحمن بين المَشاعِرِ

يعنى البَرَاءَ بن مَعْرور . وهذا البيت فى قصيدة له .

إسلام عبد الله بن عمرو بن حرام

قال ابن إسحاق : حدثنى مَعْبد بن كعْب ، أن أخاه عبد الله بن كعب حَدّثه أن أباه كعب بن مالك حدثه ، قال كعب : ثم خرجنا إلى الحجّ ، وواعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعقبة من أوسط أيام التشريق . قال فلما فرغنا من الحجّ ، وكانت الليلة التى واعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لها ، ومعنا عبدُ الله بن عمرو بن حَرام أبو جابر ، سيِّد من ساداتنا ، وشريف من أشرافنا ، أخذناه معنا ، وكنّا نكتم مَن معنا من قومنا من المشركين أمرَنا ، فكلّمناه وقُلْنا له : يا أبا جابر ، إنك سيِّد من ساداتنا ، وشَريف من أشرافنا ، وإنّا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حَطَباً للنار غدا ، ثم دَعَوْناه إلى الإسلام ، وأخبرناه بميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم إيانا العقبة . قال : فأسلم وشَهد معنا العَقَبة ، وكان نقيبا .

أمر أتان فى البيعة

قال : فنِمْنا تلك الليلة مع قومنا فى رِحالنا ، حتى إذا مَضى ثلثُ الليل خَرَجْنا من رحالنا لمعاد رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، نتسلّل تسلُّلَ القطا

مُسْتخفِين ، حتى اجتمعنا فى الشِّعْب عند العقبة ، ونحن ثلاثة وسبعون رجلا ، ومعنا امرأتان من نسائنا نُسَيبة بنت كعب ، أمّ عُمارَة ، إحدى نساء بنى مازن ابن النجّار ، وأسماء بنت عَمْرو بن عدىّ بن نابى ، إحدى نساء بنى سلمة ، وهى أم مَنِيع .

العباس والأنصار

قال : فاجتمعنا فى الشِّعب نَنتظر رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، حتى جاءنا ومعه العبّاسُ بن عبد المطلب ، وهو يومئذ على دين قومه ، إلا أنه أحَبّ أن يحضُر أمرَ ابن أخيه ويتوثّق له . فلما جلَس كان أوّل متكلِّم العبّاس بن عبد المطلب ، فقال : يامعشر الخزرج — قال ، وكانت العرب إنما يسمُّون هذا الحىَّ من الأنصار ، الخزرج ، خزرجها وأوْسها — : إن محمداً منّا حيث قد علمتم وقد منعناه من قومنا ، ممن هو على مثل رأينا فيه ، فهو فى عزّ من قومه ومَنعة فى بلده ، وإنه قد أبى إلا الانحيازَ إليكم ، واللُّحوقَ بكم ، فإن كنتم ترَوْن أنكم وافُون له بما دعوتموه إليه ، ومانعوه ممن خالفه ، فأنتم وما تحمَّلْتم من ذلك ، وإن كنتم ترَوْن أنكم مُسْلِموه وخاذِلوه بعد الخروج به إليكم ، فمِن الآن فدَعُوه ، فإنه فى عِزٍّ ومَنَعَة من قومه وبلده . قال ، فقلنا له ، قد سَمِعنا ما قلت ، فتكلم يارسول الله ، فخذْ لنفسك ولربِّك ما أحببتَ .

عهد الرسول عليه الصلاة والسلام على الأنصار

قال ، فتكلم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فتلا القرآن ، ودعا إلى الله ، ورغَّب فى الإسلام ، ثم قال ، أُبايعكم على أن تمنعونى مما تَمنعون منه نساءَكم وأبناءَكم .

قال، فأخذ البَرَاء بن مَعْرور بيده ، ثم قال ، نعم ، والذى بعثك بالحقّ ، لنمنعنَّك مما نَمْنع منه أُزُرَنا فبايِعنا يارسول الله ، فنحن والله أهل الحروب ، وأهل الحَلْقة ، وَرِثناها كابراً [عن كابر] . قال ، فاعترض القول،والبراء يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أبو الهيثم بن التيهان فقال يارسول الله ، إن بيننا وبين الرجال حبالاً ، وإنَّا قاطِعوها - يعنى اليهود - فهل عسيتَ إن نحن فَعلْنا ذلك ، ثم أظهرَك اللهُ أن ترجعَ إلى قومك وتَدَعنا ؟ قال: فتبسّم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : بل الدم الدم ، والهَدْم الهَدْم ، أنا منكم وأنتم منى ، أحارب مَنْ حاربتم ، وأسالِم من سالمتم . .

قال ابن هشام . ويقال : الهَدَم الهَدَم : أى ذِمَّتِى ذمَّتكم وحُرْمتى حُرْمَتُكم .

قال كعب : وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أخرجوا إلىّ منكم اثنى عشر نقيبا ، ليكونوا على قومهم بما فيهم . فأخرجوا منهم اثنى عشر نقيبا ، تسعةً من الخزرج ، وثلاثةً من الأَوْسِ .

أسماء النقباء الاثنى عشر وتمام خبر العقبة

النقباء من الخزرج

قال ابن هشام : من الخزرج - فيما حدثنا زيادُ بن عبد الله البكّائى ، عن محمد بن إسحاق المطلبى - : أبو أُمامةَ أسعَدَ بن زُرَارَة بن عُدَس بن عُبيد بن ثعلبة بن غَنْم بن مالك بن النجّار ، وهو : تَيْمُ الله بن ثَعْلبة عمرو بن الخزرج [بن حارثة] ، وسَعد بن الربيع بن عمرو بن أبى زُهير بن مالك بن

رفع
المسـهم
غفر الله له ولوالديه

أمرئ القيس بن مالك بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث ابن الخزرج، وعبدالله بن رَوَاحَة بن ثعلبة امرىء القيس بن عمرو بن امرئ القيس بن مالك [الأغر] بن ثَعْلَبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث ابن الخزرج ، ورافع بن مالك بن الْعَجْلَانِ بن عمرو بن عامر بن زُرَيْقِ بن عَبْد حارثة بن مالك بن غَضْب بن جُشَم بن الْخَزْرَجِ ؛ والْبَرَاء بن مَعْرور بن صخر بن خَنْساء بن سِنَانِ بن عُبَيْد بن عَدِيّ بن غَنْم بن كَعْب بن سَلَمَة ابن سَعْد بن عليّ بن أسد بن سارِدَة بن تَزِيد بن جُشَم بن الخزرج ، وعبد الله ابن عمرو بن حَرَام بن ثَعْلَبة بن حَرَام بن كعب بن غَنْم بن كَعْب بن سَلَمَة ابن سَعْد بن عليّ بن أسد بن سارِدَة بن تَزِيد بن جُشَم بن الخزرج ، وعُبادة ابن الصامت بن قَيْسِ بن أَصْرَم بن فِهْر بن ثَعْلَبة بن غَنْم بن سالم بن عَوْف ابن عَمْرو بن عَوْفِ بن الخزرج .

قال ابن هشام : هو غَنْم بن عوف ، أخو سالم بن عوف بن عمرو بن عوف ابن الخزرج .

قال ابن إسحاق : وسعد بن عُبادة بن دُلَيْم بن حارثة بن أبي خُزَيْمَة ابن ثعلبة بن طَرِيف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج ، والمنذر ابن عمرو بن خُنَيْسِ بن حارثة بن لَوْذان بن عبد وُدّ بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج ـ قال ابن هشام : ويقال : ابن خنيش .

النقباء من الأوس

ومن الأوس أُسَيْد بن حُضَير بن سِماك بن عَتِيك بن رَافِع بن امرئ القيس بن زَيْد بن عبد الأشهل [بن جُشَم بن الحارث بن الخزرج ابن عمرو بن مالك بن الأوس بن حارثة ، وسعد بن خَيْثَمة بن الحارث بن مالك بن كَعْب بن النَّحَّاط بن كَعْب بن حارثة بن غَنْم بن السَّلْم بن امْرِئ القيس [بن ثعلبة بن عمرو بن عوف] بن مالك بن الأوس [ابن حارثة] ورِفَاعَةُ ابن عبد المُنْذِر بن زبير بن زيد بن أُمَيَّة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو ابن عوف بن مالك بن الأوس .

شعر كعب بن مالك عن النقباء

قال ابن هشام : وأهل العلم يعدّون فيهم أبا الهيثم بن التَّيِّهان ، ولا يعدّون رفاعة . وقال كعب بن مالك يذكرهم ، فيما أنشدني أبو زيد الأنصاري :

أبلغ أُبَيًّا أنَّه فال رأيُه ... وحان غداة الشِّعب والحينُ واقعُ
أبى اللهُ ما مَنَّتك نفسُك إنَّه ... بمِرْصاد أمرِ النَّاسِ راءٍ وسامعُ
وأبلغ أبا سُفيان أنْ قد بدا لنا ... بأحمدَ نورٌ من هُدَى الله ساطِع
فلا تَرْغَبَن في حَشْد أمرٍ تُريده ... وألِّب وَجَمِّع كُلَّ ما أنت جامع
ودُونَك فاعلم أنَّ نقضَ عُهودِنا ... أباه عليك الرَّهْطُ حين تبايعوا
أباه البَرَاء وابنُ عَمرٍو كلاهما ... وأسعدُ يأباه عليك ورَافِع

وَسَعْدٌ أباه السَّاعدىُّ ومُنْذِرٌ ... لأنفك إن حاولت ذلك جادِع
وما ابنُ رَبيع إن تناولت عهدَه ... بمُسْلِمِه لايطمعنْ ثَمَّ طامع
وأيضا فلا يُعْطيكه ابْنُ رَوَاحَة ... وإخفَارُه مِنْ دُونه السمُّ ناقع
وفاءٌ بِهِ والْقَوْقَلِىّ بنُ صامت ... بِمَنْدُوحَةٍ عما تحاول يافع
أبو هَيْثم أيضا وفِىٌّ بمثلها ... وفاءٌ بِمَا أعطَى من العهد خانِع
وما ابن حُضَير إن أردت بمَطْمع ... فهل أنت عن أُحْمُوقَةِ الْغَىّ نازع؟
وَسَعْدٌ أخو عَمْرِو بن عَوْف فإنه ... ضَرُوحٌ لما حاولتَ مِ الْأَمْرِ مانع
أُولاكَ نجومٌ لايُغِبُّك منهمُ ... عليك بنَحْسٍ فى دُجَى الليل طالِع

فذكر كَعْب فيهم أبا الْهيْثَم بن التَّيِّهان ، ولم يذكر رفاعة .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى بكر : أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للنُّقباء : أنتم على قومكم بما فيهم كُفَلاء ، كَكَفالة الحواريِّين لعيسى بن مَرْيم ، وأنا كَفيل على قَوْمى — يعنى المسلمين — قالوا : نعم .

ما قاله العباس بن عبادة للخزرج قبل المبايعة

قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصمُ بن عمر بن قَتادة : أن القوم لمَّا اجتمعوا لبَيْعة رسولِ الله — صلى الله عليه وسلم — قال العبَّاس بن عُبادة بن نَضْلة الأنصارىّ ، أخو بنى سالم بن عَوْف : يامعشر الخزرج ، هل تدرُون علامَ تُبايعون هذا الرجلَ ؟ قالوا : نعم ، قال : إنكم تُبايعونه على حَرْب الأحمر والأسود من الناس ، فإن كنتم ترَوْن أنكم إذا نُهِكَتْ أموالُكم

مُصِيبة ، وأشرافُكم قتلاً أسلمتموه ، فمن الآن ، فهو والله - إن فعلتم خِزْىُ الدنيا والآخرة ، وإن كنتم ترَوْن أنكم وافون له بما دَعَوْتموه إليه على نَهْكَةِ الأموال ، وقَتْل الأشراف ، فخُذُوه ، فهو والله خَيْرُ الدنيا والآخرة ، قولوا : فإنّا نأخذه على مُصيبة الأموال ، وقَتْل الأشراف ، فما لنا بذلك يارسول الله إن نحن وفّينا ؟ قال : الجنّة . قالوا : أبسُط يدَك ، فبَسَط يدَه فبايعوه .

وأما عاصم بن عُمر بن قَتَادَة فقال : والله ما قال ذلك العبّاس إلا لِيَشُدَّ الْعَقْدَ لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى أعناقهم .

وأما عبدُ الله بن أَبِى بكر فقال : ماقال ذلك العبّاس إلا ليؤخِّرَ القوم تلك الليلة ، رجاء أن يحضرها عبد الله بن أُبَىّ بن سَلُولٍ ، فيكون أقوى لأمر القوم. فالله أعلم أىّ ذلك كان .

قال ابن هشام : سَلُول : امرأة من خُزاعة ، وهى أم أُبَىّ بن مالك بن الحارث .

أول صحابى ضرب على يد الرسول فى بيعة العقبة الثانية

قال ابن إسحاق : فبنُو النجّار يزعُمون أن أبا أمامة ، أسعد بن زُرارة ، كان أوّلَ من ضرب على يَده ، وبنو عبد الأشهل يقولون : بل أبو الهَيْثم بن التَّيهان .

رفع المسهم

قال ابن إسحاق : قال الزهرى : حدثنى معبد بن كعب بن مالك ، فحدثنى فى حديثه ، عن أخيه عبد الله بن كعب ، عن أبيه كعب بن مالك ، قال : كان أوّل من ضَرب على يد رسولِ الله صلى الله عليه وسلم البَرَاءُ بنُ مَعْرور ، ثم بايع بعدُ القومُ .

الشيطان و بيعة العقبة

فلمّا بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صرخ الشيطان من رأس العَقَبَة بأنفذ صوت سمعتُه قطُّ : يا أهل الجَباجِبِ — والجَباجِبُ : المنازل — هل لكم فى مُذَمَّم والصُّباة معه ، قد اجتمعوا على حَرْبكم . قال : فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : هذا أَزَبُّ العَقبة ، هذا ابن أَزْبَب — قال ابن هشام : ويقال ابن أَزْيَب — استمع أى عدوّ الله ، أمَا والله لأفرغنّ لك .

الرسول لا يستجيب لطلب الحرب من الأنصار

قال : ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ارفضُّوا إلى رِحالِكم . قال : فقال له العبَّاسُ بن عُبَادة بن نَضْلَة : والله الذى بعثك بالحقّ : إن شئتَ لنميلنّ على أهْل مِنى غداً بأسْيافنا ؟ قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لم نُؤْمَر بذلك ، ولكن ارجعُوا إلى رحالكم . قال : فرَجعنا إلى مَضاجعنا ، فنِمْنا عليها حتى أصْبحنا .

مجادلة جلة قريش للأنصار فى شأن البيعة

فلما أصبحنا غدت علينا جِلَّة قُرَيش ، حتى جاءونا فى مَنازلنا ، فقالوا : يامعشر الخَزْرج ، إنه قد بَلَغنا أنكم قد جِئْتم إلى صاحبنا هذا تَستَخرِجُونه من بين أَظْهُرِنا ، وتُبايعونه على حَرْبنا ، وإنه والله مامِن حَىٍّ من العرب أبغَضُ إلينا ، أن تَنشَب الحربُ بيننا وبينهم ، منكم . قال : فانبعث مَنْ هنالك مِنْ مُشركى قَوْمنا يَحْلفون بالله ما كان مِن هذا شىء ، وما عَلِمْناه . قال : وقد صدَقوا ، لم يَعْلموه . قال : وبعضُنا ينظُر إلى بعض . قال : ثم قام القومُ ، وفيهم الحارث بنُ هشام بن المُغيرة المَخزومىّ ، وعليه نَعْلان له جَديدان . قال : فقلتُ له كلمةً — كأنى أريد أن أُشْرِكَ القومَ بها فيما قالوا — : يا أبا جابر ، أمَا تستَطيع أن تتَّخذ ، وأنت سيِّد من ساداتنا ، مثلَ نَعْلَىْ هذا الفتى من قُريش ؟ قال : فَسمِعها الحارث ، فخَلَعهما من رِجْليه ثم رمى بهما إلىّ ، وقال : والله لتَنْتَعِلَنَّهما . قال : يقول : أبو جابر : مَه ، أحْفَظْتَ والله الفَتى ، فاردُد إليه نَعْلَيه . قال : قلت لا : والله لاأردّهما ، فألٌ والله صالح ، لئن صدق الفألُ لأَسْلُبَنَّه .

قال ابن إسحاق : وحدثنا عبد الله بن أبى بكر : أنهم أتَوا عبدَ الله بن أبىّ بن سَلُول ، فقالوا له مثل ما قال كعب من القول ، فقال لهم : إنّ هذا الأمر جَسيم ، ما كان قومى ليتفوَّتوا علىّ بمثل هذا ، وما علمته كان . قال : فانصرفوا عنه .

. . . .

قريش تطلب الأنصار وتأسر سعد بن عبادة

قال : ونَفَر الناسُ من مِنًى ، فتَنَطَّس القومُ الخبَر ، فوجدوه قد كان ، وخَرجوا فى طلب القوم ، فأدركوا سَعْد بن عُبادة بأذاخِر ، والمُنْذِرَ بن عمرو ، أخا بنى ساعدة بن كَعْب بن الخَزْرج ، وكلاهما كان نقيبا . فأما المُنْذِرُ فأعْجَز القومَ ، وأما سَعْد فأخَذُوه ، فرَبطوا يَدَيْه إلى عُنقه بِنِسْع رَحْله ، ثم أقْبَلوا به حتى أدْخلوه مكّة يَضْرِبونه ، وَيجْذِبونه ، بجُمَّتِه ، وكان ذا شَعْرٍ كَثِير .

خلاص سعد بن عبادة

قال سعد : فوالله إنى لفى أيْديهم إذ طَلع علىّ نَفرٌ من قُريش ، فيهم رَجُلٌ وَضِيء أبيضُ ، شَعْشَاع ، حلو من الرجال قال ابن هشام : الطويل الحسن قال رؤبة : يَمطُوه من شَعْشَاع غيرِ مُودَن . يعنى عنق البعير غير قصير يقول مودن اليد أى : ناقص اليد يمطوه من السير شعشاع : حلو من الرجال .

قال : قلت فى نفسى : إن يكُ عند أحدٍ من القوم خَير ، فعند هذا ، قال فلما دنا منى رفع يدَه فلَكَمنى لَكْمةً شديدة . قال : قلت فى نفسى ، لاوالله ماعندهم بعد هذا من خَير . قال : فوالله إنى لفى أيديهم يَسْحبوننى إذ أوَى لِى رَجُلٌ مِمّنْ كان معهم ، فقال : وَيْحَكَ ! أما بينك وبين أحد من قُريش جوار ولا عَهْد ؟ قال : قلت : بلى ، والله لقد كنت أجِير لِجُبَير بن مُطْعِم ابن عدىّ بن نَوْفَل بن عَبد مناف تجارة، وأمنعهم ممن أراد ظُلْمَهُم ببلادى،

. . . .

رفع
المسيهم
عز الله الطوالة

وللحارث ابن حَرْب بن أُميَّة بن عبد شمس بن عبد مناف ، قال : ويحك ! فاهتِف باسم الرّجلين ، واذكر مابينك وبينهما . قال . ففعلتُ ، وخرج ذلك الرجلُ إليهما ، فوجدَهما فى المَسجِد عند الكعبة ، فقال لهما : إن رجلاً من الخزرج الآن يُضرَب بالأبطَح لَيَهتِف بكما ، ويذكر أن بينه وبينكما ، جواراً ، قالا : مَنْ هو ؟ قال سعد بن عُبادة ، قالا : صدق والله ، إن كان لَيُجير لنا تِجارَنا ، ويَمنعهم أن يُظلَموا ببلده : قال : فجاءا فخلَّصا سعداً من أيديهم ، فانطلق . وكان الذى لَكَمَ سعداً ، سُهَيلُ بن عمرو ، أخو بنى عامر بن لُؤَىّ .

قال ابن هشام : وكان الرجلُ الذى أوَى إليه ، أبا البَختِرِىّ بن هشام .

قال ابن إسحاق : وكان أوّل شعر قيل فى الهجرة بيتَيْن ، قالهما ضِرَارُ ابن الخطّاب بن مِرْداس ، أخو بنى محارب بن فهر :

تداركتَ سَعْداً عَنْوَةً فأخَذْتَه ... وكان شِفاءً لو تداركتَ مُنْذِرا
ولو نِلْتُه طُلَّت هناك جِراحُه ... وكانت حَرِيًّا أن يُهانَ ويُهْدَرا

قال ابن هشام : ويروى :

وكان حقيقا أن يُهانَ ويُهْدَرا

قال ابن إسحاق : فأجابه حسَّان بن ثابت فيهما فقال ،

لستَ إلى سَعْدٍ ولا المرء مُنْذِرٍ ... إذا مامَطايا القوْم أصبحْنَ ضُمَّرَا
فلولا أبو وَهْبٍ لَمرّت قصائدٌ ... على شرَف البَرْقاء يَهْوِينَ حُسَّرا

رفع
المسهم
غفر الله له ولوالديه

أَتفخَرُ بالكَتَّان لمَّا لَبِسْتَه ... وقد تلْبَس الأنباطُ رَيْطاً مُقَصَّرا
فَلا تكُ كالوَسنان يَحلُم أنه ... بقَرْيَة كِسْرَى أو بقَرْيَة قَيْصَر
ولاتكَ كالثَّكلَى وكانت بمَعزل ... عن الثُّكل لو كان الفُؤَادُ تفكَّرا
وَلاتكُ كالشَّاةِ التى كان حَتْفها ... بحَفْر ذِراعَيْها فلم تَرْضَ مَحْفَرا
وَلاتكُ كالعاوِى فأقبَل نَحرَه ... ولم يَخْشَه سَهْماً من النَّبْل مُضْمَرا
فإنَّا وَمَنْ يُهْدِى القَصائد نَحوَنا ... كمُسْتَبْضِعٍ تَمراً إلى أهلِ خَيْبرا

وذكر فى أنسابِ المبايعين له فى العَقَبَةِ الأولى فى بنِى سَلِمَة منهم : سادِرة ابن تَزِيد بن جُشَم ، وتَزِيد بتاء منقوطة باثنتين من فوق ، ولا يعرف فى العرب تَزيد إلا هذا ، وتَزِيد بن الحافِ بن قُضاعَة ، وهم الذين تنسب إليهم الثياب التزيدية ، وأما سَلِمَة بكسر اللام ، فهم من الأنصار سمى بالسَّلِمَة واحدة السِّلام ، وهى الحجارة ، قال الشاعر :

ذَاكَ خَلِيلى وذو يُعاتِبنِى ... يَرْمِى ورائى بالسَّهْمِ والسَّلِمَة(١)

وفى جُعْفِىّ :سلمة بن عمرو بن دهل بن مروان بن جُعْفِىٍّ وفى جُهَيْنَةَ سَلِمَةُ

---

(١) فى اللسان : أنشد أبو عبيد فى السلمة :

ذاك خليلى وذو يعاتبنى ... يرمى ورائى بامسهم وامسلمة

وأراد : والسلمة ، وهى من لغات حمير قال ابن برى هو : البجير بن عنمة الطائى ، قال : وصوابه :

وإن مولاى ذو يعاتبنى ... لاإحنة عنده ، ولا جرمة
ينصرنى منك غير معتذر ... يرمى ورائى بامسهم وامسلمه

رفع المسهم

. . . .

ابن نَصْر بن غَطَفَان قاله ابن حبيب النسابة[1] وفى الصحابة عَمْرو بن سَلِمَة أبو بُرَيْدة الجَرْمىّ الذى أمَّ قومَه ، وهو ابن ست سنين أو سبع ، وفى الرُّواة عبدالله بن سَلِمةو ينسب إلى بنى سَلِمَة هؤلاء سَلَمىّ بالفتح ، كما ينسب إلى بنى سَلَمَة ، وهم بطنان من بنى عامر يقال لهم : السَّلَمات ، يقال لأحدهم سَلَمَة الخَيْر ، والآخرَ سَلَمَة الشرِّ ابنا قصير بن كعب بن ربيعة بن عامر ، وأما بنو سَلِيمَة بياء ففى دَوْسٍ ، وهم بنو سَلِيمَة بن مالك بن فَهْمِ بن غَنْم بن دَوْس ، وسَلِيمَةُ هذا هو أخو جَذِيمة الأبْرش ، وهو الذى قتل أخاه مالكا بسهم[2] قَتْل خَطأٍ ، ويقال فى النسب إليه : سَلَمِىٌّ أيضا وهو القياس، وقد قيل : سَلِيمىٌّ كما قيل فى عُمَيْرَةُ عُمَيْرىٌّ .

وذكر بنى جِدَارة من بنى النجار ، وجِدَارة وخُدَارة : أخوان ، وغيره

---

(١) فى القاموس : « وبنو سلمة بطن من الأنصار ، وابن كهلاء فى بجيلة ، وابن الحارث فى كندة ، وابنعمرو بن ذهل وابن غطفان بن قيس،وعميرة بن خفاف بن سلمة ، وعبد الله بن سلمة البدرى الأحدى ، وعمرو بن سلمة الهمدانى ، وعبد الله بن سلمة المرادى وأخطأ الجوهرى فى قوله : وليس سلمة فى العرب غير بطن الأنصار » وذكر أيضاً فى الصحابة سلمة بن حنظلة السحيمى وابن قيس الجرمى .

(٢) فى الاشتقاق : وسليمة الذى رمى أباه بسهم ، فقتله وله يقول مالك .

أعلمـه الرماية كل يوم فلما اشتد ساعـده رمانى

ويروى : استد . وفى مادة سدد فى اللسان يذكر ابن برى أنه رآه فى شعر عقيل بن علفة يقول فى ابنه عملس حين رماه بسهم ، ونسبه الجاحظ فى البيان والتبيين ص ٢٣١ ح ٣ إلى معد بن أوس انظر ص ٤٩٧ ، ٥٤٣ الاشتقاق لابن دريد « ط » السنة المحمدية ص ٢٦٨

رفع المسهم

. . . .

يقول فى جِدارة : خُدَارة بالخاء المضمومة ، وهكذا قيده أبو عمرو ، كذلك ذكره ابن دريد فى الاشتقاق ، وهو أشبه بالصَّواب لأنه أخو خِدْرَة[1] وكثيرا ما يجعلون أسماء الإخوة مُشْتَقَّةً بعضها من بعض .

وذكر الْقَواقِل وهم بنو عمرو بن غَنْم بن مالك ،وذكر تسميتهم الْقَواقِل، وأن ذلك لقولهم إذا أجاروا أحدا : قَوْقِل حَيْث شئت ، وفى الأنصار : القواقِل والْجَعادِرُ[2] وهما بطنان من الأوس،وسبب تسميتهما:واحد فى المعنى ، أما الْجَعَادِرُ فكانوا إذا أجاروا أحدا أعطوه سهما ، وقالوا له : جَعْدِرْ به حيث شئت ، كما كانت القواقل[3] تفعل ، وهم بنو زَيد بن عمرو بن مالك بن ضُبَيْعَةَ [بن زيد] يقال لهم كسر الذهب ، وهما جميعاً من الْأَوْس. قال الشاعر :

فإن لنا بين الجوارى وليدةً ... مُقَابَلَة بين الجَعَادِر[4] والكسر
متى تدع فى الزيدين زيدِ بن مالك ... وزيدِ بن عمرو تأتِها عِزَّةُ الْخَفْرِ

وذكر فيهم أبا الهيثم بن التَّيِّهان ، ولم ينسبه ، ولا نسبه فى أهل العقبة الثانية ، ولا فى غزوة بدر ، وهو مالك بن التَّيِّهان ، واسم التيهان أيضاً مالكُ

---

(١) انظر ص ٤٥٥ الاشتقاق ط السنة المحمدية .

(٢) فى الاشتقاق : « ومرة ، وهم الجعادرة » ص٤٣٧ وقد جلعهم ابن دريد بطنا من الأوس وكذلك ابن حزم ص ٣٢٥ أما القواقل ، فهم من الخزرج .

(٣) القوقلة عند ابن دريد : التغلغل فى الشىء والدخول فيه ص ٤٥٦ .

(٤) الجعادرة هم بنو مرة بن مالك بن الأوس .

. . . .

ابن عَتِيكِ بن عَمْرو بن عبد الأعلم بن عامر بن زَعْورا(١) ، بن جُشَم بن الحارث بن الخَزْرَج بن عمرو بن مالك بن الأوس الأنصاري حليف بني عبد الأشْهَلِ كان أحد النُّقَباء ليلة العقبة ، ثم شهد بدرا ، واختلف فى وقت وفاته ، فأصح ماقيل فيه إنه شهد مع علىّ صِفِّين(٢) ، وقتل فيها رحمه الله . وأحسب ابن إسحاق وابنَ هشام تركا نسبه على جلالته فى الأنصار وشهوده هذه المشاهد كلها مع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لاختلافٍ فيه ، فقد وجدت فى شعر عبد الله بن رَوَاحَة حين أضاف أبو الهيثم رسولَ الله — صلى الله عليه وسلم — فى منزله ومعه أبو بكر وعمر ، فذبح لهم عَنَاقًا(٣) وأتاهم بِقِنْوٍ من رُطَبَ الحديث بطوله ، فقال ابن رَوَاحة فى ذلك :

فلم أر كالإسلام عِزًّا لأهله ... ولا مثلَ أضيافِ الأَرَاشِيِّ مَعْشَرا

فجعله إرَشِيًّا كما ترى ، والأَرَاشِيُّ منسوب إلى إراشَةَ فى خُزَاعَةَ ، أو إلى إراش بن لِحْيَانِ بن الغَوْثِ فالله أعلم : أهُو أنصارى بالحِلْفِ أم بالنَّسَبِ المذكور ، قبل هذا ، ونقلته من قول أبى عُمرَ فى الاستيعاب ، وقد قيل : إنه

---

(١) فى الاصل : زعورا والتصويب من الإصابة ونسبه فيها كما فى الروض وفى الإصابة : والروايات عن أبى الهيثم كلها فيها نظر ، وليست تأتى من وجه يثبت .

(٢) وهذا ساقه أبو بشر الدولابى من طريق صالح بن الوجيه ، وعبد الرحمن بن بديل وآخرون . وصفين أرض فوق بالس بمقدار نصف مرحلة ، وهما غربى الفرات بها كانت الوقعة بين على ومعاوية رضى الله عنهما ، وبالس هى أول مدن الشام من العراق وهى فرضة الفرات لأهل الشام

(٣) العناق : الأنثى من ولد المعز

. . . .

بلوِيٌّ من بنى إرَاشَة بن فاران بن عَمرْو بن بَلِيّ ، والهيثم فى اللغة : فَرْخُ [النَّسْرِ ، أو] الْعُقَاب ، والهيثم أيضاً ضَرْبٌ من الْعشب فيما ذكر أبو حنيفة ، وبه سمى الرجل هَيْثَما أو بالمعنى الأول وأنشد :

رَعَتْ بِقَرَان الْحَزْنِ رَوْضاً مَنوّراً عَمِيماً من الظلاع والْهَيْثَم الْجَعْدِ

ذكر بيعَتهم لرسول الله — صلى الله عليه وسلم — على بَيْعَـةِ النساء ألا يَسْرِقُوا ، ولاَ يَزْنُوا إلى آخر الآية ، وقيل فى قوله عز وجل خبرا عن بيعة النساء : ﴿ ولاَ يأْتين بِبُهْتَانٍ ﴾ أنه الولد تنسبه إلى بَعْلِها ، وليس منه ، وقيل : هو الاستِمْتَاع بالمرأة فيما دُون الْوَطْء كالقُبْلة والْجَسَّة ونحوها ، والأول يشبه أن يبايع عليه الرجالُ ، وكذلك قيل فى قوله تعالى : ﴿ ولاَ يعْصِينَكَ فى مَعْرُوفٍ ﴾ أنه النَّوْحُ ، وهذا أيضا ليس من شأن الرجال ، فدل على ضعف قول من خصه بالنَّوْح ، وخص الْبُهْتان بإلحاق الولد بالرجل ، وليس منه ، وقيل : يفترينه بين أيديهن يعنى : الكذب وعيْبَ الناس بما ليس فيهم ، وأرجلِهن يعنى : المشى فى معصية ، ولا يَعْصِينك فى معروف ، أى : فى خير تأمُرُهُنَّ به ، والمعروف: اسم جامع لمكارم الأخلاق ، وماعرف حُسْنُه ولم تنكره القلوبُ ، وهذا معنى يعم الرجالَ والنساءَ ، وذكر ابن إسحاق فى رواية يونس فيما أخذه عليه السلام عليهن : أن قال: ولاَ تغْشُشْنَ أزواجَكن ، قالت : إحداهن وماغِشُّ أزواجنا فقال : أن تَأْخُذِى من ماله

. . . .

فتُحاكِى به غيره(١) .

هجرة مصعب بن عمير

فصل : وذكر هجرة مُصْعَب بن عُمَيْر وهو الْمُقْرِئ ، وهو أول من سُمِّي بهذا ، أعنى الْمُقْرِئ يُكْنَى أبا عبد الله ، كان قبل إسلامه من أنْعَم قريشٍ عَيْشا وأعطرهم ، وكانت أمه شديدة الكَلَفِ به ، وكان يبيت وقَعْبُ الحَيْسِ(٢) عند رأسه ، يستيقظ فيأكل ، فلما أسلم أصابه من الشِّدَّة ماغيَّر لونه وأذهب لحمه ، ونَهَكَتْ جسمَه حتى كان رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ينظر إليه ، وعليه فروة قد رقعها ، فيبكى لما كان يعرف من نَعْمته ، وحلفت أمُّه حين أسلم وهاجر ألاَّ تأكلَ ولا تشربَ ولا تَسْتَظِلَّ بظل حتى يرجع إليها ، فكانت تقف للشمس حتى تسقط مَغْشِيًّا عليها ، وكان بنوها يَحْشُون فاها بِشِجَارٍ(٣) ، وهو عود فيصبُّون فيه الحَسَاء لئلا تموتَ ، وسنذكر اسمَها ونسبَها عند ذكره فى البَدْرِيِّين إن شاء الله تعالى ، وكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم يذكره ، فيقول : مارأيت بمكة أحسن لِمَّةً ، ولا أَرَقَّ حُلَّةً ولاَ أنْعَمَ نَعْمَةً من مُصْعَبِ بن عُمَيْر ذكره الواقدى . وذكر أيضا بإسنادٍ له ، قال : كان

---

(١) فى حديث رواه أحمد بسنده عن سلمى بنت قيس إحدى خالات الرسول صلى الله عليه وسلم .

(٢) القعب : القدح الضخم الجافى ، والحيس : تمر يخلط بسمن وأقط فيعجن شديداً ، ثم يندر منه نواه ، وربما جعل فيه سويق .

(٣) أصله : عود يجعل فى فم الجدى لئلا يرضع . وحديث بكاء الرسول «ص» حين كان يرى مصعبا رواه الترمذى بسند فيه ضعف .

رفع المسيهم

. . . .

مُصْعب بن عمَير فتى مكة شبابًا وجمالا وسِنًّا وكان أبواه يحبانه ، وكانت أمه تكسوه أحسن مايكون من الثياب ، وكان أعطَر أهلِ مكة يلبس الْحَضْرَمِيَّ من النِّعال(١)

وذكر أنَ مَنْزَلَه كان على أسعدين زُرَارةَ ، مَنزلٌ بفتح الزاى ، وكذلك كل ماوقع فى هذا الباب من مَنْزَل فلان على فلان ، فهو بالفتح ، لأنه أراد المصدر ، ولم يُرِد المكان ، وكذا قيده الشيخ أبو بحر بفتح الزاى ، وأما أُمُّ قيْس بنت مُحْصِن المذكورة فى هجرة بنى أسد ، فاسمها آمنة وهى أخت عكاشة ، وهى التى ذكرت فى الْمُوَطّأ وأنها أتت بابن لهـا صغير لم يأكل الطعام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أول جمعة :

فصل : وذكر أولَ من جَمَّع بالمدينة ، وهو أبو أمَامة ، وذكر غيره أن أولَ من جَمَّع بهم مُصْعَبُ بن عُمَير ، لأنه أول من قدم المدينة من المهاجرين ، ثم قدم بعده ابنُ أمِّ مَكْتُوم ، وقد ذكرنا فى أول الكتاب مَنْ جمع فى الجاهلية بمكة فخطب وذكَّر وبَشَّر بمبعث النبى صلى الله عليه وسلم ، وحَضَّ على اتباعه ، وهو كَعْب بن لُؤَىٍّ(٢) ويقال : إنه أول من سمى الْعَرُوبَةَ الجمعة ، ومعنى الْعَرُوبةِ الرحمة فيما بلغنى عن بعض أهل العلم ، وكانت قريش تجتمع إليه فيها فيما حكى الزبير ابن بكار ، فيخطبهم ، فيقول : أما بعد فاعلموا وتعلَّموا إنما الأرضُ لله مهادٌ ،

---

(١) نسبة إلى حضرموت ، وهى نعال ملسنة .

(٢) وسبق تعليق على ذلك .

. . . .

والجبالُ أوْتاد، والسماء بناء، والنجُوم سملا[1]، ثم يأمرهم بصلَةِ الرَّحِم، ويبشرهم بالنبي صلى الله عليه وسلم[2]، ويقول : حَرَمُكُمْ ياقوم عظِّمُوه، فسيكون له نبأٌ عظيم، ويخرج منه نبي كريم، ثم يقول في شعر ذكره :

على غَفْلة يأتي النبي محمدٌ فيخبر أخباراً صَدُوقٌ خبيرُها

صُروفٌ رأيناها تُقلِّب أهلَها لها عُقَدٌ مايستحيل مريرها

ثم يقول :

ياليتني شاهدٌ فَحْوَاء دَعْوته إذا قُرَيْش تبَغِّي الحقَّ خِذْلانا[3]

وأما أول من جمع في الإسلام فهو مَنْ ذكرنا.

نقيع الخضمات :

وذكر ابن إسحاق أنه جمع بهم أبو أمامة عند هَزْم النَّبِيتِ في بَقِيعٍ يقال له بقيع الخَضِماتِ. بقيع بالباء وجدته في نسخة الشيخ أبي بحر، وكذلك

---

(١) هكذا بالأصل، ولم أهتد إلى صوابها.

(٢) النبي نفسه لم يكن حتى ليلة المبعث يعرف شيئا عن نبوته. يجوز أن نفهم على فرض صحة النقل — أنه كان يبشرهم بمبعث نبي، ويقول عنه الجاحظ «ومن الخطباء القدماء : كعب بن لؤى، وكان يخطب على العرب عامة، ويحض كنانة على البر، فلما مات أكبروا موته، فلم تزل كنانة تؤرخ بموت كعب إلى عام الفيل» ص ٣٥ جـ١ البيان والتبيين بتحقيق عبد السلام هارون.

(٣) في الأصل. لجواء، وهو خطأ. وللكلمة روايتان إحداهما: فحواء أي: معنى، ونجواء، والمد للضرورة وهو من باب إضافة الصفة إلى الموصوف أي دعوته السر. وقد سبق التعليق على البيت في الجزء الأول.

وجدته فى روَاية يونس عن ابن إسحاق ، وذكره البكرى فى كتاب مُعْجَم ماستَعْجَم من أسماء البُقَع أنه نَقِيعٌ بالنون ، ذكره فى باب النون والقاف[(١)]، وقال : هَزْم النَّبيت : جَبَلٌ على بريد من المدينة ، وفى غريب الحديث : أنه عليه السلام حمى غرز النقيع. قال الخطابى : النقيعُ : القاعُ ، والغَرَزُ شبه الثُّمام[(٢)] وسيأتى تفسيرُه فيما بعد إن شاء الله تعالى، ومعنى الخَضِمَاتِ من الخَضْم، وهو الأَكل بالفم كله ، والقَضْمُ بأطراف الأسنان ، ويقال : هو أكل اليابس ، والخَضْمُ : أكل الرطب، فكأنه جمع خَضِمَة ، وهى الماشية التى تَخْضَم، فكأنه سمى بذلك لخصب كان فيه ، وأما البقيع بالباء فهو أقرب إلى المدينة منه بكثير ، وأما بقيع الخَبْجَبَة بخاء وجيم وباءين ، فجاء ذكره فى سُنَنِ أبى داود[(٣)] : والخَبْجَبَةُ : شَجَرَةٌ عُرِف بها .

الجمعة :

فصل : وتجميع أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الجمعَة وتسميتُهم إيَّاها بهذا الأسم وكانت تسمى العَرُوبَةَ ـ كان عن هِدايةٍ من الله تعالى لهم

(١) يقول الخشنى فى شرح السيرة عن نقيع الخضمات : « وقع فى الرواية هنا بالباء والنون ، والصواب بالنون ، وهو موضع يستنقع فيه الماء »والنقيع : البئر» ص ١١٨ . وهو فى معجم ياقوت : نقيع . وكذلك صاحب المراصد .

(٢) فى القاموس عن الغرز : ضرب من الثمام أو نباته كنبات الإذخر من شر المرعى .

(٣) رواه فى باب الركاز بسنده عن ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب ، وخلاصته أن المقداد وجد ببقيع الخبجبة حجرا وجد به عدة دنانير ، وأن النبى دعا له بالبركة فيها بعد أن علم أنه لم يهو إلى الحجر بيديه .

. . . .

قبل أن يُؤْمَروا بها ، ثم نزلت سورة الجمعة بعد أن هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، فاستقر فرضُها واستمر حكمُها ، ولذلك قال - صلى الله عليه وسلم - في يوم الجمعة : أَضَلَّتْه اليهودُ والنصارى ، وهداكم الله إليه .

ذكر الكَشِّي ، وهو عَبْدُ بن حميد قال : نا عبد الرزاق عن مَعْمَر عن أيوب عن ابن سيرين قال : جمع أهلُ المدينة قبل أن يَقْدَم النبي - صلى الله عليه وسلم - المدينة ، وقبل أن تنزل الجمعة ، وهم الذينَ سَمَّوا الجُمُعَة ، قال الأنصار : لليهود يوم يجتمعون فيه كل سبعة أيام ، وللنصارى مثل ذلك ، فَهَلُمَّ ، فلنجعلْ يوما نجتمع فيه ، ونذكر الله ، ونصلي ونشكر ، أو كما قالوا ، فقالوا : يوم السبت لليهود ، ويوم الأحد للنصارى ، فاجعلوا يوم العَرُوبة ، كانوا يسمون يوم الجمعة يوم العروبة ، فاجتمعوا إلى أسعد بن زُرارَة ، فصلى بهم يَوْمئذٍ ركعتين ، فذكرهم ، فسموا الجمعة حين اجتمعوا إليه ، فذبح لهم شاةً فتغدَّوا وتعشَّوْا من شاةٍ ، وذلك لقلتهم ، فأنزل الله -عز وجل- في ذلك : ﴿ إذا نُودِي للصلاةِ مِنْ يَوم الجُمعة فاسعَوْا إلى ذكر الله ﴾ الجمعة : ٩ .

قال المؤلف : ومع توفيق الله لهم إليه ، فيبعد أن يكونَ فعلُهم ذلك عن غير إذن من النبي - صلى الله عليه وسلم - لهم ، فقد روى الدَّارَقُطْنِيُّ عن عُثْمان ابن أحمد بن السَّمَّاك ، قال : نا أحمد بن محمد بن غالب الباهِلِيّ ، قال : نا محمد ابن عبد الله أبو زيد الْمَدَنِي ، قال : نا المُغِيرَةُ بن عبد الرحمن ، قال : حدثني مالك عن الزُّهْرِيٌّ عن عُبَيْدِ الله بن عَبْـدِ الله عن ابن عباس ، قال : أذن النبيُّ صلى الله عليه وسلم بالجمعة قبل أن يهاجر ، ولم يستطع رسولُ الله صلى الله

. . . .

عليه سلم ـ أن يجمع بمكة ، ولا يُبدى لهم ، فكتب إلى مُصْعَب بن عُمَيْر : أما بعد : فانظر اليوم الذى تجهر فيه اليهود بالزَّبُور لِسَبْتهم ، فاجْمَعُوا نساءكم وأبناءكم ، فإذا مال النهارُ عن شَطْرِه عند الزَّوال من يوم الجمعة ، فتقربوا إلى الله بركعتين قال : فأول من جَمَّع : مُصْعَبُ بن عُمَيْر ، حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ المدينة ، فجمع عند الزوال من الظهر ، وأظهر ذلك ، ومعنى قول النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أضلَّته اليهودُ والنصارى ، وهدانا الله إليه فيما ذكر أهل العلم أن اليهود أُمِرُوا بيوم من الأسبوع ، يعظِّمون الله فيه ، ويتفرغون لعبادته ، فاختاروا من قِبَلِ أنفسهم السبت فألْزِمُوه فى شرعهم ، كذلك النصارى أُمِرُوا على لسان عيسى بيوم من الأسبوع ، فاختاروا من قِبَل أنفسهم الأحدَ ، فألزموه شرعاً لهم .

قال المؤلف : وكان اليهودُ إنما اختاروا السبتَ ، لأنهم اعتقدوه اليومَ السابعَ ، ثم زادوا لكفرهم أن الله استراح فيه ، تعالى الله عن قولهم ، لأن بَدْء الخَلْق عندهم الأحد ، وآخر الستة الأيام التى خلق الله فيها الخلق الجمعة ، وهو أيضاً مذهب النصارى ، فاختاروا الأحدَ ، لأنه أول الأيام فى زعمهم ، وقد شهد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ للفريقين بإضلال اليوم ، وقال فى صحيح مُسْلِم إن الله خلق التربة يوم السبت ، فبيَّن أن أول الأيام التى خلق الله فيها الخلقَ السبت ، وآخر الأيام الستة إذاً الخميس ، وكذلك قال ابن إسحاق فيما ذكر عنه الطبرى ، وفى الأثر أن يوم الجمعة سُمِّى الجمعة ، لأنه جُمِع فيه خَلْقُ آدم ، روى ذلك عن سَلْمَان وغيره ، وقد قدمنا فى حديث

رفع المسهم

الكَشِّى أن الأنصار سَمَّوْه جُمْعَةً لاجتماعهم فيه ، فهداهم الله إلى التسمية ، وهداهم إلى اختيار اليوم ، وموافقة الحكمة أن الله تعالى لما بدأ فيه خَلْقَ أبينا آدمَ ، وجعل فيه بَدْء هذا الجنس ، وهو البشر ، وجعل فيه أيضا فناءهم وانقضاءهم إذ فيه تقوم الساعةُ ، وجب أن يكون يومَ ذِكْرٍ وعبادة ، لأنه تذكرة بالمبدأ ، وتذكرة بالمعاد ، وانظر إلى قوله تعالى : ﴿ فاسعَوْا إلى ذكرِ اللهِ وذَرُوا الْبَيْعَ ﴾ الجمعة : ٩ وخص البيعَ لأنه يومٌ يُذَكِّر باليوم الذى لاَ بيْعٌ فيه ولا خُلَّة مع أنه وِتْرٌ للأيام التى قبله فى الأصح من القول ، والله يحب الْوِتْر ، لأنه من أسمائه فكان من هُدَى الله لهذه الأمة أن أُلْهِمُوا إليه ثم أُقِرُّوا عليه لَمَّا وافقوا الحكمة فيه ، فهم الآخِرون السابقون يوم القيامة ، كما قال عليه السلام ، كما أن اليومَ الذى اختاروه سابقٌ لما اختارته اليهود والنصارى ، ومتقدم عليه ، ولذلك كان يقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة السجدة فى صبح يوم الجمعة رواه سَعِيد بن إبراهيم عن الأعرج عن أبى هريرة ، ورواه مُسْلم الْبَطِينُ عن سعيد بن جُبَيْر عن ابن عباس كلاهما عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ورواه عن سعيد بن جبير أيضاً عُرْوَةٌ بن عبد الرحمن ذكره البزار ، ورواه الترمذى فى كتاب العلل له عن الأحوص ، ورواه أيضا عن أبى الأحوص ، وعن عَلْقَمَةَ عن عبد الله بن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فيه من ذكر الستة الأيام واتباعها بذكر خلق آدم من طين ، وذلك فى يوم الجمعة تنبيها منه عليه السلام على الحكمة ، وتذكرة للقلوب

. . . .

بهذه الموعظة(١) .

---

(١) أخرج البخارى ومسلم من حديث عبد الرزاق عن معمر عن همام ابن منبه قال: هذا ماحدثنا به أبو هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نحن الآخرون السابقون يوم القيامة ، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا » ثم إن هذا يومهم الذى فرض الله عليهم ، فاختلفوا فيه ، فهدانا الله له ، فالناس لنا فيه تبع . اليهود غدا ، والنصارى بعد غد » لفظ البخارى ، وفى لفظ لمسلم : أضل الله عن الجمعة من كان قبلنـــا ، فكان لليهود يوم السبت ، وكان للنصارى يوم الأحد ، لجاء الله بنا ، فهدانا الله ليوم الجمعة ، فجعل الجمعة والسبت والأحد وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة . نحن الآخرون من أهل الدنيا ، والأولون يوم القيامة ، المقضى بينهم قبل الخلائق » والمسلم لا يطمئن قلبه فيما يتعلق بالعبادة إلا لمانقل نقلا صحيحاً يغمر القلب بالسكينة : والروح بالولاء له ، ولن تطمئن نفس مسلم إلى أن الجمعة كانت صلاة ابتدعها الأنصار من عندهم . والقارىء المتدبر لآية الجمعة فى سورة الجمعة يؤمن أن صلاة الجمعة مفروضة من عند الله ، لا من عند الأنصار ، ولا من عند النبي « ص » فالنبي لا يفرض أمرا ، وإنما الذى يفرض هو ربنا سبحانه وتعالى .

أما زعم اليهود عن السبت ، فقد ورد عندهم فى سفر التكوين ما يأتى : « فأكملت السموات والأرض ، وكل جندها ، وفرغ الله فى اليوم السابع من عمله الذى عمل ، فاستراح فى اليوم السابع من جميع عمله الذى عمل ، وبارك الله اليوم السابع ، وقدسه ، لأنه فيه استراح من جميع عمله الذى عمل الله خالقا » الإصحاح الثانى الفقرات : ١ ، ٢ ، ٣ ، والقرآن الكريم يدفع زورهم هذا بأنه بهتان أثيم . وتدبر قول الله سبحانه (ولقد خلقنا السماوات والأرض ، ومابينهما فى ستة أيام ، ومامسنا من لغوب) ق : ٢٨ واللغوب : التعب والاعياء ، هكذا اليهود لا يسكن حقدهم إلا أن يسبوا الله جل جلاله . ثم تدبر عن أيام الخلق هذه الآية البينة : (قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين ، وتجعلون

رفع
المسـاهم
عبد الله أبو إبراهيم

. . . .

وأما قراءته : ﴿ هَلْ أتى على الإنسان حينٌ من الدَّهْرِ ﴾ فى الركعة الثانية ، فلمَا فيها من ذكر السَّعْيِ وشكر الله لهم عليه يقول: ﴿وكان سَعْيُكم مَشْكورا﴾ مع ما فى أولها من ذكر بَدْءِ خلق الإنسان ، وأنه لم يكن قبل شيئاً مذكوراً ، وقد قال فى يوم الجمعة ﴿ فاسعَوْا إلى ذكرِ الله ﴾ فنبه بقراءته إياها على التأهب للسعى المشكور عليه والله أعلم ، ألا ترى أنه كان كثيراً ما يقرأ فى صلاة الجمعة أيضا بهَلْ أتاكَ حديثُ الْغَاشِيةِ ، وذلك أن فيها : ﴿لسَعْيِها رَاضِية﴾ كما فى سورة الجمعة ، ﴿ فاسْعَوْا إلى ذكر الله ﴾ فاسْتَحَبَّ عليه السلام أن يقرأ فى الثانية ما فيه

له أنداداً ، ذلك رب العالمين ، وجعل فيها رواسى من فوقها ، وبارك فيها ، وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام ، سواء للسائلين ، ثم استوى إلى السماء ، وهى دخان ، فقال لها ، وللأرض : ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين ، فقضاهن سبع سماوات فى يومين ، وأوحى فى كل سماء أمرها ، وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً ذلك تقدير العزيز العليم) فصلت : ٩ - ١٢ هذا هو الهدى الذى يتلألأ فيه الحق ، يشرق منه نور الله . وأما حديث أبى هريرة « أخذ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم بيدى ، فقال : خلق الله التربة يوم السبت ، وخلق فيها الجبال يوم الأحد ، وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء ، وخلق النور يوم الأربعاء ، وبث فيها الدواب يوم الخميس ، وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة آخر الخلق فى آخر ساعة من ساعات يوم الجمعة فيما بين العصر إلى الليل » أما هذا فقد رواه مسلم والنسائى فى كتابيهما من حديث ابن جريج ، وهو — كما قيل — من غرائب الصحيح ، وقد علله البخارى فى التاريخ ، فقال رواه بعضهم عن أبى هريرة رضى الله عنه عن كعب الأحبار !! وهنا تتجلى لنا حكمة الهداية الإلهية فى قوله سبحانه : (ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ، ولا خلق أنفسهم ، وما كنت متخذ المضلين عضداً) الكهف : ٥١ فلا يجوز لمسلم أن يقول عن خلق السموات والأرض شيئا غير ما قال الله سبحانه .

رفع
المسهم
عز الله إليه الهدى

رضاهم بسعيهم المأمور به فى السورة الأولى .

لفظ الجمعة :

ولفظ الجمعة مأخوذ من الاجتماع ، كما قدمنا وكان على وزن فُعْلَة وفُعُلَة لأنه فى معنى قُرْبَة ، وقُرُبَة والعرب تأتى بلفظ الكلمة على وزن ما هو فى معناها ، وقالوا : عُمْرَة ، فاشتقوا اسمها من عِمَارة المسجد الحرام ، وبنوه على فُعْلَة لأنها وُصْلَة وقُرْبَة إلى الله ، ولهذا الأصل فروعٌ فى كلام العرب ، ونظائر لهذين الأسمين يُفيدُنا تتبعُه عما نحن بسبيله ، وفيما قدَّمناه ماهو أكثر من لمحةٍ دالة ، وقالوا فى الجمعة جَمَّع بتشديد الميم كما قالوا عَيَّد إذا شهد العيد، وعرَّف إذا شهد عَرَفة ، ولا يقال فى غير الجُمُعَة إلا جَمَع بالتخفيف ، وفى البخارى : أول من عَرَّف بالبَصْرَة : ابنُ عباس ، والتعريف إنما هو بعرَفات ، فكيف بالبصرة، ولكن معناه أنه رضى الله عنه إذا صلى العصر يوم عرَفة أخذ فى الدعاء والذكر والضراعة إلى الله تعالى إلى غروب الشمس ، كما يفعل أهلُ عرَفة(١) .

ايام الاسبوع :

وليس فى تسميته هذه الأيام والإثنين إلى الخميس ما يشد قول من قال : إن أول الأسبوع : الأحدُ وسابعُها السبت ، كما قال أهل الكتاب لأنها تسمية طارئة ، وإنما كانت أسماؤها فى اللغة القديمة شِيَار وأوَّل وأَهْوَن وجُبَار ودُبَار ومُؤْنِسُ والعَرُوبَةُ(٢) ، وأسماؤها بالسريانية قبل هذا

---

(١) وفيها أيضاً جمعه إذ ذهبوا بها إلى صفة اليوم أنه يجمع الناس كما يقال رجل همزة لمزة ضحكة .

(٢) سبق الكلام عنها . وقد جمعها الشاعر فى قوله :

أؤمل أن أعيش . وأن يومى   بأول ، أو بأهون أو جبار
أو التالى : دبار ، فإن أفته   فمؤنس أو عروبة أو شيار

رفع المسـهم

. . . .

أبو جاد هَوَّز حُطِّى إلى آخرها،ولو كان الله تعالى ذكرها فى القرآن بهذه الأسماء المشتقة من العدد ، لقُلْنا : هى تسمية صادقة على المسمَّى بها ، ولكنه لم يذكر منها إلا الْجُمُعَة والسَّبْت (١)، وليسا من الْمُشْتَقَّة من الْعَدَدِ ، ولم يُسَمِّها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأحد والاثنين إلى سائرها إلا حاكيا للغة قومه لا مُبْتَدِئًا لتسميتها ، ولعل قومَه أن يكونوا أخذوا معانى هذه الأسماء من أهل الكتاب المجاورين لهم ، فألقوا عليها هذه الأسماء اتباعا لهم ، وإلَّا فَقَدْ قدمنا ماورد فى الصحيح من قوله عليه السلام : إن الله خلق التُّرْبَةَ يَوْمَ السبت والجبال يوم الأحد، الحديث ، والعجب من الطَّبَرِيِّ على تَبَحره فى العلم كيف خالف مقتضى

أراد : فبمؤنس ، وترك صرفه على اللغة القديمة ، وإن شئت جعلته على لغة من رأى ترك صـــرف ما ينصرف . . . قال أبو موسى الحامض : قلت لأبى العباس : هذا الشعر موضوع، قال : لم ؟ قلت : لأن مؤنساً وجباراً ودباراً وشياراً تنصرف ، وقد ترك صرفها ، فقال : هذا جائز فى الكلام فكيف فى الشعر ؟ . . وقال اللحانى : كان أبو زياد وأبو الجراح يقولان : مضت الجمعة بما فيها ،فيوحدان ويؤنثان ، وكانا يقولان : مضـــى السبت بما فيه فيوحدان ويذكران ، وكذلك الأحد ، ثم اختلفا فيما بعد ، فكان أبو زياد يقول : مضى الاثنان بما فيه وكذلك يفعل فى الثلاثاء والأربعاء والخميس . أما أبو الجراح فكان يقول : مضى الاثنان بما فيهما ، ومضى الثلاثاء بما فيهن، ومضى الأربعاء بمافيهن، ومضى الخميس بما فيهن ، فيجمع ويؤنث يخرج ذلك مخرج العدد . اللسان مادة جمع وعرب .

(١) ورد ذكر الجمعة مرة واحدة فى القرآن فى سورة الجمعة الآية رقم ٩ ، أما السبت فذكر ست مرات فى القرآن فى البقرة والنساء والأعراف والنحل ، وجاء الفعل : يسبتون مرة واحدة فى الأعراف .

. . . .

هذا الحديث ، وأَغنَقَ فى الرد على ابن إسحق وغيره ، ومال إلى قول اليهود فى أن الأحد هو الأول ويومَ الجمعة سادسٌ لا وتر وإنما الوتر فى قولهم يوم السبت مع ماثبت من قوله عليه السلام : أضلَّه اليهودُ والنصارى ، وهدا كم الله إليه ، وما احتج به بالطبرى[١] من حديث آخر ، فليس فى الصحة كالذى قدمناه ، وقد يمكن فيه التأويل أيضا ، فقف بقلبك على حكمة الله تعالى فى تعبد الخلق به لما فيه من التذكرة بإنشاء هذا الجنس ومبدئه ، كما قدمنا ، ولما فيه أيضاً من التذكرة بأَحدِيَّة الله سبحانه ، وانفراده قبل الخلق بنفسه ، فإنك إذا كنت فى الجمعة ، وتفكرت فى كل جمعة قبله حتى يترق وهْمُك إلى الجمعة التى خُلِق فيها أبوك آدم ثم فكرت فى الأيام الستة التى قبل يوم الجمعة ،

---

(١) اختلاف لأطائل تحته . ولنتدبر معا ماذكرت به من قبل من قول الله سبحانه (ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ، ولا خلق أنفسهم) هذا وقد ورد فى سفر التكوين أول أسفار التوراة كما يقول النصارى واليهود ، أن الله خلق الليل والنهار فى اليوم الأول ، وخلق السماء فى اليوم الثانى ، وخلق الأرض بنباتها وشجرها فى اليوم الثالث ، وخلق أنوار السماء ونجومها فى اليوم الرابع ، وخلق ما فى البحر من زحافات ، ومافى الأرض من طير ، وكل ذوات الأنفس الحية - ماعدا الإنسان - فى اليوم الخامس ، ثم عمل وحوش الأرض وبهائمها ودباباتها ثم قال « نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا ، فيتسلطون على سمك البحر ، وعلى طير السماء ، وعلى البهائم ، وعلى كل الأرض ، وعلى جميع الدبابات التى تدب على الأرض ، فخلق الله الإنسان على صورته ، على صورة الله خلقه ذكراً وأنثى خلقهم كل هذا فى اليوم السادس ، ثم يقول السفر « وفرغ الله فى اليوم السابع من عمله الذى عمل » فلنتدبر مايروى لنا من غير القرآن ، فقد يكون من هذه الأسفار ، ونحن لا ندرى .

رفع المسهم

. . . .

وجدت فى كل يومٍ منها جِنْساً من المخلوقات موجوداً إلى السَّبْت ، ثم انقطع وهمُك فلم تجد فى الجمعة التى تلى ذلك السبتَ وجوداً إلا للواحد الصَّمَدِ الوتر ، فقد ذكَّرت الجمعةُ مَنْ تفكر بوَحْدانية الله وأوَّليته ، فوجب أن يؤكَّد فى هذا اليوم توحيدُ القلب للربِّ بالذكر له ، كما قال تعالى : ﴿فاسعَوْا إلى ذِكْرِ اللهِ وذَرُوا البيعَ﴾ الجمعة . وأن يتأكد ذلك الذكرُ بالعمل ، وذلك بأن يكون العملُ مشاكلا لمعنى التوحيد ، فيكون الاجتماع فى مسجد واحدٍ من المساجد، وإلى إمام واحد من الأئمة ، ويخطب ذلك الإمام ، فيذكِّر بوحدانية الله تعالى وبلقائه ، فيشاكل الفعـــلُ القول ، والقول المعتقد ، فتأمل هذه الأغراض بقلبك ، فإنهـا تذكرة بالحق ، وقد زِدنا على ماشرطنا فى أول الكتاب معانى لم تكن هنالك ، وعدناُ بها ، ولكن الكلامَ يفتح بعضُه بابَ بعض ، ويحدو المتكلم قصد البيان إلى الإطالة ، ولا بأس بالزيادة من الخير ، والله المستعان .

إسلام سعد بن معاذ وأسيد بن حضير

وسمع أهلُ مكة هاتفا يهتف ، ويقول قبل إسلام سعد :

فإن يسلم السَّعْدان يصبح محمدٌ بمكةَ لايخشى خلافَ المُخالِفِ

فَحسِبوا أنه يريد بالسَّعْدين : القبيلتين سعد هُذَيم من قُضاعة ، وسَعْد بن زَيْد مَنَاة بن تميم ، حتى سمعوه يقول :

. . . .

فيا سَعْد سَعْد الأوسِ كن أنت ناصرا
ويا سَعْد سعد الخَزْرَجين الغطارِف

أجيبا إلى داعى الهدى ، وَتَمَنَّيا
على الله فى الفِرْدَوْسِ مُنْيَةَ عارِف (١)

فعلموا حينئذ أنه يريد سعدَ بن مُعاذٍ وسَعْدَ بن عُبادَةَ .

هل يغتسل الكافر إذا أسلم ؟

وذكر فيه اغتسالهما حين أسلما بأمر مُصْعَبِ بن عُمَيْر لهما بذلك ، فذلك السُّنَّةُ فى كل كافر يسلم ، ثم اختلف فى نية الكافر إذا أسلم باغتساله ، فقال بعضهم ينوى به رفع الجَنَابة عن نفسه ، وقال بعضهم: ينوى التعبُّد ، ولا حُكم للجَنَابةِ فى حقِّه ، لأن معنى الأمر به استباحةُ الصلاةِ ، والكافرُ لا يُصَلِّى ، وإن كان مخاطَباً فى أصح القولين ، ولكنه أمر مشروط بالإيمان ، فإذا لم يكن الإيمان – وهو الشرط الأول – فأجْدِرْ بأن يكون – الشرط الثانى – وهو الغسل من الجنابةِ غيرَ مُقَيَّدٍ بشىء ، فإذا أسلم هدَم الإسلامُ ما كان قبلَه ، فلم يجب عليه إعادةُ صلاةٍ مضت ، وإذا سقطت الصلواتُ سقطت عنه شروطُها ، واستأنف الأحكام الشرعية ، فتجب عليه الصلواتُ من حين يسلم بشروط

---

(١) هذا الصائح أو الهاتف هو أحد الشعراء ، ولهذا يقول ابن حجر فى فتح البارى عن السعدين « وإياهما أراد الشاعر بقوله » ثم روى البيت : فإن يسلم ص ٩٧ فتح البارى حـ ٧ وبعد البيت الأخير :

فإن ثواب الله للطالب الهدى
جنان من الفردوس ذات رفارف

وقد رواه البخارى فى التاريخ الأوسط ولكن لم يخرجه فى الصحيح

رفع المسهم

. . . .

أدائها من وضوءٍ وغسل من جنابة ، إذا أجْنَب بعد إسلامه ، وغير ذلك من شروط صحة الصلاة ، ورأيت لبعض المتأخرين أن اغتسالَه سُنَّةٌ لافريضة وليس عندى بالبيِّن لأن الله سبحانه يقول : ﴿ إنما المشركون نَجَسٌ ﴾ التوبة : ٢٨ وحكم النجاسة إنما يُرفع بالطهارة ولم يحكم عليهم بالتَّنْجيس لموضع الجَنَابة ؛ لأنه قد علق الحكم بصفة الشِّرك . والحكم المعلَّل بالصفة مرتبطٌ بها فإذا ارتفع حكمُ الشِّرْكِ بالإيمان لم يبق للجنابة حكم كما إذا كان المسلمُ جُنُباً ، ثم بال فالطهور من الجنابة ، يرفع عنه حكم الحَدَث الأصغر ، وهو حَدَثُ الوُضُوءِ ، لأن الطهارةَ الصُّغْرى داخلةٌ فى الكبرى ، وتطهُّره من تَنْجيس الشرك بإيمانه هو أيضاً بالإضافة إلى الطهر من الجنابة ، الطهارة الكبرى ، فينبغى أن تكون مُغْنِية عنها ، كما كانت الطهارةُ من الجنابة مُغْنِيةً عن الطهارة من الحَدَث ؛ إذ ليست واحدةٌ من هذه الطهارات مزيلةً لِعَيْنِ نجاسة فيها ، فينبغى بعد هذا أن أمره بالاغتسال تعبُّد ، والحُكْم بأنه غير فرض تحكُّم والله أعلم ، غير أن الترمذى خرج حديثَ قيس بن عاصم حين أسلم فأمره رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن يغتسل . قال الترمذى : وعلى هذا العمل عند أهل العلم يَسْتحِبُّون للكافر إذا أسلم أن يغتسل ، ويغسل ثيابه ، فقال : يستحِبُّون ، وجعلها مسألة استحباب .

من شرح شعر ابن الأسلت :

فصل : وذكر شعر أبى قيس بن الأسْلَت ، وفيه قوله :

ولولا رَبُّنا كُنَّا يَهُوداً   وما دينُ اليهود بذى شُكُول

. . . .

أراد جمع : شَكْل ، وشَكْلُ الشيء - بالفتح[١] - هو مثله ، والشِّكل بالكسر الدَّلُّ والحُسْنُ ، فكأنه أراد أنَّ دينَ اليهود بِدْعٌ ، فليس له شُكول أى : ليس له نظير فى الحقائق ، ولا مثيل يعضُدُه من الأمر المعروف المقبول ، وقد قال الطائى :

وقلت:أخى ، قالوا : أخٌ من قرابةٍ   فقلت لهم : إن الشُّكولَ أقاربُ
قريبىَ فى رأيى ودينى ومذهبى   وإن باعدتنا فى الخطوب المناسب

وقال فيه : مع الرهبان فى جَبَلِ الجليل . الجليلُ بالجيم التَّمامَ ، وهذا الجبل من جبال الشام معروف بهذا الاسم[٢] .

ذكر البراء بن معرور ، وصلاته إلى القبلة

ذكر حديث كعبِ بنِ مالك حين حَجَّ فى نَفَرٍ من قومه مع البَرَاء بن مَعْرُورٍ ، فكانوا يُصلون إلى بيت المَقْدِس ، وكان البَرَاء يصلى إلى الكعبة

---

(١) فى القاموس أنه يكسر أيضاً

(٢) فى المراصد : جبل الجليل : فى ساحل الشام ممتد إلى قرب مصر . قيل هو جبل يقبل من الحجاز ، فما كان بفلسطين فهو جبل الحمل ، وما كان بالأردن فهو جبل الجليل ، وهو بدمشق : لبنان وبحمص : سنير . وفى قاموس الدكتور بوست : أن الجليل كانت القسم الشمالى لفلسطين ، ويحدها من الشمال نهر القاسمية ، ومن الشرق : الأردن وبحر الجليل ، ومن الجنوب : السامرة ، ومن الغرب فينيقية الممتدة من الكوامل إلى صور ، وكانت الجليل قسمين العليا ويسكنها السوريون والفينيقيون ، والعرب ، والسفلى ، فكانت بقرب بحر طبرية ، وكان يسكنها أسباط يساكروزبولون وغيرهم .

رفع المسيهم عزالله لطالبه

. . . .

الحديث ـ إلى قول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : قد كنت على قبلة لو صبرت عليها فقهُ قولِه : لو صبرت عليها : أنه لم يأمره بإعادة ماقد صلَّى ؛ لأنه كانَ متأوِّلاً .

قبلة الرسول صلى الله عليه وسلم :

وفى الحديث : دليلٌ على أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان يصلى بمكة إلى بيت المقدس ، وهو قول ابن عباس ، وقالت طائفة : ماصلى إلى بيت المقدس إلا مذ قدِم المدينةَ سَبْعَةَ عشر شهرا أو ستة عشر شهراً[1] ، فعلى هذا

(١) روى البخارى بسنده عن البراء رضى الله عنه أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهرا ، أو سبعة عشر شهرا ، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت ، وأنه صلى أول صلاة صلاها صلاة العصر ، وصلى معه قوم ، فخرج رجل ممن كان صلى معه ، فمر على أهل المسجد ، وهم راكعون ، قال : أشهد بالله : لقد صليت مع النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قبل مكة ، فداروا كما هم قبل البيت ، وكان الذى قد مات على القبلة ، قبل أن تحول قبل البيت رجالا قتلوا لم ندر ما نقول فيهم ، فأنزل الله : (وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرءوف رحيم) . أقول: لعل الراوى يريد أنه بهذا الجزء من الآية اطمأن كل امرىء مسلم إلى هذا المعنى ، أو لعله أراد الآية كلها ، إذ لا يعقل تأخر جزء من آية هذا شأنه وارتباطه الوثيق بما قبله عن جزئه الأول المتمم لمعناه ! ! وقد انفرد البخارى به من هذا الوجه ، ورواه مسلم من وجه آخر وورد فى البخارى أيضاً « بينا الناس يصلون الصبح فى مسجد قباء إذ جاء جاء فقال : أنزل الله على النبى قرآنا أن يستقبل الكعبة ، فاستقبلوها ، فتوجهوا إلى الكعبة » وأخرجه مسلم أيضاً . وإليك ما قاله ابن كثير فى تفسيره « وقد جاء فى هذا الباب أحاديث كثيرة ، وحاصل الأمر أنه قد كان رسول الله ـ صلى الله

. . . .

يكون فى القبلة نسخان نَسْخُ سُنَّةٍ بسُنَّةٍ ، ونسخ سُنَّةٍ بقرآن ، وقد بينَّ حديثُ ابن عباس منشأ الخلاف فى هذه المسألة ، فروى عنـــه من طرق صحاحٍ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان إذا صلى بمكة استقبل بيت المقـدس ، وجعل الـكعبةَ بينه وبين بيت المقدس ، فلما كان عليه السلام يتحرَّى القبلتين جميعا لم يَبِنْ توجُّهه إلى بيت المقدس للناس ، حتى خرج من مكة والله أعلم. قال الله تعالى له فى الآية الناسخة : ﴿ ومِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وجهَك شَطْرَ

عليه وسلم ـ أمر باستقبال الصخرة من بيت المقدس ، فـكان يصلى بين الركنين ، وهو مستقبل صخرة بيت المقدس ، فلما هاجر إلى المدينة تعذر الجمع بينهما ، فأمره الله بالتوجه إلى بيت المقدس ،قاله ابن عباس والجمهور ، ثم اختلف هؤلاء ، هل كان الأمر به بالقرآن ، أو بغيره ؟ على قولين ، وحكى القرطبى فى تفسيره . . أن التوجه إلى بيت المقدس كان باجتهاده عليه السلام ، والمقصود أن التوجه إلى بيت المقدس بعد مقدمه ـ صلى الله عليه وسلم ـ المدينة ، واستمر الأمر على ذلك بضعة عشر شهرا ، وكان يكثر الدعاء والابتهال أن يوجه إلى الـكعبة التى هى قبلة إبراهيم عليه السلام ، فأجيب إلى ذلك وأمر بالتوجه إلى البيت العتيق ، فخطب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الناس ، فأعلمهم بذلك ، وكان أول صلاة صلاها إليها صلاة العصر ، كما تقدم فى الصحيحين من رواية البراء ، . ووقع عند النسائى من رواية أبى سعيد بن المعلى أنها الظهر . . . وذكر غير واحد من المفسرين وغيرهم أن تحويل القبلة نزل على رسول الله ، وقد صلى ركعتين من الظهر ، وذلك فى مسجد بنى سلمة ، فسمى مسجد القبلتين : وفى حديث نويلة بنت مسلم أنهم جاءهم الخبر بذلك ، وهم فى صلاة الظهر ، قال : فتحولت الرجال مكان النساء ، والنساء مكان الرجال ذكره الشيخ أبو عمر بن عبد البر النمرى ، وأما أهل قباء ، فلم يبلغهم الخبر إلى صلاة الفجر من اليوم الثانى كما جاء فى الصحيحين ، وهى محاولة للجمع بين التى تروى أنها صلاة العصر ، وبين التى تروى أنها صلاة الصبح . .

رفع
المسـاهم
غفر الله له ولوالديه

. . . .

الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ البقرة : ١٥٠ أى : من أى جهـــة جئت إلى الصلاة ، وخرجت إليها فاستقبل الـكعبةَ كنتَ مُسْتَدْبِراً لبيت المقدس ، أو لم تـكن ، لأنه كان بمكة يتحرَّى فى استقباله بيتَ المقدِس أن تـكون الـكعبةُ بين يديه ، وتدبر قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ ﴾ وقال لأمته : ﴿ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وجوهَـكم شَطْرَهُ ﴾ ولم يقل : حيثما خَرَجْتُم ، وذلك أنه كان عليه السلام إمامَ المسلمين ، فكان يخرج إليهم إلى كل صلاة ليصلى بهم ، وكان ذلك واجبا عليه إذ كان الإمام المقتدَى به فأفاد ذِكرُ الخروج فى خاصَّته فى هذا المعنى ، ولم يكن حكم غيره هـكذا ، يقتضى الخروج ، ولاسيَّما النساء ، ومن لاجماعة عليه ، وكرر البارى تعالى الأمر بالتوجُّه إلى البيت الحرام فى ثلاثِ آياتٍ ، لأن الْمُنْـكِرين لتحويل القبلة ، كانوا ثلاثة أصنافٍ من الناس اليهود ، لأنهم لايقولون بالنسخ فى أصل مذهبهم ، وأهلُ الرَّيْب والنِّفاق اشتد إنـكارهم له أنه كان أولَ نسخ نزل ، وكفار قُريش قالوا : ندِم محمد على فِراق ديننا فسيرجع إليه كما رجع إلى قِبْلتنا ، وكانوا قبل ذلك يحتجُّون عليـه ، فيقولون : يزعم محمد أنه يدعونا إلى ملة إبراهيم وإسماعيل ، وقد فارق قِبلة إبراهيم وإسماعيل ، وآثر عليها قِبلة اليهود ، فقال الله له حين أمره بالصلاة إلى الـكعبة ﴿ لِئَلَّا يكونَ للناس عليكُم حجةٌ إلا الذين ظلموا منهم ﴾ البقرة : ١٥٠ على الاستثناء المنقطِع ، أى : لـكن الذين ظلموا منهم لايرجعون ولايهتدون [1]

---

(١) يرى بعض المفسرين أنه غير منقطع ، لأن هذا لا يرد فى الـكلام البليغ الفصيح . يقول البيضاوى عن الاستثناء هنا « إلا الذين ظلموا منهم استثناء من الناس ، أى لئلا يكون لأحد من الناس حجة إلا للمعاندين منهم فإنهم يقولون

. . . .

وقال سبحانه : ﴿الْحَقُّ من ربك فلا تكونَنَّ من الْمُمْتَرِين﴾ البقرة : ١٤٧ أى: من الذين شكُّوا وامْتَرَوْا ، ومعنى : الحق من ربك أى الذى أمرتك به من التوجه إلى البيت الحرام ، هو الحق الذى كان عليه الأنبياء قبلك فلا تَمْتَرِ فى ذلك وقال : ﴿ وإن الذين أوتوا الكتابَ لَيَعْلَمُون أنه الحق ﴾ البقرة : ١٤٤ وقال : ﴿ وإنَّ فريقا منهم لَيَكْتُمُون الْحَقَّ ، وهم يَعْلَمُون ﴾ البقرة : ١٤٦ أى يكتمون ماعلموا من أن الكعبة هى قبلة الأنبياء ، وروى أبو داود السنجرى فى كتاب الناسخ والمنسوخ له وهو فى روايتنا عنه بسند رفيع حدَّثنا الإمام الحافظ أبو بكر بن العربى قال : أنا أبو الحسن على بن الحسين بن على بن أيوب البزار ، قال : أنا أبو على بن شاذان قال : أنا أبو بكر الفقيه النجّار أحمد بن

ما تحول إلى الكعبة إلا ميلا إلى دين قومه ، وحبا لبلده ، أو : بداله فرجع إلى قبلة آبائه ، ويوشك أن يرجع إلى دينهم ، وسمى هذه حجة كقوله تعالى : (حجتهم داحضة عند ربهم) لأنهم يسوقون مساقها وقيل : الحجة بمعنى الاحتجاج ، وقيل: الاستثناء للمبالغة فى نفى الحجة رأسا . . وقرىء (ألا الذين ظلموا منهم) على أنه استئناف بحرف التنبيه » : وفى تفسير الجلالين : « إلا الذين ظلموا منهم بالعناد ، فإنهم يقولون : ما تحول إليها إلا ميـــلا إلى دين آبائه ، والاستثناء متصل ، والمعنى : لا يكون لأحد عليكم كلام إلا كلام هؤلاء » ويقول ابن كثير « إلا الذين ظلموا منهم يعنى : مشركى قريش ، ووجه بعضهم حجة الظلمة — وهى داحضة — أن قالوا : هذا الرجل يزعم أنه على دين إبراهيم ، فإن كان توجهه إلى بيت المقدس على ملة إبراهيم ، فلم رجع عنه ؟ والجواب : أن الله تعالى اختار له التوجه إلى البيت المقدس أولا لما له تعالى فى ذلك من الحكمة ، فأطاع ربه تعالى فى ذلك ، ثم صرفه إلى قبلة إبراهيم ، وهى الكعبة ، فامتثل أمر الله فى ذلك أيضاً »

. . . .

سُلَيْمان عنه ، قال : نا أحمد بن صالح ، قال : نا عَنْبَسَة عن يونس عن ابن شهاب قال : كان سليمانُ بن عبدالملك لا يعظم إِيلْيَاء كما يعظمها أهلُ بيته ، قال: فسرت معه ، وهو ولى عهد ، قال : ومعه خالد بن يزيد بن معاوية ، قال سليمان : وهو جالس فيه : والله إن فى هذه القبلة التى صلى إليها المسلمون والنصارى لَعَجَباً ، قال خالد بن يزيد : أمَا والله إنى لأَقرأ الكتابَ الذى أنزله الله على محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأقرأ التوراة ، فلم يجدها اليهود فى الكتاب الذى أنزله الله عليهم، ولكن تابوت السَّكِينَةِ كان على الصخرة ، فلما غضب الله تعالى على بنى إسرائيل رفعه ، فكانت صلاتهم إلى الصَّخْرة عن مُشَاوَرة منهم ،وروى أبو داود أيضاً أن يهوديا خاصم أبا العالية فى القِبلة ، فقال أبو العالية : إن موسى عليه السلام كان يصلى عند الصخرة،ويستقبل البيتَ الحرام ، فكانت الكعبةُ قبلةً ، وكانت الصخرة بين يديه ، وقال اليهودى : بينى وبينك مسجدُ صالحٍ النبيِّ صلى الله عليه وسلم ، فقال أبو العالية : فإنى صليت فى مسجد صالح وقبلتُه الكعبة ، وأخبر أبو العالية أنه رأى مسجدَ ذى الْقَرْنَيْنِ وقبلته الكعبة ، وروى أيضاً أن النبى صلى الله عليه وسلم ، كان يقول لجبريل : وَدِدْتُ أن الله حَوَّلنى عن قبلة اليهود ، فيقول له جبريل : إنما أنا عبدٌ مأمور، وروى غيره أنه كان يُدِيمُه بصرَه إذا عَرَجَ إلى السماء حِرْصاً على أن يأمره بالتوجه إلى الكعبة ، فأنزل الله تعالى ﴿ قد نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فى السماء ﴾ الآية : البقرة ١٤٤ .

. . . .

أم عمارة وأم منيع في بيعة العقبة الأخرى :

وذكر بيعة العقبة ، وذكر عِدَّة أصحاب بَيْعَةِ العقبة ، وأنهم كانوا ثلاثة وسبعين رجلا وامرأتين ، وهما : أم عُمَارَة وهى نُسَيْبَة بنت كعب امرأة زيد بن عاصم شهدت بيعة العقبة وبيعة الرضوان ، وشهدت يوم اليمامة ، وباشرت القتال بنفسها ، وشاركت ابنَها عبدَ الله فى قتل مُسَيْلِمَة ، فقُطِعتْ يدُها ، وجُرِحَت اثنا عشر جُرْحا ، ثم عاشت بعد ذلك دَهْراً ، وكان الناس يأتونها بمرضاهم ، لِتَسْتَشْفِي لهم ، فتمسح بيدها الشَّلَّاء على العليل ، وتدعو له ، فَقَلَّ ما مَسَحَتْ بيدِها ذا عاهَةٍ إلَّا بَرِىء[1] .

والأخرى : أسماء بنت عَمْرو أم مَنِيع ، وقد رفع فى نسبها ونسب الأخرى ابن إسحاق ، ويُرْوى أن أم عُمَارَة قالت لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما أرى كلَّ شىء إلا للرجال ، وما أرى للنساء شيئا ، فأنزل الله تعالى : ﴿ إن المسلمين والمسلمات ﴾[2] الآية .

---

(١) المسلم يدين بأن الشفاء بيد الله وحده . تدبر ما قص الله عن إبراهيم من قوله : (وإذا مرضت فهو يشفين) وليس من أسباب الشفاء أن تمسح امرأة بيدها جسم إنسان ، ولكن من أسبابه الدعاء ، وما أحل الله من دواء يصفه الطبيب .

(٢) المشهور ـ كما روى الإمام أحمد والنسائى وابن جرير ـ أن أم سلمة رضى الله عنها هى التى قالت للنبى «ص» : مالنا لا نذكر فى القرآن ، كما يذكر الرجال؟ فنزلت الآية .

. . . .

قول البراء بن معرور :

وذكر قول الْبَرَاءِ بن مَعْرُور ، وهو أول من ضَرَبَ بيده على يد رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، بالبيعة على اختلافٍ فى ذلك قد ذكره ابن إسحاق ، فقال : نبايعك على أن نمنعك مما نمنع منه أُزُرَنَا ، أراد : نساءنَا ، والعربُ تَكْنِي عن المرأة بالإِزَار ، وتَكْنى أيضاً بالإزار عن النفس ، وتجعل الثوبَ عبارةً عن لابسه كما قال :

رَمَوْها بأثوابٍ خِفَافٍ فلا تَرَى لها شَبَهاً إلا النَّعامَ الْمُنفَّرا[1]

أى : بأبدانٍ خِفَافٍ ، فقوله مما نمنع أُزُرَنا يحتمل الوجهين جميعا ، وقد قال الفارسى فى قول الرجل الذى كتب إلى عُمر من الغزو يذكره بأهله :

ألا أَبْلِغْ أبا حفص رَسُولاً فِدًى لكَ من أخِى ثِقَة إزارى

قال : الإزارُ : كناية عن الأهل ، وهو فى موضع نصب بالإغراء أى : احْفَظْ إزارى ، وقال ابن قتيبة : الإزار فى هذا البيت كناية عن نفسه ، ومعناه فداً لك نفسى ، وهذا القول هو الْمَرْضِيُّ فى العربية ، والذى قاله الفارسى بعيد عن الصواب ، لأنه أضمر المبتدأ ، وأضمر الفعلَ الناصبَ للإزار ، ولادليل عليه لبعده ، عنه ، وبعد البيت مايدل على صحة القول المختار وهو :

قلائِصنَا هَدَاكَ الله مهــلاً شُغِلْنَا عنكم زَمَنَ الحِصَارِ[2]

---

(١) البيت لليلى الأخيلية ص ٩٢٢ سمط اللآلى .

(٢) أصل القصة أن نفيلة الأكبر الأشجعى — وكنيته أبو المنهال ـ كتب إلى عمر أبياتا من الشعر يشير فيها إلى رجل كان واليا على مدينتهم يخرج الجوارى

رفع المستهم غفر الله له

إلى سلع عند خروج أزواجهن إلى الغزو ، فيعقلهن ، ويقول : لا يمشى فى العقال إلا الحصان ، فربما وقعت ، فتكشفت ، وكان اسم هذا الرجل جعدة بن عبد الله السلمى ، فقال ما ذكر السهيلى وبعدهما :

فما قلص وجدن معقلات   قفا سلع بمختلف النجار
قلائص من بنى كعب بن عمرو   وأسلم أو جهينة أو غفار
يعقلهن جعدة من سليم   غوى يبتغى سقط العذارى
يعقلهن أبيض شيظمى   وبئس معقل الذود الخيار

وفى وفاء الوفا للسمهودى : « من بنى سعد بن بكر ، أو أسلم » بدلا مما ذكر فى البيت الثالث :

وكنى بالقلاص عن النساء ، ونصبها على الإغراء ، فلما وقف عمر - رضى الله عنه - على الأبيات عزله ، وسأله عن ذلك الأمر ، فاعترف ، فجلده مائة معقولا ، وأطرده إلى الشام ، ثم سئل فيه ، فأخرجه من الشام ، ولم يأذن له فى دخول المدينة ، ثم سئل فيه أن يدخل ليجمع ، فكان إذا رآه عمر توعده ، فقال :

أكل الدهر جعدة مستحق   أبا حفص لشتم أو وعيد
فما أنا بالبرىء براه عذر   ولا بالخالع الرسن الشرود

وقول جعدة : فدا لك الخ : أى أهلى ونفسى . وقال الجرمى : يريد بالإزار ههنا : المرأة . والقصة مشهورة ، وقد رويت لغيره ، ورواها الآمدى فقال عن جعدة : كان غزلا صاحب نساء يحدثهن ويضحكهن ، ويمازحهن ، فكن يجتمعن عنده ، فيأخذ المرأة فيعقلها ، ثم يأمرها أن تمشى فتتعثر ، فتقع ، فتتكشف ، فيتاضحكن من ذلك إلخ وقد ذكر ابن حجر ترجمته فى الإصابة فى القسم الثالث فيمن أدرك الجاهلية والإسلام ، ولم يرد أنه رأى النبى صلى الله عليه وآله وسلم . ونفيلة فى الإصابة : بقيلة الأكبر الأشجعى من بنى بكر ابن أشجع ، وهو بقاف مصغر ، ذكره الآمدى فى حرف الموحدة . وقال الزبير ابن بكار : سمعت العتبى يصحفه ، فيقول : نفيلة ، وقد شهد نفيلة أو بقيلة القادسية مع عمر . أنظر اللسان مادة أزر ، والإصابة ترجمة بقيلة ، وجعدة حرف

. . . .

فنصب قلائصناً بالإضمار الذى جعله الفارسى ناصبا للإزار .

ترجمة البراء :

والْبَرَاء بن مَعْرور يُكْنَى أبا بشر بابنه بِشْر بن الْبَرَاء ، وهو الذى أكل مع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — من الشاة المسمومة[١] ، فمات ومعرور اسمُ أبيه ، معناه : مَقْصُود يقال : عَرَّه واعْتَرَّه إذا قَصَدَ[٢] ، والبراء هذا ممن صَلَّى رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — على قبرِه[٣] بعد موته وكَبَّر أربعاً ، وفى هذا الحديث الصلاةُ على القبر ، وقد رُوِيت من سِتِّ طُرُق عن النبى — صلى الله عليه وسلم — قاله أحمد بن حنبل ، وذكرها كلَّها أبو عُمَر فى التمهيد ، وزاد ثلاث طرق لم يذكرها ابنُ حنبل ، فهى إذاً تُروى من — تسع طُرُق أعنى أن — تِسْعَةً من الصحابة رَوَوْا صلاتَه عليه السلام على القبر ، فمنهم ابن عباس ، وأنس ابن مالك وبُرَيْدَة ، وأبو هريرة ، وزيد بن ثابت ، وعامر بن فُهَيْرة وأبو قتادة الأنصارى ، وسَهل بنُ حُنَيْفٍ ، وعُبَادَة بن الصامت ، وحديثه مُرْسَلٌ ، وأصحها إسناداً حديثُ ابن عباس وأبى هريرة .

والهدم الهدم

وذكر قولَ النبى — صلى الله عليه وسلم — للمبايعين له : بل الدَّمُ الدَّمُ والْهَدْمُ الْهَدْمُ ، وقال ابن هشام : الْهَدَم بفتح الدال . قال ابن قُتَيْبَة : كانت

---

(١) شهد بشر العقبة وبدراً وما بعدها ، ومات بعد خيبر .

(٢) فى اللسان : عره يعره عرا واعتره ، واعتر به : إذا أتاه ، فطلب معروفه .

(٣) هذا لأنه مات — كما قيل — قبل قدوم النبى « ص » بشهر .

. . . .

العرب تقول عند عقد الحلف والجوار : دمى دمُك وهَدْمى هَدْمك ، أى : ما هَدَمْتَ من الدماء ، هَدَمْته أنا ، ويقال أيضاً : بل اللَّدْمُ اللَّدْمُ والْهَدْمُ الْهَدْم ، وأنشد :

ثم الْحَقى . بِهَدَمِى ولَدَمِى

فاللَّدَمُ : جمع لادم ، وهم أهلُه الذين يَلْتَدِمُون عليه إذا مات ، وهو من لَدَمْتُ صدره : إذا ضَرَبْتَه . والهدم قال ابنُ هِشَامٍ : الْحُرْمَة ، وإنما كنى عن حُرْمَة الرجل وأهلِه بالْهَدْم ، لأنهم كانوا أهلَ نُجْعَة وارتحال ، ولهم بيوت يستخفونها يوم ظَعْنهم ، فكلما ظَعَنُوا هَدَمُوها ، والْهَدَمُ بمعنى الْمَهْدُوم كالْقَبَض بمعنى الْمَقْبُوض ، ثم جعلوا الْهَدَم وهو البيت المهدوم عبارة عما حَوَى ، ثم قال : هَدَمى هَدَمُك أى : رحلتى مع رحلتك أى لا أظعن وأدعك وأنشد يعقوب :

تَمْضى إذا زُجِرَتْ عن سَوْأَةٍ قدُماً كأنها هَدَمٌ فى الجُفْرِ مُنْقَاضُ(١)

---

(١) إذا حركت دال الهدم ، فهى القبر ، فيكون المعنى : أقبر حيث تقبرون ، وقيل : هو المنزل : أى منزلكم : منزلى ، وبالفتح أيضاً والسكون : إهدار دم القتيل ، فيكون المعنى : إن طلب دمكم ، فقد طلب دمى وإن أهدر دمكم ، فقد أهدر دمى لاستحكام الألفة . وفسرها ابن الاعرابى عند التحريك بقوله : إن ظلمتم فقد ظلمت ، فسر أبو عبيدة : اللدم اللدم والهدم الهدم بقوله : حرمتى مع حرمتكم ، وبيتى مع بيتكم ، وفسر الحقى بهدمى ولدمى بقوله : بأصلى وموضعى ، وفسر أبو الهيثم : الدم الدم الخ بقوله إن قتلنى إنسان طلبت بدمى كما تطلب بدم وليك ، ومن هدم لى عزا وشرفا فقد هدمه

. . . .

من ولى النقباء :

فصل : وذكر الاثنى عشر نقيبا ، وشعر كعب فيهم إلى آخره ، وليس فيه مايشكل ، وإنما جعلهم عليه السلام إثْنَىَ عَشَر نقيبا اقْتِداءً بقوله تعالى فى قوم موسى ﴿وَبَعَثْنَا منهم اثْنَى عَشَرَ نقيباً﴾ وقد سمينا أولئك النقباء بأسمائهم (١) فى كتاب التعريف والإعلام ، فلينظر هنالك .

منك ، وكل من قتل ولي ، فقد قتل وليك ، ومن أراد هدمك ، فقد قصدنى بذلك . وقال الأزهرى : ومن رواه الهدم الهدم والهذم بسكون الذال - فهو على قول الحليف : تطلب بدمى ، وأنا أطلب بدمك ، وما هدمت من الدماء هدمت أى : ما عفوت عنه ، وأهدرته ، فقد عفوت عنه ، وتركته . وقال الفراء : عن دخول أل علىالهدم والدم واللدم : « العرب تدخل الألف واللام اللتين للتعريف على الاسم ، فتقومان مقام الإضافة كقول الله عز وجل : (فأمامن طغى، وآثر الحياة الدنيا ، فإن الجحيم هى المأوى) . . أى : الجحيم مأواه ، أما الزجاج فقدرها بقوله فإن الجحيم هى المأوى له . وقال ابن الأثير فى رواية الدم الدم : هو أن يهدر دم القتيل المعنى : إن طلب دمكم ، فقد طلب دمى . ويرى ابن الأعرابى فى اللدم أنها الحرم جمع لادم فالمعنى : حرمكم : حرمى . ويقول أبوعبيدة : اللدم : الحرم . جمع لادم سمى نساء الرجل وحرمه لدماً لأنهن يلتدمن عليه إذا مات . . واللدم : ضرب المرأة صدرها وقيل : اللطم والضرب بشىء ثقيل انظر اللسان والنهاية لابن الأثير فى مادتى : لدم وهدم

(١) فى نسب عبد الله بن رواحة ، زدت ثعلبة ، والأغر من الجمهرة لابن حزم ص ٣٤٤ط ١ ومن الإصابة : لقب امرؤ القيس بأنه الأغر وفى نسب سعد بن عبادة يقول الخشنى ص ١١٩ ابن حزيمة بدلا من خزيمة وقال : بالحاء المهمله المفتوحة والزاء المكسورة هو الصواب كذا قيده الدارقطنى . وورد كذلك فى ص ٢٦٩ من المجد لمحمد بن حبيب : وفى نسب رافع بن مالك

. . . .

وروى عن الزُّهْرِى أنه قال : قال النبي عليه السلام للأوس والخزرج حين قدم عليهم النقباء : لايغضبَنَّ أحدكم فإنى أفعل ما أومر ، وجبريلُ عليه السلام إلى جنبه يشير إليهم واحدا بعد واحد ، وروى فى الْمُعَيطِىِّ عن مالك بن أنس أنه روى حديث النقباء عن شيخ من الأنصار ، قال مالك : وكنت أعجب كيف جاء هذا رجلان من قبيلة ، ورجل من أخرى حتى حُدِّثت بهذا الحديث ، وأن جبريلَ هو الذى ولَّاهم ، وأشار على النبى – صلى الله عليه وسلم – بهم .

ابن العجلان زادت جمهرة ابن حزم بعد زريق : بن عامر بن زريق ، وفى نسب رفاعة ابن زنبر ، وهى فى الإصابة والجمهرة : زر ص ٣١٤ وفى إمتاع الأسماع : زنبر وفى بعض نسخ السيرة : زبير ، وقد اختلف فى اسمه فقيل ، بشير وقيل مروان وقيل يشير ، وكنيته : أبو لبابة

وسقطت . مالك التى قبل : ابن الأوس من الإصابة ، كما سقط من نسبه فى الجمهرة بن عمرو ، عوف . ومازدته فى السيرة من الأنساب أخذته من كتاب المجد لابن حبيب ص ٢٦٨ ومابعدها . وإليك ماشرح به الخشنى بعض كلمات قصيدة كعب بن مالك : فال رأيه : بطل . فلا ترعين أى لاتبعين ، ألب : جمع . جادع : قاطع ، إخفاره : نقض عهده ، نافع : ثابت ، بمندوحة : بمتسع ، يافع : موضع مرتفع ، ومن رواه : باقع فمعناه : بعيد وهو مأخوذ من بقع الأرض ، وخانع : مقر متذلل . ضروح : مانع ودافع عن نفسه من قولهم : ضرحت الدابة برجلها إذا ضربتها . وهنا لك بين القصيدة فى ابن هشام وبينها فى المجد بعض اختلافات يسيرة . ففى البيت الثالث : أضالنا أى أضاء لنا بدلا من : بدالنا . ولاترعين بدلا من : لاترغبن . ولاتطمعنك المطامع بدلا من : لايطمعن ثم طامع . ومن الحيه خانع بدلا من : العهد خانع . وم الأمر صانع بدلا من م الأمر مانع . وإن يغبك بدلا من : لايغبك .

. . . .

تفسير بعض ماوقع فى وجهته

وذكر أن الشيطانَ صَرَخَ من رأس العَقَبة بأَنْفذ صوته . قال الشيخ أبو بحر : هكذا وقع فى الأمهات ، وأصلحناه عن القاضى أبى الوليد : بأبعد ، قال المؤلف : ولا معنى لهذا الإصلاح ، لأن وصف الصوتِ بالنفاذِ صحيحٌ هو أفصح من وصفه بالبعد ، وقد مضى فى حديث عُمَر مع الكاهن ، قال : لقد سمعت من صوت العجل صوتا ماسمعت أنفذَ منه ، وفى الصحيح : أن الله تعالى يَحْشُر الخلقَ يوم القيامة فى صَرْدَحٍ (١) واحد ، فَيَنْفُذُهم البصرُ ويسمعهم الداعى وكذلك وجدته فى رواية يونس بن بكير عن ابن إسحاق : بأنفذ صوت كما كان فى الأصل .

وقوله : يا أهْلَ الجُبَاجِبِ ، يعنى : منازلَ مِنًى ، وأصله : أن الأوعية من الأَدَم كالزَّبِيل ونحوه يسمى : جَبْجَبَة ، فجعل الخيام والمنازل لأهلها كالأوعية ، وقوله عليه السلام حين صرخ إبليس : يا أهل الجُبَاجِبِ ، هذا أَزَبُّ الْعَقَبةِ ، هذا ابن أزْيَب . قال ابن هشام : ويقال : ابن أُزَيْب كذا تقيد فى هذا الموضع أَزَبُّ الْعقَبةِ وقال ابن ماكولا : أم كُرْز بنت الأَزَبِّ بن عمرو بن بَكيل من هَمْدَان جدة العباس ، أم أمه : سيلة ، وقال : لايعرف الأَزَبُّ فى الأسماء إلا هذا ، وَأَزَبُّ الْعَقَبَةِ ، وهو اسم شيطان ، ووقع فى هذه النسخة فى غَزْوَة أُحُدٍ إِزْبُ الْعَقَبَةِ بكسر الهمزة وسكون الزاى ، وفى حديث ابن الزبير مايشهد له

---

(١) صردح وصرداح : المكان المستوى

. . . .

حين رأى رجلا طوله شِبْرَانِ على بَرْدَعَةِ رَحْلِهِ [فأخذ السوط فأتاه] ، فقال : ما أنت ؟ فقال أزَبٌّ ، قال : وما أزَبٌّ ؟ قال : رجل من الجن ؛ فضربه على رأسه بعود السوط ، حتى باص ، أى هَرَبَ ، وقال يعقوب فى الألفاظ : الأزَبٌّ : القصير. وحديث ابن الزبير ذكره العُتْبِيُّ فى الغريب ، فالله أعلم أى اللفظين أصح ؟ وابن أزيب فى رواية ابن هشام يجوز أن يكون فَعْيَلاً من الإزْب(١) أيضاً ، والأَزْيَبُ : البخيل ، وأزْيَبُ : اسم ريح من الرياح الأربع(٢) ، والأَزْيَبُ الفزَع أيضا(٣) ، والأَزْيَب : الرجل المتقارب المشى(٤) ، وهو على وزن أفْعَل، قاله صاحب العين ، ويحتمل أن يكون ابن أزْيَب من هذا أيضاً ، وأما البخيل فأزْيَبُ على وزنَ فعْيَل لأن يعقوبَ حكى فى الألفاظ : امرأة أزْيَبَة(٥)

(١) الإزب فى اللسان فى مادة أزب فتكون على وزن فعل : ومعناها اللئيم والدقيق المفاصل الضاوى يكون ضئيلا . والإزب من الرجال : القصير الغليظ والقصير الدميم . وقد جعل اللسان أزب فى ماده أزب ، وقال عن الإزب فى الحديث : هو الشيطان اسمه ؛ أزب العقبة ، وهو الحية أما عن الأزب فى مادة زبب ، فهو الكثير الشعر .

(٢) جعلها القاموس واللسان وابن فارس فى معجمه فى مادة زيب فتكون على وزن أفعل ، وقال عنها إنها الجنوب فى لغة هذيل : أوهى الريح النكباء التى تجرى بين الصبا والجنوب .

(٣) فى مادة زيب فى القاموس واللسان فوزنها : أفعل .

(٤) هى كالتى قبلها فى المادة والوزن .

(٥) جعلها اللسان فى مادة زيب وهى إزيبة فتكون : إفعلة بكسر الهمزة وسكون الفاء وفتح العين وتضعيف اللام مع فتح ، وهكذا ضبطها اللسان والقاموس ، وفى معجم مقاييس اللغة لابن فارس : « وقال الخليل : الإزب : الدقيق المفاصل ، ويقال هو البخيل »

رفع
المسـاهم
غفر الله له ولوالديه

. . . .

ولو كان عن وزن أَفْعَل فى المذكر لقيل فى المؤنث زَيْبَا إلا أن فَعْيَلاً فى أبنية الأسماء عزيز ، وقد قالوا فى ضَهْيَاء ، وهى التى لاتحيض من النساء ، فعلى جعلوا الهمزة زائدة وهى عندى فَعْيَل لأن الهمزة فى قراءة عاصم لام الفعل فى قوله تعالى (يُضَاهُون) والضَّهْيأ من هذا لأنها تُضَاهِى الرجل أى : تُشْبِهه ويقال فيه : ضَهْيَاء(١) بالمد ، فلا إشكالَ فيها أنها للتأنيث على لغة من قال ضَاهَيْت بالياء ، وقد يجوز

---

(١) فى اللسان « وضهيأ : فعلأ الهمزة زائدة كما زيدت فى « شمأل ، وغرقىء البيض ، قال : ولا تعلم الهمزة زيدت غير أول إلا فى هذه الأسماء ، ويجوز أن تكون الضهيأ بوزن الضهيع . فعيلا ، وإن كانت لانظير لها فى الكلام ، فقد قالوا : كنهبل - شجر عظام - ولا نظير له . قال ابن سيدة : الضهيا والضهياء على فعلاء . . وقال بعضهم الضهياء ممدود التى لا تحيض وهى حبلى . قال ابن جنى : امرأة ضهيأة وزنها : فعلأة لقولهم فى معناها : ضهياء . . وأجاز أبو إسحاق فى همزة : ضهيأة أن تكون أصلا ، وتكون الياء هى الزائدة ، فعلى هذا تكون الكلمة : فعيلة ، وذهب فى ذلك مذهبا من الاشتقاق حسنا لولا شىء اعترضه ، وذلك أنه قال : يقال : ضاهيت زيدا وضاهأت زيدا بالياء والهمزة ، قال : والضهيأة هى التى لا تحيض ، وقيل هى التى لاثدى لها ، قال فيكون ضهيأة : فعيلة من ضاهأت . وقال ابن جنى عن هذا إنه حسن إلا أنه ليس فى الكلام فعيل بفتح الفاء إنما فعيل بكسرها نحو حذيم ، وطريم ، وغرين « القاطع ، والطريم العسل أو السحاب الكثيف ، والغرين أو الغرين : الطين يحمله السيل ، وغير ذلك ، ولم يأت الفتح فى هذا الفن ثبتا ، إنما حكاه قوم شاذا . . . وحكى أبو عمرو : امرأة ضهيأة وضهياه بالتاء والهاء التى لا تطمث . . وهذا يقتضى أن يكون الضهيا مقصورا . وقال غيره الضهواء من النساء التى لم تنهد . . والضهيا مقصور : الأرض التى لاتنبت « وحكى الجوهرى أن الضهياء ممدود شجر ، واحدته : ضهياءة »

رفع عبد الرحمن الهجري

. . . .

أن يكون أزْبَب وأزْبَبَة مثل أرْمَل وأَرْمَلَة فلا يكون فَعْيَـــلاً . وروى أبو الأشهب عن الحسن قال لما بويع لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بِمِنَى صرخ الشيطان ، فقال رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ هذا أبو لُبَيْنَى (١) قد أَنْذَرَ بكم ، فتفرَّقوا .

تذكير فعيل وتأنيثها :

فصل : وذكر الحارثَ بن هشام حين رمى بنعليه إلى جابر : قال : وكان عليه نَعْلاَن جديدان ، والنعل : مؤنثة ، ولـكن لايقال : جَدِيدَةٌ في الفصيح من الكلام ، وإنما يُقال : مِلْحَفَةٌ جديد لأنها في معنى مَجْدُودَة أي : مقطوعة ، فهي من باب كَفٌّ خضيب ، وامرأة قَتِيل ، قال سيبويه : ومن قال جَدِيدَة ، فإنما أراد معنى حديثَة ، أراد سيبويه أن حديثةً ، بمعنى حادثة وكل فعيل بمعنى فاعِل يدخله التاء في المؤنث (٢)

---

(١) هي ـ كما في القاموس اسم ابنة إبليس لعنه الله تعالى . . وأبو لبين : الذكر .

(٢) في إصلاح المنطق لأبي يوسف يعقوب بن السكيت مايأتي : « تقول : هذه ملحفة جديد ، وهذه ملحفة خلق ، ولاتقل : جديدة ، ولا خلقة ، وإنما قيل جديد بغير هاء ؛ لأنها في تأويل مجدودة أي : مقطوعة حين قطعها الحائك . . . وإذا كان فعيل نعتا لمؤنث ، وهو في تأويل مفعول ، كان بغير هاء نحو : لحية دهين ، لأنها في تأويل مدهونة ، وكف خضيب ، لأنها في تأويل مخضوبة ، وملحفة غسيل وامرأة لديغ ، ودابة كسير ، وركية دفين إذا اندفن بعضها ، وركايا دفن ، وتقول : هذا فرس جواد بهم ، وهذه فرس جواد بهم ، . . وعين كحيل ، وناقة بقير إذا شق بطنها عن ولدها ، وامرأة لعين وجريح وقتيل ، فإذا

رفع
المسهم
غفر الله له ولوالديه

. . . .

من ألقاب الطويل :

وذكر قول سعد حين أسرته قريش :فأتاني رجل وضيء شَعْشَاعٌ . والشَّعْشَعُ والشَّعْشَمَانِيُّ والشَّعْشَعَانُ(١) : الطويل من الرجال، وكذلك السَّلْهَبُ والصَّقْعَبُ

لم تذكر المرأة قلت : هذه قتيلة بنى فلان ، وكذلك : مررت بقتيلة ، وقد تأتى فعيلة بالهاء ، وهى فى تأويل مفعول بها تخرج مخرج الأسماء ، ولا يذهب بها مذهب النعوت ، نحو : النطحية والذبيحة والفريسة وأكيلة السبع والجنيبة والعليقة ، وهما البعير يوجهه الرجل مع القوم يمتارون ، فيعطيهم دراهم ، ليمتاروا له معهم عليه . . والضريبة من الغنم ، والعليقه : الداهية والفريقة التمر والحلبة جميعا تجعل للنفساء ، وذكر ابن السكيت غيرها كالنقيعة والنخيسة والقطيبة والتريكة والنجيرة والبسيسة والرجيعة ص ٣٧٧ ط دار المعارف ١٩٤٩ م وفى أدب الكاتب لابن قتيبة « وما كان على فعيل نعتا للمؤنث ، وهو فى تأويل مفعول كان بغير هاء نحو : كف خضيب وملحفة غسيل ، وربما جاء بالهاء يذهب بها مذهب النعوت نحو النطيحة والذبيحة والفريسة ، وأكيلة السبع . . . وتقول : هذه ذبيحتك ، وذلك أنك لم ترد أن تخبر أنها قد ذبحت ألا ترى أنك تقول : هذا وهى حية ، وإنما هى بمنزلة : ضحية ، وكذلك شاة رمى ، وتقول بئس الرمية الأرنب ، إنما يريد : بئس الشيء مما يرمى الأرنب ، فهذا بمنزلة الذبيحة فاذا لم يجز فيه مفعول ، فهو بالهاء نحو : مريضة وكبيرة وصغيرة وطريقة ، وجاءت أشياء شاذة قالوا : ناقة سديس وريح خريق ، وكتيبة حصيف ، وإن كان فعيل فى تأويل فاعل كان مؤنثه بالهاء نحو رحيمة وعليمة وكريمة » ص٢٨٩ ط أولى ١٣٥٥ هـ.

(١) الزيادة من القاموس . والرجز الذى وردت فيه كلمة « شعشاع » هو لرؤبة انظر ديوان رؤبة ص ١٦٢ طبع برلين ، ص ١٢٠ شرح السيرة للخشنى ، وقد شرحه بما يأتى : « يمطوه : يمده ، يعنى : طول عنق البعير ، وعير مودن أى قصير ويروى : غير . . وكذلك وقع فى رجز رؤبة ، ووقع هنا بالعين مهملة » ص ١٢٠ .

والشَّوْقَب و[الشَّرْعَبُ] والشَّرْجَبُ والخِبَقُّ والشَّوْذَبُ الطويل مع رقة في أسماء كثيرة .

معاني الكلمات :

وقوله أوى إليه رجل أي رق له ، يقال أَوَى إِيَّةً [وأَوْيَةً] مَأْوِيَة .

وقوله فتَنَطَّس القومُ الخبرَ أي : أكثروا البحثَ عنه ، والتَّنَطُّسُ تدقيق النظر . قال الراجز : [رؤبة بن العَجَّاج]

وقد أكون عندها نِقْرِيسا طِبًّا بأدواء النِّسَا نِطِّيسا(١)

وذكر قول ضِرار بن الخطاب :

وكان شِفَاءً وتداركتَ مُعْذِرَا

وضرار بن الخطاب : وضِرارٌ كان شاعرَ قُريش وفارسَها ، ولم يكن في قريش أشعرُ منه ، [عبد الله] ثم ابن الزِّبَعْرَى بن قيس بن عَدِيّ ، وكان جدُّه مِرْدَاسُ رئيسَ بني مُحَارِب بن فِهْر في الجاهلية يسير فيهم بالمِرْبَاع ، وهو رُبْعُ الغَنِيمة ، وكان أبوه أيام الفِجَار رئيسَ بني مُحَارِب بن فِهْر أسلم ضرار عام الفتح .

---

(١) الرجز لرؤبة بن العجاج يمدح به أبان بن الوليد البجلي . ورواية الديوان هكذا :

وقد أكون مرة نطيسا بخبء أدواء الصبا نقريسا

ص ٧٠ الديوان طبع برلين . ورواه الخشني في شرح السيرة كما رواه السهيلي ولكنه ذكر الصبا بدلا من النسا

. . . .

حول قصيدة حسان :

وذكر قول حسان يجيبه :

لستَ إلى عَمْرٍو[١] ولا المرء مُنذرٍ ... إذَ مامَطَايَا القَوْم أَصْبَحْنَ ضُمَّرا

يعني بعمرو عَمْرو بن خُنَيْسٍ والد المنذر. يقول: لستَ إليه ولا إلى ابنه المنذر أي: أنت أقل من ذلك، والمنذر بن عمرو هذا يقال له: أَعْنَق ليَمُوتَ[٢]، هو أحـد النقباء كما ذكر ابن إسحاق، وذكر ابن إسحاق في المواخاة أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ آخى بينه، وبين أبي ذَرٍّ الغِفَارِي، وأنكر ذلك الواقدي محمدُ بن عمر، وقال: إنما آخى بينه وبين طُلَيْب بن عَمْرو[٣]. قال: وكيف يواخي بينه وبين أبي ذَرٍّ، والمواخاة كانت قبل بدر، وأبوذر كان إذ ذاك غائبا عن المدينة، ولم يقدم إلا بعد بدر، وقد قطعت بدر المواخاةَ ونسخها قولُه سبحانه: ﴿ وأولو الأَرْحَام بعضُهم أَوْلَى بِبَعْضٍ [في كتاب الله، إن الله بكل شيء عليم]﴾ الأنفال: ٧٥ والمنذر بن عَمْرو حديثٌ واحد عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليس له غيره، يرويه عبد المهيمن بن عباس ابن سهل بن سعد عن أبيه عن جده عن المنذر أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم سجد عن السهو قبل التسليم، وعبد المهيمن ضعيفٌ. وقول حسان:

---

(١) الذي في السيرة: لست إلى سعد.

(٢) في الإصابة: وكان يلقب بالمعنق ليموت. وقال موسى بن عقبة في مغازيه: وهو الذي يقال له أعنق ليموت.

(٣) وقيل هو: ابن عمير، أمه: أروى بنت عبد المطلب.

. . . .

ولا تكُ كالشاة التي كان حَتْفُها بِحَفْرِ ذراعيها ، فلم ترض محفرا

تقوله العرب في مثل قديم فيمن أثار على نفسه شرا ، كالباحث عن المُدْية[1]

وأنشد أبو عثمان [الجاحظ] عمرو بن بحر . [لِلْفَرَزْدَق] :

وكان يُجير الناسَ من سَيْفِ مالكٍ فأصبح يَبغي نفسَه مَنْ يُجيرُها

وكان كَعَنْزِ السُّوءِ قامت بِظِلْفها إلى مُدْيةٍ تحت التراب تُثيرُها

(١) قال البحترى فى حماسته : « يروى عن بعض العرب أنه أصاب نعجة ، فأراد ذبحها ، ولم يكن معه شيء يذبحها به ، فبينا هو يفكر فى ذلك ، رأى ذلك يصنع إذ حفرت النعجة بأظلافها الأرض ، فأبرزت عن سكين كانت مندفنة فى التراب ، فذبحها بها ، وضرب العرب بها المثل والبيتان بعدهما :

ستعلم عبد القيس إن زال ملكها على أى حال يستمر مريرها

وهما فى البيان والتبيين ص ١٥٩ ج ٣ للجاحظ بتحقيق الأستاذ عبد السلام هارون ، وأنشدهما أيضا فى كتابه الحيوان ، وهما أيضاً فى ديوان الفرزدق ص ٢٤٩ . ومن معانى قصيدة حسان كما بين الخشنى : البرقاء : موضع . حمر : عصبية . الريط : الملاحف البيض ، واحدتها : ريطة . الأنباط : قوم من العجم . والوسنان النائم . كسرى : ملك الفرس ، وقيصر : ملك الروم . الشكلى : المرأة الفاقدة ولدها . والنحر : الصدر .

قصة صنم عمرو بن الجموح

فلما قَدِموا المَدينة أظهروا الإسلامَ بها ، وفي قومهم بقايا من شُيوخ لهم على دينهم من الشِّرك ، منهم عَمْرو بن الجَمُوح بن زَيْد بن حَرام بن كعب بن غَنْم ابن كعب بن سلمة ، وكان ابنه مُعاذ بن عمرو شَهِدَ العقبة ، وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بها ، وكان عمرو بن الجَمُوح سيداً من سادات بني سَلِمة ، وشريفا من أشرافهم ، وكان قد اتخذ في داره صَنَماً من خَشَب ، يقال له : مَنَاة ، كما كانت الأشراف يصنعون ، تتخذه إلها تعظِّمه وتُطَهِّره ، فلما أسلم فِتْيان بني سَلَمة : مُعاذ بن جَبل ، وابنه مُعاذ بن عمرو ، في فِتْيان منهم مِمَّن أسلم وشَهِد العقبة ، كانوا يُدْلِجون بالليل على صنم عَمْرو ذلك ، فيحْملونه فيَطْرحونه في بعض حُفَر بني سَلِمة ، وفيها عِذَر الناس ، مُنَكَّساً على رأسه ، فإذا أصبح عمرو ، قال : ويلَكم ! مَنْ عدا على آلهتنا هذه الليلة ؟ قال : ثم يغدو يلتمسه ، حتى إذا وجدَه غسلَه وطَهَّره وطَيَّبه ، ثم قال : أما والله لو أعلم مَنْ فعل هذا بك لأُخْزِيَنَّهُ . فإذا أمسى ونام عمرو ، عَدَوْا عليه ، ففعلوا به مثل ذلك ، فيغدو فيجده في مثل ما كان فيه من الأذى ، فيَغْسله ويطهِّره ويُطَيِّبه ، ثم يعدون عليه إذا أمسى ، فيفعلون به مثلَ ذلك . فلما أكثروا عليه ، استخرجه من حيث ألقوه يوما ، فغسله وطهّره وطيّبه ، ثم جاء بسيفه فعلّقه عليه ، ثم قال : إني والله ما أعلم مَنْ يصنع بك ما ترى ، فإن كان فيك خيرٌ فامتنعْ ، فهذا السيفُ معك . فلما أمسى ونام عمرو ، غَدَوْا عليه ، فأخذوا السيفَ مِنْ عنقه ، ثم أخذوا كلبا ميتا فقرنُوه به بحبل ، ثم ألقوه في بئر من آبار

سَلِمَة ، فيها عِذَرٌ من عِذَر الناس ، ثم غدا عمرو بن الجموح فلم يَجِدْه فى مكانه الذى كان به .

إسلام عمرو بن الجموح

فخرج يتبعه حتى وجده فى تلك البئر مُنكَّسا مَقْرُونا بكلب ميت ، فلما رآه وأبصر شأنه ، وكلّمه مَنْ أسْلَم من قومه ، فأسلم برحمة الله ، وحَسُن إسلامُه . فقال حين أسلم ، وعرف من الله ماعرف ، وهو يذكر صنمه ذلك وما أبصر من أمره ، ويشكُر الله تعالى الذى أنقذه مما كان فيه من العمَى والضلالة :

والله لو كنتَ إلهاً لم تَكُنْ أنت وكلبٌ وَسْطَ بئرٍ فى قَرَنْ

أُفٍّ لمَلْقاك إلهًا مُستَدَنْ الآنَ فَتَّشناك عن سُوء الغَبَنْ

الحَمْدُ لِلهِ العَلِيِّ ذِي المِنَنْ الواهبِ الرَّزّاق دَيّان الدِّيَنْ

هو الذى أنقَذَنى من قبل أنْ أكونَ فى ظُلْمَة قبرٍ مُرْتَهَنْ

بأحمدَ المهدى النبىِّ المُرْتَهنْ

شروط البيعة فى العقبة الأخيرة

قال ابن إسحاق : وكان فى بيعة الحرب ، حين أذِن الله لرسوله فى القتال شروطا سوى شَرْطه عليهم فى العقبة الأولى ، كانت الأولى على بيْعة النِّساء ، وذلك أن الله تعالى لم يكن أذِن لرسوله صلى الله عليه وسلم فى الحرب ، فلما أذِن الله له فيها ، وبايَعهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى العقبة الأخيرة

على حرب الأحمر والأسود ، أخذ لنفسه واشترط على القوم لربه ، وجعل لهم على الوفاء بذلك الجنة .

قال ابن إسحاق : فحدثني عُبادة بن الوليد بن عُبادة بن الصامت ، عن أبيه الوليد ، عن جده عبادة بن الصامت ، وكان أحدَ النقباء ، قال :

بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعةَ الحرب — وكان عُبادة من الإثنى عشر الذين بايعوه فى العقبة الأولى على بَيْعة النساء — على السَّمْع والطاعة ، فى عُسْرنا ويُسْرنا ومَنْشَطنا ومَكْرَهنا ، وأَثَرَةٍ علينا ، وأن لا ننازع الأمرَ أهلَه ، وأن نقول بالحقّ أينما كُنا ، لا نخاف فى الله لَوْمَةَ لائم .

أسماء من شهد العقبة

قال ابن إسحاق : وهذه تسمية من شَهِد العقبة ، وبايع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بها من الأوس والخزرج ، وكانوا ثلاثةً وسَبْعين رجلا وامرأتين .

شهدها من الأوس ابن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ، ثم من بنى عبد الأشهل ابن جُشَم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس أُسَيْد ابن حُضَير بن سِماك بن عَتِيك بن رافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل ، نقيب لم يشهد بدرا . وأبو الهيثم بن التَّيِّهان ، واسمه مالك ، شهد بدراً . وسَلَمة بن سلامة بن وَقْش بن زُغْبة بن زَعُوراء بن عبد الأشهل ، شهد بدراً ، ثلاثة نفر . قال ابن هشام . ويقال : ابن زَعوراء بفتح العين .

قال ابن إسحاق : ومن بنى حارثة ابن الحارث بن الخزرج بن عمرو

ابن مالك بن الأوس : ظُهَيْر بن رافع بن عَدِىّ بن زيد بن جُشَم بن حارثة .
وأبو بُرْدة بن نِيار ، واسمه هانىء بن نِيارِ بن عمرو بن عبيد بن كلاب بن دُهْمان ابن غَنْم بن ذُبْيان بن هُمَيم بن كاهل بن ذُهْل بن هَنِىّ بن بَلِىّ بن عمرو بن الحافِ ابن قُضاعة ، حليف لهم ، شهد بدراً . ونُهَيْر [أو بهير] بن الهَيْثم ، من بنى نابى بن مَجْدعة بن حارثة . ثلاثة نفر .

ومن بنى عمرو بن عوف مالك بن الأوس : سعدُ بن خَيْثمة بن الحارث ابن مالك بن كعب بن النَّحاط بن كعب بن حارثة بن غَنْم بن السَّلْم بن امرىء القيس بن مالك بن الأوس ، نقيب ، شهد بدراً ، فقُتل به مع رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — شهيداً .

قال ابن هشام : ونسبه ابنُ إسحاق فى بنى عمرو بن عوف ، وهو من بنى غَنْم ابن السَّلْم ، لأنه ربما كانت دعوة الرجل فى القوم ، ويكون فيهم فينسب إليهم .

قال ابن إسحاق : ورفاعة بن عبد المُنْذر بن زَنْبر بن زيد بن أُميَّة بن زيد ابن مالك بن عوف بن عمرو ، نقيب ، شهد بدراً . وعبدُ الله بن جُبير بن النعمان بن أميَّة بن البُرَك — واسم البُرَك : امرؤ القيس بن ثعلبة بن عمرو شهد بدراً ، وقُتِل يوم أحد شهيداً أميراً لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم على الرُّماة ؛ ويقال : أميَّة بن البَرْك ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : ومعنُ بن عدىّ بن الجد بن العَجْلان بن [حارثة]

ابن ضُبَيْعة [بن حرام] لهم من بَلِيّ ، شهد بدراً وأُحُداً والخندق ، ومشاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها ، قُتِل يوم اليمامة شهيداً فى خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه . وعُوَيم بن ساعدة ، شهد بدراً وأحداً والخندق .

خمسة نفر .

فجميع من شهد العقبة من الأوس أحدَ عشرَ رجلا .

وشهدها من الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ، ثم من بنى النَّجَّار ، وهو تَيْم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج : أبو أيوب ، وهو خالد بن زيد بن كُلَيب بن ثعلبة بن عَبْد بن عوف بن غَنْم بن مالك بن النَّجّار شهد بَدْراً وأُحداً والخَنْدقَ ، والمشاهد كلها ، مات بأرض الروم غازيا فى زمن معاوية ابن أبى سفيان . ومُعاذ بن الحارث بن رِفَاعَة بن سَواد بن مالك بن غَنْم بن مالك ابن النَّجّار ، شهد بدراً وأُحداً والخندق ، والمشاهد كلها ، وهو ابن عَفْرَاء . وأخوه : عوف بن الحارث ، شهد بدراً وقُتل به شهيداً ، وهو الذى قتل أباجهل بن هشام بن المغيرة ، وهو لعفراء — ويقال : رفاعة بن الحارث بن سَوَاد ، فيما قال ابن هشام — وعُمارة بن حزم بن زيد بن لَوْذان بن عمرو ابن عبد عوف بن غَنْم بن مالك بن النجار . شهد بدراً وأُحداً والخندق ، والمشاهد كلها ، قُتل يوم اليمامة شهيداً فى خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه وأسْعَدُ بن زُرَارَة بن عُدَس بن عبيد بن ثعلبة بن غَنْم بن مالك بن النجار ، نقيب ، مات قبل بدر ومسجدُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يُبنى ، وهو أبو أُمامة . ستة نفر .

ومن بنى عمرو بن مَبْذول — ومبذول : عامر بن مالك بن النجار : سَهْل بن عَتِيك

. . . .

رفع المسلم غفر الله له ولوالديه

ابن نُعمان بن عمرو بن عَتيك بن عمرو ، شهد بدراً . رجل .

ومن بنى عمرو ابن مالك بن النجّار ، وهم بنو حُدَيلة — قال ابن هشام : حُدَيلة : بنت مالك بن زيد مناة بن حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غضب ابن جُشَم بن الخزرج — أوس بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو ابن زيد مناة بن عدىّ بن عمرو بن مالك ، شهد بدراً . وأبو طلحة ، وهو زيد بن سهل بن الأسود بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدىّ بن عمرو ابن مالك، شهد بدراً . رجلان.

ومن بنى مازن بن النجّار : قيسُ بن أبى صَعْصعة ، واسم أبى صعصعة : عمرو بن زيد بن عوف بن مَبْذُول بن عمرو بن غَنْم بن مازن ، شهد بدراً ، وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم جعله على الساقة يومئذ . وعمرو بن غُزَيَّة ابن عمرو بن ثعلبة بن خَنْساء بن مَبْذُول بن عمرو بن غَنْم بن مازن . رجلان .

فجميع من شهد العقبة من بنى النجار أحَدَ عَشَر رجلا .

قال ابن هشام : عمرو بن غُزَيَّة بن عمرو بن ثعلبة بن خنساء ، هذا الذى ذكره ابن إسحاق ، إنما هو غُزَيَّة بن عَطِيَّة بن خَنْساء .

من شهدها من بلحارث بن الخزرج

قال ابن إسحاق : ومن بَلْحارث بن الخزرج : سعدُ بن الربيع بن عمرو ابن أبى زهير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك [الأغر] بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث ، نقيب ، شهد بدراً وقُتل يوم أُحُد شهيداً .

وخارجةُ بن زيد بن أبى زهير بن مالك بن امرىء القيس بن مالك [الأغر] ابن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث ، شهد بدراً وقُتل يوم أحد شهيداً وعبدُ الله بن رواحة [بن ثعلبة] بن امرىء القيس بن عمرو بن امرىء القيس ابن مالك [الأغر] بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث ، نقيب ، شهد بدراً وأحداً والخندق ومشاهدَ رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها ، إلا الفتحَ وما بعده ، وقُتل يوم مُؤتة شهيداً أميراً لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبشيرُ بن سعد بن ثعلبة بن الجُلاسَ بن زيد بن مالك [الأغر] بن ثعلبة ابن كعب بن الخزرج بن الحارث ، أبو النعمان ابن بشير شهد بدراً . وعبدُ الله بن زَيْدَ بن ثعلبة بن عبد ربه بن زيد [مناة] بن الحارث بن الخزرج [بن حارثة] شهد بدراً ، وهو الذى أُرِى النداء للصلاة ، فجاء به إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم فأمر به . وخلَّاد بن سُوَيْدِ بن ثعلبة بن عمرو بن حارثة بن امرىء القيس بن مالك [الأغر] بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث [ابن الخزرج] شهد بدراً وأحدا والخندق وقُتل يوم بنى قُريظة شهيدا ، طُرِحت عليه رحًى من أُطُمٍ من آطامِها فشدَخته شَدْخاً شديدا ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما يذكرون ـ إنّ له لأجْرَ شهيدين . وعقبةُ بن عمرو ابن ثعلبة بن أُسيْرة بن عُسيرة بن جِدارة بن عوف بن الحارث [بن الخزرج] وهو أبو مسعود وكان أحدث من شهد العقبة سناً ، مات فى أيام معاوية ، لم يشهد بدراً سبعة نفر .

ومن بنى بياضة بن عامر بن زُرَيْقِ بن عبد حارثة بن مالك بن غضبِ

ابن جُشَم بن الخزرج : زِيادُ بن لَبِيد بن ثعلبة بن سنان بن عامر بن عدىّ ابن أُمَيَّة بن بياضة ، شهد بدراً . و فَرْوَةُ بن عمرو بن وَدَفَة بن عبيد بن عامر بن بياضة ، شهد بدراً . قال ابن هشام : ويقال وَدْفة .

قال ابن إسحاق : وخالد بن قيس بن مالك بن العَجْلان بن عامر بن بياضة ، شهد بدراً . ثلاثة نفر .

ومن بنى زُرَيق بن عامر بن زُرَيق بن عَبد حارثة بن مالك بن غَضْب ابن جُشَم بن الخزرج : رافع بن مالك بن العَجْلان بن عمرو بن عامر بن زُرَيق ، نقيب . وذَكْوان بن عبد قيس بن خَلْدَة بن مُخَلَّد بن عامر بن زُرَيق [بن عامر بن زريق بن عبد حارثة] ، وكان خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان معه بمكة وهاجر إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم من المدينة ، فكان يقال له : مهاجرى أنصارى ؛ شهد بدراً وقُتل يوم أُحد شهيدا . وعباد بن قيس ابن عامر بن خَلْدة بن مُخَلَّد بن عامر بن زُرَيق ، شهد بدراً . والحارث بن قيس بن خالد بن مُخَلَّد بن عامر بن زُرَيق ، وهو أبو خالد شهد بدراً . أربعة نفر .

ومن بنى سَلِمَة بن سعد بن علىّ بن أسد بن ساردة بن تَزِيد بن جُشَم بن الخزرج ؛ ثم من بنى عُبَيْد بن عَدِىّ بن غَنْم بن كَعْب بن سلمة : البَرَاء بن مَعْرُور بن صَخر بن خَنْساء بن سِنَان بن عُبَيْد بن عَدِىّ بن غَنْم ، نقيب ، وهو الذى تزعُم بنو سَلِمَة أنه كان أوّل من ضَرب على يد رسول الله صلى الله

عليه وسلم وشَرَط له ، واشترط عليه ، ثم تُوفى قبل مَقْدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ . وابنه بِشْر بن الْبَرَاء بن مَعرور ، شهد بدراً وأُحداً والخندق ، ومات بخيبر من أكلة أكلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من الشاة التى سُمّ فيها — وهو الذى قال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، حين سأل بنى سلمة : من سيِّدكم يابنى سِلَمة ؟ فقالوا : الجَــدُّ بن قَيْس ، على بُخْلِه ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : وأى داء أكبر من البُخل ! سيدُ بنى سِلِمَة الأبيض الجَعْد بِشْرُ بن الْبَرَاء بن مَعْرور . وسِنان بن صَيْفِى بن صَخْر بن خَنْساء بن سِنان بن عُبَيْد ، شهد بدرا ، والطُّفَيل بن النُّعْمَان خَنْساء بن سِنَان ابن عُبَيْد ، شَهد بدراً ، وقُتِل يوم الخَنْدَقِ شَهيداً . ومَعْقِل بن المُنْذر بن سَرْح ابن خُنَاس بن سِنَان بن عُبَيْد ، شهد بدراً . ويزيد بن المنذر بن سَرْح ابن خُنَاس بن سنان بن عُبَيْد شهد بدرا . ومَسْعُودُ بن يزيد بن سُبَيْع بن خَنْساء بن سِنَان بن عُبَيْدٍ . والضَّحَّاك بن حارثة بن زيد بن ثعلبة بن عبيد ، شهد بدراً ، ويزيد بن خِدَام أو [بن حرام أو خدارة] بن سَبَيْع بن خَنْساء ابن سِنَان بن عُبَيْد . وجُبار بن صَخْر بن أُمَيَّة بن خنساء بن سِنان بن عُبَيْد [بن عَدِىّ بن غَنْم بن كعب بن سَلِمة] ، شهد بدرا .

قال ابن هشام : ويقال : جَبَّار بن صَخْرِ بن أُمَيَّة بن خُنَاس :

قال ابن إسحاق : والطُّفَيْل بن مالك بن خنساء بن سنان بن عبيد [وهو ابن عم الطُّفَيْل بن النعمان بن خنساء بن سِنان] ، شهد بدرا . أحد عَشَرَ رجلا .

ومن بنى سَواد بن غَنْم بن كعب بن سَلِمَة ، ثم من بنى كعب بن سواد :

كعب بن مالك بن أبى كعب بن القَيْن بن كعب ، رجل .

ومن بنى غَنْم بن سَواد بن غَنْم بن كعب بن سَلِمَة : سُلَيم بن عُمْرو بن حَدِيدة ابن عمرو بن غنم ، شهد بدرا . وقُطْبة بن عامر بن حَدِيدة بن عَمْرو بن غَنْم ، شهد بدراً . ويزيد بن عامر بن حَدِيدة بن عمرو بن غَنْم ، وهو أبو المنذر ، شهد بدراً . وأبو اليَسَر ، واسمه : كعب بن عمرو بن عَبَّاد بن عمرو بن غَنْم [بن سَوادِ بن غَنْم بن كعب بن سَلِمة] ، شهد بدراً . وصَيْفى بن سَواد بن عبَّاد بن عمرو بن غَنْم . خمسة نفر .

قال ابن هشام : صَيْفيّ بن أسود بن عباد بن عمرو بن غَنْم بن سواد ، وليس لسواد ابن يقال له : غَنْم .

قال ابن إسحاق : ومن بنى نابى بن عمرو بن سَواد بن غَنْم بن كعب ابن سَلمة : ثعلبة بن غَنَمة بن عَدِىّ بن نابى ، شهد بدراً ، وقُتِل بالخندق شهيداً . وعمرو بن غَنَمة بن عدىّ بن نابى ، وعَبْس بن عامر بن عدىّ بن نابى ، شهد بدراً . وعبدُ الله بن أُنَيْس ، حليف لهم من قُضاعة . وخالد بن عمرو بن عدىّ بن نابى . خمسة نفر .

قال ابن إسحاق : ومن بنى حَرام بن كعب بن غَنْم بن كعب بن سَلمة : عبدُ الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام ، نقيب ، شهد بدراً ، وقُتل يوم أحد شهيداً ، وابنه جابر بن عبد الله . ومعاذُ بن عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام ، شهد بدراً . وثابت بن الجِذْع ـ والجِذع : ثَعْلَبَة بن زيد بن الحارث

ابن حرام ـ شهد بدرا ، وقُتِل بالطائف شهيدا . وعمير بن الحارث بن ثعلبة ابن زيد بن الحارث بن حرام ، شهد بدراً . قال ابن هشام : عمير بن الحارث ابن لَبْدَة بن ثعلبة .

قال ابن إسحاق . وخَديج بن سَلامة بن أَوْس بن عمرو بن الفُرافِر [أو القَرافر] حليف لهم من بَلِيّ ومُعاذُ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ ابن عَدِي بن كعب بن عمرو بن أُدَيّ بن سَعْد بن علىّ بن أَسَد ، ويقال : أَسَد بن ساردة بن تزيد بن جُشَم بن الخزرج ، وكان فى بنى سَلِمة ، شهد بدراً ، والمشاهد كلها ومات بِعَمْوَاس ، عام الطاعون بالشام ، فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وإنما ادعته بنو سلمة أنه كان أخا سهل بن محمد بن الجدِّ بن قيس بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد بن عدىّ بن غَنْم بن كعب بن سلمة لأمه . سبعة نفر .

قال ابن هشام : أَوْسٌ : ابن عباد بن عدىّ بن كعب بن عمرو بن أُدَيّ ابن سعد .

قال ابن إسحاق : ومن بنى عوف بن الخزرج ، ثم من بنى سالم بن عوف ابن عمرو بن عوف بن الخزرج : عُبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم ابن فِهر بن ثعلبة بن غَنْم بن سالم بن عوف ، نقيب ، شهد بدراً والمشاهد كلها .

قال ابن هشام : هو غَنْم بن عوف ، أخو سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج .

رفع
المسـ هم
غفرالله له ولوالديه

قال ابن إسحاق : والعباس بن عُبادة بن نضلة بن مالك بن العجلان بن زيد بن غنم بن سالم بن عوف ، وكان ممن خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة فأقام معه بها فكان يقال له : مهاجرىّ أنصارىّ وقُتل يوم أحد شهيدا . وأبو عبد الرحمن يزيد بن ثَعْلَبة بن خَزَمة بن أصرم بن عمرو ابن عَمَّارة ، حليف لهم من بنى غُصَينة من بَلِىّ . وعَمْرو بن الحارث بن لَبْدة ابن عمرو بن ثعلبة : أربعة نفر ، وهم القواقل .

ومن بنى سالم بن غنم بن عوف بن الخزرج ، وهم بنو الْحُبْلَى - قال ابن هشام : الْحُبْلى : سالم بن غَنْم بن عوف ، وإنما سمى : الْحُبْلَى - لعظم بطنه : رفاعةُ بن عمرو بن زيد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن سالم بن غنم ، شهد بدراً ، وهو أبو الوليد .

قال ابن هشام : ويقال : رفاعة : ابن مالك ، ومالك : ابن الوليد بن عبد الله بن مالك بن ثعلبة بن جُشم بن مالك بن سالم .

قال ابن إسحاق: وعُقبة بن وَهْب بن كَلَدة بن الْجَعْد بن هِلال بن الحارث ابن عمرو بن عدىّ بن جشم بن عوف بن بُهْثة بن عبد الله بن غطفان بن سعد ابن قيس بن عيلان ، حليف لهم ، شهد بدراً ، وكان ممن خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجرا من المدينة إلى مكة ، فكان يقال له : مهاجرى أنصارى .

قال ابن هشام : رجلان .

قال ابن إسحاق : ومن بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج : سعد بن عُبادة ابن دُلَيْم بن حارثة بن أبى خزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة ، نقيب؛ والمنذر بن عمرو بن خُنَيْس بن حارثة بن لَوْذان بن عَبْدِ وُدّ بن زيد ابن ثعلبة بن جُشَم بن الخزرج بن ساعدة ، نقيب ، شهد بدرا وأحداً ، وقُتل يوم بئر معونة أميراً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو الذى كان يقال له : أعنق ليموت . رجلان .

قال ابن إسحاق : فجميع من شَهِد العقبـــة من الأوس والخزرج ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان منهم ، يزعمون أنهما قد بايعتا ، وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لا يصافح النساء ، إنما كان يأخذ عليهن ، فإذا أقررن ، قال : اذهبن فقد بايعتكن .

ومن بنى مازن بن النجّار : نُسَيْبة بنت كعب بن عمرو بن عوف بن مَبْذُول بن عمرو بن غنم بن مازن [بن النَّجّار] ، وهى أم عُمَارة ، كانت شهدت الحرب مع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وشهدت معها أختها . وزوجُها زيد بن عاصم بن كعب . وابناها : حبيب بن زيد، وعبد الله بن زيد، وابنها حبيب الذى أخذه مُسَيْلِمَةُ الكذّاب الحنفىّ ، صاحب اليمامة ، فجعل يقول له : أتشهد أن محمدا رسول الله ؟ فيقول : نعم ، فيقول : أفتشهد أنى رسول الله ؟ فيقول : لا أسمع ، فجعل يقطعه عضواً عضواً حتى مات فى يده ، لا يزيده على ذلك ، إذا ذُكِر له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم آمن به وصلى عليه، وإذا ذُكر له مُسيلمة قال لا أسمع — فخرجتْ إلى اليمامة مع المسلمين ، فباشرت

رفع المسهم غفر الله له

الحربَ بنفسها . حتى قتل الله مُسيلمةَ ، ورجعت وبها اثنا عشر جرحا ، من بين طعنة وضربة .

قال ابن إسحاق : حدثنى هذا الحديث عنها محمد بن يحيى بن حبّان ، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى صَعْصعة .

ومن بنى سلمة : أم مَنيع ؛ واسمها : أسماء بنت عمرو بن عدىّ بن نابى ابن عمرو بن سواد بن غَنْم بن كعب بن سَلمة .

نزول الأمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى القتال

بسم الله الرحمن الرحيم . قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال : حدثنا زياد بن عبد الله البكّائىّ ، عن محمد بن إسحاق المُطّلِبىّ : وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قبل بيعة العقبة لم يُؤذن له فى الحرب ولم تُحلل له الدماء ، إنما يؤمر بالدعاء إلى الله والصبر على الأذى ، والصفح عن الجاهل وكانت قريش قد اضطهدت من اتبعه من المهاجرين حتى فتنوهم عن دينهم ونَفَوْهم من بلادهم ، فهم من بين مَفْتون فى دينه ، ومن بين معذّب فى أيديهم ، وبين هارب فى البلاد فراراً منهم ، منهم مَنْ بأرض الحبشة ، ومنهم مَن بالمدينة ، وفى كل وجه ؛ فلما عَتَتْ قريش على الله عزّ وجلّ ، وردّوا عليه ما أرادهم به من الكرامة ، وكذّبوا نبيَّه صلى الله عليه وسلم ، وعذّبوا ونَفَوْا مَن عَبَده ووحّده وصدّق نبيه ، واعتصم بدينه ، أذن الله عزّ وجلّ لرسوله صلى الله عليه وسلم فى القتال والانتصار ممن ظلمهم وبغى عليهم ، فكانت أوّل آية

أنزلت فى إذنه له فى الحرب ، وإحلاله له الدماء والقتال ، لمن بغى عليهم ، فيما بلغنى عن عُروة بن الزبير وغيره من العلماء ، قولُ الله تبارك وتعالى ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ، وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ . الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللهُ وَلَوْ دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيراً وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ، إِنَّ اللهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ . الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِى الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ ، وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ ، وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَلِلهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ ﴾ : أى أنى إنما أحللت لهم القتال لأنهم ظُلِموا ، ولم يكن لهم ذَنْب فيما بينهم وبين الناس ، إلا أن يعبدوا الله ، وأنهم إذا ظهروا أقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وأمروا بالمعروف ، ونَهَوْا عن المنكر ، يعنى النبىّ — صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم أجمعين ، ثم أنزل الله تبارك وتعالى عليه : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ : أى : حتى لا يُفْتَن مؤمن عن دينه : ﴿ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلهِ ﴾ : أى حتى يُعبد الله ، لا يعبد معه غيره .

الإذن لمسلمى مكة بالهجرة

قال ابن إسحاق : فلما أذن الله تعالى له صلى الله عليه وسلم فى الحرب ، وبايعه هذا الحىُّ من الأنصار على الإسلام والنُّصْرة له ولمن اتبعه ، وأوَى إليهم من المسلمين ، أمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أصحابه من المهاجرين من قومه ، ومن معه بمكة من المسلمين ، بالخروج إلى المدينة والهجرة إليها ، واللحوق

بإخوانهم من الأنصار ، وقال : إنّ الله عزّ وجلّ قد جعل لكم إخوانا ودارا تأمنون بها . فخرجوا أرسالا ، وأقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بمكة ينتظر أن يأذن له ربُّه فى الخروج من مكة ، والهجرة إلى المدينة .

المهاجرون إلى المدينة

هجرة أبى سلمة وزوجه ، وحديثها عما لقيا

فكان أوّل من هاجر إلى المدينة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين من قريش ، من بنى مَخْزوم : أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، واسمه : عبد الله ، هاجر إلى المدينة قبل بيعة أصحاب العقبة بسنة ، وكان قَدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة من أرض الحبشة فلما آذته قريش وبلغه إسلامُ من أسلم من الأنصار ، خرج إلى المدينة مهاجرا .

قال ابن إسحاق : فحدثنى أبى إسحاقُ بن يسار ، عن سلمة بن عبد الله ابن عمر بن أبى سلمة ، عن جدّته أمّ سلمة ، زوج النبىّ صلى الله عليه وسلم ، قالت : لما أجمع أبو سلمة الخروجَ إلى المدينة رحّل لى بعيرَه ثم حَمَلنى عليه ، وحمل معى ابنى سلمةَ بن أبى سلمة فى حجرى ، ثم خرج بى يقودُ بى بعيرَه ، فلما رأته رجالُ بنى المُغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم قاموا إليه ، فقالوا هذه نفسك غلبتنا عليها ، أرأيت صاحبتك هذه ؟ علامَ نتركك تسير بها فى البلاد ؟ قالت : فنزعوا خطام البعير من يده ، فأخذونى منه . قالت : وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد ، رهْط أبى سلمة ، فقالوا : لا والله ، لانترك ابننا

عندها إذا نزعتموها من صاحبنا . قالت : فتجاذبوا بُنَيَّ سلمَة بينهم حتى خلعوا يده ، وانطلق به بنو عبد الأسد ، وحبسنى بنو المُغيرة عندهم ، وانطلق زوجى أبو سلمة إلى المدينة . قالت : ففرّق بينى وبين زوجى وبين ابنى . قالت : فكنت أخرج كلّ غداة فأجلس بالأبطح ، فما أزال أبكى ، حتى أمسى سنةً أو قريبا منها حتى مرّ بى رجلٌ من بنى عمِّى ، أحدُ بنى المغيرة ، فرأى مابى فرحمنى فقال لبنى المغيرة : ألا تُخْرِجون هذه المسكينة ، فرّقتم بينها وبين زوجها وبين وَلدها ! قالت : فقالوا لى : الحقِى بزوجك إن شئتِ . قالت : وردّ بنو عبد الأسد إلىّ عند ذلك ابنى . قالت : فارتحلتُ بعيرى ثم أخذتُ ابنى فوضعته فى حجرى ، ثم خرجت أريد زوجى بالمدينة . قالت : وما معى أحد من خَلْق الله . قالت : فقلت : أتبلّغ بمن لقيتُ حتى أقْدَم على زوجى ، حتى إذا كنت بالتَّنْعيم لقيتُ عثمانَ بن طَلْحة بن أبى طلحة ، أخا بنى عبد الدار فقال لى : إلى أين يابنت أبى أميَّة ؟ قالت : فقلت : أريد زوجى بالمدينة . قال : أوَ مامعك أحد ؟ قالت : فقلت : لا والله ، إلا الله وبُنَىّ هذا . قال : والله مالك من مَتْرك ، فأخذ بخِطام البعير ، فانطلق معى يَهْوِى بى ، فوالله ماصحبت رجلاً من العرب قطّ ، أرى أنه كان أكرم منه ، كان إذا بلغ المنزل أناخ بى ، ثم استأخر عنى ، حتى إذا نزلت استأخر ببعيرى ، فحطّ عنه ، ثم قيّده فى الشجرة ، ثم تنحّى إلى شجرة ، فاضطجع تحتها ، فاذا دنا الرّواح ، قام إلى بعيرى فقدّمه فرحله ، ثم استأخر عنى ، وقال : اركبى . فاذا ركبتُ واستويتُ على بعيرى أتى فأخذ بخطامه ، فقاده ، حتى ينزل بى . فلم يزل يصنع ذلك بى حتى أقدمنى المدينة ، فلما نظر إلى قرية بنى عمرو بن عوف بقُباء ، قال : زوجك

فى هـــذه القرية -- وكان أبو سلمة بها نازلا — فادخُليها على بركة الله ، ثم انصرف راجعا إلى مكة .

قال : فكانت تقول والله ما أعلم أهلَ بيت فى الإسلام أصابهم ما أصاب آلَ أبى سلمة ، وما رأيت صاحبا قطّ كان أكرم من عثمان بن طلحة .

هجرة عامر وزوجه وهجرة بنى جحش

قال ابن إسحاق : ثم كان أوّل من قَدِمها من المهاجرين بعد أبى سَلمة : عامر بن ربيعة ، حليف بنى عدىّ بن كعب ، معه امرأتُه ليلى بنت أبى حَثْمة ابن غانم بن عبد الله بن عَوْف بن عُبيد بن عدىّ بن كعب . ثم عبدُ الله بن جحش بن رئاب بن يَعْمر بن صَبِرة بن مرّة بن كثير بن غَنْم بن دُودان بن أسد بن خُزيمة ، حليف بنى أمية بن عبد شمس ، احتمل بأهله وبأخيه عبد ابن جَحْش ، وهو أبو أحمد — وكان أبو أحمد رجلا ضرير البصر ، وكان يطوف مكة ، أعلاها وأسفلها ، بغير قائد ، وكان شاعرا ، وكانت عنده الفَرْعة بنت أبى سفيان بن حرب ، وكانت أمه أُميمةَ بنت عبد المطّلب بن هاشم — فغُلِّقت دارُ بنى جحش هجرةً ، فمرّ بها عُتبة بن ربيعـــة والعبّاس بن عبد المطلب ، وأبو جهل بن هشام بن المغيرة ، وهى دار أبان بن عثمان اليوم التى بالردم ، وهم مُصْعِدون إلى أعلى مكة ، فنظر إليها عُتْبةُ بن ربيعة تخفُق أبوابها يبابا ليس فيها ساكن ، فلما رآها كذلك تنفّس الصُّعَداء ، ثم قال :

وكلّ دار وإن طالت سلامتُها ... يوما ستُدركها النَّكْباء والحُوب

قال ابن هشام : وهذا البيت لأبى دُؤاد الإيادى فى قصيدة له . والحوب : التوجع .

قال ابن إسحاق : ثم قال عتبةُ : أصبحت: دارُ بَنى جحش خلاءً من أهلها! فقال أبو جهل : وما تبكي عليه من قُلِّ بن قُلٍّ .

قال ابن هشام القُلّ : الواحد . قال لبيد بن ربيعة :

كلّ بنى حرّةٍ مصيرُهم قُلّ وإن أكثرتْ من العَددِ

قال ابن إسحاق : ثم قال : هذا عمل ابن أخى هــذا ، فرّق جماعتنا ، وشتّت أمرنا وقطع بيننا فكانَ منزِلُ أبى سَلَمة بنِ عبدِ الأسَدِ ، وعامر بن ربيعة ، وعبد الله بن جحش ، وأخيه أبى أحمد بن جحش ، على مبشّر بن عبد المنذر بن زنبر بقُباء ، فى بنى عمرو بن عوف ، ثم قدم المهاجرون أرْسالاً ، وكان بنو غَنْم بن دُودان أهلَ إسلام ، قد أوْعبوا إلى المدينة مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم هجرةً رجالهم ونساؤهم : عبد الله بن جحش ، وأخوه أبو أحمد ابن جحش ، وعُكّاشة بن مِحْصَن ، وشجاع ، وعقبة ، ابنا وهب وأربَد ابن جُمَيْرة .

قال ابن هشام : ويقال ابن حُمَيْرة .

قال ابن إسحاق : ومُنْقِذ بن نُباتة ، وسعيدُ بن رُقَيش ، ومُحْرِز بن نَضْلة ، ويزيد بن رُقَيش ، وقيس بن جابر ، وعمرو بن مِحْصَن ، ومالك بن عمرو ، وصَفْوان بن عمرو ، وثَقْف بن عمرو ، وربيعة بن أكثم ، والزبير بن عبيد ،

وتمَّام بن عبيدة ، وسَخْبرة بن عبيدة ، ومحمد بن عبد الله بن جحش .

ومن نسائهم : زينب بنت جحش ، وأمّ حَبيب بنت جحش ، وجُذامة بنت جَنْدل ، وأمّ قَيْس بنت مِحْصَن ، وأمّ حبيب بنت ثُمامَة ، وآمنة [أو أمينة] بنت رُقَيش ، وسَخْبرة بنت تميم ، وحَمْنة بنت جحش .

وقال أبو أحمد بن جحش بن رئاب ، وهو يذكر هجرة بنى أسد ابن خزيمة من قومه إلى الله تعالى وإلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإيعابهم في ذلك حين دُعوا إلى الهجرة :

ولو حلفتْ بين الصَّفا أمّ أحمد ومَرْوتها بالله برّت يمينُها
لَنحنُ الأُلَى كنّا بها ، ثم لم نزل بمكّة حتى عاد غَثًّا سَمِينُها
بها خيَّمت غَنْم بن دودان وابتنتْ وما إنْ غَدتْ غَنْمٌ وخَفّ قَطِينُها
إلى الله تغْدو بين مَثْنى وواحد ودين رسول الله بالحقّ دينُها

وقال أبو أحمد بن جَحْش أيضا :

لمّا رأتنى أمُّ أحمد غاديا بِذِمَّة مَن أخشى بغَيْبٍ وأرْهَب
تقول : فإما كنتَ لا بدّ فاعلاً فيَمّم بنا البلدانَ ولْتَنْأَ يَثْرِبُ
فقلت لها : بل يَثْرِبُ اليومَ وجْهُنا وما يَشإِ الرّحمنُ فالعبدُ يركب
إلى الله وَجهى والرسول ومن يُقم إلى الله يوما وَجهَه لا يُخيَّب

فكم قد تركنا من حميم مُناصِح   وناصحةٍ تبكى بدمع وتندب
ترى أن وِتْراً نأيُنا عن بلادنا   ونحن نرى أنّ الرّغائب نطلُب
دعوت بنى غَنْم لِحقْن دمائِهم   وللحَقّ لمّا لاحَ للنّاس مَلْحَب
أجابوا بحَمدِ الله لمّا دعاهُم   إلى الحقّ داع والنجاح فأوْعبوا
وكنّا وأصحابا لنا فارقوا الهُدَى   أعانوا علينا بالسّلاح وأجْلبوا
كفوْجَيْن : أمّا منهما فمُوفَّقٌ   على الحقّ مهدىّ ، وفوج معذّب
طغَوْا وتمنّوا كذبة وأزلّهم   عن الحقّ إبليس فخابوا وخُيِّبوا
ورُعْنَا إلى قول النبىّ محمّـــــد   فطاب وُلاة الحقّ منا وطُيِّبوا
نَمُتّ بأرْحام إليهم قريبةٍ   ولا قرب بالأرحام إذ لا نُقرَّب
فأىّ ابن أخت بعــدنا يأمننّكم   وأيّة صِهْر بعــد صهرىَ تُرقب
ستعلم يوما أيُّنا إذ تزايلوا   وزُيِّل أمر النّاس للحقّ أصوب

قال ابن هشام : قوله « ولْتَنْفأ يثرب » ، وقوله « إذ لا نقرب » ، عن غير ابن إسحاق. قال ابن هشام: يريد بقوله: « إذ» إذا ، كقول الله عزّ وجلّ: « إذ الظّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ » قال أبو النجم العجلىّ :

ثم جزاهُ الله عنّا إذْ جَزَى   جنّات عدنٍ فى العــلالىِّ والعُــلا

رفع
المسـاهم

. . . .

إسلام عمرو بن الجموح وصنمه :

فصل فى إسْلام عمْرو بن الجَمُوح ، وذكر صنمه الذى كان يعبده ، واسمه مَنَاة ، وزنه فَعَلَة من منيت الدم وغيره : إذا صَبَبْته ، لأن الدماء كانت تُمْنَى عنده تَقرُّباً إليه ، ومنه سُمِّيَتْ الأصنامُ الدُّمَي ، وفى الحديث : لا والدُّمَى لا أرى بمـا تقول بأسا ، وكذلك مَنَاةُ الطاغيةالتى كانوا يُهِلُّون إليهابقُدَيْد والحَظُّ من من هذا المطلع مافى قوله تعالى ﴿ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى ﴾ النجم ، من الفائدة جعلها ثالثة للَّاتَ والْعُزَّى ، وأخرى بالإضافة إلى مناة التى كان يعبدها عَمْرُو ابن الجَمُوح وغيره من قومه ، فهما مَنَاتَان ، وإحداهما عن الأخرى بالإضافة إلى صاحبتها .

وقوله :

الآن فَتَنْشَاكَ عن سُوء الْغَبَنْ

الغبن فى الرأى يقال غَبِن رَأْيَه كما يقال سَفِه نَفْسَه ، فنصبوا ، لأن المعنى : خسر نَفْسَه ، وأوْبَقَها وأفسد رأيَه ونحو هذا .

وقوله إلها مُسْتَدَنْ من السَّدَانة ، وهى خدمة البيت وتعظيمه .

وقوله دَيَّان الدِّين : الدِّينُ جمع دِينة ، وهى العادة ، ويقال لها دِينٌ أيضا ، وقال ابنُ الطَّثَرِيَّة ، واسمه يزيد[٢] :

---

(١) ولهذا فسرها الخشنى بقوله : مستذل مستعبد .

(٢) اختلف فى نسبه ، فهو عند أبى عمرو الشيبانى : أبو المكشوح يزيد

أرى سَبْعَةً يَسْعَوْنَ للوصل كُلهم ... له عند لَيْلَى دِينَةٌ يَسْتَدِينُها
فألقيتُ سَهْمِى بَيْنهم حين أوْخَشُوا ... فما صار لى فى القَسْم إلا ثمينها[1]

ويجوز أن يكون أراد بالدِّين : الأديان أى هو دَيَّان أهل الأَدْيان ، ولكن جمعها على الدِّيَن، لأنها مِلَلٌ ونِحَل ، كما قالوا فى جمع : الْحُرَّة : حرائر ، لأنهن فى معنى الْكَرَائم والعقائل ، وكذلك مَرائر الشجر ، وإن كانت الواحدة مُرَّة ، ولكنها فى معنى فعيلة ، لأنها عَسِيرة فى الذَّوْق ، وشديدة على الآكل ، وكريهة إليه .

تفسير بعض الأنساب :

فصل : وذكر ابن إسحاق تسمية من حَضَر الْعَقَبة ، وذكر أنسابَهم إلا

ابن سلمة بن سمرة بن سلمة الخير بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. وقيل : إنه يزيد بن المنتشر بن سلمة ، وذكر ابن الكلبى أنه يزيد بن الصمة أحد بنى سلمة الخير بن قشير، وذكر البصريون أنه من ولد الأعور بن قشير . يقول عنه أبو الحسن على بن عبدالله الطوسى : «كان ابن الطثرية شاعرا مطبوعا عاقلا فصيحا كامل الأدب وافر المروءة لايعاب ، ولايطعن عليه » والطثرية أمه ، وهى من بنى طثر بن عنز بن وائل . وقد ضبطها ابن خلكان بفتح الطاء وسكون الثاء، وضبط فى القاموس واللسان بفتح الثاء : وهو من شعراء الحماسة لأبى تمام والبيت الثانى فى اللسان فى مادة ثمن .

(١) أوخش القوم : ردوا السهام فى الربابة مرة أخرى ، والثمين : جزء من الثمانية ، وفى اللسان : وسطهم بدلا من : بينهم لأن فعله غالبا يجمع على فعل، مثل غرفة وغرف وصدية ومدى ، وأما فعائل فمقيس فى كل رباعى — اسم أوصفة — مؤنث لفظيا أو معنويا ثالثه مدة سواء أكانت ألفا أم ياء أم واوا ،

رفع
المسهم

. . . .

أبا الْهَيْثَم بن التَّيِّهَان ، وقد ذكرنا اسْمَه واسمَ أبيه ، وماقيل فى نسبه فى ذكر الْعقبة الأولى[١] .

وذكر قُطْبَة بن عامر ، والْقُطْبَة فيما ذكر أبو حنيفة واحدة الْقُطَبِ ، وهىَ شَوكَة[٢] . مدحرجة فيها ثلاث شُوَيكَات ، وهى تشبه حَسَكَ السَّعْدَانِ ، وقد بان بِنَعْتِ أبى حنيفة له أنه الذى نسميه ببلادنا حِمَّص الأمير . والقُطْبَة : طَرَف النَّصْل .

وذكرَ ذَكْوان بن عَبْدِ قيس ، ونسبه إلى عامر بن زُرَيْق بن عامر بن زُرَيْق بن رَوَاحَة بن غَضْب بن جُشَم ،والغَضْبُ فى اللغة : الشَديد الحمرة[٣] ، وجُشَمُ مَعْدُولٌ عن جَاشِم ، وهو من جَشِمْتُ الأمر [تكلفته على مشقة] كما عَدَلوا عُمر عن عامر[٤] وقد أملينا جُزْءًا فى أسرار ماينصرف ، ومالا ينصرف .

---

(١) مازدته فى السيرة من نسب معن بن عدى وغيره من الإصابة .

(٢) القطبة ضرب من النبات يذهب حبالا على الأرض طولا ، وله زهرة صفراء ، وشوكته إذا أحصد ويبس يشق على الناس أن يطئوها ، مدحرجة كأنها حصاة .والحسك : نبات له ثمرة خشنة تتعلق بأصواف الغنم وأوبار الإبل ، ومنه حسك السعدان ، والسعدان : نبت من أفضل مراعى الإبل ، ومنه : مرعى ، ولا كا لسعدان ، وله شوك تشبه به حلمة الثدى . وهذا المثل يضرب للشىء يفضل على أقرانه

(٣) فى الاشتقاق : الغضب : الأحمر الغليظ ، والغضبة الصخرة الخشنة ص ٤٦١ .

(٤) فى الاشتقاق : ومن قولهم : جشمت إليك هذا الأمر ، أى : تحملته ثقلة ، وجشم البعير : صدره وكلكله ، ص ٢٥٢ .

. . . .

شرحنا فيه فائدة العدل عن فاعل إلى فُعَل ، وماحقيقة الْعَدْل والْمَقْصُود به ، ولم لَمْ يُعْدَل عن أسماء الأجناس ، ولم لَمْ يكن إلا فى الصفات ولم لَمْ يكن من الصفات إلا فى مثل عامر وزَافِر وقاثم[1] ، ولم يكن فى مالك وصالح وسالم ، ولِمَ خص فعل هذا البناء بالعَدْل إليه ، وهل عُدِل إلى بناء غيره ، أم لا ولِمَ منع الْخَفْض والتَّنْوين إذا كان مَعْدولا إلى هذا البناء ، فمن اشتاق إلى معرفة هذه الأسرار فَلْيَنْظُرْها هُنالك ، فإن ابنَ جنى قد حام فى كتاب الخصائص على بعضها ، فما وَرَدَ ، وصَأْصَأَ فما فَقَّحَ[2] .

وذكر فى بنى بَياضَة عَمْروَ بن وَذْفَة بذال مُعْجَمة ، وقال ابن هشام : وَدْفَة بدال مهملة ، وهو الأصح ، والوَدْفَة : الرَّوْضَة الناعمة سُمِّيت بذلك ، لأنها تقطر ماء من نعمتها ، والأُدافُ الذَّكَر ، وأصله : وُدَافٌ ، سُمِّى بذلك الموضع قطر الماء والمنى منه[3] ، ويقال للروضة النَّاعمة : الدَّقْرَى ، وعمرو بن

---

(١) قثم ـ فى القاموس ـ الكثير العطاء معدول عن قاثم ، والجموع للخير والعيال ، وزفر : الأسد والشجاع ،والبحر والنهر الكثير الماء ، الذى يحمل الأثقال ، أى : القوى على حمل القرب ، والجمل الضخم ، والكتيبة إلخ .

(٢) فقح الجرو ،فتح عينيه أول مايفتح ،وهو صغير، وصأصأ الجرو: حاول النظر ولما تنفتح عيناه ، ويقال : فقحنا ، وصأصأتم : أبصرنا الحق ، ولم تبصروه .

(٣) العبارة مضطربة ولعلها : لقطر الماء .. الخ . وفى القاموس عن وداف: «وكغراب: الذكر لما يدف منه من المنى وغيره » وفى اللسان: « والأداف:الذكر القطر اشه الهمزة فيه : بدل من الواو ، وهو مما لزم فيه البدل ، إذ لم تسمعهم قالوا : وداف . وفى الحديث : فى الأداف الدية يعنى الذكر ، قال ابن الأثير :

. . . .

وَدْفَة هذا هو الْبَيَاضِيُّ الذى روى عنه مالك فى كتاب الصلاة ، ولم يُسَمِّه .

وفى الأنصار [من قبائل الخزرج] بنو النَّجَّار ، وهم تَيْمُ الله بن ثَعْلَبَة . سمى النَّجَّار فيما ذكروا لأنه نَجَرَ وَجْهَ رجل بقَدُومٍ وقيل : كان نَجَّاراً ، وثعلبة فى العربِ كثير فى الرجال ، وقَلَّ مايُسَمُّون بثَعْلَب ، وإن كان ذلك هو القياس . كما يسَمُّون بنَمِرٍ وسَبُع وذِئْبٍ[١] ، ولكن الثعلب اسمٌ مشترك ، إذ يقال ثَعْلَبُ الرُّمْحِ ، وثَعْلَبُ الحَوْضِ[٢] ، وهو مخرج الماء منه ، وفى الحديث حتى قام أبو لبابة يسد ثَعلب مِرْبَدِه بردائه[٣] ، فكأنهم عدَلوا عن التسمية

سماه بما يقطر منيا مجازا ، وفى اللسان عن الودفة : الودفة — بسكون الدال — الوديفة : الروضة الناضرة المتخيلة ، وقال أبو حازم : الودفة بفتح الدال : الروضة الخضراء من نبت .

(١) يقول ابن دريد عن مذاهب العرب فى التسمية : « ومنها أن الرجل كان يخرج من منزله وامرأته تمخض ، فيسمى ابنه بأول مايلقاه من ذلك ، نحو : ثعلب وثعلبة ، وضب وضبة ، وخزر وضبيعة ، وكلب وكليب ، وحمار وقرد وخنزير . وكذلك أيضاً تسمى بأول ما يسنح أو يبرح لهـا من الطير نحو : غراب وصرد وما أشبه ذلك » ص ٦ الاشتقاق ، ولم أجد فيه سوى بطن واحد من قبائل قضاعة سمى بثعلب بينما وجدت ثمانية عشر سموا بثعلبة وهناك اثنان وعشرون صحابيا كلهم تسمى باسم ثعلبة .

(٢) ثعلب الرمح : طرفه الداخل فى جبة السنان

(٣) فى النهاية لابن الأثير « فى حديث الاستسقاء : اللهم اسقنا حتى يقوم أبو لبابة يسد ثعلب مربده بإزاره . المربد : موضع يجفف فيه التمر ، وثعلبة ثقبه الذى يسيل منه ماء المطر » وفى مكان آخر يقول : يعنى موضع ثمره . أنظر مادتى ثعلب وربد فى النهاية . وفى الروض : يشد ثعلب وهو خطأ .

رفع المسهم

. . . .

بثعلب لهذا الاشتراك ، مع أن الثَّعْلَبَةَ أحمى لأَدْرَاصِها[1] وأَغْيَرُ على أجْرائها من الثَّعلب .

وذكر قول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لبنى سَلِمَةَ مَن سيدكم ؟ فقالوا جَدُّ بن قَيْس على بُخْل فيه ، فقال : وأىُّ داء أكْبَرُ من البُخْلِ ؟ ! بل سيدكم الأبيض الجَعْدُ : بِشْر بن الْبَرَاء ، وروى عن الزُّهْرِى وعامر الشَّعْبِىِّ أنهما قالا فى هذا الحديث عن النبى عليه السلام: بل سَيِّدُكم عَمْرو بن الْجَمُوح ، وقال شاعر الأنصار فى ذلك :

وقال رَسُولُ اللهِ ، والحق قولُه لِمَنْ قال منا مَنْ تَعُدُّونَ سَيِّدَا
فقالوا له : جَدُّ بن قَيْسٍ عَلَى الَّتِي نُبَخِّلُه فيها ، وما كان أسْوَدَا
فَسَوَّدَ عَمْرَو بن الجَمُوح لُجودِهِ وحُقَّ لِعَمْرٍو عندنا أنْ يُسَوَّدَا

ذكر خديج بن سلامة البلوى:

فصل : وذكر خَدِيجَ بن سلامة الْبَلَوِىّ ، وهو : خَدِيج بخاء منقوطة مفتوحة ودال مكسورة ، كذا ذكره الدَّارَقُطنى وغيره ، وذكره الطبرى ، وقال : شهد العَقَبة ، ولم يشهد بدرا ، وقال : يُكْنَى أبا رشيد :

وذكر مُعَاذَ بن جَبَل ونسبه إلى أُدَىّ بن سعد بن على أخى سلمة ، وقد

(١) أدراص جمع درص بفتح الدال وكسرها : ولد القنفذ والأرنب واليربوع والفأرة والهرة ونحوها ، وبالكسر جنين الأتان . والجمع أيضاً درصة ودرصان ، ودروص وأدرص . والجرو مثلثة ـ أى بكسر الجيم وفتحها وضمها ـ صغير كل شىء حتى الحنظل والبطيخ ونحوه ج أجر وجراء وولد الكلب والأسد ج أجر وأجرية وأجراء وجراء .

رفع المسـ هم

انقرض عقِبُ أُدَىٍّ ، وآخرُ من مات منهم عبدُ الرحمن بن مُعَاذ بن جَبَل ، وقد يقال فى أُدَىٍّ أيضا : أُذُن فى غير رواية ابن إسحاق وابن هشام .

وذكر أن مُعاذَ بن جَبَلٍ مات فى طاعون عَمَوَاس، هكذا تقيد فى النسخة عِمواس بسكون الميم (١) ، وقال فيه البكرى فى كتاب المعجم من أسماء البقع: عَمَوَاسَ بفتح الميم والعين ، وهى قرية بالشام عُرِف الطاعون بها لأنه منها بدأ وقيل : إنما سمى : طاعون عِمْوَاس لأنه عَمّ وآسى أى جعل بعض الناس أُسْوَة بعض .

وذكر يَزِيد بن ثعلبة بن خَزْمة بسكون الزاى كذا قال فيه ابن إسحاق وابن الكلبى ، وقال الطبرى فيه خَزَمة بتحريك الزاى ، وهو بَلَوِىٌّ من بنى عَمَّارَة بفتح العين وتشديد الميم ، ولا يعرف عِمَّارَة فى العرب إلا هذا ، كما لا يُعْرَفُ عمارة بكسر العين إلا أُبَىّ بن عِمَارة الذى يَرْوِى حديثا فى المسح على الخفين ، وقد قيل فيه عُمارة بضم العين ، وأما سوى هذين فعُمَارة بالضم ، غير أن الدَّارَقُطْنِى ذكر عن مُحَمَّد بن حبيب عن ابن الكلبى فى نسب قُضاعة: قال مُدرك بن عبد الله القَمْقَام بن عمارة بن ذُوَيْد بن مالك . وفى النساء عُمَارة

(١) فى المراصد : رواه الزمخشرى بكسر أوله وكسر ثانيه ، وغيره بفتح أوله وثانيه : كورة من فلسطين قرب بيت المقدس وكانت عمواس قصبتها قديما ، وهى ضيعة جليلة على ستة أميال من بيت المقدس ، منها كان ابتداء الطاعون المنسوب إليها فى زمن عمر . قيل : مات فيه خمسة وعشرون ألفا ، وفى ياقوت أن عمواس بكسر العين وسكون الميم .

. . . .

بنت نافع ، وهى أم محمد بن عبد الله بن عبد الرزاق ، وفى الأنصار خَزَمة سوى هذا المذكور بفتح الزاى كثير .

وذكر بنى الْحُبْلى والنسب إليه حُبُلِىٌّ بضم الحاء والباء قاله سيبويه على غير قياس ، النَّسَب ، وتوهم بعض من ألف فى العربية أن سِيبَوَيْهِ قال فيه : حُبَلِىٌّ بفتح الباء لمَّا ذكره مع جُذَمِىٌّ فى النسب إلى جَذِيمَةَ ولم يذكره سيبويه معه، لأنه على وزنه؛ ولكن لأنه شاذ مثله فى القياس الذى ذكرناه عن سيبويه من تقييده بالضمّ ، ذكره أبو عَلِىٍّ الْقَالِى فى البارع ، وقال هكذا تقيد فى النسخ الصحيحة من سيبويه ، وحَسْبُك من هذا أن جميع المحدثين يقولون : أبو عبد الرحمن الْحُبُلِىّ بضمتين ، لا يختلفون فى ذلك ، فدل هذا كله على غلط من نسب إلى سيبويه أنه فتح الباء(١) .

متى أسلم عثمان بن أبى طلحة :

فصل : وذكر هجرة أم سَلَمَة وصُحْبَةُ عثمان بن طَلْحة لها ، وهو يومئذ

---

(١) فى القاموس : « الحبلى » بضم الحاء وسكون الباء وفتح اللام ، لقب سالم بن غنم بن عوف لعظم بطنه من ولده : بنو الحبلى بطن من الأنصار ، وهو حبلى بضم الحاء وسكون الباء ـ وبضمتين ، وكجهنى »

وفى اللباب لابن الأثير الحبلى بضم الحاء والباء ونقل عن السمعانى ، وذكر سيبويه النحوى : الحبلى بفتح الباء وقال : هو منسوب إلى بنى الحبلى . وقال : الحبلى بضم الحاء وسكون الباء وإمالة اللام لقب سالم بن غنم بن عوف ابن الخزرج بن حارثة قال ابن الكلبى : إنما سمى الحبلى لعظم بطنه . وانظر ص ٤٥٩ الاشتقاق .

رفع المسـاهم

. . . .

على كفره ، وإنما أسلم عثمان فى هُدْنة الحُدَيْبِيَة[1] ، وهاجر قبل الفتح مع خالد ابن الوليد ، وقتل يوم أُحُدٍ إخوته مُسافِع ، وكِلاب والحارث ، وأبوهم وعمه عثمان بن أبى طلحة قتل أيضا يوم أحد كافرا وبيده كانت مفاتيح الكعبة ودفعها رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عام الفتح إلى عثمان بن طلحة بن أبى طلحة، وإلى ابن عمه شَيْبةَ بن أبى عثمان بن أبى طلحة ، وهو جد بنى شَيْبَة حَجَبة الكعبة ، واسم أبى طلحة جدهم : عبد الله بن عبد العُزّى ، وقُتِل عثمان رحمه الله شهيدا بأَجْنادَيْن فى أول خلافة عمر .

هجرة بنى جحش :

وذكر هجرة بنى جَحْش ، وهم : عبد الله وأبو أحمد واسمه : عبد ، وقد كان أخوهم عُبَيْد الله أسلم ثم تنصر بأرض الحبشة ، وزينب بنت جحش أم المؤمنين التى كانت عند زيد بن حارثة ونزلت فيها ﴿ فلما قَضَى زيدٌ منها وَطَراً زَوَّجْناكَها ﴾ الأحزاب وأم حبيب بنت جَحْش التى كانت تُسْتَحاض ، وكانت تحت عبد الرحمن بن عوف ، وحَمْنَة بنت جحش التى كانت تحت مُصْعَب بن عُمَيْر ، وكانت تُسْتَحَاضُ أيضا ، وقد روى أن زينبَ استُحيضت أيضاً ، ووقع فى المُوَطَّأ أن زينب بنت جَحْش التى كانت تحت عبد الرحمن بن عوف ، وكانت تُسْتَحَاضُ ، ولم تك قَطُّ زينب عند عبد الرحمن بن عَوْف ، ولا قاله أحد والغَلَط لا يسلم منه بشر ، وإنما كانت تحت عبد الرحمن أختها أم حبيب .

(١) بتخفيف الياء الثانية مع فتحها ، وقيل : أهل المدينة يثقلونها ، وأهل العراق يخففونها .

رفع المسهم

. . . .

ويقال فيها أم حبيبة ، غير أن شيخنا أبا عبد الله محمد بن نجاح ، أخبرنى أن أم حبيب كان اسمها : زينب فهما زَيْنَبان غلبت على إحداهما الكُنْية ، فعلى هذا لايكون فى حديث الْمُوَطَّأ وَهْمٌ ولاغلط والله أعلم. وكان اسم زينب بنت جحش: بَرَّة فسماها رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — زينبَ ، وكذلك زينبُ بنت أم سَلَمَة رَبِيبته عليه السلام ، كان اسمها بَرَّة ، فسماها زينبَ كأنه كره أن تُزَكِّىَ المرأةُ نفسَها بهذا الاسم ، وكان اسم جَحش بن رِئاب : بُرَّة بضم الباء، فقالت زينب لرسول الله — صلى الله عليه وسلم : يارسول الله لو غيرت اسم أبى، فإن الْبُرَّة صغيرة ، فقيل : إن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال لها : لو أبوكَ مُسْلِما لسمَّيْته باسم من أسمائنا أهل البيت ، ولكنى قد سميته جَحْشاً والْجَحْشُ أكبر من الْبُرَّةِ . ذكر هذا الحديث مُسْنَداً فى كتاب المؤتلف والمختلفِ أبو الحسن الدارقطنى .

الشعر الذى تمثل به أبو سفيان :

فصل : ذكر البيت الذى تمثل به أبو سفيان حين مَرَّ بدار بنى جحش تَخَفُقُ أبوابُها ، وهو قوله :

وكل بَيْتٍ وإن طالت سلامَتُه يوما ستدركه النَّكْباء والحُوب
كل امرىء بلقاء الموت مرتهن كأنه غَرَضٌ للموت مَنْصُوب

والشعر لأبى دُؤَادِ الإيَادِىِّ واسمه : حَنْظَلَة بن شرقى ، وقيل جارية بن الحجاج ذكر دار بنى جحش ، وأنها عدت دار أبان بن عثمان بالرَّدْم ، والرَّدْمُ

. . . .

حَفْرِ رُدِم بالقتلى فى الجاهلية ، فسمى : الرَّدْم ، وذلك فى حرب كانت بين بنى جُمَح ، وبين بنى الحارث بن فهر ، وكانت الدَّبْرَةُ فيها على بنى الحارث ، ولذلك قَلَّ عددُهم ، فهم أقل قريش عدداً .

وذكر ابن إسحاق شعر أبى أحمد بن جَحْش وفيه :

إلى الله وجهى والرسول ومن يُقِمْ إلى الله يوما وَجْهَه لا يُخَيَّبِ

هكذا يروى بكسر الباء على الإقواء،ولو روى بالرفع لجاز على الضرورة ويكون تقديره : فلا يُخَيَّبُ بإضمار الفاء فى مذهب أبى العباس ، وفى مذهب سيبويه : يجوز أيضاً لا على إضمار الفاء ، ولكن على نية التقديم للفعل على الشرط كما أنشدوا :

إنك إن يُصرَعْ أخوك تُصرَعُ(١)

وهو مع إن أحسن ، لأن التقدير إنك تُصرَعُ إنْ يُصرَعْ أخوك ، وأنشدوا أيضاً :

مَنْ يَفعَلِ الحسناتِ اللهُ يَشكُره(٢)

---

(١) البيت لجرير بن عبد الله البجيلى ، وقد سبق . وهو فى كتاب سيبويه ص ٤٣٦ حـ ١ ط أولى والشاهد ـ فيه كما يقول السيرافى ـ على مذهب سيبويه : تقديم تصرع فى النية ، وتضمنه الجواب فى المعنى . والتقدير : إنك تصرع إن يصرع أخوك ، وهذا من ضرورة الشعر لأن حرف الشرط قد جزم الأول ، فحكم أن يجزم الآخر وهو عند المبرد على حذف الفاء .والأقرع من بنى تميم .

(٢) هو من شواهد سيبويه أيضاً فى الكتاب ص ٤٣٥ حـ ١ ط ١

رفع عبد الرحمن الهاشمي

على هذا التقدير ، وفى الشعر أيضاً :

ولا قرب بالأرحام إذ لا تُقرَّب

وتأول ابن هشام إذ هنا بمعنى : إذا وهو خطأ من وجهين ، أحدهما : أن الفعل المضارع لا يحسُن بعد إذا مع حرف النفى ، وإنما يحسُن بعد إذ كقوله سبحانه : ﴿ إذ يقول المنافقون ﴾ ولو قلت : سآتيك إذا تقول كذا ، كان قبيحا إذا أخرتها ، أو قدمت الفعل لما فى إذا من معنى الشرط ، وإنما يحسن هذا فى حروف الشرط مع لفظ الماضى ، تقول : سآتيك إن قام زيد وإذا قام زيد ، ويقبح : سآتيك إن يقم زيدٌ لأن حرف الشرط إذا أخر ألغى ، وإذا ألغى لم يقع الفعل المعرب بعده ، غير أنه حسن فى كيف نحو قوله سبحانه ﴿ يُنْفِقُ كيف يشاء ﴾ و ﴿ يَبْسُطه فى السماء كَيْفَ يَشَاء ﴾ لِسرٍّ بديع لعلنا نذكره إن وجدنا لِشَفْرَتِنا مَحَزًّا ، ويحسن الفعل المستقبل مع إذا بعد القَسَم كقوله تعالى : ﴿ والليل إذا يَسْرى ﴾ لانعدام معنى الشرط فيه ، فهذا وجه ، والوجه الثانى : أن إذ بمعنى إذا غير مَعْروفٍ فى الكلام ، ولا حكاه ثَبْتٌ ، وما استشهد به من قول رُؤْبَة ليس على ما ظَن إنما معناه : ثم جزاه الله ربى إن جزى ، أى من أجل أن نفعنى وجزى عنى ، كما قال تعالى : ﴿ يَوْمَ لا تَجْزِى نفسٌ عن نَفْسٍ شيئاً ﴾ ففاعل جزى : مضمر عائد على الرجل الممدوح ، وإذ بمعنى أن المفتوحة كذا قال سيبويه

والشاهد فيه : حذف الفاء من الجواب ضرورة ، والتقدير : فالله يشكره وفى الكتاب : يشكرها ، وزعم الأصمعى أن النحويين غيروه ، وأن الرواية : من يفعل الخير ، فالرحمن يشكره .

رفع
المسهم

. . . .

فى سواد الكتاب ، ويشهد له قوله سبحانه : ﴿ بعد إذ أنتم مُسْلِمون ﴾ وعليه يحمل قوله سبحانه ﴿ ولن يَنْفَعَكمُ اليومَ إذْ ظَلَمْتُم ﴾ وغفل النسوى عما فى الكتاب من هذا ، وجعل الفعل المستقبل الذى بعد لن عاملا فى الظرف الماضى ، فصار بمنزلة من يقول : سآتيك اليوم أمس ، وهذا هراء من القول ، وغفلة عما فى كتاب سيبويه ، ولَيْتَ شِعْرِى مايقول فى قوله سبحانه : ﴿ وإذ لم يَهْتَدُوا به فَسَيَقُولون : هذا إفْكٌ قديم ﴾ فإن جوَّز وقوع المستقبل فى الظرف الماضى على أصله الفاسد ، فكيف يعمل ما بعد الفاء فيما قبلها لا سيَّما مع السين ، وهو قبيح أن تقول : غدا سآتيك ، فكيف إن قلت : غدا فسآتيك ، فكيف إن زدت على هذا وقلت : أمسِ فسآتيك ، وإذ على أصله بمنزلة أمسِ ، فهذه فضائح لاغطاء عليها .

فإن قال قائل : فكيف الوجه فى قوله سبحانه ﴿ ولو ترى إذْ وُقِفُوا ﴾ وكذلك : ﴿ ولو تَرَى إذ المجرمون ناكسو رُءوسِهِم ﴾ أليس هذا كما قال ابن هشام بمعنى إذا التى تعطى الاستقبال ؟

قيل له : وكيف تكون بمعنى إذا ، وإذا لا يقع بعدها الابتداء والخبر ، وقد قال سبحانه : ﴿ إذ المجرمون ناكِسُو رُءوسهم ﴾ وإنما التقدير : ولو ترى نَدَمهم وحُزْنَهم فى ذلك اليوم بعد وقوفهم على النار ، فإذْ ظرفٌ ماض على أصله ، ولكن بالإضافة إلى حزنهم وندامتهم ، فالحزن والندامة واقعان بعد المعاينة والتوقيف ، فقد صار وقت التوقيف ماضيا بالإضافة إلى ما بعده ، والذى بعده هو مفعول ترى ، وهذا نحو مما يتوهم فى قوله سبحانه : ﴿ فانطلقا حتى إذا

. . . .

رَكِبا فى السفينة خَرَقَها ﴾ فيتوهم أن إذا هاهنا بمعنى إذ ، لأنه حديث قد مضى، وليس كما يتوهم ، بل هى على بابها، والفعل بعدها مُستقبَل بالإضافة إلى الإنطلاق، لأنه بعده ، والإنطلاق قبله، ولولا حتى ، ما جاز أن يقال إلا انطلقا إذ ركِبا ، ولكن معنى الغاية فى حتى دل على أن الركوب كان بعد الإنطلاق وإذا كان بعده ، فهو مستقبل بالإضافة إليه ، وكذلك مسألتنا الحزن ، وسوء الحال الذى هو مفعول لترى ، وإن كان غير مذكور فى اللفظ ، فهو بعد وقت الوقوف ، فوقت الوقوف ماض بالإضافة إليه ، وإذ لم يكن بدمن حذف ، فكذلك نقدر حذفا فى قوله تعالى : ﴿ وإذْ لم يَهتَدوا به ﴾ ونحوه لأنها وإن كانت بمعنى أن، فلابد لها من تَعَلُّقٍ ، كأنه قال : جُزيتم بهذا من أجل أن ظلمتم ، أو من أجل أن لم يَهتَدُوا به ضَلُّوا .

وذكر فى نساء بنى جَحْش : جُذَامة بنت جَنْدلَ ، وأحسبه أراد جُذَامَة بنت وَهْب بن مِحْصَن ، وهى المذكورة فى حديث الرضاع فى المُوَطَّأ ، وقال فيها خلف بن هشام البزار : جُذَامة بالذال المنقوطة هكذا ذكر عنه مُسْلِم بن الحجاج ، والمعروف : جُدَامة بالدال[1] ، وقد يقال فيها جُدَّامة بالتشديد ،

---

(١) فى القاموس : « وجدامة كثمامة بنت وهب، وبنت جندل ، وبنت الحارث صحابيات وهى مايستخرج من السنبل بالخشب . وفى الإصابة عن جدامة بنت جندل بعد أن ذكر ما قاله ابن إسحاق عنها : وذكر الطبرى فى الذيل أنها هى بنت وهب . . وقال ابن سعد : كانت تحت أنيس بن قتادة الأنصارى . كما جاء فى الإصابة عن جدامة بنت وهب الأسدية : ويقال بالخاء المعجمة روت عن النبى « ص » فى رضاع الحامل ، روت عنها أم المؤمنين عائشة . أخرج حديثها فى الموطأ،

رفع المسهم

. . . .

والجُدَامة قصب الزرع ، وأملى علينا أبو بكر الحافظ ، وكتبت عنه بخط يدى ، قال المبارك بن عبد الجبار عن أبى إسحاق البَرْمَكِيّ عن محمد بن زكريا بن حبويه عن أبى عمر الزاهد المطرز قال : الجُدَّامة : بتشديد الدال طَرَف السَّعَفَة وبه سميت المرأة ، وكانت جُدَامَةُ بنت وَهْب تحت أُنَيْسِ بن قتادة الأنصارى ، وأما جُدَامة بنت جَنْدَلٍ ، فلا تُعرف فى آل جحش الأسديين ، ولا فى غيرهم ، ولعله وَهْمٌ وقع فى الكتاب ، وأنها بنت وهب بن مِحْصَن بنت أخى عُكَّاشة ابن مِحْصَن ، كما قدمنا والله أعلم .

وذكر فى بنى أسد ثَقْفَ بن عمرو ، ويقال فيه : ثِقَافٌ شهد هو وأخوه مِدْلاج [أو مدلج] بدرا وقتل يوم أحد شهيدا وقال موسى بن عقبة قتل يوم خَيْبر قتله أسير [بن رزام] اليهودى[1] .

وذكر فيهم أم حَبيب بنت ثُمَامة ، وهى مما أغفله أبو عُمَر فى كتابه ، وأغفل أيضاً ذكر ثُمَام بن عبيدة[2] ، وهو ممن ذكره ابن إسحاق فى هذه الجملة المذكورين من بنى أسد .

ولفظه : عن جدامة الأسدية أنها سمعت النبى « ص » يقول : لقد هممت أن أنهى عن الغيلة . . الحديث ، وفى بعض طرقه عند مسلم : عن جدامة بنت وهب أخت عكاشة بن وهب قالت : حضرت عند النبى « ص » فى أناس ، وهو يقــول : فذكر الحديث . . وأورده ابن مندة بلفظ الموطأ فى جدامة ابن جندل .

(١) ويقول الواقدى عن مدلاج إنه شهد المشاهد كلها ، ومات سنة خمسين وتبعه ابن عبد البر فى ذلك « الإصابة » أما ثقف ، فكما قال .

(٢) ترجم ابن حجر لأم حبيب فى سطرين فقط ، ولم يترجم لثمام .

. . . .

وذكر ابن إسحاق فى هذه الجملة أَرْبَدَ بن جميرة الأسدى بالجيم ، وقاله ابن هشام: حُمَيْرة بالحاء ، ورواه إبراهيم بن سعد عن ابن إسحاق بخلاف ما رواه البكَّائى وابن هشام ، فقال فيه ابن حُمَيِّر بتشديد الياء ، كأنه تصغير حمار .

وذكر فيهم مُحرِز بن نَضْلَة ، ولم يرفع نَسَبه ، وهو ابن نَضْلَة بن عبد الله ابن مُرَّة بن غَنْم[1] بن دُودَان بن أَسَد [بن خزيمة] قتل فى غزوة ذى قَرَد شهيداً[2] ، وكان قد شهد بدرا ، وكان يعرف بالأخرم ، ويلقب : فُهَيْرة ، وقال فيه موسى بن عقبة مُحْرِز بن وَهْبٍ ، ولم يقل ابن نَضْلَة .

وذكر ابن إسحاق أيضاً يزيد بن رُقَيْش ، وبعضهم يقول فيه : أربد ولا يصح ،وهو ابن رُقَيْش بن رِئاب بن يَعْمَر بن كَبِير بن غَنْم بن دُودَان . وذكر فيهم رَبِيعة بن أَكْثَم ، ولم ينسبه وهو ابن أكثم بن سَخْبَرَة بن عمرو ابن نُفَيْر بن عامر بن غَنْم بن دُودَان بن أسد يكنى : أبا يزيد ، وكان قصيرا دَحْدَاحاً قُتِل يوم خيبر بالنَّطَاةِ قتله الحارث اليهودى[3] .

---

(١) فى الإصابة بن مرة بن كثير بن غنم ، وفى إمتاع الأسماع مرة بن كبير ابن غنم .

(٢) ماء على ليلتين من المدينة بينها وبين خيبر . خرج إليه النبى « ص » فى طلب عيينة بن حصن قال حسان :

كانوا بدار ناعمين فبدلوا أيام ذى قرد وجوه عباد

(٣) نطاة : اسم لأرض خيبر ، وقيل حصن بخيبر أو عين بها يسقى بعض نخيل قراها ، وهى وبئة ، وفى القاموس تطلق أيضاً على حمى خيبر . وبالألف واللام : الشمروخ .

. . . .

رفع
المسهم
عبد الله الطالب

هجرة عمر وقصة عياش معه

قال ابن إسحاق : ثم خرج عمر بن الخطّاب ، وعيّاش بن أبى ربيعة المخزومى حتى قدما المدينة . فحدثنى نافع مَوْلى عبد الله بن عمر ، عن عبد الله ابن عمر ، عن أبيه عمر بن الخطاب ، قال : اتّعدتُ ، لما أردنا الهجرةَ إلى المدينة ، أنا وعَيّاش بن أبى رَبيعة [واسمه : عمرو ويلقب ذا الرمحين] ، وهشام ابن العاصى بن وائل السهمىّ التّناضبَ من أضَاة بنى غِفَار ، فوق سَرِف ، وقلنا: أيُّنا لم يُصْبح عندها فقد حُبِس فَلْيَمْضِ صاحباه . قال : فأصبحت أنا وعيّاش ابن أبى ربيعة عند التّناضب ، وحُبس عنا هشام ، وفُتن فافتتن .

فلما قدمنا المدينةَ نزلنا فى بنى عمرو بن عوف بقُباء ، وخرج أبو جهل بن هشام والحارثُ بن هشام إلى عَيّاش بن أبى ربيعة ، وكان ابنَ عمهما وأخاهما لأمهما ، حتى قَدِما علينا المدينةَ ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، فكلّماه وقالا : إنّ أمّك قد نذرت أن لا يمس رأسَها مُشْطٌ حتى تراك ، ولا تستظلّ من شمس حتى تراك ، فرقّ لها ، فقلت له : ياعَيّاش ، إنه والله إن يريدك القوم إلا ليفتنوك عن دينك فاحذرْهم ، فوالله لو قد آذى أمّك القملُ لامتشطت ، ولو قد اشتدّ عليها حرُّ مكة لاستظلّت . قال : فقال : أبَرُّ قَسَمَ أمّى ، ولى هنالك مالٌ فآخذه . قال : فقلت : والله إنك لتعلم أنى لمن أكثر قريش مالاً ، فلك نصفُ مالى ولا تذهبْ معهما . قال : فأبى علىّ إلا أن يخرج معهما ؛ فلما أبى إلا ذلك ؛ قال: قلت له : أمّا إذ قد فعلتَ مافعلت ، فخذ ناقتى هذه ، فإنها ناقةٌ نجيبة ذَلول فالْزَمْ ظهرها ، فإن رابك من القوم ريبٌ ، فانجُ عليها :

فخرج عليها معهما ، حتى إذا كانوا ببعض الطريق، قال له أبو جهل : ياابن أخى ، والله لقد استغلظتُ بعيرى هذا ، أفلا تُعْقِبنى على ناقتك هذه ؟ قال : بلى . قال : فأناخ ، وأناخا ليتحوّل عليها ، فلما استوَوْا بالأرض عدَوَا عليه ، فأوثقاه وربطاه ، ثم دخلا به مكة ، وفتناه فافتتن .

قال ابن إسحاق : فحدثنى به بعض آل عيّاش بن أبى ربيعة : أنهما حين دخلا به مكة دخلا به نهارا موثقا ، ثم قالا : ياأهل مكة ، هكذا فافعلوا بسفهائكم ، كما فعلنا بسفيهنا هذا .

كتاب عمر إلى هشام بن العاصى

قال ابن إسحاق : وحدثنى نافع ، عن عبد الله بن عمر ، عن عمر فى حديثه ، قال : فكنّا نقول : ماالله بقابلٍ ممن افتتن صَرْفا ولا عَدْلا ولا توبة، قوم عرفوا الله ، ثم رجعوا إلى الكفر لبلاء أصابهم ! قال : وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم . فلما قدم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ ، أنزل الله تعالى فيهم ، وفى قولنا وقولهم لأنفسهم: ﴿ قُلْ ياعِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا على أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ ، إنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعا ، إنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ . وأَنِيبُوا إلى رَبِّكُمْ وأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ العَذابُ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ . واتَّبِعُوا أَحْسَنَ ما أُنْزِلَ إلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ العَذابُ بَغْتَةً وأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ ﴾ الزمر : ٥٣ .

قال عمر بن الخطاب . فكتبتها بيدى فى صحيفة ، وبعثت بها إلى هشام ابن العاصى قال : فقال هشام بن العاصى : فلما أتتنى جعلت أقرؤها بذى طُوًى ،

صعّد بها فيه وأصوّب ولا أفهمها ، حتى قلت اللهمّ فهّمنيها . قال : فألقى الله تعالى فى قلبى أنها إنما أُنزلت فينا ، وفيما كنّا نقول فى أنفسنا ويقال فينا . قال : فرجعت إلى بعيرى ، فجلست عليه ، فلحقتُ برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو بالمدينة .

الوليد بن الوليد وعياش وهشام

قال ابن هشام : فحدثنى من أثق به : أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ، وهو بالمدينة : مَنْ لى بعيّاش بن أبى ربيعة ، وهشام بن العاصى ؟ فقال الوليد بن الوليد بن المُغيرة : أنا لك يارسول الله بهما ، فخرج إلى مكة ، فقَدِمها مستخفيا ، فلقى امرأة تحمل طعاما ، فقال لها : أين تريدين يا أمة الله ؟ قالت : أريد هذين المحبوسين ـ تعنيهما ـ فتبعها حتى عرف موضعهما ، وكانا محبوسين فى بيت لا سَقْف له ؛ فلما أمسى تسوّر عليهما ، ثم أخذ مَرْوة . فوضعها تحت قيْدَيْهما ، ثم ضربهما بسيفه فقطعهما فكان يقال لسيفه : « ذو المَرْوة » لذلك ، ثم حملهما على بعيره ، وساق بهما ، فعثر فدَميت أصبعُه ، فقال :

هل أنتِ إلا أصبعٌ دَميتِ وفى سبيلِ اللهِ ما لَقيتِ

ثم قدم بهما على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم المدينة .

منازل المهاجرين بالمدينة

قال ابن إسحاق : ونزل عمر بن الخطّاب حين قدم المدينةَ ، ومَنْ لحق به من أهله وقومه ، وأخوه زيد بن الخطّاب ، وعمرو وعبد الله ابنا سُرَاقة ابن المعتمر وخُنَيس بن حُذافة السّهمىّ ـ وكان صهرَه على ابنته حَفْصة بنت

عمر ، فخلف عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده — وسعيدُ بن زيد بن عمرو ابن نُفَيل ، وواقد بن عبد الله التَّميمي، حليف لهم ؛ وخَوْلىّ بن أبي خَوْلِيّ ، ومالك بن أبي خَوْلِيّ حليفان لهم .

قال ابن هشام : أبو خَوْلِيّ : من بني عجل بن لُجَيم بن صَعْب بن عليّ ابن بكر بن وائل .

قال ابن إسحاق : وبنو البُكَيْر أربعتهم : إياس بن البُكَير ، وعاقل ابن البُكَير ، وعامر بن البُكَير ، وخالد بن البُكَير ، وحلفاؤهم من بني سعد ابن ليث ، على رفاعة ابن عبد المنذر بن زَنْبَر ، في بني عمرو بن عوف بقباء ، وقد كان منزل عيَّاش بن أبي ربيعة معه عليه حين قدما المدينة .

ثم تتابع المهاجرون ، فنزل طَلْحةُ بن عبيد الله بن عثمان ، وصُهَيْب بن سِنان على خُبيب بن إساف أخي بَلْحارث بن الخزرج بالسُّنْح . قال ابن هشام: ويقال : يساف فيما أخبرني عنه ابن إسحاق . ويقال: بل نزل طلحة بن عُبيد الله على أسعد بن زُرَارة ، أخي بني النَّجَّار .

قال ابن هشام : وذُكر لي عن أبي عثمان النَّهديّ ، أنه قال : بلغني أن صُهَيْبا حين أراد الهجرة قال له كفَّار قريش : أتيتنا صُعْلوكا حقيراً، فكثُرَ مالُك عندنا ، وبلغت الذي بلغت ، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك ، والله لا يكون ذلك ، فقال لهم صُهيب : أرأيتم إن جعلت لكم مالي أتخلون سبيلي ؟ قالوا : نعم . قال : فإني جعلت لكم مالي . قال : فبلغ ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رَبِحَ صُهيب رَبِحَ صُهيب .

منزل حمزة وزيد وأبي مرثد وابنه وأنسة وأبي كبشة

قال ابن إسحاق : ونزل حمزة بن عبد المطلب ، وزيد بن حارثة ، وأبو مَرْثد كنَّاز بن حِصْن .

قال ابن هشام : ويقال ، ابن حُصَين ـ وابنه مرثد الغنويان ، حليفا حمزة ابن عبد المطلب ، وأنَسَة ، وأبو كَبْشة ، موليا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، على كُلْثوم بن هِدْم ، أخي بني عمرو بن عوف بقُباء : ويقال : بل نزلوا على سعد بن خَيْثمة ؛ ويقال . بل نزل حمزةُ بن عبد المطلب على أسعد بن زُرارة ، أخي بني النجَّار . كلّ ذلك يقال :

ونزل عُبيدة بن الحارث بن المطلب ، وأخوه الطُّفيل بن الحارث ، والُحصين ابن الحارث ؛ ومِسْطَح بن أُثاثة بن عبَّاد بن المطلب ، وسُويبط بن سعد بن حُريملة ، أخو بني عبد الدار ، وطُليب بن عُمير ، أخو بني عبد بن قُصَيّ ، وخبَّاب مولى عُتبة بن غَزْوان ، على عبد الله بن سلمة ، أخي بَلْعجلان بقُباء .

ونزل عبد الرحمن بن عوف في رجال من المهاجرين على سعد بن الربيع ، أخي بَلْحارِث بن الخزرج ، في دار بَلْحارِث بن الخزرج .

ونزل الزبير بن العوّام ، وأبو سبْرة بن أبي رُهْم بن عبد العُزَّى ، على مُنْذِر بن محمد بن عُقبة بن أُحَيْحَة بن الُجلَاح بالعُصْبة ، دار بني جَحْجَبَى .

ونزل مُصْعَب بن عُمَير بن هاشم ، أخو بني عبد الدار على سعد بن مُعاذ ابن النّعمان ، أخي بني عبد الأشهل ، في دار بني عبد الأشهل .

ونزل أبو حُذَيفة بن عُتْبة بن ربيعة ، وسالم مولى أبى حُذيفة .

قال ابن هشام : سالم مَوْلَى أبى حُذيفة سائبةٌ ، لثُبَيْتة [أو نُبَيْتَة] بنت يَعار بن زيد بن عُبيد بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوْس ، سَيَّبته فانقطع إلى أبى حُذَيفة بن عتبة بن ربيعة فتَبَنَّاه ، فقيل : سالم مَوْلِى أبى حذيفة ويقال : كانت ثُبَيتة بنت يَعار تحت أبى حُذيفة بن عُتبة فأعتقت سالما سائبةً . فقيل : سالم مولى أبى حُذيفة .

قال ابن إسحاق : ونزل عُتْبة بن غَزْوان بن جابر على عبَّاد بن بشر بن وَقْش أخى بنى عبد الأشهل فى دار عبد الأشهل .

ونزل عثمان بن عفَّان على أوس بن ثابت بن المُنذِر ، أخى حسَّان بن ثابت فى دار بنى النجَّار ، فلذلك كان حسَّان يحبّ عثمان ويبكيه حين قُتل .

وكان يقال : نزل الأعزاب من المهاجرين على سعد بن خَيْثمة ، وذلك أنه كان عزَبا ، فالله أعلم أىّ ذلك كان .

خبر الندوة وهجرة الرسول صلى الله عليه وسلم

وأقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد أصحابه من المهاجرين ينتظر أن يُؤْذَن له فى الهجرة ، ولم يتخلَّف معه بمكة أحدٌ من المهاجرين إلا من حُبِس أو فُتن ، إلا علىّ بن أبى طالب ، وأبو بكر بن أبى قُحافة الصدّيق رضى الله عنهما ، وكان أبو بكر كثيرا مايستأذن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى الهجرة ، فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لاتعجل لعلّ الله يجعل لك صاحبا ، فيطمع أبو بكر أن يكونه .

• • • • • • • • • • • • • • • •

الملأ من قريش يتشاورن فى أمر الرسول صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : ولمَّا رأت قريش أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قد صارت له شيعةٌ وأصحاب من غيرهم بغير بلدهم ، ورأوا خروجَ أصحابه من المهاجرين إليهم ، عرفوا أنهم قد نزلوا داراً ، وأصابوا منهم مَنَعة ، فحذِرُوا خروجَ رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم ، وعرفوا أنهم قد أجمع لحرْبهم . فاجتمعوا له فى دار النَّدوة - وهى دار قصىّ بن كلاب التى كانت قريش لا تَقْضى أمرا إلا فيها - يتشاورون فيها مايصنعون فى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين خافوه .

قال ابن إسحاق : فحدثنى من لا أتهم من أصحابنا ، عن عبد الله بن أبى نَجِيح ، عن مجاهد بن جَبْر أبى الحجَّاج ، وغيره ممن لا أتهم ، عن عبد الله ابن عبَّاس رضى الله عنهما قال : لمَّا أجمعوا لذلك ، واتَّعدوا أن يدخلوا فى دار النَّدوة ليتشاوروا فيها فى أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - غدَوْا فى اليوم الذى اتَّعدوا له ، وكان ذلك اليوم يسمى يومَ الزَّحْمة ، فاعترضهم إبليس فى هيئة شيخ جليل ، عليه بتلة ، فوقف على باب الدار ، فلما رأوه واقفا على بابها ، قالوا : من الشيخ ؟ قال : شيخ من أهل نجد سَمع بالذى اتعدتم له ، فحضر معكم ليسمع ماتقولون ، وعسى أن لا يُعْدِمكم منه رأيا ونُصحا ، قالوا : أجل ، فادخل ، فدخل معهم ، وقد اجتمع فيها أشرافُ قُريش ، من بنى عبد شمس : عُتبة بن رَبيعة ، وشَيْبة بن ربيعة ، وأبو سفيان بن حرب . ومن

بنى نَوْفل بن عبد مناف : طُعَيمة بن عدىّ ، وجُبير بن مُطْعِم ، والحارث بن عامر بن نوفل : ومن بنى عبد الدار بن قصىّ : النضرُ بن الحارث بن كَلَدة . ومن بنى أسد بن عبد العزّى : أبو البَخْترِىّ بن هشام ، وزَمْعَة بن الأسود ابن المُطَّلِب ، وحكيم بن حزَام . ومن بنى مخزوم : أبو جهل بن هشام . ومن بنى سَهْم : نُبَيْه ومُنَبِّه ابنا الحجَّاج ، ومن بنى جُمَح : أُمَيَّة بن خَلَفٍ ، ومن كان معهم وغيرهم ممن لا يُعَدُّ من قريش .

فقال بعضهم لبعض : إن هذا الرجلَ قد كان من أمره ما قد رأيتم ، فإنا والله ما نأمنه على الوثوب علينا فيمن قد اتبعه من غيرنا ، فأجمعوا فيه رأيا . قال : فتشاوروا ثم قال قائل منهم : احبسوه فى الحديد ، وأغلقوا عليه بابا ، ثم تَرَبَّصوا به ما أصاب أشباهَه من الشعراء الذين كانوا قبله ، زُهيراً والنابغة، ومن مضى منهم ، من هذا الموت ، حتى يُصيبَه ما أصابهم ، فقال الشيخ النَّجْدىّ : لا والله ، ماهذا لكم برأى . والله لئن حبستموه كما تقولون ليخرجَنَّ أمرُه من وراء الباب الذى أغلقتم دونه إلى أصحابه ، فَلأَوْشَكوا أن يثبوا عليكم ، فينزِعوه من أيديكم ، ثم يُكاثروكم به ، حتى يغلبوكم على أمركم ، ماهذا لكم برأى ، فانظروا فى غيره ، فتشاوروا . ثم قال قائل منهم : نُخرجه من بين أظهرنا ، فننْفيه من بلادنا ، فاذا أُخرج عنَّا فوالله مانُبالى أين ذهب ، ولا حيث وقع ، إذا غاب عنَّا وفرغنا منه ، فأصلحنا أمرنا وألفتنا كما كانت . فقال الشيخ النجدِىّ : لا والله ، ماهذا لكم برأى ، ألم تَرَوْا حُسْن حديثه ، وحلاوة منطقه، وغلبته على قلوب الرجال بما يأتى به ، والله لو فعلتم ذلك ماأمنتم

أن يحلّ على حيّ من العرب ، فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه ، ثم يسير بهم إليكم ، حتى يطأكم بهم فى بلادكم ، فيأخذ أمركم من أيديكم ، ثم يفعل بكم ما أراد ، دبِّروا فيه رأيا غير هذا . قال : فقال أبو جهل ابن هشام : والله إن لى فيه لرأيا ما أراكم وقعتم عليه بعد ، قالوا : وماهو يا أبا الحكم ؟ قال : أرى أن نأخذ من كلّ قبيلة فتى شابا جليدا نسيبا وسيطا فينا ، ثم نعطى كلّ فتى منهم سيفا صارما ، ثم يعمِدوا إليه ، فيضربوه بها ضربة رجل واحد ، فيقتلوه ، فنستريح منه . فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرّق دمه فى القبائل جميعا ، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا ، فرضوا منا بالعَقْل ، فعَقَلْناه لهم . قال : فقال الشيخ النجدىّ : القول ما قال الرجل ، هذا الرأى الذى لا رأى غيره ، فتفرّق القوم على ذلك وهم مجمعون له .

مما يقال عن ليلة الهجرة

فأتى جبريلُ عليه السلام رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : لا تَبِتْ هذه الليلة على فراشك الذى كنت تبيت عليه . قال : فلمّا كانت عَتْمة من الليل اجتمعوا على بابه يَرْصُدُونه متى ينام فيَثِبون عليه ، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانهم ، قال لعلىّ بن أبى طالب : نمْ على فراشى وتَسجَّ ببُرْدى هذا الحَضْرمىّ الأخضر ، فَنَمْ فيه ، فانه لن يَخْلُص إليك شىء تكرهه منهم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينام فى بُرْده ذلك إذا نام .

قال ابن إسحاق : فحدثنى يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب القُرَظِىّ

. . . .

قال : لما اجتمعوا له ، وفيهم أبو جهل بن هشام ، فقال وهم على بابه : إن محمدا يزعم أنكم إن تابعتموه على أمره ، كنتم ملوك العرب والعجم ، ثم بُعثتم من بعد موتكم ، فجُعلت لكم جنان كجنان الأردن ، وإن لم تفعلوا كان له فيكم ذبح ، ثم بُعثتم من بعد موتكم ، ثم جعلت لكم نار تُحرقون فيها .

قال : وخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذ حَفْنة من تراب في يده ، ثم قال أنا أقول ذلك ، أنت أحدُهم . وأخذ الله تعالى على أبصارهم عنه فلا يَرَوْنه ، فجعل ينثر ذلك الترابَ على رءوسهم ، وهو يتلو هؤلاء الآيات من يٓس: ﴿ يٓس * والقُرآنِ الحَكِيمِ * إنَّكَ لَمِنَ المُرْسَلِينَ * على صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ * تَنزِيلَ العَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴾ . . إلى قوله : ﴿ فأَغْشَيْناهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ ﴾ حتى فرغ رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من هؤلاء الآيات، ولم يبق منهم رجل إلا وقد وضع على رأسه ترابا ، ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب ، فأتاهم آتٍ ممن لم يكن معهم ، فقال : ما تنتظرون هاهنا ؟ قالوا : محمدا ، قال : خَيَّبكم الله ! قد والله خرج عليكم محمد ، ثم ما ترك منكم رجلا إلا وقد وضع على رأسه ترابا ، وانطلق لحاجته ، أفما ترون ما بكم ؟ قال : فوضع كُلُّ رجل منهم يدَه على رأسه ، فإذا عليه تراب ، ثم جعلوا يتطلَّعون ، فيَرَوْن عليًّا على الفراش مُتَسَجِّيًا بِبُرْدِ رسولِ الله ـ صلى الله عليه وسلم ، فيقولون : والله إن هذا لمحمدٌ نائما، عليه بُرْدُه . فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا فقام عليّ ـ رضى الله عنه ـ عن الفراش فقالوا : والله لقد كان صدقنا الذى حدثنا .

الآيات التى نزلت فى تربص المشركين بالنبى

قال ابن إسحاق : وكان مما أنزل الله عزّ وجلّ من القرآن فى ذلك اليوم، وما كانوا أجمعوا له : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ ، وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ ، وقول الله عزّ وجلّ : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ . قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّى مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ﴾ .

قال ابن هشام : المنون : الموت . وريب المنون : ما يَرِيبُ ويعرض منها .

قال أبو ذُؤَيْبٍ الهذلى :

أمِنَ المَنُون ورَيْبِها تَتَوَجَّعُ   والدهر ليس بمُعْتِب من يجزعُ

وهذا البيت فى قصيدة له .

قال ابن إسحاق : وأذن الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم عند ذلك فى الهجرة .

قال ابن إسحاق : وكان أبو بكر رضى الله عنه رجلا ذا مال ، فكان حين استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الهجرة ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تعجل ، لعلّ الله يجد لك صاحبا ، قد طمع بأن يكون رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، إنما يعنى نفسه ، حين قال له ذلك ، فابتاع راحلتين ، فاحتبسهما فى داره ، يعلفهما إعدادا لذلك .

. . . .

رفع المسهم

الهجرة إلى المدينة

قال ابن إسحاق : فحدثني من لا أتهم ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة أمّ المؤمنين أنها قالت : كان لايخطىء رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتى بيت أبى بكر أحد طرفى النهار ، إما بكرة ، وإما عشية ، حتى إذا كان اليوم الذى أذن فيه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى الهجرة ، والخروج من مكة من بين ظهرى قومه ، أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهاجرة ، فى ساعة كان لا يأتى فيها .قالت : فلما رآه أبو بكر ، قال : ماجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الساعة إلا لأمر حدَث . قالت : فلما دخل ، تأخَّر له أبو بكر عن سريره ، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس عند أبى بكر إلا أنا وأختى أسماء بنت أبى بكر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخْرِج عنى مَنْ عندك : فقال : يارسول الله ، إنما هما ابنتاى ، وما ذاك؟ فداك أبى وأمى ! فقال : إن الله قدأذن لى فى الخروج والهجرة . قالت : فقال أبو بكر ، الصحبةَ يارسول الله ؛ قال: الصحبةَ . قالت : فوالله ماشَعَرْت قط قبل ذلك اليوم أن أحدا يبكى من الفرح، حتى رأيت أبا بكر يبكى يومئذ ، ثم قال : يانبىّ الله ، إن هاتين راحلتان قد كنت أعددتهما لهذا .فاستأجَرا عبدَالله بن أُرَيْقط ــ رجلا من بنى الدِّيل بن بكر [وهو من بنى عبد بن عدى ــ هاديا خِرِّيتا ــ والخريت : الماهر بالهداية ــ قد غَمَس حلفا فى آل العاصى بن وائل السَّهْمِى ــ عن البخارى] ، وكانت أمه امرأة من بنى سَهْم بن عمرو ، وكان مشركا ــ يدلهما على الطريق ، فدفعا إليه راحلتيهما ، فكانتا عنده يرعاهما لميعادهما .

رفع
المسهم

الذين كانوا يعلمون بالهجرة

قال ابن إسحاق : ولم يَعلم فيما بلغنى ، بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد ، حين خرج ، إلا على بن أبى طالب ، وأبو بكر الصدّيق، وآل أبى بكر. أما علىّ فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم — فيما بلغنى — أخبره بخروجه ، وأمره أن يتخلّف بعده بمكة ، حتى يؤدّىَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الودائع ، التى كانت عنده للناس ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بمكة أحدٌ عنده شىء يخشى عليه إلا وضعه عنده ، لمـا يُعلم من صدقه وأمانته صلى الله عليه وسلم .

الرسول صلى الله عليه وسلم وأبو بكر فى الغار

قال ابن إسحاق : فلما أجمع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الخروج ، أتى أبا بكر بن أبى قُحافة ، فخرجا من خَوْخَةٍ لأبى بكر فى ظهر بيته ، ثم عَمَدَا إلى غارٍ بِثَوْرٍ — جبل بأسفل مكة — فدخلاه ، وأمر أبو بكر ابنَه عبدَ الله بن أبى بكر أن يتسمَّع لهما ما يقول الناس فيهما نَهارَه ، ثم يأتيهما إذا أمسى بمـا يكون فى ذلك اليوم من الخبر ، وأمر عامرَ بن فُهَيْرة مولاه أن يرعى غنمَه نهاره ، ثم يُرِيحها عليهما ، يأتيهما إذا أمسى فِى الغار. وكانت أسماء بنت أبى بكر تأتيهما من الطعام إذا أمست بما يُصلحهما .

قال ابن هشام : وحدثنى بعض أهل العلم ، أن الحسن بن أبى الحسن

البصرى قال : انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر إلى الغار ليلا ، فدخل أبو بكر رضى الله عنه قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتلمس الغار ، لينظر أفيه سبع أو حيَّة ، يَقِى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بنفسه .

الذين قاموا بشئون الرسول فى الغار

قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الغار ثلاثا ومعه أبو بكر ، وجعلت قُريش فيه حين فقدوه مائة ناقة ، لمن يردّه عليهم . وكان عبد الله بن أبى بكر يكون فى قريش نهاره معهم ، يسمع ما يأتمرون به ، وما يقولون فى شأن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر ، ثم يأتيهما إذا أمسى فيخبرهما الخبر . وكان عامر بن فُهيرة ، مولى أبى بكر رضى الله عنه ، يرعى فى رُعيْان أهل مكة ، فإذا أمسى أراح عليهما غنم أبى بكر ، فاحتلبا وذبحا ، فإذا عبد الله بن أبى بكر غدا من عندهما إلى مكة ، اتبع عامر بن فهيرة أثره بالغنم حتى يعفِّى عليه ، حتى إذا مضت الثلاث ، وسكن عنهما الناس أتاهما صاحبهما الذى استأجراه ببعيريهما وبعير له ، وأتتهما أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما بسُفرتهما ، ونسيت أن تجعل لها عِصاما فلما ارتحلا ذهبت لتعلّق السفرة ، فاذا ليس لها عصام ، فتحلّ نطاقها فتجعله عصاما ، ثم علقتها به.

لم سميت أسماء بذات النطاقين

فكان يقال لأسماء بنت أبى بكر : ذات النطاق ، لذلك .

قال ابن هشام : وسمعت غير واحد من أهل العلم يقول : ذات النطاقين .

رفع المسهم غفر الله له ولوالديه

وتفسيره : أنها لما أرادت أن تعلّق السفرة شقّت نطاقها باثنين ، فعلّقت السفرة بواحد ، وانتطقت بالآخر .

راحلة النبي صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : فلما قرّب أبو بكر ، رضى الله عنه ، الراحلتين إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، قدّم له أفضلهما ، ثم قال : اركب ، فداك أبى وأمى ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنى لا أركب بعيراً ليس لى ، قال: فهى لك يارسول الله ، بأبى أنت وأمى ،قال : لا، ولكن ما الثمن الذى ابتعتها به؟ قال : كذا وكذا ، قال : قد أخذتها به ، قال : هى لك يارسول الله . فركبا وانطلقا . وأردف أبو بكر الصدّيق رضى الله عنه عامرَ بن فُهيرة مولاه خلفه، ليخدِمهما فى الطريق .

أبو جهل يضرب أسماء بنت أبى بكر

قال ابن إسحاق : فحُدثت عن أسماء بنت أبى بكر أنها قالت : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضى الله عنه ، أتانا نفر من قُرَيش ، فيهم أبو جهل بن هشام ، فوقفوا على باب أبى بكر ، فخرجتُ إليهم ؛ فقالوا : أين أبوك يابنتَ أبى بكر ؟ قالت : قلت : لا أدرى والله أين أبى . قالت : فرفع أبو جهل يده ، وكان فاحشاً خبيثاً، فلطم خدّى لطمة طرح منها قُرطى .

خبر الجنى الذى تغنى بمقدم الرسول صلى الله عليه وسلم

قالت : ثم انصرفوا . فمكثنا ثلاث ليال ، وماندرى أين وجهُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى أقبل رجلٌ من الجنّ من أسفل مكة ، يتغنى بأبيات من شعر غناء العرب ، وإن الناس ليتبعونه ، يسمعون صوته وما يَرَوْنه ، حتى خرج من أعلى مكة وهو يقول :

جزَى الله ربُّ الناس خيرَ جزائه ... رفيقَيْن حلاَّ خَيْمَتَىْ أمِّ مَعْبَدِ
هُما نَزَلا بالبَرِ ثُمَّ تَرَوَّحا ... فأفلح من أمسى رفيقَ محمد
ليهنِ بَنى كَعْب مكانُ فتاتِهم ... ومقعدها للمُؤمنين بمرصد

نسب أم معبد

قال ابن هشام : أمّ معبد بنت كَعْب ، امرأة من بنى كَعْب ، من خُزاعة .
وقوله « حلا خيمتى » و « هما نزلا بالبرّ ثم تروّحا » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : قالت أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما : فلما سمعنا قوله عرفنا حيث وَجْه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن وجهه إلى المدينة وكانوا أربعة : رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر الصدّيق رضى الله عنه، وعامر بن فُهيرة مولى أبى بكر ، وعبد الله بن أرقط دليلهما .

رفع
المسهم
غفر الله له ولوالديه

قال ابن هشام : ويقال : عبد الله بن أُرَيْقِط .

آل أبى بكر بعد هجرته

قال ابن إسحاق: فحدثنى يحيى بن عبَّاد بن عبد الله بن الزبير أن أباه عبَّادا حدّثه عن جدته أسماء بنت أبى بكر ، قالت : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخرج أبو بكر معه ، احتمل أبو بكر مالَه كله ، ومعه خمسة آلاف درهم أو ستة آلاف ، فانطلق بها معه . قالت : فدخل علينا جدّى أبو قحافة ، وقد ذهب بصره ، فقال : والله إنى لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه . قالت : قلت : كلا يا أبتِ ! إنه قد ترك لنا خيرا كثيرا . قالت : فأخذت أحجارا فوضعتها فى كوّة فِى البيت الذى كان أبى يضع ماله فيها ، ثم وضعت عليها ثوبا ، ثم أخذت بيده ، فقلت : يا أبت ، ضَعْ يدك على هذا المال . قالت : فوضع يده عليه ، فقال : لا بأس ، إذا كان ترَكَ لكم هذا فقد أحْسَن ، وفى هذا بلاغ لكم . ولا والله ماترك لنا شيئا ولكنى أردت أن أسكن الشيخ بذلك .

خبر سراقة بن مالك

قال ابن إسحاق وحدثنى الزهرى أن عبد الرحمن بن مالك بن جُعْشُم حدثه . عن أبيه ، عن عمه سُراقة بن مالك بن جُعْشُم ، قال . لما خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من مكة مُهاجرا إلى المدينة ، جعلت قريش فيه مائة ناقة لمن ردّه عليهم . قال : فبينا أنا جالس فى نادى قومى إذ أقبل رجلٌ

رفع المسهم

منا ، حتى وقف علينا ، فقال : والله لقد رأيت رَكَبة ثلاثة مرّوا علىّ آنفا ، إنى لأراهم محمداً وأصحابه ، قال : فأومأت إليه بعينى : أن اسكت ثم قلت قليلا ، إنما هم بنو فلان ، يبتغون ضالة لهم ، قال : لعله ؛ ثم سكت . قال ثم مكثت ثم قمت فدخلت بيتى ، ثم أمرت بفرسى ، فقيد لى إلى بطن الوادى ، وأمرت بسلاحى ، فأُخرج لى من دُبُر حجرتى ، ثم أخذت قِداحى التى أستقسم بها ، ثم انطلقت ، فلبست لَأْمَتِى ثم أخرجت قِداحى ، فاستقسمت بها ؛ فخرج السهم الذى أكره « لا يضرّه » قال : وكنت أرجو أن أردّه على قريش ، فآخذ المائة الناقة . قال : فركبت على أثره ، فبينما فرسى يشتدّ بى عثر بى ، فسقطت عنه . قال : فقلت : ما هذا ؟ قال ثم أخرجت قداحى فاستقسمت بها فخرج السهم الذى أكره « لا يضرّه » . قال : فأبيت إلا أن أتبعه. قال : فركبت فى أثره ، فبينا فرسى يشتدّ بى ، عثر بى ، فسقطت عنه . قال : فقلت : ماهذا ؟ ، قال : ثم أخرجت قداحى فاستقسمت بها فخرج السهم الذى أكره « لا يضرّه » قال : فأبيت إلا أن أتبعه ، فركبت فى أثره . فلما بدا لى القوم ورأيتهم ، عثر بى فرسى ، فذهبت يداه فى الأرض ، وسقطت عنه ، ثم انتزع يديه من الأرض ، وتبعهما دخان كالإعصار . قال : فعرفت حين رأيت ذلك أنه قد مُنع منى ، وأنه ظاهر . قال: فناديت القوم: فقلت : أنا سُراقة بن جُعْشُم : انظرونى أكلمكم ، فوالله لا أريبكم ، ولا يأتيكم منى شىء تكرهونه . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بكر : قل له : وما تبتغى منا ؟ قال فقال ذلك أبو بكر ، قال : قلت : تكتب لى كتابا يكون آية بينى وبينك . قال : اكْتُبْ له يا أبا بكر.

. . . .

رفع المسلم

فكتب لى كتابا فى عَظْم ، أو فى رقعة ، أو فى خَزَفة ، ثم ألقاه إلىّ ، فأخذته ، فجعلته فى كنانتى ، ثم رجعت ، فسكتّ فلم أذكر شيئا مما كان حتى إذا كان فتحُ مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفرغ من حُنين والطائف ، خرجت ومعى الكتاب لألقاه ، فلقيته بالجِعرانة . قال : فدخلت فى كَتِيبة من خيل الأنصار . قال : فجعلوا يقرعوننى بالرماح ويقولون : إليك إليك ، ماذا تريد ؟ قال : فدنوت من رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وهو على ناقته والله لكأنى أنظر إلى ساقه فى غَرْزه كأنها جُمَّارة . قال : فرفعت يدى بالكتاب ، ثم قلت : يارسول الله ، هذا كتابك لى ، أنا سُراقة بن جُعْشُم ؛ قال : فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : يوم وفاء وبرّ ، ادْنُهْ . قال : فدنوت منه ، فأسلمت . ثم تذكرت شيئا أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فما أذكره ، إلا أنى قلت : يارسول الله ، الضالة من الإبل تَغْشَى حياضى ، وقد ملأتها لإبلى ، هل لى من أجر فى أن أسقيها ؟ قال : نعم ، فى كلّ ذات كبد حرّى أجر . قال : ثم رجعت إلى قومى ، فسقت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صَدقتى . قال ابن هشام : عبد الرحمن بنُ الحارث بن مالك بن جُعْشُم .

هجرة عمر وعياش

ذكر فيها تواعدهم التناضب بكسر الضاد ، كأنه جمع تَنْضُبْ [واحدته تَنْضُبة] وهو ضَرْب من الشجر ، تألفه الحِرْباء . قال الشاعر :

إنّى أُتِيح له حِرْباء تَنْضُبَةٍ لايُرْسِلُ الساقَ إلّا مُمْسِكاً ساقا

رفع المسهم

. . . .

ويقال لثمره الممتع وهو فُنْعَلِل أدغمت النون فى الميم وظاهر قول سيبويه : أنه فعلل وأنه مما لحقته الزيادة بالتضعيف ، والقول الأول يقوِّيه أن مثله الْهُنْدَلِع(١) ، وهو نبت وتتخذ من هذا الشجر الْقِسِىُّ كما تتخذ من النَّبْع والشوط والشريان والسراء والأشكل ، ودخان التنضب ، ذكره أبو حنيفة فى النبات .

وقال الجَعْدِىُّ :

كأَنَّ الْغُبَارَ الذى غادرت ضُحَيا دَوَاخِنُ من تَنْضُبِ

شبه الغبار بدخان التنضب لبياضه. وقال آخر [عُقَيْل بن عُلفة الْمُرِّى] :

---

(١) اسم بقلة ، ويقول ابن جنى فى المنصف إن الأسماء الخماسية تجىء على أربعة أمثلة وخامس لم يذكره سيبويه « فعلل وفعلل وفعللل وفعلل ... والخامس الذى لم يذكره سيبويه فعلل ، وهو هندلع ، وقالوا : هو اسم بقلة ، ومن ادعى ذلك احتاج أن يدل على أن النون من الأصل » ص ٣٠ ح ١ .
وفى شرح الشافية عن أوزان الاسم الخماسى : « وزاد محمد بن السرى فى الخماسى خامسا ، وهو الهندلع لبقلة ، والحق : الحكم بزيادة النون لأنه إذا تردد الحرف بين الأصالة والزيادة والوزنان باعتبارهما نادران فالأولى : الحكم بالزيادة لكثرة ذى الزيادة كما يجىء ، ولو جاز أن يكون هندلع فعللا لجاز أن يكون كنهبل فعلا وذلك خرق لا يرقع فتكثر الأصول » ص ٤٩ ح ١ . والكنهبل بفتح الباء وضمها : شجر عظام وهو من العضاه ويقول سيبويه إن النون فيه زائدة لأنه ليس فى الكلام على مثال سفرجل بضم الجيم.
ويقول الخشنى : « التناضب بضم الضاد . يقال : هو اسم موضع ، ومن رواه بالكسر ، فهو جمع تنضب ، وهو شجر واحدته : تنضبة ، وقيده الوقشى : التناضب بكسر الضاد » .

رفع المسهم

. . . .

وَهَلْ أَشْهَدَنْ خَيْلاً كأَنّ غُبارَها ... بأَسْفَلِ علْكَدٍ دواخِنُ تَنْضُبِ

وأَضَاةُ بنى غِفارٍ على عشرة أميال من مَكّة ، والأَضاةُ الْغَدِيرُ ، كأنها مقلوب من وَضْأَة على وزن فَعْلَة ، واشتقاقه من الْوَضَاءَةِ بالمد وهى النظافة ، لأن الماء ينظف ، وجمع الأَضاة إِضَاءٌ وقال النابغة [فى صفة الدروع] :

عُلِين بِكَدْيَوْنٍ وأُبْطِنَّ كُرَّةً ... وهُنَّ إِضاءٌ صافيات الْغَلَائِلِ

[وأضيات ، وأضواتٌ وأضاً وإِضُون]. وهذا الجمع يحتمل أن يكون غير مقلوب ، فتكون الهمزة بدلا من الواو المكسورة فى وِضاء ، وقياس الواو المكسورة تقتضى الهمز على أصل الاشتقاق ، ويكون الواحد مقلوبا لأن الواو المفتوحة لاتهمز ، مع أن لام الفعل غير همزة ، وقد يجوز أن يكون الجمع محمولا على الواحد فيكون مقلوبا مثله(١) ، ويقال أضاءه بالمد ، وقد يجمع أضَاة على إِضين ، قاله أبو حنيفة وأنشد :

مَحافِرُ كَأَسْرِيَة الإِضِينا

الأَسْرِيَةُ : جمع سَرِيٍّ ، وهو الجَدْوَل ، ويقال له أيضاً : السَّعِيد .

---

(١) ومثلها : إساد فى : وساد وإشاح ، فى وشاح ، وإعاء فى وعاء . وفى اللسان : « قال أبو الحسن : هذا الذى حكيته من حمل أضاه على الواو بدليل : أضوات حكاية جميع أهل اللغة ، وقد حمله سيبويه على الياء ، قال : ولا وجه له عندى البتة لقولهم أضوات وعدم ما يستدل به على أنه من الياء . قال والذى أوجه كلامه عليه أن تكون أضاه قلعة من قولهم : آض يئيض على القلب ، لأن بعض الغدير يرجع إلى بعض ، ولاسيما إذا صفقته الريح .

رفع المسهم

. . . .

قول هشام بن العاص :

فصل : وذكر نزول الآية : ﴿ قُلْ ياعِبَادِيَ الذين أَسْرَفُوا على أَنْفُسِهِم لاَ تَقْنَطُوا من رَحْمَةِ الله ﴾ الزمر ٥٣ الآية فى المستضعفين بمكة ، وقول هشام ابن العاص : ففاجأتنى وأنا بذى طُوًى . طَوًى[1] : مقصور موضع بأسفل مكة ، ذكر أن آدم لما أهبط إلى الهند ، ومشى إلى مكة ، وجعل الملائكةُ ، تنتظره بذى طِوًى ، وأنهم قالوا له : يا آدمُ مازلنا ننتظرك هاهُنا منذ ألفى سنة[2] ، وروى أن آدم كان إذا أتى البيتَ خلع نعليه بذى طُوًى ، وأما ذو طُوَاء بالمد ، فموضع آخر بين مكة والطائف هكذا ذكره الْبَكْرِى ، وأما طوًى بضم الطاء والقصر المذكور فى التنزيل ، فهو بالشام اسم للوادِى االْمُقَدَّس ، وقد قيل : ليس باسم له ، وإنما هو من صفة التَّقْدِيس ، أى : الْمُقَدَّس مرتين .

نزول طلحة وصهيب علي خبيب بن إساف :

فصل : وذكر نزول طلحةَ وصهيب على خُبَيْبِ بن إسَاف ويقال فيه يَسَاف بياء مفتوحة فى غير رواية الكتاب ، وهو إساف بن عِنَبَة ، ولم يكن

---

(١) مثلثة الطاء وتنون ولا تنون . فمن نونه فهو اسم للوادى أو الجبل ، وهو مذكر اسمى بمذكر على فعل كحطم وصرد ومن لم ينونه جعله معدولا عن طاو ، أو باعتباره اسما للبقعة . وقرأ بن كثير ونافع وأبو عمرو ويعقوب الحضرمى : طوى غير منون ، وقرأها الكسائى وعاصم وحمزة وابن عامر : طوى منونا فى السورتين . ويقول ابن الأثير : وذو طوى : موضع عند باب مكة .

(٢) كلامه لا مسند له .

. . . .

حين نزول المهاجرين عليه مُسلماً فى قول الواقدى بل تأخر إسلامه ، حتى خرج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى بدر ، قال خُبَيْبٌ : فخرجت معه أنا ورجل من قومى ، وقلنا له : نكره أن يشهدَ قومُنا مشهداً لا نشهده معهم ، فقال : أسلمتما ؟ فقلنا : لا ، فقال : ارجعا ، فإنا لا نستعين بمشرك .

وخُبَيْبٌ هو الذى خلف على بنت خارجة بعد أبى بكر الصديق ، واسمها : حَبِيبَةُ ، وهى التى يقول فيها أبو بكر عند وفاته : ذو بطن بنت خارجة أراها جارية(١) ، وهى : بنت خارجة بن أبى زُهير(٢) ، والجارية : أم كُلْثُوم بنت أبى بكر ، مات خُبَيْبٌ فى خلافة عثمان ، وهو جَدُّ خُبَيْبِ بن عبد الرحمن ، الذى يروى عنه مالكٌ فى مُوَطَّئِه .

أبو كبشة

وذكر أَنَسَةَ وأبا كَبْشَةَ فى الذين نزلوا على كُلْثُوم بن الْهِدْم ، فأما أَنَسَةُ مولى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ، فهو من مُوَلَّدِى السَّرَاة ، ويُكْنى : أبا مَسْروح ، وقيل : أبا مِشْرَح شهد بدرا والمشاهدَ كلَّها مع رسول الله

---

(١) فى الإصابة : ما أظنها إلا أنثى . غير أن إيمان أبى بكر ، وتدبره العظيم للقرآن يمنعان من أن نظن بأبى بكر مثل هذا فالقرآن يقول عن الله سبحانه فى أمور الغيب التى يعلمها : (ويعلم ما فى الأرحام) .

(٢) فى الإصابة : بنت خارجة بن زيد أو بنت زيد بن خارجة . وفى ترجمته هو ذكر : زيد بن خارجة بن زيد بن أبى زهير بن مالك بن امرىء القيس ابن ثعلبة بن كعب بن الخزرج .

. . . .

ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومات فى خلافة أبى بكر ، وأبو كَبْشة اسمه : سليم يقال إنه من فارس ، ويقال : من مُوَلَّدِى أرضِ دَوْس ، شهد بدرا والمشاهد كلَّها مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومات فى خلافة عمر فى اليوم الذى ولد فيه عُرْوةُ بن الزُّبير ، وأما الذى كانت كفار قريش تذكره وتنسب النبى عليه السلام إليه ، وتقول : قال ابن أبى كَبْشَةَ وفعل ابن أبى كَبْشَة ، فقيل فيه أقوال : قيل : إنها كُنْية أبيه لأُمه وَهْبِ بن عبد مناف ، وقيل : كُنْية أبيه من من الرضاعة الحارث بن عبد العُزَّى ، وقيل : إن سَلْمى أخت عبد المطلب كان يكنى أبوها أبا كَبْشَة ، وهو عمرو بن لَبِيد ، وأشهر من هذه الأقوال كلها عند الناس أنهم شبهوه برجل كان يعبد الشِّعْرى وحده دون العرب ، فنسبوه إليه لخروجه عن دين قومه[1] .

وذكر الدارَقُطْنى اسم أبى كَبْشَة هذا فى المؤتلف والمختلف ، فقال : اسمه وَجْزُ ابن غالب ، وهو خُزَاعِيٌّ[2] ، وهو من بنى غُبْشَانَ[3] .

---

(١) سبق هذا ، وقد نقلته عن صاحب نسب قريش ، وقد ذكر ابن حبيب فى كتابه المحبر أن وهبا جد النبى « ص » لأمه كان يكنى أبا كبشة ، وكذلك عمرو ابن زيد البخارى ، وهو أبو سلمى أم عبد المطلب ، وكذلك وجز بن غالب ، وهو جد النبى « ص » من قبل أمه أم وهب بن عبد مناف ، وكذلك غبشان بن عمرو ابن لؤى وهو الذى كان يعبد الشعرى ، وكذلك حاضن الرسول « ص » الحارث ابن عبد العزى ص ١٢٩ .

(٢) يقول ابن دريد ، فى الاشتقاق وهو يتحدث عن خزاعة « ومنهم : أبو قيلة ، وهو وجز بن غالب ، وفد إلى النبى صلى الله عليه وسلم » ص ٤٨٠ .

(٣) فى الأصل : وغمشان ، وهو خطأ . أبو غبشان : خزاعى كان يلى سدانة

رفع المسهم

. . . .

وذكر نزولهم بقُباء ، وهو مسكن بنى عمرو بن عوف وهو على فرسخ من المدينة ، وهو يُمَد ويُقصَر ويؤنَّث ويذكَّر ، ويُصرَف ولا يُصرَف ، وأنشد أبو حاتم فى صَرْفه :

وَلأَبغِيَنَّكُمْ قُبًا [و] عُوارِضًا ولأُقبِلَنَّ الخيلَ لابَةَ ضَرْغَدِ[1]

وكذلك أنشده قاسم بن ثابت فى الدلائل قُبا بضم القاف و [فتح] الباء وهو عند أهل العربية تصحيف منهما جميعاً ، وإنما هو كما أنشده سيبويه : قَنًا وعُوارِضًا ، لأن قَنًا جَبَلٌ عند عُوارِض يقال له ، ولجبل آخر معه قَنَوان[2].

الكعبة قبل قريش ، فاجتمع مع قصى فى شرب بالطائف ، فأسكره قصى ثم اشترى المفاتيح منه بزق خمر ، وأشهد عليه ، ودفعها لابنه عبد الدار وطير به إلى مكة ، فأفاق أبو غبشان أندم من الكسعى ، فضربت به الأمثال فى الحمق والندم ، وخسارة الصفقة « القاموس » وقد سبق رأى ابن هشام فيه .

(١) أنشده سيبويه مرتين فى صفحتى ٨٢ ، ١٠٩ من الجزء الأول من كتابه ، ونسبه لعامر بن الطفيل ورواه مرة بالفاء ومرة بالواو فى لابغينكم . وقد استشهد به على نصب قنا وعوارض مع إسقاط حرف الجر ضرورة لأنهما مكانان مختصان لاينتصبان انتصاب الظرف ، وهما بمنزلة ذهبت الشام فى الشذوذ والحذف . والشاعر يريد : بقنا وعوارض ولكنه شبهه بدخلت البيت ، وقلب الظهر والبطن .

(٢) فى المراصد عن عوارض : جبل ببلاد طىء وقيل : هو لبنى أسد ، وقيل : قنا وعوارض جبلان لبنى فزارة وقيل : جبل أسود فى أعلى دار طىء وناحية دار فزارة . وقيل عن قنوين إنهما جبلان تلقاء الحاجر لبنى مرة . وقيل وهما عوارض وقنا ، سميا قنوين كعادتهم فى تثنية الشىء ومقارنه كالعمرين والقمرين .

رفع المسهم

. . . .

وبينهما وبين قباء مسافات وبلاد ، فلا يصح أن يقرن قُباء الذى عند المدينة مع عُوارِض وقَنَوَيْن ، وكذا قال البكرى فى مُعْجَم ما استعجم وأنشد : [لمعقِل بن ضِرارَ بن سنان الملقب بالشّماخ] .

كأنها لما بدا عُوارِضُ والليلُ بين قَنَوَيْنِ رَابِضُ

وقُبَاء : مأخوذ من القَبْو ، وهو الضَّمُّ والجمعُ قاله أبو حنيفة ، وقال : القَوَابِى : هن اللواتى يجمعن العصفر واحدتهن : قَابِيَةٌ . قال : وأهلُ العربية يسمون الضمة من الحركات قَبْواً(٢) ، وأما قولهم : لا والذى أخرج قُوباً من من قابية يعنون : الفَرْخَ من البَيْضَة(٣) فمن قال فيه : قابية بتقديم الباء ، فهو

---

(١) ذكره اللسان فى مادة ربض ، وفى مادة جله ونسبه فى هذه إلى الشماخ . ورواه فى جله هكذا :

كأنها وقد بدا عـــوارض بجلة الوادى قطا نواهـــض

ورواه فى ربض كما فى الروض وزاد ما وصفته بين قوسين والجلة : ما استقبلك من حروف الوادى .

(٢) فى اللسان : « أهل المدينة يقولون للضمة : قبوة . . والقبوة : الضم ، قال الخليل : نبرة مقبوة أى : مضمومة » .

(٣) فى اللسان : « قاب الطائر بيضته ، أى : فلقها . فانقابت البيضة وتقوبت بمعنى ، والقائبة والقابة : البيضة ، والقوب بالضم الفرخ . . وسمى الفرخ : قوبا لانقياب البيضة عنه . ويقال قابة وقوب بمعنى : قائبة وقوب » قال : وفى حديث عمر : أنه نهى عن التمتع بالعمرة إلى الحج ، وقال : إنكم إن اعتمرتم فى أشهر الحج رأيتموها مجزئة من حجكم ، ففرغ حجكم ، وكانت قائبة من قوب . ضرب هذا مثلا لجلاء مكة من المعتمرين سائر السنة ، والمعنى : أن الفرخ إذا فارق بيضته لم يعد إليها ، وكذا إذا اعتمروا فى أشهر الحج لم يعودوا إلى مكة .

رفع
المسـاهم
غفر الله لوالديه

. . . .

الْقَنْبو الذى يقدم ، ومن قال فيه : قابية ، فهو من لفظ الْقُوبِ لأنها تَتَقَوَّب عنه ، أى تَتَقَشَّرُ قال الكميت يصف النساء :

لَهُنَّ ولِلْمَشِيبِ ومَنْ عَلَاهُ — من الأمثال قابِيَةٌ وقُوبُ[١]

وفى حديث عمر : فكانت قابِيَةَ قُوبٍ[٢] عامها ، يعنى : الْعُمْرة فى أشهر الحج ، وقد ذكر أن قُبَاء اسم بئرٍ عُرِفت القرية بها .

سالم مولى أبى حذيفة

فصل : وذكر سالما مَوْلى أبى حُذَيْفَة الذى كان أبو حذيفة قد تَبنّاه كما تبنى رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — زيدا ، وكان سائبةً أى : لا وَلَاء عليه لأحد ، وذكر المرأة التى أعتقته سائِبةً ، وهى ثبيتة بنتَ يعَار ، وقد قيل فى اسمها بُثَيْنَةَ ذكره أبو عمر ، وذكر عن الزُّهْرى أنه كان يقول فيها : بنت تعَار[٣] ، وقال ابن شيبة فى المعارف : اسمها سَلْمى [وقال ابن حبان: يقال لها: ليلة] ويقال فى اسمها أيضاً : عمرة ، وقد أبطل التَّسْيِيبَ فى العِتْق كثيرٌ من العلماء ، وجعلوا الْوَلَاء لكل مَنْ أَعْتَقَ أخذاً بحديث النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك وحَمْلا له على العموم ، ولما روى أيضا عن مسعود أنه قال : لاسائبة فى الإسْلَام ،

---

(١) رواه اللسان فى مادة قوب ولم يروه فى قبو . وفيه : قائبة وقوب » . مثل هرب النساء من الشيوخ بهرب القوب — وهو الفرخ — من القائبة ، وهى البيضة ، فقال : لاترجع الحسناء إلى الشيخ كما لايرجع الفرخ إلى البيضة »

(٢) فى النهاية لابن الأثير : فكانت قائبة قوب عامها ، ثم فسره بما نقله اللسان عنه .

(٣) وقيل : فاطمة بنت يعار ، وفى اسم سالم خلاف .

رفع المسهم

. . . .

ورأى مالكٌ ميراثَ السائبة لجماعة المسلمين ، ولم ير ولاءه لمن سَيَّبه ، فكان للتسييب والعتق عنده حكمان مختلفان ، وسالم هذا هو الذى أمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سَهْلة بنت سُهَيْل أن ترضعَه ليحرُم عليها ، فأرضعته وهو ذو لحية [١] :

فإن قيل : كيف جاز له أن ينظر إلى ثديها ، فقد روى فى ذلك أنها حلبت له فى مِسْعَط [٢] وشرب اللبن ، ذكر ذلك محمد بن حبيب .

---

(١) عند مسلم من طريق القاسم عن عائشة أن سالما كان مع أبى حذيفة ، فأتت سهلة بنت سهيل بن عمرو رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — فقالت: إن سالما بلغ ما يبلغ الرجال ، وأنه يدخل على ، وأظن فى نفس أبى حذيفة من ذلك شيئا ، فقال : أرضعيه تحرمى عليه ، ورواه مالك فى الموطأ عن الزهرى عن عروة . وأخرجه البخارى من طريق الليث عن الزهرى موصولا . لكن أيصدق حكم الرضاعة على من هو فى مثل سنه ، والقرآن يقول : (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة) ويخبر أن حمل الطفل وفصاله ثلاثون شهراً ؟ فهل يمكن أن يسمى رضيعا رجل فى مثل سن أبى حذيفة وله لحية ؟

هذا وقد روى البخارى ومسلم والنسائى والترمذى من طريق مسروق عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رفعه خذوا القرآن من أربعة من ابن مسعود وسالم مولى أبى حذيفة ، وأبى بن كعب ، ومعاذ بن جبل . وكان أبو حذيفة يرى أنه ابنه ، فأنكحه ابنة أخته فاطمة بنت الوليد بن عتبة ، فلما أنزل الله : (أدعوهم لآبائهم) رد كل أحد تبنى ابنا من أولئك إلى أبيه . ومن لم يعرف أبوه رد إلى مواليه . أخرجه مالك فى الموطأ عن الزهرى عن عروة بهذا ، وفيه قصة إرضاعه.

(٢) ويحكى أيضاً بضم الميم والعين وسكون السين وهو آنية السعوط

تعليق على منازل المهاجرين : يقول الخشنى عن خباب مولى عتبة أى يروى

. . . .

اجتماع قريش للتشاور فى أمر النبى صلى الله عليه وسلم

ذكر فيه تمثلُ إبليس – حين أتاهم – فى صورة شيخ جليل وانتسابه إلى أهل نجد .

قوله فى صورة شيخ جليل يقول : جَلَّ الرجل وجلت المرأة إذا أسَنَّت ، قال الشاعر :

وما حظها أن قيل عَزَّتْ وجَلَّت

ويقال منه : جلَلْتَ يارجل بفتح اللام ، وقياسه جَلُلْتُ لأن اسم الفاعل منه : جليل ، ولكن تركوا الضمَّ فى المضاعف كلِّه استثقالا له مع التضعيف إلا فى لَبُبْت ، فأنتَ لبيب ، حكاه سيبويه بالضم على الأصل[1] .

أيضاً بحاء مهملة مضمومة وباء مخففة وقول ابن هشام : ونزل الأعزاب . صوابه : كما قال الوقشى : الأعراب ، ص ١٢٥ شرح السيرة لأبى ذر الخشنى ولعلها : الأعزاب ، لأن جمع عزب أعزاب « القاموس » .

(١) فى مسند قصة الهجرة ذكر مجاهد بن جبر فى خلاصة تذهيب الكمال للحافظ صفى الدين أحمد بن عبد الله الخزرجى الأنصارى ط أولى : مجاهد بن جبر بإسكان الموحدة . للخشنى وفى بعض نسخ السيرة : جبير ، وخبير ، ويقول الخشنى والصحيح : جبير ص ١٢٦ . وفى اللسان عن لبب وقد لببت – بضم الباء الأولى – ألب – بفتح اللام – ولببت بكسر الباء الأولى تلب بفتح اللام . وفى التهذيب حكى : لببت بالضم ، وهو نادر لا نظير له فى المضاعف الحديث أخرجه البخارى فى أبواب الاستسقاء . باب ماقيل فى الزلازل والآيات بسنده عن نافع عن ابن عمر قال : قال : اللهم بارك لنا فى شامنا وفى يمننا ، قال : قالوا : وفى نجدنا ، فقال : قال : اللهم بارك لنا فى شامنا وفى يمننا . قال : قالوا : وفى نجدنا . قال : قال : هنالك الزلازل والفتن ، وبها يطلع قرن الشيطان »

رفع
المسلم
عبد الله الطالب

. . . .

وقال القابسى : سقط ذكر النبى « ص » من النسخ ، ولا بد منه ، لأن مثله لا يقال بالرأى : وأخرجه البخارى فى كتاب الفتن . وقد صرح فيه بذكر النبى « ص » وقوله : فأظنه قال فى الثالثة : هنالك الزلازل الخ وأخرجه الترمذى . وفى مجمع الزوائد . فقال رجل : وفى شرقنا يا رسول الله بدلا من : وفى نجدنا وأنه قال فى المرة الثانية : اللهم بارك لنا فى شامنا ، وفى يمننا إن من هناك يطلع قرن الشيطان ، وبه تسعة أعشار الكفر ، وبه الداء العضال » رواه الطبرانى فى الأوسط واللفظ له . وأحمد ولفظه أن رسول الله « ص » قال اللهم بارك لنا فى شامنا ويمننا مرتين ، فقال رجل وفى مشرقنا يارسول الله، فقال رسول الله « ص » من هناك يطلع قرن الشيطان ، وبه تسعة أعشار الشرك . . . ويقول الخطابى فى بيان المراد من نجد من جهة المشرق ، ومن كان بالمدينة كان نجد بادية العراق ونواحيها ، وهى مشرق أهل المدينة ، وأصل النجد : ما ارتفع من الأرض وهو خلاف الغور ، فإنه ما انخفض منها وتهامة . كلها من الغور ، ومكة من تهامة » أقول . ومثل هذه الأحاديث لا يجوز أخذها على إطلاقها بل لا يجوز مطلقا أن نستعملها استعمال أولئك الذين أوغروا فى الصدور الأحقاد ، وأرثوا العصبية المقيتة الحمقاء بسببها . فسبوا كل نجد ، وذموا كل عراقى . وما أجمل ما يقول العلامة الهندى الشيخ محمد بشير السهسوانى « ومن عاب الساكن بالسكنى والإقامة فى مثل تلك البلاد ، فقد عاب جمهور الأمة وسبهم وآذاهم بغير ما اكتسبوا ، وقد داول الله تعالى الأيام بين البقاع والبلاد كما داولها بين الناس والعباد . . قال تعالى : (وتلك الأيام نداولها بين الناس) وكم من بلد قد فتحت ، وصارت من خير بلاد المسلمين بعد أن كانت فى أيدى الفراعنة والمشركين والفلاسفة والصابئين والكفرة من المجوس ، وأهل الكتابين ، بل الخربة التى كانت بها قبور المشركين صارت مسجدا هو أفضل مساجد المسلمين بعد المسجد الحرام ودفن بها أفضل المرسلين ، وسادات المؤمنين » ص ٥٤٤ ط صيانة الإنسان . ولو حملنا ما روى على هوى الحاملين للأحقاد لقلنا عن المدينة بحماقة العصبية إنها دار فتنة فقد ورد فى حديث متفق عليه : أنه « ص » أشرف على

رفع
المسلم
عز الله الوطن

. . . .

وإنما قال لهم : إني من أهل نجد فيما ذكر بعضُ أهل السيرة ، لأنهم قالوا : لايدخلن معكم في المشاورة أحدٌ من أهل تِهامة لأن هواهم مع محمد ، فلذلك تمثل لهم في صورة شيخ نَجْدي ، وقد ذكرنا في خبر بُنْيان الكعبة أنه تمثَّل في صورة شيخ نجدي أيضاً ، حين حكَّموا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — في أمر الركن : مَنْ يرفعه ، فصاح الشيخ النجدي : يامَعْشَر قريش : أقد رَضِيتم أن يليَه هذا الغلامُ دون أشرافكم وذوي أسنانكم ، فإن صح هذا الخبرُ فلِمَعْنًى آخر تمثل نَجْدِيًّا ، وذلك أن نجداً منها يَطْلُع قَرْنُ الشَّيْطانِ ، كما قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — حين قيل له : وفي نَجْدِنا يارسول الله ؟ قال : هنالك الزلازل والفِتن ، ومنها يطلع قَرْنُ الشيطان ، فلم يُبارِك عليها ، كما بارَك على اليمن والشام وغيرها ، وحديثه الآخر أنه نظر إلى المشرق ، فقال : إن الفِتْنَة هاهنا من حيث يطْلُع قَرْنُ الشيطان ، وفي حديث ابن عمر ، أنه حين قال هذا الكلام ، ووقف عند باب عائشة ، ونظر إلى المشرق فقاله ، وفي وقوفه عند باب عائشة ناظراً إلى المشرق يحذر من الفتن ، وفكَّر في خروجها إلى المشرق عند وقوع الفتنة تفهم من الإشارة واضْمُم إلى هذا قوله عليه السلام حين ذكر نزول الفتن : أيقظوا صَوَاحِبَ الحُجَر ، والله أعلم .

وذكر تشاورَهم في أمر النبي صلى الله عليه وسلم ، وأن بعضَهم أشار بأن

أطم ، حصن عال أو بناء مرتفع ، من آطام المدينة ، فقال : هل ترون ما أرى ؟ قالوا : لا . قال فإني لأرى الفتن تقع خلال بيوتكم كوقع المطر . فلنحذر هوى الشيطان ، وفتنه العصبية ! ! .

رفع المسهم

. . . .

يُحْبَس فى بيت ، وبعضهم بإخراجه عليه السلام من بين أظهرهم ونفيه ، ولم يُسمِّ قائل هذا القول ، وقال ابن سلام : الذى أشار بحبسه هو أبو الْبَخْتَرِيّ ابن هشام ، والذى أشار بإخراجه ونفيه هو أبو الأسْوَد ربيعةُ بن عمرو ، أحد بنى عامر بن لُؤَىّ ، وقول أبى جهل: نَسِيباً وسِيطاً ، هو من السِّطة فى العشيرة، وقد تقدم فى باب تزويجه خديجة معنى الْوَسِيط ، وأين يكون مدحا .

وأما قوله على بابه يتطلّعون ، فيرون عَلِياً وعليه بُرْدُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فيظنونه إياه ، فلم يزالوا قياما حتى أصبحوا ، فذكر بعضُ أهل التفسير السببَ المانع لهم من التَّقَحُّم عليه فى الدار مع قِصَر الجِدار ، وأنهم إنما جاءوا لقتله ، فذكر فى الخبر أنهم همُّوا بالْوُلُوج عليه ، فصاحت امرأة من الدار ، فقال بعضُهم لبعض : والله إنها للسُّبَّةُ فى العَرب أن يتحدثَ عنا أنا تَسَوَّرْنا الحيطان على بنات العم ، وهَتَكْنا سِترحُرْمتنا ، فهذا هو الذى أقامهم بالباب حتى أصبحوا ينتظرون خروجه ، ثم طَمَسَتْ أبصارُهم عنه حين خرج ، وفى قراءة الآيات الأُول من سورة : يٓس [1] من الفقه التَّذْكِرةُ بقراءة الخائفين لها اقتداءً به عليه السلام ، فقد روى الحارث بن أبى أسامة فى مسنده عن النبى صلى الله عليه وسلم فى ذكر فضل يٓس أنها إن قرأها خائف أمِن ، أو جائع شَبِع أو عارٍ كُسِى ، أو عاطش سُقِى حتى ذكر خلالا كثيرة [2] .

---

(١) تقرأ هكذا : ياسين وهى مثل حم « حاميم » وطه « وطاها » ، فهى ليست اسما للنبى « ص » وإنما هى مثل غيرها مما ذكرت من أوائل السور .

(٢) لم يرو هذا أحد من أصحاب الصحيح . ولو أن التلاوة لهذه السورة تعطى

وذكر ابن إسحاق ما أنزل الله فى ذلك ، وشرح ابن هشام رَيْبَ الْمَنُونِ ، وأنشد قول أبى ذُؤَيْب :

أمن المنونِ ورَيْبِه تتفجع

والْمَنُون يذكَّر ويؤنَّث ، فمن جعلها عبارةً عن الْمَنِيَّة أو حوادث الدهر أنَّث ، ومن جعلها عبارةً عن الدهر ذكَّر ، ورَيْبُ المنون مايَرِيبُك من تغير الأحوال فيه ، سُمِّيت الْمَنُون لنزعها مُنَنَ الأشياء أى : قُواها ، وقيل : بل سميت مَنُوناً لقطعها دون الأمال من قولهم : حَبْل مَنِين أى : مقطوع ، وفى التنزيل قوله تعالى ﴿ فَلَهُم أجر غير مَمْنُون ﴾ أى غير مقطوع .

إذن الله سبحانه لنبيه بالهجرة

ذكر فيه أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : أتى بيتَ أبى بكر فى الظَّهيرة : قالت عائشة : وفى البيت أنا وأختى أسماء فقال أَخْرِجْ مَن معك ، فقال أبو بكر : إنما هما بنتاى يارسول الله .

وقال فى جامع البخارى : إنما هم أهلُك يارسول الله ، وذلك أن عائشة قد كان أبوها أنكحها منه قبل[1] ذلك ، وكذلك روى عن أمها أم رُومان

كل هذا الذى ذكر لكان باعة القرآن على المقابر أولى الناس فى الدنيا والآخرة هناء ورخاء وعزة وكرامة . إن التلاوة بلا تدبر لاتغنى شيئا .

(١) أخرج البخارى بسنده عن هشام عن أبيه قال : توفيت خديجة قبل مخرج النبي « ص » إلى المدينة بثلاث سنين فلبث سنتين ، أو قريبا من ذلك .

. . . .

بنت عامر بن عويمر ، ويقال فى اسم أبيها : رَوْمَان بفتح الراء أيضاً ، فقال ابن إسحاق فى غير رواية ابن هشام فى حديث طويل ثابت اختصرته : إن أبا بكر حين هاجر مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم خلف بناتهِ بمكة ، فلما قدموا المدينةَ أرسل رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ زيدَ بن حارثة وأبا رافع مولاه ، وأرسل أبو بكر عبد الله بن أُرَيْقِط [الدِّيلى][1] ، وأرسل معهم خمسمائة درهم ، فاشتروا بها ظفراً بقُدَيْد ، ثم قدموا مكة فخرجوا بسَوْدة بنت زَمْعَة ، وبفاطمة وبأم كُلْثُوم. قالت عائشة : وخرجتْ أمى معهم ومع طَلْحة ابن عُبَيْدالله مصطحبين ، فلما كنا بقُدَيْدٍ نفر البعيرُ الذى كنت عليه أنا وأمى : أم رومان فى مِحَفَّة ، فجعلت أمى تنادى : وَأُبنَيَّتاه واعَرُوساه ! ! وفى رواية

ونكح عائشة ، وهى بنت ست سنين ، ثم بنى بها وهى بنت تسع سنين » وفى الحديث إشكال . وقد ذكر الحافظ فى الفتح رفعا لهذا الإشكال إذ قال : إن مراده من قوله فى الحديث : فلبث سنتين أو قريبا من ذلك . . المراد أنه لم يدخل على أحد من النساء ، ثم دخل على سودة قبل أن يهاجر ، ثم بنى بعائشة بعد أن هاجر ، فكأن ذكر سودة سقط على بعض رواته . ويقول الماوردى : الفقهاء يقولون : تزوج عائشة قبل سودة ، والمحدثون يقولون : تزوج سودة قبل عائشة . وقد يجمع بينهما بأنه عقد على عائشة ، ولم يدخل بها ، ودخل بسودة ص ١٧٩ جـ ٧ فتح البارى .

(١) هكذا ضبطه الحافظ فى الفتح . وقال : وقيل بضم الدال وكسر ثانيه مهموز ، وهو ابن الديل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، وقيل : من بنى عدى ابن عمرو بن خزاعة . وفى رواية الأموى عن ابن إسحاق : ابن أريقد ، وعند موسى بن عقبة : أريقه لكن بالطاء وعند ابن سعد : أريقط وعن مالك اسمه : رقيط . وفى شرح السيرة لأبى ذر أنه الليثى عبد الله بن أريقط

. . . .

يونس عن ابن إسحاق ، وفيه قالت عائشة : فسمعت قائلا يقول ـ ولا أرى أحدا ـ ألْقِ خِطامَه ، فألقيته من يدى ، فقام البعير يستدير به ، كأن إنسانا تحته يمسكه ، حتى هبط البعير من الثَّنِيَّة ، فسلم الله ، فقدمنا على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو يبنى المسجد وأبياتا له ، فنزلت مع أبى بكر ، ونزلت سَوْدَةُ بنت زَمْعَة فى بيتها ، فقال أبو بكر : ألا تَبْنى بأهلك يارسول الله ؟ فقال : لولا الصَّدَاق ، قالت : فدفع إليه ثِنْتَىْ عَشْرَةَ أوقية ، ونَشًّا ، والنَّشُّ : عشرون درْهَما وذكرَت الحديثَ . ورواه ابن أبى الزِّنَاد عن هشام بن عُرْوة عن أبيه عن عائشة .

لم اشتريت الراحلة :

وفى حديث ابن إسحاق أن أبا بكر كان قد أعد راحلتين، فقدم لرسول الله صلى الله عليه وسلم واحدة ، وهى أفضلهما ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنى لا أركب بعيراً ليس لى فقال أبو بكر : هو لك يارسول الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بالثمن ، فقال أبو بكر : بالثمن يارسول الله فركبها ، فسُئِل بعضُ أهل العلم . لِمَ لَمْ يقبلها إلا بالثمن ، وقد أنفق أبو بكر عليه من ماله ماهو أكثر من هذا فقبل، وقد قال عليه السلام : ليس من أحد أَمَنَّ علىّ فى أهلٍ ومالٍ من أبى بكر (١) ، وقد دفع إليه حين بنى

---

(١) فى رواية للبخارى : إن من أمن الناس على فى صحبته وماله أبا بكر وفى رواية أخرى إن أمن الناس على فى صحبته وماله أبو بكر . وقد قيل : إن الرفع خطأ لأنه اسم إن . وقيل : إن وجه الرفع بتقدير ضمير الشأن أى أنه الجار والمجرور بعده خبر مقدم ، وأبو بكر مبتدأ مؤخر ، أو على أن مجموع الكنية

. . . .

بعائشة ثِنْتَيْ عَشْرَةَ أوقية ونَشًّا ، فلم يأب من ذلك فقال المسئول إنما ذلك لتكون هجرتُه إلى الله بنفسه وماله رغبةً منه عليه السلام فى استكمال فضل الهجرة والجهاد على أتم أحوالهما ، وهو قولُ حَسَنٌ حدثنى بهذا بعضُ أصحابنا عن الفقيه الزاهد أبى الحسن بن اللوان رحمه الله .

ذكر ابن إسحاق في غير رواية ابن هشام

وذكر ابن إسحاق فى غير رواية ابن هشام : أن الناقةَ التى ابتاعها رسول الله — صلى الله عليه وسلم — من أبى بكر يومئذ هى : ناقته التى تسمى بالجَدْعَاء ، وهى غير العَضْبَاء التى جاء فيها الحديث حين ذكر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ناقةَ صالح ، وأنها تحشر معه يوم القيامة ، فقال له رجل : وأنت يومئذ على العَضْباء يارسول الله ، فقال : لا . ابنتى فاطمة تُحْشَر على الْعَضْبَاء ، وأُحْشَر أنا على الْبُرَاقِ ، ويُحْشَر هذا على ناقةٍ من نُوق

اسم فلا يعرب ما وقع فيها من الأداة أو إن بمعنى نعم، أو إن من زائدة على رأى الكسائى . وأمن أفعل تفضيل من المن بمعنى العطاء والبذل ، بمعنى أن أبذل الناس لنفسه وماله . لامن المنة التى تفسد الصنيعة ، ولكن يشرحه الداودى على أنه من المنة وتقديره لو كان يتجه لأحد الامتنان على نبى الله ، لتوجه له . وفى رواية ابن عباس : ليس أحد من الناس آمن على فى نفسه وماله من أبى بكر . ووجود من باعتبارها غيرزائده يفيد أن لغيره مشاركة مافى الأفضلية، ولكنه المقدم . ويؤيد هذا ما وراه الترمذى : « ما لأحد عندنا يد إلا كافأناه عليها ، ما خلا أبا بكر ، فإن له عندنا يدا يكافئه الله بها يوم القيامة » وهذا يدل على ثبوت منة للغير ، إلا أن لأبى بكر رجحانا .

رفع
المسهم

. . . .

الجنة وأشار إلى بلال[١].

وذكر أذانه فى الموقف فى حديث طويل يرويه عبدُ الحميد بن كيسان عن سُوَيْد بن عُمَيْر، وعبد الحميد مجهول عندهم.

وفى مسند البزار عن أنس قال : خطبنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على الْعَضْباء، وليست بالجدعاء، فهذا من قول أنس : إنها غير الجدعاء، وهو الصحيح، لأنها غُنِمت، وأخذ صاحبُها العقيلى بالمدينة، فقال: بم أخذتنى يامحمد، وأخذت سابقة الحاج، يعنى : العَضْباء، فقال : أخذتك بجريرة حُلفائك.

بكاء الفرح من أبي بكر :

وذكر ابن إسحاق فى قول عائشة ـ رضى الله عنها ـ ما كنتُ أرى أحداً يبكى من الفرح حتى رأيت أبا بكر يومئذ يبكى من الفرح. قالت ذلك لصغر سنها، وأنها لم تكن علمت بذلك قبل، وقد تطرقت الشعراء لهذا المعنى،

(١) الروايات الصحيحة فى كتب السنة المعتبرة تخالف ما ذكر هنا عن هذا النوع من الحشر. هذا وقد ذكر الواقدى أن الناقة التى أخذها رسول الله «ص» هى القصواء، وأنها كانت من نعم بنى قشير. ويذكر ابن إسحاق أنها الجدعاء، وأنها من إبل بنى الحريش وكذلك روى ابن حبان من طريق هشام عن أبيه. هذا ومما رواه ابن إسحاق عن الهجرة عمن لايتهم عن عروة قد ورد فى البخارى ما هو قريب منه. ولم يرد فى البخارى وغيره قصة الندوة. ولارمى التراب فى الوجوه. ورواية البخارى هنا هى الرواية التى تسكن إليها النفس، ولايتوجه بها سؤال لماذا لم يقتحم الراغبون فى قتله عليه الباب ؟، وليس فيها خرافة تشكل الشيطان بصورة شيخ نجدى.

رفع
المسهم
عبدالله البطل

فأخذته استحسانا له ، فقال الطائيُّ يصف السحاب :

دُهْم إذا وَكَفَتْ فى رَوْضه طَفِقَتْ   عيونُ أزهارِها تبكى من الفرح

وقال أبو الطيب ، وزاد على هذا المعنى :

فلا تُنْكِرَنَّ لها صَرْعَةً   فَمِنْ فَرَحِ النَّفْسِ ما يَقْتُلُ

وقال بعض الْمُحْدَثين :

وَرَدَ الكتابُ من الحبيب بأنه   سيزورنى فاستَعْبَرَتْ أجفانى

غلب السرور عَلَىَّ حتى إنه   من فَرطِ ماقد سَرَّنى أبكانى

ياعينُ صار الدمعُ عندك عادةً   تَبْكِينَ فى فَرَحٍ وفى أحزان

مكة والمدينة :

فصل : ومن قوله عليه السلام حين خرج من مكة ، ووقف على الحَزْوَرَةِ (١) ، ونظر إلى البيت ، فقال : والله إنك لأَحبُّ أرضِ الله إلىّ ، وإنك لأحب أرض الله إلى الله ، ولولا أن أهلَك أخرجونى منك ماخرجت (٢) . يرويه الزُّهْرِىُّ عن أبى سلمة .

(١) الحزورة كانت سوق مكة ، وأدخلت فى المسجد لما زيد ، وباب الحزورة معروف من أبواب المسجد الحرام . وعن ابن الأثير فى النهاية أنها موضع بمكة عند باب الخياطين ، وهو بوزن قسورة . وعن الشافعى : الناس يشددون الحزورة ، والحديبية ، وهما مخففتان .

(٢) أخرجه أحمد والنسائى والترمذى ، وقال : حديث حسن صحيح ، وأخرجه أبو حاتم بن حبان فى التقاسيم والأنواع ، وسعيد بن منصور فى سننه وذكره رزين عن الموطأ ، ولكنه ليس فى موطأ يحى بن يحيى ، وأخرجه أحمد فى المسند

رفع المسهم

. . . .

عن عبد الله بن عَدِىٍّ بن الحمراء يرفعه ، وبعضهم يقول فيه : عن الزهرى عن أبى سلمة عن أبى هُريرة ، وهو من أصحّ ما يُحْتج به فى تفضيل مكة على المدينة، وكذلك حديث عبد الله بن الزبير مرفوعا : إن صلاةً فى المسجد الحرام خير من مائة ألف صلاة فيما سواه[1] فإذا كانت الأعمال تبعا للصلاة ، فكل حسنة تعمل فى الحرام ، فهى بمائة ألف حسنة ، وقد جاء هذا منصوصا من طريق ابن عباس عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم قال : من حَجَّ ماشياً كُتب له بكل خطوة سبعمائة حسنة من حسنات الحرم ، قيل : وما حسنات الحَرَمِ ؟ قال: الحسنة فيه بمائة ألف حسنة [قال عطاء : ولا أحسب السيئةَ إلا مثلها] أسنده البزار[2] .

حديث الغار

وهو غار فى جبل ثَوْرٍ ، وهو الجبل الذى ذكره فى تحريم المدينة ، وأنها حرام مابين عيْرٍ إلى ثَوْر ، وهو وهم فى الحديث ، لأن ثوراً من جبال مكة ، وإنما لفظ الحديث عند أكثرهم مابين عَيْر إلى كذا ، كأن المحدث قد نسى اسمَ المكان ، فكنى عنه بكذا[3] .

---

(١) فى رواية لابن ماجة ، والعدد مختلف فى روايات الحديث المختلفة .

(٢) لا يتعلق ثواب الحج بمشى أو ركوب وإنما يتعلق بما وقر فى القلب المؤمن . وهو يأتى بأركانه، فكم من رجل حج ماشيا ، ولم ينل غير مشقة مشيه ، وكم من رجل حج راكبا له بكل نامة حسنة وحسنات .

(٣) الحديث أخرجه الشيخان ، وقد رواه مسلم بلفظ : المدينة حرم ما بين عير إلى ثور ، والبخارى بلفظ : المدينة حرم مابين عاير إلى كذا . وأبو داود

. . . .

بلفظ : المدينة حرام ما بين عاير إلى ثور . . وعاير جبل كبير مشهور فى قبلة المدينة بقرب ذى الحليفة ميقات المدينة وقيل غير ذلك . وأما ثور فليس المقصود به جبل ثور الذى هو من جبال مكة ، وإنما هو جبل صغير خلف أحد وقد استشكل العلماء الحديث ظنا منهم أنه ليس بالمدينة ثور ، ولهذا ذكر فى أكثر الروايات عند البخارى : من عاير إلى كذا ، وفى بعضها : من عير إلى كذا ، ولم يبين النهاية ، فكأنه يرى أن ذكر ثور وهم ، فأسقطه ، وترك بعض الرواة موضع ثور بياضا ، ليتبين الوهم ، وضرب آخرون عليه ، وقال المازرى نقل بعض أهل العلم : أن ذكر ثور هنا ، وهم من الراوى ، لأن ثوراً بمكة ، والصحيح : إلى أحد . وقال أبو عبيد القاسم بن سلام : إن الحديث أصله من عير إلى أحد . وقد روى الطبرانى الحديث : ما بين عير وأحد حرام حرمه رسول الله صلى الله عليه وسلم . . . وقال الحازمى : الرواية الصحيحة : ما بين عير إلى أحد . وقيل إلى ثور ، وليس له معنى . وقال ابن قدامة : يحتمل أن المراد تحريم قدر ما بين ثور وعير اللذين بمكة . . وقد قال البيهقى : بلغنى عن أبى عبيد أنه قال فى كتاب الجبال : بلغنى أن بالمدينة جبلا يقال له : ثور . ونقل المجد فى ترجمة عير عن نصر أن ثوراً جبل عند أحد. وقد رد الجمال المطرى فى تاريخه على من أنكر وجود ثور ، وقال : إنه خلف أحد من شماليه صغير مدور .

وقال الأقشهرى : وقد استقصينا من أهل المدينة خبر جبل يقال له : ثور عندهم . فوجدنا ذلك اسم جبل صغير خلف جبل أحد يعرفه القدماء دون المحدثين من أهل المدينة . وقال أبو العباس بن تيمية : ثور جبل فى ناحية أحد ، وهو غير جبل ثور الذى بمكة . ويقول المحب الطبرى إن المحدث ابن مزروع البصرى أخبره أن حذاء أحد عن يساره جبلا صغيرا يقال له ثور ، وأخبر أنه تكرر سؤاله عنه ، لطوائف من العرب العارفين تلك المواضع . . وتواردت أخبارهم على تصديق بعضهم بعضاً . أنظر ص ٦٤ ح ١ وفاء الوفا للسمهودى ص ١٣٢٦ و ص ٦٢٠ وما بعدها القرى للمحب الطبرى ص ١٩٤٨ .

. . . .

وذكر قاسم بن ثابت فى الدلائل فيما شرح من الحديث أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما دخله وأبو بكر معه أنْبَتَ الله على بابه الرَّاءة : قال قاسم : وهى شجرة معروفة ، فحجبت عن الغار أعينَ الكفار .

وقال أبو حنيفة : الرَّاءة : من أَغْلَاثِ الشجر ، وتكون مثل قامة الإنسان ، ولها خيطان ، وزَهر أبيض تُحشى به الْمَخَادّ ، فيكون كالريش لخفته ولينه ، لأنه كالقطن أنشد :

ترى وَدَكَ الشريف على لحاهُم كمثل الراء لَبَّدَه الصَّقيعُ

وفى مُسْنَد البزار : أن الله تعالى أمر العنكبوتَ فَنَسجت على وجه الغار، وأرسل حمامتين وَحْشِيَّتين ، فوقعتا على وجهِ الغار، وأن ذلك مما صَدَّ المشركين عنه ، وأن حمَام الحرَم من نسل تَيْنِك الحمامتين ، وروى أن أبا بكر ـ رضى الله عنه حين دخله وتقدم إلى دخوله ـ قبلَ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليقيه بنفسه ، رأى فيه جُحْراً فألْقَمَه عَقِبَه ، لئلا يخرجَ منه مايؤذى رسولَ الله ـ صلى الله عليه وسلم ، وفى الصحيح عن أنس : قال : قال أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ لرسول الله صلى الله عليه وسلم ـ وهما فى الغار : لو أن أحدَهم نظر إلى قدمه لرآنا ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ماظَنُّك باثنين ، الله ثالثهما[1] ، وروى أيضا أنهم لما عَمِى عليهم الأثر جاءوا بالقَافَةِ ، فجعلوا

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ومسلم والترمذى وأحمد .

أورد هنا كلمة موجزة عن الهجرة : قال صلى الله عليه وسلم : « رأيت فى المنام أنى أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل ، فذهب وهلى إلى أنها اليمامة ، أو

رفع المسلم

. . . .

هجر ، فإذا هي المدينة، رواه الشيخان ولكن ورد في البيهقي أنها هجر أو يثرب، ولم يذكر اليمامة . كما أخرج الترمذي والحاكم أنه ﷺ، قال : إن الله أوحى إلى : أي هؤلاء الثلاثة نزلت هي دار هجرتك : المدينة .أو البحرين، أوقنسرين . وزاد الحاكم : فاختار المدينة . وصححه الحاكم ، وأقره الذهبي في التلخيص . أما في الميزان ، فورد أنه حديث منكر ماأقدم الترمذي على تحسينه ، بل قال : غريب .

متى خرج النبي من مكة : يجزم بعض الرواة ومنهم ابن إسحاق أنه خرج أول يوم من ربيع الأول وأنه قدم المدينة لاثنتي عشرة خلت من ربيع الأول . أي بعد بيعة العقبة بشهرين وبضعة عشر يوما ، أما الحاكم فيذكر أن خروجه كان بعدها بثلاثة أشهر أو قريباً منها . كما يؤكد تواتر الأخبار أنه خرج يوم الإثنين وأن دخوله المدينة كان يوم الإثنين . وقيل إنه خرج في صفر ، وقدم المدينة في ربيع . وقيل . كان خروجه من مكة يوم الخميس . وقول ابن إسحاق هو المشهور مدة مقامه بمكة : في البخاري عن ابن عباس أنه مكث بها ثلاث عشرة سنة . وفي مسلم وعن ابن عباس أيضاً خمس عشرة سنة ، وابن حجر يصحح رواية البخاري . وعن عروة أنه مكث بمكة عشر سنين ، ورواه أحمد عن ابن عباس والبخاري في باب الوفاة عنه وعن عائشة أيضاً . وقد ورد في بعض نسخ مسلم بيت أبي قيس صرمة :

ثوى في قريش بضع عشرة حجة يذكر لو يلقى صديقاً مواتياً

وهذا يخالف ذاك .

العنكبوت والحمامتان والشجرة : لم يرد لها ذكر فيما روى من حديث صحيح ولهذا لم ترد في واحد من الكتب الستة وتدبر هذه الآية الكريمة (إلا تنصروه ، فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين ، إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه : لاتحزن إن الله معنا ، فأنزل الله سكينته عليه ، وأيده بجنود لم تروها ، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ، وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم) أهنا حمامة أو عنكبوت ، أوشجرة ،أم هنا سكينة وجنود لم يروا ؟ الآية الكبرى هنا هي أن الله صرف قلوبهم ، وجعل على أبصارهم غشاوة ، . . تدبرها جيدا

رفع المسهم

. . . .

يقفون الأثر ، حتى انتهوا إلى باب الغار ، وقد أنبت الله عليه ما ذكرنا في الحديث قبل هذا ، فعند مارأى أبو بكر رضى الله عنه القافة اشتد حزنه

القاصون الأثر أولو خبرة ودراية تامة بقص الأثر ، ولقد أدت بهم الأدلة إلى المثول أمام باب الغار ، ويشعر بهم النبي « ص » وأبو بكر . ويقول أبو بكر لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا . وتدبر قوله تحت قدميه لترى أنهم كانوا قيد خطوة أو نصفها من باب الغار . . ويقول الرسول « ص » مجيبا صاحبه مذكرا بحفظ الله سبحانه : ماظنك ياأبا بكر باثنين ، الله ثالثهما . كما روى البخارى ـ وتدبر مع الحديث قوله سبحانه : (واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه) . هذا هو القهر الأعظم الذى لا يغلبه قهر آخر ، ولا تقف أمام سلطانه الأعظم قوى ولا قدر فلماذا نصرف القلب عن تدبر جلال الآية الكبرى هنا من صرف الله عنه قلوبهم وأعينهم وأسماعهم وإحساساتهم ، إلى رواية واهية تصور حمامة وعنكبوتا . سل نفسك . . كيف لم يبصروه والواقع المحسوس الملموس المشهود يؤكد أنه هنا ؟ لم لم ينظر أحدهم تحت قدميه ، وكل شىء يؤكد أن المنشود العظيم فى الغار ؟ والرغبة الملحة فى النفس تدفع إلى استنباء الرمل والحصى والصخر والجبال عن منشودهم . والرمل والحصى وكل شىء تحت العين وصوبها يملأ حتى عقل الغبى بفهم هذه الدلالة البينة الواضحة المستمدة من أدلة لا يمكن أن يصرف الإنسان عنها نزعة من شك . الدلالة التى تشبه فى وضوحها وضوح أن الواحد نصف الإثنين كانت الدلالة ، وكانت الأدلة حينئذ لا تحتمل سوى شىء واحد هو أن محمداً « ص » فى الغار . فلم لم ينظروا ؟ ليست الحمامتان ولا العنكبوت . . إنما هو هذا السلطان الأعظم الذى يصرف القلوب . ويصرف الأبصار والأسماع عما تريد وتحب وإن كان منها قيد شعرة . إنما هو القهر الإلهى الأكبر والجبروت الأسمى الذى لا يدع لأحد قدرة تقفه لحظة أمامه ، وهو جل شأنه يريد ذلك . ولو أن نصاً ثابتا تحدث عن الحمامتين والعنكبوت ما انصرف عنه الفكر ولا القلم ، فالله قادر سبحانه على أعظم وأعظم .

رفع المسهم

. . . .

على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقال : إن قتلتُ فإنما ، أنا رجل واحد ، وإن قُتلتَ أنتَ هلكت الأمة ، فعندها قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تحزن إن الله معنا ، ألا ترى كيف قال : لا تحزن ، ولم يقل لا تخف ؟! لأن حزنه على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم شغله عن خوفه على نفسه ، ولأنه أيضاً رأى ما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم من النَّصَب ، وكونه فى ضيقة الغار مع فرقة الأهل ، ووحْشَة الغُربة ، وكان أرقَّ الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأشفقهم عليه ، فحزن لذلك ، وقد روى أنه قال : نظرت إلى قدميْ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم فى الغار ، وقد تفطَّرتا دما ، فاسْتَبْكَيْتُ ، وعلمت أنه عليه السلام لم يكن تعود الحُفاء والجُفْوَة[1] ، وأما الخوف فقد كان عنده من اليقين بوعد الله بالنصر لنبيه . ما يسكن خوفه ، وقول الله تعالى : ﴿ فأنزل الله سكينتَه عليه ﴾ قال أكثر أهل التفسير : يريد على أبى بكر ، وأما الرسول فقد كانت السكينة عليه[2] ، وقوله : ﴿ وأيَّدَه بجنود لم تَرَوْهَا ﴾ الهاء فى أيده راجعة على النبى ، والجنودُ : الملائكةُ أنزلهم عليه فى الغار ، فبشروه بالنصر على أعدائه ، فأيده ذلك ، وقواه على الصبر [و] قيل أيده

---

(١) ليس لهذا من سند صحيح . وعند ابن حبان أنهما ركبا حتى أتيا الغار ، فتواريا .

(٢) يقول ابن كثير فى تفسير الآية : « أى تأييده ونصره عليه . أى على الرسول « ص » فى أشهر القولين . وقيل على أبى بكر ، وروى عن ابن عباس وغيره ، قالوا : لأن الرسول « ص » لم تزل معه سكينة ، وهذا لا ينافى تجدد سكينة خاصة بتلك الحال ، ولهذا قال : وأيده بجنود لم تروها » يقصد ابن كثير أن عود الضمير فى قوله « أيده » يؤكد عود الضمير على النبى « ص » فى قوله « عليه »

رفع المسلم

. . . .

بجنود لم تروها ، يعنى : يومَ بدر وحنين وغيرهما من مشاهده ، وقد قيل : الهاء راجعة على النبى عليه السلام فى الموضعين جميعاً وأبو بكر تَبَعٌ له ، فدخل فى حكم السكينة بالمعنى ، وكان فى مصحف حَفْصَةَ[1]: فأنزل الله سكينته عليهما ، وقيل : إن حزن أبى بكر كان عند ما رأى بعضَ الكفار يبول عند الغار ،

---

(١) لايصح أبدا إطلاق مثل هذه التعبيرات ، فالقرآن الذى نزله الله على محمد «ص» هو الذى نتلوه الآن فى المصحف ، وكل حديث يوحى بأن المصحف فيه نقص يجب رفضه ، واعتباره فرية لعينة . والذين يؤمنون بأن فى المصحف نقصاً كبيرا هم الرافضة ، وقد حاجنى أحد قضاة الشيعة فى قطر عربى ، فبهت أهل السنة بأن كتبهم هى التى تروى أن فى القرآن نقصا ، وذكرنى ببعض ماجاء فى بعض الأحاديث !!

وأهل السنة بالمعنى الخاص الذين يؤكدون بسلوكهم ومعتقدهم أنهم أهل السنة لا يمكن أن ينسبوا إلى المصحف هذا الزور ، ولا أن يصموه بهذا البهتان . أما الرافضة ، فإليك ماروره فى كتابهم الكافى للكلينى ـ وهو يعادل البخارى عند غيرهم « عن جابر ـ أى الجعفى ـ قال : سمعت أبا جعفر يقول : ما ادعى أحد من الناس أنه جمع القرآن كله كما أنزل إلا كذاب ، وما جمعه وحفظه ـ كما أنزله الله ـ إلا على بن أبى طالب ، والأئمة من بعده ، وعن أبى بصير قال : دخلت على أبى عبد الله . . إلى أن قال له أبو عبد الله : وإن عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام . . قلت : وما مصحف فاطمة ؟ قال مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات . والله مافيه من قرآنكم حرف واحد » ص٥٤ ، ٥٧ من كتاب الكافى للكلينى ط ١٢٧٨ .

ولقد كان أحبار النصارى من الأسبانيين يحتجون على ابن حزم بدعوى الرافضة تحريف القرآن ، فكان يقول : « إن الروافض ليسوا من المسلمين » حـ٢ ص٧٨ الفصل « وانظر ص ٨ من مقدمة محب الدين الخطيب للمنتقى للذهبى وهو مختصر منهاج السنة النبوية للامام ابن تيمية .

رفع المسيهم

. . . .

فأشفق أن يكونوا قد رأوهما ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : لاتحزن ، فإنهم لو رأونا لم يَسْتَقْبِلُونا بفروجهم عند البول، ولا تشاغلوا بشيء عن أخذنا، والله أعلم[1] .

الرد على الرافضة فيما بهتوا به أبا بكر :

فصل : وزعمت الرافضة[2] أن فى قوله عليه السلام لأبى بكر لاتحزن غضًّا من أبى بكر وذمًّا له ؛ فإن حزنه ذلك: إن كان طاعةً فالرسولُ عليه السلام لاينهى عن الطاعة ، فلم يبق إلا أنه معصية ، فيقال لهم على جهة الجدَل : قد قال الله لمحمد عليه السلام : ﴿ فلاَ يَحْزُنْكَ قولُهُم ﴾ يس : ٧٦ وقال : ﴿ ولاَ يَحْزُنْكَ الذين يُسارعون فى الكفر ﴾ آل عمران : ١٧٦ وقال لموسى : ﴿ خُذْها ولاَ تَخَفْ ﴾ طه : ٢١ وقالت الملائكة للوط . لاتخف ، ولاتحزن ، فإن زعمتم أن الأنبياء حين قيل لهم هذا كانوا فى حال معصية ، فقد كفرتم ، ونقضتم أصلكم فى وجوب العصمة للإمام المعصوم فى زعمكم ! ، فإن الأنبياء هم الأئمة المعصومون بإجماع، وإنما قوله : لاتحزن ، وقولُ الله لمحمد : لَا يَحْزُنْكَ،

---

(١) هذا بعض مايقال ، والله أعلم بحقيقته ، والمفروض تدبر ماذكر فى القرآن عن النبي « ص » وعن صاحبه ، وهما فى الغار وكيف أن الكفر الغليظ الكنود ، وتحت إمرته المال والسلاح والسلطة والقدرة لم تستطع الوصول الى من فى الغار وهى تعربد كالأبالسة على بابه ؟!

(٢) هم الشيعة الذين رفضوا إمامة زيد بن يحي .

. . . .

وقوله لأنبيائه مثلَ هذا تسكينٌ لجأشهم (١) وتبشير لهم وتأنيسٌ على جهة النهى الذى زعموا ، ولكن كما قال سبحانه : ﴿ تَتَنَزَّل عليهم الملائكةُ ألاَّ تخافُوا ولاَ تحزنُوا(٢) فصلت : ٣٠ وهذا القول إنما يقال لهم عند المعاينة ، وليس إذ ذاك أمر بطاعة ولا نهى عن معصية .

ووجه آخر من التحقيق ، وهو أن النهى عن الفعل لا يقضى كونَ المنهىِّ فيه ، فقد نهى الله نبيَّه عن أشياء ، ونهى عبادَه المؤمنين ، فلم يقتض ذلك أنهم كانوا فاعلين لتلك الأشياء فى حال النهى ، لأن فعلَ النهى فعلٌ مستقبل ، فكذلك قوله : لأبى بكر : لاتحزن ، لو كان الحزن كما زعموا لم يكن فيه على أبى بكر — رضى الله عنه — ما ادَّعَوْا من الغَضِّ ، وأما ماذكرناه نحن من حزنه على النبى صلى الله عليه وسلم ، وإن كان طاعة ، فلم ينهه عنه الرسولُ عليه السلام إلا رفقاً به وتبشيراً له لا كراهية لعمله ، وإذا نظرت المعانى بعين الإنصاف لا بعين الشهوة والتعصب المذاهب لاحت الحقائق ، واتَّضحت الطَّرائق والله الموفق للصواب .

معية الله مع رسوله وصاحبه :

وانتبه أيها العبد المأمور بتدُّبر كتابِ الله تعالى لقوله : ﴿إذ يقولُ لصاحبه لا تحْزَنْ إن الله معنا﴾ التوبة : ٤٠ كيف كان معهما بالمعنى ، وباللفظ ، أما المعنى

---

(١) الجأش : رواع القلب اذا اضطرت عند الفزع ، ونفس الإنسان جمعه جشوش « القاموس » .

(٢) والآية فى حق الذين قالوا ربنا الله، ثم استقاموا . فهى فى حق خير فئة مؤمنة

فكان معهما بالنصر والإرفاد[1] والهداية والإرشاد ، وأما اللفظ فإن اسم الله تعالى كان يذكر إذا ذُكر رسولُه ، وإذا دُعى فقيل : يارسول الله ، أو فعل رسول الله ، ثم كان لصاحبه كذلك يقال : ياخليفة رسول الله ، وفعل خليفة رسول الله ، فكان يُذكر معهما ، بالرسالة وبالخلافة ، ثم ارتفع ذلك فلم يكن لأحد من الخلفاء ولا يكون .

حديث سراقة بن مالك بن جعشم الكنانى

ثم المُدْلجىّ أحد بنى مُدْلِج بن مُرَّة بن تَميم بن عَبْد مناة بن كِنانة . وقد ذكر ابن إسحاق حديثه حين بذلت قريشٌ مائةَ ناقة لمن رد عليهم محمداً عليه السلام ، وأن سراقة استَقْسَم بالأزلام ، فخرج السَّهم الذى يكره ، وهو الذى كان فيه مكتوبا لا تَضُرّه إلى آخر القصة ، وأن قوائم فرسه حين قَرُبَ من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ساخت فى الأرض ، وتبعها عُثَان ، وهو : الدخان وجمعه : عَواثِن . وذكر غير ابن إسحاق أن أبا جهل لامه حين رجع بلا شىء ، فقال وكان شاعراً :

أبا حَكم والله لو كنتَ شاهداً لأمر جوادى إذ تَسُوخُ قوائمه

علمتَ ولم تَشْكُكْ بأن محمداً رسول ببرْهانٍ فمن ذا يُقاومه ؟!

عليك بكَفِّ القوم عنه ، فإننى أرى أمرَه يوما ستَبدو معالمُه

بأمرٍ يَوَدُّ الناسُ فيــه بأسْرِهم بأن جميعَ الناس طُرًّا يُسَالمه

(١) الإعانة والإعطاء .

رفع المسهم

. . . .

وقد قدمنا فى هذا الكتاب عند ذكر كسرى مافعله عمر بن الخطاب حين أُتى بتاج كسرى ، وسوارَيْه ومِنْطقته ، وأنه دعا بسُراقة ، وكان أَزَبَّ الذراعين[1] ، فحلَّاه حِلية كسرى ، وقال له : ارْفَع يديكَ ، وقل : الحمدُ لله الذى سَلَب هذا كِسرى الملك الذى كان يزعم أنه ربُّ الناس وكساها أعرابيا من بنى مُدْلِج[2] . فقال ذلك سراقة ، وإنما فعلها عمر لأن رسولَ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان قدَ بَشَّر بها سُراقة حين أسلم ، وأخبره أن الله سيفتح عليه بلادَ فارس ، ويُغنِّمه مُلكَ كِسْرى ، فاستبعد ذلك سُراقة فى نفسه ، وقال : أَكِسْرى ملك الملوك؟! فأخبره النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن حِلْيَتَه ستجعل عليه تحقيقا للوعد، وإن كان أعرابيا بوّالا على عقبيه ، ولكن الله يُعز بالإسلام أهلَه ، ويُسْبغ على محمد وأمته نعمته وفضلَه .

وفى السير من رواية يونس شعر لأبى بكر رضى الله عنه فى قصة الغار :

قال النبى ولم يزل يُوَقِّرنى ونحن فى سَدَفٍ من ظُلْمَة الغار[3]

---

(١) التزبب فى الإنسان . كثرة الشعر وطوله .

(٢) فى رواية : كسرى بن هرمز . وقصة سراقة فى البخارى . ولكن ليس فى روايته مسألة السوارين ، إنما فيها أنه قال بعد أن حدث لفرسه ماحدث والتقى برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « فقلت له : إن قومك قد جعلوا فيك الدية ، وأخبرتهم أخبار مايريد الناس بهم ، وعرضت عليهم الزاد والمتاع فلم يرزآنى ، ولم يسألانى إلا أن قال : اخف عنا ، فسألته أن يكتب لى كتاب أمن . فأمر عامر بن فهيرة ، فكتب فى رقعة من أديم » .

(٣) سدف بفتح السين : الظلمة والليل وسواده ، وبضمها : جمع سدفة : الظلمة والقطعة من الليل .

. . . .

لا تَخْشَ شيئاً ؛ فإن الله ثالثُنا ... وقد توكَّل لى منه بإظهار
وإنما كَيْدُ من تخشى بَوادِرَه ... كيدُ الشياطينِ كادتْه لكفار
والله مُهْلِكهم طُرًّا بما كسبوا ... وجاعلُ المُنْتَهى منهم إلى النار
وأنت مُرتحلٌ عنهم وتاركُهم ... إما غُدُوًّا وإما مُدْلجٌ سارِى
وهاجرٌ أرضَهم حتى يكونَ لنا ... قومٌ عليهم ذَوُو عِزٍّ وأنصارِ
حتى إذا الليلُ وارَتْنا جوانبُه ... وسَدَّ مِنْ دونِ مَن تَخْشَى بأستارِ
سار الأُرَيقِطُ يَهْدِينا وأَيْنُقُه ... يَنعَبْن بالقَرْم نَعْباً تحت أكوارِ
يَعْسِفْنَ عرض الثَّنايا بعد أطولها ... وكُلَّ سَهْب رِقاقِ التُّرابِ مَوَّارِ
حتى إذا قُلْتُ: قد أَنْجَدْن عارضَها ... مِن مدلج فارسٌ فى منصب وَارِ
يُرْدِى به مُشْرِف الأقطارِ مُعتزمٌ
كالسيد ذى اللِّبْدَة المُسْتَأسِدِ الضَّارِى
فقال: كُرُّوا فقلت: إن كَرَّتنا ... من دونها لك نَصْرُ الخالقِ البارى
أنْ يَخْسِفَ الأرضَ بالأحوى وفارسه
فانظر إلى أَرْبُع فى الأرض غُوَّار
فَهِيلَ لما رأى أَرْساغَ مُقْربه ... قد سُخْنَ فى الأرض لم يُحْفَر بمحفار
فقال: هل لكم أنْ تُطْلِقوا فرسى ... وتأخذوا مَوْثِقى فى نُصْح أسرار
وأصْرِفُ الحَىَّ عنكم إنْ لقيتهم ... وأنْ أُعَوِّرَ منهم عَيْنَ عُوَّار
فادْعوا الذى هو عنكم كَفَّ عَوْرَتَنا ... يُطْلِق جوادى وأنتم خير أبْرار

. . . . : . .

فقال قولا رسولُ الله مُبْتهلا ... يارب إن كان منه غير إخْفَار
فَنَجِّه سالما من شَرِّ دعوتِنا ... ومُهْرَه مُطْلقاً من كَلْم آثار
فأظهر الله إذ يدعو حوافرَه ... وفاز فارسُه من هَوْلِ أخطار(١)

حديث أم معبد

وذكر عن أسماء بنت أبى بكر حين خفى عليها ، وعلى من معها أمرُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يدروا أين توجه ، حتى أتى رجل من الجن يسمعون صوته ، ولا يرونه ، فمر على مكة والناس يتبعونه وهو ينشد هذه الأبيات :

جزى اللهُ رَبُّ الناس خيرَ جزائه ... رفيقين حَلَّا خَيْمَتَىْ أمِّ مَعْبَدِ
هما نزلا بالبِرِّ ثم ترحَّلا(٢) ... فأَفْلَح من أمسى رَفِيقَ محمدِ
لِيَهْنِ بنى كعب مَقام فتاتِهم ... ومَقْعَدُها للمؤمنين بِمَرْصَدِ
فيالقُصَىٍّ مازَوَى الله عنكمُ ... به من فَعَال لا يُجازى وسُودَدِ
سلوا أختَكم عن شاتِها وإنائها ... فإنكم إن تسألوا الشاةَ تَشْهَد
دعاها بشاة حائلٍ فَتَحَلَّبَتْ ... له بصريح ضَرَّةُ الشاةِ مُزْبِد
فغادرها رَهْناً لديْها بحالِب ... يُرَدِّدُها فى مَصْدَرٍ ثم مَوْرِد

---

(١) فى القصيدة صنعة لاتدل على العصر المنسوبة اليه . وليس فيها روح ايمان أبى بكر . ولهذا لم ترو فى كتب السنة المعتبرة .
(٢) فى السيرة : تروحا

. . . .

ويروى أن حَسَّانَ بن ثابت لما بلغه شعرُ الجنى ، وماهتف به فى مكة قال يجيبه :

لقد خابَ قومٌ غاب عنهم نبيُّهم وقدسُرَّمَنْ يَسْرِى إليهم ويَغْتدى

ترحل عن قوم فضلَّت عقولُهم وحَلَّ على قوم بنور مُجَدَّد

هداهم به بعــد الضلالة ربُّهم وأرشدهم مَنْ يَتْبَع الحقَّ يَرْشُد

وهل يَسْتوى ضُلَّال قوم تَسَفَّهوا عمايتهم هاد بها كل مهتد(١)

(١) قصة أم معبد ضعيفة السند ، وقد أخرجها البغوى وابن شاهين وابن السكن وابن مندة والطبرانى والحاكم والبيهقى وأبو نعيم من طريق حزام بن هشام ابن حبيش بن خالد عن أبيه عن جده ، وبعضها فى تاريخ الطبرى « أنظر ص٤٦٦ حـ ١ الخصائص للسيوطى دار الكتب الحديثة وص ٣٨٠ حـ ٢ الطبرى ط دار المعارف » .

والقصيدة مروية بروايات مختلفة فمنها :

جزى الله خيرا والجزاء بكفــه رفيقين قالا خيمتى أم معبد

هما رحلا بالحـــق وانتزلا به فقد فاز من أمسى رفيق محمد

فما حملت من ناقة فوق رحلها أبر وأوفى ذمة من محمد

وأكسى لبرد الخال قبل ابتذاله وأعطى لرأس السانح المتجدد

ولم يصرح فى رواية البغوى ومن ذكرتهم بعده بذكر الجنى وإنما قيل فى روايتهم « فأصبح صوت بمكة عاليا يسمعون الصوت ولايدرون من صاحبه » ولكن غرام الرواة بالجن جعلهم يغرمون بذكرهم وراء كل شأن عجيب !!

رواية البيت فى وفاء الوفا وفى الاكتفاء للكلاعى هكذا :

وهل يستوى ضلال قوم تسكعوا عمى وهداة يهتدون بمهتد

وفى شرح السيرة للخشنى :

وهل يستوى ضلال قوم تشفهوا رشاد به نال الهدى كل مهتدى

وفى المواهب : الشطرة الثانية هكذا : عمى وهداة يهتدون بمهتدى .

رفع
المسهم
عزالله لطاعته

. . . .

لقد نَزَلتْ منه إلى أهلِ يَثْرِبِ ركابُ هُدًى حلت عليهم بأسْعُدِ

نبيٌ يرى مالا يرى الناسُ حوله ويتلو كتابَ الله فى كل مَشْهد[٢]

---

(١) وفى رواية أخرى : مسجد .

ولما فى حديث أم معبد من أسلوب أدبى ممتاز أحببت نقله وقد ذكر السهيلى باختصار « روى ابن حبيش بن خالد عن أبيه عن جده أن رسول الله « ص » حين خرج من مكة مهاجرا إلى المدينة هو وأبو بكر ومولى أبى بكر : عامر ابن فهيرة ، ودليلهما الليثى: عبد الله بن الأريقط مروا على خيمتى أم معبد الخزاعية، وكانت برزة جلدة تحتبى بفناء القبة ، ثم تسقى ، وتطعم ، فسألوها لحما وتمرا ، ليشتروه منها ، فلم يصيبوا عندها شيئا وكان القوم مرملين مشتين — ويروى : مسنتين فنظر رسول الله — صلى الله عليه وسلم — إلى شاة فى كسر الخيمة ، فقال : ما هذه الشاة يا أم معبد ؟ قالت : شاة خلفها الجهد عن الغنم . فقال : هل بها من لبن ؟ قالت هى أجهد من ذلك . قال أتأذنين لى أن أحلبها ، قالت : بأبى أنت وأمى إن رأيت بها فاحلبها ، فدعا بها رسول الله - ص - فمسح بيده ضرعها ، وسمى الله ودعا لها فى شاتها ، فتفاجت عليه ، ودرت واجترت ، ودعا بإناء يربض الرهط ، فحلب فيه ثجا حتى علاه لبنها - وفى رواية : حتى علته الرغوة ، أو حتى علاه البهاء - ثم سقاها حتى رويت ، وسقى أصحابه حتى رووا ، ثم شرب آخرهم - صلى الله عليه وسلم - ثم أراضوا ، ثم حلب فيه ثانية بعد بدء حتى ملأ الإناء ، ثم غادره عندها ثم بايعها - يعنى على الإسلام ، ثم ارتحلوا عنها ، فما لبثت حتى جاء زوجها أبو معبد يسوق أعنزا عجافا يتساوكن هزلى ، لا نقى بهن ، فلما رأى أبو معبد اللبن عجب ، وقال : من أين لك هذا يا أم معبد ، والشاة عازب حيال ، ولا حلوب فى البيت ؟ ، قالت : لا والله إلا أنه مر بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا ، وقال : صفيه لى يا أم معبد ، قالت : رأيته رجلا ظاهر الوضاءة ، أبلج الوجه حسن الخلق ، لم تعبه ثجلة - أو نحلة - ولم تزر به صعلة ، وسيم قسيم ، فى عينيه دعج ، وفى أشفاره عطف أو غطف - والشك من أبى محمد بن مسلم - ويروى : وطف ، وفى صورته صحل ، وفى عنقه

. . . .

سطع ، وفى لحيته كثاثة أحور أكحل أزج أقرن شديد سواد الشعر ، إن صمت ، فعليه الوقار ، وإن تكلم سما ، وعلاه البهاء ، أجمل الناس وأبهاهم من بعيد ، وأحسنه وأحلاه من قريب ، حلو المنطق ، فصل لا نزر ، ولا هذر ، كأن منطقه خرزات نظمن ـ أو ، ربعة خرزات نظم تحدرن لا بائن من طول ، ولا تقتحمه عين من قصر ، غصنا بين غصنين ، فهو أنضر الثلاثة منظرا ، وأحسنهم قدرا ، له رفقاء يحفون به ، إن قال : أنصتوا له ، وإن أمر تبادروا إلى أمره ، محفود محشود ، لا عابس ولا معتد .

قال أبو معبد : هذا والله صاحب قريش الذى ذكر لنا من أمره ما ذكر بمكة لقد هممت أن أصحبه ، ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلا ، نقلت الحديث من شرح السيرة لأبى ذر الخشنى ص ١٢٦ وما بعدها ، مراجعا على ص ٤٦٦ حـ ١ الخصائص للسيوطى ط دار الكتب الحديثة وص ١٣٩ حـ ٢ زاد المعاد لابن القيم . إليك شرح أبى ذر لمفردات الحديث : برزة المرأة التى طعنت فى السن فهى تبرز للرجال ، ولا تحتجب عنهم ، جلدة : جزلة وصفها بالجزالة . مرملين : أرمل الرجل : إذا نفذ زاده فى سفر أو حضر . مشتين : أى داخلين فى زمن الشتاء ، ومن رواه : مسنتين ، فمعناه : دخلوا فى سنة الجدب والقحط . وكسر البيت جانبه ، يقال بكسر الكاف وفتحها . والجهد : المشقة والضعف . تفاجت : أى فتحت رجليها للحلب . يربض الرهط : يبالغ فى ريهم ويثقلهم حتى يلصقهم بالأرض ، يقال ربضت الدابة وغيرها ، وأربضتها أى جعلتها تلصق بالأرض ، والرهط : ما بين الثلاثة إلى العشرة . ثجا : أى سائلا ، والماء الثجاج : السائل . علاه البهاء : بريق الرغوة ولمعانها أراضوا : كرروا الشرب حتى بالغوا فى الرى يقال : أراض الوادى : إذا كثر ماؤه ، واستنقع . وكذلك الحوض ، وفى بعض الروايات : ثم أراضوا عللا بعد نهل . ذكر ذلك ابن قتيبة ، والنهل : الشرب الثانى . غادره : تركه ، ومنه سمى الغدير ، لأن السيل غادره ، أى تركه . عجاف : ضعاف ، تشاركن هزلا ، أى تساوين فى الضعف و (يتساوكن هزلى) : يتمايلن من شدة ضعفهن . غارب : بعيد المرعى . حيال : جمع حائل ، وهى التى لم تحمل ، ولا

. . . .

حلوب : يعنى : شاة تحلب ، وقد تكون الحلوب واحدا ، وقديكون جمعا . ظاهر الوضاءة : الوضاءة : حسن الوجه . ونظافته ، ومنه اشتقاق الوضوء . أبلج الوجه : مشرق الوجه ، يقال تبلج الصبح إذا أشرق وأنار . لم يعبه نحله : يعنى : ضعفه وصغره ، وهو من الجسم الناحل ، وهو القليل اللحم . ولم يزر : لم يقصر ، والصقل والصقلة : جلدة الخاصرة ، تريد : أنه ناعم الجسم ، ضامر الخاصرة ، وهو من الأوصاف الحسنة . وفى بعض روايات هذا الحديث : لم تدبه ثجلة . ولم يزر به صعلة ، فالثجلة : عظم البطن ، يقال : بطن أثجل إذا كان عظيما ، والصعلة صغر الرأس ، ومنه يقال للنعام : صعل . قسيم « الحسن والوضاءة الثابتة . وقسيم : كأن كل عضو من وجهه أخذ قسمة من الجمال » . الدعج : شدة سواد العين . « الأشفار : أهداب العين » فى أشفاره عطف أو غطف ، ويروى : وطف الوطف : طول شعر أشفار العين ، وقال صاحب كتاب العين : الغطف بالغين المعجمة مثل الوطف ، وأما العطف بالعين المهملة ، فلا معنى له هنا ، وقد فسره بعضهم ، فقال : هو أن تطول أشفار العين حتى تنعطف. صحل : الصحل : البحح ، يريد : أنه ليس بحاد الصوت . فى عنقه سطع : أى : إشراف وطول ، يقال : عنق سطعاء إذا أشرفت وطالت ، فى لحيته كثاثة : الكثاثة : دقة نبات شعر اللحية مع استدارة فيها . أزج أقرن : الزجج : دقة شعر الحاجبين مع طولها ، والقرن : أن يتصل ما بينهما بالشعر علاه البهاء : البهاء هنا : حسن الظاهر . فصل لانزر ولا هذر : الفصل : الكلام البين ، والنزر : الكلام القليل ، والهذر : الكلام الكثير . وأرادت أن كلامه ليس بقليل ، فينسب إلى العى ، ولا بكثير فينسب إلى التزيد . لابائن من طول : طوله ليس بمفرط لاتقتحمه عين : أى : لاتحتقره ، يقال رأيت فلانا فاقتحمته عينى ، أى : احتقرته أنضر الثلاثة : أى : أنعم الثلاثة من النضرة ، وهو النعيم . محفود : مخدوم ، والحفدة : الخدمة ، ويقال : حفدت الرجل : إذا خدمته ، محشود : محفوف به . قال ابن طريف : يقال : حشدت الرجل إذا أطفت به ، واستشهد بلفظة محشود من هذا الحديث ، ولامعتد : أى غير ظالم « أحور أكحل : الحور بياض العين الواضح ، والكحل : سواد أشفار

رفع
المسهم

. . . .

وإن قال فى يومٍ مقالة غائب فتصديقُه فى اليوم أو فى ضُحَى الغدِ

لِيَهْنِ أبا بكر سعادةُ جَدِّه بصحبته مَنْ يُسْعِد اللهُ يَسْعَدِ

وزاد يونس فى روايته أن قريشا لما سمعت الهاتفَ من الجن أرسلوا إلى أمِّ معبد ، وهى بخيمتها ، فقالوا : هل مَرَّ بك محمد الذى من حِلْيَته كذا ، فقالت : لا أدرى ماتقولون ، وإنما ضافنى حالبُ الشاة الحائل ، وكانوا أربعةً رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وأبو بكر ، وعامرُ بن فُهَيْرة مولى أبى بكر ، وقد تقدم التعريف به وطرفٌ من ذكر فضائله فى هجرة الحبشة ، والرابعُ عبدالله بن أُرَيْقِط اللَّيْثى ولم يكن إذ ذاك مسلما ، ولا وجدنا من طريق صحيح أنه أسلم بعد ذلك ، وجاء فى حديث أنهم استأجروه ، وكان هاديا خرِّيتا ، والخِرِّيتُ: الماهرُ بالطريق الذى يَهْتَدى بمثل خَرْتِ الإبرة ، ويقال له : الخَوْتَعُ أيضاً قال الراجز :

يضل فيها الخَوْتَع المُشَهَّرُ

نسب أم معبد وزوجها :

وأما أم معبد التى مر بخيمتها ، فاسمها : عاتكة بنت خالد إحدى بنى

العين كأنها مكحلة . خرزات : حبات اللؤلؤ ونحوه . النظم : العقد المنظوم . يتحدرن : إذا انفرط العقد فى العنق ، فأخذت الحبات تنزل واحدة بعد واحدة ربعة : وسط فى الطول . وقد وردت عدة أحاديث فى صفاته الجسمية متفق عليها بين البخارى ومسلم ، فانظرها .

. . . .

كعب من خُزَاعَةَ ، وهى أخت حُبَيْش بن خالد ، وله صحبة ورواية ، ويقال له الأشعر ، وأخوها : حُبَيْش بن خالد سيأتى ذكره والخلاف فى اسمه وخالد الأشعر أبوهما ، هو : ابن خُنَيْف بن مُنْقِذ بن رَبِيعة بن أصْرَم بن ضبيس بن حرام بن حُبْشِيَّة بن كَعْب بن عمرو وهو أبو خُزاعة(١) .

وزوجها أبو معبد يقال إن له رواية أيضاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - توفى فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم(٢) ، ولا يُعرف اسمه ، وكان منزلُ أمِّ معبد بقُدَيْد ، وقد روى حديثها بألفاظ مختلفة متقاربة المعانى ، وقد رواه ابن قُتَيْبَةَ فى غريب الحديث ، وتقَصَّى شرح ألفاظه ، وفيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأم معبد : وكان القومُ مُرْمِلِين مُسْنِتِين ، فطلبوا لبَناً أو لحما يشترونه ، فلم يجدوا عندها شيئاً ، فنظر إلى شاة فى كِسْرِ الخَيْمة خلفها الجَهْدُ عن الغنم ، فسألها : هل بها من ابن ؟ فقالت : هى أجهد من ذلك ، فقال أتأذنين لى أن أحْلُبها ، فقالت بأبى أنت وأمى ، إن رأيت بها حلبا فاحلبها ، فدعا بالشاة ، فاعتَقَلها ، ومَسَح ضَرْعها ، فتفاجَّت ودَرَّت واجْتَرَّت ، ودعا بإناء يُرْبِضُ الرَّهط أى : يشبع الجماعة حتى يُرْبِضوا ، فحلب فيه حتى ملأه ، وسقى القوم حتى رَووا ثم شرب آخرهم ، ثم حلَب فيه مرة أخرى عَلَلاً بعد نَهَلٍ ، ثم غادره عندها ، وذهبوا ، فجاء أبو معبد ، وكان غائبة

---

(١) نسب أبيهما فى الإصابة : خالد بن سعد بن منقذ بن ربيعة فانظرها بن أصرم بن خبيس بمعجمة ثم مثناة ثم موحدة ثم مهملة ابن حرام الخ .

(٢) أنظر الإصابة ترجمة رقم ١٠٥٠

رفع المسهم

. . . .

فلما رأى اللبن قال : ماهذا يا أم معبد أنَّى لكِ هذا والشاء عازب حِيَالٌ ، ولا حَلُوبة بالبيت ، فقالت : لا والله ، إلا أنه مرَّ بنا رجلٌ مُبَارَكٌ ، فقال : صِفيه ياأم معبد،فوصفته بما ذكر القُتَـيْبِيُّ وغيره فى الحديث ، ومما ذكره القتبى: فشربوا حتى أراضوا جعله القتَبى من اسْتَراض الوادى : إذا اسْتَنْقَع ومن الرَّوْضَة وهى بقيّة الماء فى الحوض وأنشد :

وَرَوْضَةٍ سَقَيْتُ فيها نِضْوِى (١)

ورواه الْهَرَوِىُّ حتى آرضُوا على وزن آمنوا ، أى ضَرَبوا بأنفسهم إلى الأرض من الرى ، وفى حديث آخر أن آل أبى مَعْبَد كانوا يؤرخون بذلك اليوم ، ويسمونه : يوم الرجل المبارك ، يقولون فعلنا كَيْتَ وكَيْت قبل أن يأتينا الرجل المبارك ، أو بعد ما جاء الرجل المبارَك ، ثم إنها أتت المدينة بعدذلك بما شاء الله ، ومعها ابنٌ صغير قد بلغ السَّعْى فمر بالمدينة على مسجد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو يكلم الناس على الْمِنبَر فانطلق إلى أمه يَشْتَدُّ ، فقال لها ياأُمَّتَاهُ إنى رأيت اليوم الرجلَ المبارك ، فقالت له : يابنى وَيْحَكَ هو رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم .

(١) فى اللسان:نضوى وهى أنثى البعير المهزول . قال ابن برى : وأنشد أبو عمرو فى نوادره وذكر أنه لهمان السعدى :

وروضة فى الحوض قد سقيتها نضوى وأرض قد أبت طويتها

وأراض الحوض غطى أسفله الماء ، استراض تبطح فيه الماء على وجهه ، واستراض الوادى استنقع فيه الماء ، قال : وكأن الروضة سميت روضة لاستراضة الماء فيها .

طريق الهجرة

قال ابن إسحاق: فلما خرج بهما دليلُهما عبدُ الله بن أرْقط، سلك بهما أسفل مكة، ثم مضى بهما على الساحل، حتى عارض الطريق أسفل من عُسْفَان، ثم سلك بهما على أسفل أَمَج، ثم استجاز بهما، حتى عارض بهما الطريق، بعد أن أجاز قُدَيْدا، ثم أجاز بهما من مكانه ذلك، فسلك بهما الخَرّار، ثم سلك بهما ثَنِيَّة المَرَة، ثم سلك بهما لِقْفا.

قال ابن هشام: ويقال: لَفْتا. قال مَعْقِل بن خُوَيلد الهُذَلى:

نَزِيعًا مُحْلِبًا من أهل لَفْت ... لحىّ بين أثْلة والنِّجَام

قال ابن إسحاق: ثم أجاز بهما مَدْلَجة لِقْف ثم استبطن بهما مَدْلَجة مِجَاج — ويقال: مَجَاج، فيما قال ابن هشام — ثم سلك بهما مَرْجِح مَجَاج،

ومما يُسأل عنه فى هذا الحديث أن يقال: هل استمرت تلك البَرَكة فى شاة أم معبد بعد ذلك اليوم، أم عادت إلى حالها؟ وفى الخبر عن هشام بن حُبَيْش الكعبى، قال: أنا رأيت تلك الشاةَ وإنها لتأدُم أمَّ معبد وجميعَ صِرمها، أى: أهلَ ذلك الماء، وفى الحديث أيضاً من الغريب فى وصف الشاة: قال ما كان فيها بُصرَة وهى النقط من اللبن تبصر بالعين.

رفع المسهم

ثم تبطَّن بهما مَرْجِح من ذى الغَضوين ـ قال ابن هشام : ويقال : العَضَوين ـ ثم بطن ذى كَشْر ، ثم أخذ بهما على الجدَاجِد ، ثم على الأجْرد ، ثم سلك بهما ذَا سَلَم ، من بطن أعْداء مَدلَجَة تِعْهِن ، ثم على العَبابيد . قال ابن هشام : ويقال : العَبابيب ، ويقال : العِثْيانة . يريد : العبابيب .

قال ابن إسحاق : ثم أجاز بهما الفاجَّة ، ويقال : القاحة ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن هشام : ثم هبط بهما العَرْج ، وقد أبطأ عليهما بعض ظهرهم ، فحمل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم رجلٌ من أسلم ، يقال له : أوس بن حُجْر ، على جمل له ـ يقال له : ابن الرّداء ـ إلى المدينة ، وبعث معه غلاما له ، يقال له : مسعود بن هُنَيْدَة ، ثم خرج بهما دليلهما من العَرْج ، فسلك بهما ثَنِيَّة العائر ، عن يمين رَكُوبَة ـ ويقال : ثنية الغائر ، فيما قال ابن هشام ـ حتى هبط بهما بطن رِئْم ، ثم قدم بهما قُباء ، على بنى عمرو بن عوف ، لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأوّل يوم الاثنين ، حين اشتدَّ الضُّحاء ، وكادت الشمس تعتدل .

النزول بقباء

قال ابن إسحاق : فحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عُروة بن الزبير ، عن عبد الرحمن بن عُويمر بن ساعدة ، قال : حدثنى رجال من قومى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالوا : لما سمعنا بمَخرج رسول الله صلى الله عليه

رفع المسهم

وسلم من مكة ، وتوكَّفنا قدومَه ، كنا نخرج إذا صلينا الصبح ، إلى ظاهر حَرّتنا ننتظر رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فوالله مانبرح حتى تغلبنا الشمسُ على الظلال فإذا لم نجد ظلا دخلنا ، وذلك فى أيام حارّة . حتى إذا كان اليوم الذى قدم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جلسنا كما كنا نجلس ، حتى إذا لم يبق ظلّ دخلنا بيوتنا ، وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخلنا البيوت ، فكان أوّل من رآه رجلٌ من اليهود ، وقد رأى ما كنا نصنع ، وأنَّا ننتظر قدوم رسول الله — صلى الله عليه وسلم — علينا ، فصرخ بأعلى صوته : يابنى قَيْلة ، هذا جَدُّكم قد جاء . قال : فخرجنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو فى ظلّ نخلة ، ومعه أبو بكر رضى الله عنه فى مثل سِنّه ، وأكثرُنا لم يكن رأى رسولَ الله — صلى الله عليه وسلم — قبل ذلك ، وركِبه الناس وما يعرفونه من أبى بكر ، حتى زال الظلّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقام أبو بكر فأظلَّه بردائه ، فعرفناه عند ذلك .

المنازل التى نزلت بقباء

قال ابن إسحاق : فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم — فيما يذكرون — على كُلْثوم بن هِدْم ، أخى بنى عمرو بن عَوف ، ثم أحد بنى عُبيد : ويقال : بل نزل على سعد بن خَيْثمة . ويقول من يذكر أنه نزل على كُلثوم بن هِدْم : إنما كان رسول الله — صلى الله عليه وسلم إذا خرج من منزل كلثوم بن هدْم جلس للناس فى بيت سعد بن خيثمة . وذلك أنه كان عَزبا لا أهل له ، وكان منزلَ العُزّابِ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين ، فمن

هنالك يقال : نزل على سعد بن خيثمة ، وكان يقال لبيت سعد بن خَيْثَمَة : بيت الْعُزَّاب . فالله أعلم أىّ ذلك كان ، كلاًّ قد سمعنا .

ونزل أبو بكر الصدّيق رضى الله عنه على خُبَيْب بن إساف ، أحد بنى الحارث بن الخزرج بالسُّنْح . ويقول قائل : كان منزله على خارجة بن زيد بن أبى زُهير ، أخى بنى الحارث بن الخزرج .

وأقام علىّ بن أبى طالب عليه السلام بمكة ثلاث ليال وأيامها ، حتى أدّى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الودائع التى كانت عنده للناس ، حتى إذا فرغ منها لحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنزل معه على كُلثوم بن هِدْم .

سهيل بن حنيف وامرأة مسلمة

فكان على بن أبى طالب ، وإنما كانت إقامته بقباء ليلة أو ليلتين يقول : كانت بقُباء امرأة لازوج لها ، مسلمة . قال : فرأيت إنسانا يأتيها من جوف الليل ، فيضرب عليها بابها ، فتخرج إليه فيعطيها شيئا معه فتأخذه . قال : فاستربتُ بشأنه ، فقلت لها : يا أمة الله ، من هذا الرجل الذى يضرب عليك بابك كلّ ليلة ، فتخرجين إليه فيعطيك شيئا لا أدرى ماهو ، وأنت امرأة مسلمة لازوج لك ؟ قالت : هذا سهل بن حُنيف بن واهب ، قد عرف أنى امرأة لا أحد لى ، فإذا أمسى عدا على أوثان قومه فكسرها ، ثم جاءنى بها ، فقال : احتطبى بهذا ، فكان علىّ رضى الله عنه يَأْثِر ذلك من أمر سهل بن حُنيف ، حتى هلك عنده بالعراق .

قال ابن إسحاق : وحدثنى هذا ، من حديث علىّ رضى الله عنه ، هند ابن سعد بن سهل بن حنيف ، رضى الله عنه .

بناء مسجد قباء

قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بقُباء ، فى بنى عمرو ابن عوف ، يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء ويوم الخميس وأسَّس مسجده .

ثم أخرجه الله من بين أظهرهم يوم الجمعة . وبنو عمرو بن عوف يزعمون أنه مكث فيهم أكثر من ذلك ، فالله أعلم أىّ ذلك كان . فأدركتْ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم الجمعة فى بنى سالم بن عوف ، فصلاها فى المسجد الذى فى بطن الوادى ، وادى رانُونَاء ، فكانت أوّل جمعة صلاها بالمدينة .

القبائل تعترضه لينزل عندها

فأتاه عِتْبان بن مالك ، وعبَّاس بن عُبادة بن نَضلة فى رجال من بنى سالم ابن عوف ، فقالوا : يارسول الله . أقم عندنا فى العدد والعدّة والمَنَعَة ؛ قال : خلُّوا سبيلَها ، فإنها مأمورة ، لناقته : فخلُّوا سبيلَها ، فانطلقت حتى إذا وازنت دار بنى بَياضَة ، تلقّاه زياد بن لَبيد، وفَرْوة بن عمرو ، فى رجال من بنى بَياضَة . فقالوا : يارسول الله : هلمّ إلينا ، إلى العَدد والعُدّة والمَنَعَة ؛ قال : خلوا سبيلها فإنها مأمورة ، فخلَّوا سبيلها . فانطلقت ، حتى إذا مرّت بدار بنى ساعدة ، اعترضه سعدُ بن عُبادة ، والمنذر بن عمرو ، فى رجال من بنى ساعدة ، فقالوا :

رفع المسهم

يارسول الله ، هلمّ إلينا إلى العدد والعدة والمنعة ؛ قال : خلوا سبيلها ، فإنها مأمورة ، فخلَّوا سبيلَها، فانطلقت ، حتى إذا وازنت دارَ بنى الحارث بن الخزرج، اعترضه سعدُ بن الربيع ، وخارجةُ بن زيد ، وعبد الله بن رَوَاحة ، فى رجال من بنى الحارث ابن الخزرج فقالوا : يارسول الله هلمّ إلينا إلى العدد والعدة والمنعة ، قال : خلوا سبيلها ، فإنها مأمورة ، فخلوا سبيلها . فانطلقت ، حتى إذا مرّت بدار بنى عدىّ بن النجار ، وهم أخواله دِنْيا ـ أم عبد المطلب ، سَلْمى بنت عمرو ، إحدى نسائهم ـ اعترضه سَليط بن قيس ، وأبو سَليط أُسيرة ابن أبى خارجة ، فى رجال من بنى عدىّ بن النجّار،فقالوا : يارسول الله ، هلمّ إلى أخوالك ، إلى العدد والعدّة والمنعة ؛ قال : خلوا سبيلها فإنها مأمورة ، فخلوا سبيلها ، فانطلقت .

مبرك الناقة بدار بنى مالك بن النجار

حتى إذا أتت دار بنى مالك بن النجّار ، بركت على باب مسجده، صلى الله عليه وسلم ، وهو يومئذ مِرْبدٌ لغلامين يتيمَيْن من بنى النجّار ، ثم من بنى مالك بن النجّار ، وهما فى حِجْر مُعاذ بن عَفْراء ، سَهْل وسُهيل ابنى عمرو . فلما بَرَكت ـ ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم عليها ـ لم ينزل ، وثبت فسارت غيرَ بعيد،ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع لها زِمامها لا يَثْنيها به، ثم التفتت إلى خلفها فرجعتْ إلى مَبْرَكِها أوّل مرّة ، فبركت فيه،ثم تَحَلْحَلَتْ وَرَزَمَتْ ووضعتْ جِرانها ، فنزل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاحتمل أبو أيوب خالدُ بن زيد رَحْلَه ، فوضعه فى بيته ، ونزل عليه رسولُ الله صلى الله

رفع المسهم

عليه وسلم ، وسأل عن المِرْبَد لمن هو ؟ فقال له مُعاذ بن عَفْراء : هو يارسول الله لسَهْلٍ وسُهَيْل ابنى عمرو ، وهما يتيمان لى ، وسأرضيهما منه ، فاتخذه مسجدا .

المسجد والمسكن

قال : فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُبنى مسجدا ، ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي أيُّوب حتى بنى مسجده ومساكنه ، فعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرغِّب المسلمين فى العمل فيه ، فعمل فيه المهاجرون والأنصار ، ودأبوا فيه ، فقال قائل من المسلمين :

لَئِنْ قعدنا والنَّبِيُّ يَعْمَلُ ... لَذَاكَ منَّا العملُ المضلَّلُ

وارتجز المسلمون وهم يبنونه يقولون :

لاعَيْشَ إلا عَيْشُ الآخرهْ ... اللهمّ ارحم الأنصار والمُهَاجِرَهْ

قال ابن هشام : هذا كلام وليس برجز .

قال ابن إسحاق : فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : لاعيش إلا عيش الآخرة ، اللهم ارحم المهاجرين والأنصار .

عمار والفئة الباغية

قال : فدخل عمَّار بن ياسر ، وقد أثقلوه باللَّبِن ، فقال : يارسول الله ، قتلونى ، يَحْمِلون علىَّ مالا يحملون . قالت أمّ سَلَمَة زوجُ النبىّ صلى الله عليه وسلم:

فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفُضُ وَفْرته بيده ، كان رجلا جَعْدا ، وهو يقول : ويحَ ابن سُميَّة ، ليسوا بالذين يقتلونك ، إنما تقتلك الفئةُ الباغية .

ارتجاز على

وارتجز على بن أبى طالب رضى الله عنه يومئذ :

لايستوى من يَعْمُرُ المَساجدا يدأب فيه قائما وقاعدا

ومَنْ يُرَى عن الغبار حائدا

قال ابن هشام : سألت غير واحد من أهل العلم بالشعر ، عن هذا الرجز ، فقالوا : بلغنا أن علىّ بن أبى طالب ارتجز به ، فلا يُدْرى : أهو قائله أم غيرُه .

مشادة عمار

قال ابن إسحاق : فأخذها عمَّار بن ياسر ، فجعل يرتجز بها .

قال ابن هشام : فلما أكثر ، ظنّ رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه إنما يُعرّض به ، فيما حدثنا زياد بن عبد الله البَكّائىّ ، عن ابن إسحاق ، وقد سمّى ابنُ إسحاق الرجل .

الرسول صلى الله عليه وسلم يوصى بعمار

قال ابن إسحاق : فقال : قد سمعتُ ماتقول منذ اليوم يابن سُميَّة ، والله إنى لأرانى سأعرض هذه العصا لأنفك . قال : وفى يده عصا . قال : فغضب

رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : مالهم ولعمَّار ، يدعوهم إلى الجنة ، ويدعونه إلى النار ، إن عمارا جِلْدة ما بين عينيّ وأنفى ، فإذا بلغ ذلك من الرجل فلم يُسْتبق فاجتنبوه .

إضافة بناء أول مسجد إلى عمار

قال ابن هشام : وذكر سُفيان بن عُيينة عن زكريا ، عن الشَّعبيّ ، قال : إن أوَّل من بنى مَسجداً عمَّارُ بن ياسر .

الرسول صلى الله عليه وسلم فى بيت أبى أيوب

قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيت أبى أيوب ، حتى بُنى له مسجدُه ومساكنه ، ثم انتقل إلى مساكنه من بيت أبى أيوب ، رحمة الله عليه ورضوانه .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يزيد بن أبى حَبيب ، عن مَرْثَد بن عبد الله اليَزَنى ، عن أبى رُهْم السِّماعى ، قال : حدثنى أبو أيوب ، قال : لما نزل علىَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى بيتى ، نزل فى السُّفْلِ ، وأنا وأمّ أيوب فى العُلو ، فقلت له : يانبىّ الله ، بأبى أنت وأمى ، إنى لأكره وأعظم أن أكون فوقك ، وتكون تحتى ، فاظهَرْ أنت فكن فى العُلو ، وننزل نحن فنكون فى السُّفْلِ ، فقال : يا أبا أيوب ، إنّ أرفق بنا وبمن يَغشانا ، أن نكون فى سُفْل البيت .

قال : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سُفْلِه ، وكنا فوقه فى المسكن ، فلقد انكسر حُبٌّ لنا فيه ماء فقُمت أنا وأمّ أيوبَ بقَطِيفَةٍ لنا ، مالنا لحاف غيرها ، نَنْشَف بها الماءَ ، تخوفا أن يَقْطُرَ على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم – منه شىء فيؤذيه .

قال : وكنا نصنع له العَشاء ، ثم نبعث به إليه ، فإذا ردّ علينا فضلَه تيمَّمْت أنا وأمُّ أيوب موضعَ يده ، فأكلنا منه نبتغى بذلك البركة ، حتى بعثنا إليه ليلة بعَشائه وقد جعلنا له بصلا أو ثُوماً ، فردّه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ولم أرَ ليده فيه أثراً قال : فجئتُه فَزِعا ، فقلت : يارسول الله ، بأبى أنت وأمى رددتَ عشاءك ، ولم أر فيه موضع يدك ، وكنتُ إذا رددته علينا ، تَيَمَّمْتُ أنا وأمّ أيوب موضع يدك ، نَبتغى بذلك البركة ؛ قال : إنى وجدت فيه ريح هذه الشجرة ، وأنا رجل أُناجى ، فأمّا أنتم فكلوه . قال : فأكلناه ، ولم نصنع له تلك الشجرة بعد .

تلاحق المهاجرين

قال ابن إسحاق : وتلاحق المهاجرون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يبق بمكة منهم أحد ، إلا مفتون أو محبوس ، ولم يُوعِبْ أهلُ هجرة من مكة بأهليهم وأموالهم إلى الله تبارك وتعالى وإلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أهلُ دور مُسمَّون : بنو مظعون من جُمح ؛ وبنو جَحْش بن رِئاب ، حلفاء بنى أُميَّة ؛ وبنو البُكير ، من بنى سعد بن ليث ، حلفاء بنى عدىّ بن كعب ، فإن دُورَهم غُلِّقت بمكة هجرةً ، ليس فيها ساكن .

قصة أبي سفيان مع بني جحش

ولما خرج بنو جحش بن رِئاب من دارهم ، عدا عليها أبو سفيان بن حرب فباعها من عمرو بن عَلْقمة ، أخي بني عامر بن لؤيّ ؛ فلما بلغ بني جَحْش ما صنع أبو سفيان بدارهم ، ذكر ذلك عبد الله بن جحش لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا ترضى يا عبد الله أن يعطيَك الله بها دارا خيرا منها في الجنة ؟ قال : بلى ؛ قال : فذلك لك . فلما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة كلمه أبو أحمد في دارهم ، فأبطأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال الناس لأبي أحمد : يا أبا أحمد ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره أن ترجعوا في شيء من أموالكم أُصيب منكم في الله عزّ وجلّ ، فأمسك عن كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال لأبي سفيان :

أبلغْ أبا سفيان عن أمرٍ عواقبُه ندامَهْ
دارَ ابن عمك بِعتَها تَقضى بها عنك الغَرامهْ
وحليفُكم بالله ربّ الناس مجتهد القَسامهْ
اذهب بها ، اذهب بها طُوِّقتها طوقَ الحمامة

انتشار الإسلام ومن بقي على شركه

قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة إذ قَدِمها شهرَ ربيع الأوّل ، إلى صفر من السنة الداخلة ، حتى بُنى له فيها مسجدُه ومساكنه واستجمع له إسلام هذا الحيّ من الأنصار ، فلم يبق دار من دور

الأنصار إلا أسلم أهلها ، إلا ما كان من خَطْمة ، وواقف ، ووائل ، وأُميَّة ، وتلك أوس الله ، وهم حيّ من الأوس ، فإنهم أقاموا على شركهم .

الخطبة الأولى

وكانت أوّل خُطْبة خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما بلغني عن أبي سَلَمة بن عبد الرحمن — نعوذ بالله أن نقول على رسول الله صلى الله عليه وسلم مالم يقل — أنه قام فيهم ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : أما بعد ، أيها الناس ، فقدّموا لأنفسكم تَعَلَّمُنَّ والله ليُصْعَقَنّ أحدكم ، ثم ليَدَعَنّ غَنَمه ليس لها راع ، ثم ليقولنّ له ربه ، وليس له تَرجمان ولا حاجبٌ يحجبُه دونه : ألم يأتك رسولي فبلَّغك ، وآتيتك مالاً وأفضلت عليك ؟ فما قدّمتَ لنفسك ؟ فلَينظُرنّ يمينا وشمالا فلا يرى شيئا ، ثم ليَنظرن قدامه فلا يرى غير جهنم . فمن استطاع أن يقي وجهه من النار ولو بشِقّ من تمرة فليفعل ، ومن لم يجد فبكلمة طَيبة ، فإن بها تُجزى الحسنة عشر أمثالها ، إلى سبعمائة ضعف ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الخطبة الثانية

قال ابن إسحاق : ثم خطب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الناس مرّة أخرى ، فقال : إنّ الحمدَ لله ، أحمده وأستعينه ، نعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يُضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . إنّ أحسن الحديث كتاب الله تبارك

رفع المسهم

وتعالى ، قد أفلح من زَيَّنه الله فى قلبه ، وأدخله فى الإسلام بعد الكفر ، واختاره على ماسواه من أحاديث الناس ، إنه أحسنُ الحديث وأبلغه ، أحبُّوا ، ماأحبّ الله ، أحبُّوا الله من كلّ قلوبكم ، ولا تَمَلُّوا كلامَ الله وذكرَه ، ولا تَقْسُ عنه قلوبكم فإنه من كُلّ مايخلق الله يختار ويصطفى ، قدسماه الله خِيرته من الأعمال ، ومُصطفاه من العباد ، الصالح الحديث ، ومن كلّ ما أوتى الناس من الحلال والحرام ، فاعبدوا الله ولاتشركوا به شيئا ، واتقوه حقّ تقاته ، واصدُقوا الله صالح ماتقولون بأفواهكم ، وتحابُّوا بروح الله بينكم ، إن الله يغضب أن ينُكَث عهدُه ، والسلام عليكم .

كتاب الموادعة لليهود

قال ابن إسحاق : وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا بين المهاجرين والأنصار ، وادعَ فيه يهود وعاهدهم ، وأقرّهم على دينهم وأموالهم ، وشرط لهم واشترط عليهم :

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من محمد النبيّ صلى الله عليه وسلم ، بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويَثرب ، ومن تبعهم ، فلحق بهم ، وجاهد معهم ، إنهم أمة واحدة من دون الناس ، المهاجرون من قريش على رِبْعتهم يتعاقلون ، بينهم ، وهم يَفدون عانِيَهم بالمعروف والقِسط بين المؤمنين : وبنو عَوْف على رِبْعتهم يتعاقلون مَعاقلهم الأولى ، كلّ طائفة تَفْدى عانِيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو ساعدة على رِبْعَتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكلّ طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ،

وبنو الحارث على رِبْعَتِهِمْ يَتَعاقَلُون مَعاقِلَهم الأولى ، وكلّ طائفة تفدى عانِيهاَ بالمعروف والْقِسْطِ بين المؤمنين ، وبنو جُشَم على رِبْعَتِهِمْ يتعاقلون معاقلَهم الأولى ، وكلّ طائفة منهم تفدى عانِيهاَ بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو النجّار على رِبْعَتِهم يتعاقلون معاقلَهم الأولى ، وكلّ طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو عمرو بن عَوْف على رِبْعَتِهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكلّ طائفة تفدى عانِيهاَ بالمعروف والقِسط بين المؤمنين ، وبنو النَّبِيت على رِبعَتِهم يتعاقلون معاقلَهم الأولى ، وكلّ طائفة تفدى عانِيهاَ بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو الأوس على رِبعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكلّ طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وإن المؤمنين لا يتركون مُفْرَحا بينهم أن يُعطوه بالمعروف فى فِداء أو عَقْل .

قال ابن هشام : المُفْرَح : المُثْقل بالدين والكثير العيال . قال الشاعر :

إذا أنت لم تَبرَحْ تُؤَدِّى أمانةً ... وتحملُ أخرى أَفْرَحتْك الودائعُ

وأن لا يحالف مؤمنٌ مولى مؤمن دونه ؛ وإن المؤمنين المتقين على من بغى منهم ، أو ابتغى دَسِيعة ظُلْم ، أو إثم ، أو عدوان ، أو فساد بين المؤمنين ؛ وإن أيديهم عليه جميعا ، ولو كان وَلَدَ أحدهم ؛ ولا يَقْتلُ مؤمنٌ مؤمنا فى كافر ، ولا ينصر كافرا على مؤمن ، وإن ذمة الله واحدة ، يُجير عليهم أدناهم ، وإن المؤمنين بعضهم موالى بعض دون الناس ، وإنه من تَبِعنا من يَهُودَ فإن له النصرَ والأُسْوَة ، غير مظلومين ولا متناصرين عليهم ؛ وإنّ سِلْم المؤمنين

واحدة ، لا يسالم مؤمن دون مؤمن فى قتال فى سبيل الله ، إلا على سواء وعدل بينهم ، وإن كلّ غازية غزت معنا يُعقب بعضها بعضا ، وإن المؤمنين يُبىء بعضُهم على بعض بما نال دماءهم فى سبيل الله ، وإن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه ؛ وإنه لا يجير مشرك مالا لقريش ، ولا نفسا ، ولا يحول دونه على مؤمن ، وإنه من اعتبط مؤمنا قتلا عن بَيِّنة فإنه قَوَدٌ به إلا أن يرضى ولىّ المقتول ، وإن المؤمنين عليه كافة ، ولا يحلّ لهم إلا قيامٌ عليه ، وإنه لا يحلّ لمؤمن أقرّ بما فى هذه الصحيفة ، وآمن بالله واليوم الآخر ، أن ينصر مُحْدِثا ، ولا يُؤويه ؛ وأنه مَن نصره أو آواه فان عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ، ولا يؤخذ منه صَرْفٌ ولا عَدْل ، ولكنكم مهما اختلفتم فيه من شىء فإن مردّه إلى الله عزّ وجلّ ، وإلى محمد صلى الله عليه وسلم ، وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين ، وإن يهود بنى عَوف أُمَّة مع المؤمنين ، لليهود دينهم ، وللمسلمين دينهم ، مواليهم وأنفسهم ، إلا من ظَلم وأثم ، فانه لا يُوتِغ إلا نفسَه ، وأهلَ بيته ، وإن لِيَهُودِ بنى النَّجّار مثل ما ليهود بنى عَوْف ، وإن ليهود بنى الحارث مثل ما ليهود بنى عوف ، وإن ليهود بَنى ساعدة مثل ما ليهود بنى عَوْف ، وإن ليهود بنى جُشَم مثل ماليهود بنى عَوْف ، وإن ليهود بنى الأوس مثل ماليهود بنى عوف ، وإن ليهود بنى ثَعْلبة مثل ماليهود بنى عوف ، إلا من ظَلم وأثم ، فانه لا يُوتغ إلا نفسه وأهلَ بيته ، وإن جَفْنة بطن من ثعلبة كأنفسهم ؛ وإن لبنى الشُّطَيبة مثل ما ليهود بنى عَوف ، وإن البِرّ دون الإثم ، وإن موالى ثَعْلبة كأنفسهم ؛ إن بِطَانة يهود كأنفسهم ؛ وإنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد صلى الله عليه وسلم ، وإنه لا ينحجز على ثار

جُرْح ، وإنه من فَتك فبنفسه فتك ، وأهلِ بيته ، إلا من ظَلم ، وإن الله على أبرّ هذا ، وإن على اليهود نفقتَهم وعلى المسلمين نفقتهم ، وإن بينهم النصرَ على من حارب أهلَ هذه الصحيفة ، وإن بينهم النصح والنصيحة ، والبرّ دون الإثم ، وإنه لم يأثم امرؤ بحليفه ، وإن النصر للمظلوم ، وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين ، وإن يَثْرب حرام جَوْفها لأهل هذه الصحيفة ، وإن الجار كالنفس غير مُضارّ ولا آثم ، وإنه لا تُجار حُرْمة إلا بإذن أهلها ، وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة مِن حَدَث أو اشْتِجَارٍ يُخاف فسادُه ، فانَّ مردَّه إلى الله عزّ وجلّ ، وإلى محمد رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وإن الله على أتْقى مافى هذه الصحيفة وأبرّه ، وإنه لا تُجار قريش ولا من نصرها ، وإن بينهم النصر على من دَهم يثرب ، وإذا دُعوا إلى صلح يصالحونه ويَلْبسونه ، فانهم يصالحونه ويلبسونه ، وإنهم إذا دُعوا إلى مثل ذلك فانه لهم على المؤمنين ، إلا مَنْ حارب فى الدين ، على كلّ أناس حصّتهم من جانبهم الذى قِبَلهم ، وإن يهود الأوس ، مواليَهم وأنفسهم ، على مثل ما لأهل هذه الصحيفة ، مع البر المحض ، من أهل هذه الصحيفة .

قال ابن هشام : ويقال : مع البرّ المُحسن من أهل هذه الصحيفة .

قال ابن إسحاق : وإن البرّ دون الإثم ، لا يكسب كاسبٌ إلا على نفسه ، وإن الله على أصدق مافى هذه الصحيفة وأبرّه ، وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم وآثم ، وإنه من خرج آمنٌ ، ومن قعد آمِن بالمدينة ، إلا من ظَلم أو أثم ، وإن الله جار لمن برّ واتقى ، ومحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

. . . .

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

قال ابن إسحاق : وآخى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه من المهاجرين والأنصار ، فقال – فيما بلغنا ، ونعوذ بالله أن نقول عليه مالم يَقل : تآخَوا فى الله أخَوَيْن أخوين ، ثم أخذ بيد علىّ بن أبى طالب ، فقال : هذا أخى فكان رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم سيِّدَ المرسلين ، وإمام المتقين ، ورسول ربّ العالمين ، الذى ليس له خطير ولا نظير من العباد ، وعلىٌّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، أخَوَيْن ، وكان حمزةُ بن عبد المطلب ، أسدُ الله وأسدُ رسوله صلى الله عليه وسلم ، وعمُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وزيدُ ابن حارثة ، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أخَوَيْن ، وإليه أوصى حمزةُ يوم أُحد حين حضره القتال إن حدث به حادث الموت ، وجعفرُ بن أبى طالب ذو الجناحين ، الطيَّار فى الجنة ، ومعاذُ بن جبل ، أخو بنى سلمة ، أخَوين .

قال ابن هشام : وكان جعفر بن أبى طالب يومئذ غائبا بأرض الحبشة .

قال ابن إسحاق : وكان أبو بكر الصدّيق رضى الله عنه ، ابن أبى قُحافة ، وخارجة بن زُهير ، أخو بَلْحارث بن الخزرج ، أخوين ، وعمر بن الخطَّاب رضى الله عنه ، وعِتْبان بن مالك ، أخو بنى سالم بن عَوف بن عمرو بن عَوف بن الخزرج أخوين ؛ وأبو عُبيدة بن عبد الله بن الجراح ، واسمه عامر بن عبد الله ، وسعد بن معاذ بن النعمان ، أخو بنى عبد الأشهل ، أخوين . وعبد الرحمن بن عَوْف ، وسعد بن الربيع ، أخو بَلْحارث بن الخزرج ، أخوين . والزبيرُ

ابن العوّام ، وسلامة بن وَقْش ، أخو بنى عبد الأشهل ، أخَوين . ويقال : بل الزبير وعبدُ الله بن مسعود ، حليف ، بنى زهرة ، أخوين ، وعثمان ابن عفّان ، وأوس بن ثابت بن المنذر ، أخو بنى النجّار ، أخوين . وطلحة بن عُبيد الله ، وكعب بن مالك ، أخو بنى سلمة ، أخَوين . وسعيد بن زيد بن عمرو بن نُفيل ، وأُبىّ بن كَعْب ، أخو بنى النجّار : أخوين ؛ ومُصعب بن عُمير بن هاشم ، وأبو أيُّوب خالد بن زيد ، أخو بنى النجّار : أخوين ؛ وأبو حذيفة بن عُتبة بن ربيعة وعبَّاد بن بشر بن وَقْش ، أخو بنى عبد الأشهل : أخوين . وعمَّار بن ياسر ، حليف بنى مَخْزوم ، وحُذيفةُ بن اليمان ، أخو بنى عبد عَبْس ، حليف بنى عبد الأشهل : أخوين . ويقال : ثابت بن قيس بن الشَّماس ، أخو بَلْحارث بن الخَزْرَج ، خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعمَّار بن ياسر : أخوين . وأبو ذرّ ، وهو بُرَير بن جُنَادة الغِفارىّ والمُنْذر ابن عمرو ، المُعْنِق ليموت ، أخو بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج : أخوين .

قال ابن هشام : وسمعت غير واحد من العلماء يقول : أبو ذرّ : جُنْدَب ابن جُنادة .

قال ابن إسحاق : وكان حاطب بن أبى بَلْتعة ، حليف بنى أسد بن عبد العزّى وعُوَيم بن ساعدة ، أخو بنى عمرو بن عوف ، أخوين ، وسَلْمان الفارسى ، وأبو الدَّرْداء ، عُوَيمر بن ثعلبة ، أخو بَلْحارث بن الخَزْرج ، أخوين .

قال ابن هشام : عُويمر بن عامر ، ويقال : عُويمر بنُ زيد .

قال ابن إسحاق : وبلال ، مولى أبي بكر رضي الله عنهما ، مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو رُوَيْحة ، عبد الله بن عبد الرحمن الخثعمي ، ثم أحدُ الفزع ، أخوين . فهؤلاء من سُمّي لنا ، ممن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم آخَى بينهم من أصحابه .

بلال يوصى بديوانه لأبي رويحة

فلما دَوّن عمر بن الخطاب الدواوين بالشام ، وكان بلالٌ قد خرج إلى الشام ، فأقام بها مُجاهدا ، فقال عمرُ لبلال : إلى من تجعل ديوانَك يا بلال ؟ قال : مع أبي رُوَيْحَةَ ، لا أفارقه أبدا ، للأُخُوة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عقد بينه وبيني ، فضمّ إليه ، وضُمّ ديوان الحبشة إلى خَثْعَم ، لمكان بلال منهم ، فهو في خَثْعم إلى هذا اليوم بالشام .

أبو أمامة

قال ابن إسحاق : وهَلك في تلك الأشهر أبو أمامة ، أسعدُ بن زرارةُ ، والمسجد يبنى ، أخذته الذبحةُ أو الشهقة .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبدالله بن أبي بكر بن محمد بن عَمْرو بن حزم ، عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أسعد بن زُرَارَة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : بئس الميتُ أبو أمامة ، ليَهود ومُنافقوا العرب يقولون : لو كان نبيا لم يمت صاحبه ، ولا أملك لنفسي ولا لصاحبي من الله شيئا .

. . . .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قَتَادَة الأنصاريّ : أنه لما مات أبو أُمَامَة ، أسعدُ بن زُرَارَةَ ، اجتمعت بنو النجّار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أبو أمامة نَقِيبَهم ، فقالوا له : يارسول الله ، إن هذا قد كان منّا حيثُ قدعلمتَ ، فاجعلْ منّا رجلا مكانه يُقيم من أمْرنا ما كان يُقيم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم : أنتم أخوالى ، وأنا بما فيكم ، وأنا نَقِيبكم ، وكره رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن يخصّ بها بعضَهم دون بعض . فكان من فضل بنى النجّار الذى يَعُدّون على قومهم ، أن كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم نقيبَهم .

بلاد فى طريق الهجرة :

وذكر أن دليلَهما سلك بهما عُسْفَان . قال المؤلف رضى الله عنه : وقد روى عن كثير أنه قال : سُمى عُسْفَان لتعسُّفِ السيول فيه ، وسُئل عن الأبواء(١) الذى فيه قبرُ آمنَة أمّ النبى صلى الله عليه وسلم : لم سمى الأبواء ؟ فقال: لأن السيول تَتَبَوّءه أى : تحل به ، وبعسفان فيما رُوِى كان مسكن الجُذَماء ، ورأيت فى بعض المسندات أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بعُسْفَان وبه الجُذَماء فأسرع المشى ولم ينظر إليهم ، وقال : إن كان شىء من العِلل يعدى

---

(١) عسفان : قيل منهلة من مناهل الطريق بين الجحفة ومكة ، وقيل : عسفان بين المسجدين ، وهى من مكة على مرحلتين ، وقيل : هو قرية جامعة على ستة وثلاثين ميلا من مكة ، وهى حد تهامة . والأبواء : قرية من أعمال الفرع من المدينة بينها وبين الجحفة مما يلى المدينة ثلاثة وعشرون ميلا ، وقيل : جبل عن يمين آره ويمين المصعد إلى مكة من المدينة (المراصد) .

. . . .

فهو هذا ، وهذا الحديث هو من روايتى ، لأنه فى مسند الحارث بن أبى أسامة، وقد تقدم اتصال سندى به ، وكنت رأيته قبل فى مسند وَكيع بن الجراح ، وليس لى فيه إسناد .

فصل : وذكر أن دليلَهم سلك بهم أَمَجاً ثم ثنية الْمَرَة ، كذا وجدته مخفف الراء مقيدا ، كأنه مُسَهِّل الهمزة من المرأة .

وذكر لَقفاً بفتح اللام مقيدا فى قول ابن إسحاق ، وفى رواية ابن هشام : لَفتاً ، واستشهد ابن هشام بقول مَعْقِل [بن خُوَيْلِد] الهُذلىّ :

نَزيعاً مُحْلِبا من أهل لِفْتٍ لِحَىٍّ بين أَثْلَةَ فالنِّجَام(١)

وألفيت فى حاشية الشيخ على هذا الموضع قال : لِفْتٌ بكسر اللام ألفيته فى شعر مَعْقِل هذا فى أشعار هُذَيل فى نسختى ، وهى نسخة صحيحة جدا ، وكذلك ألفاه مَنْ وثقته وكلفته أن ينظر فيه لى فى شعر مَعْقل هذا فى أشعار

---

(١) النزيع : الغريب والبعيد أو من أمه سبية أو الشريف . والمحلب : المعين من غير قومك . وقد رواه اللسان فى مادة حلب :

صريح مُحلب من أهل نجد . . إلخ .

وفى المراصد عن لفت : قيده القاضى عياض على ثلاثة أوجه : بفتح اللام وسكون الفاء ولفت بالتحريك ، وبكسر اللام وسكون الفاء وهى ثنية بين مكة والمدينة قيل : هى ثنية جبل قديد وستأتى والبيت والذى بعده فى معجم البكرى فى مادة لفت ، صريحا محليا ، وقد ضبطها بكسر اللام وفتحها فقط مع سكون الفاء .

. . . .

هُذَيلٌ مكسور اللام فى نسخة أبى عِلى القَالى المقروءة على الزيادى ، ثم على الأحول ، ثم قرأتها على ابن دُرَيْد رحمه الله ، وفيها صَرِيحاً مُخْلِبا ، وكذلك كان الضَبْطُ فى هذا الكتاب قديما ، حتى ضبطته بالْفَتْح عن القاضى ، وعلى ماوقع فى غيرها انتهى كلام أبى بحر . وقد ذكر أبو عُبَيْد البَكْرِى : لِفتاً ، فقيده بكسر اللام كما ذكر أبو بحر وأنشد قبله :

لَعَمْرُكَ ماخشيت ، وقد بلغنا جبالَ الجَوْزِ من بَلَدٍ تَهَام

صريحا مُخلِباً البيت .

وذكر المواضع التى سلك عليها ، وذكر فيها مِجَاج بكسر الميم وجيمين ، وقال ابن هشام : ويقال فيها : مَجاج بالفتح ، وقد ألفيت شاهداً لرواية ابن إسحاق فى لَقْف ، وفيه ذكر مَجاح بالحاء المهملة بعد الجيم ، وهو قول محمد ابن عُرْوة بن الزُّبير :

لعن الله بطْنَ لَقْفٍ مَسِيلاً ومَجَاحاً وما أُحِبُّ مَجَاحَا

لَقِيَتْ ناقتى به ، وبِلَقْفٍ بلداً مُجْدِباً وأرضاً شَحَاحَا

هكذا ذكره الزبير بن أبى بكر ، ولقف آخر غـــير لَفْتٍ فيما قال البكرى .

وذكر مَرْجِحَ بتقديم الجيم على الحاء ، وذكر مَدْلِجَة تِعْهِن[1] بكسر التاء

---

(١) فى النهاية لابن الأثير : قال أبو عبيد : إنما هو الجد وهو البئر الجيدة المواضع من الكلأ .

والهاء ، والتاء فيه أصلية على قياس النحو فوزنه فِعْلِل إلا أن يقومَ دليل من اشتقاق على زيادة التاء ، أو تصح رواية من رواه تُعْهِن بضم التاء ، فإن صحَّت فالتاء زائدة ، كسرت أو ضمت[1] وبِتِعْهِن صخرة ، يقال لها : أم عِقْى عُرفت بامرأة كانت تسكن هنالك ، فمر بها النبي صلى الله عليه وسلم واستسقاها فلم تسقه ، فدعا عليها فمُسِخَت صخرة ، فهى تلك الصخرة فيما يذكرون .

وذكر الجَدَاجِدَ بجيمين ودالين كأنها جمع جُدْجُد ، وأحسبها آباراً ففى الحديث : أتينا على بئر جُدْجُد ، قال أبو عبيد : الصواب : بئر جُدّ أى قديمة ، وقال الهَرَوِيُّ عن اليزيدى : وقد يقال : بئر جدجد قال : وهو كما يقال فى الكم كمكم وفى الرَّفِّ رَفْرَف .

وذكر العبابيد كأنه جمع عبَاد ، وقال ابن هشام : هى العبَابِيب ، كأنها جمع : عُبَاب من عَبَبْتُ الماءَ عباً ، فكأنها - والله أعلم - مياه تَعُبُّ عُبابا أو تُعَبُّ عَبًا .

وذكر الفاجَّة بفاء وجيم ، وقال ابن هشام : هى : القاحَّة بالقاف والحاء[2] .

---

(١) فى المراصد : ضبط تعهن : بكسر أوله وهائه وتسكين العين وآخره نون اسم عين ماء على ثلاثة أميال من السقيا بين مكة والمدينة . وفى معجم البلدان روى بفتح أوله كسر هائه وبضم أوله .

(٢) هى - كما قال ابن هشام - فى المراصد ، وأنها على ثلاث مراحل من المدينة قبل السقيا ، وقيل : موضع بين الجحفة وقديد .

رفع
المسهمام
غفر الله له ولوالديه

. . . .

قصة أوس بن حجر :

وذكر قدومَهم على أوس بن حجر ، وهو أَوْسُ بن عَبْد الله بن حُجْر الأسْلَمِىّ ، وبعضهم يقول فيه : ابن حَجَر ،وهو قول الدَّارَقُطْنى ، والمعروف ، ابن حُجْر بضم الحاء ، وقد تقدم فى المبعث ذكر من اسمه حجر(١) فى أنساب قريش ، ومن يسمى : حُجْرا من غيرهم بسكون الجيم ، ومن يسمى الحجر بكسر الحاء ، فانظره هنالك عند ذكر خديجة وأمها ، ولا يختلف فى أوس بن ابن حَجَر أنه بفتحتين .

وذكر أن أوسا حمل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على جَمَل له ، يقال له : ابن الرداء ، وفى رواية يونس بن بكير عن ابن إسحق يقال له : الرَّدَاح ، وفى الخطابى أنه قال لغلامه مسعود ، وهو مسعود بنُ هُنَيْدَة : اسلُك بهم المخارق بالقاف ، قال : والصحيح المخارِم ، يعنى : مخارِم الطريق ، وفى النَّسَوىّ أن مسعودا هذا قال : فكنت آخذ بهم إخفاء الطريق . وفِقْه هذا أنهم كانوا خائفين ، فلذلك كان يأخذ بهم إخفاء الطريقِ ومخارقَه ، وذكر

---

(١) فى الاشتقاق : أوس بن حجر بفتح الحاء والجيم ،وفيه أيضا : « وقد سمت العرب حجرا وحجراً ، وحجيرا »ص ٢٠٧ .

وفى القاموس : « حجر بالضم وبضمتين : والد امرىء القيس وجده الأعلى وابن ربيعة ، وابن عدى وابن النعمان وابن يزيد صحابيون ، وابن العنبس : تابعى وبالتحريك والد أوس الصحابى ، ووالد الجاهلى الشاعر ، ووالد أنس المحدث ، أوهما بالفتح .

. . . .

النَّسوِى فى حديث مسعود هذا : أن أبا بكر قال له : ائت أبا تميم ، فقل له : يحملنى على بعير ويبعث إلينا بزاد ، ودليل يدلنا ، فنى هذا أن أوْساً كان يُكنَّى أبا تميم ، وأن مسعوداً هذا قد روى عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وحفظ عنه حديثا فى الخمس وحديثا فى صلاة الإمام بالواحد والإثنين ذكره النَّسوِى فى هذا الحديث ، غير أنه قال فى مسعود هذا : غلام فَرْوَة الأسْلَمى . وقال أبو عُمر : قد قيل فى أوس هذا إن اسمَه تميم ، ويكنى أبا أوس فالله أعلم[1] .

وروى أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال لمسعود حين انصرف إلى سيده مُرْسيدك أن يَسِم الإبلَ فى أعناقها قَيْدَ الفَرَسِ[2] ، فلم تَزَلْ تلك سِمَتَهم فى إبلهم ، وقد ذكرنا فى شرح قصيدة أبى طالب عند قوله : مُوَسَّمة الأعضاد أسماء السِّمات كالْعِراض والخِبَاط والهلال ، وذكرنا قَيْدَ الفرس ، وأنه سِمَة فى أعناقها ، وقول الراجز :

---

(١) قصة أوس لم يروها أحد من أصحاب الكتب الستة ، فالذين رووها هم البغوى وابن السكن وابن مندة أو الطبرانى . وقصة مسعود بن هنيدة عند الحاكم فى الأكليل . واسم أوس يتردد فى الإصابة تميم بن أوس بن حجر أبى أوس الأسلمى وبين أوس بن عبد الله بن حجر الأسلمى ويكنى : أبا تميم وربما ينسب إلى جده فقيل : أوس بن حجر وفيه عمن روى عنهم أنه اتى النبى صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وهما متوجهان إلى المدينة بقحدوات بين الجحفة وهرشى ، وهما على جمل ، فحملهما على فحل له من إبله . وأوس من أهل العرج . وقال ابن حبان والطبرانى : له صحبة ، ولم يخرج حديثه .

(٢) صورة هذه السمة : حلقتان بينهما مدة « مفردات ابن الأثير واللسان » وذكر الجوهرى أنها سمة تكون فى عنق البعير على صورة القيد .

رفع المسهم غفر الله له ولوالديه

. . . .

كُومٌ على أعناقِها قَيْدُ الْفَرَسِ   تَنْجُو إذا الَّيْلُ تدانى والْتَبَسْ

متى قدم الرسول صلى الله عليه وسلم المدينة ؟

كان قدومُ رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة يوم الإثنين لاثنتى عشرة من ربيع الأول ، وفى شهر أيلول من شهور الْعَجَم ، وقال غير ابن إسحاق قدمها لثمانٍ خَلَوْن من ربيع الأول ، وقال ابن الكلبى : خرج من الغار يوم الإثنين أولَ يومٍ من ربيعٍ الأول ، ودخل المدينة يوم الجمعة لِثِنْتَىْ عشرة منه ، وكانت بَيْعَة الْعَقَبة أَوْسَطَ أيَّام التَّشْرِيق(١) .

كلثوم بن الهدم :

فصل : وذكر ابن إسحاق نزول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على كُلْثُوم بن الْهِدْم ، وكُلْثُوم هذا كُنْيَتُه أبو قيس ، وهو كلثوم بن الْهِدْم ابن امْرِىء القيس بن الحارث بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس(٢) ، وكان شيخا كبيرا مات بعد قُدوم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ المدينةَ بيسير ، هو أول من مات من الأنصار بعد قدوم النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم مات بعده أسعدُ بن زُرَارَة بأيام ، وسعدُ بن خَيْثَمة ، وأنه كان يقال لبيته : بيت الْعُزَّاب هكذا روى ، وصوابُه : الأعزبُ ؛ لأنه

(١) فى الفتح : ليلة وحول تاريخ دخوله المدينة يدور خلاف شديد . انظر ص ٣٥٠ ومابعدها حـ ١ شرح المواهب للزرقانى .

(٢) فى جمهرة ابن حزم يرد بعد الحارث بن زيد ما يأتى : بن عبيد بن زيد إلخ .

. . . .

جمع عَزَبٍ ، يقال : رجل عَزَبٌ ، وامرأة عَزَبٌ ، وقد قيل : امرأة عَزَبَة بالتاء[1] .

تأسيس مسجد قباء :

فصل : وذكر تأسيس مسجدِ قُبَاء ، وأنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أسسه لبنى عَمْرو بن عَوْف ، ثم انتقل إلى المدينة ، وذكر ابن أبى خَيْثَمَة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أسسه ، كان هو أول من وضع حَجَراً فى قِبلته ، ثم جاء أبو بكر بحجَر فوضعه ، ثم جاء عُمَر بحجر فوضعه إلى حَجَرِ أبى بكر ، ثم أخذ الناسُ فى البنيان . فى الخطابى عن الشَّمُوسِ بنت النعمان [بن عامر ابن مجمع الأنصارية] قالت : كان النبى صلى الله عليه وسلم حين بنى مسجد قباء يأتى بالحجر قد صَهَرَهُ إلى بَطْنه ، فيضعه فيأتى الرجل يريد أن يُقِلَّه فلا يستطيع حتى يأمرَه أن يَدَعَه ويأخذَ غيره . يقال : صَهَره وأَصْهَره إذا ألصقه بالشىء ، ومنه اشتقاق الصِّهْر فى القرابة[2] ، وهذا المسجد أول مسجد بنى فى الإسلام ، وفى أهله نزلت ﴿ فيه رجالٌ يُحِبُّونَ أن يَتَطَهَّروا ﴾ التوبة : ١٠٨ فهو على هذا المسجد الذى أسس على التقوى ، وإن كان قد روى أبو سَعِيدٍ الْخُدْرِىّ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن المسجد الذى أسس على التقوى ، فقال : هو

---

(١) فى اللسان : رجل عزب ومعذابة لا أهل له ، ونظيره : مطرابة ومطواعة. وامرأة عزبة وعزب : لا زوج لها . . والجمع أعزاب والعزاب الذين لا أزواج لهم من الرجال والنساء .

(٢) فى رواية أخرى : فمصره إلى بطنه : أى أضافه وأماله .

. . . .

مسجدى هذا ، وفى رواية أخرى قال : وفى الآخر خير كثير ، وقد قال لبنى عمرو بن عوف حين نزلت : « لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ على التَّقوى » ما الطُّهور الذى أثنى الله به عليكم ؟ فذكروا له الاستنجاء بالماء بعد الاسْتِجْمَارِ بالحجر ، فقال : هو ذا كم فَعَلَيْكُمُوه »(١) وليس بين الحديثين تعارضٌ كلاهما أُسِّس على التقوى ، غير أن قوله سبحانه: من أول يوم يقتضى مسجد قباء لأن تأسيسه كان فى أول يوم من حُلول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ دار معجزته والبلد الذى هُو مُهَاجَرُهُ .

التاريخ العربى :

وفى قوله سبحانه : ﴿ من أول يوم ﴾ وقد عُلم أنه ليس أول الأيام كلها، ولا أضافه إلى شىء فى اللفظ الظاهر [فتعين أنه أضيف إلى شىء مضمر] فيه. من الفقه صحة ما اتفق عليه الصحابة مع عمر حين شاورهم فى التاريخ ، فاتفق رأيهُم أن يكون التاريخُ من عام الهجرة لأنه الوقت الذى عزَّ فيه الإسلام ، والذى أَمِرَ فيه النبىُّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأسس المساجدَ . وَعَبَدَ الله آمنا كما يحب(٢) ، فوافق رأيهُم هذا ظاهر التنزيل ، وفهمنا الآن بفعلهم أن قوله

---

(١) ورد هذا فى روايات بينها وبين بعضها خلاف فى الطبرانى وأحمد وابن خزيمة . وقد أخرج عبد الرزاق والبخارى عن عروة وابن عائذ عن ابن عباس : الذى بنى فيهم المسجد الذى أسس على التقوى هم بنو عمرو بن عوف . ولكن ورد فى مسلم وأحمد والترمذى عن أبى سعيد الخدرى أنه مسجد المدينة ، وبهذا جزم الإمام مالك .

(٢) نقل الحافظ فى الفتح عبارة السهيلى، فقال : « وأفاد السهيلى أن الصحابة أخذوا التاريخ بالهجرة من قوله تعالى (لمسجد أسس على التقوى من أول يوم) لأن من

. . . .

المعلوم أنه ليس أول الأيام مطلقا، فتبين أنه أضيف إلى شيء مضمر ، وهو أول الزمن الذى عز فيه الإسلام، وعبد فيه النبى «ص» ربه آمنا ، وابتدأ بناء المسجد، فوافق رأى الصحابة ابتداء التاريخ من ذلك اليوم . وفهمنا من فعلهم أن قوله تعالى من أول يوم أنه أول أيام التاريخ الإسلامى . كذا قال - يعنى السهيلى » ويعقب الحافظ على هذا بقوله : « والمتبادر أن معنى قوله من أول يوم أى دخل فيه النبى «ص» وأصحابه المدينة ، والله أعلم » .

ويقـــول ابن المنير : « كلام السهيلى تكلف وتعسف وخروج عن تقدير الأقدمين ، فإنهم قدروه : من تأسيس أول يوم فكأنه قيل : من أول يوم وقع فيه التأسيس وهذا تقدير تقتضيه العربية » ص ٣٥٣ ج ١ المواهب . وعن أمر التاريخ روى الحاكم فى الإكليل عن الزهرى أن النبى «ص» هو الذى أمر بالتاريخ وهو بقباء . والحديث معضل والمشهور خلافه. وأخرج أبو نعيم الفضل بن دكين فى تاريخه ومن طريقه الحاكم من طريق الشعبى أن أبا موسى كتب إلى عمر إنه يأتينا منك كتب ليس لها تاريخ، فجمع عمر الناس ، فقال بعضهم . أرخ بالمبعث ، وبعضهم : بالهجرة ، فقال عمر : الهجرة فرقت بين الحق والباطل ، فأرخوا بها أو بالمحرم ، لأنه منصرف الناس من حجهم ، فاتفقوا عليه ، وذلك سنة سبع عشرة ، وقيل كما روى ابن خيثمة عن ابن سيرين سنة سبع عشرة . وقيل : ست عشرة فى ربيع الأول . . . والذى يفهم من مجموع الآثار أن الذى أشار بالمحرم عمر وعثمان وعلى . . وقيل : إن أول من أرخ يعلى بن أمية حين كان باليمن حكاه مغلطاى، ورواه أحمد بإسناد صحيح عن يعلى لكن فيه انقطاع بين عمرو بن دينار ويعلى . ويقول الزرقانى : « ولم يؤرخوا بالمولد ولا بالمبعث ، لأن وقتهما لا يخلو من نزاع من حيث الاختلاف فيهما ، ولا بالوفاة النبوية لما يقع فى تذكره من الأسف والتألم على فراقه » ص ٢١٤ ج ٧ فتح البارى وص ٣٥٢ ج ١ شرح المواهب وأقول من يتدبر كلمة عمر رضى الله عنه فى وصف الهجرة يعرف لماذا اختاروا التاريخ بالهجرة دون غيره ، وعن التاريخ العربى انظر كتاب المحبر لمحمد بن حبيب ص ٥ ط الهند .

رفع
المسهم
عز الله له

. . . .

سبحانه من أول يوم أن ذلك اليوم هو أول أيام التاريخ الذى يورَّخ به الآن، فإن كان أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذوا هذا من الآية ، فهو الظن بأفهامهم ، فهُم أعلمُ الناسِ بكتاب الله وتأويله ، وأفهمُهم بما فى القرآن من إشارات وإفصاح ، وإن كان ذلك منهم عن رأيٍ واجتهاد ، فقد علم ذلك منهم قبل أن يكونوا وأشار إلى صحته قبل أن يفعل ، إذ لا يعقل قول القائل : فعلته أول يوم إلا بإضافةٍ إلى عام ٍمعلوم أو شهرٍ معلوم ، أو تاريخ معلوم، وليس هاهنا إضافة فى المعنى إلا إلى هذا التاريخ المعلوم لعدم القرائن الدالة على غيره من قرينة لفظ أو قرينة حال فتدبره ففيه معتبرٌ لمن اذَّكَّر وعِلْمٌ لمن رأى بعين فؤاده واسْتَبْصَر والحمد لله .

مِنْ ودخولها على الزمان :

وليس يحتاج فى قوله من أول يوم إلى إضمار كما قرره بعضُ النحاة : من تأسيس أول يوم ، فراراً من دخول مِنْ على الزمان ، ولو لفظ بالتأسيس لكان معناه من وقت تأسيس أول يوم ، فإضماره للتأسيس لا يفيد شيئاً ، ومِنْ تدخل على الزمان ، وغيره، ففى التنزيل ﴿ من قبل ومن بعد ﴾ والقَبْل والْبَعْد زمان ، وفى الحديث : مامن دابة إلا وهى مُصِيخَةٌ[1] يوم الجمعة من حين تطلع الشمس إلى أن تغرب ، وفى شعر النابغة [فى وصف سيوف] :

---

(١) يروى : مسيخة أى مصغية .

. . . .

تُوُرِّثْنَ من أَزْمَانِ يوم حَليمةٍ   إلى اليوم قد جُرِّبْنَ كُلَّ التَّجَارِبِ (٢)

(١) جاء فى مغنى اللبيب عن من ما يأتى تأتى على خمسة عشر وجها أحدها : ابتـــداء الغاية ، وهو الغالب عليها حتى ادعى جماعة أن سائر معانيها راجعة إليه ، وتقع لهذا المعنى فى غير الزمان نحو : من المسجد الحرام . إنه من سليمان قال الكوفيون والأخفش والمبرد وابن درستويه : وفى الزمان أيضا بدليل : من أول يوم ، وفى الحديث : فمطرنا من الجمعة إلى الجمعة . وقال النابغة :

تخيرن من أزمان يوم حليمة   إلى اليوم قد جربن كل التجارب

وقيل : التقدير من مضى أزمان يوم حليمة ، ومن تأسيس أول يوم ، ورده السهيلى بأنه لو قيل هكذا لاحتيج إلى تقدير الزمان ، وعلق الأمير فى حاشيته على هذا بقوله : « الظاهر أنه لارد وأنه لامانع من جعله نفس المضى » والتأسيس مبدأ كما تجعل الدار مبدأ للخروج ، ولا حاجة لتقدير زمن ، ثم معنى ابتداء الخروج مثلا من الدار أنه أول ماتحقق نشأ منها وكذا ابتداء العلم من زيد فى قولك أخذت العلم من زيد ، وليس بلازم أن الخروج مثلا أمر ممتد له مبدأ لما أنه يقال : خرجت من الدار بمجرد مفارقته لها ، وكذلك الابتداء فى إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة أى نداء ناشئا من يوم الجمعة ، وأما من أول يوم ، فالمراد بالتأسيس فيه : الوضع والبناء لاخصوص وضع الأساس الذى لايمتد ، وتوقف الرضى فى معنى الابتداء فى الآيتين ، وقال : الظاهر أنها بمعنى فى ، ونيابة حروف الجر بعضها عن بعض غير عزيزة ، ثم قال : الظاهر مذهب الكوفيين ، وأنها تأتى للابتداء فى الزمان إذ لامانع من قولك صمت من أول الشهر إلى آخره . ونمت من أول الليل إلى آخره ، وأقول إن من تفيد ابتداء الغاية المكانية باتفاق من البصريين والكوفيين ، بدليل أن الغاية تنتهى بعدها . ويرى الكوفيون والأخفش والمبرد وابن درستويه وبعض البصريين أنها تفيد أيضا ابتداء الغاية الزمانية . والشاهد ماذكر والحديث المروى فى البخارى : فمطرنا من الجمعة إلى الجمعة ، وقول بعض العرب الذى رواه الأخفش فى المعانى : من الآن إلى الغد .

رفع المسـاهم

. . . .

[تَقُد السَّلُوقيَّ الْمُضَاعَفَ نَسْجُهُ ويُوقِدْنَ بالصُّفَّاح نارَ الْحُبَاحِبِ]

وبين مِنْ الداخلة على الزمان ، وبين منذ فرق بديع قد بيناه فى شرح آية الوصية[1].

والبيت للنابغة الذبيانى كما قال من قصيدته التى مدح بها النعمان وأولها :

كلينى لهم يا أميمة ناصب وليل أقاسيه بطىء الكواكب

والرواية المشهورة : تخيرن بدلا من تورثن . والشاهد فى البيت قوله : من أزمان حيث جاءت من هنا لابتداء الغاية أى المسافة فى الزمان ، وقد أجاب البصريون القائلون بأنها لابتدء الغاية فى المكان فقط عن هذا بقولهم إن فى البيت حذف مضاف : أى من استقرار زمان يوم حليمة ورد عليهم بأن الأصل عدم الحذف .

ويوم حليمة نسبة إلى حليمة بنت الحارث بن أبى شمر ملك غسان ولخم ، وكان أبوها وجه جيشا إلى المنذر بن ماء السماء ، فأخرجت لهم طيبا فطيبتهم ، فقالوا مايوم حليمة بسر . يضرب مثلا فى كل أمر متعالم مشهور . وقال المبرد : هو أشهر أيام العرب. وفى هذا اليوم قتل المنذر ، وقيل قتل فى يوم عين أباغ وهو يوم وقعة بين غسان ولخم أيضا ،أنظر مجمع الأمثال رقم ٣٨١٤ ح ١ السنة المحمدية والتصريح على التوضيح لابن هشام والأزهرى ص ٧ ح ٣ ط مصطفى محمد ، ص ٢٠٥ شرح شواهد ابن عقيل للشيخ عبدالمنعم الجرجاوى ص ١٩١٤م ص ١٣ ح ٢ من مغنى اللبيب لأبى محمد جمال الدين عبد الله بن يوسف بن أحمد ابن عبد الله بن هشام ط ١٣٢٨هـ » .

(١) أنظر معنى منذ ومذ فى مغنى اللبيب تحت المادة . وفى نوادر أبى زيد : « منذ ومذ لابتداء الغاية فى الزمان، ومن لابتداء الغاية فى سائر الأشياء والزمان وإن انفرد بمنذ ومذ ، فالأصل فيه أن تدخل عليه من » ص ٢١ .

رفع المسهم

. . . .

تحلحل وتلحلح :

فصل : وذكر لقاء كل قبيلة من الأنصار له يقولون : هَلُمَّ إلينا يارسول الله إلى العَدَد والعُدَّة ، فيقول : خَلُّوا سبيلَها فإنها مأمورة حتى بَرَكَت بموضع مسجده ، وقال تَحَلْحَلَتْ ورَزَمَتْ وألقت بِجِرَانِها أى : بعنقها ، وفسره ابن قتيبة على تَلَحْلَحَ أى : لَزِم مكانه . ولم يبرح ، وأنشد :

أناس إذا قيل انفِروا قد أُتِيتُمُ أقاموا على أثقالِهِمْ وتَلَحْلَحُوا

قال : وأما تَحَلْحَلَ بتقديم الحاء على اللام فمعناه: زال عن موضعه ، وهذا الذى قاله قوى من جهة الاشتقاق ، فإن التَلَحْلُح يشبه أن يكون من لَحِحَتْ عينُه : إذا التصقت ، وهو ابن عَمِّى لَحًّا[1] .

---

(١) فى اللسان « لححت عينه تلحح لححا بإظهار التضعيف ، وهو أحد الأحرف التى أخرجت على الأصل من هذا الضرب منبهة على أصلها ودليلا على أولية حالها ، والإدغام لغة ، وفى إصلاح المنطق لابن السكيت : « كل ما كان على فعلت ساكنة التاء من ذوات التضعيف ، فهو مدغم نحو : صمت المرأة وأشباهه إلا أحرفا جاءت نوادر فى إظهار التضعيف ، وهى : لححت عينه : إذا التصقت، ومنه قيل : هو ابن عمى لحاً ، وهو ابن عم لح ولح. وقد مششت الدابة وصككت ، وقد ضببب البلد : إذا كثر ضبابه ، وقد ألل السقاء : إذا تغيرت ريحه ، وقد قطط شعره » ص ٢٤٣ إصلاح المنطق لابن السكيت ط المعارف وفى اللسان : « وهو ابن عم لح فى النكرة بالكسرة لأنه نعت للعم ، وابن عمى لحا فى المعرفة أى : لازق النسب من ذلك ، ونصب لحاً على الحال، لأن ماقبله معرفة ، والواحد والاثنان والجميع والمؤنث فى هذا سواء بمنزلة الواحد . وقال اللحيانى : هما ابنا عم لح ولحا وهما ابنا خالة ، ولا يقال: هما ابنا خال لحا ، ولا ابنا عمة لحا لأنهما

رفع المسهم

. . . .

وأما التَّحَلْحُلُ : فاشْتِقاقُه من الحَلِّ والانحلال بَيِّن ، لأنه انفِكاكُ شَيءٍ من شيء ، ولكن الرواية فى سيرة ابن إسحاق : تَحَلْحَلَتْ بتقديم الحاء على اللام ، وهو خلاف المعنى إلا أن يكون مقلوبا من تَلَحْلَحَتْ ، فيكون معناه:لصقت بموضعها ، وأقامت على المعنى الذى فسره ابن قتيبة فى تَلَحْلَحَتْ.

وأما قوله : ورَزَمَت فيقال : رَزَمت الناقة رُزُوماً إذا أقامت من الكَلَال ونُوقٌ رَزْمَى ، وأما أرْزَمَتْ بالألف ، فمعناه : رَغَتْ ، ورجّعت فى رُغَائها ، ويقال منه : أرْزَمَ الرعدُ ، وأرْزَمَت الريحُ قاله صاحب العين ، وفى غير هذه السيرة : أنها لما ألقت بِجِرَانها فى دار بنى النجار جعلَ رجُلٌ من بنى سَلِمَة ، وهو جَبَّارُ بن صَخْرٍ يَنْخُسُها رجاء أنْ تقومَ فتَبْرُك فى دارِ بنى سَلِمة ، فلم تفعل .

المربد وصاحباه :

وقوله كان المسجد مِرْبداً . المِرْبَدُ والجَرِينُ [والجُرْنُ والمِجْرَنُ] والمِسْطَحُ(١) وهو بالفارسية : مشطاح والجوخار والبَيْدَرُ والأنْدَر لغاتٌ بمعنى واحد للموضِع الذى يُجْعَل فيه الزرع والتمرُ للتَّيْبِيسِ ، وأنشد أبو حنيفة فى المِسْطَح [لتميم بن مُقْبِل] :

مفترقان ، إذ هما رجل وامرأة ، وإذا لم يكن ابن العم لحا ، وكان رجلا من العشيرة قلت : هو ابن عم الكلالة ، وابن عم كلالة وهذا والبيت الذي أنشده بن قتيبة هو لابن مقبل وروايته

فى اللسان : يحمى إذا قيل : اظعنوا . . . إلخ.

(١) المسطح تكسر ميمه وتفتح .

. . . .

ترى الأَمْعَزَ المَحْزُوَّ فيه كأنه   من الحَرِّ فى نَحْرِ الظَّهِيرَةِ مِسْطَحُ(١)

قال : والمَحْزوُّ من : حَزَوْتُ الشىء : إذا أظهرته . والمِسْطَحُ هو بالفارسية : مشطح ، وأما المِسْطَحُ الذى ، هو عُود الخِباء فعَرَبيَّة .

وذكر أن ذلك المِرْبد كان لِسَهْلٍ وسُهَيْل ابنى عَمْرٍو يتيمين فى حِجْرِ مُعَاذ بن عَفْراء ولم يعرفهما بأكثر من هذا ، وقال موسى بن عُقْبة : كانا يتيمين فى حِجْرِ أسعد بنُ زرَارَة(٢) وهما ابنا رافع بن عَمْرو بن أبى عمرو بن عُبَيْد ابنَ ثَعْلَبة بن غَنْم بن مالك بن النَّجَّار شهد سُهَيْلٌ منهما بدرا ، والمشاهِدَ كلَّها ، ومات فى خلافة عُمَر يشهد سَهْلٌ بدراً ، وشهد غيرَها ومات قبل أخيه سُهَيْل .

حول بنيان المسجد :

فصل : وذكر بُنْيَانَ المسجد إلى آخر القصة ، وفى الصحيح أنه قال : يابنى النجار ثَامِنُونى بحائطكم(٣) [هذا] حين أراد أن يتخذه مَسْجِداً ، [فقالوا : لا ، والله

---

(١) روايته فى اللسان :

إذا الأمعز المحزو آض كأنه   من الحر فى حد الظهيرة مسطح

وقد ذكره اللسان لبيان أن المسطح معناه : حصير يسف من خوص الدوم لا أن المسطح هو البيدر . والأمعز : الأرض الحزنة الغليظة ذات الحجارة أو المكان الصلب الكثير الحصى وقد فسر الأصمعى المربد بقوله : كل شىء حبست فيه الإبل أو الغنم ، وبه سمى مربد البصرة ، لأنه كان موضع سوق الإبل .

(٢) فى رواية أبى ذر وحده : سعد بن زرارة ، وفى رواية الباقين : أسعد ، وهو الوجه : لأن أخاه سعدا تأخر إسلامه . وحكى الزبير أنهما كانا فى حجر أبى أيوب .

(٣) فى رواية البخارى : ثامنونى حائطكم .

. . . . : . .

لا نطلب ثمنه إلا إلى الله ، وفى رواية أخرى فى الصحيح أيضا : « ثم دعا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم الغلامين فساومهما بالمربد ليتخذه مسجدا ، فقالا : بل نهبه لك يارسول الله ، ثم بناه مسجدا]، وقد ترجم البخارى على هذه المسألة لفقهٍ ، وهو أن البائع أولى بتسمية الثمن الذى يطلبه ، قال أنس : وكان فى موضع المسجد نَخْلٌ وخِرَبٌ ومقابر مشركين ، فأمر بالقبور فنُبِشَتْ وبالخِرَبِ(١) فَسُوِّيَتْ ، وبالنَّخْلِ فَقُطِعَتْ .

ويُروى فى هذا الحديث نَخْل وحَرْث مكان قوله : وخِرَبٌ ، وروى عن الشِّفاء بنت عبد الرحمن الأنصارية قالت : كان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين بنى المسجدَ يؤُمُّه جبريلُ إلى الكعبة ويقيم له القبلة .

---

(١) بكسر الخاء وفتح الراء ، وقال الخطابى : أكثر الرواة بالفتح ، ثم الكسر ، وحدثناه الخيام بالكسر ثم الفتح ، ثم حكى احتمالات منها : الخرب : بضم أوله وسكون ثانيه ، وهى الخروق المستديرة فى الأرض ، والجرف بكسر الجيم وفتح الراء : ماتجرفه السيول وتأكله من الأرض ، والحدب : المرتفع من الأرض بفتح الحاء والدال . قال : وهذا لائق بقوله : فسويت لأنه إنما يسوى المكان المحدوب وكذا الذى جرفته السيول ، وأما الخراب ، فيبنى ويعمر دون أن يصلح ويسوى . ورد الحافظ فى الفتح عليه : وما المانع من تسوية الخراب بأن يزال مابقى منه ، ويسوى أرضه ، ولا ينبغى الالتفات إلى هذه الاحتمالات مع توجيه الرواية الصحيحة . « ص ٢٠٣ ج ٧ فتح البارى ط ١٣٤٨ . وفى بعض الروايات عن معمر عن الزهرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أبا بكر أن يعطيهما ثمنه وقال غير معمر : أعطاهما عشرة دنانير ، وعند الزبير أن أبا أيوب أرضاهما عن ثمنه .

رفع
المسـهم
عبدالله الطوالدى

. . . .

وذكر فيه قول الرجل لعمّار : قد سمعتُ ماتقول يابن سُميَّة . قال ابن هشام : وقد سمى ابن إسحاق الرجل ، وكره ابن هشام أن يسميه كى لايُذْكَر أحدٌ من أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بمكروه ، فلا ينبغى إذاً البحثُ على اسمه .

سمية أم عمار :

وسُميَّة : أم عمار وقد تقدم التعريف بها فى الهجرة الأولى ونبهنا على غلط ابن قتيبة فيها فإنه جعلها وسُميَّة أمَّ زياد واحدةً وسُميَّة أم زياد كانت للحارث بن كَلَدَةَ المتَطَبِّب ، والأولى : مَوْلَاةٌ لبنى مَخْزُوم وهى سُميَّة بنت خباط[1] ، كما تقدم ، وكان أهدى سُميَّة إلى الحرث رَجُلٌ من مُلوك اليمن : يقال له أبو جَبْر ، وذلك أنه عالجه من داء كان به فَبَرِئ ، فوهبها له ، وكانت قبل أبى جبر لِلملِكِ من مُلوك الفرس وفَد عليه أبو جَبْر ، فأهداها إليه الملكُ ذكره ابن قُتَيْبَةَ[2] ، وفى جامع مَعْمَر بن راشد أن عمارا كان يَنقُل فى بُنْيان المسجد لَبِنَتَيْن ، لَبِنَة

---

(١) فى الإصابة : سمية بنت خباط بمعجمة مضمومة ، وموحدة ثقيلة ، ويقال : بمثناة ـ أى ياء ـ تحتانية ، وعند الفاكهى : سمية بنت خبط بفتح أوله بغير ألف كانت سابعة سبعة فى الإسلام . وما يذكره السهيلى ذكره أبو عمر . أما سمية أم زياد فذكرها ابن حجر فى القسم الثالث ، او قال : ولم يرد ما يدل على أنها رأت النبى «ص» وأنها ولدت للحارث بن كلدة التى كان يطؤها بملك اليمين : نافعا ونفيعا : فانتفى منه لأنه رآه أسود ، ثم وهبها لزوجته ، فزوجتها عبدا روميا لها ، فولدت له زيادا فأعتقته صفية زوجة الحارث .

(٢) فى الإصابة أن الكوى اليشكرى سبى سمية من الروم ، ثم وهبها للحارث ابن كلدة ووهم ابن قتيبة هذا هو فى كتابه المعارف ص ٧٦ ط ١٣٠٠ هـ .

رفع المسهم

. . . .

عنه ، ولَبِنةً عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والناس ينقلون لَبِنةً واحدة ، فقال له النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ للناس أجرٌ ولك ، أجران ، وآخر زادك من الدنيا شَرْبَةُ لبن ، وتقتلك الفِئَة الباغية فلما قُتِل يوم صِفِّين دخل عَمْروٌ على معاوية فَزِعا ، فقال : قُتِل عَمَّارٌ ، فقال معاوية : فماذا ؟ فقال عَمْرو : سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : تقتله الفئة الباغية ، فقال معاوية دَحَضْتَ فى بَوْلك(١) ، أنحن قتلناه ؟ إنما قتله من أخرجه(٢) ؟!

(١) زلقت .

(٥) وروى البيهقى فى الدلائل هذا الحديث عن عبد الرحمن السلمى أنه سمع عبد الله بن عمرو بن العاص ، يقول لأبيه عمرو : قد قتلنا هذا الرجل ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ماقال ، قال : أى رجل ؟ قال : عمار بن ياسر ، أما تذكر يوم بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد فكنا نحمل لبنة لبنة ، وعمار يحمل لبنتين لبنتين إلخ وهذا يقتضى أن هذا البناء كان فى الخامسة من الهجرة أو بعدها ، لأن عمراً أسلم فى الخامسة !! ويقول الإمام ابن تيمية تعليقا على حديث : تقتلك الفئة الباغية « تكلم فيه بعضهم ،وبعضا تأوله على أن الباغى: الطالب ، وهذا لاشىء ، وأما السلف كأبى حنيفة ومالك وأحمد وغيرهم ، فيقولون لم يوجد شرط قتال الطائفة الباغية ، فإن الله لم يأمر بقتالها ابتداء ، بل أمر إذا اقتتلت طائفتان أن يصلح بينهما ، ثم : إن بغت إحداهما قوتلت ، ولهذا كان هذا القتال عند أحمد ومالك قتال فتنة ، وأبو حنيفة يقول : لايجوز قتال البغاة حتى يبدءوا بقتال الإمام ، وهؤلاء لم يبدءوا » وفى مكان آخر يقول : « كان على ومعاوية رضى الله عنهما أطلب لكف الدماء من أكثر المقتتلين ، لكن غلبا فيما وقع ، والفتنة إذا ثارت عجز الحكماء عن إطفاء نارها ، وكان فى العسكرين مثل الأشتر النخعى ، وهاشم بن عتبة المرقال ، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، وأبى الأعور السلمى ، ونحوهم من المحرضين على القتال . قوم ينتصرون لعثمان غاية الانتصار ، وقوم ينفرون عنه ، وقوم ينتصرون لعلى ، وقوم ينفرون عنه ،

رفع المسهم

. . . .

إضافة بناء المسجد إلى عمار :

وذكر ابن إسحاق فى هذا الموضع الحديث الوارد فى عَمَّار ، وهو : أولُ من بنى لله مسجداً عمارُ بن ياسر ، فيقال : كيف أضاف إلى عمار بنيان المسجد ، وقد بناه معه الناس ؟ فيقول إنما عنى بهذا الحديث مسجد قُبَاء ، لأن عماراً هو الذى أشار على النبى – صلى الله عليه وسلم – ببنيانه ، وهو جمع الحجارة له ، فلما أسَّسَه رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم استَتَمَّ بنيانَه عمارٌ .

أطوار بناء المسجد :

كذلك ذكر ابن إسحاق فى رواية يونس بن بكير عنه : وبُنى مسجد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وسقف بالجريد وجعلت قبلتُه من اللَّبِن ، ويقال : بل من حِجَارةٍ مَنْضُودةٍ بعضُها على بعض ، وجُعِلَت عُمُدُه من جُذُوع

وقتال الفتنة مثل قتال الجاهلية لاتنضبط مقاصد أهله واعتقاداتهم » ص ٢٦٣ ولقد حاول ملك الروم استغلال معركة صفين ، فحشد جيوشا كثيرة وحاول الاقتراب من الحدود الإسلامية ، فكتب إليه معاوية رضى الله عنه : « والله لئن لم تنته وترجع إلى بلادك ، لأصطلحن أنا وابن عمى عليك ، ولأخرجنك من جميع بلادك ، ولأضيقن عليك الأرض بما رحبت » فجبن ملك الروم حـ ٨ ص ١٨٩ البداية والنهاية لابن كثير . ويقول الأستاذ محب الخطيب : « وكان معاوية يعرف من نفسه أنه لم يكن منه البغى فى حرب صفين لأنه لم يردها ، ولم يبتدئها ، ولم يأت لها إلا بعد أن خرج على من الكوفة ، وضرب معسكره فى النخيلة ليسير إلى الشام ، ولذلك لما قتل عمار قال معاوية : إنما قتله من أخرجه » انظر ص ٢٥١ . ص ٢٦٣ من كتاب المنتقى للامام الذهبى الذى اختصر فيه كتاب منهاج السنة للامام ابن تيمية .

رفع
المسـ هم
غفرالله له ولوالديه

. . . .

النَّخْل ، فنَخِرَتْ فى خلافة عُمَر فجرَّدها ، فلما كان عثمان بناه بالحجارة المنقوشة بالْقَصَّة وسَقَفَه بالسَّاج[1] ، وجعل قبلتَه من الحجارة ، فلما كانت أيام بنى العباس بناه محمدُ بن أبى جَعْفر المتسمى بالْمَهْدى ، ووسعه وزاد فيه ، وذلك فى سنةِ ستين ومائةٍ ، ثم زاد فيه المأمونُ بن الرَّشيد فى سنة ثنتين ومائتين ، وأتقن بنيانه ، ونقش فيه : هذا ما أمر به عبدُ الله المأمون فى كلام كثير كَرِهْتُ الإطالة بذكره ، ثم لم يبلغنا أن أحداً غيَّر منه شيئا ، ولا أحدث فيه عملا .

بيوت النبى صلى الله عليه وسلم :

وأما بيوته عليه السلام فكانت تسعةً ، بعضُها من جريدٍ مُطَيَّن[2] بالطِّين وسقفها جريد ، وبعضها من حِجارة مَرْضُومَة ، بعضُها فوق بعض ، مسقفة بالجريد أيضاً . وقال الحسن بن أبى الحسن[3] : كنت أدخل بيوت النبى

---

(١) القصة : الجص لغة حجازية ، وتقصيص الدار : تجصيصها والساج : ضرب من الشجر يعظم جدا ، ويذهب طولا وعرضا ، وله ورق كبير ، يتغطى الرجل بورقة منه فيقيه المطر ، واحدته : ساجة « المعجم الوسيط » ورواية الصحيحين عن القبلة : « فصفوا النخل قبلة المسجد ، وجعلوا عضادتيه الحجارة » وعضادتا الباب : خشبتان منصوبتان مثبتتان فى الحائط على جانبيه ويقال إن معنى صف النخل قبلة له : جعلها سوارى فى جهة القبلة ، ليسقف عليها ، كما فى الصحيح من أن عمده كانت خشب النخل .

(٢) ينكر بعضهم هذه اللغة ، ويقول ، طانه من باب باع ، فهو مطين بفتح فكسر .

(٣) ذكر فى إعلام الساجد لمحمد بن عبد الله الزركشى أنه : الحسن البصرى وذكر أنه نقله عن السهيلى . انظر ص ٢٢٤ .

. . . .

عليه السلام ، وأنا غلام مراهق ، فأنال السقف بيدى ، وكانت حُجَرُه ـ عليه السلام ـ أكْسِيَةً من شعر مربوطة فى خشب عرْعَر[1] وفى تاريخ البخارى أن بابه ـ عليه السلام ـ كان يُقْرَع بالأظافر ، أى لا حَلَقَ له ، ولما تُوفِّى أزواجُه عليه السلام خُلطت البيوتُ والحُجَر بالمسجد ، وذلك فى زمن عَبْد الملك ، فلما ورد كتابُه بذلك ضَجَّ أهلُ المدينة بالبكاء ، كيوم وفاته عليه السلام ، وكان سريرُه خَشَباتٍ مشدودةً بالليف ، بيعت زمن بنى أمَيَّة ، فاشتراها رجل بأربعة آلاف درهم قاله ابن قتيبة . وهذا يدل على أن بيوته عليه السلام إذا أضيفت إليه ، فهى إضافة مِلْكٍ ، كقوله تعالى : ﴿ لَاتَدْخُلوا بُيُوتَ النَّبى ﴾ وإذا أضيفت إلى أزواجه كقوله : ﴿ وَقَرْنَ فى بُيُوتِكُنَّ ﴾ فليست بإضافةِ ملْكٍ ، وذلك أن ما كان مِلْكا له عليه السلام ، فليس بموْرُوثٍ عنه[2] .

---

(١) جنس أشجار وجنبات من فصيلة الصنوبريات . فيه أنواع تصلح الأخراج وللتزيين أنواعه كثيرة « المعجم الوسيط » وفى القاموس أنه شجر السرو فارسية.

(٢) وعن المسجد والبيوت روى عن النوار بنت مالك أم زيد بن ثابت أنها رأت أسعد بن زرارة قبل أن يقدم رسول الله « ص » يصلى بالناس الصلوات الخمس ، ويجمع بهم فى مسجد بناه فى مربد سهل وسهيل ابنى رافع ابن أبى عمرو بن عايذ بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار قالت : فأنظر إلى رسول الله « ص » لما قدم صلى بهم فى ذلك المسجد وبناه ، فهو مسجده اليوم .

ووقع فى رواية عطاف بن خالد عند ابن عايذ أنه « ص » صلى فيه — وهو عريش — اثنى عشر يوما ، ثم بناه ، وسقفه وسيأتى ما يشهد له .

وروى أحمد عن طلحة بن على قال : جئت إلى النبى « ص » وأصحابه يبنون

رفع المسهم

المسجد ، قال : فكأنه لم يعجبه عملهم ، قال : فأخذت المسحات ، فخلطت بها الطين ، فكأنه أعجبه أخذى المسحاة وعملى ، فقال : دعوا الحنفى والطين ، فإنه من أصنعكم للطين. وفى كتاب رزين أن الصحابة لما كثروا قالوا : يا رسول الله لو زيد فيه ، ففعل ، فرفعوا أساسه قريباً من ثلاثة أذرع بالحجارة وجعلوا طوله مما يلى القبلة إلى مؤخره مائة ذراع ، وكذا فى العرض . وكان مربعا .

وفى حديث حصار عثمان يأتى قول عثمان : أنشدكم بالله الذى لا إله إلا هو . أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من يبتاع مربد بنى فلان غفر الله له ، فا بتعته بعشرين ألفا ، أو خمسة وعشرين ألفا ، فأتيت النبى « ص » فقلت : قد ابتعته ، فقال : جعله فى مسجدنا ، وأجره لك ؟ قالوا : اللهم نعم ،

هذا وقد ورد فى ذرع المسجد هذا عدة روايات : فهو سبعون ذراعا فى ستين أو يزيد « الذراع المقصود ذراع الآدمى » ، أو هو مائة ذراع فى مائة وأنه مربع ، أو هو : أقل من مائة ، وقيل إنه بناه أولا أقل من مائة فى مائه ثم بناه وزاد عليه مثله فى الدور ، وليس المراد هنا فى هذه الرواية مثله فى الأذرع لأنه كان حتى نهاية القرن التاسع الهجرى لا يبلغ مائة وخمسين ذراعا والرواية الأولى بالقبول أنه كان سبعين فى ستين .

الصفة : هى — كما قال ابن حجر — مكان فى مؤخر المسجد مظلل أعد لنزول الغرباء فيه ممن لا مأوى له ، ولا أهل ، وكانوا يكثرون فيه ويقلون بحسب من يتزوج منهم أو يموت أو يسافر . وعن ابن سعد أن أهل الصفة كانوا أناسا فقراء لا منازل لهم . فكانوا ينامون فى المسجد لا مأوى لهم غيره ، وقريب من هذا فى البخارى .

الزيادات فى المسجد : روى البخارى وأبو داود عن نافع أن عبد الله ابن عمر أخبره أن المسجد كان على عهد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — مبنيا باللبن وسقفه الجريد وعمده خشب النخل ، فلم يزد فيه أبو بكر شيئاً ، وزاد فيه عمر ، وبناه على بنائه فى عهد رسول الله « ص » باللبن والجريد ، وأعاد عمده خشبا ، ثم غيره عثمان ، فزاد فيه زيادة كبيرة ، وبنى جداره

رفع
المسـهم

. . . .

بالحجارة المنقوشة والقصة ، وجعل عمده من حجارة منقوشة ، وسقفه بالساج .

زيادة عمر : فى الحديث السابق ورد أن عمر زاد فيه ، وقد روى أحمد عن نافع أن عمر « رض » زاد فى المسجد من الأسطوانة إلى المقصورة ، وقال عمر : لولا أنى سمعت رسول الله « ص » يقول : ينبغى أن نزيد فى المسجد ما زدت فى المسجد شيئا . وذكر ابن سعد أنه لما كثر المسلمون فى عهد عمر رضى الله عنه ـ وضاق بهم المسجد ، اشترى عمر ما حول المسجد من الدور إلا دار العباس بن عبد المطلب وحجر أمهات المؤمنين . ولكن العباس تصدق بداره ، فقبلها عمر، وأدخلها فى المسجد ـ وروى البيهقى نحوه فى كتاب الرجعة عن أبى هريرة . وحسبنا هذا

زيادة عثمان : لما ولى عثمان كلمه الناس أن يزيد فى مسجدهم ، وشكوا إليه صفة يوم الجمعة حتى إنهم ليصلون فى الرحاب . فشاور عثمان أهل الرأى ، فأجمعوا على أن يهدمه ويزيد فيه وفى البخارى ومسلم عن عبيد الله الخولانى أنه سمع عثمان عند قول الناس فيه حين بنى مسجد الرسول « ص » إنكم قد أكثرتم ، وإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من بنى مسجدا لله بنى الله له فى الجنة مثله ، وفى مسلم أنه أراد بناء المسجد ، فكره الناس ذلك ، وأحبوا أن يدعه على هيئته .

وقد روى أن عثمان بدأ بهذا فى شهر ربيع الأول من سنة تسع وعشرين وأنه فرغ منه حين دخلت السنة لهلال المحرم سنة ثلاثين ، أو قبل أن يقتل بأربع سنين ويروى أن القصة « الجص » كانت تحمل إلى عثمان ، وهو يبنى مسجد رسول الله ـ ص ـ من بطن نخل ، وأنه كان يقوم على رجليه ، والعمال يعملون فيه ، حتى تأتى الصلاة ، فيصلى بهم ، وربما نام ثم رجع ، وربما نام فى المسجد . وعن خارجة بن زيد قال : هدم عثمان بن عفان المسجد ، وزاد فى قبلته ، ولم يزد فى شرقيه ، وزاد فى غربيه قدر اسطوانه ، وبناه بالحجارة المنقوشة والقصة وعسب النخل والجريد وبيضه بالقصة ، وقدر زيد بن ثابت أساطينه ، فجعلها على قدر

رفع المسلم
عبد الله الطوالبي

النخل ، وجعل فيه طبقانا مما يلى المشرق والمغرب ، وزاد فيه إلى الشام خمسين ذراعا . .

وهناك عدة روايات أخرى بعضها يقارب هذه والآخر يباعدها

زيادة الوليد بن عبد الملك : نقل رزين أن المسجد بعد أن زاد فيه عثمان « رضى الله عنه لم يزد فيه على ولا معاوية رضى الله عنهما ، ولا يزيد ولا مروان ولا ابنه عبد الملك شيئا ، حتى كان الوليد بن عبد الملك وكان عمر بن عبد العزيز عامله على المدينة ومكة ، فبعث الوليد إلى عمر بن عبد العزيز بمال ، وقال له : من باعك ، فأعطه ثمنه ، ومن أبى فاهدم عليه ، وأعطه المال ، فان أبى أن يأخذه فاصرفه إلى الفقراء . وقد روى أن عمر اشترى ما حول المسجد من المشرق والمغرب والشام ، وأنه أراد ابتياع بيت حفصة رضى الله عنها ، فأرسل إلى رجال من آل عمر ، وانتهى الأمر إلى هدم البيت لإدخاله فى المسجد ، وإلى إعطائهم طريقا إلى المسجد تنتهى إلى الأسطوانة ، مع توسعتها . وكانت قبل ذلك ضيقة قدر ما يمر الرجل منحرفا .

هذا وتجمع أخبار المؤرخين على أن حجر أزواج النبى صلى الله عليه وسلم أدخلت فى المسجد بأمر الوليد ، ويقول عطاء الخراسانى : حضرت كتاب الوليد يقرأ يأمر بإدخال حجر أزواج النبى « ص » فما رأيت يوما كان أكثر باكيا من ذلك اليوم . قال عطاء : فسمعت سعيد بن المسيب يقول : والله لوددت أنهم تركوها على حالها . ويقول عبد الله بن زيد الهذلى إنه رأى بيوت أزواج النبى « ص » حين هدمها عمر كانت باللبن ولها حجر من جريد مطرود بالطين عددت تسعة أبيات بحجراتها . وكانت الحجرات شرقى المسجد وقبليه ، خارجة من المسجد مديرة به إلا من الغرب ، وهذا الرأى يخالف ما ذكر السهيلى من أنها أدخلت فى زمن عبد الملك . كما أدخل فيه عمر دور عبد الرحمن بن عوف الثلاث التى يقال لها : القرابين ويقال إن الوليد طلب من ملك الروم أن يعينه بعمال وفسيفساء ، فبعث إليه بأحمال منها ، وبعدد من العمال . قيل كانوا ثمانين : أربعين من الروم وأربعين من القبط . ، كما قيل إنه بعث إليه بعدة ألوف من الذهب ، وبأحمال من سلاسل القناديل .

رفع
المسهم
غفر الله له ولوالديه

. . . .

ويقال إن عمر هدمه سنة إحدى وتسعين ه وأن البناء كان بالحجارة المنقوشة ، وقصة بطن نخل وعمله بالفسيفساء وهى ألوان من الخرز يركب فى حيطان البيوت والمرمر ، وعمل سقفه بالساج ، وماء الذهب ، وجعل عمد المسجد من حجارة حشوها عمد الحديد والرصاص ، ويقال إن عمر لما صار إلى جدار القبلة دعا مشيخة من أهل المدينة من قريش والأنصار والعرب والموالى، فجعل لا ينزع حجرا إلا وضع مكانه حجرا ، فكانت زيادة الوليد من المشرق إلى المغرب ست أساطين ، وزاد إلى الشام من الأسطوانة المربعة التى فى القبر أربع عشرة أسطوانة . ومكث فى بنائه ثلاث سنين.

كما روى أن عمل القبط كان مقدم المسجد ، وكانت الروم تعمل ما خرج من المسجد جوانبه ومؤخره ، فقال سعيد بن المسيب عن القبط : عمل هؤلاء أحكم.

ويروى أن عثمان مات وليس فى المسجد شرفات ولا محراب ، وأن أول من أحدث المحراب والشرفات عمر بن عبد العزيز ، وأنه هو الذى عمل الميازيب التى من الرصاص ، ولكن روى من طريق آخر أن الذى عمل الشرفات هو عبد الواحد بن عبد الله وهو وال على المدينة سنة أربع ومائة . وعمر توفى سنة ١٠١ ولما احترق المسجد جددت له شرفات سنة ٧٦٧ فى أيام الأشرف شعبان بن حسين بن محمد صاحب مصر . أما مناراته « مآذنه » فأحدثها عمر أيضاً ويشهد لهذا ما رواه ابن إسحاق وأبو داود والبيهقى أن امرأة من بنى النجار قالت : كانت بيتى من أطول بيت حول المسجد وكان بلال يؤذن عليه الفجر كل غداة ، فيأتى بسحر ، فيجلس على البيت ، لينظر إلى الفجر ، فإذا رأى تمطى ، ثم قال : اللهم إنى أحمدك وأستعينك على قريش أن يقيموا دينك ، قالت : ثم يؤذن .

القبر : حين رزىء المسلمون بموت النبى عليه الصلاة والسلام اختلفوا فى مكان دفنه ، ثم روى لهم أنه يدفن حيث مات . فاهتدوا ، وكان أبو عبيدة يضرح — والضرح هو الشق فى وسط القبر — وأبو طلحة يلحد ـ واللحد : الشق يعمل فى جانب القبر ، فيميل عن وسطه ـ فقال الصحابة : نستخير ربنا ، ونبعث إليهما ، فأيهما سبق تركناه ، فأرسل إليهما ، فسبق أبو طلحة ، فلحدوا للنبى كما ورد فى مسند أحمد وسنن ابن ماجة وغيرهما .

رفع المسابهم

. . . .

فلما دفن فى حجرة السيدة عائشة حيث مات قالت ابنته فاطمة : أطابت نفوسكم أن تحثوا على رسول الله «ص» التراب ، وسكت أنس عن جوابها رعاية لها ، ولسان حاله يقول : لم تطب أنفسنا بذلك إلا لأنا قهرنا على فعله امتثالا لأمره .

وقد روى البخارى فى موضعين من الجنائز ، وفى المغازى ، ومسلم فى الصلاة أن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه الذى لم يقم منه ـ أو توفى فيه : «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » لولا ذلك أبرز قبره غير أنه خشى ـ أو خشى ـ أن يتخذ قبره مسجدا » ولم يجلس أحد على قبره صلى الله عليه وسلم ولم يصل إليه ، ولا عليه ، لأنه قال ـ كما روى مسلم : « لا تجلسوا على القبور ، ولا تصلوا إليها أو عليها ، وروى مسلم أنه قال هذا فى مرضه الذى مات منه قبل موته بخمس وأنه قال : « فلا تتخذوا القبور مساجد ، فانى أنهاكم عن ذلك » ولم يزره رجل ولا امرأة ، ولم يعلق عليه قنديل ولا غيره ، لأن الواقع كان يمنع الرجال من ذلك ، أفكان يستطيع أحد أن يقتحم على عائشة بيتها ؟ ثم إن ابن عباس روى لهم ما يأتى : « لعن رسول الله زائرات القبور ، والمتخذين عليها المساجد والسرج » رواه الخمسة إلا بن ماجة ، كما روى لهم أبو هريرة ما يأتى : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لأن يجلس أحدكم على جمرة ، فتحرق ثيابه ، فتخلص إلى جلده ، خير له من أن يجلس على قبر » ، ولم يجصص قبره عليه الصلاة والسلام ، ولم يكتب عليه شىء ، لأن جابرا روى لهم : « نهى النبى صلى الله عليه وسلم ـ أن يجصص القبر ، وأن يقعد عليه ، وأن يبنى عليه ، رواه أحمد ومسلم والنسائى وأبو داود والترمذى وصححه ، ولفظه : «نهى أن تجصص القبور ، وأن يكتب عليها ، وأن يبنى عليها ، وأن توطأ » وفى لفظ النسائى : « ونهى أن يبنى على القبر ، أو يزاد عليه ، أو يجصص ، أو يكتب عليه » .

ولم يستطع أحد أن يقيم له ضريحا ، أو يعلى من قبره ، لأنهم كانوا يعلمون

. . . .

ما قاله على لأبى الهياج الأسدى « أبعثك على ما بعثنى عليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لاتدع تمثالا إلا طمسته ، ولا قبرا مشرفا إلا سويته » رواه الجماعة إلا البخارى وابن ماجة . وكان هديهم هذا ، فقد روى مسلم أن فضالة بن عبيد أمر بقبر فسوى ، ثم قال : سمعت رسول الله « ص » يأمر بتسويتها . ولقد روى ابن سعد فى طبقاته بسنده عن مالك بن أنس : قسم بيت عائشة باثنين : « قسم كان فيه القبر ، وقسم كان تكون فيه عائشة ، وبينهما حائط فكانت عائشة ربما دخلت حيث القبر فضلا ، فلما دفن عمر لم تدخله إلا وهى جامعة عليها ثيابها » كما روى أن عمر هو أول من بنى جدارا على بيت النبى « ص » . وورد أن هذا الجدار كان قصيرا ثم بناه عبد الله بن الزبير . وروى البخارى فى صحيحه من حديث هشام بن عروة عن أبيه : لما سقط عنهم الحائط - يعنى حائط حجرة النبى « ص » فى زمان الوليد بن عبد الملك بن مروان أخذوا فى بنائه فقيدت لهم قدم ، ففزعوا ، وظنوا أنها قدم النبى « ص » فما وجدوا أحدا يعلم ذلك ، حتى قال لهم عروة : لا والله ماهى قدم النبى « ص » ما هى إلا قدم عمر ولما أدخل عمر بن عبد العزيز حجرات أزواج النبى « ص » فى المسجد نازله عروة منازلة شديدة كيلا يجعل قبر النبى « ص » فى المسجد ، فأبى وقال : كتاب أمير المؤمنين لا بد من إنفاذه ، ولكنه جعل حجرة السيدة عائشة مثلثة الشكل محددة حتى لا يتأتى لأحد أن يصلى إلى جهة القبر الكريم مع استقبال القبلة . .

ثم حدث ماحدث ، واقترف الناس مااقترفوا من عبادة للقبر . لهذا يجب العمل على إفراد القبر عن المسجد اهتداء بهدى الرسول نفسه صلى الله عليه وسلم - فليس من تكريم النبى - صلى الله عليه وسلم - أن يعبد قبره من دون الله ، أو أن يتمسح به ، أو يستجار به ، أو . أو . . مما يحاول اقترافه عبدة الشياطين . وما أجمل ما قاله الإمام الشوكانى وهو يشرح حديث النهى عن رفع القبور . « ومن رفع القبور الداخل تحت الحديث دخولا أوليا : القبب والمشاهد المعمورة على القبور . وأيضاً هو من اتخاذ القبور مساجد ، وقد لعن النبى « ص » فاعل ذلك .. وكم قد سرى عن تشييد أبنية القبور وتحسينها من مفاسد يبكى لها الإسلام

رفع
المسهم
عبد الله الحاج

. . . .

منها : اعتقاد الجهلة لها كاعتقاد الكفار الأصنام ، وعظم ذلك ، فظنوا أنها قادرة على جلب النفع ، ودفع الضر ، فجعلوها مقصداً لطلب قضاء الحوائج ، وملجأ لنجاح المطالب ، وسألوا منها مايسأله العباد من ربهم وشـــدوا إليها الرحال ، وتمسحوا بها ، واستغاثوا ، وبالجملة أنهم لم يدعوا شيئا مما كانت الجاهلية تفعله بالأصنام إلا فعلوه ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، ومـــع هذا المنكر الشنيع والكفر الفظيع لا نجد من يغضب لله ، ويغار حمية للدين الحنيف لا عالما ، ولا متعلما ، ولا أميرا ، ولا وزيرا ولا ملكا ، وقد توارد إلينا من الأخبار مالا يشك معه أن كثيراً من هؤلاء القبوريين أو أكثرهم إذا توجهت عليه يمين من جهة خصمه حلف بالله فاجرا ، فاذا قيل له بعد ذلك : احلف بشيخك ومعتقدك الولى الفلانى تلعثم وتلكأ وأبى واعترف بالحق ، وهذا من أبين الأدلة الدالة على أن شركهم قد بلغ فوق شرك من قال إنه تعالى ثانى اثنين أو ثالث ثلاثة . فياعلماء الدين ، ويا ملوك المسلمين : أى رزء للاسلام أشد من الكفر ؟!

وأى بلاء لهذا الدين أضر عليه من عبادة غير الله ؟!

وأى مصيبة يصاب بها المسلمون تعدل هذه المصيبة ؟

وأى منكر يجب إنكاره إن لم يكن إنكار هذا الشرك البين واجبا ؟!

لقد أسمعت لو ناديت حيـــا ... ولكن لا حياة لمن تنادى
ولو نارا نفخت بها أضاءت ... ولكن أنت تنفخ فى رماد

أفيسمع المسلمون من رجل لا يستطيع أحد أن ينال من علمه وفقهه وإخلاصه ؟؟

وإنه ليروى أن الوليد لما قدم حاجا جعل يطوف فى المسجد ، وينظر إليه . ويصيح بعمرها هنا ، ومعه أبان بن عثمان : فلما استنفد الوليد النظر إلى المسجد التفت إلى أبان ، وقال : أين بناؤنا من بنائكم ؟ قال أبان : إنا بنيناه بنيان المساجد وبنيتموه بناء الكنائس ص ٣٧٠ السمهودى ح ١

وصف المسجد فى القرن السادس : وقد ورد للمسجد وصف دقيق من كاتب مراكشي عاش فى القرن السادس الهجرى ننقله بنصه عن كتابه « الاستبصار

. . . .

فى عجائب الأمصار » : « ومسجد النبى « ص » مستطيل غير مربع يزيد طوله على عرضه مائة ذراع ، وسماء المسجد منقوشة مدهونة محفورة مذهبة كلها على عتب منقوشة على أعمدة خرز أسود بعضه على بعض ملبسة بالجيار ، وهو ليس على أقواس إلا ما كان إلى الصحن ، فانه أقواس معقودة وجوهها منزولة بالفسيفساء على أعمدة من خرز ملبسة بالجيار والأعمدة التى إلى صحن المسجد هى أقصر من التى عليها سماء المسجد ، وتلك الأقواس التى إلى صحن المسجد مغلقة بشراجيب الساج ، مقدم المسجد خمس بلاطات معترضة ، ومؤخره مثل ذلك ، وجنبة المسجد الشرقية فيها ثلاث بلاطات معترضة ، وجنبته الغربية أربع بلاطات، ومن مقدم المسجد إلى الصحن أحد عشر قوسا ، وكذلك من جنبته الآخرى . وطول المسجد من ركن منار بلال ـ رضى الله عنه ـ وهو الذى بإزاء قبر النبى « ص إلى ركن مؤخره ، وعرضه من باب جبريل عليه السلام ، وهو الذى بإزاء قبر النبى « ص » إلى باب الرحمة التى بجنب دار السيدة مائة وسبعون ذراعاً » ص ٣٧ ط ١٩٥٨ نشر وتعليق الدكتور سعد زغلول عبد الحميد .

حجرات أزواج النبى « ص » : يقول الذهبى فى بلبل الروض : لم يبلغنا أنه عليه السلام بنى له تسعة أبيات حين بنى المسجد ، ولا أحسبه بعد ذلك . إنما كان بريد بيتا واحدا حينئذ لسودة أم المؤمنين ، ثم لم يحتج إلى بيت آخر حتى بنى بعائشة فى شوال سنة اثنتين ، وكأنه عليه السلام بناها فى أزمان مختلفة » ص ٢٢٤ أعلام الساجد .

وفى رواية أنه لما انصرف النبى « ص » من خيبر وزاد فى مسجده البنية الثانية ضرب الحجرات ما بين القبلة إلى الشام ، ولم يضربها غربية ، وكانت خارجة من المسجد مديرة به إلا من الغرب ، وكانت لها أبواب فى المسجد . وسائر الروايات فهو ما ذكر السهيلى تقرر أن أبواب بيوت زوجات النبى كانت مستورة بالمسوح ، وقال ابن عطاء عن أبيه : وكانت بيوت أزواج النبى « ص » يقوم الرجل فيمس سقف البيت ، والحجرات سقف عليها المسوح ، وقد وصف عطاء الخراسانى حجرات أزواج النبى بأنها كانت من جريد على أبوابها المسوح

رفع
عبد الرحمن الهجري
المسلم
غفر الله له ولوالديه

. . . .

من شعر أسود . كما يروى أن أحدهم قال حين هدمت : ليتها تركت حتى يقصر الناس عن البناء ، ويرى الناس مارضي الله لنبيه ، وخزائن الدنيا بيده . هذا ولفظ الحجرة في هذه الآثار لا يراد به جملة البيت كما في قوله تعالى : (إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون : بل يراد ما يتخذ حجرة للبيت عند بابه مثل الحريم للبيت ، وكانت هذه من جريد النخل ، بخلاف الحجر التي هي المساكن فإنها كانت من اللبن ، كما يروى أن بعضهن كانت له حجرة ، وبعضهن لم يكن له حجرة ، وكان بيت فاطمة مع علي خلف حجرة عائشة لم يزل حتى أدخله الوليد في المسجد ، وكان بيت عائشة مما يلي الشام ، وكان ذا مصراع واحد . ومما يوضح مسمى الحجرة التي قدام البيت ما في سنن أبي داود وغيره عن ابن عمر : قال قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في حجرتها ، وصلاتها في مخدعها أفضل من صلاتها في بيتها » فالمخدع أستر من البيت الذي يقعد فيه ، والبيت أستر من الحجرة التي هي أقرب إلى الباب والطريق ، وكانت حجر عائشة وسودة وحفصة ـ رضي الله عنهن ـ لا صقة بالمسجد لأنه بني بهن قبل غيرهن ، وآخر من تزوجها صفية لما فتح خيبر سنة تسع من الهجرة ، وحينئذ اتخذا لها بيتا ، وكان أبعد عن المسجد من غيره كما يستفاد من حديث ورد في الصحيحين ، وفيه أنه خرج مع صفية من المسجد ليوصلها إلى سكنها ، ولو كان بيتها متصلا بالمسجد لم يفعل .

وحين دخلت حجرة عائشة في المسجد سد عمر بن عبد العزيز باب الحجرة ، وبنى حائطا آخر عليها غير الحائط القديم . فالواجب ـ كما بينا من قبل ـ أن يعود كل شيء إلى مكانه ، وأن يفصل بين القبر والمسجد ، كما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه ، » انظر كتابي الرد على البكري والرد على الإخنائي للامام ابن تيمية المطبوعين معا سنة ١٣٤٦ هـ ولا سيما من ص ١٨٤ من كتاب الرد على الإخنائي ، وانظر ص ٢٩٢ وما بعدها حـ ٨ شرح المواهب اللدنية ، وكتاب وفاء الوفاء حـ ١ من ص ٢٢٩ إلى ٣٧٩ ط ١٣٢٦ هـ ونيل الأوطار حـ ٤ ص ٨٣ ط عثمان خليفة ١٣٥٧ وكتاب الخصائص للسيوطي ص ٢٩٦ حـ ٣ بتحقيق فضيلة الشيخ هراس .

حب حباب :

فصل : وذكر حديث أم أيوب ، وقولها : انكسر حُبٌّ لنا . الْحُبُّ جَرَّةٌ كبيرة ، جَمْعُه [أحب وحِبَاب] حِبَبَه مثل جُحْرٍ وجِحَرة [وأجحار وجِحَر] وكأنه أخذ لفظه من حَبَابِ الماء أو من حَبِبة ، وحَبَابُه بالألف : ترافعه . قال الشاعر :

كأن صَلَا جَهِيزَةَ حين تمشى حَبَابُ الماء يَتَّبِعُ الْحَبَابَا[1]

نشر دار الكتب الحديثة ، والنصوص التى نقلتها عن الحجرات نقل أكثرها الإمام ابن تيمية عن كتاب أخبار المدينة لأبى زيد عمر بن شبة النميرى ، وانظر كتاب القرى للمحب الطبرى ص ٦٢٩ ط الحلبى . وأما السرير الذى تحدث عنه السهيلى ، فقد ورد فى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها : إنما كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى ينام عليه أدما - أى: جلداً - حشوه : ليف ، وكذلك رواه الترمذى . وورد أنه نام على حصير أثر فى جنبه « أحمد وابن ماجة والترمذى ، والحاكم » وروى ابن حبان أنه كان لرسول الله « ص » سرير مرمل - بضم الميم وفتح الراء وتشديد الميم المفتوحة - بالبردى ، وعليه كساء أسود محشو بالبردى والبردى نبات يعمل منه الحصر . والمعنى : أن قوائم السرير موصولة مغطاة بما نسج من نبات البردى . وفى حديث عمر أنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإذا هو جالس على رمال سرير وفى رواية : على رمال حصير . والرمال : مارمل أى نسج .

(١) البيت فى اللسان فى مادة حبب غير منسوب إلى أحد وفيه قامت بدلا من . تمشى ، وفيه الحبب : حبب الماء وهو تكسره وهو الحباب . . وقيل حباب الماء موجه الذى يتبع بعضه بعضا . . وقال الأصمعى : حباب الماء الطرائق التى فى الماء كأنها الوشى ، والصلا : العجيزة .

والحَبَبُ بغير ألِفٍ نُفاَّخاتٌ بِيضٌ صِغار تكون على وَجْه الشراب قاله ابن ثابت[1] .

الثوم :

وذكر قوله عليه السلام لأم أيوب ـ حين رَدَّ عليها الثَّرِيدَ من أجل الثُّوم: أنا رجل أُناجى ، وروى غيرَه حديثَ أم أيوب، وقال فيه : إن الملائكةَ تتأذَّى بما يتأذى به الإنس[2] . وروى أن خَصِيفَ بن الحارث قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام ، فقلت : يارسول الله : الحديث الذى ترويه عنك أمُّ أيوب أن الملائكة تتأذى بما يتأذى به الإنس أصحيح هو ؟ قال : نعم .

مصير منزل أبى أيوب

ومنزل أبى أيوب الذى نزل فيه النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ تصيَّر بعده إلى أَفْلَح مولى أبى أيوب ، فاشتراه منه بعد ما خَرِبَ ، وتَثَلَّمت حيطانُه

---

(١) فى اللسان عن الحباب ـ بالألف ـ أنها النفاخات والفقاقيع التى تطفو على وجه الماء كأنها القوارير . وحبب الأسنان : تنضدها .

(٢) ورد حديث أبى أيوب فى مسلم وفيه أن أبا أيوب سأل رسول الله « ص » : أحرام هو ؟ قال : لا ، ولكن أكرهه من أجل ريحه . قال أبو أيوب : فانى أكره ما كرهت . وعن جابر أن النبى « ص » قال : من أكل ثوما أو بصلا فليعتزلنا ، أو قال : فليعتزل مسجدنا ، أو ليقعد فى بيته ، وإن النبى « ص » أتى بقدر فيه خضرات من بقول ، فوجد لها ريحا ، فقال قربوها إلى بعض أصحابه وقال : كل فانى أناجي من لا تناجى ، متفق عليه .

. . . .

الْمُغيرةُ بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بألف دينار بعد حيلة احتالها عليه المغيرةُ ذكرها الزبير ، ثم أصلح المغيرةُ ما وَهَى منه ، وتصدق به على أهل بيتٍ من فقراء المدينة ، فكان بعدَ ذلك ابنُ أَفْلَحَ يقول للمغيرة : خَدَعْتنى ، فيقول له المغيرة : لا أَفْلَحَ مَنْ نَدِم . هذا معنى ماذكره الزُّبَيْرُ بن أبى بكر(١)

من قصة أبى سفيان مع بنى جحش

وذكر قول أبى أحمد بن جحش لأبى سُفْيَان :

دارَ ابنِ عَمِّك بِعْتَهَا تقضى بها عنك الغرامهْ
إذهبْ بها إذهب بها طُوِّقْتَها طَوْقَ الحمامهْ

أبو أحمد هذا اسمه عَبْد ، وقيل: ثُمَامة ، والأول أصح ، وكانت عنده الفارعةُ بنت أبى سفيان ، وبهذا السبب تَطَرَّق أبو سفيان إلى بيع دارِ بنى جَحْش إذ كانت بنتُه فيهم . مات أبو أحمد بعد أختِه زينب أم المؤمنين فى خلافة عمر .

وقوله لأبى سفيان طُوِّقتها طَوْق الحمامة مُنْتَزَعٌ من قول النبى ـ صلى الله

---

(١) ذكر ابن إسحاق أن بيت أبى أيوب بناه تبع الأول للمامر بالمدينة للنبى « ص » ينزله إذا قدم المدينة ! ! فتداول البيت الملاك إلى أن صار لأبى أيوب ! ! وهى ولاشك خرافة حين يقال إن تبعا بناها للنبى « ص » فما كان تبع إلها حتى يعرف الغيب ، أو ما كان تبع يعرف مالم يعرفه النبى نفسه حتى ليلة الوحى . . ويقال إن الملك المظفر شهاب الدين غازى بن الملك العادل سيف الدين بكر بن أيوب بن شادى اشترى عرصة دار أبى أيوب ، وبناها مدرسة لتدريس المذاهب الأربعة .

رفع المسهم

. . . .

عليه وسلم — مَنْ غَصَبَ شِبْراً من أرضٍ طُوِّقَه يومَ القِيامة من سَبْع أرضين(١) وقال طَوْق الحمامة ، لأن طوقها لايفارقها ، ولاتلقيه عن نفسها أبداً ، كما يفعل مَنْ لبِسَ طَوْقاً من الآدميين ، ففى هذا البيت من السَّمانة وحَلاوة الإشارة ومَلَاحة الاستعارة مالا مزيدَ عليه ، وفى قوله : طَوْق الحمامة رَدٌّ على من تأوَّل قولَه عليه السلام : طُوِّقه من سبع أرضين أنه من الطَّاقة ، لامن الطَّوْق فى العنق ، وقاله الخطابى فى أحدقوليه ، مع أن البخارى قد رواه ، فقال فى بعض روايته له : خُسِف به إلى سَبْع أرضين(٢) ،وفى مسند ابن أبى شيبة : من غَصَبَ شبراً من أرض جاء به إسْطَاماً فى عُنُقه ، والإسْطَامُ كالحَلَق من الحْديد ، وسِطَامُ السيف. حَدُّه(٣) .

الخطبة :

فصل : وذكر خُطبة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وفيها يقول الله عز وجل لعبده : ألم أوتِك مالا وأُفْضِل عليك ، فماذا قدَّمت ؟ وفى غير هذا الكتاب زيادة ، وهى : ألم أوتِك مالا ، وجَعَلْتُك تَرْبَعُ وتَدْسَعُ ؟ وفسره ابن الأنْبارِى ، فقال : هو مثل ، وأصله : أن الرئيس من العرب كان

---

(١) متفق عليه .

(٢) فسرها ابن الأثير فى النهاية بما يأتى : أى يخسف الله به الأرض فتصير القطعة المغصوبة فى عنقه كالطوق ، وقيل : هو أن يطوق حملها يوم القيامة ، أى يكلف ، فيكون من طوق التكليف لامن طوق التقليد .

(٣) سطام أو إسطام : الحديدة التى تحرك بها النار وتسعر «النهاية لابن الأثير».

رفع المسهم

. . . .

يَرْبَعُ قومَه أى : يأخذ المِرْباعَ إذا غزا ويَدْسَع : أى يُعطى ويَدفع من المال لمن شاء ، ومنه قولهم : فلان ضَخْمُ الدَّسِيعة(١) .

الحب :

وذكر خُطبة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الثانية ، وفيها : أحِبُّوا الله من كل قلوبكم ، يريد أن يَسْتَغرِقَ حُبُّ الله جميعَ أجزاء القلب ، فيكون ذكرُه وعملُه خارجا من قلبِه خالصاً لله ، وإضافةُ الحبِّ إلى الله تعالى من عبده مَجازٌ حسنٌ لأن حقيقة المحبة : إرادةٌ يقارنُها استِدعاء للمحبوب إمَّا بالطبع ، وإمَّا بالشرع ، وقد كشفنا معناها بغاية البيان فى شرح قوله عليه السلام : إن الله [تعالى] جميلٌ يحب الجمال(٢) ونبهنا هنالك على تقصير أبى المعالى رحمه الله فى شرح المحبة فى كتاب الإرادة من كتاب الشامل فَلْتُنْظَرْ هنالك(٣).

---

(١) أصل الدسع : الدفع . وضخم الدسيعة: واسع العطية ، ومعنى ألم أجعلك إلخ ـ كما فى النهاية لابن الأثير : ألم أجعلك رئيسا مطاعا ، لأن الملك كان يأخذ الربع من الغنيمة فى الجاهلية دون أصحابه .

(٢) رواه مسلم والترمذى والطبرانى فى الكبير والحاكم فى مستدركه .

(٣) أحسن من تكلم عن الحب هو الإمام ابن القيم فى كتابيه « روضة المحبين » وكتاب « مدارج السالكين » وفى هذا الأخير يقول الإمام الجليل إن الكلام عن الحب معلق بطرفين : « محبة العبد لربه ، وطرف محبة الرب لعبده .

والناس فى إثبات ذلك ونفيه أربعة أقسام : فأهل يحبهم الله ويحبونه على إثبات الطرفين ، وأن محبة العبد لربه فوق كل محبة تقدر ، ولا نسبة لسائر المحاب إليها ، وهى حقيقة : لا إله إلا الله ، وكذلك عندهم محبة الرب لأوليائه وأنبيائه ورسله صفة زائدة على رحمته وإحسانه ، وعطائه ، فإن ذلك أثر المحبة وموجبها ،

. . . .

فإنه لما أحبهم كان نصيبهم من رحمته وإحسانه وبره أتم نصيب .

والجهمية المعطلة عكس هؤلاء ، فإنه عندهم لايحب ولايحب ، ولم يمكنهم تكذيب النصوص ، فأولوا نصوص محبة العباد له على محبة طاعته وعبادته . والازدياد من الأعمال ؛ لينالوا بها الثواب ، وإن أطلقوا عليهم بها لفظ المحبة ، فلما ينالون به من الثواب والأجر والثواب المنفصل عندهم : هو المحبوب لذاته ، والرب تعالى محبوب لغيره حب الوسائل .

وأولوا نصوص محبته لهم باحسانه إليهم ، وإعطائهم الثواب ، وربما أولوها بثنائه عليهم ، ومدحه لهم ، ونحو ذلك . وربما أولوها بارادته لذلك .

فتارة يؤولونها بالمفعول المنفصل ، وتارة يؤولونها بنفس الإرادة .

ويقولون : الإرادة إن تعلقت بتخصيص العبد بالأحوال والمقامات العلية ، سميت محبة ، وإن تعلقت بالعقوبة والانتقام سميت غضبا . وإن تعلقت بعموم الإحسان والإنعام الخاص سميت برا ، وإن تعلقت بايصاله فى خفاء من حيث لايشعر أولا يحتسب سميت : لطفا ، وهى واحدة ، ولها أسماء وأحكام باعتبار متعلقاتها .

ومن جعل محبته للعبد ثناءه عليه ومدحه له . ردها إلى صفة الكلام ، فهى عنده من صفات الذات ، لامن صفات الأفعال ، والفعل عنده نفس المفعول ، فلم يقم بذات الرب محبة لعبده ولا لأنبيائه ، ورسله ألبتة .

ومن ردها إلى صفة الإرادة جعلها من صفات الذات باعتبار أصل الإرادة ، ومن صفات الأفعال باعتبار تعلقها .

ولما رأى هؤلاء أن المحبة إرادة ، وأن الإرادة لا تتعلق إلا بالمحدث المقدور . والقديم ويستحيل أن يراد أنكروا محبة العباد ، والملائكة والأنبياء والرسل له . وقالوا: لامعنى إلا إرادة التقرب إليه ، والتعظيم له، وإرادة عبادته ، فأنكروا خاصة الإلهية ، وخاصة العبودية ، واعتقدوا أن هذا من موجبات التوحيد والتنزيه ، فعندهم لايتم التوحيد والتنزيه ، إلا بجحد حقيقة الإلهية ، وجحد حقيقة العبودية .

. . . .

وجميع طرق الأدلة : عقلا ، ونقلا ، وفطرة وقياسا واعتبارا . . تدل على إثبات محبة العبد لربه ، والرب لعبده . .

ثم قال إن من أنكروا المحبة : « قد أنكروا خاصة الخلق والأمر ، والغاية التى وجدوا لأجلها ، فان الخلق والأمر والثواب والعقاب إنما نشأ عن المحبة ، ولأجلها،وهى الحق الذى به خلقت السموات والأرض ، وهى الحق الذى تضمنه الأمر والنهى ، وهى سر التأليه ، وتوحيدها ، هو : شهادة أن لا إله إلا الله ...

والقرآن والسنة مملوآن بذكر من يحبه الله سبحانه ، من عباده المؤمنين . وذكر مايحبه من أعمالهم وأقوالهم وأخلاقهم كقوله تعالى : (والله يحب الصابرين) آل عمران : ١٤٦ (والله يحب المحسنين) آل عمران ١٣٤ ، ١٤٨ .

وكم فى السنة : أحب الأعمال إلى الله كذا كذا فلو بطلت مسألة المحبة لبطلت جميع مقامات الإيمان والإحسان ، ولتعطلت منازل السير إلى الله ، فانها روح مقام ومنزلة وعمل ، والمحبة حقيقة العبودية . . فمنكر هذه المسألة ومعطلها من القلوب معطل لذلك كله ، وحجابه أكثف الحجب ، وقلبه أقسى القلوب ، وأبعدها عن الله ، وهو منكر لخلة إبراهيم عليه السلام ، فان الخلة كمال المحبة » ص ١٨ إلى ص ٢٧ باختصار حـ ٣ ط السنة المحمدية .

وبالنصوص القرآنية يثبت لنا أن الحب ليس هو الإرادة ، وإنما هو صفة أخرى . والذين ينكرون حب الله لعباده ، وحب العباد لله،قوم عيونهم وأفكارهم مشدودة إلى صفات البشر بكل مالهذه الصفات البشرية من خصائص ، وظنوا - خاضعين فى هذا لأفكار غير عربية وغير إسلامية أنهم إن وصفوا الله بهذه الصفات التى بها وصف الله نفسه . أو أضافوا إليه من الأفعال والأسماء ما أضافه إلى نفسه . . ظنوا أنهم إن فعلوا ذلك أسندوا إلى الله مايسندونه من لوازم هذه الصفات فى بشريتها إلى البشر ، زعموا أن من لوازم الحب اللهف والقلق والخوف والشوق والفقر ، والشعور بالنقص فنفوا عن الله صفة أنه يحب أو أنه استوى ، أو . . لأن هذه الصفات تستلزم مايستحيل إطلاقه على الله . وهذا الظن قصور وتقصير . وإفراط فى المادية ، واستغراق فى الذهول عن الحقيقة ، فإن الصفة

تستمد قيمتها من موصوفها . بل إن الصفات تتغير وتتباين لوازمها تبعا لتباين الموصوفات فى الخلق أنفسهم ، فغضبي ليس عين غضبك وحبي ليس عين حبك . وحبنا ليس حب الآخرين . فما بالنا بصفات الخالق ؟ ؟ فكيف نسند إلى صفات الخلاق ما نسنده إلى صفات البشر من لوازم وخصائص ؟ وكيف نظن أن حب الله مثل حب خلقه ! حتى نحمل عليه ما نحمله عليهم ؟ وكيف نجرؤ على أن نجرد صفات الله من معانيها ، أو ننفيها عنه ونحن مستعبدون لظنون وأوهام ضرب الشيطان بها أفكار غيرنا وقلوبهم فأعماهم وأضلهم عن سواء السبيل ؟

وكيف نسوى بين صفتين ، لم يجعل الله إحداهما عين الأخرى ، كيف نسوى بين الإرادة والمحبة ، والله يقول : (قل : من ذا الذى يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءا أو أراد بكم رحمة) الأحزاب : ١٧ (قل : فمن يملك لكم من الله شيئا إن أراد بكم ضرا ، أو أراد بكم نفعا) الفتح : ١١ (إن أرادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره ، أو أرادنى برحمة هل هن ممسكات رحمته) الزمر : ٣٨

(وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ، ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا) الإسراء : ١٦

(ومن يرد الله فتنته ، فلن تملك له من الله شيئا) المائدة : ٤١

(إن يردن الرحمن بضر لا تغن عنى شفاعتهم شيئا) يس : ٢٣ أو يمكن أن نضع الحب مكان الإرادة فى هذه الآية ؟

لقد تكرر إسناد الحب إلى الله فى القرآن إثباتا قرابة عشرين مرة ، وفى كل مرة يتعلق الحب بصفة فى العبد تجعله من خير العباد الذين يستحقون هذه المحبة الإلهية ، فهو جل شأنه يحب المحسنين ، والتوابين والمتطهرين ، والمتقين والصابرين ، والمتوكلين ، والمقسطين والمطهرين والذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص ، والأذلة على المؤمنين الأعزة على الكافرين ، والذين يحبونه ، ويتبعون نبيه ، وهو لا يحب المعتدين ، ولا يحب الفساد ولا المفسدين ، ولا يحب الكفار الأثيم ولا يحب الظالمين ، ولا يحب من كان مختالا فخورا ولا يحب المسرفين ، ولا يحب الخائنين ، ولا يحب المستكبرين ، ولا يحب كل خوان فخور ، ولا يحب الفرحين ، ولا يحب الكافرين ، هكذا يثبت الله حبه

رفع
المسلم
عبد الله الزاملي

. . . .

من شرح الخطبة

وقوله عليه السلام : لا تَمَلُّوا كلامَ الله وذكرَه ، فإنه من كل ما يخلق الله يختار ويصطفى . الهاء فى قوله : فإنه لايجوز أن تكون عائدةً على كلام الله سبحانه ، ولكنها ضمير الأمر والحديث ، فكأنه قال : إن الحديثَ من كل مايخلق الله يختار ، فالأعمال إذاً كلُّها من خَلْق الله قد اختار منها ماشاء قال سبحانه : ﴿ [وربك] يَخْلُقُ مايشاء ويَخْتار ﴾ القصص : ٦٨ ، وقوله : قد سماه خيرته من الأعمال ، يعنى : الذكر ، وتلاوة القرآن ؛ لقوله سبحانه : ويختار ، فقد اختاره من الأعمال .

وقوله : والمصطَفى من عباده ، أى : وسمى المصطَفى من عباده بقوله : ﴿ الله يَصْطَفِى من الملائكةِ رُسُلاً ومن الناس ﴾ الحج : ٧٥ ويجوز أن يكون معناه المصطفى من عباده أى : العمل الذى اصطفاه منهم واختاره من أعمالهم ، فلا تكون من على هذا للتبعيض ، إنما تكون لابتداء الغاية ، لأنه عملٌ استخرجه منهم بتوفيقه إياهم . والتأويلُ الأولُ أقرب مأخذاً والله أعلم بما أراد رسوله .

لقوم ، وينفيه عن آخرين ، وبهذا الإثبات والنفى ، تأكد ثبوت هذه الصفة الإلهية له سبحانه . فلنؤمن بأن الله يحب ، ولنقل إن الله يحب ، ولنسعد بأن الله يحب ، ولنشعر بروح وريحان حين نذكر ونقرأ ونقول : إن الله يحب ، ولن تلبس خاطرة من فكرة مهما كان شأنها فى الصغر أو الكبر أن حب الله يشبه حب خلقه . إلا إذا كان ثمة إنسان يجعل الله بعض خلقه !! وجل جلال الله سبحانه أن نشبهه بشئ ؛ أو ننفى عنه ما أثبته لنفسه .

. . . .

وقوله فى أول الخطبة[1] إن الحمدُ لله أحمدُه هكذا برفع الدال من قوله: الحمدُ لله وجدته مقيداً مصححا عليه ، وإعرابه ليس على الحكاية ، ولكن على إضمار الأمر كأنه قال : إن الأمر الذى أذكره ، وحذف الهاء العائدة على الأمر كى لا يقدِّم شيئاً فى اللفظ من الأسماء على قوله : الحمدُ لله ، وليس تقديم إن فى اللفظ من باب تقديم الأسماء ، لأنها حرف مؤكِّد لما بعده مع ما فى اللفظ من التحرى للفظ القرآن والتيمن به ، والله أعلم .

وكانت خطبتُه فى تلك الأيام على جِذْع ، فلما صُنِع له الْمِنْبَر من طَرْفَاء الغابة[2] ، وصنعه له عبد لامرأة من الأنصار اسمه باقوم[3] خار الجذع خُوارَ

(١) روى أبو داود عن الخطبة الثانية ما يأتى : عن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبى إذا تشهد قال : الحمد لله . . . الحديث إلى قوله لا شريك له . وقد صحح النووى إسناد هذا الحديث فى شرحه لمسلم . هذا ويرى الحسن البصرى ، وداود الظاهرى ، والجوينى والشوكانى أن الخطبة مندوبة ، وليست بواجبة .

(٢) شجر ، الواحدة : طرفة ، وقال سيبويه : الطرفاء واحد وجمع . ويصفها المعجم الوسيط بقوله جنس جنبات وجنيبات للتزيين من الفصيلة الطرفاوية ، ومنها: الأثل ، وفى الصحيحين عن سهل بن سعد أنه صنع له من أثل الغابة ، ويقول الزرقانى فى المواهب : وهو شجر كالطرفاء لا شوك له ، وخشبه جيد ، يعمل منه القصاع والأوانى ، والغابة : موضع بالعوالى

(٣) واختلف فى اسم صانعه ، ففى الصحيح أنه ميمون مولى امرأة من الأنصار ، وقيل : مولى سعد بن عبادة ، فكأنه فى الأصل مولى امرأته ، ونسب إلى سعد مجازا – وقد اختلف أيضا فى اسم امرأة سعد – وروى أبو نعيم أن صانعه باقوم الرومى مولى سعيد بن العاص ، أو باقول ، أو صباح ، أو قبيصة ، أو مينا ، أو صالح أو كلاب ، وكلاهما مولى العباس ، أو إبراهيم ، أو تميم الدارى

. . . .

الناقة الخَلُوج ، حتى نزل عليه السلام، فالتزمه ، وقال : لو لم ألتزمه مازال يَخُور إلى يوم القيامة ، ثم دفنه ، وإنما دفنه ، لأنه قد صار حكمه حكم المؤمن لحبه وحنينه إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، وهذا ينظر إلى قوله تعالى : ﴿ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴾ الآية ، وإلى قوله عليه السلام فى النخلة : مثَلُها كمثل المؤمن ، وحديث خُوارِ الجِذْع وحنينُه منقول نقل التواتر لكثرة من شاهد خُواره من الخلق وكلهم نقل ذلك ، أوسمعه من غيره فلم ينكره[1].

كما ورد فى أبى داود . ويقول الحافظ فى الفتح : وليس فى جميع الروايات التى سمى فيها النجار شيء قوى السند سوى الحديث الذى رواه أبو داود عن ابن عمر لكن لم يصرح فيه بأن صانعه تميم. وأشبه الأقوال بالصواب بأنه ميمون لكونه من طريق سهل بن سعد . . وكان المنبر ذا ثلاث درجات ، وزاد فيه مروان ست درجات لما كثر الناس ، ولما احترق المسجد سنة ٦٥٤ جدد المظفر صاحب اليمن سنة ست وخمسين منبرا ، ثم أرسل الظاهر بيبرس بعد عشر سنين منبرا ، فأزيل منبر المظفر ، ولم يزل منبر بيبرس إلى سنة ٨٢٠ ، ثم أرسل المؤيد شيخ منبرا ، فبقى سنة ٨٦٧ ، فأرسل الظاهر خشقدم منبرا .

(١) يقول القاضى عياض فى الشفاء عن حديث حنين الجذع : حديث حنين الجذع مشهور منتشر ، والخبر به متواتر ، أخرجه أهل الصحيح ، ورواه من الصحابة بضعة عشر ، منهم أبى بن كعب وجابر وأنس وابن عمر وابن عباس وسهل بن سعد وأبو سعيد الخدرى وبريدة وأم سلمة والمطلب بن أبى وداعة .

وقد أخرج البخارى الحديث فى علامات النبوة ، والترمذى فى الصلاة عن عن نافع عن ابن عمر ، ورواه أحمد من رواية أبى جناب وهو ضعيف عن أبيه أبى حية عن ابن عمر ، ورواه ابن ماجة وأبو يعلى الموصلى وغيرهما من رواية حماد بن مسلمه عن ثابت عن أنس ، ورواه الترمذى وصححه وأبو يعلى وابن خزيمة والطبرانى والحاكم وصححه ، وقال على شرط مسلم يلزمه إخراجه من رواية

رفع المسهم

. . . .

كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بينه وبين اليهود

شرط لهم فيه ، وشرط عليهم ، وأمَّنهم فيه على أنفسهم وأهليهم وأموالهم ، وكانت أرضُ يَثْرِبَ لهم قبل نزول الأنصار بها ، فلما كان سَيْلُ العَرِم ، وتفرَّقَتْ سبأ نزلت الأوسُ والخزْرَجُ بأمر طَرِيفَة الكاهِنة ، وأمرِ

إسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة عن أنس ، ورواه الطبرانى من رواية الحسن عن أنس ، ورواه أحمد بن منيع والطبرانى وغيرهما من رواية حماد ابن سلمة عن عمار بن أبى عامر عن ابن عباس . ورواه أحمد والدارمى وأبو يعلى وابن ماجة وغيرهم من رواية الطفيل بن أبى بن كعب عن أبيه . ورواه الدارمى من رواية أبى حازم عن سهل بن سعد ، ورواه أبو محمد الحسن بن على الجوهرى من رواية عبد العزيز بن رواد عن نافع عن تميم الدارى . وقال الحافظ فى الفتح : « حنين الجذع وانشقاق القمر نقل كل منهما نقلا مستفيضا يفيد القطع عند من يطلع على طرق الحديث دون غيرهم ممن لا ممارسة فى الله ، والله أعلم » وقال البيهقى : « قصة حنين الجذع من الأمور الظاهرة التى حملها الخلف ورووها عن السلف رواية الأخبار الخاصة كالتكليف »

أقول : زالت آية الجذع ، وبقيت آية الله الكبرى التى من بها على محمد صلى الله عليه وسلم ، وهى القرآن ، ومن يتدبر القرآن يجده هاديا إلى الأدلة التى بها تثبت نبوة عبده وخاتم أنبيائه ، وذكر فيه من آياته الكبرى ما ذكر . والله يمن على عبده بما شاء .

والناقة الخلوج : التى اختلج ولدها أى انتزع منها . وحديث النخلة فى الجامع الصغير : « مثل المؤمن مثل النخلة ما أخذت منها من شىء نفعك » وقال عنه رواه الطبرانى عن ابن عمر ! !

. . . .

عِمْرَان بن عامر ، فإنه كان كاهناً أيضا وبما سَجَعَتْ به لكل قبيلة من سَبَا ، فَسَجَعَتْ لبنى حارثة بن ثَعْلَبَة . وهم الأوس والخزرجُ أن يَنزِلوا يَثْرِبَ ذاتَ النخلِ فنزلوها على يَهُودَ وحالفوهم وأقاموا معهم ، فكانت الدارُ واحدةً .

متى دخل اليهود يثرب؟:

والسبب فى كون اليهود بالمدينة ، وهى وسط أرض العرب مع أن اليهودَ أصلُهم من أرض كَنْعَانَ أن بنى إسرائيلَ كانت تغير عليهم الْعَمَالِيقُ من أرض الحجاز ، وكانت منازلهم يَثْرِبَ والْجُحْفَة إلى مكة ، فشكت بنو إسْرائيلَ ذلك إلى موسى ، فوجه إليهم جيشاً ، وأمرهم أن يقتلوهم ، ولا يُبْقوا منهم أحداً ، ففعلوا وتركوا منهم ابنَ ملك لهم كان غلاما حسناً ، فرقُّوا له ، ويقال للملك : الأرقم بن أبى الأرقم فيما ذكر الزبير ثم رجعوا إلى الشام وموسى قد مات ، فقالت بنو إسرائيل لهم : قد عصيتم وخالفتم ، فلا نُؤْويكم ، فقالوا : نرجع إلى البلاد التى غَلبْنا عليها فنكون بها ، فرجعوا إلى يثرب ، فاستوطنوها وتناسلوا بها إلى أن نزلت عليهم الأوسُ والخزرجُ بعد سيل الْعَرِم . هذا معنى ماذكره أبو الفرج الأصْبَهَانِىّ فى كتابه الكبير المعروف : بكتاب الأغانى ، وإن كان الزُّبَيْر قد ذكره أيضاً فى أخبار المدينة ، ولا أحسب هذا صحيحاً لبعد عُمْرِ موسى عليه السلام ، والذى قال غيره إن طائفة من بنى إسرائيل لحقت بأرض الحجاز حين دَوَّخ بُخْتُ نَصَّرَ البابلى فى بلادهم ، وجاس خِلال ديارهم ، فحينئذ لحق من لحق منهم بالحجاز كقُرَيْظَة والنَّضِير ، وسكنوا خَيْبَر والمدينة ، وهذا معنى ماذكر الطبرى والله أعلم .

رفع المسهم

. . . .

اسم يثرب

وأما يَثْرِبُ فاسم رجل نزل بها أول من العماليق فعُرفت باسمه ، وهو يَثْرِبُ بن قَاين بن عَبِيل بن مِهْلايل بن عوص بن عِمْلاق بن لَاوذ بن إِرَم ، وفى بعض هذه الأسماء اختلافٌ وبنو عَبِيلٍ هم الذين سكنوا الْجُحْفَةَ فأَجْحَفَت بهم السيولُ وبذلك سُمِّيت الْجُحْفَة[1] ، فلما احتلها رسول الله — صلى الله عليه وسلم — كره لها هذا الاسم أعنى : يَثْرِب لما فيه من لفظ التَّثْرِيب ، وسماها طيبَة والمدينة .

فإن قلت : وكيف كره اسما ذكرها اللهُ فى القرآن بِهِ ، وهو الْمُقْتَدِى بكتاب الله ، وأهلٌ أن لايعْدِل عن تسمية الله ؟ قلنا إن الله — سبحانه — إنما ذكرها بهذا الاسم حاكياً عن المنافقين ؛ إذ قالت طائفة منهم : ﴿ يا أَهْلَ يثْرِبَ لا مُقامَ لكم ؟ ﴾ فنبهه بما حكى عنهم أنهم قد رغبوا عن اسم سماها الله به ورسوله ، وأبوا إلا ما كانوا عليه فى جاهليتِهم ، والله سبحانه قد سماها : المدينة ، فقال غير حاكٍ عن أحد : ﴿ ما كان لأهل المدينة ومَنْ حَوْلَهُمْ من الأعراب أن [يَتخَلَّفوا عن رسول الله] ﴾ التوبة ١٢٠ ، وفى الخبر عن كَعْب الأحبار قال : إنا نجد فى التَّوْرَاة يقول الله للمدينة يَا طَابَةُ يا طيبَةُ يامِسْكِينة لاتقبلى السكُنوزَ أَرْفع أَجاجِيرَكِ على أَجاجِيرِ[2] الْقُرى ، وقد رُوى هذا الحديث عن

---

(١) أجحف به : ذهب به ، وكان اسم الجحفة : مهيعة « معجم البكرى ، المراصد ، القاموس »

(٢) أجاجير : جمع إجار ، وهو السطح الذى ليس حواليه ما يرد الساقط عنه ، والأناجير جمع أيضا

. . . .

على بن أبى طالب يرفعه ، وروى أيضا أن لها فى التوراة أَحَدَ عَشَرَ اسما : المدينة وطَابَة وطِيبة والْمِسْكِينة والجابرة والْمُحِبَّة والْمَحْبُوبة والقَاصِمة والْمَجْبُورة والْعَذْراء والْمَرْحُومه(١) ، وروى فى معنى قوله : ﴿ وقُلْ رَبِّ

---

(١) فى تسميتها روى مسلم عن جابر بن سمرة قال : كان الناس يقولون : يثرب والمدينة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم — إن الله عز وجل سماها : طابة .

وعن زيد بن ثابت أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : إنها طيبة ، وإنها تنفى الخبث ، كما تنفى النار خبث الفضة « مسلم أيضاً » .

وعن أحمد : من سمى المدينة ، فليستغفر الله عز وجل ، هى طابة ، هى طابة

وقال الأزهرى : كره ذكر الثرب ، لأنه فساد فى لسان العرب

ويرى ابن فارس وقطرب أن المدينة من دان إذا أطاع ، فتكون الميم زائدة ، وقيل من مدن بالمكان إذا أقام به ، فتكون الميم أصلية وجمعها مدن بضم الدال وإسكانها ومدائن وترك الهمزة أفصح ، والنسب إلى المدينة مدنى ، وإلى مدينة المنصور مدينى ، وإلى مدائن كسرى : مدائنى وقيل : مدنى إذا نسبت الرجل والثوب . أما الطير فدينى . والطاب والطيب لغتان بمعنى . وحديث كعب رواه ابن زبالة وما أضعفه .

وقد ذكرت لها أسماء أخرى منها : طيبة بتشديد الياء ، والمطيبة بتشديد الياء مع فتحها ، والدار والعذراء ـ لشدة حرارتها ـ ، والحبيبة ، ومدخل صدق ، ودار السنة ، ودار الهجرة ، والبلاط ، والإيمان ، ويندر ، ويندد والبحرة والبحيرة . وقد غالى السمهودى فذكر لها أكثر من تسعين اسما « راجع ص ٢٣٢ إعلام الساجد ص ٧ وفاء الوفا للسمهودى ، ص ٦٢٠ القرى للمحب الطبرى .

وقد اختلف فى يثرب ـ كما قال ابن دقيق العيد فى شرح الإمام ـ : هل هو اسم يرادف المدينة ، أو هو اسم لقطر محدود ، والمدينة فى ناحية منه ؟ وعن

. . . .

أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ [وأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ]﴾ الإسراء : ٨٠ أنها المدينة ، وأن ﴿مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ مَكَّة و﴿سُلْطَانًا نَصِيراً﴾ الأنصار .

تفسير على ربعاتهم :

وفي الكتاب : بنو فلان على رِبِعَاتِهم . هكذا رواه أبو عُبَيْد عن ابن بُكَير عن عُقَيْلِ بن خالد [بن عقيل الأَيْلِي] عن الزهري ورواه عن عبدالله ابن صالح بهذا الإسناد ، فقال : رِبَاعِتِهم . الألف بعد الباء ، ثم قال أبوعبيد: يقال : فلان على رِبَاعَة قومه إذا كان نقيبهم ووافدهم .

قال المؤلف : وكسر الراء فيه القياس على هذا المعنى ، لأنها ولاية ، وإن جعل الرَّبَاعة مصدراً فالقياس فتح الراء،أي على شأنهم وعادتهم من أحكام الدِّيَات والدماء[1] يتعاقلون مَعَاقِلَهم الأولى : جمع : مَعْقَلة ومَعْقُلَة من العَقْلِ

أبي عبيد : يثرب اسم أرض ، ومدينة الرسول في ناحية منها ، . وقيل : أرض وقعت المدينة في ناحية منها أو أن يثرب اسم للمدينة ، هكذا ورد في الكشاف. وقال ابن عطية : يثرب قطر محدود، والمدينة في طرف منه ، وقدغالي السمهودي، فجمع لها أكثر من تسعين اسما . وانظر ص ١٠٩ وما بعدها ح ١ وفاء الوفاء في سكناها وما ذكر في سبب نزول اليهود بها وبيان منازلهم .

(١) في النهاية لابن الأثير : يقال القوم على رباعتهم ، ورباعهم أي : على استقامتهم، يريد : أنهم على أمرهم الذي كانوا عليه ، ورباعة الرجل : شأنه وحاله التي هو رابع عليها ، أي : ثابت مقيم . وعند الخشني : الربعة والرباعه الحال التي جاء الإسلام ، وهم عليها ، ويقال : فلان يقوم برباعة أهله ، إذا كان يقوم بأمرهم وشأنهم ص ١٢٥

. . . .

وهو الدِّيَة (١) .

من كلمات الكتاب :

وقال فى الكتاب : وألاّ يُتْرَكَ مُفْرَحٌ ، وفسره ابنُ هِشام كما فسره أبو عُبَيْد أنه الذى أثقله الدَّيْن ، وأنشد البيت الذى أنشده أبو عُبَيْد (٢) .

إذا أنْتَ لم تَبْرَحْ تُؤَدِّى أَمَانَةً ... وتَحْمِلُ أُخْرَى أَفْرَحَتْكَ الْوَدَائِعُ

أى : أثقلتك يجوز أن يكون من أفعال السَّلْب ، أى سَلَبَتْك الْفَرَح ، كما قيل : أَقْسَطَ الرجلُ إذا عَدَل ، أى : أزال الْقِسْطَ ، وهو الإعْوِجَاجُ ، ويجوز أن تكون الفاء مُبْدَلَةً من باء ، فيكون من الْبَرْح وهو الشدة ، تقول : لقيت من فلان بَرْحًا أى : شِدَّة ، وذكر أبو عُبَيْد رواية أخرى مُفْرَج بالجيم ، وذكر فى معناه أقوالا ، منها أنه الذى لاديوان له ، ومنها : أنه القتيل بين القريتين لا يُدْرَى من قتله ، ومنها أنه فى معنى الْمُقْرَح بالحاء أى :

---

(١) يقال : بنو فلان على معاقلهم التى كانوا عليها ، أى : مراتبهم وحالاتهم ، وسميت دية القتيل : عقلا ، لإن القاتل كان إذا قتل قتيلا جمع الدية من الإبل ، فعقلها بفناء أولياء المقتول ، أى شدها فى عقلها ، ليسلمها إليهم ، ويقبضوها منه ، فسميت الدية : عقلا بالمصدر ، يقال . عقل البعير يعقله عقلا ، وجمعها عقول ، والعاقلة : هى العصبة والأقارب من قبل الأب الذين يعطون دية قتيل الخطأ . وهى صفة جماعة عاقلة ، وأصلها اسم فاعلة من العقل ، وهى من الصفات الغالبة انظر مادة عقل فى النهاية لابن الأثير

(٢) فى اللسان أبو عبيدة ، ونسبه لبيهسى العذرى ، وقبله :

إذا أنت أكثرت الأخلاء صادفت ... بهم حاجة بعض الذى أنت مانع

رفع المسهم

. . . .

الذى لاشىء له ، وقد أثقله الدين ، أو نحو(١) هذا فيُقْضَى عنه من بيت المال .

وفيه : ولا يُوتِغُ إلا نفسه ، أى : لا يُوبِقُ ، ويهلك إلا نفسه ، يقال وَتِغَ الرجلُ ، وأوتغه غيرُه ، قاله أبو عبيد . ومعنى قوله يُبِىء هو من البَوَاء ، أى : المساواة ، ومنه قول مُهَلْهِل حين قَتَل ابنًا للحارث بن عُبَاد : بُؤْ بِشِسْعِ نَعْلِ كُلَيْب(٢) .

وقولَه : إن الْبِرَّ دُون الإِثْم ، أى : إن البرَّ والوفاء ينبغى أن يكون حاجزاً عن الإثم .

وقوله : وإن الله على أتقى ما فى هذه الصحيفة وأبره ، أى : إن الله وحزبه المؤمنين على الرِّضى به ، وقال أبو عبيد فى كتاب الأموال : إنما كتب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ هذا الكتابَ قبل أن تُفْرض الجِزْيةُ ،

(١) وفى اللسان عن أبى عبيد : أن المفرج هو الذى يسلم ، ولا يوالى أحدا فاذا جنى جناية ، كانت جنايته على بيت المال ، لأنه لا عاقلة له .

(٢) حين نشب الشرا ستعرت الحرب بين بكر وتغلب أربعين سنة ، وكان الحارث ابن عباد البكرى قد اعتزل القـــوم ، فلما استحر القتل فى بكر ، اجتمعوا إليه وقالوا : قد فنى قومك فأرسل الحارث إلى مهلهل أخى كليب بجيرا ابنه يناشده السلام ، فقد أدرك وتره من بكر ، فلما عرف المهلهل أن بجيرا هو ابن الحارث ابن عباد قتله قائلا : بؤ بشسع نعل كليب ، فلما علم أبوه الحارث بهذا خرج يقاتل المهلهل وبنى تغلب ثائراً ببجير ابنه ، وأنشأ يقول :

قربا مربط النعامـــة منى ... إن بيع الكريم بالشسع غالى
قربا مربط النعامـــة منى ... لقحت حرب وائل عن حيال
لم أكن من جناتها . علم الله ... وإنى بشـــرها اليوم صالى

ويروى : بحرها . والنعامة : فرس الحارث ، وكانت هزيمة تغلب على يد الحارث.

رفع المسهم

. . . .

وإذ كان الإسلام ضعيفاً . قال : وكان لليهود إذ ذاك نصيب فى المَغْنَم إذا قاتلوا مع المسلمين ، كما شرط عليهم فى هذا الكتابِ النفقةَ معهم فى الحروب .

المؤاخاة بين الصحابة

فصل المؤاخاة بين الصحابة : آخى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بين أصحابه حين نزلوا المدينة ، ليُذهِب عنهم وَحْشَة الغُرْبة ويؤنسهم من مفارقة الأهل والعَشيرة ، ويشُدَّ أَزْرَ بعضِهم ببعضٍ ، فلما عز الإسلام واجتمع الشَّمْلُ ، وذهبت الوحشة أنزل الله سبحانه : ﴿ وأولو الأرْحَام بعضُهم أولى ببعضٍ فى كتاب الله ﴾ الأنفال ٧٥ أعنى فى الميراث[1] ، ثم جعل المؤمنين كلهم إخوة

---

(١) من أين جاء بهذا ، وليس فى آيات الميراث شيء من هذا ؟ ، هذا وقد أنكر الإمام ابن تيمية رضى الله عنه فى منهاج السنة النبوية المؤاخاة بين المهاجرين والمهاجرين . وأقول : إنه ينكر هذه المؤاخاة بمعناها الخاص المعروف ، وإلا فالمسلم من أول يوم هو أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه . ولنتدبر ما ذكر الله فى أول سورة الحشر عما فعل الأنصار بإخوتهم المهاجرين ، ففى هدى الله هداية الحق والنور المبين لا فى كلام السهيلى أو غيره

ويقول الإمام ابن القيم : « وقد قيل : إنه آخى بين المهاجرين بعضهم مع بعض مؤاخاة ثانية ، واتخذ فيها عليا أخا لنفسه .

والثابت الأول . يعنى المؤاخـــاة بين المهاجرين والأنصار ـ والمهاجرون كانوا مستغنين بأخوة الإسلام ، وأخوة الدار ، وقرابة النسب عن عقد مؤاخاة بخلاف المهاجرين مع الأنصار ، ولو آخى بين المهاجرين ، كان أحق الناس بأخوته أحب الخلق إليه ، ورفيقه فى الهجرة ، وأنيسه فى الغـــار ، وأفضل الصحابة ، وأكرمهم عليه : أبو بكر الصديق ، وقد قال : لو كنت متخذا من أهل الأرض خليلا ، لا تخذت أبا بكر خليلا ، ولكن أخوة الإسلام أفضل ، « الصحيحان

رفع المسهم

. . . .

فقال : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ يعنى فى التَّوادِّ وشُمُول الدعوة . وذكر مؤاخاته بين أبى ذَرٍّ والْمُنْذِرِ بن عَمْرو ، وقد ذكرنا إنكار الواقدى لذلك فى آخر حديث بيعة العقبة .

نسب أبي الدرداء :

فصل : وذكر مؤاخاةَ سَلْمَان وأبى الدَّرْدَاء ، وأبو الدَّرْدَاء اسمهُ عَوَيْمِرُ ابن عامر ، وقيل عُوَيمِرُ بن زيد بن ثعلبة ، وقيل : عُوَيْمِرُ بن مالك بن ثَعْلَبة بن عمرو بن قيس بن أُميَّة من بَلْحارِث[1] بن الْخَزْرَج ، أمه : مَحَبَّةُ بنت وَاقد بن عَمْرو بن الإطْنَابة ، وامرأته : أم الدَّرْدَاء ، اسمها : خَيْرَةُ بنت أبى حدْرَدٍ ، وأم الدرداء الصغرى ، اسمها : جُمَانَة ، مات أبو الدرداء بدمشق سنة اثنين وثلاثين ، وقيل سنة أربع وثلاثين[2] .

من حديث أنس ، وفى لفظ ، ولكن أخى وصاحبى ، وهذه الأخوة فى الإسلام وإن كانت عامة كما قال : وددت أن قد رأينا إخواننا ؟ قالوا : ألسنا إخوانك ؟ قال : أنتم أصحابى ، وإخوانى : قوم يأتون من بعدى يؤمنون بى ، ولم يرونى رواه مسلم .

فللصديق من هذه الأخوة أعلى مراتبها ، كما له من الصحبة أعلى مراتبها ، فالصحابة لهم الأخوة ومزية الصحبة ولأتباعهم الأخوة والصحبة . ص ١٧٦ ح ٢ زاد المعاد ط السنة المحمدية .

(١) « اختلف فى اسم أبيه ، فقيل : عامر أو مالك أو ثعلبة أو عبد الله أو زيد ، وأبوه : ابن قيس بن أمية بن عامر بن عدى بن كعب بن الخزرج الأنصارى الخزرجى » الإصابة

(٢) قيل مات لسنتين بقيتا من خلافة عثمان ، وقال ابن عبد البر إنه مات بعد صفين ، والأصح عند أصحاب الحديث أنه مات فى خلافة عثمان .

. . . .

نسب القزع

فصل وذكر مؤاخاة أبى رُوَيْحَةَ وبلالٍ ، وسماه: عَبْدَ الله بن عبد الرحمن ، وقال : هو أحد الْفَزَعِ[(١)]، لم يبينه بأكثر من هذا ، والْفَزَعُ عند أهل النسب ، هو ابن شَهْرَان بن عِفْرِس بن حُلْف بن أَفْتَل ، وأَفْتَلُ هو خَثْعَمُ . وقد تقدم فى أول الكتاب : لِمَ سمى خَثْعَمُ وهو ابن أنمار ، وقد تقدم خلاف النسابين فيما بعد أَنْمَارٍ .

والْفَزَع هذا بفتح الزاى ، وأما الْفَزْعُ بسكونها ، فهو الْفَزْعُ بن عبد الله ابن ربيعة [بن جندل] ، وكذلك الْفَزْعُ فى خُزَاعة ، وفى كلب هما ساكنان أيضاً قاله ابن حبيب ، وقال الدَّارَقُطْنِيُّ : الْفَزَعُ بفتح الزاى : رَجُلٌ يَرْوِى عن ابن عُمر .

وذكر آخر فى الرواة أيضاً بفتح الزاى يَرْوِى حديثاً فى الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عقد لأبى رُوَيْحَةَ الخثعمى لواء عام الفتح ، وأمره أن ينادى : مَنْ دخل تحت لواء أبى رُوَيْحَةَ ، فهو آمن .

مؤاخاة حاطب بن أبى بلتعة

فصل : وذكر مؤاخاة حَاطِبِ بن أبى بَلْتَعَةَ[(٢)] وعُوَيْم بن ساعدة ،

---

(١) ويروى بالقاف كما ذكر الخشنى .

(٢) نسب حاطب فى الإصابة : حاطب بن أبى بلتعة بن عمرو بن عمير بن سلمة ابن صعب بن سهل اللخمى .

خبر الأذان

قال ابن إسحاق : فلما اطمأنّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، واجتمع إليه إخوانُه من المُهاجرين ، واجتمع أمرُ الأنصار ، استحكم أمرُ الإسلام ، فقامت الصلاة ، وفُرضت الزكاةُ والصيام ، وقامت الحدُود ، وفُرض الحلالُ والحرام ، وتبوأ الإسلام بين أظْهُرِهم ، وكان هذا الحىّ من الأنصار هم الذين تبوّءوا الدار والإيمان . وقد كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين قَدِمها إنما يجتمع الناسُ إليه للصلاة لحين مَواقيتها ، بغير دَعْوة فهمّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين قَدِمها أن يجعل بُوقا كبُوق يَهُودَ الذين يدعون به لصلاتهم ، ثم كرهه ، ثم أمر بالناقوس ، فنُحِت ليُضرب به للمسلمين للصلاة .

رؤيا عبد الله بن زيد

فبينما هم على ذلك ، إذ رأى عبدُ الله بن زيد بن ثَعْلبة بن عبد ربه ، أخو بَلْحَارِث بن الخزْرج ، النداء ، فأتى رسولَ صلى الله عليه وسلم ، فقال له : يارسول الله ، إنه طاف بى هذه الليلة طائف : مرّ بى رجلٌ عليه ثوْبان أخضران ، يحمل ناقوسا فى يده ، فقلت له : ياعبد الله ، أتَبيع هذا النَّاقُوسَ ؟ قال :

وقال فى حاطب : حليف بنى أسد ، وقال غيره : كان عَبْداً لعُبَيْد الله بن حميد ابن زُهَيْر بن أسد بن عبد العُزّى ، وقيل : كان من مَذْحِج ، والأشهر : أنه من لخم بن عَدِىّ ، واسم أبى بَلْتَعة عَمْرو بن أشَدّ بن مَعَاذ . والبَلْتَعَةُ من قولهم تَبَلْتَع الرجلُ إذا تظرّف ، قاله أبو عبيد فى الغريب المصنف .

وما تصنع به؟ قال : قلت : ندعوا به إلى الصلاة ، قال : أفلا أدلك على خيرٍ من ذلك؟ قال : قلت : وماهو؟ قال :تقول : الله أكبر الله أكبر ، الله أكبر الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمدا رسول الله ، أشهد أن محمدا رسول الله ، حيّ على الصلاة ، حيّ على الصلاة ، حيّ على الفلاح ، حيّ على الفلاح ، الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله .

فلما أخْبَرَ بها رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، قال : إنها لَرُؤْيَا حَق ، إن شاء الله ، فقم مع بلال فألْقِها عليه ، فَلْيُؤَذِّن بها ، فإنه أنْدَى صوتا منك . فلما أذّن بها بلالٌ سَمِعها عمرُ بن الخطاب ، وهو فى بيته ، فخرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يجرّ رداءه ، وهو يقول : يانبيّ الله ، والذى بعثك بالحقّ ، لقد رأيت مثل الذى رأى ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : فلِلَّه الحمد على ذلك .

رؤيا عمر فى الأذان

قال ابن إسحاق : حدثنى بهذا الحديث محمدُ بن إبراهيم بن الحارث ، عن محمد بن عبد الله بن زيد بن ثَعْلَبَة بن عَبْدِ ربِّه ، عن أبيه .

قال ابن هشام : وذكر ابن جُرَيج ، قال : قال لى عطاء : سمعت عُبَيْد بن عُمَيْر اللَّيثى يقول : ائْتَمر النبيُ صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالناقوس للاجتماع للصلاة ، فبينما عمرُ بن الخطَّاب يُريد أنْ يَشْتَرِيَ خَشَبتين للنَّاقوس ، إذ رأى عمر بن الخطاب فى المنام : لاتجعلوا الناقوس ، بل أذّنوا للصلاة . فذهب عمرُ

إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم ليُخبرَه بالذى رأى ، وقد جاء النبىَّ صلى الله عليه وسلم الوحىُ بذلك ، فما راع عُمر إلا بلالٌ يؤذّن ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أخبره بذلك : قد سَبقك بذلك الوحى .

ما كان يقوله بلال فى الفجر

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن جعفر بن الزُّبير ، عن عُروة بن الزُّبير ، عن امرأة من بنى النجار ، قالت : كان بيتى من أطول بيت حول المسجد ، فكان بلال يؤذّن عليه للفجر كلّ غداة ، فيأتى بسَحَر ، فيجلس على البيت ينتظر الفَجر ، فإذا رآه تمطَّى ، ثم قال : اللهمّ إنى أحمدك وأستعينك على قريش أن يُقيموا على دينك . قالت : والله ما علمته كان يتركها ليلةً واحدةً

أبو قيس بن أبى أنس

قال ابن إسحاق : فلما اطمأنت برسول الله صلى الله عليه وسلم دارُه ، وأظهر الله بها دينَه ، وسرّه بما جمع إليه من المهاجرين والأنصار من أهل ولايته ، قال أبو قَيْس صِرْمة بن أبى أَنَسٍ ، أخو بنى عدىّ بن النجّار .

قال ابن هشام : أبو قيس ، صِرْمة بن أبى أنس بن صِرْمة بن مالك بن عدىّ بن عامر بن غَنْم بن عدىّ بن النجّار .

قال ابن إسحاق : وكان رجلا قد ترهَّب فى الجاهلية ، ولبس المُسُوح ، وفارق الأوثان ، واغتسل من الجنابة وتطهَّر من الحائض من النساء ، وهَمَّ

. . . .

رفع المسهم

بالنصرانية ، ثم أمسك عنها ، ودخل بيتا له ، فاتخذه مسجدا لاتدخله عليه فيه طامثٌ ولا جُنب، وقال : أعبد رَبّ إبراهيم ، حين فارق الأوثانَ وكرهها ، حتى قدم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فأسلم وحَسُن إسلامه ، وهو شيخ كبير ، وكان قَوّالا بالحقّ معظِّما لله عزّ وجلّ فى جاهليته ، يقول أشعارا فى ذلك حِسانا — وهو الذى يقول :

يقولُ أبو قَيْس وأصْبح غادِيا : ألا ما استطعتم من وَصَاتِىَ فافعلُوا
فأُوصيكم بالله والبِرِّ والتُّقَى وأعْراضِكم والبِرُّ بالله أوّلُ
وإنْ قوْمُكم سادوا فَلا تَحْسُدُنهم وإن كنتمُ أهلَ الرياسة فاعدلوا
وإن نزلتْ إحدى الدواهى بقومكم فأنفسَكم دونُ العَشيرة فاجعلوا
وَإن ناب غُرْم فادح فارفقُوهم وما حَمّلوكم فى المُلمات فاحملوا
وإن أنتمُ أمعرتمُ فتعفَّفوا وإن كان فضلُ الخير فيكم فأفضِلوا

قال ابن هشام : ويروى :

وإن ناب أمرٌ فادح فارْفِدُوهُمُ

قال ابن إسحاق : وقال أبو قيس صِرْمة أيضا :

سَبحوا اللهَ شَرْقَ كلّ صباحٍ طلعت شمسُه وكُلّ هِلالِ
عالم السِّرّ والبيانِ لَدَيْنا ليس ما قال ربُّنــا بضَلال
وله الطَّيرُ تَسْتَرِيد وتأْوِى فى وُكور من آمِنات الجبال
وله الوحشُ بالفلاة تراها فى حِقاف وفى ظــلال الرّمال

وله هَوّدتْ يَهودُ ودانت　　كلَّ دين إذا ذَكرتَ عُضال

وله شمّسَ النّصارَى وقامُوا　　كلَّ عِيـدٍ لربهم واحْتِفال

وله الرّاهبُ الحبيسُ تراهُ　　رهْنَ بُؤْسٍ وكانَ ناعمَ بال

يا بَنيّ الأرْحامَ لا تَقْطَعوها　　وصلُوها قَصيرة من طِوالِ

واتّقوا اللهَ في ضِعاف اليَتامى　　ربمَا يُسْتحلُّ غيرُ الحـلال

واعلَموا أنّ لليَتيمِ وَلِيًّا　　عالمـا يَهْتدى بغـير السؤال

ثم مالَ اليَتيم لا تأكُلوه　　إنَّ مال اليَتيم يرعاه والى

يا بَنيّ ، التخوم لا تَخْزلوها　　إنَّ خَزْل التُّخوم ذو عُقّال

يا بَنيّ الأيّامَ لا تأمَنوها　　واحذروا مكْرَها ومرَّ اللّيالى

واعلَموا أنّ مَرّها لنَفاد الخَـلق ماكان من جَديد وبالى

واجمَعوا أمْرَكم على البِرّ والتّقْـوى وتركِ الخَنا وأخذ الحلال

وقال أبو قَيْس صِرْمة أيضا ، يذكر ما أكرمهم اللهُ تبارك وتعالى به من الإسلام ، وماخصّهم الله به من نُزول رسوله صلى الله عليه وسلم عليهم :

ثَوى في قُريش بضْعَ عَشْرةَ حِجّةً　　يُذَكِّر لو يَلْقى صَديقا مُواتِيا

ويَعْرِض في أهْل المَواسم نفسَه　　فلم يَرَ من يؤوِى ولم يَرَ داعيا

فلمّا أتانا أظْهر اللهُ دِينَه　　فأصبح مَسْروراً بطِيبةَ راضيا

وألْفَى صَدِيقاً واطمأنّت به النَّوَى　　وكان له عَوْنا منَ اللهِ باديا

يَقُصّ لنا ما قال نُوح لقَوْمه　　وما قال مُوسى إذْ أجابَ المُنادِيا

رفع
المسهم

فأصبح لا يخشى من الناس واحداً ... قريبا ولا يخشى من الناس نائيا

بذلنا له الأموال من حلّ مالنا ... وأنفسنا عند الوغى والتآسيا

ونعلم أنّ الله لا شىء غيره ... ونعلم أن الله أفضل هاديا

نعادى الذى عادى من الناس كلّهم ... جميعا وإن كان الحبيب المصافيا

أقول إذا أدعوك فى كلّ بيعة : ... تباركت قدأ كثرتُ لاسمك داعيا

أقول إذا جاوزتُ أرضا مخوفةً ... حنانيك لا تُظهر علىّ الأعاديا

فطأْ مُعْرِضا إن الحتوف كثيرةٌ ... وإنّك لا تُبقِى لنفسك باقيا

فوالله ما يدْرِى الفتى كيف يتّقى ... إذا هو لم يجعل له اللهُ واقيا

ولا تحفِلُ النّخلُ المعيمة ربّها ... إذا أصبحت ريًّا وأصبح ثاويا

قال ابن هشام : البيت الذى أوله :

فطأ مُعْرِضاً إنّ الحتوف كثيرةٌ

والبيت الذى يليه :

فوالله ما يدرى الفتى كيف يتقى

لأفنون التّغلبىّ ، وهو صُرَيم بن مَعْشر ، فى أبيات له .

رفع
المسهم

الأعداء من يهود

قال ابن إسحاق : ونَصَبَت عند ذلك أحبارُ يَهُودَ ـ لرسول الله صلى الله عليه وسلم – العداوةَ ، بَغْياً وحَسَداً وضِغْناً ، لما خصّ الله تعالى به العرَبَ من أخْذه رسولَه منهم ، وانضاف إليهم رجالٌ من الأوْسِ والخَزْرج ، ممن كان على على جاهليّته فكانوا أهل نِفاق على دين آبائهم من الشّرك والتكذيب بالبعث ، إلّا أن الإسلام قَهرهم بظُهوره واجتماع قومِهم عليه ، فظهروا بالإسلام ، واتخذوه جُنّة من القتْل ونافقُوا فِي السّرِّ ، وكان هَواهم مع يَهُودَ ، لتكذيبهم النبيَّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ وجُحودهم الإسلام . وكانت أحبار يهودَ هُم الذين يسألون ـ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ـ وَيَتَعَنَّتونه ، ويأتونه باللَّبْس ، ليَلْبِسُوا الحقَّ بالباطل ، فكان القرآنُ يَنزل فيهم فيما يسألون عنه ، إلا قليلا من المسائل فى الحلال والحرام كان المُسْلِمون يَسألون عنها .

من يهود بنى النضير

منهم : حُيَيّ بن أخْطب ، وأخواه أبو ياسِر بن أخطب ، وجُدَيّ بن أخطب ، وسلّام بن مِشْكم ، وكنانة بن الربيع بن أَبى الحُقَيق ، وسَلّام بن أبى الحُقَيْق ، أبو رافع الأعور ، وهو الذى قتله أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم بخَيْبر ـ والربيعُ بن الربيع بن أبى الحُقَيْق ، وعمرو بن جَحّاش ، وكعب ابن الأشرف ، وهو من طيء ، ثم أحد بنى نبْهان ، وأمّه من بنى النضير ، والحجّاج بن عمرو ، حليف كَعْب بن الأشرف ، وكَرْدَم بن قيس ، حليف

. . . .

كعب بن الأشرف ، فهؤلاء من بنى النَّضير .

من يهود بنى ثعلبة

ومن بنى ثعلبة ابن الفِطْيَوْن : عبد الله بن صوريَا الأعور ، ولم يكن بالحجاز فى زمانه أحد أعلم بالتوراة منه ؛ وابن صَلُوبا ، ومُخَيْرِيق، وكان حَبْرَهم ، أسْلَمَ .

من يهود بنى قينقاع

ومن بنى قَيْنُقاع: زيد بن اللَّصِيت ـ ويقال : ابن اللُّصَيت ـ فيما قال ابن هشام ـ وسَعْد بن حُنَيْفٍ ، ومحمود بن سَيْحان ، وعُزيز بن أبى عُزيز ، وعبد الله ابن صَيْف . قال ابن هشام : ويقال . ابن ضَيْف .

قال ابن إسحاق : وسُويد بن الحارث ، ورفاعة بن قيس ، وفِنْحاص ، وأَشيع ، ونُعمان بن أضاَ ، وبَحْرىّ بن عمرو ، وشَأْس بن عدىّ ، وشَأْس ابن قيس ، وزيد بن الحارث ، ونُعمان بن عمرو ، وسُكَين بن أبى سُكين ، وعدى بن زيد ، ونُعمان بن أبى أوْفى ، أبو أنس ، ومحمود بن دَحْية ، ومالك ابن صيف . قال ابن هشام : ويقال : ابن ضيف .

قال ابن إسحاق : وكعب بن راشد ، وعازَر ، ورافع بن أبى رافع ، وخالد وأزار بن أبى أزار . قال ابن هشام : ويقال : آزر بن آزر .

قال ابن إسحاق : ورافع بن حارثة ، ورافع بن حُرَيملة ، ورافع بن خارجة ،

ومالك بن عوف،ورفاعة بن زيد بن التابوت ، وعبدالله بن سَلام بن الحارث، وكان حَبْرَهم وأعلَمهم ، وكان اسمه الُحصَين ، فلما أسلم سمّاه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم — عبدَ الله . فهؤلاء من بنى قَيْنُقَاع .

من يهود بنى قريظة

ومن بنى قُرَيظة : الزَّبِير بن بَاطا بن وَهْب ، وعَزّال بن شَمْوِيل ، وكعب بن أسد ، وهو صاحب عَقد بنى قُريظة الذى نُقِض عام الأحزاب ، وشَمْوِيل بن زيد ، وجَبَل بن عمرو بن سُكينة ، والنَّحّام بن زيد ، وقَرْدم ابن كعب ، ووهب بن زيد ، ونافع بن أبى نافع ، وأبو نافع ، وعدىّ ابن زَيد ، والحارث بن عَوْف ، وكَرْدَم بن زيد ، وأُسامة بن حَبِيب ، ورافع ابن رُمَيلَة ، وجَبل بن أبى قُشَير ، ووَهْب بن يَهُوذا ، فهؤلاء من بنى قُرَيْظَة.

من يهود بنى زريق

ومن يهود بنى زُرَيق : لَبِيد بن أعْصم ، وهو الذى أخَذَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عن نسائه .

من يهود بنى حارثة

ومن يهود بنى حارثة : كِنانة بن صُورِيا .

من يهود بنى عمرو

ومن يهود بنى عمرو بن عَوْف : قَرْدم بن عمرو .

من يهود بنى النجار

ومن يهود بنى النجَّار : سِلْسِلة بن بَرْهام .

فهؤلاء أحبار اليهود ، أهل الشرور والعداوة لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه ، وأصحاب المسألة ، والنصْب لأمْر الإسلام الشرور ليطفئوه ، إلا ما كان من عبد الله بن سَلَام ومُخَيْرِيق .

إسلام عبد الله بن سلام

قال ابن إسحاق : وكان من حديث عبد الله بن سَلَام ، كما حدثنى بعض أهله عنه ، وعن إسلامه حين أسلم ، وكان حبراً عالما ، قال : لما سمعتُ برسول الله صلى الله عليه وسلم عرَفتُ صفته واسمَه وزمانَه الذى كنا نتوَكَّف له ، فكنت مُسِرّاً لذلك ، صامتا عليه ، حتى قَدِمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ ، فلما نَزل بقُباَء ، فى بنى عمرو بن عوف ، أقبل رجلٌ حتى أخبر بقُدومه ، وأنا فى رأس نَخْلَة لى أعمل فيها ، وعمتى خالدةُ ابنة الحارث تحتى جالسة ، فلما سمعتُ الخبرَ بقُدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم كَبَّرتُ ، فقالت لى عمَّتى ، حين سمعت تكبيرى : خيَّبك الله ، والله لو كنتَ سمعتَ بموسى ابن عمران قادما مازِدْت ، قال : فقلت لها : أىْ عمَّة ، هو والله أخو موسى

ابن عِمْران ، وعلى دينه ، بُعِث بما بُعِث به . قال : فقالت : أى ابنَ أخى ، أهو النبىّ الذى كُنّا نُخْبر أنَّه يبعث مع نَفَس الساعة ؟ قال : فقلت لها : نعم . قال : فقالت : فذاك إذاً . قال : ثم خرجتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأسلمتُ ، ثم رجعتُ إلى أهل بيتى ، فأمرتُهم فأسلَموا .

قال : وكتمتُ إسلامى من يهود ، ثم جئتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقلتُ له : يارسول الله ، إن يهودَ قومٌ بُهْت وإنى أحبّ أنْ تدْخلنى فى بعض بُيوتك، وتغيِّبْنى عنهم ، ثم تسألهم عنى، حتى يُخبروك كيف أنا فيهم، قبل أن يَعْلموا بإسلامى ، فإنهم إن عَلِموا به بَهتونى وعابونى . قال : فأدخلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض بُيوته ، ودخلوا عليه ، فكلَّموه وساءلوه ، ثم قال لهم : أىّ رجلٍ الُحصين بن سلام فيكم؟ قالوا : سيِّدنا وابن سيِّدنا ، وحَبْرنا وعالمنا . قال : فلما فَرَغوا من قولهم ، خرجتُ عليهم ، فقلت لهم : يامعشر يهود ، اتقوا الله واقبلوا ما جاءكم به ، فوالله إنكم لتعلمون إنه لرسول الله ، تجدونه مكتوبا عندكم فى التوراة باسمه وصِفَته ، فإنى أشهدُ أنه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وأومن به وأصدقه وأعرفه ، فقالوا : كذبت ثم وقعوا بى ، قال : فقلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ألم أُخْبِرك يارسول الله أنهم قوم بُهْتٌ ، أهل غَدْر وكَذب وفُجور ! قال : فأظهرت إسلامى وإسلام أهل بيتى ، وأسلمت عمَّتى خالدة بنت الحارث ، فحَسنُ إسلامها .

حديث مخيريق

قال ابن إسحاق : وكان من حديث مُخَيريق ، وكان حبراً عالما ، وكان رجلا غنياً كثير الأموال من النخل ، وكان يَعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بصِفَته ، وما يجد فى علْمه ، وغلب عليه إلْفُ دينه ، فلم يزل على ذلك ، حتى إذا كان يوم أُحُد ، وكان يوم أحد يومَ السبت ، قال : يامعشر يَهُودَ ، والله إنكم لَتَعلمون أن نَصْرَ محمد عليكم لَحَقٌّ . قالوا : إن اليوم يومُ السبت ؛ قال : لاسبتَ لكم . ثم أخذ سِلاحه ، فخرج حتى أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بأُحُد ، وعَهِد إلى مَن وَراءه من قومه : إنْ قُتِلتُ هذا اليومَ ، فأموالى لمحمد — صلى الله عليه وسلم — يصنع فيها ما أراه الله . فلما اقتتل الناسُ قاتل حتى قُتل . فكان رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — فيما بلغنى — يَقول: مخيريق خيرُ يهود . وقَبض رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أموالَه ، فعامَّة صَدَقات رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة منها .

شهادة عن صفية

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبدُ الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال : حُدِّثت عن صفيَّة بنت حُيىّ بن أخْطب أنها قالت : كنت أحبَّ ولَدِ أبى إليه ، وإلى عمِّى أبى ياسر ، لم ألقهما قطّ مع ولدٍ لهُما إلا أخذانى دونه. قالت : فلما قَدِم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، ونزل قُباء ، فى بنى عمرو بن عوف ، غدَا عليه أبى ، حُيَىُّ بنُ أخطب ، وعمِّى : أبو ياسر بن

أخطب ، مُغَلِّسَيْن . قالت : فلم يرْجِعا حتى كانا مع غُروب الشمس . قالت : فأتَيا كالَّيْن كَسْلانين ساقِطين يمشيانِ الهُوَيْنى . قالت : فهشِشْتُ إليهما كما كنتُ أصنع ، فوالله ما التفت إليّ واحدٌ منهما ، مع مابهما من الغمّ . قالت : وسمعت عمِّى أبا ياسر ، وهو يقول لأبى : حُيَيِّ بن أخْطَب : أهو هو؟ قال : نعم والله ؛ قال : أتعرفه : وتُثْبته ؟ قال : نعم ، قال : فما فى نفسك منه ؟ قال : عداوته والله ما بَقِيتُ .

من اجتمع إلى يهود من منافقى الأنصار

منافقو بنى عمرو

قال ابن إسحاق : وكان مِمَّن انضاف إلى يهود ، ممن سمّى لنا من المنافقين من الأوس والخزرج ، والله أعلم . من الأوس ، ثم من بنى عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ؛ ثم من بنى لَوْذَان بن عمرو بن عوف : زُوَىُّ بن الحارثِ .

منافقو حبيب

ومن بنى حُبيب بن عمرو بن عوف : جُلاس بن سُويد بن الصامت ، وأخوه الحارث بن سويد .

من نفاق جلاس

وجُلاس الذى قال - وكان ممن تخلّف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تَبوك - لئن كان هذا الرجل صادقا لنحن شرٌّ من الُحُمُر . فرفع ذلك

رفع المستهم

من قوله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ عُمير بن سعد ، أحدهم ، وكان في حِجْر جُلاس ، خَلَف جُلاسٌ على أمه بعد أبيه ، فقال له عُمير بن سعد : والله يا جُلَاس ، إنك لأحبّ الناس إليّ ، وأحسنهم عندي يداً ، وأعزّهم عليّ أن يصيبه شيء يكرهه ، ولقد قلتَ مقالةً لئن رفعتُها عليك لأفضحنّك ، ولئن صمتُّ عليها ليهلكنّ ديني ، ولإحداهما أيسرُ عليّ من الأخرى . ثم مشى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكر له ما قال جُلاس ، فحلف جلاس بالله لرسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد كذب عليّ عُمير ، وما فعلتُ ما قال عُمير ابن سعد . فأنزل الله عزّ وجلّ فيه : ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللهِ ما قالُوا ، وَلَقَدْ قالُوا كَلِمَةَ الكُفْرِ وكَفَرُوا بَعْدَ إسْلامِهِمْ ، وهَمُّوا بِما لَمْ يَنالُوا ، وَما نَقَمُوا إلاَّ أنْ أغْناهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ ، فإنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْراً لَهُمْ ، وَإنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللهُ عَذَاباً أَلِيماً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، وَمَا لَهُمْ فِي الأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ ﴾ التوبة : ٧٤ .

قال ابن هشام : الأليم : الموجع . قال ذو الرمة يصف إبلا :

وتَرْفع من صدور شَمَرْدَلَاتٍ يَصُكُّ وجوهَها وهجٌ أليمُ

وهذا البيت في قصيدة له .

قال ابن إسحاق : فزعموا أنه تاب فحسُنت توبته ، حتى عُرف منه الخير والإسلام .

ارتداد الحارث بن سويد وغدره

وأخوه الحارث بن سُويد ، الذى قتل المجذَّر بن ذِياد البَلَوِىّ ، وقيسَ ابن زيد ، أحد بنى ضُبيعة ، يوم أُحد . خرج مع المسلمين ، وكان منافقا ، فلما التقَى الناسُ عدَا عليهما ، فقتلهما ثم لحق بقريش .

قال ابن هشام : وكان المجذّر بن ذِياد قتل سُويدَ بن صامت فى بعض الحروب التى كانت بين الأوس والخزرج فلما كان يوم أُحد طلب الحارث ابن سُويد غرّةَ المجذَّر بن ذِياد ، ليقتله بأبيه ، فقتله وحدَه ، وسمعت غيرَ واحد من أهل العلم يقول : والدليل على أنه لم يقتل قَيْس بن زيد ، أنّ ابن إسحاق لم يذكره فى قَتْلى أُحُد .

قال ابن إسحاق : قتل سُويدَ بن صامت مُعاذُ بن عفراء غِيلةً ، فى غير حرب ، رماه بسَهْم فقتله قبل يوم بُعاثٍ .

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما يذكرون - قد أمر عُمر بنَ الخطّاب بقَتْله إن هو ظفر به ، ففاته ، فكان بمكة ، ثم بعث إلى أخيه جُلاس يطلب التَّوبة ، ليرجع إلى قومه . فأنزل الله تبارك وتعالى فيه - فيما بلغنى عن ابن عبّاس - : ﴿ كَيْفَ يَهْدِى اللهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إيمانِهِمْ وشَهِدُوا أنَّ الرَّسُولَ حَقّ ، وجاءَهُمُ البَيِّناتُ ، وَاللهُ لايَهْدِى القَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ آل عمران : ٨٦ إلى آخر القصة .

منافقو بنى ضبيعة

ومن بنى ضُبيعة بن زيد بن مالك بن عَوْف بن عمرو بن عوف : بِجاد ابن عثمان بن عامر .

منافقو بنى لوذان

ومن بنى لَوْذان بن عمرو بن عوف : نَبْتل بن الحارث ، وهو الذى قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما بلغنى : من أحبّ أن ينظر إلى الشيطان، فلينظر إلى نَبْتل بن الحارث ، وكان رجلا جَسيما أدْلم ، ثائرَ شعرِ الرأسِ أحمرَ العينين ، أَسفَعَ الخدّين ، وكان يأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يتحدّث إليه فيسمع منه ، ثم ينقل حديثَه إلى المُنافقين ، وهو الذى قال : إنما محمد أُذُن ، مَن حدّثه شيئا صدّقه. فأنزل الله عزّ وجلّ فيه : ﴿ وَمِنْهُمُ الَّذِين يُؤْذُون النَّبِيَّ وَيقُولُونَ : هُوَ أُذُنٌ ، قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ ، يُؤْمِنُ باللهِ ويُؤْمِنُ للْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ للّذين آمَنُوا مِنْكُمْ ، وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾.

قال ابن إسحاق : وحدثنى بعض رجال بَلْعجلان أنه حُدّث : أن جبريل عليه السلام أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال له إنه يجلس إليك رجل أدلم ، ثائر شعر الرأس ، أسفع الخدّين أحمر العينين ، كأنهما قِدْران من صُفْر ، كبده أغلظُ من كبد الحمار ، ينقل حديثَك إلى المنافقين ، فاحذره . وكانت تلك صفة نَبْتل بن الحارث ، فيما يذكرون .

منافقو بنى ضبيعة

ومن بنى ضُبيعة : أبو حَبيبة بن الأزعر ، وكان ممن بنى مسجد الضرار ، وثعلبةُ بن حاطب ، ومُعتِّب بن قُشير ، وهما اللذان عاهدا الله لئن آتانا من فضله لنصدّقن ولنكونن من الصالحين ، الخ القصة . ومعتب الذى قال يوم أحد : لو كان لنا من الأمر شىء ما قُتلنا هاهنا . فأنزل الله تعالى فى ذلك من قوله ﴿ وَطائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ باللهِ غَيرَ الحَقِّ ظَنَّ الجاهِلِيةِ ، يَقُولُونَ لَوْ كانَ لَنا مِن الأَمْرِ شَىْءٌ ما قُتِلْنا هاهُنا ﴾ إلى آخر القصة . وهو الذى قال يوم الأحزاب : كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقَيْصر ، وأحدُنا لا يأمن أن يذهب إلى الغائط . فأنزل الله عزّ وجلّ فيه : ﴿ وَإِذْ يَقُولُ المُنافِقُونَ وَالَّذِينَ فى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ما وَعَدَنا اللهُ وَرَسُولُهُ إلاَّ غُرُوراً ﴾ والحارثُ بن حاطب .

معتب وابنا حاطب بدريون وليسوا منافقين

قال ابن هشام : مُعتِّب بن قُشير ، وثعلبة والحارث ابنا حاطب ، وهم من بنى أمية بن زيد من أهل بدر وليسوا من المنافقين فيما ذكر لى من أثق به من أهل العلم ، وقد نسب ابنُ إسحاق ثعلبة والحارث فى بنى أمية بن زيد فى أسماء أهل بَدْر .

قال ابن إسحاق : وعَبَّاد بن حُنيف ، أخو سهل بن حُنيف ؛ وبَحْزج ،

وهم ممن كان بنى مسجد الضِّرار، وعمرو بن خِذام، وعبد الله بن نَبْتل.

من بنى ثعلبة

ومن بنى ثعلبة بن عمرو بن عَوْف: جاريةُ بن عامر بن العطَّاف، وابناه: زيد ومُجمِّع، ابنا جارية، وهم ممن اتخذ مسجد الضرار. وكان مجمِّع غلاما حَدَثا قد جمع من القرآن أكثره، وكان يصلى بهم فيه، ثم إنه لما أُخرب المسجد، وذهب رجالٌ من بنى عمرو بن عوف، كانوا يصلون ببنى عمرو ابن عوف فى مسجدهم، وكان زمانُ عمر بن الخطَّاب، كُلِّم فى مجمِّع ليصلى بهم؛ فقال: لا، أوَ ليس بإمامِ المنافقين فى مَسْجد الضِّرار؟ فقال لعمر: يا أمير المؤمنين، والله الذى لا إله إلا هو، ماعلمت بشىء من أمرهم، ولكنى كنت غلاما قارئا للقرآن، وكانوا لا قرآن معهم، فقدّمونى أصلى بهم، وما أرى أمرَهم، إلا على أحسن ماذكروا. فزعموا أن عُمر تركه فصلى بقومه.

من بنى أمية

ومن بنى أُميَّة بن زيْد بن مالك: وَدِيعة بن ثابت، وهو ممَّن بَنى مسجد الضِّرار، وهو الذى قال: إنما كنَّا نخُوض ونَلْعب. فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿ وَلئِنْ سألْتَهُمْ لَيَقُولنَّ إنَّما كُنَّا نَخُوضُ ونَلْعَبُ قُلْ أبالله وآياتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴾ ... إلى آخر القصة.

من بنى عبيد

ومن بنى عُبيد بن زيد بن مالك: خِذام بن خالد، وهو الذى أُخرج

مسجد الضِّرار من داره ؛ وبشر ورافع ، ابنا زيد .

من بنى النبيت

ومن بنى النَّبِيت - قال ابن هشام : النَّبِيت : عَمرو بنُ مالك بن الأوس - قال ابن إسحاق : ثم من بنى حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك ابن الأوس : مِرْبع بن قَيْظىّ ، وهو الذى قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين أجاز فى حائطه ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم عامدٌ إلى أُحُد : لا أُحِلُّ لك يا محمد ، إنْ كنتَ نبيا ، أن تمرّ فى حائِطى ، وأخذ فى يده حَفْنة من تراب ، ثم قال : والله لو أعلم أنى لا أصيب بهذا التراب غَيرك لرميتُك به ، فابتدره القومُ ليقتُلوه ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : دعوه ، فهذا الأعمى ، أعمى القلب ، أعمى البصيرة . فضربه سَعْد بن زيد ، أخو بنى عبد الأشهل بالقوس فشجَّه ؛ وأخوه أوْس بن قَيْظى ، وهو الذى قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق : يا رسول الله ، إن بيوتنا عورة ، فأذَنْ لنا فلنرجع إليها . فأنزل الله تعالى فيه ﴿ يَقُولُونَ إنَّ بُيُوتَنا عَوْرَةٌ وَما هِيَ بِعَوْرَةٍ إنْ يُرِيدُونَ إلاَّ فِرَارا ﴾ .

قال ابن هشام : عورة ، أى مُعْورة للعدوّ وضائعة ؛ وجمعها : عورات . قال النَّابغة الذبيانى :

مَتى تَلْقهم لا تَلْق للبيت عَوْرَةً ... ولا الجار مَحْرُوما ولا الأمرَ ضائعا

وهذا البيت فى أبيات له . والعورة (أيضا) : عورة الرجل ، وهى حرمته . والعورة (أيضا) السَّوءة .

من بنى ظفر

قال ابن إسحاق : ومن بنى ظَفَر ، واسم ظَفَر : كعب بن الحارث بن الخزرج حاطبُ بن أميَّة بن رافع ، وكان شيخا جسيما قد عسا فى جاهليته وكان له ابنٌ من خيار المُسْلمين يقال له يزيد بن حاطب أُصيب يوم أُحد حتى أثبتتْه الجراحات ، فحُمل إلى دار بنى ظَفَر .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بنُ عمر بن قتادة أنه اجتمع إليه مَنْ بها من رِجال المُسلمين ونسائهم وهو بالموت فجعلوا يقولون أبشر يابن حاطب بالجنة . قال فنَجم نِفاقُه حينئذ ، فجعل يقول أبوه أجل جنة والله من حَرْمل ، غَررتُم والله هذا المسكين من نفسه .

قال ابن إسحاق : وبَشِير بن أُبَيْرِق ، وهو أبو طُعمَة ، سارق الدّرعين ، الذى أنزل الله تعالى فيه : ﴿ وَلا تُجادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتانُونَ أَنْفُسَهُمْ ، إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ مَنْ كانَ خَوَّاناً أَثِيماً ﴾ وقُزْمان : حليف لهم .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : إنه لمن أهل النار . فلما كان يوم أُحد قاتل قتالا شديدا حتى قَتل بضعةَ نفر من المشركين ، فأثبتتْه الجراحات ، فحُمل إلى دار بنى ظَفَر ، فقال له رجال من المسلمين : أبشر ياقُزْمان ، فقد أبليتَ اليوم ،

. . . .

وقد أصابك ما ترى فى الله : قال : بماذا أبشر ، فوالله ما قاتلت إلا حمية عن قومى ؛ فلما اشتدت به جراحاتُه وآذته أخذ سهما من كِنانته ، فقطع به رواهشَ يده ، فقتل نفسه .

من بنى عبد الأشهل

قال ابن إسحاق : ولم يكن فى بنى عبد الأشهل منافق ولا منافقة يعلم ، إلا أن الضحاكَ بن ثابت ، أحد بنى كعب ، رهطِ سعد بن زيد ، قد كان يُتَّهم بالنفاق وحُبّ يهود .

قال حسان بن ثابت :

من مُبلغُ الضحَّاك أنّ عُروقه ... أعْيتْ على الإسلامِ أن تَتمَجّدَا

أتحبّ يُهْدانَ الحجاز ودِينَهم ... كِبدَ الحمار ، ولاتحبّ محمدا

دينا لعمرى لايوافق دِينَنا ... ما استَنّ آلٌ فى الفَضاء وخَوّدا

وكان جُلاس بنُ سويد بن صامت قَبْل توبته — فيما بلغنى — ومعتِّب ابن قُشير ، ورافع بن زيد ، وبِشر ، وكانوا يُدْعون بالإسلام ، فدعاهم رجال من المسلمين فى خصومة كانت بينهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعوهم إلى الكُهّان ، حكّام أهل الجاهلية ، فأنزل الله عزّ وجلّ فيهم : « أَلَمْ تَرَ إِلَى الذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً » . . إلى آخر القصة .

رفع
المسهم
غفر الله له ولوالديه

من الخزرج

ومن الخزرج ، ثم من بنى النجّار : رافعُ بن وَدِيعة ، وزيد بن عمرو ، وعمرو بن قيس ، وقيس بن عمرو بن سَهْل .

من بنى جشم

ومن بنى جُشَم بن الخزرج ، ثم من بَنى سَلِمة : الجدّ بن قَيْس ، وهو الذى يقول : يامحمد ، ائذن لى ، ولا تَفتنى . فأنزل الله تعالى فيه : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لى ، وَلا تَفْتِنّى ألا فِى الفِتْنة سَقَطُوا ، وَإنَّ جَهَنم لمُحيطَةٌ بالكافِرِينَ ﴾ . . . إلى آخر القصة .

من بنى عوف

ومن بنى عوف بن الخزرج : عبدُ الله بن أبىّ بن سَلُول ، وكان رأسَ المُنافقين وإليه يجتمعون ، وهو الذى قال : لَئِن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزُّ منها الأذلَّ فى غَزْوة بنى المُصْطلق . وفى قوله ذلك ، نزلت سورةُ المُنافقين بأسرها . وفيــــه وفى وَديعة - رجل من بنى عوف - ومالك بن أبى قَوْقل ، وسُوَيد ، وداعس ، وهم من رهط عبد الله بن أبىّ بن سلول ؛ وعبد الله بن أبىّ بن سلول . فهؤلاء النفر من قومه الذين كانوا يدسُّون إلى بنى النضير حين حاصرَهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن اثبتوا ، فوالله لئن أخرجتم لنخرجنّ معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبداً ، وإن قوتلتم لننصرنكم . فأنزل الله تعالى فيهم : ﴿ أَلَمْ تَرَ إلى الَّذِينَ نافَقُوا يَقُولُونَ لإخْوانِهِمُ الَّذِينَ

. . . .

رفع المسهم

كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا ، وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ ، ثم القصة من السورة حتى انتهى إلى قوله : ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

من أسلم من أحبار يهود نفاقا

قال ابن إسحاق : وكان ممن تعوّذ بالإسلام ، ودخل فيه مع المُسلمين وأظهره وهو مُنافق ، من أحبار يَهود :

من بنى قينقاع

من بنى قَيْنُقاع : سعدُ بنُ حُنيف ، وزَيْد بن اللُّصَيت ، ونُعمان بن أوفى ابن عمرو ، وعثمان بن أوفى . وزيد بن اللصَيْت ، الذى قاتل عمر بن الخطّاب رضى الله عنه بسوق بنى قَينقاع ، وهو الذى قال ، حين ضلّت ناقةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم : يزعم محمدٌ أنه يأتيه خبرُ السماء وهو لايدرى أين ناقتُه ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجاءه الخبر بما قال عدوّ الله فى رَحْله ، ودلّ الله تبارك وتعالى رسولَه صلى الله عليه وسلم على ناقته « إن قائلا قال : يزعم محمد أنه يأتيه خبر السماء ، ولا يدرى أين ناقته ؟ وإنى والله ما أعلم إلا ماعلّمنى الله ، وقد دلنى الله عليها ، فهى فى هذا الشِّعْب ، قد حبَستْها شجرةٌ بزمامها ، فذهب رجالٌ من المسلمين ، فوجدوها حيث قال رسولُ الله صلى الله

عليه وسلم ، وكما وصف » ورافعُ بن حُرَيملة ، وهو الذى قال له الرسول صلى الله عليه وسلم ـ فيما بلغنا ـ حين مات : قد مات اليوم عظيمٌ من عظماء المنافقين ؛ ورفاعة بن زيد بن التابوت ، وهو الذى قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هبَّت عليه الريح ، وهو قافلٌ من غزوة بنى المُصْطَلق ، فاشتدت عليه حتى أشفق المسلمون منها ؛ فقال لهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : لاتخافوا ، فإنما هبَّت لموتِ عَظيم من عُظماء الكفار . فلما قَدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ وجد رفاعةَ بن زَيْد بن التابوت مات ذلك اليومَ الذى هبَّت فيه الرّيحُ وسِلْسلة بن بِرْهام . وكنانة بن صُورِيا .

طرد المنافقين من مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم

وكان هؤلاء المنافقون يحْضُرون المسجدَ فيستمعون أحاديثَ المُسْلمين ، ويَسْخَرون ويَسْتهزئون بدينهم ، فاجتمع يوما فى المَسْجد منهم ناسٌ فرآهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يتحدّثون بينهم ، خافضى أصواتهم ، قد لَصق بعضُهم ببعض ، فأمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأُخْرجوا من المسجد إخراجا عَنيفا، فقام أبو أيُّوب ، خالد بن زيد بن كُلَيب ، إلى عَمْرو بن قَيْس ، أحدِ بنى غَنْم بن مالك بن النجار ـ كان صاحبَ آلهتهم فى الجاهلية فأخذ برجْله فَسَحبه ، حتى أخرجه من المسجد ، وهو يقول : أتُخْرِجنى يا أبا أيوب من مِرْبد بنى ثَعلبة ، ثم أقبل أبو أيوب أيضا إلى رافع بن وَديعة ، أحد بنى النجّار فلبَّبه بِردائه ثم نَتَره نترا شديدا ، ولطم وجهه ، ثم أخْرجه من المسجد ،

وأبو أيوب يقول له : أفٍّ لك منافقا خبيثا : أدراجَك يا منافق من مَسْجد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام : أى ارجع من الطريق التى جئت منها . قال الشاعر :

فولى وأدْبَر أدْرَاجَــه وقد باء بالظلْم من كان ثَمّ

وقام عمارة بن حَزْم إلى زَيد بن عَمْرو ، وكان رجلا طويلَ اللِّحْيَة ، فأخذ بِلِحْيَته فقاده بهـا قَوْداً عَنِيفا حتى أخرجه من المسجد ، ثم جمع عُمارة يَدَيْه فَلَدَمه بهما فى صدره لَدْمة خَرّ منها . قال : يقول : خدَشْتنى يا عمارة ؛ قال : أبعدك الله يامنافق ، فمـا أعدّ الله لك من العذاب أشدّ من ذلك ، فلا تقربَنّ مسجدَ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام : اللدم : الضرب ببَطْن الـكفّ . قال تَميم بن أُبَىّ بن مُقبل :

وللفؤاد وَجِيبٌ تحت أبْهره لَدْمَ الوَليد وراء الغَيْب بالحجرِ

قال ابن هشام : الغيب : ما انخفض من الأرض . والأبهر : عِرق القلب .

قال ابن إسحاق : وقام أبو محمد ، رجل من بنى النجّار ، كان بدريًّا ، وأبو محمد مَسْعود بن أوْس بن زَيْد بن أصْرم بن زَيْد بن ثَعلبــة بن غَنْم ابن مالك بن النجّار إلى قَيْس بن عَمْرو بن سَهْل ، وكان قَيْس غلاما شابا ، وكان لا يعلم فى المُنافقين شابّ غيره ، فجعل يدفع فى قَفاه حتى أخْرجه من المسجد .

وقام رجل من بَلْخُدرة بن الخزرج ، رهط أبى سعيد الخُدْرى ، يقال له: عبد الله بن الحارث ، حين أمَر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإخراج المنافقين من المَسْجد إلى رجل يُقال له : الحارث بن عمرو ، وكان ذا جُمَّة ، فأخذ بجُمَّته فسَحبه بها سحبا عنيفا ، على ما مرّ به من الأرض ، حتى أخرجه من المَسْجد . قال : يقول المنافق : لقد أغلظْت يابن الحارث ؛ فقال له : إنك أهلٌ لذلك ، أى عدوّ الله لما أنزل الله فيك ، فلا تقربن مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنك نَجَس .

وقام رجل من بنى عَمرو بن عوف إلى أخيه زُوَىّ بن الحارث ، فأخْرجه من المسجد إخراجا عنيفا ، وأفَّف منه ، وقال : غلب عليك الشيطانُ وأمْره .

فهؤلاء مَن حضر المسجدَ يومئذٍ من المنافقين ، وأمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بإخراجهم .

مانزل من البقرة فى المنافقين ويهود

مانزل فى الأحبار

ففى هؤلاء من أحْبار يهود ، والمُنافقين من الأوس والخزرج ، نزل صَدرُ سورة البقرة إلى المائة منها — فيما بلغنى — والله أعلم .

يقول الله سبحانه وبحمده : ﴿ ألمٓ ذلكَ الكِتابُ لارَيْبَ فِيهِ ﴾ ، أى لاشكّ فيه .

قال ابن هشام : قال ساعدة بن جُؤَيّة الهذلىّ :

فقالوا عَهدنا القومَ قد حَصرُوا به　　فلا رَيْبَ أنْ قد كان ثَمَّ لَحِيمُ

وهذا البيت فى قصيدة له ، والرّيب (أيضا) : الرّيبة . قال خالد بن زُهير الهُذلىّ :

كأننى أُرِيبُه برَيْب

قال ابن هشام : ومنهم من يرويه :

كأننى أرَبْتُه برَيْب

وهذا البيت فى أبيات له . وهو ابن أخى أبى ذُؤَيب الهُذلى .

﴿هُدًى للمُتَّقِينَ﴾ ، أى الذين يحذرون من الله عقوبتَه فى تَرْك ما يَعْرفون من الهدى ، ويرجون رحمته بالتصديق بما جاءهم منه : ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بالغَيْبِ وَيُقيمُونَ الصَّلاةَ وممَّا رَزَقْناهُمْ يُنفقُونَ﴾ أى يُقيمون الصلاة بفَرْضها، ويُؤْتون الزكاة احتسابا لها : ﴿ والَّذِينَ يُؤْمنُونَ بِمَا أُنْزِل إليْكَ وما أُنْزِلَ منْ قَبْلكَ﴾ ، أى يصدّقونك بما جئتَ به من الله عزّ وجلّ ، وما جاء به مَنْ قبلك من المُرْسلين ، لايفرّقون بينهم ، ولا يجحدون ما جاءوهم به من رَبِّهم . ﴿ وبالآخرَة هُمْ يُوقنونَ ﴾ أى بالبعث والقيامة والجنة والنار والحساب والميزان ، أى هؤلاء الذين يزعمون أنهم آمنوا بما كان من قبلك ، وبما جاءك من ربك ﴿أولَئكَ على هُدًى منْ رَبِّهمْ ﴾ ، أى على نور من ربهم واستقامة على ماجاءهم ﴿ وأولَئكَ هُمُ المُفْلحُونَ ﴾ أى الذين أدركوا ماطلبوا ونَجَوْا

من شرّ ما منه هربوا . ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ ، أى بما أُنزل إليك ، وإن قالوا إنا قد آمنّا بما جاءنا قبلك ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ أى أنهم قد كفروا بما عندهم من ذكرك ، وجحدوا ما أُخذ عليهم من الميثاق لك ، فقد كفروا بما جاءك وبما عندهم ، ممّا جاءهم به غيرُك ، فكيف يستمعون منك إنذاراً أو تحذيراً ، وقد كفروا بما عندهم من علمك . ﴿ خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ﴾ أى عن الهدى أن يُصيبوه أبداً ، يعنى بما كذّبوك به من الحقّ الذى جاءك من ربك حتى يؤمنوا به ، وإن آمنوا بكلّ ما كان قبلك ، ولهم بما هم عليه من خلافك عذابٌ عظيم .

فهذا فى الأحبار من يهود ، فيما كذّبوا به من الحقّ بعد معرفته .

ما نزل فى منافقى الأوس والخزرج

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ يعنى المنافقين من الأوس والخزرج ، ومن كان على أمرهم . ﴿ يُخَادِعُونَ اللهَ وَالذينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ . فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾ ، أى شكّ ﴿ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضاً ﴾ ، أى شكا ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ . وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ ، قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ أى إنما نريد الإصلاح بين الفريقين من المؤمنين وأهل الكتاب. يقول الله تعالى ﴿ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لا يَشْعُرُونَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ ، قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ، أَلا إِنَّهُمْ

هُمُ السُّفَهاءُ وَلٰكِنْ لا يَعْلَمُونَ * وَإِذَا لَقُوا الذِينَ آمَنُوا قالُوا آمَنَّا ، وَإِذَا خَلَوْا إلى شَياطِينِهِمْ ﴾ من يهود ، الذين يأمرونهم بالتكذيب بالحقّ ، وخلاف ماجاء به الرسول ﴿ قالُوا إنَّا مَعَكُمْ ﴾ ، أى إنا على مثل ما أنتم عليه . ﴿ إنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾ : أى إنما نستهزىء بالقوم ، ونلعب بهم . يقول الله عزّ وجلّ : ﴿ اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ .

تفسير بن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام يَعْمُهون : يحارون . تقول العرب : رجل عَمِهٌ وعامه : أى حيران . قال رؤبة بن العَجاج يصف بلدا :

أعمى الهُدى بالجاهلين العُمَّه

وهذا البيت فى أرجوزة له . فالعُمَّه : جمع عامه ؛ وأما عَمِه ، فجمعه : عَمِهون . والمرأة : عمِهة وعَمْهاء .

﴿ أُولَئِكَ الذِينَ اشْتَرَوا الضَّلالَةَ بالهُدَى ﴾ : أى الكفر بالإيمان ﴿ فَمَا رَبِحَتْ تِجارَتُهُمْ وَما كانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ .

قال ابن إسحاق : ثم ضرب لهم مثلا ، فقال تعالى ﴿ كَمَثَلِ الذى اسْتَوْقَدَ ناراً فَلَمَّا أضاءَتْ ما حَوْلَهُ ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ وتَرَكَهُمْ فِي ظُلُماتٍ لا يُبْصِرُونَ ﴾ أى لا يبصرون الحقّ ويقولون به حتى إذا خرجوا به من ظلمة الكفر أطفئوه بكفرهم به ونفاقهم فيه ، فتركهم الله فى ظلمات الكفر فهم لا يبصرون هدى ، ولا يستقيمون على حقّ : ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ

رفع
المسـ هم

لا يَرْجِعُونَ ﴾ : أى لا يرجعون إلى الهدى ، صُمٌّ بُكْمٌ عُمْى عن الخير ، لا يرجعون إلى خير ولا يصيبون نجاةً ما كانوا على ماهم عليه ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّماء فِيهِ ظُلُماتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أصابِعَهُمْ فِى آذانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ المَوْتِ ، وَاللهُ مُحِيطٌ بِالكافِرِينَ ﴾ .

قال ابن هشام : الصَّيِّب : المطر ، وهو من صاب يصُوب ، مثل قولهم : السيِّد ، من ساد يسود ، والميِّت : من مات يموت ؛ وجمعه : صَيائب . قال عَلْقمة بن عَبَدة ، أحدُ بنى رَبيعة بن مالك بن زيد مَناة بن تميم :

كأنهمُ صابت عليهم سَحابةٌ صواعقُها لطيرِهنّ دَبيبُ

وفيها :

فلا تَعْدِلى بينى وبين مُغَمَّر سقَتْكِ رَواياالمُزْن حَيْثُ تَصوب

وهذان البيتان فى قصيدة له .

قال ابن إسحاق : أى هم من ظلمة ماهم فيه من الكفر والحذر من القتل ، مِنَ الذى هم عليه من الخلاف والتخوّف لكم ، على مثل ماوُصف ، من الذى هو (فى) ظلمة الصيِّب ، يجعل أصابعَه فى أُذنيه من الصواعق حَذَر الموت . يقول : والله منزل ذلك بهم من النقمة ، أى هو محيط بالكافرين ﴿ يَكادُ البَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصارَهُمْ ﴾ : أى لشدة ضوء الحقّ ﴿ كُلما أضاءَ لَهُمْ مَشَوْا فيهِ ، وَإِذا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قامُوا ﴾ ، أى يعرفون الحقّ ويتكلَّمون به ، فهم من قولهم به على استقامة ، فإذا ارتكسوا منه فى الكفر قاموا متحيرين . ﴿ وَلَوْ شاءَ اللهُ

لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وأَبْصَارِهِمْ ﴾ أى لما تركوا من الحقّ بعد معرفته ﴿ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

ثم قال : ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ ﴾ للفريقين جميعا ، من الكفار والمنافقين ، أى وحِّدوا ربكم ﴿ الَّذِى خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشا ، والسَّماءَ بِنَاءً ، وأَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقا لَكُمْ ، فَلاَ تَجْعَلُوا لِلهِ أَنْدَاداً وأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : الأنداد : الأمثال ، واحدهم ندّ . قال لبيد بن ربيعة :

أَحْمَدُ اللهَ فَلا ندَّ له ... بِيَدَيْهِ الخيرُ ماشاء فَعَلْ

وهذا البيت فى قصيدة له .

قال ابن إسحاق : أى لاتُشركوا بالله غيرَه من الأنداد التى لاتنفع ولاتضرّ ، وأنتم تعلمون أنه لاربّ لكم يرزقكم غيره ، وقد علمتم أن الذى يدعوكم إليه الرسولُ من توحيده هو الحقّ لاشكّ فيه . ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فى رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنا عَلَى عَبْدِنا ﴾ أى فى شكّ مما جاءكم به ، ﴿ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ ﴾ أى من استطعتم من أعوانكم على ما أنتم عليه ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ ، فإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا ﴾ فقد تبين لكم الحقّ ﴿ فاتَّقُوا النَّارَ التى وَقُودُها النَّاسُ والحِجارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكافِرِينَ ﴾

. . . .

أى لمن كان على مثل ما أنتم عليه من الكفر .

ثم رغَّبهم وحذّرهم نقضَ الميثاق الذى أخذ عليهم لنبيِّه صلى الله عليه وسلم إذا جاءهم ، وذكر لهم بَدْء خَلْقهم حين خلقهم ، وشأنَ أبيهم آدم عليه السلام وأمْرَهُ ، وكيف صُنع به حين خالف عن طاعته ، ثم قال : ﴿يا بَنى إسرائيل﴾ للأحبار من يهود ﴿اذْكُروا نِعْمَتِيَ التى أنعمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ أى بلائى عندكم وعند آبائكم ، لمَّا كان نجاها به من فرعون وقومه ﴿وأوفُوا بعَهْدى﴾ الذى أخذتُ فى أعناقكم لنبِّيى أحمد إذا جاءكم ﴿أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ أنجزلكم ماوعدتكم على تَصْديقه واتباعه بوَضْع ما كان عليكم من الآصار والأغلال التى كانت فى أعناقكم بذنوبكم التى كانت من أحداثكم ﴿وإيَّايَ فارْهَبُونِ﴾ أى أن أُنْزل بكم ما أنزلت بمَنْ كان قبلكم من آبائكم من النِّقمات التى قد عرفتم ، من المَسخ وغيره ﴿وآمِنُوا بِمَا أنْزَلْتُ مُصدِّقا لمَا مَعَكُمْ، وَلا تَكُونُوا أوَّلَ كافر به﴾ وعندكم من العلم فيه ماليس عند غيركم ﴿وَإِيَّايَ فاتَّقُون * وَلا تَلْبِسُوا الحقَّ بالباطلِ ، وَتَكْتُمُوا الحقَّ وأنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أى لا تكتموا ماعندكم من المعرفة برسولى وبما جاء به ، وأنتم تجدونه عندكم فيما تعلمون من الكتب التى بأيديكم ﴿أتأْمُرُونَ النَّاس بالبِرّ وَتَنْسَوْنَ أنْفسكُمْ وأنْتُمْ تتْلُونَ الكتابَ أفلا تَعْقِلُونَ﴾ أى أتَنْهون الناس عن الكفر بما عندكم من النبوّة والعهد من التوراة وتتركون أنفسكم ، أى وأنتم تكفرون بما فيها من عهدى إليكم فى تَصْديق رسولى وتَنقُضون ميثاقى ، وتَجْحدون ما تَعْلمون من كتابى .

ثم عدّد عليهم أحداثهم ، فذكر لهم العجلَ وما صنعوا فيه ، وتوْبته عليهم ، وإقالَته إياهم ، ثم قولَهم : ﴿ أرِنا اللهَ جَهْرَةً ﴾ .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : جهرة ، أى ظاهراً لنا لا شىء يستره عنّا . قال أبو الأخْزر الحِمّانى ، واسْمه قُتيبة :

يَجهر أجوافَ المِياه السّدُم

وهذا البيت فى أرجوزة له .

يجهر : يقول : يُظهر المَاء ويَكْشف عنه مايستره من الرمل وغيره .

قال ابن إسحاق : وأخذَ الصاعقة إياهم عند ذلك لغرّتهم ، ثم إحياءه إياهم بعد موتهم ، وتظليلَه عليهم الغمام ، وإنزالَه عليهم المنّ والسَّلوى ، وقوله لهم : ﴿ ادْخُلُوا البابَ سجَّداً وَقولُوا حِطَّةٌ ﴾ ، أى قولوا ما آمركم به أحطّ به ذنوبكم عنكم ؛ وتبديلَهم ذلك من قوله استهزاءً بأمره ، وإقالَته إياهم ذلك بعد هُزْئهم .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : المنّ : شىء كان يسقط فى السَّحَر على شجرهم ، فَيجتنبونه حُلواً مثل العسل ، فيَشْربونه ويأكلونه . قال أعشى بنى قَيْس بن ثعلبة :

لو أُطعِمُوا المنّ والسَّلوى مكانَهمُ ... ما أبصر الناسُ طُعما فيهمُ نجَعا

وهذا البيت فى قصيدة له . والسلوى : طاير ؛ واحدتها : سَلْواة ؛ ويقال : إنها السُّمَانى ، ويقال للعسل (أيضا) : السلوى . وقال خالد بن زهير الهُذلىّ :

وقاسَمَها باللهِ حَقًّا لأنتمُ ألَذُّ من السَّلْوَى إذا ما نَشُورها

وهذا البيت فى قصيدة له . وحِطَّة : أى حُطَّ عنا ذُنوبَنا .

قال ابن إسحاق : وكان من تَبْديلهم ذلك ، كما حدثنى صالح بن كَيْسان، عن صالح مولى التَّوْءمة بنت أُميَّة بن خلف ، عن أبى هُريرة ومن لا أتَّهم ، عن ابن عبَّاس ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : دَخَلُوا الباب الذى أُمروا أن يدخلوا منه سُجَّداً يزحفون ، وهم يقولون حِنط فى شعير .

قال ابن هشام : ويروى : حنطة فى شعيرة :

قال ابن إسحاق : واستسقاء موسى لقومه ، وأمره (إياه) أن يضرب بعصاه الحجَرَ فانفجرت لهم منه اثنتا عشرة عينا ، لكلّ سِبْط عَيْن يَشربون منها ، قد عَلم كلُّ سِبْط عينَه التى منها يشرب ؛ وقولهم لموسى عليه السلام : ﴿ لَنْ نَصْبِرَ عَلى طَعَام وَاحِدٍ ، فادْعُ لَنا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنا مِمَّا تُنْبِتُ الأرْضُ مِنْ بَقْلِها وَقِثَّائها وَفُومِها ﴾ .

قال ابن هشام : الفُوم : الحنطة . قال أُمية بن الصلت الثَّقفى :

فوقَ شِيزَى مثلِ الجوابى عَليها قِطَعٌ كالوذِيل فى نِقْى فُومِ

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : الوذيل : قطع الفضَّة والفوم : القمح ؛ واحدته : فُومة . وهذا البيت فى قصيدة له .

﴿ وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ، قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِى هُوَ أَدْنَى بِالَّذِى هُوَ خَيْرٌ * اهْبِطُوا مِصْراً فَإِنَّ لَكُمْ مَاسَأَلْتُمْ ﴾ .

قال ابن إسحاق : فلم يفعلوا . وَرَفْعَه الطُّور فوقهم ليأخذوا ما أُوتوا ؛ والمسخ الذى كان فيهم ، إذ جعلهم قِردةً بأحْداثهم ، والبقرةَ التى أراهم الله عزّ وجلّ بها العِبرَة فى القتيلِ الذى اختلفُوا فيه ، حتى بَيَّن الله لهم أمرَه ، بعد التردد على موسى عليه السَّلام فى صِفة البقرة ؛ وقسوةَ قلوبهم بعد ذلك حتى كانت كالحجارة أو أشدّ قسوة . ثم قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهارُ ، وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ ، وَإِنَّ مِنها لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ ﴾ أى وإن من الحجارة لألينُ من قُلُوبكم عمّا تدعون إليه من الحق ﴿ وَما اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ .

ثم قال لمحمد عليه الصلاة والسلام ولمن معه من المؤمنين يُؤْيسهم منهم ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ ماعَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ وليس قوله يَسْمَعُونَ التَّوْرَاةَ ، أن كلّهم قد سمعها ، ولكنه فريق منهم ، أى خاصة .

قال ابن إسحاق ، فيما بلغنى عن بعض أهل العلم : قالوا لموسى : ياموسى ، قد حِيل بيننا وبين رؤية الله ، فأسمعنا كلامَه حين يكلّمك ، فطلب ذلك موسى عليه السلام من ربّه ، فقال له : نعم ، مُرْهُمْ فَلْيَطَّهَّرُوا ، أو ليطهروا ثيابَهم ، وليصُوموا ، ففعلوا . ثم خرج بهم حتى أتى بهم الطورَ ؛ فلما غشيهمُ الغمام أمرهم موسى فوقعوا سُجّداً ، وكلّمه ربه ، فسمعوا كلامه تبارك وتعالى ، يأمرهم

ويَنْهاهم ، حتى عَقلوا عنه ماسمعوا ، ثم انصرف بهم إلى بنى إسرائيل ، فلما جاءهم حرّف فريقٌ منهم ما أمرهم به ، وقالوا ، حين قال موسى لبنى إسرائيل : إن الله قد أمركم بكذا وكذا ، قال ذلك الفريق الذى ذكر الله عزّ وجلّ : إنما قال كذا وكذا ، خلافا لما قال الله لهم ، فهم الذين عنى الله عزّ وجلّ لرسوله صلى الله عليه وسلم .

ثم قال تعالى : ﴿ وَإِذَا لَقوا الَّذِينَ آمَنُوا قالُوا آمَنَّا ﴾ ، أى بصاحبكم رسول الله ، ولكنه إليكم خاصة . ﴿ وإذا خلا بعضُهم إلى بعض قالوا ﴾ : لا تحدّثوا العربَ بهذا ، فإنكم قد كنتم تَسْتفتحون به عليهم ، فكان فيهم . فأنزل الله عزّ وجلّ فيهم : ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قالُوا آمَنَّا ، وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إلى بَعْضٍ قالُوا أَتُحَدِّثُونَهم بِمَا فَتَحَ عَلَيْكُمْ لِيُحاجُّوكُم بِهِ عِنْدَ رَبِّكُم أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾ ، أى تُقرُّون بأنه نبىّ ، وقد عرفتم أنه قد أُخذ له الميثاق عليكم باتباعه ، وهو يُخبركم أنه النبىّ الذى كنّا ننتظر ونجد فى كتابنا ؛ اجحدُوه ولا تُقرُّوا لهم به . يقول الله عزّ وجلّ : ﴿ أَوَلا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ ما يُسِرُّونَ وَما يُعْلِنُونَ ، وَمِنْهُم أُمِّيُّونَ لا يَعْلَمُونَ الكِتابَ إلاّ أَمانِيَّ ﴾ .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام ، عن أبى عُبيدة : إلا أمانىّ : إلا قراءة ، لأن الأمىّ : الذى يقرأ ولا يكتب . يقول : لا يعلمون الكتاب إلا (أنهم) يقرءونه .

قال ابن هشام : عن أبى عُبيدة ويونس أنهما تأوّلا ذلك عن العرب في قول الله عزّ وجلّ ، حدثنى أبو عبيدة بذلك .

قال ابن هشام : وحدثنى يونس بن حَبيب النحوى وأبو عُبيدة : أنّ العرب تقول : تمنى ، في معنى قرأ . وفى كتاب الله تبارك وتعالى :

﴿ وَما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلاَّ إِذا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ﴾ . قال : وأنشدنى أبو عُبيدة النحوىّ :

تَمَنَّى كِتابَ اللهِ أوّلَ ليله ... وآخِرَهُ وافَى حِمامُ المقادِرِ

وأنشدنى أيضا :

تَمَنَّى كتابَ الله فى اللَّيلِ خالِيا ... تَمَنِّىَ داودَ الزَّبورَ على رِسْلِ

وواحدة الأمانى : أمنيَّة . والأمانى (أيضا) : أن يتمنى الرجلُ المالَ أو غيره .

قال ابن إسحاق : ﴿ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ ﴾ : أى لا يعلمون الكتاب ولا يَدْرون مافيه ، وهم يجحدون نُبوّتك بالظنّ . ﴿ وَقالُوا لَنْ تَمَسَّنا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاما مَعْدُودَةً ، قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ ما لا تَعْلَمُونَ ﴾ .

دعوى اليهود قلة العذاب فى الآخرة ورد الله عليهم

قال ابن إسحاق : وحدثنى مولى لزيد بن ثابت عن عِكْرمة ، أو عن سَعيد بن جُبير ، عن ابن عبّاس ، قال : قَدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم

رفع
المساهم
غفر الله له ولوالديه

المدينةَ واليهود تقول : إنما مدّةُ الدنيا سبعة آلاف سنة ، وإنما يُعذّب الله الناسَ فى النار بكلّ ألف سنة من أيام الدنيا يوما واحدا فى النار من أيام الآخرة ، وإنما هى سبعةُ أيام ثم ينقطع العذاب . فأنزل الله فى ذلك من قولهم : ﴿ وَقالُوا لَنْ تَمَسَّنا النَّارُ إلا أَيَّاما مَعْدُودَةً * قُلْ أَتَّخَذْتُم عِنْدَ اللهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ على الله مالا تَعْلَمُونَ * بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وأحاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ ﴾ أى من عمل بمثل أعمالكم ، وكفر بمثل ما كفرتم به ، يحيط كفره بما له عند الله من حسنة ﴿ فأُولَئِكَ أَصحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالدونَ ﴾ أى خُلْد أبداً . ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ أُولَئِكَ أَصحَابُ الجَنَّةِ هُمْ فِيها خالِدونَ ﴾ : أى من آمن بما كفرتم به ، وعمل بما تركتم من دينه ، فلهم الجنة خالدين فيها ، يُخبرهم أن الثواب بالخير والشرّ مقيمٌ على أهله أبداً ، لا انقطاع له .

قال ابن إسحاق : ثم قال (الله عز وجل) يؤنِّبهم : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنا مِيثاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ أى ميثاقكم ﴿ لا تَعْبُدُون إِلاَّ اللهَ ، وَبالوَالِدَيْنِ إِحْسانا ، وَذِى القُرْبى وَاليَتامَى وَالمَساكِينِ ، وَقُولُوا للنَّاسِ حُسْنا ، وأَقِيمُوا الصَّلاةَ وآتُوا الزَّكاةَ ، ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِنْكُمْ وأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ أى تركتم ذلك كله ليس بالتنقُّص . ﴿ وَإِذْ أَخَذْنا مِيثاقَكُمْ لا تَسْفِكُونَ دِماءَكُمْ ﴾ .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام: تسفكون: تصبُّون. تقول العرب: سَفَك دمَه، أى صبَّه، وسفك الزقّ، أى هَراقه. قال الشاعر:

وكنَّا إذا ما الضيفُ حلّ بأرضنا سفكنا دِماءَ البُدْنِ فى تُرْبةِ الحالِ

قال ابن هشام: يعنى «بالحال»: الطين الذى يخالطه الرمل، وهو الذى تقول له العرب: السَّهلة. وقد جاء فى الحديث: أن جبريل لما قال فرعون: ﴿آمنتُ أنَّهُ لا إلَهَ إلاَّ الَّذِى آمَنَتْ بِهِ بَنُو إسْرَائيلَ﴾ أخذ من حال البحر ﴿وحَمأته﴾ فضرب به وجهَ فرعون. (والحال: مثل الحمأة).

قال ابن إسحاق: ﴿وَلا تُخْرِجُونَ أنفُسَكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ ثُمَّ أقْرَرْتُمْ وأنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ على أن هذا حقّ من ميثاقى عليكم ﴿ثُمَّ أنْتُمْ هَؤُلاءِ تَقْتُلُونَ أنفُسَكُمْ، وتُخْرِجُونَ فَرِيقا مِنْكُمْ مِنْ دِيارِهِمْ، تَظاهَرونَ عَلَيْهِمْ بالإثْمِ والعُدْوَانِ﴾ أى أهل الشرك، حتى يسفكوا دماءهم معهم، ويخرجوهم من ديارهم معهم ﴿وَإنْ يَأْتُوكُمْ أُسارَى تُفادُوهُمْ﴾ وقد عرفتم أن ذلك عليكم فى دينكم ﴿وَهُوَ مُحرَّمٌ عَلَيْكُمْ﴾: فى كتابكم ﴿إخْرَاجُهُمْ، أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الكِتابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾، (أى) أتفادونهم مؤمنين بذلك، وتخرجونهم كفاراً بذلك. ﴿فَما جَزاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذلكَ مِنْكُمْ إلاَّ خِزْىٌ فِى الحَياةِ الدنْيا، وَيَوْمَ القِيامَةِ يُرَدُّونَ إلى أشَدِّ العَذاب، وَما اللهُ بِغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الحَياةَ الدُّنْيا

بالآخِرَةِ ، فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ العَذَابُ ، وَلاهُمْ يُنصَرُونَ ﴾ فأنبَّهم الله عزّ وجلّ بذلك مِن فِعلهم ، وقد حرّم عليهم فى التوراة سفكَ دِمائهم ، وافترضَ عليهم فيها فِدَاء أسراهم .

فكانوا فريقين ، منهم بنو قَيْنُقاع ولَفُّهم ، حلفاء الخزرج ، والنَّضيرُ وقُريظة ولفُّهم ، حلفاء الأوس . فكانوا إذا كانت بين الأوس والخزرج حربٌ خرجت بنو قَيْنُقاع مع الخزرج وخرجت النضيرُ وقُريظة مع الأوس يُظاهر كلٌّ واحد من الفريقين حلفاءه على إخوانه ، حتى يَتسافكوا دماءهم بينهم وبأيْديهم التوراةُ يَعْرفون فيها ما عليهم ومالهم ، والأوس والخزرج أهلُ شِرْك يَعبدون الأوثان . لايعرفون جنّةً ولا ناراً ، ولا بعثا ولا قيامة ، ولا كتابا ، ولا حلالا ولا حراما ، فإذا وضعت الحربُ أوزارها افتَدوا أسارَاهم تصديقا لما فى التوراة ، وأخذ به بعضُهم من بعض ، يَفْتدى بنو قَيْنُقاع مَنْ كان من أسرَاهم فى أيدى الأوس وتَفتدى النَّضِير وقُريظة مافى أيدى الخَزْرج منهم ويُطِلُّون ما أصابوا من الدماء ، وقَتْلى من قُتِلوا منهم فيما بينهم ، مُظاهرةً لأهل الشرك عليهم . يقول الله تعالى لهم حين أنبَّهم بذلك : ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الكِتابِ وتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾ ، أى تُفاديه بحُكم التوراة وتقتُله ، وفى حكم التوراة أن لاتفعل ، تقتله وتُخْرِجه من داره وتُظاهر عليه من يُشْرِك بالله ، ويَعْبد الأوثان من دونه ، ابتغاء عرض الدنيا . ففى ذلك من فعلهم مع الأوس والخزرج — فيما بلغنى — نزلت هذه القصة .

ثم قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الكِتابَ وَقَفَّيْنا مِنْ بَعْدِهِ

بالرُّسُلِ ، وآتَيْنا عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ البَيِّناتِ ﴾ ، أى الآيات التى وضعت على يديه ، من إحياء الموتى ، وخَلْقه من الطين كهيئة الطير ، ثم ينفخ فيه فيكون طيراً بإذْنِ الله ، وإبراء الأسقام ، والخبر بكثير من الغيوب مما يدَّخرون فى بيوتهم ، وماردّ عليهم من التوراة مع الإنجيل ، الذى أحدث الله إليه . ثم ذكرَ كُفْرهم بذلك كله ، فقال : ﴿ أفَكُلَّما جاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاتَهْوَى أنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ ، فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ ﴾ ، ثم قال تعالى : ﴿ وَقالُوا قُلُوبُنا غُلْفٌ ﴾ : فى أكنة . يقول الله عزّ وجلّ : ﴿ بَلْ لَعَنَهُمُ اللهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مايُؤْمِنُونَ * وَلَمَّا جاءَهُمْ كِتابٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا ، فَلَمَّا جاءَهُمْ ماعَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الكافِرِينَ ﴾.

قال ابن إسحاق : حدثنى عاصم بن عُمر بن قَتادة عن أشياخ من قومه ، قال : قالوا : فينا والله وفيهم نزلت هذه القصة ، كنَّا قد عَلَوْناهم ظَهْراً فى الجاهلية ونحن أهل شرك وهم أهل كتاب فكانوا يقولون لنا : إن نبياً يبعث الآن نتبعه قد أظلّ زمانه ، نقتلكم معه قتلَ عاد وإرم . فلما بَعث الله رسولَه صلى الله عليه وسلم من قُريش فاتبعناه كفروا به . يقول الله : ﴿ فَلَمَّا جاءَهُمْ ماعَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ، فَلَعْنَةُ اللهِ على الكافِرِينَ * بِئْسَما اشْتَرَوْا بِهِ أنْفُسَهُمْ أنْ يَكْفُرُوا بِمَا أنْزَلَ اللهُ بَغْياً أنْ يُنَزِّلَ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ ﴾ ، أى أنْ جعله فى غيرهم : ﴿ فَباءُوا بِغَضَبٍ على غَضَبٍ ، وللكافِرِينَ عَذابٌ مَهِينٌ ﴾ .

رفع
المسامر
عز الله لمطي المدين

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : فباءوا بغضب : أى اعترفوا به واحتملوه . قال أعشى بنى قيس بن ثعلبة :

أصالحكم حتى تبوءوا بمثلها كصرخة حُبلَى يَسَّرتها قَبيلُها

(قال ابن هشام : يَسَّرتها : أجلستها للولادة . وهذا البيت فى قصيدة له .

قال ابن إسحاق : فالغضب على الغضب لغضبه عليهم فيما كانوا ضيّعوا من التوراة ، وهى معهم ، وغضبٌ بكُفْرهم بهذا النبى صلى الله عليه وسلم الذى أحدث الله إليهم .

ثم أنّبهم برَفع الطُّور عليهم ، واتخاذهم العِجْل إلهاً دون ربهم ، يقول الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم : ﴿ قُلْ إنْ كانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ عِنْدَ اللهِ خالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاس ، فَتَمَنَّوُا المَوْتَ إنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ ﴾ أى ادعوا بالموت على أى الفريقين أكْذَبُ عند الله ، فأبَوْا ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم . يقول الله جلّ ثناؤه لنبيِّه عليه الصلاة والسلام : ﴿ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أيْدِيهِمْ ﴾ ، أى بعِلْمهم بما عِندهم من العِلْم بك ، والكفر بذلك ، فيقال : لو تمنَّوه يومَ قال ذلك لهم مابقى على وجه الأرض يهودىّ إلا مات . ثم ذكر رغبتهم فى الحياة الدنيا وطول العُمْر ، فقال تعالى : ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أحْرَصَ النَّاسِ على حَياةٍ ﴾ اليهود ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ أشْرَكُوا

يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَما هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذابِ أَنْ يُعَمَّرَ ﴾ ، أى ماهو بمُنْجيه من العذاب ، وذلك أنّ المشرك لا يرجو بعثاً بعد الموت ، فهو يحبّ طول الحياة ، وأن اليهودىّ قد عرف ماله فى الآخرة من الخِزْى بما ضيّع مماَّ عنده من العلم . ثم قال الله تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ كانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ ﴾ .

سؤال اليهود الرسول ، وإجابته لهم عليه الصلاة والسلام

قال ابن إسحاق : حدثنى عبدُ الله بن (عبد) الرحمن بن أبى حُسين المكىّ عن شَهْر بن حَوْشب الأشعرىّ : أن نفراً من أحبار يهود جاءوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يامحمد ، أخبرنا عن أربع نسألك عنهنّ ، فإن فعلتَ ذلك اتبعناك وصدّقناك وآمنّا بك . قال : فقال لهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم:عليكم بذلك عهدُ الله وميثاقُه لئن أنا أخبرتُكم بذلك لتصدّقُنَّنى ؟ قالوا : نعم ، قال : فاسألوا عمّا بدا لكم ، قالوا فأخْبِرْنا كيف يشبه الولد أمَّه ، وإنما النُّطفة من الرجل ؟ قال : فقال لهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أُنْشدكم بالله وبأيَّامه عند بنى إسرائيل ، هل تعلمون أن نُطفَة الرجل بيضاء غليظة ، ونطفَة المرأة صفراء رقيقة ، فأيّتهما عَلَتْ صاحبتَها كان لها الشبهُ ؟ قالوا : اللهم نعم . قالوا : فأخْبرنا كيف نومك ؟ فقال :أنشدكم بالله وبأيامه عند بنى إسرائيل ، هل تعلمون أن نوم الذى تزعمون أنى لستُ به تنام عينهُ وقلبُه يقظان ؟ فقالوا : اللهم نعم ، قال : فكذلك نومى ، تنام

عينى وقلبى يقظان . قالوا : فأخبرنا عمَّا حرَّم إسرائيلُ على نفسه ؟ قال : أنشدكم بالله وبأيامه عند بنى إسرائيل ، هل تعلمون أنه كان أحبّ الطعام والشراب إليه ألبان الإبل ولُحومها ، وأنه اشتكى شكوى ، فعافاه الله منها ، فحرّم على نفسه أحبّ الطعام والشراب إليه شكراً لله ، فحرّم على نفسه لحوم الإبل وألبانها ؟ قالوا : اللهمّ نعم . قالوا : فأخبرنا عن الروح ؟ قال : أنشدكم بالله وبأيامه عند بنى إسرائيل ، هل تعلمونه جبريل ، وهو الذى يأتينى ؟ قالوا : اللهمّ نعم ؛ ولكنه يا محمد لنا عدوّ ، وهو مَلَك ، إنما يأتى بالشدّة وبسفك الدماء ، ولولا ذلك لاتبعناك ، قال : فأنزل الله عزّ وجلّ فيهم : ﴿ قُلْ مَنْ كانَ عَدُوّاً لِجِبْرِيلَ فإنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ مُصَدِّقاً لِمَا بينَ يَدَيْهِ وَهُدًى وبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ . . . إلى قوله تعالى ﴿ أَوَ كُلَّما عاهَدُوا عَهْداً نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ ، بَلْ أَكْثَرُهُمْ لايُؤْمِنُونَ * وَلَمَّا جاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ كِتابَ اللهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لايَعْلَمُونَ * واتَّبَعُوا ما تَتْلُوا الشَّياطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمانَ ﴾ ، أى السحر ﴿ وَما كَفَرَ سُلَيْمانُ وَلكِنَّ الشَّياطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ﴾ .

إنكار اليهود نبوة داود عليه السلام ورد الله عليهم

قال ابن إسحاق : وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فيما بلغنى ـ

لما ذكر سليمان بن داود فى المرسلين ، قال بعضُ أحبارهم : ألا تعجبون من محمد ، يزعم أن سليمان بن داود كان نبياً ، والله ما كان إلا ساحراً . فأنزل الله تعالى فى ذلك من قولهم : ﴿ وَما كَفَرَ سُلَيْمانُ وَلٰكِنَّ الشَّياطِينَ كَفَرُوا ﴾ ، أى باتباعهم السحر وعملهم به . ﴿ وَما أُنْزِلَ عَلَى المَلَكَيْنِ بِبابِلَ هارُوتَ وَما رُوتَ وَما يُعَلِّمانِ مِنْ أَحَدٍ ﴾ .

قال ابن إسحاق : وحدثنى بعضُ من لا أتهم عن عِكْرمة ، عن ابن عبَّاس ، أنه كان يقول : الذى حرّم إسرائيل على نفسه زائدتا الكَبِد والكُلْيتان والشحم ، إلا ما كان على الظَّهر ، فإن ذلك كان يُقرَّب للقُربان ، فتأكله النار .

كتابه صلى الله عليه وسلم إلى يهود خيبر

قال ابن إسحاق : وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يهود خَيْبر ، فيما حدثنى مولى لآل زيد بن ثابت عن عِكرمة أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، صاحبِ موسى وأخيه ، والمصدّق لما جاء به موسى : ألا إن الله قد قال لكم يامعشر أهل التوراة ، وإنكم لتجدون ذلك فى كتابكم : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ رُحَماءُ بَيْنَهُمْ ، تَراهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَرِضْوَاناً ، سِيماهُمْ فِى وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ

رفع
المسلم
عز الدين الدولية

السُّجُود ، ذلكَ مَثَلُهم فِي التَّوْرَاةِ ، وَمَثَلُهمْ فِي الإنجيلِ كَزَرْعٍ أخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فاسْتَغْلَظَ فاستَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغيظَ بِهِمُ الكُفَّارَ ، وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وأَجْراً عَظِيما ﴾ .

وإنى أنشدكم بالله ، وأنشدكم بما أنزل عليكم ، وأنشدكم بالذى أطْعم مَنْ كان قبلكم من أسْباطكم المنّ والسَّلْوَى ، وأنشدكم بالذى أيْبس البحرَ لآبائكم حتى أنجاهم من فِرْعون وعَمله ، إلا أخبرتمونى : هل تجدون فيما أنزل الله عليكم أن تؤمنوا بمحمد ؟ فان كنتم لا تجدون ذلك فى كتابكم فلا كُرْه عليكم . ﴿ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ ـ فأدعوكم إلى الله وإلى نبيِّه .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : شطؤه : فراخه ، وواحدته : شطأة . تقول العرب : قد أشطأ الزرع إذا أخرج فِراخَه . وآزره : عاونه ، فصار الذى قبله مثل الأمهات . قال امرؤ القيس بن حُجْر الكِندىّ :

بمَحْنِيةٍ قد آزر الضَّالَ نَبْتُها   مَجَرَّ جُيوش غانمين وخُيَّبِ

وهذا البيت فى قصيدة له . وقال حُميد بن مالك الأرْقطُ ، أحد بنى رَبيعة ابن مالك بن زيد مَناة :

زَرْعا وَقضْبا مُؤْزَرَ النَّباتِ

وهذا البيت فى أرجوزة له . وسوقه غير مهموز جمع ساق ، لساق الشجرة .

ما نزل فى أبى ياسر وأخيه

قال ابن إسحاق : وكان ممن نزل فيه القرآن ، بخاصة من الأحبار وكُفَّار يهود ، الذى كانوا يسألونه ويتعنَّتُونه ليلبسوا الحقّ بالباطل ـ فيما ذُكِر لى عن عبد الله بن عبَّاس وجابر بن عبد الله بن رئاب ـ أن أبا ياسر بن أخْطب مرّ برسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يتلو فاتحة البقرة : ﴿ الٓمٓ ذلكَ الكِتابُ لا رَيْبَ فِيهِ ﴾ ، فأتى أخاهُ حُيَىّ بن أخْطب فى رجال من يهود ، فقال: تعلَّموا والله، لقد سمعت محمداً يتلو فيما أنزل عليه : ﴿الٓمٓ ذلك الكتاب﴾ ، فقالوا : أنت سمعتَه ؟ فقال : نعم، فمشى حُيىّ بن أخْطب فى أولئك النَّفر من يهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا له : يامحمد ، ألم يُذْكر لنا أنك تتلو فيما أنزل إليك : ﴿ الٓمٓ ذلكَ الكِتابُ ﴾ ؟ فقال رسولُ الله صلى الله عليه سلم : بلى ، قالوا : أجاءك بها جبريل من عند الله ؟ فقال : نعم ، قالوا : لقد بَعث الله قبلك أنبياء ، مانعلمه بيَّن لنبىّ منهم مامدّة ملكه ، وما أُكْل أمَّته غيرك ، فقال حُيىُّ بن أخطب ، وأقبل على من معه ، فقال لهم : الألف واحدة ، واللام ثلاثون ، والميم أربعون ، فهذه إحدى وسبعون سنة ، أفتدخلون فى دين إنما مُدة ملكه وأُكْل أمته إحدى وسبعون سنة ؟ ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يامحمد ، هل مع هذا غيره؟ قال : نعم ، قال ماذا ؟ قال: ﴿المص﴾ . قال : هذه والله أثقل وأطول ، الألف واحدة، واللام ثلاثون ، والميم

أربعون ، والصاد تسعون ، فهذه إحدى وستُّون ومائة سنة ، هل مع هذا يا محمد غيره ؟ قال : نعم ﴿ الر ﴾ قال : هذه والله أثقل وأطول ، الألف واحدة ، واللام ثلاثون ، والراء مائتان ، فهذه إحدى وثلاثون ومائتان ، هل مع هذا غيره يا محمد ؟ قال : نعم ﴿ المر ﴾ . قال : هذه والله أثقل وأطول ، الألف واحدة ، واللام ثلاثون ، والميم أربعون ، والراء مائتان ، فهذه إحدى وسبعون ومائتا سنة ، ثم قال : لقد لُبِّس علينا أمْرك يا محمد، حتى ما نَدْرى أقليلاً أُعطيت أم كثيراً ؟ ثم قاموا عنه ، فقال أبو ياسر لأخيه حُيَيّ بن أخْطب ولمن معه من الأحبار : ما يُدريكم لعلَّه قد جُمع هذا كله لمحمد ، إحدى وسبعون ، وإحدى وستُّون ومائة ، وإحدى وثلاثون ومائتان ، وإحدى وسبعون ومائتان ، فذلك سبع مائة وأربع وثلاثون سنة ، فقالوا : لقد تشابه علينا أمرُه. فيزعمون أن هؤلاء الآيات نزلت فيهم : ﴿ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتابِ ، وأُخَرُ مُتَشابِهاتٌ ﴾ .

قال ابن إسحاق : وقد سمعت من لا أتهم من أهل العِلْم يذكر : أن هؤلاء الآيات إنما أُنزلن فى أهل نَجْران ، حين قَدِموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه عن عيسى بن مَرْيَم عليه السلام .

قال ابن إسحاق : وقد حدثنى محمد بن أبى أُمامة بن سَهْل بن حُنيف ، أنه قد سمع : أن هؤلاء الآيات إنما أُنزلن فى نَفر من يهود ، ولم يُفسِّر ذلك لى . فالله أعلم أىّ ذلك كان .

كفر اليهود به صلى الله عليه وسلم بعد استفتاحهم به وما نزل فى ذلك

قال ابن إسحاق : وكان فيما بلغنى عن عِكْرِمة مولى ابن عبّاس ، أو عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عبّاس : أن يهود كانوا يَسْتفتحون على الأوس والخزْرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مَبْعثه ، فلما بَعثه الله من العَرب كفروا به ، وجَحدوا ما كانوا يقولون فيه . فقال لهم مُعاذ بن جَبل ، وبِشْر ابن البَراء بن مَعْرور ، أخو بنى سَلمة : يامَعْشر يَهود ، اتقوا الله وأسْلموا ، فقد كنتم تَستفتحون علينا بمحمد ونحن أهلُ شِرْك ، وتُخْبِرونَنا أنه مبعوث ، وتَصِفونه لنا بصفته ، فقال سَلام بن مِشْكم ، أحد بنى النَّضير : ما جاءنا بشىء نعرفه ، وماهو بالذى كنّا نذكره لكم ، فأنزل الله فى ذلك من قولهم : ﴿ وَلَمَّا جاءَهُمْ كِتابٌ مِن عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وكانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحون عَلى الَّذِينَ كَفَرُوا ، فَلَمَّا جاءَهُمْ ماعَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ، فَلَعْنَةُ اللهِ عَلى الكافِرِينَ ﴾ .

ما نزل فى نكران مالك بن الصيف العهد إليهم بالنبى

قال ابن إسحاق : وقال مالك بن الصَّيف ، حين بُعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر لهم ما أُخذ عليهم له من الميثاق ، وما عَهِد الله إليهم فيه : والله ما عُهد إلينا فى محمد عهد ، وما أُخذ له علينا من ميثاق . فأنزل الله فيه :

﴿ أَوَ كُلَّما عاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُم ، بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يُؤْمنونَ ﴾ .

ما نزل فى قول أبى صلوبا « ماجئتنا بشىء نعرفه »

وقال أبو صَلُوبا الفِطْيونى لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يامحمد ، ماجئْتَنا بشىء نَعْرفه ، وما أنْزل الله عليك من آية فنتَّبعك لها . فأنزل الله تعالى فى ذلك من قوله : ﴿ وَلَقَدْ أَنْزَلْنا إِلَيْكَ آياتٍ بَيِّناتٍ وَما يَكْفُرُ بِها إِلاَّ الفاسِقُونَ ﴾ .

ما نزل فى قول ابن حريملة ووهب

وقال رافع بن حُريملة ، ووَهْب بن زيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يامحمد ، ائتنا بكتاب تُنَزِّله علينا من السماء نقرؤه ، وفَجِّر لنا أنهاراً نتبعك ونصدّقك . فأنزل الله تعالى فى ذلك من قولهما : ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ ، وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الكُفْرَ بالإِيمانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : سواء السبيل : وسط السبيل . قال حسّان بن ثابت :

يا وَيْحَ أنصار النبىّ ورَهْطِه   بعد المُغَيَّب فى سَواء المُلْحَدِ

وهذا البيت فى قصيدة له سأذكرها فى موضعها إن شاء الله تعالى .

ما نزل فى حيى وأخيه فى صد الناس عن الإسلام

قال ابن إسحاق : وكان حُيَيّ بن أخطب وأخوه أبو ياسر بن أخطب ، من أشدّ يهود للعرب حسداً ، إذ خصّهم الله تعالى برسوله صلى الله عليه وسلم ، وكانا جاهدَيْن فى ردّ الناس عن الإسلام بما استطاعا . فأنزل الله تعالى فيهما : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِن بَعد إيمانكم كُفاراً حَسَداً مِن عند أنفسهم ، مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمُ الحَقُّ ، فاعفُوا وَاصْفَحُوا حتى يَأْتِىَ اللهُ بأمْرِهِ ، إنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

تنازع اليهود والنصارى عند الرسول صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : ولمّا قَدِم أهلُ نَجْران من النّصارى على رسول الله صلى الله عليه وسلم أتتهم أحبارُ يهود ، فتَنازعوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رافع بن حُريملة : ما أنتم على شىء ، وكَفَر بعيسى وبالإنجيل ، فقال رجلٌ من أهل نجْران من النصارى لليهود : ماأنتم على شىء ، وجحد نبوّة مُوسى وكفر بالتوراة ، فأنزل الله تعالى فى ذلك من قولهم : ﴿ وَقالَتِ اليَهُودُ لَيْسَتِ النَّصارَى عَلَى شَىْءٍ ، وَقالَتِ النَّصارَى لَيْسَتِ اليَهُودُ عَلَى شَىْءٍ ، وَهُمْ يَتْلونَ الكِتابَ ، كَذَلِكَ قالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ، فاللهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ القيامة فِيما كانوافيه يَخْتَلِفُونَ ﴾ ، أى كلّ يتلو فى كتابه تصديقُ ما كفر به ، أى يكفر اليهودُ بعيسى ، وعندهم التوراة فيها ما أخذ

الله عليهم على لسان موسى عليه السلام بالتصديق بعيسى عليه السلام ، وفى الإنجيل ماجاء به عيسى عليه السلام ، من تصديق موسى عليه السلام ، وماجاء به من التوراة من عند الله ، وكلّ يكفر بما فى يد صاحبه .

ما نزل فى طلب ابن حريملة أن يكلمه الله

قال ابن إسحاق : وقال رافعُ بن حُريملة لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يامحمد ، إن كنت رسولا من الله كما تقول ، فقل لله فليُكلّمنا حتى نسمع كلامه . فأنزل الله تعالى فى ذلك من قوله : ﴿ وَقالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ لَوْلا يُكَلِّمُنَا اللهُ ، أَوْ تَأْتِينا آيَةٌ كذَلكَ قال الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ، تَشابَهَتْ قُلُوبُهُمْ ، قَدْ بَيَّنا الآياتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ .

ما نزل فى سؤال ابن صوريا للنبى عليه الصلاة والسلام بأن يتهود

وقال عبد الله بن صُوريا الأعور الفِطْيونى لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ما الهُدَى إلا مانحن عليه ، فاتبعنا يا محمد تَهْتَدِ ، وقالت النصارى مثل ذلك . فأنزل الله تعالى فى ذلك من قول عبد الله بن صُوريا وما قالت النصارى : ﴿ وَقالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصارَى تَهْتَدُوا ، قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْراهِيمَ حَنِيفًا وَما كانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ . ثم القصة إلى قول الله تعالى : ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ، لَهَا ما كَسَبَتْ وَلَكُمْ ما كَسَبْتُمْ ، وَلا تُسْئَلُونَ عَمَّا كانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

مقالة اليهود عند صرف القبلة إلى الكعبة

قال ابن إسحاق : ولما صُرفت القبلة عن الشام إلى الكعبة ، وصُرفت في رجب على رأس سبعةَ عشرَ شهراً من مَقْدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم رِفَاعةُ بنُ قيس ، وقَرْدَم بن عمرو ، وكَعْبُ بن الأشرف ، ورافعُ بن أبي رافع ، والحجاجُ بن عمرو ، حليف كعب بن الأشرف ، والربيع بن الربيع بن أبي الْحُقَيْق ، وكِنانة بن الربيع ابن أبي الْحُقيق ، فقالوا : يامحمد ، ماوَلاَّك عن قبلتك التي كنت عليها ، وأنت تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه ؟ ارجع إلى قبلتك التي كنتَ عليها نَتَّبعك ونصدّقك ، وإنما يريدون بذلك فتنَته عن دينه فأنزل الله تعالى فيهم : ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهاء مِنَ النَّاسِ ماوَلاَّهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمْ الَّتِى كانُوا عَلَيْها ، قُلْ لِلّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ، يَهْدِى مَنْ يَشاء إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وكَذَلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَداء عَلَى النَّاسِ ، وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً * وَما جَعَلْنا الْقِبْلَةَ الَّتِى كُنْتَ عَلَيْها إلاَّ لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ ﴾ أي ابتلاء واختبارا ﴿ وَإِنْ كانَتْ لَكَبِيرَةً إلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللهُ ﴾ أي من الفتن : أي الذين ثبَّت الله ﴿ وَما كانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمانَكُمْ ﴾ أي إيمانكم بالقبلة الأولى ، وتصديقكم نبيكم ، واتباعكم إياه إلى القبلة الآخرة ، وطاعتكم نبيَّكم فيها : أي ليُعطينكم أجرهما جميعا ﴿ إِنَّ اللهَ بالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ .

ثم قال تعالى : ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى السَّماء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً

رفع
المسـهم
عز الله لبطولها الدين

تَرْضَاها ، فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ المَسْجِدِ الحَرَامِ ، وَحَيْثُ ما كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : شطره : نحوه وقصده . قال عمرو بن أحمر الباهلي ــ وباهلة ابن يَعْصر بن سعد بن قيس بن عيلان ــ يصف ناقة له .

تعدو بنا شَطْرَ جَمْع وهى عاقدةٌ　　قد كارَبَ العَقْدُ من إيفادها الحَقَبا

وهذا البيت فى قصيدة له .

وقال قيس بن خُويلد الهُذلىّ يصف ناقته :

إن النَّعوسَ بهـا داء مُخامِرها　　فشطْرَها نَظَرُ العَيْنين مَحْسُورُ

وهذا البيت فى أبيات له .

قال ابن هشام : والنَّعُوسُ : ناقته ، وكان بها داء فنظر إليها نظر حسير ، من قوله : وهو حسير .

﴿ وإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ، وَما اللهُ بِغافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ * وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ بِكُلِّ آيَةٍ ما تَبِعُوا قِبْلَتَكَ ، وَما أَنْتَ بِتابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ، وَما بَعْضُهُمْ بِتابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ، وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْواءَهُمْ مِنْ بَعْدِ ماجاءَكَ مِنَ العِلْمِ ، إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ .

. . . .

قال ابن إسحاق : إلى قوله تعـــالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ، فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ .

كتمانهم مافى التوراة من الحق

وسأل معاذ بن جَبل ، أخو بنى سَلِمة ، وسعدُ بن معاذ ، أخو بنى عبد الأشهل وخارجةُ بن زيد ، أخو بَلْحارثِ بن الخزرج ، نفراً من أحبار يهود عن بعض مافى التوراة ، فكتموهم إياه ، وأبَوْا أن يُخْبروهم عنه . فأنزل الله تعالى فيهم : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ ما أَنْزَلْنا مِنَ الْبَيِّناتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ ما بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ ﴾ .

جوابهم للنبى عليه الصلاة والسلام حين دعاهم إلى الإسلام

قال : ودعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم اليهود من أهل الكتاب إلى الإسلام ورغَّبهم فيه ، وحذَّرهم عذابَ الله ونقْمتَه ؛ فقال له رافعُ بن خارجة ، ومالك بن عوف : بل نتبع يامحمد ماوجَدْنا عليه آباءنا ، فهم كانوا أعلمَ وخيراً منَّا * فأنزل الله عزَّ وجلَّ فى ذلك من قولهما ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا ما أَنْزَلَ اللهُ قالُوا بَلْ نَتَّبِعُ ما أَلْفَيْنا عَلَيْهِ آباءَنا ، أَوَ لَوْ كانَ آباؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلا يَهْتَدُونَ ﴾ .

رفع
المسهم
غفر الله له ولوالديه

جمعهم فى سوق بنى قينقاع

ولما أصاب الله عزّ وجلّ قُريشا يوم بَدر جمع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يهودَ فى سوق بنى قَيْنُقَاع ، حين قدم المدينة ، فقال : يامعشر يهود ، أسلِموا قبل أن يُصيبكم الله بمثل ما أصاب به قريشا ، فقالوا له : يامحمد ، لايغرنّك من نفسك أنك قتلت نفراً من قريش ، كانوا أغماراً لايعرفون القتال ، إنك والله لو قاتلتنا لعرفت أنّا نحن الناس ، وأنك لم تلق مثلَنا ، فأنزل الله تعالى فى ذلك من قولهم ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إلى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ المِهادُ * قَدْ كانَ لَكُمْ آيةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتا ، فِئَةٌ تُقاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ ، وأُخْرَى كافِرَةٌ ، يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رأْىَ العَيْنِ ، واللهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشاء ، إنَّ فى ذلك لَعِبرَةً لِأُولى الأَبْصارِ ﴾ آل عمران : ١٢ ، ١٣ .

دخوله صلى الله عليه وسلم بيت المدراس

قال : ودخل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بيتَ المِدْراس على جماعةٍ من يَهود ، فدعاهم إلى الله ، فقال له النُّعمان بن عمرو ، والحارثُ بن زَيد : على أىّ دين أنتَ يامحمد ؟ قال : على مِلّة إبراهيم ودينِه ، قالا : فإن إبراهيم كان يهودياً ؛ فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم : فَهَلُمّ إلى التوراة ، فهى بيننا وبينكم ، فأبَيا عليه . فأنزل الله تعالى فيهما : ﴿ أَلَمْ تَرَ إلى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الكِتابِ يُدْعَوْنَ إلى كِتابِ اللهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ، ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ * ذلك بأَنَّهُمْ قالُوا : لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ

إلاَّ أيَّاما مَعْدُودَاتٍ ، وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ .

اختلاف اليهود والنصارى فى إبراهيم عليه السلام

وقال أحبارُ يهودَ ونَصارى نجْران ، حين اجتمعوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنازَعوا ، فقالت الأحبار : ما كان إبراهيمُ إلا يهوديًّا ، وقالت النصارى من أهل نجران : ما كان إبراهيم إلا نصْرانيا . فأنزل الله عزّ وجلّ فيهم : ﴿ ياأهْلَ الكِتابِ لِمَ تُحاجُّونَ فِي إبْرَاهِيمَ وَما أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإنجِيلُ إلاَّ مِنْ بَعْدِهِ أفَلا تَعْقِلُونَ . ها أنْتُمْ هَؤُلاءِ حاجَجْتُمْ فِيما لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ، فَلِمَ تُحاجُّونَ فِيما لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ، وَاللهُ يَعْلَمُ وأنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ * ما كانَ إبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرَانِيًّا ، وَلَكِنْ كانَ حَنِيفاً مُسْلِماً ، وَما كانَ مِنَ المُشْرِكِينَ . إنَّ أوْلَى النَّاسِ بِإبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ ، وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللهُ وَلِيُّ المُؤْمِنِينَ ﴾ .

ما نزل فيما همّ به بعضهم من الإيمان غدوة والكفر عشية

وقال عبدُ الله بن صيف ، وعدىّ بن زيد ، والحارث بن عوف ، بعضُهم لبعض : تَعالَوْا نؤمن بما أنزل على محمد وأصحابه غُدوةً ، ونكفر به عشيَّةً ، حتى نَلبسَ عليهم دينهم لعلَّهم يصنعون كما نصنع ، ويرجعون عن دينه ، فأنزل الله تعالى فيهم : ﴿ ياأهْلَ الكِتابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الحَقَّ بالباطِلِ ، وَتَكْتُمُونَ الحَقَّ وأنْتُمْ تَعْلَمُونَ * وَقالَتْ طائِفَةٌ مِنْ أهْلِ الكِتابِ آمِنُوا بالَّذِى

أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ * وَلا تُؤْمِنُوا إِلاَّ لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ ، قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ ما أُوتِيتُمْ أَوْ يُحاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ ، قُلْ إِنَّ الفَضْلَ بِيَدِ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ ، وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ .

ما نزل فى قول أبى رافع والنجرانى
« أتريد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى »

وقال أبو رافع القُرظىّ ، حين اجتمعت الأحبارُ من يهود ، والنَّصارى من أهل نجْران عند رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، ودعاهم إلى الإسلام : أتُريد منا يا محمد أن نَعبدك كما تعبد النصارى عيسى بن مريم ؟ وقال رجلٌ من أهل نجْران نَصْرانىّ ، يقال له : الرِّبِّيس ، (ويروى : الريس ، والرئيس) : أو ذاك تُريدُ منّا يا محمد وإليه تدعونا ؟ أو كما قال . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : معاذَ الله أن أعْبد غيرَ الله أو آمر بعبادة غيره ، فما بذلك بَعثنى الله ، ولا أمرنى ؛ أو كما قال . فأنزل اللهُ تعالى فى ذلك من قولهما : ﴿ ما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللهُ الْكِتابَ والْحُكْمَ والنُّبُوَّةَ ، ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِباداً لى مِنْ دُونِ اللهِ ، وَلكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِما كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتابَ ، وَبِما كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ . . . إلى قوله تعالى : ﴿ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ .

قال ابن هشام : الربانيُّون : العلماء الفقهاء السادة ، واحدهم : رَبانىٌّ .

قال الشاعر :

لو كنتُ مُرْتَهِناً فى القُوسِ أفتَنَنى   منها الكَلامُ وربَّانِىٌّ أحْبارِ

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : القُوسُ : صومعة الراهب . وأفتننى ، لغة تميم . وفتننى ، لغة قيس .

قال جرير :

لا وَصْل إذ صَرَمَتْ هِندٌ ولو وقفت   لاستَنْزَلَتْنى وذا المِسْحَيْن فى القُوسِ

أى صومعة الراهب . والرّبانى : مشتقّ من الرب ، وهو السيد . وفى كتاب الله : ﴿ فَيَسْقِى رَبَّهُ خَمْراً ﴾ ، أى سيده .

قال ابن إسحاق : ﴿ وَلا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا المَلائِكَةَ والنَّبِيِّينَ أَرْباباً أيأمُرُكُمْ بالكُفرِ بَعْدَ إذْ أَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ .

ما نزل فى أخذ الميثاق عليهم

قال ابن إسحاق : ثم ذكر ما أخذ اللهُ عليهم ، وعلى أنبيائهم من الميثاق بتصْديقه إذ هو جاءهم ، وإقرارهم ، فقال : ﴿ وإذْ أَخَذَ اللهُ مِيثاقَ النَّبِيِّينَ لَما آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتابٍ وَحِكْمَة ، ثُمَّ جاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِما مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ ولَتَنْصُرُنَّهُ ، قالَ أأقْرَرْتُم وأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إصْرِى ؟ قالُوا أقْرَرْنا ، قالَ فاشْهَدُوا وأنا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ إلى آخر القصة .

سعيهم فى الوقيعة بين الأنصار

قال ابن إسحاق : ومَرّ شأس بن قَيْس ، وكان شيخا قد عسا ، عظيم الكُفْر شديد الضّغن على المُسْلمين ، شديد الحسد لهم ، على نَفَر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأوس والخَزْرج . فى مجلس قد جَمَعهم ، يتحدّثون فيه ، فغاظه ما رأى من أُلْفَتهم وجماعتهم ، وصَلاح ذاتَ بَيْنهم على الإسْلام ، بعد الذى كان بينهم من العَداوة فى الجاهلية . فقال : قد اجتمع مَلأ بنى قَيْلة بهذه البِلاد ، لا والله ما لنا مَعهم إذا اجتمع مَلَؤهم بها من قَرار . فأمر فَتى شابا من يَهُودَ كان معهم ، فقال : اعمِدْ إليهم ، فاجلسْ معهم ، ثم اذكُر يومَ بُعاث وما كان قَبلَه وأنْشدهم بعضَ ما كانوا تَقاولوا فيه من الأشْعار .

شىء عن يوم بعاث

وكان يوم بُعاث يوما اقتتلت فيه الأوْس والخزرجُ ، وكان الظفر فيه يومئذ للأوس على الخَزْرج ، وكان على الأوس يومئذٍ حُضَير بن سِماك الأشْهلى ، أبو أُسَيد بن حُضَير ؛ وعلى الخَزْرج عمرو بن النُّعمان البَياضِىّ ، فقُتِلا جميعا .

قال ابن هشام : قال أبو قيس بن الأسْلت :

على أن قَد فُجِعتُ بذى حِفاظٍ ... فَعاوَدَنى له حُزْنٌ رَصِينُ

فإمَّا تَقْتلوه فإنَّ عَمْراً أعضَّ برأسه عَضْبٌ سَنِينَ

وهذان البيتان فى قصيدة له . وحديث يوم بُعاث أطولُ مما ذكرتُ ، وإنما منعنى من استقصائه ما ذكرت من القَطْع .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : سنين : مسنون ، من سنَّه ، إذا شحذه .

قال ابن إسحاق : ففعل . فتكلَّم القومُ عند ذلك وتنازعُوا وتفاخروا حتى تَواثب رجلان من الحَيَّين على الرُّكب ، أوس بن قَيْظى ، أحد بَنِى حارثة بن الحارث ، من الأوس ، وجبَّار بن صخر ، أحدَ بنى سَلمة من الخزرج ، فتقاولا ثم قال أحدهما لصاحبه : إن شئتم رَدَدْناها الآنَ جذَعة ، فغضب الفريقان جميعا ، وقالوا : قد فعَلْنا ، موعدكم الظَّاهرة ـ والظاهرة : الحرّة ـ السِّلاحَ السِّلاح . فخرجوا إليها ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج إليهم فيمن معه من أصحابه المُهاجرين حتى جاءهم ، فقال : يامعشر المسلمين ، الله الله ، أبِدَعوى الجاهليَّة وأنا بين أظهركم بعد أن هَداكم الله للإسلام ، وأكرمَكم به ، وقَطع به عنكم أمرَ الجاهلية ، واستنقذكم به من الكُفر ، وألَّف به بين قلوبكم ، فعرف القومُ أنها نَزْغة من الشيطان ، وكَيدٌ من عدوّهم ، فَبَكوا وعانَق الرجالُ من الأوس والخزرج بعضُهم بعضا ، ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين مُطيعين ، قد أطفأ الله عنهم كَيْدَ عَدوّ الله شأس بن قيس . فأنزل الله تعالى فى شأس ابن قَيسٍ وما صَنع : ﴿ قُلْ يا أهْلَ الكِتابِ لِمَ تَكْفُرونَ بآياتِ اللهِ ،

والله شهيدٌ على ما تعملون * قل يا أهلَ الكتابِ لِمَ تصدُّون عن سبيلِ الله من آمنَ تبغونها عِوَجا ، وأنتم شهداء ، وما اللهُ بغافلٍ عمَّا تعملون ﴾.

وأنزل الله فى أوْسِ بن قَيْظى وجَبّار بن صخر ومن كان معهما من قومهما الذين صنعوا ما صنعوا عمَّا أدخل عليهم شأس من أمر الجاهلية : ﴿ يا أيُّها الَّذين آمنوا إنْ تُطيعُوا فريقاً مِنَ الَّذينَ أوتوا الكِتابَ يَرُدُّوكمْ بعْدَ إيمانِكمْ كافرِين * وكيفَ تكفُرُونَ وأنتُمْ تُتلَى عليْكمْ آياتُ اللهِ وفيكمْ رسُولُهُ ، ومَنْ يعْتصِمْ باللهِ فقدْ هُدِيَ إلى صِراطٍ مُستقيمٍ * يا أيُّها الَّذينَ آمنُوا اتَّقُوا اللهَ حقَّ تُقاتِهِ ولا تمُوتُنَّ إلاَّ وأنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ . . . إلى قوله تعالى : ﴿ وأولَئكَ لهُمْ عذابٌ عظِيمٌ ﴾.

ما نزل فى قولهم : « ما آمن إلا شرارنا »

قال ابن إسحاق : ولما أسلم عبد الله بن سَلام ، وثعلبة بن سَعْية ، وأُسيد ابن سَعية ، وأسد بن عُبيد ، ومن أسلم من يهود معهم ، فآمنوا وصدّقوا ورغبوا فى الإسلام ، ورسخوا فيه ، قالت أحبارُ يهود ، أهل الكُفْر منهم : ما آمن بمحمَّد ولا اتبعه إلا شِرارنا ، ولو كانوا من أخيارنا ما تركوا دين آبائهم وذهبوا إلى غيره . فأنزل الله تعالى فى ذلك من قولهم : ﴿ ليْسُوا سَوَاءً ، مِنْ أهْلِ الكتابِ أُمَّةٌ قائمةٌ يتْلُونَ آياتِ اللهِ آناءَ اللَّيْلِ وهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾ .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : آناء الليل : ساعات الليل ، وواحدها : إِنْىٌ . قال المُتَنَخِّل الهُذَلىّ ، واسمه مالك بن عُوَيْمر ، يرثى أُثَيلة ابنَه :

حُلْو ومرّ كعَطْف القِدْح شيمتُه في كلّ إِنْىٍ قَضَاه اللّيلُ يَنْتعلُ

وهذا البيت فى قصيدة له . وقال لَبيد بن ربيعة يصف حمار وَحْش :

يُطَرِّبُ آناء النَّهار كأنَّه غَوىّ سَقاه فى التِّجار نَديمُ

وهذا البيت فى قصيدة له ، ويقال : إِنى مقصور فيما أخبرنى يونس .

﴿ يُؤْمِنُونَ باللهِ واليَوْمِ الآخِرَ ، وَيَأْمُرُونَ بالمَعْرُوفِ ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ ، وَيُسارِعُونَ فِي الخَيْرَاتِ ، وأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ .

ما نزل فى نهى المسلمين عن مباطنة اليهود

قال ابن إسحاق : وكان رجال من المسلمين يُواصلون رجالا من اليهود ، لما كان بينهم من الجوار والحِلْف ، فأنزل الله تعالى فيهم ينهاهم عن مُباطنتهم : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاتَتَّخِذُوا بِطانَةً مِنْ دُونِكُمْ ، لا يَأْلُونَكُمْ خَبالاً وَدُّوا ماعَنِتُّمْ ، قَدْ بَدَتِ البَغْضاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَما تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ، قَدْ بَيَّنا لَكُمُ الآياتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ * هَاأَنْتُمْ أُولاءِ تُحِبُّونَهُمْ ، وَلايُحِبُّونَكُمْ ، وَتُؤْمِنُونَ بالكِتابِ كُلِّهِ ﴾ ، أى تؤمنون بكتابكم ، وبما مضى من الكُتب قبل ذلك وهم يكفرون بكتابكم ، فأنتم كنتم أحقّ بالبغضاء لهم منهم لكم ﴿ وَإِذَا لَقُوكُمْ قالُوا آمَنَّا ، وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا

عَلَيْكُمُ الأنامِلَ مِنَ الغَيْظِ ، قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ ﴾ إلى آخر القصة .

ما كان بين أبى بكر وفنحاص

ودخل أبو بكر الصدّيق بيت المدراس على يهود ، فوَجد منهم ناسا كثيراً قد اجتمعوا إلى رجُل منهم ، يقال له فِنْحاص ، وكان من عُلمائهم وأحبارهم ، ومعه حَبْر من أحبارهم ، يقال له : أشْيع ، فقال أبو بكر لفِنْحاص : ويحك يافنحاص ! اتَّق الله وأسلم ، فوالله إنك لتعلم أن محمدا لرسول الله ، قد جاءكم بالحقّ من عنده ، تجدونه مكتوبا عندكم فى التوراة والإنجيل ، فقال فنحاص لأبى بَكر : والله يا أبا بكر ، ما بنا إلى الله من فَقْر ، وإنه إلينا لفَقير ، وما نتضرّع إليه كما يتضرّع إلينا ، وإنّا عنه لأغنياء ، وما هو عنّا بغَنىّ ، ولو كان عنّا غنيًّا ما استقْرضنا أموالَنا ، كما يزعمُ صاحبُكم ، يَنْهاكم عن الرّبا ويُعْطيناه ، ولو كان عنّا غنيًّا ما أعطانا الرّبا . قال فغضب أبو بكر ، فضَرب وَجْه فِنْحاص ضربا شديداً ، وقال : والذى نَفسى بيده ، لولا العهدُ الذى بَيْننا وبينكم ، لضربتُ رأسَك ، أى عدوّ الله . قال : فذهب فِنْحاص إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فقال يامحمد انظر ما صنع بى صاحبك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بكر : ما حَمَلَك على ما صَنعت ؟ فقال أبو بكر : يارسول الله ، إن عدوّ الله قال قولا عظيما ، إنه زَعم أن الله فقير وأنهم أغنياء ، فلما قال ذلك غضبتُ لله ممّا قال ، وضَربتُ وجهَه . فجحد ذلك فِنْحاص ، وقال : ماقلتُ ذلك . فأنزل الله تعالى فيما قال فِنْحاص ردًّا عليه ، وتَصْديقا لأبى بكر : ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذِينَ قالُوا إنَّ اللهَ فَقِيرٌ

ونحنُ أغنياء ، سَنَكْتُبُ ما قالُوا ، وَقَتْلَهُمُ الأنبياء بغيرِ حَقٍّ ، وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذابَ الحَرِيقِ ﴾ .

ونزل فى أبى بكر الصدّيق رضى الله عنه ، وما بلغه فى ذلك من الغضب : ﴿ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا . وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فإِنَّ ذلكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴾ .

ثم قال فيما قال فِنحاص والأحبارُ معه من يهود : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ للنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ ، فَنَبَذُوهُ وَراءَ ظُهُورِهِمْ ، وَاشْتَرَوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً ، فَبِئْسَ ما يَشْتَرُونَ * لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِما أَتَوْا ، ويُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفازَةٍ مِنَ العَذَابِ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ يعنى فِنحاص ، وأشيع وأشباهَهما من الأحبار ، الذين يفرحون بما يصيبون من الدنيا على ما زيَّنوا للناس من الضلالة ، ويُحبّون أن يحمدوا بما لم يفعلوا ، أن يقول الناس : علماء ، وليسُوا بأهْل عِلم ، لم يَحْملوهم على هُدًى ولا حقّ ، ويُحبون أن يقول الناس قد فعلوا .

أمرهم المؤمنين بالبخل

قال ابن إسحاق : وكان كَرْدَم بن قيس ، حليفُ كعب بن الأشْرف ، وأُسامة بن حبيب ، ونافع بن أبى نافع ، وبَحْرِىّ بن عمرو ، وحُيَيّ بن أخْطب ، ورفاعة بن زيد بن التابوت ، يأتون رجالا من الأنصار كانوا يُخالطونهم ،

يَنتصِحون لهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيقولون لهم : لا تُنفِقُوا أموالَكم فإنَّا نخشَى عليكم الفقرَ فى ذهابها ، ولا تُسارعوا فى النفقة فإنكم لاتدْرون علامَ يكون . فأنزل الله فيهم : ﴿ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ ما آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ أى من التوراة ، التى فيها تَصْديق ما جاء به محمدٌ صلى الله عليه وسلم ﴿ وأَعْتَدْنا لِلكافِرِينَ عَذَابا مُهِينا . وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ ، وَلا يُؤْمِنُونَ باللهِ وَلا باليَوْمِ الآخِرِ ﴾ . . . إلى قوله : ﴿ وكانَ اللهُ بِهِمْ عَلِيماً ﴾ .

جحدهم الحق

قال ابن إسحاق: وكان رِفاعة بن زَيْدبن التابوت من عُظماء يهود، إذا كلَّم رسول الله — صلى الله عليه وسلم لَوَى لسانَه ، وقال : أرعنا سَمْعك يامحمد ، حتى نُفْهمك ، ثم طعن فى الإسلام وعابَه . فأنزل الله فيه : ﴿ أَلَمْ تَرَ إلى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبا مِنَ الكِتابِ يَشْتَرُونَ الضَّلالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ . وَاللهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ ، وكَفَى باللهِ وَلِيًّا ، وكَفَى باللهِ نَصِيراً * مِنَ الَّذِينَ هادُوا يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ، وَيَقُولُونَ سَمِعْنا وَعَصَيْنا وَاسْمَعْ غيرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنا ﴾ ، (أى راعنا سمعك) ﴿ لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ ، وَطَعْناً فِى الدِّينِ ، وَلَوْ أَنَّهُمْ قالُوا سَمِعْنا وأَطَعْنا وأسمع وانظُرْنا ، لَكانَ خَيْراً لَهُمْ وأَقْوَمَ ولكِنْ لَعَنَهُمُ اللهُ بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إلاَّ قَلِيلاً ﴾ .

وكلَّم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم رؤساء من أحبار يهود ، منهم :

رفع
المسهم
عزالله العلم العالي

عبد الله بن صوريا الأعور، وكَعْب بن أسد، فقال لهم: يامعشر يهود، اتقوا الله وأسْلِموا، فوالله إنكم لتعلمونَ أنّ الذى جِئْتُكم به لَحقّ، قالوا: مانعرف ذلك يامحمد: فجحدوا ماعرفوا، وأصرُّوا على الكفر، فأنزل الله تعالى فيهم ﴿ياأيها الّذينَ أوتُوا الكِتابَ آمِنُوا بِمَا نَزّلنا مُصَدّقا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهاً فَنَرُدَّها عَلَى أدْبارِها، أوْ نَلْعَنَهُمْ كمَا لَعَنَّا أصحابَ السَّبْتِ وكانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولا﴾.

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام: نَطْمس: نمسحها فنسوّيها، فلا يُرى فيها عينٌ ولا أنْف ولا فَم، ولا شيء مما يُرى فى الوجه، وكذلك ﴿فَطَمَسْنا أعْيُنَهُمْ﴾. المطموس العين: الذى ليس بين جَفْنيه شقّ. ويقال طَمَست الكِتابَ والأثر، فلا يُرى منه شيء. قال الأخطل، واسمه الغَوْث بن هُبيرة بن الصَّلت التَّغلبى، يصف إبلاً كلَّفها ما ذكر:

وتَكْلِيفُناها كلَّ طامِسة الصُّوى ... شَطونٍ تَرَى حِرْباءَها يتَمَلملُ

وهذا البيت فى قصيدة له.

قال ابن هشام: واحدة الصُّوى: صُوّة. والصُّوى: الأعلام التى يُستدلّ بها على الطرق والمياه.

قال ابن هشام: يقول: مُسِحَت فاستوت بالأرض، فليس فيها شيء ناتئ.

. . . .

رفع
المسهم
عبد الله البطالي

النفر الذين حزبوا الأحزاب

قال ابن إسحاق : وكان الذين حزّبوا الأحزاب من قُريش وغَطفان وبنى قُريظة حُيَيّ بن أخْطب ، وسلام بن أبى الُحقيق ، أبو رافع ، والرّبيع بن الربيع ابن أبى الُحقيق ، وأبو عمّار ، ووَحْوح بن عامر ، وهَوْذة بن قيس . فأما وَحْوح ، وأبو عمّار ، وهَوذة ، فمن بنى وائل ، وكان سائرهم من بنى النَّضير . فلما قدموا على قُريش قالوا : هؤلاء أحبار يهود ، وأهل العلم بالكتاب الأوّل ، فَسلوهم : دينُكم خير أم دِين محمد ؟ فسألوهم ، فقالوا : بل دينكم خير من دينه ، وأنتُمْ أهْدَى منه وممن اتباعه . فأنزل الله تعالى فيهم : ﴿ أَلَم تَرَ إلى الَّذِينَ أُوتوُا نَصِيبًا مِنَ الكِتاب يُؤْمِنُونَ بالجِبْتِ والطَّاغُوتِ ﴾ .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : الجِبْت (عند العرب) : ماعُبِد من دون الله تبارك وتعالى . والطاغوت : كل ما أضلّ عن الحقّ . وجمع الجبت : جُبوت ؛ وجمع الطاغوت : طواغيت .

قال ابن هشام : وبلغنا عن ابن أبى نجيح أنه قال : الجِبْتُ : السحر ؛ والطاغوت : الشيطان :

﴿ وَيَقُولونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاء أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً ﴾ .

قال ابن إسحاق : إلى قوله تعالى : ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى ما آتاهُمُ

. . . .

رفع المسلم

اللهُ مِنْ فَضْلِهِ ، فَقَدْ آتَيْنا آلَ إِبْرَاهِيمَ الـكِتابَ والحِـكْمَةَ ، وآتَيْناهُمْ مُلْـكا عَظِيما ﴾ .

إنـكارهم التنزيل

قال ابن إسحاق : وقال سُـكَين وعدىّ بن زيد : يامحمد ، مانعلم أنّ الله أنزل على بَشر من شىء بعد موسى . فأنزل الله تعالى فى ذلك من قولهما : ﴿ إنَّا أَوْحَيْنا إِلَيْكَ كَما أَوْحَيْنا إلى نوح والنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ، وأَوْحَيْنا إلى إِبْرَاهِيمَ وإِسْماعِيلَ وَإِسحَاقَ وَيَعْقُوبَ والأَسْباطِ وَعِيسَى وأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهارُونَ وَسُلَيْمانَ ، وآتَيْنا داوُدَ زَبُورًا . وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْناهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ ، وَرُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ، وكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَـكْلِيماً . رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ، وكانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيما ﴾ .

ودخلتْ على رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعةٌ منهم ، فقال لهم : أما والله إنـكم لتعلمون أنى رسولٌ من الله إليـكم ؛ قالوا : مانعلمه ، وما نَشْهد عليه . فأنزل الله تعالى فى ذلك من قولهم : ﴿ لـكِنِ اللهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالمَلائِـكَةُ يَشْهَدُونَ ، وكَفَى باللهِ شَهِيداً ﴾ .

اجتماعهم على طرح الصخرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم

وخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى بنى النضير يَستعينُهم فى دِيَة العامريَّيْنَ اللَّذين قتل عمرو بن أُمية الضَّمْرى . فلما خلا بعضهم ببعض قالوا : لن تَجدُوا محمداً أقرب منه الآن ، فَمنْ رجلٌ يَظْهر على هذا البيت ، فيَطْرح عليه صَخْرة فُيريحنا منه ؟ فقال عمرو بن جحاش بن كعب : أنا ، فأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم الخبرُ ، فانصرف عنهم . فأنزل الله تعالى فيه ، وفيما أراد هو وقومُه: ﴿ يأيُّها الَّذينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُم إذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أيديهم عَنْكُمْ ، وَاتَّقُوا اللهَ ،وَعَلَى اللهِ فَلْيَتوكَّلِ المُؤْمِنُونَ ﴾ .

ادعاؤهم أنهم أحباء الله

وأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم نعمانُ بن أضاء ، وبَحْرِىّ بن عمرو ، وشأس بن عدىّ ، فكلَّموه وكلَّمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودعاهم إلى الله ، وحذّرهم نِقْمته ؛ فقالوا : ماتُخوفنا يامحمد ، نحن والله أبناء الله وأحباؤه ، كقول النصارى . فأنزل الله تعالى فيهم : ﴿ وَقالَتِ اليَهُودُ والنصارَى نَحْنُ أَبْناءُ اللهِ وأَحِبَّاؤُهُ ، قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكم بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ ، وَلِلهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُما وَإِلَيْهِ المَصِيرُ ﴾ .

إنكارهم نزول كتاب بعد موسى عليه السلام

قال ابن إسحاق : ودعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يهود إلى الإسلام ورغّبهم فيه ، وحذّرهم غِيَرَ الله وعقوبَته ، فأبَوْا عليه ، وكفَروا بما جاءهم به ، فقال لهم مُعاذ بن جَبل ، وسعدُ بن عُبادة وعُقبة بن وَهْب : يا معشرَ يهود ، اتقُّوا الله ، فوالله إنكم لتعلمون أنه رسول الله ، ولقد كنتم تذكرونه لنا قبلَ مَبْعثه ، وتَصِفونه لنا بصفته ، فقال رافع بن حُرَيْملة ، ووَهْب بن يهوذا : ماقلنا لكم هذا قطّ ، وما أنزل الله من كتابٍ بعد موسى ، ولاأرسل بشيراً ولا نذيراً بعده . فأنزل الله تعالى فى ذلك من قولهما : ﴿ يَاأَهْلَ الكِتابِ قَدْ جاءكُمْ رَسُولُنا يُبَيِّنُ لكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا ما جاءنا مِنْ بَشِيرٍ وَلا نَذِيرٍ فَقَدْ جاءكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

ثم قصّ عليهم خبرَ موسى وما لقى منهم ، وانتقاضَهم عليه ، وما ردّوا عليه من أمر الله حتى تاهُوا فى الأرض أربعين سنة عقوبةً .

رجوعهم إلى النبى صلى الله عليه وسلم فى حكم الرجم

قال ابن إسحاق : وحدثنى ابنُ شهاب الزّهرىّ أنه سَمع رجلاً من مُزينة من أهل العلم ، يحدّث سَعيد بن المسيب ، أن أبا هُريرة حدثهم : أن أحبارَ يهودَ اجتمعوا فى بيت المِدْرَاس حين قدم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ ، وقد زَنَى رجلٌ منهم بعد إحصانه بامرأةٍ من يهودَ قد أحْصَنت ، فقالوا : ابعثوا بهذا الرجل وهذه المرأة إلى محمد ، فَسَلُوه كيف الحكم فيهما ، وولوه

. . . .

الحكم عليهما ، فإن عمل فيهما بعملكم من التَّجْبية — والتجبية : الجلدُ بحبل من ليف مَطْلِيٍّ بقار، ثم تُسَوَّدُ وجوههما، ثم يُحْمَلان على حمارين ، وتُجعل وجوهُهما من قِبَلِ أدبار الحمارين — فاتَّبعوه ، فإنما هو مَلِك ، وصدِّقوه ، وإن هو حكم فيهما بالرَّجْم فإنه نبيّ ، فاحذَروه على ما في أيديكم أن يَسْلبَكموه. فأتَوْه ، فقالوا : يا محمد ، هذا رجل قد زَنى بعد إحصانه بامرأة قد أحصنت ، فاحكم فيهما ، فقد وليَّناك الحكم فيهما . فمشى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى أحبارَهم في بيت المدراس فقال : يامعشر يهود أخرجوا إليَّ علماءكم ، فأخرج له عبد الله بن صُوريا .

قال ابن إسحاق : وقد حدثني بعضُ بني قُريظة : أنهم قد أخرجوا إليه يومئذ مع ابن صُورِيا ، أبا ياسر بن أَخْطب ، ووهبَ بن يهوذا ، فقالوا هؤلاء علماؤنا . فسألهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ثم حصّل أمرَهم ، إلى أن قالوا لعبد الله بن صُورِيا : هذا مِن أعلم مَنْ بقى بالتوراة .

قال ابن هشام : من قوله : « وحدثني بعض بني قريظة — إلى أعلم من بقي بالتوراة » من قول ابن إسحاق ، ومابعده من الحديث الذي قبله .

فخلا به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وكان غلاما شاباً من أحْدثهم سنّاً فألظّ به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المسألة ، يقول له : يابن صُورِيا ، أَنْشُدك الله وأذكِّرك بأيامه عند بني إسرائيل ، هل تعلمَ أن الله حكَم فيمن زنى بعد إحصانه بالرَّجْم في التوراة ؟ قال اللهمّ نعم ، أما والله يا أبا القاسم إنهم ليعرفون أنك لَنبيّ مُرْسل ولكنهم يحسدونك . قال فخرج رسولُ الله صلى الله

عليه وسلم . فأمر بهما فَرُجِما عندباب مسجده فى بنى غَنْم بن مالك بن النجَّار. ثم كفر بعد ذلك ابن صُوريا ، وجَحد نبوّة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : فأنزل الله تعالى فيهم : ﴿ يَأَيُّها الرَّسُولُ لايَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسارِعُونَ فِى الكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قالُوا : آمَنَّا بأَفْواهِهِمْ ولَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ ، وَمِنَ الَّذِينَ هادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ﴾ أى : الذين بَعثوا منهم من بَعثوا وتخلّفوا ، وأمروهم بما أمروهم به من تحريف الحكم عن مَواضعه . ثم قال : ﴿ يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ، يَقُولُونَ إنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ ، وإنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ ﴾ ، أى الرجم ﴿ فاحْذَرُوا ﴾ إلى آخر القصة .

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن يزيد بن رُكانة عن إسماعيل بن طلحة بن إبراهيم ، عن ابن عباس ، قال : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم برَجْمهما ، فرُجما بباب مسجده ، فلما وجد اليهودىّ مسّ الحجارة قام إلى صاحبته ، فَجَنأ عليها ، يقيها مسّ الحجارة ، حتى قُتلا جميعا .

قال : وكان ذلك مما صنع الله لرسوله صلى الله عليه وسلم فى تحقيق الزنا منهما .

قال ابن إسحاق : وحدثنى صالح بن كَيسان ، عن نافع مَوْلى عبد الله ابن عمر عن عبد الله بن عمر ، لمَّا حكَّموا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فيهما ، دعاهم بالتوراة ، وجَلس حَبْر مِنْهم يتلوها ، وقد وضع يدَه على آية الرجم ،

قال : فضرب عبدُ الله بن سلام يد الحبر ، ثم قال : هذه يانبيَّ الله آية الرجم ، يَأبى أن يَتْلوها عليك ، فقال لهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : ويحكم يامعشر يهود ! ما دعاكم إلى ترك حُكم الله وهو بأيديكم ؟ قال : فقالوا : أمَا والله إنه قد كان فينا يُعمل به ، حتى زَنى رجل منَّا بعد إحْصانه ، من بُيوت الملوك وأهْل الشَّرف ، فمَنعه الملك من الرجْم ، ثم زَنى رجلٌ بَعْدَه ، فأراد أن يَرْجمه ، فقالوا : لا والله ، حتى تَرْجم فلانا ، فلمَّا قالوا له ذلك اجتمعوا فأصْلحوا أمْرهم على التَّجْبية ، وأماتوا ذِكْر الرَّجم والعمل به . قال : فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : فأنا أوّل من أحْيَي أمْر الله وكتابه وعَمل به ، ثم أمَر بهما فرُجما عند باب مَسْجده . قال عبد الله بن عمر : فكنت فيمن رَجَمهما .

ظلمهم فى الدية

قال ابن إسحاق : وحدثنى داودُ بن الُحصين عن عِكْرمة ، عن ابن عبَّاس : أن الآياتِ من المائدة التى قال الله فيها : ﴿ فاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ، وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا * وَإِنْ حَكَمْتَ فاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بالقِسْطِ إنَّ اللهَ يُحب المُقْسِطينَ ﴾ إنما أنزلت فى الدّية بين بَنى النَّضير وبين بنى قُرَيظة ، وذلك أن قَتْلَى بنى النَّضير ، وكان لهم شرف ، يُؤدّون الدية كاملة ، وأن بنى قريظة كانوا يؤدون نصف الدِّية ، فتحاكموا فى ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله ذلك فيهم ، فحملهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على الحقّ فى ذلك ، فجعل الدية سَواء .

. . . .

قال ابن إسحاق : فالله أعلم أيّ ذلك كان .

قصدهم الفتنة برسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن أسد ، وابن صَلُوبا ، وعبد الله بن صُوريا ، وشَأْس بن قيس ، بعضُهم لبعض : اذهبوا بنا إلى محمد ، لعلنا نَفْتنه عن دينه ، فإنما هو بشر ، فأتَوْه ، فقالوا له : يا محمد ، إنك قد عرَفْت أنَّا أحبارُ يهود وأشرافُهم وسادتُهم ، وأنا إن اتبعناك اتبعتك يهود ، ولم يخالفونا ، وأنّ بيننا وبين بَعْض قومنا خُصومة ، أفنحا كمهم إليك فتَقْضِىَ لنا عليهم ، ونؤمن بك ونصدّقك ، فأبى ذلك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عليهم . فأنزل الله فيهم : ﴿ وأنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ ، وَلا تَتَّبِعْ أهْوَاءَهُمْ ، وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ ما أَنْزَلَ اللهُ إلَيْكَ ، فإنْ تَوَلَّوْا فاعْلَمْ أنَّما يُرِيدُ اللهِ أنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ، وَإنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفاسِقُونَ * أَفَحُكْمَ الجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ، وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يوقِنُونَ ﴾ .

جحودهم نبوة عيسى عليه السلام

قال ابن إسحاق : وأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم نفرٌ منهم : أبو ياسر ابن أخْطب ، ونافع بن أبى نافع ، وعازر بن أبى عازر ، وخالد ، وزيد ، وإزار ابن أبى إزار ، وأشيع ، فسألوه عمَّن يؤمن به من الرسل ؟ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ نُؤْمِنُ باللهِ وَما أُنْزِلَ إلَيْنا ، وَما أُنْزِلَ إلى إبْرَاهِيمَ وإسْمَاعِيلَ وإسْحاقَ وَيَعْقُوبَ والأسْباطِ ، وَما أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى ،

. . . .

وَما أُوتِىَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ ، لا نُفَرِّقُ بينَ أحَدٍ مِنْهُمْ ، وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ . فلما ذكر عيسى بن مريمَ جحدوا نُبوّته ، وقالوا : لا نؤمن بعيسى بن مريم ولا بمن آمن به . فأنزل الله تعالى فيهم : ﴿ قُلْ يَأَهْلَ الكِتابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إلاَّ أنْ آمَنَّا باللهِ وَما أُنْزِلَ إلينا وما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ ؛ وأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فاسِقُونَ ﴾ .

ادعاؤهم أنهم على الحق

وأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم رافعُ بن حارثة ، وسَلاَّم بن مِشْكَم ، ومالك بن الصَّيف ، ورافع بن حُرَيملة ، فقالوا : يا محمد ، ألستَ تَزْعُم أنك على ملَّة إبراهيم ودينه ، وتُؤمن بما عِندنا من التَّوراة ، وتَشْهد أنها من الله حقّ ؟ قال : بلى ، ولكنكم أحدثتم وجَحدتم ما فيها ممَّا أخذ الله عليكم من الميثاق فيها ، وكَتمتم منها ما أُمرتم أن تُبَيِّنوه للنَّاس ، فَبرئتُ من إحداثكم ؛ قالوا فإنَّا نأخذ بما في أيدينا ، فإنَّا على الهدى والحقّ ، ولا نُؤمن بك ، ولا نَتَّبعك ، فأنزل الله تعالى فيهم : ﴿ قُلْ يَأَهْلَ الكِتابِ لَسْتُمْ عَلَى شَىْءٍ حتى تُقيمُوا التَّوْرَاةَ والإنْجِيلَ ، وَمَا أُنْزِلَ إلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ، وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ ما أُنْزِلَ إلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيانًا وكُفْرًا ، فَلا تَأْسَ عَلَى القَوْمِ الكافِرِينَ ﴾ .

إشراكهم بالله

قال ابن إسحاق : وأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم النَّحامُ بن زيد ،

وقَرْدَم بن كعب ، وبَحْرِى بن عمرو ، فقالوا له : يا محمد ، أما تعلم مع الله إلها غيرَه ؟ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : الله لا إله إلا هو ، بذلك بُعثتُ ، وإلى ذلك أدعو . فأنزل الله فيهم وفى قولهم : ﴿ قُلْ : أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً ، قُلِ اللهُ شَهِيدٌ بَيْنِى وبينكم ، وأُوحِىَ إِلَىَّ هَذَا الْقُرآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ، أَإِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللهِ آلِهَةً أُخْرَى ، قُلْ لا أَشْهَدُ ، قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ ، وَإِنَّنِى بَرِىءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ . الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ ، الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ .

نهيه تعالى للمؤمنين عن موادتهم

وكان رفاعة بن زيد بن التابوت ، وسُويد بن الحارث قد أظهرا الإسلامَ ونافقا فكان رجالٌ من المسلمين يوادّونهما . فأنزل الله تعالى فيهما : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الذين اتخذوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ والْكُفَّارَ أَوْلِيَاء ، وَاتَّقُوا اللهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ . . . إلى قوله : ﴿ وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا ، وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ ، وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ﴾ .

سؤالهم عن قيام الساعة

وقال جَبَل بن أبى قُشير ، وشَمْويل بن زيد ، لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد ، أخبرنا ، متى تقوم الساعة إن كنتَ نبيًّا كما تقول ؟ فأنزل

الله تعالى فيهما ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ، قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي ، لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ، ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً ، يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا ، قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : أيَّان مُرْساها : متى مُرْساها . قال قَيْس بن الحُدادِيَّة الخزاعيُّ :

فجئتُ ومُخْفَى السِّرِّ بيني وبينها لأسألها أيَّان مَنْ سار راجعُ ؟

وهذا البيت فى قصيدة له . ومرساها : منتهاها ، وجمعه : مَراس . قال الكميت بن زيد الأسدى :

والمُصِيبين بابَ ما أخطأ النَّا سُ ومُرْسَى قواعد الإسلامِ

وهذا البيت فى قصيدة له ومُرسَى السفينة: حيث تنتهى . وحَفِيٌّ عنها — على التقديم والتأخير — يقول : يسألونك عنها كأنَّك حَفِيٌّ بهم ، فتُخبرهم بما لا تخبر به غيرَهم . والحفِيُّ : البَرُّ المتعهد . وفى كتاب الله : ﴿ إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴾ . وجمعه : أحفياء . وقال أعشى بَنِي قَيْس بن ثعلبة :

فإنْ تسألى عنى فيارُبَّ سائلٍ حَفِيٍّ عن الأعشى به حيثُ أصْعدا

وهذا البيت فى قصيدة له . والحفِيُّ أيضا : المُسْتَحْفِى عن عِلْمِ الشىء، المبالغ فى طلبه .

ادعاؤهم أن عزيرا ابن الله

قال ابن إسحاق : وأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم سلاّم بن مِشْكم ، ونعمانُ بن أوفى أبو أنس ، ومحمود بن دِحية ، وشأس بن قيس ، ومالك ابن الصيف ، فقالوا له : كيف نتّبعك وقد تركت قِبْلَتنا ، وأنت لا تَزْعم أن عُزيراً ابنُ الله ؟ فأنزل الله عزّ وجلّ فى ذلك من قولهم : ﴿ وَقالَتِ اليَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ ، وَقالَتِ النَّصَارَى المَسِيحُ ابْنُ اللهِ ، ذلكَ قَوْلُهُمْ بأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ ، قاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ . إلى آخر القصة .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : يضاهون : أى يشاكل قولُهم قولَ الذين كفروا ، نحو أن تحدِّث بحديث ، فيحدّث آخر بمثله ، فهو يضاهيك .

طلبهم كتابا من السماء

قال ابن إسحاق : وأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم محمودُ بن سَيْحان ، ونُعمان بن أضاء ، وبَحْرِىّ بن عمرو ، وعُزير بن أبى عُزير ، وسلاّم بن مِشْكم ، فقالوا : أحقّ يامحمد أن هذا الذى جِئْتَ به لحقّ من عند الله ، فإنا لانراه متسقا كما تتسق التوراة ؟ فقال : لهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أما والله إنكم لتعْرفون أنه من عند الله . تجدونه مكتوبا عندكم فى التوراة ،

ولو اجتمعت الإنس والجنّ على أن يأتوا بمثله ما جاءوا به؛ فقالوا عند ذلك، وهم جميع: فنحاص، وعبد الله بن صُوريا، وابن صلوبا، وكنانة بن الربيع ابن أبي الحقيق، وأشيع، وكعب بن أسد، وَشَمْويل بن زيد، وجبل بن عمرو ابن سُكينة: يامحمد، أما يعلّمك هذا إنس ولا جنّ؟ قال فقال لهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: أما والله إنكم لتعلمون أنه من عند الله، وإني لرسول الله، تجدون ذلك مكتوبا عندكم في التوراة؛ فقالوا: يامحمد، فان الله يصنع لرسوله إذا بعثه مايشاء ويَقدر منه على ما أراد، فَأَنْزِل علينا كتابا من السماء نقرؤه ونَعْرفه، وإلا جئناك بمثل ماتأتي به. فأنزل الله تعالى فيهم وفيما قالوا: ﴿ قُلْ لَئِن اجْتَمَعتِ الإنْسُ والجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا القُرآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كانَ بعضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾.

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام: الظهير: العون. ومنه قول العرب: تظاهروا عليه، أي تعاونوا عليه. قال الشاعر:

يا سَميّ النبيّ أصبحتَ للدّيـ ـن قواما وللإمام ظَهيرا

أي عونا؛ وجمعه: ظهراء.

سؤالهم له صلى الله عليه وسلم عن ذي القرنين

قال ابن إسحاق: وقال حُيَيّ بن أخطب، وكعبُ بن أسد، وأبو رافع وأشيع، وشَمْويل بن زيد، لعبدِ الله بن سلام حين أسلم: ماتكون النبوّة

في العرب ولكنّ صاحبك مَلِكٌ . ثم جاءوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فسألوه عن ذي القرنين فقصّ عليهم ما جاءه من الله تعالى فيه ، مما كان قصّ على قُريش ، وهم كانوا ممن أمر قُريشا أن يسألوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عنه ، حين بَعثوا إليهم النَّضر بن الحارث ، وعُقبة بن أبي مُعَيط .

تهجمهم على ذات الله وغضب الرسول صلى الله عليه وسلم لذلك

قال ابن إسحاق : وحُدِّثت عن سعيد بن جبير أنه قال : أتى رهطٌ من يهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يامحمد ، هذا الله خَلَق الخلقَ ، فمن خلق الله ؟ قال : فغضب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى انتُقع لونُه ، ثم ساوَرَهم غَضبا لربِّه . قال : فجاءه جبريلُ عليه السلام فسكَّنه ، فقال : خفِّض عليك يامحمد ، وجاءه من الله بجَواب ما سألوه عنه : ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ * اللهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ .

قال : فلما تلاها عليهم ، قالوا : فصِفْ لنا يامحمد كيف خَلْقه ؟ كيف ذراعه ؟ كيف عَضده ؟ فغَضب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أشدّ من غضبه الأوّل ، وساورهم . فأتاه جبريلُ عليه السلام ، فقال له مثلَ ما قال له أوّل مرّة ، وجاءه من الله تعالى بجَواب ما سألوه . يقول الله تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُو اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَالسَّمَوَاتُ

مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ، سُبْحانَهُ وَتَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عُتبة بن مُسلم ، مولى بنى تَيْم ، عن أبى سَلمة ابن عبد الرحمن ، عن أبى هُريرة ، قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يُوشِك النَّاس أن يتساءلوا بينهم حتى يقول قائلُهم : هذا الله خَلق الخلْق ، فمن خَلق الله ؟ فاذا قالوا ذلك فقُولوا : ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ * اللهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ ثم ليتفُل الرجل عن يساره ثلاثا ، ولْيَستعذ بالله من الشيطان الرجيم » .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : الصمد : الذى يُصمَد إليه ، ويُفْزع إليه ، قالت هِنْد بنت مَعْبد بن نَضلة تَبكى عمرو بن مَسْعود ، وخالد بن نَضْلة ، عَمَّيها الأسديَّين ، وهما اللَّذان قَتل النُّعمان بن المُنذر اللَّخمىّ ، وبَنى الغَرِيَّيْنِ اللَّذين بالكوفة عليهما :

ألا بَكَرَ النَّاعى بخَيْرَى بنى أسدْ بعَمْرو بن مَسْعود وبالسيِّد الصَّمَد

بدء الأذان

ذكر حديث[1] عبد الله بن زيد بن ثَعْلَبة بن عبد ربه ، هكذا ذكره ،

---

(١) قال الترمذى : لا نعرف له عن النبى — ص — شيئا يصح إلا هذا الحديث ، وكذا قال ابن عدى ، وخطأ الحافظ فى الإصابة من قال ذلك وذكر أنه جمع له ستة أو سبعة أحاديث فى جزء مفرد .

وأكثر النساب يقولون : زيد بن عبد ربه ، وثعلبةُ أخو زيد ذكر حديثه عندما شاور رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أصحابه فى الأذان ، فقال بعضهم : ناقوس كناقوس النصارى ، وقال بعضهم : بُوقٌ كبوق اليهود ، وفى غير السيرة أنهم ذكروا الشَّبُّورَ ، وهو البوق . قال الأصْمَعِىُّ للمُفَضَّل ، وقد نازعه فى معنى بيت من الشعر ، فرفع المفضل صوته ، فقال الأصْمَعِىُّ لو نَفَخْتَ فى الشَّبُّور مانفعك ، تكلم كلام النمل وأصِب ! ! .

وذكروا أيضاً القُنْع وهو القَرْن ، وقال بعضهم : هو تصحيف إنما هو القُبْعُ والقُنْعُ أولى بالصواب[1] ، لأنه من أقْنع صَوتَه إذا رفعه ، وقال بعضهم : بل نوقد نارا ، ونرفعها ، فإذا رآها الناس أقبلوا إلى الصلاة ، وقال بعضهم : بل نبعث رجلا ينادى بالصلاة ، فبينماهم فى ذلك أُرِى عبدُ الله بن زيد

---

(١) يذكر ابن الأثير أنها رويت بالباء والتاء والثاء والنون ، وأشهرها وأكثرها : النون . قال الخطابى : سألت عنه غير واحد من أهل اللغة ، فلم يثبتوا لى على شىء واحد — ثم ذكر مثل ما قاله السهيلى فى اشتقاقه — ويقول الزمخشرى : أو لأن أطرافه أقنعت إلى داخله ، أى عطفت ، وقال الخطابى عن القبع إنه سمى بهذا لأنه يقبع فم صاحبه ، أى يستره ، أو من قبعت الجوالق والجراب إذا ثنيت أطرافه إلى داخل . وقيل : القثع من قثع فى الأرض : إذا ذهب ، وقيل : القثع ، وهو دود يكون فى الخشب . قال الخطابى : ومدار هذا الحرف على هشيم ، وكان كثير اللحن والتحريف على جلالة محله فى الحديث هذا ويقول الدكتور بوست عن البوق عند اليهود « آلة موسيقية على هيئة القرن كانوا يصوتون بها فى الأعياد ، وعند إعطاء علامة الحرب ، وما أشبه ، وكانت أبواق الكهنة من الفضة » .

. . . .

الرؤيا التي ذكر ابن إسحاق ، فلما أخبر بها رسولَ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأمره أن يُلْقِيهاَ على بلال ، قال : يارسول الله أنارأيتُها ، وأنا كنت أحبها لنفسى ، فقال : ليؤذِّن بلال ، ولْتُقِمْ أنت ، ففى هذا من الفقه جواز أن يؤذِّن الرجل ، ويقِيم غيره وهو معارض لحديث زِيَادِ بن عبد الله الصَّدَئِىِّ حين قال له النبى ـ صلى الله عليه وسلم : مَنْ أذَّن فهو أحق أن يُقيم (١) ، فى حديث طويل إلا أنه يدور على عبدِ الرحمن بن زياد بن أنْعُم الأفرِيقِىِّ وهو ضعيف (٢) ، والأول أصح منه . قال أبو داود : وتزعم الأنصار أن عبدَ الله بن زيد حين رأى النداء كان مريضا ، ولولا ذلك لأمره رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

---

(١) عن زياد بن الحارث الصدائى قال قال رسول الله « ص » يا أخا صداء أذن ، قال : فأذنت ، وذلك حين أضاء الفجر ، قال : فلما توضأ رسول الله « ص » قام إلى الصلاة ، فأراد بلال أن يقيم ، فقال رسول الله « ص » يقيم أخو صداء فإن من أذن فهو يقيم . رواه الخمسة إلا النسائى واللفظ لأحمد .

(٢) وثقه يحى بن سعيد القطان ، قال أحمـــد : حديثه منكر . قال يعقوب ابن شيبة : رجل صالح من الآمرين بالمعروف ، وقال ابن عدى : عامة ما يرويه لايتابع عليه . قال البخارى : هو مقارب الحديث مات سنة ١٥٦ هـ . خلاصة تذهيب الكمال . وقال الترمذى عن هذا الحديث : إنما نعرفه من حديث الإفريقى ، وهو ضعيف عند أهل الحديث ضعفه يحى بن سعيد القطان وغيره . وقال أحمد : لا أكتب حديث الإفريقى . قال : ورأيت محمد بن إسماعيل يقوى أمره ، ويقول : هو مقارب الحديث ، والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم أن من أذن فهو يقيم وكان سفيان الثورى يعظمه نيل الأوطار حـ ٢ ص ٥٦ ط عثمان خليفة .

وهناك تناقض بين نقل الخزرجى فى التذهيب ، وبين ما فى نيل الأوطار فى حكم يحى بن ســـعيد . وحديث « فأقام هو ، وأذن بلال » فى إسناده محمد ابن عمر الرافعى ، وهو ضعيف ضعفه القطان وابن نمير ويحى بن معين .

رفع المسـاهم

. . . .

بالأذان ، وقد تكلمت العلماء فى الحكمة التى خصت الأذان بأن رآه رجل من المسلمين فى نومه ، ولم يكن عَنْ وَحْيٍ من الله لنبيه كسائر العبادات والأحكام الشرعية ، وفى قول النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ له : إنها لرُؤيا حَقٌّ ، ثم بنى حكم الأذان عليها ، وهل كان ذلك عن وحى من الله له ، أم لا ؟ وليس فى الحديث دليلٌ على أن قوله ذلك كان عن وَحْيٍ ، وتكلموا : لِمَ لم يُؤَذِّن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؟ وهل أذن قط مَرَّةً من عُمْره دهره أم لا ؟ .

فأما الحكمة فى تخصيص الأذان برؤيا رجل من المسلمين ولم يكن عن وحى فلأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أُرِيَه ليلة الإسراء ، وأُسْمِعهُ مَشَاهَدَةً فوق سَبْع سَمٰوات(١) ، وهذا أقوى من الوحى ، فلما تأخر فرضُ الأذان إلى المدينة ، وأرادوا إعلام الناس بوقتِ الصلاة تَلبَّثَ الوحى حتى رأى عبدَ الله الرؤيا ، فوافقتْ ما رأى رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ؛ فلذلك قال : إنها لرؤيا حق إن شاء الله ، وعلم حينئذ أن مُراد الحق بما رآه فى السماء ، أن يكونَ سُنَّةً فى الأرض(٢) ، وقوَّى ذلك عنده موافقةُ رؤيا عمر الأنصارى

---

(١) رواه البزار فى مسنده ، وفى إسناده : زياد بن المنذر الهمدانى أوالنهدى أبو الجارود الأعمى الكوفى رأس الجارودية مبتدع ضال . كذبه ابن معين . وقال عنه كذاب عدو الله واتهمه ابن حبان بالوضع . وقال الذهبى وابن كثير : هذا الحديث من وضعه ، فكيف يستند السهيلى إلى حديث مثل هذا؟ وفى هذا الحديث يزعم أن النبى صعد إلى ما فوق السماء بالبراق .

(٢) كل هذا بنيه على بيت عنكبوت . يتمثل فى صورة حديث لعن الله مفتريه .

رفع المسهم

. . . .

مع أن السكينة تنطق على لسان عُمَر وا قتضت الحكمة الإلهية أن يكون الأذانُ على لسان غير النبي صلى الله عليه وسلم من المؤمنين ، لما فيه من التَّنْويه من الله لعبده ، والرفع لذكره ، فلأنْ يكونَ ذلك على غير لسانِه أنوَه به وأفْخم لشأنه ، وهذا معنًى بَيِّن فإن الله سبحانه يقول : ﴿ ورَفَعْنا لك ذِكْرَكَ ﴾ فمِنْ رَفْعِ ذكره أن أشاد به على لسانِ غيرِه . فإن قيل : وَمن رَوَى أنه أرِى النداء من فوق سبع سَموات ، قلنا : هو فى مسند أبى بكر أحمد بن عَمْرو بن عبد الخالق البزار .

حدثنا أبو بكر محمد بن طاهر الإشْبِيلىّ سماعا وإجازةً عن أبى على الغَسَّانى عن أبى عمر النَّمَرِىّ بإسناده إلى البزار ، قال البَزَّار : نا محمد بن عثمان بن مَخْلَد ، نا أبى عن زياد بن المنذِر ، عن محمد بن على بن الحسين عن أبيه عن جده ، عن على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ قال : لما أراد الله أن يُعْلِم رسولَه الأذانَ أتاه جبريلُ صلى الله عليه وسلم بدابَّةٍ يقال لها البُرَاق ، فذهب يركبها ، فاستصعبت ، فقال لها جبريل : اسكُنى فوالله ماركبك عبدٌ أكرم على الله من محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : فركبها حتى انتهى إلى الحجاب الذى يلى الرحمن ـ تباركَ وتعالى ـ قال : فبينما هو كذلك ، إذ خرج ملَكٌ من الحِجاب ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ياجبريل مَنْ هذا ؟ فقال والذى بعثك بالحق إنى لأقرب الخلق مكانا ، وإن هذا الملَكَ مارأيته مُنْذُ خُلِقْتُ قبل ساعَتى هذه ، فقال ؟ الملك : الله أكبر ، الله أكبر قال فقيل له من وراء الحجاب صدق عبدْى أنا أكبر أنا أكبر ، ثم قال الملك أشهد أن لا إلٰه إلا الله ، قال : فقيل له من وراء الحجاب صدق عبدى أنا الله لا إله إلا أنا ، قال : فقال

رفع المسهم

. . . .

للملَك : أشهد أن محمدا رسول الله . قال : فقيل من وراء الحجاب صدق عبدى أنا أرسلت محمدا ، قال الملَك حَىَّ على الصلاة ، حَىَّ على الفلاح ، ثم قال الملك : الله أكبر الله أكبر ، قال : فقيل من وراء الحجاب : صدق عبدى أنا أكبر أنا أكبر ، ثم قال : لا إله إلا الله ؛ قال : فقيل مِنْ وَرَاء الحجاب : صَدَق عبدى أنا لا إله إلا أنا ، قال : ثم أخذ الملَك بيد محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقدمه فأمَّ أهلَ السماء ، فيهم آدمُ ونوحٌ . قال أبو جعفر محمد بن على : يومئذ أكمل الله لمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ الشرف على أهل السموات والأرض.

قال المؤلف : وأَخْلِقْ بهذا الحديث أن يكون صحيحا لما يَعْضُدُه ويُشاكله من أحاديث الإسراء فبمجموعها يحصل أن معانى الصلاة كلها وأكثرها ، قد جمعها ذلك الحديث ، أعنى الإسراء ، لأن الله ـ سبحانه ـ رفع الصلاة التى هى مُناجاةٌ عن أن تُفْرَضَ فى الأرض ، لكن بالحضرة المقدَّسة المطهَّرة ، وعند الكعبة العليا ، وهى البيت المعْمُور ، وقد ذكرنا طَرفاً من هذا الغرض ، ونبذاً من هذا المقصد فى شرح حديث الإسراء وينضاف إليها فى هذا الحديث ذكر الأذان الذى تضمنه حديثُ البزار مع ماروى أيضاً أنه مَرَّ وهو على البراق بملائكةٍ قِيام ، وملائكةٍ ركُوعٍ ، وملائكةٍ سُجُودٍ وملائكةٍ جلُوسٍ ، والكلُّ يُصلون لله ، فُجمعت له هذه الأحوال فى صلاتِه ، وحين مَثَل بالمقام الأعلى ، ودنا فتدلى أُلْهِم أن يقول : التحياتُ لله إلى قوله : الصلواتُ لله ، فقالت الملائكة : السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته ، فقال السلام

رفع المسهم

. . . .

علينا وعلى عباد الله الصالحين ، فقالت الملائكة أشهد أن لا إله إلاَّ الله ، وأشهد أن محمدا رسولُ الله ، فجمع ذلك له فى تشَهُّده .

وانظر بقلبك كيف شُرِع له عليه السلام ولأمته أن يقولوا تسع مرات فى اليوم والليلة فى تسع جلسات فى الصلوات الخمس بعد ذكر التحيات : السلام علينا ، وعلى عباد الله الصالحين ، فيحيون ويحيون تحية من عند الله مباركة طيبة ، ومن قوله : السلام علينا كما قيــل لهم ، فسلموا على أنفسكم تحيةً من عند الله ، ومن ثم قال : الطيبات المبارَكاتُ ، كما فى رواية ابن عباس فى التشهد انظر إلى هذا كله كيف حيا وحُيِّى تسع مرات ، حَيَّته ملائكةُ كلِّ سماء ، وحَيَّاهم ، ثم ملائكةُ الكرسى ، ثم ملائكة العرش ، فهذه تسعٌ ، فجُعِل التشهدُ فى الصلوات على عدد تلك المرات التى سَلَّم فيها وسُلِّم عليه ، وكلها تحياتٌ لله ، أى : من عند الله مباركة طيبة ، هذا إلى نُكت ذكرناها فى شرح سُبْحانَ الله وبحمده ، فإذا جمعت بعض ما ذكرناه إلى بعضٍ عرَفت جملة من أسرارِ الصلاةِ وفوائدها الجلية دون الخفية ، وأما بقية أسرارِها وما تضمنته أحاديثُ الإسراء من أنوارها ، وما فى الأذان من لطائف المعانى والحِكم ، فى افتتاحه بالتكبير وختمه بالتكبير مع التكرار ، وقول : لا إله إلا الله فى آخره ، وأشهد أن لا إله إلا الله فى أوله ، وما تحت هذا كله من الحِكم الإلهية التى تملأ الصُّدورَ هيبة وتُنوِّر القلوب بنور المحبة ، وكذلك ما تضمنته الصلاةُ فى شَفْعها وَوَتْرِها والتكبير فى أركانها ، ورفع اليدين فى افتتاحها ، وتخصيص البقعة المكرَّمة بالتوجُّه إليها ، مع فوائد الوُضوء من الأحداث لها ، فإن فى ذلك كلِّه من فوائد الحكمة ، ولطائف المعرفة ما يزيد فى ثَلَج الصدور ،

رفع المسهم

. . . .

ويَكْحُل عينَ البَصيرة بالضِّياء والنور ، ونعوذ بالله أن ننزع فى ذلك بمَنْزَعٍ فَلْسَفِىّ أو مقالة بِدْعِىّ ، أو رأىٍ مجرَّد من دليل شَرْعِى ، ولكن بتَلْويحَاتٍ من الشريعة ، وإشارات من الكتاب والسنة يَعْضُد بعضُها بعضا ، وينادى بعضُها بتصديق بعض : ﴿ وَلَوْ كَانَ من عند غيرِ الله لوَجَدوا فيه اخْتِلَافاً كثيرا ﴾ النساء ٨٢ . لكن أضربْنا فى هذا الكتابِ عن بَثِّ هذه الأسرارِ ، فإن ذلك يخرج عن الغَرض المقصود ، ويَشْغَل عما صَمَدْنا إليه فى أول الكتاب ، ووعدنا به الناظرَ فيه من شرح لغاتٍ وأنساب وآداب ، والله المستعان .

وقد عُرفت رؤيا عبد الله بن زيد وكيفيتها برواية ابن إسحاق وغيره ، ولم تُعْرَف كيفيةُ رؤيا عمر حين أُرِىَ النداء ، وقد قال : قد رأيت مثل الذى رأى ، لكن فى مُسْنَد الحارث بيانٌ لها . روى الحارثُ [بن أبى أُسامة]فى مُسْنده (١) أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : أولُ من أذَّن بالصلاة جبريلُ أذّن بها فى سماء الدنيا فسمعه عُمَرُ وبلالٌ فسبق عمرُ بلالا إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم فأخبره بها ، فقال عليه السلام لبلال : سبقك بها عمُر ، وذكر باقى الحديث . وظاهرُ هذا الحديثِ أن عمَرَ سمع ذلك فى اليقظة ، وكذلك رؤيا عبد الله بن زيد فى الأذان رآها ، وهو بين النائم واليَقْظانِ : قال : ولو شئت لقلت : كنت يَقْظَانا(٢) .

---

(١) رواه بسند واه عن كثير الحضرمى .

(٢) فى رواية معاذ بن جبل عند الإمام أحمد : ولو قلت : إنى لم أكن نائما لصدقت

. . . .

فصل : وأما قولُ السائل : هل أذَّن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بنفسه قَطُّ ، فقد روى الترمذى من طريقٍ يدور على عمر بن الرماح[1] يرفعه إلى أبى هريرة[2] أن رسولَ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أذَّن فى سفر، وصلى بأصحابه، وهم على رَوَاحِلِهم ، السماءُ من فوقهم والبِلَّة من أسفلهم ، فنَزَع بعضُ الناس بهذا الحديث إلى أنه أذَّن بنفسه ، وأسنده الدَّارَقُطْنِي بإسناد الترمذى إلا أنه لم يذكر عُمَر بن الرماح ، ووافقه فيما بعده من إسنادٍ وَمَتْنٍ ، لكنه قال فيه :

= وهذا للنفس أن تلح فى معرفة كيف كان ينادى للصلاة قبل الهجرة ؟ يجزم ابن المنذر بأنه عليه الصلاة والسلام كان يصلى بغير أذان منذ فرضت الصلاة بمكة إلى أن هاجر إلى المدينة إلى أن وقـــع التشاور فى ذلك . ولكن توجد بعض الأحاديث عند الطبرانى والدارقطنى وغيرهما تدل على أنه شرع فى مكة . غير أن رجال السند يضعفون هذه الأحاديث . على أن الحرية الرحيبة التى من بها الله على نبيه وأصحابه فى المدينة توحى بأن الحاجة إلى الإعلام بالصلاة راحت تلح على النفوس ، وكانت القسوة الباغية من قريش تكبتها فى النفس ، ولا تدع لها قبل الهجرة بابا تنطلق منه .

(١) هو ابن ميمون بن بحر بن ســـعد الرماح البلخى أبو على أو سعد هو الرماح ، فنسبه إلى جده الأعلى قاضى بلخ المتوفى سنة ١٧١ روى له الترمذى ، ووثقه ابن معين وأبو داود

(٢) الحديث عند الترمذى والدارقطنى من حديث يعلى بن مرة بن وهب الثقفى ممن بايع تحت الشجرة ، فسبق السهيلى حفظه ، أو سبق مستمليه قلمه ، لأنه كان ضريرا ه الزرقانى على المواهب ص ٣٨٠ حـ ١ وقال الترمذى عن الحديث : غريب تفرد به عمر بن الرماح ، ولا يعرف إلا من حديثه .

رفع
المسار
عز الله الطيالدين

فقام المؤذن ، فأذن ، ولم يقل : أذن رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والمُتَّصل يَقْضِى على المُجْمَلِ المُحْتمل ، والله أعلم .

حديث صرمة بن أبى أنس

واسم أبى أَنس : قَيْسُ بن صِرْمَة بن مالك بن عَدِى بن عَمْرو بن غَنْم(١) ابن عَدِىّ بن النَّجَّار الأنصارى ، وهو الذى أنزل الله فيه ، وفى عُمَر رضى الله عنهما : ﴿ أُحِلَّ لـكم ليلَةَ الصِّيام الرَّفَثُ إلى نِسائـكم ﴾ البقرة : ١٨٧ إلى قوله : ﴿ وعفا عنكم ﴾ فهذه فى عمر ، ثم قال : ﴿ وكُلوا واشْرَبُوا ﴾ إلى آخر الآية ، فهذه فى صِرْمَة بن أبى أنس(٢) ، وذلك أن إتيان النِّساء ليلاً فى رَمَضانَ

(١) فى الإصابة : عامر بن غانم . وفيه أيضاً : صرمة بن أنس ، ويقال : ابن أبى أنس ، ويقال : ابن قيس وكنيته : أبو قيس . وفى حرف القاف يقول قيس بن صرمة ، وقيل : صرمة بن مالك أبو صرمة . وقيل : قيس بن أنس أبو صرمة . وفرق ابن حبان بين قيس بن مالك وقيس بن صرمة ، فقال فى كل منهما له صحبته . وفى جمهرة ابن حزم عن بنى عدى بن النجار « منهم : صرمة بن أبى أنس ، واسم أبى أنس : قيس بن صرمة بن مالك بن عدى بن النجار أسلم ، وهو شيخ كبير ، وكان قد رفض الأوثان فى الجاهلية ، وعمه : أنس بن صرمة الشاعر ، وهو الذى يقول « ثوى فى قريش بضع عشرة حجة . . . الخ » ص ٣٣٠ ط أولى .

(٢) ورد مثل هذا فى حديث رواه أحمد وأبوداد والحـــاكم من طريق عبد الرحمن بن أبى ليلى ، ولـكن هذا لم يسمع من معاذ ، ورواية البخارى على اختصارها عظيمة هنا ، فقد روى بسنده عن أبى إسحاق قال : سمعت البراء « رضى » لما نزل صوم رمضان كانوا لايقربون النساء رمضان كله ، وكان رجال =

رفع المسهم

. . . .

كانُ مُحَرَّما عليهم فى أول الإسلام بعد النوم ، وكذلك الأَكْلُ والشُّرب كان محرما عليهم بعد النوم(١) فأما عمر ، فأراد امرأته ذات ليلة ، فقالت له : إنى قد نمت ، فقال : كذبت ثم وقع عليها ، وأما صِرْمَة فإنه عمل فى حائِطه وهو صائم ، فجاء الليل وقد جَهَده الـكَلَالُ فغلبته عينُه قبل أن يفطر ، فجاءته امرأتُه بطعام كانت قد صنعته له ، فوجدته قد نام ، فقالت له : الْخَيْبَةُ لك حَرُم عليك الطعامُ والشرابُ فبات صائما ، وأصبح إلى حائطه يعمل فيه ، فمرَّ به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو طَلِيحٌ قدَ جَهده العطشُ مع مابه من الجوع والنَّصَب ، فسأله رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — فأخبره بقصته فرقَّ له عليه السلام ، ودمعت عيناه ، فأنزل الله تعالى الرُّخْصة ، وجاء بالفرج . بدأ بقصة عمر لفضله ، فقال : ﴿ فالآن باشِرُوهن ﴾ ثم بِصِرْمة فقال : ﴿ وكُلوا واشْرَبُوا ﴾ قال بعض أشياخِ الصوفية : هذه العناية من الله أخطأ عمر خَطِيئة فرُحِمَت الأمة بسببها(٢) .

= يخونون أنفسهم ، فأنزل الله تعالى : (علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم ، فتاب عليكم) الآية .

(١) وقيل : كان إلى صلاة العشاء ، أو ينام .

(٢) الرواية الصحيحة عند البخارى «وكان رجال يخونون أنفسهم» فهى ليست خطيئة ، ولا خطأ عمر وحده ، وإن صح الحديث الذى ينسب إلى عمر هذا .

رفع
المسبهم

. . . .

من شرح شعره :

وذكر من شعر صرمة :

فأوصيكمُ بالله والْبرِّ والتُّقَى   وأعراضِكم والبرَّ بالله أَوَّلُ

برفع البر على الابتداء ، وأولُ خَبرٌ له ، وقد يحتمل فى الظاهر أن يكون ظرفا فى موضع الخبر ، ولكن لا يجوز ذلك فى هذه الظروف المبنية على الضمِّ أن تكونَ خبرَ المبتدإ ، لا تقول : الصلاة ، قبلُ إلا أن تقولَ : قبل كذا ، ولا الخروج بعدُ إلَّا أن تقولَ : بعد كذا ، وذلك لسرٍّ دقيق قد حَوَّم عليهما ابنُ جنِّى(١) فلم يُصِبِ المَفْصِل ، والذى منع من ذلك أن هذه الغايات إنما تعمل فيها الأفعال الملفوظُ بها لأنها غاياتٌ لأفعالٍ متقدمةٍ ، فإذا لم تأتِ بفعل يعمل فيها ، لم تكن غايةً لشىء مذكورٍ ، وصار العامل فيها معنويا ، وهو : الاستقرار ، وهى مضافة فى المعنى إلى شىء ، والشىء المضافُ إليه معنوى ، لا لفظى ، فلا يدل العاملُ المعنوى على معنوى آخر ، إنما يدل عليه الظاهرُ اللفظى ، فَتأمَّلْه ، فالضمة فى أولُ على هــذا حركة إعراب ، لاحركة بناء ، ولو قال : ابدأ بالبر أوَّلُ لـكانت حركة بناء ، لـكن من رواه : والبرِّ بالله أولُ بخفض الراء من البر فأول حينئذ ظرف مبنى على الضم يعمل فيه : أوصيكم

وفيه : وإن أنتم أَمْعَرْتُم فتعففوا ، الإمعارُ : الفَقْر(٢) .

---

(١) أنظر ص ٣٦٢ حـ ٢ الخصائص لابن جنى .

(٢) فى رواية — كما ذكر الخشنى — أمعزتم : أى أصابتكم شدة ، من قولهم رجل ما عز وممعز أى شديد .

رفع المسهم

. . . .

ومن شعره :

سَبِّحوا اللهَ شَرْقَ كُلِّ صَبَاح   طلعت شَمْسُه وكُلَّ هِلَالِ

الشرق : طلوعُ الشمس ، وهو من أسمائها أيضا ، وكذلكَ الشَّرَق بفتح الراء وكلَّ هلال بالنصب على الظرف ، أى : وقْتَ كُلِّ هلال ، ولو قلت فى مثل هذا : وكُلَّ قمر على الظرف ، لم يجز ، لأن الهلال قد أُجْرِى مُجْرَى المصادر فى قولهم : الليلة الهلال ؛ فلذلك صح أن يكون ظرفا لأن المصادر قد تكون ظروفا لمعانٍ وأسرارٍ ليس هذا موضعا لذكرها ، ولو خفضت وكُلِّ هلال عطفا على صباح ، لم يجز لأن الشرقَ لا يضاف إلى الهلال كما يضاف إلى الصباح .

وفيـــه :

وله شَمَّسَ النصارى

يعنى دين الشَّمَامِسَة(١) ، وهم الرُّهْبَانُ لأنهم يُشَمِّسُون أنفسَهم ، يريدون تعذيبَ النفوسِ بذلك فى زعمهم .

وفيـــه :

يا بَنِىَّ الأرحامَ لا تَقْطَعُوها

بنصب الأرحام ، وهو أجود من الرفع فى هذا الموضع للنهى .

وقوله :

وصِلُوها قصيرةً من طَوال

(١) الشماس : خادم الكنيسة ، ومرتبته دون القسيس .

. . . .

وقد أملينا فيها فى غير هذا الكتاب ما نعيده هٰهنا بحول الله ، وأملينا أيضاً فى معنى الرَّحِم واشتقاق الأم لإضافة الرَّحم إليها ، ووضعها فيه عند خلق آدم وحوّاء ، وكون الأم أعظم حَظًّا فى البرِّ من الأب ، مع أنها فى الميراث دونه. أسراراً بديعة ، ومعانى لطيفة أودعناها كتاب الفرائض وشرح آيات الوصية ، فلتنظر هنالك .

وأما قوله : قصيرَةَ مِنْ طوال ، فيحتمل تأويلين أحدهما : أن يريد : صِلُوا قِصَرَها من طولِكم ، أى : كونوا أنتم طوالا بالصِّلة والبر إن قصرته هى ، وفى الحديث:[أنه قال لأزواجه] : أسْرَعُكُنَّ لُحوقا بى : أطولُكن يداً [فاجتمعن يتطاولن ، فطالتهن سَوْدَة ، فماتت زينب أولهن] أراد الطَّوْل بالصدقة والبر ، فكانت تلك صفةُ زينب بنت جَحْش(١) . والتأويلُ الآخر : أنْ يريد مدحا لقومه بأن أرحامَهم قصيرةُ النسب ، ولكنها من قوم طواله كما قال :

أُحبُّ من النِّسوان كُلَّ طَويلةٍ ... لهـا نَسَبٌ فى الصالحين قصيرُ

وقال الطائى :

أنتم بَنُو النَّسَبِ القصيرِ وطُولكم ... بادٍ على الكُبراءِ والأشْرافِ

والنَّسَبُ القصير : أنْ يقول : أنا ابنُ فلانٍ فيُعْرف ، وتلك : صفة

---

(١) المعنى فى الحديث : أمدكن يدا بالعطاء من الطول ، فظننه من الطول ه. وكانت زينب تعمل بيدها وتتصدق به . النهاية لابن الأثير .

. . . . . . : . .

الأشراف ، ومَنْ ليس بشريف لا يُعْرف حتى يأتِيَ بِنِسْبةٍ طَوِيلَةٍ يبلُغ بها رأسَ القَبِيلَة . وقد قال رُؤْبَةُ : قال لى النَّسَّابَةُ : مَنْ أنتَ انْتَسِبْ ، فقلت : رُؤْبَةُ بن العَجَّاج ، فقال : قَصَّرْتَ وعَرفْتَ . وقوله :

إن خَزْل التَّخُوم ذو عُقَّال

التَّخُوم : جمع : تَخُومَة ، ومن قال : تُخْمٌ فى الواحد ، قال فى الجمع تُخُوم بضم التاء(١) ، وأراد بها الأُرَفَ [أو الأُرَثَ] وهى الحدود ، وقال أبوحَنِيفة: التَّخُوم والتُّخُوم : حُدود البلادِ والقرى ، ولم يذكر فى حدود الأحْقال الأُرَفَ . والعُقَّالَ . ما يمنع الرجل من المشى ، ويَعقِلها يريد أنَّ الظلمَ يُخلِّف صاحبَه ويَعقِله عن السِّباق ، ويَحْبِسه فى مَضَايق الاخْتِقَاق .

وذكر قصيدتَه اليائيَّة ، وقال فيها : قَطَأُ مُعْرِضاً . البيت، قال ابن هشام : هو لأُفْنُونَ التَّغْلبيِّ ، واسمه صُرَيْمُ بن مَعْشَر [بن ذُهْل بن تيم بن عمرو ابن عمرو بن مالك بن حُبَيْب بن عَمْرِو بن غَنْم بن تغلب (٢)] . قال المؤلف وسمى أُفْنُونًا فى قول ابنُ دُرَيْد لبيت قاله فيه :

---

(١) يرى الفراء أنها بضم التاء ، ويرى الكسائى أنها بفتحها ويقول أبو عبيد: أصحاب العربية يقولون : هى التخوم بفتح التاء ويجعلونها واحدة ، وأما أهل الشام فيقولون : التخوم يجعلونها جمعا ، والواحد : تخم . وقال ابن برى تخوم وتخوم وزبور وزبور، وعذوب وعذوب ـ بالفتح أو الضم ـ فى هذه الأحرف الثلاثة. وينسب هذا البيت أيضاً إلى أحيحة بن الجلاح .

(٢) وأفنون بضم الأول أو فتحه ، وفى مؤتلف الآمدى أن اسمه : ظالم .

رفع المستهم

. . . .

مَنِّيَتنا الوُدَّ يا أفنون مَظنونا(١)

أو نحو هذا اللفظ . والأُفنُون : الغُصنُ الناعم ، والأفنون أيضاً العجوز الفانية ، وأفنون هو الذى يقول :

لو أننى كنتُ من عادٍ ومن إرَمٍ ... غَذِىَّ بَهْمٍ ولُقْمانٍ وذِى جَدَنِ
لَمَا وَقَوا بأخيهم من مُهَوِّلَةٍ ... أخا السُّكونِ ولا جاروا عن السَّنَنِ
أنَّى جَزَوْا عامِراً سُوءى بفعلهم ... أم كيف يَجْزُونَنى السُّوءى من الحَسَنِ
أم كيف يَنفَع ما تُعطِى العَلُوقُ به ... رِئْمانَ أنْفٍ إذا ماضُنَّ باللَّبَنِ(٢)

(١) فى سمط اللآلىء :

منيتنا الود يامضنون مضنونا ... أزماننا إن للشبان أفنونا

وبعض الشطرة الآخيرة فى الاشتقاق لابن دريد . انظر ص ٦٨٤ السمط ، ص ٢٣٦ الاشتقاق

(٢) البيت الأول فى اللسان ، وفيه : « ولقمانا وذاجدن » وفى المفضليات للضبى ص ٣٠ ح ٢ ط ١٣٢٤ هـ ، وفى البيان والتبيين ح ٢ ص ٩ ط ١٣٦٧ هـ « ربيت فيهم ، ومن لقمان أوجدن » وعدة القصيدة فى المفضليات تسعة أبيات ، ومنها فى البيان أربعة الأبيات التى ذكرها السهيلى ، ومنها فى أمالى القالى البيت الثالث والرابع ص ٥١ ح ٢ ط ٢ . وفى سمط اللآلى ورد قبل البيت الثالث بيتان آخران . وفى البيان والتبيين عن « رئمان » أصله : الرقة والرحمة والرءوم أرق من الرءوف ، فقال : « رئمان أنف ، كأنها تبر ولدها بأنفها وتمنعه اللبن » ص ٩ ح ٢ وفى مغنى اللبيب لابن هشام ورد البيتان الثالث والرابع . وفيه عن العلوق : الناقة التى علق قلبها بولدها ، وذلك أنه ينحر ، ثم يحشى جلده تبنا ، ويجعل بين يديها لتشمه ، فتدر عليه ، فهى تسكن إليه مرة وتنفر عنه أخرى ، وهذا البيت ينشد لمن يعد بالجميل ، ولا يفعله ، لانطواء قلبه على ضده » هذا وقد نقل عن الكسائى أنه يرى رفع رئمان على أنها بدل من ما ، كما يرى نصبها بتعطى ، وجرها على أنها بدل من الهاء ، أما الأصمعى وابن الشجرى فينكران الرفع . أنظر =

رفع
عبد الرحمن الهجري
المسيَّهم

. . . .

وقول ابن هشام فى البيتين : قَطَأْ مُعْرِضاً والذى بعده أنهما لأُفنون التَّغلِبيِّ مذكور عند أهل الأخبار ، ولها سبب ذكروا أن أُفنونا خرج فى ركبٍ ، فمروا بَرَبْوَةٍ تعرف : بالإِلٰهَةِ(١)، وكان الكاهنُ قبل ذلك قد حدثه أنه يموت بها ، فمر بها فى ذلك الركب ، فلما أشرفوا عليها وأُعْلِم باسمِها ، كَرِه المرورَ بها ، وأبوا أصحابه إلا أن يَمُرُّوا بها ، وقالوا له : لاتنزل عندها ، ولكن نَجُوزها سَعْياً ، فلما دنا منها بركت به ناقتُه على حَيَّة ، فنزل لينظر فَنَهَشَتْهُ الحيةُ ، فمات ، فَقَبْرُه هنالك ، وقيل فى حديثه : إنه مَرَّ بها ليلا ، فلم يعرف بها حتى رَبَضَ الْبَعِيرُ الذى كان عليه ، وعلم أنه عند الإِلٰهَةِ فجزع ، فقيل له : لابأس عليك ، فقال فَلِم رَبَضَ البعيرُ ، فأرسلها مثلا. ذكره يعقوب ، وعند ما أحس بالموت قال هذين البيتين اللذين ذكر ابن إسحاق وبعدهما :

كَفَى حَزَناأن يَرْحَلَ الرَّكْبُ غُدْوَةً وأُتْرَكَ فى جَنْبِ الْإِلٰهَةِ ثَاوِيا (٢)

تسمية اليهود الذين نزل فيهم القرآن

ذكر فيهم جُدَىّ بن أَخْطَب ، بالجيم ، وهو أخو حُيَيِّ بن أَخْطَبَ .

= ص٤٠ حـ ١ مغنى اللبيب ط١٣٢٨ والأبيات مشروحه بالتفصيل فى المفضليات ، وخزانة الأدب للبغدادى .

(١) الإلاهة على وزن الفعالة : قارة بالسماوة من دار كلب ، وهى بين ديار تغلب والشام .

(٢) أنظر عن القصة ص ١٨٦ حـ ١ معجم ما استعجم .

رفع المسهم

. . . .

وأما حُدَىّ بالحاء ، فذكره الدَّارَقُطْنى فى نسب عُتَيْبَة بنِ الحارثِ بن شِهابَ ابن حُدَىٍّ التميمى فارس العرب .

وذكر عزيز بن أبى عزيز وألفيت بخط الحافظ أبى بحر فى هذا الموضع يقول عُزَيز بن أبى عُزَيْز ، بزايَيْنِ قَيَّدْناه فى الجزء قبل .

وذكر ثعلبة بن الفِطْيَوْن والفِطْيون كلمة عِبْرانيَّة ، وهى عبارة عن كل مَن وَلِى أمرَ اليهود ، وملَكَهم ، كما أن النَّجاشِىَّ عِبارةٌ عن كل من مَلَك الحبَشة ، وخاقانَ ملكَ الترك ، وقد تقدم من هذا الباب جُمْلة .

وذكر فيهم عَبْدَ اللهِ بن صُوريا[1] الأعور ، وكان أعلَمهم بالتوراةِ ، ذكر النَّقَّاشُ أنه أسلم لما تحقق من صفاتِ محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى التوراة، وأنه هو وليس فى سيرة ابن إسحاق ذكر إسلامه .

يهود المدينة :

فصل : وقولُه : ومن يَهُودِ بنى زُرَيْقٍ ، ومن يهود بنى حارثة ، وذكر قبائل من الأنصار ، وإنما اليهودُ بنو إسرائيلَ ، وجملة من كان منهم بالمدينة وخيبر إنما هم [بنو] قُرَيْظَة [و بنو] النَّضيرَ وبَنُو قَيْنُقاعٍ ، غير أن فى الأوسِ والخَزْرَج من قد تَهَوَّد ، وكان من نسائهم مَن تَنْذِرُ إذا ولدت إن عاش ولدُها أنْ تُهَوِّدَه ، لأن اليهودَ عندهم كانوا أهلَ علمٍ وكتابٍ ، وفى هؤلاء

---

(١) فى الأصل : صورى ؛ والتصويب من القاموس . وفيه أن عبد الله هذا أسلم ثم كفر .

. . . .

الأبناء الذين تَهَوَّدُوا نزلت ﴿ لا إِكْرَاهَ فى الدين ﴾ البقرة : ٢٥٦ حين أراد آباؤهم إكراهَهم على الإسلام فى أحَد الأقوال(١) .

السحر المنسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم

وأما لَبيدُ بن الأعصم ، الذى ذكره من يَهُودِ بنى زُرَيْقٍ ، وقال : هو الذى أَخَذَ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نسائِه يعنى من الأُخْذَة ، وهى ضَرْبٌ من السحر . فى الخبر أن القاسم بن محمد بن الحَنَفِيَّة ، كان مُؤخَذاً عن مسجدِ النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ لا يستطيع أن يدخلَه ، وكان لبيد هذا قد سَحَرَ رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ، وجعل سحرَه فى مُشْطٍ ومُشَاطَةٍ .

---

(١) الحديث مروى عن ابن عباس: كانت المرأة تكون مقلاة فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوده ، فلما أجليت بنو النضير كان فيهم من أبناء الأنصار ، فقالوا : لا ندع أبناءنا ، فأنزل الله عز وجل : (لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى) رواه أبو داود والنسائى جميعا عن بندار به ، ومن وجوه آخر عن شعبة به نحوه ، ورواه ابن أبى حاتم وابن حبان فى صحيحه . وهكذا ذكر مجاهد وسعيد بن جبير والشعبى والحسن البصرى وغيرهم . وبسند آخر روى ابن إسحاق عن ابن عباس نفسه أنها نزلت فى رجل من الأنصار من بنى سالم بن عوف يقال له : الحصينى كان له ابنان نصرانيان ، وكان هو رجلا مسلما ، فقال للنبى « ص » ألا أستكرههما . فإنهما قد أبيا إلا النصرانية ، وقيل غير ذلك . ويقول ابن كثير فى تفسير الآية « لا تكرهوا أحداً على الدخول فى دين الإسلام ، فإنه بين واضح جلى دلائله وبراهينه لا يحتاج إلى أن يكره أحد على الدخول فيه » . . . وقد ذكروا أن سبب نزول هذه الآية فى قوم من الأنصار ، وإن كان حكمها عاما ،

رفع
المسهم
عز الله أولياء الدين

. . . .

وروى : مُشَاقة بالقاف ، وهى مُشَاقة الـكَتّان ، وجُفّ طَلْعَةٍ[١] ذَكَرٍ ، هى فُحّالُ النخل، وهو ذُكّارُه. والجُفّ : غلاف للطَّلْعَة ، ويكون لغيرها ، ويقال للجُفّ القِيقَاء وتُصْنَع منه آنيةٌ يقال لها : التَلاتِل [جمع : تَلْتَلَة] قاله أبو حنيفة ودفنه فى بئرِ ذِى أَرْوَانَ ، وأكثرُ أهلِ الحديث يقولون : ذَرْوَانَ تحت رَاعُوفة البئر [أو أُرْعُوفتها] ، وهى صخرة فى أسفله يقف عليها المائح[٢] ، وهذا الحديثُ مشهورٌ عند الناس ، ثابت عند أهل الحديث ، غير أنى لم أجد فى الـكتب المشهورةِ : كم لَبِث ـ رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ بذلك السحر، حتى شُفِى منه ، ثم وقعت على البيان فى جامع مَعْمَرِ بنِ راشِد . رَوَى مَعْمَرٌ عن الزُّهْرِىِّ ، قال : سُحِر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سنةً يُخَيَّل إليه أنه يفعل الفعلَ ، وهو لا يفعله[٣] ، وقد طَعَنَت المعتزلةُ فى هذا الحديث وطوائفُ من أهلِ البِدَع،وقالوا لا يجوز على الأنبياء أن يُسْحَروا،ولو جاز أن يُسْحَرُوا، لجاز أن يُجَنُّوا . ونَزَع بعضهم بقوله عز وجل : ﴿ واللهُ يَعْصِمُكَ من الناسِ ﴾ والحديثُ ثابتٌ خَرّجه أهلُ الصحيح ،ولا مَطْعن فيه من جِهَةِ النقل ، ولا من جهة العقل ، لأن العِصمة إنما وَجَبَتْ لهم فى عقولهم وأديانهم ، وأما أبدانُهم ، فإنهمُ يُبْتَلَوْنَ فيها ، ويخلص إليهم بالجراحة والضرب والسموم والقتل ،

---

(١) الطلعة : القطعة من طلع النخل ، والطلع : غلاف يشق الـكوز ينفتح عن حب منضود ، فيه مادة إخصاب النخلة

(٢) الراعوفة أيضا صخرة تـكون على رأس البئر يقـــوم عليها المستقى . والمائح : المستقى .

(٣) أليس التخيل تخليطا أو اختلاطا عقليا ؟

. . . .

والأُخْذَةُ التى أُخِذَها رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من هذا الفن ، إنما كانت فى بعض جَوارِحِه دون بعض(١) .

وأما قوله سبحانه : ﴿ والله يَعْصِمُكَ من الناس ﴾ فإنه قد روى أنه كان

(١) نعرض هنا بعض روايات الحديث . روى الإمام أحمد بسنده عن زيد ابن أرقم قال : سحر النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ رجل من اليهود ، فاشتكى لذلك أياما ، قال : فجاءه جبريل فقال : إن رجلا من اليهود سحرك ، وعقد لك عقدا فى بئر كذ وكذا ، فأرسل إليها من يجىء بها ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستخرجها ، فجاءه بها ، فحلها ، قال : فقام رسول الله « ص » كأنما نشط من عقال ، فما ذكر ذلك اليهودى ، ولا رآه فى وجهه حتى مات . ورواه النسائى عن هناد عن أبى معاوية محمد بن حازم الضرير . ويثبت الحديث أن رسول الله « ص » اشتكى أياما لكن لم يذكر ما اشتكى منه ، ولا تحدث عن المشط والمشاطة ولا شىء مما ورد . ويقول ابن الأثير عن التعبير بكأنما نشط من عقال أن التعبير بنشط ليس بصحيح ، والصواب : أنشط يقال : نشطت العقدة إذا عقدتها ، وأنشطتها وانتشطتها : إذا حللتها . . أقول : وهذا التعبير يؤكد أن ما أصاب النبى « ص » كان يشمل كل جسده .

أما البخارى فيروى بسنده عن عائشة قالت : كان رسول الله « ص » سحر حتى كان يرى أنه يأتى النساء ، ولا يأتيهن . قال سفيان : وهذا أشد ما يكون من السحر ، إذا كان كذا . فقال يا عائشة أعلمت أن الله قد أفتانى فيما استفتيته فيه . أتانى رجلان فقعد أحدهما عند رأسى ، والآخر عند رجلى ، فقال الذى عند رأسى للآخر . ما بال الرجل ؟ قال مطبوب « المطبوب : المسحور » قال : ومن طبه ؟ قال لبيد بن أعصم ، رجل من بنى زريق حليف اليهود ، وكان منافقا ، قال: وفيم ؟ قال : فى مشط ومشاطة . قال : وأين ؟ قال : فى جف طلعة ذكر تحت رعوفة فى بئر ذروان . قالت : فأتى البئر ، حتى استخرجه . فقال : هذه البئر التى أريتها ، وكأن ماءها نقاعة الحناء ، وكأن نخلها رءوس الشياطين ، قال فاستخرج ، فقلت : =

. . . .

= أفلا تنشرت ، فقال : أما الله فقد شفانى ، وأكره أن أثير على أحد من الناس شرا ، : وأسنده من حديث عيسى بن يونس وأبى ضمرة أنس بن عياض ، وأبى أسامة ، ويحيى القطان ، وفيه قالت : حتى يخيل إليه أنه فعل الشىء ، ولم يفعله، وعنده ، فأمر بالبئر ، فدفنت ، وذكر رواية عن هشام أيضا ابن أبى الزناد ، والليث بن سعد ، وقد رواه مسلم من حديث أبى أسامة حماد بن أسامة ، وعبدالله ابن نمير ، ورواه أحمد عن عفان عن وهب عن هشام به . ورواه الإمام أحمد أيضا عن إبراهيم بن خالد عن معمر عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت : لبث النبى «ص» ستة أشهر يرى أنه يأتى ولا يأتى ، فأتاه ملكان ، فجلس أحدهما عند رأسه ، والآخر عند رجليه . فقال أحدهما للآخر : ما باله ؟ قال : مطبوب ، قال : ومن طبه ؟ قال : لبيد بن الأعصم ، وذكر تمام الحديث .

وفى بعض الروايات ورد أن الرسول «ص» أرسل عليا والزبير وعمار ابن ياسر . وأنهم وجدوا فيه وترا معقودا فيه اثنا عشر عقدة مغروزة بالإبراة، فأنزل الله السورتين ، فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة .

ورواية البخارى ومسلم . لم تتحدث عن جبريل ، وإنما عن رجلين . ، ثم هى تؤكد أنه «ص» كان مطبوبا ، أى مسحورا . وأنه كان يرى أنه يأتى النساء ، ولا يأتيهن ، وأنه أبى الرقية . ورواية أحمد عن إبراهيم بن خالد تثبت أنه ظل ستة أشهر يرى أنه يأتى ، ولا يأتى .

كما نجد فى بعض روايات الحديث ما يفيد أن الرسول «ص» أرسل من يجىء بالسحر ، وفى غيرها ضده .

هذا والسحر — كما يقول الراغب — يقال على معان ، الأول : الخداع وتخييلات لا حقيقة لها نحو ما يفعله المشعبذ بصرف الأبصار عما يفعله لخفة يد ، وما يفعله النمام بقول مزخرف عائق للأسماع . وعلى ذلك : (سحروا أعين الناس) (يخيل إليه من سحرهم) . . الثانى استجلاب معاونة الشيطان بضرب من التقرب إليه كقوله : (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين ؟ تنزل على كل أفاك أثيم) وعلى ذلك قوله : (ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر) . والثالث : ما يذهب إليه الأغتام ، وهو اسم لفعل يزعمون أنه من قوته يغير =

رفع
المسهم

= الصور والطبائع ، فيجعل الإنسان حمارا ، ولا حقيقة لذلك عند المحصلين .

وقد تصور من السحر تارة حسنه ، فقيل : إن من البيان لسحرا ، وتارة : دقة فعله ، حتى قالت الأطباء : الطبيعة ساحرة ، وسموا الغذاء سحرا من حيث إنه يدق ويلطف تأثيره ، وعند ابن فارس فى مقاييسه : « السين والحاء والراء : أصول ثلاثة متباينة ، أحدها : عضو من الأعضاء ، والآخر : خدع وشبهة ، والثالث : وقت من الأوقات » . . ثم يقول عن السحر : « قال قوم هو إخراج الباطل فى صور الحق ، ويقـال : هو الخديعـــة » هذا معنى السحر فى اللغة التى شرفها الله ، فنزل بها القرآن .

ولنتدبر معا بعض ماورد فى القرآن مما لهذا الأمر صلة وثيقة به . يقص ربنا سبحانه قول موسى للسحرة فى قوله جل شأنه : (فلما ألقوا قال موسى : ما جئتم به السحر ، إن الله سيبطله إن الله لا يصلح عمل المفسدين) يونس : ٨١. والمعنى واضح وضوح الحق فى القرآن . هو أن الله سبحانه يبطل السحر الذى يجىء به السحرة ضد النبوة . وتدبر ختام الآية الكريمة. ويقص الله سبحانه ماقاله المشركون عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم : (يقول الظالمون : إن تتبعون إلا رجلا مسحورا . انظر كيف ضربوا لك الأمثال ، فضـــلوا ، فلا يستطيعون سبيلا) الإسراء : ٤٧ ، ٤٨ فبهت الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه رجل مسحور هو قول الظالمين الذين ضلوا ، فلا يستطيعون سبيلا ! وقد ورد هذا المعنى أيضا فى سورة الفرقان : (وقال الظالمون : إن تتبعون إلا رجلا مسحورا. انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا ، فلا يستطيعون سبيلا) الفرقان : ٨ ، ٩ .

كما يقص الله سبحانه أن فرعـــون قد بهت موسى (إنى لأظنك يا موسى مسحورا) الإسراء : ١٠١ والعجب هنا أن فرعون على حقده وجحوده وتوحش الظلم فى أعماقه وأعماله قال أظنك ، ونسمع من يؤكد أن النبى صلى الله عليه وسلم يسحره يهودى ، ويظل النبى « ص » مسحورا ستة أشهر ، وهو يرى الشىء عين نقيضه ، وإحساسه بما يوقظ الإحساس الخامد بقوة إحساس مختلط . ماذا يدل عليه الزعم بأنه كان يرى أنه يأتى النساء ، ولا يأتيهن ؟ يدل على أنه قد تجرد من كل تمييز ولهذا قال سفيان : وهذا أشد ما يكون من السحر . إذا كان =

رفع
المسلم
عزالدين

. . . .

= مثل هذا اليهودى القذر اليد والدين واللؤم يهيمن بدجله على خير نبى ، هو خير ولى ، وخير صديق ، فماذا بقى من نبوة تقاوم ؟ وإذا كان الله سبحانه قد قال لإبليس (إن عبادى ليس لك عليهم سلطان ، إلا من اتبعك من الغاوين) الحجرات : ٤٢ أفيكون لجنده عليهم سلطان ؟ إن الشيخ السهيلى يزعم أن الأمر كان يتعلق بجسد النبى « ص » لا بعقله ! ! كيف يزعم هـــذا ، وهو يروى عمن رووا أنه كان يرى أنه يأتى النساء ، ولا يأتيهن ؟ وإذا كان هذا ليس تخليطا عقليا ، وغمة فكرية وشعورية ، فماذا يكون التخليط ، وكيف تكون الغمة الفكرية الشعورية ، وكيف نقلد فرعون والظالمين فى بهت صفوة الخلق أجمعين ؟ وإذا كان قد ورد فى رواية متفق عليها أنه كان يخيل إليه أنه فعل الشىء ، وما فعله ؟ وستة أشهر ؟ ؟

إن أجل ما يمتاز به الرسل — صلوات الله وسلامه عليهم — تلك اليقظة العقلية التى لا تغفل عن عوار فى الكفر أو الخلق أو الشعور ، والتى لا يتصور مطلقا فيها التسوية بين الشىء ونقيضه ، فكيف استطاع يهودى بمشط ومشاطة أن يجعل هذه اليقظة العقلية الملهمة الرائعة خرفا ؟ ثم إننا لم نسمع مطلقا فيما روى — أن الرسول « ص » قد احتبس عن أصحـــابه ستة أشهر بسبب هذا الخرف ، أو يمكن أن نظن أنه يلتقى بالناس ويخاطبهم . ، ويعلمهم ويهديهم ، وهو بهذا الخرف ، أو بهذا الوسواس ، أو بهذا الشعور النفسى المحطم ، أو بهذا الحطام من بقايا رجل يختاره الله لختم النبوة ، ثم يدعه ليهودى قذر يسيطر على فكره وعاطفته وتمييزه ، فيرى الشىء عين نقيضه ؟ .

إننا حين نفترض صحة الحديث ، فانى أتصور الأمر كما يأتى : أصيب عليه الصلاة والسلام بمرض ما لم يمسس به نباهة عقل ، ولا تألق فكر ، ولا إشراق روح ، ولا تسامى وعى إلى أعلى الذرى التى تكون لأفق الوعى الإنسانى ، فما بالك إذا كانت تهديه أضواء النبوة ، وتحلق به هداياتها ؟ وأتصور أن اليهودى قام بهذا السحر ، وأن الذى كان بالرسول — صلى الله عليه وسلم لا يمكن أن نتصور أنه أثر =

. . . .

يُحْرس فى الغَزْو ، حتى نزلت هذه الآيةُ ، فأمر حُرَّاسَه أن ينصرفوا عنه ، وقال : لاحاجة لى بكم ، فقد عَصَمَنِي اللهُ من الناسِ[1] ، أو كما قال .

فقه حديث السحر :

وأما مافيه من الفقه ، فإن عائشةَ قالت له : هَلاَّ تَنَشَّرتَ ، فقال : أما أنا فقد شفانى الله ، وأكره أن أُثِيرَ على الناسِ شَرًّا ، وهو حديث مُشْكِل فى ظاهره ، وإنما جاء الإشكال فيه من قِبَلِ الرُّواة ، فإنهم جعلوا جوابين

= من سحر اليهودى القذر ، وإنما عائشة - رضى الله عنها - هى التى ربطت بين سحر اليهودى حين علمت بما فعله ، وبين ما أصيب به النبى صلى الله عليه وسلم، ولا سيما وقد كان الأمر بالمدينة ، وفيها اليهود الذين كانوا يصورون للناس أن لسحرهم القدرة التى لا تقاومها قدرة .

أريد أن أقول شيئا آخر . ليس من الخير أن نقول سندا فيه محاولة لهدم أقوى سند فى الوجود . سند النبوة الخاتمة لخاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم . وليست العصمة التامة لأحد . والله وحده هو الذى يعصمنا .

(١) الذى فى الصحيحين وأحمد أن عائشة - رضى الله عنها كانت تحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سهر ذات ليلة ، وهى إلى جنبه ، قالت : فقلت : ما شأنك يارسول الله ؟ قال ليت رجلا صالحا من أصحابى يحرسنى الليلة . قالت : فبينا أنا على ذلك إذ سمعت صوت السلاح ، فقـــال من هذا ، فقال : أنا سعد ابن مالك ، فقال : ما جاء بك؟ قال : جئت لأحرسك يا رسول الله ، قالت : فسمعت غطيط رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نومه . وفى بعض الروايات أن أن هذا حدث ذات ليلة مقدمه المدينة على أثر هجرته إليه ، وبعد أن بنى بعائشة فى السنة الثانية . أما ما رواه السهيلى فقد ورد فيما روى ابن أبى حاتم والترمذى ثم قال : وهذا حديث غريب .

. . . .

الكلامين كلاما واحداً ، وذلك أن عائشة قالت له أيضا : هَلاَّ اسْتَخْرَجْتَهُ ، أى : هلا استخرجتَ السحَر من الْجُفِّ والْمُشَاطة ، حتى ينظر إليه ، فلذلك قال : وأكره أن أثير على الناس شراً ، قال ابن بطال : كَرِه أن يخرجَه ، فيتعلمَ منه بعضُ الناس ، فذلك هو الشر الذى كَرِهه .

قال المؤلف : ويجوز أن يكون الشرُّ غيرَ هذا ، وذلك أن الساحرَ كان من بنى زُرَيْقٍ ، فلو أظهر سَحرَه للناس ، وأراهم إياه لأَوْشَك أن يُرِيدَ طائفةٌ من المسلمين قتلَه ، ويتعصبَ له آخرون من عَشيرته فَيَثُورَ شرٌّ كما ثار فى حديثِ الإفكِ من الشَّرِّ ماسيأتى بيانُه .

وقول عائشة : هلا استخرجتَه هو فى حديثين رواهما البُخارى جميعاً ، وأما جوابه لها فى حديث : هَلاَّ تَنَشرت : بقوله أما أنا فقد شفانى الله ، وجوابه لها حين قالت : هلا استخرجته : بأن قال : أكره أن أثير على الناس شرًّا ، فلما جمع الراوى بين الجوابين فى حديث واحد اسْتَغْلَقَ الكلامُ ، وإذا نُظِرت الأحاديثُ متفرقة تُبُيِّنتْ ، وعلى هذا النحو شَرَحَ هذا الحديثَ ابنُ بطال .

وأما الفِقه الذى أشرنا إليه فهو إباحة النُّشْرة[1] من قول عائشة : هلا تَنَشَّرت ، ولم ينكِر عليها قولها .

---

(١) النشرة : ضرب من الرقية والعلاج يعالج به من كان يظن أن به مسا من الجن ، سميت نشرة ، لأنه ينشر بها عنه ما خامره من الداء . وقال الحسن : النشرة من السحر ، وقد نشرت عنه تنشيرا .

. . . .

وذكر البخارى عن سعيد بن الْمُسَيِّب أنه سئل عن النُّشْرة للذى يُؤْخَذ عن أهلِه ، فقال : لا بَأْسَ لم ينه عن الصلاح ، إنما نهى عن الفساد ، ومن استطاع أن يَنْفَعَ أخاهُ فَلْيفعل . ومن الناس من كره النُّشْرة على العموم ، ونَزَع بحديث خرَّجه أبو داود مَرْفوعاً : أن النُّشْرَةَ من عمَل الشيطان ، وهذا - والله أعلم - فى النُّشْرة التى فيها الخواتِم والعَزائم ، ومالا يُفهَم من الأسماء العَجمية(١) ، ولولا الإطالة المخرِجَة لنا عن غرَضنا لقدرنا الرُّخْصَة بالآثار ، وهذا القدر كافٍ ، والله المستعان . وكانت عُقَدُ السِّحْرِ أحدَ عشرَ عُقْدَةً ، فأنزل الله تعالى المعوذتين أحدَ عَشر آية ، فانحلت بكل آية عُقْدة(٢) ، قال تعالى : ﴿ ومِنْ شَرِّ النَّفَّاثاتِ فى الْعُقَدِ ﴾ ولم يقل النَّفَّاثين ، وإنما كان الذى سحره رجلا(٣) والجوابُ : أن الحديث قد رواه إسماعيل القاضى ،

---

(١) من يتأمل فيما قيل عنه إنه رقى شرعية يجد دعاء إلى الله سبحانه ، فلم نسمى هذه الدعوات الطيبات نشرات أو رقى ؟ وللاسمين مالهما من إيحاء غير طيب بل إيحاء يغلب أن يكون خبيثا ، بل إن الكثير من الرقى هو عين الشرك . فلنقل: إن المفروض هو الدعاء ، بدلا من القول : إن الرقى أو النشرات مباحة ، فننزع بالناس إلى اتخاذ أحط وسائل الشرك قربا إلى الله ! !

(٢) هذا مما روى بلا إسناد ، وفى حديثه نكارة وغرابة ، ورغم هذا ففى الحديث أنها أثنتا عشرة عقدة !! أما الآيات ، فإحدى عشرة ! ! .

(٣) يقول بعض المفسرين قولا طيبا : المراد بالنفث فى العقد : إبطال عزائم الرجال بالحيل مستعار من تليين العقدة بنفث الريق ليسهل حله . ويقول الشيخ حامد الفقى رحمه الله تعليقا على تفسير ابن القيم للمعوذتين « النفث الذى يليق بعظمة بلاغة القرآن ، وفخامة أسلوبه : هو نفث المفسدين سمومهم بالكذب والغيبة والنميمة وقالة السوء ، فى عقد الصلات بين الناس ، حتى يفكوا عرى =

. . . .

وزاد فى روايته أن زينب اليهودية أعانتْ لَبِيدَ بن الأعصم على ذلك السحر، مع أن الأخْذَةَ فى الغالب من عمل النساء وكيدهن .

إسلام عبد الله بن سلام

سَلَام هو بتخفيف اللام ، ولا يوجد من اسمه سَلَام بالتخفيف فى المسلمين لأن السَّلَامَ من أسماء الله ، فيقال عبد السَّلَام ، ويقال سَلَّام بالتشديد ، وهو كثير ، وإنما سَلَامٌ بالتخفيف فى اليهود ، وهو والد عبد الله بن سَلَام منهم .

ذكر فيه قول عمته خالدة أهو النبى لذى كنا نخبر أنه يُبْعَث مع نَفَسِ الساعة ، وهذا الكلام فى معنى قوله عليه السلام : إنى لأجد نَفَسَ الساعة بين كتفى ، وفى معنى قوله : ﴿ نَذِيرٌ لكم بينَ يَدَىْ عذابٍ شديدٍ ﴾ ومن كان بين يدىْ طالبِه ، فَنَفَسُ الطالب بين كفتيه[1] ، وكأن النَّفَسَ فى هذا الحديث

= الزوجية والمودة والرحمة وغيرها ، وشر وضرر هذا فى الناس أكثر جدا من شر من يقولون : إنهم سحرة » ص ٥٧١ التفسير القيم ط ١ . وقيل عن تأنيث النفاثات أن المراد : النفوس . أقول : وهذا هو الأوفق ، وليعم كل نافث ونافثـــة .

(١) فسر ابن الأثير القول بقوله : أى بعثت وقد حان قيام الساعة وقرب . . فأطلق النفس على القرب ، وقيل معناه أنه جعل للساعة نفسا كنفس الإنسان ، أراد : أنى بعثت فى وقت قريب منها أحس فيه بنفسها كما يحس بنفس الإنسان إذا قرب منه ، يعنى : بعثت فى وقت بانت أشراطها فيه ، وظهرت علاماتها ، ويروى فى نسم الساعة . وفى الترمذى « بعثت فى نفس الساعة ، فسبقتها ، كما سبقت هذه ، وأشار بأصبعه السبابة والوسطى » .

. . . .

عبارةٌ عن الفتنِ المؤذِنَةِ بقيام الساعة ، وكان بَدْؤُها حين ولى أمتَه ظهرَه خارجا من بين ظَهْرانَيْهِمْ إلىَ الله تعالى ، ألا تراه يقول فى حديث آخر : وأنا أمانٌ لأُمَّتى ، فإذا ذهبتُ أتى أمتى ما يُوعَدون ، فكانت بعده الفتنةُ ثم الْهَرْجُ[1] المتصل بيوم القيامة ، ونحو من هذا قوله عليه السلام : بُعِثْت أنا والساعة كَهَاتَيْن[2] ، يعنى السَّبَّابَةَ والْوُسطى ، وهو حديث يَرْويه أنسُ بنُ مالكٍ ، وابنُ بُرَيْدَةَ عن أبيه ، وجُبَيْرِ بن مُطْعِم ، وجابر بن سَمُرَة وأبو هُرَيْرَة وسَهْل بن سعد كلُّهم عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وفى حديث سهلٍ سَبَقْتُها بما سَبَقَتْ هذه هذه ، يعنى : الْوُسْطَى والسَّبَّابَةَ ، وفى بعض ألفاظِ الحديث : إن كادَتْ لَتَسْبِقنى . ورواه أيضاً : أبو جُبَيْرَةَ فقال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : جئتُ أنا والساعة كهاتين سبقتُها كما سبقتْ هَذه هذه فى نَفَسِ من الساعة ، أوفى نَفَسِ الساعة ، خرجها الطبرى بجميع أسانيدها ، وبعضها فى الصحيحين ، وفى بعضها زيادة على بعض .

وخالدة بنت الحارث قد ذكر إسلامَها ، وهى مما أغفله أبو عُمَر فى كتاب الصحابة ، وقد استدركناها عليه فى جملة الاستدراكات التى ألحقناها بكتابه .

وذكر حديث مُخَيْريق ، وقال فيه : مُخَيْريقٌ خيرُ يهودَ ، ومُخَيْرِيقٌ مسلم ، ولا يجوز أن يقال فى مسلم : هو خير النصارى ، ولا خيرُ اليهود ، لأن أفعل من كذ إذا أضيف فهو بعض ما أضيف إليه. فإن قيل : وكيف جاز هذا ؟ قلنا:

---

(١) الهرج : القتل .

(٢) متفق عليه .

رفع المسـاهم

. . . .

لأنه قال خير يهود ، ولم يقل خير اليهود ، ويَهُود اسم علم كَثَمُود ، يقال : إنهم نسبوا إلى يَهُوذ بن يَعْقُوب ، ثم عُرِّبت الذال دالا ، فإذا قلت : اليهود بالألف واللام، احتمل وجهين النسبَ والدينَ الذى هو اليهودية[1] ، أما النسب فعلى حد قولهم التَّيْم فى التَّيْمِيِّين وأما الدين فعلى حَدِّ قولك : النصارى والمجوسُ أعنى : أنها صِفَة ، لا أنها نَسَبٌ إلى أب . وفى القرآن لفظٌ ثالث ، لا يتصور فيه إلا معنى واحد ، وهو الدِّين دون النسب ، وهو قوله سبحانه : ﴿وقالوا : كونوا هُوداً أو نَصَارى﴾ البقرة : ١٣٥ . بحذف الياء ، ولم يقل : كونوا يهودَ لأنه أراد التَّهَوُّد ، وهو التَّدَيُّن بدينهم، ولو قال : كونوا يَهُوداً بالتدين ، لجاز أيضاً على أحد الوجهين المتقدمين ، ولو قيل لقوم من العرب : كونوا يَهُودَ بغير تَنْوِينٍ ، لـكان محالا ، لأن تبديلَ النَّسَبِ حقيقة محال ، وقد قيل فى هود : جمع هائد[2] ، وهو فى معنى ماقلناه ، فلتعرف الفرقَ بين قولك هوداً بغير ياء ، ويهوداً بالياء والتنوين ، ويهودَ بغير تنوين ، فإنها تفرقة حسنة صحيحة والله أعلم . ولم يُسْلِم من أحبار يهودَ على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا اثنان . وقد جاء فى الحديث :لو اتبعنى عَشَرَةٌ من اليهود لم يبق فى الأرض يهودى إلا اتبعنى[3] .رواه أبو هريرة . وسمع كعبُ الأحبار

(١) ليس دينا إلهيا ، إنما هو من افتراء شهوات حاخاميم اليهود وأحبارهم.

(٢) تاب ورجع إلى الحق ، وقد مثلوها فى الجمع بحائل وعائط من النوق مفرد حول وعوط .

(٣) فى الجامع الصغير للسيوطى « لو آمن بى عشرة من اليهود ، لآمن بى اليهود » وذكر أن البخارى خرجه .

. . . .

أباهريرة يحدِّث ، فقال له : إنما الحديث : اثنا عَشَرَ من اليهود ، ومِصْداقُ ذلك فى القرآن (وبعثنا منهم اثنَىْ عشر نقيبا) فسكت أبو هريرة . قال ابن سيرين : أبو هُرَيْرَة أصدقُ من كعب قال يحيى بن سَلَام كلاهما : (صدَق) ؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما أراد : لو اتبعنى عَشَرَةٌ من اليهود بعد هذين اللذين قد أسلما .

ذكر المنافقين

فصل : وذكر نبْتَلاً من المنافقين ، قال : وكان أدْلَم ، والأدْلَمُ الأسودُ الطويلُ من كل شىء . وقيل لجماعة النمل : ديْلَم ، لسوادهم من كتاب العين .

وذكر الحارث بن سُوَيْد ، وقتلَه للمُجَذَّر بن ذِيادٍ . واسم الْمُجذَّرِ : عبدُ الله ، والْمُجذَّرُ : الغليظُ الْخَلْق(١) .

وذكر أن الله تعالى أنزل فى الحارث بن سُوَيد وارتداده : ﴿ كيف يَهْدِى اللهُ قوما كَفَروا بعد إيمانهم ﴾ آل عمران : ٨٦ فقيل : إن هذه الآية مقصورةٌ على سببها مخصوصةٌ بمن سَبَق فى علم الله أنه لا يَهديه من كُفْره ، ولا يتوب عليه مِنْ ظلمه ، وإلا فالتوبة مفروضة ، وقد تاب قوم بعد ارتدادِهم ، فقُبِلت توبتُهم . وقيل ليس فيها نَفْىٌ لقبول التوبة ، فإنه قال : كيف يهدى الله ، ولم يقُل لا يَهدى الله ، على أنه قد قال فى آخرها : (والله لا يهدى القوم الظالمين) وذلك يرجع إلى الخصوص ، كما قدمنا أو إلى معنى الهداية فى الظلمة التى عند الصراط بالنور

(١) فى الاشتقاق لابن دريد : رجل مجذر : قصير متقارب الخلق .

. . . .

التام يوم القيامة ، فان ذلكَ مُنتفٍ عمّن ماتَ غير تائب من كفره وظلمه .

والله أعلم[1] .

ذكر حديث بشير[2] بن أبيرق سارق الدرعين

وذكر أن الله أنزل فيه: ﴿ ولا تُجادِلْ عن الذين يَخْتانُونَ أنفسَهم ﴾ النساء: ١٠٧ الآية: وكان من قصة الدِّرعين، وقصة بشير أن بنى أُبَيْرِق، وهم ثلاثة بَشِيرٌ ومُبَشِّر وبِشْرٌ[3] نقبوا مشْرُبة[4] أو نقبها بَشيرٌ وحده على ماقال ابن إسحاق ، وكانت المَشْرُبة لرِفاعة بن زَيْدٍ ، وسرقوا أدراعا له ، وطعاما فعثر على ذلك ، فجاء ابن أخيه قَتَادَة بن النُّعمان يشكو بهم إلى رسولِ

---

(١) روى النسائي والحاكم وابن حبان وابن جرير عن ابن عباس قال : كان رجل من الأنصار أسلم ، ثم ارتد ، ولحق بالشرك ، ثم ندم ، فأرسل إلى قومه : أن سلوا لى رسول الله : هل لى من توبة ، فنزلت : (كيف يهدى الله) . . الآية ، فأرسل إليه قومه ، فأسلم . وأخرج عبد الرزاق أنها نزلت فى حق الحارث ابن سويد ، وأنه حسن إسلامه بعد ارتداده.

وأذكر هنا معانى بعض ما تركه السهيلى من شرح السيرة للخشنى . الشمردلات: الإبل الطرال . والوهج : شدة الحر . بجاد بن عثمان : بالنون والباء ، وقيده الدارقطنى بالباء .. ثائر شعر الرأس : مرتفعه . أسفع : السفعة : حمرة تضرب إلى سواد .

(٢) قيده الدارقطنى بضم الباء . وفى السيرة بفتحها .

(٣) فى الأصل بشير وهو خطأ . وفى تفسير الطبرى ضبط بشير بضم الباء ويقول الخشنى : وقع هنا بشير، بفتح الباء ، وقال الدارقطنى: إنما هو بشير بضم الباء.

(٤) بضم الراء وفتحها : الغرفة .

. . . .

الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فجاء أُسَيدُ بن عُرْوَةَ بن أُبَيْرِق إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : يارسولَ الله ، إن هؤلاءِ عَمَدُوا إلى أهل بيتٍ هم أهل صلاحٍ ودين ، فأبَنُوهم بالسرقة ، ورَمَوْهم بها من غير بَيِّنة ، وجعل يجادل عنهم حتى غضِب رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على قَتَادَةَ ورِفاعة ، فأنزل الله تعالى : ﴿ ولا تُجادِل عن الذين يَخْتَانُونَ أنفسَهم ﴾ النساء ١٠٧ الآية ، وأنزل الله عز وجل : ﴿ ومَن يَكْسِب خَطِيئةً أو إثماً ثم يَرْمِ به بَرِيئاً ﴾ النساء ١١٢ وكان البريء الذي رَمَوْه بالسرقة لبيدَ بن سَهْلٍ : قالوا : ماسرقناه ، وإنما سرقه لبيدُ ابن سَهْلٍ ، فبرأه الله ، فلما أنزل الله تعالى فيهم ما أنزل ، هَرَب ابنُ أبيرق السارقُ إلى مكة ، ونزل على سُلافَة بنت سعد بن شُهَيْد(١) ، فقال فيها حسَّان بن ثابت بيتا ، يعرِّض فيه بها ، فقالت : إنما أهْديت لى شعرَ حسَّان ، وأخذت رَحْلَه فطرحته خارج المنزل (٢) ، وقالت : حَلَقْتُ وسَلَقْتُ وخَرَقْتُ (٣) إن بتَّ فى منزلى ليلةً سَوْداء ، فهرَبَ إلى خَيْبَر ، ثم إنه نَقَب بيتا ذات ليلة ، فسقط الحائطُ عليه فمات . ذكر هذا الحديثَ بكثير من ألفاظه التِّرمِذيُّ ، وذكره

---

(١) فى تفسير الطبرى : بنت سعد بن سهيل ، وفى تفسير ابن كثير : بنت سعد بن سمية .

(٢) فى تفسير الطبرى ، فوضعته على رأسها ، ثم خرجت فرمته بالأبطح .

(٣) الحالقة : التى تحلق شعرها عند المصيبة . وهى فى الأصل : حلفت وفيها ورد من حديث أنه لعن من النساء الحالقة والسالقة والخارقة . وفى اللسان فى مادة حلق : وفى حديث ليس منا من سلق أو حلق أو خرق ، أى ليس من سنتنا رفع الصوت فى المصائب ولا حلق الشعر ، ولا خرق الثياب . . وسلافة تدعو على نفسها بهذه الأشياء .

رفع
المسابهم
عز الله اطلاله

. . . .

الكَشّيّ والطبري بألفاظ مختلفة ، وذكر قصةَ موته يحيي بن سلّام في تفسيره ووقع اسمه في أكثر التفاسير : طُعْمَة بن أُبَيْرِق(١) وفي كتب الحديث : بَشِير بن أُبَيْرِق ، وقال ابن إسحاق في رواية يونس بن بكير عنه : بَشِير أبو طُعْمَة فليس طعمة إذاً اسماً له ، وإنما هو أبو طُعْمَة ، كما ذكر ابن إسحاق في هذه الرواية والله أعلم . وفي رواية يونس أيضاً أن الحائط الذي سقط عليه كان بالطائف لا بخيبر ، كما قال ابن سلّام ، وأن أهل الطائف قالوا حينئذ : ما فارق محمداً من أصحابه مَن فيه خير . والأبيات التي رمى بها حسّان المرأة ، وهي من بني عمرو بن عوف ، وقد تقدم اسمها :

وما سارقُ الدِّرْعَيْن إذ كنتَ ذاكرا ... بذي كَرَم من الرجال أوادِعُهْ
وقد أنزلته بنتُ سعدٍ فأصبحتْ ... ينازعها جَارَاسْتِها وتُنازِعُه
ظننتمُ بأن يَخْفَى الذي قد صنعتم ... وفيكم نبيٌّ عنده الوحي واضعه

وقع هذا البيتُ في كتاب سِيبَوَيْه(٢) . وذكر الشعر والخبَر بطوله ابن إسحاق في رواية يونس عنه .

---

(١) هو كذلك في تفسير الطبري .

(٢) في سيبويه ص ٢٤٢ ح ١ ط ١ « وفينا نبي » ويقول شارح شواهده : الشاهد فيه جرى قوله واضعه على النبي « ص » مع إعادة الضمير على الوحي ، وهو لا يحتمل القلب كما تقدم في الباب ، وقد رد عليه هذا التقدير وجعل الضمير عائدا على الذي قد صنعتم على تقدير : وفينا نبي واضع ما قد صنعتم ، لا على الوحي كما قدره والحجة لسيبويه أن رده على الوحي أولى لأنه يريد : يضع فينا ما يوحى إليه ، فينبئنا بصنيعكم على الحقيقة ، وإذا رد الضمير على الذي كان التقدير : واضع الذي صنعتم =

. . . .

فصل : وأنشد ابنُ هشام :

لَدمَ الْوَلِيد وراء الغَيْبِ بالحجَرِ

والبيت لتميم بن أبى ابن مُقْبل ، واللَّدْمُ : الضربُ ، والغيب : الغائر من الأرض .

باب إخراج المنافقين :

وذكر ابن إسحاق فى باب إخراج المنافقين من المسجد أبا محمد ، وقال : هو رجل من بنى النجار ، ولم يُعَرِّفه بأكثرَ من هذا ، وهو : أبو محمد مسعود ابن أوْس بن زيد بن أصْرم بن زيد بن ثعلبة بن غَنْم بن مالك بن النجار (١) . يعدُّ فى الشاميين ، وهو الذى زعم أن الوِتْرَ واجب ، فقال عُبَادة : كذب أبو محمد ، وهو معدود فى البَدْرِيِّين عند الواقدى وطائفة ، ولم يذكره ابنُ إسحاق فيهم .

= مطلقا دون ربطه بالوحى الذى هو أكشف لحقيقته ، والوضع هنا النشر والبث» أقول : وما أظن حسانا ينطق بالبيت الثانى ، فهو لا يتفق مع أدب الصحابة وهو قذف لم تقم عليه بينة .

(١) فى الإصابة : مسعود بن أوس بن أصرم بن زيد الخ . وقال ابن عبد البر أدخل الواقدى وابن عمارة بين أوس وأصرم زيدا آخر . وفى جمهرة ابن حزم ص ٣٢٩ كما فى الروض . ويقول جعفر المستغفرى : أبو محمد الذى كذبه عبادة فى وجوب الوتر اسمه : مسعود بن زيد بن سبيع . هذا وقد وهم ابن عبد البر فزعم أن ابن إسحاق لم يذكره فى البدريين ، وهو قد ذكره فيمن شهدها من بنى زيد بن ثعلبة

. . . .

ذكر ما أنزل الله فى المنافقين :

فصل : وذكر ما أنزل اللهُ فى المنافقين والأحبار ومن يَهُودَ من صَدْر سورة البقرة ، واستشهد ابنُ هشام على الرَّيب بمعنى الرِّيبة بقول خالد بن زُهَير ابن أخت أبى ذُؤَيْب ، واسمُ أبى ذؤيب : خُوَيْـلِدُ بنُ خالدٍ ، والرجز الذى استشهد ببيت منه :

ياقوم مالى وأبا ذُؤَيْب كنتُ إذا أتيته مِنْ غَيْبِ
يَشُم عَطْفِي وَيَمسُّ ثوْبِي كأننى أربْتُه بِرَيْبِ

وكان أبو ذؤيب قد اتهمه بامرأته ، فلذلك ، قال هذا .

وذكر ابن إسحاق : والذين يقيمون الصلاة ، وأغفل التلاوةَ : وإنما هو : ﴿الذين يؤمنون بالغيب،ويقيمون الصلاة﴾ البقرة : ٣ . وكذلك وجدته مُنبَّها عليه فى حاشية الشيخ : وفى الإيمان بالغيب أقوال ، منها أن الغيبَ ههنا مابعد الموت من أمور الآخرة ، ومنها : أن الغيب : القدَر ، ومنها قول من قال : إن الغيب القلبُ ، أى يؤمنون بقلوبهم ، وقيل : يؤمنون بالغيب ، أى بالله عز وجل ، وأحسن مافى هذه الأقوال قول الربيع بن أَنَس ، أى : يؤمنون بَظهْر الغيب ، أى : ليسوا كالمنافقين الذين يؤمنون إذا لقوا الذين آمنوا ويكفرون إذا غابوا عنهم ، ويُدلُّ على صحةِ هذا التأويلِ : بسياقةِ الكلام ، مع قوله عز وجل ﴿يخشون ربَّهم بالغيب﴾ ولا يحتمل قولُه : يخشَوْن ربَّهم بالغيب إلا تأويلا واحداً ، فاليه يرَدُّ ما اختلف فيه . وقوله سبحانه : لارَيْبَ فيه ، وقد ارتاب فيه كثير

. . . .

من الناس ، قيل : هو على الخصوص فى المؤمنين ، أى لاريب فيه عند . قال المؤلف : رَضى اللهُ عنه : وهذا ضعيفٌ لأن التبرئَة تعطى العمومَ ، وأصح منه : أن الـكلامَ ظاهرُه الخبَرَ ، ومعناه : النهى، أى : لاتَرْتابوا ، وهذا النهى عامٌّ لا مُخصَّص ، وأدق من هذا أن يكون خبراً مَحْضاً عن القرآن ، أى : ليس فيه مايُريب ، تقول : رابَنِى منك كذا وكذا ، إذا رأيتَ ماتُنـكِر ، وليس فى القرآن ماتُنـكِره العقولُ. والرَّيبُ ، وإن كان مَصْدراً فقد يُعبَّر به عن الشىء الذى يُريب ، كما يُعبَّر بالضيف عن الضائف ، وبالطَّيْف عن الخيالِ الطائف ، ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى : ﴿ ليَوم لارَيبَ فيه ﴾ فهذا خبر ، لأن النهى لايكون فى موضع الصفة .

وقوله : لارَيْبَ فيه فى موضع الصفة ليوم ، والحياةُ بعد الموت ليس فيه مايُريبك ، لأن من قدر على البَدْءَة ، فهو على الإعادة أقدر ، وليس الريب بمعنى الشَّكِّ على الإطلاق ، لأنك تقول: رابنى منك رائب ، ولاتقول شَـكَّنى، بل تقول : ارتبت كما تقول شكـكت ، فالأرتياب : قريب من الشَّكِّ(١) .

وذكر قول الله سبحانه ﴿ فى قُلوبهم مَرَضٌ ﴾ وأصلُ المرض : الضعفُ

---

(١) يقول الراغب فى مفرداته : الشك : اعتدال النقيضين عند الإنسان وتساويهما. والريب : أن تتوهم بالشىء أمرا ، فينكشف عما تتوهمه ويقول الإمام ابن تيمية فى كتابه مقدمة فى أصول التفسير ص ١٦ « ومن قال لاريب : لاشك، فهذا تقريب ، وإلا فالريب فيه اضطراب وحركة كما قال :دع مايريبك إلى مالايريبك فيكما أن اليقين ضمن السكون والطمأنينة ، فالريب ضده » ط السلفية

رفع المسهم

. . . .

وفُتور الأعضاء، وهو هاهنا ضَعْف اليقين، وفُتور القلب عن كدِّ النظر، وعطف: فزادهم الله، وإن كان الفعلُ لا يُعطَف على الاسم، ولا على مثل هذه الجملة، لو قلت: في الدار زيد، فأعطيته درهمًا لم يجز، ولكن لما كان في معنى قوله: في قلوبهم مرض كمعنى مَرِضَت، قلوبهم صح عطفُ الفعل عليه.

وذكر قولَه سبحانه: يا بَنِي إسرائيلَ، ووهم في التلاوة، فقال: يا أهلَ الكتابِ، كما وهم في أول السورة. وبنو إسرائيل: هم بنو يَعْقُوب، وكان يسمى: إسرائيل، أي سَرِيُّ الله[1] لكن لم يُذْكروا في القراءة إلاَّ أُضيفوا إلى إسرائيل، ولم يُسَمَّوا فيه: بنو يَعْقُوبَ، ومتى ذُكِر إبراهيمُ وإسحاق ويعقوبُ لم يُسَمَّ إسرائيل، وذلك لحكمة فُرقَانيَّة، وهو أن القومَ لما خُوطبوا بعبادة الله، وذُكِّروا بدين أسلافهم مَوْعِظةً لهم، وتَنْبيها من غفلتهم سُمُّوا بالاسم الذي فيه تَذْكِرَةٌ بالله، فإن إسرائيلَ اسمٌ مُضاف إلى

(١) في قاموس الدكتور بوست أن معنى إسرائيل هو: الأمير المجاهد مع الله، ثم أطلق هذا اللقب على جميع ذرية يعقوب إلى حين انفصال عشرة الأسباط عن بيت داود وتحيزهم بملكة وحدها، فأطلق عليها مملكة إسرائيل تمييزا لها عن مملكة يهوذا. والعجيب الغريب أن الإصحاح الثالث والثلاثين من سفر التكوين يقص أن الله لقب يعقوب بإسرائيل بعد أن صارع الله — وهو في صورة إنسان — يعقوب، ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه، فانخلع حق فخذ يعقوب في مصارعته معه، وقال: أطلقني، لأنه قد طلع الفجر، فقال: لا أطلقك إن لم تباركني، فقال له: ما اسمك؟ فقال: يعقوب، فقال: لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب، بل إسرائيل لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت، فقرات ٢٦ — ٢٩ أولا يعرف الله اسم يعقوب؟ أو يبلغ العدوان على الله هذا الحد؟.

. . . .

الله تعالى فى التأويل . ألا تَرى : كيف نَبَّه على هذا المعنى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ـ حين دعا إلى الإسلام قوما ، يقال لهم : بنو عبد الله ، فقال لهم : يابنى عبدِ الله ، إن الله قد حَسَّن اسم أبيكم يحُرِّضهم بذلك على مايقتضيه اسْمُهم من العُبودِّية لله ، فكذلك قولُه سبحانه : يابنى إسرائيلَ إنما ورد فى مَعْرِض التَّذْكِرَةِ لهم بدين أبيهم ، وعُبودِّيتِهِ لله ، فكان ذكرُهم بهذا الاسم أليقَ بمقام التذكرة والتَّحْريض مِن أن يقول لهم : يابنى يعقوبَ ، ولما ذكر مَوْهِبَته لإبراهيم وتبشيره بإسحاق ، ثم يعقوبَ كان لفظُ يعقوب أولى بذلك المقام ، لأنها مَوْهِبة بعَقِب أخرى ، و بُشْرى عقب بها بُشرى وإن كان اسمُ يعقوب عِبْرانيًّا ،ولكن لفظَه موافقٌ للعربى فى العقِب والتعقيب[1] ، فانظر مُشاكَلة الاسمين للمقامين ، فإنه من باب النظر فى إعجاز القرآن وبلاغة ألفاظه وتنزيل الكلام فى منازله اللائقة به .

حديث أبي ياسر بن أخطب :

فصل : وذكر ابنُ إسحاق حديثَ أبى ياسر بن أخطب وأخيه حيي بن أخطب حين سمعا المص[2] ونحوها من الحروف ، وأنهم أخذوا تأويلها من حروف أَبْجَد إلى قوله : لعله قد جمع لمحمد وأمته هذا كله : قال المؤلف : وهذا

(١) فى الإصحاح الخامس والعشرين من سفر التكوين عن عيسو بن إسحاق وأمهما تلدهما : « وبعد ذلك خرج أخوه ، ويده قابضة بعقب عيسو ، فدعى اسمه : يعقوب » .

(٢) تقرأ هكذا : ألف لام ميم صاد .

رفع المسهم

. . . .

القول من أحبار يَهُودَ ، وما تأوّلوه من معانى هذه الحروف محتمل ، حتى الآن أن يكون من بعض ما دلت عليه هذه الحروف المقطّعة ، فإن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لم يكذبهم فيما قالوا من ذلك ، ولا صدقهم[1] . وقال فى حديث آخر : لا تُصَدِّقوا أهلَ الكتاب ، ولا تُكَذِّبوهم ، وقولوا : آمنا بالله وبرسوله[2] ، وإذا كان فى حَدِّ الاحتمال وَجَب أن يُفْحَصَ عنه فى الشريعة هل يُشير إلى صحته كتابٌ أو سُنَّة ، فوجدنا فى التنزيل ﴿ وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تَعُدُّون ﴾ ووجدنا فى حديث زِمْلٍ الخُزَاعِى حين قص على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – رُؤْيا ، وقال فيها : رأيتك يارسول الله على منبرٍ له سبعُ درجات ، وإلى جنبه ناقة عَجْفَاء ، كأنك تبعثها ، ففسر له النبىُّ صلى الله عليه وسلم الناقةَ بقيام الساعةِ التى أنذر بها ، وقال فى المِنبر : ودرجاته الدنيا : سبعةُ آلاف سنةٍ بعثت فى آخرِها ألفا ، والحديث وإن كان ضَعيفَ الإسناد ، فقد رُوِى موقوفا على ابنِ عباس من طُرق صِحاحٍ ، أنه قال : الدنيا سبعةُ أيام كل يوم ألف سنة ، وبعث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فى آخر يوم منها . وقد مضت منه سنون ، أو قال : مِئُون ، وصحح أبو جعفر الطبرى هذا الأصلَ ، وعضده بآثار ، وذكر قول رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بُعِثْتُ أنا والساعة

---

(١) كلام يهود خرف وشعبذة ، فكيف يصدق . هذا والحروف المقطعة التى افتتحت بها السور أربعة عشر حرفا بحذف المكرر منها يجمعها قولك : « نص حكيم قاطع له سر » وهى نصف الحروف عددا ، وتشتمل على أصناف أجناس الحروف .

(٢) هذا إذا كان لا يخالف نصا صحيحا أو عقلا صريحا .

رفع
المسهم
عزالله الحالوالدية

. . . .

كهاتين(٢) ، وإنما سَبَقْتُها بماسبقت هذه هذه ، يعني : الوسطى والسَّبَّابة ، وأورد هذا الحديثَ من طرق كثيرة صححها وأورد منها قوله عليه السلام : لن يُعْجِزَ اللهَ أنْ يؤخِّر هذه الأمةَ نصفَ يوم ، يعني: خمسمائة عام ، وقد خرَّج ، هذا الحديث الأخير أبو داود أيضاً . قال الطبرى : وهذا فى معنى ماقبله يشهد له ويبينه فإن الوُسطى تزيد على السَّبَّابة بنصف سُبْعِ أصْبَعِ ، كما أن نصف يوم من سبعة نِصف سبع . قال المؤلف : وقد مضت الخمسمائة من وفاته إلى اليوم بنَيِّفٍ عليها، وليس فى قوله : لن يُعْجِزَ الله أن يؤخِّر هذه الأمة نصفَ يوم ماينفى الزيادة على النصف ، ولا فى قوله : بعثت أنا والساعة كهاتين ما يقطع به على صحة تأويله ، فقد قيل فى تأويله غير هذا ، وهو أن ليس بينه وبين الساعة نبى غيره ، ولا شرع غير شرعه مع التقريب لحينها ، كما قال سبحانه : ﴿ اقْتَرَبَتِ السّاعةُ وانشق القمر ﴾ ، ﴿ وأتى أمرُ الله فلا تَسْتَعْجِلوه ﴾ ولكن إذا قلنا : إنه ـ عليه السلام ـ بُعث فى الألف الآخر بعد ما مضت منه سنون ، ونظرنا بعدُ إلى الحروف المقطَّعة فى أوائل السور ، وجدناها أربعةَ عَشَرَ حرفا يجمعها : قولك

ألم يسطع نص حق كره

ثم نأخذ العدد على حساب أبى جادٍ ، فنجد : ق مائة ، و : ر مائتين ، و : س ثلاثمائة ، فهذه ستمائة ، و : ع سبعين ، و : ص ستين ، فهذه سبعمائة

---

(١) متفق عليه .

رفع المسلم

. . . .

وثلاثون ، و : ن خمسين ، و : ك عشرين ، فهذه ثمانمائة ، و : م أربعين ، و : ل ثلاثين ، فهذه ثمانمائة وسبعون ، و : ى عشرة ، و : ط تسعة ، و : ا واحد ، فهذه ثمانمائة وتسعون ، و : ح ثمانية ، و : هـ خمسة ، فهذه تسعمائة وثلاثة ، ولم يُسَمِّ الله سبحانه فى أوائل السور إلا هذه الحروف ، فليس يبعد أن يكون من بعض مُقْتَضَياتها وبعض فوائدها الإشارةُ إلى هذا العدد من السنين لما قدمناه فى حديث الألف السابع الذى بعث فيه عليه السلام ، غير أن الحسابَ محتمل أن يكون من مبعثه ، أو من وفاته ، أو من هجرته ، وكُلٌّ قريبٌ بعضُه من بعض ، فقد جاء أشراطُها ، ولكن لا تأتيكم إلا بَغْتَةً[1] ، وقد روى أن المتوكل العباسى سأل جعفرَ بن عبدِ الواحد القاضى ، وهو عباسى أيضاً : عما بقى من الدنيا ، فحدثه بحديث يرفعه إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : إن أحسنتْ أمتى ، فبقاؤها يومٌ من أيام الآخرة ، وذلك ألف سنة، وإن أساءت ، فنصفُ يوم ، ففى هذا الحديث تتميم للحديث المتقدم وبيان له ؛ إذ قد انقضت الخمسمائة ، والأمة باقية والحمد لله[2] .

معانى الحروف فى أوائل السور :

فصل : ولهذه الحروف فى أوائل السور معانٍ جَمَّةٌ وفوائد لطيفة ، وما كان الله تعالى ليُنَزِّل فى الكتابِ مالا فائدة فيه ، ولا ليخاطب نبيَّه وذوى ألبابٍ

(١) هذا من قول الله ، وهى تضرب كل ما ذكر السهيلى عن دلالة الحروف العددية ، وتدمغه بأنه خرف يهودى وقد كذب الواقع ماخرفوا به .

(٢) كيف يجعل من حجته الأساطير والكيد المحموم من أحقاد اليهود ؟ !

. . . .

من صحبه بمالا يفهمون ، وقد أنزله بيانا للناس ، وشفاء لمـا فى الصدور ، ففى تخصيصه هذه الحروف الأربعةَ عَشرَ بالذكر دون غيرها حكمةٌ بل حِـكمٌ ، وفى إنزالها مُقطَّعه على هيئة التَّهجِّى فوائدُ علمية وفقهية ، وفى تخصيصه إياها بأوائل السور ، وفى أن كانت فى بعض السُّورِ ، دون بعضٍ فوائدُ أيضاً ، وفى اقتران الألف باللام ، وتقدمها عليها معانٍ وفوائدُ ، وفى إرداف الألف واللام بالميم تارةً ، وبالراء أخرى ، ولا توجد الألف ، واللام فى أوائل السور ، إلا هـكذا مع تـكررها ثلاثَ عَشرةَ مرة فوائدُ أيضاً ، وفى إنزال الـكاف قبل الهاء ، والهاء قبل الياء ثم العين ثم الصاد من كهيعص[1] معانٍ أكثرُها تنبِّه عليها آياتٌ من الـكتاب ، وتبين المرادَ بها لمن تدبَّرها . والتدبُّرُ والتذكر واجبٌ على أولى الألباب ، والخوضُ فى إيراد هذه المعانى ، والقَصدُ لإيضاح مالاح لى عند الفـكر والنظر فيها ، مع إيراد الشواهد على ذلك من كتاب وأثرٍ وعربية ونظرٍ يُخرجنا عن مقصود الـكتاب وينأى بنا عن موضوعِه والمراد به ، ويقتضى إفرادَ جزء أشرح ما أمكن من ذلك ، ولعله أن يكون ، إن ساعد القدر ؛ والله المستعان ، وهو ولى التوفيق ، لا شريك له .

ذكر تحويل القبلة :

فصل : وذكر تحويلَ القبلة ، وماقالته جماعةُ يَهُودَ حين قالوا : يامحمد ماوَلاَّك عن قبلتك ، وهم السفهاء[2] من الناس ، فيهم نزلت هذه الآية .

---

(١) تقرأ هكذا : كاف هايا عيين صاد .

(٢) يرى الزجاج أن السفهاء هم المشركون ، ويرى مجاهد أنهم أحبار اليهود .

. . . .

وقال : سيقول بلفظ الاستقبال لتقدم العلم القديم بأنهم سيقولون ذلك ، أى : لم آمركم بتحويلها إلا وقد علمت أن سيقولون ما قالوه ، وقد ذكرنا فى حديث الهجرةِ ، قصة البَرَاء بن مَعْرور فوائدَ فى معنى تحويل القبلة ، فلتنظر هنالك(١)

وأنشد فى تفسير الشطر بيت ابن أحمر :

تَغْدو بنا شَطْرَ جَمْعٍ وهى عاقِدَةٌ ... قد قارب العَقْدُ من إيفادِها الحَقَبا

وألفيتُ فى حاشية الشيخ على هذا البيت ما هذا نصه . قال من إيفادها : من إشرافها ، كذا قال محمد بن عبد الله البَرْقِيُّ ، وقال كارَبَ موضعَ قارَبَ ، ووقع فى شعر ابن أحمر :

تَغْدو بنا عُرْضَ جَمْعٍ وهى مُوقِدَةٌ ... قد قارب الغَرْضُ من إيفادِها الحَقَبا

تعدو : من العَدْو بنا وبرحلى : يعنى غلامه . عُرْضَ جَمْع : يعنى مكة ، وعَرْضَ أحب إلى ، وعُرْض : كثرة الناس ، عن الأصمعى ، ومُوفِدةٌ ، أى:

= ويرى السدى أنهم المنافقون . ويقول ابن كثير قولة حق : والآية عامة فى هؤلاء كلهم .

وفى البخارى أنه صلى ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا ، وكذلك فى مسلم وعند ابن أبى حاتم . ويحكى القرطبى فى تفسيره عن عكرمة وأبى العالية والحسن البصرى أن التوجه إلى بيت المقدس كان باجتهاده عليه السلام ، ويرى ابن عباس وغيره أن التوجه كان بأمر الله . وقد سبق ذكر شىء عن هذا .

(١) يقول البيضاوى : وفائدة تقديم الإخبار به : توطين النفس وإعداد الجواب .

. . . .

مشرفة. أوفد : إذا أشرف ، وروى غيره : وهي عاقدة ، يريد عنقها لاويتها(١) والغَرْضُ : البِطَانُ وهو حزام الرَّحْل. من إيفادها ، أي إشرافها، وقد اقتادت : نصبت عُنُقَها وعَصَرَت بذَنبها وتخامصت ببطنها فقرب كلٌّ واحد من الغَرْض والحَقَبِ من صاحبه بذلك. هنا انتهى ما كتبه الشيخ على هذا البيت وأوردته وقبل البيت :

أنشأتُ أسأله عن حال رُفْقَتِه فقال: حَيَّ فإن الركبَ قد نصبا(٢)

ما أنزل الله في بني قينقاع

فصل : وذكر ما أنزل الله سُبحانه في بني قَيْنقاع ، وقولهم للنبي صلى الله عليه وسلم : لو حاربتَنا ، لعلمت أنا نحن الناس : ﴿ قل : للذين كفروا ستُغلبُون ﴾ إلى قوله : ﴿ تَرَوْنَهُم مِثْلَيْهِم رَأْيَ العين ﴾ فمن قرأه : يَرَوْنَهم بالياء ، فمعناه أن الكفارَ يرون المؤمنين مثليهم ، وإن كانوا أقلَّ منهم لما كثَّرهم بالملائكة . فإن قيل : وكيف وهو يقول في آية أخرى : ﴿ ويُقَلِّلُكُم في أعينهم ﴾ قيل : كان هذا قبل القتال عندما حَزَرَ الكفار المؤمنين ، فرأوهم

---

(١) في اللسان : ناقة عاقد : تعقد بذنبها عند اللقاح ، وظبي عاقد : واضع عنقه على عجزه قد عطفه للنوم . وفي شرح السيرة لأبي ذر الخشني : ناقة عاقد : إذا عقدت ذنبها بين فخذيها في أول ما تحمل .

(٢) في اللسان :

أنشأت أسأله ما بال رفقته حي الحمول . فإن الركب قد ذهب

وحي : حث ودعاء .

رفع المسهم

. . . .

قليلا ، فتجاسروا عليهم ثم أمدهم الله بالملائكة ، فرأوهم ، كثيراً فانهزموا ، وقيل : إن الهاء فى يَرَونَهُمْ عائدة على الكفار ، وإن المؤمنين رَأَوْهم مثليهم ، وكانوا ثلاثة أمثالِهم ، فقلَّلهم فى عيون المؤمنين ، وأما من قرأها بالتاء ، فيجوز أن يكونَ الخطابُ لليهود ، أى تَرَوْن المشركين يوم بدر مِثْلِي المؤمنين، وذلك أنهم كانوا ألفاً ، فانخذل عنهم الأخْنَسُ بن شَرِيقٍ ببنى زُهْرَة ، فصاروا سبعمائة أو نحوها ، ويجوز أن يكون الخطاب للمشركين ، أى : ترون أيها المشركون المؤمنين مثليهم ، حين أمدهم الله بالملائكة فيعود الكلام إلى المعنى الأول الذى قدمناه فى قراءة من قرأ بالياء. وفى الآية تَخْليط عن الفَرَّاء أضْربْنا عن ذكره[1] ، وجُلُّ ماذكرناه آنفاً مذكور فى التفاسير بألفاظ مختلفة .

وذكر ابنُ هشام فى الربانيين أنهم العلماء الفقهاء السادة وفى البخارى عن بعض أهل العلم قال: الربانيون الذين يربون الناس بصغار العلم قبل كباره ، وقيل نسبوا إلى علم الرب والفقه فيما أنزل وزيدت فيه الألف والنون لتفخيم الاسم ، وأنشد ابن هشام :

---

(١) ذكر الفراء هذا فى كتابه معانى القرآن ص ١٩٤ ح ١ ط دار الكتب . وقد خطأ القرطبى الفراء فى قوله إن معنى أحتاج إلى مثله أنك محتاج إليه وإلى مثله . قال القرطبى عن هذا إنه بعيد غير معروف فى اللغة .

هذا وقد قرأ نافع ويعقوب: ترونهم . والباقون بالياء . وإذا كان الخطاب لليهود ، فيحتمل أن تكون الإشارة إلى وقائع أخرى حدثت لبنى إسرائيل مثل قصة طالوت مع جالوت . . وقيل : إن الرائين والمرئيين هم المقاتلون فى سبيل الله فالمعنى أنهم يرون أنفسهم مثلى ماهم عليه عددا .

رفع المساهم

. . . .

لو كنتُ مُرْتَهناً فى القُوسِ أفْتَنَنى   منها الـكلامُ وَربَّانِيُّ أحْبارِ

وقال : القُوسِ : الصومعة ، ومن كلام العرب : أنا بالقُوسِ وأنت بالْقَرقُوسِ (١) ، فـكيف نجتمع؟ وقال فى أفتننى : هى لغة تميم ، وفرّق سيبويه بينَ فَتَنْتُه وأفْتَنْتُه ، وجعله من قول الخليل ، قال أفْتَنْـته : صيَّرتهُ مُفْتَتناً أو نحو هذا ، وفَتَنْتهُ ، جعلت فيه فِتْنَةً (٢) ، كما تقول : كَحَلْتُه جعلت فى عينيه كُحْلاً ، ومآلُ هذا الفَرْق إلى أن فَتَنْتُه صَرَفْتُه ، فجاء على وزنه ، لأن المفتونَ مَصْروفٌ عن حَقٍّ ، وأفتنته بمعنى أضْلَلْتهُ وأغْوَيْتهُ ، فجاء على وزن ماهو فى معناه ، وأما فتنت الحديدة فى النار ، فعلى وزن فعلت ، لاغير ؛ لأنها فى معنى : خَبَرْتها ، وبَلَوْتُها ونحو ذلك (٣) .

---

(١) القرقوس : القاع الأملس الغليظ الأجرد الذى ليس عليه شىء . . وقد سبق الـكلام عن هذا فى الجزء الأول . ويرى سيبويه أن العرب زادوا ألفا ونونا فى الربانى ، لأنهم أرادوا تخصيصه بعلم الرب دون غيره ، كأن معناه صاحب علم بالرب دون غيره من العلوم ، وهو كما يقال : رجل شعرانى ولحيانى ورقبانى إذا خص بكثرة الشعر وطول اللحية ، وغلظ الرقبة ، فاذا نسبوا إلى الشعر قالوا : شعرى ، وإلى الرقبة قالوا : رقبى ، وإلى اللحية : لحيى . أقول : وأحسن ما قيل فى تعريفه . العالم العامل المعلم .

(٢) وفى اللسان أيضاً : فتن الرجل بالمرأة ، وافتتن ، وأهل الحجاز يقولون : فتنته المرأة إذا ولهته وأحبها وأهل نجد يقولون : أفتنته . وعند الخشنى: فتن لغة قيس ، وأفتن لغة تميم . ومرتهنا وتروى : مرتهبا .

(٣) فى مفردات الراغب الأصفهانى : أصل الفتن : إدخال الذهب فى النار لتظهر جودته من رداءته . وفى معجم ابن فارس عن مادة الكلمة أنها تدل على ابتلاء واختبار . . وفتنت الذهب بالنار : إذا امتحنته . . وأنكر الأصمعى : =

. . . .

تفسير آناء الليل:

فصل وذكر ابنُ هشام فى تفسير آناءِ الليل ، قال : واحد الآناء إِنْىٌ ، واستشهد عليه بقول الهذلى(١) ، ثم أغرب بما حدثه به يونس ، فقال : ويقال إِنى فيما حدثنى يونس بن حبيب ، وهذا الذى قاله آخراً هو لغةُ القرآنِ ، قال الله تعالى : (غير ناظر بن إِنَاه) .

ذكر جمل من الآيات المنزلة فى قصص الأحبار :

فصل : وذكر ابن إسحاق جُملاً من الآيات المنزلة فى قَصَص الأحبار ومسائلهم كلها واضحة ، والتكلم عليها يخرج عن غرض الكتاب إلى تفسير القرآن ، وفى جملتها قوله تعالى ﴿ أيَّان مُرْسَاها ﴾ وقال الفراء فى أيَّان : هى كلمتان ، جعلت واحدة ، والأصل : أى آن ، والآن والأَوان بمعنى واحد ، كما يقال : رَاح ورَيَاح ، وأنشد :

= أفتن . هذا وبيت جرير الذى فى السيرة هو هكذ فى اللسان :

لا وصل إذ صرفت هند ولو وقفت لاستفتنتنى وذا المسحين فى القوس

وبعده :

قد كنت تربا انا ياهند فاعتبرى ماذا يريبك من شيبى وتقويسى

(١) لبيت المتنخل رواية أخرى فى اللسان هى :

السالك الثغر مخشيا موارده بكل إنى قضاه الليل ينتعل

ورواية السيرة وردت فى اللسان ، وفيها مرته بدلا من شيمته ، وسبق بيان إنى وشيمته : طبيعته .

رفع المسلم

. . . .

نَشَاوَى تَسَاقَوْا بالرَّيَاحِ الْمُفَلْفَلِ (١)

وقد ذكر الهروى فى أيان وجهاً آخر ، قال يجوز أن يكون أصلُه : أَيْوَان فاندغمت الياء فى الواو مثل قُيَّام .

وذكر آية التِّيهِ وحبس بنى إسرائيل فيه أربعين سنةً عقوبةً من الله تعالى لمخالفتهم أمرَه حين فزِعوا من الجبارين لِعظم أجسامهم ، وقال لهم رجلان وهما يُوشَعُ بن نُون من سِبْطِ يوسف ، وكالبُ بن يوفيا من سِبْط يامين (٢) ﴿ ادْخُلوا

---

(١) البيت فى اللسان لامرىء القيس فى مادة ريح وفى مادة أين قال : أنشد أبو القمقام ، وشطرته الأولى :

ورواية الشطرة الثانية فى المقامات بشرح الزوزنى : كأن مكالى الجواء عدية

صبحن سلافا من رحيق مفلفل

والراح والرياح بفتح الراء : الخمر ، وقد أنشد اللسان البيت فى ريح ، وأين . وبقية كلام الفراء أن الآن حرف بنى على الألف واللام ، ولم يخلعا منه .وترك على مذهب الصفة ، لأنه صفة فى المعنى واللفظ . ويرى أن الآن أصلها الأوان ، لحذفت منها الألف ، وغيرت واوها إلى الألف .

(٢) بين القرآن القصة بجلاء لكن لم يرد فيه اسم يوشع وكالب لكن ورد ذكرهما فى أسفار العهد القديم . ويقول الدكتور بوست عن يوشع إنه خليفة موسى ، وهو ابن نون من سبط أفرايم ولد فى مصر ، وكان أولا خادم موسى ، واسمه فى الأصل : هو شع . وكان هــو وكالب الرجلين اللذين تكلما بالحق بخصوص البلاد التى تجسسوها . وانظر سفر الخروج والعدد . وكالب عندهم هو ابن يفنة ــ بفتح الياء وضم الفاء وتضعيف النون مع فتح القنزى أحد الجواسيس الاثنى عشر الذين أرسلهم موسى إلى أرض كنعان . ويجب أن نأخذ ما يقصه علينا بنو إسرائيل بحذر بالغ ، ونقد بصير . وحسبنا قصص القرآن الكريم .

رفع
المسيهم
غفر الله له ولوالديه

. . . .

عليهم البابَ فإذا دخلتموه فإنكم غالبون ﴾ فلما عَصَوْها دعا عليهم موسى ، فتاهوا ، أى تحيروا ، وكانوا ستمائة ألف مقاتل ، فتاهوا فى سِتّةِ فراسِخَ من من الأرض ، يمشون النهار كلَّه ، ثم يُمسون حيث أصبحوا ، ويُصْبحون حيثُ أَمْسَوْا. وفى تلك السنين أنزل عليهم المنُّ والسَّلْوَى ، لأنهم شُغلوا عن المعاشِ بالتِّيه فى الأرضِ ، وأُبقيت عليهم ثيابُهم لاتَخْلَق ، ولا تَتَسَّخ ، وتطول مع الصغير ، إذا طال ، وفيها استسقى لهم موسى ، فأمِرَ أن يأخذَ حجراً من الطُّور ، فيضربه بعصاه ، فانفجرت منه اثنتا عَشْرةَ عينا ، وفيها ظَلَّل عليهم الغَمامُ لأنهم كانوا فى البَرِّيَّة ، فظُلِّلوا من الشمسِ ، وذلك أن موسى كان ندم حين دعا عليهم لما رأى من جهدهم وحيرتهم فى التيه ، فكان يدعو الله لهم فى هذه الأمور ؛ لئلا يهلكوا فى التيه جوعا أو عُرْيًا أو عطَشًا ، فلما آسى عليهم قال الله له : ﴿ لا تَأْسَ على القوم الفاسقين ﴾ أى : الذين فَسَقُوا أى : خرجوا عن أمرِك . ومات فى أيام التيه جميعُ كبارهم إلا يُوشَعَ وكالبَ فما دَخل الأرضَ على الجبارين إلا خُلُوفُهم وأبناؤهم ، وقيل : إن موسى مات فى تلك السنين أيضاً ولم يشهد الفتحَ مع يُوشَعَ ، وقيل : بل كان مع يُوشَع حين افتتحها(١) .

---

(١) أصل قصة التيه فى القرآن . أما هذه التفصيلات ، فمن أسفار بنى إسرائيل .

رفع المسـاهم

ذكر المرجومة من اليهود

فصل : وذكر المرجومة من اليهود ، وأن صاحبها الذى رُجم معها حَنَا عليها بنفسه[1] ليقيَها الحجارةَ. حَنَا بالحاء تقيد فى إحدى الروايتين عن أبى الوليد.

(١) يقول الدكتور بوست فى قاموسه عن الرجم فى العهد القديم « نوع من أنواع العقاب كان كثير الاستعمال لمقاصة المجرمين الأشقياء حتى إذا لم يذكر نوع القصاص فالغالب أنه الرجم ، فكان يرجم المجرمون وعبدة الأصنام ومدنسو البيت ومرتكبو الفحشاء والمتمردون من البنين ، فيخرج بالمجرم إلى خارج المدينة ، وحسب زعم البعض كان يربط ، وأول من يبدأ برجمه الشهود ، والأرجح أنهم كانوا ينزعون ثيابهم لكى يتمكنوا من إجراء العمل بقوة ونشاط » مادة رجم وقد ورد فى سفر التثنية من العهد القديم ما يأتى : « إذا كانت فتاة عذراء مخطوبة لرجل ، فوجدها رجل فى المدينة واضطجع معها ، فأخرجوهما كليهما إلى باب تلك المدينة ، وارجموهما بالحجارة حتى يموتا الفتاة من أجل أنها لم تصرخ فى المدينة ، والرجل من أجل أنه أذل امرأة صاحبه » إصحاح ٢٢ فقرة ٣٢ - ٣٤ . كما ورد فى الإصحاح المتمم للعشرين من سفر اللاويين من العهد القديم ما يأتى : « وإذا زنى رجل مع امرأة ، فإذا زنى مع امرأة قريبة ، فإنه يقتل الزانى والزانية ، وإذا اضطجع رجل مع امرأة أبيه ، فقد كشف عورة أبيه ، إنهما يقتلان كلاهما ، دمهما عليهما ، وإذا اضطجع رجل مع كنته — والكنة امرأة الإبن أو الأخ — فإنهما يقتلان كلاهما ، قد فعلا فاحشة دمهما عليهما ، وإذا اضطجع رجل مع ذكر اضطجاع امرأة فقد فعلا كلاهما رجسا إنهما يقتلان دمهما عليهما ، وإذا اتخذ رجل امرأة وأمها ، فذلك رذيلة بالنار يحرقونه وإياهما لكيلا يكون رذيلة بينكم » وفيه أيضاً أن المرأة التى تزعم أن فيها جانا يجب أن ترجم بالحجارة وكذلك الرجل . . أما الرجم فحكمه لم يرد فى القرآن والزعم بأنه كان ثم نسخ لفظه وبقى حكمه دعوى بلا بينة ، والقرآن حين ذكر حد الزنى فى سورة النور لم يفرق بين محصن وغير محصن بل جاء بالوصف ، ورتب =

. . . .

وكذلك فى الموطأ من رواية يحيى ، فجعل يحنى عليها ، وفى الرواية الأخرى عن أبى الوليد : جَنَأَ بالجيم والهمز ، وعلى هذه الرواية فسره أبو عبيد ، والجناء : الانحناء[1] ، قال الشاعر عَوْفُ بن مُحَلِّم :

وَبدلتنى بالشَّطَاطِ الجْنَا وكُنتُ كالصَّعْدَة تحت السِّنَانِ[2]

وفى حُنُوِّه عليها من الفقه : أنهما لم يكونا فى حُفْرتين ، كما ذهب إليه كثير من الفقهاء فى سُنَّة الرَّجْم ، وكذلك رُوِى عن على رحمه الله ، أنه

= عليه العقوبة ، (الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ، ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) ولكن ورد فى بعض الاحاديث أنه حدث رجم .

(١) فى القاموس : جنأ عليه كجعل وخرج جنوءا ، وجنأ : أكب كأجنأ ، وجانأ ، وتجانأ . وفى النهاية لابن الاثير : أجنأ يجنىء إجناء ، وفى رواية أخرى : فلقد رأيته : يجانىء عليها مفاعلة من جانأ يجانىء .

(٢) أول القصيدة :

يا ابن الذى دان له المشرقان طرا ، وقد دان له المغربان
إن الثمانين وبلغتها قد أحوجت سمعى إلى ترجمان
وبدلتنى بالشطاط الجنا وكنت كالصعدة تحت السنان

وعدة القصيدة فى أمالى القالى : عشرة أبيات ، وسببها أن عوفا دخل على عبد الله بن طاهر ، فسلم عليه عبد الله ، فلم يسمع ، فأعلم بذلك . فزعموا أنه ارتجل هذه القصيدة . . وعوف يكنى أبا محلم أو أبا المنهال ، وهو شاعر مجيد من من شعراء الدولة الهاشمية . والشطاط : حسن القوام والاعتدال ، والصعد : الفتاة المستوية انظر ص ٥٠ ح ١ الامالى ط ٢ و ١٩٨ سمط اللالى للبكرى .

حفر لشَرَاحَةَ بنتِ مالكٍ الْهَمْدَانية حين رَجَمها . وأما الأحاديث فأكثرُها على ترك الحَفْرِ للمرجوم ، واسم هذه المرجومة : بُسْرَةُ فيما ذكر بعض أهل العلم ، وفى قصتهما أنزل الله : ﴿ وكيف يُحَكِّمونك وعِنْدَهم التَّوْرَاةُ ﴾ الآية إلى قوله : ﴿ يحكم بها النبيون الذين أسلموا ﴾ ، يعنى محمداً ، ومَنْ حكم بالرَّجم قبله ، لأنه حكم بالرَّجم لأولئك اليهود الذين تحاكموا إليه ، والرَّبَّانِيُّون . يعنى : عبدَ الله بن سَلَامٍ وابن صُورِى من الأحبار بما اسْتُحْفِظُوا من كتاب الله ، لأنهم حفِظوا أن الرَّجْمَ فى التوراة ، لكنهم بدَّلوا وغيروا ، وكانوا عليه شُهداء ؛ لأنهم شَهِدوا بذلك على اليهود إلى قوله : ﴿ ومن لم يَحْكُمْ بما أنزل الله ﴾ فحكم بالرَّجْم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا يبين لك أن الرَّجْمَ فى القرآن ، وعلى هذا فسره مالكٌ فيما بلغنى ، ولذلك قال عليه السلام للرجلين :لأحْكُمَنَّ بينكما بكتاب الله ،فحكَمَ بالرجم ، كما فى الكتاب المنزَّل على موسى وعلى مُحَمَّد صلى الله عليهما ، وقد قيل فى معنى الحديث أقوالٌ غير هذا ، والصحيح ماذكرنا(١) .

---

(١) روى البخارى ومسلم ومالك وغيرهم أن اليهود جاءوا إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فذكروا له أن رجلا منهم وامرأة زنيا ، فقال لهم رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ما تجدون فى التوراة فى شأن الرجم ؟ فقالوا : نفضحهم ، ويجلدون ، قال عبد الله بن سلام : كذبتم ، إن فيها الرجم ، فأتوا بالتوراة ، فنشروها فوضع أحدهم يده على آية الرجم ، فقرأ ماقبلها وما بعدها ، فقال له عبد الله بن سلام : ارفع يدك ، فرفع فاذا آية الرجم ، فقالوا صدق يا محمد ، فيها آية الرجم ، فأمر بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فرجما ، فرأيت الرجل يحنى على المرأة يقيها الحجارة ، هذا لفظ البخارى . ونستطيع أن نفهم من هذا أن رسول الله « ص » إنما رجع إلى حكم التوراة ، لأنه لم يكن قد نزل حكم =

. . . .

واستشهد ابنُ هشام فى تفسير الجهرة بقول أبى الأخزر الحِمّانِى ، واسمه : قتيبة ، و حِمّانُ هو ابنُ كَعْب(١) بن سَعْدِ بن زَيْدِ مَنَاةِ بنِ تَمِيم ، فقال :

يجهر أفواه المياه السُّدُمُ

يقال : ماءٌ سِدَامٌ إذا غطاه الرمل ، وجمعه : سُدَّم ، وجمعه على سُدُمٍ غريب ، ويقال أيضا سِدَامٌ وأسْدَام(٢) ونحو من قوله يَجْهر قولُ عائشة رضى الله عنها فى أبيها . واجْتَهَرَ لهم عَيْنَ الرَّوَاء(٣) ، وأنشد فى تفسير الفوم وأنه البُرُّ :

= الزنا ، وإلا لبادرهم ببيان حكم الله الذى فى القرآن قبل أن يسألهم عن حكم الله الذى فى التوراة التى يهيمن عليها القرآن . وكل روايات الحديث توحى بهذا المعنى وقصر وصف الربانيين على ابن سلام وابن صورى ، وقصر وصف المسلمين على ما قصره عليه . كل هذا لا دليل عليه . فلم لا يعمم معنى الآية ، فيتناول كل أنبياء بنى إسرائيل الذين حكموا بالتوراة من بعد موسى ، وكل الربانيين ؟ ! ثم أين آية الرجم فى القرآن حتى يصدق ماذهب إليه السهيلى ؟

(١) فى اللباب لابن الأثير : حمان ، وهى قبيلة من تميم ، وهو حمان ابن عبد العزيز بن كعب الخ بزيادة عبد العزيز عما فى الروض .

(٢) فى اللسان : ماء سدم ـ بفتح السين والدال ـ وسدم ـ بفتح فكسر ـ وسدم ـ بضم فضم ـ وسدوم ـ بضم السين والدال ـ مندفق ، والجمع : أسدام وسدام بكسر السين فى هذه ، وقد قيل الواحد والجمع فى ذلك سواء . والرجز فى السيرة : يجهر أجواف .

(٣) فى النهاية لابن الأثير « اجتهر دفن الرواء هو بالفتح والمد : الماء الكثير ، وقيل : العذب الذى فيه للواردين رى » .

رفع
المسلم
عبد الله الجمهور

. . . .

فَوْقَ شِيزَى مثل الجَوَابِى عليها قِطَعٌ كالوَذِيلِ فى نِقْىِ فُومِ

الشِّيزَى : خشب أسود تُصنع منه الجفان [مفردها : جَفْنَة ، وهى القصعة ، والجوابى : جمع جابية : الحوض يُجبى فيه الماء للإبل] ، والوَذِيل : جمع وذيلة وهى السبيكة من الفضة . قال الشاعر :

وتُرِيكَ وَجْهاً كالوَذِيـــلَة لا رَيَّان ممتلىء ولا جَهْم

ومنه قول عمرو بن العاص لمعاوية : أما والله لقد أَلْفَيْتُ أمرَكَ ، وهو أَشَدُّ انفِضَاحاً من حُقِّ الـكَهُول . كذلك رواه الْهَرَوِيُّ ، وقال ابن قتيبة : الْـكَنْهَدَل ، فما زلتُ أَرُمُّه بوذائله ، وأصله ، بوَصائله ، حتى تركته على مثل فَلْـكَة المدر. حُقُّ الـكَهْول : بيت العنـكبوت ، وكما قاله الهروى ، قاله أبو عُمَر الزاهد فى كتاب الياقوت ، كما وقع فى غريب الحديث للقُتَـبِيِّ قاله أبو عبد الله بن القزاز فى الـكتاب الـكبير ، قال : الْـكَنْهَدَلُ: العنكبوت، وقيل فى الْـكَهُول إنه ثَدْى العجوز ، وفى العين: الوذيلة: المِرآة(١) ، وقيل فى الفُوم : إنه الثُّوم ، واختاره ابن قتيبة ، واحتج بأنه فى مُصْحَف عبد الله بن مَسْعود : وثومها ، ولا حجة فى هذا لما ذكره أبو حنيفة فى النبات : أن الثُّومَ ، هو البُرّ ،

---

(١) فى النهاية لابن الأثير عن الكهول : رواها الأزهرى بفتح الكاف وضم الهاء ، وقال : هى العنكبوت ، ورواها الخطابى والزمخشرى بسكون الهاء وفتح الكاف والو و ، وقالا : هى العنكبوت . . وقال القتيبى : أما حق الكهدل ، فلم أسمع فيه شيئا ممن يوثق بعلمه ، بلغنى أنه بيت العنكبوت ، ويقال : إنه ثدى العجوز ، وقيل : العجوز نفسها ، وحقها : ثديها .

. . . .

وأنه يقال بالفاء وبالثاء ، ومن الشاهد على الفُوم وأنه البرُّ قول أبي أُحَيْحَةَ ابن الجُلَاح ، وقيل هو لأبي محْجَنٍ الثَّقَفيِّ :

قد كنت أغنى الناس شخصا واحـــدا
سكن المدينة عن زراعة فُوم(١)

وأنشد في بعض ما فَسَّر بيت الأخطل ، قال : وهو الغَوْثُ بن هُبَيْرَةَ ابن الصَّلْت(٢) ، يُكْنى أبا مالكٍ ، والمعروف : غِيَاثُ بن الغَوْثِ بن هُبَيْرَة ابن الصَّلْت ، وسُمِّي : الأخطل لقوله :

لَعَمْرُكَ إنني وابني جُعَيْل وأُمُّهما لَاسْتَارٌ لَئِيـــمُ

كل أربعة إستارٌ(٣) قيل : إن كعبَ بنَ جُعَيل قال له في خبر جرى بينهما ،

---

(١) نسبه الأخفش إلى أبي محجن ، وروايته في اللسان هكذا :
قد كنت أحسبني كأغنى واحد نزل المدينة عن زراعة فوم

(٢) الأخطل في سمط اللآلي : غياث بن غوث ، وفي ديوانه برواية السكري : غوث بن الصلت بن طارقة بن عمرو بن سيحان بن المذوالس بن عمرو بن مالك بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب ، وفي الأغاني ابن الطارقة ، ويقال : ابن السحيان بن عمرو بن المذولس . وعن المدائني : غوث بن مسلمة بن طارقة انظر ص ٤٤ من السمط .

(٣) وقيل الإستار : رابع أربعة . وقيل هو معرب عن الفارسية ، وأصله جهار ، ويجمع أساتير ، وقال أبو حاتم : ثلاثة أساتر . . ويقول ابن قتيبة عن الأخطل : وسمى الأخطل ، من الخطل ، وهو استرخاء الأذنين . . قال شارحه ابن السيد : لا أعلم أحدا ذكر أن الأخطل كان طويل الأذنين مسترخيهما ، والمعروف أنه لقب الأخطل لبذاءته وسلاطة لسانه ، وذلك أن ابنى

رفع المسـاهم

. . . .

والأخطل يومئذ غلامٌ يقرزِمُ ، أى : كما يَبْتَدِى(١) يقول :

قُبِّحَ ذاكَ الوَجْهُ غِبَّ الحُمّه(٢)

فقالَ الأخطلُ ، ولم يَكُن

وفَعَلَ كعبُ بن جُعَيلٍ أُمَّه(٣)

فقال جُعَيلٌ : إنك لأخطَلُ(٤)

جعيل احتكما إليه مع أمهما ، فقال البيت الذى ذكره السهيلى ، فقيل: إنه لأخطل فلزمه هذا اللقب .

(١) القرزمة : أن يقول الشعر فى أول أمره قبل أن يستحكم طبعه ، وتقوى قريحتـه .

(٢) فى الأغانى : شاهد هذا الوجه الخ ، وفى خزانة الأدب ويل لهذا الوجه

(٣) فى الأغانى : بدل « وفعل » كلمة يقبح ذكرها وقد استبدلها السهيلى ، ولهذا قال : ولم يكن يعنى أن الأخطل ذكرها صريحة .

(٤) الخبر بطوله فى الأغانى ص ٢٨ حـ ٨ ط لبنان ، وانظر خزانة البغدادى ص ٣٠٨ وما بعدها حـ ١ طبع دار العصور .

رفع المسـ هم

تم بحمد الله

الجزء الرابع ويليه الجزء الخامس

ان شاء الله

وأوله : ﴿ ذكر نصارى نجران وما أنزل الله فيهم ﴾

رفع
المسهم
عفا الله عنه

المستهم
فهرست
غفر الله له ولوالديه

فهـــرس

الجزء الرابع من الروض الأنف

س = سيرة . وما ليس أمامه شيء فهو من الروض .

رفع
المستهم
غفر الله له ولوالديه

رفع المسهم

رفع
المسهم
غفر الله له

رفع المسهم

رفع
المستهم
غفر الله له ولوالديه

بعون الله وجميل توفيقه قد تم طبع الجزء الرابع من
كتاب الروض الأنف بمطابع دار النصر ١٣ شارع
سعد الله بالدرب الأحمر - بالقاهرة

جمادى الثانى ١٣٨٩ هـ
أغسطس ١٩٦٩ م

دار النصر

رفع
المسـاهم
غفر الله له ولوالديه

رفع
المسهم
غفر الله له ولوالديه

الروض الأنف

في شرح السيرة النبوية لابن هشام

رفع
المسهم
غفر الله له ولوالديه

الروض الأنف

في شرح السيرة النبوية لابن هشام

للإمام المحدث عبد الرحمن السهيلي

٥٠٨ — ٥٨١ هـ

ومعه

السيرة النبوية للإمام ابن هشام

المتوفى ٢١٨ هـ

الجزء الخامس

تحقيق وتعليق وشرح

عبد الرحمن الوكيل

يطلب من
دار الكتب الإسلامية لصاحبها توفيق عفيفي عامر
١٤ شارع الجمهورية بعابدين - ت ٩١٦١٠٧

المسا هم

١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين محمد صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الأئمة المهتدين .

« وبعد » فهذا هو الجزء الخامس من السيرة وشرحها « الروض الأنف » للامام السهيلي والله وحده أسأل أن يعين على تمامه ؟

عبد الرحمن الوكيل

رفع
المساهم
غفر الله له ولوالديه

رفع المسهم غفر الله له ولوالديه

ذكر نصارى نجران وما أنزل الله فيهم

معنى العاقب والسيد والأسقف

قال ابن إسحاق: وقَدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفدُ نصارى نَجْران، ستون راكبا، فيهم أربعةَ عشرَ رجلاً من أشرافهم، في الأربعة عَشَر منهم ثلاثةُ نفر إليهم يئول أمْرُهم: العاقب، أميرُ القوم وذو رأيهم، وصاحب مَشُورتهم، والذى لا يُصْدِرون إلا عن رأيه، واسمُه: عبد المسيح، والسيد لهم: ثِمَالُهم، وصاحبُ رَحْلهم ومُجْتَمعهم، واسْمُه: الأَيْهَم، وأبو حارثة ابن عَلْقمة، أحدُ بنى بَكْر بن وائل، أُسْقُفُهم وحَبْرهم وإمامهم، وصاحب مِدْراسهم.

منزلة أبى حارثة عند ملوك الروم

وكان أبو حارثة قد شَرُف فيهم، ودَرَس كتبهم، حتى حَسُن علمه فى دينهم، فكانت مُلوكُ الرّوم من النَّصرانيّة قد شرّفوه وموّلوه وأخْدموه، وبَنَوْا له الكنائس، وبَسَطوا عليه الكرامات، لِما يَبْلغهم عنه من علمه واجتهاده فى دينهم.

السبب فى إسلام كرز بن علقمة

فلما رجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من نَجْرانَ، جلس أبو حارثةَ على بَغْلة له موجِّها، وإلى جَنْبه أخٌ له، يقال له: كُوز بن علقمة ــ قال ابن هشام:

ويقال : كُرْز - فعثرت بَغْلةُ أبى حارثة ، فقال كُوز : تَعَسَ الأبْعدُ : يريد :
رسولَ الله صلى الله عليه وسلم . فقال له أبو حارثة : بل أنت تَعَسْتَ ! فقال :
ولِمَ يا أخى ؟ قال : والله إنه لَلنَّبِيُّ الذى كنّا ننتظر ، فقال له كوز : ما يمنعك
منه وأنت تعلم هذا؟ قال : ماصنع بنا هؤلاء القومُ ، شرّفونا ومَوّلونا وأكْرمونا ،
وقد أبَوْا إلا خِلافَه ، فلو فعلتُ نَزَعوا منّا كلّ ما ترى . فأضمر عليها منه
أخوه كوز بن عَلْقمة ، حتى أسلم بعد ذلك . فهو كان يُحدّث عنه هذا الحديث
فيما بلغنى .

رؤساء نجران وإسلام ابن رئيس منهم

قال ابن هشام : وبلغنى أن رؤساء نَجْران كانوا يتوارثون كتباً عندهم .
فكلّما مات رئيسٌ منهم ، فأفضَتِ الرياسةُ إلى غيره ، خَتم على تلك الكُتب
خاتماً مع الخواتم التى كانت قبله ولم يَكْسِرها ، فخرج الرئيسُ الذى كان على
عهد النبىّ - صلى الله عليه وسلم - يَمْشِى ، فعثر ، فقال له ابنُه : تَعَسَ الأبعدُ !
يريد النبىّ - صلى الله عليه وسلم - فقال له أبوه : لا تفعل ، فإنه نبىّ ، واسمُه
فى الوضائع ، يعنى .. الكتب ، فلما مات لم تكن لابنه همّة إلا أن شدّ فكسر
الخواتم ، فوجَد فيها ذكر النبىّ - صلى الله عليه وسلم - فأسلم فحسُن إسلامُه
وحجّ ، وهو الذى يقول :

إليك تَعْدو قَلِقا وَضِينُها ... مُعْتَرِضاً فى بَطْنها جَنِينُها

مُخالفا دِينَ النَّصارى دِينُها

قال ابن هشام : الوضين : الحزام ، حزام الناقة . وقال هشام بن عُروة : وزاد فيه أهلُ العراق :

مُعترضاً في بطنها جَنينُها

فأما أبو عبيدة فأنشدناه فيه .

صلاة النصارى إلى المشرق

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن جَعْفر بن الزبير ، قال : لما قَدِموا على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ المدينة ، فدَخلوا عليه مَسْجده حين صلى العصر ، عليهم ثيابُ الحِبَرات ، جُبَب وأرْدية ، في جمال رجال بني الحارث بن كعب . قال : يقول بعض من رآهم من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم يومئذ : ما رأينا وفداً مِثلهم ، وقد حانت صلاتُهم ، فقاموا في مسجد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يصلُّون ، فقال رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ دعُوهم ؛ فصلوا إلى المشرق .

أسماء وفد نجران ومعتقدهم ومجادلتهم الرسول صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : فكانت تَسْمية الأربعةَ عَشرَ ، الذين يئول إليهم أمرُهم : العاقب ، وهو عبد المسيح ، والسيد وهو الأيْهَم ، وأبو حارثة بن عَلْقمة أخو بني بَكْر بن وائل ، وأوس ، والحارث ، وزيد ، وقيس ، ويزيد ، ونبيه ، وخُويلد ، وعمرو ، وخالد ، وعبد الله ، ويُحَنِّس ، في ستِّين راكبا .

فكلَّم رسولَ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ منهم أبو حارثة بن علقمة ، والعاقب عبد المسيح ، والأيهم السيِّد ـ وهم من النَّصرانية على دين المَلك ، مع اختلاف من أمرهم ، يقولون : هو الله ، ويقولون : هو ولد الله ، ويقولون : هو ثالث ثلاثة . وكذلك قولُ النَّصرانية .

فهم يحتجُّون فى قولهم : « هو اللهُ » بأنه كان يُحْيِى الموتى ، ويُبْرِئ الأسقام ، ويُخبر بالغيوب ، ويَخْلُق من الطين كهيئة الطير ، ثم يَنْفُخ فيه فيكون طائرا ، وذلك كله بأمر الله تبارك وتعالى : ﴿ ولنجعله آيةً للناس ﴾ .

ويحتجُّون فى قولهم : « إنه ولد الله » بأنهم يقولون : لم يكن له أب يعلم ، وقد تكلَّم فى المهد ، وهذا لم يصنعه أحدٌ من ولد آدم قبله .

ويحتجُّون فى قولهم : « إنه ثالثُ ثلاثة » بقول الله : فَعَلْنا ، وأَمَرْنا ، وخَلَقْنا ، وقضينا ، فيقولون : لو كان واحداً ما قال إلا فعلتُ ، وقضيت ، وأمرت ، وخلقت ، ولكنه هو وعيسى ومَرْيم . ففى كل ذلك من قولهم قد نزل القرآن ـ فلما كلَّمه الحَبْران ، قال لهما رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أَسْلِما ، قالا : قد أسلمنا ، قال : إنكما لم تُسْلِما ، فأَسْلِما ، قالا : بلى ، قد أسلمنا قبلك . قال : كذبتُما ، يَمنعكما من الإسلام دعاؤكما لله ولداً ، وعبادتُكما الصليب ، وأكْلُكما الخِنزير ؛ قالا : فمن أبوه يا محمد ؟ فصمت عنهما رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلم يُجبْهما .

تفسير ما نزل من آل عمران فى وفد نجران

فأنزل الله تعالى فى ذلك من قولهم ، واختلاف أمرهم كله ، صَدْرَ سورة آل عِمْران إلى بضع وثمانين آية منها ، فقال جلّ وعزّ : ﴿ الم اللهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ ﴾ . فافتتح السورة بتنزيه نفسه عمّا قالوا ، وتوحيده إياها بالخلق والأمر ، لاشريك له فيه ، ردّاً عليهم ما ابتدعوا من الكفر ، وجعلوا معه من الأنداد ، واحتجاجاً بقولهم عليهم فى صاحبهم ، ليعرّفهم بذلك ضلالتهم ، فقال : ﴿ الم اللهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ ﴾ ليس معه غيره شريك فى أمره ﴿ الحَيُّ القَيُّومُ ﴾ الحىّ الذى لا يموت ، وقد مات عيسى وصُلب فى قولهم . والقيُّوم : القائم على مكانه من سلطانه فى خلقه لا يزول ، وقد زال عيسى فى قولهم عن مكانه الذى كان به ، وذهب عنه إلى غيره . ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الكِتابَ بالحَقِّ ﴾ ، أى بالصدق فيما اختلفوا فيه : ﴿ وأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ والإِنْجِيلَ ﴾ : التوراة على موسى ، والإنجيل على عيسى ، كما أنزل الكتب على من كان قبله : ﴿ وأَنْزَلَ الفُرْقانَ ﴾ ، أى الفصل بين الحقّ والباطل فيما اختلف فيه الأحزابُ من أمر عيسى وغيره ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بآياتِ اللهِ لَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ ، وَاللهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقامٍ ﴾ ، أى : إن الله منتقم ممّن كفر بآياته ، بعد عِلْمه بها ، ومعرفته بما جاء منه فيها : ﴿ إِنَّ اللهَ لا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّماءِ ﴾ ، أى قد علم ما يُريدون وما يَكيدون وما يُضاهون بقولهم فى عيسى ، إذ جعلوه إلهاً وربّاً ، وعندهم من علمه غيرُ ذلك ، غِرَّةً بالله ، وكفراً به . ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحامِ كَيْفَ يَشاءُ ﴾ أى : قد كان عيسى ممن

صُوّر فى الأرحام ، لايدفعون ذلك ولا ينكرونه ، كما صُوّر غيره من ولد آدم ، فكيف يكون إلهاً، وقد كان بذلك المنزل ؟! ثم قال تعالى إنزاها لنفسه ، وتوحيداً لها مما جعلوا معه : ﴿ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ ، العزيز فى انتصاره ممن كفر به إذا شاء ، الحكيم فى حجته وعُذره إلى عباده . ﴿ هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ فيهن حُجّة الربّ ، وعِصْمة العبـاد ، ودَفع الخصوم والباطل ، ليس لهنّ تصريف ولا تحريف عما وُضعن عليه ﴿ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ لهنّ تصريف وتأويل ، ابتلى الله فيهنّ العباد ، كما ابتلاهم فى الحلال والحرام ، ألاّ يُصرفن إلى الباطل ، ولا يُحرّفن عن الحقّ . يقول عزّ وجلّ : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ﴾ ، أى : مَيل عن الهدى ﴿ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ﴾ ، أى ما تصرّف منه ، ليصدّقوا به ما ابتدعوا وأحدثوا ؛ لتكون لهم حجة ، ولهم على ما قالوا شُبهة ﴿ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ ﴾ ، أى : اللبس ﴿ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾ . ذلك على ما ركبوا من الضلالة فى قولهم : خلقنا وقضينا . يقول : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ ﴾ ، أى : الذى به أرادوا ما أرادوا ﴿ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ﴾ فكيف يختلف وهو قولٌ واحد ، من ربّ واحد ؟! ثم ردّوا تأويل المتشابه على ما عرفوا من تأويل المُحكمة التى لا تأويل لأحد فيها إلا تأويل واحـــد ، واتّسق بقولهم الكتاب ، وصدّق بعضُه بعضاً ، فنفذت به الحُجّة ، وظهر به العذر ، وزاح به الباطل ، ودَمغ به الكفر . يقول الله تعالى فى مثل هذا : ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ ﴾ فى مثل هذا ﴿ إِلاَّ أُولُو الأَلْبَابِ ﴾ .

رَبَّنا لا تُزِغْ قُلُوبَنا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنا ﴾ : أى لا تُمل قلوبنا ، وإن مِلْنا بأحداثنا. ﴿ وَهَبْ لَنا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ . ثم قال : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وأُولُو الْعِلْمِ ﴾ بخلاف ما قالوا ﴿ قائماً بالقِسْطِ ﴾ ، أى بالعدل (فيما يريد) ﴿ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ ﴾ ، أى: ما أنت عليه يا محمد : التوحيدُ للربّ ، والتصديق للرسل . ﴿ وَما اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ الْعِلْمُ ﴾ ، أى : الذى جاءك ، أى بأن الله الواحد الذى ليس له شريك ﴿ بَغْياً بَيْنَهُمْ ، وَمَنْ يَكْفُرْ بِآياتِ اللَّهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسابِ * فَإِنْ حاجُّوكَ ﴾ ، أى : بما يأتون به من الباطل من قولهم : خلقنا وفعلنا وأمرنا ، فإنما هى شبهة باطل قد عرفوا ما فيها من الحق ﴿ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ ﴾ ، أى وحده . ﴿ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ، وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ وَالأُمِّيِّينَ ﴾ الذين لا كتاب لهم ﴿ أَأَسْلَمْتُمْ ، فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا ، وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّما عَلَيْكَ الْبَلاغُ ، وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبادِ ﴾ .

ما نزل من القرآن فيما ابتدعته اليهود والنصارى

ثم جمع أهل الكتابين جميعاً ، وذكر ما أحدثوا وما ابتدعوا ، من اليهود والنصارى ، فقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآياتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ ، وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ ﴾ إلى قوله : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مالِكَ الْمُلْكِ ﴾ ، أى : ربَّ العباد ، والملكَ الذى لا يقضى فيهم غيرُه ﴿ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشاءُ ، وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشاءُ ، وَتُعِزُّ مَنْ تَشاءُ ،

وَتُذِلُّ مَنْ تَشاء ، بِيَدِكَ الخَيْرُ ﴾ ، أى: لا إله غيرك ﴿ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَىْء قَدِيرٌ ﴾ ، أى: لا يقدر على هذا غيرك بسلطانك وقدرتك . ﴿ تُولِجُ اللَّيْلَ فى النَّهارِ ، وَتُولِجُ النَّهارَ فِى اللَّيْلِ ، وتُخْرِجُ الحىَّ مِنَ المَيِّتِ ، وتُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحى ﴾ بتلك القدرة ﴿ وتَرْزُقُ مَنْ تَشاء بِغيرِ حِسابٍ ﴾ لا يقدر على ذلك غيرك ، ولا يصنعه إلا أنت ، أى : فإن كنت سلَّطت عيسى على الأشياء التى بها يزعمون أنه إله ، من إحياء الموتى ، وإبراء الأسقام والخلق للطير من الطين ، والإخبار عن الغيوب ، لأجعله به آية للناس ، وتصديقاً له فى نبوته التى بعثته بها إلى قومه ، فإن من سلطانى وقدرتى مالم أعطه تمليكَ الملوك بأمر النبوة ، ووضعها حيث شئت ، وإيلاج الليل فى النهار ، والنهار فى الليل ، وإخراج الحىّ من الميت ، وإخراج الميت من الحىّ ، ورزق من شئت من برّ أو فاجر بغير حساب ؛ فكلّ ذلك لم أسلط عيسى عليه ، ولم أملكه إياه ، أفلم تكن لهم فى ذلك عبرة وبيِّنة ! أن لو كان إلها كان ذلك كلّه إليه ، وهو فى علمهم يهرب من الملوك ، وينتقل منهم فى البلاد ، من بلد إلى بلد .

مانزل من القرآن فى وعظ المؤمنين وتحذيرهم

ثم وعظ المؤمنين وحذرهم ، ثم قال : ﴿ قُلْ : إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ ﴾ ، أى : إن كان هذا من قولكم حقاً ، حباً لله وتعظيما له ﴿ فاتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ اللهُ ، وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ ، أى : مامضى من كفركم ﴿ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ . قُلْ : أَطِيعُوا اللهَ وَالرَّسُولَ ﴾ فأنتم تعرفونه وتجدونه فى كتابكم ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا ﴾ ، أى : على كفرهم ﴿ إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الكافِرِينَ ﴾ .

رفع
المسـاهم
غفر الله له ولوالديه

ما نزل من القرآن فى خلق عيسى

ثم استقبل لهم أمرَ عيسى: (عليه السلام)، وكيف كان بدء ما أراد الله به، فقال: ﴿ إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ، وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ، وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ ثم ذكر أمر امرأة عِمْرَان، وقولها: ﴿ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴾، أى: نذرته فجعلته عتيقا، تعبُّدُه لله، لاينتفع به لشيء من الدنيا: ﴿ فَتَقَبَّلْ مِنِّي، إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ: رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى، وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ، وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى ﴾، أى: ليس الذكر كالأنثى لما جعلتها محرراً لك نذيرة﴿ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ، وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾. يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ، وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا، وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ بعد أبيها وأمها.

قال ابن هشام: كفّلها: ضمّها.

آيات عن زكريا ومريم

قال ابن إسحاق: فذكرها بالنبي، ثم قص خبرها وخبر زكريا، وما دعا به، وما أعطاه؛ إذ وهب له يحيى ثم ذكر مريم، وقول الملائكة وطهرك واصطفاك لها ﴿ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ * يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ يقول الله عز وجل: ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ، وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ ﴾

أى : ما كنت معهم ﴿ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ﴾ .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : أقلامهم : سهامهم ، يعنى قِداحهم التى استهموا بها عليها ، فخرج قِدْح زكريا فضمّها ، فيما قال الحسن بن أبى الحسن البصرى .

دعوى كفالة جريج الراهب لمريم

قال ابن إسحاق : كفَلها هاهنا جُرَيج الراهب ، رجل من بنى إسرائيل نجار ، خرج السهمُ عليه بحَمْلها ، فحملها ، وكان زكريا قد كفَلها قبل ذلك ، فأصابت بنى إسرائيل أزمةٌ شديدة ، فعجز زكريا عن حَمْلها ، فاستهموا عليها أيُّهم يكفُلها ، فخرج السهمُ على جُرَيج الراهب بكفولها فكفَلها : ﴿ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ ، أى : ما كنت معهم إذ يختصمون فيها . يُخْبِره بخفىِّ ما كتموا منه من العِلم عندهم ، لتحقيق نُبوّته والحجّة عليهم بما يأتيهم به مما أخفَوا منه .

ثم قال : ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ : يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ : الْمَسِيحُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ ﴾ ، أى : هكذا كان أمره ، لا كما تقولون فيه ﴿ وَجِيهًا فِى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾ أى عند الله ﴿ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ * وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِى الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ يخبرهم بحالاته التى يتقلب فيها فى عُمره ، كتقلُّب بنى آدم فى أعمارهم ، صغارا وكبارا ، إلا أن الله خصه

بالكلام فى مَهْده آيةً لنبوّته ، وتَعْريفا للعباد بمواقع قُدْرته . ﴿ قالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِى وَلَدٌ ولَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ؟ قالَ كَذَلِكِ اللهُ يَخْلُقُ مايَشاءُ ﴾ ، أى يصنع ما أراد ، ويخلُق مايشاء من بشر أو غير بشر ﴿ إِذَا قَضَى أَمْرًا فإنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ ﴾ مما يشاء وكيف شاء ، ﴿ فَيَكُونُ ﴾ كما أراد .

ما نزل من القرآن فى بيان آيات عيسى عليه السلام

ثم أخبرها بما يريد به ، فقال : ﴿ وَيُعَلِّمُهُ الكِتابَ والحِكْمَةَ والتَّوْرَاةَ ﴾ التى كانت فيهم من عَهْد موسى قبله ﴿ والإِنْجِيلَ ﴾ ، كتابا آخر أحدثه الله عزّ وجلّ إليه لم يكن عندهم إلا ذِكْره أنه كائن من الأنبياء بعده ﴿ وَرَسُولاً إِلى بَنِي إِسْرائيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُمْ بآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ ، أى يحقّق بها نبوّتى ، أنّى رسول منه إليكم ﴿ أَنِّى أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللهِ ﴾ الذى بعثنى إليكم ، وهو ربى وربُّكم ﴿ وأُبْرِئُ الأَكْمَهَ والأَبْرَصَ ﴾ .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : الأكمه : الذى يولد أعمى . قال رؤبة بن العجّاج :

هَرَّجتُ فارتدَّ ارتدادَ الأكْمَهِ

(وجمعه : كُمْه) . قال ابن هشام : هرّجت : صحت بالأسد ، وجلبتُ عليه . وهذا البيت فى أرجوزة له .

﴿ وأُحْيِي المَوْتَى بإِذْنِ اللهِ ، وأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ، إِنَّ فِى ذلكَ لآيَةً لَكُمْ ﴾ أنى رسول الله من الله إليكم ﴿ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ . وَمُصَدِّقًا لِمَا بينَ يَدَىَّ مِنَ التَّوْرَاةِ ﴾ ، أى لما سبقنى عنها ﴿ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ ، أى أخبركم به أنه كان عليكم حراما فتركتموه ، ثم أحله لكم تخفيفا عنكم ، فتصيبون يسره وتخرجون من تباعاته ﴿ وَجِئْتُكُمْ بآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ ، فاتَّقُوا اللهَ وأَطِيعُونِ . إِنَّ اللهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ ﴾ أى تبريا من الذين يقولون فيه ، واحتجاجا لربه عليهم ، ﴿ فاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ ، أى هذا الذى قد حملتكم عليه وجئتكم به . ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الكُفْرَ ﴾ والعدوان عليه ، ﴿ قالَ مَنْ أَنْصَارِى إلى اللهِ ؟ قالَ الحَوَارِيُّون نَحْنُ أَنْصارُ اللهِ آمَنَّا باللهِ ﴾ هذا قولهم الذى أصابوا به الفضل من ربهم ﴿ وَاشْهَدْ بأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ لا ما يقول هؤلاء الذين يحاجونك فيه ﴿ رَبَّنا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فاكْتُبْنا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ ، أى هكذا كان قولهم وإيمانهم .

رفع عيسى عليه السلام

ثم ذكر (سبحانه وتعالى) رفعه عيسى إليه حين اجتمعوا لقتله ، فقال : ﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللهُ واللهُ خَيْرُ المَاكِرِينَ ﴾ . ثم أخبرهم ورد عليهم فيما أقروا لليهود بصلبه ، كيف رفعه وطهره منهم ، فقال : ﴿ إِذْ قالَ اللهُ يا عِيسَى إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ ، ومُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ ، إذ هموا منك بما هموا ﴿ وَجاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلى يَوْمِ القِيامَةِ ﴾ .

. . . .

رفع المسهم

ثم القصة ؛ حتى انتهى إلى قوله : ﴿ ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ ﴾ يا محمد ﴿ مِنَ الآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴾ القاطع الفاصل الحق ، الذى لا يخالطه الباطل ، من الخبر عن عيسى ، وعمَّا اختلفوا فيه من أمره ، فلا تقبلنَّ خبراً غيره . ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ ﴾ فاستمع ﴿ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ . الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ﴾ ، أى ماجاءك من الخبر عن عيسى ﴿ فَلا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ ، أى قد جاءك الحقّ من ربك فلا تمترينّ فيه ، وإن قالوا : خُلق عيسى من غير ذَكر فقد خلقتُ آدم من تراب ، بتلك القدرة من غير أنثى ولا ذَكر ، فكان كما كان عيسى لحما ودما ، وشَعْراً وبشراً ، فليس خَلْق عيسى من غير ذَكر بأعجب من هذا . ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَاجَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ﴾ ، أى من بعد ماقصصتُ عليك من خبره ، وكيف كان أمره ، ﴿ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ ، وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ، ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : قال : أبو عُبيدة : نَبْتَهِل : ندعُو باللعنة ، قال أعشى بنى قيس بن ثعلبة :

لا تَقْعُدَنَّ وَقَدْ أَكَّلْتَها حَطَبا   نَعوذُ من شرِّها يوْما ونَبْتَهِل

وهذا البيت فى قصيدة له . يقول : ندعو باللعنة . وتقول العرب : بَهَل الله فلانا ، أى لعنه ، وعليه بَهْلة الله . (قال ابن هشام) : ويقال : بُهلة الله ، أى لعنة الله ، ونبتهل أيضا : نجتهد ، فى الدعاء .

قال ابن إسحاق : ﴿ إِنَّ هَذَا ﴾ الذى جئتُ به من الخبر عن عيسى ﴿ لَهُوَ القَصَصُ الحَقُّ ﴾ من أمره ﴿ وَما مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ اللهُ ، وَإِنَّ اللهَ لَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ * فانْ تَوَلَّوْا ، فإنَّ اللهَ عَلِيمٌ بالمُفْسِدِينَ * قُلْ يا أَهْلَ الكِتابِ تَعالَوْا إلى كَلِمَةٍ سَواءٍ بَيْنَنا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللهَ ، وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا ، وَلا يَتَّخِذَ بعضنا بَعْضًا أَرْبابًا مِنْ دُونِ اللهِ ، فإنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ . فدعاهم إلى النَّصَف ، وَقَطَعَ عنهم الحجة .

إباؤهم الملاعنة

فاما أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم الخبرُ من الله عنه ، والفصلُ من القضاء بينه وبينهم ، وأُمِر بما أُمر به من مُلاعنتهم إنْ ردّوا ذلك عليه ، دعاهم إلى ذلك ؛ فقالوا له : يا أبا القاسم ، دَعْنا نَنظر فى أمرنا ، ثم نأتيك بما نريد أن نفعل فيما دعوتنا إليه . فانصرفوا عنه ، ثم خَلَوْا بالعاقِب ، وكان ذا رأيهم ، فقالوا : ياعبدَ المسيح ، ماذا ترى ؟ فقال : والله يا معشر النصارى لقد عرَفتم إن محمداً لنبىّ مُرْسل ، ولقد جاءكم بالفَصْل من خَبر صاحبكم ، ولقد عَلِمتم مالاعَن قومٌ نبيًّا قطُّ فَبقى كبيرُهم ، ولا نَبت صغيرُهم ، وإنه للاستئصالُ منكم إن فعلتم ، فان كنتم قد أبيتم إلا إلف دينكم ، والإقامة على ما أنتم عليه من القول فى صاحبكم ، فوادِعوا الرجلَ ، ثم انصرفوا إلى بلادكم . فأتَوْا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا أبا القاسم ، قد رأينا ألاّ نُلاعِنك ، وأن نَتركك على دينك ونرجع على ديننا ، ولكن ابعث معنا رجلاً من

أصحابك ترضاهُ لنا ، يحكم بيننا فى أشياء اختلفنا فيها من أموالنا ، فإنكم عندنا رضاً .

تولية أبى عبيدة أمورهم

قال محمدُ بن جعفر : فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : ائتونى العشيّةَ أبعثْ معكم القوىّ الأمين . قال : فكان عمرُ بن الخطّاب يقول : ما أحببتُ الإمارةَ قطُّ حُبّى إياها يومئذ ، رجاءَ أن أكون صاحبَها ، فرُحْتُ إلى الظُّهر مهجِّراً ، فلما صلى بنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الظهرَ سلَّمَ ، ثم نظر عن يمينه وعن يساره ، فجعلت أتطاول له ليرانى ، فلم يزلْ يلتمس ببصره حتى رأى أبا عُبيدة ابن الجرّاح ، فدعاه فقال : اخرُج معهم ، فاقضِ بينهم بالحقّ فيما اختلفوا فيه. قال عمر : فذهب بها أبو عُبيدة .

نبذ من ذكر المنافقين

ابن أبى وابن صيفى

قال ابن إسحاق : وقَدِم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ — كما حدثنى عاصمُ بن عمر بن قتادَةَ — وسيّدُ أهلها عبدُ الله بن أُبَىّ ابن سَلول العَوْفى ثم أحدُ بنى الحُبْلَى ، لا يختلف عليه فى شرَفه اثنان ، لم تجتمع الأوس والخزرج قبله ولا بعده على رجل من أحد الفريقين ، حتى جاء الإسلام ، غيره ، ومعه فى الأوس رجلٌ ، هو فى قومه من الأوس شريفٌ مُطاع ، أبو عامر عبد عمرو بن صَيْفىّ بن النُّعمان ، أحدُ بنى ضُبَيعة بن زيد ، وهو أبو حَنْظلة ،

الغسيل يوم أُحُد ، وكان قد ترهَّب فى الجاهليَّة ولَبِس المُسوح ، وكان يُقال له : الراهب . فشَقِيا بشرفهما وضرّهما .

إسلام ابن أُبَىّ

فأما عبدالله بنُ أُبَىّ فكان قومُه قد نظَموا له الخَرَز ليتوّجوه ، ثم يُمَلِّكوه عليهم ، فجاءهم الله تعالى برسوله صلى الله عليه وسلم ، وهم على ذلك . فلما انصرف قومُه عنه إلى الإسلام ضغِن ، ورأى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استلبه مُلْكا . فلما رأى قومَه قد أبَوْا إلا الإسلام دخلَ فيه كارها مُصِرّاً على نفاق وضِغْن .

إصرار ابن صيفى على كفره

وأما أبو عامر فأبى إلا الكُفْر والفراقَ لقومه حين اجتمعوا على الإسلام ، فخرج منهم إلى مكة ببضْعة عشَر رجلا مفارقا للإسلام ولرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ كما حدثنى محمدُ بن أبى أمامة عن بعض آل حَنْظلة بن أبى عامر : لاتقولوا الراهب ولكن قولوا : الفاسق .

ما نال ابن صيفى جزاء تعريضه بالرسول صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : وحدثنى جعفرُ بن عبد الله بن أبى الحكَيم ، وكان قد أدرك وسَمِع ، وكان راويةً : أن أبا عامر أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حين قَدِم المدينة ، قبل أن يخرج إلى مكة ، فقال : ماهذا الدّين الذى جئتَ به ؟

فقال : جئتُ بالحنيفية دينِ إبراهيم ، قال : فأنا عليها ؛ فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إنك لستَ عليها ؛ قال : بلى ، قال : إنك أدخلتَ يامحمد فى الحنيفية ماليس منها ، قال : مافعلتُ ، ولكنى جئت بها بيضاء نقية ؛ قال: الكاذبُ أماته اللهُ طريداً غريبا وحيداً – يعرّض برسول الله صلى الله عليه وسلم – أى أنك جئتَ بها كذلك . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أجل، فمن كَذب فعل الله تعالى ذلك به . فكان هو ذلك عدوّ الله ، خرج إلى مكة، فلما افتتح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مكةَ خَرج إلى الطائف . فلما أسلم أهلُ الطائف لَحِق بالشام . فمات بها طريداً غريبا وحيداً .

الاحتكام الى قيصر فى ميراثه

وكان قد خرج معه عَلْقمة بن عُلاثة بن عَوف بن الأحْوص بن جعفر بن كلاب ، وكنانة بن عبد ياليل بن عمرو بن عمير الثقفى ، فلما مات اختصما فى ميراثه إلى قيصر ، صاحب الرُّوم . فقال قيصر : يرث أهلُ المَدَر أهلَ المدر ، ويرث أهلُ الوَبر أهلَ الوبر ، فوَرِثه كنانةُ بن عبد ياليل بالمَدر دون عَلْقمة .

هجاء كعب لابن صيفى

فقال كعبُ بن مالك لأبى عامر فيما صنع :

مَعاذَ الله من عَملٍ خَبيث ... كَسعْيك فِى العَشيرة عبد عَمْرو
فإما قُلتَ لى شَرفٌ ونَخْلٌ ... فقِدْماً بعتَ إيمانا بكُفْر

قال ابن هشام : ويروى :

فإما قلت لى شرفٌ ومالٌ

قال ابن إسحاق : وأما عبدُ الله بن أُبَىّ فأقام على شرفه فى قومه متردّداً، حتى غَلبه الإسلامُ ، فدخل فيه كارها .

خروج قوم ابن أبى عليه وشعره فى ذلك

قال ابن إسحاق : فحدثنى محمد بن مُسلم الزُّهرىّ ، عن عُروة بن الزُّبير ، عن أسامة بن زَيد بن حارثة ، حبّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : ركبَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى سَعْد بن عُبادة يعوده من شَكْوٍ أصابه على حمار عليه إكاف ، فوقه قَطيفة فَدكية مُخْتَطمة بحبل من ليف ، وأرْدَفنى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خَلْفَه قال : فمرّ بعبد الله بن أُبَىّ ، وهو (فى) ظل مُزَاحمٍ أُطُمِه .

قال ابن هشام : مزاحم : اسم الأُطُم .

قال ابن إسحاق : وحوله رجالٌ من قومه . فلما رآه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم تَذَمم من أن يجاوزه حتى ينزل فنزل فسلم ثم جلس قليلا فتلا القرآن ودعا إلى الله عزّ وجلّ ، وذكر بالله وحذّر ، وبشر وأنْذر قال : وهو زامٌّ لا يتكلم ، حتى إذا فرغ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من مَقالته ، قال : ياهذا ، إنه لا أحْسَن من حديثك هذا إن كان حقا فاجلس فى بَيْتك فمن جاءك له فحدّثه إياه ، (و) من لم يأتك فلا تَغُتَّه به ، ولا تأته فى مجلسه

رفع
المسلم
عزالله البطالي

بما يَكره منه . قال : فقال عبدُالله بن رَواحة فى رجال كانوا عنده من المسلمين: بَلى ، فاغشَنا به ، وائتنا فى مجالسنا ودُورنا وبُيوتنا ، فهو والله مما نحبّ ومما أكرمنا الله به وهدانا له ، فقال عبد الله بن أبىّ حين رأى من خلاف قومه ما رأى :

متى ما يكُن مَولاك خصمُك لا تزل ... تَذِلّ وَيَصرعْك الذين تُصارِعُ

وهل يَنْهض البازى بغير جَناحه ... وإن جُذّ يومًا رِيشُه فهو واقع

قال ابن هشام : البيت الثانى عن غير ابن إسحاق .

غضب الرسول صلى الله عليه وسلم من كلام ابن أبىّ

قال ابن إسحاق : وحدثنى الزُّهرىّ ، عن عُروة بن الزّبير ، عن أسامة ، قال: وقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فدخل على سَعْد بن عُبادة ، وفى وجهه ما قال عدوّ الله ابن أُبَىّ ، فقال : والله يارسول الله إنى لأرى فى وَجْهك شيئا ، لكأنك سَمِعْتَ شيئا تكرهه ؟ قال : أجل ثم أخْبره بما قال ابنُ أُبَىّ : فقال سعدُ : يارسولَ الله ، ارفُق به ، فوالله لقد جاءنا الله بك ، وإنا لَنَنظِمُ له الخرز لنتوّجه ، فوالله إنه ليرى أن قد سلبته مُلكا .

. . . : . . . .

ذكر من اعتل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

مرض أبي بكر وعامر وبلال وحديث عائشة عنهم

قال ابن إسحاق : وحدثنى هشام بن عروة ، وعُمَر بن عبد الله بن عُروة ، عن عُروة بن الزُّبير ، عن عائشة رضى الله عنها ، قالت : لما قَدم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، قدِمها وهى أوْبأ أرضِ الله من الُحمَّى ، فأصاب أصحابَه منها بَلاء وسُقم ، فصرف الله تعالى ذلك عن نبيِّه صلى الله عليه وسلم . قالت فكان أبو بكر ، وعامر بن فُهيرة ، و بلال ، مَوْليا أبى بكر ، مع أبى بكر فى بيت واحد ، فأصابتهم الحمى ، فدخلتُ عليهم أعُودهم ، وذلك قبل أن يُضْرب علينا الحِجاب ، وبهم مالا يعلمه إلا الله من شدّة الوَعْك فدنوتُ من أبى بكر فقلتُ له كيف تَجِدُك يا أبت ؟ فقال :

كلّ امرىء مُصَبَّح فى أهْـله   والموتُ أدْنى من شِراك نَعْلِه

قالت : فقلت : والله مايدرى أبى ما يقول . قالت : ثم دنوتُ إلى عامر ابن فُهَيْرَة فقلت له كيف تجدُك ياعامر ؟ فقال :

لقـد وجـدتُ الموتَ قبل ذَوْقِه   إنّ الجبان حتفُه من فَوْقه

كلّ امرئ مجاهد بطَوْقه   كالثَّور يَحْمى جِلْده بِرَوْقه

يريد : بطاقته ، فيما قال ابن هشام : قالت : فقلت : والله مايدرى عامر

ما يقول ! قالت وكان بلال إذا تركته الحمَّى اضطجع بفناء البيت ، ثم رفع عقيرته فقال :

ألا ليتَ شِعْرى هل أبيتنّ ليلةً بفَجٍّ وحولى إذْخرٌ وَجليل
وهل أرِدَنْ يوما مياهَ مجنَّةٍ وهل يَبْدُونَ لى شامةٌ وَطفِيل

قال ابن هشام : شامة وطَفيل : جبلان بمكة .

دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم بنقل وباء المدينة إلى مهيعة

قالت عائشة رضى الله عنها : فذكرتُ لرسول الله صلى الله عليه وسلم ماسمعتُ منهم ، فقلت : إنهم لَيهْذُون وما يَعْقِلُونَ من شدة الحمى . قالت : فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : اللهمّ حبِّب إلينا المدينة كما حبّبتَ إلينا مكة ، أو أشدّ ، وبارك لنا فى مُدّها وصاعها وانقل وباءها إلى مَهْيَعةَ، ومَهْيَعَةُ : الُجحْفة .

ماجهد المسلمين من الوباء

قال ابن إسحاق : وذكر ابن شهاب الزهرى ، عن عبد الله بن عَمْرو بن العاصى : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم لما قَدِم المدينة هو وأصحابه أصابتهم حُمَّى المدينة ، حتى جُهِدوا مرضا ، وصرف الله تعالى ذلك عن نبيِّه صلى الله عليه وسلم ، حتى كانوا مايصلُّون إلا وهُمْ قعود ، قال : فخرج عليهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وهم يصلُّون كذلك ، فقال لهم : اعلموا أن صلاةَ القاعد

على النِّصْف من صلاة القائم. قال: فتجشم المُسلمون القيامَ على مابهم من الضَّعْف والسُّقْم التماسَ الفضل.

بدء قتال المشركين

قال ابن إسحاق: ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم تهيَّأ لحربه، قام فيما أمَرَه الله به من جهاد عدوّه، وقِتال مَنْ أمره الله به ممَّن يَليه من المُشركين، مُشركى العَرب، وذلك بعد أن بعثه الله تعالى بثلاث عشرة سنة.

ذكر نصارى نجران وما أنزل الله فيهم

قد تقدَّم أن نجرانَ عُرِفت بنَجْرَانَ بنِ زيْدِ بن يَشْجُبَ بنِ يَعْرُبَ بنِ قَحطَانَ، وأما أهلها فهم: بنو الحارث بن كعب من مَذْحِج.

:أو بل كن فيكون:

ذكر فيه قولهم للنبي صلى الله عليه وسلم: مَنْ أبوه يا محمد، يعنون عيسى، فأنزل الله تعالى ﴿إن مَثَلَ عيسىَ عندَ الله﴾ إلى قوله: ﴿كن فيكون﴾ وفيها نُكْتَة، فإن ظاهرَ الكلام أن يقول: خلقه من تراب، ثم قال له: كُن فكان، فيعطف بلفظ الماضى على الماضى، والجواب: أن الفاء تعطى التَّعْقيبَ والتَّسْبيبَ، فلو قال: فكان لم تدل الفاء إلا على التسبيب، وأن القولَ سَبَبٌ للكَوْن، فلما جاء بلفظ الحال دَلَّ مع التسبيب على استعقاب الكون للأمْر من غير مَهَل، وأن الأمْرَ بين الكاف والنون، قال له: كُنْ فإذا

هو كائنٌ ، واقتضى لفظُ نقلَ الحالِ كَونَهُ فى الحال، فإن قيل وهى مسألة أخرى : إن آدم مكث دهراً طويلا[١] ، وهو طين صَلْصالٌ ، وقوله لشىء : كن فيكون يقتضى التعقيب ، وقد خلق السموات والأرضَ فى ستة أيام ، وهى ستة آلافِ سنةٍ[٢] ، فأين قوله . كن فيكون من هذا ؟

فالجواب : ما قاله أهلُ العلم فى هذه المسألة ، وهو أن قول البارى سبحانه : كن يتوجه إلى المخلوقِ مُطْلقا ومقيدا ، فإذا كان مطلقا كان كما أراد لحينه ، وإذا كان مقيدا بصفة أو بزمان كان كما أراد على حسب ذلك الزمان الذى تقيد الأمر به ، فإن قال له : كن فى ألفِ سنة ، كان فى ألف سنة ، وإن قال له : كن فيما دون اللحظة كان كذلك .

تأويل آيات محكمات :

فصل . وذكر حديث سورة آلِ عمرانَ ، وفسّر منه كثيرا ، فمنه قوله سبحانه : ﴿ منه آياتٌ مُحْكَمَاتٌ ﴾ وهو مالا يحتمل إلا تأويلا واحدا ، وهو عندى من أحكَمْتُ الفرسَ بحَكَمَتِهِ ، أى : منعته من العُدولِ عن طريقه كما قال حسان :

---

(١) من أين جاء بهذا ؟

(٢) لم يرد بهذا حديث صحيح . ولابن كثير تفسير لقوله تعالى : وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون ، أى : هو تعالى لا يعجل ، فإن مقدار ألف سنة عند خلقه كيوم واحد بالنسبة إلى حلمه لعلمه بأنه على الانتقام قادر ، وأنه لايفوته شىء ، وإن أمهل وأنظر وأملى ، وهو تفسير جيل يدفع القول بأن اليوم يساوى ستة آلاف سنة ، وثمت أحاديث تدل على أنها ستة أيام بأيامنا هذه . وخير للمسلم أن يقف عند الذى ذكر فى القرآن .

. . . .

ونُحكِم بالقَوافي مَنْ هجانا

أي : نُناجمه فنمنعه ، وكذلك الآية المُحكمة لا تتصرف بقارئها التأويلاتُ ، ولا تتعارض عليه الاحتمالاتُ ، وليس من لفظ الحِكمة ، لأن القرآنَ كلَّه حِكمةٌ وعِلم . والمتشابهُ يميل بالناظر فيه إلى وجوه مختلفة ، وطرق متباينة ، وقوله سبحانه : ﴿ كتابٌ أُحكِمت آياتُه ﴾ هذا من الحِكمة ومن الإحكام الذى هو الإتقانُ ، فالقرآن كلُّه مُحكَمٌ على هذا ، وهو كله من هذا الوجه مُتشابِهٌ أيضاً ، لأن بعضَه يُشبه بعضا فى بَراعةِ اللفظ ، وإعجاز النظم ، وجَزالة المعنى ، وبدائع الحِكمة ، فكُلُّه مُتشابِهٌ وكُلُّه مُحكم ، وعلى المعنى الأول: ﴿ منه آياتٌ مُحكَماتٌ ﴾ ﴿ وأُخَرُ مُتشابِهاتٌ ﴾ فأهل الزَّيغ يَعطِفون المُتشابِه على أهوائهم ويُجادلون به عن آرائهم ، والراسخُون فى العِلم يَرُدُّون المتشابه إلى المحكم أخذاً بقول الله تعالى : ﴿ فإن تنازَعتُم فى شَيْءٍ فرُدُّوه إلى اللهِ والرسول ﴾ وعِلماً بأن الكُلَّ من عندِ الله ، فلا يخالف بعضُه بَعضاً .روت عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى : ﴿ فأمّا الذين فى قُلوبِهِمْ زيغٌ فيَتَّبِعُون ماتشابه منه ابتغاءَ الفِتْنَةِ وابتِغاءَ تأويلِهِ ﴾ قال : إذا رأيتم الذين يُجادِلون فيه ، فهم أولئك فاحذروهم(١) : وللسلفِ فى معنى

(١) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى وابن ماجة وأحمد ولفظ البخارى عن عائشة قالت : « تلا رسول الله «ص» هذه الآية (هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات) إلى قوله : (وما يذكر إلا أولوا الألباب) قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فاذا رأيتم الذين يتبعون ماتشابه منه ، فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم »

. . . .

المُحْكم ومعنى المتشابه أقوال متقاربة ، إلا أن منهم من يرى الوقفَ على قوله: ﴿ وما يعلم تأويله إلا الله ﴾ ويرونه تمام الكلام ، ويحتجون بقراءة ابن عباس ويقولُ الرّاسِخُون فى العِلْم(١) ، وهو قول عمر بن عبد العزيز أن الراسخين فى العلم لايعلمون التأويل ، وإن عَلِمُوا التفسير . والتأويلُ عند هؤلاء غيرُ التفسير ، إنما هو عندهم فى معنى قوله سبحانه : ﴿يوم يأتى تأويلُه﴾ (٢) وطائفةٌ

(١) لا يعتد بمثل هذه القراءات التى لا ترد عن طريق سند صحيح قوى .

(٢) التأويل : تفعيل من آل يئول إلى كذا إذا صـار إليه ، فالتأويل : التصيير ، وأولته تأويلا : إذا صيرته إليه . وتسمى العاقبة : تأويلا ، لأن الأمر يصير إليها ، وتسمى حقيقة الشىء المخبر به تأويلا لأن الأمر ينتهى إليه ، ومنه قوله تعالى : (هل ينظرون إلا تأويله) فجىء تأويله مجىء نفس ما أخبرت به الرسل من اليوم الآخر والمعاد وتفاصيله والجنة والنار ، وتسمى العلة الغائية والحكمة المطلوبة بالفعل تأويلا لأنها بيان لمقصود الفاعل ، وغرضه من الفعل الذى لم يعرف الرائى له غرضه به ، ومنه قول الخضر لموسى : (سأنبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبرا) . فالتأويل فى كتاب الله المراد منه : حقيقة المعنى الذى يئول إليه اللفظ ، وهى الحقيقة الموجودة فى الخارج ، فإن الكلام نوعان ، خبر وطلب فتأويل الخبر هو الحقيقة ، وتأويل الوعد والوعيد هو نفس الموعود والمتوعد به وتأويل ما أخبر الله به من صفاته العلى ، وأفعاله نفس ماهو عليه سبحانه ، وماهو موصوف به من الصفات العلى . وتأويل الأمر هو نفس الأفعال المأمور بها وأما التأويل فى اصطلاح أهل التفسير والسلف من أهل الفقه والحديث فمرادهم به معنى التفسير والبيان . وأما المعتزلة والجهمية وغيرهم من المتكلمين ، فمرادهم بالتأويل : صرف اللفظ عن ظاهره ، وهو معنى للتأويل لا يوجد فى لغة القرآن انظر ص ١٠ حـ ١ مختصر الصواعق المرسلة للامام ابن القيم ط السلفية المكية سنة ١٣٤٨ هـ وإذا كان التأويل بمعنى الحقيقة الموجودة فى الخارج وكان بالنسبة =

رفع المسهم

. . . .

يرون أن قوله : والراسخونَ مَعْطُوفٌ على ماقبله ، وأنهم عالمون بالتأويل ، ويحتجون بما يطول ذكره من أثر ونظر ، والذى أرتضيه من ذلك مذهبٌ ثالث ، وهو الذى قاله ابن إسحاق فى هذا الكتاب ، ومعناه كلُّه أن الكلامَ قدتَمَّ فى قوله : ومايعلم تأويلَه إلا اللهُ . والراسخون فى العلم : مبتدأٌ ، لكن لانقول : إنهم لايعلمون تأويله . كما قالت الطائفة الأولى ، ولكن نقول : إنهم يَعْلَمُونه بِرَدِّ المتشابه إلى المُحْكم ، وبالاستدلال على الخَفِىِّ بالجَلِىِّ ، وعلى المختلف فيه بالمُتَّفَقِ عليه ، فَتَنْفُذ بذلك الحُجَّةُ ، ويُزَاحَ الباطل ، وتعظم درجةُ العالم عند الله تعالى ، لأنه يقول : آمنت به كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّى فكيف يختلف ؟ ! وإما كان العِلْمان مختلفين : عِلْم الله ، وعِلْمُ الراسخين فى العِلْم لم يَجُزْ عطفُ : « الراسخون » على ماقبله ، فالله يعلم تأويله العِلْم القَديم (١)

= لصفات الله وأسمائه ، هو نفس ما هو عليه سبحانه ، وماهو موصوف به من الصفات ، فإن أحدا لايعلم شيئا من هذا . ولايستطيعه حتى الراسخون فى العلم . أما إذا كان بمعنى التفسير والبيان ، فالراسخون يعلمون ، كتفسير الاستواء بعلو العلى الغفار ، وإذا كان التأويل بمعنى صرف اللفظ عن ظاهره بقرينة مزعومة فهو معنى باطل كتأويل الاستواء بالاستيلاء ، وخرج صاحب هذا التأويل فى زعمه من شنيع إلى ماهو أشد شناعة وغلظا فيها ، وما فى إخبار الله عن نفسه بأنه استوى أثارة من شناعة ، وإلا حكمنا على ربنا بأنه لا يحسن البيان ، أو بأنه يخبر عن نفسه بماليس لوجوده أولمعناه حقيقة ، أو يخبر عن نفسه بما فيه شناعة ، وأمافى الإخبار عنه بأنه استولى ففيه ما فيه ، فيه بهت الله بما لم يقله ، فيه الحكم على الله بأنه غلب يوما على أمره ، فالاستيلاء يفيد المغالبة ، فيه الزعم بأننا أحسن بيانا من الله فى التعبير عن صفاته . ومعاذ الله جل شأنه

(١) لم يرد لا فى القرآن ، ولافى الحديث الصحيح وصف علم الله بهذه الصفة التى لا توحى إلا بالعفونة .

رفع المسيهم

. . . .

لا بتذكُّر ، ولا بتفكُّرٍ ، ولا بتدقيقِ نظرٍ ، ولا بفحص عن دليل ، فلا يعلم تأويله هكذا إلا اللهُ . والراسخون فى العلم يعلمون تأويله بالفحصِ عن الدليل ، و بتدقيق النظر وتسديد العبر ، فهم كما قال الله تعالى : ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إلا أُولُو الألبَابِ ﴾ وهذا معنى كلام ابن إسحاق فى الآية .

احتجاج القسيسين للتثليث :

فصل: وذكر احتجاجَ الأحبارِ والقِسِّيسِينَ من أهلِ نَجْرانَ بقوله عز وجل: خَلَقنا وأمَرْنا وأشباه ذلك ، وقالوا هذا يدل على أنه ثالثُ ثلاثةٍ تعالى اللهُ عن قولهم ، وهذا من الزَّيْغ بالمُتَشابه ، دون رَدِّه إلى المُحْكَمْ نحو قوله : ﴿ وإلٰهُكُمْ إلٰهٌ واحدٌ ﴾ و : ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أحَدٌ ﴾ والعجب من ضَعف عقُولهم: كيف احتجُّوا على محمد بما أُنزِل على محمد ، وهو أعلم بمعنى ما أُنزِل عليه ، لأن هذا اللفظ الذى احتجوا به مَجازٌ عربى ، وليس هو لفظ التَّوراة والإنجيل ، وأصل هذا المجاز فى العربية أن الكتاب إذا صَدَر عن حَضرة مَلِكٍ كانت العبارةُ فيه عن الملكِ بلفظِ الجمع دلالةً على أنه كلامُ مَلِكٍ مَتْبُوعٍ على أمرِهِ ، وقولِهِ ، فلما خاطبهم اللهُ تعالى بهذا الكتابِ العزيزِ أنزله على مذاهبهم فى الكلام ، وجاء اللفظُ فيه على أسلوبِ الكلام الصَّادِرِ عن حَضْرةِ المَلِكِ ، وليس هذا فى غير اللسانِ العربى ، ولا يتطرقَ هذا المجازُ فى حُكْمِ العقلِ إلى الكلام القديم ، إنما هو فى اللفظ المُنَزَّل ، ولذلك نجده إذا أخبر عن قولٍ قاله لنبى قَبلَنا ، أو خاطب به غيرَنا نحو قوله : ﴿ مامَنَعَكَ أنْ تَسْجُدَ لِمَا خلقتُ بِيدَىَّ ﴾ ولم يقل : خلقنا بأيدينا ، كما قال : مما عملته أيدينا ، وقال حكاية عن وَحْيِه لموسى : ﴿ ولِتُصْنَع على

. . . .

عَيْنِي ﴾ ولم يقل : كما قال فى الآية الأخرى : ﴿ تجرى بأعْيُنِنا ﴾ لأنه أخبر عن قول قاله لم ينزله بهذا اللسانِ العربىِّ ولم يَحْكِ لفظًا أنزله، وإنما أخبر عن المعنى، وليس المجازُ فى المعنى ، وكذلك لايجوز لعبـــدٍ أن يقولَ ربِّ اغفِروا ، ولا ارْحَمُونِى ، ولا عَلَيْـكُمْ تَوَكَّلتُ ، ولا إليكم أَنبْتُ ، ولا قالها نَبِىٌّ قَطُّ فى مناجاته ، ولا نبى فى دعائه لوجهين ، أحدهما : أنه واجب على العبد أن يُشْعِرَ قلبَه التوحيدَ ، حتى يشا كل لفظُه عَقْدَهُ . الثانى : ما قدمناه من سِرِّ هذا المجاز ، وأن سبَبه صدورُ الـكلام عن حضرة المَلِكِ موافَقَةً للعرب فى هذا الأسلوب من كلامها ، واختصاصها بعادة ملوكها وأشرافها ، ولا ننظر لقول من قال فى هذه المسألة ، وبذلك رُوجعوا ، يعنى : بلفظ الجمع ، واحتج بقوله سبحانه خبراً عمَّنِ حضره الموتُ من الـكفار إذ يقولُ : رَبِّ ارْجِعُونِ ، فيقال له : هذا خَبَرٌ عمَّن حضرته الشياطينُ ، ألا ترى قبلَه : وأعوذ بك رَبِّ أن يَحْضُرُونِ ، فإنما جاء هذا حكايةً عمَّن حضرتْه الشياطينُ ، وحضرته زَبَانِيةُ العذابِ وجرى على لسانِه فى الموت ما كان يعتاده فى الحياةِ من رد الأمر إلى المخلوقين ، فلذلك خَلَط ، فقال : رَبِّ ، ثم قال : ارْجِعُون[1] ، وإلاَّ فأنت أيها الرجلُ المجيزُ لهذا اللفظِ فى مخاطَبة الربِّ سبحانه : هل قلتَ قَطُّ فى دعائك : ارْحَمُونِ يارَبِّ ، وارْزُقُونِ ؟ ! بل لو سمعتَ غيرَك يقولها لَسَطَوْتَ به ، وأما قولُه

(١) سبقه إلى هذا ابن جرير الطبرى ، ففيه « وإنما ابتدىء الكلام بخطاب الله جل ثناؤه ، لأنهم استغاثوا به ، ثم رجعوا إلى مسئلة الملائكة الرجوع والرد إلى الدنيا » ونقل عن بعض نحويى الكوفة « قيل ذلك كذلك لأنه مما جرى على وصف الله نفسه من قوله : (وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا) فى غير مكان من القرآن ، فجرى هذا على ذاك »

رفع المسهم

مالكٍ وغيرِه من الفقهاء الأمرُ عندنا ، أو رأينا كذا ، أو نرى كذا ، فإنما ذلك ، لأنه قول لم ينفرد به ، ولو انفرد به لـكان بِدْعة ، ولم يقصِد به تعظيما لنفسه ، لا هو ولا غيره من أهل الدين والدِّعة .

احتجاجهم لألوهية عيسى :

وأما احتجاجُ القِسِّيسين بأنه كانَ يحيي الموتى ، ويخلق من الطين كهيئة الطير فَيَنْفُخ فيه، فلو تفكروا لأبصروا أنها حُجَّةٌ عليهم ، لأن الله تعالى خصَّه دون الأنبياء بمعجزاتٍ تُبطِلُ مَقالةَ مَنْ كَذَّبه ، وتُبطِل أيضاً مَقالةَ مَنْ زعم أنه إلهٌ أو ابنُ الإله واستحال عنده أن يكونَ مخلوقا من غير أب ، فكان نفخُه في الطين ، فيكونُ طائرا حيًّا : تنبيها لهم لو عقَلوه على أن مَثَلَه كمَثَل آدمَ خُلِق مِنْ طِين ، ثم نُفِخَ فيه الرُّوحُ ، فكان بَشراً حيًّا ، فَنَفْخُ الرُّوحِ في الطائر الذي خَلَقه عيسى من طِينٍ ليس بأعْجَبَ مِنْ ذلك،الكلُّ فِعْل الله، وكذلك إحْياؤه الموتى ، وكلامُه في المهْد ، كُلُّ ذلك يدل على أنه مخلوق من نَفْخَةِ رُوح القُدُسِ في جَيْب أُمِّه ، ولم يُخْلَقْ من مَنِيِّ الرجالِ ، فكان معنى الرُّوح فيه ـ عليه السلام ـ أقوى منه في غيره ، فكانت مُعجزاتُه رُوحانيةً دَالَّةً على قوة المناسبةِ بينه وبين رُوح الحياة ، ومن ذلك بقاؤه حَيًّا إلى قُرْب الساعة . ورُوِيَ عن أُبَيِّ بن كعْبٍ أنَّ الرُّوح الذي تَمَثَّل لها بشرا هو الرُّوحُ الذي حملت به ، وهو عيسى عليه السلام دخل مِنْ فيها إلى جَوْفها . رَواه الكَشِّي بإسناد حَسَنٍ يرفعه إلى أُبَيّ(١)، وخُصَّ بإبراء الأكْمَه والأبْرَص ،

(١) بدعة توحي إليك بأن وراءها خرفا صليبيا . فالصليبية تزعم هذا . =

. . . .

وفى تخصيصه بإبراء هاتين الآفتين مُشاكَلَةٌ لمعناه ـ عليه السلام ـ وذلك أن فرقة عَمِيَتْ بصائرهم، فكذَّبوا نُبوَّته ، وهم اليهودُ وطائفةٌ غلَوْا فى تعظيمه بعد ما أبيضَّتْ قلوبُهم بالإيمان ، ثم أفسدوا إيمانَهم بالغُلُوِّ ، فمثلُهم كمثَلِ الأَبْرَصِ أبيَضَّ بياضا فاسدا ، ومَثَلُ الآخَرِينَ مثل الأَكْمَه الأعمى ، وقد أعطاه اللهُ من الدلائل على الفريقين ما يُبْطِلَ المقالتين(١)، ودلائل الحُدُوثِ تُثبِتُ لَه العُبودِيَّة ، وتَنْفى عنه الرُّبُوبيَّة ، وخصائصُ مُعْجِزَاتِه تَنْفى عن أُمِّه الرِّيبَةَ وتُثبِت له ولها النُّبُوَّةَ والصِّدِّيقِيَّة ، فكان فى مَسِيح الهُدَى من الآياتِ ما يُشاكِلُ حالَه ، ومعناه حِكْمَةً من الله ، كما جَعَلَ فى الصورةِ الظاهرة من مَسِيح الضَّلالَة ، وهو الأعورُ الدَّجَّالُ ما يشاكل حالَه ، ويناسب صُورَتَه الباطِنَةَ ، على نحو ماشَرَحْنا وبيَّنا فى إملاء أمليناهُ على هذه النُّكْتَةِ فى غير هذا الكتاب والحمد لله .

وضعتها أنثى :

فصل: وذَكر فى تفسير ما نزَلَ فيهم قولَ حَنَّةَ أُمِّ مَرْيَم، وهى بنت ماثان(٢)

= وهدى الله فى الآيات التى ذكرت المحاورة بين الروح المتمثل بشرا وبين مريم تنفى هذا المفهوم الصليبى .

(١) يوجد فى العهد القديم ما يدل على أن الأبرص كان يعيش بين بنى إسرائيل منبوذا من المجتمع محكوما بنجاسته من الكهنة . اقرأ تفصيل أحكامه هو وغيره فى سفر اللاويين لا سيما الإصحاح الثالث عشر منه .

(٢) من أين جاء بهذه الأسماء ؟ الخير أن نقف عند الحد الذى بين القرآن .

رفع
المسهم
عبد الله الرمالوي

. . . .

﴿ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى ﴾ قال بعضُ أهل التأويل : أشارت إلى معنى الحيض أن الأنثى تحيض ، فلا تخدُم المسجدَ ، ولذلك قال : (وليس الذكر كالأنثى) لأن الذكر لا يحيضُ ، فهو أبدا في خِدْمة المسجد ، وهذه إشارةٌ حسنةٌ . فإن قيل : كان القياسُ في الكلام أن يُقال : وليس الأنثى كالذكر ، لأنها دُونه ، فما باله بدأ بالذكر ؟ والجواب : أن الأنثى إنما هي دُون الذكرِ في نَظَر العَبْدِ لنفسه ؛ لأنه يهوَى ذُكْران البنين ، وهم مع الأموال زينة الحياة الدنيا وأقربُ إلى فتنة العبد ، ونَظَرُ الربِّ للعبد خيرٌ من نظره لنفسه ، فليس الذكر كالأنثى على هذا ، بل الأنثى أفضلُ في الموهبَة ، ألا تراه يقول سبحانه : ﴿ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا ﴾ فبدأ بذكرِهِنَّ قبلَ الذكور ، وفي الحديث : ابدؤوا بالإناثِ ، يعني : في الرحمة وإدخال السُّرور على البنين ، وفي الحديث أيضا « مَنْ عَال جاريَتَيْن دخلتُ أنا وهو الجنةَ كهاتَيْن »(١) فترتب الكلامُ في التنزيلِ على حَسَبِ الأفضلِ في نظر الله للعبد ، والله أعلم بما أراد .

المباهلة

فصل : وذكر دُعاءه عليه السلامُ أهلَ نجْران إلى المُباهَلَة(٢) ، وأنهم

(١) رواية مسلم : « من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو وضم أصابعه ، وقريب من هذه رواية الترمذي .

(٢) أخرج البخاري بسنده عن حذيفة رضي الله عنه قال : جاء العاقب والسيد صاحبا نجران إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدان أن يلاعناه قال : فقال أحدهما لصاحبه : لا تفعل فوالله لئن كان نبيا فلاعناه لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا ، قالا : إنا نعطيك ما سألتنا ، وابعث معنا رجلا أمينا ولا تبعث =

رفع المسهم

رَضُوا بِبَذْلِ الجِزْيَةِ والصَّغَارِ ، وأَنْ لَا يُلاعِنُوه ، وكذلك رُوى أن بعضَهم قال لبعضٍ : إنْ لاعَنْتُمُوهُ ، وَدَعَوْتُمْ بالَّلعنة على الكاذِبِ اضْطَرم الوادى عليكم ناراً ، وفى تفسير الكَشِّى أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال : لقد تَدَلَّى إليهم العذابُ ، والذى نَفْسِى بيده لو بَاهَلُونى لاسْتُؤْصِلوا مِنَ عَلَى جَدِيدِ الأَرْضِ .

نكتة : فى قوله : ﴿ نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وأبناءكم ، و [نساءنا ونساءكم] ﴾ بدأ بالأبناء والنساء قبل الأنفس . والجواب: أن أهلَ التفسير قالوا أنفسنا وأنفسكم ، أى لِيَدْعُ بعضُنا بَعْضاً ، وهذا نحو قوله : فَسَلِّمُوا على أنفسِكم فى أحد القولين ، أى : يسلم بعضُكم على بعضٍ ، فَبَدَأ بذكر الأولادِ الذين هم فلَذُ الأكباد ، ثم بالنساء التى جَعَل بيننا وبينهم مَوَدَّةً ورَحْمَةً ، ثم مَنْ وراءهم مَنْ دُعَاه بعضِهم بعضاً ، لأن الإنسانَ لا يدعو نفسَه ، وانتظم الكلام على الأسلوب المُعْتَادِ فى إعجازِ القرآن . وفى حديث أهلِ نجران زيادةٌ كثيرة عن ابن إسحاق من غير رواية ابن هِشَام ، منها أن راهبَ نَجْرَانَ حين رجع الوفدُ وأخبروه الخبر رحل إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فسمع منه وأهْدَى إليه القَضِيبَ والقَعْبَ والبُرْدَ(١) الذى هو الآن عند خُلفاء بنى العباس يَتَوارَثُونه .

= معنا إلا أمينا فقال : لأبعثن معكم رجلا أمينا حق أمين ، فاستشرف لها أصحاب رسول الله «ص» فقال : قم يا أبا عبيدة بن الجراح ، فلما قام ، قال رسول الله «ص» « هذا أمين هذه الأمة » ورواه أيضا مسلم والترمذى والنسائى وابن ماجة بنحوه . ومن حديث آخر « لو خرج الذين يباهلون رسول الله «ص» لرجعوا لا يجدون مالا ، ولا أهلا » البخارى والترمذى والنسائى .

(١) البرد : ثوب مخطط ، والقعب : القدح الضخم ، والقضيب : السيف اللطيف الدقيق

رفع المسهم

سلول ::

فصل : وذكر قصة عبد الله بن أُبَىٍّ بن سَلُول ، وسَلولُ : هى أم أُبَىٍّ ، وهى خُزَاعيَّة ، وهو أُبَىُّ بن مالك من بنى الحُبْلَى ، واسم الحُبْلَى : سالم والنَّسبُ إليه : حُبُلِىٌّ بضمتين ، كرهوا أن يقولوا : حُبْلَوِىٌّ أو حُبْلِىٌّ أو حُبْلَاوِىٌّ على قياس النَّسب ، لأن حُبْلَى وسَكْرَى ونحوهما إذا كانا اسما لرجُل ، لم يَجْرِ فى الجمع على حُكم التأنيث ، وكذلك وَقْلَاء بالمد تقول فى جمع رجل اسمه : سَلْمَى أو وَرْقَاء الوَرْقَاوُون والسَّلْمُون ، وهذا بخلاف تاء التأنيث ، فإنك تقول فى طَلْحة اسم رجل طَلحات ، كما كنت تقول فى غير العَلَمِيَّة ، لأن التاءَ لا تكون إلا للتأنيث ، والألف تكون للتأنيث وغيره ، فلما كانت ألف التأنيث بخلاف تاء التأنيث فى الأسماء والأعلام كان النسب إليها مخالفا للنسب إلى ما فيه ألف التأنيث فى غير الأعلام ، غير أن هذا فى باب النسب لا يَطَّرِد وإن اطَّرَدَ الجمعُ ، كما قدمنا ، وكانت النُّكتَةُ التى خُصَّ بها النسبُ فى بَنى الحُبْلَى بمخالفة القياس كراهيتَهم لحكم التأنيث فيه لأن الحُبْلَى وصفُ المرأةِ بالحَبَل ، فليس كراهيتُهم لبقاء حكم التأنيث فيمن اسمُه سَلْمَى من الرجال ككراهيتهم لبقاء حكم التأنيث فِيمَنْ اسمُه : حُبْلَى ؛ فلذلك غيّروا النسبَ ، حتى كأنهم نَسَبوا إلى حُبُل والله أعلم(١) .

---

(١) فى اللباب لابن الأثير « الحبلى بضم الحاء المهملة والباء الموحدة . قال أبو على البغدادى فى كتاب التاريخ : فلان الحبلى منسوب إلى حى من اليمن من الأنصار يقال لهم : بنو الحبلى . وذكر سيبويه النحوى : الحبلى بفتح الباء ؛ وقال : هو منسوب إلى بنى الحبلى والمشهور بهذه النسبة أبو عبد الرحمن الحبلى من تابعى أهل مصر . » ثم قال ابن الأثير : هذا نص كلام السمعانى لم أسقط منه شيئا ، وهو يدل على أن أبا عبد الرحمن الحبلى من بنى الحبلى من الأنصار ، وليس كذلك ، إنما هو منسوب إلى بطن من المعافر ، وهم أيضاً من اليمن ، وأما بنو=

رفع المسهم

. . . .

وأما سَلُولُ فى خزاعة ، وقد تقدم عند ذكر حُبْشِيَّة بن سَلُول فاسمُ رَجُلٍ مصروفٍ ، وأما بنو سَلُول بن صَعْصَعَةَ إخوةُ بنى عامرٍ فهم : بنو مُرَّةَ بنِ صَعْصَعَةَ . وسَلُولُ : أمهم ، وهى بنتُ ذُهْل بن شَيْبَان ، فجميع ما وقع لابن إسحاق فى السِّيَر من سَلُول : ثلاثةٌ : واحدٌ اسمُ رجل مَصروف ، وثِنتيان غيرُ مَصروفَتين ، وهما اللتان ذكرنا .

الملك فى العرب

وذكر أن الأنصار كانوا قَدْ نَظَمُوا الخَرَزَ لعبد الله بن أُبَىٍّ لِيُتوِّجُوه ويُمَلِّكُوه عليهم ، وذلك أن الأنصار يَمَنٌ ، وقد كانت الملوكُ المُتوَّجُون من اليَمَنِ فى آلِ قَحْطَانَ ، وكان أول من تَتَوَّجَ منهم سَبأُ بنُ يَشْجُبَ بنِ يَعْرُبَ بن قَحْطَانَ ، ولم يُتَوَّجْ من العَرَب إلا قَحْطَانِىٌّ كذلك قال أبو عُبَيْدة ، فقيل له : قد تَتَوَّجَ هَوْذَةُ بن عَلى الحنفى صاحبُ اليَمَامَةِ ، وقال فيه الأعشَى :

= الحبلى من الأنصار ، فينسب إليهم عبد الله بن أبى مالك بن الحارث بن عبيد ابن مالك بن سالم الحبلى وأم أبى سلول الخزاعية ، ثم قال ابن الأثير : « الحبلى : بضم الحاء وسكون الباء الموحدة وإمالة اللام ، هذه اللفظة لقب سالم بن غنم ابن عوف بن الخزرج بن حارثة قال ابن الكلبى : إنما سمى الحبلى لعظم بطنه » ثم قال ابن الأثير : « قلت وهذه الترجمة أيضاً لفظ السمعانى ولا شك أنه ظن أن سالم ابن غنم بن عوف هو غير الذى تقدم فى الترجمة قبلها ، ولعله اشتبه عليه حيث رأى فى تلك الأولى أن الحبلى منسوب إلى حى من اليمن من الأنصار ورأى هنا أنه لقب سالم ، وهو من الأنصار ، والأنصار من اليمن ، ولولا أنه ظن أنهما اثنان لما ترجم عليهما ترجمتين ، والله أعلم » وفى القاموس عن النسب إلى بنى الحبلى « وهو حبلى بالضم وبضمتين ، وكجهنى »

. . . .

من يرى هَوْذَةَ يَسْجُدُ غيرَ مُتَّئِبٍ إذا تَعَمَّمَ فوق التاج أو وَضَعَا(١)

وفى الخرزات التى بمعنى التاج يقول الشاعر [لبيد يذكر الحارث بن أبى شِمر الغَسَّانى] .

رَعَى خَرَزَاتِ المُلْكِ عِشرينَ حِجَّةً
وعِشرينَ حتى فَادَ والشَّيْبُ شَامِلُ(٢)

وقال أبو عُبَيْدة : لم يَكُن تاجا ، وإنما كانت خَرَزَاتٍ تُنَظَّم ، وكان سببُ تَتَوُّجِ هَوْذَةَ أنه أجار لَطِيمَةً لِكِسْرى منعها مِمَّن أرادَها من العرب، فلما وفد عليه تَوَّجه لذلك ومَلَّكه :

مزامير الطير:

فصل : وذكر فى حديث عبد الله بن أُبَىّ أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) البيت فى اللسان فى مادة هوذ : « من يلق هوذة يسجد غير متئب » وهذا هو الصواب . وأتأب : خزى واستحيا .

(٢) قبل البيت :

وغسان زلت يوم جلق زلة لسيدها والأريحى الحلاحل

وبعده :

فأضحى كأحلام النيام نعيمهم وأى نعيم خلته لايزايل

اللسان والأمالى ص ٧٥ ط ٢ حـ . ويعنى بالبيت المذكور فى الروض أنه ساس الملك أربعين سنة ، وقال يقول : مات : أما فاد يفيد : تبختر .

رفع
المسهم
غفر الله له ولوالديه

. . . .

مَرَّ به ، وهو فى ظِلِّ مُزاحِم أُطُمِه ، وآطامُ المدينة : سُطُوحٌ(١) ، ولها أسماء ، فمنها مُزَاحِم ومنها الزَّوْرَاء أُطُم بنى الْجُلاَحِ ، ومنها معرض أُطُمُ بنى ساعدة ، ومنها : فارِعٌ أُطُم بنى حُدَيْلَة ، ومنها مِسْعَط(٢) ، ومنها : واقِمٌ ، وفى معرض يقول الشاعر :

ونحن دَفَعنا عن بُضَاعَةَ كُلِّها ونحن بنينا معرضا فهو مُشْرِفُ
فأصبح مَعْمُوراً طَوِيلاً قَذَالُه وتَخْرَبُ آطامٌ بها وتَقَصَّفُ

وبُضَاعَةُ أرضُ بنى ساعِدَة ، وإليها تُنْسَبُ بئْر بنى بُضَاعَةَ . والأَجَشُّ وكان بقُبَاء ، والحميم والنواحان ، وهما أُطُمَانِ لبنى أُنَيْف وصِرَار وكان بالجَوَّانِيَّة والرَّيَّان والشَّبْعَانُ وهو فى نَمْع . ورَاتِح والأبيض ، ومنها عاصم والرَّعْلُ(٣) وكان لحُضَيْر بن سِمَاك ، ومنها خَيْطٌ وواسط وحُبَيْش ، والأغلب ومنيع ، فهذه آطامُ المدينة ذكر أكثرَها الزبيرُ ، والاطُمُ : اسم مأخوذ من انْتَطَم : إذا ارتفع وعلا ، يقال : انْتَطَم عَلَيَّ فلانٌ إذا غَضِب وانتفخ ، والأطمات : : نيران معروفة فى جبالٍ لا تَخْمُدُ فيها ، تأخذ بأعْنَانِ السماء ، فهى

---

(١) جمع القلة آطام ، والكثرة : أطوم وأطم . والمفرد : أطمة ، وهو كل بيت مربع مسطح ، أو الحصن المبنى بالحجارة .

(٢) فى الأصل مسعط والتصويب من وفاء الوفاء وهى أطم لبنى حديلة غربى مسجد أبى بن كعب ص ٣٧٤ — ٢ .

(٣) ضبطها البكرى بفتح الراء ، وكذا صاحب المراصد ، وفى وفاء الوفا للسمهودى بكسر الراء ، وقال : أطم بمنازل عبد الأشهل ص ٣١٢ — ٢

رفع
المسـهم

. . . .

أبداً باقية ، لأنها فى معادنِ الكبريت،وقد ذكر المسعودى منها جملة ، وذكر مواضعها ، وقول عبد الله بن أبى :

مَتَى ما يَكُنْ مَوْلاكَ خَصْمَكَ لا تَزل تَذِلّ وَيَصْرَعْكَ الّذين تُصَارِعُ

يقال : إن ابن أُبَىّ تمثّل بهما ، ويقال : إنهما لخُفَافِ بن نُدْبَة وخُفَافُ هو : ابنُ عُمَرو بن الشَّرِيد أحدُ غِرْبانِ(١) العَربِ ، وأمُّه . نُدْبَةُ ، ويقال فيها : نَدْبَة ، ونُدْبَة ، وهو سلمى .

وذكر فى حديث عبدِ الله أن رسولَ الله -صلى الله عليه وسلم - دخل على سَعْد بن عُبادَةَ يعوده ، وفى رواية يونس زيادة ، فيها فقه قال : كان سعدُ قد دعاه رجلٌ من الليل فخرج إليه فضربه الرجلُ بسيف فأشْوَاه(٢) ، فجاءه النبى صلى الله عليه وسلم يعوده من تلك الضَّرْبة ، ولامه على خروجه ليلا ، وهذا هو موضع الفقه .

وعك أبى بكر وبلال وعامر

فصل : وذكر حديث عائشةَ حين وُعِكَ أبو بكر ، وبلالٌ وعامرُ بن فُهَيْرَةَ ، وما أجابوها به من الرَّجز فيذكر أن قول عامر :

---

(١) غربان العرب : سودانهم . والأغربه فى الجاهلية : عنترة وخفاف ، وأبو عمير بن الحباب ، وسليك بن السلكة . وهشام بن عقبة بن أبى معيط إلا أنه مخضرم . ومن الإسلاميين : عبد الله بن خازم ، وعمير بن أبى عمير ، وهمام ابن مطرف ، ومنتشر بن وهب ، ومطر بن أوفى ، وتأبط شرا ، والشنفرى وحاجز غير منسوب .

(٢) لم يصب منه مقتلا .

رفع المسـاهم

. . . .

لقد وجدتُ الموتَ قبل ذَوْقِه(١)

إنه لِعَمْرو بن مَامَةَ ، وفي هذا الخبر وما ذُكِرَ فيه من حَنِينهم إلى مكة ماجُبِلَتْ عليه النفوسُ من حُبِّ الوطن والحنين إليه ، وقد جاء في حديث أُصَيْلٍ الغِفَارِيِّ(٢) ، ويقال فيه : الْهُذَلِي أنه قَدِم من مكة ، فسألته عائشةُ : كيف تركت مَكَّة يا أُصَيْلَ ؟ فقال: تركتُها حين ابيَضَّتْ أباطِحُها ،وأَحْجَنَ ثُمَامُها ، وأغْدَق إذْخِرُها ، وأَمْشَرَ سَلَمُها ، فاغْرَوْرَقَتْ عينا رسولِ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقال: لا تُشَوِّقنا يا أُصَيْلُ ، ويروى أنه قال له : دَعِ القُلوبَ تَقِرُّ (٣) وقد قال الأول :

أَلا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً بوادِي الخُزَامَي حَيْثُ رَبَّتْنِي أَهْلِي

بلاد بها نِيطَتْ عَلَيَّ تمائِمي وقُطِّعْنَ عَنِّي حِينَ أدركني عَقْلِي

وأما قول بلال :

---

(١) الحديث في البخاري وغيره .

(٢) هو ابن عبد الله أو ابن سفيان ، وقيل في نسبه الخزاعي أيضاً .

(٣) لم يرو هذا أحد من أصحاب الكتب الستة ، وإنما رواه الخطابي في غريبه وأبو موسى في الذيل ، والجاحظ في كتاب البيان . وأحجن الثمام : خرجت حجنته أي خوصه أو بدا ورقه ، وأغدق الإذخر : خرج ثمره ، وأمشر سلمها : المشرة : شبه خوصة تخرج في العضاة ، وفي كثير من الشجر . يقال مشر الشجر ، ومشر وأمشر .

. . . .

بِفَجٍّ وحَوْلِي إذْخِرٌ وجَلِيلُ

فَفَجٌّ موضع خارج مكة به مُوَيْهٌ يقول فيه الشاعر :

ماذا بِفَجٍّ من الإشرَاقِ والطِّيبِ ومِنْ جَوارٍ نَقِيَّاتٍ رَعَابِيبِ(٢)

و بِفَجٍّ اغتسل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو مُحْرِم ، والإِذْخِرُ من نبات مكة . قال أحمد بن داودَ وهو أبو حَنيفة الدينورى صاحب كتاب النبات : الإِذْخِرُ فيما حكى عن الأعراب الأُوَلِ له أصلٌ مُنْدفِنٌ وقُضْبَانٌ دِقَاقٌ ، وهو ذَفِر الرِّيح ، وهو مِثْل الأصْل أصْل الكَوْلاَنِ إلاَّ أنه أعْرَضُ كُعوبًا(٣) ، وله ثمرة كأنها مَكَاسِح القَصَبِ(٤) إلاّ أنها أرقُّ وأصغر . قال أبوزِيادٍ الأَذْخِرُ يُشَبَّه فى نباته بنبات الأَسَلِ الذى تُعْمَل منه الحُصْرُ ، ويُشْبِه نباتُه الغَرَز ، و الغَرَزُ ضَرْبٌ من الثُّمَام ، واحدته : غَرَزَة ، و يُتَّخَذ من الغَرَز

(١) رواية البخارى وياقوت : بواد بدلا من فج ، وتروى : فخ كما جاء فى اللسان والمراصد وكما روى الخشنى عن أبي حنيفة اللغوى والهمدانى فى صفة جزيرة العرب ، وفى كتابه مختصر البلدان ، وياقوت فى كتابه المشترك وصفا : وفى النهاية لابن الأثير ، وقال عنه : « موضع عند مكة ، وقيل : واد دفن به عبد الله بن عمر ، وهو أيضاً ماء أقطعه النبي « ص » وعظيم بن الحارث المحاربى ».

(٢) جارية رعبوب ورعبوبة ، ورعيب الحسنة الغضة الطويلة الحلوة الناعمة . .

(٣) هو البردى . وفى المحكم : نبات ينبت فى الماء مثل البردى ، وهو بفتح الكاف ، وقد تضم .

(٤) مكاسح : جمع : مكسحة المكنسة .

رفع
المسامر
عز الله أرطبل الديه

. . . .

الغَرابيلَ والأذْخِرِ أرَقُّ منه ، والأذْخِرِ يُطحَن فيدخل فى الطيب ، وقال أبو عَمْرو : وهومن الجَنْبَةِ ، وقلّماتنبت الأذْخِرةُ مُنفرِدَةً ، وقال فى الجليل عن أبى نصر : إن أهل الحجاز يسمّون الثُّمام الجَلِيل ، ومعنى الجَنْبَةِ التى ذكر أبو عَمْرو : وهو كل نبات له أصُول ثابتة ، لاتذهب بذهابِ فرْعه فى القَيْظ ، وتُلقِحُ فى الخريف ، وليست كالشَّجَرِ الذى يَبقى أصلُه وفرعُه فى القيظ ، ولا كالنَّجْم الذى يذهب فرعُه وأصلُه ، فلا يعود إلاّ زرّيعته جانبَ النَّجْم والشَّجَر ، فُسمّى جَنَبَةً(١) ، ويقال لِلجَنَبَةِ أيضاً : الطريفة ، قاله أبو حنيفة . وَمِجَنَّة سَوقٌ من أسواق العرب بين عُكَاظ وذِى المَجازِ ، وكلها ، أسواق قد تقدم ذكرُها . ومِجَنَّة يجوز أن تكون مَفْعَلَة وفَعلة ، فقد قال سيبويه : فى المِجَنّ إن ميمه أصلية ، وأنه فِعل ، وخالفه فى ذلك الناسُ وجعلوه مِفعلا ، من جَنَّ إذا ستر ، ومن أسواقهم أيضا حُبَاشَةُ ، وهى أبعد من هذه ، وأما شامَة وطَفِيلُ ، فقال الخطّابى فى كتاب الأعلام فى شرْح البخارى : كنت أحسَبُهما جَبَلين ، حتى مررتُ بهما ، ووقفت عليهما فإذا هما عَينان من ماء ، ويقوّى قول الخطابى إنهما عَينان قَوْل كُثَيرٍ :

وماأنسَ مِ الأشياء لا أنسَ مَوْقِفاً ... لناوطاً بالخَبْتِ خَبْتِ طَفِيل(٢)

---

(١) الجنبة: عامة الشجر التى تتربل فى الصيف ، أو ما كان بين الشجر والبقل .

(٢) من قصيدة أولها :

ألا حيبا ليلى أجد رحيلى ... وآذن أصحابى غداً بقفول

والقصيدة بطولها فى الأمالى ، وقد ورد بيت السهيلى هكذا :

تواهقن بالحجاج من بطن نخلة ... ومن عزور والخبت خبت طفيل

رفع المسهم

. . . .

والخَبْتُ : مُنْخَفَضُ الأرض .

وذكر قول النبى صلى الله عليه وسلم : اللهم حَبِّبْ إلينا المدينة كما حَبَّبْتَ إلينا مَكَّةَ ، وبارِكْ لنا فى مُدِّها وصاعِها[1] يعنى الطَّعَامَ الذى يُكالُ بالصَّاع ، ولذلك قال فى حديث آخر : « كيلوا طعامَكم يُبَارَكْ لكم فيه »[2] ، وشكا إليه قومٌ سُرْعَةَ فناءِ طعامِهم ، فقال : أَتَهِيلون أم تَكِيلُونَ ؟ فقالوا : بل نَهِيل ، فقال : كِيلُوا ولا تَهِيلُوا[3] ومن رواه : قُوتُوا طعامَكم يُبَارَكْ لكم فيه[4] ، فمعناه عندهم : تصغير الأَرْغِفَة ، وهكذا رواه البزار من طريق أبى الدَّرْدَاء ، وذكر فى تفسيره ما قلناه ، وذكر أبو عُبَيْد : المُدَّ فى كتاب الأموال ، أعنى مُدَّ المدينة فقال : هو رِطْلٌ وثُلُث ، والرِّطْلُ : مائةٌ وثمانيةٌ وعشرون دِرْهَمًا ، والدِّرْهَمُ خمسون حَبَّةً وخُمْسَانِ .

وقوله صلى الله عليه وسلم : وأَنْقُلْ حُمَّاها : ، واجعلها بمَهْيَعَة ، وهى الجُحْفَةُ ، كأنه عليه السلام لم يُرِدْ إبعادَ الحُمَّى عن جميع أرضِ الإسلام ،

---

(١) فى مسلم : اللهم حبب إلينا المدينة كما حببت مكة أو أشد ، وصححها وبارك لنا فى صاعها ومدها ، وحول حماها إلى الجحفة ، وفى البخارى « اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد . اللهم بارك لنا فى صاعنا وفى مدنا ، وصححها لنا وانقل حماها إلى الجحفة » .

(٢) البخارى وأحمد وابن ماجة .

(٣) يقول ابن اثير فى النهاية : « كل شيء أرسلته إرسالا من طعام أو شراب . أو رمل فقد هلته هيلا . يقال : هلت الماء ، وأهلته إذا صببته وأرسلته .

(٤) الطبرانى وهو ضعيف وقد سئل الأوزاعى عنه فقال : صغر الأرغفة

. . . .

ولو أراد ذلك لقال: انقُلْ حُمّاها، ولم يَخُصّ موضعا، أو كان يَخُصُّ بلادَ الكفر، وذلك – والله أعلم – لأنه قد نَهَى عن سَبِّ الحُمّى وآمنها فى حديث أم المُسَيِّب(١) وأخبر أنها طهورٌ، وأنها حَظُّ كلِّ مؤمن من النار(٢)،

---

(١) روى مسلم فى صحيحه عن جابر أنه صلى الله عليه وسلم دخل على أم السائب، أو أم المسيب، فقال: «مالك تزفزفين؟ قالت الحمى، لا بارك الله فيها، فقال: لاتسبى الحمى، فانها تذهب خطايا بنى آدم كما يذهب الكير خبث الحديد» وفى رواية: ترفرفين. والمعنى متقارب. فالمقصود: الرعدة التى تحصل للمحموم. ومن البين هنا أن أم المسيب قالت: لا بارك الله فى الحمى، فهو دليل ضيق نفس وبرم بالحمى، فأريد لها الياذ بالصبر والجلد. بدليل ماورد. حديث رواه الطبرانى عن فاطمة الخزاعية أنها قالت: «عاد النبى «ص» امرأة من الأنصار، وهى وجعة، فقال: لها: كيف تجدينك؟ قالت: بخير، إلا أن أم ملدم قد برحت بى، فقال النبى «ص»: اصبرى، فإنها تذهب خبث ابن آدم، كما يذهب الكير خبث الحديد» وأم ملدم كنية الحمى والميم الأولى مكسورة زائدة. وألدمت عليه الحمى: دامت، وبعضهم يقولها بالذال المعجمة.

(٢) ورد ذلك فى حديث رواه أحمد «الحمى كير من جهنم، فما أصاب المؤمن منها كان حظه من جهنم» وعند الطبرانى «الحمى من فيح جهنم وهى نصيب المؤمن من النار» وورد وصفها بأنها طهور فى حديث رواه أحمد وابن حبان والطبرانى قيل فيه إن أم ملدم — وهى الحمى استأذنت على رسول الله «ص» فأمر بها إلى أهل قباء، فأصابهم منها عنت شديد، فشكوا إلى النبى «ص»، فقال: ماشئتم: إن شئتم دعوت الله، فكشفها عنكم، وإن شئتم أن تكونوا لكم طهورا؟ قالوا: أو تفعله؟ قال: نعم قالوا: فدعها».

وأقول: لا يتصور مسلم فى رسول الله «ص» — وهو بالمؤمنين رءوف رحيم كما وصفه الله — يطلب من الله أن ينقل مثل هذا المرض الذى يرهق، ويوهن من قوة الجماعة الإسلامية إلى بلد إسلامية أبدا. وتدبر أن الله قال له

. . . .

فجمع بين الرِّفق بأصحابه فدعَا لهم بالشِّفاء منها ، وبَيَّن أنْ لا يَحْرَمُوا أيضاً الأجر فيما يُصِيبوا منها ، فلم يُبْعِدها كُلَّ البُعْد .

وأما مَهْيَعَةُ ، فقد اشتد الوباء فيها بسبب هذه الدعوة ، حتى قيل : إن الطائر يَمُرُّ بغدير خُمَّ فيَسْقَم ، وغدير خُمَّ فيها ، ويقال : إنها ، ما وُلد فيها مَوْلُود فبلَغ الْحُلُمَ ، وهى أرضٌ نَجْعَةٍ(١) لا تُسْكَن ، ولا يُقام فيها إقامة دائمة فيما بلغنى والله أعلم .

وذكر تحريمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ ، وفى غير هذه الرواية عن ابن إسحاق عن شُرَحْبِيل بن سعدٍ ، قال : كنت أصطاد فى حَرَم المدينة بالوَقَاقِيص ، وهى شِبَاكُ الطَّير ، فاصطدت نُهَساً ، فأخذه زيدُ بنُ ثابتٍ ، وصَكَّ فى قَفَاىَ ، ثم أرسله .

وذكر حديثَ عبدِ الله بن عَمْرٍو ، وقولَه عليه السلام : صلاةُ القاعِدِ

= حين دعا على من آذوه : ليس لك من الأمر شيء ، فكيف بمن ناصروه وعزروه ؟ ولقد ورد عنه فى حديث رواه مسلم وأبو داود وابن خزيمة فى صحيحه : « لا تدعوا على أنفسكم ، ولا تدعوا على أولادكم ، ولا تدعوا على خدمكم ، ولا تدعوا على أموالكم لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء ، فيستجيب لكم » فكيف يدعو على أهل جحفة ، أو على أهل قباء ؟ ماذنب أهل البلدين ؟ ، وهل يتفق هذا مع الخلق العظيم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ثم إن هدى الإسلام يؤكد أن على الإنسان أن يسعى فى سبيل أن يشفيه الله من مرضه ، وأن يضرع إلى الله بهذا فى كل أوقات مرضه .

(١) النجعة : طلب الكلأ ومساقط الغيث . وماسبق عن جحفة كلام لا يصح أن يكتب ، ولا أن يردد

رفع
المسابهم
عبد الله الحبيب الليثي

على النِّصْفِ من صَلَاةِ القائم حين رآهم يُصلُّون قُعُوداً من الوَعْكِ ، قال فتَجَشَّم الناسُ القيامَ على ما بهم من السُّقْم : وهذا الحديث بهذا اللفظ يقوِّى ماتأوَّله الخطابى فى صلاةِ القاعد أنها على النِّصْف من صَلَاةِ القائم ، ثم قال الخطَّابى : إنما ذلك للضَّعيفِ الذى يستطيع القيامَ بكُلْفَةٍ ، وإن كان عاجزا عن القيام ألْبَتَّةَ ، فصلاتُه مثلُ صَلَاةِ القائم ، وهذا كلُّه فى الفريضَةِ ، والنافلةِ ه وخالف أبو عُبَيْد فى تخصيصه هذا الحديث بصلاة النافلة فى حال الصحَّة ، واحتجَّ الخطَّابى بحديثَ عِمْرانَ بن حُصَيْنٍ ، وفيه : وصَلاتُه قائما على النِّصفِ من صلاته قاعدا ، قال : وقد أجمعت الأمة أنْ لا يُصَلِّىَ أحدٌ مُضطَجِعاً إلاَّ مِنْ مَرَضٍ ، فدل على أنه لم يُرِدْ بهذَا الحديث كلِّه إلا المريضَ الذى يَقْدِر على القيام بكُلفة ، أو على القُعُود بمشقة، ونسب بعضُ الناس النَّسوِىَّ إلى التَّصْحِيفِ فى هذا الحديثِ ، وقالوا إنما هو وصلاته نائما على النِّصْفِ من صلاته قاعدا ، فتوهمه النَّسَوِىُّ قائما ، أى مُضْطَجِعا ، فترجَم عليه فى كتابه : باب صَلَاةِ النائم ، وليس كما قالوا ، فإن فى الرواية الثانية : وصلاةُ النائم على النِّصْفِ من صلاة القاعد ، ومثل هذا لا يَتصحَّف ، وقولُ الخطابى : أجمعت الأمَةُ على أن المضْطَجِعَ لا يُصَلِّى فى حالِ الصِّحَّةِ نافلةً ولا غيرَها ، وافقه أبو عُمَر على ادِّعاء الإجماع فى هذه المسألة ، وليست بمسألة إجماع كما زَعَما ، بل كان مِنَ السَّلَف مَنْ يُجيز للصحيح أن يتَنَفَّل مُضطجِعاً ، منهم الحسَنُ البَصْرى ، ذكر ذلك أبو عيسى التِّرْمِذىّ فى مصنفه .

تاريخ الهجرة

بالإسناد المتقدّم عن عبد الملك بن هشام ، قال : حدثنا زيادُ بن عبد الله البكّائى ، عن محمد بن إسحاق المطلبى ، قال : قَدِم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينة يوم الاثنين، حين اشتدّ الضحاء ، وكادت الشمس تعتدلَ ، لِثنْتى عشْرة ليلةً مضتْ من شهر ربيع الأوّل ، وهو التاريخ ، (فيما) قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق : ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ابنُ ثلاث وخَمْسين سنة ، وذلك بعد أن بَعثه الله عزّ وجلّ بثلاثَ عشْرة سنة ، فأقام بها بقيَّة شهر ربيع الأوّل ، وشهرَ ربيع الآخر ، وجمادَيَيْن ، ورجباً ، وشعبان ، وشهرَ رمضان ، وشوّالاً ، وذا القعدة ، وذا الحجة — وولى تلك الحجّة المشركون — والمحرّمَ ، ثم خرج غازيا فى صفر على رأس اثنى عشر شهراً من مَقدمه المدينة .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة سعدَ بن عُبادة .

غزوة ودان

وهى أول غزواته عليه الصلاة والسلام

موادعة بنى ضمرة والرجوع من غير حرب

قال ابن إسحاق : حتى بلغ وَدّان ، وهى غزوة الأبواء ، يريد قريشا وبنى ضَمْرة بن بَكر بن عبد مَناة بن كِنانة ، فوادَعَته فيها بنو ضَمْرة ، وكان الذى وادَعه منهم عليهم مَخْشِى بن عمرو الضَّمْرى ، وكان سيدَهم فى زمانه

رفع المسهم

ذلك . ثم رجع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، ولم يلق كيداً ، فأقام بها بقية صفر ، وصدرا من شهر ربيع الأول .

قال ابن هشام : وهى أول غزوة غزاها .

سرية عبيدة بن الحارث

وهى أول راية عقدها عليه الصلاة والسلام

قال ابن إسحاق : وبعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فى مُقامه ذلك بالمدينة عُبَيدةَ بن الحارث بن المطَّلب بن عبد مناف بن قُصَىّ فى ستين أو ثمانين راكبا من المهاجرين ، ليس فيهم من الأنصار أحدٌ ، فسارَ حتى بلغ ماء بالحجاز ، بأسفل ثنيَّة المُرة ، فلقى بها جمعا عظيما من قُريش ، فلم يكن بينهم قتال ، إلا أن سعد بن أبى وقَّاص قد رَمى يومئذ بسَهم ، فكان أوّل سهم رُمى به فى الإسلام .

من فر من المشركين الى المسلمين

ثم انصرف القومُ عن القوم ، وللمسلمين حامية . وفرّ من المُشركين إلى المسلمين المِقْدادُ بن عمرو البَهْرانى ، حليفُ بنى زُهْرة ، وعُتْبة بن غَزْوان ابن جابر المازنى ، حليف بنى نَوْفل بن عبد مناف ، وكانا مُسْلِمين ، ولكنهما خَرجا ليتوصَّلا بالكفار . وكان على القوم عِكرمةُ بن أبى جَهْل .

قال ابن هشام : حدثنى ابن أبى عَمْرو بن العَلاء ، عن أبى عمرو المدنىّ :

أنه كان عليهم مِكْرَز بن حَفْص بن الأخيف ، أحد بنى مَعِيص بن عامر بن لُؤَىّ بن غالب بن فهر .

شعر أبى بكر فيها

قال ابن إسحاق : فقال أبو بكر الصدّيق رضى الله عنه ، فى غزوة عُبيدة ابن الحارث — قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر هذه القصيدة لأبى بكر رضى الله عنه :

أمِن طَيْفِ سَلْمى بالبِطاحِ الدّمائثِ ... أرِقْتَ وأمرٍ فى العَشيرة حادثِ
تَرَى من لُؤَىٍّ فِرْقَةً لا يصدّها ... عن الكُفْر تذكيرٌ ولا بَعْثُ باعثِ
رسُولٌ أتاهم صادقٌ فتكذّبوا ... عليه وقالوا : لستَ فينا بماكثِ
إذا ما دعَوْناهم إلى الحقّ أدبَرُوا ... وهَرُّوا هَرِيرَ المُجْحَرات اللّواهثِ
فكَمْ قد متَتْنا فيهمُ بقَرابةٍ ... وتَرْكُ التُّقَى شىءٌ لهمْ غيرُ كارثِ
فإنْ يَرْجِعوا عن كُفرهم وعُقوقِهم ... فما طَيّبات الحِلّ مثلُ الخبائثِ
وإنْ يَرْكبوا طُغْيانَهم وضلالَهم ... فليسَ عذابُ الله عنهم بلابثِ
ونحن أُناسٌ من ذُؤابة غالبٍ ... لنا العِزُّ منها فى الفُروع الأثائثِ
فأُولِى برِبِّ الرّاقصاتِ عَشِيّةً ... حَراجِيجَ تَحْذِى فى السَّريح الرّثائثِ
كأُدْمِ ظِباءٍ حولَ مكّةَ عُكَّفٍ ... يَرِدْنَ حِياضَ البِئر ذاتِ النّبائثِ
لئن لم يُفِيقوا عاجلاً من ضَلالهم ... ولَسْتُ إذا آليتُ قولاً بحانثِ
لَتَبْتَدِرَنَّهُمْ غارةٌ ذاتُ مَصْدَقٍ ... تُحَرِّمُ أطهارَ النِّساء الطّوامثِ

تُغادر قتلى تَعْصِبُ الطيرُ حولهم ... ولا تَرأفُ الكفارَ رأفَ ابن حارث

فأبلغ بني سَهْم لديك رسالةً ... وكلَّ كَفورٍ يبتغي الشرَّ باحث

فإن تَشْعَثوا عِرضي على سُوء رأيكم ... فإني من أعراضكم غيرُ شاعث

فأجابه عبد الله بن الزِّبَعْرَى السَّهمي فقال:

أمِنْ رَسْم دارٍ أقفرَتْ بالعَثاعِث ... بكيتَ بعينٍ دمعُها غيرُ لابثِ

ومِن عَجَبِ الأيام والدهرُ كلُّه ... له عجبٌ من سابقاتٍ وحادث

لجيشٍ أتانا ذي عُرام يَقُوده ... عُبيدةُ يُدْعى في الهياج ابنَ حارث

لنَترُكَ أصناما بمكةَ عُكَّفا ... مَوارِيثَ مَوْرُوثٍ كريمٍ لوارِث

فلمَّا لقيناهم بسُمْرٍ رُدَيْنيةٍ ... وجُرْدٍ عِتاقٍ في العَجاج لَوَاهِث

وبيضٍ كأنَّ المِلْحَ فوق مُتُونها ... بأيدي كُماة كالليُوث العوائث

نُقيم بها إصْعار مَنْ كان مائلاً ... ونَشْفي الذُّحُولَ عاجلاً غيرَ لابث

فكفوا على خَوْف شديدٍ وهَيْبة ... وأعجبهم أمرٌ لهم أمرُ رائث

ولو أنَّهم لم يفعلوا ناحَ نِسوَةٌ ... أيامَى لهم، مِنْ بين نَسْءٍ وطامِث

وقد غُودرتْ قتلى يُخَبِّر عنهمُ ... حَفِيٌّ بهم أو غافلٌ غيرُ باحث

فأبلغ أبا بَكْرٍ لديكَ رِسالةً ... فما أنت عن أعراضِ فِهرٍ بماكث

ولمَّا تَجِبْ مني يمينٌ غليظة ... تُجدِّد حرْبا حَلْفَةً غيرَ حانِث

قال ابن هشام: تركنا منها بيتا واحداً، وأكثرُ أهل العِلم بالشعر يُنكر هذه القصيدة لابن الزِّبَعْرَى.

رفع
المسيهم
غفرالله له ولوالديه

شعر ابن أبى وقاص فى رميته

قال ابن إسحاق : وقال سعد بن أبى وقاص فى رَمْيته تلك فيما يذكرون :

ألا هَل أتى رسولَ الله أنى　　حَميْتُ صحابَتى بصُدور نَبْلى
أذُود بها أوائلَهم ذِياداً　　بكلّ حُزُونة وبكلّ سَهْل
فما يَعْتَدُّ رام فى عَدُوّ　　بسَهْم يا رسول الله قَبْلى
وذلكَ أنّ دينَك دينُ صِدْقٍ　　وذُو حَقّ أتيتَ به وعَدل
يُنجّى المُؤمنون به ، ويُجزى　　به الكفّار عند مقام مَهْل
فمَهلاً قد غَوِيتَ فلا تَعِبْنِى　　غَوِىَّ الحىّ ويحك يابن جَهْل

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر يُنكِرها لسَعْد .

أول راية فى الإسلام كانت لعبيدة

قال ابن إسحاق : فكانت رايةُ عُبيدة بن الحارث — فيما بلغنى — أوّل راية عقدَها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى الإسلام ، لأحد من المسلمين . وبعضُ العلماء يزعُم أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بَعثه حين أقبل من غزوة الأبْواء ، قبل أن يصِل إلى المدينة .

سرية حمزة إلى سيف البحر

ما جرى بين المسلمين والكفار

وبعث فى مَقامه ذلك ، حَمزةَ بن عبد المطلب بن هاشم ، إلى سِيف البَحْرِ ،

من ناحية العِيص ، فى ثلاثين راكبا من المهاجرين ، ليس فيهم من الأنصار أحد . فلقى أبا جهل بن هشام بذلك الساحل فى ثلاث مائة راكب من أهل مكة . فحجز بينهم مَجْدىُّ بن عمرو الجُهنىّ . وكان مُوادِعا للفريقين جميعا . فانصرف بعضُ القوم عن بعضٍ ، ولم يكن بينهم قتال .

كانت راية حمزة أول راية فى الإسلام وشعر حمزة فى ذلك

وبعضُ الناس يقول : كانت رايةُ حمزة أوّل راية عَقَدها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لأحد من المسلمين . وذلك أن بعثه وبَعْث عُبيدة كانا معا ، فشُبِّه ذلك على الناس . وقد زعموا أن حمزة قد قال فى ذلك شعراً يَذْكر فيه أنّ رايته أول راية عقدها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فإنْ كان حمزة قد قال ذلك ، فقد صَدق إن شاء الله ، لم يكن يقول إلا حقا ، فالله أعلم أىّ ذلك كان . فأمّا ما سمعنا من أهل العلم عندنا . فعُبيدة بن الحارث أوّل من عُقد له .

فقال حمزة فى ذلك ، فيما يزعمون :

قال ابن هشام : وأكثرُ أهل العلم بالشِّعر ينكر هذا الشعر لحمزة رضى الله عنه :

ألا يا لَقَوْمى للتحلُّم والجَهْل ... وللنَّقص من رأى الرّجال وللعقْلِ

وللرّاكبينا بالمَظالِم لم نطَأْ ... لهم حُرُماتٍ من سَوامٍ ولا أهْلِ

كأنّا تَبَلْناهم ولا تَبْلَ عندنا ... لهم غيرُ أمر بالعَفاف وبالعَدْل

وأمرٍ بإسلامٍ فلا يقبلونه ... ويَنْزِل منهم مِثْلَ مَنْزلة الهَزْل

فما بَرِحوا حتى انتَدبْتُ لغارة ... لهم حيث حلُّوا أبتغى راحة الفَضْلِ
بأمرِ رسول الله ، أوّلَ خافِق ... عليه لواءٌ لم يكن لاحَ من قبلى
لواءٌ لديْه النّصرُ من ذى كرامة ... إلهٍ عزيزٍ فعلُه أفضلُ الفِعْل
عشِيَّةَ سارُوا حاشِدِين وكلُّنا ... مرَاجله من غَيْظِ أصحابِهِ تَغلى
فلمَّا تَراءيْنا أناخُوا فعقَّلوا ... مَطايا وعقَّلنا مدَى غَرَضِ النَّبْل
فقُلْنا لهم : حبل الإله نَصِيرنا ... وما لكم إلا الضَّلالةُ مِن حَبْل
فثار أبو جَهْل هنالك باغياً ... فخابَ وردَّ اللهُ كَيْدَ أبى جهل
وما نحنُ إلا فى ثَلاثين راكبا ... وهُمْ مِئتان بعد واحدةٍ فَضْلِ
فَيا لَلُؤَىّ لاتُطِيعُوا غُوَاتَكم ... وفِيئُوا إلى الإسلام والمَنهج السَّهْلِ
فإنى أخافُ أن يُصَبَّ عليكمُ ... عذابٌ فتدعوا بالنَّدامة والثُّكْلِ

شعر أبى جهل فى الرد على حمزة

فأجابه أبو جهل بن هشام ، فقال :

عجِبْتُ لأسبابِ الحفيظة والجهل ... وللشَّاغِبينَ بالخِلافِ وبالبُطْل
وللتَّارِكينَ ما وجَدْنا جُدُودَنا ... عليه ذوى الأحْساب والسُّؤْدد الجَزْل
أتوْنا بإفْكٍ كىْ يُضِلُّوا عقُولَنا ... وليس مُضِلاًّ إفْكُهم عقلَ ذى عقل
فقُلْنا لَهُمْ : ياقومنا لاتخالِفوا ... على قومكم إنّ الخلافَ مدى الجَهْل
فإنّكم إن تفعَلوا تدْعُ نسوةٌ ... لهنَّ بواكٍ بالرَّزِيَّةِ والثُّكْل
وإن تَرْجِعوا عمّا فعلتم فإنّنا ... بَنو عمِّكم أهلُ الحفائظِ والفَضْل

فقالوا لنا : إنّا وَجَدْنا محمداً رِضاً لذوى الأحلام منا وذى العقل
فلما أبَوْا إلا الخلافَ وزيّنوا جِماعَ الأُمور بالقَبيح مِنَ الفِعل
تَيمّمتُهُم بالسّاحِلَيْنِ بغارةٍ لأترُكهم كالعصف ليس بذى أصْل
فورّعنى مَجْدِى عنهم و صُحْبتى وقد وَازَرُونى بالسُّيوف و بالنَّبْل
لإلٍ علينا واجبٍ لا نضيعه أمينٌ قواه غير مُنْتَكِث الحَبْل
فلولا ابنُ عَمْرو كنتُ غادرتُ منهم مَلاحم للطَّير العُكُوف بلا تَبْل
ولكنّه آلى بإلٍ فقلّصت بأيمانِنا حدُّ السّيوف عن القتل
فإنْ تُبقِنى الأيّامُ أرْجِعْ عليهم ببيضٍ رِقاق الحدّ مُحْدَثة الصَّقْلِ
بأيْدى حُماةٍ مِن لُؤَىّ بن غالب كرام المساعى فى الجُدوبة والمَحْل

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر هذا الشعر لأبى جهل .

غزوة بواط

قال ابن إسحاق . ثم غزا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى شهر ربيع الأوّل يريد قريشا .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة السائبَ بن عثمان بن مَظْعون .

قال ابن إسحاق : حتى بلغ بُواط ، من ناحية رَضْوَى ، ثم رجَعَ إلى المدينة ولم يَلق كيداً ، فلبث بها بقيّةَ شهر ربيع الآخر ، وبعض جمادى الأولى.

غزوة العشيرة

أبو سلمة على المدينة

ثم غزا قريشا ، فاستعمل على المدينة أبا سَلَمة بن عبد الأسد ، فيما قال ابن هشام .

الطريق إلى العشيرة

قال ابن إسحاق : فسلك على نَقْب بنى دِينار ، ثم على فَيْفاء الخَبار ، فنزل تحت شجرة بِبَطْحاء ابنِ أَزْهرَ ، يقال لها : ذات الساق ، فصلى عندها . فثَمَّ مسجدُه صلى الله عليه وسلم ، وصُنع له عندها طعامٌ . فأكل منه ، وأكل الناس معه ، فموضع أثافى البُرْمة مَعْلوم هنالك ، واستُقِىَ له من ماء به ، يقال له : المُشْتَرِب ، ثم ارتحل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فترك الخلائِق بيسار ، وسلك شُعْبة يقال لها : شُعْبة عبد الله ، وذلك اسمها اليوم ، ثم صبَّ لليسار حتى هَبطَ يَلْيَل ، فنزل بمُجْتَمعه ومُجْتمع الضَّبُوعة، واستقى من بِئْر بالضَّبُوعة ، ثم سلك الفَرْش : فَرْشَ مَلَل ، حتى لَقِىَ الطَّريقَ بصُخَيْرات اليمام ، ثم اعتدل به الطريقُ ، حتى نزل العُشيرة من بطن يَنْبُع . فأقام بها جُمادى الأولى و لَيالى من جُمادى الآخرة ، وادع فيها بنى مُدْلِج وحلفاءَهم من بنى ضَمْرة ، ثم رَجَع إلى المدينة ، ولم يَلْق كيداً .

تكنية على بأبى تراب

وفى تلك الغزوة قال لعلى بن أبى طالب عليه السلام ما قال .

قال ابن إسحاق : فحدثنى يزيد بن محمد بن خُثَيْم المُحاربى ، عن محمد بن كعب القُرَظى ، عن محمد بن خيثم أبى يزيد ، عن عمار بن ياسر ، قال : كنت أنا وعلىّ بن أبى طالب رفيقين فى غَزْوة العُشَيرة ، فلما نزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقام بها ، رأينا أُناسا من بنى مُدْلج يَعملون فى عَيْن لهم وفى نخل ، فقال لى علىُّ بن أبى طالب : يا أبا اليَقْظَان ، هل لك فى أن تأتى هؤلاء القوم ، فننظر كيف يعملون ؟ قال : قلت : إن شئت ؛ قال : فجئناهم ، فنَظَرْنا إلى عملهم ساعةً ، ثم غَشِيَنا النَّومُ . فانطلقتُ أنا وعلىّ حتى اضطجعنا فى صَوْر من النخل، وفى دَقْعاء من التراب فنمنا ، فوالله ما أَهَبَّنا إلا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يُحرِّكنا برِجْله . وقد تَتَرَّبْنا من تلك الدَّقْعاء التى نِمْنا فيها ، فيومئذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلىّ بن أبى طالب : مالَكَ يا أبا تُراب ؟ لما يَرى عليه من التراب ، ثم قال : ألا أُحدثكما بأشقى الناس رَجُلَيْنِ ؟ قلنا : بلى يارسولَ الله ، قال : أُحَيْمِر ثمود الذى عَقَر النَّاقة ، والذى يَضربك ياعلىّ على هذه — ووضع يده على قَرْنه — حتى يَبُلّ منها هذه . وأخذ بلحْيته .

قال ابن إسحاق : وقد حدثنى بعض أهل العلم : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما سَمّى عليًّا أبا تراب ، أنهُ كان إذا عَتب على فاطمة فى شىء لم يكلِّمها ، ولم يَقُل لها شيئا تكرهه ، إلا أنه يأخذ ترابا فيضعه على رأسه .

قال : فكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إذا رأى عليه التراب عرَف أنه عاتِبٌ على فاطمة ، فيقول : مالكَ يا أبا تراب ؟ فالله أعلم أيّ ذلك كان .

سرية سعد بن أبي وقاص

ذهابه إلى الخرار ورجوعه من غير حرب

قال ابنُ إسحاق : وقد كان بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بين ذلك من غزوة سَعْد بن أبي وقاص ، في ثمانية رَهْط من المُهاجرين فخرج حتى بلغ الخَرَّار من أرض الحجاز ، ثم رجع ولم يلق كيداً .

قال ابن هشام : ذكر بعضُ أهل العلم أن بَعْثَ سَعْد هذا كان بعد حمزة

غزوة سفوان

وهى غزوة بدر الأولى

قال ابن إسحاق : ولم يُقمْ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة حين قَدِم من غَزْوة العُشَيْرة إلا ليالى قلائل لاتبلغُ العَشر ، حتى أغار كُرْزُ بن جابر الفِهْرى على سَرْح المدينة ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طلبه ، واستَعْمل على المدينة زيدَ بن حارثة ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : حتى بلغ واديا ، يقال له : سَفَوان ، من ناحية بدْر ، وفاته كُرْزُ بن جابر ،فلم يُدْركه ، وهى غزوةُ بدر الأولى . ثم رجع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، فأقام بها بقيةَ جمادى الآخرة ورجباً وشعبان

رفع
المسهم

سرية عبد الله بن جحش

ونزول : ﴿ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ ﴾

كتاب الرسول له

وبَعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عبدَ الله بن جَحْشِ بن رئاب الأسدى فى رجب ، مَقْفَلَه من بدر الأولى ، وبعث معه ثمانية رَهْط من المُهاجرين، ليس فيهم من الأنصار أحد ، وكتب له كتابا وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسيرَ يومين ثم ينظر فيه ، فيمضى لما أمره به ، لا يَسْتكره من أصحابه أحداً .

وكان أصحابُ عبد الله بن جَحْش من المهاجرين . ثم من بَنى عَبْد شمس ابن عبدمناف : أبو حُذَيفة بن عُتْبة بن رَبيعة بن عبد شَمْس ؛ ومن حلفائهم: عبد الله بن جَحْش ، وهو أمير القوم ، وعُكَّاشة بن مِحْصَن بن حُرْثان ، أحد بنى أسد بن خُزَيمة ، حليف لهم . ومن بنى نَوْفَل بن عبد مناف : عُتْبة ابن غَزْوان بن جابر ، حليف لهم . ومن بنى زُهْرة بن كلاب : سعدُ بن أبى وقَّاص . ومن بنى عَدِىّ بن كعب عامر بن ربيعة ، حليف لهم من عَنْز ابن وائل ، وواقدُ بن عبد الله بن عبد مناف بن عَرِين بن ثَعْلبة بن يربوع ، أحد بنى تميم ، حليف لهم ، وخالد بن البُكَير ، أحد بنى سَعْد بن لَيْث ، حليف لهم . ومن بنى الحارث بن فهر : سُهَيْل بن بيضاء :

فلما سار عبد اللهُ بن جَحْش يومين فتح الكتاب ، فنظر فيه فإذا فيه : إذا نظرت فى كتابى هذا فامض حتى تنزل نَخْلة ، بين مكة والطائف ، فترصَّد

بها قريشا وتعلّم لنا من أخبارهم . فلما نظر عبد الله بن جحش فى الكتاب ، قال : سمعا وطاعة ؛ ثم قال لأصحابه : قد أمرنى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن أمضى إلى نخلة ، أرصُد بها قريشا ، حتى آتيَه منهم بخبر ؛ وقد نهانى أن أستكره أحداً منكم . فمن كان منكم يريد الشّهادةَ ويرغب فيها فلْينْطَلق ، ومن كره ذلك فليرْجع ، فأمّا أنا فماضٍ لأمر رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، فمضى ومضى معه أصحابُه ، لم يتخلّف عنه منهم أحد .

وسَلك على الحجاز ، حتى إذا كان بمَعْدن ، فوق الفُرُع ، يقال له : بحران، أضلّ سعدُ بن أبى وقّاص ، وعُتْبة بن غزْوان بعيراً لهما ، كانا يَعتقبانه . فتخلّفا عليه فى طلبه . ومضَى عبدُ الله بن جَحش وبقيّةُ أصحابه حتى نزل بنخلة، فمرّت به عيرٌ لقريش تحْمل زبيبا وأدَما ، وتجارة من تجارة قريش ، فيها عمرو ابن الحَضْرمى .

الخلاف حول نسب الحضرمى

قال ابن هشام : واسم الحَضْرمى : عبد الله بن عبّاد ، ويقال : مالك ابن عبّاد أحد الصَّدِف ، واسم الصَّدِف : عمرو بن مالك ، أحد السَّكُون ابن أشرس بن كِنْدة ، ويقال : كِنْدى .

قال ابن إسحاق : وعثمان بن عبد الله بن المُغيرة ، وأخوه نَوْفَل بن عبد الله المخزُومِيّان ، والحكم بن كَيْسان ، مولى هشام بن المُغيرة .

. . . .

فلما رآهم القوم هابوهم وقد نزلوا قريبا منهم ، فأشرف لهم عُكاشة بن محصن وكان قد حلق رأسه ، فلما رأوه أمنوا ، وقالوا عُمَّار ، لا بأس عليكم منهم . وتشاور القوم فيهم ، وذلك فى آخر يوم من رجب فقال القومُ والله لئن تركتم القومَ هذه الليلةَ ليدخلنّ الحرم ، فليمتنعُنّ منكم به ولئن قتلتموهم لتقتلُنَّهم فى الشهر الحرام ؛ فتردّد القوم ، وهابوا الإقدام عليهم ، ثم شجّعوا أنفسهم عليهم ، وأجمعوا على قتل من قَدَروا عليه منهم ، وأخْذِ ما معهم . فرمى واقدُ بن عبد الله التّميمي عمرو بنَ الحضْرمي بسهم فقتله ، واستأسر عثمانَ بن عبد الله ، والحكم بن كَيْسان ؛ وأفلتَ القومَ نوفلُ بنُ عبد الله فأعجزهم . وأقبل عبدُ الله بنُ جَحْش وأصحابه بالعير وبالأسيرين ، حتى قَدِموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة .

وقد ذكر بعض آل عبد الله بن جَحش : أن عبد الله قال لأصحابه : إن لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما غَنِمْنا الخمس وذلك أنْ يَفرض الله تعالى الخمسَ من المغانم — فعزَل لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم خمس العير ، وقسم سائرها بين أصحابه .

الرسول صلى الله عليه وسلم يستنكر القتال فى الشهر الحرام

قال ابن إسحاق : فلما قَدِموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ؛ قال : ما أمرتُكم بقِتال فى الشهر الحرام . فوقّف العير والأسيرين . وأبَى أن يأخذ من ذلك شيئا ؛ فلما قال ذلك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سُقط فى أيدى القوم ، وظنُّوا أنهم قد هلكوا ، وعنّفهم إخوانهم من المسلمين فيما صنعوا .

وقالت قريش قد استحلّ محمد وأصحابُه الشهرَ الحرام ، وسفكوا فيه الدم ، وأخذوا فيه الأموال ، وأسرُوا فيه الرجال ؛ فقال من يردّ عليهم من المُسلمين، ممّن كان بمكة : إنما أصابوا ما أصابوا فى شعبان .

وقالت يهود ـ تفاءلُ بذلك على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عمرو بن الحضرمىّ قتله واقدُ بن عبد الله ، عمرو ، عمرت الحربُ ؛ والحضرمى ، حضرت الحرب ؛ وواقد بن عبد الله ، وقدت الحرب . فجعل الله ذلك عليهم لا لهم .

ما نزل من القرآن فى فعل ابن جحش

فلما أكثر الناسُ فى ذلك أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم : ﴿ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ، قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ، وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَكُفْرٌ بِهِ ، وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللهِ ﴾ أى إن كنتم قتلتم فى الشهر الحرام فقد صدّوكم عن سبيل الله مع الكفر به ، وعن المسجد الحرام ، وإخْراجكم منه وأنتم أهلُه ، أكبر عند الله من قتل من قتلتم منهم ﴿ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ : أى قد كانوا يفتنون المُسلم فى دينه ، حتى يردُوه إلى الكفر بعد إيمانه ، فذلك أكبرُ عند الله من القتل ﴿ وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُم حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ﴾ : أى ثم هم مقيمون على أخْبث ذلك وأعظمه ، غيرَ تائبين ولا نازعين . فلما نزل القرآن بهذا من الأمر ، وفرّج الله تعالى عن المُسلمين ما كانوا فيه من الشَّفَقِ قبض رسولُ الله صلى الله عليه وسلم العيرَ والأسيرَيْن ،

رفع المسابهم

وبعثت إليه قريشٌ فى فِداء عثمان بن عبد الله والحكَم بن كَيْسان ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : لا نُفديكموها حتَّى يقدَم صاحبانا ـ يعنى سعدَ ابن أبى وقاص ، وعُتبة بن غزْوان ـ فإنَّا نخشاكم عليهما ، فإن تقتلوهما ، نقتل صاحبَيْكم . فقَدم سعدٌ وعُتبة ، فأفداهما رسولُ الله صلى الله عليه وسلم منْهم .

فأما الحكم بن كَيْسان فأسلم فحسُن إسلامه ، وأقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قُتل يوم بئر مَعونة شهيداً . وأما عثمان بن عبد الله فَلحِق بمكّة ، فمات بها كافراً .

فلما تجَلَّى عن عبدالله بن جَحْش وأصحابه ما كانوا فيه حين نزل القرآن ، طَمِعُوا فى الأجر ، فقالوا : يارسول الله : أنَطْمَع ، أن تكون لنا غزوة نُعْطَى فيها أجر المجاهدين ؟ فأنزل الله عزّ وجلّ فيهم : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هاجَرُوا وَجاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللهِ ، وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ، فوضعهم الله عزّ وجلّ من ذلك على أعظم الرجاء .

والحديث فى هذا عن الزهرى ويَزيد بن رُومان ، عن عُروة بن الزبير .

قال ابن إسحاق : وقد ذكر بعضُ آل عبد الله بن جَحْش : أن الله عزّ وجلّ قسم الفىء حين أحلّه ، فجعل أربعةَ أخماس لمن أفاءَه الله ، وخُمسا إلى الله ورسوله ، فوقع على ما كان عبد الله بن جَحْش صنع فى تلك العير .

قال ابن هشام : وهى أوّل غنيمة غنمها المسلمون . وعمرو بن الحضرمى

رفع المسهم

أوّل من قتله المسلمون ، وعثمانُ بن عبد الله ، والحكم بن كَيْسان أوّل من أَسَر المسلمون .

ما قيل من شعر فى هذه السرية

قال ابن إسحاق : فقال أبو بكر الصدّيق رضى الله عنه فى غزوة عبد الله ابن جَحْش ، ويقال : بل عبدُ الله جَحش قالها ، حين قالت قريش : قد أحل محمدٌ وأصحابُه الشّهر الحرام ، وسفكوا فيه الدم وأخذوا فيه المال ، وأسروا فيه الرجال ــ قال ابن هشام : هى لعبد الله بن جَحْش :

تَعُدّون قتلاً فى الحرام عظيمةً ... وأعْظَمُ منه لو يَرى الرُّشْدَ راشد
صدودُكم عما يقول محمدٌ ... وكُفْرٌ به والله ُ راءٍ وشاهد
وإخراجكم من مسجد الله أهلَه ... لِئلا يُري لله فى البَيْت ساجد
فإنا وإن عَيّرتمونا بقَتْلة ... وأرجف بالإسلام باغٍ وحاسد
سَقينا من ابن الحضرمى رماحَنا ... بنَخْلةَ لما أوقدَ الحربَ واقد
دما وابنُ عبد الله عثمان بيننا ... يُنازعه غُلّ من القدّ عاند

صرف القبلة إلى الكعبة

قال ابن إسحاق : ويقال : صرفت القبلة فى شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من مَقْدَم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة .

رفع
المسهم

تاريخ الهجرة ، وغزوة ودّان

ذكر قدومَ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ المدينةَ يوم الاثنين فى شهر ربيع ، وقد قدَّمنا فى باب الهجرة ماقاله ابنُ الكلبىِّ وغيرُه فى ذلك ، وفى أى شهر كان قدومُه من شُهُور العَجَم .

وذكر أنه أقام بالمدينة بقية شهر ربيع الأول وشهر ربيع الآخر ، وجُمادَيْن وكان القياسُ أن يقول : وشَهْرَىْ جُمادَى ، أو يقول : وبقيةَ ربيع وربيعاً الآخر ، كما قال فى سائر الشهور ، ولكن الشهر إذا سميته بالاسم العَلَم لم يكن ظَرْفا ، وكانت الإقامةُ أو العمل فيه كُلِّه إلا أنْ تقولَ شَهْر كذا ، كما تقدم من كلامنا على شَهْر رَمَضَانَ فى حديث المَبْعَثِ ، وكذلك قال سِيبَوَيْه ، فقولُ ابن إسحاق : جُمادَيْن وَرَجَباً مستقيم على هذا الأصل .

وقوله : بقية شهر ربيع ، فلأن العملَ والإقامة كان فى بعضه : فلذلك لم يقل : بقية ربيع الأوّل ، لكنه قال : وشهر ربيع الآخر ليزدَوِجَ الكلامُ ويُشاكل ماقبله ، وهذا كلُّه من فصاحته رحمه الله أو من فصاحة مَنْ كانَ قَبلَه إن كان رواه على اللفظ .

وقوله : وجُمادَيْن وَرَجَباً . كان القياسُ أن يقول : والجُمادَيْن بالألِف واللام ، لأنه اسمٌ عَلَم ، ولايثنى العَلَم ، فيكون معرفةً إلا أن تُدْخِلَ عليه الألِفَ واللام ، فتقول : الزَّيْدَان والعُمَران ، لكنه أجراه بفصاحته مجرى أبَانَيْن وقَنَوَيْن ، وكل واحد من هذين اسمٌ لجبلَين ، ولا تدخله الألِفُ واللام ، لأن

تعريفه لم يزل بالتثنية ، لأنهما أبداً امتلا زمان ، فالتثنية لازمة لهما مع العلمية بخلاف الآدميين ، ولما كان جمادَيان شهرين متكارهين جعلهما في الزمان كأبانين في المكان ، ولم يجعلهما كالزيدين والعمرين اللذين لاتلازم بينهما، وهذا كلامُ العرب . قال الحُطَيئة :

باتت له بكثيب حَرْبَة ليلة   وطفاء بين جُمادَين دَرُور

فإن قلت : فقد قالوا : السِّماكين في النجوم ، وهما متلازمان ، وكذلك السرطان ، قلنا : إنما كان ذلك لوجود معنى الصفة فيهما ، وهو عنده من باب الحارث ، والعباس في الآدميين ، وأكشف سرّ العلمية في الشهور والأيام وتقسيم أنواع العلمية ، والمراد بها في موضع غير هذا ، وإنما أعجبتني فصاحةُ ابن إسحاق في قوله : بقيةَ شهر كذا وشهر كذا وجُمادَيْن ورجباً وشعبانَ ونزّل الألفاظَ عند منازلها عند أرباب اللغة الفاهمين لحقائقها ، رحمه الله .

غزوة عبيدة بن الحارث :

وذكر في غزوة عُبَيدَةَ ولقائه المشركين : وعلى المشركين مِكْرَز بن حَفصِ بن الأَخْيَفِ ، هكذا الرواية حيث وقع بكسر الميم . وذكر ابن ماكولا في المؤتلف والمختلف عن أبي عبدة النسابة أنه كان يقول فيه مَكْرَز بفتح الميم ، وكأنه مِفْعَلُ أو مَفْعَل من الكَرِيز ، وهو الأَقِطُ[1] وكذلك ذكر هو وغيره في الأَخيف ههنا أنه بفتح الهمزة وسكون الخاء ، وكان ابن ماكولا وحده

---

(1) الأقط : لبن محمض يجمد حتى يستحجر ويطبخ ، أو يطبخ به .

. . . .

يقول فى الأُخَيِّفِ من بنى أُسَيِّدِ بن عَمْرو بن تَمِيم ، وهو جد الخَشْخَاشِ التميمى : أُخَيْف بضم الهمزة وفتح الخاء ، وقال الدارقطنى : أخَيْف كما قالوا فى الأول .

شرح القصيدة المنسوبة إلى أبى بكر وقصيدة ابن الزبعرى وأبى جهل :

فصل : وذكر ابن إسحاق القصيدةَ التى تُعْزَى إلى أبى بكر ، ونقيضتها لابن الزِّبَعْرَى ، والزِّبَعْرَى فى اللغة السَّيِّء الخُلُقِ(١)، يقال: رجل زِبَعْرَى ، وامرأة زِبَعْرَاة ، والزِّبَعْرَى أيضاً البعير الأزَبُّ الكثير شَعَرِ الأُذُنَيْنِ مع قِصَرٍ ، قاله الزبير . وفى هذا الشعر أو الذى بعده ذكر الدَّبَّة وهو الكَثِيبُ من الرَّمْل ، وأما الدُّبَّة بضم الدال فإنه يقال : جرى فُلان على دُبَّة فُلان أى على سُنَّتِه وطريقته ، والدَّبَّة أيضاً ظرف الزيت(٢) ، قال الراجز :

ليك بالعنف عِمَاص الدَّبَّة

والدِّبَّة بكسر الدال هيئةُ الدبيب ، وليس فيها ما يشكل معناه .

وقوله :

تَخَذِى فى الشَّرِيج الرَّثَاثث ...

---

(١) فى الاشتقاق : رجل زبعرى : إذا كان غليظا كثير الشعر ، وامرأة زبعراة : غليظة كثيرة شعر الجسد .

(٢) الدبة الذى هو الموضع الكثير الرمل يضرب مثلا للدهر الشديد ، يقال وقع فلان فى دبة من الرمل ، لأن الجمل إذا وقع فيه تعب .

. . . .

السريح : شِبْه النعل تلبسه أخفافُ الإبل ، يريد : أن هـــذه الإبلَ الحَرَاجِيجَ ، وهى الطّوال تَحْذِى أى : تُسرع فى سَرِيح قد رَثّ من طُول السير . قال الشاعر :

دَوَامِى الأَيْدِ يَخْبِطن السريحا

وذكر العَثَاعِث ، واحدها : عَثْعَث ، وهو من أكرم منابت العشب ، قاله أبو حنيفة ، وفى العَيْن : العَثْعَث ظَهْرُ الكَثِيب الذى لا نبات فيه .

وذكر ابنُ هشام أن قوما من أهل العلم بالشعر أنكروا أن تكونَ هذه القصيدةُ لأبى بكر ، ويشهد لِصِحَّةِ مَنْ أنكر أن تكونَ له ما رَوَى عبدُ الرّزاق عن مَعْمَرٍ عن الزُّهْرِىِّ عن عُرْوَة عن عائشة قالت « كَذَبَ مَنْ أخبركم أنَّ أبا بكرٍ قال بيتَ شعرٍ فى الإسلام » رواه محمدٌ البخارى عن أبى المتوكل عن عبد الرزاق[1] . وقول ابن الزِّبَعْرَى : بين نَسْءٍ وطَامِث ، والنَّسْءُ : حمل المرأة فى أوله ، والطَّامِثُ مَعْرُوفٌ[2] يقال نُسِئَتْ المرأة [نَسْأً] إذا تأخر حَيْضُها من أجل الحَمْل[3] . من كتاب العين

وقولُ أبى بكر : رَأْبَ[4] ابن حارث . يعنى : عُبَيْدَةَ بنَ الحارثِ ابن عبد المطلب .

---

(١) كذلك ذكر أبو ذر الخشنى فى شرحه للسيرة . (٢) الحائض .

(٣) فى القاموس : النسىء بالتثليث : المرأة المظنون بها الحمل كالنسوء ، أو التى ظهر حملها ، ونسئت المرأة : تأخر حيضها عن وقته ، فرجى أنها حبلى .

(٤) فى السيرة : رأف من الرأفة . وإليك معانى بعض ماترك السهيلى من=

. . . .

أسماء ممنوعة من التنوين :

وقول أبي جهل :

وورّعني مَجْدِيْ عنهم وصُحْبَتي

ترك صَرْفَ مَجْدي(١)، لأنه علَم، وترْكُ التنوين في المعارف كلها أصلٌ لا يُنوّن.

= قصيد أبي بكر وابن الزبعرى ننقله من شرح أبي ذر. الدمائث : الرمال اللينة . هروا : وثبوا كما تثب الكلاب . المحجرات : يعني : الكلاب التي أحجرت وألجئت إلى مواضعها . اللواهث : أي التي أخرجت ألسنتها وتعبت أنفاسها . متتنا : اتصلنا . غير كارث : غير محزن . الفروع الأثايث : الكثيرة المجتمعة . أولي : أحلف وأقسم . الراقصات : يعني الإبل ، والرقص : ضرب من المشي . حراجيج : مفردها : حرجوج — وقد فسرها السهيلي — وتروى عنا جيج : أي الحسان السريح : قطع جلود تربط على أخفاف الإبل مخافة أن تصيبها الحجارة . الرثايثه يعني : البالية الخلقة . أدم ظباء : السمر الظهور البيض البطون . عكف : مقيمة . النبائث : جمع نبيثة ، وهي تراب يخرج من البئر إذا نقيت . تعصب الطير : تجتمع . تشعثوا : تغيروا وتفرقوا لائث : محتبس ويروى لابث ، أي : غير ماكث . عرام : كثرة وشدة . الهياج : الحرب ، سمر : رماح ، وردينة : امرأة تنسب إليها الرماح . جرد : القصيرات الشعر أو السريعة . والعجاج : الغبار عوائث : مفسدات . أصعار أو أصغاء : أميل . الذحول : جمع ذحل : طلب الثأر . رائث : بطيء . أيامى : ليس لهم أزواج . حفي : كثير السؤال .

شرح أبيات سعد : الحزونة : الوعر من الأرض . سيف البحر : ساحله . العيص : موضع ، وأصل العيص منبت الشجر

شرح قصيدة حمزة : السوام : الإبل المرسلة في المرعى . بتلنام : عادينام . والبتل : العداوة ، ويقال طلب الثأر . المراجل : جمع مرجل : القدر .

(١) هو مجدي بن عمرو الجهني .

مُضْمَرٌ ولا مُبْهَمٌ ، ولا ما فيه الألف واللام ولا مضاف ، وكذلك كان القياس في العَلَم ، فإذا لم يُنوَّن في الشِّعْر فهو الأصل فيه ، لأن دخولَ التنوين في الأسماء إنما هو علامة لانفصالها عن الإضافة ، فما لا يُضاف لا يَحتاج إلى تنوين ، وقد كشفنا سرَّ التنوين وامتناع التنوين والخفض مما لا ينصرف في مسْئَلةٍ أفردناها في هذا الباب ، وأتينا فيها بالعَجَبِ الْعُجَابِ ، والشواهدُ على حذف التنوين في الشعر من الاسم العلَم كثيرةٌ جداً ، فتأمله في أشعار الأخْيَر والذى ماز تجدْها ، وغرضُنا في شرح هذه الأشعار الواردة في كتاب السيرة أن نشرح منها ما استَغْلَق لفظُه جدًّا ، أو غَمَضَ إعرابُهُ على شَرْطنا في أول الكتاب .

روايةُ شعر الكفرة :

لكني لا أعرِض لشيء من أشعار الكَفَرة التي نالوا فيها من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا شعر مَنْ أسلم وتَابَ كضِرَار وابن الزِّبَعْرى ، وقد كرِه كثيرٌ من أهل العلم فعل ابن إسحاق في إدخاله الشعرَ الذي نِيلَ فيه من رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ومِن الناس مَن اعتذر عنه : قال حكاية الكُفْرِ ليس بكفر والشعرُ كلامٌ ، ولا فرقَ أن يُروى كلامُ الكفرة ومُحاجَّتُهم للنبي صلى الله عليه وسلم وردُّهم عليه منثوراً وبين أن يُرْوَى منظوماً ، وقد حكى ربُّنا سبحانه في كتابه العزيزِ مقالاتِ الأمم لأنبيائها ، وماطَعَنوا به عليهم ، فما ذُكِر من هذا على جهة الحكاية نظماً أو نثراً فإنما يُقصَد به الاعتبارُ بما مضى ، وتَذَكُّرُ نعمة الله تعالى على الهدى ، والإنقاذ من العَمَى .

وقد قال عليه السلام : « لأن يَمتلِئَ جوْفُ أحدِكم قيحاً خيرٌ له من أن يَمتلئَ

. . . .

شِعْراً»(١) وتأوّلته عائشةُ رضى الله عنها فى الأشعار التى هُجِى بها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأنكرت قولَ مَنْ حمله على العُموم فى جميع الشعر ، وإذا قلنا بما رُوِى عن عائشةَ فى ذلك ، فليس فى الحديث إلا عيب امتلاءِ الجوفِ منه . وأما رواية اليسير منه على جهة الحكاية ، أو الاستشهاد على اللغة ، فلم يدخل فى النهى ، وقد رد أبو عُبَيْد على من تأوّل الحديثَ فى الشعر الذى هُجِى به الإسلامُ ، وقال : رواية نصف بيت من ذلك الشعر حرامٌ ، فكيف يُخَصُّ امتلاء الجوف منه بالذم ، وعائشة أعلم ، فإن البيتَ والبيتين والأبيات من تلك الأشعار على جهة الحكاية بمنزلة الكلام المنثور الذى ذَمُّوا به رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا فرق وقول عائشة الذى ، قدمناه ذكره ابن وَهْبٍ فى جامعه ، وعلى القول بالإباحة ، فإن النفسَ تَقذَرُ تلك الأشعارَ وتبغضها وقائليها فى الله ، فالإعراض عنها خيرٌ من الخَوْضِ فيها والتتبع لمعانيها .

غزوة بواط

وبُوَاطٌ جَبَلان فَرْعان لأصل ، وأحدُهما : جَلْسِىٌّ ، والآخر غَوْرِىٌّ ، وفى الجَلْسِى بنو دِينارٍ [موالى بنى كُنَيْب بن كثير] يُنْتَسبون إلى دينار مولى عبد الملك بن مَرْوَان(٢) .

---

(١) متفق عليه ، ورواه أيضا أحمد وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجة

(٢) ما بين قوسين من معجم ما استعجم الذى نقل عنه السهيلى ، ويقول البكرى عن دينار إنه كان طبيبا لعبد الملك بن مرون .

. . . .

ذكر فيه استخلافَ رسولِ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على المدينةِ السائبَ ابنَ مَظْعُونٍ ، وهو أخو عثمان بن مظعون بن حبيب بن وَهْبِ بن حُذَافَة بن جُمَح ، شهد بدراً في قول ابن إسحاق ، ولم يذكره موسى بن عُقْبَة في البَدْرِيين ، وأما السائب بن عثمان وهو ابن أخي هذا ، فشهد بدراً في قول جميعهم إلا ابن الكلبي ، وقتل يوم اليمامة شهيداً(١) .

غزوة العشيرة

يقال فيها : العُشَيْرَة والعُشَيْراء وبالسين المهملة أيضاً العُسَيْرَة والعُسَيْراء ، أخبرني بذلك الإمامُ الحافظُ أبو بكر رحمه الله ، وفي البخاري : أن قَتَادَةَ سُئِل عنها فقال : العُسَيْر(٢) ، ومعنى العُسَيْرة والعُسَيْراء ، أنه اسم مُصَغَّر من العَسْرَاءِ والعُسْرَى ، وإذا صغر تصغير التَّرْخِيم قيل : عُسَيْرَة ، وهي بقلة تكون أذَنَةً أي عَصِيفَةً ، ثم تكون سِحَاءً ، ثم يقال لها العُسْرى. قال الشاعر:

---

(١) كان ابن الكلبي يقول إن البدري هو السائب بن مظعون عم السائب بن عثمان جرح السائب بن مظعون في غزوة اليمامة ، ومات من جرحه وهو ابن بضع وثلاثين سنة .

(٢) رواه البخاري بسنده عن أبي إسحاق : كنت إلى جنب زيد بن أرقم ، فقيل له: كم غزا النبي « ص » من غزوة . قال : تسع عشرة ، قيل : كم غزوت أنت معه ؟ قال: سبع عشرة . قلت: فأيهم كانت أول ؟ قال : العسيرة أو العشير . فذكرت لقتادة فقال : العشيرة . لكن ورد في عدة روايات أخرى أن الغزوات إحدى وعشرون ، فلعله فاته اثنان لصغر سنه ، أو لعله عد اثنتين واحدة . بضم قريظة إلى الأحزاب ، أو ضم الطائف إلى حنين . والذي سأل قتادة هو شعبة . ورواية الترمذي : أيتهن ، فيكون الخطأ في : أيهم إما من البخاري ، أو من شيخه عبد الله ـــ

. . . .

وما مَنَعناها الماء إلا ضَنَانَةً بأطرافِ عُشْرَى شَوْكُها قد تَخَدَّدا

ومعنى هــذا البيت كمعنى الحديث : « لا يُمْنَعُ فَضْلُ الماء لِيُمْنَعَ به الـكَلَأُ[١] » وأما العُشَيْرةُ بالشين المنقوطة ، فواحدة العُشَر مُصَغَّرة .

وذكر فيها الضَّبُوعَة ، وهو : اسم موضع ، وهو فَعُولَة من ضَبَعَتِ الإبلُ : إذا امرَّت أضْباعَها في السَّيْر[٢] وفي الضَّبُوعَةِ نزل عند شَجَرة ، يقال لها : ذات السَّاقِ ، وابتنى ثَمَّ مَسْجِداً ، واسْتَسْقَى من ماءٍ هنالك يقال له المشيرب كذلك جاء في رواية البَكَّائي وغيرِه عن ابن إسحاق .

وذكر فيه مَلَلاً ، وهو اسم موضع يقال : إنه إنما سُمِّي مَلَلاً ؛ لأن الماشي إليه من المدينة لا يبلغه إلاَّ بعد جهد ومَلَلٍ ، وهو على عشرين ميلا من المدينة ، أو أكثر قليلا . وذكر الخَلائِقَ وهي آبار معلومة[٣] .

ورواها غير أبي الوليد الحَلائِقَ بخاء منقوطة ، وفسرها بعضهم :

= ابن محمد المسندي ، أو من شيخه وهب بن جرير . ووقع في الترمذي أن الغزوة : العشير أو العسير . وقول قتادة هو الذي اتفق عليه أهل السير .

(١) فسره ابن الأثير بقوله « هو نقع البئر المباحة ، أي : ليس لأحد أن يغلب عليه ، ويمنع الناس منه حتى يحوزه في إناء ويملكه » . وفسر « لا يمنع فضل الماء » فقط بقوله : « هو أن يسقي الرجل أرضه ، ثم تبقى من الماء بقية لا يحتاج إليها ، فلا يجوز له أن يبيعها ولا يمنع منها أحداً ينتفع به . هذا إذا لم يكن الماء ملكه ، أو على قول من يرى أن الماء لا يملك » .

(٢) أي أسرعت في السير .

(٣) [illegible] آبار لقريش والأنصار

رفع المسـهم

جمع خَلِيقَة وهي البئر التي لا ماءَ فيها(١)، وأكثر روايات الكتاب على هذا فالله أعلم.

وذكر فَرْشَ مَلَلٍ، والفَرْشُ فيما ذكر أبو حنيفة: مكانٌ مُسْتَوٍ تَنبُته العُرْفُطُ والسَّيَالُ والسَّمُرُ يكون نحوا من ميل أو فَرْسَخ، فإن أنبت العُرْفطَ وحده فهو وَهْطٌ، وإن أنبت الطَّلْحَ وحده، فهو غَوْلٌ وجمعه غيلان على غير قياس، وإن أنبت النَّصِيَّ والصِّلِّيَانَ، وكان نحوا من ميلين قيل له: لُمِعَة.

تكنية على بأبي تراب:

وذكر حديثين في تكنية على بأبي ترابٍ، وأصح من ذلك ما رواه البخاري في جامعه: وهو أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وجده في المسجد نائما وقد تَرِب جنبُه، فجعل يَحُتُّ الترابَ عن جنبه، ويقول: قم أبا تراب، وكان قد خرج إلى المسجد مغاضبا لفاطمة، وهذا معنى الحديث، وما ذكره ابن إسحاق من حديث عَمَّار مخالف له، إلا أن يكونَ رسول الله صلى الله عليه وسلم كنَّاه بها مرتين، مَرَّةً في المسجدِ، ومَرَّةً في هذه الغزوة، فالله أعلم.

أشقى الناس

وذكر أشقى الناس قال: وهو أُحَيْمِرُ ثمود الذي عَقَر ناقةَ صالحٍ واسمه:

---

(١) قال أبو ذر: والخليقة أيضا موضع فيه مزارع ونخل وقصور لقوم آل الزبير.

. . . .

قُدَارُ بن سالف وأمُّه قُدَيْرَة وهو من التسعة رَهْطِ المذكورين فى سورة النمل ، وقد ذكرت أسماءهم فى كتاب التعريف والإعلام .

موادعة بنى ضمرة

وذكر مُوادَعَتَه لبنى ضَمْرَةَ ، وهم بطن من كنانة ، ثم من بنى لَيْثٍ ، وهم بنو غِفَارٍ وبنو نُفَيْلَةَ بنى مُلَيْل(١) ، بن ضمرة ، وكانت نسخةُ الموادَعة فيما ذكر غيرُ ابن إسحاق « بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتابٌ من محمد رسول الله لبنى ضَمْرَة ، فإنهم آمنون على أموالهم وأنفسهم ، وإن لهم النصر على من رَامَهم إلاّ أنْ يُحاربوا فى دين الله مَابلَّ بحرٌ صُوفَةً ، وإن النبى إذا دعاهم لنصره ، أجابوه ، عليهم بذلك ذِمَّةُ الله وذِمَّةُ رسوله ، ولهم النصر على مَنْ بَرَّ منهم واتَّقى »

سرية عبد الله بن جحش

صحة الرواية بالمناولة

وهو المُجَدَّعُ فى الله ، وسيأتى حديثُه فى غَزْوة أُحُدٍ وتَرْجَم البخارىُّ على هذا الحديث فى كتاب العِلم احتجاجا به على صحة الرواية بالمُنَاوَلة ، لأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ناول عبدَ الله بن جَحْشٍ كتابَه ، ففتحه بعد يومين فعمل على مافيه . وكذلك العالم إذا ناول التلميذَ كتابا جاز له أن يَرْوِى .

---

(١) فى القاموس : مليك

. . . .

عنه مافيه، وهو فِقْهٌ صحيح، غير أن الناسَ جعلوا المُنَاوَلَةَ اليوم على غير هذه الصورة يأتى الطالبُ الشيخَ، فيقول: ناولنى كتبك، فيناوله ثم يُمسك متاعه عنده، ثم ينصرف الطالبُ، فيقول: حدَّثنى فلانٌ مُنَاوَلَةً، وهذه رواية لاتصح على هذا الوجه، حتى يذهب بالكتاب معه، وقد أذن له أن يُحَدِّثَ بما فيه عنه، وممن قال بصحة المناولة على الوجه الذى ذكرناه مالكُ بن أنسٍ: روى إسماعيلُ ابن صالح عنه أنه أَخْرَجَ لهم كتبا مَشْدُودَةً، فقال: هذه كتبى صححتها ورويتها، فارْوُوها عنى، فقال له إسماعيل بن صالح: فنقول: حدثنا مالكٌ؟ قال: نعم، روى قصةَ إسماعيلَ هذه الدَّارَقُطنىُّ فى كتاب رُواة مالك رحمه الله.

اولاد الحضرمي:

وذكر عَمرو بن الحَضْرَمِيِّ، وكانوا ثلاثةً: عَمراً وعامرا والعَلاءَ، فأما العلاء فمن أفاضل الصحابة، وأختهم الصَّعْبةُ أم طَلْحَةَ بن عُبَيْد الله، وكانت قبل أبيه عند أبى سفيان بن حَرْب، وفيها يقول حين فارقها:

وإنى وصَعْبَةَ فيما نرى ... بعيدان والوُدُّ ودٌّ قريب
فإن لا يكنْ نَسَبٌ ثاقِبٌ ... فعند الفتاة جَمالٌ وطيبٌ
فيال قصى ألا تعجبون ... إلى الوَبْرِ صار الغزالَ الرَّبِيبُ

وفى نسب بَنى الحَضْرَمِيِّ اضطراب، فقد قيل ما قاله ابن إسحاق، وقيل: هو عبد الله بن عَمَّاد بن ربيعة، وقيل ابن عَيَّاد، وابن عَبَّاد بالباء، والذى ذكره ابن إسحاق أصح، وهم من الصَّدِف، ويقال فيه: الصَّدِف بكسر

. . . .

الدال ، قاله ابن دُرَيْد ، و الصَّدِفُ : مالك بن مُرَتِّع بن ثَوْر[1] وهو كِنْدَة وقد قدمنا ماقيل فى اسم كِنْدَة وفى معناه فى المبعث ، وقد قيل فى الصَّدِف هو ابن سَمَّال بن دُعْمِى بن زياد بن حَضْرَمَوْت ، وقيل فى حَضْرَمَوْت : إنه من ولد حِمْيَر بن سَبَأ ، وقيل : هو ابن قَحْطَان بن عابر[2] ، والله أعلم .

حكمة تحريم القتال في الأشهر الحرم

وذكر الشهرَ الحرامَ، وما كان من أهل التَّمرِيَةِ فيه ، وأنه سُقِط فى أيديهم لِمَا أصابوا فيه من الدَّم ، وذلك أن تحريمَ القتال فى الأشهرِ الحُرُم كان حُكماً معمولا به من عهد إبراهيمَ وإسماعيلَ ، وكان من حُرُمات الله ، ومما جعله مَصْلَحَة لأهل مكَّة ، قال الله تعالى : ﴿ جَعَلَ اللهُ الكعبةَ البيتَ الحرام قيامًا للناس والشهرَ الحرامَ ﴾ المائدة : ٩٧ وذلك لما دعا إبراهيمُ لذريته بمكة ، إذ كانوا بوادٍ غيرِ ذى زَرْعٍ أن يجعلَ أفئدةً من الناس تَهْوِى إليهم ، فكان فيما فُرِض على الناس من حَجِّ البيت قِوامًا لمصلحتهم ومعاشِهم ، ثم جعل الأشهرَ الحرمَ أربعةً : ثلاثةً سَرْداً ، وواحداً فردا ، وهو رَجَب ، أما الثلاثة

---

(١) فى جمهرة ابن حزم : والصدف هم فى بنى حضرموت ، وهو الصدف ابن أسلم بن زيد بن مالك بن زيد بن حضرموت الأكبر . وقال عن العلاء هو ابن عبد الله بن عبدة ، بن ضماد ، بن مالك . وقال أبو ذر الخشنى : عبد الله ابن عناد ص ٤٣٠ جمهرة . وفى القاموس عن مرتع « وكمحسن أو محدث لقب عمرو بن معاوية بن ثور جد لامرىء القيس بن حجر ، ولقب به ، لأنه كان يقال له : أرتعنا فى أرضك ، فيقول : قد أرتعت مكان كذا ، وكذا »

(٢) وقيل هو ابن يقظان أخى قحطان ص ٤٢٩ الجمهرة .

غزوة بدر الكبرى

عير أبى سفيان

قال ابن إسحاق. ثم إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع بأبى سفيان بن حَرْبٍ مقبلاً من الشام فى عير لقُريش عظيمة ، فيها أموال لقريش وتجارةٌ من

فِنيَا من الحجاج واردين إلى مكّة ، وصادرين عنها شَهْرا قبل شهر الحج ، وشهرا بعده قدرما يصل الراكبُ من أقصى بلاد العرب ، ثم يرجعُ ، حِكمةً من الله، وأما رَجَبُ فللعُمّارِ يَأمنون فيه مُقْبِلين وراجعين نِصْفُ الشهر للإقبال ، ونصفه للإياب ، إذ لا تكون العُمْرَةُ من أقاصى بلادِ العرب كما يكون الحجُّ، ألا تَرَى أنا لا نَعْتَمِر من بلاد المغرب ، فإذا أردنا عُمْرةً فإنما تكون مع الحج ، وأقصى منازل المُعْتَمِرين بين مَسِيرة خَمْسَةَ عَشَرَ يوما ، فكانت الأقوات تأتيهم فى المواسم ، وفى سائر العام تنقطع عنهم ذُؤْبانُ العربِ وقُطّاعُ السُّبُل ، فكان فى رجب أمانٌ للسالكين إليها مصلحةً لأهلها ونظرا من الله لهم دبّره وأبقاه من مِلّةِ إبراهيم لم يُغَيَّر حتى جاء الإسلامُ ، فكان القتال فيه مُحرّما كذلك صَدْراً من الإسلام ، ثم أباحته آيةُ السيف ، وبقيت حُرْمَةُ الأشهر الحرم لم تُنْسَخ ، قال الله سبحانه : ﴿ منها أربعةٌ حُرُمٌ فلا تَظْلِموا فيهن أنفسكم ﴾ التوبة : ٣٦ ، فتعظيمُ حُرمتها باقٍ ، وإن أبيح القتال ، وقد روى عن عطاء أن تحريمَ القتال فيها حكم ثابت لم يُنْسخ ، وقد تقدم فى باب نسب النبى — صلى الله عليه وسلم — ذكر سَعْدِ رَجَب ، وهو أول من سَنّه للعرب فيما زعموا .

تجاراتهم وفيها ثلاثون رجلا من قريش أو أربعون ، منهم مَخْرمة بن نوفل ابن أُهَيب بن عبد مناف بن زُهْرة ، وعمرو بن العاص بن وائل بن هشام .

ندب المسلمين للعير وحذر أبي سفيان

قال ابن هشام : ويقال : عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم .

قال ابن إسحاق: فحدثني محمد بن مُسْلم الزُّهرى ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، وعبدُ الله بن أبى بكر ويزيد بن رُومان عن عُروة بن الزبير وغيرهم من علمائنا عن ابن عباس ، كلٌّ قد حدّثنى بعضَ هذا الحديث فاجتمع حديثُهم فيما سُقْت من حديث بدر ، قالوا : لما سمع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بأبى سُفيان مُقْبِلاً من الشام ، ندَب المسلمين إليهم وقال هذه عِيرُ قُريش فيها أموالُهم فاخرُجوا إليها لعلّ الله يُنفِلُكُموها . فانتدب الناسُ فخفّ بعضُهم وثقُل بعضُهم ، وذلك أنهم لم يظنُّوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يَلقَى حَرْبا ، وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتحسس الأخبارَ ويسأل مَنْ لَقِى من الرُّكبان تخوُّفا على أمرِ الناس • حتى أصاب خبراً من بعض الرُّكبان : أن محمداً قد استَنْفر أصحابَه لك ولعيرك فحَذِر عند ذلك . فاستأجر ضَمْضَم بن عَمْرو الغفارىّ ، فبعثه إلى مكة ، وأمره أن يأتِىَ قُريشا فيَستنفرَهم إلى أموالهم ، ويُخبرهم أنّ محمداً قد عرض لها فى أصحابه . فخرج ضَمْضم بن عَمْرو سريعا إلى مكة .

ذكر رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب

قال ابن إسحاق: فأخبرني من لا أتّهم عن عِكْرِمة عن ابن عباس، ويزيد ابن رُومان، عن عُروة بن الزُّبير، قالا: وقد رأت عاتكةُ بنت عبد المطلب، قبل قدوم ضَمْضَم مكة بثلاث ليال، رُؤيا أفزعتها. فبعثتْ إلى أخيها العباس ابن عبد المطلب فقالت له: يا أخي، والله لقد رأيت الليلة رُؤيا أفظعتني، وتخوّفتُ أن يدخل على قومك منها شرّ ومُصيبة، فاكْتم عني ما أحدّثك به؛ فقال لها: وما رأيتِ؟ قالت: رأيتُ راكبا أقبل على بَعير له، حتى وقف بالأَبْطح، ثم صَرخ بأعلى صوته: ألا انْفِرُوا يا آل غُدُرُ لمصارِعكم في ثلاث، فأرى الناسَ اجتمعوا إليه: ثم دخلَ المسجدَ والناسُ يَتْبعونه، فبينما هم حوله مَثَل به بعيرُه على ظهر الكعبة، ثم صرخ بمثلها: ألا انفروا يا آل غُدُرُ لمصارعكم في ثلاث: ثم مَثَل به بعيرُه على رأس أبي قُبَيس فصرخ بمثلها. ثم أخذ صخرة فأرسلها فأقبلت تَهْوِي، حتى إذا كانت بأسفلِ الجبل ارفضّت، فما بقي بيتٌ من بيوت مكة، ولا دارٌ إلا دخلتها منها فلقة؛ قال العباس: والله إن هذه لرُؤيا، وأنتِ فاكْتُميها، ولا تَذكريها لأحد.

ذيوع الرؤيا وما أحدثت بين أبي جهل والعباس

ثم خرج العباس، فلقي الوليدَ بن عُتبة بن رَبيعة، وكان له صديقا، فذكرها له، واستكتمه إياها. فذكرها الوليدُ لأبيه عُتبة، ففشا الحديثُ بمكة، حتى تحدّثت به قُرَيش في أنديتها.

قال العباس : فغدوت لأطوف بالبيت وأبو جهل بن هشام فى رهط من قريش قعود يتحدثون برؤيا عاتكة ، فلما رآنى أبو جهل قال : يا أبا الفضل إذا فرغت من طوافك فأقبل إلينا ، فلما فرغت أقبلت حتى جلست معهم ، فقال لى أبو جهل : يابنى عبد المطلب ، متى حدثت فيكم هذه النبية ؟ قال : قلت : وما ذاك ؟ قال: تلك الرؤيا التى رأت عاتكة ؛ قال : فقلت : ومارأت؟ قال : يا بنى عبد المطلب ، أما رضيتم أن يتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم ، قد زعمت عاتكة فى رؤياها أنه قال: انفروا فى ثلاث، فسنتربص بكم هذه الثلاث، فان يك حقا ماتقول فسيكون ، وإن تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شىء ، نكتب عليكم كتابا أنكم أكذب أهل بيت فى العرب . قال العباس : فوالله ما كان منى إليه كبير ، إلا أنى جحدت ذلك ، وأنكرت أن تكون رأت شيئا : قال. ثم تفرقنا .

فلما أمسيت ، لم تبق امرأة من بنى عبد المطلب إلا أتتنى ، فقالت : أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع فى رجالكم ، ثم قد تناول النساء وأنت تسمع ، ثم لم يكن عندك غير لشىء مما سمعت ، قال : قلت : قد والله فعلت ، ما كان منى إليه من كبير . وايم الله لأتعرضن له ، فإن عاد لأكفينكنه .

قال : فغدوت فى اليوم الثالث من رؤيا عاتكة ، وأنا حديد مغضب أرى أنى قد فاتنى منه أمر أحب أن أدركه منه . قال: فدخلت المسجد فرأيته ، فوالله إنى لأمشى نحوه أتعرضه ، ليعود لبعض ما قال فأقع به ، وكان رجلا خفيفا ، حديد الوجه ، حديد اللسان ، حديد النظر . قال : إذ خرج نحو باب

رفع المسهم

المسجد يشتد . قال : فقلت فى نفسى : ماله لعنه الله ، أكلُّ هذا فَرَقٌ منى أن أشاتمه ! قال : وإذا هو قد سمع مالم أسمع : صوت ضَمْضَم بن عمرو الغفارى ، وهو يَصرخ ببطن الوادى واقفا على بعيره ، قد جَدَّع بعيره ، وحوّل رَحْله ، وشقّ قميصَه ، وهو يقول : يامعشر قريش ، اللطيمةَ اللَّطيمَةَ ، أموالُكم مع أبى سفيان قد عَرَضَ لها محمدٌ فى أصحابه ، لا أرى أن تُدركوها ، الغَوْثَ الغَوْثَ . قال : فشغلنى عنه وشغله عنى ماجاء من الأمر .

قريش تتجهز للخروج

فتجهّز الناس سِراعاً ، وقالوا : أيظنّ محمد وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضْرمى ، كلا والله ليعلمَنّ غيرَ ذلك . فكانوا بين رجلَين ، إما خارج وإما باعثٌ مكانَه رجلاً . وأوْعبت قريشٌ ، فلم يتخلّف من أشرافها أحدٌ .

إلا أن أبا لهب بن عبد المطلب تخلّف ، وبعث مكانه العاصى بن هشام ابن المُغيرة وكان قد لاط له بأربعة آلاف درهم كانت له عليه ، أفلس بها ، فاستأجره بها على أن يجزئ عنه ، بعثه فخرج عنه ، وتخلّف أبو لهب .

خروج عقبة

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى نَجيح : أن أُميَّة بن خلف كان أجمع القُعودَ ، وكان شيخا جليلا جَسِيما ثقيلا ، فأتاه عُقْبة بن أبى معيط ، وهو جالس فى المَسجد بين ظَهْرانَىْ قومه ، بمِجْمَرَةٍ يحملها ، فيها نار ومِجْمَر حتى

وضعها بين يديه ، ثم قال : يا أبا على اسْتَجْمِرْ ، فإنما أنت من النساء ؛ قال : قَبَّحكَ الله وقَبَّحَ ماجئتَ به ، قال : ثم تجَهّز فخرج مع الناس .

ما وقع بين قريش وكنانة

قال ابن إسحاق : ولما فرغوا من جهازهم ، وأجمعوا المسيرَ ، ذكروا ما كان بينهم وبين بَنى بكر بن عبدمَناة بن كنانة من الحرب ، فقالوا : إنانخشى أن يأتونا من خَلْفنا ، وكانت الحربُ التى كانت بين قُريش وبين بنى بَكر ــ كما حدثنى بعض بنى عامر بن لُؤَىّ ، عن محمد بن سعيد بن المُسَيَّب ــ فى ابن لِحَفْصِ بن الأخْيَف ، أحد بنى مَعيص بن عامر بن لُؤَىّ ، خرج يَبْتغى ضالة له بضَجْنان ، وهو غلام حَدَث فى رأسه ذُؤابة ، وعليه حُلَّة له ، وكان غلاما وضيئا نظيفا ، فمرّ بعامر بن يَزيدَ بن عامر بن المُلوّح ، أحد بنى يَعْمَر بن عَوْف بن كَعْب بن عامر بن لَيْث بن بكر بن عبد مَناة بن كِنانة ، وهو بضَجْنان ، وهو سيدُ بنى بكر يومئذ ، فرآه فأعجبه ؛ فقال : من أنت ياغلام ؟ قال : أنا ابنٌ لِحَفْص ابن الأخْيف القُرَشى . فلما ولَّى الغلام ، قال عامر بن زيد : يابنى بكر ، مالكم فى قُريش من دم ؟ قالوا : بلى والله ، إن لنا فيهم لدماء ؛ قال ما كان رجل ليقتل هذا الغلام برَجُله إلا كان قد استوفى دمَه : قال : فتبعه رجلٌ من بنى بكر فقتله بدم كان له فى قُريش ؛ فتكلَّمت فيه قريش ، فقال عامر بن يزيد : يامعشر قريش قد كانت لنا فيكم دماء ، فما شئتم . إن شئتم فأدُّوا علينا مالَنا قِبَلكم ، ونؤدّى مالكمْ قِبَلنا ، وإن شئتم فانما هى الدماء : رجلٌ برجل ، فتجافَوْا عمَّا لكم قِبَلنا ، ونتجافى عمَّا لنا قِبَلكم ، فهان ذلك الغلامُ على هذا

الحىّ من قريش ، وقالوا : صدق ، رجلٌ برجل . فلَهوْا عنه ، فلم يطلبوا به .

قال : فبينما أخوه مِكْرَز بن حَفْصِ بن الأخْيَفِ يسير بمَرّ الظَّهران ، إذْ نظر إلى عامر بن يزيد بن عامر المُلَوَّح على جمل له ، فلما رآه أقبل إليه حتى أناخ به ، وعامرٌ متوشِّح سيفه ، فعلاه مكْرز بسيفه حتى قتله ، ثم خاض بَطْنه بسيفه ، ثم أتى به مكة ، فعلّقه من الليل بأستار الكعبة . فلما أصبحت قريشٌ رأوا سيفَ عامر بن يزيد بن عامر معلّقا بأستار الكعبة ، فعرفوه ، فقالوا : إن هذا لسيفُ عامر بن يزيد ، عدا عليه مكْرز بن حَفْص فقتله ، فكان ذلك من أمرهم . فبينما هم فى ذلك من حربهم ، حَجز الإسلام بين الناس ؛ فتشاغلوا به ، حتى أجمعت قريشٌ المسير إلى بدر ، فذكروا الذى بينهم وبين بنى بكر فخافُوهم .

وقال مِكْرَزُ بن حَفْص فى قتله عامراً :

لَمَّا رأيتُ أنَّهُ هُوَ عامرٌ ... تَذَكَّرْتُ أشلاءَ الحبيبِ المُلَحَّب

وقُلْتُ لنفسى : إنَّهُ هُوَ عامرٌ ... فلا تَرْهبيه، وانظُرى أىَّ مَرْكب

وأيقنتُ أنى إن أُجَلِّله ضرْبةً ... متى ما أُصِبْه بالفُرافِرِ يَعْطَب

خَفَضْتُ له جأشى وألقيتُ كَلْكَلى ... على بَطَلٍ شاكى السِّلاح مُجرَّبِ

ولم أكُ لمَّا التفَّ رُوعى ورُوعه ... عُصارةَ هُجنٍ من نِساءٍ ولا أب

حللتُ به وِتْرى ولم أنسَ ذَحْلَه ... إذا ما تناسَى ذَحله كلُّ عَيْهب

قال ابن هشام : الفُرافِر فى غير هذا الموضع : الرجل الأضبط ، وفى هذا

الموضع : السيف. والعَيْهب : الذى لاعقل له ، ويقال : تيس الظباء وفحل النعام.
قال الخليل : العيهب : الرجل الضعيف عن إدراك وتره .

الشيطان وقريش

وقال ابن إسحاق :وحدثنى يزيد بنُ رومان ، عن عُروة بن الزبير ، قال.
لما أجمعت قريش المسيرَ ذكرت الذى كان بينها وبين بنى بَكر ، فكاد ذلك يَثْنيهم ، فتبدّى لهم إبليسُ فى صورة سُراقة بن مالك بن جُعْشُم المُدْلجى ، وكان من أشراف بنى كنانة ، فقال لهم : أنا لكم جارٌ من أن تأتيكم كنانةُ من خلفكم بشىء تكرهونه ، فخرجوا سراعا .

خروجه صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : وخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى ليال مضت من شهر رمضان فى أصحابه ـ قال ابن هشام : خرج يوم الاثنين لثمان ليال خلَوْن من شهر رمضان ـ واستعمل عمرو بن أمّ مَكتوم ـ ويقال اسمه : عبد الله ابن أمّ مَكتوم أخا بنى عامر بن لُؤَىّ ، على الصلاة بالناس ، ثم ردّ أبا لُبابة من الرَّوحاء ، واستعمله على المدينة .

اللواء والرايتان

قال ابن إسحاق : ودفع اللواء إلى مُصْعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف ابن عبد الدار ـ قال ابن هشام : وكان أبيض .

قال ابن إسحاق : وكان أمامَ رسول الله صلى الله عليه وسلم رايتان سَوْداوان ، إحداهما مع عليّ بن أبي طالب ، يقال لها : العُقاب ، والأخرى مع بعض الأنصار .

إبل المسلمين إلى بدر

قال ابن إسحاق : وكانت إبل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ سبعين بعيراً ، فاعتقبوها ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعليّ ابن أبي طالب ، ومَرْثَد بن أبي مَرْثَد الغَنَوِيّ يَعتقبون بعيرا ، وكان حمزةُ ابن عبد المطلب ، وزَيْد بن حارثة ، وأبو كَبْشَة ، وأنَسَة ، مَوْليا رسول الله صلى الله عليه وسلم - يَعتَقِبون بعيراً ، وكان أبو بكر ، وعمُر ، وعبد الرحمن ابن عَوْف يَعتقبون بعيراً .

قال ابن إسحاق : وجعل على السَّاقة قَيْسَ بنَ أبي صَعصعة أخا بني مازن بن النجّار . وكانت رايةُ الأنصار مع سَعْد بن مُعاذ ، فيما قال ابن هشام.

الطريق إلى بدر

قال ابن إسحاق : فسلك طريقَه من المدينة إلى مكة ، على نَقْب المدينة ، ثم على العقيق ، ثم على ذي الحُليفة ، ثم على أولات الجَيْش .

قال ابن هشام : ذات الجَيْش .

قال ابن إسحاق : ثم مرّ على تُرْبان ثم على مَلَل ، ثم على غَميس الحمام،

من مَرَ بَيْنِ ، ثم على صُخَيْرات اليمام ، ثم على السَّيالة ، ثم على فَجّ الرَّوْحاء ، ثم على شَنُوكة ، وهى الطريق المُعْتدلة ، حتى إذا كان بِعِرْق الظُّبْيَة ـ قال ابن هشام : الظُّبْيَةُ : عن غير ابن إسحاق ـ لقُوا رجلا من الأعراب ، فسألوه عن الناس ، فلم يجدوا عنده خبرا ، فقال له الناس : سلِّم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : أفيكم رسولُ الله؟ قالوا : نعم ، فسلَّم عليه ، ثم قال : إن كنتَ رسول الله فأخبرنى عمَّا فى بطن ناقتى هذه قال له سَلَمَةُ بن سَلَامة ابن وَقْش : لا تسأل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، وأَقْبِلْ علىّ فأنا أُخبرك عن ذلك . نزوتَ عليها ، ففى بطنها منك سَخْلة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مَهْ ، أفحشتَ على الرجل ، ثم أعرض عن سَلَمة .

ونزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سَجْسج ، وهى بئر الرَّوحاء ، ثم ارتحل منها ، حتى إذا كان بالمُنْصَرف ، ترك طريقَ مكة بيَسار ، وسلك ذات اليمين على النَّازِيَة ، يريد بدراً ، فسلك فى ناحية منها ، حتى جزَع واديا ، يقال له رُحقان ، بين النازية وبين مَضيق الصَّفْراء ، ثم على المضيق ، ثم انصبّ منه ، حتى إذا كان قريبا من الصفراء ، بعث بَسْبَس بن عمرو الجُهَنىّ ، حليفَ بنى ساعدة ، وعَدِىَّ بن أبى الزَّغْباء الجُهنى ، حليفَ بنى النجَّار ، إلى بدر يَتَحَسَّسان له الأخبار ، عن أبى سُفيان بن حَرْب وغيره . ثم ارتحل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وقدقدمها . فلما استقبل الصَّفْراء ، وهى قرية بين جبلين ، سأل عن جَبَلَيْهما ما اسماهما ؟ فقالوا : يقال لأحدهما ، هذا مُسْلِح ، وللآخر : هذا مُخْرِئ وسأل عن أهلهما ، فقيل : بنو النار وبنو

حُراق ، بطنان من بنى غِفار فكرههما رسول الله صلى الله عليه وسلم والمُرور بينهما ، وتفاءل بأسمائهما وأسماء أهليهما . فتركهما رسولُ الله صلى الله عليه وسلم والصَّفراء بيسار ، وسلك ذات اليمين على وادٍ يقال له : ذَفِران ، فجزع فيه ، ثم نزل .

قولُ أبى بكر وعمر والمقداد فى الجهاد

وأتاه الخبرُ عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عِيرهم ، فاستشار الناسَ ، وأخبرهم عن قريش ، فقام أبو بكر الصدّيق ، فقال وأحسن . ثم قام عمرُ بن الخطّاب ، فقال وأحسن ، ثم قام المِقداد بن عمرو فقال : يارسول الله ، امْضِ لما أراك الله فنحن معك ، والله لانقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى : ﴿ اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فقاتلا ، إنَّا هُهنا قاعدُونَ ﴾ . ولكن اذهب أنت وربُّك فقاتلا إنا معكما مُقاتلون ، فوالذى بعثك بالحقّ لو سِرْت بنا إلى بَرْك الغُماد لجالَدْنا معك من دونه ، حتى تبلُغه ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً ، ودعا له به .

الرسول صلى الله عليه وسلم يستشير الأنصار

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أشيرُوا علىّ أيها الناس . وإنما يريد الأنصارَ ، وذلك أنهم عَددُ الناس ، وأنهم حين بايعوه بالعَقبة ، قالوا : يارسول الله : إنا بُرآء من ذِمامِك حتى تَصِل إلى ديارنا ، فإذا وصلتَ إلينا ، فأنت فى ذِمَّتنا نَمنعك ممَّا نمنع منه أبناءنا ونِساءنا . فكان رسول الله

رفع المسهم

صلى الله عليه وسلم يتخوّف ألاّ تكونَ الأنصارُ ترى عليها نَصره إلا ممن دَهِمَه بالمدينة من عدوّه ، وأنْ ليس عليهم أن يَسيرَ بهم إلى عدوّ من بلادهم. فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، قال له سَعدُ بن مُعاذ : والله لكأنك تريدُنا يا رسوَل الله ؟ قال أجل ، قال : لقد آمَنَّا بك وصدّقناك ، وشَهِدْنا أن ماجئتَ به هو الحقّ ، وأعطيناك على ذلك عُهودنا ومواثيقنا ، على السّمع والطاعة ، فامض يارسول الله لما أردتَ فنحن معك ، فوالذى بَعَثَك بالحقّ ، لو استعرضتَ بنا هذا البحرَ فخُضْتَه لخضْناه معك ، ما تخلّف منا رجلٌ واحد ، وما نكره أن تَلْقى بنا عدوّنا غدا ، إنا لَصُبُرٌ فى الحرب ، صُدُقٌ فى اللّقاء . لعلّ الله يُريك منّا ماتقرُّ به عينُك ، فسِرْ بنا على بَرَكة الله . فَسُرّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بقول سَعْد ، ونَشّطه ذلك ؛ ثم قال : سيرُوا وأبْشروا ، فإن الله تعالى قد وَعدنى إحدى الطائفتين ، والله لكأنى الآن أنظُر إلى مَصارع القوم .

تفرق أخبار قريش

ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذَفِرَانَ ، فسلك على ثنايا. يقال لها الأصافِر ؛ ثم انحطّ منها إلى بلد يقال له : الدَّبَّة ، وترك الحَنَّان بيمين ، وهو كَثِيب عظيم كالجبل العظيم ، ثم نزل قريبا من بَدْر ، فركب هو ورجلٌ من أصحابه .

قال ابن هشام : الرجل هو أبو بكر الصدّيق .

قال ابن إسحاق كما حدّثنى محمد بن يحيى بن حَبّان : حتى وقف على شَيْخ من العَرَب ، فسأله عن قُريش ، وعن محمد وأصحابه ، وما بلغه عنهم ، فقال الشيخ : لا أُخبركما حتى تُخْبِرانى مِمّن أنتما ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا أخبرتنا أخبرناك ، قال : أذاك بذاك ؟ قال : نعم ، قال الشيخ فإنه بلغنى أن محمدا وأصحابَه خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان صَدَق الذى أخبرنى ، فهم اليوم بمكان كذا وكذا ، للمكان الذى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبلغنى أن قريشا خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان الذى أخبرنى صدقنى فهم اليوم بمكان كذا وكذا للمكان الذى فيه قُريش . فلما فرغ من خبره ، قال : ممّن أنتما ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نحن من ماء ، ثم انصرف عنه . قال يقول الشيخ : ما من ماء ، أمن ماء العراق ؟

قال ابن هشام : يقال : ذلك الشيخ سُفيان الضَّمْرى .

قال ابن إسحاق : ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه ، فلما أمسى بعث علىَّ بن أبى طالب ، والزُّبَيْرَ بن العوّام ، وسعدَ بن أبى وقاص ، فى نفر من أصحابه ، إلى ماء بدر ، يلتمسون الخبر له عليه — كما حدثنى يزيدُ ابن رُومان ، عن عُروة بن الزُّبير — فأصابوا رَاوِيَةً لقُريْش فيها أَسْلَمَ غلام بنى الحجَّاج ، وعَرِيضٌ أبو يَسَار ، غلام بنى العاص بن سَعيد ، فأتَوْا بهما فسألوهما ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلى ، فقالا : نحن سُقَاة قُريش ، بعثونا نَسْقيهم من الماء . فكَرِه القومُ خبرَهما ، ورَجَوْا أن يكونا لأبى سُفْيان ، فضربوهما . فلما أذْلَقوهما قالا : نحن لأبى سفيان ، فتركوهما . وركع رسول الله

صلى الله عليه وسلم وسجد سَجدتيه ، ثم سلّم ، وقال إذا صَدَقا كم ضَرَبْتموهما، وإذا كذَبا كم تركتموهما، صَدَقا والله إنهما لقريش ، أخبرانى عن قُريش ؟ قالا : هم والله وراء هذا الكَثيب الذى ترى بالعُدْوة القُصْوى ـ والكثيب : العَقَنْقَل ـ فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم : كم القوم ؟ قالا : كثيرٌ ، قال : ما عِدّتُهم ؟ قالا : لا نَدْرى ، قال كَمْ يَنْحَرون كلَّ يوم ؟ قال : يوما تسعا ، ويوما عشرا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : القومُ فيما بين التسعمائة والألف . ثم قال لهما : فمَن فيهم من أشراف قُريش ؟ قالا : عُتْبَة ابن رَبيعة ، وشَيْبة بن ربيعة ، وأبو البخْترِىّ بن هشام ، وحَكيم بن حِزام ، ونَوْفل بن خُوَيلد ، والحارث بن عامر بن نَوْفَل، وطُعَيْمة بن عَدِىّ بن نوفل، والنَّضْر بن الحارث ، وَزَمعَة بن الأسْوَد ، وأبو جهل بن هِشام ، وأُمَيَّة بن خَلَف ، و نُبَيه، ومُنَبِّه ابنا الحجَّاج ، وسُهَيْل بن عمرو ، وعَمْرو بن عبد وُدّ. فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس ، فقال هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذَ كَبِدها .

قال ابن إسحاق : وكان بَسْبَس بن عمرو ، وعدىّ بن أبى الزَّغْباء قد مَضيا حتى نزلا بدراً ، فأناخا إلى تلّ قريب من الماء ، ثم أخَذا شَنًّا لهما يَسْتقيان فيه ، ومَجْدِىُّ بنُ عَمْرو الجُهَنىّ على الماء . فسمع عدىّ وبَسْبس جاريتين من جوارى الحاضر وهما يَتلازمان على الماء ، والمَلْزومة تقول لصاحبتها : إنما تأتى العِير غداً أو بعد غد ، فأعملُ لهم ، ثم أقضيك الذى لك. قال مَجْدىّ : صدقتِ ثم خلّص بينهما . وسمع ذلك عدىّ وبَسْبس ، فجلسا

على بعيريهما ، ثم انطلقا حتى أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأخبراه بما سمعا .

نجاة أبى سفيان بالعير

وأقبل أبو سفيان بن حرب ، حتى تقدم العير حذراً ، حتى ورد الماء ، فقال لمجدى بن عمرو : هل أحسست أحداً ، فقال : مارأيت أحداً أنكره ، إلا أنى قد رأيت راكبين قد أناخا إلى هذا التل ، ثم استقيا فى شن لهما ، ثم انطلقا . فأتى أبو سفيان مناخهما ، فأخذ من أبعار بعيريهما ، ففته ، فإذا فيه النوى ، فقال : هذه والله علائف يثرب . فرجع إلى أصحابه سريعا ، فضرب وجه عيره عن الطريق فساحل بها ، وترك بدراً بيسار ، وانطلق حتى أسرع .

رؤيا جهيم بن الصلت

وأقبلت قريش ، فلما نزلوا الجحفة ، رأى جهيم بن الصلت ابن مخرمة ابن المطلب بن عبد مناف رؤيا ، فقال : إنى رأيت فيما يرى النائم ، وإنى لبين النائم واليقظان . إذ نظرت إلى رجل قد أقبل على فرس حتى وقف ، ومعه بعير له ؛ ثم قال : قتل عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو الحكم بن هشام ، وأمية بن خلف ، وفلان وفلان ، فعدد رجالا ممن قتل يوم بدر ، من أشراف قريش ، ثم رأيته ضرب فى لبة بعيره ، ثم أرسله فى العسكر ، فما بقى خباء من أخبية العسكر إلا أصابه نضح من دمه .

قال : فبلغت أبا جهل ، فقال : وهذا أيضا نبيّ آخر من بني المطّلب ، سيعلم غداً من المقتول إن نحن التقينا .

كان أبو سفيان لا يريد حربا

قال ابن إسحاق : ولما رأى أبو سفيان أنه قد أحرزَ عِيرَه ، أرسل إلى قريش : إنكم إنما خرجتم لتمنعوا عِيرَكم ورجالكم وأموالكم ، فقد نجّاها الله ، فارجعوا ، فقال أبو جهل بن هشام : والله لا نَرْجع حتى نَرِد بدراً – وكان بدر مَوْسِما من مواسم العرب ، يجتمع لهم به سُوقٌ كلّ عام – فنُقيم عليه ثلاثا ، فَنَنْحَرَ الجُزُر ونُطْعم الطعام ، ونُسْقى الخمر ، وتَعْزِف علينا القِيان ، وتسمع بنا العربُ وبمسيرنا وجَمْعنا ، فلا يزالون يهابوننا أبدا بعدها ، فامضُوا .

رجوع بني زهرة

وقال الأخنس بن شَرِيق بن عمرو بن وَهْب الثّقَفي ، وكان حَليفا لبني زهرة وهم بالجُحْفة : يابني زُهْرة ، قد نجّى الله لكم أموالكم ، وخلّص لكم صاحبَكم مَخْرَمَةَ بن نَوْفل ، وإنما نَفرْتُم لتمنعوه وماله ، فاجعلوا لي جُبْنها وارجعوا ، فإنه لا حاجة لكم بأن تخرجوا في غير ضَيْعة ، لا ما يقول هذا ، يعني أبا جهل : فرجعوا ، فلم يَشْهَدْها زُهْريّ واحد ، أطاعوه وكان فيهم مُطاعا . ولم يكن بَقِيَ من قريش بَطْنٌ إلا وقد نَفر منهم ناسٌ ، إلا بني عديّ بن كعب ، لم يخرج منهم رجلٌ واحد ، فرجعت بنو زُهرة مع الأخْنَس بن شَرِيق ، فلم يشهد بدراً من هاتين القبيلتين أحدٌ ، ومشى القوم . وكان بين

طالب بن أبى طالب ـ وكان فى القوم ـ وبين بعض قريش محاورة ، فقالوا : والله لقد عرفنا يابنى هاشم ، وإن خرجتم معنا ، أن هواكم لمع محمد فرجع طالب إلى مكة مع من رجع . وقال طالب بن أبى طالب :

لاهُمَّ إمَّا يَغْزُوَنَّ طالبْ فى عُصْبة مُحالفٌ مُحاربْ

فى مِقْنب من هذه المَقانب فليكن المسلوبَ غيرَ السَّالب

وليكن المغلوبَ غيرَ الغالب

قال ابن هشام : قوله فليكن المسلوب ، وقوله : ولكن المغلوب عن غير واحد من الرواة للشعر .

منزل المسلمين ومنزل قريش

قال ابن إسحاق : ومضت قريشٌ حتى نزلوا بالعُدْوة القُصْوى من الوادى ، خَلْف العَقَنْقَل وبطن الوادى ، وهو يَلْيَل ، بين بَدْرٍ وبين العَقَنْقَل ، الكثيب الذى خلفه قريش ، والقُلُب ببدر فى العُدْوة الدنيا من بَطْن يَلْيَل إلى المدينة . وبعث الله السماء ، وكان الوادى دَهْساً ، فأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه منها ما لبَّد لهم الأرضَ ولم يَمنعهم عن السير ، وأصاب قريشا منها ما لم يَقدِروا على أن يرتحلوا معه . فخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يُبادرهم إلى الماء ، حتى إذا جاء أدنى ماءٍ من بَدْرٍ نزل به .

مشورة الحباب

قال ابن إسحاق : فحُدِّثت عن رجال من بنى سَلِمة ، أنهم ذكروا : أن

رفع
المسهم
عبد الله الرحمن

الُحباب بن المنذر بن الجَمُوح قال : يارسول الله ، أرأيتَ هذا المنزل ، أمنزلاً أنزلَكه الله ليس لنا أن نتقدّمه ، ولا نتأخَّر عنه ، أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟ قال : بل هو الرأى والحرب والمكيدة ، فقال : يارسول الله ، فإنّ هذا ليس بمنزل ، فانهض بالناس حتى نأتى أدنى ماء من القوم ، فننزله ، ثم نعوّر ما وراءه من القُلُب ، ثم نبنى عليه حوضاً فنملؤه ماء ، ثم نقاتل القوم ، فنشرَب ولا يشربون ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : لقد أشرتَ بالرأى . فنهض رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ـ ومَنْ معه من الناس ، فسار حتى إذا أتى أدنى ماء من القوم نزَل عليه ، ثم أمر بالقُلُب فعُوِّرت ، وبنى حَوْضا على القَليب الذى نزل عليه فمُلىء ماء ، ثم قذفوا فيه الآنية .

بناء العريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : فحدّثنى عبد الله بن أبى بكر أنه حُدّث : أن سَعْدَ بنَ معاذ قال : يانبىّ الله ، ألا نَبْنِى لك عَرِيشا تكون فيه ، ونُعِدُّ عندك ركائبك ، ثم نَلقى عدوّنا ، فإن أعزّنا الله وأظهرنا على عدوّنا ، كان ذلك ما أحببنا ، وإن كانت الأخرى ، جلستَ على رَكائبك ، فلحقت بمَنْ وراءنا ، فقد تخلّف عنك أقوامٌ ، يانبىّ الله ، ما نحنُ بأشدَّ لك حبًّا منهم ، ولو ظنّوا أنك تلقى حربا ما تخلّفوا عنك ، يمنعك الله بهم ، يناصحونك ويجاهدون معك : فأثنى عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خيراً ، ودعا له بخير . ثم بُنى لرسول الله صلى الله عليه وسلم عَريشٌ ، فكان فيه .

ارتحال قريش

قال ابن إسحاق : وقد ارتحلت قريشٌ حين أصبحت ، فأقبلت ، فلما رآها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم تَصوّب من العَقَنْقَل ــ وهو الكثيب الذى جاءوا منه إلى الوادى ــ قال : اللهمّ هذه قُريش قد أقبلت بخُيلائها وفخرها ، تُحادّك وتكذّب رسولك ، اللهمّ فنصرك الذى وعدتنى ، اللهمّ أحِنْهم الغداةَ .

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ (وقد) رأى عتبةَ بن رَبيعة فى القوم على جمل له أحمر ــ إن يكن فى أحد من القوم خيرٌ فعند صاحب الجمل الأحمر إن يُطيعوه يَرْشُدوا .

وقد كان خُفاف بن أيماء بن رَحَضة الغِفارىّ ، أو أبوه أيماء بن رَحَضة الغِفارىّ ، بعث إلى قريش ، حين مرّوا به ، ابنا له بجزائرَ أهداها لهم ، وقال : إن أحببتم أن نُمدّكم بسلاح ورجال فعلْنا . قال : فأرسلُوا إليه مع ابنه : أن وَصَلتْك رحم ، قد قضيتَ الذى عليك ، فلعمرى لئن كنّا إنما نُقاتل الناسَ فما بنا من ضَعْف عنهم ، ولئن كنّا إنما نُقاتل الله ، كما يزعم محمّدٌ ، فما لأحد بالله من طاقة .

فلما نزل الناسُ أقبَل نفرٌ من قريش حتى وَرَدُوا حوضَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم حَكِيم بن حِزام ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دعُوهم . فما شَرِب منه رجلٌ يومئذ إلا قُتل ، إلا ما كان من حَكِيم بن حزام ، فإنه

لم يُقتل ، ثم أسلم بعد ذلك ، فحسُن إسلامه . فكان إذا اجتهد فى يمينه ، قال : لا والذى نجّانى من يوم بدر .

قال ابن إسحاق : وحدثنى أبى إسحاقُ بن يسار وغيرُه من أهل العلم ، من أشياخ من الأنصار ، قالوا : لما اطمأنّ القوم ، بعثوا عُمَير بن وَهْب الُجمَحىّ فقالوا : احزُرْ لنا أصحابَ محمد ، قال : فاستجالَ بفرسه حولَ العسكر ثم رجع إليهم ، فقال ثلاثُ مائة رجل ، يزيدون قليلا أو ينقُصُون ، ولكن أمهِلُونى حتى أنظُر أللقوم كمِينٌ أو مَدَد ؟ قال : فضرب فى الوادى حتى أبْعد ، فلم يرَ شيئا ، فرجع إليهم فقال : ما وجدتُ شيئا ، ولكنى قد رأيتُ ، يامعشرَ قُريش ، البَلايا تحمل المَنايا ، نواضح يثْرِب تحمل الموت الناقع ، قوم ليس معهم مَنعة ولا مَنْجأ إلا سيوفهم ، والله ما أرَى أن يُقتَل رجلٌ منهم ، حتى يَقتل رجلا منكم ، فإذا أصابوا منكم أعدادَهم فما خيرُ العيش بعد ذلك ؟ فرَوْا رأيكم .

فلما سمع حكيم بن حِزَام ذلك مشى فى الناس ، فأتى عُتْبةَ بن ربيعة ، فقال يا أبا الوليد ، إنك كبيرُ قُرَيش وسيِّدُها ، والمُطاع فيها ، هل لك إلى أن لاتزال تُذْكر فيها بخير إلى آخر الدهر ؟ قال : وما ذاك يا حكيم ؟ قال : ترْجع بالنّاس ، وتَحْمل أمرَ حليفك عَمْرو بن الحَضْرمى ، قال : قد فعلتُ ، أنت علىّ بذلك ، إنما هو حليفى ، فعلىّ عَقْله وما أُصيبَ من ماله ، فأْتِ ابن الحَنْظَليّة .

رفع
المسهم
عبد الله الحطيم

نسب الحنظلية

قال ابن هشام : والحَنْظَلِيَّة أم أبي جهل ، وهي أسماء بنت مُخَرّبة ، أحد بني نَهْشَل بن دارم بن مالك بن حَنْظَلة بن مالك بن زَيْد مناة بن تَمِيم ـ فاني لا أخشى أن يَشْجُرَ أمرَ الناس غيرُه ، يعني أبا جهل بن هشام . ثم قام عُتبة ابن ربيعة خطيبا ، فقال : يامعشرَ قريش ، إنكم والله ما تَصْنعون بأن تَلْقَوْا محمداً وأصحابه شيئا ، والله لئن أصبتموه لا يزال الرجلُ ينظر في وجه رجل يَكره النَّظر إليه ، قَتل ابن عَمّه أو ابن خاله ، أو رجلاً من عشيرته ، فارجعوا وخَلُّوا بين محمد وبين سائر العرب ، فان أصابوه فذاك الذي أردتم ، وإن كان غيرَ ذلك ألفا كم ولم تَعَرَّضُوا منه ماتريدون .

قال حَكِيم : فانطلقتُ حتى جئت أبا جهل ، فوجدتُه قد نَثَل دِرْعا له من جِرابها ، فهو يَهْنِئها قال ابن هشام : يهيّئها ـ فقلتُ له : يا أبا الحكم إنّ عُتبة أرسلني إليك بكذا وكذا ، للذي قال ، فقال : انتفَخ والله سَحْرُه حين رأى محمداً وأصحابه ، كلاَّ والله لا نَرْجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ، وما بعُتبة ما قال ، ولكنه قد رأى أن محمداً وأصحابه أكلةُ جَزُور ، وفيهم ابنُه ، فقد تخوّفكم عليه . ثم بعث إلى عامر بن الحضرمي ، فقال : هذا حليفُك يريد أن يرجع بالناس ، وقد رأيتَ ثأرَك بعينك ، فقُم فأنْشُدْ خُفْرتَك ، ومقتل أخيك .

فقام عامر بن الحضرميّ فاكْتَشف ثم صرخ : واعمْراه ، واعمراه ،

. . . .

فحميت الحربُ وحَقِب الناس ، واستَوْسقوا على ماهم عليه من الشرّ ، وأفسد على الناس الرأىُ الذى دعاهم إليه عُتبةُ .

فلما بلغ عتبةَ قولُ أبى جهل « انتفخ والله سحره » ، قال : سيعلم مُصفِّرُ اسْتِه من انتفخ سَحْرُه ، أنا أم هو ؟ .

قال ابن هشام : السَّحْرُ : الرئة وما حولها مما يَعْلق بالحُلْقوم من فوق السُّرة . وما كان تحت السُّرة ، فهو القُصْب ، ومنه قوله : رأيت عمرو بن لُحَىّ يجُرُّ قُصْبه فى النار : قال ابن هشام : حدثنى بذلك أبو عُبَيْدَة .

ثم التمس عُتبة بيضةً ليُدْخلها فى رأسه ، فما وجد فى الجيْش بَيْضَةً تَسَعُه من عِظَم هامَتِهِ ، فلما رأى ذلك اعتَجَر على رأسه بِبُرْد له .

مقتل الأسود المخزومى

قال ابن إسحاق : وقد خرج الأسودُ بن عبد الأسد المَخْزومى ، وكان رجلا شَرِسا سَيِّئَ الخُلُق ، فقال : أعاهد الله لأشربنّ من حوْضهم ، أو لأهدِمنّه ، أو لأموتَنّ دونه ، فلما خرج خرج إليه حمزةُ بن عبدالمطّلب ، فلما التقيا ضربه حمزةُ فأطَنّ قَدَمَه بنِصْف ساقه ، وهو دون الحوْض ، فوقع على ظهره تَشْخُب رجلُه دَما نحو أصحابه ، ثم حَبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه ، يريد (زعم) - أن يُبرّ يَمينه ، وأتبعه حمزةُ فضربه حتى قتله فى الحوض .

دعاء عتبة إلى المبارزة

قال : ثم خرج بعد عُتبة بن ربيعة ، بين أخيه شَيْبة بن ربيعة وابنه الوليد ابن عتبة ، حتى إذا فصل من الصفّ دعا إلى المبارزة ، فخرج إليه فتْية من الأنصار ثلاثة ، وهم : عَوْف ، ومُعَوِّذ ، ابنا الحارث — وأمهما عَفْراء — ورجل آخر ، يقال : هو عبدالله بن رَواحة ، فقالوا : من أنتم ؟ فقالوا رهط من الأنصار ، قالوا : مالنا بكم من حاجة ، ثم نادَى مُناديهم يا محمد ، أخرِج إلينا أكْفاءنا من قومنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قُم يا عُبيدة بن الحارث ، وقم يا حمزة وقمْ يا علي ، فلما قاموا دَنَوْا منهم ، قالوا : من أنتم ؟ قال عبيدة : عُبيدة ، وقال حمزة : حمزة ، وقال عليّ : عليّ ؛ قالوا : نعم ، أكْفاء كرام . فبارَزَ عُبيدة ، وكان أسنّ القوم ، عتبة (بن) رَبيعة ، وبارز حمزةُ شَيْبَة ابن ربيعة ، وبارز عليّ الوليدَ بن عتبة . فأما حمزة فلم يُمْهِل شيبةَ أنْ قتله ؛ وأما عليّ فلم يُمْهل الوليد أن قتله ؛ واختلف عُبيدة وعُتبة بينهما ضَرْبتين ، كلاهما أثبت صاحبه ؛ وكرّ حمزة وعليّ بأسيافهما على عُتبة فذَفَّفا عليه ، واحتملا صاحبهما فحازاه إلى أصحابه .

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قَتادة : أن عُتبة بن ربيعة قال للفِتْية من الأنصار ، حين انتسبوا : أكفاء كِرام ، إنما نريد قومنا .

التقاء الفريقين

قال ابن إسحاق : ثم تزاحف الناس ودَنا بعضُهم من بعض ، وقد أمر

رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أصحابه أن لا يَحمِلوا حتى يأمرهم ، وقال : إن أكتنفكم القوم فانضحُوهم عنكم بالنَّبْل ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم في العَريش ، معه أبو بكر الصدّيق .

فكانت وَقْعة بدر يوم الجمعة صَبيحة سبعَ عشرةَ من شهر رمضان .

قال ابن إسحاق : كما حدثني أبو جعفر محمد بن عليّ بن الحُسين .

ابن غزية وضرب الرسول له في بطنه بالقدح

قال ابن إسحاق : وحدثني حَبَّان بن واسع بن حَبّان عن أشياخ من قومه : أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عدَّل صُفوف أصحابه يوم بدر ، وفي يده قِدْح يُعدّل به القومَ ، فمرّ بسَوَّادِ بن غَزِيَّةَ ، حليفِ بني عَدِيّ ابن النجار — قال ابن هشام : يقال ، سَوَّاد ؛ مثقلة ، وسَوَاد في الأنصار غير هذا ، مخفف — وهو مُستَنْتِل من الصَّفّ — قال ابن هشام : ويقال : مُسْتَنْصِل من الصفّ — فطعن في بَطْنِه بالقِدْح ، وقال : استو ياسَوَّاد ، فقال : يارسول الله أوْجَعْتني وقد بعثك الله بالحقّ والعدل ، قال : فَأَقِدْنِي . فكشف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه ، وقال : استَقِد ، قال : فاعْتَنَقَه فقَبَّل بطنَه : فقال : ماحملك على هذا ياسَوَّاد ؟ قال : يارسولَ الله ، حضَر ما ترى ، فأردتُ أن يكون آخرُ العهد بك أن يَمَسَّ جِلْدى جِلْدَك . فدعا له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بخير وقال له .

مناشدة الرسول ربه النصر

قال ابن إسحاق : ثم عدّل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الصفوفَ ، ورجع إلى العَرِيش فدخله ، ومعه فيه أبو بكر الصدّيق ، ليس معه فيه غيرُه ، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم يُناشِدُ رَبَّهُ ماوَعده من النصر ، ويقول فيما يقول : اللهمّ إن تَهْلِكْ هذه العِصَابةُ اليومَ لا تُعْبَد ، وأبو بكر يقول : يانبيّ الله : بعضَ مُناشَدَتك ربَّك ، فإن الله مُنْجزٌ لك ما وعَدك . وقد خَفَق رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خَفْقة وهو فى العريش ، ثم انتبه فقال : أبْشِرْ يا أبا بكر ، أتاك نصرُ الله . هذا جبريل آخذٌ بعنان فَرَسٍ يقوده ، على ثَنَاياه النَّقْع .

أول قتيل

قال ابن إسحاق : وقد رُمِى مِهْجَعٌ ، مولى عمر بن الخطاب بسهم فقُتِل، فكان أوّلَ قتيل من المسلمين ، ثم رُمِى حارثةُ بن سُراقة ، أحد بنى عدىّ ابن النجّار ، وهو يشرب من الحوض ، بسهم فأصاب نحرَه ، فقُتل .

تحريض المسلمين على القتال

قال : ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الناس فحرّضهم ، وقال : والذى نفسُ محمد بيده ، لا يُقاتلهم اليومَ رجلٌ فيُقتَل صابراً مُحْتَسِباً ، مُقْبِلا غيرَ مُدبِر ، إلا أدخله اللهُ الجنةَ . فقال عُمَير بن الحُمَام ، أخو بنى سَلِمة ، وفى يده تمرات يأكلهنّ : بَخٍ بَخٍ ، أفما بينى وبين أن أدخلَ الجنّة إلا أن يَقتلنى

هؤلاء ؟ ثم قذف التَّمرات من يده وأخذ سيفَه ، فقاتل القومَ حتى قُتل .

قال ابن إسحاق: وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة : أن عوف بن الحارث ، وهو ابن عَفراء قال : يارسول الله ، ما يُضحِك الربَّ من عبده ، قال : غَمْسه يدَه فى العدو حاسراً . فنزع دِرْعاً كانت عليه فقذفها ، ثم أخذ سيفه فقاتل حتى قُتل .

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن مُسْلم بن شِهاب الزهرىّ ، عن عبد الله ابن ثعلبة بن صُعَير العُذْرىّ ، حليف بنى زُهرة ، أنه حدثه : أنه لمَّا التقى الناسُ ودنا بعضُهم من بعض ، قال أبو جهل بن هشام : اللهمَّ أقطَعُنا للرَّحم، وآتانا بما لا يُعْرف ، فأحْنِهِ الغَدَاةَ . فكان هو المُسْتَفْتِح .

رمى الرسول للمشركين بالحصباء

قال ابن إسحاقَ : ثم إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أخذ حَفْنة من الحَصْباء فاستقبل قريشا بها ، ثم قال :شاهتِ الوجوه ، ثم نَفَحهم بها ، وأمر أصحابَه ، فقال : شُدُّوا ، فكانت الهزيمةُ ، فقتل اللهُ تعالى مَنْ قتل من صَناديد قُريش ، وأَسَر من أسر من أشرافهم . فلما وضع القومُ أيديهم يأسِرُون ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى العَرِيش ، وسعدُ بن مُعاذٍ قائم على باب العَريش ، الذى فيه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، مُتَوشِّحاً السيفَ، فى نفرٍ من الأنصار يحرُسُون رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، يخافون عليه كَرَّة العدوّ ، ورأى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ـ فيما ذُكر لى ـ فى وجه

رفع
المسيا هم

سَعْدِ بن مُعَاذ الكراهيةَ لما يَصْنعُ الناسُ ، فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : والله لكأنك ياسعدُ تكره ما يصنع القوم ، قال : أجَلْ والله يارسول الله ، كانت أوّل وقعة أوقعها اللهُ بأهلِ الشّرك . فكان الإثخانُ في القتل بأهل الشّرك أحبَّ إليّ من استبقاء الرجال.

نهى النبي أصحابه عن قتل ناس من المشركين

قال ابن إسحاق : وحدثني العباس بن عبد الله بن معْبد ، عن بعض أهله ، عن ابن عبّاس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه يومئذ : إني قد عرفت أن رجالا من بني هاشم وغيرِهم قد أُخرِجوا كَرْها ، لاحاجة لهم بقتالنا ، فمن لقي منكم أحداً من بني هاشم فلا يقتُله ، ومن لقي أبا البَخْتَرِيّ بن هشام ابن الحارث ابن أسد فلا يقتله ، ومن لقي العباس بن عبد المطلب ، عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يقتله ، فانه إنما أُخْرِج مُستكرها . قال: فقال : أبو حُذيفة : أنقتُل آباءنا وأبناءنا وإخوتَنا وعشيرتنا . ونترك العبّاس ، والله لَئِنْ لقيتهُ لأُلحِمَنَّهَ السيفَ - قال ابن هشام : ويقال : لأُلجمنّه (السيف) - قال : فبلغت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لعمر ابن الخطّاب : يا أبا حفص - قال عمر : والله إنه لأول يوم كنّاني فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي حَفْص - أيُضرب وجهُ عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف ؟ فقال عمر : يارسول الله ، دعني فَلأَضرِب عُنقَه بالسيف ، فوالله لقد نافق . فكان أبو حُذيفة يقول : ما أنا بآمنٍ من تلك الكلمة

رفع المسـهم

التى قلتُ يومئذ ، ولا أزال منها خائفا ، إلا أن تكفِّرها عنى الشهادة .
فقُتِل يوم اليمامة شهيداً .

قال ابن إسحاق : وإنما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل أبى البَخْترىّ لأنه كان أكفَّ القوم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة ، وكان لا يؤذيه ، ولا يبلُغه عنه شىء يكرهه ، وكان ممّن قام فى نَقْض الصحيفة التى كتبت قريشٌ على بنى هاشم وبنى المُطَّلب . فلقيه المُجَذَّرُ بن ذِيادٍ البَلَوىّ ، حليف الأنصار ، ثم من بنى سالم بن عَوْف ، فقال المُجَذَّرُ لأبى البَخْترىِّ : إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد نهانا عن قتلِك - ومع أبى البَخْترىِّ زَميلٌ له قد خرج معه من مكة ، وهو جُنادَةُ بن مُلَيْحَةَ بنت زُهَيْر بن الحارث بن أسد ؛ وجنادة رَجُلٌ من بنى لَيْث . واسمُ أبى البَخْترى : العاص - قال : وزميلى ؟ فقال له المُجَذَّر : لا والله ، ما نحن بتاركى زَميلك ، ما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بك وحدَك ؛ فقال : لا والله ، إذن لأموتَنَّ أنا وهو جميعا ، لا تتحدّث عنى نساء مكة أنى تركت زَميلى حِرْصاً على الحياة . فقال أبو البَخْترىّ حين نازله المجذَّر ، وأبى إلا القتال ، يرتجز :

لن يُسْلِمَ ابنُ حُرَّةٍ زميلَه   حتى يَموتَ أو يَرى سَبيلَه

فاقتتلا ، فقتله المُجَذَّرُ بن ذِياد . وقال المجذَّر بن ذِيادٍ فى قتْله أبا البَخْترى :

إما جهلتَ أو نسيتَ نسبي ... فأثبتِ النسبة أنى من بَلِى

الطاعنين برماحِ اليزَنِى ... والضاربين الكَبْشَ حتى ينحنى

بَشِّر بيُتم من أبوهُ البختَرِى ... أو بَشِّرنْ بمثلها منّى بنى

أنا الذى يقال أصلى من بَلِى ... أطعُنُ بالصَّعْدة حتى تَنْثَنِى

وأعْبِطُ القِرْن بعَضْب مَشْرَفِى ... أُرْزِمُ للموتِ كإرزام المَرِى

فلا ترى مُجذَّرا يَفْرِى فَرِى

قال ابن هشام: « المرى » عن غير ابن إسحاق. والمرِى: الناقة التى يُستنزل لبنها على عسر.

قال ابن إسحاق: ثم إن المجذر أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: والذى بعثك بالحق لقد جهدتُ عليه أن يستأسر فآتيك به، (فأبى) إلا أن يقاتلنى، فقاتلته فقتلتُه.

قال ابن هشام: أبو البخترى: العاص بن هشام بن الحارث بن أسد.

مقتل أمية بن خلف

قال ابن إسحاق: حدثنى يحيى بن عبَّاد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، قال ابن إسحاق: وحدثنيه أيضا عبد الله بن أبى بكر وغيرهما، عن عبد الرحمن ابن عوف قال: كان أمية بن خَلَف لى صديقا بمكة، وكان اسمى عبدَ عمرو، فتسمَّيت، حين أسلمت، عبدَ الرحمن، ونحن بمكة، فكان يَلقانى إذ نحن بمكة فيقول: يا عبدَ عمرو، أرغبت عن اسم سمَّاكه أبواك؟ فأقول: نعم،

فيقول : فإنى لا أعرف الرحمٰن ، فاجعل بيني وبينك شيئا أدعوك به ، أما أنت فلا تُجيبنى باسمك الأول ، وأما أنا فلا أدعوك بما لا أعرف ، قال : فكان إذا دعانى : ياعَبْد عمرو ، لم أجبه ، قال : فقلت له : يا أبا على ، اجعل ماشئت ، قال : فأنت عبدُ الإله ؟ قال : فقلت : نعم ، قال : فكنت إذا مررتُ به قال : ياعبد الإله فأجيبه ، فأتحدث معه . حتى إذا كان يومَ بدر ، مررتُ به وهو واقفٌ مع ابنه ، على بن أُمَيَّة ، آخذ بيده ، ومعى أدْرَاع ، قد استَلَبْتُها ، فأنا أحملها . فلما رآنى قال لى : ياعَبْدَ عمرو ، فلم أُجِبْه ؛ فقال : ياعبد الإله ؟ فقلت : نعم ، قال : هل لك فِيَّ ، فأنا خيرٌ لك من هذه الأدراع التى معك ؟ قال : قلت : نعم ، ها الله ذا ، قال : فطرحتُ الأدراع من يدى ، وأخذت بيده ويد ابنه ، وهو يقول : مارأيت كاليوم قطّ ، أما لكم حاجة فى اللبن ؟ (قال) : ثم خرجت أمشى بهما .

قال ابن هشام : يريد باللبن ، أن من أسَرنى افتديتُ منه بإبل كثيرة اللبن .

قال ابن إسحاق: حدثنى عبدُ الواحد بن أبى عَوْن ، عن سعد بن إبراهيم عن أبيه عبد الرحمن بن عَوْف ، قال : قال لى أُميَّة بن خَلَف ، وأنا بينه وبين ابنه ، آخذٌ بأيديهما : ياعبد الإله ، من الرجُل منكم المُعْلِم بريشة نعامة فى صدره؟ قال : قلت : ذاك حمزة بن عبد المطَّلب ؛ قال : ذاك الذى فعل بنا الأفاعيل ؛ قال عبد الرحمن : فوالله إنى لأقودهما إذ رآه بلال معى — وكان هو الذى يعذّب بلالا بمكة على ترك الإسلام ، فيُخرجه إلى رَمْضاء مكة إذا حَميت ، فيُضْجعه

على ظهره ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ، ثم يقول : لا تزال هكذا أو تفارقَ دين محمد ، فيقول بلال : أحدٌ أحد . قال : فلما رآه ، قال : رأس الكفر أميّةُ بن خلف ، لانجوتُ إن نجا . قال : قلت : أى بلال ، أبأسيرى ؟ قال : لانجوتُ إن نجا . قال : قلت : أتسمع يابن السّوداء ، قال : لانجوت إن نجا . قال : ثم صرخ بأعلى صوته : ياأنصارَ الله ، رأس الكفر أميّة بن خلف ، لانجوتُ إن نجا . قال : فأحاطوا بنا حتى جعلونا فى مثل المُسْكة وأنا أذبُّ عنه . قال : فأخلف رجلٌ السيفَ ، فضرب رِجْلَ ابنه فوقع ، وصاح أميّة صيحة ماسمعتُ مثلَها قط : قال : فقلت انجُ بنفسك ، ولا نجاء بك فوالله ما أغنى عنك شيئا . قال : فهبرُوهما بأسيافهم ، حتى فرغوا منهما . قال : فكان عبد الرحمن يقول : يرحم الله بلالا ، ذهبت أدْراعى وفجعنى بأسيرى .

شهود الملائكة وقعة بدر

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر أنه حُدّث عن ابن عباس قال : حدثنى رجل من بنى غِفار ، قال أقبلت أنا وابن عمّ لى حتى أصْعدنا فى جبل يُشرف بنا على بَدْر ، ونحن مُشْركان ، ننتظر الوَقْعة على من تكون الدّبْرة ، فننتهب مع من ينتهب . قال : فبينا نحن فى الجبل ، إذ دنتْ منا سحابةٌ ، فسمعنا فيها حَمْحمة الخيل ، فسمعت قائلا يقول : أقْدِمْ حَيْزُومُ ، فأما ابنُ عمى فانكشف قناع قلبه ، فمات مكانَه ، وأما أنا فكِدْتُ أهلِك ، ثم تماسكتُ .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر ، عن بعض بني ساعدة عن أبي أُسَيد مالك بن ربيعة ، وكان شهد بدرا ، قال ، بعد أن ذهب بصره : لو كنت اليومَ ببدرٍ ومعي بَصري لأريتُكم الشِّعب الذي خرجت منه الملائكةُ ، لا أشكّ فيه ولا أتمارى .

قال ابن إسحاق : وحدثني أبي إسحاق بن يسار ، عن رجال من بني مازن بن النجّار ، عن أبي داود المازني ، وكان شهد بدرا ، قال : إني لأتبع رجلا من المشركين يوم بدر لأضربَه ، إذ وقع رأسُه قبل أن يصل إليه سيفي ، فعرفت أنه قد قتله غيري .

قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم عن مِقْسم ، مولى عبد الله بن الحارث ، عن عبد الله بن عبّاس ، قال : كانت سيما الملائكة يوم بدر عمائمَ بيضا قد أرسلوها على ظُهورهم ، ويوم حُنَين عمائم حُمْرا .

قال ابن هشام : وحدثني بعضُ أهل العلم : أن علي بن أبي طالب قال : العمائمُ : تيجان العرب ، وكانت سِيما الملائكة يوم بدر عمائم بيضا قد أرخَوها على ظُهورهم ، إلا جبريل فإنه كانت عليه عمامة صَفْراء .

قال ابن إسحاق : وحدّثني من لا أتّهم عن مِقْسَم ، عن ابن عبّاس ، قال : ولم تُقاتِلِ الملائكةُ في يوم سوى بدر من الأيام ، وكانوا يكونون فيما سِواه من الأيام عَدَداً ومَدَداً لا يَضربون .

. . . .

مقتل أبي جهل

قال ابن إسحاق : وأقبل أبو جهل يومئذ يرتجز ، وهو يقاتل ويقول :

ما تنقِمِ الحربُ العوانُ مِنِّى ... بازِلُ عامَيْنِ حديثٌ سِنِّى

لمثل هــذا ولدتنى أمى

شعار المسلمين ببدر

قال ابن هشام : وكان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر : أحَدٌ أحَدٌ .

عود إلى مقتل أبي جهل

قال ابن إسحاق : فلما فرغ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من عدوه ، أمر بأبي جهل أن يُلتمس في القتلى .

وكان أولَ من لَقِيَ أبا جهل ، كما حدثني ثورُ بن يزيد عن عكرمة ، عن ابن عباس ، وعبد الله بن أبي بكر أيضا قد حدثني ذلك ، قالا : قال مُعاذ بن عمرو بن الجموح ، أخو بني سَلِمة : سمعتُ القومَ وأبو جهل في مثل الحَرَجة — قال ابن هشام : الحَرَجة : الشجر الملتف . وفي الحديث عن عمر بن الخطّاب : أنه سأل أعرابيًّا عن الحَرَجة ؛ فقال : هي شجرة من الأشجار لا يوصل إليها — وهم يقولون : أبو الحكم لا يُخلص إليه . قال : فلما سمعتُها جعلتُه من شأني ، فصمدتُ نحوه ، فلما أمكنني حملتُ عليه ، فضربتُه ضربة أطنّت قدمه

رفع المسهم

بنصف ساقه ، فوالله ماشبّهتها حين طاحت إلا بالنواة تَطِيح من تحت مِرْضَخَة النَّوى حين يُضرب بها . قال : وضربنى ابنه عِكْرِمَةُ على عاتقى ، فطرح يدى فتعلَّقتْ بجلدة من جَنْبى ، وأجْهَضَنى القتالُ عنه ، فلقد قاتلتُ عامَّةَ يومى ، وإنى لأسْحبُها خَلفى ، فلما آذتْنى وضعتُ عليها قدمى ، ثم تمطيتُ بها عليها حتى طرحتُها .

قال ابن إسحاق : ثم عاش بعد ذلك حتى كان زمانُ عثمان .

ثم مرَّ بأبى جَهل وهو عَقِيرٌ ، مُعَوِّذ بن عفراء ، فضربه حتى أثبته ، فتركه وبه رمقٌ . وقاتل مُعَوِّذ حتى قُتل ، فمر عبدُ الله بن مَسعود بأبى جهل ، حين أمرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن يُلتمس فى القتلى ، وقد قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فيما بلغنى ـ انظروا ، إن خَفِى عليكم فى القتلى ، إلى أثر جرح فى رُكبته ، فإنى ازدحمتُ يوما أنا وهو على مأدُبة لعبد الله بن جُدْعان ، ونحن غلامان ، وكنتُ أشفَّ منه بيَسير ، فدفعتُه فوقع على ركبتيه ، فجُحِش فى إحداهما جَحْشا لم يزل أثرُه به . قال عبد الله بن مَسْعود : فوجدته بآخر رَمَق فعرفتُه ، فوضعتُ رِجْلى على عُنقه ـ قال : وقد كان ضَبَث بى مرّةً بمكة ، فآذانى ولَكَزنى ، ثم قلت له : هل أخزاك الله ياعدوّ الله ؟ قال : وبماذا أخزانى ، أأعمدُ من رجل قتلتموه ، أخبِرْنى لمن الدائرةُ اليوم ؟ قال : قلت : لله ولرسوله .

قال ابن هشام : ضَبَثَ : قبضَ عليه ولَزِمه . قال ضابئ بن الحارث البُرْجمى :

فأصبحتُ مما كان بَيْني وبينَكم من الودّ مثلَ الضابثِ الماء باليدِ

قال ابن هشام : ويقال : أعارٌ على رجلٍ قتلتموه ، أخْبِرْنى لمن الدائرةُ اليوم ؟

قال ابن إسحاق : وزعم رجال من بنى مَخزوم ، أن ابن مَسْعودٍ كان يقول :

قال لى : لقد ارتقيتَ مُرْتَقى صَعْبا يارُوَيْعِيَ الغنم ، قال : ثم احتززتُ رأسَه ثم جئتُ به رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : يارسول الله ، هذا رأسُ عدو الله أبى جهل ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : آللهِ الذي لا إله غيره — قال : وكانت يمينَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم — قال : قلت نعم ، والله الذى لا إله غيره ، ثم ألقيتُ رأسه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمِد الله .

قال ابن هشام : وحدثنى أبو عُبيدة وغيرُه من أهل العلم بالمغازى : أن عمر بن الخطّاب قال لسعيد بن العاص ، ومرّ به : إنى أراك كأنّ فى نفسك شيئا ، أراك تظن أنى قتلتُ أباك ، إنى لو قتلته لم أعتذر إليك من قتله ، ولكنى قتلتُ خالى العاصَ بن هشام بن المُغيرة ، فأما أبوك فإنى مررتُ وهو يبحث بحثَ الثور بروْقه فحِدتُ عنه ، وقصدَ له ابنُ عمِّه على فقتله .

. . . .

غزوة بدر

وَبَدْر: اسم بئرٍ حفرها رجلٌ من غِفارٍ، ثم من بنى النار منهم، اسمه: بَدْر، وقد ذكرنا فى هذا الكتابِ قول مَنْ قال: هو بَدْرُ بن قُرَيْشِ بن يَخْلُد الذى سميت قريشٌ به. ورَوَى يونسُ عن ابنِ أبى زكريا عن الشَّعْبِيِّ قال: بدر: اسمُ رجلٍ كانت له بدر.

تحسس الأخبار:

فصل: وذكر أبا سُفيانَ، وأنه حين دنا من الحِجاز، كان يتحسَّسُ الأخبارَ. التَّحَسُّسُ بالحاء: أن تَتَسَمَّعَ الأخبارَ بنفسك، والتَّجَسُّسُ بالجيم: هو أن تفحَصَ عنها بغيرك، وفى الحديث «لا تَجَسَّسُوا، ولا تَحَسَّسُوا»(١).

رؤيا عاتكة:

وذكر رؤيا عاتكة والصارخ الذى رأته يصرخ بأعلى صوته: يا لَغُدُرِ!! هكذا هو بضم الغين والدال جمع غدُور، ولا تصح روايةُ من رَوَاه: يا لَغُدَرِ بفتح الدال مع كسرى الراء، ولا فتحها، لأنه لا ينادى واحدا، ولأن لام الاستغاثة لا تدخل على مثل هذا البناء فى النداء، وإنما يقول: يا لَغُدُرُ انفروا ونحرِيضاً لهم، أى: إن تخلَّفْتُم، فأنتم غُدُرٌ لقومكم وفتحت لامُ الاستغاثة، لأن المنادَى قد وقع موقع الاسم المضمَر، ولذلك بنى، فلما دخلت عليه لام الاستغاثة وهى لام جر فُتحت كما تفتح لامُ الجر إذا دخلت على المُضمَرات،

(١) من حديث رواه البخارى ومسلم وأبو داود ومالك.

رفع المسا هم

. . . .

هذا قول ابن السراج ، ولأبى سعيد السِّيرافى فيها تعليلٌ غير هذا كرِهنا الإطالة بذكره ، وهذا القول مبنى فى شرح يا غُدَر إنما هو على رواية الشيخ ، وما وقع فى أصله ، وأما أبو عُبَيْدة ، فقال فى المصنف : تقول ياغُدَرُ ، أى : ياغادر ، فإذا جمعت قلت يا آل غُدَر[1] ، وهكذا والله أعلم . كان الأصل فى هذا الخبر ، والذى تقدم تغيير .

وقوله ، ثم مثل به بعَيرُه على أبى قُبَيْس ، سُمِّى هذا الجبل أبا قُبَيْسٍ برجل هلك فيه من جُرْهُم اسمه قُبَيْسُ بن شالخ ، وقع ذكره فى حديث عَمْرو بن مُضَاضٍ ، كما سُمِّى حُنَين الذى كانت فيه حُنَيْن بحُنَيْن بن قانية بن مِهْلَايِل[2] ، أظنه كان من العَمَالِيق ، وقد ذكره البكرى فى كتاب مُعْجَم ما استعجم .

معنى اللياط :

وذكر حديث أبى لَهَبٍ ، وبعثه العاصِىَ بنَ هِشَام ، وكان لاط له بأربعة آلاف درْهَمٍ . لاط له : أى أرْبَى له ، وكذلك جاء اللِّيَاطُ مُفَسَّرا فى غريب الحديث للخَطَّابى ، وهو قوله عليه السلام فى الكتاب الذى كتبه لثقيف : وما كان لهم من دَيْن لارَهْن فيه فهو لِيَاطٌ مُبَرَّأ من الله . وقال أبو عُبَيْدٍ :

---

(١) فى اللسان : « يقال فى الجمع : يال غدر »

(٢) هو فى سفر التكوين : مهلئيل وضبطوه فيه بفتح الميم وسكون الهاء ، وفتح اللام الأولى وسكون الثانية ، وهو ابن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم كما ذكر فى السفر ، وفى معجم البكرى عن حنين : سمى بحنين بن قاينة بن مهلاييل .

. . . .

وسمى الربا لِيَاطاً ، لأنه مُلصَقٌ بالبيع ، وليس ببيع ، وقيل للربا لِيَاطاً لأنه ، لاصقٌ بصاحبه لا يَقضيه ، ولا يُوضَع عنه ، وأصل هذا اللفظ من اللُّصُوق .

المجمرة والألوة :

وعَزَم أُمَيَّةُ بن خَلَفٍ على القُعود ، وأنَّ عُقْبَةَ بن أبى مُعَيْطٍ جاءه بِجْمَرةٍ فيها نار ومِجْمَر ، وقال : استَجْمِرْ فإنما أنت من النساء . الْمِجْمَرَةُ : هى الأداةُ التى يُجْعَل فيها البَخُور ، والْمِجْمَر هو البَخُور نفسُه ، وفى الحديث فى صفة أهل الجنة مَجَامِرُهم الأُلُوَّة[١] ، فهذا جمع مِجْمَر لا مِجْمَرة ، والأُلُوَّةُ : هى العُود الرَّطب ، وفيها أربعُ لُغَاتٍ أُلُوَّة وأَلُوَّة ، ولُوَّة بغير ألف ولِيَّة ، قاله أبو حنيفة .

وذكر فى شعر مِكْرَزٍ :

تذكرت أشلاءَ الحبيب الْمُلَحَّب

شرح شعر مكرز :

الأشلاء : أعضاء مُقَطَّعة ، والْمُلَحَّب من قولهم : لَحَّبْتُ اللحم إذا قطعته طولا ذكره صاحب العين .

وذكر فى شعر مِكْرَزٍ :

---

(١) ورد هذا فى حديث متفق عليه ، ويراها الأصمعى كلمة فارسية ، وأبو منصور يراها هندية . وجمع ألوة : الاوية .

رفع عبد الرحمن المسيهم

. . . .

متى ما أُجِلَّه القُرَافِرِ يَعْطَبِ[1]

وقد فسر ابن هشام القُرَافِرَ ، وقال : هو اسم سيف ، وهو عندى من قَرْفَرَ اللحْمَ إذا قطعه أنشد أبو عُبَيْد :

كَكَلَّابِ طَشمٍ وقد تَرَبَّبَه   يَعُلُّه بالحَلِيبِ فى الغَلَس
أنحَى عليه يوما يُقَرْفِرُه   إنْ يَلِغْ فى الدِّماء يَنْتَهِس

ويُرْوَى : يُشَرْشِرُه . والعَيْهبُ الذى لا عَقْل له ، ويقال لذَكَر النَّعَم عَيْهَب[2] .

مواضع نزل فيها الرسول صلى الله عليه وسلم :

وذكر عِرْق الظُّبْيَةَ ، والظُّبْيَةُ : شجرةٌ شِبْه القَتَادَة يُسْتَظَلُّ بها ، وجمعها ظبيان ، وكذلك ذكر السَّيَالَة فى طريق بدر ، والسَّيَالُ شَجَرٌ ، ويقال : هو عِظَامُ السَّلَمِ ، قاله أبو حنيفة .

وذكر النَّازِيَة ، وهى رَحَبَةٌ واسعة فيها عِضَاةٌ ومُروج[3] .

وذكر سَجْسَجاً ، وهى بالرَّوْحاء ، وسميت سَجْسَجاً ، لأنها بين جبلين ،

(١) هى فى نسخ السيرة التى بين يدى : متى ما أصبه .

(٢) فى شرح السيرة للخشنى : والغيهب بالعين المعجمة للغافل الناسى وبالعين الرجل الضعيف عن طلب وتره ويروى هنا بالوجهين ص ١٥٤

(٣) العضاة جمع عضاهة : أعظم الشجر أو كل ذات شوك ، ومروج : جمع مرج : الموضع ترعى فيه الدواب

. . . .

وكلُّ شيء بين شيئين ، فهو : سَجْسَجٌ. وفى الحديث : إن هواء الجَنَّةِ سَجْسَجٌ ، أى : لا حَرٌّ ولا بَرْدٌ ، وهو عندى من لفظ السَّجاج ، وهو اللبن غيرُ خالصٍ ، وذلك إذا أكثر مزجه بالماء ، قال الشاعر :

وَيَشْرَبُها مَزْجًا ويَسْقِى عِيالَه ... سَجاجًا كأقْرابِ الثَّعالِبِ أوْرَقا

وهذا القول جارٍ على قياس مَن يقول : إن الثَّرْثارَةَ من لفظ : الثَّرَّةِ ، ورَقْرَقْتُ من لفظ : رَقَقْتُ إلى آخر الباب .

وذكر الصَّفراء ، وهى واد كبير .

أنساب :

وذكر بَسْبَسَ بن عَمرو الجُهَنِىّ ، وعَدِىَّ بن أبى الزَّغْباء حين بعثهما رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحَسَّسان الأخبارَ عن عِير قُريش ، وفى مُصَنف أبى داود : بَسْبَسَة مكان بَسْبَسٍ وبعض رواة أبى داود يقول بُسَيْسَة بضم الباء : وكذلك وقع فى كتاب مسلم(١) ونسبه ابن إسحاق إلى جُهَيْنة ، ونسبه

---

(١) فى الإصابة عن بسبسة وهو بموحدتين مفتوحتين بينهما مهملة ساكنة ثم مهملة مفتوحة ، ويقال له : بسبس بغير هاء وهو قول ابن إسحاق وغيره ، شهد بدرا باتفاق ، ووقع ذكره فى صحيح مسلم من حديث أنس ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بسبسة عينا ينظر ماصنعت عير أبى سفيان ، فذكر الحديث فى وقعة بدر ، وهو بموحدتين وزن فعللة ، وحكى عياض أنه فى مسلم بموحدة مصغرة ، ورواه أبو داود ووقع عنده بسيبسة بصيغة التصغير ، وكذا قال ابن الأثير أنه رآه فى أصل ابن مندة . لكن بغير هاء ، والصواب الأول » . وفى جمهرة ابن حزم : بسبس ص ٤١٥.

. . . .

غيرُه إلى ذُبْيان ، وقال: هو بَسْبَس بن عَمْرو بن ثَعْلَبَة بن خَرَشَة بن عَمْرو ابن سَعْد بن ذُبيان(١) ، وأما عدى بن أبى الزَّغْباء ، واسم أبى الزغباء : سنان ابن سُبَيْع بن ثَعْلَبة بن رَبيعة بن بُذَيْل ، وليس فى العرب بُذَيْلٌ بالذال المنقوطة غير هذا ، قاله الدَّارَ قُطْنى ، وهو بُذَيْلُ بن سَعْد بن عَدِىّ بن كاهل بن نَصْر ابن مالك بن غطفان بن قيس بنُ جُهَيْنَةَ ، وجهينةُ : وهو ابن سُود بن أسلُم بضم اللام بن الحافِ بن قُضَاعة ، قال موسى بن عُقْبَة : عَدِىُّ بن أبى الزَّغْباء حَليف بنى مالك بن النَّجَّار مات فى خلافة عُمَر ، وكان قد شهد بدراً وأُحُداً والخَنْدَقَ مع رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم .

التطير وكراهية الاسم القبيح:

وذكر أنه عليه السلام مر بجَبَلين ، فسأل على اسميهما ، فقيل له : أحدهما مُسْلِحٌ والآخرُ مُخْرِئٌ ، فعَدل عن طريقهما ، وليس هذا من باب الطِّيَرة(٢) ، التى نَهَى عنها رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — ولكن من باب كراهيةِ

---

(١) زاد فى الإصـــابة بعد خرشة : « بن زيد » وبعد ذبيان : بن رشدان ابن غطفان ، بن قيس بن جهينة ، وفى جمهرة ابن حزم كما فى الروض ، ثم ذكر بعد رشدان : ابن قيس بن جهينة ، فأسقط غطفان ص ٤١٥ .

(٢) الطيرة : ما يتشاءم به من الفأل الردىء ، وقد روى أبو داود والترمذى وابن حبان فى صحيحه ، وقال الترمذى : حسن صحيح : « الطيرة شرك ، الطيرة شرك ، الطيرة شرك : ومامنا إلا ، ولكن الله يذهبه بالتوكل » . ومعنى : ومامنا إلا أى : ومامنا إلا وقد وقع فى قلبه شىء من ذلك ، ولكن الله يذهب ذلك عن قلب كل من يتوكل عليه . وذكر البخارى أن قوله : ومامنا إلى آخره من كلام ابن مسعود مدرج غير مرفوع .

رفع
المسيرهم

. . . .

الاسم القبيح ، فقد كان عليه السلامُ يكتب إلى أمرائه إذا أبْرَدْتُم إلىّ بريداً فاجعلوه حَسَنَ الوَجْه حَسَنَ الاسم ، ذكره البزار من طريق بُرَيْدَةَ ، وقد قال فى لِقْحَةٍ : من يَحْلُب هذه ؟ فقام رجل :فقال أنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:ما اسْمُك ؟ فقال: مُرَّةُ ، فقال : اقعد، حتى قال آخرُهم : اسمى : يَعيشُ ، قال : احلِبْ . اختصرت الحديثَ وفيه زيادةٌ رواها ابنُ وهب ، قال : فقام عمر : فقال : لا أدرى أقول أم أسكت ؛ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: قل ، فقال له : قد كنت نَهَيْتَنا عن التَّطَيُّر ، فقال عليه السلام : ما تَطَيَّرتُ ، ولكنى آثرْتُ الاسمَ الحَسَنَ ، أو كما قال عليه السلام . وقد أمليتُ فى شَرْح حديث المُوَطَّأ فى الشُّؤْم ، وأنه إن كان ففى المرأة والفَرَسِ والدارِ تحقيقا وبيانا شافيا لمعناه ، وكَشْفاً عن فِقْهِهِ لم أرَ أحـــدا ـ والحمدُ لله ـ سَبَقنى إلى مثلِه .

جبلا مسلح ومخرىء

وهذان الجبلان لتسميتهما بهذين الاسمين سببٌ ، وهو أن عَبْداً لبنى غِفارٍ كان يَرْعى بهما غنما لسيده ، فرجع ذات يوم عن المرعى ، فقال له سيده : لم رجعتَ ؟ فقال : إن هذا الجبل مسلح للغنم ، وإن هذا الآخر مخرىء[1] ، فسمِّيا بذلك . وجدت ذلك بخط الشيخ الحافظ فيما نقل عن الوَقَشِىّ .

---

(١) ولكن موضع الخرء يقال له مخرأة ـــ بفتح الميم والراء ، ومخراة بدون همزة ، ومخرأة ـ بفتح الميم وضم الراء .

. . . .

برك الغماد :

وذكر قول ابن دريد : ولو بلغت بنا بِرْكَ الغِمَادِ ، وجدتُ فى بعض كتبِ التفسير أنها مدينة الحَبَشَةِ (١).

تعوير قلب المشركين

وذكر القَلَبَ التى احتفرها المشركون ليشربوا منها ، قال : فأمر بتلك القُلُبِ فَعُوِّرَتْ ، وهى كلمة نبيلة ، وذلك أن القَلَبَ لما كان عَيْناً جعلها كعين الإنسان ، ويقال فى عَيْنِ الإنسان : عُرْتها فعارت ، ولا يقال : عَوَّرْتها ، وكذلك قال فى القُلُبِ عُورَتْ بسكون الواو ولكن لما رد الفعل لما لم يُسَمَّ فاعلُه ضمت العين ، فجاء على لغة من يقول : قُول القَوْل وبُوعَ المتاعُ (٢) ، وهى

---

(١) ضبطها البكرى فى معجمه فقال : « برك بكسر أوله وإسكان ثانيه ، وهو فى أقاصى هجر إلا أنه مضاف إليها . هو برك الغماد الذى ورد فى الحديث الغاد بالغين المعجمة تضم وتكسر لغتان بعد ميم وألف ودال مهملة » وقال الهمدانى فى صفة جزيرة العرب ص ٢٠٤ ط ١٩٥٣ « وهو أقصى حجر باليمن » وقال ياقوت فى المشترك وضعا والمفترق صقعا « باب برك ثمانية مواضع بكسر الباء وسكون الراء وكاف . الأول موضع بناحية اليمن فى نصف الطريق بين مكة وزبيد ، ثم ذكر باقى المواضع . وفى المراصد موضع وراء مكة بخمس ليال مما يلى البحر ، وقيل : بلد باليمن ، وهو أقصى حجر باليمن »

(٢) يستشهد النحاة على هذه اللغة ببيت رؤبة :

ليت ، وهل ينفع شيئا ليت ليت شبابا بوع فاشتريت

وقد ورد فى كتب النحاة هكذا على حين يروى فى ديوان رؤبة باللغة الفصحى ، أى : بيع بدلا من بوع

=

. . . .

لغة هُذَيل وبنى دُبَيْر من بنى أسد وبنى فقعس ، وبنو دُبَيْرٍ هو تصغير أدْبَر على التَّرخيم ، وإن كانت لغةً رديئة ، فقدحسُنَت هنا للمحافظة على لفظ الواو ، إذ لو قالوا : عيرت فأميتت الواو ، لم يعرف أنه من العَوَر إلا بعد نظر ، كما حافظوا فى جمع عيد على لفظ الياء فى عيد فقالوا : أعْيَاد ، وتركوا القياس الذى فى ريح وأرْوَاح على أن أرياحا لغة بنى أسد كى لا تذهب من اللفظ الدلالة على معنى العين ، وإن كان من العَوْدَة ، وقِسْ على هذا القول ، وصحة الواو فيه ، وكما حافظوا على الضمة فى سبُّوح وقُدُّوس ، وقياسه : أن يكون على فَعُّول بفتح الفاء كتَنُّوم وشَبُّوط[1] وبابه ، ولكن حافظوا على الضمَّتين ، ليسلَم لفظُ القُدس والسُّبحات وسُبْحان الله يَسْتَشْعِر المتكلمُ بهذين الاسمين معنى القُدس ، ومعنى سُبْحانَ من أول وَهْلة ، ولما ذكرناه كثيرة نظائرُ يُخرجنا إيرادُها عن الغَرَضِ .

= كما استشهد الأشمونى بقول الراجز :

حوكت على نيرين إذ تحاك ... تختبط الشوك ، ولاتشاك

على حين يروى باللغة الفصحى : حيكت .

والفعل الثلاثى المعل الوسط يجوز فى فائه ثلاثة أشياء : الكسر ، الإشمام ، الضم بشرط أمن اللبس . والإشمام هو الإتيان بحركة بين الضم والكسر على الفاء ، بأن يؤتى بجزء من الضم قليل سابق ، وجزء من الكسرة كثير لاحق . ويسمى القراء هذا : روحا ، وقد قرى فى السبعة بالإشمام . قيل وغيض . وأفصح اللغات الكسر ، ثم الإشمام ، والضم : أردؤها . وقد أورد ابن مالك اللغات الثلاثة فى ألفيته .

(١) تنوم : شجرة أو حبة ، والشبوط : نوع من السمك .

. . . .

تفسير كلمات

وذكر قول أبي جهل : قم فانشُد خُفْرَتَك ، أى : اطلب من قُريش الوفاء بِخُفْرَتِهم لك ، لأنه كان حليفا لهم وجارا ، يقال : خَفَرْتُ الرجلَ خُفْرَةً إذا أجرْته ، والخفير . المُجير . قال [عدىُّ بن زيد] العِبادىّ .

مَنْ رأيتَ الأيامَ خلَّدْنَ أمْ مَنْ ذا عليه من أنْ يُضامَ خَفِيرُ (١)

وقوله : حَقِبَتْ الحربُ ، يقال : حَقِبَ الأمر إذا اشتد ، وضاقت فيه المسالكُ ، وهو مُسْتَعارٌ من حَقِبَ البعيرُ إذا اشْتدَّ عليه الحَقَبُ وهو الحزام الأسفل ، وراغ حتى يَبْلُغَ ثِيلَه (٢) ، فضاق عليه مسلكُ البَوْل .

وقول عُتْبَةَ فى أبي جَهْلٍ : سيعلم مُصَفِّرُ اسْتِه من انتفخ سَحْرُه . السَّحْرُ والسُّحْرُ الرِّئَةُ ، والسَّحَرِ أيضاً بفتح الحاء ، وهو قياسٌ فى كل اسْمٍ على فَعْل إذا كانَ عينُ الفعل حَرْفَ حَلْقٍ (٣) ، أن يجوز فيه الفتحُ ، فيقال فى الدَّهْر : الدَّهَر ، وفى اللحْم : اللَّحَم ، حتى قالوا فى النَّحْو النَّحَو ، ذكرها ابن جِنِّى ، ولم يعتمِدوا على هذا التحريك الذى من أجل حَرْف الحَلْقِ لما كانَ لِعِلَّةٍ ،

---

(١) سبقت قصيدته التى منها هذا البيت فى الجزء الاول . والبيت فى الاغانى : « من رأيت المنون » ص ١١٥ المجلد الثانى ط لبنان .

(٢) بالكسر وبالفتح شىء بين رجلى البعير الخلفيتين يستحى من ذكره تستطيع لمح معناه .

(٣) هى حروف الهجاء التى تخرج عند النطق من الحلق ، وهى الهمزة والهاء والعين والحاء والغين والخاء .

رفع المسهم

. . . .

فلم يقلبوا الواو من أجله ألفا حين قالوا : النَّحو والزَّهد ، ولو اعتدُّوا بالفتحة ، لقلبوا الواو ألفا ، كما لم يَعتدُّوا بها فى : يَهَب ويَضَع ، إذ كان الفتحُ فيه من أجْلِ حَرْفِ الحَلْقِ ، ولو اعتدُّوا به ، لرَدُّوا الواو فقالوا : يَوْضَع ويَوْهَب ، كما قالوا : يَوْجَل .

من قائل أبى عذرها وماداء أبى جهل

وقوله مُصَفِّر استِه : كلمةٌ لم يَخترعها عُتْبَةُ ، ولاهو بأبى عُذرِها ، قد قيلت قبله لقابُوس بن النُّعمان ، أو لقابوس بن المنذر ، لأنه كان مُرَفَّها لايغزو فى الحروب ، فقيل له : مُصَفِّر استِه ، يريدون : صُفْرة الخُلُوقِ والطِّيبِ . وقد قال هذه الكلمةَ قيسُ بن زُهَيرٍ فى حُذَيفَةَ يوم الهَباءَةِ ، ولم يقل أحد إن حُذَيفَةَ كان مَسْتُوهًا ، فإذًا لايَصِحُّ قولُ من قال فى أبى جهل مِنْ قول عُتبَة فيه هذه الكلمة : إنه كان مَسْتُوها والله أعلم .

وسادةُ العَرَب لاتستعمل الخَلُوقَ والطِّيبَ إلّا فى الدَّعَةِ والخَفْضِ وتَعيبُه فى الحرب أشدَّ العَيْب ، وأحسِب أن أبا جَهْل لما سَلِمَت العِيرُ ، وأراد أن ، يَنحَرَ الجَزُورَ ، ويشربَ الخمر ببدرٍ ، وتَعزِفَ عليه القِيانُ بها استعمل الطِّيبَ أو هَمّ به ، فلذلك قال له عُتْبةُ هذه المقـــالة ، ألا ترى إلى قول الشاعر فى بنى مَخْزُوم :

وِمِنْ جَهْلٍ أبو جَهْلٍ أخُوكُمْ غزا بَدْراً بِمِجْمَرَةٍ وتَوْرِ

يريد : أنه تَبَخَّر وتَطَيَّب فى الحرب .

. . . .

وقوله : مُصَفِّر استِه(١) إنما أراد مُصَفِّرَ بَدَنِه ، ولكنه قصد المبالغة في الذمِّ فخص منه بالذكر ما يَسُوؤه أن يُذكر .

قول سواد بني غزية

فصل ، وذكر قصةَ سوادِ بن غَزِيَّةَ حين مر به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مُسْتَنْتِلٌ أمامَ الصَّفِّ ، قال ابن هشام : ويقال : مُسْتَنْصِلٌ . قوله مُسْتَنْتِلٌ أمام الصف ، يقال استَنْتَلْتُ واستَنْصَلْتُ وابْرَنْذَعْتُ وابرَنْتَيْتُ بالراء المهملة وبالزاي ، هكذا تقيد في الغريبِ المصنف ، كل هذا إذا تقدَّمْتَ . سَوَادُ هذا بتخفيف الواو(٢) ، وكل سَواد في العرب ، فكذلك بتخفيف الواو وفتح السين ، إلا عَمْرو بن سَوَّادٍ أحد بني عامر بن لُؤَيٍّ من شيوخ الحديث ، وسُوَاد بضم السين ، وتخفيف الواو ، هو ابن مرى بن إرَاشَةَ ابنِ قضاعة ثم من بَلِيٍّ حلفاء الأنصار ، ووقع في الأصلِ من كلام ابن هشام سَوَّاد مثقلة ابن غَزِيَّة ، وهو خطأ ، إنما الصواب ماتقدم ، وسَوَّاد هذا هو عامل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم على خَيْبر الذي جاءه بتَمْرٍ جَنِيبٍ ، ذكره مالكٌ في المُوَطَّأ ولم يُسَمِّه .

وقول ابن هشام مُسْتَنْصِلٌ ، معناه : خارجٌ من الصَّفِّ من قولك :

---

(١) يقول أبو ذر الخشني : « العرب تقول هذا القول للرجل الجبان ، ولا تريد به التأنيث » ص ١٥٧ .

(٢) وابن هشام يقول إن الواو مثقلة . وقد قيده بالتخفيف — كما ذكر أبو ذر الخشني — الدارقطني وعبد الغني ص ١٥٧ . وقول ابن هشام خطأ كما سيبين السهيلي .

. . . .

نَضَتْ الرمحَ إذا أخرجت ثَعْلَبَه(١) من الطَّعْن .

تفسير بعض مناشدتك :

وذكر قول أبي بكر بعض مُنَاشَدَتِكَ رَبَّكَ ، فإن الله مُنْجِزٌ لك ماوَعَدَكَ ، رواه غير ابن إسحق كذلك مُنَاشَدَتَكَ ، وفسره قاسمٌ في الدلائل ، فقال : كذلك قد يُرَادُ بها معنى الإغراء والأمر بالكَفِّ عن الفعل ، وأنشد لجرير :

[تقول وقد تراحت المطايا] كذاكِ القولَ إنّ عليك عَيْنًا(٢)

أي : حَسْبُكَ من القول ، فدعه ، وفي البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأنجشة يا أنجشه رُوَيْدَكَ سَوْقَكَ بالقَوارير ، وأورده مرّة أخرى فقال فيه شَوْقَكَ(٣) وإنما دخله معنى النصب كما دخل : عليك زَيْدًا معنى النصب ، وفي

---

(١) الثعلب هنا : طرف الرمح الداخل في جبة السنان . ونصل من الأضداد تدل على الإخراج والإدخال في هذا المعنى .

(٢) في الأصل لجرير والتصويب من المواهب وكذلك الشطر الأول ص ٤٢٢ ح ١ المواهب : وقد خطأ الحافظ من زعم أن كذاك تصحيف لكفاك . ورواية كذاك وردت في رواية مسلم وسنن أبي داود والترمذي .

(٣) روى أبو داود الطيالسي عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس قال : كان أنجشة يحدو بالنساء ، وكان البراء بن مالك يحدو بالرجال ، فإذا أعقب الإبل قال النبي صلى الله عليه وسلم : يا أنجشة رويدك سوقك بالقوارير . ورواه الشيخان مختصرا عن طريق حماد بن زيد عن ثابت عن أنس . ورواه مسلم من طريق سليمان بن طرخان التيمي عن أنس قال : كان للنبي « ص » حاد يقال له : =

. . . .

دونك ، لأنك إذا قلت دونَكَ زَيْدا وهو يطلبه فقد أعلمته بمكانه فكأنك قلت : خذه ، ومسألةُ كذاك من هذا الباب لأنك إذا قلت : كذاك القول أو السير ، فكأنك قلت : كذاك أمَرْتُ فاكْفُفْ ودَعْ ، فأصل البابين واحد وهو ظرف بعده ابتداء ، وهو خبر يتضمن معنى الأمر أو الإغراء بالشيء ، أو تركه ، فنصبوا بما فى ضِمْنِ الكلام ، وحَسُنَ ذلك حيث لم يعدلوا عن عامل لفظى إلى مَعْنَوِىٍّ ، وإنما عَدَلوا عن مَعْنَوِىٍّ إلى معنوى ، ولو أنهم حين قالوا : دونَكَ زيدا يلفظون بالفعل فيقولون استقر دونك زيد ، وهم يريدون الإغراءَ به والأمر بأخذه لما جاز النصبُ بوجه ، لأن الفعل ظاهر لَفْظِى ، فهو أقوى من المعنوى .

معنى مناشدة أبي بكر

فصل : وفى هذا الحديث من المعانى أن يقال : كيف جعل أبو بكر يأمرُ رسولَ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالكَفِّ عن الاجْتِهادِ فى الدعاء ، ويقوِّى رجاءَه ويُثَبِّتُه ، ومقامُ رسولِ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو المقام الأحمدُ

= أنجشة ، فقال له النبى « ص » رويدك سوقك بالقوارير . وهناك خلاف حول شخصية أنجشة . وقد شبه النساء بالقوارير من الزجاج لأنه يسرع إليها الكسر ، وكان أنجشه يحدو وينشد القريض والرجز ، فلم يأمن أن يصيبهن أو يقع فى قلوبهن حداؤه ، فأمره بالكف عن ذلك . وقيل أراد أن الإبل إذا سمعت الحداء أسرعت فى المشى واشتدت ، فأزعجت الراكب ، وأتعبته ، فنهاه عن ذلك ، لأن النساء يضعفن عن شدة الحركة ، وسميت القارورة بهذا لاستقرار الشراب فيها « ابن الأثير » .

رفع المسـ هم
غفر الله لمن طالعه

. . . .

ويقينُه فوق يقينِ كل أحدٍ ، فسمعت شيخَنا الحافظ(١) ـ رحمه الله ـ يقول في هذا : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في مقام الخوف ، وكان صاحبه في مقام الرَّجاء ، وكلا ، المقامين سواء في الفَضْلِ ، لايريد(٢) أن النبيَّ والصِّدِّيقَ سَوَاء ، ولكن الرجاءَ والخوفَ مقامان لابد للإيمانِ منهما ، فأبو بكر كان في تلك الساعة في مقام الرَّجَاء لله ، والنبيُّ عليه السلامُ كان في مقام الخوفِ من الله ، لأن لله أن يفعل ماشاء ، نخاف أن لا يُعْبَد اللهُ في الأرضِ بعدها ، نخوفه ذلك عبادةٌ . وأما قاسم بن ثابت ، فذهب في معنى الحديث إلى غير هذا ، وقال : إنما قال ذلك الصِّدِّيقُ مَأْوِيَةً للنبي عليه السلامُ ورِقَّةً عليه ، لما رأى من نَصَبِه في الدعاء والتَّضَرُّع حتى سقط رداؤه عن مَنْكِبَيْه ، فقال له : بعضَ هذا يارسول الله ، أي : لِمَ تُتْعِبُ نفسك هذا التعبَ ، واللهُ قد وعدك بالنصر ، وكان رقيقَ القلب شديد الإشفاق على النبي صلى الله عليه وسلم(٣) .

---

(١) يعني القاضي أبا بكر بن العربي .

(٢) يعني شيخه ابن العربي ، وهي في الأصل : نريد ، والتصويب من المواهب ص ٤٢٠ ج ١ .

(٣) القول الأول قول الصوفية ، والمقام عندهم كما عرفه القشيري في رسالته : ما يتحقق به العبد بمنازلته من الآداب مما يتوصل إليه بنوع تصرف ، ويتحقق به بضرب تطلب ، ومقاساة تكلف ، فمقام كل أحد : موضع إقامته عند ذلك ، وماهو مشتغل بالرياضة له ، وقد عرف أبو علي الدقاق الخوف بقوله : الخوف ألا تعلل نفسك بعسى وسوف . وعرفوا الرجاء بقولهم : ثقة الجود من الكريم الودود ، ولهما تعريفات أخرى غير هذا . وأقول : لايمكن أن ينفصل الرجاء عن الخوف ولا الخوف عن الرجاء أبداً في قلب المسلم ، والمسلم الحق يغمر قلبه الرجاء ، والخوف معاً في كل أحواله . والصوفية يشترطون على « الدرويش » أو التابع =

رفع
المسابهم
عز الله لوطالدين

. . . .

= إلا ويرتقي من مقام إلى آخر ما لم يستوف أحكام ذلك المقام ! ! ثم قالوا : ولا يصح لأحد منازلة مقام إلا بشهود ! ! يعنون الشهود الإلهي ! ! أفيتفق هذا مع روح الإسلام ؟ ، وكيف يعيش الإنسان في مقام الخوف وحده ؟ ولا ينتقل إلى مقام الرجاء إلا بشهود ؟؟ . وكيف نظن بالنبي العظيم صلى الله عليه وسلم مثل هذا الظن ؟

إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدرك تماما حقيقة الموقف ، وكان على بينة مما يترتب على الهزيمة والنصر ، أكثر وأعظم من أبي بكر ، فاتقدت مشاعره بهذا الإدراك خوفا ورجاء ، أما أبو بكر فقد هبط إدراكه للأمر عن الأفق الرفيع الأسمى الذي تألق فوقه إدراك الرسول صلى الله عليه وسلم ، كما شغله عن الموقف قليلا ، أو شغله من الموقف حال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال ما قال رضي الله عنه وأرضاه . ولقد أبدع الحافظ في الفتح ، وهو يفسر قوله «ص» إن تهلك هذه العصابة لا تعبد : « وإنما قال ذلك لأنه علم أنه خاتم النبيين ، فلو هلك هو ومن معه حينئذ ، لم يبعث أحد ممن يدعو إلى الإيمان ، ولاستمر المشركون يعبدون غير الله » وهو يبين تماما كيف كان الرسول «ص» ينظر إلى الموقف . . وفي مسلم أن النبي قال هذا الكلام أيضاً يوم أحد . أما المناشدة . ففي البخاري في المغازي أن أبا بكر قال : حسبك . وفي التفسير : وقد ألححت على ربك . وفي مسلم : يانبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ماوعدك . وقد فسر الخطابي المناشدة بقوله : لايجوز أن يتوهم أحد أن أبابكر كان أوثق بربه من النبي «ص» في تلك الحال ، بل الحامل للنبي على ذلك شفقته على أصحابه ، وتقوية قلوبهم ، لأنه كان أول مشهد شهده ، فبالغ في التوجه والدعاء والابتهال ، لتسكن نفوسهم عند ذلك ، لأنهم كانوا يعلمون أن وسيلته مستجابة . فلما قال أبو بكر ما قال ، كف عن ذلك وعلم أنه استجيب له لما وجد أبو بكر في نفسه من القوة والطمأنينة ص ٢٢١ حـ ٧ فتح الباري ط عبد الرحمن محمد .

. . . .

جهاد النبي في المعركة :

قال المؤلف : وأما شِدَّةُ اجتهادِ النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ونصبه فى الدعاء فإنه رأى الملائكة تَنْصَبُ فى القتالِ وجبريل على ثناياه الغُبَارُ ، وأنصارُ الله يخوضون غِمارَ الموتِ . والجهادُ على ضَرْبين : جهادٌ بالسيف ، وجهادٌ بالدُّعاء ، ومن سُنَّةِ الإمام أن يكونَ من وراء الجُنْدِ لايقاتلُ معهم ، فكان الكلُّ فى اجتهاد وجِدٍّ ، ولم يكن لِيُريحَ نفسه من أحدِ الجِدَّين والجهادين ، وأنصارُ الله وملائكته يجتهدون ، ولا ليُؤْثِرَ الدَّعَةَ ، وحزبُ الله مع أعدائه يجتلدون .

المفاعلة :

وقوله بعض مُناشَدَتِكَ رَبَّك ، والمفاعلة لا تكون إلا من اثنين والرَّبُّ لايَنْشُدُ عَبْدَه ، فإنما ذلك لأنها مُناجاة للرَّبِّ ، ومحاولة لأمرٍ يريده ، فلذلك جاءت على بناء المفاعَلة ، ولابُدَّ فى هذا البابِ من فِعْلين لفاعِلين ، إماَّ مُتَّفِقَيْن فى اللفظ ، وإماَّ مُتَّفِقَيْن فى المعنى ، وظن أكثرُ أهلِ اللغة أنها قد تكون من واحدٍ نحو : عاقبت العبدَ وطارَقْتُ النَّعْلَ ، وسافرتُ ، وعافاه الله ، فنقول : أماَّ عاقبتُ العبدَ فهى مُعامَلةٌ بينك وبينه ، عامَلَك بالذنب ، وعاملته بالعُقوبة ، فأخذ لفظُها من العقوبة ، ووزنُها من المُعاوَنة ، وأما طارقتُ النعل ، فمن الطرق وهو القوة ، فقد قوَّيْتها وقوَّتْك على المَشْي ، فلفظُها من الطَّرْق ، وبناؤُها على وزن المُعاوَنة والمُقاوَاة ، فهذا اتفاقٌ فى المعنى ، وإن لم يكن فى اللفظ ، وأما سافر الرجلُ فمن سَفَرْتَ : إذا كَشَفْتَ عن وَجْهك ، فقد

. . . .

سَفَر لقومٍ ، وسَفَرُوا له ، فهذه مُوافقةٌ في اللفظ والمعنى ، وأما المعافاة ، فإن السيد يُعْفِي عبدَه من بَلَاه فيُعْفِي العبدُ سَيِّدَه من الشَّكْوَى والإلحاح ، فهذه موافقة في اللفظ ، ثم تضاف إلى الله سبحانه اتساعا في الكلام ، ومجازاً حسناً .

عصب وعصم :

فصل : وذكر قول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ هذا جبريلُ على ثَنَايَاه النَّقْعُ ، وهو الغُبَارُ ، وفي حديث آخر أنه قال : رأيته على فَرَسٍ له شَقْراء ، وعليه عِمَامةٌ حَمْراء ، وقد عَصَمَ بِثَنِيَّتِه الغُبَارُ ؛ قال ابن قتيبة : عَصَمَ وعَصَبَ بمعنى واحد ، يقال : عَصَبَ الريقُ بفيه ، إذا يَبِسَ وأنشد (١) :

يَعْصِبُ فاهُ الريقُ أيَّ عَصْبِ عَصْبَ الجُبَابِ بشفاه الوَطْبِ

---

(١) الرجز لأبي محمد الفقعسي كما في اللسان وشرح إصلاح المنطق للتبريزي . . وفي إصلاح المنطق لابن السكيت : العصب ــ بفتح فسكون مصدر عصب الريق بفيه يعصب عصبا إذا يبس ، وقد عصب فاه الريق . قال ابن أحمر :

حتى يعصب الريق بالفم

ثم روى بيت الفقعسي ثم قال : والجباب ما اجتمع على فم الوطب مثل الزبد من لبن الإبل ، فالجباب للابل مثل الزبد للغنم ص ٤٦ ط دار المعارف وانظر الأمالي حـ ١ ص ٢٧ ط ٢ وسمط اللآلى ص ١٢٥ وفيه « وعصب الريق يكون من الجبن في مواطن الحرب ومن الحصر والعي في مواطن الجدال ، وانظر نوادر أبي زيد الأنصاري ص ٢١ وزاد عن الجباب « وربما دهن به الأعراب ، ولم ينسب البيت إلى أحد . وعصب بفتح الصاد وكسرها كما في اللسان .

رفع
المستهم
غفر الله له

. . . .

وخالفه قاسم بن ثابت ، وقال : هو عُصم من العَصِيم والعُصْم ، وهى كالبقية تبقى فى اليد وغيرها من لَطخ حِنّاء أو عَرَق أو شَيْء يلصق بالعضد ، كما قالت امرأة من العرب لأخرى : أعطنى عُصْمَ حِنّائك ، أى ما سلتت من حنائها ، وقشرته من يدها .

حديث عمير بن الحمام :

فصل : وذكر حديث عُمَيْر بن الحُمَام بن الجَموح بن زيد بن حرام حين ألقى التَّمَرات من يده ، وقال : بَخْ بَخْ ، وهى كلمة ، معناها التعجب ، وفيها لغات بخ بسكون الخاء وبكسرها مع التنوين ، وبتشديدها مُنوَّنة ، وغير مُنوَّنة ، وفى حديث مسلم والبخارى : أن هذه القصة كانت أيضاً يوم أُحُد لكنه لم يُسم فيها عُمَيْرا ، ولا غيره فالله أعلم .

حديث عوف بن عفراء :

وقول عَوْف بن عَفْراء : ما يُضحك الربَّ من عبده يارسول الله ؟ قد قيل فى عَوْف : عَوْذ بالذال المنقوطة ، ويقوى هذا القول أن أخويه : مُعاذ ومُعَوِّذ .

ضحك الرب :

ويضحك الربَّ ، أى يُرضيه غاية الرضى ، وحقيقته أنه رِضًى معه تبشير وإظهار كرامة ، وذلك أن الضَّحِكَ مُضادٌّ للغضب ، وقد يَغضب السيدُ ، ولكنه يعفو ويُبْقى العَتْبَ ، فإذا رَضِى ، فذلك أكثر من العفو ، فإذا ضحك فذلك غاية الرِّضى ؛ إذ قد يَرْضى ولا يُظهر مافى نفسه من الرِّضى ، فعبَّر عن

رفع المسلم

. . . .

الرِّضى وإظهاره بالضَّحك فى حَقِّ الربِّ سُبحانه مجازاً وبلاغَةً ، وتَضمينا لهذه المعانى فى لَفظٍ وَجيز ؛ ولذلك قال عليه السلام فى طَلْحة بن البَرَاء : اللهم القَ طَلْحَةَ يَضْحَكُ إليك ، وتضحك إليه ، فمعنى هذا : القه لِقاءَ مُتَحابَّيْن مُظْهِرَيْن لما فى أنفسهما من رِضًى ، ومَحَبَّةٍ ، فإذا قيل : ضَحِكَ الربُّ لفلانٍ ، فهى كلمة وجيزة تتضمن رِضًى مع محبة وإظهار بِشْرٍ وكرامة ، لا مَزيدَ عليهما ، فهى من جوامع الكَلِمِ التى أوتيها عليه السلام(١) .

---

(١) لا يمر بخاطر مسلم ولا فكره حين يسمع بالضحك منسوبا إلى الله سبحانه ما يمر بخاطره أو فكره حين يسمع به منسوبا إلى البشر ، ولا يتصور مسلم أن صورة الضحك البشرى ، وما يستلزم ، وما يحدث حين يكون يمكن أن ينسب إلى الله سبحانه ، فهذا ضحك البشر ، وذاك ضحك الله الذى ليس كمثله شىء ، ولهذا نقف عن تأويله بشىء آخر حين يصح نقلا نسبته إلى الله جل وعلا . وأصل الضحك لغة : يفيد الانكشاف والبروز ، وكل من أبدى عن أمر كان مستورا . قيل : قد ضحك . كما تقول : ضحكت الأرض بالنبات إذا ظهر فيها ، وانفتق عن زهره وهو لا يستلزم انبساط الوجه وتكشر الأسنان إلا حين يكون منسوبا إلى البشر . أما حين ينسب إلى الله سبحانه ، فلا يستلزم شيئا مما نسب إلى الخلق ؛ لأنه جل شأنه الخالق . هذا ولم يرد نسبة الضحك فى القرآن إلى الله سبحانه . وإنما ورد فى الحديث مثل : « يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخل الجنة يقاتل هذا فى سبيل الله ، فيقتل ، ثم يتوب الله على القاتل ، فيقاتل فى سبيل الله ، فيستشهد » البخارى ومسلم . وكقوله صلى الله عليه وسلم للأنصارى وامرأته اللذين استضافا رجلا : « لقد ضحك الله الليلة — أو عجب من فعالكما » من حديث رواه البخارى ومسلم . وانظر ص ٤٦٧ الأسماء والصفات لأبى بكر أحمد بن الحسين بن على البيهقى ، مطبعة السعادة .

. . . .

شرح كلام أبي البختري والمجذر

فصل : وقول أبي البَخْتَرِيِّ أنا وزميل . الزَّميلُ : الرَّدِيفُ ، ومنه : ازْدَمَلَ الرجُلُ بحمله إذا ألقاه على ظهره ، وفى مُسْنَد الحارثِ عن ابن مسعود ، قال : كنا نَتعاقَبُ يومَ بدْرٍ ثلاثةً على بَعِير ، فكانَ عِليٌّ وأبو لُبَابَةَ زَمِيلَى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا كانت عُقْبَتُه ـ عليه السلام ـ قالا له ارْكَبْ ، ولنَمْشِ عنكَ يارسول الله ، فيقول : ما أنتما بأقوى على المشى منى ، ولا أنا بأغْنَى عن الأجرِ منكما .

وقول المُجذَّر : كإرْزَام المَرِىّ . المَرِىُّ : الناقة تُمْرَى للحَلَبِ ، أى تُمْسَحُ أخلافُها . وإرْزَامُها : صَوْتُها وهَدْرُها ، وقد تقدم الفرق بين أَرْزَمَتْ ورَزَمَتْ(١) .

---

(١) فى اللسان : رزمت الناقة ترزم وترزم بضم الزاى أو كسرها رزوما ورزاما بالضم : قامت من الإعياء والهزال فلم تتحرك فهى رازم ، وأرزمت الناقة إرزاما : وهو صوت تخرجه من حلقها لايفتح به فم ، وإليك بعض معانى قصيدة المجذر : الرماح اليزنى : المنسوبة إلى ذى يزن ، وهو ملك من ملوك اليمن . والكبش : رئيس القوم . والصعدة : عصا الرمح ، ثم يسمى الرمح : صعدة . وأعبط : أقتل والعبط : القتل من غير سبب ، والقرن : المقاوم فى الحرب . والعضب : السيف القاطع . والمشرفى : منسوب إلى المشارف وهى قرى بالشام . وفى كتاب العين أن المرى هى الناقة الغزيرة اللبن . يفرى فرى : أتى بأمر عجيب « عن أبى ذر الخشنى فى شرح السيرة » .

رفع عبد الرحمن الهجري — المسلم

. . . .

تفسير ها الله وهبروه:

وقول عبد الرحمن بن عوف لِأُمَيَّةَ : هَا اللهِ ذَا(١) . ها : تنبيهٌ ، وذا إشارة إلى نفسه ، وقال بعضهم : إلى القسَم ، أى : هذا قسمى ، وأراها إشارةً إلى المُقْسِم ، وخَفَضُ اسم الله بحرفِ القسَم أضمَره ، وقام التنبيهُ مقامه ، كما يقوم الاستفهام مقامَه ، فكأنه قال : هاأَنذا مُقْسِم ، وفصل بالاسم المقسَم به ، بين ها وذا ، فعلم أنه هو المقسِم فاستُغْنِيَ عن أنا ، وكذلك قول أبى بكر : لاهاَ اللهِ ذا ، وقول زُهَيْر :

تَعَلَّمَنْ هَا لَعَمْرُ اللهِ ذا قَسَماً(٢)

(١) هى فى النسخة المطبوعة مع الروض : ها الله ذا .

(٢) بقيته . فاقصد بذرعك وانظر أين ينسلك .

، وإذا دخلت ها على الله ففيه أربعة أوجه أكثرها : إثبات ألف ها ، وحذف همزة الوصل من الله فيلتقى ساكنان : ألف ها ، واللام الأولى من : الله ، وكان القياس حذف الألف ، لأن مثل ذلك إنما يغتفر فى كلمة واحدة كالضالين ، أما فى كلمتين فالواجب الحذف ، نحو ذا الله وما الله ، إلا أنه لم يحذف فى الأغلب ههنا ليكون كالتنبيه على كون ألف ها من تمام ذا ، فان ، ها الله ذا ، بحذف ألف ها وربما يوهم أن الهاء عوض عن همزة الله كهرقت فى أرقت ، وهياك فى إياك .

والثانية وهى المتوسطة فى القلة والكثرة — ها الله ذا ، بحذف ألف ها الساكنين كما فى ذا الله ، وما الله ، ولكونها حرفا كلا ، وما وذا .

والثالثة — وهى دون الثانية فى الكثرة — إثبات ألف ها ، وقطع همزة الله مع كونها فى الدرج .

والرابعة : حكاها أبو على — وهى أقل الجميع — هأ الله بحذف همزة الوصل وفتح ألف ها الساكنين بعد قلبها همزة ، كما فى الضألين ، ودأبة . قال الخليل :—

. . . .

أكد بالمصدر قسمه الذى دل عليه لفظه المتقدم .

وقوله : هبروه بأسيافهم من الهبرة وهى القطعة العظيمة من اللحم ، أى قطعوه .

وذكر قول الغفارى حين سمع حمحمة الخيل فى السحابة ، وسمع قائلا يقول : أقدم حيزوم . اقدم بضم الدال ، أى أقدم الخيل ، وهو اسم فرس جبريل ،

= ذا من جملة جواب القسم ، وهو خبر مبتدأ محذوف ، أى الأمر ذا ، أو فاعل : أى ليكونن ذا ، أولا يكون ذا ، والجواب الذى يأتى بعد نفيا أو إثباتا نحو : ها الله ذا لأفعلن ، أولا أفعل بدل من الأول ، ولا يقاس عليه ، فلا يقال : ها الله أخوك أى لأنا أخوك ونحوه . وقال الأخفش : ذا من تمام القسم ، إما صفة لله ، أى الله الحاضر الناظر . أو مبتدأ محذوف الخبر ، أى ذا قسمى ، فبعد هذا إما أن يجىء الجواب ، أو يحذف مع القرينة ، الرضى فى شرح كافية ابن الحاجب ج ٢ ص ٣١٢ أما معنى التعبير ، فقد ذكر الرضى أن معناها القسم ، ثم ذكر الاختلاف حول الهاء ، فقال : « وإذا حذف حرف القسم الأصلى أعنى : الباء ، فإن لم يبدل منها ، فالمختار النصب بفعل القسم ، ويختص لفظة الله بجواز الجر مع حذف الجار بلا عوض ، نحو : الكعبة لأفعلن ، وتختص لفظة الله بتعويض ها ، أو همزة الاستفهام من الجار وكذا بعوض من الجار فيها قطع همزة الله فى الدرج ، فكأنها حذفت للدرج ، ثم ردت عوضا من الحرف ، وجاز الله جعل هذه الأحرف بدلا من الواو ، ولعل ذلك لاختصاصها بلفظة الله كالتاء ، فإذا جئت بهاء التنبيه بدلا ، فلا بد أن تجىء بلفظة ذا بعد المقسم به ، نحو : لاها الله ذا ، وإى ها الله ذا . . والظاهر أن حرف التنبيه من تمام اسم الاشارة . . قدم على لفظ المقسم به عند حذف الحرف ليكون عوضا منه » ج ٢ ص ٣١١ ، ٣١٢ شرح الكافية وانظر ص ٢١٣ ج ٢ شرح الشافية للرضى . وقد نقلنا كلام الكافية من هامش الشافية للمحققين .

وهو مفعول من الحزم ، والحيزوم أيضاً أعلى الصدر ، فيجوز أن يكون أيضاً سُمى به ؛ لأنه صَدْرُ خيل الملائكة ، ومتقدم عليها ، والحيـاة أيضاً فرسٌ أخرى لجبريل لا تمس شيئاً إلا حَيِىَ ، وهى التى قبض من أثرها السامرىُّ ، فألقاها فى العجلِ الذى صاغه مِن ذَهَبٍ ، فكان له خُوارٌ ، ذكره الزجاج[١] .

(١) ليس لما نقله عن الزجاج حجة وقبض السامرى بتفسير المفسرين شىء لا يسنده حديث ولا عقل . . والقرآن لم يأت بذكر لفرس : لا لجبريل فى الآية ، وإنما أتى بقوله سبحانه : (فقبضت قبضة من أثر الرسول) هكذا بأداة التعريف ، التى تفهمنا أنه رسول معروف ، ولم يكن ثم غير هارون وموسى ، كيف عرف السامرى جبريل ؟ وكيف قبض القبضة ؟ وكيف ينسب إلى فرس أنه يحمل كل شىء يمر عليه حيا؟ والسامرى نسبة إلى شامر . والشين فى العبرية يغلب أن تكون سينا فى العربية ، وشامر معناها : حارس . واليهود والنصارى يتهمون هارون عليه السلام بأنه هو الذى صنع لهم العجل ، ففى الإصحاح الثانى والثلاثين من سفر الخروج ورد : ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ فى النزول من الجبل اجتمع الشعب على هارون ، وقالوا له : قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا ، لأن هذا موسى الرجل الذى أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه ، فقال لهم هارون : انزعوا أقراط الذهب التى فى آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم ، وأتونى بها ، فنزع كل الشعب أقراط الذهب التى فى آذانهم ، وأتوا بها إلى هارون ، فأخذ ذلك من أيديهم ، وصوره بالإزميل ، وصنعه عجلا مسبوكا ، فقالوا : هذه آلهتك يا إسرائيل التى أصعدتك من أرض مصر ، فلما نظر هارون بنى مذبحا أمامه ، هذه صورة من صور تحريف الكلم عن مواضعه ، فقد رفع اسم السامرى ، ووضع مكانه اسم هارون . ولا يتصور إنسان سوى اليهود والنصارى ومن فى قلبه مس يهودية أو نصرانية أن نبيا عظيما كهارون يتردى فى هذه الوثنية التى أرسله الله بتدميرها !! . ولكنهم قوم يفترون على الله الكذب ، وقد بهتوا سليمان بعبادة الأصنام ، وداود بالزنا والقتل غيلة . وقد يكون العجل الذى جاء به السامرى عجلا حقيقيا ، ويكون معنى « من » فى =

رفع المسلم

. . . .

نسب أبي داود المازني :

فصل : وذكر أبا داود المَازِنى وقوله : لقد أتْبَعْتُ رَجُلاً من المشركين ، فسقط رأسُه قبل أن أصِل إليه . اسم أبى داود هذا عَمْرُو ، وقيل : عُمَيْر بن عامر(١) ، وهذا هو الذى قتل أبا البَخْتَرِىّ بن هِشَام ، وأخذ سيفَه فى قول طائفة من أهل السِّيَر غير ابن إسحاق وقال ابن إسحاق قتله المُجَذَّرُ كما تقدم.

لغويات

وقول مُعَاذِ بن عَمْرو فى مَقْتَل أبى جَهْلٍ : ماشَبَّهتُ رِجْلَه حين طاحت

= قوله سبحانه (واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار) يكون معناها على البدل . ويكون المعنى أن السامرى خدع بنى إسرائيل ، فأخذ منهم حليهم ، ثم أخرج لهم عجلا حقيقيا بدلا من الحلى الذى أخفاه لنفسه ، وهذا يتفق مع التحريق والنسف ، لأن الحلى تصهر ، ولاتذرى ، وتظل جسدا كما هى ، أو يكون السامرى قد صنع العجل بطريقة خاصة تجعله يحدث ذلك الخوار ، ويكون الحلى نوعا مما يحرق ويذرى .

أما القبضة التى قبضها ، فقد قال فيها الشيخ عبد الوهاب النجار ما يأتى : « إنه قبض قبضة من أثر الرسول ، أى تعليمه وأحكام التوحيد التى جاء بها الرسول — وهو موسى — فنبذتها ، أى ألقيتها ، وأهملتها ، وكذلك سولت لى نفسى » وهو رأى يحق أن تتفكر فيه ، فكل آراء المفسرين حول هذا تعتمد على خرافة قبض السامرى من فرس جبريل !! ورأى يبنى على أسطورة يجب أن ينبذ

(١) عمير بن عامر بن مالك بن خنساء بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن ابن النجار « الإصابة عن ابن البرقى » وقد ذكره مسلم والنسائى والطبرى وابن الجارود وابن السكن وأبو أحمد . كلهم ذكروه بكنيته : أبى داود ، وبعضهم كناه بأبى دؤاد بتقديم الهمزة على الألف.

رفع المسهم غفر الله له ولوالديه

. . . .

إلَّا بالنَّوَاة تَطِيحُ من تحت الْمِرْضَخَةِ . طاحت : ذهبت ، ولا يكون إلا ذَهَابَ هَلَاكٍ ، والمِرْضَخَةُ . كالإِرْزَبَّة [1] يُدَقّ بها النوى لِلْعَلف ، والرَّضْخُ بالحاء مُهْمَلةً : كَسْرُ اليابس ، والرَّضْخُ كَسْر الرَّطْبِ ، ووقع فى أصل الشيخ الْمِرْضَحَة بالحاء والخاء معاً ، ويدل على أنه كسر لما صلب ، وأنشد قول الطائى :

أَتَرْضَحُنِى رَضْحَ النَّوى وهى مُصْمَتٌ
ويأكُلُنى أكْلَ الدَّبَا وهو جائع

وإنما يحتجوا [2] بقول الطائى ، وهو حَبِيبُ بن أوْس لعلمه ، لا لأنه عربى يُحتجُّ بلغته [3] .

الغلامان اللذان قتلا أبا جهل :

وذكر الغلامين اللَّذَيْن قتلا أبا جَهْل ، وأنهما مُعاذُ بن عَمْرو بن الجَمُوح

---

(١) الإرزبة أو المرزبة : عصية من حديد .
(٢) لعلها يحتج أو : احتجوا .
(٣) قال أبو النجم :

بكل وأب للحصى رضاح ... ليس بمصطر ولا فرشاح

الوأب : الشديد القوى والمصطر : الضيق ، والفرشاح : المنبطح . ومن رجز أبى جهل وهو يقاتل : البازل : الذى خرج نابه وهو فى ذلك السن تكتمل قوته . والرجز يقال إنه ليس لأبى جهل وإنما تمثل به .

ومن معانى حديث قتل أبى جهل : أطنت قدمه : أطارت قدمه . وأجهضنى القتال : غلبنى واشتد على .

رفع المسهم

. . . .

ومُعَوِّذ بن عَفْراء ، وفى صحيح مسلم أنهما مُعاذ بن عفراء ومُعاذُ بن عَمْرو بن الجَمُوح ، وعَفْراء هى بنت عُبَيْد بن ثَعْلَبَة بن عُبَيْد بن ثَعلبة بن غَنْم بن مالك بن النَّجَّار عُرِفَ بها بنو عَفْراء(١) وأبوهم الحارث بن رِفاعَة بن سَوَاد على اختلاف فى ذلك ، ورواية ابن إدريس عن ابن إسحاق ، كما فى كتاب مسلم ، قال أبو عُمَر : وأصَحُّ من هذا كلِّه حديثُ أنسٍ حين قال النبى صلى الله عليه وسلم : من يأتينى بخبر أبى جَهْلٍ ، الحديث ، وفيه أن ابنى عفراء قتلاه .

وقولُ أبى جهل : أعْمَدُ من رجل قتلتموه ، ويُرْوَى قتله قومُه ، أى : هل فوق رجلٍ قتله قومه(٥) ، وهو معنى تفسير ابن هشام ، حيث قال : أى ليس عليه عارٌ ، والأول : تفسير أبى عُبَيْدٍ فى غريب الحديث ، وقد [أنشد] شاهدا عليه :

[تُقدِّمُ قَيْسٌ كُلَّ يوم كَرِيهَةٍ ... ويُثْنَى عليها فى الرخاء ذُنُوبُها]

(١) فى جمهرة ابن حزم : ص ٣٢٩ عفراء بنت عبيد بن ثعلبة بن عبد بن ثعلبة بن غنم بن مالك . وفى الإصابة : عفراء بنت عبيد بن ثعلبة بن سواد بن غنم ، ويقال : ثعلبة بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار ، وذكرها ابن حبيب فى المبايعات ، وهى والدة معاذ ومعوذ وعوف بنى الحارث يقال لكل منهم ابن عفراء . وعفراء هذه لها خصيصة لا توجد لغيرها ، وهى أنها تزوجت بعد الحارث البكير بن ياليل الليثى ، فولدت له أربعة : إياسا وعاقلا وخالدا وعامرا ، وكلهم شهدوا بدرا وكذلك إخوتهم لأمهم بنو الحارث ، فانتظم من هذا أنها امرأة صحابية لها سبعة أولاد شهدوا كلهم بدرا مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم .

(٥) فى اللسان منسوبا إلى أبى عبيدة أن معناه : هل زاد على سيد قومه ، هل كان إلا هذا . . وقال شمر : هذا استفهام ، أى : أعجب من رجل قتله قومه ؛ قال الأزهرى : كان الأصل : أأعمد من سيد فخففت إحدى الهمزتين .

وأعمد من قوم كفاهُمْ أخوهُمُ صِدَامَ الأعادى حين فُلَّتْ نيوبُها(١)

قال المؤلف رضى الله عنه : وهو عندى من قولهم عَمِدَ البعيرُ يَعْمَدُ : إذا انفسخ سَنَامُه ، فهلك ، أى أهلكُ من رَجُل قتله قومُه ، وما ذكره ابن إسحاق من قول أبى جهل هذا ، وما ذكروه أيضاً من قوله لابن مسعود : لقد ارتقيتَ مُرْتقى صَعْباً يارُوَيْعى الغنم . مُرْتقى صَعْباً يعارض ماوقع فى سِيَر ابن شِهابٍ وفى مغازى ابن عُقْبةَ(٢) أن ابنَ مَسْعُودٍ وجده جالسا لايتحرك ، ولايتكلم فَسَلبه دِرْعَه ، فإذا فى بدنه نُكَتٌ سُودٌ ، فحل تَسْبِغَةَ البَيْضةِ(٣) ، وهو لايتكلم ، واخْتَرَطَ سَيفَه يعنى سيف أبى جهل فضرب به عنقَه ، ثم سأل رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — حين احتمل رأسه إليه عن تلك النُّكَتِ السُّود التى رآها فى بدنه ، فأخبره عليه السلام أن الملائكة قتلته ، وأن تلك آثارُ ضَرَبَاتِ الملائكة ، وروى يونس عن أبى العُمَيْسِ ، قال : أرانى القاسمُ بنُ عبدِ الرحمن سَيْفَ عبدِ الله بن مَسْعود ، قال : هذا سيفه

(١) البيت منسوب إلى ابن ميادة ، ونسبه الأزهرى إلى ابن مقبل ، وقد زدت البيت من اللسان . ويفسره الخشنى بما يأتى منسوب إلى سراج ابن ه يريد أكبر من رجل قتلتموه على سبيل التحقير منه لمعلم به ، ص ١٦٠ .

(٢) قال عنها مالك : مغازى موسى بن عقبة أصح المغازى ص ١٨٢ ح ٢ السيرة الحلبية

(٣) التسبغة بكسر الباء وفتحها : ماتوصل به البيضة من حلق الدرع فتستر العنق ، وهى تسابغ وتسبغ أيضا . والبيضة الخوذة .

. . . .

أبى جهل حين قتله فأخذه فإذا سيفٌ قصير عريض فيه قَبائِـعُ فضة (١) وحَلَق فِضَّةٍ قال أبو عُمَيْسٍ، فضرب به القاسمُ عنقَ ثَوْرٍ فقطعه، وثَلَم فيه ثَلْماً، فرأيت القاسمَ جَزِع من ثَلْمِه جزَعا شديداً.

إضمار حرف الجر:

وقول النبى عليه السلام آلله الذى لا إله إلا هو، بالخفضِ عند سيبويه وغيره، لأن الاستفهامَ عوضٌ من الخافضِ عنده، وإذا كنت مُخبِراً قلت: الله بالنصب لايجيز المُبرِّد غيرَه، وأجاز سيبويه الخفضَ أيضاً لأنه قَسَمٌ، وقد عرف أن المقسَم به مخفوضٌ بالباء أو بالواو، ولا يجوز إضمار حروف الجر إلا فى مثل هذا الموضع؛ أو ما كثُرُ استعمالُه جداً كما روى أن رُؤْبَةَ كان يقول، إذا قيل له كيف أصبحت؟ خَيْرٍ عافاكَ اللهُ (٢).

وقول النبى — صلى الله عليه وسلم — فى أبى جهلٍ حين ذكر مزاحَمَتَه له فى مَأْدُبة عبدِ الله بن جُدْعان، وقد تقدم فى المولد التعريفُ بعبدِ الله بن جُدعان وذكرنا خبرَ جفنته، وسبب غناه بعد أن كان صُعْلُوكا بأتم بيان.

---

(١) جمع قبيعة وهى التى تكون على رأس قائم السيف أو ما تحت شاربى السيف
(٢) التقدير: على خير، أو بخير، ومثل هذا يقتصر فيه على السماع، ومنه قول الفرزدق:

إذا قيل: أى الناس شر قبيلة ... أشارت كليب بالأكف الأصابع

أى إلى كليب، ومنه قول الشاعر:

وكريمة من آل قيس ألفته ... حتى تبندخ فارتقى الاعلام

أى: إلى الأعلام.

ويطرد إضمار حرف الجر فى ثلاثة عشر موضعا تنظر فى كتب النحو. يقول ابن مالك فى ألفيته:

وقد يجر بسوى رب لدى ... حذف، وبعضه يرى مطردا

رفع المسهم

خبر عكاشة بن محصن

قال ابن إسحاق : وقاتَل عُكَّاشَةُ بن مُحْصَن بن حُرْثان الأسديّ ، حليف بني عبد شمس بن عبد مناف ، يومَ بدر بسَيْفه حتى انقطع في يده ، فأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فأعطاه جِذْلا من حَطب ، فقال : قاتل بهذا يا عُكَّاشَةُ ، فلما أخذه من رسول الله صلى الله عليه وسلم هزّه ، فعاد سيفا في يده طويلَ القامة ، شديد المَتْن ، أبيض الحديدة ، فقاتَل به حتى فتح الله تعالى على المسلمين ، وكان ذلك السيف يسمى : العَوْن . ثم لم يزل عنده يَشْهد به المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قُتل في الردّة ، وهو عنده ، قَتله طُلَيحة بن خُوَيلد الأسدي ، فقال طُليحة في ذلك :

فما ظنُّكم بالقوم إذ تَقتلونهم أليسُوا وإن لم يُسْلموا برجال
فإن تك أذاودٌ أُصِبْن ونِسْوةٌ فلن تَذهبوا فِرْغاً بقَتْل حِبال
نَصَبْت لهم صدرَ الحِمَالة إنها معاوِدةٌ قِيلَ الكُماة نَزَال
فيوما تراها في الجِلال مَصُونةً ويوما تَراها غيرَ ذات جِلال
عشيَّةَ غادرتُ ابن أقْرَم ثاويا وعُكَّاشة الغَنْمِيّ عند حجال

قال ابن هشام : حِبالَ : ابن طُلَيحة بن خُويلد . وابن أقْرَم : ثابت بن أقرم الأنصارى .

قال ابن إسحاق وعُكَّاشة بن مِحْصَن الذى قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يدخل الجنَّة سبعون ألفا من

أمتى على صورة القمر ليلة البَدْر ، قال : يارسول الله ، ادعُ الله أنَ يجْعلني منهم؛ قال : إنك منهم ، أو اللهمّ اجعلْه منهم ، فقام رجل من الأنصار . فقال : يارسول الله ، ادعُ الله أنَ يجعلني منهم ، فقال : سبقك بها عُكّاشة وبردَت الدعوةُ .

وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فيما بلغنا عن أهله : منّا خيرُ فارس في العرب ؛ قالوا : ومن هو يارسول الله ؟ قال : عُكّاشة بن مِحْصَن ، فقال ضرار بن الأزْور الأسدي : ذاك رجل منّا يارسول الله ؛ قال : ليس منكم ولكنّه منّا للحِلْف .

حديث بين أبي بكر وابنه عبد الرحمن يوم بدر

قال ابن هشام : ونادى أبو بكر الصديق ابنَه عبدَ الرحمن ، وهو يومئذ مع المُشركين ، فقال : أين مالي يا خَبيث ؟ فقال عبد الرحمن :

لم يَبْق غيرُ شِكّة ويَعْبُوبْ   وصارِمٌ يَقْتل ضُلاَّل الشِّيبْ

فيما ذُكر لي عن عبد العزيز بن محمد الدَّرَاوَرْدي .

طرح المشركين في القليب

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن رُومان عَنْ عُرْوة بن الزُّبير عن عائشة ، قالت : لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقتلى أن يُطرَحوا في القَليب طُرِحوا فيه ، إلا ما كان من أُمَيّة بن خَلَف ، فإنه انتفخ في دِرْعه

فملأها ، فذهبوا ليحركوه ، فتزايل لحمه ، فأقرّوه ، وألقوا عليه ماغيّبه من التراب والحجارة . فلما ألقاهم فى القَليب ، وقف عليهم رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم ، فقال : ياأهل القَليب ، هل وجدتم ماوَعدكم ربُّكم حقًّا ؟ فإنى وجدتُ ماوعدنى ربى حقًّا ؟ قالت : فقال له أصحابه : يارسول الله ، أتُكلّم قوما موتى ؟ فقال لهم : لقد علموا أن ماوعدهم ربُّهم حقا .

قالت عائشة : والناس يقولون : لقد سَمعوا ما قلتُ لهم ، وإنما قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد علموا .

قال ابن إسحاق : وحدثنى حُمَيْدٌ الطَّويل . عن أنس بن مالك ، قال : سمع أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رسول الله صلى الله عليه وسلم من جَوْف اللّيل وهو يقول : ياأهل القليب ، ياعُتبَةُ بن ربيعة ، وياشَيْبةُ بن ربيعة ، ويا أُميَّةُ بن خلف ، ويا أبا جهل بن هشام ، فعدّد من كان منهم فى القليب : هل وجدتم ماوعد ربُّكم حقًّا ؟ فإنى قد وجدتُ ماوعدنى ربى حقا ؟ فقال المسلمون : يارسول الله ، أتُنادى قوما قد جَيَّفوا ؟ قال : ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، ولكنهم لايستطيعون أن يُجيبونى .

قال ابن إسحاق : وحدثنى بعضُ أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم هذه المَقالة : ياأهل القَليب ، بئس عَشيرةُ النبىّ كنتم لنبيِّكم ، كذّبتمونى وصدّقنى الناس ، وأخرجتمونى وآوانى الناس ، وقاتلتمونى ونَصرنى الناس ؛ ثم قال : هل وجدتم ماوَعدكم ربُّكم حقا ؟ للمقالة التى قال .

شعر حسان فيمن ألقوا فى القليب

قال ابن إسحاق : وقال حسَّان بن ثابت :

عرفتُ ديارَ زَينب بالكَثيب ... كخطّ الوَحْى فى الوَرَق القَشيبِ
تَداوَلُها الرِّياحُ وكل جَوْن ... من الوَسْمىّ مُنْهمرٍ سَكوب
فأمسَى رسمُها خَلَقا وأمستْ ... يَبابا بعد ساكِنها الحبيب
فَدَعْ عنكَ التَّذَكُّرَ كلَّ يومٍ ... ورُدَّ حرارة الصَّدْر الكَئيب
وخبِّر بالذى لاعيبَ فيه ... بصِدْق غيرِ إخْبار الكَذُوب
بما صنَع المليك غداةَ بدرٍ ... لنا فى المُشْركين من النَّصيب
غداةَ كأنّ جَمْعَهم حِراءٌ ... بدَت أركانُه جُنْحَ الغُروب
فلاقَيْناهمُ منّا بجَمْع ... كأُسْد الغابِ مُرْدانٍ وشِيب
أمام محمّد قد وَازَرُوه ... على الأعداء فى لَفْح الحُروب
بأيديهم صَوارِمُ مُرْهَفاتٌ ... وكلُّ مجرَّب خاظِى الكُعوب
بنُو الأوْس الغَطارفُ وازرتْها ... بنو النجَّار فى الدِّين الصليب
فغادَرْنا أبا جَهْلٍ صَريعا ... وعُتْبَةَ قد تركنا بالجَبُوب
وشَيْبَةَ قد تركنا فى رجال ... ذوى حسبٍ إذا نُسِبوا حَسيبِ
يُناديهم رسول الله لمّا ... قَذَفْناهُمْ كَباكِبَ فى القَلِيب
ألم تجِدُوا كلامى كان حَقّا ... وأمْرُ الله يأخذُ بالقُلوب ؟
فما نَطقُوا ، ولو نطقُوا لقالوا : ... صدقتَ وكنتَ ذا رأىٍ مُصيب !

قال ابن إسحاق : ولما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُلْقوا في القليب ، أُخِذ عُتبةُ بن ربيعة ، فسُحِب إلى القليب ، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم – فيما بلغني – في وجه أبي حُذَيفة بن عُتبة ، فإذا هو كَئيب قد تغير لونه ، فقال : يا أبا حُذيفة ، لعلَّك قد دخَلَك من شأن أبيك شيء ؟ أو كما قال صلى الله عليه وسلم ؛ فقال : لا ، والله يارسول الله ، ما شككتُ في أبي ولا في مصرعه ، ولكنني كنتُ أعرف من أبي رأيا وحلْما وفضلا ، فكنت أرجو أن يَهْديه ذلك إلى الإسلام ، فلما رأيتُ ما أصابه ، وذكرتُ ما مات عليه من الكفر ، بعد الذي كنتُ أرجو له ، أحْزنني ذلك ، فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخَيْر ، وقال له خيرا .

من نزل فيهم : (إن الذين توفاهم الملائكةُ ظالمي أنفسهم)

وكان الفِتْية الذين قُتلوا ببدر ، فنزل فيهم من القرآن ، فيما ذُكر لنا : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ ؟ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ ، قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ، فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ فِتيةً مُسمَّين . من بني أَسَد بن عبد العُزّى بن قُصيّ : الحارث بن زَمْعَة بن الأسود بن ابن عبد المطَّلب بن أسد .

ومن بني مخزوم : أبو قَيْس بن الفاكه بن المُغيرة بن عبد الله بن عُمر ابن مَخْزُوم ، وأبو قَيْس بن الوليد بن المُغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم .

ومن بنى جُمَح : علىُّ بن أميّة بن خلَف بن وَهْب بن حُذافة بن جُمَح .

ومن بنى سَهم : العاصُ بنُ مُنبه بن الحجَّاج بن عامر بن حُذَيفة بن سعد ابن سهم .

وذلك أنهم كانوا أسلموا ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، فلما هاجر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة حَبسهم آباؤهم وعشائرهم بمكة وفَتنوهم فافتتنوا ، ثم ساروا مع قومهم إلى بَدرْ فأصيبوا به جميعا .

ذكر الفيء ببدر

ثم إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أمر بما فى العَسْكر ، مما جمع الناسُ ، فجمع ، فاختلف المُسلمون فيه ، فقال من جَمَعه : هو لنا ، وقال الذين كانوا يُقاتلون العدوّ ويَطلبونه : والله لولا نحن ما أصَبْتموه لنحن شَغَلْنا عنكم القوم حتى أصبْتم ما أصبتم ؛ وقال الذين كانوا يحرسون رسول الله صلى الله عليه وسلم مخافة أن يُخالِفَ إليه العدوّ : والله ما أنتم بأحقَّ به منا ، والله لقد رأينا أن نَقتل العدوّ إذ مَنحنا الله تعالى أكتافه ، ولقد رأينا أن نأخذ المَتاع حين لم يكن دونه من يَمْنعه ولكنَّا خِفْنا على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم كرَّة العدوّ ، فقُمنا دونه ، فما أنتم بأحقّ به منا .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الرحمن بن الحارث وغيره من أصحابنا عن سُليمان بن موسى ، عن مَكحول ، عن أبى أمامة الباهلى – واسمه صُدَىّ ابن عَجْلان فيما قال ابن هشام – قال : سألت عُبادة بن الصَّامت عن الأنفال ،

فقال : فينا أصحابَ بدر نزلت حين اختلفنا فى النَّفَل ، وساءت فيه أخلاقُنا ، فنزعه الله من أيْدينا ، فجعله إلى رسوله ، فقسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المسلمين عن بَوَاء يقول : على السواء .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبدالله بن أبى بكر ، قال : حدثنى بعض بنى ساعدة عن أبى أُسيد الساعدىّ مالك بن ربيعة ، قال : أصبتُ سيفَ بنى عائذ المُخزوميين الذى يسمَّى المَرْزُبان يوم بدر ، فلما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس أن يردّوا ما فى أيديهم من النَّفَل ، أقبلتُ حتى ألقيتُه فى النَّفَل . قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يَمنع شيئا سُئِله ، فعرَفه الأرقمُ ابن أبى الأرقم ، فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعطاه إياه .

بعث ابن رواحة وزيد بشيرين

قال ابن إسحاق : ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الفتْح عبدَ الله ابن رَواحة بشيرا إلى أهل العاليــة ، بما فتح الله عزّ وجلّ على رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى المسلمين ، وبعث زيدَ بن حارثة إلى أهل السَّافلة . قال أُسامة بن زيد : فأتانا الخبرُ - حين سوّينا التراب على رُقيّة ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، التى كانت عند عثمان بن عفّان . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلّفنى عليها مع عُثمان - أن زيدَ بن حارثة قد قَدِم . قال : فجئته وهو واقف بالمصلى قد غَشِيَه الناس ، وهو يقول : قُتِل عُتبة بن ربيعة ، وشَيْبة بن ربيعة ، وأبو جهل بن هشام ، وزَمْعَة بن الأسود ، وأبو البَختَرِىّ

والعاصُ بن هشام ، وأُمَيَّة بن خَلَف ، ونُبَيْه ومُنَبِّه ابنا الحجّاج . قال: قلت: يا أبَتِ ، أحقّ هذا ؟ قال : نعم ، والله يابنىّ .

قفول رسول الله من بدر

ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلا إلى المدينة ، ومعه الأُسارى من المُشركين ، وفيهم عُقبة بن أبى مُعَيط ، والنَّضْر بن الحارث ، واحتمل رسول الله صلى الله عليه وسلم معه النَّفَل الذى أُصيب من المشركين ، وجعل على النَّفَل عبدَ الله بن كعب بن عمرو بن عوف بن مَبْذول بن عمرو بن غَنْم بن مازن بن النَّجّار ؛ فقال راجز من المسلمين — قال ابن هشام : يقال : إنّهُ عَدىّ بن أبى الزَّغْباء :

أقِمْ لها صُدُورَها يابَسْبَسُ ... ليس بذى الطَّلْح لها مُعَرَّسُ

ولا بصَحْراء غُمَيرٍ مَحْبِسُ ... إنَّ مَطايا القوم لا تُخَيَّسُ

فحَمْلُها على الطَّريقِ أكْيَسُ ... قد نصر اللهُ وفرّ الأخْنَسُ

ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم — حتى إذا خرج من مَضيق الصَّفراء نزل على كَثِيبٍ بين المَضِيق وبين النازية — يقال له : سَيَر — إلى سَرْحة به . فقسّم هنالك النَّفَل الذى أفاء الله على المسلمين من المشركين على السواء ، ثم ارتحل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا كان بالرَّوحاء لَقِيَه المسلمونُ يهنِّئونه بما فتح الله عليه ومن معه من المسلمين ، فقال لهم سَلَمة بن سلامة — كما حدثنى عاصم بن عمر بنِ قتادة ، ويَزيد بن رُومان : ما الذى تُهنِّئوننا به ؟

فوالله إن لقينا إلا عجائز صُلعا كالبُدْن المُعَقَّلة ، فنحرناها ، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : أى ابن أخى ، أولئك المَلأُ .

قال ابن هشام : الملأ : الأشراف والرؤساء .

مقتل النضر وعقبة

قال ابن إسحاق : حتى إذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصَّفراء قُتِل النَّضر بن الحارث ، قَتله علىٌّ بن أبى طالب ، كما أخبرنى بعضُ أهل العلم من أهل مكة .

قال ابن إسحاق : ثم خرج حتى إذا كان بعِرْق الظَّبْية قُتل عُقْبة بن أبى مُعَيط .

قال ابن هشام : عِرْق الظُّبْية عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : والذى أسَرَ عُقْبة : عبدُ الله بن سَلِمة أحدُ بنى العَجْلان .

قال ابن إسحاق : فقال عُقْبة حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقَتْله فمن للصِّبْية يا محمد ؟ قال : النار . فقَتله عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح الأنصارى ، أخو بنى عمرو بن عوف ، كما حدثنى أبو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر .

قال ابن هشام : ويقال قتله علىّ بن أبى طالب فيما ذكر لى ابن شهاب الزهرى وغيرُه من أهل العلم .

قال ابن إسحاق : ولقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك الموضع أبو هند، مولى فَرْوة بن عَمْرو البَياضى بحَمِيت مملوء حَيْسا .

وقال ابن هشام : الحَميتُ : الزِّقّ ، وكان قد تخلّف عن بدر ، ثم شهد المشاهد كلّها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو كان حجّام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنما هو أبو هند امرؤ من الأنصار فأنْكِحوه ، وانْكِحوا إليه ، ففعلوا .

قال ابن إسحاق : ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قدم المدينةَ قبل الأسارى بيوم .

قال ابن إسحاق وحدثنى عبد الله بن أبى بكر أن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن ابن أسعد بن زُرَارة ، قال : قدِم بالأُسارَى حين قدِم بهم ، وسَوْدةُ بنت زَمْعَة زوج النبىّ صلى الله عليه وسلم عند آل عَفْراء ، فى مَناحتهم على عَوْف ومُعَوِّذ ابنى عفراء ، وذلك قبل أن يُضرب عليهنّ الحجاب .

قال : تقول سَوْدة : والله إنى لعندهم إذ أُتينا ، فقيل : هؤلاء الأُسارى، قد أُتِى بهم قالت : فرجعت إلى بيتى ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ، وإذا أبو يَزيد سُهَيل بن عمرو فى ناحية الحُجرة ، مَجموعةٌ يداه إلى عُنقه بحَبْل قالت : فلا والله ما ملكت نَفْسى حين رأيت أبا يَزيد كذلك أن قلت : أى أبا يزيد : أعطيتم بأيديكم ، ألا مُتّم كراما ، فوالله ما أنبهنى إلا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم من البيت : ياسودة ، أعلى الله ورسوله تحرّضين ؟ قالت :

قلت : يارسول الله ، والذى بعثك بالحقّ ، ماملكت نفسى حين رأيت أبا يزيد مجموعة يداه إلى عنقه أن قلت ماقلت .

قال ابن إسحاق : وحدثنى نُبيه بنُ وَهْب ، أخو بنى عبد الدار . أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أقبل بالأُسارى فرّقهم بين أصحابه ، وقال: استَوْصُوا بالأُسارى خيراً . قال : وكان أبو عَزِيز بن عُمَير بن هاشم ، أخو مُصْعَبِ بن عُمَيْر لأبيه وأمه فى الأُسارَى .

قال : فقال أبو عزيز : مرّ بى أخى مُصْعب بن عمير ورجلٌ من الأنصار يَأسِرنى ، فقال : شُدَّ يدَكَ به ، فان أمَّه ذاتُ مَتاع ، لعلّها تَفْديه منك ، قال : وكنت فى رَهْطٍ من الأنصار حين أقبلوا بى من بَدْر ، فكانوا إذا قدّموا غَداءهم وعشاءهم خصونى بالخُبز ، وأكلوا التَّمر ، لوصيَّة رسول الله صلى الله عليه وسلم إياهم بنا ، ما تقَعُ فى يدِ رجل منهم كسْرة خُبْز إلا نَفَحنى بها . قال : فأستحيِى فأردّها على أحدهم ، فيردّها على مايمسها .

بلوغ مصاب قريش إلى مكة

قال ابن هشام : وكان أبو عَزيز صاحبَ لواء المشركين ببدر بعد النَّضر ابن الحارث ، فلما قال أخوه مُصْعب بن عمير لأبى اليَسَر ، وهو الذى أسره، ما قال قال له أبو عَزِيز : يا أخى ، هذه وَصاتُك بى ، فقال له مُصْعب : إنه أخى دونك . فسألت أمُّه عن أغلى مافُدِى به قرشىّ ، فقيل لها : أربعة آلاف درهم ، فبعثت بأربعة آلاف درهم ، ففدته بها .

قال ابن إسحاق : وكان أول من قدم مكة بمصاب قريش الحَيْسُمان بن عبد الله الخزاعىّ ، فقالوا : ماوراءك ؟ قال : قُتل عُتبة بن ربيعة ، وشَيْبة بن ربيعة ، وأبو الحكم بن هشام ، وأميّة بن خلف ، وزَمَعة بن الأسود ، ونُبيه ومنبّه ابنا الحجّاج ، وأبو البَختَرى بن هشام ؛ فلما جعل يُعدّد أشراف قريش ؛ قال صَفْوان بن أميّة ، وهو قاعد فى الحِجْر : والله إن يَعقل هذا فاسئلوه عنى ؛ فقالوا : مافعل صَفْوان بن أميّة ؟ قال : هاهو ذلك جالسا فى الحجر ، وقد والله رأيتُ أباه وأخاه حين قُتلا .

قال ابن إسحاق : وحدثنى حُسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عبّاس ، عن عكرمة مولى ابن عبّاس ، قال : قال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم : كنت غلاما للعبّاس بن عبد المطّلب ، وكان الإسلام قد دَخلنا أهل البيت ، فأسلم العبّاس وأسلمت أمّ الفضل وأسلمت وكان العبّاس يهاب قومَه ويكره خلافهم وكان يكتم إسلامَه ، وكان ذا مال كثير متفرّق فى قومه ، وكان أبو لهب قد تخلّف عن بدر ، فبعث مكانه العاصى بن هشام بن المُغيرة ، وكذلك كانوا صنعوا ، لم يتخلّف رجلٌ إلا بَعث مكانَه رجلاً ، فلما جاءه الخبرُ عن مُصاب أصحاب بدر من قريش ، كبته الله وأخزاه ، ووجَدْنا فى أنفسنا قوّةً وعزاً . قال : وكنت رجلاً ضعيفا ، وكنت أعمل الأقداح . أنحتُها فى حُجرة زَمْزم ، فوالله إنى لجالسٌ فيها أنحَت أقداحى ، وعندى أم الفضل جالسةٌ ، وقد سرّنا ماجاءنا من الخبر ، إذ أقبل أبو لهب يجر رِجليه بِشرّ ، حتى جلس على طُنُب الحُجْرة ، فكان ظهره إلى ظهرى ، فبينما هو جالسٌ إذ قال الناسُ : هذا

أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ـ قال ابن هشام : واسم أبى سفيان المغيرة ـ قد قدم قال : فقال أبو لهب : هَلُمَّ إلىّ ، فعندك لعمرى الخبرُ ، قال : فجلس إليه والناسُ قيامٌ عليه ، فقال : يابن أخى ، أخبرنى كيف كان أمر الناس؟ قال : والله ماهو إلا أن لقينا القومَ فمَنَحْناهم أكتافنا يقودوننا كيف شاءوا، ويأسِرُوننا كيف شاءوا ، وايمُ الله مع ذلك مالُمتُ الناس ، لقينا رجالا بيضا ، على خيْل بُلْق ، بين السماء والأرض ، والله ما تُليق شيئا ، ولا يقوم لها شىء . قال أبو رافع : فرفَعْت طُنُب الحُجرة بيدى ، ثم قلت : تلك والله الملائكة ؛ قال : فرفع أبو لهب يده فضَرب بها وجهى ضربةً شديدة . قال : وثاورْته فاحتَملنى فضرب بى الأرض ، ثم برك علىّ يَضربنى ، وكنت رجلا ضعيفا ، فقامت أمُّ الفضل إلى عمود من عمد الحُجرة ، فأخذته فضربته به ضربةً فلَعت فى رأسه شجَّةً مُنكرة ، وقالت : استضعفته أن غاب عنه سيدُه فقام ، مُوَلِّيا ذليلا ، فوالله ماعاش إلا سَبْعَ ليالٍ حتى رماه الله بالعَدَسة فقتلته .

نواح قريش على قتلاهم

قال ابن إسحاق: وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عبَّاد ، قال : ناحت قريشٌ على قتْلاهم ، ثم قالوا : لاتفعلوا فيبلُغَ محمداً وأصحابَه ، فيشْمتوا بكم ؛ ولا تبعثوا فى أسراكم حتى تستأنوا بهم لايأرب عليكم محمد وأصحابه فى الفداء . قال : وكان الأسود بن المطّلب قد أصيب له ثلاثة من ولده ، زَمْعة بن الأسود ، وعَقيل بن الأسود ، والحارث بن زَمعة ، وكان يحبّ أن يبكىَ على بَنيه ، فبينما هو كذلك إذ سمع نائحةً من الليل ، فقال لغلام له .

وقد ذهب بصره : انظرُ هل أُحلّ النَّحْب ؛ هل بكتْ قُريش على قتلاها ؟ لعلى أبكى على أبى حكيمة ، يعنى زمعة ، فإن جوفى قد احترق قال : فلما رجع إليه الغلامُ قال : إنما هى امرأة تبكى على بَعير لها أضلّته . قال : فذاك حين يقول الأسود :

أتبْكى أن يَضلّ لها بعيرٌ ويَمنعها من النَّوم السُّهودُ
فَلا تبْكى على بَكْرٍ ولكنْ على بَدْرٍ تَقاصَرتِ الُجدُودُ
على بَدْرٍ سَرَاةِ بنى هُصَيْصٍ ومَخْزومٍ ورَهْطِ أبى الوليد
وبَكِّى إن بكيتِ على عَقيلٍ وبَكِّى حارِثا أسَدَ الأُسود
وبكِّيهم وَلا تَسَمى جميعا وما لأبى حَكيمةَ مِنْ نَديد
ألا قد ساد بعدَهُمُ رجالٌ ولولا يومُ بَدْرٍ لم يَسُودوا

قال ابن هشام : هذا إقواء ، وهى مشهورة من أشعارهم ، وهى عندنا إكفاء . وقد أسْقطنا من رواية ابن إسحاق ماهو أشهر من هذا .

قال ابن إسحاق : وكان فى الأُسارى أبو وَداعة بن ضُبَيرة السهمى ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : إنّ له بمكة ابنا كَيِّسا تاجراً ذا مال ، وكأنَّكم به قد جاءكم فى طَلب فداء أبيه ؛ فلما قالت قريشٌ لاتعجلوا بفداء أسرائكم لا يَأرَب عليكم محمدٌ وأصحابُه ، قال المُطَّلبُ بن أبى وَداعَةَ ـ وهو الذى كان رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عَنى : صَدقتم ، لاتعجلوا ، وانسلّ من الليل فقَدِم المدينة ، فأخذ أباه بأربعة آلاف درهم ، فانطلق به .

. . . .

أمر سهيل بن عمرو وفداؤه

(قال) : ثم بعثتْ قُريشٌ فِي فِداء الأسارى ، فقدِم مِكْرَزُ بن حَفْص ابن الأخْيف فى فداء سُهَيل بن عمرو ، وكان الذى أسره مالكُ بن الدُّخْشُمِ ، أخو بنى سالم بن عَوْف ، فقال :

أسرْتُ سُهَيْلاً فَلا أبْتَغِي ... أسيراً به مِن جميع الأُمَمْ
وخِنْدِفُ تَعلَم أنَّ الفتى ... فتاها سُهَيْلٌ إذا يُظَّلَمْ
ضربتُ بذى الشَّفْر حتى انثنى ... وأكْرهت نفسى على ذى العَلَمْ

وكان سُهَيْلٌ رجلاً أعْلَمَ من شَفته السُّفلى .

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكر هذا الشعر لمالك بن الدُّخْشُم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن عَمْرو بن عَطاء ، أخو بنى عامر بن لُؤىّ : أن عمر بنَ الخطاب قال لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم : يارسول الله ، دَعْنى أنْزِعْ ثَنِيَّتَىْ سُهَيل بن عمرو ، ويَدْلعُ لسانُه ، فلا يقوم عليك خطيبا فى موطن أبداً ؛ قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا أمثل به فيُمَثِّل الله بى وإن كنتُ نبيا .

قال ابن إسحاق وقد بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر فى هذا الحديث : إنه عسَى أن يقوم مقاما لاتذمُّه .

قال ابن هشام : وسأذكر حديثَ ذلك المقام فى موضعه إن شاء الله تعالى .

رفع
المسـاهم
غفر الله له ولوالديه

قال ابن إسحاق فلما قاولهم فيه مِكْرَزٌ وانتهى إلى رضاهم ، قالوا : هاتِ الذى لنا ، قال : اجعلوا رجْلى مكان رجله ، وخلّوا سبيلَه حتى يبعث إليكم بفدائه ، فخلّوْا سبيل سُهيل ، وحبَسوا مِكْرزا مكانَه عندهم ، فقال مِكْرز :

فَدَيتُ بأذوادٍ ثمانٍ سِبَا فتى ... ينالُ الصَّمِيمَ غُرْمُها لا المَوَالِيا

رَهَنتُ يدى والمالُ أيسرُ من يَدى ... علىَّ ، ولكنى خَشِيت المَخازِيا

وقلت سُهيلٌ خَيْرُنا فاذهبُوا به ... لأبْنائنا حتى نُدِيرَ الأمانيا

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكر هذا لِمكْرز .

أسر عمرو بن أبى سفيان وإطلاقه

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبدُ الله بن أبى بَكر ، قال : كان عمرو بن أبى سُفيان بن حَرْب ، وكان لبنت عُقبة بن أبى مُعَيط ـ قال ابن هشام : أم عمرو بن أبى سُفيان بنت أبى عَمْرو ، وأخت أبى مُعَيط بن أبى عمرو ـ أسيراً فى يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من أسرَى بَدْر .

قال ابن هشام : أسره علىُّ بن أبى طالب .

قال ابن إسحاق : حدثنى عبد الله بن أبى بكر ، قال : فقيل لأبى سفيان : افدِ عمْراً ابنك ، قال : أيُجْمع علىَّ دَمى ومالى ! قتلوا حَنظلة ، وأفْدِى عَمْراً ! دعوه فى أيديهم يُمسكوه مابدا لهم .

قال : فبينما هو كذلك ، محبوسٌ بالمدينة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

رفع المسهم

أخرج سعد بن النعمان بن أكّال ، أخو بنى عمرو بن عوف ثم أحد بنى معاوية معتمراً ومعه مُرِيّة له ، وكان شيخا مسلما ، فى غنم له بالنقيع : فخرج من هنالك معتمراً ، ولا يخشى الذى صنع به ، لم يظنّ أنه يُحبس بمكة ، إنما جاء معتمراً ؛ وقد كان عهد قريشا لا يعرضون لأحد جاء حاجًّا ، أو معتمراً إلا بخير ، فعدا عليه أبو سفيان بن حرب بمكة فحبسه بابنه عمرو ، ثم قال أبو سفيان :

أرهطَ ابنِ أكّال أجيبوا دعاءه ... تعاقدتم لا تُسْلِموا السيدَ الكهلا

فإنّ بنى عمرو لئامٌ أذلّةٌ ... لئن لم يفكّوا عن أسيرهم الكبلا

فأجابه حسّان بن ثابت فقال :

لو كان سعدٌ يوم مكة مطلقا ... لأكثرَ فيكم قبل أن يؤسَر القتلا

بعضب حسام أو بصفراء نبعة ... تحنّ إذا ما أُنبِضت تحفِزُ النبلا

ومشى بنو عمرو بن عوف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه خبره ، وسألوه أن يعطيهم عمرو بن أبى سفيان فيفكّوا به صاحبهم ، ففعل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فبعثوا به إلى أبى سفيان ، فخلّى سبيلَ سعد .

أسر أبى العاص بن الربيع

قال ابن إسحاق : وقد كان فى الأسارى أبو العاص بن الربيع ابن عبد العزى بن عبد شمس ، ختن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وزوج ابنته زينب .

. . . .

رفع المسابقة

قال ابن هشام : أسره خِراش بن الصِّمَّة ، أحد بنى حَرام .

سبب زواج أبى العاص من زينب

قال ابن إسحاق : وكان أبو العاص من رجال مكّة المعدودين : مالاً ، وأمانة ، وتجارةً ، وكان لهالة بنت خُويلد ، وكانت خديجةُ خالته . فسألت خديجةُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أن يزوّجه ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لايخالفها ، وذلك قبل أن يَنْزِل عليه الوحى ، فزوّجه ، وكانت تَعُدُّه بمنزلة ولدها . فلما أكرم الله رسولَه صلى الله عليه وسلم بنبوّته آمنت به خديجةُ وبناتهُ ، فصدّقنه ، وشَهِدْن أنّ ماجاء به الحقّ ، ودِنَّ بدِينه ، وثبت أبو العاص على شِرْكه .

سعى قريش فى تطليق بنات الرسول من أزواجهن

وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قد زوّج عُتْبةَ بن أبى لهب رُقَيّة ، أو أمّ كُلثوم . فلمّا بادَى قُريشا بأمر الله تعالى وبالعداوة ، قالوا : إنكم قد فرّغتم محمداً من همّه ، فردُّوا عليه بَناته ، فاشغَلوه بهنّ . فمشَوْا إلى أبى العاص فقالوا له : فارِقْ صاحبتَك ونحن نزوّجك أىّ امرأة من قُريش شِئْتَ ، قال : لا والله ، إنّى لا أفارق صاحبتى ، وما أحبّ أنّ لى بامرأتى امرأةً من قريش . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يثنى عليه فى صِهْره خيراً ، فيما بلغنى . ثم مشَوْا إلى عُتْبة بن أبى لهب ، فقالوا له : طلِّق بنتَ محمد ونحن نُنْكحك أىّ امرأة من قريش شِئْت ، فقال : إن زوجتمونى بنت

أبان بن سعيد بن العاص، أو بنت سعيد بن العاص فارقتْها. فزوجوه بنت سعيد بن العاص وفارقها، ولم يكن دَخل بها، فأخرجها الله من يده كرامةً لها، وهوانًا له، وخَلَفَ عليها عثمانُ بن عفّان بعده.

أبو العاص عند الرسول وبعث زينب في فدائه

وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لا يُحِلّ بمكة ولا يُحرّم، مغلوبا على أمره، وكان الإسلام قد فرّق بين زَيْنب بنت رسولِ الله صلى الله عليه وسلم حين أسلمتْ وبين أبي العاص بن الربيع، إلا أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يَقْدِر أن يفرّق بينهما، فأقامت معه على إسلامها وهو على شِرْكه، حتى هاجر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، فلما صارت قريش إلى بدر، صار فيهم أبو العاص بن الربيع فأُصيب في الأسارَى يومَ بدر، فكان بالمدينة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال ابن إسحاق: وحدثني يحيى بن عبَّاد بن عبد الله بن الزُّبير، عن أبيه عباد، عن عائشة قالت: لما بعث أهلُ مكة في فِداء أُسَرائهم، بعثت زينبُ بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في فِداء أبي العاص بن الرَّبيع بمالٍ، وبعثت فيه بقلادة لها كانت خديجةُ أدخلتْها بها على أبي العاص حين بَنَى عليها، قالت: فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم رقّ لها رِقّةً شديدةً وقال: إن رأيتم أن تُطلِقوا لها أسيرَها، وتردّوا عليها مالها، فافعلوا، فقالوا: نعم يارسولَ الله. فأطلقوه، وردّوا عليها الذي لها.

رفع
المسابهم
عز الله الحوالدين

خروج زينب إلى المدينة

تأهبها وإرسال الرسول رجلين ليصحباها

وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قد أخذ عليه، أو وَعَد رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك، أن يخلّيَ سبيلَ زينب إليه، أو كان فيما شَرَط عليه في إطلاقه، ولم يَظْهَر ذلك منه ولا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيُعْلم ما هو، إلا أنه لمّا خرج أبو العاص إلى مكة وخُلِّيَ سبيلُه، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدَ بن حارثة ورجلاً من الأنصار مكانَه، فقال: كونا ببَطْن يَأْجِجَ حتى تمرّ بكما زينب، فتَصْحباها حتى تأتياني بها، فخرجا مكانَهما، وذلك بعد بَدْر بشهر أو شَيْعِه، فلمّا قَدِم أبو العاص مكّة أمرها باللُّحوق بأبيها، فخرجت تجهّز.

هند تحاول تعرف أمر زينب

قال ابن إسحاق: فحدثني عبدُ الله بن أبي بكر، قال: حُدِّثت عن زينب أنها قالت: بينا أنا أتجهّز بمكة لِلُّحُوقِ بأبي لقيتْني هِندُ بنت عُتبة، فقالت: يابنت محمد، ألم يبلغني أنّكِ تُريدين اللُّحوقَ بأبيك؟ قالت: فقلت: ما أردت ذلك، فقالت: أي ابنة عمّي، لا تفعلي، إن كانت لك حاجةٌ بمتاع ممّا يَرْفُق بك في سفرك، أو بمال تَتَبلّغين به إلى أبيك، فإن عندي حاجَتك، فلا تضْطَني مني، فإنه لا يدخل بين النساء ما بين الرجال. قالت: والله ما أراها قالت ذلك إلا لتفعل، قالت: ولكني خِفْتُها، فأنكرتُ أن أكون أريد ذلك، وتجهزت.

ما أصاب زينب من قريش عند خروجها ومشورة أبي سفيان

فلمّا فرغتْ بنتُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم من جهازها قدَّم لها حَمُوها كِنانةُ بن الرّبيع أخو زَوْجها بعيراً ، فركِبَتْه ، وأخذ قوسَه وكِنانته ، ثم خرج بها نهاراً يَقُودُ بها ، وهى فى هَوْدج لها . وتحدّث بذلك رجالٌ من قُريش ، فخرجوا فى طلبها حتى أدركوها بذى طُوى ، فكان أوّلَ من سبق إليها هَبَّار بن الأسود بن المُطَّلب بن أسد بن عبد العُزّى ، والفِهْرِىّ ، فروّعها هبّار بالرمح وهى فى هَوْدجها ، وكانت المرأةُ حاملا ـ فيما يزعمون ـ فلما ريعتْ طَرحتْ ذا بَطْنها وبَرَك حموها كِنانةُ ، ونثر كِنانته ، ثم قال : والله لا يدنو منى رجلٌ إلا وضعتُ فيه سهما ، فتَكَرْكَر الناسُ عنه . وأتى أبو سفيان فى جِلّة من قُريش فقال : أيها الرجل ، كفّ عنّا نَبْلك حتى نكلّمك ، فكَفّ ؛ فأقبل أبو سفيان حتى وقف عليه ، فقال إنك لم تُصِبْ ، خرجتَ بالمرأة على رءوس الناس علانيةً ، وقد عرفتَ مُصيبتنا ونَكْبتنا ، وما دخل علينا من محمد ، فيظنّ الناسُ إذا خرجتَ بابنته إليه علانيةً على رءوس الناس من بين أظهرنا أنّ ذلك عن ذلّ أصابنا عن مُصيبتنا التى كانت ، وأنّ ذلك منّا ضعف ووَهْن ، ولعمرى مالنا بحَبْسها عن أبيها من حاجة ، وما لنا فى ذلك من ثُؤْرة ، ولكن ارجع بالمرأة ، حتى إذا هدأت الأصواتُ ، وتحدّث الناس أن قد رَدَدْناها ، فسُلَّها سِرًّا ، وألحِقها بأبيها ؛ قال : ففعل . فأقامت لياليَ ، حتى إذا هدأت الأصواتُ خرج بها ليلاً حتى أسلمها إلى زيد بن حارثة وصاحبه ، فقَدِما بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

رفع المستهم

شعر لأبي خيثمة فيما حدث لزينب

قال ابن إسحاق: فقال عبدُ الله بن رَوَاحَة، أو أبو خَيْثَمة، أخو بني سالم بن عوف، في الذي كان من أمر زينب، قال ابن هشام: هي لأبي خَيْثَمة:

أتاني الذي لا يَقْدُرُ النَّاسُ قَدرَه ... لزَيْنَبَ فيهم من عُقوق ومَأْثَمِ
وإخراجُها لم يُخْزَ فيها محمَّد ... على مَأْقِط وبيننا عِطْرُ مَنْشِمِ
وأمسَى أبو سُفيان من حِلْف ضَمْضَمٍ ... ومِنْ حَرْبنا في رَغْم أنف ومَنْدمِ
قَرَنَّا ابنَه عَمْرا ومَوْلَى يَمينِه ... بذي حَلَقٍ جَلْدِ الصَّلاصِل مُحْكَمَ
فأقسمتُ لا تَنْفَكّ منّا كتائبٌ ... سَراةُ خَمِيسٍ في لُهَامٍ مُسَوَّمِ
نَزُوعُ قُرَيشَ الكُفْرِ حتى نَعُلَّها ... بخاطمةٍ فوق الأنوف بِمِيسَم
نُنَزِّلُهم أكنافَ نَجْدٍ ونَخْلَة ... وإنْ يُتْهِموا بالخيل والرَّجْل نُتْهِم
يدَ الدَّهرِ حتى لا يُعوَّجَ سِرْبُنا ... ونُلْحِقَهم آثارَ عادٍ وجُرْهُمِ
ويَنْدمَ قومٌ لم يُطيعوا محمداً ... على أمرهم وأيَّ حينَ تَنَدُّم
فأبلغْ أبا سُفيان إمَّا لَقِيتَه ... لئن أنت لم تُخلِصْ سجوداً وتُسْلِمِ
فأبشِرْ بخِزْيٍ في الحياة مُعَجَّل ... وسِربال قارٍ خالداً في جهنَّمِ

قال ابن هشام: ويروى: وسربال نار.

الخلاف بين ابن إسحاق وابن هشام في مولى يمين أبي سفيان

قال ابن إسحاق: ومولى يمين أبي سفيان، الذي يعني: عامر بن الحضرمي، كان في الأسارى، وكان حِلْف الحضرمي إلى حَرْب بن أميَّة.

قال ابن هشام: مولى يمين أبى سفيان، الذى يعنى: عقبة بن عبد الحارث ابن الحضرمى، وأما عامر بن الحضرمى فقُتِل يوم بدر.

شعر هند وكنانة فى خروج زينب

ولما انصرف الذين خرجوا إلى زينب لقيتْهم هندُ بنت عُتبة، فقالت لهم:

أفى السِّلْم أعْياراً جَفاء وغِلْظةً ... وفى الحرْب أشباهَ النِّساء العَوارِكِ

وقال كِنانةُ بن الرَّبيع فى أمر زَيْنب، حين دَفَعها إلى الرَّجُلين:

عَجِبْتُ لهبَّار وأوْباش قَوْمه ... يُرِيدون إخْفارى بِبنت مُحَمَّد

ولستُ أبالى ماحَيِيتُ عَدِيدَهم ... وما استجمعتْ قَبْضًا يَدِى بالمُهَنَّد

الرسول يحل دم هبار

قال ابن إسحاق: حدثنى يزيد بن أبى حَبيب، عن بُكَير بن عبد الله ابن الأشجّ، عن سليمان بن يَسار، عن أبى إسحاق الدَّوْسى، عن أبى هُرَيرة، قال: بَعَثَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سَرِيَّةً أنا فيها، فقال لنا: إن ظَفِرتم بهبَّار بن الأسود، أو الرجل (الآخر) الذى سبق معه إلى زينب — قال ابن هشام: وقد سمى ابن إسحاق الرجل فى حديثه (وقال: هو نافع بن عبد قيس) فحرِّقوهما بالنار. قال: فلمَّا كان الغدُ بعث إلينا، فقال: إنى كنت أمرْتُكم بتَحْريق هذين الرجلَيْن إن أخذتموهما، ثم رأيتُ أنه لا ينبغى لأحد أن يعذِّب بالنار إلا الله، فإن ظَفِرتم بهما فاقتلوهما.

إسلام أبى العاص بن الربيع

استيلاء المسلمين على تجارة معه وإجارة زينب له

قال ابن إسحاق : وأقام أبو العاص بمكة ، وأقامت زَيْنب عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، حين فرّق بينهما الإسلام ، حتى إذا كان قبيلَ الفَتح خَرج أبو العاص تاجراً إلى الشأم ،وكان رجلا مأمونا ، بمال له وأموال لرجال من قريش ، أبْضعوها معه ، فلما فرغ من تجارته وأقبل قافلا ، لقيته سَرِيّةٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأصابُوا ما معه ، وأعْجزَهم هاربا ، فلما قَدِمَتِ السَّرِيّةُ بما أصابوا من ماله ، أقبل أبو العاص تحت الليل حتى دخَل على زيْنب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستجار بها ، فأجارته ، وجاء في طَلب ماله ، فلمّا خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى الصُّبح – كما حدثنى يزيد ابن رُومان – فكَبّر وكبّر الناس معه ، صرخَتْ زينب من صُفَّة النساء : أيها الناس ، إنى قد أجرتُ أبا العاص بن الرَّبيع . قال : فلما سلَّم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلاة أقبل على الناس ، فقال : أيها الناس ، هل سمعتم ما سمعتُ ؟ قالوا : نعم ؛ قال : أما والذى نفس محمد بيده ما علمتُ بشىء من ذلك حتى سمعتُ ما سمعتم ، إنه يُجير على المُسلمين أدْناهم . ثم انصرف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فدخل على ابنته ، فقال : أى بُنيّة ، أكْرمى مثواه ، ولا يَخْلُصنّ إليك ، فإنك لا تحلين له .

رفع
المسهم
عز الله لطوالديه

المسلمون يردون عليه ماله ثم يسلم

قال ابن إسحاق : وحدثني عبدُ الله بن أبي بكر : أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى السَّرِيَّة الذين أصابوا مال أبي العاص ، فقال لهم : إن هذا الرجل منّا حيثُ قد علمتم ، وقد أصبتم له مالا ، فان تُحْسِنوا وتردّوا عليه الذى له ، فإنّا نحبّ ذلك ، وإن أبيتم فهو فَيْء الله الذى أفاء عليكم ، فأنتم أحقّ به ؛ فقالوا يا رسول الله ، بل نردّه عليه ، فردّوه عليه ، حتى إن الرجل ليأتى بالدّلو ، ويأتى الرجل بالشَّنَّة وبالإداوة ، حتى إن أحدهم ليأتى بالشِّظاظ ، حتى ردّوا عليه ماله بأسره ، لايفقد منه شيئا . ثم احتمل إلى مكة ، فأدى إلى كلّ ذى مال من قُريش ماله ، ومن كان أبْضَع معه ، ثم قال: يامعشر قُريش ، هل بَقِىَ لأحد منكم عندى مال لم يأخذه ؟ قالوا : لا . فجزاك الله خيراً ، فقد وجدْناك وفياً كريما قال : فأنا أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ؛ والله مامَنَعنى من الإسلام عنده إلا تخوُّفُ أنْ تظنّوا أنى أردت أن آكل أموالكم ، فلما أدّاها الله إليكم وفرغتُ منها أسْلمتُ . ثم خرج حتى قَدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

زوجته ترد إليه

قال ابن إسحاق : وحدثنى داود بن الحُصَين عن عِكْرمة عن ابن عباس قال : ردّ عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم زينبَ على النِّكاح الأول لم يُحْدِث شيئا (بعد ست سنين) .

مثال من أمانة أبى العاص

قال ابن هشام : وحدثنى أبو عُبيدة : أن أبا العاص بن الرّبيع لما قَدِم من الشام ومعه أموالُ المُشركين ، قِيل له : هل لك أن تُسْلِم وتأخذ هذه الأموالَ ، فإنها أموالُ المُشركين ؟ فقال أبو العاص : بئس ما أبدأُ به إسلامى أنْ أخُون أمانتى .

قال ابن هشام : وحدثنى عبدُ الوارث بن سَعيد التَّنُّورِى ، عن داود ابن أبى هِنْد ، عن عامر الشَّعْبى ، بنحو من حديث أبى عُبيدة ، عن أبى العاص .

الذين أطلقوا من غير فداء

قال ابن إسحاق : فكان ممن سُمِّى لنا من الأُسارى ممن مَنَّ عليه بغير فِداء ، من بَنى عَبْد شمس بن عبد مناف : أبو العاص بن الرّبيع بن عبد العُزَّى ابن عبد شمس مَنَّ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن بَعثت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بفدائه . ومن بنى مَخزوم بن يقظة : المُطَّلب ابن حَنْطَب بن الحارث بن عُبيدة بن عُمر بن مَخزوم ، كان لبعض بنى الحارث ابن الخَزْرج ، فتُرِك فى أيديهم حتى خَلَّوا سبيله . فلَحِق بقومه .

قال ابن هشام : أسره خالد بن زيد ، أبو أيُّوب الأنصارى ، أخو بنى النجَّار .

قال ابن إسحاق : وصَيْفِىُّ بن أبى رِفاعة بن عابد بن عبد الله بن عُمر بن

مخزوم ، تُرِك فى أيدى أصحابه ، فلمّا لم يأت أحدٌ فى فدائه أخذوا عليه ليبعثن إليهم بفدائه ، فخلّوا سبيله ، فلم يَفِ لهم بشىء ، فقال حسّان بن ثابت فى ذلك :

وما كان صَيْفِىّ ليُوفِىَ ذمَّةً قَفَا ثعلبٍ أعيا ببعض الموارِدِ

قال ابن هشام : وهذا البيت فى أبيات له .

قال ابن إسحاق : وأبو عَزّة ، عمرو بن عبدالله بن عثمان بن أُهَيب بن حُذافة ابن جُمَح ، كان محتاجا ذا بنات ، فكلَّم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يارسول الله ، لقد عرفتَ مالىَ من مالٍ ، وإنى لذو حاجة ، وذو عِيال ، فامْنن علىّ ؛ فمنّ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخذَ عليه ألاّ يُظاهر عليه أحداً . فقال أبو عَزّة فى ذلك ، يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويذكر فضلَه فى قومه :

مَنْ مُبلِّغٌ عنى الرّسولَ محمّداً بأنك حقٌ والمليكُ حميدُ

وأنت امرؤٌ تدعو إلى الحق والهدى عليك من الله العظيم شَهيد

وأنت أمرُؤٌ بُوِّئتَ فينا مَباءةً لها دَرجاتٌ سَهْلة وصُعود

فإنك مَنْ حارَبْتَه لمُحارَبٌ شَقِىّ ومَن سالَمْته لسَعيد

ولكن إذا ذُكِّرْتُ بدراً وأهلَه تأوّبَ مابى : حَسْرةٌ وقعود

ثمن الفداء

قال ابن هشام : كان فداء المشركين يومئذ أربعةَ آلاف درهم للرجل ، إلى ألف درهم ، إلا من لاشىء له ، فمنّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عليه .

رفع
المسـاهم

خبر عكاشة بن محصن

يقال فيه عُكَّاشَةُ بالتشديد والتخفيف، وهو من عَكَشَ على القوم إذا حَمَلَ عليهم، قاله صاحبُ العين، وقال غيره العُكَّاشَةُ [والعُكَّاش] العنكبوت، وأما سَيْفُه الذى كان جِزْلاً من حَطَبٍ، فقد قيل إنه لم يزل مُتوارَثاً عند آل عُكَاشَة، وقد روى مثل قول عكاشة فى السيف عن عبد الله ابن جَحْش، وسيأتى، ذكرها عند غزوة أحد، وأما قوله :

فإن يذهبوا فَرْغاً بقتل حِبَالِ

فالفِرْغُ أن يُطَلَّ الدمُ، ولا يطلب بثأره، وحِبالُ : هو ابن أخى طُلَيْحَةَ لا ابنُه، وهو حِبال بن مَسْلَمَة بن خُوَيْلِد، ومَسْلَمَةُ : أبوه هو الذى قَتَل عُكَّاشَةَ، اعتنقه مَسْلَمَةُ وضَرَبه طُلَيْحَةُ على فَرَسٍ، يقال لها : اللَّزِم وكان ثابتٌ على فرس يقال لها : المُحَبَّر، وقِصَّتُه مشهورةٌ فى أخبار الرِّدَّة.

وذكر الواقدى فى الردة بعد قوله :

فَيَوْماً تراها فى الجلال مَصُونَة   ويوما تراها فى ظِلالِ عَوَالِ

إلى آخر الشعر.

وذكر فى الخبر أن عُكَّاشة وثابتَ بن أقرم البَلَوِىَّ حليفى الأنصار كانا فى جيش خالد حين نَهَد إلى طُلَيحة، فاستقدما أمام جيش خالد للمسلمين،

. . . .

فوقعا فى خيل لطُلَيحة ، وهو فيهم ، فاستشهدا معاً ، وذلك فى يوم بُزَاخة[١] ، كذلك قال كل من ألف فى السِّيَر إلا سليمان التَّيْمى ، فإنه ذكر أنَّ عُكَاشة قتل فى سَرِيَّة بعثها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى بنى أسَد ، والأول هو المعروف .

سبقك بها عكاشة :

وذكر قول النبى صلى الله عليه وسلم لعُكَّاشَة حين قال : ادعُ الله يارسول الله أن يجعلَنى منهم ، فدعا له ، ثم قام رجل آخر ، فقال : ادْعُ الله أن يجعلنى منهم ، فقال : سَبَقَك بها عُكَّاشة[٢] . هكذا الحديثُ فى الصِّحاح ، وزاد ابن إسحاق : وبَرَدَت الدعوة .

وذكر أبو عُمر النَّمَرِىُّ عن بعض أهل العلم ، ولم يُسَمِّهم أن الرجل الذى قيل له : سَبَقَك بها عُكَّاشة كان مُنافقا ، ولذلك لم يَدْع له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم. قال المؤلف : وهذا لايصح ؛ لأن فى مُسْنَد البَزَّار من طريق أبى صالح عن أبى هُرَيْرَةَ فى هذا الحديث قال : فقام رجل من خيار المهاجرين ، فقال : ادْعُ الله أن يجعلَنى منهم ، قال ابن بَطَّالٍ معنى قوله : سبقك بها عكاشة ، أى : سبقك بهذه الصفة التى هى صفةُ السبعين ألفا ، تَرْكُ التَّطَيُّرِ

(١) بزاخة : قال الأصمعى : هى ماء لطىء ، وقال أبو عمرو الشيبانى : ماء لبنى أسد « معجم البكرى ، المراصد » .

(٢) وهو فى البخارى ومسلم ، وقد صارت الكلمة مثــلا يضرب للسبق فى الأمر

رفع المسـاهم

. . . .

ونحوه ، ولم يقل : لستَ منهم ، ولا على أخلاقهم بحسن أدبه عليه السلام ، وتَلَطُّفِه فى الكلامُ [و] لاسِيَّمَا مَع أصحابه الكرام .

قال المؤلف رضى الله عنه ـ والذى عندى فى هذا أنها كانت ساعةَ إجابة عَلِمها عليه السلام ، فلما انقضت ، قال للرجل ماقال ، يبين هذا حديثُ أبى سعيد الخُدْرِيِّ ، فإنه قال فيه بعد ذكر عُكَّاشة ، فقام رجل آخر ، فقال : ادْعُ الله أن يجعلنى منهم ، فقال : اللهم اجعله منهم ، ثم سكنوا ساعةً يتحدثون ، ثم قام الثالث ، فقال ادع الله أن يجعلنى منهم فقال : سَبَقَكَ بها عُكَاشة ، وصاحبه ، ولو قلتَ لقلتُ ، ولو قلتُ لوَجَبَتْ ، وهى فى مسند ابن أبى شَيْبَة ، وفى مسند البزار أيضاً . ويقوى هذ المعنى أيضاً رواية ابن إسحاق ، فإنه زاد ، فقال فيها سبقك بها عُكَّاشة وبَرَدَتْ الدعوة ، فقِف على ماذكرته فى تفسير حديث عكاشة ، فإنه من فوائد هذا الكتاب . وممن لم يشهد بدراً لِعُذْرٍ ، وهو من النُّقَبَاء سَعْدُ بن عُبَادَة سَيِّدُ الخَزْرَج ، لأنه نَهَشَتْه حَيَّةٌ ، فلم يستطع الخروج . هذا قول القُتَبِيِّ ، ولذلك لم يذكره ابن إسحاق ، ولا ابن عُقْبَة فى البَدْرِيِّين ، وقد ذكره طائفةٌ فيهم ، منهم ابن الكلبى وجماعة .

نداء أصحاب القليب

مسألة نحوية :

وقوله عليه السلام : ياعُتْبَةُ بن رَبِيعَةَ ، وياشَيْبَة بن رَبيعة : الحديث . يجوز ياشَيْبَةُ بن رَبيعة ، بضم التاء ونصب النون وبنصبهما جميعا ، أما من يقول :

جاءنى زيدٌ ابن فلان بالتنوين ، فهو الذى يقول : يا زيدُ ابن بضم الدال ، ويكتب ابن بالألف على هذا ، ومن يقول جاءنى زيدُ بنُ بلا تنوين ، فهو الذى يقول فى النداء يا زيدَ بن بنصب الدال ، ويكتب ابنا بغير ألف ، لأنه جعل الابن مع ماقبله إسماً واحدا ، فعلى هذا تقول ياحارث ابن عمرو فتكتبه بألف ، لأنك أردت ياحارثُ بالضم ، لأنك لو أردت يا حارثَ بن بالنصب لم ترخّمه ، لأنه قد صار وسط الاسم ، وقد جعله سيبويه بمنزلة قولك : أمرأ ، وكذلك قوله : ويا أباجهل بن هشام إن نوّنت اللام من أبى جهل كتبته الابن بألف ، وإن لم تنوّنه كتبته بغير ألف .

وذكر إنكارَ عائشة أن يكون عليه السلام قال : لقد سمعوا ما قلت ، قالت : وإنما قال : لقد علموا أن الذى كنت أقول حق . قال المؤلف : وعائشة لم تحضر وغيرُها ممن حضر أحفظُ للفظه عليه السلام ، وقد قالوا له : يارسول الله أتخاطب قوما قد جَيَّفُوا أو أجيفوا[1] ، فقال : ما أنتم بأسمعَ لما أقولُ منهم ، وإذا جاز أن يكونوا فى تلك الحال عالمين ، جاز أن يكونوا سامعين ؛ إما بآذان رءوسهم إذ قلنا : إن الروحَ يُعاد إلى الجسد أو إلى بعض الجسد عند المسألة ، وهو قول الأكثرين من أهل السُّنّة ، وإمّا بأذن القلب أو الروح على مذهب من يقول بتوجُّه السؤال إلى الروح ، من غير رجوع منه إلى الجسد ، أو إلى بعضه ، وقد روى أن عائشة احتجت بقول الله سبحانه : ﴿ وما أنتَ بمُسْمِع مَنْ فى القُبور ﴾ وهذه الآية كقوله تعالى : ﴿ أفأنت تُسْمِعُ الصُّمَّ أوْ تَهْدى

(١) أى أنتنوا . أو صاروا جيفا .

. . . .

العُمْيَ ﴾ أى : إن الله هو الذى يهدى ويوفق ويوصل الموعظة إلى آذان القلوب ، لا أنت ، وجعل الكفار أمواتا وصمًّا على جهة التشبيه بالأموات ، وبالصُّمِّ ، فالله هو الذى يُسْمِعهم على الحقيقة ، إذا شاء لا نبيّه ، ولا أحدٌ ، فإذاً لا تَعَلُّقَ بالآية من وجهين ، أحدهما : أنها إنما نزلت فى دُعاء الكفار إلى الإيمان .

الثانى أنه إنما نفى عن نبيه أن يكون هو المسمِع لهم ، وصَدَقَ اللهُ فإنه لا يُسْمِعهم إذا شاء إلا هو ، ويفعل ماشاء وهو على كل شىء قدير(١) .

(١) ليس الأمر هنا أمر حضور السيدة عائشة القصة أو عدم حضورها ، وإنما الأمر عقيدة تتعلق بعالم الغيب ، ويفرض على كل معرفتها للإيمان بها عن بينة . والسيدة عائشة رضى الله عنها ، وإن لم تكن قد حضرت القصة ، فالرواية تؤكد أنها علمت بها مشافهة عن النبى صلى الله عليه وسلم ، بدليل توكيدها الكلام ، وقد كانت حقا كما وصفها الإسماعيلى «كان عند عائشة من الفهم والذكاء وكثرة الرواية والغوص على غوامض العلم مالا يزيد عليه ، ولعلها سمعت هذا الحديث يردد ، فسألت عنه الرسول صلى الله عليه وسلم ، فعلمت منه ما قاله حينئذ ، فنفت ما نفت ، وأثبتت ما أثبتت والآية القرآنية التى استشهدت بها نص قاطع فى النفى الذى قالت به السيدة عائشة ، وعلى فرض صحة أن الآية فيها مجاز ، وأنها تنفى السماع عن الكفار المشبهين بمن فى القبور ، أقول : على فرض صحة هذا . فإن هذا التفسير يؤكد صحة فهم السيدة عائشة توكيدا قويا ، فلولا ثبوت أن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يسمع من فى القبور ما صح تشبيه الكفار بالموتى فكأن المعنى إن هؤلاء الكفار كالموتى ، وأنت لا تسمع الموتى ، وهم فى قبورهم فكذلك لا تستطيع إسماع هؤلاء ، ولكن ماذا يقول السهيلى فى قوله سبحانه : (فإنك لا تسمع الموتى ، ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين ، وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم) فهنا موتى وصم ، وقد نفى الله إسماع نبيه للصنفين : وفى هذا تصويب لفهم السيدة =

. . . .

من معاني شعر حسان :

فصل : وذكر شعر حسان وقال فيه :

كَخَطِّ الوَحْىِ فى الوَرَقِ القَشِيبِ

القشيبُ فى اللغة : الجديدُ ، ولا معنى له فى هذا البيت ، لأنهم إذا وصفوا الرسومَ وشبَّهوها بالكُتُبِ فى الورق ، فإنما يصفون الخط حينئذ بالدُّرُوسِ والامِّحاءِ ، فإن ذلك أدل على عَفَاءِ الديار وطُمُوسِ الآثار ، وكثرةُ ذلك فى الشعر تغنى عن الاستِشْهاد عليه ، ولكن منه قول النابغة :

[وقفت فيها أُصَيْلَانا أسائلها عيت جوابا وما بالرَّبع من أحد
إلا الأوارى لأيا ما أبينها والنؤى كالحوض بالمظلومة الجَلَدِ[1]]

وقول زُهَيْرٍ :

[وقفت بها من بعد عشرين حِجَّةً] فَلأْيًا عَرَفْتَ الدارَ بعد تَوَهُّمِ[2]

= عائشة ، وإثبات أنه هو الحق ، والعلم هنالا يثبت السمع من الرسول وإنما يثبت أن علمهم من الله سبحانه دون أن يسمعوا شيئا من الرسول « ص » نفسه .

(١) لم يكن فى الروض غير قوله : لأيا ما أبينها . فرأيت ذكر البيتين ليتم المعنى .

(٢) لم يكن فى الروض غير الشطرة الثانية . وأصيلانا تروى : أصيلالا ، أو : أصيلاكى . والأوارى : جمع آرية وهى الأخية التى تشد بها الدابة . واللأى : الجهد ، والنؤى : الحفيرة حول البيت والخيمة تمنع السيل والمطر . والجلد : الأرض يصعب حفرها .

رفع
المسار
عز الله لطالب الدين

. . . .

وقال آخر :

وإلاَّ رُسُوم الدارِ قَفراً كأنها   سُطُورٌ محاها الباهِلِيُّ بن أصْمَعَا

ولكن أراد حسان بالقشيب هاهنا الذى خالطه ما يُفسِده ، إمَّا مِن دَنَسٍ ، وإما من قِدَمٍ ، يقال : طعامٌ مُقَشَّب ، إذا كان فيه السُّمُّ . وقال الشاعر : [خُوَيلد بن مرة أبو خِراشٍ الْهُذَلِيُّ] :

[به نَدَعُ الـكَمِيِّ على يديه]   نخر تخالُه نَسْراً قَشِيبا[1]

معناه : مَسْمُوم ، لأن القِشْبَ هو السم[2] قاله ابن قُتَيْبَة فى تفسير حديثٍ آخرُ من يخرج من النار ، وفيه قَشَبَنِي رِيحُها ، وأحرقنى ذكاها . وقال أبو حنيفة فى القِشْبِ هو : نبات رَطْبٌ مَسْمُوم يُنصَب لسباع الطير فى لحم ، فإذا أكلته ماتت ، قال : والعرب يُجَنِّبونه ماشيتَهم فى المرعى ، كى لا تَحْطِمَه ، فيفوحَ من ريحِهِ مايقتلها ، فقوله فى البيت الذى استشهد به القُتَبِيُّ : تخاله نَسْراً قشيبا ، أى : نَسْراً أكل ذلك القِشْب فى اللحم والله أعلم ، قال : والألْبُ أيضاً ، ضَرْبٌ من القِشْبِ ، إن وجدت ريحَه سباعُ الطير عَمِيت وصَمَّت ، وإن أكلته ماتت ، قال : والضِّجَاجُ أيضاً : كلُّ نباتٍ مَسْمُوم .

---

(١) فى الأصل : فخر تخاله نسراً قشيبا . فأكملت وغيرت من اللسان . وهناك بيت قبـــله .

ولولا نحن أرهقه صهيب   حسام الحد مطردا خشيبا

(٢) وهو أيضا الخلط وسقى السم والإصابة بالمكروه المستقذر والافتراء واكتساب الحمد أو الذم والإفساد واللطخ بالشـــىء والتعيير وإزالة العقل وصقل السيف .

رفع
المسيب هم
غفر الله له

. . . .

معنى إلقائهم فى القليب :

فصل : فإن قيل: مامعنى إلقائهم فى القَلِيبِ ، ومافيه من الفقه؟ قلنا : كان من سُنَّته عليه السلامُ فى مَغازيه إذا مر بجيفة إنسانٍ أمر بدَفْنِه لايَسألُ عنه مؤمنا، كان أو كافراً ، هكذا وقع فى السُّنَنِ للدَّارَقُطْنِى ، فإلقاؤهم فى القَليبِ من هذا البابِ ، غير أنه كره أن يَشُقّ على أصحابه لكثرة جِيَفِ الكفار أن يأمرَهم بدفنهم ، فكان جرُّهم إلى القَلِيبِ أيْسَرَ عليهم ، ووافق أن القليبَ حفره رجلٌ من بنى النار ، اسمه : بَدْرٌ ، فكان . فألاً مقدَّماً لهم ، وهذا على أحد القولين فى بدرٍ ، والله أعلم.

عود إلى شعر حسان :

وفى ... حسان أيضاً :

بنو الأوسِ الغطارِفِ وازرتها

ولو قال آزرتها بالهمز لجاز ، وكان من الأزْر ،وفى التنزيل (فآزره) أى : شَدّ أزْرَه ، وقوّاه ، ولكن أراد حسان معنى الوَزِير ، فإنه سمى وَزِيراً من الوِزْرِ ، وهو الثِّقل ، لإنه يَحْمِل عن صاحبه ثِقلاً و بمينه ، وقيل هو من الوَزَرِ ، وهو الملجأ ، لأن الوزِيرَ يلجأ إلى رأيه ، وقد ألفيْته فى نسخة الشيخ أبى بَحْر : آزَرَتْها مُصْلَحا بغير واو إلّا أنَّ وازرتها وزنه : فاعَلت ، وآزرت وزنه أفْعَلتُ .

. . . .

وقوله :

وعُتْبَةَ قد تركنا بالجُبُوبِ

معنى الجبوب :

الجُبُوب اسمٌ للأرضِ ، لأنها تُجَبُّ أى تحفر وتجَبُّ من دُفِن فيها ، أى تقطعه ، وهذا القول أولى ، لأنهم قالوا جَبُوبٌ مثل : صَبُور وشَكُور فى المؤنث ، ولم يقولوا جَبُوبة ، فيكون من باب حَلُوبة ورَكُوبة ، ويدخلون فيها الألفَ واللام تارةً ، فيقولون : الجُبُوب ، كما فى هذا البيت ، وتارة يجعلونه اسماً عَلَماً ، فيقولون : جَبُوب ، مثل شَعُوب ، قال الشاعر :

بَنَى على قلبي وعيني مَكَانَه ثوَى بين أحجارٍ رَهِينَ جَبُوبِ

ومنه قيل : جَبَّانٌ وجَبَّانَةَ للأرض التى يُدْفَنُ فيها الموتى ، فهو فَعْلَان من الجَبِّ والجُبُوب ، وهو قولُ الخليل فى معنى الجُبَّانِ ، وغيرُه يجعله فَعَّالاً من الجُبْن .

مرة أخرى شعر حسان :

وقوله :

خاطى الكُعُوب

أى مُكتنِز الكُعُوب قويُّها [والكُعُوب : عُقَد القناة] ، وقولُ حسَّان: القَطَارِف ، أراد : القَطَارِيف كما تقدم فى شعر الجُرْهُمِيِّ :

. . . .

تظلُّ بها أمنا وفيها العصافر

أراد العصافير، وحذف الياء ضرورة.

تفسير قول ابن أبي بكر :

فصل : وذكر قول أبي بكر الصديق رضى الله عنه لابنه يوم بدر أين مالى ياخبيثُ، فقال :

لم يَبْقَ إلا شِكَّةٌ[1] ويَعْبُوبُ

الشِّكَّةُ : السلاحُ، واليَعْبُوبُ من الخيلِ : الشديدُ الجَرْى، ويقال : الطويلُ، والأَوّلُ أصحُّ، لأنه مأخوذ من عُبَابِ الماء، وهو شِدَّةُ جَرْيه، ويقال للجَدْوَلِ الكثير الماء : يَعْبُوبٌ، وقد كان للنبي صلى الله عليه وسلم فَرَسٌ اسمه : السَّكْب وهو من سَكَبْتُ الماء[2]، فهذا يقوى معنى اليَعْبُوبِ، وذكر غير ابن إسحاق أنَّ عبدَ الرحمن بن أبي بكر قال لأبيه بعد ما أسلم : يا أَبَتِ لقد أهْدَفْتَ لى يوم بدر مِراراً فَصَدَفْتُ عنك، فقال لو كنتَ أهْدَفْتَ لى أنت ما صَدَفْتُ عنك[3].

---

(١) فى السيرة : غير شكة.

(٢) يصف صاحب القاموس الفرس المنسوب إلى النبى «ص» بقوله «وكان كميتا أغر محجلا مطلق اليمنى» ويقال بفتح السين أيضا. ويقال سكب الماء فسكب هو سكوبا.

(٣) فى النهاية لابن الأثير يقال : «أهدف له الشىء واستهدف إذا دنا منه وانتصب له مستقبلا» وفيه ضفت بدلا من صدفت و«معناها : عدلت وملت».

. . . .

العرس والعريش :

فصل : وذكر تنازُعهم فى النفل ، وما احتجت به الطائفةُ الذين كانوا يَحْمون رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العَريش ، والعَريشُ : كلُّ ما أظلَّك وعلاك من فوقك ، فإن علوته أنت فهو عَرْشٌ لك ، لا عَرِيش ، والعَريش أيضا فيما ذَكر أبو حَنيفة أرْبع نخلات أو خمس فى أصل واحد .

بنو عابد وبنو عائذ :

وذكر قول أبى أُسَيْدٍ : وَجَدْتُ يومَ بدر سيف بنى عابدٍ الذى يقال له المَرْزُبان . بنو عابدٍ فى بنى مَخْزُوم ، وهم بنو عابدِ بنِ عبدِ اللهِ بن عُمَرَ بنِ مَخزوم ، وأما بنو عائذ بالياء والذال المعجمة ، فهم بنو عائذِ بن عِمْرَانَ بنِ مَخْزُوم رَهْط آل المُسَيَّب ، والأولون رَهْطُ آل بنى السائب .

حول القسم :

وأما قوله : فقسمها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن بَوَاءٍ يقول : على سَوَاءٍ ، فقد رواه أبو عُبَيْدٍ فى الأموال ، فقال فيه : فقسمها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن فُوَاقٍ ، وفسره ، فقال : جعلَ بعضَهم فوقَ بعضٍ ، أى فضَّل فى القسم مَنْ رأى تفضيلَه ، وفى غريب الحديث قولا آخر ، وهو أن معنى عن فُوَاق : السُّرْعة فى القسم كفُوَاق الناقة ، ورواية ابن إسحاق أشهر وأثْبَتُ عند أهل الحديث (١)

---

(١) فواق بضم الفاء وفتحها ، وفى النهاية لابن الأثير : قسمها فى قدر فواق =

. . . . :

سبب نزول اول الانفال :

وفى الحديث الذى ذكره أبو عُبَيْد أن سَعْدَ بن أبى وقَّاصٍ ، قال : قتلتُ يوم بدر العاصِىَ بن سَعيد بن العاصى ، وأخذتُ سيفَه ، وكان يقال له : ذو الكَتيفَة . فأتيت به رسولَ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقلت : يارسول الله ، نَفِّلْنيه ، فأمرنِى أن أجعلَه فى القَبَضِ(١) ، فأخذنى مالا يعلمه إلا الله ، فقلت : قُتِل أخى عُمَيْرٌ وأخِذَ سَلَبى فأنزل الله ﴿ يَسْئَلُونَكَ عن الأَنْفَال ﴾ الآية ، فأعطانى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم السيفَ(٢) ، قال أبو عُبَيْد وأهل السِّيَر يقولون : قَتَل العاصِىَ بنَ سعيد علىٌّ بنُ أبى طالب رضى الله عنه .

= ناقة ، وهو ما بين الحلبتين من الراحة ... وعن هاهنا بمنزلتها فى قولك : أعطيته عن رغبة وطيب نفس ، لأن الفاعل وقت إنشاء الفعل إذا كان متصفا بذلك كان الفعل صادرا عنه لا محالة ومجاوزا له .

(١) القبض بفتح القاف والباء : المقبوض .

(٢) رواه الإمام أحمد ، وروى أيضاً بسنده عن سعد بن مالك ، قال : قلت يارسول الله قد شفانى الله اليوم من المشركين ، فهب لى هذا السيف فقال : إن هذا السيف لا لك ، ولا لى ضعه . قال : فوضعته ، ثم رجعت ، فقلت : عسى أن يعطى هذا السيف من لا يبلى بلائى قال : فإذا رجل يدعونى من ورائى قال : قلت قد أنزل الله فى شيئا ؟ قال : كنت سألتنى السيف ، وليس هو لى وإنه قد وهب لك ، فهو لك ، قال : وأنزل الله هذه الآية : (يسئلونك عن الانفال ، قل : الانفال لله والرسول) ورواه أبو داود والترمذى والنسائى . وقال الترمذى : حسن صحيح ، ورواه على نحو آخر مسلم . وروى فى أسباب نزولها أشياء أخرى .

. . . .

عقبة بن ابى معيط :

فصل : وذكر أن رسولَ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قَتَلَ عُقْبَةَ بن أبى مُعَيطٍ ، قال وكان الذى أسَرَهُ عبد الله بن سَلِمَةَ ، وسَلِمَةُ هذا بكسر اللام ، وهو سَلِمَةُ بن مالك أحدُ بنى العَجْلَانَ بَلَوِىّ بالنَّسَب أنصارى بالحلف ، قُتِل يومَ أُحُدٍ شهيداً وأما عُقْبةُ بن أبى مُعَيطٍ ، فاسم أبى مُعَيطٍ أبَانَ بن أبى عَمْرو ، واسْمُه ذَكْوَانُ بن أمَيَّة ، يقال : كان أمَيَّةُ ، قد ساعَى(١) أمَةً أو بَغَتْ أمَةٌ له ، فجاءت بأبى عَمْرو ، فاسْتَلْحَقَه بحكم الجاهلية ؛ ولذلك قال عُمَرُ بنُ الخطَّاب ـ رضى الله عنه ـ لِعُقْبَةَ حين(٢) قال : أأُقْتَلُ من بين قُرَيْشٍ صَبْراً ، فقال عُمَر : حَنَّ قِدْحٌ ليس(٣) منها ، يُعَرِّضُ بنَسَبِه ، وذلك أن القِداح فى المَيْسر ربما جُعِل معها قِدْحٌ مستعار قد جُرِّب منه الفَلَجُ واليُمْنُ فيُستَعار لذلك ، ويُسَمَّى . المَنِيحَ ، فإذا حُرِّكَ فى الربابَةِ مع القِداح تميزٌ صوته لمخالفة جَوْهَرِه جَوْهَرَ القداح ، فيقال حينئذ : حَنَّ قِدْحٌ ليس

---

(١) ساعى الأمة : طلبها للبغاء ، وفجر بها

(٢) فى النهاية لابن الأثير أنه قال ذلك للوليد بن عقبة الذى ولاه عثمان الكوفة وأعمالها .

(٣) هو مثل يضرب إلى رجل ينتمى إلى نسب ليس منه ، أو يدعى ما ليس منه فى شىء ، والقدح بالكسر أحد سهام الميسر . وأبو عمرو بن أمية قد تزوج امرأة أبيه زوجة إياها ابنها أبو العاص بن أمية أخوه لأبيه ، وكان نكاحا ينكحه الجاهلية ص ٩٩ نسب قريش

. . . .

منها ، فتمثّل عُمَرُ بهذا المثل ، يريد أن عُقْبَةَ ليس من قُرَيْش(١) ، وكذلك رُوى أن النبيَّ — صلى الله عليه وسلم — قال حينئذٍ : إنما أنتَ يهوديٌّ من أهل صَفُّورِيَةَ(٢) ، لأن الأَمَة التى وَلَدت أباه كانت ليهوديٍّ من أهل صَفُّورِيَةَ ، واسمها : تُرْنَى ، قاله القُتَيبيُّ(٣) ، وكذلك قال دَغْفَلُ بنُ حَنْظَلَةَ النَّسَّابة لمعاويةَ حين سأله : هل أدركتَ عبدَ المطلب ؟ فقال : نعم أدركته شَيْخا وَسِيما قَسِيما جَسِيما يَحُفُّ به عَشَرَةٌ مِنْ بنيه كأنهم النجوم ، قال : فهل رأيت أميةَ ابن عبدِ شمس ؟ قال : نعم رأيته أُخَيْفِشُ أَزْيرِقُ(٤) دِمِياً ، يقوده عبدُه ذَكْوَانُ ، فقال : ويْحَكَ ذاك ابنُهُ أبو عمرو ، فقال دَغْفَلٌ : أنتم تقولون ذلك .

الطعن فى نسب بنى أمية :

قال المؤلف :

وهذا الطعن خاص بنسب عُقْبَة من بنى أمية ، وفى نَسَبِ أُمَيَّة نفسه مقالة

---

(١) جعله ابن دريد فى الاشتقاق من رجال قريش ، وكذلك المؤرخ ابن عمرو السدوسى .

(٢) كورة وبلدة من نواحى الأردن بالشام قرب طبرية .

(٣) يقال للأمة والبغى : ترنى كحبلى ، وترنى وابن ترنى : ولد البغى ، ويجوز أن تكون ترنى من رنيت : إذا أدمتم النظر إليها . يقال : إن أمية جد أبيه خرج إلى الشام ، فوقع على يهودية لها زوج من صفورية فولدت ذكوان المكنى أبا عمرو ، وهو والد أبى معيط على فراش اليهودى ، فاستلحقه بحكم الجاهلية .

(٤) أخيفش تصغير أخفش والخفش فساد فى العين يضعف منه نورها ، وتغمض دائما من غير وجع والزرقة خضرة فى سواد العين ، وقيل : هو أن يتغشى سوادها بياض . وقيل : الزرق تحجيل يكون دون الأشاعر ، أو بياض لا يطيف بالعظم كله ، ولكن وضح فى بعضه .

رفع المسهم

. . . .

أخرى تعم جميع الفَصِيلة ، وهى ماروُى عن سَفِينَة[١] مَوْلَى أمّ سَلَمَةَ حين قِيل له : إن بنى أُمَيَّة يزعمون أن الخِلَافَةَفيهم ، فقال : كذبت استاهُ بنى الزَّرْقَاء ، بل هم مُلوك ، ومن شر الملوك ، فيقال : إن الزَّرْقَاء هذه هى [أُمُّ] أُمَيَّة بن عَبْدِ شَمْسٍ[٢] ، واسمها أَرْنَبُ ، قاله الأَصْبَهَانِيّ فى كتاب الأمثال ، قال : وكانت فى الجاهلية من صَوَاحِبِ الرايات[٣] .

قال المؤلف رضى الله عنه : وقد عَفَا اللهُ عن أمرِ الجاهِلِيَّة ، ونهى عن الطعن فى الأنساب ، ولو لم يجب الكفُّ عن نَسَبِ بنى أمية إلا لموضع عُثْمان ابن عَفَّان رضى الله عنه ، لكان حَرِّى بذلك .

أبو هند الحجام :

فصل وذكر أبا هند الحَجّام ، وأنه اتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) وقيل : هو مولى رسول الله « ص » واسمه مهران .

(٢) كلمة أم غير موجودة بالأصل ، والسياق يفرضها وفى نسب قريش أن أم أمية هى نفجة بنت عبيد بن رواس بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ص ٩٧ وفى السدوسى أن اسمها تعجز ابنة عبيد بن رؤاس بن كلاب الخ ص ٣٠

(٣) يرى الشهرستانى أنها امرأة كان يختلف إليها النفر فى الجاهلية ، وكلهم يواقعها فى طهر واحد ، فإذا ولدت ألزمت الولد أحدهم وهذه تدعى : المقسمة ويرى غيره أن البغايا كن ينصبن على أبوابهن رايات ، يدخل عليها الكثير ، فإذا حملت ووضعت جمعوا لها ، ودعوا القافة ، فيلحقونه بشبهه . ولهذا لا يمكن تصديق ما زعمه الإصبهانى ، وهو يرمى عن فارسيته التى تحاول النيل من أشراف العرب

. . . .

مُنْصَرَفَهُ من بَدْرٍ . أبو هند اسمُه : عبدُ الله ، وهو مولى فَرْوَةَ بن عَمْرو البَيَاضِيّ، وأما طيبة(١) الحجّام فهو مَوْلى بنى حارثة ، واسمه : نافع ، وقيل : دُنَيْر وقيل مَيْسَرَةُ ، ولم يشهد بدراً .

أسارى بدر

ذكر فيهم أبا عَزِيز بن عُمَيْرٍ حين مرّ به ، وهو أسيرٌ على أخيه مُصْعَبٍ، فقال مُصْعَبٌ للذى أسره : اشْدُدْ يديك(٢) به وذكر الحديث .

قال المؤلف رحمه الله : وقد تقدم فى باب الهجرة خبرُ إسلام مصعب ، وما كانت أمُّه تصنع به ، وأرجأت التعريف به وبإخوته إلى هذا الموضع ، فأما أبو عَزِيز ، فاسمه زُرَارَةُ ، وأمه التى أرسلت فى فدائه أم الخُنَاسِ بنت مالك العامرية ، وهى أم أخيه مُصْعَبٍ ، وأخته هند بنت عُمَيْر ، وهند هى أم شَيْبَةَ ابن عُثْمانَ حاجبِ الكعبة ، جد بنى شَيْبَةَ أسلم أبو عَزِيزٍ ، وروى الحديث، وأسلم أخوه أبو الروم ، وأبو يَزِيدَ ، ولا خَفَاءَ باسلام مُصْعَبٍ أخيه ، وغلط الزُّبَيْر بن بَكَّار ، فقال : قُتل أبو عزيز يومَ أُحُدٍ كافراً ، ولم يصح هذا عند أحَدٍ من أهل الأخبار ، وقد روى عنه نُبَيْهُ بنُ وهب وغيره ، ولعلّ المقتول بأحُدٍ كافراً أخٌ لهم غيره .

---

(١) الصواب : أبو طيبة ، واسمه كما قال السهيلى نافع أو ميسرة وكنيته كما قدمت : أبو طيبة ، وقد ثبت ذكره فى الصحيحين أنه حجم النبى صلى الله عليه وآله وسلم من حديث أنس وجابر وغيرهما .

(٢) فى السيرة : شد يدك .

رفع المسهم

خبر أبي رافع حين قدم فل قريش

اسم أبي رافع : أسلم[1] ، وقال ابنُ مَعينٍ اسمُه إبراهيمُ ، وقيل اسمه : هُرمُزُ ، وكان عبداً قِبْطِياً للعباس ، فوهبه للنبي صلى الله عليه وسلم ، فلما أسلم العباسُ وبشّر أبو رافع رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - بإسلامه ، فأعتقه ، فكان مولى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقيل : كان عبداً لبني سعيد ابن العاصي ، وهم عشرة فأعتقوه إلا خالدَ بنَ سعيد ، فإنه وَهَبَ حِصَّتَه فيه للنبي - صلى الله عليه وسلم - فأعتقه النبيُّ - صلى الله عليه وسلم - والأول أصح توفي في قول الواقدي قبل مقتل عثمان بيسير .

ام الفضل وضربها لأبي لهب :

وذكر أبا لهب وضربه لأبي رافع حين ذكر الملائكة وانتصار أمّ الفَضْلِ له وضربها لأبي لهب ، وأمُّ الفَضْلِ هي لُبَابَةُ الكُبرى بنتُ الحارث [بن حَزْن ابن بُجَيْر بن الهُزَم بن رُوَيْبة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صَعْصَعَة] الهِلاليةُ أختُ مَيْمُونة ، وأختُها لبَابَةُ الصُّغرى أمُّ خالدُ بنُ الوليد ، ولدت أمُّ الفضل من العباس سبعةً نُجَباءَ قال الشاعر :

ما وَلَدَتْ نجيبَةٌ من فَحْلِ ... كَسَبْعَةٍ من بَطْنِ أُمِّ الفَضْلِ

(١) وقيل : سنان ، وقيل : يسار ، وقيل : صالح ، وقيل : عبدالرحمن ، وقيل : قزمان ، وقيل : يزيد ، وقيل : ثابت . قال ابن عبد البر : أشهر ماقيل في اسمه : أسلم ، وقال مصعب الزبيري : اسمه إبراهيم ، ولقبه بريه ، وهو تصغير إبراهيم .

. . . .

وهم عَبْد الله وعُبَيْد الله ، وعبدُ الرحمن ، والفضل ، ومَعْبدُ ، وقُثَمَ [١] ، ويقال في السابع : كَثِيرُ بنُ العباس ، والأَصَحُّ في كَثِير أن أمَّه رُوميَّة ، ولم تلد أمُّ الفضل من العباس إلَّا مَنْ سَمَّينا وأختاً لهم ، وهى أمُّ حَبِيبٍ ، وقد ذكرها ابن إسحاق فى رواية يونس [بن بكير] ، وذكر أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم-رآها وهى طِفْلةٌ تَدِبُّ بين يديه ، فقال : إن بلغتْ هذه وأنا حَيٌّ تَزَوَّجتُها ، فقُبِضَ عليه السلامُ قبل أن تَبْلُغ فتزوجها سفُيانُ بن الأسود

---

(١) هذا رأى محمد بن حبيب فى المحبر ص ٤٠٩ . وقد ذكر مصعب الزبيرى لها ستا هم الفضل ، وعبد الله ، وعبيد الله ، وقثم ، ومعبد وأم حبيب . وللعباس من غيرها الحارث وأمه من هذيل ، وكثير وتمام وأمهما : أم ولد ، وآمنة لأم ولد ، وصفية لأم ولد . والمؤرخ السدوسى يذكرله ثلاثة أولاد : وفى نهاية الأرب للقلقشندى أنه كان للعباس تسعة أولاد منهم الفضل وعبد الله وعبيد الله وقثم وعبد الرحمن ومعبد وأمهم لبابة ثم تمام وكثير والحارث ولم يذكر أمهم ص ١٤٣ ط ١٩٥٩ لأبى العباس أحمد القلقشندى وكذلك ذكر فى كتابه قلائد الجمان ص ١٥٦ . وقد زدت فى نسب لبابة ما ورد فى نسب قريش للزبيرى ، وحذف من نسب قريش ص ٢٧ للسدوسى ص ٣٢ أما ابن دريد فى الاشتقاق فذكر أنهم أحد عشر ابنا وعد منهم من أسماؤهم : عبدان وصبح ومسهر ومعبد ، والعجيب أنه لم يذكر منهم عبد الله . هذا وقد كان العباس يحمل تماما ويقول :

تموا بتمام فصاروا عشره ... يارب فاجعلهم كراما برره
واجعل لهم ذكرا وأنم الثمره

ويذكر ابن حبيب ص ٤٦ فى المحبر أن قثما كان يشبه النبى ، وأن العباس كان يرقصه بقوله .

أيا بنى يا قثم ... أيا شبيه ذى الكرم

رفع المسهم

. . . .

ابن عَبْد الأسد [بن هلال بن عبد الله بن عمرو] المَخزُومى فولدت له رِزْقًا ولُبَابَة(١) .

وذكر ابن إسحاق أن أبا لَهب حين ضربته أمُّ الفضل بالعَمُود على رأسه قام منكسراً ، ولم يَلْبَثْ إلا يسيراً ، حتى رماه الله بالعَدَسة فقتله .

وذكر الطَّبَرِىُّ فى كتابه أن العَدَسة قَرْحَة كانت العَرَب تَتَشاءمُ بها ، ويَرَوْن أنها تُعْدِى أشدَّ العَدوَى ، فلما رُمِىَ بها أبو لَهَب ، تباعد عنه بنُوه ، فبقى ثلاثا لا تُقْرَبُ جنازتُه ، ولا يُدْفَنُ ، فلما خافوا السُّبَّة دفعوه بعود فى حفرته ثم قذفوه بالحجارة من بعيد حتى واروه(٢) وقال ابن إسحاق فى رواية يُونُس لم يَحْفُروا له ، ولكن أُسْنِد إلى حائط وقُذفت عليه الحجارةُ من خَلْف الحائط ووُرِىَ(٣) وذكر أن عائشة كانت إذا مرت بموضعه ذلك غطَّت

---

(١) فى كتاب نسب قريش لمصعب الزبيرى ذكر أن اسم زوجها الأسود ابن سفيان بن عبد الأسد الخ . وفى الإصابة : الأسود بن سنان ، وفى كتاب النسب أنها ولدت للأسود : رزقا وعبد الله .

(٢) نص تعبير الطبرى فى تاريخه « فلقد تركه أبناه ليلتين أو ثلاثا ما يدفنانه حتى أنتن فى بيته . وكانت قريش تتقى العدسة وعدوتها كما يتقى الناس الطاعون ، حتى قال لهما رجل : ويحكما ألا تستحيان أن أباكما قد أنتن فى بيته لا تغيبانه ، فقالا : إنا نخشى هذه القرحة الخ » ص ٤٦٢ حـ ٢ الطبرى ط المعارف . وقد عرف ابن الأثير فى النهاية العدسة بقوله بثرة تشبه العدسة تخرج فى مواضع من الجسد من جنس الطاعون تقتل صاحبها غالبا .

(٣) نص تعبير الطبرى : « فما غسلوه إلا قذفا بالماء عليه من بعيد ما يمسونه ، ثم احتملوه فدفنوه بأعلى مكة إلى جدار ، وقذفوا عليه بالحجارة حتى واروه » =

. . . .

وجهها[١] ، وفى صحيح البخارى أن بعضَ أهله رآه فى المنام فى شرٍّ رحيبةٍ[٢] ، وهى الحالةُ ، فقال : مالقيتُ بعدكم ، يعنى . راحةً ، غير أنى سُقيتُ فى مِثْل هذه بعتقِى ثُوَيْبَةَ ، هكذا فى رواية الأصيلى عن أبى زيد، وفى رواية غيره ، قال: مالقيتُ بعدكم راحة ، غير أنى سُقيت فى مثل هذه ، وأشار إلى النُّقْرة بين السَّبَّابة والإبهام ، بعتقى ثُوَيْبَةَ[٣] ، وفى غير البُخَارِى أن الذى رآه من أهله هو أخوه العباس ، قال : مكثْتُ حَوْلاً بعد موتِ أبى لهب لا أراه فى نوم ، ثم رأيته فى شَرٍّ حال ، فقال : مالقيتُ بعدكم رَاحَةً إلا أن العذابَ يخفف عنى كُلَّ

= ص ٤٦٢ ج ٢ . وأولاد أبى لهب هم : عتبة ومعتب أسلما يوم الفتح وثبتا يوم حنين ، وأختهما درة لها صحبة ، وهى من المهاجرات ، وأما عتيبة فقتله الأسد بالزرقاء من أرض الشام ، وقد روى الطبرانى أنه صلى الله عليه وسلم دخل يوم الفتح بين عتبة ومعتب يقول للناس : هذا أخواى وابنا عمى — فرحا بإسلامهما — استوهبتهما من الله ، فوهبهما لى .

(١) قال الزرقانى فى شرحه على المواهب اللدنية « قال البرهان : الظاهر أن ذلك لنتنه ، فكأنه كان يظهر من قبره إهانة له أبدا ، ويحتمل أن علها ذلك لكونه محل عذاب ، كما فعل — صلى الله عليه وسلم — حين مر بالحجر ، فغطى وجهه بثوبه واستحث راحلته ، إشارة إلى التباعد عنه » ص ٤٥٢ ج ١ .

(٢) فى رواية الشيخين : خيبة ، فقد أخرجا عن عروة قال أعتق أبو لهب ثويبة ، فأرضعت رسول الله « ص » فلما مات أبولهب أريه بعض أهله فى النوم بشر خيبة ، فقال له : ماذا لقيت ؟ قال : لم ألق بعدكم رخاء .

(٣) التى أرضعت النبى صلى الله عليه وسلم : قال أبو نعيم : لاأعلم أحداً أثبت إسلامها ، وفى طبقات ابن سعد ما يدل على أنها لم تسلم ماتت سنة سبع مرجع النبى « ص » من خيبر . وكانت خديجة تكرمها وهى ملك أبى لهب ، وسألته أن يبيعها لها فامتنع ، فلما هاجر النبى « ص » أعتقها .

. . . .

يوم اثنين ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وِلِدَ يوم الإثنين ، وكانت ثُوَيْبَةُ قد بَشَّرته بمولده ، فقالت له : أشَعَرْتَ أن آمِنَةَ وَلَدَتْ غُلاما لأخيك عبدِ الله ؟ فقال لها : اذهَبي ، فأنتِ حُرَّةٌ ،فنفعه ذلك[1] ، وهو فى النار كما نفع أخاه أبا طالب ذَبُّه عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فهو أهون أهلِ النار عذَابًا ، وقد تقدم فى باب أبى طالب أن هذا النَّفع إنما هو نُقصانٌ من العذابِ، وإلا فَعَمَلُ الكافر كلُّه مُحْبَطٌ بلا خِلافٍ ، أى : لا يجده[2] فى ميزانه ، ولا يدخل به جَنَّةً ، وقد كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يصل ثُوَيْبَةَ من المدينة ويُتْحِفُها ؛ لأنها كانت أرضعته ، وأرضعت عمَّه حمزةَ ، ولما افتتح مكة سأل عنها ، وعن ابن لها اسمه : مَسْرُوحٌ ، فأخبر أنهما قد ماتا[3] .

---

(١) هو لم يعتقها إلا بعد الهجرة ، وليس للمشرك عند الله عمل فكل عمله حابط . يقول سبحانه (ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ، ولتكونن من الخاسرين) الزمر : ٦٥ وقال : (ومن يكفر بالايمان ، فقد حبط عمله) المائدة : ٥ وقال (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها ، وهم فيها لا يبخسون . أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون) هود : ١٥ ١٦ هذه الآية تؤكد أن هؤلاء يوفون أعمالهم فى الدنيا ، أما فى الآخرة فليس لهم من جزاء إلا النار . والاستثناء هنا لا يدع شيئا من ظن أو توهم حول هذا . كما تؤكد أن ما صنعوا فى الدنيا حابط عند الله ، وأن ما عملوه كان باطلا .

(٢) إن نقصان العذاب ثواب ورحمة ، فكيف لا يجد شيئا فى ميزانه ، ثم ينال ثوابا ورحمة .

(٣) مات ابنها قبلها . ويقول الحافظ فى الإصابة : « ولم أقف فى شىء من الطرق على إسلام ابنها مسروح ، وهو محتمل »

. . . .

ضبيرة :

وذكر المُطَّلِبَ بنَ أبى وَدَاعَةَ بن ضُبَيْرَةَ ، وقد ذكر الخطابى عن العَنْبَرِىّ أنه يقال فيه : ضُبَيْرَة بالضاد المعجمة ، واسم أبى ضُبَيْرة : عَوْفٌ .

ابن الدخشم :

وذكر مالكَ، بن الدُّخْشُم [بن مِرْضَخةَ] ويقال فيه : الدُّخَيْش ، ويقال فيه : ابن الدُّخَيْش(١) ويقال : إنه الذى سارَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلٌ من الأنصار ، فلم يدر ماسارَّه به حتى جَهَر النبى صلى الله عليه وسلم ، فإذا هو يستأذنه فى قَتْلِه ، وهو فى حديث الموطأ ، والذى سارَّه هو عِتبانُ بنُ مالك(٢)، وقد برأ النبى صلى الله عليه وسلم مالكَ بنَ الدُّخْشُم من النفاق ، حيث قال : أليس يشهد أن لا إله إلا الله ؟ قالوا : بَلَى ، قال أليس يُصَلِّى ؟ قالوا : بَلَى ، فقال فى حديث الموطأ: أولئك الذين نهانى الله عنهم ، وقال

---

(١) جعله ابن دريد من الخزرج ، أما الحافظ فى الفتح ، فيقول إنه من بنى عوف بن عمرو بن عوف الأنصارى الأوسى .

ملحوظة : ذكر ابن هشام عن البيت الأخير من قصيدة الأسود الدالية أن فيه إقواء . قال أبو ذر الخشنى عن هذا : هو الذى سماه إكفاء أكثر الناس من أهل القوافى يسميه : إقواء ، والإقواء عندهم : اختلاف الحركات ، والإكفاء : اختلاف الحروف فى القوافى ، ص ١٦٣ .

(٢) عتبان بن مالك بن عمرو بن العجلان بن يزيد بن غنم بن سالم ابن عوف بن عمرو بن عوف بن عوف بن الخزرج الأنصارى الخزرجى السالمى وحديثه فى الصحيحين ، وأنه كان إمام قومه بنى سالم

رفع
المسهم
غفر الله له ولوالديه

في حديث مُسْلِم : فإن الله قد حرَّم على النارِ من قال لا إله إلَّا الله يبتغي بها وَجْهَ الله .

حول شعر مكرز :

وذكر مِكرز، وقد تقدم في اسم مِكْرَزٍ أنه يقال بكسر الميم وفتحها ، ولكن لا يُرْوَى في السيرة إلا بالكسر .

وقول مِكْرَز :

فَدَيْتُ بأذْوَادٍ ثِمَانٍ سِبَافَتِي

بكسر الثاء من ثِمَانٍ ، لأنه جمع ثمين ، مثل سَمِين وسمان[١] .

أبو العاص بن الربيع :

وذكر أبا العاصِ بن الرَّبيع بن عبد العُزَّى ، واسم أبي العاصي : لَقِيطٌ ، وقيل فيه : هاشم وقيل مِهْشَم[٢] ، وقيل هشَيم ، وهو الذي يقول في أهله زَيْنَبَ بنتِ رَسُولِ الله — صلى الله عليه وسلم — وكان بالشام تاجراً حين قالها :

---

(١) يقول الخشني : من رواه ثمان بكسر الثاء ، فمعناه ، غالية الثمن ، ومن رواه بفتح الثاء ، فهو من العدد ص ١٦٤ .

(٢) تقال بكسر الميم وسكون الهاء وفتح الشين ، أو بضم الميم وفتح الهاء وكسر الشين الثقيلة . وكان يلقب جرو البطحاء والأمين ، ومن أسمائه أيضاً : ياسر أو قاسم .

. . . .

ذكرت زينب لما يممت إضما(١) فقلت: سقيا لشخص يسكن الحرما

بنت الأمين جزاها الله صالحة وكل بعل سيثني بالذى علما

ولدت له زينبُ بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أُمامةَ وعليًا، مات عليٌ وهو صغير، وتزوج أُمامةَ عليُّ بن أبي طالب، وتزوجها بعده المغيرةُ بن نوفلٍ(٢)، وهى التى جاء فيها الحديثُ رواه عَمرو بن سليم الزُّرَقى عن أبى قتادةَ أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم كان يصلى، وهو حامل أُمامةَ بنت زينب الحديث(٣) قال عَمرو بن سليم: كانت تلك الصلاةُ صلاةَ الصبح، هكذا رواه [عبد الملك بن عبد العزيز] بن جُرَيج عن ابن عِتابٍ عن عَمرو ابن سليم، ورواه ابن إسحاق فى غير السِّيرة عن المَقبُرى عن عَمرو بن سليم، فقال فيه: فى إحدى صلاتى الظهر أو العصر، وكان الذى أسر أبا العاصى من الأنصار عبدُ الله بن جُبَير، ذكره غير ابن إسحاق، وكانت رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت عُتْبَة بن أبى لهب، وأمُّ كلثوم تحت عُتَيْبَة،

---

(١) يقول البكرى فى معجمه عن إضم: واد دون المدينة أو جبل لأشجع وجهينة أو واد لهم. وفى المراصد: ماء تطؤه الحاج بين مكة واليمامة عند السمينة، وقيل هو الوادى الذى فيه مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم الخ.

(٢) تزوجها على بعد موت خالتها فاطمة لوصية منها، وقد زوجها له الزبير، وتزوجها المغيرة بوصية من على ص ٢٠٥ ح ٢ السيرة الحلبية.

(٣) حديث صلاة الرسول «ص» وهو يحمل أمامة موجود فى الصحيحين وقد ماتت أمامة عند المغيرة، فليس لزينب عقب.

. . . .

فطلقاها بعزم أبيهما عليهما وأمهما حين(١) نزلت ﴿ تَبَّتْ يدا أبى لَهَبٍ ﴾ فأما عُتَيْبَة ، فدعا عليه النبى صلى الله عليه وسلم أن يُسَلِّط الله عليه كَلْباً من كلابه فافترسه الأسدُ من بين أصحابه ، وهم نِيام حَوْله ، وأما عُتْبَةُ ومُعَتِّب ابنا أبى لهب ، فأسلما ولهما عقب .

وقوله فى خبر هندٍ فلا تَضطَنِي منى . تَضطَنِي ، أى : لا تَنقَبِضى عنى وشاهدُه [قَوْلُ الطِّرِمَّاح بن حكيم] :

إذَاذُكِرَتْ مَسْعَاةُ والدِهِ اضْطَنَى ولا يَضْطَنِى من شَتْمِ أهلِ الفضَائِل(٢)

هكذا وجدته فى حاشية الشيخ ، وقد رُوى هذا البيت فى الحماسة : يَضَّنى بالضاد المعجمة ، وكأنه يفتعل من الضنى وهو الضعف .

---

(١) أنظر ص ٢٢ كتاب نسب قريش لمصعب الزبيرى .

(٢) البيت من قصيدة الطرماح بن حكيم أولها

لقد زادنى حبا لنفسى أننى بغيض إلى كل امرىء غير طائل
وإنى شقى باللئام ولا ترى شقيا بهم إلا كريم الشمائل

وهى فى الحماسة : يضطنى كما روى السهيلى البيت ، لا كما قال بعده . وقد شرح بما يأتى : اضطنى افتعل من الضنى أى أنه يضنى إذا ذكر صنيع والده لقبحه ومع هذا يشتم أهل الفضائل ولا يضنى منه . ويقول الخشنى فى شرح السيرة فى تفسير تضطنى : من رواه بالضاد والنون المخففة ، فمعناه : لا تختفى ولا تستحيى وأصله: الهمز ، يقال : اصطنأت المرأة : إذا استحيت ، فحذف الهمزة تخفيفا . ومن رواه : تظطنى فهو من ظننت التى بمعنى : اتهمت ؛ أى: لاتتهمنى ولاتسترب منى.

. . . .

اتباع قريش لزينب :

فصل : وذكر خروجَ زينبَ بنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من مكة ، واتباع قريش لها ، قال : وسبق إليها هَبَّارُ بن الأسْوَدِ والفِهْرِيُّ ، ولم يُسمِّ ابنُ إسحاق الفِهْرِيَّ ، وقال ابنُ هشام : هو نافع بن عَبْد قيس ، وفى غير السيرة أنه خالدُ بن عبد قيس ، هكذا ذكره البزار فيما بلغنى .

وذكر أن زَيْنَبَ حين رَوَّعها هَبَّارُ بن الأسود ألْقَتْ ذَا بَطْنها ، وزاد غير ابن إسحاق أنه نَخَسَ بها الراحلة فسقطت على صَخْرَةٍ ، وهى حامل فهلك جَنِينُها ، ولم تزل تُهْرِيقُ الدماء حتى ماتت بالمدينة بعد إسلام بَعْلِها أبى العاصى .

وذكر الزبير أن هَبَّارَ بن الأسْوَدِ لما أسلم وصحب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان المسلمون يَسُبُّونه بما فعل ، حتى شكا ذلك لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : سُبَّ من سَبَّكَ يا هَبَّار ، ، فكف الناسُ عن سَبِّه بعد. ولدت زَيْنَبُ [أمامة] وهى التى جاء فيها الحديث رواه عَمْرو بن السليم ابن خلدة بن مخلد بن عامر بن زريق الزُّرَقِىّ عن أبى قَتَادَة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يُصَلِّى وهو حاملٌ أُمَامَةَ بنتَ زينبَ الحديث . قال عَمْرو بن سليم إلى آخر ما تقدم قريباً .

تفسير قصيدة أبى خيثمة :

وذكر شعر ابن رَوَاحَة ، وقيل بل قالها أبو خيثَمَة ، وفيها :

على مَأْقِطٍ وبيننا عِطْرُ مَنْشَمِ

. . . .

المَأْقِط : مُعترك الحرب[1] ، وعِطْرُ مَنْشَم كناية عن شدة الحرب ، وهو مَثَلُ ، وأصله — فيما زعموا — أن مَنْشَم كانت امرأةً من خُزاعَةَ تبيع العطر والطيب ، فيُشترى منها للموتى ، حتى تَشاءَمُوا بها لذلك ، وقيل : إن قوما تحالفوا على الموتِ ، فغمسوا أيديهم فى طيب مَنْشَم المذكورةِ تأكيداً للحِلْفِ ، فضرب طيبُها مثلا فى شدة الحرب ، وقيل: مَنْشَمُ امرأة من غُدَانَةَ ، وهو بطن من تميم ، ثم من بنى يربوع بن حَنْظَلة وأن هذه المرأةَ هى صاحبةُ يَسارٍ الذى يقال له يَسار الكواعب ، وأنه كان عبداً لها ، وأنه راودها عن نفسها ، فقالت له : أمْهِلْ حتى أُشِمَّكَ طيبَ الحرائر ، فلما أمكنها من أنفه أنْحَتْ عليه بالموسى حتى أوْعَبَتْه[2] جَدْعًا ، فقيل فى المثل . لاقى الذى لاقى يَسارُ الكَواعِب ، فقيل : عِطر مَنْشَم[3]

---

(١) المأقط : الضيق فى الحرب ، وقال ابن سراج : المأقط : موضع الحرب غير مهموز من المقط وهو الضرب والخشنى ص ١٦٥ .

(٢) استأصلته .

(٣) اختلف الرواة فى لفظ هذا الإسم ومعناه واشتقاقه ، وفى سبب المثل فانه يقال : منشم بفتح الشين وكسرها ومشأم . وفى معناه قال أبو عمرو بن العلاء إن المنشم هو الشر بعينه ، وزعم غيره أنه شىء يكون فى سنبل العطر يسميه العطارون : قرون السنبل ، وهو سم ساعة ، وقيل إن المنشم ثمرة سوداء منتنة وقيل اسم امرأة ، وأما اشتقاق منشم فقالوا إنه اسم موضوع كسائر الأسماء الأعلام . وقيل هو اسم وفعل ، فأصله : من شم ، فحذفوا الياء الثانية وجعلوا الأولى حرف إعراب ، وقيل : هو من نشم فى كذا إذا بدأ فيه . وهناك اختلاف فى سبب المثل مذكور فى كتب الأمثال ، وقد تقدم فى الجزء الأول ذكر يسار .

رفع المسار هم

. . . .

وفى الشعر :

بذى حلَقٍ جَلْد الصَّلاصِل مُحكمَ

يعنى : الغُلّ ، والصَّلاصِل جمع : صَلْصَلَة ، وهى صَلْصلَةُ الحديد .

وذكر قول هند بنتِ عُتبَة لِفَلِّ قُرَيْش حين رجعوا من بدر .

أَفِى السِّلْمِ أعْياراً جَفَاء وغِلْظَةً وفى الحرب أشباهَ النساء العَوارِكِ[1]

يقال : عرَكَتْ المرأةُ ودَرَسَت وطَمَثتْ إذا حاضت ، وقد قيل أيضاً يقال : ضَحِكَتْ إذا حاضت ، وتأول عليه قوله تعالى ﴿ [وامرأته قائمة] فَضَحِكَتْ فَبَشَّرناها بإسْحَاقَ ﴾ وقد قيل أيضا : يقال : أكبَرَتِ المرأةُ إذا حاضت ، وحمل بعضُهم عليه قوله تعالى : ﴿ أَكْبَرْنَه وقَطَّعن أيديهُنّ ﴾ والهاء على هذا القول من أكبَرْنه عائدةٌ على المصدر ، وهو تأويلٌ ضعيف ، ونَصَبَ أعْيَاراً على الحال ، والعامل فيه فِعلٌ مُختَزَلٌ لأنه أقام الأعْيَار مقام اسم مشْتَقٍّ ، فكأنه قال : أفى السِّلم بُلدَاء جُفَاةً مثل الأعيَارِ ، ونصب جفاء وغِلْظةً نَصْبَ المصدرِ الموضوع مَوْضع الحال ، كما تقول : زيد الأسَدُ شِدّةً ، أى يماثله مماثلة شديدة ، فالشدةُ صفة للمُمَاثَلة ، كما أن المُشَافَهة صفة للمُكالمة ، إذا قلت : كَلَّمْتُه مُشافَهة فهذه حال من المصدر فى الحقيقة ، وتعلُّق حرفِ الجرِّ

---

(١) البيت من شواهد سيبويه فى الكتاب ، وأعيارا وأشباه النساء منصوبان عنده على المصدر ، أما عند السيرافى فنصوبان على الحال . والأعيار : جمع عير — بفتح العين الحمار أهليا كان أم وحشيا . والجفاء : الغلظة . والفل : القوم المنهزمون ، والاستفهام فى البيت التوبيخ .

رفع
المسهم
غفر الله له ولوالديه

. . . .

من قولها : أفى السِّلم ، بما أدَّته الأعيار من معنى الفعل ، فكأنها قالت : أفى السِّلم تَتَبَلَّدُون ، وهذا الفعل المختزَل الناصب للأعيار لايجوز إظهارُه للسر الذى نبهنا عليه فى قول المبرق [عبد الله بن الحارث] :

وَعائِذاً بك أن يعلوا فَيُطغُونِي

أنظره فى الهجرة إلى الحبشة .

رد زينب على زوجها :

وذكر عن داود بن الحُصَيْن عن عِكْرِمَةَ عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم ردَّ زينب على أبى العاصى على النكاح الأول ، لم يُحْدث شيئاً بعد ستِّ سنين ، ويعارض هذا الحديثَ ما رواه عَمْرو بن شُعَيْب عن أبيه عن جده ، أن النبى صلى الله عليه وسلم ردها عليه بنكاح جديدٍ ، وهذا الحديث هو الذى عليه العملُ ، وإن كان حديثُ داود بن الحُصَيْن أصحَّ إسناداً عند أهل الحديث ولكن لم يَقُلْ به أحدٌ من الفقهاء فيما علمت لأن الإسلام قد كان فرق بينهما ، قال الله تعالى : ﴿ لا هُنَّ حِلٌّ لهم ، ولا هم يَحِلُّون لهن ﴾ ومَنْ جَمع بين الحديثين قال فى حديث ابن عباس : معنى ردها عليه على النكاح الأول ، أى : على مثل النكاح الأول ، فى الصداق والحباء لم يُحْدث زيادة على ذلك من شرط ، ولا غيره .

شعر بلال فى مقتل أمية :

وذكر قتل بلالٍ لأُمَيَّة بن خلف ولم يذكر شعره فى ذلك ، وذكره ابن إسحاق فى غير هذه الرواية وهو :

فلما التقيْنَا لم نُكذِّب بحَمْلَةٍ   عليهم بأسيافٍ لنا كالعقائقِ
ومَطرُورةٍ حُمْرُ الظُّباةِ كأنها   إذا رُفِعتْ أشطانُ ذاتِ الأبارقِ
بنى جُمَح قد حلَّ قعْصٌ بشيخكم   على ماءِ بَدْرٍ رأسِ كلِّ مُنافِقِ
هَجَمْنا عليه الموتَ واشتَجرَتْ به   مَصَاليتُ الأنصارِ غيرُ زَوَاهِقِ
هَوَى حين لاقانا وفُرِّقَ جَمْعُه   على وَجْهِه فى النار مِنْ رأسِ حالِقِ

وذكر الزبير فى هذا الخبر عن ابن سلام عن حمّاد بن سَلَمة أن أميةَ حين أحاطت به الأنصار ، قال : يا أحَدٌ رأى ، أمالَكُمْ باللَّبن حاجَةٌ ؟ قال : وكان أميَّةُ يُذكَر بفصاحته ، ومعنى هذا الكلام : هل رأى أحَدٌ مثل هذا ، ثم قرن الزبير هذا الحديث بحديث أسنده عن مُقاتِلِ بن سُليمان ، قال : قال النَّضرُ بن الحارث حين نزلت ﴿قل : إنْ كان للرَّحْمٰنِ وَلَدٌ فأنا أول العابدين﴾ الزخرف : ٨١ الآية ، وكان النضر قد قال : الملائكة بناتُ الرَّحْمٰنِ ، فلما سَمِع الآية قال ألا تَرَاه قد صَدَّقنى ، فقال له أميةُ بن خلف — وكان أفصح منه — لا والله ، بل كَذَّبك ، فقال : ما كان للرحمن من ولد ، وروى عن ثعلب أنه قال فى قول أمية ، يا أحَدَ : ياالستِفتَاحُ ، ومعناه يا هؤلاء أحدٌ راءٍ .

رفع المسـاهم

إسلام عمير بن وهب

صفوان يحرضه على قتل الرسول

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بنُ جَعْفر بن الزُّبير ، عن عُروة بن الزُّبير قال : جلس عُمير بن وهب الجُمحى مع صَفوان بن أُميَّة بعد مُصاب أهل بدر من قُريش فى الحِجْر بيَسير ، وكان عُمَيْر بن وَهْب شيطانا من شياطين قُريش ، وممَّن كان يُؤْذى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وأصحابَه ، ويَلقون منه عَنَاء وهو بمكة ، وكان ابنُه وَهْب بن عُمير فى أُسارى بدر .

قال ابن هشام : أسره رفاعة بن رافع أحد بنى زُرَيق .

قال ابن إسحاق : حدثنى محمد بن جَعْفر بن الزُّبير ، عن عُروة بن الزُّبير ، قال : فذكر أصحابَ القَليب ومُصابهم ، فقال صفوان : والله إنْ فى العيش بعدهم خير ؛ قال له عُمير : صدقت والله ، أمَا والله لولا دَيْنٌ علىَّ ليس له عندى قضاء وعيالٌ أخشى عليهم الضَّيعةَ بعدى ، لركبتُ إلى محمد حتى أقتلَه ؛ فانَّ لى قبلهم عِلَّةً : ابنى أسيرٌ فى أيديهم ؛ قال : فاغتنمَها صفوان وقال : علىَّ دينُك ، أنا أقضيه عنك ، وعيالُك مع عيالى أُواسيهم ما بَقُوا ، لا يَسَعنى شىء ويعجز عنهم ؛ فقال له عُمير : فاكْتُم شأنى وشأنك ؛ قال : أفعل .

رؤية عمر له وإخباره الرسول بأمره

قال : ثم أمر عُميرٌ بسَيْفه ، فشُحِذ له وسُمَّ ، ثم انطلق حتى قدِم المدينَة ؛

فبينا عمرُ بن الخطَّاب فى نَفر من المُسلمين يتحدّثون عن يوم بدر ، ويذكرون ما أكرمهم الله به ، وما أراهم من عدوّهم ، إذ نظر عمرُ إلى عُمير بن وهب حين أناخ على باب المسجد متوشِّحا السَّيف ، فقال : هذا الكلب عدوّ الله عُمير ابن وهب ، والله ماجاء إلا لشرّ ، وهو الذى حرّش بيننا ، وحَزَرنا للقوم يوم بدر .

ثم دخل عُمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يانبيّ الله ، هذا عدوُّ الله عمير بن وهب قد جاء متوشّحا سيفَه ؛ قال : فأدْخله علىّ ، قال : فأقبل عُمر حتى أخذ بحِمالة سيفه فى عُنقه فلبَّبه بها ، وقال لرجال ممّن كانوا معه من الأنصار : ادخُلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجلسوا عنده ، واحذروا عليه من هذا الخبيث ، فانه غيرُ مأمون ؛ ثم دخل به على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الرسول يحدثه عما بينه هو وصفوان فيسلم

فلما رآه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وعمرُ آخذٌ بحمالة سَيْفه فى عُنقه ، قال : أرْسله ياعمر ، ادْنُ يا عُمير ؛ فدنا ثم قال : إنعَموا صباحا ، وكانت تحية أهل الجاهليَّة بينهم ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيَّتك يا عُمير ، بالسَّلام : تحيَّة أهل الجنَّة : فقال : أما والله يامحمد إنْ كنتُ بها لحديث عهد ؛ قال : فما جاء بك ياعُمير ؟ قال : جئت لهذا الأسير الذى فى أيْديكم فأحسِنوا فيه ؛ قال فما بالُ السيف فى عُنقك ؟ قال : قبّحها الله من سُيوف ، وهل أغنت عنَّا شيئا ؟ قال : اصْدُقنى ، ما الذى جئتَ له ؟

قال : ماجئتُ إلا لذلك ، قال : بل قعدتَ أنت وصفوان بن أُميّة فى الحِجْر ، فذكرتما أصحابَ القَليب من قُريش ، ثم قلت : لولا دَينٌ علىّ وعيالٌ عندى لخرجتُ حتى أقتل محمداً ، فتحمَّل لك صفوان بدَيْنك وعيالك ، على أن تقتلنى له ، والله حائلٌ بينك وبين ذلك ؛ قال عُمير : أشهد أنك رسولُ الله ، وقد كنَّا يارسول الله نُكذّبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء ، وما يَنزل عليك من الوحى ، وهذا أمرٌ لم يحضُره إلا أنا وصفْوان ، فوالله إنى لأعلم ما أتاك به إلا الله ، فالحمد لله الذى هدانى للإسلام ، وساقنى هذا المَساق ؛ ثم شهِد شهادة الحقّ . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : فقِّهوا أخاكم فى دينه وأقرِئوه القرآن ، وأطلِقوا له أسيرَه ، ففَعلوا .

رجوعه إلى مكة يدعو للإسلام

ثم قال : يارسول الله ، إنى كنت جاهداً على إطفاء نور الله ، شديد الأذَى لمن كان على دين الله عزّ وجلّ ، وأنا أحبّ أن تأذن لى ، فأقدَم مكة ، فأدعوهم إلى الله تعالى ، وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم ، وإلى الإسلام ، لعلّ الله يهديهم ، وإلا آذيتُهم فى دينهم كما كنت أوذِى أصحابك فى دينهم؟ قال : فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلَحِق بمكة . وكان صفوانُ ابن أميَّة حين خرج عُمير بن وهب ، يقول : أبْشروا بوَقْعة تأتيكم الآن فى أيام ، تُنْسيكم وقعةَ بدر ، وكان صفوانُ يسأل عنه الرُّكْبان ، حتى قَدم راكبٌ فأخبره عن إسلامه ، فحَلَف أن لا يكلِّمه أبداً ، ولا يَنْفعه بنفع أبداً .

قال ابن إسحاق : فلما قدم عمير مكة ، أقام بها يَدْعو إلى الإسلام ،

ويؤذى مَنْ خالفه أذًى شديداً ، فأسلم على يديه ناسٌ كثير .

هو أو ابن هشام الذى رأى إبليس . وما نزل فيه

قال ابن إسحاق : وعُمير بن وَهْب ، أو الحارث بن هشام ، قد ذُكر لى أحدهما ، الذى رأى إبليسَ حين نَكَص على عقبيه يوم بدر ، فقال : أينَ ، أىْ سُراق ؟ ومثَلَ عدوُّ الله فذهب ، فأنزل الله تعالى فيه . ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ وَقالَ لاغالبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ ، وإنى جارٌ لَكُمْ ﴾. فذكر استدراج إبليس إياهم ، وتَشَبُّهه بسُراقة بن مالك بن جُعْشم لهم ، حين ذكروا مابينهم وبين بَنى بَكْر بن عبد مَناة بن كنانة فى الحرب التى كانت بينهم . يقول الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا تَراءَتِ الْفِئَتانِ ﴾ ونظر عدوّ الله إلى جنود الله من الملائكة ، قد أيد الله بهم رسولَه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على عدوّهم ﴿ نَكَصَ على عَقِبَيْهِ وَقالَ إِنِّى بَرِىءٌ مِنْكُمْ إِنِّى أَرَى ما لاتَرَوْنَ ﴾ . وصدق عدوّ الله ، رأى مالم يَرَوْا ، وقال : ﴿ إِنِّى أَخافُ اللهَ ، وَاللهُ شَدِيدُ الْعِقابِ ﴾ . فذُكِر لى أنهم كانوا يَرَوْنه فى كلّ منزل فى صُورة سُراقة لايُنكرونه ، حتى إذا كان يوم بدر ، والتقى الجمعان نكص على عقبيه ، فأوردهم ثم أسلمهم.

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : نكص : رجع . قال أوْس بن حَجَر ، أحد بنى أُسيد ابن عَمْرو بن تميم :

نَكَصْتُمْ على أعقابكم يومَ جئتُمُ ... تُزَجُّون أنفالَ الخميس العَرمْرَمِ

وهذا البيت فى قصيدة له .

شعر لحسان فى الفخر بقومه وما كان من تغرير إبليس بقريش

قال ابن إسحاق : وقال حسَّان بن ثابت :

قَوْمى الذين هُمْ آوَوْا نبيَّهمُ ... وصدَّقوه وأهلُ الأرض كُفَّارُ
إلا خَصائصَ أقوام هُمُ سَلَفٌ ... للصالحين مع الأنصار أنصار
مُستبشرين بقَسْمِ الله قولُهم ... لمَّا أتاهُمْ كريمُ الأصل مُختار
أهلاً وسهلاً ففى أمْنٍ وفى سَعَة ... نِعْم النَّبىُّ ونِعْم القَسْم والجار
فأنزلوه بدار لا يُخاف بها ... من كان جارَهم داراً هى الدَّار
وقاسموه بها الأموال إذ قدموا ... مهاجرين وقَسْمُ الجاحدِ النَّار
سِرْنا وساروا إلى بَدْر لحَيْنِهمُ ... لو يعلمون يَقينَ العِلم ما ساروا
دلاَّهُمُ بغُرُورٍ ثم أسْلمهم ... إنَّ الخبيث لمن والاهُ غَرَّار
وقال إنى لكم جارٌ فأوْرَدَهم ... شرَّ الموارد فيه الخزْى والعار
ثم التقينا فولَّوْا عن سَراتِهمُ ... من مُنْجدين ومنهم فِرْقة غارُوا

قال ابن هشام : أنشدنى قوله « لما أتاهم كريم الأصل مختار » أبو زيد الأنصارى .

المطعمون من قريش

من بنى هاشم

قال ابن إسحاق : وكان المُطْعِمون ، من قُرَيش ، ثم من بَنى هاشم بن عبد مناف : العباس بن عبد المطلب بن هاشم .

من بنى عبد شمس

ومن بنى عَبْد شَمْس بن عبد مناف : عُتبة بن رَبيعة بن عَبْد شَمْس .

من بنى نوفل

ومن بنى نَوْفل بن عبد مناف : الحارث بن عامر بن نَوْفل ، وطُعَيمة ابن عَدِىّ بن نوفل ، يعتقبان ذلك .

من بنى أسد

ومن بنى أسَد بن عبد العُزَى : أبا البَخْتَرىَ بن هشام بن الحارث بن أسَد ، وحَكيم بن حزام بن خُوَيلد بن أسد ، يَعْتقبان ذلك .

من بنى عبد الدار

ومن بنى عبد الدّار بن قُصَىّ : النُضْر بن الحارث بن كَلَدة بن عَلْقمة ابن عبد مناف بن عبد الدار .

رفع المسهم

نسب النضر

قال ابن هشام : ويقال : النضر بنُ الحارث بنِ عَلْقمة بن كَلَدة بن عبد مناف بن عبد الدار .

من بنى مخزوم

قال ابن إسحاق : ومن بنى مخزوم بن يَقَظة : أبا جهل بن هشام بن المُغيرة بن عبد الله بن عمر بن مَخْزوم .

من بنى جمح

ومن بنى جُمح : أُميَّةَ بنَ خَلَف بنِ وهب بن حُذافة بن جُمح .

من بنى سهم

ومن بنى سَهم بن عمرو : نُبَيها ومُنَبِّها ابنى الحجَّاج بن عامر بن حُذيفة ابن سَعد بن سَهم ، يَعْتقبان ذلك .

من بنى عامر

ومن بنى عامر بن لؤىّ : سُهَيل بن عمرو بن عَبد شمس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر .

أسماء خيل المسلمين يوم بدر

قال ابن هشام : وحدثنى بعضُ أهل العلم : أنَّه كان مع المُسلمين يوم بدر من الخيْل ، فَرَس مَرْثَد بن أبى مَرْثد الغَنوىّ ، وكان يقال له : السَّبَل ؛

وفرس المِقْداد بن عمرو البَهْرانى ، وكان يقال له : بَعْزجة ، ويقال : سَبْحة ؛ وفرس الزبير بن العوّام ، وكان يقال له : اليَعْسوب .

خيل المشركين

قال ابن هشام : ومع المشركين مائة فرس .

نزول سورة الأنفال

ما نزل فى تقسيم الأنفال

قال ابن إسحاق . فلما انقضى أمرُ بدر ، أنزل الله عزّ وجلّ فيه من القرآن الأنفال بأسرها ، فكان مما نَزَل منها فى اختلافهم فى النَّفل حين اختلفوا فيه ﴿ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الأنفَالِ ، قُلِ الأنفالُ لِلهِ والرَّسُولِ ، فاتَّقُوا اللهَ وأصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ، وأطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِين ﴾ .

فكان عُبادة بن الصَّامت — فيما بلغنى — إذا سُئل عن الأنفال ، قال : فينا معشرَ أهل بدر نزلت ، حين اختلفنا فى النَّفل يوم بدر ، فانتزعه الله من أيدينا حين ساءت فيه أخلاقُنا ؛ فردّه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقسَمه بيننا عن بَواء — يقول : على السواء — وكان فى ذلك تقوى الله وطاعته ، وطاعةُ رسوله صلى الله عليه وسلم ، وصلاحُ ذات البين .

ما نزل فى خروج القوم مع الرسول لملاقاة قريش

ثم ذكر القومَ ومسيرَهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين عرف

القومُ أنّ قريشاً قد ساروا إليهم، وإنما خرجوا يُريدون العِير طمعاً فى الغَنيمة،- فقال: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ، وَإِنَّ فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ * يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾: أى كراهية للقاء القوم، وإنكاراً لمسير قُريش، حين ذكروا لهم ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ، وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾: أى الغنيمة دون الحرب ﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ، وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾: أى بالوَقعة التى أوْقع بصَناديد قريش وقادتهم يومَ بدر ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ أى لدعائهم حين نظروا إلى كَثْرة عدوّهم، وقلّة عددهم ﴿فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ بدعاء رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ودعائكم ﴿أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ * ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ﴾: أى أنزلت عليكم الأَمَنة حين نمتم لا تخافون ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ للمطر الذى أصابهم تلك الليلة، فحَبَس المشركين أن يَسْبقوا إلى الماء، وخلّى سبيل المسلمين إليه ﴿لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ، وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾: أى ليذهب عنكم شكّ الشيطان، لتخويفه إياهم عدوّهم، واستجلاد الأرض لهم، حتى انتهوا إلى منزلهم الذى سَبقوا إليه عدوّهم.

ما نزل فى تبشير المسلمين بالمساعدة والنصر، وتحريضهم

ثم قال تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ

آمنوا ﴾ : أى آزروا الذين آمنوا ﴿ سَأُلْقِى فى قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ ، فاضْرِبُوا فَوْقَ الأعْناقِ ، وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنانٍ * ذلكَ بِأَنَّهُمْ شاقُّوا اللهَ وَرَسُولَهُ ، وَمَنْ يُشاقِقِ اللهَ وَرَسُولَهُ فإنَّ اللهَ شَدِيدُ العِقابِ ﴾ ، ثم قال: ﴿ يأيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفاً فَلا تُوَلُّوهُمُ الأدْبارَ * وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إلاَّ مُتَحَرِّفاً لِقِتالٍ أوْ مُتَحَيِّزاً إلى فِئَةٍ ، فَقَدْ باءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ ، ومَأْواهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ المَصِيرُ ﴾ : أى تحريضاً لهم على عدوّهم لئلا ينكلوا عنهم إذا لقوهم ، وقد وعدهم الله فيهم ما وعدهم .

ما نزل فى رمى الرسول للمشركين بالحصباء

ثم قال تعالى فى رَمْى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم إياهم بالحَصْباء من يده ، حين رماهم : ﴿ وَما رَمَيْتَ إذْ رَمَيْتَ وَلكِنَّ اللهَ رَمى ﴾ : أى لم يكن ذلك برميتك ، لولا الذى جعل الله فيها من نصرك ، وما ألقى فى صدور عدوّك منها حين هزمهم الله ﴿ وَلِيُبْلِيَ المُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاءً حَسَناً ﴾ : أى ليُعرّف المؤمنين من نعمته عليهم فى إظهارهم على عدوّهم ، وقلّة عددهم ، ليعرفوا بذلك حقّه ، ويشكروا بذلك نعمته.

ما نزل فى الاستفتاح

ثم قال : ﴿ إنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جاءَكُمُ الفَتْحُ ﴾ : أى لقولِ أبى جهل : اللهمّ أقطعُنا للرحمِ ، وآتانا بما لا يُعرف ، فأحِنْه الغداة . والاستفتاح : الإنصاف فى الدعاء .

يقول الله جلّ ثناؤه : ﴿ وَإِنْ تَنْتَهُوا ﴾ : أى لقريش ﴿ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ ﴾ : أى بمثل الوقعة التى أصبناكم بها يوم بدر : ﴿ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَإِنَّ اللهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ : أى أن عددَكم وكثرتكم فى أنفسكم لن تُغنى عنكم شيئاً ، وإنى مع المؤمنين ، أنصرهم على من خالفهم .

ما نزل فى حض المسلمين على طاعة الرسول

ثم قال تعالى : ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ ، وَلا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴾ : أى لا تخالفوا أمره وأنتم تسمعون لقوله ، وتزعمون أنكم منه ، ﴿ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لا يَسْمَعُونَ ﴾ : أى كالمنافقين الذين يُظهرون له الطاعة ، ويُسرّون له المعصية ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ ﴾ : أى المنافقون الذين نهيتكم أن تكونوا مثلهم ، بُكْمٌ عن الخير ، صُمّ عن الحقّ ، لا يعقلون : لا يعرفون ما عليهم فى ذلك من النِّقمة والتَّباعة ﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ ﴾ ، أى لأنفذ لهم الذى قالوا بألسنتهم ، ولكنّ القلوب خالفت ذلك منهم ، ولو خرجوا معكم ﴿ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ ما وفوا لكم بشىء مما خرجوا عليه . ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذا دَعاكُمْ لِما يُحْيِيكُمْ ﴾ : أى للحرب التى أعزّكم الله بها بعد الذلّ ، وقوّاكم بها بعد الضعف ، ومنعكم بها من عدوّكم بعد القهر منهم لكم ، ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ ، فَآوَاكُمْ

وأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ ، وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاتَخُونُوا اللهَ والرَّسُولَ وتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ أى لاتظهروا له من الحقّ مايرضى به منكم ، ثم تخالفوه فى السر إلى غيره ، فان ذلك هلاكٌ لأماناتكم ، وخيانةٌ لأنفسكم . ﴿ ياأيها الَّذِينَ آمَنُوا إنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً ، ويُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ، وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ ذو الفَضْلِ العَظِيمِ ﴾ : أى فصلا بين الحقّ والباطل ، ليُظهر الله به حقّكم ، ويُطفىء به باطِلَ من خالفكم .

ما نزل فى ذكر نعمة الله على الرسول

ثم ذكَّر رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بنعمته عليه ، حين مكر به القومُ لِيَقْتُلُوهُ أوْ يُثْبِتُوهُ أوْ يُخْرِجُوهُ ﴿ وَيَمْكُرُونَ ويَمْكُرُ اللهُ ، وَاللهُ خَيْرُ المَاكِرِينَ ﴾ : أى فمكرتُ بهم بكيدى المتين حتى خلّصتك منهم .

ما نزل فى غرة قريش واستفتاحهم

ثم ذكر غِرَّةَ قُريش واستفتاحَهم على أنفسهم ، إذ قالوا : ﴿ اللَّهُمَّ إنْ كانَ هَذَا هُوَ الحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ ﴾ أى ماجاء به محمد ﴿ فَأَمْطِرْ عَلَيْنا حِجارَةً مِنَ السَّماءِ ﴾ كما أمطرتها على قوم لوط ﴿ أو ائْتِنا بِعَذابٍ أَلِيمٍ ﴾ أى بعض ماعذّبت به الأمم قبلنا ، وكانوا يقولون : إن الله لايعذّبنا ونحن نستغفره ، ولم يعذّب أمةً ونبيُّها معها حتى يُخرجه عنها . وذلك من قولهم ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم ، فقال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ، يذكر جهالتهم وغرّتهم واستفتاحهم على أنفسهم ، حين نعى سوء أعمالهم :

﴿ وَما كانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وأَنْتَ فِيهِمْ ، وَما كانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ أى لقولهم : إنا نستغفر ومحمدٌ بين أظهرنا ، ثم قال ﴿ ومالَهمْ ألاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللهُ ﴾ وإن كنتَ بين أظهرهم ، وإن كانوا يَستغفرون كما يقولون ﴿ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ المَسْجِدِ الحَرامِ ﴾ : أى من آمن بالله وعَبده : أى أنت ومن اتبعك ، ﴿ وما كانُوا أولياءَه إنْ أَوْلِياؤُهُ إلاَّ المُتَّقُونَ ﴾ الذين يُحرّمون حُرمته ويُقيمون الصلاة عنده : أى أنت ومن آمن بك ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمونَ * وَما كانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ البَيْتِ ﴾ التى يزعمون أنه يُدْفع بها عنهم ﴿ إلاَّ مُكاءً وَتَصْدِيَةً ﴾ .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : المكاء : الصفير . والتصدية : التصفيق . قال عنترة بن عمرو (ابن شدّاد) العَبْسى :

ولرُبَّ قِرْنٍ قد تركتُ مجدَّلاً تَمْكُو فريصتُه كشِدْقِ الأعْلَمِ

يعنى : صوتَ خروج الدم من الطَّعنة ، كأنه الصفير . وهذا البيت فى قصيدة له . وقال الطِّرِمّاح بن حَكيم الطائى :

لها كلَّما رِيعتْ صَداةٌ وركْدةٌ بمُصْدانَ أعلَى ابنَى شمامِ البَوائنِ

وهذا البيت فى قصيدة له . يعنى الأُرْوِيَّةَ ، يقول : إذا فزعت قرعت بيدها الصَّفاةَ ثم ركدت تَسمع صَدى قَرْعِها بيدها الصَّفاة مثلُ التَّصفيق . والمُصدان : الحِرْز . وابنا شمام : جبلان .

قال ابن إسحاق : وذلك ما لا يُرْضى الله عزّ وجلّ ولا يحبّه ، ولا ما افترض عليهم ، ولا ما أمرهم به ﴿ فَذُوقُوا العَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ : أي لما أوقع بهم يوم بدر من القتل .

المدة بين (يا أيها المزمل) وبدر

قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزُّبير ، عن أبيه عبّاد ، عن عائشة قالت : ما كان بين نُزول : ﴿ يا أَيُّها المُزَّمِّلُ ﴾ ، وقول الله تعالى فيها : ﴿ وَذَرْنِي والمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً * إنَّ لَدَيْنا أَنْكالاً وجَحِيما . وطَعاماً ذا غُصَّةٍ وَعَذاباً أَلِيما ﴾ إلا يسير ، حتى أصاب الله قُرَيشاً بالوَقْعة يوم بدر .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : الأنكال : القيود ؛ واحدها : نِكْل . قال رؤبة بن العجاج :

يَكفيك نِكْلِي بغْيَ كلّ نِكْلِ

وهذا البيت في أرجوزة له .

ما نزل فيمن عاونوا أبا سفيان

قال ابن إسحاق : ثم قال الله عزّ وجلّ : ﴿ إنَّ الَّذِين كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ فَسَيُنْفِقُونَها ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إلى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ يعني النفر الذين مَشَوْا

إلى أبى سفيان ، وإلى من كان له مالٌ من قريش فى تلك التجارة ، فسألوهم أنْ يُقوّوهم بها على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففعلوا .

ثم قال : ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا ﴾ لحربك ﴿ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴾ أى من قُتل منهم يوم بَدْر .

الأمر بقتال الكفار

ثم قال تعالى ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ : أى حتى لا يُفتن مؤمن عن دينه ، ويكون التوحيد لله خالصاً ليس له فيه شريك ، ويُخلَع مادونه من الأنداد ﴿ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * وَإِنْ تَوَلَّوْا ﴾ عن أمرك إلى ماهم عليه من كفرهم ﴿ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ ﴾ الذى أعزّكم ونصركم عليهم يوم بَدْر فى كثرة عددهم وقلة عددكم ﴿ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ .

ما نزل فى تقسيم الفىء

ثم أعلمهم مقاسم الفىء وحُكْمَه فيه ، حين أحلّه لهم ، فقال ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ أى يوم فرقتُ فيه بين الحقّ والباطل بقُدرتى يوم التقى الجمعان منكم ومنهم ﴿ إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ

الدُّنيا ﴾ من الوادى ﴿ وَهُمْ بِالعُدْوَةِ القُصْوَى ﴾ من الوادى إلى مكة ﴿ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ﴾ : أى عِير أبى سُفيان التى خرجتم لتأخذوها وخرجوا ليَمْنعوها عن غير مِيعاد منكم ولا منهم ﴿ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ ﴾ أى ولو كان ذلك عن ميعاد منكم ومنهم ثم بلغكم كثرةُ عددهم، وقلةُ عددكم ما لَقِيتموهم ﴿ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾ أى ليقضى ما أراد بقُدرته من إعزاز الإسلام وأهله وإذلال الكفر وأهله عن غير بَلاء منكم، ففعل ما أراد من ذلك بلُطْفه، ثم قال ﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ، وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ، وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ أى ليكفر من كفر بعد الحجَّة لما رأى من الآية والعِبْرة، ويُؤْمنَ من آمن على مثل ذلك.

ما نزل فى لطف الله بالرسول

ثم ذكر لُطْفَه به وكَيْدَه له، ثم قال : ﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا، وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾، فكان ما أراك من ذلك نعمةً من نعمه عليهم، شجَّعهم بها على عدوّهم، وكفَّ بها عنهم ما تُخُوِّف عليهم من ضَعْفهم، لعلمه بما فيهم.

قال ابن هشام : تُخُوِّف : مبدلة من كلمة ذكرها ابن إسحاق ولم أذكرها.

﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾ : أى ليؤلِّف بينهم على الحرب للنِّقمة ممن أراد الانتقام منه، والإنعام على مَن أراد إتمام النِّعمة عليه، من أهل ولايته.

ما نزل فى وعظ المسلمين وتعليمهم خطط الحرب

ثم وعظهم وفهّمهم وأعلمهم الذى ينبغى لهم أن يسيروا به فى حربهم ، فقال تعالى : ﴿ ياأيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً ﴾ تقاتلونهم فى سبيل الله عزّ وجلّ ﴿ فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيراً ﴾ الذى له بذلتم أنفسكم ، والوفاء له بما أعطيتموه من بيعتكم ﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا ﴾ : أى لا تختلفوا فيتفرّق أمركم ﴿ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ أى وتذهب حدّتكم ﴿ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ أى إنى معكم إذا فعلتم ذلك ﴿ وَلا تَكُونُوا كالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيارِهِمْ بَطَراً وَرِئاءَ النَّاسِ ﴾ : أى لا تكونوا كأبى جهل وأصحابه ، الذين قالوا : لا نرجع حتى نأتى بدراً فننحر بها الجُزُرَ وتُسقَى بها الخمر ، وتعزف علينا فيها القِيانُ ، وتَسمعُ العربُ : أى لا يكون أمرُكم رِياء ، ولا سُمْعة ، ولا التماسَ ما عند الناس وأخلِصوا لله النيّة والحِسْبة فى نَصْر دينكم ، وموازرة نبيّكم ، لا تعملوا إلا لذلك ولا تطلبوا غيره .

ثم قال تعالى : ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ وَقالَ لا غالِبَ لَكُمُ اليَوْمَ مِنَ النَّاسِ ، وَإِنِّى جارٌ لَكُمْ ﴾ .

قال ابن هشام : وقد مضى تفسير هذه الآية .

قال ابن إسحاق : ثم ذكر الله تعالى أهلَ الكفر ، وما يَلقون عند موتهم ، ووَصَفهم بصِفتهم ، وأخبر نبيَّه صلى الله عليه وسلم عنهم ، حتى انتهى

إلى أن قال ﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ أى فنكل بهم من وراءهم لعلهم يعقلون ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ ، وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ : أى لا يضيع لكم عند الله أجره فى الآخرة ، وعاجل خلفه فى الدنيا . ثم قال تعالى : ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا ﴾ : أى إن دعوك إلى السلم على الإسلام فصالحهم عليه ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ ﴾ إن الله كافيك ﴿ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : جنحوا للسلم : مالوا إليك للسلم . الجنوح : الميل . قال لبيد بن ربيعة :

جُنوحُ الهالِكِيِّ على يَدَيْه مُكِبًّا يجتلى نُقَبَ النِّصالِ

وهذا البيت فى قصيدة له . والسلم أيضا : الصلح ، وفى كتاب الله عز وجل : ﴿ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ ﴾ ، ويقرأ ﴿ إلى السِّلْمِ ﴾ ، وهو ذلك المعنى . قال زهير بن أبى سلمى :

وقد قُلْتما إن نُدْرِك السِّلْم واسعًا بمالٍ ومَعْروف من القَوْل نَسْلَمِ

وهذا البيت فى قصيدة له .

قال ابن هشام : وبلغنى عن الحسن بن أبى الحسن البصرى ، أنه كان

يقول : ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ ﴾ للإسلام . وفي كتاب الله تعالى : ﴿ يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً ﴾ ويقرأ ﴿ في السَّلْمِ ﴾ ، وهو الإسلام .
قال أميّة بن أبي الصَّلْت :

فمَا أنابُوا لسَلْمٍ حين تُنْذِرهم رُسْلُ الإله وما كانوا له عَضُدًا

وهذا البيتُ في قصيدة له . وتقول العربُ لدَلْو تُعمل مُستطيلة : السَّلْم .
قال طَرَفة بن العَبْد ، أحدُ بني قَيْس بن ثعلبة ، يصف ناقةً له :

لهَا مِرفقان أفتَــلان كأنما تَمُرّ بسَلْمَيْ دَالِجٍ مُتَشَدِّدِ

وهذا البيت في قصيدة له .

﴿ وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللهُ ﴾ هو من وراء ذلك . ﴿ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ ﴾ بعد الضعف ﴿ وَبِالْمُؤْمِنِينَ وأَلَّفَ بينَ قُلُوبِهِمْ ﴾ على الهدى الذي بعثك الله به إليهم ﴿ لَوْ أَنْفَقْتَ مافي الأَرْضِ جَمِيعاً ما أَلَّفْتَ بينَ قُلُوبِهِمْ ، وَلَـكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ﴾ بدينه الذي جمعهم عليه ﴿ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

ثم قال تعالى ﴿ يا أيُّها النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * يا أيُّها النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ ، إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مائَتَيْنِ ، وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ ﴾ : أي لا يُقاتلون على نيّة ولا حقّ ولا معرفة بخير ولا شر .

قال ابن إسحاق : حدثنى عبد الله بن أبى نجيح عن عَطاء بن أبى رَباح ، عن عبد الله بن عباس قال : لمّا نزلت هذه الآية اشتدّ على المسلمين ، وأعظموا أن يُقاتل عشرون مائتين ، ومائة ألفاً ، فخفّف الله عنهم ، فنَسَخها الآية الأخرى ، فقال : ﴿ الآنَ خَفَّفَ اللهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً ، فإنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مائَةٌ صابِرَةٌ يَغْلِبُوا مائَتَيْنِ ، وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبوا أَلْفَيْنِ بإِذْنِ اللهِ ، وَاللهُ مَعَ الصابِرِينَ ﴾ . قال : فكانوا إذا كانوا على الشَّطر من عدوّهم لم يَنْبَغ لهم أن يفرّوا منهم ، وإذا كانوا دون ذلك لم يجب عليهم قتالُهم وجاز لهم أن يتحوّزوا عنهم .

ما نزل فى الأسارى والمغانم

قال ابن إسحاق : ثم عاتَبه الله تعالى فى الأسارى ، وأخذ المَغانم ، ولم يكن أحد قبلَه من الأنبياء يأ كلُ مَغْنما من عدوّ له .

قال ابن إسحاق : حدثنى محمد أبو جعفر بن علىّ بن الُحسين ، قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : نُصِرْت بالرُّعب ، وجُعِلَتْ لى الأرضُ مسجداً وطهوراً ، وأُعطيتُ جوامع الكَلِم ، وأُحِلّت لى المغانم ولم تُحْلل لنبىّ كان قبلى ، وأُعطيتُ الشّفاعة ، خمس لم يُؤْتهنّ نبى قبلى .

قال ابن إسحاق : فقال : (ما كان لِنَبِىّ) : أى قبلك (أنْ يَكُونَ لَهُ أسْرَى) مِنْ عدوّه (حتى يُثْخِنَ فى الأرْضِ) أى يثخن عدوّه ، حتى يَنْفيه من الأرض ﴿ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيا ﴾ : أى المتاع ، الفداء بأخذ الرجال

﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ ﴾ : أى قتلهم لظهور الدين الذى يريد إظهاره ، والذى تُدرك به الآخرة ﴿ لَوْلا كِتابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيما أَخَذْتُمْ ﴾ : أى من الأسارى والمغانم ﴿ عَذابٌ عَظِيمٌ ﴾ أى لولا أنه سبق منى أنى لا أعذب إلا بعد النَّهْى ولم يك نهاهم ، لعذبتكم فيما صنعتم ، ثم أحلَّها له ولهم رحمةً منه ، وعائدة من الرحمن الرحيم . فقال ﴿ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلالاً طَيِّباً وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ . ثم قال ﴿ يا أَيُّها النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً يُؤْتِكُمْ خَيْراً مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ، وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .

ما نزل فى التواصل بين المسلمين

وحضَّ المسلمين على التواصل ، وجعل المهاجرين والأنصار أهل ولاية فى الدين دون مَنْ سواهم ، وجعل الكفَّار بعضهم أولياء بعض ، ثم قال ﴿ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسادٌ كَبِيرٌ ﴾ أى يُوالِ المؤمنُ المؤمنَ من دون الكافر ، وإن كان ذا رحم به ﴿ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ ﴾ أى شُبهة فى الحقّ والباطل ، وظهور الفساد فى الأرض بتولى المؤمن الكافر دون المؤمن .

ثم ردَّ المواريث إلى الأرحام ممن أسلم بعد الوَلاية من المهاجرين والأنصار دونهم إلى الأرحام التى بينهم ، فقال : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهاجَرُوا وَجاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولئِكَ مِنْكُمْ ، وَأُولُوا الأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللهِ ﴾ أى بالميراث ﴿ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ .

رفع المسهم

. . . .

إسلام عمير بن وهب :

فصل : وذكر إسلام عُمَيْرِ بنِ وَهْب إلى آخره ، وليس فيه ما يشكل.

هل نجم إبليس في غزوة بدر ؟ :

وذكر في آخر الحديث أن عُمَيْرَ بن وهب هو الذي رأى إبليسَ يوم بدر حين نَكَص على عَقِبَيْه ، وذكر غيره أن الحارثَ بن هِشَام تَشَبَّث به ، وهو يرى أنه سُرَاقَةُ بنُ مالِكٍ ، فقال : إليَّ أين سُرَاقَةَ أَيْنَ تفرّ فلكَمَهُ لكْمَةً طَرَحَهُ على قفاه ، ثم قال إني أخاف الله رَبَّ العالمين ، وإنما كان تمثل في صورة سُرَاقَةَ المُدْلِجيّ ، لأنهم خافوا من بني مُدْلِج أن يعرضوا لهم ، فيشغلوهم من أجل الدِّماء التي كانت بينهم ، فتمثَّل لهم إبليسُ في صُورَةِ سُرَاقَةَ المُدْلِجيّ ، وقال إنِّي جَارٌ لكم من الناس ، أي : من بني مُدْلِج ، ويروى أنهم رأوا سُرَاقَةَ بمكة بعد ذلك ، فقالوا له : يا سُرَاقَةُ أَخَرَمْتَ الصَّفَّ ، وأوقعت فينا الهزيمة ؟ فقال : والله ما علمت بشيءٍ من أمْرِكُمْ ، حتى كانت هزيمتكم ، ما شَهِدتُ ، وما علمت فما صَدَّقوه ، حتى أسلموا وسمعوا ما أنزل الله فعلموا أنه كان إبليسَ تَمَثَّل لهم .

وقول اللّعين : إني أخافُ اللهَ ربَّ العالمين ، لأهل التأويلِ فيه أقوال. أحدها : أنه كذب في قوله : إني أخاف الله ، لأن الكافر لا يخاف الله ، الثاني : أنه رأى جنودَ الله تنزل من السماء ، فخاف أن يكون اليومُ الموعودُ الذي قال الله فيه : ﴿ يَوْمَ يَرَوْنَ الملائكةَ لا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ للمُجرمين ﴾ وقيل أيضاً :

. . . .

إنما خاف أن تدركه الملائكةُ لما رأى من فِعْلها بحزبه الكافرين ، وذكر قاسمُ بن ثابتٍ فى الدلائلِ أن قريشاً حين توجهت إلى بدرٍ مَرَّ هاتفٌ من الجن على مكة فى اليوم الذى أوقع بهم المسلمون ، وهو ينشد بأنفذ صوت ، ولا يُرَى شخصُه(١) :

أَزَارَ الحنيفيُّونَ بَدْراً وَقِيعَةً
سَيَنْقَضُّ منها رُكْنُ كِسْرَى وقَيْصَرا

(١) لم يخرج قصة تمثل إبليس فى صورة سراقة أحد من أصحاب الصحيح فهى إما من رواية الكلبى عن ابن عباس ، وهى أوهن من بيت العنكبوت ، فإذا انضم إليها رواية محمد بن مروان السدى الصغير ، فهى سلسلة الكذب . وأما على بن أبى طلحة . فقد أجمعوا على أنه لم يسمع من ابن عباس ، وإنما أخذ عن مجاهد أو سعيد بن جبير ، ولا خلاف فى كونهما من الثقات ، ولكن ابن عباس كان ابن خمس سنين يوم بدر ، فروايته لأخبارها منقطعة . كما روى الواقدى ، وهو غير ثقة فى الرواية . انظر تفسير المنار للآية .

أقول والله تعالى يقول عن إبليس (إنه يراكم هو وقبيله من حيث لاترونهم) ويقول : (كمثل الشيطان إذ قال للانسان اكفر ، فلما كفر قال إنى برىء منك ، إنى أخاف الله) الأولى تثبت أننا لا نرى إبليس وقبيله وهو يرانا ، والأخرى تشبه آية الأنفال ، فهل يتمثل الشيطان جسدا لكل كافر ويقول له هذا ؟ كما أن الله يقول (وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا) فلم لا يكون الشيطان هنا شيطانا من الإنس ؟ أو يكون هو الشيطان بوسوسته هو وقبيله لا بجسده ؟ واقرأ سورة الناس ، ولهذا لم يخرج القصة أحد من أصحاب الكتب الستة .

. . . .

أبادَتْ رِجالاً من لُؤَىٍّ ، وأبرزت خَرائِد يَضْرِبْنَ التَّرائبَ حُسَّرا

فياوَيْحَ مَنْ أمْسَى عدوَّ مُحَمَّدٍ لقد جارعن قَصْدِ الهدى وَتَحيَّرا

فقال قائلهم : مَنْ الحنيفيون ؟ فقالوا : هم محمد وأصحابه ، يزعمون أنهم على دين إبراهيم الحَنيفِ ، ثم لم يَلْبثُوا أن جاءهم الخبرُ اليقين(١).

ذكر ما أنزل الله فى بدر

أنزل سورة الأنفال بأسْرِها ، والأنفالُ هى الغنائم ، وقال أبو عُبَيْد فى كتاب الأموال : النَّفَلُ : إحسانٌ وتَفَضُّلٌ من المنعِم فسمِّيت الغنائم أنفالا ، لأن الله تعالى تَفَضَّل بها على هذه الأمة ، ولم يُحلَّها لأحد قبلهم . قال المؤلف : أما قوله : إن الله تفضل بها فصحيحٌ ، فقد قال عليه السلام : ما أُحِلَّت الغنائم لأحدٍ سُودِ الرءوس قبلكم ، إنما كانت نار تنزل من السماء فتأكلها(٢) ،

---

(١) لولا وحى الله ما عرف النبى صلى الله عليه وسلم ما قاله الجن . فكيف نصدق مثل هذا ؟

ملحوظة : عن المطعمين يوم بدر ذكر محمد بن حبيب النسابة منهم شيبة ابن ربيعة ، ولم يذكر أبا البخترى ، ولا النضر بن الحارث بن كلدة ، كما روى عن محمد بن عمر المزنى قوله إن قريشا كفأت قدور العباس ، ولم تطعمها لعلمها بميله إلى رسول الله «ص» . ثم قال : قتلوا بأسرهم يوم بدر ، وأسلم العباس وسهيل ، فكان من كبار المسلمين ص ١٨٢ المحبر .

(٢) فى حديث متفق عليه عن نبى وقومه « فجاءوا برأس مثل رأس بقرة من الذهب ، فوضعها ، فجاءت النار ، فأكلتها » زاد فى رواية : فلم تحل الغنائم لأحد قبلنا ، ثم أحل الله لنا الغنائم ، رأى ضعفنا وعجزنا ، فأحلها لنا » متفق عليه .

رفع المساهم

. . . .

وأما قوله : فسُمِّيت الغنائم أنفالًا لهذا ، فلا أحسبه صحيحاً ، فقد كانت العرب في الجاهلية الجَهْلَاء تسميها أنفالا .

وقد أنشد ابن هشام لأوسِ بن حَجَر الأسيدي ، وهو جاهلي قديم[1] :

نَكَصْتُم على أعقابكم يوم جِئْتُمُ ... تُزَجُّونَ أنفالَ الخميسِ العَرَمْرَمِ[2]

ففي هذا البيت أنها كانت تسمى أنفالا قبل أن يُحِلَّها اللهُ لمحمد وأمته ، فأصل اشتقاقها إذاً من النَّفْلِ ، وهو الزيادة لأنها زيادة في أموال الغانمين ، وفي بيت أوس بن حجر أيضاً شاهد آخر على أن الجيش كان يسمى : خميساً ، في الجاهلية[3] ، لأن قوما زعموا أن اسمَ الخميسِ من الخمسِ الذي يؤخذ من المغنم ، وهذا لم يكن حتى جاء الإسلام ، وإنما كان لصاحب الجيش الرُّبْعُ ، وهو المِرْبَاع ، وسيأتي القول في اشتقاقه فيما بعد إن شاء اللهُ . قرأ ابنُ مسعود وعطاء ﴿ يَسْئَلونَكَ الأنفالَ ﴾ وقرأت الجماعةُ : ﴿ يسئلونك عن الأنفالِ ﴾ والمعنى صحيح في القراءتين ؛ لأنهم سألوها وسألوا عنها لمن هي .

وقول عُبَادَةَ بن الصامت : نزلت فينا أهلَ بدر : ﴿يَسْئَلونَكَ عن الأنفال﴾ لأنَّا تنازَعنا في النَّفلَ ، وساءت فيه أخلاقُنا ، كذلك جاء في التفسير لعَبْد بن

---

(١) كان شاعر مضر حتى أسقطه زهير

(٢) تروى ترجون . أما تزجون ، فمعناه : تساقون سوقا رفيقاً .

(٣) قيل : سمي كذلك لأنه خمس فرق : المقدمة والقلب والميمنة والميسرة والساقة .

حميد ، وغيره أن عُبادة بن الصامت مع الذين كانوا معه ، وأبا الْيَسَر كَعْب ابن عَمْرو فى طائفة معه ، وكان أبو الْيَسَر قد قتل قتيلين ، وأسر أسيرين تنازعوا ، فقال الذين حَوَوا المغنم : نحن أحَقُّ به ، وقال الذين شُغلوا بالقتال واتباع القوم نحن أحَقُّ به ، فانتزعه الله منهم ورده إلى نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد تقدم حديث سَعْد بن أبى وَقَّاص ، حين جاء بالسيف ، فأمر أن يجعله فى القَبَض ، فشَقَّ ذلك عليه ، وكان السيفُ للعاصى بن سَعيد ، يقال له ذو الكُتَيفَة ، فلما نزلت الآية أعطى رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ السيفَ لسعد ، وقسم الغنيمة عن بَوَاء أى: على سَوَاء ، وقد قدمنا الحديثَ الذى ذكره أبو عُبَيْد ، وفيه أنه قسمها على فواق ، فأنزل الله بعد : ﴿ واعلَمُوا أنما غَنِمْتُم من شَىْءٍ ﴾ الآية فنسخت ﴿ قل : الأنفال لله والرسول ﴾ وهو أصح الأقوال أنها مَنْسُوخَة (١) . وأما من زعم أن الأنفال ماشذّ من العدو إلى المسلمين من من دَابَّة ، أو نحوها ، فليست منسوخة عنده ، وكذلك قولُ مجاهد إن الأنفال هو الخُمُسُ نَفْسُه ، وإنما تكون منسوخة إذا قلنا إنها جملةُ الغنائم ، وهو

---

(١) قال ابن زيد : الآية محكمة وليست منسوخة . وقد سبق الرأى فى النسخ وبيان أنه ليس فى كتاب الله الذى بين أيدينا آية منسوخة ، أو يبطل العمل بها ويقول ابن كثير عن رأى الذى قال بالنسخ : « وهذا الذى قاله بعيد ، لأن هذه الآية نزلت بعد وقعة بدر ، وتلك نزلت فى بنى النضير ، ولا خلاف بين علماء السير والمغازى قاطبة أن بنى النضير بعد بدر ، وهذا أمر لاشك فيه ، ولا يرتاب ، فمن يفرق بين معنى الفىء والغنيمة يقول : تلك نزلت فى أموال الفىء ، وهذه فى الغنائم ، ومن يجعل أمر الغنائم والفىء راجعا إلى رأى الإمام يقول : لامنافاة بين آية الحشر ، وبين التخميس إذا رآه الإمام ، والله أعلم » .

. . . .

القول الذى تشهد له الآثار ، قال أبو عُبَيْد : والأنفال تنقسم أربعة أقسام نَفل لا يُخمَّس ، ونفل من رأس الغَنيمة ، ونَفل من الخُمس ، ونَفل السَّرايا وهو بعد إخراج الخمس ، ونَفل من خُمس الخُمسِ ، فأما الذى ليس فيه خُمس ولا يخرج من رأس الغنيمة ، ولا من الخُمسِ ، فهو سَلَبُ القَتِيلُ يقتل فى غير مَعْمَعَةِ الحرب ، وفى غير الزَّحْفِ ، فهو ملك للقاتل ، وهذا القول هو قول الأوزاعى ، وأهل الشام ، وقول طائفة من أهل الحديث وفيه قول ثان ، وهو أن السَّلَبَ من جُملة النفلِ يُخمَّسُ مع الغنيمة ، وهو قولُ مالكٍ ، وهو معنى قولِ ابنِ عباس الذى فى الموطأ حين سأله رجل عن الأنفال ، فقال: الفرسُ من النَّفلِ والدِّرع من النَّفل ، وقال فى غير المُوطَّأ فى هذا الحديث : الفَرَسُ من النفل ، وفى النَّفل الخُمس أن الوليد بن مسلم رَوى هذا الحديث ، فقال فى آخره : يريد أن السَّلَبَ للقاتل ، ففسره على مذهب شيخه ، ومن حجتهم أيضاً أن عُمَر رضى الله عنه خَمَّس سَلَب البَراء بن مالك حين قتل مَرْزُبَانَ الزَّأرَة فسلبه سِوَارَيْه ومِنطَقَته ، وما كان عليه ، فبلغ ثمنُه ثلاثين ألفاً ، وقال أصحابُ القول الأول لا حُجَّة فى حديث عمر ، لأنه إنما خَمَّس المَرْزُبَانَ ، لأنه استكثره ، وقال : قد كان السَّلَبُ لا يُخمَّس ، وإن سَلَبَ البَرَاء بلغ ثلاثين ألفاً ، وأنا خامسه ، واحتجوا بحديث سَلَمَة بن الأكْوَع ، إذ قتل قتيلا ، فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — له سَلَبُه أجمع . ومن حُجَّة مالكٍ ، ومن قال بقوله : عمومُ آية الخمسُ ، فإنه قال : ﴿ واعلَمُوا أنما غَنِمْتُم من شيء فأنَّ للهِ خُمُسَهُ : وللرسول ﴾ وحديثُ خالدِ بنِ الوليدِ الذى رواهُ مسلمُ وأبو داود أن عَوف بن مالك قال : قَتَل رَجُلٌ من حِمْيَر رَجُلاً من العدو

. . . .

فأراد سَلَبَه، فمنعه ذلك، وكان والياً عليهم، فأخبر عوفٌ رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - فقال لخالد: ما منعك أن تُعطيه سَلَبَه؟ فقال: استكثرتُه يارسول الله، قال: ادفعه إليه، فلقى عوفٌ خالداً فجبذ بردائه، وقال: هل أنجزتُ لك ما ذكرتُ لك من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - [فسمعه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم] فاستغضب، فقال: لا تُعطه يا ياخالد، هل أنتم تاركو إلىَّ أمرائى [إنما مثلُكم ومثلهم كمثل رجل استرعى إبلا وغنما، فرعاها، ثم تحيَّن سقيها، فأوردها حوضاً فشرعت فيه، فشربت صَفْوَه وتركت كَدَرَه فصَفْوُه لكم وكَدَرُه عليهم. رواه أحمد ومسلم].

ولو كان السلب حقاً له من رأس الغنيمة لما ردّه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، فهذا هو القسم الواحد من النَّفَل.

والقسم الثانى: هو من رأس الغنيمة قبل تخميسها، وهو ما يُعطَى الأدِلَّاء الذين يدُلُّون على عَوْرة العدو، ويدُلُّون [على] الطُّرقِ، وما يُعطَى الدُّعاةُ وغيره مما يَنتفعُ أهلُ الجيش به عامَّةً.

والقسمُ الثالثُ ما تُنَفَّلُه السرايا، فقد كانت تُنَفَّلُ فى البَدْأة الرُّبْعُ بعد الخُمس، وفى العَوْدة الثُّلُثُ مما غنِمُوه، كذلك جاء فى حديثٍ رواه مَكْحُولٌ عن حَبيب بن مَسْلَمَة(١)، وأخذت به طائفة.

والقسم الرابعُ من النَّفَل: ما يُنَفِّله الإمامُ من الخمس لأهل الغِناء والمنفعة، لأنَّ ما كان للرسول عليه السلام من الغَنيمة، فهو للإمام بعده يَصْرِفه فيما

---

(١) أخرج أحمد وأبو داود عن حبيب بن سلمة أن النبى «ص» نفل الربع بعد الخمس فى بدأته، ونفل الثلث بعد الخمس فى رجعته.

رفع المساهم

. . . .

كان النبيُّ عليه السلام يَصرِفه ، وهو قول مالكٍ وأكثر العلماء[1] ، وقالت طائفةٌ هو مَقْصُورٌ على الأصناف التي ذُكِرت في القرآن ، وهم ذُو القُرْبَى واليَتَامى والمساكين وابن السبيل ، وقد أعْطِى الْمِقْدادُ حماراً من الْخُمْس أعطاه له بعضُ الأمراء ، فرده لما لم يكن من هؤلاء الأصناف المذكورين ، وأما أَنَسُ بن مالك ، فإنه فعل خلاف هذا ، أعطاهُ مُعاويةُ ثلاثين رأساً من الغَنِيمة فأبى أنْ يقبلها ، إلا أن تكون من الْخُمْسِ ، وأصح القولين : أنَّ الإمامَ له النظرُ في ذلك ، فإن رأى صَرفَ الْخُمْس إلى منافع المسلمين ، ولم تكن بالأصناف الأربعة حاجةٌ شديدة إليه صَرَفَه ؟ وإلاَّ بَدأَ بهم ، وصَرَف بقيَّته فيما يَرى ، واختُلِف في ذَوِي القُرْبَى مَنْ هُمْ ، فقال ابن عباس : كنا نرى أنهم بَنُو هاشم ، فأبى ذلك علينا قومُنا ، وقالوا هم قريش كلهم ، كذلك قال في الكتابِ الذي كتبه إلى نَجْدَة الحَرُورِيِّ[2] ، واختلفوا أيضاً في قَرابة الإمام بعد النبيِّ صلى الله عليه وسلم : أهم داخلون في الآية أم لا ؟[3] والصحيح :

(١) يقول ابن كثير : وقال شيخنا الإمام العلامة ابن تيمية : وهذا قول مالك ، وأكثر السلف ، وهو أصح الأقوال .

(٢) رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي . وفي حديث لمسلم « إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد » . وفي بعض رواياته « إنهم لم يفارقونا في جاهلية ولا إسلام » .

(٣) اختلف في الخمس الذي كان للرسول « ص » ماذا يصنع به بعده ، فقال قائلون : يكون لمن يلي الأمر بعده ، وقد روى هذا عن أبي بكر وعلى وقتادة وجماعة وروى فيه حديث مرفوع ، وقال آخرون : يصرف في مصالح المسلمين ، وقال غيرهم : بل هو مردود على بقية الأصناف ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ... الرأي الثاني ...

رفع المسهم

. . . .

دخولهم فى ذَوِى القُرْبى ، لقوله عليه السلام : إذا أطعم الله نبياً طُعْمَةً ، فهى للخليفة بعده ، أو قال : للقائم بعده . ومما اختلفوا فيه من معنى آية الْخُمْسِ : قسم خُمْس الْخُمس ، فقال أبو العالية فى قوله : ﴿ فأن لله خُمُسَه ﴾ أى : للكعبة ، يُخْرَجُ لها نصيبٌ من الْخُمْس ، وللرسول نصيبٌ ، وباقى الخمس للأربعة الأصناف . وقالت طائفة : خُمُسُ الْخُمسِ للرسول ، وباقيه للأربعة الأصناف . وقالت طائفة : الخمسُ كلُّه للرسول يَصرفه فى تلك الأصناف وغيرها ، وإنما قال الله : ﴿ وللرسول ﴾ تنبيهاً على شرَفِ المكسب وطيب المَغْنَم ، كذلك قال فى الفَىْءِ ، وهو ما أفاء الله على المسلمين من الأرضين التى كانت لأهلِ الكفر فقال فيه : ﴿ فلله وللرسول ﴾ الآية ، ولم يقل فى آيات الصَّدَقَاتِ مثلَ ذلك ، ولا أضافها لنفسه ولا للرسول ، لأن الصدقة أوساخُ الناس ، فلا تطيبُ لمحمد ، ولا لآل محمد ، فقال فيها : ﴿ إنما الصدقات للفقراء والمساكين ﴾ الآية ، أى : ليست لأحد إلا لهؤلاء ، وهذا كله قول سُفيان الثورى ، وتفسيره ، وسيأتى القول فى غزْوَة حُنَين فيما أعطى النبى — صلى الله عليه وسلم للمؤلَّفة قلوبُهم ، هل كان من رأس الغَنيمة أم من الْخُمْسِ أم من خُمْسِ الْخُمس إن شاء الله .

عدد قتال الملائكة :

فصل : وذكر قولَه سبحانَه ﴿ بألفٍ من الملائكة مُرْدِفين ﴾ وقد قال فى أخرى : ﴿ بثلاثة آلافٍ من الملائكة مُنْزَلين ﴾ فقيل فى معناه : إن الألف أرْدَفَهم بثلاثةِ آلافٍ ، فكان الأكثرُ مدداً للأقلِّ ، وكان الألفُ مُرْدِفين لمن وراءهم بكسر الدال من مردِفين ، وكانوا أيضا مُرْدَفين بهم بفتح الدال ،

رفع المسلم

. . . .

والألفُ هم الذين قاتلوا مع المؤمنين ، وهم الذين قال الله لهم : ﴿فَثَبِّتوا الذين آمنوا﴾ وكانوا فى صور الرجال ، ويقولون للمؤمنين اثْبُتوا ، فإن عدوَّكم قليل، وإن الله معكم ونحو هذا ، وقول الله سبحانه : ﴿واضربُوا منهم كُلَّ بنان﴾ جاء فى التفسير أنه ما وقعت ضَرْبَةٌ يوم بَدْرٍ إلا فى رأسٍ أو مَفْصِلٍ ، وكانوا يعرفونَ قتلى الملائكة من قتلاهُم، بآثار سُود فى الأعناق وفى البنانِ ، كذلك ذكر ابن إسحاق فى غير هذه الرواية[1] ، ويقال لمفاصل الأصابع وغيرِها بَنانٌ

---

(١) يقول الشيخ رشيد رضا رحمه الله — فى تفسير المنار : « ومقتضى السياق أن وحى الله للملائكة قد تم بأمره إياهم بتثبيت المؤمنين كما يدل عليه الحصر فى فى قوله عن إمداد الملائكة : (وما جعله الله إلا بشرى) إلخ وقوله تعالى: (سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب) الخ : بدء كلام خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون تتمة للبشرى فيكون الأمر بالضرب موجها إلى المؤمنين قطعا ، وعليه المحققون الذين جزموا بأن الملائكة لم تقاتل يوم بدر تبعا لما قبله من الآيات ، وقيل إن هذا مما أوحى إلى الملائكة ، وتأوله هؤلاء بأنه تعالى أمرهم بأن يلقوا هذا المعنى فى قلوب المؤمنين بالإلهام كما كان الشيطان يخوفهم ، ويلقى فى قلوبهم ضده بالوسواس ، ولا يرد على الأول ماقيل من أنه لا يصح إلا إذا كان الخطاب قد وجه إلى المؤمنين قبل القتال ، والسورة قد نزلت بعده ، لأن نزول السورة بنظمها وترتيبها بعده لا ينافى حصول معانيها قبله ، وفى أثنائه فإن البشارة بالإمداد بالملائكة ، وما وليه قد حصل قبل القتال ، وأخبر به النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه ، ثم ذكرهم الله تعالى به بإنزال السورة برمتها تذكيرا بمنته ، ولولا هذا لم تكن للبشارة تلك الفائدة ، والخطاب فى السياق كله موجه إلى المؤمنين ، إنما ذكر فيها وحيه تعالى للملائكة بما ذكر عرضا ، . . وقد وردت روايات ضعيفة تدل على قتـال الملائكة لم يعبأ الإمام ابن جرير بشيء منها .

=

. . . .

= وإذا كان تأييد الله المؤمنين بالتأييدات الروحانية التى تضاعف القوة المعنوية ، وتسهيله لهم الأسباب الحسية كانزال المطر ، وما كان له من الفوائد لم يكن كافيا لنصره إياهم على المشركين بقتل سبعين وأسر سبعين حتى كان ألف — وقيل آلاف — من الملائكة يقاتلون معهم . . فأى مزية لأهل بدر فضلوا بها على سائر المؤمنين ممن غزوا بعدهم ، وأذلوا المشركين ، وقتلوا منهم الألوف ، وبماذا استحقوا قول الرسول « ص » لعمر : « وما يدريك لعل الله عز وجل اطلع على أهل بدر ، فقال : إعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم » رواه البخارى ومسلم وغيرهما . وفى كتب السير وصف للمعركة علم منه القاتلون والآسرون لأشد المشركين بأسا ، فهل تعارض هذه البينات النقلية والعقلية بروايات لم يرها شيخ المفسرين ابن جرير بأن تنقل ، ولم يذكر ابن كثير منها إلا قول الربيع ابن أنس : كان الناس يوم بدر يعرفون قتلى الملائكة ممن قتلوا بضرب فوق الأعناق ، وعلى البنان مثل سمة النار قد أحرق به . ومن أين جاء الربيع بهذه الدعوى ، ومن الذى رؤى من القتلى بهذه الصفة ؟ وكم عدد من قتل الملائكة من السبعين ؟ ، وعدد من قتل أهل بدر غيرمن سموا وقالوا : قتلهم فلان وفلان كفانا الله شر هذه الروايات الباطلة التى شوهت التفسير ، وقلبت الحقائق حتى إنها خالفت نص القرآن نفسه ، فالله تعالى يقول فى إمداد الملائكة (وما جعله الله إلا بشرى ، ولتطمئن به قلوبكم) وهذه الروايات تقول : بل جعلها مقاتلة ، وأن هؤلاء السبعين الذين قتلوا من المشركين لم يمكن قتلهم إلا باجتماع ألف أو ألوف من الملائكة عليهم مع المسلمين الذين خصهم الله بما ذكر من أسباب النصر المتعددة .

ألا إن فى هذا من شأن تعظيم المشركين ورفع شأنهم وتكبير شجاعتهم وتصغير شأن أفضل أصحاب الرسول « ص » وأشجعهم ما لايصدر عن عاقل إلا وقد سلب عقله لتصحيح روايات باطلة لا يصح لها سند ، ولم يرفع منها إلا حديث مرسل عن ابن عباس ذكره الألوسى وغيره بغير سند ، وابن عباس لم يحضر غزوة بدر لأنه كان صغيرا ، فرواياته عنها حتى فى الصحيح مرسلة ، وقد =

. . . .

واحدتها بَنانةٌ ، وهو من أَبَنَّ بالمكان[1] إذا أقام فيه وثبت ، قاله الزجاج .

وقوله ﴿ ليطهِّركم به ، ويُذهِبَ عنكم رِجْزَ الشَّيطان ﴾ الآية ، كان العدو قد أحرزوا الماءَ دون المؤمنين ، وحفروا القُلُبَ لأنفسهم ، وكان المسلمون قد أحدثوا وأجنَبَ بعضُهم ، وهم لا يصِلون إلى الماء ، فوسوس الشيطانُ لهم أو لبعضهم ، وقال : تزعمون أنكم على الحق ، وقد سَبَقَكُمْ أعداؤكم إلى الماء ، وأنتم عِطاشٌ وتُصَلُّون بلا وُضوء ، وما ينتظر أعداؤكم إلا أن يَقْطَعَ العطَشُ رِقابَكم ، ويُذهِب قُواكم فيتحكَّموا فيكم كيف شاءوا ، فأرسل الله تعالى السماء فحلَّتْ عزَاليها[2] فتطهَّروا ورَوَوا وتلبَّدت الأرضُ لأقدامهم وكانت رِمالاً وسَبَخاتٍ ، فثَبَتَتْ فيها أقدامُهم وذَهَبَ عنهم رِجْزُ الشيطانِ ، ثم نهضوا إلى أعدائهم فغلبوهم على الماء ، وعَاروا القُلُب التي كانت للعدو فعطِش الكفارُ ، وجاء النصرُ من عند الله ، وقَبَضَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم ـ قَبضَةً من البَطْحاء ورَمَاهم بها ، فملأت عيونَ جميع العسكرِ ،

= روى عن غير الصحابة حتى عن كعب الأحبار وأمثاله . وأقول : الحقيقة القرآنية تؤكد أن الملائكة لم تقاتل مع أهل بدر ، وإنما كانوا ـ كما وصفهم الله ـ بشرى للمؤمنين . وتؤكد أن قوله تعالى (فاضربوا فوق الأعناق) الخ إنما هو موجه إلى المؤمنين لا إلى الملائكة . والدليل : تدبر الآيات ، لا الخنوع لواهي الروايات .

(١) يقال : أبننت بالمكان إبناناً إذا أقمت به ، وبن يبن ـ بكسر الباء ـ بنا ، وأبن أقام به أيضا .

(٢) جمع عزلاء : مصب الماء من الراوية ونحوها .

. . . .

وذلك قوله سبحانه : { وما رَمَيْتَ إذْ رَمَيْتَ ، ولكن الله رمى } أى : عَمَّ جميعَهم ، ولم يكن فى قَبْضَتِك إلا مايبلغ بعضهم ، فالله هو الذى رمى سائرهم إذْ رَمَيْتَ أنت القليل منهم ، فهذا قولٌ ، وقال أحمدُ بن يحيى : معناه : وما رَمَيْتَ قلوبَهم بالرُّعْب حين رَمَيْتَ الحَصْباء ، ولكن الله رمى وقال هبَةُ الله بن سَلَامة : الرَّمْى أخذٌ وإرسالٌ وإصابةٌ وتَبليغٌ ، فالذى أثبت الله لنبيه هو الأخذُ والإرسال ، والذى نفى عنه هو الإصابة والتبليغ ، وأثبتهما لنفسه .

حول التولى يوم الزحف والانتصارات الإسلامية الباهرة :

وقوله : { فلا تُوَلُّوهُم الأَدْبَارَ } الآية قال الحسن : ليس الفِرار من الزَّحْفِ من الكبائر إلاَّ يومَ بَدْرٍ وفى المَلْحَمَة الكُبْرى التى تأتى آخرَ الزمان . وقال غيره : هو من الكبائر إذا حضر الإمامُ ولم يتحيَّز إلى فِئَةٍ فأمَّا إذا كان الفِرار إلى الإمام ، فهو مُتَحَيِّزٌ إلى فئة ، وقد قال عمرُ بن الخطاب حين بلغه قتلُ أبى عبيد بن مسعود ، وما أوقع الفرسُ بالمسلمين : هلا تحيَّز إلىَّ أبو عبيد بن مسعود ، فإنى فئة لكل مسلم ، ورُوِى مثلُ هذا عن النبى صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال لأصحابه الذين رَجَعوا من غَزْوة مُؤْتَةَ (١) ، ذلك أنهم قالوا : نحن الفَرَّارُون يارسول الله ، فقال: بل أنتم العَكَّارُون (٢) ، وأنا فِئَتُكُم ،

---

(١) مؤتة قرية من قرى البلقاء فى حدود الشام .

(٢) الكرارون إلى الحرب والعطافون نحوها ، يقال للرجل يولى عن الحرب ثم يكر راجعا إليها : عكر واعتكر وقد ورد هذا فى حديث رواه أحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجة من طرق عن يزيد بن أبى زياد ، وقال =

رفع عبد الرحمن النجدي
الهميلي

. . . .

وهو حَديثٌ مشهور اختصرته ، والقَدْرُ الذى يحرم معه الفرارُ الواحدُ مع الواحد، والواحدُ مع الاثنين ، فإذا كان الواحدُ للثَّلاثةِ ، لم يَجِبْ على الفارِّ فرارُه ، كان متحيزاً إلى فِئَةٍ أو لم يكن . وذكر أبو الوليد بن رُشْدٍ(١) فى مقدماته عن

═ الترمذى: حسن لا نعرفه إلا من حديث ابن أبى زياد . هذا وقد روى البخارى ومسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اجتنبوا السبع الموبقات ، قيل : يا رسول الله ، وما هن ؟ قال : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولى يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات » وفى سنن أبى داود والنسائى ومستدرك الحاكم وتفسير ابن جرير وابن مردويه من حديث داود بن أبى هند عن أبى نضرة عن أبى سعيد أنه قال فى هذه الآية « إنما أنزلت فى أهــل بدر » هذا ومما أجل ما قاله ابن كثير — بعد أن أورد الذى سبق وغيره مما يفيد أن الآية خاصة بأهل بدر « وهذا كله لا ينفى أن يكون الفرار من الزحف حراما على غير أهل بدر ، وإن كان سبب نزول الآية فيهم ، كما دل عليه حديث أبى هريرة المتقدم من أن الفرار من الزحف من الموبقات ، كما هو مذهب الجماهير والله أعلم » .

(١) فى بداية المجتهد ص ٣١٢ جـ ١ ط ١٣٣٣ هـ لأبى الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبى « وأما معرفة العدد الذين لا يجوز الفرار منهم فهم الضعف وذلك مجمع عليه لقوله تعالى : (الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا) الآية وذهب ابن الماجشون ورواه عن مالك أن الضعف إنما يعتبر فى القوة لا فى العدد ، وأنه يجوز أن يفر الواحد عن واحد إذا كان أعتق جوادا منه وأجود سلاحا وأشد قوة » ويقول الشافعى: « إذا غزا المسلمون، فلقوا ضعفهم من العدو حرم عليهم أن يولوا إلا متحرفين لقتال أو متحيزين إلى فئة ، وإن كان المشركون أكثر من ضعفهم لم أحب لهم أن يولوا ، ولا يستوجبوا السخط عندى من الله لو ولوا عنهم على غير التحرف للقتال أو التحيز إلى فئة » ص ١٤٤ جـ ٢ الزواجر لابن حجر الهيتمى ط ١٣٥٦ وانظر الأحكام السلطانية ═

. . . .

بعض الفقهاء ، قال : إذا كان المسلمون اثنا عشر ألفا لم يَجُزْ لهم الفرارُ من ثلاثةِ أمثالهم ، ولا من أكثرَ من ذلك ، لقوله عليه السلام : لن تُغْلَبَ اثنا عَشَرَ ألفاً من قِلَّةٍ ، وقد كان وقوفُ الواحدِ إلى العشرة حَتْماً فى أول الأمر ، ثم خفف اللهُ ذلك ونسخه بقوله : ﴿ الآن خَفَّفَ الله عنكم ، وعَلِم أن فيكم ضَعْفاً ﴾ الآية ، كذلك رُوِي عن ابن عباس ، وهو قول العلماء ، ولكن لا يَتَبَيَّن فيه النَّسْخُ ، لأن قوله ﴿ إنْ يكُن منكم عشرون صابرون ﴾ إلى آخر الآية خَبَرٌ ، والخبر لا يدخله النَّسْخُ ، وقوله : ﴿الآن خفَّف الله عنكم﴾ يدل على أن ثَمَّ حُكْما منسوخا ، وهو الثُّبوت للعَشَرة ، فإذاً للآية ظَهْرٌ وبَطْن ، فظاهرها خبر ، ووعد من الله تعالى أن تغلِب العشرةُ المائةَ ، وباطنُها وجوبُ الثُّبوتِ للمائة ، ويدل على هذا الحكم قوله : ﴿ حَرِّضِ المؤمنين على القتال ﴾ فتعلَّق النسخُ بهذا الحكم الباطنِ ، وبقى الخبرُ وعداً حقًّا قد أبصره المؤمنون عِيَاناً فى زمن عُمَر بنِ الخطاب ، وفى بقية خلافة أبى بكر فى محاربة الروم وفارس بالعراق وبالشام ، ففى تلك الملاحم هَزَمت المئون الآلافَ من المشركين ، وقد هَزَم خالدُ بنُ الوليد مائة ألفٍ حين إقبالِه من العراق إلى الشام ولم يبلغ عسكرُه خمسة آلافٍ ، بل قد رأيت فى بعض فتوح الشام أنه كان يومئذٍ فى ألفِ فارسٍ ، وكان قد أقبل من العراق مَدَداً للمسلمين الذين بالشام ، وكان الرُّومُ فى أربعمائة ألف ، فلقى منهم خالد مائةَ ألفٍ ففَضَّ جمعَهم

= لأبى يعلى والماوردى . وقد قال الخرقى ولا يجوز للمسلم أن يهرب من كافرين ، ومباح له أن يهرب من ثلاثة فإن خشى الأسر قاتل حتى يقتل ، ص ٣٠ الأحكام السلطانية لأبى يعلى ط ١٣٥٦ ﻫ .

. . . .

وهَزمهم [١] ، وقد هزَم أهلُ القادِسيَّة جُيوشَ رُسْتُم وقتلوه وكان رُستم في أكثر من مائتي ألفٍ [٢] ، ولم يكن المسلمون في عُشْرِ ذلك العدد وجاؤا معهم بالفِيَلَةِ أمثالِ الحصُون عليها الرجالُ فنفرت الفيلة ، وأطاحت ما عليها ، ولم يَرُدَّها شيء دون البلد الذي خرجت منه ، وكذلك ماظهر من فتح الله ونَصْره على يَدَيْ موسى بن نُصَير بأفريقيَّة ، والأندلس [٣] ، فقدكان في ذلك أعجبُ العَجَبِ ، فكان وعدُ الله مفعولا ونَصْرُه للمسلمين ناجزاً ، والحمد لله .

---

(١) أظنه يقصد وقعة أجنادين ، فقد شهدها من الروم مائة ألف . وقد كانت في سنة ١٢ هـ .

(٢) القادسية : قرية قرب الكوفة من جهة البر بينها وبين الكوفة خمسة عشر فرسخا ، وقد كانت معركتها العظيمة سنة ١٤ أو ١٥ هـ ، وقيل كان في آخر سنة ١٦ هـ وكان عدد الفيلة فيها ثلاثة وثلاثين وفيها كتب عمر إلى سعد : « لايكربنك ما يأتيك عنهم ، ولا ما يأتونك به . واستعن بالله ، وتوكل عليه ، وابعث إليهم رجالا من أهل النظر والرأى والجلد يدعونه ، فان الله جاعل دعاءهم توهينا لهم ، وفلجا عليهم ، واكتب إلى في كل يوم » . وقد ذكر ابن إسحاق أن المسلمين كانوا ما بين السبعة آلاف إلى الثمانية آلاف ، وأن رستما كان في ستين ألفاً .

(٣) لإفريقية في العربية قديما مفهوم غير مالها الآن . فهى — كما في مراصد الاطلاع — بلاد واسعة ومملكة كبيرة قبالة جزيرة صقلية ، وينتهى آخرها إلى قبالة جزيرة الأندلس . . . وحـد إفريقية من طرابلس المغرب من جهة برقة والإسكندرية وإلى بجاية — بجاية على ساحل البحر بين إفريقية والمغرب — وقيل إلى مليانة . وقيل : طولها من برقة شرقا إلى طنجة الخضراء غربا وعرضها من البحر إلى الرمال التى أولها بلاد السودان .

وقد بدأ غزو إفريقية في عهد عثمان بن عفان على يد واليه على مصر عبد الله بن سعد بن أبى سرح ، وذلك في سنة ٢٧ هـ = ٦٤٧ م أو بعد هذا بعام =

. . . .

وقال النقاش فى معنى قوله تعالى : ﴿ إِنْ يَكُنْ منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ﴾ معناه : إن يصبروا يغلبوا ، وغلبتهم ليس بأن يسلموا كلهم ، ولكن من سلم منهم رأى غَلَبَة أهل دينه ، وظُهورهم على الكفر ، ولايقدح فى وعد الله أن يَسْتَشْهِد جملةٌ من الصابرين ، وإنما هذا كقوله : ﴿ قاتلوا

= أو عامين ، وكانت تحت يد المسيحيين وقد أتم فتح طرابلس المغرب ، غير أنه اكتفى آنذاك بفرض الجزية على أهلها ، وفى عهد معاوية بن خديج أمير مصر من قبل معاوية بن أبى سفيان سنة ٤٧ هـ = ٦٦٧م أو بعدها استونف الحرب ضد الحكم النصرانى فى إفريقية فأوغل حتى مشارف جزيرة صقلية .

أما الذى يعتبر المؤسس الحقيقى للحكم الإسلامى فى إفريقية فهو عقبة ابن نافع وهو ابن خالة عمرو بن العاص فتح برقة ، وفى سنة ٥٠ هـ = ٦٧٠ م استطاع القضاء على الحكم النصرانى فى شمالى إفريقيا مرة واحدة بمعاونة البربر ، وأنشأ مدينة عسكرية فى القيروان ، وجعلها معقلا وحصنا لعسكره ، ومقرا لولاة إفريقيـــة ، ثم عزل ، ثم أعاده يزيد بن معاوية إلى عمله سنة ٦٢ هـ ٦٨٣ م فأوغل حتى بلغ المحيط .

ولكن البربر ولم يكونوا قد خضعوا خضوعا كاملا انتزعوا تونس من سنة ٦٤ هـ — ٧٤ هـ = ٦٨٣ - ٦٩٣ م ثم استرده حسان بن النعمان من ٧٤ - ٧٩ هـ = ٧٩٣ — ٦٩٨ م وقد عين عبد الملك بن مروان أخاه عبد العزيز واليا على مصر شمالى إفريقية وفى عهده قضى نهائيا على المعارضة البربرية ، وقد عين على إفريقية الشمالية موسى بن نصير ولما تولى الوليد بن عبد الملك أقر ولاية موسى ، وأرسل هذا مولاه طارقا بجيش أكثره من البربر لاستطلاع أمر الأندلس فى سنة ٩٢ هـ = ٧١١م ووجه طارق إلى المملكة القوطية فى معركة وادى بكة ضربة قاضية قتل فيها ملكهم لذريق . واستطاع طارق وموسى الذى نزل إلى الأندلس أيضاً بجيش عربى إخضاع أسبانية الشمالية كلها من سرقسطة إلى نبرة .

هكذا كان آباؤنا ، فلنكن مثلهم فيما به انتصروا ، لا فيما به هزموا ! !

رفع
المسابهم
غفر الله له ولوالديه

. . . .

الذين لايؤمنون بالله ﴾ إلى قوله ﴿حتى يُعطُوا الجِزْيَةَ عَنْ يد وهم صاغرون﴾ فقد نُجِزالوعودُ وغَلَبوا كما وُعِدوا . هذا معنى كلامه ، والذى قدمناه أبْيَنُ .

الذين في قلوبهم مرض في بدر :

وفى هذه السورة قوله : ﴿ إذْ يقول المنافقون والذين فى قلوبِهم مَرضٌ ﴾ نزلت فى قوم من أهلِ مكّة آمنوا ولم يُهاجروا ، ثم خَرَجُوا مع المشركين إلى بدر ، فلما رَأَوْا قِلّةَ المسلمين شكُّوا ، وقالوا غَرَّ هؤلاء دينُهم ، منهم قيسُ ابنُ الوليد بن المُغيرة ، وقَيْس بن الفاكه وجماعةٌ سماهم أبو بكر النَّقّاشُ(١) ، وهم الذين قُتلوا فضربت الملائكةُ وجوهَهم وأدبارَهم .

رأي الأخنس وأبى جهل فى النبى صلى الله عليه وسلم :

والأخنس يومئذٍ أُبَىّ بن شَرِيقٍ بنحو من ثلاثمائة من قريش ، فسُمّى الأخْنَسُ [بن شَرِيق بن عمرو بن وهب بن علاج بن أبي سَلَمة بن عبد العزّى ابن غِيَرة] وذلك أنه خلا بأبى جهلٍ حين تَرَاءَى الجَمْعان ، فقال : أترى أن محمداً يَكذِبُ ؟ فقال أبو جهل : كيفَ يَكذب على الله ، وقد كنا نُسَمّيه الأمين ، لأنه ما كَذَبَ قطُّ ، ولكن إذا اجتمعت فى بنى عبدِ منافٍ السِّقاية والرِّفادة والمَشُورة ، ثم تكون فيهم النُّبُوءةُ ، فأىُّ شىء بقى لنا ، فحينئذ انخنس الأخْنَسُ ببنى زُهْرَةَ وحشد إبليسُ جميعَ جُنودِه ، وجاء بنفسه ، ونزل

---

(١) ذكر مجاهد منهم أيضاً . الحارث بن زمعة بن الأسود بن المطلب ، وعلى بن أمية بن خلف ، والعاص بن منبه بن الحجاج « تفسير ابن كثير » .

. . . .

جبريل بألفٍ من الملائكة فى صُوَرِ الرجال ، فكان فى خمسمائة من الملائكة فى المَيْمنة ، وميكائيل فى خمسمائةٍ من الملائكة فى المَيْسَرَة ، ووراءهم مَدَدٌ لم يُقاتلوا ، وهم الآلاف المذكورون فى سورة آل عمران ، وكان إسرافيلُ وَسَطَ الصَّفِّ لايقاتل ، كما يقاتل غيرُه من الملائكة ، وكان الرجلُ يرى المَلَك على صُورة رجلٍ يعرفه ، وهو يُثَبِّته ويقول له : ماهُم بِشَىْءٍ ، فكُرَّ عليهم (١) ، وهذا فى معنى قوله سبحانه ﴿ فَثَبِّتُوا الذين آمنوا ﴾ ذكره ابن إسحاق فى غير رواية ابن هِشَام ، وفى مثل هذا يقول حَسَّانُ :

مِيكالُ مَعَكَ وجِبْرئيلُ كلاهما   مَدَدٌ لِنَصْرِكَ مِنْ عزيزٍ قادِرِ

ويقال : كان مع المسلمين يومئذ سَبْعُون من الجِنِّ ، كانوا قد أسلموا .

من الآخرون ؟

وَذَكر قولَ الله تعالى : ﴿ تُرْهِبُونَ به عَدُوَّ اللهِ وعدوَّكم وآخرين من دونهم ﴾ ولم يَذْكر الآخرين مَنْ هُم ، وقيل فى ذلك أقوالٌ قيل : هم المنافقون ، وقيل : هم اليهود (٢) وأصح مافى ذلك أنهم الجن ، لرواية ابن المُلَيْكِىّ عن أبيه عن جده أن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى آخرين من دونهم

---

(١) قول لا سند له ، وقد سبق الحديث عن هذا ، ولم يكن المشركون فى القوة التى تحتاج إلى جبريل ومعه خمسمائة فى الميمنة ، وميكائيل فى خمسمائة منهم فى الميسرة ! !

(٢) رأى مجاهد فى الآخرين أنهم بنو قريظة ، ورأى السدى أنهم فارس

رفع المسهم

. . . .

قال هم الجن ثم قال عليه السلام : إن الشيطان لا يَخْبِلُ أحداً فى دارٍ فيها فَرَسٌ عَتِيقٌ ، ذكره الحارثُ فى مُسْنَدِه(١) وأنشد :

جُنُوحَ الهَالِكِيِّ على يَدَيْهِ ... مُكِبّاً يجتلى نُقَبَ النِّصَالِ

الهالِكِيّ : الصَّيْقَلُ . و نُقَبُ النِّصالِ : جَرَبُ الحديد ، وصَدَؤه ، وهو فى معنى النُّقَبِ ، واحدتها نُقْبَة(٢) .

حول غنائم بدر :

فصل : وذكر فى السورة : ﴿ لولا كِتَابٌ من الله سَبَقَ ﴾ يعنى بإحلال الغَنَائم لمحمدٍ وأمته لَمَسَّكم فيما أخَذْتُم عذابٌ عظيمٌ ، فقال النبيُّ ـ صلى الله عليه وسلم : ـ لقد عُرِضَ علىّ عذابُكم أدْنَى من هذه الشجرة(٣) ، وقال : لو نزل عذابٌ مانجا منه إلا عُمَرُ ، لأن عُمَرَ كان قد أشار عليه بقتل الأسارَى والإثخانِ فى القَتْل ، وأشار أبو بكر بالإبقاء ، فأخذ رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

(١) أخرجه ابن أبى حاتم والطبرانى . ولكن قال عنه ابن كثير فى تفسيره : « وهذا الحديث منكر لا يصح إسناده ولا متنه » ثم قال : وقال عن رأى القائلين بأنهم المنافقون : « وهذا أشبه الأقوال ، ويشهد له قوله تعالى : (وممن حولكم من الأعراب منافقون ، ومن أهل المدينة مردوا على النفاق ، لا تعلمهم نحن نعلمهم) » وابن كثير استهدف فأصاب . وفى الآية دليل آخر « لا تعلمونهم » أما اليهود وفارس ، فكان المسلمون يعلمون بهم .

(٢) الهالكى : الحداد وهو هنا الصيقل ، ويجتلى : يجلو ويصقل ، والنصال : جمع نصل ، وهو حديدة السهم .

(٣) من حديث رواه أحمد ومسلم .

. . . .

بقول أبي بكر ، ثم نزلت الآية : ﴿ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالاً طَيِّباً ﴾ وروى أبو عُبَيْد من طريق عبد الله بن مَسْعُود قال : لما كان يوم بدر ، وأخذ النبي صلى الله عليه وسلم الأسارى ، فقال : ماذا تَرَوْن ؟ فقال عمر : يارسول الله كَذَّبُوك وأخرجُوك ، اضرب أعناقهم ، وقال عبدُ الله بن رَوَاحَةَ : يارسول الله أنتَ بوادٍ كثيرِ الحَطَبِ ، فأضرِمْه ناراً ، ثم ألقِهِمْ فيها ، فقال العباس : قَطَعَ اللهُ رَحِمَك ، فقال أبو بكر : يارسول الله عِتْرَتُكَ ، وأصلُك وقومُك تجاوَزْ عنهم ، يَسْتَنْقِذهم الله بك من النار ، ثم دخل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فمِنْ قائلٍ يقول القولَ ماقال عمـــر ، ومن قائل يقول القولَ ماقالَ أبو بكر ، فخرج النبيُّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : ما قولُكم في هذين الرجلين ، إنّ مَثَلهما كمثلِ إخْوَةٍ لكم ، كانوا قَبْلَكمُ ، قال نوح : ﴿ رَبِّ لاَتذَرْ على الأرضِ ﴾ الآية ، وقال موسى : ﴿ رَبَّنا اطْمِسْ على أموالِهِم ﴾ الآية ، وقال عيسى : ﴿ إنْ تُعذِّبْهُم فإنهم عبادُك ﴾ الآية ، وقال إبراهيم : ﴿ فَمَنْ تَبِعني فإنه مِنّي ﴾ الآية . وإن الله يُشَدِّدُ قلوبَ رجالٍ ، حتى تكونَ كالحجرِ ، ويُلَيِّن قلوبَ رجال ، حتى تكونَ أَلْيَنَ من اللَّبَن ، ويروى من اللِّين ، وإن بكم عَيْلَةً فلا يَفْلِتن منهم أحدٌ إلا بفِداءٍ أو ضَرْبة عُنُقٍ . قال عبدُ الله [بن مسعود] : فقلتُ إلّا سَهْلَ بن بَيْضاءَ ، وقد كنت سمعته يذكر الإسْلَام ، قال : فجعلت أنظر إلى السماء متى تقع عليَّ الحجارةُ فقلت : أقدِّم القولَ بين يَدَيْ رسول الله ، فقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلاَّ سَهْلَ بن بَيْضاءَ ، ففرحت بذلك[1] ،

---

(١) رواه أحمد والترمذي والحاكم في مستدركه ، وقال : صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه .

رفع المسابهم غفر الله له ولوالديه

. . . .

قال أبو عبيدة: أما أهلُ المعرفة بالمغازى، فإنهم يقولون إنما هُو سَهْلُ بن بَيْضَاءَ أخو سُهَيْلٍ، فأمَّا، سُهَيْلٌ، فكان من المهاجرين، وقد شَهِد مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بدراً، ثم إن النبىَّ - صلى الله عليه وسلم - لم يفد بعدها بمالٍ، إنما كان يَمُنُّ أو يُفادِى أسيراً بأسير، كذلك قال أبو عُبَيْد: وذلك والله أعلم لقوله: ﴿ تُرِيدون عَرَضَ الدُّنيا ﴾ يعنى الفِداءَ بالمال، وإن كان قد أُحلَّ ذلك وطَيَّبه، ولكن مافعله الرسولُ بعد ذلك أفضل من المَنِّ أو المُفادَاة بالرجالِ، ألا ترى إلى قولِه سبحانه ﴿ فإمَّا مَنّاً بعدُ وإمّا فِدَاء ﴾ كيف قَدَّم المَنَّ على الفِداء، فلذلك اختاره رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وقدمه، وأما مذاهبُ الفُقَهاء فى هذا، فالأوزَاعى وسُفيان ومالك يكرهون أخذَ المال فى الأسير، لما فى ذلك من تقوية العدو بالرجال(١)، واختلفوا فى

---

(١) بسط الشيخ رشيد رضا القول فى تفسيره فى هذه المسألة، ثم قال - رحمه الله -: « وجملة القول فى تفسير الآيات الثلاث أنه ليس من سنة الأنبياء، ولا مما ينبغى لأحد منهم أن يكون له أسرى يفاديهم، أو يمن عليهم إلا بعد أن يكون له الغلب والسلطان على أعدائه وأعداء الله الكافرين لئلا يفضى أخذه الأسرى إلى ضعف المؤمنين وقوة أعدائهم وجرأتهم وعدوانهم عليهم، وأن ما فعله المؤمنون من مفاداة أسرى بدر بالمال كان ذنبا سببه إرادة جمهورهم عرض الحياة الدنيا على ما كان من ذنب أخذهم لهم قبل الإثخان الذى تقتضيه الحكمة بإعلاء كلمة الله تعالى، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى، ولولا ذلك لسألوا الرسول « ص » كما سألوه عن الأنفال من قبله، وأنه لولا كتاب من الله سبق مقتضاه عدم عقابهم على ذنب أخذ الفداء قبل إذنه تعالى، وعلى خلاف سنته وبالغ حكمته لمسهم عذاب عظيم فى أخذهم ذلك وأنه تعالى أحل لهم ما أخذوا وغفر لهم ذنبهم، بأخذه قبل إحلاله، والله غفور رحيم ».

الصغير إذا كان معه أمه ، وأجاز فداءه بالمال أهلُ العراق ، واختلف فيه عن مالكٍ ، والصحيح مَنْعُه ، وكان العباسُ عَمّ النبي صلى الله عليه وسلم في الأسرى ، ففَدَى نفسه ، وفدَى ابْنَيْ أخيه(١) ، فقال للنبي صلى الله عليه وسلم: لقد تركتني أتكفَّفُ قُرَيشاً فقيراً مُعْدِماً ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أين الذّهَب(٢) التي تركتَها عندَ أمِّ الفضل وعددُها كذا وكذا ، وقلتَ لها كَيْتَ وكَيْتَ، فقال: من أعلَمَك بهذا يا ابن أخي ؟ فقال : اللهُ ، فقال : حديثٌ ما اطّلع عليه إلا عالمُ الأسرارِ أشهد أنك رسولُ الله ، فحينئذ أسلم العباسُ ، وكان في الأسرى من يكتب ، ولم يكن في الأنصار أحدٌ يُحْسِن الكتابة فكان منهم مَنْ لامال له ، فيقبل منه أن يُعَلِّم عَشَرةً من الغِلمان الكتابةَ ، ويخلى سبيله ، فيومئذ تعلم الكتابةَ زيدُ بن ثابت في جماعة من غِلْمة الأنصار ، وهذه عيون أخبارٍ ، وصلتها بما ذكره ابن إسحاق في يوم بدر جمعتها من كتب التفاسير والسير ولخصتها .

خيل بدر :

فصل : وذكر ابن إسحاق الخيلَ التي كانت للمسلمين يوم بدر ، فذكر

---

(١) هما نوفل بن الحارث بن عبد المطلب وعقيل بن أبي طالب . وفي صحيح البخاري عن ابن شهاب قال حدثنا أنس بن مالك أن رجالا من الأنصار قالوا يا رسول الله ائذن لنا فلنترك لابن أختنا عباس فداءه ، قال : لا والله لا تذرون منه درهما ، هذا وقد قيل إن العباس افتدى نفسه بأربعين أوقية من ذهب .

(٢) يؤنث أحيانا .

رفع المسهم

بَعْزَجَةَ فرسَ المِقْدَادِ ، واليَعْبُوبَ فرسَ الزُّبَيْر ، وفرساً لمرثَدِ الغَنَوِيّ ، ولم يكن لهم يومئذ خيلٌ إلا هذه ، وفي فرس الزبير اختلافٌ ، وقد كان للنبي صلى الله عليه وسلم خيلٌ بعد هذا اليوم ، منها : السَّكْبُ واللِّزَاز والمُرْتَجِزُ واللَّحِيفُ(١) ، وقد ذكره البخاري من حديثِ عباس بن سَهْل عن أبيه ، قال: ويقال فيه : اللَّخِيفُ بالخاء المعجمة(٢) ، وقال القُتَبِيُّ : كان المُرْتَجِزُ فرساً اشتراه عليه السلام من أعرابي ، ثم أنكر الأعرابي أن يكونَ باعَه منه ،فشهد خُزَيْمَةُ بن ثابت على الأعرابي بالبيع ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : بم تشهد ؟ قال : أشهد بصدقِك يارسول الله ، فُجعلت شَهادتُه شهادَةَ رجلين ، والحديث مشهور ، غير أن في مُسْنَدِ الحارث زيادة فيه ، وهي أنه ، عليه السلام ، ردَّ الفَرَسَ على الأعرابي ، وقال : لابارك الله لك فيها ، فأصبحت من الغد شائلة برِجْلِها ، أي : قد ماتت . قال الطبري : ومن خَيْـلِهِ الضَّرِسُ ، ومُلاوِحٌ ، والوَرْدُ(٣) وهو الذي وهبه لعمر ، فحمل عليه عمرُ رجلا في سبيل

(١) سمي السكب بهذا لكثرة جريه ، كأنما يصب جريه صبا ، واللزاز لشدة تلززه واجتماع خلقه ، ولز به الشيء لزق به كأنه يلزق بالمطلوب لسرعته ، والمرتجز : لحسن صهيله ، واللحيف لطول ذنبه ، كأنه يلحف الأرض بذنبه أي يغطيها ، ويروى بالجيم ، فإن صح ، فانه من السرعة ، لأن الجيف سهم عريض النصل .

(٢) يقول ابن الأثير : رواه البخاري هكذا ولم يتحققه ، والمعروف بالحاء المهملة والجيم .

(٣) الضرس - بفتح فكسر - الصعب السيء الخلق وهي في الأصل : الضريس وهو خطأ صوبته من النهاية والطبري والقاموس ، وكان أول ماغزا عليه أحد . وملاوح - بضم الميم وكسر الواو : الضامر الذي لايسمن ، والسريع العطش ، =

. . . .

الله ، وحديثه فى الموطأ ، وكان له عليه السلامُ من الدروع : ذاتُ الفُضُولِ ، وأخرى يقال لها : فضَّة ، وراية يقال لها العُقَابُ ، وقوسان أحدهما : الصَّفْراء ، والأخرى : الزَّوْرَاء وسيفُه : ذو الفقَارَ لفقَرَاتٍ كانت فى وَسَطه(١) ، وكان لنُبَيْه ومُنَبِّه ابنَى الحجاج سُلِباَه يوم بَدْرٍ ، ويقال : إن أصلَه كان من حديدة وُجِدَت مَدْفونة عند الكعبة ، فصُنِع منها ذو الفِقَار ، وصَمْصامَةُ عَمْرِو بن مَعْدِى كَرِبَ التى وهبها لخالد بن سعيد ، وكانت مَشْهورَةً عند العرب ، وكان له حَرْبَةٌ يقـــال لها : النَّبعَة ، وذكر العُقَيلىُّ فى كتاب الضُّعَفَاء جملة من آلاته عليه السلام فى حديث أسنده ، فمنها الجمع اسم كِنانَتِه ، والمدلة اسم لمرآة كان ينظر

= والعظام الألواح . وزاد ابن الجوزى فى كتابه الوفا : الطرف ، وهو الكريم الطرفين . وقد ذكر الطبرى أن ملاوح كان لأبى بردة بن نيار ، وذكر فيه الظرب بدلا من الطرف عند ابن الجوزى . ويقول إن لزاز هدية من المقوقس ولحيف أهداه ربيعة بن أبى البراء ، والظرف أهداه له فروة بن عمر الجذامى ، والورد أهداه له تميم الدارى . كما ذكر له فرسا يسمى اليعسوب ص ١٧٤ حـ ٣ ط ١ المعارف . وذكر ابن القيم له فرسا آخر اسمه : سبحة ، وذكر أن الإمام أبا عبد الله محمد بن إسحاق بن جماعة جمعها فى بيت شعر :

والخيل : سكب لحيف سبحة ظرب لزاز مرتجز ورد لها أسرار

ص ٦٩ جـ ١ زاد المعاد

(١) يقول ابن الأثير لأنه كان فيه حفر صغار حسان . وضبطه ابن القيم ص ٦٧ حـ ١ زاد المعاد بفتح الفاء وكسرها ، وذكر له صلى الله عليه وسلم ثمانية أسياف أخرى كما ذكر له سبعة أدرع منها ما ذكر السهيلى ، وست قسى منها أيضا ما ذكر السهيلى ، وأما حربته فاسمها النبعاء كما ورد فى حديث رواه الطبرانى

رفع المسهم

. . . .

فيها ، وقضيب يسمى : الْمَمْشُوق ، وذكر الْجَلَمَيْنِ(١) ، ونسيت ما قال فى اسمه ، وأما بغلته دُلْدُلُ وحماره عُفَيْرٌ(٢) ، فقد ذكرناهما فى كتاب الأعلام، وذكرنا ما كان فى أمر الحمار من الآيات : وزدنا هنالك فى استقصاء هذا الباب ، ورأينا أن لانُخْلِيَ هذا الكتابَ مما ذكرنا هنالك ، أو أكثره ، وأما دُلْدُلُ فماتت فى زمن معاوية ، وهى التى أهداها إليه الْمُقَوْقِسُ ، وأما الْيَعْفُورُ فطَرَح نفسه فى بئرٍ يوم مات النبى – صلى الله عليه وسلم – فمات ، وذكر ابن فَوْرَكَ فى كتاب الفصول أنه كان من مغانم خَيْبر ، وأنه كَلَّم النبى صلى الله عليه وسلم ، وقال له : يارسول الله أنا زِيادُ بنُ شهابٍ ، وقد كان فى آبائى ستون حِماراً كلُّهم ركبه نَبِيٌّ ، فاركبنى أنت، وزاد الْجُوَينى فى كتاب الشامل(٣) أن النبىَّ – صلى الله عليه وسلم – كان إذا أراد أحداً من أصحابه أرسل إليه هذا الحمارَ ، فيَذهب حتى يضرِب برأسِهِ البابَ ، فيخْرج الرجل ، فيعلم أنه قد أرسل إليه ، فيأتى النبىَّ صلى الله عليه وسلم ، وكان له تُرْسٌ فيما ذكر الطبرى فيه تمثال كَرَأس الكَبْشِ وكان يكرهه فيه ، فأصبح ذات يوم قد

---

(١) الجلم الذى يجز به الشعر والصوف ، والجلمان شفرتاه ، وهكذا يقال مثنى كالمقص والمقصين.

(٢) وفى رواية : يعفور . ويذكر الطبرى أنه قيل أيضاً إن دلدل هدية من فرده بن عمر الجذامى كما ذكر ابن القيم أنه كان له « ص » أربع بغلات منها دلدل .

(٣) ص ١٧٨ حـ ٣ ط المعارف . ولا أدرى من أين جاء ابن فورك والجوينى بما ذكر عن الحمارين ؟؟.

. . . .

الأعمى[١] ، ولم يبق منه أثر ، وأما رداؤه عليه السلام ، فكان يقال له : الحضرمي ، وبه كان يشهد العيدين ، كان طوله أربع أذرع وعرضه ذراعان وشبر[٢] ، وكان له جَفْنَةٌ عظيمة يُقال لها الغَرَّاء يحملها أربعةُ رِجالٍ جرى ذكرها في حديث خَرجه أبو داود ، فهذه جُملة تَشْرَئِبُّ إلى معرفتها أنفسُ الطالبين ، وترتاح بالمذاكرة بها قلوبُ المتأدبين ، وكُلُّ ما كان من باب المعرفة بنبيِّنا عليه السلام ، ومتصلا بأخبارِ سيرته مما يُونِقُ الأسماعَ ، ويَهز بأرواح المحبةِ الطباع[٣] ، والحمد لله على ماعلم من ذلك .

---

(١) ذكر ابن القيم له اثنين آخرين . وأنه وضع يده على التمثال ، فأعمى ص ٦٧ ح ١ زاد المعاد .

(٢) في زاد المعاد لابن القيم ، قال الواقدي : كان رداؤه وبرده طول ستة أذرع في ثلاثة وشبر ، وإزاره من نسج عمان طوله أربعة أذرع وشبر ، في عرض ذراعين وشبر ، ص ٧١ ح ١ زاد المعاد وانظر فيه تفصيل ملابسه صلى الله عليه وسلم ، وفي ص ٥٦٨ ح ٢ الوفا بأحوال المصطفى والمواهب الدنية بداية الجزء الخامس .

(٣) لا ريب في أن كل ما يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم يثير ما يثير في النفس من شوق وحنين قد تعبر عنها أحيانا الدموع أصدق الدموع ، وتهفو بالروح إلى حيث كانت تلك السيرة القدسية . غير أنا نقول دائما : إننا يجب أن نعنى بسيرة النبي صلى الله عليه بعد البعثة ، حيث فرض الله علينا أن يكون لنا وحده ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو الأسوة الحسنة . ولقد قوم القرآن لنا حياته عليه الصلاة والسلام قبل البعثة وبعدها ، فلنهتد بنور القرآن في هذا التقويم ليكون لنا نبراسا وفيصلا فيما يجب علينا أن نأتسى به . وهاهى ذى آيات من القرآن بها نسترشد ونستهدى في هذا .

محمد قبل البعثة : ولاريب في أن النص من القرآن يلغى كل وصف يعارضه ، ويحكم ببطلانه . فلنتدبر معا . (ألم يجدك يتيما فآوى . ووجدك ضالا فهدى . =

رفع المسهم

= ووجدك عائلا فأغنى) والمهم هنا الآية الثانية ، ولنحذر أن تفتننا العاطفة الساحرة عن حقيقة معناها ولنحذر أيضاً من إلغاء معناها ، وإلا كان الكفر الصراح البواح ، ولنحذر أيضاً من أن نظن أن الإيمان بها ينال من مكانة النبي صلى الله عليه وسلم ، ولنتدبر معا أيضاً : (ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك ، وما يضلون إلا أنفسهم ، وما يضرونك من شيء ، وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة ، وعلمك مالم تكن تعلم ، وكان فضل الله عليك عظيما) النساء : ١١٣ فما أضل الذين يزعمون أنه كان يعلم بالقرآن قبل نزوله . بداية الآية تؤكد وجود بشرية فقيرة إلى عون الله وفضله ، وختامها يؤكد أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن يعلم الكتاب ، ولا الحكمة ، وأنه علم من الله ما لم يكن يعلم . ولنتدبر معا أيضاً : (وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك ، فلا تكونن ظهيرا للكافرين) القصص : ٨٦

(وما كنت تتلو من قبله من كتاب ، ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون) العنكبوت : ٤٨

(وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ، ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان . ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا . وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم) الشورى : ٥٢ .

(وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات . قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله ، قل : ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى ، إن أتبع إلا ما يوحى إلى إنى أخاف إن عصيت ربى عذاب يوم عظيم . قل لو شاء الله ماتلوته عليكم ، ولا أدراكم به ، فقد لبثت فيكم عمراً من قبله . أفلا تعقلون) يونس : ١٥ ، ١٦

هذا تقويم لحياة النبي صلى الله عليه وسلم ، يؤكد لنا ما يأتى بعضه : إنه صلى الله عليه وسلم لم يكن يعرف الكتاب ولم يكن يعرف الإيمان ، وأن الله وجده ضالا ، فهداه ، وأنه لم يكن يرجو أن يلقى إليه الكتاب ، ولهذا لم يفرض الله علينا الاقتداء به صلى الله عليه وسلم فى هذه الفترة ، وإنما فرض علينا أن نتخذه أسوة بعد أن صار رسولا

تقويم لحياته بعد الرسالة :

. . . .

= يقول سبحانه فى سورة النجم (ما ضل صاحبكم ، وما غوى ، وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحى يوحى) جاءه الوحى ، فكانت هذه الصفات العظيمة التى بها زكى الله فكره وقلبه و لسانه .

(فآمنوا بالله ورسوله النبى الامى الذى يؤمن بالله وكلماته، واتبعوه لعلكم تهتدون) الأعراف : ١٥٨ .

(كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ، ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون) البقرة : ١٥١ .

وهذا تقويم لرسالته وأثرها فى البشرية

(قل : أطيعوا الله والرسول ، فان تولوا ، فان الله لا يحب الكافرين) آل عمران : ٣٢ .

(إن الله وملائكته يصلون على النبى ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) الاحزاب : ٥٦ وأى تمجيد أعظم من هذا لعبد اصطفاه الله ليختم به النبوة ؟

(إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله ، يد الله فوق أيديهم) الفتح : ١٠ .

هكذا تؤكد الآية أن من بايع محمداً — صلى الله عليه وسلم — فإنما بايع الله سبحانه ، أفترجو البشر فى تطلعها إلى الخلود مقاما أعظم ؟ كلا . ثم تدبر هذا التقويم الأعظم إذ يجعل الله طاعة الرسول — صلى الله عليه وسلم — هى القاعدة لطاعته ، أو المعراج إلى طاعته جل شأنه ، وهذا فى قوله سبحانه (من يطع الرسول ، فقد أطاع الله) النساء : ٨٠ .

(قل إن كنتم تحبون الله ، فاتبعونى ، يحببكم الله ، ويغفر لكم ذنوبكم) .

فليس ثمت وسيلة إلى محبة الله سوى طاعته صلى الله عليه وسلم واتباعه .

(ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين) الاحزاب : ٤٠ .

(إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة ، وأعد لهم عذابا مهينا) الاحزاب : ٥٧ .

=

. . . .

= هو الخاتم للنبوة . ومن يؤذه رجمته لعنة الله فى الدارين ، وتجرع العذاب المهـــين .

(لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة ، لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ، وذكر الله كثيرا) الأحزاب : ٢١ .

وتدبر قوله جل شأنه (رسول الله) أتى بالوصف الذى به فرض علينا أن نتخذه أسوة ، وصف أنه رسول الله ، لو وضع مكانها كان لكم فى محمد ، لفرض علينا اتخاذه أسوة فى حاليه قبل البعثة وبعدها .

(إنك ميت ، وإنهم ميتون)

فا حذر أن يهوم بك الخيال ، فتظنه خالدا فالله يقول (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد ، أفإن مت فهم الخالدون) ووضع إنك وإنهم هكذا متجاورين فى الآية التى تؤكد أنه سيموت تؤكد لك أن موته هو موتنا ، حتى لا يخدعنك بالتمويه دجال .

لهذا يجب علينا أن نذكر أنفسنا وأبناءنا وإخواننا دائما بما كان عليه النبى صلى الله عليه وسلم بعد بعثته أكثر من التذكير بمولده صلى الله عليه وسلم . ولنقارن بين القرآن وبين أسطورة هذى بها ابن عربى فأجت أجيج النار فى الهشيم ، وسلبت ألوف الألوف حسن اعتقادهم فى الله ورسوله ، وقد ردد هذه الأسطورة فى كتابه الكبير (الفتوحات المكية) ونقلها الشعرانى فى التمجيد والتعظيم وذلك فى كتابه « الكبريت الأحمر فى بيان علوم الشيخ الأكبر » . وإليك ما قاله ابن عربى « إعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى القرآن مجملا قبل جبريل من غير تفصيل الآيات والسور ، فقيل له : لاتعجل بالقرآن الذى عندك قبل جبريل ، فتلقيه على الأمة مجملا ، فلا يفهم أحد عنك لعدم تفصيله » ص ٦ الكبريت الأحمر المطبوع على هامش اليواقيت والجواهر سنة ١٣٠٧ هـ وتأمل قول عبد الكريم الجيلى — وهو من هو — عند الصوفية (اعلم أن الله تعالى لما خلق النفس المحمدية من ذاته ، وذات الحق جامعة للضدين، خلق الملائكة العالين فى حيث صفات الجمال والنور والهدى من نفس محمد ، وخلق إبليس وأتباعه من حيث صفات الجلال والظلمة والضلال من نفس محمد ، =

رفع
المسـ هم
غفر الله له ولوالديه

من شهد بدراً من المسلمين

من بنى هاشم والمطلب

قال ابن إسحاق : وهذه تسمية من شهد بدراً من المسلمين ، ثم من (قريش ، ثم من) بنى هاشم بن عبد مناف وبنى المطّلب بن عبد مناف بن قُصَىّ بن كلاب بن مُرّة بن كعب بن لُؤَىّ بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضْر ابن كنانة .

محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد المرسلين ، ابن عبد الله بن عبد المطّلب بن هاشم ؛ وحمزة بن عبد المطّلب بن هاشم ، أسدُ الله وأسد رسوله ، عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلىّ بن أبى طالب بن عبد المطّلب بن هاشم ؛ وزيد بن حارثة بن شُرَحْبيل بن كعب بن عبد العزّى بن امرئ القيس الكلبى ، أنعم الله عليه ورسوله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام : زيد بنُ حارثة بن شَراحيل بن كعب بن عبد العُزّى بن امرئ القيس بن عامر بن النُّعمان بن عامر بن عبد وُدّ بن عَوْف بن كِنانة ابن بَكر بن عَوْف بن عُذْرة بن زيد الله ابن رُفَيْدة بن ثور بن كَلْب ابن وَبْرة .

= ص ١٤ ج ٢ الإنسان الكامل ط ١٢٩٤ وإذا سئل الصوفية عن الحقيقة المحمدية قالوا هى ذات الله فى تعينها الأول . وراجع ما كتبته فى كتابى « هذه هى الصوفية » وكتابى « مصرع التصوف » هدانا الله إلى الحق ، ورزقنا الحمية له على بصيرة .

رفع المسلم

قال ابن إسحاق : وأَنَسَةُ مولى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو كَبْشة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام : أَنَسَةُ : حبشيّ ، وأبو كَبْشة : فارسيّ .

قال ابن إسحاق وأبو مَرْثَدٍ كَنَّازُ بنُ حِصْن بن يَرْبوع بن عَمْرو بن يَرْبوع بن خَرَشة بن سَعْد بن طريف بن جِلَّانَ بن غَنْم بن غَنِيّ بن يَعْصُر ابن سَعْد بن قَيس بن عَيْلان .

قال ابن هشام : كَنَّاز بن حُصين .

قال ابن إسحاق : وابنه مَرْثد بن أبى مرثد ، حَليفا حمزة بن عبد المطّلب ؛ وعُبيدة بن الحارث بن المطّلب ؛ وأخواه الطُّفيل بن الحارث ، والحُصَين بن الحارث ؛ ومِسْطَح ، واسمه : عَوف بن أُثاثة بن عَبَّاد بن المُطَّلب . اثنا عشر رجلا .

من بنى عبد شمس

ومن بنى عبد شَمس بن عبد مناف : عثمان بن عفّان بن أبى العاص بن أُميَّة ابن عبد شمس ، تخلَّف على امرأته رُقَيَّة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فضرَب له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بسهمه ، قال : وأجْرى يارسولَ الله ؟ قال : وأجرُك ؛ وأبو حذيفة بن عُتبة بن ربيعة بن عبد شمس ؛ وسالم ، مولى أبى حُذيفة .

قال ابن هشام : واسم أبى حُذيفة مِهْشَم .

نسب سالم

قال ابن هشام : وسالم ، سائبة لثُبَيْتة بنت يَعار بن زَيْد بن عُبيد بن زَيْد ابن مالك بن عَوْف بن عمرو بن عَوف بن مالك بن الأوس ، سَيَّبته فانقطع إلى أبي حُذيفة فتبنّاه ، ويقال: كانت ثُبَيْتةُ بنت يَعار تحت أبي حُذيفة بن عُتبة ، فأعتقت سالما سائبةً ، فقيل : سالم مولى أبي حُذيفة .

قال ابن إسحاق : وزعموا أنّ صُبيحا مولى أبي العاص بن أميّة بن عبد شمس تجهَّز للخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم مرض ، فحمل على بعيره أبا سَلَمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عُمر بن مخزوم ؛ ثم شهد صُبَيح بعد ذلك المَشاهد كلَّها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

من حلفاء بني عبد شمس

وشهد بدراً من حُلفاء بني عَبْد شَمْس ، ثم من بني أسد بن خُزَيمة : عبدُ الله بن جَحْش بن رئاب بن يَعْمَر بن صَبْرة بن مُرّة بن كَبير بن غَنْم ابن دُودان بن أسد ؛ وعُكّاشة بن مِحْصَن بن حُرْثان بن قَيْس بن مُرّة ابن كَبير بن غَنْم بن دُودان بن أسد ؛ وشُجاع بن وَهْب بن ربيعة بن أسد ابن صُهَيب بن مالك بن كَبير بن غَنْم بن دُودان بن أسد ، وأخوه عُقْبة بن وَهْب ؛ ويزيد بن رُقَيش بن رئاب بن يَعْمر بن صَبْرة بن مرّة بن كَبير ابن غَنْم بن دُودان بن أسد ؛ وأبو سِنان بن مِحْصَن بن حُرْثان بن قيس ، أخو عُكّاشة بن مِحْصن ؛ وابنُه سنان بن أبي سِنان ، ومُحْرِز بن نَضْلة بن عبد الله

ابن مرّة بن كبير بن غَنْم بن دُودان بن أسد ، وربيعة بن أكْثم بن سَخْبَرة ابن عمرو بن لُكَيْز بن عامر بن غَنْم بن دُودان بن أسد

من حلفاء بنى كبير

ومن حلفاء بنى كَبير بن غَنْم بن دُودان بن أسد : ثَقْفَ بن عَمْرو ، وأخواه : مالك بن عمرو ، ومُدْلج بن عمرو .

قال ابن هشام : مِدْلاج بن عمرو .

قال ابن إسحاق : وهم من بنى حَجْر ، آل بنى سُلَيم . وأبو مَخْشى ، حليفٌ لهم . ستّة عشرَ رجلا .

قال ابن هشام : أبو مَخْشىّ طائىّ ، واسمه : سُوَيد بن مَخْشى .

من بنى نوفل

قال ابن إسحاق : ومن بنى نَوْفل بن عبد مَناف : عُتْبة بن غَزْوان بن جابر بن وَهْب بن نُسيب بن مالك بن الحارث بن مازن بن منصور بن عِكْرمة بن خَصَفة بن قيس بن عَيْلان ؛ وخَبَّاب ، مولى عُتْبة بن غَزْوان — رجلان .

من بنى أسد

ومن بنى أسَد بن عبد العُزّى بن قُصَىّ : الزُّبير بن العوّام بن خُوَيلد ابن أسَد ؛ وحاطب بن أبي بَلْتعة ، وسَعْد مولى حاطب . ثلاثةُ نفر .

قال ابن هشام : حاطب بن أبى بَلْتعة ، واسم أبى بَلْتعة : عمرو ، لخمىّ ، وسَعْد مولى حاطب ، كلبىّ .

من بنى عبد الدار

قال ابن إسحاق : ومن بنى عبد الدّار بن قُصَىّ : مُصْعب بن عُمَير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدّار بن قُصَىّ ؛ وسُوَيْبط بن سعد بن حُرَيْلة بن مالك بن عُمَيْلة بن السَّبَّاق بن عبد الدار بن قُصَىّ . رجلان .

من بنى زهرة

ومن بنى زُهْرة بن كلاب : عبدُ الرحمن بن عَوْف بن عبد عَوْف بن عبد بن الحارث بن زُهْرة ؛ وسعدَ بن أبى وقّاص — وأبو وقّاص مالك بن أُهَيب بن عبد مناف بن زُهْرة . وأخوه عُمَير بن أبى وقّاص .

ومن حُلفائهم : المِقْدَادُ بن عَمْرو بن ثعلبة بن مالك بن رَبيعة بن ثمامة بن مَطْرود بن عمرو بن سعد بن زُهير بن ثَوْر بن ثعلبة بن مالك بن الشَّريد بن هَزْل بن قائش بن دُرَيم بن القَيْن بن أهْود بن بَهْراء بن عمرو بن الحاف ابن قُضاعة . قال ابن هشام : ويقال : هزل بن قاس بن ذَرّ — ودَهِير بن ثور .

قال ابن إسحاق : وعبدُ الله بن مسعود بن الحارث بن شَمْخ بن مَخْزوم ابن صاهِلة بن كاهِل بن الحارث بن تَميم بن سعد بن هُذَيل ؛ ومسعود بن رَبيعة ابن عمرو بن سعد بن عبد العُزّى بن حَمالة بن غالب بن مُحَلِّم بن عائذة بن سُبَيع بن الهُون بن خُزيمة ، من القارة .

. . . .

قال ابن هشام : القارة : لقب لهم . ويقال :

قَدْ أنصفَ القارةَ مَنْ راماها

وكانوا رماة .

قال ابن إسحاق : وذو الشمالين بن عبد عمرو بن نَضْلة بن غُبْشان بن سُلَيم بن مَلكان بن أفصى بن حارثة بن عمرو بن عامر ، من خُزاعة .

قال ابن هشام : وإنما قيل له : ذو الشِّمالين ، لأنه كان أعسر ، واسمه عُمَير .

قال ابن إسحاق : وخبَّاب بن الأرتّ ، ثمانية نفر .

قال ابن هشام : خباب بن الأرتّ ، من بنى تميم ، وله عقب ، وهم بالكوفة ؛ ويقال : خبَّاب من خُزاعة .

من بنى تيم

قال ابن إسحاق : ومن بنى تَيم بن مُرّة : أبو بكر الصدّيق ، واسمه عَتيق ابن عُثمان بن عامر بن عمرو بن كَعب بن سعد بن تَيْم .

قال ابن هشام : اسم أبى بكر : عبدُ الله ، وعَتيق : لقب ، لُحسْن وجهه وعتْقِه .

قال ابن إسحاق : وبلال ، مولى أبى بكر — وبلال مولد من مولَّدى بنى جُمح ، اشتراه أبو بكر من أُميَّة بن خلَف ، وهو بلال بن رَباح ، لا عقب له — وعامر بن فُهَيرة .

قال ابن هشام : عامر بن فُهَيرة ، مولَّد من مولدى الأسْد ، أسود ، اشتراه أبو بكر منهم .

قال ابن إسحاق : وصُهَيب بن سِنان ، من النَّمر بن قاسط .

نسب النمر

قال ابن هشام : النمر : ابنُ قاسط بن هِنْب بن أفْصى بن جَدِيلة بن أسد ابن ربيعة بن نزار ؛ ويقال : أفصى بن دُعْمِىّ بن جَديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار ، ويقال : صُهيب ، مولى عبد الله بن جُدْعان بن عمرو بن كعب بن سعد ابن تيم ، ويقال : إنه رُومىّ . فقال بعض من ذكر إنه من النَّمر بن قاسط : إنما كان أسيراً فى الروم فاشْترِى منهم . وجاء فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم : صُهيب سابقُ الروم .

قال ابن إسحاق : وطلحة بن عُبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سَعْد ابن تَيم ، كان بالشأم ، فقَدِم بعد أن رجع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من بدر ، فكلَّمه ، فضرب له بسَهمِه ، فقال : وأجْرِى يارسولَ الله؟ قال : وأجرُك .

خمسة نفر .

من بنى مخزوم

قال ابن إسحاق : ومن بنى مَخْزوم بن يَقظة بن مُرّة : أبو سَلَمة بن عبد الأسد ، واسمُ أبى سَلَمة عبدُ الله بن عبد الأسد بن هِلال بن عبد الله بن عمر بن مَخزوم ؛ وشماس بن عثمان بن الشَّريد بن سُوَيد بن هَرَمِىّ بن عامر بن مخزوم .

سبب تسمية الشماس

قال ابن هشام : واسم شمّاس : عثمان ، وإنما سُمّى شمّاسا ، لأن شمّاساً من الشمامسة قَدِم مكة فى الجاهليّة ، وكان جميلاً ، فعجب الناسُ من جَماله . فقال عُتبة بن ربيعة ، وكان خالَ شمّاس : ها أنا آتيكم بشمّاس أحسن منه ، فأتى بابن أخته عثمان بن عثمان فسُمّى شمّاساً ، فيما ذكر ابنُ شِهاب الزهرىّ وغيرُه .

قال ابن إسحاق : والأرقمُ بن أبى الأرقم ، واسم أبى الأرقم : عبدُ مناف ابن أسد ، وكان أسد يُكنى : أبا جُندب بن عبد الله بن عمر بن مَخزوم ؛ وعمَّار بن ياسر .

قال ابن هشام : عمّار بن ياسر ، عَنْسِىّ ، من مَذْحِج .

قال ابن إسحاق : ومُعتِّب بن عَوف بن عامر بن الفَضْل بن عَفيف بن كُلَيب بن حُبْشيَّة بن سَلول بن كَعب بن عمرو ، حليف ، لهم من خُزاعة ، وهو الذى يُدعى : عَيهامة ، خمسة نفر .

من بنى عدى وحلفائهم

ومن بنى عدىّ بن كعب : عمرُ بن الخطّاب بن نُفَيل بن عبد العُزّى ابن رِياح بن عبد الله بن قُرْط بن رَزاح بن عدىّ ؛ وأخوه زيد بن الخطّاب ؛ ومِهْجَع ، مولى عمر بن الخطّاب ، من أهل اليمن ، وكان أوّلَ قتيل من المسلمين بين الصفَّين يوم بَدر ، رُمى بسهم .

قال ابن هشام : مِهجع ، من عكّ بن عَدْنان .

قال ابن إسحاق : وعمرو بن سُراقة بن المُعْتَمِر بن أَنَس بن أذاة بن عبد الله بن قُرْط بن رِياح بن رَزاح بن عدىّ بن كعب ؛ وأخوه عبد الله ابن سُراقة ؛ وواقد بن عبد الله بن عبد مَناف بن عَرِين بن ثَعْلبة بن يَرْبوع ابن حَنْظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، حليف لهم ، وخَوْلىّ بن أبى خولى ومالك بن أبى خَوْلى ، حليفان لهم .

قال ابن هشام : أبو خولى ، من بنى عِجْل بن لُجَيْم بن صَعْب بن علىّ ابن بَكر بن وائل .

قال ابن إسحاق : وعامر بن ربيعة ، حليف آل الخطَّاب ، من عَنز ابن وائل .

قال ابن هشام : عنز بن وائل : ابن قاسط بن هنب بن أفصى بن جَديلة ابن أسد بن ربيعة بن نزار ، ويقال : أفصى : ابنُ دُعْمِىّ بن جَديلة .

قال ابن إسحاق : وعامر بن البُكَير بن عبد ياليل بن ناشب بن غيرة ، من بنى سعد بن ليث ؛ وعاقل بن البُكَير ؛ وخالد بن البُكَير ، وإياس بن البُكَير ، حلفاء بنى عدىّ بن كَعْب ؛ وسَعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيل ابن عبد العُزَّى بن عبد الله بن قُرْط بن رياح بن رزاح بن عدىّ بن كعب ، قَدِم من الشأم بعد ما قدم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من بدر ، فكلَّمه ، فضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه ؛ قال : وأجْرِى يارسول الله ؟ قال : وأجرك . أربعة عشر رجلا .

من بنى جمح وحلفائهم

ومن بنى جُمح بن عمرو بن هُصيص بن كعب : عثمان بن مَظْعون بن حَبيب بن وَهْب بن حُذافة بن جُمَح ؛ وابنه السائب بن عثمان ؛ وأخَواه قُدامة ابن مَظْعون ؛ وعبدُ الله بن مَظْعون ؛ ومَعْمر بن الحارث بن مَعْمر بن حَبيب ابن وهب بن حُذافة بن جُمَح . خمسة نفر .

ومن بنى سَهم بن عمرو بن هُصَيص بن كَعْب بن خُنَيس بن حُذافة بن قَيْس بن عدىّ بن سَعْد بن سهم . رجل .

من بنى عامر

قال ابن إسحاق : من بنى عامر بن لُؤىّ : ثم من بنى مالك بن حِسْل بن عامر : أبو سَبْرة بن أبى رُهْم بن عبد العُزّى بن أبى قَيس بن عبد وُدّ بن نصر بن مالك بن حِسْل عبد الله بن مَخْرمة بن عبد العُزّى بن أبى قَيْس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك ؛ وعبد الله بن سُهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حَسْل ـ كانَ خرج مع أبيه سُهيل بن عمرو ، فلما نزل الناسُ بدراً فرّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فشهدها معه ـ وعُمير ابن عَوْف ، مولى سُهيل بن عمرو ؛ وسعد بن خَوْلة ، حليف لهم . خمسةُ نفر .

قال ابن هشام : سعد بن خَوْلة ، من اليمن

من بنى الحارث

قال ابن إسحاق : ومن بنى الحارث بن فِهر : أبو عُبيدة بن الجراح ،

وهو عامر بن الله بن الجرّاح بن هلال بن أُهيب بن ضَبَّة بن الحارث وعمرو ابن الحارث بن زُهير بن أبى شدّاد بن ربيعة بن هلال بن أُهيب بن ضَبَّة بن الحارث ؛ وسُهيل بن وهب بن رَبيعة بن هلال بن أبى أُهيب بن ضَبَّة بن الحارث ؛ وأخوه صَفْوان بن وهْب ، وهما ابنا بيضاء ؛ وعمرو بن أبى سَرْح ابن ربيعة بن هلال بن أُهَيب بن ضبَّة بن الحارث . خمسة نفر .

عدد من شهد بدراً من المهاجرين

فجميع من شَهد بدراً من المُهاجرين ، ومن ضرب له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بسهمه وأجره ، ثلاثة وثمانون رجلا .

قال ابن هشام : كثير من أهل العلم ، غير ابن إسحاق ، يذكرون فى المهاجرين ببدر ، فى بنى عامر بن لؤىّ : وهب بن سَعد بن أبى سَرْح ، وحاطبَ بن عمرو ؛ وفى بنى الحارث بن فِهر : عِياضُ بن أبى زُهير .

الأنصار ومن معهم

من بنى عبد الأشهل

قال ابن إسحاق : وشَهد بدراً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسلمين ثم من الأنصار، ثم من الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ، ثم من بنى عبد الأشهل بن جُشم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك ابن الأوس سعدُ بن مُعاذ بن النُّعمان بن امرىء القَيْس بن زيد بن عبد الأشهل ؛

رفع
المسلم
عبد الله الهاشمي

وعمرو بن مُعاذ بن النُّعمان ، والحارث بن أوْس بن مُعاذ بن النُّعمان، والحارث بن أنَس بن رافع بن امرئ القيس .

من بنى عبيد بن كعب وحلفائهم

ومن بنى عُبَيْدُ بن كعب بن عبد الأشهل : سعدُ بن زَيْد بن مالك بن عُبيد . ومن بنى زَعُورا بن عبد الأشهل - قال ابن هشام : ويقال : زَعْورا - سَلمة بن سَلامة بن وَقَش بن زُغْبة ، وعبَّاد بن بِشْر بن وَقَش بن زغبة بن زَعُورا ، وسَلمة بن ثابت بن وَقَش ، ورافع بن يَزيد بن كُرْز بن سَكن بن زَعُورا ، والحارث بن خَزَمة بن عدىّ بن أُبىّ بن غَنْم بن سالم بن عَوْف ابن عمرو بن عَوْف بن الخَزْرج حليف لهم من بنى عَوْف بن الخَزْرج، ومحمدُ بن مَسْلمة بن خالد بن عدىّ بن مَجْدَعة بن حارثة بن الحارث حليف لهم من بنى حارثة بن الحارث، وسَلَمة بن أسْلم بن حَريش بن عدىّ بن مَجْدعة بن حارثة ابن الحارث ، حليف لهم من بنى حارثة بن الحارث .

قال ابن هشام : أسلم : بن حُرَيس بن عدىّ .

قال ابن إسحاق : وأبو الهيثم بن التَّيِّهان ، وعُبيد بن التَّيِّهان .

قال ابن هشام : ويقال : عتيك بن التَّيِّهان .

قال ابن إسحاق : وعبدُ الله بن سَهْل . خمسة عشر رجلا .

قال ابن هشام : عبدُ الله بن سَهل : أخو بنى زَعُورا ؛ ويقال : من غسَّان .

قال ابن إسحاق : ومن بنى ظَفَر ، ثم من بنى سَوَاد بن كَعْب ، وكعب : هو ظَفَر ـ قال ابن هشام : ظَفَر : ابن الخزرج بن عمرو بن مالك الأوس : قتادةُ بن النُّعمان بن زيد بن عامر بن سَوَاد ؛ وعُبيد بن أوْس بن مالك بن سَوَاد ، رجلان .

سبب تسمية عبيد مقرن

قال ابن هشام : عُبيد بن أوس الذى يُقال له : مقرّن ، لأنه قَرَن أربعة أسرى فى يوم بدر . وهو الذى أسر عَقيل بن أبى طالب يومئذ .

من بنى عبد بن رزاح وحلفائهم

قال ابن إسحاق : ومن بنى عَبْد بن رِزَاح بن كعب : نَصْرُ بن الحارث ابن عبد ؛ ومعتِّب بن عبد .

ومن حلفائهم ، من بلىّ : عبدُ الله بن طارق . ثلاثة نفر .

من بنى حارثة

ومن بنى حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس : مسعودُ بن سَعْد بن عامر بن عدىّ بن جُشَم بن مَجْدعة بن حارثة .

قال ابن هشام : ويقال : مسعود بن عبد سعد .

قال ابن إسحاق : وأبو عَبْس بن جَبْر بن عمرو بن زيد بن جُشَم بن مَجْدعة بن حارثة .

ومن حلفائهم ، ثم من بلىّ : أبو بُردة بن نيار ، واسمه : هانئ بن نيار ابن عمرو بن عُبيد بن كلاب بن دُهْمان بن غَنْم بن ذُبيان بن هُمَيم بن كاهل ابن ذُهْل بن هُنَىّ بن بلىّ بن عمرو بن الحاف بن قُضاعة . ثلاثة نفر .

من بنى عمرو

قال ابن إسحاق : ومن بنى عَمْرو بن عَوف بن مالك بن الأوْس ، ثم من بنى ضُبَيعة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف : عاصم بن ثابت بن قَيْس ، وقيس أبو الأقلح بن عِصْمة بن مالك بن أمَة بن ضُبيعة ، ومعتّب بن قُشَير بن مُلَيل بن زيد بن العَطّاف بن ضُبيعة ؛ وأبو مُليل بن الأزعر بن زيد بن العَطّاف بن ضُبيعة ، وعمرو بن معبد بن الأزعر بن زيد ابن العطاف بن ضبيعة .

قال ابن هشام : عُمَير بن مَعْبد .

قال ابن إسحاق : وسهل بن حنيف بن واهب بن العكيم بن ثعلبة بن مجدعة بن الحارث : ابن عمرو ، وعمرو الذى يقال له : بحزج بن حَنَس ان عوف بن عمرو بن عوف . خمسة نفر .

من بنى أمية

ومن بنى أُميّة بن زيد بن مالك : مُبَشر بن عبد المُنذر بن زَنْبر بن زيد ابن أُميّة ، ورفاعة بن عبد المُنذر بن زَنْبر ، وسعد بن عُبَيد بن النُّعمان بن

قَيس بن عمرو بن زيد بن أُميَّة ؛ وعُوَيم بن ساعدة ؛ ورافع بن عُنْجُدَة ـ وعُنْجُدَةُ أُمُّه ، وفيما قال ابن هشام ـ وعُبيد بن أبي عُبيد ، وثعلبة بن حاطب .

وزعموا أن أبا لُبابة بن عبد المنذر ، والحارث بن حاطب خرجا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجعهما ، وأمَّر أبا لبابة على المدينة ، فضرب لهما بسهمين مع أصحاب بدر . تسعة نفر .

قال ابن هشام : ردَّهما من الرَّوحاء .

قال ابن هشام : وحاطبُ بن عمرو بن عُبَيد بن أميَّة ، واسم أبي لُبابة : بَشير .

من بني عبيد وحلفائهم

قال ابن إسحاق : ومن بني عُبيد بن زيد بن مالك : أُنَيس بن قَتادة بن ربيعة بن خالد بن الحارث بن عُبيد .

ومن حُلفائهم من بَلِيّ : مَعْن بن عدىّ بن الجدّ بن العَجْلان بن ضُبيعة وثابت بن أقرم بن ثعلبة بن عدىّ بن العَجْلان ، وعبد الله بن سَلَمة بن مالك ابن الحارث بن عدىّ بن العَجْلان ، وزيد بن أَسْلم بن ثعلبة بن عدىّ بن العجلان ؛ ورِبْعىّ بن رافع بن زيد بن حارثة بن الجدّ بن العَجْلان . وخرج عاصم بن عدىّ بن الجدّ بن العَجْلان ، فردّه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وضرب له بسهمه مع أصحاب بدر . سبعة نفر .

من بني ثعلبة

ومن بني ثعلبة بن عمرو بن عوف : عبدُ الله بن جُبير بن النُّعمان بن أميَّة

ابن البَرْكِ – واسم البُرَكِ : امرؤ القيس بن ثَعلبة – وعاصم بن قَيْس .

قال ابن هشام : عاصم بن قُيَيْس : ابن ثابت بن النعمان بن أُمَيَّة بن امرىء القيس بن ثعلبة .

قال ابن إسحاق : وأبو ضَيَّاح بن ثابت بن النعمان بن أُمَيَّة بن امرىء القيس بن ثعلبة ؛ وأبو حَنَّة .

قال ابن هشام : وهو أخو أبي ضَيَّاح ، ويقال : أبو حَيَّة . ويقال لامْرِئ القيس : البُرَكُ بن ثعلبة .

قال ابن إسحاق : وسالم بن عُمير بن ثابت بن النُّعمان بن أُمَيَّـــة بن امرىء القيس بن ثعلبة .

قال ابن هشام : ويقال : ثابت : ابن عَمْرو بن ثَعْلَبَةَ .

قال ابن إسحاق : والحارث بن النُّعمان بن أُمَيَّة بن امرىء القيس بن ثَعلبة وخَوَّات بن جُبَيْر بن النُّعمان ، ضرب له رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بسهم مع أصحابِ بدرٍ . سبعة نفر .

من بني جحجبي وحلفائهم

ومن بني جَحْجَبي بن كُلْفة بن عَوف بن عمرو بن عوف : منذر بن محمد بن عُقبة بن أُحَيحة بن الجلاح بن الحريش بن جَحْجَبي بن كلفة .

قال ابن هشام : ويقال : الحريس بن جَحْجَبي .

قال ابن إسحاق : ومن حلفائهم من بنى أُنَيف : أبو عقيل بن عبد الله ابن ثعلبة بن بَيْحان بن عامر بن الحارث بن مالك بن عامر بن أُنَيف بن جُشَم ابن عبد الله بن تَيم بن إراش بن عامر بن عُمَيلة بن قَسْمِيل بن فَرَان بن بَلِيّ ابن عمرو بن الحاف بن قُضاعة . رجلان .

قال ابن هشام : ويقال تَميم بن إرَاشَة ، وقِسْميل بن فارَان .

من بنى غنم

وقال ابن إسحاق : ومن بنى غَنْم بن السَّلْم بن امرىء القيس بن مالك بن الأوس سعدُ بن خَيْثمة بن الحارث بن مالك بن كعب بن النَّحَّاط بن كعب ابن حارثة بن غَنْم ؛ ومُنذر بن قُدامة بن عَرْفجة ؛ ومالك بن قُدامة بن عَرْفجة .

قال ابن هشام : عرفجة : ابن كعب بن النحاط بن كعب بن حارثة بن غنم .

قال ابن إسحاق : والحارث بن عَرْفجة ؛ وتميم ، مولى بنى غنم . خمسة نفر .

قال ابن هشام : تميم : مولى سَعْد بن خيثمة .

من بنى معاوية وحلفائهم

قال ابن إسحاق : ومن بنى معاوية بن مالك بن عوف بن عَمْرو بن عَوف : جَبْر بن عتيك بن الحارث بن قيس بن هَيْشة بن الحارث بن أُميَّة بن معاوية ؛ ومالك بن نُمَيْلة ، حليف لهم من مُزينة ، والنُّعمان بن عَصَر ، حليف لهم من بَلِيّ . ثلاثة نفر .

عدد من شهد بدراً من الأوس

فجميع من شهد بدراً من الأوس مع رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ومن ضُرِب له بسهمه وأجره ، أحد وستون رجلا .

من بني امرىء القيس

قال ابن إسحاق : وشهد بدراً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسلمين ، ثم من الأنصار ، ثم من الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر، ثم من بني الحارث بن الخزرج ، ثم من بني امرىء القيس بن مالك بن ثعلبة ابن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج : خارجة بن زيد بن أبي زُهَير ابن مالك بن امرىء القيس ، وسعدُ بن ربيع بن عمرو بن أبي زُهَير بن مالك ابن امرىء القيس ، وعبدُ الله بن رَواحة بن ثعلبة بن امرىء القيس بن عمرو ابن امرىء القيس ، وخلّاد بن سُويد بن ثعلبة بن عمرو بن حارثة بن امرىء القيس ، أربعة نفر .

من بني زيد

ومن بني زيد بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج : بَشير بن سعد بن ثعلبة بن خِلاس بن زيد ـ قال ابن هشام : ويقال : جُلاس ، وهو عندنا خطأ ـ وأخوه سِماك بن سعد . رجلان .

من بني عدي

ومن بني عديّ بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج : سُبيع بن قيس

عَيْشة بن أميَّة بن مالك بن عامر بن عدىّ ، وعبَّاد بن قيس بن عَيْشة أخوه .

قال ابن هشام : ويُقال : قيس : ابن عَبَسة بن أميَّة .

قال ابن إسحاق : وعبدُ الله بن عَبْس . ثلاثة نفر .

من بنى أحمر

ومن بنى أحمر بن حارثة بن ثعلبة بن كَعْب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج : يزيدُ بن الحارث بن قيس بن مالك بن أحمر ، وهو الذى يُقال له : ابن فُسحم رجل .

قال ابن هشام : فُسْحُم أمُّه ، وهى امرأة من القَيْن بن جَسْر .

من بنى جشم

قال ابن إسحاق : ومن بنى جُشَم بن الحارث بن الخَزْرج ، وزيد بن الحارث بن الخزرج ، وهما التَّوْءمان : خُبَيْب بن إساف بن عِتَبة بن عمرو بن خَديج بن عامر بن جُشَم ، وعبد الله بن زيد بن ثَعلبة بن عبد ربِّه بن زيد ، وأخوه حُرَيْث بن زيد بن ثَعلبة ، زعموا ، وسُفْيان بن بَشْر . أربعة نفر .

قال ابن هشام : سُفيان بن نَسْر بن عمرو بن الحارث بن كعب بن زيد .

من بنى جدارة

قال ابن إسحاق : ومن بنى جِدَارة بن عوف بن الحارث بن الخزرج :

تميم بن يعار بن قيس بن عدى بن أمية بن جدارة ، وعبدُ الله بن عُمَير من بنى حارثة .

قال ابن هشام : ويقال : عبد الله بن عُمَير بن عدىّ بن أميَّة بن جِدارة .

قال ابن إسحاق : وزيد بن المُزَيَّن بن قيس بن عدى بن أميَّة بن جِدَارة .

قال ابن هشام : زيد بن المُرَىّ .

قال ابن إسحاق : وعبدُ الله بن عُرْفطة بن عدىّ بن أميَّة بن جِدَارَة .

أربعة نفر .

من بنى الأبجر

ومن بنى الأبجَر ، وهم بنو خُدْرة بن عوف بن الحارث بن الخزرج : عبد الله ابن رَبيع بن قيس بن عمرو بن عبَّاد بن الأبجر . رجل .

من بنى عوف

ومن بنى عَوْف بن الخزرج ، ثم من بنى عُبيد بن مالك بن سالم بن غَنْم ابن عوف بن الخزرج ، وهم بنو الحُبْلى ـ قال ابن هشام : الحُبْلى : سالم بن غَنْم بن عوف ، وإنما سمى الحُبْلى ، لِعظم بطنه : عبدُ الله بن عبد الله بن أُبىّ ابن مالك بن الحارث بن عبيد (المشهور بابن سَلُول) ، وإنما سَلُول امرأة ، وهى أم أُبىّ : وأوس بن خَوْلىّ بن عبد الله بن الحارث بن عبيد . رجلان .

من بنى جزء وحلفائهم

ومن بنى جزْء بن عدىّ بن مالك بن سالم بن غَنْم : زيدُ بن وَدِيعة بن عمرو بن قَيس بن جزْء ؛ وعُقْبة بن وَهْب بن كَلَدَة ، حليف لهم من بنى عبدالله ابن غَطَفان ؛ ورفاعة بن عمرو بن زَيْد بن عمرو بن ثَعلبة بن مالك بن سالم ابن غَنْم ؛ وعامر بن سَلَمَة بن عامر ، حليف لهم من أهل اليمن . قال ابن هشام : ويقال : عمرو بن سلمة وهو من بلىّ ، من قُضاعة .

قال ابن إسحاق : وأبو حُمَيضَة مَعْبد بن عبَّاد بن قُشَير بن المُقَدَّم بن سالم بن غَنْم .

قال ابن هشام : مَعْبد بن عبادة بن قَشْغَر بن المقدم ، ويقال : عُبادة بن قيس بن القُدْم .

وقال ابن إسحاق : وعامر بن البُكَير ، حليف لهم . ستة نفر .

قال ابن هشام : عامر بن العُكَير ، ويقال : عاصم بن العُكَير .

من بنى سالم

قال ابن إسحاق : ومن بنى سالم بن عَوْف بن عمرو بن الخزْرج ، ثم من بنى العَجْلان بن زَيد بن غَنْم بن سالم : نوفلُ بن عبد الله بن نَضْلة بن مالك ابن العجلان بن العجلان . رجل .

من بنى أصرم

ومن بنى أصرم بن فِهر بن ثعلبة بن غَنْم بن سالم بن عوف – قال ابن هشام: هذا غَنْم بن عوف، أخو سالم بن عوف بن عمرو بن عَوْف بن الخزرج، وغَنم بن سالم، الذى قبله على ما قال ابن إسحاق – : عُبادة بن الصامت بن قيس ابن أصرم؛ وأخوه أوْس بن الصامت. رجلان.

من بنى دعد

ومن بنى دَعْد بن فِهر بن ثعلبة بن غنم: النعمان بن مالك بن ثعلبة بن دَعْد، والنعمان الذى يقال له. قَوقل. رجل.

ومن بنى قِرْيُوش بن غَنْم بن أميّة بن لَوْذان بن سالم – قال ابن هشام: ويقال قَرْيُوس بن غَنْم – ثابت بن هَزّال بن عمرو بن قِرْيُوش. رجل.

ومن بنى مَرْضَخة بن غَنْم بن سالم: مالكُ بن الدُّخْشم بن مَرْضَخة. رجل.

قال ابن هشام: مالك بن الدُّخشم: ابن مالك بن الدُّخْشم بن مَرْضَخة.

من بنى لوذان وحلفائهم

قال ابن إسحاق: ومن بنى لَوْذان بن سالم: ربيع بن إياس بن عَمْرو ابن غَنْم بن أميّة بن لَوْذان، وأخوه وَرَقة بن إياس، وعَمْرو بن إياس، حليف لهم من أهل اليمن. ثلاثة نفر.

قال ابن هشام : ويقال : عمرو بن إياس ، أخو رَبيع وورقة .

قال ابن إسحاق : ومن حلفائهم من بَلِيّ ، ثم من بني غُصَينة — قال ابن هشام : غصينة ، أمهم ، وأبوهم عمرو بن عُمارة — المجذَّر بن ذِياد بن عمرو بن زُمْزمة بن عمرو بن عُمارة بن مالك بن غُصينة بن عمرو بن بُتيرة بن مَشْنُوّ ابن قَسْر بن تَيم بن إراش بن عامر بن عُمَيلة بن قِسْمِيل بن فَرّان بن بلِيّ ابن عمرو بن الحاف بن قضاعة .

قال ابن هشام : ويقال : قَسْر بن تَميم بن إراشة ، وقسميل بن فاران . واسم المجذَّر : عبد الله .

قال ابن إسحاق : وعُبادة بن الخَشْخاش بن عمرو بن زُمْزُمة ، ونَحَّاب ابن ثعلبة بن حَزمة بن أصرم بن عمرو بن عمارة .

قال ابن هشام : ويقال بحَّاث بن ثعلبة .

قال ابن إسحاق : وعبدُ الله بن ثعلبة بن حَزَمة بن أصرم . وزعموا أن عُتبة بن ربيعة بن خالد بن مُعاوية — حليف لهم — من بَهْراء ، قد شهد بدراً ، خمسة نفر .

قال ابن هشام : عُتبة بن بَهْز ، من بني سُلَيم .

من بني ساعدة

قال ابن إسحاق : ومن بني ساعدة بن كعب بن الخزرج ، ثم من بني ثعلبة ابن الخزرج بن ساعِدة : أبو دُجانة ، سماك بن خَرَشة

قال ابن هشام : أبو دُجانة : (سِماك) بن أوْس بن خَرَشة بن لَوْذان بن عَبْد وُدّ بن زيد بن ثعلبة .

قال ابن إسحاق : والمُنْذر بن عمرو بن خُنَيس بن حارثة بن لَوْذان بن عبد وُد بن زيد بن ثعلبة . رجلان .

قال ابن هشام : ويقال : المنذر : ابن عمرو بن خَنْبَش .

من بنى البدىّ وحلفائهم

قال ابن إسحاق : ومن بنى البَدِىّ بن عامر بن عَوْف بن حارثة بن عمرو ابن الخزْرج بن ساعدة : أبو أُسَيد مالك بن ربيعة بن البَدِىّ ، ومالك بن مسعود وهو إلى البَدِىّ . رجلان .

قال ابن هشام : مالك بن مسعود : ابن البَدِىّ ، فيما ذكر لى بعضُ أهل العلم .

من بنى طريف وحلفائهم

قال ابن إسحاق : ومن بنى طَرِيف بن الخزْرج بن ساعدة : عبدُ ربِّه بن حَقّ بن أوس بن وَقش بن ثعلبة بن طَرِيف . رجل .

ومن حلفائهم ، من جُهينة : كعبُ بن حمار بن ثعلبة .

قال ابن هشام : ويقال : كعب : ابن جَمَّار ، وهو من غُبْشان .

قال ابن إسحاق : وضَمْرة وزياد وبَسْبس ، بنو عمرو .

قال ابن هشام : ضَمْرة وزياد ، ابنا بشر .

قال ابن إسحاق : وعبد الله بن عامر ، من بلىّ . خمسة نفر .

من بنى جشم

ومن بنى جُشَم بن الخزرج ، ثم من بنى سَلِمة بن سعد بن علىّ بن أسد بن ساردة بن تَزِيد بن جُشَم بن الخزرج ثم من بنى حَرام بن كعب بن غَنْم ابن كعب بن سَلمة : خَرَاش بن الصِّمّة بن عمرو بن الجَمُوح بن زيد بن حَرَام ، والحُباب بن المنذر بن الجموح بن زيد بن حَرام ، وعُمَير بن الحُمام بن الجموح ابن زيد بن حَرام ، وتميم مولى خراش بن الصمة وعبد الله بن عمرو بن حرام ابن ثعلبة بن حرام ، ومُعاذ بن عمرو بن الجموح ، ومعوذ بن عمرو بن الجموح ابن زيد حَرام ، وخَلّاد بن عمرو بن الجموح بن زيد بن حَرام ، وعُقبة بن عامر بن نابى بن زيد بن حَرام ، وحبيب بن أسود ، مولى لهم ، وثابت بن ثَعْلبة بن زيد بن الحارث بن حَرام ، وثعلبة الذى يقال له : الجذع ، وعمير ابن الحارث بن ثعلبة بن الحارث بن حرام . اثنا عشر رجلا .

نسب الجموح

قال ابن هشام : كلّ ما كان هاهنا الجَموح ، (فهو الجموح) بن زيد ابن حَرام ، إلا ما كان من جدّ الصِّمّة (بن عمرو) ، فانه الجَموح بن حَرام .

قال ابن هشام : عُمَير بن الحارث : ابن لَبْدَة بن ثعلبة .

. . . .

من بنى عبيد وحلفائهم

قال ابن إسحاق : ومن بنى عُبَيد بن عَدِىّ بن غَنْم بن كعب بن سَلِمة ، ثم من بنى خنساء بن سنان بن عبيد : بشر بن البراء بن معرور بن صخر بن مالك بن خَنْساء ، والطُّفيل بن مالك بن خَنْساء ، والطُّفيل بن النعمان بن ابن خَنساء ، وسنان بن صَيْفىّ بن صَخْر بن خَنْساء ، وعبد الله بن الجدّ بن قَيْس ابن صَخْر بن خَنْساء ، وعُتْبَة بن عبد الله بن صَخْر بن خَنْساء ، وجَبَّار ابن صَخْر بن أُميَّة بن خَنْساء ، وخارجة بن حُمَيِّر ، وعبد الله بن حُمير ، حليفان لهم من أشجع ، من بنى دُهْمان . تسعة نفر .

قال ابن هشام : ويقال : جبَّار : بن صَخْر بن أُميَّة بن خُناس .

من بنى خناس

قال ابن إسحاق : ومن بنى خُناس بن سِنان عُبيد : يزيدُ بن المُنْذر بن سرح بن خناس ، ومعقل بن المنذر بن سرح بن خناس ، وعبد الله بن النعمان ابن بَلْذَمة .

قال ابن هشام : ويُقال : بُلْذُمة وبُلْدُمة .

قال ابن إسحاق : والضَّحاك بن حارثة بن زَيد بن ثعلبة بن عُبيد بن عدىّ ، وسَوَاد بن زُرَيق بن ثعلبة بن عُبيد بن عدىّ .

قال ابن هشام : ويقال : سواد : ابن رِزْن بن زيد بن ثعلبة .

قال ابن إسحاق : ومَعْبد بن قَيْس بن صَخْر بن حَرام بن رَبيعة بن عَدىّ ابن غَنْم بن كعب بن سَلِمة. ويقال : معبد بنُ قَيس : ابن صَيفى بن صَخر ابن حَرام بن رَبيعة ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : وعبدُ الله بن قَيْس بن صَخْر بن حَرام بن ربيعة بن عدىّ بن غَنْم . سبعة نفر .

من بنى النعمان

ومن بنى النُّعْمان بن سِنان بن عُبيد : عبدُ الله بن عبد مناف بن النعمان ؛ وجابر بن عبد الله بن رِئاب بن النُّعمان : وخُلَيدة بن قَيْس بن النُّعمان . والنُّعمان بن سِنان ، مولى لهم. أربعة نفر.

من بنى سواد

ومن بنى سَواد بن غَنْم بن كَعْب بن سَلِمة ، ثم من بنى حَديدة بن عمرو ابن غَنْم بن سَواد - قال ابن هشام : عمرو بن سَواد ، ليس لسَواد ابن يقال له غنم : أبو المُنذر ، وهو يَزيد بن عامر بن حَديدة ؛ وسُلَيم بن عمرو بن حَديدة ؛ وقُطْبة بن عامر بن حَديدة ؛ وعنترة مولى سُليم بن عمرو . أربعة نفر.

قال ابن هشام : عنترة ، من بنى سُلَيم بن مَنْصور ، ثم من بنى ذَكْوان .

من بنى عدى بن نابى

قال ابن إسحاق : ومن بنى عدىّ بن نابى بن عَمرو بن سَواد بن غَنْم :

رفع
المسار
عزالله ...

عَبْس بن عامر بن عدىّ ، وثعلبة بن غَنَمَة بن عدى ، وأبو اليَسَر ، وهو كعب بن عمرو بن عبَّاد بن عمرو بن غَنْم بن سَوَاد ؛ وسَهْل بن قيس بن أبى كَعْب بن القَين بن كَعْب بن سَوَاد ، وعمرو بن طَلْق بن زيد بن أميَّة ابن سنان بن كعب بن غَنْم ، ومُعاذ بن جَبَل بن عمرو بن أوْس بن عائذ ابن عدىّ بن كعب بن عدى بن أُدَى بن سعدبن علىّ بنأسَد بن ساردِة بن تَزِيد بن جُشَم بن الخزْرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر . ستة نفر .

قال ابن هشام : أوس : ابن عبَّاد بن عدىّ بن كعب بن عمرو بن أُدَىّ ابن سعد .

قال ابن هشام : وإنما نَسب ابن إسحاق مُعاذ بن جبل فى بنى سَوَاد ، وليس منهم ، لأنه فيهم .

تسمية من كسروا آلهة بنى سلمة

قال ابن إسحاق : والذين كسروا آلهة بنى سَلمَةَ : مُعاذُ بن جَبَل ، وعبد الله بن أنيس ، وثعلبة بن غنمةَ ، وهم فى بنى سوَاد بن غنم .

من بنى زريق

قال ابن إسحاق : ومن بنى زُرَيق بن عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غَضْب بن جُشَم بن الخزرج ، ثم من بنى مُخَلَّد بن عامر بن زُرَيق — قال ابن هشام : ويقال : عامر : ابن الأزرق : قَيْس بن مُحْصِن بن خالد ابن مُخَلَّد .

قال ابن هشام : ويقال : قيس : ابن حِصْن .

قال ابن إسحاق : وأبو خالد وهو الحارث بن قَيْس بن خالد بن مخلّد وجُبَير بن إياس بن خالد بن مخلَّد ، وأبو عُبادة ، وهو سعد بن عثمان بن خَلَدة ابن مُخلَّد وأخوه عقبة بن عثمان بن خَلَدة بن مُخلَّد ؛ وذَكْوان بن عبد قَيْس ابن خَلَدة بن مخلَّد ؛ ومسعود بن خلَدة بن عامر بن مخلَّد . سبعة نفر .

من بنى خالد

ومن بن خالد بن عامر بن زُرَيق: عبَّاد بن قيس بن عامر بن خالد. رجل.

من بنى خلدة

ومن بنى خلدة بن عامر بن زُريق : أسعد بن يَزيد بن الفاكه بن زيد ابن خَلَدة ، والفاكه بن بِشْر بن الفاكه بن زيد بن خلدة .

قال ابن هشام : بُسْر بن الفاكه .

قال ابن إسحاق : ومُعاذ بن ماعِص بن قيس بن خَلَدة ، وأخوه : عائذ ابن ماعِص بن قيس بن خلدة، ومسعود بن سعد بن قيس بن خلدة . خمسة نفر.

من بنى العجلان

ومن بنى العَجْلان بن عمرو بن عامر بن زُرَيق : رفاعةُ بن رافع بن العَجْلان وأخوه خلَّاد بن رافع بن مالك بن العَجْلان، وعُبيد بن زَيد بن عامر ابن العَجْلان . ثلاثة نفر .

من بنى بياضة

ومن بنى بَياضة بن عامر بن زُريق . زياد بن لَبيد بن ثعلبة بن سِنان ابن عامر بن عدىّ بن أُميَّة بن بَياضة ، وفَرْوة بن عمرو بن وَذْفة بن عبيد ابن عامر بن بَياضة .

قال ابن هشام : ويقال : ودْفة .

قال ابن إسحاق : وخالد بن قيس بن مالك بن العَجْلان بن عامر بن بَياضة ، ورُجَيلة بن ثَعلبة بن خالد بن ثعلبة بن عامر بن بَياضة .

قال ابن هشام : ويقال : رُخَيلة .

قال ابن إسحاق : وعَطِيَّة بن نُوَيرة بن عامر بن عطية بن عامر بن بَياضة ، وخَليفة بن عدىّ بن عمرو بن مالك بن عامر بن فهيرة بن بَياضة . ستة نفر .

قال ابن هشام : ويقال : عَلِيفة .

من بنى حبيب

قال ابن إسحاق : ومن بنى حَبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غَضْب ابن جُشَم بن الخزرج : رافعُ بن المُعَلَّى بن لَوْذان بن حارثة بن عَدِىّ بن زيد ابن ثَعلبة بن زيد مناة بن حَبيب . رجل .

رفع المسهم

من بنى النجار

قال ابن إسحاق : ومن بنى النجّار ، وهو تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج ثم من بنى غَنْم بن مالك بن النجّار ، ثم من بنى ثعلبة بن عبد عَوْف بن غَنْم : أبو أيوب خالد بن زيد بن كُليب بن ثعلبة . رجل .

من بنى عسيرة

ومن بنى عُسَيْرة بن عَبْد عوف بن غَنْم : ثابت بن خالد بن النعمان بن خَنْساء بن عُسَيرة . رجل .

قال ابن هشام : ويقال : عُسَيْر ، وعُشَيرة .

من بنى عمرو

قال ابن إسحاق : ومن بنى عَمْرو بن عبد عوف بن غَنْم : عُمارة بن حَزْم بن زيد بن لَوْذان بن عمرو ، وسُراقة بن كعب بن عبد العزّى بن غَزِيَّة بن عمرو . رجلان .

من بنى عبيد بن ثعلبة

ومن بنى عُبَيد بن ثعلبة بن غَنْم : حارثةُ بن النُّعمان بن زَيد بن عبيد ، وسُليم بن قَيس بن قَهْد : واسم قهد : خالد بن قيس بن عبيد . رجلان .

قال ابن هشام : حارثة بن النُّعمان : ابن نَفْع بن زَيد .

من بنى عائذ وحلفائهم

قال ابن إسحاق : ومن بنى عائذ بن ثعلبة بن غَنْم ـ ويقال عابد فيما قال ابن هشام : سُهيل بن رافع بن أبى عمرو بن عائذ، وعدىّ بن الزّغباء ، حليف لهم من جُهينة . رجلان .

من بنى زيد

ومن بنى زيد بن ثعلبة بن غَنْم : مَسْعود بن أوْس بن زيد ، وأبو خُزيمة ابن أوْس بن زيد بن أصْرم بن زَيْد ، ورافع بن الحارث بن سَواد بن زيد . ثلاثة نفر .

من بنى سواد وحلفائهم

ومن بنى سَواد بن مالك بن غنم : عوف ، ومُعوّذ ، ومُعاذ ، بنو الحارث ابن رفاعة بن سَواد ، وهم بنو عفراء .

نسب عفراء

قال ابن هشام : عفراء بنت عُبيد بن ثعلبة بن عُبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجّار ، ويقال رفاعة : بن الحارث بن سَواد .

قال ابن إسحاق : والنّعمان بن عمرو بن رفاعة بن سَواد ، ويقال : نُعيمان ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : وعامر بن مُخلد بن الحارث بن سَواد ، وعبد الله بن

قَيس بن خالد بن مَخلدة بن الحارث بن سَوَاد ، وعُصَيْمة ، حليف لهم من أشجع ، ووَديعة بن عمرو ، حليف لهم من جُهينة ، وثابت بن عَمرو بن زيد ابن عدىّ بن سَوَاد . (و) زعموا أن أبا الحَمْراء ، مولى الحارث بن عَفراء ، قد شهد بَدْراً . عشرة نفر .

قال ابن هشام : أبو الحَمْراء ، مولى الحارث بن رفاعة .

من بنى عامر بن مالك

قال ابن إسحاق : ومن بنى عامر بن مالك بن النجّار ـ وعامر : مَبْذول ثم من بنى عتيك بن عمرو بن مَبذول : ثعلبةُ بن عَمرو بن مِحْصَن بن عمر ابن عَتيك ، وسَهْل بن عتيك بن عمرو بن النُّعمان بن عَتيك ، والحارث بن الصِّمَّة بن عمرو بن عَتيك ، كُسِر به بالرَّوْحاء فضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسَهْمه . ثلاثة نفر .

من بنى عمرو بن مالك

ومن بنى عمرو بن مالك بن النجّار ـ وهم بنو حُدَيلة ـ ثم من بنى قَيس ابن عُبيد بن زيد بن مُعاوية بن عمرو بن مالك بن النجّار .

نسب حديلة

قال ابن هشام : حُدَيلة بنت مالك بن زيد الله بن حَبيب بن عبد حارثة ابن مالك بن غَضْب بن جُشم بن الخزرج ، وهى أم مُعاوية بن عمرو بن مالك بن النجّار ، فبنو معاويةَ يَنتسبون إليها .

قال ابن إسحاق: أبىّ بن كعب بن قيس، وأنس بن معاذ بن أنس بن قيس. رجلان.

من بنى عدى بن عمرو

ومن بنى عدىّ بن عمرو بن مالك بن النجّار:

قال ابن هشام: وهم بنو مَغالة بنت عوف بن عبدمَناة بن عمرو بن مالك ابن كِنانة بن خُزَيمة، ويقال: إنها من بنى زُرَيق، وهى أمّ عدىّ بن عمرو بن مالك بن النجّار، فبنو عدىّ ينسبون إليها:

أوسُ بن ثابت بن المُنذر بن حَرام بن عمرو بن زيد مَناة بن عدىّ، وأبو شَيخ أُبىّ بن ثابت بن المُنذر بن حَرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدىّ.

قال ابن هشام: أبو شيخ أُبىّ بن ثابت، أخو حسّان بن ثابت.

قال ابن إسحاق: وأبو طَلحة، وهو زيد بن سَهل بن الأسود بن حَرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدىّ. ثلاثة نفر.

من بنى عدى بن النجار

ومن بنى عدىّ بن النجّار، ثم من (بنى) عدىّ بن عامر بن غَنْم بن النجّار: حارثةُ بن سُراقة بن الحارث بن عدىّ بن مالك بن عدىّ بن عامر، وعمرو بن ثَعلبة بن وَهب بن عدىّ بن مالك بن عدىّ بن عامر، وهو أبو حَكيم، وسَليط بن قَيس بن عمرو بن عَتيك بن مالك بن عدىّ بن عامر،

وأبو سَليط ، وهو أُسَيْرة بن عمرو ؛ وعمرو أبو خارجة بن قَيْس بن مالك ابن عدىّ بن عامر ؛ وثابت بن خَنْساء بن عَمْرو بن مالك بن عدىّ بن عامر ؛ وعامر بن أُميّة بن زَيْد بن الحَسْحاس بن مالك بن عدىّ بن عامر ؛ ومُحْرِز ابن عامر بن مالك بن عدىّ بن عامر ؛ وسواد بن غزِيّة بن أُهَيْب ، حليف لهم من بَلِىّ . ثمانية نفر .

قال ابن هشام : ويقال : سَوَّاد .

من بنى حرام بن جندب

قال ابن إسحاق : ومن بنى حَرَام بن جُنْدب بن عامر بن غَنْم بن عدىّ ابن النجَّار : أبو زيد ، قَيْس بن سَكَن بن قَيْس بن زَعُوراء بن حَرَام ، وأبو الأعْور بن الحارث بن ظالم بن عَبْس بن حَرَام .

قال ابن هشام : ويقال : أبو الأعْور : الحارث بن ظالم .

قال ابن إسحاق : وسُلَيم بن مِلْحان ؛ وحَرَام بن مِلْحان — واسم مِلْحان : مالك بن خالد بن زيد بن حرام . أربعة نفر .

من بنى مازن بن النجار وحلفائهم

ومن بنى مازن بن النجَّار ، ثم من بنى عَوف بن مَبْذول بن عمرو بن غَنْم بن مازن بن النجَّار : قيسُ بن أبى صَعْصعة — واسم صَعْصعة : عمرو بن زيد بن عوف — وعبدُ الله بن كَعْب بن عمرو بن عَوْف ؛ وعُصَيمة ، حليف لهم من بنى أسد بن خُزَيمة . ثلاثة نفر .

من بنى خنساء بن مبذول

ومن بنى خَنْساء بن مَبْذول بن عمرو بن غَنْم بن مازن : أبو داود عُمير ابن عامر بن مالك بن خَنْساء ، وسُراقة بن عَمْرو بن عطيّة بن خَنْساء . رجلان.

من بنى ثعلبة بن مازن

ومن بنى ثعلبة بن مازن بن النجّار : قيس بن مُخَلّد بن ثَعْلبة بن صَخْر ابن حَبيب بن الحارث بن ثَعْلبة . رجل .

من بنى دينار بن النجار

ومن بنى دينار بن النجّار ، ثم من بَنى مَسْعود بن عبد الأشْهل بن حارثة ابن دِينار بن النجّار : النُّعمانُ بن عبد عمرو بن مَسْعود ، والضحاك بن عبد عمرو بن مَسْعود ، وسُليم بن الحارث بن ثَعْلبة بن كَعْب بن حارثة بن دِينار ، وهو أخو الضّحّاك والنُّعمان ابنى عبد عمرو ، لأمهما ، وجابر بن خالد ابن عبد الأشْهل بن حارثة ، وسعد بن سُهَيل بن عبد الأشْهل . خمسة نفر .

ومن بنى قَيْس بن مالك بن كَعْب بن حارثة بن دِينار بن النجّار : كعب بن زَيْد بن قَيْس : وبُجَيْر بن أبى بُجَيْر ، حليف لهم . رجلان .

قال ابن هشام : بُجَيْر : من عَبْس بن بَغيض بن رَيْث بن غَطَفان ، ثم من بنى جَذيمة بن رَوَاحة .

قال ابن إسحاق : فجمع من شهد بدراً من الخَزْرج مائة وسبعون رجلا .

من فات ابن إسحاق ذكرهم

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم يذكر في الخزرج ببدر، في بني العجلان ابن زيد بن غنم بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج : عتبان بن مالك بن عمرو بن العجلان ؛ ومليل بن وبرة بن خالد بن العجلان ؛ وعصمة ابن الحصين بن وبرة بن خالد بن العجلان .

وفي بني حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج ، وهم في بني زريق هلال بن المعلى بن لوذان بن حارثة بن عدي بن زيد بن ثعلبة بن مالك بن زيد مناة بن حبيب .

عدد البدريين جميعاً

قال ابن إسحاق : جميع من شهد بدراً من المسلمين ، من المهاجرين والأنصار من شهدها منهم ، ومن ضرب له بسهمه وأجره ، ثلاث مائة رجل وأربعة عشر رجلا ؛ من المهاجرين ثلاثة وثمانون رجلا ، من الأوس واحد وستون رجلا ، ومن الخزرج مائة وسبعون رجلا .

من استشهد من المسلمين يوم بدر

القرشيون من بني عبد المطلب

واستشهد من المسلمين يوم بدر ، مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من قريش ؛ ثم من بني المطلب بن عبد مناف : عبيدة بن الحارث بن المطلب

قتله عُتبة بن ربيعة ، قطع رجلَه ، فمات بالصَّفْراء . رجل .

من بنى زهرة

ومن بنى زُهْرة بن كلاب. عُمَيْر بن أبى وقَّاص بن أُهَيْب بن عبد مناف ابن زُهرة ، وهو أخو سَعْد بن أبى وقَّاص ، فيما قال ابن هشام ؛ وذو الشِّمالَيْن ابن عبد عمرو بن نَضْلة ، حليف لهم من خُزاعة ، ثم من بنى غُبْشان . رجلان .

من بنى عدى

ومن بنى عَدِىّ بن كَعْب بن لُؤَىّ : عاقلُ بن البُكَيْر ، حليف لهم من بنى سَعْد بن لَيْث بن بَكْر بن عبد مَناة بن كنانة ؛ ومِهْجَع ، مولى عمر بن الخطَّاب . رجلان .

من بنى الحارث بن فهر

ومن بنى الحارث بن فِهْر : صَفْوان بن بَيْضاء رجل . ستة نفر .

ومن الأنصار

ومن الأنصار ، ثم من بنى عمرو بن عوف : سعدُ بن خَيْثمة ، ومُبَشِّر ابن عبد المُنذر بن زَنْبر . رجلان .

من بنى الحارث بن الخزرج

ومن بنى الحارث بن الخزرج : يزيد بن الحارث ، وهو الذى يقال له : ابن فُسْحُم . رجل .

من بنى سلمة

ومن بنى سَلِمة ، ثم من بنى حَرَام بن كَعْب بن غنم بن كعب بن سلمة : عُمَير بن الْحُمَام . رجل .

من بنى حبيب

ومن بنى حَبِيب بن عبد حارثة بن مالك بن غَضْب بن جُشَم : رافع بن المُعَلَّى . رجل .

من بنى النجار

ومن بنى النجَّار : حارثة بن سُرَاقة بن الحارث . رجل .

من بنى غنم

ومن بنى غَنْم بن مالك بن النجَّار : عوف ومُعَوِّذ ، ابنا الحارث بن رفاعة ابن سَوَاد ، وهما ابنا عَفْراء . رجلان . ثمانية نفر .

تسمية من شهد بدراً

قد تقدم التعريف بكثير منهم ، ومن غيرهم مِمَّن جرى ذكرُه فى السيرة والتنبيه إلى ما تَتَشَوَّف إليه نفسُ الطالب من هذا الفنّ وسائرُهم قد نسبه ابن إسحاق وابن هشام فى هذا الباب ، ونَسَبْنَا نحن فيما تقدم طائفةً لم ينسبهم ابن إسحاق فى هذا الباب ، منهم : أبو الهَيْثم [مالك] بن التَّيِّهان تقدم التعريف به فى بَيْعةِ العَقَبةِ وأنه من بنى إِرَاش فى قول ابن إسحاق ، وقال ابن هشام : إِرَاشَة .

[illegible]

رفع المسهم

في نسخة الشيخ أبي بَحْر وغيرها من النُّسَخ الصِّحَاح ، وهو وهم ، والصواب : عياضُ بن زُهَيْر ، وليس الوهم فيه من ابن إسحاق ، لأنه قد ذكره في المهاجرين إلى الحبشة ، فقال فيه ابن زهيرٍ على الصواب ، وكذلك قال في ابن أخيه عَمْرو ابن الحارثِ بن زُهَيْر ، وغَنْمُ بن زُهَيْرٍ والدُ عِياضِ بن غَنْم صاحب الفتوحات الذي يقول فيه ابن الرُّقَيَّاتِ :

وعِياضٌ وما عِياضُ بن غَنْمٍ   كانَ مِنْ خَيْرِ مَنْ تُجِنُّ النِّساءُ

والحارثُ بن زُهَيْر والدُ عَمْرِو بن الحارث بن زُهير ، وقد ذكر ابن إسحاق عمرَو بن الحارث أيضاً ، فقال فيه : ابن زهير لا ابن أبي زُهير والحمد لله .

وذكر ابن إسحاق في البَدْرِيِّين عاصم بن عَدِيّ لم يشهدها ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم رَدَّه من الرَّوْحاء لسبب ذكره موسى بن عُقْبة وغيرُه ، وذلك أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بلغه شيء عن أهلِ مسجدِ الضِّرَارِ ، وكان قد استخلفه على قُباء والعالية ، فردَّه لينظرَ في ذلك ، وضَربَ له بسَهْمِه مع أهلِ بدرٍ ، وعاصمٌ هو المذكورُ في حديثِ اللِّعانِ الذي يقول له عُوَيْمِرٌ العَجْلانيُّ وهو عُوَيْمِرُ بن أبيضَ ، ويقال فيه : ابن أشقر : سَلْ لي يا عاصِمُ عن ذلك رسولَ الله – صلى الله عليه وسلم[1] تُوفِّيَ سنةَ خمسٍ وأربعين ، وهو ابن عشرين ومائة يُكْنى أبا عمرو ، وقيل : أبا عبدِ الله .

---

(١) أخرج حديثه البخاري ومسلم وبقية الجماعة إلا الترمذي وأخرجه أحمد

رفع
المسيا هم
عز الله لي الدين

. . . .

قصة خوات:

وذكر ابن إسحاق فيمن ردّه النبيُّ — صلى الله عليه وسلم — يوم بدر ، وضرَب له بسَهْمِه خوَّاتَ بن جُبَيْرٍ ، ردَّه من الصَّفراء ، وسببُ ذلك — فيما ذكر ابن عقبة أن حَجَراً أصابه فى رِجْله فَوَرِمَتْ عليه ، واعتَلَّتْ ، فردّه النبيُّ — صلى الله عليه وسلم — لذلك ، وهو صاحبُ خَوْلَة ذات النِّحْيَيْن فى الجاهلية ، وهى امرأة من بنى تَيْم الله بن ثعلبة بن عُكَابة بن صَعْب بن علىٍّ بن بَكْر بن وائل ، وَيُرْوَى أن النبيَّ — صلى الله عليه وسلم — سأله عنها وتَبَسَّمَ فقال : يارسول الله قد رَزَق الله خيراً ، وأعوذ بالله من الحَوْرِ بعد الكَوْرِ[1] ، ويروى أنه قال له : مافعل بعيرُك الشَّارِدُ ؟ فقال : قَيَّدَه الإسلامُ يارسول الله ، وقيل معنى قوله : بعيرك الشارد : أنه مَرّ فى الجاهلية بِنِسْوةٍ أعجبه حُسْنُهن ، فسألهن أن يَنْفِتْنَ له قَيْداً لبعيرٍ له ، زعم أنه شارد ، وجلس إليهن بهذه العِلّة ، فمر به النبيُّ — صلى الله عليه وسلم — وهو يحدث إليهن ، فأعرض عنه وعنهن ، فلما أسلم سأله عن ذلك البعير الشارد ، وهوَ يَتَبَسَّم له ، فقال خوَّات : قَيَّده الإسلامُ يارسولَ الله[2] ، قال الواقدى : يُكْنَى أبا صالح ، وروى النَّمَرِىُّ

---

(١) أى من النقصان بعد الزيادة ، وقيل : من فساد أمورنا بعد صلاحها ، وقيل : من الرجوع عن الجماعة بعد أن كنا منهم ، وأصله من نقض العمامة بعد لفها .

(٢) رواه البغوى والطبرانى من طريق جرير بن حازم عن زيد بن أسلم وفيه يقول خوات: نزلت مع النبى « ص » بمر الظهران ، قال : فخرجت من خبائى ، فاذا نسوة يتحدثن ، فأعجبننى ، فرجعت ، فأخذت حلتى ، فلبستها ، وجلست =

في حديث مُسْنَد إلى خوَّات أن عُمَرَ بن الخطاب ، كنَّاه : أبا عبدالله ، وذلك أنه كان معه في رَكْب ، فقال له الرَّكبُ غَنِّنا من شِعْرِ ضِرَارٍ ، فقال عُمر : دعوا أبا عَبْد الله يغنينا بُنَيَّاتِ(١) فُؤاده قال : فأنشدهم حتى السَّحَرِ ، فقال عمر : إِرْفَعْ لِسانَكَ يا أبا عبد الله فقد أَسْحَرْنَا .

نسب النعمان بن عصر :

وذكر النُّعْمانَ بن عَصَر ، ولم ينسبه ، وهو ابن عَصَر بن الرَّبيع بن الحارث بن أَدْيَم الْبَلَوِيّ ، وقيل عَصَر بن عُبَيْد بن وائلة بن حارثة البَلَوِيّ ، قتل باليمامة .

= اليهن ، وخرج رسول الله ﷺ من قبته ، فلما رأيته هبته ، فقلت: يا رسول الله : جمل لي شرد ، فأنا أبتغي له قيدا . وقوله هنا : يا رسول الله يفيد أنه كان في الإسلام لا في الجاهلية . والنحى : زق السمن . وقد ضرب المثل بقصة خوات مع خولة ، فقيل : أشغل من ذات النحيين ، وفي المثل ما يستحى من ذكره هنا فانظره في كتب الأمثال . في الأمثال للميداني أنه قيل له : ياخوات كيف شرادك ، أو كيف شراؤك ، وفي رواية حمزة : ما فعل بعيرك ؟ أيشرد عليك ؟ فقال : أما منذ أسلمت — أو منذ قيده الإسلام — فلا .

(١) في الإصابة : بنات . وحديثه هذا ذكره السراج في تاريخه فهو شيء لا يعتد به . وقد قص ابن أبي خيثمة قصة ذات النحيين عن ابن سيرين بأسلوب غير هذا : كانت امرأة تبيع سمنا في الجاهلية ، فدخل رجل ، فوجدها خالية ، فراودها فأبت فخرج ، فتنكر ورجع ، فقال : هل عندك من سمن طيب ؟ قالت : نعم ، فحلت زقا فذاقه ، فقال : أريد أطيب منه ، فأمسكيه ، وحلت آخر ، فقال : أمسكيه ، فقد انفلت بعيري قالت : اصبر حتى أوثق الأول ، قال : لا ، وإلا تركته من يدي يهراق ، فإني أخاف ألا أجد بعيري ، فأمسكته بيدها الأخرى ، فانقض عليها ، فلما قضى حاجته ، قالت له : لا يهناك .

. . . .

تصويب أنساب :

وذكر فى نسب زيد بن وَدِيعة جَزْء بن عَدِىّ .

وذكر أبو بحر أنه قيّده عن أبى الوليد جَزْء بسكون الزاى ، وأنه لم يجده عن غيره إلا بكسر الزاى .

وذكر رافع بن عُنْجُدَة ، وقال : هى أمه ، ولم يذكر أباه ، واسمه : عَبْدُ الحارث ، والعُنْجُدَةُ حَبُّ الزَّبيب ، ويقال : هو الزَّبيب ، وأما عَجْمُ الزبيب ، فهو الفِرْصِد [أو الفِرْصِيدُ أو الفِرْصَادُ] قاله أبو حنيفة .

وذكر كَعْبَ بن جمَّاز بالجيم والزاى ، كما قال ابن هشام ، لا كما قال ابن إسحاق ، فإن أهل النسب على ما قال ابن هشام ، غير أن الدّارَقُطْنِى قَيَّد فيه روايةً ثالثة : ابن حِمَّان بنون وحاء مكسورة .

وذكر فيهم أبا خُمَيْصَة ، واسمه : مَعْبَد بن عبَّاد : قال أبو عُمَر : كذا قيدَّه إبراهيمُ بن سعْد عن ابن إسحاق ، وغيره يقول فيه عن ابن إسحاق يقول فيه : أبو خُمَيْصَة بخاء منقوطة وصاد مهملة .

وذكر فى البَلَوِيِّين أبا عقيل ، ولم يُسَمِّه وكان اسمه فى الجاهلية عبْدَ العُزّى ، فسماه النبى صلى الله عليه وسلم عبْدَ الرحمن عدُوَّ الأوثان ابن عبد الله بن ثَعْلَبَة قُتِل باليمامة .

صاحب الصاع :

وأما أبو عقيل صاحب الصَّاع الذى لَمَزهُ المنافِقُون ، فاسمه حَبْحاب ،

وفيه أُنْزِلَتْ : ﴿ الذين يَلْمِزُونَ المطَّوِّعين من المؤمنين ﴾ وذلك أنه جاء بصاع من تمر فوضعه فى العَرَقَةِ حين حَثَّ النبى — صلى الله عليه وسلم — على النفقة فى سبيل الله، فضحك منه المنافقون وقالوا : إن الله لَغَنِيٌّ عن صاع أبى عقيل (١) .

قريوسه أو قريوس :

وقع فى أنساب البدريِّين ابن قِرْيُوش بكسر القاف والشين المنقوطة وقال ابن هشام : قريوس بالسين المهملة ، كذا قيده أبو الوليد ، وفى أكثر الروايات قَريُوس بفتح القاف والباء المضمومة المنقوطة بواحدة ، فقريُوش : فعيول من التقرُّشِ ، وهو التكسُّبُ ، وبالسين فعيول من القَرْس ، وهو البرد ، وقريُوشٌ بالشين المنقوطة أصح فيه لأنه من التقرُّش وهو التكسُّبُ ، كما سُمِّيَتْ قُرَيْشٌ به ، قاله قُطرب . ومِمَّن لم يشهد بدراً لعُذْرٍ ، وهو من النُقَبَاء سَعْدُ بن عُبَادَةَ سيدُ الخَزْرَج لأنه نَهَشَتْه حَيَّةٌ ، فلم يستطع الخروج ، هذا قول القُتَبِيِّ ، ولذلك لم يذكره ابن إسحاق ولا ابنُ عقبة ، وقد ذكرنه طائفة فيهم : ابنُ الكلبى وجماعة .

وذكر أبا الضَّيَّاح واسمه النُّعْمَان ، وقيل عُمَيْر بن ثابت بن النُّعْمَان ، قُتِل يوم خَيْبَر .

جدارة أو خدارة :

وذكر فى بنى النجار من ينسب إلى جِدَارة بن الحارث ، وجدارةُ أخو

---

(١) حديثه فى البخارى ومسلم .

خُدْرَة رَهْطِ أبى سَعيد الْخُدْرِىّ ، وغير ابن إسحاق يقول فى جِدَارة خُدَارة بالخاء المضمومة ، قاله ابن دُرَيْد(١) ، وكذلك قيده النَّمَرِى ، فهما خُدْرَةُ وخُدَارَة ابنا الحارث بالخاء المنقوطة ، وقاله ابن هشام بالحاء المهملة ، كذلك قال أبو عُمَر ، وقيده الشيخ أبو بَحْرٍ عن أبى الوليد فقال ابن هشام.

رجيلة أو رخيلة :

وذكر رُجَيْلَةَ بن ثَعْلَبَةَ ، وقيد فى رواية موسى بن عقبة رُخَيْلَة بالخاء المنقوطة ، كما وقع فى رواية موسى بن عقبة .

تصويب نسب :

وذكر فيهم أبا شيخ بن ثابت ، واسمه : أُبَىّ وهو أخو حسان ، وقيل بل هو ابن أُبَىّ بن ثابت وحَسَّانُ عمه ، ووقع فى نسخة الشيخ أبى بحر غلطٌ أصلحته ، وكان قبل الإصلاح أبو شيخ أُبَىّ بن ثابت بن المُنذِر .

حول الذين استشهدوا فى بدر :

فصل وذكر فيمن استشهدَ يوم بَدْرٍ : عُمَيْرَ بن أبى وَقَّاص ، وذكر الواقدى أن النبى صلى الله عليه وسلم ، كان قد ردَّه فى ذلك اليوم ، لأنه استصغره ، فبكى عُميرٌ ، فلما رأى النبىُّ صلى الله عليه وسلم بكاءه أَذِنَ له فى الخروج معه ، فَقُتِل وهو ابنُ ستَّ عَشْرَةَ سَنةً ، قتله العاصى بن سَعيد .

---

(١) فى الاشتقاق ص ٤٥٥ .

. . . .

وذكر ابن إسحاق حارثة بن سُراقة ، فيمن قُتِل يوم بدر وهو أولُ قتيل من المسلمين فى ذلك اليوم ، رماه حِبّان بن العَرِقة بسهم فأصاب حَنْجرَته ، فمات ، وجاءت أمّه وهى الربيعُ بنتُ النضر عَمّةُ أنس ، فقالت : يارسولَ الله قد علمت مَوْضِعَ حارثة مِنّى فإن يكن فى الجنة أصبِرْ وأحْتَسِب ، وإن يكن غير ذلك ، فسترى ما أصنع ، فقال : أوَجَنّةٌ واحدة هى ؟ إنما هى جَنّاتٌ وإن أبنكِ منها لفى الفِردَوسِ (١) .

وذكر فيهم عُمَيْرَ بن الحُمام بن الجَمُوح ، وقد قدمنا ذكره ، وقتله خالدُ ابن الأعلم .

ذو الشمالين وذو اليدين :

وذكر ذا الشِّمالين الخُزاعِىّ الغُبشانِىّ حليف بنى زُهْرة ، وهو الذى ذكره الزُّهرِى فى حديث التسليم من ركعتين ، قال : فقام ذُو الشِّمالَيْن رَجُلٌ من بنى زُهْرَة ، فقال : أقَصُرت الصلاةُ ، أم نسيتَ يارسول الله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أصَدَق ذو اليدين ؟ لم يروه أحد هكذا بهذا اللفظ ، إلا ابن شهابٍ الزُّهرِى ، وهو غلط عند أهل الحديث ، وإنما هو ذو اليَدَين السُّلَمِىُّ ، واسمه : خِرْباقٌ (٢) وذو الشِّمالَيْن قُتِل يوم بَدْرٍ ، وحديثُ التسليم من

---

(١) روى حديثه حماد بن سلمة عن ثابت بن أنس أحمد والطبرانى ، والتى هنا رواية ثابت .

(٢) فى تهذيب الأسماء واللغات للنووى : الخرباق . ويقول أبو ذر الخشنى : ذو الشمالين رجل من خزاعة من بنى زهرة ، وذو اليدين رجل من بنى سليم .

رَكْعَتَيْن ، شهده أبو هُرَيْرَةَ ، وكان إسلامُه بعد بدر بسنتين(١) ، ومات ذو اليدين السُّلَمِيُّ في خلافة معاوية ، وروى عنه حديثَه في التسليم ابنُه مُطَيْرُ بن الخِرْباقِ ، يرويه عن مُطيرٍ ابنُه شُعَيْثُ بن مُطَيْرٍ .

خطأ المبرد

ولما رأى المُبرِّدُ حديث الزُّهْرِي : فقام ذو الشمالين ، وفي آخره أصَدَقَ ذو اليدين ؟ قال : هو ذُو الشمالين وذو اليَدَيْن ، كان يُسَمَّى بهما جميعاً ، وجهل ما قاله أهلُ الحديث والسِّيرِ في ذي الشمالين ، ولم يعرف روايةً إلّا الرواية التي

(١) يقول النووي : « وقد اجتمعوا على أن أبا هريرة إنما أسلم عام خيبر سنة سبع من الهجرة بعد بدر بخمس سنين» و قال: وقال ابن عبد البر: واتفقوا على أن الزهري غلط في هذه القصة . قال العلماء : وإنما قيل له ذو اليدين لأنه كان في يديه طول . هذا وحديث التسليم من ركعتين في صحيحي البخاري ومسلم . والحديث عن أبي هريرة « صلى بنا رسول الله إحدى صلاتي العشي ، فصلى ركعتين ثم سلم ، فقام إلى خشبة معروضة في المسجد ، فاتكأ عليها كأنه غضبان ، ووضع يده اليمنى على اليسرى ، وخرجت السرعان من أبواب المسجد ، فقالوا : قصرت الصلاة ؟ وفي القوم أبو بكر وعمر ، فهابا أن يكلماه ، وفي القوم رجل يقال له : ذو اليدين فقال : يا رسول الله : أنسيت أم قصرت الصلاة ؟ فقال : لم أنس ولم تقصر ، فقال : أكما يقول ذو اليدين ؟ فقالوا : نعم ، فتقدم ، فصلى ما ترك ثم سلم ، ثم كبر وسجد مثل سجوده أو أطول ، ثم رفع رأسه وكبر ، ثم كبر وسجد مثل سجوده أو أطول ، ثم رفع رأسه وكبر ، فربما سألوه ، ثم سلم » متفق عليه . وفي رواية : بينما أنا أصلي مع النبي « ص » صلاة الظهر سلم من ركعتين . أحمد ومسلم . وفي رواية البخاري ومسلم أن ذا اليدين قال : بلى قد نسيت والسرعان بضم السين وسكون الراء أو فتحها : أول الناس خروجا . والعشي : ما بين الزوال والغروب . وعند البخاري في رواية : صلى بنا الظهر أو العصر . وفي مسلم : العصر من غير شك . وفي رواية له : الظهر كذلك ، وفي رواية له : إحدى صلاتي العشي إما الظهر وإما العصر . قال الحافظ في الفتح : والظاهر أن الاختلاف فيه من الرواة .

رفع
المستهم
عز الله الرحمن

. . . .

فيها الغَلَطُ ، قال ذلك فى آخر كتاب الكامل فى باب الأذواء يوم بَدْرٍ .

ومن البَدْرِيِّين عُلَيْفَةُ بن عَدِىٍّ البَيَاضِىّ أيضاً ، هكذا اسمُه عند أهل السِّيَرِ ، وسماه ابن إسحاق فقال خُلَيْفَة بن عَدِىٍّ بالخاء . وممن شهد بدراً ، ولم يذكره ابن هشام عن البَكّائِىّ ، وذكره ابن إسحاق فى رواية إبراهيم عن سعد عنه : عياض بن زُهَيْر بن أبى شَدَّاد بن رَبيعة بن هِلال بن وُهَيْب بن ضَبَّة بن الحارث بن فِهْرٍ وهو ممن هاجر إلى أرض الحبشة ، وقد ذكره فى البدريين مُوسى بن عُقْبَة وخَلِيفَةُ بن خَيَّاط وجماعة . وممن ذُكِر فى البَدْرِيين ولم يذكره ابن إسحاق يَزِيدُ بن الأَخْنَس السُّلَمِى ، وابنه مَعْن بن يَزِيد وأبوه الأخنس ، ولا يُعْرَف مَنْ شَهِد بَدْراً ثلاثة أبٌ وابنٌ وجَدٌّ إلا هؤلاء ، وأكثر أهلِ العلم بالسِّير لا يُصَحِّح شهودَهم بدراً لكن شهدوا بَيْعَة الرِّضْوان ، ويزيد بن الأخنس هذا هو ابن الأخنس بن جَنَاب بن حَبِيب بن جُرَّة بضم الجيم بن زُغْبٍ من بنى بُهْثَة بن سُلَيم . قال ابن ماكولا(١) : لا يُعْرَف جُرَّة بضم الجيم إلا هذا ، ولا جِرَّة بكسر الجيم إلا السَّوْم بنت عَمْرو بن جِرَّة من بنى ضَمْرَة أم الشَّدَّاخ واسمه يَعْمَرُ بن عَوْف ، وقد تقدم ذكره فى حديث قُصَىّ ولِمَ سُمِّىَ الشَّدَّاخ . وممن ذكره البُخارى فى البَدْرِيين خديم بن فاتك [بن الأَخْرَم] وأخوه سَبْرَةُ الأَسَدِيَّان(٢) . وممن ذكره البخارى فى البدريين من بنى سَلِمة

(١) هو على بن عبد الله بن على بن جعفر ولد سنة ٤٢١ وتوفى سنة ٤٨٦ .

(٢) تقال بفتح الهمزة وسكون السين ، نسبة إلى الأزد وهى تقال بالسين أيضاً ، وقيل بفتح السين نسبة إلى بنى أسد بن خزيمة . وقد روى الطبرانى أن خزيما وسبرة شهدا بدرا ، واستنكر الواقدى ذلك وقال إنما أسلم خزيمة وأخوه بعد الفتح وهو خريم بن فاتك بن الأخرم ويقال : خريم بن الأخرم بن شداد =

. . . .

جابرُ بن عبد الله بن عَمْرو بن حِزَامٍ ، وقال أبو عُمر : لايصح شهودُه بَدْراً ، وذكر اختلافَ الناس في ذلك ، وفي السنن لأبي داوُد أن جابراً قال : كنت أَمِيحُ أصحابي الماء يوم بدرٍ ، أي : كان صَغيراً فلم يُسْهِم له ، وزعم بعضُهم أن هذه الرواية تَصْحِيفٌ ، وأن الصحيح كنتُ مَنِيحَ أصحابي يوم بدرٍ ، والمَنِيحُ(١) : السَّهْمُ ، يريد أنهم كانوا يُرْسلونه في حوائجهم لِصِغَرِ سنِّه .

وممن شهد بدراً وذكره ابن إسحاق في غير رواية ابن هشام : طُلَيْبُ بن عُمَيْرٍ(٢) مِنْ بني عَبْدِ بن قُصَيّ ، وأمه أَرْوَى عمةُ رسول الله – صلى الله عليه وسلم .

= ابن عمرو بن الفاتك الأسدي . وهو في ترجمة أخيه سبرة يسميه خريمة وذكر مرة خطأ : خزيمة .

(١) في القاموس : منيح : قدح بلا نصيب ، وقدح يستعار تيمنا بفوزه ، أو قدح له سهم .

(٢) من المهاجرين الأولين ، قتل بأجنادين شهيداً وليس له عقب ، وله تقول أمه :

إن طليبا نصر ابن خاله   آساه في ذي دمه وماله

ص ١٩ نسب قريش .

من قتل ببدر من المشركين

من بنى عبد شمس

وقُتِل من المشركين يومَ بدر من قُريش ، ثم من بنى عبد شمس بن عبد مناف : حنظلة بن أبى سُفيان بن حَرْب بن أُميّة بن عبد شمس ، وقتله زيدُ ابن حارثة ، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال ابنُ هشام ، ويقال اشترك فيه حمزةُ وعلىٌّ وزيد ، فيما قال ابنُ هشام .

قال ابن إسحاق : والحارث بن الحضرمىّ ، وعامر بن الحضرمىّ حليفان لهم قتل عامراً : عمّارُ بن ياسر ؛ وقتل الحارث : النعمانُ بن عصر ، حليف للأوس ، فيما قال ابنُ هشام . وعُمَير بن أبى عُمير ، وابنه : موليان لهم . قتل عُمَير بن أبى عُمير : سالمٌ ، مولى أبى حُذيفة ؛ فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : وعُبيدة بن سَعيد (بن) العاص بن أُميّة بن عبد شمس ، قتله الزبير بن العوّام ، والعاص بن سعيد بن العاص بن أُميّة قتله علىّ بن أبى طالب . وعُقْبة بن أبى مُعيط بن أبى عمرو بن أُميّة بن عبد شمس ، قتله عاصمُ بن ثابت بن أبى الأقلح ، أخو بنى عمرو بن عوف ، صَبْراً .

قال ابن هشام : ويقال : قتله علىّ بن أبى طالب .

قال ابن إسحاق : وعُتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، قتله عُبيدة ابن الحارث بن المطّلب .

قال ابن هشام : اشترك فيه هو وحمزة وعلىّ .

قال ابن إسحاق : وشيبة بن ربيعة بن عبد شمس ، قتله حمزةُ بن عبد المطّلب ؛ والوليدُ بن عُتبة بن ربيعة ، قتله علىّ بن أبى طالب ؛ وعامر بن عبد الله ، حليف لهم من بنى أنمار بن بَغيض ، قتله علىٌّ بن أبى طالب .

اثنا عشر رجلا .

من بنى نوفل

ومن بنى نَوفل بن عبد مناف : الحارث بن عامر بن نَوفل ، قتله — فيما يذكرون — خُبيب بن إساف ، أخو بنى الحارث بن الخزرج ؛ وطُعَيمة بن ابن عدى بن نَوفل ، قتله علىٌّ بن أبى طالب ؛ ويقال : حمزةُ بن عبد المطّلب .

رجلان .

من بنى أسد

ومن بنى أسد بن عبد العُزّى بن قصى : زَمْعة بن الأسود بن المطّلب ابن أسد .

قال ابن هشام : قتله ثابتُ بن الجِذع ، أخو بنى حَرام ، فيما قال ابن هشام .

ويقال : اشترك فيه حمزةُ وعلىٌّ بن أبى طالب وثابت .

قال ابن إسحاق : والحارث بن زَمَعة ، قتله عمّار بن ياسر — فيما قال ابن هشام — وعقيلُ بن الأسود بن المطّلب ، قتله حمزةُ وعلىّ ، اشتركا فيه — فيما

قال ابن هشام ـ وأبو البَخْتَرِيّ ، وهو العاص بن هشام بن الحارث بن أسد ، قتله المُجَذَّر بن ذِيادٍ البَلَوِيّ .

قال ابن هشام : أبو البَخْتَرِيّ : العاص بن هاشم .

قال ابن إسحاق : ونوفل بن خُوَيلد بن أسد ، وهو ابن العَدَوِيَّة ، عدىّ خُزاعة ، وهو الذى قَرن أبا بكر الصِّدّيق ، وطَلْحة بن عُبيد الله حين أسلما فى حَبْل ، فكانا يُسَمَّيان : القَرِينين لذلك ، وكان من شياطين قُريش ـ قتله علىُّ بن أبى طالب . خمسة نفر .

من بنى عبد الدار

ومن بنى عبد الدار بن قُصى : النَّضرُ بن الحارث بن كَلَدة بن عَلْقمة بن عبد مناف بن عَبْد الدَّار ، قتله علىُّ بن أبى طالب صَبْراً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصَّفْراء ، فيما يذكرون .

قال ابن هشام : بالأُثَيْل . قال ابن هشام : ويقال : النضر بن الحارث : ابن عَلْقمة بن كَلَدة بن عبد مناف .

قال ابن إسحاق : وزيد بن مُلَيص ، مولى عُمَير بن هاشم بن عبد مناف ابن عبد الدار . رجلان .

قال ابن هشام : قتل زَيْدَ بن مُلَيص بلالُ بنُ رَباح ، مولى أبى بكر ، وزيدٌ حليف لبنى عبد الدار ، من بنى مازن بن مالك بن عمرو بن تميم ، ويقال : قتله المِقْداد بن عمرو .

من بنى تيم بن مرة

قال ابن إسحاق : ومن بنى تيم بن مُرّة : عُمَير بن عُثمان بن عمرو بن كَعْب بن سَعد بن تَيْم .

قال ابن هشام : قتله علىُّ بن أبى طالب ، ويقال : عبد الرحمن بن عوف .

قال ابن إسحاق : وعثمان بن مالك بن عُبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب ، قتله صُهيب بن سِنان . رجلان .

من بنى مخزوم

ومن بنى مَخزوم بن يَقظة بن مُرّة : أبو جَهْل بن هِشام - واسمه عَمْرو بن هشام بن المُغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مَخْزوم - ضربه مُعاذ بن عمرو بن الجموح ، فقَطع رجلَه ، وضرب ابنُه عِكْرمة يدَ مُعاذ فطَرحها ، ثم ضربه مُعَوِّذ ابن عَفْراء حتى أثبته ، ثم تركه وبه رَمق : ثم ذَفَّف عليه عبدُ الله بن مَسْعود واحتز رأسه ، حين أَمَر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُلْتمس فى القَتْلى - والعاصُ بن هِشام بن المُغيرة بن عبدالله بن عمر بن مَخْزوم ، قتله عمر بن الخطّاب ويَزيد بن عبد الله ، حليفٌ لهم من بنى تميم .

قال ابن هشام ثم أحدُ بنى عمرو بن تيم ، وكان شجاعا ، قتله عمّار ابن ياسر .

قال ابن إسحاق : وأبو مُسافع الأشعرى ، حليف لهم ، قَتله أبو دُجانة الساعدى - فيما قال ابن هشام - وحَرْملة بن عَمرو ، حليف لهم .

قال ابنُ هشام :

قَتله خارجةُ بن زيد بن أبى زُهير ، أخو بلحارث بن الخزْرج ، ويقال : بلْ علىّ بن أبى طالب – فيما قال ابن هشام – وحَرْملة ، من الأسد .

قال ابن إسحاق : ومَسْعود بن أبى أميَّة بن المُغيرة ، قتله علىّ بن أبى طالب فيما قال ابن هشام – وأبو قيس بن الوَليد بن المُغيرة .

قال ابن هشام . قتله حمزة بن عبد المطلب .

قال ابن إسحاق : وأبو قَيْس بن الفاكِه بن المُغيرة ، قتله علىّ بن أبى طالب ، ويقال : قتله عمَّار بن ياسر ، فيما قال ابنُ هشام .

قال ابن إسحاق : ورِفاعة بن أبى رِفاعة بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مَخزوم قَتلهسعدُ بن الرَّبيع ، أخو بَلْحارث بن الخزْرج ، فيما قال ابنُ هشام : والمُنذر بن أبى رِفاعة بن عابد ، قتله مَعْن بن عدى بن الجدّ بن العَجْلان حليفُ بنى عُبيد بن زيد بن مالك بن عَوْف بن عمرو بن عَوْف فيما قال ابن هشام ، وعبد الله بن المُنْذر بن أبى رِفاعة بن عابد ، قَتله علىٌّ بن أبى طالب ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : والسائب بن أبى السائب بن عابد بن عَبْد الله بن عُمر بن مَخزوم .

قال ابن هشام : السَّائب بن أبى السائب شَريك رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى جاء فيه الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : نِعْمَ الشَّريك

السائبُ لا يشارى ولا يُمارى، وكان أسلم فحسن إسلامه ـ فيما بلغنا ـ والله أعلم.

وذكر ابن شهاب الزهرى عن عبيد الله بن عتبة، عن ابن عباس: أن السائب بن أبى السائب بن عابد بن عبد الله بن عُمر بن مخزوم ممن بايع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم من قريش، وأعطاه يوم الجِعِرّانة من غنائم حُنين.

قال ابن هشام: وذكر غيرُ ابن إسحاق: أن الذى قتله الزُّبير بن العوّام.

قال ابن إسحاق: والأسود بن عبد الأسَد بن هِلال بن عبد الله بن عُمر بن مَخزوم، قَتله حمزةُ بن عبد المطَّلب، وحاجبُ بن السَّائب بن عُوَيمر ابن عَمْرو بن عائذ بن عَبْد بن عِمْران بن مخزوم. قال ابن هشام: ويقال: عائذ: ابن عِمران بن مَخزوم، ويقال: حاجز بن السَّائب ـ والذى قَتل حاجب بن السائب على بن أبى طالب.

قال ابن إسحاق: وعُوَيمر بن السَّائب بن عُوَيمر، قَتله النُّعمان بن مالك القَوْقلى مبارزةً، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق: وعَمْرو بن سُفيان، وجابر بن سفيان، حليفان لهم من طيِّء، قَتل عمراً يزيدُ بن رُقَيش، وقتل جابر أبو بُرْدة بن نيّار، (فيما) قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق: سبعة عشر رجلا.

من بنى سهم

ومن بنى سَهْم بن عمرو بن هُصَيْص بن كَعْب بن لُؤى: مُنَبِّه بن الحجَّاج

ابن عامر بن حُذيفة بن سعد بن سَهْم ، قتله أبو اليَسَر ، أخو بنى سَلِمة ، وابنه العاصُ بن مُنبِّه بن الحجّاج ، قتله علىٌّ بن أبى طالب فيما قال ابن هشام : ونُبَيه ابن الحجّاج بن عامر ، قتله حمزةُ بن عبد المطّلب وسعدُ بن أبى وقّاص اشتركا فيه ، فيما قال ابن هشام ، وأبو العاص بن قَيْس بن عدىّ بن سَعْد بن سهم .

قال ابن هشام : قتله علىٌّ بن أبى طالب، ويقال : النعمانُ بن مالك القَوْقلى ، ويقال : أبو دُجانة .

قال ابن إسحاق : وعاصم بن عَوْف بن ضُبيرة بن سُعَيد بن سَعْد بن سهم ، قتله أبو اليَسَر ، أخو بنى سَلِمة ، فيما قال ابن هشام . خمسة نفر .

من بنى جمح

ومن بنى جُمَح بن عمرو بن هُصَيص بن كَعْب بن لؤىّ : أُميّة بن خَلَف ابن وَهْب بن حُذافة بن جُمَح ، قتله رجلٌ من الأنصار من بنى مازن .

قال ابن هشام : ويقال: بل قتله مُعاذ بن عَفْراء وخارجة بن زيد وخُبيب ابن إساف ، اشتركوا فى قَتْله .

قال ابن إسحاق: وابنه علىّ بن أُميّة بن خَلَف ، قتله عمّار بن ياسر ؛ وأوْس بن مِعْيَر بن لوذان بن سعد بن جُمح ، قتله علىٌّ بن أبى طالب فيما قال ابن هشام ، ويقال : قتله الحصَين بن الحارث بن المطّلب وعُثمان بن مَظْعون ، اشتركا فيه ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق: ثلاثة نفر .

من بنى عامر

ومن بنى عامر بن لؤى : معاوية بن عامر ، حليف لهم من عبد القيس ، قتله علىّ بن أبى طالب؛ ويقال : قتله عُكّاشة بن مِحْصن ، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق : ومَعْبد بن وهب ، حليف لهم من بنى كلب بن عوف ابن كعب بن عامر بن ليث ، قتل معبداً خالدٌ وإياس ابنا البُكَير ، ويقال : أبو دُجانة ، فيما قال ابن هشام . رجلان .

عــددهم

قال ابن هشام : فجميع من أُحصى لنا من قتلى قريش يوم بدر : خمسون رجلا .

قال ابن هشام : حدثنى أبو عُبيدة ، عن أبى عمرو : أنّ قتلى بدر من المُشركين كانوا سبعين رجلا ، والأسرى كذلك ، وهو قول ابن عبّاس ، وسعيد بن المسيَّب . وفى كتاب الله تبارك وتعالى: ﴿ أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا ﴾ يقوله لأصحاب أُحد ـ وكان من استُشهد منهم سبعين رجلا ـ يقول : قد أصبتم يوم بدر مثْلى من استشهد منكم يوم أُحد ، سبعين قتيلا وسبعين أسيراً . وأنشدنى أبو زيد الأنصارى لكعب بن مالك :

فأقام بالعَطَن المُعَطَّن منهمُ سبعون ، عُتْبةُ منهمُ والأسْوَدُ

قال ابن هشام : يعنى قتلى بدر . وهذا البيت فى قصيدة له فى حديث يوم أُحد سأذكرها إن شاء الله تعالى فى موضعها .

من فات ابن إسحاق ذكرهم

قال ابن هشام : وممن لم يَذكر ابنُ إسحاق من هؤلاء السَّبعين القَتْلى :

من بنى عبد شمس

من بنى عَبْد شَمْس بن عبد مناف : وهبُ بن الحارث ، من بنى أنمار بن بَغيض ، حليف لهم ، وعامرُ بن زيد ، حليف لهم من اليمن رجلان .

من بنى أسد

من بنى أسد بن عبد العُزَّى : عُقبة بن زيد ، حليف لهم من اليمن ، وعمير مولى لهم رجلان .

من بنى عبد الدار

ومن بنى عبد الدار بن قُصى : نُبَيه بن زيد بن مُلَيص ، وعُبَيد بن سَليط ، حليف لهم من قيس . رجلان .

من بنى تيم

ومن بنى تَيم بن مُرّة : مالكُ بن عُبيد الله بن عُثمان وهو أخو طلحة بن عُبيد الله بن عثمان أسر فمات فى الأسارى ، فعُدّ فى القَتلى ، ويقال : وعمرو ابن عبد الله بن جُدْعان . رجلان .

من بنى مخزوم

ومن بنى مَخزوم بن يَقَظة : حُذَيفة بن أبى حُذَيفة بن المُغيرة ، قتله سعد

رفع عبد الرحمن الهجري المسلم

ابن أبى وقَّاص، وهشام بن أبى حُذيفة بن المُغيرة، قتله صُهيب بن سِنان، وزهيرُ ابن أبى رِفاعة، قتله أبو أُسَيد مالك بن رَبيعة، والسائب بن أبى رِفاعة قتله عبدُ الرحمن بن عَوْف، وعائذ بن السَّائب بن عُوَيمر، أُسر ثم افتُدى فمات فى الطريق من جراحةٍ جرحه إياها حمزةُ بن عبد المطَّلب، وعُمير حليف لهم من طَيِّىء، وخيار، حليف لهم من القارة سبعة نفر.

من بنى جمح

ومن بنى جُمَح بن عمرو: سَبْرة بن مالك، حليف لهم. رجل.

من بنى سهم

ومن بنى سَهْم بن عمرو: الحارث بن مُنَبِّه بن الحجاج، قتله صُهَيب بن سنان، وعامر بن عَوْف بن ضُبيرة، أخو عاصم بن ضبيرة، قتله عبد الله ابن سَلمة العَجْلانى، ويقال: أبو دُجانة. رجلان.

ذكر أسرى قريش يوم بدر

من بنى هاشم

قال ابن إسحاق: وأُسر من المُشركين من قريش يومَ بدر، من بنى هاشم ابن عبد مناف: عَقِيلَ بن أبى طالب بن عبد المطَّلب بن هاشم؛ ونوفل بن الحارث بن عبد المطَّلب بن هاشم.

من بنى المطلب

ومن بنى المطَّلب بن عبد مناف: السَّائبُ بنُ عُبيد بن يزيد بن هاشم بن

المطّلب ؛ و نُعْمان بن عمرو بن عَلْقمة بن المطّلب . رجلان .

من بنى عبد شمس وحلفائهم

ومن بنى عبد شمس بن عبد مناف : عمرو بن أبى سُفيان بن حَرْب بن أُميّة بن عبد شمس ؛ والحارث بن أبى وجْزة بن أبى عمرو بن أمية بن عبد شمس، ويقال : ابن أبى وحْرة ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : وأبو العاص بن الرّبيع بن عبد العزّى بن (عبد) شمْس؛ وأبو العاص بن نَوفل بن عبد شمْس .

ومن حلفائهم أبو رِيشَة بن أبى عمرو ؛ وعَمْرو بن الأزْرق ، وعُقبة بن عبد الحارث بن الحضرمى . سبعة نفر .

من بنى نوفل وحلفائهم

ومن بنى نوفل بن عبد مناف : عدىّ بن الخيار بن عدىّ بن نوفل ؛ وعثمان بن عبد شمس ابن أخى غزْوان بن جابر ، حليف لهم من بنى مازن بن مَنْصور ؛ وأبو ثَوْر ، حليف لهم . ثلاثة نفر .

من بنى عبد الدار وحلفائهم

ومن بنى عبد الدار بن قُصىّ : أبو عَزيز بن عُمير بن هاشم بن عبد مناف ابن عبد الدّار ؛ والأسود بن عامر ، حليف لهم . ويقولون : نحن بنو الأسود ابن عامر بن عمرو بن الحارث بن السبّاق . رجلان .

من بنى أسد وحلفائهم

ومن بنى أسد بن عبد العزّى بن قصىّ . السائب بن أبى حُبَيْش بن المطّلب بن أسد ؛ والحُوَيرث بن عبّاد بن عثمان بن أسد .

قال ابن هشام : هو الحارث بن عائذ بن عثمان بن أسد .

قال ابن إسحاق : وسالم بن شَمّاس ، حليف لهم . ثلاثة نفر .

من بنى مخزوم

ومن بنى مَخزوم بن يَقْظة بن مُرّة : خالدُ بن هِشام بن المُغيرة بن عبد الله ابن عُمر بن مَخْزوم ؛ وأُميّة بن أبى حُذيفة بن المُغيرة والوليد بن الوليد بن المُغيرة ، وعثمان بن عبد الله بن المُغيرة بن عبد الله بن عُمر بن مَخْزوم ؛ وصَيْفى ابن أبى رِفاعة بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ؛ وأبو المنذر بن أبى رفاعة بن عَبد الله بن عُمير بن مخزوم ؛ وأبو عَطاء عبدالله بن أبى السائب ابن عَبد الله بن عُمر بن مخزوم ، والمُطَّلب بن حَنْطَب بن الحارث بن عُبيد ابن عمر بن مَخزوم ؛ وخالد بن الأعلم ، حليف لهم ، وهو كان - فيما يذكرون - أوّل من ولّى فاراً منهزما ، وهو الذى يقول :

ولسْنا على الأدبارِ تَدْمى كُلومُنا ... ولكنْ على أقدامِنا يَقطُرُ الدّمُ

تسعة نفر .

قال ابن هشام : ويروى : « لسْنا على الأعقابِ » .

وخالد بن الأعلم ، من خُزاعة ، ويقال : عُقيلىّ .

من بنى سهم

قال ابن إسحاق : ومن بنى سهم بن عمرو بن هُصيص بن كعب : أبو وَداعة بن ضُبيرة بن سعيد بن سَعْد بن سهم ، كان أوّل أسير افتُدِى من أسرى بدر افتداه ابنُه المطّلب بن أبى وَداعة ؛ وفَرْوة بن قَيْس بن عَدىّ بن حُذافة بن سعد بن سهم ، وحَنْظلة بن قبيصة بن حُذافة بن سَعْد بن سهم ، والحجّاج بن قَيْس بن عدىّ بن سَعْد بن سهم . أربعة نفر .

من بنى جمح

ومن بنى جُمَح بن عمرو بن هُصَيص بن كعب : عبدُ الله بن أُبىّ بن خلف بن وهب بن حُذافة بن جُمح ؛ وأبو عزّة عمرو بن عبد بن عُثمان بن وُهيب بن حُذافة بن جُمح ، والفاكه ، مولى أُميّة بن خلف ، ادّعاه بعد ذلك رَباح بن المُغترف ، وهو يزعُم أنه من بنى شَمّاخ بن مُحارب بن فهر — ويقال: إن الفاكه : ابنَ جَرْول بن حِذْيم بن عوف بن غَضْب بن شَمّاخ بن محارب ابن فِهر — ووَهْب بنُ عُمَيْر بن وهب بن خَلَف بن وهب بن حُذافة بن جُمح ، وربيعة بن دَرّاج بن العَنْبس بن أُهْبان بن وَهب بن حُذافة بن جُمح . خمسة نفر .

من بنى عامر

ومن بنى عامر بن لُؤىّ : سُهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد وُدّ بن نَصْر ابن مالك بن حِسْل بن عامر ، أسره مالك بن الدُّخْشُم ، أخو بنى سالم بن عَوْف ؛ وعبد بن زَمْعة بن قَيْس بن عبد شَمْس بن عبد ودّ بن نَصر بن

مالك بن حِسْل بن عامر ، وعبد الرحمن بن مَشنوء بن وَقْدان بن قَيْس بن عبد شمس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر . ثلاثة نفر .

من بنى الحارث

ومن بنى الحارث بن فِهر : الطُّفَيل بن أبى قُنَيع ، وعُتبة بن عمرو بن جَحْدم . رجلان .

قال ابن إسحاق : فجميع من حُفِظ لنا من الأسارى ثلاثة وأربعون رجلا .

مافات ابن إسحاق ذكرهم

قال ابن هشام : وقع من جملة العدد رجل لم نذكر اسمه .

وممن لم يذكر ابن إسحاق من الأسارى :

من بنى هاشم

من بنى هاشم بن عبد مَناف : عتبة ، حليف لهم من بنى فِهر . رجل .

من بنى المطلب

ومن بنى المطّلب بن عبدمناف : عَقيل بن عمرو ، حليف لهم، وأخوه تميم ابن عمرو ، وابنه . ثلاثة نفر .

من بنى عبد شمس

ومن بنى عبد شمس بن عبد مناف : خالد بن أسيد بن أبى العيص ، وأبو العريض يَسار ، مولى العاص بن أُميةَ . رجلان .

من بنى نوفل

ومن بنى نوفل بن عبد مناف : نَبْهان ، مولى لهم . رجل .

من بنى أسد

ومن بنى أسد بن عبد العُزّى : عبدُ الله بن حميد بن زُهير بن الحارث . رجل .

من بنى عبد الدار

ومن بنى عبد الدار بن قُصىّ : عَقِيل ، حليف لهم من اليمن . رجل .

من بنى تيم

ومن بنى تَيم بن مُرّة : مُسافع بن عياض بن صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم ، وجابر بن الزبير ، حليف لهم . رجلان .

من بنى مخزوم

ومن بنى مَخزوم بن يَقظة : قَيْسُ بن السائب . رجل .

من بنى جمح

ومن بنى جمح بن عمرو : عمرو بن أُبىّ بن خَلف ، وأبو رُهْم بن عبد الله ، حليف لهم ، وحليف لهم ذهب عنى اسمه ، ومَوْلَيان لأُمَيّة بن خَلَف ، أحدهما اسِطاس ، وأبو رافع ، غلام أُميّة بن خَلف . ستة نفر .

من بنى سهم

ومن بنى سهم بن عمرو : أسْلَم ، مولى نبيه الحجاج رجل .

من بنى عامر

ومن بنى عامر بن لُؤىّ : حبيب بن جابر ، والسائب بن مالك . رجلان .

من بنى الحارث

ومن بنى الحارث بن فِهر : شافع وشَفيع ، حليفان لهم من أرض اليَمن . رجلان .

ماقيل من الشعر فى يوم بدر

قال ابن إسحاق : وكان مما قِيل من الشعر فى يوم بدر ، وترادّ به القومُ بينهم لما كان فيه ، قولُ حمزة بن عبد المطّلب رحمه الله :

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها ونقيضتها :

ألم تَرَ أمْراً كان من عَجَبِ الدهرِ ... وللحَيْن أسبابٌ مبيَّنة الأمْرِ
وما ذاكَ إلا أنّ قوْماً أفادَهم ... فخانوا تواصٍ بالعُقوق وبالكُفرِ
عَشيَّة راحُوا نحو بَدْر بجمْعهم ... فكانوا رهُوناً للرَّكيَّة مِن بَدْر
وكنّا طَلَبْنا العِيرَ لم نَبغِ غيرَها ... فساروا إلَيْنا فالتَقَيْنا على قَدْر
فلمّا الْتقَينا لم تكُن مَثنَوِيَّةٌ ... لنا غير طَعْن بالمثقّفة السُّمْر

رفع المسلم غفر الله له ولوالديه

وَضَرْبٍ ببِيضٍ يَختلى الهامَ حدُّها ... مُشَهَّرَةِ الألوان بَيِّنة الأُثُرْ
ونحن تَركنا عُتبة الغَيّ ثاوياً ... وشَيْبَةَ فى القتلى تجرجَمُ فى الحفر
وعَمْرو ثَوى فيمن ثَوَى من حُماتهم ... فشُقّت جُيوب النائحات على عمرو
جُيُوبُ نِساءٍ من لُؤيّ بن غالِب ... كرام تفرّعْن الذوائبَ من فِهْر
أولئك قومٌ قُتّلوا فى ضَلالهم ... وخَلّوا لواءً غيرَ مُحتَضرِ النَّصْر
لِواءُ ضَلالٍ قاد إبليسُ أهلَه ... فخاس بهم، إنّ الخبيث إلى غَدْرِ
وقال لهم، إذ عاينَ الأمرَ واضحاً ... بَرِئْتُ إليكم ما بِىَ اليومَ من صَبْر
فإنى أرَى مالا تَرَوْنَ وإنّنى ... أخاف عِقاب الله والله ذو قَسْر
فقدَّمهم للحَيْن حتى تورّطوا ... وكان بما لم يَخْبُر القومُ ذا خُبْر
فكانوا غَداةَ البِئر ألفاً وجَمْعُنا ... ثلاثُ مِئِين كالمُسَدّمة الزُّهْر
وفينا جُنُود الله حين يُمِدّنا ... بهم فى مقامٍ ثَمَّ مُستَوْضَحِ الذّكْر
فشدّ بهم جبريلُ تحتَ لوائنا ... لدى مَأْزِقٍ فيه مناياهُم تَجْرى

فأجابه الحارث بن هشام بن المُغيرة، فقال:

ألا يا لقَوْمى للصَّبابة والهَجْر ... وللحُزْن منّى والحَرارة فى الصَّدْرِ
وللدَّمع من عَيْنَىّ جَوْداً كأنّه ... فريدٌ هوَى من سِلْك ناظِمه يَجْرى
على البَطل الحُلْو الشَّمائل إذ ثَوى ... رَهينَ مقامٍ للرَّكيّة من بَدْر
فلا تَبْعَدَنْ يا عمرو من ذى قَرابة ... ومن ذى نِدَام كان ذا خُلُق غَمْر
فإنْ يكُ قومٌ صادفوا منك دَوْلةً ... فلابُدّ للأيام من دُوَل الدَّهْر

فقد كنتَ فى صَرْفِ الزّمانِ الذى مضَى

تُرِيهم هَوانًا منك ذا سُبُلٍ وَعْرِ

فإلاَّ أمُتْ ياعَمْرو أتْرُكْك ثائرًا ولا أُبْقِ بُقْيا فى إخاءٍ ولا صِهْر

وأقطَعُ ظهرًا من رجالٍ بمَعْشر كرامٍ عليهم مثلَ ماقطعوا ظَهْرى

أغرَّهم ما جمَّعوا من وشيظةٍ ونحن الصَّميم فى القبائل مِن فِهْر

فيالَ لُؤَىّ ذَبِّبوا عن حَريمكم وآلهة لاتتركُوها لذى الفَخْر

توارثَهـــا آباؤكُم وورِثتُمُ أواسيَّها والبيتَ ذا السَّقْف والسِّتْر

فما لِحَليمٍ قد أراد هَلاكَكُم فلا تَعْذِروه آلَ غالبَ من عُذْر

وجِدّوا لمن عادَيْتُم وتَوازَرُوا وكونُوا جميعًا فى التأسّى وفى الصَّبر

لَعلَّكُمُ أنْ تثأرُوا بأخيكُمُ ولاشىءَ إن لم تثأروا بذوِى عمرو

بمَطَّرِداتٍ فى الأكُفّ كأنّها وَميضٌ تُطِيرُ الهامَ بيّنة الأثْر

كأنّ مَدَبّ الذرّ فوق مُتونِها إذا جُرِّدتْ يومًا لأعدائها الُخزْر

قال ابن هشام : أبدَلْنا من هذه القصيدة كلمتين مما روى ابنُ إسحاق ، وهما « الفخر » فى آخر البيت ، و« فما لحليم » فى أوّل البيت ؛ لأنه نال فيهما من النبيّ صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : وقال علىّ بن أبى طالب فى يوم بدر :

قال ابن هشام : ولم أر أحدًا من أهل العلم بالشعر يَعرفها ولا نَقيضتَها ، وإنما كَتبناهما لأنه يقال : إن عمرو بن عبد الله بن جُدْعان قُتل يوم بدر ،

ولم يذكره ابن إسحاق فى القتلى، وذكره فى هذا الشعر :

ألم تر أنّ الله أبلى رسولَه ... بَلَاءَ عزيزٍ ذى اقتدارٍ وذى فضلِ
بما أنزل الكفّار دار مَذَلّةٍ ... فلاقوا هَوانًا مِن إسارٍ ومن قتلِ
فأمسى رسولُ الله قد عزّ نَصرهُ ... وكان رسول الله أُرسِل بالعَدْلِ
فجاء بفُرقانٍ مِنَ الله مُنزَلٍ ... مُبيَّنةٌ آياتُه لذوى العقْلِ
فآمن أقوامٌ بذاك وأيقنوا ... فأمسَوا بحمد الله مُجتمِعى الشَّمْلِ
وأنكر أقوامٌ فزاغت قلوبُهم ... فزادهمُ ذو العَرْش خَبْلًا على خَبْلِ
وأمكَن منهم يومَ بَدْرٍ رسولَهُ ... وقومًا غِضابًا فِعْلُهم أحسن الفِعْلِ
بأيديهم بيضٌ خِفافٌ عَصُوا بها ... وقد حادَثُوها بالجِلاء وبالصَّقْلِ
فكم تركوا من نَاشِيءٍ ذى حَمِيَّةٍ ... صَريعًا ومن ذى نَجْدَةٍ منهمُ كَهْلِ
تَبِيتُ عيونُ النّائحات عليهمُ ... تَجُودُ بأسْبال الرَّشاش وبالوَبْلِ
نَوائحَ تَنْعَى عُتْبَةَ الغَىّ وابنَه ... وشَيْبَةَ تَنعاه وتَنعَى أبا جَهْلِ
وذا الرِّجْلِ تَنعَى وابنَ جُدعان فيهمُ ... مُسَلِّبَةً حَرَّى مبيَّنة الثُّكْلِ
ثَوَى منهم فى بئر بدر عصابةٌ ... ذَوى نَجَدات فى الحروب وفى المَحْلِ
دعا الغَىُّ منهم مَنْ دعا فأجابه ... وللغَىِّ أسبابٌ مُرمَّقة الوَصْلِ
فأضحَوا لدَى دار الجحيم بمَعزِلٍ ... عن الشَّغْب والعُدوان فى أشغل الشُّغْلِ

فأجابه الحارث بن هشام بن المُغيرة، فقال :

رفع المسهم

عَجِبْتُ لأقوامٍ تَغَنَّى سَفِيهُهُمْ ... بأمرٍ سَفاهٍ ذي اعتراضٍ وذي بُطْلِ
تَغَنَّى بقَتْلَى يومَ بدرٍ تَتابعوا ... كِرامِ المَساعي من غُلامٍ ومن كَهْلِ
مَصاليتَ بِيضٍ من لُؤَىِّ بنِ غالبٍ ... مَطاعينَ فى الهَيْجا مَطاعيمَ فى المَحْلِ
أُصِيبوا كِراماً لم يَبِيعُوا عَشيرةً ... بقومٍ سِواهمْ نازِحى الدَّارِ والأصْلِ
كما أصبحتْ غَسّانُ فيكم بطانةً ... لكم بَدَلاً مِنّا فيالكَ من فِعْلِ
عُقوقاً وإثماً بَيِّناً وقَطِيعةً ... يَرَى جَوْرَكم فيها ذَوُو الرأىِ والعقلِ
فإن يكُ قومٌ قد مَضَوْا لسبيلهم ... وخيرُ المنايا ما يكون من القَتْلِ
فلا تَفرحوا أن تَقتلوهم فقَتْلُهم ... لكم كائنٌ خَبْلاً مُقِيماً على خَبْلِ
فإنكم لن تَبرحوا بعد قَتْلهم ... شَتِيتاً هَوَاكم غيرُ مُجتمعى الشَّملِ
بفَقْد ابنِ جُدْعانَ الحميدِ فِعالُه ... وعُتبةَ والمَدْعُوِّ فيكم أبا جَهْلِ
وشَيْبةَ فيهم والوليدِ وفيهمُ ... أُميّةُ مأوَى المُعْتَرِين وذو الرَّجْلِ
أولئك فابْكِ ثم لا تَبْكِ غيرَهم ... نَوائحُ تَدْعو بالرَّزِيّةِ والثُّكْلِ
وقُولوا لأهلِ المَكَّتَيْنِ تَحاشَدُوا ... وسِيروا إلى آطامِ يَثْرِبَ ذى النَّخْلِ
جميعاً وحامُوا آلَ كَعْبٍ وذَبِّبوا ... بخالصةِ الألوانِ مُحْدَثةِ الصَّقْلِ
وإلا فبِيتُوا خائفين وأصبِحوا ... أذلَّ لوطْءِ الواطئين من النَّعْلِ
على أنّنى واللاتِ يا قومُ فاعلموا ... بكم واثقٌ أن لا تُقيموا على تَبْلِ
سِوى جَمْعِكم للسابغاتِ وللقَنا ... وللبَيْضِ والبِيضِ القَواطعِ والنَّبْلِ

وقال ضِرارُ بنُ الخطّابِ بنِ مِرْداسٍ، أخو بنى مُحارِبِ بنِ فِهْرٍ فى يوم بدر:

عجِبتُ لفخرِ الأوسِ والحينُ دائرٌ عليهم غداً والدّهرُ فيه بصائرُ
وفَخْرِ بنى النَّجّارِ وإن كان معشرٌ أُصيبوا ببَدْرٍ كلُّهم ثَمّ صابرُ
فإن تكُ قتلى غُودِرتْ من رجالنا فإنّا رجالٌ بعدهم سنُغادِرُ
وتَرْدِى بنا الجُرْدُ العناجيجُ وَسْطكم
بنى الأوسِ حتى يَشْفِى النفسَ ثائرُ
ووَسْطَ بنى النجّار سوف نَكُرّها لها بالقَنا والدارعين زوافِرُ
فنترك صَرْعَى تَعْصِبُ الطيرُ حولهم وليس لهم إلا الأمانىَّ ناصِرُ
وتَبْكيهم مِن أهْلِ يَثْرِبَ نِسوةٌ لهنّ بها ليلٌ عن النّوْمِ ساهِرُ
وذلك أنّا لا تزال سُيُوفنا بهنّ دمٌ ممّن يحاربن مائرُ
فإن تَظْفروا فى يوم بَدْرٍ فإنما بأحمدَ أمسَى جدُّكم وهو ظاهرُ
وبالنّفر الأخيار هم أولياؤه يُحامُون فى اللأْواء والموتُ حاضِرُ
يُعَدُّ أبو بكر وحمزة فيهمُ ويُدْعَى علىّ وَسْطَ مَنْ أنت ذاكرُ
ويُدعى أبو حَفْص وعثمانُ منهمُ وسَعْدٌ إذا ما كان فى الحرْب حاضِرُ
أولئك لا مَنْ نَتّجَتْ فى دِيارها بنو الأوْس والنّجّار حين تُفاخرُ
ولكنْ أبُوهم من لُؤَىّ بن غالبٍ إذا عُدّت الأنسابُ كَعْبٌ وعامِرُ
هم الطّاعِنون الخيلَ فى كلِّ مَعْرَكٍ غداةَ الهِياج الأطْيَبُون الأكاثِرُ

فأجابه كعبُ بن مالك ، أخو بَنى سَلمة ، فقال :

عَجِبْتُ لأمْرِ اللهِ واللهُ قادِرٌ على ما أراد ، ليس لله قاهِرُ

قضى يومَ بدرٍ أن نلاقىَ معشراً ... بَغَوْا وسبيلُ البَغْى بالنّاس جائرُ
وقد حَشدوا واستنفَروا من يَليهمُ ... مِن النّاسِ حتى جَمْعُهم مُتكاثر
وسارت إلينا لا تُحاول غيرَنا ... بأجمعِها كعبٌ جميعاً وعامر
وفينا رسولُ الله والأوسُ حولَه ... له مَعْقِلٌ منهم عزيزٌ وناصِر
وجَمْعُ بنى النّجّار تحت لوائه ... يُمَشّون فى الماذِىّ والنَّقْعُ ثائر
فلمّا لَقيناهم وكلٌّ مُجاهد ... لأصحابه مُسْتَبسِلُ النَّفس صابر
شَهِدنا بأنّ الله لا ربَّ غيره ... وأنّ رسولَ الله بالحقّ ظاهر
وقد عُرِّيت بِيضٌ خِفافٌ كأنها ... مَقابِيسُ يُزْهِيها لعينَيك شاهر
بهنّ أبَدْنا جمعَهم فتبدّدوا ... وكان يُلاقى الحَيْنَ مَنْ هو فاجر
فكُبّ أبو جهل صَرِيعاً لوَجْهه ... وعتبةُ قد غادَرنه وهو عاثر
وشَيبةُ والتَّيْمىّ غادَرْن فى الوَغَى ... وما منهمُ إلا بذى العَرْش كافر
فأمْسَوْا وَقُودَ النّار فى مُسْتَقَرّها ... وكلُّ كَفور فى جَهَنّم صائر
تلظَّى عليهم وهى قد شبّ حَمْيُها ... بزُبُر الحديد والحِجارة ساجر
وكان رسول الله قد قال أقبِلوا ... فوَلّوا وقالوا: إنما أنتَ ساحِر
لأمرٍ أراد الله أن يَهلِكوا به ... وليس لأمرٍ حَمّه الله زاجر

وقال عبد الله بن الزِّبَعْرَى السهمىُّ يبكى قَتْلَى بدر:

قال ابن هشام: وتروى للأعشى بن زُرارة بن النبّاش، أحد بنى أُسَيد ابن عمرو بن تميم، حليف بنى نَوْفل بن عبد مناف.

قال ابن إسحاق : حليفُ بنى عبد الدار :

ماذا على بَدْرٍ وماذا حَوْله   من فِتْيَةٍ بِيض الوُجُوه كِرَامِ
تركوا نُبَيها خَلْفهم ومُنَبّها   وابنى رَبيعة خَيْرَ خَصمٍ فِئام
والحارثَ الفيَّاض يَبْرُق وَجهه   كالبدر جَلَّى ليْلَةَ الإظلام
والعاصِيَ بنَ مُنَبِّه ذا مِرَّة   رُمحا تَمِيما غيرَ ذى أوْصام
تَنمى به أعراقُه وجُـدُودُه   ومآثر الأخوال والأعمام
وإذا بَكَى باكٍ فأعْوَل شَجْوَه   فعَلى الرئيس الماجد ابن هشام
حيًّا الإله أبا الوَليد ورَهْطَه   رَبُّ الأنام ، وخصَّهم بسَلام

فأجابه حسَّان بن ثابت الأنصارىّ ، فقال :

ابكِ بَكَت عيناكَ ثم تبادَرَتْ   بدَم تُعَلّ غُرُوبُها سَجَّام
ماذا بَكيتَ به الذين تتابعوا   هَـلا ذكَرتَ مكارِمَ الأقْوام
وذكَرْتَ منَّا ماجداً ذا هِمَّة   سَمْحَ الخلائق صادق الإقْدام
أعنِى النبىَّ أخا المكارم والنَّدَى   وأبرَّ من يُولى على الإقْسام
فلِمثْـلِـه ولمثـل ما يَدعو له   كان المُمدَّحَ ثَمَّ غيرَ كَهام

شعر لحسان فى بدر أيضا

وقال حسَّان بن ثابت الأنصارىّ أيضاً :

تَبَلتْ فؤادَكَ فى المَنام خَريدة   تَشْفِى الضَّجيعَ ببارِدٍ بسَّامِ

كالمسك تخلطه بماء سحابةٍ أو عاتقٍ كدمِ الذَّبيح مُدام
نُفُجُ الحقيبةِ بُوصُها مُتنضِّدٌ بَلْهاءُ غيرُ وَشيكةِ الأقسام
بُنيت على قطَنٍ أجمَّ كأنَّه فُضُلاً إذا قعدتْ مَداكُ رُخام
وتكادُ تكسَلُ أنْ تجيءَ فِراشَها في جِسْمِ خَرْعَبة وحُسْنِ قَوام
أمَّا النهارَ فلا أُفتِّرُ ذِكْرَها والليلُ تُوزِعُني بها أحلامي
أقسمتُ أنساها وأترُكُ ذِكرها حتى تُغيَّبَ في الضَّريحِ عظامي
يا مَنْ لعاذلةٍ تلومُ سَفاهةً ولقد عَصَيْتُ على الهوى لُوّامي
بَكرتْ عليَّ بسُحْرة بعد الكرى وتقاربٍ مِنْ حادثِ الأيّام
زَعمتْ بأنَّ المرءَ يَكْرُبُ عُمْرَه عَدَمٌ لِمُعْتكِرٍ من الأصرام
إن كنتِ كاذبةَ الذي حدَّثتِني فنجوتِ مَنْجى الحارثِ بنِ هشام
تَركَ الأحبَّةَ أن يُقاتلَ دونهم ونجا برأسِ طِمِرَّةٍ ولِجام
تذر العَناجيجَ الجيادَ بقفرة مَرَّ الدَّمُوكِ بمُحْصَدٍ ورِجام
مَلأتْ به الفَرْجَيْنِ فارمَدَّتْ به وثَوَى أحبَّتُه بشرِّ مقام
وبنو أبيه ورَهْطُه في مَعْرك نَصَرَ الإلهُ به ذوي الإسلام
طَحَنَتْهُم، واللهُ يُنفِذُ أمرَه، حَرْبٌ يُشَبُّ سَعيرُها بضِرام
لولا الإلهُ وجَرْيُها لتركْنه جَزَرَ السِّباعِ ودُسْنه بحَوامي
مَن بين مأسورٍ يُشَدُّ وَثاقُه صَقْرٍ إذا لاقى الأسِنَّةَ حامي
ومُجدَّلٍ لا يستجيب لدَعْوة حتى تزُولَ شَوامخُ الأعْلام
بالعارِ والذلِّ المُبيِّنِ إذ رأى بيضَ السُّيوف تسُوق كلَّ هُمام

رفع المسهم عزالله ابو طالب

بيدَىْ أغرّ إذا انتمى لم يُخزِه · نَسَبُ القِصار سَمَيْدَعٍ مِقْدام
بيضٌ إذا لاقَتْ حَديداً صَمَّمَتْ · كالبَرْق تحت ظلال كلِّ غمام

شعر الحارث في الرد علي حسان

فأجابه الحارث بن هِشام ، فيما ذكر ابن هشام ، فقال :

الله أعلمُ ما تركتُ قِتالهم · حتى حَبَوْا مُهْرِى بأشقرَ مُزْبِد
وعرفتُ أنى إن أقاتلْ واحداً · أُقتَلْ ولا يَنْكِي عَدوىَ مَشْهدى
فصَدَدْتُ عنهُم والأحِبَّةُ فيهمُ · طمَعاً لهم بِعقاب يوم مُفْسِد

قال ابن إسحاق : قالها الحارثُ يعتذر من فِراره يوم بدر .

قال ابن هشام : تركنا من قصيدة حسَّان ثلاثة أبيات من آخرها ، لأنه أقذع فيها .

شعر لحسان فيها أيضاً

قال ابن إسحاق : وقال حسَّان بن ثابت :

لقد علِمَتْ قريشٌ يوم بَدْر · غداةَ الأسْر والقَتْل الشَّديد
بأنّا حينَ تَشْتَجِر العَوالى · حُماةُ الحرْب يومَ أبى الوَليد
قَتَلْنا ابْنَىْ ربيعة يومَ سارَا · إلَيْنا فى مَضاعَفة الحَديد
وفرّ بها حكيمٌ يومَ جالَت · بنو النجّار تَخْطِرُ كالأُسُودِ
ووَلَّتْ عند ذاك جمُوع فِهْر · وأسْلَمَها الحُوَيْرِثُ مِنْ بعيد

لقـد لاقيتم ذُلاً وقتلاً جَهيزاً نافـذاً تحتَ الوَريد
وكلُّ القوْم قدْ ولّوا جميعاً ولم يلْوُوا على الحَسب التـليد

وقال حسّان بن ثابت أيضا :

يا حار قد عوّلتَ غير مُعوَّل عنـد الهياج وساعةَ الأحساب
إذ تمتطى سُرُحَ اليدين نجيبةً مَرْطَى الجراء طويلة الأقْراب
والقومُ خلْفك قد تركتَ قتالهم ترجو النَّجاء وليس حين ذَهاب
ألاّ عطفْتَ على ابن أمّك إذ ثوَى قعصَ الأسنّة ضائعَ الأسْلاب
عجلَ المليك له فأهلَك جمْعه بشَنار مُخزِيةٍ وسُوء عـذاب

قال ابن هشام : تركنا منها بيتاً واحداً أقْذع فيه .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضاً :

قال ابن هشام : ويقال : بل قالها عبد الله بن الحارث السَّهمىُّ :

مُستَشعِرِى حَلَقِ الماذِىّ يقدُمُهم جَلْدُ النَّحيزة ماضٍ غيرُ رِعْديدِ
أعنِى رسولَ إلهِ الخلْق فضّلَه على البريّة بالتّقوى وبالجود
وقد زعمتم بأن تحمُوا ذِمارَكم وماءُ بدْر زعمتم غيرُ مورُودِ
ثمَّ وردْنا ولم نسْمَعْ لقولكم حتى شَرِبْنا رَواء غير تصْريد
مُستعصمين بحَبْلٍ غير مُنْجذم مُستحكَم مِن حبالِ الله ممْدود
فينا الرّسولُ وفينا الحقُّ نتْبعه حتى المماتِ ونصرٌ غيرُ محْدود

وافٍ وماضٍ شِهابٌ يُستضاء به ... بَدْرٌ أنار على كلّ الأماجيد

قال ابن هشام: بيته: «مُستعصمين بحَبل غير مُنجذم» عن أبى زيد الأنصارى.

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت أيضا:

خابتْ بنو أسَدٍ وآبَ غَزِيُّهم ... يومَ القَليب بسَوءةٍ وفُضُوحِ
مِنهم أبو العاصى تجدَّلَ مُقْعَصاً ... عن ظَهْر صادقةِ النَّجاء سَبُوحِ
حَيْنا له من مانع بسلاحِه ... لمّا ثَوَى بمقامه المَذْبوحِ
والمرء زَمْعةُ قد تَرَكْنَ ونَحرُه ... يَدْمَى بعانِدٍ مُنْبَطٍ مَسْفُوحِ
مُتوسِّداً حُرَّ الجَبِين مُعَفَّراً ... قد عُرَّ مارِن أنفِه بقُبُوحِ
ونجا ابنُ قَيْسٍ فى بقيّة رَهْطه ... بشَفا الرِّماق مُوَلِّياً بجُروحِ

وقال حسّان بن ثابت أيضاً:

ألا ليتَ شِعْرى هل أتى أهلَ مكّة ... إبارَتُنا الكُفّار فى ساعة العُسْرِ
قَتَلْنا سَراةَ القَوْم عند مَجالِنا ... فلم يَرْجِعوا إلا بقاصِمَة الظَّهْرِ
قَتَلْنا أبا جَهْلٍ وعُتْبةَ قبلَه ... وشَيْبَةَ يكْبو لليَدَين وللنَّحْرِ
قَتَلْنا سُوَيْداً ثم عُتْبَةَ بعدَه ... وطُعْمةَ أيضاً عند ثائرة القَتْرِ
فكم قد قَتَلْنا مِن كَريم مُرَزَّإ ... له حَسَبٌ فى قَوْمِه نابِه الذِّكْرِ
تركْناهُم للعاوِيات يَنُبْنَهُم ... ويَصْلَوْن ناراً بعدُ حامِيةَ القَعْرِ
لَعَمرك ما حامَت فوارسُ مالك ... وأشياعُهم يوم الْتَقَيْنا على بَدْرِ

قال ابن هشام : أنشدنى أبو زيد الأنصارى بيته :

قَتَلْنا أبا جَهْلٍ وعُتْبَةَ قَبْلَه   وشَيْبة يَكْبو لليَدَيْنِ وللنَّحرِ

قال ابن إسحاق : وقال حسَّان بن ثابت أيضاً :

نَجَّى حَكيماً يومَ بَدْرٍ شَدُّهُ   كَنَجاءِ مُهْرٍ من بنات الأعْوج
لمَّا رأى بَدْراً تَسِيلُ جِلاهُه   بكَتيبةٍ خَضْراء مِنْ بَلْخَزْرج
لا يَنْكُلُون إذا لَقُوا أعداءَهم   يَمْشون عائدة الطَّريق المَنْهَج
كم فيهمُ من ماجِدٍ ذى مَنْعةٍ   بَطَل بمَهْلَكَةِ الجبان المُحْرَج
ومُسَوَّدٍ يُعطِى الجَزيلَ بكَفِّه   حَمَّال أثْقال الدِّيات مُتَوَّج
زَيْنِ النَّدِىِّ مُعاوِدٍ يومَ الوَغَى   ضَرْبَ الكُماة بكل أبيضَ سَلْجَج

قال ابن هشام : قوله سَلْجج ، عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق وقال حسان أيضاً :

فما نَخْشَى بحَوْل الله قَوْماً   وإن كَثُروا وأُجمِعت الزُّحُوفُ
إذا ما ألَّبُوا جَمْعاً علَيْنا   كَفانا حَدَّهم ربٌّ رَءُوف
سَمَوْنا يومَ بَدْرٍ بالعَوالى   سِراعاً ما تُضَعْضِعنا الحُتوف
فلَم تَرَ عُصْبَةً فى النَّاس أنْكَى   لمن عادَوْا إذا لَقِحت كَشُوف
ولكنَّا توكَّلْنا وقُلْنا   مآثِرُنا ومَعْقِلُنا السُّيوف
لَقِيناهُم بها لَمَّا سَمَونا   ونحنُ عِصابةٌ وهُمُ أُلوف

وقال حسّان بن ثابت أيضاً، يهجو بنى جُمَحَ ومن أُصِيب منهم :

جَمَحَتْ بنو جُمَحٍ لشِقْوة جدِّهم إنّ الذَّليل مُوَكَّل بذليل
قُتِلَتْ بنو جُمَحٍ ببَدْر عَنْوَةً وتَخاذَلوا سَعْياً بكلِّ سَبيل
جَحدوا الكِتاب وكذّبوا بمحمّد واللهُ يُظهِر دين كلِّ رَسول
لَعَن الإلهُ أبا خُزَيمَة وابنَهُ والخالدَيْن، وصاعِدَ بن عَقيل

شعر عبيدة بن الحارث فى قطع رجله

قال ابن إسحاق : وقال عُبيدة بن الحارث بن المُطّلب فى يوم بدر، وفى قَطْع رِجْله حين أُصيب، فى مُبارزته هو وحمزة وعلى حين بارزوا عدوهم ـ قال ابن هشام، وبعضُ أهل العلمْ بالشعر ينكرها لعُبيدة :

سَتَبْلُغُ عنّا أهلَ مكّة وَقْعَةٌ يَهُبّ لها مَن كان عن ذاك نائيا
بعُتْبَةَ إذ ولّى وشَيْبَة بعْدَه وما كان فيها بِكْرُ عُتْبة راضيا
فإن تَقْطَعُوا رِجْلى فإنىَ مُسْلم أُرجِّى بها عَيْشاً مِن الله دانيا
مَع الحُور أمثال التَماثيل أُخْلِصَت مع الجنّة العُلْيا لمن كان عاليا
وبِعْتُ بها عَيْشاً تعرّقْتُ صَفْوه وعالجْتُه حتى فقدتُ الأدانيا
فأكْرَمنى الرّحمنُ من فَضْل مَنّه بثَوْب مِنَ الإسْلام غطّى المَساويا
وما كان مَكْروهاً إلىّ قِتالُهم غداةَ دعا الأكْفاءَ مَنْ كان داعيا
ولم يَبْغ إذ سألوا النبىّ سواءنا ثلاثتنا حتى حَضَرْنا المناديا
لَقِيناهم كالأُسْد تَخْطِر بالقَنا نُقاتل فى الرّحمن من كان عاصيا

فما بَرِحَتْ أقدامُنا من مَقامنا ثلاثتنا حتى أُزِيروا المنائيا

قال ابن هشام : لما أصيبت رِجْلُ عُبيدة قال : أما والله لو أدرك أبو طالب هذا اليوم لعلم أنى أحقُّ منه بما قال حين يقول :

كَذبتم وبيتِ الله نُبْزَى محمدًا ولمَّا نُطاعِن دونَهُ ونُناضِلِ
ونُسْلِمه حتى نُصرَّعَ حَوْلَه ونذهَل عَن أبنائنا والحَلائلِ

وهذان البيتان فى قصيدة لأبى طالب ، وقد ذكرناها فيما مضى من هذا الكتاب .

رثاء كعب لعبيدة بن الحارث

قال ابن إسحاق : فلما هلك عُبيدة بن الحارث من مُصاب رِجْلة يوم بدر ، قال كعب بن مالك الأنصارىّ يَبْكيه :

أيا عَيْنِ جُودى ولا تَبْخَلِى بدمعك حقًّا ولا تنزُرِى
على سَيِّد هَدَّنا هُلْكُه كَرِيمَ المَشاهِد والعُنْصر
جَرِىء المُقَدَّم شاكى السِّلاح كريم النَّثا طيِّب المَكْسِر
عُبَيْدة أمْسَى ولا نَرْتجيه لعُرفٍ عرانا ولا مُنْكر
وقد كانَ يَحمِى غداةَ القِتا ل حامِيَــــة الجَيْش بالمِبْتر

شعر لكعب في بدر

وقال كعب بن مالك أيضاً ، فى يوم بدر :

ألا هل أتى غسّانَ فى نأى دارِها   وأخبَرُ شيءٍ بالأمُور عليمها
بأن قد رَمَتْنا عن قِسِيٍّ عَداوةٍ   مَعَدٌّ معًا جُهّالُها وحَليمها
لأنَّا عَبَدْنا اللهَ لم نَرْجُ غيرَه   رَجاءَ الجِنانِ إذْ أتانا زَعيمها
نبيٌّ له فى قَوْمِه إرْثُ عِزَّة   وأعراقُ صِدْق هَذّبَتْها أرُومها
فساروا وسِرْنا فالتقَيْنا كأنَّنا   أسُود لِقاءٍ لا يُرَجَّى كَليمها
ضَربناهُم حتى هَوى فى مَكَرِّنا   لِمَنْخرِ سَوْءٍ من لُؤَىٍّ عَظِيمها
فوَلَّوْا ودُسْناهم ببِيض صَوارم   سَواء عَلينا حِلْفُها وصَميمها

وقال كعب بن مالك أيضا :

لَعَمْرُ أبيكُما يابْنَىْ لُؤَىٍّ   على زَهْوٍ لَدَيْكُمْ وانْتِخاء
لَمَا حامَتْ فوارسُكم ببدْرٍ   ولا صَبروا به عنــد اللّقاء
ورَدْناه بنــور الله يَجْلو   دُجَى الظَّلْماء عَنَّا والغِطاء
رسولُ الله يَقْــدُمنا بأمر   مِن امْرِ الله أحكمَ بالقَضاء
فما ظفِرَتْ فوارِسُكم ببدر   وما رَجعوا إليكم بالسَّواء
فلا تَعجَل أبا سُفيان وارقُبْ   جِيادَ الخَيْل تَطْلُعُ من كَداءٍ
بنَصر الله روحُ القُدْس فيها   وميكالٌ ، فياطِيبَ المَلاء

شعر طالب في مدح الرسول وبكاء أصحاب القليب

وقال طالبُ بن أبى طالب ، يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويبكى أصحاب القَليب من قُرَيش يوم بدر :

ألا إنّ عَيْنِي أنفدَتْ دمْعها سَكْبًا ... تُبَكِّي على كعب وما إنْ ترى كعبا
ألا إنّ كَعْبًا في الحروب تخاذَلوا ... وأَرْدَاهمُ ذا الدَّهرُ واجْترحوا ذَنْبا
وعامر تَبْكي للمُلمَّات غُدْوَةً ... فياليت شِعْري هل أرى لهما قُرْبا
هما أخَوايَ لن يُعَدَّا لِغَيَّةٍ ... تُعَدُّ ولن يُسْتام جارُهما غَصْبا
فيا أخَوَيْنا عَبْدَ شمْسٍ ونوْفلا ... فِدًا لكما لا تَبْعثوا بيْننا حَرْبا
ولا تُصْبِحُوا من بعد وُدّ وأُلفةٍ ... أحاديثَ فيها كُلُّكم يشْتكي النَّكْبا
ألم تعلموا ما كان في حَرْب داحسٍ ... وجيش أبي يَكْسوم إذ مَلئوا الشِّعبا
فلَوْلا دِفاعُ اللهِ لا شَيْء غيرُه ... لأصْبحتُم لا تمْنعون لكم سِرْبا
فما إنْ جنينا في قُريش عظيمةً ... سوَى أن حَمَيْنا خير مَنْ وطىء التُّرْبا
أخا ثِقَةٍ في النَّائبات مُرَزَّأً ... كريمًا نثاه لا بخيلا ولا ذَرْبا
يُطِيف به العافُون يَغْشَوْن بابَه ... يؤمُّون بحرًا لا نَزُورًا ولا صَرْبا
فوالله لا تنفَكّ نَفْسي حزينةً
تَمَلْمل حتى تصْدُقوا الخزرجَ الضَّرْبا

شعر ضرار في رثاء أبي جهل

وقال ضرار بن الخطَّاب الفهري ، يرثي أبا جَهْل :

ألا مَنْ لعينٍ باتَت اللَّيلَ لم تَنمْ ... تُراقبُ نجمًا في سوادٍ من الظُّلَمْ
كأنّ قذًى فيها وليس بها قذًى ... سوى عَبْرةٍ من جائل الدمع تَنْسجم
فبلِّغْ قُرَيْشًا أنّ خيرَ نَديِّها ... وأكرمَ مَن يمشي بساقٍ على قدم

ثَوَى يوم بدر رَهْن خَوْصاءَ رَهنُها كريمُ المساعى غيرُ وَغْدٍ ولا برم
فآليتُ لا تنفكّ عَيْنى بعَبْرة على هالكٍ بعد الرَّئيس أبى الحكم
على هالكٍ أشجَى لُؤَىّ بن غالب أتته المنايا يوم بَدْر فلم يَرِم
ترى كِسَر الخطِّىّ فى نَحْر مُهْره لَدى بائنٍ من لحمه بينها خِذَم
وما كان ليثٌ ساكنٌ بطنَ بِيشَةٍ لدى غَلَلٍ يجرى ببطحاء فى أَجَم
بأجرأ منه حين تختلف القنا وتُدْعَى نَزالِ فى القماقمة البُهَم
فلا تجزعوا آلَ المُغيرة واصبِروا عليه ومَنْ يجزع عليه فلم يُلَم
وجِدُّوا فإنّ الموت مَكرُمةٌ لكم وما بعده فى آخِرِ العَيْش مِنْ نَدَم
وقد قُلتُ إنّ الريح طيِّبةٌ لكم وعِزّ المقام غير شكّ لذى فَهَم

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشعر يُنكرها لِضرار.

شعر الحارث بن هشام فى رثاء أبى جهل

قال ابن إسحاق: وقال الحارث بن هشام، يبكى أخاه أبا جَهل:

ألا يا لَهْف نَفسى بعد عَمْرو وهل يُغْنى التَّلَهُّفُ مِن قتيلِ
يُخبِّرنى المُخبِّر أنّ عَمْراً أمام القَوْم فى جَفْرٍ مُحيل
فقِدْماً كنتُ أحسب ذاك حقّاً وأنتَ لِمَا تقدّم غيرُ فِيل
وكنتُ بِنِعْمةٍ ما دُمْتَ حيّاً فقد خُلِّفْتُ فى دَرَج المَسِيل
كأنّى حين أُمْسِى لا أراه ضعيفُ العَقْد ذو هَمّ طويل
على عَمْرو إذا أَمْسَيْتُ يوماً وطَرْفٍ من تذكُّره كَليلِ

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها للحارث بن هشام؛ وقوله: «فى جفر» عن غير ابن إسحاق.

شعر ابن الأسود فى بكاء قتلى بدر

قال ابن إسحاق: وقال أبو بكر بن الأسود بن شُعوب اللَّيثى، وهو شَدَّاد ابن الأسود:

تُحَيِّى بالسَّلامة أُمُّ بَكْرٍ　　وهل لى بعد قومى مِنْ سلامِ
فماذا بالقَليب قَليبِ بَدْر　　من القَينات والشَّرْب الكرَام
وماذا بالقَليب قَليب بَدْر　　من الشِّيزَى تُكَلَّل بالسَّنام
وكم لكِ بالطَّوِىّ طَوِىّ بَدْر　　مِن الحَوْمات والنَّعَم المُسَام
وكم لكِ بالطَّوِىّ طوىّ بَدْر　　من الغايات والدُّسُع العِظام
وأصحابِ الكَريم أبى علىّ　　أخى الكاس الكريمة والنِّدَام
وإنك لو رأيت أبا عَقيل　　وأصحابَ الثَّنيَّة مِن نَعام
إذاً لظَلِلْتِ مِن وَجْدٍ عليهم　　كأُمّ السَّقْب جائلةَ المَرَام
يُخَبِّرُنا الرَّسُولُ لَسوْف نَحْيا　　وكيف لقاء أصداء وَهام؟

قال ابن هشام: أنشدنى أبو عُبيدة النحوىّ:

يُخَبِّرُنا الرَّسولُ بأنْ سَنَحْيا　　وكَيْف حَياةُ أصداءٍ وهامِ

قال: وكان قد أسلم ثم ارتدّ.

شعر أمية بن أبى الصلت في رثاء قتلى بدر

وقال ابن إسحاق : وقال أميّة بن أبى الصّلت ، يرثى من أصيب من قريش يوم بدر :

أَلاَّ بَكيتِ على الكِرا م بَنى الكِرام أُولى المَمادحْ
كَبُكا الحَمام على فُرو ع الأَيْك فى الغُصُن الجَوانح
يَبْكين حَرَّى مُسْتَكِينا تٍ يرُحْنَ مع الرَّوائح
أمثالهن الباكيا ت المُعْوِلاتِ من النَّوائح
مَنْ يَبْكِهم يَبْكِ على حُزْن ويَصدُق كلّ مادح
ماذا ببَدْر فالعَقَنْقَل من مَرازبةٍ جَحاجح
فمَدافع البَرْقَيْن فالْحَنَّان من طَرَف الأَواشِح
شُمْطٍ وشُبَّان بِهَا لِيلٍ مَغاوِيرٍ وَحاوِح
ألا تَرَوْنَ لِمَا أَرَى ولقد أبانَ لكُلّ لامح
أنْ قد تَغَيّر بَطْنُ مكّة فَهى مُوحشة الأباطح
منْ كُلّ بِطْرِيقٍ لِبطْريق نَقِىّ القَوْن واضحْ
دُعْمُوص أبْواب الملو ك وجائب لِلْخرْقِ فاتح
مِنَ السَّراطمة الخَلا جِمة المَلاوِثة المَناجِح
القائلين الفاعلين الآمرين بكُلّ صالح
المُطْعِمين الشَّحْم فَوْ ق الخبز شَحْماً كالأنافح

نُقُــل الجِفان مع الجِفَا ن إلى جِفانٍ كالمناضِح
لَيْسَت بأصْفار لِمَنْ يَعْفُو ولا رَحّ رحارح
للضَّيْف ثم الضَّيف بعــد [الضيف] والبُسط السَّلاطح
وُهُب المِئــين من المئيــنَ إلى المئينَ من اللَّواقح
سَوْق المُؤَبَّل للمُؤبَّــل صادراتٍ عن بَلادِح
لكِرَامِهِــم فوق الكِرَا م مزيّةٌ وَزْنَ الرَّواجح
كتثاقُل الأرْطال بالقِســطاس فى الأيدى الموائحْ
خَذَلَتهُمْ فِئَــةٌ وهم يَحمُون عَوْرات الفَضَائح
الضَّــاربين التَّقْدُمِيَّــةَ بالمُهَنَّدة الصَّفــائح
ولقَــدْ عَنانى صَوْتُهم مِن بين مُسْتَسْقٍ وصائح
لله درّ بَــنِى عَــلِىّ أَيِّمٍ منهم وناكِح
إن لم يُغيروا غارةً شَعْواء تُجْحِر كُلَّ نابح
بالمُقْرَبات ، المُبْعِــدا ت ، الطَّامحات مع الطَّوامح
مُرْداً على جُرْدٍ إلى أُسْدٍ مُكالِبَــة كوالح
ويُلاقِ قِــرْنٌ قِرْنَهُ مَشْىَ المُصافِح للمُصافِح
بِزُهاءِ أَلْفٍ ثُمَّ ألْــفٍ بين ذى بَدَنٍ ورامِح

قال ابن هشام : تركنا منها بيتين نال فيهما من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأنشدنى غيرُ واحد من أهل العلم بالشعر بيتَه :

. . . .

رفع
المسا هم
غفر الله له ولوالديه

وُيلاق قِرنٌ قِرْنه مَشْىَ المُصافح للمُصافح

وأنشدنى أيضاً :

وُهُبُ المِئين منَ المئينَ إلى المئين مِنَ اللَّواقح
سَوق المُؤبَّل للمُؤبَّل صادرات عن بلادح

قال ابن إسحاق : وقال أميَّة بن أبى الصَّلت ، يبكى زَمَعة بن الأسود ، وقتلَى بنى أسَد :

عَينُ بَكِّى بالمُسْبِلات أبا الحـارث لاتَذْخَرِى على زَمَعَهْ
وابكى عقيلَ بن أسودٍ أسَد البـأْس ليَوْم الهِيـاج والدَّفَعَه
تلك بنو أسَد إخْوَة الجوْ زاء لاخانَةٌ ولا خَـدَعَه
هُمُ الأُسرَة الوسيطة من كَعْـبٍ وهُم ذِرْوَة السَّنام والقَمعه
أنبتوا مِن معاشرٍ شَعَر الـرأسِ وهُم ألحقوهمُ المَنَعَه
أمْسَى بنو عمِّهم إذا حَضَر البـأْسُ أكبادُهم عليهمُ وَجِعه
وهُم المُطْعمون إذْ قَحط القَطْـر وحالَتْ فلا ترى قَزَعه

قال ابن هشام : هذه الرواية لهذا الشعر مُختلطة ، ليست بصَحيحة البناء ، لكن أنشدنى أبو مُحرز خلف الأحمر وغيره ، روى بعضٌ مالم يَرْوِ بعض :

عَيْنُ بَكِّى بالمُسْبِلات أبا الحا رث لا تَذْخَرِى على زَمَعه
وعَقِيلَ بن أسْوَدٍ أسدَ البأْ س ليَوْم الهِياج والدَّفَعَه

فَلِى مِثْلِ هُلْكِهِم خَوَتِ الجَوْ زاء ، لا خانةٌ ولا خَدَعه
وهُمُ الأُسْرَةُ الوَسِيطَةَ مِن كَعْـ ـبٍ ، وفِيهم كَذِرْوَة القَمَعه
أنْبَتُوا مِنْ مَعاشِرٍ شَعَر الرأْ سِ ، وهم ألحقوهم المَنَعه
فبنو عمِّهم إذا حَضَر البأْ س عليهم أكبادُهم وجِعَه
وهُمُ المُطْعِمون إذ قَحط القَطْـ ـر وحالَت فلا ترى قَزَعه

شعر أبي أسامة

قال ابن إسحاق : وقال أبو أسامة ، معاويةُ بن زُهير بن قَيْس بن الحارث ابن سعد بن ضُبَيعة بن مازن بن عدىّ بن جُشَم بن مُعاوية حليف بنى مخزوم قال ابن هشام : وكان مُشركا وكان مرّ بهُبَيْرة بن أبى وَهْب وهم مُنهزمون يوم بدر ، وقد أعْيَى هُبَيْرة ، فقام فألقى عنه دِرْعه وحمله فمضى به ، قال ابن هشام : وهذه أصحّ أشعار أهل بدر :

ولمّا أنْ رأيتُ القَوْم خَفُّوا وقد شالت نَعامَتُهم لنفْرِ
وأنْ تُرِكَتْ سَراةُ القَوْم صَرْعَى كأنّ خِيارَهم أذْباحُ عِتْرِ
وكانتْ جُمَّةٌ وافتْ حِمامًا ولُقِّينا المَنايا يَوْمَ بَدْرِ
نَصُدّ عَنِ الطّريق وأدْرَكوا كأنّ زُهاءَهم غِيطان بَحْرِ
وقال القائلونَ : مَنِ ابنُ قَيْس؟ فقلتُ : أبو أسامَة ، غير فَخْرِ
أنا الجُشَمِيُّ كيما تَعْرِفُونِى أُبيّنُ نِسْبَتى نَقْرًا بنَقْرِ
فإن تَكُ فى الغَلاصِمِ من قُرَيْش فإنى من مُعاوِيَة بن بَكْرِ

فأبلغ مالكا لما غشينا وعندك مال ـ إن نبأت ـ خبرى
وأبلغ إن بلغت المرء عنا هبيرة ، وهو ذو علم وقدر
بأنى إذ دعيت إلى أفيد كررت ولم يضق بالكر صدرى
عشية لا يكر على مضاف ولا ذى نعمة منهم وصهر
فدونكم بنى لأى أخاكم ودونك مالكا يا أم عمرو
فلولا مشهدى قامت عليه موقفة القوائم أم أجرى
دفوع للقبور بمنكبيها كأن بوجهها تحميم قدر
فأقسم بالذى قد كان ربى وأنصاب لدى الجمرات مغر
لسوف ترون ما حسبى إذا ما تبدلت الجلود جلود نمر
فما إن خادر من أسد ترج مدل عنبس فى الغيل مجرى
فقد أحمى الأباءة من كلاف فما يدنو له أحد بنفر
بخل تعجز الحلفاء عنه يواثب كل هجهجة وزجر
بأوشك سورة منى إذا ما حبوت له بقرقرة وهدر
ببيض كالأسنة مرهفات كأن ظباتهن جحيم جمر
وأكلف مجنأ من جلد ثور وصفراء البراية ذات أزر
وأبيض كالغدير ثوى عليه عمير بالمداوس نصف شهر
أرفل فى حمائله وأمشى كمشية خادر ليث سبطر
يقول لى الفتى سعد هديا فقلت : لعله تقريب غدر

وقلتُ أبا عَـدِىّ لا تَطُرْهم ... وذلك إنْ أطَعْتَ اليومَ أمْرِى
كَدَأْبِهمُ بفَرْوَةَ إذْ أتاهم ... فظَلَّ يُقاد مَكْتوفًا بضَفْر

قال ابن هشام: وأنشدنى أبو مُحْرز خلف الأحمر:

نَصُدُّ عَنِ الطَّرِيق وأدْرَكونا ... كأنَّ سِراعَهم تَيَّارُ بَحْر

وقوله: مدلّ عَنْبس فى الغِيل مُجرى – عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وقال أبو أسامة أيضا:

ألا مَنْ مبلغ عنى رَسولاً ... مُغَلْغَـلةً يُثَبِّتُها لَطِيفُ
ألم تَعْـلَم مَرَدِّى يومَ بَدْر ... وقد بَرَقَتْ بجَنْبيك الـكُفُوف
وقد تُرِكتْ سَراةُ القوم صَرْعَى ... كأنّ رُءوسَهم حَدَجٌ نَقِيف
وقد مالَتْ عليك ببطْن بَدْرٍ ... خِلافَ القَوْم داهِيَةٌ خَصِيف
فنجاه من الغَمَرات عَزْمى ... وعونُ الله والأمرُ الحَصِيف
ومُنْقَلَبى مِنَ الأبْواء وَحْدِى ... ودونك جَمْعُ أعـداء وُقُوف
وأنت لمن أرادك مُسْتكينٌ ... بجَنْب كُراشَ مكلومٌ نَزِيف
وكنتُ إذا دعانى يومَ كَرْب ... من الأصحاب داعٍ مُسْتَضيف
فأسْمِعنى ولو أحبَبْتُ نَفْسى ... أخٌ فى مثل ذلك أو حَليف
أرُدّ فأكشِف الغُمّى وأرْمى ... إذا كَلَح المَشافرُ والأُنُوف
وقِرْنٍ قد تركتُ على يديه ... يَنُوء كأنه غُصْن قَصِيف

دَلَفْتُ له إذا اختَلطوا بحرَّى ... مُسَحْسَحةٍ لعاندها حَفيف
فذلك كان صُنْعى يومَ بَدْرٍ ... وقَبْلُ أخو مَداراة عَزُوف
أخوكم فى السِّنين كما عَلِمْتُم ... وحَرْبٍ لايزالُ لها صَريف
ومِقْدامٌ لكمْ لايَزْدَهِينى ... جَنانُ اللَّيلِ والأنسُ اللَّفيف
أخُوض الصَّرَّة الحمَاء خَوْضاً ... إذا ما الكَلْبُ ألجأهُ الشَّفيف

قال ابن هشام : تركت قصيدةً لأبى أُسامة على اللام ، ليس فيها ذكر بَدْر إلا فى أوّل بيت منها والثانى ، كراهيةَ الإكثار .

شعر هند بنت عتبة

قال ابن إسحاق : وقالت هندُ بنت عُتبة بن ربيعة تبكى أباها يوم بدر :

أعَينىَّ جُودا بدَمْعٍ سَرِبْ ... على خير خِنْدِفَ لم ينقلِبْ
تَداعَى له رَهْطُه غُدْوَةً ... بنُو هاشمٍ وبنُو المطَّلِب
يُذيقونه حَدَّ أسيافِهم ... يَعُلُّونه بعد ما قد عَطِب
يجرونه وعفيرُ التُّراب ... على وَجْهه عارياً قد سُلِب
وكانَ لنا جَبَلاً راسياً ... جميلَ المَراةِ كثيرَ العُشُب
وأمَّا بُرَىٌّ فلم أعْنِه ... فأوتىَ من خير ما يَحْتَسِب

وقالت هند أيضاً :

يَرِيب علينا دَهْرُنا فيَسُوؤُنا ... ويأبَى فما نَأتِى بشىء يُغالبه

. . . .

أبعدَ قتيلٍ من لؤىّ بن غالب | يُراعُ امرؤٌ إنْ ماتَ أوماتَ صاحبه
ألا رُبَّ يومٍ قد رُزِئتُ مُرَزَّأً | تَروح وتَغدو بالجزيل مَواهبُهْ
فأبْلغ أبا سُفيانَ عنّى مَألُكا | فإن ألقه يوماً فسوف أُعاتِبه
فقد كان حربٌ يَسْعَر الحربَ إنَّه | لكلِّ امرىء فى الناس مولًى يُطالبه

قال ابن هشام: وبعضُ أهل العلم بالشعر يُنكرها لهِنْد.

قال ابن إسحاق: وقالت هند أيضاً:

للهِ عَيْنا مَنْ رأى | مُلْكا كهُلْكِ رِجاليه
يا رُبَّ باكٍ لى غَدا | فى النَّائبات وباكيَه
كمْ غادَرُوا يومَ القَليـ | ـبِ غداةَ تلك الواعِيَه
مِنْ كُلِّ غَيْثٍ فى السِّنيـ | ـن إذا الكَواكِبُ خاوِيه
قد كُنْتُ أحْذَرُ ما أرَى | فاليَوْم حَقَّ حَذاريه
قد كُنْتُ أحْذَرُ ما أرَى | فأنا الغَداةَ مُواميه
يا رُبَّ قائلَةٍ غَداً | يا وَيْحَ أُمّ مُعاوِيَه

قال ابن هشام: وبعضُ أهل العلم بالشعر يُنكرها لهِنْد.

قال ابن إسحاق: وقالت هند أيضاً:

يا عَيْنُ بَكِّى عُتْبَهْ | شيخاً شديد الرَّقبَهْ
يُطْعِم يوم المَسْغبه | يدفع يومَ المَغْلَبه

إنّى عليه حَرِبه مَلْهوفةٌ مُسْتَلَبَه
أن يُطنٌ يَثرِبه بغارةٍ مُنْشعِبه
فيها الخيولُ مُقْرَبه كُلُّ جَوَاد سَلْهَبه

شعر صفية

وقالت صَفِيَّةُ بنتُ مُسافر بن أبى عمرو بن أُميَّة بن عبد شمس بن عبد مناف، تبكى أهلَ القَليب الذين أُصيبوا يوم بدر من قُريش: (وتذكر مصابهم):

يامَنْ لِعَينٍ قَذَاها عائرُ الرَّمَدِ حَدَّ النَّهارِ وقَرْنُ الشمسِ لم يَقِدِ
أُخبِرْتُ أنَّ سَراةَ الأَكْرَمين مَعًا قد أحْرَزَتْهم مَنَاياهُم إلى أمَدِ
وفَرَّ بالقَوْم أصحابُ الرِّكاب ولم تَعْطِفْ غداتئذٍ أُمٌّ على وَلَدِ
قَومِى صَفِىَّ ولا تَنْسَى قَرابتَهم وإن بَكَيْتِ فما تَبكِين مِن بُعُدِ
كانُوا سُقُوبَ سماءِ البيتِ فانقصفت فأصبح السَّمْك منها غيرَ ذى عَمَدِ

قال ابن هشام: أنشدنى بيتَها: «كانوا سقوب» بعضُ أهل العلم بالشعر.

قال ابن إسحاق: قالت صفيَّةُ بنت مُسافر أيضًا:

ألا يا مَنْ لِعَيْنٍ للتَّبكِّى دَمْعُها فانِ
كَغَرْبَىْ دالجٍ يَسْقِى خِلالَ الغَيْثِ الدَّانِ
وما لَيثٌ غَرِيفٍ ذو أظافيرٍ وأسْنانِ
أبو شِبْلَيْنِ وَثَّابٌ شديدُ البَطْشِ غَرْثانِ

كَحِبِّى إذ تولَّى و   وُجُوهُ القَوْمِ ألوان
وبالكفِّ حُسام صا   رم أبْيَضُ ذُكْرَان
وأنتَ الطَّاعن النَّجلا   ء مِنها مُزْبِدٌ آن

قال ابن هشام: ويروون قولها: « وما ليث غريفٍ » إلى آخرها مفصولا من البيتين اللذين قبله.

شعر هند بنت أثاثة

قال ابن إسحاق: وقالت هِند بنت أثاثة بن عباد بن المطَّلب ترْثى عُبيد بن الحارث بن المطَّلب:

لقد ضمَّن الصَّفراء مجداً وسُؤدُداً   وحِلْماً أصيلاً وافرَ اللُّبّ والعَقْلِ
عُبَيْدةَ فابكيه لأضيافِ غُرْبةٍ   وأرمَلة تَهْوِى لأشْعَثَ كالجِذْل
وبَكِّيه للأقوام فى كلّ شَتْوة   إذا احمرّ آفاقُ السَّماء من المَحْل
وبَكِّيه للأيتام والرِّيحُ زَفْزَفٌ   وتَشْبيب قِدْر طالما أزبدت تَغْلى
فإن تُصبح النِّيرانُ قدماتَ ضَوْءُها   فقد كان يُذْكيهن بالحطَب الجزْل
لطارقِ لَيْلٍ أو لمُلتمس القِرَى   ومُسْتَنْبِحٍ أضحَى لديْه على رِسْلِ

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشعر يُنكرها لِهِنْد.

شعر قتيلة بنت الحارث

قال ابن إسحاق: وقالت قُتَيلة بنت الحارث أخت النَّضر بن الحارث، تبْكيه:

يا راكباً إنَّ الأُثَيْلَ مَظِنَّةٌ ... من صُبْحِ خامسةٍ وأنت مُوَفَّقُ
أَبْلِغْ بها مَيْتاً بأنَّ تَحِيَّةً ... ما إنْ تَزالُ بِها النَّجائبُ تَخْفُقُ
مِنِّي إليك وعَبْرةً مَسْفوحةً ... جادتْ بِوَاكِفِها وأُخْرَى تَخْنُقُ
هل يَسْمَعَنِّي النَّضْرُ إن ناديتُه ... أم كيف يَسْمع ميِّتٌ لا يَنطِقُ
أَمُحَمَّدٌ يا خيرَ ضِنْءِ كريمةٍ ... في قَوْمِها والفَحْلُ فَحْلٌ مُعْرِق
ما كان ضَرَّكَ لو مَنَنْتَ وربما ... مَنَّ الفتى وهو المَغِيظُ المُحْنَق
أو كنتَ قابلَ فِدْيةٍ فلْيُنْفِقَنْ ... بأعزّ ما يَغْلو به ما يُنفِق
فالنَّضر أقربُ مَنْ أَسَرْتَ قَرابةً ... وأحقُّهم إن كان عِتْقٌ يُعْتَق
ظَلَّتْ سُيُوفُ بني أبيه تَنُوشُه ... لِلّهِ أرْحامٌ هُناكَ تُشَقَّق
صَبْراً يُقاد إلى المَنيَّة مُتْعَباً ... رَسْفَ المُقيَّدِ وهْوَ عانٍ مُوثَق

قال ابن هشام : فيقال ، والله أعلم : إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لمَّا بلغه هذا الشِّعر ، قال : لو بلغني هذا قبل قتله لمَنَنْتُ عليه .

تاريخ الفراغ من بدر

قال ابن إسحاق : وكان فراغُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم من بدر في عَقب شهر رمضان أو في شوَّال .

. . . .

رفع
المسهم
عز الله لطالبه

من قتل من المشركين :

فصل : وذكر فيمن قتل من المشركين يوم بدر العاصِيَ بن سَعيد بن العاص ، وقد ذكرنا فيما تقدم من هذا الكتاب الحديث الذى أسنده أبو عُبَيْدٍ إلى سَعْد بن أبى وَقَّاصٍ ، قال : قتلت يومَ بدرٍ العاصى بن سعيد وأخذت سيفَه ذا الكَتِيفَة ، وذكر الحديث ، قال أبو عُبَيْدٍ : وأهل السِّيَر يقولون : قتله علىٌّ رضى الله عنه . قال المؤلف : وبعضُ أهل التفسير يقولون : قتله أبو اليَسَرِ كَعْبُ بنُ عَمْرٍو . وقال أبو عبد الله الزبير بن أبى بكر القاضى فى أنساب قريش له : والعاصى قتله علىُّ بنُ أبى طالب يومَ بدرٍ كافراً[1] حدث إبراهيم بن حَمْزَةَ عن إبراهيم بن سَعْد عن صالح بن كَيْسان عن ابن شِهَابٍ ، قال : بينما عُمَرُ بن الخطاب جالسٌ فى المسجد [وعُمَرُ يومئذٍ أميرُ المؤمنين] إذْ مَرَّ به سعيدُ بنُ العاصِى ، فسلَّم عليه ، فقال له عُمَرُ : إنى والله يا ابنَ أخى ما قتلت أباكَ يَوْمَ بَدْرٍ ، ولكنى قتلتُ خالِيَ العاصِيَ بنَ هِشَامٍ ، وما بى أن أكونَ أعتذر[2] من قَتْلِ مُشْرِكٍ ، قال : فقال له : سَعِيدُ بن العاصى : [وهو يومئذ حديثُ السِّنِّ] لو قَتَلْتَه كنتَ على الحق[3] ، وكان على الباطلِ قال : فعجب عُمَرُ من قوله ، وَلَوَى كَفَّيه ، وقال : قُرَيشٌ أفضلُ الناس إسْلَاماً ،

(١) فى ص ١٧٤ كتاب نسب قريش .

(٢) فى نسب قريش : وما بى أن أعتذر إليك .

(٣) فى نسب قريش : لعلمت أنك على حق ، وهو على باطل .

رفع المسهم غفر الله له ولوالديه

. . . .

وأعْظَمِ الناس أَمَانةً(١) ، ومن يُرِدْ بقريش سوءًا يَكُبَّه اللهُ لِفِيه ، وقال : قال عمّى مُصْعَبُ بنُ عَبْدِ الله : زَعموا أن عُمَرَ قال : رأيته يَبْحَثُ التّراب كأنه ثَوْرٌ ، فصدَدْتُ عنه ، وحمل له علىٌّ فقتَله(٢) .

السائب بن أبي السائب :

وذكر فيمن قُتِل من المشركين : السائبَ بن أبى السَّائب ، واسمُ أبى السائب صَيْفى بن عابِدٍ ، وأنكر ابنُ هِشَامٍ أن يكون السائب قُتِل كافراً قال : وقد أسلم وحَسُن إسلامُه ، وذكر أبو عُمَرَ عن ابن الزبير أن السائب قُتِلَ كافراً يومَ بَدْرٍ ، قال : وأحْسَبُه اتّبَعَ فى ذلك قول ابن إسحاق ، قال : وقد نَقَضَ الزُّبَيْرُ ذلك فى مَوْضعين من كتابه بعد ذلك ، فقال : حدثنى يَحْيى ابن مُحَمد بن عبد الله بن ثَوْبَانَ عن جَعْفَرِ بن عِكْرِمَةَ عن يَحْيى بن كَعْبٍ عن أبيه كعبٍ مَوْلَى سَعِيدِ بن العاصى ، قال : مَرّ مُعَاوِيَةُ وهو يَطوف بالبيتِ ، ومعهَ جُنْدُه ، فزحموا السائبَ بن صَيْفى بن عابد ، فسقط ، فوقف عليه معاويةُ وهو يَوْمئذٍ خليفةٌ فقال : ارفعو الشيخَ ، فلما قام قال: ماهذايامعاوية ؟ تَصْرَعُونَنَا(٣) حول البيتَ ؟ ! أما واللهِ لقد أردت أن أتزوج أُمَّكَ ، فقال

---

(١) فى نسب قريش أنه جعل يقول : أحلام قريش أحلام قريش، ولم يزد . انظر ص ١٧٦ كتاب نسب قريش والزيادة منه .

(٢) فى النسب : فصمد له على فقتله ص١٧٦ .

(٣) فى الإصابة : أجئتنا بأوباش الشام يصرعوننا . وقد ذكر الحافظ فى ترجمته أن أبا داود والنسائى رويا من طريق قائده أنه كان شريك النبى « ص وفى السيرة وفى نسب قريش ، وفى الإصابة : صيفى بن عائذ بدلا من عابد كما فى =

رفع المسهم

. . . .

معاوية : ابنتك قمات ، فجاءت بمثال أبى السائب ، يعنى عبدَ الله بنَ السائبِ ، وهذا واضح فى إدراكه الإسلامَ ، وفى طول عُمْرِه ، وقال فى موضع آخر : حدثنى أبو ضَمْرَةَ أَنَسُ بن عِيَاضٍ اللَّيثِيُّ ، قال : حدثنى أبو السائبِ يعنى : الْمُنَاجِزَ ، وهو عبدُ الله بن السائب ، قال : كان جدى أبو السائب شريكَ النبيِّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال النبى صلى الله عليه وسلم : نِعْمَ الشَّرِيكُ كان أبو السائب ، لا يُشَارِى ولا يُمَارِى [ولا يدارى] ، وهذا كله من الزبير مُنَاقضةٌ فيما ذكر أن السائبَ بن أبى السائب قُتِل يوم بدر كافراً . وقال ابن هشام : السائبُ بن أبى السائب الذى جاء فيه الحديثُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ نِعم الشريكُ أبو السائب لا يُشَارِى[1] ولا يُمَارِى ، كان قد أسلم فحسُن إسلامُه فيما بلغنا . قال ابنُ هشام : وذكر ابن شِهَابٍ عن عُبَيْد الله بن عَبْدِ الله بن عُتْبَةَ عن ابن عباس أنَّ السائبَ بن أبى السَّائِب بن عَابِد[2] بنِ

= الروض ولكن يقول الخشنى : « قال الزبير بن بكار فيما حكى الدارقطنى عنه : كل من كان من ولد عمر بن مخزوم فهو عابد ، وكل من كان من ولد عمران بن مخزوم فهو عائذ » وقد ذكر مصعب الزبيرى فى كتاب نسب قريش أن السائب بن أبى السائب قتل كافرا ببدر . ويقول الحافظ فى الإصابة تأويلا لتناقض الزبير « يحتمل أن يكون السائب بن صيفى عنده غير السائب بن أبى السائب » .

(١) لا يشارى : المشاراة : الملاجة ، وقد شرى واستشرى : إذا لج فى الأمر ، وقيل لا يشارى من الشر ، أى : لا يشارره فقلبت إحدى الراءين ياء والأول أوجه « ابن الأثير » ويمارى : يجادل .

(٢) سبق القول عن عابد وعائذ فى نسب صيفى . وفى نسب قريش للمصعب الزبيرى أن من عبد الله بن عمر بن مخزوم : عائذا ولم يذكر فيهم من اسمه عابد ، ولكن محققه يقول إنه فى الأصل المنقول عنه : عابد ص ٢٩٩ ، ٣٣٢ .

رفع المسهم

. . . .

عَبْدِ الله بن عُمَرَ بن مَخْزُوم [بن يَقَظَة بن مُرَّةَ بن كعب بن لُؤَىّ] ممَّنْ هاجر مع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وأعطاه يوم الجِعِرّانة[1] من غنائم حُنَيْنٍ . قال أبو عُمَر : هذا أولى ما عُوِّل عليه فى هذا الباب، وقد ذكرنا أنَّ الحديثَ فيمن كان شريكَ رسولِ الله — صلى الله عليه وسلم — من هؤلاء مُضْطَرِبٌ جداً ، منهم من يجعل الشركة : للسَّائب ، ومنهم من يجعلها لأبى السائب أبيه ، كما ذكرنا عن الزُّبَيْرِ ههنا ، ومنهم من يجعلها لقَيْس بن السَّائب [ابن عويمر] ، ومنهم من يجعلها لعَبْدِ بن أبى السَّائب[2] ، وهذ اضْطِرابِ لا يَثْبُت به شىء ولا تقوم به حُجَّةٌ والسائب بن أبى السائب من المؤلَّفة قلوبُهم وممَّن حسُن إسلامُه . هذا آخر كلام أبى عُمَرَ فى كتاب الاستيعاب حدثنى به أبو بكر بن طاهِرٍ الإشْبِيلِىّ عن أبى على الغَسَّانِىّ عنه ، كذلك اختلفت الروايةُ فى هذ الكلام : كان خير شريك لا يُشَارِى ولا يُمارِى ، فمنهم من يجعله من قولِ النبىِّ صلى الله عليه وسلم فى أبى السائب ، ومنهم من

---

(١) يقول صاحب المراصد : لاخلاف فى كسر أوله ، وأصحاب الحديث يكسرون عينه ، ويشدون راءه ، وأهل الأدب يخطئونهم ، ويسكنون العين ، ويخففون الراء ، والصحيح أنهما لغتان جيدتان . وينسب البكرى فى معجمه التضعيف للعراقيين ، والتخفيف للحجازيين . وبه قال الأصمعى وأبو سليمان الخطابى ، وهى ماء بين الطائف ومكة ، وهى إلى مكة أدنى ، وبها قسمت غنائم حنين .

(٢) لم يذكر المصعب الزبيرى من أولاد السائب من اسمه قيس ، ولا من أولاد أبى السائب من اسمه : عبد . ولكن ذكر عبيد الله أبا نهيك ، وعبد الله أبا عطاء وهو يقصد : قيس بن السائب بن عويمر بن عائذ بن عمران ، وسيأتى التصريح بهذا فى الروض ص ٣٢٣ ، ٣٤٣

. . . .

بجمله من قول أبى السائب فى النبى صلى الله عليه وسلم .

أوس بن خولى :

وذكر فيمن شهد بدراً من الأنصار : أَوْسَ بن خَوْلِىّ[1] أحدَ بنى الْحُبْلَى ، يقال : كان من الكَمَلَة ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم قد آخى بينه وبين شُجاع بن وَهْب ، والخَوْلِى فى اللغة هو الذى يقوم على الخيل ، ويخدُمها[2] وفى الخبر أن جميلا الكلبى ، كان خَوْلِياً لمعاوية ، وفى هذا ما يدل على أن الياء فى الخيل أصلها الواو .

أخو طلحة :

وذكر ابنُ هِشَام فيمن قُتِل من المشركين ممن لم يذكره ابن إسحاق مالك بن عُبَيْدِ الله بن عُثْمَانَ وهو أخو طَلحة بن عُبَيْدِ الله .

ابن عبد الله بن جدعان :

وذكر عَمْرو بن عَبْدِ الله بن جُدْعَان التَّيْمِىّ ، وعَبْدُ الله بن جُذْعَانَ[3] هو الجَوَاد المشهورُ صاحب الجَفْنة العظيمة التى كان يأكل منها الراكبُ على البعير ، وكان النبى — صلى الله عليه وسلم — يستظل بظلها ، ووقع فيها إنسان

(١) هكذا ضبطها ابن الأثير فى اللباب ، وفى القاموس : أوس بن خولى محركة ، وقد تسكن .

(٢) فى القاموس : الخولى — بسكون الواو — الراعى الحسن القيام على المال ، وفى النهاية لابن الأثير : الخولى — بفتح الواو — عند أهل الشام : القيم بأمر الإبل وإصلاحها من التخول والتعهد وحسن الرعاية .

(٣) هو يذكره بالذال : والصواب بالدال .

رفع المسهم

. . . .

ففرق ومات ، وقد ذكرنا فى أول هذا الكتاب حديثه ، والسببَ فى غناه بعد أن كان صُعلوكاً ، وسؤال عائشةَ عنه النبىّ صلى الله عليه وسلم : هل ينتفع بجوده أم لا(١) .

حذيفة بن أبى حذيفة :

وذكر ابنُ هشام فيهم أيضاً حُذَيفَةَ بن أبى حُذَيْفَةَ بن المُغيرَة ، واسم أبى حُذَيْفَةَ هذا مُهَشِّم ، وهو أخو هِشَام وهَاشِم [وبه كان يُكَنَّى] ابنَىْ المغيرة ، وهشام : والد أبى جَهل ، وهاشمٌ جدُّ عمر لأمه ، ومُهَشِّم هو : أبو حُذَيْفَةَ ، وأما أبو حُذَيفَةَ بن عُتْبَةَ فاسمه قيس ، ولم يقل ذلك ابن إسحاق ولا ابنُ هِشَامٍ ، وإنما قالوا فيه مُهَشِّم ، وهو عند أهل النَّسب غَلَطٌ ، إنما مُهَشِّم أبو حذيفة بن عُتْبَة .

تسمية من أسر من المشركين يوم بدر

لم يُسَمِّ ابنُ إسحاقٍ ، ولا ابنُ هشام مَنْ أسلم منهم ، والحاجةُ ماسَّةٌ بقارىء السِّيرة إلى مَعْرِفة ذلك ، فأوّلهم وأفضلهم العباسُ عمُّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولا خَفَاء بإسلامه وفضله ، وقد ذكرنا سببَ إسلامِه فى فَصْلٍ قبل هذا الفصلِ ، وأن أبا اليَسَر كَعْبَ بن عَمْرو هو الذى أسَره ،

---

(١) تمام القول : قال : لا . إنه لم يقل يوما : رب اغفرلى خطيئتى . والصعلوك : الفقير .

. . . .

وكان قصيراً ذَمِيماً ، وفى مُسْنَد البزّار أنه قيل للعباس : كيف أسرك أبو اليَسَرِ ، ولو أخذته بكفك لَوَسِعَتْه كفُّك ، فقال : ماهو إلا أن لقيته ، فظهر فى عينىّ كالخَنْدَمة ، والخَنْدَمَةُ جبل من جبال مكة .

عقيل بن أبي طالب :

وعَقِيلُ بن أبى طالب ممن أسلم وحسُن إسلامُه ، أسلم عام الحُدَيْبية(١) ، وقال النبى صلى الله عليه وسلم يا أبا يَزِيد إنى أحِبُّك حُبَّيْن حُبًّا لقرابتك مِنى ، وحُبًّا لِمَا أعلَمُ مِن حُبِّ عَمِّى إياك(٢) ، سكن عَقِيلُ البَصْرَةَ ، ومات بالشام فى خلافة مُعَاوية . روَى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً فى الوُضُوء بالمُدِّ والطُّهُورِ بالصاع(٣) ، وحديثاً آخر أيضاً : لاتقولوا بالرِّفاء والبَنِين(٤) ، وقولوا بارك اللهُ لك ، وبارك عليك . وكان أسَنَّ من جَعْفَر بعشر سنين ،

---

(١) ذكر فى الإصابة مع هذا : تأخر إسلامه إلى عام الفتح .

(٢) رواه الطبرانى مرسلا . وأقول : ما كان لرسول الله أن يحب أحداً إلا لله ، فهكذا أمر ، وهكذا عاش صلى الله عليه وسلم يقيم أمر الله سبحانه.

(٣) رواه ابن ماجة عن محمد بن المؤمل ، وعباد بن الوليد . والصاع : مكيال يسع أربعة أمداد ، والمد مختلف فيه ، فقيل : هو رطل وثلث بالعراق ، وبه يقول الشافعى ، وفقهاء الحجاز ، وقيل : رطلان ، وبه أخذ أبو حنيفة وفقهاء العراق ، فيكون الصاع خمسة أرطال ، وثلثا أو ثمانية أرطال .

(٤) الرفاء : الالتئام والاتفاق والبركة والنماء ، من قولهم رفأت الثوب رفأ ، أو رفوت رفوا ، وإنما نهى عنه كراهية لأنه كان من عادتهم ، ولهذا سن فيه غيره « النهاية لابن الأثير »

. . . .

وكان جعفر أسَنَّ من عَلِيّ بعشر سنين ، وكان طالبٌ أسنَّ من عقيل بمثل ذلك[1] .

نوفل بن الحارث :

ومنهم : نَوْفَلُ بن الحارث بن عَبْدِ المطلب ، يقال : أسلم عامَ الخَنْدَقِ ، وهاجَر ، وقيل : بل أسلم حين أُسِرَ ، وذلك أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال له : افْدِ نفسك ، قال : ليس لى مال أفتدي به ، قال : افْدِ نَفْسك بأرْمَاحِك التي بجُدَّة ، قال : والله ما علم أحدٌ أن لى بجُدَّة أرْمَاحاً غيرَ الله ، أشهد أنك رسولُ الله[2] وهو ممَّن ثَبَتَ مع رسولِ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم حنينٍ وأعان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عند الخروج إليها بثلاثةِ آلافِ رُمْحٍ فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : كأنِّى أنْظر إلى أرْمَاحِكِ هذه تَقْصِفُ ظُهورَ المشركين . مات بالمدينة سنة خمسَ عَشْرَةَ ، وصلى عليه عُمَرُ بنُ الخطَّابِ ـ رضى الله عنهما ـ[3] .

أبو العاصى بن الربيع وغيره :

ومنهم أبو العاصى بن الربيع صِهْرُ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

---

(١) هكذا ذكر المصعب فى كتابه نسب قريش ص ٣٩ .

(٢) رواه ابن سعد عن طريق اسحاق بن عبد الله ، وفيه أنها كانت ألف رمح .

(٣) كان أخوه أبو سفيان بن الحارث ـ كما جاء فى الصحيحين ـ هو الذى كان يمسك بلجام البغلة البيضاء التى كان يركبها النبى « ص » فى حنين .

رفع
المسار
عز الله لطالب الدين

. . . .

وقد ذكرنا خبَرَه مع ما ذكر ابن إسحاق من حديثه ، وذكرنا الاختلافَ في اسمِه قبل هذا .

ومنهم أبو عَزيزُ بنُ عُمَيْر العَبْدِرِيّ ، وقد ذكرنا اسمَه واسمَ أمّه وإخوته ، في أول خَبَرِ بَدْرٍ . ومنهم السائب بن أبي حُبَيْشٍ بن الْمُطَّلب ابن أَسَد بن عبد الْعُزَّى ، وهو الذى قال فيه عُمَرُ بن الخطاب - رضي الله عنه - ذاك رَجُلٌ لا أعلم فيه عَيْباً ، وما أحد إلا وأنا أقدر أن أَعِيبه بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم - وقد قيل : إن هذه المقالة قالها عُمَر فى ابنِه عبدِ الله بن السائب ، والسائب هذا هو أخو فاطمة بنت أبى حُبَيْشٍ الْمُسْتَحَاضة(١) .

---

(١) يقال استحيضت المرأة ، فهى مستحاضة ، وهى التى يستمر منها خروج الدم بعد أيام حيضها المعتادة ، وفى الصحيحين عن طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : جاءت فاطمة بنت أبى حبيش إلى النبى «ص» فقالت يا رسول الله إنى امرأة أستحاض ، فلا أطهر أفأدع الصلاة ؟ قال : لا ، إنما ذلك عرق ، وليست بالحيضة ولكن دعى الصلاة قدر الأيام التى كنت تحيضين ، ثم اغتسلى وصلى . أما فى رواية أبى داود فأسماء بنت عميس هى التى قالت لرسول الله «ص» إن فاطمة بنت أبى حبيش استحيضت منذ كذا وكذا ولم تصل ، فقال رسول الله «ص» هذا من الشيطان لتجلس فى مركين ، فإذا رأت صفرة فوق الماء فلتغتسل للظهر والعصر غسلا واحدا ، وتغتسل للمغرب والعشاء غسلا واحدا ، وتغتسل للفجر غسلا وتتوضأ فيما بين ذلك . وهناك له روايات أخرى . والمركن - بكسر الميم - الإجانة التى تغسل فيها الثياب ، وأخرج البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى والترمذى وابن ماجة أن أم حبيبة استحيضت سبع سنين فسألت رسول الله «ص» عن ذلك ، فأمرها أن تغتسل . قالت - أى عائشة - فكانت تغتسل لكل صلاة ، ولكن ليس فى الصحيحين ولا أحدهما أن النبى أمرها أن تغتسل لكل صلاة ، =

. . . .

ومنهم خالدُ بن هِشام ، ذكره بعضُهم فى المؤلّفة قلوبهم .

ومنهم عبدُ الله بن أبِى السائب ، واسم أبى السائب : صَيْفى ، وقد تقدم قولُ عمرَ فيه ، وفى أبيه ، وعنه أخذ أهلُ مكةَ القراءةَ ، وعليه قرأ مجاهدٌ وغيرهُ من قُرّاء أهلِ مكة .

ومنهم المُطّلِبُ بن حَنْطَبِ بن الحارث بن عُبَيْدِ بن عَبْدِ الله بن عُمَرَ ابن مَخْزُوم(١) ، وبنو عُمَرَ بن مَخْزُومٍ ثلاثةٌ : عبدُ العُزّى ، وعابدٌ ، ومن أهلِ النَّسَبِ من ذكر فيهم عثمان بن عمر ، وبنو مَخْزُومٍ ثلاثةٌ : عُمَرَ والد هؤلاء الثلاثةِ ، وعِمْرَان ، وعامر ، هؤلاء فيهم العَدد ، ويذكر فى بنى مخزوم أيضاً عُمَيْر وعُمَيْرة ولم يعقب عَمِيرةُ إلا بِنْتاً اسمها : زينب(٢) ، ومن حديث

= وفى كتاب مسلم عن الليث : لم يذكر ابن شهاب أن رسول الله «ص» أمر أم حبيبة أن تغتسل لكل صلاة ، وإنما هو شىء فعلته هى ولهذا استدل على أن المستحاضة لا يلزمها الغسل لكل صلاة ، بقوله فى حديث فاطمة : اغتسلى وصلى

(١) أسقط ابن حزم فى الجمهرة ص ١٣٢ من نسبه : عبد الله ، فقال : ابن عبيد بن عمر بن مخزوم . أما فى الإصابة فقال ابن عبيد بن مخزوم ، أما فى ترجمة والدة عبد الله فذكر ابن عبيد بن عمر بن مخزوم ، والبكرى فى ذيل اللآلى يقول : ابن عبيد بن عمر بن مخزوم ص ١٠٢ .

(٢) ذكر المصعب الزبيرى أنهم : عبد الله وعبيد وعبد العزى . أما عثمان فجعله ابن عبد الله بن عمر . أما ابن حزم فقال عن أولاد عمر بن مخزوم إنهما عبد الله وعبيد ، وجعل عثمان من أولاد عبد الله ص ١٣٢ وما بعدها . وذكر المصعب عن أولاد مخزوم أنهم : عمر وعامر وعمران وعميرة ، أما فى جمهرة ابن حزم فهم عمرو وعامر وعمران . انظر ص ١٣٢ وما بعدها الجمهرة ، ص ٢٩٩ نسب قريش .

رفع
المسهم

. . . .

الْمُطَّلِب هذا عن رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - أبو بكر وعُمَر منى بمنزلة السمع والبصر من الرأس ، وفى إسناده ضَعْفٌ (١) .

الحكم بن عبد المطلب :

ومن ولدِهِ الحكَمَ بنُ عبدالْمُطَّلِبِ بن عبدِ الله بن الْمُطَّلِبِ، وكان أكرمَ أهلِ زمانه ، وأسخاهم ، ثم تَزَهَّدَ فى آخرِ عُمْرِه ، ومات بِمَنْبِجَ ، وفيه يقول [عُبادةُ بن عمر] الرَّاتِجِي يرثيه :

سالوا عن الجود والمعروف مافعلا فقلت إنهما ماتا مع الحكم
مَاتَا مع الرَّجُلِ الْمُوفِي بِذِمَّتِه قبلَ السؤال إذا لم يُوفَ بالذِّمَمِ (٢)

---

(١) أخرجه الترمذى عن قتيبة عن ابن أبى فديك عن عبد العزيز بن المطلب ابن حنطب عن أبيه عن جده عبد الله بن حنطب أن النبى «ص» رأى أبا بكر وعمر فقال : هذان السمع والبصر ، قال الترمذى : هذا مرسل وعبد الله ابن حنطب لم يدرك النبى صلى الله عليه وسلم ، وحوله أقوال أخرى انظرها فى الإصابة فى ترجمة عبد الله بن الحنطب .

(٢) الراتجى : منسوب إلى راتج من آطام يهود المدينة . وقد لحق الراتجى الدولة العباسية ، ومدح معنا . وقوله : سالوا على التسهيل ، أو هو لغة ، وقبل البيت الأول :

ماذا بمنبج لو تنبش مقابرها من الهدم بالمعروف والكرم

وقد نسب ابن دريد هذه الأبيات إلى ابن هرمة . قال : البكرى : وأظنه الصواب . وقد ترك الحكم المدينة وسكن منبج مرابطا بها . وقال رجل من أهل منبج — وهى فى الروض منيح وهو خطأ — قدم علينا الحكم بن المطلب بن عبد الله ابن المطلب بن حنطب ، ولا مال معه فأغنانا كلنا ، فقلنا كيف ذاك؟ قال علمنا مكارم =

. . . .

وذكر الدَّارَقُطْنِيُّ عن حميد بن معروف قال : حضرت وفاةَ الحكمِ بن عبدِ المطلب بن عَبْدِ الله بن المُطَّلِبِ بن حَنْطَبٍ ، فأصابته من الموت شِدَّةٌ ، فقال قائل فى البيت : اللهم هَوِّن عليه الموتَ ، فقد كان ، وقد كان، يُثْنِي عليه فأفاق الحكمُ ، فقال : مَنْ المتكلم ؟ فقال الرجل : أنا ، فقال الحكمُ : يقول، لكَ مَلكُ الموت أنا بِكُلِّ سَخِيٍّ رِفِيقٌ، ثم كأنما كانت فَتِيلَةً فَطُفِئَتْ، وقد ذكر هذا الخبرَ الزُّبيرُ بن أبى بكر أيضاً ، وحين سُجِنَ الحكمُ فى ولايةِ والِيها ، قال فيه شاعر :

خَلِيلَيَّ إن الجودَ فى السجن فابكِيَا على الجود إذ سُدَّتْ عليه مَرَافِقُه

فى أبياتٍ ، فأعطى قائل هذا الشعر ثلاثة آلافِ دِرْهَم .

من الذين أسلموا من أسارى بدر :

ومنهم : أبو وَدَاعَة الحارث بن صُبَيْرَةَ(١) بن سُعَيْد بن سَعْدِ بن سَهْم أسلم هو وابنُه المطَّلِبُ بن أبى وَدَاعَة يوم فتح مكة .

= الأخلاق ، فماد غنينا على فقيرنا فغنينا كلنا ص ٢١٦ ذيل الأمالى والنوادر القالى ، ص ١٠٢ – ٣ ، سمط اللآلى للبكرى وكلاهما يذكره : الحكم بن المطلب . ونقلت اسم الراجحى من المصدر السابق للبكرى . والتعبير بتزهد غير لائق ، لأن القرآن لم يستعمل الزهد إلا فى معنى التحقير .

(١) هكذا ضبطها الحافظ فى الإصابة فى ترجمة عبد الله بن أبى وداعة فقال صبيرة بمهملة ثم موحدة مصغرا . وقال عنه ابن دريد : ضبيرة والزبيرى : صبيرة ، وقد سبق ما نقله السهيلى عن الخطابى ، وظن الزبيرى فى شرح القاموس أن ضبيرة هو الصواب فلم يثبت غيره .

رفع المسـهم

. . . .

ومنهم الحَجَّاجُ بن الحارثُ بن قَيْس بن عَدِى بن سُعَيْد بن سَهْم ، ولم يوافق الواقدى ولا غيره لابن إسحاقٍ على قوله سُعَيْد بن سَهْم ، وقالوا : إنما هو سَعْد ، وقد تقدم هذا،وأحسب ذكر الحجاج فى هذا الموضع، وَهماً فإنه من مُهَاجِرَة الحَبَشَةِ وقدِم المدينةَ بعدأحدٍ ، فكيف يُعَدُّ فى أسْرَى المشركين يوم بدر .

ومنهم عبد الله بن أُبَىِّ بنِ خَلَفٍ الجُمَحِىّ أسلم يوم الفتح ، وقُتِل يوم الجمل ، ومنهم : وَهْبُ بن عُمَيْرٍ الجُمَحِىّ أسلم بعد أن جاء أبو عُمَيْر فى فِدائه فأسلما جميعاً ، وقد ذكر خبر إسلامِه ابنُ إسحاقٍ قبلَ هذا .

ومنهم سُهَيْلُ بن عَمْرو أسلم ومات بالشام شهيداً ، وهو خطيب قُرَيْش، وأخبارُه مشهورة فى السيرة وغيرها .

ومنهم : عَبْد بن زَمْعَةَ أخو سَوْدَة بنْتُ زَمْعَةَ أسلم ، وهو الذى خاصمه سعدٌ فى ابن وَلِيدَةِ زَمْعَةَ ، واسم الابن المخاصَم فيه : عبدُ الرحمن ، وهو الذى قال فيه النبى صلى الله عليه وسلم : هو لكَ يا عَبْدَ بن زَمْعَةَ(١) .

---

(١) روى الجماعة إلا الترمذى عن عائشة رضى عنها قالت : واختصم سعد بن أبى وقاص وعبد بن زمعة فى غلام ، فقال سعد : هذا يا رسول الله ابن أخى عتبة ابن أبى وقاص ، عهد إلى أنه ابنه ، انظر إلى شبهه ، وقال عبد بن زمعة : هذا أخى يا رسول الله . ولد على فراش أبى من وليدته . فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى شبهاً بيناً بعتبة ، فقال : هو لك يا عبد بن زمعة . الولد للفراش ، وللعاهر الحجر ، واحتجبى منه يا سودة ، فلم تره سودة قط ، وفى رواية أبى داود ورواية البخارى : هو أخوك يا عبد . وله الحجر : أى الخيبة .

. . . .

ومنهم قَيْسُ بنُ السَّائِبِ [بن عُوَيْمِر بن عائذ بن عمران بن مخزوم] المَخْزُومى ، إليه كان وَلَاء مُجَاهِدِ بن جُبَيْر ، القارِى ، ويقال : فيه مجاهِد ابن جَبْر ، وهو قول ابن إسحاق ، وكان مجاهدٌ يقول : فى مَوْلاى قَيْس ابن السَّائِب أنزل الله سبحانه : ﴿وعلى الذين يُطيقُونه فِدْيَةٌ طعامُ مِسْكِين﴾ فأفطَرَ وأطعم عن كل يوم مِسْكِيناً ، وهو الذى قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الجاهلية شَرِيكى ، فكان خير شريك لا يُشارِينى ولا يُمارِينى(١) ، وقيل : إن أباه قال هذه المقالة ، وتقدم الاضطرابُ فى ذلك والاختلافُ ، وقوله : يُشَارِينى من شَرِىَ الأمرُ بينهم إذا تَغاضَبُوا .

ومنهم نِسْطَاسُ مَوْلى أُمَيَّةَ بن خَلَفٍ(٢) ، يقال : إنه أسلم بعد أحدٍ ،

---

(١) أخرجه ابن سعد من طريق موسى بن أبى كثير عن مجاهد . ورواية البغوى : قال مجاهد : سمعت ابن قيس بن السائب يقول : إن شهر رمضان يفتديه الإنسان ، يطعم فيه كل يوم مسكينا ، فأطعموا عنى مسكينا كل يوم صاعا قال قيس : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم شريكى فى الجاهلية ، فكان خير شريك لا يمارى ، ولا يشارى ، وأخرجه الدولابى لكنه قال : أبو قيس ابن السائب . . وحول هذا خلاف كبير . وقد تقدم فى الكلام عن أبى السائب

(٢) فى الإصابة أنه كان مولى أبى بن خلف . يقول ابن دريد فى الاشتقاق عن فر'ن : وهو فعلان من قولهم : فررت الفرس وغيره من الدواب : إذا فتحت فاه لتعرف سنه ص ٥٥٠ ، وهم بنو بلى بن عمرو بن الحاف بن قضاعة وفران هو ابن بلى، وفران فى الاشتقاق والجمهرة لابن حزم بتشديد الراء ، وعنهم يقول ابن حزم ، ودار بلى بالأندلس : الموضع المعروف باسمهم بشمال قرطبة وهم هنالك إلى اليوم على أنسابهم لا يحسنون الكلام باللطينية لكن بالعربية فقط نساؤهم ورجالهم ، ويقرون الضيف ، ولا يأكلون أليه الشاة إلى اليوم، ص ٤١٥ .

رفع المسهم

. . . .

وكان يُحَدِّثُ عن انهزام المُشْرِكِينَ يَوْمئِذٍ ، ودخول المسلمين عليه فى القُبَّة وهُرُوبِ صَفْوان بخبر عجيب لم يذكره ابن إسحاق ، فهذه جملةُ مَنْ أسلم من الأُسارَى الذين أسِرُوا يوم بدر .

من لم يسلم من الأسارى:

وذكر فيمن لم يُسْلِم منهم عبدَ الله بن حميد بن زُهَير الأَسَدِيّ ، والمعروف فيه عُبَيْد الله بن حميد ، كذلك ذكره ابن قُتَيْبَةَ ، وأبو عُمَر ، والكلاباذِيّ أبو نَصر ، وهو مَوْلى حاطب بن أبي بَلْتَعةَ .

وما ذكره ابن إسحاق فى نسب بَلِيّ بن فارَان بن عَمْرو ، فإنه عند أكثر أهلِ النسب فَران بغير ألف غير أن منهم من يشدد الراء ، وهو ابنُ دُرَيْدٍ ، وقال : هو فَعلَان من الفِرار(١) .

تاريخ وفاة رقية:

فصل : وذكر فى السيرة تخلف عثمان على امرأتِهِ رُقَيَةَ فضَرَبَ له رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بِسَهْمِهِ وأجْرِهِ ، كان موتها يومَ قدِمَ زَيْدُ ابْنُ حارِثةَ بَشِيراً بوقْعةَ بَدْرٍ ، وهذا هو الصحيح فى وفاة رقية ، وقد رَوَى البُخارِيُّ فى التاريخ حديثَ أنَس أن رسولَ الله — صلى الله عليه وسلم — شَهِد دفن بِنْتِهِ رُقَيةَ ، وقَعَدَ على قبرِها ، ودمعت عيناه ، فقال أيُّكُمْ لم يُقَارِفْ

(١) رواه فى باب الجنائز عن عبد الله بن محمد ، وعن محمد بن سنان .

. . . .

الليلة ؟ فقال أبو طلحة : أنا، فأمره أن ينزل فى قبرها، ثم أنكر البخارىُّ هذه الروايةَ، وخرّجه فى كتاب الجامع ، فقال فيه : عن أنسٍ شهدنا دفنَ بنتِ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وذكر الحديث ، ولم يُسَمِّ رُقَيَّةَ ولا غيْرَها(١) ورواه الطّبَرِىُّ ، فقال فيه : عن أنس شهدنا دفنَ أمِّ كُلثومَ بنتَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبيَّن فى هذا الحديثِ ، وهو كُلّه حديثٌ واحد ، ومن قال : كانت رُقَيَّة ، فقد وَهِم بلاشك ، وقال فى الحديث : أيُّكم يُقَارِفُ الليلةَ ، فقال فُلَيْحُ بنُ سليمان ، وهو راوى الحديث ، يعنى : الذَّنْبَ هكذا وقع فى الجامع ، وهو خطأ لأن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم كان أولى بهذا(٢) ، وإنما أراد أيُّكُمْ لم يُقَارِفْ أهلَه ، وكذا رواه غيرُه بهذا اللفظ ، قال ابنُ بطَّال : أراد النبىُّ – صلى الله عليه وسلم – أن يَحْرِمَ عثمان النزول فى قبرها ، وقد كان أحقَّ الناس بذلك ، لأنه كان بَعْلَها ، وفقد منها عِلْقاً

---

(١) ذكره البخارى فى باب من يدخل قبر المرأة تعليقا ، ووصله الإسماعيلى وكذا قال شريح بن النعمان فليح أخرجه أحمد عنه ، وقد روى الواقدى الحديث عن فليح بن سليمان ، وفيه أنها أم كلثوم ، وأخرجه ابن سعد فى الطبقات فى ترجمة أم كلثوم ، وكذا الدولابى فى الذرية الطاهرة والطحاوى من هذا الوجه ، ورواه حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس ، فسماها رقية ، كما روى أحمد ، وكذا أخرجه البخارى : ماأدرى ما هذا ، فإن رقية ماتت ، والنبى ببدر لم يشهدها !! قال الحافظ : وهم حماد فى تسميتها فقط ، ويؤيد أنها أم كلثوم مارواه ابن سعد أيضاً فى ترجمة أم كلثوم من طريق عمرة بنت عبد الرحمن ، قالت : نزل فى حفرتها أبو طلحة .

(٢) جزم ابن حزم بأن المقصود من يقارف : يجامع ، ثم معاذ الله أن يتبجح أبو طلحة عند رسول الله «ص» بأنه لم يذنب تلك الليلة

. . . .

لاعوضَ منه ، لأنه حين قال عليه السلام . أيُكُم لم يُقارِفْ الليلةَ أهلَه سكت عثمان ، ولم يقل : أنا ، لأنه كان قد قارَفَ ليلة ماتتْ بعضُ نسائه ، ولم يَشغَله الهمُّ بالمصيبةِ ، وانقطاعُ صِهْرِه من النبي صلى الله عليه وسلم عن المُقَارَفَةِ ، فَحُرِمَ بذلك ما كان حقًّا له ، وكان أولى به من أبي طَلْحَةَ وغيره ، وهذا بَيِّنٌ في معنى الحديثِ ، ولعل النبيَّ صلى الله عليه وسلم قد كان علم ذلك بالوحي ، فلم يقل له شيئًا ، لأنه فعل فِعْلًا حلالًا ، غير أن المصيبة لم تبلغ منه مَبْلغًا يَشغَله حتى حُرِمَ ما حُرِم من ذلك بتعريضٍ غيرِ تصريحٍ والله أعلم[1].

أشعار يوم بدر

وقد قدمنا في آخر حديثِ الهجرة : أنا لانعرض لشرح شيء من الشعر الذي هُجِيَ به المسلمون ، ونال فيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم المشركون إلا شِعرًا أسلم صاحبُه ، وتكلمنا هنالك على ماقيل في تلك الأشعار ، وذكرنا قول من طعن على ابن إسحاق بسببها هنالك وبيَّنا الحقَّ والحمد لله .

الشعر المنسوب إلى حمزة :

الشعر المنسوب إلى حمزة فيه :

وما ذاك إلا أنَّ قومًا أفادَهم

---

(١) هناك من يقول : إن مرض المرأة كان قد طال ، واحتاج عثمان إلى الوقاع ، ولم يكن يظن موتها تلك الليلة . وليس في الخبر ما يقتضي أنه واقع بعد موتها بل ، ولاحين احتضارها ، وما ذكره السهيلي هو رأي ابن حبيب .

رفع المسلم

. . . .

أفادَهم : أهلكهم ، يقال : فاد الرجلُ وفاظ ، وفطَس ، وَفاز ، وفوّز إذا هلَك ، ولا يقال : فاض بالضا ، ولا يقال : فاظت نفسُه إلّا فى لغة بنى ضَبَّة بن أدّ .

وقوله : توَاصٍ هو تفاعُل من الوَصِيّة ، وهو الفاعل بأفادَهم .

وفيه يُجرْجَمُ فى الجفْر . الجفْرُ كل بِئْر لم تُطْوَ ، ومثلُها : الجفْرَة ، ويُجرْجَمُ : يحمل بعضُه على بَعْضٍ(١) .

شعر على :

وقال فى الشعر الذى يعزَى إلَى علىّ :

بأيديهم بيضٌ خِفافٌ عَصَوا بها

يقال عَصَيْتُ بالسيفِ وعَصَوْتُ بالعَصا(٢) ، فإذا أخبرتَ عن جماعة قلتَ عصُوا بضم الصاد ، كما يقال عَمُوا ، ومن العَصا تقول : عصَوْا ، كما تقول غزَوْا .

وقوله : مُسَلِّبَة ، أى قد لَبِست السِّلابَ ، وهى خِرْقَة سوداء تلبَسُها الثَّكلَى . قال لَبِيد :

---

(١) هى فى السيرة : تجرجم بحذف إحدى التاءين وأصله تتجرجم ومعناه كما عند أبى ذر : تسقط ، ويروى بضم التاء على البناء للمجهول ، ومعناه تصرع . ومن معانى القصيدة أيضاً : تفرعن معناه : علون . الذوائب : المقصود : الأعالى . خاس : غدر . النسر : القهر والغلبة . تورطوا : وقعوا فى هلكة . المسدمة : الفحول من الإبل ، والزهر : البيض والمازق : الموضع الضيق فى الحرب . والبيض الخفاف : السيوف

(٢) فى القاموس وشرح أبى ذر ...

. . . .

وإنني مُـلاعِب الرِّماح ومِدْرَه الـكَتيبَةِ الرَّدَاح
يَضرِبْنَ حُرَّ أوجُهٍ صِحَاح فى السُّلُبِ السُّودِ وفى الأمْسَاح

فالسُّلُب : جمع سِلَاب .

حول شعر حسان :

وفى شِعْر حسَّان :

تَبَلَتْ فؤادَكَ فى المَنام خَرِيدةٌ

يجوز أن يكونَ أراد بالمنام النَّوْمَ ، وموضعَ النوم ، ووقتَ النوم ، لأنَّ مَفْعَلا يصلُح في هذا كُلِّه فى ذَوَات الواو ، وقد تُسَمَّى العينُ أيضاً مَناماً ، لأنها مَوْضِعُ النوم ، وعليه تُؤُوِّل قولُه تعالى ﴿ إذْ يُرِيكَهُمُ اللهُ فى مَنامِك قليلا ﴾ أى فى عَيْنك ، ويقوِّيه قولُه سبحانه : ﴿ وَيُقَلِّلُكُمْ فى أعْيُنِهِم ﴾ .

الفرق بين مفعل وفعل

ولا فَرْق عند النحويين بينَ مفْعَل فى هذا الباب وفَعْل ، نحو مَضْرَب وضَرْب ، ومَنام ونَوْم ، وكذلك هما فى التَّعدية سوَاء ، نحو ضَرْبُ زَيْدٍ عَمراً ومَضرَبُ زَيْدٍ عمراً ، وأما فى حُكْمِ البَلاغة والعِلْم بجَوْهَر الـكلام ، فلا سَوَاء ، فإن المصدَر إذا حدَّدْتَه قلت ضَرْبة ونَوْمة ، ولا يقال : مَضربة ولامَنامَة ، فهذا فَرْقٌ ، وَفَرْقٌ آخر تقول : ماأنت إلا نومٌ وإلا سَيْرٌ إذا قصدت التَّوكيد ، ولا يجوز : ما أنت إلا مَنامٌ وإلا مَسِيرٌ ، ومن جهة النَّظَرِ أنَّ الميم

. . . .

لم تَزِد إلا لمعنى زائد كالزوائد الأربع فى المضارع ، وعلى ما قالوه ، تكون زائدة لغير معنى .

فإن قلت : فما ذاك المعنى الذى تُعطيه الميم ؟

قلنا : الحدَثُ يتضمَّن زَمانا ومكَانا وحالا ، فالمَذْهَبُ عبارة عن الزمان الذى فيه الذَّهَابُ ، وعن المكان أيضا ، فهو يعطى معنى الحَدَثِ وشيئا زائداً عليه ، وكذلك إذا أردت الحَدَثَ مقْرُونا بالحالَة والهَيْئةِ التى يقع عليها ، قال الله سبحانه : ﴿ومن آياته مَنامُكُمْ بالليلِ والنهار﴾ فأحالَ على التَّفَكُّرِ فى هذه الحالة المُسْتَمِرَّة على البَشر ، ثم قال فى آية أخرى ﴿لاتأخُذُه سِنَةٌ ولانَوْم﴾ ولم يقل مَنَامٌ لخلُوِّ هذا الموطِنِ من تلك الحالة ، وتَعرِّيه من ذلك المعنى الزائد فى الآية الأُخْرَى ، ومن لم يعرف جَوْهَر الكلام لم يعرف إعجاز القرآن .

عود إلى شعر حساده :

وفى هذا الشِّعْرِ :

بُنِيَتْ على قَطَنٍ أَجَمَّ كأَنَّه

قَطَنُها : نَبَجُها وَوَسَطُها(1) ، وأَجَمُّ أى : لاعِظَامَ فيه .

---

(1) عند الخشنى : القطن : ما بين الوركين إلى الظهر ، وأجم ممتلىء باللحم ، والبوص فى قصيدة حسان : الردف ، ومتنضد : علا بعضه بعضا . ونفج : مرتفعة والحقيبة : مايجعله الراكب وراءه فاستعاره هاهنا لردف المرأة .

رفع عبد الرحمن المسلم

. . . .

وقوله : كأنه فُضُلًا ، نَصَبَ فُضُلا على الحالِ ، أى : كأن قَطَنَها إذا كانت فُضُلًا ، فهو حال من الماء فى : كأنه ، وإن كان الفُضُلُ من صِفَة المرأةِ لا من صِفَةِ القطَنِ ، ولكن لمَّا كان القَطَنُ بعضَها صار كأنه حالٌ منها ، ولا يجوز أن يكون حالا من الضمير فى قَعدتْ لاستحالة أن يعمل ما بعد إذا فيما قبلها ، والفُضُل من النِّساء والرجال : المُتَوَشِّحُ فى ثوب واحد ، والمَداكُ صَلاءةُ الطِّيب (١) ، وهو مَفْعل من دُكْتُ أدُوكُ ، إذا دَقَقت ، ومنه الدَّوْكَةُ والدُّوكةُ (٢) .

وقوله : مَرَّ الدَّمُوك يقال : دَمَكَه دَمْكًا ، إذا طَحَنه طَحنًا سَريعًا ، وبَكَرَةٌ دَمُوكٌ ، أى : سريعة المَرِّ ، وكذلك أيضا : رَحًى دَمُوكٌ ، والمُحْصَدُ الحبْلُ المُحكَمُ الفتْلِ ، والرِّجامُ : واحد الرِّجامَيْن ، وهما الخشبتان اللتان تُلقى عليهما البَكَرَةُ ، والرِّجامُ أيضا : جمع رُجْمَة ، وهى حجارة مجتمعة ، جَمْعُ رَجَمٍ وهو القَبْر ، ومنه قول أبى الطيِّب :

تَمَتَّعْ من رُقَادٍ أو سُهَادٍ ... ولا تَأْمَلْ كَرًى تحت الرِّجَامِ
فإن لثالثِ الحالَيْنِ مَعْنًى ... سِوَى معنى انتِبَاهِك والمنامِ

وارْقَدَّتْ (٣) : أسرعت ، ومصدره : ارْقِدَاد ، وكذلك ارْمَدَّتْ ،

---

(١) يعنى الحجر الذى يسحق عليه الطيب .

(٢) الدوكة بفتح الدال : يقال : وقعوا فى دوكة : شر وخصومة . والدوكة بالضم : المرض ، ووقعوا فى دوكة : شر وخصومة .

(٣) فى السيرة : وارمدت وبقول الخشنى فى شرحه السيرة وارمدت =

. . . .

وافْعَلَّ فى غير الألوان والخلق عزيز، وأما انْقَضَّ فليس منه فى شىء، لأنك تقول فى معناه تَقَضَّضَ البِناء، فالقاف: فاء الفِعْلِ، وكذلك تَقَضَّى البازى، لأنه منه، وغلط الفَسَوِىُّ فى الإيضاح، فجعل يُريد أنْ يَنقَضَّ من باب احْمَرَّ، وإنما هو من باب انقَدَّ وانْجَرَّ والنونُ زائدة، ووزنه: انفَعَل، وكذلك غَلِط القالى فى النَّوادر فقال فى قوله: وجريها انثِرار أنه افعِلَال من الثَّنْر، كما قال الفَسَوِىُّ فى الانقِضَاضِ، وإنما هو انفِعَالٌ من عَيْنٍ ثَرَّة أى كثيرة الماء.

ودسنه بحَوَام يعنى: الحوافر، وما حول الحوافِر، يقال الحَامِيَة وجمعه حَوَام.

حول شعر الحارث بن هشام:

وقول الحارث بن هِشام:

حتى عَلَوا مُهرى بأشْقَرَ مُزْبد

يعنى: الدَّمَ، ومُزْبد، قد علاه الزَّبَدُ.

وقولُه: والأحبةُ فيهم: يعنى مَنْ قُتِل أو أُسِر: من رَهْطه وإخْوَته.

عود إلى حسان:

وقول حسان: بكتيبة خَضْراء مِنْ بَلْخَزْرج:

= وارقدت معناهما جميعا: أسرعت، وقال بعض اللغويين: الارقداد: السرعة عند نفور.

العرب تجعل الأسود أخضر ، فتقول : ليل أخضر كما قال [ذو الرُّمَّة :

قد اعْتَسِفَ النازحُ المجهولُ مَعْسِفُه ... في ظِلِّ أَخْضَرَ يدعو هامَةَ البُوم

وتسمى الأخضرَ أسْوَدَ ، إذا اشتدت خضرتُه ، وفي التنزيل: (مُدْهامَّتَان) ، قال أهل التأويل : سَوْدَاوَان مِنْ شِدَّة الْخُضْرَة .

وقوله : بكل أبْيَضَ مَلْجَج ، هو السيف الماضي الذى يقطع الضريبة بسُهُولة ، ومنه المَثَل : الأَخْذ سَلْجَانَ والقَضَاء لِيَّان[1] ، أى الأخذُ سَهْلٌ يَسُوغ في الحَلْق بلا عُسْر ، كما قالوا : الأخذُ سُرَّيْطٌ [وسُرَّيْطَى] والقضاء ضُرَّيْطٌ [وضُرَّيْطَى][2] فسُرَّيْطٌ من سَرِطْت الشيء إذا بَلَعته سَهْلًا ، فسَلْجَجٌ من هَذا ، إلا أنهم ضَاعَفُوا الجِيمَ ، كما ضاعفوا الدَّال من مَهْدَدٍ[3] ، ولم يُدْغِمُوا إلاَّ أنهم ألحقوه بجَعْفَر .

---

(١) السلجان : الأكل السريع ، ويروى : الأكل مكان الأخذ . ويقال فيمن يحب أن يأخذ ، ويكره أن يرد ، أى إذا أخذ الرجل الدين أكله فإذا أراد صاحب الدين حقه ، لواه به ، أى مطله

(٢) وقالوا سريطى ، وضريطى بضم الحرف الأول وتشديد الثانى مع فتحه ، وفتح الطاء فى الكلمتين ، أى : يأخذ الدين ، فيسترطه ، فاذا استقضاه غريمه أضرط به ، و : امثله لأخذ سرطان ، والقضاء ليان . وقد ضبط ليان فى باب سلح بكسر اللام ، وهنا بفتحها ؛ وقال إنها بالضبطين فى مادة لوى أى بفتح اللام وكسرها . وبعض العرب يقول : الأخذ سريطاء ، بضم ففتح فسكون ، والقضاء ضريطاء . بنفس ضبط سريطاء . وقال بعض الأعراب : الأخذ سريطى بكسر فتشديد مع كسر وفتح الطاء ، والقضاء ضريطى بضبط سريطى :

(٣) سبق بسط القول عن مهدد .

رفع المسلم

. . . .

وقوله : بَلْخَزْرَج ، أراد : بنى الخَزْرَج ، فحذف النون لأنها من مخرج اللام ، وهم يحذفون اللام فى مثل ، عَلْمَاء وَظِلْتُ[1] ، كراهية اجتماع اللامين ، وكذلك أحسْتُ كراهيةَ التضعيف ، وفى حديث عائشة — رضى الله عنها — تَرِبَتْ يمينُك وأُلَّتِ ، أرادت : أُلِلْتِ ، أى طُعِنت[2] من قولهم : ماله أُلَّ وغُلَّ ، ويروى : أُلَّتْ فتسكون التاء عَلما للتأنيث ، أى أُلَّتْ يدُك ، وعندنا فيه رواية ثالثة فى كتاب مسلم ، وهى تَرِبَتْ يداك وأُلَّتِ بكسر التاء وتشديد اللام وهى على لغة من يقول فى رَدَدْتِ رَدَّتِ فيدغم مع ضمير الفاعل ، وهى لغة حكاها سيبويه[3] [من أحكام الأفعال المبنية على صيغة المبنى للمجهول] .

وذكر شعر كعب وفيه :

لَعَمْرُ أبيكما يا بَنِى لُؤَىّ على زَهْوٍ لَدَيْكُمْ وانْتِخَاء

الانتخاء . افْتِعَالٌ من النَّخْوة ، ويقال نُخِىَ الرَّجُلُ وانْتَخَى . ومن الزَّهْوِ

---

(١) أصلهما : على الماء وظللت ، وقالوا : علرض وجلدر ، وسلقامة فى : على الأرض ، وجلا الأمر ، وسلا الإقامة وكلها بفتح الأول وتضعيف الثانى مع فتحه . الشافية ﺣ ٣ ص ٢٤٦ .

(٢) فعل هذا المعنى : أل — بفتح الهمزة وتضعيف اللام . ويؤول بضم الهمزة وتضعيف اللام . وقد ضبط ابن الأثير الفعل بهذا المعنى كما ضبطته وقال : وروى بضم الهمزة مع التشديد أى : طعنت بالألة — بفتح الهمزة وتضعيف اللام مع فتح — وهى الحربة العريضة النصل ، وفيه بعد ، لأنه لا يلائم لفظ الحديث وقال : إن امرأة سألت عن المرأة تحتلم ، فقالت لها عائشة رضى الله عنها : تربت يداك وألت ، وهل ترى المرأة ذلك . ثم ضبط ألت بفتح الهمزة وتضعيف اللام ، وفسرها بقوله : أى هاجت لما أصابها من شدة هذا الكلام .

(٣) هى لغة بكر بن وائل وغيرهم .

رفع المسيرهم

. . . .

زُهِي وازْدَهى، ولا يكون الأمر من مثل(١) هذا إلا باللام ، لأن الفعل فيه لغير المخاطَب ، وإذا أُمِرَ مَنْ ليس بمخاطَب ، فإنما يُؤمر باللام كقولك : لتزْه يافلان ولتُعْنَ بحاجتى ، وكان القياس أيضاً أن لا يُقال من هذا الفعل : ما أفعَلَه ، ولا هو أَفْعَلُ مِنْ كذا ، كما لا يقال فى المركوب : ما أَرْكَبَه ، ولا فى المضروب ، ما أَضْرَبه ، ولكنه قد جاء فى مثل هذه الأفعال : ما أزهاه ، وما أعْنَاهُ بحاجتى ، وقالوا : هو أشْغَل مِن ذَاتِ النِّحْيَيْنِ ، وهو أزْهَى من غُرابٍ ، والفعل فى هذا كله زُهِيَ وشُغِل فهو مَشْغُولٌ ومَزْهُوٌّ. وقيل فى المجنون ما أَجَنَّه حكاه أبو عُمَر [صالح بن إسحاق] الجَرْمِي . وقال سيبويه : واعلم أن العربَ تقدم فى كلامها ماهم به أهَم ، وهم ببيانه أعْنَى ، وإن كانا جميعاً يهمَّانهم ، ويُعْنَيانهم ، فقال أَهَم وأعْنَى ، وهو من همهم وعنائهم ، فهم به مَعْنِيُّون مثل مَضْرُوبون ، فجاز فى هذه الأفعالِ ما ترى ، وسبب جَوازِه : أن المفعول فيها فاعلٌ فى المعنى ، فالمَزْهُوُّ مُتَكَبِّرٌ وكذا المَنْخُوّ والمَشْغُول مُشْتَغِل وفاعِلٌ لِشُغْلِهِ ، والمَعْنِيُّ بالأمر كذلك ، والمَجْنُونُ كالأحْمَق ، فيقال : ما أَجَنَّه ، كما يقال : ما أَحْمَقَه ، وليس كذلك مَضْرُوب ، ولا مَرْكُوبٌ ولا مَشْتُوم ، ولا مَمْدُوح ، فلا يقال فى شىء منه : ما أفْعَلَه ، ولا هو أفْعَلُ من غيره .

فإن قلت : فكان ينبغى على هذا القياس أيضا أن يُؤْمَر فيه بغير اللام ، كما يُؤْمَر الفاعلُ إذاً ، وقد قُلتم : إنه فاعل فى المعنى فالجواب : أن الأمْرَ إنما هو بلفظ المستقبَل ، وهو تَضْرِب وتَخْرُج ، فإذا أمرت حذفت حرف المضارَعة ،

(١) فى الأصل ولا يكون إلا من مثل .

وبقيت حروفُ الفعل على بِنْيَتِها ، وليس كذلك زُهِيتَ فأنت تُزْهَى ، ولا شُغِلْتَ فأنت تُشْغَل ، لأنك لو حذفت منه حرف المضارعة لبقى لفظ الفعل على بِنْيَةٍ ليست للغائب ، ولا للمخاطَب ، لأن بِنْيَةَ الأمرِ للمخاطَب افْعَل ، وبِنْيَتُه للغائب ، فَلْيَفْعَل ، والأبْنِية التى قَدَّرْناها لاتصلح لواحدٍ منهما ، لأنَّك كنت : تقول أزْهَى من زُهِيتُ ، وكنت تقول من شُغِلْتُ أشغَل ، فتخرج من باب شُغِلْتَ فأنت مشغول إلى باب شَغَلْتَ غَيْرك ، فأنت شاغِل ، فلم يستقِم فيه الأمر إلا باللَّام .

وقوله : ومِيكَالٌ فياطِيبَ الْمَلَاءِ أراد الملأ ، وليس من باب مَدِّ المقصور ، إذ لايجوز فى عَصَى عَصَاء ، ولا فى رَحَى : رَحَاء فى الشِّعر ، ولا فى الكلام ، وإن كانوا قد أشبعوا الحركات فى الضَّرُورة ، فقالوا فى الْكَلْكَل الْكَلْكَال ، وفى الصَّيارِف : الصياريف ، ولكن مَدَّ المقصور أبعدُ من هذا ، لأن زيادة الألف تغييرٌ واحد ، ومَدَّ المقصُور تغييران ، زيادةُ ألف وهَمْز ماليس بمهموز ، غير أنه قد جاء فى شعر طَرَفَةَ :

وكَشْحَانِ لم ينقص طَوَاءُهما الْحَبَلْ[1]

لكنه حَسَّنه قليلا فى بيت طَرَفَةَ فى أنه لم يُرِد الطَّوَى الذى هو مصدر ،

(١) الذى فى اللسان : والطواء أن ينطوى ثديا المرأة ، فلا يكسرهما الحبل - بفتح الباء — وأنشد:

وثديان لم يكسر طواءهما الحبل

طَوِىَ يَطْوِى : إذا جاع ، وخَوِىَ بطنُه ، وإنما أراد : رِقَّة الخَصْرِ ، وذلك جمالٌ فى المرأة ، وكمالٌ فى الخِلْقة ، فجاء باللفظ على وزن جَمَال وكَمَال ، وظهر فى لفظه ما كان فى نفسه ، والعربُ تنحو بالكلمة إلى وزن مَاهُوَ فى معناها، وقد مضى منه كثيرٌ وسَيَرِدُ عليك ماهو أكثر .

وأما المَلأُ والخَطأُ والرَّشأُ والفَرأُ [1] وما كان من هذا الباب ، فإن همزته تُقلب ألفاً فى الوقف بإجماع نعم ، وفى الوَصْلِ فى بعض اللُّغات ، فيكون الألِفُ عِوضاً مِنَ الهَمْزةِ ، وقد يَجْمعون بين العِوَضِ والمُعَوَّضِ مِنه ، كما قالوا هَرَاقَ الماء ، وإنما كانت الهاء بدلا من الهمزة ، فجمعوا بينهما ، وقالوا فى النسب إلى فَمٍ فَمَوِىّ ، وقالوا فى النسب إلى اليمن يَمَنِىّ ، ثم قالوا : يمانٍ ، فعوّضوا الألفَ من إحدى الياءين ، ثم قالوا يَمانِىٌّ بالتشديد فجمعوا بين العوض والمُعَوَّض منه ، فياطيب المَلَاء من هذا الباب ، وكذلك قولهم الخطاء فى الخطأ . قال الشاعر :

فَكُلُّهُمْ مُسْتَقْبِحٌ لصَوابِ مَنْ ... يُخَالِفُهُ مُسْتَحْسِنٌ لخطائِه

وقد قال وَرَقةُ : إلا ما غَفَرْتَ خَطَائيا [2] (فإن قيل) فقد أنشد أبو علىّ فى مد المقصور :

---

(١) الرشأ : الظبى إذا قوى ومشى مع أمه . والفرأ : حمار الوحش أو فتيه. والملأ أشراف القوم .

(٢) هو سهو من السهيلى . فان هذا الكلام جزء من بيت شعر نسب فى السيرة إلى زيد بن عمرو بن نفيل ، وقال ابن هشام إن القصيدة كلها =

. . . .

يالكَ من تمْرٍ ومن شيشاءِ ينشبُ فى المَسْعَل واللَّهاءِ

أرادَ: جَمْع لهاةٍ. قلنا: يحتمل أنْ يكون كلاماً مُوَلَّداً، وإن كان عربياً، فلعل الرواية فيه: اللِّهاء بكسر اللام، فيكون من باب أكمة وإكام، وقد ذكرها أبو عبيد فى الغريب المصنف بالكسر والفتح[1].

شرح شعر أبى أسامة:

وذكر شعر أبى أسامة بن زُهَيْر الجُشَمِيّ وفيه:

وقد زالت[2] نَعَامَتُهم لِنَفْرِ

العربُ تضرب زوال النعامه مثلا للفرار، وتقول:

شالت نَعامة القوم

= لابن أبى الصلت إلا البيتين الأولين والبيت الخامس والبيت الأخير. أنظر ص ٣٤٩ ح ٢ الروض من هذه الطبعة.

(١) أنظر فى اللسان مادة لها؛ إذ يقول ابن سيدة بعد أن خطأ رواية فتح اللام فى لها: إن فعلة يكسر على فعال ـ بكسر الفاء ـ ونظيره ما حكاه سيبويه من قولهم: أضاة وإضاء، ومثله من السالم: رحبة ورحاب، ورقبة ورقاب، قال ابن برى: إنما مد قوله فى المسعل واللهاء للضرورة، قال: هذه الضرورة على من رواه بفتح اللام، لأنه مد المقصور وذلك مما ينكره البصريون. قال: وكذلك ماقيل فى هذا البيت:

قد علمت أم أبى السعلاء أن نعم ما كولا على الخواء

فمد السعلاء والخواء ضرورة

(٢) فى السيرة: شالت.

. . . .

إذا فَزِعُوا وهلكوا. قال الشاعر :

يالَيتَ ما أُمُّنا شالَتْ نَعامَتُها   إمَّا إلى جَنَّة إمَّا إلى نارِ[1]

وقال أُمَيَّة :

اشرَبْ هَنيئاً فقد شالَت نَعامَتُهم[2]

والنَّعامَةُ فى اللغة : باطن القَدَم ، ومن ماتَ فقد شالت رِجْلُه ، أى : ارتَفعتْ ، وظهرت نَعامَتُه ، والنَّعامَةُ أيضاً الظُّلْمةُ[3] ، وابنُ النَّعامَةِ عِرْق فى باطن القَدم ، فيجوز أن يكون قوله: زالت نعامتُهم ، كما يقال : زال سَوادُه ،

(١) فى التصريح على التوضيح أن البيت لسعد بن قرط لا الأحوص خلافاً للجوهرى . ويروى هكذا .

يا ليتما أمنا شالت نعامتها   أيما إلى جنة أيما إلى نار

أقول : وهكذا روايته أيضاً فى مغنى اللبيب رواه وهو يتحدث عن إما الثانية فى قولهم : جاء إما زيد وإما عمرو باعتبار أن إما عاطفة . قال : وزعم يونس الفارسى وابن كيسان أنها غير عاطفة كالأولى ووافقهم ابن مالك لملازمتها الواو العاطفة غالباً ، ومن غير الغالب قوله : وأنشد البيت ، ثم قال : وفيه شاهد ثان ، وهو فتح الهمزة ، — يعنى فى أيما — ، وثالث وهو الإبدال أى جعل الميم ياء من إما . قال : ونقل ابن عصفور الإجماع على أن إما غير عاطفة . وذكر الأمير فى حاشيته على المغنى أن البيت لرجل من بنى عبد القيس يقال له: سعد كان عاقا لأمه، وكانت به بارة .

(٢) فى اللسان : وأنشد ابن برى لأبى الصلت الثقفى :

اشرب هنيئا فقد شالت نعامتهم   وأسبل اليوم فى برديك إسبالا

وانظر القاموس مادة أمه ، فقد رواه إما وإما بكسر الهمزة .

(٣) ذكر اللسان لها معانى كثيرة جدا غير ما ذكر .

. . . .

وضحاً ظلُّه إذا مات، وجائز أن يكون ضَرَبَ النَّعامَة مَثَلًا ، وهو الظاهر في بيت أبي أسامَةَ؛ لأنه قال: زالت نَعامَتُهم لِنَفْرٍ، والعرب تقول أشْرَدُ من نَعامَةٍ، وأنفرُ من نَعامَة قال الشاعر :

هُمُ تركوكَ أسْلَحَ من حُبارَى   رَأَتْ صَقْراً وأشْرَدَ من نَعامِ(١)

وقال آخر :

وكُنْتَ نَعاماً عند ذاكَ مُنَفَّراً

فإذا قلت : زالت نعامَتُه ، فمعناه : نَفَرَتْ نفسُه التي هي كالنَّعامة في شرودها وقوله :

وأنْ تُرِكَتْ سَرَاةُ القَوْمِ صَرْعَى

سراةُ كُلِّ شيء : ماعَلَا منه ، وسَرَاةُ الفَرَسِ : ظهرُه لأنه أعلاه . قال الشاعر يصف حِماراً :

بسَرَاتِه نَدَبٌ لها وكُلُومُ

وقولهم : سَرَاةُ القوم ، كما تقول : كاهِلُ القوم ، وذِرْوَةُ القوم ، قال معاوية : إن مُضَر كاهِلُ العَرَبِ ، وتَمِيمَ كاهِلُ مُضَر ، وبنُو سَعْدٍ كاهِلُ

---

(١) الحبارى ترمى الصقر بسلحها — ومعناه معروف — إذا أراغها ليصيدها ، فتلوث ريشه بلثق سلحها ، ويقال : إن ذلك يشتد على الصقر لمنعه إياه من الطيران . والحبارى طائر طويل العنق رمادي اللون على شكل الاوزة ، في منقاره طول ، الذكر والأنثى والجمع فيه سواء

رفع المسابهم

. . . .

تميم . وقال بعض خطباء بنى تميم : أنا العِزُّ الأقعس ، والعَدَدُ الهَيْضَل ، ونحن فى الجاهلية القُدَّام ، ونحن الذِّرْوَةُ والسَّنَام ، وهذا معنى صحيح بيِّن ، فليس لأحد أن يقول فى الذِّرْوَة ، ولا فى السَّنَام ، ولا فى الكاهل إنه جَمْع أى من أبنية الجَمْع ، ولا اسمٌ للجَمْع ، فكذلك ينبغى أن لا يُقال فى سَرَاةِ القوم ، إنه جَمْع سَرِى ، لا على القياس ، ولا على غيرِ القياس ، كما لا يقال ذلك فى كاهل القوم ، وسَنَام القوم ، والعَجَبُ كيف خَفِى هذا على النحويين ، حتى قلَّد الخالفُ منهم السالفَ ، فقالوا : سَرَاةٌ جَمْع سَرِىٍّ[1] ، ويا سُبْحَان الله ! كيف يكون جَمْعاً له ، وهم يقولون فى جمع سَرَاةٍ سَرَواتٍ ، مثل قَطَاةٍ وقَطَواتٍ ، يقال : هؤلاء من سَرَوَاتِ الناس ، كما تقول : من رُءوس الناس ، قال قَيْسُ ابن الخَطِيم :

وعمرة من سَرَوَاتِ النِّسا ء تَنْفَحُ بالمِسْكِ أرْدانُها

ولو كان السَّرَاةُ جَمْعاً ما جُمِع لأنه على وزن فَعْلَة ، ومثل هذا البناء فى الجموع لا يجمع ، وإنما سَرِىٌّ فَعِيل من السَّرْوِ ، وهو الشَّرَفُ ، فإنْ جُمِع على لفظه ، قيل سُرِّى وأَسْرِياء[2] ، مثل غَنِىّ وأغنياء ، ولكنه قليلٌ وجودُه وقِلَّةُ وجودِه لا يَدْفَع القياسَ فيه ، وقد حكاه سيبَوَيْه .

وقوله : أذباحُ عِتْرٍ : جمع ذِبْح ، وعِتْرٌ بكسر العين : الصَّنَمُ الذى كان يُعْتَر له

---

(١) فى القاموس : السراة : اسم جمع جمعه : سروات ، وكذلك فى اللسان منسوب إلى سيبويه . وقال ابن برى : هى اسم مفرد للجمع عند سيبويه .

(٢) زاد اللحيانى : سرواء بضم ففتح ، وفى اللسان شرح واف للكلمة .

رفع عبد الرحمن النجدي
المسيرهم

. . . .

فى الجاهلِيَّة ، أى : تُذبَح له العتائرُ ، جمع : عَتِيرةٍ ، وهى الرَّجَبِيَّةُ ، وقد ذكرنا فى نَسَبِ النبى – صلى الله عليه وسلم – أوَّلَ مَنْ سَنَّ العَتِيرةَ ، وأنه بُورُ بن صَحُورَا ، وأن أباه سَنَّ رَجَبًا للعَرَبِ ، فكان يُقال له : سَعْد رَجَب ، ولو قال: أذبَاحَ عَتْرٍ بفتح العين لجاز لأنه مصدر .

وقوله : وكانت جُمَّةً . الجُمَّةُ : السواد ، والجُمَّةُ : الفِرْقَةُ ، فإن كان أرادَ بالجُمَّةِ سوادَ القوم وكثرتَهم ، فله وَجْهٌ ، وإن كان أراد الفِرقةَ منهم ، فهو أوْجَه(١) ، وقد ذكره صاحب العَيْنِ .

وقوله : عَطيَانُ بَحْر : فَيَضانه(٢) .

وقوله : أُبيِّن نِسْبَتِى نَقْرًا بِنَقْر . النَّقْرُ : الطَّعْنُ فى النَّسَبِ وغيره ، يقول : إن طَعَنتم فى نَسَبِى ، وعِبْتُمُوه بَيَّنْتُ الحقَّ ونقرتُ فى أنسابكم ، أى عِبْتُها ، وجازَيْتُ على النَّقْرِ بالنَّقْرِ ، وقالت جارية من العرب : مُرُّوا بى على بَنِى نَظَرى(٣) يعنى الفِتْيان الذين يَنْظُرُون إلىَّ ولا تَمُرُّوا بى على بَناتِ نَقَرِى ، يعنى النِّساء اللَّواتى يَنقُرْنَ أى : يَعِبْنَ .

(١) فى شرح السيرة لأبى ذر : وكانت جمة : من رواه بالجيم ، فمعناه : الجماعة من الناس ، وأكثر ما يقال فى الجماعة الذين يأتون يسألون فى الدية . ومن رواه حمة بالحاء المهملة ، فمعناه : قرابة وأصدقاء من الحميم وهو القريب . وهى فى السيرة : جمة .

(٢) هى فى السيرة : غيطان ، وهى إحدى الروايات . يقول أبو ذر الخشنى عن رواية العطيان : والعطيان هنا : الماء الكثير الذى يغطى ما يكون فيه ، ويروى : غيطان بحر .

(٣) بفتح النون والظاء والراء ، ويقال بتضعيف الظاء أيضاً . وفى اللسان أنها قالت ذلك لبعلها . وبنو نظرى : أهل النظر إلى النساء والتغزل بهن .

رفع
المسلم
عبد الله الخطيب

. . . .

وقوله : دُعِيتَ إلى أُقَيْدٍ ، تصغيرُ وَقْدٍ ، وهم المتقدمون من كل شىء مِنْ ناسٍ أو خَيْلٍ أو إبِلٍ ، وهو اسمٌ للجمع مثلُ : رَكْبٍ ، ولذلك جاز تصغيرُه ، وقيل : أُقَيْد : اسمُ موضِعٍ(١) .

وقوله : على مُضَافٍ . المضافُ : الخائف المُضْطَرُّ .

وقوله :

فدونَكُمُ بَنِى لأْىٍ أخاكم

هذا شاهد لما ذكرناه فى نَسَبِ النبى — صلى الله عليه وسلم — واشتقاق تلك الأسماء ، وقلنا فى لؤى : إنه تصغير لأْىٍ ، واخترنا هذا القول على قولِ ابن الأنبارِىّ وقُطْرُبٍ ، وحكينا قولَه ، وشاهدَه ، وإنما أراد هٰهنا ببنى لَأْىٍ بَنِى لُؤَىٍّ ، فجاء به مُكَبَّراً على ما قلناه .

وقوله :

مُوَقَّفَةُ القوائم أُمُّ أجْر

يعنى الضَّبُعَ ، ومُوَقَّفة من الوَقْفِ ، وهو الخَلْخَالُ ، لأن فى قوائمها سَوَاداً . قال الشاعر [أبو وَجْزَة السَّعْدِى] :

وخائفٍ لحِمٍ شاكاً براشتهُ كأنه قاطِمٌ وَقْفَيْنِ من عاجِ(٢)

---

(١) يرى الخشنى أنه اسم رجل فقال فى البيت الثامن : أصلها : يامالك فرخم ، وحذف حرف النداء .

(٢) البيت فى اللسان فى مادة قطم منسوب إلى أبى وجزة . وفى مادة شوك

. . . .

وأُمّ أجْر : جَمْعُ جَرٍ ، وكما تقول : دَلو وأدْلٍ ، وهذا كقول الهُذَلِيّ :

وغُودِرَ ثاوِيًا وَتأوَّبَتْه مُوَقَّفة أُميمُ لها فَلِيلُ[1]

والفَلِيلُ : عُرْفُها ، وكقول الآخر :

جاءتْ إلىَّ على ثَلاثٍ تَخْمَعُ بالهَفِ مِنْ عَرْفاء ذاتِ فَلِيلَةٍ

وسط العَرِينِ ، وليس حَيٌّ يدفعُ وتَظَلُّ تَنْشِطُنِي وتَلْحَمُ أجْرِيًا

عَنِّي ولم أُوكَل وجَنْبِي الأَضْبُعُ لو كان سَيْفِي باليمين دَفَعْتُها

فوصفها أنها تَخْمَعُ ، كما قال ابن المهلب : الضَّبُعَةُ العَرْجاء ، ولَحَنَ في قوله : الضَّبُعَةَ[2] . وقال آخر :

ضِبَاعُ بأكْنافِ الشَّرَيْفِ عَرَائِسَا فلوماتَ منهم مَنْ جَرَحْنا لأصبحت

وذلك أن الضَّبُعَ يَقْلِبُ القتيل على قفاه فيما ذكر ، وتَسْتَفْعِل كَمَرَتَه ، لأنها أشبَقُ البهائم ، ولذلك يقال لها حين تُصْطَاد : أبْشِرِى أُمّ عامِرٍ بجَرَادٍ عضال وكَمَرِ رِجَالٍ ، يخدعونها بذلك ، وهي تُسَكَّى امّ عامِرٍ ، وأم عَمْرو ، وأم الهِنْبِرِ [وأم عِتاب وأم طُرَيْق وأم نَوْفَل] ، وأُمّ خِنَّوْرٍ وأم خنور

= بيتان من القصيدة . ويريد بالموقفة : الضبع التي تأكل القتلى والموتى كما يقول أبو ذر . والوقف أيضاً ـ السوار ـ من العاج ، وأنشد ابن برى لابن مقبل :

كأنه وقف عاج بات مكنونا

(١) البيت في اللسان لساعد بن جؤية وفيه : مذرعة بدلا من موقفة .

(٢) لأن الأنثى ضبع بفتح الضاد وضم الباء ، أما الذكر فضبعان ، والأنثى أيضا ضبعانة بكسر الضاد في الكلمتين .

. . . .

معًا وتسمى : حَضَاجِرَ وجَعَارِ [والْعَشْواء وذِبْحَة وعَيْلَم وَجَيْعَر ، وأم جَعْوَر] وقَثَام وَجَيْأَلُ وعَيْثُوم ، وقَثَام أيضًا اسمٌ للغَنِيمَةِ الكثيرة يقال أصاب القوم قَثَامًا ، قاله الزبير ، وجيئل وعَيثُوم ، وأما الذَّكَرُ منها فَعَيْلامُ وعِثْيَان وذِيخٌ [وأبو كَلَدَة ونَوْفل والأعثى][1]

وقوله فى وصف الأسد فى الغيل : مُجْزٍ ، أى : ذو أجْزاء ، والأَبَاءَة : الأَجَمَةُ التى هو فيها ، وكذلك الغِيل والخِدْرُ والعَرِين والعِرِّيسَةُ .

وقوله أحْمَى الأباءَة ، أى : حَمَاها ، وأحْمَى لغةٌ فى حَمَى لكنها ضعيفةٌ ، ولعله أراد : أحْمَى الأباءَة ، أى جعلها كالنار الحامية ، يقال : أحْمَيْتُ الحَدِيدَةَ فى النار ، يعنى : إن أباءَته قد حُمِيتَ به فلا تُقْرَبَ .

وقوله : مِنْ كُلَافٍ ، لعله أرادَ مِنْ شِدَّةِ كَلَفٍ بما يَحْمِيه ، فجاء به على وَزْن ، فُعَالٍ ، لأن الكَلَف إذا اشتد : كالهُيَام والعُطَاشِ ، وفى معنى الشِّعارِ ، ولعل كُلَافا اسمُ موضع ، وقال أبو حَنِيفة : الكُلَافُ اسم شَجَرٍ والله أعلم[2] .

---

(١) ضبط المنبر كما ذكرت ولها ضبطان آخران هنبر - بكسر الهاء وفتح النون وسكون الباء ، أو هنبر بكسر الهاء وسكون النون وكسر الباء . وزاد القاموس جيعر وأم جعار مع جعار كما زاد مع جيأل : جيألة وجيل بفتح الجيم والياء فى الثانية ، وزاد مع قثام قثم مثل عمر . فى كتاب الحيوان : أم طريق وزدت أم طريق وأبا كلدة وأم نوفل ونوفلا من الحيوان للدميرى والقاموس . ومع العثيان ورد فى القاموس واللسان : الأعثى للذكر والعشواء للأنثى ، وورد النهاية ذبحة مؤنث ذيخ ، وعيلم مع عيلام .

(٢) الشعار : موضع كثير الشجر والأجمة ، وقال صاحب المراصد عنه : واد من عمل المدينة .

رفع عبد الرحمن ... المسلم

. . . .

وقوله بَخلٍّ ، هو الطريق فى الرمل ، والهَجْهَجَةُ من قولك : هَجْهَجْتُ بالذئب إذا زجرته . قال الشاعر :

لم يُنجِه منها صياحُ الهَجْهَجِ[1]

وقوله : بِقَرْقَرَةٍ وهَذْرٍ . القَرْقَرَةُ صَوْتٌ شَدِيدٌ مُنْقَطِعٌ ، وجاء فى صفة عامر الحَذَّاء أنه كان قُرَاقِرِيَّ الصوتِ ، فلما كَبِرَ وصَمُفَ صوتهُ ، قال :

أَصْبَحَ صَوْتُ عامرٍ صئِيًّا ... أَبْكَمَ لا يُكَلِّمُ المَطِيَّا[2]

وهو عامر بن رَبيعة الحَذَّاء التَّغْلِبِيّ ، وإليه يُنْسَبُ بنو الحَذَّاء[3] ،

---

(١) الشعر لعمران بن عصام العنزى . وهو الذى أشار على عبد الملك ابن مروان بخلع أخيه عبد العزيز والبيعة للوليد بن عبد الملك . خرج على الحجاج مع ابن الاشعث ، فظفر به الحجاج . فقتله ، فلما بلغ عبد الملك بن مروان قتل الحجاج له . قال : ولم قتله ؟ ويله ، ألا رعى قوله فيه :

وبعثت من ولد الاغر معتب ... صقراً يلوذ حمامه بالعرفج
فاذا طبخت بناره أنضجتها ... وإذا طبخت بغيرها لم تنضج
وهو الهزبر إذا أراد فريسة ... لم ينجها منه صياح الهجهج

ص ٤٨ حـ ١ البيان والتبيين للجاحظ ط ١٩٤٨

(٢) الرجز فى اللسان غير منسوب إلى أحد وهو :

أصبح صوت عامر صئيا ... من بعد ما كان قراقريا
فمن ينادي بعدك المطيا

والصئى : صوت الفرخ .

(٣) قال ابن حبيب : الحذاء بن ذهل بن الحارث بن ذهل بن مران الجعفى ، وقال ابن دريد : عامر بن ربيعة بن تيم الله بن أسامة بن مالك بن بكر بن تغلب

[illegible]

وذكر أهل اللغة أن الكَشِيشَ أول رُغَاء الجَمَل ، ثم الكَتِيتَ[1] ثم الهَدْر ، ثم القَرْقَرة ، ثم الزَّغْد ، ويقال زَغَد يَزْغُد ثم القُلَاخ [أو القَلْخ أو القَلِيخ الأخيرة عن سيبويه] إذا جمل. كأنه يتقلّع .

وقوله : وأَكْنَفَ مُجْنَاه[2] ، يعنى : التُّرْسَ ، وهو من أَجْنَأْتُ الشىء ، إذا جنيته فهو مُجْنأ ، ويعنى بصَفْراء البُرَايَةِ : القوسَ ، وبُرَايَتُها : ما بُرى منها ، وجعلها صَفْرَاء لِجِدَّتِها وقُوَّتها . وقوله : وأَبْيَضَ كالغدير : أراد السيف ، وعُمَيْرٌ اسمُ صانع ، والمَدَاوِسُ : جمع مِدْوَس ، وهى الآلة التى يدوس بها الحدَّاد ، والصَّيْقَلُ ما يصنعه ، ووصفُه إيَّاها بالمُغْرِ ، المُغْرُ : جمع أمغر ، وهو الأحمر ، والخادِرُ : الداخل فى الخِدْرِ ومُسْبَطِرّ : غير مُنْقَبِضٍ .

وقوله : يقول لى الفتى سَعْدٌ هَدِيًّا . الهَدِىُّ : ما يُهْدَى إلى البيت ، والهَدِىُّ أيضاً العَرُوسُ تُهْدَى إلى زَوْجِها ، ونَصَبَ هَدِيًّا هنا على إضمار فعل ، كأنه أراد اهْدِ هَدِيًّا .

شرح القصيدة الفاوية لأبى أسامة :

وقوله فى الشعر الفاوىّ : كأن رُءُوسَهم حَدَجٌ نَقِيفٌ . الحَدَجُ : جمع حَدَجَة ، وهى الحَنْظَلَة ، والنَّقِيفُ : المَنْقُوفُ ، كما قال امْرُؤُ القَيْس :

---

(١) فى القاموس فى مادة كت : الكتيت أول هدر البكر . وفى مادة كشيش قال : الكشيش من الجمل : أول هديره . وهو دون الكت .

(٢) هو فى السيرة : أكلف . ويقول أبو ذر : من رواه باللام فإنه يعنى ترساً أسود الظاهر ، ومن رواه أكنف ـ بالنون ـ فهو الترس أيضاً مأخوذ من كنفه أى : ستره .

. . . .

[كأنى غداةَ البَيْنِ يوم تحمَّلُوا   لدى سَمُرات الحَىِّ]ناقفُ حنظلِ

وهو المُسْتَخْرِجُ حَبَّ الحنظلِ .

وقوله داهية خَصِيفٌ ، أى : مُتراكِبة من خَصَفْتُ النَّعلَ أو من خَصَفْتُ الليف ، إذا نَسَجْتَه ، وقد يقال كَتِيبَةٌ خَصِيفٌ ، أى : مُنْتَسِجَةٌ ، بعضُها ، ببعض ، مُتَكاثِفَةٌ(١) ، وفى كتاب سيبويه : كتيبة خَصِيف أى : سوداء .

وقوله : ومُنْقَلِي من الأَبْوَاء ، هو : الموضعُ الذى فيه قبرُ آمِنةَ أمِّ رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وسُمِّى الأبواءَ ، لأن السُّيولَ تَتَبَوَّأه ، وفى الحديث أن رسولَ الله — صلى الله عليه وسلم — زار قبرَ أمِّه بالأبْوَاء فى ألف مُقَنَّع فَبَكَى وأبكى(٢) ، ووجدت على البيت المتقدم الذى فيه : حَدَجٌ نَقِيفٌ فى حاشية الشيخ ، قال أبو حنيفة الحَنْظَلُ : من الأَعْلاثِ وهو ينبت شَرْيًا(٣) ، كما ينبت شَرْىِ القِثَّاء ، والشَّرْى : شَجَرُه ، ثم يخرج فيه زَهْر ، ثم يخرج فى الزَّهْرِ جِرَاءَ مثل جِرَاء البِطِّيخ(٤) ، فإذا ضَخُم وسَمِنَ حَبُّه سَمَّوْه الحَدَجَ واحدتُه حَدَجَةٌ ، فإذا وقعت فيه الصُّفْرَةُ سَمَّوْهُ : الخُطبانَ ، وزاد

---

(١) فى اللسان : وكتيبة خصيفة : لما فيها من صدأ الحديد وبياضه .

(٢) أخرجه الحاكم ، وقد سبق الكلام عن هذا .

(٣) الأعلاث أو الأغلاث ، وقد ذكر منها أبو زياد الكلابى ضروبا من النبات منها الحنظل ، وقال إنها من الأغلاث ، ثم قال : والأغلاث مأخوذ من الغلث وهو الخلط . وفى اللسان أن أبا حنيفة حكاه بالغين .

(٤) جمع جرو : صغير كل شىء حتى الحنظل والبطيخ ونحوه .

رفع
المسـ‌هم
عز الله

. . . .

أبو حَنيفَةَ أن الحَنظَلَةَ إذا اسْوَدَّت بعد الخُضرةِ ، فهى قَهْقَرَةٌ ، وذكر فى القِثَّاء الخَدَجَ والجِرَاءَ كما ذكر فى الحَنظَلِ ، وكذلك الشَّرْيَة اسم لشَجَرَتِهما ، وفى القِثَّاء قبل أن يكون بِطِّيخاً القُحّ(١) ، وقَبل القُحِّ يكون خَضَفاً ، وأصغرُ من ذلك القُشْعُر والشُّمْرُور والضُّغْبُوس(٢) وتقِيفٌ معناه : مَكْسُورٌ ، لأنه يقال نَقَفْتُ رأسَه عن دماغِه ، أى كَسَرْتَه .

وقوله: أخُوضُ الصَّرَّةَ الحَمَّاءَ . الصَّرَّةُ(٣) : الجماعة ، والصَّرَّةُ : الصِّياحُ ، والصَّرَّةُ : شِدَّةُ البَرْدِ ، وإياها عنى ، لأنه ذكر الشَّفِيفَ فى آخر البيت ، وهو وهو بَرْدٌ وريح ، ويقال له : الشَّفَّان أيضاً ، أنشد ابن الأنبارِىّ :

قُلْ للشَّمَالِ التى هَبَّتْ مُزَعزِعَةً … تُذرِى مع الليل شَفَّاناً بِصُرَّادِ
اقرِى السَّلَامَ على نَجْدٍ وساكِنِهِ … وحاضِرٍ باللِّوَى إن كان أو بَادِ
سَلَامَ مُغْتَرِبٍ فقـــدَانَ منزله … إن أنجدَ الناسُ لم يَهْمُمْ بإنجادِ

(١) قال الأزهرى : أخطأ الليث فى تفسير القح ، وفى قوله البطيخة التى لم تنضج أنها القح ، وهذا تصحيف ، قال : وصوابه : الفج – بكسر الفاء – يقال ذلك لكل ثمر لم ينضج ، وأما القح فهو أصل الشىء وخالصه .

(٢) الخضف صغار البطيخ أو كباره . وفى اللسان : القشعر بضم القاف والعين وسكون الشين : القثاء واحدته : قشعرة بلغة أهل الجوف من اليمن وفى اللسان ، الشمرورة: القثاءة الصغيرة ، وقيل هو نبت . والشمارير : صغار القثاء واحدها : شمرور . والضغبوس والضغابيس القثاء الصغار ، ولها معان أخر .

(٣) الحماء : تروى بالجيم وبالحاء ، ويقول أبو ذر : الجماء : الكثير ، ومن رواه الحاء : فمعناه : السود « ص ٢٠٤ » .

. . . .

شعر هند :

وفى شعر هند: بجميل المَرَاةِ ، أرادت : مَرْآةَ العَيْن، فنقلت حركة الهمزة إلى الساكن ، فذهبت الهمزة ، وإنما تذهب الهمزةُ إذا نقلت حركتها ، لأنها تبقى فى تقدير ألفٍ ساكنةٍ ، والساكُن الذى قبلها باقٍ على حُكم السكون لأن الحركة المنقولة إليه عارضةٌ ، فكأنه قد اجتمع ساكنان ، فحُذفت الألفُ لذلك ، هذا معنى كلام ابن جنِّى .

وقول هند : فأمَّا بُرَىٌّ فلم أعْنِهِ ، فهو تصغير البَرَّاءِ اسمِ رَجُلٍ ، وقولها :

قد كنتُ أحْذَرُ ما أرى فأنا الغَـداةَ مُوَامِيه

قوله : مُوَامية ، أى : ذليلة ، وهو مُؤامِيَةٌ بهمزة ، ولكنها سُهِّلت ، فصارتَ واواً ، وهى من لفظ الأمَةِ ، تقول : تَأمَّيْتُ أمَةً أى : اتَّخَذْتُها ، ويجوز أن يكونَ مقلوباً من المُوَاءمَةِ ، وهى الموافقة ، فيكون الأصلُ مُوَائمة، ثم قُلِب فصار مُوَامِيَة على وزن مُفَاعِلة [1]، تريد أنها قد ذَلَّت، فلا تأبى ، بل تُوافق العَدُوَّ على كُرْهٍ ، ومنه اشتقاق التوْأَم لأن وَزْنَه فَوْعَل مثل التَّوْلج والتاء فيهما جميعاً بَدَلٌ مِنْ : واوٍ ، قاله صاحب العين .

وقولها مَلْهُوفة مُسْتَلَبَة . الأجْوَدُ فى مُسْتَلَبَةٍ أن يكون بكسر اللام من السِّلَابِ وهى الخِرْقَةُ السَّوْداء التى تخَمَّر بها الثَّكْلى ، ومنه قولُ النبى

---

(١) يقول أبو ذر فى شرح السيرة : موامية : مختلطة العقل ، وهو مأخوذ من المأموم ، وهو البرسام « البرسام علة من العلل » .

صلى الله عليه وسلم لأسْماءَ بنت عُمَيْسٍ حين مات عنها جعفر : تَسَلَّبي ثلاثاً ، ثم اصْنَعِي ماشئت ، وهو حديث منسوخ بالإحْدَادِ ، ومتأوَّلٌ ، ذكره الطَّبَرِيُّ.

شعر قتيلة :

وذكر ابنُ هشام شِعْرَ قُتَيْلَةَ بنتِ الحرث تَرْثِى أخاها النَّضْرَ بن الحارثِ ، والصحيح أنها بنت النضر لا أختُه[1] كذلك قال الزبير وغيره ، وكذلك وقع فى كتاب الدلائل ، وقُتَيْلَةُ هذه كانت تحت الحارثِ بن أبى أُمَيَّةَ الأصْغَرِ ، فهى جدَّة الثُّرَيَّا بنتِ عبدِ الله بن الحارثِ التى يقول فيها عُمَرُ بن أبى رَبِيعَةَ حين خطبها سُهَيْلُ بنُ عبدِ الرحمن بن عَوْف :

أيها المُنْكِحُ الثُّرَيَّا سُهَيْلاً عَمْرَكَ اللهَ كيف يَلْتَقِيانِ

هى شامِيَّةٌ إذا ما اسْتَقَلَّتْ وسُهَيْلٌ إذا استقل يَمَانِ[2]

وَرَهْطُ الثُّرَيَّا هذه يقال لهم : العَبَلات ، لأنّ أمهم عَبْلَةُ بنت عُبَيْد

---

(١) كذلك ذكر المصعب الزبيرى فى نسب قريش ص ٢٥٥ وابن عبد البر والجوهرى والذهبى ، ويسميها الجاحظ فى البيان والتبيين : ليلى بنت النضر ص ٤٣ حـ ٤ البيان والتبيين .

(٢) وقيل إنها تزوجت سهيل بن عبد العزيز بن مروان ، وقد رجح أبو الفرج هذا القول : لانها حملت إلى مصر . وهناك كان منزل سهيل ابن عبد العزيز ، ولم يكن لسهيل بن عبد الرحمن مرضع . وأول القصيدة :

أيها الطارق الذى قد عنانى بعد مانام سامر الركبان

واقرأ قصة ثريا فى الأغانى وتجريده ص ٢١٧ جـ ١ طبع لبنان ، وص ٨٩ حـ ١ تجريد .

غزوة بنى سليم بالكُدْرِ

قال ابن إسحاق : فلما قدِم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينة لم يُقم بها إلا سبعَ ليالٍ حتى غزا بنفسه ، يريدُ بنى سُلَيم .

قال ابن هشام : واستعملَ على المدينة سِباعَ بن عُرْفُطَةَ الغِفارِىّ ، أو ابن أمّ مكْتُوم .

ابن جاذب[1] .

وفى شعر قُتَيْـلَةَ .

أمُحَمَّدٌ ها أنت ضِنْءُ نجيبَةٍ

قال قاسم : أرادت يامُحَمَّداه على النُّدْبة ، قال : والضِّنْءُ الولد ، والضِّنْءُ الأصل ، يقال : ضنَت المرأة واضنأت وضنت تضنو إذا ولدت[2] .

---

(١) هى جارية من قريش كما فى القاموس ، وانظر عن بنى العبلات ص ٦٧ ، ٦٨ من الجمهرة لابن حزم ، ص ٨٢ الاشتقاق لابن دريد وانظر لقصيدة قتيلة فى الأغانى . والبيان والتبيين ، ومعجم . البلدان ، ونسب قريش .

(٢) فى النهاية لابن الأثير : ضنت — بفتح الضاد والنون — كثر أولادها وضنت المرأة تضنى — بكسر النون — ضنى ، وأضنت . وضنأت وأضنأت : إذا كثر أولادها .

وفى اللسان : ضنأت المرأة تضنأ ضنأ وضنوءاً وأضنأت : كثر ولدها . فهى ضانىء وضانئة ، وقيل . ضنأت تضنأ ضنأ وضنوءاً إذا ولدت . وفى مادة ضيأ قال اللسان : ضيأت المرأة — بفتح الضاد وتضعيف الياء مع فتح وفتح الهمزة — كثر ولدها . والمعروف ضنأ . قال : وأرى الأول تصحيفا .

قال ابن إسحاق : فبلغ ماء من مياههم ؛ يقال له الكُدْر ، فأقام عليه ثلاث لَيالٍ ثم رجع إلى المدينة ، ولم يَلْق كيداً ، وأقام بها بقيّة شوّال وذا القعدة ، وأفدى فى إقامته تلك جُلّ الأسارى من قُرَيْش .

غزوة السويق

قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام : قال : حدثنا زيادُ بن عبد الله البكّائى ، عن محمد بن إسحاق المُطّلبى ، قال : ثم غزا أبو سُفيان بن حَرْب غَزْوة السَّويق فى ذى الحجة ، وولى تلك الحجة المُشركون من تلك السنة ، فكان أبو سفيان كما حدثنى محمد بن جعفر بن الزُّبير ، ويزيد بن رُومان ومن لا أتّهم ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، وكان من أعلم الأنصار ، حين رجع إلى مكة ، ورجع فَلُّ قُرَيش من بدر ، نذر أن لا يَمسّ رأسَه ماء من جَنابةٍ حتى يَغزو محمداً صلى الله عليه وسلم ، فخرج فى مِئتَىْ راكبٍ من قُرَيش ، ليُبِرّ يمينه ، فسلك النَّجْدِيَّة ، حتى نزل بصَدْرِ قَناةٍ إلى جَبَل يقال له : ثَيب ، من المدينة على بَريد أو نحوه ، ثم خرج من الَّليل ، حتى أتى بنى النَّضير تحت الَّليل ، فأتى حُيَىّ بن أخْطَب ، فضرب عليه بابَه ، فأبَى أن يفتح له بابَه وخافَه ، فانصرف عنه إلى سَلاّم بن مِشْكَم ، وكان سيِّد بنى النَّضير فى زمانه ذلك ، وصاحب كنزهم ، فاستأذن عليه ، فأذِن له ، فقَراه وسَقاه ، وبَطَن له من خبر الناس ، ثم خرج فى عقب ليلته حتى أتى أصحابَه ، فبعث رجالاً من قُرَيش إلى المدينة ، فأتَوْا ناحية منها ، يقال لها : العُرَيض ، فحرقوا فى أصْوار من نَخل بها ، ووجدوا بها رجلاً من الأنصار وحَليفاً له فى حَرْث لهما ،

فقتلوهما ، ثم انصرفوا راجعين ، ونَذِرَ بهم الناسُ . فخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى طلبهم ، واستعملَ على المدينة بَشيرَ بن عبدِ المُنذِر ، وهو أبولُبَابة ، فيما قال ابنُ هِشَامٍ ، حتى بلغ قَرْقَرة الكُدْر ، ثم انصرف راجعاً ، وقد فاته أبو سفيان وأصحابُه ، وقد رأوْا أزوادًا من أزواد القوم قد طَرحوها فى الحرث يتخفَّفون منها للنَّجاء ، فقال المسلمون ، حين رجع بهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : يارسولَ الله ، أتَطمع لنا أن تكون غزوة ؟ قال : نعم .

قال ابن هشام : وإنما سُمِّيت غزوة السَّوِيق ، فيما حدَّثنى أبو عُبَيدة : أنَّ أكثر ما طرح القومُ من أزوادهم السَّوِيقُ ، فهجم المسلمون على سَوِيق كثير ، فسُمِّيت غزوة السويق .

قال ابن إسحاق : وقال أبو سُفيان بن حَرْب عند مُنْصَرَفِه ، لما صنع به سَلَّام بن مِشْكَم :

وإنى تخيَّرتُ المدينةَ واحداً ... لِحِلْفٍ فلم أندَمْ ولم أتَلوَّمِ
سقانى فرَوَّانى كُمَيْتاً مُدامةً ... على عَجَلٍ منى سَلامُ بن مشكم
ولما تولَّى الجيشُ قلتُ ولم أكُنْ ... لأُفْرِحَه : أبشِرْ بعزٍّ ومَغْنَمِ
تأمَّلْ فإنَّ القومَ سِرٌّ وإنهم ... صَرِيحُ لُؤَىّ لا شَمَاطِيطُ جُرْهُمِ
وما كان إلا بعضَ ليلةِ راكبٍ ... أتى ساعياً من غير خَلَّة مُعْدِمِ

غزوة ذى أمر

فلما رجع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من غَزْوة السَّوِيق ، أقام بالمدينة

رفع
المسـهم
عز الله لطول الدين

بقية ذى الحجة أو قريباً منها ، ثم غزا نجداً ، يريد غطَفان ، وهى غزوة ذى أَمَرَ ، واستعمل على المدينة عثمان بن عفّان فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : فأقام بنَجْد صفراً كلّه أو قريباً من ذلك ، ثم رجع إلى المدينة ، ولم يَلْقَ كيداً . فلَبث بها شهر ربيع الأوّل كُلّه ، أو إلا قليلاً منه .

غزوة الفرع من بحران

ثم غزا (رسولُ الله) صلى الله عليه وسلم ، يريد قريشاً ، واستعمل على المدينة ابنَ أمّ مَكتوم ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : حتى بلغ بَحرانَ ، مَعْدِناً بالحجاز من ناحية الفُرُع ، فأقام بها شهر ربيع الآخر وجُمادى الأولى ، ثم رجع إلى المدينة ولم يلْق كيداً .

أمر بنى قينقاع

نصيحة الرسول لهم وردهم عليه

(قال) : وقد كان فيما بين ذلك ، من غزْو رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرُ بنى قَيْنُقَاع ، وكان من حديث بنى قَيْنُقَاع أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم جمعهم بسُوق بنى قَيْنُقَاع ، ثم قال : يامَعْشَرَ يهُودَ ، احذروا من الله مثل ما نزل بقُريش من النِّقْمة ، وأسْلِموا ، فإنّكم قد عرَفتم أنّى نبىٌّ مُرْسَلٌ . تجِدون ذلك فى كتابكم وعهد الله إليكم ، قالوا : يامحمد، إنك ترَى أنَّا قومُك ! لا يغُرّنك أنك لقِيتَ قوماً لاعِلْمَ لهم بالحرب ، فأصبْتَ منهم فُرْصَة ، إنّا والله لئن حاربناك لتعلَمَنَّ أنَّا نحنُ الناسَ .

ما نزل فيهم

قال ابن إسحاق: فحدثني مولى لآل زيد بن ثابت عن سعيد بن جبير، أو عن عكرمة عن ابن عباس، قال: ما نزل هؤلاء الآيات إلا فيهم: ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ. قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا ﴾: أي أصحاب بدر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقريش ﴿ فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ، وَاللهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾.

كانوا أول من نقض العهد

قال ابن إسحاق: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة: أن بني قَيْنُقَاع كانوا أوّل يهودَ نقضوا ما بينهم وبين رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، وحاربوا فيما بين بدر وأحد.

سبب الحرب بينهم وبين المسلمين

قال ابن هشام: وذكر عبدُ الله بن جعفر بن المِسْوَرِ بن مَخْرَمَةَ، عن أبي عَوْن، قال: كان من أمر بني قَيْنُقَاع أن امرأةً من العرب قَدِمتْ بجَلَب لها، فباعته بسوق بني قَيْنُقاع، وجلست إلى صائغ بها. فجعلوا يُريدونها على كَشْف وجهها، فأبَت، فعمد الصائغ إلى طَرَف ثوبها فعقده إلى ظهرها، فلما قامت انكشفت سَوْءتها، فضحِكوا بها، فصاحتْ. فوثب رجلٌ من

المسلمين على الصائغ فقتله ، وكان يهوديًّا ، وشدَّت اليهود على المُسلم فقتلوه ، فاستصرخ أهلُ المُسلم المسلمينَ على اليهود ، فغَضِب المسلمون ، فوَقع الشرّ بينهم وبين بنى قَيْنُقاع .

ما كان من ابن أُبىّ مع الرسول

قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصمُ بن عمر بن قتادة ، قال : فحاصرهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى نَزلوا على حُكْمه ، فقام إليه عبدُ الله بن أُبىّ بن سَلُول ، حين أمْكنه الله منهم ، فقال : يامحمد ، أحسنْ فى مَوالِىَّ ، وكانوا حُلفاء الخزرج ، قال : فأبطأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال : يامحمد أحْسِنْ فى مَوالِىَّ ، قال : فأعرض عنه فأدْخل يدَه فى جَيْب دِرْع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام : وكان يقال لها : ذاتُ الفُضُول .

قال ابن إسحاق : فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أرْسلنى ، وغَضِب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى رأوا لوجهه ظُلَلا ، ثم قال : ويحك! أرسلنى ؛ قال : لا والله لا أرسلك حتى تُحْسن فى موالىّ ، أربع مائة حاسر وثلاث مائة دارع قد مَنعونى من الأحمر والأسود ، تَحْصدهم فى غَداة واحدة ، إنى والله امرؤٌ أخشى الدوائر ؛ قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هُم لك .

مدة حصارهم

قال ابن هشام : واستعمل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على المدينة في مُحاصرته إياهم بَشير بن عبد المُنذر، وكانت مُحاصرته إياهم خمسَ عشرَة ليلة.

تبرؤ ابن الصامت من حلفهم وما نزل فيه وفي ابن أُبيّ

قال ابن إسحاق : وحدثني أبي إسحاقُ بنُ يَسار ، عن عُبادة بن الوَليد ابن عبادة بن الصامت ، قال : لما حاربت بنو قَيْنُقاع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، تشبَّث بأمرهم عبدُ الله بن أُبيّ بن سَلُول ، وقام دونهم . قال : ومشى عُبادة بن الصامت إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أحدَ بني عوف ، لهم من حِلفه مثلُ الذي لهم من عبد الله بن أُبيّ ، فخلعهم إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وتبرأ إلى الله عزّ وجلّ ، وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم من حِلفهم ، وقال : يارسولَ الله ، أتولى اللهَ ورسوله صلى الله عليه وسلم والمُؤمنين ، وأبرأ من حِلف هؤلاء الكفار وولايتهم . قال : ففيه وفي عَبد الله بن أُبيّ نزلت هذه القصة من المائدة ﴿ يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاتَتَّخِذُوا اليَهُودَ والنَّصارَى أَوْلِياءَ بَعْضُهُم أَوْلِياءُ بَعْضٍ ، وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فإنَّهُ مِنْهُمْ ، إنَّ اللهَ لا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ * فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾ أي لعبد الله بن أُبيّ وقوله : إني أخشى الدائر ﴿ يُسارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنا دائِرَةٌ ، فَعَسَى اللهُ أَنْ يَأْتِيَ بالفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ ، فَيُصْبِحُوا عَلَى ما أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ

نادِمِين * وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَموا باللهِ جَهْدَ أَيمَانِهِمْ ﴾، ثم القصة إلى قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا ، الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ راكِعُونَ ﴾ . وذكر لتولى عُبادة بن الصامت الله ورسوله والذين آمنوا ، وتبرئه من بنى قَيْنقاع وحِلفهم وولايتهم : ﴿ ومَنْ يَتَوَلَّ اللهَ ورَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فإنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الغالِبُونَ ﴾ .

سرية زيد بن حارثة إلى القردة

إصابة زيد للعير وإفلات الرجال

قال ابن إسحاق : وسَرِيَّةُ زيد بن حارثة التى بعثه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فيها ، حين أصاب عِيرَ قُرَيش ، وفيها أبو سفيان بنُ حَرْب ، على القَرَدة ماء من مياه نجد . وكان من حديثها : أنّ قريشاً خافُوا طريقَهم الذى كانوا يسلكون إلى الشأم ، حين كان من وَقْعة بدر ما كان ، فسلكوا طريقَ العراق ، فخرج منهم تُجّار ، فيهم أبو سفيان بن حرب ، ومعه فضّة كثيرة ، وهى عُظْم تجارتهم ، واستأجروا رجلا من بنى بكر بن وائل ، يقال له : فُراتُ ابن حيّان يدُلُّهم فى ذلك على الطريق .

قال ابن هشام : فُرات بن حيّان ، من بنى عِجْل ، حليف لبنى سَهْم .

قال ابن إسحاق : وبعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة

فلقيهم على ذلك الماء ، فأصاب تلك العير وما فيها ، وأعجزه الرجالُ ، فقدِم بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

شعر حسان فى تأنيب قريش

فقال حسّان بن ثابت بعد أُحُد فى غزوة بدر الآخرة يؤنب قريشاً لأخذهم تلك الطريق :

دَعُوا فَلَجاتِ الشام قد حال دونها ... جلادٌ كأفواه المَخاض الأوارِكِ
بأيْدِى رجال هاجَرُوا نحو ربِّهم ... وأنصارِه حَقًّا وأيْدِى الملائك
إذا سَلَكتْ للغَوْر من بَطْن عالِج ... فقُولا لها ليس الطَّريقُ هنالك

قال ابن هشام : وهذه الأبيات فى أبيات لحسّان بن ثابت ، نقضَها عليه أبو سُفْيان بن الحارث بن عبد المطَّلب ، وسنذكرها ونقيضَتها إن شاء الله (فى) موضعها .

مقتل كعب بن الأشرف

استنكاره خبر رسولى الرسول بقتل ناس من المشركين

قال ابن إسحاق وكان من حديث كَعْب بن الأشرف : أنه لما أُصيب أصحاب بدر ، وقدم زيدُ بن حارثة إلى أهل السّافلة ، وعبد الله بن رواحة إلى أهل العالية بَشِيرَيْن ، بعثهما رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مَنْ بالمدينة من المسلمين بفتح الله عزّ وجلّ عليه ، وقَتل مَنْ قُتل من المُشركين ، كما حدّثنى

عبدُ الله بن المُغيث بن أبي بُرْدة الظَّفَرِي ، وعبدُ الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزْم ، وعاصم بن عمر بن قَتادة ، وصالح بن أبي أُمامة بن سَهل ، كلٌّ قد حدَّثني بعضَ حديثه ، قالوا : قال كعب بن الأشرف ، وكان رجلا من طيِّئ ، ثم أحدَ بني نَبْهان ، وكانت أمُّه من بني النَّضير ، حين بلغه الخبرُ : أحقٌّ هذا ؟ أتَرَوْن محمداً قتل هؤلاء الذين يُسمِّي هذان الرجلان - يعني زيداً وعبد الله ابن رواحة - فهؤلاء أشراف العرب وملوكُ الناس ، والله لئن كان محمَّد أصاب هؤلاء القوم لبطنُ الأرض خيرٌ من ظهرها .

شعره في التحريض على الرسول

فلما تيقَّن عدوّ الله الخبرَ ، خرج حتى قَدِم مكَّة ، فنزل على عبدالمطَّلب بن أبي وَداعة بن ضُبيرة السَّهْمي ، وعنده عاتكة بنت أبي العيص بن أُميَّة بن عبد شمس بن عبد مناف ، فأنزلته وأكرمته ، وجعل يحرِّض على رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، ويُنشد الأشعار ، ويبكي أصحاب القَليب من قُريش ، الذين أُصيبُوا ببدر ، فقال :

طَحَنَتْ رَحَى بَدْرٍ لمَهْلِك أهله ... ولمثْلِ بدْرٍ تَسْتَهِلُّ وتَدْمَعُ

قُتلت سَراةُ الناس حول حياضِهم ... لا تَبْعَدوا إنَّ المُلوك تُصرَّعُ

كم قد أُصيب به منَ أبيَض ماجدٍ ... ذي بَهجة يأوِي إليه الضُّيَّعُ

طَلْق اليَدَيْن إذا الكواكبُ أخلَفتْ ... حَمَّالُ أثقالٍ يَسُود ويَرْبَعُ

. . . .

ويقول أقوامٌ أُسَرٌ بسُخطهم ... إنّ ابنَ الأشرفِ ظلّ كعْباً يجْزَع
صدقوا فليتَ الأرض ساعةَ قُتّلوا ... ظلّت تَسُوخ بأهلها وتُصدَّع
صار الذى أثَرَ الحديثَ بطَعْنه ... أو عاش أعْمى مُرْعَشاً لا يَسْمَعُ
نُبِّئْت أن بَنى المُغيرة كلّهم ... خَشَعوا لقتل أبى الحكيم وجُدّعوا
وابنا ربيعة عنـــده ومُنَبِّهٌ ... ما نال مثل المُهْلَكين وتُبَّع
نُبِّئْتُ أنّ الحارث بن هشامهم ... فى الناس يَبْنى الصَّالحات ويجمع
لِيَزورَ يثرِبَ بالجُمُوع وإنما ... يَحْمى على الحَسَبِ الكريمُ الأرْوَع

قال ابن هشام : قوله « تُبَّع » ، « وأُسَرٌ بسُخطهم » . عن غير ابن إسحاق .

شعر حسان فى الرد عليه

قال ابن إسحاق : فأجابه حسّان بن ثابت الأنصاريّ ، فقال :

أبَكَى لكَعْبٍ ثم عُلَّ بعَبْرة ... منه وعاش مُجَدَّعاً لا يَسْمَعُ
ولقد رأيتُ ببَطن بدرٍ منهمُ ... قَتْلى تَسُحّ لها العيون وتَدْمَع
فابكى فقد أبكيتَ عبداً راضعاً ... شِبْهَ الكُلَيْب إلى الكُلَيْبة يَتْبَع
ولقـــد شَفَى الرحمن منا سيِّداً ... وأهانَ قَوْماً قاتلوه وصُرّعوا
ونجا وأفْلِت منهُم مَن قَلْبُه ... شَغِفٌ يظَلّ لخوفه يتصدّع

قال ابن هشام : وأكثر أهلِ العلم بالشِّعر يُنكرها لحسّان وقوله « أبَكَى لكعب » عن غير ابن إسحاق .

. . . .

شعر ميمونة فى الرد على كعب

قال ابن إسحاق : وقالت امرأةٌ من المسلمين من بنى مُرَيْد ، بطن من بَلِيّ كانوا حلفاء فى بنى أُميّة بن زيد ؛ يقال لهم : الجعادرة ، تُجيب كعباً — قال ابن إسحاق : اسمها ميمونة بنت عبد الله ، وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر هذه الأبيات لها ، وينكر نَقيضَتها لكعب بن الأشرف :

تحنَّن هذا العبدُ كلَّ تحنُّن ... يُبَكى على قَتْلى وليس بناصبِ
بكتْ عينُ من يبكى لبدر وأهله ... وعُلَّت بمثليها لُؤىّ بن غالِب
فليتَ الذين ضُرِّجوا بدِمائهم ... يَرى ما بهم من كان بين الأخاشب
فيَعلَمَ حقاً عن يقين ويُبْصِروا ... مَجَرَّهم فوق اللِّحَى والحواجب

شعر كعب فى الرد على ميمونة

فأجابها كعب بن الأشرف ، فقال :

ألا فازجُرُوا منكم سفيهاً لتَسْلَمُوا ... عن القول يأتى منه غيرَ مُقارِبِ
أتَشْتُمنى أن كنتُ أبكى بعَبْرة ... لقومٍ أتانى وُدُّهم غيرُ كاذب
فإنى لباكٍ ما بقيتُ وذاكر ... مآثر قوم مجدُهم بالجباجب
لعَمْرى لقد كانت مُرَيْدٌ بمَعْزِل ... عن الشرّ فاحتالت وُجوهَ الثعالب
فحُقّ مُرَيْدٌ أنْ تجدَّ أنوفُهم ... بشَتْمِهمُ حَيَّىْ لؤىّ بن غالب
وَهَبْتُ نَصيبى من مُرَيْد لجَعْدَر ... وفاءً وبيتُ الله بين الأخاشب

تشبيب كعب بنساء المسلمين والحيلة فى قتله

ثم رجع كعب بن الأشرف إلى المدينة فَشَبَّب بنساء المُسلمين حتى آذاهم.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما حدثنى عبدُ الله بن المُغيث بن أبي بُرْدة مَنْ لى بابن الأَشْرَفِ؟ فقال له محمدُ بن مَسْلَمَةَ، أخو بنى عَبْدِ الأشهل: أنا لك به يارسولَ الله، أنا أقتُله؛ قال: فافعلْ إن قدَرْتَ على ذلك. فرجع محمد بن مَسْلمة فمكث ثلاثاً لا يأكل ولا يشرب إلا ما يُعلِقُ به نفسه، فذُكِر ذلك لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم، فدعاه، فقال له: لمَ تركتَ الطعام والشراب؟ فقال يارسولَ الله، قلت لك قولا لا أدرى هل أفينَّ لك به أم لا؟ فقال: إنما عليك الجهد؛ فقال: يا رسول الله، إنه لابدّ لنا من أن نقول، قال: قولوا ما بدا لكم، فأنتم فى حلّ من ذلك. فاجتمع فى قتله محمدُ بن مَسْلمة، وسِلْكان بن سَلاّم بنِ وَقْشٍ، وهو أبو نائلة، أحد بنى عبد الأشهل، وكان أخا كَعْب بن الأشرف من الرّضاعة، وعبّاد بن بِشْر بن وقش، أحدُ بنى عَبْد الأشهل، والحارث بن أوس بن مُعاذ، أحد بنى عبد الأشهل، وأبو عَبْس بن جَبْر، أحد بنى حارثة؛ ثم قدّموا إلى عدوّ الله كَعْب بن الأشرف، قبل أن يأتوه، سِلْكان بن سَلامة [بن وَقْش] أبا نائلة، فجاءه، فتحدّث معه ساعة، وتناشدُوا شعراً، وكان أبو نائلة يقول الشعر، ثم قال: وَيْحَكَ يابن الأَشْرَفِ! إنى قد جئتُك لحاجة أُريد ذكرها لك، فأكتم عنى؛ قال: أفعلُ؛ قال: كان قُدُوم هذا الرجل علينا بلاء من البلاء، عادَتْنا به العربُ، وَرَمَتْنا عن قوس واحد، وقَطَعَت عنّا السُّبُل حتى ضاع العِيال، وجُهِدت الأنفس، وأصبحنا قد جُهِدْنا وجهد عيالُنا؛ فقال كعب:

أنا ابنُ الأشْرَف ، أما والله لقد كنتُ أخبرك يابن سلامة أن الأمر سيَصير إلى ما أقول ؛ فقال له سِلْكَان : إني قد أردتُ أن تَبيعنا طعاماً ونَرْهنك ونُوثِقَ لك ، وتُحْسِن في ذلك ؛ فقال : أتَرْهنوني أبناءَكم ؟ قال : لقد أردتَ أن تَفضَحنا ، إنّ معي أصحاباً لي على مثل رأيي ، وقد أردتُ أن آتيك بهم ، فتَبيعهم وتُحْسن في ذلك ، ونَرْهَنُك من الحَلْقَة مافيه وَفاء ، وأراد سِلْكان أن لا يُنْكر السِّلاح إذا جاءوا بها ؛ قال : إن في الحَلْقة لوَفاء ، قال : فرجع سِلْكان إلى أصحابه فأخبرَهم خبرَه ، وأمرهم أن يأخذوا السلاح ، ثم يَنْطلقوا فيَجْتمعوا إليه ، فاجتمَعُوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام : ويقال : أتَرْهَنُوني نساءكم ؟ قال : كيف نَرْهنُكَ نساءَنا وأنت أشبّ أهل يَثْرِب وأعْطرهم ؛ قال : أتَرْهَنُوني أبناءكم ؟

قال ابن إسحاق : فحدّثني ثَوْر بن زَيْد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : مشى معهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى بَقيع الغَرْقد ، ثم وجَّههم ، فقال : انطلقوا على اسم الله ؛ اللهمّ أعنْهم ، ثم رجع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى بيته ، وهو في ليلة مُقْمِرة ، وأقبلوا حتى انتهوا إلى حِصْنه ، فهَتف به أبو نائلة ، وكان حديث عهد بعُرْس ، فوثب في مِلْحَفَتِه ، فأخذت امرأتُه بناحيتها ، وقالت : إنك امرُؤٌ محارب ، وإن أصحاب الحرب لا ينزلون في هذه السّاعة ، قال : إنه أبو نائلة ، لو وجدني نائماً لما أيقظني ، فقالت : والله إني لأعرف في صَوْته الشرّ ؛ قال يقول لها كَعْب : لو يُدْعَى الفتى لطعْنة لأجاب . فنزل فتحدّث معهم ساعة ، وتحدّثوا معه ، ثم قال : هل لك يابن

الأشرف أن تَماشى إلى شعْب العَجوز ، فنتحدّث به بقيّة ليلتنا هذه ؟ قال : إن شئتم . فخرجوا يَتماشَون ، فمشَوا ساعة ، ثم إن أبا نائلة شامَ يده في فَوْد رأسه ، ثم شمّ يده فقال : مارأيت كالليلة طِيباً أعْطرَ قطُّ ، ثم مَشَى ساعة ، ثم عاد لمثلها حتى اطمأنّ ، ثم مشى ساعةً ، ثم عاد لمثلها ، فأخذ بفَوْد رأسِه ، ثم قال: اضْربوا عدوّ الله ، فضربوه ، فاختلفت عليه أسيافُهم ، فلم تُغن شيئاً .

قال محمد بن مَسْلمة : فذكرتُ مِغْوَلاً في سيْفي ، حين رأيتُ أسيافَنا لا تُغْني شيئاً ، فأخذتُه ، وقد صاح عدوّ الله صيحة لم يبقَ حولنا حِصْنٌ إلا وقد أُوقدتْ عليه نارٌ ، قال : فوضعته في ثُنّته ثم تحاملتُ عليه حتى بلغتُ عانته ، فوقع عدوُّ الله ، وقد أُصيب الحارث بنُ أوس بن مُعاذ ، فجُرح في رأسه أو في رجله ، أصابه بعضُ أسيافنا . قال : فخرجنا حتى سَلَكنا على بني أُميَّة بن زيد ، ثم على بني قُرَيظة ، ثم على بُعاث حتى أسْنَدْنا في حَرّة العُرَيْض ، وقد أبطأ علينا صاحبُنا الحارث بن أوْس ، ونَزَفه الدمُ ، فوَقَفْنا له ساعة ، ثم أتانا يَتْبَع آثارَنا . قال : فاحتملناه فجئْنا به رسولَ الله صلى الله عليه وسلم آخرَ الليل ، وهو قائم يصلِّي ، فسلَّمنا عليه ، فخرج إلينا ، فأخبرْناه بقَتْل عدوّ الله ، وتَفَل على جُرح صاحبنا ، فرجَع ورَجَعْنا إلى أهلنا فأصْبحنا وقد خافتْ يهود لِوَقْعتنا بعدوّ الله ، فليس بها يهوديٌّ إلا وهو يَخاف على نفسه .

شعر كعب بن مالك في مقتل ابن الاشرف

قال ابن إسحاق : فقال كَعْب بن مالك :

فغُودِر منهمُ كعبٌ صريعاً ... فذَلَّتْ بعــد مَصرَعه النَّضِيرُ
على الكفَّين ثمَّ وقد عَلَتْه ... بأيْدينا مشهــرةٌ ذكُور
بأمر محمد إذ دسَّ ليــلاً ... إلى كَعْب أخا كَعب يَسِير
فما كرَهُ فأنزله بمَكْر ... ومحمودٌ أخُو ثِقَة جَسُور

قال ابن هشام : وهذه الأبياتُ فى قصيدة له فى يوم بنى النَّضير ، سأذكرُها إن شاء الله فى حديث ذلك اليوم .

شعر حسان فى مقتل ابن الأشرف وابن أبى الحقيق

قال ابن إسحاق : وقال حسَّان بن ثابت يَذكر قتلَ كَعْب بن الأشْرفِ وقَتل سَلاَّم بن أبى الحُقَيق :

لله درُّ عِصابة لاقيتهم ... يابن الحُقَيق وأنت يابن الأشْرفِ
يَسْرُون بالبِيض الخِفاف إليكمُ ... مَرَحاً كأُسْدٍ فى عَرِينٍ مُغْرف
حتى أتوكمْ فى مَحلّ بِلادكم ... فَسقَوكم حَتْفاً بِبِيض ذُفَّفِ
مُسْتَنصرين لنَصْر دين نبيِّهم ... مُسْتَصغرين لكُلِّ أمرٍ مُجْحف

قال ابن هشام: وسأذكر قتلَ سلاَّم بن أبى الحُقَيق فى موضعه إن شاء الله .

وقوله : « ذفف » عن غير ابن إسحاق .

. . . .

غزوة قرقرة الكدر

القَرْقَرَةُ : أرض مَلْساء ، والكُدْرُ : طير فى ألوانها كُدْرَةٌ ، عرف بها ذلك الموضعُ ، وقد كان عمرُ بنُ الخطابِ ـ رضى الله عنه ـ يذكر مسيرَه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فى تلك الغَزْوَةِ ، فقال لعِمْرَان بن سَوَادَةَ حين قال له : إن رعيتك تشكو منك عُنْفَ السِّيَاقِ ، وقهر الرعية فدقر على الدِّرَّةِ ، وجعل يَمْسَحُ سُيُورَها ، ثم قال : قد كنتُ زَمِيلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قَرْقَرَةِ الكُدْرِ(١) ، فكنتُ أَرْتَعُ فأُشْبِعُ وأَسْقِى فأُرْوِى ، وأُكْثِرُ الزَّجْرَ ، وأُقِلُّ الضربَ ، وأَرُدُّ العَنُودَ ، وأزجر العَرُوضَ ، وأضم اللَّفُوتَ ، وأُشْهِر العصا ، وأَضْرِبُ باليد ، ولولا ذلكَ لأَغْدَرْتُ [بعض ما أسوق](٢) أى : لضَيَّعْتُ فتَرَكْتُ ، يذكر حُسْنَ سياسته ، فيما وَلِىَ من ذلك . والعَنُود : الخارجُ عن الطريق ، والعَرُوضُ المُسْتَصْعَبُ من الناس والدَّوابِّ .

---

(١) بفتح القافين ، وحكى البكرى ضمهما ، وقال الدميرى وغيره : والمعروف فتحهما . وقال ابن سعد : ويقال : قرارة الكدر . وفى الصحاح : قراقر على فعالل بضم القاف اسم ماء ، ومنه غزاة قراقر .

(٢) كلام عمر فى ذكر حسن سياسته . أرتع فأشبع : يحسن الرعاية للرعية ، ويدعهم حتى يشبعوا فى المرتع . وأضم اللفوت . فى رواية : وأنهز اللفوت ، وأضم العنود . اللفوت : الناقة الضجور عند الحلب ، تلتفت إلى الحالب فتعضه ، فينهزها بيده ، فتدر لتفتدى باللبن من النهز ، وهو الضرب ، فضربها مثلا للذى يستعصى ، ويخرج عن الطاعة . ولا غدرت بعض ما أسوق : أى لخلفت ، شبه نفسه بالراعى ورعيته بالسرح ، وروى : لغدرت ، أى لألقيت ناس فى الغدر ، وهو مكان كثير الحجارة .

رفع المساهم

. . . .

وذكر أنَّ أبا سفيان كان نذر ألَّا يَمَسَّ رأسه ماء من جنابةٍ ، حتى يغزُوَ محمداً . في هذا الحديث أن الغسل من الجنابة كان معمولا به في الجاهلية بقيَّةً من دين إبراهيمَ وإسماعيل ، كما بقي فيهم الحجُّ والنكاحُ ؛ ولذلك سمّوها جنابةً ، وقالوا : رجلٌ جُنُبٌ وقوم جُنُبٌ ، لمجانبتهم في تلك الحال البيتَ الحرامَ ، ومواضعَ قُرُباتهم ، ولذلك عُرِف معنى هذه الكلمةِ في القرآن أعنى قولَه ﴿ وإن كُنْتُم جُنُباً فاطَّهَّرُوا ﴾ فكان الحدثُ الأكبرُ معروفاً بهذا الاسم ، فلم يحتاجوا إلى تفسيره ، وأما الحدَثُ الأصغرُ ، وهو الموجب للوضوء ، فلم يكن معروفا قبل الإسلام ؛ فلذلك لم يقل فيه : وإن كنتم مُحْدِثين ، فتوضئوا كما قال : ﴿ وإن كُنْتم جُنُباً فاطَّهَّرُوا ﴾ بل قال : ﴿ فاغسِلوا وُجُوهَكم وأيديَكم إلى المرافِق ﴾ الآية « المائدة : ٦ » فبين الوضوء وأعضاءه وكيفيته ، والسببَ الموجِبَ له كالقيام من النوم والمجيء من الغائطِ ، ومُلامَسَةِ النِّساء ، ولم يحتج في أمر الجنابة إلى بيانٍ أكثرَ من وُجوب الطَّهارة ، منها : الصلاةُ .

وقولَه : أصْوَار نخْلٍ ، هي : جمع صَوْرٍ . والصَّوْرُ : نخلٌ مُجْتمِعَةٌ .

سلام بن مشكم :

وذكر سَلَّامَ بنَ مِشكمٍ ، ويقال فيه سَلَامٌ ، ويقال : إنه ولد شَعْثاء التي يقول فيها حسَّان :

لِشَعْثاءَ التي قَدْ تَيَّمَتْهُ فليس لِقَلْبِه منها شِفَاءُ

رفع المسهم

. . . .

وقول أبي سفيان: شَمَاطِيط جُرْمُم. الشَّماطِيط: الخيل المتفرِّقة، ويقال للأخلاط من الناس أيضاً شَماطِيط، وأصله من الشَّمِيطِ، وهو اختلاطُ الظَّلام بالضوء، ومنه الشَّمَطُ في الرأس.

وقوله: ولم أكن لأُقْرِحَه، والمُقْرَحُ: الذي قد أثقله الدَّيْنُ، وقد تقدم شرحه.

وذكر أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أتى بُحْرَانَ مَعْدِناً بالحجاز من ناحية الفُرُع، فأقام به شهر ربيع الآخر، وجُمادى الأولى. الفُرُعُ بضمتين، يقال: هي أول قرية مَارَتْ إسماعيلَ وأمَّه التَّمْرَ بمكة، وهي من ناحية المدينة، وفيها عَيْنَان يقال لهما الرُّبُضُ والنَّجَفُ يَسْقِيانِ عشرينَ ألفَ نخلةٍ كانت لحمزةَ بن عبدِ الله بن الزُّبَيْر. وتفسير الرُّبُضِ: منابتُ الأَراكِ في الرَّمْلِ والفَرَعُ بفتحتين موضع بين الكوفة والبَصْرَةِ. قال سُوَيْدُ بن أبي كَاهِلٍ:

حَلَّ أهْلِيَ حيثُ لا أطلُبُها ... جانِبَ الحَضْرِ وحلَّتْ بالفَرَعْ(١)

ثم رجع إلى المدينةِ. وقول ابن إسحاق: أقام شهر ربيع وجُمادى لأن الربيع مُشْتَرَكٌ بين اسم الشَّهْرِ، وزَمَنِ الربيع، فكان في لفظ الشَّهْر بيانٌ لما أراد. وجمادى اسمٌ عَلَمٌ ليس فيه اشتراكٌ، وقد قدمنا قولَ سِيبَوَيْهِ، ومما لا يكونُ العملُ إلا فيه كُلِّه المحرَّم وصَفَر يعني هذه الأسماء كُلَّها، وكذلك أسماء

(١) وقبله:

أرق العين خيال لم يدع ... من سليمى، ففؤادي منتزع

. . . .

الأيام ، لا تقول : سِرْتُ الخميسَ ولا مشيتُ الأربعاء إلا والعملُ فيه كُلِّه حتى تقول يوم الأربعاء ، أو يَوْمَ كذا ، وفى الشُّهور شَهْرُ كذا ، فحينئذ يكون ظرفاً لايدل على وقوع العمل فيه كُلِّه .

خبر بنى قينقاع

وقد تقدم منه طَرَفٌ قبل غَزْوَة بَدْرٍ .

وفيه أن عبد الله بن أُبَيٍّ قال للنبيِّ صلى الله عليه وسلم : أَحْسِنْ فى مَوَالِىَّ وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم - غَضِبَ حتى رَأَوْا لِوَجْهِهِ ظِلَالاً ، هكذا فى نُسْخَةِ الشيخ مُصَحَّحاً عليه ، وفى غيرها ظُلَلَا جمع ظُلَّة ، وقد تُجْمَعُ فُعْلَة على فِعال نحو بُرْمَةٍ وبِرام وجُفْرَةٍ وجِفارٍ [1] فمعنى الرِّوَايَتَيْن إذاً واحِدٌ ، والظُّلَّةُ ماحَجَبَ عنك ضوءَ الشَّمْسِ وصَحْوَ السماء ، وكان وجْهُ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مُشْرِقاً بَسَّاماً ، فإذا غَضِبَ تَلَوَّنَ ألواناً فكانت تلك الألوان حائِلَةً دون الإشْرَاقِ والطَّلَاقةِ والضِّيَاءِ المُنْتَشِر عند تَبَسُّمِه ، وقد رُوِى أنه كان يَسْطَعُ على الجِدَار نورٌ من ثَغْرِه إذا تَبَسَّم ، أو قال : تَكَلَّم ، يُنْظَر فى الشَّمَائِل للتِّرْمِذِىِّ .

---

(١) برمة : قدر من الحجارة ، والجفرة : جوف الصدر ، وقيل ما يجمع البطن والجنبين ، وقيل منحنى الضلوع . ومثلهما براق جمع برقة وهى أرض غليظة مختلطة بالحجارة ، وقلال جمع قلة : الجرة العظيمة ، وجباب جمع جبة : نوع من الثياب ، وقباب وحلال . ويكثر هذا فى المضاعف ، ويقتصر فى الأجوف على فعال ، كـور ودول .

رفع عبد الرحمن الهجري

. . . .

وذكر فيه الآية التي نزلت فيهم: ﴿قد كان لكم آيةٌ في فِئَتَيْن﴾ الفِئَةُ على وزن فِعَة من فأَوْتُ رأسَه بالعصا إذا شققته، أو من الفَأْو، وهي جبالٌ مُجتمِعةٌ، وبينهما فُسحةٌ من الأرض، فحقيقةُ الفِئةِ الفِرْقَةُ التي كانت مُجتمِعةً مع الأخرى، فافترقت(١).

سرية زيد

ذكر فيها فُرَاتَ بن حَيَّان العِجْلِيَّ منسوبٌ إلى عِجْل بن لُجَيْم بن صَعْب ابن عَلِيِّ بنِ بَكْرِ بن وَائِل. واللُّجَيْم: تصغيرُ لَجَم وهى دُوَيْبَةٌ تَطَيَّرُ بها العربُ، وأنشدوا:

لها ذَنَبٌ مثل ذَيْلِ العَرو ... س إلى سَبَّةٍ مِثْلِ جُحْرِ اللُّجَمْ

وكان عينَ قريش ودليل أبي سفيانَ، أسلم فُرَاتُ وحَسُن إسلامُه، وقال فيه رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - إن منكم رجالا نكلهم إلى إسلامهم، منهم فُرَاتُ(٢)، وأرسله رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم إلى ثُمَامَةَ بن

(١) وضع الراغب مئة في مادة فيأ، وقال: الفئة: الجماعة المتظاهرة التي يرجع بعضهم إلى بعض في التعاضد. ويقول ابن فارس عن مادة فأو: أصل صحيح يدل على انفراج في شيء. يقال: فأوت رأسه بالسيف فأوا. أي: فلقته، والفأو: فرجة ما بين الجبلين، ولم تذكر فيها كلمة فئة.

(٢) الذي خرج الحديث هو أبو العباس بن عقدة بسنده عن علي: أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بفرات بن حيان يوم الخندق، وكان عينا للمشركين، فأمر بقتله. فقال: إني مسلم، فقال: إن منكم من أتألفهم على الإسلام، وأكلهم إلى إيمانه، منهم: فرات بن حيان.

. . . .

أثَالٍ فى شأنِ مُسَيلِمَةَ ، ورِدَّتِه ، ومر به رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم ، وهو مع أبى هريرة ، والرَّجَّالُ بن عُنْفُوَةَ ، فقال : ضِرسُ أحدِكم فى النار مثل أُحُدٍ . فما زال فُرَاتٌ وأبو هُرَيْرَةَ خائفين حتى بلغهما رِدَّةُ الرَّجَّالِ ، وإيمانه بمُسَيلِمَةَ ، فخرّا ساجِدَين ، واسم الرَّجَّال : نَهَارُ بن عُنْفُوَةَ ، والعُنْفُوَةُ ضرب من النَّبْتِ ، يقال له الصِّلِّيَان .

وفيها يقول حسَّانُ :

دَعُوا فَلَجَاتِ الشَّأمِ قد حال دونها

الفَلَجَاتُ : جمع فَلَج ، وهى العين الجارية ، يقال : ماء فَلَجٌ ، وعين فَلَجٌ ، وذكره أبو حنيفة : فَلَحَات بالحاء المهملة ، وقال : الفَلَاحَةُ المزرعة[1] .

حول كلمة الخاصرة والملك :

وقوله : جِلَادٌ كأفواه المَخَاضِ الأوارِكِ .

أى : التى أكلت الأراكَ ، فَدَمِيَتْ أفواهُها ، والمَخَاضُ[2] واحدتُها خَلِفَةٌ من غير لفظها ، وهى الحَامِلُ [من النُّوق] ، وقد قيل فى الواحد مَاخِضٌ ، ومنه قول الطائى :

---

(١) ذكر السابق من معانى الفلجات : المزارع واستشهد على هذا بنفس بيت حسان ، وقال فى مادة فلح : والفلحة : القراح الذى اشتق للزرع عن أبى حنيفة ، وأنشد لحسان . ثم ذكر البيت .

(٢) الحوامل من النوق أو العشار التى أتى عليها من حملها عشرة أشهر

. . . .

وأخرتها عن وقتها وهى ماخِضُ

وعندى أن المخاضَ فى الحقيقة ليس بجمع ، إنما هو مصدر ؛ ولذلك وُصِف به الجميعُ ، وفى التنزيل : ﴿ فأجاءها المَخاضُ ﴾ وقولهم . ناقة ما خضٌ ، كقولهم : حامِل ، أى : ذاتُ مخاضٍ ، وذاتُ حَمْلٍ ، وقد يقول الرجُلِ لِنسائه أنْتُنَّ الطَّلاقُ ، فليس الطَّلاقُ بجمع ، وإنما معناه : ذَوَاتُ طَلاق ، وكذلك معنى المَخاضِ ، أي ذَواتُ مَخاضٍ ، غير أنه قيل للواحدة : ماخِضٌ ، ولم يقل : ناقة مَخاضٌ ، أى : ذاتُ مَخاضٍ ، كما يقال : امرأة زَوْرٌ وصَوْمٌ ، لأن المصدرَ إذا وُصِف به فإنما يُراد به التكثيرُ ولا تكثيرَ فى حَمْل الواحدةِ ، ألا ترى أنك تقول هى أصْوَمُ الناس ، وما أصْوَمَهاَ ، ولا يُقال إذا حبلت : ما أحْبَلَهاَ ، لأنه شىء واحد ، كما لا يقال فى الموت : ما أمْوَتَها ، فلما عُدِمَ قصدُ التكثير والمبالغة لم تُوصَف به ، كما لا تُوصَف بالسَّيْر إذا قلت : ماهى إلّا سَيْرٌ ، فإذا كانت إبلا كثيرةً حصل معنى الكثرة ، فوُصِفَتْ بالمخاض ، وهو المصدر لذلك ، فإن قلتِ : فقد يقول الرجل : أنتِ الطَّلاقُ ، وأنت الفِراقُ ، قلنا : فيه معنى التكثير والمبالغة ، ولذلك جاز لأنه شىء يَتمادَى ويدوم ، لاسيَّما إن أراد بالطلاقِ الطلاقَ كلَّه لا واحدةً ، وليس كذلك المَخاضُ والحَمْل ، فإن مُدَّتَه معلومةٌ ومقدارَهُ مُوَقَّتٌ .

وقوله :

بأيدى اللّائك ، هو جَمْع مَلَك على غَيْر لفظِه ، ولو جمعوه على لفظه لقالوا :

. . . .

أَمْلاك ، ولكن الميم من ملَك زائدة فيما زعموا ، وأصله مَألَكٌ من الأَلُوكِ ، وهى الرسالة ، قال لَبِيدٌ :

وغُلام أرسَلَتْهُ أمُّه بِأَلُوكٍ فَبَذَلنا ما سَأَلْ

وقال الطائى :

مَنْ مُبْلِغُ الفِتْيان عنى مَألُكاً أَنّى متى يَتَنَلَّوا أَتَهدَّمِ

و [أبو تمّام حَبيبُ بن أَوْسٍ] الطائىُّ وإن كان مُتَوَلّداً ، فإنما يُحتَجُّ به لِتَلَقِّى أهل العربية له بالقبول وإجماعهم على أنه لم يَلحَن ، وإذا كان الأصلُ فيه مَألَكاً فإنما قلبوه إرادةَ إلقاء الهمزة ، إذا سهلوا ولو سهّلوا مَألَكاً والهمزةُ متقدِّمةٌ لم تسقط ، وإنما تسقط إذا سَكَن قبلها ، فقالوا مَلَكٌ[1] ، فإذا جمعوا عادت الهمزة ، ولم تعد إلى موضعها لئلا تَرجع كجَمْع مَألُكةٍ ، وهى الرسالة ولو قيل : إن لفظَ مَلَكٍ مأخوذٌ من المَلَكُوتِ ، فلذلك لم يُهمَز ، لأن أكثرَ الملائكة ليسوا بِرُسُلٍ ، ولو أريد معنى الرسالة لقالوا مُؤْلَكٌ ، كما تقول : مُرْسَلٌ ، ولضُمَّت الميمُ فى الواحِد ، وتكون الهمزةُ على هذا زائدةً فى الجميع

(١) فى اللسان عن اشتقاق الملك من ألك . والملك مشتق منه وأصله : مألك ، ثم قلبت الهمزة إلى موضع اللام ، فقيل ملاك ، ثم خففت الهمزة بأن ألقيت حركتها على الساكن الذى قبلها فقيل : ملك . ويقول القرطبى أيضا : أصله مألك . الهمزة : فاء الفعل ، فإنهم قلبوها إلى عينه ، فقالوا : ملأك ثم سهلوه فقالوا ملك . وقيل أصله ملأك من ملك يملك نحو شمأل من شمل فالهمزة زائدة عن ابن كيسان أيضاً ، وقد تأتى فى الشعر على الأصل ، قال الشاعر ، ثم استشهد بالبيت الذى سنعلق عليه فى الرقم التالى .

رفع المسهم

. . . .

كما زادوها فى شمأل وهى من شملت الريح ، لكان هذا وجهاً حسناً ، وسرّ زيادة الهمزة فى شمألٍ، وهى من شمات الريح ، فأطلعت الهمزة رأسها لذلك ، إذ قد اجتمع فيها أنها مِنْ مِن شمل البيت ، وأنها شامية ، وكذلك الملائكة هم من الملكوت الله ، وفيهم رُسُلٌ ، و لواحد منهم من ملكوت الله فقط ، لأنه لا يتبعّض كما تتبعّض الجملة منهم ، فأما قول الشاعر :

فلستُ لإنسيٍّ ولكن لمألكٍ تنزّلَ مِن جوِّ السماء يصوبُ

فهمز مألك(١) ، وهو واحد ، والبيت مجهولٌ قائله ، وقد نسبه ابن سيدة إلى علقمة ، وأنكر ذلك عليه ، ومع هذا فقد وصف مألكاً بالرسالة لقوله : تنزّل من جوّ السماء يصوب ، فحسن الهمز لتضمّنه معنى الألوك ، كما حسن فى جملة الملائكة ، إذ الجملة بعضهم رسل ، والكل من ملكوت الله سبحانه ، وليس فى الواحد إلا معنى الملكوتية فقط حتى يتخصص بالرسالة ، كما فى هذا البيت المذكور ، فيتضمن حينئذ المعنيين ، فتطلع الهمزة فى اللفظ ، لما فى ضمنه معنى الألوك ، وهى الرسالة .

---

(١) فى اللسان والقرطبى وغيرهما : ملاك . ويقول القرطبى : قال النضر بن شميل : لا اشتقاق للملك عند العرب وفى الطبرى أيضاً ، ولكنه يقول : وقد يقال فى واحدهم : مألك فيكون ذلك مثل قولهم : جبذ وجذب ، وشأمل وشمال وما أشبه ذلك من الحروف المقلوبة غير أن الذى يجب إذا سمى واحدهم مألك أن يجمع إذا جمع على ذلك : مآلك . ولست أحفظ جمعهم كذلك سماعاً . ولكنهم قد يجمعون ملائك وملائكة كما يجمع أشعث : أشاعث وأشاعثة ، ومسمع : مسامع ومسامعة

مقتل كعب بن الأشرف

ذكر فيه أنه شَبَّبَ بنساء المسلمين ، وآذاهم ، وكان قد شَبَّب بأمِّ الفضل زَوْج العبَّاس بنِ عبدِ المُطَّلِب فقال :

أراحلٌ أنتَ لم ترحل لمنعبه(١) وتاركٌ أنتَ أمَّ الفضلِ بالحَرَمِ

فى أبيات رواها يونس عن ابن إسحاق .

وذكر فيه قولَه عليه السلام : مَنْ لِكَعْبِ [بن الأشرف] ، فقد آذى الله ورسولَه(٢) فيه من الفقه : وجوبُ قتلِ مَنْ سَبَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم وإن كان ذا عهدٍ ، خلافاً لأبى حنيفة رحمه الله فإنه لا يَرَى قَتْلَ الذّمّىّ فى مثل هذا ، ووقع فى كتابِ شرفِ المصطفى أن الذين قتلوا كعبَ بنَ الأشرفِ حملوا رأسه فى مِخْلاةٍ إلى المدينة ، فقيل : إنه أولُ رأسٍ حُمِل فى الإسلام ، وقيل : بل رأسُ أبى عَزّةَ الجُمَحىّ الذى قال له النبىُّ صلى الله عليه وسلم لا يُلْدَغُ المؤمنُ من جُحْرٍ مرَّتَين ، فقتله واحتُمِل رأسُه فى رُمْحٍ إلى المدينة فيما ذُكِر ، وأما أول مُسْلِمٍ حُمِل رأسُه فى الإسلام ، فعَمْرو بن الحَمِقِ ، وله صُحْبَة .

---

(١) لمنعبه خطأ صوابه : منقبة كما جاء فى الطبرى والمواهب الذى ينقل عن السهيلى . واقرأ القصيدة فى ص ٤٨٨ جـ ٢ الطبرى ط دار المعارف وشطرة البيت الأول فى الطبرى :

أراحل أنت لم تحلل بمنقبة

ويثبت الطبرى أنه شبب بعدها بنساء المسلمين.

(٢) هذه رواية البخارى عن جابر . يعنى من ينتدب لقتله .

. . . .

وفيه من قولِ حسّانَ فى كعبٍ: أبكى كعبُ ثم عُلَّ بعَبْرةٍ[1] فيه دخولُ زِحافٍ على زِحافٍ ، وذلك أنَّ أول الجُزْء سَبَبٌ ثقيلٌ وسَبَبٌ خفيفٌ فإذا دخل فيه الزِّحافُ الذى يُسَمَّى الإضمارَ صارا سَبَبَيْنِ خفيفَيْنِ ، فيعود مُتَفَاعِلُن إلى وَزْنِ مُسْتَفْعِلُن ، ومُسْتَفْعِلُن يدخله الخَبْنُ والطَّىُّ ، وهو حذفُ الرابع منه ، فشبه حسان مُتفاعلان فى الكاملِ بمُسْتَفْعِلُنْ لما صار إلى وزنه ، فحذف الحرف الساكنَ وهو الرابع من مُتَفَاعِلُنْ إلى وزنِ مُفْتَعِلُن ، وهو غريب فى الزِّحاف فإنه زِحافٌ سهل زحافاً آخر ، ولولا الزِّحافُ الذى هو الإضمار ، ما جاز البَتَّةَ حذفُ الرابع من مُتَفَاعلن[2] .

وذكر فى الذين قتلوا كعباً أبا عَبْس بن جَبْر ، واسمه : عَبْدُ الرَّحمنِ ، وذكر سِلْكَانَ بنَ سَلَامة ، واسمه : سَعْد .

وذكر فى شِعْرِ حسّان القافِىَّ[3] ، وفيه : بِبِيضٍ ذُفَّفٍ . الذُّفَّفُ : جَمْعُ ذَفِيفٍ وهو الخَفِيفُ السَّرِيعُ ، وهو جَمْعٌ على غيرِ قياسٍ ، وإنما فُعَّل جمع فَاعِلٍ ولكنّ الذَّفِيفَ من السُّيوف فى مَعْنَى القاطع والصارم .

---

(١) فى نسخة من السيرة : أبكى لكعب وأخرى أبكاه كعب . وأخرى : أبكى كعب .

(٢) هذه مصطلحات عروضية ، وقد سبق الكلام عنها .

(٣) البيت فى اللسان هكذا

رب خال لى لو أبصرته   سبط الكمين فى اليوم الخصر

ومنسوب إلى حسان .

رفع عبد الرحمن الهجرى

وفيه : فى عَرِينٍ مُغْرِفٍ . العرينُ : أَجَمَةُ الأَسَدِ ، وهو الغَرِيفُ أيضاً ، والغريفُ أيضاً الكثيرُ ، فيحتمل إنْ أراد بمُغْرِفٍ مُكْثِراً من الأُسْد ، ويحتمل إنْ أراد توكيدَ معنى الغَرِيفِ ، كما يقال : خَبِيثٌ مُخْبِث .

وذكر قول امرأة كعبٍ : والله إنى لأَعرف فى صوته الشرَّ ، وفى كتاب البُخَارِىِّ : إنى لأَسمع صوتاً يقطُر منه الدَّمَ .

وفيه : ما رأيت عِطْراً كاليوم ، معناه : عند سِيبَوَيْهِ : ما رأيت كَعِطْرٍ أراه اليومَ عِطْراً : كذلك قال فى قول العرب : لم أر كاليوم رَجُلاً ، أىْ : كَرَجُلٍ أراه اليومَ رَجُلاً ، فَحُذِفَ ما دخلت عليه الكافُ ، وحُذِف الفعلُ ، وهو أرى ، وفاعلُه ومفعولُه ، وهذا حذف كثير لاسيَّما ، وقد يقال : ما رأيت كاليوم ، ولا تذكر بعده شَيْئاً إذا تَعجَّبْتَ ، فدل على أنهم لم يحذِفوا هذا الحذفَ الكثيرَ ، ولكنهم أوقعوا التعجُّبَ على اليوم ، لأن الأيام تأتى بالأعاجيب ، والعربُ تَذُمُّها وتمدحها فى نظمها ونثرها ، ويعلم المخاطَبُ أن اليوم لم يُذَمَّ لنفسه ولا يُعْجَبُ منه لنفسه ، فيلتمس منكَ البيانَ والتفسيرَ لما تعجبْتَ منه ، فتأتى بالتمييز لتُبَيِّن . فعطراً منصوبٌ على التمييز ، والدليل على ذلك أنه يَحْسُن خَفْضُه بِمِنْ ، لأنه مُتَعجَّب منه ، فتقول : لم أر كاليوم مِنْ رَجُلٍ .

ووقع فى رواية إبراهيم بن سعد عن ابن إسحاق بعد قوله : فمشوا ساعةً ، قال فجعل كَعْبٌ ينشد : -

أمر محيصة وحويصة

لوم حويصة لأخيه محيصة لقتله يهوديًا ثم إسلامه

قال ابن إسحاق: وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: مَنْ ظفرتم به من رجال يهود فاقتلُوه، فوثب مُحيصة بن مَسْعود ـ قال ابن هشام: ويقال: مُحَيِّصَة بن مَسْعود بن كَعْب بن عامر بن عَدِيّ بن مَجْدَعَةَ بن حارثة بن الحارث بن الخزْرج بن عمرو بن

رُبَّ خالٍ لِيَ لو أبصَرْتَه ... سَبِط المِشْيَة أبّاء أنِفْ
لَيِّنِ الجانب فى أقرَبِه ... وعلى الأعداء كالسُّمِّ الذُّعُفْ
وكِرَام لم يَشِنْهُمْ حَسَبٌ ... أهْل عِزٍّ وحِفَاظٍ وشَرَفْ
يَبذُلون المالَ فيما نابَهم ... لحُقُوقٍ تَعْتَرِيهِمْ وعُرَفْ
ولُيوثٌ حين يَشْتَدُّ الوَغَى ... غير أنكَاسٍ ولا مِيلٍ كُشُفْ
فَهُمُ أهلُ سَماحٍ وقِرَى ... وحِفَاظٍ لم يُعَانُوا بِصَلَفْ
سَكَنُوا مِنْ يَثْرِبَ كُلَّ رُبًى ... وسُهُولٍ حَيْثُ حَلُّوا فى أُنُفْ
وهُمُ أهْلُ مَشَارِيبَ بها ... وحُصُون ونَخِيلٍ وغُرَفْ
ولها بِئْرٌ رَوَاءٌ جَمَّةٌ ... مَنْ يَرِدْها بإناء يَغْتَرِفْ
ونخيلٌ فى تِلَاعٍ جَمَّةٌ ... تُخْرِجُ التَّمْرَ كأمْثَالِ الأكُفْ
وصَرِيرٍ من مَحَالٍ خِلْتَه ... آخرَ الليلِ مَهارِيجَ نُدُفْ(١)
تَدْلُجُ الجُونُ على أكتافها ... بِدِلَاءٍ ذاتِ أرْكَانٍ صدفْ
كُلُّ حاجاتِيَ قد قَضَّيْتُها ... غير حاجاتٍي فى بَطْنِ الجُرُفْ

(١) لم أهتد إلى الصواب فيه، ولعله: أهازيج رتف.

رفع المسهم

مالك بن الأوس - على ابن سُنَيْنَة - قال ابن هشام : ويقال سُبَيْنة - رجلٍ من تجار يهود ، كان يُلابسهم ويُبايعهم فقتله ، وكان حُوَيِّصة بن مسعود إذ ذاك لم يُسْلم ، كان أسنَّ من مُحَيِّصة ، فلما قتله جعل حُوَيِّصة يَضْرِبه ، ويقول : أى عدوّ الله ، أقتلتَه ، أما والله لرُبَّ شحمٍ فى بطنك من ماله . قال مُحَيِّصة : فقلت : والله لقد أمرنى بقتله مَن لو أمرنى بقتلك لضربتُ عنقك ، قال : فوالله إن كان لأولَ إسلام حُوَيِّصة ، قال : آولله لو أمرك محمد بقتلى لقتلتنى ؟ قال : نعم ، والله لو أمرنى بضرب عُنقك لضربتُها ! قال : والله إن دينا بلغ بك هذا لَعَجَبٌ ، فأسلم حُوَيِّصة .

قال ابن إسحاق : حدّثنى هذا الحديث مولى لبنى حارثة ، عن ابنة مُحَيِّصة ، عن أبيها مُحَيِّصة .

فقال مُحَيِّصة فى ذلك :

يَلُومُ ابنُ أُمّى لو أُمِرْتُ بقَتْله ... لطَبَّقتُ ذِفْراه بأبْيضَ قاضبِ
حُسامٍ كلَونِ المِلْح أُخْلِصَ صَقْله ... متى ما أُصَوِّبْه فليس بكاذب
وما سَرّنى أنى قَتلتُكَ طائعاً ... وأنَّ لنا ما بين بُصْرى ومَأْرِب

رواية أخرى فى إسلام حويصة

قال ابن هشام : وحدثنى أبو عُبيدة عن أبى عَمرو المدنى ، قال : لما ظَفر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببنى قُريظة أخذ منهم نحواً من أربع مائة رجلٍ من اليهود ، وكانوا حلفاءَ الأوس على الخزرج ، فأمر رسولُ الله صلى الله عليه

وسلم بأن تُضرب أعناقهم ، فجعلت الخزرجُ تضرب أعناقَهم ويسرّهم ذلك ، فنظر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى الخزرج ووجوهُهم مستبشرة ، ونظر إلى الأوس فلم يَرَ ذلك فيهم ، فظنّ أن ذلك للحلف الذى بين الأوس وبين بنى قُريظة ولم يكن بقى من بنى قُريظة إلا اثنا عَشر رجلاً ، فدَفعهم إلى الأوس ، فدَفع إلى كلّ رجلين من الأوس رجلاً من بنى قُريظة وقال : ليضربْ فلانٌ وليذفِّف فلان ، فكان ممّن دفع إليهم كعبُ بن يَهوذا ، وكان عظيما فى بنى قُريظة ، فدفعه إلى مُحيِّصة بن مَسْعود ، وإلى أبى بُرْدة بن نيار — وأبو بُردة الذى رخص له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى أن يذْبح جَذَعا من المَعْز فى الأضحى — وقال ليضربه مُحيِّصة وليذفِّف عليه أبو بُردة ، فضربه مُحيِّصةُ ضربةً لم تَقطع ، وذفّف أبو بُردة فأجهز عليه . فقال حُوَيِّصة : وكان كافراً ، لأخيه محيِّصة : أقتلتَ كعب بن يَهوذا ؟ قال : نعم ؛ فقال حُوَيِّصة : أما والله لرُبَّ شَحْم قد نَبَت فى بَطْنك من ماله ، إنك للئيم يا مُحيِّصة ، فقال له محيِّصة : لقد أمرنى بقَتْله من لو أمرنى بقتلك لقتلتك ، فتعجب من قوله ثم ذهب عنه متعجِّباً . فذكَروا أنه جعل يتيقَّظ من الليل : فيعجب من قول أخيه مُحيِّصة . حتى أصبح وهو يقول : والله إن هذا لَدِين . ثم أتى النبىّ صلى الله عليه وسلم فأسلم ، فقال محيِّصة فى ذلك أبياتاً قد كتبناها .

المدة بين قدوم الرسول بحران وغزوة أحد

قال ابن إسحاق : وكانت إقامةُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، بعد

رفع
المسهم
غفر الله له ولوالديه

قُدومه من نَجْران ، جمادى الآخرة ورجباً وشَعبان وشهر رمضان ، وغزَتْه قُريشٌ غزوةَ أُحُد في شوّال سنة ثلاث

غزوة أحد

وكان من حديث أُحُد ، كما حدثني محمد بن مُسْلم الزُّهْري ومحمد بن يَحْيى ابن حِبَّان وعاصم بن عمر بن قَتادة والُحصَين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد ابن مُعاذ وغيرهم من علمائنا ، كلُّهم قد حدّث بعضَ الحديث عن يوم أحد ، وقد اجتمع حديثُهم كُله فيما سقتُ من هذا الحديث عن يوم أُحُد قالوا ، أو من قاله منهم :

التحريض على غزو الرسول

لما أُصيب يوم بدر من كُفار قُريش أصحاب القَليب ، ورَجَع فَلُّهم إلى مكة ، ورَجع أبو سُفيان بن حَرب بِعيره ، مَشى عبدُ الله بنُ أبي ربيعة ، وعِكْرمةُ بن أبي جَهل ، وصَفْوان بن أُميّة ، في رجال من قُرَيش ، ممن أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم يوم بدر ، فكلَّموا أبا سُفْيان بن حَرْب ، ومن كانت له في تلك العِير من قُريش تجارة ، فقالوا : يامَعْشر قُرَيْش ، إن محمداً قد وَتَركم ، وقتَل خِيارَكم ، فأعِينُونا بهذا المال على حَرْبه ، فلعلّنا نُدْركُ منه ثأْرنا بمَن أصاب منّا ، ففعلوا .

. . . .

ما نزل فى ذلك من القرآن

قال ابن إسحاق: ففيهم، كما ذكر لى بعضُ أهلِ العلم، أنزل الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ، فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً، ثُمَّ يُغْلَبُون، والَّذين كَفَرُوا إلى جَهَنَّمَ يُحْشَرُون ﴾.

اجتماع قريش للحرب

فاجتمعت قريش لحرب رسولِ الله صلى الله عليه وسلم حين فعل ذلك أبو سفيان بن حَرْب، وأصحابُ العير بأحابيشها، ومَنْ أطاعها من قبائل كِنانة وأهل تِهامة. وكان أبو عَزَّة عمرو بن عبد الله الجُمَحى قد مَنَّ عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر، وكان فقيراً ذا عِيال وحاجة، وكان فى الأسارَى فقال: إنى فقير ذو عِيال وحاجةٍ قد عرفتَها فامْنُنْ علىّ صلى الله عليك وسلم، فمَنَّ عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم. فقال له صَفْوان بن أُمية: يا أبا عَزّة إنك امرؤٌ شاعرٌ، فأعِنَّا بلسانك، فاخرُج معنا، فقال: إن محمداً قد مَنَّ علىّ فلا أُريد أن أُظاهِر عليه، قال: فأعِنَّا بنفسك، فلك اللهُ علىّ إن رجعتُ أن أُغنيك، وإن أُصِبْتَ أن أجعل بناتِك مع بناتى، يُصيبهن ما أصابهن من عُسر ويُسْر. فخرج أبو عَزّة فى تِهامة، ويدعو بنى كِنانة ويقول:

إيها بنى عَبْدِ مَناةَ الرُّزَّام أنتم حُماةٌ وأبوكم حامْ
لا تَعِدُونى نَصرَكُمْ بعدَ العامْ لا تُسْلِمونى لا يَحِلُّ إسلامْ

وخرج مُسافع بن عبد مناف بن وَهْب بن حُذافة بن جُمَح إلى بنى مالك ابن كنانة، يحرِّضهم ويَدْعوهم إلى حرب رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، فقال:

يا مالِ، مالِ الحَسَبِ المُقَدَّمِ أَنْشُدُ ذا القُرْبَى وذا التَّذَمُّمِ
مَن كان ذا رُحْمٍ ومن لم يَرْحَمِ الحِلْفَ وَسْطَ البَلدِ المُحَرَّمِ
عند حطيمِ الكَعْبة المُعَظَّمِ

ودعا جُبَيْر بن مُطْعِمٍ غلاماً له حَبَشِياً يقال له: وَحْشِي، يَقْذِف بحربة له قَذْف الحَبَشة، قلَّما يُخطىء بها، فقال له: اخرُج مع الناس، فإن أنت قَتلت حمزةَ عمَّ محمدٍ بعمِّى طُعَيْمَة بن عَدِىّ، فأنت عَتيق.

خروج قريش معهم نساؤهم

فخرجت قُرَيشٌ بحَدِّها وجَدِّها وحَدِيدها وأحابيشها، ومن تابعها من بنى كِنانة، وأهلِ تِهامة، وخرجوا معهم بالظُّعُنِ، التماسَ الحَفيظَة، وألا يفِرّوا. فخرج أبو سُفيان بنُ حَرْب، وهو قائدُ الناس، بهِنْد بنت عتبة، وخرج عِكْرمة بن أبى جَهل بأمّ حكيم بنت الحارث بن هشام بن المُغيرة وخرج الحارث ابن هشام بن المُغيرة بفاطمة بنت الوَليد بن المُغيرة، وخرج صَفْوان بن أميَّة ببَرْزة بنت مَسْعود بن عمرو بن عُمير الثَّقَفيَّة، وهى أم عبد الله بن صَفْوان ابن أميَّة.

قال ابن هشام: ويقال: رقيَّة.

قال ابن إسحاق: وخرج عمرو بن العاص بريطة بنت مُنبِّه بن الحجاج وهى أم عبد الله بن عمرو، وخرج طلحة بن أبى طلحة وأبو طلحة عبدُ الله ابن عبد العُزَّى بن عثمان بن عبد الدار، بسُلافة بنت سعد بن شُهَيد الأنصارية وهى أمّ بنى طلحة: مُسافع والجُلاس وكِلاب، قُتِلوا يومئذ (م) وأبوهم؛ وخرجت خُناس بنت مالك بن المُضَرِّب إحدى نساء بنى مالك بن حِسْل مع ابنها أبى عزيز بن عُمَير، وهى أمّ مُصعب بن عمير؛ وخرجت عَمْرة بنت عَلقمة إحدى نساء بنى الحارث بن عبد مَناة بن كِنانة. وكانت هِند بنت عُتبة كلّما مرّت بوَحْشيّ أو مرّ بها، قالت: وَيْهاً أبا دَسْمة اشفِ واستَشْفِ، وكان وَحْشيّ يُكنى بأبى دَسْمة، فأقبلوا حتى نزلوا بعَيْنَين، بجَبل ببطن السَّبْخة من قَناة على شَفير الوادى، مقابل المَدينة.

رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم

فلما سمع بهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون قد نزلوا حيثُ نزلوا، قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين: إنى قد رأيت والله خيراً، رأيتُ بقراً، ورأيتُ فى ذُباب سَيْفى ثَلْماً، ورأيتُ أنى أدخلتُ يدِى فى درْع حَصينة، فأوّلتُها: المدينة.

قال ابن هشام: وحدثنى بعض أهل العِلم، أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: رأيت بقَراً لى تُذبح، قال: فأما البقر فهى ناس من أصحابى يُقتلون، وأما الثَّلم الذى رأيتُ فى ذُباب سَيْفى، فهو رَجُل من أهل بَيتى يُقتل.

. . . .

مشاورة الرسول القوم فى الخروج أو البقاء

قال ابن إسحاق : فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتَدعُوهم حيث نزلوا ، فإن أقاموا أقاموا بشَرّ مُقام ، وإن هم دَخلوا علينا قاتلناهم فيها ، وكان رأىُ عبد الله بن أُبَىّ بن سَلُولَ مع رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يَرَى رأيَه فى ذلك ، وألاّ يخرجَ إليهم ، وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يَكرَه الُخروجَ ، فقال رجالٌ من المسلمين ، ممّن أكرم الله بالشّهادة يوم أُحُدٍ وغيره ، ممّن كان فاته بدرٌ : يارسول الله ، اخرُج بنا إلى أعدائنا ، لا يَرَوْن أنا جَبُنّا عنهم وضَعُفنا . فقال عبدُ الله بن أُبَىّ بن سَلول : يارسول الله ، أَقِمْ بالمدينة لا تَخرُج إليهم ؛ فوالله ما خرَجنا منها إلى عدوّ لنا قطُّ إلا أصاب مِنّا ، ولا دخَلها علينا إلا أصبْنا منه ، فدعْهم يارسول الله ، فإن أقامُوا أقاموا بشرّ مَحْبِس ، وإن دَخلوا قاتلهم الرجالُ فى وجْههم ، ورماهم النِّساء والصِّبْيان بالحجارة من فوْقهم ، وإن رجعُوا رجعوا خائبين كما جاءوا . فلم يزَل النّاسُ برسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذين كان من أمرهم حُبُّ لِقاء القوم ، حتى دخل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بيته فَلبس لأْمَتَه ، وذلك يومَ الُجمعة حينَ فرغ من الصلاة . وقد مات فى ذلك اليوم رَجلٌ من الأنصار يُقال له : مالك بن عمرو ، أحد بنى النجّار ، فصلّى عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ثم خرج عليهم ، وقد ندم النّاس ، وقالوا : استَكرهْنا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يكن لنا ذلك . فلما خرج عليهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، قالوا : يارسول الله : استكرهناك ولم يكن ذلك لنا ، فان شئتَ فاقعُد صلى الله

. . . .

عليك ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : ما يَنْبغى لنبيّ إذا لَبِس لأْمَتَه أن يَضَعها حتى يُقاتل ، فخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى ألفٍ من أصحابه .

قال ابن هشام : واستعمل ابنَ أمّ مَكْتوم على الصّلاة بالناس .

انخذال المنافقين

قال ابن إسحاق : حتى إذا كانوا بالشَّوْط بين المدينة وأُحد ، انخزل عنه عبدُ الله بن أُبيّ بن سَلول بثُلث الناس ، وقال : أطاعهم وعَصانى ، ماندْرى علامَ نَقْتُل أنفسنا هاهنا أيها الناس ، فرَجع بمن اتّبعه من قومه من أهل النّفاق والرّيْب ، واتّبعهم عبدُ الله بن عَمرو بن حَرَام ، أخو بنى سلمة ، يقول : ياقوم ، أذكِّركم اللهَ ألاّ تخذُلوا قومَكم ونبيَّكم عندما حَضَر من عدوّهم ؛ فقالوا : لو نعلم أنّكم تُقاتِلون لمَا أسْلمناكم ، ولكنّا لانَرى أنه يكون قتالٌ . قال : فلما استَعْصَوْا عليه وأبَوْا إلا الإنصراف عنهم ، قال : أبعدكم الله أعداء الله ، فسيُغْنى الله عنكم نبيّه .

قال ابن هشام : وذكر زياد ، عن محمد بن إسحاق عن الزّهرى : أن الأنصار يوم أُحد ، قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يارسول الله ألا نَسْتَعين بحلفائنا من يَهود ؟ فقال : لاحاجة لنا فيهم .

حادثة تفاءل بها الرسول

قال زياد : حدثنى محمد بن إسحاق ، قال : ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم

حتى سلك فى حَرّة بنى حارثة ، فذَبّ فرسٌ بذَنبِه ، فأصاب كُلّابَ سيفٍ فاستله .

قال ابن هشام : ويقال : كُلّاب سيف .

قال ابن إسحاق : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم – وكان يحبّ الفأل ولا يَعْتاف لصاحب السيف : شِمْ سَيْفَك ، فإنى أرى السُّيوف ستُسَلُّ اليوم .

ما كان من مربع حين سلك المسلمون حائطه

ثم قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : مَنْ رجلٌ يخرُج بنا على القوم من كَثَب : أى من قرب ، من طريق لا يمُرّ بنا عليهم ؟ فقال أبو خَيْثَمة أخو بنى حارثة بن الحارث : أنا يارسول الله ، فنَفذ به فى حَرّة بنى حارثة ، وبين أموالهم ، حتى سَلك فى مال لمِرْبَع بن قَيْظىّ ، وكان رجلاً منافقاً ضرير البَصر ، فلمّا سمع حسَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وَمَنْ معه من المسلمين ، قام يَحثى فى وُجوههم التراب ، ويقول : إن كنتَ رسول الله فإنى لا أحلّ لك أن تدخل حائطى . وقد ذُكر لى أنه أخذ حَفْنة من ترابه فى يده ، ثم قال : والله لو أعلم أنى لا أُصيب بها غيرك يا محمد لضربتُ بها وجهك . فابتدره القومُ ليقتلوه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تقتلوه ، فهذا الأعمى أعمى القَلْب ، أعمى البَصَر . وقد بَدَر إليه سعدُ بن زَيد ، أخو بَنى عبد الأشهل ، قبل نَهْى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه ، فضربه بالقوس فى رأسه ، فشجّه .

قال : ومضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل الشِّعب من أُحد ، في عُدْوة الوادي إلى الجبل ، فجعل ظَهره وعسكره إلى أُحد ، وقال : لا يقاتلنَّ أحدٌ منكم حتى نأمره بالقتال . وقد سَرَّحت قريش الظَّهر والكُراع في زروع كانت بالصَّمغة ، من قَناة للمُسلمين : فقال رجلٌ من الأنصار حين نَهى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن القِتال : أتُرْعَى زُرُوعُ بني قَيْلَةَ ولَمَّا تضَارب ! وتعبَّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم للقِتال ، وهو في سَبْعِ مِائَةِ رجل ، وأمَّر على الرُّماة عبدَالله بن جبير ، أخا بني عَمْرو بن عوف وهو مُعْلَم يومئذ بثياب بِيض ، والرُّماة خَمْسون رجلا ، فقال انضَح الخيلَ عنَّا بالنَّبل ، لا يأتُونا مِن خَلْفنا ، إن كانت لنا أو علينا ، فاثبُت مكانك لا نُؤْتَينَّ من قِبَلِك . وظاهَر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين دِرْعين ودَفع اللِّواء إلى مُصْعب بن عُمَيْرٍ ، أخي بني عبد الدَّار .

من أجازهم الرسول وهم في الخامسة عشرة

قال ابن هشام : وأجاز رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يومئذ سَمُرة بن جُنْدب الفَزاريَّ ، ورافع بن خَدِيج ، أخا بني حارثة ، وهما ابنا خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً ، وكان قد ردَّهما ، فقيل له : يارسولَ الله إن رافعاً رَامٍ ، فأجازه ، فلما أجاز رافعاً ، قيل له : يارسول الله ، فإن سَمُرَةَ يَصْرعُ رافعاً ، فأجازه . وردَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أُسامَةَ بنَ زَيْد ، وعبدَ الله بن عُمَرَ بن الخطَّاب ، وزيدَ بنَ ثابت ، أحدَ بني مالكِ بن النجار ، والْبَرَاء بن عَازِبٍ ، أحد بني حارثة ، وعمرَو بنَ حَزْم ، أحدَ بني مالك بن النجَّار ، وأُسَيْد بن ظُهَيْر ، أحد

. . . .

رفع
المسهم

بنى حارثة ، ثم أجازهم يوم الخندق ، وهم أبناء خمس عشرة سنة .

قال ابن إسحاق : وتَعبَّأتْ قُرَيشٌ ، وهم ثلاثة آلاف رجل ، ومعهم مئتا فرس قد جَنَبوها ، فجعلوا على مَيْمنة الخيل خالدَ بن الوليد ، وعلى مَيْسرتها عِكرمةَ بن أبى جهل .

أمر أبى دجانة

وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : من يأخذ هذا السيفَ بحقّه ؟ فقام إليه رجالٌ ، فأمسكه عنهم ، حتى قام إليه أبو دُجانة سِماكُ بن خَرَشة ، أخو بنى ساعدة ، فقال : وما حقُّه يارسولَ الله ؟ قال : أن تَضرب به العدوّ حتى ينحنى ؛ قال : أنا آخذُه يارسول الله بحقّه ، فأعطاه إياه . وكان أبو دُجانة رجلا شُجاعا يختال عند الحرب ، إذا كانت ، وكان إذا أعْلِم بعصابة له حمْراء، فاعتصب بها علم الناس أنه سيقاتل ، فلما أخذ السيف من يد رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرج عصابته تلك ، فعصب بها رأسه ، وجعل يتبختر بين الصفّين .

قال ابن إسحاق : فحدثنى جعفر بن عبد الله بن أسْلم ، مولى عمر بن الخطّاب ، عن رجل من الأنصار من بنى سَلِمة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين رأى أبا دُجانة يتبختر : إنها لمشية يبغضها الله ، إلا فى مثل هذا الموطن .

أمر أبى عامر الفاسق

قال ابن إسحاق : وحدّثنى عاصمُ بن عمر بن قَتادة : أنّ أبا عامر ، عبد عمرو

ابن صَيفيّ بن مالك بن النعمان ، أحد بنى ضُبيعة ، وقد كان خرج حين خرج إلى مكة مُباعداً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، معه خمسون غلاماً من الأوس ، وبعض الناس كان يقول : كانوا خمسةَ عشر رجلا ، وكان يَعد قريشاً أن لو قد لقى قومَه لم يختلف عليه منهم رجلان ؛ فلما التقى الناسُ كان أوّل من لقيهم أبو عامر فى الأحابيش وعبْدان أهل مكة ، فنادى : يامعشر الأوس ، أنا أبو عامر ؛ قالوا : فلا أنعم الله بك عيناً يافاسق — وكان أبو عامر يسمى فى الجاهلية : الرّاهب ، فسماه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : الفاسق — فلما سمع ردّهم عليه قال : لقد أصاب قومى بعدى شرّ ، ثم قاتلهم قتالا شديداً ، ثم راضَخهم بالحجارة .

أسلوب أبى سفيان فى تحريض قريش

قال ابن إسحاق : وقد قال أبو سُفيان لأصحاب اللّواء من بنى عبد الدّار يُحرّضهم بذلك على القتال : يابنى عبد الدّار ، إنكم قد وَليتم لواءَنا يوم بدر ، فأصابنا ما قد رأيتم ، وإنما يؤتى الناس من قِبل راياتهم إذا زالت زالوا ، فإما أن تَكفُونا لواءنا ، وإمّا أن تُخلّوا بيننا وبينه فنَكفيكموه ؛ فهمّوا به وتواعدُوه ، وقالوا : نحن نُسْلم إليك لواءنا ، ستعلم غداً إذا التقينا كيف نصْنع ! وذلك أراد أبو سفيان .

تحريض هند والنسوة معها

فلما التقى الناس ، ودَنا بعضُهم من بعض ، قامت هندُ بنت عتبة فى

النسوة اللاتى معها، وأخذن الدفوف يضربن بها خلف الرجال، ويحرضنهم فقالت هند فيما تقول:

وَيْهاً بَنى عبد الدّارْ   وَيْهاً حُماةَ الأدبارْ
ضَرْباً بكلّ بَتار

وتقول:

إن تُقبلوا نُعانِقْ   ونَفْرِشِ النّمارِق
أو تُدْبِروا نُفارِقْ   فِراقَ غَيْرِ وَامِق

شعار المسلمين

وكان شِعارُ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلّم يوم أُحدٍ: أَمِتْ أمِتْ، فيما قال ابن هشام.

تمام قصة أبى دجانة

قال ابن إسحاق: فاقتتل الناسُ حتى حَمِيت الحربُ، وقاتل أبو دُجانةَ حتى أمعن فى الناس.

قال ابن هشام: حدثنى غير واحد، من أهل العلم: أن الزُّبير بن العوّام قال: وَجدْتُ فى نفسى حين سألتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم السَّيف فمنعنيه وأعطاه أبا دُجانة، وقُلت: أنا ابنُ صفيّة عمّته، ومن قُريش، وقد قُمْت إليه فسألته إياه قبْله، فأعطاه إياه وتركنى، والله لأنظرنّ ما يصنع؛

فاتبعته ، فأخرج عصابة له حمراء ، فعصب بها رأسه ، فقالت الأنصار : أخرج أبو دُجانة عِصابةَ الموت ، وهكذا كانت تقول له إذا تعصب بها . فخرج وهو يقول :

أنا الذى عاهدنى خليلى ونحنُ بالسَّفح لدَى النَّخيل
ألاَّ أقومَ الدهرَ فى الكَيُّول أضْرب بسيف الله والرَّسول

قال ابن هشام : ويروى فى الكُبُول .

قال ابن إسحاق : فجعل لا يلْقى أحداً إلا قتله . وكان فى المُشركين رجل لا يَدَع لنا جريحاً إلا ذفَّف عليه ، فجعل كل واحد منهما يَدْنو من صاحبه . فدعوتُ اللهَ أن يَجْمع بينهما ، فالتقيا ، فاختلفا ضَرْبتين ، فضرب المُشرك أبا دُجانة ، فاتَّقاه بدَرَقته ، فعضت بسيفه ، وضربه أبو دُجانة فقتله. ثم رأيتُه قد حمل السيفَ على مَفْرِق رأس هِند بنت عُتبة ، ثم عدل السيفَ عنها . قال الزبير: فقلتُ : اللهُ ورسولُه أعلم .

قال ابن إسحاق : وقال أبو دُجانة سِماك بن خَرَشة : رأيت إنساناً يَخْمِش الناسَ خَمْشاً شديداً ، فصمدتُ له ، فلما حملتُ عليه السَّيف وَلْوَل فإذا امرأةٌ ، فأكرمتُ سيفَ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أضرب به امرأة .

مقتل حمزة

وقاتل حمزةُ بن عبد المطَّلب حتى قتل أرْطاة بن عبد شُرَحْبيل بن هاشم ،

ابن عبد مناف بن عبد الدّار ، وكان أحد النّفر الذين يَحملون اللّواء ثم مرّ به. سِباعُ بن عبد العُزّى الغُبْشانى ، وكان يُكنى بأبى نِيار ، فقال له حَمْزة : هلمّ إلىّ يابن مُقَطِّعة البُظور ـ وكانت أمّه أمّ أنمار مَولاة شَريق بن عمرو بن وهب الثّقفى .

(قال ابن هشام : شَريق بن الأخنس بن شَريق) وكانت خَتَّانَةً بمكة ـ. فلما التقيا ضَربه حمزةُ فقتله .

قال وَحْشِىّ ، غلامُ جُبير بن مُطْعم : والله إنى لأنظر إلى حَمْزة يَهُدُّ الناس بسيفه ما يُليق به شيئاً ، مثل الجمل الأوْرق إذ تقدّمنى إليه سِباع بن عبد العُزّى ، فقال له حمزة : هلمّ إلىّ يابن مُقَطِّعة البُظور ، فضَربه ضَربة ، فكأنّ ما أخطأ رأسَه ، وهززتُ حَرْبتى حتى إذا رَضِيتُ منها دفعتُها عليه ، فوقعت فى ثُنَّته حتى خرجتْ من بين رِجْليه ، فأقبل نحْوي ، فغُلِب فوقع ، وأمهلتُه حتى إذا مات جِئْت فأخذت حَرْبتى ، ثم تنحّيت إلى العسكر ، ولم تكن لى بشىء حاجةٌ غيره .

وحشى يحدث الضمرى وابن الخيار عن قتله حمزة

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن الفَضْل بن عبّاس بن ربيعة بن الحارث عن سُليمان بن يَسار عن جَعْفر بن عمرو بن أُمية الضَّمْرى قال : خرجتُ أنا وعُبيد الله بن عدىّ بن الخيار ، أخو بنى نَوْفل بن عبد مناف ، فى زمان مُعاوية بن أبى سُفيان ، فأدْرَبْنا مع الناس ، فلما قَفَلنا مَرَرْنا بحِمْص ـ وكان

وَحْشِىّ ، مولى جُبير بن مُطعم ، قد سَكَنها ، وأقام بها - فلمّا قَدِمْناها ، قال لى عُبَيد الله بن عَدِىّ : هل لك فى أن نأتى وحشيًا فنسأله عن قتل حمزة كيف قتله ؟ قال : قلت له : إن شئتَ . فخرجْنا نسأل عنه بحِمص ، فقال لنا رجل ، ونحن نسأل عنه : إنكما ستَجدانه بفِناء داره ، وهو رجلٌ قد غلبت عليه الخمر ، فإن تَجِداه صاحيًا تَجِدَا رجلا عربيًا ، وتَجدا عنده بعضَ ما تُريدان ، وتُصيبا عنده ماشئتما من حديث تَسألانه عنه ، وإن تَجِداه وبه بعْض مايكون به ، فانصرفا عنه ودَعاه . قال : فخرجنا نَمْشى حتى جئناه ، فإذا هو بفناء داره على طنفسة له ، فإذا شيخٌ كبير مثل البُغاث .

— قال ابن هشام : البُغَاثُ : ضرب من الطير إلى السواد .

فإذا هو صاحٍ لا بأس به . قال : فلما انتهينا إليه سَلَّمنا عليه ، فرفع رأسه إلى عُبيد الله بن عدىّ ، فقال : ابنٌ لعدىّ بن الخيار أنت ؟ قال : نعم ، قال : أما والله ما رأيتُك منذ ناولتُك أمَّك السعديَّة التى أرضعتك بذى طُوًى ، فإنى ناولتُكها وهى على بَعيرها ، فأخذَتْك بعُرضَيْك ، فلَمعتْ لى قدماك حين رفعتُك إليها ، فوالله ماهو إلا أن وقفتَ علىّ فعرفتُهما . قال : فجلسنا إليه ، وقُلنا له : جئناك لتحدّثنا عن قتلك حمزة ، كيف قتلتَه ؟ فقال : أما إنى سأحدّثكما كما حدّثت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حين سألنى عن ذلك ، كنتُ غلامًا لجُبير بن مُطْعم ، وكان عمُّه طُعَيْمة بن عدىّ قد أُصيب يومَ بدر ، فلمّا سارت قُريشٌ إلى أحد ، قال لى جُبير : إن قتلتَ حمزة عمّ محمد بعمّى فأنت عَتيق . قال : فخرجتُ مع الناس ، وكنتُ رجلا حَبشيًا أقذف

بالحَرْبة قَذْفَ الحبشة ، قلَّما أُخطِئ بها شيئاً ؛ فلما التقى الناسُ خرجتُ أنظر حمزة وأتبصّره ، حتى رأيته فى عُرْض الناس مثل الجمل الأَوْرَق ، يَهُدُّ الناس بسيفه هدًّا ، مايقوم له شىء ، فوالله إنى لأتهيَّأ له ، أُريده وأستتر منه بشجرة أو حجَر ليَدْنو منى إذ تقدمنى إليه سباعُ بن عبدالعُزّى ، فلمَّا رآه حمْزة قال له: هلُمَّ إلىَّ يابن مُقَطِّعة البُظور . قال : فضربه ضربة كأنَّ ما أخطأ رأسه . قال : وهزَزتُ حَرْبتى ، حتى إذا رَضيتُ منها ، دفعتُها عليه ، فوقعت فى ثُنَّته ، حتى خرجتْ من بين رجْليه ، وذهب لينُوء نحوى ، فغُلِب ، وتركتُه وإياها حتى مات ، ثم أتيته فأخذتُ حَرْبتى ، ثم رجعت إلى العسكر ، فقعدتُ فيه ، ولم يكن لى بغيره حاجة ، وإنما قتلتُه لأُعتق . فلما قَدِمتُ مكةَ أُعْتِقتُ ، ثم أقمتُ حتى إذا افتتح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مكةَ هربتُ إلى الطَّائف ، فمكثت بها ، فلما خَرج وفدُ الطَّائف إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ليُسلِموا تَعيَّت علىَّ المذاهب ، فقلت : ألحق بالشأم ، أو اليمن ، أو ببعض البلاد ؛ فوالله إنى لفى ذلك من همّى ، إذ قال لى رجل : ويحك ! إنه والله ما يقتُل أحداً من الناس دخَل فى دينه ، وتشهَّد شهادته .

وحشىّ بين يدى الرسول يسلم

فلما قال لى ذلك ، خرجتُ حتى قَدِمتُ على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فلم يَرُعْه إلا بى قائماً على رأسه أتشهَّد بشهادة الحقّ ؛ فلما رآنى قال : أوحشىّ ؟ قلت : نعم يارسول الله . قال : اقعُد فحدثنى كيف قتلتَ حمزة، قال : فحدَّثته كما حدثتكما ، فلما فرغتُ من حديثى قال : وَيْحك ! غَيِّب عنى

. . . .

وجهك ، فلا أرَيَنَّك . قال: فكنتُ أتنكَّب رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كان لئلا يرانى ، حتى قبضه الله – صلى الله عليه وسلم .

قتل وحشيّ لمسيلمة

فلما خرج المُسلمون إلى مُسيلمة الكذّاب صاحب اليمامة خرجتُ معهم ، وأخذتُ حَرْبتى التى قتلتُ بها حمزة ؛ فلما التقى الناس رأيت مُسيلمة الكذاب قائماً فى يده السيف ، وما أعرفه ، فتهيأت له ، وتهيَّأ له رجل من الأنصار من الناحية الأخرى ، كِلانا يُريده فهززتُ حَرْبتى حتى إذا رَضيت منها دفعتُها عليه ، فوقعت فيه ، وشدّ عليه الأنصاريّ فضربه بالسيف ، فربُّك أعلم أيُّنا قتله ، فإن كنتُ قتلتُه ، فقد قتلتُ خيرَ الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد قتلتُ شر الناس .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن الفضل ، عن سُليمانَ بن يَسارٍ ، عن عبدِ الله بن عُمَر بن الخطَّاب ، وكان قد شَهِد اليمامة ، قال : سمعت يومئذٍ صارخاً يقول : قتله العبدُ الأسود .

خلع وحشيّ من الديوان

قال ابن هشام : فبلغنى أن وحشياً لم يزل يُحَدُّ فى الخمر حتى خُلِع من الديوان ، فكان عمرُ بن الخطَّاب يقول : قد علمتُ أن الله تعالى لم يكُن ليَدَع قاتل حَمْزة .

مقتل مصعب بن عمير

قال ابن إسحاق : وقاتل مُصْعَبُ بن عُمَير دون رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قُتِل ، وكان الذى قتله ابن قَمِئَةَ اللّيثى ، وهو يَظُن أنه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فرَجع إلى قُريش فقال : قتلتُ محمداً . فلما قُتل مُصْعب ابن عُمير أعطى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم اللّواءَ علىّ بنَ أبى طالب ، وقاتل علىّ بن أبى طالب ورجالٌ من المسلمين .

قال ابن هشام : وحدثنى مَسْلمة بن عَلْقمة المازنى ، قال : لما اشتد القتال يومَ أُحد ، جلَس رسولُ الله صلى الله عليه وسلم تحت راية الأنصار ، وأرسل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى على بن أبى طالب رضوان الله عليه : أن قَدّم الراية . فتقدّم علىّ ، فقال : أنا أبو القُصَم ، ويقال : أبو القُصَم ، فيما قال ابن هشام ـ فناداه أبو سَعْد بن أبى طَلْحة ، وهو صاحب لواء المشركين : أنْ هل لك يا أبا القُصَم فى البراز من حاجة ؟ قال : نعم . فبرزَ بين الصَّفّين ، فاختلفا ضَرْبتين فضرَبه علىّ فصرَعه ، ثم انصرف عنه ولم يُجْهز عليه ؛ فقال له أصحابُه : أفلا أجهزت عليه ؟ فقال : إنه استقبلنى بعَوْرته ، فعطَفتْنى عنه الرّحم ، وعرفتُ أن الله عزّ وجلّ قد قتله .

ويقال : إنّ أبا سعد بن أبى طَلْحَةَ خرج بين الصَّفّين ، فنادى أنا قاصمٌ مَنْ يُبارز برازاً ، فلم يخرجْ إليه أحدٌ . فقال : يا أصحاب محمد ، زعمتم أن قتلاكم فى الجنّة ، وأن قتلانا فى النار ، كذبْتم واللات ! لو تعلمون ذلك

حقًا فخرج إليَّ بعضُكم ، فخرج إليه عليّ بن أبى طالب ، فاختلفا ضَرْبتين . فضربه عليّ فقتله .

قال ابن إسحاق : قتل أبا سَعْد بن أبى طلحة سعدُ بن أبى وقّاص .

شأن عاصم بن ثابت

وقاتل عاصمُ بن ثابت بن أبى الأَقْلح . فقتل مُسافع بنَ طلحة وأخاه الجُلاس بن طلحة كلاهما يُشْعِره سَهْماً . فيأتى أُمَّه سُلافَة . فيضع رأسه فى حجْرها فتقول : يا بُنىّ . من أصابك ؟ فيقول : سمعتُ رجلا حين رمانى وهو يقول : خُذها وأنا ابن أبى الأَقْلح . فنذرتْ إن أمكنها الله من رأس عاصم أن تَشرب فيه الخمر . وكان عاصم قد عاهد الله أن لا يمسّ مُشْركا أبداً . ولا يمسه مشرك .

وقال عثمان بن أبى طلحة يومئذ ، وهو يحمل لواء المشركين :

إنّ على أهْلِ اللِّواء حَقًّا　　أن يَخْضِبوا الصَّعْدة أو تَنْدَقَّا

فقتله حمزةُ بن عبد المطلب .

حنظلة غسيل الملائكة

والتقى حَنْظلة بن أبى عامر الغَسيل وأبو سفيان ، فلما استعْلاه حَنْظلةُ ابن أبى عامر رآه شدّاد بن الأسود ، وهو ابن شَعوب ، قد علا أبا سفيان . فضربه شدّاد فقتله . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إن صاحبكم ، يعنى

. . . .

حنظلة لَتُغَسِّله الملائكة . فسألوا أهلَه ما شأنُه ؟ فسئلت صاحبته عنه . فقالت: خرَج وهو جُنُب حين سَمِع الهاتفة .

— قال ابن هشام : ويقال : الهائعة . وجاء فى الحديث : خيرُ النَّاس رجلٌ مُمْسك بعنان فَرسه ، كلما سمع هَيْعة طار إليها . قال الطِّرِمَّاح بن حَكيم الطائى ، والطِّرِمَّاح : الطويل من الرجال :

أنا ابن حُماة المَجْد من آلِ مالك ... إذا جَعلَتْ خُورُ الرِّجال تَهِيعُ

(والهَيْعة : الصَّيحة التى فيها الفزع) .

قال ابن إسحاق : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لذلك غسلته الملائكة .

شعر الأسود فى قتلهما حنظلة وأبا سفيان

(قال ابن إسحاق) : وقال شَداد بن الأسود فى قَتْله حنظلة :

لأَحْمِيَنَّ صاحبى ونَفْسى ... بطَعْنة مثلِ شُعاع الشَّمسِ

وقال أبو سُفيان بن حَرْب ، وهو يذكر صَبْره فى ذلك اليوم ، ومعاونة ابن شَعُوب إيَّاه على حَنْظَلَة :

ولو شِئْتُ نَجَّتْنِي كُمَيْتٌ طِمِرَّةٌ ... ولم أَحْمِل النَّعْماء لابن شَعُوبِ

وما زال مُهْرى مَزْجرَ الكلبِ منهمُ ... لدُنْ غُدْوَةً حتى دنَتْ لغُروب

أُقاتِلُهمْ وأَدَّعِى يالَغالِبِ ... وأَدْفَعُهمْ عنى برُكْن صَلِيب

• • • • • • • • • • • •

فبكّي ولا تَرْعَى مَقالَةَ عاذِلٍ ... ولا تَسْأَمِي من عَبْرة ونحيب

أباكِ وإخوانا له قد تتابعوا ... وحُقَّ لهم من عَبْرة بنَصيب

وسَلَّى الذى قد كان فى النفس أنَّنِي ... قَتَلْتُ من النَّجّار كُلَّ نَجيب

ومن هاشمٍ قَرْماً كريماً ومُصْعَباً ... وكان لَدَى الهَيْجاء غيرَ هَيُوب

ولو أننى لم أشْفِ نفسىَ منهمُ ... لكانت شجًا فى القَلْب ذاتَ نُدُوب

فآبوا وقد أوْدى الجلابيبُ منهمُ ... بهم خَدَبٌ من مُعْطِبٍ وكئيب

أصابهم مَن لَمْ يكُن لدمائهم ... كِفاءً ولا فى خُطَّة بضَريب

شعر حسان في الرد على أبي سفيان

فأجابه حسَّان بن ثابت ، فيما ذكر ابن هشام ، فقال :

ذَكَرْتَ القُرومَ الصِّيدَ من آل هاشمٍ ... ولَسْتَ لزُورٍ قُلْتَه بمُصيبِ

أتعجَب أن أقصدْت حمزةَ منهمُ ... نجيباً وقد سَمَّيْتَه بنَجيب

ألم يقْتُلوا عمراً وعُتْبة وابنَه ... وشَيْبة والحجّاج وابنَ حَبِيب

غداةَ دَعا العاصِى عليّاً فَرَاعَه ... بضَرْبة عَضْب بَلَّه بخَضيبِ

قال ابن إسحاق : وقال ابنُ شَعُوب يذكر يدَه عند أبى سُفيان فيما دفع عنه ، فقال :

ولولا دِفاعى يابن حَرْب ومَشْهَدى ... لأُلْفِيت يوم النَّعْف غيرَ مُجيبِ

ولولا مَكَرِّى المُهْرَ بالنَّعف قَرْقَرت ... ضِباعٌ عليه أو ضِراءُ كَليب

قال ابن هشام : قوله « عليه أو ضراء » عن غير ابن إسحاق .

شعر الحارث فى الرد على أبى سفيان أيضاً

قال ابن إسحاق : وقال الحارث بن هشام يُجيب أبا سُفيان :

جَزَيْتهم يوْماً ببَدْر كمِثْله على سابحٍ ذى مَيْعَةٍ وشَبِيبِ
لَدَى صَحْن بَدْرٍ أو أقمت نوائحاً عليك ولم تَحْفِل مُصاب حَبِيب
وإنَّك لو عاينتَ ما كان منهمُ لأُبْتَ بقَلْب ما بقيتُ نَخِيب

قال ابن هشام : وإنما أجاب الحارث بن هشام أبا سفيان لأنه ظنَّ أنه عرّض به فى قوله :

ومازال مُهرِى مَزْجَرَ الكلب منهم

لفرار الحارث يوم بدر .

حديث الزبير عن سبب الهزيمة

قال ابن إسحاق : ثم أنزل الله نَصْرَه على المسلمين وصدَقهم وَعْدَه ، فحسُّوهم بالسيوف حتى كَشَفوهم عن العَسْكر ، وكانت الهزيمة لاشكّ فيها .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عبَّاد ، عن عبد الله بن الزبير ، عن الزبير ، أنه قال : والله لقد رأيتنى أنظرُ إلى خَدَم هِنْد بنت عُتبة وصَواحبها مشمِّرات هوارب ، ما دون أخْذهن

قليلٌ ولا كثيرٌ إذ مالت الرّماةُ إلى العسكر ، حين كَشَفنا القومَ عنه وخلّوا ظهورنا للخيل ، فأُتينا مِن خَلْفنا ، وصَرخ صارخ : ألا إن محمداً قد قُتل ؛ فانكفأنا وانكفأ علينا القوم بعد أن أصَبْنا أصحابَ اللِّواء حتى ما يدنو... أحدٌ من القوم.

قال ابن هشام : الصارخ : أزبُّ العقبة ، يعنى الشيطان.

شجاعة صؤاب وشعر حسان فى...

قال ابن إسحاق : وحدثنى بعضُ أهل العلم : أن اللِّواء لم يزل صَريـ... أخذته عَمْرة بنت عَلْقمة الحارثيَّـة ، فرفعته لقُريش ، فلاثوا به . وكان ... مع صؤاب ، غلامٌ لبنى أبى طَلْحة ، حبشىٌ وكان آخر من أخذه منهم ، ف... به حتى قُطِعت يداه ، ثم بَرَك عليه ، فأخذ اللواء بصَدْره وعُنقه حتى قُتل عليه وهو يقول : اللهمَّ هل أعْزرت ـ يقول : أعذرت ـ فقال حسّان بن ثابت فى ذلك :

فَخَرْتُم باللِّواء وشرُّ فَخْرٍ ... لواء حين رُدَّ إلى صُؤابِ
جعلتم فَخْرَكم فيـه بعَبْدٍ ... وألأم مَنْ يَطا عَفَر التراب
ظننتم ، والسَّفيه له ظُنون ... وما إن ذاك من أمر الصَّواب
بأنَّ جِـلادنا يومَ التقَينا ... بمكّة بيعُكم حُمْر العِياب
أقرَّ العـينَ أن عُصِبت يداه ... وما إن تُعْصَبان على خِضاب

قال ابن هشام : آخرُها بيتاً يُروى لأبى خِراش الهُذلىّ ، وأنشدنيه له خَلَفٌ الأحمر :

أقرّ العينَ أن عُصبت يدَاها ... وما إن تُعصبان على خِضاب

فى أبيات له . يعنى امرأته . فى غير حديث أُحد . وتروى الأبيات أيضاً لمعقل بن خُويلد الهُذلىّ .

شعر حسان فى عمرة الحارثية

قال ابن إسحاق : وقال حسّان بن ثابت فى شأنَ عمْرة بنت عَلقمة الحارثيّة ورَفْعها اللّواء :

إذا عَضَلٌ سِيقَتْ إلينا كأنها ... جِدَاية شِرْكٍ مُعْلَمَاتِ الحواجِبِ

أقمْنا لهم طَعْناً مُبيراً مُنَكِّلا ... وحُزْناهم بالضَّرْب من كلّ جانب

فلوْلا لِواء الحارثيّة أصبحُوا ... يُباعون فى الأسْواق بيعَ الجلائب

قال ابن هشام : وهذه الأبيات فى أبيات له .

ما لقيه الرسول يوم أُحد

قال ابن إسحاق : وانكشف المسلمون ، فأصابَ فيهم العدوّ ، وكان يومَ بلاء وتَمْحيص ، أكرم الله فيه من أكرم من المسلمين بالشهادة ، حتى خلص العدوّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فدُثّ بالحجارة حتى وقع لشِقّه ، فأصيبت رَباعيَتُه ، وشُجّ فى وجهه ، وكُلِمت شَفَته ، وكان الذى أصابه عُتْبة ابن أبى وقّاص .

قال ابن إسحاق : فحدّثنى حُميد الطّويل ، عن أنس بن مالك ، قال :

كُسِرَتْ رَبَاعِيَةُ النبىّ صلى الله عليه وسلم يوم أُحد ، وشُجَّ فى وجهه ، فجعل الدمُ يَسيل على وجهه ، وجعل يَمْسح الدم وهو يقول: كيف يُفلح قومٌ خَضَبوا وجه نبيّهم ، وهو يدْعوهم إلى ربهم ! فأنزل الله عزّ وجلّ فى ذلك : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾.

قال ابن هشام : وذكر رُبَيح بن عبد الرحمن بن أبى سَعيد الخُدْرىّ عن أبيه ، عن أبى سَعيد الخُدرىّ : أن عُتبة بن أبى وقّاص رمى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ، فكَسَر رَباعيته اليُمنى السُّفلى ، وجرح شفته السُّفلى ، وأن عبد الله بن شهاب الزهرى شجّه فى جَبْهته ، وأن ابن قَمِئَة جرَح وَجنته فدخلت حَلقتان من حَلَق المغفر فى وَجنته ، ووقع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حُفْرة من الحُفر التى عمل أبو عامر ليقع فيها المسلمون ، وهم لا يعلمون ؛ فأخذ علىّ بن أبى طالب بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورَفعه طَلحة ابن عُبيد الله حتى استوَى قائمًا ، ومصّ مالك بن سِنَان ، أبو أبى سعيد الخُدرى ، الدمّ : عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ازدرده ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من مَسّ دمى دمَه لم تُصبه النار .

قال ابن هشام : وذكر عبدُ العزيز بن محمد الدَّراوردى : أن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : من أحبّ أن يَنظُر إلى شَهيد يَمْشى على وجه الأرض فليَنْظر إلى طَلحة بن عُبيد الله .

وذكر ، يعني عبد العزيز الدَّرَاوَرْدِي ، عن إسحاق بن يحيى بن طلحة ، عن عيسى بن طلحة ، عن عائشة ، عن أبي بكر الصدّيق : أن أبا عُبيدة بن الجرّاح نَزَع إحدى الحَلْقتين من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسقطت ثَنِيَّتُه ، ثم نزع الأخرى ، فسقطت ثنيّته الأخرى ، فكان ساقطَ الثَّنِيَّتين .

شعر حسان في عتبة وما أصاب به الرسول

قال ابن إسحاق : وقال حسَّان بن ثابت لعُتبة بن أبي وقَّاص :

إذا اللهُ جازَى مَعْشَراً بفِعالِهم ... وَضَرَّهم الرَّحمن ربّ المَشارِقِ
فأخزاك ربى يا عُتَيبَ بن مالك ... ولقَّاك قَبْل الموت إحدى الصَّوَاعق
بَسَطْتَ يميناً للنَّبِيّ تَعَمُّداً ... فأدميت فاهُ ، قُطِّعَت بالبَوارق
فهلاَّ ذكرتَ اللهَ والمَنْزِل الذى ... تَصِير إليه عند إحدى البوائِقِ

قال ابن هشام : تركنا منها بيتين أقذع فيهما .

ابن السكن وبلاؤه يوم أحد

قال ابن إسحاق : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين غَشِيَه القومُ : مَن رجلٌ يَشْرى لنا نفسه ؟ كما حدثنى الُحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد ابن معاذ ، عن محمود بن عمرو ، قال : فقام زياد بن السَّكَن فى نفر خمسة من الأنصار ـ وبعضُ الناس يقول : إنما هو عُمارة بن يزيد بن السَّكَن ـ فقاتلوا دون رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، رجلا ثم رجلا ، يُقتَلون دونه ،

. . . .

حتى كان آخرهم زياد أو عُمارة ، فقاتل حتى أثبتته الجراحة ، ثم فاءت فِئةٌ من المُسلمين ، فأجهَضوهم عنه ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أدْنُوه منى ، فأدنَوْه منه ، فوسَّده قدَمه ، فمات وخدُّه على قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حديث أم سعد عن نصيبها فى الجهاد يوم أحد

قال ابن هشام : وقاتلت أمّ عُمارة ، نُسيبة بنت كعب المازنيَّة يوم أُحد .

فذكر سَعيد بن أبى زيد الأنصارىّ : أن أم سعد بنت سَعْد بن الرَّبيع كانت تقول : دخلتُ على أم عُمارة ، فقلت لها : يا خالة ، أخْبرينى خَبرك ، فقالت : خرجتُ أوّل النهار وأنا أنظرُ ما يَصْنع الناس ، ومعى سِقاء فيه ماء ، فانتهيتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو فى أصحابه ، والدولةُ والريح للمُسلمين . فلما انهزم المُسلمون ، انحزتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقُمْت أُباشر القِتال ، وأذبّ عنه بالسّيف ، وأرْمى عن القَوْس ، حتى خَلَصت الجراحُ إلىّ . قالت : فرأيتُ على عاتقها جُرحًا أجْوَفَ له غَوْر ، فقلت : من أصابك بهذا؟ قالت : ابن قَمِئَة ، أقْمأه الله ! لما ولى الناسُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل يقول : دلونى على محمد ، فلا نَجَوْتُ إن نجا ، فاعترضتُ له أنا ومُصْعَبُ بن عُمَير ، وأُناسٌ ممّن ثَبت مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فضربنى هذه الضّربةَ ، ولكن فلقد ضَربته على ذلك ضَربات ، ولكنّ عدوّ الله كان عليه دِرْعان .

. . . .

أبو دجانة وابن أبى وقاص يدفعان عن الرسول

قال ابن إسحاق : وتَرّس دون رسول الله صلى الله عليه وسلم أبودُجانَةَ بنفسه ، يقع النّبلُ فى ظهره ، وهو مُنحنٍ عليه ، حتى كُثر فيه النّبلُ . ورمى سعدُ بن أبى وقّاص دون رسولِ الله صلى الله عليه وسلم . قال سعد: فلقد رأيتُه يُناولنى النّبل وهو يقول : ارمِ ، فِداكَ أبى وأمى ، حتى إنه ليناولنى السّهم ماله نَصْل . فيقول : ارمِ به.

بلاء قتادة وحديث عينه

قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصمُ بن عمر بن قتادة أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم رَمى عن قوْسه حتى اندقّت سِيَتُها ، فأخذها قَتَادة بن النُّعْمَانِ ، فكانت عنده ، وأُصيبت يومئذ عينُ قَتادة بن النُّعمان ، حتى وقعت على وَجنْته .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عُمَرَ بن قَتَادة : أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم رَدّها بيده ، فكانَتْ أحْسَنَ عَيْنيه وأحَدّهما .

شأن أنس بن النضر

قال ابن إسحاق : وحدثنى القاسم بن عبد الرحمن بن رافع أخو بنى عدىّ ابن النجّار ، قال : انتهى أنسُ بن النّضر ، عمّ أنس بن مالك ، إلى عمر بن الخطّاب ، وطلحة بن عبيد الله ، فى رجال من المُهاجرين والأنصار ، وقد ألقوْا

بأيديهم ، فقال : ما يُجلسكم ؟ قالوا : قُتل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، قال : فماذا تَصْنعون بالحياة بعده ؟ (قوموا) فموُتوا على ما مات عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ثم استقبل القومَ ، فقاتل حتى قُتل : وبه سمّي أنس بن مالك

قال ابن إسحاق : فحدثني حُميد الطويل ، عن أنس بن مالك ، قال : لقد وجدنا بأنس بن النَّضر يومئذ سبعين ضربة ، فما عَرفه إلا أختُه ، عرفته ببَنانه .

ما أصاب ابن عوف من الجراحات

قال ابن هشام : حدثني بعض أهل العلم : أن عبد الرحمن بن عوف أُصيب فُوه يومئذ فهُتم ، وجُرح عشرين جراحة أو أكثر ، أصابه بعضُها في رِجله فعَرج.

أول من عرف الرسول بعد الهزيمة

قال ابن إسحاق : وكان أوّل من عَرف رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بعد الهزيمة ، وقولِ الناس : قُتل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، كما ذكر لي ابنُ شهاب الزهريّ كعبُ بن مالك ، قال : عرفت عينيه تَزْهران من تحت المِغفر ، فناديتُ بأعلى صَوتي : يامعشَر المسلمين ، أبشروا ، هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأشار إليّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أن أنْصِت .

قال ابن إسحاق : فلما عرف المُسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم نَهضوا به ، ونَهض معهم نحو الشِّعب ، معه أبو بكر الصدّيق ، وعمر بن الخطَّاب ، وعليّ بن أبي طالب ، وطلحة بن عبيد الله ، والزُّبير بن العوّام ، رضوان الله عليهم ، والحارث بن الصّمة ، ورهط من المسلمين .

قتل محيصة اليهودي

مُحَيِّصَةُ بن مسعود كان أصغر من أخيه حُوَيِّصة، لكن سبقه إلى الإسلام، كما ذكر ابن إسحاق، وشهد أُحُداً والخَنْدَق، وأرسله النبيُّ صلى الله عليه وسلم إلى أهلِ فَدَك يدعوهم إلى الإسلام، وهو الذى اسْتَفْتَى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم - فى أُجْرةِ الحجّام، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: بعد ما ألح عليه فى المسْأَلَة: اعْلِفه نَاضِحَكَ واجْعَلْه فى كَرِشِكَ، وذلك أن أبا طِيبَةَ الحَجَّامَ[1]، كان عَبْداً له، وقد تقدم اسمُ أبى طِيبَة.

وقوله: ما بين بُصرَى ومَأْرب. بُصرَى بالشام، ومأرِبُ باليَمَن، حيث كان السَّدُّ، ومأرب: اسم قَصرٍ كان لسَبَأ. وقال المسعودى: مأرِبُ اسمٌ كُلِّ مَلِكٍ وَلِيَ أَمْرَ سَبَأ، كَخَاقَان فى التُّرك، وكِسْرى فى الفُرْس وقَيْصَر فى الرُّومَ، والنَّجاشِيِّ فى الحَبَشَة.

وحُوَيِّصَةُ[2]: تصغير حَوْصَة من حُصْتُ الثَّوْبَ إذا خِطْتَه.

وفى حديثهما ذكر سُنَيْنَةَ المقتولِ، كأنه تصغير سِنٍّ. وقال ابن هشام فى اسمه: سُبَيْنَة بالباء كأنه مصغر تصغير الترخيم من سَبَنِيَّة، قال صاحب العين: السَّبَنِيَّة ضَرْبٌ من النبات، وأما شُنَيْنَةُ بالشين المنقوطة. فوالد

---

(١) فى الصحيحين أنه حجم رسول الله « ص ».

(٢) ضبط القاموس الإسمين بقوله: وحويصة ومحيصة ابنا مسعود مشددتى الصاد صحابيان. وضبطا بفتح الصاد.

. . . .

صِقْلَابِ بنِ شُنْتَيِنة(١) قرأ على نافِعِ بن أبى نعيم ، وقال : قال لى نافعٌ : ياصِقْلَابُ بين النون عند الحاء والخاء والعَيْنِ والغَيْنِ والهاء والألِفِ .

غزوة أحد

فصل أحد :

وَأُحُدٌ الجبلَ المعروفُ بالمدينة ، سُمِّى بهذا الاسم لتوحُّدِه وانقطاعِه عن جبَالٍ أُخَرَ هُنَالكَ ، وقال فيه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ هذا جَبَلٌ يُحِبُّنا ونُحِبُّه(٢) ، وللعلماء فى معنى هذا الحديث أقوالٌ . قيل أرادَ أهلَه ، وهم الأنصارُ ، وقيل أرادَ أنه كان يُبشِّره إذا رآه عند القُدوم من أسفاره بالقُرْب من أهله ولقائهم ، وذلك فعل المُحِبِّ ، وقيل : بل حُبُّه حَقِيقَةٌ ، وُضع الحبُّ فيه كما وُضع التسبيحُ فى الجبَالِ المُسَبِّحَة مع داود ، وكما وُضِعَتْ الخَشْيَةُ فى الحِجارة التى قال الله فيها : ﴿ وإنَّ مِنْها لَما يَهبِطُ مِنْ خَشْيَةِ الله ﴾ وفى الآثار المُسْنَدة أن أُحُداً يوم القيامة عند باب الجنة مِنْ داخِلِها ، وفى بعضها أنه رُكْنٌ لبابِ الجَنَّةِ(٣) ، ذكره ابن سَلَّام فى تفسيره ، وفى المُسْنَد من طريق

---

(١) هو فى القاموس : سقلاب ـ بالسين ـ القارىء المصرى .

(٢) رواه الشيخان والترمذى وأحمد والطبرانى ، وفى رواية البخارى بيان أن ذلك كان عند القدوم من خيبر ولفظ رواية ابن شبة أنه ـ أى أنس ـ أقبل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر ، فلما بدا لهم أحد قال الحديث . ولكن فى رواية أخرى البخارى أن ذلك كان فى رجوعه « ص » من الحج ، وقيل : وهو عائد من غزوة تبوك .

(٣) رواه أبو يعلى والطبرانى ، وبلغ من ضعفه أن يقول السيوطى عنه إنه ضعيف

. . . .

أبى عبس بن جبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أُحُدٌ يُحِبُّنا ونُحِبُّه ، وهو على باب الجنة ، قال : وعَيْرٌ يُبْغِضُنا ونُبْغِضُه ، وهو على باب من أبواب النار(١) ، ويُقَوِّيه قوله صلى الله عليه وسلم : المرء مع مَنْ أحَبَّ(٢) ، مع قوله : يُحِبُّنَا ونُحِبُّه ، فتناسبت هذه الآثارُ ، وشدَّ بعضُها بعضاً .

مشاكلة اسم الجبل لأغراضه التوحيد :

وقد كان عليه السلام يحب الاسمَ الحَسَنَ ولا أَحْسَنَ من اسمٍ مُشْتَقٍّ من الأَحَدِيَّة ، وقد سَمَّى اللهُ هذا الجبل بهذا الاسم ، تَقْدِمَةً لما أرادهُ سُبْحانه من مُشَاكَلَةِ اسمِه ، ومعناه ، إذ أهلُه وهم الأنصارُ نَصَرُوا التوحيدَ والمبعوثَ بدين التوحيد ، عنده استقر حيًّا ومَيِّتاً ، وكان من عادته عليه السلام أن يَسْتَعمِلَ الوِتْرَ ويُحِبُّه في شأنه كلِّه اسْتِشْعاراً للأَحَدِيَّة(٣) ، فقد وافق اسم هذا الجبل لأغراضِه عليه السلام ومقاصدِه في الأسماء ، فقد بَدَّل كثيراً من الأسماء استِقباحاً لها من أسماء البِقاع وأسماء الناس ، وذلك لا يُحْصَى كَثْرَةً ؛ فاسمُ هذا الجبلِ من أَوْفَق الأسماء له ، ومع أنه مُشْتَقٌّ من الأَحَدِيَّة ، فحركاتُ حروفِه

(١) رواه الطبري في الأوسط ، وكذلك قال عنه السيوطي إنه ضعيف .

(٢) متفق عليه .

(٣) أظنه يقصد المصدر الصناعي من أحد . لا الأحدية التي يتكلم عنها الصوفية ، وهي الوجود الإلهي المجرد عن الأسماء والصفات . وقد وفيته بحثا في كتابي « هذه هي الصوفية » ، وفيه أن الأحدية الصوفية لا تنتسب إلى الحق من دين الله .

. . . .

الرَّفْعِ ، وذلك يُشعِر بارتفاع دينِ الأحَدِ ، وعلوِّه ، فتعلَّق الحبُّ من النبى صلى الله عليه وسلم به اسماً ومُسمًّى ، فخُصَّ من بين الجبال بأن يكون معه فى الجنة ، إذا بُسَّتِ الجبالُ بَسًّا ، فكانت هَبَاءً مُنْبَثًّا(١) وفى أُحُدٍ قبرُ هارون أخى موسى عليهما السلام ، وفيه قُبِضَ ، وثَمَّ واراه موسى عليه السلامُ ، وكانا قد مَرَّا بأُحُدٍ حاجَّين ، أو مُعْتَمِرين ، روى هذا المعنى فى حديث أسنده الزُّبيرُ عن رسولِ اللهِ — صلى الله عليه وسلم — فى كتاب فضائل المدينة(٢) .

وذكر ابن إسحاق مَسِيرَ قُرَيْشٍ بالظُّعُنِ التِماسَ الحفيظة ، والحَفِيظةُ الغضبُ لِلحُرَمِ ، ويقال أحْفَظَ الرَّجلُ إذا أُغْضِبَ .

---

(١) رواية أنه معه فى الجنة رواية واهية ساقطة .

(٢) رواه ابن أبى شبة وابن زبالة ، وفى متنه دليل سقوطه . فقد روى أن موسى وهارون خرجا حاجين أو معتمرين ، حتى إذا قدما المدينة خافا اليهود ، فنزلا أحد وهارون مريض ، فحفر له موسى قبرا بأحد ، وقال : يا أخى أدخل فيه ، فإنك ميت ، فدخل فيه فلما دخل قبضه الله ، فحثا موسى عليه التراب . كيف يجرؤ موسى على الحكم بموت أخيه ؟ لا يجوز إسناد هذا البغى على الله إلى نبى . ويقول السمهودى : بأحد شعب عرف بشعب هارون يزعمون أن قبر هارون عليه السلام فى أعلاه ، وهو بعيد حساً ومعنى ، وليس ثم ما يصلح للحفر وإخراج التراب . وقال فى الفتح عن سند الزبير للحديث وسند الزبير فى ذلك ضعيف جدا من جهة شيخه ابن زبالة ، ومنقطع ، وليس بمرفوع وفى النور عن ابن دحية أنه باطل بيقين إنما مات فى موضع على ساعة من مدينة جبلة من مدن الشام . وقيل إن قبر هارون بجبل مشرف قبلى بيت المقدس كما ذكر ياقوت فى كتابه المشترك . وفى الأنوار أنه مات فى التيه .

رفع عبد الرحمن الهجري
المسلم

رُؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم :

فصلٌ : وذكر رُؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأى بَقراً تُنحَر حوله ، وثَلْمَةً فى سَيْفه وفى غير السيرة قال رأيت بقراً تُنْحَر والله خَيْرٌ ، فأوّلتُ الخير ماجاء الله به من الخير يَوْمَ بَدْر ، وقد كانت بَدْرٌ قَبل أُحُدٍ، ولكن نفع اللهُ بذلك الخير الذى كان فى يوم بدرٍ، وكان فيه تَأْسِيَةٌ وتَعْزِيةٌ لهم، فلذلك تضمّنته الرؤيا بقول الله تعالى ﴿أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قد أَصَبْتُم مِثْلَيْهَا﴾ وفى البخارى : ما جاء الله به من الخير بعد بَدْرٍ . وفى مُسْلِمٍ : وإذا الخيرُ ماجاء الله به بعدُ وثوابُ الصِّدْق الذى أتانا اللهُ به يوم بَدْرٍ ، وهذه أَقلُّ الرِّوايات إشْكالا .

« قال المؤلف » أبو القاسم [السهيلى] : أمّا البقرُ فعبارة عن رجال مُسَلَّحِينَ يَتَنَاطَحُون وقد رأت عائشة — رضى الله عنها — مثلَ هذا ، فكان تأويلُه قتلَ مَن قُتِلَ معها يوم الجَمَلِ .

وقوله : والله خَيْرٌ ، أى : رأيت بقراً تُنْحَر ، ورأيت هذا الكلامَ ، لأن الرّائىَ قد يُمَثّل له كلامٌ فى خَلَدِه ، فيراه بوَهْمِه ، كما يرى صورة الأشياء ، ومَنْ خَبَر أحوال الرُّؤيا عَرَف هذا من نفسه ، ومِنْ غيره ، لكنَّ الصُّوَرَ المَرْئِيّةَ فى النوم تكون فى الغالب أمثالا مَضروبةً ، وقد تكون على ظاهرِها ، وأما الكلام الذى يسمعه بسَمْعِ الوَهْم مُمَثَّلاً فى الخَلَد ، فلا يكون إلا على ظاهرِه ، مثل أن يَسْمَعَ : أنتَ سالمٌ أو اللهُ خَيْرٌ لك ، أو ما أَشْبَهَ هذا من الكلام ، فليس له معنىً سوى ظاهره .

وذكر أن فَرَساً ذَبَّ بَذَنبه ، فأصاب كُلاَّبَ سَيْفٍ فاسْتَلّه . قال

. . . .

ابن هشام: كَلْبُ السَّيْفِ هى الحديدةُ المُعَقْفَة؛ وهى التى تلى الغِمْدَ، وفى كتاب العين: الكَلْب مِسْمار فى قائم السيف.

الفأل والطيرة:

قال: وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يُحِبُّ الفَأْلَ، ولا يَعْتَافُ، يَفْتَالُ يَفْتَعِلُ من العِيَافَةِ. وظاهر كلامِه أن العِيافةَ فى المَكْرُوه خاصَّةً، والفأل فى المحبوب، وقد يكون فى المكروه، والطِّيَرة تكون فى المحبوب والمَكْرُوه، وفى الحديث أنه نَهَى عن الطِّيَرَة، وقال: خيرُها الفَأْلُ، فدلَّ على أنها تكون على وُجُوهٍ والفَأْلُ خيرُها[1]. ولفظُها يُعْطِى أنها تكون فى الخَيْرِ والشَّرِّ، لأنها من الطَّيْر، تقول العرب: جرى له الطائرُ بخيْر، وَجَرى له بِشَرٍّ، وفى التنزيل: ﴿ وكُلَّ إنسانٍ أَلْزَمْنَاهُ طائِرَهُ فى عُنُقِه ﴾[2].

وقوله فى هذا الحديث: فإنى أرى السُّيوفَ سَتُسَلُّ اليوم، يقوِّى ما قَدَّمناه من التَّوَسُّمِ والزَّجْرِ المصيب، وأنه غير مكْرُوهٍ[3] لكنه غير

(١) يقول ابن الأثير: وإنما أحب الفأل، لأن الناس إذا أملوا فائدة الله ورجوا عائدته عند كل سبب ضعيف أو قوى فهم على خير، ولو غلطوا فى جهة الرجاء، فان الرجاء لهم خير، وإذا قطعوا أملهم ورجاءهم من الله كان ذلك من الشر، وأما الطيرة، فان فيها سوء الظن بالله، وتوقع البلاء.

(٢) من حديث البخارى ومسلم قوله: «لا طيرة ويعجبنى الفأل الحسن، قالوا وما الفأل؟ قال الكلمة الطيبة».

(٣) يقول الامام ابن الأثير فى مفرداته: والزجر للطير هو التيمن والتشؤم بها والتفؤل بطيرانها كالسانح والبارح وهو نوع من الكهانة والعيافة، والكهانة =

رفع
المسهم
عز الله لطالع

. . . .

مَقْطُوعٍ به إلَّا أنْ يكونَ من كَلَام النبيِّ صلى الله عليه وسلم، وقد قدمنا فيه قولا مُقْنِعاً فى حديث زَمْزَمَ و نُقْرَةِ الغُرابِ الأَعْصَمِ ، و لله فى كُلِّ شىء حِكْمَةٌ ، و إِعْمَالُ الفِكرِ فى الوقوفِ على حِكْمَةِ اللهِ عِبادَةٌ .

المستصغرون يوم أحد :

وذكر المُسْتَصْغَرِينَ يومَ أُحُدٍ الذين أرادوا الخروجَ مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فردَّ أصغرَهم ، منهم البَرَاء بن عازِبٍ وَأُسَيْدُ بنُ ظُهَيْرٍ وزَيْدُ بن ثابِتٍ إلى آخرهم ، ولم يذكر فيهم عَرَابَةَ بن أَوْسِ بن قَيْظِىّ ، وقد ذكرته طائفةٌ فيهم ، وممن ذكره فيهم القُتَبِىُّ فى كِتابِ المعارف ، وهو الذى يقول فيه الشَّمَّاخُ :

إذا ما رَايَةٌ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ تَلَقَّاها عَرَابَةُ باليَمِينِ (١)

= كفر . ولست أدرى كيف يربط الإنسان قدره ومصيره بطائر تحركه صدفة نحو اليمين ، وأخرى نحو الشمال ؟ ، وكيف نجعل هذه الصدفة من حياة الإنسان بسمة سعادة وآية شقاء ؟ وقد أخرج أحمد بسند جيد « إن العيافة والطرق والطيرة من الجبت » وأخرجه أبو داود والنسائى وابن حبان

(١) ص ١١٢ المعارف لأبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الكاتب الدينورى ط ١٣٠٠ هـ وقد استشهد القتبى ببيت آخر للشماخ هو

رأيت عرابة الأوسى يسمو إلى الغايات منقطع القرين

وكذلك ذكره الطبرى ، وقد ذكر بيتى الشعر بوضع الخيرات مكان الغايات ص ٥٠٥ ج ٢ ط دار المعارف .

وقد ذكره ابن حبيب فى المحبر من أجواد الإسلام ، وأشراف العميان ص ١٥٥ ، ٢٩٨ . وهو فى الإصابة ابن قيظى .

. . . .

وبقرابة أخ اسمه : كَبَاثَة ، له صُحْبَة . ومن المُسْتَصْغَرين يوم أُحُدٍ سَعْدُ بن حَبْتَةَ ، عُرِف بأمِّه ، وهى حَبْتَةُ بنت مالكٍ أنصارية ، وهو سعد ابن بُجَيْر من بَجِيلَةَ ، ردَّه النبىُّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم أُحُدٍ لِصِغَر سِنِّه ، فلما كان يوم الخَنْدَقِ رآه يقاتل قِتالا شديداً ، فدعاهُ ومَسَحَ على رأسِه ، ودعا له بالبَرَكةِ فى ولده ونَسْله ، فكان عمَّا لأربعين ، وخالاً لأربعين ، وأباً لعشرين ، ومن ولده أبو يُوسُفَ القاضِى يَعْقُوبُ بن إبراهيمَ بن حَبيب بن حُبَيْشٍ بن سَعْد بن حَبْتَةَ .

حول شعر هند بنت عتبة :

وذكر قول هِنْدٍ بنت عُتْبَةَ :

وَيْهاً بنى عَبْدِ الدَّار

وَيْهاً كلمة معناها الإغراء .

قال الراجز :

وهو إذَا قيلَ له وَيْهاً فُلُ فإنه مُواشِكٌ مُسْتَعْجِلُ(١)

---

(١) هو فى اللسان غير منسوب هكذا :

وهو إذا قيل له ويهاً كل فإنه مواشك مستعجل
وهو إذا قيل له ويها هل فإنه أحج به أن ينكل

وقل أصلها : يافلان . أى إذا دعى لدفع عظيمة ، فقيل له يافلان نكل ، ولم يجب . وإن قيل له : كل أسرع . ومن العرب من يقول فى التفجع : واهاً وواه أيضاً وويه ، كلمة تقال فى الاستحثاث .

. . . .

وأمّا وَاهًا ، فإن معناها التّعجُّبُ ، وإيهًا معناها : الأمْرُ بالـكَفّ .

وقولها : إن تُقْبِلوا نُعَانِقْ ، فيقال : إنها تمثَّلتْ بهـذا الرَّجَزِ ، وإنه لِهنْدٍ بنتِ طارِق بن بَياضَة الإيادِيَّة ، قالته في حَرْبِ الفُرْسِ لإياد ، فعلى هذا يكونُ إنشادُه : بناتِ طارِقْ[1] ، بالنصب على الاختصاصِ ، كما قال :

نحنُ بَنِي ضَبَّةَ أصحابُ الجَمَلْ[2]

وإن كانت أرادَتْ النَّجْم فبناتُ مَرْفُوعٌ ، لأنه خبرُ مبتدأ أى : نحن شَرِيفاتٌ رَفيعاتٌ كالنجوم ، وهذا التأويلُ عِندى بعيد ، لأن طارِقًا وَصْفٌ للنجم لطُرُوقه ، فلو أرادته لقالت : بنات الطارقِ إلاّ أنى وجدت للزُّبَيْرِ بن أبى بَكْرٍ أنه قال فى كتاب أنسابِ قُرَيْشٍ له أول هذا الرجز الذى قالته هند يوم أحد :

نحنُ بناتُ طارِقْ نَمْشِى على النَّمَارِقْ مَشْىَ القَطَا النَّوَاتِقْ

(١) فى الرجز : كما ورد فى اللسان :

نحن بنـــات طارق نمشـــى على النمارق

وقد ضبطت بنات بالرفع باعتبارها خبرا ، وكذلك ضبطت فى الطبرى . ولـكنه روى الأبيات هكذا :

نحن بنات طارق إن تقبلوا نعانق
ونبسط النمارق أو تدبروا نفارق
فراق غير وامق

ورواه مرة أخرى كما هو فى السيرة غير أنه أخر وقدم .

(٢) البيت فى اللسان فى مادة جمل وفيه بنو بالرفع .

نحن بنو ضبة أصحاب الجمل الموت أحلى عندنا من العسل

. . . .

إلى آخر الرَّجَزِ ، قال : وحدثنى يحيى بن عبد الملك الْهُدَيْرِىّ ، قال : جَلَسْتُ ليلةً وَرَاءَ الضَّحَّاكِ بن عُثْمانَ الْجُذَامِيِ فى مسجدِ رسول الله صلى الله عليه وسلم — وأنا مُتَقَنِّعٌ فذكر الضَّحَّاكُ وأصحابُه قولَ هِنْدٍ يَوْمَ أُحُدٍ : نَحْنُ بناتُ طارِقٍ ، فقالوا : ماطَارِقٌ ؟ فقلت : النَّجْمُ ، فالتفتَ الضَّحَّاكُ ، فقال : أبا زَكَرِيّا ، وكيف بذلك ؟ فقلت : قال الله تبارك وتعالى : ﴿ والسَّماءِ والطَّارِقِ . وما أدْرَاكَ ما الطَّارِقُ . النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴾ : فإنها قالت : نحنُ بَنَاتُ النَّجْمِ ، فقال : أحسنت .

أبودجانة :

وذكر أبا دُجَانَةَ ، ولُبْسَهُ الْمُشَهَّرَةَ[1] ، وأبو دُجَانَةَ السَّاعِدِى مِمَّن دافع عن النبى — صلى الله عليه وسلم — وحنا عليه يوم أُحُدٍ وتَرَّسَ عليه بنفسِهِ ، حتى كَثُرَتْ النَّبْلُ فى ظَهْرِه ، واستشهد يوم الْيَمَامَةِ ، بعد أن شارك فى قَتْلِ مُسَيْلِمَةَ ، اشترك فى قتله هو وَوَحْشِىٌّ وعَبْدُ الله بن زَيْدٍ ، وسنذكر ما قاله سَيْفُ بن عُمَرَ فى قاتلِ مُسَيْلِمَةَ فى آخرِ البابِ إنْ شاء الله .

وذكَرَ قولَ أبى دُجَانَةَ :

إنِّى امْرُؤٌ عَاهَدَنِى خَلِيلى

---

(١) فى القاموس : « وذو المشهرة أبو دجانة سماك بن أوس صحابى كانت له مشاهرة إذا خرج بها يختال بين الصفين لم يبق ولم يذر » . وقد روى أحمد ومسلم عن أنس قصة السيف وأبى دجانة .

رفع المسهم

. . . .

يَعْنِي رسولَ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكذلك كان أبو هُرَيْرَةَ يقول: حدثني خَلِيلِي، وأنكره عليه بعضُ الصَّحابَةِ، وقال له: متى كان خليلَك، وإنما أنكر عليه المُنكِرُ هذا لقوله عليه السلام: لو كُنْتُ مُتَّخِذاً خَلِيلاً لاتخذتُ أبا بَكْرٍ خليلا، ولكن أُخُوة الإسلام وليس في هذا الحديث ما يدفع أن يقول الصحابيُّ حَدَّثني خليلي، لأنهم يريدون به معنى الحبيب، وإنما فيه عليه أن النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم لم يكُن يقولها لأَحدٍ من أصحابه، ولاخَصَّ بها أحداً دون أن يمنع غيرَه من أصحابه أن يقولها له، وما كان في قلوبهم من المَحَبَّةِ له يقتضي هذا، وأكثرَ منه، مالم يكن الغُلُوُّ والقولُ المكروه، فقد قال عليه السلام: لاتُطْرُوني، كما أطْرَتِ النصارى المسيحَ، فإنما أنا عَبْدُ الله ورسولُه. وقال لرجل قال له: أنت سَيِّدُنا وأطْوَلنا طَوْلاً(١)، وأنت الجَفْنَةُ الغَرَّاء، فقال: « قولوا بقولِكم، ولايَسْتَجْرِيَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ » أي: قولوا بقول أهل دينِكم وأهلِ مِلَّتِكُمْ، كذا فسره الخَطَّابيُّ، ومعناه عندي: قولوا بقولِكم، لابقول الشيطان، لأنه قد جعلهم جَرِيَّاله(٢)، أي: وكيلا وَرَسُولا، وإذا كانوا جَرِيَّاله، وقالوا: ما يُرْضِيه من الغُلُوِّ في المنطِق، فقد قالوا بقوله. ويَسْتَجْرِيَنَّكم من قولهم جَرَيْتُ جَرْياً، أي: وكَّلت وكيلا. وقال له رجل آخر: أنت أشرفُنا حَسَباً وأكرمنا أمّا وأبا، فقال: كمْ دُون

---

(١) حديث لاتطروني رواه الترمذي وغيره، وحديث أنت سيدنا روى النسائي وأبو داود قريبا منه بسند جيد.

(٢) جرى كغني الوكيل والرسول والأجير والضامن للواحد والجمع والمؤنث.

. . . .

لسانك من طَبَق؟ فقال: أربعة أطباقٍ، فقال: أما كان فيها ما يَزَعُ عنى غَربَ لِسانِك. رواه ابن وَهْب فى جامعه.

وقول أبى دجانة:

ألاَّ أقوم الدهر فى الْـكَيُّول

قال أبو عبيد: الـكَيُّول آخرُ الصفوف، قال: ولم يسمع إلا فى هذا الحديث، وقال الْهَرَوِىُّ مثل ما قال أبو عبيد، وزاد فى الشرح، وقال سُمِّى بكَيُّول الزَّنْد، وهى سَوَادٌ ودُخان يخرج منه آخراً، بعد الْقَدْح إذا لم يُورِ ناراً، وذلك شىء لاغناء فيه، يقال منه كال الزَّنْدُ يكُول، فالْـكَيُّول فَيعُول من هذا، وكذلك كَيُّول الصُّفُوفِ لايوقد نارَ الحرب، ولا يُزْكيها، هذا معنى كلامه لا لفظه. وقال أبو حنيفة نحواً من هذا إلا أنه قال: كال الزندَ يكِيل بالياء لاغير[1].

وقوله: رأيت رجلا يَحْمِشُ الناسَ حَمْشاً شديداً، يروى بالشين وبالسين، فالمعنى بالسين غير مُعْجَمة فى هذا المكان الشِّدَّة، كأنه قال: يشدهم ويُشَجِّعُهم، لأنه يقال: رجل أحْمَسُ، أى: شجاع شَدِيد، والمعنى فيه بالشِّين مُعْجَمَةً الإِيقَادَ والإغضاب، لأنه يقال أَحْمَشْتُ النارَ أَوْقَدْتُها وحَمَشْتُ الرجلَ،

---

(١) فى النهاية لابن الأثير. : وقيل: الـكيول: الجبان، والـكيول: ما أشرف من الأرض يريد: تقوم فوقه. فتنظر ما يصنع غيرك.

وأَحْمَشْتُه : أغضبته ، فيكون أَحْمَشْتُ من ذلك للإيقاد وللإغضاب ، وحَمَشْتُ للإغضاب .

حديث وحشي

قال فيه : فإذا شَيْخٌ كبير ، كالبُغَاثِ ، قال أبو عبيد : البُغَاثُ الطَّيْرُ الذى لا يُصَادُ به مثل الرَّخَم ، والحِدَاء ، واحدتُها بُغَاثَة . ويقال : بغاثى وجمعه بَغَاثٌ وبِغثَانٌ . وقال ابن إسحاق فى رواية يونُسَ عند ذكر البُغَاثُ البُغَاثُ هو ذَكَر الرَّخَم إذا هَرِمَ اسْوَدَّ .

وقول وَحْشِيٍّ لِعُبَيْدِ الله : ما رأيتكَ مُنْذُ نَاوَلْتُك أُمَّكَ السَّعْدِيَّة ، ولم يَذْكُرْ اسمها ، وأمّ عُبَيْدِ الله بن عَدِيٍّ هى أم قِتَالٍ بنتُ أبى العِيص بن أُمَيَّة ذكرها البخَارِيُّ فى هذا الخبر ، ولم يقل السَّعْدِيَّةَ فهى إذاً قُرَشِيَّة أُمَوِيَّة لا سَعْدِيَّة إلّا أنْ يريد بها مُرْضِعَتَه إنْ كانت سَعْدِيَّة ، وأما عُبَيْدُ الله بن عَدِيٍّ ، فوُلِدَ فى حياةِ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ومات فى خلافة الوليدِ ابن عبدِ الملك ، وله دار بالمدينة عند دار علىٍّ بن أبى طالبٍ – رضى الله عنه – يَرْوِى عن عثمان بنِ عفّانَ – رضى الله عنه – وغيره ، وله حديثٌ فى المُوطَّأ فى كتابِ الصلاة .

وقوله : بذى طُوَى : مَوْضعٌ بمَكّة ، وقد قدمنا الفرق بينه وبين ذى طَوَاء بالهمز والمد ، وبين طُوى بالضّمّ والقصر فأغنى عن إعادته هاهنا .

وقول وَحْشِيٍّ : يَهُدُّ الناسَ بسَيْفه ، ما يُلِيقُ شَيْئاً ، مثل الجملِ الأَوْرَق ،

رفع عبد الرحمن الهاشمي

. . . .

يريد - والله أعلم - وُرْقَةَ الغُبارِ، وأنه قد نافع[1] به إذ الأورَقُ من الابل ليس بأقواها، ولكنه أطيبُها لحماً فيما ذكروا.

وقوله: يهُذُّ الناسَ، هو بالذال المنقوطة، ذكره صاحب الدلائل، وفسره من الهَذِّ وهى السُّرْعَةُ[2] وأما الهَذْمُ بالميم، فسُرْعَةُ القَطْعِ، يقال: سَيْفٌ مِهْذَمٌ، والهَيْذَامُ: الكثيرُ الأَكْلِ، وهو الشُّجاعُ أيضاً، وفى الحديث: أكثِروا من ذِكر هاذِمِ اللَّذَّات، يُروى بالذال المنقوطة أى قاطِعِها، ومما ذكر غير ابن إسحاق فى خَبَرِ وحشِىٍّ، قال: فخرجت حين قال لى سيدى ما قال، فنظرت فإذا رَجُلٌ عَبْعَبٌ عليه دِرْعٌ قَضَّاءُ وإذا هُو عَلِىٌّ، فقلت: ليس هذا من شأنى، وإذا رَجُلٌ حُلَابِسٌ، أَيْهَمُ غَشَمْشَمٌ يَهُذُّ الناسَ، كأنه جَمَلٌ أوْرَقُ، فكَمَنْتُ له إلى صَخْرَةٍ كأنها فُسْطَاطٌ، وقلت: هذا الذى أريد، وهَزَزْتُ حَرْبَةً لى عرَّاصَةً، فرَمَيْتُه بها، فأصبتُ ثُنَّته، وذكر باقى الحديث. العَبْعَبُ: الشاب، والدِّرْعُ القَضَّاء: المُحْكَمَةُ النَّسْجِ، والأَيْهَمُ: الذى لا يَرُدُّه شىء. وفى الحديث: أعوذ بالله من شر الأَيْهَمَيْنِ، يعنى السَّيْلَ والحَرِيقَ. والعَرَّاصَةُ: التى تَضْطَرِبُ من اللِّين.

وقوله فى قتل مُسَيْلِمَةَ: سبقنى إليه رجل من الأنصار، وسيأتى ذكر

---

(١) هكذا بالاصل، والاورق من الجمال هو الذى لونه بين الغبرة والسواد. ويليق شيئا: لا يبقى شيئا، وهى فى السيرة: ما يقوم له شىء.

(٢) يقول الخشنى: من رواه بالذال فمعناه يسرع فى قطع لحوم الناس بسيفه، ومن رواه بالدال فمعناه: يهدم ويهلكهم.

مُسَيْلِمَةَ ونسبُه ، وَطَرَفٌ من حديثه فى آخر الكتاب . وأما الرَّجُلُ الذى من الأنصار الذى ذكره وَحْشِيٌّ ، ولم يُسَمِّه ابن إسحاق ، فذكر محمد بن عُمَرَ الواقدى — رحمه الله — فى كتاب الرِّدَّةِ ، أن الرجلَ الذى شارك وَحْشِيًّا ، فى قتل مُسَيْلَمَةَ هو عَبْدُ الله بن زَيْدِ بن عَاصِمٍ المَازِنِىُّ من الأنصار ، وذكر سَيْفُ بن عُمَرَ فى كتابِ الفتوح أنه عَدِيُّ بن سَهْلٍ ، وأنشد له :

أَلَمْ تَرَ أَنِّى وَوَحْشِيَّهُمْ قَتَلْتُ مُسَيْلِمَةَ المُفْتَتَنْ
وَيَسْأَلُنِى النَّاسُ عن قَتْلِه فَقُلْتُ : ضَرَبْتُ ، وهذا طَعَنْ[1]

فى أبيات له ، وقد ذكرنا قُبَيْلَ هذا الحديث . أن أبا دُجَانَةَ أيضاً شارك فى قتل مُسَيْلَمَةَ ، وذكره أبو عُمَر النَّمَرِيَ ، والله أعلم أىَّ هؤلاء الثلاثة أرادَ وَحْشِىّ . وفى رواية يونسَ عن ابن إسحاق زيادةٌ فى إسلام وَحْشِىٍّ ، قال : لما قدم المدينةَ ، قال الناسُ : يارسول الله هذا وَحْشِيٌّ ، فقال : دعوه فَلَإِسْلَامُ رجلٍ واحدٍ أحبُّ إلىَّ من قَتْلِ ألفِ رجلٍ كافرٍ .

وذكر قول أبى سَعْدِ بن أبى طَلْحَةَ : أنا قاصِمٌ مَنْ يُبَارِزُنِى ، فَبَرَزَ إليه عَلِىٌّ ، فقال أبو القُصَم بالقاف ، قاله ابن هِشَامٍ ، وهو أصحُّ ، وإنما قال عَلِيٌّ

---

(١) يقول الحافظ فى الفتح « وأغرب وثيمة فى كتاب الردة . فزعم أن الذى ضرب مسيلمة شن — بفتح الشين وتضعيف النون — بن عبد الله ، وأنشد له . . ثم ذكر البيتين وزاد .

فلست بصاحبه دونه وليس بصاحبه دون شن

ص ٢٩٧ جـ ٧ فتح البارى

. . . .

ـ عليه السلام أنا أبو القُصَم ، لقول أبي سَعْدٍ أنا قاصِمٌ مَنْ يُبارِزُني . فالقُصَم : جَمْعُ قَصْمَةٍ ، وهى العَضْلةُ المُهلِكةُ ، ويجوز أن يكون جَمْعَ القُصْمَى ، أى : الدَّاهِيةُ التى تَقْصِم . والدَّواهى القُصَم على وزن الكُبَر ، وهذا المعنى أصح ، لأنه لا يعرف قُصْمَة ، ولكنه لما قال أبو سعد أنا قاصم ، قال على : أنا أقصم منك ، بل أنا أبو القُصَم ، أى أبو المُعْضِلَاتِ القُصَم(١) والدواهى العُظَم ، والقَصْمُ كسر بِبَيْنُونةٍ ، والفَصْمُ : كَسْرٌ بغير بَيْنُونةٍ كَكَسْرِ القضيبِ الرَّطْبِ ونحوه ، وفى التنزيل : ﴿ وكم قَصَمْنَا مِنْ قَرْيةٍ ﴾ وفيه (لا انْفِصامَ لها) وقولُ ابن إسحاقٍ : قَتَلَ أبا سَعْدِ بن أبى طَلْحَةَ سعد بن أبى وقاص ، كذلك رَوَاه الكَشِّى فى تفسيره عن سَعْدٍ ، قال لما كفَّ عنه علىٌّ طَعَنْتُه فى حَنْجَرَتِه ، فدَلَعَ لِسانُه إلَىَّ ، كما يصنع الكلبُ ثم مات .

وذكر ابن إسحاق أيضاً هذا فى غير رواية ابن هشام ، وقول علىٍّ إنه اتَّقاني بعَوْرَتِه ، فأذكرَتْنِى الرَّحِم ، فعطَفَتْنِى عليه الرَّحِمُ ، وقد فعلها علىٌّ مرة أخرى يوم صِفِّين ، حمل على بُسْر بن أرْطاةَ ، فلما رأى أنه مقتول كشف عن عَوْرَتِه ، فانصرف عنه ، ويُرْوَى أيضاً مثلُ ذلك عن عَمْرِو بن العاصى ، مع علىٍّ ـ رضى الله عنه ـ يوم صِفِّينَ ، وفى ذلك يقول الحارث بن النَّضْر السَّهْمِى ، رواه ابن الكلبى وغيره :

---

(١) فى اللسان : « قصم بغير تنوين مثل قثم بحطم مالقى ، قال ابن برى : صوابه : قصم — أى بالتنوين — مثل قثم فى تصرفهما لأنهما صفتان ، وإنما العدل يكون فى الأسماء لا غير » .

رفع
المساهم
غفر الله له ولوالديه

. . . .

أفى كُلِّ يَوْمٍ فارسٌ غيرُ مُنْتَهٍ ... وَعَوْرَتُه وَسْطَ العَجَاجَةِ بَادِيَهْ

يَكُفُّ لها عنه عَلِيٌّ سِنَانَه ... وَيَضْحَكُ منه فى الخَلاءِ مُعَاوِيَهْ

عن مقتل حنظلة :

فصل : وذكر مَقْتَلَ حَنْظَلَة بن أبى عامرٍ الغَسِيل ، واسم أبى عامر : عَمْرو ، وقيل عَبْد عَمْرو بن صَيْفِي ،وذكر شَدَّاد بن الأَسْود بن شَعُوب حين قتله ، بعد ما كان علا حَنْظَلةُ أبا سفيان ليقتله ، وذكر الحُمَيْدِيُّ فى التفسير مكان شَدَّادٍ جَعْوَنَة بن شَعُوب اللَّيْثِيّ ، وهو مولى نافع بن أبى نعيم القارى .

وذكر قولَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم - إن صاحبَكم لتغسله الملائكةُ يعنى : حَنْظَلَة ، وفى غير السيرة ، قال : رأيتُ الملائكةَ تغسله فى صِحَافِ الفِضَّةِ بماء المُزْنِ بين السَّماء والأرضِ ، قال ابن إسحاقِ ، فسُئِلَتْ صاحبتُه ، فقالت : خَرَجَ وهو جُنُبٌ حين سمع الهاتفة[1] . صاحبتُه يعنى امرأتَه ، وهى جَمِيلَةُ بنت أُبَىِّ بن سَلُولَ أختُ عبدِ الله بن أُبَىٍّ ، وكان ابتَنَى بها تلك الليلة ، فكانت عَرُوساً عنده ، فرأت فى النوم تلك الليلة كأن باباً فى السماء فُتِح له فدخله ، ثم أُغلِق دونَه ، فعلمتْ أنَّه مَيِّتٌ من غده ، فدعت رِجالًا من قومها حين أصبحتْ فأشهدَتْهُم على الدُّخُول بها خَشْيَةَ أن يكون فى ذلكِ نزاعٌ ، ذكره الواقدى فيما ذُكِر لى ، وذَكَر غيرُه أنه التُمِسَ فى القَتْلى ، فوجدوه

(١) يقول الخشنى : الهاتفة : يعنى الصيحة ، ويروى الهائعة مأخوذ من الهياع وهو الصياح ، وفى الإصابة الهامعة ولعله خطأ .

رفع المسلم

. . . .

يَقطر رأسُه ماءً ، وليس بِقُرْبِه ماءٌ تَصْدِيقاً لما قاله الرسولُ الله صلى الله عليه وسلم[1] ، وفى هذا الخبر مُتَعَلَّقٌ لِمَنْ قال من الفُقهاء إن الشَّهِيدَ يُغَسَّل إذا كان جُنُباً ، ومن الفقهاء مَنْ يقول لا يُغَسَّل كسائر الشهداء ، لأن التكليف ساقطٌ عنه بالموت .

شعر أبي سفيان :

وقول أبي سفيان :

وَمَازال مُهْرِى مَزْجَر الكَلْبِ مِنْهُمُ
لَدُنْ غُـــــدْوَةٍ حتى دَنَتْ لِغُرُوبِ

يُروى بخفض غُدْوَةٍ ، ونصبها ، فمن خفضه فإعرابُه بَيِّنٌ ، لأن لَدُنْ بمنزلة : عِنْد ، لايكون مابعده إلّا مَخفُوضاً ، وأمّا نصبُه فَغَرِيبٌ، وشئ لاخَصَّت العربُ به غُدْوَةً ، ولا يُقاس عليها ، وكثيراً ما يذكرها سِيبَوَيْه ، ويُمْنَعُ من القياسِ عليها ، وذلك أن لَدُنْ يقال فيها : لَدُنْ وَلَدُ ، فلما كانت تارةً تُنَوَّنُ ، ولا تُنَوَّنُ أخرى ، شَبَّهُوها إذا نُوِّنَتْ باسم الفاعل فَنَصَبُوا غُدْوَةً بعدها ، تَشْبِيهاً بالمفعولِ ، ولولا أنَّ غُدْوَةَ تُنَوَّنُ إذا نُكِّرتْ ، وتُنَوَّنُ ضَرُورةً

---

(١) لم يرو حديث تغسيل الملائكة لحنظلة - سوى ابن إسحاق فى مغازيه وقد أخرجه الحاكم فى المستدرك وفى إسناده معلى بن عبد الرحمن وهو متروك والطبرانى ، وفى إسناده حجاج وهـــو مدلس والبيهقى وفى إسناده أبو شيبة الواسطى وهو ضعيف جدا ، والسرقطى فى غريبه من طريق الزهرى مرسلا

رفع المسامهم

. . . .

إذا كانت مَعْرِفَةً ماعُرِف نَصْبُها ، لأنها اسمٌ غيرُ مُنْصَرِفٍ لِلعَلَمِيَّةِ والتأنيث ، فَخَفْضُهُ ونَصْبُها سواءٌ ، فإذا نُوِّنَتْ للضَّرُورةِ ، كما في بيت أبي سفيان أوْ أردت غُدْوةً من الغُـدُوات تَبيَّن حينئذٍ أنهم قصدوا النَّصْبَ والتشبيه بالمفعول ، ووجهٌ آخرُ من البيانِ ، وهو أنهم قد رفعوها ، فقالوا : لَدُنْ غُدْوَةُ غيرَ مَصْروفَةٍ ، كما يرفع الاسمُ بعد اسم الفاعِل إذا كان فاعلاً ويُنْصَبُ إذا كان مفعُولاً إذا نُوِّنَ اسمُ الفاعِلِ ، كذلك غُدْوَة بعد لَدُنْ ، لا يكون هذا فيها إلا إذا نُوِّنَتْ لَدُن ، فإن قُلت : لَدُ غُدْوةٍ ، لم يكن إلا الخفضُ إن نوَّنْتها ، وإن تركت صَرْفَها للتعريف ، فالفتحة علامةُ خَفْضِها ، ولا تـكون غُدْوَة عَلَماً إلا إذا أردتها ليوم بعينه ، وبُكْرة مثلُها في العَلَمِيَّةِ ، وليست مثلَها مَعَ لَدُنْ ، وضَحْوَةٌ وعَشِيَّةٌ مَصروفَتانَ ، وإن أردتهما ليوم بعينه . وقد فَرَغنا من كشفِ أسرارِ هذا البابِ في « نتائج الفِـكْرِ » وأوضحنا هنالك بدائع وعجائبَ لم يُبَيِّنها أحدٌ إلا أنَّها مُنْتَزَعَةٌ من فَحْوَى كلام سِيبَوْيه ، ومن قواعده التي أصَّل ، والحمد لله[1] .

---

(١) يقول أحمد بن يحيى والمبرد : العرب تقول لدن غدوة بالرفع وبالنصب وبالخفض ، فمن رفع أراد لدن كانت غدوة ، ومن نصب أراد لدن كان الوقت غدوة ، ومن خفض أراد من عند غدوة . ويرى البصريون أنها تنصب غدوة خاصة من بين الكلام ، واستشهدوا بالبيت السابق ، ويجيز الفراء في غدوة الرفع والنصب والخفض . قال ابن كيسان : من خفض بها أجراها مجرى من وعن ، ومن رفع أجراها مجرى مذ ، ومن نصب جعلها وقتا ، وجعل ما بعدها ترجمة عنها . وإن شئت أضمرت كان كما قال : =

رفع المساهم

. . . .

وقولُ أبى سُفيانَ فى هذا الشعر : بِهِمْ خَدَبٌ . الخَدَبُ الهَوَجُ[1] وفى الجمهرةِ طَعْنةٌ خَدْباءُ إذا هَجَمَتْ على الجَوْفِ ، وهـذا هو الذى أراد أبو سفيان بالخَدَبِ .

وأمّا قولُ حسّان :

إذا عَضَلٌ سِيقَتْ إلينا كأنها ... جِدَايَةُ شُرْكٍ مُعْلَمَاتِ الحَوَاجِبِ

شُرْكٌ : جَمع شِرَاكٍ .

والجِدَايةُ : جِدايةُ السَّرْجِ ، على أن المعروفَ جَدِيَةُ السَّرْجِ ، لا جِدايته فى أقربَ من هذا المعنى أن يريد الجِدَاية من الوحْشِ ، وبالشُّرْكِ الأشراكُ التى تُنصَبُ لها ، ولذلك قال داميات الحواجب ، وهذا أصَحُّ فى معناه ، فقد ذكر أبو عُبَيْدٍ أن الجِدَايَة يقال للواحِد والجميع والذكر والأنثى من أولاد الظِّباء ، ويبعد أن تكون الجِدَاية جمع جَدِيَّة ، وهى جَدِيَّةُ السَّرْجِ والرَّحْل ، وإن كان قد يقال فى الجَمْع فِعال وفِعالَة نحو جِمَال وجِمَالَة ، ولكنه ههنا بعيدٌ

= مذ لد شولا وإلى إتلائها

أراد أن كانت شولاء . وانظر بقية القول فى لدن فى اللسان .

وقد فرق أبو هلال العسكرى بينهما فى المعنى ، فتقول هذا القول عندى صواب ، ولا تقول : لدنى صواب ، وتقول : عندى مال ، ولا تقول : لدنى مال ولكن تقول : لدنى مال إلا أنك تقول ذلك فى المال الحاضر عندك . ويجوز أن تقول : عندى مال ، وإن كان غائبا عنك ، لأن لدنى هو لما يليك .

(١) طيش وتسرع ، أو طول فى حمق .

. . . .

من طريق المعنى والله أعلم[1] .

ويروى شِراك بكسر الشين ، وأقرب ما يقال في معنى هذا البيت : أنه أراد الجِدَاية من الوَحْشِ ، وهي أولادُ الظِّباء ونحوها ، وقد ذكر أبو عُبَيْدٍ أنه يقال جِدَايةٌ للواحدِ والجَمْعِ والذَّكَرِ والأُنثى ، فيكون الشِّراكُ على هذا في معنى الأشراكِ التي يُصادُ بها ، وقد قيل : إن شُرْكاً اسمُ مَوْضِعٍ ، والله أعلم ، وعَضَلٌ قبيلَةٌ من خُزَيْمَةَ غَادِرَةٌ ، وسيأتي ذكر غَدْر عَضَلٍ والقَارة . وقوله : مُعْلَمَاتِ الحواجِب ، يعني بالدماء ، ويجوز أن يريدَ سَوادَها ما بين أعيُنِها ، كما أنشد سيبويه [للأعشى] .

وكأنه لَهِقُ السَّرَاةِ كأنَّه ما حاجِبَيْهِ مُعَيَّنٌ بِسَوَادِ[2]

---

(١) جاء في طبعته الأولى . عما بين قوسين من أول : والجداية جداية السرج إلى قوله : من طريق المعنى والله أعلم : هذه الجملة التي بين الدائرتين لم تثبت في النسخة الثانية . فأثبتناها كما هي ، فليحرر . هذا وقد ذكر أبو ذر الخشني : الجداية بفتح الجيم وكسرها : الصغير من أولاد الظباء ، وفي إصلاح المنطق لابن السكيت ص ١٢٥ : الجداية بفتح الجيم وكسرها ـ الغزال الشادن ، وهي القفوز والأبوز التي تأبز ، وهي التي تعدو عدوا شديدا . وشرك هنا : اسم موضع ، وهو بضم الشين ، وكسرها والذي في السيرة : معلمات الحواجب لا داميات الحواجب كما ذكر في الفقرة التي بين قوسين والتي أظن أنها دسيسة على الكتاب .

(٢) انظر ص ٨٠ ح ١ ط بولاق الكتاب لسيبويه . وقال سيبويه : يريد كأن حاجبيه ، فأبدل حاجبيه من الهاء التي في كأنه وما زائدة ، وقد جعله شاهدا لإبدال الحاجبين من الضمير المتصل بكأن ، ورد قوله معين بسواد على الضمير لا على الحاجبين ، وهو في المعنى خبر عنهما والبيت في وصف ثور وحشي شبه به بعيره في حذقه ونشاطه فيقول : كأنه ثور الخ . ولهق السراة أبيض أعلى الظهر

رفع المسار غفر الله له ولوالديه

. . . .

الصارخ يوم أحد :

فصل وذكر الصارخَ يوم أُحُدٍ بقتلِ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقولُ ابن هشام : الصارخُ إزْبُ العَقَبَةِ ، هكذا قيد فى هذا الموضع بكسر الهمزة وسكون الزاى ، وذكرنا فى بيعـــة العقبة ما قاله ابن ماكولا فى أم كُرزْ بنْتِ الأزَبِّ بن عَمرو بن بَكِيل ، وأنه قال : لا يُعرفُ الأزَبَ فى العرب إلا هذا ، وأزَبُّ العَقَبَةِ ، وذكرنا حديثَ ابن الزبير الذى ذكره القُتَبِىُّ إذ رأى رجلا طوله شبران على بَرْذَعَةِ رَحْله ، فنفضها منه ، ثم عاد إليه ، فقال : ما أنت ؟ قال : أنا أزَبُّ ، قال وما أزَبُّ قال : رَجُلٌ من الجنِّ(١) وذكر باقى الحديث ، ففى هذا الحديث مايدل على أنه أزَبُّ مع قول

---

(١) هو كما ذكره ابن الأثير فى النهاية : خرج فبات فى القفر ، فلما قام ليرحل ، وجد رجلا طوله شبران عظيم اللحية على الولية يعنى : البرذعة ، فنفضها ، فوقع . ثم وضعها على الراحلة ، وجاء ، وهو على القطع ، يعنى الطنفسه فنفضه فوقع ، فوضعه على الراحلة ، فجاء وهو بين الشرخين ، أى : جانبى الرحل فنفضه ، ثم شده ، وأخذ السوط ، ثم أتاه ، فقال : من أنت ؟ فقال : أنا أزب ، قال : وما أزب ؟ قال : رجل من الجن ، قال : افتح فاك أنظر ، ففتح فاه ، فقال : أهكذا حلوقكم ؟ ثم قلب السوط فوضعه فى رأس أزب ، حتى باص ، أى فاته واستتر . أقول : لا ريب فى أحد أمرين ، إما ضعف الحديث وسقوطه ، وإما أن يكون شيطان إنس أراد بابن الزبير شيئا ويكون فى التعبير مبالغة عن طوله وقمه ! وقد ذكره ابن الأثير فى مادة : أزب ، وفسره بأنه الكثير الشعر .

وفى القاموس الإزب — بكسر الهمزة وسكون الزاى وتخفيف الباء — القصير والغليظ والداهية واللئيم والدميم الخ ، ثم ذكر أزب العقبة فى زبب . وفيه

. . . .

يعقوبَ في الألفاظ: الإزْبُ: الرجُل القَصير، والله أعلم هل الإزْبُ: والأزَبُّ شيطانٌ واحدٌ أو اثنان، ويقال: الموضع الذي صرخ منه الشيطان جَبَلُ عينين، ولذلك قيل لعثمان رضي الله عنه: أفَرَرْتَ يوم عَيْنَيْن[1]، وعَيْنَانِ أيضاً: بَلَدٌ عند الحِيرة، وبه عُرِف خُلَيْدُ عَيْنَيْنِ الشاعر.

قال من رموا النبي:

فصل: وذَكَر ابن قَمِئَةَ، واسمُه عبدُ الله، وهو الذي قتل مُصْعَبَ بن عُمَيْرٍ، وَجرحَ وَجْهَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، وعُتْبَةُ بن أبي وَقَّاصٍ أخو

= قال: الازب — بفتح الهمزة والزاى وتضعيف الباء — من أسماء الشياطين، ومنه حديث ابن الزبير مختصرا. ثم ذكر الحديث كما قال، كذلك ذكر أزب العقبة بنفس ضبطه لأزب في حديث ابن الزبير. ويقول الزرقاني في شرح المواهب ص ٣٣ ح ٢ بعد أن ذكر كلام السهيلي، وأن حديث ابن الزبير يشهد للأول أى كسر الهمزة وسكون الزاى: وظاهره سكون الزاى. وخفة الباء مع كسر الهمزة وفتحها، ثم رد على هذا بما نقلناه عن القاموس. ثم قال: وبعض المتأخرين جعلهما قولين. أما اللسان فذكر حديث ابن الزبير كما فعل ابن الأثير في مادة أزب، وهو ينقل عنه.

وكثرة الشعر ذكرها اللسان في مادة زبب، أما القصير ففي مادة أزب في القاموس وفي اللسان. وكذلك ذكر ابن دريد في الاشتقاق: الازب: البعير الذي على أخفافه وبر، فهو يذعر من كل شيء، ورجل أزب: كثير الشعر وضبطها في المرتين بفتح الهمزة والزاى وتضعيف الباء. ص ١١٧، ٢٠٥.

(١) في القاموس. وعينين بكسر العين وفتحها مثنى: جبل بأحد قام عليه إبليس عليه لعنة الله تعالى، فنادى إن محمداً «ص» قد قتل، وبفتح العين بلدة بالبحرين منه خليد عينين وعينان موضع.

رفع المسـهم

. . . .

سعْدٍ ، هو الذى كَسَرَ رَبَاعِيَتَه - عليه السلام - ثم لم يولد من نَسْلِه وَلَدٌ ، فَبَلَغَ الحُلُمَ إلّا وهو أبخرُ أو أهْتَمُ يُعرَف ذلك فى عقِبِه .

وممن رماه يومئذ عبدُ الله بن شِهَابٍ جدُّ شيخ مالكٍ مُحَمّدِ بن مُسْلِم ابن عبدِ الله بنِ شهابٍ ، وقد قيل لابن شهابَ أ كان جدُّك عبد الله بن شهاب مِمَّن شَهِد بدراً ؟ قال : نعم ، ولكن من ذلك الجانب يعنى مع الكُفّار ، وعبدُ الله هذا هو عبدُ الله الأصغر ، وأما عبد الله ابن شِهَابٍ ، وهو عبد الله الأكبرُ ، فهو من مُهَاجِرَةِ الحَبَشَةِ ، تُوُفِّى بمكةَ قبل الهجرة ، وقد اختلف فيهما أيهما كان المهاجرُ إلى أرضِ الحبشةِ ، فقيل: الأكبر ، وقيل الأصغرُ ، وكان أحدهما جدَّ الزُّهرىِّ لأبيه ، والآخرُ لأُمّه ، وقد أسلم الذى شَهِد أُحُداً مع الكُفّار ، وجَرَحَ رسولَ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - فالله ينفعه بإسلامه .

أسماء أجزاء الليل :

وذكر مالكَ بن سِنَانٍ والدَ أبى سَعِيدٍ الخُدْرىِّ مِنْ بَنِى خُدْرَةَ ، وهو الحارثُ بن الخَزْرَج ، والخُدْرَةُ فى اللغة : نحو من خُمُسِ اللَّيْلِ ، وبعده اليَعْفُور ، وهو خُمسٌ آخر من الليل ، وبعده الجُهْمَةُ والسُّدْقَةُ(١) ، والذى قبل الخُدْرةِ يقال له الهَزِيعُ ، كل هذا من كتابِ كُرَاع(٢) .

---

(١) تستعمل للضوء والظلمة .

(٢) أنظر المخصص لابن سيده ففيه تفصيل الليل وأجزائه .

. . . .

عن الدم والبول :

وذكر أن بن مالك سِنَان مَصَّ دمَ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وازْدَرَدَهُ ، وقد فعل مثلَ ذلك ابنُ الزُّبَيْرِ ، وهو غُلَامٌ حَزَوَّرٌ حين أعطاه رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ دمَ محاجِمِهِ لَيدْفِنَه فَشَرِبَه ، فقال له النبيّ صلى الله عليه وسلم ـ كما قال لمالكٍ حينَ ازْدَرَدَ دَمَ جُرْحِه : مَنْ مَسّ دَمُه دَمِي ، لم تُصِبْه النارُ . لكنه قال لابن الزُّبَيْر وَيْلٌ لَكَ من الناسِ وَوَيْلٌ للناسِ منك . ذكره الدَّارَقُطْني في السُّنَن ، وفي هذا من الفقهِ أن دمَ رسولِ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يخالف دَمَ غيرِه في التَّحْرِيم[١] وكذلك بَوْله قد شَرِبَتْهُ أمُّ أيْمَنَ حين وجدته في إناء من عِيدانٍ تحت سَرِيرِه ، فلم يُنْكِر ذلك عليها[٢] ، وذلك والله أعلم للمعنى الذي بَيَّنَّاه في حديث نزول المَلَكين

---

(١) كيف يقام فقه على نص كهذا لم يخرجه أحد من أصحاب الكتاب الستة ، هو والذى قبله ؟

(٢) لست أدرى من أين جاء بهذا ؟ وهل يظن أن مكانة النبى لا يتحقق وجودها الأعظم فوق قمة الكمال والجمال الإنسانى النبوى إلا بمثل هذا الذى يؤكد الحق أنه باطل ؟ . كيف يمنع البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى والترمذى وابن ماجة وأحمد عن روايتهما ؟ !

وحديث البول لم يخرجه واحد منهم أيضاً ، فما أخرجه سوى الحسن بن سفيان فى مسنده وأبى يعلى والحاكم والدارقطنى وأبى نعيم ، وهى أسماء لا ترتبط بالصحيح إلا حين يكون صحيحا فى الكتب الأخرى . وكيف يظن برسول الله — وهو الطاهر المطهر الداعى إلى الطهارة والتطهر أن يقول لأم أيمن : إنك لن تشتكى بطنك بعد يومك هذا ؟ . يجب أن نجل ...

. . . .

عليه حين غسلا جوفه بالثلج فى طست الذهب ، فصار بذلك من المطهرين ، وبيّنا أيضا هنالك أنه من المطهَّرين كأمته لتطهره من الأحداث، والحمد لله،⁽¹⁾ إلا أن أبا عُمر النمريّ ذكر فى الاستيعاب أن رجلا من الصحابة اسمه : سالم حجم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم ازدرد دمه ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم . أما علمت أن الدم كله حرام ؟ غير أنه حديث لا يُعرف له إسنادٌ والله أع ⁽²⁾ وحديث ابن الزُّبير الذى تقدم ذكره روى الزُّبير بن أبى بكر ما يشُدُّه ويتمم معناه . قال فى حديث أسنده : لما وُلد عبدُ الله بن الزُّبير نظر إليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : هو هو ، فلما سمعت بذلك أسماء أمّه ، أمسكت عن إرضاعه ، فقال لها ـ عليه السلام ـ : أرضعيه ، ولو بماء عينيك ، كبشٌ بين ذئاب ، وذئابٌ عليها ثيابٌ ليمنعنّ البيتَ ، أو ليقتلنّ دونه⁽³⁾ .

=صلى الله عليه وسلم فى نبوته ، وإنسانيته التى سمت بها النبوة ، لا فى بوله وغائطه .

(1) إذا كيف قال له الله : (ووجدك ضالا ، فهدى) ؟ وكيف أخرج البخارى ما أخرج عن السفرة التى قدمها ـ رسول الله « ص » قبل بعثته إلى زيد ابن عمرو بن نفيل ، وكان عليها ماذبح على النصب ؟ !

(2) ولكن هذا الذى لا يعرف له إسناد من القرآن الكريم أعظم إسناد .

(3) كل قوم أعجبوا برجل أخرجوا له مثل هذا ! ! وفى ألفاظه دليل أنه زور

تم بحمد الله

الجزء الخامس ويليه الجزء السادس

ان شاء الله

وأوله : ﴿ قتل الرسول لأبيّ بن خلف ﴾

رفع
المسهم
غفر الله له ولوالديه

المستهم فهرست
غفر الله له ولوالديه

فهرس

الجزء الخامس من الروض الأنف

(١) «س» رمز عن السيرة، و «ن. ل» رمز عن النحو واللغة، و «ش» رمز عن الشرح. أما الروض فبدون رمز

رفع
المستهم
غفر الله له ولوالديه

رفع
المسلم
عبد الله الطرابلسي

رفع المسار

رفع المسلم

رفع المسيهم

رفع
المسهم

رفع
المسهم
عز الله لطلاله

رفع
المسهم
غفر الله له ولوالديه

الروض الأنف

في شرح السيرة النبوية لابن هشام

للإمام المحدث عبد الرحمن السهيلي
٥٠٨ — ٥٨١ هـ

ومعه

السيرة النبوية للإمام ابن هشام

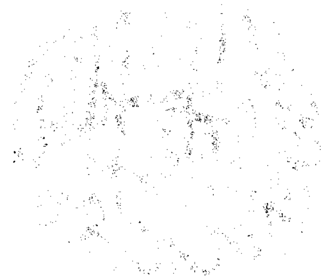
المتوفى ٢١٨ هـ

الجزء السادس

تحقيق وتعليق وشرح
عبد الرحمن الوكيل

يطلب من
دار الكتب الإسلامية لصاحبها توفيق عفيفي عامر
١٤ شارع الجمهورية بعابدين — ت ٩١٦١٠٧

رفع
المسهم
غفر الله له ولوالديه



الروض الأنف

في شرح السيرة النبوية لابن هشام

رفع
المسلم

جامعة الكويت
إدارة المكتبات - قسم التزويد العربي
رقم التسجيل : ١٧٢٥٦
التاريخ :

رفع
المسار

مقدمة



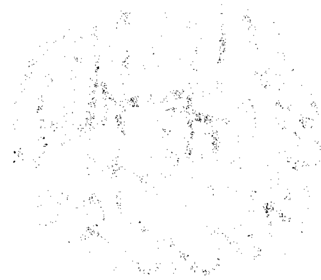
الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين، محمد صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الأئمة المهتدين.

« وبعد » فهذا هو الجزء السادس من السيرة وشرحها «الروض الأنف» للإمام السهيلي

والله وحده أسأل أن يعين على تمامه؟

عبد الرحمن الوكيل

المسا همر



قتل الرسول لأبىّ بن خلف

(قال): فلما أُسْنِد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى الشِّعْب أدركه أُبَىّ ابنُ خلفٍ وهو يقول: أىْ محمد، لانَجَوْتُ إن نَجَوْتَ، فقال القوم: يارسول الله، أيعطِف عليه رَجُلٌ مِنَّا؟ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: دَعُوه؛ فلمَّا دنا، تناول رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الحَرْبَةَ من الحارث بن الصِّمَّةِ، يقول بعضُ القوم، فيما ذُكر لى: فلما أخذها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم منه انتفض بها انتفاضَةً، تطايَرْنا عنه تطايُرَ الشَّعْراء عن ظهر البعير إذا انتفض بها - قال ابن هشام: الشعراء: ذباب له لدغ - ثم استقبله فطَعَنه فى عُنقه طَعنة تَدَأْدأ منها عن فَرَسه مراراً.

قال ابن هشام: تَدَأْدأ، يقول: تَقَلَّب عن فَرَسه، فجعلَ يتدَحْرجُ.

قال ابن إسحاق: وكان أُبَىّ بن خلف، كما حدّثنى صالحُ بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، يَلْقى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بمكة، فيقول: يا محمد إن عندى العَوْذَ، فَرَساً أعلفه كلّ يوم فَرَقاً من ذرة، أقتلك عليه؛ فيقول رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: بل أنا أقتُلك إن شاء الله. فلما رجع إلى قُريش وقد خَدَشه فى عنقه خَدْشاً غيرَ كبير، فاحْتقن الدمُ، فقال: قتَلنى والله محمد! قالوا له: ذهب والله فؤادك! والله إنْ بكَ من بأس؛ قال: إنه قد كان قال لى بمكة: أنا أقتلك، فوالله لو بصَق علىّ لقتَلنى. فمات عدوّ الله بسَرِف وهم قافلون به إلى مكة.

شعر حسان فى مقتل أُبىّ بن خلف

قال ابن إسحاق : فقال حسّان بن ثابت فى ذلك :

لَقَدْ وَرِثَ الضَّلالةَ عَن أبيهِ أُبىّ يوم بارَزه الرسولُ
أتيْتَ إليه تَحْمِل رِمَّ عَظْمٍ وتُوعِـــده وأنتَ به جَهول
وقد قَتَلَتْ بنو النَّجّار مِنكم أُمَيّةَ إذ يَغوّثُ : يا عَقِيل
وتَبّ ابنا ربيعَـــة إذ أطاعا أبا جَهْل ، لأمهما الهُبول
وأفلت حارثٌ لما شَغَلنا بأسر القَـوْم ، أُسْرته فَليل

قال ابن هشام : أُسرته : قبيلته .

وقال حسّان بن ثابت أيضاً فى ذلك :

ألا مَنْ مُبْلِغٌ عنّى أُبيّاً لقد أُلقيت فى سُحق السَّعير
تَمنّى بالضَّـــلالة من بَعيد وتُقسم أن قدرت مع النذور
تَمنيك الأمانِى مِنْ بَعيـــدٍ وقَوْلُ الكُفْرِ يَرْجع فى غُرور
فقد لاقتْك طعنةُ ذى حفاظ كريم البيت ليس بذى فُجور
له فَضْلٌ على الأحْياء طُرّاً إذا نابَت مُلِمّات الأُمُور

انتهاء الرسول إلى الشعب

(قال) : فلما انتهى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى فَم الشِّعب خَرج علىّ بن أبى طالب ، حتى ملأ دَرَقته ماءً من المِهْراس ، فجاء به إلى رسول الله

صلى الله عليه وسلم ليشرب منه، فوجد له ريحاً، فعافه، فلم يَشْرب منه، وغَسل عن وَجهه الدم، وصبّ على رأسه وهو يقول: اشتدّ غَضبُ الله على من دمّى وجه نبيه.

حرص ابن أبي وقاص على قتل عتبة

قال ابن إسحاق: فحدثني صالح بن كَيسان عمّن حدّثه عن سَعد بن أبي وقّاص أنه كان يقول: والله ماحَرَصت على قَتْل رجل قطّ كحِرْصي على قَتْل عُتبة بن أبي وقّاص، وإن كان ما علمتُ لسَيِّئَ الخلق مبغَضاً فى قومه، ولقد كَفانى منه قولُ رسول الله صلى الله عليه وسلم: اشتد غضبُ الله على من دمَّي وجه رسوله.

صعود قريش الجبل وقتال عمر لهم

قال ابن إسحاق: فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشعب، معه أولئك النَّفَر من أصحابه، إذ عَلَت عاليةٌ من قريش الجبلَ.

قال ابن هشام: كان على تلك الخيل خالد بن الوليد.

قال ابن إسحاق: فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: اللهمّ إنه لاينبغى لهم أن يَعلونا! فقاتل عمرُ بن الخطَّاب ورهطٌ معه من المهاجرين حتى أهبطوهم من الجبل.

ضعف الرسول عن النهوض ومعاونة طلحة له

قال ابن إسحاق: ونَهض رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى صَخْرة من

. . . .

رفع المسهم

الجبل ليعلوها ، وقد كان بَدَّن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وظاهَر بين دِرْعين ، فلما ذَهب ليَنْهض صلى الله عليه وسلم لم يَسْتطع ، فجلس تحته طَلْحة بن عبيد الله ، فنهض به ، حتى استوَى عليها . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما حدثني يحيى بن عبَّاد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، عن عبدالله بن الزبير ، عن الزبير ، قال : سمعت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يومئذ يقول : أوْجَبَ طلحة حين صنع برسول الله صلى الله عليه وسلم ما صنع .

قال ابن هشام : وبلغني عن عِكْرمة عن ابن عبَّاس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبلغ الدَّرجة المبنيَّة في الشِّعب .

صلاة الرسول قاعداً

قال ابن هشام : وذكر عمر مولى غُفْرة : أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم صلى الظهر يوم أُحد قاعداً من الجراح التي أصابته ، وصلى المسلمون خلفَه قُعوداً .

مقتل اليمان وابن وقش

قال ابن إسحاق : وقد كان الناس انهزموا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى بعضهم إلى المُنَقَّى ، دون الأعْوص .

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لبيد ، قال : لما خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى أُحد ، رَفع حُسَيل بن جابر

وهو اليمان أبو حُذيفة بن اليمان ، وثابت بن وَقْش في الآطام مع النساء والصّبيان ، فقال أحدهما لصاحبه ، وهما شَيْخان كَبيران : لاأَبَا لَكَ ، ما تَنْتَظِر ؟ فو الله لا َبقِيَ لواحدمنّاً من عمره إلا ظِمْء حِمار ، إنما نحن هامَةُ اليوم ِ أو غدٍ ، أفلا نأخذ أسيافَنا ، ثم َنلحق برسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، لعلّ الله يرزقنا شهادةً مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ؟ فأخذَا أسيافَهما ثم خَرجا ، حتى دخلا في الناس ، ولم ُيعْلم بهما ، فأما ثابت بن وَقْش فقتله المُشْركون ، وأما حُسَيل بن جابر فاختلفت عليه أسيافُ المُسلمين ، فقتلوه ولا َيعْرِفُونه ، فقال حُذيفة : أبى ، فقالوا : والله إنْ عرفناه ، وصدَقوا . قال حُذَيفة : يَغْفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ، فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدَيَه ؛ فتصدّق حُذيفة بدِيته على المُسلمين ؛ فزَاده ذلك عند رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً .

مقتل حاطب ومقالة أبيه

قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصمُ بن عمر بن قتادة : أن رجلا منهم كان يُدعى حاطب بن أُميَّة بن رافع ، وكان له ابنٌ يقال له يزيد بن حاطب ، أصابته جراحةٌ يوم أُحُد ، فأُتِى به إلى دار قومه وهو بالمَوْت ، فاجتمع إليه أهلُ الدار ، فجعل المُسلمون يقولون له من الرجال والنساء : أَبْشر يابن حاطب بالجنّة ؛ قال : وكان حاطب شيخاً قد عسا فى الجاهليّة ، فنجَم يومئذ نفاقُه ، فقال : بأىّ شىء تبشرونه ؟ بجنّة من حَرْمل اغررتم والله هذا الغلامَ من نفسه .

مقتل قزمان منافقاً كما حدّث الرسول ذلك

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : كان فينا رجل أَتِيٌّ لايُدْرى ممّن هو ، يقال له قُزْمَان ، وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يقول ، إذا ذُكر له : إنه لمن أهل النار ، قال : فلما كان يوم أُحد قاتلَ قتالا شديداً ، فقَتل وحدَه ثمانية أو سبعة من المشركين ، وكان ذا بأس ، فأثبتته الجراحة ، فاحتُمِل إلى دار بنى ظَفَر ، قال : فجعل رجالٌ من المسلمين يقولون له : والله لقد أبلَيتَ اليوم يا قُزمان ، فأبشِر ، قال : بماذ أبشر ؟ فوالله إن قاتلتُ إلا عن أحساب قومى ، ولولا ذلك ماقاتلتُ . قال : فلما اشتدّت عليه جراحته أخذ سَهماً من كِنانته ، فقَتل به نفسه .

قتل مخيريق

قال ابن إسحاق : وكان ممن قُتل يوم أحد مُخَيْرِيق ، وكان أحدَ بنى ثعلبة بن الفِطْيون ، قال : لما كان يوم أحد ، قال : يامَعْشَرَ يَهُودَ ، والله لقد علمتم أن نصر محمد عليكم لَحَقٌّ ، قالوا : إن اليوم يوم السبت ، قال لاسَبْتَ لكم.

فأخذ سيفَه وعُدّته ، وقال : إن أُصِبتُ فمالى لمحمّد يَصْنع فيه ما شاء ، ثم غدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقاتل معه حتى قُتل ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ـ فيما بلغنا ـ مُخَيريق خير يهود .

أمر الحارث بن سويد

قال ابن إسحاق : وكان الحارث بن سُوَيد بن صامت مُنافقا ، فخرج يوم

أحد مع المسلمين ، فلما التقى الناسُ ، عدَا على المُجذَّر بن ذِياد البَلَوى ، وقَيس ابن زيد ، أحد بنى ضُبَيعة ، فقتلهما ، ثم لحق بمكة بقُريش ؛ وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ـ فيما يذكرون ـ قد أمر عُمَر بن الخطاب بقتله إنْ هو ظفر به ، ففاته ، فكان بمكة ؛ ثم بعث إلى أخيه الجُلاس بن سُويد يطلب التوبةَ ، ليرجع إلى قومه . فأنزل الله تعالى فيه ، فيما بلغنى ، عن ابن عبّاس : ﴿ كَيْفَ يَهْدِى اللهُ قَوْماً كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ، وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وجاءَهُمُ البَيِّنَاتُ ، وَاللهُ لاَيَهْدِى القَوْمَ الظّالِمِين ﴾ إلى آخر القصة .

تحقيق ابن هشام فيمن قتل المجذر

قال ابن هشام : حدثنى مَنْ أثق به من أهل العلم : أنّ الحارث بن سُويد قتل المُجذِّر بن ذياد ، ولم يَقتل قيسَ بن زيد ، والدليل على ذلك : أن ابن إسحاق لم يذكره فى قتلى أحد ؛ وإنما قتل المُجذَّر لأن المُجذَّر بن ذياد كان قتل أباه سُويداً فى بعض الحروب التى كانت بين الأوس والخزرج ، وقد ذكرنا ذلك فيما مضَى من هذا الكتاب .

فبينا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فى نفر من أصحابه ، إذ خرج الحارث ابن سُويد من بعض حَوائط المدينة ، وعليه ثوبان مُضرَّجان ، فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمانَ بن عفَّان ، فضرب عُنقه ، ويقال : بعضُ الأنصار .

قال ابن إسحاق : قتل سويدَ بن الصَّامت معاذُ بن عَفراء غيلةً ، فى غير حَرب رماه بسَهم فقتله قبل يوم بُعاث .

. . . .

رفع المسيهم

أمر أصيرم

قال ابن إسحاق : وحدثني الحُصَين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سَعْد بن معاذ عن أبي سفيان ، مولى ابن أبي أحمد ، عن أبي هُرَيرة قال : كان يقول : حدثوني عن رجل دخَل الجنَّة لم يُصلِّ قطُّ ، فإذا لم يعرفه الناسُ سألوه : من هو ؟ فيقول : أُصَيْرِم ، بني عبد الأشهل ، عمرو بن ثابت بن وَقْش . قال الحُصين : فقلت لمحمود بن أسد : كيف كان شأن الأُصَيرم ؟ قال : كان يأبى الإسلام على قومه . فلمَّا كان يوم خَرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى أحد ، بدا له في الاسلام فأسْلم ، ثم أخذ سيفَه ، فغدا حتى دخل في عُرض الناس ، فقاتل حتى أثْبتَتْه الجراحة . قال : فبينا رجالٌ من بني عبد الأشهل يَلْتمسون قتلاهم في المعركة إذا هم به ، فقالوا : والله إن هذا للأُصيرم ، ما جاء به ؟ لقد تركناه وإنه لمُنْكر لهذا الحديث ، فسألوه ما جاء به ، فقالوا : ما جاء بك ياعمرو ؟ أحَدَبٌ على قومك أم رَغبة في الإسلام ، ؟ قال : بل رغبة في الإسلام ، آمنت بالله وبرسوله وأسلمتُ ، ثم أخذت سَيْفي ، فغدوتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قاتلت حتى أصابني ما أصابني ، ثم لم يلبث أن مات في أيديهم . فذكروه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إنه لمن أهل الجنة .

مقتل عمرو بن الجموح

قال ابن إسحاق : وحدثني أبي إسحاقُ بن يَسار ، عن أشياخ من بني

سلمة : أن عمرو بن الجموح كان رجلا أعرج شديد العَرج ، وكان له بنون أربعة مثل الأسْد ، يشهدون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد ، فلما كان يوم أحد أرادوا حَبْسه ، وقالوا له : إنّ الله عزّ وجلّ : قد عذَرَك ، فأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إن بنىّ يريدون أن يحبسونى عن هذا الوجه ، والخروج معك فيه ، فوالله إنى لأرجو أن أطأ بعرجتى هذه فى الجنّة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمّا أنت فقد عذَرك الله فلا جهاد عليك ، وقال لبنيه : ما عليكم أن لا تمنعوه ، لعلّ الله أن يرزقه الشهادة ، فخرج معه فقُتل يوم أُحُد .

هند وتمثيلها بحمزة

قال ابن إسحاق : ووقعت هند بنت عُتبة ، كما حدثنى صالح بن كَيْسان ، والنسوة اللاتى معها ، يمثّلن بالقتلى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يجدّعن الآذان والأنُف ، حتى اتخذت هند من آذان الرّجال وأنُفهم خَدَماً وقلائد ، وأعطت خَدَمها وقلائدها وقِرَطتها وَحْشياً ، غلام جُبير بنُ مطعم ، وبَقَرت عن كَبد حمزة ، فلاكتها ، فلم تستطع أن تُسيغها ، فلفظتها ، ثم علت على صخرة مشرفة ، فصرَخت بأعلى صوتها فقالت :

نحن جَزَيْناكم بيوم بَدْر والحرْب بعد الحرْب ذات سُعُرِ
ما كان عن عُتْبة لى من صَبْر ولا أخى وعمّه وبَكْرِى
شَفَيتُ نفسى وقَضَيتُ نَذْرى شَفَيتَ وَحْشىّ غَليل صَدْرى
فشُكْر وَحْشىّ علىّ عُمْرى حتى تَرِمّ أعظُمى فى قَبْرى

شعر هند بنت أثاثة فى الرد على هند بنت عتبة

فأجابتها هند بنتُ أُثَاثَةَ بنِ عَبَّاد بن المُطَّلِب، فقالت :

خَزِيتِ فى بدر وبعد بَدْرِ　　يا بنتَ وقَّاعٍ عظيم الكُفْرِ
صَبَّحكِ اللهُ غداةَ الفَجْرِ　　مِلْهاشِمِيِّين الطِّوالِ الزُّهْرِ
بكلِّ قَطَّاعٍ حُسامٍ يَفْرِى　　حَمزةُ لَيْثى وعَلِىٌّ صَقْرى
إذا رامَ شَيْبٌ وأبوكِ غَدْرى　　فخضَّبا منه ضواحى النَّحْرِ
ونَذْرِكِ السُّوءِ فَشرُّ نَذْرِ

قال ابن هشام : تركنا منها ثلاثة أبيات أقذعتْ فيها .

شعر لهند بنت عتبة أيضاً

قال ابن إسحاق : وقالت هند بنت عتبة أيضاً :

شَفَيْتُ من حَمْزة نَفْسى بأُحد　　حتى بَقَرْتُ بطْنَه عن الكَبِدْ
أذْهَبَ عنى ذاكَ ما كنتُ أجِد　　من لَذْعة الحُزن الشَّديد المُعْتَمِد
والحرب تَعْلوكم بشُؤْبوب بَرِد　　تُقدِم إقداماً عليكم كالأَسَد

تحريض عمر لحسان على هجو هند بنت عتبة

قال ابن إسحاق : فحدثنى صالح بن كَيْسان أنه حُدِّث : أن عمرَ بن الخطاب قال لحسَّان بن ثابت : يابن الفُرَيعة — قال ابن هشام : الفُرَيعة بنت

خالد بن خنيس ، ويقال : خُنيس : ابنُ حارثة بن لَوْذان بن عبد وَدّ بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج - لو سمعتَ ما تقول هِنْد ، ورأيت أشرَها قائمةً على صخرة تَرْتجز بنا ، وتذكر ما صنعتْ بحمزة؟ قال له حسّان : والله إنى لأنظر إلى الحرْبة تَهْوِى وأنا على رأس فارع - يعنى أُطُمَه - فقلت : والله إن هذه لسلاح ما هى بسلاح العرب ، وكأنها إنما تهوى إلى حمْزة ولا أدْرى ، لكن أسمِعْنى بعض قولها أكفكموها ؛ قال : فأنشده عمرُ بن الخطاب بعض ما قالت ؛ فقال حسّان بن ثابت :

أشِرَتْ لَكاع وكان عادتُها ... لُؤماً إذا أشرتْ مع الكُفْر

قال ابن هشام : وهذا البيت فى أبيات له تركناها ، وأبياتاً أيضاً له على الدال . وأبياتاً أخر على الذال ، لأنه أقْذع فيها .

استنكار الحليس على أبى سفيان تمثيله بحمزة

قال ابن إسحاق : وقد كان الُحليس بن زبّان ، أخو بنى الحارث بن عبد مناة ، وهو يومئذ سيِّد الأحابيش ، قد مرّ بأبى سفيان ، وهو يضرب فى شدْق حمزة بن عبد المطلب بزُجّ الرمح ويقول : ذُقْ عُقَقُ ؛ فقال الُحلَيْس : يابنى كِنانة ، هذا سيِّد قُريش يصنع بابن عَمّه ما تَرَوْن لحمًا ؟ فقال : ويحك ! اكْتُمْها عنى ، فإنها كانت زَلّة .

شماتة أبى سفيان بالمسلمين بعد أحد وحديثه مع عمر

ثم إن أبا سُفيان بن حَرْب ، حين أراد الانصراف ، أشرف على الجبل ،

ثم صَرَخَ بأعلى صوته فقال: أنعمتَ فعالِ، وإن الحرب سِجال يوم بيوم، أُعْلِ هُبَل، أي: أظهر دينك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قُمْ يا عمر فأجِبْه، فقل: الله أعلى وأجلّ، لا سَوَاء، قتلانا فى الجنّة، وقتلاكم فى النّار. فلما أجاب عمر أبا سفيان، قال له أبو سفيان: هَلُمّ إلىّ يا عمر، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لعمر: ائته فانظر ما شأنه؛ فجاءه، فقال له أبو سفيان: أنشدك الله يا عمرُ، أقتلنا محمداً؟ قال عمر: اللهمّ لا، وإنه ليسمع كلامَك الآن، قال: أنت أصدق عندى من ابن قَمِئَةَ وأبرّ؛ لقول ابن قمئة لهم: إنى قد قتلت محمداً.

قال ابن هشام: واسم ابنِ قَمِئَةَ عبدُ الله.

توعد أبى سفيان المسلمين

قال ابن إسحاق: ثم نادَى أبو سُفيان: إنه قد كان فى قتلاكم مثل، والله ما رَضِيتُ، وما سَخِطْتُ، وما نَهَيْتُ، وما أمَرْتُ.

ولما انصرف أبو سُفيان ومن معه، نادى: إن موعدكم بدر للعام القابل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل من أصحابه: قُلْ: نعم، هو بيننا وبينكم موعد.

خروج علىّ فى آثار المشركين

ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علىّ بن أبى طالب، فقال: اخرج فى آثار القوم، فانظُر ماذا يصنعون وما يُريدون، فإن كانوا قد جنّبوا الخيل،

رفع المسيهم

وامتطوا الإبل، فإنهم يُريدون مكة، وإن ركبوا الخيلَ وساقوا الإبل، فإنهم يُريدون المدينة، والذى نفسى بيده لئن أرادوها لأسيرنّ إليهم فيها، ثم لأناجزنهم. قال علىّ: فخرجت فى آثارهم أنظُر ماذا يصنعون؟ فجنّبوا الخيل، وامتطوا الإبل، ووجّهوا إلى مكة.

أمر القتلى بأحد

وفرغ الناس لقتلاهم، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم كما حدثنى محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى صَعْصَعة المازنى، أخو بنى النجّار: مَنْ رَجُلٌ ينظر لى مافعل سَعْدُ بن الربيع؟ أفى الأحياء هو أم فى الأموات؟ فقال رجل من الأنصار: أنا أنظر لك يارسول الله مافعل سَعْد، فنظَر فوَجده جريحاً فى القَتْلى وبه رمَق. قال: فقلت له: إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أمرنى أن أنظُر، أفى الأحياء أنت أم فى الأموات؟ قال: أنا فى الأموات، فأبلغْ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عنى السلام، وقل له: إن سعد بن الرّبيع يقول لك: جزاك الله عنّا خير ماجزى نبيًّا عن أمته، وأبلغ قومَك عنى السلام وقُل لهم: إن سعد بن الربيع يقول لكم: إنه لا عُذْر لكم عند الله إن خُلِص إلى نبيّكم صلى الله عليه وسلم ومنكم عينٌ تطرف. قال: ثم لم أبْرح حتى مات؛ قال: فجئتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته خبره.

قال ابن هشام: وحدثنى أبو بكر الزُّبيرى: أنّ رجلا دخَل على أبى بكر الصدّيق وبِنْتٌ لسَعْد بن الرّبيع جاريةٌ صغيرةٌ على صَدْره يَرْشُفها ويقبلها؛

فقال له الرجل : مَنْ هذه ؟ قال : هذه بنتُ رجل خير منى ، سعْدِ بن الرّبيع ، كان من النُّقباء يوم العَقَبة ، وشهد بدراً ، واستشهد يوم أُحد .

حزن الرسول على حمزة وتوعده المشركين بالمثلة

قال ابن إسحاق : وخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فيما بلغنى ، يَلتمس حمزةَ بن عبد المُطلب ، فوَجده ببَطْن الوادى قد بُقِر بطنه عن كبده ، ومُثِّل به ، فجُدِع أنفُه وأُذُناه .

فحدثنى محمدُ بن جَعْفر بن الزبير : أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال حين رأى ما رأى : لولا أن تَحزَن صَفيّة ، ويكون سُنّة من بعدى لَترَكْته ، حتى يكون فى بطُون السِّباع ، وحَواصل الطير ، ولئن أظْهرنى الله على قريش فى مَوْطن من المَواطن لأمثلنّ بثلاثين رجلا منهم . فلما رأى المسلمون حُزْن رسول الله صلى الله عليه وسلم وغَيظه على مَن فعل بعَمه مافعل ، قالوا : والله لئن أظفرنا الله بهم يوماً من الدهر لنمثّلن بهم مُثْلة لم يُمثّلها أحد من العرب .

قال ابن هشام : ولما وقف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على حَمْزة قال: لن أُصاب بمثلك أبداً ! ماوقفتُ موقِفاً قطّ أغيظ إلىّ من هذا ! ثم قال : جاءنى جبريلُ فأخبرنى أنّ حمزة بن عبد المطلب مكتوبٌ فى أهل السماوات السبع : حمزة بن عبد المطلب ، أسد الله ، وأسد رسوله .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وحمزة وأبو سَلَمة بن عبد الأسد ، إخْوة من الرضاعة ، أرْضَعتهم مولاة لأبى لهب .

رفع عبد الرحمن الهندي

ما نزل فى النهى عن المثلة

قال ابن إسحاق : وحدثنى بُرَيدة بنُ سفيان بن فَرْوة الأسلمى ، عن محمد بن كَعْب القُرظى ، وحدثنى من لا أتهم ، عن ابن عبَّاس : أن الله عزّ وجلّ أنزل فى ذلك ، من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقول أصحابه : ﴿ وَإِنْ عاقَبْتُمْ فَعاقِبُوا بِمِثْلِ ما عُوقِبْتُمْ بِهِ ، وَلَئِنْ صَبَرْتُم لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ . وَاصْبِرْ وَما صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللهِ ، وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ، وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ ، فعفا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وصَبَر وَنهى عن المُثلة .

قال ابن إسحاق : وحدثنى حُمَيْد الطويل ، عن الحسن ، عن سَمُرَة بن جُنْدُب ، قال : ما قام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى مقام قطّ ففارقه ، حتّى يأمرنا بالصَّدقة ، وينْهانا عن المُثْلة .

صلاة الرسول على حمزة والقتلى

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم عن مِقْسَم ، مولى عبد الله بن الحارث ، عن ابن عبَّاس ، قال : أمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بحَمْزة فسُجِّى ببردة ثم صلى عليه ، فكبَّر سَبعَ تكبيرات ، ثم أُتِيَ بالقَتلى فيوضعون إلى حمزة ، فصلى عليهم وعليه معهم ، حتى صلى عليه ثنتين وسَبْعين صلاة .

صفية وحزنها على حمزة

قال ابن إسحاق : وقد أقبلتْ فيما بَلَغنى ، صفيّةُ بنت عبد المطَّلب لتنظر

إليه وكان أخاها لأبيها وأمّها ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لابنها الزُّبير بن العوّام : القَها فأرْجعها ، لا تَرى ما بأخيها ، فقال لها : يا أُمَّه ، إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يأمُرُكِ أن تَرْجعى ، قالت : ولِمَ ؟ وقد بلغنى أن قد مُثل بأخى ، وذلك فى الله ، فما أرضانا بما كان من ذلك ! لأحتسِبنّ ولأصْبرن إن شاء الله . فلما جاء الزُّبير إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك ، قال : خلّ سَبيلَها ، فأتته ، فنظرتْ إليه ، فصلّت عليه ، واسْترْجعت ، واستغفرَت له ، ثم أمر به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فدُفن .

دفن عبد الله بن جحش مع حمزة

قال : فزعم لى آلُ عبدِ الله بن جَحْش ـ وكان لأُمَيْمَةَ بنت عبدالمطب ، حَمْزةُ خالهُ ، وقد كان مُثّل به كما مُثّل بحَمْزة ، إلا أنه لم يُبْقَرْ عن كَبِده ـ أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم دَفَنَه مع حَمْزَة فى قبره ، ولم أسمع ذلك إلا عن أهله .

دفن الشهداء

قال ابن إسحاق : وكان قد احتمل ناسٌ من المسلمين قَتْلاهم إلى المَدينة ، فدَفنوهم بها ، ثم نَهَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، وقال : ادفنوهم حيث صُرِعوا .

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن مُسلم الزُّهرىّ ، عن عبد الله بن ثعْلبة

ابن ضُمَير العُذرى ، حليف بنى زُهرة : أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لمَّا أشرف على القتلى يوم أحد ، قال : أنا شهيد على هؤلاء ، إنه ما من جريح يُجرح فى الله ، إلا والله يَبعثه يوم القيامة يَدمى جرحُه ، اللونُ لونُ دمٍ والريحُ ريح مسك ، وانظروا أكثرَ هؤلاء جَمْعاً للقرآن ، فاجعلوه أمام أصحابه فى القبر ـ وكانوا يَدفنون الاثنين والثلاثة فى القبر الواحد.

قال : وحدثنى عمِّى موسى بن يَسار ، أنه سمع أبا هُريرة يقول : قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم : ما من جريح يُجرح فى الله إلا والله يبعثه يوم القيامة وجُرحه يَدمى ، اللَّون لون دم ، والرِّيح ريح مسك .

قال ابن إسحاق : وحدثنى أبى إسحاقُ بن يسار ، عن أشياخ من بنى سَلِمة : أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، قال يومئذ ، حين أمر بدَفن القتلى : انظروا إلى عَمْرو بن الجموح ، وعبد الله بن عمرو بن حَرام ، فإنهما كانا مُتصافيين فى الدنيا ، فاجعلوهما فى قبر واحد .

حزن حمنة على حمزة

قال ابن إسحاق : ثم انصرف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم راجعاً إلى المدينة ، فلقيتْهُ حَمْنَةُ بنتُ جحش ، كما ذُكر لى ، فلما لقيت الناسَ نُعِى إليها أخوها عبد الله بن جحش ، فاسترجعت واستغفرت له ، ثم نُعى لها خالها حمزة ابن عبد المطلب فاسترجَعت واستغفَرت له ، ثم نُعى لها زوجها مُصْعب بن عُمير ، فصاحت وَوَلولت ! فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إن زَوْج المرأة منها

لبكان ! لِمَا رأى من تَثَبُّتها عند أخيها وخالها ، وصياحها على زوجها .

بكاء نساء الأنصار على حمزة

قال ابن إسحاق : ومرّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بدار من دور الأنصار من بنى عبد الأشهل وظَفَر ، فسمع البكاء والنَّوائح على قتلاهم ، فذَرفت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبكى ، ثم قال : لكنّ حمزة لابواكى له ! فلما رجع سعدُ بن مُعاذ وأُسيد بن حضير إلى دار بنى عبد الأشهل أمرا نساءهم أن يتحزّمن ، ثم يذهبن فيَبْكين على عمّ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : حدثنى حكيم بن حكيم عن عَبَّاد بن حُنَيف ، عن بعض رجال بنى عبد الأشهل ، قال : لما سمع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بُكاءهنّ على حمزة خرج عليهنّ وهنّ على باب مَسْجده يبكين عليه ، فقال : ارجعن يَرْحمكنّ الله ، فقد آسيتنّ بأنفسكن .

قال ابن هشام : ونُهِى يومئذ عن النَّوْح .

قال ابن هشام : وحدثنى أبو عُبيدة : أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لما سمع بكاءهن ، قال : رحم الله الأنصار! فإن المُواساة منهم ماعتَّمت لَقَديمة ، مُروهنّ فلْيَنْصرفن .

شأن المرأة الدينارية

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الواحد بن أبى عَوْن ، عن إسماعيل بن

محمد ، عن سعد بن أبي وقاص ، قال : مرّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بامرأة من بني دينار ، وقد أُصيب زَوجُها وأخوها وأبوها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأحد ، فلما نُعوا لها ، قالت : فما فعل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالوا : خيراً يا أمّ فلان ، هو بحمد الله كما تحبّين ؛ قالت : أرُونيه حتى أنظر إليه ، قال : فأشير لها إليه ، حتى إذا رأته قالت : كلّ مُصيبة بعدك جَلَل ! تُريد صغيرة .

قال ابن هشام : الجلل : يكون من القليل ، ومن الكثير ، وهو ها هنا من القليل . قال امرؤ القيس في الجلل القليل :

لَقتْل بني أسد رَبَّهم ... ألا كلّ شيء سواه جَلَل

قال ابن هشام : وأما قول الشاعر ، وهو الحارث بن وعْلة الجَرْميّ :

ولئن عَفَوْتُ لأعْفُوَنْ جَلَلاً ... ولئن سَطَوْتُ لأوْهِنَنْ عَظْمي

(فهو من الكثير) .

غسل السيوف

قال ابن إسحاق : فلما انتهى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله ناول سَيْفه ابنَته فاطمة ، فقال : اغسلي عن هذا دَمه يا بُنيّة ، فوالله لقد صَدَقني اليومَ ؛ وناولها عليّ بن أبي طالب سَيْفه ، فقال : وهذا أيضاً ، فاغسلي عنه دمَه ، فوالله لقد صَدَقني اليوم ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : لئن كنت صدقتَ القتال لقد صَدَق معك سهلُ بن حُنَيف وأبو دُجانة .

قال ابن هشام : وكان يُقال لسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذو الفقار .

قال ابن هشام : وحدثني بعضُ أهل العلم ، ان ابن أبي نجيح قال : نادى مُناد يومَ أُحد :

لا سَيْفَ إلَّا ذُو الفَقَار ولا فَتىً إلا عَلِيّ

قال ابن هشام : وحدثني بعضُ أهل العلم : أنّ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال لعليّ بن أبي طالب : لا يُصيب المشركون منّا مثلَها حتى يَفتح الله علينا .

قال ابن إسحاق : وكان يوم أُحد يوم السَّبت للنِّصف من شوّال .

خروج الرسول فى أثر العدو ليرهبه

قال : فلما كان الغدُ (من) يوم الأحد لستٍّ عشرة ليلة مضتْ من شوّال ، أذّن مؤذّن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الناس بِطلب العدوّ ، فأذَّنَ مؤذّنه أن لا يخرجنّ معنا أحدٌ إلا أحدٌ حضَر يومَنا بالأمس . فكلّمه جابر ابن عبد الله بن عمرو بن حَرَام ، فقال : يارسول الله ، إنّ أبى كان خَلَّفنى على أخوات لى سَبْع ، وقال : يا بُنىّ ، إنه لا ينبغى لى ولا لك أن نَترك هؤلاء النِّسوة لا رَجل فيهنّ ، ولستَ بالذى أُوثرك بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على نَفسى ، فتخلّفْ على أخواتك ، فتخلّفتُ عليهنّ ، فأذِن له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فخرج معه . وإنما خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم

مُرْهِباً للعدوّ ، وليبلغهم أنه خرج في طَلَبهم ليظنوا به قوةً ، وأن الذى أصابهم لم يُوهِنْهم عن عدوّهم .

مثل من استماتة المسلمين في نصرة الرسول

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبدُ الله بن خارجة بن زيد بن ثابت ، عن أبى السائب مولى عائشة بنت عُثمان : أن رجلا من أصحاب رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، من بنى عبدَ الأشهل ، كان شَهِد أحداً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : شهدتُ أُحداً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنا وأخ لى ، فرجعنا جَريحين ، فلما أذّن مؤذّن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج فى طلب العدوّ ، قلت لأخى أو قال لى : أتفوتُنا غزوةٌ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ والله مالنا من دابّة نَرْكبها وما مِناً إلا جَريح ثقيل ، فخرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكنتُ أيسرَ جُرحاً ، فكان إذا غُلب حملته عُقبةً ، ومشى عُقبةً ، حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون .

استعمال ابن أم مكتوم على المدينة

قال ابن إسحاق : فخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى إلى حمراء الأسد ، وهى من المدينة على ثمانية أميال ، واستعمل على المدينة ابنَ أمّ مَكْتوم ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : فأقام بها الاثنين والثُّلاثاء والأربعاء ، ثم رجع إلى المدينـة .

شأن معبد الخزاعي

قال : وقد مرّ به كما حدثني عبدُ الله بن أبي بكر ، معبدُ بن أبي مَعْبد الخزاعي ، وكانت خُزاعة ، مُسلمهم ومُشركهم عَيْبة نُصح لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، بتهامة ، صَفْقَتهم معه ، لا يُخفون عنه شيئاً كان بها ، ومَعْبد يومئذ مُشْرك ، فقال : يا محمد ، أما والله لقد عزّ علينا ما أصابك ، ولوددنا أنّ الله عافاك فيهم ؛ ثم خرج ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم بحمراء الأسد ، حتى لقي أبا سُفيان بن حَرْب ومن معه بالرَّوْحاء ، وقد أجمعوا الرَّجعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وقالوا : أصبنا حَدّ أصحابه وأشرافهم وقادتهم ، ثم نرجع قبل أن نستأصلهم ! لنكُرّن على بَقيتهم ، فلنَفْرغنّ منهم. فلما رأى أبو سُفيان معبداً ، قال : ما وراءك يامعبد ؟ قال : محمد قد خرج في أصحابه يَطْلُبكم في جَمع لم أرَ مثله قطُّ ، يتحرّقون عليكم تحرّقاً ، قد اجتمع معه من كان تخلّف عنه في يَوْمكم ، وندموا على ماصنعوا ؛ فيهم من الحَنَق عليكم شيء لم أرَ مثله قط ، قال : ويحك ! ماتقول ؟ قال : والله ما أرى أن ترتحل حتى أرى نواصي الخيل ، قال : فوالله لقد أجْمعنا الكرّة عليهم ، لنستأصل بقيّتهم ؛ قال : فإني أنهاك عن ذلك ، قال : والله لقد حملني ما رأيتُ على أن قلتُ فيهم أبياتاً من شعر ، قال : وما قلت ؟ قال : قلت :

كادتْ تُهَدُّ من الأصوات راحلتي ... إذ سالت الأرضُ بالجُرْد الأبابيلِ

تَرْدِي بأسْدٍ كرامٍ لاتنابلةٍ ... عند اللّقاء ولا مِيلٍ مَعازيلِ

فظلْت عَدْواً أظنّ الأرض مائلةً ... لمّا سَموْا برئيس غير مَخْذول

فقلتُ : ويلَ ابنِ حَرْبٍ من لقائـكم ... إذا تَغَطمطت البَطحاء بالخَيْل
إنى نذيرٌ لأهل البَسْل ضاحيةً ... لـكلّ ذى إرْبةٍ منهم ومعقول
من جَيش أحمدَ لاوَخْشٍ تَنابِلةٍ ... وليس يُوصَف ما أنذرتُ بالقِيل

فثَنى ذلك أبا سُفيان ومن معه .

رسالة أبى سفيان إلى الرسول على لسان ركب

ومَرّ به ركبٌ من عبد القَيس ، فقال : أين تريدون ؟ قالوا : نريد المدينة ؟ قال : ولِمَ ؟ قالوا : نُريد المِيرة ؛ قال : فهل أنتم مُبلغون عنى محمداً رسالة أرْسلـكم بها إليه ، وأحمِّل لـكم هذه غداً زَبِيباً بعُـكاظ إذا وافيتُموها ؟ قالوا نعم ؛ قال : فإذا وافيتُموه فأخبروه أنا قد أجمعنا السير إليه وإلى أصحابه لنَستأصل بقيتهم ، فمرّ الركبُ برسولِ الله صلى الله عليه وسلم وهو بحَمْراء الأسد ، فأخبروه بالذى قال أبو سُفيان ؛ فقال : حَسْبنا الله ونعم الوكيل .

كف صفوان لأبى سفيان عن معاودة الـكرة

قال ابن هشام : حدثنا أبو عبيدة : أنّ أبا سُفيان بن حَرْب لمّا انصرف يوم أُحد ، أراد الرُّجوع إلى المدينة ، ليَستأصل بقيّـة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لهم صَفوان بن أميّة بن خَلف : لا تَفعلوا ، فإنّ القوم قد حَرِبُوا ، وقد خَشينا أن يكون لهم قِتال غير الذى كان ، فارجِعُوا ، فرَجَعُوا . فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وهو بحَمْراء الأسد ، حين بلَغه

أنهم همّوا بالرّجعة : والذى نَفْسى بيده ، لقد سُوّمت لهم حجارة ، لو صُبّحوا بها لكانوا كأمس الذاهب .

مقتل أبى عزة ومعاوية بن المغيرة

قال أبو عبيدة : وأخذ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى جهة ذلك ، قبل رُجوعه إلى المدينة ، مُعاويةَ بن المُغيرة بن العاص بن أُميَّة بن عبد شمس ، وهو جدّ عبد الملك بن مَروان ، أبو أُمه عائشة بنت مُعاوية ، وأبا عَزّة الُجمَحِىَّ ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أسَره ببدر ، ثم مَنّ عليه ، فقال : يارسولَ الله ، أقِلْنى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والله لا تَمسح عارضيك بمكة بعدَها وتقول : خَدَعْتُ محمداً مرّتين ، اضربْ عنقه يازُبير . فضرب عُنقَه .

قال ابن هشام : وبلغنى عن سعيد بن المُسَيَّبِ أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنّ المؤمن لا يُلدَغ من جُحْرٍ مرّتين ، اضربْ عُنقَه يا عاصِمُ بن ثابت ، فضرب عُنقه .

مقتل معاوية بن المغيرة

قال ابن هشام : ويقال : إن زيدَ بن حارثة وعَمّار بن ياسر قتلا مُعاوية ابن المُغيرة بعد حَمْراء الأسد ، كان لجأ إلى عثمان بن عفّان فاستأمن له رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فأمنه ، على أنه إن وُجد بعد ثلاث قُتل ، فأقام بعد ثلاث

وتوارى ، فبعثهما النبىُّ صلى الله عليه وسلم ، وقال : إنكما ستجدانه بموضع كذا وكذا ، فوجداه فقتلاه .

شأن عبد الله بن أُبىّ بعد ذلك

قال ابن إسحاق : فلما قدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وكان عبد الله بن أُبىّ بن سَلول ، كما حدثنى ابن شهاب الزُّهرى ، له مقامٌ يقومه كل جمعة لا يُنكَر ، شرفًا له فى نفسه وفى قومه ، وكان فيهم شريفًا ، إذا جلس رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة وهو يَخْطب الناس ، قام فقال : أيها الناس ، هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهركم ، أكرمكم الله وأعزّكم به ، فانصُروه وعزِّرُوه ، واسمعوا له وأطِيعوا ثم يَجْلس ، حتى إذا صنع يوم أُحد ماصَنع ، ورجع بالناس ، قام يفعل ذلك كما كان يفعله ، فأخذ المُسلمون بثيابه من نَواحيه ، وقالوا : اجلس ، أىْ عَدُوَّ الله ، لست لذلك بأهل ، وقد صنعتَ ماصنعتَ ، فخرج يتخطَّى رقابَ الناس وهو يقول : والله لكأنما قلت بَجْرًا أن قمت أشَدِّد أمرَه . فلقيه رجلٌ من الأنصار بباب المَسْجد ، فقال مالك ؟ ويلك ! قال : قمتُ أشدِّد أمره ، فوثب علىّ رجالٌ من أصحابه يجذبوننى ويُعَنِّفوننى ، لكأنما قلت بَجْرًا أنْ قُمت أشدّد أمره ، قال ويلك ! ارجع يَسْتغفر لك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، قال : والله ما أبتغى أن يَسْتغفر لى .

كان يوم أُحد يوم محنة

قال ابن إسحاق : كان يوم أُحد يوم بلاء ومُصيبة وتَمْحيص ، اختبر الله به المؤمنين ، ومحن به المُنافقين ممّن كان يُظهر الإيمان بلسانه ، وهو مُستخف بالكُفر فى قلبه ، ويومًا أكرم الله فيه من أراد كرامته بالشّهادة من أهل ولايته

قتل الرسول لأبي بن خلف

فصل: وذكر قتلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم لأُبيٍّ، وفيه: تَطَايَرْنا عنه تطايُرَ الشَّعْرَاء عن ظَهْرِ البعير. الشَّعْراء: ذُبابٌ صَغيرٌ له لَدْغٌ، تقول العَرَبُ في أمثالها: قيل للذِّئب: ما تقول في غُنَيْمةٍ تَحْرُسُها جُوَيْرِيَةٌ؟ قال: شُجَيْجَةٌ في حَلْقِي، قيل: فما تقول في غُنَيْمَةٍ يحرسها غُلَيِّمٌ؟ قال: شَعْرَاءُ في إبْطى أخشى خطَوَاته الخطوات: سِهَامٌ من قُضْبانٍ لَيِّنَةٍ يتعلم بها الغِلْمان الرَّمْيَ وهي الجُمَّاحُ أيضاً قال الشاعر:

أصابَتْ حَبَّةَ القَلْبِ بِسَهْمٍ غَيْرِ جُمَّاحِ[1]

من كتاب أبي حَنِيفَة، ورواه القُتَبِيُّ: تَطَايُرَ الشُّعْرِ، وقال: هي جمع شَعْراء، وهي ذُبَابٌ أصْغَرُ من القَمَعِ[2]، وفي الحديثِ من غير رواية ابنِ إسحاقَ فَزَجَلَه بالحَرْبَة، أي رَمَاه بها.

حول عين قتادة:

وذكر قَتَادَةَ بن النُّعمان بن زَيْدٍ، وهو أخو أبي سَعِيد الخُدْرِيِّ لأمه، وهو الرَّجُلُ الذي سمعه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم - يقرأ: قل هُو الله أحد،

(١) رواية الشطرة الثانية في اللسان: فلم تخطىء بجماح. ويقال له: جباح أيضاً.

(٢) القمع مفردة قمعة بفتح القاف والميم ذباب يركب الإبل والظباء إذا اشتد الحر ويجمع على مقامع أيضاً كمشابه وملامح. وفي رواية: تطاير الشعارير، وهي بمعنى الشعر وقياس واحدها: شعرور.

. . . .

يُرَدِّدُها ، فقال وَجَبَتْ ، وحديثُه فى المُوَطَّأ ، وذكر أن عَيْنَه أُصيبت يوم أُحُدٍ. روى عن جابر بن عبد الله ، قال : أصيبت عينُ رَجُلٍ منا يوم أُحُدٍ ، وهو قَتادَةُ بن النُّعمان ، حتى وقعت على وَجْنتِه ، فأتينا به رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : إن لى امرأةً أُحِبُّها ، وأخشى إنْ رَأَتْنِى أنْ تَقْذَرَنِى ، فأخذها رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بيده ، وَرَدَّها إلى مَوْضِعِها ، وقال : اللَّهُمَّ اكْسُه جَمالًا ، فكانت أَحْسَنَ عَيْنَيْه ، وأحَدَّهما نَظَراً ، وكانت لاتَرْمَدُ إذا رَمِدَت الأخرى ، وقد وَفَد على عُمَرَ بن عَبْدِ العَزِيز ـ رحمه الله ـ رجلٌ من ذُرِّيَّتِه ، فسأله عمرُ من أنت ؟ فقال :

أنا ابنُ الذى سالت على الخدِّ عَيْنُه ... فَرُدَّتْ بكفِّ المُصْطَفَى أَيَّما رَدِّ
فعادت كما كانت لأول أمرها ... فيا حُسْنَ مَاعَيْنٍ وَيَاحُسْنَ ماخَدِّ

فقال عُمَرُ بنُ عَبْدِ العزيز رضى الله عنه :

تلك المكارِمُ لا قَعْبانِ (١) من لَبَنٍ ... شِيبا بِماءٍ فَعادَا بَعْدُ أبْوَالَا

فَوَصَلَه عُمَرُ ، وأحسن جائزته ، وقد رُوى أنَّ عَيْنَيْه جميعاً سَقَطَتا ، فردهما النبيُّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ رواه محمدُ بن أبى عثمان [أبو مَرْوان الأمَوِى] عن مَالكِ بن أنسٍ عن مُحَمَّدِ بن عَبْد اللهِ بن أبى صَعْصَعَةَ عن أبيه عن أبى سَعيدٍ عن أخيه قَتَادَة بن النعمان قال : أُصيبت عَيْناى يوم أُحُدٍ ، فسقطتا على وَجْنَتَىَّ ، فأتيتُ بهما النبيَّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأعادهما النبيُّ ـ

---

(١) القعب : قدح ضخم جاف .

رفع المسيهما

. . . .

صلى الله عليه وسلم ـ مكانهما ، وبَصَقَ فيهما ، فعادتا تبرُقان. قال .الدَّارَقُطْنِي : هذا الحديثُ غَرِيبٌ عن مالكٍ ،تفرد به عَمَّارُ بن نَصْرٍ ، وهو ثِقَةٌ[1] ورواه الدَّارَقُطْنِي عن إبراهيم الحَرْبِيِّ عن عمَّار[2] بن نَصْر [السَّعْدِي أبو ياسر المَرْوزِيّ] .

حول نسب حذيفة اليماني :

فصل : وذكر ثابت بن وَقْشٍ ، والوَقْشُ : الحركة ، وحُسَيْل بن جابر والد حُذَيْفَةَ بن اليَمَانِ ، وسُمِّي حُسَيْل بن جابر اليَمَانِي ، لأنه من ولد جِرْوَة ابن مازن بن قُطَيْعَةَ بن عَبْس [بن بغيض] وكان جِرْوَة قد بَعُد عن أهله في اليَمَنِ زَمَنًا طويلا ، ثم رجع إليهم فسَمَّوْه اليَمَانِي ، وحُذَيْفَةُ بن اليَمَانِ يُكْنَى أبا عَبْدِ الله حليف بني عبدالأشْهَلِ أمُّهُ الرَّبَابُ بنتُ كَعْبٍ . قال ابن إسحاق : فاخْتَلَفَتْ عليه : يَعْنِي اليَمَانِي أسيافُ المسلمين . وفي تفسير ابن عباس : أن الذي قتله منهم خطأً هو عُتْبَةُ بن مَسْعُودٍ أخو عبدِ الله بن مَسْعُودٍ ، وجَدَّ

---

(١) لكن قال النووي : قال أبو نعيم : سالت عيناه ، وغلطوه .

(٢) بهذا حصل لمحمد بن أبي عثمان متابع . في روايته عن عمار بن نصر ، لكن لم يحصل متابع لعمار في روايته عن مالك . انظر تفصيل هذا في المواهب ص ١٨٦ وما بعدها .

والله يختص برحمته من يشاء ولا أحد يبرىء أحداً. وتدبر قوله سبحانه فيما يقص عن خليله إبراهيم (وإذا مرضت فهو يشفين) وتدبر كل آيات القرآن التي ذكر الله فيها آياته التي من بها على عيسى تجد فيها النص المؤكد على أنها بإذنه الله وحده .

رفع المسيهم

عُبَيْدِ الله بن عَبْدِ الله بن عُتْبَةَ بن مَسْعُودٍ الفقيه، ذكره عَبْدُ بن حميد فى التَّفسير، وعُتْبَةُ هو أوَّلُ من سَمَّى الْمُصْحَفَ مُصْحَفاً، فيما روى ابنُ وَهْبٍ فى الجامع.

الهامة والظمء:

وقول ثابت بن وَقْشٍ وحُسَيْل: إنما نحن هَامَةُ اليوم أَوْ غَدٍ، يريد: الموتَ، وكان من مذهب العربِ فى الميت أنَّ رُوحَه تصير هَامَةً[1]، ولذلك قال الآخر:

وكيف حَيَاةُ أَصْدَاءٍ وهَام

وقوله: لم يَبْقَ من عُمْرِنا إلَّا ظمء[2] حمارٍ. إنما قال ذلك، لأن الحمار

(١) الصدى — كما يقول ابن دريد فى الاشتقاق طائر معروف، وتزعم العرب أنه إذا قتل رجل خرج من هامته طائر يسمى: الصدى، فينادى الليل كله: اسقونى، حتى يقتل قاتله، وهذا باطل، ويسمونه أيضاً: هامة. ص٢٢٣ الاشتقاق. والصدى أصلا — كما فى القاموس — طائر يصر بالليل يقفز قفزانا ويطفر والناس — كما يقول العديس العبدى — يرونه الجندب، وإنما هو الصدى، فأما الجندب، فإنه أصغر من الصدى، والصدى ذكر البوم. والهامة أصلا رأس كل شىء وجمعه هام، والهامة: طير الليل وهو الصدى. وسمى الصدى لما تعتقده الأعراب من كونه عطشان ولا يزال يقول اسقونى. والصدى: العطش. وقد سمى الدماغ هامة لأنه يشبه رأس الصدى، وتسمية الطائر بالهامة يحتمل أن تكون للمعنى الذى لأجله سمى صدى وهو العطش، ويجوز أن يكون قد اشتق من الهيام، وهو داء يصيب الإبل فتشرب ولا تروى. القاموس، وحياة الحيوان للدميرى ح٢ ص ٥٩، ٣٧٤.

(٢) والظمء ما بين الشربتين والوردين وما بين سقوط الولد إلى حين موته، فيكون المعنى: لم يبق لنا إلا يسير

. . . .

أقصرُ الدَّوابِّ ظِمئاً، والإبل أطولُها أظْماء.

حول بعض رجال أحد:

وذكر قُزمانَ، وهو اسم مأخوذٌ من القَزَمِ، وهو رُذَالُ المالِ، ويقال: القُزْمَان(١): الرَّدِيء من كُلِّ شيء.

وذكر الأُصَيْرِمَ، وهو عَمْرو بنَ ثابت ابن وقْش، ويقال فيـــه وَقَش بتحريك القاف.

وقول حاطب المُنافِق: الجَنَّةُ من حَرْمَلٍ، يريد الأرضَ التي دُفِن فيها، وكانت تُنْبِتُ الحَرْمَلَ(٢) أي: ليس له جَنَّة إلَّا ذَاك.

ابن الجموح:

فصل: وذكر خبر عَمْرو بن الجُمُوح حين أراد بنوه أن يمنعوه من الخروج إلى آخر القصة، وزاد غيرُ ابن إسحاق أنه لما خَرَجَ قال: اللَّهُمَّ لَا تَرُدَّني، فاسْتُشهد، فحملوه بَنُوه على بَعير، ليحملوه إلى المدينة، فاسْتَصْعَبَ عليهم البعيرُ، فكان إذا وَجَّهُوه إلى كُلِّ جهةٍ سارع إلَّا جِهةَ المدينة، فكان يأبى الرجوعَ إليها، فلما لم يقدروا عليه ذكروا قوله: اللهم لا تَرُدَّني إليها، فدفنوه في مَصْرَعه(٣).

---

(١) لا يوجد لا في اللسان ولا في القاموس سوى أنه اسم أو اسم موضع.
(٢) نبت له حب أسود، وحب هذا النبات.
(٣) قصة البعير خرافة، والشهيد يدفن في مصرعه كشهداء بدر.

. . . .

حكم (من) والساكن بعدها :

فصل : وقول هند بنت أثاثة :

مِنْ هاشِمّيين الطِّوالِ الزُّهْرِ

يُحذفِ النُّون من حَرْفِ مِنْ لِالتقاء السَّاكِنَيْن ، ولا يجوز ذلك إلّا في مِنْ وَحْدَها لكثرةِ استعمالها ، كما خُصَّتْ نُونُها بالفَتْح إذا التقت مع لام التعريف ، ولا يجوز ذلك في نُونٍ ساكنةٍ غيرها ، كرهوا تَوَالِيَ الكَسْرَتَيْن مع توالي الاستعمالِ ، فإن التقت مع ساكنٍ غير لام التعريف نحو مِنِ ابْنِكَ ، ومِنِ اسْمِكَ ، كسرت على الأصل ، والقياس المُسْتَتِبُّ . قال سِيبَوْيه : وقد فتحها قَوْمٌ فُصَحَاء يعني مع غير لام التعريف .

لكاع ولكع :

وقول حسّان في هِنْدٍ : أَشِرَتْ لَكَاعِ ، جعله اسماً لها في غير النِّداء ، وذلك جائز ، وإن كان في النِّداء أكثر ، نحو يا غَدَارِ ويافَسَاقِ ، وكذلك لُكَعٌ ، قد استعمل في غير النداء ، نحو قوله عليه السلام : أين لُكَعٌ يعني : الحَسَن أو الحُسَيْن مُمَازِحاً لَهُمَا[1] . فإن قيل : إن النبيَّ – صلى الله عليه وسلم –

(١) يقال في النداء للئيم يالكع ، وللأنثى : يالكاع ، لأنه موضع معرفة ، فان لم ترد أن تعدله عن جهته قلت للرجل : يا ألكع ، وللأنثى : يالكعاء ، وقد استعمل الحطيئة لكاع في غير النداء ، فقال يهجو امرأته

أطوف ما أطوف ثم آوى   إلى بيت قعيدته لكاع

ويقال : إنه لأبي الغريب البصري . كما جاء في اللسان .

. . . .

كان يَمْزَحُ ، ولا يَقُول إلّا حقاً ، فكيف يقول : أيْنَ لُكَعٌ وقد سماه سيِّداً في حديث آخر ؟ فالجوابُ : أنه أراد التشبيهَ باللُّكَع الذى هو الفَلُوّ أو المُهْرُ لأنه طفل كما أن الفَلُوّ والمُهْر(١) كذلك ، وإذا قُصِد بالكلام قَصْدُ التشبيه ، لم يكن كَذِباً ، ونحوه قوله عليه السلام : لا تَقُوم الساعةُ حتى يكون أسعدُ الناس في الدنيا لُكَعٌ بنُ لُكَعٍ ، واللُّكَعُ في اللغة : وَسَخُ الغُرْلَةِ ، وهو أيضاً الفَلُوُّ الصَّغِيرُ ، فمن أجل هذا جاز أن يُسْتَعْمَلَ في غيرِ النِّداء ؛ لأنه على هذا الوجه غيرُ مَعْدُولٍ كما عُدِل خُبَثُ عن خَبِيثٍ ، وفُسَقُ عن فاسِقٍ ، وقال ابن الأنبارِيّ في الزّاهر : اشتقاقُه من المَلاكِعِ ، وهو ما يخرج مع المولود من ماءِ الرَّحِم ودمِها ، وأنشد :

رَمَتِ الفَلاةَ بِمُعْجَلٍ مُتَسَرْبِلٍ غِرْسَ السَّلَى ومَلاكِعَ الأَمْشَاجِ

قال : ويُقال في الواحد يالُكَعُ ، وفي الاثنين ياذَوَيْ لَكِيعَةَ ، ولَكَاعَةٍ ، ولا تُصْرَفُ لَكِيعَةَ ، ولكن تُصْرَفُ لَكَاعَةٌ لأنه مَصْدَرٌ وفي الجميع ،

= ولكاع مبنية على الكسر . واللكع عند العرب : العبد ، ثم استعمل في الحمق والذم ، وقد لكع الرجل بوزن فرح يلكع لكعاً فهو ألكع ، وقد يطلق على الصغير ، فان أطلق على الكبير أريد به الصغير العلم والعقل . وقد ورد في حديث سعد بن عبادة أرأيت إذ دخل رجل بيته ، فرأى لكاعا قد تفخذ امرأته . . الخ لجعل لكاع صفة لرجل . ويقال : لعله أراد لكعاً فحرف . » خزانة الأدب والنهاية لابن الأثير »

(١) فلو : المهر الصغير ، وقيل هو الفطم من أولاد ذوات الحافر ، وفي اللسان من معاني اللكع : المهر والجحش .

. . . .

ياذَوِى لَـكِيعَةَ ولَـكَاعَةِ[1] وفى المؤنث على هذا القياس .

قال المؤلف : ولا يقال يالَـكَاعَانِ ، ولا فُسَقَانِ ، لِسِرٍّ شرحناه فى غير هذا الـكتاب. وتلخيص معناه : أن العَرَبَ قَصَدَتْ بهذا النَّبَأِ فى النِّداء قَصْدَ الْعَلَمِ ، لأن الاسمَ الْعَلَمَ أَلْزَمُ لِلْمُسَمَّى من الْوَصْفِ الْمُشْتَقِّ من الفِعْلِ نحو فَاسِقٍ وغَادِرٍ ، كما قالوا عُمَرَ ، وعدلوا عن عَامِرٍ الذى هُو وصف فى الأَصْلِ تحقيقاً منهم للعَلَمِيَّة ، ثم إن الاسمَ العَلَمَ لا يُثَنَّى ولا يُجْمَع وهو عَلَمٌ ، فإذا ثُنِّيَ زال عنه تعريف العَلَمِيَّة، فَمِنْ أجلِ ذلك لم يُثَنُّوا يافُسَقُ وياغُدَرَ ، لأن فى ذلك نَقْضاً لما قَصَدُوه من تَنْزِيله مَنْزِلة الاسْم الْعَلَمِ ، أى : إنه مُسْتَحِقٌّ لأن يُسَمَّى بهذا الاسم ، فهذا أبلغ من أن يقولوا : يا فَاسِقُ ، فيجيئوا بالاسم ، الذى يجرى مَجْرَى الفِعْل والفِعْل غير لازمٍ ، والعَلَمُ أَلْزمُ منه ، والتَّثْنِيَـةُ والجَمْعُ تُبْطِل العَلَمِيَّة كما ذكرنا فافْهَمْهُ ، ووقع فى الْمُوطَّأ من رواية يَحْيى فى حديثِ عبدِ الله بن عُمَرَ أنه قال لمولاةٍ له : اقْعُدِى لُـكَعُ ، وقد عِيبَتْ هذه الروايةُ على يحيى ، لأن المرأةَ إنما يقال لها : لَـكَاعِ ، وقد وجدتَ الحديث كما رواه يَحيَى فى كتاب الدَّارَقُطْنِى،وَوَجْهُه فى الْعَرَبِيَّة أنه مَنْقُول غير مَعْدُولٍ فجائز أن يقال للأَمَةِ يالُـكَعُ كما يقال لها إذا سبت : يازُبَلُ ويأوُسَخُ إذ اللُّـكع ضَرْب من الوَسَخِ ، كما قدمناه وهو فى كتاب العين .

---

(١) قال الفراء : تثنية لـكاع أن تقول : ياذواتى لـكيعة أقبلا ، وياذوات لـكيعة أقبلن وقالوا فى النداء للرجل : يا لـكع، وللمرأة يالـكاع ، وللاثنين : ياذوى لـكع .

الرسول يسأل عن ابن الربيع :

فصل : وذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم: مَنْ رَجُلٌ ينظر لى ما فَعَلَ سَعْدُ بن الرَّبيع ؟ فقال رجل من الأنصار : أنا ، وذكر الحديثَ . الرجل : هو محمد بن مَسْلَمَة ، ذكره الواقدي ، وذكر أنه نادى فى القَتْلى : ياسَعْدُ بن الربيع مَرَّةً بعد مرَّةٍ ، فلم يُجْبه أحدٌ ، حتى قال يا سَعْدُ إن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أرسلنى أنظُر ماصنعتَ ، فأجابه حينئذٍ بصوت ضعيفٍ ، وذكر الحديث . وهذا خلاف ما ذكره أبو عُمَر فى كتاب الصحابة ، فإنه ذكر فيه من طريق رُبَيْح بن عبدِ الرحمن بن أبى سَعيدِ الخُدْرِىِّ عن أبيه عن جده أن الرجل الذى التمس سعداً فى القَتْلى هو أُبَىُّ بن كَعْبٍ .

حميد الطويل وطلحة الطلحات :

وذكر عن حُمَيْدِ الطَّوِيلِ عن الحَسَنِ عن سَمُرَة عن النَّبىِّ – صلى الله عليه وسلم – فى النهى عن المُثْلَة ، وحُمَيْدُ الطَّويل هو حُمَيْدُ بنُ تِيرَوَيْه ، ويقال : ابن تيري[1] يكنى أبا حُمَيْدَةَ مَوْلى طَلْحَةَ الطلحات[2] ، وهو حديث صحيح

(١) فى القاموس : تير بكسر التاء وبدون ياء وكذلك فى تهذيب الأسماء واللغات ، وقال : هو أبو عبيدة ، وقيل : أبو عبيد حميد بن أبى حميد ، واسم أبى حميد تيرويه ، وقيل : تير ، وقيل ذاذويه ، وقيل طرخان ، وقيل : مهران ، ويقال : عبد الرحمن ، ويقال . داود . قال الأصمعى : رأيت حميداً ، لم يكن طويلا ، ولكن طويل اليدين مات سنة ١٤٣ هـ ص ١٧٠ ح ١ .

(٢) هو طلحة بن عبيد الله بن خلف الخزاعى ويقول صاحب اللسان : ورأيت فى بعض حواشى نسخ الصحاح بخط من يوثق به الصواب : طلحة =

في النهي عن الْمُثْلَةِ. فإن قيل : فقد مَثَّل رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالعُرَنِيِّين(١) فقطَّع أيديَهُمْ وأرجلَهم وسَمَل أعينَهُم ، وتركهم بالحَرَّةِ .

= ابن عبد الله : وسمى طلحة الطلحات بسبب أمه ، وهى صفية بنت الحارث ابن طلحة بن أبى طلحة وزاد الأزهرى ابن عبد مناف وأخوها : طلحة ابن الحارث فقد تكنفه هؤلاء الطلحات كما ترى ، وقبره بسجستان ، وفيه يقول ابن الرقيات :

رحم الله أعظماً دفنوها بسجستان طلحة الطلحات

وعند ابن الأثير : عن طلحة الطلحات قيل : إنه جمع بين مائة عربى وعربية بالمهر والعطاء الواسعين فولد لكل واحد منهم ولد فسمى طلحة ، فأضيف إليهم. وفى القاموس : القول الأول .

(١) عن قتادة عن أنس أن ناساً من عكل وعرينة قدموا على النبى « ص » وتكلموا بالإسلام ، فاستوخموا المدينة ، فأمر لهم النبى « ص » بذود وراع وأمرهم أن يخرجوا ، فليشربوا من أبوالها وألبانها ، فانطلقوا حتى إذا كانوا بناحية الحرة كفروا بعد إسلامهم ، وقتلوا راعى النبى « ص » واستاقوا الذود ، فبلغ ذلك النبى « ص » فبعث الطلب فى آثارهم ، فأمر بهم ، فسمروا أعينهم ، وقطعوا أيديهم ، وتركوا فى ناحية الحرة حتى ماتوا على حالهم » رواه الجماعة. وزاد البخارى ، قال : قتادة : بلغنا أن النبي « ص » بعد ذلك كان يحث على الصدقة ، وينهى عن المثلة ، وفى رواية لأحمد والبخارى وأبو داود قال قتادة فحدثنى ابن سيرين أن ذلك كان قبل أن تنزل الحدود ، وللبخارى وأبى داود فى هذا الحديث ، فأمر بمسامير فأحميت ، فكحلهم ، وقطع أيديهم وأرجلهم ، وماحسمهم ، ثم ألقوا فى الحرة ، يستسقون فما سقوا حتى ماتوا .

وعند البخارى ، قال أبو قلابة : فهؤلاء سرقوا وقتلوا وكفروا بعد إيمانهم وحاربوا الله ورسوله .

وعند سليمان التيمى عن أنس قال : إنما سمل النبي أعين أولئك ، لأنهم =

قلنا : فى ذلك جوابان: أحدهما : أنه فعل ذلك قِصاصاً لأنهم قطّعوا أيدى الرِّعاء وأرجلهم وسَمَلُوا أعينهم[1] ، روى ذلك فى حديث أنسٍ ، وقيل : إن ذلك قبل تحريم المُثْلَة . فإن قيل : فقد تركهم يَسْتَسْقُون ، فلا يُسْقَوْن ، حتى ماتوا عَطَشاً ، قلنا عَطَّشَهم لأنهم عطَّشُوا أهْلَ بيتِ النبى — صلّى الله عليه وسلم — تلك الليلة ، رُوى فى حديثٍ مرفوع أنه عليه السلام لما بقى وأهلُه تلك الليلة بِلَا لبَن ، قال : اللّهُمَّ عَطِّشْ مَنْ عَطَّشَ أهلَ بيتِ نَبِيِّك . وقع هذا فى شرح ابن بطّال ، وقد خرّجه النَّسوِىّ .

الصلاة على الشهداء :

وروى ابن إسحاق عمن لا يُتَّهَمُ عن مِقْسَمٍ عن ابن عبّاسٍ أن النبىّ — صلى الله عليه وسلم — صلّى على حَمْزَةَ ، وعلى شهداء يوم أُحُدٍ ، ولم يأخذ بهذا الحديث

= سملوا أعين الرعاة ، رواه مسلم والنسائى والترمذى

اسـ توخموا المدينة : كرهوا المقام فيها .

الذود : قيل ما بين الثنتين إلى التسع من الإبل ، وقيل : ما بين الثلاث إلى العشر . والحرة : أرض ذات حجارة سود معروفة بالمدينة .

وقد وفى الإمام الشوكانى الموضوع حقه فى نيل الأوطار فانظره تحت باب المحاربين وقطاع الطريق .

(١) صرح ببعض هذا فى حديث مسلم والنسائى والترمذى . والذى يعرف خلق النبى « ص » ويتدبر وصف الله له بأنه على خلق عظيم ، وأنه ليس فظاً ولا غليظ القلب ، وأنه محمد وأحمد يوقن — ولاريب — بأن مافعله بهؤلاء إنما كان قصاصاً لأمة طيبة أذلة على المؤمنين من قوم غلاظ الأكباد غلف القلوب تضطرم نفوسهم غلا وحقداً وجحوداً .

فقهاء الحجازِ ، ولا الأوْزَاعِى لوجهين ، أحدهما ضَعْفُ إسْنادِ هذا الحديث ، فإن ابن إسحاق قال : حدثنى مَنْ لا أَتَّهِمُ ، يعنى : الحسن بن عمارة – فيما ذكروا – ولا خلاف فى ضَعْفِ الحَسَن بن عمارة عند أهل الحديث ، وأكثرهم لا يرَوْنه شيئاً ، وإن كان الذى قال ابن إسحاق:حدثنى مَنْ لا أَتَّهِمُ غير الحسن ، فهو مَجْهول ، والجَهْل يُوبِقه .

والوجه الثانى : أنه حديثٌ لم يصحبه العَمَل ، ولا يُروى عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أنه صلى على شهيد فى شىء من مغازيه إلا هذه الرواية فى غزوة أُحُدٍ ، وكذلك فى مدة الخليفَتَيْن إلاَّ أن يكون الشهيدُ مُرْتَثّاً(١) من المعركة ، وأما تركُ غَسْلِه ، فقد أجمعوا عليه،وإن اختلفوا فى الصلاة إلا رواية شاذَّةً عند بعض التابعين ، والمعنى فى ذلك – والله أعلم – تحقيقُ حياةِ الشهداء وتصديقُ قوله سبحانه : ﴿ ولَا تَحْسَبَنَّ الذين قُتِلوا فى سبيل الله أمْوَاتاً ﴾ الآية مع أن فى تركِ غَسْلِه معنى آخر ، وهو أن دَمَه أثرُ عبادةٍ(٢) ، وهو يجىء

(١) ارتث على البناء للمجهول : حمل من المعركة رثيثاً أى جريحاً وبه رمق .

(٢) عن جابر قال : «كان رسول الله «ص» يجمع بين الرجلين من قتلى أحد فى الثوب الواحد ، ثم يقول : أيهم أكثر أخذاً للقرآن،فاذا أشير إلى أحدهما قدمه فى اللحد ، وأمر بدفنهم فى دمائهم ، ولم يغسلوا ولم يصل عليهم » البخارى والنسائى وابن ماجه والترمذى وصححه . وهناك خلاف كبير حول الصلاة عليهم ، وقد رد الشافعى على من قال بالصلاة عليهم بأن الأخبار جاءت كأنها عيان من وجوه متواترة أن النبى «ص» لم يصل على قتلى أحد . . قال وماروى من أنه «ص» صلى عليهم وكبر على حمزة سبعين تكبيرة لا يصح ، وقد كان ينبغى لمن عارض بذلك هذه الأحاديث أن يستحى على نفسه . ويقول الامام=

يوم القيامة وجُرْحُهُ يثْعَبُ دَماً ، وريحُهُ ريحُ المِسْكِ ، فكيف يُطَهَّر منه وهو طَيِّبٌ وأثرُ عِبادَةٍ ، ومن هذا الأصلِ انتزع بعضُ العلماء كَراهيةَ تجفيفِ الوجهِ من ماءِ الوُضوءِ ، وهو قول الزُّهرِيِّ ، قال الزُّهرى : وبلغنى أنه يوزَن . ومن هذا الأصلِ انتزع كَراهية السِّوَاكِ بالعَشِيِّ للصائم لئلا يذهب خُلُوفُ فَمِهِ ، وهو أثَر عبادةٍ ، وجاء فيه ماجاء فى دَمِ الشُّهَداءِ أنه أطْيَبُ عند الله من ريح المِسْكِ ، ويُرْوَى أطيبُ يوم القيامة من ريح المسك . رواه مسلم باللفظين جميعاً ، والمعنى واحد ، وجاءت الكراهيةُ للسِّوَاكِ بالعَشيِّ للصائم[1] عن عَلِيٍّ وأبى هُرَيْرَةَ ، ذكر ذلك الدَّارَقُطْنِي .

عبد الله بن جحش المجدع :

وذكر عبدَ الله بن جَحْشٍ بن أخت حَمْزَة ، وأنه مُثِّل به كما مُثِّل بحمزةَ ، وعَبْد الله هذا يُعرفُ بالمُجَدَّع فى الله ، لأنه جُدِعِ أنفُه وأذناه يَوْمَئِذٍ ، وكان سعدُ بن أبى وَقَّاص يحدّث أنه لَقِيَه يومَ أُحُدٍ أول النهار ، فخَلَا به ، وقال له عبد الله : يا سَعْدُ هَلُمَّ فَلْنَدْعُ الله وليذكُرْ كلٌّ واحدٍ منا حاجَتَه فى دعائه ، وليُؤَمِّن الآخرُ ، قال سعد : فدَعَوْتُ الله أن ألْقَى فارساً شديداً بأسُه شَدِيداً حَرْدُه من المُشْرِكين ، فأقتلَه ، وآخذ سَلَبَه ، فقال عبدُ الله آمين ، ثم استقبل

= الشوكانى : «فائدة: لم يرد فى شىء من الأحاديث أنه « ص » صلى على شهداء بدر ، ولا أنه لم يصل عليهم ، وكذلك فى شهداء سائر المشاهد النبوية إلا ما ذكرناه فى هذا البحث ، فليعلم ذلك » . وقد عرض الشوكانى كل ماروى من أحاديث .

. . . .

عبدُ الله القِبْلَة ، ورفع يديه إلى السماء ، وقال اللهم لَقِّني اليومَ فارساً شديداً بأسُهُ شَدِيداً حَرْدُهُ(١) ، يقتلني ويَجْدعُ أنفي وأُذُنِي ، فإذا لقيتُك غداً تقول لي : ياعَبْدِي : فيم جُدِعَ أنفُك وأذناك ، فأقول : فيك يارب ، وفي رسولك ، فتقول لي : صَدَقْتَ ، قل يا سَعْد : آمين ، قال فقلت : آمين ، ثم مررت به آخر النهار قتيلا مَجْدُوعَ الأنفِ والأُذُنَيْنِ ، وأن أُذُنَيْهِ وأنفَه معلقان بخيطٍ ، ولقيتُ أنا فلاناً من المشركين ، فقتلتُه ، وأخذتُ سَلَبَه(٢) ، وذكر الزُّبَيْر أن سَيْفَ عبدِ الله بن جَحْشٍ انقطع يوم أُحُدٍ فأعطاه رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عُرْجُوناً ، فعاد في يده سيفاً ، فقاتل به ، فكان يسمى ذلك السيفُ العُرْجُونَ(٣) ، ولم يزلْ يُتَوارَثُ حتى بيع من بغاء(٤) التركي بمائتي دينار ، وهذا نحو من حديث عُكَّاشَة الذي تقدم إلا أنَّ سَيْفَ عُكَّاشَةَ ، كان يُسَمَّى العَوْن ، وكانت قصة عُكَّاشَة يوم بَدْرٍ ، وكان الذي قتلَ عبدَ الله بنَ جَحْشٍ أبو الحَكَم بن الأَخْنَسِ بن شَرِيقٍ(٥) وكان عَبْدُ الله

---

(١) حرد الرجل فهو حرد بكسر الراء إذا اغتاظ فتحرش بالذي غاظه ، وهم به فهو حارد ، والحرد : الغضب والقصد والمنع .

(٢) رواه البغوي من طريق إسحاق بن سعد . وابن شاهين من وجه آخر عن سعيد بن المسيب . ولم يروه أحد من أصحاب الكتب الستة .

(٣) لم يروه غير الزبير .

(٤) في الإصابة : بغا الكبير دون همزة في آخر بغا . وهو من أمراء المعتصم بالله الخليفة العباسي إبراهيم بن هارون الرشيد .

(٥) اسمه : أبي بن شريق بن عمرو بن وهب بن علاج بن أبي سلمة ابن عبد العزى بن غيرة .

. . . .

حين قُتِلَ ابنَ بِضع وأربعين سنةً ، فيما ذكروا ودُفِن مع حَمْزَةَ فى قَبْرٍ واحد.

حديث عمر وأبى سفيان :

فصل : ومما وقع فى هذه الغَزْوَةِ من الكَلِم الذى يُسْأَلُ عنه قولُ أبى سُفْيانَ حين قال: اعْلُ[1] هُبَلُ، أى زِدْ عُلوًّا، ثم قال: أَنْعَمَتْ، فَعَالِ، قالوا: معناه الأَزْلَامُ ، وكان استَقْسَم بها حين خَرَجَ إلى أُحُدٍ ، فخرج الذى يُحِبُّ[2] وقوله : فَعَالِ : أمرٌ أى عالِ عَنْها وأقْصِر عن لَوْمها ، تقول العرب : اعْلُ عَنِّى ، وعَالِ عنى بمعنى : أى ارْتَفِعْ عنى ، ودعنى . ويُرْوَى أن الزُّبَيْر قال

(١) فسرها ابن هشام بغير هذا فضبطت اعل فى السيرة بفتح الهمزة وسكون العين وكسر اللام فالأمر من أعلى ، وضبطتها فى الروض هكذا بهمزة وصل مع ضم اللام كما ضبطت فى اللسان والنهاية لابن الأثير والمواهب للزرقانى ص ٤٨ لأن الأمر من علا كما فسرها السهيلى .

(٢) كان الرجل من قريش إذا أراد ابتداء أمر عمد إلى سهمين ، فكتب على أحدهما : نعم ، وعلى الآخر : لا ، ثم يتقدم إلى الصنم ويجيل سهامه ، فإن خرج سهم نعم ، أقدم ، وإن خرج سهم لا : امتنع ، وكان أبو سفيان لما أراد الخروج إلى أحد استفتى هبل ، فخرج له سهم الإنعام ،فذاك قوله لعمر أنعمت ، فعال عنها أى تجاف عنها ، ولا تذكرها بسوء يعنى آلهتهم . « ابن الأثير مادة علا » وعنه نقل اللسان . وقد ذكر الخشنى : وقوله : أنعمت — بضم التاء — فعال ، معناه : بالغت . يقال : أنعم فى الشىء إذا بالغ فيه، وقوله : أنعمت يخاطب به نفسه. ومن رواه :أنعمت بفتح التاء فانه يعنى به الحرب أو الوقيعة . . وقد يجوز أن تكون معدولة من الفعلة كما عدلوا فجار عن الفجرة ، أى بالغت فى هذه الفعلة ، ويعنى بالفعلة : الوقيعة ص ٢٣٠. وهبل اسم صنم .

. . . .

لأبى سُفيانَ يوم الفتح : أين قولُكَ : أنْعمتْ ، فعَالِ ؟ فقال : قد صنع اللهُ خيْراً ، وذهب أمرُ الجاهلية .

وقول عُمرَ لا سَوَاء ، أى لا نحْنُ سَوَاء ، ولا يجوز دخول لا على اسم مُبْتَدأ معرفة إلا مع التكرار نحو لا زيدٌ قائمٌ ، ولا عَمْرٌو خارجٌ ، ولكنه جاز فى هذا الموضع ، لأن القصدَ فيه إلى نفى الفعلِ ، أى لا يستوى ، كما جاز لا نَوْلُكَ ، أى : لا ينْبَغى لك ، وقد بينا هذا فى أولِ الكتاب حيث تكلمنا على قوله :

فَشَتّتنا سَعْدٌ فلا نحْنُ مِنْ سَعْدِ

حديث مخيريق وأول وقف فى الإسلام :

ومما يليق ذكره بهذه الغَزَاةِ حديثُ مُخيْرِيقٍ ، وهو أحد بنى النَّضير ، وقوله : إنْ أُصِبْتُ فمَالِى لمحمَّدٍ يصنع فيه ماشاء ، فأصيب يومَ أُحد ، فجعل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — حين انصرف مالَه أوْقافاً ، وهو أول حُبُسٍ حُبِسَ فى الإسلام ، رُوِىَ ذلك عن مُحمد بن كَعْب القُرَظِىّ ، وقال الزُّهْرِىّ : كانت سَبْعَ حَوَائِطَ ، وأسماؤُها : الأعرافُ ، والأعوافُ والصَّافيةُ والدَّلالُ وبُرْقَة ، وحُسْنَى ومَشْرَبَةُ أمِّ إبراهيم ، وإنما سُمِّيتْ مَشْرَبة أمِّ إبراهيم ، لأنها كانت تسكنها ، وقد ذكر ابن إسحاق حديث مُخَيْرِيقٍ ، وهذا الذى ذكرناه تكملةٌ له ، وزيادة فائدة فيه .

وذكر : لا سَيفَ إلا ذُو الفَقَار ، بفتح الفاء جمع فَقَارَةٍ ، وإن قيل ذو الفِقَارِ بالكسر ، فهو جمع فِقْرة ، وقد تقدم شَرْحُه . ووقع فى غيرِ هذه الروايةِ أنّ

. . . .

بريحا هبَّت يوم أُحُدٍ ، فسمعوا قائلا يقول :

لا سَيْفَ إلَّا ذو الفِقَارِ ولا فَــتَى إلَّا عَلِي[1]

فى أبيات ذكرها ، وذكر ابن إسحاق أيضاً من غير رواية البَكَّائىِّ قولَ علىٍّ لفاطمة حين غَسَلَتْ سَيْفَه من الدمِ :

أفاطِمُ هاكِ السَّيْفَ غيْرَ ذَمِيمٍ فلستُ بِرِعْدِيدٍ ولا بِلَئِيمِ

غزوة حمراء الأسد[2]

شرح قصيدة معبد الخزاعي :

ذكر شعرَ مَعْبَدٍ الْخُزَاعِىِّ وفيه :

إذا تَغَطْمَطَت البطْحاء بالخَيْلِ

لفظٌ مُسْتَعارٌ من الغطمة[3] ، وهو صوت غَلَيان القِدْرِ .

قوله بالخيل جعَل الرِّدْفَ حرْفَ لِينٍ ، والأبياتُ كلُّها مُرْدَفَةُ الرَّوِىِّ

(١) يقول الشيبانى فى التمييز : يروى فى أثر رواه عند الحسن بن عرفة من حديث أبى جعفر محمد بن على الباقر .

(٢) موضع على ثمانية أميال أو عشرة من المدينة عن يسار الطريق إذا أردت ذا الحليفة .

(٣) تغطمطت : اهتزت وارتجت ، ومنه يقال : بحر غطامط بضم الغين وفتح الطاء إذا علت أمواجه . والجيل : الصنف من الناس ولكنها فى السيرة : الخيـــل .

. . . .

بحرفِ مَدٍّ ولِينٍ[1] ، وهذا هو السِّنَادُ الذى بيَّنَّاه فى أول الكتاب عند قول ابن إسحاق فسُونِدَ بين القبائل ، ونظيرُه قول [عمرو] بن كلثوم :

ألا هُبِّى بصَحْنِكِ فاصْبِحِينَا

ثم قال :

تُصَفِّقُها الرياحُ إذا جَرَيْنَا

وتسمية هذا سِناد عَربية لاصِناعية ، قال عَدِىُّ بن الرِّقَاع :

وقَصِيدَةٍ قد بِتُّ أجمع بَيْنَها حتى أُقَوِّم مَيْلَهَا وسِنَادَها
نظرَ المُثَقِّفِ فى كُعُوبِ قَنَاتِهِ كيما يُقِيمَ ثِقَافُه مُنْآدَها[2]

وقوله : لاتَنَابِلة . التَّنَابِلة : القِصار ، وأحدُهم : تِنْبَالٌ ، تَفعَالٌ من النَّبلِ ، وهى صِغَارُ الحَصَى[3] .

(١) الردف : الألف والياء والواو التى قبل الروى ، سمى بذلك لأنه ملحق فى التزامه وتحمل مراعاته بالروى ، فجرى مجرى الردف للراكب ، أى يليه ، لأنه ملحق به ، مثل الألف فى كتاب ، والياء فى بليد ، والواو فى قئول وانظر اللسان مادة ردف

(٢) سبق هـــذا وانظر اللسان فى مادة سند ، والخصائص لابن جنى ط ٢ ص ٣٢٣ — ١

(٣) تنبال وتنبل والتنبالة بفتح التاء وكسرها ، وفتح الباء : الرجل القصير ، وهو رباعى على مذهب سيبويه وعند ثعلب ثلاثى . وحكم بزيادة التاء ، ويشتقه من النبل كما قال السهيلى ، وذكره الأزهرى فى الثلاثى ، وجمعه أيضاً : التنابيل .

. . . .

أبو عزة الجمحي :

وذكر أبا عَزَّةَ(١) ، وكان الذى أسره عُمَيْرُ بنُ عَبْدِ الله ، كذا ذكر بعضُهم ، وأحسَبُه عبدَ الله بن عُمَيْرٍ أحدِ بني خُدارَة ، أو عبدَ الله بن عُمَيْرٍ الخطمى. ومن خبر أبي عَزَّةَ ما ذكر الزُّبَيْرعن ابن جُعْدُبَةَ والضَّحَّاكِ بن عُثْمان .

والجُعْدُبَةُ فى اللغة واحدة الجَعَادِبِ ، وهى النُّفَّاخَاتُ التى تكون فى الماء .

قالا : بَرِصَ أبو عَزَّةَ الجُمَحِى ، فكانت قُرَيْشٌ لا تُؤَاكله ولا تُجالسه فقال الموت خيرٌ من هذا ، فأخذ حَدِيدَةً ، ودخل بعضَ شِعابِ مَكَّة فطَعَن بها فى مَعَدِّهِ ، والمَعَدُّ مَوْضِعُ عَقِبِ الرَّاكبِ من الدَّابَّةِ ، وقال ابن جُعْدُبَةَ : فمارت الحديدُة ، وقال الضحاك : بين الجِلْدِ والصِّفَاقِ فسال منه أصفرُ فَبَرِئ ، فقال :

اللَّهُمَّ رَبَّ وَائِلٍ ونَهْدِ ... والتَّهِمَاتِ والجِبَالِ الجُرْدِ
وَرَبَّ مَنْ يَرْعَى بأرضِ نَجْدِ ... أصبحتُ عبداً لك وابْنَ عَبْدِ
أَبْرَأْتنِي من وَضَحٍ بِجِلْدِي ... مِنْ بعد ماطَعَنْتُ فى مَعَدِّى

موصل مقالة أبي سفيان :

وذكر إرسال أبي سفيانَ مَعَ الركب بالوعيد ، وكان المُوَصِّلُ مقالَته للمؤمنين نُعَيمُ بنُ مَسْعُودٍ، فقالوا: حَسْبُنا اللهُ ونعم الوكيل، كذلك جاء فى التفسير.

---

(١) فى حديثه لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين . وقد ذكر السيوطى عن هذا أن رواته : البخارى ومسلم وأحمد فى مسنده وأبو داود وابن ماجة .

قول لعبد الله بن أبي

وذكر قول عبد الله بن أُبَىّ حين أُخْرِج من المسجد : لـكأنما قلت بَجْرًا. الْبَجْرُ : الأمْرُ العَظِيمُ والْبَجَارِي : الدَّوَاهى ، وفى وصية أبى بكر : ياهَادِىَ الطريق جُرْتَ ، إنما هو الْفَجْرُ أو الْبَجْرُ(١) قال الخطابى: معناه الداهية.

وذكر ابن إسحاق فى غير هذه الرواية قول النبى صلى الله عليه وسلم فى قتلى أُحُدٍ : ياليتنى غُودِرْتُ مع أصحاب نُحْصِ الْجَبَلِ . نُحْصُ الْجَبَل : أسفلُه ، قاله صاحب العَين(٢) .

---

(١) ضبط القاموس البجر بالضم ، وابن الأثير بالفتح ، وفى اللسان أنها بالفتح والضم وهى الداهية والأمر العظيم . ومعنى قول أبى بكر : إن انتظرت حتى يضىء الفجر أبصرت الطريق ، وإن خبطت الظلماء أفضت بك إلى المكروه، ويروى البحر يريد غمرات الدنيا شبهها بالبحر لتحير أهلها فيها .

(٢) فى الأصل : نحض بالضاد والتصويب من النهاية واللسان، والمعنى تمنى أن يكون استشهد معهم يوم أحد ، أراد ياليتنى غودرت شهيداً مع شهداء أحد. وفى البخارى ومسلم وغيرهما عن عائشة : لما انصرف عنه المشركون خاف أن يرجعوا ، فقال : من يذهب فى أثرهم ، فانتدب منهم سبعون رجــلا فيهم : أبو بكر والزبير وزاد الطبرانى آخرين . وعن هذا يقول الحافظ ابن كثير : هذا سياق غريب جدا ، فالمشهور عند أصحاب المغازى أن الذين خرجوا إلى حمراء الأسد كل من شهد أحداً ، وكانوا سبعمائة ، قتل منهم سبعون ، وبقى الباقون. وقيل إنه لا تخالف بين قول عائشة وأصحاب المغازى لأن معنى قولها فانتدب منهم سبعون أنهم سبقوا غيرهم ، ثم تلاحق الباقون . وقد أقام عليه السلام بحمراء الأسد كما روى الاثنين والثلاثاء والأربعاء ، وقال ابن سعد :كان المسلمون يوقدون تلك الليالى خمسمائة نار حتى ترى من المكان البعيد ، وذهب صوت معسكرهم ونيرانهم فى كل وجه . ثم رجع إلى المدينة صلى الله عليه وسلم .

ذكر ما أنزل الله فى أحد من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال : حدثنا زياد بن عبد الله البكائى عن محمد بن إسحاق المطّلبى ، قال : فكان مما أنزل الله تبارك وتعالى فى يوم أُحد من القرآن ستون آية من آل عِمران ، فيها صِفة ما كان فى يومهم ذلك ، ومُعاتبة من عاتَب منهم ، يقول الله تبارك وتعالى لنبيِّه صلى الله عليه وسلم : ﴿ وإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّىءُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ ، وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ آل عمران : ١٢١ .

قال ابن هشام : تبوّىء المؤمنين : تتخذ لهم مقاعد ومنازل . قال الكميت ابن زيد :

لَيتنى كنتُ قبلَه قد تبوأتُ مَضجعا

وهذا البيت فى أبيات له .

أى سميع بما تقولون ، عليم بما تخفون .

﴿ إِذْ هَمَّتْ طائِفَتانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلا ﴾ : أن تتخاذلا ، والطائفتان : بنو سَلِمة بن جُشَم بن الخزرج ، وبنو حارثة بن النَّبيت من الأوس ، وهما الجناحان . يقول الله تعالى : ﴿ والله وليُّهما ﴾ : أى المُدافع عنهما ماهمّتا به من فَشَلهما ، وذلك أنه إنما كان ذلك منهما عن ضَعف ووَهن أصابهما غير شكّ

فى دينهما ، فتولى دفع ذلك عنهما برحمته وعائدته ، حتى سَلِمَتا من وُهونهما وضَعفهما ، ولَحِقتا بنبيِّهما صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام : حدثنى رجل من الأسْد من أهل العلم ، قال : قالت الطائفتان ما نحب أنا لم نَهُم بما هممنا به ، لتولى الله إيانا فى ذلك .

قال ابن إسحاق : يقول الله تعالى : ﴿ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ : أى من كان به ضَعف من المؤمنين فليتوكّل علىّ ، وليستعِنْ بى ، أُعِنْه على أمره ، وأدفع عنه ، حتى أبلغ به ، وأدْفع عنه ، وأقوّيه على نيّته . ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ ، فَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ : أى فاتّقونى ، فإنه شُكر نعمتى . ﴿ ولَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ ﴾ وأنتم أقل عدداً وأضعف قُوّة ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ * بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ : أى إن تصبروا لعدوّى ، وتُطيعوا أمرى ، ويأتوكم من وَجْههم هذا ، أُمدّكم بخمسة آلاف من الملائكة مسوّمين .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : مسوّمين : مُعْلَمين . بلغنا عن الحسن بن أبى الحسن البصرىّ أنه قال : أعْلَموا على أذناب خَيْلهم ونَواصيها بصوف أبيض . فأما ابن إسحاق فقال : كانت سيماهم يوم بدر عَمائم بيضاً . وقد ذكرت ذلك فى حديث

بدر . والسيما : العلامة . وفى كتاب الله عزّ وجلّ : ﴿ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾ : أى علامتهم . و ﴿ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ * مُسَوَّمَةً ﴾ يقول : مُعلَّمة . بلغنا عن الحسن بن أبى الحسن البصرى أنه قال : عليها علامة ، أنها ليست من حجارة الدنيا ، وأنها من حجارة العذاب . قال رُؤْبة بن العجّاج :

فالآنَ تُبلِي بِي الجِيادُ السُّهَّمُ ولا تُجارِينى إذا ما سَوَّمُوا
وشَخَصت أبصارُهم وأجْذَموا

[أجذموا « بالذال المعجمة » : أى أسرعوا : وأجدموا « بالدال المهملة » : أقطعوا] .

وهذه الأبيات فى أرجوزة له : والمُسوَّمة (أيضاً) المرْعيَّة . وفى كتاب الله تعالى : ﴿ والْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ ﴾ و ﴿ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾ . تقول العرب : سوّم خَيْله وإبلَه ، وأسامها : إذا رعاها . قال الكُميت بن زيد :

راعياً كان مُسْجِحاً ففقَــدنا ه وفَقْدُ المُسِيم هُلْكُ السَّوَامِ

قال ابن هشام . مُسجحاً : سَلِس السِّياسة محسن (إلى الغنم) . وهذا البيت فى قصيدة له .

﴿ وما جَعَلَهُ اللهُ إلاَّ بُشْرَى لَكُمْ ، وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ ، وَما النَّصْرُ إلاَّ مِنْ عِنْدِ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ : أى ما سمّيت لكم مَنْ سمّيتُ من جنود ملائكتى إلا بُشرى لكم ، ولتطمئنّ قلوبكم به ، لما أعرف من ضَعْفكم ، وما النّصر إلا من عنــدى ، لسُلطانى وقُدرتى ، وذلك أن العزّ

والحكم إلىّ ، لا إلى أحد من خلقى . ثم قال : ﴿ لِيَقْطَعَ طَرَفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خائِبِينَ ﴾ : أى ليقطع طرفاً من المشركين بقتل ينتقم به منهم ، أو يردّهم خائبين : أى ويرجع من بقى منهم فلاًّ خائبين ، لم ينالوا شيئاً مما كانوا يأملون .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : يكبتهم : يغمّهم أشدّ الغم ، ويمنعهم ما أرادوا . قال ذو الرُّمَّة :

ما أنسَ مِن شَجَنٍ لا أنسَ مَوْقِفَنا في حَيْرة بين مَسْرور ومَكْبوتِ

ويكبتهم (أيضاً) : يصرعهم لوجوههم .

قال ابن إسحاق : ثم قال لمحمّد رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ ، أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ، أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظالِمُونَ ﴾ : أى ليس لك من الحكم شيء فى عبادى ، إلا ما أمرتُك به فيهم ، أو أتوب عليهم برحمتى ، فإن شئتُ فعلت ، أو أعذّبهم بذنوبهم فبحقّى ﴿ فَإِنَّهُمْ ظالِمُونَ ﴾ : أى قد استوجبوا ذلك بمعصيتهم إياى ﴿ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ : أى يغفر الذنب ويرحم العباد ، على ما فيهم .

النهى عن الربا

ثم قال : ﴿ يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبا أَضْعافاً مُضاعَفَةً ﴾ : أى لا تأكلوا فى الإسلام ، إذ هداكم الله به ما كنتم تأكلون إذ أنتم على غيره ،

مما لا يحلّ لكم فى دينكم ﴿ واتّقوا الله لعلّكم تُفلِحُونَ ﴾ : أى فأطيعوا الله لعلّكم تنجُون مما حذّركم الله من عذابه ، وتُدركون مارغّبكم الله فيه من ثوابه ، ﴿ واتّقُوا النّارَ التى أُعدّتْ للكافِرين ﴾ : أى التى جُعلت داراً لمن كفر بى .

الحض على الطاعة

ثم قال : ﴿ وأطِيعُوا الله والرّسُولَ لعلّكم تُرْحَمُونَ ﴾ معاتبةً للذين عَصَوْا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حين أمرهم بما أمرهم به فى ذلك اليوم وفى غيره . ثم قال : ﴿ وَسارِعُوا إلى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبّكمْ وَجنّةٍ عَرْضُها السّمٰوَاتُ والأرضُ أُعِدّتْ لِلْمُتّقِينَ ﴾ أى داراً لمن أطاعنى وأطاع رسولى : ﴿الّذِينَ يُنفِقُونَ فى السّرّاء والضّرّاءِ ، والكاظِمِينَ الغَيْظَ ، والعافِينَ عَنِ النّاسِ ، وَاللهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ ﴾ : أى وذلك هُوَ الإحسانُ ، وأنا أُحبّ مَنْ عمل به ، ﴿ والّذِينَ إذَا فَعَلُوا فاحِشَةً أوْ ظَلَمُوا أنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فاسْتَغفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ ، وَمَنْ يَغْفِرُ الذّنُوبَ إلاّ اللهُ ، ولَمْ يُصِرّوا عَلَى ما فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ : أى إن أتوا فاحشة ، أو ظلموا أنفسهم بمعصية ذكروا نَهْى الله عنها ، وما حرّم عليهم ، فاستغفروه لها ، وعرفوا أنه لا يغفر الذنوب إلا هو . ﴿ولَمْ يُصِرّوا عَلَى مافَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ : أى لم يُقيموا على معصيتى كفعل مَن أشرك بى فيما غلَوْا به فى كفرهم ، وهم يعلمون ما حرّمتُ عليهم من عبادة غيرى . ﴿ أُولَئِكَ جزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبّهِمْ وَجَنّاتٌ تَجْرِى مِنْ تَحْتِها الأنهارُ خالِدِينَ فِيها ، وَنِعْمَ أجْرُ العامِلِينَ ﴾ : أى ثواب المُطيعين .

ذكر ما أصابهم وتعزيتهم عنه

ثم استقبل ذكر المصيبة التى نزلت بهم ، والبلاء الذى أصابهم ، والتمحيص لما كان فيهم ، واتخاذه الشهداء منهم ، فقال : تعزية لهم ، وتعريفا لهم فيما صنعوا ، وفيما هو صانع بهم : ﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ : أى قد مضت منى وقائع نقمة فى أهل التكذيب لرسلى والشرك بى : عاد وثمود وقوم لوط وأصحاب مدين ، فرأوا مثلات قد مضت منى فيهم ، وان هو على مثل ما هم عليه من ذلك منى ، فإنى أمليت لهم : أى لئلا يظنوا أن نقمتى انقطعت عن عدوكم وعدوى للدولة التى أدلتهم بها عليكم ، ليبتليكم بذلك ، ليعلم ما عندكم .

ثم قال تعالى : ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ : أى هذا تفسير للناس إن قبلوا الهدى ﴿ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ ﴾ : أى نور وأدب (للمتقين) أى لمن أطاعنى وعرف أمرى ، ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا ﴾ : أى لا تضعفوا ولا تبتئسوا على ما أصابكم ، ﴿ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ ﴾ أى لكم تكون العاقبة والظهور ﴿ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ : أى إن كنتم صدقتم نبيى بما جاءكم به عنى . ﴿ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ ﴾ : أى جراح مثلها ﴿ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ : أى نصرفها بين الناس للبلاء والتمحيص ﴿ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا ، وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ : أى ليميز بين المؤمنين والمنافقين ، وليكرم من أكرم من

أهل الايمان بالشهادة ﴿ وَاللهُ لا يُحِبُ الظَّالِمِينَ ﴾ : أى المنافقين الذين يُظهرون بألسنتهم الطاعةَ وقلوبهم مُصِرَّة على المَعْصية ﴿ وليُمَحِّصَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ أى يختبر الذين آمنوا حتى يخلصهم بالبلاء الذى نزل بهم ، وكيف صبرهم ويقينهم ﴿ ويَمْحَقَ الكافِرِينَ ﴾ : أى يُبْطل من المنافقين قولهم بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم ، حتى يظهر منهم كُفْرهم الذى يَسْتترون به .

دعوة الجنة للمجاهدين

ثم قال تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ ولَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾ : أى حسبتم أن تدخلوا الجنة ، فتصيبوا من ثوابى الكرامة ، ولم أختبركم بالشدّة ، وأبتليكم بالمكاره ، حتى أعلم صِدْق ذلك منكم بالإيمان بى ، والصبر على ما أصابكم فىَّ ، ولقد كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الشَّهادَةَ على الذى أنتم عليه من الحقّ قبل أن تلقوا عدوّكم ، يعنى الذين استنهضوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم إلى خُروجه بهم إلى عدوّهم ، لِما فاتهم من حُضور اليوم الذى كان قَبْله ببدر ، ورغبةً فى الشهادة التى فاتتهم بها ، فقال : ﴿ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ المَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ ﴾ يقول : ﴿ فَقَدْ رأيتُمُوهُ وأَنْتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ : أى الموت بالسّيوف فى أيدى الرجال قد خلّى بينكم وبينهم وأنتم تنظرون إليهم ، ثم صدّهم عنكم ﴿ وَما مُحَمَّدٌ إلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ، أفإنْ ماتَ أوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقابِكُمْ ، وَمَنْ يَنقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً ، وَسَيَجْزِى اللهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ : أى لقول الناس : قُتل محمد صلى الله عليه وسلم ، وانهزامهم

عند ذلك ، وانصرافهم عن عدوهم ﴿ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ ﴾ رجعتم عن دينكم كفاراً كما كنتم ، وتركتم جهاد عدوكم ، وكتاب الله . وما خلف نبيه صلى الله عليه وسلم من دينه معكم وعندكم وقد بين لكم فيما جاءكم به عنى أنه ميت ومفارقكم ، ﴿ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ ﴾ : أى يرجع عن دينه ﴿ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً ﴾ : أى ليس ينقص ذلك عز الله تعالى ولا ملكه ولا سلطانه ولا قدرته ، ﴿ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ : أى مَنْ أطاعه وعمل بأمره .

ذكره أن الموت بإذن الله

ثم قال : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَاباً مُؤَجَّلاً ﴾ : أى أن لمحمد صلى الله عليه سلم أجلا هو بالغه ، فإذا أذن الله عز وجل فى ذلك كان ، ﴿ وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا ، وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا ، وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴾ : أى من كان منكم يريد الدنيا ، ليست له رغبة فى الاخرة ، نؤته منها ما قسم له من رزق ، ولا يعدوه فيها ، وليس له فى الآخرة من حظ ﴿ ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها ﴾ ما وعد به ، مع ما يجزى عليه من رزقه فى دنياه ، وذلك جزاء الشاكرين ، أى المتقين .

ذكر شجاعة المجاهدين من قبل مع الأنبياء

ثم قال : ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قُتِلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ ، فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا ، وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ : أى وكأين من نبى أصابه القتل ، ومعه ربيون كثير : أى جماعة ، فما وهنوا

لفقد نبيّهم ، وماضعفوا عن عدوّهم ؛ وما استكانوا لما أصابهم فى الجهاد عن الله تعالى وعن دينهم ، وذلك الصبر ، والله يُحبّ الصابرين ﴿ وَما كانَ قَوْلَهُمْ إلّا أنْ قالُوا رَبّنا اغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا ، وإسْرافَنا فِي أمْرِنا ، وَثَبِّتْ أقْدامَنا ، وَانْصُرْنا عَلَى القَوْمِ الكافِرِينَ ﴾ .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : واحد : الرِّبِّيين : رِبِّى ؛ وقولهم : الرّباب ، لولد عبد مناة ابن أدّ بن طابخة بن إلياس ، ولضبة ، لأنهم تجمّعوا وتحالفوا ، من هذا ، يريدون الجماعات . وواحدة الرّباب : رِبّة (وربابة) وهى جماعات قِداح أو عصى ونحوها ، فشبّهوها بها . قال أبو ذؤيب الهذلىّ :

وكأنّهنّ رِبابة وكأنّه يَسَر يَفيض على القِداح ويَصْدعُ

وهذا البيت فى أبيات له . وقال أميّة بن أبى الصّلت :

حَوْلَ شَياطينهم أبابيلُ رِبِّيونَ شَدُّوا سَنَوّراً مَدْسُورا

وهذا البيت فى قصيدة له :

قال ابن هشام : والربابة (أيضاً) الخِرقة التى تُلَفّ فيها القداح .

قال ابن هشام : والسّنَوّر : الدروع . والدُّسُر : هى المسامير التى فى الحِلَق ، يقول الله عزّ وجلّ ﴿ وحَمَلْناهُ على ذَاتِ ألْوَاحٍ ودُسُر ﴾ .

قال الشاعر ، وهو أبو الأخزر الحِمّانى ، من تميم :

دَسْراً بأطراف القَنــا المقَوَّم

قال ابن إسحاق : أى فقولوا مثل ما قالوا ، واعلموا أنما ذلك بذنوب منكم ، واستغفروه كما استغفروه ، وامضُوا على دينكم كما مَضُوا على دينهم ، ولا تَرتدّوا على أعقابكم راجعين ، واسألوه كما سألوه أن يُثبِّت أقدامكم ، واستَنصروه كما استَنصروه على القوم الـكافرين ، فـكل هذا من قولهم قد كان ؛ وقَدْ قُتل نبيُّهم ، فلم يفعلوا كما فعلتم ، فآتاهم الله ثواب الدنيا بالظُّهور على عدوِّهم ، وحُسنَ ثواب الآخرة وما وَعد الله فيها ، والله يحبّ المحسنين .

تحذيره إياهم من إطاعة الـكفار

﴿ يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خاسِرِينَ ﴾ : أى عن عدوّكم ، فتذهب دُنيا كم وآخرتـكم ﴿ بَلِ اللهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴾ ، فإن كان ما تقولون بألسنتـكم صدقاً فى قلوبكم فاعتصموا به ، وَلا تَسْتَنصروا بغيره ، ولا ترجعوا على أعقابكم مرتدّين عن دينه . ﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ ﴾ : أى الذى به كنتُ أنصركم عليهم بما أشركوا بى مالم أجعل لهم من حجَّة ، أى فلا تظنوا أن لهم عاقبة نَصر ولا ظُهور عليـكم ما اعتصمتم بى ، واتَّبعتم أمرى ، للمُصيبة التى أصابتكم منهم بذُنوب قدَّمتموها لأنفسكم ، خالفتم بها أمرى للمعصية ، وعصيتم بها النبىّ صلى الله عليه وسلم . ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَهُ إذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ ، حتى إذَا فَشِلْتُمْ وتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ ، وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ما أَرَاكُمْ ما تُحِبُّونَ ، مِنْـكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيا ، وَمِنْـكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ ،

ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ، وَلَقَدْ عَفا عَنْكُمْ ، وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ أى وقد وفّيت لكم بما وَعَدْتكم من النصر على عدوّكم ، إذ تحسّونهم بالسّيوف ، أى القتل ، بإذنى وتَسْليطى أيْديكم عليهم ، وكَفِّى أيديهم عنكم .

قال ابن هشام : الحسّ : الاستئصال: يقال : حَسَسْتُ الشىء : أى استأصلته بالسّيف وغيره . قال جرير :

تحسُّهم السُّيوفُ كما تَسامَى ... حريقُ النَّار فى الأَجَمِ الْحَصِيدِ

وهذا البيت فى قصيدة له . وقال رُؤْبة بن العجاج :

إذا شَكَوْنا سَنَةً حَسُوسا
تأكُلُ بَعْدَ الأخضَر اليَبِيسا

وهذان البيتان فى أرجوزة له .

قال ابن إسحاق : (حتى إذا فشلتم) : أى تخاذلتم (وتنازعتم فى الأمر) أى اختلفتم فى أمْرى ، أى تركتم أمرَ نبيكم وما عهد إليكم ، يعنى الرماة ﴿ وعَصَيْتم مِنْ بَعْدِ ما أرَاكُمْ ماتُحِبُّونَ ﴾ : أى الفتح ، لاشكّ فيه ، وهزيمة القوم عن نِسائهم وأموالهم ،﴿ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيا ﴾ : أى الذين أرادوا النهب فى الدنيا وتَرْك ماأُمروا به من الطاعة التى عليها ثواب الآخرة ﴿ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ ﴾ : أى الذين جاهدوا فى الله ، ولم يخالفوا إلى مانُهوا عنه لعرض من الدنيا ، رغبة فيها ، رجاء ماعند الله من حُسن ثوابه فى الآخرة ؛ أى الذين جاهدوا فى الدين ولم يخالفوا إلى ما نهوا عنه ، لعرض من الدنيا ، ليختبركم ، وذلك ببعض ذنوبكم ، ولقد عفا الله عن عظيم ذلك ، أن لايُهلككم

بما أتيتم من مَعصية نبيكم ، ولـكنى عُدت بفَضلى عليكم ، وكذلكَ ﴿ مَنَّ اللهُ عَلَى المُؤْمِنِين ﴾ أن عاقب ببعض الذنوب فى عاجلِ الدنيا أدباً وموعظة ، فإنه غيرُ مستأصل لـكُلٍّ مافيهم من الحقِّ له عليهم ، بما أصابوا من مَعْصيته ، رحمةً لهم ، وعائدة عليهم ، لما فيهم من الإيمان .

تأنيبه إياهم لفرارهم عن نبيهم

ثم أنَّبهم بالفرار عن نبيِّهم صلى الله عليه وسلم ، وهم يُدعون لا يَعطفون عليه لدُعائه إياهم ، فقال : ﴿ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ ، والرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِى أُخْرَاكُمْ ، فَأَثَابَكُمْ ، غَمًّا بِغَمٍّ ، لِـكَيْلا تَحْزَنُوا عَلَى مافَاتَـكُم ولا ما أَصَابَكُمْ ﴾ : أى كَرْباً بعد كرب ، بقتل من قُتل من إخوانـكم ، وعُلُوّ عدوِّكم عليـكم ، وبما وقع فى أنفسكم من قول مَنْ قال : قتل نبيكم ، فكان ذلك مما تتابع عليـكم غَمًّا بغمٍّ ؛ لـكيلا تحزنوا على مافاتـكم ؛ من ظهوركم على عدوِّكم ، بعد أن رأيتموه بأعينكم ، ولا ما أصابكم من قَتْل إخوانـكم ، حتى فرَّجتُ ذلك الـكربَ عنكم ﴿ وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ . وكان الذى فرَّج الله به عنهم ما كانوا فيه من الـكرب والغمّ الذى أصابهم ، أن الله عزَّ وجل ردَّ عنهم كذبة الشيطان بقتل نبيِّهم صلى الله عليه وسلم ، فلما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حيًّا بين أظهرهم ، هانَ عليهم ما فاتهم من القَوم بعد الظُّهور عليهم ، والمُصيبة التى أصابتهم فى إخوانهم ، حين صَرَفَ الله القتلَ عن نبيِّهم صلى الله عليه وسلم ﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْـكُمْ مِنْ بَعْدِ الغَمِّ أَمَنَةً نُعاساً يَغْشَى طَائِفَةً مِنْـكُمْ ، وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ ، يَظُنُّونَ بِاللهِ غَيرَ الحَقِّ ظَنَّ الجَاهِلِيَّةِ ،

رفع المسيهم

يَقُولُونَ هَلْ لَنا مِنَ الأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ ، قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ ، يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِم مالا يُبْدُونَ لَكَ ؛ يَقُولُونَ لَوْ كانَ لَنا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ ما قُتِلْنا هاهُنا ، قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ القَتْلُ إِلى مَضاجِعِهِمْ ، وَلِيَبْتَلِيَ اللهُ ما فِي صُدُورِكُمْ ، وَلِيُمَحِّصَ ما فِي قُلُوبِكُمْ ، وَاللهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ ﴾ ، فأنزل الله النعاس أمنةً منه على أهل اليقين به ، فهم نيام لا يخافون ، وأهلُ النِّفاق قد أهمَّتهم أنفسهم ، يظنُّون بالله غير الحقِّ ظنَّ الجاهليَّة ، تخوُّفَ القتل ، وذلك أنهم لا يرجون عاقبة ، فذكر الله عزَّ وجلَّ تلاوُمَهم وحسرتَهم على ما أصابهم . ثم قال الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾ لم تحضُروا هذا الموطنَ الذى أظهر الله فيه منكم ما أظهر من سَرائركم ﴿ لَبَرَزَ ﴾ لأَخْرَجَ ﴿ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ القَتْلُ إِلى مَضاجِعِهِمْ ﴾ إلى موطن غيره يُصرعون فيه ، حتى يبتلى به ما فى صدورهم ﴿ وَلِيُمَحِّصَ ما فِي قُلُوبِكُمْ ، وَاللهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ ﴾ : أى لا يخفى عليه ما فى صُدُورهم مما استخفوا به منكم .

تحذيرهم أن يكونوا ممن يخشون الموت فى الله

ثم قال : ﴿ يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونوا كالَّذِينَ كَفَرُوا وقالُوا لإِخْوانِهِمْ إِذا ضَرَبُوا فِي الأَرْضِ أَوْ كانُوا غُزًّى لَوْ كانُوا عِنْدَنا ما ماتُوا وَما قُتِلُوا ، لِيَجْعَلَ اللهُ ذلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللهُ يُحْيِي ويُمِيتُ ، وَاللهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ : أى لا تكونوا كالمنافقين الذين يَنْهون إخوانهم عن الجهاد فى سبيل الله ، والضَّرْب فى الأرض فى طاعة الله عزَّ وجلَّ ، وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ويقولون إذا ماتوا أو قُتلوا : لو أطاعونا ما ماتوا وما قُتلوا ﴿ لِيَجْعَلَ اللهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ لقلّة اليقين بربهم ، ﴿ وَاللهُ

يحيي ويميت ﴾ : أي يعجّل مايشاء ويؤخّر ما يشاء من ذلك من آجالهم بقدرته . قال تعالى : ﴿ وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ : أي إن الموت لكائن لابدّ منه ، فموتٌ في سبيل الله ، أو قتل ، خير لو علموا وأيقنوا مما يجمعون من الدنيا التي لها يتأخّرون عن الجهاد ، تخوف الموت والقتل لما جمعوا من زهرة الدنيا زهادةً في الآخرة ﴿ وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ ﴾ أيّ ذلك كان ﴿ لَإِلَى اللهِ تُحْشَرُونَ ﴾ : أي أن إلى الله المرجع ، فلا تغرنّكم الدنيا ، ولا تغترّوا بها ، وليكن الجهادُ وما رغّبكم الله فيه من ثوابه آثرَ عندكم منها .

ذكر رحمة الرسول عليهم

ثم قال تبارك وتعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ ، وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ : أي لتركوك ﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ ﴾ : أي فتجاوز عنهم ﴿ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ ، وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ، فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ ، إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ فذكر لنبيّه صلى الله عليه وسلم لينه لهم ، وصبْره عليهم ، لضعفهم ، وقلّة صبْرهم على الغلظة لو كانت منه عليهم في كلّ ما خالفوا عنه مما افترض عليهم من طاعة نبيّهم صلى الله عليه وسلم .
ثم قال تبارك وتعالى : ﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ ﴾ : أي تجاوز عنهم ، ﴿ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ ذنوبهم ، من قارف من أهل الإيمان منهم ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ : أي لتُريهم أنك تسمع منهم ، وتستعين بهم ، وإن كنت غنياً عنهم ، تألُّفاً لهم بذلك على دينهم ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ ﴾ : أي على أمرٍ جاءك مني وأمر من دينك في جهاد

عدوك لا يُصلحك ولا يُصلحهم إلا ذلك ، فامض على ما أُمِرتَ به ، على خلاف من خالفك ، ومُوافقة من وافقك ، ﴿ وتوكَّلْ على الله ﴾ ، أى ارضَ به من العباد ، ﴿ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ * إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ ، وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ : أى لئلا تترك أمرى للناس ، وارفُض أمر الناس إلى أمرى ، وعلى الله لا على الناس ، فليتوكل المؤمنون .

ما نزل فى الغلول

ثم قال : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ ، وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴾ : أى ما كان لنبىّ أن يَكْتم الناسَ ما بعثه الله به إليهم ، عن رَهْبة من الناس ولا رغبة ، ومن يَفعل ذلك يأت يوم القيامة به ، ثم يُجزى بكسبه ، غيرَ مَظلوم ولا معتدًى عليه ﴿ أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللهِ ﴾ على ما أحبَّ الناسُ أو سَخطوا ﴿ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللهِ ﴾ لرضا الناس أو لسخطهم . يقول : أفمن كان على طاعتى ، فثوابه الجنة ورضوان من الله كمن باء بسخط من الله واستوجب سخطه ، فكان ﴿ مأواه جهنم وبئس المصير ﴾ أسواء المثلان ! فاعرفوا . ﴿ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللهِ ، واللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ لكلٍّ درجات مما عملوا فى الجنة والنار : أى إن الله لا يخفى عليه أهل طاعته من أهل معصيته .

فضل الله على الناس ببعث الرسل

ثم قال : ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ

أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ، وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ : أى لقد منّ الله عليكم يا أهل الإيمان ، إذ بعث فيكم رسولا من أنفسكم يتلو عليكم آياته فيما أحدثتم ، وفيما عملتم ، فيعلّمكم الخير والشرّ ، لتعرفوا الخير فتعملوا به ، والشرّ فتتقوه ، ويخبركم برضاه عنكم إذا أطعتموه فتستكثروا من طاعته وتجتنبوا ما سخط منكم من معصيته ، لتتخلّصوا بذلك من نقمته ، وتُدركوا بذلك ثوابه من جنّته ﴿ وَإِنْ ﴾ كُنتُمْ ﴿ مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ : أى لفى عمياء من الجاهلية ، أى لا تعرفون حسنة ولا تستغفرون من سيّئة ، صمّ عن الخير ، بُكْمٌ عن الحق ، عُمْى عن الهدى .

ذكره المصيبة التى أصابتهم

ثم ذكر المصيبة التى أصابتهم ، فقال : ﴿ أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ : أَنَّى هَذَا ؟ قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ ، إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ : أى إن تك قد أصابتكم مُصيبة فى إخوانكم بذُنوبكم فقد أصبتُم مِثليها قبلُ من عدوّكم ، فى اليوم الذى كان قبله ببدر ، قتلاً وأسراً ونسيتم معصيتكم وخلافكم عما أمركم به نبيكم صلى الله عليه وسلم ، أنتم أحللتم ذلك بأنفسكم ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ : أى إن الله على ما أراد بعباده من نقمة أو عفو قدير ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ ، وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ : أى ما أصابكم حين التقيتم أنتم وعدوّكم فبإذنى ، كان ذلك حين فعلتم ما فعلتم بعد أن جاءكم نصرى ، وصدقتكم وعدى ، لميز بين المؤمنين

والمُنافقين ، ﴿ وليعلم الذين نافقوا ﴾ منكم : أى ليظهر مافيهم . ﴿ وَقِيلَ لَهُمْ تَعالَوْا قاتِلُوا فِى سَبِيلِ اللهِ أَوِ ادْفَعُوا ﴾ : يعنى عبد الله بن أُبَىّ وأصحابه الذين رَجعوا عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، حين سار إلى عـدوّه من المُشركين بأحد ، وقولهم : لو نعلم أنـكم تقاتلون لسِرْنا معكم ، وَلَدَفَعْنا عنكم، ولـكنَّا لانظنّ أنه يكون قِتال . فأظهر منهم ما كانوا يُخفون فى أنفسهم . يقول الله عزّ وجلّ : ﴿ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمانِ ، يَقُولُونَ بِأَفْواهِهِمْ مالَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ﴾ أى يُظهرون لك الإيمان وليس فى قلوبهم ﴿ وَاللهُ أَعْلَمُ بِما يَكْتُمُونَ ﴾ أى ما يُخفون ﴿ الَّذِينَ قالُوا لإِخْوانِهِمْ ﴾ الذين أُصيبوا معكم من عشائرهم وقومهم : ﴿ لَوْ أَطاعُونا ما قُتِلُوا ، قُلْ فادْرَءوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ المَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ ﴾ : أى أنه لابدّ من الموت ، فإن استطعتم أن تَدْفعوه عن أنفسكم فافعلوا ، وذلك أنهم إنما نافقوا وتركوا الجهادَ فى سبيل الله ، حِرْصاً على البقاء فى الدنيا ، وفراراً من الموت .

الترغيب فى الجهاد

ثم قال لنبيه صلى الله عليه وسلم ، يرغِّب المؤمنين فى الجهاد ، ويهوّن عليهم القتل : ﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فى سَبِيلِ اللهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْياء عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِما آتاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ ، وَيَسْتَبْشِرونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُون ﴾ : أى لاتظننّ الذين قُتلوا فى سبيل الله أمواتاً : أى قد أحييتهم ، فهم عندى يُرزقون فى رَوْح الجنة وفَضْلها ، مَسْرورين بما آتاهم الله من فضله على جهادهم عنه ، ويَستبشرون

بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ، أي ويُسَرون بلُحوق من لحقهم من إخوانهم على مامَضَوْا عليه من جهادهم ، لِيَشركوهم فيما هم فيه من ثواب الله الذى أعطاهم ، قد أذهب الله عنهم الخوفَ والحزَن. يقول الله تعالى: ﴿ يَسْتَبْشِرونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ ، وأَنَّ اللهَ لايُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ لما عاينوا من وَفاء الموْعود ، وعظيم الثواب.

مصير قتلى أُحد

قال ابن إسحاق : وحدثنى إسماعيل بن أُميَّة ، عن أبى الزُّبير ، عن ابن عبَّاس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لمَّا أُصيب إخوانكم بأُحد ، جعل الله أرواحهم فى أجواف طير خُضْر ، تَرِد أنهارَ الجنَّة ، وتأكل من ثمارها ، وتأوى إلى قناديل من ذهب ، فى ظلّ العرش ، فلما وجدوا طيبَ مَشْربهم ومأكلهم ، وحُسْن مَقيلهم ، قالوا : ياليت إخواننا يعلمون ما صنع الله بنا ، لئلا يزهدوا فى الجهاد ، ولا يَنْكُلوا عن الحرب ، فقال الله تعالى : فأنا أبلغهم عنكم ، فأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم هؤلاء الآيات : (ولا تحسبن ...).

قال ابن إسحاق : وحدثنى الحارث بن الفضيل ، عن محمود بن لبيد الأنصارى عن ابن عباس أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الشُّهداء على بارق نهر بباب الجنَّة ، فى قُبَّة خَضراء ، يخرج عليهم رزقُهم من الجنَّة بُكرة وعشيًّا.

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم ، عن عبد الله بن مسعود أنه سُئل عن

هؤلاء الآيات : ﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ فقال : أما إنّا قد سألنا عنها فقيل لنا : إنه لما أصيب إخوانُكم بأُحد جعل الله أرواحَهم في أجْواف طير خضر ، تَرِد أنهار الجنّة ، وتأكل من ثمارها ، وتأوى إلى قَناديل من ذهب في ظلّ العرش ، فيَطَّلع الله عزّ وجلّ عليهم إطّلاعةً فيقول : يا عبادى ، ماتَشْتَهون فأزيدكم ؟ قال : فيقولون ربّنا لافوق ما أعطيتنا ، الجنّة نأكل منها حيث شئنا ! قال : ثم يطّلع الله عليهم اطلاعةً ، فيقول : ياعبادى ، ماتشتهون ، فأزيدكم ؟ فيقولون : ربنا لافوق ما أعْطيتنا ، الجنة نأكلُ منها حيث شئنا ! قال : ثم يطّلع عليهم إطّلاعة ، فيقول : ياعبادى ، ما تشتهون فأزيدكم ؟ فيقولون : ربنا لا فوق ما أعطيتنا ، الجنة نأكل منها حيث شئنا . إلا أنا نُحبّ أن تردّ أرواحَنا في أجسادنا ، ثم نُردّ إلى الدنيا ، فنقاتل فيك ، حتى نُقتل مرّة أخرى .

قال ابن إسحاق : وحدثنى بعضُ أصحابنا ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، قال : سمعت جابر بن عبد الله يقول : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا أُبَشِّرك ياجابر ؟ قال : قلت : بلى يانبىّ الله ؛ قال : إنّ أباك حيث أُصيب بأُحد أحياه الله عزّ وجلّ ، ثم قال له : ماتحبّ ياعبد الله بن عمرو أن أفعل بك ؟ قال : أى ربّ ، أحبّ أن تردّنى إلى الدنيا فأُقاتل فيك ، فأُقتل مرّة أخرى .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عمرو بن عُبيد ، عن الحسن ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذى نَفْسى بيده ، مامن مُؤمن يُفارق الدنيا يُحبّ أن يرجع إليها ساعة من نهار ، وأن له الدنيا وما فيها إلا الشهيد ،

فإنه يحب أن يُرَدّ إلى الدنيا ، فيُقاتل فى سبيل الله ، فيُقتل مرةً أخرى .

ذكر من خرجوا على الرسول إلى حمراء الأسد

قال ابن إسحاق : ثم قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ ما أَصَابَهُمُ القَرْحُ ﴾ أى الجراح ، وهم المؤمنون الذين ساروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الغد من يوم أُحد إلى حمراء الأسد على مابهم من ألم الجراح : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ * الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ ، فَزَادَهُمْ إِيمَانًا ، وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ ﴾ ، والناس الذين قالوا لهم ما قالوا ، النّفر من عبد القيس ، الذين قال لهم أبو سفيان ما قال ، قالوا إن أبا سفيان ومن معه راجعون إليكم . يقول الله عزّ وجلّ : ﴿ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ ، وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللهِ ، وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ لما صرف الله عنهم من لقاء عدوّهم (إنما ذلكم الشيطان) ، أى لأولئك الرهط وما ألقى الشيطان على أفواههم ﴿ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ ﴾ : أى يرهبكم بأوليائه : ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الكُفْرِ ﴾ : أى المنافقون ﴿ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللهَ شَيْئًا ، يُرِيدُ اللهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الآخِرَةِ ، وَلَهُمْ عذاب عظيم * إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الكُفْرَ بالإيمانِ لَنْ يَضُرُّوا اللهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ ، إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ * مَا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ المُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ﴾ :

أى المنافقين ﴿ وَما كانَ اللهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الغَيْبِ ﴾ أى فيما يُريد أن يبتليكم به ، لتحذروا ما يدخل عليكم فيه ﴿ وَلَكِنَّ اللهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشاء ﴾ أى يعلمه ذلك ﴿ فَآمِنُوا باللهِ وَرُسُلِهِ ، وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا ﴾ أى ترجعوا وتتوبوا ﴿ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ .

ذكر من استشهد بأحد من المهاجرين

من بنى هاشم

قال ابن إسحاق : واستُشهد من المُسلمين يوم أُحد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين من قُريش ، ثم من بَنى هاشم بن عَبد مناف : حمزةُ ابن عبد المطلب بن هاشم ، رضى الله عنه ؛ قتله وَحْشِىّ ، غلامُ جُبير بن مُطعم .

من بنى أمية

ومن بنى أُميّة بن عبد شمس : عبدُ الله بن جَحْش ، حليف لهم من بنى أسد بن خُزيمة .

من بنى عبد الدار

ومن بنى عبد الدّار بن قُصىّ : مُصعب بن عُمير ، قتله ابنُ قَمِئة اللّيثىّ .

من بنى مخزوم

ومن بنى مخزوم بن يَقَظة : شَمَّاس بن عُثمان . أربعة نفر .

من الأنصار

ومن الأنصار ، ثم من بني عبد الأشهل : عمرو بن مُعاذ بن النُّعمان ، والحارث بن أنس بن رافع ، وعُمارة بن زياد بن السَّكن .

قال ابن هشام : السَّكَن : ابنُ رافع بن امرىء القيس ؛ ويقال : السَّكن .

قال ابن إسحاق : وسَلَمَة بن ثابت بن وَقْش ، وعمرو بن ثابت بن وَقْش . رجلان .

قال ابن إسحاق : وقد زعم لى عاصم بن عمر بن قتادة : أن أباهما ثابتًا قُتل يومئذ . ورفاعة بن وَقْش . وحُسَيْل بن جابر ، أبو حُذيفة وهو اليَمان ، أصابه المسلمون فى المعركة ولا يدرون ، فتصدّق حُذيفة بديته على مَنْ أصابه ؛ وصَيْفِىّ بن قَيْظِى . وحَباب بن قَيْظِى . وعَبَّاد بن سَهْل ، والحارث بن أوْس ابن مُعاذ . اثنا عشر رجلا .

من راتج

ومن أهلِ راتج : إياس بن أوْسِ بن عَتيك بن عمرو بن عبد الأعام بن زَعُوراء بن جُشَم بن عبد الأشْهل ؛ وعُبيد بن التَّيِّهان .

قال ابن هشام : ويقال : عَتيك بن التَّيِّهان .

وحبيب بن يَزيد بن تَيم . ثلاثة نفر .

• • • • • • • • • • •

من بنى ظفر

ومن بنى ظفر : يزيد بن حاطب بن أُميَّة بن رافع . رجل .

من بنى ضبيعة

ومن بنى عمرو بن عوف ، ثم من بنى ضُبيعة بن زيد : أبو سفيان بن الحارث ابن قيس بن زيد ، وحَنْظلة بن أبى عامر بن صَيْفى بن نعمان بن مالك بن أمَة ، هو غَسيل الملائكة ، قتله شدّاد بن الأسود بن شعوب الليثى . رجلان .

قال ابن هشام : قيس : ابن زيد بن ضُبيعة ، ومالك : ابن أمة بن ضبيعة .

من بنى عبيد

قال ابن إسحاق : ومن بنى عُبيد بن زيد : أُنيس بن قتادة . رجل .

ومن بنى ثعلبة بن عمرو بن عوف : أبو حَيَّة ، وهو أخو سعد بن خيثمة لأمه .

قال ابن هشام : أبو حَيَّة : ابن عمرو بن ثابت .

قال ابن إسحاق : وعبد الله بن جُبير بن النُّعمان ، وهو أمير الرماة . رجلان .

من بنى السلم

ومن بنى السَّلْم بن امرىء القيس بن مالك بن الأوس : خَيْثمة أبو سعد ابن خيثمة . رجل .

من بنى العجلان

ومن حلفائهم من بنى العَجْلان : عبدُ الله بن سَلَمة : رجل .

من بنى معاوية

ومن بنى مُعاوية بن مالك : سُبيع بن حاطب بن الحارث بن قَيس بن هَيْشة . رجل .

من بنى النجار

قال ابن هشام : ويقال : سُوَيْبِق بن الحارث بن حاطب بن هَيْشة .

قال ابن إسحاق : ومن بنى النَّجّار ، ثم من بنى سَوَاد بن مالك بن غَنى : عمرو بن قَيْس ، وابنه قيس بن عمرو .

قال ابن هشام : عمرو بن قيس : ابنُ زيد بن سواد .

قال ابن إسحاق : وثابت بن عمرو بن زيد ، وعامر بن مَخْلد . أربعة نفر .

من بنى مبذول

ومن بنى مَبْذول : أبو هُبيرة بن الحارث بن عَلقمة بن عمرو بن ثَقْف بن مالك بن مَبْذول ، وعمرو بن مُطرّف بن عَلْقمة بن عمرو . رجلان .

من بنى عمرو

ومن بنى عمرو بن مالك : أوس بن ثابت بن المُنذر . رجل .

قال ابن هشام: أوس بن ثابت، أخو حسَّان بن ثابت.

من بنى عدى

قال ابن إسحاق: ومن بنى عَدِىّ بن النَّجَّار: أنس بن النَّضْر بن ضَمْضم بن زيد بن حَرام بن جُندب بن عامر بن غَنْم بن عدىّ بن النَّجَّار. رجل.

قال ابن هشام: أنس بن النضر، عمّ أنس بن مالك: خادم رسولِ الله صلى الله عليه وسلم.

من بنى مازن

ومن بنى مازن بن النَّجَّار: قَيس بن مُخلَّد، وكيسان، عبد لهن. رجلان.

من بنى دينار

ومن بنى دينار بن النَّجار: سُلَيم بن الحارث، ونعمان بن عبد عمرو. رجلان.

من بنى الحارث

ومن بنى الحارث بن الخزرج خارجة بن زيد بن أبى زُهير، وسَعْد بن الربيع بن عمرو بن أبى زُهير، دُفنا فى قبر واحد، وأوس بن الأرقم بن زيد بن قيس بن النعمان بن مالك بن ثَعْلبة بن كعب. ثلاثة نفر.

من بنى الأبجر

ومن بنى الأبجر، وهم بنو خُدْرة: مالك بن سنان بن عُبيد بن ثعلبة

ابن عبيد بن الأبجر ، وهو أبو أبى سعيد الخُدرىّ .

قال ابن هشام : اسم أبى سعيد الخدرىّ : سنان ، ويقال : سعد .

قال ابن إسحاق : وسَعيد بن سُوَيد بن قَيس بن عامر بن عَبّاد بن الأبجر ، وعتبة بن ربيع بن رافع بن معاوية بن عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن الأبجر . ثلاثة نفر .

من بنى ساعدة

ومن بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج : ثَعلبة بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة بن حارثة بن عمرو بن الخزرج بن ساعدة ، وثَقْف بن فَرْوة ابن البَدِىّ . رجلان .

من بنى طريف

ومن بنى طَرِيف ، رَهْط سعد بن عُبادة : عبدُ الله بن عمرو بن وَهب ابن ثعلبة بن وَقْش بن ثَعْلبة بن طريف ، وضَمْرة ، حليف لهم من بنى جُهينة . رجلان .

من بنى عوف

ومن بنى عوف بن الخزرج ، ثم من بنى سالم ، ثم من بنى مالك بن العجْلان بن زيد بن غَنْم بن سالم : نوفل بن عبد الله ، وعبّاس بن عُبادة بن

نَضلة بن مالك بن العَجْلان ، ونُعمان بن مالك بن ثَعْلبة بن فِهْر بن غَنْم ابن سالم ، والمُجذَّر بن ذِياد ، حليف لهم من بَلىّ ، وعُبادة بن الحَشْحاس . دُفن النُّعمان بن مالك ، والمُجَذَّر ، وعُبادة فى قبر واحد . خمسة نفر .

من بنى الحبلى

ومن بنى الُحبلى : رِفاعة بن عَمْرو . رجل .

من بنى سلمة

ومن بنى سَلمة ، ثم من بنى حَرام : عبد الله بن عمرو بن حَرام بن ثَعلبة ابن حرام ، وعمرو بن الجموح بن زيد بن حرام ، دُفنا فى قبر واحد ، وخلاَّد بن عَمْرو بن الجَمُوح بن زيد بن حرام ، وأبو أيمن ، مولى عَمْرو بن الجموح . أربعة نفر .

من بنى سواد

ومن بنى سَواد بن غَنْم : سُليم بن عمرو بن حَديدة ، ومولاه عَنترة ، وسهل بن قَيس بن أبى كعب بن القَين . ثلاثة نفر .

من بنى زريق

ومن بنى زُرَيق بن عامر : ذَكْوان بنُ عبد قَيس ، وعُبيد بن المُعلَّى ابن لَوْذان . رجلان .

قال ابن هشام : عُبيد بن المُعَلَّى ، من بنى حبيب .

عدد الشهداء

قال ابن إسحاق : فجميع من استُشهد من المُسلمين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المُهاجرين والأنصار ، خمسة وستون رجلا .

من بنى معاوية

قال ابن هشام : وممّن لم يذكر ابن إسحاق من السّبعين الشهداء الذين ذكرنا ، من الأوس ، ثم من بنى مُعاوية بن مالك : مالك بن نُمَيلة ، حليف لهم من مزينة .

من بنى خطمة

ومن بنى خَطْمة ـ واسم خَطْمة : عبد الله بن جُشَم بن مالك بن الأوس ـ الحارث بن عَدِىّ بن خَرَشة بن أُمَيَّة بن عامر بن خَطْمة .

من بنى الخزرج

ومن الخزرج ، ثم من بنى سَواد بن مالك : مالك بن إياس .

من بنى عمرو

ومن بنى عمرو بن مالك بن النّجار : إياس بن عدىّ .

من بنى سالم

ومن بنى سالم بن عوف : عمرو بن إياس .

. . . .

رفع المستهم

ذكر من قتل من المشركين يوم أحد

من بنى عبد الدار

قال ابن إسحاق : وقُتل من المُشركين يوم أُحد من قُريش ، ثم من بنى عَبْد الدار بن قُصَىّ من أصحاب اللِّواء : طلحة بن أبى طَلْحة ، واسم أبى طلحة : عبدُ الله بن عبد العُزّى بن عُثْمان بن عبد الدار ، قتله علىّ بن أبى طالب ، (و) أبو سعيد بن أبى طلحة ، قتله سعدُ بن أبى وقَّاص .

قال ابن هشام : ويقال : قتله علىُّ بن أبى طالب .

قال ابن إسحاق : وعثمان بن أبى طَلْحة ، قتله حمزة بن عبد المُطلب ، ومسافع بن طلحة ، والُجلاس بن طلحة ، قتلهما عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح . وكلاب بن طَلْحَة ، والحارث بن طَلْحة ، قَتلهما قُزْمان ، حليف لبنى ظفر .

قال ابن هشام : ويقال : قتل كلاباً عبدُ الرحمن بن عوف .

قال ابن إسحاق : وأرطاة بن عَبْد شُرَحْبيل بن هاشم بن عبد مناف ابن عبد الدار ، قتله حمزة بن عبد المطّلب ، وأبو يزيد بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، قتله قُزْمان ، وصُؤاب : غلام له حَبشىّ ، قتله قُزْمان .

قال ابن هشام : ويقال : قتله علىُّ بن أبى طالب ، ويقال : سعد بن أبى وقّاص ، ويقال : أبو دُجانة .

قال ابن إسحاق : والقاسط بن شُرَيح بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار قتله قُزْمان . أحد عشر رجلا .

من بنى أسد

ومن بنى أسَد بن عبد العُزّى بن قُصَىّ : عبدُ الله بن حُميد بن زُهير بن الحارث بن أسد . قتلهُ علىٌّ بن أبى طالب . رجل .

من بنى زهرة

ومن بنى زُهْرة بن كلاب: أبو الحَكَم بن الأخنس بن شَرِيق بن عمرو بن وَهْب الثقفى ، حليف لهم ، قتله على بن أبى طالب ، وسباع بنُ عبد العُزّى — واسم عبد العُزّى : عَمرو بن نَضْلة بن غُبْشان بن سليم بن مَلَكان بن أفصى — حليف لهم من خُزاعة ، قتله حمزةُ بن عبد المطلب . رجلان .

من بنى مخزوم

ومن بنى مخزوم بن يقَظة ، هشام بن أبى أُمَيَّة بن المُغيرة ، قتله قُزْمان ، والوليد بن العاص بن هشام بن المغيرة ، قتله قُزْمان ، وأبو أُمَيَّة بن أبى حُذيفة ابن المغيرة ، قتله علىٌّ بن أبى طالب ، وخالد بن الأعلم ، حليف لهم ، قتله قُزْمان . أربعة نفر .

من بنى جمح

ومن بنى جُمَح بن عمرو : عمرو بن عبد الله بن عُمَير بن وهب بن

حُذَافة بن جمح ، وهو أبو عَزّة ، قَتله رسولُ الله صلى الله عليه وسلم صَبْراً .
وأُبَىّ بن خَلف بن وَهْب بن حذافة بن جُمح ، قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده . رجلان .

من بني عامر

ومن بنى عامر بن لؤى: عُبيدة بن جابر ، وشيبة بن مالك بن المضرّب .
قتلهما قُزمان . رجلان .

قال ابن هشام : ويقال : قتل عُبيدةَ بن جابر عبدُ الله بن مسعود .

عدد قتلى المشركين

قال ابن إسحاق : فجميع من قتل الله تبارك وتعالى يوم أُحد من المشركين ، اثنان وعشرون رجلا .

تفسير ما نزل من القرآن فى أحد

بعض من آمن رغم الدعاء عليهم :

قد ذكر ابن إسحاقِ ما يحتاج إليه قارىء السيرةِ من تفسير ذلك ، وذكر قولَه سبحانه ﴿ لَيسَ لَكَ من الأَمْرِ شىء أَوْ يَتُوبَ عليهم ﴾ الآية لم يزد على ما فى الكتابِ منه . وفى تفسير الترمذى حديث مَرْفُوع أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يدعو على أبى سفيان والحارثِ بنِ هِشَامٍ وعمرو بن العاص ، حتى أنزل الله تعالى : ﴿ ليس لك من الأمر شىء ، أو يتوب عليهم ﴾ قال :

. . . .

فتابوا وأسلموا ، وحسن إسلامهم ، وهذا حديث ثابت فى حسن إسلام أبى سفيان خلافاً لمن زعم غير ذلك ، وأما الحارث بن هشام فلا خلاف فى حسن إسلامه ، وفى موته شهيداً بالشام ، وأما عمرو بن العاص ، فقد قال فيه النبى عليه السلام : أسلم الناسُ وآمن عمرو ، وقال فى حديث جرى : ما كانت هجرتى للمال ، وإنما كانت لله ورسوله ، فقال له النبى – صلى الله عليه وسلم – نِعِمَّا بالمال الصالح للرجل الصالح ، فسماه : رجلا صالحاً ، والحديث الذى جرى : أنه كان قال له : إنى أريد أن أبعثك[1] وجهاً يسلمك الله فيه ، ويغنمك ، وأزعب لك زعبة من المال[2] ، وستأتى نكت وعيون من أخبار الحارث ، وأبى سفيان – فيما بعد – إن شاء الله.

معنى اتخذ :

وذكر قوله سبحانه : ﴿ وَيَتَّخِذَ منكم شُهَدَاء ﴾ وفيه فضل عظيمٌ للشهداء وتنبيهٌ على حبِّ الله إياهم حيث قال (وَيَتَّخِذَ منكم شُهَدَاء) ولا يقال : اتَّخذتُ ولا أتَّخذُ إلا فى مُصْطَفًى محبوبٍ ، قال الله سبحانه : ﴿ ما اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ ﴾ وقال : ﴿ وَلَم يَتَّخِذْ صاحِبَةً ولا وَلَداً ﴾ فالاتِّخاذُ إنما هو اقتناء واجتباء[3] ،

---

(١) فى رواية : على جيش .

(٢) أعطيك دفعة من المال . وفى الحديث : بعد هذا : فقلت يارسول الله : ما أسلمت من أجل المال ، بل أسلمت رغبة فى الإسلام . وأخرجه أحمد بسند حسن عن عمرو بن العاص .

(٣) يقول الراغب فى معنى المادة : الأخذ : حوز بالقهر الشىء وتحصيله ، وذلك تارة بالتناول ، وتارة بالقهر .

. . . .

وهو افتعالٌ من الأَخْذِ ، فإذا قلت : اتَّخذْتُ كذا ، فمعناه : أخذتُه لنفسى ، واخترتُه لها ، فالتاء الأولى بَدَلٌ من ياء ، وتلك الياء بَدَلٌ من هَمْزَة أَخَذ ، فقُلِبَتْ تاءً إذ كانت الواوُ تنقلب تاءً فى مثل هذا البناء ، نحو اتَّعد واتَّزَرَ والياء أختُ الواو ، فقُلبت فى هذا الموضع تاءً ، وكثُر استعمالهم لهذه الكلمة، حتى قالوا: تَخِذْتُ بحذف إحدى التاءين اكتفاء بأحَدِهِما عن الأُخرى ، ولا يكون هذا الحذفُ إلا فى الماضى خاصَّة، لا يقال تَتَخذُ كما يقال تَخِذَ ، لأن المستقبلَ ليس فيه هَمْزةُ وَصْلٍ ، وإنما فروا فى الماضى من ثقل الهمزة فى الابتداء ، واستَغْنَوا بحركةِ التاء عنها ، وكسروا الخاء من تَخِذْتُ لأنه لا مستقبل له مع الحذف ، فحركوا عينَ الفعل بالحركة التى كانت له فى المستقبل . وكلامُنا هذا على اللغة المشهورة ، وإلا فقد حُكِىَ يَتْخذُ فى لغة ضعيفة ذكرها أبو عبيد، وذكرها النحاس فى إعراب القرآن .

أدلة على صحة خلافة أبي بكر :

وذكر قوله سبحانه ﴿ أفإنْ مات أو قُتِل انْقَلَبْتم على أعقابكم ﴾ إلى قوله: ﴿ وسَيَجْزِى اللهُ الشاكرين ﴾ ظهر تأويل هذه الآية حين انقلب أهلُ الرِّدَّةِ على أعقابهم ، فلم يَضُرَّ ذلك دينَ الله ، ولا أُمَّةَ نَبِيِّه ، وكان أبو بكر يُسَمَّى: أمير الشاكرين لذلك ، وفى هذه الآية دليلٌ على صحة خلافتِه ، لأنه الذى قاتل المنقلِبين على أعقابهم حين رَدَّهم إلى الدين الذى خرجوا منه ، وكان فى قوله سبحانه : ﴿ وسَيَجْزِى اللهُ الشاكرين ﴾ دليلٌ على أنهم سيَظْفَرُون بمَنْ ارتَدَّ ، وتَكْمُل عليهم النعمةُ ، فيشكرون ، فتحريضُه إياهم على الشُّكرِ

. . . .

ـ والشكرُ لا يكون إلّا على نعمة ـ دليلٌ على أن بَلاَء الرِّدَّةِ لا يطُول ، وأن الظفَر بهم سَريعٌ ، كما كان .

وكذلك قوله سبحانه : ﴿ قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ من الأعْرَابِ ﴾ فيه أيضاً : التصحيحُ لخلافَةِ أبي بكر ، لأنه الذى دعا الأعرابَ إلى جهادِ حَنِيفَة ، وكانوا أولى بَأْسٍ شَدِيدٍ ، ولم يُقاتلوا الجِزْيَةِ ، وإنما قُوتِلوا لِيُسْلِمُوا ، وكان قتالُهم بأمر أبي بكر ، وفى سلطانه ، ثم قال : ﴿ فإن تطيعوا يُؤْتِكُمُ اللهُ أجْراً حَسَناً ﴾ فأوجب عليهم الطاعةَ لأبى بكر ، فكان فى الآية كالنص على خلافته .

وكذلك قوله : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتَّقُوا الله ، وكانوا مع الصادقين ﴾ وقد بَيَّن فى سورة الحَشْرِ مَن الصَّادقون ، وهم المهاجِرون بقوله : ﴿ أولئك هم الصادقون ﴾ فأمر الذين تَبَوَّءوا الدارَ والإيمان أنْ يكُونوا معهم ، أى : تَبعاً لهم ، فحصلت الخلافةُ فى الصادقين بهذه الآية ، فاستحقوها بهذا الاسم ، ولم يكن فى الصادقين مَنْ سماه الله الصِّدِّيقَ إلا أبو بكر ، فكانت له خاصَّةً ، ثم للصادقين بعده .

ربيون ورفعها فى الآية :

وذكر قوله تعالى : ﴿ وكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قُتِل معه رِبِّيُّون كَثِيرٌ ﴾ ارتفع رِبِّيُّون على تفسير ابن إسحاق بالابتداء ، والجملة فى موضع الحالِ من الضمير فى قُتِل ، وهذا أصحُّ التَّفْسِيرين ، لأنه قال : فما وَهَنُوا لما أصابَهُم ، ولو كانوا هم المقتولين ما قال فيهم : ما وَهَنوا لما أصابهم أى : ما ضَعُفوا ، وقد يُخَرَّج

أيضاً قولُ من قال : رِبِّيُّونَ مفعولٌ لم يُسَمَّ فاعلُه بقُتِل على أن يكون معنى قوله: فما وَهَنُوا أى ماوَهَنَ الباقون منهم ، لما أصيبوا به مِنْ قَتْلِ إخوانهم، وهذا وَجْهٌ ، ولكن سبَب نزولِ الآية يدل على صحة التفسير الأول[1] .

وقوله : رِبِّيُّون ، وهم الجماعات[2] فى قول أهل اللغة ، وقال ابن مسعود: رِبِّيُّون أُلوفٌ ، وقال أَبَانُ بن تَغْلِب :الرِّبِّيُّ : عشرة آلاف .

من تفسير آيات أحد :

وقوله تعالى : ﴿ فأثابكم غَمًّا بِغَمٍّ ﴾ وعلى : تفسير ابن إسحاق غَمًّا بعد غَمٍّ الباء متعلقة بمحذوفٍ ، التقدير : غَمٌّ مَقْرونٌ بغَمٍّ ، وعلى تفسير آخر متعلِّقة : بأثابكم ، أى : أثابكم غَمًّا بما غَمَمْتُم نبيَّه حين خالفتم أمره .

وقوله ﴿ ومنكم مَنْ يُريد الآخرة ﴾ قال ابن عباس : هو عَبْدُ الله بن جُبَيْرٍ الذى كان أميراً على الرُّمَاةِ ، وكان أمرَهم أنْ يَلْزَموا مكانَهم ، وألا يخالفوا أَمْرَ نبيهم ، فثبتت معه طائفةٌ ، فاسْتُشْهِد ، واسْتُشْهِدُوا ، وهم الذين

(١) التلاوة فى المصحف : قاتل بفتح القاف على البناء للفاعل . وهى قراءة جماعة من قراء الحجاز والكوفة . أما قتل بضم القاف فقراءة جماعة من الحجاز والبصرة. ورأى السهيلى تلخيص لرأى ابن جرير الطبرى فى تفسيره . وقد اختار ما قال عنه السهيلى إنه أصح التفسيرين . وقال : وأما الربيون فانهم مرفوعون بقوله : معه لا بقوله : قتل .

(٢) هذا رأى بعض نحويى الكوفة ، ويرى بعض نحويى البصرة أن الربيين هم الذين يعبدون الرب ، ويرى بعض المفسرين أنهم العلماء ، أو الفقهاء ، أو الاتباع ، ويرى ابن زيد أن الربيين هم الاتباع والرعية وأن الربانيين هم الولاة .

. . . .

أرادوا الآخرةَ ، وأقبلت طائفةٌ على المَغْنَمِ ، وأخْذِ السَّلَبِ ، فكَرَّ عليهم العدوُّ ، وكانت المصيبةُ ، وفي الخبر : لقد رأيت خَدَمَ هِنْدٍ وصواحبها ، وهُنَّ مُشَمِّراتٌ في الحرْب. والخَدَمُ : الخلاخِيلُ[1] ، وكذلك قوله حين ذكر هنداً ، وأنها اتخذت من آذان الشُّهداء وآنُفِهِمْ خَدَماً وقلائد ، وأعطَت خَدَمَها وقلائِدَها وقِرَطَتَها وَحْشِيّاً ، معناه : الخلاخل أيضاً .

وقوله سبحانه : ﴿ لو كان لنا من الأَمْرِ شَيْءٌ ما قُتِلْنَا هٰهُنا ﴾ في صحيح التفسير أن مُعَتَّبَ بن قُشَيْر هو قائل هذه المقالة ، وكان مَغْمُوصاً بالنِّفاق .

وقوله : ﴿ يَظُنُّون بالله غَيْرَ الحَقِّ ﴾ أي : يَظُنُّون أن الله خَاذِلٌ دينَه ونَبيَّه .

وقوله : ﴿ ظَنَّ الجاهِلِيَّة ﴾ أي : أهل الجاهلية كأبي سفيان وأصحابه .

وذكر قوله : ﴿ وشَاوِرْهُمْ في الأمر ﴾ وفسَّره ، وقد جاء عن ابن عباس أنه قال : نزلت في أبي بكر وعُمَرَ أُمِرَ بمشَاوَرَتِهما[2] .

حكم الغلول :

وذكر قوله : ﴿ وما كان لِنَبِيٍّ أن يَغُلَّ ﴾ وفسره أن يَكْتُمَ ما أنزل الله ، وأكثر المفسرين يقولون : نزلت في الغُلُول ، وفي بعض الآثار أنهم فقدوا قَطِيفَةً من المَغْنَم[3] ؛ فقال قائل : لعلَّ النبيَّ – صلى الله عليه وسلم –

---

(١) مفردها : خدمة بفتح الخاء والدال ، وتجمع أيضاً على خدام .

(٢) أخرجه الحاكم ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده عن ابن عباس قال : فقدوا قطيفة يوم بدر ، فقالوا : لعل رسول الله « ص » أخذها .

. . . .

أخذها، فأنزل اللهُ الآية ، ومن قرأ يُغَلَّ بضم الياء وفتح الغين فمعناه أن يُلفَى غالًّا ، تقول : أَجْبَنْتُ الرجلَ إذا ألفيته جبانًا ، وكذلك أغللته : إذا وجدته غالًّا ، وقد قال عمرو بن معد يكرب لبني سليم : قاتلنا كم فما أجبناكم ، وسألنا كم فما أبخلنا كم . وتفسير ابن إسحاق [غير](١) خارج عن مقتضى اللغة . فمن كتم فقد غلّ ، أي : ستر ، وكذلك من خان في شيء وأخذه خفية ، فقد ستره وكتمه ، وأصلُ الكلمة : السَّتر والإخفاء ، ومنه الغِلَالةُ والغَلَلُ للماء الذي يُغطِّيه الشجرُ والنبات ، وقد أمر النبي — صلى الله عليه وسلم — في بعض المغازي بإحراق متاع الغالّ ، وأخذت به طائفةٌ من الفقهاء ، منهم أحمد وإسحاق(٢) .

= وروى ابن جرير وأبو داود والترمذي أنها نزلت في قطيفة حمراء فقدت يوم بدر . الخ .

وقال الترمذي : حسن غريب . . وروراه بعضهم عن خصيف عن مقسم مرسلا . وروى ابن مردويه أن بعض المنافقين اتهم رسول الله « ص » بشيء فنزلت . والغلول هو الخيانة في المغنم والسرقة من الغنيمة قبل القسمة ، وكل من خان في شيء خفية فقد غل . القراءة بفتح الياء هي قراءة المصحف ، وهي قراءة ابن عباس وأبي عبد الرحمن السلمي وجماعة من قراء الحجاز والعراق . والقراءة بضم الياء وفتح الغين قراءة عظم قراء أهل المدينة والكوفة .

(١) سياق الكلام يفرضها ، وهي محذوفة في الأصل .

(٢) قال البخاري : قد روى في غير حديث عن النبي « ص » في الغال ، ولم يأمر بحرق متاعه . وقد قال رسول الله « ص » عن رجل غل بردة ، ثم مات في المعركة فقيل عنه إنه شهيد — كلا ، إني رأيته في النار في بردة غلها أو عباءة — « من حديث رواه أحمد ومسلم » وجاءه رجل بشراك كان قد غله يوم خيبر فقال رسول الله « ص » . شراك من نار « من حديث متفق عليه » .

. . . .

الشهادة والشهداء :

فصل : وذكر قوله سبحانه : ﴿ ولا تحسبن الذين قُتلوا في سَبيلِ الله ﴾ الآيات ، وهؤلاء هم الذين سماهم الله شهداء بقوله: ﴿ ويَتَّخِذَ منكم شُهَدَاءَ ﴾ وهذا الاسم مأخوذ من الشَّهَادَةِ أو من المُشَاهَدَةِ ، فإن كان من الشهادة فهو شَهِيدٌ بمعنى مَشْهُودٍ ، أي مَشْهُود عليه ، ومَشْهُودٌ له بالجنة ، أما مَشْهُودٌ عليه ، فلأَنَّ النبيَّ — صلى الله عليه وسلم — حين وقف على قَتْلى أُحُدٍ ، قال : هؤلاء الذين أَشْهَد عليهم ، أي : أَشْهَدُ عليهم بالوفاء ، وقال : عليهم ، ولم يقل : لهم ، لأن للمعنى : أجيء يومَ القيامة شَهيداً عليهم ، وهي وِلَايَةٌ وقِيادةٌ ، فوصلت بحرف عَلَى ، ويجوز أن يكون من الشهادة وتكون فعيلا بمعنى فاعل ، لأن الله تعالى يقول : ﴿ وتكونوا شُهَدَاءَ على الناس ﴾ أي : تَشْهدون عليهم ، وهذا وإن كان عاماً في جميع أُمَّةِ محمد — عليه الصلاة السلام — فالشهداء أَوْلَى بهذا الاسم ، إذهم تَبَعٌ للصِّدِّيقين والنَّبِيِّين. قال الله سبحانه :﴿ فأولئك مع الذين أَنْعَمَ اللهُ عليهم من النَّبِيِّين والصِّدِّيقين والشُّهَدَاءِ ﴾ فهذان وَجْهَان في معنى الشَّهِيد ، إذا جعلته مُشْتَقًّا من الشَّهادة ، وإن كان من المُشَاهَدَةِ ، فهو فَعِيلٌ بمعنى : فاعل أيضاً ، لأنه يشاهد من مَلَكُوتِ الله ، ويعاين من مَلَائِكَتِه ما لا يُشَاهِدُ غيره ، ويكون أيضاً بمعنى مَفْعُولٍ ، وهو من المشاهدة : أي : إن الملائكة تشاهد قبضه ، والعروج بروحه ، ونحو ذلك ، فيكون فعيلا بمعنى مفعول . وأَوْلى هذه الوجوهِ كلِّها بالصِّحَّة أَنْ يكون فعيلا بمعنى مَفْعُول ، ويكون معناه . مَشْهُوداً له بالجنة ، أو يشهد عليه النبي عليه السلام كما قال : هؤلاء أنا شَهيد عليهم ، أي : قَيِّمٌ عليهم بالشَّهَادَةِ لهم ، وإذا حُشِروا تحت لِوائه ، فهو والٍ عليهم ، وإن كان

. . . .

شَاهِدًا لهم ، فَمِنْ هٰاهنا اتصل الفصلُ بملى ، فَتَقَوَّى هذا الوجهُ من جهة الخَبَرِ ، ومن وجه آخر من العربية ، وهو أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين ذكر الشهداء قال : والمرأة تموت بِجُمعٍ(١) شَهِيدٌ ، ولم يقل شَهِيدَةً ، وفى رواية أخرى قال : والنُّفَسَاء شَهِيدٌ يَجُرُّها جنينُها بِسَرَرِه إلى الجَنَّةِ ، ولم يقل : شَهِيدة وفَعِيلٌ إذا كان صِفَةً لمؤنَّثٍ كان بغيرِ هَاء إذا كان بمعنى مَفْعُول ، نحو : امرأة قَتِيلٌ وجَرِيحٌ ، وإن كان بمعنى فاعل ، كان بالهاء كقولهم : امرأةٌ عَلِيمةٌ ورَحِيمة ، ونحو ذلك ، فدل على أن الشَّهِيد مَشْهُود له ، ومَشْهُود عليه ، وهذا اسْتِقْرَاءٌ من اللغة صَحِيحٌ ، واسْتِنْبَاطٌ من الحديث بَدِيعٌ ، فقِفْ عليه(٢) .

(١) أى : تموت وفى بطنها ولد . أو التى تموت بكراً ، والجمع بالضم بمعنى المجموع كالذخر بمعنى المذخور ، وكسر الكسائى الجيم ، والمعنى : أنها ماتت مع شىء مجموع فيها غير منفصل عنها من حمل أو بكارة .

(٢) « الشهداء جمع شهيد ، وبين الرازى أنه لا يجوز أن يراد بالشهيد هنا من قتله الكفار فى الحرب ، لأن الشهادة مرتبة عالية عظيمة فى الدين وكون الإنسان مقتول الكافر ليس فيه زيادة شرف ، لأن هذا القتل قد يحصل فى الفساق ، ومن لا منزلة له عند الله تعالى ، ولأن المؤمنين يدعون الله تعالى أن يرزقهم الشهادة ، ولا يجوز أن يطلبوا منه أن يسلط عليهم الكفار يقتلونهم ، ولأنه ورد إطلاق لفظ الشهيد على المبطون والمطعون والغريق ، قال : أى الرازى : فعلمنا أن الشهادة ليست عبارة عن القتل ، بل نقول : الشهيد فعيل بمعنى الفاعل ، وهو الذى يشهد بصحة دين الله تعالى تارة بالحجة والبيان ، وأخرى بالسيف والسنان ، فالشهداء هم القائمون بالقسط ، وهم الذين ذكرهم الله فى قوله : ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط ﴾ آل عمران : ١٨ =

رفع المسهم

. . . .

وذكر ابنُ إسحاق حديثَ ابن عباس المرفوعَ ، وفيه أن الله جعل أرواحَهم فى أجْوَافِ طَيْرٍ خُضْرٍ ، وعن قَتَادَةَ قال : ذكر لنا أن أرواحَ الشُّهداء تتعارف عند السِّدْرَةِ فى أجوافِ طَيْرٍ بيضٍ ، وقد أنكر هذه الرواية قومٌ ، وقالوا : لا يكون رُوحان فى جَسَدٍ وَاحِدٍ ، وإن ذلكَ مُحَالٌ ، وهذا جَهْلٌ بالحقائق ، فإن معنى الكلام بَيِّنٌ ، فإن رُوحَ الشَّهيد الذى كان فى جسده فى الدنيا ، يُجْعَلُ فى جَسَدٍ آخرَ كأنه صورةُ طائر ، فيكون فى هذا الجسدِ الآخرِ ، كما كان فى الأوَّل ، إلى أن يُعيده الله يومَ القيامة كما خَلَقَه ، وهذه الرواية لا تُعارِضُ ما رَوَوْه من قوله : فى صُورِ طَيْرٍ خُضْرٍ ، والشهداء طَيْرٌ خُضْرٌ ، وجميع الروايات كُلُّها متفقة المعنى ، وإنما الذى يستحيل فى العَقْل قيامُ حياتَيْنِ بجَوْهرٍ واحدٍ ، فَيَحْيا الجَوْهَرُ بهما جميعاً ، وأما رُوحانِ فى جَسَدٍ فليس بمُحَالٍ إذا لم نَقُلْ بِتَداخُلِ الأَجْسَامِ ، فهذا الجَنِينُ فى بَطْنِ أمِّه وروحُه

=: ويقال للمقتول : شهيد من حيث إنه بذل نفسه فى نصرة دين الله وشهادته له بأنه هو الحق ، وماسواه باطل ، وإذا كان من شهداء الله بهذا المعنى ، كان من شهداء الله فى الآخرة . كما قال (وكذلك جعلناكم أمة وسطا ، ولتكونوا شهداء على الناس)البقرة : ١٤٣ .وقال الأستاذالإمام : الشهداء هم الذين أمرنا الله تعالى أن نكون منهم فى قوله : (لتكونوا شهداء على الناس) وهم أهل العدل والإنصاف الذين يؤيدون الحق بالشهادة لأهله بأنهم محقون ، ويشهدون على أهل الباطل أنهم مبطلون ، ودرجتهم تلى درجة الصديقين ، والصديقون شهداء وزيادة .

وأقول — أى الشيخ رشيد رضا — إن الشهادة التى تقوم بها حجة أهل الحق على أهل الباطل ، تكون بالقول والعمل والأخلاق والأحوال ، فالشهداء هم حجة الله تعالى على المبطلين فى الدنيا والآخرة بحسن سيرتهم . تفسير المنار الآية رقم ٦٩ أو ٧١ من سورة النساء .

. . . .

غيرُ رُوحِها ، وقد اشتمل عليهما جَسَدٌ واحد ، وهذا أن لو قِيل لهم : إن الطائر له رُوحٌ غيرُ رُوحِ الشَّهِيدِ ، وهما في جَسَدٍ واحد ، فكيف ، وإنما قال: في أجْوَافِ طَيْرٍ خُضْرٍ ، أي : في صورة طَيْرٍ خُضْرٍ ، كما تقول : رأيت مَلَكاً في صُورة إنسانٍ ، وكذلك قوله عليه السلام : إنما نَسَمَةُ المؤمن طائرٌ يَعْلَق في ثَمَرِ الجنَّة[1] تأوَّلَه بعضُهم مَخْصُوصاً بالشَّهِيد ، وقال بعضهم : إنما الشهيد في الجَنَّة يأكل منها حيث شاء، ثم يأوِي إلى قناديل مُعَلَّقَةٍ في العَرْشِ، وغير الشهيد ، من المؤمنين نَسَمَتُه ، أي : رُوحه طائر ، لا أنَّ رُوحَه جُعِل في جَوْفِ طائر ، ليأكل ويشرَب ، كما فُعِل بالشَّهيد لكن الروحَ نفسَه طائرٌ يَعْلَق بشَجَرِ الجنة ، يَعْلَق بفتح اللامَ يَنْشَب بها ، ويَرَى مَقْعَدَه منها ، ومن رواه : يَعْلُق فمعناه يُصيب العُلْقة ، أي ينال منها ماهو دون نَيْل الشهيد ، فضرب العُلْقَة مثلا ، لأن من أصاب العُلْقة من الطعام والشراب فقد أصاب دون ما أصاب غيرُه مِمَّن أدرك الرَّغَد ، فهو مَثَلٌ مَضروبٌ يُفْهَم منه هذا المعنى.

وإن كان أراد بِيعْلُق[2] الأكلَ نفسَه ، فهو مخصوص بالشهيد ، فتكون ومن

---

(١) رواه أحمد عن الشافعي عن مالك .

(٢) العلقة بضم العين وسكون اللام : ما يتبلغ به من الطعام والمركب . وفي اللسان : تعلق — بفتح ـ التاء وضم اللام — من ثمار الجنة : تناول بأفواهها . وهو تفسير الأصمعي ، وفي النهاية لابن الأثير : تعلق بضم اللام أيضاً ، وقال : أي تأكل ، وهو في الأصل للإبل إذا أكلت العضاه ، فنقل إلى الطير . وما أعد الله الشهداء هو من علم الغيب الذي هو لله وحده فلنتحر في حديثنا عنه الخبر الصادق الذي لاريب فيه . هذا وفي حديث الشهداء شيء من الاضطراب كما يقول الشيخ رشيد ـ رضا في تفسير المنار ـ ففي روايةمسلم والترمذي من حديث ابن مسعود =

. . . .

روِاية مَنْ رواه بالضم للشهداء ، ورواية الفتح لمن دونهم ، فالله أعلم بما أراد رسولُه من ذلك .

وقوله ثم تأوِى إلى قَنادِيلَ يُصدِّقه قوله تعالى عزَّ وَجَلَّ : ﴿ والشُّهَداء عند ربهم لَهُم أجرُهم ونورُهم ﴾[١] الحديد : ١٩. وإنما تأوى إلى تلك القناديل

= أنها فى حواصل طيور خضر تسرح من أنهار الجنة حيث شاءت ، ثم تأوى إلى قناديل معلقة تحت العرش ، وفى رواية عبد الرازق من حديث عبد الله بن كعب ابن مالك : « إن أرواح الشهداء فى صور طيور خضر معلقة فى قناديل الجنة حتى يرجعها الله يوم القيامة » فهذا يدل على أنها محبوسة فى مكان خاص، والأول يفيد أنها مطلقة تسرح حيث تشاء ، ثم إن لها مأوى تأوى إليه حين تشاء ، وفى رواية مالك وأصحاب السنن ما عدا أبا داود أنها فى أجواف خضر تعلق من ثمر الجنة أو شجر الجنة ، وعبد الطاغوت والقبور يحرفون الكلام عن مواضعه فى هذه الآية الإلهية . فيضعون مكان « أحياء عند ربهم » « أحياء فى قبورهم » بغية استهواء الناس إلى عبادة الموتى بالدعاء والرجاء والخوف والحب والتوكل، زاعمين لهم أنهم يسمعون لأنهم « أحياء فى قبورهم » وهذه الحياة الدقيقة السامية عند الله حياة غيبية هو وحده جل شأنه العليم بحقيقتها ، إنها حياة روحية لا جسدية ، لأن الأجساد أرمت وفنيت وكم من دود منها طعم ، وسوس عاث « وشجر منها نبت ، فأكلنا ثمره ، واصطلينا بناره . فإذا جاء يوم الفصل بعث الله كل امرىء من مرقده ، كيف ؟ أو ليس الذى خلق السماوات والأرض بقادر على أن يحى الموتى ؟ بلى : إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له : كن فيكون . ولا بأس حين يتشعب القول بين : كيف ، ولم ـ وهذا هو رأيى ـ إلا بتشقق القلب بالقلق الأسود . ولنسكت عن المراء فى شأن الغيب « فالمراء كفر .

(١) هم القائمون بالشهادة لله سبحانه ، ولهم ، وعلى الأمم يوم القيامة ، ولم لا يكون قوله سبحانه إخبارا عن الذين آمنوا بالله ورسوله ؟ ثم هو بيان عن النور الذى سيكون يوم القيامة . واقرأ من سورة الحديد من قوله سبحانه : =

. . . .

ليلا ، وتَسْرَحُ نهاراً ، فتعلم بذلك الليلَ من النهارِ ، وبعد دخول الجنة فى الآخرة ، لا تأوى إلى تلك القناديل – والله أعلم – وإنما ذلك مُدّةُ البَرْزَخِ هذا مايدل عليه ظاهرُ الحديث . وقال مجاهد : الشهداء يأكلون من ثَمَرِ الجَنَّة وليسوا فيها ، وقد أنكر أبو عُمر قولَ مجاهد ، وردَّه وليس بمنكَر عندى ، ويشهد له ماوقع فى مُسْنَد ابن أبى شَيْبَة وغيره عن النبى – صلى الله عليه وسلم – قال : الشهداء بِنَهَرٍ أو على نَهَر يقال : له : بارقٌ عند باب الجنة فى قِبَابٍ خُضْرٍ يأتيهم رزقُهم منها بُكْرَةً وعَشِياً[١] ، فهذا يبين ما أراد مجاهدٌ ، والله أعلم .

ومما وقع السِّيرة أيضاً ، ولم يذكره ابنُ هِشامٍ حديثٌ رواه ابن إسحاق ، قال : حدثنى إسحق بنُ عبدِ الله بن أبى فروة ، قال : حدثنى بعضُ أهلِ العلم أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال : الشُّهداء ثلاثةٌ ، فأدنى الشهداءِ عند الله منزلةً رَجُلٌ

= (يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجرى من تحتها الأنهار) الحديد : ١٢ فالحديث عن القيامة والجزاء فيها .

(١) لفظ أحمد والطبرانى والحاكم كلهم عن ابن عباس « الشهداء على بارق نهر بباب الجنة فى قبة خضراء ، يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيا » . وبهذا يتبين أن بعض الروايات تدل على دخولهم الجنة وبعضها يدل على وقوفهم ببابها عند النهر . ولقد حاول ابن كثير فى تفسيره الجمع ، أو المصالحة بين الضدين فقال : كأن الشهداء أقسام . وقد قال الزرقانى قولا طيبا هنا عن كلمة ابن كثير كأن : وعبر بكأن ، لأنه على سبيل الاحتمال لا القطع ، لأن حقيقة الحال غيب عنا . وهى كلمة حق .

. . . .

خرج مسوداً بنفسه ورَحْلِه، لا يريد أن يَقْتُلَ ولا يُقْتَلَ[1] أتاه سَهْمٌ غَرْبٌ فأصابه، قال: فأوّلُ قطرةٍ تَقْطُرُ من دَمِه، يغفر الله بها ما تَقَدَّم من ذَنْبِه، ثم يُهْبِطُ الله إليه جَسَداً من السماء، فيجعل فيه رُوحه، ثم يصعد به إلى الله، فما يُمَرُّ بسماء من السَّماواتِ إلا شَيَّعَتْه الملائكةُ، حتى ينتهى به إلى الله، فإذا انتهى به إليه وقع ساجداً، ثم يُؤْمَر به فيُكْسَى سَبْعِين زَوْجاً من الإسْتَبْرَقِ، ثم يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: كأَحْسَنِ ما رأيتم من شَقَائِقِ النُّعْمَانِ. وحدَّث كعبُ الأَحْبَارِ عن قولِ — رسول الله عليه السلام — فقال كعبُ الأحبار: أَجَلْ كأَحْسَنِ ما رأيتم من شَقَائِقِ النُّعْمَانِ، ثم يقول: اذهبوا به إلى إخوانه من الشهداء، فاجعلوه معهم، فيؤتَى به إليهم فى قُبَّةٍ خَضْرَاء فى رَوْضَةٍ خَضْرَاء عند باب الجنة يخرج عليهم حُوتٌ وثَوْرٌ من الجنة لَغَدائِهم، فيلعبانهم[2]، حتى إذا كثر عجبهم منها طَعَنَ الثَّوْرُ الحوتَ بقرنه، فيقره لهم عما يَدَّعُون، ثم يروحان عليهم لعشائهم، فيلعبانهم، حتى إذا كثر عجبهم منهما ضرب الحوتُ الثورَ بذَنَبِه فَبَقَره لهم عمَّا يَدَّعُون، فإذا انتهى إلى إخوانه سألوه تَسَاْلوا[3] الراكبَ يَقْدَم عليكم بلادَكم، فيقولون: ما فعل فلانٌ؟ فيقول: أفلس، فيقولون: فما أهلك ماله فوالله إن كان لَكَيِّساً جَمُوعا تاجراً، فيُقال لهم: إنا لا نعدّ الفَلَسَ ما تَعُدُّون، وإنما نعدّ الفَلَسَ من الأعمال، فما فعل فلانٌ وامرأتُه فلانة؟ فيقول: طلَّقها، فيقولون: فما الذى

---

(١) فى نسخة: يريد أن يقتل، ولا يقتل (٢) فى نسخة: فيلعبا بهم.

(٣) هكذا فى الأصل.

تزَل بَيْنَهما ، حتى طلقها ، فوالله إن كان بها لَمُعْجَباً ؟ فيقولون : ما فعل فلان ؟ فيقولون : مات أيهات قبل بزمان ، فيقولون : هلك والله ماسمعنا له بذكر ، إن لله طريقين ، أحدهما : علينا ، والآخر : يخالف بها عنا ، فإذا أراد الله بعبدٍ خيراً أمرَّ بهعلينا ، فعرفناه ، وعرفنا متى مات ، وإذا أراد الله بعبد شراً خُولف به عنا ، فلم نَسْمع له بذكر ، هلك والله فلان ، فإن هذا لأدنى الشهداء عند الله منزلة ، وإن الآخر رجلٌ خرج مسوداً بنفسه ورحْلِه يحب أن يَقتُل ، ولا يُقتَل ، أتاه سَهمٌ غَرْبٌ فأصابه ، فذلك رفيق إبراهيم خليل الرحمن يوم القيامة يَحُكُّ رُكْبتاه رُكبتَيه ، وأفضل الشهداء : رجل خرج مسوداً بنفسه ورحله يُحِبُّ أن يَقتُل وأن يُقتَل ، وقاتل حتى قُتِل قعصاً فذلك يبعثه الله يوم القيامة شاهراً سيفَه ، يتمنّى على الله ، لا يسأله شيئاً إلا أعطاه إياه . وقع في هذا الحديث ذكرُ الحوت ولعبه مع الثور وقد خرّجه هناد بنُ السري بإسنادٍ حسن في كتاب الرقاق له بأكثر مما وقع هاهنا ، وفي الصحيحين منه ذكر أكلُ أهلِ الجنة من كبدِ الحوت أوَّلَ ما يأكلون ، ثم يُنحَر لهم ثورُ الجنّة ، وفي هذا الحديث من باب التفكُّر والاعتبارِ أن الحوتَ لما كان عليه قرارُ هذه الأرضِ[1] ، وهو حيوان سابح لِيَسْتَشعِرَ أهلُ هذه الدارِ أنهم في منزلٍ قُلعةٍ ، وليس بدارِ قرارٍ ، فإذا نُحِر لهم ، قبل أن يدخلوا الجنة ، فأكلوا من كبدِه ، كان في ذلك إشعارٌ لهم بالراحة من دار الزّوالِ ، وأنهم قد صاروا إلى دارِ القرارِ ، كما يُذبَح لهم الكبشُ الأملحُ على الصراط ، وهو

---

(١) ذلك كان مبلغ علم عصره عن الأرض ، ولهذا يجب النظر فيما بناه عليه .

صورةُ الموتِ لِيَسْتَشْعروا أن لامَوْتَ ، وأما الثورُ فهو آلةُ الحَرْثِ ، وأهلُ الدنيا لايخلون من أحد الحَرْثَيْنِ ، حَرْثٍ لدُنْيَاهُم ، وحرثٍ لأُخْرَاهُم ، ففى نَحْرِ الثَّوْرِ لهم هنالك إشعارٌ بإراحتهم من الكَدَّيْنِ وتَرْفِيهِهِم من نَصَبِ الحَرْثَيْن ، فاعتبر ، والله المستعان .

إغفال ابن إسحاق نسب عبيد بن التيهان :

فصل : وذكر ابن إسحاق فيمن استشهد يوم أُحد عُبَيْدَ بنَ التَّيِّهَانِ . واسم التَّيِّهَان : مالكٌ ، ولم يرفع نَسَبَه ، وكذلك فعل فى هذا النسب حيث وقع فى هذا الكتاب ، وهو نَسَبٌ مختلَف فيه ، وقد رفعناه عند ذكر أبى الهَيْثَم ، وذكرنا الخلافَ فيه هنالك .

وقول كعب بن مالك :

ولا مِثْل أَضْيَافِ الأَرَاشِيِّ مَعْشَرا

يعنى : أبا الهَيْثَم ، فجعله إِرَاشِيًّا ، وليست إراشة من الأنصار ، ونسبه موسى بن عُقْبَة فى جماعة معه إلى بَلِيٍّ ، وقالوا هو حَلِيفُ الأنصارِ ، وليس من من أنفسهم ، وقال ابن إسحاق والواقدى فى المستشهد يوم أُحد : عُبَيْد بن التَّيِّهان ، وقال ابنُ عُقْبَة ، وأبومَعْشر ، وابنُ عمارة: هو عَتِيكُ بن التَّيِّهَانِ[1].

---

(١) ذكر ذلك ابن دريد فى الاشتقاق .

. . . .

أبو حنة أو حبة :

وذكر فيهم أبا حبَّة الأنصارى البَدْرِىّ ، وقال ابن هشام أبو حَنَّة بن ثابت بالنون، وكذلك قال الواقدى ، قال : ليس فيمن شَهِد يوم بدرٍ مَن اسمُه أبو حبَّة بالباء ، وكذلك روى موسى بن عُقْبة عن ابن شهاب : أبو حَنَّة بالنون شَهِد بدراً ، واستشهد يوم أُحد ، وهو من الأوس ، واسمه ثابتٌ ، وقيل : عَمْرو بن ثابت ، والاختِلَافُ فى اسمه ، وفى كُنْيَتِه كثيرٌ . وأما أبو حبَّة المستشهد يوم اليمامة ، فهو أبو حبَّة بن غَزِيَّة بالباء المنقوطة بواحدة من أسفل ، ولم يخالف فى ذلك إلا من لا يُؤْبه بقوله ، واسمه : زَيْدبن غُزَيَّة بن عَمْرو ، وهو من الخزرج ، والأول من الأوسِ ، وقد قيل فى الأول : أبو حَيَّة(١) بياء معجمة باثنتين، فالله أعلم .

وحَنَّة بالنون : دَيْرُ حَنَّة معروف(٢) بالشام ، وحَنَّة أمُّ مَرْيَمَ بنتِ عِمْرَان ، وخَنَّة بخاء منقوطة بنتُ يَحْيَى بن أكْثَمَ القاضِى ، وهى أمُّ مُحَمَّدِ ابن نَصر المَرْوَزِىّ الفقيه(٣) وجنَّة بالجيم لا يعرف إلا أبو جنَّة خالُ ذى الرُّمَّة الشاعر ، قاله ابن ما كُولا .

---

(١) هو فى السيرة : أبو حية بالياء .

(٢) فى معجم البكرى أنه دير قديم بناه بنو ساطع حى من تنوخ ، وهو بالحيرة . والحيرة بالعراق . ودير حنة آخر ، وهو بالأكيراح ، وقد ذكره أبو نواس فى شعره . والأكيراح موضع بالحيرة .

(٣) فى القاموس أنها أخت يحيى وزوجة محمد بن نصر .

رفع المسيرهم

ذكر ما قيل من الشعر يوم أحد

شعر هبيرة

قال ابن إسحاق : وكان مما قيل من الشعر فى يوم أُحد ، قولُ هُبَيْرَةَ ابن أبى وَهْب بن عمرو بن عائذ بن عبد بن عِمْران بن مخزوم ـ قال ابن هشام : عائذ: ابن عمران بن مخزوم :

ما بالُ هَمٍّ عَمِيدٍ باتَ يَطْرُقُنى بالوُدِّ من هندَ إذْ تَعْدو عَوَادِيها
باتَتْ تُعاتِبنى هندٌ وتَعْذُلنى والحربُ قد شُغِلَت عنى مواليها
مَهْلاً فلا تَعْذُلينى إنَّ من خُلُقِى ما قد عَلِمْتِ وما إن لستُ أُخْفيها
مُساعِفٌ لِبَنى كَعْبٍ بما كَلِفُوا حَمَّالُ عِبْءٍ وأثقالٌ أعانيها
وقد حملتُ سلاحى فوق مُشْتَرَف ساطٍ سَبُوحٍ إذا تَجْرِى يُبارِيها
كأنّه إذْ جرى عَيْرٌ بفَدْفَدة مُكَدَّمٌ لا حِقٌ بالعُون يَحْميها
من آل أعوجَ يَرْتاح النَّدِىّ له كجِذْع شَعْراء مُسْتَعْلٍ مَرَاقِيها
أعْدَدْتُه ورِقاقَ الحدِّ مُنْتَخَلا ومارِنًا لِخُطُوبٍ قَدْ أُلاقيها

وذكر فيمن استشهد يوم أُحد عبدَ الله بن سَلَمة العَجْلانى، سَلَمَةُ بفتح اللام تقيد فى الأصل ، وفى الأصول الصِّحاح من رواية ابن هشام ، وذكره الدَّارَقُطْنِى فى باب سَلِمَة بكسر اللام ، وأخبر أنها رواية إبراهيم بن سعد عن ابن إسحاق ، وكذلك ذكر أبو عُمَر أيضاً أنها رواية إبراهيم بن سعد ، والله أعلم .

رفع المسيهم

هذا وبَيْضَاء مثل النِّهى مُحْكَمَة … نيطت علىَّ فما تبدو مساويها
سُقْنا كِنانة من أطراف ذِى يَمَن … عُرْضُ البِلاد على ما كان يُزْجيها
قالت كِنانةُ : أنى تذهبون بنا ؟ … قُلْنا :النُّخَيل ، فأمُّوها ومَنْ فيها
نحن الفوارس يومَ الجرّ من أُحُد … هابتْ مَعَدٌّ فقلنا نحن نأتيها
هابُوا ضِرابًا وطَعْنًا صادِقًا خَذِمًا … مما يَرَوْنَ وقد ضُمَّت قَواصيها
ثُمَّتَ رُحْنا كأنَّا عارِضٌ بَرِدٌ … وقام هامُ بنى النجّار يَبْكيها
كأنّ هامَهم عندَ الوَغى فِلَقٌ … مِن قَيْضِ رُبْدٍ نَفَتْهُ عن أداحيها
أو حَنْظَلٌ ذَعْذَعَتْه الرِّيحُ فى غُصُن … بالٍ تَعاوَره منها سَوافيها
قد نبذُلُ المالَ سَحًّا لاحِسابَ له … ونطعن الخيلَ شَزْرًا فى مآقيها
وليلةٍ يَصْطلى بالفرْث جازرُها … يَخْتَصُّ بالنَّقَرى المُثْرِينَ داعيها
وليلةٍ مِن جُمادَى ذاتِ أنْدِيةٍ … جَرْبًا جُمادِيَّةٍ قد بِتُّ أسْريها
لا يَنْبح الكلبُ فيها غيرَ واحدة … من القَريس ولا تَسْرى أفاعيها
أوْقَدتُ فيها لذى الضَّرّاء جاحمة … كالبرقِ ذاكيةَ الأرْكان أحميها
أوْرَثنى ذاكُمُ عَمْرٌو ووالدُه … من قبله كان بالمَثْنَى يُغاليها
كانوا يُبارون أنْواء النُّجوم فما … دنَّتْ عن السَّوْرة العُليا مساعيها

شعر حسان فى الرد على هبيرة

قال ابن إسحاق : فأجابه حسَّان بن ثابت ، فقال :

سُقْتُمْ كِنانة جَهْلا من سَفاهتكم … إلى الرَّسول فجُندُ الله مُخْزيها

أوْرَدْتموها حِياضَ الموْت ضاحِية   فالنَّارُ مَوْعِدها ، والقتْل لاقِيها
جَمَّعتُموها أحابيشاً بلا حَسَبٍ   أئمَّة الكُفر غرَّتكم طواغيها
ألا اعتبرتم بخَيْل الله إذْ قتلتْ   أهلَ القَليب وَمَن ألقينه فِيها
كم من أسِيرٍ فككْناهُ بلا ثمنٍ   وجزّ ناصِيةٍ كُنا مَوَاليها

قال ابن هشام : أنشدنيها أبو زيد الأنصارىّ لكعب بن مالك .

قال ابن هشام : وبيتُ هُبيرة بن أبى وهب الذى يقول فيه :

وليْلةٍ يَصْطَلى بالفَرْث جازِرُها   يَخْتصُّ بالنَّقرَى المُثْرِين داعيها

يروى لجنوب ، أخت عمرو ذى الكلب الهُذلىّ ، فى أبيات لها فى غير يوم أحد .

شعر كعب فى الرد على هبيرة

قال ابن إسحاق : وقال كعبُ بن مالك يجيب هُبيرة بن أبى وهب أيضاً :

ألا هل أتى غسَّانَ عنا ودُونهم   مِنَ الأرض خَرْقٌ سَيْرُهُ مُتَنَعْنِع
صَحارٍ وأعلامٌ كأنَّ قتامَها   من البُعْد نَقْعٌ هامِدٌ مُتَقطِّع
تَظَلُّ به البُزْلُ العَراميسُ رُزَّحًا   ويَخْلو به غَيْثُ السِّنينَ فيُمْرِع
به جِيَفُ الحَسْرَى يَلوح صَليبُها   كما لاح كتَّانُ التِّجار المُوَضَّع
به العِينُ والآرامُ يَمْشين خِلْفَةً   وبَيْضُ نَعامٍ قَيْضُهُ يتقلَّع
مُجالِدُنا عَنْ دِينِنا كلُّ فَخْمةٍ   مُذَرَّبةٍ فيها القَوانِسُ تَلْمع

وكل صَمُوتٍ فى الصُّوَانِ كأنَّها   إذا لُبِسَت نِهْىٌ مِن الماء مُتْرَع

ولكن ببَدْر سائلوا مَن لَقِيتُمُ   مِن النَّاس والأنباء بالغيب تَنفع

وإنَّا بأرض الخوف لو كان أهلها   سوانا لقد أجْلَوا بليل فأقشعوا

إذا جاء مِنَّا راكبٌ كان قوله   أعِدّوا لما يُزْجِي ابنُ حرب ويجمع

فمهما يُهِمُّ النَّاسَ مما يَكِيدُنا   فنحن له مِن سائر النَّاس أوسع

فلو غيرُنا كانت جميعاً تكيدُه الـ   ـبرِيَّةُ قد أعطَوْا يداً وتوزَّعوا

نُجالِد لا تَبْقَى علَيْنا قَبِيلَةٌ   من النَّاس إلا أنْ يهابوا ويَفْظَعوا

ولمَّا ابْتَنَوْا بالعِرْض قال سَرَاتُنا   عَلامَ إذا لم تَمْنَع العِرْضَ نَزْرَع؟

وفينا رسولُ الله نَتْبع أمره   إذا قال فِينا القَوْل، لا نتطلَّع

تَدَلَّى عليه الرُّوحُ من عندِ ربِّه   يُنَزَّل مِن جَوِّ السَّماء ويُرْفَع

نُشاوِره فِيما نُرِيد وقَصْرُنا   إذا ما اشتهى أنَّا نُطِيعُ ونَسْمَع

وقال رسولُ الله لما بَدَوْا لَنا   ذَرُوا عنكم هَوْلَ المنيَّات واطمعوا

وكونوا كمَن يَشْرِي الحياة تَقَرُّباً   إلى مَلِكٍ يُحْيا لَدَيه ويُرْجَع

ولكن خُذُوا أسيافكم وتوكَّلوا   على الله إنَّ الأمْرَ لله أجمع

فسِرْنا إليهم جَهْرَةً فى رِحالِهم   ضُحَيّاً علَيْنا البِيضُ لا نتخشَّع

بِمَلْمُومَةٍ فيها السَّنَوَّر والقَنا   إذا ضَرَبوا أقدامَها لا تَوَرَّع

فجِئْنا إلى مَوْجٍ من البحر وَسْطَه   أحابيشُ منهم حاسِرٌ ومُقَنَّع

ثلاثة آلاف ونحنُ نَصِيَّةٌ   ثلاثُ مِئينٍ إن كَثُرنا وأربع

نُغاورهم تجرى المنيّة بيننا ... نُشارعهم حوضَ المنايا ونَشرع
تَهادَى قِسِيُّ النَّبع فينا وفيهمُ ... وما هو إلا اليثربىّ المُقطَّع
ومَنجوفَةٌ حِرْمِية صاعِدِيَّةٌ ... يُذَرّ عليها السّمُّ ساعةَ تُصنَع
تَصُوبُ بأبدان الرِّجالِ وتارةً ... تمرُّ بأعراضِ البِصار تقعقع
وخَيل تراها بالفضاء كأنها ... جَرادُ صَبًا فى قَرّةٍ يتربَّع
فلمّا تلاقَينا ودارتْ بنا الرَّحى ... وليس لأمرٍ حمَّه الله مَدفع
ضربناهمُ حتى تركْنا سَرَاتهم ... كأنهمُ بالقاع خُشْب مُصرَّع
لدُن غُدوةً حتى استفقنا عشيَّةً ... كأنّ ذكانا حرُّ نار تلفَّع
وراحوا سِراعاً مُوجِفين كأنهم ... جهَامٌ هراقت ماءَه الريحُ مُقلِع
ورُحنا وأُخرانا بِطاء كأننا ... أُسودٌ على لحم ببيشة ظُلَّع
فنِلنا ونال القومُ منّا وربما ... فعلنا ولكن ما لدى الله أوسع
ودارتْ رَحانا واستدارت رَحاهمُ ... وقد جُعلوا كُلٌّ من الشرّ يَشبع
ونحن أُناس لا نرى القتلَ سُبَّةً ... على كلِّ مَن يحمِي الذِّمارَ ويمنَع
جِلادٌ على رَيْب الحوادث لا نرى ... على هالكٍ عَيناً لنا الدّهرَ تدمَع
بنو الحرْبِ لا نَعيا بشيءٍ نقولُه ... ولا نحن مما جرّت الحربُ نجزَع
بنو الحرْبِ إن نَظفَرْ فلسنا بفُحَّش ... ولا نحنُ مِن أظفارها نتوجَّع
وكُنّا شِهاباً يتّقي النّاسُ حرَّه ... ويَفرُجُ عنه من يَليه ويَسفع
فخَرْتَ على ابن الزِّبعرى وقد سرى ... لكم طَلَبٌ مِن آخر الّليل مُتبِع

. . . .

فَسَلْ عنك فى عُلْيا مَعَدٍّ وغيرِها ... مِنَ النّاس مَنْ أخْزَى مقاماً وأشْنَع

ومَنْ هو لم تَتْرك له الحربُ مَفْخراً ... ومَن خدُّه يومَ الكريهة أضْرَع

شَدَدْنا بحَوْلِ اللهِ والنَّصْرِ شَدَّةً ... عليكم وأطرافُ الأسِنَّةِ شُرَّع

تَكُرُّ القَنا فيكُمْ كأنَّ فُروعَها ... عَزالِى مَزَادٍ ماؤُها يَتَهزَّع

عَمَدْنا إلى أهلِ اللّواء ومن يطِرْ ... بذِكْرِ اللِّواء فهو فى الحمد أسْرَع

فخانوا وقد أعطَوْا يَداً وتخاذَلوا ... أبى اللهُ إلاَّ أمْرَه وهو أصْنَع

قال ابن هشام : وكان كعب بن مالك قد قال :

مُجالِدُنا عن جِذْمنا كلَّ فَخْمةٍ

فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أيصلُح أن تقول : مجالدنا عن ديننا ؟ فقال كعب : نعم ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : فهو أحسن ؛ فقال كعب : مجالدنا عن ديننا .

شعر لابن الزِّبعرى

قال ابن إسحاق : وقال عبد الله بن الزِّبَعْرَى فى يوم أحد :

يا غُرابَ البَيْنِ أسْمَعْتَ فقُلْ ... إنما تَنْطِق شيئاً قد فُعِلْ

إنَّ للخَيْرِ وللشّرِّ مَدًى ... وكِلا ذلكَ وَجْهٌ وقَبَلْ

والعطِيَّاتُ خِساسٌ بينهم ... وسَواء قَبْرُ مُثْرٍ ومُقِلّ

كلُّ عَيْشٍ ونَعيم زائلٌ ... وبناتُ الدّهر يَلْعَبْنَ بكُلّ

أَبْلِغَنْ حَسَّانَ عَنِّى آيَةً ... فَقَرِيضُ الشِّعْرِ يَشْفِى ذا الغُلَلْ

كم تَرى بالجرِّ من جُمْجُمة ... وأَكُفٍّ قد أُتِرَّتْ ورِجِلْ

وسَرابيلَ حِسانٍ سُرِيَتْ ... عن كُماة أُهْلِكوا فى المُنْتَزَلْ

كم قَتَلْنا مِنْ كَرِيمٍ سَيِّد ... ماجِدِ الجَدَّيْنِ مِقْدامٍ بَطَلْ

صادِقِ النَّجْدة قَرْمٍ بارِعٍ ... غير مُلْتاثٍ لَدَى وَقْعِ الأَسَلْ

فَسَلِ المِهْراسَ مَنْ ساكِنُه ؟ ... بين أَقْحافٍ وهامٍ كالحَجَلْ

لَيْتَ أشياخى ببدْرٍ شَهِدُوا ... جَزَعَ الخَزْرجِ مِنْ وَقْعِ الأَسَلْ

حين حَكَّت بقُباءٍ بَرْكَها ... واستَحَرَّ القَتْلُ فى عبد الأَشَلْ

ثُمَّ خَفُّوا عند ذاكم رُقَّصاً ... رَقَصَ الحَفَّانِ يعلو فى الجَبَلْ

فقَتَلْنا الضِّعْفَ مِنْ أَشْرافِهمْ ... وعَدَلْنا مَيْلَ بَدْرٍ فاعتَدَلْ

لا أَلُومُ النَّفْسَ إلا أَنَّنا ... لو كَرَرْنا لَفَعَلْنا المُفْتَعَلْ

بسُيوفِ الهِنْدِ تَعْلُو هامَهُمْ ... عَلَلاً تَعْلُوهم بعد نَهَلْ

رد حسان على ابن الزبعرى

فأجابه حسّان بن ثابت الأنصاريّ رضى الله عنه ، قال :

ذَهَبَتْ يابن الزِّبَعْرَى وَقْعَةٌ ... كان منّا الفَضْلُ فيها لو عَدَلْ

ولقد نِلْتُمْ ونِلْنا منكمُ ... وكَذاكَ الحربُ أحيانًا دُوَلْ

نضَعُ الأسيافَ فى أكتافكم ... حيثُ نَهْوِى عَلَلاً بعد نَهَلْ

نُخْرِجُ الأَصْبحَ من أستاهِكم ... كسُلاحِ النِّيبِ يأكُلْن العَصَلْ

إذْ تُوَلُّونَ عَلَى أعقابكمْ هُرَّبًا فى الشِّعْب أشباهَ الرَّسَلِ

إذْ شَدَدْنا شَدَّةً صادقةً فأجأناكم إلى سَفْحِ الجَبَلِ

بخناطيلَ كأشْراف المَلَا مَنْ يُلاقُوه مِنَ النَّاس يُهَلْ

ضاقَ عنَّا الشِّعْبُ إذ نجزَعُه وَمَلأْنا الفَرْطَ منه والرِّجَلْ

برجالٍ لستُمُ أمثالَهمْ أيِّدُوا جِبْريلَ نَصْراً فنزَلْ

وعَلَوْنا يومَ بَدْرٍ بالتُّقَى طاعةِ اللهِ وتَصْديقِ الرُّسُلْ

وقتَلْنا كُلَّ رأسٍ مِنْهُمُ وقتَلْنا كُلَّ جَحْجاحٍ رِفَلْ

وتركْنا فى قُرَيْشٍ عَوْرَةً يومَ بَدْرٍ وأحاديثَ المَثَلْ

ورَسُولُ اللهِ حَقًّا شاهِدٌ يَوْمَ بَدْرٍ والتَّنابِيلُ الهُبُلْ

فى قُرَيْشٍ من جموعٍ جُمِّعُوا مثلَ ما يُجمَع فى الخِصْبِ الهَمَلْ

نحن لا أمثالُكمْ وُلْدَ اسْتِها نَحْضُرُ النَّاسَ إذا البأسُ نَزَلْ

قال ابن هشام: وأنشدنى أبو زيد الأنصارىُّ: «وأحاديثَ المثل» والبيت الذى قبله. وقوله: «فى قريش من جموع جُمِّعوا» عن غير ابن إسحاق.

شعر كعب فى بكاء حمزة وقتلى أحد

قال ابن إسحاق: وقال كعب بن مالك يبكى حَمْزةَ بن عبد المطّلب وقَتْلى أُحُد من المسلمين:

نَشَجْتَ وهل لك من مَنْشَجِ وكنتَ متى تَذَّكِرْ تَلْجَجِ

تَذَكُّرُ قومٍ أتانِى لهم أحاديثُ فى الزَّمنِ الأعْوَجِ

فَقَلْبُكَ مِنْ ذِكْرِهم خافِقٌ مِنَ الشَّوْقِ والحزَن المُنْضِج
وقَتْلاهم فى جِنانِ النَّعيم كِرَامُ المَداخل والمَخْرَج
بما صَبَرُوا تحت ظلّ اللّواء لواء الرَّسُول بذى الأَضْوُج
غَداة أجابَتْ بأَسْيافها جميعاً بنو الأَوْس والخَزْرج
وأَشْياعُ أحمدَ إذْ شايَعوا على الحقِّ ذى النُّور والمَنْهَج
فما بَرِحُوا يَضربون الكُماة ويَمْضون فى القَسْطَل المُرْهَج
كذلكَ حتى دَعاهُمْ مَليك إلى جَنَّـةٍ دَوْحَةِ المَوْلِج
فكُلُّهم ماتَ حُرَّ البَلاء على مِلَّة الله لم يَحْرَج
كحَمزةَ لمّا وَفى صادقاً بذى هَبَّـةٍ صارِمٍ سَلْجَج
فلاقاه عَبْـدُ بَنى نَوْفَل يُبَرْبِرُ كالجَمَل الأَدْعَج
فأَوْجَره حَرْبَةً كالشِّهاب تَلَهَّبُ فى اللَّهَب المُوهَج
ونُعمانُ أَوْفَى بِميثاقِه وحَنْظَلَةُ الخَيْر لم يُحْنَج
عن الحقّ حتى غدت رُوحُهُ إلى مَنْزِل فاخِرِ الزِّبْرِج
أولئك لامَنْ ثَوَى منكمُ من النّار فى الدَّرَك المُرْتَج

شعر ضرار فى الرد على كعب

فأجابه ضرار بن الخطَّاب الفهرىّ ، فقال :

أيَجْزَع كَعْبٌ لأشياعه ويَبْكى من الزَّمَن الأَعْوَج
عَجيجَ المُذَكِّى رأى إلْفَه تَرَوّح فى صادر مُحْنَج

. . . .

رفع
المسيهما

فَراحَ الرَّوايا وغادَرْنَهُ   يُعَجْعِجُ قَسْراً ولم يُحْدَجِ
فقُولا لكَعْبٍ يُثَنِّى البُكا   ولِلنِّىءِ من لحمِهِ يَنْضَجِ
لِمَصْرعِ إخوانه فى مَكَرٍّ   من الخيلِ ذى قَسْطَلٍ مُرْهَجِ
فياليتَ عَمْراً وأشياعَهُ   وعُتْبةَ فى جَمْعِنا السَّوْرَجِ
فَيَشْفُوا النُّفوسَ بأوْتارِها   بقَتْلَى أُصيبتْ من الخَزْرَجِ
وقَتْلَى من الأَوْسِ فى مَعْرَكٍ   أُصيبوا جميعاً بذى الأَضْوَجِ
ومَقْتَلِ حمزةَ تحتَ اللِّواءِ   بمُطَّرِدٍ، مارِنٍ، مُخْلَجِ
وحيثُ انْثَنَى مُصْعَبٌ ثاوِياً   بضَرْبةِ ذى هَبَّةٍ سَلْجَجِ
بأُحُدٍ وأسيافُنا فيهمُ   تَلَهَّبُ كاللَّهَبِ المُوهَجِ
غَداةَ لقيناكُمُ فى الحديدِ   كأُسْدِ البَراحِ فلم تُعْنَجِ
بكُلِّ مُجَلِّحَةٍ كالعُقابِ   وأجْرَدَ ذى مَيْعَةٍ مُسْرَجِ
فَدُسْناهُمُ ثَمَّ حتى انْثَنَوْا   سِوَى زاهقِ النَّفْسِ أو مُحْرَجِ

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لضرار . وقوله كعب : « ذى النور والمنهج » عن أبى زيد الأنصارى .

شعر ابن الزبعرى فى يوم أحد

قال ابن إسحاق : وقال عبدالله بن الزِّبَعْرَى فى يوم أُحُد ، يبكى القتلى :

ألا ذَرَفَتْ مِن مُقْلَتَيْك دُموعُ   وقد بانَ من حَبْلِ الشَّبابِ قُطوعُ
وشَطَّ بمَن تَهْوَى المَزارُ وفَرَّقتْ   نَوَى الحىِّ دارٌ بالحبيبِ فَجُوعُ

ولَيس لما وَلّى على ذِى حَرارَة ... وإن طالَ تَذْرافُ الدموع رُجوع
فذَرْ ذا ولكن هل أتى أمَّ مالك ... أحاديثُ قومى والحديثُ يَشيع
ومُجْنبنا جُرْداً إلى أهْل يَثْرِبٍ ... عَناجيجَ مِنها مُتْلَد ونَزِيع
عَشِيَّةَ سِرْنا فى لُهامٍ يَقُودنا ... ضَرُورُ الأعادِى للصَّدِيق نَفُوعُ
نَشدُّ علَيْنا كلَّ زَغْفٍ كأنها ... غَديرٌ بِضَوْج الوادِيَيْن نَقيع
فلمَّا رأوْنا خالَطَتْهم مَهابَةٌ ... وعايَنَهُمْ أمرٌ هُناك فَظيع
ووَدُّوا لوان الأرض يَنشقُّ ظَهرُها ... بهم وصَبور القوم ثَمَّ جَزوع
وقد عُرِّيَت بِيضٌ كأنَّ وَميضَها ... حَريق تَرَقَّى فى الأباء سَريع
بأيمانِنا نَعلو بها كلَّ هامةٍ ... ومِنها سِمام للعدوِّ ذَريع
فغادَرْنَ قَتْلَى الأوْس عاصبةً بهم ... ضِباعٌ وطَيرٌ يَعتَفين وُقُوع
وجَمْع بَنى النَّجَّار فى كلِّ تَلْعة ... بأبْدانهم مِنْ وَقْعِهِنّ نَجيع
ولولا عُلُوُّ الشِّعْب غادَرْنَ أحمداً ... ولكنْ عَلا والسَّمْهَرِىُّ شُرُوع
كما غادرتْ فى الكَرِّ حمزةَ ثاوِياً ... وفى صَدْره ماضِى الشَّباةِ وَقيع
ونُعمان قد غادرْنَ تحت لوائه ... على لَحمه طيرٌ يَجُفْنَ وُقوع
بأُحدٍ وأرماحُ الكُماةِ يُرِدْنَهم ... كما غالَ أشطانَ الدِّلاءِ نُزُوع

شعر حسان فى الرد على ابن الزبعرى

فأجابه حسَّان بن ثابت، فقال:

أشاقك من أمّ الوَليد رُبُوع ... بلاقِعُ ما مِنْ أهلِهِنَّ جَميعُ

عَفاهُنَّ صَيْفِيُّ الرِّياحِ ووَاكِفٌ ... من الدَّلْوِ رَجَّافُ السَّحابِ هَمُوعُ

فلم يَبْقَ إلا مَوْقِدُ النّارِ حَوْلَه ... رَواكِدُ أمثالُ الحَمامِ كُنُوعُ

فَدَعْ ذِكْرَ دارٍ بدَّدَتْ بين أهلها ... نَوًى لِمَتِينَاتِ الحِبالِ قَطُوعُ

وقُلْ إنْ يَكُنْ يومٌ بأُحْدٍ يَعُدُّهُ ... سَفِيهٌ فإنَّ الحقَّ سوفَ يَشِيعُ

فقد صابَرَتْ فيه بَنُو الأوسِ كلُّهم ... وكان لهم ذِكْرٌ هُناكَ رَفِيعُ

وحامَى بنو النَّجّارِ فيه وصابَرُوا ... وما كان منهم في اللِّقاءِ جَزُوعُ

أمامَ رسولِ اللهِ لا يَخْذُلونَه ... لهم ناصِرٌ من ربِّهم وشَفِيعُ

وَفَوْا إذ كفرتُم ياسَخِينَ بربِّكم ... ولا يَسْتوِي عبدٌ وَفِيٌّ ومُضِيعُ

بأيدِيهِمُ بِيضٌ إذا حَمِشَ الوَغَى ... فلا بُدَّ أنْ يَرْدَى لهنَّ صَرِيعُ

كما غادرتْ في النَّقْعِ عُتْبَةَ ثاوِياً ... وسَعْداً صَرِيعاً والوَشِيجُ شُرُوعُ

وقد غادرتْ تحتَ العَجاجَةِ مُسْنَداً ... أُبيّاً وقـد بَلَّ القَمِيصَ نَجِيعُ

بكَفِّ رسولِ اللهِ حيثُ تَنَصَّبَتْ ... على القومِ ممّا قد يُثِرْنَ نُقُوعُ

أولئكَ قومٌ سادةٌ من فُرُوعِكم ... وفي كُلِّ قومٍ سادةٌ وفُرُوعُ

بهنَّ نُعِزُّ اللهَ حتى يُعِزَّنا ... وإن كان أمرٌ ياسَخِينَ فَظِيعُ

فلا تَذْكُروا قَتْلَى وحمزةُ فيهمُ ... قَتِيلٌ ثَوَى للهِ وهْوَ مُطِيعُ

فإنَّ جِنانَ الخُلْدِ مَنْزِلَةٌ له ... وأمْرُ الذي يَقْضِي الأمورَ سَرِيعُ

وقتلاكُمُ في النّارِ أفضلُ رِزْقِهم ... حَمِيمٌ معاً في جَوْفِها وضَرِيعُ

شعر عمرو بن العاص فى يوم أحد

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر يُنكرها لحسّان وابن الزِّبَعْرَى .
وقوله : « ماضى الشَّباة ، وطير يحفن » عن غير ابن إسحاق .

وقال ابن إسحاق : وقال عمرو بن العاص (فى) يوم أُحُد :

خَرَجْنا مِنَ الفَيْفا عَلَيهِمْ كأنَّنا ... مع الصُّبح من رَضْوَى الحَبِيكُ المُنطَّقِ
تمنَّت بنو النَّجَّار جَهْلاً لقاءنا ... لدَى جَنْبِ سَلْعٍ والأمانِيّ تَصْدُق
فما راعَهم بالشرِّ إلا فُجاءة ... كَرَادِيس خَيْل فى الأزِقَّة تَمْرُق
أرادوا لكَيْما يَسْتَبِيحوا قِبابَنا ... ودونَ القِباب اليومَ ضَرْبٌ مُحرِّق
وكانت قِباباً أُومِنت قبلَ ما تَرَى ... إذْ رامَها قَوْمٌ أُبيحوا وأُحنِقوا
كأنَّ رُءُوسَ الخَزْرجيِّين غدوةً ... وأيْمانَهم بالمُشْرَفِيَّة بَرْوَق

شعر كعب فى الرد على ابن العاصى

فأجابه كعب بن مالك ، فيما ذكر ابن هشام ، فقال :

ألا أبلغا فِهراً على نَأْيِ دارِها ... وعِندَهُمُ مِنْ عِلمِنا اليومَ مَصْدَقُ
بأنَّا غَداةَ السَّفْحِ من بطن يَثْرِبٍ ... صَبَرْنا وراياتُ المَنيَّةِ تَخْفِقُ
صَبرْنا لهم والصَّبْرُ منَّا سَجيَّةٌ ... إذا طارتِ الأبْرامُ نَسْمُو ونَرْتُقُ
على عادةٍ تِلْكُم جَرَيْنا بصَبْرِنا ... وقِدْماً لدَى الغاياتِ نَجْرِى فَنَسْبِقُ
لَنا حَوْمَةٌ لا تُسْتَطاع يَقُودُها ... نَبِيٌّ أتَى بالحَقِّ عَفٌّ مُصَدَّقُ

. . . .

رفع المسيّهم

ألا هل أتى أفناءَ فِهرِ بن مالكٍ ... مُقَطَّعُ أطرافٍ وَهامٌ مُفَلَّقُ

شعر ضرار في يوم أحد

قال ابن إسحاق: وقال ضِرار بن الخطَّاب:

إنى وجدِّك لولا مُقْدَمى فَرَسى ... إذ جالت الخيلُ بين الجِزْعِ والقاعِ
ما زال منكم بجَنْب الجِزْعِ من أُحُدٍ ... أصواتُ هامٍ تَزَاقَى أمرُها شاعِ
وفارسٌ قد أصابَ السيفُ مَفرِقَه ... أفلاقُ هامتِه كَفَرْوَة الراعى
إنى وجدِّك لا أنفكّ مُنتطِقاً ... بصارمٍ مثلِ لَوْنِ المِلْحِ قَطَّاع
على رِحالة مِلْواحٍ مُثابرةٍ ... نحو الصَّريخِ إذا ماثوَّب الدَّاعى
وما انتَميتُ إلى خُورٍ ولا كُشُفٍ ... ولا لِئامٍ غداةَ البأسِ أوْرَاعِ
بل ضاربين حَبِيكَ البيضِ إذ لحِقوا ... شُمُّ العَرانينِ عند الموتِ لُذَّاعِ
شُمٌّ بهاليلُ مسترخٍ حمائلُهم ... يَسْعَون للموتِ سَعْياً غيرَ دَعْداعِ

وقال ضرار بن الخطَّاب أيضاً:

لَمَّا أتتْ مِن بنى كَعْبٍ مُزَيْنَةُ ... والخزرجيةُ فيها البِيضُ تأتلِق
وجرَّدوا مَشْرَفِيَّاتٍ مُهَنَّدةً ... وراية كجناحِ النَّسرِ تختفق
فقُلت يومٌ بأيَّامٍ ومعْرَكةٌ ... تُنْسِى لما خَلْفَها ما هُزْهِزَ الوَرَق
قد عوَّدوا كلَّ يومٍ أن تكونَ لهم ... ريحُ القتالِ وأسلابُ الذين لَقُوا
خَيَّرتُ نفسى على ما كان من وَجَلٍ ... منها وأيقنتُ أنَّ المجدَ مُستبَق

أكرهتُ مُهرِي حتى خاضَ غَمْرَتَهم ... وَبَلَّه مِن نَجِيعِ عائكٍ عَلَق
فظلَّ مُهرِي وسِرْبالي جَسِيدُهما ... نفخُ العروقِ رِشاشُ الطّعن والوَرَق
أيقنتُ أنّي مُقيمٌ في دِيارهمُ ... حتى يُفارِق مافي جَوْفه الحَدَق
لاتَجزعوا يابني مَخزومَ إنّ لكم ... مِثلَ المُغيرةِ فيكم مابه زَهَق
صبراً فِدًى لكمُ أُمّي وما وَلَدتْ ... تَعاوَروا الضربَ حتى يُدْبِر الشَّفَق

شعر عمرو في يوم أحد

وقال عمرو بن العاص:

لمّا رأيتُ الحربَ يَنْـــزُو شَرُّها بالرَّضْفِ نَزْوَا
وتناولت شَهباءَ تَلْحُـــو النّاسَ بالضَّرّاء لَحْوَا
أيقنتُ أنّ الموتَ حقٌّ والحياةُ تكونُ لَغْـــوَا
حَمّلتُ أثوابي علـــى عَتَدٍ يَبُذُّ الخيلَ رَهْوَا
سَلِسٍ إذا نُكِبْنَ في الْـــبَيداء يَعلو الطِّرْفَ عُلْوَا
وإذا تَـــنَزَّلَ ماؤه مِنْ عِطْفِه يَزداد زَهْوَا
رَبِذٍ كيَعْفُور الصَّريـــمة راعَه الرّامونَ دَحْوَا
شَنِجٍ نَسَاهُ ضَابِطٍ للخَيلِ إرْخاءً وعَـــدْوَا
فَفِدًى لهمْ أُمّي غَـــدَاةَ الرَّوْعِ إذ يَمْشُونَ قَطْوَا
سَيْراً إلى كَبْشِ الكَتيـــبة إذْ جَلَتْه الشّمسُ جَلْوَا

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لعمرو .

شعر كعب فى الرد على عمرو بن العاصى

قال ابن إسحاق : فأجابهما كعب بن مالك ، فقال :

أَبْلِغْ قُرَيْشاً وخيرُ القَوْلِ أصدقُهُ ... والصدقُ عندذَوِى الألباب مقبولُ
أنْ قد قَتَلْنا بقَتْلانا سَرَاتَكم ... أَهْلَ اللّواء فَفِيما يَكْثُرُ القِيلُ
ويَوْمَ بدرٍ لَقِيناكم لنا مَدَدٌ ... فيه مع النَّصر مِيكالٌ وجِبْرِيلُ
إن تَقْتُلُونا فَدِينُ الحقّ فِطْرَتُنا ... والقَتْلُ فى الحقّ عند الله تَفْضِيلُ
وإن تَرَوْا أمرَنا فى رأيكم سَفَهاً ... فرأْىُ مَنْ خالف الإسْلام تَضْلِيلُ
فلا تَمَنَّوْا لِقاحَ الحَرْبِ واقتَعِدوا ... إنّ أخا الحرب أصْدَى اللونِ مشغولُ
إنّ لكم عِنْدَنا ضَرْباً تَرَاحُ له ... عُرْجُ الضِباع له خَذْمٌ رَعابيلُ
إنّا بنو الحَرْب نَمْرِيها ونَنْتُجُها ... وعندنا لذَوِى الأضْغان تَنْكِيلُ
إن يَنْجُ منها ابنُ حَرْبٍ بعدما بلغَتْ ... منه التَّراقِى، وأمرُ الله مَفْعولُ
فقد أفادَتْ له حِلْماً ومَوْعِظَةً ... لمَن يكُونُ له لُبٌّ ومَعْقُولُ
ولو هَبَطْتُم ببَطْن السَّيْل كافَحكم ... ضَرْبٌ بشاكِلَة البَطْحاء تَرْعِيلُ
تَلْقاكُمُ عُصَبٌ حَوْلَ النّبىّ لهم ... مما يُعِدّون للهَيْجا سَرَابِيلُ
من جِذْمِ غَسّان مُسْتَرْخٍ حمائلهم ... لا جُبَناءُ ولا مِيلٌ مَعازِيلُ
يَمْشُونَ تحت عَمايات القِتال كما ... تَمشِي المَصاعِبَةُ الأُدْمُ المَراسِيلُ
أو مِثْلَ مَشْى أُسُودِ الظِّلِّ أَلْثَقَها ... يومُ رَذاذٍ من الجوْزاء مَشْمولُ
فى كلّ سابغةٍ كالنِّهْيِ مُحْكَمَةٍ ... قِيامُها فَلَجٌ كالسَّيْف بُهْلُولُ

تردُّ حَدَّ قِرامِ النَّبل خاسئةً ... ويَرْجِعِ السيفُ عنها وهو مَفْلُول

ولو قَذَفْنَ بِسَلْعٍ عن ظُهورِكُمُ ... وللحَياة ودَفْعِ المَوْتِ تأْجِيل

ما زال في القَوْم وِتْرٌ منكُمُ أبداً ... تَعْفُو السَّلام عليْه وهو مَطْلول

عَبْدٌ وحُرٌّ كَرِيمٌ مُوثَقٌ قَنَصاً ... شَطْرَ المَدِينة مأْسُور ومَقْتُول

كُنّا نُؤَمّل أُخْراكُم فأعْجَلَكُم ... مِنّا فَوارِسُ لا عُزْلٌ ولا مِيل

إذا جَنَى فيهم الجانى فقد عَلِموا ... حَقّاً بأنّ الذي قد جَرّ مَحْمُول

ما نَحْنُ لا نَحنُ من إثْمٍ مُجاهِرةً ... ولا مَلُومٌ ولا في الغُرْم مَخْذُول

شعر حسان في أصحاب اللواء

وقال حسّان بن ثابت، يذكر عدّة أصحاب اللّواء يوم أُحُد:

— قال ابن هشام: هذه أحسن ما قيل —

مَنَع النَّوْمَ بالعِشاء الهُمومُ ... وخَيالٌ إذا تَغُورُ النُّجومُ

مِنْ حَبِيبٍ أضافَ قَلْبَكَ مِنْه ... سَقَمٌ فهو داخِلٌ مَكْتُومُ

يا لَقَوْمِي هَلْ يَقْتُل المرءَ مثلي ... واهِنُ البَطْشِ والعِظامِ سَؤُوم

لو يَدِبُّ الحَوْلِيّ من ولد الذ ... رِّ عليها لأنْدَبَتْها الكُلُوم

شأنُها العِطْر والفِراشُ ويَعْلو ... ها لُجَيْنٌ ولُؤْلُؤٌ مَنْظُوم

لَمْ تَفُتْها شَمْسُ النَّهارِ بشَيْء ... غيرَ أنّ الشَّبابَ لَيْسَ يَدُوم

إنّ خالي خَطِيبُ جابِيَةِ الجَوْ ... لانِ عند النُّعْمانِ حين يَقُوم

وأنا الصقر عند باب ابن سلمى   يوم نُعمان فى الكبول سقيم
وأبىٌّ وواقدٌ أُطلقا لى   يومَ راحا وكبلُهم مخطوم
ورهنتُ اليدين عنهم جميعاً   كلُّ كفّ جزء لها مقسوم
وسطتْ نسبتى الذوائبَ منهم   كلُّ دارٍ فيها أبٌ لى عظيم
وأبى فى سُميحة القائل الفا   صِلِ يوم التقتْ عليه الخصوم
تلك أفعالُنا وفعل الزِّبعرى   خاملٌ فى صديقه مذموم
ربّ حِلم أضاعه عدم الما   لِ وجهل غطا عليه النعيم
إن دهراً يبور فيه ذوو العلم   لدهرٌ هو العتوُّ الزنيم
لا تسبنَّنى فلستَ بسِبِّى   إنّ سبِّى من الرجال الكريم
ما أبالى أنبّ بالحزنِ تيسٌ   أم لحانى بظهر غيبٍ لئيم
ولِىَ البأسَ منكم إذ رحلتم   أسرةٌ من بنى قُصَىّ صميم
تسعةٌ تحمل اللواء وطارتْ   فى رعاع من القنا مخزوم
وأقامُوا حتى أُبيحوا جميعاً   فى مقام وكلُّهم مذموم
بدمٍ عاتك وكان حفاظاً   أن يُقيموا إن الكريم كريم
وأقامُوا حتى أزيروا شعُوباً   والقنا فى نحُورهم محطوم
وقُريش تفرّ منّا لِواذاً   أن يُقيموا وخفّ منها الحلوم
لم تُطق حمله العواتقُ منهم   إنما يحمل اللواء النجوم

قال ابن هشام : قال حسّان هذه القصيدة :

ليلاً ، فدعا قومه ، فقال لهم : خَشِيتُ أن يُدركني أجلي قبل أن أصبح ، فلا تَرْزُوُوها عني .

قال ابن هشام : أنشدني أبو عُبيدة للحَجَّاج بن عِلَاطٍ السُّلَمِي يمدح أبا الحسن أمير المؤمنين عليَّ بن أبي طالب ، ويذكر قتله طَلْحة بن أبي طلحة ابن عبد العُزى بن عثمان بن عبد الدّار ، صاحب لواء المشركين يوم أُحد :

لله أيُّ مُذَبِّب عن حُرْمةٍ أعْنِي ابنَ فاطمةَ المُعِمَّ المُخْوِلا

سَبَقَتْ يَداكَ لَهُ بعاجِلِ طَعْنَةٍ تَرَكَتْ طُلَيْحة للجَبِينِ مُجَدَّلا

وشَدَدْتَ شَدَّة باسلٍ فكَشَفْتَهم بالجرِّ إذْ يَهْوُون أخْوَلَ أخْوَلا

شعر حسان في قتلى يوم أحد

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت يبكي حمزة بن عبد المطلب ومن أُصيب من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أُحُد :

يا مَيَّ قُومِي فاندُبِنْ بسُحيرةٍ شَجْوَ النَّوائحْ

كالحاملات الوِقْرَ بالثِّقْلِ المُلِحَّاتِ الدَّوالحْ

المُعْوِلاتِ الخامشا تِ وُجوهَ حُرَّاتٍ صحائحْ

وكأنَّ سَيْلَ دُموعِها الأنصابُ تُخْضَبُ بالذبائحْ

يَنْقُضْنَ أشعاراً لهنَّ هُناك بادِيةَ المَسائحْ

وكأنَّها أذنابُ خيلٍ بالضُّحى شُمسٍ رَوامح
مِن بين مشزورٍ ومجزوزٍ يُذعذع بالبوارح
يَبْكين شجواً مُسلبا تٍ كَدَّحتهن الكوادح
ولقد أصاب قُلوبَها مُجْلٌ له جُلَبٌ قوارح
إذ أقصد الحدثان مَن كُنَّا نُرَجِّي إذ نُشايح
أصحاب أُحْدٍ غالهم دهرٌ ألمَّ له جوارح
مَن كان فارسنا وحا مِينا إذا بُعث المسالح
يا حمزَ، لا والله لا أنساكَ ماصُرَّ اللقائح
لمناخِ أيتامٍ وأضيافٍ وأرملةٍ تُلامح
ولِما ينوب الدهرُ في حربٍ لحربٍ وهي لاقح
يا فارساً يا مِدرهاً يا حمزَ قد كُنتَ المُصامح
عنَّا شديداتِ الخُطو بِ إذا ينوب لهنَّ فادح
ذكَّرتني أسد الرسو لِ، وذاك مِدرهنا المُنافح
عنَّا وكان يُعدُّ إذ عُدَّ الشريفون الجحاجح
يعلو القماقم جهرةً سَبطَ اليدين أغرَّ واضح
لا طائشٌ رَعِشٌ ولا ذو علَّةٍ بالحِمل آنح
بحرٌ فليس يُغِبُّ جا راً منه سَيبٌ أو منادح
أودَى شبابُ أولي الحفا ئظ والثقيلون المَراجح

. . . .

المطعمون إذا المشا تي ما يصفقهن ناضح
لحم الجلاد وفوقه من شحمه شطب شرائح
ليدافعوا عن جارهم ما رام ذو الضغن المكاشح
لهفي لشبان رزئناهم كأنهم المصابح
شم ، بطارقة ، غطا رفة ، خضارمة ، مسامح
المشترون الحمد بالأموال إن الحمد رابح
والجامزون بلجمهم يوماً إذا ما صاح صائح
من كان يرمي بالنوا قر من زمان غير صالح
ما إن تزال ركابه يرسمن في غبر صحاصح
راحت تبارى وهو في ركب صدورهم رواشح
حتى تثوب له المعا لي ليس من فوز السفائح
يا حمز قد أوحدتني كالعود شذ به الكوافح
أشكو إليك وفوقك التـ ـترب المكور والصفائح
من جندل نلقيه فو قك إذ أجاد الضرح ضارح
في واسع يحشونه بالترب سوته المماسح
فعزاؤنا أنا نقو ل وقولنا برح بوارح
من كان أمسى وهو عما أوقع الحدثان جانح
فليأتنا فلتبك عيناه لهلكانا النوافح

القائلــــينَ الفاعِلين ذَوِى السَّماحة والممادِح
مَنْ لايزالُ نَدَى يَديْـــهِ له طَوَالَ الدَّهرِ مائح

قال ابن هشام: وأكثر أهلِ العِلْم بالشعرِ يُنكرها لحسّان، وبيته: «المطعمون إذا المشاتى» وبيته: «الجازون بلُجْمِهِم»، وبيته: «من كان يُرْمَى بالنواقر» عن غير ابن إسحاق.

شعر حسان فى بكاء حمزة

قال ابن إسحاق: وقال حسّان بن ثابت أيضاً يبكى حمزة بن عبد المطلب:

أتعرِفُ الدارَ عَفا رَسْمُها بعدكَ صَوْبُ المُسْبِلِ الهاطِلِ
بَـــينَ السَّراديح فأُدْمانَةٍ فَمَدْفَعِ الرَّوْحاء فى حائِل
ساءلْتُها عَن ذاكَ فاستعجمتْ لم تَدْرِ ما مَرْجُوعةُ السَّائل؟
دَعْ عنْك داراً قد عَفا رَسْمُها وابكِ على حَمزة ذى النَّائل
المالىء الشِّيزى إذا أعصَفت غَبْراء فى ذِى الشَّبِمِ الماحل
والتَّارِكِ القِرْنَ لدَى لِبْدةٍ يَعْثُرُ فى ذى الخُرُص الذَّابِل
واللابس الخيْل إذ أجْحَمتْ كاللَّيْث فى غابَتِـــه الباسِلِ
أبيَضُ فى الذِّروة من هاشمٍ لم يَمْرِ دونَ الحقِّ بالباطِل
مالَ شَهِيـــداً بينَ أسيافكم شُلَّت يدَا وحْشِىٍّ مِن قاتل
أىَّ امرىءٍ غادَر فى أَلَّةٍ مَطْـــرورةٍ مارِنَةِ العامِل

أظلمتِ الأرضُ لفقــدانه وأسودَّ نورُ القمرِ الناصِلِ
صلى عليــه اللهُ فى جنَّةٍ عاليــةٍ مُكرَمَةِ الدّاخِلِ
كُنّا نَرى حمزةَ حِرْزاً لنا فى كل أمرٍ نابَنا نازلِ
وكان فى الإسلام ذا تُدْرَأٍ يَكْفيكَ فقدَ القاعد الخاذلِ
لا تَفرحى ياهنـــد واستَحْلِبى دَمعاً وأذرى عَبْرة الثّاكِلِ
وابكى على عُتْبــة إذ قطَّه بالسَّيف تحت الرَّهج الجائلِ
إذا خر فى مشيخة منكمُ مِنْ كُلِّ عاتٍ قلبُهُ جاهِلِ
أرْدَاهُمُ حمزةُ فى أُسْرَةٍ يَمْشُون تحتَ الحلَق الفاضِلِ
غَدَاةَ جِــبْرِيل وَزِيرٌ له نِعْم وزيرُ الفارسِ الحامِلِ

شعر كعب فى بكاء حمزة

وقال كعبُ بن مالك يَبْكى حمزةَ بن عبد المطَّلب :

طَرقتْ هُمومُك فالرُّقاد مُسهَّدُ وجزعتَ أن سُلخ الشبابُ الأغيدُ
ودَعتْ فؤادَك للهوى ضَمْرِيَّةٌ فهواكَ غَوْرِيٌّ وَصحْوك مُنْجِدُ
فدعِ التَّمادىَ فى الغَواية سادِراً قد كنتَ فى طَلَبِ الغَواية تُفْنَدُ
ولقد أَنَى لكَ أنْ تَناهَى طائِعاً أو تَسْتَفيق إذا نَهاكَ المُرْشِدُ
ولقد هُدِدْتُ لفقد حمزة هَدَّةً ظلَّت بناتُ الجوف منها تُرْعَدُ
ولوَ انه فُجِعَت حِراء بمثله لرأيتُ راسِىَ صَخْرها يتبدَّدُ
قَرْمٌ تَمكَّنَ فى ذُؤابة هاشمٍ حيث النُّبوّة والنَّدَى والسُّودَدُ

والعاقرُ الكُومَ الجِلادَ إذا غَدَتْ ريحٌ يَكادُ الماءُ منها يَجْمُدُ
والتَّارِكُ القِرْنَ الكَمِيَّ مُجَدَّلا يومَ الكَريهةِ والقَنا يَتَقَصَّدُ
وتَراهُ يَرْفُلُ في الحديدِ كأنَّه ذو لِبْدةٍ شَثْنُ البَراثِنِ أرْبَدُ
عمُّ النبيِّ محمَّدٍ وصَفِيُّه ورد الحِمامَ فطاب ذاكَ المَوْرِدُ
وأتى المَنِيَّةَ مُعْلِماً في أُسْرةٍ نَصَروا النبيَّ ومنهم المُسْتَشْهَدُ
ولقد إخالُ بذاك هنداً بُشِّرت لتُميتُ داخلَ غصَّةٍ لا تَبرُدُ
ممَّا صَبَحْنا بالعَقَنْقَلِ قَوْمَها يوماً تَغَيَّبَ فيه عنها الأسْعَدُ
وببئرِ بَدْرٍ إذ يَرُدُّ وُجوهَهم جبْرِيلُ تحت لِوائنا ومُحَمَّدُ
حتى رأيتُ لَدَى النبيِّ سَرَاتَهم قِسْمَيْنِ: يَقْتُلُ مَن نشاء ويطْرُد
فأقامَ بالعطَنِ المُعَطَّنِ منهمُ سَبْعون: عُتْبةُ منهمُ والأسْود
وابنُ المغيرة قد ضَرَبنَا ضَرْبةً فوق الوَرِيد لها رشاشٌ مُزْبِدُ
وأُمَيَّةُ الجُمَحِيُّ قَوَّمَ مَيْلَهُ عَضْبٌ بأيدي المُؤمنين مُهنَّد
فأتاكَ فَلُّ المُشْرِكين كأنهم والخَيْلُ تَثْفِنُهم نعامٌ شُرَّدُ
شتَّانَ مَنْ هو في جَهَنَّمَ ثاوِياً أبداً ومَن هو فِي الجِنانِ مُخَلَّدُ

وقال كعبٌ أيضاً يبكي حمزة:

صَفِيَّةُ قُومي ولا تَعْجِزي وبَكِّي النِّساءَ على حَمْزةِ
ولا تَسْأَمي أن تُطيلي البُكا على أسَدِ اللهِ في الهِزَّةِ
فقد كانَ عِزّاً لِأيْتامِنا ولَيْثَ المَلاحمِ في البِزَّةِ

يُريد بذاك رِضا أحمـــدٍ ورِضوانَ ذِى العَرش والعزَّة

شعر كعب فى أحد

وقال كعب أيضاً فى أحد :

لِأمِّكِ عَمرَ أبيك الكَريـــم أنْ تسألى عنكِ مَن يَجتَدينا
فإنْ تسألى ثمَّ لا تُكذَبى يُخبِركِ مَنْ قد سألتِ اليَقِينا
بأنا لَيــالى ذاتِ العِظا م كُنَّا ثمــالا لِمَنْ يَعترِينا
تَلوذ النجومُ بأذْرائِنـــا من الضُّرِّ فى أزَماتِ السِّنينا
بِجَدْوَى فُضول أولى وُجْدِنا وبالصَّبْرِ والبَذْلِ فى المُعدِمينا
وأبقتْ لَنا جَلَمــاتُ الحرو ب ممَّن نوازِي لَدُنْ أن بُرِينا
مَعاطِنَ تَهْوِى إليها الحُقو ق يَحسِـبها من رآها الفَتِينا
تَخَيَّسُ فيها عِتاقُ الجِمــا لِ صُحْماً دَواجِنَ حُمراً وجُونا
ودُفَّاع رَجْلٍ كَمَوْجِ الفُرا تِ يَقدُم جَأواءَ جُولاً طَحونا
تَرى لونَها مثلَ لونِ النُّجو مِ رَجْراجةً تُبرِق الناظِرينا
فإن كنتِ عن شأنِنا جاهلاً فَسَلْ عنه ذا العِلْمِ مِمَّن يَلِينا
بِنا كيف نَفعل إن قَلَّصتْ عَوَاناً ضَرُوساً عَضُوضاً حَجُونا
ألَسْنا نَشُــدُّ عَلَيها العِصا بَ حتى تَدُرَّ وحتى تَلِينا
ويومٍ لَهُ رَهَـــجٌ دائمٌ شَديد التَّهاوُل حامِى الأرِينا
طَويلٍ شَديدٍ أُوارُ القِتا لِ تَنفِي قَواحِزُهُ المُقْرِفينا

تَخالُ الكُماةَ بأعْراضِه ثِمالاً على لَذَّةٍ مُنْزِفينا
تَعاوَرُ أيمانُهم بَيْنَهم كئُوسَ المَنايا بحَدِّ الظُّبِينا
شَهِدْنا فكُنَّا أُولِي بأسِه وتحت العَماية والمُعْلِمِينا
بخُرْس الحَسِيسِ حِسانٍ رِواءٍ وبُصْرِيَّةٍ قد أجَمْنَ الجُفونا
فما يَنْفَلِلْنَ وما يَنْحَنِينَ وما يَنْتَهِينَ إذا ما نُهِينا
كبرْق الخريف بأيدى الكُماةِ يُفَجِّعْنَ بالظِّلِّ هاماً سُكُونا
وعلَّمَنا الضَّرْبَ آباؤُنا وسَوْف نُعلِّم أيضاً بَنِينا
جِلادَ الكُماةِ ، وبَذْلَ التِّلا دِ ، عن جُلِّ أحْسابنا ما بَقِينا
إذا مَرَّ قَرْنٌ كَفَى نَسْلُه وأوْرَثَه بَعْدَه آخَرِينا
نَشِبُّ وتَهْلِكُ آباؤُنا وبينا نُرَبِّى بَنِينا فَنِينا
سأَلتُ بك ابنَ الزِّبَعْرَى فلم أُنَبَّأْكَ فى القَوْمِ إلا هَجِينا
خَبِيثاً تُطيفُ بك المُنْدِياتُ مُقِيماً على اللُّؤْمِ حِيناً لَحِينا
تَبَجَّسْتَ تَهْجُو رسولَ المَليـكِ قاتَلَكَ اللهُ جِلْفاً لَعِينا
تَقُولُ الخَنَا ثم تَرْمِى به نَقِىَّ الثِّيابِ تَقِيًّا أمِينا

قال ابن هشام : أنشدنى بيته : « بنا كيف نفعل » ، والبيت الذى يليه ، والبيت الثالث منه ، وصدر الرابع منه ، وقوله « نشبُّ وتهلك آباؤنا » والبيت الذى يليه ، والبيت الثالث منه ، أبو زيد الأنصارىّ .

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك أيضاً ، فى يوم أُحد :

سائِلْ قُرَيْشًا غداةَ السَّفْحِ من أُحُدٍ ... ماذا لَقِينا وما لاقَوْا مِنَ الهَرَبِ

كُنَّا الأُسودَ وكانوا النُّمْرَ إذ زَحفوا ... ما إنْ نُراقِبُ من آلٍ ولا نَسَبِ

فكَمْ تَركنا بها من سَيِّدٍ بَطَلٍ ... حامي الذِّمارِ كَريمِ الجَدِّ والحَسَبِ

فِينا الرَّسولُ شِهابٌ ثم يَتْبعه ... نُورٌ مُضِيءٌ له فَضْلٌ على الشُّهُبِ

الحقُّ مَنْطِقُه والعَدْلُ سِيرَتُه ... فمَنْ يُجِبْه إليه يَنْجُ من تَبَبِ

نَجْدُ المُقَدَّمِ، ماضِي الهَمِّ، مُعْتَزِمٌ ... حِينَ القُلوبُ على رَجْفٍ مِنَ الرُّعُبِ

يَمْضِي ويَذْمُرُنا عن غَيْرِ مَعْصِيةٍ ... كأنَّه البدرُ لم يُطْبَعْ على الكَذِبِ

بَدَا لَنا فاتَّبَعْناه نُصَدِّقُه ... وكَذَّبوه فكُنَّا أسْعَدَ العَرَبِ

جالُوا وجُلْنا فما فاءوا وما رَجَعوا ... ونحن نَثْفِنُهم لم نَأْلُ في الطَّلَبِ

ليسا سَواءً وشَتَّى بَيْنَ أَمْرِهما ... حِزْبُ الإلهِ وأهلُ الشِّرْكِ والنُّصُبِ

قال ابن هشام: أنشدني من قوله: «يمضي ويذمرنا» إلى آخرها، أبو زيد الأنصاري.

شعر ابن رواحة في بكاء حمزة

قال ابن إسحاق: وقال عبدُ الله بن رَوَاحة يَبْكي حمزةَ بن عبد المطلب:

قال ابن هشام: أنشدنيها أبو زيد الأنصاري لكعب بن مالك:

بكَتْ عَيْنِي وحُقَّ لها بُكاها ... وما يُغْنِي البُكاءُ ولا العَوِيلُ

على أسَدِ الإلهِ غداةَ قالوا ... أحمزةُ ذاكُمُ الرجلُ القَتِيلُ

اصيب المسلمون به جميعاً هُناكَ وقد أُصِيبَ به الرسولُ
أبا يَعْلَى لكَ الأرْكانُ هُدَّتْ وأنت الماجِدُ البَرُّ الوَصُولُ
عَليكَ سلامُ ربِّكَ في جِنانٍ مُخالِطُها نَعيمٌ لا يَزُولُ
ألا يا هاشِمَ الأخيارِ صَبْراً فَكُلُّ فِعالِكُم حَسَنٌ جَميلُ
رسولُ اللهِ مُصْطَبِرٌ كريمٌ بأمْرِ اللهِ يَنْطِقُ إذ يَقُولُ
ألا مَنْ مُبْلِغٌ عنِّى لُؤَيّاً فَبَعْدَ اليَوْمِ دائِلَةٌ تَدُولُ
وقَبلَ اليَوْمِ ما عَرَفُوا وذاقُوا وقائِعَنا بِها يُشْفَى الغَلِيلُ
نَسِيتُم ضَرْبَنا بقَلِيبِ بَدْرٍ غَداةَ أتاكُمُ المَوْتُ العَجِيلُ
غداةَ ثَوَى أبو جَهْلٍ صَرِيعاً عليه الطَّيرُ حائِمةً تَجُولُ
وعُتْبةُ وابنُهُ خَرّا جميعاً وشَيْبةُ عَضَّهُ السيفُ الصَّقِيلُ
ومَتْرَكُنا أُمَيَّةَ مُجْلَعِبّاً وفى حَيْزُومِه لَدْنٌ نَبِيلُ
وهامَ بَنِى رَبِيعةَ سائِلُوها ففى أسْيافِنا مِنْها فُلُولُ
ألا يا هِنْدُ فابكِى لا تَمَلِّى فأنتِ الوالِهُ العَبْرَى الهَبُولُ
ألا يا هِنْدُ لا تُبْدِى شِماتاً بحَمْزَةَ إنَّ عِزَّكُم ذَلِيلُ

شعر كعب في أحد

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك :

أبْلِغْ قُرَيْشاً على نَأْيِها أتَفْخَرُ مِنّا بِما لَمْ تَلِى
فَخَرْتُم بقَتْلى أصابَتْهُمُ فَواضِلُ من نِعَمِ المُفْضِلِ

نَخْلُو جِنانًا وأَبْقَوا لَكُم أسُودًا تُحامى عَنِ الأشْبُل
تُقاتل عن دينها وَسْطَها نَبِيٌّ عَنِ الحق لم يَنْكُل
رَمَتْه مَعدٌّ بعُور الكَلام ونَبْل العَداوة لا تأتلى

قال ابن هشام: أنشدنى قوله: « لم تلى »، وقوله: « من نعم المفضل » أبو زيد الأنصارىّ.

شعر ضرار فى أُحد

قال ابن إسحاق: وقال ضِرارُ بن الخَطّاب فى يوم أُحُد:

ما بالُ عَيْنِكَ قد أزرى بها السُّهُدُ كأنّما جالَ فى أجْفانها الرَّمَدُ
أمِن فِراقِ حَبيبٍ كُنتَ تألَفه قد حالَ من دونه الأعداء والبُعد
أم ذاك من شَغْب قوم لا جَداء بهم إذ الحروب تلظَّت نارُها تَقِد
ما ينتهُون عن الغىّ الذى رَكِبوا وما لهم من لؤَىّ وَيْحهم عَضُد
وقد نَشَدْناهُمُ بالله قاطبةً فما تردّهمُ الأرحامُ والنُّشُد
حتى إذا ما أبَوْا إلا مُحاربةً واستحْصدت بيننا الأضغان والحِقَدُ
سِرْنا إليهم بجَيْش فى جوانبه قَوانِسُ البَيْض والمَحْبوكةُ السُّرد
والجُردُ تَرْفُل بالأبطال شازِبةً كأنّها حِدَأٌ فى سَيْرها تُؤَد
جَيْش يقودُهُمُ صَخر ويرأسهُم كأنّه لَيْثُ غابٍ هاصِرٌ حَرِد
فأبْرَزَ الحَين قومًا من مَنازلهم فكان منّا ومنهم مُلتقَى أُحُد

فغودرت منهم قتلى مجدلة ... كالمعز أصرده بالعمرد البرد

قتلى كرام بنو النجار وسطهم ... ومصعب من قنانا حوله قصد

وحمزة القرم مصروع تطيف به ... ثكلى وقد حز منه الأنف والكبد

كأنه حين يكبو فى جديته ... تحت العجاج وفيه ثعلب جسد

حوار ناب وقد ولى صحابته ... كما تولى النعام الهارب الشرد

مجلحين ولا يلوون قد ملئوا ... رعبا، فنجتهم العوصاء والكؤد

تبكى عليهم نساء لا بعول لها ... من كل سالبة أثوابها قدد

وقد تركناهم للطير ملحمة ... وللضباع إلى أجسادهم تفد

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لضرار.

رجز أبى زعنة يوم أحد

قال ابن إسحاق: وقال أبو زعنة بن عبد الله بن عمرو بن عتبة، أخو بنى جشم بن الخزرج، يوم أحد:

أنا أبو زعنة يعدو بى الهزم ... لم تمنع المخزاة إلا بالألم

يحمى الذمار خزرجى من جشم

رجز ينسب لعلىّ فى يوم أحد

قال ابن إسحاق: وقال علىّ بن أبى طالب — قال ابن هشام: قالها رجل

من المسلمين يوم أحد غير على ، فيما ذكر لى بعض أهل العلم بالشعر ، ولم أر أحداً منهم يعرفها لعلى :

لاهُمَّ إنَّ الحارث بن الصِّمَّهْ ‏ ‏ كان وفيًّا وبنا ذا ذِمَّهْ
أقبَلَ فى مَهامهٍ مُهِمَّهْ ‏ ‏ كَلَيلة ظَلْماء مدلَهِمَّه
بين سُيوف ورِماحٍ جَمَّهْ ‏ ‏ يَبْغى رسولَ الله فيما ثَمَّهْ

قال ابن هشام : قوله : « كليلة » عن غير ابن إسحاق .

رجز عكرمة فى يوم أحد

قال ابن إسحاق : وقال عكرمة بن أبى جهل فى يوم أحد :

كلُّهم يزجره أرْحِبْ هَلا ‏ ‏ ولن يَرَوْه اليومَ إلا مُقْبلا
يَحْمل رُمْحا ورَئيساً جحْفَلا

شعر الأعشى التميمى فى بكاء قتلى بنى عبد الدار يوم أحد

وقال الأعشى بن زُرارة بن النَّبَّاش التَّميمى — قال ابن هشام : ثم أحد بنى أسد بن عمرو بن تميم — يبكى قتلى بَنى عَبْد الدار يومَ أُحد :

حُيِّيَ مِنْ حَيّ علىَّ نأيِهم ‏ ‏ بنو أبى طلْحة لا تُصرَفُ
يَمُرُّ ساقيهم عليهم بها ‏ ‏ وكلُّ ساقٍ لهمُ يَعرف
لا جارُهم يَشكو ولا ضَيْفُهم ‏ ‏ مِنْ دُونه باب لهم يَصرِف

رفع المستهم

وقال عبد الله بن الزِّبَعْرى يوم أحد :

قَتَلْنا ابن جَحْش فاغتبطنا بقَتْله ... وحَمْزةَ فى فُرْسانه وابن قَوْقَل

وأفلتَنا منهم رجالٌ فأسْرَعوا ... فَلَيتهم عاجُوا ولم نتعجل

أقامُوا لنا حتى تعض سُيوفنا ... سَراتهم وكُلنا غير عزّل

وحتى يكون القتلُ فينا وفيهمُ ... ويَلْقوا صبوحاً شرّه غير مُنْجَلى

قال ابن هشام : وقوله : « وكلنا » ، وقوله « ويلقوا صبوحاً » : عن غير ابن إسحاق .

شعر صفية فى بكاء حمزة

قال ابن إسحاق : وقالت صَفِيَّة بنت عبد المطّلب تبكى أخاها حمزةَ بن عبد المطّلب :

أسائلةٌ أصحاب أُحْد مخافةً ... بناتُ أبى من أعْجَم وخَبير

فقال الخبير إنّ حَمْزة قد ثوَى ... وَزيرُ رسولِ اللهُ خيرُ وَزير

دَعاه إلهُ الحقّ ذو العرش دَعوةً ... إلى جنّة يحيا بها وسُرور

فذلك ما كُنّا نرجّى ونَرْتجى ... لحمْزة يومَ الحشر خير مَصير

فوالله لا أنساك ما هبّت الصّبا ... بكاء وحزناً محْضرى ومَسِيرى

على أسد اللهِ الذى كان مِدْرَهاً ... يَذُود عن الإسلام كلَّ كَفُور

فياليْت شلوى عند ذاك وأعْظُمى ... لدى أضْبُع تعْتادنى ونُسور

أقولُ وقد أعلَى النَّعِيّ عَشيرتى ... جزَى الله خيراً مِنْ أخٍ ونَصير

قال ابن هشام: وأنشدنى بعضُ أهل العِلْم بالشعر قولها:

بكاء وحُزْناً مَحْضَرى ومَسِيرى

شعر نعم فى بكاء شماس

قال ابن إسحاق: وقالت نُعم، امرأة شَمَّاس بن عثمان، تبكى شَمَّاساً، وأُصيب يوم أُحد:

يا عينُ جودِى بفَيْضٍ غيرِ إبْساسِ ... على كريمٍ مِن الفِتْيانِ أبّاسِ

صَعْبِ البَديهَةِ مَيْمُونٍ نَقِيبتُه ... حَمّالِ ألْوِيةٍ رَكّابِ أفراسِ

أقولُ لمّا أتَى النّاعِي له جَزَعاً

أوْدَى الجوادُ وأوْدَى المُطْعِمُ الكاسِى

وقُلتُ لمّا خَلَتْ منه مَجالِسُه ... لا يُبْعِد اللهُ عَنّا قُرْبَ شَمّاسِ

شعر أبى الحكم فى تعزية نعم

فأجابها أخوها، وهو أبو الحَكَم بن سعيد بن يَرْبوع، يعزّيها، فقال:

إقْنَى حياءَك فى سِتْرٍ وفى كَرَمٍ ... فإنّما كانَ شَمّاسٌ مِنَ النّاسِ

لا تَقْتُلِى النفسَ إذ حانت مَنِيَّتُه ... فى طاعةِ اللهِ يومَ الرَّوْعِ والباسِ

قد كان حمزةُ ليثَ اللهِ فاصطبِرى ... فذاقَ يومئذٍ من كأسِ شَمّاسِ

. . . .

شعر هند بعد عودتها من أحد

وقالت هِنْد بنت عُتبة ، حين انصرف المشركون عن أُحُد :

رجعتُ وفى نَفْسِى بَلابلُ جَمَّةٌ ... وقد فاتنى بعضُ الذى كانَ مَطْلبِى
مِنَ أصحابِ بدرٍ من قُريش وغيرِهم ... بنى هاشمٍ منهم ومن أهل يثرب
ولكنّنى قد نِلتُ شيئاً ولم يَكن ... كما كنتُ أرجو فى مسيرى ومَرْكبى

قال ابن هشام : وأنشدنى بعضُ أهل العِلم بالشعر قولها :

وقد فاتنى بعض الذى كان مطلبى

وبعضهم يُنكرها لِهنْد ، والله أعلم .

شرح ما وقع فى هذه الغزوة من الأشعار

وقد شرطنا الإضراب عن شَرْح شِعْر الكَفَرة والمفاخرين بقتال النبى - صلى الله عليه وسلم - إلا مَنْ آمَنَ منهم ، لكنه ذكر فى شعر هُبَيْرَة الذى بدأ به بيتين ليسا من شعره ، فلذلك ذكرتهما ، وهما :

ولَيْلةٍ يَصْطَلى بالفَرْثِ جازِرُها ... يَخْتَصُّ بالنَّقرى المُثْرِين دَاعِيها
فى ليلةٍ من جُمادَى ذاتِ أنْدِيةٍ ... جَرْبا جُمادِيَّةٍ قد بِتُّ أسْرِيها

قوله : يَصْطَلى بالفَرْثِ ، أى : يَسْتَدْفِئُ به من شِدَّة البرد .

. . . .

حول جمع ندى وأسماء الشهور :

وقوله يختص بالنقرى[1] الثرين، يريد يختص الأغنياء طلبا لمكافأتهم، ولياً كل عندهم، يصف شدة الزمان، قاله يعقوب فى الألفاظ، ونسبهما للهذلى، وكذلك قال ابن هشام فى هذين البيتين أنهما ليسا لهبيرة ونسبهما لجنوب أخت عمرو ذى الكلب الهذلى.

وقوله : ذات أندية : جمع ندى على غير قياس، وقد قيل : إنه جمع الجمع كأنه جمع ندى على نداء مثل جمل وجمال[2]، ثم جمع الجمع على أفعلة، وهذا بعيد فى القياس، لأن الجمع الكثير لايجمع، وفعال من أبنية الجمع الكثير، وقد قيل هو جمع ندى والندى المجلس، وهذا لايشبه معنى البيت، ولكنه جمع جاء على مثال أفعلة، لأنه فى معنى الأهوية والأشتية[3].

---

(١) هى النقرى بالقاف، والنقرى ـ كما يقول الخشنى ـ أن يدعو قوما دون قوم، يقال هو يدعو الجفلى إذا عم، وهو يدعو النقرى إذا خص.

(٢) أنظر ص ٢٧٧ ج٤ شرح شواهد الشافية المطبوع مع الشافية فقد فصل ابن جنى القول عن هذا هذا والشطرة الأولى فى شعر لمرة بن محكان. وانظر اللسان أيضا فى مادة ندى.

(٣) يقول البغدادى فى شرحه لشواهد الشافية بعد أن نقل قول السهيلى هذا : «وقريب منه قول الخوارزمى «ندى وإن كان فى نفسه فعلا ـ بفتح الفاء والعين ـ لكنه بالنظر إلى مايقابله، وهو الجفاف ـ فعال فن ثم كسروه على أفعلة، ويقول ابن جنى «وأجود تكسير ندى : أنداء» ورد البغدادى على السهيلى فى قوله أن القول بأن أندية هو جمع ندى ـ أى المجلس ـ لايشبه معنى البيت، يرد بقوله : «قد يمنع، ويكون معناه : فى ليلة من ليالى الشتاء ذات مجالس يجلس فيها =

. . . .

ونحو ذلك ، وأقرب من ذلك أنه في معنى الرَّذَاذ والرَّشَاش ، وهما يجمعان على أفعِلة ، وأراد بجُمَادَى الشهرَ ، وكان هذا الاسمُ قد وقع على هذا الشهر فى زمن جُمُودِ الماء ، ثم انتقل بالأَهِلَّةِ وبقى الاسم عليه ، وإن كان فى الصيف والقَيْظِ ، وكذلك أكثرُ هذه الشهورِ العربية سميت بأسماء مأخوذةٍ من أحوال السَّنَةِ الشمسية ، ثم لزمتها ، وإن خَرَجَتْ عن تلك الأوقات(١) .

= الأشراف والأغنياء لإطعام الفقراء ، فإنهم كانوا إذا اشتد الزمان وفشا القحط ، وذلك يكون عند العرب فى الشتاء ، يجلسون فى مجالسهم ويلعبون الميسر ، وينحرون الجزر ، ويفرقونها على الفقراء » ص ٢٧٨ ج٤ شرح الشافية وشواهدها.

(١) قال البغدادى فى شرحه لشواهد الشافية : « وينبغى أن يعتبر هنا أصل الوضع ، وإلا فلا فائدة فى ذكر اسم شهر لايدل على شدة البرد وجمود الماء ، والشاعر إسلامى ، وليس ممن أدرك زمن وضع الشهور ، ويجوز أن يلاحظ فى الأعلام أصل وضعها » .

ويقول ابن الأنبارى عن أسماء الشهور « أسماء الشهور كلها مذكرة إلا جمادى فهما مؤنثان . تقول : مضت جمادى بما فيها ، فإن جاء تذكير جمادى فى شعر ، فهو ذهاب إلى معنى الشهر ، وهى غير مصروفة للتأنيث والعلمية ، والأولى والآخرة صفة لها ، فإن الآخرة بمعنى المتأخرة ، ولا يقال . جمادى الأخرى ، لأن الأخرى بمعنى الواحدة ، فتتناول المتقدمة والمتأخرة ، فيحصل اللبس ، ويحكى أن العرب حين وضعت الشهور وافق وضع الأزمنة فاشتق للشهر معان من تلك الأزمنة ، ثم كثر حتى استعملوها فى الأهلة وإن لم توافق ذلك الزمان ، فقالوا : رمضان لما أرمضت الأرض من شدة الحر ، وشوال لما شالت الإبل بأذنابها للطروق ، وذو القعدة لما ذللوا القعدان للركوب ، وذو الحجة لما حجوا ، والمحرم لما حرموا القتال والتجارة ، وصفر لما غزوا فتركوا ديار القوم صفرا ، وشهر ربيع لما أربعت الأرض وأمرعت ، وجمادى لما جمد الماء ، =

. . . .

شرح شعر كعب :

وذكر شعر كعب بن مالك يجيب هُبَيْرَةَ وأوله : ألا هل أتى غَسَّانَ .

وقد افتتح قصيدة أخرى فى أشعار بدر بهذا اللفظ ، فقال :

ألا هل أتى غَسَّان فى نَأْىِ دَارِها

وإنما يذكر غَسَّان لأنهم بَنُو عَمِّ الأنصارِ ، والأنصارُ بَنُو حارثة بن ثَعْلَبَةَ بن عَمْرو بن عامر .

والذين بالشام بنو جَفْنَةَ بن عَمْرو بن عامِر ، والكُلُّ غَسَّانُ ، لأن غَسَّانَ ماء شَرِبوا منه حين ارتحالهم من اليَمن فسُمُّوا به .

وقوله : سَيْرَهُ مُتَنَعْشِعُ ، أى : مُضْطَرِبٌ (١) . وقوله : العَرَامِيسُ : جمع عِرْمِس ، وهى الناقة القوية على السير .

وقوله : قَيْضُهُ يَتَفَلَّعُ ، أى يَتَشَقَّقُ ، والقَيْضُ : قُشُورُ البَيْضِ ، والقَوَانِسُ : جمع قَوْنَسٍ ، وهى بَيْضَةُ السِّلاح (٢) .

وقوله : وكلُّ صَمُوتٍ فى الصِّوَانِ ، يعنى الدِّرْعَ جعلها صَمُوتًا لشدة

= ورجب لما رجبوا الشجر ، وشعبان لما شعبوا العود ، ص ٢٨٠ ج ٤ المصدر السابق .

(١) الخرق : الفلاة الواسعة التى تخرق فيها الريح . ومتنعنع تروى بالتاء ، والمعنى : متردد ، عن الخشنى باختصار .

(٢) عند الخشنى وفى القاموس أن القونس رأس بيضة السلاح ، أو أعلى بيضة الحديد .

نَسْجِها وإحكام صَنعتِها ، والنِّهْىُ والنَّهْىُ : الغَدِيرُ ، سُمِّى بذلك ، لأن ماءه قد مُنِعَ من الجَرَيانِ بارتفاع الأرضِ ، فغادره السَّيْلُ ، فسُمِّى غَدِيراً ، ونَهَتْه الأرضُ فسُمِّى نِهْياً .

وقوله: ومَنْجُوفَةٌ ،مَفْعُولة من نَجَفْتُ : إذا حَفَرْتُ ، ويكون أيضاً من من نَجَفْتَ العنز إذا شددتَها بالنِّجافِ ، وهو الحَبْلُ ، فإن كان أراد الرِّماح ، فمعنى قوله : مَنْجُوفَة ، أى : مَشْدُودَة مُثَقَّفَة ، وإن كان أراد أَسِنَّتَها ، فهى أيضاً مَنْجُوفَةٌ ، من نَجَفْتُ إذا حفرت، لأن ثَعْلَبَ الرُّمْح داخل فى الحَدِيدة ، فهى مَنْجُوفَةٌ له ، وإن كان أراد السيوفَ ، فَمَنْجُوفَةٌ ،أى كالمَحْفُورَةِ ، لأن مُتُونَها مَدُوسَةٌ مَضْرُوبة بمطَارِقِ الحَدِيد ، فهى كالمَحْفُورة .

وقوله :

تَصُوبُ بأبْدَانِ الرِّجَالِ وتارَة   تمر بأعْرَاضِ البِصَارِ تَقَعْقَعُ

يقول : تَشُقُّ أبدانَ الرِّجَال حتى تبلغ البِصارَ فَتَقَعْقَعُ فيها ، وهى جمع بَصْرَةٍ ، وهى حِجَارَةٌ لَيِّنَة ، ويجوز أن يكون أراد جمع بصيرة، مثل كَرِيمَة، وكِرام ، والبَصيرةُ الدِّرْعُ ، وقيل: التُّرْسُ، والبَصِيرةُ أيضاً : طَرِيقةُ الدَّم فى الأرضِ ، فإن كانت فى الجَسَد ، فهى جَدِيَّة ، ولا معنى لها فى هذا البيت ..

شرح شعر ابن الزبعرى :

وقول ابن الزِّبَعْرَى :

. . . .

يا غُرابَ البَيْنِ أسْمعْتَ ، فقلْ   إنما تَنْطِق شيئاً قد فُعِلْ

إقرار الجاهلية بالقدر :

قوله : قد فُعِل : أى : قد فُرغ منه ، وقد كانوا فى الجاهلية يُقِرّون بالقَدَرِ ، وقال لَبيدٌ فى الجاهلية :

إنّ تقوى ربِّنا خيرُ نَفَلْ   وبإذن الله رَيْثِي والْعَجَلْ
مَن هداه سُبُلَ الخير اهتدَى   ناعِمَ البالِ وَمَنْ شاء أضَلْ

وقال راجزُهم :

يا أيها اللائمُ لُمْنِي ، أو فَذَرْ   إن كُنتُ أخطأتُ فما أخطَا القَدَرْ

وقوله : غيرُ مُلْتاثٍ ، هو مُفْتَعَلٌ من اللَّوثَةِ كما قال الضَّبِّى :

عند الحفيظَةِ إنْ ذِى لُوثَةٍ لانا(١)

والمِهْراسُ : حَجَرٌ مَنقُورٌ يمسك الماء ، فيُتَوضَّأ منه ، شُبِّه بالمِهْراسِ الذى هو الهاوُون ، ووَهِمَ المُبَرِّدُ ، فجعل المِهْراسَ اسماً عَلَماً للمِهْراسِ الذى بأُحُدٍ خاصَّةً ، وإنما هو اسم لكل حَجَرٍ نُقِر فأمسك الماءَ . وروى ابنُ عُبْدُوسٍ

---

(١) فى ديوان الحماسة لأبى تمام لقريط بن أنيف أحد بنى العنبر :

لو كنت من مازن لم تستبح إبلى   بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا
إذا لقام بنصرى معشر خشن   عند الحفيظة إن ذو لوثة لانا

وكذلك رواه ابن فارس فى معجمه غير منسوب فى مادة لوث : « إن ذو لوثة لانا » .

. . . .

عن مالكٍ أنه سُئل عن رجُلٍ يمر بِمِهْراسٍ فى أرض فَلَاةٍ كيف يغتسل منه ؟ فقال مالك : هَلَّا قلت مَرَّ بغَدِيرٍ ، ومَنْ يجعل له مِهْرَاساً فى أرضٍ فَلَاة ؟ فهذا يبين لك أن المِهْرَاسَ ليس مخصوصاً بالمِهْرَاسِ ، الذى كان بأُحُدٍ ، وكذلك وَقَع فى غريبِ الحديث أن النبى - صلى الله عليه وسلم - مرَّ بقوم يَتَجاذَوْنَ[1] مِهْرَاساً أى : يرفعُونه .

شعر حسان يرد به على ابن الزبعرى :

قول حسّانٍ يجيبه :

هُرُبًا فى الشّعْبِ أشباه الرّسَلْ

يعنى : الغَنَمَ إذا أرسلها الراعى ، يقال لها حينئذ رَسَل[2] .

وقوله كأشْرَافِ المَلا، الأشْرَافُ : جمع شَرَفٍ ، وهو الشّخْصُ ، والملا : ما اتّسَع من الأرض ، ويريد بالأشراف هاهُنا أشْخَاصَ الشَّجَرِ وأصولها .

وقوله : يهُلّ ، أراد : فيُهَال ثم جزم للشرط ، فانحذفت الألفُ لالتقاء الساكنين ، وهو من الهَوْل ، يقال هالنى الأمر يهُولنى هَوْلًا إذا أفْزَعَك .

وقوله : وملأنا الفرْطَ ، أراد : الفَرَطَ بتحريك الراء ، وهى الأكَمَةُ ،

---

(١) فى الأصل : يتجارون والتصويب من النهاية لابن الأثير مادة جذا ، وكذلك فى اللسان .

(٢) يقول الخشنى عن الرسل : الإبل المرسلة التى بعضها فى أثر بعض ، وقال بعض اللغويين : الرسل : الجماعة من كل شىء .

. . . .

وما ارتفع من الأرض ، والرَّجَلُ : جمع رَجْلَةٍ ، وهو المُطْمَئِنُّ من الأرض ، والرَّجْلَةُ أيضاً فى معنى الرِّجْلِ من الجَرَادِ ، قال الشاعر:

وتحت نُحُورِ الخَيْلِ حَرْشَفُ رَجْلَةٍ

يريد بالحَرْشَفِ جماعةَ الرُّبَا ، وهم صِغَار الجَرَادِ ، ضَرَبَهم مَثَلاً للرَّجَّالة والرُّمَاةِ ، وجمع الفَرَطِ : أفْرَاطٌ .

وقوله : وُلْدَ اسْتِها : كلمةٌ تقولها العربُ عند السَّبِّ ، تقول : يا بَنِى اسْتِها ، والوُلْد : بمعنى الأولاد. وكتبَ أهل دِمَشْقَ إلى أهل مزَّةَ وهى على فَرْسَخٍ من دِمَشْقَ وكانوا أمسكوا عنهم الماءَ فكتبوا إليهم : من أهل دِمَشْقَ إلى بَنِى اسْتِها .

وبعد : فأمَّا أن يُمَسِّينَا الماءُ وإلَّا صَبَّحَتْكُمُ الخَيْلُ. ذكره الجاحظ(١) .

متى يضر حذف حرف الجر ؟

وقوله فى المؤمنين : أيِّدُوا جِبْرِيلَ ، أى : أيِّدُوا بجبريل ، وحُذِفَ الجارُّ فتعدَّى الفعلُ فنصَبَ ، ولا يَضُرُّ هذا الحذفُ إلا أن يكونَ الفعلُ المتعدِّى بحرفِ جرٍّ مُتَضَمِّناً لمعنى فعل آخرَ ناصبٍ ، كقولهم : أمرتك الخيرَ أى كلَّفتكَ

(١) ذكره فى البيان والتبيين ، والذى كتب إلى أهل مزة هو أبو الهيذام ، ويقول راوى الخبر ثمامة بن أشرس : فوافاهم الماء قبل أن يعتموا ، فقال أبو الهيذام: الصدق ينبي عنك لا الوعيد د ص ٢٠١ ج ١ البيان والتبيين للجاحظ ط سنه ١٩٤٨ بتحقيق عبد السلام هارون .

الخيرَ وألزَمْتُكَهُ ، ولا يستقيم نَهَيْتُكَ الشرَّ إذ ليس فى معنى نَهَيْتُكَ فعلٌ . ناصبٌ وقوله : أَبِدُّوا جبْرَبل ، أى أصْحِبُوه ، ونحو هذا ، فحسُنَ حذفُ الباء لهذا .

عود الى شعر حسان :

وقول حسان :

نُخْرِجُ الأَصْبَحَ من أستاهِكم

رواه أبو حنيفة : نخرج الأضْيَاحَ ، وهو اللبن الممزوج بالماء ، وهو فى معنى الأَصْبَح ، لأن الصُّبْحة بياضٌ غير خالص ، فجعله وَصْفاً لِلَّبَنِ الْمَمْذُوقِ الْمُخْرَجِ من بُطُونهم .

وقوله :

كسلاح النِّيب يأكلن العَصَلْ

العَصَلُ : نبات كالرفاين[1] يُصْلِح الأبِلَ إذا أكلته ، ويكثر شربها للماء ، وهو من الحَمْضِ ، ويَنبت فى السِّباخ ، قاله أبو حنيفة .

شعر كعب بن مالك :

وقول كعب بن مالك :

---

(١) فى اللسان : « شجر يشبه الدفلى ـ بكسر الدال وسكون الفاء وفتح اللام تأكله الإبل وتشرب عليه الماء كل يوم » ولم أجد الرفاين ، وإنما الرفلى فى عجائب المخلوقات للقزوينى واللسان .

رفع المساهم

. . . .

لواءُ الرَّسُولِ بذى الأَضْوُجِ

الأَضْوَجُ : جمع ضَوْجٍ ، والضَّوْجُ : جانب الوادى .

وقوله : فى القَسْطَلِ المُرْهِجِ . القَسْطَلُ : الغُبار ، وكذلك الرَّهَجُ ، وقد شرحنا السلجج(١) فيما مضى ، والجمل الأَدْعَجُ : يعنى الأسود ، ومنه الحديث فى صفة النبى — صلى الله عليه وسلم — فى عَيْنَيه دَعَجٌ ، وفى أشفارِه وَطَفٌ(٢) .

وقوله : وحَنْظَلَةُ الخَيْرِ لم يُحْنَج ، أى لم يُمِلْه شىء عن الطريق المستقيم ، يقال حَنَجْتُ الشىء إذا أَمَلْتُه وعدلته عن وَجْهه ، ويقال أيضاً : أَحْنَجْتُه فهو مُحْنَجٌ ، وسيأتى فى الشعر بعد هذا ما يدل عليه .

وقوله :

عن الحق حتى غَدَتْ روحُه

أَنَّثَ الرُّوحَ لأنه فى معنى النَّفْسِ ، وهى لغة مشهورة معروفة . أمر ذُو الرُّمَّةِ عند موته أن يُكْتَبَ على قبره :

يا نازِعَ الرُّوحِ مِنْ جِسْمِى إذا قُبِضَتْ وفارِجَ الكَرْبِ أَنْقِذْنِى من النارِ

فكان ذلك مكتوباً على قبره .

وقوله : فاخِرِ الزِّبْرِج ، أى : فاخِرِ الزِّينَة ، أى ظاهرها .

---

(١) السيف المرهف القاطع .

(٢) مر فى حديث أم معبد، تعنى فى شعر أجفانه طول ، والدعج : السواد فى العين ، وقيل : شدة السواد مع شدة البياض .

. . . .

وقوله : فى الدَّرَكِ المُرْتَج ، أى المُغْلَق ، يقال : ارْتَجْتُ الباب إذا أغلقته،وهو من الرِّتاج ، قالت جارية من العرب ماتت أمها ، وتزوج أبوها :

ولكن قد أَبِى مِنْ دُون وُدِّى ... وبين فؤادِه غلق الرِّتاجِ

ومَنْ لم يُؤذِه أَلَمٌ بِرأْسِى ... وما الرَّتمانُ إلَّا بالْتتاج

ومنه قيل: أُرْتج على الخطيب ، إذا أُغلِق عليه بابُ القول .

وفى شعر ضرار (١): من بجمعنا السَّوْرَج ، وهو فَوْعَلٌ من السِّراج يريد المُضِىء :

من شعر حسان :

وفى شعر حسان :

وَفَوْا إذْ كَفَرْتُم ياسَخِينَ برَبّكُمْ

أراد سَخِينَةَ ، فرخَّم وَعَنَى قُرَيْشاً لأنها كانت تُلَقَّب بذلك [لمداومتهم على شرب هذا الحساء المتخذ من الدقيق الذى يُسَمَّى : سخينة] (٢) ، وفى أشعار ضِرَارٍ فى العَيْنِيَّة (٣) منها أَمْرُها شَاعٍ ، أراد: شَائِع ، فقلبت ، كما قال الآخر :

لاثٍ به الأَشَاءُ والعُبْرِىُّ (٤)

(١) فى السيرة : من

(٢) ما بين قوسين من شرح السيرة لأبى ذر ، وضعته لإتمام المعنى .

(٣) لا توجد « منها » فى السيرة .

(٤) الأشاء : صغار النخل واحدتها أشاءة ، والعبرى من السدر ما نبت على عبر النهر ، وقيل : العبرى والعمرى منه ما شرب الماء ، والذى لا يشرب الماء يكون بريا ، وهو الضال . ولاث الشجر فهو لاث — بضم الثاء — ولاث =

. . . .

أراد : لائِث ، وكما جاء فى الحديث : لايَحْتَكِرُ الطعامَ إلّا طَاغٍ(١) أو بَاغٍ أو زَائِغٍ أراد : زائغ .

وفى شعره القافىّ :

رشاشُ الطَّعْنِ والوَرَقِ

الوَرَقِ : ماتعقّد من الدّم ، قاله ابن دُرَيد وغيرُه ، وفيه مابه رَهَقٌ ، أى عَيْبٌ ، والمُرَهَّقُ من الرِّجال المَعِيبُ .

فى شعر عمرو بن العاص :

وفى شعر عمرو بن العاصى : يَمْشُون قَطْواً . القَطْوُ والاقْطِيطاء : مَشْىُ القَطا(٢)

= بكسرها : لبس بعضه بعضا ، قد تنعم . وأما لاث بضم الثاء ، فقد يكون فعلا بفتح فكسر ، وقد يكون فاعلا حذفت عينه . وأما لاثٍ بكسر الثاء ، فقلوب عن لائث ، ووزنه فالع .

(١) فى مسلم وأبى داود وابن ماجة والنسائى وأحمد فى مسنده : « لا يحتكر إلا خاطىء » .

(٢) ومن معانى قصيدة عمرو كما جاء فى شرح أبى ذر : يتزر : يرتفع ويثب . الرضف : الحجارة المحماة . شهباء : يعنى كتيبة كشهرة السلاح . تلحو : تقشر وتضعف . تقول لحوت العود إذا قشرته والعيد : الفرس الشديد . يبذ الخيل رهوا : يسبق ، والرهو : الساكن اللين . ربذ : سريع . يعفور : ولد الظبية . الصريمة : الرملة المنقطعة . شنج : منقبض . نساه : النسا عرق مستبطن الفخذين . ضابط : ممسك . كبش الكتيبة : رئيسها . جلته : أبرزته .

. . . .

شعر كعب :

وفى شعر كعب : خذمٌ رَعَابيل . الخَذْمُ(١) : القطع بالأسنان ، ورَعَابِيلُ : قِطَعٌ مُتَمَزِّقَةٌ ، يقال خباء مُرَعْبلٌ ، أى مُتَمزِّق .

وقوله :

إنَّا بَنُو الحَرْب نَمْرِيها ونَنْتجُها

مُسْتَعار من مَرَيْتُ الناقة إذا استَدرَرْتَ لَبنها ، ونَتجْتُها إذا استخرجْتَ منها ولداً ، يقال : نُتِجَت الناقة ، ونَتجَها أهلُها ، وأما أَنتجَت تُنْتج فإذا دنا نِتَاجُها .

وقوله :

يوْمٌ رَذَاذٍ من الجَوْزَاء مَشْمُولُ

يريد : من أيام نَوْء الجَوْزَاء ، وهو نَوْء الهَنْعَة ، أو الهَنْعَة(٢) ، وذلك فى الشتاء فى شهر كانُون الأول(٣) ومَشْمُولٌ من الرِّيح الشَّمال(٤) .

وقوله : النَّقَها من اللَّثَقِ ، وهو البَلَلُ والطِّينُ اليسير ، والرَّذَاذُ

(١) يقول الخشنى من رواه بضم الخاء فيعنى به قطع اللحم ، ومن رواه بفتح الخاء ، فهو مصدر .

(٢) كانت المعقة والصواب كما أثبت : الهنعة بفتح الهاء وسكون النون وفتح العين ، فهى كذلك فى اللسان .

(٣) هو شهر ديسمبر كما أخبرتنى ابنتى إشراق .

(٤) عند أبى ذر : هبت فيه ريح الشمال .

رفع المسيهم

معروف ، وهو أكثر من الطَّشِّ والبَغْشِ[1] ، والطَّلُّ نحوٌ منه ، أو أقوى منه قليلا ، يقال : أرضٌ مَطْلُولَةٌ ومَبْغُوشَةٌ ، ولا يقال : مَرْذُوذَةٌ ، ولكن يقال : مُرَذَّةٌ ومُرَذٌّ عليها[2] قاله الخطابى .

أجود ما قال حسان :

وذكر شعر حسّان . قال ابن هشام : هذه أجْوَدُ ما قال ، وهذه القصيدة التى قالها حسّانُ ليلاً ، ونادى قومه أنا أبو الحُسَام ، أنا أبو الوَلِيد ، وهما كُنْيَتَان له ، ثم أمرهم أن يَرْوُوها عنه قبل النهار ، مخَافَةَ أن يَعُوقَه عائقٌ ، فَخَر فيها على ابن الزِّبَعْرَى بمقَامَاتٍ له عند مُلوكِ الشام من أبناء جَفْنَة ، أفْتَكَ فيها عُنَاةً من قومه .

وذكر مقام خالد عند النُّعمان الغسَّانى من آلِ جَفْنَة ، وليس بالنُّعمان ابن المُنْذِرِ ، وقال فيها :

(١) البغشة المطرة الضعيفة ، وفى الأصل بالعين ، والطش : المطر الضعيف فوق الرذاذ . والرذاذ : المطر الضعيف أو الساكن الدائم الصغار القطر كالغبار أو هو بعد الطل . ويقول الأصمعى : الطل أخف المطر وأضعفه ، ثم الرذاذ ، والرذاذ فوق القطقط ، بكسر القافين » .

(٢) فى القاموس : أرذت السماء ورذت وأرض مرذ عليها ، ومرذوذة ويوم مرذوذ ورذاذ . وكذلك فى اللسان : أرض مرذ عليها ، ومرذة ومرذوذة الأخيرة عن ثعلب . وقال الأصمعى : لايقال أرض مرذة ولا مرذوذة ، ولكن يقال : أرض مرذ عليها ، أما الكسائى فقال : مرذة .

رفع المسيار

. . . .

رُبَّ حِلْمٍ أضاعه عَدَمُ الما لِ وجَهْلٍ غَطَا عليه النعيمُ

غَطَا بتخفيف الطاء أنشده يُونُسُ بن حبيب ، وهكذا كان فى حاشية الشيخ مذكوراً عن يونس ، وغَطَا معناه ارتفع وعلا ، وأنشد القُتَبِىُّ :

ومِنْ تعَاجِيب خَلْقِ الله غَاطِيَةٌ يُعْصَى منها مُلاَحِيٌّ وغِرْبِيبُ[1]

مُلَاحِيٌّ بتخفيف اللام ، ويقال: مُلَّاحِيّ كما قال :

كعنقود مُلَّاحِيَّةٍ حين نَوَّرا

وقال أبو حنيفة : مَن قال مُلَّاحِيَّة بالتشديد شبهه بالمُلَّاحِ وهو تمر الأَرَاكِ[2] وفيه مُلُوحَةٌ ، وقال : والغِرْبِيبُ اسم لنوع من العِنبِ ، وليس بنَعْتٍ . قال المؤلف : وإذا ثبت هذا فلعلك أن تفهم منه معنى قوله سبحانه : ﴿ وغَرَابِيبُ سُود ﴾ فاطر : ٢٧ . حين وصف الجُدَدَ ، وسُودٌ عِنْدِى بَدَلٌ ، لا نَعتٌ ، وإنما يتم شرحُ الآية لمَنْ لحظه من هذا المَطْلِع ، فإن أباحنيفة زعم أن الغِرْبِيبَ إذا أُطلق لفظُه ، ولم يقيَّد بشىء موصوف به ، فإنما يفهم منه العِنَبُ الذى هذا اسمُهُ خاصَّة ، والله الموفق للصواب وفهم الكتاب .

---

(١) فى اللسان أنشده ابن قتيبه وهذا [illegible] وهو الصواب .

(٢) فى اللسان وحكى أبو حنيفة ملاحى — بتشديد اللام — وهى قليلة ، وقال مرة إنما نسبه إلى الملاح - بتشديد اللام وضم الميم — وإنما الملاح فى الطعم ، والملاحى — بتخفيف اللام — من الأراك الذى فيه بياض وشهبة وحمرة . وفى اللسان أيضاً : ملاحى بتخفيف اللام : عنب أبيض .

رفع عبد الرحمن المسهم

. . . .

وذكر فيه حُماةَ اللواء من بنى عَبْدِ الدار، وأنهم صُرِعوا حوله حتى أخذته امرأةٌ منهم وهى عَمْرَةُ بنت علقمةَ، فلذلك قال:

لم تَطُقْ حمله العواتقُ منهم إنما يحمل اللواء النُّجُومُ(١)

شعر ابن علاط:

وقال فى شعر حَجّاج بن عِلَاطٍ يمدح عليًّا رضى الله عنه.

لله أىَّ مُذَبِّبٍ عن حُرْمَةٍ

ألفَيْتُ فى حاشية الشيخ أبى بَحْرٍ على هذا البيت فى حاشية الأصل يعنى أصل أبى ألوليد، قال إبراهيم: أىَّ نُصِب لأنه مَدِيحٌ والمديح نَصْبٌ فى أيّة حاليه، فأما ابنُ هشام فرَفَع أىّ. قال المؤلف: وهذا الذى ذكره من نَصْبِ أىّ على المديح، لايستقيم إلا أن تُقدِّر حذفَ المبتدأ قبـــله، كأنه قال لله أنت لأنه لايُنْصَبُ على المدح إلا بعد جملة تامةٍ، وأما الرفع على أن تجعل خَبَره لله: فقبيحٌ لأنها وإن كانت خَبراً، وأصلُها

(١) وإليك بقية شرحها من شرح السيرة لأبى ذر الخشنى: «أضاف: نزل وزار. السئوم: الملول. الحولى: الصغير. أندبتها: أثرت فيها من الندب، وهو أثر الجرح. الكلوم: الجراحات. اللجين: الفضة. الجابية: الحوض الصغير. الجولان: موضـــع بالشام. إن خالى خطيب: يعنى بخاله مسلمة ابن مخلد بن الصامت. محطوم: مكسور. جز: أراد جزءا فنقل حركة الهمزة وحذفها. وسطت: توسطت. الذوائب: الأعالى. سميحة: اسم بئر بالمدينة كان عندها احتكام الأوس والخزرج فى حروبهم إلى ثابت بن المنذر والد حسان ابن ثابت. غطى: من رواه بتشديدها فهو معروف. فلست بسبى: السب هو الذى يقاوم الرجل فى السب، ويكون شرفه مثل شرفه. نب: صاح. لحانى: ذكرنى. الرعاع: الضعفاء. لواذ: مستترين. الحلوم: العقول. العواتق: جمع عاتق وهو مابين الكتف والعنق. النجوم هنا المشاهير من الناس، ص ٢٥٧ ومابعدها

رفع المسيّهم

. . . .

الاستفهامُ فلها صَدْر الكلام كما كان ذلك فى كَمْ خَبَرِيَّةً كانت، أو استفهامية، فالتقدير إذاً: لله دَرُّه أىّ مُذَبِّبٍ عن حُرْمَةٍ هو، ألا ترى أنه يَقْبُحُ أن يقول: جاءنى أىّ فتى، فإن جعلته وصفاً جارياً على ما قبلها، فقلت جاءنى رَجُلٌ أىُّ رَجُلٍ جاز ذلك، لأنه إذا كان وَصْفاً لم تَلِهِ العواملُ اللَّفْظِيَّةُ، فكأنه لم لم يخرج من أصله، إذ المبتدأ لا تليه العواملُ اللفظية.

وقوله: أخْوَلَ أخْوَلا، أى: متفرقين، ووقع تفسيره فى بعض النسخ من قول ابن هشام، وكان أصله من الخال، وهو الخُيَلَاء والكبر، تقول: فلانٌ أخْوَلُ من فلانٍ، أى أشَدُّ كِبْراً منه، واخْتِيالاً، فمعنى قولهم: إذا جاء القومُ أخْوَلَ أخْوَلا، أى انفرد كُلُّ واحد منهم بنفسه، وازْدَهاه الخالُ أن يكون تابعاً لغيره، فكلما رأيت أحداً منهم، قلت: هذا أخْوَلُ من الآخر، هذا هو الأصْلُ، ثم كثر حتى استعمل فى التفرق مثلا، وإن لم يكن هناك من معنى الخال شَىْءٌ، وقد قيل فى أخْوَل: إنه من تَخَوَّلْتُ بالمَوْعِظَةِ، ونحوها إذا فعلت ذلك شيئاً فشيئاً، وفى الحديث: كان رسولُ الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يَتَخَوَّلُنا بالموعظة، مخافة السَّآمة علينا.

شعر حسان الحائى:

وذكر شعر حسان الحائى وقال فيه:

كالحامِلَاتِ الوِقْرِ بالثِّقْلِ المُلِحَّاتِ الدَّوَالِحْ

الدَّوالِحُ: جمع دالحة وهى المُثْقَلَة، وكذلك الدَّلُوحُ من السَّحابِ، وهى المُثْقَلَة بالماء وفيه:

. . . . . . ، . . . . . .

يَنفُضْـــــنَ أشماراً لهُـــنَّ هناك بادية المَسائِحْ

المسائح : جميع : مَسِيحَة ، وهو مالم يُمْشَط من الشَّعر بدُهْنٍ ، ولاشَىْء ، والمَسِيحَة أيضاً القِطعَة من الفِضَّة ، والمَسِيحَةُ الفَرَسُ .

وقوله : من بين مَشرُورٍ ، أى مُفَرَّق ، ويقال شَرَرْتُ المِلحَ إذا فرقته[1] ، والمَجْلُ كالجَرْح ، تقول : مَجِلَتْ يدى من العمل .

وقوله : نُشَائح ، أى نحاذِر ، كما قال الآخر .

وشايَحْتَ قَبلَ اليَوْم إنَّك شِيحُ[2]

وقوله: قد كُنْتَ المُصامِحَ ، وفى الحاشية عند الشيخ المصافح[3] بالفاء فى رواية أخرى ، وأما المُصَامِح بالميم ، فيجوز أن يكون من صَمَحْتُ الشىء إذا أذبته ، قاله صاحب العين ، قال : والصَّمَحْمحُ من الرِّجال : الشَّدِيدُ العَصَب ، وسِنُّه

---

(١) فى رواية : مشزور ، أى مفتول . ويذعذع : يفرق . والبوارح : الرياح الشديدة .

(٢) الشعر لأبى ذؤيب الهذلى يرثى رجلا من بنى عمه ، ويصف مواقفه فى الحرب :

وزعتهم حتى إذا ماتبددوا سراعاً ولاحت أوجه وكشوح
بدرت إلى أولاهم فسبقتهم وشايحت قبل اليوم إنك شيح

أنظر اللسان فى مادة شيح وديوان الهذليين ح ١ ص١١٤ — ١٢٠ .

(٣) ومعنى المصافح : الراد للشىء ، تقول : أتانى فلان ، فصفحته عن حاجته أى : رددته عنها . والمصامح : المدافع الشديد ، والمنافح المدافع عن القوم «ص٢٦٠ شرح السيرة لأبى ذر» .

. . . .

ما بين الثلاثين إلى الأربعين ، والصَّمَاحُ فيما ذكر أبو حنيفة الرِّيحُ المُنْتِنَةُ .

وقوله : سَبْسَبٌ أو مَنَادِح ، يجوز أن يكون جمع : مَنْدُوحَة وهى السَّعَةُ ، وقياسه : مَنَادِيح بالياء ، وحذفها ضرورة ، ويجوز أن يكون من النَّدْح ، فيكون مُفَاعِلاً بضم الميم ، أى مُكَاثِراً ، ويكون بفتح الميم فيكون جمع مَنْدَحة مَفْعَلة من الكَثْرَة والسَّعَة ، وأما قولهم : أنا فى مَنْدُوحَةٍ من هذا الأمر ، فهى مَفْعُولَةٌ من النَّدْح ، وَوَهِم أبو عُبَيْد ، فجعله من انْدَاحَ بَطْنُهُ إذا اتَّسَعَ ، والنون فى مَنْدُوحَةٍ أصلٌ ، وهى فى انداح زائدة ، لأن وزنه انفَعَلَ ، والألف فى انداحَ أصلٌ وهى بدل من واو كأنه مَنْدُوحة الشج ، والميم فى مَنْدُوحة زائدة ، والدال عين الفعل ، وهو فى انْدَاحَ فاء الفعل ، ومن هاهُنا قال الخطابى : يا عَجَباً لابن قُتَيْبَةَ يترك مثل هذا من غَلَطِ أبى عُبيد ، ويعنُف فى الرد عليه ، فيما لا بَالَ له من الغَلَطِ .

وقوله : خَضَارِمة : جمع خِضْرِمٍ ، وهو الكثير العطاء .

وقوله : يَرْسِمْنَ من الرَّسِيمِ فى السَّيْر ، والصَّحَاصِحُ : جمع صَحْصَحٍ ، وهى الأرض المَلْسَاء .

وقوله : ليس من فَوْز السَّفَائِح ، السَّفَائِح : جمع سَفِيحَةٍ ، وهى كالجَوَالِق(١) ونحوه .

---

(١) المفرد جوالق بضم الجيم وكسر اللام وفتحها ، أو بكسر الجيم واللام . وجمعها جوالق كصحائف ، وجواليق بفتح الجيم ، وجوالقات بضم الجيم . =

. . . .

شعر حسان اللامي :

وقال فى القصيدة اللَّامِيَّة: ذى الخُرْصِ الذَّابِلِ، يريد : الرُّمح ، والخُرْصُ سِنانه وجمعه خُرْصان . وفيه : شُلَّتْ يَدَا وَحْشِيٍّ مِنْ قَاتِلِ .

ترك تنوين العلم للضرورة :

تَرك التنوين للضرورة لمـا كان اسْماً عَلَماً ، والعَلَم قد يُترَكُ صَرْفه كثيراً ، ومنع من ذلك البصريُّون، واحتج الكوفيون فى إجازته بأن الشاعِرَ قد يحذف الحرف والحرفين نحو قول عَلْقَمَةَ [بن عَبَدَةَ] :

كَأَنَّ إِبْرِيقَهُم ظَبْىٌ على شَرَفٍ ... مُفَدَّمٌ بِسَبَا الكَتَّانِ مَلْثُومُ (١)

أى بسبائب ، وقول لبيد :

كالحَمَالِيجِ (٢) بأَيْدِى التَّلَامِ

= والجوالق: وعاء من صوف أو شعر أو غيرهما كالغرارة . وعند أبى ذر : أن أن السَفائح : جمع سفيح ، وهو من قداح الميسر .

(١) لم يكن فى الروض غير قوله : بسبا الكتان ، والسبيبة هى الشقة .

(٢) هى فى الأصل : الحلاميج ، ولا معنى لها ، والحماليج : جمع حملاج - بكسر الحاء - منفاخ الصائغ . وفى اللسان فى مادة تلم ورد هذا البيت منسوبا إلى الطرماح يصف بقرة :

تتقى الشمس بمدرية ... كالحماليج بأيدى التلامى

وقال : التلام : اسم أعجمى ، ويراد به الصاغة ، وقيل: غلمان الصاغة، يقال هو بالكسر يقرأ بإثبات الياء فى القافية - ورواه بعضهم بأيدى التلام - فمن رواه بفتح التاء وإثبات الياء أراد التلاميذ يعنى: تلاميذ الصاغة . ومن رواه بكسر التاء من ألام ، فهى جمع تلم: الغلام. وقيل كل غلام تلم تلميذاً كان أو غير تلميذ والجمع التلام وقيل: التلام بالكسر =

. . . .

أى التَّلاميذ .

وقال ابن السراج محتجاً عليهم : ليس التنوينُ من هذا فى شىءٍ؛ لأنه زائدٌ لمعنًى ، وما زيد لمعنى لا يحذف .

شعر كعب

وفى شعر كعب :

طرقتْ همومُكَ فالرُّقادُ مُسَهَّدُ

أراد الرُّقاد مُسَهَّدُ صاحبُه ، فحذف المضافَ ، وأقامَ المضافَ إليه مُقامَه ، وهو الضمير المخفوضُ ، فصار الضمير مفعولا لم يُسَمَّ فاعلُه ، فاستتر فى المُسَهَّد[1] . ومنه:

وجَزِعتَ أن سُلِخَ الشبابُ الأغْيَد

أى : الأغْيَدُ صاحبُه ، وهو الناعم .

وقوله : والخيل تَتْفِقُهُمْ ، أى : تتبع آثارهم وتخرجهم . كنفقات اليرابيع ، وهو ماحول النُّفَقِ منه .

قصيدة كعب الزائية :

وقول كعب فى الشعر الزائى :

= الحلاج الذى ينفخ فيه ، والتلام بالفتح التلاميذ التى تنفخ فيها . واسند .

كالتلاميذ بأيدى التلام

وانظر مادة حلج من اللسان . والتلاميذ : الخدم والأتباع .

(١) ذهب أبو ذر إلى ما ذهب إليه السهيلى ، ولكنه زاد : ويجوز أن يكون وصف الرقاد بأنه مسهد على وجه المجاز .

. . . .

وليثُ المَلاحِم فى البِزَّةِ

البِزَّة: الشارة الحسَنة، والبِزَّةُ السلاح أيضاً، وهو من بَزَزتُ الرجلَ، إذا سلبته بِزَّته، يقال: من عزَّ بزَّ، أى: مَنْ غَلَبَ سَلَبَ، والبُزَابِزُ: الرَّجُلُ الشَّدِيدُ.

نونية كعب:

وقال أيضاً فى القصيدة النونية.

تَلُوذ البُجُودُ، بأذْرَائِنا

البُجُود: جمع بَجد، وهم جماعة من الناس، ويُروى النُجُود بالنون، وهى المرأة المَكْرُوبة. والنَّجُودُ من الإبل: القَوِيَّة[1] وقوله: بأذْرائنا، جمع ذَرَا من قولهم: أنا فى ذَرَا فُلانٍ، أى فى سِتْرِه، وتقول العرب: ليس فى الشجر أذْرَى من السَّلَمِ، أى: أدفأ ذَرًا منه، لأنه يقال، ما مات أحَدٌ صَرْداً[2] قطّ فى ذَرَا سَلَمَةٍ.

وقوله: جَلَمَاتِ الحُرُوب. من قولك جَلَمْتُ الشىءَ، وجَرَشْتُه إذا قطعته، ومنه: الجَلَمَان[3]. وقوله: لَدُنْ أن بُرِينا أى خُلِقنا، والبارى: الخالق[4] سبحانه، أى هذا حالنا من لَدُنْ خُلِقْنا.

---

(١) وهى فى السيرة: النجوم ويعنى: المشهورين من الناس.

(٢) الصرد بسكون الراء وفتحها: البرد أو شدته.

(٣) هما المقراضان واحدهما: جلم. وقيل الجلم الذى يجز به الصوف والشعر، والجلمان شفرتاه.

(٤) يقول ابن الأثير عن البارى: هو الذى خلق الخلق لا عن مثال. =

. . . .

وقوله : يحسبها من رآها الفَتِينا ، هى الصخور السُّودُ ، سُمِّيت بذلك لأنها تشبه مافُتِن بالنار ، أى : أحْرِق . وفى التنزيل : ﴿ على النار يُفتَنُونَ ﴾ الذاريات : ١٣ وأصل الفَتن[١] الاختبارُ ، وإنما قيل: فَتَنْتُ الحديدة بالنار ، لأنك تختبر طَيِّبَها من خَبيثها .

وقوله : دَوَاجِن حُمْراً وجُونا،أى : حُمْرٌأوسُوداً[٢]،وقوله:جَأْوَاء ،أى: كَتِيبَةَ لَوْنُها لَوْنُ الحديد .

وقوله : جُولَا طَحُونا : الجُولُ : جانِبُ البئر .

وقوله : إِنْ قَلَصَتْ، يعنى الحرب[٣] ، ثم وصفها فقال : عَضُوضًا حَجُونا من العَضِّ ، وحَجُونًا من حَجَنْتُ العُودَ إذا لويته[٤] ، وقوله :

= ولهذه اللفظة من الاختصاص بخلق الحيوان ماليس لها بغيره من المخلوقات ، وقلما تستعمل فى غير الحيوان ، فيقال : برأ الله النسمة ، وخلق السماوات والأرض . ويقول أبو هلال العسكرى فى فروقه عن البرية : « البرية فعيلة من برأ الله الخلق ، أي : ميز صورهم ، وترك همزه لكثرة الاستعمال ، وقيل أصل البرية البرى وهو القطع ، وسمى برية لأن الله عز وجل قطعهم من جملة الحيوان فأفردهم بصفات ليست لغيرهم ، أما الخالق ، فهو كما يقول ابن الأثير ـ الذى أوجد الأشياء جميعها بعد أن لم تكن موجودة ، وأصل الخلق : التقدير ، فهو باعتبار تقدير ما منه وجودها ، وباعتبار الإيجاد على وفق التقدير : خالق . وقد ذكر القرآن الإسمين ، فلا يمكن أن يكون أحدهما عين الآخر فى معناه الكلى .

(١) فى الأصل : الفتى .

(٢) الدواجن : المقيمة .

(٣) وقلصت : ارتفعت وانقبضت .

(٤) الحجون : المعوجة الأسنان .

. . . .

أَلَيْنَا نَشُدُّ عليها العَصا ب حتى تَدُرَّ وحتَّى تَلِينا

هذا كله من صِفَةِ الحرب ، شبهها بناقةٍ صَعْبَةٍ قَلَصَتْ ، أى صارت قَلُوصاً ، أى إنا نُذَلِّلُ صَعْبهاً ، ونلين من ضِرَاسِها . وقوله : ويوم له رَهَجٌ دائم الرهج : الغُبار .

وقوله : شديد التّهاوُلِ : جمع تَهْوِيلٍ ، والتهاوِيلُ : ألوان مختلفة ، قال الشاعر [عبد المسيح بن عَسَلَة] يصف روضاً :

وعازِب قد علا التَّهْوِيلُ جَنْبَتَه لا تَنْفَعُ النَّعلُ في رَقْراقِه الحافِي[1]

وقوله : حامى الأرينا : جمع إرَةٍ ، وهو مُستَوْقَد النارِ ، يجوز أن يكون وَزْنُها عِلَةً من الأُوارِ ، وهو الحر ، فحذفت الهمزة ، وهمزت الواو لانكسارها ، وجائز أن يكون وزنها فِعَةً من تَأرَّيْتُ بالمكان ، لأنهم يَتأرَّوْنَ حَوْلَها ، وهذا الوجه هو الصحيح ، لأنهم جمعوها على إرِين مثل سنين ، ولا يُجْمَعُ هذا الجمع المسلم لجمع مَنْ يعقل إلا إذا حُذِفَتْ لامُه ، وكان مُؤَنَّثاً ، وكان لامُ الفعل حرفَ عِلَّة ، ولم يكن له مذكر كالأمة ، إذا اجتمعت فيه هذه الشروطُ الأربعةُ جُمِع بالواو والنون فى الرفع ، والياء والنون فى الخفض والنصب ، كِسِنِين

---

(١) يصف به ما أخرجه الزرع من الألوان ، وفى المحكم يصف نباتا وقد نسبه اللسان فى مادة هول كما أثبت لعبد المسيح بن عسلة وهو أخو بنى مرة بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان . وبيته هذا مع أربعة غيره فى المفضليات الضبي وانظر ص ٥٧ سمط اللآلى . البكرى جـ ١ وص ٢٥٤ الأمالى للقالى جـ ٢ واللسان مادة هول ولغا . وص ٢٣٥ المؤتلف والمختلف لأبى القاسم الحسن ابن بشر بن يحيي الآمدى ط ١٩٦١ .

. . . .

وعِضين ، غير أنهم قد قالوا رِقين[١] في جمع الرِّقَة وهي الوَرِقُ وقد تكلمنا على سِرِّ هذا الجمع وسِرِّ أرضين في « نتائج الفكر » بما فيه جلاء والحمد لله .

وقوله : كنار أبي حُبَاحِبٍ والضبينا[٢] يقال أبو حُباحِب ذُبابٌ يَلْمَعُ بالليل ، وقيل كان رجلا لئيما لا يرفع ناره[٣] خَشْيَةَ الأضياف ، ولا يوقدها إلا ضَعِيفَةً ، وتركُ صَرْفِه ولم يَخْفِضْ ، وهو في موضع الخفض ، لما قدَّمناه من أن الاسم إذا تُرِكَ صَرْفُه ضرورةً أو غير ضرورة ، لم يدخله الخفضُ كما لا يدخله التَّنْوِينُ ، لئلا يُشْبِهَ ما يُضيفه المتكلمُ إلى نفسه ، وقال أبو حنيفة : لا أدري ما حُبَاحِبٌ ولا أبو حُبَاحِبٌ ، ولا بلغني عن العرب فيه شيء[٤] ، وقال في الإرَة عن قوم حكى قولهم : هو من أرَيْتُ الشيء إذا عملته ، وقال : الأَرْيُ هو عمل النحل وفعلها ،

(١) في الأصل : رقيق وهو خطأ صوابه ما أثبته . والرقة : الدرهم المضروب . ورقون في حال الرفع ، ورقين في حالي النصب والجر .

(٢) لا يوجد في القصيدة ما ذكره ، ولكنه بيت للكميت هو :

يرى الراءون بالشفرات منها   كنار أبي حباحب والظبينا

وإنما ترك الكميت صرفه ، لأنه جعله اسما لمؤنث .

(٣) كان من محارب خصفة ، وقد ضرب بناره المثل ، فقالوا : نار الحباحب لما تقدحه الخيل بحوافرها ، فإن ما أورت الخيل لا ينتفع به كما لا ينتفع بنار الحباحب ، وقيل إنه كان إذا انتبه منتبه ، ليقبس من ناره أطفأها ، وقد اشتق ابن الأعرابي نار الحباحب من الحبحبة ، وهي الضعف . وأما : أم حباحب فدويبة مثل الجندب تطير صفراء خضراء رقطاء .

(٤) قال : ويزعم قوم أنه اليراع ، واليراع فراشة إذا طارت ظن أنها شررة . وقيل إن الحباحب هو طائر أطول من الذباب في دقة يطير فيما بين المغرب والعشاء .

. . . .

ثم سمى العسل أرْياً لهذا كما يُسَمَّى مَزْجاً وأنشد [لأبى ذُؤَيْبٍ الْهُذَلِى] :

وجاؤوا بِمَزْجٍ لم يرَ الناسُ مِثْلَه هو الضَّحْكُ إلَّا أنَّهُ عَمَلُ النَّحْلِ (١)

قال : والضَّحْكُ : الزُّبْدُ الأبيض ، وقيل الثَّغر ، وقيل الطَّلْعُ ، وقيل : العَجَب .

وقوله : والظَّبِينا : جمع ظُبَةٍ ، جَمَعَها على هذا الجمع المسلم ، لما قدَّمنا في الأَرِين والسِّنين ، غير أنه لم يكسر أوّل الكلمة كما كُسِرتْ السِّين من سِنين إشعاراً بالجمع ، لأن ظُبِين لا يُشْبِه أن يكون واحداً ، إذ ليس فى الأسماء فُعِيلٌ ، وكسروا أول (٢) سِنين إيذاناً بأنه جَمْعٌ كى لا يُتَوَهَّمَ أنه اسم على فُعُول ، إذ ليس فى الأسماء فعُولٌ ولا فِعِيل ولم يبلغ سيبويه أن ظُبَة تجمع على ظُبِين ، وقد جاء فى هذا الشعر ، وفى غيره كما تراه .

وقوله : قَوَاحِزُه : جمع قاحِزٍ وهو الوَثَّابُ القَلِقُ ، يقال : قَحَزَ قَحَزاناً

---

(١) فى اللسان فى مادة ضحك : فجاء .

(٢) بعضهم ـ كما جاء فى اللسان ـ يقول: سنون بضم السين ، وبعضهم يجعل النون فى سنين هى علامة الإعراب فيقول . هذه سنين بضم النون مع تنوينها ، ورأيت سنينا ، وبعضهم يجعل النون نون الجمع ، فيقول هذه سنون ، ورأيت سنين ، وللنحو يين بعض تفصيل فى هذه المسألة . فقالوا : الغالب فى باب سنه وأخواتها أن ما كان منه مفتوح الفاء فى المفرد فإنه يكسر فى الجمع مثل سنه وسنين ، وما كان مكسور الفاء فى المفرد لم يتغير فى الجمع ، مثل مائة ومئين وعضه وعضين وعزه وعزين وما كان مضموم الفاء يجوز فيه الكسر والضم ، مثل : ثبة وثبين . انظر ص ٧٤ ح ١ من التصريح على التوضيح لابن هشام .

رفع المسهم

. . . .

[وقَحْزاً وقُحوزاً](١) ، إذا وَثَب وقَلِقَ . وقوله : بخُرْسِ الحَسِيسِ ، يصف السُّيوفَ بالخَرَسِ لوقوعِها فى الدم واللحم .

وقوله : حِسانٍ رِوَاء :من الدَّمِ ، وقوله : بُصْرِيَّة : منسوبة إلى بُصْرَى من أرض الشام ، كما أن المَشْرَفيَّة مَنْسُوبة إلى مَشَارِفَ من أرضِ الشام لأنها تُصْنَع فيها .

وقوله : قد أجِمْنَ الجُفُونا ، أى كَرِهْنَ المُقَامَ فيها ، ومَلِلْنَهُ ، ومنه قولُ هِشَامٍ لسالم بنِ عَبْدِ الله : ما طعامُك ؟ قال : الخبزُ بالزَّيْت ، قال : أما تأجِمُهما ؟ قال : إذا أجِمْتُهما تَرَكْتُهما حتى أشْتَهِيَهما .

وقوله:وتحت العَمَاية والمُعْلِمينا،بإسقاط الواو من أول القِسْم الثانى(٢) وقع فى الأصل وفى الحاشية ، وتحت العَمَاية بواو العطف وقع فى الأصلين ، وبها يَكْمُل الوزنُ ولا يجوز إسقاطها إلا على مذهب الأخْفَشِ الذى يُجيز الخَرْم فى أول القِسْم الثانى من البيت ، كما يجيزه العَروضِيُّون فى أول البيت .

وقوله : تطيف بك المُنْدِيات : أى الأمور الشَّنِيعة .

وقوله : تَبَجَّسْتَ،من تَبَجَّسَ الماء ، إذا انفجر .

---

(١) ما بين القوسين من القاموس .

. . . .

شعر ضرار

وقول ضِرَارٍ في قصيدته الدَّالِيَّة يَكْبُو في جَدِيَّتِه[1] ، أى : فى دمه .

وقوله : ثَعْلَبُ جَسَدُ ، يريد ثَعْلَبَ الرُّمْحِ ، وجَسِدَ من الجَسَاد وهو الدم[2] .

وقوله : الأضغان والحِقِد ، حَرَّكَ القافَ بالكسر ضَرُورةً ، ولو وقف على الدال بالسكون ، وكان الاسم مخفوضاً كان الكسر أحسنَ فى الوقف ، كما قال : واصْطِفَاقاً بالرِّجِلْ ، أى : الرِّجْل[3] .

وقوله : العَوْصاء والكُؤُد ، يريد الرَّمْلَةَ العَوِيصَ مَسْلَكُها ، والكُؤُد : جمع عَقَبَةٍ كَؤُودٍ وهى الشاقة .

---

(١) عند الخشنى : طريقة الدم .

(٢) الثعلب ما دخـل من الرمح فى السنان . وجسد يبس عليه الدم . « الخشنى ص ٢٧٢ »

(٣) انظر ص ٣٢١ جـ ٢ الشافية لابن الحاجب مع شرحها للرضى ، وفيه أنشد اللسان :

أرتنى حجلا على ساقهـا فهش الفؤاد لذاك الحجل
فقلت ، ولم أخف عن صاحبى ألابى أنا أصل تلك الرجل

ثم قال : أراد الرجل ــ بكسر الراء وسكون الجيم ــ والحجل ــ بضبط الرجل ــ فألقى حركة اللام ــ وهى الكسر ــ على الجيم . وليس هذا وضعه ، لأن فعلا ــ بكسر الفاء والعين ــ لم يأت إلا فى قولهم : إبل وإطل .

رفع المسيرهما

رجز عكرمة :

وقول عِكْرِمَةَ : أَرْحِبْ هَلا ، هو من زَجْر الخيل ، وكذلك هِقِطْ وهِقِطْ وهَبْ وسَقَبْ[١] . وذكر قول نعيم :

شعر نعيم :

ياعينُ جودى بفيض غير إبْسَاسِ

الإبساس : أنْ تَسْتَدِرَّ لَبَنَ الناقة بأن تَمْسَح ضَرْعَها ، وتقول لها : بِسْ بِسْ فاستعارت هذا المعنى للدمع الفائض بغير تَكلُّفٍ ولا اسْتِدْرارٍ له .

وقولها : صَعْب البَدِيهَة ، أى : بَدِيهَتُه[٢] لاتُعارَض ولا تُطاقُ ، فكيف رَوِيَّتُه واحْتِفَالُه .

شعر كعب الأسلمي :

وفى شعر كعب :

بَكَتْ عَيْنى وحق لها بكاها ... وما يُغْنى البُكاء ولا العَويلُ

وضع المقصور فى مَوْضِعِه ، والممدودَ فى موضعه ، لأن البُكا مَقْصُورٌ بمعنى

---

(١) سبق ذكرها . وهقط عن المبرد وحده . وقد كررها فى الروض مرتين ، وأظن أن الأخرى : هقب بكسر ففتح وهى من زجر الخيل أيضاً .

(٢) البديهة : سداد الرأى عند المفاجأة ، والمعرفة يجدها الإنسان فى نفسه من غير إعمال الفكر ، ولا علم بسببها ، وأول كل شىء ومايفجأ منه .

. . . .

الحزن والغم ، وإن كان ممدوداً فهو الصُّراخُ ، وكذلك قياس الأصوات أن تكون على فُعال ، فقوله : حُقّ لها بُكاها ، أى حق لها حزنُها ، لأنه الذى يَحِقُّ دون الصُّراخ . ثم : قال : وما يُغنى البكاء ولا العَوِيلُ ، أى : ليس ينفع الصِّياحُ ولا الصُّراخُ ، ولا يُجْدِى على أحَدْ، فتنزلت كُلُّ كلمةٍ منزلَتها .

وقوله : حُقَّ لها ، أى : حَقَّ ، والأصل : حَقِقَ على فَعِل ، فبكاها : فاعِلٌ لا مفعول ، وكل فِعْلٍ إذا أردت المبالغة فى الأمر ومعنى التَّعَجُّب نقلت الضَّمَّةَ من عين الفعل إلى فائه ، فتقول : حُسْنَ زَيْدٌ ، أى حَسُنَ جداً ، فإن لم تُرِدْ معنى التعجب لم يجز إلا الضَّمُّ أو التَّسْكِين ، تقول : كَبُرَ زَيْدٌ وكَبْرَ ، ولا تقول كُبْرَ إلا مع قَصْد التَّعجُّب. قال الشاعر [الأخطلُ] :

فقلتُ : اقْتُلُوها عنكم بِمزاجِها وحُبَّ بها مَقْتُولَةً حين تُقْتَلُ

يعنى الخمر . وقال آخر : [سهم بن حنظلة الغنوى] :

لم يَمنع القومُ مِنِّى ما أرَدْتُ ولم أُعْطِهِم ما أرادُوا وحُسْنَ ذا أدَباً[(١)]

أى حَسُن ، وقال آخر :

ألا حُبَّ بالبيت الذى أنت زائِرُه

---

(١) سبق هذا وانظر ص ٤١ إصلاح المنطق لابن السكيت وتهذيبه للتبريزى ص ٥٤ ففيهما مانقل السهيلى وعنه وعن التبريزى نقلت اسم الأخطل ، ونقلت اسم سهم بين حنظلة وعن كتاب تهذيب إصلاح المنطق لأبى زكريا يحيى بن على ابن الخطيب التبريزى ص ٥٤ .

رفع المسبّهم

ذكر يوم الرجيع

فى سنة ثلاث مقتل خبيب وأصحابه

قال: حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام، قال: حدثنا زياد بن عبد الله البكائى عن محمد بن إسحاق المُطّلبى، قال: حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة، قال: قَدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أحد رهطٌ من عَضَل والقارة.

وقال: بالبيت، لأن معناه كمنى أخيبْ بالبيت تَعجُّباً. وقول كعبٍ:

أبا يَعْلَى لكَ الأركانُ هُدّتْ

كان حمزة يُكنَى أبا يَعْلَى بابنه يَعْلَى، ولم يَعِشْ لحمزةَ ولدٌ غيرُه. وأعقبَ يَعْلَى خَمْسة من البنين، ثم انقرض عَقِبُهم فيما ذكر مُصْعَبٌ. ويُكنَى حمزةُ أيضاً أبا عُمارة، وقد تقدم ذكره فى المبعَثِ، بهذه الكُنْيةِ، قيل: إن عُمارَةَ بنت له كُنِّى بها، وهى التى وقع ذكرها فى السُّنَن للدّارقطنى: أن مَوْلى لحمزةَ مات، وترك[1] بنتاً فوَرِثَتْ منه النصفَ، وورثت بنتُ حمزةَ النصف الآخر، ولم يُسَمِّها فى السنن، ولكن جاء اسمها فى كتاب أحكام القرآن لبكر بن العَلاء والله أعلم، وقد رُوى أن الولاء كان لها، وأنها كانت المُعتِقَة لاحمزةَ.

---

(١) فى جمهرة ابن حزم «ولد حمزة عمارة أمه خولة بنت قيس بن فهد الانصارى ويعلى وعامر أمهما أنصارية، وابنة تزوجها سلمة بن أبى سلمة

نسب عضل والقارة

قال ابن هشام : عَضَل والقارة ، من الهَوْن بن خُزَيمة بن مُدْرِكة .

قال ابن هشام : ويقال : الهُون ، بضم الهاء .

قال ابن إسحاق : فقالوا : يارسول الله ، إن فينا إسلاماً ، فابعثْ معنا نفراً من أصحابك يُفقِّهوننا فى الدين ، ويُقرِئوننا القرآن ، ويعلّموننا شرائع الإسلام . فبعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم نفراً ستة من أصحابه ، وهم : مرثد بن أبى مرثد الغَنَوىّ ، حليفُ حمزة بن عبد المطّلب ؛ وخالدُ بن البُكير اللَّيثى ، حليف بنى عَدِىّ بن كعب ، وعاصم بن ثابت بن أبى الأقلح ، أخو بنى عمرو ابن عَوْف بن مالك بن الأوس ؛ وخُبَيب بن عدىّ ، أخو بنى جَحْجَبى بن كُلْفة بن عمرو بن عوف ، وزيد بن الدَّثِنَّة بن مُعاوية ، أخو بنى بَياضة بن عمرو بن زُرَيق بن عبد حارثة بن غضب بن جُشَم بن الخزْرج ؛ وعبد الله بن طارق حليف بنى ظفر بن الخزْرج بن عَمْرو بن مالك بن الأوس .

وأمَّر رسول الله صلى الله عليه وسلم على القوم مَرْثَد بن أبى مرثد الغَنَوىّ فخرج مع القوم . حتى إذا كانوا على الرَّجيع ، ماء لهُذيل بناحية الحِجاز ، على صدور الهَدْأة غدرُوا بهم ، فاستصرَخوا عليهم هُذيلا ، فلم يَرُع القوم ، وهم فى رِحالهم ، إلا الرِّجالُ بأيديهم السيوف ، قد غَشُوهم ؛ فأخذوا أسيافَهم ليقاتلوهم ، فقالوا لهم : إنا والله ما نُريد قتلَكم ، ولكنا نُريد أن نُصيب بكم شيئاً من أهل مكة ولكم عهدُ الله وميثاقُه أن لانقتلكم .

مقتل مرثد وابن البكير وعاصم

فأما مَرْثَد بن أبى مرثد، وخالد بن البُكير، وعاصم بن ثابت فقالوا:
والله لا نقبل من مُشرك عهداً ولا عقداً أبداً؛ فقال عاصم بن ثابت:

ما عِلَّتِي وأنا جَلْدٌ نابِلُ والقَوْسُ فيها وَتَرٌ عُنابلُ
تَزِلُّ عن صَفْحتها المعابِلُ الموتُ حَقٌّ والحياةُ باطِل
وكلُّ ماحَمَّ الإلهُ نازلُ بالمَرْءِ والمرءُ إليه آئلِ
إن لم أقاتلكم فأمى هابِل

قال ابن هشام: هابل: ثاكل.

وقال عاصم بن ثابت أيضاً:

أبو سُلَيمان وريشُ المُقْعَد وضالّةٌ مثل الجحيم الموقَدِ
إذا النَّواجى افترِشَتِ لم أُرْعد ومُجْنأ من جلدِ ثَوْرٍ أجْرَدِ
ومُؤْمِنٌ بما على محمَّد

وقال عاصم بن ثابت أيضاً:

أبو سُلَيمان ومِثْلى رامَى وكان قومى معشراً كراماً

وكان عاصم بن ثابت يُكنى: أبا سليمان. ثم قاتل القومَ حتى قُتل
وقُتل صاحباه.

حماية الدبر لعاصم

فلما قُتِل عاصم أرادت هذيل أخذ رأسِه، ليبيعوه من سُلافة بنت سَعد

ابن شُهَيد ، وكانت قد نَذَرت حين أصاب ابنيها يوم أحد : لئن قَدَرت على رأس عاصم لتشربَنّ فى قِحْفه الخمر ، فمنعته الدَّبْرُ ، فلما حالت بيْنه وبينهم الدَّبْرُ قالوا : دعُوه يُمْسِي فتذهب عنه ، فنأخذه . فبَعث الله الوادىَ ، فاحتمل عاصماً ، فذهب به . وقد كان عاصمٌ قد أعطى الله عهداً أن لا يَمَسَّه مشركٌ ، ولا يَمَسَّ مُشركا أبداً ، تنجسًا ؛ فكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : حين بلغه أن الدَّبْر منعته : يحفظ الله العبد المؤمن ، كان عاصم نَذَر أن لا يمسّه مشركٌ ، ولا يمسّ مُشركا أبداً فى حياته ، فمنعه الله بعد وفاته ، كما امتنع منه فى حياته .

مصرع خبيب وابن طارق وابن الدثنة

وأما زيد بن الدَّثِنَة وخُبَيب بن عدىّ ، وعبد الله بن طارق ، فلانُوا ورقُّوا ورغبوا فى الحياة ، فأعطوا بأيديهم ، فأسروهم ، ثم خرجوا إلى مكة ، ليبيعوهم بها ، حتى إذا كانوا بالظَّهران انتزع عبدُ الله بن طارق يده من القِران ، ثم أخذ سيفه ، واستأخر عنه القومُ ، فرَموه بالحجارة حتى قتلوه ، فقبْره ، رحمه الله ، بالظَّهران ؛ وأما خُبيب بن عَدىّ وزيد بن الدَّثِنَة فقدموا بهما مكة .

قال ابن هشام : فباعوهما من قُريش بأسيرين من هُذيل كانا بمكة .

قال ابن إسحاق : فابتاع خُبيباً حُجيرُ بن أبى إهاب التميمىّ ، حليف بنى نوفل ، لِعُقْبة بن الحارث بن عامر بن نوفل ، وكان أبو إهاب أخا الحارث ابن عامر لأمه لقتله بأبيه .

قال ابن هشام : الحارث بن عامر ، خال أبى إهاب ، وأبو إهاب ، أحد بنى أُسَيِّد بن عمرو بن تميم ، ويقال : أحد بنى عُدَس بن زيد بن عبد الله بن دارم ، من بنى تميم .

مثل من وفاء ابن الدثنة للرسول

قال ابن إسحاق : وأما زيد بن الدَّثِنَّة فابتاعه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه ، أميَّة بن خَلَفٍ ، وبعث به صَفْوانُ بن أميَّة مع مَوْلى له ، يقال له : نِسطَاس ، إلى التَّنْعيم ، وأخرجوه من الحرم ليقتلوه . واجتمعَ رهطٌ من قُريش ، فيهم أبو سفيان بنُ حَرْب ؛ فقال له أبو سفيان حين قَدِم ليُقتل : أنشُدُكَ اللهَ يازيد ، أتحبّ أن محمداً عندنا الآن فى مكانك نَضرِب عنقه ، وأنك فى أهلك ؟ قال : والله ما أحبّ أن محمداً الآن فى مكانه الذى هو فيه تُصيبه شوْكة تؤذيه ، وأنّى جالس فى أهلى . قال : يقول أبو سفيان : ما رأيت من الناس أحداً يُحبّ أحداً كحبّ أصحاب محمد محمداً ؛ ثم قتله نِسطاس ، يرحمه الله .

مقتل خبيب وحديث دعوته

وأما خُبَيْبُ بن عدىّ ، فحدثنى عبدُ الله بنُ أبى نَجيح ، أنه حُدّث عن ماوِيَّة ، مـــولاةِ حُجَيْر بن أبى إهَاب ، وكانت قد أسلمت ، قالت : كان خُبيب عِندى ، حُبِس فى بيتى ، فلقد اطّلعت عليه يوماً ، وإن فى يده لَقِطفاً من عِنب ، مِثل رأس الرَّجُل يأكل منه ، وما أعلم فى أرض الله عنبا يُؤكل .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عُمر بن قَتادة وعبد الله بن أبى نَجيح جميعاً أنها قالت : قال لى حين حضره القتلُ : ابعثى إلىّ بحديدة أتطهّر بها للقتل ، قالت : فأعطيتُ غلاماً من الحىّ المُوسى ، فقلت : ادخُل بها على هذا الرجل البيتَ ؛ قالت: فوالله ما هو إلا أن ولّى الغلام بها إليه ، فقلت: ماذا صنعتُ! أصاب والله الرجلُ ثأرَه بقتلِ هذا الغلام ، فيكون رجلا برجل ، فلما ناوله الحديدة أخذها من يده ثم قال : لعَمْرك ، ما خافت أمُّك غَدْرى حين بعثتك بهذه الحديدة إلىّ ! ثم خلّى سبيله .

قال ابن هشام : ويقال : إن الغلام ابنُها .

قال ابن إسحاق : قال عاصم : ثم خرجوا بخُبَيب ، حتى إذا جاءوا به إلى التَّنعيم ليصلُبوه ، قال لهم : إن رأيتُم أن تَدَعونى حتى أركَعَ ركعتين فافعلوا ؛ قالوا : دُونَكَ فاركَعْ . فركع ركعتين أتمهما وأحسنهما ، ثم أقبل على القوم فقال : أمَا والله لولا أن تَظُنّوا أنّى إنما طوّلتُ جزَعاً من القتل لاستكثرتُ من الصلاة . قال : فكان خُبَيْبُ بنُ عدىّ أوّل من سَنّ هاتين الركعتَيْن عند القتل للمُسلمين . قال : ثم رفعوه على خَشَبة ، فلما أوثقوه ، قال : اللهمّ إنّا قد بَلّغنا رسالةَ رسولك ، فبلّغه الغَداةَ ما يُصْنَع بنا ؛ ثم قال : اللهمّ أحْصِهم عدداً ، واقتُلهم بِدَداً ولا تُغادر منهم أحداً . ثم قتلوهَ رحمه الله .

فكان معاويةُ بن أبى سُفيان يقول : حضرتُه يومئذ فيمن حضره مع أبى سفيان ، فلقد رأيتُه يُلقينى إلى الأرض فَرقاً من دعوة خُبَيْبٍ ، وكانوا

. . . .

يقولون إن الرجل إذا دُعى عليه، فاضْطَجَع لجنبه زالت عنه.

قال ابن إسحاق: حدثنى يحيى بن عَبّاد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه عباد، عن عُقبة بن الحارث، قال سمعته يقول: ما أنا والله قتلت خبيبٌ، لأنى كنت أصغرَ من ذلك، ولكنّ أبا مَيْسرة، أخا بنى عبد الدار، أخذ الحربة فجعلها فى يدى، ثم أخذ بيدى وبالحربة، ثم طعنه بها حتى قتله.

قال ابن إسحاق: وحدثنى بعض أصحابنا، قال: كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه استعمَل سَعيد بن عامر بن حِذْيَم الُجمحىّ على بعض الشام، فكانت تُصيبه غَشْيةٌ، وهو بينَ ظَهْرَيِ القوم، فذُكِر ذلك لعمر بن الخطَّاب، وقيل: إنّ الرجل مُصاب؛ فسأله عمَر فى قَدْمةٍ قَدِمها عليه. فقال: ياسَعيد، ماهذا الذى يُصيبك؟ فقال: والله يا أميرَ المؤمنين ما بى من بأْس، ولكنى كنتُ فيمن حضر خُبيب بن عدىّ حين قُتل، وسمعتُ دعوتَه، فوالله ما خطرتْ على قلبى وأنا فى مَجلس قطُّ إلا غُشى علىّ، فزادَتْهُ عند عمر خيراً.

قال ابنُ هشام: أقام خُبيب فى أيديهم حتى انقضتْ الأشهر الحرم، ثم قتلوه.

ما نزل فى سرية الرجيع من القرآن

قال: قال ابن إسحاق: وكان مما نزل من القرآن فى تلك السَّرِيّة، كما

حدثنى مولًى لآل زيد بن ثابت ، عن عِكْرِمة مولى ابن عباس ، أو عن سعيد ابن جُبير عن ابن عبَّاس .

قال : قال ابن عباس : لما أصيبت السَّرِيَّة التى كان فيها مَرْثَد وعاصم بالرَّجيع ، قال رجال من المُنافقين : ياويحَ هؤلاء المَفْتونين الذين هَلَكوا (هكذا) ، لاهم قَعدوا فى أهْلِيهم ، ولا هم أدَّوْا رسالةَ صاحبِهم ! فأنزل الله تعالى فى ذلك من قول المُنافقين ، وما أصاب أولئك النفر من الخير بالذى أصابهم ، فقال سبحانه : ﴿ وَمِنَ النّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِى الحَياةِ الدُّنْيا ﴾ : أى لما يُظهر من الإسلام بلسانه ، ﴿ ويُشْهِدُ اللهَ عَلَى مافِى قَلْبِهِ ﴾ ، وهو مخالف لما يقول بلسانه ، ﴿ وَهُوَ أَلَدُّ الخِصامِ ﴾ : أى ذو جِدال إذا كلمك وراجَعك .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : الألدّ : الذى يَشْغب ، فتشتدّ خصومته ؛ وجمعه : لُدّ . وفى كتاب الله عزّ وجلّ : ﴿ وتُنْذِرَ بِهِ قَوْماً لُدّاً ﴾ . وقال المُهلهل بن ربيعة التَّغلبىّ ، واسمه امرؤ القيس ؛ ويقال : عدىّ بن ربيعة :

إنّ تحتَ الأحجار حَدّاً ولِينا وخَصِيما ألدّ ذا مِعْلاقِ

ويروى ذا مِغلاق ، فيما قال ابن هشام : وهذا البيت فى قصيدة له ، وهو الألَنْدَدُ . قال الطِّرِمّاح بن حَكيم الطائىّ يَصِف الحِرْباء :

يُوفِى على جِذْم الجُذُول كأنه خَصْم أبَرَّ على الخُصوم ألَنْدَدُ

. . . .

وهذا البيت فى قصيدة له .

قال ابن إسحاق : قال تعالى : ﴿ وَإِذَا تَوَلَّى ﴾ : أى خرج من عندك ﴿ سَعَى فِى الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا ، وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ، وَاللهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴾ أى لا يحبُّ عمله ولا يرضاه . ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ * وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ ، وَاللهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ : أى قد شَرَوْا أنفسهم من الله بالجهاد فى سبيله ، والقيام بحقّه ، حتى هلكوا على ذلك ، يعنى تلك السريّة .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : يَشْرِى نفسه : يبيع نفسه ؛ وشَرَوْا : باعوا . قال يزيد ابن رَبيعة بن مُفرّغ الحِمْيَرىّ :

وشَرَيْتُ بُرْدًا لَيْتَنِى ... من بعد بُرْدٍ كنتُ هامَه

برد : غلام له باعه : وهذا البيت فى قصيدة له . وشَرَى أيضًا : اشترى .

قال الشاعر :

فقُلْتُ لها لا تَجْزَعِى أُمَّ مالكٍ ... على ابْنَيْكِ إنْ عَبْدٌ لئيم شَرَاهما

شعر خبيب حين أريد صلبه

قال ابن إسحاق : وكان مما قيل فى ذلك من الشعر ، قول خُبيب بن عدىّ ، حين بلغه أن القومَ قد اجتمعوا لصَلْبه .

قال ابن هشام : وبعضُ أهل العلم بالشعر يُنكرها له .

لقدْ جمّع الأحزابُ حوْلى وألّبُوا قبائلهم واستَجْمعُوا كلَّ مَجْمعِ
وكلُّهم مُبْدى العداوة جاهدٌ علىّ لأنى فى وِثاقٍ بمَضْيَع
وقد جَمّعوا أبناءهم ونساءهم وقُرّبتُ من جذْعٍ طَوِيل مُمنَّع
إلى الله أشكو غُرْبتى ثم كُرْبتى وما أرْصَد الأحزابُ لى عند مَصرعى
فذا العرشِ، صَبّرنى على ما يُرادُ بى فقد بَضّعوا لحمى وقد ياسَ مَطْمَعى
وذلكَ فى ذاتِ الإله وإنْ يَشَأْ يُبارِكْ على أوْصال شلْو مُمزَّع
وقد خَيّرونى الكُفْرَ والموتُ دونه وقد هَمَلتْ عيناىَ من غير مَجْزع
ومابى حِذَارُ الموْت ، إنى لميّتٌ ولكنْ حِذَارى جَحْم نار مُلَفّع
فوالله ما أرجُو إذا مِتّ مُسْلماً على أىّ جنْب كان فى الله مَصرعى
فلستُ بمُبْدٍ للعدُوّ تَخَشُّعاً وَلا جزَعاً إنى إلى الله مَرْجِعى

شعر حسان فى بكاء خبيب

وقال حسّان بن ثابت يبكى خُبيباً :

ما بالُ عَيْنِك لا تَرْقا مَدامِعُها سحّاً على الصّدْر مثل اللؤلؤ القَلِق
على خبيبٍ فتى الفتيان قد عَلِموا لا فشِلٍ حينَ تَلْقاه وَلا نَزِق
فاذهب خُبَيبُ جزَاك الله طَيّبة وجَنّةَ الخُلْد عِندَ الحور فى الرُّفَق
ماذا تقُولونَ إنْ قالَ النّبىّ لكم حينَ الملائكةُ الأبْرار فى الأُفُق

فِيم قَتلتم شهيدَ الله فى رَجلٍ طاغٍ قد اوعثَ فى البُلدانِ والرُّفَقِ

قال ابن هشام : ويروى : «الطرق» وتركنا مابقى منها ، لأنه أقذع فيها .

قال ابن إسحاق : وقال حسَّان بن ثابت أيضاً يبكى خُبيباً :

ياعينِ جُودى بدَمعٍ منكِ منسَكبِ وابكى خُبَيباً مع الفِتيانِ لم يؤُبِ

صَقراً توسَّط فى الأنصار مَنصِبُه سَمحَ السجيَّةِ مَحضاً غير مُؤتَشِبِ

قد هاجَ عَينى على عِلاَّتِ عَبرتِها إذ قِيل نُصَّ إلى جِذْعٍ من الخشبِ

ياأيها الرَّاكِبُ الغادِى لِطِيَّتِهِ أبلغ لدَيْكَ وَعيداً ليس بالكَذِبِ

بنى كُهَيْبَةَ أنَّ الحرْبَ قد لَقِحتْ مَحلُوبُها الصَّابُ إذ تُمْرَى لمُحْتَلِبِ

فيها أُسُودُ بَنى النَّجَّار تَقْدُمُهم شُهُبُ الأسنَّةِ فى مُعْصَوْصَبٍ لَجِبِ

قال ابن هشام : وهذه القصيدةُ مثل التى قَبْلها ، وبعضُ أهل العلم بالشعر ينكرها لحسَّان ، وقد تركنا أشياء قالها حسَّان فى أمر خُبيب لِما ذَكرتُ .

قال ابن إسحاق : وقال حسَّان بن ثابت أيضاً :

لو كانَ فى الدَّار قَرم ماجدٌ بَطَل ألوى من القوم صَقْر خالُه أنَسُ

إذن وجدتَ خُبيباً مجلساً فَسِحاً ولم يُشدَّ عليك السِّجنُ والحَرَسُ

ولم تَسُقْكَ إلى التَّنعيم زِعنفةٌ من القبائل منهم من نَفت عُدُسُ

دلَّوك غَدْراً وهم فيها أولو خُلُفٍ وأنت ضَيْم لها فى الدَّار مُحتبَسُ

قال ابن هشام : : أنَسٌ : الأصمّ السُّلمىّ : خال مُطْعِم بن عدىّ بن نوفل

ابن عبد مناف . وقوله : « من نفث عُدُسٍ » يعنى حُجَيْر بن أبى إهاب ، ويقال الأعشى بن زُرارة بن النَّباش الأسدىّ ، وكان حليفاً لبنى نَوْفل بن عبد مناف .

من اجتمعوا لقتل خبيب

قال ابن إسحاق : وكان الذين أجلبوا على خُبَيب فى قتله حين قُتل من قُريش : عِكْرمة بن أبى جهل ، وسَعيد بن عبد الله بن أبى قَيْس بن عبد وُدّ ، والأخنَس بن شَرِيقٍ الثّقفى ، حليف بنى زُهْرة ، وعُبَيْدة بن حَكيم بن أُميّة بن حارثة بن الأوْقَص السّلمِىّ ، حليف بنى أُميّة بن عبد شمس ، وأُميّة بن أبى عُتبة ، وبنو الحَضرمى .

شعر حسان فى هجاء هذيل لقتلهم خبيباً

وقال حسّان أيضاً يهجو هُذَيْلا فيما صَنَعوا بخُبيب بن عَدِىّ :

أبْلِغْ بنى عَمْرٍو بأنّ أخاهُمُ ... شَرَاهُ امْرُؤٌ قد كانَ للغَدْرِ لازِما
شَرَاهُ زُهَير بن الأغرّ وجامِعٌ ... وكانا جَميعاً يَرْكَبانِ المَحارِما
أجَرْتُم فلمّا أن أجَرْتُم غَدَرْتُمُ ... وكُنْتُمْ بأكْنافِ الرَّجيع لَهاذِما
فليت خُبَيباً لم تَخُنْهُ أمانَةٌ ... وليتَ خُبَيباً كانَ بالقَوْمِ عالِما

قال ابن هشام : زهير بن الأغرّ وجامع : الهُذَلِيّان اللذان باعا خُبَيباً .

قال ابن إسحاق : وقال حسّان بن ثابت أيضاً :

إنْ سَرّكَ الغَدْرُ صِرْفاً لا مِزاجَ له ... فَأْتِ الرَّجيعَ فَسَلْ عن دارِ لِحْيان

قومٌ تواصَوْا بأكْلِ الجارِ بَيْنَهُمُ ... فالكَلْبُ والقِرْدُ والإنسانُ مِثْلانِ

لو يَنْطِقُ التَّيسُ يوماً قام يَخْطُبهم ... وكان ذا شَرَفٍ فيهم وذا شانِ

قال ابن هشام: وأنشدنى أبو زيد الأنصارىّ قوله:

لو ينطق التَّيس يوماً قام يخطبهم ... وكان ذا شَرَفٍ فيهم وذا شانِ

قال ابن إسحاق: وقال حسّان بن ثابت أيضاً يهجو هُذَيلا:

سالتْ هُذَيلٌ رسولَ الله فاحشةً ... ضلّتْ هُذيل بما سالتْ ولم تُصِبِ

سالوا رسولَهُمُ ما ليس مُعْطِيَهُمْ ... حتى المماتِ، وكانوا سُبَّةَ العَرَبِ

ولن ترى لهُذَيلٍ داعِياً أبداً ... يَدْعو لمَكْرُمة عن منزل الحَرَبِ

لقد أرادوا خِلالَ الفُحْش وَيْحَهُمُ ... وأن يُحِلّوا حراماً كان فى الكُتُبِ

وقال حسّان بن ثابت أيضاً يهجو هُذَيلا:

لعمرى لقد شانتْ هُذَيلَ بنَ مُدْرِكٍ ... أحاديثُ كانت فى خُبَيبٍ وعاصِمِ

أحاديثُ لِحْيانٍ صَلَوْا بقَبيحها ... ولِحْيانُ جَرّامون شَرَّ الجرائمِ

أُناسٌ هُمُ من قومِهم فى صَميمهم ... بمنزلةِ الزَّمْعانِ دُبْرَ القَوادِمِ

هُمُ غَدَرُوا يوم الرَّجيع وأسْلَمَتْ ... أمانَتُهم ذا عِفّةٍ ومَكارمِ

رسولَ رسولِ الله غدراً ولم تكُنْ ... هُذَيلٌ تَوَقَّى مُنكَراتِ المَحارمِ

فسوف يَرَوْنَ النَّصرَ يوماً عليهمُ ... بقَتْلِ الذى تَحْمِيه دون الحَرائمِ

أبابيلُ دَبْرٍ شُمَّسٍ دون لَحْمه ... حَمَتْ لَحْمَ شَهّادٍ عظامَ المَلاحِمِ

لَعَلَّ هُذَيْلاً أَنْ يَرَوْا بِمُصَابِهِ ... مَصَارِعَ قَتْلَى أَو مَقاماً لِمأْتَمِ

ونُوقِعَ فيهم وقعةً ذات صَوْلَةٍ ... يُوافِي بها الرُّكْبانُ أهلَ المَواسِمِ

بأمرِ رسولِ اللهِ إنَّ رَسولَه ... رأى رأيَ ذي حَزْمٍ بلَحْيانَ عالمِ

قُبَيِّلَةٌ لَيسَ الوَفاءُ يُهِمُّهُم ... وإنْ ظُلِموا لم يَدْفَعوا كَفَّ ظالمِ

إذا النَّاسُ حَلُّوا بالفَضاءِ رأيتَهم ... بِمَجْرَى مَسِيلِ الماءِ بين المَخارمِ

مَحَلُّهم دارُ البَوارِ ورأيُهم ... إذا نابَهُم أَمْرٌ كرأي البَهائمِ

وقال حسَّان بن ثابت يهجو هُذَيلا :

لَحَى اللهُ لِحيانًا فَلَيْسَتْ دِماؤُهم ... لَنا مِن قَتيلَيْ غَدْرَةٍ بِوَفاءِ

همو قتلوا يوم الرَّجيعِ ابنَ حُرَّةٍ ... أخا ثِقَةٍ في وُدِّه وصَفاءِ

فلو قُتِلوا يوم الرَّجيعِ بأَسْرِهم ... بذِي الدَّبْرِ ما كانوا له بكِفاءِ

قَتيلٌ حَمَتْهُ الدَّبْرُ بين بُيوتِهم ... لدَى أهلِ كُفْرٍ ظاهرٍ وجَفاءِ

فقد قتلتْ لِحْيانُ أَكْرَمَ مِنهُمُ ... وباعُوا خُبَيباً وَيْلَهم بلِفاءِ

فأُفٍّ لِلِحْيانٍ على كلِّ حالةٍ ... على ذِكْرِهم في الذِّكْرِ كلَّ عفاءِ

قُبَيِّلَةٌ باللُّؤْمِ والغَدْرِ تَغْتَرِي ... فلم تُمْسِ يَخْفَى لؤمُها بخَفاءِ

فلو قُتِلوا لم تُوفِ منه دماؤُهم ... بَلَى إنَّ قَتْلَ القاتِلِيه شِفائِي

فالاَّ أَمُتْ أَذْعَرْ هُذَيلاً بغارةٍ ... كغادِي الجَهامِ المُغْتَدِي بإفاءِ

بأمر رسُولِ اللهِ والأمرُ أمرُه ... يَبِيتُ لِلِحْيانَ الخَنا بِفِناءِ

يُصَبِّحُ قَوْماً بالرَّجيعِ كأنَّهم ... جِداءُ شِتاءٍ بِتْنَ غيرَ دِفاءِ

وقال حسان بن ثابت أيضاً يهجو هُذَيلا :

فَلا واللهِ ، ما تَدرِى هُذَيلٌ أصافٍ ماء زَمزم أم مَشُوبُ
وَلا لهمُ إذا اعتَمَرُوا وَحَجُّوا مِنَ الحِجْرين والمَسْعَى نَصيب
ولكِنَّ الرَّجِيع لهمْ مَحَلّ به اللُّؤمُ المُبيَّن والعُيوب
كأنهم لدَى الكَنَّات أصْلاً تُيُوس بالحِجَاز لها نَبِيبُ
هُمُ غرُّوا بِذمَّتِهم خُبَيْباً فبئسَ العَهْدُ عهدُهم الكَذُوب

قال ابن هشام : آخرها بيتاً عن أبي زيد الأنصارى .

شعر حسان في بكاء خبيب وأصحابه

قال ابن إسحاق : وقال حسَّان بن ثابت يبكى خُبيباً وأصحابه :

صلى الإلهُ على الَّذين تَتابَعُوا يَوْمَ الرَّجيع فأُكرِموا وأُثيبُوا
رأس السَّرِيَّة مَرْثَد وأميرهم وابن البُكَير إمامهم وخُبَيب
وابنٌ لطارقٍ وابن دَثِنَةَ منهمُ وافاه ثَمَّ حِمامُه المَكتوب
والعاصم المَقتول عند رَجِيعهم كَسَب المَعالى إنّه لَكَسُوب
مَنَعَ المُقَادَةَ أن يَنالُوا ظَهْرَه حتى يُجالد إنَّه لنَجِيب

قال ابن هشام : ويروى : حتى يجدَّل إنه لنجيب .

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر يُنكرها لحسَّان .

رفع المسيَّهم

قال ابن إسحاق : فأقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بقيّةَ شوّال وذا القَعْدة وذا الحِجّة ـ وولى تلك الحِجّةَ المشركون ـ والمحرم، ثم بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أصحابَ بئر معونة فى صفر، على رأس أربعة أشهر من أُحُد.

حديث بئر معونة

سبب إرسال بعث بئر معونة

وكان من حديثهم، كما حدثنى أبى إسحاقُ بن يسار عن المُغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وعبدُ الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزْم، وغيرُه من أهل العلم، قالوا : قدم أبو بَراء عامر بن مالك بن جعفر مُلاعِبُ الأسِنّة على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، فعرض عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الإسلام، ودعاه إليه، فلم يُسلم ولم يَبْعُد من الإسلام. وقال : يا محمد لو بعثتَ رجالا من أصحابك إلى أهل نجد، فدَعَوْهم إلى أمرك، رجوتُ أن يَستجيبوا لك ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إنى أخشَى عليهم أهل نجد ؛ قال أبو بَراء : أنا لهم جار، فابعثهم فليدْعُوا الناس إلى أمرك.

رجال البعث

فبعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المُنذر بن عَمرو، أخا بنى ساعدة، المُعْنِق لِيَمُوت فى أربعين رجلا من أصحابه، من خِيار المسلمين : منهم : الحارثُ بن الصِّمَّة، وحَرام بن مِلحان أخو بنى عَدِىّ بن النَّجّار، وعُرْوةُ ابن أسماء بن الصَّلْتِ السُّلَمى، ونافع بن بُدَيل بن وَرْقاء الخُزاعىّ، وعامر

رفع المسيطر هما

ابن فُهَيْرة مولى أبى بكر الصدّيق، فى رجال مُسَمَّين من خيار المسلمين . فساروا حتى نزلوا بِبئر مَعُونة ، وهى بين أرض بنى عامر وحَرَّة بنى سُلَيْم . كلا البلدين منها قريب ، وهى إلى حَرّة بنى سُلَيْم أقرب .

عامر يقتل صحابياً

فلما نزلوها بعثوا حَرام بن مِلْحان بكتاب رسولِ الله صلى الله عليه وسلم إلى عَدُوّ الله عامرِ بن الطُّفَيْل ؛ فلما أتاه لم ينظُر فى كتابه حتى عدا على الرجل فقتله ، ثم استصرخ عليهم بنى عامر، فأبوا أن يُجيبوه إلى ما دعاهم إليه ، وقالوا : لن نُخْفِر أبا بَراء ، وقد عقد لهم عقداً وجواراً ؛ فاستصرخ عليهم قبائلَ من بنى سُلَيم من عُصَيَّة ورِعْلٍ وذَكْوان ، فأجابوه إلى ذلك ، فخرجوا حتى غَشُوا القومَ ، فأحاطوا بهم فى رِحالهم ، فلما رأوْهم أخذوا سُيوفهم ، ثم قاتلوهم حتى قُتِلوا من عند آخرهم ، يرحمهم الله ، إلا كعبَ بن زيد ، أخا بنى دينار ابن النجّار ، فإنهم تركوه وبه رَمَق ، فارتُثّ من بين القتلى ، فعاش حتى قُتل يوم الخَنْدق شهيداً ، رحمه الله .

ابن أمية والمنذر وموقفهما من القوم بعد علمهما بقتل أصحابهم

وكان فى سَرح القوم عَمرو بن أُمَيَّة الضَّمْرِى ، ورجل من الأنصار ، أحد بنى عمرو بن عوف .

قال ابن هشام : هو المُنذر بن محمد بن عُقْبة بن أُحَيْحَة بن الُجلَاح .

قال ابن إسحاق : فلم يُنبئهما بمُصاب أصحابهما إلا الطير تحومُ على

العَسكر ، فقالا : والله إن لهذه الطير لشأناً ، فأقبلا لينظرا ، فإذا القوم فى دمائهم ، وإذا الخيلُ التى أصابتهم واقفة . فقال الأنصارى لعمرو بن أُمَيَّة : ماترى ؟ قال أرى أن نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنُخبره الخبَر ، فقال الأنصارى : لكنى ما كنتُ لأرغب بنفسى عن مَوْطن قُتل فيه المُنذر ابن عمرو ، وما كنتُ لتُخبرنى عنه الرجال ؛ ثم قاتل القومَ حتى قُتل ، وأخذوا عمرو بنَ أُميَّة أسيراً ، فلما أخبرهم أنه من مُضر ، أطلقه عامر بن الطفيل ، وجزّ ناصيَته ، وأعتَقه عن رَقَبة زعم أنها كانت على أمه .

قتل العامريين

فخرج عمرو بن أُميَّة ، حتى إذا كان بالقَرْقرة من صَدْر قَناة ، أقبل رجلان من بنى عامر .

قال ابن هشام : ثم من بنى كلاب ، وذكر أبو عمرو المدنى أنهما من بَنى سُليم .

قال ابن إسحاق : حتى نزلا معه فى ظلّ هو فيه . وكان مع العامريين عَقدٌ من رسول الله صلى الله عليه وسلم وجِوار ، لم يَعلم به عمرو بن أُميَّة ، وقد سألهما حين نزلا ، ممن أنتما ؟ فقالا : من بنى عامر ، فأمهلهما ، حتى إذا ناما ، عدا عليهما فقتلهما ، وهو يرى أنه قد أصاب بهما ثُؤْرةً من بنى عامر ، فيما أصابوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما قدم عمرو بن أمية على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره الخبر ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد قتلتَ قَتيلين ، لأَدِيَنَّهما !

. . . .

رفع المسهم

كراهية الرسول عمل أبى براء

ثم قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : هذا عمل أبى بَراء ، قد كنت لهذا كارهاً متخوّفاً . فبلغ ذلك أبا براء ، فشقّ عليه إخفارُ عامر إيَّاه ، وما أصاب أصحابَ رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم بسببه وجِواره ؛ وكان فيمن أصيب عامر بن فُهيرة .

ابن فهيرة والسماء

قال ابن إسحاق : فحدثنى هشام بن عُروة ، عن أبيه : أن عامر بن الطُّفيل كان يقول : مَنْ رَجُـلٌ مِنهم لما قُتِـل رأيته رُفع بين السماء والأرض ، حتى رأيت السماء من دونه ؟ قالوا : هو عامر بن فُهيرة .

سبب إسلام ابن سلمى

قال ابن إسحاق : وقد حدثنى بعض بنى جَبار بن سَلْمى بن مالك بن جعفر ، قال ــ وكان جَبار فيمن حضرها يومئذ مع عامر ثم أسْلم ــ (قال) فـكان يقول : إن مما دعانى إلى الاسلام أنى طعنتُ رجلا منهم يومئذ بالرمح بين كتفَيه ، فنظرتُ إلى سِنان الرمح حين خرج من صدره ، فسمعته يقول : فُزْتُ والله ! فقلت فى نفسى :ما فاز ! ألستُ قد قتلتُ الرجل ! قال : حتى سألت بعد ذلك عن قوله ، فقالوا : للشهادة ؛ فقلت : فاز لعَمْرو الله .

رفع عبد الرحمن الهجري

شعر حسان فى تحريض بنى أبى براء على عامر

قال ابن إسحاق : وقال حسّان بن ثابت يحرّض بنى أبى بَراء على عامر ابن الطفيل :

بَنى أمّ البَنين ألم يَرُعْكم وأنتم مِن ذَوائب أهْل نَجْدِ
تَهَكُّمُ عامرٍ بأبى بَرَاءٍ لِيُخْفِرَهُ وَما خطأٌ كَعَمْدِ
ألا أبْلِغْ رَبيعةَ ذا المَسَاعى فما أحدثتَ فى الحَدَثان بعدِى
أبُوكَ أبو الحُرُوب أبو براء وخالُك ماجدٌ حَكَمُ بنُ سَعْد

نسب حكم وأم البنين

قال ابن هشام : حكم بن سعد : من القَيْن بن جَسْر ؛ وأمّ البنين : بنت عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صَعْصعة وهى أمّ أبى بَراء .

طعن ربيعة لعامر

قال ابن إسحاق : فحمل ربيعةُ (بن عامر) بن مالك على عامر بن الطفيل، فطَعَنه بالرمح ، فوقع فى فخذه ، فأشْواه ، ووقع عن فرسه ، فقال : هذا عمل أبى بَراء ، إن أمُت فَدمى لعمِّى ، فلا يُتْبَعَنّ به ، وإن أعش فسأرى رأيى فيما أُتِىَ إلىّ .

مقتل ابن ورقاء ورثاء ابن رواحة له

وقال أنس بنُ عبّاس السُّلَمىّ ، وكان خال طُعيمة بن عدىّ بن نوفل ،

وقُتل يومئذ نافعُ بن بُدَيل بن وَرْقاء الخزاعىّ :

تركتُ ابنَ وَرْقاءَ الخزاعىَّ ثاويًا بمُعْتَرَك تَسْفِى عليه الأعاصِرُ
ذكرتُ أبا الرَّيَّانِ لما رأيته وأيقنت أنى عند ذلك ثائر

وأبو الريّان : طُعيمة بن عدىّ .

وقال عبدُ الله بن رَواحة يبكى نافع بن بُديل بن وَرْقاء :

رَحِم الله نافعَ بن بُديلٍ رحمةَ المُبتغِى ثوابَ الجهادِ
صابر صادق وفىّ إذا ما أكثرَ القومُ قال قولَ السَّدادِ

شعر حسان فى بكاء قتلى بئر معونة

وقال حسَّان بن ثابت يبكى قتلى بئر معونة، ويخُصُّ المُنذر بن عمرو :

على قَتْلَى مَعونةَ فاستهِلّى بدَمْعِ العَيْن سَحًّا غير نَزْرِ
على خَيْل الرَّسولِ غداةَ لاقَوا مَناياهُم ولاقَتهم بقَدْرِ
أصابهمُ الفَناء بعَقْدِ قوم تُخُوِّن عَقْدُ حَبْلِهم بغَدْرِ
فَيا لَهْفى لمُنذِرِ إذْ تولَّى وأعنَق فى منيّته بصَبْرِ
وكائنْ قد أُصيب غداةَ ذاكُم منَ ابيضَ ماجدٍ من سرّ عمرو

قال ابن هشام : أنشدنى آخرها بيتًا أبو زيد الأنصارى .

شعر كعب فى يوم بئر معونة

وأنشدنى لكعب بن مالك فى يوم بئر مَعونة، يُعَيِّر بنى جعفر بن كلاب :

تَرَكْتُم جارَكم لبَنِي سُلَيم مخافةَ حَرْبِهم عَجزاً وهُونا
فلو حَبْلاً تناولَ من عُقَيل لمَدَّ بحَبْلها حبـــلا مَتِينا
أو القُرَطاء ما إن أسْلَموه وقِدْما ماوَفَوا إذ لاتَفُونا

نسب القرطاء

قال ابن هشام : القُرطاء : قبيلة من هَوازِن ، ويُروى « من نُفيل » مكان « من عقيل » ، وهو الصحيح ؛ لأن القُرَطاء من نُفَيل قريب .

مقتل خبيب وأصحابه

وذكر غَدْرَ عَضَلٍ والقارَةَ ، وهما بَطْنان من بنى الهُون ، والهُون هم بنو الرَّيْش وَيثَيعُ ابـنَىْ الهُونِ بن خُزَيْمَةَ(١) ، وقد تقدم التعريف بعضى

(١) ورد عنهم فى نسب قريش للمصعب الزبيرى أن خزيمة بن مدركة ولد الهون وأن أمه برة بنت مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر ثم قال بالنص « فأما الهون بن خزيمة فهم عضل وديش والقارة بنو ييثغ بن الهون ، وهم بطنان من خزاعة يقال لهما : الحيا والمصطلق » ص ٩ وفى جمهرة ابن حزم أن الهون بن خزيمة ولد مليحا ، وأن هذا ولد يثيغا . وأن الديش هو ابن محلم ابن غالب بن عائذة بن يثيع . وأن الديش ولد عضلا ، وأن الديش هم القارة ص ١٧٩ لكن ابن عبد البر يقول : « ولد خزيمة كنانة أمه هند ابنة عيلان ابن مضر ، وأسد أو الهون وهو القارة أمهما بنت مر أخت تميم بن مر ، وفى القارة بطون كثيرة » ويكرر هذا بقوله عن أكثر أهل العلم أنهم لايعلمون لخزيمة ولدا غير أسد والهون وهو القارة وكنانة » بل إنه ليجعل للقارة عنوانا خاصا ثم يقول « وهو الهون بن خزيمة » ثم قال : « قال الزبير : عضل والقارة ابنا ييثغ بن الهون بن خزيمة . . يقال لهم القارة . وقال أبو عبيدة عن يثيغ =

القارة، وبالمثل الذى جرى فيهم، والقارةُ الحَرّةُ[١]، وذكرنا السببَ فى تسميتهم بها.

وذكر أن أصحابَ خُبَيْبٍ كانوا سِتّةً، وفى الجامع الصحيح للبخارى أنهم كانوا عَشَرةً، وهو أصح، والله أعلم.

وذكر أسماء السّتّةِ، وقد نسبهم فيما تقدم، فأما خُبَيْب فهو من بنى جَحْجَبَى[٢] بن كُلْفة بن عَمرو بن عَوْف بن مَالِكِ بن الأوس، وزيد بن الدَّثِنَّة[٣] بن معاوية مقلوبٌ من الثَّدِنَةِ والثَّدَنُ استرخاء اللحم[٤].

وذكر فيهم عاصمَ بن ثابتٍ وقوله:

ماعلّتى وأنا جـــلدنابلُ والقَوْسُ فيها وَتَرٌ عُنَابِلُ

والعُنَابِلُ: الشديدُ، وكأنه من العَبَالَة، وهى القُوَّةُ، والنون زائدة،

= هو أيثغ بن الهون بالالف، وقال محمد بن حبيب: هو يثغ بالياء كما قال الزبير وقال ابن الكلبى: يثغ بن مليح بن الهون بن خزيمة، وهو القارة، ص ٧٣ وما بعدها الإنباه. أما الديش، فهو فى الأصل الريش وهو خطأ، والديش بكسر الدال. وقال الجوهرى وربما قالوا بفتح الدال. ص ٥٦ نهاية الارب فى معرفة أنساب العرب للقلقشندى.

(١) الحرة: أرض ذات حجارة سود نخرة كأنها أحرقت بالنار.

(٢) فى الأصل حججبى وهو خطأ.

(٣) ضبطه القاموس بدون تضعيف النون.

(٤) فى الأصل تدنية والتدن وهو خطأ، ويقول ابن دريد إن الدثنة مشتقة من دثن الطائر — بتضعيف الثاء — إذا طاف حول وكره ولم يسقط عليه

والعَبَالَةُ أيضاً : شجرة صُلْبَةٌ ، وفي الخبر أن عَصَا موسى كانت من عَبَالَةٍ ، وقد روى أن عصا موسى كانت من عَيْنِ وَرَقَةِ آس الجَنّةِ ، ويجوز أن يكون مَنْحُوتاً من أصلين : من العَتْنِ(١) والنَّبْلِ ، كأنه يُصيب ما عَزَّ له بِنَبْلِه .

وذكر قوله : أبو سُلَيْمَانَ وريشُ المُقْعَد .

قوله : أبو سليمان ، أي : أنا أبو سُلَيْمَانَ قد عُرِفْتُ في الحُروبِ ، وعندي نَبلَ رَاشها المُقْعَدُ ، وكان(٢) رائشاً صانعاً . ورِيشُ السَّهمِ المحمودُ فيه اللُّؤَامُ ، وهو أن تكون الرِّيشَةُ بطْنُها إلى ظَهْرِ الأُخرى ، واللُّغَابُ(٣) بعكس ذلك ، أن يكون ظهرُ واحدة إلى ظَهْرِ الأُخرى ، وهو الظُّهَارُ أيضاً ، ومن اللُّؤام أُخِذَ اللَّأمُ وهو السهم المَرِيشُ قال امرؤ القيس :

كَرِكَ لأمَيْنِ على نَابِلِ(٤) .

وسُئل رُؤْبَةُ عن معنى هذا البيت ، فقال : حدثني أبي عن أبيه ، قال : حدثتني عمتي ، وكانت في بني دَارِمٍ قالت : سألت امرأَ القَيْسِ ، وهو يشرب .

---

(١) العتن : ظهور الشيء أمامك .

(٢) أي هذا المقعد المذكور كان رجلا رائشاً الخ .

(٣) في القاموس : سهم لأم عليه ريش لؤام يلائم بعضها بعضا . واللغاب : السهم الفاسد لم يحسن بريه « القاموس » .

(٤) البيت في اللسان

نطعنهم سلكى ومخلوجة لفتك لأمين على نابل

ويروى كما ذكر السهيلي : كرك لأمين

. . . .

جِلّاءِ له مع عَلْقَمَةَ بنِ عَبْدَةَ : مامعنى قولك : كَرُكْنِ لأَمّين على نابل ؟ فقال : مررت بنابلٍ وصاحبُه يناوله الرِّيش لُؤاماً وظُهاراً ، فما رأيت شيئاً أسرعَ منه ، ولا أحْسَنَ فشبّهت به ، ذكر هذا أبو حنيفة . وقوله : وضالة ، أى : سِهَامٌ قِدَاحُها من الضَّالِ ، وهو السِّدْرُ . قال الشاعر [ذو الرُّمَّة] :

قَطَعْتُ إذَا تخوَّفتُ العَوَاطِي ضُرُوبَ السِّدْرِ عُبْرِيّاً وضَالَا

فالعُبْرِيُّ منها ما كان على شُطُوطِ الأنْهارِ ، والضَّالُ ما كان فى البَرِّيَّةِ ، والعواطى هى الماشية تعطو أى تَتَنَاوَلُ ، وإنما تتناول أطراف الشَّجَرِ فى الصيف ، فمعناه : قطعتُ هذه الصحراء فى هذا الوقتِ ، وتخوفت : أى تَنَقَّصْتُ من قوله سبحانه : ﴿ أو يأخذَهم على تَخَوُّفٍ ﴾ النحل : ٤٧ . وذكر أن حُجَيْرَ بنَ أبى إهابٍ هو الذى اشترى خُبَيْباً ، وكان خُبَيْبٌ قد قتل الحارث بن نَوْفَلٍ أخا حُجَيْرٍ لأُمّه ، وقال مَعْمَرُ بنُ راشدٍ : اشترى خُبَيْباً بنو الحارثِ بن نَوْفَلٍ ، لأنه قتل أباهم يوم بدر ، والمعنى قريب مما ذكر ابنُ إسحاق .

وقوله ماوِيَّةُ بنت[1] حُجَيْرٍ بالواو ، رواه يُونُسُ بن بكير عن ابن

---

(١) فى السيرة : مولاة ، وفى رواية البخارى أنه استعار الموسى من بعض بنات الحارث ، وقد وقع فى الأطراف لخلف أن اسمها زينب بنت الحارث . وهى أخت عقبة الذى قتل خبيبا ، وقيل : امرأته . وفى رواية البخارى أن بنت الحارث قالت بعد أن أعارته الموسى ليحلق به عانته : « قالت : فغفلت عن صبى لى فدرج إليه حتى أتاه ، فوضعه على فخذه ، فلما رأيته ، فزعت فزعة ، عرف ذاك منى ، وفى يده الموسى ، فقال : أتخشين أن أقتله ؟ ! ما كنت لأفعل ذاك إن شاء الله تعالى ، وكانت تقول : ما رأيت أسيرا قط خيرا من خبيب » ثم ذكرت =

رفع المسبهم

إسحاق ، ورواه غيرُه عن ابن إسحاق : مارِية بالراء ، وبالواو وقع فى النسخ العتيقَةِ من رواية ابنِ هِشَامٍ ، كما رواه ابن بُكيرٍ ، وقد تكلمنا عن اشتقاق هذا الاسم فى صدر هذا الكتاب ، فأغنى عن إعادته ، وذكرنا أن المارِيَة بالتخفيف هى البَقَرَةُ ، وبتشديد الياء : القَطَاةُ المُلْسَاء ، وأما الغلام الذى أعطاته المُدْيَةَ ، فقيل : هو أبو عيسى بن الحارث بن عَدِىٍّ بن نَوْفَلِ بن

= قطاف العنب . وفى الفتح نقلا عن الزبير أيضاً أن الغلام هو : أبو حسين ابن الحارث بن عدى بن نوفل بن عبد مناف . وفى رواية بريدة بن سفيان : وكان ابن صغير ، فأقبل إليه الصبي ، فأخذه ، فأجلسه عنده ، فخشيت المرأة أن يقتله ، فناشدته . وعند أبى الأسود عن عروة ، فأخذ خبيب بيد الغلام ، فقال : هل أمكن الله منكم ، فقالت : ما كان هذا ظنى بك ، فرمى لها الموسى ، وقال : إنما كنت مازحا ، وفى رواية بريدة بن سفيان : ما كنت لأغدر . وقد حوول الجمع بين الروايتين رواية ابن إسحاق وما تقدم فى مسألة من حمل الموسى . ويعلق ابن بطال على مسألة قطاف العنب : « هذا ويمكن أن يكون الله جعله آية على الكفار وبرهانا لنبيه ، لتصحيح رسالته . قال : فأما من يدعى وقوع ذلك له اليوم بين ظهرانى المسلمين ، فلا وجه له ، إذ المسلمون قد دخلوا الدين ، وأيقنوا بالنبوة ، فأى معنى لإظهار الآية عندهم ، ولو لم يكن فى تجويز ذلك إلا أن يقول جاهل : إذا جاز ظهور هذه الآيات على يد غير نبى ، فكيف نصدقها من نبى ، والفرض أن غيره يأتى بها ، لكان فى إنكار ذلك قطعا للذريعة — إلى أن قال — إلا أن يكون وقوع ذلك مما لا يخرق عادة . ولا يقلب عينا ، مثل أن يكرم الله عبدا بإجابة دعوة ، فى الحين ، ونحو ذلك مما يظهر فيه فضل الفاضل وكرامة الولى ، ومن ذلك حماية الله تعالى عاصما لئلا ينتهك عدوه حرمته » ص ٣٠٥ جـ ٧ فتح البارى .

رفع المستهم

. . . .

عَبْد مَنَافٍ(١) ، قاله الزبير : وهو جَدُّ عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حُسَيْنٍ الذى يروى عنه مالكٌ فى المُوَطّأ .

وذكر أن أبا مَيْسَرَةَ هو الذى طعن خُبَيْباً فى الخَشَبَةِ ، وهو أبو مَيْسَرَةَ ابن عوف بن السَّبَّاق بن عَبْد الدار ، والذى طعنه معه عُقْبَةُ بن الحارث يُكَنَّى أبا سَرْوَعَةَ ، ويقال : إن أبا سَرْوَعَةَ وعُقْبَةَ أخوان أسلما جميعاً ولعُقْبَةَ بنِ الحارث حديثٌ واحد فى الرَّضاع ، وشهادةِ امرأةٍ واحدةٍ فيه . وحديثُه مشهور فى الصِّحاح ، فيه أنه قال : تزوجتُ بنت أبى إهاب بن عزيز ، فجاءت امرأةٌ ، سَوْداء ، فقالت : إنى قد أرضَعْتُكما ، وذكر الحديث(٢) وزاد فيه الدَّار قُطنِيُّ قال : جاءت امرأةٌ سَوْداء تَسْألُ ، فلم نُعْطِها شيئاً ، فقالت : إنى والله أرضَعْتُكما ، فذكر ذلك للنبى — صلى الله عليه وسلم — وقال. إنها كاذبةٌ يارسول الله ، فقال له عليه السلام : كيف ؟ وقد قيل ؟ فطلّقها ، ونكحت ضَرِيبَ بن الحارث ، فولدت له أمّ قِتَالٍ ، وهى امرأةُ جُبَيْرِ بن مُطْعِم ، وأمُّ ابنِه محمد ، ونافع ابنا جابر ، واسم هذه المرأة التى طلقها عُقْبَةُ :

---

(١) وهى كلمة حق يجب أن يعيها الذين لا عمل لهم فى الدين سوى إثبات أن شيوخهم كانوا صناع معجزات تقلب الإنسان حجرا !!

(٢) رواه البخارى فى الشهادات والعلم والبيوع والنكاح ، ورواه أبو داود فى القضايا ، والترمذى فى الرضاع ، والنسائى فى النكاح . ولعقبة حديث : «صلى العصر ثم قام مسرعا ، فتخطى رقاب الناس إلى بعض حجر نسائه » رواه البخارى والنسائى ، وحديث ثالث «جىء بالنعيمان أو ابن النعيمان شاربا » رواه البخارى .

. . . .

غَنْمِيَّة ، وتُكَنَّى أمَّ يحيى ، ذكر اسمها أبو الحسن الدَّارَقُطْنى فى الْمُؤْتَلِف والْمُخْتَلِف ، ولم يذكره أبو عُمَرَ فى كتاب النساء ، ولا كثير ممن ألف فى الحديث .

وذكر قصة عاصم حين حَمَتْه الدَّبْرُ . الدَّبْرُ ها هنا : الزَّنَابِيرُ ، وأما الدِّبْرُ[1] فصغار الجراد ، ومنه يقال ماء دَبْرٌ[2] قاله أبو حنيفة ، قال : وقد يقال للنَّحْل أيضاً دَبْر بفتح الدَّال واحدتها دبرة ، قال : ويقال له : خَشْرَمٌ ، ولا واحد له من لفظه ، هذه رواية أبي عُبَيْدٍ عن الأَصْمَعِيِّ ، ورواية غيره عنه أن واحدته : خَشْرَمَةٌ . والثَّوْلُ جماعة النحل أيضاً ، ولا واحد لها ، وكذلك النُّوبُ واللُّوبُ . ومن اللُّوبِ : حديث زَبَّان بن قَسْوَرٍ[3] ، قال : رأيت النبيَّ – صلى الله عليه وسلم – وهو نازِلٌ بوادى الشوحط[4] فكلمته ، فقلت : يارسول الله إن معنا لُوباً لنا – يعنى نَحْلاً – كانت فى عَيْلَم لنا به طِرْمٌ وشَمعٌ ، فجاء رجل فضرب ميتين[5] فانتج حياً ، وكَفَّنَه بالثُّمام ، يعنى ناراً

---

(١) هكذا ضبطها اللسان .

(٢) فى اللسان : مال دبر : أى كثير .

(٣) فى الإصابة : ابن قيس ، أو قيسور . وقال : روى حديثه الدراقطنى فى المؤتلف من طريق محمد بن إسحاق عن يحيى بن عروة عن أبيه عنه ، قال الدارقطنى : حديثه منكر .

(٤) فى القاموس وفى مراصد الإطلاع : شواحط بضم الشين وكسر الحاء جبل مشهور قرب المدينة كثير التمور

(٥) لم أهتد إليها ، فى المعاجم ، فلعلها حنين وهو الجبل أو الخيار أو عتين وهى خيوط تشد بها أوصال الخيام ! ! لا أدرى .

رفع المسهم

. . . .

من زَندَيْنِ، ونحسه يعني: دُخْنَه ، فطار الأوبُ هارباً ، ودَلّى مِشْوارَه في العَيْلَمِ فاشتار العَسَل ، فمضى به ، فقال النبيُّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ مَلْعُونٌ مَلْعُونٌ مَنْ سَرَقَ شَرْوَ قَوْمٍ ، فأضرّبهم ، أفَلَا تبعتم أثَره ، وعرفتم خَبَره ؟ قال : قلت : يارسول الله إنه دخل في قوم لهم مَنَعَةٌ ، وهم جيراننا من هُذَيْلٍ ، فقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ صَبْرَكَ صَبْرَكَ تَرِدُ نهرَ الجَنَّةِ ، وإن سَعَتَهُ كما بين القيقة والسحيقة(١) يَتَسَبْسَبُ جَرْياً بعَسَلٍ صافٍ من قَذاه مَاتَقيَّاه لُوبٌ ، ولا مَجَّه ثُوبٌ . فالعَيْلَمُ البئر ، وأراد بها هاهنا قُبّة النحلِ أو الخليّة ، وقد يقال لموضع النحل إذا كان صَدْعاً في جَبَل : شِيقٌ ، وجمعه : شيقانٌ ، ويقال لكل دُخَانٍ نُحَاسٌ(٢) ، ولا يقال أيَامٌ إلّا لدخان النحل خاصّة ، يقال : آمها يئومُها إذا دَخَّنها ، قاله أبو حنيفة .

مقتل حجر بن عدى :

فصل : وذكر أن خُبَيْباً أول من سَنَّ الرَّكْعَتَيْنِ عند القتل . قوله هذا يَدُلُّ على أنهما سُنّةٌ جارية ، وكذلك فعلهما حُجْرُ بن عَدِيٍّ بن الأدْبَر حين قتله معاويةُ ـ رحمه الله ـ وذلك أن زياداً كتب من البَصْرة إلى مُعاوية يذكر أن حُجْراً وأصحابه ، قد خرجوا على السُّلْطَانِ ، وشقّوا عصا المسلمين ، ووجّه مع الكتابِ(٣) بك فيه شهادة سبعين رجلا فيهم الحَسَن بن أبي الحَسَن

---

(١) لم أهتد في مراجعي إلى معرفتهما .
(٢) الذي سبق ذكره نحسة لا نحاس ، وليس في المعاجم نحسة بمعنى دخان .
(٣) هكذا بالأصل ، ولعلها : صكا .

. . . .

البَصريّ وابنُ سيرين والرَّبيعُ بن زِياد وجماعة من عِلْيَةِ التَّابِعين ذكرهم الطبري[١] يشهدون بما قال زِيادٌ من خُروج حُجْرِ بن عَدِيٍّ عليه[٢]، وكان حُجْرٌ شديد الإنكار للظلم، غليظاً على الأمراء، وأنكر على زيادٍ أموراً من الظلم، فخرج عليه، ولم يكن قَصْدُهُ الخروجَ على مُعاوِيَةَ، فلما حُمِلَ حُجْر إلى معاوية في خَمْسَةٍ من أصحابه، قال له: السلام عليك يا أمير المؤمنين، فقال له معاوية: أو أنا للمؤمنين أمير؟! ثم أمر بقتله، فعند ذلك صَلَّى حُجر الركعتين، ثم لقى معاويةُ عائشةَ بالمدينة، فقالت له: أما اتقيت الله يا مُعاوِيَة في حُجْر بن عدى وأصحابه؟ فقال: أو أنا قَتَلْتُهم، إنما قتلهم من شَهِد عليهم، فلما أكثرت عليه، قال لها: دَعِيني وحُجْراً فإني مُلاقيه غداً على الجادَّة، قالت: فأين عَزَبَ عنك حِلْمُ أبي سُفْيَانَ؟ فقال: حين غاب عني مثلُك من قومي[٣].

---

(١) في ص ٢٦٩ وما بعدها حـ ٥ ط دار المعارف.

(٢) وقد جاء في كتاب هذه الشهادة ما يأتي: « هذا ما شهد عليه أبو بردة بن أبي موسى لله رب العالمين. شهد أن حجر بن عدى خلع الطاعة، وفارق الجماعة، ولعن الخليفة، ودعا إلى الحرب والفتنة، وجمع إليه الجموع يدعوهم إلى نكث البيعة، وخلع أمير المؤمنين معاوية، وكفر بالله عز وجل كفرة صلعاء » ص ٢٦٩ المصدر السابق.

(٣) تعددت روايات الطبري للقاء عائشة ومعاوية رضى الله عنهما. ففي ص ٢٥٧ يذكر أنه لقيها بمكة، فقالت: يا معاوية أين كان حلمك عن حجر؟ فقال لها: يا أم المؤمنين لم يحضرني رشيد!! وفي ص ٢٧٨ أن عائشة أرسلت إلى معاوية بعثت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام في شأن حجر وأصحابه، فقدم عليه، وقد قتلهم، فقال له عبد الرحمن: أين غاب عنك حلم أبي سفيان؟ قال: غاب عني حين غاب عني مثلك من حلماء قومي. =

. . . .

لِمَ صارت صلاة خبيب سنة ؟ :

وإنما صار فعلُ خُبَيْب سُنَّةً حَسَنَةً . والسُّنَّةُ إنما هى أقوالٌ من النبىِّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأفعالٌ وإقرارٌ ، لأنه فعلها فى حياته عليه السلام ، فاسْتُحْسِن ذلك من فعله ، واستحسنه المُسْلِمُون ، مع أن الصلاة خيرٌ ماخُتِم به عملُ العبد ، وقد صَلَّى هاتين الركعتين أيضاً زيدُ بن حارِثة مَوْلَى النبىِّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ وذلك فى حياته عليه السلام ، حدثنا أبو بكر بن طاهر بن طاهر الإشبيلى ، قال : أخبرنا أبو على الغسانِى ، قال : أخبرنا أبو عُمَر النَّمَرِى ، قال : أخبرنا أبو القاسم عبد الوارث بن سُفْيان بن جَبْرُون ، قال : أخبرنا أبو محمد قاسم بن أَصْبَغ ، قال : أخبرنا أبو بكر بن أبى خَيْثَمَةَ : أخبرنا ابن مَعِين : أخبرنا قال : أخبرنا يَحْيى بن عبد الله بن بكير المصرى ، قال : أخبرنا اللَّيْثُ بن سَعْد ، قال : بلغنى أن زيد بن حارثة اكْتَرَى من رجل

= وفى نفس الصفحة ذكر أن معاوية حين حج مر على عائشة رضوان الله عليهما ، فاستأذن عليها ، فأذنت له ، فلما قعد قالت له : يا معاوية : أأمنت أن أخبأ لك من يقتلك ؟ ! قال بيت الأمن دخلت . قالت : يا معاوية أما خشيت الله فى قتل حجر وأصحابه؟ قال : لست أنا قتلتهم إنما قتلهم من شهد عليهم . هذا وقد فصل الطبرى فى تاريخه قصة حجر وجعل مصرعه من أحداث سنة إحدى وخمسين وهى فى كتابه من ص ٢٥٣ إلى ص ٢٨٥ أما المسعودى فذكر أن مصرع حجر كان فى سنة ٥٣هـ . ولكنه قال : قيل إن قتلهم كان فى سنة ٥٠ ص ١٢ حـ ٣ مروج الذهب لأبى الحسن على بن الحسين بن على المسعودى ط ١٩٤٨ وانظر ص ٢٢ المجلد الثالث من تاريخ عبد الرحمن بن خلدون المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر الخ ، ط لبنان ١٩٥٧ .

. . . .

بجفلا من الطائف اشترط عليه الكَرِىُّ أن يُنْزِله حيث شاء ، قال : فمال به إلى خَرِبةٍ ، فقال له : انزل فنزل ، فإذا فى الخَرِبةِ قتلى كثيرةٌ ، قال : فلما أراد أن يقتلَه ، قال : دعنى أُصَلِّ ركعتين ، قال : صَلِّ ، فقد صلَّى قبلَك هؤلاء فلم تنفَعْهُم صلاتُهم شيئاً ، قال : فلما صليتُ أتانى ، ليقتلَنى ، قال : فقلتُ : يا أرْحَمَ الراحمين ، قال : فسمع صوتاً : لاتَقْتُلْه ، قال: فهاب ذلك فخرج يطلب أحداً ، فلم يرَ شيئاً ، فرجع إلىَّ ، فناديتُ : يا أرْحَمَ الراحمين ، ففعل ذلك ثلاثاً ، فإذا أنا بفارس بيده حَرْبةُ حديد فى رأسها شُعْلةٌ من نار فطعنه بها ، فأنفذه من ظَهْره ، فوقع ميتاً ، ثم قال : لما دعوتَ المرة الأولى يا أرحم الراحمين كنتُ فى السماء السابعة ، فلما دعوتَ المرة الثانية يا أرحم الراحمين ، كنتُ فى السماء الدنيا ، فلما دعوتَ المرة الثالثة يا أرحم الراحمين أتيتُك(١) .

ما أنزل الله من القرآن فى هو خبيب وأصحابه :

فصل : وذكر ابن إسحاق ما أنزل اللهُ تعالى فى خبر خُبَيْبٍ وأصحابه من قول المنافقين فيهم ﴿ ومِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قولُه فى الحياةِ الدنيا ويُشْهِدُ اللهَ على ما فى قلبه ﴾ البقرة : ٢٠٤ الآية ، وأكثر أهل التفسير على خلاف قوله وأنها نَزَلَتْ فى الأخْنَسِ بن شَرِيقٍ الثَّقَفِى ، رواه أبو مالك عن ابن عباس ، وقاله مجاهد ، وقال ابن الكلبى : كنت بمكة ، فسُئِلْتُ عن هذه الآية فقلت :

---

(١) لاشك فى أنها أسطورة ..

. . . .

نزلتْ في الأخنس بن شَرِيق ، فسمني رجلٌ من وَلَدِه ، فقال لى : ياهذا إنما أُنزِلَ القرآنُ على أهلِ مكّة ، فلا تُسَمِّ أحداً مادمت فيها ، وكذلك قالوا في قوله : ﴿ومِنَ الناس من يَشْرِي نفسَه ابتِغاءَ مَرْضاةِ الله﴾ البقرة ٢٠٧ . نزلت في صُهَيبِ بن سِنَان حين هاجر ، وتَرَكَ جميع مَالِه لقُرَيْشٍ ويدعونه يهاجر بنفسه إلى الله ورسوله ، واستشهد ابن هشام على تفسير الألدّ بقولِ مُهَلْهِل ، قال : واسمه امرُؤ القيس ، ويقال عَدِيٌّ ، وقد صرّح مُهَلْهِلٌ باسمِ نفسِه في الشعر الذي استشهد به ابن هشام ، فقال :

صَرَبَتْ صَدْرَها إلىَّ وقالت ياعَدِيًّا لقد وَقَتْكَ الأَوَاقِي (١)

وفيه البيت الذي ذكر ابن هشام :

إن تحت الأحجارِ حدًّا وليناً وخَصِيماً أَلَدَّ ذا مِعْلَاقِ (٢)

ويروى : مِغلَاق بالغين المعجمة ، والمِعْلَاقُ : اللسان ، وأما المِغْلَاقُ بالغين مُعْجَمَةً ، فالقول الذي يُغْلِق فَمَ الخَصْمِ ويُسكته . وبعده :

حَيَّة في الوِجَارِ أَرْبَدُ لايَنْـفَعُ منها السَّلِيمَ نَفْثُ الرَّاقي

---

(١) الأواقي: جمع واقية، فهمز الواو الأولى في الجمع. ومن قال : إن اسمه امرؤ القيس بن ربيعة الخ روى الشطرة الثانية هكذا : يا امرأ القيس حان وقت الفراق. ص ١١١ سمط اللآلى للبكرى .

(٢) أنشده اللسان : إن تحت الاحجار حزماً وجوداً . وزاد في تفسير المعلاق أنه اللسان إذا كان جدلا . هذا وبيت الطرماح الذى في السيرة أنشده اللسان هكذا : يضحى على سوق الجذول كأنه . . . بلند .

رفع المستهم

وسمى مُهَلْهِلاً بقوله :

لما تَوَقَّلَ فى الكُراع هَجِينُهم   هَلْهَلْتُ أثأرُ جابراً أو صِنْبِلاَ(١)

هَلْهَلْتُ: أى كِدْتُ وقَارَبْتُ ، وأما الألَدّ ، فهو من اللَّدِيدَيْن ، وهما جانبا العنق ، فالألدُّ الذى يَرِيغُ الُحجَّةَ من جانب إلى جانب ، يقال: تركته يَتَلَدَّدُ(٢) ، وقال الزَّجَّاجُ : الخِصام جمع فى هذه الآية ، ولا يستقيم أن يكون معناه المخاصَمة ، لأن أفعَل الذى يراد به التفضيل إنما يكون بعض ما أضيف إليه ، تقول : زيد أفصح الناس ، ولا تقول : زيد أفصح الكلام .

قال الشيخ الحافظ رضى الله عنه : وهذا الذى قاله حَسَنٌ إن كان ألدُّ من هذا الباب الذى مُؤنَّثُه الفُعْلَى ، أما إن كان من باب أفعل الذى مؤنَّثُه فَعْلَاء نحو : أخْرَسُ وخَرْساء ، فالخصامُ مصدَرُ خاصمته ، وهو ظاهر قول المفسرين ، فإنهم فسروه بالشديد الخصومة ، فاللَّدَدُ إذاً من صِفَةِ المُخاصَمَة ، وإن وُصِفَ

---

(١) فى الأصل : توقل وصوابها ترقل ، والبيت فى اللسان ، وفى سمط اللآلى ص ١١٢ : توعر بدلا من ترقل . والبيت من شعر قاله لزهير بن جناب ، وقد قاله لما ادرك بثأر أخيه كليب ، وقد سبق الحديث عن المهلهل ، وقد ذكر ابن قتيبة أنه سمى مهلهلا لأنه هلهل الشعر ، أى أرقه وقول السهيلى هو قول الطوسى ، وهو الذى ارتضاه أبو العلاء المعرى فى رسالة الغفران ، وجابر وصنبل رجلان من تغلب .

(٢) قال أبو اسحاق : معنى الخصم الألد فى اللغة : الشديد الخصومة الجدل واشتقاقه من لديدى العنق ، وهما صفحتاه ، وتأويله : أن خصمه أى وجه أخذ من وجوه الخصومة غلبه فى ذلك .

رفع
المبتسم
عز الدين للطباعة

. . . .

به الرجل مجازاً ، ويقوى هذا قولُه : و خَصِيا أَلَدّ ، ولم يُضِفْه ، ولا قال أَلَدّ من كذا، فجعله من باب أصَمّ وأشَمّ ونحوه ، ويقويه أيضاً قولهم فى الجمع : قوم لُدّ ، روت عائشة عن النبي – صلى الله عليه وسلم أنه قال : ﴿ أبغض الخَلْق إلى الله الخَصِم الألَدّ ﴾[1] وقرأ ابن محيصن ﴿ ويَشْهَدُ اللهُ على مافى قلبه ﴾ بفتح الياء والهاء ، ورفع الهاء من اسم الله تعالى ، أى : ويعلم اللهُ مافى قلبه .

---

(١) البخارى ومسلم والترمذى والنسائى . والخصم بكسر الصاد الذى يحج من يخاصمه .

هذا وقد استشهد ابن هشام فى السيرة ببيت قاله يزيد بن ربيعة بن مفرغ . وقد سبق حديث عنه وعن السبب الذى من أجله قال القصيدة . والقصيدة التى منها البيت « وشريت برداً ليتنى » الخ هى كما رواها الزجاج فى أماليه :

أصرمت حبلك من أمامه   من بعد أيام برامه
لهفى على الرأى الذى   كانت عواقبه ندامه
تركى سعيداً ذا الندى   والبيت ترفعه الدعامه
وتبعت عبد بنى علا   ج تلك أشراط القيامه
جاءت به حبشية   سكاء تحسبها نعامه
من نسوة سود الوجو   ه ترى عليهن الدمامه
وشريت بردا ليتنى   من بعد برد كنت هامه
أو بومة تدعو صدى   بين المشقر واليمامه
العبد يقرع بالعصا   والحر تكفيه الملامه
الريح تبكى شجوها   والبرق يلمع فى غمامه
ورمقتها فوجدتها   كالضلع ليس له استقامه

[illegible]

رفع المسهم

. . . .

عرض فى شعر حسان فى خبيب :

وذكر شِعْرَ حسَّان فى قِصَّة خُبَيْبٍ ، وقوله فيه :

مِنَ القبائِلِ منهم مَنْ نَفَتْ عُدَسُ

قوله : من نَفَتْ عُدَسُ ، يعنى حُجَيْرَ بن أبى إهاب بن عُزَيْزٍ ، وهو ينتسب إلى بنى عُدُسِ بن زيد بن عبد الله بن دَارِمِ بن مالك بن حَنْظَلَة ، ويقال : بل هو من بنى رَبِيعَةَ بن مالك بن حَنْظَلَةَ ، ومن هاهنا ذكَرَ نَفْيَ بنى عُدُسٍ له ، من أجلِ الاختلاف فى نسبه. وعُدُسٍ بضم الدال فى تميم ، وهو هذا ، وكل عَـدَسٍ فى العرب سواه فهو بفتح الدال ، وهو من عَدَسَ فى الأرض إذا ذَهَب فيها ، والله أعلم ، فمن المفتوح الدال عَدَسُ بن عُبَيْدٍ فى الأنصار ، ثم فى بنى النَّجَّار ، وهو جد أبى أُمَامَةَ أسْعَد بن زُرَارَةَ(١) ، وقد قال بعض النسابين فى عُدُسِ بن زَيْد بن عبد الله بن دَارِمٍ الذى تقدم ذكره : عُدَس بفتح الدال ، والأول أعرفُ وأشهر .

دعوة خبيب على قاتليه :

وذكر قول خُبَيْب حين رفعوه فى الخشبة : اللهم أحْصِهِمْ عَدَداً ، واقْتُلْهم بَدَداً ، فمن رواه بِدداً بكسر الباء ، فهو مصدر بمعنى التَّبَدُّد ، أى : ذوى(٢)

---

(١) فى الأصل دارة وهو خطأ وصوابه ما أثبته .

(٢) جاء فى هامش المطبوعة : وفى النسخة الأخرى : بكسر الباء فهو جمع بدة ، وهى الفرقة والقطعة من الشىء المتبدد ، أى ذوى بدد هذا وقد ذكر =

. . . .

بِدَدٍ. فإن قيل : فهل أجيبت فيهم دعوة خُبَيْبٍ ، والدعوة على تلك الحال من مثل ذلك العبد مُسْتَجَابَةٌ ؟

قلنا : أصابت منهم مَنْ سبق في علم الله أن يموتَ كافراً ، ومن أسلم منهم فلم يَعْنِه خُبَيْبٌ ولا قصده بدعائه ، ومن قُتل منهم كافراً بعد هذه الدعوة فإنما قُتِلوا بَدَداً غير مُعَسْكِرين ولا مُجتمعين كاجتماعهم في أُحُدٍ ، وقبل ذلك في بدر ، وإن كانت الخَنْدَقُ بعد قِصَّة خُبَيْب فقد قتل منهم آحادٌ فيها مُتَبَدِّدُون ، ثم لم يكن لهم بعد ذلك جَمْعٌ ولا معسكر غَزَوا فيه ، فنفذت الدعوةُ على صُورتِهَا وفيمن أراد خُبَيْبٌ - رحمه الله - وحاشا له أن يكره إيمانَهم وإسلامَهم[1] .

ابن كهيئة في شعر حسان :

فصل : وذكر أشعارَ حسَّانٍ في خُبَيْبٍ وأصحابه ، وليس فيهم معنى خفى ، ولا لفظ غريب وَحْشِىٌّ ، فيحتاج إلى تفسيره ، لكن في بعضها :

= الخشنى البدة بكسر الباء : المتفرقون ، وهو بفتح الباء المصدر ، وأصله من التبدد وهو التفرق . وذكر ابن الأثير ما يأتى : بدد : يروى بكسر الباء جمع بدة وهى الحصة والنصيب ؛ أى اقتلهم حصصا مقسمة ، لكل واحد حصته ونصيبه . ويروى بالفتح . أى . متفرقين في القتل واحداً بعد واحد من التبديد .

(١) وقصيدة خبيب في السير لم يرو منها البخارى غير هذين :

ما إن أبالى حين أقتل مسلماً ... على أى شق كان لله مصرعى
وذلك في ذات الإله وإن يشأ ... يبارك على أوصال شلو ممزع

وفي رواية أبي الأسود عن عروة ذكر البيت الأول والرابع من القصيدة .

. . . .

بنى كُهَيْبَةَ أن الحربَ قدْ لَقِحتْ

جعل كُهَيْبَةَ كأنه اسمٌ علَمٌ لأُمِّهم ، وهذا كما يقال : بنى ضَوْطَرَى وبنى الغَبْراء وبنى دَرْزَةَ[1] قال الشاعر :

أولادُ دَرزَةَ أسْلَمُوكَ وطارُوا[2]

وهذا كله اسمٌ لمن يُسَبُّ ، وعِبارَةٌ عن السَّفَلَة من الناس ، وكُهَيْبَةُ من الكُهْبَةِ ، وهى الغُبْرة ، وهذا كما قالوا : بنى الغَبْراء ، وأكثر أشعار حسَّانَ فى هذه القصة ، قال فيها من هُذَيْلٍ ، لأنَّهم إخْوَةُ القَارَةِ ، والمشاركون لهم فى الغَدْرِ بخُبَيْبٍ وأصحابه ، وهُذَيْلٌ وخُزَيْمَةُ أبناء مُدْرِكَةَ بن إلياس وعَضَلُ والقارَةُ من بنى خُزَيْمَةَ .

حول العلم ومنعه من التنوين مع الخفض :

وقوله : وابنُ طارِقٍ وابن دَثْنَةَ منهم ، حذف التنوين كما تقدم فى قوله

---

(١) الضوطرى : الرجل الضخم الذى لا غناء عنده ، ويقال للقوم إذا كانوا لا يغنون غناء بنو ضوطرى . وبنو ضوطرى : حى معروف . وبنو غبراء تقال للمحاويج أو الفقراء كأنهم نسبوا إلى الأرض ، وهى فى الأصل : غبرى — مقصورة — ولم أجدها . وبنو درزة يقال للدعى هو ابن درزة وابن ترنى ، وذلك إذا كان ابن أمة تساعى فجاءت به من المساعاة : ولا يعرف له أب ويقال : هؤلاء أولاد درزة وأولاد فرتنى للسفلة والسقاط . انظر اللسان فى مادة درز وضطر وغبر .

(٢) فى اللسان قاله شاعر يخاطب زيد بن على . ويقال . أراد به الخياطين ، لأنهم كانوا خرجوا معه ، فتركوه وانهزموا .

شَلّتْ يدا وَحشِيّ مِنْ قاتِلِ ، ولو أنه حين حذف التنوين نَصَبَ ، وجعله كالاسم الذى لا ينصرف ، وهو فى موضع الخفض مفتوحٌ ، لكان وَجْهاً وقياساً صحيحاً ، لأن الخفضَ تابعُ التنوينِ ، فإذا زالَ التنوينُ زالَ الخفض ، لئلا يلتبس بالمضاف إلى ضمير المتكلِّم ، لأن ضميرَ المتكلم ، وإن كان ياء فقد يحذف ، ويكتفى بالكسرة منه ، وزوال التنوين فى أكثر مالا ينصرف إنما هو لاستغناء الاسمِ عنه ، إذ هو علامَةُ الانفصالِ عن الاضافة ، فكل اسمٍ لا يُتوَهَّم فيه الاضافةُ لا يحتاج إلى التنوين ، لكنه إذا لم يُنوَّن لم يُخْفَض ، لما ذكرناه من التباسِه بالمضاف إلى المتكلم ، وقد تقدم فى أشعار أُحُد : كَنارِ أبى حُبَاحِبَ والظُّبينا بفتح الباء من حُبَاحِبَ فى موضعِ الخفضِ ، وكان حَقُّ كلِّ علمٍ ألَّا يُنوَّنَ ، لأنه مُستغنٍ عن الإضافة كما لم يُنوَّن جميعُ أنواعِ المعارف ، ولكنهُ نوّنَ ما نُوِّن منه للسِّرِّ الذى بيناه فى أسرارِ مالا ينصرف من الأسماء ، وقد أملينا فى ذلك جُزْءاً . ولكن الخفضَ فى طارقٍ ووَحشِيٍّ مَرْوِيٌّ ، ووجهه أنه لما كان ضَرُورَةَ شِعْرٍ ، ولم يكثر فى كلامهم لم يُتبِعوا الخفضَ فيه التنوينَ إذ لا يتوَهَّمُ إضافتُه إلى المتكلم ، إذ لا يقع إلا نادراً فى شعر ، فاللبس فيه بعيد .

اشتقاق اسم خبيب وهذيل ::

وقوله : وابن البُكَيْرِ إمامُهم وخُبَيْبُ ، أردف حرفَ الرَّوِيِّ بياء مفتوح ماقبلها ، وقد تقدم القولُ فيه مرّتين . وخبيب فى اللغة تصغير خِبٍّ ،

فيكون من باب تصغير التَّرْخيم ، وهو الذى ينبنى على حذف الزَّوائِد ، وأما هُذَيلٌ فقالوا فيه : إنه مُصغَّر تَصغير التَّرْخيم ، لأنه من هَوْذَلَ الرَّجُلُ بِبَوْلِهِ إذا باعد به ، فكأنه تصغيرُ مُهَوذِلٍ على حذف الزوائد ، ويجوز أن يكون تصغير هُذْلُولٍ ، وهو التَّل الصَّغير من الرَّمْلِ على تَصْغير الترخيم أيضاً[1] .

سالت بدون همزة :

وقوله : سالت[2] هُذَيلٌ رسولَ الله فاحِشَةً ، ليس على تسهيل الهمزة فى سالت ، ولكنها لغةٌ بدليل قولهم : تَسَايَلَ القومُ ، ولو كان تَسْهيلا ، لكانت الهمزةُ بَيْنَ بَيْن ، ولم يستقم وَزْنُ الشعر بها ، لأنها كالمُتَحَرِّكة ، وقد تقْلَبُ ألِفاً ساكِنَة كما قالوا : المِنْسَاةَ[3] ، ولكنه شىء لا يُقَاس عليه ، وإذا كانت سَالَ لغةً فى سأل فيلزم أن يكون المضارعُ يَسِيلُ ، ولكن قد حكى يونس : سِلْتَ تَسَالُ مثل خِفْتَ تَخَافُ ، هو عنده من ذَوَاتِ الواو ، وقال الزجاج : الرجلان يَتَسَايَلانِ ، وقال النَّحَّاس والمُبَرِّدُ : يتساولان ، وهو مثل ما حكى يونس .

خبر بئر معونة

قال ابن إسحاق : وكانوا أربعين رجُلا ، والصحيح أنهم كانوا سَبْعِين ،

(١) قريب منه قول ابن دريد : اشتقاق هذيل من الهذل وهو الاضطراب ، يقال : هوذل الرجل ببوله إذا اضطرب بوله فقد هوذل .

(٢) السهيلى ينتقل من قصيدة إلى قصيدة دون ترتيب .

(٣) المنساة : العصا يهمز ولا يهمز .

رفع المسابهم

. . . .

كذا وقع فى صحيح البخارى ومسلم .

ملاعب الأسنة وإخوته ومعوذ الحكماء :

وذكر أبا بَرَاء مُلَاعِبَ الأسِنَّة، وأنه أجار أصحابَ بئر مَعُونَةَ من أهل نَجْدٍ ، وهو عامر بن مالك بن جعفر بن كِلاب بن رَبيعة بن عامر بن صَعْصَعَة، سُمّى مُلاعبَ الأسِنَّةِ فى يوم سُوبانَ ، وهو يوم كانت فيه وَقيعة فى أيام جَبَلَة، وهى أيامُ حَرْبٍ كانت بين قَيْسٍ وتميم ، وَجَبَلَةُ اسم لِهَضَبَةٍ عالية ، وقد تقدمَ طَرَفٌ من هذا الحديث فى أول الكتاب ، وكان سببُ تَسْمِيَتِهِ فى يوم سُوبانَ مُلاعِبَ الأسِنَّةِ أن أخاه الذى يقال له فارسُ قُرْزُلٍ ، وهو طُفَيْلُ بن مالِكٍ ، وقد ذكرنا فى أول الكتاب معنى قُرْزُل ، كان أسْلَمَهُ فى ذلك اليوم، وَفَرَّ فقال شاعر :

فَرَرْتَ وأَسْلَمْتَ ابنَ أُمِّكَ عامِراً ... يُلاعِبُ أطرافَ الوَشِيجِ المُزَعْزَعِ

فسُمّى مُلاعبَ الأسِنَّة ، ومُلاعِب الرِّماح . قال لبيد :

وأنتى مُلَاعِبُ الرِّمَاحِ ... ومِدْرَهُ الكَتِيبَةِ الرَّدَاحِ

وهو عَمُّ لَبيد بن ربيعة، وكانوا إخْوَةً خَمْسَةً: طُفَيْلٌ فارسُ قُرْزُلٍ ، وعامرٌ مُلَاعِبُ الأَسِنَّةِ ، ورَبِيعَةُ المُقْتِرِينَ[1] وهو والدلبيدَ ، وعُبَيْدَةُ الوَضَّاح، ومعاوية مُعَوِّذُ الحُكَماء[2] وهو الذى يقول :

---

(١) فى الجمهرة لابن حزم: وربيعة ، وهو ربيع المقترين .

(٢) فى الجمهرة معود ص ٢٦٨ وكذلك فى اللسان وفى سمط اللآلى ص ١٩٠ ، ٤٤٨ .

إذا سقط السماء بأرض قوم   رعيناه وإن كانوا غضابا

وفى هذا الشعر يقول :

يعوّذ مثلها الحكماء بعدى   إذا ما الأمر فى الحدثان نابا

وبهذا البيت سُمّى مُعَوِّذ الحكماء[1].

شعر لبيد عن ملاعب وإقحوته أمام النعمان :

وإياهم عَنَى لَبيدٌ حين قال بين يدى النُّعمان بن المُنذِر :

نحنُ بنِى أمِّ البنِينَ الأربعَهْ   المُطعِمون الجَفْنَةَ المُدعدَعَهْ

والضاربونَ الهامَ تحت الخيضَعَهْ   يا ربَّ هيجا هِيَ خيرٌ مِنْ دَعَهْ[2]

---

(١) البيت فى اللسان هكذا :

أعود مثلها الحكماء بعدى   إذا ما الحق فى الحدثان نابا

ويقول اللسان قبلها : وسمى معود الحكماء لقوله فى هذه القصيدة ثم ذكر البيت .

وفى سمط اللالى ص ١٩٠ يقول : سمى معود ـ بالدال ـ الحكماء بقوله :

سأعقلها وتحملها غنى   وأورث بعدها أبداً كلابا

أعود مثلها الحكماء بعدى   إذا ما معضل الحدثان نابا

وفى ص ٤٤٨ يذكر بعد بيته إذا نزل السماء هذين البيتين :

لكل مقلص عبل شواه   إذا وضعت أعنتهن ثابا

وعفزة الحزام بمرفقيها   كشاة الربل أفلتت الكلابا

وانظر ص ١٨٢ جـ ١ الأمالى للقالى ط ٢

(٢) فى اللسان وفى سمط اللآلى : نحن بنو ، وزاد اللسان بعد الشطرة الأولى فى مادة خضع : ونحن خير عامر بن صعصعة ، والمدعدعة : المليئة ، والخيضعة : البيضة أو التفاف الأصوات فى الحرب وقد قال لبيد الرجز حين ناظر الربيع

. . . .

ثم ذكر الرَّبيعَ بن زِيادٍ [العَبْسِى] فقال:

مَهْلًا أَبَيْتَ اللَّعْنَ لَا تَأْكُلْ مَعَهْ

إلى آخر الرَّجَزِ فى خَبَرٍ طويل، إنما قال: الأَرْبَعَةْ، وهم خمسة، لأن أباه ربيعة قد كان مات قبل ذلك، لا كما قال بعضُ الناس، وهو قول يُعزَى إلى الفرّاء أنه قال إنما قال أربعة، ولم يَقُلْ خمسة من أجل القوافى، فيقال له: لا يجوز للشاعر أن يَلْحَنَ لإقامة وَزْنِ الشعر، فكيف بأن يَكْذِبَ لإقامة الوزنِ، وأعجبُ من هذا أنه استشهد به على تأويلٍ فاسدٍ تأوله فى قوله سبحانه: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾ الرحمن: ٤٦ وقال: أرادَ جَنَّةً واحدةً، وجاء بلفظ التَّثْنِيَةِ، لتتفقَ رُءوسَ الآى، أو كلامًا هذا معناه، فَصَمِّى صَمَامِ(١) ما أشنع هذا الكلام، وأبعدَه عن العِلم، وفهم القرآن: وأقلَّ هَيْبَةَ قائله من أنْ يَتَبَوَّأَ مَقْعَدَه من النار، فَحَذَارِ منه حَذَارِ. ومما يدلك أنهم كانوا أَرْبَعَةً حين قال لَبيدٌ هذه المقالة أن فى الخبر ذِكْرَ يُتْم لَبيد وصِغَرِ سِنِّه، وأن أعمامَه الأربعة استصغروه أن يُدْخِلوه معهم على النعمان حين هَمَّهم ما قاوَلَهُمْ به الربيعُ بن زِيادٍ، فسمعهم لبيدٌ يتحدّثون بذلك، ويَهْتَمُّون له، فسألهم أن يُدْخِلوه معهم على النُّعمانِ، وزعم أنه سَيُفْحِمُه فتهاوَنُوا بقوله،

= ابن زياد العبسى بحضرة النعمان بن المنذر. أنظر ص ١٥١ سمط اللآلى. وحسنا فعل السهيلى حين بتر الرجز، فقد أفحش فيه لبيد، ورمى زياداً بما تبرأ منه الرجولة بألفاظ تثير التقزز.

(١) صمى صمام: يضرب للرجل يأتى الداهية، أى اخرسى يا صمام. ويقال للداهية: صمى صمام مثل قطام وهى الداهية، أى زيدى.

. . . .

حتى اختبروه بأشياء مَذكورةٍ فى الخبر ، فبان بهذا كلِّه أنهم كانوا أربعةً ، ولو سكت الجاهلُ لقلَّ الخلافُ والحمدُ لله .

مصير ابن فهيرة :

وذكر ابن إسحاق عن هِشَام بن عُرْوَةَ عن أبيه أن عامر بن الطفَيْلِ قال يومئذ : مَنْ رَجُلٌ لما طَعَنْتُه رُفِع حتى رأيتُ السماءَ من دونه . هذه رواية البَكَّائى عن ابن إسحاق ، وَرَوَى يونس بن بكير عنه بهذا الإسناد أن عامر بن الطفيل قدم المدينة بعد ذلك ، وقال للنبى عليه السلام : مَنْ رَجُل يا محمدُ لما طَعَنْتُه رُفِع إلى السماء ؟ فقال : هو عامر بن فُهَيْرَة[١] وروى عبد الرَّزَّاقِ وابنُ المُبارَكِ أن عامر بن فُهَيْرَةَ الْتُمِسَ فى القَتْلَى يومئذ ، فَفُقِد ، فيرَوْن أن الملائكة رفعته أو دَفَنَتْه .

أم البنين الأربعة :

وذكر قول حسان :

بَنِى أمِّ الْبَنِينَ أَلَمْ يَرُعْكُمْ وأنتم فى[٢] ذَوَائبِ أَهْلِ نَجْدِ

وهذه أم البنين التى ذكر لبيد فى قوله :

نحن بَنِى أمِّ البنين الأرْبَعَه

---

(١) فى رواية البخارى أن عامر بن الطفيل سأل عمرو بن أمية الضمرى ، وأن عامرا قال : لقد رأيته بعد ما قتل رُفع إلى السماء ، حتى إنى لأنظر إلى السماء بينه وبين الأرض . . . . وهذا قول رجل كافر ظل على كفره فهل يصدق ؟

(٢) فى السيرة : من .

رفع المسهم

. . . .

واسمها : لَيلى بنتُ عامر - فيما ذكروا وقد ذكر ابنُ هشام نسبها ، ولم يذكر اسمها .

وذكر قول أنس بن عباس السلمى :

تركتُ ابنَ ورقاءَ الخزاعِيَّ ثاوِيا ... بمُعترَكٍ تَسْفِى عليه الأعاصِرُ

ذكرت أبا الرَّيَّانِ لما رأيتُه ... وأيقنتُ أنى عند ذلك ثائرُ

الزيان أو الريان

هكذا وقع فى النسخة أبا الزيان[1] ، وفى رواية إبراهيم بن سعد : أبا الرَّيَّانِ بالراء المهملة ، وبالياء أخت الواو ، وهكذا ذكره الدارَقُطنىُّ فى المُؤتَلِف والمُختَلِف ، كما فى رواية إبراهيم بن سعد .

القرطاء :

وذكر شعر كعب وفيه : أو القُرطاء ما إن أسلموه . القُرطاء : هم بنو قُرْطٍ وقُرَيْطٍ وقَرِيطٍ ، وهم أبطُنٌ من بنى عامِرٍ ثم من بَنِى كِلابٍ .

شىء منسوخ

ولما قتل أصحابُ بئر معونة نزل فيهم قرآن ، ثم رُفع : أن أبلغوا قومَنا أنْ قد لَقِينا ربَّنا فرَضِىَ عنا ورَضِينا عنه[2] ، فثبت هذا فى الصَّحيح ، وليس

(١) فى أبى ذر : الزيان أى بالزاء والياء وقد صوب : الريان .

(٢) البخارى : إنا لقينا ربنا ، فرضى عنا وأرضانا . ولتتدبر النقد الرائع الذى نقد به السهيلى هذا .

. . . .

عليه رَوْنَقُ الإعجاز ، فيقال : إنه لم يَنزِل بهذا النظم ، ولكن بِنَظْمٍ مُعْجِزٍ كَنَظْم القُرْآنِ .

فإن قيل : إنه خَبَرٌ والخبرَ لايدخلُه النسخُ ، قلنا : لم يُنْسَخ منه الخبرُ ، وإنما نُسِخَ منه الحكم ، فإنَّ حُكمْ القرآن أنْ يُتلَى فى الصَّلاةِ ، وأنْ لا يَمَسَّه إلاَّ طاهرٌ (١) ، وأن يُكتَبَ بين اللَّوْحَيْنِ ، وأن يكون تعلُّمه من فُروض الكِفاية ، فكل ما نُسِخَ ، ورفعت منه هذه الأحكامُ ، وإن بقى محفوظاً ، فإنه منسوخٌ ، فإن تضمن حُكماً جاز أنْ يَبْقَى ذلك الحكمُ معمولا به ، وأنكرت ذلك المعتزلةُ ، وإن تضمَّن خبراً بقى ذلك الخبرُ مُصدقاً به ، وأحكامُ التلاوة منسوخةٌ عنه ، كما قد نزل: لو أن لابن آدمَ وَادِيَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ لابْتَغَى لهما ثالثاً ، ولا يملأ جَوْفَ ابنِ آدم إلا الترابَ ، ويتوبُ الله على من تاب .

ويُرْوى : لا يملأ عَيْنَىْ ابن آدمَ ، وَفَم ابنِ آدم ، كل ذلك فى الصحيح ، وكذلك رُوى : وادياً من مالٍ أيضاً ، فهذا خبرٌ حَقٌّ ، والخبر لا يُنْسَخُ ، ولكن نُسِخ منه أحكامُ التِّلاوة له ، وكانت هذه الآية أعنى قوله : لو أنّ

(١) يشير إلى قوله سبحانه : (إنه لقرآن كريم . فى كتاب مكنون . لا يمسه إلا المطهرون) الواقعة : ٧٧ — ٧٩ والضمير فى لا يمسه يعود إلى الكتاب الذى فى السماء كما قال ابن عباس . والمطهرون هم الملائكة . وقال ابن زيد : زعمت كفار قريش أن هذا القرآن تنزلت به الشياطين ، فأخبر الله تعالى أنه لا يمسه إلا المطهرون كما قال تعالى : (وما تنزلت به الشياطين) وقال الفراء : لا يجد طعمه ونفعه إلا من آمن به .

أمر إجلاء بنى النضير

فى سنة أربع

بنو النضير يأتمرون بالرسول صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق: ثم خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى بنى النَّضير يَستعينهم فى دِية ذينك القَتيلين من بنى عامر، اللذين قَتل عمرو بن أُميّة الضَّمْرى، للجوار الذى كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عَقد لهما، كما حدثنى يزيد بن رُومان، وكان بينَ بنى النَّضير وبين بنى عامر عَقْد وحِلْف.

لابن آدمَ فى سُورة يُونُسَ بعد قوله: كأنْ لم تَغْنَ بالأمْسِ كذلك نُفَصِّل الآياتِ لقوم يتفكرون، كذلك قال ابن سلام، وأما الحكم الذى بَقِى، وكان قرآنا يُتْلَى: فالشَّيْخُ والشَّيْخَةُ إذا زَنيا، فارجُمُوهُما البتَّة نَكالًا من الله، ولا تَرْغَبُوا عن آبائِكم، فإن ذلك كُفْرٌ بكم، فهذا حكمٌ كان نسخُه جائزا حين نُسِخَ حكمُ التلاوة، وكان جائزا أن يبْقى حُكْمُ التِّلَاوَةِ، وينسخ هذا الحكم بخلاف هذا الخبر كما تقدم[1].

---

(١) سؤال نسأله لهؤلاء الذين يزعمون مثل هذا: هل يجوز لمسلم أن يزعم أن قوله: لو أن لابن آدم الخ من القرآن؟. ثم هل يكفر من ينكر أنه كان من القرآن؟ وفى آى القرآن من جلال البيان وجماله وإشراقه ما يغنى عن هذا، وما يحكم بأن هذا كلام ليس عليه — كما قال السهيلى من قبل — رونق الإعجاز ثم كيف تنسخ آية ويبقى حكمها؟ أهذه تتفق مع حكمة الله بعباده ورحمته؟ ليتق الله الذين يزعمون مثل هذا، وكيف نأمن شرا يفترى مثل هذا؟ وسؤال آخر: أفى كتاب الله آية يحرم على المسلم أن يعمل بها؟! لا يجرؤ أحد على قول: نعم.

عقلاً أتاهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يَستعينهم فى دِية ذَيْنك القتيلين ، قالوا نعم ، يا أبا القاسم ، نُعينك على ما أحببْت ، مما استعَنت بنا عليه . ثم خلا بعضُهم ببعض ، فقالوا : إنكم لن تجدوا الرجلَ على مثل حاله هذه — ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى جَنْب جِدار من بيوتهم قاعد — فمَنْ رجلٌ يعلُو على هذا البيت ، فيُلقى عليه صخرةً ، فيُريحنا منه ؟ فانتدَب لذلك عمرو ابن جحاش بن كعب ، أحدُهم ، فقال : أنا لذلك ، فصَعد ليُلْقىَ عليه صخرَة كما قال، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى نَفَر من أصحابه ، فيهم أبو بكرٍ وعُمر وعلىّ ، رِضْوان الله عليهم .

الله يُعلم نبيه بما دبّروا

فأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم الخبرُ من السماء بما أراد القومُ ، فقام وخرج راجعاً إلى المدينة ، فلما استلبث النبىَّ صلى الله عليه وسلم أصحابُه ، قاموا فى طَلبه، فلقُوا رجلاً مُقبلاً من المدينة ، فسألوه عنه ؛ فقال : رأيته داخلا المدينة . فأقبل أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى انتهوا إليه صلى الله عليه وسلم ، فأخبرَهم الخبرَ ، بما كانت اليهودُ أرادتْ من الغَدْر به ، وأمرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالتَّهيؤ لحرْبهم ، والسَّير إليهم .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أمِّ مكتوم .

قال ابن إسحاق : ثم سار بالنَّاس حتى نزل بهم .

قال ابن هشام : وذلك فى شهر رَبيع الأوّل ، فحاصرهم ستّ ليال ؛ ونزل تحريم الخمر .

حصار الرسول لبنى النضير

قال ابن إسحاق : فتحصّنوا منه فى الحصون ، فأمر رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم بقَطْع النّخيل والتّحْريق فيها ، فنادَوْه : أنْ يامحمد ، قد كنتَ تَنْهى عن الفَساد ، وتَعِيبه على مَن صَنَعه ، فما بال قَطْع النخل وتحريقها ؟

تحريض الرهط لهم ثم محاولتهم الصلح

وقد كان رَهْط من بنى عَوْف بن الخزرج ، منهم (عدُوّ الله) عبدُ الله بن أُبَىّ بن سَلول، ووديعة، ومالك بن أبى قَوْقل ، وسُوَيد وداعِس، قد بعثوا إلى بنى النَّضير : أن اثبتُوا وتمنَّعوا ، فإنّا لن نُسْلمَكم ، إن قوتلتم قاتلنا معكم ، وإن أُخرِجتم خرَجنا معكم ، فترَبصوا ذلك من نَصرهم ، فلم يَفْعلوا ، وقَذف الله فى قلوبهم الرُّعب ، وسألوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أن يُجْليَهم ويكفّ عن دمائهم ، على أنّ لهم ماحملت الإبل من أموالهم إلا الحَلْقة ، ففعل . فاحتملوا من أموالهم ما استقلّت به الإبلُ ، فكان الرجلُ منهم يَهْدِم بيتَه عن نجِاَفِ بابِه ، فيضعه على ظَهْر بعيرِه ، فينطلق به . فخرَجوا إلى خَيْبَر، ومنهم مَن سار إلى الشام .

من هاجر منهم إلى خيبر

فكان أشرافُهم مَنْ سار منهم إلى خَيْبر : سلاّم بن أبى الحُقيق ،

وكِنانة بن الرَّبيع بن أبى الحُقَيق، وحُيَىّ بن أخْطَب. فلما نزلوها دان لهم أهلُها.

قال ابن إسحاق: فحدثنى عبد الله بن أبى بكر أنه حُدِّث: أنهم استقلُّوا بالنساء والأبناء والأموال، معهم الدُّفوف والمَزامير، والقِيان يَعزفن خَلْفهم، وإنّ فيهم لأمّ عَمْرو صاحبةَ عُرْوة بن الوَرْد العَبْسىّ، التى ابتاعوا منه، وكانت إحدى نساء بنى غِفار، بزُهاءٍ وفَخْر ما رُئِىَ مثلُه من حىّ من الناس فى زمانهم.

تقسيم الرسول أموالهم بين المهاجرين

وخلَّوا الأموال لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصّةً، يضعها حيث يشاء، فقسَّمها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على المهاجرين الأوّلين دون الأنصار. إلا أنّ سَهْل بن حُنَيف وأبا دُجانة سِماكَ بن خَرَشة ذكرا فقراً، فأعطاهما رسولُ الله صلى الله عليه وسلم.

من أسلم من بنى النضير

ولم يُسْلم من بنى النَّضير إلا رجلان: يامينُ بن عُمير، أبو كَعْب بن عمرو ابن جِحاش؛ وأبو سعد بن وَهب، أسْلما على أموالهما فأحرزاها.

تحريض يامين على قتل ابن جحاش

قال ابن إسحاق ـ وقد حدثنى بعض آل يامين: أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال ليامين: ألم تر مالقِيتُ من ابن عمِّك، وماهمّ به من شأنى؟

فجعل يامين بن عُمير لرجل جُعْلاً على أن يقتل له عَمرو بن جِحاش ، فقتله فيما يزعمون .

ما نزل فى بنى النضير من القرآن

ونزل فى بنى النَّضير سورةُ الحشر بأسرها، يذكر فيها ما أصابهم الله به من نقْمته . وما سلط عليهم به رسوله صلى الله عليه وسلم ، وما عمل به فيهم ، فقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِى أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ، ماظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا ، وظَنُّوا أَنَّهُمْ مانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللهِ ، فأتاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ، وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ، يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بأَيْدِيهِمْ وأَيْدِى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، وذلك لهدْمهم بيوتهم عن نُجُف أبوابهم إذا احتملوها . ﴿ فاعْتَبِرُوا يا أُولى الأَبْصارِ . وَلَوْلا أَنْ كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِمُ الْجلاءَ ﴾ وكان لهم من الله نقمة ، ﴿ لَعَذَّبَهُمْ فِى الدُّنْيا ﴾ : أى بالسيف،﴿ ولَهُمْ فِى الآخِرَةِ عذابُ النَّارِ ﴾ مع ذلك.﴿ ما قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوها قائِمَةً عَلَى أُصُولِها ﴾ .واللينة : ماخالف العجوة من النخل ﴿ فبإِذْنِ اللهِ ﴾ : أى فبأمر الله قُطعت ، لم يكن فساداً ، ولكن كان نقْمة من الله ﴿ وَلِيُخْزِىَ الفاسِقِينَ ﴾ .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : اللِّينة : من الألوان ، وهى مالم تكن بَرْنيَّةً ولا عَجْوة من النخل ، فيما حدّثنا أبو عُبيدة . قال ذو الرُّمّة :

رفع المسهم

كأنّ قُتُودى فوقها عُشُّ طائر ... على لِيَنَةٍ سَوْقاءَ تَهْفُو جُنُوبها

وهذا البيت فى قصيدة له.

﴿ وما أفاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ ﴾ - قال ابن إسحاق: يعنى من بنى النضير - ﴿ فما أوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلا رِكابٍ، ولـكِنَّ اللهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشاء، وَاللهُ على كلّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾: أى له خاصة.

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام: أوجفتم: حركتم وأتعبتم فى السير. قال تميم بن أُبىّ بن مُقْبِل أحد بنى عامر بن صَعْصعة:

مذاويد بالبيض الحديثِ صِقالها ... عن الرّكب أحيانًا إذا الركبُ أوجفوا

وهذا البيت فى قصيدة له، وهو الوجيف. (و) قال أبو زبيد الطائىّ، واسمه حَرْملة بن المُنْذِر:

مُسْنِفات كأنهنّ قَنـا الهنـــدِ لطُول الوَجيف جَدْبَ المَرُود

وهذا البيت فى قصيدة له.

قال ابن هشام: السِّناف: البِطان. والوجيف (أيضًا): وجيف القلب والكبد، وهو الضَّربان. قال قيس بن الخطيم الظَّفَرى:

إنّا وإن قدّموا التى علموا ... أكبادُنا مِنْ وَرائهم تَجِف

وهذا البيت فى قصيدة له.

﴿ ما أفاءَ اللهُ على رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ القُرَى فَللهِ وللرّسُولِ ﴾ - قال ابن إسحاق : مايُوجِف عليه المسلمون بالخيل والركاب ، وفُتح بالحرب عنوة فلله وللرسول - ﴿ وَلِذِي القُرْبَى واليتامَى والمساكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ، كَيْلا يَكُونَ دُولَةً بينَ الأغنياء مِنْكُمْ ، ومَا آتاكُمُ الرَّسُولُ فخذُوهُ وما نَهاكُمْ عَنْهُ فانْتَهُوا ﴾ . يقول : هذا قسْم آخر فيما أُصيب بالحرب بين المسلمين ، على ما وضعه الله عليه .

ثم قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إلى الَّذِينَ نافَقُوا ﴾ يعنى عبد الله بن أُبَيّ وأصحابه ، ومَن كان على مثل أمرهم ﴿ يَقُولُونَ لإخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتابِ ﴾ : يعنى بنى النَّضير ، إلى قوله : ﴿ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيباً ذَاقُوا وَبالَ أَمْرِهِمْ ، ولَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ : يعنى بنى قَيْنُقاع . ثم القصة . . إلى قوله : كَمَثَلِ الشَّيْطانِ إذْ قالَ للإنْسانِ اكْفُرْ ، فَلَمَّا كَفَرَ قالَ إنِّى بَرِىءٌ مِنْكَ ، إنِّى أَخافُ اللهَ رَبَّ العالَمِينَ . فكانَ عاقبتَهُما أنهُما فى النارِ خالِدَيْنِ فِيهاَ ، وذلكَ جزاء الظّالمينَ ﴾ .

ماقيل فى بنى النضير من الشعر

وكان مما قيل فى بَنِى النَّضير من الشعر قولُ ابن لُقَيم العَبْسى ، ويقال : قاله قيس بن بَحْر بن طَرِيف . قال ابن هشام : قيس بن بحر الأشجعى - فقال :

أَهْلِى فِداءٌ لامرِىءٍ غيرِ هالكٍ   أَحَلَّ اليهودَ بالحَسِىِّ المزَنَّمِ
يَقيلون فى جَمْرِ الغَضاةِ وبُدّلوا   أُهَيْضِبَ عُودى بالوَدِىِّ المُكَمَّمِ

فإنْ يكُ ظنّى صادقاً بمُحمّدٍ ... تَرَوْا خيلَه بين الصَّلا ويَرَمْرَم

يؤمّ بها عمرو بن بُهْثةَ إنّهمْ ... عدوٌّ وما حيٌّ صديق كمُجْرِم

عليهنّ أبطالٌ مساعيرُ فى الوَغَى ... يهزّون أطرافَ الوَشيج المُقوَّم

وكلِّ رقيق الشّفرتين مهنّــد ... تُوُورِثْن من أزمان عادٍ وجُرْهُم

فمَنْ مُبْلغٌ عنّى قُريشاً رِسالةً ... فهلْ بعدهم فى المجْدِ من مُتكرَّم

بأنّ أخاكم فاعلمُنّ محمّداً ... تَليدُ النّدى بين الحجون وزَمْزم

فدِينوا له بالحقّ تجْسُم أمورُكم ... وتَسْموا من الدُّنيا إلى كلّ مُعْظَم

نبىٌّ تلاقَته من الله رحمةٌ ... ولا تَسألوه أمرَ غَيْبٍ مُرَجَّم

فقد كانَ فى بدْرٍ لعَمْرى عِبْرةٌ ... لكم يا قُريشاً والقَليبِ المُلمَّم

غداةَ أتى فى الخزْرجيّة عامداً ... إليكم مُطيعاً للعظيم المُكرَّم

مُعاناً برُوحِ القُدْس يُنْكى عَدُوَّه ... رسولاً مِنَ الرّحمنِ حقًّا بمَعْلَم

رسولاً مِنَ الرّحمن يَتْلو كِتابَه ... فلمّا أنارَ الحقُّ لم يتلعْثَم

أرى أمرَه يَزْداد فى كلّ مَوْطن ... عُلُوًّا لأمر حمّه الله مُحْكَم

قال ابن هشام: عمرو بن بُهْثة، من غطَفان. وقوله «بالحسىّ المزنّم» عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وقال علىّ بن أبى طالب: يذكر إجلاء بنى النضير، وقتل كعب بن الأشرف.

قال ابن هشام: قالها رجلٌ من المسلمين غير علىّ بن أبى طالب، فيما ذكر

لى بعضُ أهل العلم بالشعر ، ولم أر أحداً منهم يعرفها املى :

عرفتُ ومَنْ يَعتَدِلْ يَعْرِفِ وأيقَنْتُ حقًّا ولم أَصْدِفِ
عَنِ الكَلِمِ المُحْكَمِ اللاءِ من لدى اللهِ ذى الرَّأفةِ الأرأفِ
رسائلُ تُدْرَسُ فى المؤمنين بهنّ اصطَفَى أحمدَ المُصطَفَى
فأصْبَحَ أحمدُ فينا عزيزاً عزيزَ المقامةِ والموقِفِ
فيا أيها المُوعِدوه سَفاهاً ولم يأتِ جوْراً ولم يَعْنُفِ
ألسْتمْ تخافون أدنى العذابِ وما آمِنُ اللهِ كالأَخْوفِ
وأنْ تُصرعوا تحت أسيافه كمَصْرعِ كعبٍ أبى الأشرفِ
غَداةَ رأى اللهُ طُغيانَه وأعْرَضَ كالجَمَلِ الأجْنَفِ
فأنزَلَ جبريلَ فى قتلِه بوَحْيٍ إلى عبدِه مُلطِفِ
فدَسَّ الرَّسولُ رسولا له بأبيَضَ ذى هَبَّةٍ مُرْهَفِ
فباتَتْ عيونٌ له مُعْوِلاتٍ متى يُنْعَ كعبٌ لها تَذْرِفِ
وقُلْنَ لأحمدَ ذَرْنا قليلاً فإنَّا مِنَ النَّوحِ لم نَشْتَفِ
فخلَّاهُمُ ثم قالَ اظعَنُوا دُحوراً على رَغْمِ الآنُفِ
وأجْلَى النَّضِيرَ إلى غُرْبةٍ وكانوا بدارِ ذوى زُخْرُفِ
إلى أذرِعاتٍ رُدافَى وهُمْ على كلِّ ذى دَبَرٍ أعْجَفِ

فأجابه سَمّاك اليهوديّ ، فقال :

إنْ تَفخَرُوا فهوَ فَخْرٌ لكم بمَقْتَلِ كَعْبٍ أبى الأشرفِ

غَداةَ غَـدَوْتُم على حَتْفِه ... ولم يَأتِ غـدراً ولم يُخْلِف
فَعلَّ اللَّيالى وَصَرْفَ الدُّهُور ... يُديلُ مِنَ العادِلِ المُنْصِفِ
بِقَتْلِ النَّضـير وأحْلافِها ... وعَقْرِ النَّخِيلِ ولم تُقْطَفِ
فإنْ لا أمُتْ نأتِكُم بالقَنَا ... وكلّ حُسامٍ مَعاً مُرْهَفِ
بكفِّ كَمِيٍّ به يَحْتمى ... متى يَلْقَ قِرْناً له يُتْلِفِ
مَعَ القَوْم صَخْرٌ وأشياعُه ... إذا غاوَرَ القَوْمَ لم يَضْعُفِ
كَلَيْثٍ بِتَرْج حَمَى غِيـلَهُ ... أخى غابةٍ هاصِرٍ أجْوَفِ

شعر كعب فى إجلاء بنى النضير وقتل ابن الأشرف

قال ابنُ إسحاق: وقال كعب بن مالك يذكر إجلاء بنى النضير وقتْل كعب بن الأشرف:

لقد خَزِيَتْ بِغَـدْرتها الحُبورُ ... كذاكَ الدَّهْرُ ذو صَرْف يَدُورُ
وذلك أنَّهم كَفَرُوا بِرَبٍّ ... عَزيزٍ أمرُه أمرٌ كَبِيرُ
وقـد أُوتُوا مَعاً فَهْماً وَعِلْماً ... وجاءَهُمُ مِنَ اللهِ النَّـذِيرُ
نذيرٌ صادِقٌ أدَّى كِتاباً ... وآياتٍ مُبَيَّنـةً تُنِيرُ
فقالوا: ما أتيتَ بأمرِ صِدْقٍ ... وأنتَ بِمُنْكَرٍ مِنَّا جَدِيرُ
فقال: بَلى لقـد أدَّيْتُ حَقًّا ... يُصَدِّقنى به الفَهِمُ الخَبِيرُ
فمن يَتْبعه يُهْدَ لكلّ رُشْدٍ ... ومن يَكْفر به يُجْزَ الكَفُورُ
فلما أُشْرِبوا غَـدْراً وكُفْراً ... وحادَ بِهِمْ عن الحقِّ النُّفورُ

رفع المسلم

أرى اللهُ النبيَّ برأيِ صدقٍ ... وكان اللهُ يحكمُ لا يجور
فأيَّده وسلَّطه عليهم ... وكان نصيرَه نِعْمَ النصير
فغودِرَ منهم كعبٌ صريعاً ... فذلَّت بعد مصرعه النَّضير
على الكفَّين ثمَّ وقد علته ... بأيدينا مشهَّرةٌ ذكور
بأمر محمدٍ إذ دسَّ ليلاً ... إلى كعبٍ أخا كعبٍ يسير
فماكره فأنزله بمكرٍ ... ومحمودٌ أخو ثقةٍ جسور
فتلك بنو النَّضير بدارِ سوءٍ ... أبارهم بما اجترموا المُبير
غداةَ أتاهمُ في الزَّحفِ رَهْواً ... رسولُ اللهِ وَهْوَ بهم بصير
وغسَّانَ الحماةُ مؤازروه ... على الأعداءِ وَهْوَ لهم وزير
فقال السِّلمَ وَيحكمُ فصدُّوا ... وحالفَ أمرَهم كذبٌ وزُور
فذاقوا غِبَّ أمرِهمُ وبالاً ... لكلِّ ثلاثةٍ منهم بعير
وأُجلوا عامدين لقَيْنُقاعٍ ... وغُودِرَ منهمُ نخلٌ ودُور

شعر سماك في الرد على كعب

فأجابه سَمَّاك اليهوديّ، فقال:

أرقتُ وضافني همٌّ كبيرُ ... بليلٍ غيرُه ليلٌ قصيرُ
أرى الأحبار تُنكِره جميعاً ... وكلُّهمُ له علمٌ خبير
وكانوا الدارِسين لكلِّ علمٍ ... به التَّوراةُ تنطِق والزَّبور
قتلتم سيِّدَ الأحبار كعباً ... وقِدْماً كانَ يأمن مَنْ يُجير

تدلَّى نحو محمودٍ أخيه ... ومحمودٌ سريرته الفُجُور
غُفادَرهُ كأنَّ دماً نجيعاً ... يَسيل على مَدارِعه عَبير
فقد وأبيكمُ وأبي جميعاً ... أُصيبتْ إذ أُصيبَ به النَّضِير
فإنْ نَسْلَمْ لكم نترك رجالاً ... بكَعْب حَوْلهم طَيْرٌ تَدُور
كأنهم عَتائِر يومِ عيدٍ ... تُذَبَّحُ وهْيَ ليس لها نَكير
ببِيضٍ لا تُلِيقُ لَهُنَّ عظماً ... صَوافى الحدّ أكثرُها ذُكور
كما لاقيتمُ من بأسِ صَخْرٍ ... بأُحْد حيثُ ليس لكم نصير

شعر ابن مرداس فى امتداح رجال بنى النضير

وقال عباسُ بن مرداس أخو بنى سليم يمتدح رجال بنى النضير :

لو أنّ أهلَ الدّار لم يتصدَّعُوا ... رأيتَ خِلالَ الدارِ مَلْهى ومَلعبا
فإنّك عَمْرِى هل أُريك ظَعائناً ... سَلَكْن على رُكن الشَّطاة فتيأبا
عليهنّ عِينٌ من ظِباء تَبالةٍ ... أوانسُ يُصْبِين الحليمَ المُجرِّبا
إذا جاء باغى الخيرِ قُلْنَ فُجاءةً ... له بوجُوه كالدّنانير مَرْحبا
وأهلاً فلا مَمْنوع خيرٍ طَلَبْتَه ... ولا أنت تَخْشى عندنا أن تُؤَنَّبا
فلا تحسبَنِّى كنت مولى ابن مِشكم ... سَلامٍ ولا مَوْلى حُيَىّ بن أخطبا

شعر خوات فى الرد على ابن مرداس

فأجابه خَوّات بن جُبير، أخو بنى عمرو بن عوف، فقال :

تُبَكِّي على قَتْلَى يهودَ وقد ترى ... مِنَ الشَّجْوِ لو تَبْكِي أحبَّ وأقربا
فهلاَّ على قتلى ببطن أُرَيْنِقٍ ... بكيتَ ولم تُعْوِلْ من الشَّجو مُسْهِبا
إذا السِّلْم دارت فى صديقٍ رددتَها ... وفى الدين صَدَّادًا وفى الحرب ثَعْلبا
عمدتَ إلى قَدْرٍ لقومِك تَبْتغى ... لهم شَبَهًا كَيْما تَعِزَّ وتَغْلِبا
فإنّك لمَّا أن كَلِفْتَ تَمَدُّحًا ... لمن كان عَيْبًا مدحُه وتَكَذُّبا
رحلتَ بأمرٍ كنتَ أهلاً لمِثْلِه ... ولم تُلْفِ فيهم قائلاً لك مَرْحبا
فهلاَّ إلى قومٍ مُلوكٍ مدحتَهم ... تَبَنَّوْا مِنَ العِزِّ المؤثَّل مَنْصِبا
إلى مَعْشَرٍ صاروا مُلوكا وكُرِّموا ... ولم يُلْفَ فيهم طالبُ العُرْفِ مُجْدِبا
أولئك أحرى مِن يهودَ بمِدْحةٍ ... تراهُم وفيهم عِزَّةُ المَجْدِ تُرَّتَبا

شعر ابن مرداس فى الرد على خوات

فأجابه عباس بن مرداس السلمىّ ، فقال :

هجوتَ صريحَ الكاهنَيْن وفيكمُ ... لهم نِعَمٌ كانت من الدَّهر تُرَّتُبا
أولئك أحرى لو بكيتَ عليهمُ ... وقومُك لو أدَّوْا من الحقِّ مُوجَبا
من الشُّكر إنَّ الشُّكر خيرٌ مَغَبَّةً ... وأوفقُ فعلاً للذى كان أصْوَبا
فكنتَ كمَن أمسَى يُقطِّع رأسَه ... ليَبْلُغَ عِزًّا كان فيه مُرَكَّبا
فبكِّ بنى هارون واذكُرْ فَعالَهم ... وقتلَهم للجُوع إذ كنتَ مُجْدِبا
أخوّاتُ أذْرِ الدَّمعَ بالدَّمع وابكِهم ... وأعرِضْ عن المكروهِ منهم ونَكِّبا
فإنَّك لو لاقيتَهم فى دِيارِهم ... لأُلفيتَ عمَّا قد تقول مُنَكِّبا

يقال لباغِى الخيْر أهلاً ومَرْحبا ... سِراعٌ إلى العَليا كِرامٌ لَدى الوَغى

شعر لكعب أو ابن رواحة فى الرد على ابن مرداس

فأجابه كعب بن مالك ، أو عبد الله بن رَواحة ، فيما قال ابن هشام ، فقال :

لَعمرى لقد حكّت رَحى الحرب بعدما ... أطارتْ لُؤيًّا قبلُ شَرْقا ومَغرِبا

بَقِيَّةَ آلِ الكاهِنَيْن وعِزَّها ... فعادَ ذليلاً بَعد ما كان أغْلَبا

فطاحَ سَلامٌ وابْنُ سَعْية عَنوةً ... وقِيدَ ذليلاً للمَنايا ابنُ أخْطَبا

وأجْلَبَ يَبْغِى العزَّ والذلَّ يَبْتغى ... خِلافَ يَدَيْه ما جَنَى حين أجْلبا

كتاركِ سَهْلِ الأرض والحزنُ هَمَّهُ ... وقد كان ذا فى الناس أكْدَى وأصعبا

وشأسٌ وعَزَّالٌ وقد صَليا بها ... وما غُيِّبا عن ذاك فيمن تَغَيَّبا

وعَوفُ بن سَلْمى وابن عَوفٍ كلاهما ... وكَعبٌ رئيسُ القوم حان وخُيِّبا

فبُعْداً وسُحْقاً للنَّضِير ومثلها ... إن اعقبَ فتحٌ أو إنِ اللهُ أعْقَبا

قال ابن هشام : قال أبو عمرو المدنى : ثم غزا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بعد بنى النَّضِير بَنى المصْطَلق . وسأذكر حديثَهم إن شاء الله فى الموضع الذى ذكره ابن إسحاق فيه .

غزوة ذات الرقاع

فى سنة أربع

قال ابن إسحاق : ثم أقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعد غزوة

رفع المسيـهم

بنى النَّضير شهرَ ربيع الآخر وبعضَ جُمادَى ، ثم غزا نجداً يُريد بنى مُحارب وبنى ثَعْلبة من غَطفان ، واستعمل على المدينة أبا ذَرّ الغِفَارِىّ ؛ ويقال : عثمان بن عفَّان ، فيما قال ابن هشام .

لِمَ سميت بذات الرِّقاع ؟

قال ابن إسحاق : حتى نزل نَخلا ، وهى غزوة ذات الرِّقاع .

قال ابن هشام : وإنما قيل لها غزوة ذات الرِّقاع ، لأنهم رقَّعوا فيها راياتهم ، ويقال : ذات الرقاع : شجرة بذلك الموضع ، يقال لها : ذات الرقاع .

قال ابن إسحاق : فلقى بها جمعاً عظيما من غَطفان ، فتقارب النَّاسُ ، ولم يكن بينهم حرب ، وقد خاف الناس بعضُهم بعضاً حتى صلى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالنَّاس صلاة الخوف ، ثم انصرف بالناس .

صلاة الخوف

قال ابن هشام : حدثنا عبد الوارث بن سعيد التَّنُّورِىّ - وكان يُكنَى : أبا عُبَيدة - قال : حدثنا يونس بن عُبيد ، عن الحسن بن أبى الحسن ، عن جابر بن عبد الله فى صلاة الخوف ، قال : صلى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بطائفة ركعتين ثم سلَّم ، وطائفة مُقبلون على العدوّ . قال : فجاءوا فصلى بهم ركعتين أُخريين ، ثم سلَّم .

قال ابن هشام : وحدثنا عبد الوارث ، قال : حدثنا أيوب ، عن أبى الزبير ،

عن جابر ، قال : صفّنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم صفّين ، فركع بنا جميعاً ثم سجدَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وسجد الصفُّ الأول ، فلما رفعوا سجد الذين يلُونهم بأنفسهم ، ثم تأخّر الصفّ الأوّل ، وتقدّم الصفّ الآخر حتى قاموا مقامَهم ثم ركع النبيّ صلى الله عليه وسلم بهم جميعاً ثم سجد النبي صلى الله عليه وسلم وسجد الذين يلُونه معه ، فلما رفعوا رءوسهم سجد الآخرون بأنفسهم ، فركع النبي صلى الله عليه وسلم بهم جميعاً ، وسجد كلّ واحد منهما بأنفسهم سَجْدَتين .

قال ابن هشام : حدثنا عبد الوارث بن سعيد التَّنُّوري قال : حدثنا أيوب عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : يقوم الإمام وتقوم معه طائفة ، وطائفة مما يلي عدوّهم ، فيركع بهم الإمام ويَسْجد بهم ، ثم يتأخّرون فيكونون مما يلي العدوّ ، يتقدّم الآخرون فيركع بهم الإمام ركعة ، ويسجد بهم ، ثم تصلي كلّ طائفة بأنفسهم ركعة ، فكانت لهم مع الإمام ركعة ركعة ، وصلّوْا بأنفسهم ركعةً ركعة .

همّ غورث بن الحارث بقتل الرسول

قال ابن إسحاق : وحدثني عمرو بن عُبيد ، عن الحسن ، عن جابر بن عبد الله : أن رجلا من بني مُحارب ، يقال له : غَوْرَث ، قال لقومه من غَطَفان ومُحارب : ألا أقتُل لكم محمداً ؟ قالوا : بلى ، وكيف تقتله ؟ قال : أفتك به . قال : فأقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس ، وسيفُ رسول الله صلى الله عليه وسلم في حِجره ، فقال : يا محمد ، أنظُر إلى سيفك هذا ؟ قال : نعم — وكان

مُحَلًّى بفضة ، فيما قال ابن هشام ـ قال : فأخذه فاستلّه ، ثم جعل يهزّه ، وَيهمّ فيكبته الله، ثم قال : يا محمد ، أما تخافنى ؟ قال : لا ، وما أخاف منك ؟ قال : أما تخافنى وفى يَدى السّيف ؟ قال : لا ، يَمنعنى الله منك . ثم عمد إلى سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فردّه عليه . قال : فأنزل الله : ﴿ يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ ، فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ ، وَاتَّقُوا اللهَ ، وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ .

قال ابن إسحاق : وحدّثنى يزيد بن رُومان : أنها إنما أنزلت فى عَمْرو بن جِحاش ، أخى بنى النَّضير وماهمّ به ، فالله أعلم أىّ ذلك كان .

قصة جمل جابر

قال ابن إسحاق : وحدّثنى وهب بن كَيْسان ، عن جابر بن عبد الله ، قال : خرجتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى غَزْوة ذات الرّقاع من نخل ، على جَمَل لى ضعيف ، فلما قفَل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، قال : جعلتِ الرّفاق تمضى ، وجعلت أتخلّف ، حتى أدركنى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : مالك ياجابر ؟ قال : قلت : يارسول الله ، أبطأ بى جملى هذا ؛ قال : أنخه ؛ قال : فأنختُه ، وأناخ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؛ ثم قال : أعطنى هذه العصا من يدك ، أو اقطع لى عصا من شَجرة ؛ قال : ففعلت . قال : فأخذها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فنخَسه بها نَخَسَاتٍ ، ثم قال : اركب ، فركبتُ ، فخرج ، والذى بعثه بالحقّ ، يُواهِقُ ناقته مُواهَقَة .

قال: وتحدثت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال لى: أتبيعنى جملك هذا ياجابر؟ قال: قلت: يارسول الله، بل أهبه لك؛ قال: لا، ولكن بِعْنيه، قال: قلت: فسُمْنيه يارسول الله؛ قال: قد أخذته بدرهم؛ قال: قلت: لا، إذن، تَغبِنني يارسول الله! قال: فبدرهمين؛ قال: قلت: لا. قال: فلم يزل يرفع لى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى ثمنه حتى بلغ الأُوقِيّة. قال: فقلت: أفقد رضيتَ يارسولَ الله؟ قال: نعم؛ قلت: فهو لك، قال: قد أخذته. قال: ثم قال: يا جابر، هل تزوّجتَ بَعْدُ؟ قال: قلت: نعم يارسول الله، قال: أثَيِّباً أم بِكْراً؟ قال: قلت: لا، بل ثَيِّباً، قال: أفلا جارِيَة تُلاعبها وتُلاعِبُك! قال قلت: يارسول الله، إن أبى أُصيب يوم أُحُدٍ وترك بَنَاتٍ له سَبْعاً، فنكحتُ امرأةً جامعةً، تجمع رءوسَهُنّ، وتَقوم عليهنّ؛ قال: أصبْتَ إن شاء الله، أما إنّا لو قدجئنا صِراراً أمَرْنا بجَزُور فنُحرت، وأقمنا عليها يومَنا ذاك، وسمعت بنا، فنفَضَتْ نمارقَها؛ قال: قلت: والله يارسول الله مالنا من نمارق؛ قال: إنها ستكون، فإذا أنت قَدِمت فاعمل عملاً كيِّساً. قال: فلما جئنا صِراراً أمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بجَزُور فنُحرت، وأقمنا عليها ذلك اليوم؛ فلما أمسَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم دخل ودَخَلنا، قال: فحدثتُ المرأة الحديثَ، وما قال لى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، قالت: فدُونك، فسمع وطاعة. قال: فلما أصبحتُ أخذتُ برأس الجمل، فأقبلتُ به حتى أنختُه على باب رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: ثم جلستُ فى المسجد قريباً منه، قال: وخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، فرأى الجمل، فقال: ماهذا؟ قالوا: يارسول الله، هذا جمل جاء به

جابر ، قال : فأين جابر؟ قال : فدُعيتُ له ، قال : فقال : يابن أخى خُذ برأس جملك ، فهولك ، ودَعا بِلالاً ، فقال له : اذهب بجابر ، فأعطه أوقِيَّة . قال : فذهبت معه ، فأعطانى أوقِيَّةً ، وزادنى شيئاً يسيراً . قال : فوالله مازال يَنْمِى عندى ، ويُرَى مكانُه من بيتِنا ، حتى أُصيب أمسِ فيما أُصيب لنا ، يعنى يوم الحرة .

ابن ياسر وابن بشر ، وقيامهما على حراسة جيش الرسول وما أُصيبا به

قال ابن إسحاق : وحدثنى عمى صَدَقة بن يَسَار ، عن عَقيل بن جابر ، عن جابر بن عبد الله الأنصارى ، قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة ذات الرّقاع من نخل ، فأصاب رجل امرأة رجل من المُشركين ، فلما انصرف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قافلا ، أتى زوجُها وكان غائباً ، فلما أُخبر الخبر حَلَف لاينتهى حتى يُهَرِيق فى أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم دماً ، فخرج يتبع أثَر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم منزلا ، فقال : من رَجل يكلَؤنا ليلتنا (هـــذه)؟ قال : فانتدبَ رجلٌ من المهاجرين ، ورجل آخر من الأنصار ، فقالا : نحن يارسول الله ؛ قال : فكونا بفَمِ الشِّعب . قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابُه قد نزلوا إلى شِعب من الوادى ، وهما عمار بن ياسر وعبّاد بن بِشْر ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : فلما خرج الرجلان إلى فَم الشِّعب ، قال الأنصارى

للمهاجريّ أيّ الليل تحبّ أن أكفيكه : أوّله أم آخره ؟ قال : بل اكفني أوّله ، قال : فاضطجع المهاجِريّ فنام ، وقام الأنصاري يصلي ، قال : وأتى الرجل ، فلما رأى شخص الرجلِ عَرَف أنه رَبيئةُ القوم . قال : فرمى بسهم ، فوضعه فيه ، قال : فنزعه ووضعه ، فثبت قائماً ، قال : ثم رماه بسهم آخر فوضعه فيه . قال : فنزعه فوضعه ، وثبت قائماً ، ثم عاد له بالثالث ، فوضعه فيه ، قال : فنزعه فوضعه ثم ركع وسجد ، ثم أهَبّ صاحِبَه فقال : اجلس فقد أُثبِتُّ ، قال : فوثبَ ، فلما رآهما الرجلُ عرف أن قد نَذِرا به ، فهرب . قال : ولما رأى المهاجريّ ما بالأنصاريّ من الدماء ، قال : سبحان الله ! أفلا أهْبَبْتَني أوّل مارماك ؟ قال : كنت في سُورة أقرؤها فلم أُحِبّ أن أقطعها حتى أُنفِذَها ، فلما تابع عليّ الرّمْيَ ركعتُ فأذِنْتك ، وايم الله ، لولا أن أُضيّع ثَغْراً أمرَني رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بحفظه ، لقَطع نفسي قبل أن أقطعَها أو أُنفِذَها .

قال ابن هشام : ويقال : أنفذها .

رجوع الرسول

قال ابن إسحاق : ولما قَدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة من غزوة الرّقاع ، أقام بها بقية جمادَى الأولى وجمادَى الآخرة ورجباً .

غزوة بدر الآخرة

فى شعبان سنة أربع

خروج الرسول

قال ابن إسحاق : ثم خرج فى شعبان إلى بَدْر ، لميعاد أبى سفيان ، حتى نزله .

استعماله ابن أبىّ على المدينة

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة عبدَ الله بن عبد الله بن أُبَىّ بن سَلول الأنصارىّ .

رجوع أبى سفيان فى رجاله

قال ابن إسحاق : فأقام عليه ثمانىَ ليال ينتظر أبا سُفيان ، وخرج أبو سفيان فى أهل مكّة حتى نزل مَجَنّة ، من ناحية الظَّهران ، وبعض الناس يقول : قد بلغ عُسْفان ، ثم بدا له فى الرجوع ، فقال : يامعشر قريش ، إنه لايصلحكم إلاّ عام خَصيب تَرْعون فيه الشَّجر ، وتَشْربون فيه اللبن ، وإنّ عامكم هذا عامُ جدْب ، وإنى راجعٌ ، فارجِعوا فرجع الناس . فسمّاهم أهْل مكة جيش السَّويق ، يقولون : إنما خرجتم تَشْرَبون السَّويق .

الرسول ومخشى الضمرى

وأقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على بَدر ينتظر أبا سُفيان لميعاده ،

فأتاه مَخْشِى بن عَمْرو الضَّمْرى ، وهو الذى كان وادَعه على بنى ضَمْرة فى غزوة ودّان ، فقال : يا محمد ، أجئتَ للقاء قُريش على هذا الماء ؟ قال : نعم ، يا أخا بنى ضَمْرة ، وإن شئتَ مع ذلك رَددنا إليك ما كان بيننا وبينك ، ثم جالدناك حتى يحكم الله بيننا وبينك ، قال : لا والله يا محمد ، مالنا بذلك منك من حاجة .

معبد وشعره فى ناقة للرسول هوت

فأقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ينتظر أبا سُفيان ، فمرّ به مَعْبَدُ بن أبى مَعْبد الخزاعىّ ، فقال ، وقد رأى مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وناقته تهوِى به :

قد نفَرَتْ مِن رُفْقتَىْ محمَّدِ   وعَجْوَةٍ مِن يَثْرِب كالعَنْجَدِ
تَهْوِى على دِينِ أبيها الأَتْلَدِ   قد جعلَتْ ماءَ قُدَيْدٍ مَوْعِدِى
وماءَ ضَجْنانَ لها ضُحَى الغَدِ

شعر لابن رواحة أو كعب فى بدر

وقال عبدُ الله بن رَوَاحة فى ذلك ـ قال ابن هشام : أنشدنيها أبو زيد الأنصارى لكعب بن مالك :

وَعَدْنا أبا سُفيانَ بدراً فلم نَجِدْ   لِميعاده صِدْقاً وما كان وَافِيا
فأُقسِم لو وافَيْتَنا فلَقِيتنا   لَأُبْتَ ذَميما وافتقدْتَ المَوَاليا
ترَكْنا به أوصالَ عُتْبة وابنه   وعمراً أبا جَهْل ترَكْناه ثاوِيا

عصيتم رسولَ الله أفٍّ لدينكم   وأمرُكم السيءُ الذى كان غاويا

فإنّى وإن عنّفتمونى لقائلٌ   فِدًى لرسولِ الله أهلى وماليا

أطعناه لم نَعدلْهُ فينا بغيره   شِهابًا لنا فى ظُلمة الليل هاديا

شعر حسان فى بدر

وقال حسّان بن ثابت فى ذلك :

دعُوا فَلَجاتِ الشّام قد حال دُونها   جِلادٌ كأفواهِ المخاضِ الأوارِكِ

بأيدى رجالٍ هاجرُوا نحو ربِّهم   وأنصارِه حقًّا وأيدِى الملائك

إذا سَلَكتْ للغَوْرِ من بطنِ عالجٍ   فقُولا لها ليس الطّريق هُنالك

أقمْنا على الرّسِّ النَّزُوع ثمانيا   بأرْعنَ جَرّارٍ عريض المبارِك

بكلِّ كُميتٍ جَوْزُه نِصفُ خَلْقه   وقُبٍّ طوالٍ مُشْرفات الحَوارِك

ترى العَرْفجَ العامِىَّ تَذْرِى أصُوله   مَناسِمُ أخفاف المَطى الرّواتِك

فإنْ تَلْقَ فى تَطْوافِنا والتماسنا   فُراتَ بن حَيّانٍ يكُنْ رَهنَ هالِك

وإن تَلْقَ قَيْسَ بن امرئ القَيْس بعده   يُزَدْ فى سوادٍ لونُه لونُ حالك

فأبلِغْ أبا سُفيان عنّى رسالةً   فإنّكَ مِنْ غُرِّ الرّجال الصّعالك

شعر أبى سفيان فى الرد على حسان

فأجابه أبو سفيان بنُ الحارث بن عبد المطلب ، فقال :

أحسَّانُ إنَّا يابنَ آكِلَةِ الفغا وجدِّكَ نَغتالُ الخُروقَ كذلِكِ
خَرَجْنا وما تَنجو اليَعافيرُ بَيْنَنا ولو وألَتْ مِنَّا بِشَدٍّ مُدارِكِ
إذا ما انبعثْنا من مُناخٍ حَسِبْتَهُ مُدَمَّنَ أهلِ المَوْسِمِ المُتَعارِكِ
أقمتَ على الرسِّ النَّزوعِ تُريدُنا وتتركُنا في النَّخْلِ عند المَدارِكِ
على الزَّرْعِ تمشى خيلُنا ورِكابُنا فما وَطِئَتْ ألصَقْنَهُ بالدَّكادِكِ
أقمنا ثلاثاً بين سَلْعٍ وفارِعٍ بجُرْدِ الجِيادِ والمَطِيِّ الرَّواتِكِ
حَسِبْتُمْ جِلادَ القَوْمِ عند قِبابِهِمْ كمأخذِكُم بالعَيْنِ أرطالَ آنُكِ
فلا تبعثِ الخيلَ الجِيادَ، وقُلْ لها على نحوِ قولِ المُعْصِمِ المُتَماسِكِ
سَعِدْتُم بها وغيرُكُم كان أهلَها فوارسُ من أبناءِ فِهْرِ بنِ مالكِ
فإنَّكَ لا في هجرةٍ إن ذكرتَها ولا حُرُماتِ الدِّينِ أنتَ بناسِكِ

قال ابن هشام: بقيت منها أبيات تركناها، لقُبح اختلاف قوافيها.
وأنشدني أبو زيد الأنصاري هذا البيت:

خرجنا وما تنجو اليعافير بيننا

والبيت الذي بعده لحسَّان بن ثابت في قوله:

دعُوا فَلَجاتِ الشأمِ قد حالَ دونَها

وأنشدني له فيها بيته «فأبلغ أبا سفيان».

غزوة بنى النضير وما نزل فيها

ذكر ابن إسحاق هذه الغزوة فى هذا الموضع، وكان ينبغى أن يذكرها بعد بدر، لما روى عقيل بن خالد وغيره عن الزهرى، قال: كانت غزوة بنى النضير بعد بدر بستة أشهر.

قطع اللينة وتأويله:

وذكر نزول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ببنى النضير، وسيره إليهم حين نقضوا العهد الذى كان بينهم وبينه، وهموا بقتله، فلما تحصنوا فى حصونهم وحرق نخلهم نادوه أن يا محمد، قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه، وذكر الحديث. قال أهل التأويل: وقع فى نفوس المسلمين من هذا الكلام شىء، حتى أنزل الله تعالى: ﴿ما قطعتم من لينة، أو تركتموها قائمة على أصولها﴾ الآية الحشر: ٥. واللينة ألوان التمر ما عدا العجوة والبرنى ففى هذه الآية أن النبى - صلى الله عليه وسلم - لم يحرق من نخلهم إلا ما ليس بقوت للناس، وكانوا يقتاتون العجوة، وفى الحديث: العجوة من الجنة[1]، وثمرها يغذو أحسن غذاء، والبرنى أيضا كذلك. وقال أبو حنيفة: معناه بالفارسية حمل مبارك، لأن بر معناه: حمل، ونى معناه جيد، أو مبارك فعربته العرب، وأدخلته فى كلامها، وفى حديث وفد عبد القيس أن

(١) رواه أحمد والترمذى وابن ماجة عن أبى هريرة وأحمد والنسائى وابن ماجة عن أبى سعيد وجابر عنه صلى الله عليه وسلم.

. . . .

رسولَ اللهـ صلى الله عليه وسلم ـ قال لهم ، وذَكَر البَرْنِيَّ : إنه من خير تَمْرِكُمْ ، وإنه دواءٌ وليس بداءٍ ، رواه منهم مَزيدَةُ العَصَرِيّ ، ففي قوله تعالى : ﴿ ما قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ ﴾ ولم يقل : من نَخْلةٍ على العموم : تنبيهٌ على كراهةِ قطع ما يُقْتَاتُ ويَغذو من شَجَرِ العَدُوِّ إذا رُجِيَ أن يصيرَ إلى المسلمين ، وقد كان الصِّدِّيقُ ـ رضى الله عنه ـ يوصى الجيوشَ ألَّا يَقطَعُوا شَجَراً مُثمِراً ، وأخذ بذلك [أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو] الأَوْزَاعِيُّ ، فإمّا تأوَّلوا حديثَ بنى النَّضِير ، وإما رأوه خاصاً للنبي عليه السلام ، ولم يختلفوا أن سورة الحَشْر نزلت فى بنى النَّضِير ، ولا اختلفوا فى أموالِهِم ، لأن المسلمين لم يُوجِفُوا عليها بخَيْلٍ ولا رِكَابٍ ، وإنما قُذِفَ الرُّعْبُ فى قلوبهم وجَلَوْا عن منازِلهم إلى خَيْبَرَ ، ولم يكن ذلك عن قتالٍ من المسلمين لهم ، فقسمها النبيُّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ بين المهاجرين ، ليرفع بذلك مُؤْنَتَهُمْ عن الأنصارِ ، إذ كانوا قد ساهَمُوهم فى الأموال والدِّيار ، غير أنه أعطى أبا دُجَانَةَ وَسهلَ بن حُنَيْفٍ لحاجتهما ، وقال غير ابن إسحاقٍ : وأعطى ثلاثة من الأنصارِ ، وذكر الحارث بن الصِّمَّة فيهم .

حول أول سورة الحشر :

وقوله سبحانه : ﴿ يُخَرِّبُون بيُوتَهُمْ [بأَيْدِيهِمْ وأَيْدِى المؤمنين] ﴾ الحشر : ٢ أى يُخَرِّبُونها من داخلٍ ، والمؤمنون من خارجٍ ، وقيل معنى بأيديهم : بما كَسَبت أيديهم مِنْ نَقْضِ العَهْد ، وأيدى المؤمنين ، أى بجهادهم .

وقوله (لأَوَّلِ الحَشْرِ) ، روى موسى بن عُقْبَةَ أنهم قالوا له : إلى أين نخرج

. . . .

يا محمد ؟ قال : إلى الحَشْرِ ، يعنى : أرضَ المَحْشَر ، وهى الشَّام ، وقيل : إنهم كانوا من بَسْطٍ لم يُصْبِهُم جَلَاء قبلها ، فلذلك قال : لأوّل الحَشْرِ ، والحشرُ : الجَلاء[1] ، وقيل إن الحشرَ الثانى ، هو حشْرُ النار التى تخرج من قَعْر عَدَن ، فتحشُر الناسَ إلى الموقف ، تَبِيت معهم ، حيث باتوا ، وتقيلُ معهم قالُوا ، وتأ كل مَنْ تخلَّف ، والآية مُتَضَمِّنةٌ لهذه الأقوالِ كُلِّها ، ولزائدٍ عليها ، فإن قوله : لأوّل الحَشْرِ يُؤْذِن أن ثَمَّ حَشْراً آخرَ ، فكان هذا الحشرُ والجلاء إلى خَيْبَر ، ثم أجلاهم عُمَر من خَيْبَر إلى تَيْماءَ وأَرِيحا[2] ، وذلك حين بلغه التَّثَبُّتُ عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : لا يَبْقَيَن دِينان بأرض العرب .

وقوله : ﴿ فأتاهم اللهُ من حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ﴾ الحشر : ٢ ، يقال : نَزَلت فى قتلِ كعب بن الأشْرَفِ .

وقوله تعالى : ﴿ ما أفاء اللهُ عَلَى رَسُولِه مِنْ أهلِ القُرى ﴾ الحشر : ٧ . ورُوِى عن مالكٍ أنه قال : هم بنو قُرَيْظَةَ ، وأهلُ التأويل على أنها عامّة فى جميع القُرى المُفْتَتَحَةِ على المسلمين وإن اختلفوا فى حُكْمِها ، فرأى قومٌ

---

(١) الحشر — كما يقول الراغب : « إخراج الجماعة عن نفرهم وإزعاجهم عنه إلى الحرب ونحوها » ولذا يقول البيضاوى : أى فى أول حشرهم من جزيرة العرب إذ لم يصبهم هذا الذل قبل ذلك ، أو فى أول حشرهم للقتال أو الجلاء إلى الشام وهو قريب من بعض ما ذكر السهيلى .

(٢) تيماء : بليد فى أطراف الشام بينها وبين وادى القرى على طريق حاج

. . . .

قسْمَها كما تُقسَمُ الغنائمُ ، ورأى بعضُهم للإمام أن يَقفَها ، وسيأتى بيانُ هذه المسألة فى غَزْوَةِ خَيْبَر إن شاء الله .

وذكر شِعْر العَبْسِىِّ فى إجلاء اليهود ، فقال :

أحَلَّ اليهودَ بالحَسِىِّ المُزَنَّمِ

يريد : أحلَّهم بأرض غُرْبَةٍ ، وفى غير عشائرِهم ، والزَّنيمُ والمُزَنَّمُ : الرجلُ يكون فى القوم ، وليس منهم ، أى أنزلهم بمنزلة الحَسِىِّ ، أى المُبْعَد الطَّريدُ ، وإنما جُعل الطريدُ الذَّليلُ حَسِيًا لأنه عُرْضَةُ الأَكْلِ ، والحَسِىُّ والحَسْوُ مايُحْسَى من الطعام حَسْواً ، أى أنه لا يمْتَنِع على آكل ، ويجوزأن يريد بالحَسِىِّ معنى الغَذِىِّ من الغَنَم ، وهو الصَّغيرُ الضَّعيفُ الذى لا يستطيع الرَّعْى ، يقال : بُدِّلوا بالمالِ الدَّثْرِ والإبلِ الكوم رُذَالَ المالِ وغِذَاءَ الغَنَم ، والمُزَنَّمَ منه ، فهذا وَجْهٌ يحتمل ، وقد أكثرتُ التَّنقيرَ عن الحَسِىِّ فى مَضَانِّه من اللغةفلم أجدنَصًّا شافياً أكثرمن قول أبى عَلِىٍّ : الحَسِيَّةُ ، والحَسِىُّ مايُحْسَى من الطعام ، وإذ قد وَجدناالغَذِىَّ واحدغِذاء الغَنَم ، فالحَسِىُّ فى معناه غيرُ مُمْتنِع أن يقال ، والله أعلم[1] . والمُزَنَّمُ أيضاً : صِغارُ الإبلِ ، وسائرُ هذا

---

(١) يقول أبو ذر الخشنى : الحسى والحساء : مياه تفور فى الرمل وتمسكها صلابة الأرض ، فاذا حفر عنها وجدت ، والمزنم على هذا القول هو المقلل اليسير ، ومن رواه بالحشى أراد به حاشية الإبل ، وهى صغارها وضعافها وهو الصواب ، والمزنم على هذا القول يعنى به أولاد الإبل الصغار ، وقد يكون المزنم هنا المعز سميت بذلك للزنمتين اللتين فى أعناقها ، وهما المنيتان اللتان تتعلقان من أعناقها ص ٢٨٨ .

الشعر مع ما بعده من الأشعار ليس فيه عَوِيصٌ من الغريب ، ولا مُسْتَغْلِق من الكلام .

الكاهنان :

وما ذكر من أمر الكاهنين فهما قُرَيظَةُ والنَّضِيرُ ، وفي الحديث : يخرج في الكاهِنَيْن رجل يَدْرُسُ القرآنَ دَرْساً لم يَدْرُسْه أحدٌ قبله ، ولا يَدْرُسُه أحدٌ بعده ، فكانوا يَرَوْنَه أنه مُحَمَّد بن كَعْبٍ القُرَظِيّ وهو محمد ابن كعب بن عطية[1] ، وسيأتي خبرُ جَدِّه عَطِيَّة في بني قُرَيْظَة ، والكاهِنُ في اللغة بمعنى الكاهِلِ ، وهو الذي يقوم بحاجة أهلِهِ ، إذا خافَ عليهم ، يقال: هو كاهنُ أبيهِ وكاهِلُه ، قاله الهروى ، فيحتمل أن يكون سُمِّي الكاهِنَان بهذا[2] .

خروج بني النضير إلى خيبر :

فصل : وذكر ابن إسحاقٍ خروجَ بني النَّضِير ، إلى خَيبر ، وأنهم استقلوا بالنساء والأبناء والأموالِ معهم الدفوفُ والمزامير والقِيانُ يَعْزِفْنَ

---

(١) محمد بن كعب القرظي المدني ثم الكوفي أحد العلماء . قال ابن عون : ما رأيت أحداً أعلم بتأويل القرآن من القرظي ، وقال ابن سعد : كان ثقة ورعا كثير الحديث ، وقد وثقه أبو زرعة والعجلي مات سنة ١١٩ ، وقيل سنة ١٢٠ وقيل سنة ١٠٨ . خلاصة تذهيب الكمال والإكمال لولي الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب .

(٢) العرب تسمي كل من يتعاطى علما دقيقا : كاهنا .

خَلْفَهم ، وإنَّ فيهم لأُمَّ عَمْرٍو صاحبة عُرْوَةَ بن الْوَرْدِ التي ابتاعوا منه ، وكانت إحـــدى نساء بنى غِفَار. انتهى كلام ابن إسحاق ، ولم يذكر اسمها فى رواية البَكَّائى عنه ، وذكره فى غيرها ، وهى سَلْمَى ، قال الأَصْمَعِىُّ : اسمها: لَيْلَى بنت شَعْوَاء ، وقال أبو الفرج: هى سَلْمَى أُمُّ وَهْبٍ امرأةٌ من كِنَانَةَ ، كانت ناكحًا فى مُزَيْنَةَ ، فأغار عليهم عُرْوَةُ بن الْوَرْدِ ، فسباها ، وذكر الحديث ، وقول أبى الفرج إنها من كِنَانَةَ لا يدفع قول ابن إسحاق إنها من غِفَار ، لأن غِفَارَ من كِنَانَةَ . غِفَارُ بن مُلَيْلِ بن ضَمْرَةَ بن لَيْثِ(١) بن بَكْر بن عَبْدِ مَنَاة ابن كِنَانَةَ . وعُرْوَةُ بن الْوَرْدِ بن زَيْد، ويقال : ابن عَمْرو بن نَاشِب بن هِدْم ابن عَوْذ بن غالب بن قُطَيْعَةَ بن عَبْس ، فهو عَبْسِىٌّ غَطَفَانِىٌّ قَيْسِىٌّ ، لأن عَبْسًا هو ابنُ بَغِيضِ بن رَيْثِ بن غَطَفَانَ قال فيه عبدُ الملك بن مَرْوان : ما يسرنى أنَّ أحداً من العرب ولدنى إلا عُرْوَةُ بن الْوَرْدِ لقوله :

أتهزأ منِّى أنْ سَمِنْتَ ، وقد تَرَى ... بجِسْمِى مَسَّ الحَقِّ والحَقُّ جاهِدُ
إنِّى امْرُؤٌ عافِى إنائِىَ شِرْكَةٌ ... وأنت امْرُؤٌ عافِى إنائِكَ وَاحِدُ
أُقَسِّمُ جِسْمِى فى جُسُومٍ كَثِيرةٍ ... وأَحْسُو قَرَاحَ الماءِ والماءُ بارِدُ(٢)

(١) فى جمهرة ابن حزم: مليل بن ضمرة بن بكر بإسقاط ليث بين ضمرة وبكر ص ١٧٥ .

(٢) هى فى الأمالى ص ٢٠٤ — ٢ وقد نسب القالى بيتا فى أولها إلى عروة :

لا تشتمنى يا بن ورد فإننى ... تعود على مالى الحقوق العوائد
ومن يؤثر الحق النَّدوب تكن به ... خصاصة جسم وهو طيان ماجد

وقد علق البكرى فى السمط على هذا بقوله: هذا وهم بين وغلط واضح والبيت =

. . . .

وكان يقال : مَنْ قال : إنَّ حاتماً أسْمحُ العَرَب ، فقد ظلم عُرْوَةَ بن الوَرْدِ[1] ، قال أبو الفرج : وكان عُرْوَةُ يتردَّدُ على بنى النَّضِير ، فيَسْتقرِضُهُمْ إذا احتاج ، ويَبيع منهم إذا غَنِم ، فرأوا عنـــده سَلْمى ، فأعجبتهم ، فسألوه أن يبيعها[2] ، منهم فأبى فَسقَوْه الخمر ، واحتالوا عليـه ، حتى ابتاعوها منه ، وأشهدوا عليه ، وفى ذلك يقول :

سَقَوْني الخَمْرَ ثم تَكَنَّفُوني ... عِدَاةَ اللهِ مِنْ كَذِبٍ وزُورِ

وُروى أيضاً أن قومها افْتَدَوْها منــه ، وكان يظن أنها لاتختار عليه أحداً ، ولا تفارقه ، فاختارت قومَها ، فندم ، وكان له منها بَنُونَ فقالت له : والله ما أعلم امرأة من العَرَب أرْخَتْ سِتْراً على بعلٍ مثلك أغض طرفاً ،

= الأول لقيس بن زهير يخاطب عروة . . وكان بين قيس وعروة . تنافس وتحاسد ، وكان قيس أكولا مبطانا،وكان عروة يعرض له بذلك فى أشعاره . وقيل فى نسب عروة عمرو بن زيد بن عبد الله بن ناشب بن هرم بن لديم بن سواد الخ،وهو فى الأغانى كذلك . ويعلق الأستاذ الميمنى على هذا بقوله : وخرمه السهيلى فى ج ٢ ص ١٧٩ ،ص ٨٢٢،٧٢٣ سمط اللالى . وكان يكنى عروة : أبا الصعاليك ، وقيل بل أبا نجدة ، وقيل : كنيته ابو المغلس ، أو : أبو عبلة . وفى السلم : أبو هراشة .وفى الحماسة ثلاثة أبيات من قصيدة عروة هذه ، ورواية البيت الأول هكذا :

أتهزأ منى أن سمنت وأن ترى ... بوجهى شحوب الحق والحق جاهد

وفى الأغانى ثلاثة أبيات منها أيضاً ص ٧١ ج ٣

(١) ص ٧١ ج ٣ الأغانى ط لبنان .

(٢) لعلها : يبيعوها منه.

ولا أندى كَفًّا ولا أغْنَى غناء ، وإنك لرفيعُ العِمادِ، كثيرُ الرَّمادِ ، خَفِيفٌ على ظُهورِ الخيل ، ثقيلٌ على مُتُون الأعداء، راضٍ للأهل والجارِ ، وما كنت لأوثر عنك أهلِي ، لولا أنى كنت أسمع بنات عَمِّك يقلن قملت أَمَةُ عُرْوَةَ ، وقالت أَمَةُ عُرْوَةَ ، فأجد من ذلك الموتَ ، والله لا يجامع وَجْهِي وَجْه غَطَفَانِيَّة أبداً ، فاستَوْصِ بِبَنِيكَ خَيْراً ، قال ثم تزوجها بعده رجلٌ من بنى النضير (١) ، فسألها أن تُثْنِيَ عليه فى نادى قومه ، كما أثنت على عُرْوَةَ ، فقالت : اعْفِنى ، فإنى لا أقول إلا ما علمته ، فأبى أن يُعْفِيها ، فجاءت حتى وقفت على النادى ، وهو فيه ، فقالت : عِمُوا صَبَاحاً ، ثم قالت : إن هذا أمَرنى أنْ أُثْنِيَ عليه بما علمت فيه ، ثم قالت له : والله إن شَمْلَتَكَ

(١) اقرأ قصتها فى الأغانى ص ٧٢ ، ٧٣ – ٣ ط لبنان ففى إحدى الروايتين أن قومها هم الذين قالوا لعروة : فادنا بصاحبتنا فإنها وسيطة النسب فينا معروفة . فلما فادوه بها خيروها واختارت أهلها ثم أقبلت عليه فقالت : يا عروة أما إنى أقول فيك ، وإن فارقتك الحق : والله ما أعلم امرأة من العرب ألقيت سترها على بعل خير منك ، وأغض طرفا ، وأقل فحشا ، وأجود يدا ، وأحمى لحقيقة وما مر على يوم منذ كنت عندك إلا والموت أحب إلى من الحياة بين قومك لأنى لم أكن أشاء أن أسمع امرأة من قومك تقول : قالت أمة عروة كذا وكذا إلا سمعته ، ووالله لا أنظر فى وجه غطفانية أبدا ، فارجع راشدا إلى ولدك وأحسن إليهم ص ٧٣ – ٣ الأغانى ط لبنان وفى رواية أخرى أنها قالت له: والله إنك ما علمت لضحوك مقبلا كسوب مدبرا ، خفيف على متن الفرس ، ثقيل على العدو ، طويل العماد كثير الرماد ، راضى الأهل والجانب ، فاستوص ببنيك خيرا ، ثم فارقته ، فتزوجها رجل من بنى عمها . والسهيلى جمع بين الروايتين . أو لعله نقل من كتاب آخر .

. . . .

لا ٱلتِفَافُ[1] ، وإن شُرْبك لاشْتِفَافٌ ، وإن ضَجْعَتك لانْجِعَافٌ ، وإنك لَتَشْبَع ليلةَ تُضَافُ ، وتنامُ ليلةَ تخافُ[2] ، فقال له قومه : قد كنتَ في غِنًى عن هذا ، وفيها يقول عُرْوةُ بن الْوَرْدِ :

أَرِقْتُ وصُحْبَتِى بِمَضِيقِ عُمْقٍ ... لِبَرْقٍ فى تِهَامَةَ مُسْتَطِيرِ[3]

إذا قُلْتُ استهل على قديد ... يحور ربابه حور الكسير

سَقَى سَلْمَى ، وأَيْنَ مَحَلُّ سَلْمَى ... إذا حَلَّتْ مُجَاوِرَةَ السَّرِيرِ[4]

إذا حَلَّتْ بأرضِ بنى عَلِيٍّ ... وأَهْلُكَ بين أَمَّرَةٍ وكِيرِ[5]

ذَكَرْتُ منازِلًا من أُمِّ وَهْبٍ ... مَحَلَّ الحَيِّ أسفلَ ذى النَّقِيرِ[6]

وآخرُ[7] مَعْهَدٍ من أُمِّ وَهْبٍ ... مُعَرَّسُنَا فُوَيْقَ بنى النَّضِيرِ[8]

وقالت : ماتشاء ، فقلت : أَلْهُو ... إلى الإصباحِ آثِرَ ذِى أَثِيرِ

بآنِسَةِ الحديثِ رُضَابُ فيها ... بُعَيْدَ النَّوْمِ كالعِنَبِ العَصِيرِ

---

(١) فى الأغانى : لاالتحاف .

(٢) فى الأغانى ، وإنك لتنام ليلة تخاض ، وتشبع ليلة تضاف ، وما ترضى الأهل ولا الجانب ، ص ٧٥ ج ٣ الأغانى .

(٣) فى الأغانى : من تهامة .

(٤) فى الأغانى: كانت مجاورة ..

(٥) فى الأغانى: وأهلى.

(٦) فى الأغانى: من نقير .

(٧) فى الأغانى : وأحدث .

(٨) فى الأغانى : بدار بنى النضير .

. . . .

أطَعْتُ الآمِرِين بِصرْمِ سَلْمَى ... فطَارُوا فى بِلادِ الْيَسْتَعُورِ

سَقَوْنِى الْخَمْرَ ثم تَكَنَّفُونِى ... عِداةُ الله من كَذِبٍ وزُورِ

وقالوا لست بعد فِداءِ سَلْمٍ ... بِمُغْنٍ ما لَدَيْكَ ولا فَقِيرِ

ولا وأبِيكَ لو كاليوم أمْرِى ... وَمَنْ لكَ بالتَّدَبُّرِ فى الأمورِ

إذاً لملكتُ عِصْمَةَ أمِّ وَهْبٍ ... على ما كان من حَسَكِ الصُّدُورِ

فيا للناس كيف غَلَبْتُ نَفْسِى ... على شىءٍ وَيكْرَهُه ضَمِيرِى (١)

قوله : السرير موضعٌ فى ناحية كِنَانة ، وقوله : الْيَسْتَعُور : هو موضعٌ قبل حَرَّةِ المدينة ، فيه عِضَاهُ من سَمُرٍ وَطَلْح ، وقال أبو حنيفة: الْيَسْتَعُورُ شجر يُسْتَاكُ به ، يَنْبُت بالسَّرَاة ، والْيَسْتَعُور أيضاً من أسماء الدَّواهى ، والياء فى الْيَسْتَعُورِ أصْلِيَّة ، فهذا شرح ما أومأ إليه ابن إسحاق من حديث أمِّ عَمْرو ، وإنما هى أمُّ وَهْبٍ كما تكرر فى شعره .

غزوة ذات الرقاع

وسُمِّيَتْ ذات الرِّقَاع ، لأنهم رَقَعُوا فيها راياتِهم فى قول ابن هشام ، قال: ويقال ذات الرِّقاع شجرةٌ بذلك الموضع يقال لها ذات الرِّقاع ، وذكر غيرُه أنها أرضٌ فيها بُقَعٌ سُودٌ ، وبُقَعٌ بيضٌ ، كأنها مُرَقَّعةٌ بِرِقَاعٍ مختلفة ،

---

(١) الأبيات : الثانى ثم التاسع والحادى عشر إلى آخر القصيدة ليست فى الأغانى . هذا وقد نسب عداة على الذم فى البيت الأول (عداة الله من كذب وزور) أنظر لهذا ص ٢٢٥ إعراب ثلاثين سورة لابن خالويه .

رفع المسهم

. . . .

فسميت ذات الرقاع لذلك ، وكانوا قد نزلوا فيها فى تلك الغزاة ، وأصح من هذه الأقوال كلها مارواه البخارى من طريق أبى موسى الأشعرى ، قال : « خرجنا مع النبى – صلى الله عليه وسلم – فى غَزَاةٍ ، ونحن ستَّةُ نفر بيننا بعير نَعْتَقِبُه ، فَنَقِبَتْ أقدامُنا ، وَنقِبت قَدَمَاى ، وسَقَطَتْ أظفارى ، فكنا نَلُفُّ على أرجلِنا الخِرَقَ ، فسُمِّيَتْ غَزْوَةَ ذاتِ الرِّقَاعِ ، لِما كنا نَعْصِبُ من الخِرَقِ على أرجلِنا ، فحدث أبو موسى بهذا ، ثم كَرِه ذلك ، فقال : ما كنت أصنع بأن أذكُرَه ، كأنه كَرِه أن يكونَ شيئاً من عمله أفشاه »[1] .

صلاة الخوف :

فصل : وذكر صلاةَ الخوفِ ، وأوردها من طُرُقٍ ثلاثٍ ، وهى مَرْوِيَّةٌ بصُوَرٍ مُخْتلِفَةٍ أكثر مما ذكر . سمعت شيخَنا أبا بكرٍ – رحمه الله – يقول : فيها ستَّ عَشْرَةَ روايةً ، وقد خرج المصنفون أصحَّها ، وخرج أبو داود منها جُمْلَةً ، ثم اختلف الفقهاء فى التَّرْجِيح ، فقال طائفة : يعمل منها بما كان أشبهَ بظاهر

(١) هو فى صحيح مسلم أيضاً . ونقبت أقدامنا : رقت أقدامنا . نعتقبه : نركبه عقبة عقبة ، وهو أن يركب هذا قليلا ، ثم ينزل فيركب الآخر بالنوبة حتى يأتى على سائرهم . وقد اختلف فى ميقاتها على أقوال ذكرها الحافظ فى الفتح ، ثم قال : « وهذا التردد لا حاصل له ، بل الذى ينبغى الجزم به أنها بعد غزوة بنى قريظة ، لأنه تقدم أن صلاة الخوف فى غزوة الخندق لم تكن شرعت ، وقد ثبت وقوع صلاة الخوف فى غزوة ذات الرقاع ، فدل على تأخرها بعد الخندق » ص ٣٣٥ جـ ٦ فتح البارى سنة ١٣٤٨ مطبعة البهية المصرية . وانظر أيضاً زاد المعاد ص ٢٧٤ جـ ٢ ط السنة المحمدية .

رفع عبد الرحمن النجدي المسلم

. . . .

القرآن، وقالت طائفة: يُجْتَهدُ في طَلَبِ الآخر منها، فإنه الناسخ لما قبله، وقالت طائفة: يُؤْخَذُ بأصَحِّها نقلا، وأعلاها رُوَاةً، وقالت طائفة - وهو مذهب شيخنا: يُؤخَذ بجميعها على حَسَبِ اختلافِ أحوالِ الخَوْفِ، فإذا اشْتَدَّ الخوفُ، أُخِذَ بأيْسَرِها مُؤْنَةً، فإذا تفاقم الخوفُ صَلُّوا بغير إمامٍ لقبلةٍ أو لغير قبلةٍ، وقد روى ابنُ سَلَّامٍ عن طائفة من السَّلَفِ أن صَلَاةَ الخوف، قد تَئُولُ إلى أن تكونَ أربعَ تكبيراتٍ، وذلك عند مُعْمَعةِ القتال، وسيأتي بقيةُ القول في صلاة الخوف في خَبَرِ بني قُرَيْظَةَ إن شاء الله(١)، ومما تخالف به صلاةُ الخوف حُكْمَ غيرها أنه لا سَهْوَ فيها على إمامٍ، ولا على مأموم

---

(١) روى أحمد والشيخان وأصحاب السنن الثلاثة عن صالح بن خوات عن سهل بن أبي حثمة — وفي لفظ عمن صلى مع النبي «ص» يوم ذات الرقاع — أن طائفة صفت مع النبي «ص»، وطائفة وجاه العدو — أي تجاهه مراقبة له — فصلى بالتي معه ركعة، ثم ثبت قائما فأتموا لأنفسهم، ثم انصرفوا وجاه العدو، وجاءت الطائفة الأخرى، فصلى بهم الركعة التي بقيت من صلاته، فأتموا لأنفسهم، فسلم بهم. وهذه الكيفية تطابق مفهوم الآية الكريمة، إذ ليس في الآية ذكر السجود إلا مرة واحدة. وبهذه الصلاة قال علي وابن عباس وابن مسعود وابن عمر وزيد بن ثابت وأبو هريرة وأبو موسى وسهل بن أبي حثمة، وعليها مالك والشافعي وأبو ثور وغيرهم. وهناك رواية أخرى عن أحمد والشيخين مثل هذه غير أنها زادت أن كل فرقة قضت ركعة!! ولكن ليس في الآية هذا. أما حين يكون خوف من شيء أكثر من الفتنة فقد قال سبحانه (فإن خفتم فرجالا أو ركبانا) جمع راجل وراكب وقد فسرها ابن عمر: قياما على أقدامهم مستقبلي القبلة وغير مستقبليها قال مالك: قال نافع: لا أرى عبد الله بن عمر قال إلا عن الرسول «ص» البخاري ومسلم من قول ابن عمر بنحو ذلك، ورواه ابن ماجة عنه مرفوعا، ورواه الشافعي في الأم.

رواه الدارقطني بسند ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: لا سَهْوَ في صَلاةِ الخوف.

رفع المنصوب:

فصل: وذكر حديث جابر حين أبطأ به جمله فنخسه النبيُّ صلى الله عليه وسلم نخسات، فخرج يُواهِقُ ناقته مُواهقةً. المُواهقةُ كالمُسابقةِ والمُجاراة، وأنشد سيبويه لأوسِ بن حَجَر:

تُواهِقُ رِجْلاها يداها ورأسُه لها قَتَبٌ خَلْفَ الحَقِيبَةِ رادِفُ

رَفَع يَداها ورِجْلاها رفْعَ الفاعل، لأن المواهقة، لا تكون إلا من اثنين، فكل واحدٍ منهما فاعلٌ في المعنى كما ذكروا في قول الراجز:

قَدْ سالَمَ الحَيَّاتُ مِنه القَدَمَا الأُفْعُوانَ والشُّجاعَ الشَّجْعَمَا

[وذاتَ قَرْنَيْنِ ضَمُوراً ضِرْزِما[1]]

هكذا تأوّله سِيبَوَيْهِ، ولعل هذا الشاعر كان من لغته أن يجعل التثنية بالألف في الرَّفع والنَّصْبِ والخَفْضِ كما قال:

تَزَوَّدَ مِنّا بين أُذْناهُ طَعْنَةً دَعَتْه إلى هابِي التُّرابِ عَقِيمِ

(١) الزيادة من الكتاب لسيبويه ص ١٤٥ ط أولى، وقد نسبه سيبويه لشاعر قال عنه هو عبد بني عبس. وقد نسبه في اللسان إلى مساور بن هند العبسي، وفي شرح الشواهد للشنتمري نسبه للعجاج. والشجعم: الطويل، والضمور: الساكنة المطرقة التي لا تصفر لخبثها. والضرزم: المسنة.

رفع المسهم

. . . .

وكما قال الآخر :

قد بَلَغَا فى المجدِ غَايَتَاها(١)

وهى لغةُ بنى الحارث بن كعب ،قاله أبو عبيد . وقال النحاس فى الكتاب المُقْنع : هى أيضاً لغة خَثْعَمَ وطيِّىءٍ وأَبْطُنٍ من كِنَانَةَ ، والبيتُ أعنى : تُواهِقُ رِجْلَاهَا يدَاها ، هو لأوسِ بن حَجَرٍ الأَسَدِى ، وليس مِمَّنْ هذه لغته ، فالبيت إذاً على ما قاله سيبويه .

(١) أصل الشعر :

واها لليلى ثم واها واها هى المنى لو أننا نلناها

ياليت عينيها لنـــا وفاها

وقد نسبه الهروى فى التلويح شرح فصيح ثعلب ص٣٩ ط ١٩٤٩ إلى أبى النجم العجلى المتوفى نحو سنة ١٣٠ ﻫ وفى بعض الروايات سلمى ، وفى بعضها : ريا وقد زاد القالى فى الأمالى : بثمن نرضى به أباها ص ٧٧ ج ١ ط ٢ وبعد هذا:

إن أباها وأبا أباها قد بلغا فى المجد غايتاها

وفى الصحاح زيادة قبل المنى :

فاضت دموع العين من جراها

وقيل أيضاً:

شالوا علينـــا فشال علاها واشدد بمثنى حقب حقواها

إن أباهـــا وأبا أباهـا قد بلغا فى المجد غايتاهـا

أنظر سمط اللآلى ص ٢٥٧ وشرح شواهد ابن عقيل للجرجاوى ص ٩ وعلى هامشه شرح الشواهد أيضاً للشيخ قطه العدوى ص ٩ .

. . . .

مساومة جابر فى جمله وما فيه من الفقه :

وذكر مُساوَمة النبى صلى الله عليه وسلم لجابر فى الجمل[١] ، حتى اشتراه منه بأُوقيَّة ، وأنه أعطاه أوَّلاً دِرْهماً ، فقال : لا إذاً تَغبِنُنى يارسول الله ، فإن كان أعطاه الدِّرْهَمَ مازحاً ، فقد كان يَمْزَحُ ، ولا يقول إلا حقاً ، فإذا كان حقًّا ، ففيه من الفقه إباحةُ المُكايَسةِ الشَّدِيدةِ فى البَيْعِ ، وأن يُعطِىَ فى السِّلعة مالا يُشْبِه أن يكون ثمناً لها بنصِّ الحَدِيثِ ، وفى دليله أن من اشْتَرَى سِلْعَةً بمالا يُشْبِه أن يَكُونَ لها ثمناً ، وهو عاقل بصيرٌ ، ولم يكن فى البيع تدليسٌ عليه ، فهوَ بيْعٌ ماضٍ لارُجوعَ فيه ، ورُوِى من وَجْهٍ صحيح أنه كان يقول له كُلَّما زاد له دِرْهماً قد أخذته بكذا والله يغفر لك ، فكأنه عليه السلامُ أراد بإعطائه إيَّاه دِرْهَماً دِرْهَماً أن يَكْثُرَ استغفارُه له ، وفى جَمَل جابر هذا أمور من الفِقْه سوى ما ذكرنا ، وذلك أن طائفةً من الفُقَهاءِ احتجُّوا به فى جواز بيعٍ وشَرْطٍ[٢] ، لأن النبىَّ – صلى الله عليه وسلم – شَرطَ له ظَهْرَه إلى المدينة ، وقالت طائفةٌ : لايجوز بَيْعٌ وشَرْطٌ ، وإن وقع فالشَّرْطُ باطلٌ ، والبيع باطل[٣] ، واحتجوا بحديثِ عَمْرو بن شُعَيْبٍ عن أبيه شُعَيْبٍ عن جَدِّ أبيه

---

(١) كما رواه ابن إسحاق رواه ابن سعد فى طبقاته ، وفى البخارى فى عشرين موضعا فى بعضها أن ذلك كان فى غزوة تبوك ، وفى مسلم أنه فى غزوة الفتح . . وعن نخسه ذكر فى أحمد ومسلم أنه ضربه برجله ، ودعاله .

(٢) إلى هذا ذهب أحمد والبخارى لكثرة رواة الاشتراط .

(٣) إلى هذا ذهب أبو حنيفة والشافعى مطلقا ، وتوسط مالك ففصل .

رفع المسيهم

. . . .

عبد الله بن عَمْرو بن العاصي أن النبيَّ – صلى الله عليه وسلم – نهى عن شَرْطٍ وَبَيْع ، وعَنْ بَيْعٍ وَسَلَفٍ .

شعيب لا يروى عن أبيه وإنما عن جده :

وقد روى أبو داود هذا الحديثَ ، فقال : عن عمرو بن شُعَيْب عن أبيه شُعَيْبٍ عن أبيه مُحَمَّدِ بن عَبْدِ الله بن عَمْرٍو عن أبيه عبد الله بن عَمْرٍو .

وهذه رواية مُسْتَغْرَبَةٌ عند أهلِ الحديث جِدًّا ، لأن المعروفَ عندَهم أن شُعَيْبًا إنما يروى عن جَدِّه عبدِ الله ، لا عن أبيه مُحَمَّدٍ لأن أباه محمداً مات قبل جَدِّه عبدِ الله ، فقف على هذه التنبيهة فى هذا الحديث ، فَقَلَّ مَنْ تَنَبَّه إليها ، وقالوا : لا حُجَّةَ فى حديثِ جابرٍ لما فيه من الاضْطرابِ ، فقد روى أنه قال : أَفْقِرْنِي ظَهْرَه إلى المدينةِ ، ورُوِىَ أنه قال : اسْتَثْنَيْتُ ظَهْرَه إلى المدينة ، وروى أنه قال : شَرَطَ لى ظَهْرَه[1] ، وقال البخارى : الاشتراطُ أكثرُ وأصح ، وكذلك اضْطَرَبُوا فى الثمن ، فقالوا : بِعْتُه منه بأُوقِيَّةٍ ، وقال بعضهم : بأرْبَعِ أَوَاقٍ ، وقال بعضهم : بِخَمْسِ أواقٍ ، وقال بعضهم بِخَمْسَةِ دَنَانِيرَ ، وقال بعضهم : بأرْبَعَةِ دَنَانِيرَ ، وقال بعضهم : هو فى معنى الأُوقِيَّةِ ، وكل هذه الروايات قد ذكرها البخارى ، وقال مسلمٌ فى بعض رواياته : دِينارَيْنِ ودِرْهَمَيْنِ ، وقالت طائفةٌ بإبطال الشرط ، وَجَوازِ الْبَيْعِ ، واحْتَجُّوا بحديثِ بَرِيرَةَ حين باعها أهلُها من عائشةَ ، واشترطوا الوَلَاءَ فأجاز النبيُّ صلى الله عليه وسلم

(١) وفى رواية : وشرطت ظهره إلى المدينة .

. . . .

البيعَ وأبطل الشَّرْطَ(١) ، واستَعْمَلَ مالِكٌ هذه الأحاديثَ أجمعَ ، فقال : بإبطالِ البَيْعِ والشرطِ على صورةٍ ، وبجوازهما على صورة أُخْرَى ، وبإبطال الشرطِ وجوازِ البيع على صورةٍ أيضاً ، وذلك بيِّنٌ في المسائل لمن تدبرها ، وأبين ماتوجد مُحكَمَة الأصولِ مُستَثمرَة الجَنا والفُصُولِ في كتابِ المقدِّماتِ لابنِ رُشْدٍ ، فلينظرها هنالك من أرادها(٢) .

الحكمة من مساومة النبي لجابر :

فصل : ومن لطيف العلم في حديث جابر بعد أن تَعلَمَ قطعاً أن النبيَّ — صلى الله عليه وسلم — لم يكن يَفعَلُ شَيْئاً عَبَثاً بل كانت أفعالُه مَقْرُونةً بالحِكْمَة ومُؤيَّدَةً بالعِصْمَةِ ، فاشتراؤه الجملَ من جابرٍ ثم أعطاه الثمن ، وزاده عليه زيادةً ، ثم رَدَّ الجمل عليه ، وقد كان يمكن أن يعطيه ذلك العطاء دون مُساوَمَةٍ في الجمل ، ولا اشتِراءٍ ولا شَرطٍ ولا تَوْصيلٍ ، فالحِكْمَةُ في ذلك بَديعَة جداً ، فلتُنظَرْ بعين الاعتبار ، وذلك أنه سأله : هل تزوجتَ ، ثم قال له : هَلَّا بِكراً ، نذكر له مَقتَلَ أبيه ، وماخلَّف من البناتِ ، وقد كان عليه السلامُ قد أخبر جابراً بأنَّ الله ، قد أحيا أباه ، ورَدَّ عليه رُوحَه ، وقال : ماتشتهى فأزيدك ، فأكَّد عليه السَّلامُ هذا الخبَرَ بمثل ما يُشْبِهُهُ ، فاشترى منه الجملَ ، وهو مَطِيَّته ، كما اشترى اللهُ تعالى من أبيه ، ومن الشُّهَداء أنفسَهم

(١) عن عائشة أنها أرادت أن تشترى بريرة للعتق ، فاشترطوا ولاءها ، فذكرت ذلك لرسول الله «ص» فقال اشتريها واعتقيها ، فإنما الولاء لمن أعتق » متفق عليه . ولم يذكر البخارى لفظة : أعتقيها . وروى بصورة أخرى أطول من هذه .

(٢) أنظر في ص ١٣٢ ج ٢ من بداية المجتهد لابن رشد ط ١٣٢٣ .

. . . .

بثمنٍ هو الجنّة، ونفسُ الإنسانِ مَطيتُه، كما قال عُمَرُ بن عَبْدِ العزيز - رضي الله عنه - إن نفسي مَطيَّتي ، ثم زادهم زِيادةً فقال : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وزِيادَةٌ ﴾ يونس : ٢٦ ، ثم رَدَّ عليهم أنفسَهم التي اشترى منهم فقال : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الذين قُتِلوا في سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا ﴾ آل عمران ١٦٩ الآية ، فأشار عليه السلام باشترائِه الجملَ من جابرٍ وإعطائِه الثمنَ وزيادتِه على الثمن ، ثم رَدَّ الجمل المُشْتَرى عليه ، أشار بذلك كُلِّه إلى تأكيدِ الخبرَ الذي أَخْبَرَ به عن فعل الله تعالى بأبيه ، فتشاكل الفعلُ مع الخبر ، كما تراه ، وحاشَ لأفعاله أن تخلو من حِكْمَةٍ ، بل هي كلها ناظِرةٌ إلى القرآنِ ومُنْتَزَعَةٌ منه صلى الله عليه وسلم.

سياق الحديث عن عمرو بن عبيد :

فصل : وحَدَّث عن عَمْرِ عُبَيْد عن الحَسَن عن جابرٍ ، وذكر حديث غَوْرَثٍ ، وقد ذكره البخاري فقال فيه : غَوْرَثُ بن الحارث[1] ، وقد ذكره الخَطَّابي ، فقال فيه : إنه لما هَمّ بقتل النبيّ - صلى الله عليه وسلم - رمي بالزُّلَّخَةِ فَنَدَرَ السيفُ من يَدِه ، وسقط إلى الأرضِ . الزُّلَّخَةُ : وجع يأخذ في الصُّلْبِ ، وأما روايته الحديثَ عن عَمْرِو بن عُبَيْدٍ فأعجبُ شيءٍ سِياقَتُه إياه عن عَمْرِو بن عُبَيْد ، وقد رواه الأَثْبَاتُ عن جابرٍ ، وعَمْرُو بن عُبَيْدٍ مُتَّفَق على وَهَنِ حديثه ، وتَرْكِ الرواية عنه ، لما اشْتَهر من بِدْعَتِه ، وسوء نِحْلَتِه .

---

(١) يقال أيضاً بضم الغين . ووقع عند الخطيب بالكاف بدلا من الثاء ، وحكى الخطابي فيه غويرث . وقد ذكر في غزوة ذي أمر بناحية نجد مثل هذه القصة لرجل اسمه دعثور .

رفع المسٰـهم

. . . .

فإنه حُجَّة القَدَرِيّة ، فيما يُسْنِدون إلى الحَسَنِ ـ رضى الله عنه ـ من القول بالقَدَرِ ، وقد بَرَّأه الله منه ، وكان عندَ اللهِ وجيهاً ، وأما عَمرو بن عُبَيْدِ بن دَأْبٍ ، فقد[1] كان عظيماً فى زمانه عالي الرُّتْبَةِ فى الوَرَع ، حتى افْتتن به ، وبعقالته أُمَّةٌ فصاروا قَدَرِيَّةً ، وقد نُبِزَ بمذهبه قومٌ من أهلِ الحديث ، فلم يَسْقُط حديثُهم ، لأنهم لم يجادلوا على مَذْهَبِهم ، ولا طَعَنُوا فى مُخَالِفِيهم من أهل السُّنَّةِ ، كما فعل عَمرو بن عُبَيْدٍ . فمِمَّن نُبِزَ بالقَدَرِ ابنُ أبى ذِئْبٍ وقَتَادَةُ وداود بن الحُصَيْن وعبدُ الحميد بن جَعْفَر ، وطائفةٌ سواهم من الأثباتِ فى علمِ الحديثِ ، وعمرُو بن عُبَيدٍ يُكنَّى أبا عُثْمَانَ وأبوه عُبَيْدُ بنُ دَأْبٍ كان صاحبَ شُرْطَةٍ فيما ذكروا وسمع يَوْماً ناساً يقولون فى ابنه هذا خيرُ النّاسِ ابنُ شَرِّ النّاس ، فالتفت إليهم ، وقال : وما يعجبكم من هذا؟ هو كإبراهيمَ وأنا كآزَرَ ، وكان أبو جعفر المنصور ، يقول بعـــد موت عَمرو بن عُبَيْدٍ : مابقى أحدٌ يُسْتَحْيَا منه[2] بعد عَمرو ، وكان يقول :

---

(١) توفى عمرو بن عبيد سنة ١٤٤ بحران ورثاه المنصور ، قالوا : ولم يسمع بخليفة رثى من دونه سواه .

(٢) قال المنصور قولته لما مات ابن أبى ليلى وعمرو بن عبيد ص ٩٤ ج ٢ البيان للجاحظ . ومن أقوال عمرو الطيبة أن أحدهم قال له : إنى لأرحمك مما يقول الناس فيك ، قال : أسمعتنى أذكر فيهم شيئاً ؟ قال : لا ، قال: إياهم فارحم. وقوله لأبى جعفر : إن الله قد وهب لك الدنيا بأسرها ، فاشتر نفسك ببعضها ، فلو أن هذا الأمر الذى صار إليك بقى فى يدى من كان قبلك لم يصل إليك ، وتذكر يوما يتمخض بأهله لا ليلة بعده ص ٦٥ ج ٤ البيان. ومن دعائه : اللهم اغننى بالافتقار إليك ، ولا تفقرنى بالاستغناء عنك ص ٢٧١ ج ٢ البيان . اللهم أعنى على الدنيا بالقناعة . وعلى الدين بالعصمة .

رفع عبد الرحمن الهاشمي

. . . .

كُلُّكُمْ خَاتِلُ صَيْد * كُلُّكُمْ يَمْشِي رُوَيْد * غَيْرَ عَمْرِو بن عُبَيْد

وقد نُبِز ابن إسحاق بِالْقَدَرِ أيضاً ، وروايتُه عن عَمْرِو بن عُبَيْدٍ تُؤَيِّد قول من عزاه إليه ، والله أعلم (١) .

---

(١) وروى صاحب العقد الفريد أن عمراً بعد أن نصح أبا جعفر النصيحة التي سبق ذكرها أتبعه أبو جعفر بصرة فلم يقبلها ، وجعل يقول :

كلكم يمشي رويد ... كلكم خاتل صيد
غير عمرو بن عبيد

وفي رواية : كلكم يطلب صيد

واقرأ نصيحته الرائعة المنصور في ترجمته في الملل والنحل للشهرستاني . ومن رثاء المنصور له كما ذكر الشهرستاني :

لو أن هذا الأمر أبقى صالحاً ... أبقى لنا عمراً أبا عثمان

وقيل لما حضرته الوفاة قال لصاحبه : نزل بي الموت ، ولم أتأهب له ، ثم قال : اللهم إنك تعلم أنه لم يسنح لي أمران في أحدهما رضا لك ، وفي الآخر هوى لي إلا اخترت رضاك على هواي فاغفر لي ، ومات عن ٦٤ عاما . والقدرية تقال بإطلاقين الأولى على الذين ينفون القدر ، والآخرين على الذين يثبتونه مع نفي الشرع . والقدرية كما يعرفهم ابن تيمية — هم الذين خاضوا في قدر الله بالباطل ، وأصل ضلالهم ظنهم أن القدر يناقض الشرع ، فصاروا حزبين حزبا يعظمون الشرع والأمر والنهي والوعد والوعيد ، واتباع ما يحبه الله ويرضاه ، وهجر ما يبغضه وما يسخطه ، وظنوا أن هذا لا يمكن أن يجمع بينه وبين القدر » . .

وقد وصف هذا الحزب بأنه يكذب بالقدر وينفيه ، أو ينفي بعضه ثم قال عن الحزب الثاني « وحزبا يغلب القدر ، فينفي الشرع في الباطن ، أو ينفي حقيقته ، ويقول : لا فرق بين ما أمر الله به وما نهى عنه في نفس الأمر الجميع سواء ، وكذلك أولياؤه وأعداؤه ، وكذلك ما ذكر أنه يحبه وذكر أنه يبغضه لكنه فرق بين المتماثلين بمحض المشيئة ، يأمر بهذا ، وينهى عن مثله ، فجحدوا =

رفع المسهم

. . . .

= الفرق والفصل الذى بين التوحيد والشرك وبين الإيمان والكفر وبين الطاعة والمعصية وبين الحلال والحرام ، ثم عاد يسم الحزب الاول وهم نفاة القدر أو بعضه أنهم أنكروا الجمع وأنكروا أن يكون الله على كل شيء قدير ، ومنهم من أنكر أن يكون الله بكل شيء عليما ، وأنكروا أن يكون خالقا لكل شيء ، ثم وازن بين الفريقين فقال عن نفاة الشرع الذين يسوون بين الأمر والنهى ، هؤلاء نفوا حكمته وعدله ، وأولئك - أى نفاة القدر - نفوا قدرته ومشيئته ، وشبه هؤلاء بالمجوس ، وشبه الآخرين بالمشركين ص ١٤٤ وما بعدها ح ١ مجموعة الرسائل الكبرى ، وقد أبدع فيها كعادته رضى الله عنه .

وعمرو بن عبيد هو من نفاة القدر الذين سموا بالمعتزلة . يقول ابن تيمية ، وكانت الخوارج قد تكلموا فى تكفير أهل الذنوب من أهل القبلة ، وقالوا : إنهم كفار مخلدون فى النار ، فخاض الناس فى ذلك ، وخاض فى ذلك القدرية بعد موت الحسن البصرى ، فقال عمرو بن عبيدة وأصحابه : لا هم مسلمون ، ولا كفار ، بل لهم منزلة بين المنزلتين ، وهم مخلدون فى النار ، فوافقوا الخوارج على أنهم مخلدون ، وعلى أنه ليس معهم من الإسلام والإيمان شيء ، ولكن لم يسموهم كفارا ، واعتزلوا حلقة أصحاب الحسن البصرى مثل قتادة وأيوب السختيانى وأمثالها ، فسموا معتزلة من ذلك الوقت بعد موت الحسن ، ص ٢٧ . المصدر السابق

وهناك آراء أخرى فى سبب تلقيبهم بالمعتزلة ولكن ابن تيمية فى موازنته العادلة يقول عن المعتزلة ، ولا ريب أن المعتزلة خير من الرافضة — أى الشيعة الذين رفضوا إمامة زيد — ومن الخوارج ، فإن المعتزلة تقر بخلافة الخلفاء الأربعة وكلهم يتولون أبا بكر وعمر وعثمان ، وكذلك المعروف عنهم أنهم يتولون عليا ، ومنهم من يفضله على أبى بكر وعمر ، وكلهم يتولى عثمان ، ويعظمون أبا بكر وعمر ، ويعظمون الذنوب ، فهم يتحرون الصدق كالخوارج لا يختلقون الكذب كالرافضة ولا يرون اتخاذ دار غير دار الاسلام كالخوارج ، ولهم كتب فى تفسير القرآن ، ونصر الرسول ولهم محاسن كثيرة يترجحون على الخوارج والروافض ، وهم قصدهم إثبات توحيد =

رفع المسا هم

وقعة الحرة وموقف الصحابة منها :

فصل : وذكر قول جابر : فوالله مازال يَنْمِي عندنا ، ويُرَى مكانُه من من بيتنا حتى أصيب فيما أصيب منا يَوْمَ الحَرَّةِ يعنى : وَقْعَةَ الحَرَّةِ [1] التى كانت بالمدينة أيامَ يزيد بن مُعاوِيةَ على يَدَىْ مُسْلِمِ بن عُقْبَةَ المُرِّى الذى يُسَمِّيه أهلُ المدينة مُسْرِف بن عُقْبَةَ ، وكان سببها أن أهلَ المدينة خَلَعُوا يزيدَ بن مُعاوِيةَ وأخرجوا مَرْوَانَ بن الحَكَمِ وبَنِي [2] أُمَيَّةَ ، وأَمَّرُوا عليهم عبدَ اللهِ بن حَنظَلَةَ الغَسِيلَ الذى غَسَّلت أباهُ الملائكةُ يوم أُحُدٍ ، ولم يوافق على هذا الخَلْعِ أحدٌ من أكابر الصَّحابةِ الذين كانوا فيهم . روى البخارى أن عبدَ الله بن عمرَ لما أرجف أهلُ المدينة بيزيدَ دعا بنيه ومَوَاليه ، وقال لهم : إنَّا قد بايعنا هذا الرجلَ على بَيْعَةِ الله وبَيْعَةِ رسوله ، وإنه والله لا يبلغنى عن أحدٍ منكم أنه خَلَعَ يَداً من طاعته إلا كانت الفَيْصَلَ بينى وبينه ، ثم لَزِم بيته ، ولزم أبو سَعِيد الخُدْرِىّ بيتَه ، فدخل عليه فى تلك الأيام التى انتُهِبَتْ للمدينةُ فيها ، فقيل له : من أنت أيها الشيخ ؟ فقال : أنا أبو سعيد الخدرى

= الله ورحمته وحكمته وصدقه وطاعته موأصولهم الخمس عن هذه الصفات الخمس ، ولكنهم غلطوا فى بعض ما قالوه فى كل واحد من أصولهم الخمس ، ثم عدد أخطاءهم رضى الله عنهم ص ٧٥ ح ١ المصدر السابق .

(١) الحرة سنة ٦٣ هـ ص ٢٨٢ ح ٥ الطبرى .

(٢) وأخرجوا عثمان بن محمد بن أبى سفيان عامل يزيد وقد طلب يزيد من مسلم أن يدعو القوم ثلاثا ، فان هم أجابوه وإلا قاتلهم ، وأمره أن يبحث عن على بن الحسين وأن يكف عنه ، وأن يستوصى به خيرا ، وأن يدنى منه مجلسه . وكان على قد رفض أن يخب فى الفتنة .

صاحبُ النبيِّ – صلى الله عليه وسلم – فقالوا له : قد سمعنا خبَرَكَ ، ولنِعْمَ مافعلتَ حين كففتَ يدكَ ، ولَزِمْتَ بيتَكَ ، ولكن هاتِ المال ، فقال قد أخذه الذين دَخَلُوا قَبْلَكُم عليَّ ، وما عندى شىء : فقالوا : كذَبْتَ ونتفوا لِحيتَه ، وأخذوا ما وجدوا حتى صُوفَ الفرش ، وحتى أخذوا زوجين من حَمَامٍ كان صبيانُه يلعبون بهما . وأما جابرُ بن عبدِ الله الذى كنا نُساقِ حديثه ، فخرج فى ذلك اليوم يطوف فى أزِقَّةِ المدينة والبيوتُ تُنتهَبُ ، وهو أعمى ، وهو يَعْثُر فى القتْلى ، ويقول تَعِسَ من أخاف رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له قائل : ومن أخاف رسولَ الله ؟ فقال : سمعت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : من أخاف المدينةَ ، فقد أخاف مابين جَنْبيَّ ، فحملوا عليه ليقتلوه ، فأجاره منهم مَرْوانُ ، وأدخله بيتَه ، وقُتِلَ فى ذلك اليوم من وُجوه المهاجرين والأنصار ألفٌ وسبْعمِائةٍ ، وقُتِلَ من أخلاط الناس عَشَرةُ آلاف سوى النِساء والصِّبيانِ ، فقد ذكروا أن امرأةٌ من الأنصار دخل عليها رجلٌ من أهْلِ الشام ، وهى تُرْضعُ صَبِيَّها ، وقد أخذ ما كان عندها ، فقال لها : هات الذَّهَبَ ، وإلا قتلتُكِ ، وقتلتُ صَبِيَّكِ ، فقالت : ويحكَ إن قتلته فأبوه أبو كَبْشَةَ صاحبُ النبى – صلى الله عليه وسلم – وأنا من النسوة اللاتى بايعْن رسولَ الله – صلى الله عليه وسلم – وماخُنْتُ اللهَ فى شىءٍ بايعتُ رسولَه عليه ، فانتفَضَ الصَّبِي من حِجْرِها ، وثديُها فى فيه ، وضَرَبَ به الحائطَ حتى انتشَرَ دماغُه فى الأرض والمرأةُ تقول : يابُنَىَّ لو كان عندى شىءٌ نفديك به ، لفديتُكَ ، فما خرج من البيت حتى اسوَدَّ نصفُ وَجْهِهِ ، وصار مُثْلَةً فى الناس .

. . . .

قال المؤلف : وأحسب أن هذه المرأةَ جَدَّةٌ للصبي ، لا أمٌّ له ، إذ يبعد في العادةِ أن تبايعَ النبيَّ عليه السلام ، وتكون يوم الحَرَّةِ في سِنٍّ من تُرضِع. والحَرَّة التي يُعرَف بها هذا اليوم يقال لها حَرَّة زُهْرَة ، وفي الحديث أن النبيَّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقف بها ، وقال : لَيُقتَلَنَّ بهذا المكانِ رجالٌ هُمْ خِيارُ أُمَّتي بعد أصحابي ، ويذكر عن عبد الله بن سَلَام ، أنه قال : لقد وَجَدْتُ صِفَتَها في كتاب يَهُودَ بن يَعْقُوبَ الذي لم يدخله تبديلٌ ، وأنه يُقتل فيها قومٌ صالحون يجيئون يوم القيامة وسلاحُهم على عَوَاتِقِهم ، وذكر الحديث . وعُرِفَتْ حَرَّةَ زُهْرَةَ بقَرْيةٍ كانت لِبَني زُهْرَةَ قومٍ من اليهودِ ، وكانت كبيرةً في الزَّمانِ الأوَّل ، ويقال كان فيها ثلاثمائة صائغ ، ذكر هذا الزبير في فضائل المدينة له : وكانت هذه الوَقْعَةُ سَنَةَ ثلاثٍ وستِّين،وقد كان يزيدُ ابن معاوية قد أعذر إليهم فيما ذكروا ، وبذل لهم من العطاء أضعافَ ما يُعطي الناسَ واجتهد في استمالتهم إلى الطاعةِ ، وتحذيرهم من الخِلافِ ، ولكن أبى اللهُ إلا ما أراد، والله يحكم بين عبادِه فيما كانوا فيه يختلفون : ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قد خَلَتْ لها ما كَسَبَتْ ، ولكم ما كَسَبْتُمْ ولا تُسألون عما كانوا يَعْمَلُون(١) ﴾ البقرة : ١٣٤ ، ١٤١ .

---

(١) أنظر ص ٢٨٢ ح٥ الطبرى. وقد أحسن السهيلى فى ختام كلامه عن هذه الفتنة وإن كان قد نقل مبالغات عن كتاب الحرة للواقدى وما ذكره من أحاديث فيها شيء لا يعتد به فما أخرج واحداً منها أحد من أصحاب الصحيح ولا أصحاب السنن، فقد نقلها عن كتاب الحرة للواقدى ، وانظر ص ٨٥ ح ١ من كتاب وفاء الوفا للسمهودى وفى كتابه أيضاً عن حرة واقم : هى حرة المدينة الشرقية .. وتسمى أيضاً حرة بنى قريظة لأنهم كانوا بطرفها القبلى وحرة زهرة لمجاورتها لما

معنى الربيئة :

فصل : وذكر حديث الأنصاريّ والمُهاجِرِيّ ، وهما عَبّادُ بن بِشْرٍ وعَمّارُ بن ياسِرٍ ، وأن رجلا من العدو رمى الأنصارى بسهم ، وهو يصلى لما علم أنه رَبِيئَةُ القَوْمِ . الرَّبِيئَةُ هو الطَّلِيعَة ، يقال : رَبَأَ على القوم يَرْبأُ فهو رباء ورَبِيئَة قال الشاعر [الهُذَلىُّ] :

رَبَّاء شَمّاء لا يأوِى لِقُلَّتِها إلا السَّحابُ وإلا الأَوْبُ والسَّبَلُ(١)

ورَبَّاء: فَعَّالٌ من رَبَأَ إذا نظر من مَكانٍ مُرْتَفِعٍ ، وشَمّاء ، يريد هَضَبَةً شَمّاءَ ، وإنما قالوا : رَبِيئَة بهاء التأنيث ، وطليعة ؛ لأنهما فى معنى العَيْن ، والعَيْن مؤنَّثَةٌ ، تقول : ثلاث أَعْيُنٍ ، وإن كانوا رِجالًا ، يعنى الطَّلائِع ، لأن الطليعةَ والرَّبِيئةَ إنما يُرادُ منه عينه الناظرة ، كما تقول فى ثلاثة أعبد : أعتقت ثلاثَ رِقابٍ ، فتؤنث ، لأن الرقبة تَرْجَمَةٌ عن جميع العبد ، كما أن العَيْنَ الذى هو الطَّلِيعَةُ كذلك ، ويجوز أن تكونَ الهاء فى رَبِيئَةٍ وطَلِيعة للمُبالغة ، كما هى فى عَلّامةٍ ونَسّابةٍ ، فعلى الوجه الأول تقول : ثَلاثَ طَلائع ، وثلاثَ رباياً فى جمع رَبِيئةٍ ، كما تقول : ثلاث أَعْيُنٍ ، لأنه بابٌ واحدٌ من التأنيثِ ، وإذا كانت الهاء للمبالغة قلت : ثَلاثَةٌ وأربعةٌ ، لأنك تقصد التذكير ، لأن هاء المبالغة لاتوجب تأنيث المُسَمَّى ، ولأنها فى الصِّفَةِ ، والصِّفَةُ بعد الموصوف ؛ ولذلك تقول : هذا عَلّامةٌ ، ولا تقول : هذه عَلّامَةٌ بخلافِ الرَّقَبةِ والعينِ ،

(١) بيت الكلام عن البيت فى الجزء الأول وفى المستدركات فى الجزء الثانى .

لأنك تقول فى العبد الذكر : هذه رَقَبَةٌ فأعْتِقْها ، وفى العين : هذه طَلِيعَةٌ ، وهذه عَيْنٌ ، وأنت تعنى الرجلَ . هذا معنى الفرق بينهما .

فقه الحديث :

وفى هذا الحديثِ من الفِقْهِ صَلَاةُ المَجْرُوحِ وجُرْحُه يَثْعَبُ دَمًا ، كما فعل عمرُ بن الخطَّابِ ، وقد ترجم بعضُ المصنفين عليه لموضعِ هذا الفِقْهِ ، وفيه مُتَعَلَّقٌ لمن يقول : إن غُسْلَ النَّجاسَةِ ، لا يُعَدُّ فى شُروطِ صحَّةِ الصَّلاة ، وفيه من الفِقْهِ أيضاً تعظيمُ حُرْمة الصَّلَاةِ ، وأنَّ لِلمُصَلِّى أنْ يتَمَادَى عليها ، وإن جرَّ إليه ذلك القتلَ ، وتفويت النفس ، مع أن التعرُّضَ لفَوَاتِ النفس ، لا يَحِلُّ إلّا فى حالِ المُحَارَبةِ ، ألا ترى إلى قوله : لولا أنْ أُضَيِّعَ ثَغْراً أمَرَنِى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بحفظِه لقطع نفسى قبل أن أُقْطَعَها أو أُنْفِذَها ، يعنى : السورة التى كان يقرؤها .

حول رجز معبد وشعر حسان وأبى سفيان :

وذكر قول مَعْبدٍ :

وعجوة من يثرب كالعَنْجَد

العَنْجَدُ : حَبُّ الزَّبِيب ، وقد يقال للزبيب نفسه أيضاً عَنْجَدٌ ، وأما العنب ، فيقال : لعجَمِه : الفِرْصَد . والأتلدُ : الأقدمُ من المال التليد .

وأما قول حسان :

دَعُوا فَلَجاتِ الشَّام

جمعُ فَلَجٍ ، وهو الماء الجارى ، سُمِّى فَلَجاً ، لأنه قد خَدَّ فى الأرضِ وفرَّق بين جانبيه مأخوذٌ من فَلَجِ الأسنانِ ، أو من الفَلْجِ وهو القَسْمُ ، والفالِجُ مِكْيالٌ يُقسَم به ، والفَلْجُ والفالِجُ بعيرٌ ذو سَنامَيْنِ ، وهو من هذا الأصل ، ورواه أبو حنيفة بالحاء وقال : الفلحة المزرعة[1] .

وذكر شعر أبى سفيان :

أحَسَّانُ إنَّا يابْنَ آكلة الفغا

الفَغا : ضرب من التَّمْرِ ، ويقال : هى غَبَرَة تَعلو البُسْرَ ، والمُغَالَفة فى الفغا[2] .

وفيـــه :

كمأخَذِكُمْ بالعين[3] أرْطَالَ آنُكِ

---

(١) وفى اللسان : الفلجات : المزارع وقد استشهد بالبيت المذكور . وفى مادة فلح يقول : « الفلحة القراح الذى اشتق للزرع عن أبى حنيفة ، وأنشد لحسان : دعوا فلحات . . . الخ يعنى المزارع . ومن رواه فلجات فمعناه : ما اشتق من الأرض للديار ، كل ذلك قول أبى حنيفة » .

(٢) الفغا : البسر الفاسد المغبر ، أو هو فساد البسر . والغفا ما يخرج من الطعام فيرمى به والردىء من كل شىء من الناس والمأكول والمشروب والمركوب .

(٣) العين هنا : المال الحاضر ، والعين أيضاً الدر وكلاهما يصلح هاهنا . ومن رواه بالعير فالعـــير الرفقة من الإبل ، والآنك : الأسرب وهو القزدير ، والخمير ... وقيل عن الآنك إنه الرصاص القلعى .

. . . .

أنفيت على هذا البيت فى حاشيةِ أبى بحرٍ ماهذا نصة : ذكر مُحَمَّدُ بن سَلاَّمٍ فى الطبقات له هذا البيت :

حَسِبْتم جِلادَ القَوْمِ حَوْلَ بُيُوتِكم ... كأَخْذِكمُ فى العين أرْطَالَ آنُكِ

ووصل به بأن قال : فقال أبو سفيان بن حَرْبٍ لأبى سُفْيَانَ بنِ الحارثِ : يا ابْنَ أخِى : لِمَ جعلتها آنُك إن كانت لَفِضّةً بَيْضَاءَ جَيِّدَةً .

وقوله :

سَعِدْتم بها وغَيْرُكم كان أهلَها

وفى حاشية الشيخ : شَقِيتُمْ بها وغيرُكم أهلُ ذِكْرِها .

وقوله :

خَرَجْنا وماتَنجُو اليَعافِيرُ بَيْنَنا

اليعافير : الظّباء العُفْر[1] يريد أنهم لكثرة عددهم لاتنجوا منهم اليعافير .

= وقيل هو الرصاص الأبيض ، وقيل الأسود . وقيل الخالص منه . ويقال : لم يجىء على مثال فاعل بضم العين غيره أو أفعل واحدا غيره ، فأما أشد فيختلف فيه هل هو واحد أو جمع .

(١) جمع أعفر وهو من الظباء مايعلو بياضه حمرة ، أو الذى فى سراته حمرة وأقرابه بيض ، أو الأبيض ليس بالشديد البياض .

غزوة دومة الجندل

فى شهر ربيع الأول سنة خمس

قال ابن إسحاق : ثم انصرف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، فأقام من مَقْدم رسولِ الله صلى الله عليه وسلم بها أشهراً حتى مضى ذو الحجة وولى تلك الحجة المشركون وهى سنة أربع ثم غزا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم دُومة الجَنْدل .

قال ابن هشام : فى شهر ربيع الأوّل ، واستعمل على المدينة سِباع بن عُرْفُطَةَ الغِفارِىّ .

قال ابن إسحاق : ثم رَجع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يَصل إليها، ولم يَلْق كيداً ، فأقام بالمدينة بقيَّة سنته .

غزوة الخندق

فى شوال سنة خمس

تاريخها

حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام : قال حدثنا زياد بن عبد الله البكائى ، عن محمد بن إسحاق المطَّلبى ، قال : ثم كانت غزوة الخَنْـــدق فى شوّال سنة خمس .

اليهود تحرّض قريشاً

فحدثني يزيد بن رُومان مَولى آل الزُّبير بن عُروة بن الزبير ، ومَن لا أتّهم ، عن عبد الله بن كَعب بن مالك ، ومحمد بن كَعب القرظيّ ، والزُّهْريّ ، وعاصم بن عمر بن قَتادة ، وعبد الله بن أبي بكر ، وغيرهم من علمائنا ، كلهم قد اجتمع حديثه في الحديث عن الخندق ، وبعضهم يحدّث مالا يحدّث به بعض ، قالوا : إنه كان من حديث الخندق أن نفراً من اليهود ، منهم : سلاّم ابن أبي الحُقَيْق النَّضري ، وحُيَيُّ بن أخْطَبَ النَّضري ، وكِنانة بن أبي الحُقَيْق النَّضري ، وهَوْذَةُ بن قيس الوائلي ، وأبو عمّار الوائلي ، في نفر من بني النَّضير ، ونَفَر من بني وائل ، وهُم الذين حزّبوا الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خرجوا حتى قَدِموا على قُريش مكّةَ ، فدعوهم إلى حَرْب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : إنا سنكون معكم عليه ، حتى نَستأصِلَه ـ فقالت لهم قُريش : يا معشرَ يهودَ ، إنكم أهلُ الكتاب الأوّل والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد أفَدِينُنا خيرٌ أم دِينُه ؟ قالوا : بل دِينُكم خيرٌ من دينه ، وأنتم أولى بالحق (منه) فهم الذين أنزل الله تعالى فيهم : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ ، وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ، وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴾ . . . إلى قوله تعالى : ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ : أي النبوّة ، ﴿ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ

مُلْكاً عَظِيماً * فَمِنْهُم مَنْ آمَنَ بِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ ، وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيراً ﴾ .

اليهود تحرّض غطفان

قال : فلما قالوا ذلك لقُريش ، سرّهم ونَشطوا لما دَعوْهم إليه ، من حَرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاجتمعوا لذلك واتّعدوا له . ثم خرج أولئك النَّفر من يَهودَ ، حتى جاءوا غَطَفَان ، من قيس عَيْلَانَ ، فدَعوهم إلى حرب رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وأخْبروهم أنهم سيكونون معهم عليه ، وأن قريشاً قد تابعوهم على ذلك ، فاجتمعوا معهم فيه .

خروج الأحزاب من المشركين

قال ابن إسحاق : فخرجت قريش ، وقائدُها أبو سُفيان بن حَرْب ؛ وخرجت غَطَفَان ، وقائدها عُيَيْنَةُ بن حِصْنِ بن حُذَيفَةَ بن بَدْرٍ ، في بني فَزَارَة ؛ والحارث بن عَوْف بن أبي حارثة المُرِّى ، في بنى مُرَّة ؛ ومِسْعَر بن رُخَيلة ابن نُوَيرة بن طَرِيف بن سُحْمَة بن عبد الله بن هِلال بن خَلاوَة بن أشجع بن رَيْثِ بن غَطفان ، فيمن تابعه من قومه من أشجع .

حفر الخندق وتخاذل المنافقين وجد المؤمنين

فلما سمع بهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وما أجمعوا له من الأمر ، ضَرب الخَنْدَق على المدينة ، فعمل فيه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم تَرْغيباً للمسلمين

رفع
المسِّرهم

حتى الأجر، وعمل معه المسلمون فيه، فدأب فيه ودأبوا. وأبطأ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن المسلمين فى عملهم ذلك رجالٌ من المنافقين، وجعلوا يُوَرّون بالضّعيف من العمل ويتسلّلون إلى أهليهم بغير عِلْم من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا إذن، وجعل الرجلُ من المسلمين إذا نابته النائبة، من الحاجة التى لابدّ له منها، يذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ويستأذنه فى اللحوق بحاجته فيأذن له، فإذا قضى حاجته رجع إلى ما كان فيه من عمله، رغبةً فى الخير، واحتساباً له.

ما نزل فى حق العاملين فى الخندق

فأنزل الله تعالى فى أولئك من المؤمنين: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ، إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ، وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ، إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾. فنزلت هذه الآية فيمن كان من المسلمين من أهل الحسبة والرغبة فى الخير، والطاعة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم.

ثم قال تعالى، يعنى المنافقين الذين كانوا يتسللون من العمل، ويذهبون بغير إذن من النبىّ صلى الله عليه وسلم: ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً، قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذاً، فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ، أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾.

المسيرهم

تفسير بعض الغريب

قال ابن هشام : اللواذ : الاستتار بالشيء عند الهرب ، قال حسّان بن ثابت :

وَقُرَيْشٌ تَفِرُّ مِنَّا لِوَاذاً … أَنْ يُقِيمُوا وَخَفَّ مِنْهَا الحُلُومُ

وهذا البيت في قصيدة له قد ذكرتها في أشعار يوم أُحُد .

﴿ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ ﴾ .

قال ابن إسحاق : من صدق أو كذب .

﴿ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ .

المسلمون يرتجزون في الحفر

قال ابن إسحاق : وعمل المسلمون فيه حتى أحكموه ، وارتجزوا فيه برجل من المسلمين ، يقال له جُعَيل ، سمّاه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : عمراً ، فقالوا :

سَمَّاه مِنْ بَعْدِ جُعَيْلٍ عَمْرَا … وَكَانَ لِلْبَائِسِ يَوْماً ظَهْرَا

فإذا مرّوا « بعمرو » قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : عمراً ، وإذا مرّوا « بظَهْر » قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : ظهراً .

الآيات التي ظهرت فى حفر الخندق

قال ابن إسحاق: وكان فى حفر الخندق أحاديثُ بلغتنى، فيها من الله تعالى عبرة فى تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتحقيق نبوّته، عاين ذلك المسلمون.

فكان مما بلغنى أن جابر بن عبد الله كان يحدّث: أنه اشتدّت عليهم فى بعض الخندق كُدْية، فشكوها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدعا بإناء من ماء، فتفل فيه، ثم دعا بما شاء الله أن يدعوَ به، ثم نضح ذلك الماء على تلك الكُدْية، فيقول من حضرها: فوالذى بعثه بالحق نبيًّا، لانهالت حتى عادت كالكثيب، لا تردّ فأسًا ولا مِسحاة.

قال ابن إسحاق: وحدثنى سعيد بن مِينا أنه حُدّث: أن ابنةً لبَشير بن سعد، أخت النعمان بن بشير، قالت: دعتنى أُمى عَمْرة بنتُ رَواحة، فأعطتنى حَفنة من تمر فى ثوبى، ثم قالت: أى بُنَيّة، اذهبى إلى أبيك وخالك عبد الله بن رَوَاحة بغدائهما، قالت: فأخذتها، فانطلقت بها، فمررتُ برسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ألتمس أبي وخالى؛ فقال: تعالى يا بُنيّة، ما هذا معك؟ قالت: فقلت: يا رسول الله، هذا تمر، بعثتنى به أمى إلى أبى بَشير بن سعد، وخالى عبد الله بن رَوَاحة يتغديانه؛ قال: هاتيه؛ قالت: فصَبَبْته فى كفّىْ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فما ملأتهما، ثم أمر بثوب فبُسط له، ثم دحا بالتمر عليه، فتبدّد فوق الثوب، ثم قال لإنسان عنده:

فصرخ فى أهل الخندق : أن هَلُمّ إلى الغداء ، فاجتمع أهل الخندق عليه ، فجعلوا يأكلون منه ، وجعلَ يزيد ، حتى صَدر أهل الخندق عنه ، وإنه ليسقُط من أطراف الثوب .

قال ابن إسحاق : وحدثنى سَعيد بن مينا ، عن جابر بن عبد الله ، قال : عملنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخندق ، فكانت عندى شُوَيهة ، غير جِدّ سَمِينة . قال : فقلت : والله لو صَنَعناها لرسول الله صلى الله عليه وسلّم ؛ قال : فأمرتُ امرأتى ، فطحنت لنا شيئاً من شَعير ، فصنعت لنا منه خبزاً ، وذَبحت تلك الشاة ، فشَويناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فلما أمْسَينا وأراد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الانصراف عن الخندق - قال : وكنا نعمل فيه نهارَنا ، فإذا أمْسينا رَجعنا إلى أهالينا - قال : قلت : يارسول الله ، إنى قد صنعت لك شُوَيهة كانت عندنا ، وصنعنا معها شيئاً من خبز هذا الشّعير فأحبّ أن تَنصرف معى إلى منزلى ، وإنما أريد أن يَنْصَرف معى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وحدَه . قال : فلما أن قلت له ذلك قال: نعم ، ثم أمر صارخاً فصرَخ : أن انصرفوا مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم إلى بيت جابر بن عبد الله ؛ قال : قلت : إنا لله وإنا إليه راجعون ! قال : فأقبل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وأقبل الناس معه ؛ قال : فجلس وأخرجناها إليه . قال : فبرك وسمّى (الله) ، ثم أكل ، وتواردَها الناس ، كلما فرغ قومٌ قاموا وجاء ناس ، حتى صدر أهلُ الخندق عنها .

قال ابن إسحاق : وحُدِّثت عن سَلْمان الفارسىّ ، أنه قال : ضربتُ

فى ناحية من الخندق ، فَغَلُظت علىَّ صخرةٌ ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم قريب منى ؛ فلما رآنى أضرب ورأى شدّة المكان علىَّ ، نزل فأخذ المِعْوَل من يدى ، فضرب به ضربةً لَمَعَت تحت المِعْوَل برقةٌ ، قال : ثم ضرب به ضربة أخرى ، فلَمعت تحته برقة أخرى ؛ قال : ثم ضرب به الثالثة ، فلَمعت تحته برقة أخرى . قال : قلت : بأبى أنت وأمى يارسول الله ! ماهــذا الذى رأيت لمَع تحت المِعول وأنت تضرب ؟ قال : أوَقد رأيت ذلك ياسَلْمان ؟ قال : قلت : نعم ؛ قال : أما الأول فإنّ اللهَ فَتَحَ علىَّ بها اليمن ؛ وأما الثانية فإنّ الله فتَح علىَّ بها الشام والمغرب ؛ وأما الثالثة فإن الله فتح علىَّ بها المشرق .

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم عن أبى هُريرة أنه كان يقول ، حين فُتحت هذه الأمصار فى زمان عمر وزمان عثمان ومابعده : افتتحوا مابدا لكم ، فوالذى نفسُ أبى هُريرة بيده ، ما افتتحتم من مدينة ولا تفتتحونها إلى يوم القيامة إلا وقد أعطى اللهُ سبحانهُ محمداً صلى الله عليه وسلم مفاتيحَها قبل ذلك .

قال ابن إسحاق : ولماَّ فرغ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من الخندق ، أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسيال من رُومة ، بين الجُرُف وزَغابَة فى عشرة آلاف من أحابيشهم ، ومَنْ تَبِعهم من بَنى كِنانة وأهلِ تِهامة ، وأقبلَت غَطَفان ومَن تَبِعهم من أهل نجد ، حتى نزلوا بذَنب نَقَمَى ، إلى جانب أُحد . وخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم والمُسلمون ، حتى جعلوا

ظُهورهم إلى سَلْع ، فى ثلاثة آلاف من المسلمين ، فضرب هنالك عَسْكره، والخَنْدق بينه وبين القوم .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابنَ أمّ مكتوم .

قال ابن إسحاق : وأمر بالذّرارى والنساء فجُعلوا فى الآطام .

تحريض حيي بن أخطب لكعب بن أسد

وخرج عدوّ الله حُيَىّ بن أخْطب النَّضرىّ ، حتى أتى كَعْب بن أسد القُرَظى ، صاحب عَقْد بنى قُريظة وعَهْدهم ، وكان قد وادَع رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه ، وعاقده على ذلك وعاهده ؛ فلما سمع كَعْب بحُيَىّ بن أخْطَب أغلق دونه باب حِصْنه ، فاستأذن عليه، فأبى أن يَفْتح له ، فناداه حُيَىّ : وَيْحكَ يا كَعْبُ ! افتح لى ، قال : ويحك يا حُيَىُّ : إنك امرؤ مَشْئُومٌ ، وإنى قد عاهدتُ محمداً ، فلستُ بناقض ما بينى وبينه ولم أرَ منه إلا وفاء وصِدْقا ؛ قال : وَيْحَكَ افتح لى أُكَلِّمْكَ ؛ قال : ما أنا بفاعل ، قال : والله إن أغلقت دونى إلا تخوفت على جَشِيشَتِك أن آكلَ معك منها، فأحْفَظَ الرَّجلَ ، ففتح له ، فقال : وَيْحَكَ يا كَعْب ، جئتُك بعزّ الدهر وبِبَحْر طَامٍ ، جئتك بقُرَيش على قادتها وسادتها، حتى أنزلتُهم بمُجْتمع الأسيال من رُومة ، وبغَطَفَان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذَنَب نَقَمَى إلى جانب أُحد ، قد عاهدونى وعاقدونى على أن لا يَبْرَحُوا حتى نستأصِلَ محمداً ومن معه . قال : فقال له كعب : جئتنى والله بذُلّ الدهر ، وبجَهَامٍ قد هَرَاق مَاءَه ، فهو يُرعد ويُبْرق ، ليس فيه شىء ، وَيْحك يا حُيَىّ ! فدَعْنى وما أنا عليه ، فإنى لم أرَ من محمد إلا صِدْقا ووفاء . فلم يزل حُيَىّ

بكعب يفتله فى الذروة والغارب ، حتى سمح له ، على أن أعطاه عهداً من الله وميثاقاً : لئن رجعت قريش وغطفان ، ولم يصيبوا محمداً أن أدخل معك فى حصنك حتى يصيبنى ما أصابك . فنقض كعبُ بن أسد عهده ، وبرىء مما كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم .

التحري عن نقض كعب للعهد

فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبرُ وإلى المسلمين ، بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سعدَ بن معاذ بن النعمان ، وهو يومئذ سيِّد الأوس ، وسعدَ بن عُبادة بنى دُلَيم ، أحد بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج وهو يومئذ سيِّد الخزرج ومعهما عبدُ الله بن رَواحة ، أخو بنى الحارث بن الخزرج ، وخَوَّات بن جُبير ، أخو بنى عمرو بن عوف ؛ فقال : انطلقوا حتى تنظروا ، أحقٌ ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا ؟ فإن كان حقاً فالحنوا لى لحناً أعرفه ، ولا تَفُتُّوا فى أعضاد الناس وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهَرُوا به للناس . قال : فخرجوا حتى أتوهم ، فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم ، نالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : مَن رسول الله ؟ لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد . فشاتمهم سعدُ بن مُعاذ وشاتموه ، وكان رجلاً فيه حِدَّة ، فقال له سعدُ بن عُبادَةَ : دع عنك مُشاتَمتَهم ، فما بيننا وبينهم أربَى من المشاتمة . ثم أقبل سَعْدٌ وسعدٌ ومن معهما ، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسلَّموا عليه ، ثم قالوا : عَضَلٌ والقارَةُ ، أى كغدر عَضَل والقارة

بأصحاب الرجيع، خُبَيب وأصحابه، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: الله أكبر، أبشروا يامعشر المسلمين.

ظهور نفاق المنافقين واشتداد خوف المسلمين

وعظم عند ذلك البلاء، واشتدّ الخوف، وأتاهم عدوّهم من فَوقهم ومن أسفلَ منهم، حتى ظنّ المؤمنون كلّ ظَنّ، ونَجَم النِّفاق من بعض المنافقين، حتى قال مُعَتِّب بن قُشير، أخو بنى عمرو بن عوف: كان محمد يَعِدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر، وأحَدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط.

أكان معتب منافقاً؟

قال ابن هشام: وأخبرنى من أثق به من أهل العلم: أن مُعتِّب بن قُشير لم يكن من المنافقين، واحتجّ بأنه كان من أهل بدر.

قال ابن إسحاق: وحتى قال أوسُ بن قَيْظِيّ، أحد بنى حارثة بن الحارث: يارسول الله، إن بيوتنا عَوْرةٌ من العدوّ، وذلك عن ملأ من رجال قومه، فأذن لنا أن نخرج فنرجع إلى دارنا، فإنها خارج من المدينة. فأقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأقام عليه المشركون بضعاً وعشرين ليلة، قريباً من شهر، لم تكن بينهم حرب إلا الرِّمِّيا بالنبل والحِصار.

قال ابن هشام: ويقال الرِّمْيا.

الهمّ بعقد الصلح مع غطفان

فلما اشتدّ على الناس البلاء، بعث رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — كما حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ومن لا أتهم، عن محمد بن مُسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري — إلى عُيَيْنَةَ بن حِصْنِ بن حُذَيْفَةَ بن بَدْرٍ، وإلى الحارث ابن عوف بن أبي حارثة المُرِّي، وهما قائدا غَطَفان، فأعطاهما ثُلثَ ثمار المدينة على أن يَرْجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه، فجرى بينه وبينهما الصلح، حتى كتبوا الكتاب، ولم تقع الشهادةُ ولا عزيمة الصُّلح، إلا المُرَاوضَة في ذلك. فلما أراد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن يفعل، بعث إلى سَعْدِ بن مُعاذ وسَعْدِ بن عُبادَة، فذكر ذلك لهما، واستشارهما فيه، فقالا له: يارسول الله، أمراً نُحبه فنصنعه، أم شيئاً أمرك الله به، لابدّ لنا من العمل به، أم شيئاً تصنعه لنا؟ قال: بل شيء أصنعه لكم، والله ما أصنع ذلك إلا لأنني رأيت العرب قد رَمَتْكم عن قَوْسٍ واحدة، وكالبوكم من كلّ جانب، فأردت أن أكسر عنكم من شَوْكتهم إلى أمرٍ مّا؛ فقال له سَعْد بن مُعاذ: يارسول الله، قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشِّرك بالله وعبادة الأوثان، لا نعبد الله ولا نعرفه. وهم لا يطْمَعُون أن يأكلوا منها تمرة إلا قِرًى أو بيعاً، أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزّنا بك وبه، نُعطيهم أموالنا! (والله) مالنا بهذا مِن حاجة، والله لا نُعطيهم إلا السَّيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم؛ قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: فأنت وذاك. فتناول سعدُ بن مُعاذ الصَّحيفة، فمحا ما فيها من الكتاب، ثم قال: ليَجْهدوا علينا.

. . . .

رفع المسيّب هما

عبور نفر من المشركين الخندق

قال ابن إسحاق : فأقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون ، وعدوّهم محاصروهم ، ولم يكن بينهم قِتال ، إلا أن فوارس من قريش ، منهم عمرو بن عَبْد وُدّ بن أبي قيس ، أخو بني عامر بن لُؤَيّ .

ـ قال ابن هشام : ويقال : عمرو بن عبد بن أبي قيس ـ

قال ابن إسحاق : وعِكْرِمة بن أبي جهل ، وهُبيرة بن أبي وهب المخزوميان ، وضِرار بن الخطَّاب الشاعر ابن مرداس ، أخو بني محارب بن فِهر ، تلبّسوا للقتال ، ثم خرجوا على خَيْلهم ، حتى مرّوا بمنازل بني كِنانة ، فقالوا : تهيَّئوا يابني كنانة للحرب ، فستعلمون مَنِ الفُرسان اليوم ، ثم أقبلوا تُعْنِق بهم خيلُهم ، حتى وقفوا على الخندق ، فلما رأوه قالوا : والله إن هذه لمكيدة ما كانت العربُ تَكِيدها .

سلمان وإشارته بحفر الخندق

قال ابن هشام : يقال : إن سلمان الفارسي أشار به على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وحدثني بعض أهل العلم : أن المهاجرين يوم الخندق قالوا : سلمان منّا ؛ وقالت الأنصار : سلمان منّا ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عايه وسلم : سلمان منا أهلَ البَيْت .

مبارزة على لعمرو بن عبد ود

قال ابن إسحاق : ثم تيمموا مكاناً ضيقاً من الخندق ، فضربوا خيلهم فاقتحمت منه ، فجالت بهم فى السَّبْخَة بين الخندق وسَلْع ، وخرج علىّ بن أبى طالب عليه السلام فى نفر معه من المسلمين ، حتى أخذوا عليهم الثُّغرة التى أقحموا منها خيلَهم وأقبلت الفُرسان تُعْنِق نحوَهم ، وكان عمرو بن عَبْدِ وُدّ قد قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة ، فلم يَشْهد يوم أُحد ؛ فلما كان يوم الخندق خرج مُعْلِماً ليُرَى مكانُه . فلما وقف هو وخَيْلُه ، قال : مَنْ يُبارز ؟ فبرز له علىّ بن أبى طالب فقال له : يا عمرو ، إنك قد كنت عاهــدت الله ألا يدعوك رجل من قُريش إلى إحدى خَلّتين إلا أخذتَها منه ، قال له : أجَلْ ؛ قال له علىّ : فإنى أدعوك إلى الله وإلى رسوله ، وإلى الإسلام ، قال : لا حاجة لى بذلك ؛ قال : فإنى أدعوك إلى النِّزال ، فقال له : لِمَ يابن أخى ؟ فوالله ما أحبّ أن أقتلك ، قال له علىّ : لـكنّى والله أحبّ أن أقتلك ، فحمِى عمرو عند ذلك ، فاقتحم عن فرسه ، فعقره ، وضرب وجهه ، ثم أقبل على علىّ ، فتنازلا وتجاولا ، فقتله علىّ رضى الله عنه . وخرجت خيلهم مُنهزمة ، حتى اقتحمت من الخندق هاربةً .

قال ابن إسحاق : وقال علىّ بن أبى طالب رضوان الله عليه فى ذلك :

نَصَر الحِجارةَ مِن سَفاهةِ رأيِهِ ... ونَصَرْتُ ربَّ محمّدٍ بصَوابى

فصَددتُ حــين تَركْتُه متجدّلا ... كالجِذْعِ بين دَكادِكٍ ورَوابى

وعففت عن أثوابه ولو انني　　كنتُ المقطَّر بزَّنى أثوابى
لاتحسبنَّ الله خاذلَ دينِه　　ونبيِّه يامعشر الأحْزَاب

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر يشك فيها لعلى بن أبى طالب .

شعر حسان فى عكرمة

قال ابن إسحاق : وألقى عِكرِمة بن أبى جهل رُمحه يومئذ وهو منهزم عن عمرو ، فقال حسَّان بن ثابت فى ذلك :

فرَّ وألقى لنا رُمحَه　　لعلك عِكرِمَ لم تفعل
ووليتَ تعدو كعَدْو الظَّليم　　ما إن تجور عن المَعْدِل
ولم تلق ظَهْرك مُسْتأنِساً　　كأن قفاك قفا فُرْعُل

قال ابن هشام : الفُرْعُل : صغير الضباع ، وهذه الأبيات فى أبيات له .

شعار المسلمين يوم الخندق

وكان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق وبنى قريظة : حم ، لا يُنصرون .

حديث سعد بن معاذ

قال ابن إسحاق : وحدثنى أبو ليلى عبد الله بن سَهل بن عبد الرحمن بن سهل الأنصارى ، أخو بنى حارثة : أن عائشة أمّ المؤمنين كانت فى حصن

بنى حارثة يوم الخندق ، وكان من أحرز حصون المدينة . قال : وكانت أم سعد ابن مُعاذ معها فى الحصن ؛ فقالت عائشة وذلك قبل أن يُضرب علينا الحجاب ، فمرّ سعد وعليه درع له مُقلَّصة ، قد خرجت منها ذراعه كلُّها ، وفى يده حربته يرْقُل بها ويقول :

لَبّثْ قليلا يَشْهَدِ الهَيْجا جَمَل لا بأس بالمَوت إذا حان الأجَل

قال فقالت له أمه : الحق : أى بنى ، فقد والله أخَّرت ؛ قالت عائشة : فقلت لها : يا أمّ سعد ، والله لودِدْت أن دِرْع سعد كانت أسْبَغ مما هى ، قالت : وخِفْتِ عليه حيث أصاب السّهمُ منه ، فرُمِى سعدُ بنُ معاذ بسهم ، فقطع منه الأكْحَلُ ، رماه كما حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، حِبَّان بن قَيْس بن العَرِقة ، أحد بنى عامر بن لُؤَىّ ، فلما أصابه ، قال : خُذْها منى وأنا ابن العَرِقَة ، فقال له سعد : عرّق الله وجهَك فى النار ؛ اللهمّ إن كنتَ أبقيتَ من حرب قريش شيئاً فأبقنى لها ، فإنه لاقوم أحبّ إلىّ أن أجاهدهم من قوم آذَوْا رسولك وكذّبوه وأخرجوه ، اللهمّ وإن كنت قد وضعت الحربَ بيننا وبينهم فاجعله لى شهادة ، ولا تُمتنى حتى تُقرّ عينى من بنى قُريظة .

مَن قاتل سعد ؟

قال ابن إسحاق : وحدثنى مَنْ لا أتهم عن عبد الله بن كعب بن مالك أنه كان يقول : ما أصاب سعداً يومئذ إلا أبو أسامة الجُشَمى ، حليف بنى مخزوم .

وقد قال أبو أسامة فى ذلك شعراً لعِكرِمة بن أبى جهل :

أعِكْرِمَ هلاَّ لُمتنى إذْ تقول لى ... فداك بآطام المدينة خالدُ
ألستُ الذى ألزمتُ سَعداً مُرِشَّةً ... لها بين أثناء المرَافِق عاند
قَضَى نَحْبه منها سُعَيد فأعْوَلت ... عليه مع الشُّمْط العذَارَى النَّوَاهِدُ
وأنتَ الذى دافعتَ عنه وقد دَعا ... عُبيدةُ جمعاً منهم إذ يُكابِد
على حين ماهُم جائِر عن طَرِيقه ... وآخر مَرْعُوب عن القصْد قاصدُ

(والله أعلم أىّ ذلك كان) .

قال ابن هشام : ويقال : إن الذى رَمى سعداً خَفاجة بن عاصم بن حِبَّان .

الحديث عن جبن حسان

قال ابن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عبَّاد بن عبد الله بن الزُّبير ، عن أبيه عباد قال : كانت صَفيَّة بنت عبد المطَّلب فى فارِع ، حِصْن حسَّان بن ثابت ؛ قالت : وكان حسَّان بن ثابت معنا فيه ، مع النساء والصِّبيان ، قالت صَفيَّة : فمرّ بنا رجلٌ من يهود ، فجعل يُطِيفُ بالحِصْن ، وقد حاربتْ بنو قُريظة ، وقطعت مابينها وبين رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وليس بيننا وبينهم أحد يَدْفع عنا ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون فى نحور عدوّهم ، لا يستطيعون أن يَنصرفوا عنهم إلينا إن أتانا آتٍ . قالت : فقلت : ياحسَّان ، إن هذا اليهودىَّ كما ترى يُطِيفُ بالحصن ، وإنى والله ما آمنه أن يَدُلّ على عوْرتنا

مَنْ وراءنا من يهود ، وقد شغِل عنَّا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فانزل إليه فاقتله ؛ قال : يَغفِر الله لكِ يابنة عبد المطَّلب ، والله لقد عرفتِ ما أنا بصاحب هذا : قالت : فلما قال لى ذلك ، ولم أر عنده شيئاً ، احتجزت ثم أخذت عَموداً ، ثم نزلت من الحِصْنِ إليه ، فضربتُه بالعَمود حتى قتلته . قالت : فلما فرغت منه ، رجعتُ إلى الحِصْن ، فقلت : ياحسَّان ، انزل إليه فاسلبه ، فانه لم يَمْنعنى من سلبِهِ إلا أنه رَجل ؛ قال : مالى بسَلْبه من حاجة يابنة عبد المطلب .

نعيم يخذّل المشركين

قال ابن إسحاق : وأقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فيما وصف الله من الخوف والشدّة ، لتظاهر عدوّهم عليهم ، وإتيانهم إياهم من فَوْقهم ومن أسفل منهم .

قال : ثم إن نُعيم بن مَسْعود بن عامر بن أُنَيف بن ثعلبة بن قُنْفذ بن هِلال ابن خَلاوة بن أشْجع بن رَيْث بن غَطفان ، أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يارسول الله ، إنى قد أسلمتُ ، وإن قومى لم يعلموا بإسلامى ، فمُرنى بما شئت ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إنما أنت فينا رجلٌ واحدٌ ، فَخذّل عنا إن استطعت ، فإن الحرب خدعة . فخرج نُعيم بن مسعود حتى أتى بنى قُريظة ، وكان لهم نديماً فى الجاهليّـة ، فقال : يابنى قُريظة ، قد عَرفتم ودّى إياكم ، وخاصّة ما بينى وبينـكم ، قالوا : صدقت ، لست عندنا بمتّهم ، فقال

لهم : إنّ قريشاً وغطفان ليسوا كأنتم ، البلد بلدكم ، فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم ، لاتقدرون على أن تحوّلوا منه إلى غيره ، وإنّ قريشاً وغطفان قد جاءوا لحرب محمّد وأصحابه ، وقد ظاهرتموهم عليه ، وبلدهم وأموالهم ونساؤهم بغيره ، فليسوا كأنتم ، فان رأوا نُهزة أصابوها ، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلّوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ، ولا طاقة لكم به إن خلا بكم ، فلا تُقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رُهُناً من أشرافهم ، يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمداً حتى تُناجزوه ، فقالوا له : لقد أشرت بالرأى.

ثم خرج حتى أتى قُريشاً ، فقال لأبى سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش : قد عرفتم ودّى لكم وفراقى محمداً ، وإنه قد بلغنى أمرٌ قد رأيت علىّ حقّاً أن أبلغكموه ، نُصحاً لكم ، فاكتموا عنى ، فقالوا : نفعل ، قال : تعلّموا أن معشر يهود قد ندموا على ماصنعوا فيما بينهم وبين محمد ، وقد أرسلوا إليه : إنا قد ندمنا على مافعلنا ، فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين ، من قُريش وغطفان رجالا من أشرافهم فنُعطيكهم ، فتضربَ أعناقهم ثم نكون معك على من بَقِى منهم حتى نستأصلهم ؟ فأرسل إليهم : أن نعم. فإن بعثتْ إليكم يهودُ يلتمسون منكم رُهُناً من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلا واحداً .

ثم خرج حتى أتى غطفان ، فقال : يامعشرغطفان ، إنكم أصلى وعشيرتى ، وأحبّ الناس إلىّ ، ولا أراكم تتّهمونى ، قالوا : صدقت ، ما أنت عندنا

بيتهم ، قال فاكتموا عني ، قالوا : نفعل ، فما أمرك ؟ ثم قال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم ما حذرهم .

فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس ، وكان من صنع الله لرسوله صلى الله عليه وسلم أن أرسل أبو سفيان بن حرب ورءوس غطفان إلى بنى قريظة عكرمة بن أبي جهل ، في نفر من قريش وغطفان ، فقالوا لهم : إنا لسنا بدار مقام ، قد هلك الخف والحافر ، فاغدوا للقتال حتى نناجز محمداً ، ونفرغ مما بيننا وبينه ، فأرسلوا إليهم : إن اليوم يوم السبت ، وهو (يوم) لا نعمل فيه شيئاً ، وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثاً ، فأصابه ما لم يخف عليكم ، ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم محمداً حتى تعطونا رهناً من رجالكم ، يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمداً ، فإنا نخشى إن ضرستكم الحرب ، واشتد عليكم القتال أن تنشمروا إلى بلادكم وتتركونا ، والرجل في بلدنا ، ولا طاقة لنا بذلك منه . فلما رجعت إليهم الرسل بما قالت بنو قريظة ، قالت قريش وغطفان : والله إن الذى حدثكم نعيم بن مسعود لحق ، فأرسلوا بنى قريظة : إنا والله لا ندفع إليكم رجلا واحداً من رجالنا ، فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا ، فقالت بنو قريظة ، حين انتهت الرسل إليهم بهذا : إن الذى ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق ، ما يريد القوم إلا أن يقاتلوا ، فإن رأوا فرصة انتهزوها ، وإن كان غير ذلك انشمروا إلى بلادهم . وخلوا بينكم وبين الرجل في بلدكم ، فأرسلوا إلى قريش وغطفان : إنا والله لا نقاتل معكم محمداً حتى تعطونا رهناً ، فأبوا عليهم وخذل الله بينهم ، وبعث الله عليهم الريح

فى ليال شاتية باردة شديدة البرد ، فجعلت تكفأ قدورهم ، وتطرح أبنيتهم .

تعرف ما حل بالمشركين

(قال) : فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اختلف من أمرهم ، وما فرق الله من جماعتهم ، دعا حذيفة بن اليمان ، فبعثه إليهم ، لينظر ما فعل القوم ليلا .

قال ابن إسحاق : فحدثنى يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب القرظى ، قال : قال رجل من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان : يا أبا عبد الله ، أرأيتم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبتموه ؟ قال : نعم ، يابن أخى ، قال : فكيف كنتم تصنعون ؟ قال : والله لقد كنا نجهد ، قال : فقال : والله لو أدركناه ما تركناه يمشى على الأرض ولحملناه على أعناقنا . قال : فقال حذيفة : يابن أخى ، والله لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخندق ، وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هويا من الليل ، ثم التفت إلينا فقال : من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع — يشرط له رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجعة — أسأل الله تعالى أن يكون رفيقى فى الجنة ؟ فما قام رجل من القوم ، من شدة الخوف ، وشدة الجوع ، وشدة البرد ، فلما لم يقم أحد ، دعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يكن لى بد من القيام حين دعانى ، فقال : يا حذيفة ، اذهب فادخل فى القوم ، فانظر ماذا يصنعون ، ولا تحدثن شيئا حتى تأتينا . قال : فذهبت فدخلت فى القوم ، والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل ، لا تقر لهم قدرا ولا نارا

ولا بناء . فقام أبو سفيان ، فقال : يامعشر قريش : لينظر امرؤ مَنْ جَليسه ؟ قال حذيفة : فأخذت بيد الرجل الذى كان إلى جنبي ، فقلت : من أنت ؟ قال: فلان بن فلان .

أبو سفيان ينادى بالرحيل

ثم قال أبو سفيان : يامعشر قريش ، إنكم والله ما أصبحتم بدار مُقام ، لقد هَلك الكُراع والخف ، وأخلفتنا بنو قريظة ، وبلغنا عنهم الذى نكره ، ولَقينا من شدة الريح ما تَرَوْن ، ماتطمئن لنا قِدْر ، ولاتقوم لنا نار ، ولا يستمسك لنا بناء ، فارتحلوا فإنى مرتحل ، ثم قام إلى جمله وهو مَعْقول ، فجلس عليه ، ثم ضَربه ، فوثب به على ثلاث ، فوالله ماأُطلق عقاله إلا وهو قائم ، ولولا عَهْد رسولِ الله صلى الله عليه وسلم إلىّ « أن لاتحدث شيئاً حتى تأتينى » ، ثم شئت ، لقتلته بسهم .

قال حُذيفة : فرجعتُ إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم يصلى فى مِرْط لبعض نسائه ، مراجل .

قال ابن هشام : المراجل : ضرب من وشى اليمن .

فلما رآنى أدخلنى إلى رِجليه ، وطَرح علىّ طَرَف المِرْط ، ثم ركع وسجد ، وإنى لفيه ، فلما سلَّم أخبرته الخبر ، وسمعتْ غَطفان بما فعلت قُريش ، فانشمروا راجعين إلى بلادهم .

الإنصراف عن الخندق

قال ابن إسحاق : ولما أصبح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم انصرف عن الخندق راجعاً إلى المدينة والمسلمون ، ووضعوا السلاح .

غزوة بني قريظة

في سنة خمس

الأمر الإلهي بحرب بني قريظة

فلما كانت الظُّهر ، أتى جبريلُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، كما حدثني الزُّهري ، معتجراً بعمامة من إستبرق ، على بَغْلة عليها رِحالة ، عليها قطيفة من ديباج ، فقال : أوَقَدْ وضعتَ السلاح يارسول الله ؟ قال : نعم ، فقال جبريل : فما وضعت الملائكة السلاح بعد ، وما رجعت الآن إلا من طلب القوم ، إن الله عزّ وجلّ يأمرك يامحمد بالمسيرِ إلى بنى قُريظة ، فإنى عامدٌ إليهم فمزلزل بهم .

فأمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مؤذّناً ، فأذّن فى الناس ، من كان سامعاً مُطيعاً ، فلا يصلّينّ العصرَ إلا ببنى قُريظة .

واستعمل على المدينة ابنَ أم مكتوم ، فيما قال ابن هشام .

عليٌّ يبلغ الرسول ماسمعه من بنى قريظة

قال ابن إسحاق : وقدّم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عليّ بن أبى طالب

رفع المسهم

برايته إلى بنى قُريظة ، وابتدرها الناسُ . فسار علىٌّ بن أبى طالب ، حتى إذا دنا من الحُصون سمع منها مقالةً قبيحةً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرجع حتى لَقى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بالطريق ، فقال : يارسول الله ، لاعليك أن لاتدنو من هؤلاء الأخابث ، قال : لِمَ ؟ أظنك سمعت منهم لى أذى ؟ قال : نعم يارسول الله ، قال : لو رأونى لم يقولوا من ذلك شيئاً . فلما دنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من حُصونهم . قال : يا إخوان القِرَدة ، هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته ؟ قالوا يا أبا القاسم ، ما كنت جهولا .

جبريل فى صورة دحية

ومرَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بنَفَر من أصحابه بالصَّوْرَيْن قبل أن يصل إلى بنى قُريظة ، فقال : هل مَرَّ بكم أحد ؟ قالوا : يارسول الله ، قد مَرَّ بنا دِحْية بن خَليفة الكلبى ، على بَغْلة بيضاء عليها رِحالة ، عليها قَطيفة ديباج. فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : ذلك جِبْريل ، بُعث إلى بنى قُريظة يُزَلزل بهم حُصونهم ، ويقذف الرعبَ فى قلوبهم .

ولما أتى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بنى قريظة : نزل على بئر من آبارها من ناحية أموالهم ، يقال لها بئر أنا .

قال ابن هشام : بئر آنَى .

تلاحق الناس بالرسول

قال ابن إسحاق : وتلاحق به الناس ، فأتى رجالٌ منهم من بعد العشاء

الآخرة ، ولم يصلّوا العَصر ، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يصلّينّ أحدٌ العصرَ إلا ببنى قُريظة ، فشغَلهم مالم يكن منه بدّ فى حَرْبهم ، وأبَوْا أن يصلُّوا ، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : حتى تأتوا بنى قريظة . فصلَّوْا العصر بها ، بعد العشاء الآخرة ، فما عابهم الله بذلك فى كتابه ، ولا عنَّفهم به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم . حدثني بهذا الحديث أبى إسحاقُ بن يسار، عن مَعبد بن كَعب بن مالك الأنصارى .

الحصار

(قال) : وحاصرهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خمساً وعشرين ليلة حتى جَهدهم الحصار ، وقذفَ اللهُ فى قُلوبهم الرعبَ .

وقد كان حُيَىّ بن أخْطب دخل مع بنى قريظة فى حصْنهم ، حين رجعت عنهم قُريشٌ وغَطفان ، وفاء لكَعْب بن أسد بما كان عاهده عليه .

نصيحة كعب بن أسد لقومه

فلما أيقنوا بأن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم غير مُنْصرف عنهم حتى يُناجزهم ، قال كعب بن أسد لهم : يامعشر يهود ، قد نزل بكم من الأمر ماترون ، وإنى عارض عليكم خلالا ثلاثاً ، فخذوا أيها شئتم ، قالوا : وماهى ؟ قال : نُتابع هذا الرجل ونصدّقه فوالله لقد تبيَّن لكم أنه لنبىٌّ مُرْسَل ، وأنه للذى تجِدونه فى كتابكم، فتأْمنون على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم، قالوا: لانفارقُ حكمَ التَّوراة أبداً ، ولانستبدل به غيره ، قال : فإذا أبيتم علىَّ هذه ،

فهلمّ فلنقتُلْ أبناءنا ونساءنا ، ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالا مُصْلتين السيوفَ، لم نترك وراءنا ثَقلا، حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ، فإن نهلك نهلك، ولم نترك وراءنا نسلا نخشى عليه ، وإن نظهر فلعَمرى لنجدنّ النساء والأبناء ، قالوا : نقتُل هؤلاء المساكين ! فما خير العيش بعدهم ؟ قال : فإن أبيتم علىّ هذه ، فإن الليلة ليلة السبت ، وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنونا فيها ، فانزلوا لعلّنا نُصيب من محمد وأصحابه غِرّة ، قالوا : نُفسد سَبْتنا علينا ، ونُحدث فيه ما لم يُحدث مَنْ كان قبلنا إلا من قد علمت ، فأصابه ما لم يخف عليك من المَسخ ! قال : ما باتَ رجل منكم منذ ولَدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازماً .

قصة أبي لبابة

ثم إنهم بعثوا إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم : أن ابعث إلينا أبا لُبابَةَ ابن عبدِ المُنذرِ، أخا بني عمرو بن عوف ، وكانوا حُلفاء الأوس ، لنَستَشيره فى أمرنا ، فأرسله رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إليهم ، فلما رأوه قام إليه الرجال ، وجَهَشَ إليه النساء والصبيان يَبكون فى وجهه ، فرقّ لهم ، وقالوا له : يا أبا لُبابة ، أترى أن ننزل على حُكم محمد ؟ قال : نعم ، وأشار بيده إلى حلقه ، إنه الذبح . قال أبو لُبابة : فوالله مازالت قدماى من مكانهما حتى عرفتُ أنى قد خنتُ الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، ثم انطلق أبو لُبابة على وجهه ، ولم يأت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حتى ارتبط فى المسجد إلى عَمُود من عُمُده ، وقال : لا أبرح مكانى هذا حتى يتوبَ الله علىّ مما

صنعت ، وعاهد الله : أن لا أطأ بنى قريظة أبداً ، ولا أرى فى بلد خُنْت الله ورسوله فيه أبداً .

توبة الله على أبى لبابة

قال ابن هشام : وأنزل الله تعالى فى أبى لُبابة ، فيما قال سُفيان بن عُيينة ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن عبد الله بن أبى قتادة : ﴿ يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللهَ والرَّسُولَ وَتَخُونُوا أماناتِكُمْ وأنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ . الأنفال : ٢٧

قال ابن إسحاق : فلما بلغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم خبرُه ، وكان قد استبطأه ، قال : أما إنه لو جاءنى لاستغفرتُ له ، فأما إذ قد فعل ما فعل ، فما أنا بالذى أطلقُه من مكانه حتى يَتُوب الله عليه .

قال ابن إسحاق : فحدثنى يزيد بن عبد الله بن قُسيط : أنّ توبة أبى لبابة نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من السَّحَر ، وهو فى بيت أمّ سلمة . (فقالت أمّ سَلَمة) : فسمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم من السَّحَر وهو يضحك . قالت : فقلت : ممّ تضحك يارسول الله ؟ أضحك الله سنّك ؟ قال : تِيب على أبى لُبابة ، قالت : قلت : أفلا أُبَشِّره يارسول الله ؟ قال : بلى ، إن شئتِ . قال : فقامت على باب حجرتها ، وذلك قبل أن يُضرب عليهنّ الحجاب ، فقالت : يا أبا لُبابة ، أبْشِر فقد تاب الله عليك . قالت : فثار الناس إليه ليُطلقوه فقال : لا والله حتى يكون رسولُ الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يُطلقنى بيده ، فلما مرّ عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خارجاً إلى صلاة الصبح أطلقه .

قال ابن هشام : أقام أبو لُبابة مُرتبطًا بالجذع ستَّ ليال ، تأتيه امرأته في كلّ وَقْت صلاة ، فتحله للصلاة ، ثم يعود فَيرْتبط بالجِذْع ، فيما حدثنى بعض أهل العلم والآية التى نزلت في توْبته قولُ الله عزّ وجلّ : ﴿ وآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صالِحًا وآخرَ سَيِّئًا عَسَى اللهُ أنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ، إنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .

إسلام بعض بنى هدل

قال ابن إسحاق : ثم إن ثَعْلَبَةَ بنَ سَعْيَةَ ، وأَسِيْد بن سَعْيَة ، وأَسَد بن عُبَيْد، وهم نفر من بنى هَدْلٍ ، ليسوا من بنى قُريظة ولا النَّضير ، نَسَبُهُم فوق ذلك هم بنو عمّ القوم ، أسلموا تلك الليلة التى نزلت فيها بنو قُريظة على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

عمرو بن سُعدى

وخرج في تلك اللّيلة عَمْرو بن سُعْدَى القُرَظى ، فمرّ بحَرَس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعليه محمد بن مَسْلمة تلك الليلة ، فلما رآه قال : من هذا؟ قال : أنا عمرو بن سُعْدَى ـ وكان عمرو قد أبى أن يدخل مع بنى قُريظة في غدرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : لا أغدر بمحمد أبداً ـ فقال محمد بن مَسْلمة حين عرفه : اللهمّ لا تحرمنى إقالة عَثرات الكِرام ، ثم خلَّى سبيله . فخرج على وجهه حتى أتى باب مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة تلك الليلة ، ثم ذهب فلم يُدر أين توجه من الأرض إلى يومه هـــذا ، فذُكر

لرسول الله صلى الله عليه وسلم شأنه ، فقال : ذاك رجل نجّاه الله بوَفائه . وبعض الناس يزعم أنه كان أُوثِق بِرُمَّةٍ فيمن أُوثِقَ من بنى قُرَيظة ، حين نزلوا على حُكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأصبحت رُمَّتُه مُلقاة ، ولا يُدرى أين ذهب ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فيه تلك المقالة ، والله أعلم أىّ ذلك كان .

تحكيم سعد فى أمر بنى قريظة ورضاء الرسول به

(قال) فلما أصبحوا نزلوا على حُكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتَواثبتِ الأوْس ، فقالوا : يارسول الله ، إنهم موالينا دون الخزرج ، وقد فعلتَ فى موالى إخواننا بالأمس ما قد علمت ـ وقد كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قبل بنى قُريظة قد حاصَر بنى قَيْنُقاع ، وكانوا حُلفاء الخزرج ، فنزلوا على حكمه ، فسأله إياهم عبدُ الله بن أُبَىّ بن سَلُولَ ، فوَهبهم له . فلما كلَّمته الأوس قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : ألا تَرْضَوْن يامَعْشَرَ الأوْسِ أن يَحْكُم فيهم رجلٌ منكم ؟ قالوا : بلى ، قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : فذاك إلى سعد بن مُعاذ . وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قد جعل سعد ابنَ مُعاذٍ فى خَيمة لامرأة من أسلَمَ ، يُقال لها رُفَيدة ، فى مسجده ، كانت تُداوى الجَرْحَى ، وتحتسب بنفسها على خِدْمة مَنْ كانت به ضَيعة من المُسلمين ، وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قد قال لقومه حين أصابه السهم بالخندق : اجعلوه فى خَيمة رُفَيدة حتى أعُوده من قريب . فلما حكَّمه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بنى قُريظة ، أتاه قومه فحملوه على حمار

قد وطَّئوا له بوسادة من أدَم ، وكان رجلا جسيما جميلا ، ثم أقبلوا معه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم يقولون : يا أبا عمرو ، أحْسنْ فى مواليك ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم - إنَّما ولّاك ذلك لتُحسن فيهم ، فلما أكثروا عليه قال : لقد أنَى لِسعد أن لا تأخذه فى الله لَوْمةُ لائم . فرجع بعضُ من كان معه من قَوْمه إلى دار بنى عبد الأشهل ، فنَعَى لهم رجال بنى قُريظة ، قبل أن يَصل إليهم سعد ، عن كلمته التى سمع منــه . فلما انتهى سعدٌ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين ، قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : قوموا إلى سيِّدكم - فأما المهاجرون من قُريش ، فيقولون : إنما أراد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الأنصار ، وأما الأنصار ، فيقولون : قد عمّ بها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم - فقاموا إليه ، فقالوا : يا أبا عمرو ، إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قد وَلّاك أمرَ مواليك لتحْكم فيهم ، فقال سعدُ بن معاذ : عليكم بذلك عهدُ الله وميثاقه ، أنّ الحُكم فيهم لَما حَكَمْتُ ؟ قالوا : نعم ، وعلى مَنْ هاهنا ، فى الناحية التى فيها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وهو مُعرِض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إجلالا له ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ، قال سعد : فإنى أحكم فيهم أن تُقتل الرجالُ ، وتُقسم الأموال ، وتُسْبَى الذرارى والنساء .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصمُ بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن مُعاذ ، عن عَلْقمة بن وقّاص اللّيثى ، قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لسعد : لقد حكمتَ فيهم بحُكم الله من فوق سبعة أرْقِعَة :

قال ابنُ هشام: حدثنى بعضُ من أثقُ به من أهل العلم: أن علىّ بن أبى طالب صاح وهم محاصرو بنى قُريظة: يا كَتيبة الإيمان، وتقدّم هو والزُّبير بن العوّام، وقال: والله لأذوقنّ ماذاق حَمْزة أو لأفْتَحنّ حِصْنَهم. فقالوا: يا محمد، ننزل على حُكم سَعد بنِ مُعاذ.

تنفيذ الحكم في بني قريظة

قال ابن إسحاق: ثم استُنْزِلوا، فحبسهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة في دار بنت الحارث، امرأةٍ من بنى النّجّار، ثم خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى سوق المدينة، التى هى سوقها اليوم، فخندق بها خنادق، ثم بعث إليهم، فضرب أعناقهم فى تلك الخنادق، يُخرَج بهم إليه أرسالا، وفيهم عدوّ الله حُيَيّ بن أخْطَب، وكَعْب بن أسد، رأس القوم، وهم ستّ مائة أو سبع مائة، والمُكثِّر لهم يقول: كانوا بين الثّمان مائة والتسع مائة. وقد قالوا لكعب بن أسد، وهم يُذهب بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسالا: يا كَعْب، ما تراه يُصنع بنا؟ قال: أفى كلّ موطن لا تَعقِلون؟ ألا ترون الداعي لا يَنْزِع، وأنه من ذُهب به منكم لا يَرْجِع؟ هو والله القتل! فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم.

مقتل حيي بن أخطب

وأُتِيَ بحُيَيّ بن أخْطَبَ عدوّ الله، وعليه حُلّة له فُقّاحِيّة — قال ابن هشام:

فُقَّاحِيَّة : ضرب من الوشى – قد شقّها عليه من كل ناحية قدر أُنْمُلَة لئلا يُسْلَبها ، مجموعةً يداه إلى عُنقه بحبل . فلما نَظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : أما والله ما لمت نفسى فى عَدَاوتك ، ولكنه من يَخذُلِ اللهَ يُخْذَل ، ثم أقبل على الناس ، فقال : أيها الناس ، إنه لا بَأْس بأمر الله ، كِتابٌ وقَدرٌ ومَلْحَمَة كتبها اللهُ على بنى إسرائيل ، ثم جَلس فضُربتْ عنقه .

فقال جَبل بن جَوّال الثَّعلبى :

لَعمرُك مالامَ ابنُ أخْطَبَ نَفْسه ولكنَّه مَنْ يخذُل اللهَ يُخْذَلِ
لجاهَد حتى أبْلغ النَّفس عُذْرَها وقَلْقَل يَبْغى العزَّ كلَّ مُقَلْقَل

المرأة القتيل من بنى قريظة

قال ابن إسحاق : وقد حدثنى محمد بن جعفر بن الزُّبير ، عن عروة بن الزُّبير ، عن عائشة أمّ المؤمنين أنها قالت : لم يقتل من نسائهم إلا امرأة واحدة . قالت : والله إنها لعندى تَحدّث معى ، وتضحك ظَهْراً وبَطْناً ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم يقتل رجالها فى السّوق ، إذ هَتف هاتفٌ باسمها : أين فلانة ؟ قالت : أنا والله، قالت : قلت لها : ويلك، مالك ؟ قالت : أُقْتَل ، قلت : ولِمَ ؟ قالت : لحدث أحدثته ؛ قالت : فانطلق بها، فضُربت عنقها ، فكانت عائشة تقول : فوالله ما أنسى عَجَباً منها ، طيبَ نفسها ، وكثرة ضَحكها ، وقد عرفَتْ أنها تُقتل .

قال ابن هشام : وهى التى طرحت الرَّحا على خلّاد بن سُويد ، فقتلته .

. . . .

شأن الزبير بن باطا

قال ابن إسحاق : وقد كان ثابت بن قَيس بن الشَّمَّاس ، كما ذكر لى ابنُ شهاب الزُّهْرِى ، أتى الزَّبير بن بَاطَا القُرظىّ ، وكان يُكَنّى أباعبدالرحمن وكا الزبير قد مَنَّ على ثابت بن قَيس بن شمَّاس فى الجاهلية . ذكر لى بعضُ ولد الزَّبير أنه كان منَّ عليه يوم بُعاث ، أخذه فجزّ ناصيتَه ، ثم خلّى سبيله . فجاءه ثابت وهو شيخ كبير ، فقال : يا أبا عبدالرحمن ، هل تعرفنى ؟ قال : وهل يَجهل مثلى مثلَك ، قال : إنى قد أردت أن أجْزيك بيدك عِندى ، قال : إن الكريم يَجزى الكريم ، ثم أتى ثابتُ بن قيس رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يارسول الله إنه قد كانت للزَّبير علىّ مِنّة ، وقد أحببت أن أجْزيه بها ، فهبْ لى دَمه ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : هو لك ، فأتاه فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وهب لى دمَك ، فهو لك ، قال : شيخ كبير لاأهل له ولا ولد ، فما يصنع بالحياة ؟ قال : فأتى ثابتٌ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال : بأبى أنت وأمى يارسول الله ، هَبْ لى امرأته وولَده ، قال : هُمْ لك . قال : فأتاه فقال : قد وهب لى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أهلَك وولدك ، فهم لك ، قال : أهلُ بيتٍ بالحجاز لامال لهم ، فما بقاؤهم على ذلك ؟ فأتى ثابتٌ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يارسول الله ، مالَه ، قال : هو لك . فأتاه ثابت فقال : قد أعطانى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مالَك ، فهو لك ، قال : أىْ ثابت ، مافعل الذى كأن وجْهه مرآة صِينيّة يتراءى فيها عَذارى الحىّ ، كعبُ بن أسد ؟ قال : قُتل ، قال : فما فعل سيِّد الحاضر

والبادى حُيَيّ بن أخْطَب ؟ قال : قُتل ، قال : فما فعل مُقدمتنا إذا شددنا ، وحاميتنا إذا فررنا ، عزّال بن سَموأل ؟ قال : قُتل ، قال : فما فعل المجلسان ؟ يعنى بنى كعب بن قُريظة وبنى عَمْرو بن قريظة؟ قال : ذهبوا قُتلوا . قال : فإنى أسألك يا ثابت بيدى عندك إلا أَلحقتني بالقوم ، فوالله ما فى العيش بعد هؤلاء من خير ، فما أنا بصابر لله فَتْلَةَ دَلْوٍ ناضِحٍ حتى ألقى الأحبّة . فقدّمه ثابت ، فضرب عنقه .

فلما بلغ أبا بكر الصدّيق قوله « ألقى الأحبّة » . قال : يلقاهم والله فى نار جهنم خالداً مخلّداً .

قال ابن هشام : قَبْلَةَ دلو ناضح . وقال زهير بن أبى سُلمى فى « قَبْلَةِ » :

وقابلٍ يَتغنّى كلّما قَدَرتْ على العَراقى يَداه قائماً دَفقا

وهذا البيت فى قصيدة له .

قال ابن هشام : ويُروى : وقابلٍ يَتَلَقّى ، يعنى قابل الدلو يتناول .

عطية القرظى ورفاعة

قال ابن إسحاق : وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قد أمر بقَتْل كلّ من أنْبَتَ منهم .

قال ابن إسحاق : وحدّثنى شُعبة بن الحجّاج ، عن عبد الملك بن عُمير ، عن عطية القرظى ، قال : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قد أمر أن يُقتل

من بنى قُريظة كلَّ من أنبت منهم ، وكنت غلاماً ، فوجدنى لم أُنبت فخلَّوا سبيلى .

قال : وحدثنى أيوب بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبى صَعْصعة أخو بنى عدىّ بن النَّجار : أن سَلْمى بنت قيس ، أم المُنذر ، أختَ سليط بن أخت سليط بن قيس — وكانت إحدى خالات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد صلَّت معه القبلتين ، وبايعته بيعةَ النِّساء — سألته رفاعةَ بن سَمَوْأل القُرظى ، وكان رجلاً قد بلغ ، فلاذَ بها ، وكان يعرفهم قبل ذلك ، فقالت : يانبىّ الله ، بأبى أنت وأمى ، هبْ لى رِفاعة ، فإنه قد زعم أنه سيصلى ويأكل لحم الجمل ؛ قال : فوهبه لها فاستَحْيته .

الرسول صلي الله عليه وسلم يقسم فىء بنى قريظة

قال ابن إسحاق : ثم إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قسم أموال بنى قريظة ونساءهم وأبناءهم على المسلمين ، وأعلم فى ذلك اليوم سُهمان الخيل وسُهمان الرجال ، وأخرج منها الُخمس ، فكان للفارس ثلاثة أسهم ، للفرس سَهمان ولفارسه سهم ، وللراجل ، من ليس له فرس ، سهم . وكانت الخيل يوم بنى قُريظة ستة وثلاثين فرساً ، وكان أوّل فَىْءٍ وقعت فيه السُّهمان ، وأُخرج منها الخمس ، فعلى سنتها وما مضَى من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها وقعت المقاسم ، ومضت السنَّة فى المغازى .

ثم بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سَعدَ بن زيد الأنصارى أخا

بنى عبد الأشهل بسبايا من سبايا بنى قُريظة إلى نجد ، فابتاع لهم بها خيلا وسلاحاً .

شأن ريحانة

وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قد اصطفى لنفسه من نسائهم رَيْحانة بنت عمرو بن خُنافة ، إحدى نساء بنى عمرو بن قُريظة ، فكانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تُوُفِّىَ عنها وهى فى مِلْكه ، وقد كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عَرَض عليها أن يتزوّجها، ويَضْرب عليها الحجاب، فقالت: يارسول الله ، بل تتركنى فى مِلْكك ، فهو أخفّ علىّ وعليك ، فتركها. وقد كانت حين سباها قد تعصّت بالإسلام ، وأبت إلا اليهوديَّة ، فعزلها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ،ووَجد فى نفسه لذلك من أمرها . فبينا هو مع أصحابه ، إذ سمع وقع نعلين خَلْفه ؛ فقال : إن هذا لثعلبة بن سَعْية يبشرنى بإسلام رَيْحانة ، فجاءه فقال يارسول الله ، قد أسْلمت ريحانة ، فسرّه ذلك من أمرها .

ما نزل من القرآن فى الخندق وبنى قريظة

قال ابن إسحاق : وأنزل الله تعالى فى أمر الخَنْدق ، وأمر بنى قُريظة من القرآن ، القِصَّةَ فى سورة الأحزاب ، يذكر فيها ما نزل من البلاء ، ونِعْمته عليهم ، وكِفايته إياهم حينَ فرّج ذلك عنهم ، بعد مقالة مَن قال من أهل النفاق : ﴿ يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إذْ جاءتْكُمْ

جُنُودٌ فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحًا وجُنُودًا لَمْ تَرَوْها ، وكانَ اللهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ . والجنود قريش وغطفان وبنو قريظة ، وكانت الجنود التى أرسل الله عليهم مع الريح الملائكة . يقول الله تعالى : ﴿ إِذْ جاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ، وَإِذْ زاغَتِ الأَبْصارُ وَبَلَغَتِ القُلُوبُ الحَناجِرَ ، وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونا ﴾ . فالذين جاءوهم من فوقهم بنو قريظة ، والذين جاءوهم من أسفل منهم قريش وغطفان . يقول الله (تبارك و) تعالى : ﴿ هُنالِكَ ابْتُلِيَ المُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزالاً شَدِيدًا ، وَإِذْ يَقُولُ المُنافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ما وَعَدَنا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُورًا ﴾ لقول معتب ابن قشير إذ يقول ما قال . ﴿ وَإِذْ قالَتْ طائِفَةٌ مِنْهُمْ يا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنا عَوْرَةٌ وَما هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلاَّ فِرارًا ﴾ لقول أوس بن قيظى ومن كان على رأيه من قومه ﴿ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطارِها ﴾ : أى المدينة .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : الأقطار : الجوانب ، وواحدها : قطر ، وهى الأقتار ، وواحدها : قتر .

قال الفرزدق :

كم من غِنًى فتح الإلهُ لهم به والخيلُ مُقْعِية على الأقطارِ

ويُروى : « على الأقتار » . وهذا البيت فى قصيدة له .

﴿ ثم سئلوا الفتنة ﴾ : أى الرجوع إلى الشرك ﴿ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا . وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ ، وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴾ فهم بنو حارثة ، وهم الذين همّوا أن يفشلوا يوم أُحُد مع بنى سَلِمة حين همّتا بالفشل يوم أحد ، ثم عاهدوا الله أن لا يعودوا لمثلها أبداً ، فذكر لهم الذى أعطوا من أنفسهم ، ثم قال تعالى : ﴿ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ ، وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا * قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا ، أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ، وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا * قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ ﴾ : أى أهل النفاق ﴿ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ، وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ : أى إلا دفعاً وتعذيراً ﴿ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ﴾ : أى للضغن الذى فى أنفسهم ﴿ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ ، تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ﴾ : أى إعظاماً له وفَرَقاً منه. ﴿ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ ﴾ : أى فى القول بما لا تحبون ، لأنهم لا يرجون آخرة ، ولا تحملهم حِسْبة ، فهم يهابون الموت هيبة من لا يرجو ما بعده .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : سلقوكم : بالغوا فيكم بالكلام ، فأحرقوكم وآذَوْكم . تقول العرب : خطيب سَلّاق ، وخطيب مِسْلَق ومِسْلاق . قال أعشى بنى قيس بن ثعلبة :

. . . .

فيهم المجـــدُ والسَّماحةُ والنجْـــدة فيهم والخاطب السلاّقُ

وهذا البيت فى قصيدة له .

﴿ يَحْسَبُونَ الأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا ﴾ قريش وغطفان ﴿ وإِنْ يَأْتِ الأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أنهم بادُونَ فِي الأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبائِكُمْ ولَوْ كانُوا فِيكُمْ ماقا تلُوا إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ .

ثم أقبل على المؤمنين فقال : ﴿ لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كانَ يَرْجُو اللهَ واليَوْمَ الآخِرَ ﴾ : أى لئلا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ، ولا عن مكانٍ هُو به .

ثم ذكر المؤمنين وصدقهم وتصديقهم بما وعدهُم الله من البلاء يختبرهم به ، فقال : ﴿ ولمَّا رأى المُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قالُوا هَذَا ماوَعَدَنا اللهُ وَرَسُولُهُ ، وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ ، وَمازَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَانًا وَتَسْلِيماً ﴾ : أى صبراً على البلاء وتسليما للقضاء ، وتصديقاً للحقّ ، لما كان الله تعالى وعدهم ورسوله صلى الله عليه وسلم. ثم قال : ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا ماعَدُوا اللهَ عَلَيْهِ ، فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ ﴾ : أى فرغ من عمله ، ورجع إلى ربه ، كمن استشهد يوم بدر ويوم أُحُد .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : قضى نحبه : مات ، والنحب : النفس ، فيما أخبرنى أبو عبيدة ، وجمعه : نحوب . قال ذو الرمَّة :

عَشِيَّةَ فَرَّ الحارِثيُّونَ بَعْدَ ما قَضَى نَحْبَه فى مُلْتَقى الخيلِ هَوْبَرُ

وهذا البيت فى قصيدة له . وهَوْبر : من بنى الحارث بن كَعْب ، أراد : يزيدَ بن هَوْبر . والنحب (أيضًا) : النذر . قال جَرير بن الخَطَفَى :

بِطِخْفَةَ جالَدْنا المُلوكَ وخَيْلُنا عَشِيَّةَ بِسْطامٍ جَرَيْنَ على نَحْبِ

يقول : على نَذْر كانت نَذَرت أن تَقتله فقَتلته ، وهذا البيت فى قصيدة له. وبسطام : بسطام بن قَيس بن مسعود الشَّيبانى ، وهو ابن ذى الجَدّين : حدثنى أبو عبيدة : أنه كان فارس ربيعة بن نزار . وطِخْفَة : موضع بطريق البصرة .

والنحب (أيضًا) : الخطار ، وهو : الرهان . قال الفرزدق :

وإذ نَحَبَتْ كَلْبٌ على النَّاسِ أيُّنا على النَّحْبِ أعطَى للجَزِيل وأفضلُ

والنَّحب (أيضًا) : البكاء . ومنه قولهم ينتحب . والنحب (أيضًا) : الحاجة والهمَّة ، تقول: مالى عندهم نَحْب . قال مالك بن نُوَيرة اليَرْبوعى :

ومالِىَ نَحْبٌ عِندَهُمْ غيرَ أنَّنِى تَلَمَّست ما تَبغى من الشُّدُنِ الشُّجْر

وقال نَهار بن تَوْسِعة ، أحد بنى تيم اللات بن ثَعلبة بن عُكابة بن صعب ابن علىّ بن بكر بن وائل .

قال ابن هشام : هؤلاء موال بنى حنيفة :

ونَجَّى يوسفَ الثقفىَّ رَكْضٌ دِراكٌ بعد ما وَقَع اللِّواء
ولو أدْرَكْنه لقَضَيْنَ نَحْبًا به ولِكُلِّ مُخْطَأةٍ وِقاء

والنَّحب (أيضاً) : السير الخفيف المَرُّ .

قال ابن إسحاق : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ ﴾ : أى ماوعد الله به من نصره ، والشهادة على مامضى عليه أصحابه . يقول الله تعالى : ﴿ وَما بَدَّلُوا تَبْدِيلا ﴾ : أى ماشكوا وما ترددوا فى دينهم ، وما استبدلوا به غيره . ﴿ لِيَجْزِىَ اللهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ ، وَيُعَذِّبَ المُنافِقِينَ إنْ شاء ، أوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ، إنَّ اللهَ كانَ غَفُوراً رَحِيماً * وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ ﴾ : أى قريشاً وغطفان ﴿ لَمْ يَنالُوا خَيْراً ، وكَفَى اللهُ المُؤْمِنِينَ القِتالَ ، وكانَ اللهُ قَوِيًّا عَزِيزاً * وأنْزَلَ الَّذِينَ ظاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الكِتابِ ﴾ : أى بنى قُريظة ﴿ مِن صَياصِيهِمْ ﴾ ، والصياصى : الحصون والآطام التى كانوا فيها .

قال ابن هشام : قال سُحَيم عَبْد بنى الحسحاس ، وبنو الحسحاس من بنى أسد بن خُزَيمة :

وأصبحت الثِّيران صَرْعى وأصبحت نساء تَميم يَبْتَدِرْنَ الصَّياصيا

وهذا البيت فى قصيدة له . والصياصى (أيضاً) : القرون . قال النابغة الجعدى :

وسادَةَ رَهْطِى حتى بَقِيتُ فرْداً كصِيصَيةِ الأعْضَبِ

يقول : أصاب الموت سادة رهطى . وهذا البيت فى قصيدة له . وقال أبو دواد الإيادى :

فَذَعَرْنا سُحْمَ الصَّياصى بأيدِيهِنَّ نَضْحٌ من الكُحَيْل وقار

وهذا البيت فى قصيدة له . والصياصى أيضاً : الشوك الذى للنّساجين ، فيما أخبرنى أبو عُبيدة . وأنشدنى لدُريد بن الصِّمَّة الجُشَمى ، جُشَم بن معاوية ابن بكر بن هوازن :

نَظَرْتُ إليه والرّماح تَنُوشُه   كوَقْعِ الصَّياصى فى النَّسيج المَمَدَّدِ

وهذا البيت فى قصيدة له . والصّياصى (أيضاً) : التى تكون فى أرْجل الدِّيكة ناتئة كأنها القرون الصِّغار ، والصياصى (أيضاً) : الأصول . أخبرنى أبو عُبيدة أن العَرب تقول : جَذَّ الله صيصيته : أى أصله .

قال ابن إسحاق : ﴿ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ، فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴾ : أى قتل الرجال، وسبي الذرارى والنساء ، ﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضاً لَمْ تَطَئُوها ﴾ : يعنى خَيْبر ﴿ وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً .

إكرام سعد فى موته

قال ابن إسحاق : فلما انقضى شأن بنى قُريظة انفجر بسعد بن مُعاذ جُرحه، فمات منه شهيداً .

قال ابن إسحاق : حدثنى مُعاذ بن رفاعة الزُّرَقى ، قال : حدثنى مَنْ شئت من رجال قومى : أن جبريل عليه السلام أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حين قُبض سعد بن مُعاذ من جوف الليل معتجراً بعمامة من إستبرق ، فقال : يا محمد،

من هذا المَيِّت الذى فُتحت له أبوابُ السماء ، واهتز له العرش ؟ قال : فقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سريعاً يجرّ ثوبه إلى سَعد ، فوجده قد مات .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، عن عَمْرة بنت عبد الرحمن قالت : أقبلت عائشة قافلة من مكة ، ومعها أُسيد بن حُضير ، فلقيه موتُ امرأة له ، فَحَزِن عليها بعضَ الُحزن ، فقالت له عائشة : يغفر الله لك يا أبا يحيى ، أتحزن على امرأة وقد أُصِبْت بابن عمك ، وقد اهتزّ له العرش !

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتّهم عن الحسن البَصرى ، قال : كان سعد رجلا بادِناً ، فلما حمله الناس وجَدوا له خفَّة ، فقال رجالٌ من المنافقين : والله إن كان لبادناً ، وما حملنا من جنازة أخفّ منه ، فبلغ ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إنّ له حَمَلةً غيركم ، والذى نفسى بيده ، لقد استبشرت الملائكة بروح سعد ، واهتزّ له العرش .

قال ابن إسحاق : وحدثنى مُعاذ بن رِفاعة ، عن محمود بن عبد الرحمن ابن عمرو بن الجموح ، عن جابر بن عبد الله ، قال : لما دُفن سعد ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سبّح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فسبَّح الناس معه، ثم كبر فكبَّر الناس معه، فقالوا : يا رسول الله ، ممّ سبَّحت ؟ قال : لقد تضايق على هذا العبد الصالح قبره ، حتى فرّجه الله عنه .

قال ابن هشام : ومجاز هذا الحديث قولُ عائشة : قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم : إن للقبر لَضَمَّةً لو كان أحد منها ناجياً لكان سعدُ بن مُعاذ .

قال ابن إسحاق : ولسعد يقول رجل من الأنصار :

وما اهتز عرش الله من موت هالك ... سَمِعْنا به إلا لِسَعْدِ أبي عَمْرو

وقالت أمّ سعد ، حين احتُمل نعشه وهى تبكيه - قال ابن هشام - وهى كُبيشة بنت رافع بن معاوية بن عبيد بن ثعلبة بن عبد بن الأبجر ، وهو خُدْرة بن عَوْف بن الحارث بن الخزرج :

وَيْلُ أمّ سَعدٍ سعداً ... صَرَامةً وحَدّاً

وسُودَداً ومجداً ... وفارساً مُعَدّاً

سُدَّ به مَسَدّاً ... يَقُدُّ هاماً قَدّاً

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : كلّ نائحة تَكْذب ، إلا نائحة سعدِ بن مُعَاذ .

شهداء الغزوة

قال ابن إسحاق : ولم يُستشهد من المسلمين يوم الخندق إلا ستة نفر .

ومن بنى عبد الأشهل : سعدُ بن مُعاذ ، وأنس بن أوس بن عَتيك بن عمرو ، وعبد الله بن سهل . ثلاثة نفر .

ومن بنى جُشَم بن الخزرج ، ثم من بنى سَلمة : الطُّفيل بن النعمان ، وثعلبة ابن غَنَمة . رجلان .

ومن بنى النَّجار ، ثم من بنى دينار : كعبُ بن زيد ، أصابه سهم غَرْب ، فقتله .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : سَهْمُ غَرْبٍ وسَهْمٌ غَرْبٌ ، بإضافة وغير إضافة ، وهو الذى لا يُعرف من أين جاء ولا من رَمَى به .

قتلى المشركين

وقُتل من المشركين ثلاثة نفر .

من بنى عبد الدّار بن قُصَىّ : مُنَبِّه بن عثمان بن عُبَيد بن السبَّاق بن عبد الدار ، أصابه سهم ، فمات منه بمكة .

قال ابن هشام : هو عثمان بن أُميَّة بن منبِّه بن عُبيد بن السباق .

قال ابن إسحاق : ومن بنى مَخزوم بن يَقَظة : نوْفل بن عبد الله بن المُغيرة ، سألوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أن يَبيعهم جَسَده ، وكان اقتحم الخندق ، فتورَّط فيه ، فقُتل ، فغَلب المُسلمون على جَسَده . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا حاجة لنا فى جَسَده ولا بثَمنه ، فخلَّى بينهم وبينه .

قال ابن هشام : أعطَوْا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بجسده عشرة آلاف درهم ، فيما بلغنى عن الزُّهرى .

قال ابن إسحاق : ومن بنى عامر بن لُؤَىّ ، ثم من بنى مالك بن حِسْل :

عمرو بن عَبْد وُد ، قتله علىّ بن أبى طالب رضوان الله عليه .

قال ابن هشام : وحدثنى الثقة أنه حدّث عن ابن شهاب الزهرىّ أنه قال : قتل علىٌّ بن أبى طالب يومئذ عَمْرو بن عبد ودّ وابنَه حِسْل بن عمرو .

قال ابن هشام : ويقال عمرو بن عبد وُدّ ، ويقال : عمرو بن عَبْد .

شهداء المسلمين يوم بنى قريظة

قال ابن إسحاق : واستُشهد يوم بنى قُرَيظة من المسلمين ، ثم من بنى الحارث بن الخزرج : خلّاد بن سُوَيد بن ثعلبة بن عمرو ، طُرحت عليه رحًى ، فشدَخته شَدْخاً شديداً ، فزعموا أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن له لأجرَ شهيدين .

ومات أبو سنان بن مِحْصَن بن حُرْثان ، أخو بنى أسد بن خُزيمة ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم محاصر بنى قُريظة ، فدُفن فى مَقْبرة بنى قُريظة التى يَدْفنون فيها اليوم ، وإليه دفنوا أمواتهم فى الإسلام .

البشارة بغزو قريش

ولما انصرف أهلُ الخَنْدق عن الخندق ، قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنى : لن تَغزوكم قريش بعد عامِكم هذا ، ولكنكم تَغزونهم . فلم تغزهم قُريش بعد ذلك ، وكان هو الذى يَغزوها ، حتى فتح الله عليه مكة .

. . . .

غزوة دُومَةَ الْجَنْدَل

قال أبو عُبَيْدٍ البَكْرِيُّ: سميت دُومَةَ الْجَنْدَلِ بدُومِى بن إسماعيل، كان نزلها[1]

غزوة الخندق

وحَفْرُ الخَنْدَق لم يَكُن من عَادَةِ الْعَرَب، ولكنه من مَكَايِدِ الْفُرْسِ وحُرُوبها، ولذلك أشار به سَلْمَانُ الفَارِسِيُّ، وأولُ مَنْ خَنْدَقَ الخنادق من مُلُوكِ الفُرس فيما ذكر الطبرى «مِنُوشِهْر بن أبيرج[2] بن أَفْرِيدُون[3]» وقد قيل فى أفريدون: إنه ابن إسحاق عليه السلام، وأكثرهم يقول فيه: هو ابن أثفيان، وهو أول من اتخذ آلة الرَّمْى، وإلى رأس ستين سنة من مُلْكِه بعث.

---

(١) يصفها البكرى بأنها على عشر مراحل من المدينة وعشر من الكوفة، وثمان من دمشق، واثنتى عشرة من مصر، وسميت بدومان بن إسماعيل عليه السلام كان ينزلها.

(٢) هو فى الطبرى: إيرج وكذلك فى الزرقانى وهو ينقل عن الروض ويقول. عن الطبرى ص ٣٧٩ ج ١ ط المعارف «وهو أول من خندق الخنادق وجمع آلة الحرب».

(٣) ذكره حبيب بن أوس الطائى فى شعره إذ قال:

ما نال ما قد نال فرعون ولا ... هامان فى الدنيا، ولا قارون

بل كان كالضحاك فى سطواته ... بالعالمين وأنت أفريدون

والعجم يزعمون أن أفريدون وثب بالضحاك، وأوثقه وصيره بجبال دنباوند وأنه إلى اليوم موثق فى الحديد يعذب!! ص ١٩٧ ج ١ تاريخ الطبرى.

. . . .

موسى عليه السلام ، وقد تقدم ذكر الكمائن فى الحروب ، وأن أول من فعلها بُخْتَنَصَّر فى قول الطبرى .

وذكر تحزيب بنى قُرَيْظَةَ الأحزابَ ، ونَسَبَ طائفةً من بنى النَّضِير ، فقال فيهم النَّضَرِىّ ، وهكذا تقيد فى النسخة العتيقة ، وقياسه : النَّضِيرِىُّ إلا أنْ يكون من باب قولهم ثَقَفِىٌّ وقُرَشِىٌّ(١) ، وهو خارجٌ عن القياس ، وإنما يقال : فَعَلِىٌّ فى النَّسَب إلى فَعِيلة .

عيينة بن حصن :

وذكر قائد غَطَفَان يوم الأحزاب ، وهو عُيَيْنَةُ بن حِصْنٍ ، واسمه حُذَيفَةُ ، وسُمّى : عُيَيْنَةَ لِشَتَرٍ كان بِعَيْنِه ، وهو الذى قال فيه عليه السلام

---

(١) هذا شاذ فى فعيل بفتح الفاء وفعيل بضم الفاء . فالقياس فيها إبقاء الياء . ولكن يقول السيرافى عن النسب إلى فعيل بضم الفاء . أما ما ذكره سيبويه من أن النسبة إلى هذيل هذلى فهذا الباب عندى لكثرته كالخارج عن الشذوذ وذلك خاصة فى العرب الذين بتهامة وما يقرب منها ، لأنهم قالوا : قرشى وملحي وهذلى وفقمى ، وكذا قالوا فى سليم وخثيم وقريم وحريق وهم من هذيل ـ وكلها بضم الأول ــ سلمي وخثمي وقرمى وحرقى . وهؤلاء كلهم متجاورون بتهامة وما يدانيها ، والعلة اجتماع ثلاث ياءات مع كسر فى الوسط ، ص ٢٩ حـ ٢ شرح الشافيه للرضي . ويرى المبرد أن ما كان على فعيل وفعيل بالفتح فى الاولى والضم فى الأخرى فانك مخير فى النسب إليهما بين حذف الياء وبقائها قياسا مطردا فتقول فى النسب إلى شريف وجميل شريفى وجميلى أو شرفى وجملى . أما مذهب السيرافى فيبدو أنه يشير إلى أن ما كان على فعيل بفتح الفاء فليس فيه إلا إبقاء الياء .

. . . .

الأحمقُ المُطَاعُ ، لأنه كان من الجرَّارِينَ تَتْبَعُه عَشرةُ آلافِ قَناةٍ ، وهو الذى قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: إن شَرَّ الناسِ من وَدَعَه الناسُ اتِّقاء شرِّه ، وفى رواية أخرى: أنه قال: إنى أداريه ، لأنى أخشى أن يُفسِدَ عَلَّى خلقاً كثيراً ، وفى هذا بيان معنى الشرِّ الذى اتُّقِىَ منه، وكان دخل على النبي صلى الله عليه وسلم بغير إذنٍ ، فلما قال له: أين الإذنُ ؟ قال: ما استأذنت على مُضَرِىٍّ قبلك ، وقال: ماهذه الحُمَيْراء معك يا محمد ؟ فقال: هى عائشة بنت أبى بكر ، فقال: طلِّقها ، وأَنْزِلُ لك عن أمِّ البنين ، فى أمور كثيرة تذكر من جفائه ، أسلَمَ ثم ارتَدَّ ، وآمن بطُلَيْحَة حينَ تَنبَّأ وأُخِذ أسيراً ، فأُتِى به أبو بكر رضى الله عنه أسيراً ، فَمَنَّ عليه ، ولم يزل مُظهِراً للإسلام على جَفْوَتِه وعُنجُهِيَّتِه ولُوثَة أعرابيَّتِه حتى مات . قال الشاعر :

وإنّى على ما كان من عُنجُهِيَّتى ولُوثَةِ أعرابيَّتِى لأَدِيبُ(١)

وذكر حَفْرَهُ الخَنْدَقَ ، وأنه عَرَضَتْ له صَخْرَةٌ ، ووقع فى غيرِ السِّيَرة

---

(١) البيت فى اللسان . وفيه عيدهيّ بدلا من عنجهيّ، وأريب بدلا من أديب والعيدهية: الكبر. والعنجهية والعيدهية أيضاً والعندهية وعجرفية ، وشمخرة إذا كان فيه جفاء. هذا وقد وصف بالأحمق المطاع فى حديث رواه سعيد بن منصور مرسلا ! ! وقد قيل عنه ذلك بعد أن سألت عائشة عنه بعد أن قال ما قال . وقد أخرجه الطبرانى موصلالا من وجه آخر عن جرير بن عيينة بن حصن دخل على النبى ص ، فقال وعنده عائشة — من هذه الجالسة إلى جانبك ؟ قال : عائشة . قال : أفلا أنزل لك عن خير منها ؟ يعنى امرأته ، فقال له النبى : أخرج فاستأذن ، فقال : إنها يمين على ألا أستأذن على مضرى ، فقالت عائشة : من هذا ؟ فذكره .

. . . .

عَبْلَةٌ وهى الصخرة الصَّماء ، وجمعها عَبلات ويقال لها العَبْلَاء والأَعْبَل أيضاً ، وهى صخرة بيضاء .

البرقات التى لمعت :

وذكر أنه لَمَعَتْ له من تلك الصَّخْرةِ برقة بعد برقة ، وخرَّجه النَّسَوِىُّ من طريق البَرَاء بن عَازِبٍ بأتمّ مما وقع فى السيرةِ ، قال : لما أمرنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ـ أنْ نَحْفِر الخَنْدَق عَرَضَ لنا حَجَرٌ لا يأخُذُ فيه المِعْوَلُ ، فأخذ المِعْوَلَ وقال : بسم الله ، فضَرَبَ ضَرْبَةً فكَسَر ثُلُثَ الصَّخْرَةِ ، وقال الله أكبر أُعطِيتُ مفاتيحَ الشام ، والله إنى لأُبْصِر قصورَها الحُمْرَ من مكانى هذا ، قال : ثم ضَربَ أخرى ، وقال : بسم الله ، وكسر ثُلثاً آخر ، قال الله أكبر أُعْطِيتُ مفاتيحَ فارِس ، والله إنى لأُبْصِر قَصْرَ المَدَائنِ الأبيضَ الآن ، ثم ضرب ثالثة وقال : بسم الله ، فقطع الحجَرَ ، وقال : الله أكبر . أُعطِيتُ مفاتيحَ اليَمَنِ ، والله إنى لأُبصِرُ بابَ صَنْعاءَ [من مكانِيَ هذا الساعة][1] . وقوله : فأساً ولا مِسْحاةً . المِسْحاةُ : مِفْعَلَةٌ من سَحَوْتَ الطينَ ، إذا قشرته ، ويقال لحدِّ الفأسِ والمِسْحاة : العُرَاب ، ولنصابيهما : الفِعَال بكسر الفاء ، قاله أبو عُبَيْد فى حديثِ سُلَيْمان التَّيْمِىِّ عن أبى عُثْمان النَّهْدِىِّ أنه عليه السلامُ حين ضرب فى الخندقِ قال :

(١) أخرجه أحمد والنسائى والزيادة من روايتهما . والطبرانى من حديث عبد الله بن عمرو نحوه ، وأخرجه البيهقى من طريق كثير بن عبد الرحمن ابن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده وثمت خلاف بين روايتهما ورواية السيرة فوازن بين الروايتين .

رفع المسيرهم

. . . .

بِسْمِ اللهِ وبه بَدِينَا * ولو عَبَدْنا غيره شَقِينا * حَبَّذا رَبًّا وحَبَّذا دِينَا[1]

(١) هو عند الحارث بن أبي أسامة من طريق سليمان بن طرخان التيمى عن أبي عثمان النهدى . وبدينا بكسر الدال يقال : بديت بالشيء بكسر الدال ، أى : بدأت به ، فلما خفف الهمز كسر الدال ، فانقلبت الهمزة ياء ، وليست الياء فيه أصلية . وقوله حبذا دينا يجعل الرجز غير موزون إلا بإسكان باء حبذا . والذى فى الفتح والحلبية : حبذا ربا وحب دينا . انظر ص ٣٣٢ ج ٢ وفتح البارى فى غزوة الخندق .

وفى البخارى : كان النبى « ص » ينقل التراب يوم الخندق حتى أغمر بطنه أو أغبر بطنه يقول :

والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا
إن الألى قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا

وفى رواية أخرى عن البراء « فسمعته يرتجز بكلمات ابن رواحة ثم ذكر الرجز السابق » . وقوله : إن الألى قد بغوا ليس بموزون ، وتحريره إن الذين قد بغوا علينا . وفى رواية مسلم : أبوا بدلا من بغوا أنظر ص ٣٢١ ج ٧ فتح البارى شرح صحيح البخارى . وفى البخارى أيضاً أنه خرج « ص » فرأى المهاجرين والأنصار يحفرون فى غداة باردة ، فلما رأى ما بهم من النصب والجوع قال :

اللهم إن العيش عيش الآخره فاغفر للأنصار والمهاجره

فقالوا مجيبين له :

نحن الذين بايعوا محمدا على الجهاد مابقينا أبدا

وهذا قول ابن رواحة . وقد قال الداودى : إنه قاله : لاهم ، فأورده بعض الرواة على المعنى ، وقيل ليس كذلك بل يكون دخله الخرم ومن صوره زيادة شيء من حروف المعانى فى أول الجزء ، والجزء الثانى أيضاً غير موزون . وفى رواية : فبارك بدل : فاغفر

. . . . : . . . .

تحقيق اسم زغابة :

وقوله : حتى نزلوا بين الجُرُفِ وزَغَابة . زَغَابةُ اسمُ موضع بالغين المنقوطة والزّاى المفتوحة ، وذكره البكرى بهذا اللفظ بعد أن قدم القول بأنه زُعَابَة بضم الزاى والعين المهملة ، وحكى عن الطّبَرىّ أنه قال فى هذا الحديث بين الجُرُفِ والغَابَةِ ، واختار هذه الروايةَ وقال : لأن زَغَابَةَ لا تُعرَفُ. قال المؤلف: والأعرَفُ عندى فى هذهِ الروايةِ روايةُ مَنْ قال : زَغَابَةَ بالغَيْنِ المنقوطة ، لأن فى الحديث المسنَد أنه عليه السلام ، قال فى ناقةٍ أهداها إليه أعْرَابى ، فكافأه بستَّ بَكَراتٍ ، فلم يرض ، فقال عليه السلام : ألا تَعْجَبُون لهذا الأعرابى ! أهْدَى إلىَّ ناقةً أعرِفُها بعينها ، كما أعرف بعضَ أهلى ذهبت منى يوم زَغَابَةَ[1] ، وقد كافأته بستَّ فسخط . الحديث ، وقال : دَنَّبِ نقم و نقمى معا .

يفتل فى الذروة والغارب :

وذكر حُيَىّ بن أخطب ، وماقال لكعب ، وأنه لم يزل يَفْتِل فى الذِّرْوَةِ والغَارِبِ . هذا مَثَلٌ ، وأصله فى البعير ، يَسْتَصْعِبُ عليك فتأخذ القُرَادَ من ذِرْوَته وغَارِبِ سِنَامِه ، و تَفتِل هناك ، فيجد البعيرُ لذَّة فيأنسُ عند ذلك[2] ، فضرب هذا الكلامُ مَثَلاً فى المُرَاوَضَةِ والمُخَاتَلَةِ ، وكذلك جاء فى حديث

---

(١) ولكن يقول الخشنى : « كذا وقع هنا بالزاء مفتوحة ، ورغابة بالراء المفتوحة هو الجيد وكذلك رواه الوقشى » ص ٣٠١ .

(٢) فسره الخشنى بقوله : أراد بذلك أنه لم يزل يخدعه كما يخدع البعير إذا كان نافراً فيمسح باليد على ظهره حتى يستأنس ، فيجعل الخطام على رأسه . ص ٣٠١ .

. . . .

ابن الزُّبَيْرِ حين أراد عائشةَ على الخروج إلى البَصْرةِ[1]، فأبت عليه، فجعل يَفْتِل في الذُّرْوَة والغارِب حتى أجابته. وقال الحطيئة:

لَعَمْرُكَ ما قُرَادُ بني بَغِيضٍ إذا نُزِعَ القُرادُ بمُسْتَطاعِ[2]

يريد: أنهم لا يُخْدَعون ولا يُسْتَذَلُّون.

اللحن

وذكر قول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ الحَنُوا لي لَحْناً أعْرِفُه، ولا تَفُتُّوا في أعْضَادِ الناس.

اللَّحْنُ: العُدول بالكلام على الوَجْهِ المَعْروفِ عند الناس إلى وَجْهٍ لا يعرفه إلا صاحبُه، كما أن اللَّحْن الذي هو الخطأ عُدُولٌ عن الصَّواب المعروف.

قال السيرافي: ما عَرَفْتُ حقيقة معنى النَّحْوِ إلاّ من معنى اللَّحْنِ الذي هو ضِدُّه، فإن اللَّحْنَ عُدولٌ عن طريقِ الصوابِ، والنَّحْو قَصْدٌ إلى الصَّوابِ، وأما اللَّحَنُ بفتح الحاء، فأصله من هذا إلا أنه إذا لحن لكَ لِتَفْهَم عنه، ففهمت سُمِّي ذلك الفَهْم لَحَناً، ثم قيل لكل من فَهِمَ قد لَحِنَ بكسر

---

(١) يقول ابن قتيبة في ضبطها، مسكنة الصاد، وكسرها خطأ، فاذا حذفوا الهاء قالوا: البصر، فكسروا الباء، وإنما أجازوا في النسب بصرى لذلك، ص ٢٠٤ أدب الكاتب، وانظر معجم البكرى. وفي القاموس البصرة بلد وموضع ويكسر ويحرك ويكسر الصاد، أو هو معرب بس راه، أى كثير الطرق.

(٢) البيت في اللسان وفيه كليب بدلا من: بغيض، وقد نسبه الأزهرى للحطيئة

. . . .

الحاء ، وأصله ماذكرناه من الفَهم عن اللاحن[1] قال الجاحظ فى قول مالك ابن أسماء [بن خارجة الفزارى] :

مَنطِقٌ صائبٌ ، وتَلحَنُ أحيا   نًا وخيرُ الحديثِ ما كان لَحنًا[2]

أراد أنَّ اللَّحنَ الذى هو الخطأ قد يُستَملَح ، ويُستطاب من الجارية الحديثة السِّن ، وخُطِّىء الجاحظُ فى هذا التأويل[3] ، وأُخبر بما قاله الحجاجُ بن

---

(١) فى اللسان : اللحن واللحن — بالسكون فى الحاء الأولى والفتح فى الثانية والحانة والحانين ترك الصواب فى القراءة والنشيد . وفيه أيضاً : اللحن — بفتح الحاء — الفطنة .

(٢) يريد : أنها تتكلم بشىء وهى تريد غيره ، وتعرض فى حديثها ، فتزيله عن جهته من فطنتها .وفسر القالى قوله : وتلحن أحيانا : تصيب ، وذكر أن اللحن بفتح الحاء هو الفطنة . قال : وربما أسكنوا الحاء فى الفطنة ، وقال : لحن الرجل يلحن بفتح الحاء لحنا فهو لاحن إذا أخطأ ، ولحن يلحن بكسر الحاء فى الماضى وفتحها فى المضارع — فهو لحن بفتح فكسر إذا أصاب وفطن . واستشهد بالبيت وبيت قبله .

(٣) قال الجاحظ : وقد قال مالك بن أسماء فى استملاح اللحن من بعض نسائه :

أمغطى منى على بصرى للحب   أم أنت أكمل الناس حسنا
وحديث ألذه هو مما   تشتهيه النفوس يوزن وزنا

ثم ذكر البيت الذى فى الروض

وقال فى موضع آخر : وقال مالك بن أسماء فى بعض نسائه ، وكانت لاتصيب الكلام كثيرا وربما لحنت ثم ذكر ثلاثة الأبيات ص ١٤٧ ، ٢٢٥ ج ١ البيان والتبيين بتحقيق الأستاذ عبد السلام هارون ، وانظر ص ٥٩٩ من أمالى ثعلب بتحقيق الأستاذ الفاضل وقد أنشد ابن الأنبارى فى كتاب الأضداد البيت وبيتا قبله ، وقال : أى أبو العباس : أراد بتلحن : تصيب وتفطن ، وأراد بقوله : ما كان لحنا : ما كان صوابا . ونقل قول ابن قتيبة ، وهذا =

رفع المسيّهم

. . . .

يُوسُفَ لامرأته : هِنْد بنتِ أسماء بن خارجة ، حين لَحَنَتْ ، فأنكر عليها ، اللحنَ فاحتجت بقول أخيها مالك بن أسماء :

وخَيْرُ الحديثِ ما كان لَحنا

فقال لها الحجاجُ : لم يُرِدْ أخوكِ هذا ، إنما أراد اللَّحْنَ الذى هو التَّوْرِيَةُ والألغازُ ، فسكتت ، فلما حُدِّثَ الجاحظ بهذا الحديث ، قال : لوكان بلغنى هذا قبل أن أؤلف كتابَ البيان ما قلت فى ذلك ماقلت ، فقيل له : أفلا تُغَيِّره؟ فقال : كيف وقد سارت به البِغال الشُّهْبُ وأنْجَدَ فى البلادَ وغَارَ.

وكما قال الجاحظ فى معنى تَلْحَن أحيانا قال ابن قتيبة مثله أو قريبا منه(١)

= الشاعر استملح من هذه المرأة مايقع فى كلامها من الخطأ، ثم رد قول ابن قتيبة بقوله: وقوله عندنا محال ، لأن العرب لم تزل تستقبح اللحن من النساء كما تستقبحه من الرجال الخ ص ٢١٠ ط الحسينية . وقد ذكر ابن قتيبة بعد البيت أربعة أبيات أخرى . كما نقل ثلاثة الأبيات فى ص ن من مقدمته لكتابه عيون الأخبار، ونقلها أيضاً فى ص ١٦١ ، ١٦٢ ح ٢ ونقل تعليق ابن دريد على الأبيات ، وهو قوله : استثقل منها الإعراب .

(١) يقول الأستاذ عبد السلام هارون فى تعليقه على أمالى ثعلب « وقد نبه الجاحظ إلى خطئه فاعترف به ، وقصته واعترافه فى تاريخ بغداد « ١٢ : ٢١٤ » ومعجم الأدباء (٦ : ٦٥) مرجليوث ص ٥٩٩ أمالى ثعلب . هذا وقد قال الحجاج لهند لما لحنت : أتلحنين وأنت شريفة ، وفى بيت قيس ، فاستشهدت بقول أخيها كما ذكر السهيلى ، فقال لها : إنما عنى أخوك اللحن فى القول إذا كنى المحدث عما يريد ، ولم يعن اللحن فى العربية ، فأصلحى لسانك . وانظر ص ١١ ، ١٣ من أمالى المرتضى ، ففيها بيان خطأ الجاحظ واعترافه بهذا الخطأ . ونص المرتضى على خطأ ابن قتيبة حين ذكر فى كتابه عيون الأخبار أبيات الفزارى معتذراً بها عن لحن أصيب فى كتابه — كما يقول المرتضى ط ١ .

. . . .

وقوله : يَفُتُّ فى أعضادِ الناسِ ، أى يكسِر من قُوَّتهم ويُوهِنُهم ، وضرب العَضُدَ مثلا ، والفَتُّ : الكَسْر ، وقال : فى أعضادهم ولم يقل : يفُتُّ أعضادَهم ، لأنه كنايةٌ عن الرُّعْب الداخل فى القلب ، ولم يُرِدْ كَسْراً حَقِيقيًّا ، ولا العُضُدَ الذى هو العُضْوُ ، وإنما هو عبارة عما يَدْخُل فى القلب مِن الْوَهَنِ ، وهو من أفصح الكلام .

وذكر أوْسَ بن قَيْظِيّ ، وهو القائل : ﴿إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ وابنه : عَرَابَةُ بن أوْسٍ كان سَيِّداً ، ولا صُحبَةَ له ، وقد قيل : له صحبة ، وقد ذكرناه فيمن استُصْغِر يوم أُحُدٍ ، وهو الذى يقول فيه الشَّمَّاخُ :

إذا ما رَايَةٌ رُفِعَتْ لمجدٍ تَلَقَّاها عَرَابَةُ باليَمِينِ[1]

ولِعَرَابَةَ أخٌ اسمه : كَبَاثَةُ مذكور فى الصحابة أيضاً .

مصالحة الأحزاب :

فصل : وذكر ما هَمَّ به النبيُّ صلى الله عليه وسلم مِن مُصَالَحَةِ الأحزاب على ثُلُثِ ثَمَرِ المَدِينَةِ ، وفيه من الفقه جوازُ إعطاء المالِ للعَدُوِّ ، إذا كان فيه نَظَرٌ للمسلمين وحِيَاطَةٌ لهم ، وقد ذكر أبو عبيد هذا الخبر ، وأنه أمْرٌ

---

(١) معناها كما يقول البكرى فى السمط : القوة أو الحق . ومن القصيدة :

إذا بلغتنى وحملت رحلى عرابة فاشرقى بدم الوتين

فنعم المرتجى رحلت إليه رحى حيزومها كرحى الطحين

ص ٦٠٧ — ٦١٩ السمط .

. . . .

مَعْمُولٌ بِهِ ، وذكر أن مُعَاوِيَةَ صالحَ مَلِكَ الرُّومِ على الكَفِّ عن ثُغور الشام بمالٍ دفعه إليه ، قيل : كان مائة ألفِ دينارٍ ، وأخذ من الروم رُهُناً ، فغدرت الرومُ ، ونقضت الصلحَ ، فلم يرَ معاويةُ قَتْلَ الرَّهَائِن ، وأطلقهم ، وقال : وفاء بغدرٍ خيرٌ من غَدْرٍ بغَدْرٍ ، قال : وهو مَذْهَبُ الأَوْزَاعِيِّ وأهلِ الشام ألاَّ تُقْتَلَ الرَّهَائِنُ ، وإن غَدَرَ العَدُوُّ .

سلمان منا :

وذكر قوله عليه السلام : سَلْمَانُ مِنَّا أهلَ البيت بالنصب على الاختصاص ، أو على إضمار أعنى ، وأما الخفض على البدل ، فلم يره سيبويه جائزاً من ضمير المتكلم ، ولا من ضمير المخاطب ، لأنه فى غاية البيان ، وأجازه الأخفش .

حول مبارزة ابن أد لعلى :

فصل : وذكر خبر عمرو بن أُدٍّ العامِرِيِّ ، ومبارزَتَه لعليٍّ إلى آخر القصة ، ووقع فى مغازى ابن إسحاق من غير رواية ابن هشام عن البكائى فيها زيادة حسَنَةٌ ، رأيت أن أوردها هُنا تَتْمِيماً للخبر .

قال ابن إسحاق : إن عَمْرو بن أُدّ[1] خرج فنادى : هل من مُبارِزٍ ؟ فقام عليٌّ ـ رضى الله عنه ـ وهو مُقَنَّعٌ بالحديد ، فقال : أنا له يا نبيَّ الله ، فقال : إنه عَمْرو اجلس ، ونادى عَمْرٌو ألاَ رَجُلٌ يؤنِّبهم ، ويقول : أين جَنَّتُكُمُ التى تزعمون أنه مَنْ قُتِلَ منكم دَخَلَها ، أفلا تُبرزون لى رجلا ، فقام علىٌّ ،

(١) فى السيرة : ود . وكان سنه كما ذكر ابن سعد تسعين عاما .

رفع المسيهم

. . . .

فقال : أنا يارسول الله ، فقال : اجلس إنه عمرو ، ثم نادى الثالثة وقال :

ولقد بححت من النداء بجمعكم هل من مبارز ؟
ووقفت إذ جبن المشجع موقف القرن المناجز
وكذاك إنى لم أزل متسرعاً قبل الهزاهز(١)
إن الشجاعة فى الفتى والجود من خير الغرائز

فقام على ، فقال يارسول الله ، أنا له فقال : إنه عمرو ، فقال: وإن كان عمراً ، فأذن له النبيّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ فمشى إليه علىّ ، حتى أتاه وهو يقول

لا تعجلن فقد أتا ك مجيب صوتك غير عاجز
ذو نية وبصيرة والصدق منجى كل فائز
إنى لأرجو أن أقيـ ـم عليك نائحة الجنائز
من ضربة نجلاء يبـ ـقى ذكرها عند الهزاهز

فقال له عمرو: من أنت؟قال: أنا على ، قال : ابن عبد مناف ؟ فقال:أنا على ابن أبى طالب ، فقال : غيرك يابن أخى من أعمامك من هو أسن منك ، فإنى أكره أن أهريق دمك ، فقال له على رضى الله عنه : ولكنى والله لا أكره أن أهريق دمك ، فغضب ونزل فسل سيفه ، كأنه شعلة نار ، ثم أقبل نحو على مغضباً ، وذكر أنه كان على فرسه ، فقال له علىّ : كيف أقاتلك ،

---

(١) الهزاهز : الفتن يهتز فيها الناس .

رفع المسـاهم

وأنت على فرسك ، ولكن انزل معى ، فنزل عن فرسه ، ثم أقبل نحو عليّ ، واستقبله عليٌّ ـ رضى الله عنه ـ بدرقته[1] ، فضربه عمرو فيها فقدّها وأثبت فيها السيف ، وأصاب رأسه فشجّه ، وضربه عليٌّ على حبل العاتق ، فسقط ، وثار العجاج ، وسمع النبيُّ صلى الله عليه وسلم التكبير ، فعرف أن عليًّا ـ رضى الله عنه ـ قد قتله ، ثم يقول علىٌّ رضى الله عنه :

أعلىَّ تقتحمُ الفوارسُ هكذا ... عنى وعنه أخّروا أصحابى

فاليوم تمنعنى الفرارَ حفيظتى ... ومُصمّمٌ فى الرأسِ ليس بنابى

أدى عُمَيْرٌ حين أخلص صقله ... صافى الحديدة يستفيض ثوابى

فغدوتُ ألتمسُ القراعَ بمرهفٍ ... عضبٍ مع البتراء فى أقرابِ

قال ابنُ عبدٍ حين شدَّ أليّةً ... وحلفتُ فاستمعوا من الكذّابِ

ألّا يفرَّ ولا يهلّلَ فالتقى ... رجلان يلتقيان كُلَّ ضرابِ

وبعده : نصر الحجارة إلى آخر الأبيات ، إلا أنه روى : عبدَ الحجارةِ ، وعبدْتُ ربَّ محمّدٍ ، وروى فى موضع : ولقد بحثْتُ : ولقد عجبْتُ ، ويروى : فالتقى أسدان يضطربان كُلَّ ضرابِ ، وفيه إنصاف من علىّ ـ رضى الله عنه ـ لقوله : أسدان ونسبه إلى الشّجاعة والنّجدة . وقوله : أدى عمير إلى قوله ثوابى ، أى أدى إلىّ ثوابى ، وأحسن جزائى حين أخلص صقله .

(١) الدرقة : الترس من جلد ليس خشب ولا عقب ، والعقب هو القصب الذى تعمل منه الأوتار .

. . . .

ثم أقبل نحو النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو مُهَلِّلٌ ، فقال له عمر بن الخطاب رضى الله عنه : هَلَّا سَلَبْتَهُ دِرْعَه ، فإنه ليس فى العرب دِرْعٌ خير منها ، فقال : إنى حين ضربته استقبلنى بسَوْأته ، فاستحييتُ ابن عمى أن أستلبه ، وخرجت خيلُهم مُنْهَزِمَةً حتى اقتحمت الخندقَ هاربةً ، فمن هنا لم يأخُذْ علىٌّ سَلَبَه ، وقيل تنزه عن أخذها ، وقيل : إنهم كانوا فى الجاهلِيّة إذا قتلوا القتيل لايسلبونه ثيابه .

وقول عَمْرو لعلىّ : والله ماأحب أن أقتُلَك ، زاد فيه غيره : فإن أباك كان لى صديقاً ، قال الزبير : كان أبو طالب يُنَادِمُ مُسَافِرَ بن أبى عَمْرو ، فلما هلك اتخذ عَمْرو بن وَدّ نديماً ، فلذلك قال لعلى حين بارزه ما قال

الفرعل :

وقول حسان فى عكْرِمَةَ :

كأنَّ قَفاكَ قَفا فُرْعُل

الفُرْعُلُ : وَلَد الضَّبع .

وذكر قول سعد :

لَبِّثْ قليلا يَلحَقِ الهَيْجا حَمَلْ

هو بيت تمثّل به عُنى به حَمَلَ بن سَعْدَانة بن حارِثة بن مَعْقِل بن كَعْب ابن عُلَيْم بن جَناب الكَلْبِىّ . وقوله يرْقَدُّ(١) بالحربة أى : يُسرع بها ، يقال : ارْقَدَّ وارْمَدَّ بمعنى واحد . قال ذو الرُّمَّة :

---

(١) فى السيرة : يرقل .

رفع المسيئهم

. . . .

يَرْقُدُ فى أَثْرِ عَرَّاضٍ وَتَنْبَعُه ... صَهْبَاءُ شَامِيَّةٌ عُثْنُونُهَا حَصِبُ(١)

يعنى الريح .

ابن العرقة وأم سعد :

وابن العَرِقَةِ الذى رَمَى سَعْداً هو حِبَّانُ بن قَيْسِ بن العَرِقَةِ ، والعَرِقَةُ هى قِلَابَةُ بنت سُعَيْد بن سَعْدِ بن سَهْمٍ [بن سَهْم بن عمرو بن هُصَيْص بن كعب ابن لؤى] تُكَنَّى أُمَّ فاطمة ، سُمِّيَتْ العَرِقَةُ لطيب ريحها ، وهى جَدَّةُ خديجةَ أُمُّ أُمِّهَا هالةَ ، وحبَّانُ هو ابنُ عبدِ مَنَافِ بن مُنْقِذِ بن عَمْرو بن مَعِيص بن عامر ابن لُؤَىّ(٢) .

---

(١) البيت فى اللسان وفيه عراص وحفيف نافجة بدلا من عراض وصهباء شامية ، وعراض خطأ وقد روى الشطرة الثانية فى مادة حصب كما رواها هنا . وروى البيت كله فى مادة عرص وشطرته الأولى هكذا

يرقد فى ظل عراص ويطرده . . . الخ

وقبل البيت :

حتى إذا الهيق أمسى شام أفرخه ... وهن لا مؤيس نأياً ولا كثب

والبيت فى وصف ظليم .

انظر ص ٧٩٨ سمط اللآلى ص ١٨٠ ج ٢ ط ٢ .

(٢) فى نسب قريش : عبد مناف بن الحارث بن منقذ الخ ص ٢٢ ، ٤١٢ ويقول عنه إنه أخو هالة لأبيها وأمها . وعند الحافظ فى الفتح عنه فيما شرح به لفظ البخارى « وهو حبان بن قيس » . ويقال : ابن أبى قيس بن علقمة ابن عبد مناف

. . . .

وأمُّ سَعْد اسمها : كُبَيْشَةُ بنتُ رافع [بن عبيد][1]

حول اهتزاز العرش

وحديث اهتزاز العرش ثابت من وُجُوه[2] ، وفي بعض ألفاظه أن جبريلَ

---

(١) هي من الأنصار من بني خدرة ، وقد ذكر ابن سعد أنها أول من بايع النبي «ص» من نساء الأنصار .

(٢) رواه الشيخان من حديث جابر ، وثبت — كما قيل — عن عشرة من الصحابة أو أكثر . وقال الحاكم : الأحاديث التي تصرح باهتزاز عرش الرحمن مخرجة في الصحيحين ، وليس لمعارضها في الصحيح ذكر . وسيأتي حديث السهيلي عن هذا .

وقد أنكر مالك هذا الحديث ، وكره التحدث به . فقد سئل — كما روى صاحب العتبية — عن هذا الحديث ، فقال : أنهاك أن تقوله وما يدعو المرء أن يتكلم بهذا ، وما يدري ما فيه المغرور . ويقول اليعمري عن إنكار مالك : إن العلماء اختلفوا في هذا الخبر ، فمنهم من يحمله على ظاهره ، ومنهم من يتأوله ، وما هذا سبيله من الأخبار المشكلة ، فمن الناس من يكره روايته إذا لم يتعلق به حكم شرعي ، فلعل الكراهة المروية عن مالك من هذا النمط . ويقول أبو الوليد بن رشد في شرح العتبية : إنما نهى مالك لئلا يسبق إلى وهم الجاهل أن العرش إذا تحرك يتحرك الله بحركته ، كما يقع للجالس منا على كرسيه ، وليس العرش بموضع استقرار الله تبارك الله وتنزه عن مشابهة خلقه . ولكن مالكا من رواة حديث النزول وهو أصرح في إثبات الحركة . فقيل : لعل حديث سعد لم يثبت عنده كما ثبت حديث النزول . لكن لو كان الأمر كذلك لقال مالك : ليس بثابت ، أو لا أعرفه أو ما سمعته أو نحو ذلك . وكان ابن عمر يقول : إن العرش لا يهتز لأحد . ولكن قيل إنه رجع عن هذا لما بلغته الروايات . أخرج ذلك ابن حبان من طريق مجاهد عنه .

المراد باهتزاز العرش : قيل المراد استبشاره وسروره بقدوم روحه ، كما يقال =

. . . .

عليه السلامُ نَزَلَ حين مات سَعْدٌ مُعْتَجِراً بِعِمَامَةٍ من إِسْتَبْرَقٍ ، فقال : يا محمد

= لكل من فرح بقدوم أحد عليه: اهتز له، ومنه: اهتزت الأرض بالنبات إذا اخضرت وحسنت، ومنه قول العرب : فلان يهتز للمكارم يريدون : ارتياحه إليها ووقع ذلك من حديث ابن عمر عند الحاكم بلفظ: اهتز العرش فرحاً به لكنه تأوله ، فقال : اهتز العرش فرحا بلقاء الله سعداً حتى تفسخت أعواده على عواتقنا. قال ابن عمر : يعنى عرش سعد الذى حمل عليه . وقيل: المراد باهتزاز العرش: اهتزاز حملة العرش ويؤيده حديث إن جبريل قال : من هذا الميت الذى فتحت له أبواب السماء ، واستبشر به أهلها ؟، أخرجه الحاكم ، وقيل : هى علامة نصبها الله لموت من يموت من أوليائه ، ليشعر ملائكته بفضله . وقال الحربى: هو عبارة عن تعظيم شأن وفاته من النبى، والعرب إذا عظموا الأمر نسبوه إلى عظيم ، كما يقولون : قامت لموت فلان القيامة ، وأظلمت الدنيا بموته ونحو ذلك .

وقال النووى فى شرح مسلم ما معناه : إن طائفة حملت الاهتزاز على ظاهره ، وقالوا إن اهتزاز العرش تحركه حقيقة فرحا بقدوم روح سعد ، وجعل الله فى العرش تمييزاً حصل به هذا التحرك ، ولا مانع منه كما قال تعالى عن الحجارة ، (وإن منها لما يهبط من خشية الله) وهذا القول هو ظاهر الحديث ، وهو المختار . ويقول المازرى عن حركة العرش : وهذا لا ينكر من جهة العقل ، لأن العرش جسم مخلوق يقبل الحركة والسكون .

وأقول: دين السلف: إذا ثبت النص ثبوتا لا اختلاف عليه ، فإنه لا يجوز تأويله تأويلا يفسد معناه ، أو يجرده من حقيقته ، وإنما يجب حمله كما ورد دون تشبيه لما نسب إلى الله من صفة أو اسم أو فعل بما ينسب إلى الخلق من ذلك. وقد نبهت إلى ذلك مراراً فى الكتاب . فلله مثلا يدان حقيقيتان ليستا هما النعمة أو القدرة أو غير ذلك مما يهرف به المعطلة ، لكنهما ليستا كيد الخلق ، وإذا كانت أيدى البشر لا تتشابه ، فكيف نشبه يد الخالق بيد الخلق ، فنقع فى وصف الله بأنه عدم حين نجرد صفاته من معانيها ، أو بأنه صنم حين ننسب إليه عين ما ننسبه إلى الخلق، تعالى الله عن هذا علواً كبيراً . وما نقلت ما نقلت إلا لتعرف فحسب

من هذا المَيِّتُ الذى فُتِحَتْ له أبوابُ السماء، واهتز له العرشُ؟ وفى حديث آخر: قال عليه السلام: لقد نزل لموت سَعْدِ بن مُعَاذٍ سبعون ألفَ مَلَكٍ ما وطِئوا الأرض قبلها، ويذكر أن قبرَه وُجد منه رائحةُ المسك، وقال عليه السلام: لو نجا أحد من ضَغْطَةِ القبر لنجا منها سعد[1]، وفى كتاب الدّلائل أن النبي صلى الله عليه وسلم جلس على قبر سعد حين وضع فيه، فقال: سبحان الله هٰذا العبد الصالح ضُمَّ فى قبره ضَمَّة، ثم فرج عنه، وأما ضَغْطةُ القبر التى ذكر فى الحديث، فقد روى عن عائشة ـ رضى الله عنها أنها قالت: يارسول الله، ما انتفعتُ بشىء مُنْذُ سمعتك تذكر ضَغْطَة القبر، وضَمَّته [وصوتَ مُنكَرٍ ونكير] فقال: ياعائشة، إن ضَغْطَة القَبْر على المؤمن أو قال ضَمَّة القبر على المؤمن كضَمَّةِ الأمِّ الشَّفِيقَة يدَيها على رأسِ ابنها، يشكو إليها الصُّدَاعَ، وصوت مُنْكر ونَكِير كالكُحْل فى العَيْن، ولكن ياعائشةُ وَيْلٌ للشاكّين [فى الله] أولئك الذين يُضْغَطُون فى قبورهم ضَغْط البَيْضِ على الصَّخْر. ذكره أبو سعيد ابن الأعرابى فى كتاب المعجم[2].

وذكر ابن إسحاق فى رواية [يونس] الشَّيْبانى عنه، قال: حدثنى أُميَّةُ ابن عبدِ الله، قال: قلت لبعض أهل سعد بن مُعاذٍ: ما بلغكم فى هذا، يعنى الضَّمَّةَ التى انضَمَّها القبرُ عليه؟ قال: كان يُقَصِّر فى بعضِ الطُّهُور من البَوْل

(١) أخرجه ابن سعد وأبو نعيم
(٢) ورواه أيضاً: البيهقى وابن منده.

. . . .

بعض التقصير (١) .

الكان حسان جبانا ؟ :

فصل : وذكر حديث حسان حين جُعِل فى الآطام مع النساء والصبيان ، وما قالت له صفيةُ فى أمر اليهودى حين قتلته ، وما قال لها ، وتحمّلُ هذا الحديث عند الناس على أن حسّاناً كان جباناً شديدَ الجبن ، وقد دَفَع هذا بعضُ العلماء ، وأنكره ، وذلك أنه حديث مُنقَطِعُ الإسنادِ ، وقال : لو صح هذا لَهُجِىَ به حسّانُ ، فإنه كان يهاجى الشعراءَ كَضِرارٍ وابن الزِّبَعْرى ، وغيرهما ، وكانوا يناقضونه ويَرُدُّون عليه ، فما عَيَّره أحدٌ منهم بجُبْنٍ ، ولا وَسَمَه به ، فدل هذا على ضعف حديث ابن إسحاق ، وإن صح فلعل حسّانَ أن يكون معتلاً فى ذلك اليوم بِعِلّةٍ منعته من شُهود القتال ، وهذا أولى ما تأول عليه ، وممن أنكر أن يكون هذا صحيحاً أبو عُمَرَ رحمه الله فى كتاب الدُّرر له .

الحديث عن الصورين ودحية :

فصل : وذكر خروج النبى صلى الله عليه وسلم إلى بنى قُرَيْظَة حين مر بالصَّوْرَيْن ، والصَّوْرُ القِطعة من النخل (٢) ، فسألهم ، فقالوا مَرَّ بنا دَحْيَةُ

---

(١) قيل : إن تقصيره لم يكن على وجه يؤدى إلى فساد عبادته . وأقول : إن الرجل الذى قيل عنه ما قيل لا نصدق أنه يقع فى مثل هذا الذى نسب إليه . هذا واقرأ حديث سعد الذى قال فيه : اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئا الخ المذكور فى السيرة فى البخارى وغيره .

. . . .

ابن خَلِيفَة الْكَلْبِيُّ . هو : دَحْيَةُ بفتح الدال ، ويقال : دِحْيَةُ بكسر الدال أيضاً ، والدَّحْيَةُ بلسان اليَمن : الرَّئِيسُ ، وجمعه دِحَاء ، وفى مقطوع الأحاديث أن النبى – صلى الله عليه وسلم – رأى البيْتَ المعمورَ يدخله كُلَّ يوم سَبْعُونَ ألفَ دِحْيَة ، تحت يد كُلِّ دِحْيَةٍ سبعونَ ألف مَلَكٍ ، ذكره القُتَبِيُّ ، ورواه ابن سُنْجُرٍ فى تفسيره مُسْنَداً إلى عَبْدِ الله بن الْهُذَيْل ، رواه عنه أبو التَّيَّاح ، وذكر أن حَمَّاد بن سَلَمَةَ قال لأبى التَّيَّاح حين حدثه بهذا الحديث ما الدَّحْيَةُ ؟ قال : الرئيس ، وأما نَسَبُ دِحْيَةَ فهو ابن خَليفَة بن فَرْوَةَ بن فَضَالَة بن زَيْدِ بن امْرِئ القَيْس بن الخزرج ، والخَزْرَجُ العَظِيمُ البَطْن ابنُ زَيْدِ مَنَاةَ ابن عامر بن بَكْر بن عامر الأكْبَر بن عَوْف بن عُذْرَةَ بن زَيْدِ اللَّاتِ ابن رُفَيْدَةَ بن ثَوْرِ بن كَلْب[1] يُذْكر من جَمَالِه أنه كان إذا قَدِمَ الْمَدِينَةَ لم تَبْقَ مُعْصِرٌ ، وهى الْمُرَاهِقَةُ لِلْحَيْضِ إلا خَرَجَت تنظر إليه .

فقه لا يصلين أحدكم العصر إلا في بني قريظة :

وذكر قوله عليه السلام : لا يُصَلِّيَنَّ أحدُكم العصرَ إلا فى بنى قُرَيْظَةَ ، فغربت عليهم الشمس قبلها ، فصلُّوا العصرَ بها بعد العشاء الآخرة ، فما عابهم الله بذلك فى كتابه ، ولا عنَّفهم به رسولُه صلى الله عليه وسلم ، وفى هذا من الفقه أنه لا يُعابُ على من أخذ بظاهرِ حديثٍ أو آيةٍ ، فقد صَلَّت منهم طائفة

---

(١) لم يذكر ابن حزم فى نسبه زيدمناة ص ٤٢٨ الجمهرة . وذكر ابن دريد فى الاشتقاق أن الخزرج هو الريح العاصف .

. . . .

قبل أن تغرب الشمسُ ، وقالوا : لم يُرِدِ النبيُّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ إخراج الصلاة عن وقتها ، وإنما أراد الحثَّ والإعجال ، فما عُنِّف أحدٌ من الفريقين ، وفى هذا دليل على أن كل مُختلفين فى الفروع من المجتهدين مصيب ، وفى حكم داود وسليمان فى الحرث أصلٌ لهذا الأصل أيضاً ، فإنه قال سبحانه : ﴿ ففهّمناها سُلَيْمَانَ ، وكُلًّا آتينا حُكماً وعِلماً ﴾ الأنبياء : ٧٩ ، ولا يستحيل أن يكون الشيء صَوَاباً فى حقِّ إنسانٍ وخَطَأً فى حَقِّ غيره ، فيكون من اجْتَهَدَ فى مَسْألة فأداه اجتهادُه إلى التحليل مصيباً فى استحلاله ، وآخر اجتهد فأدّاه اجتهادُه ونظره إلى تحريمها ، مُصيباً فى تحريمها ، وإنما المُحالُ أن يُحكم فى النازلة بحُكمين مُتضادَّيْن فى حَقِّ شَخص واحد ، وإنما عسر فهمُ هذا الأصل على طائفتين : الظاهِريَّة والمُعتَزلة ، أما الظاهِريَّةُ فإنهم عَلَّقوا الأحكام بالنُّصوصِ ، فاستحال عندهم أن يكون النصُّ يأتى بحظرٍ ، وإباحَةٍ معاً إلا على وَجْه النَّسْخ ، وأما المعتزلة ، فإنهم عَلَّقوا الأحكامَ بتقبيح العقلِ وتحسينه ، فصار حُسْنُ الفعل عندهم أو قُبْحُه صِفَةَ عَيْن ، فاستحال عندهم أن يَتَّصِفَ فعلٌ بالحُسْنِ فى حَقِّ زَيْدٍ والقبح فى حَقِّ عَمْرو ، كما يستحيل ذلك فى الألوان ، والأكوان وغيرهما من الصفات القائمة بالذوات ، وأما ماعَدا هاتين الطائفتين من أرباب الحقائق ، فليس الحَظْرُ والإباحة عندهم بصفاتِ أعيانٍ ، وإنما هى صفات أحكام ، والحكم من الله تعالى يَحْكُمُ بالحظر فى النازلة على من أداه نظرُه واجتهادُه إلى الحظر ، وكذلك الإباحة والنَّدْبُ والإيجابُ والكَرَاهَةُ ، كلُّها صفاتُ أحكامٍ ، فكُلُّ مجتهد وافق اجتهادُه

. . . .

التقليد إلى هَضَبَةِ النَّظرِ ، فهو مُصيبٌ فى اجتهاده مُصِيبُ الحكم الذى تَعبَّد به ، وإن تعبد غيرُه فى تلك النازلة بعينها بخلافِ ما تَعبَّد هو به ، فلا يُعدُّ فى ذلك إلا على من لا يعرف الحقائق أو عَدَل به الهوى عن أوْضَح الطَّرائق [1] .

(١) يقول الحافظ فى الفتح تعليقا على هذا ، وهو أن كل مجتهد مصيب على الإطلاق : ليس بواضح ، وإنما فيه ترك تعنيف من بذل وسعه واجتهد ، فيستفاد منه عدم تأثيمه . هذا ومن المشهور الذى عليه الجمهور أن المصيب فى القطعيات واحد . وخالف هذا الجاحظ والعنبرى . وما لا قطع فيه فالجمهور يرى أيضاً أنه واحد . ويقول الأشعرى : كل مجتهد مصيب ، وأن حكم الله تابع لظن المجتهد ويرى بعض الحنفية والشافعية أن من لم يصب ما فى نفس الأمر فهو مخطىء .

وأقول : الحق واحد لا يتعدد ، والله لا يجعل الشىء مباحاً ومحظوراً من جهة واحدة : وإذا كان الأمر كذلك ، فإن من اجتهد — كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم — وأصاب فله أجران ، ومن اجتهد وأخطأ فله أجر واحد استحقه باجتهاده . ويقال لمن أصاب الحق محق . ولمن لم يصبه : غير محق فى رأيه ، لكن قد يكون الشىء واجبا فعله ومحظوراً فعله لا من جهة واحدة ، وإنما من جهات متعددة ، أو من جهتين مختلفتين ، كالصوم فى بعض أحواله المعروفة . هذا وقد وقع فى جميع نسخ البخارى أن الصلاة هى العصر ، واتفق على هذا جميع أهل المغازى ، ولكن وقع فى جميع نسخ مسلم أنها الظهر مع اتفاق البخارى ومسلم على روايته عن شيخ واحد باسناد واحد . ووافق مسلما ابن سعد وابن حبان كلاهما من طريق مالك بن اسماعيل . وانظر التوفيق بين هذا فى شرح المواهب اللدنية ص ١٣٠ جـ ٢ وفى فتح البارى فى الغزوة . ومن بين التوفيق أن البخارى كتبه من حفظه ، ولم يراع اللفظ كما عرف من مذهبه فى تجويز ذلك بخلاف مسلم فانه يحافظ كثيرا على اللفظ .

رفع المسيهم

حول قصة أبي لبابة :

فصل : وذكر أبا لُبَابَةَ واسمه رِفَاعَةُ بن عَبْدِ المُنْذِر بن زنبر[١] وقيل : اسمه مُبَشِّر[٢] ، وتَوْبَتَه ورَبْطَه نَفْسَه حتى تاب الله عليه ، وذكر فيه أنه أقسم ألَّا يَحُلَّهُ إلا رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وروى حَمَّاد بن سَلَمَةَ عن على ابن زيد عن عَلِيِّ بن الحسين أن فاطمة أرادت حَلَّه حين نزلت توبتُه ، فقال : قد أقسمْتُ ألَّا يَحُلَّنِي إلاَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إن فاطمةَ مُضْغَةٌ مِنِّي ، فصلَّى الله عليه ، وعلى فاطمةَ . فهذا حديثٌ يَدُلُّ على أن من سَبَّها فقد كَفَر ، وأن من صَلَّى عليها ، فقد صَلَّى على أبيها ـ صلى الله عليه وسلم ـ وفيه : أَنْزَلَ الله تعالى : ﴿ وآخَرُون اعْتَرفُوا بذنوبهم خَلَطُوا عَمَلاً صالحاً ﴾ التوبة : ١٠٢ الآية ، غير أنَّ المفسرين اختلفوا في ذنبه ما كان ، فقال ابن إسحاق ماذكره في السِّيرة من إشارته على بني قُرَيْظَة ، وقال آخرون : كان من المُخَلَّفين : الذين تَخَلَّفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غَزْوة تَبُوكَ ، فنزلت توبةُ الله عليه في هذه الآية .

لعل وعسى وليت :

فإن قيل : ليس في الآية نصٌّ على تَوْبته وتوبة الله عليه أكثر من قوله تعالى : ﴿ عسى الله أن يتوبَ عليهم ﴾ .

فالجواب : أن عسى من الله واجبةٌ وخبرٌ صِدْقٍ . فإن قيل : وهو سؤال

---

(١) في جمهرة ابن حزم ص ٣١١ : وفي الإصابة : زرر .

(٢) مختلف في اسمه فهو بشير ، وهو مروان . أنظر الإصابة والاشتقاق لابن دريد ص ٤٣٨ .

. . . .

يجب الاعتناء به : إن القرآن نزل بلسان العرب ، وليست عسى فى كلام العرب بخبرٍ ، ولا تقتضى وجوباً ، فكيف تكون عسى واجبةً فى القرآن ، وليس بخارج عن كلام العرب ؟

وأيضاً : فإن لعل تعطى معنى التَّرَجِّى ، وليست من الله واجبة ، فقد قال : (لعلهم يشكرون) فلم يشكروا، وقال (لعله يتذكر أو يَخْشَى) فلم يتذكر ولم يَخْش ، فما الفرق بين لعل وعسى حتى صارت عسى واجبة ؟

قلنا : لعل تعطى التَّرَجِّى ، وذلك الترجى مصروف إلى الخلق ، وعسى مثلها فى الترجى ، وتزيد عليها بالمُقَارَبةِ ، ولذلك قال : ﴿ عسى أن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مقاماً مَحْمُوداً ﴾ الإسراء : ٧٩ ومعناه الترجى مع الخبر بالقرب ، كأنه قال قَرُبَ أن يبعثك ، فالتَّرَجِّى مَصْروفٌ إلى العبد ، كما فى لعل ، والخبر عن القرب والمُقَارَبة مصروفٌ إلى الله تعالى ، وخَبَرُهُ حَقٌّ وَوَعْدُهُ حَتْمٌ ، فما تضمنته من الخبر فهو الواجب دون التَّرَجِّى الذى هو محال على الله تعالى ، ومصروف إلى العبد ، وليس فى لعل مِنْ تَضَمُّنِ الخبرِ مثلُ مافى عسى ، فمن ثَمَّ كانت عسى واجبةً إذا تكلم الله بها ، ولم تكن كذلك لعل .

فإن قيل : فهل يجوز فى ليت ما كان فى لعل من ورودها فى كلام البارى سبحانه، على أن يكون التمنى مَصْرُوفاً إلى العبد ، كما كان الترجى فى لعل كذلك ؟

. . . .

قلنا : هذا غير جائز ، وإنما جاز ذلك فى لعل على شرط وصورة ، نحو أن يكون قبلها فِعْلٌ ، وبعدها فِعْلٌ ، والأول سَبَبٌ للثانى نحو قوله : ﴿ يعظُكم لَعلَّكمْ تذَكَّرُون ﴾ النحل : ٩٠ ، فقال بعض الناس : لعل هاهنا بمعنى كَيْ ، أى كى تذَكَّرُوه ، وأنا أقول : لم يذهب منها معنى التَّرَجِّى ، لأن الموعظة ، مما يُرْجى أن تكون سبباً للتذكُّر ، فعلى هذه الصورة وردت فى القرآن ، ونحو قوله أيضاً : ﴿ فَلَعَلَّكَ تاركٌ بعضَ مايُوحَى إليك وضائقٌ به صَدْرُك ﴾ هود : ١٢ هى هاهنا تَوقُّعٌ وتَخوُّفٌ ، أى : ما أصابك من التكذيب مما يُتخَوَّف ويُتَوقَّعُ منه ضِيقُ الصدر ، فهذا هو الجائز فى لَعلَّ ، وأما أنْ ترد فى القرآن داخلةً على الابتداء والخبر مثل أن تقول ، مُبْتَدِئاً : لعل زيداً يؤمن ، فهذا غير جائز ، لأن الربَّ سبحانه لا يَتَرَجَّى ؛ وإن صُرِف الترجى إلى حَقِّ المخلوق ، وموضوعُها فى كلام العرب أن يكون المتكلمُ بها لا يستقيم أيضاً إلا على الصورة التى قدمنا من كونها بمعنى : كى ، ووقوعها بين السَّبَب والمُسبَّب ، وإذا ثبت هذا فلا إشكال فى ليت أنها لا تكون فى كلام البارى سبحانه ، لأن التمنى مُحالٌ عليه ، والتَّرجِّى والتَّوقُّعُ والتَّخوُّف كذلك ، حتى تزيلها عن الموضع الذى يكون معناها فيه للمتكلم بها .

من أسماء السماء :

فصل : وذكر حكم سعد فى بنى قُرَيْظَةَ ، وقول النبى عليه السلام له : لقد حكمت فيهم بحُكم الله من فوق سَبْعَةِ أرْقِعةٍ ، هكذا فى السِّيرة : أرْقِعةٍ ،

. . . .

وفي الصحيح : من فوق سَبْع سَماواتٍ[1] ، والمعنى واحد ، لأن الرَّقيع من أسماء السماء ، لأنها رُقِمت بالنُّجُوم ، ومن أسمائها : الجَرْباء وبِرْقِع ، وفي غير رواية البكائيّ أنه عليه السلام قال في حكم سعد : بذلك : طَرَقَني المَلكُ سَحَراً .

فوقية الله سبحانه :

وفيه من الفقه تعليمُ حسنِ اللفظ إذا تكلمت بالفَوْق مُخْبِراً عن الله سبحانه ألا تراه كيف قال : بحكم الله من فَوْقِ سَبْع سماواتٍ ، ولم يقل فوق على الظرف ، فدل على أن الحكم نازلٌ من فَوْق ، وهو حكم الله تعالى ، وهذا نحو من قوله تعالى : ﴿ يَخافُونَ رَبَّهم من فَوْقهم ﴾ النحل : ٥٠ ، أي يخافون عقاباً ينزل من فوقهم ، وهو عقابُ رَبِّهم .

فإن قيل : أو ليس بجائز أن يخبر عنه سبحانه أنه فوق سَبْع سماواتٍ ؟ قلنا : ليس في هذه الآية ، ولا في هذا الحديث دليل على إطلاق ذلك ، فإن جاز فبدليلٍ آخر ، وكذلك قول زينب : زَوَّجَنِي الله من نَبِيِّه من فوق سَبْع

(١) رواه النسائي . هذا وما حكم به سعد قريب جداً مما في سفر التثنية ، ففي الإصحاح المتمم للعشرين منه جاء ما يلي : « إن لم تسالمك بل عملت معك حربا ، فحاصرها ، وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك ، فاضرب جميع ذكورها بحد السيف ، وأما النساء والأطفال والبهائم ، وكل ما في المدينة كل غنيمتها ؛ فتغنمها لنفسك . وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب إلهك » من فقرة ١٠ إلى ١٥ . وازن بين هذا وبين حكم سعد « تقتل مقاتلتهم ، وتسبي ذراريهم » ثم قول الرسول « ص » له: قضيت بحكم الله. أفيباح لنا أن نقول إن الحديث يشير إلى هذا الحكم الذي ورد في سفر التثنية ؟ !

. . . .

سماوات ، وإنما معناه : أن تزويجه إياها نزل من فوق سبع سماوات[1] ولا يجد في الشرع وصفه سبحانه بالفوق على المعنى الذي يليق بجلاله ، لا على المعنى الذي يَسْبِق الوهم من التحديد ، ولكن لا يتعلق إطلاق ذلك الوصف مما تقدم من الآية والحديثين لارتباط حرف الجر بالفعل ، حتى صار وصفاً له لا وصفاً للباري سبحانه ، وقد أملينا في حديث الأمة التي قال لها : أين الله ؟ قالت : في السماء مسألةً بديعةً نافعةً شافية رافعة لكل لَبْس ، والحمد لله[2] .

---

(١) حقيقة الفوقية هي علو ذات الشيء على غيره ، والجهميون يزعمون أن فوقية الله فوقية رتبة وقهر كقولنا : الذهب فوق الفضة . وأهل السنة وسلفنا الصالح يقولون إن العهد والفطر والعقول والشرائع وجميع كتب الله المنزلة على خلاف مايزعم الجهميون ، وأنه سبحانه فوق العالم بذاته ، فالخطاب بفوقيته ينصرف إلى ما استقر في الفطر والعقول والكتب السماوية . والمجاز في الفوقية وإن احتمل في قوله : (وإنا فوقهم قاهرون) فذلك لأنه قد علم أنهم جميعا مستقرون على الأرض فهي فوقية قهر وغلبة ولكن هذا المجاز لا يحتمل في قوله سبحانه : (وهو القاهر فوق عباده) إذ قد علم بالضرورة أنه وعباده ليسوا مستوين في مكان واحد حتى تكون فوقية قهر وغلبة . واقرأ كتاب الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ولا سيما من أول ص ٢٠٥ فقد أقام الأدلة القاطعة من القرآن والسنة والعقل على فوقية الله سبحانه بذاته من سبعة عشر وجهاً ، واقرأ لابن رشد الفيلسوف في إثبات جهة العلو لله سبحانه في كتابه مناهج الأدلة .

وكانت زينب رضي الله عنها تفخر على أزواج النبي تقول : زوجكن أهاليكن ، وزجني الله تعالى من فوق سبع سماوات . رواه البخاري في الصحيح

(٢) وحديث الأمة التي سألها رسول الله صلى الله عليه وسلم : أين الله ؟ قالت : الله في السماء ، قال من أنا ؟ فقالت : أنت رسول الله ، قال إنها مؤمنة فاعتقها وكان الذئب قد أصاب شاة من غنم كانت ترعاها لسيدها ، فصكها صكة ، ثم =

رفع المسهم

. . . .

كيسة :

فصل : وذكر حَبْسَ بنى قُرَيْظَةَ فى دار بنتِ الحَدَثِ ، كذا وقع فى هذا الكتاب ، والصحيح عندهم بنت الحارثِ ، واسمها : كَيِّسَةُ بنت الحارثِ بن كُرَيْز بن حَبِيبٍ (١) بن عَبْدِ شَمْس ، وكانت تحت مُسَيْلِمَةَ الكذّاب ، ثم خلف عليها عبدُ الله بن عامر بن كُرَيْزٍ ، وكَيِّسة أُخْرَى مذكورة فى النساء ، وهى بنت عبد الحميد بن عامر بن كُرَيْز ، وكَيِّسَةُ بنت أبى بَكْرَةَ روت عن أبيها عن النبى — صلى الله عليه وسلم أنه كان يَنْهى عن الحِجَامَة يوم الثلاثاء أشَدَّ النَّهْىِ ، ويقول : فيه ساعَةٌ لايَرْقأُ فيها الدَّمُ (٢) : وأما كَيْسَة بسكون الياء ، فهى بنت أبى كَثِير تَرْوِى عن أُمِّها عن عائشة فى الخمر : لاطَيَّبَ الله مَنْ

= انصرف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره بما فعل مع الجارية وأراد عتقها تكفيراً عن ذنبه ، فطلب منه الرسول « ص » أن يأتيه بها . ففعل فسألها عما قدمت ذكره . والحديث فى صحيح مسلم . وقد ورد فى حديث رواه البخارى ومسلم « ألا تأمنونى ، وأنا أمين من السماء ، يأتينى خبر السماء صباحا ومساء » وفوق ذلك كله قول الله سبحانه : (أأمنتم من فى السماء) .

(١) فى الاشتقاق لابن دريد : كريز بن ربيعة بن حبيب ص ١٦٤ وكذلك هو فى نسب قريش : كريز بن ربيعة بن حبيب فلعله سقط . فالسهيلى يأخذ بقول الزبيريين فى الأنساب . وكذلك ذكر نسبه فى كتاب حذف من نسب قريش للسدوسى : كريز بن ربيعة بن حبيب . وفى الإصابة أن المرأة هى رملة بنت الحارث ابن ثعلبة بن الحارث بن زيد . وهى زوج معاذ بن الحارث بن رفاعة . وعند أبى الأسود أنهم حبسوا فى دار أسامة بن زيد

(٢) قول لايعتد به ، وإلا توقفت الجراحات كلها يوم الثلاثاء .

. . . .

تَطَيَّب بها ، ولاشُفِي من اسْتَشْفَى بها ، ذكره البخارى فى الأشْرِبة فى بعض روايات الكتاب ، ووقع اسمُها فى السيرة من غير رواية ابن هشام : زَيْنَب بنت الحارث النَّجَّارِيَّة،فالله أعلم . وأما كَيِّسَةُ بنت الحارث ، فهى التى أُنْزِلَ فى دارهاوفدُ بنى حَنِيفة ، وسيأتى ذكرها .

رفيدة :

وذكر رُفَيْدَةَ ، وهى امرأة من أسلم الذى كان سَعْدٌ يُمَرَّضُ فى خيمتها لم يذكرها أبو عُمَر ، وزادها أبو على الغسانى فى كتاب أبى عُمَرَ،حدثنى بتلك الزوائد أبو بكر بن طاهر عنه ، وحدثنى عنه أيضاً عن أبى عمر أنه قال لأبى على : أمانة الله فى عُنُقِك،متى عثرت على اسم من أسماء الصحابة ، لم أذكره إلا ألحقته فى كتابى الذى فى الصحابة[1].

غزوة الخندق :

فصل : وذكر فى غَزْوَة الخَنْدَقِ ثَعْلَبة بن سَعْيَةَ ، وأسَدَ بن سَعْيَة[2] وأسِيد بن سَعْيَةَ وهم من بنى هدل ، وقد تكلمنا فى الجزء الثانى من هذا

(١) وقيل هى أنصارية ، وفى الإصابة الأنصارية أو الأسلمية ، وقد روى البخارى فى الأدب المفرد حديثها ، وذكر أن الرسول «ص» كان إذا مر بعد عندها يقول : كيف أمسيت ، وإذا أصبح يقول : كيف أصبحت. وفى الإصابة فى حرف الكاف : كمية بنت سعيد الأسلمية وقد قال عنها ابن سعد هى التى كانت لها خيمة فى المسجد . وعند البخارى : «فضرب النبى «ص» خيمة فى المسجد » ليعوده من قريب » أى ليعود سعد .

. . . .

الكتاب على سَمْيَة وسُمْنَة بالنون، وذكرنا الاختلاف فى أُسيد وأَسِيْد، وذكرنا خبراً عجيباً لزَيْد بن سَمْية بالياء، ومن قال من النسابين هَدْل بسكون الدال فى بنى هَدْل، فأغنى ذلك عن إعادته .

قتل المرتدة :

وأما حديث المرأة المقتولة من بنى قُرَيْظَة، ففيها دليل لمن قال بقتل المُرْتَدَّة من النساء، أخذاً بعموم قوله عليه السلام : مَنْ بَدَّل دينه، فاضربُوا عُنُقَهُ[1]. وفى هذا الحديث مع العُمُوم قوة أخرى، وهو تعليق الحكم بالعلة، وهو التبديل والرِّدَّةُ، ولا حُجَّةَ مع هذا لِمَنْ زعم من أهل العراق بأن لا تُقتَل المرأةُ لنَهيْهِ عليه السلام عن قَتْلِ النساء والوِلْدَان، وللاحتِجَاج للفريقين، وما نزل به كلٌّ واحد منهم موطنٌ غير هذا .

الزبير بن باطا :

فصل : وذكر حديثَ ثابت بن قيس مع الزَّبِيْر بن باطا، وهو الزَّبِيْرُ

(١) فى حديث رواه الجماعة إلا مسلما : من بدل دينه فاقتلوه . وقد علق صاحب الفتح عليه بقوله : واستدل به على قتل المرتدة كالمرتد . وخصه الحنفية بالذكر متمسكين بحديث النهى عن قتل النساء، ولكن الجمهور يحمل النهى على الكافرة الأصلية إذا لم تباشر القتال، لقوله فى بعض طرق الحديث النهى عن قتل النساء لما رأى امرأة مقتولة : ما كانت هذه لتقاتل، ثم نهى عن قتل النساء . واحتجوا بأن من الشرطية لا تعم المؤنث، وتعقب بأن راوى الخبر هو ابن عباس، وقد قال بقتل المرتدة وقد قتل الصديق امرأة ارتدت فى خلافته ولم ينكر عليه صحابى . أنظر ص ١٩٠ جـ ٧ نيل الأوطار للشوكانى .

رفع المبسهم

. . . .

بفتح الزاى وكسر الباء جدُّ الزُّبَيْر بن عبد الرحمن المذكور فى المُوَطَّأ فى كتاب النكاح، واختلف فى الزبير بن عبد الرحمن، فقيل: الزَّبِيرُ بفتح الزاى وكسر الباء كاسم جده، وقيل الزُّبَيْر، وهو قول البُخَارِى فى التاريخ.

وذكر فيه قول الزَّبِير:

فما أنا بصابر لله فَتْلَةَ دَلْوٍ نَاضِح

وقال ابن هشام: إنما هو قَبْلَةَ دَلْوٍ بالقاف والباء، وقابِلُ الدَّلْوِ هو الذى يأخذها من المُسْتَقِى(١).

وذكر أبو عُبَيْدٍ الحديثَ فى الأقوال على غير ما قالاه جميعاً، فقال: قال الزَّبِيرُ: يا ثابتُ أَلْحِقْنِي بهم، فلست صابراً عنهم إفراغَةَ دَلْوٍ.

الإنبات أصل فى معرفة البلوغ:

وذكر حديث عَطِية القُرَظِى، وهو جدُّ مُحمد بن كَعْب القرظى، وذكر أنه لم يكن أَنْبَتَ فَتُرِكَ، ففى هذا أن الإنباتَ أَصْلٌ فى معرفة البُلوغ إذا جُهِلَ الاحتِلامُ، ولم تُعْرَفْ سِنُوُّهُ.

---

(١) يقول الخشنى: الناضح: الحبل الذى يستخرج عليه الماء من البئر بالسانية، وأراد بقوله له: فتلة دلو ناضح: مقدار ما يأخذ الرجل الدلو إذا أخرجت فيصبها فى الحوض يفتلها أو يردها إلى موضعها، ومن رواه قبلة بالقاف والباء فهو بمقدار ما يقبل الرجل الدلو ليصبها فى الحوض، ثم يصرفها، وهذا كله لا يكون إلا عن استعجال وسرعة ص ٣٠٧.

حلة حيي :

وذكر حُيَيَّ بن أخْطَبَ حين قُدِّم إلى القتل ، وعليه حُلَّةٌ فُقَّاحِيَّة . الحلة: إزَارٌ ورِدَاء ، وأصل تسميتها بهذا إذا كان الثوبان جديدين ، كما حُلَّ طيُّهما ، فقيل له : حُلَّة لهذا ، ثم استمر عليه الاسمُ ، قاله الخطابى .

وقوله : فُقَّاحِيَّة نُسِبت إلى الفُقَّاحِ ، وهو الزَّهْرُ إذا انشقّت أكِمَّتُهُ ، وانْفَرَجَتْ بَرَاعِيمُه ، وتَفَتَّقَتْ أخْفِيَتُه ، فيقال له حينئذ فَقَّح وهو فُقَّاحٌ . والقنَابِعُ أيضاً فى معنى البَرَاعِيم ، واحدها : قُنْبُعَةٌ ، وأما الفِقَاعُ بالعين [1] فهو الفُطْرُ ، ويقال له أيضاً : آذانُ الكَمْأَة من كتاب النبات .

ويروى أيضاً : حُلَّة شُقَحِيَّةٌ وهوسنح [2] البُسْرِ إذا تلون . قاله الخطابى .

ولـكنه مَنْ يَخْذُلِ اللهَ يُخْذَلِ

بنصب الهاء من اسم الله ، ويُصَحِّح هذه الرواية أن فى الخبر قول النبى صلى الله عليه وسلم : ألم يُمكِّن الله منك ؟ فقال : بَلَى ، ولقد قَلْقَلْتُ كُلَّ مُقَلْقَل ، ولـكن من يَخْذُلكَ يُخْذَل ، فقوله : يَخْذُلكَ كقول الآخر فى البيت :

ولـكنه من يَخذُل اللهَ يُخذَلِ

(١) فى اللسان : الفقع بكسر الفاء وفتحها وسكون القاف الأبيض الرخو من الكمأة وهو أردؤها وجمعها على وزن فعلة بكسر الفاء وفتح العين مثل قردة

(٢) فى التعبير خلل ، وهو يعنى أن شقحية نسبة إلى شقحة التى جمعها شقح . والشقحة : هى البسرة المتغيرة الحمرة . وسنح فى الأصل : صوابها شقح .

لأنه إنما نَظَم فى البيت كلام حُيَىّ .

سلمى بنت أيوب :

وذكر حديثه عن أُيوبَ بن عبدِ الرَّحمن عن عبد الله بن أبى صَعْصَعَة ،

وألفيتُ فى حاشية الشيخ ، قال : وقع فى تاريخ البُخَارى أن أيوبَ نفسَه هو المخبر أن سَلْمَى بنت قَيْس هى : سَلْمَى بنت أيُّوبَ بن عبد الرحمن بن عبد الله وهو الصحيح والله أعلم .

سلمى بنت قيس :

وقوله عن سَلْمَى بنتِ قيس ، هى سلمى بنتُ قيسِ بن عَمْرو بن عُبَيْدِ بن مالك بن عَمْرو بن عَدِىّ بن عامر بن غَنْم بن عَدِىّ بن النَّجّارِ .

تفسير آيات قرآنية :

وقوله تعالى : ﴿ وبلغت القلوبُ الحناجر ﴾ والقلبُ لا يَنْتَقِل من موضِعِه ، ولو انتقل إلى الحَنْجَرَة لمات صاحبُه ، والله سبحانه لا يقول إلا الحقّ ، ففى هذا دليل على أن التكلّمَ بالمجاز على جهة المبالغة ، فهو حَقٌّ إذا فَهِم المخاطَبُ عنك ، وهذا كقوله تعالى : ﴿ يريد أن يَنْقَضّ فأقامه ﴾ الكهف : ٧٧ ، أى مثله كمثل مَنْ يريد أن يَفْعَلَ الفعلَ ، ويهم به ، فهو من مجازِ التَّشْبِيه ، وكذلك هؤلاء مَثَلُهم فيما بلغهم من الخَوْفِ والوَهَلِ وضيقِ الصَّدْر كمثل المُنْخَلِع قلبُه من مَوْضعه ، وقيل : هو على حذف المضاف ، تقديره : بلغ وَجِيفُ القلوبِ الحناجرَ وأما قوله ﴿ إذ القلوبُ لدى الحناجر ﴾ غافر : ١٨ فلا [illegible] المجاز

رفع المسهم

. . . .

لأنه فى صفة هول القيامة، والأمر فيه أشدُّ مما تقدَّم ، لاسيَّما وقد قال فى أخرى : ﴿ لا يَرْتَدُّ إليهم طَرْفُهُمْ وأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاء ﴾ إبراهيم : ٤٣، أى قد فارق القلبُ الفؤادَ ، وبقى فارغاً هَوَاء ، وفي هذا دليلٌ على أنَّ القلب غيرُ الفؤاد ، كأن الفؤادَ هو غلافُ القلب ، ويؤيده قول النبى صلى الله عليه وسلم فى أهل اليمن : ألينُ قُلوباً وأرقُّ أفئدةً(١) مع قوله تعالى : ﴿ فوَيْلٌ للقاسية قُلوبُهم ﴾ الزمر: ٢٢ ولم يقل للقاسية أفئدتُهم ، والقَسْوةُ ضِدُّ اللين ، فتأمله .

وقوله تعالى: ﴿ قد يعلم(٢) اللهُ المُعَوِّقين منكم ﴾ الأحزاب: ١٨ أى المُخَذِّلين لإخوانهم : فيُعَوِّقُونَهُمْ بالتَّخْذِيلِ عن الطاعة ، لقولهم : هَلُمَّ إلينا. تقول : عاقنى الأمرُ عن كذا ، وعَوَّقنى فلانٌ عن كذا ، أى صرفنى عنه .

وذكر الصَّياصى وأنها الحُصُون ، واستشهد بقول سُحَيْم يصف سَيْلا :

وأصبحت الثِّيرانُ صَرْعى، وأصبحت ... نساءُ تَمِيم يَبْتَدِرْنَ الصَّياصِيا

وألفيت فى حاشية الشيخ أبي بحر رحمه الله على هذا البيت : الصياصى : قُرونُ الثيران المذكورة فيه ، لا ماتوهم ابنُ هشام أنها الحُصُون والآطامُ ، ثم يقول : لما أهلك هذا السيلُ الثيرانَ وغَرَّقها أصبحت نساءُ تميم يَبْتَدِرْنَ أخذَ قرونها ، لِيَنْتَسِجْنَ بها البُجُدَ ، وهى الأكْسِيَة ، قال هذا يعقوب عن الأصْمَعِيّ. ويصحح هذا أنه لا حُصُونَ فى بادية الأعراب. قال المؤلف : ويصحح

---

(١) جاء فى حديث متفق عليه : « هم أرق أفئدة وألين قلوبا » .

(٢) دخلت قد هنا لتوكيد العلم ، ويرجع ذلك إلى توكيد الوعيد ، ولأن الله لا تخفى عليه خافية في الأرض ، ولا فى السماء .

رفع المسهم

. . . .

هذا التفسير أيضاً رواية أحمدُ بن داوُد له ، فإنه أنشده فى كتاب النَّبات له ، فقال فيه يَلتَقِطنَ الصَّياصِيا[1] ولم يقل : يبتدرن ، وأنشد :

فَذعَرْنا سُحْمَ الصَّيَاصِى بأيْدِيهِـــنَّ نَضْحٌ من الـكُحَيْلِ وقَارُ

الـكُحَيْلِ : القَطِرَانُ ، والقارُ : الزِّفتُ ، شَبَّه السوادَ الذى فى أيديهن بنَضْح من ذلك الـكُحَيْلِ والقارِ ، يصف بَقر وَحْشٍ ، وأنشد لِدُرَيدِ بن الصِّمَّة :

كَوَقْعِ الصَّيَاصِى فى النَّسِيجِ المُمَدَّدِ

وحمله الأَصْمَعِىُّ على ما تقدم فى البيت قبل هذا من أنها القرونُ التى يُنْسَج بها ، لا أنها شَوْكٌ كما قال ابن هشام .

اهتزاز العرش :

وذكر اهتزازَ العرش ، وقد تـكلم الناس فى معناه ، وظَنُّوا أنه مُشْـكِلٌ ، فقال بعضهم : الاهتزازُ هاهُنا بمعنى الاسْتِبْشَارِ بقدوم رُوحِه ، وقال بعضهم : يريد حَمَلة العَرْشِ ومن عنده من الملائـكة ، استبعاداً منهم ، لأن يَهْتَزَّ العرشُ على الحقيقة ، ولا بُعْدَ فيه ، لأنه مَخْلُوقٌ وتجوز عليه الحركة ، والهَزَّةُ ، ولا يُعْدَلُ عن ظاهر اللفظ ، ما وُجد إليه سبيل ، وحديثُ اهتزازِ العَرْشِ لموتِ سَعْدٍ صحيحٌ . قال أبو عُمَر : هو ثابت من طُرُقٍ متواترةٍ ، وما رُوى من قول البَرَاء بن عازب فى معناه : أنه سَرِيرُ سَعْدٍ اهتَزَّ لم يلتفت إليه العُلَماءُ[2] ، وقالوا : كانت بين هذين الحَيَّيْنِ من الأنصار ضغائنُ[3] . وفى لفظ

---

(١) كذا أنشده ابن برى فى اللسان . وقال : يلتقطن القرون لينسجن بها .

(٢) قال الحافظ : إلا أن يراد اهتزاز حملة سريره فرحا بقدومه ، فيتجه

ماقيل من الشعر فى أمر الخندق وبنى قريظة

شعر ضرار

وقال ضِرار بن الخطَّاب بن مِرْداس، أخو بنى مُحارب بن فِهر، فى يوم الخندق:

وَمُشْفِقَةٍ تَظُنّ بِنا الظُّنونا ... وقد قُدْنا عَرَنْدَسَةً طَحُونا

كأنّ زُهاءَها أُحُدٌ إذا ما ... بَدَتْ أرْكانُه للنّاظِرِينا

الحديث: اهتز عرش الرحمن، رواه أبو الزُّبَيْر عن جابر يرفعه، ورواه البخارى من طريق الأعْمَشِ عن أبى صالح وأبى سفيان كلاهما عن جابر، ورواه من الصحابة جماعةٌ غيرُ جابر، منهم أبو سعيد الخُدْرِىّ، وأُسَيْد بن حُضَيْر، ورُمَيْثَة بنت عمرو، ذكر ذلك التِّرْمِذِىُّ. والعجبُ لما روى عن مالك رحمه الله من إنكاره للحديث، وكراهيته للتحدُّث به مع صحة نقله، وكثرة الرواة له، ولعل هذه الرواية لم تصح عن مالك والله أعلم[1].

= إنه كان بين هذين الحيين ضغائن. سمعت النبى «ص» يقول اهتز عرش الرحمن لموت سعد. والحيان: الأوس والخزرج، فقال ذلك جابر إظهارا للحق واعترافا بالفضل لأهله فكأنه تعجب من البراء كيف قال ذلك مع أنه أوسى، ثم قال: أنا وإن كنت خزرجيا، وكان بين الحيين ما كان لا أمتنع من قول الحق، وعذر البراء أنه فهم ذلك لا أنه قصد الغض من حكاية سعد وقد ظن جابر أن البراء قصد الغض من سعد فانتصر له. فتح البارى، والمواهب ج ٢ ص ١٤٠.

(١) سبق الكلام عن هذا.

تَرَى الأبدانَ فيها مُسْبغاتٍ ... على الأبطال واليَلَبَ الحصِينا
وجُرْداً كالقِداحِ مُسَوَّماتٍ ... نَؤُمّ بها الغُواةَ الخاطِئينا
كأنهمُ إذا صالُوا وصُلْنا ... بباب الخنــدَقَيْن مُصافحونا
أُناسٌ لا نَرَى فيهم رَشيــداً ... وقد قالوا ألَسْنا راشدينا
فأحْجَرْناهمُ شَهراً كَرِيتاً ... وكنَّا فوقَهم كالقاهــرينا
نُراوحُهم ونَغْدُو كلَّ يوم ... عليهم فى الســلاح مُدَجَّجينا
بأيْدينا صَــوارِمُ مُرْهَفاتٌ ... نَقُدُّ بهــا المَفارقَ والشئونا
كأنَّ وَميضَهنَّ مُعَرَّياتٍ ... إذا لاحت بأيْدِى مصلتينا
وَميضُ عقيقةٍ لمعَتْ بلَيلٍ ... ترى فيها العَقائقَ مستَبينا
فلَوْلا خَنْــدَقٌ كانوا لَدَيه ... لَدَمَّرْنا عليهــم أجْمَعينا
ولــكن حالَ دوَنهمُ وكانُوا ... به من خَوْفنا مُتَعَوِّذينا
فإنْ نرحل فإنَّا قد تركْنا ... لَدَى أبْياتــكم سَعْداً رَهينا
إذا جنَّ الظلام سمعتَ نَوْحَى ... على سَعْدٍ يُرَجِّعْن الحنينا
وسوفَ نَزُورُكم عمَّا قريب ... كما زُرْناكمُ مُتَوازِرينــــا
بجَمْعٍ من كنانة غير عُزْلٍ ... كأُسْدِ الغابِ قد حَمَتِ العَرينا

كعب يرد على ضرار

فأجابه كعب بن مالك، أخو بنى سلمة، فقال:

وسائلةٍ تُسائلُ ما لَقينــــا ... ولو شَهدتْ رَأَتْنا صابرينا

. . . .

صَبَرْنا لا نَرَى لِلَّهِ عَدْلاً ... عَلَى ما نابَنا مُتَوَكِّلِينا
وكان لنا النبيُّ وزيرَ صِدْقٍ ... به نَعْلو البَرِيَّةَ أجمَعِينا
نُقاتل مَعْشراً ظَلَموا وعَقُّوا ... وكانُوا بالعداوة مُرْصِدِينا
نُعاجِلهم إذا نَهَضوا إلينا ... بضَرْبٍ يُعْجِل المُتَسرِّعِينا
تَرانا فى فَضافِضَ سابغاتٍ ... كغُدْران المَلا مُتَسَرْبلينا
وفى أيمانِنا بِيضٌ خِفافٌ ... بِها نَشْفِى مِراح الشَّاغِبِينا
بباب الخَنْدقَين كأنَّ أُسْداً ... شَوابِكُهنَّ يَحْمِينَ العَرِينا
فوارِسنا إذا بَكَرُوا ورَاحُوا ... على الأعْداءِ شُوساً مُعْلَمِينا
لِنَنْصر أحمداً واللهَ حتى ... نَكونَ عِبادَ صِدْقٍ مُخْلِصِينا
ويَعْلم أهلُ مكَّة حين سارُوا ... وأحْزابٌ أتَوْا مُتحزِّبِينا
بأنَّ اللهَ ليسَ لهُ شَريكٌ ... وأنَّ اللهَ مَوْلَى المُؤْمِنِينا
فإمَّا تَقْتُلوا سَعْداً سفاهاً ... فإنَّ اللهَ خَيرُ القادرِينا
سيُدْخِله جِناناً طَيِّباتٍ ... تَكونُ مقامةً للصَّالحِينا
كما قد رَدَّكُمْ فَلاًّ شَرِيداً ... بغَيْظِكُمُ خَزَايا خائِبِينا
خَزَايا لَمْ تَنالُوا ثَمَّ خَيْراً ... وكِدْتُم أن تَكُونوا دامِرِينا
بِرِيحٍ عاصِفٍ هَبَّتْ عليكُمْ ... فكُنْتُمْ تَحْتَها مُتَكَمِّهِينا

شعر ابن الزبعرى

وقال عبد الله بن الزِّبَعْرَى السَّهْمى ، فى يوم الخندق :

حتى الديارَ محا معارفَ رَسْمِها   طُولُ البِلى وتراوحُ الأحقابِ
فكأنما كَتَبَ اليهودُ رُسومَها   إلاَّ الكَنيفَ ومَعْقِدَ الأطنابِ
قَفراً كأنك لم تكُنْ تَلهو بها   في نِعْمَةٍ بأوانسٍ أتْرابِ
فاتْرُكْ تذكُّرَ مامَضى من عيشةٍ   ومَحلَّةٍ خَلَقِ المَقامِ يَبابِ
واذكُرْ بلاءَ معاشرٍ واشكُرْهمُ   ساروا بأجمَعِهم مِنَ الأنصابِ
أنصابِ مكَّةَ عامدِين ليَثْرِبٍ   في ذي غَياطِلَ جَحْفَلٍ جَبْجابِ
يَدَعُ الحُزُونَ مَناهِجاً معلومةً   في كُلِّ نَشْزٍ ظاهرٍ وشِعابِ
فيها الجِيادُ شَوازِبٌ مَجْنوبةٌ   قُبُّ البطونِ لَوَاحِقُ الأقْرابِ
مِن كلِّ سَلْهبةٍ وأجْرَدَ سَلْهَبٍ   كالسِّيدِ بادَرَ غَفْلةَ الرُّقابِ
جَيْشٌ عُيَيْنَةُ قاصدٌ بلوائهِ   فيه وصَخْرٌ قائدُ الأحزابِ
قَرْمانِ كالبَدْرَيْنِ أصبحَ فيهما   غَيْثُ الفقيرِ ومَعْقِلُ الهُرّابِ
حتى إذا وَرَدوا المدينةَ وارتَدَوْا   للموتِ كلَّ مُجرَّبٍ قَضّابِ
شهراً وعشراً قاهرين محمداً   وصِحابُهُ في الحربِ خيرُ صِحابِ
نادَوْا برِحْلَتِهم صَبيحةَ قُلْتُمُ   كِدْنا نكونُ بها مع الخُيّابِ
لولا الخنادقُ غادروا من جَمْعِهم   قَتْلى لطَيْرٍ سُغَّبٍ وذِئابِ

حسان يرد على ابن الزبعرى

فأجابه حسَّان بن ثابت الأنصاري ، فقال :

هل رَسْمُ دارسةِ المَقامِ يَبابِ   مُتَكلِّمٌ لمُحاورٍ بجَوابِ

قَفْر عَفا رَسْمَهُم السَّحاب رُسومه ... وهُبُوبُ كلِّ مُطِلَّةٍ مِرْبابِ

ولقد رأيت بها الحلول يزينُهم ... بيضُ الوُجوه ثواقب الأحساب

فَدع الدِّيار وذِكْرَ كلِّ خَرِيدة ... بَيضاء آنسة الحديث كَعاب

واشكُ الهُمومَ إلى الإله وما ترى ... من معشر ظَلَموا الرَّسول غِضاب

ساروا بأجمعهم إليه وألَّبُوا ... أهلَ القُرَى وَبَوَادِيَ الأعْراب

جَيْش عُيَينة وابنُ حَرْب فيهمُ ... مُتَخَمِّطُون بحلبة الأحزاب

حتى إذا وردُوا المَدينة وارْتَجَوْا ... قَتْلَ الرسول ومَغْنَمَ الأسلاب

وغَدَوْا عَلَيْنا قادرين بأيْدِهم ... رُدُّوا بغَيْظِهِمُ على الأعْقاب

بهُبُوب مُعْصِفةٍ تُفَرِّق جَمْعهم ... وجُنُودِ رَبِّكَ سيِّدِ الأرْباب

فكَفى الإلهُ المُؤْمنينَ قِتالَهُمْ ... وأثابَهُم فى الأجْرِ خيرَ ثَواب

مِن بعد ما قنطوا ففرّق جمعهم ... تَنْزِيلُ نَصْر مليكنا الوهَّاب

وأقرَّ عَيْن محمّدٍ وصِحابه ... وأذلَّ كلَّ مُكَذِّبٍ مُرْتاب

عاتِي الفُؤَادِ مُوَقَّعٍ ذي رِيبةٍ ... فى الكُفْر ليس بطاهرِ الأثواب

عَلِق الشَّقاء بقَلْبه، فَفُؤَادُه ... فى الكُفْر آخرَ هذه الأحقابِ

كعب يرد على ابن الزبعرى

وأجابه كعب بن مالك أيضاً، فقال:

أبقَى لنا حَدَثُ الحُرُوب بقيةً ... من خَيْر نِحْلة رَبِّنا الوَهَّابِ

بَيضَاء مُشْرِفة الذُّرى ومَعاطنا ... حُمَّ الجذوع غزيرَةَ الأحْلاب

كالثوب يُبذَل نجمُها وحفيلُها ... للجارِ وابنِ العمِّ والمُنتاب
ونزائعاً مثل السراح نَمى بها ... عَلَفُ الشعير وجزةُ المِقضاب
عَرِى الشَّوَى منها وأردفَ نحضَها ... جُرْدُ المتون وسائرُ الآراب
قَوداً تَراحُ إلى الصياح إذ غدَت ... فعل الضِّراء تَراحُ للكُلّاب
وتحوط سائمةَ الديار وتارةً ... تُردى العدا وتئوبُ بالأسلاب
حُوشُ الوُحوش مطارةٌ عند الوَغَى ... عُبْس اللقاء مُبينة الإنجاب
عُلِفت على دعةٍ فصارتْ بُدّناً ... دُخْسَ البضيع خفيفةَ الأقصابِ
يغدُونَ بالزَّغفِ المُضاعفِ شَكُّهُ ... وبمُترَصات في الثقافِ صِياب
وصَوارمٍ نزَعَ الصَّياقِلُ غُلبَها ... وبكُلِّ أروعَ ماجدِ الأنساب
يصِل اليمين بمارنٍ مُتقاربٍ ... وُكِلت وقيعتُه إلى خَبّاب
وأغرَّ أزرق فى القناة كأنّه ... فى طُخيةِ الظلماء ضوءُ شهاب
وكتيبةٍ ينفى القِرانَ قتيرُها ... وتَرُدّ حَدَّ قَواحذِ النُّشّاب
جأْوى مُلَملَمة كأنّ رماحها ... فى كلّ مجمَعة ضَريةُ غاب
يأوى إلى ظِلّ اللواء كأنّه ... فى صَعْدةِ الخطىّ فَىْءُ عُقاب
أعيَت أبا كربٍ وأعيتْ تُبَّعاً ... وأبتْ بَسالَتُها على الأعراب
ومواعظٍ مِن ربّنا نُهدَى بها ... بلسانِ أزهرَ طيّبِ الأثواب
عُرِضتْ علينا فاشتهينا ذِكرَها ... من بعد ما عُرِضتْ على الأحزاب
حِكَماً يراها المُجرمون بزَعمهم ... حرجاً ويَفهمها ذوو الألباب

جاءت سَخِينةُ كى تُغالِبَ ربَّها ... فَلَيُغْلَبَنَّ مُغالِبُ الغَلاَّبِ

قال ابن هشام : حدثنى من أثق به ، قال : حدثنى عبد الملك بن يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزّبير ، قال : لما قال كَعْب بن مالك :

جاءت سَخِينة كىْ تُغالِب ربَّها ... فَلَيُغْلَبَنَّ مُغالِبُ الغَلاَّبِ

قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد شكرك الله يا كَعْب على قولك هذا .

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك فى يوم الخندق :

مَن سَرَّهُ ضَرْبٌ يُمَعْمِعُ بعضُه ... بعضاً كمَعْمَعَةِ الأباء المُحْرَقِ
فَلْيأْتِ مَأْسَدَةً تُسَنّ سُيوفها ... بين المَذاد وبين جزْعِ الخَنْدقِ
دَرِبوا بضَرْبِ المُعْلِمين وأسْلَموا ... مُهُجات أنْفُسِهِمْ لِربّ المَشْرِقِ
فى عُصْبَةٍ نَصرَ الإلهُ نَبِيَّه ... بِهِمُ وكانَ بعَبْدِهِ ذا مَرْفَقِ
فى كلّ سابِغَةٍ تَخُطُّ فضولُها ... كالنِّهْى هَبَّتْ ريحُهُ المُتَرَقْرِقِ
بَيْضاء مُحْكَمة كأنّ قَتِيرها ... حَدَق الجَنادِب ذات شَكٍّ مُوثَقِ
جَدْلاء يَحْفِزُها نِجادُ مُهَنَّدٍ ... صافِى الحَديدة صارم ذى رَوْنَقِ
تِلْكم مع التَّقْوى تكون لِباسَنا ... يوم الهِياج وكلَّ ساعةِ مَصْدَقِ
نصِل السُّيوف إذا قَصُرن بخَطْونا ... قُدُماً ونُلحِقها إذا لم تَلْحَقِ
فترى الجماجِم ضاحِياً هاماتُها ... بَلْهَ الأكُفَّ كأنّها لم تُخْلَقِ

نَلْقَى العدوّ بفَخْمَةٍ مَلْمُومَةٍ ... تَنْفِى الجموع كقَصْدِ رأسِ المَشْرِقِ
ونُعِد للأعداء كلَّ مُقَلَّص ... وَرْدٍ ومَحْجولِ القوائمِ أبْلَق
تَرْدِى بفُرْسانٍ كأنَّ كُماتَهم ... عند الهِياج أسودُ طَلٍّ مُلْثِق
صُدُقٍ يُعاطون الكُماةَ حُتوفَهم ... تحت العَمايةِ بالوَشِيج المُزْهِق
أمَرَ الإلهُ بربْطِها لِعَدُوِّه ... فى الحرب إنّ الله خيرُ مُوَفِّق
لتكونَ غيْظًا للعدوّ وحُيَّطًا ... للدارِ إنْ دَلَفَتْ خُيولُ النُّزَّق
ويُعِينُنا اللهُ العزيزُ بقُوَّةٍ ... منه وصِدْق الصَّبْر ساعةَ نَلْتَقِى
ونُطِيعُ أمرَ نبيِّنا ونُجيبه ... وإذا دعا لكريهةٍ لم نُسْبَق
ومتى يُنادِ إلى الشَّدائدِ نأتِها ... ومتى نَرَ الحَوْماتِ فيها نُعْنِق
مَنْ يَتَّبعْ قولَ النبىِّ فإنَّه ... فينا مُطاعُ الأمْرِ حقّ مُصَدَّق
فبذاك يَنْصُرنا ويُظْهر عِزَّنا ... ويُصِيبنا من نَيْل ذاك بِمِرْفَق
إنّ الذين يُكَذِّبون محمدًا ... كَفَروا وضَلُّوا عن سبيل المتَّقِى

قال ابن هشام أنشدنى بيته :

تِلكم مع التَّقْوَى تكون لباسنا

وبيته :

من يتَّبع قول النبىّ

أبو زيد . وأنشدنى :

تَنفِى الجمُوعَ كرأس قُدْسَ المشرق

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك فى يوم الخندق :

لَقَدْ عَلِمَ الأَحْزابُ حِينَ تَألَّبوا ... عَلَيْنا ورَامُوا دِينَنا ما نُوادِعُ
أضامِيمَ من قَيْسِ بنِ عَيْلانَ أصْفَقت ... وخِنْدِف لم يَدْرُوا بما هو وَاقِع
يَذُودونَنا عن دينِنا ونَذُودهم ... عَنِ الكُفْر والرَّحمن راءٍ وسامع
إذا غايَظونا فى مقامٍ أعانَنا ... على غَيْظِهم نَصرٌ من الله واسعُ
وذلك حِفْظ الله فِينا وفَضْله ... عَلَيْنا ومن لم يَحْفَظِ اللهُ ضائع
هَدَانا لدِين الحَقِّ واختاره لَنا ... ولله فوقَ الصَّانِعِين صَنائع

قال ابن هشام : وهذه الأبيات فى قصيدة له :

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك فى يوم الخندق :

ألا أبْلغ قُرَيْشاً أنَّ سَلْعاً ... وما بين العُرَيض إلى الصِّمادِ
نَواضِحُ فى الحُروبِ مُدَرَّباتٌ ... وخُوصٍ ثُقِّبت مِن عَهْدِ عاد
رَوَاكِد يَزْخَرُ المُرَّارِ فيها ... فَلَيْسَتْ بالجِمامِ ولا الثِّماد
كأنَّ الغَابَ والبَرْدِيَّ فيها ... أجَشُّ إذا تَبَقَّع للحَصاد
ولم نَجْعل تِجارَتَنا اشْتِراء الْحَـ ... ـمِير لأرض دَوْسٍ أو مُراد
بلادٌ لم تُثَرّ إلا لكَيْما ... نُجالد إنْ نَشِطتم للجِلاد
أثَرْنا سِكَّة الأنباطِ فيها ... فلم تَر مِثْلَها جَلَهاتِ وَاد
قَصَرْنا كُلَّ ذى حُضْرٍ وطُول ... على الغاياتِ مُقْتَدِرٍ جواد

أجيبُونا إلى ما نجتديكم ... من القولِ المُبَيَّنِ والسَّداد
وإلا فاصبرُوا لجِـلاد يومٍ ... لكم مِنَّا إلى شطرِ الذَّاد
نصبِّحكم بكلِّ أخي حُروب ... وكلِّ مُطَهَّمٍ سَلِس القِياد
وكلِّ طِمِرَّة خَفِقٍ حشاها ... تَدِفُّ دفيفَ صفراء الجراد
وكلِّ مُقَلَّص الآراب نَهْدٍ ... تميمِ الخَلْق من أُخُرٍ وهادي
خُيول لا تُضاعُ إذا أُضِيعتْ ... خيولُ النَّاس في السَّنة الجَماد
يُنازِعْن الأعِنَّـــة مُصْغِيات ... إذا نادَى إلى الفزَع المُنادي
إذا قالَت لنا النُّذُر استعدُّوا ... توكَّلْنا على ربِّ العِباد
وقُلنا لَنْ يُفرِّج ما لَقِينا ... سوى ضَرْب القَوانِس والجِهاد
فلم ترَ عُصبةً فيمن لَقِينا ... مِنَ الأقوامِ مِنْ قارٍ وبادي
أشَــدَّ بسالةً منَّا إذا ما ... أرَدْناه وألْــيَنَ في الوِداد
إذا ما نحْنُ أشْرَجْنا عليها ... جِيادَ الجَدْل في الأُرُبِ الشِّداد
قذَفْنا في السَّوابِـغِ كلَّ صقْرٍ ... كريمٍ غيرِ مُعْتَلِثِ الزِّناد
أشَمَّ كأنه أســدٌ عَبُوس ... غَــداةَ بدا ببطنِ الجزع غادي
يُغشِّي هامةَ البَطل المُذَكَّى ... صَبِيَّ السَّيْف مُسْتَرْخى النِّجاد
لنُظْهِر دينَــك اللَّهمَّ إنَّا ... بكفِّك فاهْــدِنا سُبُل الرَّشاد

قال ابن هشام بيته:

قَصَرْنا كلَّ ذي حُضْرٍ وطَوْل

والبيت الذى يتلوه ، والبيت الثالث منه ، والبيت الرابع منه ، وبيته :

أشَمّ كأنّه أســــد عَبوس

والبيت الذى يتلوه ، عن أبى زيد الأنصارىّ .

مسافع يبكى عمراً فى شعره

قال ابن إسحاق : وقال مُسافع بن عبد مناف بن وَهْب بن حُذافة بن جُمَح يبكى عمرو بن عَبْدوُدّ ، ويذكر قَتْل علىّ بن أبى طالب إياه :

عمرُو بن عَبْـدٍ كان أوّل فارس جزع المَذاد وكان فارسَ يَلْيل

سَمْحُ الخلائق ماجد ذو مِرّةٍ يَبْغى القتال بِشِكّةٍ لم يَنْكُل

ولقد علمتم حين وَلَّوا عنكمُ أنّ ابنَ عبدٍ فيهمُ لم يَعْجَل

حتى تَكَنّفه الكُماةُ وكلّهم يَبْغى مَقاتله وليس بمُؤتلى

ولقد تَكَنّفت الأسنّة فارسا بجنوب سَلْع غيرَ نِكْس أميل

تَسَلُ النِّزالَ علىّ فارس غالبٍ بجنوبِ سَلْع ، لَيْته لم ينزل

فاذهبْ علىّ فما ظَفِرت بمثله فخراً ولا لاقيتَ مثلَ المُعْضِل

نفسى الفداء لفارس من غالبٍ لاقَى حِمام الموْت لم يَتَحَلْحَل

أعنى الذى جَزَع المَذاد بمُهْرِهِ طَلَباً لثأرِ مَعاشرٍ لم يَخْذُل

مسافع يؤنب الفرسان الذين كانوا مع عمرو

وقال مُسافع أيضاً يُؤنِّب فُرسان عَمْرو الذين كانوا معه ، فأجْلَوْا عنه وتركوه :

عمرو بن عَبْـد والجيادُ يقودُها ... خَيْلٌ تُقاد له وخيلٌ تُنْعَل

أجْلَت فوارسُه وغادر رهطُه ... رُكْناً عَظِيماً كان فيها أوَّل

عَجَباً وإن أعْجَبْ فقد أبْصَرته ... مَهْما تسومُ علىّ عَمْراً يَنْزِل

لا تَبْعَدَنَّ فقـد أُصِبْتُ بقتْـله ... ولَقيتُ قبل الموت أمراً يَثْقُل

وهُبيرة المَسْلوب ولّى مُدْبِراً ... عنـد القِتال مَخافَةً أن يُقْتَلوا

وضِرار كأن البأسُ منه مُحْضَراً ... ولّى كما ولّى اللَّئِيمُ الأعْزَل

قال ابن هشام : وبعضُ أهل العلم بالشعر يُنكرها له . وقوله : « عمراً ينزل » عن غير ابن إسحاق .

هبيرة يبكي عمراً ويعتذر من فراره

قال ابن إسحاق : وقال هُبيرة بن أبي وَهْب يعتذر من فراره ، ويبكي عمراً ، ويذكر قتل علىّ إياه :

لَعَمْرِي ما وَلَّيْتُ ظَهْرِي مُحمداً ... وأصحابه جُبْناً ولا خِيفَةَ القتْلِ

ولـكنَّنِي قلَّبت أمْرِي فلم أجد ... لسَيْفِي غَناءً إن ضربتُ ولا نَبْلي

وقفْت فلمَّا لم أجِـدْ لي مقدَّماً ... صَددتُ كضِرغام هِزَبْر أبي شِبْل

تُثْنِي عِطْفَه عن قِرْنه حين لم يَجِد ... مَكَرًّا وقِدْمًا كان ذلك من فِعْلي
فلا تَبْعدن يا عمرو حَيًّا وهالِكًا ... وحُقّ لِحُسْن المَدْح مثلُك من مثلي
ولا تَبْعدَن يا عَمْرو حَيًّا وهالِكًا ... فقد بِنْتَ محمود الثّنا ماجِد الأصْل
فمَنْ لِطِرَاد الخَيْل تُقْدَع بالقَنا ... وللفَخر يومًا عند قَرْقَرة البُزْل
هُنالك لو كان ابنُ عبدٍ لَزارَها ... وفَرَّجها حَقًّا فَتًى غيرُ ما وَغْل
فعَنْك عليّ لا أرى مِثْلَ موقِفٍ ... وَقَفْت على نَجْدِ المُقدَّمِ كالفَحْل
فما ظَفِرَتْ كفَّاك فخرًا بمثْله ... أَمِنْت به ما عِشْت من زَلَّة النَّعْل

هبيرة يبكي عمراً في شعره

قال هُبيرة بن أبي وَهْب يبكي عمرو بن عَبْد وُدّ، ويذكر قَتْلَ عليّ إياه:

لقد عَلِمَتْ عُلْيا لُؤَيّ بن غالب ... لَفارسُها عَمْرو إذا نابَ نائِبُ
لَفارسها عَمْرو إذا ما يَسُومُه ... عليّ وإنّ اللَّيْث لابدّ طالِب
عَشِيَّةَ يَدْعوه عليّ وإنّه ... لَفارسُها إذ خام عنه الكتائِب
فيا لَهْف نفسي إنّ عمرًا تَرَكْتُه ... بِيَثْرِب لا زالت هُناك المصائِب

حسان يفتخر بقتل عمرو

وقال حسان بن ثابت يفتخر بقتل عمرو بن عَبْد وُدّ:

بَقِيَّتكم عَمْرو أَبَحْناه بالقَنا ... بِيَثْرِبَ نَحْمِي والحُماة قليل
ونحن قَتَلْناكم بكلّ مُهَنَّدٍ ... ونحنُ وُلاة الحَرْب حين نَصُول

. . . .

رفع المسيا هم

ونحن قتلناكم ببدرٍ فأصبحت   معاشركم فى الهالكين تجول

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لحسّان .

قال ابن إسحاق : وقال حسّان بن ثابت أيضاً فى شأن عمرو بن عبد وُدّ :

أمسى الفتى عمرو بن عبدٍ يبتغى   بجنوب يثرب ثأره لم يُنظَرِ
فلقد وجدت سيوفنا مشهورةً   ولقد وجدت جيادنا لم تُقصَرِ
ولقد لقيت غداة بدرٍ عُصبةً   ضربوك ضرباً غير ضرب الحُسَّرِ
أصبحت لا تُدعى ليوم عظيمةٍ   يا عمرو أو لجسيم أمرٍ مُنكَرِ

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لحسّان .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضاً :

ألا أبلغ أبا هِدمٍ رسولاً   مُغلغلةً تخبّ بها المطىّ
أكنتُ وليّكم فى كل كُرهٍ   وغيرى فى الرّخاء هو الولىّ
ومنكم شاهدٌ ولقد رآنى   رُفعتُ له كما احتُمل الصّبىّ

قال ابن هشام : وتروى هذه الأبيات لربيعة بن أمية الدّيلى ، ويروى فيها آخرها :

كببت الخزرجىّ على يديه   وكان شفاء نفسى الخزرجىّ

وتروى أيضاً لأبى أسامة الجُشمى .

شعر حسان فى يوم بنى قريظة وبكاء ابن معاذ

قال ابن إسحاق : وقال حسّان بن ثابت فى يوم بنى قُريظة يَبْكى سعد ابن مُعاذ ويذكر حُكمه فيهم :

لقد سَجَمت من دَمعِ عَيْنِى عَبْرةٌ   وحُقّ لعَيْنِى أن تفيض على سَعْد
قتيل ثَوَى فى معركٍ فُجِعتْ بهِ   عُيُونٌ ذوارِى الدّمْع دائمةُ الوَجْد
على مِلّةِ الرّحمن وارثَ جَنّةٍ   مع الشُّهداء وَفدها أكرم الوفد
فإن تك قد ودّعتنا وتركتنا   وأمسَيْت فى غبراء مُظلمة اللّحد
فأنت الذى ياسعد أُبْت بمَشهد   كريم وأثواب المكارم والحَمْد
بحُكمك فى حَيّى قُرَيظة بالّذى   قَضَى الله فيهم ماقضَيْت على عَمْد
فوافق حُكمَ الله حُكمُك فيهمُ   ولم تعفُ إذ ذُكِّرتَ ما كان من عهد
فإن كان رَيْبُ الدهر أمضاك فى الألى   شرَوْا هذه الدنيا بجنّاتها الخُلْد
فنِعْم مَصير الصّادقين إذا دُعوا   إلى الله يوماً للوَجاهة والقَصْد

شعر حسان فى بكاء ابن معاذ وغيره

وقال حسّان بن ثابت أيضاً ، يبكى سعد بن مُعاذ ، ورجالا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشهداء ، ويذكرهم بما كان فيهم من الخير :

ألا يا لقومى هَلْ لِما حُمّ دافِع   وهل ما مَضَى من صالح العيش راجعُ

تذكَّرت عَصراً قد مضى فتهافتتْ بناتُ الحَشَى وانهلّ منى المدامع
صَبابة وَجْدٍ ذَكَّرتْني أحِبَّةً وقتلى مضى فيها طُفَيل ورافع
وسَعْدٌ فأضحوا فى الجِنانِ وأوْحَشَت منازلهم فالأرض منهم بلاقع
وَفَوْا يومَ بَدْرٍ للرَّسُولِ وفوقَهم ظِلالُ المنايا والسُّيوف اللوامع
دَعا فأجابوه بحقٍّ وكلُّهم مُطيع لهُ فى كلِّ أمْرٍ وسامِع
فما نَكلُوا حتى تَوَلَّوْا جماعةً ولا يَقْطَع الآجال إلا المَصارع
لأنهم يرجون منه شفاعةً إذا لم يكُنْ إلا النَّبيُّون شافِع
فذلك ياخَيْرَ العِبادِ بَلاؤُنا إجابتُنا لله والمَوْت ناقِع
لَنا القَدم الأولى إليك وخَلْفُنا لأوَّلنا فى مِلَّةِ اللهِ تابعُ
ونَعْلَم أنَّ المُلْكَ لله وَحْدَه وأنَّ قَضاء الله لابدَّ واقِع

شعر آخر لحسان فى يوم بنى قريظة

وقال حسَّان بن ثابت أيضاً فى يوم بنى قُريظة :

لقدْ لَقِيَتْ قُرَيْظة ماسآها وما وَجدتْ لِذُلٍّ مِنْ نَصِير
أصابَهُم بَلاء كان فيه سِوى ماقد أصاب بنى النَّضير
غَداةَ أتاهُمُ يَهْوِى إليهم رسولُ اللهِ كالقَمَر المُنير
له خَيْلٌ مُجَنَّبة تَعادَى بفُرْسان عَليها كالصُّقُور
تَركْناهم وما ظَفِرُوا بِشَىْءٍ دِماؤُهُمْ عليهِمْ كالغَدير
فهم صَرْعى تحُوم الطيرُ فيهم كذاكَ يُدان ذو العَنَد الفَجور

فأنذِرْ مثلَها نُصْحاً قُرَيْشاً ... مِنَ الرحمن إن قَبِلَت نَذيرى

وقال حسَّان بن ثابت فى بنى قُرَيظة :

لقد لَقِيَتْ قُرَيظةُ ما سآها ... وحَلَّ بحِصْنها ذُلٌّ ذَليلُ

وسَعْد كان أنذَرهم بنُصْح ... بأنَّ إلهكم ربٌّ جَليلُ

فما بَرِحُوا بنَقْضِ العَهْد حتى ... فَلاهم فى بلادهمُ الرَّسولُ

أحاطَ بحِصْنهم مِنَّا صُفُوفٌ ... له من حَرِّ وَقْعتهم صَليلُ

وقال حسَّان بن ثابت أيضاً فى يوم بنى قُرَيظة :

تَفاقدَ مَعْشَرٌ نَصَرُوا قُرَيْشاً ... وليس لهم ببَلْدتهم نَصيرُ

هُمُ أُوتوا الكِتاب فضَيَّعوه ... وهم عُمْىٌ مِن التَّوْراة بُورُ

كَفرتم بالقُرآن وقد أُتيتُم ... بتَصْديق الذى قال النَّذيرُ

فهانَ على سَراة بَنى لُؤَىّ ... حَريقٌ بالبُوَيْرة مُسْتَطيرُ

شعر أبى سفيان فى الرد على حسان

فأجابه أبو سُفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، فقال :

أدام الله ذلك مِنْ صَنيعٍ ... وحَرَّق فى طَرائقها السَّعيرُ

ستَعْلم أيُّنا منها بنُزْهٍ ... وتَعلم أىُّ أرضَيْنا تَضيرُ

فلو كان النَّخيل بها رِكاباً ... لقالوا لا مُقامَ لكم فَسيروا

شعر ابن جوال فى الرد على حسان

وأجابه جَبل بن جوّال الثّعلبى أيضاً ، وبكى النّضير وقُريظة ، فقال :

أَلا يا سَعْدُ سَعْدَ بنى مُعاذ   لما لقِيَتْ قُريظة والنّضيرُ
لَعَمْرِكَ إنّ سَعْد بنى مُعاذ   غَداة تحمَّلوا لهو الصَّبُور
فأما الخزرجىّ أبُو حُباب   فقالَ لقَيْنُقاع لاتَسِيرًا
وبُدّلت المَوالى مِنْ حُضَير   أُسَيْداً والدَّوائرُ قَدْ تدُور
وأقفرتِ البُوَيْرة من سَلام   وسَعْية وابن أخْطب فهى بُور
وقد كانوا ببَلْدتهم ثِقالا   كما ثَقُلت بمَيْطان الصُّخور
فإنْ يَهْلك أبو حَكم سَلام   فلا رَثُّ السِّلاح ولا دَثُور
وكلّ الكاهنَيْن وكان فيهم   مع اللِّين الخضارمة الصُّقُور
وجَدْنا المَجْد قد ثَبتُوا عليه   بمَجْد لا تُغَيِّبه البُدور
أقيموا يا سراةَ الأوْس فيها   كأنّكم من المَخْزاة عُور
تركتم قِدْركم لاشىء فيها   وقدْر القَوْم حامية تَفُور

مقتل سلام بن أبى الحقيق

الخزرج يستأذنون فى قتل ابن أبى الحقيق

قال ابن إسحاق : ولمّا انقضى شأن الخندق ، وأمر بنى قُريظة ، وكان سلاّم بن أبى الحُقيق ، وهو أبو رافع فيمن حزّب الأحزابَ على رسول الله

صلى الله عليه وسلم ، وكانت الأوسُ قبل أُحُد قد قَتلت كعبَ بن الأشرف ، فى عَداوته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتحريضه عليه ، استأذنت الخزرجُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى قَتل سلام بن أبى الحُقَيْق ، وهو بخَيْبَر ، فأذِن لهم .

التنافس بين الأوس والخزرج فى عمل الخير

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن مُسلم بن شهاب الزهرى ، عن عبد ا ابن كَعْب بن مالك ، قال : وكان مما صنع الله به لرسوله صلى الله عليه وسلم أن هذين الحيين من الأنصار والأوس، والخزرج، كانا يتصاوَلان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تصاوُلَ الفحلين ، لاتصنع الأوسُ شيئاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم غناء إلا قالت الخزرج : والله لاتذهبون بهذه فَضْلاً علينا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى الإسلام . قال : فلا ينتهون حتى يوقعوا مثلها ؛ وإذا فعلت الخزرج شيئاً قالت الأوس مثل ذلك .

ولما أصابت الأوسُ كعبَ بن الأشرف فى عداوته لرسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الخزرجُ : والله لاتذهبون بها فَضْلا علينا أبداً ؛ قال : فتذاكروا : مَنْ رجلٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى العَداوة كابن الأشرف؟ فذكروا ابن أبى الحُقيق ، وهو بخيبر ؛ فاستأذنوا رسولَ الله صلى الله عليه وسـ فى قتله ، فأذن لهم .

قصة الذين خرجوا لقتل ابن أبى الحقيق

فخرج إليه من الخزرج من بنى سَلِمة خمسةُ نَفَرٍ : عبد الله بن عَتِيك ، ومسعود بن سِنان ، وعبد الله بن أُنَيْسٍ ، وأبو قَتادَة الحارث بن رِبْعِيّ ، وخُزَاعِى بن أسود ، حليف لهم من أسلم . فخرجوا وأمَّر عليهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عبدَ الله بن عَتِيك ، ونهاهم عن أن يَقْتُلوا وليداً أو امْرأَةً ، فخرجوا حتى إذا قَدِموا خَيْبر ، أتَوْا دارَ ابن أبى الحُقَيْقِ ليْلا ، فلم يَدَعوا بيتاً فى الدار إلا أغلقوه على أهْله . قال : وكان فى عِلِّيَّةٍ له إليها عَجَلَة قال : فأسْنَدُوا فيها حتى قاموا على بابه ، فاستأذنوا عليه ، فخرجتْ إليهم امرأتُه ، فقالت : من أنتم ؟ قالوا : ناسٌ من العرب نلتمس المِيرَة . قالت : ذاكم صاحبُكم، فادْخلوا عليه ، قال : فلما دَخَلْنا عليه ، أغلقنا علينا وعليها الحجرةَ ، تخوّفاً أن تكون دونه مُجاوَلَةٌ تحول بيننا وبينه ، قالت : فصاحت امرأته ، فنوّهت بنا وابتَدَرْناه ، وهو على فراشه بأسيافنا ، فوالله ما يدلنا عليه فى سَواد الليل إلا بياضُه كأنه قُبْطِيّة مُلْقاةٌ . قال : ولما صاحت بنا امرأتُه ، جعل الرجل منا يرفع عليها سَيْفَه ، ثم يذكر نَهْىَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكفّ يدَه ، ولولا ذلك لفرغنا منها بليْل . قال : فلما ضربناه بأسيافنا تحامَل عليه عبدُ الله ابن أُنَيْسٍ بسَيْفه فى بَطْنه حتى أنفَذَه ، وهو يقول : قَطْنِى قَطْنِى : أى حَسْبى حَسْبى . قال : وخرجنا ، وكان عبد الله بن عَتِيك رجلا سيىء البصر ، قال : فوقع من الدَّرجة فوثِئتْ يده وَثْئاً شديداً — ويقال : رِجله ، فيما قال ابن هشام — وحملناه حتى نأتى به مَنْهَراً من عيونهم ، فندخل فيه . قال :

فأوقدوا النيران ، واشتدّوا فى كلّ وجه يَطْلبوننا ، قال : حتى إذا يئسوا رَجعو إلى صاحبهم ، فاكتنفوه وهو يَقْضى بينهم . قال : فقلنا : كيف لنا بأن نعلم بأنّ عدوّ الله قد مات ؟ قال : فقال رجل منا : أنا أذهب فأنظر لكم ، فانطلَق حتى دَخل فى الناس . قال : فوجدتُ امرأته ورجال يهود حوله وفى يدها المِصْباح تنظر فى وجهه ، وتحدثهم وتقول : أما والله لقد سمعتُ صوتَ ابن عَتيك ، ثم أكذبتُ نفسى وقلت : أنّى ابن عَتيك بهذه البلاد ؟ ثم أقبلت عليه تنظر فى وجهه ثم قالت : فاظ وإلهِ يهود ، فما سمعتُ من كلمة كانت ألذّ إلى نفسى منها . قال : ثم جاءنا الخبر فاحتملنا صاحبنا فقدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرناه بقتل عدوّ الله ، واختلفنا عنده فى قتله ، كلّنا يدّعيه . قال : فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : هاتُوا أسيافكم ، قال : فجئناه بها ، فنظر إليها ، فقال لسيف عبد الله بن أنيس : هذا قَتله ، أرى فيه أثر الطعام .

شعر حسان فى قتل ابن الأشرف وابن أبى الحقيق

قال ابن إسحاق : فقال حسان بن ثابت وهو يذكر قَتْل كَعْب بن الأشرف ، وقتل سلاّم بن أبى الحُقَيق :

لِلهِ دَرُّ عِصابةٍ لاقيتَهم ... يابنَ الحُقَيق وأنت يابن الأشرف
يَسْرون بالبيض الخفاف إليكمُ ... مَرَحًا كأُسْدٍ فى عَرينٍ مُغْرِفِ
حتى أتَوْكم فى محلّ بلادِكم ... فَسَقَوْكُمُ حَتْفًا ببِيض ذُفَّف
مُسْتَبْصرين لنَصْر دينِ نَبيِّهم ... مُسْتَصغرين لكُلّ أمرٍ مُجْحِف

قال ابن هشام : قوله : « ذُفَّف » ، عن غير ابن إسحاق .

المسيرهما

إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد

عمرو وصحبه عند النجاشي

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيدُ بن أبي حَبيب ، عن راشد مَوْلى حبيب بن أبي أوْس الثقفي ، عن حَبيب بن أبي أوْس الثَّقفي ، قال : حدثني عمرو بن العاص مِنْ فِيه ، قال : لما انصرفنا مع الأحزاب عن الخَنْدق جمعتُ رجالا من قُريش ، كانوا يَرون رأيي ، ويَسْمعون مِني ، فقلت لهم : تعلمون والله أني أرى أمرَ محمد يعلو الأمور عُلُوًّا مُنْكَراً ، وإني قد رأيت أمراً ، فما تَرَوْن فيه ؟ قالوا : وماذا رأيت ؟ قال : رأيت أن نَلْحق بالنَّجاشي فنكون عنده ، فإن ظهر محمدٌ على قومنا كنا عند النجاشي ، فإنا أنْ نكون تحت يديه أحبُّ إلينا من أن نكون تحت يدَيْ محمد ؛ وإن ظهر قومُنا فنحن مَن قد عَرَفوا ، فلن يَأتينا منهم إلا خير ، قالوا : إن هذا الرأيُ . قلت : فاجمعوا لنا مانُهْديه له ، وكان أحبَّ ما يُهدى إليه من أرضنا الأدَمُ . فجمعنا له أدَماً كثيراً ، ثم خرجنا حتى قَدِمْنا عليه .

فوالله إنا لعنده إذ جاءه عَمْرو بن أُميَّة الضَّمْري ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعثه إليه في شأن جَعْفَر وأصحابه . قال : فدخل عليه ثم خرج من عنده . قال : فقلت لأصحابي : هذا عمرو بن أُميَّة الضَّمْري ، لو قد دخلتُ على النجاشي وسألته إياه فأعطانيه ، فضربت عنقه ، فإذا فعلت

ذلك رأت قريش أنى قد أجزأت عنها حين قتلت رسولَ محمد . قال : فدخلت عليه فسجدت له كما كنت أصنع ، فقال : مرحباً بصديقى ، أهديتَ إلىَّ من بلادك شيئاً ؟ قال : قلت : نعم ، أيها الملك ، قد أهديت إليك أدماً كثيراً ؛ قال : ثم قرّبته إليه ، فأعجبه واشتهاه ، ثم قلت له : أيها الملك ، إنى قد رأيتُ رجلا خرج من عندك ، وهو رسول رجل عدوّ لنا ، فأعطنيه لأقتله ، فإنه قد أصابَ من أشرافنا وخيارنا ؛ قال : فغضب ، ثم مدّ يده فضرب بها أنفه ضربةً ظننتُ أنه قد كسره ، فلو انشقّت لى الأرضُ لدخلت فيها فَرَقاً منه ؛ ثم قلت له : أيها الملك ، والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتكه ؛ قال : أتسألنى أن أعطيك رسولَ رجلٍ يأتيه النّاموسُ الأكبر الذى كان يأتى موسى لتقتله ! قال : قلت : أيها الملك ، أكذاك هو ؟ قال : ويحك يا عمرو أطِعنى واتّبعه ، فإنه والله لعَلىَ الحقّ ، وليَظهرنَّ على مَنْ خالَفَهُ ، كما ظهر موسى على فرعون وجُنوده ؛ قال : قلت : أفتبايعنى له على الإسلام ؟ قال : نعم ، فبسط يده ، فبايعتُه : على الإسلام ، ثم خرجت إلى أصحابى وقد حال رأيى عما كان عليه ، وكتمتُ أصحابى إسلامى .

اجتماع عمرو مع خالد فى الطريق

ثم خرجت عامداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأُسلم ، فلقيتُ خالدَ ابن الوليد ، وذلك قُبيل الفَتح ، وهو مُقبل من مكة ، فقلت : أين يا أبا سُليمان ؟ قال : والله لقد استقام المِيسَمُ ، وإن الرجل لنبىّ ، أذهبُ والله فأُسلم ، فحتى

متى ؛ قال : قلت : والله ماجئتُ إلا لأسلم . قال : فقدمنا المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتقدّم خالد بن الوليد فأسلم وبايع ، ثم دنوتُ، فقلت : يارسول الله ، إني أبايعك على أن يُغفَر لي ما تقدّم من ذنبي ، ولا أذكر ما تأخر ؛ قال : فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : ياعمرو ، بايعْ ، فإن الإسلام يَجُبُّ ما كان قبله ، وإن الهجرة تَجبُّ ما كان قبلها ؛ قال : فبايعته ، ثم انصرفت .

قال ابن هشام : ويقال : فإن الإسلام يَحُتُّ ما كان قبله ، وإن الهجرة تَحُتُّ ما كان قبلها .

إسلام ابن طلحة

قال ابن إسحاق ، وحدثني من لا أتهم : أن عثمان بن طلحة بن أبي طَلْحة ، كان معهما ، حين أسلما .

شعر ابن الزبعرى في إسلام ابن طلحة وخالد

قال ابن إسحاق : فقال ابن الزِّبَعْرَى السَّهمي :

أنْشُدُ عثمان بن طَلْحَة حِلْفَنا ... ومُلْقَى نِعال القَوْم عند المُقبَّل

وما عَقَد الآباء مِنْ كُلّ حِلْفِه ... وما خالدٌ مِنْ مِثْلها بمُحَلَّل

أمفتاحَ بيتٍ غير بيتِك تَبْتَغِي ... وما يُبْتَغَى من مَجْدِ بيتٍ مُؤثَّل

فلا تأمَنَنَّ خالداً بعْد هـذه ... وعثمانُ جاء بالدُّهَيم المُعَضَّل

وكان فتح بني قُرَيظة في ذي القَعدة وصَدْر ذي الحجَّة ، وولي تلك الحجَّة المُشركون .

غزوة بنى لحيان

« بسم الله الرحمن الرحيم » قال: حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام قال حدثنا زياد بن عبد الله البكائى عن محمد بن إسحاق المطلبى قال: ثم أقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ذا الحجَّة والمحرّم وصفراً وشهرَىْ ربيع، وخرج فى جُمادى الأولى على رأس ستّة أشهر من فتح قُريظة. إلى بنى لِحْيانَ يَطلب بأصحاب الرَّجيع: خُبيب بن عدىّ وأصحابه، وأظهر أنه يريد الشامَ، ليُصيب من القوم غِرّة.

فخرج من المدينة صلى الله عليه وسلم، واستعمل على المدينة ابنَ أمّ مكتوم، فيما قال ابنُ هشام.

قال ابن إسحاق: فسلك على غُراب، جبل بناحية المدينة على طريقه إلى الشام، ثم على مَحيص، ثم على البَتْراء، ثم صَفَّق ذاتَ اليَسار، فخرج على بِيْن، ثم على صُخَيْرات اليَمام، ثم استقام به الطريقُ على المحجَّة من طريق مكة، فأغذ السير سريعاً، حتى نزل على غُرّان، وهى منازل بنى لِحْيانِ، وغُرّان وادٍ بين أمَج وعُسْفان، إلى بلد يقال له: سايَة، فوجدهم قد حَذِروا وتمنّعوا فى رءوس الجبال. فلما نَزلها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأخطأه من غِرّتهم ما أراد، قال: لو أنا هَبَطنا عُسفان لرأى أهلُ مكّة أنّا قد جئنا مكة، فخرج فى مئتى راكب من أصحابه حتى نزل عُسْفان، ثم بعث فارسَيْن من أصحابه حتى بلغا كُراع الغَميم، ثم كرّ وراح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قافلا.

رفع المسهم

فكان جابر بن عبد الله يقول : سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول حين وجه راجعاً : آيبون تائبون إن شاء الله لربِّنا حامدون ، أعوذ بالله من وَعثاء السَّفر ، وكآبة المُنْقَلب ، وسوء المَنْظر في الأهل والمال .

والحديث في غَزْوة بنى لِحْيان ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، وعبد الله بن أبى بكر ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ؛ فقال كعب بن مالك في غَزْوة بنى لِحْيان .

لو أنَّ بنى لِحْيانَ كانُوا تَناظَرُوا لَقُوا عُصَباً في دارِهم ذاتَ مَصْدَقِ
لَقُوا سَرَعاناً يَمْلأُ السِّرْبَ رَوْعُه أمامَ طَحُونٍ كالمجَرَّةِ فَيْلَقِ
ولكنَّهم كانُوا وِباراً تَتَبَّعَتْ شِعابَ حِجازٍ غيرِ ذى مُتَنَفَّقِ

فصل في أشعار يوم الخندق

شعر ضرار

ذكر فيها شِعْرَ ضِرَارِ بن الخطَّابِ :

على الأبطال واليَلَبِ الحَصِينا

اليَلَبُ : التِّرَسَةُ ، وقيل : الدَّرَقُ ، وقيل : بَيْضاتٌ ودُرُوعٌ[1] كانت تُتَّخَذُ من جُلود الإبلِ ، ويشهد لهذا قولُ حَبيب :

(١) ترسة جمع ترس وكل ماسبق من أدوات الحرب من أول الترسة .

. . . .

هذه الأَسِنَّةُ والماذِيُّ[1] قد كَثُرَا فلا الصَّيَاصِي لها قَدْرٌ ولا الْيَلَبُ

أى لا حاجَة بعد وُجُود الدُّرُوع الماذِيَّة إلى الْيَلَبِ ، وبعد الأَسِنَّة إلى الصياصى ، وهى القُرُونُ ، وكانت أَسِنَّتُهم منها فى الجاهلية[2] . قال الشاعر :

يُهَزْهِزُ صَعْدَةً جَرْدَاء فيها نَقِيعُ السُّمِّ أو قَرْنٌ مَحِيقُ

شعر كعب :

وذكر فى شعر كعب :

فَكُنْتُمْ تحتها مُتَكَمِّهِينا

متفعلين من الكَمَهِ وهو العَمَى ، والأظهر فى الأَكْمَهِ أنه الذى يولد أعمى ، وقد قيل فيه : إنه الذى لا يُبْصِر باللَّيل شيئاً ، ذكر هذا القول البخارى فى التفسير .

من شعر حسان حول أسماء الله :

وفيه قوله :

وَجُنُودِ رَبِّكَ سَيِّدِ الأَرْبَابِ

فيه شاهد لمن زعم أن السَّيِّدَ من أسماء الله ، وقد كره أكثر

---

(١) السلاح كله من الحديد .

(٢) فى اللسان : وربما كانت تركب فى الرماح مكان الأسنة .

. . . .

العلماء أن يقال فى الدعاء : ياسيدى ، وأجازه بعضهم ، واحتج بحديث ليس إسنادُه بالقوىّ أن النبىّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال له رجل : ياسيد ، فقال : السيّد الله .

وأما مذهبُ القاضى فى مثل هذا من الأسماء التى يُراد بها المدحُ والتعظيمُ فذِكرُ الله به جائزٌ مالم يَرِدْ نَهْىٌ عنه ، أو تُجمِعُ الأمّةُ على تَرْك الدعاء به ، كما أجمعوا ألَّا يُسمَّى بفقيهٍ ، ولا عاقل ولا سَخِىٍّ ، وإن كان فى ذلك مدح .

قال المؤلف : والذى أقول فى السيد : إنه اسمٌ يُعتَبَر بالإضافة ، لأنه فى أصل الوضع بعضُ ما أضيف إليه . تقول : فلان سَيِّدُ قيسٍ ، إذا كان واحداً منهم ، ولا يقال : فى قيسٍ هو سَيِّدُ تميم ، لأنه ليس واحداً منهم ، فكذلك لا يقال فى الله تعالى هو سَيِّد الناس ، ولا سَيِّد الملائكة ، وإنما يقال : رَبُّهم فإذا قلت : سَيِّد الأرباب ، وسَيِّد الكُرَماء ، جاز ، لأن معناه أكرمُ الكرماء ، وأعظم الأرباب ، ثم يُشْتَقُّ له من اسم الرّبِّ فيوصفُ بالرُّبُوبيَّة ولا يُوصَف بالسُّودَدِ ، لأنه ليس باسم له على الإطلاق ، وقد جاء فى شِعْرِ حسَّانَ الذى يَرْثِى به رسولَ الله صلى الله عليه وسلم :

ياذا الجلالِ وذَا العلا والسُّودَدِ

يصف الربَّ ، ولكن لاتقوم الحجةُ فى إطلاق هذه الأسماء إلا أنْ يَسْمَعها الرسولُ عليه السلام فلا يُنكِرها ، كما سَمِع شِعْرَ كعب ، فلم يُنكِره ، وإنما

رفع المستهم

. . . .

يوصف على الوجه الذى قدمناه ، وعلى المعنى الذى بيناه (١) .

من شعر كعب :

وقول كعب :

بَيْضَاءُ مُشْرِفَةُ الذُّرَى ومَعَاطِنِا

(١) هذا كلام له وزنه العظيم. ومن أبدع وأجاد فى هذا الإمام ابن القيم فى بدائع الفوائد فاقرأ ما كتبه فى ص ١٦٤ جـ ١ بدائع الفوائد. ومما قاله : اختلاف النظار فى الأسماء التى تطلق على الله وعلى العباد. كالحى والسميع والبصير والعليم والقدير والملك ونحوها، فقالت طائفة من المتكلمين : هى حقيقة فى العبد مجاز فى الرب ، وهذا قول غلاة الجهمية وهو أخبث الأقوال ، وأشدها فسادا.

والثانى مقابله : وهو أنها حقيقة فى الرب مجاز فى العبد ، وهو قول أبى العباس الناشىء .

والثالث : أنها حقيقة فيهما ، وهذا قول أهل السنة وهو الصواب ، واختلاف الحقيقتين فيهما لا يخرجها عن كونها حقيقة فيهما، وللرب تعالى منها ما يليق بجلاله، وللعبد منها ما يليق به » ص ١٦٤ . ثم يقول : « له من كل صفة كمال أحسن اسم وأكمله وأتمه معنى وأبعده وأنزهه عن شائبة عيب أو نقص ، فله من صفة الإدراكات : العليم الخبير دون العاقل الفقيه ، والسميع والبصير دون السامع والباصر والناظر ، ومن صفات الإحسان : البر الرحيم الودود دون الرفيق والشفوق ونحوهما ، وكذلك العلى العظيم دون الرفيع الشريف ، وكذلك الكريم دون السخى . والخالق البارىء المصور دون الفاعل الصانع المشكل . والغفور العفو دون الصفوح الساتر . وكذلك سائر أسمائه تعالى يجرى على نفسه منها أكملها وأحسنها ، وما لا يقوم غيره مقامه . فتأمل ذلك ، فأسماؤه أحسن الأسماء . كما أن صفاته أكمل الصفات . فلا تعدل عما سمى به نفسه إلى غيره . كما لا تتجاوز ما وصف به نفسه . ووصفه به رسوله إلى ما وصفه به المبطلون والمعطلون » أنظر صفحتى ١٦٤ ، ١٦٨ من المصدر المذكور .

. . . .

يعني : الآطامَ ، وقوله : مَعَاطِنِا يعني : منابِتَ النَّخْلِ عند الماء شَبَّهها بمعاطن الإبل، وهي مَبارِكُها عند الماء .

وقوله: حُمٌّ الجُذُوع ، وصَفَها بالحُمّةِ ، وهي السَّواد ، لأنها تضرب إلى السَّوادِ ، من الخُضرة والنَّعْمــــة ، وشَبَّه مايُجْتَنَى منها بالحَلَبِ : فقال : غَزِيرَةُ الأحْلَاب .

وقوله : كاللُّوبِ، اللُّوبُ: جَمْع لُوبةٍ، واللّابُ جَمْع لَابَةٍ وهي الحَرَّة ، يقال مابين لابَتَيْها مثل فلان ، ولا يقال ذلك في كُلِّ بلد ، فقد قال شَبِيبُ بن شَبِيبَة لرجل نسبه إلى التصحيف في حديث التَّمَطِّي . إنه يَظَلُّ مُحْبَنْطِئاً على باب الجنة ، فقال له : شَبيب : بالظَّاء منقوطة ، فقال الرجل : أخطأت ، إنما هو بالطاء. قال الراجز:

إني إذا[1] اسْتنشدت لا أحْبَنْطِي ولا أُحِبُّ كَثْرَةَ التَّمَطِّي

فقال له شبيب : أَتُلَحِّنني وما بين لابَتَيْها أفصحُ مني ، فقال له الرجل : وهذه لَحنة أُخرى، أوَ للبَصْرَةِ لابَتان ؟ ! إنما اللابَتَان للمدينة والكُوفة .

---

(١) في اللسان غير منسوب : أنشدت ومحبنطيء بالهمز وتركه : المتغضب المستبطيء الشيء. وقيل: هو الممتنع امتناع طلبة لا امتناع إباء « النهاية لابن الأثير » . وفي اللسان أن الحرة أعظم من اللوبة . ويرى سيبويه أن اللوب جمع لابة مثل قارة وقور . ومثلها ساحة وسوح .

وقوله : يُبْذَنُ جَمُّها وحَفِيلُها، أى : الكثيرمنها ، والمُنْتاب: الزائر مُفْتَعِل من نَابَ يَنُوبُ إذا أَلَمّ .

وقوله : ونَزَائِعاً مثل السَّرَاج ، يعنى : الخيل العربية ، التى نُزِعَتْ من الأعداء .

وقوله : مثل السَّراج بالجيم ، كذا وقع فى الأصل ، أى كل واحد منها كالسَّراج ، ووقع فى الحاشية بالحاء ، وفسره فقال : جمع سِرْحَان ، وهو الذِّئبُ ، وهذا الجمع إنما جاز على تقدير حذف الزائدتين من الاسم وهى الألِفُ والنون ، ولو جمعه على لفظه ، لقال : سَرَاحين .

وقوله : وَجِزَّةَ المِقْضَابِ المِقْضاب: مَزْرَعَةٌ ،وجِزَّتُها ما يُجَزُّ منها للخَيْل .

وقوله عرى الشَّوَى منها، يعنى القوائم. والنَّحْضُ: اللحم. والآراب : المفاصِلُ ، واحدها إِرْبٌ ، وفى الحديث أُمِرْت أن أَسْجُدعلى سَبْعَةِ آراب .

وقوله : قوداً ، أى طوالَ الأعناقِ ، والضِّراء : الكلاب الضَّارِية ، وفى الحديث : إن قَيْساً ضِرَاء الله فى الأرض ، أى أُسْدُه الضَّارِيَةُ . والكُلّاب : جمع كالب ، وهو صاحب الكلاب ، الذى يصيد بها .

وقوله : عُبْسُ اللقاء: جمع عَبُوس .

وقوله : دُخُسَ البَضِيع . البَضِيعُ: اللَّحْمُ المستطيل ، والدَّخِيسُ من اللحم : الكثير .

وقوله : خفيفة الأقصاب ، يعنى : جمع قُصْبٍ وهو المِعَى .

. . . .

الجزّار قصّاباً ، وقوله يَعْدُونَ بالزّغْفِ ، أى : بالدروع .

وقوله : شَكُّه : حِلَقُه ونَسْجُه ، وقوله :

وبِمُتْرَصَاتٍ فِي الثِّقَافِ صِيَابِ

المُتْرَصَاتُ : المُحْكَمةُ ، يعنى الرماحَ المُثَقَّفَةَ .

وقوله : نَزَعَ الصَّيَاقِلُ عَلْبها ، أى : جُسْأَتَها وخُشُونَةَ دَرْنِها ، يقال عَلِبَ اللحمُ إذا لم يكن رَخْصاً ، وعَلِبَ(١) النّبَاتُ إذا جَسَأَ .

وقوله : بمارِنٍ مُتَقَارِبٍ . المارِنُ : اللّيِّنُ ، ووقيعَتُه : صَقْلُه ، وخَبَّابُ : اسم صَيْقَلٍ .

وقوله : وأغرَّ أزرقَ ، يعنى الرمحَ ، وطُخْية الظلماء ، أى : شدّتها ، وطَخَاءُ القَلْب : ظُلْمَتُه ، ومنه قوله عليه السلام فى السَّفَرْجَلِ : إنه يذهب بطخاء القَلْب .

وقول كعب :

جاءت سَخِينَةُ كى تُغَالِبَ ربَّها

كان هذا الاسمُ مما سُمّيَتْ به قُرَيْشٌ قديماً ، ذكروا أن قُصَيّاً كان إذا

---

(١) هى فى نسخ أخرى بالغين وقد فسرها أبو ذر بقوله : علبها : خشونتها وما علا عليها من الصدأ . وليس فى اللسان ما قال . وإنما فيه مادة علب ومعناها كما قال السهيلى .

رفع المسامهم

. . . .

ذُبحت ذبيحةٌ أو نُحِرَتْ نَحِيرةٌ بمكة أتى بمَجْزِها ، فصنع منه خَزِيرَةً ، وهو لحم يُطْبَخُ بِبُرّ فيُطعِمه الناسَ، فسميت قُرَيْشٌ بها سَخِينَة . وقيل : إن العربَ كانوا إذا أسنتوا أكلوا العِلْهِزَ ، وهو الوبر والدم ، وتأكل قريشٌ الخزيرة والفَتَّةَ(١) فنفست عليهم ذلك فلقَّبُوهم : سَخِينَة ، ولم تكن قريش تكره هذا اللقبَ ، ولو كرهته ما استجاز كعبٌ أن يذكره ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم منهم ، ولتركه أدباً مع النبي عليه السلامُ ، إذ كان قُرَشِيّاً ، ولقد استنشد عبدُ الملك بن مَرْوَان ما قاله الهوازِنيُّ في قريش :

يا شَدَّةً ما شَدَدْنا غَيرَ كاذِبةٍ ... على سَخِينةَ لولا الليلُ والحَرَمُ(٢)

فقال : مازاد هذا على أن استثنى ، ولم يكره سماعَ التلقيب بسَخِينة ، فدل هذا على أن هذا اللقبَ لم يكن مكروهاً عندهم ، ولا كان فيه تعييرٌ لهم بشيء يكرهُ .

شعر آخر لكعب :

وفي شعر كعب أيضاً : مَن سرَّه ضربٌ يُمَعْمِعُ بعضُه . المَعْمَعَةُ : صوتُ النار فيما عَظُم وكَثُفَ من الشَّعْرَاء والقَصْبَاء ونحوها ، والمكاحَّة صوتها

---

(١) الفتة . الكتلة من التمر .

(٢) قاله خداش بن زهير العامري بن ربيعة بن عمرو بن عامر بن ربيعة ابن عامر بن صعصعة العامري ، شهد حنيناً مع المشركين ، وله في ذلك شعر منه هذا البيت . الإصابة رقم ٢٣٢٣ ، وقيل : قالها في حرب الفجار كما في الأغاني أنظر ص ١٨ و ١٩ ح ٣ البيان والتبيين للجاحظ .

. . . .

فيما دَقَّ كالسِّرَاج ونحوه ، والقَطْمَطَةُ : صوتُ الغليان ، وكذلك الغَرْغَرةُ والجَعْجَعَةُ صوت الرحى ، والدَّرْدَبَةُ صوت الطبل .

وقوله : الأَباء ، هو القَصَب واحدتها أَباءة ، والهمزة الآخرة فيها بدل من ياء ، قاله ابن جنى ، لأنه عنده من الأَبايَة ، كأن القصب يأبى على من أراده بِمَضْغٍ أو نحوه ، ويشهد لما قاله ابنُ جنى قولُ الشاعر [بشر بن أبي خازم] :

يراه الناسُ أَخْضَرَ من بعيد ... وتمنعه المرارةُ والإباء[1]

وقوله : فليأت مَأْسَدَةً ، هى الأرض الكثيرة الأسد ، وكذلك المَسْبَعَة الأرض الكثيرة السِّباع ، ويجوز أن يكون مأسدة جمع أسد كما قالوا مَشْيَخَة ومَفْلَجَة ، حكى سيبويه مَشْيَخة ومَشْيُوخاء ، ومَفْلَجَة ومَفْلُوجاء ، وألفيت أيضاً فى النبات مَسْلُوماء[2] لجماعة السَّلَم ومَشْيُوحاء[3] للشِّيح بالحاء ، المهملة ، الكثير .

---

(١) البيت لبشر بن أبي خازم ، وقد زدت الاسم فى الأصل من اللسان والأمالى وسمط اللآلى . وقبل البيت :

فيا عجباً عجبت لآل لأم ... فليس لهم إذا عقدوا وفاء
سأقذف نحوهم بمشنعات ... لها من بعد هلكهم بقاء
فانكم ومدحكم بجيراً ... أبا لجأ كما امتدح الألاء
يراه الناس أخضر من بعيد ... وتمنعه المرارة والإباء

والألاء شجر حسن المنظر مر المطعم . انظر ص ٣٢ ج ٢ الأمالى ط ٢ ، ص ٦٦٥ سمط اللآلى .

(٢) فى الأصل مسلوتاء . وفى اللسان : أرض مسلوماء كثيرة السلم .

(٣) فى اللسان : المشيوحاء : الأرض التى تنبت الشيح يقصر ويمد ، وقال أبو حنيفة : إذا كثر نباته بمكان قيل : هذه مشيوحاء .

. . . .

وقوله تَسُنُّ سيوفَها ، بنصب الفاء ، وهو الأصح عند القاضى أبى الوليد ، ووقع فى الأصل عند أبى بحر : تُسَنُّ سيوفُها بالرفع ، ومعنى الرواية الأولى : تَسُن أى : تصقل ، ومعنى الرواية الثانية أى : تُسَنُّ للأبطال ، ولمن بعدها من الرجال سنَّةَ الجُرْأةِ والإقدام .

وقوله فى وصف الدِّرْع :

جَدْلَاء يَحْفِزْها نِجادُ مُهَنَّدِ

جَدْلَاء من الجَدْلِ ، وهو قُوَّةُ الفَتْلِ ، ومنه الأجْدَلُ للصَّقْر ، وفى هذا البيت دليلٌ على قوة امتناع الصرف فى أجْدَل ، وأنه من باب أفعلَ الذى مؤنثُه فَعْلَاء ، ومَنْ صَرَفه شَبَّهه بأرْنَب وأفْكَل ، وهو أضعف الوجهين ، وإن كانوا قد قالوا فى جمعه : أجادل مثل أرانب فقد قالوا أيضاً الأجارع والأباطح فى جمع أجْرَع وأبْطَح ، ولكنهم لا يَصْرِفُونهما من حيث قالوا فى المؤنث بَطْحاء وجَرْعاء ، وكذلك القول فى أبْرَق وبَرْقاء .

وقوله : يَحْفِزُها نِجادُ مُهَنَّدِ ، كقول [أبى قيس] ابن الأسْلَتِ فى وصف الدِّرع :

أحْفِزُها عَنِّى بذِى رَوْنَقٍ أبيضَ مثلِ المِلْحِ قَطَّاعِ

وذلك أن الدِّرْعَ إذا طالت فُضُولُها حَفَزُوها ، أى شَمَّرُوها فرَبطُوها بنِجاد السَّيْفِ .

وقوله : تلكم مع التقوى تكون لباسنا

من أجود الكلام : وأملح الالتفاتات ، لأنه قول انتزعه من قول الله

تعالى : ﴿ ولباس التقوى ذلك خير ﴾ الأعراف : ٢٦ . وقال الشاعر :

إنى كأنى أرى مَنْ لا وَفاء له   ولا أمانة وَسْطَ القوم عُرْيَانَا

وموضع الإجادة والإحسان من قول كعب أنه جعل لباسَ الدِّرْعِ تبعَةً للباس التَّقوَى ، لأن حرف مَعَ تعطى فى الكلام أن مابعده هو المتبوع ، وليس بتابع ، وقد احتج الصِّدِّيقُ على الأنصار يوم السَّقِيفة بأن قال لهم أنتم الذين آمنوا ، ونحن الصادقون ، وإنما أمركم الله أن تكونوا معنا فقال : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ، وكونوا مع الصادقين ﴾ التوبة : ١١٩ . والصادقون هم المهاجرون . قال الله تعالى : ﴿ للفُقَراء المُهَاجِرِين ﴾ إلى قوله ﴿ أولئك هُمُ الصَّادِقُون ﴾ الحشر : ٨ .

حكم بله وما بعدها :

وقوله بَلْهَ الأكُفَّ ، بخفض الأكُفّ هو الوجه ، وقد رُوِى بالنصب ، لأنه مفعول ، أى : دع الأكُفَّ ، فهـــذا كما تقول : رُوَيد زَيْدٍ ، ورويد زَيْدَ بلا تنوين مع النصب ، وبَلْه كلمةٌ بمعنى دَعْ ، وهى من المصادر المضافة إلى ما بعدها وهى عندى من لفظ البله والتَّباله ، وهو من الغَفْلة ، لأن من غَفَل عن الشىء تركه ، ولم يسْأل عنه ، وكذلك قوله : بَلْه الأكُفَّ ، أى لا تسْأل عن الأكُفّ إذا كانت الجماجمُ ضاحية مُقَطَّعَةً ، وفى الحديث : يقول الله تعالى : أعددتُ لعبادى الصالحين مالا عين رأت ، ولا أُذُنٌ سمعت ، بَلْه ما أَطْلَعْتُهم عليه .

وقوله : بمَخْمَة مَلْمُومَة ، أى : كَتيبَة مجموعة . وقوله : كَمَضْدِ رأس

المَشرق ، الصحيح فيه : ما رواه ابن هشام عن أبي زيد : كرأسِ قُدْسٍ المُشرِق ، لأن قُدْس جَبَلٌ معروفٌ من ناحية المشرق .

وقوله :

عند الهياج أُسُود طلٌّ مُلْثِق

الطَّلُّ معروف ، والمُلْثِقُ ما يكون عن الطَّلِّ من زَلَقٍ وطِين ، والأُسْدُ أجْوَع ما تكون وأجْرأ في ذلك الحين .

قصيدة كعب العينية :

وقوله في العَيْنِيَّة :

أضاميمُ من قيسِ بن عَيْلان أصفقت

واحد الأضاميم : إضَامَة ، وهو كل شيء مجتمع يقال : إضَامَةٌ من الناس ، وإضَامَةٌ من كُتُبٍ .

قيس عيلان وقيس كبة :

وقوله : من قَيْسِ بن عَيْلان ، هو المشهور عند أهل النسب ، وبعضهم يقول : إن قيساً هو عَيْلانُ لا ابنُه ، قال : وعُرِف قَيْسُ بن عَيْلان بفرَسٍ ، كان له يسمى : عَيْلاناً ، كما عُرِف قَيْسُ كُبَّةَ من بَجِيلَة بفرَسٍ اسمه : كُبَّة ، وكان هو وقيسُ عَيْلانُ مُتَجَاوِرَيْنِ ، فكان إذا ذُكر أحدهما وقيل أى القيسين هو ، قيل قيس عيلان أو قيس كُبّة ، وقيل : إن عَيْلانَ

. . . .

اسمُ كلبٍ ، كان له ، وقيل : عَيْلانِ اسمُ جَبَلٍ وُلِدَ عنده ، وقيل اسمُ غلامٍ لِمُضَر كان حَضَنَه ، وقيل كان جواداً أتْلَفَ مالَه فأدركته عَيْلَةٌ فسُمِّيَ عَيْلَان ، ومما يُحتَجُّ به للقولِ الآخرِ قولُ رُؤْبة :

وقَيْسَ عَيْلَانَ ومن تَقَيَّسا(١)

شعر كعب فى الخروب :

وقوله فى الدالية: وما بَيْنَ العُرَيْضِ إلى الصِّمَادِ. العُرَيْضُ : موضع، والصِّمَادُ: جمع صَمْدٍ ، وهو ماغلظ من الأرض .

وقوله : نَوَاضِحُ فى الخُرُوبِ . يعنى : حدائق نخلٍ تُسْقَى بالنَّضْحِ ، وأراد

---

(١) قال ابن برى : الرجز للعجاج ، وليس لرؤبة ، وصواب إنشاده : وقيس بالنصب ، لأن قبله : وإن دعوت من تميم أرؤسا . وجواب إن فى البيت الثالث : تقاعس العزبنا فاقعنسسا .

أقول : ولم أجد الرجز فى ديوان رؤبة . ولم ينسبه ابن قتيبة إلى أحد فى أدب الكاتب. وقال عن صيغة تفعلت إنها تأتى بمعنى إدخالك نفسك فى أمر حتى تضاف إليه ، أو تصير من أهله مثل تقيست . ومعناه ـ كما يقول الجواليقى فى شرح أدب الكاتب : تقيس : أدخل نفسه فى القيسيين ، وانتسب إليهم . وقد سبق الكلام عن قيس ، واسمه الناس بن مضر ، وكان الناس متلافا ، وكان إذا نفد ما عنده أتى أخاه الياس ، فيناصفه ماله أحيانا ، ويواسيه أحيانا ، فلما طال ذلك عليه ، وأتاه كما كان يأتيه ، قال له الياس : غلبت عليك العيلة ، فأنت عيلان ، فسمى لذلك عيلان . ويقول الجواليقى : وليس فى الأسماء عيلان بعين غير معجمة غيره .

رفع
المسيدهم

. . . .

بالخُوصِ آباراً ، وإنما جعل البئر خَوْصاً لأن العَيْنَ الخَوصاء هى الغائرة ، وجمعها خُوصٌ ، فعيونُ الماء فى الآبارِ كذلك غائرة .

وأنشد أبو عُبَيْـد فى وصف الإبل :

مُخَيَّسةً بُزْلاً كأن عُيونَها عُيونُ الرَّكايا أنْكَزَتْها المَوَاتِحُ[1]

وقوله : يَزْخَر المُرَّارُ فيها . المُرَّارُ : اسم نهر .

وقوله :

كأن القابَ والبَرْدِىَّ فيهـا أجَشُّ إذا تَبَقَّعَ للحَصَادِ

يريد : صوتَ حَفِيفِ الريح ، كصوت الأجَشِّ ، وهو الأبَحُّ ، وقد يوصف النباتُ أيضاً بالغُنَّة من أجل حَفِيفِ الريح فيه ، فيقال : رَوْضَةٌ غَنَّاء ، وقد قيل إنما ذلك من أجل صوت الذُّبَابِ الذى يكون فيه ، قاله أبو حنيفة .

وقوله : تَبَقَّع للحصاد ، أى : صارت فيه بُقَعٌ بِيضٌ من اليَبْسِ ، يقال للزرع إذا صار كذلك : ارْقاطَّ ، واسْحامَّ واسْحارَّ[2] ، وإذا أخذ السُّنْبُلُ الحَبَّ قيل : ألحم وأسْفَى من السَّفَى ، وأشَعَّ من الشَّعاع بفتح الشين وكسرها ، وهو السَّفَى ، ويقال أسْبَل الزَّرعُ من السَّبَل ، كما يقال : بَعيرٌ حَظِلٌ وأحظلَ المكانُ من الحَنْظَل ، وهى لغة أهلِ الحجازِ ، وبنو تميم يقولون : سَبَل ، وأما هَمْدانُ

---

(١) سبق البيت ، وفى الأصل : أنكرتها . والصواب ما أثبته . ولرؤية :
على حميريات كأن عيونها عيون الركايا أنكزتها المواتح
(٢) اسحام واسحار ليستا فى اللسان والقاموس .

. . . .

فيسمون السُّنْبُلَ سُبُولاً ، والواحدة سَبُولَة(١) فقياس لغتهم أن يقال أَسْبَلَ ، وإنما فَخَرَت الأنصارُ فى هذا الشعر والذى قبله بنَخْلِها وآطامِها ، إشارةً إلى عِزِّها ومَنَعَتِها ، وأنها لم تُغْلَب على بِلادها على قديم الدهر ، كما أُجْلِيَتْ أكثرُ الأعاريبِ عن مَحَالِّها ، وأزعجها الخوفُ عن مواطنها ، وهذا المعنى أراد حسان فى قوله :

أَوْلَادُ جَفْنَةَ حول قبر أبيهم قبر ابن ماريةَ الكريم المُفْضِلِ

لأن إقامتهم حول قبور آبائهم وأجدادهم دليلٌ على مَنَعَتِهِمْ ، وألاَّ مُغالِبَ لهم على ما تخيروه من بقاع الأرضِ ، وآثروه عند ارتيادهم .

وقوله :

أَثَرْنَا سِكَّةَ الأنباطِ فيها

السِّكَّة : النخل المصطفُّ ، أى حَرَثْنَاهَا وَغَرَسْنَاهَا ، كما تفعل الأنباطُ فى أمصارها لا تخاف عليها كَيْدَ كائدٍ ، وإياها أراد النبىُّ صلى الله عليه وسلم بقوله : خير المال سِكَّةٌ مَأْبُورَةٌ . والسِّكَّة أيضاً : السِّنَّةُ ، وهى الحديدة التى يَشُقُّ بها الفَدَّانُ(٢) الأرضَ ، ويقال لها أيضاً : الْمَانُ ، وهو تفسير الأصمعىِّ ، وفسره أبو عُبَيْدٍ على المعنى الآخر ، وأنها النَّخْلُ ، ويقال أيضاً أُبِيثَتْ الأرضُ فى معنى أُثيرت ، قاله أبو حنيفة ، ويروى فى الحماسة :

---

(١) أنظر مادة سبل فى اللسان ففيها تفصيل .

(٢) الفدان : الثور أو الثوران يقرن للحرث بينهما ، ولا يقال للواحد فدان ، أو هو الثورين .

. . . .

هَلُمَّ إليها قد أُبِيثَتْ زروعُها

أى أُثيرَتْ وفى الغريب المصنف :

وحَقٌّ بنى شِغَارةَ أنْ يَقُولوا لِصَخْرِ الغَيِّ ماذا تَسْتَبِيثُ(١)

وغَلِطَ أبو عُبَيْد [القاسمُ بن سَلاّم] فجعل تَسْتَبِيثُ من نَبِيثَة(٢) البِئْر ، وهو ترابها ، ولو كان كذلك لقال تَسْتَنْبِيثُ بنون قبل الباء .

وقوله : جَلَهاتِ واد

الجَلَهاتُ من الوادى ما كشفت عنه السُّيولُ الشَّعْراء فأبرزته ، وهو من الجَلَه وهو انحِسارُ الشَّعرِ عن مُقدَّم الرأس .

وقوله : صَفْراء الجَرادِ ، وهى الخَيْفانَةُ منها ، وهى التى ألقَتْ سَرْأَها ، أى بَيْضها ، وهى أخفُّ طَيَراناً ، والكُتفان(٣) من الجراد أكبر من الخَيْفانِ ؛

---

(١) البيت فى اللسان : لحق وشغارة وهو منسوب إلى أبى المثلم الهذلى ، وقد عزاه أبو عبيدة سهواً إلى صخر الغى . وقد علق ابن سيدة فى خطبة كتابه عما قصد به الوضع من أبى عبيد القاسم بن سلام فى استشهاده بقول الهذلى المذكور على النبيثة التى هى كناسة البئر ، فقال : هيهات الأروى من النعام الأربد . وأين سهيل من الفرقد . لأن النبيثة من نبث أما تستبيث فمن بوث أو بيث . انظر مادة بوث وبيث ونبث فى اللسان .

(٢) فى الأصل بالتاء المفتوحة وهو خطأ .

(٣) فى الأصل كتفان وهى كتفان بالتاء لابالثاء وهو الجراد بعد الغوغاء ، وقيل هو كتفان إذا بدا حجم أجنحته ورأيت موضعه شاخصاً وإن مسسته وجدت حجمه ، واحدته : كتفانة ، وقيل واحده : كاتف ، والأنثى كاتفة . =

وأول أمر الجراد دُودٌ ويقال له : النغص(١) يلقيه بحرُ اليمن ، وله علامة قبل خروجه ، وهو برق يلمع من ذلك البحر سَبْعَ عَشْرَةَ مرّةً ، فيعلمون بخروج الجَرَادِ ، قاله أبو حنيفة .

وقوله : غير مُعْتَلِثِ الزِّنادِ

الزناد المُعْتَلِثُ : هو الذى لايدرى من أى عُودٍ هو ، وأصل الاعتلاث الاختلاطُ : يقال عَلَثْتُ الطعامَ إذا خلطت حِنطةً بشعيرٍ ، والعُلاثَةُ : الزَّند الذى لا يُورِى ناراً .

مقتل ابن أبى الحقيق

ذكر فيه النفر الخمسة الذين قتلوه ، وسماهم ، وذكر فيهم ابن عُقْبَةَ أسعد ابن حَرَام ، ولا يُعْرَفُ أحدٌ ذكره غيره .

قطنى وقد ونوره الوقاية :

وذكر فى الحديث : قَطْنِى قَطْنِى ، قال معناه : حَسْبِى حَسْبِى .

= وقال أبو منصور : سماعى من العرب فى الكتفان من الجراد التى ظهرت أجنحتها ولما تطر بعد . والخيفانة : الجرادة إذا صارت فيها خطوط مختلفة بياض وصفرة والجمع : خيفان ، وقال اللحيانى : الخيفان : جراد اختلفت فيه الألوان والجراد حينئذ أطير مايكون ، وقيل الجراد قبل أن تستوى أجنحته .

(١) لم أجده لافى اللسان ولا فى القاموس ، ولا فى معجم ابن فارس . وفى الإفصاح — وهو مختصر المخصص لابن سيدة — السروة : الجراد أول ما يكون ، والدبا : أكبر من السروة وذلك إذا تحرك قبل أن تنبت أجنحته الواحدة : دباة . السلقة : الجرادة التى ألقت بيضها الخ .

. . . .

قال المؤلف : وهذه الكلمةُ أصلُها من القَطِّ ، وهو القطعُ ، ثم خُفِّفَتْ وأُجْرِيَتْ مَجْرى الحرف ، وكذلك قَدْ بمعنى قطْ هي أيضاً من القَدِّ ، وهو القطع طُولا ، والقَطُّ بالطاء هو القطع عَرْضاً ، يقال : إن عليًّا ـ رحمه الله ـ كان إذا استعلى الفارسَ قَدَّه ، وإذا استعرضه قَطَّه ، ولما كان الشيء الكافي الذي لايحتاج معه إلى غيره يدعو إلى قطع الطَّلَبِ ، وتَرْكِ المزيد جعلوا قَدْ وقطْ تُشْعِر بهذا المعنى ، فإذا ذكرت نفسك قلت : قَدِي وقَطِي ، كما تقول : حَسْبِي ، وإن شئت ألحقتَ نونًا ، فقلت : قَدْنِي ، وذلك من أجل سكون آخرها فكَرِهُوا تحريكَه من أجل الياء ، كما كرهوا تحريك آخر الفعل ، فقالوا ضَرَبَني ، وكذلك كرهوا تحريك آخر ليت فقالوا لَيْتَنِي ، وقد يقولون : لَيْتِي وهو قليل ، وقالوا لَعَلَّنِي ولَعَلِّي ، وقالوا من : لَدُنِّي فأدخلوها على الياء المخفوضة بالظرف كما أدخلوها على الياء المخفوضة بِمِنْ وعَنْ ، فعلوا هذا وِقَايَةً لأواخر هذه الكَلِم من الخفض وخَصُّوا النون بهذا ؛ لأنها إذا كانت تنوينًا في آخر الاسم ، آذنت بامتناع الإضافَةِ ، وكذلك في هذه المواطن التي تَمَيَّزَتْ تُشْعِر بامتناعها من الخفضِ ، وتُشْعِر في الفعل والحروف بامتناعها من الإضافة أيضاً ، لأنّ الحرفَ لايُضافُ ، وكذلك الفعلُ معأنَّ النونَ من علاماتِ الإضمارِ في فعلنا ، وفعلنا في ضميرِ المفعولِ ، فأما قَدْ وقَطْ فاسمان ، وكذلك لَدُنْ ، ولكن كرهوا تحريك أواخرها لشبهها بالحروف . فإن قيل : فما مَوْضعُ نِي من قوله قَطْنِي ؟ قلنا : موضعُها خفضٌ بالإضافة ، كما هي في لَدُنِّي . فإن قال : كيف تكون ضمير المفعول والمنصوبِ في ضَرَبَني ولَيْتَنِي ، ثم تقول إنها في موضع خفض ؟ قلنا : الضميرُ في الحقيقة هي الياء وحدها في الخفض والنصب .

. . . .

كما أن الـكاف والهاء كذلك ، وقد قالوا : منِّى وعنِّى ، وهو ضمير خفضٍ ، وفيه النونُ ، وقالوا ليتى ولعلِّى ، وهو ضميرُ نَصْبٍ وليس فيه نونٌ فإن قيل : فما موضع الاسم من الإعراب إذا قلت : قَطِى وقَدِى ؟ قلنا : إعرابهما كإعراب حَسْبِى مُبْتَدأ وخبرُه محذوفٌ ، وإنما لزم حذفُ خبره لما دخله من معنى الأمر ، ومن هذا الباب قول جهنّم أعاذنا اللهُ منها : قَطِى وعِزَّتِكَ قَطِى ، وروى : قَطْنِى ، وذلك بعد قولها : هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ، فإذا وضعت فيها القدمُ ، وزُوِى بعضُها إلى بعضٍ ، قالت : قَطْنِى[1] . وقد جمع الشاعر بين اللغتين ، فقال :

قَدْنِىَ من نَصرِ الخُبَيْبَين قَدِى[2]

---

(١) فى حديث صحيح : « لا تزال جهنم يلقى فيها . وتقول هل من مزيد ، حتى يضع رب العزة فيها قدمه فينزوى بعضها إلى بعض ، فتقول : قط ، قط بعزتك وكرمك ، ولا يزال فى الجنة فضل حتى ينشىء الله لها خلقا ، فيسكنهم فضل الجنة » متفق عليه بين البخارى ومسلم . وفى حديث آخر متفق عليه بينهما . « فأما النار ، فلا تمتلىء حتى يضع الله رجله تقول : قط قط قط » وثبوت صحة النص يفرض علينا الإيمان بمقتضاه ، الإيمان الذى يقتبس نور الهدى من قوله سبحانه : (ليس كمثله شىء ، وهو السميع البصير) فلله جل شأنه ما يخبر به عن نفسه ، وما يخبر به عنه رسوله صلى الله عليه وسلم دون تمثيل أو تشبيه أو تأويل أو تعطيل .

(٢) الرجز من شواهد سيبويه فى الـكتاب ، وقد أنشده ص ٣٨٧ ح ١ تحت : « باب علامة إضمار المنصوب المتكلم والمجرور المتكلم » البيت عنده :

قدنى من نصر الخبيبين قدى ليس الامام بالشحيح الملحد

. . . .

فهذا ما في قَطّ التي هي بمعنى حَسْبِي ، فأما قَطُّ المبنيةُ على الضم ، فهي ظَرْفٌ لما مضى ، وهي تقال بالتخفيف والتثقيل ، وهي من القَطِّ أيضاً الذي بمعنى القطع ، وفي مقابلتها في المستقبل : عَوْضُ مافعلته قَطُّ ، ولا أفعله عَوْضُ(١) مثل قَبْلُ وبَعْدُ .

= وأراد بالخبيبين : عبد الله بن الزبير وكنيته أبو خبيب ، ومصعباً أخاه وغلبه عليه لشهرته ، ويروى الخبيبين على الجمع يريد أبا خبيب وشيعته .

والرجز لم ينسبه سيبويه ، وهو لحميد بن مالك بن ربعي الارقط يعرض بابن الزبير ويمدح الحجاج . وقد الثانية تأكيد لقدني مبنى على الكسر في محل رفع مرفوع بضمة مقدرة على ماقبل ياء المتكلم ، وهي مضاف إليه . وقد روى أبو على القالي رجزه هكذا :

ليس الامير بالشحيح الملحد ولا بوبر بالحجاز مقرد

إن ير يوماً بالفضاء يسطير أو ينجحر فالجحر شر محكد

ويروى البكري في السمط قبلهما :

قلت لنفسي ، وهي عجلى تعتدى لا نوم حتى تحسرى وتلهدى

أو تردى حوض أبي محمد ليس الامير . . . الخ

وقد أورد اللسان الشطرة الأولى في مادة قد غير منسوبة وفي مادة لحد إلى حميد وقال ابن ثور . أنظر ص ١٧ جـ ٢ ط ٢ الأمالي للقالي وسمط اللآلي للبكري ص ٩٤٩ . ص ٤٧٤ . ص ٢١ شرح شواهد ابن عقيل للشيخ عبد المنعم الجرجاوي وشرح الشواهد أيضاً للشيخ قطة العدوى ص ١٠١ جـ ١ شرح ابن عقيل بشرح الشيخ محي الدين .

(١) يقول ابن هشام في مغنى اللبيب « عوض ظرف لاستغراق المستقبل مثل أبدا ، إلا أنه مختص بالنفي ، وهو معرب إن أضيف كقولهم : لا أفعله عوض العائضين ، مبنى إن لم يضف ، وبناؤه إما على الضم كقبل ، أو على الكسر كأمس ، أو على الفتح كأين ، وسمي الزمان عوضاً ، لأنه كلما مضى جزء منه =

. . . .

إسلام عمرو بن العاصي وخالد بن الوليد رحمة الله عليهما(١)

روينا من طريق أبي بكر الخطيب بإسنادٍ يرفعه أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : يقدم عليكم الليلةَ رجلٌ حكيم ، فقدِم عَمْرو بن العاصِ مُهاجِراً ، ذكر فيه اجتماعَه مع خالد في الطريق وقول خالد له : والله لقد استقام المِيسَمُ . من رواه المِيسَمُ بالياء ، فهى العلامة ، أى قد تبيّن الأمر واستقامت الدّلالة ، ومن رواه المَنْسِمُ بفتح الميمُ وبالنون ، فمعناه : استقام الطريقُ ووجَبَت الهجرة ، والمَنْسِمُ مُقَدّم خُفّ البعير ، وكُنّى به عن الطريق المتوجه به فيه .

وذكر الزُّبَيْرُ خبرَ عَمْرو هذا ، وزاد فيه: أن عثمانَ بن طَلْحَةَ بن أبي طَلْحَةَ صَحِبَهُما في تلك الطريق ، فلما قَدِموا على النبي صلى الله عليه وسلم ، قال عمرو : وكنت أسَنّ منهما ، فأردت أن أكيدَهما ، فقدّمتُهما قبلي للبيعة ، فبايعا ، واشترطا أن يُغْفَرَ مِنْ ذَنبِهما ما تقدّم ، فأضمَرْتُ في نفسى أن أُبايِعَ على أن يغفر اللهُ من ذنبي ما تقدّم وما تأخر ، فلما بايعتُ ذكرتُ ما تقدّم من ذنبي وأُنسِيتُ أن أقول وما تأخر .

= عوضه جزء آخر ، تقول : عوض لا أفارقك ، كما تقول : قط ما فارقتك ، ولا تقول : عوض ما فارقتك ولا : قط لا أفارقك .

(١) يقول ابن كثير : كان إسلامهم بعد الحديبية ، وذلك أن خالد بن الوليد كان يومئذ في خيل المشركين . ص ١٦٢ ج ٤ البداية والنهاية .

. . . .

ما قاله الضمري للنجاشي :

وذكر فيه قدوم عَمْرو بن أُمَيَّة الضَّمْرِى على النَّجاشىّ بكتاب النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان فى الكتاب ما تكلم به عَمْرو بن أُمَيَّة ، فإنه لما قدم عليه قال له: يا أَصْحَمَةُ إن علىَّ القولَ وعليك الاستماع إنك كأنَّك فى الرِّقَّة علينا مِنا ، وكأنا بالثِّقَة بك منك لأنا لم نظُن بك خيرا قطُّ إلاَّ نِلْناه ، ولم نَخَفْكَ على شَىْء قَطُّ إلا أَمِنَّاهُ ، وقد أخذنا الحجة عليك مِنْ فيك الا يُحيل بَيْنَنا وبينَكَ شاهدٌ لايُرَدُّ ، وقاضٍ لايجُور ، وفى ذلك وَقْعُ الحَزِّ وإصابةُ المَفْصِل ، وإلاَّ فأنت فى هذا النبىَّ الأُمِّىِّ كاليهودِ فى عيسى ابن مَرْيم ، وقد فرق النبى عليه السلام رسله إلى الناس فَرَجاكَ لما لم يَرْجُهُمْ له ، وأَمِنَك على ماخافهم عليه لخيرٍ سالفٍ وأجرٍ يُنْتَظَر ، فقال النجاشى : أشهد بالله أنه النبىُّ الأُمِّىُّ الذى ينتظره أهلُ الكتابِ ، وأن بِشارَةَ موسى براكبِ الحِمارِ كَبِشارَةِ عيسى براكب الجَمَل ، وإن العِيانَ له ليس بأشْفَى من الخبر عنه ، ولكن أعوانى من الحَبَشِ قليلٌ فأنظِرْنى حتى أُكَثِّر الأعوانَ وأُلَيِّن القلوبَ ، وسنذكر فيما بعد — إن شاء الله — ما قالته أُرْسَالُ النبى — صلى الله عليه وسلم — إلى الملوك ، وما رَدَّت عليها .

الرسل إلى الملوك :

فإن دِحْية كان رسولَه إلى قَيْصَرَ ، وخارجةَ بن حُذافَةَ كان رسولَه إلى كِسْرَى ، وشُجاعَ بن وَهْبٍ إلى جَبَلَة بن الأَيْهَم الغَسَّانى ، وسَلِيطَ بن عَمْرو إلى هَوْذَةَ بنِ عَلِىٍّ الحنفى صاحبِ اليمامة ، والعَلاءَ بن الحَضْرَمِىِّ إلى المنذر

. . . .

ابن ساوِى [مَلِكِ البحْرَيْن] والمُهاجِرَ بن أبى أُمَيَّةَ إلى الحارث بن عَبْد كُلَالٍ ، وعمْرو بن العاصِى إلى الجُلُنْدِى(١) صاحبِ عُمانَ ، وحاطِبَ بن أبى بَلْتَعَةَ إلى المُقَوْقِسِ صاحب مِصْرَ ، وعمْرو بن أُمَيَّةَ إلى النجاشى كما تقدم ، ولكل واحد منهم كلام قاله ، وشعر نَظَمه سنذكره بعد إن شاء الله .

السَّمْهرِيَّة :

فصل : وما وقع فى أشعار السِّيرَة من ذكر السَّمْهَرِيَّة من الرماح ، فمنسوبة إلى سَمْهَرٍ وكان صِنْعًا فيما زعموا يصنع الرِّماح ، وكانت امرأته رُدَيْنَةُ تبيعها ، فقيل للرماح : الرُّدَيْنِيَّة لذلك ، وأما الماسِخِىُّ من القِسِىِّ فمنسوبة إلى ماسِخَة ، واسمه نُبَيْشَةُ بن الحارث أحد بنى نَصْر بن الأَزْدِ ، وقال الجَعْدِىُّ :

بِعِيسٍ تُعطِّفُ أعناقَها ... كما عطَّفَ الماسِخِىُّ القِيانَا

وقد تنسب القسى أيضًا إلى زارة وهى امرأة ماسخة . قال صخر الغَىّ :

سَمْحَةٍ من قِسِىِّ زَارَةَ حَمْـــراءَ هَتُوفٍ عِدادُها غَرِدُ(٢)

من كتاب النبات للدِّينَوَرِى ، واليَزَنِيَّةُ منسوبة إلى عُبَيْدِ الطَّعّان ، وهو المعروف بيَزَنَ(٣) بن ذى هَمَاذِى ، والماذِيَّةُ منسوبة إلى مَاذِى بن يافث

(١) فى القاموس : جلنداء بضم أوله . وفتح ثانيه ممدودة وبضم ثانيه مقصورة اسم ملك عمان ، ووهم الجوهرى فقصره مع فتح ثانيه .

(٢) فى الأصل زرارة وهو خطأ ، والعداد : صوت القوس .

(٣) قال ابن جنى : ذو يزن غير مصروف، أصله و . يزأن بدليل قولهم : =

. . . .

ابن نُوح ، قاله الطبرى ، وزعم أن أول من عمل السيوف جم وهو رابع ملوك الأرض .

غزوة بنى لحيان

ليس فيها ما يُشكل ، وفيها من شعر حسان(١) .

لقوا سَرَعانًا يملأ السِّرْبَ رَوْعُه

سَرَعانُ الناس: سُبَّاقُهم ، والسَّرْبُ : المال الرَّاعى ، كأنه جَمْعُ سارِبٍ ، ويقال : هو آمن فى سَرْبه إذا لم يُذْعَر ، ولا خاف على ماله من الغارة ، ومن قال فى سِرْبه بكسر السين ، فهو مَثَلٌ ، لأن السِّرْبَ هو القطيع من الوَحْشِ والطير ، فمعنى : آمن فى سِرْبه ، أى لم يُذعر هو نفسُه ولا ذُعِر أهلُه ، ولهذا المعنى أشار من قال من أهل اللغة : معنى فى سربه أى : فى نفسه لم يُرِدْ أنَّ النَّفسَ يقال لها : سِرْبٌ وإنما أراد أنه لم يُذعَر هو ولا مَنْ معَهُ . لا كالآخر الذى تقدم ذكره . وقيل فيه آمن فى سَرْبه بفتح السين ، فكان الواحد آمن فى ماله ، والآخرُ آمنٌ فى نفسه ، ويقال : فى سَرْبه ، أى : فى طريقه أيضاً(٢) .

وقوله :

أمام طَحُونٍ كالمَجَرَّةِ فَيْلَقِ

= رمح يزأنى وأزأنى ، وقالوا أيضاً : أيزنى وزنه عيفلى ، وقالوا آزنى ووزنه عافلى . وسميت يزنية لأن أول من عملت له ذويزن .

(١) هو سهو من السهيلى فالشعر لكعب بن مالك .

(٢) أنظر مادة سرب فى اللسان .

يعنى : كتيبةً ، جعلها كالمَجرَّةِ لِلمعانِ السُّيوفِ والأسِنَّة فيها كالنُّجوم حَوْلَ المجرة ، لأن النجوم ـ وأكثر ما تكون ـ حولها ، وقد قيل : إن المَجَرَّةَ نفسها نجومٌ صِغارٌ متلاصقة ، فبياضُ المجرةِ من بياضِ تلك النجوم ، وقد رُوى فى حديث منقطع : أن المجرةَ التى فى السماء هى من لُعابِ حيَّةٍ تحتَ العرشِ[1] ، وفى حديثِ مُعاذِ بنِ جَبَلٍ أن النبىَّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين بعثه إلى اليمن قال له : إنك ستَقْدم على قوم يَسْألُونَك عن المَجرَّةِ ، فقل لهم : هى من عَرَقِ الأفعى التى تحت العرش ، لكن إسناد هذا الحديث ضعيف عند أهل النقل لا يُعرَّج عليه ، ذكره العقيلى ، وعن علىّ أنها شَرَجُ السماء الذى تنشق منه ، وأما قول المُنجِّمين غير الإسلاميين فى معنى المجرة ، فذكر لهم القاضى فى النقض الكبير نحواً من عَشْرةِ أقوال وأكثر ، منها ما يُجوِّزه العقل ، ومنها ماهو شِبْهُ الهذيانِ ، والله أعلم .

ويجوز أن يكون قولُه كالمجرَّة ، أى أثر هذه الكتيبةِ الطَّحُون كأثر المجرَّة تَقْشِر ما مرَّت عليه ، وتَكْنُسه . والفَيْلَقُ : فَيْعلٌ من الفِلْقِ وهى الداهية ، كأنها تَفْلِق القلوبَ ، وهى الفِلْقَةُ[2] أيضاً . قال ابن أحمر :

---

(١) هذا الحديث ومثله يبين لنا مدى احتدام شهوة الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نفوس الوضاعين ومدى الجهالة التى تردى فيها الكثير من المسلمين إذ يعيش بينهم مثل هذا الافتراء حتى يكتب فى كتب !!

(٢) الذى فى اللسان الفلق والفليق والفليقة والمفلقة والفيلق والفلقى كله : الداهية والأمر العجب .

تد طَرَقَتْ بِبِكْرِها أُمُّ طَبَقْ   فذبروه خَبراً ضَخْم الْعُنُقْ

فقيل : وما ذاك ؟ قال :

مَوْتُ الإمام فِلْقَةٌ من الْفِلَق(١)

غزوة ذى قَرَد

ثم قدم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فلم يُقِم بها إلا ليالى قلائلَ ، حتى أغار عُيَيْنَة بن حِصْن بن حُذَيْفَةَ بن بدر الفَزَارِى ، فى خَيْل من غَطَفَان على لِقاحٍ لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالغابَةِ ، وفيها رجلٌ من بنى غِفار وامرأة له ، فقتلوا الرجلَ ، واحتملوا المرأة فى اللِّقاح .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبى بكر ، ومَنْ لا أتّهم ، عن عبد الله بن كَعْب بن مالك ، كلٌّ قد حدَّث فى غزوة ذى قَرَد بعض الحديث : أنه كان أوّل من نَذِر بهم سَلَمة بن عمرو بن الأكْوع الأسلمىّ ، غدا يريد الغابة متوشحاً قَوْسه ونَبْله ، ومعه غلامٌ لطلحة بن عُبيد الله معه فرس له يقوده ، حتى إذا علا ثَنِيَّة الوَداع نظرَ إلى بعض خُيُولهم ، فأشرف فى ناحية سَلْع ، ثم صرخ : واصباحاه ، ثم خرج يشتدّ فى آثار القوم ،

---

(١) قاله لما نعى إليه المنصور . ورواية الشطرة الثانية فى اللسان هكذا : فذمروها وهمة . ويقال للدواهى بنات طبق . ويروى أن أصلها الحية أى أنها استدارت حتى صارت مثل الطبق .

وكان مثل السبع حتى لحق بالقوم ، فجعل يردّهم بالنَّبل ، ويقول إذا رمى : خذها وأنا ابن الأكوع ، اليوم يوم الرُّضّع ، فإذا وُجِّهت الخيلُ نحوه انطلق هاربًا ، ثم عارضهم ، فإذا أمكنه الرَّمْى رمى ، ثم قال : خُذْها وأنا ابن الأكوع ، اليوم يوم الرُّضَّع ، قال . فيقول قائلهم : أوَيْكِعُنا هو أوّل النهار .

تسابق الفرسان إلى الرسول صلى الله عليه وسلم

قال : وبلغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم صِياحُ ابن الأكوع ، فصرخ بالمدينة : الفَزع الفزع ، فترامت الخيولُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكان أوّل من انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفُرسان : المِقْداد بن عمرو ، وهو الذى يُقال له : المِقْداد بن الأسود ، حليف بنى زُهرة ؛ ثم كان أوّلَ فارس وقَف على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد المِقْداد من الأنصار ، عبّاد بن بِشر بن وقْش بن زُغْبة بن زَعُوراء ، أحد بنى عَبْدِ الأشهل ، وسَعْد ابن زيد ، أحد بنى كَعْب بن عبد الأشهل ، وأُسَيْد بن ظُهَيْر ، أخو بنى حارثة ابن الحارث ، يُشكُّ فيه ، وعُكّاشة بن مِحْصَن ، أخو بنى أسَد بن خُزيمة ؛ ومُحْرز بن نَضْلة ، أخو بنى أسد بن خُزيمة ، وأبو قَتادة الحارث بن رِبْعِىّ ، أخو بنى سَلِمة ؛ وأبو عَيّاش ، وهو عُبيد بن زيد بن الصَّامت ، أخو بنى زُرَيق . فلما اجتمعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمّر عليهم سعدَ بن زَيْد فيما بلغنى ، ثم قال : اخرُج فى طَلَب القوم ، حتى ألحقك فى الناس .

نصيحة الرسول لأبى عياش

وقد قال رسول الله صلى الله عليه سلم ، فيما بلغنى عن رجال من بنى

. . . .

رفع المسهم

زُريق ، لأبي عيَّاش : يا أبا عياش ، لو أعطيت هذا الفرس رجلا ، هو أفرس منك فلحق بالقوم ؟ قال أبو عيَّاش : فقلت : يارسول الله ، أنا أفرس الناس ؛ ثم ضربتُ الفرس ، فوالله ماجرَى بي خمسين ذراعاً حتى طَرحني ، فعجبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لو أعطيتَه أفرس منك ، وأنا أقول : أنا أفرس الناس ، فزعم رجالٌ من بني زُريق أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أعطَى فرس أبي عيَّاش مُعاذ بن ماعص ، أو عائذَ بن ماعص بن قَيس بن خَلَدة ، وكان ثامناً ، وبعض الناس يعدّ سلمة بن عمرو بن الأكوع أحد الثمانية ، ويطرح أُسيدَ ابن ظُهير ، أخا بني حارثة ، والله أعلم أىّ ذلك كان . ولم يكن سلمة يومئذ ، فارساً ، وقد كان أوّل من لحق بالقوم على رِجْليه . فخرج الفرسانُ في طلب القوم حتى تلاحقوا .

مقتل محرز بن نضلة

قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة : أنّ أوّل فارس لحق بالقوم مُحرِزُ بن نَضْلة ، أخو بني أسد بن خُزَيمة — وكان يُقال لمحرز : الأخرَم ؛ ويقال له قُمَير — وأن الفزع لما كان جال فرسٌ لمحمود بن مَسْلمة في الحائط ، حين سمع صاهلة الخيل ، وكان فرساً صَنِيعاً جامًّا ، فقال نساء من نِساء بني عبد الأشهل ، حين رأين الفرسَ يجول في الحائط بجِذْع نخل هو مَرْبوط فيه : يا قُمَير ، هل لك في أن تركب هذا الفَرسَ ؟ فإنه كما ترى ، ثم تلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالمسلمين ؟ قال : نعم ، فأعطَينَه إياه . فخرج عليه ، فلم يلبث أنَ بذّ الخيل بجمَامِه ، حتى أدرك القومَ ، فوقف لهم بين أيديهم ، ثم قال :

قِفُوا يامعشر بنى اللَّكِيعة حتى يلحق بكم مَنْ وَرَاءكم من أدْباركم من المهاجرين والأنصار . قال : وحمل عليه رجلٌ منهم فقتله ، وجال الفرس ، فلم يَقْدر عليه حتى وقف على آرِيِّهِ من بنى عَبْد الأشهل ، فلم يُقتل من المسلمين غيره .

قال ابن هشام : وقُتل يومئذ من المسلمين مع مُحرز ، وَقَّاص بن مُجزِّز المُدْلجِيّ ، فيما ذَكر غير واحد من أهل العلم .

أسماء أفراس المسلمين

قال ابن إسحاق : وكان اسم فرس محمود : ذا اللِّمَّة .

قال ابن هشام : وكان اسم فرس سَعْد بن زيد : لاحِق ، واسم فرس المِقداد بَعْزَجَة ، ويقال : سَبْحَة ؛ واسم فرس عُكَّاشة بن مِحْصن : ذو اللِّمَّة ؛ واسم فرس أبى قَتادة : حَزْوة ، وفرس عَبَّاد بن بِشْر : لَمَّاع ، وفرس أُسَيد بن ظُهير : مَسْنُون ، وفرس أبى عَيَّاش : جُلْوة .

قال ابن إسحاق : وحدثنى بعضُ من لا أتهم عن عبد الله بن كَعْب بن مالك : أنّ مُجَزِّزاً إنما كان على فَرس لعُكاشة بن مِحْصن ، يقال له : الجناح ، فقُتل مُجَزِّز واستُلبت الجناح .

قتلى المشركين

ولما تلاحقت الخيل قَتل أبو قتادة الحارث بن رِبْعى ، أخو بنى سَلِمة ، حبيبَ بن عُيينة بن حِصْن ، وغشَّاه بُرْده ، ثم لحق بالناس .

وأقبل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى المسلمين .

استعمال ابن أم مكتوم على المدينة

قال ابنُ هِشَامٍ : واستعمل على المدينة ابن أمّ مَكْتوم .

قال ابن إسحاق : فإذا حَبيب مُسَجًّى ببُرْدِ أبى قَتَادَةَ ، فاسترجع الناسُ وقالوا : قُتِل أبو قتادة ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس بأبى قتادة، ولكنه قتيل لأبى قتادة ، وضع عليه بُرْدَه ، لتعرفوا أنه صاحبه .

وأدرك عُكَّاشة بنُ مِحْصن أوْباراً وابنه عَمْرو بن أوْبار ، وهما على بَعير واحد ، فانتظمهما بالرُّمح ، فقتلهما جميعاً ، واستنقذوا بعضَ اللِّقاح ، وسار رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بالجبل من ذى قَرَد ، وتلاحق به الناس، فنزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم به ، وأقام عليه يوماً وليلة ؛ وقال له سلمة ابن الأكوع : يارسول الله ، لو سرحْتنى فى مائة رجل لاستنقذتُ بقيّة السَّرح ، وأخذت بأعناق القوم ؟ فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فيما بلغنى : إنهم الآن ليُغْبَقُون فى غَطَفان .

تقسيم الفىء بين المسلمين

فقسم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى أصحابه فى كل مائة رجل جَزُوراً ، وأقاموا عليها ، ثم رجع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قافلا حتى قَدِم المدينة .

. . . .

امرأة الغفاري وما نذرت مع الرسول

وأقبلت امرأة الغِفاريّ على ناقة من إبل رسولِ الله صلى الله عليه وسلم حتى قدمت عليه فأخبرته الخبرَ، فلما فرغت، قالت: يارسولَ الله، إني قد نَذَرت لله أن أنحرها إنْ نجّانى الله عليها؛ قال: فتبسّم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال: بئس ما جَزَيتِها أن حملك الله عليها ونجّاكِ بها ثم تنحرينها! إنّه لا نذْر فى معصية الله ولا فيما لا تملِكين، إنما هى ناقة من إبلى، فارجعى إلى أهلك على بركة الله.

والحديث عن امرأة الغفاري وما قالت، وما قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم، عن أبى الزبير المكّيّ، عن الحسن بن أبى الحسن البَصْرىّ.

شعر حسان فى ذى قرد

وكان مما قيل من الشِّعر فى يوم ذى قَرَد قولُ حسّان بن ثابت:

لولا الذى لاقتْ ومَسَّ نُسُورَها ... بجَنوب سايَةَ أمسِ فى التَّقْوادِ

لَلَقِينَكم يَحْمِلْنَ كُلَّ مُدَجَّجٍ ... حامِى الحَقِيقة ماجِدِ الأجْدادِ

ولَسَرَّ أولادَ اللَّقِيطةِ أنّنا ... سِلْمٌ غَداةَ فَوارِسِ المِقْدادِ

كُنّا ثمانيةً وكانُوا جَحْفَلاً ... لَجِباً فشُكُّوا بالرِّماحِ بَدادِ

كُنّا مِن القَوْم الذين يَلُونَهم ... ويُقَدِّمون عِنانَ كُلِّ جَوادِ

كلا وربِّ الرّاقصات إلى مِنًى ... يَقْطَعْنَ عُرْضَ مَخارِمِ الأطْوادِ

حتى نُبيل الخيلَ فى عَرَصاتكم ونئوب بالمَلَكات والأولاد
رَهْواً بكلِّ مُقلَّص وطِمِرَّة فى كلِّ مُعْترك عَطَفْن رَوَادِى
أفنَى دوابرَها ولاحَ متونَها يومٌ تُقاد به ويومُ طِرَاد
فكذاك إنّ جيادَنا مَلْبونةٌ والحربُ مُشْعَلة بريح غَوَاد
وسُيوفنا بيضُ الحدائد تَجْتلى جُنَنَ الحديد وهامَةَ المُرْتاد
أخَذَ الإلهُ عليهمُ لحرامه ولعِزّة الرحمنِ بالأسْداد
كانوا بدارٍ ناعمين فبُدِّلوا أيّامَ ذى قَرَد وُجُوهَ عِباد

غضب سعد على حسان ومحاولة حسان استرضاءه

قال ابن هشام : فلمّا قالها حسّان غَضِب عليه سعدُ بن زيد ، وحَلَف أن لا يكلّمه أبداً ؛ قال : انطلَق إلى خَيْلى وفوارسى فجعلها للمقداد ! فاعتذر إليه حسّان وقال : واللهِ ما ذاك أردتُ ، ولكن الروىّ وافق اسمَ المِقْداد ؛ وقال أبياتاً يُرضى بها سعداً :

إذا أردْتُم الأشدَّ الجَلْدا أو ذا غَناء فعليكم سَعْدا
سَعْدَ بن زَيْد لا يُهَدّ هَدّا

فلم يقبل منه سعد ولم يُغْن شيئاً .

شعر آخر لحسان فى يوم ذى قرد

وقال حسّان بن ثابت فى يوم ذى قَرَد :

أظنَّ عُيَيْنَـــةُ إذْ زَارها ... بأن سوفَ يَهْـدِمُ فيها قُصورا
فأكْذِبْتَ ما كنتَ صَدَّقته ... وقُلتم سَنَغْنَمُ أمراً كَبيراً
فَعِفْتَ المَدينـــة إذْ زُرتها ... وآنَسْتَ للاسْدِ فيها زَئيرا
فوَلَّوْا سِرَاعاً كشدّ النَّعام ... ولم يكشفوا عن مُلَطٍّ حَصيرا
أميرٌ علينـــا رسُولُ المَليك ... أحْبب بذاكَ إلينا أميرا
رسُولٌ نُصَـــدِّقُ ما جاءه ... ويَتْلو كتاباً مضيئاً مُنيراً

شعر كعب فى يوم ذى قرد

وقال كعب بن مالك فى يوم ذِى قَرَد للفوارس :

أيَحسَبُ أولادُ اللَّقيطةِ أنَّنا ... على الخَيْل لسنا مِثلهم فى الفوارِس
وإنَّا أُناسٌ لانرى القَتل سُبَّة ... ولا نَنْثنى عند الرِّماح المداعس
وإنَّا لَنَقْرِى الضَّيفَ من قَمَع الذُّرا ... ونَضرب رأسَ الأبْلخ المتشاوس
نَرُدُّ كُماةَ المُعْلَمين إذا انتخَوْا ... بضرْب يُسَلِّى نَخْوة المُتقاعِس
بكُلِّ فتًى حامى الحقيقة ماجِـدٍ ... كريمٍ كسِرْحان الغَضاة مُخالس
يَذُودون عن أحْسابِهم وتِلادِهم ... ببِيضٍ تَقُدُّ الهامَ تحت القَوانِس
فسائِلْ بَنِى بَدْرٍ إذا ما لَقِيتَهم ... بِمَا فَعَل الإخْوانُ يوْمَ التَّمارُس
إذا ماخَرَجتم فاصدُقوا مَن لَقِيتُمُ ... ولا تَكْتُموا أخبارَكم فى المَجالِس
وقُولُوا زَلَلْنا عن مَخالب خادرٍ ... به وَحَرٌ فى الصَّدْر مالم يُمارِس

قال ابن هشام : أنشدنى بيته : « وإنَّا لنَقْرى الضَّيف » أبو زيد .

. . . .

شعر شداد لعيينة

قال ابن إسحاق : وقال شدّاد بن عارض الجُشمى ، فى يوم ذى قَرَد ، لعُيينة بن حِصْن ، وكان عُيينة بن حِصْن يُكنى بأبى مالك :

فهلاَّ كَرَرْتَ أبا مالك ... وخَيْلُك مُدْبِرة تُقْتَلُ
ذكرتَ الإيابَ إلى عَسْجَر ... وهَيْهات قد بَعُد المُقْفَل
وطَمَّنْتَ نَفْسَك ذا مَيْعة ... مِسَحَّ الفضاء إذا يُرْسَل
إذا قَبَضَتْه إليك الشما ... لُ جاشَ كما اضطرمَ المِرْجَل
فلمَّا عَرَفْتم عِبادَ الإلـ ... ـه لم يَنْظر الآخرَ الأوّل
عَرفتم فَوارِس قد عُوِّدوا ... طِرَاد الكُماة إذا أسْهَلوا
إذا طَرَدُوا الخيلَ تَشْقَى بهم ... فِضاحاً وإن يُطْرَدوا يَنْزِلوا
فيَعتصِموا فى سَوَاء المُقا ... مِ بالبِيض أخلَصها الصَّيْقَلُ

غزوة بنى المصطلق

قال ابن إسحاق : فأقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعضَ جمادى الآخرة ورجباً ثم غزا بنى المُصْطَلِق من خُزاعَة ، فى شعبان سنة ست .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة أبا ذَرّ الغِفارىّ ؛ ويقال : نُمَيْلة ابن عبدالله الليثى .

. . . .

سبب الغزوة

قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عُمر بن قَتادة وعبدُ الله بن أبى بكر . ومحمد بن يَحيى بن حَبّان ، كلٌّ قد حدثني بعض حديث بني المُصطلق ، قالوا : بلغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أنّ بني المُصْطَلِق يَجْمعون له ، وقائدهم الحارث بن أبى ضرار أبو جُوَيْرِية بنت الحارث ، زوج رسول الله صلى الله عليه وسلّم ؛ فلما سمع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بهم خَرج إليهم ، حتى لَقيهم على ماء لهم يقال له : المُرَيْسيع ، من ناحية قُدَيد إلى الساحل ؛ فتزاحف الناسُ واقتتلوا ، فهزَم الله بنى المُصطلق ، وقَتل مَنْ قُتل منهم ، ونَفّل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبناءهم ونساءهم وأموالهم ، فأفاءهم عليه .

مقتل ابن صبابة خطأً

وقد أُصيب رجلٌ من المسلمين من بنى كَلْب بن عَوْف بن عامر بن ليث ابن بكر ، يقال له : هشام بن صُبَابة ، أصابه رجل من الأنصار من رَهْط عُبادةَ ابن الصامت ، وهو يرى أنه من العدوّ ، فقتله خطأً .

فتنة

فبينا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على ذلك الماء ، وردت واردة الناس ومع عمر بن الخطّاب أجيرٌ له من بنى غِفَارٍ ، يقال له . جَهْجاه بن مَسْعود يقود فرسَه ، فازدحم جَهْجاه وسِنانُ بن وَبَر الجهنى ، حليف بنى عَوْف بن الخزرج على الماء ، فاقتتلا ، فصَرخ الجهنى : يامعشر الأنصار ، وصرخ جَهْجاه :

يامعشر المهاجرين؟ فغضب عبدُ الله بن أُبيّ بن سَلُول ، وعنده رَهْط من قومه فيهم : زيد بن أرقم ، غلام حَدث ، فقال : أوَقد فعلوها ، قد نافرونا وكاثرونا فى بلادنا ، والله ما أعدّنا وجلابيب قريش إلا كما قال الأوّل : سَمِّن كَلْبك يأ كُلْك ، أما والله لئن رَجَعْنا إلى المدينة ليُخْرِجنّ الأعزُّ منها الأذلّ . ثم أقبل على مَنْ حَضره من قومه ، فقال لهم : هذا مافعلتم بأنفسكم ، أحلَلْتموهم بلادكم ، وقاسمتموهم أموالكم ، أما والله لو أمسكتم عنهم مابأيديكم لتحوّلوا إلى غير داركم . فسمع ذلك زيد بن أرقم ، فمشى به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك عند فراغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عدوّه ، فأخبره الخبرَ ، وعنده عمرُ بن الخطَّاب . فقال : مُرْ به عَبَّادَ بن بِشْر فليقتله ؛ فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : فكيفَ ياعُمَرُ إذا تحدّث الناس أن محمداً يقتل أصحابه ! لا ولكن أذّن بالرّحيل ، وذلك فى ساعة لم يكن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يرتحل فيها ، فارتحل الناسُ .

حول فتنة ابن أُبيّ ونفاقه

وقد مشى عبد الله بن أُبيّ بن سَلول إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، حين بلغه أن زيدَ بن أرقم قد بلّغه ما سمع منه ، فحلف بالله : ماقلت ما قال ، ولا تكلمت به . — وكان فى قومه شريفاً عظيماً — فقال مَنْ حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأنصار من أصحابه : يارسول الله ، عسى أن يكونَ الغلامُ قد أوهم فى حديثه ، ولم يحفظ ما قال الرجل ، حَدَباً على ابن أُبيّ بن سَلول ، ودَفْعاً عنه .

قال ابن إسحاق : فلما استقلّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وسار ، لقيه أُسَيد بن حُضَيْر فحيَّاه بتحيَّة النبوّة وسلَّم عليه ، ثم قال : يانبيّ الله ، والله لقد رُحتَ فى ساعة مُنكرة ، ما كنتَ تروح فى مثلها ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أو ما بلَغك ما قال صاحبُكم ؟ قال : وأىّ صاحب يارسول الله؟قال : عبد الله بن أُبَىّ ، قال : وما قال ؟ قال : زعم أنه إن رجع إلى المدينة ليُخرِجَنّ الأعزُّ منها الأذلَّ ، قال : فأنت يارسول الله والله تُخرجه منها إن شئت ، هو والله الذليلُ وأنت العزيز ؛ ثم قال : يارسول الله ، ارفق به فوالله لقد جاءنا الله بك ، وإنّ قومه لَيَنْظمون له الخرز ليتوّجوه ، فإنه لَيرى أنك قد استلبته مُلكا .

ثم مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس يومَهم ذلك حتى أمسى ، وليلتَهم حتى أصبح ، وصَدْر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمسُ ، ثم نزل بالناس ، فلم يلبثوا أن وَجَدوا مسّ الأرض فوقعوا نِياماً ، وإنما فعل ذلك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ليَشغل الناس عن الحديث الذى كان بالأمس ، من حديث عبد الله بن أُبَىّ .

ثم راح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالناس ، وسلَك الحجاز حتى نزل على ماء بالحجاز فُوَيق النَّقيع ؛ يقال له : بقعاء . فلما راح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم هبَّت على الناس ريحٌ شديدة آذتهم وتخوّفوها ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : لاتخافوها ، فإنما هبّت لموت عَظيم من عُظماء الكُفّار . فلما قدموا المدينة وجدوا رِفاعة بن زَيد بن التّابوت ، أحد بنى قَيْنقاع ، وكان

عظيما من عُظماء يهود ، وكَهْفاً للمُنافقين ، مات فى ذلك اليوم .

ما نزل فى ابن أُبىّ من القرآن

ونزلت السورة التى ذَكَر الله فيها المنافقين فى ابن أُبَىّ ومَنْ كان على مثل أمره ، فلما نزلتْ أخذَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بأذن زَيْد بن أرقم ، ثم قال : هذا الذى أوْفى الله بأذنه . وبلغ عبدَ الله بن عبد الله بن أُبىّ الذى كان من أمر أبيه .

موقف عبد الله من أبيه

قال ابن إسحاق : فحدّثنى عاصمُ بن عمر بن قتادة : أن عبد الله أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يارسول الله ، إنه بلغنى أنك تريد قتلَ عبد الله بن أُبىّ فيما بلغك عنه ، فإن كنتَ لابدّ فاعلا فمُرنى به ، فأنا أحمِل إليك رأسه ، فوالله لقد علمت الخزرجُ ما كان لها من رجل أبرّ بوالده منى ، وإنى أخشى أن تأمر به غيرى فيقتله ، فلا تدعُنى نفسى أنظر إلى قاتل عبد الله بن أُبَىّ يمشى فى الناس ، فأقتلَه فأقتلَ (رجلا) مؤمناً بكافر ، فأدخل النار ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل نترفّق به ، ونُحْسن صُحبته مابقى معنا .

وجعل بعد ذلك إذا أحدث الحدثَ كان قومه هم الذين يُعاتبونه ويأخذونه ويُعنِّفُونه ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطّاب ، حين بلغه ذلك من شأنهم : كيف ترى ياعمر ؛ أما والله لو قتلته يوم قلتَ لى اقتُله ،

لأرْعِدت له آنُفٌ ، لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته ؛ قال : قال عمر : قد والله علمتُ لَأمرُ رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم بركة من أمرى .

قدوم مقيس مسلماً وشعره

قال ابن إسحاق : وقدِمَ مِقْيَس بن صُبَابة من مكّة مسلماً ، فيما يُظْهِر ، فقال : يارسول الله ، جئتك مسلماً ، وجئتك أطْلُب دِيَة أخى ، قُتل خطأ . فأمر له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بدية أخيه هِشام بن صُبابة ؛ فأقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم غيرَ كثير ، ثم عَدا على قاتل أخيه فقتله ، ثم خرج إلى مكة مرتداً ؛ فقال فى شعر يقوله :

شَفَى النفسَ أن قدمات بالقاع مُسْنَداً ... تُضرِّجُ ثَوْبَيْه دماءُ الأخادِعِ
وكانت هُمومُ النَّفْسِ من قبل قَتْله ... تُلِمّ فتَحْمِينى وِطاءَ المضَاجِعِ
حَلَلْتُ به وِتْرى وأدركتُ ثُؤْرَتى ... وكنتُ إلى الأوْثان أولَ راجعِ
ثأرتُ به فِهْراً وحَمَّلْتُ عَقْلَه ... سَرَاةَ بنى النَّجَّار أربابَ فارِعِ

وقال مِقْيَس بن صُبابة أيضاً :

جلّلته ضَرْبَةً باءت لها وشَلٌ ... من ناقِعِ الجوْف يَعلوه ويَنْصَرِمُ
فقُلْتُ والموْتُ تَغْشاه أسِرّتُه ... لا تأمَنَنّ بنى بَكْرٍ إذا ظُلِموا

شعار المسلمين

قال ابن هشام : وكان شعار المسلمين يوم بنى المُصْطَلق : يامنصور ، أمِتْ أمِتْ .

قتلى بنى المصطلق

قال ابن إسحاق : وأُصِيب من بنى المُصْطلق يومئذ ناسٌ ، وقتل علىُّ ابن أبى طالب منهم رجلَين ، مالكاً وابنه ، وقَتل عبدُ الرحمن بن عوف رجلاً من فُرسانهم ، يقال له : أحمر ، أو أُحَيمِر .

أمر جويرية بنت الحارث

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أصاب منهم سَبْياً كثيراً ، فَشَا قَسْمُه فى المسلمين ؛ وكان فيمن أُصيب يومئذ من السَّبايا جُوَيْرِية بنت الحارث ابن أبى ضِرار ، زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عُروة بن الزبير ، عن عائشة ، قالت : لما قسم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سبايا بني المُصْطلِق ، وقعتْ جُويرية بنت الحارث فى السّهم لثابت بن قَيْس بن الشَّماس ، أو لابن عمٍّ له ، فكاتبته على نفسها ، وكانت امرأة حُلْوَةً مُلاَّحَة ، لا يراها أحد إلا أخذت بنَفْسه ، فأتت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم تستعينه فى كِتابتها . قالت عائشة : فوالله ما هو إلا أن رأيتُها على باب حُجْرَتى فكَرِهتها ، وعَرَفت

أنه سيرى منها صلى الله عليه وسلم ما رأيتُ، فدخلَتْ عليه، فقالت: يارسول الله، أنا جُوَيْرِيَةُ بنت الحارث بن أبي ضِرارٍ، سيدِ قومه، وقد أصابني من البَلاء، مالم يَخْفَ عليك، فوقعتُ في السّهم لثابت بن قَيس بن الشّمّاس، أو لابن عمّ له، فكاتبتُه على نفسي فجئتك أستعينك على كِتابتي؛ قال: فهل لكِ في خير من ذلك؟ قالت: وما هو يارسول الله؟ قال: أقضي عنكِ كتابتكِ وأتزوّجك؛ قالت: نعم يارسول الله، قال: قد فعلت.

قالت: وخرج الخبر إلى الناس أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قد تزوّج جُويرية ابنة الحارث بن أبي ضرار، فقال الناس: أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأرسلوا ما بأيديهم، قالت: فلقد أُعتق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بني المُصطلق، فما أعلم امرأة كانت أعظمَ على قومها بركة منها.

قال ابن هشام: ويقال: لما انصرف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من غزوة بني المُصطلِق ومعه جُويرية بنت الحارث، وكان بذات الجيش، دفع جويرية إلى رجل من الأنصار وديعةً، وأمره بالاحتفاظ بها، وقدم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينة، فأقبل أبوها الحارث بن أبي ضرار بفداء ابنته، فلما كان بالعقيق نظر إلى الإبل التي جاء بها للفداء، فرغب في بعيرين منها، فغيّبهما في شِعب من شِعاب العقيق، ثم أتى إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال: يا محمد، أصبتم ابنتي، وهذا فِداؤها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فأين البعيران اللذان غيبتهما بالعقيق، في شِعب كذا وكذا؟ فقال الحارث: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك محمد رسول الله، فوالله ما اطلع على ذلك إلا الله،

فأسلم الحارثُ ، وأسلم معه ابنان له ، وناس من قومه ، وأرسل إلى البعيرين ، فجاء بهما ، فدفع الإبلَ إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم ، ودُفِعَت إليه ابنتهُ جُوَيْرِيَةُ ، فأسلمت ، وحسُن إسلامها ، فخطبَها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى أبيها ، فزوّجه إياها ، وأصدقها أربعمائة درهم .

ما نزل من القرآن فى حق الوليد بن عقبة

قال ابن إسحاق : وحدثنى يزيد بن رُومان : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إليهم بعد إسلامهم الوليدَ بن عقبة بن أبى مُعيط ، فلما سمعوا به رَكبوا إليه ، فلما سمع بهم هابهم ، فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره أن القوم قد همّوا بقتله ، ومنعوه ماقِبَلهم من صَدقتهم ، فأكثر المسلمون فى ذكر غزوهم ، حتى همّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بأن يغزوهم ، فبينا هم على ذلك قَدِم وفدُهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يارسول الله ، سمعنا برسولك حين بعثته إلينا ، فخرجنا إليه لنُكرِمه ، ونُؤدّى إليه ما قِبَلنا من الصدقة ، فانشَمَر راجعاً ، فبلغنا أنه زعم لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنّا خرجنا إليه لنقتله ، ووالله ماجئنا لذلك ، فأنزل الله تعالى فيه وفيهم : ﴿ يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهالَةٍ ، فَتُصْبِحُوا عَلَى مافَعَلْتُمْ نادِمِينَ . وَاعْلَمُوا أنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأمْرِ لَعَنِتُّمْ ﴾ . . . إلى آخر الآيات . (الحجرات ٦ ـ ٨) .

وقد أقبل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من سفره ذلك ، كما حدثنى من

لا أتهم عن الزهرى ، عن عروة عن عائشة رضى الله عنها ، حتى إذا كان قريباً من المدينة ، وكانت معه عائشة فى سفره ذلك ، قال فيها أهل الإفك ما قالوا .

خبر الإفك فى غزوة بنى المصطلق

سنة ست

قال ابن إسحاق : حدّثنا الزهرى ، عن عَلْقَمَةَ بن وقّاص ، وعن سَعِيد ابن جُبير ، وعن عُرْوَةَ بن الزّبير ، وعن عُبَيد الله بن عبد الله بن عُتْبة ، قال : كلٌّ قد حدثنى بعض هذا الحديث ، وبعضُ القوم كان أوْعى له من بعض ، وقد جمعت لك الذى حدّثنى القوم .

الهدى فى السفر مع الزوجات

قال محمد بن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزّبير ، عن أبيه عن عائشة ، وعبدُ الله بن أبى بكر ، عن عَمْرة بنت عبد الرحمن ، عن عائشة ، عن نفسها ، حين قال فيها أهْل الإفك ما قالوا ، فكلٌّ قد دخل فى حديثها عن هؤلاء جميعاً يحدّث بعضهم مالم يحدّث صاحبه ، وكلٌّ كان عنها ثقة ، فكلّهم حدث عنها ماسمع ، قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد سفراً أقرع بين نِسائه ، فأيتهنّ خَرج سهمُها خرج بها معه ، فلما كانت غزوة بنى المُصْطلِق أقرع بين نسائه ، كما كان يصنع ، فخرج سَهْمى عليهنّ معه ، فخرج بى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم .

حديث الإفك

قالت : وكان النساء إذ ذاك إنما يأكلن العُلَق لم يهجهنّ اللّحم فيثقُلن، وكنت إذا رُحِّل لي بعيري جلستُ في هَوْدجي ، ثم يأتي القومُ الذين يُرَحِّلون لي ويحملونني ، فيأخذون بأسفل الهَوْدج ، فيرفعونه ، فيضعونه على ظهر البعير، فيشدّونه بحباله ، ثم يأخذون برأس البعير ، فينطلقون به . قالت : فلما فرغ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من سفره ذلك ، وجّه قافلا حتى إذا كان قريبًا من المدينة نزل منزلا ، فبات به بعضَ الليل ، ثم أذّن في الناس بالرحيل ، فارتحل الناسُ ، وخرجتُ لبعض حاجتي ، وفي عُنقي عِقْد لي ، فيه جَزْع ظَفار، فلما فرغت انسلّ من عُنقي ولا أدري ، فلما رجعتُ إلى الرَّحل ذهبتُ ألتمسه في عُنقي ، فلم أجده ، وقد أخذ الناسُ في الرَّحيل ، فرجعت إلى مكاني الذي ذهبت إليه ، فالتمسته حتى وجدته ، وجاء القوم خلافي ، الذين كانوا يُرَحِّلون لي البعير ، وقد فَرَغوا من راحلته ، فأخذوا الهَوْدَج ، وهم يظنّون أني فيه ، كما كنت أصنع ، فاحتملوه ، فشدّوه على البعير ، ولم يشكّوا أني فيه ، ثم أخذوا برأس البعير ، فانطلقوا به ، فرجعتُ إلى العسكر وما فيه من داعٍ ولا مُجيب ، قد انطلق الناس .

قالت : فتَلفَّفت بجلبابي ، ثم اضطَجَعْتُ في مكاني ، وعرفت أن لو قد افتُقِدْتُ لرُجِع إليّ . قالت : فوالله إني لَمُضطجعة إذ مرّ بي صَفْوانُ بن المُعطَّل السُّلَمي ، وقد كان تخلّف عن العسكر لبَعْض حاجته ، فلم يبتْ مع

الناس ، فرأى سَوَادِي ، فأقبل حتى وقف علىّ ، وقد كان يرانى قبل أن يُضرَب علينا الحِجاب ، فلما رآنى قال : إِنَّا لِلَّهِ وإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، ظَعِينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ! وأنا متلفِّفة فى ثيابى ، قال : ما خلّفك يرحمك الله ؟ قالت : فما كلَّمته ، ثم قرّب البعير ، فقال : اركبى ، واستأخر عنّى . قالت : فركبتُ ، وأخذَ برأس البعير ، فانطلق سريعاً ، يطلب الناسَ ، فوالله ما أدركنا الناس ، وما افتقدت حتى أصبحتُ ، ونزل الناس ، فلما اطمأنوا طلع الرجلُ يقود بى ، فقال أهل الإفك ما قالوا ، فارْتَعَجَ العَسْكَرُ ، ووالله ما أعلم بشىء من ذلك .

ثم قَدِمْنا المدينة ، فلم ألبث أن اشتكيتُ شكوى شديدة ، ولا يبلغنى من ذلك شىء ، وقد انتهى الحديثُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإلى أبوَىّ لا يذكرون لى منه قليـــلا ولا كثيراً ، إلا أنى قد أنكرتُ من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض لُطْفه بى ، كنت إذا اشتكيتُ رَحِمنى ، ولَطَفَ بى ، فلم يفعلْ ذلك بى فى شكْواى تلك ، فأنكرت ذلك منه ، كان إذا دخل علىّ وعندى أمى تُمَرِّضُنى – قال ابن هشام : وهى أم رُومَانَ ، واسمها زَيْنب بنت عبد دُهْمَان ، أحد بنى فِرَاسِ بن غَنْم بن مالك بن كِنانة – قال : كيف تِيكُمْ ، لا يزيد على ذلك .

قال ابن إسحاق : قالت : حتى وَجدتُ فى نفسى ، فقلت : يا رسول الله ، حين رأيتُ ما رأيت من جَفائه لى : لو أذنتَ لى ، فانتقلت إلى أمى ، فمرّضتنى ؟ قال : لا عليكِ . قالت : فانتقلتُ إلى أمى ، ولا علم لى بشىء مما كان ، حتى

نَقِهتُ من وجعى بعد بضع وعشرين ليلة ، وكنا قوماً عرباً ، لا نتخذ فى بُيوتنا هذه الكُنُف التى تتَّخذها الأعاجم ، نعافها ونكرهها ، إنما كُنَّا نذهب فى فُسح المدينة ، وإنما كانت النساء يخرجن كلَّ ليلة فى حوائجهنَّ ، فخرجتُ ليلةً لبعض حاجتى ومعى أمّ مِسْطح بنت أبى رُهْم بن المطلب بن عبد مناف ، وكانت أمها بنت صَخْر بن عامر بن كعب بن سَعد بن تيم ، خالة أبى بكر الصدّيق رضى عنه ؛ قالت : فو الله إنها لتمشى معى إذ عثرت فى مِرْطها ، فقالت : تَعس مِسْطح ! ومِسْطَح لَقَبٌ واسمه : عَوْف ؛ قالت : قلت : بئس لَعَمْرُ اللهِ ماقاتِ لرجل من المهاجرين قد شهد بدراً ، قالت : أو مابلغك الخبر يابنت أبى بكر ؟ قالت : قلت : وما الخبر ؟ فأخبرتنى بالذى كان من قول أهل الإفك ، قالت : قلت : أوْ قد كان هذا ؟ قالت : نعم والله فقد كان . قالت : فوالله ماقدرت على أن أقضى حاجتى ، ورجعت ، فوالله مازلت أبكى حتى ظننت أن البكاء سيَصْدع كَبِدى ؛ قالت : وقلت لأمى : يغفر الله لك ، تحدَّث الناسُ بما تحدثوا به ، ولا تذكرين لى من ذلك شيئاً ! قالت : أى بُنَيَّة ، خفِّفى عليك الشأن ، فوالله لقلَّما كانت امرأة حسناء ، عند رجل يحبها ، لها ضرائر ، إلاَّ كَثَّرْن وكثَّر الناس عليها .

قالت : وقد : قام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى الناس يَخْطُبهم ولا أعلَمُ بذلك ، فحمِد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، ما بالُ رجال يؤذوننى فى أهلى ، ويقولون عليهم غيرَ الحقّ ، والله ماعلمت منهم إلا خيراً ، ويقولون ذلك لرجل والله ماعلمت منه إلا خيراً ، وما يدْخل بيتاً من بيوتى إلا وهو معى .

. . . .

قالت: وكان كُبْر ذلك عند عبد الله بن أُبَيّ بن سَلُولَ فى رجال من الخزرج مع الذى قال مِسْطح وحَمْنَة بنت جحش ، وذلك أن أختها زينب بنت جحش كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم تكن من نسائه امرأة تُناصيني فى المنزلة عنده غيرها ، فأما زينب فعصمها الله تعالى بدينها فلم تقل إلا خيراً وأما حَمْنة بنت جَحش ، فأشاعت من ذلك ما أشاعت ، تُضادُّنى لأختها ، فشَقِيَت بذلك .

فلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المقالة ، قال أُسَيد بن حُضير : يارسول الله ، إن يكونوا من الأوس نَكْفِكَهم ، وإن يكونوا من إخواننا من الخزرج ، فمُرنا بأمرك ، فوالله إنهم لأهل أن تُضرب أعناقهم ، قالت : فقام سَعْد بن عُبادة ، وكان قبل ذلك يُرَى رجلا صالحاً ، فقال : كذبتَ لعَمْر الله، لا نضرب أعناقهم ، أما والله ماقلتَ هذه المقالة إلا أنك قد عرفت أنهم من الخزرج، ولو كانوا من قومك ماقلتَ هذا ، فقال أُسَيد : كذبتَ لعَمر الله ، ولكنك مُنافق تُجادل عن المُنافقين ، قالت : وتساور الناس ، حتى كاد يكون بين هذين الحيّين من الأوس والخزرج شرٌّ . ونزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فدخل علىّ .

(قالت) فدعا علىّ بن أبى طالب رضوان الله عليه ، وأسامة بن زيد فاستَشارهما ، فأمّا أسامة فأثنى علىّ خيراً وقاله ، ثم قال : يارسول الله ، أهلك ولا نعلم منهم إلا خيراً ، وهذا الكذب والباطل ، وأما علىّ فإنه قال يارسول الله إن النساء لكثير ، وإنك لقادر على أن تستخلف ، وسَل الجارية ، فإنها

ستصدقك . فدعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بَرِيرَة ليَسألها ، قالت : فقام إليها عليٌّ بن أبى طالب ، فضرَبها ضرباً شديداً ، ويقول : اصْدُقِ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : فتقول : والله ماأعلم إلا خيراً ، وما كنت أعِيب على عائشة شيئاً ، إلا أنى كنت أعجِن عجينى ، فآمرها أن تحفظه ، فتنام عنه فتأتى الشاة فتأكله .

القرآن وبراءة عائشة

قالت : ثم دخل علىَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وعندى أبواى ، وعندى امرأةٌ من الأنصار ، وأنا أبكى ، وهى تبكى معى ، فجلس ، فحمِدالله وأثنى عليه ، ثم قال ياعائشة ، إنه قدكان ماقد بلغك من قول الناس ، فاتقى الله ، وإن كنتِ قد قارفتِ سُوءاً ، مما يقول الناس فتوبى إلى الله ، فإن الله يقبل التوبة عن عباده ، قالت : فوالله ماهو إلا أن قال لى ذلك ، فقَلَصَ دمعى ، حتى ما أحسّ منه شيئاً ، وانتظرتُ أبَوَىَّ أن يجيبا عنى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يتكلما . قالت : وايم اللهِ لأنا كنت أحقرُ فى نفسى ، وأصغر شأناً من أن يُنزِل الله فىَّ قرآناً يُقرأ به فى المساجد ، ويُصَلَّى به ، ولكنى قد كنت أرجو أن يرى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى نومه شيئاً يكذب به اللهُ عنى ، لما يعلم من براءتى ، أو يُخبر خبراً ، فأما قرآن يَنزل فىَّ ، فو الله لنفسى كانت أحقر عندى من ذلك . قالت : فلما لم أر أبوىَّ يتكلمان ، قالت : قلت لهما : ألا تجيبان رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت : فقالا : والله ما ندرى بماذا نجيبه ، قالت : ووالله ما أعلم أهلَ بيت دخل عليهم مادخل على آل أبى بكر

رفع المسيهم

فى تلك الأيام ، قالت : فلما أن استعجما علىّ ، استعبرتُ فبكيتُ ، ثم قلت : والله لا أتوب إلى الله مما ذكرت أبداً . والله إنى لأعلم لئن أقررتُ بما يقول الناس ، والله يعلم أنى منه بريئة ، لأقولَنَّ ما لم يكن ، ولئن أنا أنكرت مايقولون لاتُصَدِّقوننى . قالت : ثم التمستُ اسمَ يعقوب فما أذكره ، فقلت : ولكن سأقولُ كما قال أبو يوسف : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ، وَاللهُ المُسْتَعانُ عَلَى ماتَصِفُونَ ﴾ . قالت : فوالله مابَرِح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مجلسه حتى تغشَّاه من الله ما كان يتغشَّاه ، فسُجِّى بثوبه ووُضعت له وِسادَةٌ من أدَم تحت رأسه ، فأما أنا حين رأيت من ذلك مارأيت ، فوالله ما فَزِعْتُ ولا باليْتُ ، قد عَرَفت أنى بَريئة ، وأن الله عزّ وجلّ غيرُ ظالمى ، وأما أبواى ، فوالذى نفسُ عائشةَ بيده ، ماسُرِّى عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم حتى ظننتُ لتخرُجَنَّ أنفسُهما ، فَرَقاً من أن يأتِىَ من الله تحقيقُ ماقال الناس ، قالت : ثم سُرِّى عن رسولِ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فجلس ، وإنه ليَتَحدَّرُ منه مثل الجُمَان فى يوم شاتٍ ، فجعل يَمْسَح العرقَ عن جبينه ، ويقولُ : أبشرى ياعائشة ، فقد أنزل الله بَراءتك ، قالت : قلت : بحمد الله ، ثم خرج إلى الناس فخطبهم ، وتلا عليهم ما أنزل الله عليه من القرآن فى ذلك ، ثم أمر بِمِسْطَح بن أثاثَةَ ، وحسَّان بن ثابت ، وحَمْنة بنت جحش ، وكانو ممن أفصح بالفاحشة ، فضُربوا حدَّهم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى أبى إسحاقُ بن يَسار عن بعض رجال بنى النَّجَّار : أن أبا أيُّوب خالد بن زيد ، قالت له امرأته أمّ أيُّوب : يا أبا أيُّوب ،

ألا تسمع مايقول الناس فى عائشة ؟ قال : بلى ، وذلك الكذب ، أكنت يا أمّ أيوب فاعلة ؟ قالت : لا والله ما كنتُ لأفعله ؛ قال : فعائشة والله خيرٌ منك .

قالت : فلما نزل القرآن بذكر مَنْ قال من أهل الفاحشة ما قال من أهل الإفك، فقال تعالى : ﴿ إنَّ الَّذِينَ جاءوا بالإفْكِ عُصْبَةٌ منكم ، لاتَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ ، بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ، لِكُلِّ امْرِىءٍ مِنْهُمْ ما اكْتَسَبَ مِنَ الإثْمِ ، والَّذِى تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذابٌ عَظِيمٌ ﴾ ، وذلك حسان بن ثابت وأصحابه الذين قالوا ما قالوا .

قال ابن هشام : ويقال : وذلك عبد الله بن أبىّ وأصحابه .

قال ابن هشام : والذى تولى كِبْرَه عبد الله بن أبىّ ، وقد ذكر ذلك ابن إسحاق فى هذا الحديث قبل هذا . ثم قال تعالى : ﴿ لَوْلا إذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ المُؤْمِنُونَ والمُؤْمِناتُ بأنْفُسِهِمْ خَيْراً ﴾ : أى فقالوا كما قال أبو أيوب وصاحبته ، ثم قال : ﴿ إذْ تَلَقَّوْنَهُ بألْسِنَتِكُمْ ، وتَقُولُونَ بأفْواهِكُمْ مالَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ، وتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً ، وَهُوَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمٌ ﴾ .

فلما نزل هذا فى عائشة ، وفيمن قال لها ماقال ، قال أبو بكر ، وكان ينفق على مِسْطح لقرابته وحاجته : والله لا أنفق على مِسْطح شيئاً أبداً ، ولا أنفعه بِنَفْع أبداً بعد الذى قال لعائشة ، وأدْخَل علينا ، قالت : فأنزل الله فى ذلك ﴿ وَلا يَأْتَلِ أُولُو الفَضْلِ مِنْكُمْ والسَّعَةِ أنْ يُؤْتُوا أُولى القُرْبَى

والمساكين والمهاجرين في سبيل الله ، وليعفوا ، وليصفحوا ، ألا تحبون أن يغفر الله لكم ، والله غفور رحيم ﴾ .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : يقال : كِبْره وكُبْره في الرواية ، وأما في القرآن فكِبْره بالكسر .

قال ابن هشام : (ولا يأتل أولو الفضل منكم) ولا يألُ أولو الفضل منكم . قال امرؤ القيس بن حُجْر الكِنْدى :

ألا رُبَّ خصم فيك ألْوَى رددته نصيح على تعذاله غيرُ مؤتَلِ

وهذا البيت في قصيدة له ، ويقال : (وَلا يَأتَلِ أولُو الفَضْلِ) : ولا يحلف أولو الفضل ، وهو قول الحسن بن أبي الحسن البصري ، فيما بلغنا عنه .

وفى كتاب الله تعالى : ﴿ لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسائِهِمْ ﴾ وهو من الألية ، والألية : اليمين . قال حسّان بن ثابت :

آليتُ مافى جميع الناس مُجتهداً مِنِّى أَلِيَّةَ بِرٍّ غير إفناد

وهذا البيت فى أبيات له ، سأذكرها إن شاء الله فى موضعها . فمعنى : أن يؤتوا فى هذا المذهب : أن لا يؤتوا ، وفى كتاب الله عزّ وجلّ : ﴿ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ أنْ تَضِلُّوا ﴾ يريد : أن لا تضلوا ، ﴿ ويُمْسِكُ السَّماءَ أنْ تَقَعَ عَلَى الأرْضِ ﴾ يريد أن لا تقع على الأرض ، وقال ابن مُفَرِّغ الحِمْيَرى :

لاذَعَرْتُ السَّوَامَ فى وَضَحِ الصُّبْـــحِ مُغِيراً ولا دُعِيتُ يزيدا
يوم أُعطى مخافة المَوْتِ ضَيْماً والمَنايا يَرْصُدْننى أن أَحِيدا

يريد : أن لا أحيد ، وهذان البيتان فى أبيات له .

قال ابن إسحاق : قالت : فقال أبو بكر : بلى والله ، إنى لأحبّ أن يغفر الله لى ، فرجعَ إلى مِسْطح نَفَقَتَه التى كان يُنفِق عليه ، وقال : والله لا أنزِعها منه أبداً .

ابن المعطل يهمّ بقتل حسان

قال ابن إسحاق : ثم إن صَفوان بن المُعَطَّل اعترض حسّان بن ثابت بالسّيف ، حين بلغه ما كان يقول فيه ، وقد كان حسّان قال شعراً مع ذلك يعرّض بابن المعطل فيه وبمن أسلم من العرب من مُضَر ، فقال :

أمسى الجلابيبُ قد عَزُّوا وقد كَثُرُوا وابنُ الفُرَيْعة أمسى بَيْضةَ البَلد
قد ثَكِلَتْ أُمُّه مَنْ كُنتُ صاحِبَه أو كان مُنْتَشِباً فى بُرْثُنِ الأسَد
ما لِقَتِيلِى الذى أغْدُو فآخُذُه مِنْ دِيَةٍ فيه يُعطاها ولا قَوَدِ
ما البَحرُ حين تَهبُّ الرِّيحُ شامِيةً فيَغْطَئِلُّ ويَرْمى العِبْرَ بالزَّبَدِ
يوماً بأغلَبَ منى حين تُبصِرنى مِلْغَيْظِ أفْرِى كَفَرْىِ العارِضِ البَرِدِ
أمّا قُرَيْشٌ فإنى لَن أُسالِمَهم حتى يُنيبوا من الغَيّاتِ للرَّشَد
ويتركوا اللاّتَ والعُزَّى بمَعْزِلةٍ ويَسْجُدوا كلُّهم للواحد الصَّمَد

وَيَشْهَدُوا أنَّ ماقالَ الرَّسولُ لهم حَقٌّ ويُوفُوا بعَهْدِ الله والوُكُد

فاعترضه صَفْوان بن المُعَطَّل ، فضربه بالسَّيف ، ثم قال : كما حدثنى يعقوب بن عتبة :

تَلَقَّ ذُبابَ السَّيفِ عنى فإننى غُلام إذا هُوجيتُ لستُ بشاعرِ

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى : أن ثابت ابن قَيْس بن الشَّماس وَثَب على صَفْوان بن المُعطَّل ، حين ضَرب حسَّان ، فجمع يَدَيه إلى عُنقه بحبل ، ثم انطلق به إلى دار بنى الحارث بن الخزرج ، فلقيه عبد الله بن رَوَاحَة ، فقال : ماهذا ؟ قال : أما أعجبك ضرب حسَّانَ بالسَّيف ! والله ما أراه إلا قد قتله ، قال له عبد الله بن رَواحة : هل علِم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بشىء مما صنعت ؟ قال : لا والله ، قال : لقد اجترأت ، أطلق الرجل ، فأطلقه ، ثم أتَوْا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فذكروا ذلك له ، فدعا حسَّان وصفوان بن المُعطَّل ، فقال ابنُ المعطَّل : يارسول الله : آذانى وهجانى ، فاحتملنى الغضب ، فضربته ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسَّان : أحسن ياحسان ، أتَشَوَّهْتَ على قومى أن هداهم الله للإسلام ، ثم قال : أحسِنْ ياحسَّان فى الذى أصابك ، قال : هى لك يارسول الله .

قال ابن هشام : ويقال : أبعد أن هداكم الله للإسلام .

قال ابن إسحاق : فحدثنى محمد بن إبراهيم : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاه عوضاً منها بِيرَحاء ، وهى قصر بنى حُدَيلة اليوم بالمدينة ، وكانت

مالاً لأبى طَلْحة بن سَهْل تصدَّق بها على آل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعطاها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حسَّان فى ضَرْبته ، وأعطاه سِيرين ، أمة قِبْطيَّة ، فولدت له عبدَ الرحمن بن حسَّان ، قالت : وكانت عائشة تقول : لقد سُئل عن ابن المُعطل ، فوجدوه رجلا حَصُوراً ، ما يأتى النساء ، ثم قُتل بعد ذلك شهيداً .

قال حسَّان بن ثابت يعتـــذر من الذى كان قال فى شأن عائشة رضى الله عنها :

حَصانٌ رَزَانٌ ما تُزَنّ بريبةٍ وتُصْبح غَرْثَى من لُحوم الغَوافلِ
عَقِيلةُ حَىّ من لُؤَىّ بن غالبٍ كِرَام المَساعى مجدُهم غيرُ زائلِ
مُهَذَّبةٌ قـــد طيَّبَ اللهُ خِيمَها وطَهَّرها مِنْ كُلّ سُوءٍ وباطِلِ
فإن كُنْتُ قد قلتُ الذى قد زَعمتُمُ فَــلا رفَعتْ سَوْطى إلىَّ أنامِلى
وكيفَ ووُدّى ما حَييتُ ونُصْرَتى لآلِ رسولِ الله زَيْنِ المَحافِلِ
له رُتَبٌ عالٍ على النَّاسِ كُلِّهمْ تَقاصَرُ عنه سَوْرَةُ المُتَطاوِلِ
فإنَّ الذى قد قيلَ لَيْس بلائطٍ ولــكنَّه قَوْلُ امْرِئٍ بِى ماحِلِ

قال ابن هشام : بيته : « عقيلة حى » والذى بعده ، وبيته : « له رتب عال » عن أبى زيد الأنصارى .

قال ابن هشام : وحدثنى أبو عُبيدة : أن امرأة مدحت بنتَ حسَّان بن ثابت عند عائشة ، فقالت :

حَصَانٌ رَزَانٌ ماتُزَنُّ بريبة ... وتُصْبِح غَرْثَى من لُحوم الغَوافِل

فقالت عائشة : لكن أبوها .

شعر فى هجاء حسان ومسطح

قال ابن إسحاق : وقال قائل من المسلمين فى ضرب حسّان وأصحابه فى فِرْيتهم على عائشة ـ قال ابن هشام : فى ضرب حسّان وصاحبيه :

لَقَدْ ذَاقَ حَسَّانُ الذى كانَ أهْلَه ... وحَمْنةُ إذْ قالُوا هَجيراً ومِسْطَحُ

تعاطَوْا برَجْمِ الغَيْبِ زوجَ نَبيِّهم ... وسَخْطةَ ذى العَرْشِ الكَريمِ فأُتْرِحوا

وآذَوْا رسولَ الله فيها فجُلِّلوا ... مَخازِىَ تَبْقَى عُمِّمُوها وفُضِّحوا

وصُبَّت عليهم مُحْصَدات كأنَّها ... شآبيبُ قَطْرٍ من ذُرَا المُزْنِ تَسْفَح

غزوة ذى قرد

ويقال فيه : قُرُدٌ بضمتين هكذا ألفيتُه مُقيَّداً عن أبى على ، والقَرَدُ فى اللغة الصوفُ الرَّدِىء ، يقال فى مثل : عَثَرْتُ على الغَزْلِ بأخَرَةٍ فلم تَدَعْ بنَجْدٍ قَرَدَةً[1] .

أسماء أفراس المسلمين :

وذكر ابنُ إسحاق فى هذه الغَزْوَةِ أسماء خَيْل جماعةٍ ممَّنَ حَضَرها ،

---

(١) مثل لمن ترك الحاجة ممكنة ، وطلبها فائتة ، وأصله أن تترك المرأة

. . . .

فذكر يَعْزَجَةَ فرسَ المِقدادِ ، واليَعْزَجَةُ : شِدَّةُ جَرْيٍ فى مُغالَبة كأنه مَنْحوتٌ من بَعَجَ إذا شق ، وعزَّ ، أى : غَلَبَ . وأما سَبْحَة فمن سَبَح إذا علا عُلُوًّا فى اتساع ، ومنـــه : سُبْحَانَ الله ، وسُبُحَاتُ الله : عَظمتُه وعُلوُّه ، لأن الناظر المفكر فى [الله] سبحانه يَسْبَح فى بَحْرٍ لاساحِلَ له ، وقد ذكرنا فى معنى هذه الكلمةِ حقائقَ ودقائقَ أسرارٍ فى شَرْحِ : سُبْحَانَ اللهِ وبِحَمْدِهِ . وأما حَزْوةُ ، فمن حَزَوْتُ الطيرَ إذا زَجَرْتَها ، أو من حَزَوْتُ الشيء إذا أظهرتَه . قال الشاعر :

تَرَى الأمْعَزَ المَحْزُوَّ فيه كأنه ... من الحَرِّ واستقبالِهِ الشَّمْسَ مِسْطَحُ[1]

وجُلْوةَ من جَلَوْتُ السَّيْفَ ، وجَلَوْتُ العَرُوسَ ، كأنها تَجْلُو الغَمَّ عن قلبِ صاحِبِها . ومَسْنُون من سَنَنْتُ الحديدةَ إذا صَقَلْتَها .

سلمة بن الأكوع :

وذكر سَلَمَةَ بن الأكْوَع ، واسم الأكوع : سِنَانٌ ، وخبر سَلَمَةَ فى ذلك اليوم أطولُ مما ذكره ابنُ إسحاق ، وأعجب ، فإنه استلب وحده فى ذلك اليوم من العَدُوِّ وهو راجِلٌ قبل أن تلحق به الخيلُ ثلاثين بُرْدَةً وثلاثين دَرَقَةً ، وقتل منهم بالنَّبْلِ كثيراً ، فكلما هربوا أدركهم ، وكلما

---

(١) المسطح : حصير يسف من خوص الدوم ، والبيت لتميم بن مقبل وروايته فى اللسان هكذا :

إذا الأمعز المحزو آجن كأنه ... من الحر فى حد الظهيرة مسطح

والأمعز : أرض صلبة .

. . . .

راموه أملت منهم ، وشُهْرَةُ حديثه تُغْنِى عن سَرْدِه ، فإنه فى كتب الحديث المشهورة(١) ، وقيل إن سَلَمَةَ هذا هو الذى كلَّمه الذئبُ ، وقيل : إن الذى كلمه الذئبُ هو أهْبانُ بن صَيْفِىٍّ(٢) وهو حديث مشهور .

شرح اليوم يوم الرضع :

وقوله : اليوم يومُ الرُّضَّع ، يريد يوم اللئام ، أى يوم جُبْنهم ، وفى قولهم : لئيم راضع أقوال ، ذكرها ابن الأَنْبارىّ . قيل : الراضع هو الذى رَضَعَ اللُّؤْمَ فى ثَدْيَىْ أُمِّه أى : غُذِى به ، وقيل هو الذى يَرْضَع مابين أسنانه يَسْتَكْثِر من الجَشَع بذلك . وشاهدُ هـذا القولِ قولُ امرأةٍ من العرب تَذُمُّ رَجُلاً : إنه لأُكَلَةٌ شُكَلَةٌ يأكل من جَشَعِه خِلَلَه ، أى : مايتخلَّلُ بين أسنانه . قال ابن قتيبة : ولم أسمع فى الجَشَع ، والحرصِ أبلغ من هذا ، ومن قولهم : هو يُثِير الكلابَ من مَرَابِضِها ، أى يلتمس تحتها عَظْماً يَتَعَرَّقُه ، وقيل فى اللئيم الراضع غير ما ذَكَرْنَاهُ مما هو معروفٌ عند الناس ومَذْكور فى كُتُبِهم .

---

(١) ورد فى حديث رواه البخارى ومسلم « فجعلت أرميهم بنبلى ، وكنت رامياً . وأقول : أنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضع وأرتجز حتى استنقذت اللقاح منهم ، واستلبت ثلاثين بردة » و اللقاح الإبل الحوامل ذات الألبان ، وقد رواه الإمام أحمد طولا وفيه : ثم لم أزل أرميهم حتى ألقوا أكثر من ثلاثين رمحاً وأكثر من ثلاثين بردة يستخفون منها » وسلمة هو ابن عمرو بن الأكوع وهو ممن بايع الرسول تحت الشجرة على الموت . مات وسنه أربع وسبعون سنة .

(٢) وقيل اسمه : أهبان ، أو . وهبان . ولقد علم سليمان النبى منطق الطير ،

. . . .

وقوله : اليومُ يومُ الرُّضَّعِ بالرفع فيهما ، وبنصب الأول ، ورفع الثانى ، حكى سيبَوَيه : اليومَ يومُك ، على أن تجعل اليومَ ظرفاً فى موضع خبرٍ للثانى ، لأن ظروف الزمان يخبر بها عن زمانٍ مثلِها إذا كان الظرفُ يتّسع ، ولايضيق على الثانى ، مثل أن تقول : الساعة يومُك ، وقد قيل فى قوله تعالى : ﴿ فذلكَ يَوْمَئِذٍ يومٌ عَسِيرٌ ﴾المدثر ٩٠ أن يَوْمَئِذٍ ظرفٌ ليوم عسيرٍ ، وذلك أن ظروف الزمانِ أحداثٌ ، وليست بُجثثٍ فلا يَمتنعُ فيها مثلُ هذا ، كما لايمتنعُ فى سائر الأحداثِ .

وقوله عليه السلام للغفارِيَّةِ ، واسمها ليلى ، ويقال هى امرأة أبى ذَرٍّ حين أخبرته أنها نذَرَتْ إن الله نجّاها ، عليها أن تنحرَه ،قال : فتبسّم رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم قال : بئس ماجزَيتها أنْ حملكِ اللهُ عليها ونجّاكِ بها ، ثم تنحرِينَها إنه لانذْرَ فى معْصِيَةِ الله ، ولا فى مالا تملكين ، فيه حُجّة للشافعى ، ومن قال بقوله : إن ما أحرزه العدوُّ من مالٍ إنه لهم بلا ثمن قبل القَسْمِ وبعدَه ، لأنه لايُخرجه من مِلْكِه حوْزُ العدُوِّ له ، وقال مالك : هو أولى به قبل القَسْمِ وصاحبُه بعد القسم أولى به بالثمن ، وفيه قولان آخران لأهل العِراق .

حول النذر والطلاق والعتق :

وقوله عليه السلام : إنه لانذر فى معْصِيَةِ الله ، ولا فيما لاتملكين ، وقوله عليه السلام : لانذْر لأحدٍ فيما لايملك ، ولا طَلَاقَ لأحد فيما لايملك ، ولاعِتق

رفع المسيّهم

. . . .

لأحد فيما لا يملك، حديثٌ مَرْوِيٌّ من طريق عبدِ الله بن عَمْرو ، ومن طريقِ أبي هُرَيْرَة ولكنه لم يخرج في الصحيحين لِعلَلٍ في أسانيده ، وقد قال بهذا الحديث أن لا طَلَاقَ قبل المِلْكِ جماعةٌ من الصحابة وفقهاء التابعين وفقهاء الأمصار ، وسواء عندهم عَيَّنَ امْرَأة ، أولم يُعَيِّن ، وإليه مال البخارى رحمه الله، ورواه ابن كِنانة عن مالك ، وابن وَهْبٍ ، واحتج ابنُ عَبَّاسٍ في هذه المسألة بقوله تعالى ﴿ إذا نكحتم المُؤْمِناتِ ثم طَلَّقْتُمُوهُنَّ ﴾ الأحزاب : ٤٩ قال : فإذاً لا طَلَاق إلّا بعد نكاح ، وقال شُرَيْكٌ القاضى : النكاحُ عَقْدٌ والطلاقُ حَلٌّ ، فلا يكون الحَلّ إلا بعد العَقْد.

من شرح شعر حسان أعضاء الخيل :

وذكر شعر حسان :

لولا الذى لاقت ومَسَّ نُسُورَها

يعنى: الخيلَ ،والنَّسْر كالنَّواة فى باطن الحافِرِ ،وفى الفَرَسِ عشرون عضواً ، كُلُّ عضو منها يُسَمَّى باسم طائر ، فمنها النَّسْرُ والنَّعامَةُ والهامَةُ والسَّمامَةُ والقَمْحْدانَةُ وهى الحمامَةُ والقَطاةُ الذُّبابُ والعُصْفور والغُراب والصُّرَد والصَّقْرُ والخَرَبُ والناهِضُ ، وهو فَرْخ[1] العُقابِ والخُطَّاب، ذكرَها وبقيتها الأَصْمعِي[2] ، وروى فيها شِعْراً لأبى حَزْرَة جرير ، وهو :

---

(١) فى الأصل : فرج .

(٢) أنظر ص ١٩٣ من ذيل الأمالى والنوادر للقالى ط ٢ ففيه أكثر مما ذكر =

. . . .

وأقبُّ كالسِّرْحانِ تمَّ له ... ما بَيْنَ هامَتِهِ إلى النَّسْرِ
رَحُبَتْ نعامتُه وَوُفِّرَ فَرْخُه ... وتمكَّن الصُّرَدانِ في النَّحْرِ
وأنافَ بالعُصْفُورِ في سَعَفٍ ... هامٍ أشَمَّ مُوثَّقِ الجِذْرِ
وازْدانَ بالدِّيكَيْنِ صَلْصَلُه ... ونَبَتْ دَجاجتُه عن الصَّدْرِ
والنَّاهِضانِ أُمِرَّ جَلْزُهُما ... فكأنَّما عُثِما على كَسْرِ
مُسْحَنْفِرَ الجَنْبَيْنِ مُلْتَئِمٌ ... مابين شِيمَته إلى الغُرِّ
وصَفَتْ سُماناهُ وحافِرُه ... وأديمُه ومنابِتُ الشَّعْرِ[1]
وسَما الغُرابُ لموقِعَيْه مَعاً ... فأُبِينَ بينهُما على قَدْرِ
واكْتَنَّ دون قَبيحه خُطَّافُه ... ونأتْ سَمامتُه[2] على الصَّقْرِ
وتقدَّمت عنه القَطاةُ له ... فنأتْ بموقِعها عن الحُرِّ[3]
وسَما على نِقْوَيْهِ دون حِدَاتِه ... خَرَبانِ بينهما مَدَى الشِّبْرِ
يَدَعُ الرَّضِيمَ إذا جَرَى فِلَقاً ... بتوائمٍ كمَوَاسِمٍ سُمْرِ

= السهيلي. ويذكرون أن الرشيد قال للأصمعي : قيل إن في الفرس عشرين اسماً من أسماء الطير ، فقال : نعم ، وأنشده شعراً جامعاً لها من قول جرير ، فأمر له بعشرة آلاف درهم .

(١) في الأصل . وأديمة والشفر

(٢) في الأصل : سمانته

(٣) في الأصل : فبانت

رفع المسهم

. . . .

رُكِبْنَ فى مَحْضِ الشَّوَى سَبِطٍ كَفْتِ الوُنُوبِ مُشَدَّدِ الأَسْرِ (١)

بداد وفجار :

وقوله : فَشَكُّوا بالرِّماح بَدَادِ . بَدَادِ من التَّبَدُّدِ ، وهو التفرُّقُ ، وهو فى موضع نصب غير أنه مَبْنِيٌّ ونصبُه كانتصابِ المصدر ، إذا قلت : مَشَيْتُ القَهْقَرَى ، و قَعَدْتَ القُرْفُصاء ، وكأنه قال : طَعَنُوا الطَّعْنَةَ التى يُقال لها بَدَادِ ، وبَدَادِ مثل فَجَارِ من قوله : احْتَمَلْتُ فَجَارِ (٢) جعلوه اسماً عَلَماً للمصدر ، كما قالوا : فَحَمَلْتُ بَرَّةَ ، فجعل بَرَّةَ عَلَماً للبِرِّ ، وسِرُّ هذه العَلَمِيَّةِ فى هذا الموطنِ أنَّهُم أرادوا الفعل الأتَمَّ الذى يُسَمَّى باسم ذلك الفعلِ حقيقةً ، فقد يقول الإنسان بَرَّ فلانٌ وفَجَرَ أى قارَبَ أن يَفْعَلَ ذلك ، أو فعلَ منه بعضَه ، فإذا قالَ : فَعَلْتُ بَرَّةَ ، فإنما يريد البِرَّ الذى يُسَمَّى بِرّاً على الحقيقةِ ، فجاء بالاسم العلَمِ الذى هو عبارة عن مُسَمّاه حقيقةً ، إذ لايتصور هذا الضربُ من المجازِ فى الأعلام ، وكذلك إذا أراد الفجورَ على الحقيقةِ ، وأراد رَفْعَ المجازِ سمّاه ، فجاز تحقيقاً للمعنى ، أى : مثل هذه الفعلة ينبغى أن تُسَمَّى باسم الفجورِ حقيقةً ، وكذلك قالوا فى النداء : يا فَسَاقِ ويا فُسَقُ فجاءوا بالصِّيغَة المعروفة العَلَمِيَّة المعروفة مع النِّداءِ خاصَّة ، أى : إن هذا الاسمَ ينبغى أن يكون

---

(١) أنظر القصيدة وشرحها وقصة الأصمعى مع الرشيد فى نهاية الأرب ص ٢٣ سفر العاشر . وانظر أيضا "عقد الفريد لابن عبدربه ج ١ ص ٦١ ط بولاق وص ٩١ ج ٣ سمط اللآلى للبكرى .

(٢) يعنى قول النابغة :

إنا اقتسمنا خطتينا بيننـــا فحملت برة ، واحتملت فجار

. . . .

اسمه الذى يُدعَى به، إذ الاسْمُ العَلَمَ ألزَمُ لِمُسَمَّاه من اسم مُشْتَقٍّ من فِعْل فَعله، لأن الفعلَ لا يَثْبُتُ، والاسم العلَم يَثْبُتُ، فهذا هو مَغزَاهم فى هذه الأسماء التى هى على صِيَغ الأعْلَام فى هذه المواطنِ، فتأملها، وقد بسطنا هذا الغرض بَسْطًا شافيًا فى أسرار ما يَنْصَرِفُ، وما لا ينصرف، فَلْتُنْظَر هنالك، فَثَمَّ ترى سِرَّ بنائها على الكسر مع ما يتصل بمعانيها إن شاء الله، وألفَيْتُ فى حاشية الشيخ رحمه الله على قوله: فشُكُّوا بالرِّماح فشُلُّوا[1] باللام الرواية الصحيحة، وحقيقة المعنى، ووقع فى الأصلين: فشُكُّوا بالكاف كما فى هذا الأصل. إلى هاهنا انتهى كلام الشيخ، والشَّلُّ باللام: الطَّرْدُ، والشَّكُّ بالكاف: الطَّعْنُ كما قال:

شَكَّ الفَرِيصَةَ بالمِدْرَى فأنفَذَها[2] [شَكَّ المُبَيْطِرِ إذ يَشْفِى من العَضَد]

عود إلى شرح شعر حسان:

وقوله: رَهْواً أى: مَشْيًا بسكون، ويقال لمُسْتَنْقع الماء أيضًا رَهْوٌ والرَّهْوُ أسماء الكُرْكِىِّ، والرَّهْوُ المِرآةُ الواسعة.

---

(١) أنظر مادة بدد وفجر وفسق فى اللسان. وشلوا هى رواية اللسان. وضبط لجبا بضم اللام والجيم.

(٢) البيت للنابغة وتمامه: شك المبيطر إذ يشفى من العضد. والمدرى والمدراة شىء يعمل من حديد أو خشب على شكل سن من أسنان المشط. والفريصة: لحمة عن نفض الكتف فى وسط الجنب عند منبض القلب.

رفع المسـ[illegible]

. . . .

وقوله : روادى ، أى تَرْدِي بفُرْسَانِها ، أى: تسرع[1] .

قصيدة أخرى لحسان:

وقول حسان فى خيل عُيَيْنَة :

فَوَلَّوْا سِرَاعاً كَشَدِّ النَّعا م لم يَكْشِفُوا عن مُلِطٍ حَصِيرا

أى:لم يَنفِضُوا بعيراً ، ولا كَشَفوا عنه حَصِيراً ، يعنى : بالحصير ما يَكُنُّ به حَوْل الإبل من عِيدَان الحَظِيرَةِ ، والمُلِطُّ من قولهم : أَلَطَّت الناقةُ ، وأَلَطَّتْ بذَنَبِها إذا أدخلته بين رِجْلَيها[2] .

غزوة بنى المصطلق

وهم بَنُو جَذِيمَةَ بن كَعْبٍ من خُزَاعَةَ ، فَجَذِيمةُ هو المُصْطَلِقُ وهو مُفْتَعِلٌ من الصَّلْقِ ، وهو رَفْعُ الصَّوْت[3] .

وذكر المُرَيْسِيعَ ، وهو ماء لخُزَاعَةَ ، وهو من قولهم : رَسَعَتْ عينُ الرجل : إذا دَمَعت من فَسَادٍ .

---

(١) يقول الخشنى : ومن رواه بكسر الراء . فهو من المشى الرويد ، وهو الذى فيه فتور ص ٣٣١

(٢) يقول أبو ذر : الملط بالطاء المهملة اللاصق بالأرض هنا . والحصير : وجه الأرض هنا ص ٣٣٢

(٣) يقول ابن دريد فى الاشتقاق : سمى المصطلق لحسن صوته كأنه مفتعل من الصلق ، والصلق شدة الصوت وحدته ، ص ٤٧٦ وقد ضبط الزرقانى جذيمة بضم الجيم وفتح الذال . والقاموس يضبطها بالضبطين .

. . . .

وذكر سِنَانَ بن وَبْرَةَ[1] وقال غيره : هو سِنَانُ بن تَمِيمٍ من جُهَيْنَةَ بن سُوْد بن أَسْلَم حليف الأنصار .

تحريم دعوى الجاهلية :

وذكر أنه نادى : يا لَلأَنْصَارِ ، ونادى جَهْجَاه الغِفَارِيُّ يا لَلْمُهَاجِرِين ، ولم يذكر ما قال النبي صلى الله عليه وسلم حين سمعهما ، وفي الصحيح[2] أنه عليه السلام حين سمعها منهما ، قال : دعوها فإنها مُنْتِنَةٌ ، يعني : إنها كَلِمَةٌ خبيثة ، لأنها من دَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ ، وجعل الله المؤمنين إِخْوَةً وحِزْبًا واحداً ، فإنما ينبغي أن تكونَ الدعوةُ يا لَلْمُسْلِمين ، فمن دعا في الإسلام بَدَعْوَى الجاهِلِيَّةِ فيتوجه للفقهاء فيها ثلاثةُ أقوال : أحدها : أن يُجْلَدَ من استجابَ لها بالسلاح خمسين سَوْطًا اقتداء بأبي موسى الأَشْعَرِيِّ في جَلْدِه النابغةَ الجَعْدِيَّ خمسين سوطًا ، حين سَمِع : يا لَعَامِرٍ ، فأقبل يَشْتَدُّ بعُصْبَةٍ له . والقول الثاني : إن فيها الجَلْد دون العَشَرة لنهيه عليه السلام أن يُجْلَدَ أحدٌ فوق العشرة إلا في حَدٍّ ، والقول الثالثُ : اجتهادُ الإمام في ذلك على حَسَبِ ما يراه مِنْ سَدِّ الذَّرِيعَةِ وإغلاق باب الشر ، إمَّا بالوَعيد ، وإما بالسِّجن ، وإما بالجلد .

فإن قيل : إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يُعاقِب الرجلين حين دَعَوَا بها قلنا : قد قال : دَعُوها فإنها منتنة ، فقد أكد النهي ، فمن عاد إليها بعد هذا النهي ، وبعد وصف النبي صلى الله عليه وسلم لها بالإنْتَانِ وَجَبَ أن يُؤَدَّب ،

---

(١) في السيرة : وبر

(٢) هو في صحيح البخاري .

رفع المسيهم

. . . .

حتى يشم نَتَنَها ، كما فعل أبو موسى رحمه الله بالجَعْدِيِّ ، فلا معنى لِتَنَتُّنها إلا سوء العاقبة فيها والعقوبة عليها .

جهجاه :

وأما جَهْجَاهُ فهو ابن مَسْعُودِ(١) بنِ سَعْد بن حَرَام ، وهو الذى روى عن النبي صلى الله عليه وسلم : المؤمن يأكل فى مِعًى واحدٍ ، والكافر يأكل فى سَبْعة أمْعَاء ، وهو كان صاحب هذه القصة فيما روى ابن أبى شَيْبَةَ والبزار ، وقد قيل أيضاً : إن الرجل الذى قال فيه عليه السلام هذه المقالة ، هو ثُمَامَةُ بن أثال الحنفى ، ذكره ابن إسحاق ، وقيل : بل هو أبو بَصْرَة [جميل بن بَصْرَة] الغفاري ، قاله أبو عبيد ، ومات جَهْجَاه هذا بعد قَتْل عثمان رحمه الله ، أخذته الأَكِلَة فى ركبته فمات منها ، وكان قد كسر بِرُكْبَته عَصاً رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ـ التى كان يخطُب بها ، وذلك أنه انتزعها من عُثْمانَ حين أُخْرِج من المسجد ، ومُنِع من الصلاة فيه ، فكان هو أحد المعينين عليه ، حتى كسر العصا على رُكبته ، فيما ذكروا ، فابتُلِي بما ابتلى به من الأَكِلَة : نعوذ بالله من عُقُوبته ، ونستجير به من الأهواء المُضِلَّة(٢) .

موقف عبد الله الصحابي من أبيه المنافق وولائه :

وذكر مقالةَ عبدِ الله بن أُبَيّ ، وأن ابنه عبدَ الله بن عَبْد الله استأذن

(١) فى الإصابة : ابن سعيد ، وقيل : ابن قيس .

(٢) أنظر ترجمته فى الإصابة .

رفع المسبهم

. . . .

النبيّ صلى الله عليه وسلم في قتل أبيه من أجلِ تلك المقالة ، وفي هذا العلم المعظم والبُرْهَان النّيِّر من أعلام النُّبُوَّة ، فإن العرب كانت أشدّ خلق الله حَمِيَّة وتعصّباً ، فبلغ الإيمان منهم ونورُ اليقين من قلوبهم إلى أن يَرْغبَ الرجلُ منهم في قتل أبيه وولدِه ، تَقرُّباً إلى الله ، وتَزَلُّفاً إلى رسوله، مع أن الرسولَ - عليه السلام - أبعدُ الناسِ نَسَباً منهم ، وما تأخر إسلام قومِه وبني عمّه وسَبَق إلى الإيمان به الأباعدُ إلّا لحكمة عظيمة ، إذ لو بادر أهلُه وأقربُوه إلى الإيمان به ، لقيل : قوم أرادوا الفخرَ برجل منهم ، وتعصّبوا له ، فلما بادر إليه الأباعدُ ، وقاتلوا على حُبّه مَنْ كان منهم أو من غيرهم ، عُلِمَ أن ذلك عَنْ بَصِيرَةٍ صادقة ويقين قد تَغَلغَلَ في قلوبهم ، ورَهْبَة من الله أزالت صِفة ، قد كانت سَدِكَتْ(١) في نُفُوسِهِم من أخلاق الجاهلية لا يستطيع إزالتَها إلا الذى فَطَرَ الفِطْرَةَ الأولى ، وهو القادر على ما يشاء ، وأما عَبْدُ الله بن عَبْدِ الله ، فكان من كُتّاب النبي - صلى الله عليه وسلم - وكان اسمُه حُبَاب ، وبه كان يُكَنّى أبوه ، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله ، مات شهيداً باليمامة رضي الله عنه ، وروى الدَّارَقُطْني مُسْنَداً أن النبيّ - صلى الله عليه وسلم - مرّ على جماعةٍ فيهم عبدُ الله بن أُبَيّ فسلّم عليهم ، ثم ولّى ، فقال عبد الله : لقد عَتَا ابنُ أبي كَبْشَةَ في هذه البلادِ ، فسمعها ابنُه عبدُ الله ، فاستأذن النبي صلى الله عليه وسلم في أن يأتيه برأس أبيه ، فقال : لا ، ولكن برّ أباك . وذكر ابنُ إسحاق في هذا الخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم حين بلغته مقالةُ

---

(١) لزمت .

عبد الله بن أُبي : مَتَنَ الناسُ يومَهم ذلك ، ويروى مَشَى ، فأما مَتَن ، فقال صاحب العَيْن : يقال : ساروا سيْراً مُماتِناً ، أى : بعيداً .

حول حديث جويرية « ملاحة وملح » :

فصل : وذكر جُوَيْرِيَة بنت الحارث ، ووقوعَها فى السَّهم لثابت بن قَيْسٍ ، أو لابْنِ عمٍّ له ، ثم جاءت تستعين فى كِتابتها ، قالت عائشة : وكانت امرأةً حُلْوَةً مُلاَّحَةً . المُلاَّحُ أبلغ من المليح فى كلام العرب ، وكذلك الوُضَّاءُ أبلغ من الوَضِيء ، والكُبَّارُ كذلك أبلغ من الكبير ، غير أنه لا يوصف البارى سُبْحانه بهذا اللفظ ، فيقال فيه كُبَّار بمعنى كبير ، لأنه على بِنْيَة الجَمْع ، نحو ضُرَّاب وشُهَّاد ، فكان لفظُ الكبير ونحوه أبعدَ من الاشتراك ، وأدلَّ على الوَحْدانيَّة ، والله أعلم .

وأما معنى : المُلاَّحَة ، فذهب قومٌ إلى أنها من المُلْحَةِ وهى البياضُ ، تقول العربُ : عِنَبٌ مُلاَحِيٌّ [(١)] والصحيح فى معنى المليح ، أنه مُسْتَعارٌ من قولهم : طعام مَلِيحٌ إذا كان فيه من المِلْح بقدر ما يُصْلِحه ، ولذلك إذا بالغوا فى المدح قالوا : مَلِيحٌ قَزِيحٌ ، فمَلِيحٌ من مَلَحْتُ القِدرَ ، وقَزِيحٌ من قزَحْتُها إذا طيبت نكهتها بالأفاويه ، وهى الأقزاحُ ، ويدلك على بُعْد هذا المعنى من البياض قولهم : فى الأسْوَد : مَلِيحٌ ، وفى العينين إذا اشتد سوادُهما وحُسْنُهما كما جاء فى تفسير قوله سبحانه : ﴿ وأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي ﴾ طه : ٣٩ . أنها

(١) وقد تشدد اللام

. . . .

مَلَاحَةٌ فى العينين ، وقال الأَصْمَعِىُّ : الْحُسْنُ فى الْعَيْنَيْنِ ، والْجَمَالُ فى الأنف ، والْمَلَاحَةُ فى الْفَمِ . وقالت امرأة خالد بن صفوان لبعلها : إنك لَجَمِيلٌ يا أبا صَفْوَانَ ، فقال : وكيف وليس عندى رِدَاءُ الجمال ولا بُرْنُسُه ولا عَمُودُه ؟ ثم قال : عَمُودُه الطُّولُ ، وأنا رَبْعَةٌ ، وبُرْنُسُه سوَادُ الشعر ، وأنا أشْمَطُ ، ورِدَاؤه البياضُ ، وأنا آدَمُ ، ولكن قولى : إنك مَلِيحٌ ظَرِيفٌ . فعلّمها أن المَلَاحَةَ قد تكون من صِفَةِ الآدَمِ ، فهى إذاً ليست من معنى البياضِ فى شَىْء ، وإنما هى ضد المَسَاسَةِ .

غيرة نساء النبى ، والنظر إلى المرأة :

وقول عائشة فى جُوَيْرِيَة : فوالله ماهو إلا أن رأيتها على باب حُجْرَتى فكرهتُها . فيه ما كان عليه أزواجُ النبى – صلى الله عليه وسلم – من الغَيْرَةِ عليه ، والعلم بموقع الجَمَالِ منه ، كما قد روى أنه – عليه السلام – أنه خَطَبَ امرأةً فأرسَلَ عائشةَ لتنظرَ إليها ، فلما رجعت إليه قالت : مارأيت طائلا ، فقال : بلى لقد رأيتِ : خالًا فى خَدِّها اقْشَعَرَّتْ منه كلُّ شَعْرَةٍ فى جسدك . وأما نظرهُ عليه السلام لجُوَيْرِيَةَ حتى عرَفَ من حُسْنِها ماعرَف ، فإنما ذلك لأنها كانت امرأة مملوكة ، ولو كانت حُرَّةً ماملأ عينَه منها ؛ لأنه لا يُكره النظرُ إلى الإماء ، وجائز أن يكون نظر إليها ، لأنه نوى نِكَاحَها ، كما نظر إلى المرأة التى قالت له : إنى قد وَهَبْتُ نَفْسِى لك يارسولَ الله ، فصعّد فيها النظر ثم صَوَّبَ ، ثم أنكحها من غيره ، وقد ثبت عنه عليه السلام الرُّخْصَة فى النظر إلى المرأة عند إرادةِ نِكَاحِها ، وقال لِلْمُغِيرة حين شاوره فى نكاح امرأة :

. . . .

لو نظرتَ إليها ، فإن ذلك أحرى أن يُؤدَمَ بينكما ، وقال مثل ذلك لمحمد بن مَسْلَمَةَ حين أراد نكاح بُثَيْنَةَ بنت الضحاك ، وقد أجازه مالكٌ في إحدى الروايتين عنه ، ذكرها ابن أبي زيد . وفي مُسْنَد البزّار من طريق أبي بَكْرَة لا حرجَ أن ينظر الرجلُ إلى المرأة إذا أراد تزوّجها ، وهي لا تشعر . وفي تراجم البُخاريّ : النظرُ إلى المرأة قبل التزويج ، وأورد في الباب قوله عليه السلام لعائشة أُرِيتُكِ في المنام يجيء بكِ الملَكُ في سَرَقَةٍ من حرير ، فكشفتُ عن وجهكِ ، فقال : هذه امرأتُك ، فقلتُ : إن يَكُن من عند الله يُمْضِه . وهذا استدلال حَسَنٌ . وفي قوله : إن يكُنْ من عند الله سؤالٌ ، لأن رؤياه وَحْيٌ ، فكيف يَشُكُّ في أنها من عند الله .

والجواب : أنه لم يشك في صحة الرؤيا ، ولكن الرُّؤيا قد تكون على ظاهرها ، وقد تكون لمن هو نظيرُ المرء أو سَمِيُّه ، فمن هاهنا تَطَرَّق الشكُّ ما بين أن تكون على ظاهرها ، أو لها تأويل كذلك ، وسمعتُ شيخنا يقول في معنى هذا الحديث ، ولغيره فيه قول لا أرضاه ، فلا يخلو نظرهُ عليه السلام إليها من أحد الأمرين ، أو يكون ذلك قبل أن يُضرَبَ الحجاب ، وإلا فقد قال الله تعالى له : ﴿ قُل لِلمؤمنين يَغُضُّوا من أبصارِهِم ﴾ وهو إمام المتقين وقُدوةُ الورعين (١) صلى الله عليه وسلم .

---

(١) هذا هو الحق ، ولا يلتفت أبداً إلى سواه . وللأستاذ العقاد فصل ممتاز عن زواج النبي صلى الله عليه وسلم نختار منه ما يأتي : « لا حجة للمسلم على صدق محمد عليه السلام في رسالته أصدق من سيرته في زواجه . وفي اختيار زوجاته ، وليس للنبوة من آية أشرف من آيتها في معيشة نبي الإسلام من مطلع حياته =

. . . .

جويرية :

وأما جويرية فهى بنت الحارث بن أبى ضِرَار بن حَبِيب بن عائذ بن مالك ابن جَذِيمة ، وجَذِيمةُ هو المُصْطَلِقُ من خُزَاعةَ ، كان اسمُها بَرّة ، فسماها

= إلى يوم وفاته . ما الذى يفعله الرجل الشهوان الفاسق فى لذات الجسد إذا بلغ من المكانة والسلطان ما بلغه محمد بين قومه ؟

لم يكن عسيراً عليه أن يجمع إليه أجمل بنات العرب ، وأفتن جوارى الفرس والروم .

ولم يكن عسيراً عليه أن يوفر لنفسه ، ولأهله من الطعام والكساء والزينة ما لم يتوفر لسيد من سادات الجزيرة فى زمانه .

فهل فعل محمد « ص » ذلك بعد نجاحه ؟ هل فعل محمد ذلك فى مطلع حياته ؟ كلا لم يفعله قط ، بل فعل نقيضه ، وكاد أن يفقد زوجاته لشكايتهن من شظف العيش فى داره .

ولم يحدث قط أن اختار زوجة واحدة ، لأنها مليحة أو وسيمة ، ولم يبن بعذراء قط إلا العذراء التى علم قومه جميعاً أنه اختارها ، لأنها بنت صديقه وصفيه وخليفته من بعده أبى بكر الصديق رضى الله عنه . . . وما بنى — عليه السلام — بواحدة من أمهات المسلمين ، لما وصفت به عنده من جمال ونضارة ، وإنما كانت صلة الرحم ، والعطف بها على المهانة هى الباعث الأكبر فى نفسه الشريفة على التفكير فى الزواج منهن . . . ثم يتحدث عن كل زوجة من أزواجه صلى الله عليه وسلم ، ثم يقول : « والسيدة جويرية بنت الحارث سيد قومه كانت بين السبايا فى غزوة بنى المصطلق ، فأكرمها النبى — عليه السلام — أن تذل ذلة السباء ، فتزوجها ، وأعتقها ، وحض المسلمين على إعتاق سباياهم ، فأسلموا جميعاً ، وحسن إسلامهم ، وخيرها أبوها بين العودة إليه ، والبقاء عند رسول الله ، فاختارت البقاء فى حرم رسول الله » ص ١٩٠ ومابعدها حقائق الإسلام ط ١

رفع
المسلم
عبد الرحمن الهجري

. . . .

رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - جُوَيْرِيَةَ(١) ، وقد رُوى مثل هذا فى حديث مَيْمُونَةَ بنتِ الحارثِ. وكذلك زَيْنَب بنت جَحْشٍ ، كان اسمُها بَرَّة أيضاً ، وزينب بنت أبى سَلَمَة ربيبته عليه السلام ، كان اسمُها بَرَّة فسماهُنّ جُمَع بغير ذلك الاسم ، توفيت جُوَيْرِية فى شهر ربيع الأول سنة ستٍّ أو خمسٍ وخمسين من الهجرة ، وكانت قبل أن تُسْبَى عند مُسَافِع بن صَفْوان الخُزَاعى .

حديث الإفك

فيه من الغريب قولُ عائشةَ: والنساء يَوْمَئذٍ لم يُهَبِّجْهن(٢) اللحم فَيَثْقُلْنَ .

---

(١) فى حديث رواه مسلم وأبو داود عن محمد بن عمرو بن عطاء أن زينب سألته : ما سميت بنتك ؟ فقال : سميتها : برة ، فقالت زينب : كان اسم جويرية برة ، فغيره رسول الله — صلى الله عليه وسلم — باسم جويرية ، وفى حديث رواه أبو داود ، نهى رسول الله أن يسمى بهذا الاسم ، فقال : لاتزكوا أنفسكم ، والله أعلم بأهل البر منكم .

(٢) فى جميع النسخ المطبوعة : يهجن أو يبيجهن . على حين ينقل المحققون للسيرة فى كل طبعة شرح الكلمة عن أبى ذر وعن الروض. وهى فى الروض يهجهن أيضاً ، والسهيلى يشرحها بقوله : التهبيج : انتفاخ فى الجسم ، أما أبوذر فيقول : والتهبيج كالورم فى الجسد ، وفى الجمهرة : التوبج : انتفاخ الوجه وتقبضه . وما قاله أبو ذر هو الصواب ولعله خطأ من الناسخ فى الروض ومن الطابع فى السيرة !! وفى اللسان : هبجه بالباء تهبيجاً فتهبج ، أى ورمه فتورم . . والتهبيج : شبه الورم فى الجسد . وللكلمة عدة روايات : لم يثقلهن اللحم ، أو لم يغشهن اللحم ، وفى رواية : لم يهبلهن اللحم . وهبله اللحم وأهبله إذا أثقله وأصبح فلان مهبلا أى كثير اللحم أو وارم الوجه ، وفلان مهبل أى مهبج ، كان به ورماً .

التَّهْبِيجُ: انتفاخٌ فى الجسم قد يكون من سِمَنٍ ، وقد يكون من آفة ، قال الأصمعىُّ أو غيره : هَجَمْتُ على حَىٍّ من العرب بوادٍ خصيبٍ ، وإذا ألوانُهم مُصْفَرَّةٌ ووجوهُهم مُهَبَّجَةٌ ، فقلت لهم : ما بالُكم ؟ واديكم أخْصَبُ وادٍ ، وأنتم لاتُشْبِهُون المخاصب، فقال لى شيخ منهم : إن بلدنا ليست له رِيحٌ ، يريد : أن الجبال أحاطت به فلا تُذهِبُ الرياحُ وَبَاءه ولَا رُمْدَه .

صفوان بن المعطل :

وفيه ذكر صَفْوان بن المُعَطَّلِ بن رُبَيْضَةَ بن خُزَاعِىِّ بن مُحَاوِبِ بن مُرَّةَ بن فَالِجِ بن ذَكْوان بن ثَعْلَبَةَ بن بُهْثَةَ بن سُلَيْمٍ السُّلَمِىِّ ، ثم الذَّكْوانىّ يُكَنَّى أبَا عَمْرٍو ، وكان يكون على ساقَةِ العَسْكَرِ يلتقط مايَسْقُط من مَتاعِ المسلمين ، حتى يأتيهم به ، ولذلك تَخَلَّف فى هذا الحديث الذى قال فيه أهلُ الإفك ما قالوا ، وقد رُوِى فى تخلّفه سببٌ آخر ، وهو أنه كان ثقيلَ النَّوْمِ لايستيقظ حتى يَرْتَحِلَ الناسُ. ويَشْهَدُ لصِحَّةِ هذا حديثُ أبى داود أن امرأةَ صَفْوَان اشتكت به إلى النبى — صلى الله عليه وسلم — وذكرت أشياءَ منها أنه لايُصَلِّى الصبحَ ، فقال صَفْوانُ : يارسول اللهِ إنى امْرُؤٌ ثقيلُ الرأس لا أستيقظ حتى تطلع الشمسُ ، فقال له النبى عليه السلام : فإذا استيقظتَ فَصَلِّ وقد ضَعَّف البَزَّارُ حديثَ أبى دَاودٍ[1] هذا فى مُسْنَدِه . وقُتِل صَفْوانُ

(١) يرويه أبو ذر فى سننه والبزار وابن سعد وابن حبان والحاكم من طريق الأعمش عن أبى صالح عن أبى سعيد. وقد قال البزار : هذا الحديث كلامه منكر ، ولعل الأعمش أخذه من غير ثقة ، فدلسه فصار ظاهر سنده الصحة ، وليس للحديث عندى أصل وقد رد الحافظ فى الفتح على البزار رداً مطولا فانظره ص ٢٧٢ حـ ٨ ط ١ ١٣٤٨ عبد الرحمن محمد .

. . . .

ابن الْمُعَطَّل شهيداً فى خلافة معاوية ، واندقَّتْ رِجْلُه يوم قُتِـل ، فطاعن بهـا ، وهى مُنْـكسرة ، حتى مات ، وذلك بالجزيرة بموضع له شِمْطَاط .

تفسير أسقطوا :

وفيه من غير رواية ابن إسحاق أنهم دَعَوْا الجارِيَةَ ، فسألوها حتى أسقطوا لهـا به ، يريد : أفصحوا بالأمر ، ونقَّروا عنه ، يقال : ساقطته الحديثَ مُسَاقَطَةً وأسْقَطُوا به،فى هذا المعنى قال أبو حَيَّةَ [النُّمَيْرِى] :

إذا هُنَّ ساقَطْن الحديث كأنه ... سِقاطُ حَصَا الْمَرْجَانِ من سِلْكِ نَاظِمِ (١)

كذا فسره أبو الحسن بن بطال ، وفيما ذكر ابنُ إسحاق من رواية الشيبانى عنه ، أنهم أداروا الجاريةَ على الحديث ، ولم يصرحوا لها حتى فَطِنَتْ بما أرادوا ، فقالت : ما أعلم عليها عَيْباً ، الحديث . وأما ضَرْبُ علِىٍّ للجارية وهى حُرَّة ، ولم تستَوْجب ضَرْباً ، ولا استأذن رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - فى ضربها ، فأرى معناه أنه أغلظ لها بالقول ، وتوعَّدها بالضرب ، واتَّهَمها أن تكونَ خانت الله ورسولَه ، فكَتَمت من الحديث مالا يسعها كَتْمُهُ مع إدلاله ، وأنه كان من أهلِ البيت ، وفى غير حديث ابن إسحاق

---

(١) البيت من قصيدة طويلة ذكر منها القالى ثمانية أبيات منها هذا البيت ورواية الشطرة الأولى هكذا :

إذا هن ساقطن الأحاديث للفتى

كما ذكرها البكرى فى السمط وزاد فيها ، وبين روايته ورواية القالى اختلاف يسير . ص ٢٨٠ جـ ٢ ط ٢ الأمالى ، ص ٩٢٥ سمط اللآلى .

. . . .

فقالت الجارية : والله ما أعلم عليها إلا ما يعلم الصائغُ على الذّهب الأحمر .

بريرة :

وأما بَرِيرَةُ فهى مَوْلاةُ عائشة — رضى الله عنها — التى اشترتها من بنى كاهلٍ فاعْتَقَتْها ، وخُيِّرت فى زَوْجها ، وكان عَبْداً لبنى جَحْشٍ . هذه رواية أهل المدينة ، وفى رواية أهلِ العراق أنه كان حُرًّا ، وهى رواية الأسْوَد بن يزيد عن عائشة ، والأولى روايةُ عُرْوَةَ والقاسم بن محمد عن عائشة ، وكذلك يقولون بتخْيير الأمَةِ إذا عُتِقَتْ ، وإن كان بعلُها حُرًّا ، وقول أهل الحجاز على حسب روايتهم ، فلا يرون تَخْيِيرها ، إلا إذا كان زوجُها عبداً ، وعاشت بَرِيرَةُ حتى روى عنها الحديثَ بعضُ التابعين . قال عبدُ الملك بن مَرْوانَ : كنت أجالس بَرِيرَة قبل أن ألِيَ هذا الأمر ، فتقول لى : يا أبا عبد الملك ، إن فيك خصالا خَلِيقَةً بهذا الأمرِ ، فإن وَلِيتَ هذا الأمْرَ فاتّقِ الله فى الدّماء ، فإنى سمعت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقول : إن الرجل ليُحَالُ بينه وبين الجَنَّة بعد أن يَنْظُر إليها بمِحْجَمَةِ دم أراقها مِنْ مُسْلِمٍ فى غير حَقٍّ . والبَرِيرَةُ واحدة البَرِير وهو ثمر الأراكِ .

أم رومان :

وأمّا أُمّ رُومَانَ ، وهى أمُّ عائشة فقد مر ذكرها فى هذا الحديث ، وهى زَيْنَبُ بنتُ عامرِ بن عُوَيْمِر بن عَبْدِ شَمْسِ بن دُهْمَانَ ، وهى من كِنَانَةَ ، واختُلِف فى عَمُود نسبِها ، ولدت لأبى بكر عائشةَ وعبدَ الرحمن ، وكانت قبل

. . . .

أبي بكر عند عبدِ الله بن الحارثِ بن سَخْبَرَةَ ، فولدت له الطُّفَيْلَ ، وتوفيت أمُّ رومانَ سنةَ ستٍّ من الهجرة ، ونزل النبي - صلى الله عليه وسلم - فى قبرها، وقال « اللهم إنه لم يَخْفَ عليك مالقِيَتْ أمُّ رومان فيك ، وفى رسولك ». وقال : « مَنْ سَرَّه أن يَنظُرَ إلى امرأةٍ من الحُور العِين ، فلينظُرْ إلى أمِّ رُومان[1] .

وهم للبخاري:

وروى البخارى حديثاً عن مَسْرُوق ، وقال فيه : « سألت أمَّ رُومانَ وهى أمُّ عائشةَ عما قيل فيها» ومَسْروقٌ وُلِدَ بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بلا خلافٍ ، فلم يرَ أمَّ رُومانَ قطُّ[2] ، فقيل إنه وهِم فى الحديث، وقيل : بل الحديث صحيح، وهو مُقدَّم على ماذكره أهل السِّيَر من مَوْتها فى حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد تكلم شيخُنا أبو بكر - رحمه الله - على هذا الحديث، واعتنى به لإشكالِه ، فأوْرَدَه من طُرُقٍ ، فى بعضها : حدثتنى أمُّ رومان ، وفى بعضها عن مَسْرُوقٍ عن أمِّ رومان مُعَنْعَناً ، قال رحمه الله : والعَنْعَنَةُ أصحُّ فيه ، وإذا كان الحديثُ مُعَنْعَناً كان محتملا ، ولم يلزم فيه مايلزم فى حَدَّثنا ،

(١) الاول رواه أبو عمر ، والآخر رواه ابن سعد . وانظر الإصابة .

(٢) أنكر سماع مسروق من أم رومان جماعة من الحفاظ منهم الخطيب البغدادى ، وذلك لما ذكره أهل التاريخ أنها ماتت فى زمن النبى « ص » قال الخطيب : وقد كان مسروق يرسله ، فيقول : سئلت أم رومان ، ويسوقه ، فلعل بعضهم كتب سئلت بألف فاعتقد الراوى أنها سألت ، فظنه متصلا

. . . .

وفى سألت ، لأن للراوى أن يقولَ : عن فلان ، وإن لم يُدْرِكْهُ وهو كثير فى الحديث .

تناصبنى أو تناصينى :

وقول عائشة : لم تكن امرأة تُناصِبُنى فى المنزلة عنده غيرها، هكذا فى الأصل تُناصِبُنى (١) ، والمعروفُ فى الحديث : تُناصِينى من المُناصاة ، وهى المساواة ، وأصله من النّاصية .

شعر حسان فى التعريض بابن المعطل :

وذكر قول حسان :

أمسى الجلابيبُ قد عَزُّوا وقد كَثُروا ... وابن الفُرَيْعَةِ أمسى بَيْضَةَ البَلَدِ

يعنى بالجلابيب الغُرَباءَ ، وبَيْضَةَ البلد ، يعنى : منفرداً ، وهى كلمة يُتَكلَّم بها فى المدح تارةً وفى معنى القُلِّ أُخرى ، يقال : فلانٌ بَيْضَةُ البَلَد ، أى : أنه واحدٌ فى قومه ، عظيم فيهم ، وفلان بَيْضَةُ البلَد ، يريد : أنه ذليل ليس معه أحد .

وأما قوله :

قَدْ ثَكِلَتْ أُمُّه مَنْ كنتَ صاحبه

فقد يجوز أن يكون قولُه: مَنْ مبتدأ ، وقد ثَكِلَتْ أُمُّه فى موضع الخبر

---

(١) لعلها كانت كذلك في نسخته ، أما هى فى السيرة: تناصينى بالياء لا بالباء

. . . .

للقدَّم عليـه ، ويجوز أن يكونَ مَنْ مفعولًا بثَكِلَتْ ، وأُضمِر قبل الذِّكر مع اتصال الضمير بالفاعل ، فيكون مثل قوله :

جَزَى رَبُّه عنى عَدِىَّ بن حاتم

ومثل قوله :

أَبْقَى اليوم مَجْـدُه مُطْعِمًا

وقد تقدم القولُ فيه(١) .

وقوله : فَيغطَئِلُّ ، يريد : البَحر أي ، يهيجُ ويَغتَلِمُ ، وأصل هـذه الكلمةِ من الغَيْطَلَةِ ، وهي الظُّلمة ، وأصلها يَغطَالُّ مثل يَسْوَادُّ ، لكنه همز الألِفَ لئلا يجتمع ساكنان ، وإن كان اجتماعُهما في مثل هذا الموضع حَسَنًا كقوله تبارك وتعالى ﴿ ولا الضَّالِّين ﴾(٢) ، ولكنهما في الشعر لا يجتمعان إلا في عَرُوض واحـدةٍ ، وهي المُتقارِب ، ومع هذا فقد قرأ أيوب بن أبي تَميمَة [كيسان] السَّختيانيّ ولا الضألين بهمزة مفتوحة(٣) وقرأ عَمْرُو

---

(١) هو كما قال قد سبق القول في هذا . والشطرة الأولى بقيتها : جزاء الكلاب العاويات ، وقد فعل . والبيت كما زعم ابن جني وغيره النابغة . وقيل لأبي الأسود الديلي يهجو به عدى بن حاتم الطائي .

وأبقى مجده مطعما . هي من بيت شعر لحسان يرثى به جبير بن مطعم هو :

ولو أن مجداً أخلد الدهر واحداً من الناس أبقى مجده الدهر مطعما

(٢) أصلها : الضاللين فحذفت حركة اللام الأولى ، ثم أدغمت اللام في اللام ، فاجتمع ساكنان : مدة الألف واللام المدغمة .

(٣) وغير ممدودة كأنه فر من التقاء الساكنين ، وهي لغة .

. . . .

ابن عُبَيد : ﴿ إِنْسٌ قَبْلَهُم ولا جَأْنٌ ﴾[1] الرحمن : ٥٦ وأنشد الخطابيُّ :

سَقَى مُطفيات المَحْلِ سَكْبًا ودِيمَةً عِظَامُ ابنِ لَيْلَى حَيْثُ كانَ رَمِيمُها
فأصبح منها كلُّ وَادٍ وتَلْعَةٍ حَدَائِقَ خُضْرًا مُزْهَئِرًّا عَمِيمُها

أنشد أ :

خَاطِمَهَا زَأَمَّهَا أَنْ تَهْرُبَا[2]

فإن قيل : الهمزةُ فى هذا كلّه مفتوحة ، وفى قوله يَغْطَئِلُّ مَكْسُورة ،

---

(١) حكى أبو زيد قال : سمعت عمرو بن عبيد يقرأ (فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس، ولاجأن) فظننته قد لحن حتى سمعت من العرب دأبة ، وشأبة . قال أبو الفتح : وعلى هذه اللغة قول كثير :

إذا ماالغوالى بالعبيط احمأرت

وانظر ص ٤٢٨ ح ٤ من شرح الشافية للرضى وص ١٠٥ ، وما بعدها ، ص ١٤٩ ح١ ومابعدها شرح تصريف المازنى لابن جنى وقد أفاض ابن جنى فى الكلام على هذا فى قراءة من قرأ ولا الضألين بهمز الألف فى ص ٢٢ ومابعدها من كتابه المحتسب .

(٢) استعار بعض الرجاز الخطام فى الحشرات ، فقال :

ياعجباً لقد رأيت عجبا حمار قبان يسوق أرنبا
عاقلها خاطمها أن تذهبا فقلت : أردفنى ، فقال

أراد : لئلا تذهب ، أو مخافة أن تذهب. ورواه ابن جنى كما روى السهيل : خاطمهازأمها أن تذهبا . أراد : زأمها . وزمت البعير : خطمته، ويقول اللسان إنه حرك الهمزة ضرورة لاجتماع الساكنين كما جاء فى الشعر : اسوأدت بمعنى : اسوادت.أنظر مادة خطم وزمم فى اللسان . وزأمها فى الأصل : رامها .

. . . .

وكذلك فى الحديث الصحيح : أَسْوَد مُرْبَئِدٌ فى رواية .

قلنا : إنما كُسرتْ الهمزةُ فى مُزْهَئِرٍ ومُرْبَئِدٍ وَيَنْطَئِلُ ، بعد أنْ فُتِحَتْ فى الماضى ، فقيل : اغطأَلَّ ، وأزْهأَرَّ ، فصار على وزن اطْمَأَنَّ ، فجاء اسمُ الفاعل والمستقبلُ على ذلك القياسِ مكسوراً كما يُكْسَر فى مُطْمَئِنّ ..

تفسير العجب :

وقول ثابت لعبد الله بن رَوَاحَةَ : أما أَعْجَبَكَ ضَرْبَ حسَّانٍ بالسيفِ ، معناه : أما جعلك تعجب ، تقول : عجبْتُ من الشئ ، وأعجبنى الشىء ، إذا كان ذلك العجبُ من مَكْرُوهٍ أو مَحْبوب ، وهو عند الناس بمعنى سَرَّنى لا غير ، وفى الحديث ، وكلامِ العربِ شواهدُ كثيرةٌ على هذا المعنى منها فى الكامل فَلأَعْجَبَنِى لَئِنْ أَعجَبه بكاء أبيه ، وفى حديثٍ ذكره عن عبد الرحمن بن حسان[1] ، وكذلك أنشد :

---

(١) فى اللسان : ذكر أبو زيد خارجة بن زيد أن حسان بن ثابت أنشد قوله :

انظر خليلى ببطن جلق هل تؤنس دون البلقاء من أحد

نبكى حسان بذكر ما كان فيه من صحة البصر والشباب بعد ما كف بصره ، وكان ابنه عبد الرحمن حاضراً ، فسر ببكاء أبيه ، قال خارجه : يقول : عجبت من سروره ببكاء أبيه . قال ومثله قوله :

فقالت لى ابن قيس ذا وبعض الشىء يعجبها

وفى مكان آخر من نفس المادة أنشد اللسان لابن قيس الرقيات :

رأت فى الرأس من شيبة لست أغيبها

فقالت لى : ابن قيس ذا وبعض الشىء يعجبها

أى يكسبها التعجب ، أو تتعجب منه وأراد : أبن قيس فترك الألف الأولى .

رفع المسيئ هما

. . . .

أَلاَ هُزِئَتْ بنا قرشِيَّةٌ يَهْتَزُّ مَنْكِبُهَا
تقول لى : ابنُ قَيْسٍ ذا وبعضُ الشَّيْبِ يُعْجِبُهَا

وقال كَعْبُ بنُ زُهَيْر :

لو كنتُ أَعْجَبُ من شَيْءٍ لأَعْجَبَنِي سَعْيُ الفتى ، وهو مَخْبُوءٌ له القَدَرُ (١)

وقوله عليه السلام : أَتَشَوَّهْتَ على قَوْمِي أَنْ هداهم اللهُ ، معناه : أَقَبَّحْتَ ذلك من فِعْلِهم حين سميتَهُم بالجلابيبِ من أجل هِجْرَتِهم إلى الله وإلى رسوله ؟

بيرحاء :

وقوله : فأعطاه عِوَضاً منها بِيرَحاءٍ ، وذكر بعضُهم أن هذه البئر سُمِيت بِيرَحاءٍ بزجر الإبل عنها ، وذلك أن الإبلَ يقال لها إذا زُجِرَتْ عن الماء ، وقد رَوِيتْ حَتَحا ، وهكذا كان الأصيلى يقيده برفع الرَّاء إذا كان الاسم مَرْفوعاً ، وبالمد ، وغير الأصيلى يقول : بَيْرحاء بالفتح على كل حال وبالقصر

---

(١) وبعده :

يسعى الفتى لأمور ليس يدركها فالنفس واحدة ، والهم منتشر
والمرء ـ ما عاش ـ ممدود له أمل لاتنتهى العين حتى ينتهى الأثر

أنظر الاستيعاب لابن عبد البر والإصابة لابن حجر . وقال ابن عبد البر : كان كعب شاعراً مجوداً كثير الشعر مقدماً فى طبقته هو وأخوه بجير ، وكعب أشعرهما ، وأبوه زهير فوقهما

رفع المسلم

. . . .

يجعله اسماً واحداً ، وقد حكى عن بعضهم فيه بَيْرحاء بفتح الباء مع القصر ، وفي الصحيح أن أبا طلحة دَفَع بيرَحاءَ إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وجعلها صَدَقَةً ، فأمره النبيُّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يجعلها فى الأقربين ، فقسمها بين أُبَيٍّ وحَسَّان ، وفسر البخارى وأبو داود القَرابةَ التى بين أبى طلحة وبينهما قالا : فأما حسانُ فهو ابن المنذِر بن ثابتِ بن حَرَام ، وأبو طَلْحة هو زيد بن سَهْل بن حَرَامٍ (١) ، فهذه قرابةٌ قريبةٌ ، وأما أُبَيٌّ ، فيجتمع معه فى الأب السادس ، وهو عَمرو بن مالكِ بنِ النَّجَّارِ ، وقد كان أُبَيٌّ غنيًا ، فكيف ترك مَنْ هو أقربُ منه ، وخصَّه ؟

والوجْهُ فى ذلك أن أبيًّا كان ابن عَمَّةِ أبى طَلْحَةَ ، وهى صهيلة بنت الأسْوَدِ بن حرام ، وهو معروف عند أهل النسب ، فمن أجل ذلك النسب خَصَّه بها ، لامن أجل النسب الذى ذكرناه فإنه بعيد ، وإنما قال له النبى صلى الله عليه وسلم : اجعلها فى الأقربين .

حول براءة عائشة :

وفى المسنَد من حديث عائشةَ أنه لما أنزل اللهُ براءتَها قام إليها أبو بكر ، فقبل رأسها ، فقالت له : هَلَّا كنت عذَرْتنى ، فقال : أىُّ سَماءٍ تُظِلُّنى ، وأى

(١) فى الجمهرة لابن حزم : ابن سهل بن الأسود بن حرام ص ٢٢٧ فلعل الأسود سقط من الناسخ ، وقد استوفى السمهودى القول فى بيرحاء فانظره ص ١٣٣ جـ ٢ وفاء الوفاء ، وانظر معاجم أسماء الأماكن كمعجم البكرى وياقوت ومراصد الإطلاع .

أرضٍ تُقِلُّنى ، إن قلت بما لا أعلم ، وكان نزول براءة عائشة — رضى الله عنها — بعد قدومهم المدينة بسبع وثلاثين ليلة فى قول بعض المفسرين .

شعر حسان في مدح عائشة :

وقول حسان فى عائشة :

حَصَانٌ رَزَانٌ ما تُزَنُّ بِرِيبَةٍ   وتُصْبِحُ غَرْثَى من لُحُومِ الغَوَافِلِ

حَصَانٌ : فَعَالٌ بفتح الحاء يكثر فى أوصاف المؤنث ، وفى الأعلام منها ، كأنهم قصدوا بتوالى الفتحات مُشاكَلَةَ خِفَّةِ اللفظ لِخِفَّةِ المعنى ، أى المسَمَّى بهذه الصفاتِ خفيف على النفس ، وحَصَانٌ من الحِصْنِ والتَّحَصُّنِ ، وهو الامتناعُ على الرجال من نظرهم إليها ؛ وقالت جارية من العرب لأمها :

يا أُمَّتَا أَبْصَرَنِى راكِبٌ   يَسِيرُ فى مُسْحَنْفِرٍ لاحِبِ[1]

جَعَلْتُ أَحْثِى التُّرابَ فى وَجْهِهِ   حُصْنًا وأَحْمِى حَوْزَةَ الغائِبِ[2]

فقالت لها أمها :

الحُصْنُ أَدْنَى لو تَأَيَّيْتِهِ   مِنْ حَثْيِكِ التُّرْبَ على الرَّاكِبِ

ذكر هذه الأبياتِ أحمدُ بن أبى سعيد السِّيرافى فى شرح أبياتِ الإيضاح .

---

(١) المسحنفر : الممتد . واللاحب : الطريق الواسع المنقاد .

(٢) روايته فى اللسان هكذا :

فظلت أحثى التراب فى وجهه   عنى وأحمى حوزة الغائب

والرَّزانُ والثَّقالُ بمعنى واحد ، وهى القليلةُ الحركة .

وقوله : وتُصْبِح غَرْثى من لُحُوم الغَوَافِل ، أى خَمِيصَة البطْنِ من لُحُوم الناسِ ، أى اغتيابِهم وضَرَبَ الغَرْثَ مَثَلًا ، وهو عدم الطُّعْم وخُلُو الجوفِ، وفى التنزيل : ﴿ أَيُحِبُّ أحدُكم أن يأكُلَ لَحْمَ أخيه مَيْتًا ﴾ الحجرات : ١٢ ضرب المثل لأخذه فى العِرض بأكل اللحم، لأن اللحم سِتْرٌ على العَظْم ، والشاتمُ لأخيه كأنه يقشِرُ وَيكْشِف ما عليه من سِتْرٍ .

وقال : مَيْتًا، لأن الميتَ لايُحس ، وكذلك الغائبُ لايَسْمَعُ ما يقول فيه المُغتابُ ، ثم هو فى التحريم كأكل لحم الميت.

وقوله : من لُحُوم الغَوَافِلِ ، يريد : العَفَائِفَ الغافلةُ قلوبُهنّ عن الشر ، كما قال سبحانه : ﴿ إن الذين يَرْمُون المُحصَناتِ الغافـلاتِ المُؤمِنات ﴾ النور : ٢٣ جَعَلَهُنّ غافلاتٍ ، لأن الذى رُمِين به من الشَّرِّ لم يَهْمُمْنَ به قطُّ ولا خَطَرَ على قُلوبِهن ، فُهنّ فى غَفْلةٍ عنه ، وهذا أبلغ ما يكون من الوصف بالعفاف .

وقوله :

له رَتَبٌ عالٍ على الناسِ كُلِّهم

الرَّتَبُ: ما ارتفع من الأرضِ وعَلَا ، والرَّتَبُ أيضًا: قُوَّةٌ فى الشيء وغِلَظٌ فيه ، والسُّوْرَةُ رُتْبة رفيعة من الشرف مأخوذة اللفظِ من سُور البناء .

وقوله : فإن الذى قد قيل ليس بلائِطٍ ، أى : بلاصق ، يقال : ما يَلِيطُ

. . . .

ذلك بفلان ، أى : مايلصق به ، ومنه سُمِّى الرِّبا : لِيَاطًا ، لأنه أُلْصِقَ بِالْبَيْع ، وليس بِبَيْعٍ. وفى الكتاب الذى كُتب لثقيف : وما كان من دَيْنٍ ليس فيه رَهْنٌ ، فإنه لِيَاطٌ مُبَرَّأٌ من اللهِ. وسَيأْتِى حديثُه مفسَّراً إن شاء الله .

وقوله فى الشِّعر :

فــلا رَفَعَت سوطى إلَىَّ أناملى

دعاء على نفسه ، وفيه تصديقٌ لمن قال : إن حَسَّان لم يُجْلَدْ فى الإفْكِ ، ولا خاض فيه ، وأنشدوا البيت الذى ذكره ابن إسحاق :

لقد ذاق حَسَّانُ الذى كان أهلَه

على خلاف هذا اللفظ :

لقــد ذاق عَبْدُ الله ما كان أهلَه وحَمْنَةُ إذ قالوا : هجيراً ومِسْطَحُ

ما نزل في من أصحاب الإفك :

وذكر ما أنزلَ اللهُ تعالى فى أصحاب الإفْك وقوله تعالى : ﴿ إذ تَلَقَّوْنَه بألسِنَتِكم ﴾ النور : ١٥ وكانت عائشةُ ـ رضى الله عنها تقرؤها : إذْ تَلِقُونه بألسِنَتِكُمْ من الوَلَقِ ، وهو استمرارُ اللسان بالكَذِبِ . وأما إقامةُ الحَدِّ عليهم ففيه التَّسْوِيَةُ بين أفضلِ الناس بعد النبىِّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأدنى الناسِ دَرَجَةً فى الإيمان ، لايُزَادُ القاذفُ على الثمانين ، وإن شتم خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولاينقص منها ، فإن قذف قاذفٌ اليومَ إحدى أمهاتِ المؤمنين سوى عائشة ، فيتوجه فيه للفقهاء قولان : أحدهما : أنْ يُجْلَدَ ثمانين كما يقتضيه عمومُ التنزيلِ ، وكما فعل النبىُّ ـ صلى الله

رفع المسيّهم

. . . .

عليه وسلم ـ بالذين قَذَفوا أهلَه قبل نزول القرآن ببراءتها ، وأما بعد نزول القرآن ببراءتها فيُقتَل قاذفُها قتلَ كُفْرٍ ، ولا يُصَلَّى عليه ، ولا يُورث ، لأنه كَذَّب الله تعالى .

والقولُ الثانى فى قاذف أمهاتِ المؤمنين غير عائشة ـ رضى الله عنهن ـ أن يُقتَل أيضاً ، وبه كان يأخذ شيخُنا ـ رحمه الله تعالى ـ ويحتج بقوله تعالى : ﴿ إن الذين يُؤْذُون الله ورسولَه لَعَنَهم اللهُ فى الدنيا والآخرة ﴾ الأحزاب : ٥٧ الآية ، وإذا قذف أزواجَ النبى عليه السلام ، فقد سَبَّه . فمن أعظم الإذاية ، أن يُقالَ عن الرَّجُل : قَرْنَان[1] وإذا سُبَّ نبىٌ بمثل هذا فهو كُفْرٌ صُرَاحٌ وقد قال المفسرون فى قوله تعالى (فَخَانَتاهُما) أى: خانتا فى الطاعة لهما ، والإيمان، وما بغت امرأةُ نبىٍّ قطُّ ، أى : مازنت .

إهداء سيرين إلى حسان :

وذكر أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أعطى حَسَّانَ جاريتَه بضربِهِ صَفْوَانَ بن المُعَطَّلِ له ، وهذه الجاريةُ اسمها سيرين بنت شَمْعُون أختُ مارِيَة سُرِّيَّةِ النبىِّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهى أمُ عبدِ الرحمن بن حَسَّانَ الشاعر، وكان عبدُ الرحمنِ يَفخَر بأنه ابن خَالَةِ إبراهيم بن النبى صلى الله عليه وسلم ـ

---

(١) القرنان هو الذى يشارك فى امرأته كأنه يقرن به غيره أو هو نعت سوء فى الرجل الذى لا غيرة له . قال الأزهرى : هذا من كلام الحاضرة ، ولم أر البوادى لفظوا به ولا عرفوه .

وقد روت سيرينُ هذه عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثاً قالت : رأى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خللا فى قبر إبراهيم ابنه فأصلحه ، وقال : أن الله يحب من العبد إذا عمل عملا أن يُحْكِمَه (٤) .

(١) أخرج البخارى ومسلم حديث قصة الإفك فى صحيحيهما من حديث الزهرى : وفى روايتهما أن أمها قالت لها عقب تبشير الرسول « ص » لعائشة ببراءتها . « قومى إليه ، فقلت : والله لا أقوم إليه ، ولا أحمد إلا الله عز وجل هو الذى أنزل براءتى » . وفى رواية للبخارى قالت : « لا والله ، لا أقوم إليه ، ولا أحمده ، ولا أحمدكما ، ولكن أحمد الله الذى أنزل براءتى ، لقد سمعتموه ، فما أنكرتموه ، ولا غيرتموه » ويقول ابن كثير عن الذى تولى كبره : « قيل : المراد به حسان ، وهو قول غريب ، ولولا أنه وقع فى صحيح البخارى ما قد يدل على إيراد ذلك لما كان لإيراده كبير فائدة ، فإنه من الصحابة الذين لهم فضائل ومناقب ومآثر ، وأحسن مآثره أنه كان يذب عن رسول الله « ص » بشعره ، وهو الذى قال له رسول الله « ص » : هاجهم ، وجبريل معك » .

هذا وفى رواية البخارى أن الرسول « ص » لبث شهراً لا يوحى إليه فى شأن عائشة ، وعند ابن حزم أن المدة كانت خمسين يوماً أو أزيد ، ويجمع بأنها المدة التى كانت بين قدومهم المدينة ونزول القرآن فى قصة الإفك ، وأما التقييد بالشهر فهو المدة التى أولها إتيان عائشة بيت أبويها حين بلغها الخبر .

ويقول الزمخشرى : لم يقع فى القرآن من التغليظ فى معصية ما وقع فى قصة الإفك بأوجز عبارة ، وأشبعها ، لاشتماله على الوعيد الشديد والعقاب البليغ ، والزجر العنيف ، واستعظام القول فى ذلك واستشناعه بطرق مختلفة ، وأساليب متقنة ، كل واحد منها كاف فى بابه ، بل ما وقع منها من وعيد عبدة الأوثان إلا بما هو دون ذلك ، وماذاك إلا لإظهار علو منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وانظر القول فى العصبة الذين جاءوا بالإفك فى ص ٢٧٣ — ٨ ط عبد الرحمن محمد فتح البارى . هذا وقد زاد الحاكم فى شعر حسان اللامى بيتين من غير رواية ابن اسحاق =

أمر الحديبية فى آخر سنة ست ، وذكر بيعة الرضوان والصلح بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين سهيل بن عمرو

قال ابن إسحاق : ثم أقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة شهر رمضان وشوالا ، وخرج فى ذى القعدة معتمراً ، لا يريد حرباً .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة نُميلة بن عبد الله اللَّيثى .

قال ابن إسحاق : واستنفر العربَ ومَن حوله من أهل البوادى من الأعراب ليخرجوا معه ، وهو يخشى من قُريش الذى صنعوا ، أن يعرضوا له بحرب أو يصدّوه عن البيت ، فأبطأ عليه كثيرٌ من الأعراب ، وخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بمَن معه من المهاجرين والأنصار ومن لَحِقَ به من العرب ، وساق معه الهَدْيَ ، وأحرم بالعمرة ليأمن النَّاسُ من حربه ، وليعلم الناس أنه إنما خرج زائراً لهذا البيت ومعظِّماً له .

قال ابن إسحاق : حدثنى محمد بن مسلم بن شهاب الزهرىّ ، عن عُروة بن الزُّبير عن مِسْوَر بن مَخْرمة ومَرْوان بن الحكم أنهما حدّثاه قالا : خرجَ

. . . .

= حليلة خير الخلق ديناً ومنصباً نبى الهدى والمكرمات الفواضل
رأيتك وليغفر لك الله حرة من المحصنات غير ذات الغوائل

وقد روى من طريق صالح بن كيسان عن الزهرى . قال عروة : كانت عائشة تكره أن يسب عندها حسان وتقول : إنه الذى قال

فإن أبى ووالده وعرضى لعرض محمد منكم وقاء

رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عام الُحدَيْبيَة يريد زيارة البيت ، لا يريد قتالاً ، وساقَ معه الهَدْىَ سبعين بَدَنَة ، وكان الناس سبع مائة رجل ، فكانت كلّ بَدَنَة عن عَشرة نفر .

وكان جابر بن عبد الله ، فيما بلغني ، يقول : كنّا أصحابَ الُحدَيبية أربعَ عشرة مائة .

قال الزهرى : وخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا كان بعُسْفان لَقِيه بشر بن سُفيان الكَعْبي - قال ابن هشام : ويقال بُسْر - فقال : يارسول الله هذه قُريش ، قد سَمِعت بمَسِيرِكَ ، فخرجوا معهم العُوذُ المَطافِيل ، قد لَبِسوا جُلودَ النُّمور ، وقد نَزلوا بذى طُوَى ، يُعاهدون الله لا تَدْخلها عليهم أبداً ، وهذا خالد بن الوليد فى خَيْلِهم قد قَدّموها إلى كُراع الغَمِيم ، قال: فقال رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : ياوَيْحَ قُريش ! لقد أكلتهم الحربُ ، ماذا عليهم لو خَلّوا بينى وبين سائر العرب ، فإن هم أصابُونى كان الذى أرادُوا ، وإن أظْهَرَنِى اللهُ عليهم دخلوا فى الإسلام وافِرين ، وإن لم يَفعلوا قاتَلُوا وبهم قُوّة ، فما تَظُنّ قريش ، فوالله لا أزال أجاهِد على الذى بَعثنى الله به حتى يُظهِرَه الله أو تَنفرد هذه السَّالفة .

الرسول صلى الله عليه وسلم يسلك طريقاً غير طريق قريش

ثم قال : مَنْ رَجُلٌ يَخرج بنا على طَريق غير طَريقهم التى هُم بها ؟

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبدُ الله بن أبى بكر : أن رجلا من أسْلم قال :

أنا يارسول الله ، قال : فسلك بهم طريقاً وَعْراً أجْرَل بين شِعاب ، فلما خرجوا منه ، وقد شقّ ذلك على المُسْلِمين وأفضَوْا إلى أرض سَهْلة عند مُنْقَطع الوادي ؛ قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم للناس : قُولوا : نَستغفر اللهَ ونَتوب إليه ؛ فقالوا ذلك ، فقال : واللهِ إنهـــا لَلحِطَّة التي عُرِضت على بنى إسرائيل . فلم يقولوها .

قال ابنُ شهاب : فأمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الناس فقال : اسلكوا ذات اليمين بين ظَهْرى الحَمْش ، فى طريقٍ تُخرجه على ثَنِيَّة المُرار مَهْبِط الحُديبية من أسفل مكّة ؛ قال : فسلك الجيشُ ذلك الطريق ، فلما رأت خيلُ قريش قَتَرَة الجيش قد خالفوا عن طَريقهم ، رَجعوا راكضين إلى قُريش ، وخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا سلك ، فى ثَنيَّة المُرارِ بركت ناقته ، فقالت الناس : خَلأتِ الناقة ، قال : ما خَلأتْ وما هُوَ لها بخُلُق ، ولـكنْ حَبَسها حابسُ الفِيل عن مكة . لاتَدْعونى قريش اليومَ إلى خُطّة يسألوننى فيها صِلَةَ الرحم إلا أعطيتُهم إياها . ثم قال للناس : انزِلوا ، قيل له : يارسول الله : ما بالوادى ماء ننزل عليه ، فأخرج سهماً من كِنانته ، فأعطاه رجـــلا من أصحابه ، فنزل به فى قَليب من تلك القُلُب . فغرزه فى جَوْفه ، فجاش بالرَّوَاء حتى ضَرب الناس عنه بعَطَن .

قال ابن إسحاق : فحدثنى بعضُ أهل العلم عن رجال من أسْلم : أن الذى نزل فى القليب بسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ناجية بن جُندَب بن عُمَير ابن يَعْمَر بن دارم بن عَمْرو بن وَائِلة بن سَهْم بن مَازن بن سلامان بن أسْلَم بن أفْصَى

ابن أبي حارثة ، وهو سائق بُدْنِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام : أفصى بن حارثة .

قال ابن إسحاق : وقد زعم لي بعضُ أهل العلم : أن البَراء بن عازبٍ كان يقول : أنا الذي نزلت بسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالله أعلم أي ذلك كان .

وقد أنشدت أسلم أبياتاً من شعر قالها ناجيةُ ، قد ظننا أنه هو الذي نَزل بالسهم ، فزعمت أسلم أن جاريةً من الأنصار أقبلت بدَلْوِها ، وناجيةُ في القَليب يَميح على الناس ، فقالت :

يأيها المائح دَلْوِي دُونَكا ... إني رأيتُ الناسَ يَحْمَدُونَكا
يُثْنون خيراً ويُمَجِّدُونَكا

قال ابن هشام : ويُروى :

إني رأيت النَّاس يَمدحونكا

قال ابن إسحاق : فقال ناجية ، وهو في القَليب يَميح على الناس :

قد علمت جاريةٌ يمانِيَهْ ... أني أنا المائح واسمي ناجِيَهْ
وطَعنةٍ ذات رَشاش واهِيَهْ ... طعنتُها عند صدور العادِيَهْ

فقال الزهري في حديثه : فلما اطمأنّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أتاهُ بُدَيل بن وَرْقاء الخزاعيّ ، في رجال من خُزاعَة ، فكلّموه وسألوه : ما الذ

جاء به ؟ فأخبرهم أنه لم يأت يُريد حرباً ، وإنما جاء زائراً للبيت ، ومعظّماً لحرمته ، ثم قال لهم نحواً مما قال لبِشْر بن سُفْيان ، فرَجعوا إلى قُرَيش فقالوا : يامعشر قريش ، إنكم تَعجلون على محمد ، إن محمداً لم يأت لقتال ، وإنما جاء زائراً هذا البيت ، فاتهموهم وجَبَّهوهم وقالوا : وإن كان جاء ولا يريد قتالا ، فوالله لا يدخلها علينا عَنْوة أبداً ، ولا تحدّثُ بذلك عنا العرب .

قال الزهري : وكانت خُزاعةُ عَيْبَةَ نُصْح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مُسْلمُها ومُشْرِكها ، لا يُخْفُون عنه شيئاً كان بمكة .

قال : ثم بعثوا إليه مِكْرَز بن حَفْص بن الأخْيَف ، أخا بني عامر بن لؤيّ ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم مُقبلا قال : هذا رجل غادِر ، فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلّمه ، قال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم نحواً مما قال لبُدَيل وأصحابه ، فرجع إلى قُريش فأخبرهم بما قال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم .

ثم بعثوا إليه الحُلَيس بن عَلقمة أو ابن زَبّان ، وكان يومئذ سَيّد الأحابيش ، وهو أحد بني الحارث بن عبد مَناة بن كِنانة ؛ فلما رآه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قال : إن هذا من قوم يتألّهون ، فابعثوا الهَدْى في وَجْهه حتى يراه ، فلما رأى الهَدْى يَسيل عليه من عُرْض الوادى في قلائده ، وقد أكل أوْبارَه من طول الحبس عن مَحِلّه ، رجع إلى قُرَيْش ، ولم يَصِل إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم إعظاماً لما رأى ، فقال لهم ذلك . قال : فقالوا له : اجلس ، فإنما أنت أعرابي لا عِلْم لك .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى بكر : أن الحُلَيس غضب عند ذلك وقال : يامعشر قُريش، والله ماعلى هذا حالفناكم ، ولا على هذا عاقدناكم . أيُصَدُّ عن بيت الله مَنْ جاء مُعَظِّماً له ! والذى نفس الحُلَيس بيده ، لتُخَلُّنَّ بين محمد وبين ماجاء له ، أو لأنفرنّ بالأحابيش نفرة رجل واحد . قال : فقالوا له : مَهْ ، كُفّ عنا ياحُلَيس حتى نأخذَ لأنفسنا ما نرضى به .

قال الزهرىّ فى حديثه : ثم بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عُروة بن مَسْعود الثَّقفى ؛ فقال : يامعشر قريش ، إنى قد رأيت مايلقى منكم مَنْ بعثتموه إلى محمد إذ جاءكم من التَّعنيف وسُوء اللَّفظ ، وقد عَرفتم أنكم والدٌ وإنى وَلد — وكان عُروة لسُبَيْعَةَ بنت عبد شمس — وقد سمعتُ بالذى نابكم ، فجمعتُ من أطاعنى من قومى ، ثم جئتكم حتى آسَيْتكم بنفسى ؛ قالوا : صدقتَ ، ما أنت عندنا بمتَّهم . فخرج حتى أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فجلس بين يديه ، ثم قال : يامحمد ، أجمعتَ أوْشابَ الناسِ ، ثم جئتَ بهم إلى بَيْضَتك لتَفُضّها بهم ، إنها قُريش قد خَرجت معها العُوذُ المطافيل . قد لَبِسوا جُلودَ النُّمور ، يُعاهدون الله لاتَدْخلها عليهم عَنْوة أبداً . وايْم اللهِ ، لكأنّى بهؤلاء قد انكشفوا عَنْك غداً . قال : وأبو بكر الصِّدِّيق خَلْف رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد ؛ فقال : امْصُصْ بَظْر اللّاتِ ، أنحن نَنْكشف عنه ؟ قال : من هذا يامحمد ؟ قال: هذا ابن أبى قُحافة ، قال : أما والله لولا يَدٌ كانت لك عندى لكافأتك بها ، ولكن هذه بها ، قال : ثم جعلَ يتَناول لِحْيةَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وهو يكلِّمه قال : والمغيرةُ بنُ شُعْبة واقف على

رأس رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم فى الحديد . قال : فجعلَ يقرَع يده إذا تناول لِحْيةَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، ويقول : اكْفُفْ يدَكَ عن وَجْه رسولِ الله صلى الله عليه وسلم قبلَ أن لاتصلَ إليك ، قال : فيقولُ عُرْوَةُ : وَيْحَكَ ! ما أفَظَّك وأغلَظَك ! قال : فتبسم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له عُروة : مَن هذا يامحمد ؟ قال : هذا ابنُ أخيكَ المُغيرة بن شُعْبة ، قال: أىْ غُدَر ، وهل غَسَلْتُ سَوْءتك إلا بالأمس .

قال ابن هشام : أراد عُروة بقوله هذا أن المُغيرة بن شُعبة قبل إسلامه قتل ثلاثة عشر رجلا من بنى مالك ، من ثقيف ، فتهايج الحيَّان من ثقيف : بنو مالك رهط المَقتولين ، والأحلاف رَهْط المُغيرة ، فوَدَى عُروة المقتولين ثلاثَ عَشرة دِيَةً ، وأصلح ذلك الأمر .

قال ابن إسحاق : قال الزُّهْرِىُّ : فكلَّمه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بنَحْوٍ ممـا كلَّم به أصحابَه ، وأخبره أنه لم يأتِ يُريد حَرْبًا .

فقام من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد رأى ما يصنع به أصحابُه ، لايتوضأ إلا ابتدروا وضوءه ، ولا يَبصق بُصاقًا إلا ابتدَرُوه . ولا يَسقط من شَعره شىء إلا أخذوه . فرجع إلى قُريش ، فقال : يامعشر قُريش ، إنى قد جئت كِسرى فى مُلكه ، وقيصر فى مُلكه . والنَّجاشىَّ فى مُلكه . وإنى والله مارأيت مَلِكًا فى قوم قطّ مثل محمد فى أصحابه ، ولقد رأيتُ قومًا لايُسْلِمونه لشىء أبدًا ، فرَوْا رأيكم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى بعضُ أهل العلم : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا خِرَاشَ بن أميَّة الخزاعى ، فبعثه إلى قُرَيش بمكة ، وحَمَله على بعير له يقال له الثَّعلب ، ليبلِّغ أشرافهم عنه ماجاء له ، فعقروا به جمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأرادوا قَتْله ، فمَنَعَتْه الأحابيش ، فخلَّوا سبيله ، حتى أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : وقد حدثنى بعضُ مَن لا أتّهم عن عكْرِمة مولى ابن عبَّاس عن ابن عبَّاس : أن قُرَيشاً كانوا بعثوا أربعين رجلا منهم أو خمسين رجلا ، وأمروهم أن يُطيفوا بعَسْكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليُصيبوا لهم من أصحابه أحداً ، فأُخذوا أخذاً ، فأُتِى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعفا عنهم ، وخلَّى سبيلهم ، وقد كانوا رَمَوْا فى عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجارة والنَّبْل .

ثم دعا عمرَ بن الخطَّاب ليبعثه إلى مكة ، فيبلِّغ عنه أشراف قريش ما جاء له ، فقال : يارسول الله ، إنى أخاف قريشاً على نفسى ، وليس بمكة من بنى عدىّ بن كعب أحد يمنعنى ، وقد عرفت قُرَيش عَداوتى إيَّاها ، وغِلْظَتى عليها ، ولكنى أدلُّك على رجل أعزَّ بها منى ، عثمانَ بن عفَّانَ . فدعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عثمانَ بن عفَّان ، فبعثه إلى أبى سفيان وأشراف قريش ، يُخبرهم أنه لم يأت لحرب ، وإنه إنما جاء زائراً لهذا البيت ، ومعظِّماً لحُرْمته .

قال ابن إسحاق : فخرج عثمانُ إلى مكة ، فلَقيه أبانُ بن سَعيد بن العاص

حين دخَل مكة ، أو قبل أن يدخلها ، فحمله بين يديه ، ثم أجاره حتى بلّغ رسالةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فانطلق عثمانُ حتى أتى أبا سُفيان وعُظماء قريش ، فبلّغهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أرسله به ؛ فقالوا لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم : إن شئت أن تَطُوف بالبيت فطُف ؛ فقال : ما كنتُ لأفعل حتى يطوف به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم . واحتَبسَتْه قُريْش عندها ، فبلَغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين أنّ عثمان بن عفّان قد قُتل .

بيعة الرضوان

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى بكر : أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، قال حين بلغه أنّ عثمان قد قُتل : لا نَبْرح حتى نُناجز القوم ، فدعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الناسَ إلى البيعة . فكانت بيْعة الرّضْوانِ تحت الشجرة ، فكان الناس يقولون : بايَعهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على الموْت ، وكان جابرُ بن عبد الله يقول : إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لم يُبايعنا على الموت ، ولكن بايعنا على أن لا نفرّ .

فبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ، ولم يتخلّف عنه أحد من المسلمين حضرها ، إلا الجدّ بن قَيْس ، أخو بنى سلمة ، فكان جابر بن عبد الله يقول : والله لكأنى أنظر إليه لاصقًا بإبط ناقته . قد ضَبأ إليها ، يَستتر بها من الناس . ثم أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أنّ الذى ذُكر من أمر عثمان باطل .

قال ابن هشام : فذكرَ وكيع عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن الشَّعبىّ : أن أوّل منْ بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعةَ الرّضوان أبو سِنان الأسدى.

قال ابن هشام : وحدثنى من أثق به عمن حدثه بإسْناد له ، عن ابن أبى مُلَيْكة عن ابن أبى عمر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بايع لعثمان ، فضرب بإحدى يديه على الأخرى .

أمر الهدنة

قال ابن إسحاق : قال الزهرى : ثم بعثتْ قُريش سهَيل بن عمرو ، أخا بنى عامر بن لُؤَىّ ، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا له : ائْتِ محمداً فصالِحْه ولا يكن فى صُلْحه إلا أن يرجعَ عنّا عامه هذا ، فوالله لا تحدّث العربُ عنّا أنه دَخَلها علينا عَنْوَةً أبداً . فأتاه سُهيل بن عمرو ؛ فلما رآه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مقبلاً ، قال : قد أراد القومُ الصلحَ حين بعثوا هذا الرجل . فلما انتهى سُهيل بن عمرو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلّمَ فأطال الكلامَ ، وتراجعا ثم جرى بينهما الصلح .

فلما التأم الأمر ولم يَبْق إلا الكتابُ ، وثَب عمر بن الخطّاب ، فأتى أبا بكر ، فقال : يا أبا بكر ، أليس برسول الله ؟ قال : بلى : قال أولسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى ؛ قال : أوليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى ، قال : فعلام نُعطى الدّنيّة فى ديننا ؟ قال أبو بكر : يا عمر ، الزم غَرْزه ، فإنى أشهد أنه رسول الله ؛ قال عمر : وأنا أشهد أنه رسولُ الله ؛ ثم أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال :

يارسول الله ألستَ برسول الله ؟ قال : بلى ، قال : أو لسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى ، قال : أوليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى ، قال : فعلام نُعطى الدَّنِيَّة في ديننا ؟ قال : أنا عبدُ الله ورسوله ، لن أُخالف أمرَه ، ولن يُضيِّعنى ! قال : فكان عُمر يقول : مازِلتُ أتصدّق وأصوم وأُصلى وأُعتق ، مِن الذى صنعتُ يومئذٍ ! مخافة كلامى الذى تكلَّمت به ، حتى رجوتُ أن يكون خيراً .

علىٌّ يكتب شروط الصلح

قال : ثم دَعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم علىَّ بن أبى طالب رضوان الله عليه ، فقال : اكتبْ : بسم الله الرحمن الرحيم ، قال : فقال سُهيل : لا أعرف هذا ، ولكن اكتب باسمك اللّهمّ ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : اكتب باسمك اللهمّ ، فكتبها ، ثم قال : اكتب : هذا ماصالح عليه محمد رسولُ الله سُهَيل بن عمرو ، قال : فقال سُهيل : لو شهدت أنك رسول الله لم أُقاتلك ، ولكن اكتب اسمَك واسم أبيك ، قال : فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : اكتب : هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سُهَيل بن عمرو ، اصطلحا على وَضع الحرب عن الناس عشرَ سنين يَأمن فيهنّ الناسُ ، ويكفُّ بعضُهم عن بعض ، على أنه من أتى محمداً من قُرَيش بغير إذن وليِّه ردّه عليهم ، ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يردّوه عليه ، وإن بيننا عَيْبة مكفوفة ، وأنه لا إسْلَالَ ولا إغلالَ ، وأنه من أحبّ أن يدخل فى عقْد محمد وعَهْده دَخل فيه ، ومن أحبّ أن يدخل فى عقْد قُرَيش وعهدهم دخل فيه .

خزاعة فى عهد محمد، وبنو بكر فى عهد قريش

فتواثبت خُزاعة فقالوا : نحن فى عقد محمد وعَهده ، وتواثبت بنو بكر ، فقالوا : نحن فى عَقْد قُريش وعَهْدهم ، وأنك ترجع عنا عامك هذا ، فلا تدخل علينا مكة ، وأنه إذا كان عام قابل ، خَرَجنا عنك فدَخلْتها بأصحابك ، فأقمتَ بها ثلاثاً ، معك سلاح الراكب ، السُّيوف فى القُرُب ، لاتدْخلها بغيرها .

جندل بن سهيل

فبينا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يكتب الكتابَ هو وسُهيل بن عمرو ، إذ جاء أبو جَنْدل بن سُهيل بن عمرو يَرْسُف فى الحديد ، قد انفلتَ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد كان أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا وهم لايشُكُّونَ فِي الفَتْح ، لرُؤْيا رآها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأوْا مارأوْا من الصُّلح والرُّجوع ، وما تحمل عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى نفسه دخل على الناس من ذلك أمرٌ عظيم ، حتى كادوا يهلكون ؛ فلما رأى سُهيل أبا جَنْدل قام إليه فضرَب وَجْهه ، وأخذ بتلبيبه ؛ ثم قال : يامحمد ؛ قد لَجَّت القضية بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا ؛ قال : صدقتَ ، فجعل ينتره بتلبيبه ، ويجرّه ليردّه إلى قريش ، وجعل أبو جَنْدل يَصرخ بأعلى صوته : يامعشر المسلمين ، أأُرَدّ إلى المشركين يَفْتنونى فِي دينى ؟ فزاد ذلك الناسَ إلى مابهم ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا جَنْدل ؛ اصبر واحتَسِبْ فإن الله جاعِلٌ لك ولمن معك من المُسْتضعفين فرَجاً ومَخرجاً ، إنَّا قد عَقدنا بيننا وبين القوم صُلحاً ، وأعطيناهم على ذلك ، وأعطونا عهد الله ،

المسبهم

وإنّا لا نغدِر بهم ؟ قال : فوثب عمر بن الخطّاب مع أبى جندل يمشى إلى جنبه ، ويقول : اصبر يا أبا جندل ، فإنما هم المشركون وإنما دَمُ أحدهم دم كلب . قال : ويُدْنى قائم السّيف منه . قال : يقول عمر : رجوتُ أن يأخذ السّيفَ فيضرب به أباه ، قال : فضَنَّ الرجلُ بأبيه ، ونفذت القضيّة .

الذين شهدوا على الصلح

فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكتاب أشْهَد على الصلح رجالا من المسلمين ورجالا من المشركين : أبو بكر الصدّيق ، وعمر بن الخطّاب ، وعبد الرحمن بن عَوْف ، وعبد الله بن سُهيل بن عمرو ، وسَعد بن أبى وقّاص ، ومحمود بن مسلمة ، ومِكْرَز بن حَفْص ، وهو يومئذ مشرك ، وعلىّ بن أبى طالب وكتب ، وكان هو كاتب الصحيفة .

الإحلال

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مضطرباً فى الحِلّ ، وكان يُصلى فى الحرم ، فلما فرغ من الصُّلح قدم إلى هَدْيه فنحره ، ثم جلس فحلق رأسه ، وكان الذى حلقه ، فيما بلغنى ، فى ذلك اليوم خِراش بن أميّة بن الفضل الخزاعىُّ ، فلما رأى الناسُ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نحر وحلق تواثبوا يَنْحَرون ويحلِقون .

المحلّقون والمقصرون

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى نجيح ، عن مُجاهد ، عن ابن

عبّاس، قال: حلق رجالٌ يوم الحُدَيبية، وقصّر آخرون. فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: يَرْحم الله المحلّقين، قالوا: والمُقَصِّرين يارسول الله؟ قال: يرحم الله المحلّقين، قالوا: والمقصّرين يارسول الله؟ قال: يرحم الله المحلّقين، قالوا: والمقصّرين يارسول الله؟ قال: والمقصّرين، فقالوا: يارسول الله: فلم ظاهرت الترحيم للمحلّقين دون المقصّرين؟ قال: لم يشكّوا.

وقال عبد الله بن أبي نَجيح: حدثني مجاهد، عن ابن عباس: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهْدى عام الحُدَيبية فى هداياه جملا لأبى جَهْل، فى رأسه بُرَةٌ من فضة، يغيظ بذلك المشركين.

نزول سورة الفتح

قال الزهرى فى حديثه: ثم انصرف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من وجهه ذلك قافلا، حتى إذا كان بين مكة والمدينة، نزلت سورة الفتح: ﴿إنَّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً. لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَما تَأَخَّرَ، وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ، وَيَهْدِيَكَ صِراطاً مُسْتَقِيما﴾.

ذكر البيعة

ثم كانت القصّة فيه وفى أصحابه، حتى انتهى إلى ذكر البيعة، فقال جلّ ثناؤه: ﴿إنَّ الَّذِينَ يُبايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبايِعُونَ اللهَ، يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ، فَمَنْ نَكَثَ فإنَّما يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ، وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ، فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيما﴾.

ذكر من تخلف

ثم ذكر من تخلّف عنه من الأعراب، ثم قال: حين استفزّهم للخروج معه فأبطئوا عليه: ﴿ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنا أَمْوالُنا وأَهْلُونا ﴾. ثم القصّة عن خبرهم، حتى انتهى إلى قوله: ﴿ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذا انْطَلَقْتُمْ إِلى مَغانِمَ لِتَأْخُذُوها ذَرُونا نَتَّبِعْكُمْ، يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلامَ اللهِ، قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونا، كَذلِكُمْ قالَ اللهُ مِنْ قَبْلُ ﴾ . . . ثم القصة عن خبرهم وما عرض عليهم من جهاد القوم أولى البأس الشديد.

قال ابن إسحاق: حدثني عبد الله بن أبي نجيح، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس، قال: فارس. قال ابن إسحاق: وحدثني من لا أتهم، عن الزهري أنه قال: أولو البأس الشديد: حنيفةُ مع الكذّاب.

ثم قال تعالى: ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، فَعَلِمَ ما فِي قُلُوبِهِمْ، فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ، وأَثابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً * وَمَغانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَها، وكانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيماً * وَعَدَكُمُ اللهُ مَغانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَها فَعَجَّلَ لَكُمْ هذِهِ، وكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ويَهْدِيَكُمْ صِراطاً مُسْتَقِيماً * وأُخْرى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْها قَدْ أَحاطَ اللهُ بِها، وكانَ اللهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً ﴾.

ذكر كف الرسول عن القتال

ثم ذكر محبسه وكَفَّهُ إياه عن القتال ، بعدَ الظفر منه بهم ، يعني النَّفر الذين أصاب منهم وكفَّهم عنه ، ثم قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ، وكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفاً أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ ﴾ .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : المعكوف : المحبوس ، قال أعشى بني قيس بن ثعلبة :

وكأنَّ السُّموط عكَّفه السِّلـ ـك بعطفى جَيْداء أُمّ غَزَال

وهذا البيت في قصيدة له .

قال ابن إسحاق : ﴿ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ ، والمعرَّة : الغرم ، أي أن تصيبوا منهم (معرَّة) بغير علم فتخرجوا دِيَته ، فأما إثم فلم يخشه عليهم .

قال ابن هشام : بلغني عن مجاهد أنه قال : نزلت هذه الآية في الوليد بن الوليد بن المُغيرة ، وَسَلَمَة بن هشام ، وعَيَّاش بن أبي ربيعة ، وأبي جَنْدل بن سُهيل . وأشباههم .

قال ابن إسحاق : ثم قال تبارك وتعالى : ﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا

فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ ، حَمِيَّةَ الجاهِلِيَّةِ ﴾ يعنى سهيل بن عمرو حين حمى أن يكتب بسم الله الرحمن الرحيم ، وأن محمداً رسول الله ، ثم قال تعالى : ﴿ فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى المُؤْمِنِينَ ، وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى ، وكانوا أحقَّ بها وأهلها ﴾ : أى التوحيد ، شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله .

ثم قال تعالى : ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيا بالحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ المَسْجِدَ الحَرَامَ إنْ شاءَ اللهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لا تَخافُونَ ، فَعَلِمَ ما لَمْ تَعْلَمُوا ﴾ : أى لرؤيا رسولِ الله صلى الله عليه وسلم التى رأى ، أنه سيدخل مكة آمناً لا يخاف ؛ يقول : محلِّقين رءوسكم ، ومقصِّرين معه لا تخافون ، فعلم من ذلك مالم تعلموا ، لجعل من دون ذلك فتحاً قريباً ، صلح الحديبية .

يقول الزهرى : فما فُتح فى الإسلام فتح قبلَه كان أعظَم منه ، إنما كان لقتال حيث التقى الناس ؛ فلما كانت الهُدنة ، ووُضعت الحرب ، وآمن الناس بعضُهم بعضاً ، والتقوا ، فتفاوضوا فى الحديث والمُنازعة ، فلم يكلَّم أحد بالإسلام يَعقل شيئاً إلا دخل فيه ، ولقد دخل فى تَيْنِك السَّنتين مثلُ مَنْ كان فى الإسلام قبل ذلك أو أكثر .

قال ابن هشام : والدليل على قول الزُّهرى أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى الحُدَيبية فى ألف وأربع مائة ، فى قول جابر بن عبد الله ، ثم خرج عام فتح مكة بعد ذلك بسنتين فى عشرة آلاف .

رفع
المسيّ هما

ماجرى عليه أمر قوم من المستضعفين بعد الصلح

مجيء أبي بصير إلى المدينة وطلب قريش له

قال ابن إسحاق : فلمّا قدِم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينة أتاه أبو بَصير عُتْبة بن أَسِيد بن جارية ، وكان ممن حُبس بمكة ، فلما قَدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب فيه أزْهَر بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زُهْرَة ، والأخنس بن شَرِيق بن عمرو بن وهب الثَّقفي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعثا رجلا من بنى عامر بن لُؤَىّ ، ومعه مولى لهم ، فقَدِما على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم بكتاب الأزهر والأخنس ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا بَصِير ، إنا قد أعطينا هؤلاء القومَ ماقد علمتَ ، ولا يصلحُ لنا فى ديننا الغدرُ ، وإن الله جاعل لك ولمن معك من المُسْتَضْعَفين فَرَجاً ومخرجا ، فانطلِق إلى قومك ، قال : يارسول الله ، أتردّنى إلى المشركين يَفْتِنونني فى دينى ؟ قال : يا أبا بصير ، انطلِق ، فإنّ الله تعالى سيجعل لك ولمن معك من المُسْتَضْعفين فَرَجاً ومخرجاً .

قتل أبي بصير للعامري، ومقالة الرسول فى ذلك

فانطلَق معهما ، حتى إذا كان بذى الُحلَيفة ، جلس إلى جدار ، وجلس معه صاحباه ، فقال أبو بَصير : أصارمٌ سيفُك هذا يا أخا بنى عامر ؟ فقال : نعم ؛ قال : أنظر إليه ؟ قال : انظُر ، إن شئت . قال : فاستلّه أبو بَصِير ، ثم علاه به حتى قتله ، وخرج المولى سريعاً حتى أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وهو

جالس فى المسجد ، فلما رآه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم طالعاً ، قال : إن هذا الرجل قد رأى فَزَعاً ، فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال: ويحك ! مالك ؟ قال : قَتَل صاحبُكم صاحبى . فوالله مابَرِح حتى طلَع أبو بَصير مُتَوَشِّحاً بالسَّيف ، حتى وقف على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يارسول الله ، وَفَتْ ذِمّتك ، وأدّى الله عنك ، أسلَمْتَنى بيد القوم وقدامتنعتُ بدينى أنْ أُفتن فيه ، أو يُعْبَث بى . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويل امِّه مُحَشُّ حرب لو كان معه رِجال !

أبو بصير وزملاؤه فى العيص

ثم خرج أبو بَصير حتى نزل العِيصَ ، من ناحية ذى المَرْوة ، على ساحل البحر ، بطريق قُرَيش التى كانوا يأخذون عليها إلى الشام ، وبلغ المُسْلمين الذين كانوا احتبسوا بمكة قولُ رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بصير : « وَيلُ امِّه مِحَشُّ حَرب لو كان معه رجال ! » ، فخرجوا إلى أبى بصير بالعِيص ، فاجتمع إليه منهم قريب من سبعين رجلا ، وكانوا قد ضيّقوا على قُرَيش ، لايظفرون بأحد منهم إلا قتلوه ، ولا تمرُّ بهم عِيرٌ إلا اقتطعوها ، حتى كتبت قُرَيش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسأل بأرحامها إلا آواهم ، فلا حاجة لهم بهم . فآواهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقدموا عليه المدينة .

قال ابن هشام : فلما بلغ سُهَيلَ بن عمرو قتــلُ أبى بَصير صاحبَهم

العامرىّ ، أسند ظهرَه إلى الكعبة ، ثم قال : والله لا أؤخر ظَهْرى عن الكعبة حتى يُودَى هذا الرجل ، فقال أبو سفيان بن حرب : والله إن هذا لهو السَّفه ، والله لا يُودَى ثلاثا . فقال فى ذلك مَوْهَب بن رياح أبو أُنَيس ، حليف بنى زُهرة :

قال ابن هشام : أبو أُنَيس أشعرىّ .

شعر موهب فى وَدْى أبى بصير

أتانِى عَنْ سُهَيْل ذَرْءُ قَوْلٍ ... فأيقظنى وما بِىَ مِنْ رُقادِ
فإنْ تَكُنِ العِتابَ تُرِيدُ مِنى ... فما تَبْغِى فما بكَ من بِعادى
أتُوعدنى وعبدَ مَنافَ حَوْلى ... بمَخْزوم ألَهْفا مَنْ تُمادى
فإنْ تَغمِز قَناتى لا تَجِدْنى ... ضَعيفَ العُود فى الكُرَبِ الشِّداد
أُسامِى الأكْرَمينَ أبًا بقَوْمى ... إذا وَطِىء الضَّعيفُ بهم أُرادى
هُمُ مَنَعوا الظَّواهِرَ غيرَ شَكّ ... إلى حيثُ البَواطِنُ فالعَوادى
بكُلّ طِمِرَّة وبكُلّ نَهْدٍ ... سَوَاهِمَ قَدْ طُوِينَ من الطِّراد
لهم بالخَيْف قد عَلِمَتْ مَعَدٌّ ... رِوَاقُ المَجْدِ رُفِّع بالعِماد

ابن الزبعرى يرد على موهب

فأجابه عبد الله بن الزِّبَعْرَى ، فقال :

وأمْسَى مَوْهَبٌ كحِمار سَوْءٍ ... أجازَ ببَلْدةٍ فيها يُنادِى

فإنّ العبدَ مِثلك لا يُناوِى ... سُهيلاً ضَلَّ سَعْيُكَ من تُعادِى

فأقْصِر يابنَ قَيْنِ السُّوءِ عنه ... وعَدِّ عَن المقالة فى البلادِ

ولا تذكُرْ عِتاب أبى يزيدٍ ... فهيهات البُحور من الثِّمادِ

أمر المهاجرات بعد الهدنة

الرسول صلى الله عليه وسلم يأبى رد أم كلثوم

(قال ابن إسحاق): وهاجرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمّ كُلثوم بنت عُقْبة بن أبى مُعَيط فى تلك المدة، فخرج أخَوَاها عُمارة والوليد ابنا عُقْبة، حتى قَدِما على رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألانه أن يردّها عليهما بالعَهْد الذى بينه وبَين قُريش فى الحُدَيبية، فلم يفعل، أبى الله ذلك.

حول آية المهاجرات المؤمنات

قال ابن إسحاق: فحدثنى الزُّهرى، عن عُروة بن الزُّبير، قال: دخلتُ عليه وهو يَكتب كتاباً إلى ابن أبى هُنَيْدَةَ، صاحب الوليد بن عبد الملك، وكتب إليه يسأله عن قول الله تعالى: ﴿ يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إذَا جاءَكُمُ المُؤْمِناتُ مُهاجِراتٍ فامْتَحِنُوهُنَّ، اللهُ أعْلَمُ بإيمَانِهِنَّ، فإنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِناتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إلى الكُفَّارِ، لاهُنَّ حِلٌّ لَهُمْ، وَلاهُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ، وآتُوهُمْ ماأنفقُوا، وَلا جُناحَ عَلَيْكُمْ أنْ تَنْكِحُوهُنَّ إذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ، وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الكَوَافِرِ ﴾.

— قال ابن هشام : واحدة العِصم : عِصْمة ، وهى الحبل والسَّبب . قال أعشى بنى قيس بن ثعلبة :

إلى المرْء قَيسٍ نُطيلُ السُّرَى ... ونأخذ من كُلِّ حَىٍّ عِصَم

وهذا البيت فى قصيدة له .

﴿ وَاسْأَلُوا ما أَنفَقْتُمْ ، وَلْيَسْأَلُوا ما أَنفَقُوا ، ذَلِكُمْ حُكْمُ اللهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ، وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ .

قال : فكتب إليه عُروة بن الزُّبير : إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم كان صالح قُرَيشاً يوم الحُدَيبية على أن يردّ عليهم مَنْ جاء بغير إذن وليّه ، فلما هاجر النساء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى الإسلام أبَى اللهُ أنْ يُرْدَدْنَ إلى المُشْركين إذا هنّ امتُحِنّ بمِحْنة الإسلام ، فعرفوا أنهنّ إنما جِئْن رغبة فى الإسلام ، وأمرَ بردّ صَدُقاتهنّ إليهم إن احتَبَسن عنهم ، إن هم ردّوا على المسلمين صداقَ مَن حُبِسوا عنهم من نسائهم ؛ ذلكم حكم الله يحكم بينكم ، والله عليم حكيم . فأمسك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم النساء وردّ الرجال ، وسأل الذى أمره الله به أن يسأل من صدُقات نساءِ من من حُبسوا منهنّ ، وأن يردّوا عليهم مثل الذى يردّون عليهم ، إن هم فعلوا ، ولولا الذى حكم الله به من هذا الحكم لردّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم النساء كما ردّ الرجال ، ولولا الهُدنة والعَهد الذى كان بينه وبين قُريش يوم الحُديبية لأمسك النساء ، ولم يردُدْ لهنّ صداقاً ، وكذلك كان يصنع بمَنْ جاءه من المسلمات قبل العهد .

قال ابن إسحاق : وسألت الزُّهرى عن هذه الآية ، وقول الله عزّ وجلّ فيها : ﴿ وإنْ فاتَكُمْ شَىْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إلى الكُفَّارِ فَعاقَبْتُمْ ، فآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ ما أنفَقُوا واتَّقوا اللهَ الَّذِى أنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنونَ ﴾ قال : يقول : إن فات أحداً منكم أهلُه إلى الكفّار ، ولم تأتكم امرأة تأخذون بها مثل الذى يأخذون منكم ، فعوّضوهم من فَىْءٍ إن أصبتموه ، فلما نزلت هذه الآية : ﴿ياأيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إذَا جاءَكُمُ المُؤْمِناتُ مُهاجِرَاتٍ﴾ ... إلى قول الله عزّ وجلّ : ﴿ وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الكَوافِرِ ﴾ ، كان ممن طلّق عمرُ بن الخطّاب ، طلّق امرأته قُريبة بنت أبى أُميّة بن المُغيرة ، فتزوّجها بعده مُعاوية بن أبى سفيان وهما على شركهما بمكة ، وأمّ كلثوم بنت جرْول أمّ عبيد الله بن عمر الخُزاعيّة ، فتزوّجها أبو جَهْم بن حُذَيفة بن غانم ، رجل من قومه ، وهما على شرْكهما .

بشرى فتح مكة وتعجيل بعض المسلمين

قال ابن هشام : حدثنا أبو عبيدة : أنّ بعضَ منْ كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له لما قدم المدينة : ألم تقل يارسول الله إنك تدخل مكة آمناً ؟ قال : بلى ، أفقلت لكم مِنْ عامى هذ ؟ قالوا : لا ، قال : فهو كما قال لى جبريل عليه السلام .

. . . . : . . . .

غزوة الحديبية

يقال فيها : الْحُدَيْبِيَـة بالتخفيف ، وهو الأعرف عند أهل العربية . قال الخطابى : أهلُ الحديث يقولون : الْحُدَيْبِيَّة بالتشديد ، والجِعِرّانَة كذلك ، وأهل العربية يقولونهما : بالتخفيف ، وقال البكرى : أهلُ العراقِ يشدِّدُون الراء والياء فى الجِعِرّانة والْحُدَيْبِيَّة ، وأهل الحجاز يخففون ، وقال أبو جعفر النحاس : سألت كل من لَقِيته ممن أثِق بعلمه عن الْحُدَيْبِيَـة ، فلم يختلفوا على أنها بالتخفيف(١) .

الميقات والإشعار :

فصل : وذكر خروج النبىّ - صلى الله عليه وسلم - مُعْتَمِراً إلى مكة ، ولم يذكر فى حديثه : من أيْنَ أحرم ، وفى الصحيح من رواية الزُّهْرِىّ أنه أحرم من ذى الْحُلَيْفَة ، وهو خلاف مايروى عن علىّ رحمه الله من قوله : إن تمام العمرة أن تُحْرِمَ بها من دُوَيْرَة أهلِك ، وهذا من قول علىّ مُتأوّلٌ فيمن كان منزلُه من وَرَاءِ الميقاتِ ، فهو الذى يُحْرِم من دُوَيْرَةِ أهلِه ، كما يُحْرِمُ أهلُ مكةَ من مكةَ فى الحج .

وفيه : أنه أشْعَرَ الْهَدْىَ ، وهو خلاف قول النَّخَعِىّ وأهلِ الكوفة فى قولهم إن الإشعارَ منسوخٌ بنهيه عن الْمُثْلَةِ ، ويقـــال لهم : إن

---

(١) وأهل الحديث يكسرون العين وأهل الأدب يخففون الراء .

. . . .

النهى عن المُثْلَةِ كان بإثْرِ غَزْوَةِ أُحُد ، فلا يكون الناسخُ متقدماً على المنسوخ.

من شرح حديث الحديبية :

وفيه أنهم مَرُّوا بطريقٍ أَجْرَدَ ، ومعناه : كثيرُ الحجارةِ[1] ، والجَرَدُ : الحَجَرُ .

وفيه أنه بعث عيناً له من خُزَاعة إلى مكة ، فدل على أنه يجوزُ للرجل أن يسافرَ وحده ، إذا مسّتْ الحاجةُ إلى ذلك ، أو كان فى ذلك صلاحٌ للمسلمين .

وفى البخارى والنَّسَوِيّ أن عَيْنَه الذى أرسل جاءه بغَدِيرِ الأَشْطَاطِ ، والأَشْطَاطُ : جَمْع شَطّ ، وهو السَّنامُ ، قال الراجز[2] :

شَطًّا رَمَيْتَ فوقه بِشَطِّ

وشَطُّ الوادي : أيضاً جانبُه ، وبعضهم يقول فيه الأَشْظَاظ بالظاء المعجمة ، واسم عينه ذلك بُسْرُ بن سُفْيَانَ بن عَمْرو بن عُمَيْرٍ الخُزَاعِي[3] ، وهو الذى

---

(١) فى السيرة أجرل . والجرل: بالتحريك: الحجارة أو مع الشجر أو المكان الصلب الغليظ ، والجرد من الأرض مالا ينبت ، والفضاء لا نبت فيه وهذا الإسم للفضاء ، ومن هذا يتبين أن السهيلى وضع الجرد معنى الجرل ، أو لعله خطأ من الناسخ ، إذ جعل اللام دالا .

(٢) الرجز لأبى النجم ، وهو الفضل بن قدامة بن عبيد الله عجلى من بنى عجل ابن لجيم بن صعب بن على بن بكر بن وائل ، والرجز هكذا .

علقت خوداً من بنات الزط ذات جهاز مضغط ملط
كأن تحت درعها المنعط شطا رميت فوقه بشط
لم ينز فى الرفع ولم ينحط

(٣) أوعو بمر الخزاعى .

. . . .

بعثه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مع بُدَيْل بنِ أم أَصْرَمَ[1] وهو بُدَيْل ابن سَلَمَة[2] إلى خزاعة يَسْتَنْفِرُهم إلى قتالِ أهْلِ مكّة عامَ الفَتْح .

وفيه أن قريشاً خرجت ومعها العُوذُ المطَافِيلُ . العُوذُ : جمع عائِذٍ ، وهى الناقة التى معها ولدُها ، يُريد أنهم خرجوا بذَوَاتِ الألْبَانِ من الإبل ، ليتزَوَّدوا ألْبَانَها ، ولا يَرْجِعوا ، حتى يُنَاجِزوا محمداً وأصحابَه فى زعمهم ، وإنما قيل للناقة : عائذ ، وإن كان الولدُ هو الذى يعوذ بها ، لأنها عاطفٌ عليه ، كما قالوا تجَارَةٌ رابحــة ، وإن كانت مَرْبُوحاً فيها ، لأنها فى معنى نَامية وزَاكِية ، وكذلك عيشة رَاضِيَة لأنها فى معنى صالحة ، ومن نحو هذا قوله : ﴿ والهَدْىَ مَعْكوفاً ﴾ الفتح : ٢٥ وإن كان عاكِفاً ، لأنه مَحْبُوسٌ فى المعنى ، فتحول وزنُه فى اللفظِ إلى وَزْنِ ما هو فى معناه ، كما قالوا فى المرأة : تُهَرَاقُ الدِّماء ، وقياسه : تُهْرِيقُ الدِّماءَ ، ولكنه فى معنى : تُسْتَحَاضُ ، فحُوِّل إلى وزن ما لم يُسَمَّ فاعلُه وبقيت الدماء منصوبة على المفعول كما كانت[3] .

---

(١) فى الأصل : أصوم .

(٢) فى القاموس : بديل بن ميسرة بن أم أصرم ، وبديل بن سلمة . وفى الاشتقاق : بديل بن أم أصرم .

(٣) قد يكون منصوباً على التمييز ، وإن كان معرفة ، وله نظائر ، أو يكون قد أجرى تهراق مجرى : نفست المرأة غلاماً ، ونتج الفرس مهراً ، ويجوز رفع الدم على تقدير : تهراق دماؤها ، وتكون الألف واللام بدلا من الإضافة كقوله تعالى : (أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح) أى عقدة نكاحه أو نكاحها « اللسان مادة هرق » .

رفع المسيّرهم

. . . .

وقوله فى بئر الحُدَيْبِيَة : إنما يَتَبرَّضُ ماؤُها تبَرُّضاً من البَرْضِ ، وهو الماء الذى يَقْطُر قَلِيلاً قَلِيلاً ، والبارِضُ من النبات الذى كأنه يقطر من من الرِّىِّ والنعمة. قال الشاعر :

رَعَى بارِضَ البُهْمَى جَمِيماً وبُسْرَةً ... وصَمْعاءَ حتى آنَفَتْهُ نِصالُها(١)

يقال لكل شىء فى أوله : بُسْرة حتى للشمسِ عند طلوعها ، وصَمْعاء : مُتَجَدِّدة قد شَوَّكَت، قاله أبو حنيفة .

وذكر أن رَجُلًا من أسلم سلك بهم طَرِيقاً وَعْراً أجْرَلَ يقال : إن ذلك الرَّجل هو ناجِيَة الأسلمى ، وهو سائق بُدْنِه ، وهو ناجية بن جُنْدَب ، ويقال فيه ابن عُمَيْر ، وكان اسمه : ذَكْوَانَ ، فسماه النبى صلى الله عليه وسلم : ناجِيَةَ حين نجا من كفار قريش ، وعاش إلى زمن معاويةَ ، وأما صاحبُ بُدْنِ رسول الله صلى الله عليه وسلم المذكور فى حديث آخر فى المُوطَّأ وغيره ، فاسمه : ذُؤَيْبُ بن حَلْحَلَةَ بن عَمْرو بن كُلَيْب بن أَصْرَمَ بن عبدِ الله بن قُمَيْر بن حُبْشِيَّةَ بن سَلُول بن كَعْب بن عَمْرو بن رَبِيعة ، وهو لَحُىُّ بنُ

---

(١) البيت فى اللسان وروايته : رعت . وفى الأصل : حميا وآلفته والتصويب من اللسان. وآنفته : جعلتها تشتكى — أنوفها بسفاها . ويروى حتى أنصلتها . والبهمى : نبات تحبه الغنم حباً شديداً مادام أخضر . قال الأزهرى : البهمى أول ما يبدو منها البارض، فاذا تحرك قليلا فهو جميم ، فاذا ارتفع وتم قبل أن يتفقأ ، فهو الصمعاء . والبسرة : الغض من البهمى . انظر اللسان فى مادة بسر، وصمع، وبهم .

. . . .

حارثة جدُّ خُزَاعَةَ ، وذُؤيبٌ هذا هو والدُ قَبِيصَةَ بن ذُؤيبٍ القاضى صاحبِ عبدِ الملك بن مَرْوَانَ ، وعاش ذُؤَيبٌ إلى خِلَافَةِ معاوية أيضاً .

وذكر فى نَسَبِ أسْلَمَ بن أفْصَى بن أبى حارثة ، وهو وهم ، وقد أصلحه ابنُ هشام ، فقال : هو حارثة يعنى بن ثَعْلَبَةَ بن عَمْرو بن عَامِرِ بن ماءِ السَّماء ابن حارِثَةَ الغِطْرِيفِ بن امرِىء القيس بن ثَعلَبَةَ بن مازِنِ بن الأسد ، ويحتمل أن يكون ابن إسحاق لم يَهِمْ فيه ، ولكنه نسبه إلى أبى حارثة بن عَمْرو بن عامر ، وهو عَمُّ حارثَةَ بن ثعلَبَةَ ، وحارثةُ هو أبو الأوْسِ والخَزْرَجِ (١) .

وذكر قوله عليه السلام : لا تَدعُونى قريشٌ اليوم إلى خطَّةٍ ، الحديث . وفى غير رواية ابن إسحاقِ عن الزُّهْرِى أنه قال : والذى نفسِى بيده ، لا تدعونى قريش ، ولم يقل فى الحديث : إن شاء الله ، وقد تكلموا فى ذلك فقيل : إنما أسقط الاستثناء ، لأنه أمرٌ واجبٌ كان قد أُمِر به ، ألا تراه يقول فى الحديث : إنما أنا عبدُ الله ورسُوله لن أخالف أمره ، ولن يُضَيِّعَنى (٢) ، وقيل إن إسقاطَ الاستثناء إنما هو من الراوى إمّا نَسِيَه وإمّا لم يَحْفَظه .

وفى الحديث : أوْ تَنْفِردُ هذه السالفةُ . السالفةُ : صَفْحَةُ العُنُقِ ، وانفرادُها

---

(١) هذا لأن حارثة ولد ربيعة ، وولد ربيعة عمراً ، وهو أبو خزاعة .

(٢) رأى غير جيد ، لأنه تعالى قال فى هذه القصة : (لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين) مع تحقيق وقوع ذلك تعليما وإرشاداً . من فتح البـــارى » .

عبارةٌ عن القتل أو الذبح ، وفى الرجز الذى أنشده :

يا أيُّها المائحُ دَلْوِى دُونَكا

لو قال دُونَكَ دَلْوِى لكان الدَّلْوُ فى موضع نَصْبٍ على الإغراء ، فلما قَدَّمها على دُونَك ، لم يَجُزْ نصبُها بدونك ، ولكنه بفعلٍ آخرَ ، كأنه قال : املأْ دَلْوِى ، فقوله : دُونَكا أمْرٌ بعد أمْرٍ .

وفيه قوله صلى الله عليه وسلم : فى الحُلَيْسِ : إن هذا من قوم يَتألَّهون ، أى : يُعظِّمون أمرَ الإله ، ومنه قول رؤْبة :

سَبَّحْنَ ، واسْتَرْجَعْنَ من تَأَلُّه[1]

أى : من تَنَسُّكٍ وتعظيمٍ لله سبحانه .

وَصْفُ الجمع بالمفرد :

وقول عُرْوَةَ بن مَسْعُودٍ لقريش : قد عَرَفْتُم أنكم والدٌ : أى كُلٌّ واحدٍ منكم كالوَالِدِ ، وقيل معناه : أنتم حَيٌّ قد وَلَدَنى ، لأنه كان لسُبَيْعَةَ[2] بنتِ عبدِ شَمْسٍ[3] ، وقد يجوز أن يقال فى الجماعة : هم لى صَدِيقٌ وعَدُوٌّ . وفى

---

(١) القصيدة فى ديوان رؤبة والبيت هكذا :

لله در الغانيات المده سبحن واسترجعن من تألهى

(٢) فى الأصل : سفيعة ، وهو خطأ .

. . . .

التنزيل : ﴿ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً ﴾ النساء : ٦٩ فيُفْرَد لأنه صفةٌ لفريق وحزب ويَقْبحُ أن تقولَ : قومُك ضاحِكٌ أو باكٍ ، وإنما يحسُن هذا إذا وَصَفْتَ بصديقٍ ورَفيقٍ وَعَدُوٍّ لأنها صفة تَصْلُح للفريقِ والحِزْبِ ، لأن العَدَاوَةَ والصَّدَاقَةَ صفتان مُتَضادَّتَان ، فإذا كان على أحدِهما الفريقُ الواحدُ ، كان الآخرُ على ضِدِّها ، وكانت قلوبُ أحد الفريقين في تلك الصفةِ على قلبِ رَجُلٍ واحدٍ في عُرْفِ العادة ، فحَسُنَ الإفرادُ ، وليس يلزم مثلُ هذا في القيام والقعود ونحوه ، حتى يقال : هم قاعِدٌ أو قائمٌ كما يقال : هم صَدِيقٌ لما قدمناه من الاتفاق والاختلافِ . وأما قوله تعالى : ﴿ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ﴾ غافر : ٦٧ ، بلفظ الإفراد ، وقال في موضع آخر ﴿ وإذا بَلَغَ الأطْفَالُ منكم الحُلُمَ ﴾ النور : ٥٩ فالأحسن في حكم البلاغةِ أن يُعَبِّر عن الأطفالِ الرُّضَّعِ بالطِّفْل في الواحدِ والجميع ، لأنهم مع حِدْثَانِ الولادةِ كالجنسِ الذي يقع على القليل والكثير بلفظ واحد ، ألا ترى أن بَدْءَ الخلقِ طينٌ . ثم منيٌّ ، والمنيُّ جنسٌ لا يتميز بعضُه مِنْ بَعْضٍ ، فلذلك لا يُجْمَع ، وكذلك الطين ، ثم يكون الخلق علقاً ، وهو الدم ، فيكون ذلك جنساً ، ثم يخرجهم الله طفلاً ، أي : جنساً تالياً للعلق والمنيّ لا يكاد يتميَّزُ بعضُهم من بعضٍ إلا عند آبائهم ، فإذا كبروا وخالطوا الناس ، وعرف الناسُ صُوَرَهم بعضَهم من بعضٍ فصاروا كالرجال والفتيان ، قيل فيهم : حينئذ أطفالٌ ، كما يقال : رِجالٌ وفِتيانٌ ، ولا يُعترضُ على هذا الأصلِ بالأجنَّةِ أنهم مُغَيَّبُون في البُطُون ، فلم يكونوا كالجنس الظاهر للعيون كالماء والطين والعلقِ ، وإنما جُمِعَ الجنينُ على أجِنَّةٍ ، وحَسُنَ ذلك فيه ، لأنه تَبَعٌ للبطنِ الذي هو فيه ، ويقوى هذا الغرضَ الذي قصدْنا إليه في الطفل

قولُ رجلٍ من بنى مُجاعَةَ لِعُمَرَ بن عبدِ العَزِيز ، وقد سأله : هل بقى من كُهُول بنى مُجاعَةَ أحدٌ ؟ قال : نعم ، وشَكِيرٌ كثيرٌ ، فانظر كيف قال : الكهول وجَمع ، وقال فى الصغار : شَكِيرٌ كما تقول : حَشِيشٌ ، ونباتٌ ، فتُفرد ، لأنه جِنْسٌ واحدٌ ، والطِّفْل فى معنى الشَّكِير ماداموا رُضَّعاً ، حتى يَتَمَيَّزوا بالأسماء والصور عند الناس ، فهذا حكمُ الهلاغة ، ومَساقُ الفَصَاحَةِ فافْهَمْهُ .

وأما قول عُرْوَةَ : جمعت أو شابَ الناس ، يريد : أخْلَاطاً ، وكذلك الأوْبَاشُ .

وقوله فى حديث المُغِيرَة : أما المالُ فلستَ منه[1] فى شىء . فيه مِن الفقه أنَّ أمْوَالَ المُشركين حرامٌ إذا أَمِنُوك وأمِنْتَهم ، وإنما يَحِلُّ بالمُحارَبةِ والمُغالَبَةِ لاعند طمأنينتهمْ إليك وأمْنِهِم منك ، فإن ذلك هو الغَدْرُ ،

---

(١) كان المغيرة قبل إسلامه صحب قوماً فى الجاهلية ثلاثة عشر من ثقيف من بنى مالك لما خرجوا للمقوقس بمصر بهدايا ، فأحسن إليهم ، وأعطاهم ، وقصر بالمغيرة ، لأنه ليس من القوم ، بل من أحلافهم ، فغار منهم ولم يواسه أحد منهم ، فلما كان ببعض الطريق شربوا الخمر ، وناموا ، فوثب المغيرة ، فقتلهم كلهم ، وأخذ أموالهم ، ثم جاء إلى المدينة ، فأسلم فقال أبو بكر : مافعل المالكيون الذين كانوا معك ؟ قال : قتلتهم ، وجئت بأسلابهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليخمس ، أو ليرى رأيه فيها ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : أما الإسلام — بالنصب على المفعولية — فأقبل ، وأما المال فلست منه فى شىء « المواهب ص ١٩١ ج ٢ » ورواية البخارى ومسلم « صحب قوما فى الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ، ثم جاء فأسلم ، فقال النبى « ص » أما الإسلام فأقبل ، وأما المال فلست منه فى شىء

وفى هذا المعنى آثار قد مضى بعضُها، وسيأتى بعضُها فى غَزْوَةِ خَيْبَرَ وغَيرِها.

وفيه: أنهم كانوا يَتَدَلَّكُون بنُخَامَةِ النبىِّ - صلى الله عليه وسلم إذا تَنَخَّم. وفى ذلك دليل على طهارة النُّخَامَة خِلافاً للنَّخَعِىِّ، وما يُرْوَى فى ذلك عن سَلْمانِ الفارسِىِّ. وحديث: إذا تَنخمَ أحدُكم فى الصَّلاةِ أَبْيَنُ فى الحُجَّةِ، لأن حديث السيرة يَحْتَمِلِ الخصوصَ بالنبى صلى الله عليه وسلم(١).

حول المصالحة:

فصل: وذكر مُصالَحَةَ النبىِّ - صلى الله عليه وسلم - لقُرَيشٍ وشَرْطِهم أَنْ لَا يأتيه منهم أحدٌ مِمَّن هو على دينِه إلَّا ردَّه عليهم، وفى هذا الحديث مصالحةُ

---

(١) لا يعتبر عمل الصحابة هنا هدياً يهتدى به أو أسوة يقتدى بها، أو عملا يمكن أن يضاف إلى الإسلام كشعيرة أو سنة. فإنه عمل إن صح الحديث مرتبط بما فعل من أجله، لا يتعداه، ولا يكتسب قاعدة. بدليل أن أحداً من الصحابة لم يفعله بعد ذلك، وهى لمحة رائعة من لمحات صاحب الفتح أن يقول: «ولعل الصحابة فعلوا ذلك بحضرة عروة وبالغوا فى ذلك إشارة إلى الرد على ما خشيه من فرارهم، فكأنهم قالوا بلسان الحال: من يحبه هذه المحبة، ويعظمه هذا التعظيم، كيف يظن به أن نفرعنه ونسلمه لعدو؟ بل هم أشد اغتباطاً به وبدينه ونصره من هذه القبائل التى تراعى بعضها بمجرد الرحم» ص ١٩٢ ح ٢ المواهب. ولعل من دنس الفهم وقذارته أن تتصور فى الإسلام أنه يمجد مثل هذا أو يفتح له باباً يدخل منه إلى شريعته، أو يحث الناس على التدلك بنخامة شيوخهم كما يفترون!! هذا وقد روى عن أبى هريرة وأبى سعيد أن رسول الله «ص» رأى نخامة فى جدار المسجد فتناول حصاة، فحتها. وقال إذا تنخم أحدكم فلا يتنخمن قبل وجهه، ولا عن يمينه، وليبصق عن يساره، أو تحت قدمه اليسرى» متفق عليه، وفى رواية للبخارى: فيدفنها.

للشركين على غير مالٍ يؤخَذ منهم ، وذلك جائزٌ إذا كان بالمسلمين ضَعْفٌ ، وقد تقدم مصالحتُهم على مالٍ يعطُونه فى غَزْوَة الخَنْدَقِ ، واختلف : هل يجوزُ صُلْحُهم إلى أكثر من عشر سنين ؟ فقال بعضهم : يجوز ذلك إذا رآه الإمامُ ، وقالت طائفة : لا يُتجاوَز فى صلحهم إلى أكثرَ من عَشْر سنين ، وحجَّتُهم أنّ حَظْرَ الصُّلح هو الأصل بدليل آيةِ القتال ، وقد ورد التحديدُ بالعشر فى حديث ابن إسحاق فحصلت الإباحةُ فى هذا المقدارِ مُتَحَقِّقَةً ، وبقيت الزيادة على الأصل وهو الحظر ، وفيه الصلحُ على أن يُرَدَّ المسلمُ إلى دارِ الكُفْرِ ، وهذا منسوخ عند أبى حَنيفَة بحديثِ سَرِيّة خالدٍ حين وجهه النبي — صلى الله عليه وسلم إلى خَثْعَمَ ، وفيهم ناسٌ مُسْلِمون فاعْتَصَمُوا بالسُّجود فقتلهم خالدٌ ، فَوَدَاهُم النبيُّ — صلى الله عليه وسلم — نِصْفَ الدِّيَة ، وقال : أنا برىء من مُسْلِم بَيْن مُشْرِكين ، وقال فقهاء الحجاز : هو جائز ، ولكن للخليفة الأكبرِ لا لِمَنْ دونه ، وفيه : نَسْخُ السُّنَّةِ بالقرآن على أحدِ القولين ، فإن هذا العهد كان يقتضى أن لا يأتيه مُسْلِمٌ إلّا رَدَّه ، فنسخ اللهُ تعالى ذلك فى النِّساء خاصّةً ، فقال عز وجل : ﴿ فإن عَلِمتُمُوهُنَّ مُؤْمِناتٍ [فلا تَرْجِعُوهُنَّ إلى الكُفّارِ] ﴾ الممتحنة : ١٠ هذا على رواية عقيل بن خالد عن الزُّهْرِىّ ، فإنه قال فى الحديث : أنْ لا يَأْتيه أحدٌ، وأحدٌ يتضمن الرجال والنساء ، والأحسن أن يقال فى مثل هذا تخصيصُ عُمُومٍ لا نَسْخٌ ، على أن بعض حُذّاق الأصوليّين قد قال فى العموم : إذا عُمِل بمقتضاه فى عَصْر النبي — صلى الله عليه وسلم — واعتقد فيه العمومُ ، ثم ورد التخصيصُ فهو نَسْخٌ ، وهو قول حَسَنٌ ، وفى رواية أخرى أن لا يأتيه رجل . فهذا اللفظ لا يتناول

النساء . وقالت طائفة : إنما استجاز النبيُّ - صلى الله عليه وسلم - ردَّ المسلمين إليهم في هذا الصلح لقوله عليه السلام : لاتدعونى قريشٌ إلى خُطَّةٍ يعظمون فيها الحَرَمَ إلا أجبتُهم إليها ، وفي رَدِّ المسلم إلى مكةَ عِمارةُ البيت ، وزيادة خَيْرٍ له في الصلاة بالمسجد الحرام والطواف بالبيت ، فكان هذا من تعظيم حُرُماتِ الله تعالى ، فعلى هذا القولِ يكون حُكماً مخصوصاً بمكة ، وبالنبي صلى الله عليه وسلم ، ويكون غير جائز لمن بعده كما قال العراقيون .

حكم المهاجرات :

فصل : وذكر قول الله سبحانه : ﴿ إذا جاءكُمُ المؤمناتُ مُهاجِراتٍ ، فامتَحِنُوهُنَّ ﴾ الممتحنة : ١ . هذا عند أهل العلم مخصوصٌ بنساء أهلِ العهد والصلح ، وكان الامتحان أن يَستَحْلِف المرأةَ المهاجِرَةَ أنها ماخرجت ناشزاً ولا هاجرتْ إلَّا لله ولرسوله (١) ، فإذا حلفت لم تُرَدَّ ورُدَّ صداقُها إلى بَعْلِها ، وإن كانت من غير أهْلِ العَهْد لم تُستَحلَف ، ولم يُرَدَّ صداقُها .

وفيه : أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم محا اسمه ، وهو رسولُ الله ، وكتب : هذا ما صالح عليه محمدُ بن عبد الله ، لأنه قولُ حَقٍّ كُلُّه ، وظن بعضُ الناس أنه كتب بيده ، وفي البخارى أنه كتب ، وهو لايُحسِن الكتابةَ ، فتوهم أن الله تعالى أطلق يده بالكتابة في تلك الساعة خاصَّةً ، وقال : هي آيةٌ ، فيقال له : كانت تكون آيةً لولا أنها مناقضة لآية أخرى ، وهو كونه أُمِّيًّا لايكتب ،

---

(١) اقرأ تفسير ابن كثير للآية فقد روى غير هذا .

رفع المسيا همام

. . . .

وبكونه أمِّيًّا فى أمَّةٍ أمِّيَّةٍ قامت الحجةُ ، وأُفحِم الجاحدُ ، وانحسَمَتْ الشُّبْهَـةُ ، فـكيف يُطْلِق اللهُ يدَه ، لتـكونَ آيةً ؟ وإنما الآية أن لا يكتبَ والمعجزاتُ(١) يَسْتَحِيلُ أنْ يَدْفَعَ بعضُها بَعْضاً ، وإنما معنى : كتب أى : أمر أن يُكْتَبَ(٢) وكان الـكاتبُ فى ذلك اليوم عَلِيَّ بنَ أبى طالب ، وقد كتب له عِدَّةٌ

---

(١) أذكر هنا بأن الله سبحانه سمى ما أعطاه لرسله آيات ، لا معجزات .

(٢) نص رواية البخارى والنسائى وأحمد « فأخذ الكتاب » وليس يحسن أن يكتب ، فكتب مكان رسول الله محمد بن عبد الله » ولهذا يتبين لنا ان تأويل السهيلى غير جيد ، ولأن هذه الرواية مخالفة لـكل الروايات الصحيحة أنكر بعض المتأخرين على أبى موسى المدينى نسبتها للبخارى فقال : ليست فى البخارى ولا فى مسلم . وهو كما قال عن مسلم ، ولـكنها ثابتة فى البخارى .

وقد تمسك بظاهر رواية البخارى أبو الوليد الباجى سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب المتوفى سنة ٤٧٤ هـ ، فزعم أن النبى « ص » كتب بعد أن لم يكن يحسن أن يكتب ، فشنع عليه علماء الأندلس ، ورموه بالزندقة ، وشنعوا عليه من على المنابر فى الجمع ، فجمعهم به الأمير ، فاستظهر الباجى بما كان يعرف من فنون القول والمجادلة ، وزعم أن رأيه غير مخالف للقرآن ، بل إنه يؤخذ من مفهوم القرآن ، لأنه قيد نفى الكتابة عنه بما قبل ورود القرآن : (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ، ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون) وبعد أن تحققت أميته ، وتقررت بذلك معجزته وأمن الارتياب فى ذلك ، لا مانع من أن يعرف الكتابة بعد ذلك من غير تعليم ، فيكون معجزة أخرى وقد وافقه جماعة ، وأنكر عليه آخرون كثيرون . أنظر فتح البارى فى شرح الحديث والمواهب اللدنية ص ١٩٦ وما بعدها ج ٢ . أقول : وما استنبطه الباجى مخالف لما تواتر والروايات الصحيحة .

. . . .

من أصحابه، منهم عبدُ الله بن الأرْقم ، وخالدُ بن سعيد ، وأخوه أبانُ ، وزَيْد ابن ثابت ، وعبدُ الله بن عبد الله بن أُبَيٍّ بن سَلُول ، وأُبَيُّ بن كَعْب القارى ، وقد كتب له أيضاً فى بعضِ الأوْقَاتِ أبو بكر وعُمَر وعُثْمانُ رضى الله عنهم ، وكتب له كثيراً معاويةُ بن أبى سُفْيانَ بعد عام الفتح ، وكتب له أيضاً الزُّبَيْرُ ابن العَوَّام ، ومُعَيْقِيبُ بن أبى فَاطِمَة ، والمغيرةُ بن شُعْبَةَ ، وشُرَحْبِيلُ بن حَسَنَةَ ، وخالدُ بن الوَليد ، وعَمْرو بن العاصى ، وجُهَيْمُ بن الصَّلْتِ ، وعَبْدُ الله ابن رَوَاحَةَ ، ومحمد بن مَسْلَمَة ، وعبدُ الله بن سَعْد بن أبى سَرْحٍ ، وحَنْظَلَةُ الأُسَيْدِيُّ ، وهو حَنْظَلَةُ بن الرَّبيع ، وفيه يقول الشاعر بعد موته :

إنَّ سَوَادَ العَيْنِ أوْدَى به حُزْنٌ على حَنْظَلَةَ الكاتب

والعَلاء بن الحَضْرَمِيُّ ، ذكرهم عُمَرُ بن شَبَّةَ فى كتابِ الكُتَّابِ له[1] .

باسمك اللهم :

وأما قولُ سُهَيْلِ بن عَمْرٍو له : ولكن اكْتُبْ : باسمك اللَّهُمَّ ، فإنها كلمةٌ كانت قريشٌ تقولها ولقولهم لها سببٌ قد ذكرناه فى كتاب التعريف والإعْلَام ، وأول من قالها أُمَيَّةُ بن أبى الصَّلْتِ ، ومنه تَعَلَّمُوها وتعلمها هو من رَجُلٍ من الجِنِّ فى خَبَرٍ طويلٍ ذكره المَسْعُودى[2] وهو الخبر الذى لخصناه فى الكتاب المذكور .

---

(١) ذكر ابن القيم فى زاد المعاد منهم عامر بن فهيرة ، وثابت بن قيس ابن شماس.

(٢) يثير الدهشة أن يصدق الرجل الكثير مثل هذا الخرف الصغير .

عيبة مكفوفة :

فصل : وذكر فى الكتابِ : وإنَّ بَيْنَنَا وبَيْنكم عَيْبَةً مَكْفُوفَةً(١)

أى : صُدُور مُنْطَوِيَة على ما فيها لا تُبْدِى عَداوة ، وضرب العَيْبَة مثلا ، وقال الشاعر :

وكادَتْ عِيابُ الوُدِّ مِنَّا ومِنْهُمُ   وإن قيل أبناء العُمُومَةِ تَصْفَرُ

وقال صَلَّى الله عليه وسلم : الأنصارُ كَرِشِي وَعَيْبَتِى(٢) فضَرَبَ العَيْبَةَ مَثَلاً لموضع السِّرِّ ، وما يُعْتَدُّ به من وُدِّهم . والكَرِشُ وِعاء يُصْنَع من كَرِش البَعير ، يجعل فيه ما يُطْبَخ من اللَّحْم ، يقال : ما وَجَدت لهذه البَضْعَة فا كَرِشٍ ، أى : إنَّ الكَرِشَ قد امتلأ ، فلم يَسَعْها فمه . ويُضْرَبُ أيضاً هذا مَثَلًا(٣) ،

---

(١) ليس فى السيرة : وبينكم .

(٢) أراد ص ، أنهم بطانته وموضع سره وأمانته ، والذين يعتمد عليهم فى أموره . واستعار الكرش والعيبة لذلك ، لأن المجتر يجمع علفه فى كرشه ، والرجل يضع ثيابه فى عيبته . وقيل : أراد بالكرش : الجماعة أى : جماعتى وصحابتى ، يقال : عليه كرش ، أى جماعة (النهاية لابن الأثير) ، والحديث فى البخارى : « أوصيكم بالأنصار ، فإنهم كرشى وعيبتى ، وقد قضوا الذى عليهم ، وبقى الذى لهم فاقبلوا من محسنهم ، وتجاوزوا عن مسيئهم » .

(٣) أى لم أجد إليه سبيلا . وعن اللحيانى : لو وجدت إليه فا كرش ، وباب كرش . وإنى لو وجدت إليه فا كرش لأتيته ، يعنى قدر ذلك من السبل ، ومثله قولهم لو وجدت إليه : فاسبيل . وأصل المثل أن رجلا فصل شاة ، فأدخلها فى كرشها ، ليطبخها ، فقيل له : أدخل الرأس ، فقال : إن وجدت إلى ذلك فا كرش يعنى : إن وجدت إليه سبيلا . وقيل غير ذلك ولكنه قريب من هذا .

. . . .

كما قال الحجاج : ما وَجَدْتُ إلى دَمِ فُلَانٍ فَاكَرِشٍ .

وقوله : ولا إغلال ، هى الخِيَانَةُ ، يقال : فُلان مغل الأصْبَع ، أى خائن اليد. قال الشاعر :

حَدَّثْتَ نفسك بالوَفَاء، ولم تَكُنْ بالغَدْرِ خائنة مثل الأُصْبَع

والإسْلَالُ : السرقَة ، والخُلْسَةُ ونحوها ، وهى السلة . قالوا فى المثل : الخلَّةُ تدعو إلى السَّلَّةِ .

أبو جندل وصاحباه فى الخمر :

فصل : وذكر خُرُوج أبى جَنْدَلٍ يَرْسُفُ فى الحديد . أبو جندل ، هو العاصى بن سُهَيْلٍ ، وأما أخوه عبد الله بن سهيل ، فكان قد فر يوم بدر إلى المُسلمين ، فلحق بهم ، وشهد بدراً ، والمشاهد كلَّها ، وقتل يوم اليَمَامَةِ شهيداً ، وأما أبو جَنْدَلٍ ، فاستشهد مع أبيه بالشام فى خلافة عُمَرَ ، وهو الذى شَرِب الخمرَ مُتأَوِّلاً لقوله تبارك وتعالى ﴿ ليس على الذين آمنوا وعَمِلُوا الصالحاتِ جُنَاحٌ فيما طَعِمُوا [إذا ما اتَّقَوْا وآمنوا وعَمِلوا الصالحاتِ ، ثم اتَّقَوْا وآمنـــوا ثم اتَّقَوْا وأحسنوا ؛ والله يُحِبُّ المحسنين] ﴾ المائدة : ٩٣ فجلده أبو عُبَيْدَةَ بأمر عُمَرَ وجلد صاحبه ، وهو ضِرار ، ثم إن أبا جَنْدَلٍ أشفق من الذَّنْبِ حتى قال : لقــد هلـكْتُ ، فبلغ ذلك عمرَ رضى الله عنه ، فكتب إليــه : إن الذى زيَّن لك الخطيئة هو الذى حظر عليك التوبة :

. . . .

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ حم[1] تنزيلُ الكتابِ من الله العزيزِ العليم. غافرِ الذَّنْبِ وقابلِ التَّوْبِ ﴾ الآية. وكان شربها معه ضِرارُ بن الخطاب، وأبو الأَزْوَرِ، فلما أمر عمرُ أن يُجْلَدوا، قالوا: دعنا نَلْقَى العَدُوَّ، فإن قُتِلْنَا فذاك، وإلا حَدَدْتُمُونا، فَقُتِلَ أبو الأَزْوَرِ، وحُدَّ الآخران.

الدنية التي رفضها عمر:

فصل: وذكر قول عُمَرَ — رضي الله عنه — فَعَلامَ نُعْطَى الدَّنِيَّةَ في دِينِنا، هي فَعِيلَةٌ من الدَّنَاءَةِ، وأصلها الهَمْزُ، وفي غير رواية ابن إسحاق أن النبيَّ صلى الله عليه سلم قال لِعمر: إني عبدُ الله ولستُ أَعْصِيَه، وهو ناصري، وأنه أتى أبا بكر — رضي الله عنه — فقال له مثل ما قال للنبي صلى الله عليه وسلم، فجاوبه أبو بكر بمثل ما جاوبه به النبيُّ صلى الله عليه وسلم حَرْفًا بِحَرْفٍ، ثم قال له: يا عُمَرُ الزَمْ غَرْزَهُ[2]، فإني أشهد أنه رسولُ الله، قال عُمَرُ: وما شَكَكْتُ منذ أَسْلَمْتُ إلا تلك الساعةَ، وفي هذا أن المؤمن قد يَشُكُّ، ثم يُجَدِّدُ النظر في دلائلِ الحقِّ فيذهب شَكُّه، وقد رُوِي عن ابن عباس أنه قال: هو شيءٌ لا يَسْلَمُ منه أَحَدٌ، ثم ذكر ابنُ عباس قولَ إبراهيم — صلى الله عليه وسلم (ولكن لِيَطْمَئِنَّ قلبي) ولولا الخروجُ عما صَمَدْنا إليه في هذا الكتاب

---

(١) تقرأ هكذا: حا ميم، وكل أخواتها

(٢) أي اعتلق به، وأمسكه. واتبع قوله وفعله ولا تخالفه. فاستعار له الغرز كالذي يمسك بركاب الراكب ويسير بسيره. والغرز هو ركاب كور الجمل، وقيل: هو الكور مطلقا مثل الركاب للسرج، ويختص [illegible]

. . . .

لذكرنا ما للعلماء فى قول إبراهيمَ صلى الله عليه وسلم (ولكن لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي) ، وذكرنا النُّكْتَةَ العُظْمَى فى ذلك ، ولعلنا أن نلقى لها موضعاً ، فنذكرها . والشَّكُّ الذى ذكره عُمَر وابنُ عباس مالا يُصِرُّ عليه صاحبُه ، وإنما هو من باب الوَسْوَسَةِ التى قال فيها عليه السلام مُخبِراً عن إبليس : الحمدُ لله الذى رَدَّ كيده إلى الوَسْوَسَةِ .

موقف أم سلمة فى الحديبية :

وفى غير رواية ابن إسحاق من الصحيح أنه عليه السلام دخل على أمِّ سَلَمَة ، وشكا إليها مالقى من الناس حين أمَرَهم أن يَحْلِقُوا ويَنْحَروا ، فلم يَفْعَلوا لما بهم من الغَيْظِ ، فقالت : يارسول الله اخْرُجْ إليهم ، فلا تكلمهم ، حتى تَحْلِقَ وتَنْحَر ، فإنهم إذا رأَوْكَ قد فعلت ذلك ، لم يُخالِفُوك . ففعل صلى الله عليه وسلم ، وفعل الناسُ ، وكان الذى حلق رأسَ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى ذلك اليوم خِراشُ بن أُمَيَّةَ [بن ربيعة بن الفضل بن منقذ بن عفيف بن كليب بن حُبْشية بن سَلُول] الخزاعى [ثم الكلبى](1) وهو الذى كان بعثه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يومئذ إلى مكة فعقروا جملَه ، وأرادوا قتله ، فحينئذ بعث إليهم عثمانَ بن عفَّانَ رضى الله عنه ، ففى تَرْكِهِمْ لِلْبِدَارِ دليلٌ على أن الأمرَ ليس على الفَوْرِ ، كما ذهب إليه بعضُ الأُصُولِيِّين ، وفيه أنهم حَمَلُوا الأمرَ على غير الوُجُوبِ لقرينةٍ ، وهى أنهم رأَوْه لم يَحْلِقْ ولم يَنْحَر ،

(1) الزيادة من الإصابة .

. . . .

ولم يُقصِّر ، فلما رأوه قد فعل اعتقدوا وجوبَ الأمر وامتثلوه . وفيه أيضاً إباحةُ مَشاوَرةِ النِّساء ، وذلك أن النهي عن مُشاوَرتِهنّ إنما هو عندهم فى أمر الوِلاية خاصّةً ، كذلك قال أبو جعفر النحاس فى شرح هذا الحديث .

المقصرون :

فصل : وذكر ابنُ إسحاقِ استغفارَ النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لِلمُحلِّقين ثلاثاً وللمُقصّرين مرّةً واحدةً . ولم يكن المُقصِّر يومئذٍ من أصحابه إلا رَجُلَيْنِ ، أحدُهما عُثمانُ بن عفّان، والآخر أبو قتادةَ الأنصاريّ ، كذلك جاء فى مُسْنَدِ حديثِ أبى سعيد الخُدْرِيّ رضى الله عنه .

أبو بصير :

وذكر حديثَ أبى بَصيرٍ واختلف فى اسمِه ، فقيل : عُبَيْد بن أَسِيد بن جارِيَةَ ، وقيل عُتْبَة .

وذكر قول النبيّ صلى الله عليه وسلم له حين قَتَل أحدَ الرجلين : وَيْلُ امِّهِ مِحَشُّ حَرْبٍ . وفى الصحيح : وَيْلُ أُمِّه مِسْعَرُ حَرْبٍ ، يقال : حَشَشْتُ النار ، وأَرَّثتُها ، وأَذْكَيْتُها ، وأثقبتُها وَسَعَّرتُها بمعنى واحد ، وسُمِّى الأَسْعَر الجُعْفِيُّ أَسْعَرَ بقوله :

فلا يَدْعُني قَوْمى لِسَعْدِ بن مالكٍ ... لَئِنْ أنا لم أُسْعِرْ عليهم وأُثْقِبِ

وكان اسمه مَرثَدَ بن حُمْرَانَ(١) ، ومالك فى هذا البيت : هو مَذْحِجٌ ،

---

(١) فى المؤتلف للآمدى ص٨ ابن أبى حمران وكذلك فى الاشتقاق ص٤٠٨ =

. . . .

وأما لُحُوقُ أبى بَصِيرٍ بِسِيفِ البحر ، ففى رواية مَعْمَرٍ عن الزُّهْرِىِّ ، أنه كان يُصَلِّى بأصحابه هنالك ، حتى لحق بهم أبو جَنْدَل بن سُهَيْلٍ فقدموه ، لأنه قُرَشِىٌّ ، فلم يزل أصحابُه يكثرون ، حتى بلغوا ثلاثمائةٍ ، وكان أبو بصير كثيراً مايقول هنالك : الله العَلِىُّ الأكْبَرُ ، مَنْ يَنْصُر الله فسوف يُنْصَر ، فلما جاءهم الفرجُ من الله تعالى ، وكلمت قريشٌ النبىَّ عليه السلام أن يُؤْوِيَهُم إليه لما ضَيَّقوا عليهم ، ورد كتابُ النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بَصِيرٍ فى الموت ، يجود بنفسه ، فأُعْطِى الكتابَ فجعل يقرأه و يُسَرُّ به ، حتى قُبِضَ والكتابُ على صَدْرِه ، فبُنِى عليه هناك مسجدٌ، يَرْحمه الله[1].

عمرة :

وفى الحديث من غير السيرة أن للسلمين حين حَلَقُوا فى ذلك اليوم ، وهم بالحِلِّ قد مُنِعوا أن يَدْخُلوا الحَرَمَ جاءت الريحُ ، فاحتملت شُعُورَهم حتى

= ولكنه فى سمط البكرى ص ٩٤ كما هنا ، والكل على أن كنيته : أبو حمران ، وهو شاعر جاهلى .

(١) لاريب فى أنه بنى بعد ذلك بكثير ، فليس من هدى الإسلام إقامة المساجد على القبور . فقد وصف الرسول « ص » ـ كما جاء فى البخارى ومسلم ـ الذين يفعلون ذلك بأنهم شرار الخلق عند الله يوم القيامة ولعن الذين يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ، أما إقامة مسجد على كهف أهل الكهف فكان من عمل الذين غلبوا على الأمر ، أما الذين قالوا : ربهم أعلم بهم — وهذه كلمة الإيمان العظيم — فقالوا ابنوا عليهم بنياناً . أى سدوا عليهم باب الكهف .

. . . .

أَلقَتْها فى الحَرَم ، فاستَبْشَروا بقبول الله عُمْرَتَهُمْ . ذكره أبو عُمَر.

والعُمْرةُ مُشْتَقَّةٌ من عِمارَةِ المسجد الحرام وبُنِيَتْ على فُعْلة ، لأنها فى معنى قُرْبَة وَوُصْلَةَ إلى الله تعالى ، وليس قول من قال : إنها الزيارة فى اللُّغَةِ بَيِّنٌ ، ولا فى قول الأعشى حُجَّةٌ لهم لأنه مُحْتَمِلُ التأويل وهو قوله :

وَجاشَتِ النفسُ لما جاء فَلُّهُمُ   وراكبٌ جاء من تَثْليث مُعْتَمِرُ

قتل أبي بصير للكافر :

فصل : ومما يُسْأَلُ عنه فى حديث أبى بَصِيرٍ قتلُه الرجلَ الكافرَ ، وهو فى العهد : أكان ذلك حَرَاماً أم مُباحاً له ، وظاهرُ الحديثِ رفعُ الحَرَج عنه ، لأن النبىَّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يُثَرِّبْ ، بل مَدَحَه ، وقال : وَيْلُ أمه مِحَشُّ حَرْبٍ . فإن قيل : وكيف يكون ذلك جائزاً له ، وقد حَقَنَ الصُّلْحُ الدماءَ ؟ قلنا : إنما ذلك فى حق أبى بَصِير على الخصوص ، لأنه دافع عن نفسه ودينه ، ومَنْ قُتِلَ دون دَمِه فهو شَهِيدٌ ، وإنما لم يُطالِبْهُ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بِدِيَةٍ ، لأن أولياءَ المقتول لم يطالبوه ، إمّا لأنَّهُمْ كانوا قد أسْلَموا ، وإما لأن الله شَغَلَهُم عن ذلك ، حتى انتَكَثَ العهدُ ، وجاء الفتح .

فإن قيل : فإن النبىَّ صلى الله عليه وسلم كان يَدِى مَنْ قُتل خطأً من أهل الصُّلح كما وَدَى العامِرِيَّين[1] وغيرهما قلنا : عن هذا جوابان ، أحدهما :

---

(١) هذا بنص القرآن (وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة)

رفع عبد الرحمن الهجري المسامر

. . . .

أن أبا بَصِيرٍ كان قد رده إلى المشركين ، فصار فى حُكْمِهِمْ ، ولم يكن فى فِئَةِ المُسْلِمِين وحِزْبِهِمْ ، فيحكم عليه بما يحكم عليهم .

والجواب الثانى : أنه إن كان قَتَلَ عَمْداً ، ولم يكن قَتَلَ خطأً ، كما كان قَتْلُ العامِرِيين ، وقد قال عُمَر بن الخطاب لا تَعْقِلُ العاقِلَةُ عَمْداً ولا عَبْداً [ولا صُلْحاً ولا اعترافاً][(١)]

من مواقف عمر فى الحديبية :

فصل : وقولُ عُمَرَ للنبىِّ ـ صلى الله عليه وسلم : أَلَمْ تَعِدْنَا أَنا تأْتِى البيتَ ، ونطوفُ به ؟ فقال : نعم ،وذكر الحديث . كان النبىُّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد أُرِىَ ذلك فى مَنامِه ، ورُؤْيا الأنبياء وَحْىٌ ، ثم أنزل الله تعالى : ﴿ لقد صَدَقَ الله رَسُولَه الرُّؤْيا بالحَقِّ ﴾ الآية الفتح : ٢٧ ويُسْأَلُ عن قوله : إن شاء اللهُ آمِنِين : مافائدة هذا الاستثناء ، وهو خَبَرٌ واجبٌ ؟ وفى الجواب أقوال : أحدُها : أنه راجعٌ إلى قوله : آمِنِين ، لا إلى نفس الدُّخُولِ ، وهذا ضَعِيفٌ ، لأن الوعدَ بالأمانِ قد اندَرَجَ فى الوَعْدِ بالدخول .

---

(١) سبق الحديث عن العقل والعاقلة وهى العصبة والأقارب من قبل الأب الذين يعطون دية قتيل الخطأ . والمعنى أن كل جناية عمد ، فإنها من مال الجانى خاصة ، ولا يلزم العاقلة منها شىء ، وكذلك ما اصطلحوا عليه من الجنايات فى الخطأ ، وكذلك إذا اعترف الجانى بالجناية من غير بينة تقوم عليه ، وإن ادعى أنها خطأ لا يقبل منه ، ولا تلزم بها العاقلة ، وأما العبد ، فهو أن يجنى حر على عبد ، فليس على عاقلة الجانى شىء ، إنما جنايته فى ماله خاصة . أنظر مادة عقل فى النهاية لابن الأثير .

. . . .

الثانى أنه وَعْدٌ على الجملة ، والاستثناء راجع إلى التَّفصيل ، إذ لا يَدْرِى كلُّ إنسانٍ منهم : هل يعيش إلى ذلك ، أم لا ، فرجع الشكُّ إلى هذا المعنى ، لا إلى الأَمْرِ الموعود به ، وقد قيل إنما هو تعليم للعبادِ أن يقولوا هذه الكلمة ، ويستعملونها فى كل فعلٍ مُسْتَقْبَلٍ أعنى : إن شاء الله[١] .

بيعة الشجرة وأول من بايع :

فصل : و ذكر بَيْعَةَ الشجرة ، وسَبَبَها ، ولم يذكر أولَ من بايع ، وذكر الواقدى أن أول مَنْ بايع بَيْعَة الرضوان سِنَان بن أبى سِنَانٍ الأَسَدِىّ . وقال موسى ابن عُقْبَةَ : أول من بَايَع أبو سِنَان ، واسمه وَهْبُ بن مِحْصَنٍ أخى عُكَّاشة ابن مِحْصَنٍ الأسَدِىّ ، وقال الواقدى : كان أبو سِنَانٍ أَسَنَّ من أخيه عُكَّاشة بعشر[٢] سنين ، شَهِد بدراً ، وتُوُفِّى يوم بنى قُرَيْظَةَ ، ويروى أنه حين قال

(١) يقول البيضاوى « هى تعليق للعدة بالمشيئة تعليما للعباد أو إشعاراً بأن بعضهم لا يدخل لموت أو غيبة أو حكاية لما قاله ملك الرؤيا ، أو النبى صلى الله عليه وسلم لأصحابه » .

(٢) فى رواية : بعشرين .

تعليق عام على الحديبية

الحديبية : بئر سمى المكان بها ، وقيل شجرة سمى بها المكان ، أو هى قرية ليست كبيرة بعضها فى الحل وبعضها فى الحرم ، وهى على تسعة أميال من مكة عدد أبطالها : فى الصحيحين عن جابر أنهم كانوا خمسمائة وألفاً . وفيهما عن جابر نفسه أنهم كانوا أربعمائة وألفاً . ويقول ابن القيم : والقلب إلى هذا أميل . وفى الصحيحين أيضاً عن عبد الله بن أبى أنهم كانوا ثلثمائة وألفاً .

المبايعة : كانت على ألا يفروا كما فى الصحيحين .

أول من بايع : هو أبو سنان الأسدى ، وبايعه سلمة بن الأكوع ثلاث مرات =

للنبي صلى الله عليه وسلم ابْسُطْ يدك أبايعك ، قال : عَلَامَ تبايعني ؟ قال : على ما في نفسك يارسول الله ، وأما سِنَانُ ابنُه ، فهو أيضاً بدريٌّ ، مات سنة ثلاث وثلاثين ، وأما مبايعتُهُمْ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة ، وكانوا ألفاً وأربعمائة في إحدى الروايتين عن جابر ، وألفاً وخمسمائة في الرواية الأخرى عنه ، فبايعوه في قول جابر على أن لا يفرّوا . قال : ولم يبايعوه على الموت . وقال سَلَمَةُ بن الأَكْوَع : بايعنا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم على المَوْتِ ، قال

= في أول الناس وأوسطهم وآخرهم من كلام عروة لقريش عن النبي «ص» وصحبه : « إذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون إليه تعظيما له ، وقد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها » الصحيحان .

كلام عمر – في رواية الصحيحين أنه قال : « والله ما شككت منذ أسلمت إلا يومئذ » وقالها عقب مجيء أبي جندل ورفض سهيل بن عمرو تركه ، وصرخة أبي جندل الحزينة ثم قوله « وقد جئت مسلماً ، ألا ترون ما لقيت » ويقول الراوي في الصحيحين : « وكان قد عذب في الله عذاباً شديداً » وكان مما قاله عمر للنبي «ص» : ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ فرد عليه الرسول «ص» بمثل ما ورد في السيرة ، فقال عمر : « أو لست كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به ؟ قال : بلى ، أفأخبرتك أنك تأتيه العام ؟ قلت – القائل عمر – لا ، قال : فإنك آتيه ومطوف به » .

مشورة أم سلمة : فعل بها رسول الله «ص» ويقول الراوي في الصحيحين : « فلما رأى الناس ذلك قاموا فنحروا ، وجعل بعضهم يحلق بعضاً حتى كاد بعضهم يقتل بعضهم غماً » ويقول ابن القيم : « وقد اعتذر عن تأخيرهم الامتثال بأنهم كانوا يرجون النسخ ، فأخروا متأولين لذلك ، وهذا الاعتذار أولى أن يعتذر عنه ، وهو باطل ، فإنه «ص» لو فهم منهم ذلك لم يشتد غضبه عليهم لتأخير أمره ، ويقول : مالي لا أغضب ، وأنا آمر بالأمر فلا أتبع » وإنما =

. . . .

الترمذي : وكلا الحديثين صحيح ، لأن بعضهم بايع على أن لا يفروا ، ولم يذكروا الموت ، وبعضهم قال : أبايعك على الموت .

= كان تأخيرهم من السعي المشكور لا المشكور ، وقد رضي الله عنهم ، وغفر لهم وأوجب لهم الجنة ، ص ٢١٦ حـ ٢ زاد المعاد .

الماء في الحديبية : في الصحيح « أن النبي « ص » توضأ ، ومج في بئر الحديبية من فمه ، فجاشت بالماء » كذلك قال البراء بن عازب وسلمة بن الأكوع في الصحيحين .

وفي الصحيحين أيضاً في حديث جابر « عطش الناس يوم الحديبية ، وبين يدي رسول الله « ص » ركوة يتوضأ منها ، فأقبل الناس نحوه ، فقال : مالكم ؟ قالوا : يارسول الله ليس عندنا ماء نتوضأ منه ، ولا نشرب إلا ما في ركوتك ، فوضع يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون ، فشربنا وتوضأنا » وقد أخرج أحمد حديث جابر ، وفيه : فجاءه رجل بإداوة فيها شيء من ماء ليس في القوم ماء غيره ، فصبه « ص » في قدح ، ثم توضأ ، فأحسن الوضوء ، ثم انصرف ، وترك القدح ، فتزاحم الناس عليه ، فقال : على رسلكم فوضع كفه في القدح ، ثم قال : أسبغوا الوضوء . قال : فلقد رأيت العيون عيون الماء تخرج من بين أصابعه » وفي حديث زيد بن خالد أنهم أصابهم مطر بالحديبية ، فلما صلى الصبح قال : أتدرون ماذا قال ربكم الليلة ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : قال : أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر ، فأما من قال : مطرنا بفضل الله ورحمته ، فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب ، وأما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب » هذا وقد استنبط الإمام ابن القيم من قصة الحديبية ستاً وثلاثين فائدة فقهية تشهد له بالبراعة والألمعية ، كما استنبط منها عدة حكم ، فانظر كل هذا في كتابه القيم « زاد المعاد » ص ٣١١ حـ ٢ ط السنة المحمدية .

ذكر المسير إلى خيبر

فى المحرم سنة سبع

بسم الله الرحمن الرحيم

قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال : حدثنا زياد بن عبد الله البكائى عن محمد بن إسحاق المطلبى قال: ثم أقام رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالمدينة حين رجَع من الحُدَيْبِيَة ، ذا الحجة وبعضَ المحرّم ، وَوَلِى تلك الحِجَّة المشركون ، ثم خرج فى بقيّة المحرّم إلى خَيبر .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة نُمَيْلَة بن عبد الله اللَّيْثى ، ودفع الراية إلى علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، وكانت بيضاء .

ما قاله أبو جندل :

فصل : ومما قاله أبو جَنْـــدَلِ بن سُهَيْل أيام كونه مع أبى بَصير بِسِيفِ البَحْرِ :

أَبْلِغْ قُرَيْشاً عن أبى جَنْدَلٍ   أنا بِذِى الْمَرْوَةِ فالسَّاحِلِ
فى مَعْشَرٍ تَخْفِقُ أَيْمانُهم   بالبِيضِ فيها والقَنَا الذَّابِلِ
يأبَوْنَ أن تَبْقَى لهم رُفْقَةٌ   من بعــد إسلامِهِم الواصِلِ
أو يجعل اللهُ لهم مَخْرَجاً   والحقُّ لا يُغْلَبُ بالباطل
فيَسْلَمَ المــرء بإسْلَامِه   أو يُقْتَلَ المرء ولم يأتَلِ

قال ابن إسحاق : فحدثنى محمد بن إبراهيم بن الحارث التَّيمى عن أبى الهيثم ابن نصر بن دُهْر الأسلمى أنّ أباه حدّثه : أنه سَمِع رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم ـ يقول فى مسيره إلى خَيبر لعامر بن الأكوع ، وهو عمّ سَلمة بن عمرو ابن الأكوع ، وكان اسم الأكوع سِنان : انزل يابن الأكوع ، فخذ لنا من هَنَاتِكَ ، قال : فنزلَ يرتجز برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال :

واللهِ لوْلا اللهُ ما اهْتَدَيْنا ولا تَصَدَّقْنا وَلا صَلَّينا

إنّا إذا قَوْمٌ بَغَوْا عَلَيْنا وإنْ أرادوا فِتْنة أبَيْنا

فأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنا وثَبِّتِ الأقدام إنْ لاقَينا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يرحمك الله ؛ فقال عمر بن الخطاب: وَجبت والله يارسول الله ، لو أمْتَعْتنا به ! فقُتل يوم خَيبر شهيداً ، وكان قتله، فيما بلغنى ، أنّ سيفه رَجع عليه وهو يُقاتِل ، فكَلَمه كلْماً شديداً ، فمات منه ؛ فكان المسلمون قد شكُّوا فيه ، وقالوا : إنما قتله سلاحُه ، حتى سأل ابنُ أخيه سلمةُ بن عمرو بن الأكوع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، وأخبره بقول الناس ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إنه لشهيدٌ ، وصلَّى عليه ، فصلى عليه المسلمون .

قال ابن إسحاق : حدثنى من لا أتهم ، عن عَطاء بن أبى مَرْوان الأسلمى، عن أبيه ، عن أبى مُعتِّب بن عمرو : أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أشرف على خَيبر قال لأصحابه ، وأنا فيهم : قِفُوا ، ثم قال : اللهمّ ربّ

السماواتِ وما أظلَلن وربَّ الأرضين وما أقللْنَ ، وربَّ الشّياطين وما أضلَلْنَ ، وربَّ الرّياح وما أذرَين، فإنّا نسألك خيرَ هذه القَرْيَة وخيرَ أهلها وخيرَ مافيها ، ونعوذ بك من شرّها وشرّ أهلها وشرّ مافيها ، أقدِموا بسم الله .
قال : وكان يقولُها عليه السلام لكلّ قَرْيَةٍ دَخَلَها .

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم عن أنَس بن مالك ، قال : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إذا غزا قوماً لم يُغِرْ عليهم حتى يُصْبح ، فإن سَمِع أذاناً أمسك ، وإن لم يسمع أذاناً أغار . فنزلنا خيبر ليلا ، فبات رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا أصبح لم يَسْمع أذاناً ، فركب وركبنا معه ، فركبتُ خلف أبى طلحة ، وإن قَدَمى لتمسّ قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واستقبَلَنا عُمّال خيبر غادين ، قد خرجوا بمساحِيهم ومَكاتِلهم ، فلما رأوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم والجيشَ ، قالوا : محمدٌ والخَمِيسُ معه ! فأدْبروا هُرّاباً ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : الله أكبر ، خَرِبَتْ خيبر ، إنّا إذا نَزَلْنا بساحَةِ قومٍ ، فساء صَباحُ المُنْذَرِين .

قال ابن إسحاق : حدثنا هارون عن حُميد ، عن أنس بمثله .

قال ابن إسحاق : وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين خرج من المدينة إلى خَيْبَر سلك على عِصْر فبنى له فيها مَسجدٌ ، ثم على الصَّهباء ، ثم أقبل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بجَيْشه ، حتى نزل بوادٍ يقال له : الرَّجِيع ، فنزل بينهم وبين غَطَفان ، ليَحُول بينهم وبين أن يُمِدّوا أهلَ خيبر ، وكانوا لهم مُظاهِرِين على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم .

فبلغنى أنّ غطفان لمّا سمِعت بمنزِل رسول الله صلى الله عليه وسلم من خَيبر جَمعوا له ثم خرجوا ليُظاهِروا يَهودَ عليه ، حتى إذا ساروا مَنْقلةً سمِعوا خَلفهم فى أموالهم وأهليهم حِسًّا ظنّوا أن القومَ قد خالفوا إليهم ، فرجعوا على أعقابهم ، فأقاموا فى أهليهم وأموالهم ، وخلّوا بين رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وبين خيبر .

وتَدنّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الأموال يأخذها مالًا مالًا ، ويفتتحها حِصْنًا حِصْنًا ، فكان أوّل حُصونهم افتُتح حِصْن ناعم ، وعنده قُتل محمود ابن مَسْلمة ، أُلقِيت عليه منه رحا فقتلته ، ثم القَموص ، حِصْن بنى أبى الحُقيق ، وأصاب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم منهم سَبايا ، منهنّ صَفيّة بنتُ حيى بنِ أخطب ، وكانت عندَ كنانةَ بن الرّبيع بن أبى الحُقيق ، وبِنْتَى عمّ لها ، فاصطفى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم صفِيّة لنفسه .

وكان دِحْيةُ بن خليفة الكَلْبىّ قد سأل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم صَفية ، فلما أصفاها لنفسه أعطاه ابنَتىْ عمّها ، وفَشت السَّبايا من خَيبر فى المُسلمين .

ما نهى عنه الرسول صلى الله عليه وسلم فى خيبر

وأكل المُسلمون لُحوم الحُمر الأهليّة من حُمرها ، فقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فنَهى الناسَ عن أمور سمّاها لهم .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبدُ الله بن عمرو بن ضَمْرة الفَزارى عن عبد الله

ابن أبى سَليط ، عن أبيه ، قال : أتانا نهيُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم عن أكل لُحوم الُحمُر الإنسيَّة ، والقُدور تَفُور بها ، فكفأناها على وجوهها .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى نَجيح ، عن مَكْحُول : أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم نهاهم يومئذٍ عن أربع : عن إتيان الحَبالَى من السَّبايا ، وعن أكلِ الحِمار الأهلى ، وعن أكل كلّ ذى ناب من السباع ، وعن بيْع المغانم حتى تُقْسم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى سَلاَّم بن كِرْكِرة ، عن عَمْرو بن دينار ، عن جابر بن عبد الله الأنصارى ، ولم يشْهد جابر خَيْبر : أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حين نَهَى النـــاس عن أكل لُحوم الُحمر ، أذِن لهم فى أكل لحوم الخيْل .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يزيد بن أبى حبيب ، عن أبى مرزوق مولى تُجيب ، عن حَنَش الصَّنعانى ، قال : غزونا مع رُويفع بن ثابت الأنصارى المغرب ، فافتتح قرية من قُرى المغرب يقال لها جَرْبَةُ ، فقام فينا خطيباً ، فقال : ياأيها الناس ، إنى لا أقول فيكم إلا ماسمعت من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقوله فينا يومَ خيبر ، قام فينا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فقال : لايحلّ لامرئ يُؤمن بالله واليوم الآخر أن يَسْقِيَ ماءَه زرعَ غيره ، يعنى إتيانَ الحبالى من السَّبايا ، ولايحلّ لامرئ يُؤمن بالله واليوم الآخر أن يُصيب امرأة من السَّبى حتى يستبرئها ، ولا يحلّ لامرئ يؤمن بالله واليوم

الآخر أن يبيع مَغْنما حتى يُقسم ، ولا يحلّ لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يركب دابّة مِنْ فَىْء المسلمين حتى إذا أعجفها ردّها فيه ، ولا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يَلْبس ثوباً من فَىْء المسلمين حتى إذا أخلقه ردّه فيه .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يزيدُ بن عبدِ الله بن قُسَيْط ، أنه حُدِّث عن عُبادَةَ بن الصامت ، قال : نهانا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يوم خَيْبَر عن أن نَبيع أو نَبْتاع تِبر الذهبِ بالذهبِ العَيْنِ ، وتبر الفضّة بالوَرِق العَيْنِ ، وقال : ابتاعوا تِبرَ الذهبِ بالورِق العَيْنِ ، وتِبرَ الفِضّةِ بالذهب العَيْنِ .

قال ابن إسحاق : ثم جَعَلَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَتدَنَّى الحُصُونَ والأموال .

شأن بني سهم

فحدثنى عبدُ الله بن أبى بَكر أنه حدّثه بعضُ أسْلم : أن بنى سَهْم من أسْلم أتَوْا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : والله يا رسولَ الله لقد جهدنا وما بأيدينا من شىء ؛ فلم يَجِدوا عند رسولِ الله صلى اللهُ عليه وسلم شيئاً يُعطيهم إياه ؛ فقال : اللهمّ إنك قد عَرفت حالَهم وأن لَيست بهم قوّة ، وأن ليس بيدى شىء أعطيهم إياه ، فافتح عليهم أعظم حُصونها عنهم غناء وأكثرها طَعاماً ووَدكا ، فغدا الناسُ ، ففتح اللهُ عزّ وجلّ حِصْنَ الصَّعْب بن مُعاذ ، وما بخيبر حِصْن كان أكثر طَعاماً وودَكا منه .

مقتل مرحب اليهودى

قال ابن إسحاق : ولمّا افتتح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من حُصونهم ما افتتح ، وحاز من الأموال ما حاز ، انتهوا إلى حِصْنيهم الوَطِيح والسُّلالِم ، وكان آخر حصون أهل خيبر افتتاحاً ، فحاصرهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بضع عشرة ليلة .

قال ابن هشام : وكان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر : يامنصور ، أمِت أمِت .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبدُ الله بن سَهل بن عبد الرحمن بن سهل ، أخو بنى حارثة ، عن جابر بن عبد الله ، قال : خرج مَرْحب اليهوديّ من حِصْنهم ، قد جمع سلاحه ، يرتجز وهو يقول :

قد عَلِمَتْ خَيْبَرُ أنى مَرْحَبْ شاكى السِّلاحِ بَطَلٌ مُجَرَّبْ
أطْعُنُ أحْياناً وحِيناً أضْرِبْ إذا اللُّيوث أقْبلَتْ تَحَرَّبْ
إن حِماى للحِمى لا يُقرب

وهو يقول : من يُبارِز ؟

فأجابه كعب بن مالك ، فقال :

قد عَلِمَت خَيْبر أنى كَعْبُ مُفَرِّجُ الغَمَّى جَرِىءٌ صُلْبُ
إذْ شَبَّتِ الحَرْبُ تَلَتْها الحَرْبُ مَعِى حُسام كالعَقِيق عَضْبُ
نَطَؤُكم حتى يَذِلَّ الصَّعْبُ نُعْطِى الجَزاءَ أو يَفِىءَ النَّهْبُ
بِكَفِّ ماضٍ ليس فيه عَتْبُ

قال ابن هشام : أنشدنى أبو زيد الأنصارى :

قد عَلِمَتْ خَيْبَرُ أنّى كَعْبُ   وأنّنِي مَتَى تُشَبُّ الحَرْبُ
ماضٍ على الهَوْلِ جَرِىءٌ صُلْبُ   معى حُسامٌ كالعَقيق عَضْبُ
بكفِّ ماضٍ لَيْس فيه عَتْبُ   نَدُكُّكُمْ حتى يَذِلَّ الصَّعْبُ

قال ابن هشام : ومَرْحب من حِمْير .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن سَهْل ، عن جابر بن عبد الله الأنصارى ، قال : فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : مَن لهذا ؟ قال محمد بن مَسْلمة : أنا له يارسول الله ، أنا والله المَوتور الثائر ، قُتل أخى بالأمس ؛ فقال : فقم إليه ، اللهمّ أعِنْهُ عليه . قال : فلما دنا أحدُهما من صاحبه ، دخلت بينهما شجرة عُمْرِيَّة من شجر العُشَر فجعل أحدُهما يلوذ بها من صاحبه ، كلّما لاذ بها منه اقتطع صاحبه بسيفه مادونه منها ، حتى بَرز كلٌّ واحد منهما لصاحبه ، وصارت بينهما كالرّجل القائم ، مافيها فَنَن ، ثم حمل مَرْحبٌ على محمد بن مَسْلمة ، فضربه ، فاتّقاه بالدَّرقة ، فوقع سيفه فيها ، فعضَّت به فأمسكته ، وضربه محمدُ بن مَسْلمة حتى قتله .

مقتل ياسر أخى مرحب

قال ابن إسحاق : ثم خرج بعد مَرْحب أخوه ياسر ، وهو يقول : مَن

رفع المستهم

يبارز؟ فزعم هشام بنُ عروة أن الزّبير بن العوّام خرج إلى ياسر، فقالت أمه صفيّة بنت عبد المطلب: يقتل ابنى يارسول الله! قال: بل ابنُك يقتله إن شاء الله. فخرج الزُّبير فالتقيا، فقتله الزّبير.

قال ابن إسحاق: فحدثنى هشام بنُ عروة: أن الزّبير كان إذا قيل له: والله إن كان سيفك يومئذ لصارماً عَضْباً، قال: والله ما كان صارماً، ولكنى أكرهتُه.

شأن علىّ يوم خيبر

قال ابن إسحاق: وحدثنى بُريدة بن سفيان بن فروة الأسلمى، عن أبيه سفيان، عن سلمة بن عمرو بن الأكوع، قال: بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصدّيق رضى الله عنه برايته، وكانت بيضاء، فيما قال ابن هشام، إلى بعض حصون خَيْبر، فقاتل، فرجع ولم يك فَتْحٌ، وقد جهد؛ ثم بعث الغد عمرَ بن الخطّاب، فقاتَل، ثم رجع ولم يك فتح، وقد جهد، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: لأعطينّ الرّايةَ غداً رجلا يحبّ الله ورسولَه، يفتح اللهُ على يديه، ليس بفرّار. قال: يقول سلمة: فدعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عليّاً رضوان الله عليه، وهو أرمد، فتَفل فى عينه، ثم قال: خُذ هذه الراية، فامض بها حتى يفتح الله عليك.

قال: يقول سلمة: فخرج والله بها يَأْنِحُ، يُهَرْوِل هَرْوَلة، وإنا لَخَلْفه نَتْبَعُ أثرَه، حتى ركز رايته فى رَضْم من حجارة تحت الحِصْن، فاطّلع إليه

يهودىٌّ من رأس الحِصْن ، فقال : من أنت ؟ قال : أنا علىّ بن أبى طالب . قال يقول اليهودي : عَلَوْتم ، وما أُنزل على موسى ، أو كما قال . قال : فما رجع حتى فتح الله على يَدَيه .

قال ابن إسحاق : حدثنى عبد الله بن الحسن ، عن بعض أهله ، عن أبى رافع ، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : خرجنا مع علىّ بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه ، حين بعثه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم برايته ؛ فلما دَنا من الحِصْن خرج إليه أهله فقاتلهم ، فضَربه رجلٌ من يهود ، فطاح تُرْسُه من يده ، فتناول علىّ عليه السلام بابا كان عند الحصْن فترّس به عن نفسه ، فلم يزل فى يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه ، ثم ألقاه من يده حين فرغ ، فلقد رأيتنى فى نَفَر سبعة معى ، أنا ثامنهم ، نجْهد على أن نَقلب ذلك الباب ، فما نقلبه .

أمر أبى اليَسَر

قال ابن إسحاق : وحدثنى بُرَيدة بن سُفْيان الأَسْلَمِىّ ، عن بعض رجال بنى سلمة عن أبى اليَسَرِ كَعْب بن عَمْرو ، قال : والله إنّا لمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر ذات عشيّة ، إذ أقبلت غَنم لرجل من يَهود تريد حِصْنهم ، ونحن مُحاصِرُوهم فقال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : مَنْ رجلٌ يُطعمنا من هذه الغنم ؟ قال أبو اليَسر : فقلت : أنا يارسول الله ؛ قال : فافعل ، قال : فخرجت أشتدّ مثل الظَّليم ، فلما نظَر إلىّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم

موليًا قال : اللهمّ أمتِعنا به ؛ قال : فأدركتُ الغنم وقد دخلت أُولاها الحِصْن فأخذت شاتين من أُخراها ، فاحتضنتهما تحت يدىّ ، ثم أقبلت بهما أشتدّ ، كأنه ليس معى شىء ، حتى ألقيتهما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذبحوهما فأكلوهما ، فكان أبو اليَسَر من آخر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هلاكا ، فكان إذا حدّث هذا الحديث بكى ، ثم قال : أمتِعوا بى ، لعمرى ، حتى كنت من آخرهم هُلْكا .

صفية أم المؤمنين

قال ابن إسحاق : ولما افتتح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم القَمُوصَ ، حصنَ بنى أبى الُحقَيق ، أُتِىَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بصفِيَّة بنت حُيىّ ابن أخطَبَ ، وبأخرى معها ، فمرّ بهما بلال ، وهو الذى جاء بهما على قَتْلَى من قَتلى يهود ؛ فلما رأتهم التى مع صفيَّة صاحت ، وصكّت وَجْهَها وحثت الترابَ على رأسها ؛ فلما رآها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قال : أعْزِبوا عنى هذه الشَّيْطَانَةَ ، وأمر بصفِيَّة فحِيزَت خلفه ، وألقى عليها رِداءَه ، فعرف المسلمون أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قد اصطفاها لنفسه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبلال ، فيما بلغنى ، حين رأى بتلك اليَهُودِيَّة ما رأى : أنُزِعَتْ منك الرحمةُ يا بِلالُ ، حين تمرّ بامرأتين على قَتلى رجالهما ؟ وكانت صفيَّة قد رأت فى المنام وهى عروس بكِنانة بن الربيع بن أبى الُحقَيق ، أن قمراً وَقَع فى حِجْرِها ، فعرضت رُؤْياها على زَوْجها ، فقال : ما هذا إلا أنك

تمنَّيْن مَلِكَ الحجازِ محمداً ، فلطَم وجهَها لَطْمَةً خضّر عينها منها . فأُتى بها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وبها أثر منه ، فسألها ماهو ؟ فأخبرته هذا الخبر .

بقية أمر خيبر

وأُتِي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بِكنانة بن الربيع ، وكان عنده كَنْز بنى النَّضير ، فسأله عنه ، فجحد أن يكون يعرف مكانه ، فأُتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم رجل من يهود ، فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إنى رأيت كنانة يطيف بهذه الخَرِبة كلَّ غداة ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لِكنانة : أرأيت إن وجدناه عندك ، أأقتلك ؟ قال : نعم ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخربة فحُفِرت ، فأخرج منها بعض كَنْزهم ، ثم سأله عما بقِى ، فأبى أن يُؤَدّيه ، فأمر به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الزّبيرَ بن العوّام ، فقال : عذّبه حتى تَستأصل ما عنده ، فكان الزبير يقدح بزَنْدٍ فى صَدره ، حتى أشرف على نفسه ، ثم دفعه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى محمد بن مَسْلمة ، فضرب عُنقه بأخيه محمود بن مَسْلمة .

صلح خيبر

وحاصر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، أهلَ خيبر فى حِصْنَيهم الوَطِيح والسلالم ، حتى إذا أيقنوا بالهَلَكة ، سألوه أن يُسَيِّرهم وأن يحقِن لهم دماءهم ، ففعل . وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قد حاز الأموالَ كلها : الشَّق

ونَطَاةَ والكَتِيبة وجميع حصونهم ، إلا ما كان من ذَيْنك الحِصْنين . فلما سَمِع بهم أهلُ فَدَك قد صنعوا ماصنعوا ، بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه أن يُسَيِّرَهم ، وأن يَحْقِنَ دماءهم ، ويخلُّوا له الأموال ، ففعل . وكان فيمن مَشَى بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهم فى ذلك مُحَيِّصة ابن مَسْعود أخو بنى حارثة ، فلما نزل أهلُ خَيْبر على ذلك، سألوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أن يُعاملهم فى الأموال على النِّصف، وقالوا : نحن أعلم بها منكم ، وأعمر لها ؛ فصالحهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على النِّصف ، على أنا إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم ؛ فصالحه أهل فَدَك على مثل ذلك ، فكانت خَيْبر فَيْئاً بين المسلمين ، وكانت فدك خالصةً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنهم لم يَجْلبوا عليها بخيل ولا ركاب .

الشاة المسمومة

فلما اطمأنّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أهدت له زينبُ بنت الحارث، امرأة سلاّم بن مِشْكم ، شاةً مَصْلِيَّةً ، وقد سألتْ أىّ عُضْو من الشاة أحبّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقيل لها: الذّراع، فأكثرت فيها من السمّ، ثم سمّت سائر الشاة ، ثم جاءت بها ؛ فلما وضعتها بين يدى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، تناول الذّراع ، فلاك منها مُضْغة ، فلم يُسِغها ، ومعه بِشْر بن البَرَاء بن مَعْرُور ، قد أخذ منها كما أخذ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؛ فأما بشر فأساغها ؛ وأما رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فلفظها ، ثم قال: إن هذا العَظْم ليُخبرنى أنه مَسْموم ، ثم دعا بها ، فاعترفت ، فقال : ماحملكِ على

ذلك ؟ قالت : بلغتَ من قومى مالم يَخف عليك ، فقلت : إن كان مَلِكا استرحتُ منه ، وإن كان نبياً فسيُخْبَرُ ، قال : فتجاوزَ عنها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؛ ومات بِشر من أكْلتِه التى أكل .

قال ابن إسحاق : وحدثنى مروان بن عثمان بن أبى سعيد بن المُعَلَّى ، قال: كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قد قال فى مرضه الذى توفى فيه ، ودخلت أمّ بِشر بنت البراء بن مَعْرور تعوده : يا أمّ بشر ، إن هذا الأَوانَ وجدتُ فيه انقطاع أَبْهَرِي من الأَكْلَة التى أكلت مع أخيك بخيبر . قال : فإن كان المسلمون لَيُروْن أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم مات شهيداً ، مع ما أكرمه الله به من النبوّة .

رجوع الرسول إلى المدينة

قال ابن إسحاق : فلما فرغ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من خيبر انصرف إلى وادى القُرى ، فحاصَر أهلَه ليالى ، ثم انصرف راجعاً إلى المدينة .

مقتل غلام للرسول صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : فحدثنى ثور بن زيد ، عن سالم ، مولى عبد الله بن مُطيع ، عن أبى هريرة ، قال : فلما انصرفنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خيبر إلى وادى القُرى نزلنا بها أصيلا مع مَغْرب الشمس ، ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم غلام له أهداه له رِفاعةُ بن زيد الجُذَامِىّ ، ثم الضُّبَيْنى .

قال ابن هشام : جُذام ، أخو لخم .

قال : فوالله إنه ليضع رَحْلَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم إذ أتاه سَهْم غَرْب فأصابه فقتله ، فقلنا : هنيئاً له الجنةُ ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : كلا ، والذى نفس محمد بيده ، إنّ شملته الآن لتحترق عليه فى النار ، كان غلّها من فىْء للمسلمين يوم خَيْبر . قال : فسمعها رجل من أصحاب رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فأتاه فقال : يارسول الله ، أصبتُ شِراكَيْن لِنَعلين لى ، قال : فقال : يُقدّ لك مثلهما من النار .

أمر ابن مغفل والجراب

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم ، عن عبد الله بن مُغَفَّل المُزَنى ، قال : أصبتُ من فىْء خَيبر جِرابَ شَحْم ، فاحتملته على عاتقى إلى رَحْلى وأصحابى . قال : فلقينى صاحبُ المَغانم الذى جُعل عليها ، فأخذ بناحيته وقال : هَلُمّ هذا نقسمه بين المسلمين ، قال : قلت : لا والله لا أعطيكه ، قال : فجعل يُجابذنى الجراب. قال : فرآنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ونحن نَصْنع ذلك . قال : فتبسّم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ضاحكا ، ثم قال لصاحب المَغانم : لا أبا لك ، خلّ بينه وبينه . قال : فأرسله ، فانطلقتُ به إلى رَحْلى وأصحابى ، فأكلناه .

أبو أيوب يحرس الرسول صلى الله عليه وسلم ليلة بنائه بصفية

قال ابن إسحاق : ولما أعرس رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بصفيّة بخيبر أو ببعض الطريق ، وكانت التى جمّلتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومَشّطتها وأصلحت من أمرها أمّ سُليم بنت مِلْحان ، أمّ أنس بن مالك . فبات بها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى قُبة له ، وبات أبو أيُّوب خالد بن زيد ، أخو بنى النّجّار متوشّحاً سيفه ، يحرس رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، ويُطيف بالقُبة ، حتى أصبح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأى مكانه قال : مالك يا أبا أيوب ؟ قال : يارسول الله ، خِفت عليك من هذه المرأة ، وكانت امرأة قد قتلتَ أباها وزوجها وقومها ، وكانت حديثةَ عَهدٍ بكُفر ، فخِفتها عليك . فزعموا أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، قال : اللهمّ احفظ أبا أيوب كما بات يحفظنى .

بلال يغلبه النوم وهو يرقب الفجر

قال ابن إسحاق : وحدثنى الزُّهرى ، عن سعيد بن المُسيِّب ، قال : لما انصرف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من خَيْبر ، فكان ببعض الطريق ، قال من آخر الليل : مَنْ رجل يحفظ علينا الفَجر لعلّنا ننام ؟ قال بِلال : أنا يارسول الله أحفظه عليك . فنزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ونزل الناس فناموا ، وقام بلالٌ يصلى ، فصلى ماشاء الله عزّ وجلّ أن يصلى . ثم استند إلى

بعيره، واستقبل الفَجْرَ يرمُقه، فغلَبته عينه، فنام، فلم يُوقظهم إلاّ مَسُّ الشمس ». وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أولَ أصحابه هَبّ، فقال: ماذا صنعتَ بنا يا بلال؟ قال: يارسول الله، أخذ بنفسي الذى أخذ بنفسك، قال: صدقت. ثم اقتاد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بعيره غير كثير، ثم أناخ فتوضأ، وتوضأ الناس، ثم أمر بلالا فأقام الصلاة، فصلى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالناس، فلما سلّم أقبل على الناس فقال: « إذا نَسِيتم الصلاة فصلُّوها إذا ذَكَرْتموها »، فإن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿ أَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِى ﴾.

شعر ابن لُقَيم فى فتح خيبر

قال ابن إسحاق: وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، فيما بلغنى، قد أعطى ابن لُقَيم العَبْسيّ، حين افتتح خَيْبر، مابها من دَجاجة أو داجن، وكان فتح خَيبر فى صَفر، فقال ابنُ لُقَيْم العَبْسى فى خَيْبر:

رُمِيتْ نَطاةُ من الرّسول بفَيْلَقٍ ... شَهباء ذاتِ مَناكب وفَقارِ
واستَيْقَنت بالذّلّ لما شُيِّعَتْ ... ورجال أسْلَمَ وسْطَها وغِفار
صَبحتْ بنى عمرو بن زُرْعة غُدوةً ... والشّقّ أظْلَم أهــلُه بنَهار
جرّتْ بأبطَحِها الذيول فلم تدع ... إلا الدّجاجَ تَصيح فى الأسْحار
ولـكلّ حِصْن شاغِل من خَيْلِهم ... مِن عَبْد أشهلَ أو بنى النَّجّار
ومُهاجِرِين قدَ اعلَمُوا سِيماهُمُ ... فوقَ المغافر لم يَنُوا لفِرار
ولقــد علِمتُ ليَغلبنّ محمّد ... وليَثْوِينّ بهــا إلى أصْفار

فَرَّتْ يَهُودُ يوم ذلك فى الوَغَى   تحت العَجاج غَمائمَ الأبصارِ

قال ابن هشام : فَرَّت : كشفت ، كما تُفَرُّ الدَّابة بالكشف عن أسنانها ، يريد كشفت عن جُفون العُيون غمائم الأبصار ، يريد الأنصار .

حديث المرأة الغفارية

قال ابن إسحاق : وشهد خَيبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نِساء من نساء المسلمين ، فَرَضَخ لهنّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من الفَىْء ، ولم يضرب لهنّ بسهم .

قال ابن إسحاق : حدثنى سليمان بن سُحَيم ، عن أُمَيَّة بن أبى الصلت ، عن امرأة من بنى غِفار ، قد سمَّاها لى ، قالت : أتيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نِسْوة من بنى غِفارٍ ، فقلنا : يارسولَ الله ، قد أردنا أن نخرج معك إلى وجهك هذا ، وهو يسير إلى خَيْبر ، فنُداوى الجَرْحى ، ونُعِين المسلمين بما استطعنا ، فقال : على بَرَكَةِ الله . قالت : فخرجنا معه ، وكنت جارية حَدَثة ، فأرْدَفنى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على حَقيبةِ رَحْله . قالت : فوالله لنزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى الصُّبح وأناخ ، ونزلت عن حَقيبة رَحْله ، وإذا بها دَمٌ منى ، وكانت أوّلَ حَيضة حِضْتُها ، قالت : فتقبَّضْتُ إلى الناقة واسْتَحْيَيْت ، فلما رأى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مابى ورأى الدم ، قال : مالكِ ؟ لعلك نُفِسْتِ ، قالت : قلت : نعم ، قال : فأصلحى من نفسك ، ثم خُذِى إناء من ماء ، فاطْرَحى فيه مِلْحاً ، ثم اغْسِلى به ما أصاب الحقيبة من الدم ، ثم عودى لمرْكبك .

قالت : فلما فتح رسولُ الله صلى الله عليه سلم خيبر ، رضَخ لنا من الفيء ، وأخذ هذه القِلادة التى ترَيْن فى عنقى فأعطانيها ، وعلّقها بيده فى عُنقى ، فوالله لا تُفارقنى أبداً .

قالت : فكانت فى عنقها حتى ماتت ، ثم أوصت أن تُدفن معها . قالت : وكانت لا تطهّر من حيضة إلا جعلت فى طَهُورها مِلْحاً ، وأوصت به أن يجعل فى غُسلها حين ماتت .

شهداء خيبر

قال ابن إسحاق : وهذه تسمية من استُشهد بخيبر من المسلمين ، من قُريش ثم من بنى أميّة بن عبد شمس ، ثم من حلفائهم : ربيعة بن أكثم بن سَخْبَرَة بن عمرو بن لُكَيْز بن عامر بن غَنْم بن دُودان بن أسد ، وثَقيف بن عمرو ، ورِفاعة بن مَسْروح .

ومن بنى أسد بن عبد العُزّى : عبد الله بن الهُبَيْب ، ويقال : ابن الهَبِيب ، فيما قال ابنُ هشام ، ابن أُهَيْب بن سُحَيْم بن غِيَرَة ، من بنى سعد بن ليث ، حليف لبنى أسد ، وابن أختهم .

ومن الأنصار ثم من بنى سلمة : بِشر بن البَرَاء بن مَعْرور ، مات من الشاة التى سُمّ فيها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : وفُضَيْل بن النعمان . رجلان .

ومن بنى زُرَيق : مسعود بن سَعْد بن قيس بن خَلْدَة بن عامر ابن زُرَيق .

ومن الأوس ثم من بنى عبد الأشهل : محمود بن مَسْلمة بن خالد بن عدىّ ابن مَجْدعة بن حارثة بن الحارث ، حليف لهم من بنى حارثة .

ومن بنى عمرو بن عوف : أبو ضَيَّاح بن ثابت بن النُّعمان بن أميَّة بن امرىء القيس بن ثعلبة بن عمرو بن عوف ، والحارث بن حاطب ؛ وعروة ابن مُرَّة بن سُرَاقة ، وأَوْسُ بن القائد ، وأُنَيْف بن حُبَيْب ، وثابت بن أَثْلَة ، وطلحة .

ومن بنى غِفار : عُمارة بن عُقبة ، رمى بسهم .

ومن أسلم : عامر بن الأكوع ، والأسود الراعى ، وكان اسمه أسلم .

قال ابن هشام : الأسود الراعى من أهل خَيْبَر .

وممن استُشهد بخَيبر فيما ذكر ابن شهاب الزّهرىّ ، من بنى زهرة : مسعود بن ربيعة ، حليف لهم من القارَة

ومن الأنصار بنى عمرو بن عوف : أوس بن قَتادة .

أمر الأسود الراعى فى حديث خيبر

قال ابن إسحاق : وكان من حديث الأسود الراعى ، فيما بلغنى : أنه أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وهو محاصر لبعض حُصون خيبر ، ومعه غَنم له ، كان فيها أجيراً لرجل من يهود ، فقال : يارسول الله ، اعرض علىّ الإسلام ، فعرضه عليه ، فأسلم — وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لا يَحْقِر أحداً أن

يدعوه إلى الإسلام، ويعرضه عليه ـ فلما أسلم قال: يارسول الله، إنى كنت أجيراً لصاحب هذه الغنم، وهى أمانة عندى، فكيف أصنع بها؟ قال: اضرب فى وُجوهها فإنها سَترجع إلى ربها ـ أو كما قال ـ فقال الأسود: فأخذ حَفْنة من الحصى فرمى بها فى وُجوهها، وقال: ارجعى إلى صاحبك، فوالله لا أصحبك أبداً، فخرجت مجتمعة كأنّ سائقاً يسوقها، حتى دخلت الحِصْن، ثم تقدّم إلى ذلك الحصن ليُقاتل مع المسلمين، فأصابه حجر فقتله، وما صلى لله صلاة قطّ، فأُتى به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، فوُضع خلفه، وسُجِّى بشَمْلَة كانت عليه، فالتفت إليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، ومعه نفر من أصحابه، ثم أعرض عنه، فقالوا: يارسول الله، لِمَ أعرضت عنه؟ قال: إن معه الآن زَوْجَتيه من الحور العين.

قال ابن إسحاق: وأخبرنى عبد الله بن أبى نجيح أنه ذُكر له: أن الشهيد إذا ما أُصيب تدلّت (له) زوْجتاه من الُحور العين، عليه تَنْفُضان التراب عن وجهه، وتقولان: تَرّب الله وجهَ من تَرّبك، وقتلَ مَنْ قتلك.

أمر الحجاج بن علاط السلمى

قال ابن إسحاق: ولما فُتحت خيبر، كلّم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، الحجّاجُ بن عِلَاطٍ السُّلَمِى ثم البَهْزى، فقال: يارسول الله، إن لى بمكةَ مالاً عند صاحبتى أمّ شَيْبة بنت أبى طَلْحَةَ ـ وكانت عنده، له منها مُعْرِّض بن الحجّاج ومالٌ متفرّق فى تجّار أهل مكة، فأذن لى يارسول الله،

فأذن له ، قال : إنه لا بدّ لى يا رسول الله من أن أقول ؟ قال : قل . قال الحجّاج : فخرجتُ حتى إذا قدمت مكة وجدت بَثَنِيَّة البيضاء رجالا من قريش يتسمّعون الأخبار ، ويسألون عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد بلغهم أنه قد سار إلى خيبر ، وقد عرفوا أنها قَرْية الحجاز ، رِيفاً ومَنَعة ورجالا ، فهم يتحسّسون الأخبار ، ويسألون الركبان ، فلما رأونى قالوا : الحجاج بن عِلاط — قال : ولم يكونوا علموا بإسلامى ، عنده والله الخبر — أخْبرنا يا أبا محمد ، فإنه قد بلغنا أنّ القاطع قد سار إلى خيبر ، وهى بلد يهود وريف الحجاز ، قال : قلت : قد بلغنى ذلك وعندى من الخبر ما يسرّكم ، قال : فالتبطوا بجنبى ناقتى يقولون : إيه يا حجاج ، قال : قلت : هُزم هزيمة لم يسمعوا بمثلها قطّ ، وقُتل أصحابه قتلا لم تسمعوا بمثله قطّ ، وأُسر محمد أسراً ، وقالوا : لا نقتله حتى نَبعث به إلى أهل مكة ، فيقتلوه بين أظهرهم بمَنْ كان أصاب من رجالهم . قال : فقاموا وصاحوا بمكة ، وقالوا : قد جاءكم الخبر ، وهذا محمد إنما تنتظرون أن يُقدم به عليكم ، فيُقتل بين أظْهُركم . قال : قلت : أعينونى على جمع مالى بمكّة وعلى غُرمائى ، فإنى أُريد أن أقْدم خيبر ، فأُصيب من فَلّ محمد وأصحابه قبل أن يَسْبقنى التجّار إلى ما هنالك .

قال ابن هشام : ويقال : من فىء محمد .

قال ابن إسحاق : قال : فقاموا فجمعوا لى مالى كأحَثّ جَمْع سمعت به . قال : وجئت صاحبتى فقلت ، مالى ، وقد كان لى عِندها مال موضوع ، لعلى ألحق بخَيبر ، فأُصيبَ من فُرص البيع قبل أن يسبقنى التجّار ، قال : فلما سمع العباس بن عبد المطّلب الخبر ، وجاءه عنى ، أقبل حتى وقف إلى

جَنْبى وأنا فى خيمة من خِيام التجار ، فقال : يا حجَّاج ، ما هذا الخبر الذى جئت به ؟ قال : فقلت : وهل عندك حِفْظ لما وضعتُ عندك؟ قال: نعم. قال : قلت :فاستأخر عنى حتى ألقاك على خلاء ، فإنى فى جَمْع مالى كما ترى ، فانصرفْ عنى حتى أفرُغ : قال : حتى إذا فرغتُ من جمع كل شىء كان لى بمكة،وأجمعتُ الخروجَ ، لقيت العباسَ ، فقلت : احفظ علىّ حديثى. يا أبا الفضل ، فإنى أخشى الطلب ثلاثاً ، ثم قل ماشئت ، قال : أفعل . قلت : فإنى والله لقد تركت ابن أخيك عروساً على بِنْت مَلِكهم يعنى صفيَّة بنت حُيىّ ، ولقد افتتح خَيْبر ، وانتثل مافيها ، وصارت له ولأصحابه ، فقال : ماتقول يا حجَّاج ؟ قال : قلت : إى والله فاكتم عنى ، ولقد أسلمتُ وماجئتُ إلا لآخذ مالى ، فَرَقاً من أن أغلب عليه ، فإذا مضت ثلاثٌ فأظهر أمرك ، فهو والله على ماتحبّ ، قال : حتى إذا كان اليوم الثالث لَبِس العباس حلة له ، وتخلّق ، وأخذ عصاه ، ثم خرج حتى أتى الكعبة ، فطاف بها ، فلما رأوه قالوا : يا أبا الفضل ، هذا والله التجلُّد لحرّ المصيبة ، قال : كلا ، والله الذى حلفتم به ، لقد افتتح محمد خَيبر وتُرِك عروساً على بنت مَلِكهم ، وأحرز أموالهم وما فيها فأصبحتْ له ولأصحابه ، قالوا : من جاءك بهذا الخبر ؟ قال : الذى جاءكم بما جاءكم به ، ولقد دخل عليكم مُسْلماً ، فأخذ مالَه ، فانطلق ليَلحق بمحمد وأصحابه ، فيكون معه . قالوا : يالعباد الله ! انفلت عدوّ الله ، أما والله لو عَلمنا لكان لنا وله شأن ، قال : ولم يَنْشَبوا أن جاءهم الخبر بذلك .

شعر حسان عن خيبر

قال ابن إسحاق : وكان مما قيل من الشعر فى يوم خيبر قول حسّان ابن ثابت :

بِئْسَما قاتَلَتْ خَيابِرُ عَمَّا جَمَعُوا مِن مَزارِعٍ ونَخِيلِ
كَرِهُوا الموْتَ فاسْتُبِيحَ حِماهُم وأقَرّوا فِعْلَ اللَّئِيمِ الذَّلِيلِ
أمِنَ الموْتِ يَهْرُبُونَ فإنَّ الـ ـموتَ مَوْتَ الهُزَالِ غيرُ جميلِ

حسان يعتذر عن أيمن

وقال حسّان بن ثابت أيضاً ، وهو يعذر أيمَن بن أمّ أيمن بن عُبيد ، وكان قد تخلّف عن خيبر ، وهو من بنى عوف بن الخزرج ، وكانت أمّه أمّ أيمن مولاةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهى أمّ أسامَة بن زيد ، فكان أخا أسامة لأمه :

على حِينَ أن قالَتْ لأيْمَنَ أمُّهُ جَبُنْتَ ولم تَشْهَدْ فوارسَ خَيْبرِ
وأيْمَنُ لم يَجْبُنْ ولكنّ مُهْرَه أضَرَّ به شُرْبُ المَدِيدِ المُخَمَّرِ
ولولا الذى قد كان من شأن مُهْرِه لَقاتل فيهم فارساً غير أعسرِ
ولكنّه قد صدّه فعل مُهرِهِ وما كان منه عندَه غير أيْسَرِ

قال ابن هشام : أنشدنى أبو زيد هذه الأبيات لكعب بن مالك ، وأنشدنى :

رفع المسيهما

ولكنّه قد صَدّهُ شأنُ مُهْرِهِ   وما كانَ لولا ذاكمُ بمُقصِّرِ

شعر ناجية فى يوم خيبر

قال ابن إسحاق: وقال ناجية بن جُنْدب الأسلمىّ:

يا لِعبادِ للهِ فِيمَ يُرْغَبُ   ماهُوَ إلا مأكلٌ ومَشْرَبُ
وجَنَّةٌ فيها نَعيمٌ مُعْجِبُ

وقال ناجية بن جُنْدَب الأسْلَمىّ أيضاً:

أنا لِمَنْ أنكَرَنِى ابْنُ جُنْدَبِ   يارُبَّ قِرْنٍ فِى مَكَرِّى أنكَبِ
طاحَ بِمَغْدَى أنْسُرٍ وثَعلب

قال ابن هشام: وأنشدنى بعض الرواة للشعر قوله: « فى مَكَرّى »، و«طاح بمَغْدَى».

شعر كعب فى يوم خيبر

وقال كعب بن مالك فى يوم خيبر، فيما ذكر ابن هشام، عن أبى زيد الأنصارى:

ونحن وَرَدْنا خَيْبَراً وفُرُوضَهُ   بكلِّ فَتَى عارِى الأشاجِعِ مِذْوَدِ
جَوادٍ لدى الغايات لا واهنِ القُوَى   جَرِىءٍ على الأعداءِ فى كلِّ مَشْهَدِ
عظيمِ رَمادِ القِدْرِ فى كلِّ شَتْوَةٍ   ضَرُوبٍ بنصلِ المَشْرَفِىِّ المُهَنَّد

يَرى القَتْلَ مَدْحاً إنْ أصابَ شَهادة ... مِنَ اللهِ يَرْجُوها وَفَوْزاً بأحْمَدِ
يَذُود ويَحْمِى عَنْ ذِمارِ مُحمدٍ ... ويدفَعُ عنه باللِّسان وباليدِ
وينصُره مِنْ كلِّ أمرٍ يَرِيبه ... يجُود بنَفْس دونَ نَفْسِ مُحَمَّد
يصدِّق بالأنباء بالغيب مُخْلِصاً ... يريد بذاكَ الفوزَ والعِزَّ فى غدِ

ذكر مقاسم خيبر وأموالها

قال ابن إسحاق : وكانت المقاسم على أموال خيبر ، على الشَّقّ ونطاة والكَتيبة، فكانت الشَّقُّ ونَطاةُ فى سُهمان المسلمين ، وكانت الكَتيبة خُمْسَ الله ، وسهم النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وسهم ذوى القُرْبى واليتامى والمساكين، وطُعْمَ أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، وطُعْمَ رجال مشوا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أهل فَدَكَ بالصلح ؛ منهم مُحَيِّصَةُ بن مَسْعود ، أعطاه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ثلاثين وَسَقاً من شعير ، وثلاثين وَسْقاً من تمر ، وقُسمت خيبرُ على أهل الحُدَيبية ، مَن شهد خيبر ، ومَن غاب عنها ، ولم يَغِب عنها إلا جابرُ بن عبد الله بن عمرو بن حَرَام ، فقسم له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم كَسَهْم مَنْ حضرها ، وكان واديها ، وادى السُّرَيْرَة ، ووادى خاص ، وهما اللذان قُسمت عليهما خيبر ، وكانت نَطاة والشَّقُّ ثمانية عشر سهماً ، نَطاة من ذلك خمسة أسهم ، والشَّقّ ثلاثةَ عَشَرَ سهماً ، وقُسِمت الشَّقُّ ونَطاةُ على ألف سهم ، وثمانمائة سهم .

رفع المسهم

من قسمت عليهم خيبر

وكانت عِدّة الذين قُسمت عليهم خَيبر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ألف سهم وثمانمائة سهم، برجالهم وخيلهم، الرجال أربع عشرة مائة والخيل مائتا فارس، فكان لكلّ فرس سهمان، ولفارسه سهم، وكان لكلّ راجل سهم؛ فكان لكل سهم رأسٌ جُمع إليه مائة رجل، فكانت ثمانية عشر سهماً جُمع.

قال ابن هشام: وفي يوم خَيبر عرَّب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم العربيّ من الخيل، وهَجَّن الهجين.

قال ابن إسحاق: فكان عليّ بن أبي طالب رأساً، والزُّبير بن العوّام، وطلحةُ بن عبيد الله وعُمر بن الخطّاب، وعبد الرحمن بن عوف، وعاصم بن عَديّ، أخو بني العَجْلان، وأُسَيْدُ بن حُضَير، وسهم الحارث بن الخزرج، وسهم ناعم، وسهم بني بَياضَة، وسهم بني عُبيد، وسهم بني حَرام من بني سَلِمة وعُبَيْد السِّهام.

قال ابن هشام: وإنما قيل له عُبَيْد السهام لما اشترى من السهام يوم خيبر، وهو عُبَيْدُ بن أوْس، أحدُ بني حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو ابن مالك بن الأوْس.

قال ابن إسحاق: وسهم ساعدة، وسهم غِفار وأسْلَم، وسهم النَّجار وسهم حارثة، وسهم أوْس. فكان أوّل سهم خرج من خَيْبر بنَطاةَ سهم الزبير

ابن العوّام ، وهو الخوع وتابعة السُّريْر ، ثم كان الثانى سهم بَيَاضَة ، ثم كان الثالث سهم أُسَيْد ، ثم كان الرابع سهم بنى الحارث بن الخزرج ، ثم كان الخامس سهم ناعم لبنى عوف بن الخزرج ومُزَينة وشركائهم ، وفيه قُتِل محمود بن مَسْلمة ، فهذه نَطاة .

ثم هبطوا إلى الشّقّ ، فكان أوّل سهم خرج منه سهم عاصم بن عَدِىّ ، أخى بنى العَجْلان ، ومعه كان سهم رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، ثم سهم عبد الرحمن بن عوف ، ثم سهم ساعدة ، ثم سهم النجّار ، ثم سهم علىّ بن أبى طالب رضوان الله عليه ، ثم سهم طَلْحة بن عُبيد الله ، ثم سهم غِفار وأسلَم ، ثم سهم عمر بن الخطّاب ، ثم سهما سَلَمَة بن عُبَيْد وبنى حَرَام ، ثم سهم حارثة ، ثم سهم عُبَيْد السّهام ، ثم سهم أوْس ، وهو سهم اللفيف ، جمعت إليه جُهَيْنة ومن حَضر خيبر من سائر العرب ، وكان حَذْوَه سَهْمُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذى كان أصابه فى سهم عاصم بن عدىّ .

ثم قسم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الكَتِيبة ، وهى وادى خاص ، بين قرابته وبين نسائه ، وبين رجال المسلمين ونساء أعطاهم منها ، فقسم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لفاطمة ابنته مائتى وَسْق ، ولعلىّ بن أبى طالب مائة وَسْق ، ولأسامةَ بن زيد مائتى وَسْق ، وخمسين وسقاً من نوَى ، ولعائشة أمّ المؤمنين مائتى وَسْق ، ولأبى بكر بن أبى قُحافة مائة وَسْق ، ولعقيل بن أبى طالب مائة وَسْق وأربعين وَسقاً ، ولبنى جعفر خمسين وَسْقاً ، ولربيعة بن الحارث مائة وَسْق ، وللصَّلْت بن مَخْرَمة وابنيه مائة وَسْق ، للصَّلْت منها

أربعون وَسقًا ، ولأبى نَبِقة خمسين وَسقًا ولرُكانة بن عبد يزيد خمسين وَسقًا ، ولقَيس بن مَخرَمة ثلاثين وَسقًا ، ولأبى القاسم بن مَخرَمة أربعين وَسقًا ، ولبنات عُبَيدة بن الحارث وابنة الحُصَين بن الحارث مائة وَسق ، ولبنى عُبيد بن عبد يزيد ستين وَسقًا ، ولابن أوس بن مَخرمة ثلاثين وَسقًا. ولِمِسْطَح بن أثاثة وابن إلياس خمسين وَسقًا ، ولأمّ رُمَيثة أربعين وَسقًا ، ولنُعَيم بن هِند ثلاثين وَسقًا ، ولبُحَينة بنت الحارث ثلاثين وَسقًا ، ولعُجَير بن عبد يزيد ثلاثين وَسقًا ، ولأمّ الحكم ثلاثين وَسقًا ، ولجُمانة بنت أبى طالب ثلاثين وَسقًا ، ولابن الأرقم خمسين وَسقًا ، ولعبد الرحمن بن أبى بكر أربعين وَسقًا ، ولحَمنَة بنت جَحش ثلاثين وَسقًا ، ولأمّ الزبير أربعين وَسقًا ، ولضُباعة بنت الزُّبير أربعين وَسقًا ، ولابن أبى خُنَيس ثلاثين وَسقًا ، ولأمّ طالب أربعين وَسقًا ، ولأبى بصرة عشرين وَسقًا ، ولنُمَيلة الكَلْبى خمسين وَسقًا ، ولعبد الله بن وَهب وابنتيه تسعين وَسقًا ، لابنيه منها أربعين وسقًا ، ولأمّ حبيب بنت جَحْش ثلاثين وَسقًا ، ولمَلْكو بن عَبدة ثلاثين وَسقًا ، ولنسائه صلى الله عليه وسلم سبعُ مائة وَسق .

قال ابن هشام : قمحٌ وشعير وتمر ونَوًى وغير ذلك ، قسمه على قدر حاجتهم وكانت الحاجة فى بنى عبد المطّلب أكثر ، ولهذا أعطاهم أكثر .

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر ما أعطى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه من قمح خيبر

قسم لهن : مائة وسق وثمانين وَسْقًا ، ولفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسةً وثمانين وَسْقًا ، ولأسامة بن زيد أربعين وَسْقًا ، وللمِقداد بن الأسود خمسةَ عَشَر وَسْقًا ، ولأمّ رُمَيْثة خمسة أوْسُق .

شهد عثمانُ بن عفّان وعباس ، وكتب .

وصاة الرسول عند موته

قال ابن إسحاق : وحدثني صالح بن كَيْسان ، عن ابن شهاب الزُّهْرى ، عن عُبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، قال : لم يُوصِ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عند موته إلا بثلاث ، أوصى للرَّهاويين بجادّ مائة وَسْق من خيبرَ ، وللداريين بجادّ مائة وَسْق من خيبر ، وللسبائيين ، وللأشعريين بجادّ مائة وَسْق من خيبر ، وأوصى بتَنْفيذ بعث أُسامة بن زيد بن حارثة ، وألاّ يُترك بجزيرة العرب دِينان .

أمر فدك فى خبر خيبر

قال ابن إسحاق : فلما فرَغ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من خيبرَ قذف الله الرُّعْب فى قلوب أهل فَدَك ، حين بلغهم ما أوقع الله تعالى بأهل خيبر ، فبعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصالحونه على النصف من فَدَك ، فقدمت عليه رُسُلُهم بخيبر ، أو بالطائف ، أو بعد ما قَدِم المدينة ، فقبل ذلك منهم ، فكانت فَدَك لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم خالصة ، لأنه لم يوجَف عليها بخيل ولا ركاب .

تسمية النفر الداريين

الذين أوصى لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر

وهم بنو الدار بن هانئ بن حَبيب بن نُمارة بن لخم ، الذين ساروا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشام : تميم بن أوس ونُعيم بن أوس أخوه ، ويزيد بن قَيْس ، وعرفة بن مالك ، سماه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن .

قال ابن هشام : ويقال : عَزّة بن مالك : وأخوه مُرّان بن مالك .

قال ابن هشام : مَرْوان بن مالك .

قال ابن إسحاق : وفاكه بن نُعمان ، وجَبَلة بن مالك ، وأبو هِنْد بن بَرّ ، وأخوه الطيِّب بن بَرّ ، فسماه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عبد الله .

فكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، كما حدثني عبد الله بن أبي بكر ، يبعث إلى أهل خَيْبر عبدَ الله بن رَواحَة خارصاً بين المسلمين ويهود ، فيَخْرُص عليهم ، فإذا قالوا : تعدّيت علينا ، قال : إن شئتم فلكم ، وإن شئتم فلنا ، فتقول يهود : بهذا قامت السماوَاتُ والأرض .

وإنما خَرَص عليهم عبدُ الله بن رَواحَة عاماً واحداً ، ثم أصيب بمُؤْتة يرحمه الله ، فكان جبّار بن صخر بن أمية بن خَنْساء ، أخو بني سَلمة ، هو الذي يخرُص عليهم بعد عبد الله بن رَواحة .

رفع المسابهم

فأقامت يهود على ذلك ، لا يرى بهم المسلمون بأساً فى معاملتهم ، حتى عَدَوْا فى عَهْد رسولِ الله صلى الله عليه وسلم على عبدالله بن سَهل ، أخى بنى حارثة ، فقتلوه ، فاتهمهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون عليه .

قال ابن إسحاق : فحدثنى الزُّهرىّ عن سهل بن أبى حَثْمة ؛ وحدثنى أيضاً بُشَير بن يَسار ، مولى بنى حارثة ، عن سهل بن أبى حَثْمة قال : أُصيب عبد الله بن سهل بخيبر ، وكان خرج إليها فى أصحاب له يمتار منها تمراً ، فوُجِد فى عَين قد كُسِرَتْ عُنُقُه ، ثم طُرح فيها ؛ قال : فأخذوه فغيَّبوه ، ثم قَدِموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكروا له شأنه ، فتقدّم إليه أخوه عبدُ الرحمن بن سهل ، ومعه ابنا عمِّه حُوَيِّصَةُ ومُحَيِّصَةَ ابنا مسعود ، وكان عبد الرحمن من أحدثهم سناً ، وكان صاحبَ الدم ، وكان ذا قَدم فى القوم ، فلما تكلّم قبل ابنَى عمّه ، قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : الكُبْرَ الكُبْرَ .

قال ابن هشام : ويقال : كَبِّرْ كَبِّرْ – فيما ذكر مالك بن أنس – فسكت ؛ فتكلّم حُوَيِّصَة ومُحَيِّصَة ، ثم تكلم هو بعد ، فذكروا لرسول الله صلى الله عليه وسلم قتلَ صاحبهم ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أتُسَمُّون قاتلكم ، ثم تحلفون عليه خمسين يميناً فنُسْلِمه إليكم؟ قالوا : يارسول الله ، ما كنا لنحلف على مالا نعلم ؛ قال : أفيحلفون بالله خمسين يميناً ماقتلوه ولا يعلمون له قاتلا ثم يَبرءون من دمه؟ قالوا : يارسول الله ، ما كنا لنقبل أيمان يهود ، مافيهم من الكفر أعظمُ من أن يحلفوا على إثم قال : فوداهُ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من عنده مائة ناقة .

قال سهل: فوالله ما أنسى بَكْرَةً منها حمراء ضربتنى وأنا أحُوزها.

قال ابن إسحاق: وحدثنى محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمىّ، عن عبد الرحمن بن بُجَيْد بن قَيْظِىّ، أخى بنى حارثة، قال محمد بن إبراهيم: وايم الله، ما كان سَهْل بأكثر علماً منه، ولكنّه كان أسنّ منه؛ وإنه قال له: والله ما هكذا كان الشأن! ولكن سهلا أوْهَمَ، ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احلفوا على مالا علم لكم به ولكنه كتب إلى يهود خيبرَ حين كلّمته الأنصار: إنه قد وُجِدَ قتيل بين أبياتِكم فَدُوه، فكتبوا إليه يحلفون بالله ماقتلوه، ولا يعلمون له قاتلا. فوداه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من عنده.

قال ابن إسحاق: وحدثنى عمرو بن شعيب مثل حديث عبد الرحمن بن بُجيد، إلا أنه قال في حديثه: دُوهُ أو ائذنوا بحرب. فكتبوا يحلفون بالله ماقتلوه ولا يعلمون له قاتلا؛ فوداه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من عنده.

عمر يجلى يهود خيبر

قال ابن إسحاق: وسألت ابن شهاب الزهرىّ: كيف كان إعطاء رسولِ الله صلى الله عليه وسلم يهودَ خيبرَ نخلَهم، حين أعطاهم النخل على خَرْجها، أبَتَّ ذلك لهم حتى قُبِض، أم أعطاهم إياها للضرورة من غير ذلك؟

فأخبرنى ابنُ شِهابٍ: أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم افتتح خَيبر عَنْوَةً بعد القتال، وكانت خيبر مما أفاء الله عزّ وجلّ على رسول الله صلى الله عليه

وسلم ، خَمَسها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وقَسمها بين المسلمين ، ونزل من نزل من أهلها على الجلاء بعد القتال ، فدعاهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إن شئتم دفعت إليكم هذه الأموال على أن تعملوها ، وتكون ثمارُها بيننا وبينكم ، وأُقِرُّكُم ما أقرَّكُمُ الله ، فقبلوا، فكانوا على ذلك يعملونها . وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يبعث عبدَ الله بن رَوَاحة ، فيقسم ثمرَها ، ويعدِل عليهم في الخَرْص، فلما توفّى اللهُ نبيَّه صلى الله عليه وسلم ، أقرّها أبو بكر رضى الله تعالى عنه ، بعد رسولِ الله صلى الله عليه وسلم بأيديهم ، على المعاملة التى عاملهم عليها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، حتى تُوفى ؛ ثم أقرّها عمر رضى الله عنه صَدراً من إمارته . ثم بلغ عُمَرَ أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال فى وَجَعِه الذى قبضه الله فيه: لا يَجتمعنَّ بجزيرة العرب دِينان ؛ ففحص عُمَرُ ذلك ، حتى بلغه الثَّبتُ ، فأرسل إلى يهودَ ، فقال : إن الله عزّ وجلّ قد أذن فى جَلائكم ، قد بلغنى أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال : لا يَجتمِعَنَّ بجزيرة العرب دينان فمن كان عنده عهدٌ من رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليهود فليأتنى به ، أُنفِذْه له ، ومن لم يكن عنده عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليهود ، فليتجهز للجلاء ، فأجْلَى عُمَرُ من لم يكن عنده عهد من رسولِ الله صلى الله عليه وسلم منهم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى نافع ، مولى عبد الله بن عمر ، عن عبد الله ابن عمر قال : خرجت أنا والزُّبير والمقداد بن الأسود إلى أموالنا بخيبر نتعاهدها ، فلما قَدِمْنا تفرّقنا فى أموالنا ، قال : فعُدِىَ علىَّ تحت الليل ، وأنا

رفع المسيهم

نائم على فراشى ، ففُدِعَتْ يداىَ من مِرْفَقَىّ ، فلما أصبحت استصرخ علىّ صاحباى ، فأتيانى فسألانى : من صَنَع هذا بك ؟ فقلت : لا أدرى ؛ فقال : فأصلَحا من يدَىَّ ، ثم قَدِما بى على عمر رضى الله عنه ، فقال : هذا عمل يهودَ ، ثم قام فى الناس خطيباً فقال : أيها الناس ، إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، كان عامَل يهودَ خيبر على أنا نخرجُهم إذا شئنا ، وقد عَدَوا على عبد الله ابن عمر ، ففَدعوا يديه ، كما قد بلغكم ، مع عَدْوِهم على الأنصارىّ قبله ، لانشكّ أنهم أصحابه ، ليس لنا هناك عدوّ غيرهم ؛ فمن كان له مال بخَيْبر فليلحق به ، فإنى مُخرج يهودَ ، فأخرجهم .

قسمة عمر لوادى القرى بين المسلمين

قال ابن إسحاق : فحدّثنى عبدالله بن أبى بكر ، عن عبد الله بن مَكْنَف ، أخى بنى حارثة ، قال : لمّا أخرج عمرُ يهودَ من خيبرَ ركب فى المهاجرين والأنصار ، وخرج معه جبّار بن صخر بن أميّة بن خنساء ، أخو بنى سَلِمة ، وكان خارصَ أهل المدينة وحاسبَهم ـ ويزيدَ بن ثابت ، وهما قسما خيبر بين أهلها ، على أصل جماعة السُّهمان ، التى كانت عليها .

وكان ما قَسم عمر بن الخطّاب من وادى القُرَى ، لعثمانَ بن عفّان خطَرٌ ، ولعبد الرحمن بن عوف خَطَرٌ ، ولعمرَ بن أبى سَلَمة خَطَرٌ ، ولعامر بن أبى ربيعة خَطَرٌ ، ولعمرو بن سُراقة خَطَرٌ ، ولأُشَيْم خَطَر .

قال ابن هشام : ويقال : ولأسلم ولبنى جعفر خَطَرٌ ، ولمُعَيْقيب خطَرٌ ،

ولعبد الله بن الأرقم خَطَرٌ ، ولعبد الله وعُبَيد الله خَطَرَان ، ولابن عبد الله ابن جَحْش خطَر ، ولابن البُكَيْر خَطَرٌ ، ولمُعْتمر خطَر ، ولزيد بن ثابت خطَر ، ولأُبَيّ بن كَعْب خطَر ، ولمُعاذ بن عَفْراء خطَر ، ولأبي طلحة وحَسَن خطَر ، ولجبَّار بن صخْر خطَر ، ولجابر بن عبد الله بن رئاب خطَر ، ولمالك ابن صَعْصَعة وجابر بن عبد الله بن عَمْرو خَطَر ، ولابن حُضَيْر خطَر ، ولابن سَعْد بن مُعاذ خطَر ، ولسَلامة بن سَلامة خَطَر ، ولعبد الرحمن بن ثابت وأبي شريك خطَر ، ولأبي عَبْس بن جَبْر خطَر ، ولمحمَّد بن مَسلمة خَطَر ، ولعبادة بن طارق خطَر .

قال ابن هشام : ويقال : لقتادة .

قال ابن إسحاق : ولجَبْر بن عَتِيك نِصْفُ خطَر ، ولابني الحارث بن قَيس نصف خَطَر ، ولابن حَزَمَةَ والضحاك خطَر ، فهذا ما بلغنا من أمر خَيبر ووادي القُرَى ومقاسمها .

قال ابن هشام : الخطَر : النَّصيب يقال : أخْطَرَ لي فلان خَطَراً .

ذكر قدوم جعفر بن أبي طالب من الحبشة

وحديث المهاجرين إلى الحبشة

قال ابن هشام : وذكر سُفيان بن عُيَينة عن الأجْلح ، عن الشَّعْبي : أن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ، قَدِمَ على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم يومَ

رفع المسيّهمم

فتح خَيْبَر ، فقبَّل رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عَيْنيه ، والتزمه وقال : ما أدرى بأيّهما أنا أسَرُّ : بفتح خَيْبر ، أم بقدوم جعفر ؟

قال ابن إسحاق : وكان مَنْ أقام بأرض الحبشة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بعث فيهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشى عمرَو بن أميّة الضَّمْرى ، فحملهم فى سَفينتين ، فقَدِم بهم عليه ، وهو بخَيْبر بعد الحُدَيْبية .

مِن بنى هاشم بن عبد مَناف : جعفر بن أبى طالب بن عبد المُطّلب ، معه امرأته أسماء بنت عُمَيس الخَثْعَمِيّة ، وابنه عبد الله بن جَعفر ، وكانت ولدته بأرض الحبشة . قُتل جعفر بمُؤْتة من أرضِ الشام أميراً لرسول الله صلى الله عليه وسلم . رجل .

ومن بنى عبد شمس بن عبد مناف : خالد بن سَعيد بن العاص بن أميَّة ابن عبد شَمْس ، معه امرأته أمينة بنت خلف بن أسْعد ـ قال ابن هشام : ويقال : هُمَيْنة بنت خلف ـ وابناه سعيد بن خالد ، وأمَة بنت خالد ، ولدتهما بأرض الحبشة ، قُتِل خالد بمَرْج الصُّفَّر فى خلافة أبى بكر الصدّيق بأرض الشام ؛ وأخوه عمرو بن سعيد بن العاص ، معه امرأته فاطمة بنت صَفْوان ابن أميَّة بن مُحَرِّث الكِنانى ، هلكت بأرض الحبشة . قُتل عمرو بأجْنادِين من أرض الشام فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه .

ولعمرو بن سعيد يقول أبوه سَعيد بن العاص بن أميَّة أبو أُحَيحة :

ألا ليتَ شعرى عنك يا عمرو سائلا إذا شبَّ واشتدَّت يداه وسُلِّحا
أتترك أمرَ القوم فيه بلابل تكشَّف غيظا كان فى الصَّدر مُوجَحا

ولعمرو وخالد يقول أخوهما أبان بن سعيد بن العاص ، حين أسلما ، وكان أبوهم سعيد بن العاص هلك بالظُّرَيْبة ، من ناحية الطائف ، هلك فى مال له بها :

ألا لَيْتَ مَيْتاً بالظُّرَيْبةِ شاهدٌ لما يَفترى فى الدِّين عمرو وخالد
أطاعا بِنا أمرَ النِّساء فأصْبَحا يُعينان مِنْ أعدائنا مَن نُكايد

فأجابه خالد بن سعيد ، فقال :

أخى ما أخى لا شاتمٌ أنا عِرْضَه ولا هو من سُوء المقالة مُقْصِرُ
يقولُ إذا اشتدَّت عليه أمورُه ألا لَيْتَ مَيْتاً بالظُّرَيْبة يُنْشَر
فدَعْ عَنْكَ مَيْتاً قد مَضَى لسبيلِه وأقْبِل على الأدنى الذى هوَ أفقر

ومُعَيْقيب بن أبى فاطمة ، خازن عمر بن الخطاب على بيت مال المُسلمين ، وكان إلى آل سعيد بن العاص ؛ وأبو موسى الأشعرى عبد الله بن قيس ، حليف آل عُتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، أربعة نفر .

ومن بنى أسد بن عبد العُزّى بن قُصَى : الأسود بن نوفل بن خُوَيْلد . رجل .

ومن بنى عبد الدار بن قُصَى : جَهْم بن قَيْس بن عبد شُرَحبيل ، معه

ابناه عمرو بن جَهْم وخُزَيمة بن جهم ، وكانتِ معه امرأته أمّ حَرملة بنت عَبْد الأسود هَلَكَتْ بأرض الحبشة ، وابناه لها . رجل .

ومن بنى زُهْرة بن كِلاب : عامر بن أبى وقّاص ، وعُتبة بن مسْعود، حليف لهم من هُذيل . رجلان .

ومن بنى تَيْم بن مُرّة بن كَعْب : الحارث بن خالد بن صخر ، وقد كانت معه امرأته رَيطة بنت الحارث بن جُبيلة ، هَلَكت بأرض الحبشة . رجل .

ومن بنى جُمح بن عمرو بن هُصَيص بن كعب : عثمان بن رَبيعة بن أهبان . رجل .

ومن بنى سَهم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب ، مَحْمِيَّة بن الجزء ، حليف لهم من بنى زُبيد ، كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، جعله على خُمُس المسلمين . رجل .

ومن بنى عَدِيّ بن كعب بن لُؤَيّ : مَعْمر بن عبد الله بن نَضْلة . رجل .

ومن بنى عامر بن لُؤَيّ بن غالب : أبو حاطب بن عَمْرو بن عبد شمس ؛ ومالك بن ربيعة بن قَيس بن عبد شمس ، معه امرأته عَمْرة بنت السَّعْدِي ابن وَقْدان بن عَبْد شمس . رجلان .

ومن بنى الحارث بن فِهْر بن مالك : الحارث بن عَبد قَيس بن لَقِيط . رجل . وقد كان حُمِل معهم فى السَّفينتين نساء من نساء من هلك هنالك من المسلمين .

فهؤلاء الذين حمل النجاشى مع عمرو بن أميّة الضّمْرى فى السّفينتين ، فجميع من قَدِم فى السّفينتين إلى رسولِ الله صلى الله عليـــه وسلم ستة عشر رجلا .

وكان ممّن هاجر إلى أرض الحبشة ، ولم يقدَم إلا بعد بدر ، ولم يَحْمل النجاشى فى السّفينتين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن قدم بعد ذلك ، ومن هلك بأرض الحبشة ، من مُهاجرة الحبشة :

من بنى أميّة بن عبد شمْس بن عبد مَناف : عُبيد الله بن جَحْش بن رِئاب الأسَدى ، أسَد خُزيمة ، حليف بَنى أميّة بن عبد شمس ، معه امرأته أمّ حَبيبة بنت أبى سُفيان ، وابنته حَبيبة بنت عبيد الله ، وبها كانت تُكنى أمّ حَبيبة بنت أبى سفيان ، وكان اسمها رَمْلة .

خرج مع المُسلمين مُهاجراً ، فلما قَدِم أرض الحبشة تنصر بها وفارق الإسلام ، ومات هُنالك نصرانياً ، فخلَف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على امرأته من بعده أمّ حَبيبة بنت أبى سُفيان بن حرب .

قال ابن إسحاق : حدثنى محمد بن جعفر بن الزّبير ، عن عُروة ، قال خرج عُبيد الله بن جَحْش مع المُسلمين مُسْلِماً ، فلما قدم أرضَ الحبشة تنصّر ، قال فكان إذا مرّ بالمسلمين من أصحاب رسولِ الله صلى الله عليه وسلم قال : فقّحنا وصأصأتم ، أى قد أبصرنا وأنتم تَلتمسون البصر ولم تُبصِروا بعد . وذلك أن ولد الكلب إذا أراد أن يفتح عينيه للنظر صَأصأ قبل ذلك

فضرب ذلك له ولهم مثلا : أى أنّا قد فتّحنا أعيننا فأبصرنا ، ولم تفتحوا أعينكم فتُبصروا ، وأنتم تلتمسون ذلك .

قال ابن إسحاق : وقيس بن عبد الله ، رجل من بنى أسد بن خُزَيمة ، وهو أبو أميّة بنت قَيس التى كانت مع أمّ حَبيبة ؛ وامرأته بركة بنت يَسار ، مولاة ، أبى سُفيان بن حرب ، كانتا ظِئْرَى عُبيد الله بن جحش ، وأمّ حَبيبة بنت أبى سُفيان ، فخرجا بهما معهما حين هاجرا إلى أرض الحبشة . رجلان .

ومن بنى أسد بن عبد العُزّى بن قُصَىّ : يزيد بن زَمَعة بن الأسود بن المطّلب بن أسد ، قُتل يوم حُنين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم شهيداً ؛ وعمرو بن أميّة بن الحارث بن أسد ، هَلك بأرض الحبشة . رجلان .

ومن بنى عَبْد الدّار بن قُصَىّ : أبو الرُّوم بن عُمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدّار ؛ وفِراس بن النَّضر بن الحارث بن كَلَدة بن عَلْقمة ابن عَبْد مناف بن عبد الدار . رجلان .

ومن بنى زُهرة بن كِلاب بن مُرّة : المُطّلب بن أزهر بن عبد عَوْف ابن عبد (بن) الحارث بن زُهرة ، معه امرأته رَمْلة بنت أبى عوف بن ضُبيرة ابن سُعيد بن سَعْد بن سهم ، هَلك بأرض الحبشة ، ولدت له هنالك عبدَ الله ابن المُطّلب فكان يقال : إن كان لأوّلُ رجل وَرِث أباه فى الإسلام رجل .

ومن بنى تَيْم بن مرة بن كَعب بن لُؤَىّ : عمرو بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سَعْد بن تَيم ، قُتل بالقادسيّة مع سعد بن أبى وقّاص . رجل .

ومن بنى مخزوم بن يَقَظة بن مُرّة بن كعب : هَبَّار بن سُفيان بن عبد الأسد ، قُتل بأجْنادِين من أرض الشام ، فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه ؛ وأخوه عبد الله بن سُفيان ، قُتل عام اليَرْموك بالشام ، فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، يشكّ فيه أقتل ثَمّ أم لا ؛ وهشام بن أبى حُذيفة بن المُغيرة ، ثلاثة نفر .

ومن بنى جُمَح بن عمرو بن هُصَيص بن كَعب : حاطب بن الحارث بن مَعْمر بن حَبيب بن وَهْب بن حُذافة بن جُمَح ، وابناه محمد والحارث ، معه امرأته فاطمة بنت المُجَلِّل هَلَك حاطب هنالك مُسلماً ، فقَدِمت امرأته وابناه ، وهى أمهما ، فى إحدى السَّفينتين ؛ وأخوه حطَّاب بن الحارث ، معه امرأته فُكَيهة بنت يَسار هَلَك هنالك مُسلماً ، فقَدِمت امرأته فُكَيهة فى إحدى السَّفينتين ؛ وسُفيان بن مَعْمر بن حَبيب ، وابناه جُنادة وجابر ، وأمهما معه حَسنة ، وأخوهما لأمهما شُرَحبيل بن حَسنة ؛ وهَلك سفيان وهلك ابناه جُنادة وجابر فى خلافة عمر بن الخطَّاب رضى الله عنه . ستة نفر .

ومن بنى سَهْم بن عمرو بن هُصَيص بن كَعْب : عبد الله بن الحارث بن قَيس بن عدىّ بن سعد بن سَهم الشاعر ، هَلك بأرض الحبشة ، وقَيس بن حُذافة بن قَيس بن عدىّ بن سعد بن سَهم ؛ وأبو قَيس بن الحارث بن قَيس بن عدىّ بن سعد بن سهم ، قُتِل يوم اليمامة فى خلافة أبى بكر الصدّيق رضى الله عنه ، وعبد الله بن حُذافة بن قَيس بن عدىّ بن سعد بن سهم ، وهو رسولُ (رسولِ) الله صلى الله عليه وسلم إلى كسرى ، والحارث بن الحارث

ابن قَيس بن عدىّ ، ومعمر بن الحارث بن قيس بن عدىّ ، وبِشر بن الحارث ابن قيس بن عدىّ ، وأخ له من أمه، من بنى تميم ، يقال له سعيد بن عمرو، قُتِل بأجنادين فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه ، وسعيد بن الحارث بن قَيس ، قُتِل عام اليَرْموك فى خلافة عمر بن الخطَّاب رضى الله عنه ، والسائب بن الحارث بن قيس ، جُرح بالطائف مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وقُتل يوم فِحْل فى خلافة عمر بن الخطَّاب رضى الله عنه ، ويقال : قُتل يوم خَيبر ، يُشكّ فيه ، وعُمير بن رئاب بن حُذَيفة بن مِهْشم بن سعد بن سهم ، قُتل بعَيْن التمر مع خالد بن الوليد ، مُنْصَرفه من اليَمامة ، فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه . أحد عشر رجلا .

ومن بنى عدىّ بن كعب بن لُؤَىّ : عُروة بن عبد العُزّى بن حُرْثان بن عوف بن عُبيد بن عُوَيج بن عدىّ بن كعب ، هَلك بأرض الحبشة ، وعدىّ ابن نَضْلة بن عبد العُزّى بن حُرْثان ، هَلك بأرض الحبشة . رجلان .

وقد كان مع عدىّ ابنه النُّعمان بن عدىّ ، فقَدِم النعمان مع من قَدِم من المسلمين من أرض الحبشة ، فبقى حتى كانت خلافة عمر بن الخطَّاب ، فاستعمله على مَيْسان ، من أرض البَصْرة ، فقال أبياتاً من شعر ، وهى :

ألا هَلْ أَتَى الحسْناءَ أَنّ حَليلَها ... بمَيْسان يُسْقَى فى زُجاجٍ وحَنْتَمِ
إذا شئتُ غَنَّتْنِى دَهاقينُ قَرْيَةٍ ... ورقَّاصةٌ تجذُو على كلّ مَنْسِمِ
فإن كنتَ نَدْمانِى فبالأكبرِ اسقِنى ... ولا تَسْقِنى بالأصغرِ المُتَثَلّمِ
لعَلّ أميرَ المُؤمنين يَسُوءُه ... تنادُمُنا فى الجَوْسَقِ المُتَهَدّمِ

فلمّا بلغت أبياته عمر، قال: نعم والله، إن ذلك ليسوءني، فمن لقيه فليُخبره أني قد عَزلته، وعَزَله. فلما قَدِم عليه اعتذر إليه وقال: والله يا أمير المؤمنين، ماصنعت شيئاً ممّا بلغك أني قلتُه قطّ، ولكني كنت امرأً شاعراً، وجدت فضلا من قول، فقلت فيما تقول الشعراء، فقال له عمر: وايمُ الله، لاتعملُ لي على عمل مابقيتُ، وقد قلتَ ما قلت.

ومن بني عامر بن لُؤيّ بن غالب بن فِهر: سَليط بن عمرو بن عبد شمس ابن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر، وهو كان رسولَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم إلى هَوْذَة بن عليّ الحنفي باليمامة. رجل.

ومن بني الحارث بن فهر بن مالك: عثمان بن عبد غَنْم بن زُهير بن أبي شدّاد، وسعد بن عبد قَيْس بن لَقيط بن عامر بن أُميّة بن ظَرب بن الحارث ابن فِهر، وعِياض بن زُهير بن أبي شدّاد. ثلاثة نفر.

فجميع من تخلّف عن بَدْر، ولم يَقدم على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم مكة، ومن قَدِم بعد ذلك، ومن لم يحمل النجاشي في السّفينتين، أربعة وثلاثون رجلا.

وهذه تسمية جملة من هَلك منهم ومن أبنائهم بأرض الحبشة:

من بني عبد شمس بن عبد مناف: عُبيد الله بن جَحْش بن رئاب، حليف بني أمية، مات بها نَصرانياً.

ومن بنى أسد بن عبد العُزّى بن قُصَىّ : عمرو بن أميّة بن الحارث بن أسد .

ومن بنى جُمح : حاطب بن الحارث ، وأخوه حطّاب بن الحارث .

ومن بنى سهم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب : عبد الله بن الحارث ابن قَيس .

ومن بنى عدىّ بن كعب بن لُؤَىّ : عُروة بن عبد العُزّى بن حُرْثان ابن عوف ، وعَدِىّ بن نَضْلة . سبعة نفر .

ومن أبنائهم ، من بنى تَيْم بن مُرّة : موسى بن الحارث بن خالد بن صخر بن عامر . رجل .

مهاجرات الحبشة

وجميع من هاجر إلى أرض الحبشة من النساء ، من قَدِم مِنهنّ ومن هَلك هنالك ستّ عشرةَ امرأة ، سوى بناتهنّ اللاّتى وُلدن هنالك ، من قَدِم منهنّ ومن هَلك هنالك ، ومن خرج به معهنّ حين خَرَجن .

من قُريش ، من بنى هاشم : رُقية بنت رسولِ الله صلى الله عليه وسلم .

ومن بنى أُميّة : أمّ حبيبة بنت أبى سُفيان ، معها ابنتُها حَبيبة ، خرجت بها من مكة ، ورَجعت بها معها .

ومن بنى مخزوم : أمّ سَلمة بنْت أبى أُمية ، قدمت معها بزينب ابنتها من أبى سَلمة ولدتْها هنالك .

ومن بنى تَيْم بن مُرّة :رَيْطة بنت الحارث بن جُبَيلة ، هلكت بالطريق، وبنتان لها كانت ولدتْهما هنالك عائشة بنت الحارث وزينب بنت الحارث هَلكن جميعاً ، وأخوهنّ موسى بن الحارث ، من ماء شربوه فى الطريق ، وقدمت بنت لها ولدتْها هنالك ، فلم يبق من ولدها غيرُها ، يقال لها فاطمة .

ومن بنى سَهم بن عمرو : رَمْلة بنْت أبى عَوْف بن ضُبيرة .

ومن بنى عدىّ بن كعب : ليلى بنت أبى حَثْمة بن غانم .

ومن بنى عامر بن لؤىّ : سودة بنت زَمْعة بن قيس ، وسهلة بنت سُهَيل بن عمرو ، وابنة المجلّل ، وعمرة بنت السَّعْدى بن وقدان ، وأمّ كلثوم بنت سُهَيل بن عمرو .

ومن غرائب العرب : أسماء بنت عُمَيس بن النُّعمان الخثعمية ، وفاطمة بنت صَفْوان بن أُميَّة بن مُحرّث الكِنانية ، وفُكَيهة بنت يسار ، وبركة بنت يسار ، وحَسِنة ، أمْ شُرَحبيل بن حَسَنة .

وهذه تسمية من وُلد من أبنائهم بأرض الحبشة .

ومن بنى هاشم : عبدُ الله بنَ جعفر بن أبى طالب .

ومن بنى عبد شَمس : محمد بن أبى حُذَيفة ، وسعيد بن خالد بن سَعيد ، وأختة أمَة بنت خالد .

ومن بنى مخزوم : زينب بنت أبى سَلمة بن الأسد .

ومن بنى زهرة : عبد الله بن المُطَّلب بن أزهر .

ومن بنى تَيْم : موسى بن الحارث بن خالد ، وأخواته عائشة بنت الحارث ، وفاطمة بنت الحارث ، وزينب بنت الحارث .

الرجال منهم خمسة : عبد الله بن جعفر ، ومحمد بن أبى حُذَيفة ، وسعيد ابن خالد ، وعبد الله بن المطَّلب ، وموسى بن الحارث .

ومن النساء خمس : أمة بنت خالد ، وزينب بنت أبى سَلمة ، وعائشة وزينب وفاطمة ، بنات الحارث بن خالد بن صخر .

غزوة خيبر

ذكر البَكْرِىُّ أن أرض خَيْبَر سُمِّيَتْ باسْم رَجُلٍ من العَمَالِيقِ نَزَلها ، وهو خَيْبَرُ بن قَانِية بن مَهْلَايِل(١) ، وكذلك قال فى الوَطِيح ، وهو من حُصونها أنه سُمِّى بالوَطِيح بن مازِن ، رجلٍ من ثَمود ، ولفظُه مأخوذ من من الوَطْح ، وهو ما تعلّق بالأظافر ، ومخالب الطير من الطين .

شرح هنة والحمراء :

وذكر ابن إسحاق قوله عليه السلام لسَلَمة بن الأكْوع : خُذْلنا من

(١) قاله فى المعجم منسوباً إلى محمد بن سهل ، وفيه قاينة بدلاً من قانية .

هَنَاتِك. الْهَنَةُ: كناية عن كُلِّ شيء لا تَعرِف اسمَه، أو تَعرِفُه، وتَكنِي عنه، وأصلُ الْهَنَة: هنهة وَهَنُوة. قال الشاعر:

[أرَى ابنَ نَزارٍ قدجَفَانِي وقَلَى] على هَنَوَاتٍ شأنُها مُتَتَابِعُ

وفى البخارى: أن رجلاً قال لابن الأكْوَع: ألا تنزِلُ فتُسْمِعُنا من هُنَيْهَاتِك، صَغَّره بالهاء، ولو صغره على لغة من قال هَنَوات، لقال هُنَيَّاتِك، وإنما أراد ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يَحْدُو بهم، والإبلُ تُستحَثُّ بالحُدَاء، ولا يكون الحُدَاء إلا بشِعرٍ أو رَجَزٍ، وقد ذكرنا أولَ من سَنَّ حُدَاء الإبل، وهو مُضَرُ بن نِزارٍ، والرَّجزُ شِعْرٌ، وإن لم يكن قَرِيضاً، وقد قيل ليس بشعر، وإنما هى أشطار أبيات، وإنما الرَّجَزُ الذى هو شِعْرٌ سُداسِيُّ الأجزاء، نحو مَقْصُورةِ ابن دُرَيدٍ[1] أو رباعى الأجزاء نحو قول الشاعر:

يا مرْ يا خَيْرَ أخٍ نازَعْتَ دَرَّ الحَلَمَه

---

(١) من جيد شعر ابن دريد المقصورة التى يمدح بها الشاه ميكائيل وولديه وهو الأمير أبو العباس إسماعيل بن عبد الله بن ميكائيل رئيس نيسابور، أحاط فيها بأكثر المقصورة: وأولها:

إما ترى رأسى حاكى لونه طرة صبح تحت أذيال الدجى

وقد اعتنى بشرحها كثير من المتقدمين والمتأخرين منهم العلامة أحمد بن خالويه. ولكن أولها فى المطبوعة:

ياظبية أشبه شىء بالمها ترعى الخزامى بين أشجار النقا

. . . .

واحتج من قال فى مَشْطُورِ الرَّجز أنه ليس بِشِعْرٍ أنه قد جرى على لسان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكان لا يجرى على لسانه الشعر ، وقد روى أنه أنشد هذا الرجز الذى قاله ابن الأكوع فى هـذا الحديث ، وقال أيضاً إمّا مُقَمَّدَ وإما مُنْبِسًا :

هل أنتِ إلَّا إصْبَعٌ دَمِيتِ   وفى سَبِيــلِ الله ما لَقِيتِ

وفى هذا الرجز من غير رواية ابن إسحاق مما وقع فى البُخارى وغيره :

فاغفرْ فِداء لك[1] ما أبْقَيْنا

ويروى ما اقْتَفَيْنَا أى[2] : ما تَتَبَّعْنَا من الخطايا ، من قَفَوْتُ الأثر ، واقْتَفَيْتُه. وفى التنزيل : ﴿ ولا تَقْفُ ما ليس لك به عِلْمٌ ﴾ ، وأما قوله : ما أبقينا ، أى : ما خَلَّفْنَا مِمَّا اكْتَسَبْنا ، أو يكون معناه : ما أبْقَيْنَا من الذنوب ، فلم تُحَقِّقْ التوبةَ منه كما ينبغى .

وقوله فداء لك قد قيل : إن الخطابَ للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أى : اغفر لنا تقصيرَنا فى حقك وطاعتك ، إذ لا يتصور أن يُقـال لله تبارك وتعالى مثلُ هذا الـكلام ، وذلك أن معنى قولهم : فداء لك أى : فداء لك أنفسُنا وأهلُونا ، وحذف الاسم المبتدأ لـكثرة دَوْرِه فى الـكلام مع العلم به ، وإنمـا

(١) قد تـكون فداء مرفوعة على أنها مبتدأ .

(٢) هذه رواية مسلم والبخارى فى الأدب ، وللقابسى : ما اتقينا ، وفى رواية ما اتقينا ، أى ما تركنا من الأوامر . وما ظرفية .

رفع المسيرهم

يَفدى الإنسانُ بنفسه مَنْ يجوز عليه الفناء .

استعمال الكلمة في غير موضعها :

وأقرب ماقيل فيه من الأقوال إلى الصواب أنها كلمةٌ يترجَم بها عن محبة وتعظيم، فجاز أن يخاطَب بها مَنْ لا يجوز فى حقِّه الفداء ، ولا يجوز عليه الفناء قصداً لإظهار المحبة والتعظيم (١) له ، وإن كان أصلُ الكلمة ماذكرنا ، فرُبَّ كلمةٍ تُرِكَ أصلُها ، واستُعمِلَتْ كالمَثَل فى غير ماوُضِعَتْ له أوَّلُ ، كما جاءوا بلفظ القَسَم فى غير موضع القسم، إذا أرادوا تعجباً واستعظاماً لأمر، كقوله عليه السلامُ فى حديث الأعرابى من رواية إسماعيل بن جعفر . أفلحَ وأبيه إن صَدَق ، ومُحالٌ أن يَقصُد صلى الله عليه وسلم القسَمَ بغير الله تبارك وتعالى ، لاسيما برجلٍ مات على الكفر ، وإنما هو تعجب من قول الأعرابى ، والمُتعجَّب منه هو مُستَعظَمٌ ، ولفظ القَسَمِ فى أصل وضعِه لما يُعظَّم ، فاتُّسِع فى اللفظ حتى قيل على هذا الوجه . وقال الشاعر :

فإن تَكُ لَيلى استَودَعَتنِى أمانة فـلا وأبى أعدائها لا أخُونُها

لم يُرِدْ أن يُقسِم بأبى أعدائها ، ولكنه ضَربٌ من التعجُّب ، وقد ذهب أكثرُ شرَّاح الحديث إلى النسخ فى قوله أفلح وأبيه ، قالوا نَسخَه قوله عليه السلام : لاتحلِفُوا بآبائكم ، وهذا قولٌ لايصح ، لأنه لَمْ يثبُتْ أن النبىَّ صلى الله عليه وسلم ـ كان يَحلِف قبل النَّسخ بغير الله ، ويُقسِم بقومٍ كُفَّارٍ ، وما أبعد هذا من شِيمتِه ـ صلى الله عليه وسلم ـ تالله مافعل هذا قط (٢) ، ولا كان

(١) هذا كلام محمد بن على بن عمر التميمى المازرى

(٢) هذا كلام ممتاز لأن القسم بغير الله كفر ...

. . . .

له بخلق . وقال قوم: رواية إسماعيل بن جعفر مُصَحَّفَه ، وإنما هو أفلح والله إن صدق . وهذا أيضاً مُنْكَرٌ من القول ، واعتراض على الأثباتِ العُدول فيما حفِظوا[1] ، وقد خرج مسلم فى كتاب الزكاة قولَه عليه السلام لرجل سأله: أيُّ الصَّدَقَةِ أفضل ؟ فقال : وأبيك لأُنَبِّئَنَّكَ أو قال لأُخْبِرَنَّكَ ، وذكر الحديث ، وخرج فى كتاب البِرِّ والصِّلَة قوله لرجل سأله : مَنْ أحَقُّ الناسِ بأن أبَرَّهُ ، أو قال : أصِلُه ؟ فقال : وأبيك لأُنَبِّئَنَّكَ، صِلْ أُمَّكَ ، ثم أباك ثم أدناك فأدْناك ، فقال فى هذه الأحاديث كما ترى وأبيك ، فلم يأت إسماعيل ابن جعفر إذاً فى روايته بِشَىْء إمْرٍ ، ولا بِقَوْلٍ بِدْعٍ ، وقد حمل عليه فى روايته رجلٌ من عُلَماء بلادنا وعظماء مُحَدِّثيها ، وغفل ـ عفا الله عنه ـ عن الحديثين اللذين تقدم ذكرهما ، وقد خَرَّجهما مُسْلِمُ بنُ الحَجَّاج . وفى تراجم أبى داود فى كتاب الأيمان فى مصنفه مايدل على أنه كان يذهب إلى قول من قال بالنسخ، وأن القَسَم بالآباء كان جائزاً ، والذى ذكرناه ليس من باب الحَلِفِ بالآباء كما قدمنا ، ولا قال فى الحديث : وأبى ، وإنما قال : وأبيه ، أو وأبيك بالإضافه إلى ضمير المخاطَب أو الغائب ، وبهذا الشرط يخرُجُ عن معنى الحَلِفِ إلى معنى التعجب الذى ذكرناه[2] .

---

(١) ولم لا يكون الأمر أنه قد تغذَّى على النساخ حروف أبيه بحروف الله ؟ وليس فى هذا أى طعن على العدول .

(٢) وأكثر هذا الرجز الذى جر كل هذا نسبه البخارى فى الجهاد إلى عبد الله بن رواحة . ولكن هنا زيادات عما نسب إلى ابن رواحة . والبخارى فى غزوة خيبر رواية فيها اختلاف عما روى ابن إسحاق هنا من هذا الرجز فراجعه

. . . .

الإسناد عن عطاء بن أبي مروان :

وذكر ابنُ إسحاق حديثَه عليه السلام حين أشرف على خَيْبَر ، وقال : فى إسنادِه عن عَطاء بن [أبى] مَرْوَانَ ، وهذا هو الصحيح فى هذا الإسناد ، لأن عطاء بن أبى مَرْوان الأسْلَمِىّ معروفٌ فى أهل المدينة يكنى أبا مُصْعَب، قاله البخارى فى التاريخ ، وبعض من يَرْوى السيرة يقول فى هذا الإسْنادعن عَطاء ابن أبى رَبَاح ، عن مَرْوَان الأسْلَمى والصحيح ما قدمناه .

المكاتل :

فصل : وذكر حديثَ أنسٍ حين استَقْبلتهم عُمّالُ خَيْبَرَ بمساحيهم ومَكَاتِلِهم المكاتِل : جمع مِكْتَلٍ وهى القُفَّة العظيمة ، سُمِّيَتْ بذلك لتَكَتُّلِ الشىء فيها ، وهو تلاصُقُ بعضه ببعض ، والكُتْلَةُ من التمر ونحوه فصيحة ، وإن ابتذَلَتْها العامَّة .

خربت خيبر :

وقول النبي صلى الله عليه وسلم حين رآهم : الله أكبر خَرِبَتْ خَيْبَرُ . فيه إباحة التَّفَاؤُل وقوةٌ لمن استجاز الرَّجَزَ ، وقد قدمنا فى ذلك قولًا مُقْنِعاً ، وذلك أنه رأى المَسَاحِىَ والمَكَاتِلَ وهى من آلة الهَدْمِ والحفر مع أن لفظ المِسْحاةِ من سَحَوْتُ الأرضَ إذ قَشَرْتُها ، فدل ذلك على خَرَابِ البَلْدَةِ التى أشرف عليها[1] ، وفى غير رواية ابن هشام قال : حين ذكر المساحى : كانوا

---

(١) وأشرف من هذا ماذكره الحافظ فى الفتح : ويحتمل أن يكون قال : خربت خيبر بطريق الوحى ، ويؤيده قوله بعد ذلك : إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين، وقد اقتبس من القرآن فى كلامه .

يُؤَتُّونَ الماءَ إلى زَرْعهم معناه : يَسُوقُونَ . والأَتِيُّ هي الصافية(١) .

الخميس :

وقولُ اليهود : محمدٌ والخميس ، سمى الجيشُ العظيمُ خَمِيساً ، لأن له ساقَةً ومُقَدِّمة ، وجناحين(٢) وَقَلْباً ، لامن أجْلِ تخميس الغنيمة ، فإن الخُمُسَ من سُنَّةِ الإسلام ، وقد كان الجيشُ يُسَمَّى خَمِيساً في الجَاهِلِيَّة . وقد ذكرنا الشاهد على ذلك فيما تَقَدَّم .

تدنى الحصون :

وقوله : يَتَدَنَّى الحصون ، أي يأخذ الأدنى فالأدنى .

حكم أكل لحوم الحمر الأهلية والخيل :

وذكر نهيه عليه السلام عن أكل لحوم الحمر الأهلية ، وحديثُ جابر أنه نهى عليه السلام يوم خَيْبَرَ عن أكلِ لحوم الحُمُر الأهْلِيَّة ، وأرْخَصَ لهم في لحوم الخيل ، أما الحُمُرُ الأهلية فمجتمَعٌ على تحريمها إلا شيئاً يُرْوَى عن ابنِ عبَّاسٍ وعائشة ، وطائفةٍ من التابعين . وحُجَّةُ من أباحها قولُه تعالى :

---

(١) في اللسان : الأتى بوزن غنى : النهر يسوقه الرجل إلى أرضه ، وكل مسيل سهلته لماء أتى ، وكل جدول ماء أتى . وأتى الماء — بفتح الهمزة وتشديد التاء مع فتح — وجه له مجرى .

(٢) وكانا يسميان : الميمنة والميسرة .

. . . .

﴿قل : لا أجِــدُ فيما أُوحِيَ إليَّ مُحَرَّماً على طاعِمٍ﴾ الآيةُ وهي مَـكّيَّة ، وحديثُ النهي عن الحُمُرِ كان بخيبر فهو المبين للآية ، والناسخُ للإباحةِ[1] ، ومن حُجَّتِهِم أيضاً قوله ، صلى الله عليه وسلم لرجل استفتاه في أكل الحمار

---

(١) عجيب والله أمر هؤلاء الذين يزعمون أن رسول الله «ص» يحرم ما أحله الله . وقد أخرج البخارى عن عمرو بن دينار قال : « قلت لجابر بن زيد : يزعمون أن رسول الله « ص » نهى عن الحمر الأهلية ، قال : قد كان يقول ذلك الحكم بن عمر الغفارى عندنا بالبصرة ، ولكن أبى ذلك البحر ابن عباس ، وقرأ : (قل لا أجد فيما أوحى إلى محرماً) وفهم ابن عباس دقيق . ففى الآية حصر لا يأذن لشىء أن يطيف بقدسه ، ولا أن يضاف إلى المحصور ، ومن يتدبر الآية بهدى الإيمان فى قلبه ، والتقديس لما يقول القرآن يجد فهم ابن عباس رضى الله عنه . أو يمكن أن نظن بالقرآن الكريم أن بيانه الحكيم القوى تنهار حكمته وتهى قوته بهذه السهولة ؟ ! (قل : لا أجد فيما أوحى إلى محرماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير ، فإنه رجس أو فسقاً ، أهل لغير الله به ، فمن اضطر غير باغ ولا عاد ، فان ربك غفور رحيم) الأنعام: ١٤٥ . وقد ورد بعدها ما حرم الله على الذين هادوا . فتدبر النفى السابق للفعل أجد ، ثم كلمة إلا ليتبين أن الآية تؤكد بهذا البيان المحكم أن الله سبحانه لم يحرم شيئاً غير ما ورد فى الآية القرآنية. ثم إذا تبين بالدليل القطعى الذى تؤيده التجربة أو الواقع أن شيئاً ما يضر الناس تناوله ، فانه يكون محرماً بنص آية أخرى حيث وصف الرسول صلى الله عليه وسلم فى سورة الأعراف بأن « يحل الطيبات ويحرم الخبائث » فكل طيب حلال ، وكل خبيث حرام بهذا النص .

هذا ولا يصح ترديد أن الحديث ينسخ القرآن ، وإلا بهتناه صلى الله عليه وسلم ، بأنه كان يتقول على الله بعض الأقاويل. وأضرع إلى الله أن يفتح القلوب لكلمة الحق هذه ، فلا يرجمنا بسببها قوم لا نكن لهم إلا ما نكن الصفاء والحب والخير .

الأهلي ، يقال في اسمه : غالب بن أَبْجَر الْمُزَنِي : أَطْعِم أهلكَ من سَمِين مالِك[1] ، وهو حديثٌ ضعيفٌ لا يُعارَض بمثله حديثُ النهي مع أنه مُحتَمِلٌ لتأويلين ، أحدهما : أن يكون الرجلُ ممن أصابته مَسْغَبَةٌ شديدةٌ ، فأرخَصَ له فيه ، أو يكون ذلك منسوخاً بالتحريم ، على أن بعضَ رُوَاةِ الحديث زاد فيه بياناً ، وهو قوله عليه السلام للرجل : إنما نهيت عن حوالى القَرْيَةِ أو جوالى[2] القرية على اختلافٍ في الرواية ، وأما حديثُ جابرٍ في إباحة لحوم الخيل ، فصحيح ويُعَضِّدُه حديثُ أسماء أنها قالت : ضَحَّيْنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم - بفرسٍ[3] . وقال بإباحة لحومِ الخيلِ الشافعيُّ والليثُ وأبو يُوسُفَ وذهب مالكٌ والأَوْزَاعِيُّ إلى كَرَاهَةِ ذلك ، وقد رُوِي من طريقِ خالد بن الوليد أنه عليه السلام نهى عن أَكْلِ لُحُومِ الْحُمُرِ الأَهْلِيَّة والبغالِ والخيلِ ، وقد خرَّجه أبو دَاوُود ، وحديث الإباحة أصحُّ غير أن مالكا رحمه الله نَزَعَ بآيةٍ من كتابِ الله ، وهى أن الله جلَّ ذِكْرُه ذكر الأنعام ، فقال : ﴿ ومنها تأكلون ﴾ ثم ذكر الخيل والبغال والحمير فقال : ﴿ لِتَرْكَبُوها وزِينَةً ﴾ وهذا انْتِزَاعٌ حَسَنٌ . ووجْه الدليل من الآية أنه قال : ﴿ والأنعامَ

---

(1) أخرجه أبو داود وفيه « أطعم أهلك من سمين حمرك » ولست أدرى كيف يحرم الحمار الأهلي ، ويقال يحل أكل الحمار الوحشي ؟ !

(2) هى جوال بفتح الجيم والواو وتشديد اللام جمع جالة مثل دواب وسوام وهوام جمع دابة وسامة وهامة . والجوال هى التى تأكل العذرة .

(3) عن أسماء بنت أبى بكر قالت : « ذبحنا على عهد رسول الله «ص» فرساً ونحن بالمدينة ، فأكلناه » متفق عليه .

. . . .

خلقها لكم فيها دفء ومنافع ﴾ النحل : ٥ فذكر الدفء والمنافع والأكل ، ثم أفرد الخيل والبغال والحمير بالذكر ، ثم جاء بلام العلة والنسب ، فقال : لتركبوها ، أى لهذا سخرتها لكم ، فوجب أن لا يتعدى ما سخرت(١) له ، وأما نهيه يوم خيبر عن لحوم الجلالة وعن ركوبها(٢) ، فهى التى تأكل الجلة وهو الروث والبعر ، وفى السنن للدارقطنى أنه عليه السلام نهى عن أكل الجلالة ، حتى تعلف أربعين يوماً ، وهذا نحو مما روى عنه عليه السلام أنه كان لا يأكل الدجاج المخلاة ، حتى تقصر ثلاثة أيام . ذكره الهروى .

الورق :

وذكر فى الحديث نهيه عليه الصلاة والسلام عن بيع الفضة بالفضة ، وإباحة بيع الذهب بالورق ، فدل على أن الورق والفضة شىء واحد ، وقد فرق بينهما أبو عبيد فى كتاب الأموال ، فقال : الرقة والورق ما كان سكة مضروبة ، فإن كان حليا أو حلية ، أو نقرا(٣) لم يسم ورقا ، يريد بهذه التفرقة أن لا زكاة فى حلى الفضة والذهب ، لأن النبى — صلى الله عليه

(١) وإن كانت اللام للعلة ، فإنها لا تفيد الحصر فى الركوب والزينة ، فإنه ينتفع بالخيل فى غيرهما ، وفى غير الأكل اتفاقاً .

(٢) عن ابن عمر قال . « نهى رسول الله « ص » عن أكل الجلالة وألبانها » رواه الخمسة إلا النسائى . وفى رواية أن رسول الله « ص » نهى عن الجلالة فى الإبل أن يركب عليها ، أو يشرب من ألبانها . رواه أبو داود .

(٣) جمع نقرة ، وهى القطعة المذابة من الذهب والفضة ، وقيل : هو ما سبك مجتمعاً منها .

رفع المسيهما

. . . .

وسلم – حين ذكر الزّكاة قال : فى الرِّقَةِ الخُمس[1] ، وحين ذكر الرّبا قال الفِضَّةُ بالفِضَّة .

قال المؤلف : وفى هذا الحديث الذى ذكره ابن إسحاق ، وفى أحاديث سواه قد تتبعتها مايدل على خلافِ ما قال ، منها قوله عليه السلام فى صفة الحوضِ : يَصُبُّ فيه مِيزَابَانِ من الجَنَّة أحدُهما [من ذهب والآخر] من وَرِقٍ[2] ، وفى حديث عَرْفَجَةَ حين أصيب أنفهُ يوم الكُلَابِ قال : فاتخذتُ أنفاً من وَرِقٍ[3] الحديث ، فى شواهدَ كثيرةٍ تدل على أنّ الفِضَّةَ تُسمّى وَرِقاً على أىِّ حال كانتْ .

---

(١) زكاة الفضة هى ربع العشر ، ففى حديث رواه أحمد وأبو داود والترمذى « هاتوا صدقة الرقة من كل أربعين درهما درهما » وفى حديث آخر رواه البخارى « فى الرقة – بكسر الراء وتخفيف القاف – وهى الفضة الخالصة – فى مائتى درهم ربع العشر وهذا حر .

(٢) من حديث رواه مسلم .

(٣) لما اتخذ أنفاً من ورق أنتن ، فاتخذ أنفاً من ذهب ، وقد ظنه الأصمعى ورقا بفتح الراء ، ظناً منه أن الفضة لا تنتن ، وخطأه القتبى . والكلاب بضم القاف وفتح اللام اسم ماء كان به يوم من أيام العرب بين البصرة والكوفة . قال أبو عبيد : كلاب الأول وكلاب الثانى يومان كانا بين ملوك كندة ، وبنى تميم وفيه أسرت بنو تميم عبد يغوث بن أبى وقاص الحارثى فقال قصيدته اليائية التى أولها :

ألا لا تلومانى كفى اللوم مابيا   فما لكما فى اللوم خير ولا ليا

ومنها

جزى الله قومى بالكلاب ملامة   صريحهم والآخرين المواليا =

وقوله: بالذَّهَبِ الْعَيْنِ والورِقِ العَيْنِ، يريد النقد، لأنَّ الغائبَ تُسمَّى ضِماراً، كما قال، وعَيْنُه كالكالىء الضِّمار[1]، وسمى الحاضر: عَيْناً لوضع المُعايَنَة، فالعَيْن فى الأصلِ مَصْدرُ عِنْته أعينُه إذا أبصرته بعينك، وسُمِّى المفعولُ بالمصدرِ، ونَحْوٌ منه الصَّيْدُ، لأنه مصدر صِدْتُ أَصِيدُ، وقد جاء فى التنزيل: ﴿ لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وأَنْتُمْ حُرُمٌ ﴾ للمائدة: ٩٥ فَسَمَّاه بالمصدر، ولعلك أن تلحظ من هذا المطلع معنى العَيْنِ من قوله تعالى: ﴿ ولِتُصْنَعَ على عَيْنِي ﴾ طه: ٣٩ فقد أمْلَيْنا فيها، وفى مَسْأَلَةِ اليدِ مَسْأَلَتَيْن لا يُعْدَل بقيمتهما الدنيا بحذافيرها[2]

= ويقول ابن دريد عن الكلاب: «والكلاب موضع بالدهناء بين اليمامة والبصرة كانت فيه وقعتان إحداهما بين ملوك كندة الإخوة، والأخرى بين بنى الحارث وبين بنى تميم يذكر ذلك أبو عبيدة فى كتاب الأيام، أنظر ص ٤٥ ح ٢، ص ٢٦٧ ح ٤ البيان للجاحظ، واللسان، وابن الأثير فى مادتى كلب وورق وص ٢١ الاشتقاق لابن دريد.

(١) المال الضمار: الغائب الذى لا يرجى. والكالىء فى حديث أنه نهى عن الكالىء بالكالىء، أى النسيئة بالنسيئة، وذلك أن يشترى الرجل شيئاً إلى أجل، فاذا حل الأجل لم يجد ما يقضى به، فيقول بعنيه إلى أجل آخر بزيادة شىء فيبيعه منه، ولا يجرى بينهما تقابض، يقال: كلأ الدين كلوءاً، فهو كالىء إذا تأخر.

(٢) من خير من كتب عن هذا الإمام ابن القيم فى كتابه «الصواعق المرسلة» فراجعه، وقد سبق القول بأنه يجب الإيمان، بكل ما نسبه إلى نفسه من مثل اليد والعين وغيرهما إيماناً مطمئناً بأن الله سبحانه له كل هذا الذى نسبه إلى نفسه، فله يدان وله عينان، ولكن لا تشبه يده يد، ولا عينه عين، لأنه جل شأنه ليس كمثله شىء.

رفع المسيِّرهما

متى حرم نكاح المتعة ؟!

فصل : ومِمَّا يَتَّصِلُ بحديث النهى عن أكل الحُمُرِ تنبيهٌ على إشكالٍ فى رواية مالكٍ عن ابن شهابٍ، فإنه قال فيها: نهى النبىُّ صلى الله عليه وسلم عن نِكاحِ المُتْعَةِ يوم خَيْبَرَ ، وعن لُحُوم الحُمُرِ الأَهْلِيَّة ، وهذا شىء لا يعرفه أحدٌ من أهلِ السِّيَرِ ، ورواة الأثرِ ، أن المُتْعَةَ حُرِّمَتْ يوم خيبر ، وقد رواه ابن عُيَيْنَةَ عن ابن شهابٍ عن عبدِ الله بن محمد ، فقال فيه : إن النبىَّ صلى الله عليه وسلم - نهى عن أكل الحُمُرِ الأهلية عامَ خَيْبَرَ ، وعن المُتْعَةِ ، فمعناه على هذا اللفظ : ونَهَى عن المُتْعَةِ بعد ذلك ، أو فى غير ذلك اليوم ، فهو إذاً تقديمٌ وتأخير ، وقع فى لفظ ابن شهاب ، لا فى لفظ مالك ، لأن مالكاً قد وافقه على لفظه جماعةٌ من رُوَاةِ ابن شهابٍ ، وقد اختُلِفَ فى تحريم نِكَاحِ المُتْعَةِ فأغْرَبُ ما رُوِى فى ذلك روايةُ مَنْ قال : إن ذلك كان فى غَزْوَةِ تَبُوك ، ثم رواية الحسنِ أن ذلك كان فى عُمْرَةِ القَضَاء ، والمشهورُ فى تحريم نِكَاحِ المُتْعَةِ روايةُ الربيع بن سَبْرَةَ[1] عن أبيه أن ذلك كان عامَ الفَتْح . وقد خرَّجَ مُسلِم الحديث بطوله[2] وفى هذا أيضاً حديثٌ آخرُ خرجه أبو داود أن تحريمَ

(١) نص النووى فى التهذيب على ضبطها بفتح السين وسكون الباء ، وضبطت فى نيل الأوطار بضمها .

(٢) ورواه أيضاً أحمد . هذا وقد روى عن ابن مسعود أنه قال : « كنا نغزو مع رسول الله « ص » ليس معنا نساء ، فقلنا : ألا نختصى ، فنهانا عن ذلك ، ثم رخص لنا أن ننكح المرأة بالثوب إلى أجل ، ثم قرأ عبد الله : (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم) الآية . متفق عليه . وعن =

رفع
المسهم

. . . .

نِكَاحِ الْمُتْعَة كان فى حجـــة الوداع ، ومن قال من الرُّواة كان فى غزوة

= أبى جمرة قال : « سألت ابن عباس عن متعة النساء فرخص ، فقال له مولى له : إنما ذلك فى الحال الشديد وفى النساء قلة أو نحوه ، فقال ابن عباس : نعم » رواه البخارى .

وقد روى ابن حزم فى المحلى عن جماعة من الصحابة غير ابن عباس ، فقال : وقد ثبت على تحليلها بعد رسول الله « ص » جماعة من السلف منهم من الصحابة: أسماء بنت أبى بكر ، وجابر بن عبد الله وابن مسعود وابن عباس ومعاوية وعمرو بن حريث وأبو سعيد وسلمة إبنا أمية بن خلف ، ورواه جابر عن الصحابة مدة رسول الله ومدة أبى بكر ومدة عمر إلى قرب آخر خلافته ، وروى عنه أنه إنما أنكرها إذا لم يشهد عليها عدلان فقط ، وقال بها من التابعين : طاوس وعطاء وسعيد بن جبير وسائر فقهاء مكة . وقال ابن المنذر : جاء عن الأوائل الرخصة فيها ، ولا أعلم اليوم أحداً يجيزها إلا بعض الرافضة » .

وقال عياض : « ثم وقع الإجماع من جميع العلماء إلا الروافض » وقال ابن بطال : « روى أهل مكة واليمن عن ابن عباس إباحة المتعة ، وروى عنه الرجوع بأسانيد ضعيفة ، وإجازة المتعة عنه أصح ، وهو مذهب الشيعة . ونقل البيهقى عن جعفر بن محمد أنه سئل عن المتعة فقال : هى الزنا بعينه » وقال القرطبى « الروايات كلها متفقة على أن زمن إباحة المتعة لم يطل ، وأنه حرم ، ثم أجمع السلف والخلف على تحريمها إلا من لا يلتفت إليه من الروافض » انظر ص ١٣٥ ح ٦ نيل الأوطار . أقول : وقد أسرفت فئات من الآخذين بحلها فأحالوها زنا بأجر ، وبغاء فاجر الفسوق ، أيتفق وقداسة الإسلام . وجلال هديه ، وسمو الصفاء فى روحانيته ، أن يتصل رجل بامرأة أياماً أو أشهراً ثم يتركها بما حملت ؟ ! ترى لمن ينتسب هذا الجنين ؟ وكيف يعيش وتعيش أمه ، وهى لا تعرف لابنها أباً ، وهـــو لا يدرى له أباً ؟ وأية علاقة بالغة السوء تكون بينه وبين أمه . ومن سيرث يا ترى ؟ تلك هى نكبة الزنا بعينه .

وإذا قمنا وجوهنا وأفكارنا وقلوبنا لله فى كتابه ، فإنا لا نجد فى الذكر =

أوطاس ، فهو موافقٌ لمن قال عام الفتح ، فتأمله والله المُسْتَعَانُ .

وذكر قوله ـ عليه السلام ـ : لَأُعْطِيَنَّ الراية غداً رَجُلاً يُحِبُّ الله ورسوله

= الحكيم شيئاً مما يروج له دعاة المتعة ، أو دعاة الفسوق . فقوله سبحانه فى سورة النساء (فما استمتعتم به منهن ، فآتوهن أجورهن فريضة) هذا القول ليس نصاً لا من بعيد ، ولا من قريب يدل على إباحة المتعة ولا بإشارة من قهم إلا فهم الذين يبتغون البغاء اليوم فى إباحة المتعة ، فالله سبحانه قد بين فى الآية ما يحل من نكاح النساء فى مقابلة ما حرم فيما قبلها . وفى صدرها . ويبين أنه إذا استمتع الإنسان بامرأة أحلها الله فيمن أحل أى تزوجها فعليه الأجر ، وهو المهر . ولو تدبرنا قوله جل شأنه فى صفات المؤمنين (والذين هم لفروجهم حافظون . إلا على أزواجهم ، أو ما ملكت أيمانهم ، فإنهم غير ملومين . فمن ابتغى وراء ذلك ، فأولئك هم العادون) المؤمنون ٦،٥ . لو تدبرنا هذا لعلمنا أن هذه المتعة بالمعنى الذى فسروه بها أمر باطل . فما ثم فى الآية إلا نوعان : زوجات وملك يمين ، فأين نضع صاحبة المتعة بين هذين النوعين ؟ ؟ لا يمكن اعتبارها زوجة لأن الزواج شروطه المبينة فى القرآن وهذه الشروط لا تنطبق على صاحبة المتعة ، ولا يمكن اعتبارها أمة ، فمن ابتغى وراء هذين فهو من العادين . ويقول الإمام ابن القيم « ولم يحرم المتعة يوم خيبر ، وإنما كان تحريمها عام الفتح ، هذا هو الصواب ، وقد ظن طائفة من أهل العلم أنه حرمها يوم خيبر ، واحتجوا بما فى الصحيحين ، ثم ذكر ما ورد فى الصحيحين ، ثم ضعف رأى القائلين بأنها حرمت ، ثم أبيحت ثم حرمت ثم قال : « وقصة خيبر لم يكن فيها الصحابة يتمتعون باليهوديات ، ولا استأذنوا فى ذلك رسول الله « ص » ، ولا نقله أحد قط فى هذه الغزوة ، ولا كان للمتعة فيها ذكر البتة ، لا فعلا ولا تحريماً بخلاف غزاة الفتح . فإن قصة المتعة كانت فيها فعلا وتحريماً مشهورة ، وهذه الطريقة أصح الطريقتين » ص ٣٤٦ ح ٢ زاد المعاد .

. . . .

وَيَفتحُ على يَدَيه ، وفى غير رواية ابن إسحاق : فبات الناسُ يَدُوكُونَ أيُّهم يُعطاها(١) ومعناه من الدَّوكَةِ ، والدَّوْكَةُ ، وهو اختلاطُ الأصواتِ .

على ودعاء الرسول صلى الله عليه وسلم :

وذكر أن عَلِيًّا - رضى الله عنه - انطلق بالراية يَأْنِح ، وفى غير رواية ابن إسحاق يَؤُجُّ ، فمن رواه يَأْنِح ، فهو من الأنيح وهو عُلُوُّ النَّفَسِ ، يقال فَرَسٌ أَنُوحٌ من هذا ، ويُروى عن عُمَرَ - رضى الله عنه - أنه رأى رجلا يَأْنِح بِبُطْنِه ، فقال : ما هذا ؟ فقال : بَرَكَةٌ من الله ، فقال : بل هو عذاب عَذَّبك به ومن رواه يَؤُجُّ ، فمعناه : يُسْرِع ، يقال : أَجَّتْ الناقةُ تَؤُجُّ إذا أسرعت فى مَشْيِها ، وزاد الشَّيْبَانِىُّ عن ابن إسحاق فى هذا الحديث حين ذكر أنَّ عَلِيًّا كان أَرْمَدَ ، وأن النبى صلى الله عليه وسلم - تَفَل فى عَيْنَيْه فبرأ ، قال : فما وَجِعَتْ عينُه حتى مضى سبيله(٢) ، قال : وكان عَلِيٌّ يلبس القَبَاءَ المَحْشُوَّ الثَّخِين فى شِدَّةِ الحَرِّ ، فلا يُبالى بالحَرِّ ، ويلبس الثوبَ الخفيفَ فى شِدَّةِ البَرْدِ ، فلا يبالى بالبرد ، وسئل عن ذلك ، فأخبر أن النبىَّ - صلى الله عليه وسلم - دعا له يوم خَيْبَرَ حين رَمِدَتْ عينه أن يَشْفِيه الله ، وأن يُجَنِّبه الحرَّ والبردَ ، فكان ذلك .

صاحب المغانم وابن مغفل :

فصل : وذكر حديثَ عبدِ الله بن مُغَفَّلٍ حين احتمَلَ جِرابَ الشَّحْم ،

---

(١) فى حديث أبى حازم عن سهل بن سعد فى البخارى .

(٢) فى الدلائل للبيهقى : فما وجعها حتى مضى لسبيله ، أى : مات .

. . . .

وأرادَ صاحبُ المغانم أخذَه منه ، ولم يذكر اسم صاحبِ المغانم ، وروى عن ابن وَهْبٍ أنه قال : كان على المغانم يوم خَيبرَ أبو اليَسَر كَعبُ بن عَمرو بن زيد الأنصاري هكذا وجدتُه في بعض كتبِ الفقه مَرْوِيًّا عن ابن وَهْبٍ ، ولم يتصل لي به إسناد .

الصفي والمرباع :

فصل: وَذَكَر صَفِيَّةَ بنتَ حُيَيّ ، وأمُّها بُرْدَةُ بنت سَمَوْأل، أخت رِفَاعَة ابن سَمَوْأل المذكور في الْمُوطَّأ ، وأنه اصطفاها لنفسه ، وفي حديث آخَرَ عن عائِشَةَ قالت : كانت صَفِيَّةُ من الصَّفِيِّ ، والصَّفِيُّ ما يصطفيه أمير الجيش لنفسه قال الشاعر [عبدُ الله بن غَنَمَةَ الضَّبيُّ يُخاطب بِسْطَامَ بنَ قيس] :

لك المِرْبَاعُ منها والصَّفَايَا [وحكمك والنشيطة والفُضول(١)]

فالمِرْبَاعُ رُبْع الغَنيمة .والصَّفِيُّ ما يُصْطَفَى للرئيس ، وكان هذا في الجاهلية، فَنُسِخَ المِرْبَاعُ بالخُمس وبقي أمرُ الصَّفِيِّ .

مصدر أموال النبي صلى الله عليه وسلم ، وزواجه من صفية :

وكانت أموالُ النبي صلى الله عليه وسلم من ثلاثة أوجه : من الصَّفِيِّ ، والهَدِيَّة تُهْدَى(٢) إليه ، وهو في بيته لا في الغزو من بلاد الحربِ ، ومن

---

(١) الزيادة التي بين قوسين من اللسان مادة « نشط وصفي » .

(٢) روى أحمد وأبو داود وصححه ابن حبان والحاكم من طريق أبي أحمد=

. . . .

خُمسِ الْخُمُسِ ، وروى يُونسُ عن إبراهيمَ بنِ إسماعيل بن مُجَمِّع الأنصاريِّ، قال : حدثنى عُثْمانُ بن كَعْبٍ القُرَظِيُّ، قال: حدثنى رجلٌ من بنى النَّضير ، كان فى حِجْرِ صَفِيَّة بنت حُيَيٍّ مِنْ رَهْطِها، قال له: ربيع، عن صَفِيَّة بنت حُيَيٍّ قالت : ما رأيته أحداً قَطُّ أحسن خُلُقاً مِنْ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، لقد رأيته رَكِبَ بى من خَيْبَرَ حين أفاء اللهُ عليه على ناقته ليلا فجعلت أَنْعُسُ فيضربُ رأسِى مُؤْخِرَةَ الرَّحْلِ ، فَيَمَسُّنِى بيده ، ويقول : يا هٰذِهِ مَهْلًا يا ابنةَ حُيَيٍّ ، حتى إذا جاء الصَّهْبَاء[1] ، قال : أمَا إنى أعْتَذِر إليكِ يا صَفِيَّةُ مما صنعتُ بقومكِ ، إنهم قالوا لى : كذا ، وقالوا لى : كذا . وحديثُ اصطفائه صفيةَ يعارضُه فى الظاهر الحديثُ الآخر عن أنسٍ أنها صارت لدحية فأخـــذها منه ، وأعطاه سَبْعَةَ أَرْؤُسٍ ، ويروى أنه أعطاه بِنْتَيْ عَمِّها عِوَضاً منها ، ويروى أيضاً أنه قال له : خُذْ رأساً آخر مكانَها[2] ، ولا مُعارَضَةَ بين الحديثين ، فإنما أخذها من دِحْيَةَ

= الزبيدى عن سفيان الثورى عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : كانت صفية من الصفى، وقد فسره ابن سيرين فيما أخرجه أبو داود بإسناد صحيح عنه قال : كان يضرب للنبي « ص » بسهم مع المسلمين ، والصفى يؤخذ له رأس من الخمس قبل كل شيء . ومن طريق الشعبي قال : كان للنبي « ص » سهم يدعى الصفى إن شاء ، عبداً ، وإن شاء أمة ، وإن شاء فرساً يختاره من الخمس . ومن طريق قتادة : كان النبي « ص » إذا غزا كان له سهم صاف يأخذه من حيث شاء ، وكانت صفية من ذلك السهم .

(١) الصهباء موضع بينه وبين خيبر بريد كما ذكر ابن سعد ، وهي التي بنى فيها رسول الله « ص » بصفية كما جاء فى البخارى وفى رواية عند سد الروحاء .

(٢) قد ذكر البخارى فى رواية له أن صفية كانت فى السبي ، فصارت إلى =

رفع المسيرهم

. . . .

قبل القَسْم : وما عَوَّضه منها ليس على جِهَةِ الْبَيْع ، ولـكن على جِهَة النَّفَل والْهِبَة ، والله أعلم. غير أن بعض رُواةِ الحديث فى المسنَد الصحيح يقولون فيه : إنه اشترى صَفِيَّة من دِحْيَة ، وبعضهم يزيد فيه : بعد القَسْم ، فالله أعلم أى ذلك كان .

وكان أمر الصَّفِيّ أنه كان عليه السلام إذا غزا فى الجيشِ اختار من الغَنيمة قبل القَسْم رأساً وضُرب له بَسَهْمٍ مع الْمُسْلِمين ، فإذا قَعَدَ ، ولم يخرج مع

= دحية ، وفى رواية أن دحية جاء إلى رسول الله « ص » فقال : أعطنى يارسول الله جارية من السبى ، قال اذهب ، فخذ جارية ، فأخذ صفية ، فجاء رجل ، فقال : يارسول الله : أعطيت دحية صفية سيدة قريظة والنضير ، لا تصلح إلا لك ، قال : ادعوه بها ، فجاء بها ، فلما نظر إليها « ص » قال : خذ جارية من السبى غيرها ، ثم صارت إلى النبى « ص » فتزوجها ، فجعل عتقها صداقها ، ورواية سبعة أرؤس رواية مسلم عن أنس نفسه الذى روى عنه البخارى أنه أعطاه جارية !! ولاشك فى أن تصرف الرسول صلى الله عليه وسلم فوق ماقيل نبلا وحكمة وسموا فالرجل العظيم الذى اصطفاه الله للنبيين خاتماً ، واستطاع - بتوفيق الله - تطبيق القرآن كما أمر الله ، وأنشأ به خير أمة أخرجت للناس . هذا الإنسان العظيم لا يجوز أن يقال عنه إن جمال صفية هو الذى دعاه إلى هذا التصرف .

إن هذا التصرف قد يترفع عنه قائد عسكرى ممتاز الخلق . فما بالك بنبى هو خاتم النبيين يصفه الله بأنه على خلق عظيم؟ ومن خير مايقال هنا ماذكر الحافظ فى الفتح لو أن رسول الله « ص » خص بها دحية - وهى كما روى ابن سعد من أضوأ ما يكون من النساء - لأمكن تغير خاطر بعض الصحابة ، فكان من المصلحة العامة ارتجاعها منه ، واختصاصه عليه الصلاة والسلام ، فإن فى ذلك رضا الجميع ص ٢٣٢ ج ٢ المواهب ، وانظر ما كتب العقاد عنها ص ١٩٣ حقائق الإسلام ط ١ .

رفع المسيهم

. . . .

الجيش ضُربَ له بِسَهْمٍ ، ولم يكن له صَفِيٌّ ، ذكره أبو داود ، وأَمْرُ الصَّفِيِّ بعد الرسول عليـــه السلام لإمام المسلمين فى قول أبى ثَوْرٍ ، وخالفه جمهورُ الفقهاء ، وقالوا : كان خُصُوصاً للنبى عليه السلام(١) .

صداق صفية :

وقوله : أَعْتَقَها ، وجَعَلَ عِتْقَهَا صَدَاقَها ، هو صَحِيحٌ فى النقل ، وقال به كثير مِن العلماء ، ومَنْ لم يَقُلْ به من الفُقهاء تأوّله خُصوصاً بالنبى صلى الله عليه وسلم أو منسوخاً ، ومِمَّن لم يَقُـلْ به مالكُ بنُ أَنَسٍ ، وجماعةٌ سواه لا يَرَوْنَ مُجَرَّدَ العتق يُغْنى عن صَدَاقٍ(٢) .

حنش الصنعانى :

وذكر حديثَ حَنَشٍ الصَّنْعانِيّ عن رُوَيْفع بن ثابت . هو حَنَشُ بن

---

(١) سبق الكلام عن الصفى فى الشرح

(٢) فى حديث متفق عليه عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه أعتق صفية وجعل عتقها صداقها .

وقد ذهب الأكثر إلى عدم صحة جعل العتق مهراً متأولين بأنه «ص» أعتقها بشرط أن يتزوجها ، فوجب له عليها قيمتها ، وكانت معلومة ، فتزوجها بها . والذى يرد هذا التأويل أنه ورد فى مسلم بلفظ «ثم تزوجها . وجعل عتقها صداقها» والحق مع القائلين بعدم صحة جعل العتق صداقاً ، لأن الله يقول : (وآتوا النساء صدقاتهن نحلة ، فإن طبن لكم عن شىء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئا) . فالصداق فرض ، ولا يجوز للمرأة أن تتنازل عنه كله ، بل عن بعضه

. . . .

عَبْد الله السَّبَائِى(١) جاء إلى الأندلس مع مُوسى بن نُصَيْرٍ ، وهو الذى ابْتَنَى جامِعَ سَرَقُسْطَةَ ، وأَسَّسَ جامعَ قُرْطُبَةَ أيضاً ، فيما ذكروا، وتوهم البخارى أنه حَنَشُ بن عَلِيٍّ ، وأن الاختلافَ فى اسم أبيه ، وقد فرّق بينهما عَلِيُّ بن المَدِينِيِّ فقال : حَنَشُ بن عَلِيٍّ السَّبَائِيّ من صَنْعاء الشَّام ، ومنها أبو الأشعثِ الصَّنْعَانِي ، و حَنَشُ بن عَبْدِ الله السَّبَائِيّ من صَنْعاء اليَمن ، وكلاهما يروى عن عَلِيٍّ ، فمن هٰهُنا دَخل الوهمُ على البُخَارِى ، هكذا ذكر أبو بكر الخطيب، ويَرْوِى عن على أيضاً حنشُ بن رَبِيعةَ ، وحَنَشُ بن المُعْتَمِر وهما غـــيرُ هذين(٢) .

وطأ منهى عنه :

وفيه : أن لا تُوطأَ حَامِلٌ من السبايا حتى تَضَعَ ، وذكر باقى الحديث ، وقد ثبت عن النبى - صلى الله عليه وسلم فى حديث آخر أنه نظر إلى أَمَةٍ مُجِحٍّ أى مُقْرِبٍ(٣) ، فسأل عن صاحبها ، فقيل : إنه يُلِمُّ بها ، فقال : لقد هَمَمْتُ أن ألعنه لعنةً تدخُـل معه فى قبره . وذكر الحديث .

---

(١) ضبطها الخزرجى فى خلاصة تذهيب الكمال بدون ألف ، وهى فى تهذيب اللباب السبأى . وقال عنه الخزرجى ابن عبيد الله أو ابن على ، وفى التهذيب : وابن الملقن عبد الله يروى عن على وابن عباس وفضالة بن عبيد مات سنة ١٠٠ .

(٢) فى تذهيب الكمال : حنش بن المعتمر أو ابن ربيعة بن المعتمر الكنانى أبو المعتمر الكنانى .

(٣) هى الحامل التى دنا ولادها . وفى الأصل : مغرب .

رفع المسيٰهم

فهذا وجه فى معنى قوله : لا يَحِلُّ لامْرِئٍ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يَسْقِىَ ماؤه زرعَ غيره، يعنى إتيان الحَبَالَى من السَّبَايا، فإن فعل فالولدُ مختلف فى إلحاقه به ؛ فقال مالك والشافعى : لا يُلْحَق به ، وقال الليث : يُلْحَق به لقول النبى صلى الله عليه وسلم : كيف يَسْتَعْبِدُه ، وقد غذاه فى سَمْعِه وَبَصَره .

على يقتل مرحباً :

فصل : ومما يتصل بقصة مَرْحَبٍ اليَهُودِى مع عَلِىٍّ بن أبى طالب – رضى الله عنه – من غير روايةِ الكِتاب قول على :

أنا الذى سَمَّتْنِى أُمِّى حَيْدَرَهْ
أضْرِبُ بالسَّيْفِ رءوسَ الكَفَرَهْ
أكيلهم بالصَّاع كَيْلَ السَّنْدَرَهْ (١)

(١) هى من رواية يونس عن ابن إسحاق ، وفيها : كليث غابات شديد القسورة . بدلا من الشطرة الثانية . وفيها أيضاً : أكيلكم . وفى رواية البزار : كليث غابات كريه المنظره ، أوفيهم بالصاع كيل السندرة . أنظر ص ١٨٧ وما بعدها ح ٤ البداية والنهاية لابن كثير . وهى فى صحيح مسلم أيضاً . ويقول الحافظ: وخالف أهل السير فى هذا ، فجزم ابن إسحاق وابن عقبة والواقدى بأن الذى قتل مرحباً هو محمد بن مسلمة ، وكذا روى أحمد بإسناد حسن عن جابر . وقيل : إن ابن مسلمة كان بارزه فقطع رجليه . فأجهز على عليه ، وقيل : قاتله هو الحارث أخو مرحب . ولكن الحافظ يميل إلى أن ما فى الصحيح مقدم على ما سواه ، ولا سيا وقد جاء عن بريدة أيضاً عند أحمد والنسائى وابن حبان والحاكم . يقصد أن علياً هو قاتل مرحب.

رفع المسيهم

أى أجزهم بالوَفاء . والسَّنْدرَةَ : شجرةٌ يُصْنَع منها مكاييلُ عِظَامٌ

حيدرة :

وفى قوله رضى الله عنه : سَمَّتنِي أُمِّى حَيْدَرة ثلاثةُ أقوال ، ذكرها قاسم بن ثابت ، أحدها : أن اسمَه فى الكُتبِ المتقدمةِ أسدٌ ، والأسدُ : هو الحَيْدَرَةُ . الثانى : أن أمَّه فاطمةَ بنت أسدٍ حين ولدته كان أبوه غائباً ، فسمَّته ، باسم أبيها أسدٍ ، فقدِم أبوه فسماه عَلِيًّا . الثالث : أنه لُقِّب فى صِغَرِه بحَيْدَرَةَ ، لأن الحَيْدَرَةَ المُمْتَلِى لَحْماً مع عِظَم بَطْنٍ ، وكذلك كان علىٌّ رضى الله عنه ، ولذلك قال بعضُ اللصوص حين فَرَّ من سجنه الذى كان يسمى نافعاً ، وقيل فيه : بافع أيضاً بالياء :

ولو أنى مَكَثْتُ لهم قليلا   لجرُّونى إلى شَيْخٍ بَطِين

من حصون خيبر :

وذكر شَقا والنَّطاةَ وشَقٌّ بالفتح أعْرَفُ عند أهل اللغة كذلك قيده البكرى.

وذكر وادى خاص من أرضِ خَيْبَرَ . وقال أبو الوليد : إنما هو وادى خَلْصٍ باللام ، والأول تصحيف . وقال البكرى : هو خَلْصٌ باللام وأنشد البكرى لخالد بن عامر :

وَإنَّ بخَلْصٍ خَلْصٍ آرَةَ بُدَّنَاً   نواعِمَ كالغِزْلانِ مَرْضَى عيُونُها

الحال المعرفة لفظا :

فصل : وذكر فى أشعارِ خيبرَ قولَ العَبْسىِّ ، وفى آخره :

رفع المسيرهم

. . . .

فَرَّتْ يَهُودُ يوم ذلك فى الوَغَا   تحت العَجاج غمائم الأبصارِ

وهو بيت مُشْكِلٌ غير أن فى بعضِ النسخ ، وهى قليلة عن ابن هشام أنه قال: فرّت فتحت ، من قولك : فررت[1] الدّابة ، إذا فتحت فاها . وغمائم الأبصار ، هى مفعول فرّت ، وهى جُفون أعينهم ، هذا قولٌ ، وقد يصحُ أن يكون فرّت من الفِرارِ ، وغمائم الأبصارِ من صِفةِ العَجاج ، وهو الغُبار ونَصَبه على الحالِ من العَجاج ، وإن كان لفظُه لفظَ المَعْرِفة عند من ليس بشاذٍ فى النحو ، ولا ماهرٍ فى العربية ، وأما عند أهل التحقيق ، فهو نكرة ، لأنه لم يرد الغمائم حقيقةً وإنما أراد مثل الغمائم ، فهو مثل قول امرئ القيس :

بِمُنجَرِدٍ قَيْدِ الأوابدِ هَيْكَلِ[2]

فَقيدُها هُنا نَكِرَةٌ ، لأنه أراد مثل القَيْدِ ، ولذلك نَعَتَ به مُنْجَرِدًا ، أو جعله فى معنى مُقَيِّد ، وكذلك قول عَبْدَة بن الطَّبيب[3] :

تحية من غادرته غَرَضَ الرَّدَى

فنصب غرضاً على الحال : وأصحُّ الأقوالِ فى قوله سبحانه : ﴿ زَهْرَةَ

---

(١) فى الأصل : فرت . وفى اللسان : فر الدابة يفرها كشف عن أسنانها .

(٢) من معلقته ، وأوله : وقد أغتدى والطير فى وكناتها .

(٣) فى الأصل : الطيب ، والتصويب من الأمالى للقالى والسمط للبكرى والبيان للجاحظ .

رفع المسيرهما

. . . .

الحياةِ الدُّنيا ﴾[1] طه : ١٣١ أنه حالٌ من المُضمَر المخفوضِ ، لأنه أرادَ التشبيهَ بالزهرةِ من النبات ، ومن هذا النحو قولُهم : جاء القومُ الجمَّاءَ الغفيرَ انتصب على الحال ، وفيه الألفُ واللامُ ، وهو من باب ماقدمناه من التشبيه ، وذلك أن الجمَّاءَ هى بَيْضَةُ الحديدِ تُعْرَفُ بالجمَّاء والصَّلْعاء ، فإذا جُعِل معها المِغْفَرُ ، فهى غفيرٌ ، فإذا قلت : جاءوا الجمَّاءَ الغفيرَ ، فإنما أردت العمومَ والإحاطةَ بجميعهم ، أى جاءوا جَيْئةً تشولهم وتستوعبهم ، كما تُحيط البيضةُ الغفيرُ بالرأس ، فلما قصدوا معنى التشبيه دخل الكلامُ الكثيرُ كما تقدم ، وكذلك قولُهم : تفرَّقوا أيدِى سَبَأ ، وأيادِى سبأ ، أى : مثل أيدِى سبأ ، فحسُنَتْ فيه الحالُ لذلك ، والذى قلناه فى معنى الجمَّاءَ الغفيرَ رواه أبو حاتم عن أبى عُبيدةَ ، وكان علَّامةً بكلام العرب ، ولم يقع سيبَوَيْهِ على هذا الغرضِ فى معنى الجمَّاء ، فجعلها كلمةً شاذَّةً عن القياسِ ، ولاعتقد فيها التعريفَ وقرنها بباب وَحْده ، وفى باب وَحْده[2] أسرارٌ قد أمليناها فى غير هذا الكتاب .

---

(١) فى إعرابها أقوال: أولها أن تكون منصوباً بفعل محذوف اى جعلنا لهم زهرة ، ثانيها أن تكون بدلا من موضع به، ثالثها : أن تكون بدلا من أزواج والتقدير : ذوى زهرة فحذف المضاف . رابعها : أن يكون النصب على الذم ، أى أذم أو أعنى ، خامسها : أن يكون بدلا من ما ، ولكن يلزم من هذا الفصل بين الصلة والموصول بالأجنبى . سادسها : أن يكون حالا من الهاء . أو من ما ، وحذف التنوين لالتقاء الساكنين، وجر الحياة على البدل من ماء، سابعها: أنه تمييز لما أو الهاء فى به ، حكى عن الفراء وهو غلط «إملاء ما من به الرحمن للعكبرى» .

(٢) قال أبو بكر : وحده منصوب فى جميع كلام العرب إلا فى ثلاثة مواضع تقول : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ومررت بزيد وحده ، وبالقوم =

ومَسْألةُ وَحْدَه تختص بباب وَحْده، وهذا الذى ذكرنا من التَّنكير بسبب التشبيه، إنما يكون إذا شَبَّهْتَ الأول باسم مُضافٍ، وكان التشبيهُ بصفةٍ مُتَعَدِّيةٍ إلى المضاف إليه، كقوله: قَيْدِ الأوابِدِ، أى مُقَيِّد الأوابد، ولو قلت: مررت بامرأة القمرِ على التشبيه لم يجز، لأن الصفة التى وقع بها التشبيهُ غير غير مُتَعَدِّية إلى القمر، فهذا شرطٌ فى هذه المسألة، ومما يَحْسُن فيه التنكير وهو مضاف إلى معرفةٍ اتفاقُ اللفظين كقوله: له صَوْتٌ صوتَ الحمارِ وزَئِيرٌ زَئِيرَ الأسَدِ، فإن قلت: فما بالُ الجَمَّاء الغفير، جاز فيها الحالُ، وليست بمضافة؟ قلنا: لم تقل العربُ جاء القومُ البَيْضَةَ، فيكون مثل ما قدمناه من قولك: مررت بهذا القمر، وإنما قالوا: الجَمَّاء الغفير بالصفة الجامعة بينها، وبين ماهى حالٌ منه، وتلك الصفة الجَمّ، وهو الاحتواء والغَفْرُ، وهى التغطية فمعنى الكلام: جاءوا بجُبَّةٍ مُسْتَوِيَةٍ لهم، مُوعِبَةٍ لجميعهم، فَقَوِى معنى التشبيه بهذا الوصفِ، فدخل التنكيرُ لذلك، وحَسُن النصبُ على الحال وهى حال من المجىء.

الشاة المسمومة:

فصل: وذكر حديث الشاةِ المَسْمُومَةِ، وأكل بِشرِ بن البَرَاءِ منها،

= وحدى، قال: وفى نصب وحده ثلاثة أقوال. قال جماعة من البصريين: هو منصوب على الحال، وقال يونس: وحده هو بمنزلة عنده، وقال هشام: وحده منصوب على المصدر. وقال أبو عبيد: العرب تنصب وحده، فى الكلام كله لا ترفعه ولا تخفضه إلا فى ثلاثة أحرف: نسيج وحده، وعيير وحده، وجحيش

. . . .

وفيه : أن الذراعَ كانت تُعجِبُه ، لأنها هادِى الشاةِ ، وأبعدُها من الأذى ، فلذلك جاء مُفَسَّراً فى هذا اللفظ .

فأما المرأةُ التى سَمَّته ، فقال ابن إسحاقٍ : صفح عنها ، وقد روى أبو داود أنه قتلها ، ووقع فى كتابِ شَرَفِ المُصْطفى ، أنه قتلها وصَلَبها ؛ وهى زينب بنت الحارث بن سلام ، وقال أبو داود : وهى أختُ مَرْحَبٍ اليهودى ، وروى أيضاً مثل ذلك ابن إسحاق . ووجهُ الجمع بين الروايتين أنه عليه السلام صفح عنها ، أوّلُ لأنه كان ــ صلى الله عليه وسلم ــ لا ينتقم لنفسه ، فلما مات بِشْرُ بن البَراء من تلك الأَكْلَة ، قتلها ، وذلك أن بشراً لم يزل مُعتَلًّا من تلك الأَكْلَة حتى مات منها بعدَ حوْل ، وقال النبى صلى الله عليه وسلم عند موته : « مازالت أُكْلَةُ خَيْبَرَ تُعَادُّنِى ، فهذا أوانُ قَطَعَتْ أبْهَرِى » وكان يَنفُثُ منها مثلُ عَجَمِ الزَّبِيب . وتُعادُّنِى ، أى تعتادُنِى المَرَّةَ بعد المَرَّةِ ، قال الشاعر :

أَلاقِى من تذكُّر آلِ لَيلى كما يَلْقى السَّليمُ من العِدَادِ

والأَبْهَرُ : عِرْقٌ مُسْتَبْطِن القلب ، قال ابن مُقْبِل :

وِللفُؤاد وَجِيبٌ تحتَ أَبْهَرِه لَدْمَ الوَلِيدِ وراءَ الغَيْبِ بالحَجَرِ

وقد روى مَعْمَرُ بن راشدٍ فى جامعِه عن الزُّهْرِىِّ أنه قال : أسْلَمَتْ فتركها النبىُّ ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال معمر : هكذا قال الزُّهْرِى :

رفع المسهم

. . . .

أسلمت، والناس يقولون: قتلها، وأنها لم تُسْلِم[1]، وفى جامع مَعْمَرِ بن رَاشدٍ أيضاً أن أمّ بِشْرِ بن البَرَاء قالت للنبى صلى الله عليه وسلم فى المرض الذى مات منه ما تَتَّهِمُ يارسول الله، فإنى لا أتّهم ببشرٍ إلا الأُكْلَةَ التى أكلها معك بخيبر، فقال: وأنا لا أتهم بنفسى إلا ذلك، فهذا أوانُ قَطَعَتْ أَبْهَرِى.

حول حديث المرأة الغفارية:

فصل: وذكر حديث الغِفَارِيَّة التى شَهِدت خَيْبَر، ولم يُسَمِّها، وقد يقال: اسمُها لَيْلَى، ويقال: هى امرأةُ أبى ذَرٍّ الغِفَارِىّ، وقولها رَضَخَ لى رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أصْلُ الرَّضْخ أن تَكْسِر من الشَّىْء الرَّطْبِ كِسْرَةً فتُعْطِيها، وأما الرَّضْحُ بالحاء المهملة، فكَسْرُ اليابس الصُّلْب. قال الشاعر:

كما تَطَايَرَ عن مِرْضَاحِهِ العَجَمْ

---

(١) يقول الحافظ، ولم ينفرد الزهرى بدعواه أنها أسلمت فقد جزم بذلك سليمان التيمى فى مغازيه. وجعلها فى الإصابة فى القسم الأول من الصحابيات، هذا وقد روى البخارى قصة الشاة المسمومة، وفى الصحيحين من حديث شعبة عن هشام بن زيد عن أنس بن مالك أن امرأة يهودية أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ بشاة مسمومة، فأكل منها. فجىء بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسألها عن ذلك، قالت: أردت لأقتلك، فقال: ما كان الله ليسلطك على، أو قال: على ذلك. قالوا: ألا تقتلها؟ قال: لا. قال أنس، فما زلت أعرفها فى لهوات رسول الله «ص»، واللهوات جمع لهاة، وهى اللحمات فى سقف أقصى الفم.

. . . .

من أحكام الماء :

وقولها : أمرنى أن اجْعَلَ فى طَهُورِى مِلْحاً . فيه رَدٌّ على مَنْ زَعَمَ مِن الفقهاء أن المِلْحَ فى الماء إذا غيَّر طعمَه صيّره مُضافاً طاهراً غير مُطَهِّر ، وفى هذا الحديث مايدفع قوله . ومن طريق النظر أن المخالِط للماء إذا غَلَب على أحدِ أوصافه الثلاثة : الطَّعْم ، أو اللونِ ، أو الرائحة ، كان حكمُ الماء كحُكْمِ المُخالِطِ له ، فإن كان طاهراً غيرَ مُطَهِّرٍ كان الماء به كذلك ، وإذا كان لاطاهراً ولا مُطَهِّراً كالبَوْل كان الماء لمخالطته كذلك ، وإن كان المخالِط له طاهراً مُطَهِّراً كالترابِ كان الماء طاهِراً مُطَهِّراً ، والمِلْح إن كان ماءً جامداً ، فهو فى الأصل طاهر مُطَهِّرٌ ، وإن كان معدنياً تُرابياً ، فهو كالتراب فى مخالطة الماء ، فلا معنى لقول من جعله ناقلا للماء عن حُكْم الطهارة والتطهير ، ووقع فى رواية يونس فى السيرة أن النبىَّ صلى الله عليه وسلم اغتسل عامَ الفتح من جَفْنَةٍ فيها ماء وكافور ، وتَحْمَلُ هذه الرواية عندى إنْ صحَّت على أنه قَصَد بها التطيُّبَ ، وأنه لم يكن مُحْدِثاً ، ولأبى حَنِيفَةَ فى هذه الرواية مُتَعَلَّقٌ لترخيصه .

من شهداء خيبر :

وذكر فيمن استُشْهِد بخَيْبَرَ : أبا الضَّيَاحِ بن ثابت ، ولم يُسَمِّه ، وقال الطبرى : اسمُه النُّعمانُ بن ثابت بن النُّعمانِ ، وقال غيره : اسمُه عُمَيْرٌ .

وذكر فيمن استُشْهِد : عامرَ بن الأكْوَع ، وهو الذى رجع عليه سيفُه

رفع المسهم

فقتله ، فشك الناسُ فيه ، فقالوا : قتله سلاحُه ، فذُكر ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : إنه جاهِدٌ مُجاهِدٌ ، وقَلَّ عَرَبِيٌّ مُشابِهاً مثله ، وفى رواية : مَشَى بها مثلَه ، ويروى أيضاً : نَشأ بها مِثْله ، كل هــــذا يُرْوى فى الجامع الصحيح ، وهذا اضطرابٌ من رُوَاةِ الكتاب ، فمن قال : مشى بها مِثْلَه والهاء عائدة على المدينة ، كما تقول : ليس بين لابَتَيْها مثلُ فلان ، يقال هذا فى المدينةِ ، وفى الكُوفَةِ ، ولا يقال فى بلد ليس حوله لابَتانِ ، أى حَرَّتان ، ويجوز أن تكون الهاء عائدةً على الأرضِ ، كما قال سبحانه : ﴿ كُلُّ مَنْ عليها فَانٍ ﴾ الرحمن : ٢٦ .

الحال من النكرة :

ومن رواه مُشابِهاً مُفاعِلًا من الشَّبَه ، فهو حالٌ من عَرَبى ، والحال من النكرة لا بأس به إذا دَلَّت على تَصْحِيح مَعْنًى كما جاء فى الحديث : فصلَّى خَلْفَه رجالٌ قياماً . الحالُ هاهنا مُصحِّحَةٌ لِفقهِ الحديث ، أى : صَلُّوا فى هذهِ الحال ، ومن احتج فى الحالِ من النَّكرة بقولهم: وقع أمرٌ فَجْأَةً ، فلم يصنع شَيْئاً ، لأن فَجْأَةً ، ليس حالاً من أمرٍ ، إنما هو حالٌ مِن الوقوع ، كما تقول : جاءنى رجل مَشْياً ، فليس مَشْياً حالٌ مِنْ رجل ، كما توهموا ، وإنما هى حالٌ من المجىء لأن الحال هى صاحبُ الحال ، وتنقسم أقساماً : حالٌ من فاعلٍ كقولك : جاء زيدٌ ماشِياً ، وحال من الفِعْل ، كقولك : جاء زيدٌ مَشْياً ورَكْضاً ، وحال من المفعولِ ، كقولك : جاءنى القومُ جالِساً ، فهى صفة المفعول فى وقت وقوع الفعل عليه ، أو صفةُ الفاعل فى وقت وقوع الفعل منــــه ، أو صِفَةُ الفعل فى وقت وقوعه ونعنى بالفعل : المصدر .

رفع المسيهم

. . . .

حديث الحجاج بن علاط :

فصل : وذكر حديث الحجاج بن عِلَاطٍ السلَمى : وقد ذكرنا فى حديث إسلامه خبراً عجيباً اتفق له مع الجنّ ، وهو والد نَصرِ بن حَجّاج الذى حلق عمرُ رأسَه ، ونفاه من المدينة لما سمع قول المرأة فيه :

أَلَا سَبِيلَ إلى خَمْرٍ فأشْرَبَها أم لاسَبِيلَ إلى نَصرِ بن حَجّاج

وهذه المرأة هى الفُرَيْعَةُ بنت هَمّامٍ ، ويقال : إنها أمُّ الحَجّاج بن يُوسُفَ ، ولذلك قال له عُرْوَةُ بن الزُّبَيْر : يا ابْن المُتَمَنّيَة[1] ، وكان من أحسن الناس لِمَّةً ووَجْهاً ، فأتى الشامَ ، فنزل على أبى الأعْوَر السُّلَمِى ، فَهَوِيَته امرأتُه ، وهَوَاها[2] ، وفَطَن أبو الأعور لذلك بسبب يطول ذِكْرُه ، فابتنى له قُبَّة فى أقصى الحىّ ، فسكان بها ، فاشتد ضناه بالمرأة ، حتى مات كَلَفاً بها ، وسمى المُضْنَى وضُرِبت به الأمثالُ . وذكر الأصْبهَانِىُّ فى كتاب الأمثال له خبره بطوله[3] .

---

(١) زعموا أنهما كانا بحضرة عبد الملك بن مروان ، فذكر عروة أخاه عبد الله بن الزبير ، فقال له الحجاج : أعند أمير المؤمنين تكنى أخاك المنافق لا أم لك ، فقال له عروة : يا ابن المتمنية ! ! إلى تقول هذا لا أم لك ، وأنا ابن عجائز الجنة .

(٢) المعرف فى اللغة أن هوى كرضى ، وهو ولاشك خطأ فى الطبع أو النقل وقد ذكرها البغدادى « وهويها » نقلا عن الروض .

(٣) سبق الحديث عن قصتهما وذكرنا بعض مراجع قصتهما .

رفع المسيّهم

. . . .

وقوله : الحجاجُ بن عِلاَطٍ ، والعِلَاطُ وَسْمٌ في العنق ، ويقال له : العُلْطَة أيضاً ، وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم : لا بُدَّ لِي أن أقُولَ ، فقال له : قل ، يعني التَّكَذُّبَ(١) ، فأباحه له ، لأنه من خُدَعِ الحَرْب ، وقال : المُبَرِّد : إنما صوابه : أتَقَوَّلُ إذا أردت معنى التَّكَذُّب ، وأخذ هذا المعنى حبيب فقال :

يَحْسَبِ امْرِىءٍ أثنى عليك بأنه يقول ، وإن أرْبَى فــلا يَتَقَوَّلُ

أي : يقول الحق إذا مدحك ، وإن أفرط فليس إفراطُهُ بتَقَوُّلٍ .

تفسير أولى لك :

وذكر غير ابن إسحاق في حديث حجّاج أن قُرَيْشاً قالت : حين أفلتَهُم : أولى له ، وهي كلمة معناها : الوعيد ، وفي التنزيل : ﴿أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى﴾ القيامة : ٣٤ ، فهي على وزن أفْعَل ، من وَلِيَ أي : قد وَلِيَه الشَّرُّ ، وقال الفارسي : هي اسمُ عَلم ولذلك لم يَنْصَرِفْ ، وجدت هذا في بعض مسائله ، ولا تَتَضِحُ لي العَلَمِيَّةُ في هذه الكلمة ، وإنما هو عندي كلامٌ حُذِفَ منه ، والتقدير : الذي تصير إليه من الشر أو العقوبة أولى لك ، أي ألزم لك ، أي إنه يَلِيك ، وهو أولى لك ، مما فَرَرْتَ منه ، فهو في موضع رفع ، ولم ينصرف لأنه وَصْفٌ على وزن أفْعَل(٢) ، وقول الفارسي : هو في موضع نَصْبٍ جعله من

---

(١) في قصة الحجاج عند أحمد أنه قال للرسول (ص) « أفأنا في حل إن أنا نلت منك ، أو قلت شيئاً ، فأذن له « ص » أن يقول ماشاء » .

(٢) ما في اللسان عنها أنها اسم لدنوت وقاربت . وقال ثعلب : لم يقل أحد في أولى لك أحسن مما قال الأصمعي . وقد قال الأصمعي عنها : أولى لك : قاربك ما تكره . وانظر مادة أول ففيها الكثير عنها .

رفع المستهمر

يباب تَباًّ له (١)، غير أنه جعله عَلَماً لما رآه غير مُنَوَّن .

أم أيمن :

فصل : وذَكر شِعْرَ حَسَّان فى ابن أمّ أَيْمَنَ ، واسم أبيه عُبَيْدٌ ، واسم أمه أمُّ أَيْمَنَ بَرَكَةُ ، وهى أم أسامة بن زَيْد ، يقال لها : أم الظِّباء ، قال الواقدى : اسمُها بَرَكَةُ بنت ثَعْلَبَة [بن عمرو بن حصن بن مالك بن مسلمة بن عمرو بن النعمان](٢) وكانت أَمَةً لعبدِ الله بن عَبْدِ المطلب ، وكان النبىُّ صلى الله عليه وسلم يقول : أمُّ أَيْمَنَ أُمّى بعد أُمّي (٣) ، ويقال : كانت لآمِنَةَ بنت وَهْبٍ أمّ النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهى التى هاجرت على قَدَمَيْها من مَكَّةَ إلى المدينة ، وليس معها أحد ، وذلك فى حَرٍّ شَدِيد ، فَعَطِشَتْ ، فسمعت حَفِيفاً فوق رأسِها ، فالتفتت ، فإذا دَلْوٌ قد أُدْلِيَتْ لها من السَّماء فَشَرِبَتْ منها فلم تظمأ أبداً (٤) ، وكانت تَتَعَهَّدُ الصومَ فى حَمَارَّةِ القَيْظِ ، لِتَعْطَشَ فلا تَعْطَشُ

---

(١) تباً له دعاء ، نصب ، لأنه مصدر محمول على فعله كما تقول شقياً لفلان ، معناه : شقى فلان شقياً ، ولم يجعل اسماً مسنداً إلى ما قبله .

(٢) الزيادة فى نسب أم أيمن من الإصابة من أول ابن عمرو بن حصن الخ .

(٣) ذكره ابن أبى خيثمة وانظر ترجمتها فى الإصابة فى الجزء الثامن .

(٤) أخرجه ابن سعد بسنده إلى عثمان بن القاسم يقول : لما هاجرت . . الحديث ، وأخرجه ابن السكن من طريق هشام بن حسان عن عثمان بنحوه . وقد أخرج البخارى فى تاريخه ومسلم وابن السكن أن أم أيمن كانت وصيفة لعبد الله ابن عبد المطلب .

رفع المسابهم

. . . .

وكان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يزورها ، وكان الخليفتان يَزُورَانِها بعده ، وقد رُوِى مثلُ قِصَّتِها عن أمِّ شريك الدَّوْسِيَّة[1] أنها عَطِشَت في سفر فلم تجد ماءً إلَّا عند يَهُودِي ، وأبى أن يَسْقِيها إلَّا أن تَدِين بدِينه ، فأبَتْ إلا أن تموت عَطشاً ، فدُلِّيَتْ لها دِلْوٌ من السماء فشربت ، ثم رُفِعَت الدِّلوُ ، وهي تنظر. ذكر خبَرها ابنُ إسحاق في السيرة من غير رواية ابن هشام ، وهو أطول مما ذكرنا.

وقول حسان :

وأيْمَنُ لم يَجْبُنْ ، ولكن مُهْرَه أضَرَّ به شُرْبُ الْمَدِيد الْمُخَمَّر[2]

المديد : وقع في الأصل ، وهو معروف ، ولكن الْفَيْتُ في حاشية الشيخ عن ابن دُرَيْدٍ : الْمَرِيد براء ، والْمَرِيسُ أيضاً ، وهو تَمْرٌ يُنْقَع ثم يُمْرَس وأنشـــد :

مُشْنَفَات تُسْقَى ضَيَاحَ الْمَرِيد

أبو أيوب في حراسة النبي صلى الله عليه وسلم :

وذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم لأبي أيُّوبَ حين بات يحرسه : حَرَسَك الله يا أبا أيُّوبَ ، كما بِتَّ تحرس نبيَّه .

---

(١) قصتها وقصة عطش أم أيمن لم يخرجهما غير أصحاب السير ، وأما المحدثون أصحاب الصحيح والمسانيد والسنن ، فلم يخرجوا شيئاً من ذلك .

(٢) شرحه أبو ذر الخشني : بقوله « هو الدقيق يخلط مع الماء فتشربه الخيل » .

. . . .

قال المؤلف : لحرسَ اللهُ أبا أيُّوبَ بهذه الدعوةِ ، حتى إن الرومَ لَتحرُسُ قَبرَه ، ويَستَسقُون به ، ويَستَصحُون(١) ، وذلك أنه غزا مع يَزِيدَ بن مُعاوِيَةَ سَنَةَ خَمسِين ، فلما بلغوا القُسطَنطِينَةَ مات أبو أيُّوبَ هنالك ، وأوصى يزيدَ أن يَدفنه فى أقرب موضع من مدينة الروم ، فركب المسلمون ، ومَشَوْا به حتى إذا لم يجدوا مساغاً ، دفنوه ، فسألتهم الرومُ عن شأنهم ، فأخبروهم أنه كبير من أكابرِ الصحابة ، فقالت الروم ليزيدَ ما أحمقَكَ وأحمقَ مَنْ أرسلك أأمِنتَ أنْ ننبِشَه بعدَك ، فنحرِق عظامَه ، فأقسم لهم يزيد لئن فعلوا ذلك ليَهدِمَنَّ كلَّ كَنِيسةٍ بأرض العرب ، ولَيَنبِشَنَّ قبورَهم ، فحينئـــذ حلفوا لهم بدينهم ليُكرِمُنَّ قبرَه ، وليَحرُسُنَّه ما استطاعوا ، فروى ابنُ القاسم عن مالك ، قال : بلغنى أن الرومَ يَستَسقُون بقبرِ أبى أيُّوبٍ رحمه الله ، فيُسقَون(٢) .

قسم أموال خيبر وأراضيها

أمَّا قَسم غنائمها ، فلاخِلَافَ فيه وفى كل مَغنَمٍ بنصِّ القرآن كما تقدم فى غزاة بدر ، وأما أرضُها ، فقسمها النبى صلى الله عليه وسلم بين من حَضَرها من أهل الحُدَيبِيَة ، وأخرج الخُمُسَ لله ولرسولِه ، ولذِى القُربى واليتامى والمساكين وابنِ السبيل ، وقد تقدم الكلام فى معنى : لله ولرسوله ، وما معنى سَهمِ الله ، وسَهمِ الرَّسُولِ ، ولولا الخروجُ عما عَمَدنا إليه لذكرنا سِرًّا بديعاً وفقهاً عجيباً فى قوله تعالى : ﴿ لله وللرسول ولذى القربى ﴾ باللام ، ولم يقل ذلك فى

---

(١) عمل جهال قلوبهم فى أكنة .

(٢) ليس هذا من هدى الإسلام فى شىء ، هذا وكان غزو القسطنطينية سنة ٥٥ هـ .

. . . .

اليتامى والمساكين ، وقال : وللرسول ، وقال فى أول السورة ﴿ قُلِ الأَنْفَالُ لله والرسول ﴾ وقال فى آية الفَىْء ﴿ ما أفاء الله على رسوله فلله وللرسول ﴾ ولم يقل : رسوله ، وكل هذا لحكمة ، وحاشا لله أن يكون حرفٌ من التنزيل خاليًا من حِكمة . وقال أبو عُبَيْدٍ فى كتاب الأموال : قسم النبى صلى الله عليه وسلم أرضَ خَيْـبَر أثلاثًا أثلاثًا ، الشَّلالِم والوَطِيحَ والكَتِيبَةَ ، فإنه تركها لنوائب المسلمين وما يَعْرُوهم ، وفى هذا ما يُقَوِّى أن الإمام مُخَيَّرٌ فى أرضِ العَنْوةِ إن شاء قسمها أخذاً بقول الله سبحانه : ﴿ واعلموا أنَّما غَنِمْتُم مِنْ شَىْء ﴾ الآية فيُجريها مَجْرى الغَنِيمة ، وإن شاء وقفها كما فعل عُمَرُ ـ رضى الله عنه ـ أخذاً بقول الله تعالى : ﴿ ما أفاء اللهُ على رسولِه من أهلِ القُرَى ﴾ إلى قوله : ﴿ والذين جاءوا مِنْ بعدهم ﴾ فاستَوْعبتْ آيةُ الفَىْء جميعَ المسلمين ، ومن يأتى بعدهم ، فسمى آية القرى فَيئًا وسَمَّى الأُخرى غَنِيمةً ، فدَلَّ على افتراقهما فى الحكم ، كما افترقا فى التَّسْمية ، وكما اختلف الفقهاء فى هذه المسألةِ على أقوال منهم : مَنْ يرى قَسْمَ الأرضِ كما فعل النبى صلى الله عليه وسلم بخَيْبَر ، وهو قول الشافعى ، ومنهم من يراها وَقْفًا على المسلمين لِبَيْتِ مالهم ، ومنهم من يقول بتَخْيير الإمام فى ذلك ، فكذلك افترق رأىُ الصحابة عند افتتاح البلاد ، فكان رأىُ الزُّبَيْرِ القَسْم ، فكلم عَمْرَو بن العاصى حين افتتح مصر فى قَسْمِها فكتب عَمْرو بذلك إلى عُمَر بن الخطاب ، فكتب إليه عمر : أنْ دَعْها ، ولا تقسمها ، حتى يجاهد منها حَبَلُ الحَبَلَةِ[1] ، وقد شرحنا هذه الكلمة فى

---

(١) يريد : حتى يغزو منها أولاد الأولاد ، ويكون عاما فى الناس والدواب ، أى تكثر =

رفع المسيرهم

. . . .

فى الْمَبْعَثِ قبل هذا بإجزاء ، وكذلك استأمر عُمَرُ – رضى الله عنه – الصحابةَ فى قَسْم أرض السَّواد حين افْتُتِحَتْ ، فكان رأىُ عَلِىٍّ مع رأى عُمَرَ – رضى الله عنهما – أن يَقِفَها ، ولا يَقْسِمَها ، وأرضُ السَّوادِ أولها من تُخُوم الْمَوْصِلِ مدامِعُ للماء إلى عَبَّادَانِ من الساحِلِ عن يَسَارِ دِجْلَةَ ، وفى العَرْضِ من جِبَال حُلْوَانَ إلى القَادِسِيَّةَ مُتَّصِلًا بالعُذَيْبِ من أرضِ العربِ ، كذا قال أبو عُبَيْدٍ ، وكانت العربُ تقول : دَلَع البَرُّ لِسَانَه فى السَّواد ، لأن أرضَ القادسية كِلِسَانٍ من الْبَرِّيَّةِ داخلٍ فى سَوَاد العراق ، حكاها الطبرى .

ولما سار عُمَرُ إلى الشام ، وكان بالجَابِيَةِ شاور فيما افتتح من الشام : أيَقْسِمُها ؟ فقال له مُعاذ : إنَّ قَسَمْتَها لم يكن لمن يأتى بَعْدُ من المُسْلمين شىء ، أو نحو هذا ، فأخذ بقول مُعَاذٍ ، فألَحَّ عليه بِلَالٌ فى جماعةٍ من أصحابه ، وطلبوا القَسْمَ ، فلما أكثروا ، قال : اللهم اكْفِنِى بِلَالًا وذَوِيه ، فلم يأت الحَولُ ، ومنهم على الأرض عَيْنٌ تَطْرِفُ ، وكانت أرضُ الشام كُلُّها عَنْوَةً إلا مَدَائِنَها ، فإن أهلها صالحوا عليها ، وكذلك بيتُ المَقْدِسِ فتحها عُمَرُ صُلْحًا بعد أن وَجَّه إليها خالد بن ثابتٍ الفَهْمِىَّ فطلبوا منه الصلح ، فكتب بذلك إلى عُمَرَ ، وهو بالجابيةِ ، فقَدِمَها ، وقبِل صلح أهلها . وأرضُ السَّوادِ كُلُّها عَنْوَةً إلا الحِيرَةَ فإن خالد بن الوليد صالح أهلها ، وكذلك أرض بانِقْيَا(١)

= المسلمون فيها بالتوالد ، فإذا قسمت لم يكن قد إنفرد بها الآباء دون الأولاد ، أو يكون : أرد المنع من القسمة حيث علقه على أمر مجهول . النهاية لابن الأثير .

(١) هى أرض بالنجف دون الكوفة .

. . . .

أيضاً صُلحٌ ، وأخرى يقال لها : أليس[1] . وأرضُ خُراسان عَنْوَة إلاّ تِرْمِذَ ، فإنها قَلْعَةٌ مَنيعة وقِلاعٌ سواها ، وأما أرضُ مِصْرَ ، فكان الليث بن سَعْدٍ قد اقتنى بها مالاً وعاب ذلك عليه جماعةٌ منهم يحيى بن أيوب ومالكُ بن أنسٍ ، لأن أرضَ العَنْوَة لا تُشْتَرى ، وكان الليثُ يَرْوى عن يزيد بن أبي حبيب ، أنها فُتِحَتْ صُلحاً ، وكلا الخبرين حَقٌّ لأنها فُتِحَتْ صُلحاً أوّلُ ، ثم انتَكَثَتْ بعدُ ، فأُخِذَتْ عَنْوَةً ، فمن هٰهنا نشأ الخلافُ في أمرِها ، قاله أبو عُبَيْدٍ ، وقد احتج مَنْ قال بالقَسْم في أرضِ العَنْوَة بأن عُمَرَ لم يقف أرضَ السَّوادِ وغيرها حتى استطابَ نُفوسَ المُفْتَتِحين لها ، وأعطاهم حتى أرضاهم ، وَرَوَوْا أن أم كُرْزٍ البَجَلِيَّةَ سألت سَهْمَ أبيها في أرضِ السَّواد ، وأبت أن تتركه فَيْئاً ، حتى أعطاها عُمَرُ راحلةً وقطيفة حمراء وثمانين ديناراً ، وكذلك رَوَوْا عن جرير بن عبد الله البَجَلِيِّ في سَهْمِه بأرض العراق نحواً من هذا ، وقال مَنْ يحتج للفريق الآخر : إنما تَرَضَّى عُمَرُ جريراً ، لأنه كان نَفَّله تلك الأرضَ ، فكانت مِلْكاً له ، حتى مات ، وكذلك أم كُرْزٍ كان سهم أبيها نَفَلا أيضاً ، جاءت بذلك كلِّه الآثارُ الثابتة والله المستعان[2] .

---

(١) في معجم البكري : أُلَيس بضم الهمزة وتشديد اللام مع فتحها ، وهي بلدة بالجزيرة وكذلك ضطبت في المراصد ، وقال : الموضع الذي فيه الوقعة بين المسلمين والفرس في أول أرض العراق من ناحية البادية ، وقيل : قرية من قرى الأنبار .

(٢) يقول الإمام ابن القيم « ومن تأمل السير والمغازي حق التأمل تبين له أن خيبر إنما فتحت عنوة ، وأن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — استولى على أرضها كلها بالسيف عنوة » ثم ساق الأدلة على هذا ثم قال : « فالصواب =

. . . .

أبو نبقة :

وذكر فيمن قسم له يوم خَيْبر أبا نَبِقَةَ قسم له خَمْسِين وَسقًا ، واسمه :

= الذى لا شك فيه أنها فتحت عنوة ، والإمام مخير فى أرض العنوة بين قسمها ووقفها ، ووقف البعض ، وقد فعل رسول الله « ص » الأنواع الثلاثة ، فقسم قريظة والنضير ، ولم يقسم مكة ، وقسم شطر خيبر ، وترك شطرها ، وإنما قسمت — أى أرض خيبر — على ألف وثمانمائة سهم ، لأنها كانت طعمة من الله لأهل الحديبية من شهد منهم ، ومن غاب ، ص ٣٢٥ ح ٢ . زاد المعاد .

ويقول — رحمه الله — فى مكان آخر : « وقد اختلف الفقهاء فى الفىء . هل كان ملكا لرسول الله « ص » يتصرف فيه كيف يشاء أو لم يكن ملكا له ؟ على قولين فى مذهب أحمد وغيره . والذى تدل عليه سنته وهديه أنه كان يتصرف فيه بالأمر ، فيضعه حيث أمره الله ، ويقسمه على من أمر بقسمته عليهم ، فلم يكن يتصرف فيه تصرف المالك بشهوته وإرادته ، يعطى من أحب ، ويمنع من أحب ، وإنما كان يتصرف فيه تصرف العبد المأمور ينفذ ما أمره به سيده ، ومولاه ، فيعطى من أمر بإعطائه ، ويمنع من أمر بمنعه ، وقد صرح ، فقال : والله إنى لا أعطى أحداً ، ولا أمنعه إنما أنا قاسم أضع حيث أمرت . فكان عطاؤه ومنعه وقسمته بمجرد الأمر ، فإن الله سبحانه خيره بين أن يكون عبداً رسولا وبين أن يكون ملكا رسولا ، فاختار أن يكون عبداً رسولا ، والفرق بينهما أن العبد الرسول لا يتصرف إلا بأمر سيده ومرسله ، والملك الرسول له أن يعطى من يشاء ، ويمنع من يشاء كما قال تعالى للملك الرسول سليمان (هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب) ص: ٣٩. أى : أعط من شئت ، وامنع من شئت ، لا نحاسبك ، وهذه المرتبة هى التى عرضت على نبينا « ص » فرغب عنها إلى ما هو أعلى منها ، وهى رتبة العبودية المحضة التى يكون تصرف صاحبها فيها مقصوراً على أمر السيد فى كل دقيق وجليل » ص ٤٦٧ ح ٤ زاد المعاد .

رفع المسيرهم

. . . .

علقمة بنُ المطَّلِب ، ويقال : عَبْدُ الله بن علقمة ، وقال أبو عُمَر : هو مجهول ، وقال ابن الفَرَضِيّ : أبو نَبِقَةَ بن المطاب بن عبد مَنَافٍ ، واسم أبي نَبِقَةَ : عبدُ الله ، ومن ولده : محمد بن العَلَاء بن الحُسَيْن بن عبدِ الله بن أبي نَبِقَةَ ، ومن ولده : أبو الحسين المُطَّلِبيّ إمامُ مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يحيى بن الحسين بن محمد بن أحمد بن عبدِ الله بن الحسين بن العلاء بن المغيرة بن أبي نَبِقَةَ بن المطلب بن عبد مناف .

أم الحكم :

وذكر فيهم أم الحَكَم ، وهي بنت الزُّبَيْر بن عبد المطلب أخت ضُبَاعَةَ ، هكذا قال : أم الحكم ، والمعروف فيها أنها أم حَكِيم ، وكانت تحت رَبِيعَةَ ابنِ الحارثِ ، وأما أمُّ حكيمٍ فهي بنتُ أبي سفيان ، وهي من مسلمة الفتح ، ولولا ذلك لقلت : إن ابن إسحاقِ إيَّاها أراد ، لكنها لم تشهد خيبر ، ولا كانت أسلمت بعد .

أم رمثة وغيرها :

وذكر فيمن قسم له أمَّ رِمْثَةَ(١) ، ولا تُعرف إلاَّ بهذا الخبرِ ، وشهودِها فتحَ خيبر .

---

(١) ذكرها ابن سعد ، وزاد مع التمر خمسة أوسق من الشعير ، ونسبها ، فقال : أم رمثة بنت عمرو بن هاشم بن المطلب ؛ بن عبد مناف ، ويقال أم رميثة بالتصغير أسلمت وبايعت . وهي والدة حكيم والد القعقاع ، وذكرها فيمن بايع النبي « ص » من المهاجرات « الإصابة » .

. . . .

وذكر بُحَيْنَةَ بنتَ الحارثِ . وبُحَيْنَةُ تصغير: بَحْنَة ، وهى نخلة معروفة ، قاله أبو حنيفة ، ولفظُها من البَحْوَنَةِ ، وهى جُلَّةُ التَّمْرِ ، وهى أمُّ عَبْدِ الله بن بُحَيْنَةَ الفقيه ، وهو ابنُ مالك بن القِشْبِ الأزْدِى .

القسم للنساء من المغنم :

وفى قَسْمِهِ لهؤلاء النساء حُجَّة الأوْزَاعِىُّ لقوله : إن النساء يُقْسَم لَهُنَّ مع الرجال فى المغازى ، وأكثرُ الفقهاء لايَرَوْن للنساء مع الرجالِ قَسْمًا ، ولكن يُرْضَخُ لهن من المَغْنَم أخذاً بحديث أمِّ عَطِيَّة قالت : كنا نَغْزو مع النبى - صلى الله عليه وسلم - فنداوى الجَرْحَى ، ونمرض المَرْضَى ويُرْضَخُ لنا من المَغْنَمِ (١) .

المصافحة والمعانقة :

فصل : وذكر قدومَ أصحاب السَّفينة من أرض الحَبَشَةِ ، وفيهم جَعْفرُ بن أبى طالب ، وأن النبى صلى الله عليه وسلم التزمة وقَبَّل بين عينيه (٢) ، وقد

---

(١) الرضخ : العطية القليلة ، وفى حديث عن ابن عباس « أن النبى « ص » كان يغزو بالنساء ، فيداوين الجرحى ، ويحذين من الغنيمة ؛ وأما بسهم فلم يضرب لهن » أحمد ومسلم وأبو داود والترمذى وصححه . ويحذين : يعطين ولهذا قال الترمذى : إنه لا يسهم لهن عند أكثر أهل العلم ، وهو قول سفيان الثورى والشافعى . وقال الخطابى عن قول الأوزاعى : أحسبه ذهب إلى حديث حشرج ابن زياد ، وإسناده ضعيف لا تقوم به حجة .

(٢) روى قصة أصحاب السفينة البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى مع اختلاف يسير وليس فى روايته الالتزام والتقبيل ولكنهما فى رواية البيهقى .

رفع المسابهم

. . . .

احتج بهذا الحديث الثَّورىُّ على مالكِ بن أنس فى جواز المُعانقة ، وذهب مالكٌ إلى أنه خصوص بالنبى صلى الله عليه وسلم ، وماذهب إليه سفيانُ من حَمْلِ الحديث على عمومه أظهرُ ، وقد التزم النبىُّ صلى الله عليه وسلم زيدَ بن حارِثَة ، حين قَدِم عليه من مكة . وأما المصافحةُ باليد عند السلام ففيها أحاديثُ منها قوله عليه السلام : تمام تحيَّتِكم المصافحةُ ، ومنها حديثٌ آخر أن أهل اليمن حين قدموا المدينةَ صافحوا الناس بالسلام ، فقال النبي صلى الله عليه سلم : إن أهلَ اليمن قد سَنُّوا لكم المصافحة ، ثم نَدَب إليها بلفظٍ لا أذكره الآن غير أن معناه : تنزل عليهما مائة رَحْمَةٍ تسعون منها للبادىء[1] ، وعن مالكٍ فيها روايتان : الإباحة والكَراهة ، ولا أدرى ما وَجْه الكراهية فى ذلك .

---

(١) روى الطبرانى بإسناد فيه نظر إلى أبى هريرة قال : قال رسول الله «ص» « إن المسلمين إذا التقيا ، فتصافحا ، وتساءلا أنزل الله بينهما مائة رحمة تسعة وتسعين لأبشهما وأطلقهما وجهاً ، وأبرهما ، وأحسنهما مسألة بأخيه » وروى البزار بسنده عن عمر بن الخطاب إذا التقى الرجلان المسلمان فسلم أحدهما على صاحبه ، فإن أحبهما إلى الله أحسنهما بشراً لصاحبه ، فإذا تصافحا نزلت عليهما مائة رحمة للبادى منها تسعون ، وللمصافح عشرة . وفى المصافحة روى البخارى والترمذى عن قتادة قال : « قلت لأنس بن مالك رضى الله عنه : أكانت المصافحة فى أصحاب رسول الله « ص » ؟ قال : نعم » وروى الطبرانى بسنده إلى أنس قال : « كان أصحاب النبي « ص » إذا تلاقوا تصافحوا ، وإذا قدموا من سفر تعانقوا »

. . . .

ولد جعفر والنجاشي :

وكان جعفر قد وُلِد له بأرضِ الحَبَشَة محمدٌ وعونٌ وعبدُ الله ، وكان النّجاشِي قد وُلِد له مولودٌ يوم وُلِد عبدُ الله ، فأرسَل إلى جَعْفَر يسْأله : كيف أسميتَ ابنَك ؟ فقال : أسْمَيْتُه عبدَ الله ، فسمى النجاشيُّ ابنَه عبدَ الله ، وأرضعته أسماء بنتُ عُمَيْس امرأةُ جَعْفر مع ابنها عبدِ الله ، فكانا يتَوَاصَلان بتلك الأُخُوّة .

ضبط اجنادين :

وذكر عمرو بن سعيد ، وأنه استشهد بأَجْنادِين ، هكذا تقيد فى الأصل بكسر الدال وفتح أوله ، وكذا سمعتُ الشيخَ الحافظ أبا بكر ينطق به ، وقيدناه عن أبى بكر بن طاهر عن أبى على الغَسّانِي : إجنادَين بكسر أوله وفتح الدال . وقال أبو عبيد البكرى فى كتاب مُعْجَم ما استَعجم : أَجْنادَيْن بفتح أوله ، وفتح الدال ، وقال كأنه تثنية أَجْناد .

القادسية ويوم الهرير :

وذكر عمْرَو بن عثمان التَّيْمِى ، وأنه قُتِل بالقَادِسِيّة مع سَعْدِ بن أبى وَقّاصٍ والقَادِسِيَّةُ آخرُ أرض العرب ، وأولُ أرض السَّواد ، وفى أيامِها قُتِلَ رُسْتُم ملكُ الفُرْسِ فى يومٍ من أيامها يُسَمَّى يوم الهَرِيرِ ، وكان قد أقبل بالفِيَلَة ، وجموع لم يُسْمَع بمثلها ، والمسلمون فى عَدَدٍ دون العُشْرِ من عدد المجوس ،

. . . .

فكان الظَّفرُ للمسلمين ، وكان الأمير عليهم سعْدَ بن أبى وقَّاص ،وخبَرُها طويلٌ يشتمل على أعاجيبَ من فَتْح الله تعالى على هذه الأُمَّة استقصاها سَيْفُ بن عُمَر فى كتاب الفتوح ، ثم الطبرى بعده ، وسُمِّيَتْ القادِسِيَّةُ برجُلٍ من الْهَرَاةِ ، وكان كِسْرَى قد أسكنه بها اسمُهُ : قادس ، وقيل : سميت بقومٍ نزلوها من قَادِسٍ ، وقادِسُ بخُرَاسانَ ، وأما القادِسُ فى لغة العرب، فمن أسماء السفينة(١) .

ذو بعض القادمين من الحبشة :

فصل : وذكر فيمن قدم من أرض الْحَبَشَةِ هِشَامَ بن أبى حُذَيفَةَ بن المُغِيرة بن عبد الله بن عمر بن مَخْزُوم ، واسم أبى حُذَيفَةَ مُهَشِّم ، وذكر

---

(١) ماذكره عن قادس أخذه عن البكرى ، وقد بدأ أمر القادسية — كما روى الطبرى — فى السنة الرابعة عشرة من الهجرة وقيل سنة ١٦ ، فى عهد عمر وقد زحف فيها رستم القائد بستين ألفاً وقيل ١٢٠ ألفاً ، وكان المسلمون إثنى عشر ألفاً أو عشرة آلاف ، وكان مع رستم ثلاثة وثلاثون فيلا وقيل : ثلاثون . وسميت ليلة الهرير باسمها هذا ؛ لأن المقاتلين اجتلدوا فى تلك الليلة من أولها حتى الصباح لا ينطقون كلامهم الهرير . وقد قتل فيها من المسلمين قرابة نصفهم ، وحطم جيش كسرى وقتل رستم ، واقتحم المسلمون القادسية صدر النهار - الذى أعقب ليلة الهرير ، وقد أتت الصلاة وقد أصيب المؤذن فتشاح الناس فى الأذان حتى كادوا أن يجتلدوا بالسيوف فأقرع سعد بينهم . فخرج سهم رجل . فأذن ، وقيل - كما روى الواقدى - كان قتال القادسية الخميس والجمعة وليلة السبت ، وهى ليلة الهرير . أنظر الطبرى ج ٣ ص ٤٨٠ إلى ص ٥٩٧ وانظر فتوح البلدان ص ٢٦٨ . إن قوماً يكادون يجتلدون بالسيوف من أجل الأذان . ولا ينسون الصلاة لابد أن ينتصر الله لهم .

رفع المسبهما

الواقدى هِشاماً . هذا فيمن قدم من الحبشة غير أنه قال فيه : هاشم ، ولم يذكره مُوسى بن عُقْبَة ، ولا أبو معشر فى القادمين من الحبشة .

وذكر فيمن قدم من الحبشة عبدَ الله بن حُذَافَة ، وأنه الذى أرسله النبى صلى الله عليه وسلم إلى كِسْرى .

وذكر أيضاً سَلِيط بن عَمْرو ، وأنه كان رسولَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم إلى هَوْذَةَ بن على الحَنَفِىّ صاحبِ اليَمَامَةِ .

فأما كِسْرى فهو أبْرَوِيزُ بن هُرْمُزَ بن أنوشَرْوَانَ ، وَمَعْنى أبْرَوِيزَ المظفَّر فيما ذكر المسعودى ، وهو الذى كان غلب الروم ؛ فأنزل اللهُ فى قصتهم : ﴿الم[1] غُلِبَتِ الرُّومُ فى أدْنَى الأرْض﴾ وأدنى الأرض هى بُصرَى و فِلَسْطِينُ ، وأَذْرِعَاتُ[2] من أرضِ الشام ، قاله الطبرى .

من رسل النبي إلى الملوك والرؤساء :

وذكر أبو رِفَاعة وَثِيمَةُ بن موسى بن الفُرَاتِ ، قال : قدِم عبدُ الله بن حُذَافة على كِسْرَى قال : يا مَعْشَرَ الفُرْسِ إنكم عِشْتُم بأحلامكم لعدة أيامكم بغير نبىّ ، ولا كتاب ، ولا تَمْلِكُ من الأرض إلا ما فى يديك ، وما لا تملك منها أكثر ، وقد ملك قبلَك ملوكٌ أهلُ دنيا وأهلُ آخرة ، فأخذ أهلُ الآخرةِ

---

(١) تقرأ هكذا : ألف لام ميم .

(٢) قال الخليل : هي منسوبة إلى أذرع مكان أيضاً . قال : ومن كسر الألف لم يصرفها ، ومن فتحها صرفها .

. . . .

بحظهم من الدنيا ، وضيّع أهلُ الدنيا حظَّهم من الآخرةِ ، فاختلفوا فى سَعْى الدنيا ، واستَوَوْا فى عَدْلِ الآخرة ، وقد صَغَّر هذا الأمرَ عندك أنا أتيناك به ، وقد والله جاءك من حيثُ خِفْتَ ، وما تَصْغِيرُك إيّاه بالذى يدفعه عنك ، ولا تكذيبُك به بالذى يُخْرِجك منه ، وفى وَقْعةِ ذى قار على ذلك دليل ، فأخذ الكتابَ فمزَّقه ، ثم قال : لى مُلكٌ هَنِيء ، لا أخشى أن أُغْلَبَ عليه ، ولا أشارَك فيه ، وقد مَلَكَ فرعونُ بنى إسرائيل ، ولستم بخير منهم ، فما يمنعنى أن أملككم ، وأنا خير منه ، فأما هذا المُلْكُ ، فقد علمنا أنه يصير إلى الكلاب ، وأنتم أولئك تَشْبَع بطونُكم ، وتأبى عيونُكم ، فأمّا وَقْعةُ ذِى قارٍ ، فهى بوَقْعةِ الشام . فانصرف عنه عبدُ الله . وإنما خص النبىُّ - صلى الله عليه وسلم - عبدَ الله بن حُذَافَة بإرساله إلى كسرى ، لأنه كان يتردد عليهم كثيراً ويختلفُ إلى بلادهم ، وكذلك سَليط بن عَمْرو وكان يختلف إلى اليمامة ، قال وَثِيمة : لما قدم سليطُ بن عمرو العامرى على هَوْذَة ، وكان كسرى قد توَّجه ، قال : يا هَوْذَةُ إنك سوَّدتك[(١)] أعظُمٌ حائلةٌ ، وأرواحٌ فى النار ، وإنما السيدُ من مُتِّع بالإيمان ثم زُوِّدَ التقوى ، وإن قوماً سَعِدوا برأيك فلا تَشْقَ به ، وإنى آمرك بخير مأمور به ، وأنهاك عن شرٍّ مَنْهِيٍّ عنه ، آمرك بعبادة الله ، وأنهاك عن عبادةِ الشيطان ، فإن فى عبادةِ الله الجنةَ وفى عبادة الشيطان النارَ ، فإن قبلتَ نلتَ مارجَوْتَ ، وأمِنْتَ ماخِفْتَ ، وإن أبَيْتَ فبيننا وبينك كشفُ الغطاء ، وهول المطلع[(٢)] ، فقال هَوْذَةُ : ياسَليط سَوَّدَنِى مَنْ لو سَوَّدَكَ شَرُفْتَ به ، وقد

---

(١) فى الأصل : إنه سودت : والتصويب من المواهب ص ٣٥٥ - ٣ .

(٢) فى الأصل : وهو المطلع ، والتصويب من المرجع السابق .

رفع المسيّهم

. . . .

كان لى رأى أختبر به الأمورَ ، ففقدته فوضعه من قلبى هَوَاء ، فاجعل لى فُسْحَةً يرجع إلىَّ رأيى ، فأجيبك به إن شاء الله . قال : ومن شِعْرِ عبدِ الله ابن حُذَافَةَ فى رسالته إلى كسرى وقدومه عليه :

أبى اللهُ إلا أنَّ كِسْرَى فريسةٌ ... لأوَّلِ داعٍ بالعراق مُحَمَّدا

تقاذف فى فُحِش الجواب مُصَغَّراً ... لأمرِ العريب الخائضين له الرَّدَى

فقلت له : أَرْوِدْ ، فإنك داخل ... من اليوم فى البَلْوَى ومُنْتَهَبٌ غدَا

فأَقْبِلْ وأَدْبِرْ حيث شئتَ، فإننا ... لنا المُلْكُ فابسُط للمُسالَمة اليَدَا

وإلَّا فأَمْسِكْ قارعاً سِنَّ نادمٍ ... أقَرَّ بذُلِّ الخَرْجِ أَوْمُتْ مُوَحِّدا

سَفِهْتَ بِتَمْزِيقِ الكِتابِ،وهذه ... بِتَمْزِيقِ مُلْكِ الفُرْسِ يكفى مبددا

وقال هوذة بن على فى شأن سَلِيط :

أتانى سَلِيطٌ والحوادثُ جَمَّة ... فقلت لهم : ماذا يقول سَلِيط ؟

فقال التى فيها عَلَىَّ غضاضَـــةٌ ... وفيها رَجاء مُطْمِـعٌ وقُنُوطُ

فقلت له: غاب الذى كنت أجتلى ... به الأمرَ عنى فالصُّعود هُبُوط

وقد كان لى والله بالغ أمرِه ... أبا النَّضْرِ جَأْشٌ فى الأُمورِ رَبِيطَ

فأذْهَبَـــهُ خَوْفُ النبىِّ مُحَمَّدٍ ... فَهَوْذَةُ فَـــهٌ فى الرجال سَقِيط

فأجمع أمرى من يَمِين وشَمْأَلٍ ... كأنى رَدُودٌ للنِّبال لَقِيط

فأذهب ذاك الرأىَ إذ قال قائل ... أتاك رسولٌ للنـــبى خَبِيطُ

رسولُ رسولِ الله راكبُ ناضِح ... عليه من اوْبارِ الحِجاز غَبِيط

رفع المسيهم

. . . .

سكرت وَدَبَّتْ فى المَفَارِق وَسْنَةٌ   لها نَفَسٌ عالى الفؤاد غَطِيط

أحاذر منه سَوْرَةً هاشِمِيَّـــةً   فوارسُها وَسْط الرِّجال عَبِيط

فـــلا تَعْجَلَنِّى يا سَلِيطُ فإننا   نبادر أمراً والقَضَاء مُحِيطُ

وسنذكر بقية إرسال النبى صلى الله عليه وسلم إلى الملوك ، وما قالوا ، وما قيل لهم فيما بعد إن شاء الله .

حديث النوم عن الصلاة :

وذكر حديث نوم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن الصلاة مَقْفَلَه من خَيْبَر ، وهذه الرواية أصحُّ من قول من قال : كان ذلك فى غَزَاة حُنَيْن ، ومن قال فى روايته للحديث كان ذلك عام الحُدَيْبِيَة ، فليس ذلك بمخالفٍ للرواية الأولى ، وأما رواية ابن إسحاق للحديث عن الزهرى عن سَعِيد بن المُسَيِّب مُرْسَلًا ، فهكذا رواه مالكٌ وأكثرُ أصحاب الزُّهْرِى ، ورواه عنه صالح ابن أبى الأخْضَرِ ، وقال فيه عن أبى هُرَيْرَة : قاله التِّرْمِذِىُّ ، وقال أبو داود : قد رواه أيضاً عن الزُّهْرِى مُسْنَداً يونسُ بن يزيد ومَعْمَرٌ من طريق أبان العطار عن مَعْمرٍ عنه ، وكذلك رواه الأوْزَاعِىّ مُسْنَداً أيضاً ، وذكر فيه هو وأبان العطَّار أنه أذَّن ، وأقام فى تلك الصلاةِ حين خرج من الوادى(١) ، ولم يذكر الأذانَ من رُواة الحديث إلا قليل .

---

(١) حديث توكيل بلال بالفجر رواه مسلم أيضاً وابن ماجة . وقد روى قصة النوم عن صلاة الصبح عمران بن حصين ولم يذكر فى أى غزوة كانت ، ولم يوقت مدتها . وروى مالك عن زيد بن أسلم أن ذلك كان بطريق مكة وهذا مرسل ، وقيل إنها كانت فى غزوة تبوك . وقيل إن الحارس فى قصة النوم كان ابن مسعود .

رفع المسهم

تم بحمد الله
الجزء السادس، ويليه الجزء السابع
ان شاء الله تعالى

وأوله : ﴿ عمرة القضاء ﴾

رفع
المسلم
عبد الله الغامدي

رفع
المسهم
عز الله لنا ولوالديه

تصحيح الكتاب

انتُدِبتُ للتدريس فى قسم الدراسات الإسلامية العليا بكلية الشريعة بمكة المكرمة ، فتولى تصحيح الكتاب الأخ الفاضل محمود غانم غيث ، فله جزيل شكرى على مجهوده السخى الكريم ؟

عبد الرحمن الوكيل

رفع
المسهم
عز الله لرحمن الدحمه

المسلهم
فهرست
غفر الله له ولوالديه

فهرس

الجزء السادس من الروض الأنف

(١) «س» رمز عن السيرة . و «ن . ل» رمز عن النحو واللغة . و «ش» رمز عن الشرح . أما الروض فبدون رمز .

المسلهم
رفع
غفر الله له ولوالديه

رفع
المسيّب هما
عبد الله بن عمر

رفع المسلم

رفع المسيهم

رفع المسهم

فهرس الجزء السادس

رفع
المساهم
غفر الله له ولوالديه

الروض الأنف

في شرح السيرة النبوية لابن هشام

للإمام المحدث عبد الرحمن السهيلي

٥٠٨ - ٥٨١ هـ

ومعه

السيرة النبوية للإمام ابن هشام

المتوفى ٢١٨ هـ

الجزء السابع

تحقيق وتعليق وشرح

عبد الرحمن الوكيل

يطلب من
دار الكتب الإسلامية لصاحبها توفيق عفيفي عامر
١٤ شارع الجمهورية بعابدين - ت ٩١٦١٠٧

رفع
المساهم
غفر الله له ولوالديه

رفع المساهم

الروض الأنف

في شرح السيرة النبوية لابن هشام

رفع
المسلم
عز الله لطفه الدين

جامعة الكويت
إدارة المكتبات - قسم التزويد والتبادل
رقم التسجيل: ١٧٢٥٦
التاريخ:

رفع
المسهم
غفر الله له ولوالديه

مقدمة



الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم النبيين ، محمد صلوات الله وسلامه عليه ، وعلى آله الأئمة المهتدين .

« وبعد » فهذا هو الجزء السابع من السيرة وشرحها « الروض الأنف » للإمام السهيلى ، والله وحده أسأل أن يعين على تمامه ؟

عبد الرحمن الوكيل

رفع
المساهم
غفر الله له ولوالديه

رفع
المسهم
غفر الله له ولوالديه

عمرة القضاء

فى ذى القعدة سنة سبع

قال ابن إسحاق : فلما رجع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة من خيبر ، أقام بها شهرى ربيع وجُمادَيَيْن ورجباً وشعبان ورمضان وشوالاً ، يبعث فيما بين ذلك من غزوه وسراياه صلى الله عليه وسلم . ثم خرج فى ذى القعدة فى الشهر الذى صدّه فيه المشركون معتمراً عُمرة القضاء ، مكان عمرته التى صدّوه عنها .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة عُويف بن الأضبط الدّيلى .

ويقال لها عمرة القِصاص ، لأنهم صدّوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى ذى القعدة فى الشهر الحرام من سنة ستّ ، فاقتصّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم منهم ، فدخل مكة فى ذى القعدة ، فى الشهر الحرام الذى صدّوه فيه ، من سنة سبع .

وبلغنا عن ابن عباس أنه قال : فأنزل الله فى ذلك : ﴿ والحُرُماتُ قِصاصٌ ﴾ .

قال ابن إسحاق : وخرج معه المسلمون ممن كان صُدّ معه فى عُمرته تلك ، وهى سنة سبع ، فلما سمع به أهلُ مكة خرجوا عنه ، وتحدّثت قُريش بينها أن محمداً وأصحابه فى عُسرة وجَهد وشدّة .

قال ابن إسحاق : فحدثنى من لا أتهم ، عن ابن عبّاس ، قال : صفّوا له

. . . .

رفع عبد الرحمن الهجري

عند دار النَّدوة ليَنْظروا إليه وإلى أصحابه ، فلما دخل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المسجد اضطبع بردائه ، وأخرج عَضُدَه اليمنى ، ثم قال : رحم الله أمرأً أراهم اليومَ من نفسه قوّةً ، ثم استلم الرُّكن ، وخرج يُهَرْوِلُ ويُهرول أصحابُه معه ، حتى إذا واراهُ البيت منهم ، واستلم الركنَ اليمانى ، مشى حتى يستلم الركن الأسود ، ثم هرول كذلك ثلاثة أطوافٍ ، ومشى سائرَها . فكان ابن عباس يقول : كان الناس يظنون أنها ليست عليهم . وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما صنعها لهذا الحىِّ من قُريش للذى بلغه عنهم ، حتى إذا حجّ حِجَّة الوداع فلزمها ، فمضت السّنة بها .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بنُ أبى بكر : أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حين دخل مكة فى تلك العُمرة دخلها وعبدُ الله بنُ رواحة آخذ بخطام ناقته يقول :

خَلُّوا بنى الكُفَّار عن سبيلِهِ ... خلُّوا فكلُّ الخير فى رسولِهِ
يارَبِّ إنى مُؤْمنٌ بقيلِهِ ... أعْرف حَقَّ اللهِ فى قَبُولِهِ

* * *

نحنُ قَتَلْناكم على تأويلِهِ ... كما قَتَلْناكم على تنزيلِهِ
ضَرْباً يُزيل الهام عن مَقِيلِهِ ... ويُذهل الخليل عن خليلِهِ

قال ابن هشام : « نحن قتلناكم على تأويله » إلى آخر الأبيات ، لعمَّار بن ياسر فى غير هذا اليوم ، والدليل على ذلك أن ابنَ رَوَاحةَ إنما أراد المُشركين ،

رفع المسهم

والمُشركون لم يُقِرّوا بالتنزيل ، وإنما يُقتل على التأويل من أقرّ بالتنزيل .

قال ابن إسحاق : وحدثني أبانُ بن صالح وعبد الله بن أبي نَجيح ، عن عطاء بن أبي رباح ومجاهد أبي الحجاج ، عن ابن عباس : أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوّج ميمونةَ بنتَ الحارث في سفره ذلك وهو حَرام ، وكان الذي زوّجه إيّاها العبّاس بن عبد المُطّلب .

قال ابن هشام : وكانت جعلت أمرَها إلى أختها أمّ الفَضْل ، وكانت أمُّ الفضل تحت العبّاس ، فجعلت أمُّ الفضل أمرَها إلى العباس ، فزوّجها رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، وأصدَقها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع مائة درهَم .

قال ابن إسحاق : فأقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاثاً ، فأتاه حُوَيْطِبُ بنُ عبد العُزّى بن أبي قَيْس بن عبد وُدّ بن نصر بن مالك بن حِسْل ، في نفر من قُريش ، في اليوم الثالث ، وكانت قُرَيش قد وكّلته بإخراج رسولِ الله صلى الله عليه وسلم من مكة ؛ فقالوا له : إنّه قد انقضى أجلُك ، فاخرج عنا ؛ فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : وما عليكم لو تركتموني فأعرست بين أظهركم ، وصنعنا لكم طعاماً فحضرتموه ؟ قالوا : لا حاجة لنا في طعامك ، فاخرج عنا . فخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وخلّف أبا رافع مولاه على ميمونة ، أتاه بها بِسَرِف ، فبنى بها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم هنالك ، ثم انصرف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة في ذي الحجة .

رفع
المسلم
عبد الله البطلي

قال ابن هشام : فأنزل الله عزّ وجلّ عليه ، فيما حدثنى أبو عبيدة : ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤيا بالحقّ ، لَتَدْخُلُنَّ المَسْجِدَ الحَرَامَ إنْ شاءَ اللهُ آمنينَ مُحَلِّقِينَ رُءوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لاتخافُونَ ، فَعَلِمَ مَالَمْ تَعْلَمُوا ، فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحاً قَرِيباً ﴾ يعنى خيبر .

ذكر غزوة مؤتة

فى جمادى الأولى سنة ثمان ، ومقتل جعفر وزيد وعبدالله بن رواحة

قال ابن إسحاق : فأقام بها بقيّة ذى الحجة ، ووَلِىَ تلك الحجّة المشركون والمحرّم وصفراً وشهرى ربيع ، وبعث فى جمادى الأولى بعثَه إلى الشام الذين أُصيبوا بمُؤتة .

قال ابن إسحاق : حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، قال : بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بعثه إلى مؤتة فى جمادى الأولى سنة ثمان ، واستعمل عليهم زيدَ بن حارثة وقال : إن أُصيب زيدٌ فجعفرُ بن أبى طالب على الناس ، فإن أُصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس .

فتجهزّ الناسُ ثم تهيّئوا للخروج ، وهم ثلاثة آلاف ، فلما حضر خروجُهم ودّع الناسُ أمراءَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وسلّموا عليهم . فلما ودّع عبدُ الله بنُ رواحة من ودّع من أمراء رسول الله صلى الله عليه وسلم بكى ؛ فقالوا : ما يُبكيك يابن رواحة ؟ فقال : أما والله مابى حُبُّ الدنيا ولا صَبابة بكم ، ولكنى سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقرأ آيةً من كتاب الله

عزّ وجلّ ، يذكر فيها النار ﴿ وإنْ مِنكمْ إلّا وارِدُها كانَ على ربِّكَ حَتْماً مَقضيًّا ﴾ مريم : ٧١ ، فلستُ أدرى كيف لى بالصَّدَر بعد الورود ، فقال المسلمون : صَحِبَكم الله ودفع عنكم ، وردّكم إلينا صالحين ؛ فقال عبدُ الله ابن رواحة :

لكنّنى أسألُ الرّحمنَ مَغفرةً ... وضربةً ذات فَرْغ تقذفُ الزَّبَدا

أو طَعْنَةً بيَدَىْ حَرّانَ مُجْهِزَةً ... بحَرْبةٍ تُنْفِذُ الأحشاءَ والكَبِدا

حتى يُقال إذا مرّوا على جَدَثى ... أرشدَه الله من غازٍ وقد رَشَدا

قال ابن إسحاق : ثم إن القوم تهيّئوا للخروج ، فأتى عبدُ الله بن رواحة رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فودّعه ، ثم قال :

فثبّتَ اللهُ ما آتاك من حَسَنٍ ... تثبيتَ موسى ونَصراً كالذى نُصروا

إنى تفرّستُ فيكَ الخيرَ نافلةً ... اللهُ يعلم أنى ثابتُ البَصَر

أنتَ الرّسولُ فمَن يُحْرَم نوافلَه ... والوجهَ منه فقد أزرى به القَدَرُ

قال ابن هشام : أنشدنى بعض أهل العلم بالشعر هذه الأبيات :

أنتَ الرّسولُ فمَن يُحْرَم نوافِلَه ... والوَجْهَ منهُ فقد أزرى به القَدَرُ

فثبّت اللهُ ما آتاك مِن حَسَنٍ ... فى المرسلين ونصراً كالذى نُصِروا

إنى تفرّست فيك الخير نافلةً ... فِراسةً خالفتْ فيكَ الذى نظروا

يعنى المشركين ؛ وهذه الأبيات فى قصيدة له .

قال ابن إسحاق : ثم خرج القومُ ، وخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا ودّعهم وانصرف عنهم ، قال عبد الله بن رواحة :

خَلَفَ السَّلامُ على امْرِئٍ ودَّعْته ... في النَّخْلِ خيرَ مُشَيِّعٍ وخليلِ

ثم مضوا حتى نزلوا مَعان ، من أرض الشام ، فبلغ الناسَ أن هرقلَ قد نزل مآب ، من أرض البلقاء ، في مِائةِ ألف من الروم ، وانضمّ إليهم من لخم وجُذام والقَيْن وبَهْراء وبَلِيّ مائة ألف منهم ، عليهم رجل من بلِيّ ثم أحدُ إراشة ، يقال له : مالك بن زافلة . فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على مَعان ليلتين يفكرون في أمرهم وقالوا : نكتب إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فنخبرُه بعدد عدوّنا ، فإمّا أن يُمدنا بالرجال ، وإما أن يأمرنا بأمره ، فنمضي له .

قال : فشجّع الناسَ عبدُ الله بنُ رواحة ، وقال : ياقوم ، والله إن التي تكرهون ، للّتي خرجتم تطلبون الشهادة ، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوّة ولا كثرة ، مانقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به ، فانطلِقُوا فإنما هي إحدَى الحسنيين ، إما ظهور وإما شهادة . قال : فقال الناس : قد والله صدق ابنُ رواحة . فمضى الناسُ ، فقال عبد الله بن رواحة في مَحْبِسهم ذلك :

جَلَبْنا الخيلَ من أَجَإٍ وفَرْعٍ ... تُغَرُّ مِنَ الحَشِيش لها العُكُومُ

حَذَوْناها مِنَ الصَّوّانِ سِبْتاً ... أزلَّ كأنّ صَفْحتَه أديمُ

أقامَتْ ليلتَيْن على مَعَانٍ ... فأُعْقِبَ بعدَ فترتِها جُمُومُ

رفع المسلم

فرُحْنا والجيـــادُ مُسوَّماتٌ   تنفَّسُ فى مَناخِرها السُّمُومُ
فلا وأبى مآبَ لَنَأْتِيَنْها   وإنْ كانت بها عَربٌ ورُومُ
فعبَّأْنا أعِنَّتَها فجاءتْ   عَوابِسَ والغُبارُ لها بَرِيمُ
بذى لَجَبٍ كأنَّ البَيْضَ فيه   إذا بَرزتْ قوانِسُها النُّجُومُ
فَراضِيَةُ المَعِيشَةِ طَلَّقَتْها   أسِنَّتُها فتنْكِحُ أو تَئِيمُ

قال ابن هشام: «ويروى: جلبنا الخيل من آجام قُرح»، وقوله: «فعبأنا أعنتها» عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: ثم مضى الناسُ، فحدثنى عبد الله بن أبى بكر أنه حدَّث عن زيد بن أرقم، قال: كنت يتيما لعبد الله بن رواحة فى حجره، فخرج بى فى سفره ذلك مُرْدِفى على حَقيبة رَحْله، فوالله إنه ليسير ليلةً إذ سمعته وهو ينشد أبياته هذه:

إذا أدَّيْتِنى وحملتِ رَحْلى   مسيرةَ أربعٍ بعدَ الحِساءِ
فشأنُكِ أنعُمٌ وخَلاكِ ذمٌّ   ولا أرجعْ إلى أهلى ورائى
وجاء المسلمونَ وغادَرونى   بأرض الشام مُشْتَهِى الثَّواءِ
وردَّكِ كلُّ ذى نسبٍ قريبٍ   إلى الرحمن مُنْقطعَ الإخاءِ
هنالك لا أبالى طَلْعَ بَعْلٍ   ولا نَخْلٍ أسافلُها رِواءِ

فلما سمعتُهنَّ منه بكيت. قال: فخفقنى بالدِّرَّة، وقال: ماعليك يالُكَع

أن يرزقنى الله شهادةً وترجعَ بين شُعْبتى الرَّحْل !

قال : ثم قال عبد الله بن رواحة فى بعض سفره ذلك وهو يرتجز :

يا زيدُ زيدَ اليَعْمَلات الذُّبَّلِ   تطاول اللَّيلُ هُدِيتَ فانزِلِ

لقاء الروم

قال ابن إسحاق : فمضى الناسُ ، حتى إذا كانوا بتُخوم البلْقاء لقيتْهم جموع هِرَقْل ، من الروم والعرب ، بقرية من قُرى البلقاء يقال لها مَشارف ، ثم دنا العدوّ ، وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها مؤتة ، فالتقى الناسُ عندها ، فتعبَّأ لهم المسلمون ، فجعلوا على ميمنتهم رجلا من بنى عُذرة ، يقال له : قُطْبة ابنُ قَتادة ، وعلى ميسرتهم رجلا من الأنصار يقال له عُباية بن مالك .

قال ابن هشام : ويقال عُبادة بنُ مالك .

مقتل ابن حارثة

قال ابن إسحاق : ثم التقى الناسُ واقتتلوا ، فقاتلَ زيدُ بن حارثة براية رسولِ الله صلى الله عليه وسلم حتى شاط فى رماح القوم .

إمارة جعفر ومقتله

ثم أخذها جعفر فقاتل بها ، حتى إذا ألحمه القتال اقتحم عن فرس له شقراء ، فعقَرها ، ثم قاتَل القوم حتى قُتِل . فكان جعفرُ أوّلَ رجل من المسلمين عَقَر فى الإسلام .

وحدثني يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزّبير ، عن أبيه عبّاد ، قال : حدثني أبي الذي أرضعني ، وكان أحد بني مُرّة بن عوف ، وكان في تلك الغزوة غزوة مُؤتة قال : والله لكأني أنظر إلى جعفر حين اقتحم عن فرس له شقراءَ ، ثم عقرها ثم قاتَل حتى قُتل وهو يقول :

يا حبّــذا الجنّةُ واقترابُها ... طيّبــــةً وبارداً شرابُها
والرُّومُ رومٌ قد دَنا عذابُها ... كافرةٌ بعيــــدةٌ أنسابُها
عليّ إذ لاقيتُها ضِرابُها

قال ابن هشام : وحدثني من أثق به من أهل العلم أن جعفرَ بن أبي طالب أخذ اللواء بيمينه فقُطِعت ، فأخذه بشماله فقُطعت ، فاحتضنه بعَضُدَيه حتى قُتل رضي الله عنه وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة ، فأثابه الله بذلك جناحين في الجنة يطير بهما حيث شاء . ويقال إن رجلا من الروم ضربه يومئذ ضربة ، فقطعه بنصفين

استشهاد جعفر وابن رواحة

قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عَبّاد بن عبدالله بن الزّبير ، عن أبيه عبّاد قال : حدثني أبي الذي أرضعني ، وكان أحد بني مُرّة بن عوف ، قال : فلما قتل جعفر أخذ عبد الله بن رَوَاحة الراية ، ثم تقــدّم بها ، وهو على فرسه ، فجعل يستنزل نفسه ، ويتردّد بعض التردّد ، ثم قال :

أقسمتُ يانفسُ لتَنزِلنّه ... لتَنزِلِنّ أو لتُكرَهِنّه

إنْ أجلَبَ الناسُ وشدّوا الرَّنَّهْ مالى أراكِ تَكرهين الجَنّه
قد طالَ ما قد كنتِ مُطمئنّهْ هل أنتِ إلا نُطفةٌ فى شَنَّهْ

وقال أيضاً :

يا نفسُ إلّا تُقتَلى تموتى هذا حِمام الموْت قد صَليتِ
وما تمنَّيتِ فقد أُعْطيتِ إن تفعلى فِعْلهما هُدِيتِ

يريد صاحبيه : زيداً وجعفراً ؛ ثم نزل . فلما نزل أتاه ابن عمّ له بعَرْق من لحم فقال : شُدّ بهذا صلبَك ، فإنك قد لقيتَ فى أيامك هذه مالقيت ، فأخذه من يده ثم انتهس منه نَهْسةً ، ثم سمع الحَطْمَةَ فى ناحية الناس ، فقال : وأنت فى الدنيا ! ثم ألقاه من يده ، ثم أخذ سيفه فتقدّم ، فقاتل حتى قُتل .

عمل خالد

ثم أخذ الراية ثابتُ بن أقرم أخو بنى العَجْلان ، فقال : يامعشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم ، قالوا : أنت ، قال : ما أنا بفاعل . فاصطلح الناس على خالد بن الوليد ، فلما أخذ الراية دافع القوم ، وحاشى بهم ، ثم انحاز وانحِيز عنه ، حتى انصرف بالناس .

تنبؤ الرسول عما حدث

قال ابن إسحاق : ولماّ أُصيب القوم قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فيما بلغنى : أخذ الراية زيد بن حارثة ، فقاتل بها حتى قُتل شهيداً ؛ ثم أخذها

. . . .

نفر فقاتل بها حتى قُتل شهيداً ؛ قال : ثم صمت رسولُ الله صلى الله عليه حتى تغيرت وجوه الأنصار ، وظنّوا أنه قد كان فى عَبْدِ اللهِ بن رَوَاحَةَ بعض مايكرهون ، ثم قال : ثم أخذها عبدُ الله بن رواحة ، فقاتل بها حتى قُتل شهيداً ؛ ثم قال : لقد رُفِعوا إلىّ فى الجنّة ، فيما يَرى النائم ، على سُرُرٍ من ذهب ، فرأيت فى سرير عبدِالله بن رواحة ازْوِرَاراً عن سريرى صاحبيْه ، فقلت : عمّ هذا ؟ فقيل لى : مَضيا وتردّد عبدُ الله بعض التردّد ، ثم مضى

حزن الرسول على جعفر

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، عن أمّ عيسى الخزاعية ، عن أمّ جعفر بنت محمد بن جعفر بن أبى طالب ، عن جدّتها أسماء بنت عُميس ، قالت : لما أُصيب جعفرٌ وأصحابُه دخل علىّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وقد دَبَغْتُ أربعين منًا — قال ابن هشام : ويروى : أربعين منيئة — وعجنت عجينى ، وغسلت بنىّ ودَهنتهم ونظّفتهم . قالت : فقال لى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : ائتينى ببنى جعفر ، قالت : فأتيته بهم ، فتشمّمهم وذَرفت عيناه ، فقلت : يارسول الله ، بأبى أنت وأمى ، مايُبكيك؟ أبلغك عن جعفر وأصحابه شىء ؟ قال : نعم ، أُصيبوا هذا اليوم . قالت : فقُمت أصيح ، واجتمعتْ إلىّ النساء ، وخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله ، فقال : لا تُغفِلوا آل جعفر من أن تصنعوا لهم طعاماً فإنهم قد شُغِلوا بأمر صاحبهم .

وحدثنى عبد الرحمن بن القاسم بن محمد ، عن أبيه ، عن عائشة زوج النبىّ صلى الله عليه وسلم ، قالت : لما أتى نَعْى جعفر عَرَفنا فى وجه رسول الله

صلى الله عليه وسلم الحزن . قالت : فدخل عليه رجل فقال : يا رسول الله ، إن النساء عنَّيننا وفتنَّنا ، قال : فارجع إليهن فأسْكِتهن . قالت : فذهب ثم رجع ، فقال له مثل ذلك - قال : تقول وربما ضرَّ التكلُّف أهله - قالت : قال : فاذهب فأسكِتهن ، فإن أبينَ فاحثُ فى أفواههنَّ التراب ، قالت : وقلت فى نفسى : أبعدك الله ! فوالله ما تركتَ نفسك وما أنت بمُطيع رسول الله صلى الله عليه وسلم . قالت : وعرفت أنه لا يقدر على أن يَحْثِى فى أفواههن التراب .

قال ابن إسحاق : وقد كان قُطْبة بن قَتادة العُذْرى ، الذى كان على ميمنة المسلمين ، قد حمل على مالك بن زافلة فقتله ، فقال قُطبة بن قتادة :

طعنتُ ابنَ رافلةَ بنِ الإرا ش برُمح مضَى فيه ثم انحطَم
ضربتُ على جيدِهِ ضربةً فمال كما مال غصنُ السَّلَمْ
وسُقْنا نساء بنى عمِّه غداة رقُوقَيْن سَوْقَ النَّعَمْ

قال ابن هشام : قوله : « ابن الإراش » عن غير ابن إسحاق .
والبيت الثالث عن خلَّاد بن قُرة ؛ ويقال : مالك بن رافلة :

كاهنة حدس

قال ابن إسحاق : وقد كانت كاهنةٌ من حَدَس حين سمعت بجيش رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا ، قد قالت لقومها من حَدَس - وقومُها بطن يقال لهم بنو غَنْم - أُنذركم قوماً خُزْراً ، ينظرون شَزْراً ، ويقودون الخيل تَتْرى ، ويُهريقون دماً عَكِراً . فأخذوا بقولها ، واعتزلوا من بين لخم ؛

رفع
المستهم

فلم تزل بعدُ أترى حدَس . وكان الذين صَلُوا الحرب يومئذ بنو ثعلبة ، بطن من حدَس ، فلم يزالوا قليلا بعدُ . فلما انصرف خالد بالناس أقبل بهم قافلا .

كيف تلقى الجيش ؟ !

قال ابن إسحاق : فحدثنى محمد بن جعفر بن الزّبير ، عن عروة بن الزّبير ، قال : لما دنوا من حول المدينة تلقّاهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون ، قال : ولقيهم الصبيانُ يشتدُّون ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم مُقبل مع القوم على دابة ، فقال : خذوا الصبيان فاحملوهم ، وأعطونى ابنَ جعفر . فأُتِى بعبد الله فأخذه فحمله بين يديه . قال : وجعل الناس يحثُون على الجيش التراب ، ويقولون : يافُرّار ، فررتم فى سبيل الله ؟ قال : فيقول رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : ليسوا بالفُرّار ، ولكنهم الكُرّار إن شاء الله تعالى .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، عن عامر بن عبد الله بن الزبير ، عن بعض آل الحارث بن هشام : وهم أخواله ، عن أمّ سلمة زوج النبىّ صلى الله عليه وسلم ، قال : قالت أمُّ سَلَمَةَ لامرأةِ سَلَمَةَ بن هشام بن العاص بن المُغيرة : مالى لاأرى سلمة يحضر الصلاة مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ومع المسلمين ؟ قالت : والله مايستطيع أن يخرج ، كلما خرج صاح به الناس يا فُرّار ، فررتم فى سبيل الله ، حتى قعد فى بيته فما يخرج .

شعر قيس فى الاعتذار عن تقهقر خالد

قال ابن إسحاق : وقد قال فيما كان من أمر الناس وأمر خالد ومُخاشاته

بالناس وانصرافه بهم ، قَيْسُ بن المُسَحَّر اليَعْمرى ، يعتذر مما صنع يومئذ وصنع الناس :

فوالله لا تنفكّ نفسى تلُومنى على مَوْقفى والخيل قابعةٌ قُبلُ
وَقفتُ بها لا مُسْتَجِيراً فنافِذاً ولا مانعاً مَنْ كان حُمّ له القَتْل
على أننى آسَيْتُ نفسى بخالدٍ ألا خالدٌ فى القوم لَيْس له مِثْل
وجاشت إلىّ النفسُ من نحو جَعْفر بمُؤْتةَ إذ لا يَنْفع النابلَ النَّبْل
وضمّ إلَيْنا حَجْزَتَيْهم كليهِما مهاجِرةٌ لا مُشركون ولا عُزْل

فبين قيس ما اختلف فيه الناس من ذلك فى شعره ، أن القوم حاجزوا وكرهوا الموت ، وحقّق انحياز خالد بمن معه .

قال ابن هشام : فأما الزهرى فقال فيما بلغنا عنه : أمّر المسلمون عليهم خالدَ ابن الوليد ، ففتح الله عليهم ، وكان عليهم حتى قفل إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم .

شعر حسان فى بكاء قتلى مؤتة

قال ابن إسحاق : وكان مما بُكِىَ به أصحاب مُؤْتة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قول حسّان بن ثابت :

تأوّبنى ليلٌ بيثرب أعْسَرُ وهَمٌّ إذا ما نَوّم الناسُ مُسْهِرُ
لذِكرَى حبيبٍ هيّجتْ لى عَبرَةً سَفُوحاً وأسبابُ البكاء التّذَكّر
بَلى ، إن فقدانَ الحبيبِ بليّةٌ وكمْ من كريمٍ يُبْتَلى ثم يَصْبر

رأيتُ خيارَ المؤمنينَ تواردُوا شَعُوبَ وخَلْفاً بعدَهُمْ يتأخَّرُ
فلا يُبْعِدنَّ اللهُ قتلى تتابعُوا بمُؤتةَ منهم ذو الجناحين جعفرُ
وزيدٌ وعبدُ الله حين تتابعُوا جميعاً وأسبابُ المنيَّةِ تخطِرُ
غداةَ مضَوا بالمؤمنين يقودُهم إلى الموت ميمونُ النَّقيبة أزهَرُ
أغرُّ كضوء البدر من آل هاشم أبيٌّ إذا سِيمَ الظُّلامَةَ مِجسَرُ
فطاعنَ حتى مالَ غيرَ مُوَسَّدٍ لمُعتركٍ فيه قَنا مُتَكَسِّرُ
فصارَ مَعَ المُستَشهدينَ ثَوابُهُ جِنانٌ وملتفُّ الحدائقِ أخضَرُ
وكنَّا نَرى في جعفرٍ من محمَّدٍ وفاءً وأمراً حازماً حين يَأمُرُ
فما زالَ في الإسلامِ من آلِ هاشمٍ دعائمُ عزٍّ لا يَزُلْنَ ومَفخَرُ
هُمُ جَبَلُ الإسلامِ والناسُ حولَهم رِضامٌ إلى طَوْدٍ يَروقُ ويَقْهَرُ
بهاليلُ منهم جعفرٌ وابنُ أمِّه عليٌّ ومنهم أحمدُ المتخيَّرُ
وحمزةُ والعبَّاسُ منهم ومنهمُ عَقيلٌ وماءُ العودِ من حيثُ يُعصَرُ
بهم تُفرَجُ اللأواءُ في كلِّ مأزِقٍ عَماسٍ إذا ما ضاقَ بالناسِ مَصدَرُ
هُمُ أولياءُ اللهِ أنزلَ حُكمَهُ عليهم، وفيهم ذا الكتابُ المطهَّرُ

شعر كعب في بكاء قتلى ...

وقال كعب بن مالك :

نامَ العيونُ ودمعُ عينِكَ يَهْمُلُ سَحّاً كما وكَفَ الضِّبابُ المُخْضِلُ
في ليلةٍ وَرَدَتْ عَلَيَّ همومُها طوراً أَخِنُّ وتارةً أَتَمَلْمَلُ

واعتادني حزنٌ فبتّ كأنني ... ببنات نعشٍ والسّماكِ موكّل

وكأنّما بين الجوانح والحشى ... مما تأوّبني شهاب مُدخَل

وجداً على النّفر الذين تتابعوا ... يوماً بمؤتة أُسندوا لم يُنقلوا

صلّى الإلهُ عليهمُ من فتيةٍ ... وسقى عظامهمُ الغمام المُسبل

صبروا بمؤتة للإله نفوسَهم ... حذرَ الرّدى ومخافةً أن ينكلوا

فمضوا أمامَ المسلمين كأنّهمْ ... فُنُقٌ عليهنّ الحديد المُرفَل

إذ يهتدون بجعفرٍ ولوائِه ... قُدّام أوّلهم فنِعْم الأوّل

حتى تفرّجت الصّفوفُ وجعفرٌ ... حيثُ التقى وعْثُ الصّفوف مجدّل

فتغيّر القمر المنير لفقده ... والشمسُ قد كسفتْ وكادت تأفل

قرمٌ علا بنيانُه من هاشمٍ ... فرعاً أشمّ وسؤدداً ما ينقل

قومٌ بهم عصم الإلهُ عبادَهُ ... وعليهمُ نزل الكتاب المُنزل

فضلوا المعاشر عزّةً وتكرّماً ... وتغمّدتْ أحلامُهمْ من يجهل

لا يُطلقون إلى السّفاهِ حُباهُمُ ... ويُرى خطيبُهمُ بحقٍّ يفصل

بيضُ الوجوه تُرى بطونُ أكفّهمْ ... تندى إذا اعتذرَ الزّمانُ المُمحل

وبهديهمْ رضِيَ الإله لخلقِهِ ... وبجدّهمْ نُصِرَ النّبيُّ المُرسل

شعر حسان في بكاء جعفر بن أبي طالب

وقال حسّان بن ثابت يبكي جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه :

ولقد بكيتُ وعزّ مُهلكُ جعفرٍ ... حِبِّ النّبيّ على البريّةِ كلّها

ولقد جزعت وقلت حين نُعِيتَ لى ... مَنْ للجِلاد لدى العُقاب وظلِّها
بالبيضِ حينَ تُسَلّ من أغمادها ... ضَرْباً وإنهالِ الرِّماح وعَلِّها
بعدَ ابنِ فاطِمَةَ المُبارك جَعْفَرٍ ... خَيْرِ البريَّة كلِّها وأجلِّها
رُزْءاً وأكْرَمها جميعاً مَحْتِداً ... وأعَزّها مُتَظَلِّما وأذلِّها
للحقّ حين ينوبُ غير تَنَحُّلٍ ... كَذِباً ، وأنداها يداً ، وأقلِّها
فُحشاً، وأكثرِها إذا ما يُجْتَدَى ... فَضْلاً ، وأبْذلها نَدًى ، وأبَلِّها
بالعُرف غيرَ محمَّدٍ لا مثلُهُ ... حيٌّ منَ احياءِ البريَّة كلِّها

شعر حسان فى بكاء ابن حارثة وابن رواحة

وقال حسَّان بن ثابت فى يوم مُؤتة يبكى زيدَ بن حارثة وعبد الله ابن رواحة :

عينِ جُودى بدَمْعك المَنْزورِ ... واذكُرى فى الرَّخاء أهل القبورِ
واذكُرى مُؤتَةَ وما كان فيها ... يومَ راحُوا فى وقْعة التَّغْوير
حين راحوا وغادَرُوا ثَمَّ زَيْد ... نِعْمَ مأوى الضَّريكِ والمأسُور
حِبَّ خَيرِ الأنامِ طُرًّا جميعاً ... سَيِّدَ النَّاسِ حُبُّهُ فى الصُّدُور
ذاكُمُ أحمدُ الذى لاسِواهُ ... ذاكَ حُزْنى له معاً وسُرورى
إنّ زَيْداً قد كانَ مِنَّا بأمْرٍ ... ليسَ أمْرَ المُكَذَّب المَغرور
ثم جُودى للخَزْرَجىّ بِدَمْعٍ ... سَيِّداً كانَ ثَمَّ غَيْرَ نَزُورِ
قد أتانا مِن قَتْلِهِمْ ما كفانا ... فبحُزْنٍ نَبيتُ غير سُرور

وقال شاعر من المسلمين ممن رجع من غزوة مُؤتة :

كَفى حزَنا أنى رَجَعْتُ وجَعْفرٌ ... وزَيد وعبدُ الله فى رَمْسِ أقْبُرِ
قَضَوْا نَحبهم لما مَضَوْا لسَبيلهم ... وخُلِّفْتُ للبَلْوَى مع المتغبِّرِ
ثلاثة رَهْط قُدِّمُوا فتقدَّمُوا ... إلى وِرْد مَكْروه من الموتِ أحمرِ

شهداء مؤتة

وهذه تسمية من استُشهد يوم مُؤتة :

من قريش ، ثم من بنى هاشم : جعفرُ بن أبى طالب رضى الله عنه، وزيدٌ ابن حارثة رضى الله عنه .

ومن بنى عدىّ بن كعب : مسعود بن الأسود بن حارثة بن نَضْلة .

ومن بنى مالك بن حِسْل : وَهْب بن سعد بن أبى سَرْح .

ومن الأنصار ثم من بنى الحارث بن الخَزْرج : عبد الله بن رواحَة ، وعبَّاد بن قَيْس .

ومن بنى غَنْم بن مالك بن النجَّار : الحارث بن النُّعمان بن أساف بن نَضْلة بن عبد بن عوف بن غنم .

ومن بنى مازن بن النَّجار : سُراقة بن عمرو بن عطيَّة بن خنساء .

قال ابن هشام : وممن استُشهد يوم مُؤتة ، فيما ذكر ابن شهاب .

من بنى مازن بن النّجار: أبو كُلَيب وجابر، ابنا عمرو بن زيد بن عوف ابن مَبذول، وهما لأب وأم.

ومن بنى مالك بن أفْصى: عمرو وعامر، ابنا سعد بن الحارث بن عبّاد ابن سعد بن عامر بن ثعلبة بن مالك بن أفْصى.

قال ابن هشام. ويقال أبو كلاب وجابر، ابنا عمرو.

عمرة القضية

ويُرْوى أيضاً: عُمْرَة القضاء، ويقال لها: عُمْرة القِصاص، وهذا الاسمُ أولى بها لقوله تعالى: ﴿ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ ﴾ البقرة: ١٩٤ وهذه الآيةُ فيها نزلت، فهذا الاسم أولى بها، وسميت عُمْرَة القَضَاء، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قاضى قُريشاً عليها، لا لأنه قَضَى العُمْرَةَ التى صُدَّ عن البيت فيها[1]، فإنها لم تك فَسَدَت بصدِّهم عن البيت، بل كانت عُمْرةً تامةً مُتقبَّلة، حتى إنهم حين حَلَقُوا رُءوسَهم بالحلّ احتملتها الريحُ، فألقتْها فى الحرم، فهى مَعْدُودَةٌ فى عُمَرِ النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهى أربع: عُمْرَةُ الحُدَيْبِيَة، وعُمْرَةُ القَضَاء، وعُمْرة الجِعِرَّانَة، والعمرةُ التى

---

(١) هذا هو الصواب، لأن الذين صدوا عن المسجد الحرام كانوا ألفاً وأربعمائة، وهؤلاء لم يكونوا معه «ص» فى عمرة القضية، ولو كانت قضاء لم يتخلف منهم أحد. أما قصـــة الشعر التى سيقصها السهيلى. فهى من الطرائف لا الحقائق.

رفع المسـهم

. . . .

قرنها مع حَجَّه فى حجة الوداع،فهو أصح القولين أنه كان قارناً فى تلك الحجة[١] وكانت إحدى عُمَرِه عليه السلام فى شَوَّال كذلك روى عُرْوَةُ عن عائشة[٢] ، وأكثر الروايات أنهن كُنَّ كُلُّهن فى ذى القعدة إلا التى قَرَن مع حجه[٣] ، كذلك روى الزُّهْرِىُّ ، وانفرد مَعْمَرُ عن الزُّهْرى بأنه عليه السلام كان قارناً ، وأن عُمَرَه كُنَّ أربعاً بعُمْرَة القِران .

وأما حجاته عليه السلام فقد روى التِّرْمِذِىُّ أنه حَجَّ ثَلَاث حجات ثِنْتَين بمكة ، وواحدةً بالمدينة وهى حجة الوداع[٤] ، ولاينبغى أن يُضاف إليه فى الحقيقة إلا حجة الوداع ، وإن كان حج مع الناس إذ كان بمكة كما روى الترمذى ، فلم يكن ذلك الحج على سُنَّة الحج ، وكماله ، لأنه كان مغلوباً على

---

(١) كان قارناً لأنه «ص» جمع بين النسكين ، وكان مفرداً باعتبار اقتصاره على أحد الطوافين والسعيين .

(٢) هذا من رواية لمالك فى الموطأ أن رسول الله «ص» لم يعتمر إلا ثلاثاً إحداهن فى شوال واثنتين فى ذى القعدة ولكنه مرسل ، وهو غلط إما من هشام وإما من عروة . ورواه أبو داود مرفوعا عن عائشة . ولا يصح رفعه . ويدل على بطلانه قول عائشة وابن عباس وأنس : لم يعتمر رسول الله «ص» إلا فى ذى القعدة .

(٣) بل كانت أيضاً فى ذى القعدة . لأن خروجه صلى الله عليه وسلم كان لست ليال بقين من ذى القعدة .

(٤) قال عنه الترمذى : حديث غريب . قال : وسألت محمداً يعنى : البخارى- عن هذا فلم يعرفه من حديث الثورى ، وفى رواية : لا يعد هذا الحديث محفوظاً، وليس له «ص» سوى حجة واحدة .

رفع
المسـاهم
عز الله الطوالة

. . . .

أمره ، وكان الحجُّ منقولاً عن وقته ، كما تقدم فى أول الكتاب ، فقد ذكر أنهم كانوا ينقلونه على حسب الشهور الشَّمسيَّة ، ويؤخِّرونه فى كل سنة أَحَدَ عَشَرَ يَوْماً ، وهذا هو الذى منع النبىَّ - صلى الله عليه وسلم - أن يَحُجَّ من المدينة ، حتى كانت مكةُ دارَ إسلام ، وقد كان أراد أن يحُجَّ مَقْفَلَه من تَبُوكَ ، وذلك بإثْرِ فَتح مكة بيسير ، ثم ذكر أن بقايا المشركين يحُجُّون ، ويطوفون عُراةً وأخَّر الحج ، حتى نَبَذَ إلى كُلِّ ذى عَهْدٍ عَهْده ، وذلك فى السنة التاسعة ، ثم حج فى السنة العاشرة بعد انِّمحاء رُسُوم الشرك ، وانحِسَام سَير الجاهلية ؛ ولذلك قال فى حجة الوداع : إن الزمانَ قد استدار كَهَيْئَتِه يوم خَلَقَ اللهُ السماواتِ والأرضَ .

حكم العمرة :

والعُمْرَةُ واجبةٌ فى قولِ أكثر العلماء ، وهو قول ابن عُمَرَ وابن عباس ، وقال الشَّعْبِيُّ : ليست بواجبة ، وذكر عنه أنه كان يقرؤها : ﴿ وأتِمُّوا الحجَّ والعُمْرَةُ لله ﴾ بالرَّفع لا يعطفها على الحَجِّ ، وقال عطاء : هى واجبةٌ إلا على أهل مكة ، ويكره مالكٌ أن يَعْتَمِر الرجلُ فى العام مراراً ، وهو قول الحسنِ وابنِ سيرين ، وجمهورُ العلماء على الإباحة فى ذلك ، وهو قول عليٍّ وابن عباس وعائشةَ والقاسم بن محمد قالوا : يعتمر الرجلُ فى العام ما شاء[1] .

---

(١) حقق الإمام ابن القيم هذه المسألة ، وانتهى إلى نتيجة هى أن المسلم يجوز له أن يعتمر فى العام ما شاء ، فانظر ص ٣٦٣ وما بعدها ح ١ زاد المعاد .

رفع عبد الرحمن المساهم

. . . .

تفسير شعر عمار :

وذكر قول عبدِ الله بن رَوَاحَةَ وهو آخذٌ بخِطَامِ ناقةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم :

خَلُّوا بَنِى الكُفَّار عن سبيله

نحن قَتَلْنَاكُمْ على تأويلِه كما قَتَلْنَاكُمْ على تنزيلِه(١)

ويُروى اليوم نَضرِبْكُمْ على تأويله بسكون الباء ، وهو جائز فى الضرورة نحو قول امْرِئِ القَيْسِ :

فاليوم أشْرَبْ غَيْرَ مُسْتَحْقِبِ(٢)

ولا يبعد أن يكون جائزاً فى الكلام إذا اتصل بضمير الجمع ، فقد روى عن ابن عَمْرٍو أنه كان يقرأ ﴿يأمُرْكُمْ ويَنْصُرْكُمْ﴾ وهذان البيتان الأخيران هما لعمار بن ياسر ، كما قال ابنُ هشام، قالهما يوم صِفِّين ، وهو اليوم الذى قُتِلَ فيه عمارٌ ، قتله أبو الغادية الفَزَارِىّ وابنُ جَزْء اشتركا فيه .

حكم الزواج للمحرم :

فصل : وذكر تزوُّجَ رسولِ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لمَيْمُونة بنتِ

---

(١) يعنى : إنكار تنزيله .

(٢) رواية البيت فى اللسان هكذا :

فاليوم أسقى غير مستحقب إثمـاً من الله ولا واغـل

. . . .

الحارث الهِلَالِيَّة، وأمُّها هِنْدُ بنتُ عَوْفٍ الكِنَانِيَّة إلى آخر قصتها، وفيه أن حُوَيْطِبَ بن عَبْدِ العُزَّى، قال للنبي صلى الله عليه وسلم فى اليوم الثالث: أخْرُجْ عنا، وقد كان أراد أن يَبْتَنِي بِمَيْمُونَةَ فى مكة، ويصنع لهم طعاماً، فقال له حُوَيْطِبٌ: لا حاجة لنا بطعامك فاخْرُجْ عنا، فقال له سعد: ياعَاضًّا بِبَظْرِ أمِّه أأَرْضُك وأرضُ أمِّك؟ هى دونه؟! فأسكته النبيُّ صلى الله عليه وسلم، وخرج وفاءً لهم بشَرْطِهِمْ، وابْتَنَى بها بِسَرِفٍ، وبسَرِفٍ، كانت وفاتُها رضى الله عنها حين ماتت، وذلك سنة ثَلَاثٍ وستين، وقيل: سَنَةَ سِتٍّ وستين، وصلى عليها ابنُ عباس، ويزيدُ بن الأصم، وكلاهما ابنُ أخْتٍ لها، ويقال: فيها نزلت: ﴿وامرأةً مُؤمنةً إنْ وَهَبَتْ نفسَها للنبيِّ﴾ الأحزاب: ٥٠ فى أحد الأقوال، وذلك أن الخاطب جاءها، وهى على بَعِيرِها، فقالت: البعيرُ وما عليه لرسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم. واختلف الناسُ فى تزويجه إيَّاها أكان مُحْرِماً أم حَلَالًا، فروى ابنُ عباس أنه تزوجها مُحْرِماً، واحتج به أهلُ العِراق فى تجويز نكاح المُحْرِمِ، وخالفهم أهلُ الحِجاز، واحتجوا بنهيه عليه السلام عن أن يُنْكِح المُحْرِمُ أو يَنْكِح، وزاد بعضُهم فيه: أو يَخْطُبُ[1] من رواية مَالِكٍ، وعارضوا حديث ابنِ عَبَّاسٍ بحديث يزيد ابن الأصَمِّ أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم تزوج مَيْمُونَةَ وهو حَلَالٌ[2] وخرج

---

(١) رواية مسلم عن عثمان بن عفان قال: سمعت رسول الله «ص» يقول: «لا ينكح المحرم، ولا ينكح ولا يخطب»، وحديث ابن عباس فى الصحيحين والموطأ والسنن.

(٢) رواه مسلم.

. . . .

الدَّارَقُطْنِيُّ والتِّرمذى أيضاً من طريق أبى رافع أن النبى صلى الله عليه وسلم، تزوج مَيْمُونَةَ ، وهو حَلَالٌ . وروى الدَّارَقُطنِيُّ من طريقٍ ضعيف عن أبى هُرَيْرَةَ أنه تزوجها وهو مُحْرِم كرواية ابن عباس . وفى مسند البَزَّار من حديث مَسْرُوقٍ وعائشةَ رضى الله عنها ، قالت : تزوج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ـ وهو مُحْرِمٌ،واحتَجَم،وهو مُحْرِمٌ ، وإن لم تذكر فى هذا الحديث مَيْمُونة ، فنكاحها أرادت ،وهو حديث غريب ، وخرج البخارى حديث ابن عباس ، ولم يعلله هو ، ولا غيره ، وروى عن سعيد بن المسيب أنه قال: غلط ابن عباس أو قال وَهِم ، ما تَزَوَّجها النبى صلى الله عليه وسلم إلّا وهو حَلَالٌ، ولما أجمعوا عن ابن عبَّاسٍ أن النبىَّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ تزوجها مُحْرِماً، ولم ينقل عنه أحدٌ من المحدِّثين غير ذلك استغربتُ استغراباً شديداً مارواه الدَّارَقطنى فى السُّنَنِ من طريق أبى الأسودِ يتيم عُرْوَةَ ، ومن طريق مَطَر الوَرَّاق عن عِكْرِمَةَ عن ابن عَبَّاسٍ أن النبى صلى الله عليه وسلم تزوَّج مَيْمُونَةَ ، وهو حَلَالٌ ، فهذه الروايةُ عنه موافقةٌ لرواية غيره ، فقف عليها ، فإنها غريبة عن ابن عباس ، وقد كان من شيوخنا رحمهم الله مَنْ يتأوَّل قول ابنِ عبَّاسٍ : تزوجها مُحْرِماً ، أى : فى الشهر الحرام ، وفى البلد الحرام ، وذلك أن ابنَ عباس رجلٌ عربى فصيح ، فتكلم بكلام العرب ، ولم يُرِدِ الإحرامَ بالحج ، وقد قال الشاعر :

قَتَلوا ابنَ عفَّان الخَليفَةَ مُحْرِماً ... ودَعا فلم أَرَ مِثْلَهُ مَخْذولا

رفع المسهم

. . . .

وذلك أن قتله كان فى أيام التشريق[1] ، والله أعلم أأراد ذلك ابنُ عباس ، أولا .

غزوة مؤتة

وهى مهموزة الواو ، وهى قرية من أرض البَلْقاء من الشام ، وأما المُوتة بلا همْزٍ ، فضَرْبٌ من الجُنُونِ ، وفى الحديث أن النبى – صلى الله عليه وسلم – كان يقول فى صلاته : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من همْزِه ونَفْخِه ونَفْثِه. وفسره راوى الحديث ، فقال : نَفْثُه : الشِّعرُ ، ونفخُه : الكِبْر ، وهَمْزُه : المُوتَةُ .

تفسير (وإن منكم إلا واردها) :

ذكر فى هذه الغزوة قول عبدِ الله بن رَوَاحَةَ حين ذكر قول الله تعالى : ﴿ وإنْ منكم إلَّا وَارِدُها ﴾ مريم : ٧١ : فلست أدرى كيف لى بالصَّدَرِ بعد الوُرُودِ ، وقد تكلم العلماء فيها بأقوال ، منها أن الخطاب متوجِّه إلى الكفارِ على الخصوص ، واحتج قائلو هذه المقالة بقراءة ابن عباس : وإنْ منهم إلا واردها[2] ، وقالت طائفة : الورود هٰهُنا هو الإشراف عليها ومُعَايَنَتها ،

---

(١) يقال : أحرم الرجل إذا عقد الإحرام ، وأحرم : إذا دخل فى الشهر الحرام ، وإن كان حلالا .

(٢) لا يصلح هذا القول ، فالخطاب للانسان ، بدليل قوله سبحانه (ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً) .

. . . .

وحَكَوْا عن العرب : ورَدْتُ الماءَ ، فلم أشرب . وقالت طائفة : الورود هٰهنا هو المُرورُ على الصِّراط ، لأنه على مَتْنِ جَهَنَّمَ أعاذنا الله منها ، وروى أن الله تبارَكَ و تعالَى يجمع الأوَّلين والآخرين فيها ، ثم ينادى منــادٍ : خُذِى أَصحابَكِ ودَعِى أصحابى ، وقالت طائفة : الورود أن يأخذ العبدُ بحظِّ منها ، وقد يكون ذلك فى الدنيا بالحُمِّياتِ ، فإن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : الحُمَّى كِيرٌ من جَهَنَّم ، وهو حَظُّ كل مؤمنٍ من النار (١).

شرح شعر ابن رواحة :

وذكر شِعْر عبدِ الله بن رَوَاحَةَ وفيه :

تقر من (٢) الحشيش لها العُكُوم

تقر: أى يجمع بعضها إلى بعض ، والعُكوم : جمع عِكْم (٣)

وفيه :

من الغبار لها بريم (٤)

---

(١) أما نظم الآية فيؤكد الورود لكل بر وفاجر ، غير أن آيات إنجاء المؤمنين منها ، والقطع فى القرآن بأنهم لن يعذبوا فيها آيات كثيرة ، ولهذا يجب أن نفهم فى الورود هنا أنه ليس دخولا فيها وهى تكاد تتميز من الغيظ ، وإنما هو أشبه شىء بالإشراف عليها وشهودها والله أعلم .

(٢) هى فى السيرة: تغر. وفسرها الخشنى بقوله: أى تطعم شيئاً بعد شىء ، وفى البداية لابن كثير : تعر بفتح التاء وضم العين .

(٣) فسرها الخشنى بأنها الجنوب .

(٤) فى السيرة :الغبار لها بريم .

. . . .

البريمُ : خيطٌ تحتزِمُ به المرأةُ ، والبريم أيضاً : لفيفُ الناسِ ، وأخلاطُهم ، ويقال : هم بَرِيمانِ ، أى لَوْنَانِ مُختلِطانِ .

وفيه :

أقامتْ لَيْلتَيْنِ على مَعَانِ

قال الشيخ أبو بحر : مُعَان بضم الميم ، وجدته فى الأصلين ، وأصلحه علينا القاضى — رحمه الله — حين السماع : مَعان بفتح الميم ، وهو اسم مَوْضع ، وذكره البكرى بضم الميم ، وقال : هو اسم جبَلٍ ، والمَعان أيضاً : حيث تُحْبَس الخيل والركاب ، ويجتمع الناس ، ويجوز أن يكون من أمْعَنْتُ النظر ، أو من الماء المَعِين ، فيكون وزنُه فعالًا ، ويجوز أن يكون من العَوْن ، فيكون وزنه مَفْعَلا ، وقد جَنَّس المَعَرِّى بهذه الكلمة ، فقال :

مَعَانٌ من أحِبَّتِنا مَعَانُ تُجِيبُ الصاهلاتِ بها القِيانُ(١)

وقوله :

فَرَاضِيةُ المَعِيشَةِ طَلَّقَتْهَا

(١) البيت من أول قصيدة له فى سقط الزند ، ومعان الأولى موضع والآخرى : المنزل . تقول العرب : الكوفة معان منا أى منزل . والمعنى : إن هذا الموضع الذى يقال له معان : هو منزل أحبتنا ينزلون به ، ولهم خيول تصهل ، وقيان تغنى ، وكأن المغنيات تجيب الخيل . ويقصد أنهم ملوك عندهم أداة الحرب ، وأسباب الرفاهية . أنظر ص ٥٤ من شرح التنوير على سقط الزند ط ١٣٢٤ هـ .

رفع المسهم

. . . .

أى : المعيشة المَرْضِيَّة ، وبناها على فاعلة ، لأن أهلَها راضُون ، لأنها فى معنى صالِحة ، وقد تقدم طَرَفٌ من القول فى هذا المعنى .

وقوله : وخَلَاكَ ذَمٌّ ، أى : فارقك الذَّمُّ ، فلست بأهل له ، وقد أحسن فى قولِه :

فَشأنُكِ أنْعُمٌ وخَلَاكَ ذَمٌّ

بعد قوله : إذا بَلَّغْتِنِي[1] ، وأحسن أيضاً مَن اتَّبَعه فى هذا المعنى ، كقول أبى نُواس :

وإذا المَطِيُّ بنا بَلَغْنَ مُحَمَّداً   فَظُهُورُهُنَّ على الرِّجالِ حَرَامٌ

وكقول الآخر :

نَجَوْتِ من حَلٍّ ومن رِحْلَةٍ   يا نَاقُ إن قَرَّبْتِنِي من قُثَمْ[2]

وقد أساء الشَّمَّاخُ حيث يقول :

إذا بلّغتِنِى وحَمَلْتِ رَحْلِى   عَرَابَةَ فاشْرَقِى بدم الوَتِينِ[3]

---

(١) فى السيرة : أديتنى .

(٢) البيت لداود بن سلم التيمى يمدح قثم بن العباس ومنها خمسة أبيات فى فى ذيل الأمالى للقالى ص ١٢٩ ط ٢ ومنها :

أصم عن قول الخنا سمعه   وما عن الخير به صمم

(٣) يمدح عرابة بن أوس . وغرضه أنه لا يبالى لأن الممدوح يحمله ويعطيه . وانظر ص ٢١٩ سمط اللآلى ففيها الموازنة بين هذه الأبيات .

رفع المسـاهم

. . . .

ويذكر عن الحسن بن هانىء أنه كان يَشْنَوُه إذا ذكر هذا البيت ، وذكر مُهَلْهِلُ بن يَمُوت بن المزرع عن أبي تمام أنه قال : كان الحسن يَشْنَوُ الشَّمَّاخ ، وأنا ألعنه من أجل قوله هذا .

وقول النبي صلى الله عليه وسلم للغِفَارِيَّة : بئس ما جَزَيْتِيها[١] يَشُدُّ الغرضَ المُتَقَدِّم ، ويشهد لصحته .

وقوله : مُسْتَنْهَى الثَّوَاء : مُسْتَفْعِل من النِّهاية والانتهاء ، أى حيث انتهى مَثْوَاهُ ، ومن رواه : مُشْتَهِيَ الثَّوَاء ، أى لا أريد رجوعا .

وقوله :

حَذَوْنَاهَا من الصَّوَّان سِبْتاً[٢]

أى حذوناها نِعالًا من حَدِيد جَعَلَه سِبْتاً لها[٣] ، مجازاً . وصَوَّان من الصَّوْن ، أى : يصون حَوَافِرَهَا ، أو أخفافها ، إن أراد الإبلَ ، فهو فَعَّال من الصَّون ، فقد كانوا يَحْذُونَها السَّرِيحَ وهو جلد يصون أخفافها ، وأظهر من هذا أن يكونَ أراد بالصَّوَّان يَبِيس الأرض ، أى لا سِبْتَ له إلا ذلك ، ووزنه فَعَلان من قولهم : نَخْلَةٌ خَاوِيَة أى يابسة ، وأنشد أبو على :

---

(١) هاجرت الغفارية إليه من مكة على ناقة ، فقالت : إنى نذرت إن بلغتنى إليك أن أنحرها .

(٢) عيب السهيلى أنه لا يرتب فى شرحه . فهو ينتقل من قصيدة إلى أخرى ، ثم يعود إلى التى تركها .

(٣) السبت : النعال التى تصنع من الجلود المدبوغة .

رفع المسهم

عَداُو بَيتُ كُلَّ ماءٍ فَهِىَ صَاوِيَةٌ [مهما تُصِبْ أفقامن بارقٍ تَشِم][1]

ويشهد لمعنى الصَّوَّان هنا قول النابغة الذُّبْيانى :

يَرى وَقعُ الصَّوَّانِ حَدَّ نُسُورِها [فَهُنَّ لِطافٌ كالصِّعَادِ الذَّوابِلِ]

وعينُ الفعل فى صَوَّان ولامِه واو ، وأدخَل صاحبُ العين فى باب الصاد والواو والياء هذا اللفظ ، فقال : صَوِىَ يَصْوِى : إذا يَبِس ، ونَخْلَةٌ صاوِيَةٌ ، ولو كان مما لامه ياء ، لقيل فى صَوَّان صَيَّان ، كما قيل طَيَّان ورَيَّان ، ولكن لما انقلبت الواوُ ياءً من أجلِ الكَسْرة تَوَهَّم الحرفَ من ذَوَاتِ الياء

وقول عبد الله :

هَلْ أنتِ إلَّا نُطْفَةٌ فى شَنَّةِ

النُّطْفَةُ : القليلُ من الماء ، والشَّنَّةُ : السِّقَاء البالى ، فيُوشِكُ أنْ تُهْرَاقَ النُّطْفَةُ ، ويَنْخَرِق السِّقَاء ، ضَرَب ذلك مَثَلًا لنفسِه فى جَسَدِه .

عقر جعفر فرسه ومقتله :

وأما عَقْرُ جَعْفَرٍ فرسَه ، ولم يَعِبْ ذلك عليه أحدٌ ، فدل على جواز ذلك إذا خِيفَ أن يأخذها العَدُوُّ ، فيقاتل عليها المسلمين ، فلم يَدخُل هذا فى باب النَّهْىِ عن تعذيب البهائم ، وقتلِها عَبَثًا . غير أن أبا دَاوُدِ خَرَّج هذا الحديثَ ،

(١) البيت لساعدة يصف بقر وحش . والنخلة الصاوية التى إذا عطشت ويبست وضمرت .

. . . .

فقال : حدثنا النُّفَيْلى قال : حدثنا محمد بن مَسْلَمَةَ عن محمد بن إسحاق عن ابن عَبَّاد يعنى : يحيى بن عَبَّاد عن أبيه عَبَّاد بن عَبْدِ الله بن الزُّبَيْر ، قال حدثنى : أبى الذى أرْضَعَنى ، وهو أحد بنى مُرَّة بن عَوْف ، وكان فى تلك الغَزَاةِ غزاةِ مُؤتة ، قال : والله لكأنى أنظر إلى جَعْفَرٍ حين اقتحم عن فَرَسٍ له شَقْرَاءَ فَعَقَرها ، ثم قاتل القومَ حتى قُتِل .

قال أبو داود : وليس هذا الحديثُ بالقوى[1] ، وقد جاء فيه نَهْىٌ كثيرٌ عن أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم .

وذكر قول النبى صلى الله عليه وسلم فى جَعْفرٍ : فأثابه اللهُ بذلك جَنَاحين فى الجنة يطير بهما حيث شاء . ورَوَى عِكْرِمَةَ عن ابن عَبَّاس أنَّ النبى صلى الله عليه وسلم قال: دخلتُ الجنة البارحَة، فرأيتُ جعفراً يطير مع الملائكة ، وجناحاه مُضَرَّجَان بالدم[2] . وعن سَعيد بن المُسَيَّب ، قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: مُثِّل لى جَعْفَرٌ وزيدٌ وعبدُ الله بن رَوَاحَة فى خيمة من در على أَسِرَّةٍ ،فرأيتُ زيداً وعبدَ اللهِ وفى أعناقِهما صُدُودٌ ،ورأيت جعفراً مستقيما،فقيل لى : إنهما حين غَشِيَهُما الموتُ أعرضا بوجوههما ، ومضى جعفر ، فلم يُعْرِض ، وسمع النبى-صلى الله عليه وسلم - فاطمة حين جاء نعىُ جعفر تقول : واعَمَّاهُ ،

---

(١) جزم الحافظ أنه حديث حسن . والأصح أن جعفر مات وقد استوفى أربعين سنة وزاد عليها ، وجزم ابن عبد البر أن سنه كان إحدى وأربعين سنة . وفى رواية البخارى أنهم وجدوا بجسمه بضعاً وتسعين من طعنة برمح ورمية بسهم .

(٢) رواه الحاكم والطبرانى عن ابن عباس مرفوعاً .

رفع المسهم

. . . .

فقال : على مِثْلِ جَعْفَرٍ ، فَلْتَبْكِ البواكى . وكان أبو هريرة يقول : ما احتذى النعال ، ولا ركب المطايا بعد رسولِ الله صلى الله عليه وسلم أفضلُ من جَعْفَرٍ . وقال عبد الله بن جعفر : كنت إذا سألت عليًّا حاجةً ، فمنعنى أقسم عليه بحَقِّ جَعْفَرٍ فيعطينى[1] .

معنى الجناحين :

ومما ينبغى الوقوفُ عليه فى معنى الجناحين أنهما ليسا كما يَسْبِق إلى الوهم على مثل جَنَاحَىْ الطائر وريشه ، لأن الصورة الآدمية أشرفُ الصُّوَرِ ، وأكملها ، وفى قوله عليه السلام : إن الله خَلَقَ آدمَ على صُورَتِه[2] تشريفٌ له عظيمٌ ، وحاشا لِلّهِ من التشبيه والتمثيل ، ولكنها عبارةٌ عن صِفَةٍ مَلَكية وقوة رُوحانية ، أُعطيها جعفرُ كما أُعْطِيَتْها الملائكةُ ، وقد قال الله تعالى لموسى: ﴿ اضْمُمْ يَدَكَ إلى جَنَاحِكَ ﴾ طه : ٢٣ فعبر عن العَضُدِ بالجَنَاحِ توسُّعاً ، وليس ثَمَّ طيرانٌ ، فكيف بمن أُعْطِى القوةَ على الطيران مع الملائكةِ أَخْلِقْ به إذاً : أن يُوصَفَ بالجناح مع كمَالِ الصورة الآدمية وتمام الجَوارح البَشَرِية ، وقد قال أهلُ العلم فى أجنحةِ الملائكةِ ليست كما يُتَوَهَّمُ من أجنحةِ الطَّيْر ، ولكنها صفاتٌ مَلَكِيَّةٌ لا تُفْهَم إلا بالمُعَايَنَةِ ، واحتجوا بقوله تعالى : ﴿ أُولِى أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وثُلاثَ ورُبَاعَ ﴾ فاطر : ١ فكيف تكون كأجنحة

---

(١) هذا دليل وضعه ، فما كان لعلى أن يقبل من امرىء الحلف بغير الله !! .

(٢) مخرج فى الصحيحين .

. . . .

«الطَّيرِ على هذا، ولم يُرَ طائرٌ له ثلاثةُ أجنحةٍ، ولا أربعة، فكيف بستمائة جناحٍ، كما جاء فى صفةِ جبريلَ عليه السلام ؟ فدل على أنها صِفاتٌ لا تَنضَبطُ كيفيتُها بالفكر، ولا وَرَد أيضاً فى بيانِها، خبرٌ، فيجب علينا الإيمان بها[1]، ولا يفيدنا علماً إعمالُ الفِكرِ فى كَيْفِيَّتِها، وكل امرىءٍ قريبٌ من مُعايَنَةِ ذلك.

فإمَّا أنْ يكونَ من الذين تَتَنزَّلُ عليهم الملائكةُ أن لا تَخافُوا ولا تَحزَنوا، وأبْشِروا بالجنة التى كنتم توعدون، وإما أن يكون من الذين تقول لهم الملائكةُ، وهم باسِطوا أيديهم: أَخْرِجُوا أنفسكم اليومَ تُجْزَوْنَ عذابَ الهُونِ.

فضل ابن رواحة:

وأما عَبْدُ الله بن رَوَاحَةَ فقد ذكر ابن إسحاقِ ما ذكر من فضائله.

وذكر قولَه للنبى صلى الله عليه وسلم:

فثبَّت اللهُ ما آتاك من حَسَنٍ تثبيتَ موسى ونَصراً كالذى نُصِروا

---

(١) لقد بين الله فى القرآن أنها أجنحة، فيجب علينا الإيمان بأنها أجنحة لكنها لا تشبه جناح الطيور. فكل شىء يناسب خلقه. ولا يجوز بحال تأويلها بأنها صفات، فهو قول على الله بغير علم. ولهذا رد الحافظ فى الفتح كلام السهيلى بقوله: «وهذا الذى جزم به فى مقام المنع، والذى نقله عن العلماء ليس صريحاً فى الدلالة لما ادعاه، ولا مانع من الحمل على الظاهر إلا من جهة ما ذكره من المعهود، وهو من قياس الغائب على الشاهد، وهو ضعيف، وكون الصورة البشرية أشرف الصور لا يمنع من حمل الخبر على ظاهره لأن الصورة باقية» ص ٤١٦ جـ ٧ فتح البارى.

. . . .

وروى غيره أنه عليه السلام قال له : قل شعراً تَقتضِبُه اقتضاباً ، وأنا أنظر إليك ، فقال من غير رَوِيَّةٍ :

إنى تفرَّسْتُ فيك الخير

الأبيات ، حتى انتهى إلى قوله :

فثبَّت اللهُ ما آتاكَ من حَسَنٍ

فقال له النبى صلى الله عليه وسلم: وأنتَ فثبَّتك اللهُ يا ابن رَواحَة[1].

فضل زيد :

وأما زَيْدٌ فقد تقدم التعريفُ به وبجُمْلَةٍ من فضائله فى أحاديثِ المَبْعَثِ ، وحَسْبُك بذكرِ الله له باسمه فى القرآن ، ولم يُذْكَر أحدٌ من الصَّحابةِ باسمِهِ سواه، وقد بينا النُّكْتَة فى ذلك فى كتاب التَّعْرِيفِ والأعلام، فَلْيُنظَر هنالك .

رجوع أهل مؤتة :

فصل وذكر رجُوعَ أهلِ مُؤْتَةَ ، وما لقُوا من الناس ، إذ قالوا لهم : يا فُرَّارُ ، فرَرْتُم فى سبيلِ الله ، ورواية غير ابنِ إسحاق أنهم قالوا للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ نحنُ الفَرَّارُونَ يارَسولَ الله ؟ فقال : بل أنتم الكرَّارُون، وقال لهم : أنا فِئتكُم ، يريد:أن مَنْ فرَّ متحيِّزاً إلى فِئَةِ المسلمين[2]،

---

(١) لم يسند قوله هذا .

(٢) رواه أبو داود والترمذى وابن ماجة ، وقال الترمذى : حسن لانعرفه إلا من حديث ابن أبى زياد ، وفيه : لا ، بل أنتم العكارون ، أنا فئتكم ، وأنا فئة المسلمين .

رفع المسهم

. . . .

فلا حرَجَ عليه ، وإنما جاء الوعيد فيمن فرَّ عن الإمام ، ولم يتحيز إليه ، أى لم يلجأ إلى حوزَته ، فيكون معه ، فالمُتحيِّزُ مُتَفَيْعِلٌ من الحوْزِ ، ولو كان وزنه مُتَفَعِّلًا ، كما يظن بعضُ الناس لقيل فيه : مُتَحَوِّز . وروى أن عُمَرَ رضى الله عنه حين بلغه قتلُ أبى عُبَيْد بن مَسْعُودٍ وأصحابه فى بعض أيام القَادِسِيَّة ، قال : هلا تحيَّزُوا إلينا ، فإنَّا فيئة لكل مُسْلِمٍ .

وذكر ابنُ إسحاق مُحَاشاةَ خالد بن الوليد بالناس يوم مؤتة. والمُحَاشَاةُ : المُحَاجَزَةُ ، وهى مُفَاعَلَةٌ من الخَشْيَة ، لأنه خشى على المسلمين لقلة عددهم ، فقد قيل : كان العدو مائتىْ ألفٍ من الروم ، وخمسين ألفاً من العرب ، ومعهم من الخيول والسلاح ماليس مع المسلمين ، وفى قول ابن إسحاق : وكان العدُّو مائةَ ألفٍ وخمسين ألفاً ، وقد قيل : إن المُسلمين لم يبلغ عددُهم فى ذلك اليوم ثلاثةَ آلاف ، ومن رواه : حاشى بالحاء المهملة ، فهو من الحَشَى ، وهى الناحية ، وفى رواية قاسم بن أصْبَغ عن ابن قُتَيْبَةَ فى المعارف أنه سُئِل عن قوله : حاشَى بهم ، فقال : معناه : انحاز بهم ، وشعر قطبة بن قتادة يدل على أنه قد كان ثَمَّ ظَفرٌ ومَغْنَمٌ لقوله :

وسُقْنَا نِسَاءَ بنى عَمِّهِ غَدَاةَ رَقُوقَيْن سَوْقَ النَّعَمْ

وفى هذا الشعر أنه قتل رئيساً منهم وهو مالك بن رافلة ، وقد اختلف فى ذلك كما ذكر ابن إسحاقٍ ، فقال ابن شهاب : فأخذ خالدٌ الرايةَ حتى فَتَحَ اللهُ على المسلمين ، فأخبر أنه قد كان ثَمَّ فَتْحٌ ، وفى الراية الأخرى حين قيل لهم : يافُرَّارُ ، دليلٌ على أنه قد كان ثَمَّ مُحَاجَزَةٌ ، وتَرْكٌ للقتال ، حتى قالوا :

. . . .

نحن الفرارون ، فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم ماتقدم ، فالله أعلم[1] .

طعام التعزية وغيرها :

فصل : وذكر أن رسولَ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أمر أن يُصْنَع لآلِ جَعْفَرٍ طَعامٌ ، فإنهم قد شُغِلوا بأمر صاحبهم ، وهذا أصلٌ فى طَعام التَّعْزِيَة وتُسَمِّيهِ العَرَبُ الْوَضِيمَةَ ، كما تُسَمِّى طعام العُرْسِ الْوَلِيمة ، وطعام القادم من السفر : النَّقِيعَةَ ، وطعام البناء الوَكِيرَة ، وكان الطعامُ الذى صُنِعَ لآلِ جَعْفَرٍ فيما ذكر الزبير ، فى حديث طويل عن عبدِ الله بن جَعْفر قال : فَعَمَدَتْ سَلْمَى

(١) عند الحاكم أن خالد قاتلهم ، فقتل منهم مقتلة عظيمة ، وأصاب غنيمة ، وفى صحيح البخارى عن خالد : لقد انقطعت فى يدى يوم مؤتة تسعة أسياف ، فما بقى فى يدى إلا صفيحة يمانية . وعند أحمد ومسلم وأبى داود أن رجلا من أهل اليمن رافقه ، فقتل رومياً . وأخذ سلبه ، فاستكثره خالد ، فشكاه إلى رسول الله « ص » كل هذا يدل على أن خالداً قاتل بالمسلمين الروم قتالا شديداً . ورواية الصحيح : حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم ، وهـذا يؤكد النصر . ولهذا يقول ابن كثير عن رواية ابن إسحاق التى يقول فيها إن المسلمين جعلوا يحثون عليهم بالتراب ويقولون : يا فرار الخ يقول عنها : هذا مرسل من هذا الوجه ، وفيه غرابة ، وعندى أن ابن إسحاق قد وهم فى هذا السياق ، فظن أن هذا الجمهور الجيش ، وإنما كان للذين فروا حين التقى الجمعان ، وأما بقيتهم ، فلم يفروا ، بل نصروا كما أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين ، وهو على المنبر فى قوله : ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله ففتح الله على يديه ، فما كان المسلمون ليسمونهم فراراً بعد ذلك ، وإنما تلقوهم إكراماً وإعظاماً ، وإنما كان التأنيب ، وحثى التراب للذين فروا وتركوهم

رفع المسهم

. . . .

مَوْلاة النبيِّ صلى الله عليه وسلم إلى شَعِيرٍ ، فطحنته ، ثم آدَمَتْهُ بزيت ، وجعلت عليه فُلْفُلاً ، قال عبدُ الله : فأكلت منه ، وحبسنى النبىُّ صلى الله عليه وسلم مع إخوتى فى بيته ثلاثة أيام .

من شعر حسان فى رثاء جعفر :

وذكر قول حسَّان يَرْثى جَعْفراً :

تأوَّبَنِى ليلٌ بِيَثْرِبَ أعْسَرُ

أعْسَر : بمعنى : عَسِر ، وفى التَّنْزِيلِ : ﴿ يَوْمٌ عَسِرٌ ﴾ ، وفيه أيضاً ﴿عَسِير﴾ والمعنى متقارب ، فمن قال : عَسُرَ [يَعْسُر] قال : عَسِيرٌ بالياء ، ومن قال: عَسِرَ يَعْسَر ، قال فى الاسم : عَسِرٌ وأعْسَرُ ، مثل حَمِقٌ وأحْمَقُ .

وفى هذا الشعر قوله :

بهَالِيلُ منهم : جَعْفَرٌ وابنُ أُمِّه عَلِىٌّ ومنهم أحْمَدُ المُتخَيَّرُ

البَهَالِيلُ : جَمْعُ بُهْلُولٍ ، وهو الوَضِىءُ الوجْهِ مع طولٍ .

وقوله : منهم أحمد المتخير ، فدعا به بعض الناس لما أضاف أحمد المتخير إليهم ، وليس بعيبٍ ؛ لأنها ليست بإضافةِ تعريفٍ ، وإنما هو تشريف لهم حيث كان منهم ، وإنما ظَهَر العيبُ فى قول أبى نواس :

كيف لايدنيك من أمَلٍ مَنْ رَسُولُ اللهِ مِنْ نَفَرِه

لأنه ذكر واحداً ، وأضاف إليه ، فصار بمنزلة ماعيب على الأعشى :

. . . .

شَتَّان مايَوْمِي على كُورِها ويومُ حيَّانَ أخى جابِرِ

وكان حَيَّانُ أسنَّ من جابر، وأشرف، فغضب على الأعشى حيث عرفه بجابر، واعتذر إليه من أجل الرَّوِيِّ، فلم يقبل عُذْرَه، ووجدت فى رسالة المهلهل بن يَمُوت بن المزرع، قال: قال على بن الأصغر، وكان من رُواة أبى نُواسٍ قال: لما عمل أبو نواس:

أيها المُنْتَابُ عن عُفُرِه

أنشدنيها فلما بلغ قوله:

كيف لايُدْنيكَ مِنْ أَمَلٍ مَنْ رَسُولُ اللهِ مِنْ نَفَرِه

وقع لى أنه كلام مُسْتَهْجَنٌ فى غير موضعه، إذ كان حَقُّ رسولِ الله — صلى الله عليه وسلم — أن يُضَاف إليه، ولا يُضَاف إلى أحَدٍ، فقلت له: أعرفت عيبَ هذا البيت؟ قال: مايعيبه إلا جاهل بكلام العرب، وإنما أردت أن رَسولَ الله — صلى الله عليه وسلم — من القبيل الذى هــذا الممدوح مِنْهُ».

أما سمعت قول حسان بن ثابت شاعرِ دين الإسلام:

ومازال فى الإسلام من آلِ هاشمٍ دعائمُ عِزٍّ لايُرَامُ ومَفْخَرُ

بَهاليلُ منهم جعفرٌ وابنُ أُمِّه عَلِيٌّ ومنهم أحمدُ المُتَخَيَّرُ

وقوله:

بهم تُفْرَجُ اللَّأْواءُ فى كل مَأزِقٍ * عَماسٍ

. . . .

المأزِق: المَضِيقُ من مَضَائِقِ الحرب والخصومة، وهو من أَزَقْتُ الشيء إذا ضيَّقته[1]، وفى قصة ذى الرُّمَّة قال: سمعت غلاماً يقول لِغِلْمَة: قد أزِقتُم هذه الأُوَقَة حتى جَعَلتموها كالميم، ثم أدخل مَنْجِمَه[2]، يعنى: عقبة فيها، فَنَجْنَجَه، حتى أفهقها، أى حرَّكه حتى وَسِعها. والعمَاسُ: المظلم، والأعمس: الضعيف البصر، وحُفرة مُعَمَّسة، أى مُغَطَّاة، قال الشاعر:

فإنك قد غَطَّيْتَ أرجاء هُوَّةٍ ... مُعَمَّسَةٍ لا يُسْتَبَانُ تُرابُها

بثوبِك فى الظَّلْماء، ثم دَعَوْتَنى ... فجئتُ إليها سادِراً لا أهابُها

أنشده ابن الأنبارِىّ فى خبر لزُرَارَة بن عُدُسٍ.

حول شعر كعب:

وذكر شعر كَعْبٍ وفيه:

سَحًّا كما وَكَفَ الطِّبَابُ المُخْضِلُ

الطِّبَابُ: جمع طِبَابةٍ، وهى سَيْر بين خَرَزَتَيْن فى المَزَادَةِ، فإذا كان غير مُحكَمٍ وَكَفَ منه الماء، والطِّبابُ أيضاً: جمع طُبَّةٍ، وهى شقة مستطيلة.

وقوله: طوْراً أخِنُّ. الخَنِينُ بالخاء المنقوطة حَنِينٌ بِبُكاءٍ، فإذا كان بالحاء المهملة، فليس معه بكاء ولا دَمْعٌ.

---

(١) فى القاموس: أزق صدره كفرح وضرب، ضاق أو تضايق فى الحرب كتأزق، ولم يذكر اللسان غير أزق كفرح.

(٢) هى على وزن منبر ومجلس.

. . . .

الاستسقاء للقبور عند العرب :

وقوله : وَسَقَى عظامَهم الغَمامُ المُسْبِل . يرد قول من قال : إنما استسقت العربُ لقبور أحبتها لِتَخْصَبَ أرضُها فلا يحتاجون إلى الانتقال عنها لطلب النُّجْعَة فى البلاد . وقال قاسم بن ثابت فى الدلائل : فهذا كَعْبٌ يَسْتَسْقِى لعظام الشُّهَدَاءِ بمُؤْتَةَ ، وليس معهم ، وكذلك قول الآخر :

سَقَى مُطْغِيات المَحْلِ جُوداً وديمَةً عظام ابن ليلى حيث كانَ رَمِيمُها

فقوله : حيث كان رَمِيمُها يدل على أنه ليس مُقِيما معه ، وإنما اسْتِسْقَاؤهم لأهل القبور استرحامٌ لهم ، لأن السَّقْىَ رحمة ، وضدها عذاب .

وقوله : كأنهم فُنُقٌ ، جمع : فَنِيق ، وهو الفَحْل ، كما قال الآخر ، وهو طخيم :

مَعِى كل فَضْفَاضِ الرِّداء كأنه إذا مامرت فيه المُدامُ فَنِيقُ

وقوله :

فتغيَّر القمرُ المنيرُ لفقده والشمسُ قد كُسِفَتْ وكادت تأْفِلُ

قوله حق ، لأنه إن كان عنى بالقمر رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فجعله قمراً ، ثم جعله شمساً ، فقد كان تغير بالحُزن لفقد جعفر ، وإن كان أراد القمرَ نفسه ، فمعنى الكلام ومغزاه حقٌّ أيضاً ، لأن المفهوم منه تعظيمُ الحزن والمصاب ، وإذا فهم مَغْزَى الشاعر فى كلامه ، والمبالغ فى الشيء فليس بكَذِب ،

. . . .

ألا ترى إلى قوله عليه السلام : أما أبو جَهْمٍ فلا يضع عَصاهُ عن عَاتِقه ، أراد به المبالغة فى شِدَّةِ أدبه لأهله ، فكلامُه كُلُّه حَقٌّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكذلك قالوا فى مثل قول الشاعر [طُفَيْل الغَنَوِى] :

إذا ما غَضِبْنا غَضْبَــــــةً مُضَرِيَّةً

هَتَكْنا حِجَابَ الشَّمْسِ ، أو قَطَرَت دَماً[1] .

قال : إنما أراد فَعلنا فِعلةً شَنِيعَةً عظيمة ، فضرب المثلَ بهَتْكِ حِجَابِ الشمس ، وفهم مقصده ، فلم يكن كَذِباً ، وإنما الكذبُ أنْ يقول : فعلنا ، وهم لم يفعلوا ، وقتلنا وهم لم يَقتلوا .

من شعر حسان في رثاء جعفر :

وذكر أبيات حَسَّان ، وفى بعضها تضمينٌ ، نحو قوله : وأذلها ، ثم قال فى أول بيت آخر : لِلحَقِّ ، وكذلك قال فى بيت آخر : وأقلِّها ، وقال فى الذى بعده : فُحْشاً ، وهذا يسمى التَّضْمِين .

وذكر قُدامَةَ فى كتاب نَقْدِ الشِّعر أنه عَيْبٌ عند الشُّعَراء ، ولَعَمرِى إن فيه مَقَالًا ، لأن آخر البيت يوقف عليه ، فيوهم الذَّمَّ فى مثل قوله : وأذلَّها ، وكذلك ، وأقلِّها ، وقد غلب الزِّبْرِقَانُ على المُخَبَّلِ السَّعْدِى[2] ، واسمه : كعبٌ بكلمة قالها المخبل أشعر منه ، ولكنه لما قال يَهْجُوه :

---

(١) فى رواية : مطرت ، وهى أليق .

(٢) هو ربيعة بن مالك بن ربيعة بن عوف بن قتال بن أنف الناقة الجمجى . هذا قول محمد بن حبيب . وقال ابن الكلبى : الربيع بن ربيعة بن عوف . وقال ابن رآب : اسمه : كعب .

. . . .

وأبوكَ بَدْرٌ كان يَنْتَهِزُ الْخُصَى وأبى الجوادُ ربيعةُ بن قِتَالِ[1]

وَصَل الكلامَ بقوله : وأبِى ، وأدركه بُهْرٌ أو سُعْلَةٌ ، فقال له الزِّبْرِقَانُ : فلا بأس إذاً ، فضحك من الْمُخَبَّل ، وغلب عليه الزِّبْرِقَان ، وإذا كان هذا مَعِيباً فى وَسَطِ البيت ، فأحْرَى أنْ يُعابَ فى آخره ، إذا كان يوهم الذمَّ ، ولا يندفع ذلك الوهم إلا بالبيت الثانى ، فليس هذا من التَّحْصِين على المعانى والتَّوَقِّى للاعتراض[2] .

وقول حسان :

عَيْنُ جُودى بدمْعِك المَنْزُورِ

المنْزُورُ : القليل ، ولا يحسن هٰهنا ذكرُ القليل ، ولكنه من نَزَرْتُ الرَّجُلَ إذا أَلْحَحْتُ عليه ، ونَزَرْتُ الشىء إذا اسْتَنفَدْتَهُ ، ومنه قولُ عُمَرَ ـ رحمه الله ـ نَزَرْتُ رسولَ الله ـ صلى الله عليه وسلم[3] ـ الأصح فيه التَّخْفِيفُ ،

---

(١) فى الأصل : قتال وصوابه ما أثبت .

(٢) المضمن من الشعر ما ضمنته بيتاً ، وقيل مالم تتم معانى قوافيه إلا بالبيت الذى يليه . ولا يعيب الأخفش هذا ، وقال ابن جنى : هذا الذى رآه أبو الحسن من أن التضمين ليس بعيب مذهب تراه العرب ، وتستجيزه وانظر اللسان مادة ضمن ففيه المزيد .

(٣) لأنه كان قد سأل رسول الله عن شىء مراراً فلم يجبه ، فقال لنفسه : ثكلتك أمك يا عمر : نزرت رسول الله صلى الله عليه وسلم مراراً لا يجيبك . أى ألححت عليه فى المسألة .

ذكر الأسباب الموجبة
المسير إلى مكة وذكر فتح مكة
في شهر رمضان سنة ثمان

قال ابن إسحاق : ثم أقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بعد بَعْثه إلى مُؤتة جمادى الآخرة ورجباً .

قال الشاعر :

فَخُذْ عَفْوَ مَنْ تَهْواه لا تُنْزِرَنَّهُ فعند بلوغ الكَدْرِ رَنْقُ المَشارِبِ (١)

وقوله : يَوْم راحُوا في وَقْعةِ التَّغْوير ، هو مَصْدرُ غَوَّرْت إذا تَوَسَّطَ القائلة من النهار ، ويقـــال أيضاً : أغْوَرَ فهو مُغْوِرٌ ، وفي حديث الإفك : مُغْوِرين في نَحْرِ الظَّهِيرة ، وإنما صحت الواو في مُغْوِر ، وفي أغْوَرَ من هذا ، لأن الفعل بُني فيه على الزَّوائد ، كما بُني استَحْوَذَ ، وأغْيَلَت المرأةُ ، وليس كذلك أغارَ على العَدُوّ ، ولا أغارَ الحبلَ .

وذكر فيمن استشهد بمُؤْتة أبا كُلَيْبِ بن أبي صَعْصَعَة . وقال ابن هشام : فيه أبو كِلَابٍ ، وهو المعروف عندهم ، وقال أبو عُمَرَ : لا يعْرفُ في الصحابة أحد يقال له أبو كُلَيْب (٢) .

---

(١) هو في اللسان وشطره الأول هكذا : «فخذ عفو ما آتاك لا تنزرنه» .

(٢) يقول الحافظ في الإصابة : يحتمل أن يكون أراد هذا . يعني أبا كليب بن عمرو بن زيد بن عوف بن مبذول الأنصاري أخا جابر شقيقه ، ويحتمل أن يكون جد عاصم بن كليب فإن لعاصم رواية عن أبيه عن جده .

رفع
المسـاهم
عز الله له الدين

ثم إن بنى بكر بن عبد مَناة بن كنانة عَدَت على خُزاعة، وهم على ماء لهم بأسفل مكة يقال له: الوَتِير، وكان الذى هاج ما بين بنى بكر وخُزاعة أن رجلا من بنى الحَضْرمى، واسمه مالك بن عبَّاد ـ وحِلْف الحَضْرمى يومئذ إلى الأسود بن رَزْن ـ خرج تاجراً، فلما توسَّط أرض خزاعة، عَدوا عليه فقتلوه، وأخذوا ماله، فعَدت بنو بكر على رجل من خُزاعة فقتلوه، فعدَت خزاعةُ قُبيل الإسلام على بنى الأسود بن رَزْن الدِّيلى ـ وهم مَنْخَرُ بنى كنانة وأشرافهم ـ سَلْمى وكُلثوم وذُؤَيب ـ فقتلوهم بعرَفة عند أنصاب الحرم.

قال ابن إسحاق: وحدثنى رجل من بنى الدِّيل، قال: كان بنو الأسود ابن رِزْن يُوْدَوْن فى الجاهليَّة ديتين ديتين، ونُودَى دِيَةً دِيةً، لفضلهم فينا.

قال ابن إسحاق: فبينا بنو بكر وخُزاعة على ذلك حَجَز بينهم الإسلام، وتشاغل الناس به. فلما كان صلحُ الحديبية بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قُرَيش، كان فيما شرَطوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وشرَط لهم، كما حدثنى الزهرى، عن عروة بن الزُّبير، عن المِسْور بن مَخْرمة ومروان بن الحكم، وغيرهم من علمائنا: أنه من أحبَّ أن يدخل فى عَقْد رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وعَهده فليدخل فيه، ومن أحبَّ أن يدخل فى عَقد قُريش وعهدهم فليدخل فيه. فدخلت بنو بكر فى عَقد قُريش وعهدهم، ودخلت خُزاعة فى عقد رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وعَهده.

قال ابن إسحاق: فلما كانت الهُدْنة اغتنمها بنو الدِّيل من بَنِي بَكْرٍ من خُزاعة، وأرادوا أن يصيبوا منهم ثأراً بأولئك النفر الذين أصابوا منهم ببنى

الأسود بن رَزْن ، فخرج نوفل بن معاوية الدِّيلي في بني الدِّيل ، وهو يومئذ قائدهم ، وليس كلّ بني بكر تابعه حتى بيَّت خُزاعة وهم على الوَتِير ، ماء لهم ، فأصابوا منهم رجلا ، وتحاوزوا واقتتلوا ، ورفدت بني بكر قريشٌ بالسلاح ، وقاتل معهم من قُريش مَن قاتل بالليل مستخفياً ، حتى حازوا خُزاعةَ إلى الحَرَم ، فلما انتهَوْا إليه ، قالت بنو بكر : يانَوْفل ، إنَّا قد دخلنا الحرم ، إلهكَ إلهكَ ، فقال : كلمة عظيمة ، لا إله له اليوم ، يابني بكر أصيبوا ثأركم ، فلعمري إنكم لتَسْرِقون ، في الحرم ، أفلا تصيبون ثأركم فيه ؛ وقد أصابوا منهم ليلة بيَّتوهم بالوَتير رجلا يقال له منبه ، وكان منبه رجلا مفئوداً خرج هو ورجل من قومه يقال له تميم بن أسد ، وقال له منبه : ياتميم ، انج بنفسك ، فأما أنا فوالله إني لميِّت ، قتلوني أو تركوني لقد انبَتَّ فؤادي ، وانطلق تميم فأفلت ، وأدركوا مُنبِّهاً فقتلوه ، فلما دخلت خُزاعة مكة ، لجئوا إلى دار بُدَيل ابن ورقاء ، ودار مولى لهم يقال له رافع ؛ فقال تميم بن أسد يعتذر من فراره عن مُنَبِّه :

شعر تميم في الاعتذار من فراره عن منبه

لمَّا رأيتُ بني نُفَاثة أقبلُوا ... يغشَوْنَ كُلَّ وَتِيرةٍ وحِجابِ

صَخْراً وَرَزْناً لاعَرِيبَ سِوَاهُمُ ... يُزْجُونَ كُلَّ مُقَلِّصٍ خِنَّابِ

وذكرتُ ذَحْلاً عِندَنا مُتَقادِماً ... فيما مَضَى مِنْ سالِفِ الأحْقابِ

ونَشَيتُ رِيحَ المَوْتِ مِنْ تِلقائِهم ... ورهِبْتُ وَقْعَ مُهَنَّدٍ قَضَّابِ

. . . .

وعرفتُ أن مَنْ يَثْقَفوهُ يَتْرُكوا ... لَحْماً لِمُجْزِيَة وشِلْوَ غُرَاب
قَوَّمتُ رِجْلاً لا أخافُ عِثارَها ... وطَرَحت بالمَتْن العَراء ثِيابى
ونَجَوْتُ لا يَنجو نَجائى أحْقَبٌ ... عِلْجٌ أقَبُّ مُشَمَّرُ الأقْرَاب
تَلْحَى ولو شَهِدَتْ لَكان نَكيرُها ... بَوْلاً يَبُلُّ مَشافِرَ القَبْقاب
القَوْمُ أعْلَم ما تَرَكْتُ مُنَبِّهاً ... عَن طِيبِ نَفْسٍ فاسألى أصْحابى

قال ابن هشام : وتُروى لحبيب بن عبد الله (الأعلم) الهُذلى . وبيته : « وذُكرت ذَحْلاً عندنا مُتقادماً » عن أبى عُبيدة ، وقوله « خناب » و « علج أقبّ مشمّر الأقراب » عنه أيضاً .

شعر الأخزر فى الحرب بين كنانة وخزاعة

قال ابن إسحاق : وقال الأخْزَر بن لُعْط الدِّيلى ، فيما كان بين كِنانة وخُزاعة فى تلك الحرب :

ألا هَلْ أتى قُصْوَى الأحابيشِ أننا ... رَدَدْنا بنى كَعْب بأفْوَق ناصِلِ
حَبَسْناهُمُ فى دَارَةِ العَبْدِ رَافِع ... وعندَ بُدَيْلٍ مَحْبِساً غير طائِلِ
بِدَارِ الذّليلِ الآخِذِ الضَّيْمَ بعدَما ... شَفَيْنا النفُوسَ منْهمُ بالمَناصِلِ
حَبَسْناهُمُ حتى إذَا طالَ يوْمُهُمْ ... نَفَحْنا لهُمْ منْ كلّ شِعْبٍ بوَابِلِ
نُذَبِّحهُمْ ذَبْحَ التُّيُوس كأنَّنا ... أُسودٌ تَبارَى فيهِمُ بالقَوَاصِلِ
هُمُ ظَلَمونا واعْتَدَوْا فى مَسيرِهم ... وكانُوا لَدَى الأنْصاب أوَّلَ قاتل
كأنهمُ بالجِزْعِ إذْ يطرُدُونهم ... قَفَا ثَوْرٍ حَفَّانُ النَّعامِ الجَوافِلِ

بديل يرد على الأخزر

فأجابه بُدَيْل بن عبد مَناة بن سَلَمة بن عمرو بن الأجبّ ، وكان يقال له بَديل بن أمّ أصرم ، فقال :

تَفاقَد قومٌ يَفخَرُون ولم نَدَعْ ... لهم سَيِّداً يَندُوهُمُ غيرَ نافلِ
أمِنْ خِيفَةِ القوم الأُلَى تَزدريهمُ ... تُجيز الوَتِير خائفاً غيرَ آيلِ
وفى كلّ يومٍ نحنُ نَحبُو حِباءنا ... لعَقْل ولا يُحْبَى لَنا فى المَعاقِلِ
ونحن صَبَحْنا بالتَّلاعة دارَكُمْ ... بأسْيافنا يَسْبِقْنَ لَوْمَ العَواذل
ونحنُ مَنَعْنا بين بيْض وعِتْوَدٍ ... إلى خَيْف رَضْوَى من مَجرِّ القَنابل
ويومَ الغَميم قد تَكَفَّتَ ساعياً ... عُبَيْسٌ فَجَعْناه بجَلْدٍ حُلاحل
أ إنْ أجَرت فى بيتها أمُّ بعضكم ... بجُعْمُوسِها تَنْزُونَ أنْ لم نُقاتِل
كذبتُمْ وبيتِ اللهِ ما إنْ قتلتُمُ ... ولكنْ تَرَكْنا أمرَكم فى بَلابل

قال ابن هشام : قوله « غير نافل » ، وقوله « إلى خيْف رَضوى » عن غير ابن إسحاق .

شعر حسان فى الحرب بين كنانة وخزاعة

قال ابن هشام : وقال حسان بن ثابت فى ذلك :

لَحا اللهُ قوماً لم ندعْ من سَراتِهم ... لهم أحَداً يَنْدُوهُمُ غيرَ ناقبِ
أخُصْيَىْ حِمارٍ ماتَ بالأمسِ نَوْفلاً ... متى كنتَ مِفلاحاً عدوّ الحقائبِ

رفع عبد الرحمن النجدي
المسلم
غفر الله له ولوالديه

شعر عمرو الخزاعي للرسول يستنصره ورده عليه

قال ابن إسحاق : فلما تظاهرت بنو بكر وقُريش على خُزاعة ، وأصابوا منهم ما أصابوا ، ونَقضوا ما كان بينهم وبين رسولِ الله صلى الله عليه وسلم من العهد والميثاق بما استحلُّوا من خُزاعة ، وكان في عَقْده وعهده ، خرج عمرو ابن سالم الخُزَاعِيُّ ، ثم أحد بني كعب ، حتى قَدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ ، وكان ذلك مما هاج فتح مَكَّة ، فوقف عليه وهو جالس في المسجد بين ظَهْرَانَي الناس ، فقال :

يارَبِّ إني ناشدٌ محمداً ... حِلفَ أبينا وأبيه الأتلدا

قدْ كُنتُم وُلداً وكُنَّا وَالداً ... ثُمَّتَ أسلَمْنا فلَمْ نَنزِعْ يدا

فانصُر هَداكَ اللهُ نَصْراً أعتَدا ... وادعُ عِبادَ اللهِ يأتوا مدَدا

فيهم رسولُ الله قد تجرَّدا ... إنْ سِيم خَسْفاً وجهُه تَرَبَّدَا

في فَيْلق كالبحر يجْرِي مُزْبِدا ... إنّ قُريشاً أخلفوكَ المَوْعِدا

ونَقَضُوا مِيثاقَك المُوَكَّدَا ... وجَعلوا لي في كَدَاءٍ رُصَّدا

وزَعموا أنْ لستُ أدعُو أحَدَا ... وهُمْ أذلّ وأقلّ عَدَدا

هُمْ بَيَّتُونا بالوَتِير هُجَّدا ... وقَتَلُونا رُكَّعاً وسُجَّدَا

يقول : قتِلنا وقد أسلمنا .

قال ابن هشام : ويُروى أيضاً :

فانصر هداك الله نصراً أيدا

قال ابن هشام : ويُروى أيضاً :

نحن ولدناك فكنت ولدا

قال ابن إسحاق : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نُصِرْتَ يا عمرو ابن سالم . ثم عرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم عَنَانٌ من السّماء ، فقال : إن هذه السّحابة لتَسْتَهِلُّ بنصر بني كعب .

ابن ورقاء يشكو إلى الرسول بالمدينة

ثم خرج بُدَيل بن ورقاء في نفر من خُزاعة حتى قَدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فأخبروه بما أُصيب منهم ، وبمُظاهرة قُريش بني بكر عليهم ، ثم انصرفوا راجعين إلى مكة ، وقد قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم للناس : كأنكم بأبي سفيان قد جاءكم ليشُدّ العقْد ، ويَزيد في المُدة . ومضى بُدَيل بن ورقاء وأصحابه حتى لقُوا أبا سُفيان بن حرب بعُسْفان ، قد بعثته قريش إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، ليشُدّ العقد ، ويَزيد في المُدّة ، وقد رَهِبوا الذي صنعوا . فلما لقى أبو سُفيان بُدَيْل بن ورقاء ، قال : من أين أقبلت يا بُدَيْل ؟ وظنّ أنه قد أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ؛ قال تَسيّرت في خزاعة في هذا الساحل ، وفي بطن هذا الوادي ، قال : أَوَ مَا جئت محمداً ؟ قال : لا ؛ فلما راح بُدَيْل إلى مكة ، قال أبو سُفيان : لئن جاء بُدَيْل المدينة لقد عَلف بها النَّوى ، فأتى مَبْرَك راحلته ، فأخذ من بَعرها ففتّه ، فرأى فيه النَّوى ، فقال : أحلف بالله لقد جاء بُدَيل محمداً .

أبو سفيان يحاول المصالحة

ثم خرج أبو سُفيان حتى قَدِم على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم المدينة، فدخل على ابنته أمِّ حَبيبَةَ بنت أبى سُفيان ، فلما ذهب ليَجْلِس على فِراش رسولِ الله صلى الله عليه وسلم طَوَتْه عنه ، فقال : يا بُنيَّة ، ما أدرى أرغِبتِ بى عن هـذا الفِراش أم رَغِبْتِ به عنى ؟ قالت : بل هو فِراش رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وأنت رجل مُشْرِكٌ نَجَس ، ولم أحبّ أن تجلس على فراش رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ؛ قال : والله لقد أصابكِ يا بُنيَّة بعدى شَرٌّ . ثم خرج حتى أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فكلّمه، فلم يردّ عليه شيئاً ، ثم ذهب إلى أبى بكر ، فكلَّمه أن يُكلِّم له رسولَ الله صلى الله عليه وسلم؛ فقال : ما أنا بفاعل ، ثم أتى عُمَرَ بن الخطَّاب فكلّمه ، فقال : أأنا أشفع لكم إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ؟ فوالله لو لم أجد إلا الذَّرّ لجاهدتكم به . ثم خرج فدخل عَلَى علىٍّ بن أبى طالب رضوانُ الله عليه ، وعنده فاطمة بنتُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنها ، وعندها حسنُ بن علىّ ، غلامٌ يَدِبّ بين يديها ، فقال : يا علىّ ، إنك أمَسُّ القوم بى رَحِماً ، وإنى قد جئت فى حاجة ، فلا أرجعنّ كما جئت خائباً ، فاشفع لى إلى رسول الله ، فقال: وَيحكَ يا أبا سفيان ! والله لقد عزَم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على أمر ما نستطيع أن نكلِّمه فيه . فالتفت إلى فاطمة فقال : يابْنةَ مُحمَّد ، هل لكِ أن تأمرى بُنَيَّكِ هذا فيُجيرَ بين الناس ، فيكون سيِّدَ العرب إلى آخر الدهر ؟ قالت : والله ما بلغ بنىّ ذاك أن يُجير بين الناس ، وما يُجير أحدٌ على رسولِ الله صلى الله

عليه وسلم، قال: يا أبا الحسن، إني أرى الأمور قد اشتدّت عليّ، فانصحني؟ قال: والله ما أعلم لك شيئاً يغني عنك شيئاً، ولكنك سيّد بني كِنانة، فقُم فأجِرْ بين الناس، ثم الحق بأرضك؛ قال: أوترى ذلك مُغْنياً عني شيئاً؟ قال: لا والله، ما أظنُّه، ولكني لا أجد لك غير ذلك. فقام أبو سُفيان في المسجد، فقال: أيها الناس، إني قد أجرتُ بين الناس. ثم ركب بعيرَه. فانطلق، فلما قدم على قُريش، قالوا: ما وراءك؟ قال: جِئتُ محمداً فكلَّمته، فوالله ما ردّ عليّ شيئاً، ثم جئتُ ابن أبي قُحافةَ، فلم أجد فيه خيراً، ثم جئتُ ابنَ الخطّاب، فوجدته أدنى العدو.

قال ابن هشام: أعدى العدوّ.

قال ابن إسحاق: ثم جئت عليًّا فوجدته ألينَ القوم، وقد أشار عليّ بشيء صنعتُه، فوالله ما أدري هل يغني ذلك شيئاً أم لا؟ قالوا: وبم أمرك؟ قال: أمرني أن أجير بين الناس، ففعلت؛ قالوا: فهل أجاز ذلك محمد؟ قال: لا، قالوا: ويلك! والله إنْ زاد الرجل على أن لعب بك، فما يُغني عنك ما قلت. قال: لا والله، ما وجدت غيرَ ذلك.

الرسول صلى الله عليه وسلم يعد لفتح مكة

وأمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالجهاز، وأمر أهلَه أن يجهِّزوه، فدخل أبو بكر على ابنته عائشة رضي الله عنها، وهي تحرِّك بعض جَهاز رسولِ الله صلى الله عليه وسلم؛ فقال: أي بُنَيَّـة: أأمركم رسولُ الله

صلى الله عليه وسلم أن تجهِّزُوه ؟ قالت : نعم ، فتجهَّزْ ؛ قال : فأين تَرَيْنه يُرِيد ؟ قالت : (لا) والله ما أدرى . ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم الناس أنه سائر إلى مكة ، وأمرهم بالجِدّ والتَّهيُّؤ ، وقال : اللهمّ خذ العُيون والأخبار عن قُريش حتى نَبغَتها فى بلادها . فتجهّز الناس .

حسان يحرض الناس

فقال حسَّان بن ثابت يحرِّض الناس ، ويذكر مُصاب رجال خُزاعة :

عَنانِي ولم أشْهَد ببَطْحاء مكَّةٍ رِجالُ بنى كَعْبٍ تُحَزّ رِقابُها
بأيدِي رِجالٍ لم يَسُلُّوا سُيوفَهم وقَتْلَى كثيرٌ لم تُجَنّ ثيابُها
ألا ليتَ شعْرى هل تنالنّ نُصْرتى سُهَيل بن عمرو وحَرُّها وعُقابُها
وصَفْوانُ عَوْدٌ حَنّ من شُفْرِاسته فهذَا أوانُ الحرْب شُدّ عصابُها
فَلا تَأْمَننَّا يابن أُمّ مُجالد إذا احتُلِبت صرْفا وأعْصَل نابُها
ولا تجزَعوا منَّا فإنّ سيوفَنا لهَا وقعَةٌ بالموْت يُفتَحُ بابُها

قال ابن هشام : قول حسَّان : « بأيدى رجال لم يَسُلُّوا سيوفَهم » يعنى قريشًا ؛ « وابن أمّ مجالد » يعنى عكْرِمة بن أبى جهل .

كتاب حاطب إلى قريش

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن جعفر بن الزُّبير ، عن عُروة بن الزّبير وغيره من عُلمائنا ، قالوا : لما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم المسيرَ إلى مكة

كتب حاطبُ بن أبي بَلْتعة كتاباً إلى قُريش يُخبرهم بالذى أجمع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأمر فى السير إليهم ، ثم أعطاه امرأةً ، زعم محمدُ بن جعفر أنها من مُزَينَة ، وزعم لى غيره أنها سارَة ، مولاةٌ لبعض بنى عبد المطّلب ، وجعل لها جُعْلاً على أن تبلّغه قريشاً ، فجعلته فى رأسها ، ثم فَتلت عليه قُرونها ، ثم خرجت به ؛ وأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم الخبرُ من السماء بما صنع حاطب ، فبعث علىَّ بن أبى طالب والزُّبَيْرَ بن العوّام رضى الله عنهما ، فقال : أدركا امرأة قد كتب معها حاطبُ بن أبى بَلْتعة بكتاب إلى قريش ، يحذِّرهم ماقد أجمعنا له فى أمرهم ، فخرجا حتى أدركاها بالخُلَيْقَة ، خليقة بنى أبى أحمد ، فاستنزَلاها ، فالتمساه فى رَحْلها ، فلم يجدا شيئاً ، فقال لها علىّ بن أبى طالب : إنى أحلف بالله ما كُذِب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا كُذِبنا؛ ولتُخرجنّ لنا هذا الكتابَ أو لنكشفَنَّك ، فلما رأت الجِدّ منه ، قالت : أعرِض؛فأعرض،فحلّت قُرون رأسها ، فاستخرجت الكتاب منها، فدفعته إليه ، فأتى به رسولَ الله صلى الله عليه وسلم . فدعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حاطباً ، فقال : ياحاطب ، ما حملك على هذا ؟ فقال : يا رسول الله ، أما والله إنى لمؤمنٌ بالله ورسوله ، ماغيَّرت ولا بدّلت ، ولكنى كنت امرأً ليس لى فى القوم من أصل ولا عشيرة ، وكان لى بين أظهرهم ولد وأهلٌ ، فصانعتُهم عليهم . فقال عمر بن الخطّاب ، يارسول الله ، دَعْنى فلأضرب عُنقه ، فإن الرجل قد نافق ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : وما يُدْريك ياعمر ، لعلّ الله قد اطّلع إلى أصحاب بدر يوم بدر؛ فقال : اعملوا ماشئتم، فقد غفرت لكم. فأنزل الله تعالى فى حاطب : ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاتَتَّخِذُوا عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ

. . . .

أوْلياءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ ﴾ . . . إلى قوله : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ ، إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ ، كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ ﴾ . . . إلى آخر القصة . للممتحنة .

خروج الرسول فى رمضان

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن مُسلم بن شهاب الزهرى ، عن عُبيد الله بن عبد الله بن عُتبة بن مَسْعود ، عن عبد الله بن عباس ، قال : ثم مضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لسَفَره ، واستخلف على المدينة أبا رُهم ، كُلثوم بن حُصَين بن عُتبة بن خَلَف الغفارىّ ، وخرج لعَشر مَضَيْن من رمضان ، فصام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وصام الناس معه ، حتى إذا كان بالكَدِيد ، بين عُسْفان وأَمَج أفطر .

قال ابن إسحاق : ثم مضى حتى نزل مَرّ الظهران فى عشرة آلاف من المُسلمين ، فسبَّعت سُلَيم ، وبعضهم يقول ألَّفت سُلَيم ، وألَّفت مُزَيْنة . وفى كلّ القبائل عدد وإسلام ، وأوعب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المُهاجرون والأنصار ، فلم يتخلَّف عنه منهم أحد ، فلما نزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مَرّ الظهران ، وقد عُمِّيَت الأخبار عن قُرَيش ، فلم يأتهم خبرٌ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يَدْرون ماهو فاعل ، وخرج فى تلك الليالى أبو سُفيان بن حَرْب ، وحكيم بن حِزام ، وبُدَيل بن وَرْقاء ،

يتحسَّسُون الأخبار ، وينظرون هل يجدون خبراً أو يسمعون به ، وقد كان العبّاس بن عبد المطلب اقى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ببعض الطريق .

قال ابن هشام : لقيه بالجُحفة مُهاجراً بعياله ، وقد كان قبل ذلك مُقِيما بمكة على سِقايته ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم عنه راضٍ ، فيما ذكر ابنُ شهاب الزُّهرى .

قال ابن إسحاق : وقد كان أبو سُفيان بن الحارث بن عبد المطلب وعبد الله بن أبى أُميّة بن المُغيرة قد لقيا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أيضاً بنِيق العُقاب ، فيما بين مَكّةَ والمدينة ، فالتمسا الدّخول عليه . فكلّمته أمّ سَلمة فيهما ، فقالت : يارسول الله ، ابن عمك وابن عمتك وصِهْرك ؛ قال : لاحاجة لى بهما ، أما ابن عمى فهتك عِرضى ، وأما ابن عمتى وصِهْرى فهو الذى قال لى بمكة ما قال . قال : فلما خرج الخبر إليهما بذلك ، ومع أبى سفيان بُنىٌّ له . فقال : والله ليأذنَنّ لى أو لآخذنّ بيدى بنىّ هذا ، ثم لنذهَبنّ فى الأرض حتى نموت عطشاً وجُوعا ؛ فلما بلغ ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم رقّ لهما ، ثم أذِن لهما ، فدخلا عليه ، فأسلما .

وأنشد أبو سُفيان بن الحارث قوله فى إسلامه ، واعتذر إليه مما كان مَضَى منه ، فقال :

لعَمْرُكَ إنى يوم أحمِلَ رَايةً ... لِتَغلِبَ خَيلُ اللّاتِ خَيلَ محمّدِ
لكالمُدْلِجِ الحيرانِ أظلَمَ ليلُهُ ... فهذا أوانى حين أُهْدَى وأهتدى

هدانىَ هادٍ غيرُ نفسِى ونالَنى ... مع الله مَنْ طرَّدْتُ كُلَّ مُطرَّد
أصُدّ وأنأى جاهداً عن محمد ... وأدعى وإن لم أنتسب من محمَّد
هُمُ ماهُمُ مَنْ لم يقُلْ بهَواهُمُ ... وإن كان ذا رأيٍ يُلَمْ ويُفنَّد
أُريد لأُرضِيهم ولستُ بِلائطٍ ... مع القوْم مالم أُهْدَ فى كلِّ مَقْعد
فقُـل لثَقِيفٍ لا أُريد قِتالهاَ ... وقل لثقيفٍ تلك: غَيرِى أَوعِدِى
فما كنت فى الجَيْش الذى نال عامراً ... وما كان عن جرَّا لسانى ولا يَدِى
قَبائلُ جاءتْ مِن بِلَادٍ بَعيدَةٍ ... نزائعُ جاءت مِنْ سَهام ومُرْدَد

قال ابن هشام: ويروى «ودَلنى على الحقّ من طرّدْتُ كُلّ مُطرّد».

قال ابن إسحاق: فزعموا أنه حين أنشد رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قولَه: «ونالنى مع الله مَنْ طرَّدْت كُلَّ مُطرَّد» ضرب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى صَدْره، وقال: أنت طرَّدْتنى كل مُطرَّد.

قصة إسلام أبى سفيان على يد العباس

فلما نزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مرَّ الظَّهران، قال العبَّاس بن عبد المطَّلب: فقلت: واصباح قُرَيش، والله لئن دخل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مكة عَنْوة قبل أن يأتوه فيستأمنوه، إنه لهلاك قُريش إلى آخر الدهر. قال: فجلست على بغلة رسولِ الله صلى الله عليه وسلم البيضاء، فخرجتُ عليها. قال: حتى جئت الأراك، فقلت: لعلى أجد بعضَ الحطَّابة أو صاحبَ لبن أو ذا حاجة يأتى مكة، فيُخبرَهم بمكان رسولِ الله صلى الله عليه وسلم،

ليَخرجوا إليه فيستأمنوه قبل أن يدخلها عليهم عَنْوة . قال : فوالله إنى لأسير عليها ، وألتمس ماخرجت له ، إذ سمعت كلام أبى سُفيان وبُديل بن ورقاء ، وهما يتراجعان وأبو سُفيان يقول : مارأيت كالليلة نيراناً قطّ ولا عسكراً ، قال : يقول بُدَيل : هذه والله خُزاعة حَمَشَتْها الحرب . قال : يقول أبو سُفيان : خُزاعة أذلّ وأقلّ من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها ؛ قال : فعرَفت صوته ؛ فقلت : يا أبا حنظلة فعرف صوتى ، فقال : أبو الفضل ؟ قال : قلت : نعم ؛ قال : مالك ؟ فداك أبى وأمى ؛ قال : قلت : وَيْحكَ يا أبا سُفيان ، هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الناس ، واصَباح قُرَيْشٍ والله . قال : فما الحيلة ؟ فداك أبى وأمى ؛ قال : قلت : والله لئن ظَفِر بك ليضربَنّ عنقك ، فاركب فى عجز هذه البغلة حتى آتى بك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فأستأمنه لك ؛ قال : فركب خلفى ورجَع صاحباه ؛ قال : فجئت به ، كلما مررت بنار من نيران المسلمين قالوا : من هـذا ؟ فإذا رأوا بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عليها ، قالوا عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته ، حتى مررت بنار عمر بن الخطّاب رضى الله عنه ، فقال : من هذا ؟ وقام إلىّ ، فلما رأى أبا سُفيان على عجز الدابة ، قال : أبو سُفيان عدوّ الله ! الحمد لله الذى أمكن منك بغير عَقْد ولا عهد ، ثم خرج يَشْتَدُّ نحو رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وركضتُ البغلَة ، فسبقته بما تسبق الدابةُ البطيئةُ الرجلَ البطىء قال : فاقتحمت عن البغلة ، فدخلت على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، ودخل عليه عمرُ ، فقال : يارسول الله ، هذا أبو سُفيان قد أمكن الله منه بغير عَقْد ولا عهد ، فدَعْنى فلأضرب عنقه ؛ قال : قلت : يارسول الله ، إنى قد أجرته ،

ثم جلستُ إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذتُ برأسه ، فقلت : والله لا يُناجيه الليلةَ دونى رجل ؛ فلما أكثر عمر فى شأنه ، قال : قلت : مهلا يا عمر ، فوالله أن لو كان من بنى عدىّ بن كعب ماقلت هذا ، ولكنك قد عرفت أنه من رجال بنى عبد مناف ؛ فقال : مهلا يا عباس ، فوالله لإسلامُك يوم أسلمت كان أحبَّ إلىّ من إسلام الخطاب لو أسلم ، ومابى إلا أنى قد عرفت أن إسلامك كان أحبّ إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم من إسلام الخطَّاب لو أسلم ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : اذهب به يا عبَّاس إلى رَحْلك ، فإذا أصبحتَ فأتِنى به ؛ قال : فذهبت به إلى رحلى ، فبات عندى ، فلما أصبح غَدَوْتُ به إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رآه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، قال : ويحك يا أبا سفيان ، ألم يَأْنِ لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله ؟ قال : بأبى أنت وأمى ، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك ، والله لقد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى عنى شيئاً بعد ، قال : ويحك يا أبا سُفيان ! ألم يأنِ لك أن تعلم أنى رسولُ الله ؟ قال : بأبى أنت وأمى ، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك ! أما هذه والله فإن فى النفس منها حتى الآن شيئاً . فقال له العبَّاس : ويحك ! أسلم واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله قبل أن تُضرب عنقك . قال : فشهد شهادة الحقّ ، فأسلم ، قال العباس : قلت : يارسول الله ، إن أبا سُفيان رجل يحبّ هذا الفخر ، فاجعل له شيئاً ، قال : نعم ، من دخل دار أبى سُفيان فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، فلما ذهبَ لينصرفَ قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : يا عبَّاس ، احبسه بمَضِيق الوادى عند خطم

. . . .

رفع
المسهم
عز الله الرحمن

الجبل ، حتى تمرّ به جنود الله فيراها . قال : فخرجتُ حتى حبَسْتُه بمضيق الوادى ، حيث أمرنى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن أحْبِسه .

عرض الجيش

قال : ومرّت القبائل على راياتها ، كلما مرّت قبيلة قال : يا عبّاس ، مَن هذه ؟ فأقول : سُليم ، فيقول : مالى ولسُليم ، ثم تمرّ القبيلة فيقول : يا عباس ، مَن هؤلاء ؟ فأقول : مُزينة ، فيقول : مالى ولمُزينة ، حتى نفدت القبائل ، ما تمرّ به قبيلة إلا يسألنى عنها ، فإذا أخبرته بهم ، قال : مالى ولبنى فلان ، حتى مرّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى كتيبته الخضراء .

قال ابن هشام : وإنما قيل لها الخضراء لكثرة الحديد وظهوره فيها .

قال الحارث بن حِلِّزَة اليشكرى :

ثم حُجْرا أعنى ابنَ أمّ قَطامٍ ... ولهُ فارِسِيَّــة خَضْراء

يعنى الكتيبة ، وهــذا البيت فى قصيدة له ، وقال حسّان بن ثابت الأنصارى :

لمَّا رأى بَدْراً تَسِيل جِلاهُهُ ... بكتيبة خضراء مِنْ بَلْخَزْرَج

وهذا البيت فى أبيات له قد كتبناها فى أشعار يوم بدر .

قال ابن إسحاق : فيها المهاجرون والأنصار ، رضى الله عنهم ، لا يرى منهم إلا الحدق من الحديد ، فقال : سبحان الله : يا عباس ، من هؤلاء ؟ قال : قلت :

رفع
المسـهم

هذا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى المهاجرين والأنصار ، قال : ما لأحد بهؤلاءِ قِبَلٌ ولاطاقة ، والله يا أبا الفضل ، لقد أصبح مُلك ابن أخيك الغداة عظيما ، قال : قلت : يا أبا سُفيان ، إنها النبوّة . قال : فنعم إذن .

أبو سفيان يحذر أهل مكة

قال : قلت : النجاءَ إلى قومك ، حتى إذا جاءهم صرخ بأعلى صوته : يامعشر قريش ، هذا محمد قد جاءكم فيما لا قِبَل لكم به ، فمن دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، فقامت إليه هند بنت عُتبة ، فأخذت بشاربه ، فقالت : اقتلوا الحَمِيتَ الدَّسِمَ الأحْمَس ، قُبِّحَ من طَلِيعة قوم ! قال : ويلكم لاتغرّنكم هذه من أنفسكم فإنه قد جاءكم مالا قِبَل لكم به ، فمن دخل دار أبى سُفيان فهو آمن ، قالوا : قاتلك الله ! وما تُغنى عنا دارُك ، قال : ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، فتفرّق الناس إلى دورهم وإلى المسجد .

وصول النبي صلى الله عليه وسلم إلى ذى طوى

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبدالله بن أبى بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انتهى إلى ذى طُوى وقف على راحلته مُعْتَجِراً بشُقَّة بُرْدٍ حِبَرة حمراء ، وإن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ليَضع رأسه تواضعاً لله حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح ، حتى إن عُثنونه ليكاد يمسّ واسطة الرحْل .

إسلام والد أبي بكر

قال ابن إسحاق : وحدثني يحيي بن عباد بن عبد الله بن الزّبير ، عن أبيه، عن جدّته أسماء بنت أبي بكر ، قالت : لما وقف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بذي طُوًى قال أبو قُحافة لابنة من أصغر ولده : أي بنيّة ، اظْهَري بي على أبي قبيس ، قالت : وقد كُفَّ بصره ، قالت : فأشرفت به عليه ، فقال : أي بُنيَّة ، ماذا تَرَيْن ؟ قالت : أرى سَوَاداً مجتمعاً ، قال : تلك الخيل ، قالت : وأرى رجلا يسعى بين يدي ذلك مُقْبِلا ومُدْبِراً ، قال : أي بُنَيَّة ، ذلك الوازع ، يعني الذي يأمر الخيل ويتقدّم إليها ، ثم قالت : قد والله انتشر السواد ، قالت : فقال : قد والله إذن دُفِعت الخيل ، فأسرعي بي إلى بيتي ، فانحطّت به ، وتلقاه الخيلُ قبل أن يصلَ إلى بيته ، قالت : وفي عنق الجارية طَوْقٌ من وَرِق ، فتلقّاها رجل فيقتطعه من عنقها ، قالت : فلما دخل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مكة ، ودخل المسجد ، أتى أبو بكر بأبيه يقوده ، فلما رآه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قال : هلا تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتيه فيه ؟ قال أبو بكر ، يارسول الله ، هو أحقّ أن يمشي إليك من أن تمشي إليه أنت ، قال : فأجلسه بين يديه ، ثم مَسَح صدره ، ثم قال له : أسْلِمْ فأسلمَ، قالت : فدخل به أبو بكر وكأنّ رأسه ثَغَامَةٌ ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : غيِّرُوا هذا من شَعْرِه ، ثم قام أبو بكر فأخذ بيد أخته ، وقال : أنشد الله والإسلام طوق أختي ، فلم يُجبه أحد ، قالت : فقال : أي أُخَيَّة ، احتسبي طوقَك ، إنّ الأمانة في الناس اليوم لقليل .

جيوش المسلمين تدخل مكة

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي نَجِيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فرّق جيشه من ذي طُوًى ، أمَر الزّبير بن العوّام أن يدخل في بعض الناس من كُدًى ، وكان الزّبير على المُجَنِّبة اليسرى ، وأمر سعد ابن عُبادة أن يدخل في بعض الناس من كَدَاء .

المهاجرون وسعد

قال ابن إسحاق : فزعم بعض أهل العلم أن سعداً حين وُجه داخلا ، قال : اليومُ يوم المَلْحمة ، اليوم تُسْتَحَلّ الحُرمة ، فسمعها رجلٌ من المهاجرين — قال ابن هشام : هو عمر بن الخطّاب — فقال : يارسول الله : اسمع ما قال سعد ابن عُبادة ، ما نأمَن أن يكون له في قُرَيْش صَوْلة ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لعلى بن طالب : أدركه ، فخذ الراية منه فكُن أنت الذى تدخُل بها.

كيف دخل الجيش مكة ؟

قال ابن إسحاق : وقد حدثني عبد الله بن أبي نجيح في حديثه : أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أمر خالد بن الوليد . فدخل من اللّيط ، أسفلَ مكة ، في بعض الناس ، وكان خالد على المُجَنِّبَةِ اليُمنى ، وفيها أسلمُ وسُلَيم وغِفار ومُزينة وجُهينة وقبائل من قبائل العرب . وأقبل أبو عُبيدة بن الجرّاح بالصفّ من المسلمين يَنصبّ لمكة بين يدَى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

ودخل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من أذاخِر ، حتى نزل بأعلى مكة ، وضُربت له هنالك قُبّته .

الذين تعرضوا للمسلمين

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى نَجيح وعبد الله بن أبى بكر : أن صَفْوان بن أميّة وعِكْرِمة بن أبى جهل وسُهيل بن عمرو كانوا قد جمعوا ناساً بالخَندمة ليُقاتلوا ، وقد كان حِماس بن قَيْس بن خالد ، أخو بنى بكر ، يُعِدّ سلاحاً قبل دُخول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويُصلح منه ، فقالت له امرأته : لماذا تُعِدّ ما أرى ؟ قال : لمحمد وأصحابه ، قالت : والله ما أراه يقوم لمحمد وأصحابه شىء ، قال : والله إنى لأرجو أن أُخْدِمَك بعضهم ، ثم قال :

إن يُقبِلوا اليومَ فما لى عِلَّه   هــذا سلاحٌ كاملٌ وألّه

وذو غِرارين سريع السَّلّه

ثم شهد الخَندمة مع صَفْوان وسُهيل وعِكْرِمة ، فلما لقيهم المسلمون من أصحاب خالد بن الوليد ، ناوشوهم شيئاً من قتال ، فقتل كُرز بن جابر ، أحد بنى محارب بن فِهر ، وخُنَيْس بن خالد بن ربيعة بن أَصْرَم ، حليف بنى مُنقِذ ، وكانا فى خيل خالد بن الوليد فشذّا عنه فسلكا طريقاً غير طريقه فقُتلا جميعاً ، قُتل خُنَيْس بن خالد قبل كُرز بن جابر ، فجعله كُرْز بن جابر بين رجليه ، ثم قاتَل عنه حتى قُتل ، وهو يَرْتجِزُ ويقول :

. . . .

قد علمتْ صَفْراءُ من بنى فِهرْ   نَقِيَّـةُ الوَجْهِ نقيَّـةُ الصَّدرْ
لأضرِبنَّ اليومَ عن أبى صَخرْ

قال ابن هشام : وكان خُنيس يُكنى أبا صخْرٍ ، قال ابنُ هشام : خُنيس ابن خالد ، من خُزاعة .

قال ابن إسحاق : حدثنى عبد الله بن أبى نَجيحٍ وعبد الله بن بكر ، قالا : وأصيب من جُهينةَ سَلَمة بن الْمَيْلاء ، من خيل خالد بن الوليد ، وأصيب من المشركين ناسٌ قريبٌ من اثنى عشر رجـــلا ، أو ثَلاثةَ عَشرَ رجلا ، ثم انهزموا ، فخرج حِماسٌ منهزماً حتى دخل بيته ؛ ثم قال لامرأته : أغلقى علىّ بابى ، قالت : فأين ما كنت تقول ؟ فقال :

إنَّكِ لو شهدتِ يوم الخنـدَمهْ   إذ فرَّ صَفْوَانُ وفرَّ عِكْرِمهْ
وأبو يَزِيدَ قائم كالمُوتَمَهْ   واستقبلتْهُمْ بالسُّيوف المُسْلِمه
يقطعنَ كلّ ساعد وجُمْجُمهْ   ضَرْباً فلا يُسْمَع إلا غَمْغَمَهْ
لهم نَهِيتٌ خَلْفنَا وهَمْهَمهْ   لم تنطِقى فى اللّومِ أدْنى كَلِمَهْ

قال ابن هشام : أنشدنى بعض أهل العلم بالشعر قوله « كالموتمه » ، وتُروى للرعاش الهذلى .

شعار المسلمين يوم الفتح

وكان شِعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة

رفع
المسهم
غفر الله له ولوالديه

وحُنين والطائف،شعارُ المهاجرين : يابنى عبد الرحمن ، وشعار الخزرج : يابنى عبد الله ، وشعار الأوس : يابنى عُبيد الله .

من أمر الرسول بقتلهم

قال ابن إسحاق : وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قد عَهِدَ إلى أمرائه من المسلمين ، حين أمرهم أن يدخلوا مكة ، أن لا يُقاتلوا إلا من قاتلهم ، إلا أنه قد عَهِد فى نفر سمّاهم أمر بقتلهم وإن وجدوا تحت أستار الكعبة ، منهم عبد الله بن سعد ، أخو بنى عامر بن لؤىّ .

وإنما أمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بقتله لأنه قد كان أسلم ، وكان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم الوحى ، فارتدَّ مُشركا راجعًا إلى قُريش ، ففرّ إلى عثمان بن عفّان ، وكان أخاه للرضاعة ، فغيَّبه حتى أتى به رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بعد أن اطمأنّ الناس وأهل مكة ، فاستأمن له : فزعموا أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم صمت طويلا ، ثم قال : نعم ؛ فلما انصرف عنه عثمان ، قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لمن حوله من أصحابه : لقد صمتّ ليقوم إليه بعضكم فيضرب عنقه . فقال رجل من الأنصار : فهلا أومأت إلىّ يارسول الله ؟ قال : إنّ النبىّ لا يقتل بالإشارة .

قال ابن هشام : ثم أسلم بعد ، فولاه عمر بن الخطاب بعض أعماله ، ثم ولاه عثمان بن عفان بعد عمر .

قال ابن إسحاق : وعبد الله بن خَطَلٍ ، رجل من بنى تَيْم بن غالب : إنما أمر

رفع
المسلم
عزالله لطيف الله

بقتله أنه كان مسلماً ، فبعثه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مصدّقاً ، وبعث معه رجلا من الأنصار ، وكان معه مولى له يخدمه ، وكان مسلماً ، فنزل منزلا ، وأمر المولى أن يذبح له تَيْساً ، فيصنع له طعاماً ، فنام ، فاستيقظ ولم يصنع له شيئاً ، فعدا عليه فقتله ، ثم ارتدّ مشركا .

وكانت له قَيْنتان : فَرْتَنَى وصاحبتها ، وكانتا تغنيان بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بقتلهما معه .

والُحوَيرث بن نُقيذ بن وهب بن عبد بن قُصَيّ ، وكان ممن يؤذيه بمكة .

قال ابن هشام : وكان العباس بن عبد المطلب حمل فاطمة وأمّ كلثوم ، ابنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة يريد بهما المدينة ، فنخَس بهما الُحوَيرث بن نُقيذ ، فرمى بهما إلى الأرض .

قال ابن إسحق: ومِقْيَسُ بن حُبابة [أوضُبابة ، أوصُبابة] وإنما أمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بقتله ، لقتل الأنصارى الذى كان قتل أخاه خطأ ، ورجوعه إلى قُريش مُشركا وسارَة مولاة لبعض بنى عبد المطَّلب . وعِكْرمة بن أبى جهل . وكانت سارة ممن يؤذيه بمكة ، فأما عِكْرِمة فهرب إلى اليمن ، وأسلمت امرأته أمّ حَكيم بنتُ الحارثِ بن هشام ، فاستأمنت له من رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فأمّنه فخرجت فى طلبه إلى اليمن ، حتّى أتت به رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلم . وأما عبد الله بن خَطَل ، فقتله سعيد بن حُرَيث المخزومى وأبو بَرْزة الأسلمى ، اشتركا فى دمه ؛ وأما مِقْيَسُ بن حُبابة فقتله نُميلة

ابن عبد الله ، رجل من قومه ، فقالت أخت مِقْيَس في قتله :

لَعَمْرِى لقد أخْزَى نُمَيْلة رَهْطَه ... وفَجَّع أضيافَ الشِّتاء بِمِقْيَسِ

فَلِلَّه عَيْنا مَنْ رأى مِثْلَ مِقْيَسٍ ... إذا النُّفَساء أصبحت لم تُخَرَّس

وأما قينتا ابن خَطَل فقُتلت إحداهما ، وهربت الأخرى ، حتى استُؤمن لها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بعد ، فأمَّنها . وأما سارَة فاستُؤمن لها فأمَّنها، ثم بَقيت حتى أوطأها رجلٌ من الناس فرساً في زمن عمر بن الخطاب بالأبطح فقتلها . وأما الحُوَيرث بن نُقَيذ فقتله عليّ بن أبي طالب .

أم هانىء تؤمن رجلين

قال ابن إسحاق : وحدثني سعيد بن أبي هِنْد ، عن أبي مُرَّة ، مولى عَقيل بن أبي طالب ، أن أمّ هانىء بنت أبي طالب قالت : لما نزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بأعلى مكة ، فرّ إليَّ رجلان من أحمائي ، من بني مخزوم ، وكانت عند هُبَيرة بن أبي وَهْب المخزومي، قالت : فدخل عليَّ عليٌّ بن أبي طالب أخي ، فقال : والله لأقتلنهما ، فأغلقت عليهما بابَ بيتي ، ثم جئتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وهو بأعلى مكة ، فوجدته يغتسل من جَفْنةٍ إنَّ فيها لأثر العجين ، وفاطمة ابنته تستره بثوبه ، فلما اغتسل أخذ ثوبه فتوشح به ، ثم صلى ثماني ركعات من الضحى ثم انصرف إليّ ، فقال : مرحباً وأهلا يا أمّ هانىء ، ماجاء بك ؟ فأخبرته خبرَ الرجلين وخبر عليّ ، فقال : قد أجرنا من أجرتِ ، وأمّنا من أمّنت ، فلا يقتلهما .

رفع
المستهم
غفر الله له ولوالديه

قال ابن هشام : هما الحارث بن هشام ، وزُهيرُ بن أبي أُميّة بن المُغيرة.

طواف الرسول بالكعبة

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن جعفر بن الزّبير ، عن عُبيد الله ابن عبد الله بن أبي ثَوْر ، عن صَفيّة بنت شَيْبة ، أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لما نزل مكة ، واطمأنّ الناس ، خرج حتى جاء البيتَ ، فطاف به سَبْعاً على راحلته ، يستلم الركن بمِحْجَن في يده ، فلما قضى طوافه ، دعا عثمانَ ابن طلحة ، فأخذ منه مِفتاح الكعبة ، ففتحت له ، فدخلها ، فوجد فيها حَمامة من عِيدانٍ ، فكسّرها بيده ثم طرحها ، ثم وقف على باب الكعبة وقد استكفّ له الناس في المسجد .

خطبته على باب الكعبة

قال ابن إسحاق : فحدثني بعض أهل العلم أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قام على باب الكعبة ، فقال : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزَم الأحزاب وحده ، ألا كل مأثُرة أو دم أو مال يُدّعى فهو تحت قدَميّ هاتين إلاّ سَدَانة البيت وسِقاية الحاج ، ألا وقتيلُ الخطأ شبهِ العمْد بالسّوط والعصا ، ففيه الدّيةُ مُغلّظة ، مائة من الإبل ، أربعون منها في بطونها أولادها . يامعشر قريش ، إن الله قد أذهب عنكم نَخْوَة الجاهلية ، وتعظّمها بالآباء ، الناس من آدم ، وآدم من تراب ، ثم تلا هذه الآية : ﴿ يا أيُّها النّاسُ إنّا خلقناكم مِنْ ذَكَرٍ وأنثَى ، وجَعَلْناكم شُعُوباً وقَبائِلَ

لِتَعَارَفُوا ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ الحجرات : ١٣ . الآية كلها .
ثم قال : يامعشر قريش ، ماتَرَوْن أنى فاعل فيكم ؟ قالوا : خيراً ، أخ كريم ، وابن أخ كريم . قال : اذهبوا فأنتم الطُّلَقاء » .

إقرار الرسول عثمان بن طلحة على السدانة

ثم جلس رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ، فقام إليه علىّ بن أبى طالب ومفتاح الكعبة فى يده ، فقال : يارسول الله ، اجمع لنا الحِجَابَةَ مع السِّقاية صلى الله عليك ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أين عثمان بن طَلحة ؟ فدُعِى له ، فقال : هاكَ مِفتاحَك ياعثمان ، اليومُ يومُ بِرٍّ ووفاء .

قال ابن هشام : وذكر سُفيان بن عُيَيْنَةَ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلىّ : إنما أعطيكم ماتُرْزَءون لا ماتَرْزَءون .

طمس الصور التى بالبيت

قال ابن هشام : وحدثنى بعض أهل العلم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل البيت يوم الفتح ، فرأى فيه صُوَرَ الملائكة وغيرهم ، فرأى إبراهيم عليه السلام مُصوَّراً فى يده الأزلامُ يَسْتَقْسِم بها ، فقال : قاتلهم الله ، جعلوا شيخنا يستقسم بالأزلام ، ما شأن إبراهيم والأزلام ! ﴿ ما كانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرانِيًّا وَلَكِنْ كانَ حَنِيفاً مُسْلِماً ، وَما كانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ آل عمران : ٦٧ ثم أمر بتلك الصُّوَر كلها فطُمِسَت .

. . . . . : . . . . . .

رفع المسهم

دخول الكعبة والصلاة فيها

قال ابن هشام: وحدثني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل الكعبة ومعه بلال، ثم خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وتخلّف بلال، فدخل عبد الله بن عمر على بلال، فسأله: أين صلى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم؟ ولم يسأله كم صلى، فكان ابن عمر إذا دخل البيت مشى قِبَل وجهه، وجعل الباب قِبَل ظهره، حتى يكون بينه وبين الجدار قَدْر ثلاث أذرع، ثم يصلي، يتوخّى بذلك الموضع الذي قال له بلال.

إسلام عتاب والحارث بن هشام

قال ابن هشام، وحدثني: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، دخل الكعبة عام الفتح ومعه بلال، فأمره أن يُؤَذِّن، وأبو سُفيان بن حرب وعَتَّاب بن أَسِيد والحارث بن هشام جلوس بفناء الكعبة، فقال عتَّابُ بن أَسِيد: لقد أكرم اللهُ أَسِيداً ألا يكون سمع هذا، فيسمع منه ما يغيظه. فقال الحارث بن هشام: أما والله لو أعلم أنه مُحِقٌّ لاتَّبعته، فقال أبو سُفيان: لا أقول شيئاً، لو تكلّمت لأخبرَتْ عني هذه الحصَى، فخرج عليهم النبيّ صلى الله عليه وسلم، فقال: قد علمتُ الذي قُلتم، ثم ذكر ذلك لهم، فقال الحارثُ وعَتَّاب: نَشهد أنك رسولُ الله، والله ما اطّلع على هذا أحدٌ كانَ معَنا، فنقُول: أخبرك.

خراش وابن الأثوع

قال ابن إسحاق : حدثنى سعيد بن أبى سَنْدَرَ الأسلمى ، عن رجل من قومه . قال : كان معنا رجل يقال له أحمر بأساً ، وكان رجلا شجاعاً ، وكان إذا نام غَطَّ غطيطا مُنكراً لا يخفى مكانه ، فكان إذا بات فى حيه بات مُعْتَنِزاً ، فإذا بُيِّتَ الحىُّ صرخوا يا أحمر ، فيثور مثل الأسد ، لايقوم لسبيله شىء . فأقبل غَزِىٌّ من هُذَيل يريدون حاضره ، حتى إذا دنوا من الحاضر ، قال ابنُ الأَثْوَع الهُذَلى : لاتعجلوا علىَّ حتى أنظر ، فإن كان فى الحاضر أحمر فلا سَبيل إليهم ، فإن له غطيطا لايخفى ، قال : فاستمع ، فلما سمع غطيطه مشى إليه حتى وضع السيفَ فى صَدْره ، ثم تحامل عليه حتى قتله ، ثم أغاروا على الحاضر ، فصرخوا يا أحمر ولا أحمر لهم ، فلما كان عام الفتح ، وكان الغدُ من يوم الفتح ، أتى ابنُ الأَثْوَع الهُذلى حتى دخل مكة ينظر ويسأل عن أمر الناس ، وهو على شِرْكه ، فرأته خُزاعة ، فعَرَفوه ، فأحاطوا به وهو إلى جنب جدار من جُدُر مكة ، يقولون : أأنت قاتل أحمر؟ قال : نعم ، أنا قاتل أحمر فَمَه ؟ قال : إذْ أقبلَ خِرَاشُ بن أُميَّة مُشتملا على السَّيف ، فقال : هكذا عن الرجُل ، ووالله ما نظن إلا أنه يريد أن يُفْرِجَ الناسُ عنه . فلما انفَرَجْنا عنه حَمَلَ عليه ، فَطَعَنه بالسيف فى بطنه ، فوالله لَكَأنِّى أنظر إليه وحِشْوَتهُ تَسيل من بطنه ، وإن عينيه لَتُرَنِّقان فى رأسه ، وهو يقول : أقد فعلمتوها يا مَعْشَرَ خُزاعة ؟ حتى انجَعَفَ فوقع . فقال رسولُ الله

رفع
المسـاهم

صلى الله عليه وسلم : يامعشر خُزَاعَةَ ، ارفعوا أيديكم عن القتل ، فقد كثر القتل إن نفع ، لقد قتلتم قتيلا لأَدِيَنَّه .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الرحمن بن حَرْملة الأسلمى ، عن سعيد ابن المسيب ، قال : لما بلغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ماصنع خِراش بن أميَّة ، قال : إن خِراشاً لقَتَّال ، يعيبه بذلك .

بين أبى شريح وابن سعد

قال ابن إسحاق : وحدثنى سعيد بن أبى سعيد المَقْبُرِىُّ ، عن أبى شُرَيْح الخزاعى ، قال : لما قدِم عَمْرو بن الزّبير مكة لقتال أخيه عبد الله بن الزّبير ، جئته ، فقلت له : يا هذا ، إنا كنَّا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين افتتح مكَّة ، فلما كان الغد من يوم الفَتح عَدَت خُزاعة على رجل من هُذَيل فقتلوه وهو مُشرك ، فقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فينا خطيباً ، فقال : يا أيها الناس، إنّ اللهَ حرّم مكَّة يوم خلَق السّماوات والأرض ، فهى حرام من حرام إلى يوم القيامة ، فلا يحِلُّ لامرىء يُؤْمِن بالله واليوم الآخر، أنْ يَسْفِك فيها دَماً ولا يَعْضِدَ فيها شجراً ، لم تَحْلَلْ لأحد كان قبلى ، ولا تَحِلُّ لأحد يكون بعدى ، ولم تَحْلَلْ لى إلا هذه الساعة ، غضباً على أهلها ألَا ، ثم قد رَجَعَتْ كحُرمتها بالأمس ، فَلْيُبَلِّغ الشّاهدُ منكم الغائب ، فمن قال لكم : إن رسول الله قاتل فيها ، فقولوا : إن الله قد أحلَّها لرسوله ، ولم يُحْلِلْها لكم، يامَعْشَرَ خُزَاعَةَ ارفعوا أيديكم عن القتل ، فلقد كثر القتل إن نفع ، لقد قتلتم قتيلا لأَدِيَنَّهُ ،.

فمن قُتِل بعد مَقَامى هذا فأهله بخير النَّظَرَين : إن شاءوا فدَمُ قاتله ، وإن شاءوا فَعَقْلُهُ . ثم وَدَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل الذى قتلته خُزاعة ، فقال عمرو لأبى شُريح : انصرف أيها الشيخ ، فنحن أعلم بحُرْمتها منك ، إنها لا تمنع سافكَ دم ، ولا خالعَ طاعة ، ولا مانع جِزْية ، فقال أبو شُريح : إنى كنتُ شاهداً وكنتَ غائباً ، ولقد أمَرَنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن يُبَلِّغ شاهدُنا غائبَنا ، وقد أبلغتُكَ ، فأنت وشأنك .

أول من ودى يوم الفتح

قال ابن هشام . وبلغنى أن أوّل قتيل وَدَاه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح جُنَيْدب بن الأكوع ، قتلته بنو كعب ، فَوَدَاهُ بمائة ناقة .

الأنصار يتخوّفون من بقاء النبى صلى الله عليه وسلم فى مكة

قال ابن هشام : وبلغنى عن يحيى بن سعيد : أن النبىّ صلى الله عليه وسلم حين افتتح مكة ودخلها ، قام على الصفا يدعو الله ، وقد أحدقت به الأنصار ، فقالوا فيما بينهم : أتُرَون رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، إذ فتح الله عليه أرضه وبلده يقيم بها ؟ فلما فرغ من دعائه قال : ماذا قلتم ؟ قالوا : لا شىء يارسول الله ، فلم يزل بهم حتى أخبروه ، فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : مَعاذ الله ! المَحْيا محياكم ، والممات مماتكم .

بدء فتح مكة

ذكر فيه الأسود بن رَزْنٍ الكنانى بفتح الراء ، وذكر الشيخ الحافظُ أبو بحر أن أبا الوليد أصلحه : رِزْنًا بكسر الراء[1] ، قال : والرِّزْنُ : نُقْرَةٌ فى حجر يمسك الماء ، وفى كتاب العين : الرِّزْنُ أكَمَةٌ تُمسِك الماء ، والمعنى متقارب ، وذكر أن بَنِى رزن من بنى بَكْرٍ ، وقد قيل فيه : الدُّئِلُ ، وقد أشبعنا القول فيه فى أول الكتاب ، وما قاله اللغويون والنَّسَّابون ، وذكرنا هنالك كُلَّ دِيلٍ فى العَرَب ، وكل دُولٍ والحمدُ لله .

حول شعر تميم :

وذكر شعر تَميم بن أسَد ، وفيه :

يُزْجُونَ كُلَّ مُقَلَّصٍ خِنَّابِ

الخِنَّابُ : الطويل من الخيل ، وقع ذلك فى الجَمْهَرَةِ ، ويقال : الخِنَّابُ : الواسع المِنْخَرَيْن ، والخِنَّابَةُ[2] جانبُ الأنف ، وفى العين : الخِنَّابُ[3] الرجل

---

(١) يروى هنا بكسر الراء ، وفتحها وإسكان الزاء وفتحها ، وقيده الدارقطنى بفتح الراء ، وإسكان الزاء لا غير « الخشنى » ص ٣٦٣ .

(٢) خنابة بكسر الخاء وضمها .

(٣) فى التهذيب : هذا مما جاء على أصله شاذاً لأن كل ما كان على فعال من الأسماء أبدل من أحد حرفى تضعيفه ياء مثل دينار وقيراط كراهية أن يلتبس بالمصادر إلا أن يكون بالهاء ، فيخرج على أصله مثل : دنابة وصنارة وخنابة لأنه الآن قد أمن التباسه بالمصادر .

رفع المسهم

. . . .

الضَّخْمُ ، وهو الأحمق أيضاً ، والمُقَلَّصُ من الخيل المُنْضَمُّ البَطْنِ والقوائم ، وإن قلت : المُقَلِّص بكسر اللام ، فهو من قَلَصَت الإبلُ إذا شَمَّرَتْ ، قاله صاحبُ العين .

وفيه : ظِلُّ عُقَابٍ ، وهي الرَّايَةُ ، وكان اسمُ رايةِ النبيِّ - صلى الله عليه وسلم - العُقَاب ، والدليل على أنه يقال لكل راية عُقَابٌ قَوْلُ قَطَرِيّ بن الفُجَاءَةِ(١) ويُكْنَى أبا نَعَامَةَ رئيس الخوارج :

يارُبَّ ظِلِّ عُقَابٍ قد وَقِيتُ بها مُهْرِى من الشَّمْسِ والأبْطَالُ تَجْتَلِدُ

وفيه : يَبُلُّ مَشَافِرَ القَبْقَابِ ، القَبْقَابُ : أراد به الفَرْجَ ، والقَبْقَبُ والقَبْقَابُ : البَطْنُ أيضاً .

حول شعر الأخزر :

وذكر قولَ الأخزر ، وفيه :

قَفَاثَوْرُ حَفَّانِ النَّعَامِ الجَوافِلِ

---

(١) اختلف فى اسم الفجاءة ، فقيل : اسمه : جعونة ، وقيل : مازن بن يزيد ابن زياد بن خنثر أحد بنى مازن بن مالك بن عمرو بن تميم ، سمى الفجاءة لأنه غاب دهراً باليمن ، ثم جاءهم فجاءة ، وقد أنشد أبو عبيدة قصيدة قطرى التى منها هذا البيت لأبى حاتم ، ثم قال : هذا الشعر لا ماتعالون به أنفسكم من أشعار المخانيث. أنظر ص٢٦٥ ح ١ أمالى القالى ط ٢ ، ص٥٩٠ سمط اللآلى للبكرى. هذا وليس فى قصيدة تميم ذكر العقاب .

رفع المسلم

قَفَا ثَوْرٍ ، يعنى: الجَبَل ، وقفا ظرفٌ للفعلِ الذى قبله ، وقال : قَفَا ثورٍ ، ولم ينوِّن لأنه اسمٌ عَلَمٌ مع ضرورة الشعر ، وقد تكلمنا على هذا فيما قبل ، ولو قال : قَفَا ثَوْرَ بنصب الراء ، وجعله غير مُنْصَرِف ، لم يبعد ، لأن مالا تنوينَ فيه ، وهو غير مُعْرَبٍ بألفٍ ولام ، ولا إضافة ، فلا يدخله الخَفْضُ لئلا يُشْبه ما يُضيفه المتكلمُ إلى نفسِه ، وقَفَا ثَوْر بهذا اللفظِ تَقيَّد فى الأصل ، وظاهرُ كلام البرقى فى شَرْحِ هذا البيت أنه بِفَاثُورَ ، لأنه قال : الفاثورُ سَبِيكة الفِضَّة ، وكأنه شَبَّه المكانَ بالفِضَّةِ لنقائه واستوائه ، فإن كانت الروايةُ كما قال ، فهو اسمُ موضِعٍ ، والفاثُورُ : خِوانٌ من فِضَّةٍ ، ويقال : إبريق من فضة ، قيل ذلك فى قول جَمِيل :

وصَدْر كفاثُورِ اللُّجَيْنِ وجِيد (١)

وفى قول لَبِيدٍ :

حقائبهُم راحٌ عَتِيقٌ ودَرْمَكٌ وَمِسْكٌ وفاثُورِيَّةٌ وسُلَاسِلُ

وكما قال البرقى : ألفيته فى نسخ صحيحة سوى نُسْخة الشيخ ، وإن صح مافى نسخة الشيخ ، فهو كلام حُذِف منه ومعناه : قَفَا فَاثُور ، وحَسُن حذف الفاءِ الثانية ، كما حسن حَذْف اللام الثانية فى قولهم : عَلْمَاء بنى فلان ، لاسيما

---

(١) أوله : سبتنى بعينى جؤذر وسط ربرب . والشطرة الاخرى فى تزيين الأسواق لداود الأنطاكى ص ٤٠ : وصدر حكى لون اللجين وجيد . ولم أجده فى ترجمة جميل فى الأغانى .

رفع
المسهم
غفر الله له ولوالديه

. . . .

مع ضَرُورة الشعر ، وترك الصرف ، لأنه جعله اسم بُقْعَة ، ومن الشاهد على أن فاثورَ اسمُ بُقْعَةٍ قول لبيد :

ويوم طعنتم فاشْمَعَدَّتْ وُفودكم بأجماد فاثور كريم مُصابر

أى أنا كريم مصابر، ولذلك قال البكرى ولم يذكر فيه اختلافا، وقال هو اسم جبل يعنى فاثور وقال ابن مُقْبِل :

حَىٌّ مَحاضِرُهُمْ شَتَّى وَيَجْمَعُهُمْ دَوْمُ الإيادِ، وفاثورٌ إذا انتجَعُوا

وقال لبيد :

وَلَدَي النُّعمانِ مِنى مَوْطِنٌ بين فَاثُورِ أُفَاقٍ فالدَّخَلْ

وحَفَّانُ النَّعام: صِغارُها ، وهو مرفوع لأنه خبر كأنّ .

حول شعر بديل:

وذكر شعر بُدَيْل بن أم أَصْرَم . وفيه : غير آيل ، هو فاعل من آلَ إذا رجع ، ولكنه قلب الهمزة التى هى بدل من الواو ياء ، لئلا تجتمع همزتان ، وكانت الياء أولى بها لانكسارها .

وفيه ذكر غُيَيْسٍ ، ووقع فى بعض روايات الكتاب عُبَيْس بالباء المنقوطة بواحدة من أسفل(1) .

---

(١) اسم ...

. . . .

وفيه :

أإنْ أجْمَرَتْ فى بيتها أمُّ بعضكم بجُعْمُوسِها[1]

أى : رمَتْ به بِسُرْعَةٍ ، وهو كِناية عن ضَرْبٍ من الحَرْثِ يَسْمُجُ وَصْفُه .

حول شعر عمرو بن سالم :

وذكر أبيات عمرو بن سالم ، وفيها :

قد كُنْتُمُ وُلْدًا وكُنّا والدا

يريد : أن بنى عَبْدِ مَنَافٍ أمُّهم من خُزَاعَة ، وكذلك : قُصَىٌّ أمُّه : فاطمة بنت سَعْد الخُزَاعِيَّة ، والوُلْد بمعنى الوَلَدِ .

وقوله : ثُمَّتَ أَسْلَمْنَا ، هو من السَّلْمِ لأنهم لم يكونوا آمنوا بعد ، غير أنه ، قال : رُكَّعاً وسُجَّداً ، فدل على أنه كان فيهم من صَلَّى لله ، فقُتِل ، والله أعلم .

وذكر فيه الوَتِير ، وهو اسم ماء معروف فى بلاد خُزَاعَة ، والوَتِيرُ فى اللغة الوَرْدُ الأبيض ، وقد يكون منه بَرِّىٌّ ، فيحتمل أن يكون هذا الماء سُمِّى به ، وأما الورد الأحمر فهو الحَوْجَمُ[2] ويقال للورد كُلِّه جَلٌّ[3] قاله أبو حنيفة ،

---

(١) أجمرت : بخرت . والجعموس : العذرة والبعر أيضاً ، أو هو كما عرفه أبو زيد : ما يطرحه الإنسان من ذى بطنه .

(٢) مفردها : حوجمة .

(٣) ويقال أيضاً على الياسمين .

رفع المسا هم عزالله لحالديه

وكأن لفظ الخَوْجَم من الحجمة وهى حُمْرَةٌ فى العَيْنين ، يقال منه رجل أحْجَمُ.

ما قال عمر لأبى سفياں ومعناه :

وذكر قول عمر رضى الله عنه: فوالله لو لم أجدْ إلَّا الذرَّ لجاهدْتُكُمْ به ، وهو كلام مفهوم المعنى ، وقد تقدم أن مثل هذا ليس بكذِبٍ ، وإن كان الذرُّ لايقاتل به ، وكذلك قولُ عُمَرَ فى حديث الْمُوطَّأ : والله ليمرّن به ولو على بَطْنِك ، يعنى الجَدْوَلَ ، وهو من هذا القبيل لا يُعَدُّ كذبا،لأنه جرى فى كلامه كالمثل .

شرح قول فاطمة لأبى سفياں :

وذكر قول فاطمة : والله مابلغ بُنَيَّ أن يُجِيرَ بين الناس ، وقد ذكر أبو عبيد هذا مُحْتَجًا به على من أجاز أمان الصَّبِيِّ وجِوَاره ، ومن أجاز جِوَار الصَّبِيِّ إنما أجازه إذا عَقَلَ الصبى ، وكان كالمُراهِقِ .

وقولها:ولا يُجِير أحدٌ على رسول الله ، وقد قال عليه السلام : يجير على المسلمين أدناهم ، فمعنى هذا ـ والله أعلم ـ كالعَبْدِ ونحوه يجوز جوارُه ، فيما قلَّ ، مثل أن يُجير واحداً من العدو ، أو نفراً يسيراً ، وأمَّا أن يجير على الإمام قَوْماً يريد الإمامُ غزوَهم وحربَهم ، فلا يجوز ذلك عليهم ، ولا على الإمام ، وهذا هو الذى أرادت فاطمةُ ـ رضى الله عنها ـ والله أعلم ، وأما جِوارُ المرأة وتأمينها فجائز عند جماعة الفقهاء إلا سَحْنُونَ وابن الماجِشُون ، فإنهما قالا : هو موقوف على إجازة الإمام ، وقد قال عليه السلام لأم هانىء : قد أجَرْنا مَنْ

. . . .

أجَرْتِ يا أمّ هانىء ، وروى معنى قولها عن عَمْرو بن العاصى وخالد بن الوليد. وأما جِوارُ العبد ، فجائز إلا عند أبى حنيفة ، وقول النبى صلى الله عليه وسلم يجير على المسلمين أدناهم يدخل فيه العبد والمرأة .

حاطب بن أبى بلتعة وما كان فى كتابه :

فصل : وذكر كتابَ حاطِب إلى قريش ، وهو حاطب بن أبى بَلْتَعَةَ مَوْلَى عبدِ الله بن حميد بن زُهَيْر بن أسد بن عَبْدِ العُزَّى ، والْبَلْتَعَةُ فى اللغة التظرف ، قاله أبو عُبَيْد، واسم أبى بَلْتَعَةَ ، عُمْرو ، وهو لَخْمِىٌّ ، فيما ذكروا ، ومن ذُرِّيته : زيادُ بن عبد الرحمن [بن زياد] الأنْدَلُسِىّ الذى روى الْمُوَطَّأَ عن مالك[1] ، وهو زياد شَبْطُون ، وكان قاضى طُلَيْطُلَة[2] . وكان شَبْطُونُ زَوْجاً لأمّه ، فعُرِف به رحمه الله ، وقد قيل : إنه كان فى الكتابِ أن النبىّ صلى الله عليه وسلم قد توجه إليكم بجيش كالَّليل يسير كالسَّيْل ، وأقسم بالله لو سار إليكم وحده لنصره الله عليكم فإنه مُنْجز له ما وَعَدَه ، وفى تفسير [يحيى] ابن سَلَّام أنه كان فى الكتابِ الذى كتبه حاطبٌ أن النبىّ محمداً قد نَفَر إمَّا إليكم وإمَّا إلى غيركم ، فعليكم الحَذَرَ[3] .

---

(١) قال عنه ابن حزم فى الجمهرة أول من أدخل الموطأ الأندلس .

(٢) فى المراصد : ضبطه الحميدى بضم الطاءين وفتح اللامين ، قال : وأكثر ما سمعناه من المغاربة بضم الأولى وفتح الثانية .

(٣) ذكر الواقدى بسند له مرسل أن حاطب كتب إلى سهيل بن عمرو ، وصفوان بن أمية ، وعكرمة بن أبى جهل ، ـ وقد أسلم الثلاثة ـ أن رسول الله «ص» أذن فى الناس بالغزو ، ولا أراه يريد غيركم : وقد أحببت أن تكون لى عندكم يد .

. . . .

تصحيف هشيم لخاخ :

وذكر أن عَلِيّاً بن أبي طالب والزُّبَيْر والمِقْدَادَ أدركوها بروضة خاخ بخاءين منقوطتين ، وكان هُشَيْمٌ يرويه : حاج بالحاء والجيم ، وهو مما حُفِظ من تَصْحِيف هُشَيْم ، وكذلك كان يروى : سَدَّاداً من عَوْن [بن أبي شَدَّاد] بفتح السين والمغيرة بن أبي بُرْدَةَ يقول فيه : بَرْزَةَ بالزاى[1] وفَتْح الباء فى تَصْحِيف كثير ، وهو مع ذلك ثَبْتٌ مُتَّفَقٌ على عَدَالته ، على أن البخارى ، قد ذكر عن أبي عَوَانَةَ أيضاً أنه قال فيه : حاج كما قيل عن هُشَيْم ، فالله أعلم ، وفى هذا الخبر من رواية الشيبانى أن عائشةَ قالت : دخل علَيّ أبو بكر وأنا أُغَرْبِل حِنْطَةً لنا ، فسألنى ، وذكر باقى الحديث ، وفيه من الفقه أكْلُهم للبُرِّ ، وإن كان أغلبَ أحوالهم أكلُ الشعير ، ولا يقال حِنْطَة إلا للبُرِّ .

تفسير (تلقون إليهم بالمودة) :

فصل : وذكر قول الله عزَّ وجلَّ فى حاطب ﴿ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ ﴾ أى تَبْذُلونها لهم ، ودخولُ الباء وخروجُها عند القُرَّاء سَوَاء ، والباء عند سيبويه لا تُزاد فى الواجب ، ومعنى الكلام عند طائفةٍ من البصريين : تُلقون إليهم النَّصيحة بالمودة ، قال النَّحَّاس: معناه تُخبِرُونهم بما يُخْبِرُ به الرجلُ أهل

---

(١) هناك المغيرة بن أبي بردة الكنانى يروى عن أبي هريرة ويروى عنه سعيد ابن سلمة وثقه النسائى ، وهناك المغيرة بن أبي برزة الأسلمى يروى عن أبيه، ويروى عنه جدعان .

. . . .

مودتَه ، وهذا التقدير إن نفع فى هذا الموضع لم يَنفَع فى مثل قول العرب : ألقى إليه بوسادة أو بثوب ، ونحو ذلك ، فيقال : إذاً إنَّ ألقيتَ تنقسم قسمين ، أحدهما : أنْ تريد وضْع الشيء فى الأرض ، فتقول : ألقيت السَّوْط من يده ، ونحو ذلك ، والثانى : أن تريد معنى الرَّمْي بالشيء ، فتقول : ألقيت إلى زيد بكذا: أرْمَيْتُه به ، وفى الآية إنما هو إلقاء بكتاب ، وإرسال به ، فعبَّر عن ذلك بالموَدَّة لأنه من أفعال أهل المودة ، فمن ثَمَّ حَسُنت الباء لأنه إرسال بشيء فتأمَّله .

قتل الجاسوس :

وفى الحديث دليلٌ على قَتْلِ الجاسوس، فإن عُمَرَ ـ رضى الله عنه ـ قال : دعنى فَلأَضْرِبْ عُنقَه ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : وما يُدْرِيك ياعُمَرُ لعل الله اطَّلَعَ إلى أصحابِ بَدْرٍ الحديث ، فعلق حُكْمَ المنع من قَتْلِه بشهودِ بَدْرٍ ، فدل على أن مَنْ فعل مثلَ فِعْله، وليس بِبَدْرِيٍّ أنه يُقتل . زاد البخارى فى بعض روايات الحديث ، قال : فاغْرَوْرَقَتْ عينا عُمَرَ ـ رضى الله عنه ـ وقال: الله ورسوله أعلم، يعنى حين سمعه يقول فى أهل بَدْرٍ ما قال[1] ، وفى مُسْنَدِ الحارِث أن حاطباً قال : يارسول الله كنتُ عَزيزاً فى قُرَيْش ، وكانت أمى بين

(١) يرى مالك جواز قتـــل كل جاسوس ، وإن كان مسلما ، أما الشافعى وأبو حنيفة فيريان أنه لا يقتل ، ويقول ابن القيم : والصحيح أن قتله راجع إلى رأى الإمام ، فإن رأى فى قتله مصلحة للمسلمين قتله ، وإن كان بقاؤه أصلح استبقاه .

. . . .

ظَهْرانَيْهم ، فأردت أن يحفظوني فيها ، أو نحو هذا ، ثم فسَّر الغَريرَ ، وقال : هو الغريب .

عن عبد الله بن أبي أمية :

وذكر قول النبيِّ – صلى الله عليه وسلم – لأمِّ سَلَمَة حين استأذنَتْه في أخيها عبدِ الله بن أُمَيَّة : وأمّا ابنُ عمّتي وصِهْري فهو الذي قال لي بمكة ما قال ، يعني حين قال له : واللهِ لا آمنتُ بك حتى تَتَّخِذَ سُلَّمًا إلى السماء ، فتَعْرُجَ فيه ، وأنا أنظرُ ثم تأتي بصَكٍّ وأربعة من الملائكة يشهدون لك أن الله قد أرسلك ، وقد تقدمت هذه القصةُ .

وعبدُ الله بن أبي أُمَيَّة هو أخو أمِّ سَلَمَةَ لأبيها ، وأمه عاتكةُ بنت عبدِ المطلب ، وأمُّ سَلَمَة أمُّها عاتِكَةُ بنتُ جِذْلِ الطِّعَانِ ، وهو عامر بن قَيْس[1] الفِرَاسِيّ ، واسم أبي أُمَيَّة حُذَيْفَةُ[2] وكانت عنده أربع عَوَاتِك ، قد ذكرنا منهن ههُنا ثِنْتَيْن[3] .

عن أبي سفيان بن الحارث وابنه وقصيدته :

وقول أبي سُفْيَانَ بن الحارِث : أو لآخُذَنَّ بيدِ بُنَيَّ هذا ، ثم لنَذْهَبَنَّ

---

(١) في القاموس : علقمة بن فراس وكذلك في المحبر لابن حبيب ص ٢٢٣ ونسب عاتكة عند ابن حبيب هو : بنت عامر بن ربيعة بن مالك بن جذيمة ابن علقمة بن جذل الطعان بن فراس بن غنم بن مالك بن كنانة .

(٢) هو ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم .

(٣) أنظر العواتك في المحبر لابن حبيب .

. . . .

بنى الأرض . لم يذكر ابن إسحاق اسمَ ابنِه ذلك ، ولعله أن يكون جعفراً ، فقد كان إذ ذاك غُلاماً مُدْرِكاً ، وشهد مع أبيه حُنَيْناً ، ومات فى خلافة معاوية ، ولا عَقِبَ له .

وذكر الزُّبَيْرُ لأبى سُفْيَانَ ولداً يُكْنَى أبا الهَيَّاج فى حديث ذكره لا أدرى : أهو جَعْفَرٌ أم غيره ، ومات أبو سفيان فى خلافة عُمَرَ رضى الله عنه ، وقال عند موته : لاَ تَبْكُنَّ علىَّ ، فإنى لم أنتَطِفْ بخَطِيئَةٍ منذ أسلمت ، ومات من ثُؤْلُولٍ حَلَقه الحلاقُ فى حَجّ فقطعه مع الشعر فَنَزَف منه ، وقيل فى اسم أبى سُفْيَانَ : المُغِيرة ، وقيل : بل المغيرة أخوه ، قال القُتَبِي : إخوتُه : المغيرة ونَوْفَلٌ وعَبْدُ شَمْسٍ ورَبيعةُ بنو الحارث بن عَبْدِ المُطَّلِب (١) .

وزن فعالل :

وقوله : نَزَائِعَ جاءت من سِهَامٍ وسُرْدَد ، على وزن فَعَالِ بفتح الفاء ، وسُرْدَد بضم أوله وإسكان ثانيه هكذا ذكره سيبويه ويعقوب ، وبفتح الدال ذكره غيرهما ، وهما موضعان من أرض عَكّ ، وذلك أن سيبويه من أصله أنه ليس فى الكلام فُعْلَل بالفتح ، وحكاه الكوفيون فى جُنْدَب وسُرْدَد ، وغيرهما ، ولا ينبغى أيضاً على أصل سيبويه أن يمتنعَ الفتحُ فى سُرْدَد ، لأن

---

(١) أولاد الحارث بن عبد المطلب — كما ذكر المصعب — هم : نوفل ، وأبو سفيان الشاعر واسمه : المغيرة ، وربيعة ، وعبد شمس ، وعبد المطلب ، وأمية ، وأروى ، ونوفل هو أسن ولد الحارث ص ٨٥ نسب قريش . أما السدوسى فذكر أن له ثلاثة فقط هم ربيعة ، ونوفل ، وأبو سفيان ص ٢٢ حذف نسب قريش .

رفع
المسهم
غفر الله له ولوالديه

. . . .

إحدى الدالين زائدة من أجل التضعيف ، وإنما الذى يمتنع فى الأبنية مثل جعفر بضم أوله وفتح ثانيه، فمثل سُرْدَدَ والسُّودَد والحُوَلَل (1) جمع حائل ، وماذكره بعضهم من طُحْلَب وبُرْقَع وجُؤْذَر ، فهو دخيل فى الكلام ، ولا يُجعل أصلا ، ولا يمتنع أيضاً جُنْدَب بفتح الدال ، لأن النون زائدة (2) .

---

(1) فى الأصل والحلال وهو خطأ .

(2) نقل ابن خالويه عن ابن دريد أنه قال : ليس فى كلامهم فعلل - بضم الفاء وفتح اللام إلا سؤدد وجوذر وجندب وخنطب كلها مفتوحة ومضمومة وقال الزبيدى فى الاستدراك على العين : ليس فى الكلام على مثال فعلل إلا أحرف لا يقول بها البصريون مثل : طحلب - بضم الطاء واللام - وبرقع وجوذر ص ٦٣ جـ ٣ المزهر للسيوطى . وفى كتاب التصريف للمازنى وشرحه لابن جنى ذكر أن الإجماع وقع على خمسة أمثلة الأسماء الرباعية التى لازيادة فيها ، ثم ذكر مثالا سادسا تجاذبه الخلاف وهو فعلل بضم الفاء وفتح اللام ، ثم قال ابن جنى : وأما السادس الذى يتنازع الناس فيه فجخدب ومثاله : فعلل - بضم الفاء وفتح اللام - حكاه أبو الحسن وحده بالفتح ، وخالفه فيه جميع البصريين إلا من قال بقوله ، والذى رواه الناس غيره جخدب بضم الدال ، وهو اسم لا صفة ، وقد حكى غيره : برقع وبرقع ، وطحلب وطحلب وجوذر وجوذر كلها بضم وفتح إلا أن جوذراً ذكر أبو على أنه أعجمى ، قال : فلاحجة فيه ، والضم فى برقع وطحلب هو الشائع ص ٢٥ ، ٢٧ المنصف فى شرح التصريف جـ ١ وفى إصلاح المنطق لأبى يوسف يعقوب بن السكيت فى باب فعلل بضم اللام وفعلل - بفتحها - بمعنى واحد . الفراء : يقال : برقع وبرقع وبرقوع . . ابن الأعرابى : عنصل وعنصل للبصل البرى ، وهو لئيم العنصر والعنصر أى الأصل ، وهو دخلله ودخلله ، أى خاصته . ويقال : قنفذ وقنفد وجوذر ، وجوذر لولد البقرة ورجل قعدد وقعدد إذا كان قريب الآباء إلى الجد الأكبر . . ويقال : طحلب وطحلب ، ويقال فى غير هذا الباب منخل ومنخل ، ومنصل ومنصل للسيف .

رفع المسـاهم

. . . .

عود إلى أبي سفيان :

وكان أبو سُفْيَان رَضِيعَ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أرضعتهما حَلِيمَةُ ، وكان آلف الناس له قبل النبوة لايفارقه ، فلما نُبِّىءَ كان أبعدَ الناس عنه ، وأهجاهم له إلى أن أسلم ، فكان أصحَّ الناسِ إيمانًا ، وألزمَهم له صلّى الله عليه وسلم ، ولأبى سُفيان هذا قال النبىُّ صلى الله عليه وسلم : أنت يا أبا سُفيانِ ، كما قيل كُلُّ الصَّيْدِ فى جَوْفِ الفَرَا(١) ، وقيل : بل قالها لأبى سُفْيَانَ بن حَرْبٍ ، والأول أصح .

وقول بُدَيْل : حَمَشَتْهُم الحربُ ، يقال : حَمَشْتُ الرجل إذا أغضبْته ، وحَمَشْتُ النارَ أيضًا إذا أوقدتُها ، ويقال : حَمَسْتُ بالسين .

عن إسلام سفيان بن حرب :

وذكر عَبْدُ بن حميد(٢) فى إسْلَامِ أبى سُفْيَان بن حَرْبٍ أن العباسَ لما احتمله معه إلى قُبَّتِه ، فأصبح عنده ، رأى الناس وقد ثاروا إلى طُهورهم ،

(١) الفرا : الحمار الوحشى . ويقول الذين رووا هذا إن أبا سفيان استأذن على النبى « ص » فحجب قليلا ، ثم أذن له ، فلما دخل قال : ما كدت تأذن لى حتى تأذن لحجارة الجلهتين ـ وهما جانبا الوادى ـ فقال « ص » يا أبا سفيان أنت كما قيل : كل الصيد فى جوف الفرا ، يتألفه على الإسلام ، وقيل معناه : إذا حجبتك قنع كل محجوب . يضرب المثل لمن يفضل على أقرانه . وانظر أصل المثل فى الأمثال للميدانى ص١٣٦ ح ٢ط السنة المحمدية .

(٢) رواه ابن أبى شيبة .

رفع المسهم

. . . .

فقال أبو سفيان : يا أبا الفضل ما للناس ! ! أأُمِرُوا فِيَّ بِشَيْءٍ ؟ قال : لا ، ولكنهم قاموا إلى الصلاة ، فأمره العباس فتوضأ ، ثم انطلق به إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما دخل عليه السلام فى الصلاة كبّر فكبّر الناسُ بتكبيره ، ثم ركع فركعوا ، ثم رفع فرفعوا ، فقال أبو سفيان : ما رأيت كاليوم طَاعَةَ قوم جمعهم من هٰهُنا وهٰهُنا ، ولا فارِس الأكارِم ، ولا الروم ذات القُرُون بأطْوَعَ منهم له ، وفى حديثِ عَبْد بن حميد أن أبا سفيان قال للنبي صلى الله عليه وسلم ، حين عرض عليه الإسلام : كيف أصنع بالعُزَّى ؟ فسمعه عمرُ رضى الله عنه من وراء القُبَّة ، فقال له : تَخرَا عليها ، فقال له أبو سفيان : وَيْحَكَ ياعمر ! ! إنك رجل فاحِشٌ دعنى مع ابن عَمِّى ، فإيَّاه أُكَلِّم .

وذكر قول أبى سُفيَان : لقد أصْبَحَ مُلْكُ ابن أخيك الغَدَاةَ عظيماً ، وقول العباس له : إنها النبوة ، قال شيخنا أبو بكر رحمه الله : إنما أنكر العباسُ عليه أن ذكر الملك مُجرَّداً من النُّبُوَّةِ مع أنه كان فى أول دخوله فى الإسلام ، وإلا فجائز أن يُسَمَّى مثل هذا مُلْكاً ، وإن كان لِنَبِيٍّ فقد قال الله تعالى فى داود ﴿وشَدَدْنَا مُلْكَه﴾ وقال سليمان : ﴿وَهَبْ لى مُلْكاً﴾ غير أن الكراهية أظهر فى تسمية حال النبى صلى الله عليه وسلم مُلْكاً لما جاء فى الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم خُيِّر بين أن يكون نبياً عَبْداً ، أو نبياً مَلِكاً ، فالتفت إلى جبريل ، فأشار إليه أن تَوَاضَعْ ، فقال : بل نبياً عَبْداً أشبع يوماً ، وأجوع يوماً . وإنكار العباس على أبى سفيان يقوِّى هذا المعنى ، وأمر الخلفاء الأربعة بعده يكره أيضاً أن يُسَمَّى ملكا ، لقوله عليه السلام فى حديث آخر : يكون بعده خُلَفَاء ،

. . . .

ثم يكون أمراء ، ثم يكون ملوك ، ثم جبابرة ، ويُروى: ثم يعود الأمر بَزْبَزِيًّا، وهو تصحيف ، قال الخطابى : إنما هو بِزِّيزَى ، أى قتل وسلب .

قول هند عن أبى سفيان :

وقول هند : اقتلوا الحَمِيتَ الدَّسِمَ الأحْمَسَ . الحَمِيتُ : الزِّقُّ ، نسبته إلى الضُّخْم والسِّمَنِ ، والأَحْمَسُ أيضاً الذى لاخير عنده ، من قولهم : عام أحْمَسُ إذا لم يكن فيه مَطَرٌ ، وزاد عَبْدُ بن حميد فى حديثه أنها قالت : يا آل غالبٍ اقتلوا الأحْمَقَ ، فقال لها أبو سفيان : والله لَتُسْلِمِنّ أو لأَضْرِبَنّ عُنُقَكِ ، وفى إسلام أبى سفيان قبل هند وإسلامها قبل انقضاء عِدَّتِها ، ثم استَقَرَّا على نكاحِهما وكذلك حكيم بن حِزامٍ مع امرأته حُجَّةٌ للشافِعِىِّ ، فإنه لم يفرق بين أن تُسْلِم قبلَه ، أو يسلم قبلها ، مادامت فى العدَّة . وفرَّق مالكٌ بين المسألتين على مافى المُوَطَّأ وغيرِه .

إسلام أبى قحافة :

وذكر إسلام أبى قُحافَةَ ، واسمه : عُثْمانُ بن عامرٍ ، واسم أُمِّه : قَيْلَةُ بنت أذاة .

وقوله لبنت له : وهى أصغر ولده ، يريدُ والله أعلم أصغر أولادِه الذين لصُلْبِه ، وأولادهم ، لأن أبا قُحافة لم يعش له ولد ذَكَرٌ إلا أبو بكر ، ولا تُعْرَفُ له بنت إلا أُمّ فَرْوَةَ التى أنكحها أبو بكر رضى الله عنه مِن الأشعث بن قيس ، وكانت قَبْلَه تحت تَميمٍ الدّارِىّ ، فهى هذه التى ذكر

. . . .

ابن إسحاق والله أعلم . وقد قيل : كانت له بنت أخرى تُسَمَّى قُرَيْبَةَ تَزَوَّجها قَيسُ بن سَعْدِ بن عُبَادَةَ ، فالمذكورة فى حديث أبى قُحافة هى إحدى هاتين على هذا ، والله أعلم .

وفى الحديث : وكان رأسُه ثَغَامَةً ، والثَّغَامُ من نبات الجبال ، وهو من الجَنْبَةِ ، وأشد ما يكون بياضاً إذا أمحلَ ، والخَلِيُّ مِثْلُه يُشَبَّه به الشَّيْبُ ، قال الراجز :

وِلِمَّتِي كأنها حَلِيَّـــة(١)

حكم الخضاب :

وقولُ النبيِّ - صلى الله عليه وسلم - فى شَيْبِ أبى قُحَافَة غَيِّروا هذا من شَعْرِه ، هو على النَّدْب ، لا على الوُجُوب ، لما دل على ذلك من الأحاديث عنه عليه السلام أنه لم يُغيِّر شَيْبَه ، وقد روى من طريق أبى هُرَيْرَةَ أنه خَضَبَ . وقال مَنْ جمع بين الحديثين : إنما كانت شَيْبات يَسِيرَةً يغيِّرها بالطِّيب . وقال أَنَسٌ : لم يبلغ النبى صلى الله عليه وسلم حَدَّ الخِضَابِ ، وفى البخارى عن عثمان بن مَوْهَب قال : أَرَتْنِى أم سَلَمَةَ شَعْراً من شَعْر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وفيه أيضاً عن ابن مَوْهَبٍ قال : بعثنى أهلى بقـــدح إلى أُمِّ سَلَمَة ، وذكر

---

(١) الرجز هكذا :

لما رأت حليـــلتى عينيه
ولمتى كأنها حليه
تقول : هذى قرة عليه

رفع المسهم

الحديث ، : وفيه اطَّلَعْتُ فى الْجُلْجُلِ فرأيت شَعَرَاتٍ حُمْراً ، وهــذا كَلَامٌ مُشْكِلٌ وشرحه فى مُسْنَد وَكِيع بن الجَرَّاح قال : كان جُلْجُلًا من فِضَّة صُنِع صِيوَاناً لشَعَرَاتٍ كانت عندهم من شَعْرِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم .

فإن قيل : فهذا يَدُلُّ على أنه كان مَخْضُوبَ الشَّيْب ، وقد صح من حديث أَنَسٍ وغيره أنه عليه السلام لم يكن بلغ أن يَخْضِبَ إنما كانت شَعَرَاتٍ تُعَدُّ .

فالجواب : أنه لما تُوُفِّى خَضَبَ مَنْ كان عنده شىء من شَعْرِه تلك الشعرات ليكونَ أبقى لها ، كذلك قال الدَّارَقُطْنى فى أسماء رجال الموطأ له ، وكان أبو بكر يَخْضِبُ بالحِنَّاء والكَتَم ، وكان عمر يَخْضِب بالصُّفْرَةِ ، وكذلك عُثْمانُ وعبدُ الله بن عُمَرَ ، وكان فيهم من يَخْضِبُ بالخِطْرِ ، وهو الوَسْمَةُ ، وأما الصُّفْرَةُ ، فكانت من الوَرْسِ ، أو الكُرْكُمِ وهو الزَّعْفرانُ ، والوَرْسُ ينبُت باليَمَنِ يقال لجَيِّدِه : بادِرَة الوَرْسِ ، ومن أنواعه : السف والحَبَشِىّ وهو آخره ، ويقال مِن الحِنَّاء : حَنَّأَ شَيْبَه ورَقَّنَه ، وجمع الحِنَّاءِ حِنَّان على غير قياس ، قال الشاعر :

ولقد أَرُوحُ بِلِمَّةٍ فَينانَةٍ　　سَوْدَاء قد رُوِيَتْ من الحِنَّانِ

من كتاب أبى حنيفة ، وبعضُ أهل الحديث يزيد على رواية ابن إسحاق فى شَيْب أبى قُحافَةَ : وجَنِّبوه السَّوادَ ، وأكثرُ العلماء على كراهة الخِضَابِ بالسَّواد من أجل هذا الحديث ، ومن أجل حديث آخر جاء فيه الوعيد والنهى لمن خَضَب بالسَّواد ، وقيل : أول من خَضَب بالسَّوادِ فِرْعَوْنُ ، وقيل : أول

من خَضَبَ به من العربِ عبدُ المطلب ، وترخَّص قومٌ في الخِضَابِ بالسَّوادِ منهم محمد بن على ، وروى عن عُمَرَ أنه قال : أخْضِبوا بالسواد ، فإنه أنكى للعـدو ، وأحبُّ للنساء . وقال ابن بطَّال في الشرح : إذا كان الرجل كَهْلاً لم يبلغ الهرم جاز له الخِضَابُ بالسَّواد ، لأن في ذلك ما قال عمر رضى الله عنه من الإرْهَابِ على العَدُوِّ والتحبُّبِ إلى النِّساء ، وأما إذا قَوَّس واحدودَبَ فحينئذ يُكْرَه له السوادُ ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في أبي قحافة: غَيِّروا شيبه ، وجَنِّبُوه السواد»(١) .

---

(١) عن ثابت قال : سئل أنس عن خضاب النبي «ص» فقال : لو شئت أن أعد شمطات كن في رأسه فعلت ، قال : ولم يختضب ، زاد في رواية : وقد اختضب أبو بكر بالحناء والكتم ، واختضب عمر بالحناء بحتاً «أى : صرفاً ومحضاً» متفق عليه .

وعن ابن عمر أنه كان يصفر لحيته بالصفرة حتى تمتلىء ثيابه من الصفرة ، فقيل له : لم تصبغ بالصفرة ؟ قال : إنى رأيت رسول الله يصبغ بها ، ولم يكن شيء أحب إليه منها ، وقد كان يصبغ بها ثيابه كلها حتى عمامته «أبو داود والنسائى» .

وعن عثمان بن عبد الله بن موهب ، قال : دخلت على أم سلمة . فأخرجت إلينا شعراً من شعر النبي «ص» مخضوباً «البخارى» .

وهى أحاديث أقوى مما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يكون قوم يخضبون في آخر الزمان بالسواد كحواصل الحمام لا يريحون رائحة الجنة «أبو داود والنسائى وابن حبان في صحيحه والحاكم ، وقال : صحيح الإسناد» .

. . . .

كداء وكدى :

فصل : وذكر كَدَاء بفتح الكاف والمد ، وهو بأعلى مَكَّة ، وكُدَىً وهو من ناحية عَرَفَة ، وبمكة موضعٌ ثالث يقال : كُدَا بضم الكاف والقصر ، وأنشدوا في كَداء وكُدَىً(١) :

أقفرتْ بعد عَبْد شَمْسٍ كَدَاء   فكُدَىٌّ فالرُّكْنُ والبَطْحَاء

والبيتُ لابن قَيْسٍ الرُّقَيَّاتِ يذكر بني عَبْدِ شَمْسٍ بن عَبْدِ وُدٍّ(٢) العامِرِيِّين رَهْط سُهَيْل بن عَمْرو .

موقف ابراهيم بكداء :

وبكَدَاء وَقَفَ إبراهيمُ عليه السلام حين دعا لذريته بالحَرَم ، كذلك روى سَعيد بن جُبَيْر عن ابنِ عَبَّاسٍ ، فقال : ﴿فاجْعَلْ أفْئِدَةً من الناس

---

(١) هناك خلاف واسع فى هذه المواضع الثلاث وأوضح الأقوال ما ذكره البكرى فى معجمه منسوباً إلى على بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسى : كداً بالضم والتنوين مقصور بأسفل مكة بقرب شعب الشافعيين وشعب ابن الزبير عند قعيقعان ، وأما كدى مصغر فإنما هو لمن خرج من مكة إلى اليمن ، أما هو فقال عن كدى بالتصغير فى معجمه وفى السمط : إنه جبل قريب من كداء ، وأما كداء فقال البكرى : جبل بمكة . وكداء هذا الجبل هو عرفة بعينها . وفى المراصد عن كداء : ثنية بأعلى مكة عند المحصب دار النبى عليه السلام من ذى طوى إليها ، وكداً بالتنوين بأسفل مكة . وانظر النهاية فى المفردات لابن الأثير وص ٢٩٩ ، السمط .

(٢) ابن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى بن غالب .

رفع المسـاهم غفر الله لها ولوالديها

. . . .

تَهْوِى إليهم ﴾ فاستجيبت دعوته ، وقيل له : أَذِّن فى الناس بالحجِّ يأتوك رِجالا ، ألا تراه يقول : يأتوك ، ولم يقل يأتُونِى ، لأنها استجابة لدعوته ، فمن ثَمَّ ـ والله اعلم ـ اسْتُحَبّ النبىُّ صلى الله عليه وسلم إذا أتى لمكة أن يدخلها مِنْ كَدَاء ، لأنه الموضِع الذى دعا فيـــه إبراهيمُ بأن يجعل أفئدةً من الناس تَهْوِى إليهم .

موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من سعد :

فصل: وذكر نَزْعِ الرايةِ من سعد حين قال : اليوم يوم المَلْحَمَةِ . وزاد غير ابن إسحاق فى الخبر أن ضِرَارَ بن الخطابِ قال يومئذ شعراً حين سمع قول سعدٍ استعطف فيـــه النبىَّ صلى الله عليه وسلم على قريشٍ ، وهو من أجود شِعْرٍ له :

يا نَبِىَّ الهُـدَى إليك لَجَا(١) حَـــىُّ قُرَيْشٍ، ولاتَ حِينَ لجَاء(٢)

حِينَ ضَاقَتْ عليهُمُ سَعَةُ الأرْ ضِ وَعادَاهُم إلهُ السَّماء

(١) ترك همز لجأ للوزن .

(٢) أثبت الألف فى لجاء للضرورة ، وإلا فلجأ مهموز من بابى نفع وتعب. وفى الاستيعاب فى ترجمة ضرار : وأنت خير لجاء . وقد روى ابن عساكر من طريق أبى الزبير محمد بن مسلم المكى عن جابر قال : لما قال سعد بن عبادة ذلك عارضت امرأة رسول الله «ص» فقالت ، ثم ذكر هذه القصيدة . وعند الواقدى والأموى أن هذا الشعر لضرار . قال الحافظ : فكأن ضراراً أرسل به المرأة ليكون أبلغ فى انعطافه صلى الله عليه وسلم على قريش .

رفع المسار

. . . .

والتقت حلقتا البطان على القــــوم ونودوا بالصيلم الصلماء
إن سعداً يريد قاصمة الظهـــــر بأهل الحجون والبطحاء
خزرجي لو يستطيع من الغيـــظ رمانا بالنسر والعواء[1]
فلئن أقحم اللواء ، ونادى يا حماة اللواء أهل اللواء[2]
لتكونن بالبطاح قريش بقعة[3] القاع في أكف الإماء[4]

---

(١) جاء بعد هذا البيت :

دغر الصدر لا يهم بشيء غير سفك الدما وسبي النساء
قد تلظى على البطاح وجاءت عنه هنـــد بالسوءة السوءاء
إذ ينادي بذل حي قريش وابن حرب بذا من الشهداء

(٢) بعده:

ثم ثابت إليه من بهم الخزرج والأوس أنجـــم الهيجاء

(٣) في رواية : فقعة بكسر الفاء وسكون القاف وفتح العين جمع فقع بفتح الفاء وكسرها وسكون القاف ضرب من الكمأة ، وهي الرخوة البيضاء يشبه به الرجل الذليل ، لأن الدواب تنحله بأرجلها . وأما البقعة فمكان يستنقع فيه الماء ، وبضم الباء وفتحها أيضاً القطعة من الأرض على غير هيئة التي إلى جنبها .

(٤) وبعده

فانهينه فإنه أسد الأسد لدى الغاب والغ في الدماء
إنه مطرق يريد لنا الأمر سكوتاً كالحية الصماء

من مفردات القصيدة : البطان = حزام يجعل تحت بطن البعير يقال ذلك إذا اشتد الأمر . الصيلم = الداهية أو الأمر الشديد . الصلماء : الداهية ، وقد حذف حرف العطف بينها وبين الصيلم للنظم وهو جائز في غيره أيضاً . قاصمة الظهر = الخصلة المانعة لهم من كل الأمور حتى كأنها كسرت ظهورهم . النسر = نجم . العواء = سيأتي شرحه ، دغر = اسم فاعل من دغر والدغرة = شدة

رفع المسهم

. . . .

فحينئذٍ انتَزَع النبيُّ صلى الله عليه وسلم الرايةَ من سَعْد بن عُبَادَةَ فيما ذكروا ، والله أعلم ، ومدّ فى هذا الشعر العَوّاء ، وأنكر الفارسى فى بعض كتبه مَدّها ، وقال : لو مدت لقيل فيها العَيَّاء ، كما قيل فى العَلْياء ، لأنها ليست بصفة كالعَشْوَاء ، قال : وإنما هى مَقْصُورة كالشَّرْوَى والنَّجْوَى ، وغفل عن وجه ذكره أبو على القالى ، فإنه قال : من مد العَوّاء فهى عنده فَعّال من عَوَيْت الشىء إذا لويت طَرَفَه ، وهذا حسن جداً لاسِيَّا ، وقد صح مدُّها فى الشعر الذى تقدم(١) ، وغيره ، والأصح فى معناها : أن العَوّاء من العُوَّةِ ، والعُوَّةُ هى الدُّبُرُ ، فكأنهم سَمَّوْها بذلك ، لأنها دُبُرُ الأسد من البُرُوج(٢) .

خنيس بن خالد :

فصل : وذكر خُنَيْسَ بنَ خَالِدٍ ، وقولَ ابنِ هِشَامٍ : خُنَيْسُ من خُزَاعَة ، لم يختلفوا عن ابن إسحاق أنه خُنَيْسُ بالخاء المنقوطة والنون ، وأكثر من ألف فى المُؤتلِفِ والمُختَلِف يقول : الصواب فيه : حُبَيْش بالحاء

= توقد الحر . بهم = بضم الباء وفتح الهاء جمع بهمة الفارس الذى لا يؤتى من شدة بأسه . ويقال أيضاً الجيش . الهيجاء = الحرب . القاع : المكان المستوى الواسع . أنظر ص ٣٠٦ - ١٢ المواهب اللدنية ، ٢٩٥ - ٤ البداية لابن كثير .

(١) قال الأزهرى : من قصر العوا شبهها بياست الكلب ، ومن مدها جعلها تعوى كما يعوى الكلب والقصر فيها أكثر ، وقول الفارسى الذى ذكره السهيلى موجود فى اللسان بتفصيل فى مادة عوا وكذلك الرد عليه فراجعه .

(٢) فى اللسان : تدعى وركى الأسد وعرقوب الأسد ، والعواء : منزل من منازل القمر ، وقيل : نجم من أنواء البرد ، وقيل غير هذا .

رفع المسهم

. . . .

المهملة والباء والشين المنقوطة ، وكذلك فى حاشية الشيخ عن أبى الوليد أن الصوابَ فيه حُبَيْش ، وأبوه خالِد هو الأشعر بنُ حُنَيْفٍ ، وقد رفعنا نسبَه عند ذكر أم مَعْبَدٍ ، لأنها بنته ، وهو بالشين المنقوطة ، وأما الأسعرُ بالسين المهملة ، فهو الأسعرُ الجُعْفِىُّ ، واسمه : مَرْثَدُ بن عِمْرَانَ[1] ، وسُمِّى الأسعر لقوله:

فلا يَدْعُنِى قَوْمِى لِسَعْدِ بنِ مَالِكٍ ... لئن أنا لم أَسْعَرْ عليهم وأُثْقِبِ

يعنى بمالك : مَذْحِج .

وذكر الرَّجز الذى لِكُرْز :

قد عَنِمَتْ صَفْرَاءُ من بنى فِهِرْ

أشار بقوله : صَفْرَاءُ إلى صُفْرَةِ الخَلُوقِ ، وقيل : بل أراد معنى : قول امرىء القيس :

كَبِكْرِ مُقَانَاةِ البَيَاضُ بصُفْرَةٍ ... غَذَاها نَمِيرُ الماء غير مُحَلَّلِ[2]

وكقول الأعشى :

[تُرْضِيكَ مِنْ دَلٍّ ومِنْ ... حُسْنٍ مُخَالِطُه غَرَارَهْ[3]]

حَمْرَاءُ غَدْوَتُها ، وصَفْرَاءُ العَشِيَّةِ كالعَرَارَهْ[4]

---

(١) ابن حمران فى السمط ص ٩٤ ، وفى المؤتلف للآمدى : ابن أبى حمران ، وكذلك فى الإكمال والاشتقاق . وقد سبق .

(٢) سبق البيت وشرحه ، وفى المعلقة واللسان : المقاناة . وقد أضاف البكر إلى وصفها ، وقيل : أراد كبكر الصدفة المقاناة الخ . وانظر شرح الزوزنى للمعلقات ص ١٥ ط ١٢٨٨ . والزيادة من المعلقة .

(٣) هذا البيت زدته من السمط .

(٤) رواية البيت هكذا فى السمط : بيضاء ضحوتها الخ .

وقوله : من بنى فِهِرْ بكسر الهاء ، وكذلك الصَّدِرْ فى البيت الثانى ، وأبو صَخْرٍ هذا على مذهب العرب فى الوقف على ما أوسطُه ساكن ، فإنَّ منهم من ينقل حركة لام الفِعْل إلى عين الفِعْل فى الوقْفِ ، وذلك إذا كان الاسمُ مَرْفوعاً أو مخفوضاً ، ولا يفعلون ذلك فى النَّصْبِ ، وعِلَّةُ مُسْتَقْصاةٌ فى النحو .

قول : لماذا وعوتم :

وذكر خَبَرَ حِماسٍ وقولَ امرأتِه له : لماذا تُعِدُّ السلاحَ بإثبات الألِفِ ، ولا يجوز حذفُها من أجل تركيب ذا معها ، والمعروفُ فى ما إذا كانت استفهاماً مجرورة أن تحذف منها الألف ، فيقال : لِمَ ، وبِمَ ، قال ابن السراج : الدليلُ على أن ذا جُعِلَتْ مع ما اسماً واحداً أنهم اتفقوا على إثبات الألف مع حرف الجر ، فيقولون : لماذا فعلت ، وبماذا جئت ، وهو معنى قول سيبويه .

قول رجزى حماس :

وقوله : وذو غِرارَيْنِ سريع السِّله بكسر السين هو الرواية ، يريد الحالة من سَلِّ السيف ، ومن أراد المصدر فتح .

وقوله : وأبو يَزيدَ قائم كالمُوتِمَة ، يريد : المرأة لها أيتامٌ ، والأعرف فى مثل هذا مُوتِم مثل مُطْفِل ، وجمعها مياتِم ، وقال ابن إسحاق فى غير هذه الرواية : المُوتِمَة : الأسطوانة ، وهو تفسير غريب ، وهو أصح من التفسير الأول ، لأنه تفسير راوى الحديث ، فعلى قول ابن إسحاق هذا يكون لفظ المُوتِمَة

رفع
المساهم
غفر الله له ولوالديه

. . . .

من قولهم : وَتَم وأتم إذا ثبت ، لأن الاسطوانة تثبت ماعليها ، ويقال فيها على هذا مُؤْتِمَةٌ بالهمز ، وتجمع مآتم ، وموتمة بلا همز ، وتجمع : مواتم .

وقوله : وابو يَزِيدَ بقلب الهمزة من أبو ألفاً ساكنة ، فيه حجةٌ لوَرْش [واسمه : عثمان بن سعيد بن عبد الله] حيث أبدل الهمزةَ ألفاً ساكِنَةً ، وهى متحركة ، وإنما قياسُها عند النحويين أن تكون بَيْن بَيْن .

ومثل قوله : وابو يزيد ، قول الفرزدق :

فارْعَىْ فَزَارَةُ لا هَنَاكِ الْمَرْتَعُ[1]

وإنما هو هَنَأَكَ بالهمز وتسهيلها بَيْن بَيْنَ ، فقلبها ألفاً على غير القِياس المعروف فى النحو ، وكذلك قولُهم فى المِنْسَاة ، وهى العصا ، وأصلها الهمز ، لأنها مِفْعَلَة من نَسأتُ ، ولكنها فى التنزيل كما ترى[2] ، وأبو يَزِيدَ الذى عنى فى هذا البيت ، هو سُهَيْلُ بنُ عَمْرٍو خطيبُ قريشٍ .

وقوله : لهم نَهِيتٌ : النَّهِيتُ : صوتُ الصَّدْرِ ، وأكثر ما توصف به الأُسْدُ ، قال ابن الأَسْلَت :

كأنهم أُسْدٌ لَدَى أَشْبُلٍ يَنْهِتْنَ فى غِيلٍ وأَجْزَاعِ

---

(١) شطرته الأولى : راحت بمسلمة البغال عشية . وهو من شواهد سيبويه ح ٢ ص ١٧٠ .

(٢) أى مهموزة فى سورة سبأ فى قصة موت سليمان .

رفع المسهم

. . . .

والغَمْغَمَةُ : أصواتٌ غيرُ مفهومة من اختلاطها .

طرف من أحكام أرض مكة :

ونذكر هاهُنا طرَفاً من أحكام أرض مَكَّةَ ، فقد اختلف : هل افتتحها النبيُّ صلى الله عليه وسلم عَنْوَةً أو صُلْحاً ، ليبتنى على ذلك الحكم: هل أرضُها مِلْكٌ لأهلها أم لا؟ وذلك أن عُمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يأمر بنزع أبواب دور مكة إذا قدم الحاجُّ ، وكتب عمر بن عبدالعزيز إلى عامله بمكة أن يَنْهى أهلَها عن كِرَاء دورها إذا جاء الحاجُّ فإن ذلك لايحل لهم . وقال مالك ـ رحمه الله ـ إن كان الناسُ لَيَضْرِبُون فَسَاطِيطَهم بدُور مكّةَ لاينهاهم أحدٌ ، وروى أن دور مَكَّةَ كانت تُدْعَى السَّوائب[1] ، وهذا كُلُّه منتزع من أصلين أحدُهما : قوله تبارك وتعالى : ﴿ والمسجدِ الحَرَامِ الذى جَعَلْناهُ للنَّاسِ سَوَاءً العاكِفُ فيه والبَادِ ﴾ الحج : ٢٥ وقال ابنُ عُمَر وابنُ عباس : الحَرَمُ كلُّه مسجد . والأصل الثانى : أن النبىَّ صلى الله عليه وسلم دخلها عَنْوَةً غير أنه مَنَّ على أهلِها بأنفسهم وأموالهم ، ولا يُقاس عليها غيرُها من البلاد ، كما ظن بعضُ الفقهاء فإنها مخالفة لغيرها من وجهين ، أحدهما : ماخص الله به نبيَّه ، فإنه قال: ﴿ قُلِ الأنفالُ لِلّهِ والرَّسولِ ﴾ الأنفال : ١ والثانى : ماخَصَّ الله تعالى به مكّةَ فإنه جاء : لاتَحِلُّ غنائمُها ، ولا تُلْتَقَطُ لُقَطَتُها ، وهى حرم الله تعالى وأَمْنُهُ ،

---

(١) روى الإمام أحمد عن علقمة بن نضلة قال : « كانت رباع مكة تدعى السوائب على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر ، من احتاج سكن ، ومن استغنى أسكن » .

رفع المسهم غفر الله له ولوالديه

. . . .

فكيف تكون أرضُها أرضَ خَرَاج ، فليس لأحدٍ افتتح بلداً أن يَسْلُكَ به سَبِيلَ مكة ، فأرضُها إذاً ودُورُها لأهلِها ، ولكن أوجب اللهُ عليهم التوسعة على الحجيج إذا قدموها ، ولا يأخذوا منهم كِراءً فى مساكنها ، فهذا حكمُها فلا عليك بعد هذا ، فُتِحتْ عَنْوَةً أو صُلحاً ، وإن كانت ظواهرُ الحديث أنها فُتِحتْ عَنْوَةً(١) .

الهذلي القتيل :

وذكر الهُذَلِيَّ الذى قُتِل ، وهو واقف ، فقال : أَقَدْ فَعَلْتُمُوها يامَعْشَر خُزَاعَة ، وروى الدَّارَقُطْنِي فى السُّنَن أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : لو كنت قاتلَ مُسْلِمٍ بكافر لقتلت خِرَاشاً بالهُذَلِيِّ ، يعنى بالهذلى : قاتلَ ابنِ أَثْوَعَ ، وخِرَاشٌ هو قاتِله ، وهو من خُزَاعَة .

هل تعيذ الكعبة عاصياً ؟

فصل : وذكر قِصَّةَ ابن خَطَلٍ ، واسمه : عبدُ الله ، وقد قيل فى اسمه :

---

(١) يقول الإمام ابن القيم عن مكة : « إنها لا تملك ، فإنها دار النسك ، ومتعبد الخلق ، وحرم الرب سبحانه وتعالى الذى جعله للناس سواء العاكف فيه والباد ، فهى وقف من الله تعالى على العالمين ، وهم فيه سواء . ومنى مناخ من سبق » ثم يقول : « ذهب جمهور الأئمة من السلف والخلف إلى أنه لا يجوز بيع أراضى مكة ، ولا إجارة بيوتها . هذا مذهب مجاهد وعطاء فى أهل مكة ، ومالك فى أهل المدينة ، وأبى حنيفة فى أهل العراق ، وسفيان الثورى والإمام أحمد وإسحاق بن راهويه » ثم فصل الأمر فى أسلوب جميل فانظره ص ٤١٣ وما بعدها فى زاد المعاد ط السنة المحمدية .

. . . .

حِلَال ، وقد قيل : هلال كان أخاه ، وكان يقال لهما الخَطَلَان ، وهما من بنى تَيْم ابن غَالِبِ[١] بن فِهر ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بقتله ، فقُتِل وهو متعلق بأستار الكعبة ، ففى هذا أن الكعبة لاتُعيذ عاصياً ، ولا تَمْنَع من إقامة حَدّ واجب[٢] ، وأن معنى قوله تعالى : ﴿وَمَنْ دخله كان آمناً﴾ إنما معناه الخبر عن تعظيم حُرْمَة الحَرَم فى الجاهلية نعمة منه على أهل مكة ، كما قال تعالى:

---

(١) هو من قريش الظواهر . وذكر ابن دريد أن ابن خطل كان اسمه هلال، وأن أخاه كان عبدالله . وفى المقريزى أنه هلال. أنظر ص ١٠٦، ٤٧٩ الاشتقاق، ص ٣٧٨ إمتاع الأسماع .

(٢) فى المسألة خلاف طويل . ولقد كان العربي فى الجاهلية يرى قاتل أبيه أو ابنه فى الحرم فلا يهيجه . وروى الإمام أحمد عن عمر أنه قال : لو وجدت فيه قاتل الخطاب ما مسسته حتى يخرج منه ، وذكر عن عبد الله بن عمر أنه قال: لو وجدت فيه قاتل عمر ما بدهته . وروى مثله عن ابن عباس ، وهذا قول جمهور التابعين ومن بعدهم ، بل لا يحفظ عن تابعى ولا صحابى خلافه . وإليه ذهب أبو حنيفة ومن وافقه من أهل العراق ، والإمام أحمد ومن وافقه من أهل الحديث : أما مالك والشافعى فيريان أنه يستوفى منه فى الحرم ، كما يستوفى منه فى الحل ، وهو اختيار ابن المنذر . وقد وفى ابن القيم هذه المسألة بحثاً ، وذكر بالتفصيل أدلة الفريقين فى زاد المعاد ص ٤٢٠ وما بعدها ج ٢ . وأقوى دليل لمن قال باستيفاء الحد منه فى الحرم قوله سبحانه (ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام، حتى يقاتلوكم فيه ، فإن قاتلوكم فاقتلوهم) البقرة : ١٩١ وقد روى الإمام أحمد عن ابن عباس قوله : « من سرق أو قتل فى الحل ، ثم دخل الحرم ، فإنه لا يجالس . ولا يكلم ، ولا يؤوى حتى يخرج ، فيؤخذ ، فيقام عليه الحد ، وإن سرق أو قتل فى الحرم أقيم عليه الحد» ففرق بهذا بين اللاجىء إلى الحرم ، وبين الجانى فيه . وهذا رأى بينه وبين هدى القرآن نسب متين .

. . . .

﴿ جَعَلَ اللهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَاماً لِلنَّاسِ ﴾ إلى آخر الآية ، المائدة : ٩٧
فكان في ذلك قِوَامٌ للناس ، ومصلحةٌ لذرية إسماعيلَ - صلى الله عليه وسلم - ، وهم قُطَّانُ الحرَم ، وإجابة لدعوة إبراهيم عليه السلام حيث يقول : اجْعَلْ أَفْئِدَةً من الناسِ تَهْوِى إليهم ، وعندما قَتَل النبيُّ صلى الله عليه وسلم ابنَ خَطَلٍ قال : لا يقتل قُرَشِيٌّ صَبْراً بعد هذا ، كذلك قال يونس في روايته .

صلاة الفتح :

فصل : وذكر صَلَاةَ النبي صلى الله عليه وسلم في بيت أُمِّ هانئ ، وهي صَلَاةُ الفَتْح ، تُعْرَف بذلك عند أهل العلم ، وكان الأُمَرَاء يصلونها إذا افتتحوا بلداً . قال الطبري : صَلَّى سَعْدُ بن أبي وَقَّاصٍ ، حين افتتح المدائن ، ودخَلَ إيوان كسرى ، قال : فصَلَّى فيه صَلَاةَ الفَتْح ، قال : وهي ثماني رَكَعاتٍ لا يُفْصَل بَيْنَهَا ، ولا تُصَلَّى بإمام ، فبين الطبري سُنَّةَ هذهِ الصلاةِ وصِفَتَها ، ومن سُنَّتِها أيضاً أن لا يُجْهَر فيها بالقراءة ، والأصل ما تقدم من صلاة النبي - صلى الله عليه وسلم - في حديث أُمِّ هانئ وذلك ضحى[1] .

---

(١) عن أم هانئ أنه لما كان عام الفتح أتت رسول الله « ص » وهو بأعلى مكة ، فقام رسول الله « ص » إلى غسله ، فسترت عليه فاطمة ، ثم أخذ ثوبه فالتحف به ، ثم صلى ثماني ركعات سبحة الضحى « متفق عليه » ولكن في رواية للبخاري ومسلم أنها قالت إن النبي « ص » دخل بيتها يوم فتح مكة فاغتسل وصلى ثمان ركعات ، وقد قيل في الجمع بين الروايتين أن يكون قد نزله في بيتها بأعلى مكة ، وكانت في بيت آخر بمكة ، فجاءت إليه ، فوجدته يغتسل . وفي حديث لأبي داود أنه « ص » كان يسلم بين كل ركعتين ، وكذلك ذكر =

رفع
المسهم
عزالله الحوالي

. . . .

أم هانيء :

وأم هانىء اسمها : هِنْدُ تكنى بابنها هانِيء بن هُبَيْرَةَ ، ولها ابنٌ من هُبَيْرَةَ اسْمُه يوسُف ، وثالث وهو الأكبر اسمه : جَعْدَةَ ، وقيل : إيَّاه عَنَتْ فى حَديث مالِكٍ ، زعم ابن أمى على أنه قاتل رجلا أجَرْته فلان بن هُبَيْرَة ، وقد قيل فى اسم أُمِّ هانِيء . فاخِتَة(١) .

عبد الله بن سعد :

فصل : وذكر عبدَ اللهبن سَعْدِبنأبى سَرْح أحد بنى عامر بن لُؤَىّ يُكنى أبا يحيى ، وكان كاتبَ النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم ارتدّ ولحق بمكة ،

= ابن خزيمة . وقد صلى سعد بن أبى وقاص يوم فتح المدائن فى إيوان كسرى ثمانى ركعات يسلم من كل ركعتين ، وفى هذا رد على من زعم أن الصلاة هذه موصولة هذا وقد حقق الإمام ابن القيم رضى الله عنه الصلاة المسماة بصلاة الضحى ، تحقيقاً عظيما ، وجمع أكثر ما قيل فيها من أحاديث ، ومنها ما رواه البخارى : « لم يكن رسول الله « ص » يصلى الضحى إلا أن يقدم من مغيبه » ثم قال ابن القيم : فالذى أثبتته فعلها بسبب كقدومه من سفر ، وفتحه وزيارته لقوم ونحوه ، وكذلك إتيانه مسجد قباء للصلاة فيه . . ولم يكن من هديه فعلها لغير سبب وقد أوصى بها وندب إليها وحض عليها ، وكان يستغنى عنها بقيام الليل ، فإن فيه غنية عنها ، وهى كالبدل منه . . وابن عباس كان يصليها يوماً ويدعها عشرة ، وكان ابن عمر لا يصليها ، فإذا أتى مسجد قباء صلاها . أما صلاة الفتح فهى هذه التى مر ذكرها ، وكانت ضحى ، فظنها من ظنها صلاة الضحى .

(١) هى أم هانىء بنت أبى طالب ابنة عم النبى « ص » وقد اختلف فى اسمها ، فقيل فاختة ، وقيل فاطمة ، وقيل هند ، والأول أشهر ، وكانت زوج هبيرة بن عمرو بن عائذ المخزومى .

رفع المسهم

. . . .

ثم أسلم وحسُن إسلامُه ، وعُرف فضلُه وجهادُه ، وكان على مَيْمَنَة عمرو ابن العاصى حين افتتح مصر ، وهو الذى افتتح إفْرِيقِيَّة سنة سَبْعٍ وعِشْرين ، وغزا الأساوِدَ من النُّوبَةِ ، ثم هادنهم الهُدْنَةَ الباقية إلى اليوم ، فلما خالف محمدُ بن أبى حُذَيْفة على عُثْمان ـ رضى الله عنه ـ اعتزل الفِتْنَةَ ، ودعا الله عز وجل أن يقبضَه ، ويجعل وفاتَه بأَثَرِ صلاةِ الصبح ، فصلى بالناس الصبحَ ، وكان يسلم تسليمتين عن يمينهِ ، وعن شِماله ، فلما سَلَّمَ التسليمةَ الأولَى عن يمينه ، وذهب ليسلِّمَ الأخرى ، قُبِضت نفسُه ، وكانت وفاتُه بعَسْقَلَان ، وهو الذى يقول فى حِصار عثمان :

أرى الأمر لايَزْدَادُ إلاَّ تفاقُما ... وأنْصارُنا بالمكَّتَيْن قليلُ

وأسلمنا أهلُ المدينة والهوى ... إلى أهلِ مِصر والذَّليلُ ذَليلُ

نميلة :

وأما نُمَيْلَةَ بن عبدِ الله الذى ذكره ابن إسحاق فهو ليثى أحد بَنِى كَعب بن عامر بن لَيْث ، صَحِب رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، وشهد كثيراً من مشاهده وغزواته .

عن ابن نقيذ والقينتين :

وأما الحُوَيْرِثُ بن نُقَيْذٍ[1] الذى أُمِر بقتله مع ابن خَطَلٍ ، فهو الذى

---

(١) بقية نسبه : ابن بجير بن عبد قصى .

رفع المستهم

نخس بزينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أدركها ، هو وهبار ابن الأسود ، فسقطت عن دابتها ، وألقت جنينها .

وأما القينتان اللتان أمر بقتلهما ، وهما سارة(١) وفرتنى فأسلمت فرتنى . وآمنت سارة وعاشت إلى زمن عمر رحمه الله ، ثم وطئها فرس ، فقتلها .

عن الديات في خطبة الرسول صلى الله عليه وسلم :

فصل : وذكر خطبة النبي - صلى الله عليه وسلم - وفيها ذكر الديات . وذكر قتيل الخطأ ، وذكر شبه العمد وتغليظ الدية فيه ، وهى أن يقتل القتيل بسوط أو عصا ، فيموت ، وهو مذهب أهل العراق : أن لا قود(٢) فى شبه العمد ، والمشهور عن الشافعى أن فيه الدية مغلظة أثلاثا(٣) ، وليس

(١) فى بعض الروايات أنها ليست من القينتين ، وإنما هى مولاة عمرو ابن هشام ، وقيل مولاة لبنى عبد المطلب ، لأنها كانت تؤذى رسول الله فى مكة ، وقد قيل إنها التى تحملت الكتاب من حاطب بن أبى بلتعة ، وكأنها عفى عنها ، أو هربت ، ثم أهدر دمها ، فهربت حتى استؤمن لها من الرسول « ص » . وقيل قتلها على بن أبى طالب وقيل غيره وأما الجاريتان فهما قرتنا وقريبة ، أو فرتنا وأرنبة وقد قتلت أرنب أو قريبة . أنظر ص ٢٩٨ ج ٤ البداية لابن كثير ص ٣٧٨ ، ٣٩٤ إمتاع الأسماع للمقريزى .

(٢) القود : القصاص وقتل القاتل بدل القتيل .

(٣) أى ثلاث وثلاثون حقة ، وثلاث وثلاثون جذعة ، وأربع وثلاثون ثنية . الثنية من الغنم ، ما دخل فى الثالثة ، ومن البقر كذلك ، ومن الإبل فى السادسة ، والجذعة ما دخل فى السنة الخامسة من الإبل ، ومن البقر والغنم مادخل فى السنة الثانية . وقيل البقر فى الثالثة ، ومن الضأن ما تمت له سنة . وقيل غير ذلك . وحديث شبه العمد أخرجه الخمسة إلا الترمذى .

رفع المسهم

. . . .

عند فقهاء الحجاز إلا قَوَدٌ في عَمْدٍ أو دِيَةٍ في خطأ تؤخذ أخماساً[١] على ما فسر الفقهاء . وهو قول الليث ، وكذلك قال أهل العراق إن القَوَد لا يكون إلا بالسيف ، واحتجوا بأثرٍ يُروى عن ابن مسعودٍ مرفوعاً أن لا قَوَدَ إلا بحديدةٍ ، وعن عَليٍّ مرفوعاً أيضاً : لا قَوَدَ إلا بالسيف ، ومن طريق أبي هريرة لا قَوَد إلا بحديدةٍ ، وهو يدور على أبي مُعاذ سُليمان بن أرقم ، وهو ضعيف بإجماع ، وكذلك حديث ابن مسعود يدور على المُعَلّى بن هلال ، وهو ضعيفٌ متروكُ الحديثِ ، وكذلك حديث عَليٍّ لا تقوم بإسناده حُجَّةٌ ، وحجة الآخرين في أن القاتل يُقتَل بما قَتَل به قوله تعالى : ﴿ فَمَنِ اعْتَدَى عليكمْ فاعْتَدُوا عليه بمثل ما اعْتَدَى عَلَيْكُم ﴾ البقرة : ١٩٤ ، وحديثُ اليهودي الذي رَضَخَ رأسَ الجارية على أَوْضَاحٍ[٢] لها ، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يُرْضَخ رأسُه بين حَجَرين .

الصلاة في الكعبة :

وأما دخوله عليه السلام الكعبةَ وصلاته فيها ، فحديث بلالٍ أنه صلى

---

(١) عشرون حقة ، وعشرون جذعة ، وعشرون بنات لبون ، وعشرون بني لبون ، وعشرون بنات مخاض . ابن اللبون أو بنت اللبون : ما دخل من الإبل في الثالثة . والمخاض : اسم للنوق الحوامل ، وبنت المخاض ما دخلت في السنة الثانية . وفي بني اللبون خلاف . بل في نفس الدية خلاف .

(٢) الأوضاح نوع من الحلي يعمل من الفضة وهو من حديث متفق عليه ، فقد وجدوا جارية رض رأسها ، فسألوها : من صنع بك هذا ، حتى ذكروا يهودياً ، فأومأت برأسها ، فأخذ اليهودي ، فأقر ، فأمر الرسول ص ، برض رأسه بين حجرين .

. . . .

فيها ، وحديثُ ابن عباس أنه لم يُصَلِّ فيها ، وأخذ الناسُ بحديث بلال ، لأنه أثبت الصلاةَ وابن عباس نفى ، وإنما يؤخذ بشهادة المثبت ، لا بشهادة النافى ، ومن تأوَّلَ قول بلالٍ أنه صلى ، أى دعا ، فليس بشىء ، لأن فى حديث عمر أنه صلى فيها ركعتين ، ولكن رواية ابن عباس وروايةَ بلال صحيحتان ، لأنه عليه السلام دخلها يوم النَّحْر فلم يصَلِّ ، ودخلها من الغد فصلى ، وذلك فى حجة الوداع ، وهو حديث مروى عن ابن عمر بإسناد حَسَن ، خرجه الدارقطنى ، وهو من فوائده(١) .

---

(١) عن ابن قال : دخل رسول الله « ص » البيت هو وأسامة بن زيد وبلال وعثمان بن طلحة ، فأغلقوا عليهم الباب ، فلما فتحوا كنت أول من ولج ، فلقيت بلالا ، فسألته : هل صلى فيه رسول الله « ص »؟ قال : نعم، بين العمودين اليمانيين « متفق عليه » وفى حديث البخارى وأحمد أنه « ص » صلى ركعتين بين السارتين عن يسارك إذا دخلت وأنه خرج ، فصلى فى وجهة الكعبة ركعتين . وحديث ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم كبر فى البيت ولم يصل فيه قد أخرجه البخارى ، وقال إن إثبات بلال أرجح ، لأنه كان مع النبى ، ولم يكن ابن عباس معه ، وإنما استند فى نفيه إلى أسامة تارة ، وإلى الفضل تارة . وقد روى نفى الصلاة مسلم عن أسامة من طريق ابن عباس ، ووقع إثبات صلاته فى الكعبة أيضاً عن أسامة من رواية ابن عمر ، ولهذا تترجح رواية بلال إذ ليس فيها مثل هذا التعارض « وعن عائشة قالت : خرج رسول الله « ص » من عندى وهو قرير العين طيب النفس ، ثم رجع إلى ، وهو حزين ، فقلت له ؟ فقال : إنى دخلت الكعبة ، ووددت أنى لم أكن فعلت ، إنى أخاف أن أكون أتعبت أمتى من بعدى « الخمسة إلا النسائى وصححه الترمذى » وعن إسماعيل ابن أبى خالد قال : قلت لعبد الله ابن أبى أوفى : أدخل النبى « ص » البيت فى عمرته ؟ قال : لا « متفق عليه » وبهذا استدل الجمهور على أن دخول الكعبة ليس من مناسك الحج .

رفع المسهم

كسر الأصنام

قال ابن هشام: وحدثني من أثق به من أهل الرواية في إسناد له، عن ابن شهاب الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله، عن ابن عباس، قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح على راحلته، فطاف عليها وحول البيت أصنام مشدودة بالرصاص، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يشير بقضيب في يده إلى الأصنام ويقول ﴿ جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً ﴾ فما أشار إلى صنم منها في وجهه إلا وقع لقفاه، ولا أشار إلى قفاه إلا وقع لوجهه، حتى ما بقي منها صنم إلا وقع؛ فقال تميم بن أسد الخزاعي في ذلك:

وفي الأصنام معتبر وعلم ... لمن يرجو الثواب أو العقابا

قصة إسلام فضالة

قال ابن هشام: وحدثني: أن فضالة بن عمير بن الملوح الليثي أراد قتل النبي صلى الله عليه وسلم: وهو يطوف بالبيت عام الفتح، فلما دنا منه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أفضالة؟ قال: نعم فضالة يا رسول الله؛ قال: ماذا كنت تحدث به نفسك؟ قال لا شيء، كنت أذكر الله، قال: فضحك النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قال: استغفر الله، ثم وضع يده على صدره، فسكن قلبه؛ فكان فضالة يقول: والله ما رفع يده عن صدري حتى ما من خلق الله شيء أحب إلي منه. قال فضالة: فرجعت إلى أهلي، فمررت بامرأة.

كنت أتحدث إليها ، فقالت : هَلُمَّ إلى الحديث ، فقلت : لا ، وانبعث فَضالة يقول :

قالت هَلُمَّ إلى الحديث فقلت لا ... يَأْبَى عَلَيْكِ اللهُ والإسلامُ
لَوْ ما رأيتِ محمداً وقبيلَهُ ... بالفتح يومَ تَكسَّرُ الأصنامُ
لرأيتِ دينَ اللهِ أضحَى بَيِّناً ... والشِّركُ يغشَى وجهَه الإظلامُ

أمان الرسول لصفوان بن أمية

قال ابن إسحاق : فحدثني محمد بن جعفر ، عن عروة بن الزبير ، قال : خرج صفوان بن أمية يريد جُدَّة ليركب منها إلى اليمن ، فقال عُمَير بن وَهب : يا نبيَّ الله إن صفوان بن أمية سيِّدُ قومه ، وقد خرج هارباً منك ليقذف نفسه في البحر ، فأمِّنه ، صلى الله عليكَ ؛ قال ، هو آمن ؛ قال : يا رسول الله ، فأعطني آية يعرف بها أمانك ؛ فأعطاه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عِمامته التي دخل فيها مكة ، فخرج بها عُمير حتى أدركه ، وهو يريد أن يركب في البحر ، فقال : يا صفوان فِداك أبي وأمي ، اللهَ اللهَ في نفسك أن تُهلكها ، فهذا أمانٌ من رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جئتك به ؛ قال : ويحك ! اغرُب عني فلا تكلِّمني ؛ قال : أي صفوان فِداك أبي وأمي ، أفضلُ الناس ، وأبرُّ الناس ، وأحلم الناس ، وخير الناس ، ابن عمك ، عزُّه عزُّك ، وشرفه شرفك ، ومُلكه مُلكك ؛ قال : إني أخافه على نفسي ، قال : هو أحلم من ذاك وأكرم : فرجع معه ، حتى وقف به على رسول الله صلى الله

عليه وسلم ، فقال صفوان : إن هذا يزعم أنك قد أمَّنْتَني ، قال : صدق ؛ قال : فاجعلنى فيه بالخِيار شهرين ؛ قال : أنت بالخيار فيه أربعة أشهر .

قال ابن هشام : وحدثنى رجل من قُريش من أهل العلم أن صفوان قال لِعُمَير وَيْلَكَ ! اغرُبْ عنى ، فلا تكلِّمنى ، فإنَّك كذَّاب ، لِما كان صنع به ، وقد ذكرناه فى آخر حديث يوم بدر .

إسلام عكرمة وصفوان

قال ابن إسحاق : وحدثنى الزهرى : أن أمّ حكيم بنت الحارث بن هشام وفاختة بنت الوليد – وكانت فاختة عند صَفْوان بن أُميَّة ، وأمّ حكيم عند عِكْرمة بن أبى جَهل – أسلَمَتا ؛ فأما أمّ حكيم فاستأمنت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لِعكْرِمة فأمَّنه ؛ فلحقتْ به باليمن ، فجاءت به ؛ فلما أسلم عِكْرِمة وصفوان أقرّهما رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عندهما على النكاح الأوّل .

إسلام ابن الزبعرى وشعره فى ذلك

قال ابن إسحاق : وحدثنى سعيد بن عبد الرحمن بن حسّان بن ثابت : قال : رمى حسّانُ ابنَ الزِّبَعْرَى وهو بنجرانَ ببيت واحد ما زاده عليه :

لا تَعْدَمَنْ رَجُلاً أحلَّكَ بُغْضُهُ نجرانَ فى عَيْشٍ أحَذَّ لئيم

فلما بلغ ذلك ابنَ الزِّبَعْرَى خرج إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فأسلم ، فقال حين أسلم :

يارَسُولَ المَليكِ إنَّ لِساني | راتِقٌ ما فَتَقْتَ إذْ أنا بُورُ
إذْ أُبارِي الشَّيطانَ فى سَنَنِ الغَيِّ | ومَنْ مالَ مَيْـلَهُ مَثْبور
آمَنَ اللَّحْمُ والعِظامُ لِرَبِّي | ثم قَلْبِي الشَّهِيدُ أنتَ النَّذِير
إنَّني عَنْكَ زاجِرٌ ثَمَّ حَيًّا | مِنْ لُؤَيٍّ وكُلُّهُمْ مَغْرُورُ

قال ابن إسحاق: وقال عبد الله بن الزِّبَعْرَى أيضاً حين أسلم:

مَنَعَ الرُّقادَ بَلابِلٌ وهُمُومُ | واللَّيْلُ مُعْتَلِجُ الرُّواقِ بَهِيم
مِما أتانِي أنَّ أحْمَدَ لامَنِي | فِيهِ فَبِتُّ كأنَّنِي مَحْمُومُ
ياخَيْرَ مَنْ حَمَلَتْ على أوْصالِها | عَيْرانَةٌ سُرُحُ اليَدَيْنِ غَشُومُ
إني لَمُعْتَذِرٌ إلَيْكَ مِنَ الَّذِى | أسْدَيْتُ إذْ أنا فى الضَّلالِ أهِيمُ
أيامَ تَأْمُرُني بأغْوَى خُطَّةٍ | سَهْمٌ وتَأْمُرُني بها مَخْزُومُ
وأمُدُّ أسبابَ الرَّدَى ويَقُودُني | أمْرُ الغُواةِ وأمْرُهُمْ مَشْئُومُ
فاليَوْمَ آمَنَ بالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ | قَلْبِي ومُخْطِئُ هـذه محروم
مضت العداوة وانقضت أسبابها | ودعت أواصر بيننا وحلوم
فاغفـر فدى لك والدى كلاهما | زللى، فإنك راحم مرحـوم
وعليك من علم المليك علامة | نور أغر وخاتم مختوم
أعطاك بعـد محبة برهانه | شرفاً وبرهان الإله عظيم
ولقد شهدت بأن دينك صادق | حق وأنك فى العباد جسيم
والله يشهد أن أحمد مصطفى | مستقبل فى الصالحين كريم

رفع
المسهم
عزالله ابن الملك

قَوْمٌ عَلا بُنْيانُه مِنْ هاشمٍ   فَرْعٌ تمكّن فى الذُّرا وأُرُومُ

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشعر يُنكرها له:

بقاء هبيرة على كفره وشعره فى إسلام زوجه أم هانىء

قال ابن إسحاق: وأما هُبيرة بن أبى وَهْبٍ المخزومىُّ فأقام بها حتى مات كافراً، وكانت عنده أمّ هانىء بنت أبى طالب، واسمها هِنْد، وقد قال حين بلغه إسلام أمّ هانىء:

أشاقتكَ هِنْدٌ أمْ أتاكَ سُؤَالُها   كذاكَ النَّوى أسْبابُها وانفتالُها

وقد أرَّقَتْ فى رأس حِصْنٍ ممنَّع   بنجرانَ يسرى بعد ليلٍ خيالُها

وعاذلةٍ هَبَّتْ بلَيْلٍ تَلُومُنِى   وتَعْذِلُنى باللّيْلِ ضَلَّ ضَلاَلُهاَ

وتَزْعُمُ أنى إنْ أطَعْتُ عَشِيرتى   سأرْدَى وهل يُرْدِينِ إلّا زِيالُها

فإنى لِمِنْ قَوْمٍ إذا جَدَّ جِدُّهُم   على أىِّ حالٍ أصبحَ اليومَ حالُها

وإنى لحامٍ من وراء عشيرتى   إذا كان من تحت العوالى مجالُها

وصارت بأيديها السُّيوف كأنَّها   مخاريقُ وِلْدانٍ ومنها ظِلاَلُهاَ

وإنى لأقلَى الحاسدين وفِعْلَهُمْ   على الله رزقى نفسُها وعيالُها

وإنّ كلام المرء فى غير كُنْهِهِ   لكالنَّبْل تهوى ليس فيها نصالُهاَ

فإن كنتِ قد تابعتِ دِينَ محمَّدٍ   وعطَّفَتِ الأرحامَ منك حِبالُهاَ

فكونى على أعلى سَحِيقٍ بهَضْبَة   مُلَمْلَمَةٍ غبراء يَبْسٍ بِلالُهاَ

قال ابن إسحاق: ويروى: « وقطعت الأرحامَ منك حبالُها ».

. . . .

رفع المسهم غفر الله له ولوالديه

عدة من شهد فتح مكة من المسلمين

قال ابن إسحاق : وكان جميع من شَهد فتح مكة من المسلمين عشرة آلاف . من بنى سُلَيم سبع مائة ، ويقول بعضهم : ألف ؛ ومن بنى غِفار أربع مائة ، ومن أسْلَمَ أربع مائة ؛ ومن مُزَيْنَة ألف وثلاثة نفر ، وسائرهم من قُريش والأنصار وحُلفائهم ، وطوائف العرب من تَميم وقَيْس وأسد .

شعر حسان فى فتح مكة

وكان مما قيل من الشعر فى يوم الفتح قول حسّان بن ثابت الأنصارى :

عَفَتْ ذاتُ الأصابِـعِ فالجِوَاءُ ... إلى عَذْرَاء مَنزِلُها خلاءُ
دِيارٌ من بنى الحَسْحاسِ قَفْرٌ ... تُعَفِّيها الرَّوامسُ والسَّماءُ
وكانَتْ لا يَزال بها أنيسٌ ... خِلالَ مُرُوجِها نَعَمٌ وشاءُ
فدَعْ هذا ولكنْ مَنْ لِطَيْفٍ ... يُؤرِّقُنى إذا ذَهَبَ العِشاءُ
لِشَعْثاء التى قد تَيَّمَتْهُ ... فليسَ لِقَلْبِهِ منها شِفاءُ
كأنَّ خَبيئَةً مِن بيت رأسٍ ... يكون مِزاجَها عسلٌ وماءُ
إذا ما الأشْرِباتُ ذُكِرْنَ يَوْماً ... فهُنَّ لطيِّبِ الراحِ الفِداءُ
نوَلِّيها المَلامَةَ إن أَلَمْنا ... إذا ما كان مَغْثٌ أو لِحاءُ
ونَشْرَبها فتترُكُنا مُلوكاً ... وأُسْداً ما يُنَهْنِهُنا اللِّقاءُ
عَدِمْنا خَيْلَنا إنْ لم تَرَوْها ... تُثير النقعَ مَوْعِدُها كَداءُ

يُنازِعْنَ الأعنَّــةَ مُصْغِيات   على أكتافِها الأسَلُ الظِّماء

تَظَلُّ جِيادُنا مُتَمَطِّرَاتٍ   يُلَطِّمُهُنَّ بالخُمرِ النِّساءُ

فإمَّا تُعرِضُوا عنَّا اعتَمَرْنا   وكانَ الفتحُ وانكَشَفَ الغِطاء

وإلا فاصْبِرُوا لِجِلادِ يَومٍ   يُعِينُ اللهُ فيـــهِ مَن يَشاء

وجِبريلٌ رسولُ اللهِ فِينا   ورُوحُ القُدْسِ ليس له كِفاء

وقال اللهُ : قد أرسَلْتُ عَبْداً   يقولُ الحقَّ إنْ نَفَعَ البَلاءُ

شَهِدتُ به فقُومُوا صَدِّقُوهُ   فقُلتُمْ : لا نقوم ولا نَشاءُ

وقالَ اللهُ قد سَيَّرتُ جُنداً   هُمُ الأنصارُ عُرْضَتُها اللِّقاءُ

لَنا في كلِّ يومٍ مِنْ مَعَدٍّ   سِبابٌ أو قِتالٌ أو هِجاءُ

فنُحْكِمُ بالقَوافي مَنْ هَجانا   ونَضرِبُ حين تَختَلِطُ الدِّماءُ

ألا أبْلِغْ أبا سُفيانَ عَنِّي   مُغَلْغَلَةً فقد بَرِحَ الخَفاءُ

بأن سيُوفَنا تَركَتكَ عَبداً   وعبدُ الدَّار سادَتُها الإماءُ

هَجَوْتَ محمَّداً وأجبتُ عَنهُ   وعندَ اللهِ في ذاكَ الجَزاءُ

أتَهجُوهُ ولستَ لهُ بكُفءٍ   فشرُّكما لخيرِكما الفِــداءُ

هَجَوْتَ مُباركاً بَرًّا حَنيفاً   أمِينَ اللهِ شيمتهُ الوَفاءُ

أمَن يهجو رسولَ اللهِ منكمْ   ويمدَحُهُ وينصرُهُ سَواءُ ؟

فإنَّ أبي ووالدهُ وعِرضي   لعرضِ محمَّدٍ منكم وِقاءُ

لِساني صارمٌ لا عيبَ فيـــهِ   وبحري لا تُكَدِّرُه الدِّلاءُ

قال ابن هشام: قالها حسّان يوم الفتح . ويُروى : « لسانى صارم لاعتب فيه » وبلغنى عن الزهرى أنه قال : لما رأى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم النّساء يَلْطِمْن الخيلَ بالخُمُر تبسم إلى أبى بكر الصديق رضى الله عنه .

شعر أنس بن زنيم
فى الإعتذار إلى الرسول مما قال ابن سالم

قال ابن إسحاق : وقال أنس بن زُنَيمْ الدّيلى يعتذر إلى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مما كان قال فيهم عَمرو بن سالم الخزاعى :

أأنتَ الذى تُهْدَى مَعَدٌّ بأمره ... بَل اللهُ يَهْدِيهم وقالَ لكَ اشْهَدِ
وما حَمَلَتْ مِنْ نَاقَةٍ فَوْقَ رَحْلِهـا ... أبرَّ وأوْفى ذِمَّةً مِن مُحَمَّد
أحَثَّ على خير وأسبـغَ نائلا ... إذا راحَ كالسَّيف الصَّقيلِ المُهَنّدِ
وأكسى لبُرْدِ الخالِ قبلَ ابْتذالِه ... وأعطى لرأس السَّابق المتجرّد
تعلَّمْ رسولَ اللهِ أنكَ مُدْرِكى ... وأنّ وَعيداً مِنك كالأخذ باليد
تَعلَّمْ رسولَ اللهِ أنكَ قادِرٌ ... على كل صِرْمٍ مُتْهِمِين ومُنجد
تعَلَّمْ بأنّ الرّكبَ ركْبُ عُوَيْمِر ... هُمُ الكاذبونَ المُخلفو كلِّ موْعِد
ونَبّوا رسولَ الله أنّى هَجَوْتُه ... فلا حملَت سوطى إلىّ إذَنْ يَدِى
سِوى أنى قدقلتُ ويلُ امّ فِتيَةٍ ... أُصيبُوا بنحْس لا يطلق وأسْعُدِ
أصَابَهُمْ مَنْ لم يَكُنْ لدِمائِهِمْ ... كِفاءً فعزتْ عَبْرَتى وتَبَلُّدِى

فإنك قد أخفرت إن كنت ساعياً بعبد بن عبد الله وابنة مَهْود
ذُوَيب وكُلثوم وسَلْمَى تتابعوا جميعاً فإلّا تدمع العين أكمد
وسَلْمى وسَلْمى ليس حَىٌّ كمثله وإخوته وهل مُلوكٌ كأعْبُد ؟
فإنى لا دِينـاً فتقْت ولا دماً هرقْتُ تبينْ عالِمَ الحقّ واقصِد

شعر بديل فى الرد على ابن زنيم

فأجابه بُدَيل بن عبد مناف بن أمّ أصْرَم ، فقال :

بكى أنسٌ رزْناً فأعولَهُ البُـكا فألاَّ عَدِيًّا إذ تُطَلُّ وتُبْعَدُ
بكيْتَ أبا عَبْسٍ لقُرْب دمائهـا فتُعذِرَ إذْ لا يوقدُ الحربَ مُوقد
أصابهمُ يومَ الخنـادِمِ فتيَة كِرامٌ فسلْ: منهم نفيلٌ ومعبَد
هنالك إن تسفَحْ دموعُك لا تُلَم عليهم وإن لم تدمع العينُ فاكْمَدُوا

قال ابن هشام : وهذه الأبيات فى قصيدة له .

شعر بجير فى يوم الفتح

قال ابن إسحاق : وقال بُجير بن زهَير بن أبى سُلْمى فى يوم الفتح :

نَفَى أهلَ الحَبَلَّقِ كُلَّ فَـجٍّ مُزَيْنَةُ غُـدْوَةً وبنو خُفاف
ضَرَبْناهُم بمـكة يومَ فَتْح النَّـبِيِّ الخيْر بالبِيـضِ الخِفاف
صَبَحْناهم بسَبْعٍ من سُلَـيْمٍ وألفٍ منْ بنى عثمان وافِ

نطا أكتافهم ضرباً وطعناً ورشقاً بالمريشة اللطاف
ترى بين الصفوف لها حفيفاً كما انصاع الفواق من الرصاف
فرحنا والجياد تجول فيهم بأرماح مقومة الثقاف
فأبنا غانمين بما اشتهينا وآبوا نادمين على الخلاف
وأعطينا رسول الله منا مواثقنا على حسن التصافى
وقد سمعوا مقالتنا فهموا غداة الروع منا بانصراف

شعر ابن مرداس فى فتح مكة

قال ابن هشام : وقال ابن مرداس السلمى فى فتح مكة :

منا بمكة يوم فتح محمد ألف تسيل به البطاح مسوم
نصروا الرسول وشاهدوا أيامه وشعارهم يوم اللقاء مقدم
فى منزل ثبتت به أقدامهم ضنك كأن الهام فيه الحنتم
جرت سنابكها بنجد قبلها حتى استقاد لها الحجاز الأدهم
الله مكنه له وأذله حكم السيوف لنا وجد مزحم
عود الرياسة شامخ عرنينه متطلع ثغر المكارم خضرم

إسلام عباس بن مرداس

قال ابن هشام : وكان إسلام عباس بن مرداس ، فيما حدثنى بعض أهل العلم بالشعر ، وحديثه أنه كان لأبيه مرداس وثن يعبده ، وهو حجر كان

يقال له ضمار ، فلما حضر مرداس قال لعباس : أي بني ، اعبد ضمار فإنه ينفعك ويضرك ، فبينا عباس يوماً عند ضمار ، إذ سمع من جوف ضمار منادياً يقول :

قل للقبائل من سليم كلها أودى ضمار وعاش أهل المسجد
إن الذي ورث النبوة والهدى بعد ابن مريم من قريش مهتدي
أودى ضمار وكان يعبد مرة قبل الكتاب إلى النبي محمد

فحرق عباس ضمار ، ولحق بالنبي صلى الله عليه وسلم فأسلم .

شعر جعدة في يوم الفتح

قال ابن هشام : وقال جعدة بن عبد الله الخزاعي يوم فتح مكة :

أكعب بن عمرو دعوة غير باطل لحين له يوم الحديد متاح
أتيحت له من أرضه وسمائه لتقتله ليلا بغير سلاح
ونحن الألى سدت غزال خيولنا ولفتا سددناه وفج طلاح
خطرنا وراء المسلمين بجحفل ذوي عضد من خيلنا ورماح

وهذه الأبيات في أبيات له .

شعر بجيد في يوم الفتح

وقال بجيد بن عمران الخزاعي :

وقد أنشأ الله السحاب بنصرنا ركام سحاب الهيدب المتراكب

وهجرتنا فى أرضنا عندنا بها كتاب أتى من خير مُمل وكاتب
ومن أجلنـا حلت بمـكة حرمة لندرك ثأراً بالسيوف القواضب

مسير خالد بن الوليد بعد الفتح إلى بنى جذيمة من كنانة ومسير على لتلافى خطأ خالد

قال ابن إسحاق : وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما حول مكة السرايا تدعو إلى الله عز وجل ، ولم يأمرهم بقتال ، وكان ممن بعث خالد بن الوليد ، وأمره أن يسير بأسفل تهامة داعياً ، ولم يبعثه مقاتلا ، فوطىء بنى جذيمة ، فأصاب منهم .

قال ابن هشام : وقال عباس بن مرداس السلمى فى ذلك :

فإن تك قد أمرت فى القوم خالداً وقدمته فإنه قـد تقـدما
بجنـد هداه الله أنت أميره نصيب به فى الحق من كان أظلما

قال ابن هشام : وهذان البيتان فى قصيدة له فى حديث يوم حنين ، سأذكرها إن شاء الله فى موضعها .

قال ابن إسحاق : فحدثنى حكيم بن حكيم بن عبـاد بن حنيف ، عن أبى جعفر محمد بن على ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد حين افتتح مكة داعياً ، ولم يبعثه مقاتلا ، ومعه قبائل من العرب : سليم بن منصور ومدلج بن مرة ، فوطئوا بنى جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة ،

رفع
المسلم
غفر الله له

فلما رآه القوم أخـــذوا السلاح ، فقال خالد : ضعوا السلاح ، فإن الناس قد أسلموا :

قال ابن إسحاق : فحدثنى بعض أصحابنا من أهل العلم من بنى جَذِيمة ، قال : لما أمرنا خالدٌ أن نضعَ السلاح قال رجل منا يقال له جَحْدَم : ويلكم يابنى جذيمة ! إنه خالد والله ! ما بعد وضع السلاح إلا الإسار ، وما بعد الإسار إلا ضرب الأعناق ، والله لا أضع سلاحى أبداً . قال : فأخذه رجال من قومه ، فقالوا : ياجحدم ، أتريد أن تَسفِك دماءنا ؟ إن الناس قد أسلموا ووضعوا السلاح ، ووُضِعَتِ الحرب وأمن الناس . فلم يزالوا به حتى نزعوا سلاحه ، ووضع القوم السلاح لقول خالد .

براءة الرسول صلى الله عليه وسلم من عمل خالد

قال ابن إسحاق : فحدثنى حكيم بن حكيم ، عن أبى جعفر محمد بن علىّ ، قال : فلما وضعوا السلاح أمر بهم خالد عند ذلك ، فكُتِفوا ، ثم عرضهم على السّيف فقَتل من قَتل منهم ؛ فلما انتهى الخبر إلى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم رفع يديه إلى السماء ، ثم قال : اللّهُمّ إنى أبرأ إليك مّما صنع خالد بن الوليد .

قال ابن هشام : حدثنى بعض أهل العلم ، أنه حُدّث عن إبراهيم بن جعفر المحمودى ، قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : رأيتُ كأنى لَقِمْت لقمَةً من حَيْس ، فالتذذتُ طَعْمها ، فاعترض فى حلقى منها شىء حين ابتلعتها ، فأدخل علىّ يده فنزعه ؛ فقال أبو بكر الصدّيق رضى الله عنه :

رفع المستهم

 ١٢٧ —

رسول الله يا رسول الله، هذه سرية من سراياك تبعثها، فيأتيك منها بعض ما تحب، ويكون في بعضها اعتراض، فتبعث عليا فيسهله.

قال ابن هشام: وحدثني بعض أهل العلم أنه انفلت رجل من القوم فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل أنكر عليه أحد؟ فقال: نعم، قد أنكر عليه رجل أبيض ربعة، فنهمه خالد، فسكت عنه، وأنكر عليه رجل آخر طويل مضطرب، فراجعه، فاشتدت مراجعتهما؛ فقال عمر بن الخطاب: أما الأول يا رسول الله فابني عبد الله، وأما الآخر فسالم مولى أبي حذيفة.

قال ابن إسحاق: فحدثني حكيم بن حكيم، عن أبي جعفر محمد بن علي، قال: ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضوان الله عليه، فقال: يا علي، اخرج إلى هؤلاء القوم، فانظر في أمرهم، واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك. فخرج علي حتى جاءهم ومعه مال قد بعث به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فودى لهم الدماء وما أصيب لهم من الأموال، حتى إنه ليدي لهم ميلغة الكلب، حتى إذا لم يبق شيء من دم ولا مال إلا وداه، بقيت معه بقية من المال، فقال لهم علي رضوان الله عليه حين فرغ منهم: هل بقي لكم بقية من دم أو مال لم يود لكم؟ قالوا: لا. قال: فإني أعطيكم هذه البقية من هذا المال، احتياطا لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما يعلم ولا تعلمون، ففعل. ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر، فقال: أصبت وأحسنت.

قال: ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستقبل القبلة قائما شاهرا يديه،

حتى إنه لَيُرى مما تحت مَنْـكِبَيه ، يقول : اللهمّ إنى أبرأ إليك مما صنع خالد ابن الوليد ، ثلاث مرّات .

الاعتذار عن خالد

قال ابن إسحاق : وقد قال بعض من يعذر خالداً إنه قال : ما قاتلت حتى أمرنى بذلك عبدُ الله بن حُذافة السَّهمىّ ، وقال : إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمرك أن تقاتلهم لامتناعهم من الإسلام .

قال ابن هشام : قال أبو عمرو المدنىّ : لما أتاهم خالد ، قالوا : صَبأْنا صَبأْنا .

بين خالد وبين ابن عوف

قال ابن إسحاق : وقد كان جَحْدَمٌ قال لهم حين وضعوا السلاح ورأى ما يصنع خالد ببنى جَذِيمة : يابنى جذيمة ، ضاع الضرب ، قد كنت حذّرتـكم ما وقعتم فيه . قد كان بين خالد وبين عبد الرحمن بن عوف ، فيما بلغنى ، كلام فى ذلك ، فقال له عبد الرحمن بن عوف : عمِلت بأمر الجاهليـة فى الإسلام . فقال : إنما ثأرت بأبيك . فقال عبد الرحمن : كذبت ، قد قتلتُ قاتل أبى ، ولـكنك ثأرتَ بعمك الفاكه بن المغيرة ، حتى كان بينهما شرّ . فبلغ ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : مهلا ياخالد ، دع عنك أصحابى ، فوالله لو كان لك أحدٌ ذهباً ثم أنفقته فى سبيل الله ما أدركت غَدْوَةَ رجل من أصحابى ولا روحته .

رفع
المسـاهم

بين قريش وبنى جذيمة

وكان الفاكه بن المُغيرة بن عبد الله بن عُمر بن مخزوم ، وعوف بن عبد مناف بن عبد الحارث بن زُهرة ، وعفَّان بن أبى العاص بن أُميَّة بن عبد شمس قد خرجوا تجاراً إلى اليمن ، ومع عفّان ابنه عثمان ، ومع عوف ابنه عبد الرحمن ، فلما أقبلوا حملوا مال رجل من بنى جَذِيمة بن عامر ، كان هلك ، باليمن ، إلى ورثته ، فادّعاه رجل منهم يقال له خالد بن هشام ، ولَقِيَهم بأرض بنى جَذِيمة قبل أن يصلوا إلى أهل الميت ، فأبوا عليه ، فقاتلهم بمن معه من قومه على المال ليأخذوه ، وقاتلوه ، فقُتِل عوفُ بن عبد عوف ، والفاكه بن المُغيرة ، ونجا عفَّان بن أبى العاص وابنه عثمان ، وأصابوا مال الفاكه بن المُغيرة ، ومال عوف بن عبد عوف ، فانطلقوا به ، وقتل عبد الرحمن بن عوف خالد بن هشام قاتل أبيه ، فهمَّت قُرَيش بغزو بنى جَذِيمة ، فقالت بنو جذيمة : ما كان مصاب أصحابكم عن مَلإٍ منا ، إنما عدا عليهم قوم بجهالة ، فأصابوهم ولم نعلم ، فنحن نَعْقِل لكم ما كان قِبَلَنا من دم أو مال ، فقبلت قريش ذلك ، ووضعوا الحرب .

شعر سلمى فيما بين جذيمة وقريش

وقد قائل من بنى جَذِيمة ، وبعضهم يقول : امرأة يقال لها سَلْمى :

ولولا مقالُ القَوْمِ للقَوْمِ أَسلِمُوا ... للاقَتْ سُلَيْمٌ يومَ ذلكَ ناطحا

لماصَعَهُمْ بُسْرٌ وأصحابُ جَحْدَمٍ ... ومُرَّةُ حتى يتركوا البَرْكَ ضابحا

فكائن ترى يوم الغميصاء من فتى ... أصيب ولم يجرح وقد كان جارحا

ألظّت بخطّاب الأيامى وطلّقت ... غداتئذٍ منهنّ من كان ناكحا

قال ابن هشام: قوله «يُنسر» «وألظّت بخطّاب» عن غير ابن إسحاق.

شعر ابن مرداس فى الرد على سلمى

قال ابن إسحاق: فأجابه عباس بن مرداس، ويقال: بل الجحّاف بن حكيم السّلمى:

دعى عنكِ تقوال الضّلالِ كَفى بنا ... لكبش الوغى فى اليوم والأمس ناطحا

فخالدُ أولى بالتّعذّر منكمُ ... غداة علا نهجاً من الأمر واضحا

مُعاناً بأمرِ اللهِ يُزجِى إليكمُ ... سوانحُ لا تكبو له وبوارحا

نعوْا مالكاً بالسّهل لمّا هبطْنَهُ ... عوابسَ فى كابى الغبار كوالحا

فإن نكُ أثكلناكِ سلمى فمالكٌ ... تركتُمْ عليه نائحاتٍ ونائحا

الجحاف يرد على سلمى

قال الجحّاف بن حكيم السّلمى:

شهِدْنَ مَعَ النّبىّ مُسوّماتٍ ... حُنَيْناً وهى دامِيَةُ الكِلامِ

وغَزوة خالد شهدت وجرّت ... سنابكهنّ بالبلدِ الحرامِ

نعرض للطّعان إذا التقينا ... وجُوهاً لا تُعرّضُ لِلّطامِ

رفع المسهم

وانتُ بخالعٍ عنى ثيابى إذا هزَّ الكماة ولا أرامى
ولكنى يجُولُ المهْرُ تحتى إلى العَلوات بالعضب الحسام

حديث ابن أبى حدرد يوم الفتح

قال ابن إسحاق : وحدثنى يعقوبُ بن عُتبةَ بن المُغيرة بن الأخنس ، عن الزُّهرى ، عن ابن أبى حَدْرَدٍ الأسلمىّ ، قال : كنت يومئذ فى خيل خالد بن الوليد ، فقال لى فتى من بنى جَذِيمة ، وهو فى سنى ، وقد جُمِعَتْ يداه إلى عُنُقه برُمَّة ، ونِسوة مجتمعات غيرَ بعيد منه : يافتى ؛ فقلت : ماتشاء ؟ قال : هل أنت آخذ بهذه الرُّمَّة ، فقائدى إلى هؤلاء النِّسْوَة حتى أقضى إليهنّ حاجة ، ثم تردّنى بعد ، فتصنعوا بى مابدا لكم ؟ قال : قلت : والله لَيسيرٌ ماطلبت . فأخذت برمّته فقُدته بها ، حتى وقف عليهنّ ، فقال : اسْلَمى حُبَيْش ، على نَفَدِ من العيش :

أرَيْتُكِ إذْ طالبتُكم فوجدْتُكمْ بحَلْيَةَ أو ألفيْتُكُمْ بالخوانِقِ
ألمْ يكُ أهْلاً أن يُنوَّلَ عاشِقٌ تكلَّفَ إدْلاجَ السُّرَى والوَدائقِ
فلا ذنبَ لى قد قلت إذْ أهْلُنا مَعا أثيبى بوُدٍّ قبل إحدَى الصَّفائقِ
أثيبى بوُدٍّ قبل أن تَشْحَطَ النَّوى ويَنأى الأميرُ بالحبيبِ المُفارقِ
فإنّى لا ضَيَّعتُ سِرَّ أمانةٍ ولا راقَ عَيْنى عنك بعدكِ رائقِ
سوَى أنّ ما نال العشيرة شاغلٌ عن الوُدّ إلا أن يكونَ التَّوامُقِ

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر يُنكر البيتين الآخِرَيْن منها له.

قال ابن إسحاق : وحدثني يعقوب بن عُتبة بن المُغيرة بن الأخنس ، عن الزهري عن ابن أبي حَدْرَدٍ الأسلمي قالت :

وأنت خُفَيِّت سبعاً وعشرا وِتْراً وثمانيا تترى

قال : ثم انصرفتُ به . فضُربت عُنُقه .

قال ابن إسحاق : فحدثني أبو فِرَاسِ بن أبي سُنْبلة الأسلمي ، عن أشياخ منهم ، عمن كان حضرها منهم ، قالوا : فقامت إليه حين ضُربت عُنُقه ، فأكبّت عليه ، فما زالت تقبله حتى ماتت عنده .

شعر جذيمي في الفتح

قال ابن إسحاق : وقال رجل من بني جَذِيمة :

جزَى الله عنا مُدْلجًا حيث أصبحتْ ... جزاءة بُؤْسَى حيث سارتْ وحلَّت
أقامُوا على أقضاضنا يَقْسِمُونَها ... وقد نَهِلَتْ فينا الرِّماح وعَلّت
فوالله لَوْلا دينُ آل محمَّد ... لقد هربت منهم خيُول فشلَّت
وما ضَرَّهم أن لا يُعينوا كَتِيبة ... كرِجْل جَراد أرسلت فاشمَعَلَّتِ
فإمَّا ينيبوا أو يثُوبوا لأمْرِهمْ ... فلا نحن نجزيهم بما قد أضلَّتِ

وهب يرد على الجذيمي

فأجابه وهب ، رجل من بني ليث ، فقال :

دَعَوْنا إلى الإسْلام ِ والحقّ عامراً ... فما ذَنْبُنا في عامرٍ إذْ تَوَلَّتِ
وما ذَنْبنا في عامرٍ لا أبا لَهُمْ ... لِأنْ سَفِهَت أحلامُهم ثم ضَلَّتِ

وقال رجل من بنى جَذيمة :

لِيهنئْ بنى كَعْب مُقَدَّم خالد ... وأصحابِه إذْ صَبَّحتنا الكتائبُ

فلا تِرة يسعَى بها ابن خُوَيْلد ... وقد كنتَ مكفياً لوَانك غائبُ

فلا قومُنا يَنْهَوْن عنا غُواتَهم ... ولا الداء من يوم الغُميصاء ذاهبُ

شعر غلام جذمى هارب أمام خالد

وقال غلام من بنى جَذيمة ، وهو يسوق بأمه وأختين له وهو هارب بهنّ من جيش خالد :

رَخِّينَ أذْيالَ المُرُوط وارْبَعَنْ ... مَشْىَ حَيِيَّاتٍ كأنْ لم يُفْزَعَنْ

إنْ تُمنَعِ اليومَ نِساءٌ تُمْنَعَنْ

ارتجاز بنى مساحق حين سمعوا بخالد

وقال غِلْمة من بنى جَذِيمة ، يقال لهم بنو مُساحِق ، يرتجزون حين سمعوا بخالد فقال أحدهم :

قد عَلِمَتْ صفراءُ بيضاءُ الإطِلْ ... يَحُوزُها ذُو ثَلّةٍ وذُو إبِلْ

لَأُغْنِيَنَّ اليومَ ما أغْنَى رَجُلْ

وقال الآخر :

قد علمتْ صفراءُ تُلهى العِرْسا ... لا تَملأ الحيزومَ منها نَهْسا

لَأَضرِبَنّ اليومَ ضَرْبًا وعْسا ... ضَرْبَ المُحِلِّينَ مَخاضًا قُعْسا

وقال الآخر :

أقسمتُ ما إن خادرٌ ذو لبدَهْ شثْنُ البنانِ فى غداةِ بَرْدَهْ
جَهْمُ المُحيّا ذو سبال وَرْدَهْ يُرْزِمُ بين أيكةٍ وجَحْدَهْ
ضارٍ بتأكال الرجالِ وحْدَهْ بأصدقَ الغداةَ منى نجْدَهْ

مسير خالد بن الوليد لهدم العزى

ثم بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى العُزَّى ، وكانت بنَخْلَة ، وكانت بيتاً يعظِّمه هذا الحىّ من قُريش وكنانة ومُضَر كلها ، وكانت سدَنتُها وحُجّابها بنى شيبان من بنى سُلَيم حلفاء بنى هاشم ، فلما سمع صاحبها السُّلمىُّ بمسير خالد إليها ، علّق عليها سيفه ، وأسْنَد فى الجبل الذى هى فيه وهو يقول :

أيا عزُّ شُدّى شدّة لاشَوَى لهاَ على خالدٍ ألقى القِناع وشمِّرى
يا عزَّ إنْ لم تقتُلى المرءَ خالداً فبُوئى بإثمٍ عاجلٍ أو تَنَصَّرى

فلما انتهى إليها خالد هدمها ، ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال ابن إسحاق : وحدثنى ابن شهاب الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله ابن عُتبة بن مسعود ، قال : أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد فتحها خمس عشرة ليلة يقصر الصلاة .

قال ابن إسحاق : وكان فتح مكة لعشر ليال بقين من شهر رمضان سنة ثمان .

عن إسلام أبي سفيان وصاحبيه :

فصل : وذكر كَسْرَ الأصنام ، وطَمْسَ التماثيلِ ، ومقالةَ الحارثِ بنِ هشامٍ حين اجتمع هو وأبو سفيان ، وعَتَّاب بن أسيد ، فتكلموا فأخبرهم النبيُّ صلى الله عليه وسلم ، كما أخبره جبريلُ عليه السلام بالذى قالوه ، فصح بذلك يقينهُم وحَسُن إسلامهم ، وفى الترمذى عن عبد الله بن عمر قال : لعن النبي صلى الله عليه وسلم الحارثَ وأبا سفيان بن حَرْبٍ وصَفْوان بن أُميَّةَ فأنزل الله تعالى : ﴿ لَيْس لك من الأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عليهم ﴾ الآية آل عمران : ١٢٨ قال : فتابوا بعدُ ، وحَسُن إسلامُهم ، وروينا بإسنادٍ مُتَّصِلٍ عن عَبْدِالله ابن أبى بكر ، قال : خرج النبيُّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ على أبى سُفْيَانَ ، وهو فى المسجد ، فلما نظر إليه أبو سفيان قال فى نفسه : ليت شِعْرِى بأىِّ شىء غلبتنى ، فأقبل النبى صلى الله عليه وسلم ، حتى ضرب بيده بين كتفيه ، وقال : بالله غلبتك يا أباسفيان ، فقال أبو سفيان : أشهد أنك رسول الله . مِنْ مُسْنَد الحارثِ بن أبى أُسامَةَ ، وروى الزُّبَيْرُ بإسناد يرفعه إلى من سمع النبىَّ صلى الله عليه وسلم يمازح أبا سفيان فى بيت أم حَبِيبة وأبو سفيان يقول له تَرَكْتُكَ ، فتركتك العربُ ، ولم تَنْتَطِحْ بعدها جمَّاء ولا قَرْنَاء ، والنبى صلى الله عليه وسلم يضحك ، ويقول : أنت تقول هذا يا أباحَنْظَلَةَ . وقال مجاهد فى قوله جل وعز : ﴿ عَسَى اللهُ أن يجْعَلَ بينكم وبين الذين عَادَيْتُمْ منهم مَوَدَّةً ﴾ الممتحنة : ٧ قال هى مماهدة النبى صلى الله عليه وسلم لأبى سُفْيَانَ . وقال أهلُ التفسير : رأى النبيُّ صلى الله عليه وسلم فى المنام أَسِيد بن أبى العِيصِ والياً على مكة

. . . .

مسلماً ، فمات على الكُفْرِ ، فكانت الرؤيا لولده عَتَّابٍ حين أَسْلم ، فولاه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مكة ، وهو ابن إحدى وعشرين سنة ، ورزقه كل يوم دِرْهَماً ، فقال : أيها الناس أجاعَ اللهُ كَبِدَ مَنْ جاع على دِرْهَمٍ ، الحديث ، وقال عند موته : والله ما اكتسبتُ في ولايتي كلِّها إلا قميصاً مُعَقَّداً(١) كَسَوْتُهُ غلامي كَيْسَان ، وكان قد قال قبل أن يُسْلِم وسمع بلالا يُؤَذِّن على الكعبة ، لقد أكرم الله أَسِيداً ، يعني : أباه أن لا يكونَ سمع هذا فيسمع منه مايغيظه ، وكانت تحت عَتَّابٍ جُوَيْرِيَةُ بنتُ أبي جَهْلٍ بن هِشَامٍ ، وهي التي خَطَبها عَلِيٌّ عَلَى فاطِمَةَ ، فَشَقَّ ذلك على فَاطِمَةَ ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا آذن ثم لا آذن ، إن فاطِمَةَ بَضْعَةٌ مني ، الحديث(٢) ، فقال عَتَّابٌ : أنا أُرِيحُكم منها فتزوجها ، فولدت له عبدَ الرحمن المقتول يوم الجمل ، يُروى أن عُقَاباً طارت بكَفِّه يوم قُتِل ، وفي الكَفِّ خاتمه ، فطرحتها باليَمَامَةِ في ذلك اليوم ، فعُرِفَتْ بالخاتم .

الحنفاء بنت أبي جهل :

وكانت لأبي جَهْلٍ بنتُ أخرى ، يقال لها الحَنْفَاء كانت تحت سُهَيْل .

---

(١) ضرب من برود هجر .

(٢) قصة جويرية في الصحيحين من حديث المسور بن مخرمة من غير أن تسمى .. وفيها قوله صلى الله عليه وسلم : « لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله عند رجل واحد أبداً » .. والسبب خوفه صلى الله عليه وسلم أن تفتن فاطمة في دينها كما جاء مصرحاً به في الحديث .

. . . .

ابن عَمْرٍو ، يقال : إنها ولدت له ابنه أنساً الذى كان يضعف[١] ، وفيه جرى المثلُ : أساء سَمعاً فأساء إجَابةً[٢] ويقال : إنه نظر يوماً إلى رَجُلٍ على ناقةٍ يتبعها خَرُوفٌ فقال : يا أبتِ أذاكَ الخَرُوفُ من تلك الناقة ؟ فقال أبوه : صدقت هِنْدُ بنتُ عُتْبَةَ ، وكانت حين خطبهاقالت : إن جاءت منه حليلته بولد أُحْمِقَتْ ، وإن أُنجِبَتْ فَمِنْ خَطأٍ ماأنجبت ، وقد قيل فى بنت أبى جَهْلٍ : الحَنْفاء : إن اسمها صَفِيَّةُ[٣] فالله أعلم .

اسلام الحارث بن هشام :

وقال الحارثُ بن هِشَامٍ ، وقد قيل له : ألا تَرَى مايَصْنَعُ مُحَمَّدٌ من كَسْرِ الآلهة ، ونداء هذا العبد الأسود على الكعبة[٤] فقال : إن كان اللهُ يكره هذا ، فسيغيِّره ، ثم حَسُنَ إسلامُه رضى الله عنه بعد ، وهاجر إلى الشام ، فلم يزل جاهِداً مُجاهِداً ، حتى استشهد هنالك رحمه الله .

---

(١) من الضعفة ضعف الفؤاد وقلة الفطنة .

(٢) فى اللسان : جابة وقال هكذا يتكلم به ، لأن الأمثال تحكى على موضوعاتها . وهى اسم وضع موضع المصدر مثل الطاعة والطاقة والغارة والمارة ، وأصل المثل أن الأخنس بن شريق لقيه مع أبيه ، فقال له : أين أمك يا فتى ، وأمك مصدر الفعل أم ، أى أين قصدك ، فظن أنس أنه يسأل عن أمه ، فقال : انطلقت إلى أم حنظلة تطحن دقيقاً ، فقال أبوه : أساء سمعاً فأساء جابة . أنظر اللسان مادة جوب والأمثال للميدانى ص ٣٣٠ ط السنة المحمدية .

(٣) وفى الأمثال أن اسمها صفية .

(٤) وفى رواية أنه قال : واثكلاه ليتنى مت قبل هذا اليوم ، قبل أن أسمع بلالا ينهق فوق الكعبة .

رفع المسهم

. . . .

إسلام بنت أبي جهل :

وأما بنتُ أبي جهل ، فقالت حين سمعت الأذان على الكعبة ، فلما قال المؤذنُ : أشهد أن مُحمَّداً رسولُ الله ، قالت : عَمْري لقد أكرمك اللهُ ورفع ذِكْرَكَ ، فلما سمعت : حَيَّ على الصلاة ، قالت : أمّا الصَّلاةُ فَسَنُؤَدِّيها ، ولكن والله ماتحب قلوبُنا مَنْ قَتَلَ الأحبَّةَ ، ثم قالت : إن هذا الأمر لَحَقٌّ ، وقد كان المَلَكَ جاء به أبي ، ولكن كَرِه مُخَالَفَةَ قومِه ودينَ آبائه .

وأما أبو مَحذُورَةَ الْجُمَحِيّ ، واسمه : سَلَمَةُ بن مِعْيَر ، وقيل سَمُرَةُ(١) ، فإنه لما سَمِع الأَذَانَ ، وهو مع فِتْيَةٍ من قُرَيْشٍ خارج مكة أقبلوا يستهزءون ، ويحكون صوت المؤذن غيظاً ، فكان أبو مَحذُورَةَ من أحسنهم صوتاً ، فرفع صوته مُستهزئاً بالأذان ، فسمعه النبي صلى الله عليه وسلم ، فأمر به فمثل بين يديه ، وهو يظن أنه مقتول ، فمسح النبيُّ صلى الله عليه وسلم ناصيتَه وصدره بيده ، قال : فامتلأ قلبي والله إيماناً ويقيناً وعلمت أنه رسولُ الله ، فألقى عليه النبيُّ — صلى الله عليه وسلم — الأذانَ ، وعلَّمه إيَّاه ، وأمره أن يؤذِّن لأهل مكة ، وهو ابن سِتَّ عَشْرَةَ سنةً ، فكان مؤذِّنَهم حتى مات ثم عَقِبُه بعده يتوارثون الأذان كابراً عن كابر ، وفي أبي مَحذُورة يقول الشاعر :

---

(١) في الإصابة عند البلاذري عن اسمه : الأثبت أنه أدمس ، وجزم ابن حزم في أن سمرة أخوه . وخالف أبو اليقظان فجزم بأن أدمس بن معير قتل يوم بدر كافراً وأن اسم أبي محذورة سلمان بن سمرة ، وقيل غير ذلك .

. . . .

أمَا وَرَبِّ الكَعْبَةِ المَسْتُورهْ ... وماتلا مُحَمَّدٌ مِنْ سُورهْ

والنَّغَمَاتِ من أبى مَحْذُورَهْ ... لأفعَلَنَّ فعلةً مَذْكُورَهْ

هند بنت عتبة :

وأمَّا هِندُ بنت عُتْبَةَ امرأةُ أبى سُفْيَانَ ، فإن مِنْ حَدِيثها يوم الفتح أنها بايعت النبىَّ صلى الله عليه وسلم ، وهو على الصفا ، وعُمَرُ دونه بأعلى العقبة ، فجاءت فى نِسْوَةٍ من قريش يُبايِعْنَ على الإسلام ، وعُمَرُ يكلمهن عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فلما أخذ عليهن أنْ لَا يُشرِكْنَ بالله شيئاً قالت هند : قد علمت أنه لو كان مع الله غيرُه لأغنى عنَّا ، فلما قال : ولا يَسْرِقن قالت : وهل تَسرِق الحُرَّةُ ، لكن يارسولَ الله أبو سُفْيان رجُلٌ مَسِيكٌ ربما أخذتُ من ماله بغير علمه ما يُصْلِح ولده ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : خذى مايكفيكِ وولدكِ بالمعروف ، ثم قال : إنكِ لأَنْتِ هند ؟(١) قالت : نعم يارسول الله اعفُ عنى ، عفا الله عنك ، وكان أبو سفيان حاضراً ، فقال : أنتِ فى حِلٍّ مما أخذتِ ، فلما قال : ولا يَزْنِينَ ، قالت : وهل تَزْنِى الحُرَّةُ يارسولَ الله ، فلما قال : ولا يَعْصِينَكَ فى معروف ، قالت : بأبى أنتَ وأُمِّى ما أكرَمَكَ ، وأحسنَ مادَعَوْت إليه ، فلما سمعت : ولا يقتلن أولادَهن ،

---

(١) هذا لأنها كانت متنكرة خوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ورواية الصحيحين : « إن أبا سفيان رجل شحيح لا يعطينى من النفقة ما يكفينى، ويكفى بنى فهل على جناح إن أخذت من ماله بغير علمه ؟ فقال رسول الله ص« خذى من ماله بالمعروف مايكفيك ويكفى بنيك » .

. . . .

قالت : والله قد رَبَّيْنَاهُمْ صِغاراً ، حتى قتلتَهم أنتَ وأصحابك ببدر كباراً .
قال : فضحكَ عُمَرُ من قولها حتى مال .

عمرو بن سعيد لا عمرو بن الزبير :

فصل : وذكر حديثَ أبي شُرَيْح الخُزَاعى ، واسمه : خُوَيْـلِدُ بن عَمْرو ، وقيل : عَمْرو بن خُوَيْـلد ، وقيل : كعب بن عمرو ، وقيل : هانىء بن عَمْرو . قال : لما قَدم عَمْرُو بن الزُّبَيْر مكة لقتال أخيه عبدِ الله بن الزبير بمكة ، هذا وَهْم من ابن هشام ، وصوابه : عَمْرُو بن سعيد بن العاصى بن أُمَيَّة ، وهو الأَشْدَقُ ، ويكنى أبا أُمَيَّة ، وهو الذى كان يسمى لَطِيمَ الشيطان ، وكان جَبَّاراً شديد البأس ، حتى خافه عبدُ الملك على مكة ، فقتله بحيلةٍ فى خبر طويل ، ورأى رجل عند موته فى المنام قائلا يقول :

ألَا يالقَوْمِ للسَّفَاهَة والْوَهْنِ ... وللعاجزِ المَوْهُونِ والرَّأىِ ذِى الأَفْنِ
ولابنِ سَعِيدٍ بَيْنَمَا هو قَائِمٌ ... على قَدَمَيْه خَرَّ للوجْـهِ والْبَطن
رأى الحِصْنَ مَنْجَاةً من الموت فالتجا ... إليه ، فزارته الْمَنِيَّةُ فى الحِصْنِ

فقصَّ رؤياه على عبد الملك ، فأمره أن يكتُمَهاَ ، حتى كان مِنْ قَتْـلِه ما كان . وهو الذى خَطَبَ بالمدينة على مِنْبَرِ رسول الله صلى الله عليه وسلم فَرَعَف حتى سال الدمُ إلى أسفلِه فعُرِف بذلك معنى حديثه عليه السلام الذى يُرْوى عنه كأنى بجبَّارٍ من بَنِي أُمَيَّـة يَرْعَفُ على مِنْبَرِى هذا حتى يسيلَ الدم إلى

. . . .

أسفله[1] ، أو كما قال صلى الله عليه وسلم ، فعُرِف الحديثُ فيه . فالصوابُ إذاً عَمْرو بن سَعِيدٍ لا عَمْرو بن الزبير ، وكذلك رواه يونسُ بن بكير عن ابن إسحاق ، وهكذا وقع فى الصَّحِيحَيْن . ذكر هذا التنبية على ابن هشام أبو عُمَر - رحمه الله - فى كتاب الأجوبة عن المسائل المُسْتَغْرَبة ، وهى مسائل من كتاب الجامع للبخارى تكلم عليها فى ذلك الكتاب، وإنما دخل الوهمُ على ابن هشام أوعلى البَكّائى فى روايته من أجل أن عَمْرو بن الزُّبَيْرِ ، كان معادياً لأخيه عبدِ الله ومُعِيناً لبنى أُمَيَّة عليه فى تلك الفتنة ، والله أعلم .

أم حكيم بنت الحارث :

فصل : وذكر أمَّ حَكِيمٍ بنت الحارث ، وكانت تحت عِكْرِمَة بن أبى جهل[2] ، وأنها اتبعته حين فَرَّ من الإسلام ، فاستأمَنَتْ له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واسْتُشْهِد عِكْرِمَةُ بالشام ، فخطبها يزيدُ بن أبى سُفْيانَ وخالدُ بن سعيد ، فخطبت إلى خالد ، فتزوجها ، فلما أراد البناء بها ، وجموعُ الروم قد احتشدت ، قالت له : لو أمْهَلْتَ حتى يَفُضَّ الله جَمْعَهم ، قال : إن

---

(١) من الأحاديث التى ابتدعتها الأهواء السياسية .

(٢) روى أبو داود والنسائى أنه ركب البحر فأصابتهم ريح عاصف فنادى عكرمة اللات والعزى ، فقال أهل السفينة : أخلصوا فإن آلهتكم لا تغنى عنكم شيئاً هاهنا . فقال عكرمة والله لئن لم ينجنى من البحر إلا الإخلاص لا ينجينى فى البر غيره اللهم لك عهد إن أنت عافيتنى مما أنا فيه أن آتى محمداً حتى أضع يدى فى يده فلأجدنه عفواً غفوراً كريماً ، فجاء فأسلم . وقد روى البيهقى قصة إسلامه مطولة .

. . . .

نفسى تحدثنى أنى أصاب فى جُموعهم ، فقالت : دونك ،فابْدَنى بها ، فلما أصبح التقت الجموعُ وأخذت السيوفُ من كُلٍّ فَريقٍ مأخذَها فقُتِل خالد ، وقاتلت يومئذ أمُّ حَكِيمٍ ، وإن عليها للرَّدْع الخلُوق[1] ، وقتلت سبعة من الروم بعمود الفُسْطَاطِ بقَنطَرة تُسَمَّى إلى اليوم بقنطرة أمِّ حَكيم وذلك فى غزوة أجْنَادَيْنِ[2] .

دم ربيعة بن الحارث :

وذكر فى خُطْبَة النبى صلى الله عليه وسلم : ألا كُلُّ مَأْثُرَة أو دَمٍ أو مَالٍ يُدعى ، فهو تحت قدمىَّ هاتين ، وفى بعض روايات الحديثِ : وأولُ دمٍ أضعه دمُ رَبيعةَ بن الحارثِ . كان لربيعةَ ابنٌ قُتِل فى الجاهلية اسمُه آدمُ ، وقيل تَمّام ، وهو ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب ، مات فى خلافة عُمر رضى الله عنه سنة ثلاث وعشرين .

حول التخيير بين القصاص وبين الدية :

فصل : وذكر فى حديث ابن شُرَيْح[3] قوله عليه السلام : فمن قُتِل

---

(١) يعنى : كانت متطيبة حديثاً .

(٢) فى الإصابة : فى معركة مرج الصفر .

(٣) أصل حديث أبى شريح فى الصحيحين عن أبى هريرة : من قتل له قتيل ، فهو بخير النظرين ، إما أن يفتدى ، وإما أن يقتل . وقد رواه الجماعة لكن لفظ الترمذى ، إما أن يعفو وإما أن يقتل . وقد رواه أبو داود والنسائى . وقد رواه أحمد وأبو داود وابن ماجة هكذا « من أصيب بدم أو خبل - والخبل الجراح - فهو بالخيار بين إحدى ثلاث : إما أن يقتص أو يأخذ العقل أو يعفو ، =

. . . .

بعد مقامى هذا ، فأهله بخير النظرين ، إن شاءوا قدم قاتله ، وإن شاءوا قتلوه ، وهو حديث صحيح ، وإن اختلفت فيه ألفاظ الرواة وظاهره على هذه الرواية أن ولى الدم ، هو المخير إن شاء أخذ الدية ، وهو العقل ، وإن شاء قتل ، وقد اختلف الفقهاء فى فصل من هذه المسألة ، وهو أن يختار ولى المقتول أخذ الدية ، ويأبى القاتل إلا أن يقتص منه ، فقالت طائفة بظاهر الحديث ولا اختيار للقاتل ، وقالت طائفة يقتل القاتل ، ولا يجبر على إعطاء المال ، وتأولوا الحديث ، وهى رواية ابن القاسم ، وقال بها طائفة من السلف ، وقال آخرون بظاهر الحديث ، وهو قول الشافعى ، وأشهب ، ومنشأ الاختلاف من الاحتمال فى قوله تعالى : ﴿ فمن عفى له من أخيه شىء فاتباع بالمعروف ﴾ فاحتملت الآية عند قوم أن تكون من واقعة على ولى المقتول ، ومن أخيه أى من وليه المقتول ، أى : من ديته ، وعفى له أى : يسر له شىء من المال ، واحتمل أن تكون من واقعة على القاتل وعفى من العفو عن الدم ، ولا خلاف أن المتبع بالمعروف ، هو ولى الدم ، وأن المأمور بأداء بإحسان هو القاتل ، وإذا تدبرت الآية ، عرفت منشأ الخلاف منها ، ولاح من سياقة الكلام أى القولين أولى بالصواب .

وأما ماذكرت من اختلاف ألفاظ النقلة فى الحديث، فيحصرها سبعة ألفاظ

= فإن أراد رابعة فخذوا على يديه ، أى أراد زيادة على القصاص أو الدية أو العفو . وقد فسر ابن عباس . (فمن عفى له) . الآية : العفو أن يقبل فى العمد الدية ، والاتباع بالمعروف : يتبع الطالب بمعروف ، ويؤدى إليه المطلوب بإحسان . ع . البخارى والنسائى والدارقطنى .

. . . .

أحدها : إما أن يَقْتُلَ وإما أن يُفادِى .

والثانى : إما أنْ يُعْقَل أو يُقاد .

الثالث : إما أن يَفْدِى وإما أن يُقْتَل .

الرابع : إما أن تُعْطَى الدِّيَةُ أو يُقادَ أهلُ القتيل .

الخامس : إما أن يَعفُو أو يَقْتُلَ .

السادسُ : يُقْتَل أو يُفادَى .

السابع : من قتل مُتَعَمِّداً دُفع إلى أولياء المقتول ، فإن شاءوا قَتَلُوا وإن شاؤا أخذوا الدِّيَةَ . خرجه الترمذى . ورواية ابن إسحاقٍ فى السيرة ثامنةٌ ، وفى بعض هذه الروايات قوة لرواية ابن القاسم ، وفى بعضها قوةٌ لروايةِ أشهبَ فَتَأَمَّلها[1] .

النهي عن اشتمال الصماء والاحتباء :

وخطبتُه عليه السلام أطولُ مما ذكره ابنُ هِشامٍ ، وفيها من رواية الشيبانى عن ابن إسحاق نَهْيُهُ عن صيام يومين ، وصلاةِ ساعَتَيْن : يعنى طلوعَ الشمس وغروبَها ، وأن لا يتوارث أهلُ مِلَّتين ، وعن لُبْسَتَيْنِ وطُعْمَتَيْنِ ،

---

(١) وفى روايته « وإن أحبوا أخذوا العقل ثلاثين حقة وثلاثين جذعة ، وأربعين خلفة فى بطونها أولادها » وقد أخرجه الترمذى وابن ماجة عن عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده . ويقول الشوكانى فى نيل الأوطار عن حديث أبى شريح : فى إسناده محمد بن إسحاق ، وقد أورده معنعناً ، وهو معروف بالتدليس ، فإذا عنعن ضعف حديثه ، ص ٧ جـ ٧ .

رفع
المسهم
عز الله الحابلی

. . . .

وفُسِّرتا فى الحديث، فقال: الأُخْبِيَتان: اشْتِمَالُ الصَّمَّاء، وأن يَحْتَبِى الرجلُ[1] وليس بين عَوْرَتِهِ والسماء حِجَابٌ. والطُّعْمَتَان: الأكل بالشِّمال، وأن يأكُلَ مُنْبَطِحاً على بطنه.

شعر ابن الزبعرى:

فصل: وذكر شعرَ ابن الزِّبَعْرَى: الزِّبَعْرَى: البَعير الأزَبُّ[2] مع قِصَر، وفيه:

راتِقٌ مافَتَقْتُ إذ أنا بُور

قوله: فتقت يعنى: فى الدين، فكل إثم فَتْقٌ وتَمْزِيقٌ، وكل تَوْبَةٍ رَتْقٌ، ومن أجل ذلك قيل للتوبة: نَصُوحٌ من نَصَحْتُ الثوبَ إذا خِطْته، والنِّصاحُ: الخيطُ[3]، ويشهد لصِحَّة هذا المعنى قولُ إبراهيمَ بن أدْهَمَ:

---

(١) اشتمال الصماء: أن يتجلل الرجل بثوبه، ولا يرفع منه جانباً، وإنما قيل لها صماء لأنه يسد على يديه ورجليه المنافذ كلها كالصخرة الصماء. والفقهاء يقولون: هو أن يتغطى بثوب واحد ليس عليه غيره، ثم يرفعه من أحد جانبيه، فيضعه على منكبيه، فتنكشف عورته.

والاحتباء: أن يضم الإنسان رجليه إلى بطنه بثوب يجمعهما به مع ظهره، ويشده عليها، وقد يكون الاحتباء باليدين عوض الثوب، وإنما نهى عنه، لأنه إذا لم يكن عليه إلا ثوب واحد ربما تحرك أو زال الثوب فتبدو عورته.

(٢) الزبب فى الإبل كثرة شعر الوجه والعثنون. وابن دريد يقول هو من قولهم: رجل زبعرى إذا كان غليظاً كثير الشعر.

(٣) والنصاح كشداد، والناصح والناصحى: الخياط.

رفع المسهم

نُرَقِّعُ دُنْيانا بتمزيقِ دينِنا   فلا دِينُنا يَبْقَى ، ولا ما نُرَقِّعُ

وقوله : إذ أنا بُور ، أى : هالِكٌ ، يقال : رجل بُورٌ وبائر ، وقوم بُورٌ ، وهو جمعُ بائرٍ كان الأصل فيه فُعُل بتحريك الواو ، وأما رَجُلٌ بُورٌ ، فوزنُهُ فُعْل بالسكون ، لأنه وَصْفٌ بالمَصْدر ، ومنه قيل : أرضٌ بُورٌ من البَوارِ ، وهو هَلَاكُ المَرْعَى ويُبْسُه .

وقولُ ابن الزِّبَعْرَى :

والليلُ مُعْتَلِجُ الرُّوَاقِ بهيم

الاعتلاج : شِدَّةٌ وقوة ، وقد تقدم شرحُها . والبهيم : الذى ليس فيه لون يخالط لونَه .

وقوله : سُرُحُ اليدين غَشوُم . الغَشُومُ : التى لا تُرَدُّ عن وجهِها ، ويروى سَعُومُ ، وهى القوية على السير .

حول شعر حسان :

فصل : وذكر شعر حَسَّان يوم الفتح وأوله :

عَفَتْ ذاتُ الأصَابِعِ فالجِوَاء

ذات الأصابع : موضع بالشام ، والجِوَاء كذلك ، وبالجِواء كان منزلُ الحارثِ بن أبى شَمِرٍ ، وكان حَسَّانُ كثيراً ما يَرِدُ على مُلوك غَسَّان بالشام يمدحهم ، فلذلك يذكر هذه المنازل .

. . . .

وقوله : إلى عَذْرَاءَ ، هى قرية عند دِمَشْقَ ، فيها قُتِل حُجْرُ بن عَدِىّ وأصحابه .

وقوله : نَعَمٌ وشاء . النَّعَمُ : الإبلُ ، فإذا قيل أنعام دخل فيها الغَنَمُ والبَقَرُ والإبلُ . والشاءُ والشَّوِىُّ : اسمٌ للجميع كالضَّأْن والضَّئِين والإبْلِ والإبِيلِ والْمَعْزِ والْمَعِيزِ ، وأما الشَّاةُ ، فليست من لفظ الشَّاء ، لأن لام الفعل منها هاء . وبنو الْخَشْخَاشِ : حَىٌّ من بنى أَسَدٍ .

وقوله : الرَّوامِسُ والسَّماءُ ، يعنى : الرياح والمطر . والسماءُ لفظٌ مشترك يقع على المطر ، وعلى السماء التى هى السَّقْفُ ، ولم يعلم ذلك من هذا البيت ونحوه ولا من قوله :

إذا سَقَطَ السَّماءُ بأرضِ قَوْمٍ   رَعَيْناهُ وإن كانوا غِضَابَا[1]

لأنه يحتمل أن يُريد مطر السَّماء ، فحذف المضاف ، ولكن إنما عرفناه من قولهم فى جَمْعِهِ : سُمِىٌّ وهم يقولون فى جمع السماء : سَماواتٍ وأَسْمِيَةً ، فعلمنا أنه اسمٌ مُشْتَرَكٌ بين شَيْئَيْن .

وقوله : ولكنْ مَنْ لِطَيْفٍ . الطَّيْفُ : مصدر طاف الخيالُ يَطيفُ طَيْفاً ولكن لا يقال للخيال : هو طائِفٌ على وزن اسم الفاعل من طاف ، لأنه

---

(١) الشعر لمعاوية بن مالك معود الحكماء ، وبعده :

بكل مقلص عبل شواه   إذا وضعت أعنتهن ثابا
ومحفزة الحزام بمرفقيها   كشاة الربل أفلتت الكلابا

. . . .

لاحقيقةَ للخيال ، فيرجع الأمر إلى أنه هو الطَّيْفُ ، وهو تَوَهُّمٌ وتَخَيُّلٌ ، فإن كان شيء له حقيقةٌ قلت فيه : طائف ؛ وفى مَصْدره : طَيْفٌ كما فى التنزيل ﴿ طائِفٌ من الشَّيْطَانِ ﴾ الأعراف : ٢٠١ وقد قرىء أيضاً طَيْفٌ من الشَّيطَانِ ، لأن غُرورَ الشَّيْطان وأمانيه تُشبَّه بالخيال ، وما لا حقيقة له .

وأما قوله : ﴿ فَطَافَ عَلَيْها طائِفٌ مِنْ رَبِّكَ ﴾ ن : ١٩ فليس فيه إلا اسْمُ الفاعل دون المصدَرِ ، لأن الذى طاف عليها له حقيقةٌ ، وهو فاعل معروف بالفعل ، يقال إنه جِبْرِيلُ عليه السلام ، فتحصَّل من هذا ثلاثُ مَرَاتِبَ : الخيالُ ولا حقيقةَ له ، فلا يُعبَّر عنه إلا بالطَّيْفِ ، وحديثُ الشيطان وَوَسْوَستُه ، يقال فيه : طائِفٌ وَطَيْفٌ ، وكل طائف سوى هذين فهو اسمُ فاعل ، لا يُعبَّر عنه بطَيْفٍ ، ولا بطَوَّافٍ ، فقف على هذه النُّكْتة فيه .

وقوله : يؤرقنى إذا ذهب العِشاء ، أى : يسهرنى ، فيقال : كيف يُسهره الطيفُ ، والطيفُ حُلُمٌ فى المنام ؟ .

فالجواب : أن الذى يُؤَرِّقه لوعةٌ يجدها عنــد زَوَاله كما قال [حبيب بن أوْسٍ أبو تمام] الطائى :

ظَبْىٌ تَقَنَّصْتُه لما نَصَبْتُ له ... من آخِرِ اللَّيْلِ أَشْرَاكاً من الحُلُمِ

ثم انْثَنَى ، وبنا من ذِكْره سَقَمٌ ... باقٍ ، وإن كان مَعْسُولاً من السَّقَمِ (١)

---

(١) من قصيدة له يمدح بها مالك بن طوق . أولها :

سلم على الربع من سلمى بذى سلم ... عليه وسم من الأيام والقدم =

رفع عبد الرحمن الهاشمي

. . . .

وقد أحسن فى قوله من آخر الليل تنبيهاً على أنه سهر لَيْلَه كُلَّه ، إلا ساعة جاء الخيالُ من آخره ، فكأنه مُسْتَرَقٌ من قَوْلِ حسان :

وخيال إذا تغوم النُّجُومُ

ونظير قوله : يؤرِّقنى ، أى يؤرقنى بزواله عن قولُ البُحْتُرِىّ :

أَلَمَّت بنا بعد الهُدُوِّ فسامحت ... بوَصْلٍ متى تَطْلُبْهُ فى الجِدِّ تَمْنَعِ
وَوَلَّت كأن البَيْنَ يَخْلُجُ شَخْصَها ... أوان تولَّت من حَشَائى وأضْلُعى (١)

وقوله : لِشَعْثَاءَ التى قد تَيَّمَتْهُ . شَعْثَاءُ التى يُشَبِّب بها حَسَّانُ هى بنت سَلَّام بن مِشْكَم اليَهُودِى ، وروى أنه قال : يامَعْشَرَ يَهُودَ قد علمتم أن محمداً نبىٌّ ، ولولا أن تُعيَّر بها شَعْثَاءُ ابنَتِى لَتبِعْتُه ، وقد كان تحت حَسَّان أيضاً امرأةٌ اسمها شَعْثَاءُ بنتُ كاهِنٍ الأَسْلَمِيَّة ، ولدت له أمَّ فِراسٍ .

= وقبل البيتين قوله :

زار الخيال لها لا بل أزاركه ... فكر إذا نام فكر الخلق لم ينم

وانظر نقد الآمدى لهذا البيت ، ثم اعتذاره عنه ، وما قاله الشريف المرتضى فى طيف الخيال ص ٧ ط ١٩٦٢ بتحقيق الأستاذ الصيرفى ، ص ٦ جـ ٣ أمالى المرتضى والسعادة .

(١) ذكر معهما المرتضى فى أماليه ستة أبيات ص ٦ جـ ٣ وفيه : نطلبه وهو الصواب بدلا من تطلبه . ويقول المرتضى عن البحترى « ولأبى عبادة البحترى فى وصف الخيال الفضل على كل متقدم ومتأخر ، فإنه تغلغل فى أوصافه ، واهتدى من معانيه إلى ما لا يوجد لغيره » المصدر السابق

رفع عبد الرحمن الهندي المسكن

. . . .

وقوله : كأنَّ خَبِيئَةً من بيتِ رَأْسٍ إلى آخره ، خبر كأن فى هذا البيت محذوفٌ ، تقديره : كأن فى فيها خبيئةً ، ومثل هذا المحذوف فى النَّـكِرَاتِ حَسَنٌ كقوله :

إنَّ مَحَلًا وإنَّ مُرْتَحَلًا(١)

أى : إن لنا مَحَلًا ، وكقول الآخر :

ولكنَّ زَنْجِيًّا طَوِيلًا مَشَافِرُهُ(٢)

وفى صحيح البخارى فى صفة الدَّجَّالِ : أعوَر كأن عِنَبَةً طافية ،أى : كأن فى عينه ، وزعم بعضُهم أن بعد هذا البيت بيتاً فيه الخبر وهو :

على أنيابِها أوْ طَعْمُ غَضٍّ من التُّفَّاحِ هَصَّره اجْتِنَاء(٣)

---

(١) هو الأعشى ، والشطرة الأخرى : وإن فى السفر ما مضى مهلا .

(٢) روى سيبويه للفرزدق بيتاً هو :

فلو كنت ضبياً عرفت قرابتى ولـكن زنجى عظيم المشافر

هكذا برفع زنجى . ثم قال : والنصب أكثر فى كلام العرب كأنه قال: ولـكن زنجياً عظيم المشافر لا يعرف قرابتى ، ولـكنه أضمر هذا كما يضمر ما يبنى على الابتداء . انتهى .

وعلى رفع زنجى يكون اسم لـكن محذوفا والتقدير : ولـكنك زنجى ، وقد أنشده اللسان بنصب زنجى بإضمار الخبر ، وهو أقيس . والبيت فى هجاء رجل من ضبة ، فنفاه عنها ، ونسبه إلى الزنج . أنظر ص ٢٨٢ ج ١ كتاب سيبويه واللسان مادة شفر .

(٣) هو فى ديوانه المطبوع فى أوربا .

رفع المسهم

. . . .

وهذا البيتُ موضوعٌ لا يُشبِه شعرَ حسَّان ولا لفظه.

وقوله: نُوَلِّيها الملامةَ إن أَلَمْنا، أى: إن أتينا بما نُلامُ عليه صرفنا اللوم إلى الخمر واعتذرنا بالسُّكر. والمَغْثُ: الضرب باليد، واللِّحاء: المُلاحاةُ باللسان، ويروى أن حسَّانًا مرَّ بفِتْيَةٍ يَشرَبُون الخمرَ فى الإسلام، فنهاهم، فقالوا: والله لقد أردنا تركها فيُزَيِّنُها لنا قولُك:

وَنَشْرَبُها فتترُكُنا مُلُوكاً

فقال: والله لقد قلتها فى الجاهلية وما شرِبتها منذ أسلمتُ، وكذلك قيل: إن بعضَ هذه القصيدةِ قالها فى الجاهلية، وقال آخرها فى الإسلام.

معنى التفضيل في شركما:

وفيها يقول لأبى سفيان: فَشرُّكُما لخيرِكُما الفِداء. وفى ظاهرِ اللفظِ بشاعَةٌ، لأن المعروف أن لا يقال هو شرُّهما إلا وفى كليهما شرٌّ، وكذلك: شرٌّ منك، ولكن سيبويه قال فى كتابه: تقول مررت برجل شرٍّ منك، إذا نقص عن أن يكونَ مِثلَه، وهذا يدفع الشَّناعَةَ عن الكلام الأول، ونحو منه قوله عليه السلام: «شرُّ صُفُوفِ الرجال آخرُها» يريد: نُقصانَ حَظِّهم عن حَظِّ الأوَّلِ، كما قال سيبويه، ولا يجوز أن يريد التفضيل فى الشر والله أعلم.

يلطّم أو يطلّم:

وفيها قوله فى صفة الخيل: يُلَطِّمُهُنَّ بالخُمُرِ النِّساءُ. قال ابن دُرَيْد

رفع المسهم

. . . .

فى الجمهرة : كان الخليلُ رحمه الله يروى بيت حسان يُطَلِّمُهُنَّ بالخُمُرِ ، وينكر يُلَطِّمُهُنَّ ويجعله بمعنى : يُنَفِّضُ النساءُ بخُمُرِهِنَّ ماعليهن من غُبارٍ أو نحو ذلك ، وأتبعَ بذلك ابنُ دريد قوله : الطَّلْمُ ضَرْبُكَ خُبْزَةَ المَلَّةِ بيدك لِتَنفُضَ ماعليها من الرَّماد ، والطُّلْمَة : الخُبْزَةُ ، ومنه حديث أبى هُرَيْرَةَ : مَرَرْنا بقوم يُعَالِجُون طُلْمَةً لهم ، فَنَفَّرْناهم عنها ، فاقتَسَمْناها ، فأصابَتْنى منها كِسْرةٌ ، وكنت أسمع فى بلدى أنه مَنْ أكل الخبز سَمِن ، فجعلت أنظر فى عِطْفِى : هل ظَهَر فِيَّ السِّمَنُ بعد . ومما جاء فى الحديث من هذا المعنى أن النبىَّ صلى الله عليه وسلم رُؤِى يمسح وَجْهَ فَرَسِهِ بردائه ، فقال : عُوتِبْتُ الليلة فى الخيل .

وفيها :

ونُحْكِم بالقوافى مَنْ هَجَانا

نُحْكِم : أى نَرُدُّ و نَقْرَعُ ، هو من حَكَمَةِ الدَّابَّة ، وهو لجامها ، ويكون المعنى أيضاً : نُفحِمُهم ونُخْرِسُهم ، فتكون قوافينا لهم كالحَكَمَاتِ للدَّوابِّ . قال زُهَير :

قد أُحْكِمَتْ حَكَمَاتِ القِدِّ والأَبَقَا(١)

وفى هذه القصيدة : مَوْعِدُها كَدَاءُ ، وفى رواية الشيبانى : يسيل بها كُدَىٌّ أو كَدَاءُ .

---

(١) أوله : القائد الخيل منكوبا دوائرها . والقِدّ : السير يقد من جلد غير مدبوغ . والأبق : القنب .

. . . .

وقد ذكرنا كُدَيًّا وكَدَاء ، وذكرنا معهما كُدَى ، وزاد الشيبانى فى روايته أبياتاً فى هذه القصيدة وهى :

وهاجت دُونَ قتلِ بنى لُؤَىٍّ جَذِيمةَ إن قتلَهم شِفاءُ
وحِلْفُ الحارثِ بن أبى ضِرارٍ وحِلْفُ قُرَيْظَةٍ فينا سَوَاءُ
أولئك مَعْشَرٌ أَلبَوا علينا ففى أظفارِنا مِنْهم دِمَاءُ
سَتُبْصِرُ كيف نفعَل بابنِ حَرْب بِمَوْلاكَ الذين هُمُ الرِّدَاءُ

حول شعر أنس بن سليم :

فصل : وذكر شعر أنس بن سليم (1) الدِّيلى وفيه :

وأَكْسَى لبُرْدِ الخالِ قبل ابتِذَالِه

الخالُ : من بُرُود اليَمَن وهو من رَفيع الثياب . وأحسَبه سُمِّى بالخال الذى يعنى الخُيَلَاء كما قال زيد بن عَمْرو بن نُفَيل : البرَّ أَبْغِى لا الخَال ، وفيه :

تَعَلَّم رسولَ الله أنك مُدْرِكى وأنَّ وَعِيداً منك كالأَخْذِ باليَدِ

وهذا البيتُ سقط من رواية أبى جَعْفَر بن الورد ، كذا ألفيته فى حاشية كتاب الشيخ ، رحمه الله ، ومعناه من أحسن المعانى ينظر إلى قول النابغة :

فإنك كاللَّيلِ الذى هو مُدرِكى وإن خِلْتُ أن المُنْتَأَى عنك واسعُ

---

(1) فى السيرة : زنيم وهو الصواب ، ولعله سهو من السهيلى .

. . . .

خطَاطِيف حُجْنٍ فى حِبالٍ مَتِينَةٍ ... تُمَدُّ بها أيدٍ إليك نوازِعُ

فالقَسِيمُ الأول كالبيت الأول من قول النابغة ، والقَسِيمُ الثانى كالبيت الثانى ، لكنه أطبَعُ منه ، وأوْجزُ . وقول النابغةِ كالليل فيه من حُسْنِ التشبيه ما ليس فى قول الدِّيلى ، إلا أنه يَسْمُج مثلُ هذا التشبيه فى النبى صلى الله عليه وسلم ، لأنه نورٌ وهُدًى ، فلا يُشَبَّه بالليل ، وإنما حَسُن فى قول النابغةِ أن يقول كالليْـلِ ، ولم يَقُلْ كالصُّبْح ، لأن الليل تُرْهَبُ غوائِلُه ، ويُحْذَر من إدراكه ما لا يُحْذَر من النَّهار ، وقد أخذ بعضُ الأندلسيين هذا المعنى ، فقال فى هربه من ابن عَبَّادٍ :

كأن بلادَ الله وهى عَرِيضَةٌ ... تَشُدُّ بأقصاها علىَّ الأناملا

فأيْن مَفَرُّ المرء عنك بنفسه ... إذا كان يَطْوِى فى يديك المَرَاحِلا

وهذا كُلُّه معنى مُنْتَزَعٌ من القدماء . روى الطبرى أن « مِنُوشِهْرَ بن إيرَجَ بن أفريدُون بن أثفِيان » وهو الذى بعث موسى عليه السلام فى زمانه أعنى زَمانَ مِنُوشِهْرَ قال حين عقـــد التاج على رأسه فى خطبة له طويلة : « أيها الناسُ إن الخلقَ للخالِق ، وإن الشكر لِلْمُنْعِم ، وإن التَّسْلِيمَ للقادر ، وإنه لا أضْعَفَ من مَخْلُوق طالباً أو مَطلوباً ، ولا أقوى من طالب طَلِبَتُه فى يده ، ولا أعْجَزَ من مطلوب هو فى يد طالبه .

قول شعر بجير بن زهير :

وأنشد لبُجَيْرِ بن زُهَيْرٍ :

نَفَى أهْلَ الحَبَلَّقِ كُلَّ فَجٍّ ... مُزَيْنَةُ غَدْوَةً وبنو خُفافِ

. . . .

الخَبَلَّقُ : أرض يسكنها قبائلُ من مُزَيْنَةَ ، وقَيْسٍ ، والخَبَلَّقُ : الغَنَمُ ، الصِّغَارُ ، ولعله أراد بقوله : أَهْلَ الخَبَلَّقِ أصحابَ الغَنَم ، وبنو عُثْمانَ هم مُزَيْنَةُ وهم بنو عُثْمانَ بن لاطِمِ بن أد بن طَابِخَةَ ، ومُزَيْنَةُ أُمُّهم بنتُ كَلْب بن وَبَرَةَ ابن تَغْلِبَ بن حُلْوَانَ بن الحافِ بن قُضَاعَةَ ، وأختُها : الحَوْأَبُ التي عُرِفَ بهـا ماء الحَوْأَبِ المذكور فى حديثِ عائشةَ ، وأصلُ الحَوْأَبِ فى اللغة : القَدَحُ الضَّخْمُ الواسع ، وبنو خُفَافٍ : بَطْنٌ من سُلَيْم ، وقوله :

ضَرَبْنَاهُمْ بمكةَ يوم فَتْحِ النَّـــبى الخَيْر بالبِيضِ الخِفَافِ

فى البيت مداخلة وهو انتهاءُ القَسِيمِ الأول فى بعض كلمةٍ من القَسِيمِ الثانى ، وهو عَيْبٌ عندهم إلا فى الخَفِيف والهَزج ، ومعنى الخَيْرِ أى ذو الخَيْرِ ، ويجوز أن يريد الخَيِّرَ نخفف ، كما يقال هَيْن وهَيِّن. وفى التنزيل : ﴿ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ﴾ الرحمن : ٧٠ .

وقوله : كما انْصاع الفُوَاقُ من الرِّصَافِ ، أى : ذَهَب ، والرِّصَافُ : عُصْبَةٌ تُلْوَى على فوق السَّهْم ، وأراد بالفواق الفوق ، وهو غريب .

وذكر صاحب العين فى الفُوَاقِ صوت الصَّدر ، وهو بالهمز فى قول ابن الأعرابى ، لأنه من ذوات الواو .

عباس بن مرداس والذين حرموا الخمر :

وذكر عَبَّاسَ بن مِرْدَاسٍ ، ويكنى أبا الفضل ، وقيل : أبا الهَيْثَم ، ومن ذريته عبدُ الملك بن حبيب فقيه الأندلس ، ونسبه : عَبَّاسُ بن مِرْدَاس بن أبى عَامِرِ بن جَارِيَةَ

رفع المسامر

. . . .

ابن عَبْدِ بن عبّاس(١) بن رِفاعَة بن الحارثِ(٢) بن بُهْثَةَ بن سُلَيْم السُّلَمِيّ كان أبوه حاجباً لحرْبِ بن أميَّة ، وقتلتهما الجنُّ فى خَبَرٍ مَشْهُورٍ(٣) وعباس ممن حرَّم على نفسه الخمر فى الجاهلية ، وحرَّمها أيضاً على نفسِه قبل الإسلام أبو بكر وعُثمان وعبدُ الرحمن بن عَوْفٍ ، وقيس بن عاصم ، وقبل هؤلاء حرَّمها على نفسِه عبدُ المطلب بن هاشِم وَورَقَةُ بن نَوْفل وعبدُ الله بن جُدْعَان وشَيْبَةُ بن رَبِيعة والوليدُ بن المُغيرة ، ومن قُدماء الجاهلية عامرُ بن الظَّرِب العَدْوانِيّ .

وذكر فى سبب إسلام عباس ماسمع من جَوْفِ الصنم الذى كان يعبده ، وهو ضِمارِ بكسر الراء وهو مثل حَذَامِ ورَقَاشِ ، ولايكون مثلُ هذا البِناء إلا فى أسماء المؤنَّثِ ، وكانوا يجعلون آلهتهم إناثاً كاللَّاتِ والعُزَّى وَمَناة ، لاعتقادهم الخبيثِ فى الملائكةِ أنها بَنَاتٌ . وفى ضِمَارِ لغةُ أهل الحجاز ، وبنى تَمِيم البناء على الكسر لاغير من أجل أن آخرَه راء ، ومالم يكن فى آخرِه راء كحَذَامِ ورَقَاشِ ، فهو مَبْنِيٌّ فى لغةِ أهل الحجازِ ومُعْرَبٌ غيرُ مُجْرى فى لغة غيرهم(٤) كذلك قال سِيبَوَيْه .

---

(١) فى الإصابة : ابن حارثة بن عبد بن عبس .

(٢) فى الإصابة : ابن الحارث بن يحيى بن الحارث بن بهثة .

(٣) خرافة أخرى مما يقال عن الجن .

(٤) أى يجرونه مجرى مالا ينصرف فيرفع بالضم بدون تنوين ، وينصب ويجر بالكسرة . وقد جاءت الأشعار على لغة أهــل الحجاز . وقد ضبط [illegible]

. . . .

وذكر ابن أبى الدنيا فى سبب إسلام عباسٍ حديثاً أسنده عن رجاله عن الزُّهْرِيِّ عن عبد الرحمن ، بن أنسٍ السلمانى عن عبَّاسٍ بن مِرْدَاسٍ أنه كان فى لِقَاحٍ له نِصْفَ النَّهارِ ، فاطلعت عليه نَعَامَةٌ بيضاءُ عليها راكب عليه ثِيَابٌ بَيَاضٍ فقال لى : ياعباس ألم تر أنَّ السَّماء كفت أحراسها ، وأن الحَرْبَ جَرَعَتْ أنفاسَها ، وأن الخَيْلَ وضعت أحْلَاسَها ، وأن الذى نزل عليه البِرُّ والتُّقَى يومَ الاثنين ليلةَ الثُّلاثاء صاحب النَّاقَةِ القَصْوَاءِ . قال : فخرجت مَرْعُوباً قد راعنى مارأيتُ ، وسمعيت ، حتى جئت وَثَناً لى ، يقال له الضِّمار كنا نَعْبُدُه ونُكَلَّم من جَوْفِه ، فكنست ماحوله ، ثم تمسحت به ، فإذا صائح يصيح من جوفه :

قُل للقبائل من قُرَيْشٍ كُلِّها ... هَلَكَ الضِّمارُ وفاز أهل المَسْجد(١)

هَلَكَ الضِّمارُ وكان يُعْبَد مُدَّةً ... قبل الصَّلاةِ على النَّبِيِّ مُحَمَّدِ

إن الذى وَرِثَ النُّبُوَّةَ والهُدَى ... بعد ابن مَرْيَمَ من قُرَيْشٍ مُهْتَدِى

قال فخرجت مَذْعُوراً حتى جئت قومى ، فقصصت عليهم القصةَ ، وأخبرتهم الخبَرَ فخرجت فى ثلاثمائةٍ من قومى من بنى حَارِثَةَ إلى النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، فدخلنا المسجد ، فلما رآنى النبيُّ صلى الله عليه وسلم تَبَسَّمَ ، وقال : إلَىَّ يا عباسُ ، كيف إسلامك ؟ فقصصتُ عليه القصة ، فقال :

= موضع للعرب به وقعة . أما البكرى فضبط ضمار بفتح الضاد وقال : حجر كان لبنى سليم يعبدونه . كان سبب إسلام عباس بن مرداس .

(١) فى السيرة والبكرى : من سليم . وأودى ضمار وعاش أهل المسجد.

رفع المسهم

. . . .

صدقت ، فأسلمت أنا وقومى [١] .

شعر جعدة :

فصل : وذكر فى شِعْرِ جَعْدَةَ الْخُزَاعِىِّ غَزَالَ ، وهو اسم طريقٍ غير مصروف ، وقال كُثَيِّرٌ فى قصيدته المشهورة يذكر غزال :

أناديك ماحَجَّ الْحَجِيجُ وكَبَّرَتْ   بِفَيْفَا غَزَالٍ رُفْقَةٌ وَأَهَلَّتِ [٢]

وكذلك لِفْت اسم موضع ، وفى لِفْتٍ [٣] يقول مَعْقِلُ بن خُوَيْلِدٍ :

لَعَمْرُكَ ماخَشِيتُ وقد بَلَغْنا   جِبَالَ الْجَوْزِ مِنْ بَلَدٍ تَهَامِ

نَزِيعاً [٤] مُحْلِباً من أهل لِفْتٍ   لِحَىٍّ بين أَثْلَةَ والنِّجَامِ

وقد تقدم هذا البيتُ الأخيرُ فى باب الهجرة [٥] .

سرية خالد إلى بنى جذيمة :

وذكر سَرِيَّةَ خالد إلى بنى جذيمة ، وتعرف بغزوة الغميط ، وهو اسم ماء لبنى جَذِيمَة .

---

(١) الشعر مصنوع ولاشك ، فليس فيه نفحة من عصره ، والقصة كذلك موضوعة ولا شك أو لعلها رؤيا كما فهم ابن حجر فى الإصابة .

(٢) القصيدة بطولها كلها فى الأمالى ص ١٠٧ ج ٢ ط ٢ .

(٣) لفت قيدها البكرى بكسر اللام وفتحها . وقيدها القاضى عياض — كما فى المراصد بثلاثة أوجه منهـــا ما ذكرنا ، وبفتح اللام والفاء ، وقد سبق الكلام عنها .

(٤) سبق الكلام عن البيتين فى باب الهجرة .

(٥) بل تقدم البيتان .

رفع المسهم

. . . .

وذكر شعر امرأةٍ ، اسمها : سَلْمى ، وفيه :

ومُرَّةُ حتى يتركوا الْبَرْكَ ضابحا

الْبَرْكُ : جماعةُ الإبل ، ومَا صَحَ : جَالَدوقاتل ، وضابحاً من الضَّبْح ، وهو نَفَسُ الخيْل والإبل إذا عُبِّيت ، وفى التنزيل ﴿ والعاديات ضَبْحاً ﴾ وفى الخبر : من سمع ضَبْحَةً بلَيْـلٍ ، فلا يَخرُجُ مخافَةَ أن يُصيبه شَرٌّ . قال الراجز :

نحن نَطَحْنَاهُم غَدَاةَ الجَمْعَيْنِ
بالضَّابِحَاتِ فى غُبَارِ النَّقْعَيْن
نَطْحاً شَدَيداً لا كَنَطْحِ الطورين

والضَّبْحُ والضَّبى مصدر ضَبَحَتْ وضُبِيَت أى شُويَتْ وقُلِيت ، قاله أبو حنيفة . قال : والمَضَابِى والمَضَابِح هو المَقَالِى .

وذكر تبَرُّأ النبي — صلى الله عليه وسلم — مما فعل خالدٌ ، وهذا نحوٌ مما روى عن عُمَرَ حين قال لأبى بَكْر الصديق رضى الله عنهما : إن فى سيف خالد رهقاً . إن فى سيف خالد رَهَقاً فاقتُله ، وذلك حين قَتَل مالكَ بن نُوَيْرَةَ ، وجعل رأسه تحت قِدْرٍ حتى طُبِـخ به(١) ، وكان مالك ارتد ، ثم راجع الإسلام ، ولم يظهر ذلك لخالد ، وشهد عنده رجلان من الصَّحابة برجوعه إلى الإسلام ، فلم يقبلهما ، وتزوج امرأته ، فلذلك قال عمر لأبى بكر : اقتله ، فقال : لا أفعل لأنه مُتأوِّل .

---

(١) لا يظن برجل بجده التاريخ كخالد أن يقترف مثل هذه القسوة والمثلة التى نهاه عنها دينه .

فقال : اغزله ، فقال : لا أغمد سيفاً سلّه الله على المشركين ، ولا أعزل والياً ولاّه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم .

وذكر قول الرجل للمرأة : اسلمي حُبَيْشُ على نَفَدِ العيش[1] النَّفَدُ مصدر نَفِد إذا فَنِي ، وهو النَّفادُ ، وحُبَيْشُ مُرَخَّمٌ من حُبَيْشَة .

شعر أبي حدرد :

وحَلْيةُ والخوانقُ : مَوْضِعَانِ ، والوَدَائِقُ : جمع وديقةٍ ، وهو شدة الحر فى الظهيرة ، سميت بذلك من الوَدْق ، لأن فى ذلك الوقتِ يسيل لعابُ الشمس ، وهو ماتراه العينُ كالسراب ونحوه ، وقال الراجز :

وقام ميزانُ النهار ، فاعتدل وسال للشمس لُعَابٌ فنزل

وقال : الأحول : يقال : وَدَقَ إذا دنا من الأرض ، ويقال : هو وادق السرة إذا كانت مائلة إلى جهة الأرض وأنشد :

وادِقاً سُرّاتُها

فعلى هذا تكون الوَدِيقَةُ من وَدَقَتِ الشمسُ إذا دنت من الأُفق ، فاشتد حرُّها ، والله أعلم .

وقوله : فَهَمَهَ خالدٌ ، أى : زَجَره ، ونَجَهَهُ ، وروى النَّسائىُّ فى قصة المرأة التى ماتت مُكِبَّةً على الرجل المقتول قال : حدثنا محمد بن على بن حَرْب

(١) فى السيرة : من العيش .

غزوة حنين فى سنة ثمان بعد الفتح

قال ابن إسحاق : ولما سمعتْ هوازنُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وما فتح الله عليه من مكة ، جمعها مالك بن عوف النَّصْرى ، فاجتمع إليه مع هوازن ثقيف كلُّها ، واجتمعت نَصْر وجُشَم كلُّها ، وسعد بن بكر ، وناس من بنى هِلال ، وهم قليل ، ولم يشهدْها من قيس عَيْلان إلا هؤلاء ، وغاب عنها فلم يحضرها من هوازن كعب ولا كلاب ، ولم يشهدها منهم أحد له اسم ، وفى بنى جُشَم دُرَيْد بن الصِّمة شيخ كبير ليس فيه شىء إلا التَّيمن برأيه ومعرفته بالحرب ، وكان شيخاً مُجرَّباً ، وفى ثقيف سيدان لهم . فى الأحلاف : قاربُ بن الأسود

عن على بن الحسين بن واقد عن أبيه عن يَزيدَ النَّحْوِى عن عِكْرِمَةَ عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم بعث سَرِيَّةً ، قال : فغنموا وفيهم رجل ، فقال لهم : إنى لست منهم ، عشقت امرأة فلحقتها ، فدعونى أنظر إليها نظرة ، ثم اصْنَعُوا بى مابَدَا لكم ، قال : فإذا أمرأة طويلة أدْمَاء ، فقال لها : اسلَمِى حُبَيْشُ قبل نَفَدِ العَيْشِ ، وذكر البيتين الأولين من القطعة القافية أول هذا الخبر ناقِصى الوزن ، وبعدها قالت : نَعَم فَدَيْتُك ، فقدَّموه فضربوا عُنُقَه ، فجاءت المرأةُ فوقفت عليه ، فَشَهَقَتْ شَهْقَةً أو شَهْقَتَيْن ، ثم ماتت ، فلما قدموا على النبى صلى الله عليه وسلم أخبروه الخبر ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : أما كان فيكم رجلٌ رحيم . خرَّجه النَّسَوِىُّ فى باب قَتْلِ الأسارى من مُصَنَّفِهِ .

رفع المسابهم

ابن مسعود بن مُعَتِّب ، وفى بنى مالك : ذو الخِمار سُبَيْع بن الحارث بن مالك ، وأخوه أحمر بن الحارث ، وجِمَاعُ أمر الناس إلى مالك بن عوف النَّصرى .

فلما أجمع السير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حطّ مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم ، فلما نزل بأوطاس اجتمع إليه الناس ، وفيهم دُرَيْدُ بن الصِّمَّة فى شِجَارٍ له يُقاد به ، فلما نزل قال : بأىّ وادٍ أنتم ؟ قالوا : بأوطاس ، قال : نِعم مَجَالُ الخيل ! لا حَزْنٌ ضَرِسٌ ، ولا سَهْلٌ دَهِس ، مالى أسمع رُغاء البعير ، ونُهَاق الحمير ، وبُكاء الصغير ، ويُعَار الشَّاء ؟ قالوا : ساق مالك بن عوف مع الناس أموالَهم ونساءهم وأبناءهم . قال : أين مالك ؟ قيل : هذا مالك ودُعِى له ، فقال : يا مالك ، إنك قد أصبحتَ رئيس قومك ، وإن هذا يوم كائنٌ له ما بعدَه من الأيّام . مالى أسمع رُغاء البعير ، ونُهاق الحمير ، وبُكاء الصغير ، ويُعار الشَّاء ؟ قال : سُقْت مع الناس أموالهم وأبناءهم ونساءهم ، قال : ولِمَ ذاك ؟ قال : أردت أن أجعل خَلْف كلّ رجل منهم أهلَه ومالَه ، ليُقاتل عنهم ، قال : فَأَنْقَضَ به . ثم قال : راعِىَ ضأنٍ والله ! وهل يَرُدُّ المنهزمَ شىء ؟ إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورُمحه ، وإن كانت عليك فُضِحْت فى أهلك ومالك ، ثم قال : ما فعلتْ كعبٌ وكِلاب ؟ قالوا : لم يشهدها منهم أحد ، قال : غاب الحَدُّ والجِد ، ولو كان يومَ عَلاء ورِفعة لم تغب عنه كعب ولا كِلاب ، ولوَدِدْتُ أنَّكمْ فعلتم ما فعلتْ كعبٌ وكِلابٌ ، فمن شهدَها منكم ؟ قالوا : عمرُو بن عامر ، وعوف بن عامر ، قال : ذانِكَ الجَذَعان من عامر ، لا ينفعان ولا يضرّان ، يامالك ، إنك لم تصنع بتقديم البَيْضَةِ بيضة هوازن إلى نحور الخيل شيئاً ، ارْفعْهم إلى مُتَمَنَّع بلادهم وعَليا قومهم ، ثم

الْقَ الصُّبَّاء على مُتُون الخيلِ ، فإن كانت لك لَحق بك مَنْ وراءَك ، وإن كانت عليك أَلْفاكَ ذلك قد أحرزْتَ أهلك ومالك . قال : والله لا أفعل ذلك ، إنك قد كَبِرْتَ وكَبِرَ عقلك . والله لتطيعُنَّنِي يا معشر هوازِن أو لأتَّكِئَنَّ على هذا السَّيف حتى يخرج من ظهرى . وكره أن يكون لدُريدِ ابن الصمّة فيها ذِكر أو رأى ؛ فقالوا : أطعناك ؛ فقال دُريد بن الصمّة : هذا يوم لم أشهدْه ولم يفُتْنى :

يا لَيْتَنِي فيها جَـذَعْ أخُبُّ فيها وأضَعْ
أقُودُ وطْفاءَ الزَّمَعْ كأنَّها شاةٌ صَـدَعْ

قال ابن هشام : أنشدنى غير واحد من أهل العلم بالشعر قوله :

« ياليتنى فيها جَـذَعْ »

قال ابن إسحاق : ثم قال مالك للناس : إذا رأيتموهم فاكْسِروا جُفُون سيوفكم ، ثم شُدُّوا شَدَّةَ رجل واحد .

قال : وحدثنى أميَّة بن عبد الله بن عمرو بن عثمان أنه حُدِّث : أنَّ مالك ابن عوف بعث عيوناً من رجاله ، فأتوْه وقد تفرّقت أوصالهم ، فقال : وَيْلَكُمْ ! ما شأنُكم ؟ فقالوا : رأينا رجالا بيضاً على خيل بُلْق ، فوالله ما تماسكنا أنْ أصابَنا ما ترى ، فوالله ما ردَّه ذلك عن وجهه أنْ مَضَى على ما يريد .

قال ابن إسحاق : ولما سمع بهم نبيّ الله صلى الله عليه وسلم بعث إليهم عبدَ الله

ابنَ أبى حَدْرد الأسْلمى ، وأمَره أن يدخل فى الناس ، فيقيم فيهم حتى يعلم عِلْمَهم ، ثم يأتيَه بخبرهم . فانطلق ابنُ أبى حَدْرد ، فدخل فيهم ، فأقام فيهم ، حتى سمع وعلم ماقد أجمعوا له من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسمع من مالك وأمر هوازن ماهم عليه ، ثم أقبل حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره الخبر (فدعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب ، فأخبره الخبر فقال عمر : كذب ابن أبى حدرد . فقال ابن أبى حدرد : إن كذّبتنى فربما كَذّبْتَ بالحقّ ياعمر ، فقد كَذّبتَ من هو خير منى . فقال عمر : يارسول الله ، ألا تسمع مايقول ابن أبى حدرد ؟ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قد كنت ضالا فهداك الله ياعمر)

فلما أجمع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم السير إلى هوازن ليَلقاهم ، ذُكِر له أن عند صفوانَ بن أميّة أدراعاً له وسلاحاً ، فأرسل إليه وهو يومئذ مشرك ، فقال : يا أبا أميّة ، أعِرْنا سلاحك هذا نَلق فيه عدوّنا غداً ، فقال صفوان : أغَصْباً يامحمد ؟ قال : بل عاريةٌ ومضمونة حتى نؤدّيها إليك ؛ قال : ليس بهذا بأس ، فأعطاه مِائة درع بما يكفيها من السلاح ، فزعموا أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم سأله أن يكفيهم حملها ، ففعل .

قال : ثم خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم معه ألفان من أهل مكة مع عشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه ، ففتح الله بهم مكة ، فكانوا اثنى عشر ألفاً ، واستعمل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عَتّاب بن أسِيد بن أبى العِيص بن أُميّة بن عبد شمس على مكة ، أميراً على من تخلّف عنه من

الناس ، ثم مضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على وجهه يريد لقاء هَوازن .

قصيدة ابن مرداس

فقال عباس بن مِرْداس السُّلَمِيّ :

أصابتِ العامَ رِعْلاً غُولُ قومِهم ... وَسْطَ البيوت ولَوْنُ الغُول ألوانُ
بالَنهفَ أمّ كِلابٍ إذ تُبَيِّتُهم ... خيلُ ابن هَوْذَة لا تُنْهَى وإنْسانُ
لا تَلفظُوها وشُدُّوا عَقْدَ ذِمَّتكم ... أنّ ابنَ عمِّكم سعدٌ ودُهْمان
لن تَرْجعوها وإن كانَتْ مُجَلَّلةً ... مادام في النَّعَم المأخُوذ ألبانُ
شَنْعاء جُلِّل مِنْ سَوْآتها حَضَنٌ ... وسالَ ذو شَوْغَرٍ منها وسُلْوانُ
ليسَتْ بأطْيبَ مما يَشْتَوِى حَذَفٌ ... إذْ قال : كلُّ شواءِ العَيرِ جُوْفانُ
وفى هوازِنَ قومٌ غيرَ أن بهمْ ... داءَ اليماني فإن لم يغدِرُوا خانُوا
فيهم أخٌ لو وَفَوْا أو بَرَّ عَهْدُهُمُ ... ولو نَهَكْناهُمُ بالطّعْنِ قد لانُوا
أبْلِغْ هوازِنَ أعْلاها وأسفَلها ... مِنِّى رِسالةَ نُصْحٍ فيه تِبْيانُ
أنى أظُنُّ رسولَ اللهِ صابِحَكُمْ ... جَيْشاً لَهُ فِي فَضاءِ الأرْضِ أركانُ
فيهم أخوكم سُلَيم غيرَ تارِكِكُمْ ... والمسلِمُونَ عِبادَ اللهِ غَسّانُ
وفى عِضادَته اليُمنى بنو أسَدٍ ... والأجْرَبان بنو عَبْسٍ وذُبْيان
تكاد تَرْجُفُ منه الأرض رَهبَتَه ... وفى مُقَدَّمه أوْسٌ وعُثمانُ

قال ابن إسحاق : أوْس وعثمان : قَبيلا مُزَيْنَة .

. . . .

رفع المسهم

قال ابن هشام : من قوله « أبلغ هوازن أعلاها وأسفلها » إلى آخرها ، في هذا اليوم ، وماقبل ذلك في غير هـذا اليوم ، وهما مفصولتان ، ولكن ابن إسحاق جعلهما واحدة .

ذات أنوط

قال ابن إسحاق : وحدثني ابن شهاب الزّهريّ ، عن سنان بن أبي سنان الدؤلي ، عن أبي واقد الليثي ، أن الحارث بن مالك ، قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حُنين ونحن حديثو عهد بالجاهلية ، قال : فسرنا معه إلى حُنَيْن ، قال : وكانت كفّار قريش ومَنْ سواهم من العرب لهم شجرة عظيمة خضراء ، يقال لها ذات أنواط ، يأتونها كلّ سنة ، فيعلّقون أسلحتهم عليها ، ويذبحون عندها ، ويعكُفون عليها يوماً . قال : فرأينا ونحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سِدْرة خضراء عظيمة ، قال : فتنادينا من جَنبات الطّريق : يارسول الله ، اجعل لنا ذاتَ أنواط كما لهم ذاتُ أنواط . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الله أكبر ، قلتم ، والذي نفس محمد بيده ، كما قال قوم موسى لموسى : ﴿ اجْعَل لَنا إلَهاً كمَا لَهُم آلِهَةٌ ، قالَ إنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ إنها السّنَنُ ، لتركَبُنَّ سَنَنَ من كانَ قبلَكم .

ثبات الرسول

قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن جابر ، عن أبيه جابر بن عبد الله ، قال : لما استقبلْنا وادىَ حُنين انحدرنا

رفع المسـهم غفر الله لهم

فى وادٍ من أودية تِهامة أجوف حَطُوط ، إنما ننحدر فيه انحداراً ، قال : وفى عَماية الصُّبح ، وكان القومُ قد سبقونا إلى الوادى ، فكَمَنُوا لنا فى شِعابه وأحنائه ومَضايقه وقد أجمعوا وتهيّئوا وأعدّوا ، فوالله ماراعنا ونحن منحطون إلا الكتائبُ قد شَدّوا علينا شَدّة رجل واحد ، وانشمر الناس راجعين ، لا يَلوِى أحدٌ على أحد .

وانحاز رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ذاتَ اليمين ، ثم قال : أين أيها الناس؟ هَلُمُّوا إلىّ أنا رسولُ الله ، أنا محمد بن عبد الله . قال : فلا شىء ، حَمَلت الإبل بعضُها على بعض ، فانطلق الناس ، إلا أنه قد بقى مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم نَفَر من المهاجرين والأنصار وأهل بيته .

الذين ثبتوا

وفيمن ثبت معه من المهاجرين أبو بكر وعمر ، ومن أهل بيته علىّ بن أبى طالب والعباسُ بن عبد المطّلب ، وأبو سفيانَ بن الحارث ، وابنُه ، والفضلُ بن العباس ، وربيعةُ بن الحارث ، وأسامةُ بن زيد . وأيمنُ بن عُبيد، قُتل يومئذ .

قال ابن هشام : اسم ابن أبى سفيان بن الحارث جعفر ، واسم أبى سُفيان المغيرة ، وبعض الناس يَعُدّ فيهم قُثَم بن العباس ، ولا يعد ابنَ أبى سفيان .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن ابن جابر ، عن أبيه جابر بن عبد الله ، قال : ورجل من هوازن على جمل له

أحمر ، بيده راية سوداء فى رأس رمح له طويل ، أمام هوازنَ ، وهوازن خلفه ، إذا أدْرَكَ طَعَن برمحه ، وإذا فاته الناس رفع رمحه لمن وراءه فاتَّبعوه .

الشماتة بالمسلمين

قال ابن إسحاق : فلما انهزم الناس ورأى من كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من جُفاة أهل مكة الهزيمة ، تكلَّم رجال منهم بما فى أنفسهم من الضِّغْن ، فقال أبو سفيان بن حرب : لا تنتهى هزيمتهم دون البحر ، وإن الأزلام لمعَهُ فى كنانته . وصرخ جَبَلة بن الحنبل - قال ابن هشام : كَلَدَة ابن الحنبل - وهو مع أخيه صفوانَ بن أميَّة مشرك فى المدَّة التى جعل له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : ألا بطل السِّحْرُ اليومَ ! فقال له صفوان : اسكتْ فَضَّ اللهُ فاكَ ، فوالله لأن يَرُبَّنى رجلٌ من قُريش أحبُّ إلىَّ من أن يَرُبَّنى رجل من هَوازن .

شعر حسان فى هجاء كلدة

قال ابن هشام : وقال حسَّان بن ثابت يهجو كَلَدَة :

رأيْتُ سَوَاداً مِن بَعيد فراعنى ... أبو حَنْبَلٍ ينزو على أمِّ حَنْبَلِ
كأنَّ الذى ينزو به فَوْقَ بَطْنِها ... ذراعُ قَلُوصٍ من نِتاجِ ابن عِزْهِلِ

أنشدنا أبو زيد هذين البيتين ، وذكر لنا أنه هجا بهما صفوان بن أميَّة ، وكان أخا كَلَدَة لأمِّه .

شيبة يحاول قتل الرسول

قال ابن إسحاق : وقال شيبة بن عثمان بن أبي طلحة ، أخو بني عبد الدّار . قلت : اليومَ أدركُ ثأري من محمد ، وكان أبوه قُتِل يوم أُحُد ، اليوم أقتُل محمداً . قال : فأدرتُ برسول الله لأقتله ، فأقبل شيء حتى تَغَشَّى فؤادي ، فلم أطق ذاك ، وعلمت أنه ممنوع مني .

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض أهل مكة ، أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال حين فَصَل من مكة إلى حُنين ، ورأى كثرة من معه من جنود الله : لن نُغلَبَ اليومَ من قِلّةٍ .

قال ابن إسحاق : وزعم بعض الناس أن رجلا من بني بكر قالها .

الانتصار بعد الهزيمة

قال ابن إسحاق : وحدثني الزُّهْرى . عن كَثير بن العبّاس ، عن أبيه العبّاس بن عبد المطّلب ، قال : إني لَمَعَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم آخِذٌ بحَكَمَة بغلته البيضاء قد شَجَرْتُها بها ، قال : وكنت امرأً جَسِيما شديدَ الصوت ، قال . ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم يقول حين رأى ما رأى من الناس : أين أيها الناس ؟ فلم أر الناس يَلوُون على شيء ، فقال : ياعباس ، اصْرُخْ ، يامعشر الأنصار : يامعشر أصحاب السَّمُرَة ، قال : فأجابوا : لَبَّيْكَ ، لَبَّيْكَ ! قال : فيذهب الرجل ليُثْني بعيره ، فلا يقدر على ذلك ، فيأخذ دِرْعه ، فيقذفها في عنقه ؛ ويأخذ سيفه وتُرسَه ، ويقتحم عن بعيره ، ويخلّي سبيله ، فيؤمّ

. . . .

الصوت ، حتى ينتهىَ إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم . حتى إذا اجتمع إليه منهم مِائة ، استقبلوا الناس ، فاقتتلوا ، وكانت الدّعوى أوّلَ ما كانت : يا لَلأنصار . ثم خَلَصَت أخيراً : يا لَلخَزْرَجِ . وكانوا صُبُراً عند الحرب ، فأشرف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى ركائبه . فنظر إلى مُجتَلَد القوم وهم يجتلدون ، فقال : الآنَ حَمِيَ الوَطِيس .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن جابر عن أبيه جابر بن عبد الله ، قال : بينا ذلك الرجل من هَوازن صاحبُ الراية على جمله يصنع مايصنع ، إذ هوى له علىّ بن أبى طالب رضوان الله عليه ورجل من الأنصار يريدانه ، قال : فيأتيه علىّ بن أبى طالب من خلفه ، فضرب عُرْقُوبَى الجمل ، فوقع على عجزه ، ووثب الأنصارىّ على الرجل ، فضربه ضربة أطَنَّ قَدَمَه بنصف ساقه ، فانجعف عن رحله ، قال : واجتلد الناس ، فوالله مارجَعَتْ راجعة الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الأسارى مكتّفين عند رسولِ الله صلى الله عليه وسلم .

قال : والتفت رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى أبى سفيان بن الحارث ابن عبد المطلب ، وكان ممن صَبَرَ يومئذ مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وكان حَسَن الإسلام حين أسلم ، وهو آخذ بثَفَر بغلته ، فقال من هذا ؟ قال: أنا ابن أمك يارسول الله .

رأى أم سليم

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر : أن رسولَ الله صلى الله

رفع المسا هم

عليه وسلم التفت ، فرأى أمّ سُلَيم بنت مِلْحان ، وكانت مع زوجها أبى طَلْحَة وهى حازمة وسطها ببُرد لها ، وإنها لحامل بعبد الله بن أبى طلحة ، ومعها جملُ أبى طلحة ، وقد خشيت أن يَعُزَّها الجمل ، فأدنت رأسه منها ، فأدخلت يدها فى خِزامته مع الخِطام ، فقال لها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أمّ سُلَيم ؟ قلت : نعم ، بأبى أنت وأمى يارسول الله ، اقتُلْ هؤلاء الذين ينهزمون عنك كما تقتل الذين يُقاتلونك ، فإنهم لذلك أهل ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أو يكفى الله يا أمّ سُلَيم ؟ قال : ومعها خِنْجَر ، فقال لها أبو طلحة : ماهذا الخِنْجَر معك يا أمّ سُلَيم ؟ قالت : خِنجَر أخذته ، إنْ دنا منى أحدٌ من المُشْركين بَعَجْته به . قال : يقول أبو طلحة : ألا تسمعُ يارسول الله ماتقول أمّ سُلَيم الرُّمَيْصاء .

شعر مالك بن عوف فى الهزيمة

قال ابن إسحاق : وقد كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، حين وَجه إلى حُنين ، قد ضمّ بنى سُلَيْم الضحاك بن سُفْيانَ الكِلابى ، فكانوا إليه ومعه ، ولما انهزم الناس قال مالك بن عوف يَرْتجزُ بفرسه :

أَقدِمْ مُحاجُ إنّه يومٌ نُكُرْ　　　مِثْلى على مِثْلكَ يَحْمى ويَكُرّ
إذا أُضيعَ الصَّفُّ يَوْماً والدُّبُرْ　　　ثم احزألَّتْ زُمَرٌ بعــد زُمَرْ
كَتائبٌ يكلُّ فيهنّ البَصَرْ　　　قد أطْعُن الطَّعنة تَقْذِى بالسُّبُر
حين يُذَمُّ المُسْتَكِينُ المنجَحِرْ　　　وأطعنُ النَّجلاء تَعْوِى وتَهِرْ

لهَا مِنَ الجوْف رَشاشٌ مُنْهَمِرْ   تَفهَقُ تاراتٍ وحيناً تنفَجِرْ

وثعلبُ العامِلِ فيها مُنْكَسِرْ   يازَيْدُ يابن هَمْهَمٍ أيْنَ تفِرْ

قد نَفِدَ الضِّرْسُ وقد طال العُمُرْ   قد علم البيضُ الطّويلاتُ الخُمُرْ

أنِّىَ فى أمْثالها غيرُ غَمِرْ   إذْ تُخْرِجُ الحاصنُ من تحت السُّتُرْ

وقال مالك بن عوف أيضاً :

أَقْدِمْ مُحاجُ إنَّها الأساوِرَهْ   ولا تَغُرَّنَّكَ رِجْل نادِرِه

قال ابن هشام : وهذان البيتان لغير مالك بن عوف فى غير هذا اليوم .

من قَتل قتيلا فله سلبه

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، أنه حُدِّث عن أبى قتادة الأنصارى قال : وحدثنى من لا أتهم من أصحابنا ، عن نافع مولى بنى غِفار أبى محمد عن أبى قتادة ، قالا : قال أبو قتادة : رأيت يوم حُنَيْن رجلين يقتتلان : مسلماً ومشركا ، قال : وإذا رجل من المُشركين يريد أن يعين صاحبه المشرك على المسلم . قال : فأتيته فضربت يده فقطعتُها ، واعتنقنى بيده الأخرى ، فوالله ما أرسلنى حتى وجدت ريح الدم ــ ويروى : ريح الموت ، فيما قال ابن هشام . وكاد يقتلنى ، فلولا أن الدم نزفه لقتلنى ، فسقط ، فضربته فقتلته ، وأجهضنى عنه القتال ، ومرّ به رجل من أهل مكة فسلبه ، فلما وضعت الحرب أوزارها وفرغنا من القوم ، قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : من قَتل قتيلا فله سَلَبُه ، فقلت : يارسول الله ، والله لقد قتلت قتيلا ذا سَلَب ، فأجهضنى عنه

القتال ، فما أدرى مَن استلبه ؟ فقال رجل من أهل مكة : صدق يارسول الله ، وسَلَبُ ذلك القتيل عندى ، فأرْضِه عنى مِنْ سَلَبه ، فقال أبو بكر الصدّيق رضى الله عنه : لا والله ، لا يرضيه منه ، تَعْمِد إلى أسَدٍ من أُسْدِ الله ، يقاتل عن دين الله ، تقاسمه سَلَبه ! اردد عليه سَلَب قتيله ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : صدق فاردد عليه سَلَبه . فقال أبو قتادة : فأخذته منه ، فبعته ، فاشتريت بثمنه مَخْرَفاً ، فإنه لأوّلُ مالٍ اعتَقَدْتُه .

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم ، عن أبى سلمة ، عن إسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة ، عن أنس بن مالك ، قال : لقد استلب أبو طلحة يومَ حُنَين وحدَه عشرين رجلا .

نزول الملائكة

قال ابن إسحاق : وحدثنى أبى إسحاق بن يَسار ، أنه حدث عن جُبَيْر ابن مُطْعِم ، قال : لقد رأيتُ قبل هزيمة القوم ، والناس يَقتَتِلون مثل البِجَادِ الأسْوَد ، أقبل من السماء حتى سقط بيننا وبين القوم ، فنظرت ، فإذا نمل أسود مَبْثُوثٌ قد ملأ الوادى ، لم أشكّ أنها الملائكة ، ثم لم يكن إلا هزيمة القوم .

هزيمة المشركين من أهل حنين

قال ابن إسحاق : ولما هزم الله المشركين من أهل حُنَين ، وأمكن رسولَه صلى الله عليه وسلم منهم ، قالت امرأة من المسلمين :

رفع المستهم

قد غلبت خَيلُ اللهِ خَيْلَ اللاتِ ... واللهُ أحَقُّ بالثَّباتِ

قال ابن هشام : أنشدنى بعض أهل العلم بالرواية للشعر :

غَلَبَتِ خَيْلَ اللهِ خَيْلَ اللاتِ ... وخَيْلُهُ أحَقُّ بالثَّباتِ

قال ابن إسحاق : فلما انهزمت هوازن استحرّ القتل من ثقيف فى بنى مالك ، فقُتل منهم سبعون رجلا تحت رايتهم ، فيهم عثمان بن عبد الله بن ربيعة ابن الحارث بن حبيب ، وكانت رايتهم مع ذى الخِمار فلما قُتِل أخذها عثمان ابن عبد الله فقاتل بها حتى قُتل .

قال ابن إسحاق : وأخبرنى عامر بن وهب بن الأسود ، قال : لما بلغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قتلُه ، قال : أبعده الله ! فإنه كان يُبغضُ قريشاً .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يعقوب بن عُتبة بن المُغيرة بن الأخنس . أنه قُتل مع عثمان بن عبد الله غلامٌ له نصرانىّ أغْرَلُ ، قال : فبينا رجل من الأنصار يسلُب قَتْلى ثقيف ، إذ كشف العبدَ يسلُبُه ، فوجده أغْرَلَ . قال : فصاح بأعلى صوته : يامعشر العرب : يعلم الله أنّ ثقيفاً غُرْل . قال المُغيرة ابن شُعبة : فأخذتُ بيده ، وخشيت أن تذهب عنا فى العرب ، فقلتُ : لا تقل ذاك ، فداك أبى وأمى ، إنما هو غلام لنا نصرانى . قال : ثم جعلت أكشف له عن القتلى ، وأقول له : ألا تراهم مختتنين كما ترى !

قال ابن إسحاق : وكانت راية الأحلاف مع قارب بن الأسود ، فلما انهزم الناس أسند رايته إلى شجرة ، وهرب هو وبنو عمه وقومه من الأحلاف ،

فلم يُقتل من الأحلاف غيرُ رجلين : رجلٍ من غِيَرَة ، يقال له وهب ، وآخر من بنى كُبَّة ، يقال له الجُلاح ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه قتل الجلاح : قُتِل اليوم سيدُ شباب ثقيف ، إلاَّ ما كان من ابن هنيدة ، يعنى بابن هُنيدة الحارث بن أُوَيس .

رائية ابن مرداس

فقال عبّاس بن مرداس السُّلَمى يذكر قارب بن الأسود وفرارَه من بنى أبيه وذا الخمار وحَبْسه قومَه للموت :

أَلا مَنْ مُبَلِّغٌ غَيْلانَ عَنِّى ... وسَوْفَ - إِخالُ - يأتيه الخَبِيرُ
وعُرْوَةَ إِنَّمَا أُهْدِى جَوَابًا ... وقَوْلاً غيرَ قولِكُمَا يَسِيرُ
بِأَنَّ مُحَمَّدًا عبدٌ رسول ... لربٍّ لا يَضِلُّ ولا يَجُورُ
وجدْناه نَبِيًّا مثل مُوسَى ... فكلُّ فَتًى يُخايِرُهُ مَخِيرُ
وَبِئْسَ الأَمْرُ أَمْرُ بَنِى قَسِىٍّ ... بِوَجَّ إِذْ تُقُسِّمَتِ الأُمُورُ
أَضَاعُوا أَمْرَهُمْ ولكلِّ قَوْمٍ ... أميرٌ والدَّوائِرُ قد تَدُورُ
فَجِئْنا أُسْدَ غاباتٍ إِليهِمْ ... جُنُودُ اللهِ ضاحيةً تَسِيرُ
يؤُمُّ الجَمْعَ جمعَ بَنِى قَسِىٍّ ... عَلَى حَنَقٍ نَكادُ له نَطِيرُ
وأُقْسِمُ لو هُمُ مَكَثُوا لَسِرْنا ... إِليهِمْ بالجُنود ولم يَغُورُوا
فَكُنَّا أُسْدَ لِيَّةَ ثَمَّ حتى ... أَبَحْناها وأُسْلِمَتِ النُّصُورُ
ويومٌ كانَ قَبْلُ لَدَى حُنَيْنٍ ... فأَقْلَعَ والدِّماءُ به تَمُورُ

حِينَ الأيَّامِ لم تَسْمَع كَيومٍ ... ولم يَسْمَعْ به قَوْمٌ ذُكُورُ
قَتَلْنا فى الغَبار بنى حُطَيْطٍ ... على راياتها والخَيْلُ زُورُ
ولم يك ذو الخِيار رئيسَ قَوْمٍ ... لهم عَقْلٌ يُعاقب أو مَكِيرُ
أقامَ بِهِمْ على سَنَنِ المَنايا ... وقد بانَتْ لِمُبْصِرِها الأُمُورُ
فأفْلَتَ مَنْ نَجا منهمْ جَرِيضاً ... وقُتِّلَ منهمُ بَشَر كَثيرُ
وَلا يُغْنِى الأُمُورَ أخُو التَّوانى ... ولا الغَلِق الصُّرَيِّرَةُ الحَصُورُ
أحانَهُمُ وحانَ ومَلَّكُوهُ ... أُمُورَهُمُ وأفْلَتَتِ الصُّقُورُ
بنو عوف تَمِيح بِهِم جِيادٌ ... أُهِينَ لها الفَصافِصُ والشَّعِيرُ
فلَوْلا قارِبٌ وبنو أبيهِ ... تُقُسِّمَتِ المزارعُ والقُصُورُ
ولكِنَّ الرِياسَةَ عُمِّموها ... على يُمْنٍ أشار به المُشِيرُ
أطاعوا قارِباً ولهم جدود ... وأحلام إلى عِزٍّ تَصيرُ
فإنْ يُهْدَوْا إلى الإسلامِ يُلْفَوْا ... أُنُوفَ النَّاسِ ما سَمَر السَّمِيرُ
وإن لم يُسْلِمُوا فهم أذانٌ ... بحرب الله ليسَ لهم نَصيرُ
كما حَكَّتْ بنى سَعْدٍ وحَرْبٌ ... برَهْط بنى غَزِيَّةَ عَنْقَفِيرُ
كأنَّ بنى مُعاوِيَةَ بنِ بَكْرٍ ... إلى الإسلامِ ضائِنَةٌ تَخُورُ
فقُلْنا أسْلِمُوا إنَّا أخُوكُمْ ... وقد بَرِأَتْ مِنَ الإحَنِ الصُّدورُ
كأنَّ القومَ إذْ جاءوا إلينا ... مِنَ البَغْضاء بعد السِّلْم عُورُ

قال ابن هشام: غَيلان: غَيلان بن سَلَمة الثقفى، وعُروة: عروة بن مسعود الثَّقَفى.

مصرع دريد

قال ابن إسحاق : ولما انهزم المشركون ، أتوا الطائف ومعهم مالك ابن عَوف وعسكر بعضهم بأوْطاس ، وتوجَّه بعضهم نحو نَخْلة ، ولم يكن فيمن توجه نحو نخلة إلا بنو غِيَرَة من ثقيف ، وتبعت خيلُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم من سلك فى نخلة من الناس ، ولم تتبع من سلك الثنايا .

فأدرك ربيعة بن رُفَيْع بن أُهبان بن ثعلبة بن ربيعة بن يربوع بن سَمَّال ابن عوف بن امرىء القيس ، وكان يقال له ابن الدُّغُنَّة وهى أمه ، فغلبت على اسمه ، ويقال : ابن لذعة فيما قال ابن هشام-دُرَيْد بن الصمة ، فأخذ بخطام جمله وهو يظنّ أنه امرأة ، وذلك أنه فى شِجَار له ، فإذا برجل ، فأناخ به ، فإذا شيخ كبير ، وإذا هو دُرَيْدُ بن الصِّمَّة ولا يعرفه الغلام ، فقال له دُرَيد : ماذا تريد بى ؟ قال : أقتلك . قال : ومن أنت ؟ قال أنا ربيعة بن رُفَيْع السُّلَمىّ ، ثم ضربه بسيفه ، فلم يُغْن شيئاً ، فقال : بئس ما سَلَّحتك أمك ! خذ سيفى هذا من مؤخَّر الرحل ، وكان الرحل فى الشِّجار ، ثم اضرب به ، وارفع عن العظام ، واخفض عن الدماغ ، فإنى كنت كذلك أضرب الرجال ، ثم إذا أتيتَ أمَّك فأخبرها أنك قتلت دُرَيْد بن الصِّمَّة ، فرُبَّ والله يوم قد منعتُ فيه نساءَك . فزعم بنو سليم أن ربيعة لما ضربه فوقع تكشَّف ، فإذا عِجانه وبطون فَخِذيه مثل القِرْطاس ، من ركوب الخيل أعراء ؛ فلما رجع ربيعة إلى أمه أخبرها بقتله إياه ، فقالت : أما والله لقد أعتق أمَّهات لك ثلاثاً .

رفع
المستهم

فقالت عَمْرَةُ بنت دُرَيْد فى قتل رَبيعةَ دُرَيداً :

لعمرُكَ ما خشيتُ على دُرَيْدٍ ببطن سُمَيْرَةٍ جَيْشَ العَنَاقِ
جَزَى عنهُ الإلهُ بنى سُلَيْمٍ وعقَّتْهُمْ بما فعلوا عَقَاقِ
وأسقانا إذا قُدْنا إليهم دِماءَ خِيارهم عند التَّلاقى
فرُبَّ عظيمة دافعتَ عنهم وقد بَلَغَتْ نفوسُهُم التَّراقى
ورُبَّ كريمةٍ أعتقتَ منهمْ وأخرى قد فككتَ من الوَثاقِ
ورُبَّ مُنَوِّهٍ بكَ مِن سُلَيمٍ أجَبْتَ وقد دَعاكَ بلا رَماقِ
فكانَ جزاؤُنا منهمْ عُقوقاً وهَمّاً ماعَ منهُ مُخُّ ساقى
عَفَتْ آثار خَيلك بعد أيْنٍ بذِى بَقَرٍ إلى فَيْفِ النُّهاقِ

وقالت عَمْرة بنت دُرَيد أيضاً :

قالوا قتلنا دُرَيداً قلتُ قد صَدَقوا فظلّ دمعى على السربال يَنْحدرُ
لَوْلا الَّذى قَهَرَ الأَقوَامَ كُلَّهُمُ رأت سُلَيْمٌ وكَعْب كيف تأتمرُ
إذَنْ لصَبَّحهم غِبّاً وظاهِرَةً حيثُ استقرّتْ نوامُمْ جَحْفَلٌ ذَفِرُ

قال ابن هشام : ويقال اسم الذى قتل دُرَيداً : عبد الله بن قُنَيْع بن أُهْبان بن ثَعْلبة بن رَبيعة

مصرع أبى عامر الأشعرى

قال ابن إسحاق : وبعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى آثار من توجّه قِبَل أَوْطاسٍ أبا عامر الأشعرى ، فأدرك من الناس بعضَ من انهزم ،

فناوشوه القتال ، فرُمِى أبو عامر بسهم فقتُِل ؛ فأخذ الراية أبو موسى الأشعرىّ ، وهو ابن عمه ، فقاتلهم ، ففتح الله على يديه ، وهزمهم . فيزعمون أن سَلَمة بن دُرَيْد هو الذى رَمى أبا عامر الأشعرى بسهم ، فأصاب ركبته ، فقتله ، فقال :

إنْ تَسألوا عنى فإنى سَلَمَهْ ابنُ سَمادِر لِمَنْ تَوَسَّمَهْ
أضربُ بالسّيف رُءوس المسْلِمَهْ

وسمادير : أمه .

حال بنى رِئاب فى المعركة

واستحرّ القتل من بنى نَصر فى بنى رِئاب، فزعموا أن عبد الله بن قَيْس — وهو الذى يُقال له ابن العَوْراء ، وهو أحد بنى وَهْب بن رِئاب — قال : يارسولَ الله ، هلَكت بنو رِئاب فزعموا أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال : اللهمّ اجْبُر مُصيبَتهم .

موقف قوم مالك بن عوف

وخرج مالك بن عوف عند الهزيمة ، فوقف فى فَوارس من قومه ، على ثَنِيّـةٍ من الطَّريق ، وقال لأصحابه : قِفُوا حتى تمضِى ضُعَفاؤُكم ، وتَلْحق أُخراكم . فوقف هناك حتى مضَى مَن كان لِحَق بهم من مُنْهزِمة الناس ؛ فقال مالك بن عَوْف فى ذلك :

. . . .

ولولا كَرَّتانِ على مُحاجٍ ... لضاق على العَضاريط الطَّريقُ
ولولا كَرُّ دُهْمانَ بن نَصر ... لدَى النَّخَلاتِ مُنْدَفَع الشَّديق
لآبَتْ جعفرٌ وبنو هِلال ... خَزَايا مُحْتَقِبين على شُقُوق

قال ابن هشام : هذه الأبيات لمالك بن عَوْف في غير هذا اليوم . ومما يدُلك على ذلك قولُ دُرَيد بن الصِّمَّة في صَدْر هذا الحديث : مافعلت كعب وكلاب ؟ فقالوا له : لم يَشْهدها منهم أحد . وجعفرٌ بن كلاب . وقال مالك ابن عوف في هذه الأبيات : « لآبَتْ جعفرٌ وبنو هلال » .

قال ابن هشام : وبلغني أن خيلا طلعت ومالك وأصحابه على الثَّنيَّة ، فقال لأصحابه : ماذا تَرَوْن ؟ فقالوا : نرى قوْماً واضعي رِماحهم بين آذان خيلهم ، طويلةً بوادُهم ؛ فقال : هؤلاء بنو سُلَيم ، ولا بأسَ عليكم منهم ؛ فلما أقبلوا سلكوا بطن الوادي . ثم طلعت خيل أخرى تتبعها ، فقال لأصحابه : ماذا تَرَوْن ؟ قالوا : نرى قوماً عارضي رِماحهم ، أغفالا على خيلهم ؛ فقال : هؤلاء الأوْس والخزْرَج ، ولا بأس عليكم منهم فلما انتهَوْا إلى أصل الثَّنيَّة سلكوا طريق بني سُلَيم . ثم طلع فارس ؛ فقال لأصحابه : ماذا تَرَوْن ؟ قالوا : نرى فارساً طويل البادِّ ، واضعاً رمحه على عاتقه ، عاصباً رأسه بملاءة حمراء ، فقال هذا الزُّبير بن العوَّام وأحلِف باللاَّت ليخالطَنَّكم ، فاثبُتوا له . فلما انتهى الزُّبير إلى أصل الثَّنيَّة أبصر القوم ، فصَمَد لهم ، فلم يزل يُطاعِنهم حتى أزاحهم عنها .

شعر سلمة في فرارة

قال ابن إسحاق : وقال سَلَمَةَ بن دُرَيْد وهو يسوق بامرأته حتى أعجزهم :

نَسَّيْتِنِى ما كنتِ غيرَ مُصابَةٍ ولقد عرفتِ غداةَ نَعْفِ الأظْرُبِ
أنى مَنَعْتُكِ والرُّكُوبُ مُحَبَّبٌ ومَشَيْتُ خَلْفَكِ مثلَ مَشْيِ الأنكَبِ
إذ فرّ كلُّ مُهَذَّبٍ ذى لِمَّـةٍ عَنْ أُمِّهِ وخَلِيلِه لم يَعْقُبِ

عود إلى حديث مصرع أبي عامر

قال ابن هشام : وحدثني من أثق به من أهل العلم بالشعر ، وحديثه : أن أبا عامرٍ الأشعريّ لقى يوم أوْطاس عشرةَ إخوة من المشركين ؛ فحمل عليه أحدُهم ، فحمل عليه أبو عامر وهو يدعوه إلى الإسلام ويقول : اللهمّ اشهد عليه ، فقتله أبو عامر ؛ ثم حمل عليه آخر ؛ فحمل عليه أبو عامر ، وهو يدعوه إلى الإسلام ويقول : اللهمّ اشهد عليـه ، فقتله أبو عامر . ثم جعلوا يحملون عليه رجلا رجلا ، ويحمل أبو عامر وهو يقول ذلك ، حتى قتل تسعة ، وبقى العاشر ، فحمل على أبى عامر ، وحمل عليه أبو عامر ، وهو يدعوه إلى الإسلام ويقول : اللهمّ اشهد عليه ؛ فقال الرجل : اللهمّ لا تشهد علىّ ، فكفّ عنه أبو عامر ، فأفلت ؛ ثم أسلم بعـد فحَسُن إسلامه . فكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إذا رآه قال : هذا شَريدُ أبى عامر . ورمى أبا عامر أخَوانِ : العلاء وأوفى ابنا الحارث ، من بنى جُشَم بن معاوية ، فأصاب أحدُهما قلبَـه ، والآخر رُكبته ، فقتـلاه . ووَلِىَ الناسَ أبو موسى الأشعرى فحمل

عليهما فقتلهما ، فقال رجل من بنى جُشَم بن معاوية يرثيهما :

إنَّ الرَّزِيَّةَ قَتْــلُ العَـلاء وأوْفَى جَمِيعاً ولَمْ يُسْنَدَا
هُما القاتِلانِ أبا عامِرٍ وقد كان ذا هَبَّـةٍ أرْبَدَا
هُما ترَكاه لدَى مَعْـرَكٍ كأنَّ على عِطْفه مُجْسَدَا
فلم تَرَ فى النّاسِ مِثْلَيْهِما أقَـلَّ عِثاراً وأرْمَى يَدَا

النهى عن قتل الضعفاء

قال ابن إسحاق: وحدثنى بعض أصحابنا : أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم مر يومئذ بامرأة وقد قتلها خالد بن الوليد ، والناس مُتَقَصِّفُون عليها ، فقال : ماهذا ؟ فقالوا : امرأة قتلها خالد بن الوليد ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبعض من معه : أدرِكْ خالداً ، فقل له : إن رسولَ الله ينهاك أن تقْتل وَليـداً أو امرأة أو عسيفاً .

شأن الشيماء وبجاد

قال ابن إسحاق ، وحدثنى بعض بنى سعـــد بن بكر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يومئـذ : إن قَدَرتم على بِجادٍ ، رجل من بنى سعد ابن بكر ، ولا يَفْلِتَنّـكم ، وكان قد أحدث حَدَثاً ، فلما ظفِر به المسلمون ساقوه وأهله ، وساقوا معه الشَّيْماءَ ، بنت الحارث بن عبـد العُزّى أختَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم من الرّضاعة ، فعَنُفُوا عليها فى السِّياق ، فقالت المسلمين : تعلّموا والله أنى لأختُ صاحبكم من الرّضاعة ؛ فلم يصدّقوها حتى أتَوْا بهـا إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم .

رفع
المسهم
عبد الله إبراهيم

قال ابن إسحاق : فحدثني يزيد بن عُبيد السَّعْدى ، قال : فلما انتُهِىَ بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : يارسول الله ، إنى أختك من الرضاعة ؛ قال : وما علامة ذلك ؟ قالت : عَضَّة عضضتنيها فى ظهرى وأنا مُتَوَرِّكَتُك ؛ قال : فعرف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم العلامة ، فبسط لها رداءه ، فأجلسها عليه ، وخيَّرها ، وقال : إن أحببتِ فعندِى مُحَبَّةً مُكْرَمَة ، وإن أحببْتِ أن أمتِّعَك وترجعى إلى قومك فعلتُ ؛ فقالت : بل تمتِّعُنى وتردُّنى إلى قومى ، فمتَّعها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وردَّها إلى قومها . فزعمت بنو سعد أنه أعطاها غلاماً له يقال له مكحول ، وجارية ، فزوَّجت أحدَهما الأخرى ، فلم يزل فيهم من نسلهما بقية .

قال ابن هشام : وأنزل الله عزّ وجلّ فى يوم حُنين : ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ ﴾ .. إلى قوله : ﴿ وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴾ .

شهداء يوم حنين

قال ابن إسحاق : وهذه تسمية من استُشْهِد يوم حُنَيْن من المسلمين :

من قريش ثم من بنى هاشم : أيْمَن بن عُبيد .

ومن بنى أسد بن عبد العُزَّى : يزيد بن زَمَعَة بن الأسود بن المطَّلب ابن أسد ، جَمَح به فرس له يقال له الجناح ، فقُتل .

ومن الأنصار : سُراقة بن الحارث بن عدىّ ، من بنى العجلان .

ومن الأشعريين: أبو عامر الأشعري.

سبايا حنين يجمعون

ثم جُمِعتْ إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم سبايا حُنَيْن وأموالها، وكان على المغانم مسعودُ بن عمرو الغِفاريّ، وأمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالسَّبايا والأموال إلى الجِعْرَانة، فحُبِسَتْ بها.

شعر بجير يوم حنين

وقال بُجَير بن زُهَير بن أبي سُلْمَى في يوم حُنَيْن:

لوْلا الإلهُ وعَبْدُه وَلَّيْتُم ... حين استخفَّ الرُّعبُ كُلَّ جبانِ

بالجِزع يوْمَ حبا لَنا أقرانُنا ... وسَوَابِحٌ يَكْبُون للأذقانِ

مِنْ بينِ ساعٍ ثوبُهُ في كَفِّهِ ... ومقطَّرٍ بسَنابكٍ ولَبانِ

واللهُ أكْرَمَنا وأظْهَرَ دِينَنا ... وأعَزَّنا بعِبادَةِ الرَّحمنِ

واللهُ أهلَكَهُمْ وَفرَّقَ جمْعَهُمْ ... وأذلَّهُمْ بعِبادَةِ الشَّيطانِ

قال ابن هشام: ويَرْوِي فيها بعضُ الرُّواة:

إذْ قامَ عَمُّ نبيِّكم ووَليُّه ... يدعُون: لِكتيبةِ الإيمانِ

أين الذينَ هُمُ أجابوا ربَّهُمْ ... يوْمَ العُرَيض وبَيْعة الرِّضْوانِ

شعر لعباس بن مرداس في يوم حنين

قال ابن إسحاق: وقال عباس بن مِرداس في يوم حُنَين:

إنى والسَّوابحَ يومَ جَمْعٍ ... وما يَتلو الرَّسولُ مِن الكِتابِ
لقد أحببتُ ما لَقِيتْ ثَقِيفٌ ... بجَنْب الشِّعْب أمسٌ من العذاب
هُمُ رأسُ العدوِّ من اهلِ نَجْدٍ ... فقتلُهمُ ألذُّ مِنَ الشَّرابِ
هَزَمْنا الجَمْعَ جمعَ بَنى قَسِيٍّ ... وحَكَّتْ بَرْكَها ببنى رِئاب
وصِرْماً من هِلالٍ غادرتْهمْ ... بأَوطاس تُعَفَّرُ بالتُّرابِ
ولو لاقَيْنَ جَمْعَ بَنِى كِلابٍ ... لَقامَ نِساؤُهم والنَّقْع كابى
رَكَضْنا الخيلَ فيهم بين بُسٍّ ... إلى الأَوْرال تَنْحِطُ بالنِّهابِ
بذى لَجَبٍ رسولُ الله فيهم ... كتيبتَهُ تَعرَّضُ للضِّراب

قال ابن هشام: قوله «تُعَفَّر بالتراب»: عن غير ابن إسحاق.

ابن عفيِّف يرد على ابن مرداس

وأجابه عطية بن عُفَيِّف النَّصْرِيّ، فيما حدثنا ابن هشام، فقال:

أفاخِرَةٌ رِفاعةُ فى حُنَيْنٍ ... وعبَّاس بن رَاضِعةِ اللِّجابِ
فإنَّكَ والفِجارَ كذَاتِ مِرْطٍ ... لرَبَّتِها وتَرْفُلُ فى الإهابِ

قال ابن إسحاق: قال عطية بن عُفَيِّف هذين البيتين لمَّا أكثرَ عباسٌ على هَوَازن فى يوم حُنَين ورفاعة من جُهَينة

شعر آخر لعباس بن مرداس

قال ابن إسحاق : وقال عباس بن مرداس أيضاً :

يا خاتم النُّبآء إنّكَ مُرْسَلٌ بالحقِّ كلُّ هُدى السَّبيل هُداكا
إنَّ الإلهَ بنى عليكَ محبَّــةً في خَلْقِهِ ومُحَمَّــداً سَمَّاكا
ثمَّ الذينَ وَفَوْا بما عاهدتَهم جُنْدٌ بعثْتَ عليهمُ الضَّحَّاكا
رجُــلاً به ذَرَبُ السِّلاح كأنَّه لما تَكنَّفَه العَدُوُّ يَرَاكا
يغشَى ذوِي النَّسَب القَريب وإنما يبغي رِضاَ الرَّحمن ثم رضاكا
أُنبيكَ أني قد رأيتُ مَكَرَّهُ تحتَ العَجاجَة يدْمَغُ الإشراكا
طَوْراً يُعانِق باليَدَينِ وتارةً يَفْرِي الجماجِمَ صارماً بتَّاكا
يغشَى به هامَ الكماة ولو ترى منه الذي عاينتُ كان شِفاكا
وبنو سُلَيْم مُعْنِقُون أمامه ضَرْباً وطَعْناً في العدوِّ دِراكا
يمشُون تحتَ لِوائِهِ وكأنَّهمْ أُسْدُ العَرِينِ أرَدْنَ ثَمَّ عِراكا
ما يَرْتجُون مِن القَريبِ قرابةً إلاّ لطاعةِ ربِّهم وَهَوَاكا
هذِي مَشاهدُنا التي كانَتْ لَنا مَعْروفةً وَوَليُّنا مَوْلاكا

وقال عباس بن مرداس أيضاً :

إمّا تَرَيْ يا أمَّ فرْوةَ خَيْلَنا منها مُعَطَّــلة تُقاد وظُلَّعُ
أوْهَى مُقارَعَةُ الأعادِي دمَّها فيها نوافذُ مِن جِراحٍ تَنْبَعُ

فلربَّ قائلةٍ كفاها وَقْعُنا ... أزْمَ الحروب فسِرْبُها لا يُفْزَعُ

لا وَفْدَ كالوفْدِ الألَى عقدوا لنا ... سَبَباً بحَبْلِ محمدٍ لا يُقطع

وفد أبو قطَنٍ حُزابة منهمُ ... وأبو الغُيوث وواسعٌ والمِقْنع

والقائد المِئَة التى وفَّى بها ... تسْعَ المِئِين فتمّ ألفٌ أقرعُ

جمعتْ بنو عوْف ورهط مُخاشِن ... ستاً وأحْلب من خُفافٍ أربعُ

فهناك إذْ نُصِرَ النَّبيُّ بألفِنا ... عقدَ النَّبِيّ لنا لواء يَلْمَعُ

فُزْنا برايَتِهِ وأوْرَثَ عَقْدُه ... مَجْدَ الحياة وسُودَداً لا يُنزَعُ

وغداةَ نحنُ معَ النَّبيِّ جناحُه ... ببِطاحِ مكَّة والقَنا يَتهزَّعُ

كانَتْ إجابَتُنا لداعِى رَبِّنا ... بالحقِّ منَّا حاسرٌ ومُقَنَّعُ

فى كُلِّ سابِغَةٍ تخَيَّر سَرْدَها ... داودُ إذ نَسَجَ الحديدَ وتُبَّعُ

ولَنا على بِئرَىْ حُنَيْنٍ موكِبٌ ... دَمِغَ النِّفاقَ وهَضْبَة ما تُقْلَع

نُصِرَ النَّبيّ بنا وكُنّا مَعْشَراً ... فى كُلِّ نائبَةٍ نَضُرّ ونَنْفَعَ

ذُدْنا غداتَئِذٍ هوازِنَ بالقَنا ... والخيْلُ يغمُرُها عَجاجٌ يَسْطَعُ

إذْ خافَ حَدَّهم النبيُّ وأسْندوا ... جمعاً تكاد الشَّمْسُ منه تَخشعُ

تُدْعَى بنو جُشَمٍ وتُدعَى وَسْطه ... أفْناء نَصْرٍ والأسِنَّةُ شُرَّعُ

حتى إذا قالَ الرّسولُ محمَّدٌ ... أبنى سُلَيْم قد وَفَيْتُمْ فارْفعوا

رُحْنا ولولا نحنُ أجْحَفَ بأسُهم ... بالمُؤمنين وأحْرَزُوا ما جَمَّعُوا

وقال عباس بن مرداس أيضاً فى يوم حُنَين :

عفا مِجْدَلٌ مِن أهْلِهِ فَمُتالِعُ ... فَمِطْلا أريكٍ قد خَلا فالمَصانِعُ

دِيارٌ لنا يا جُمْلُ إذ جُلُّ عيشِنا ... رخيٌّ وصرف الدار للحَيِّ جامعُ
حُبَيِّبَــةٌ أَلْوتْ بها غُرْبة النَّوى ... لِبَيْنٍ فهل ماضٍ من العَيْش راجعُ
فإن تبْتَغى الــكُفَّارَ غيرَ ملومة ... فإنى وزيرٌ للنَّــبِيِّ وتابع
دعانا إليهم خَــيْرُ وفْد عَلِمتُهم ... خُزَيْمَةُ والمَرّار منهُم وواسعُ
فجئنا بألفٍ من سُلَيْم عليهمُ ... لَبُوسٌ لهم من نَسْج داوُدَ رائعُ
نُبايِعُــهُ بالأَخْشَبَيْنِ وإنّما ... يَدَ اللهِ بينَ الأَخْشَبَيْنِ نُبايعُ
فجُسْنا معَ المَهْدِيِّ مكّةَ عَنْوَةً ... بأسْيافنا والنَّــقْعُ كابٍ وساطعُ
عَلانيةً والخَيْلُ يَغْشَى مُتونَها ... حميمٌ وآنٍ من دَمِ الجَوْف ناقع
ويومَ حُنَيْن حين سارت هوَازنٌ ... إلينا وضاقتْ بالنُّفوس الأضالعُ
صَبَرْنا مع الضَّحّاك لايستفِزّنا ... قِراعُ الأعادِى منهُم والوقائعُ
أمامَ رسولِ اللهِ يخفِقُ فوقَنا ... لواءٌ كخُذْرُوف السَّحابة لامعُ
عشيةَ ضحاكُ بنُ سُفيانَ معتصٍ ... بسيفِ رسول اللهِ والموتُ كانعُ
نَذُود أخانا عن أخينا ولو نَرَى ... مَصالاً لــكُنّا الأقربينَ نتابعُ
ولــكن دينَ اللهِ دينُ محمَّــدٍ ... رضينا به فيه الهُدَى والشَّرائعُ
أقامَ به بعد الضَّلالةِ أمْرَنا ... وليس لأمْرٍ حَمَّــهُ اللهُ دافِعُ

وقال عباس بن مرداس أيضاً فى يوم حُنَــيْن :

تَقَطَّعَ باقى وَصْلِ أُمّ مُؤَمَّلٍ ... بعاقبة واستبدَلَتْ نِيَّــةً خُلُفا
وقد حلَفَتْ بالله لاتقطعُ القُوَى ... فما صَدقَت فيه ولا بَرَّت الحَلِفا

خُفافِيَّـــة بَطْنُ العَقِيق مَصِيفُها — وتحتلّ فى البادين وَجْرَة فالعُرْفا

فإنْ تَتْبَعِ الكُفّارَ أمُّ مُؤَمَّلٍ — فقد زوّدتْ قلبى على نأيها شَغْفا

وسوفَ يُنبِّيها الخبيرُ بأنّنا — أَبَيْنا ولم نطلُبْ سِوَى رَبِّنا حِلْفا

وأنَّا مَعَ الهادِى النَّبىِّ محمّدٍ — وَفَينا ولم يستوفها مَعْشَرٌ ألْفا

بِفِتْيان صِدْق من سُلَيم أعزّةٍ — أطاعوا فما يعْصُون من أمرِه حرْفا

خُفافٌ وذَكْوانٌ وعوفٌ تخالهم — مَصاعِبَ زافَتْ فى طَرُوقَتِها كُلْفا

كأنَّ النَّسِيجَ الشُّهْبَ والبيضَ مُلْبَسٌ — أُسُوداً تلاقَتْ فى مَراصدها غُضْفا

بنا عَزَّ دينُ اللهِ غيرَ تَنَحُّل — وزِدْنا على الحىّ الذى معهُ ضِعْفا

بمكّة إذْ جِئْنا كأنَّ لِواءَنا — عُقابٌ أرادتْ بعد تحليقِها خَطْفا

على شُخَّصِ الأبصار تحسِبُ بينها — إذا هِىَ جالت فى مَرَاوِدها عَزْفا

غداةَ وطِئْنا المُشركين ولم نجِدْ — لأمرِ رسولِ الله عَدْلا ولا صَرْفا

بمُعْتَرَكٍ لا يَسْمَعُ القَوْمُ وَسْطَه — لنا زَجْمَة إلا التّذامُرَ والنَّقْفا

بِبيضٍ تُطيرُ الهامَ عن مُسْتَقَرِّها — وتَقْطِفُ أعناقَ الكُماة بها قَطْفا

فكائن تركْنا من قَتيل مُلَحَّبٍ — وأرملَةٍ تدْعو على بَعْلها لَهْفا

رِضَا اللهِ نَنْوِى لا رِضا النّاسِ نَبْتَغِى — وللهِ ما يَبْدُو جميعاً وما يَخْفى

وقال عباس بن مرداس أيضاً :

ما بالُ عَيْنِكَ فيها عائرٌ سَهِرٌ — مثلُ الحماطةِ أغْضَى فوقَها الشُّفُرُ

عَيْنٌ تأوّبها مِنْ شَجْوِها أرَقٌ — فالماءُ يَغْمُرها طَوْراً ويَنْحَدِرُ

كأنّه نظمُ دُرٍّ عند ناظِمةٍ ... تَقَطّع السِّلكُ منه فهو مُنْتَثِرُ
يا بُعْدَ مَنْزِلِ مَنْ ترْجو مودَّتَه ... ومَنْ أتى دُونَه الصُّمّانُ فالحَفَرُ
دَعْ ماتقدّم من عهد الشّباب فقدْ ... وَلّى الشّبابُ وزارَ الشَّيْبُ والزَّعَرُ
واذكُرْ بلاءَ سُلَيْمٍ في مواطنها ... وفي سُلَيْم لأهْلِ الفَخْرِ مُفْتَخَرُ
قَوْمٌ هُم نَصَرُوا الرّحمن واتّبعوا ... دِينَ الرّسولِ وأمرُ النّاسِ مُشْتَجِرُ
لا يَغْرِسونَ فَسِيلَ النَّخلِ وَسْطَهم ... ولا تخاوَرُ في مَشْتاهُم البَقَرُ
إلا سَوابِحَ كالعِقْبانِ مقْرَبةً ... في دارَةٍ حوْلَها الأخْطارُ والعَكَرُ
تَدْعَى خُفافٌ وعَوْفٌ في جوانبها ... وحيُّ ذَكْوانَ لا مِيلٌ ولا ضُجُرُ
الضّارِبونَ جُنودَ الشِّركِ ضاحِيَةً ... ببطْنِ مكّةَ والأرواحُ تَبْتَدِرُ
حتى دَفَعْنا وقَتْلاهُمْ كأنّهُمُ ... نخلٌ بظاهِرَةِ البطْحاءِ مُنْقَعِرُ
ونحنُ يومَ حُنَيْنٍ كانَ مشهَدُنا ... للدين عِزّاً وعندَ الله مُدَّخَرُ
إذ نركبُ الموْتَ مخضرّاً بطائِنُهُ ... والخيْلُ ينجابُ عنها ساطعٌ كَدِرُ
تحت اللِّواءِ مع الضحّاك يقْدُمُنا ... كما مَشَى اللّيثُ في غاباتِهِ الخَدِرُ
في مأزِقٍ من مَجَرِّ الحرْبِ كَلْكَلُها ... تكادُ تأفِلُ منه الشّمسُ والقَمَرُ
وقد صبَرْنا بأوْطاسٍ أسِنّتَنا ... لله نَنْصُرُ مَنْ شِئْنا ونَنْتَصِرُ
حتى تأوّبَ أقوامٌ منازلَهم ... لولا المليكُ ولولا نحنُ ماصَدَرُوا
فما تَرى مَعْشَراً قَلُّوا ولا كَثُرُوا ... إلاّ قدَ اصبَحَ مِنّا فيهم أثَرُ

وقال عبّاس بن مِرْداس أيضاً :

يا أيُّها الرّجلُ الذي تَهْوِي به ... وجْناءُ مُجْمَرَةُ المَناسِمِ عِرْمِسُ

إمَّا أتَيْتَ على النَّبيِّ فقُلْ لَهُ   حقًّا عَليكَ إذا اطْمأنَّ المجْلِسُ
ياخيرَ من رَكِبَ المطِيَّ ومنْ مَشَى   فوقَ التراب إذا تُعَدُّ الأنفُسُ
إنا وَفَيْنا بالذى عاهَدْتَنا   والخيلُ تُقْدَعُ بالكُماة وتُضْرَسُ
إذْ سالَ مِنْ أفناء بُهْثَةَ كُلِّها   جمعٌ تظَلّ به المخارِمِ تَرْجُس
حتى صَبَحْنا أهْلَ مكَّة فَيْلَقًا   شَهْباء يقدُمُها الهُمامُ الأشْوَسُ
من كلِّ أغْلبَ من سُلَيمٍ فوقَهُ   بيضاء مُحْكَمَة الدِّخال وقَوْنَس
يُرْوِى القَناة إذا تَجاسَر فى الوَغَى   وتَخالُه أسَداً إذا مايَعْبِسُ
يَغْشَى الكتيبةَ مُعْلِمًا وبِكَفِّه   عَضْبٌ يَقُدُّ به ولَدْنٌ مِدْعَسُ
وعلى حُنَيْنٍ قد وَفَى مِن جَمْعنا   ألفٌ أُمِدَّ به الرَّسولُ عَرَنْدَسَ
كانُوا أمامَ المُؤمنين دَرِيئةً   والشَّمسُ يومئذ عليهم أشْمُس
نَمْضِى ويَحْرُسُنا الإلهُ بحفظِه   واللهُ ليسَ بضائع من يَحْرُسُ
ولقد حُبِسْنا بالمَناقب مَحْبِسًا   رَضِىَ الإلهُ بِهِ فَنِعْمَ المَحْبِسُ
وغَداةَ أوْطاس شَدَدْنا شَدَّةً   كَفَتِ العدوّ وقيل منها: ياأحبِسُوا
تَدْعُو هوازنُ بالإخاوة بَيْننا   ثَدْىٌ تَمُدّ به هوازنُ أيْبَسُ
حتى تَرَكْنا جَمْعَهم وكأنَّه   عَيْرٌ تَعاقَبُه السِّباعُ مُفَرَّسُ

قال ابن هشام: أنشدنى خلفٌ الأحمر قوله: «وقيل منها يا احْبِسوا».

قال ابن إسحاق: وقال عباس بن مرداس أيضاً:

نَصَرْنا رسولَ الله من غَضَبٍ له   بألفِ كَمِىٍّ لا تُعَدُّ حَوَاسِرُه

حَمَلْنا له فى عامِلِ الرُّمْحِ رايةً ... يذودُ بها فى حَوْمةِ الموتِ ناصرُهْ

ونحن خَضَبْناها دَماً فهو لَوْنُها ... غداةَ حنينٍ يومَ صفوانُ شاجِرُهْ

وكُنَّا على الإسْلام مَيْمَنَةً له ... وكانَ لنا عَقدُ اللِّواءِ وشاهِرُهْ

وكُنَّا لَهُ دُونَ الجُنودِ بِطانَةً ... يُشاوِرُنا فى أمْرِهِ ونُشاوِره

دعانا فسمَّانا الشِّعارَ مُقَدَّماً ... وكُنَّا لهُ عَوْناً على مَن يُناكِرُه

جَزَى اللهُ خيراً من نبىٍّ محمداً ... وأيَّده بالنَّصْرِ واللهُ ناصِرُهْ

قال ابن هشام: أنشدنى من قوله: « وكُنَّا على الإسلام » إلى آخرها، بعضُ أهل العلم بالشعر، ولم يعرف البيت الذى أوَّله: « حملنا له فى عامِلِ الرُّمْحِ راية » . وأنشدنى بعد قوله: « وكان لنا عَقد اللِّواء وشاهرُه » ، « ونحن خضَبناه دماً فهو لونه » .

قال ابن إسحاق: وقال عباس بن مرداس أيضاً:

مَنْ مُبْلِغ الأقْوَام أنَّ محمَّداً ... رسولُ الإله راشدٌ حيثُ يَمَّما

دَعا ربَّهُ واستَنْصر اللهَ وَحْدَه ... فأصبحَ قد وَفَّى إليه وأنعَما

سَرَيْنا وواعدنا قُدَيْداً محمداً ... يَؤُمّ بنا أمراً مِنَ اللهِ مُحْكَماً

تمارَوْا بنا فى الفَجْرِ حتى تَبَيَّنوا ... معَ الفَجْرِ فِتْياناً وغاباً مُقَوَّما

على الخَيْلِ مشدُوداً علينا دُرُوعُنا ... ورَجْلاً كدُفَّاعِ الأتِىِّ عرمرَما

فإنَّ سَراةَ الحىِّ إنْ كنتَ سائِلا ... سُلَيْمٌ وفيهمْ منهُمُ مَنْ تَسَلَّما

وجندٌ مِنَ الأنصار لايخذُلونه ... أطاعوا فما يَعْصُونَهُ ما تَكَلَّما

فإن تكُ قد أمَّرتَ في القوم خالداً ... وقدَّمته فإنه قد تقدَّما
بجُنْد هداه اللهُ أنتَ أميرُه ... تُصيبُ به في الحقّ من كان أظلما
حَلفتُ يميناً برَّةً لمحمّدٍ ... فأكملتُها ألفاً من الخيل مُلْجَما
وقال نبيّ المؤمنين تقدّموا ... وحُبَّ إلينا أن نكون المقدَّما
وبِتنا بنهى المستدير ولم يكن ... بنا الخوفُ إلا رغبةً وتحزُّما
أطعناك حتى أسلمَ الناسُ كلُّهم ... وحتى صبحْنا الجمعَ أهلَ يلملما
يَضلّ الحصان الأبلقُ الوردُ وسْطه ... ولا يطمئنّ الشيخُ حتى يُسوّما
سَموْنا لهم وِرْد القطا زفّه ضُحًى ... وكلّ تراهُ عن أخيه قد احجما
لدُنْ غُدوةً حتى تركْنا عشيّةً ... حُنَيْناً وقد سالتْ دَوافعُه دَما
إذا شئتَ من كلّ رأيتَ طِمرّةً ... وفارسَها يهوِى ورُمحاً مُحطَّما
وقد أحرزَت منّا هوازنُ سَرْبَها ... وحُبَّ إليها أن نَخيبَ ونُحرَما

شعر ضمضم في يوم حنين

قال ابن إسحاق: وقال ضَمْضَم بن الحارث بن جُشَم بن عَبْد بن حَبيب ابن مالك بن عَوف بن يَقَظة بن عُصَيّة السُّلمي في يوم حُنَين، وكانت ثقيف أصابت كنانة بن الحكَم بن خالد بن الشّريد، فقتل به مِحْجَناً وابن عمّ له، وهما من ثقيف:

نحن جلَبْنا الخيلَ من غير مَجْلَب ... إلى جُرَشٍ من أهل زيّان والفَم
نُقتِّلُ أشبالَ الأُسود ونبتغي ... طَوَاغِيَ كانَتْ قبلَنا لم تُهدَّم

رفع
المسهم
عز الله لطالب الدين

فإن تفخروا بابن الشَّرِيد فإنَّني ... تركتُ بوجٍّ مأتماً بعد مأتم
أباتَهما بابن الشَّريد وغرَّه ... جوارُكُمُ وكان غيرَ مُذمَّم
تُصيبُ رجالاً من ثقيف رِماحُنا ... وأسيافُنا يَكْلِمنَهُمْ كلَّ مَكْلَم

وقال ضَمضَم بن الحارث أيضاً :

أبلغْ لديكَ ذَوِى الحلائل آيةً ... لا تأمنَنَّ الدَّهرَ ذاتَ خِمارِ
بَعْد التى قالتْ لجارَة بيْتها ... قد كنتُ لو لَبِثَ الغزِىُّ بِدار
لمَّا رأتْ رجلا تسَفَّع لونَه ... وَغرُ المَصِيفةِ والعِظام عوارِى
مُشُطَ العِظام تراه آخرَ ليْلِه ... مُتسَربِلا فى دِرْعِهِ لِغوار
إذ لا أزالُ على رِحالةِ نَهْدَةٍ ... جرْداءَ تُلحِقُ بالنِّجاد إزارى
يوماً على أثَرِ النِّهابِ وتارةً ... كُتِبَتْ مُجاهِدَةً مع الأنصار
وزُهاءَ كُلِّ خَمِيلَةٍ أزهَقتُها ... مَهلاً تمهَّلُه وكلٌّ خَبارِ
كيما أُغَيِّر مابها مِنْ حاجَة ... وتودُّ أنى لا أؤوب فَجارِ

رثاء أبي خراش لابن العجوة

قال ابن هشام : حدثنى أبو عبيدة ، قال : أُسِر زُهير بن العَجْوَة الهُذلىّ يوم حنين ، فكُتِّف ، فرآه جميل بن مَعْمَر الجُمَحِىُّ ، فقال له : أأنت الماشى لنا بالمغايظ ؟ فضرب عنقه ؛ فقال أبو خِراشٍ الهُذَلىّ يَرْثيه ، وكان ابن عمه :

عَجَّفَ أضيافى جميلُ بن مَعْمَرٍ ... بذى فَجَرٍ تأوِى إليه الأرامِلُ

رفع
المسهم
غفر الله له ولوالديه

طَويل نِجاد السَّيف ليس بجَيْدر ... إذا اهتزّ واسترْخَتْ عليْه الحمائلُ
تَكادُ يَداهُ تُسْلِمانِ إزارَهُ ... من الجودِ لمَّا أذْلَقَتْه الشّمائلُ
إلى بيْته يأوِى الضّريكُ إذاشتا ... ومُسْتَنْبِحٌ بالى الدَّرِيسَيْن عائل
تَروَّح مَقْرُوراً وهبّتْ عشيَّة ... لها حَدَبٌ تحتَّه فيُوائلُ
فما بالُ أهل الدَّار لم يَتصدّعوا ... وقد بانَ منها اللّوْذعىُّ الحلاحِلُ
فأُقسم لو لاقيتَه غيرَ مُوثَق ... لآبكَ بالنَّعْف الضّباعُ الجيائلُ
وإنّكَ لو وَاجَهْتَه إذ لَقيتَه ... فنازلته أو كنتَ ممَّن يُنازله
لظَلَّ جميلٌ أفحشَ القومِ صِرْعَة ... ولكنّ قِرْنَ الظّهْر للمَرْء شاغل
فليْسَ كعَهْدِ الدار يا أمّ ثابتِ ... ولكن أحاطَتْ بالرِّقابِ السَّلاسِلُ
وعاد الفَتى كالشّيْخ ليس بفاعل ... سوَى الحقّ شيئاً واستراحَ العواذِل
وأصْبَحَ إخْوانُ الصفاء كأنّما ... أهالَ عليهم جانبَ التُّرْبِ هائلُ
فلا تحْسَبى أنّى نسيتُ لَيالِياً ... بمكّةَ إذ لم نَعْدُ عمَّا نُحاولُ
إذِ النّاس ناسٌ والبلادُ بِغِرّة ... وإذْ نحن لا تُثْنى علَيْنا المَداخلُ

ابن عوف يعتذر عن فراره

قال ابن إسحاق : وقال مالك بن عوف وهو يعتذر يومئذ من فِراره :

مَنَعَ الرّقادَ فما أغمضُ ساعةً ... نَعَمٌ بأجزَاعِ الطّرِيقِ مُخَضْرَمُ
سائلْ هوازِنَ هل أضُرّ عدوّها ... وأُعينُ غارِمَها إذا مايَغْرَم
وكَتِيبَةٍ لَبَّسْتُها بكَتيبَةٍ ... فِئتين منها حاسِرٌ ومُلأّمٌ

ومُقَدَّمٍ تَعيا النُّفوسُ لضِيقِه ... قُدِّمتُه وشُهودُ قَومي أعلَمُ
فورَدْته وترَكْتُ إخْوانًا لهُ ... يَرِدُون غَمرته وغَمْرتُه الدَّمُ
فإذا انجلَتْ غمراته أورَثْتَني ... مجدَ الحياة ومجدَ غُنْمٍ يُقسَم
كلَّفتمونى ذَنبَ آل مُحمَّدٍ ... واللهُ أعلمُ مَنْ أعَقُّ وأظلَمُ
وخَذَلتموني إذ أُقاتلُ واحداً ... وخَذلتمونى إذ تُقاتلُ خَثعَمُ
وإذا بَنَيتَ المَجْدَ يهدم بعضُكم ... لا يَستَوِى بانٍ وآخَرُ يَهْدِمُ
وأقَبَّ مِخْماصِ الشتاء مُسارِعٍ ... فى المَجْدِ يَنْمى للعُلى مُتَكَرِّمِ
أكرَهتُ فيهِ ألَّةً يَزَنِيَّةً ... سَحْباءَ يَقْدُمُها سِنانٌ سَلْجَمِ
وترَكْت حَنَّتَه تردُّ ولِيَّه ... وتقولُ ليس على فُلانةَ مقدمُ
ونصبْتُ نَفسى للرِّماح مُدَجَّجاً ... مثل الدَّريئة تُستَحَلُّ وتُشرَمُ

هوازنى يذكر إسلام قومه

قال ابن إسحاق : وقال قائل فى هوازن أيضاً ، يذكر مسيرَهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع مالك بن عوف بعد إسلامه :

أذكُرْ مسيرَهُم للنَّاس إذ جَمَعُوا ... ومالكٌ فوقَه الراياتُ تَخْتَفِقُ
ومالكٌ مالكٌ مافوقَه أحدٌ ... يومَ حُنَيْنٍ عليه التَّاجُ يأتَلِقُ
حتى لَقُوا الباس حينَ الباسُ يَقْدُمُهم ... عليهمُ البَيْضُ والأبدان والدَّرَقُ
فضارَبوا الناسَ حتى لم يَرَوْا أحداً ... حولَ النَّبيِّ وحتى جَنَّهُ الغَسَقُ

رفع
المسا هم
غفر الله له ولوالديه

ثُمّت نُزّل جبريلٌ بنَصرهِم ... مِنَ السَّماءِ فمهزومٌ ومُعْتَنق

منّا ولو غيرُ جبريلٍ يُقاتِلُنا ... لمنّعَتْنا إذَنْ أسيافُنا العُتُقُ

وفاتَنا عُمَر الفاروق إذ هُزِمُوا ... بطعنةٍ بلَّ منها سَرْجه العَلَقُ

جشمية ترثى أخويها

وقالت امرأة من بنى جُشَم ترثى أخوَين لها أُصيبا يوم حنين :

أعَيْنَيَّ جُودَا على مالكٍ ... مَعاً والعَلاءِ ولا تَجْمُدَا

هُما القاتِلانِ أبا عامرٍ ... وقد كان ذَا هَبَّةٍ أرْبَدا

هما تركاهُ لدى مُجْسَدٍ ... ينُوءُ نَزِيفاً وما وُسِّدا

أبو ثواب يهجو قريشاً

وقال أبو ثواب زيدُ بن صُحار ، أحد بنى سعد بن بكر :

ألا هل أتاك أنْ غَلَبتْ قريشٌ ... هَوازنَ والُخطوبُ لها شُرُوطُ

وكُنَّا يا قُرَيْش إذا غَضِبْنا ... يجىءُ مِن الغِضاب دمٌ عَبيط

وكُنا يا قُرَيْش إذا غَضِبْنا ... كأنَّ أنُوفَنا فيها سَعوط

فأصْبَحْنا تُسَوِّقُنا قُرَيْشٌ ... سِياقَ العِيرِ يحْدُوها النَّبيط

فلا أنا إن سُئِلتُ الخسفَ آبٍ ... ولا أنا أنْ ألِينَ لهُمْ نَشيط

سَيُنْقلُ لحمُها فى كلِّ فَجٍّ ... وتُكتَب فى مسامعها القُطوط

ويُروى «الخطوط» ، وهذا البيت فى رواية أبى سعد .

. . . .

رفع المسهم

قال ابن هشام : ويقال : أبو ثواب زياد بن ثواب . وأنشدنى خلف الأحمر قوله : « يجىء من الفضاب دَم عبيطُ » وآخرَها بَيْتاً عن غير ابن إسحاق .

ابن وهب يرد على ابن أبى ثواب

قال ابن إسحاق : فأجابه عبد الله بن وهب رجل من بنى تميم ، ثم من بنى أُسيِّد ، فقال :

بشَرْطِ اللهِ نضربُ مَن لَقينا ... كأفضل مارأيتَ مِن الشروط
وكنَّا ياهوازنُ حينَ نَلْقَى ... نُبلّ الهامَ من عَلَقٍ عَبيط
بجَمْعكمُ وجمع بنى قَسِيّ ... نَحُكُّ البَرْكَ كالوَرَقِ الخبيط
أصَبْنا مِنْ سراتِكمُ ومِلْنا ... بقَتْلٍ فى المُبايِنِ والخليط
بهِ المُلْتاثُ مفتَرِشٌ يَدَيْهِ ... يَمُجُّ الموتَ كالبَكر النَّحيط
فإنْ تَكُ قَيسُ عَيْلانٍ غِضاباً ... فلا يَنفَكُّ يُرْغِمُهم سَعُوطِى

شعر خديج فى يوم حنين

وقال خَديج بن العوجاء النَّصْرى :

لمَّا دَنَوْنا مِن حُنَيْنَ ومائِه ... رأيْناسوَاداًمنكرَ اللَّونِ أخْصَفا
بمَلْمُومَةٍ شَهْباءَ لو قَذَفُوا بها ... شَماريخَ من عُزْوَى إذن عادَ صَفْصَفا
ولو أنّ قَوْمى طاوَعتْنى سَرَاتُهم ... إذَنْ ما لَقِينا العارض المُتكَشِّفا
إذنْ ما لقِينا جُنْدَ آل محمّد ... ثمانينَ ألفاً واسْتَمَدُّوا بخنِدفا

. . . .

ذكر غزوة حنين

وحُنَيْنٌ الذى عُرِف به الموضعُ هو : حُنَيْنُ بن قَانِية بن مِهْلَايِل (١) كذا قال البكرى ، وقد قدمنا أنه قال فى خَيْبر مثل هذا أنه ابن قانية ، فالله أعلم .

من البلاغة النبوية :

ويقال لها أيضاً غَزْوَة أوطاس سميت بالموضع الذى كانت فيه الوقعة وهو من وَطَسْتُ الشيء وَطْساً إذا كدرته ، وأثرت فيه . والوَطِيسُ : نُقْرَةٌ فى حَجَرٍ توقد حوله النار ، فيطبخ به اللحم ، والوَطِيسُ التَّنُّور ، وفى غزوة أَوْطَاسٍ قال النبى صلى الله عليه وسلم : الآن حَمِيَ الْوَطِيس (٢) ، وذلك حين استعرت الحربُ ، وهى من الكَلِمِ التى لم يُسْبَق إليها صلى الله عليه وسلم ، فمنها هذه ، ومنها : مات حَتْفَ أنفِه ، قالها فى فضل مَنْ مات فى سبيل الله فى حديثٍ رواه عنه عبد الله بن عَتِيكٍ ، قال : ابن عتيكٍ : وماسمعت هذه الكلمة يعنى : حَتْفَ أنفِه من أحدٍ العربِ قبله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومنها لا يُلْدَغُ المؤمنُ من جُحْرٍ مَرَّتَين (٣) قالها لأبى عَزَّةَ الْجُمَحِيِّ يوم أُحُدٍ ، وقد مضى حـــديثه .

---

(١) فى البكرى : قانية بن مهلائيل .

(٢) قيل إن الوطيس ـ غير التنور ـ إنه الضراب فى الحرب . والوطء الذى يطس الناس أى يدقهم . وقال الأصمعى : هو حجارة مدورة إذا حميت لم يقدر أحد يطؤها وقد عبر به عن اشتباك الحرب وقيامها على ساق .

(٣) متفق عليه ورواه أحمد وأبو داود وابن ماجة عن أبى هريرة « السيوطى » .

. . . .

ومنها : لا يَنْتَطِحُ فيها عَنْزَان ، وسيأتى سببهما .

ومنها : قولُه عليه السلام : ياخَيْل اللهِ ارْكَبى ، قالها يوم حُنَيْنٍ أيضاً في حديث خَرَّجه مُسْلِمٌ ، وقال الجاحظ في كتاب البَيانِ عن يُونُس بن حبيبٍ : لم يَبْلُغْنا من روائع الكلام مابلغنا عن النبى صلى الله عليه وسلم (١) ، وغُلِّط في هذا الحديث ، ونُسِب إلى التَّصْحِيف ، وإنما قال القائل : مابلغنا عن البَتِّيِّ ، يريد عثمان البَتِّيَّ (٢) فصحَّفه الجاحظُ ، قالوا : والنبىّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ أَجَلُّ من ان يخالط مع غيره من الفُصَحاء ، حتى يقال : ما بلغنا عنه من الفصاحة أكثر من الذى بلغنا عن غيرِهِ ، كلامه أجلُّ من ذلك ، وأعلى ، صلوات الله عليه وسلامه .

ابن الصمة والخنساء :

فصل : وذكر دُرَيْدَ بنَ الصِّمَّةَ الجُشَمِي أحدَ بنى جُشَمِ بن بكرِ بن هَوَازن ، وفيه تقول الخَنْساء حين خطبها : ما كنت تاركةً بنى عمى ، كأنهم صُدورُ الرماح ومرتثة شيخاً من بنى جُشَم (٣) ، وهو دُرَيْد بن الصِّمَّة بن بكر

---

(١) فى البيان : ماجاءنا عن أحد من روائع الكلام ماجاءنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « ص ١٨ ح ٢ البيان والتبيين ط ١٩٤٨ .

(٢) نسبة إلى بت موضع بنواحى البصرة . رأى عثمان أنساً وروى عن الحسن البصرى .

(٣) العبارة فى الأغانى فى ترجمة دريد بن الصمة « يا أبت أترانى تاركة بنى عمى مثل عوالى الرماح ، وناكحة شيخ بنى جشم هامة اليوم أو غد » وفى الإصابة : « أدع بنى عمى الطوال مثل عوالى الرماح ، وأتزوج شيخاً » .

رفع المسهم

. . . .

ابن عَلْقَمَةَ بن خُزَاعَةَ بن غَزِيَّةَ بن جُشَمٍ بن مُعَاوِيَةَ بن بكرٍ بن هَوَازِنَ ، يكنى أبا قُرَّةٍ ؛ ويُرْوَى عن ابن إسحاق من غير رواية زياد يقال : كان يَوْمَئذٍ ابنَ ستين ومائة ، وروى أبو صالح كاتبُ الليث عن اللَّيث قال : كان دُرَيْدٌ يومئذ ابن عِشْرِين ومائة .

وقولُه : فى شِجَارٍ له ، الشِّجَارُ : مثلُ الْهَوْدج ، وفى العين : الشِّجَارُ خَشَبُ الْهَوْدَج .

وقوله : فأَنْقَضَ به ، أى : صَوَّت ، بلسانه فى فَمِــه من النَّقِيض ، وهو الصوت ، وقيل : الإنقاضُ بالإصْبَعِ الوُسْطَى والإبهام ، كأنه يدفع بهما شيئاً وهو معنى قول البرقى .

وقوله : راعى ضَأْن ، يُجَهِّـله بذلك ، كما قال الشاعر :

أَصْبَحْتَ هُزْءً الرّاعِى الضَّأْن أعجبه ماذا يُرِيبُكَ مِنّى رَاعِىَ الضَّأْنِ

وقال عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ لرجل : قم فما نَفَعَكَ صداغ ولا راعى ضَأْنٍ . والدُّرَيْدُ فى اللغة : تصغير أَدْرَد ، وهو تصغير الترخيم ، والصِّمَّةُ : الشجاع ، وجمعه : صِمَمٌ .

مالك بن عوف وابن هدرو :

وذكر مَالِكَ بن عَوْف النَّصْرِىَّ رئيس المشركين يوم حُنَيْنٍ ، وهو مالك بن عَوْفِ بن سَعْد بن رَبِيعَةَ بن يَرْبُوع بن وَاثِلَة بن دُهْمَان بن نَصْرِ ابن مُعَاوِيَة بن بَكْر بن هَوَازِن النَّصْرِى .

رفع المسـاهم

. . . .

وذكر بعث النبيِّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ عبَدَ الله بن أبى حَدْرَدٍ عيناً إلى هَوَازِن ، وهو عبدُ الله بن سَلَامة بن سَعْد ، وسَلامةُ هو أبو حَدْرَدٍ ، وهو من بنِى هَوَازِن بن أسلم بن أَفْصَى بن حَارِثَة ، وهم إخوةُ الأوسِ والخَزْرَج ، أعنى بنى أَسْلَمَ بن أَفْصَى ، مات عبدُ الله سنة إحدى وسبعين ، وهو العام الذى قُتِل فيه مُصْعَبُ بن الزُّبَيْرِ . شَهِد ابنُ أبى حَدْرَدٍ مع النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ الحُدَيْبِيَةَ ، ومابعدها ، وفاته ما كان قبل ذلك .

حول قصيدة عباس النونية:

وذكر شعر عباس وفيه :

أصابَتِ العامَ رِعْلاً

وهى قبيلة من سليم ، وفى الحديث : قَنَتَ رسول الله صلى الله عليه وسلم شَهْرين يدعو على رِعْلٍ وذَكْوَانَ وعُصَيَّة ، وهم الذين غدروا بأصحاب بئر معونة .

وقوله :

خَيْلِ ابن هَوْذَةَ لا تُنْهَى وإنسان

إنسانُ : قبيلة من قَيْس ، ثم من بنى نَصْر ، قاله البرقى ، وقيل : هم من بنى جُشَم بن بَكْرٍ ، ومن بنى إنسان : شَيْطَانُ بن مُدْلَجٍ صاحب حميدة[1] وهى

(١) فى الأمثال للميدانى : حمرة . وقد قال شيطان يذكر شؤمها .

. . . .

فَرَسٌ له تَضرِب بها العربُ المثلَ فى الشُّؤم ، فيقال أشأم من حميدة ، وسبب ذلك خبر يطول ، ذكره الأصبهانى فى الأمثال .

سعد ودهمان :

وسعدٌ ودُهْمَان ابنا نَصرِ بن مُعَاوِية بن بَكْر ، كذا وجدتُه فى بعض المُعَلَّقات ، والمعروف فى قيس : دُهْمَان بن أَشْجَع بن رَيْثِ بن غَطَفَان والد نَصر ابن دُهْمان الذى عاش مائة وتسعين سنة ، حتى تقوّم ظهرُه بعد انحناء ، واسْوَدَّ شعرُه بعد ابيِضَاضٍ ، فكان أعجوبة فى العالم ، وقال الشاعر :

لِنَصرِ بن دُهْمَانَ الهُنَيْدَةَ عاشها ... وتِسْعِين حَوْلًا ثم قُوِّم فانصاتا
وعاد سوادُ الرأسِ بعد ابيِضَاضِه ... ولكنه من بعد ذلك قد ماتا[1]

وممن ذكر هذا الخبر أبو الحسن الدَّارَقُطْنِى رحمه الله .

وحُنَيْنٌ : اسم جَبَلٍ ، ومنه المثل : أَنْجَدَ مَنْ رأى حُنَيْناً .

وقوله : مِمَّا يَشْتَوِى حَذَفٌ . الحَذَفُ : غَنَمٌ سُودٌ صِغارٌ تكون باليمن ، وفى الحديث سَوُّوا صُفُوفَكم ، لا تَخَلَّلُكُمُ الشياطينُ كأنها بَنَاتُ حَذَفٍ[2]

---

(١) سبق هذا الشعر ، والهنيدة : المائة .

(٢) رواية أحمد : « سووا صفوفكم ، وحاذوا بين مناكبكم ، ولينوا فى أيدى إخوانكم ، وسدوا الخلل ، فإن الشيطان يدخل فيما بينكم بمنزلة الحذف » وقال المنذرى فى الترغيب والترهيب فى باب « الحث على تسوية الصفوف » رواه أحمد بإسناد لا بأس به والطبرانى ، وأخرج نحوه أبو داود والنسائى من حديث ابن عمر ، وأخرجا نحوه أيضاً من حديث أنس .

. . . .

يعني في الصَّفِّ في الصلاة ، هكذا قال البرقي في تفسير هذا البيت ، والذي أراد الشاعر : إنما هو رَجُلٌ ، فلعله كان يسمى بحَذَفٍ ، والحَذَفُ هي الغنم السُّودُ التي ذكرنا .

وقوله :

كُلُّ شِواءِ العَيْرِ جُوفَانُ(١)

يقال : إنه شُوِيَ له غُرْمُولُ حِمَارٍ ، فأكله في الشِّوَاءِ فوجده أَجْوَفَ ، وقيل له : إنه القُنْبُ ، أي : وعاء القَضِيب ، فقال : كُلُّ شِوَاءِ العَيْرِ جُوفَانُ ، فضُرب هذا الكلامُ مَثَلًا ، وقيل : كان فزاريٌّ وتغلبيٌّ وكلبيٌّ اجتمعوا في سَفَر ، وقد اشتَوَوا حِمارَ وَحْشٍ ، فغاب الفَزَاري في بعض حاجاته ، فأكل صاحباه العَيْرَ واختبآ له غُرْمُولَه ، فلما جاء قالا له : هذا خَبْؤُنا لك ، فجعل يأكل ، ولا يُسيغه ، فضحكا منه ، فاخترط سَيْفَه ، وقال : لأقتلنَّكما إن لم تأكُلاه ، فأبى أحدُهما فضربَه بالسيف ، فأبان رأسَه ، وكان اسمُه : مِرْقَمه ، فقال صاحبُه طاحَ مِرْقَمَهْ ، فقال الفَزَاريُّ ، وأنت إن لم تَلْقَمَهْ أراد : تلْقَمُها، فطرح حركة الهاء على الميم ، وحذف الألف كما قد قيل في الحيرة أي رجال به أي بها ، وقد عيرت فزارة بهذا الخبر حتى قال سالم بن دارة :

لا تَأْمَنَنَّ فَزَارِيًّا خَلَوْتَ به على قَلُوصِكَ ، واكْتُبْها بأَسْيارِ
لا تَأْمَنَنْه ولا تَأْمَنْ بوائقه بعد الذي امْتَلَّ أَيْرَ العَير في النار

---

(١) يضرب في تساوي الشيء في الشرارة ، والمثل في مجمع الامثال للميداني ولكن ليس فيه القتل الذي سيذكر ، وفيه الرجال : عبسي وفزاري وغطفاني .

رفع المسلم

. . . .

أَطْعَمْتُمُ الضَّيْفَ غُزْمُولًا مُخَاتَلَةً　　فلا سَقَاكُمْ إِلٰهِي الخالقُ البَارِي

من كتاب الأمثال للأَصْبَهَانيّ . فهذا الفَزَارِيُّ هو حَذَفُ المذكور فى البيت ، والله أعلم .

وقوله :

والأَجْرَبَانِ بنو عَبْسٍ وذُبْيانُ

سماهما بالأَجْرَبَيْن تشبيهاً بالأجْرَبِ الذى لا يُقْرَبُ ، وقال مَجْذُومٌ من العَرَبِ :

بِأَيِّ فِعَالٍ رَبِّ أُوتيتُ ما أَرَى　　أَظَلُّ كأَنِّى كُلَّما قُمْتُ أَجْرَبُ

أى : يُفَرُّ منى ، وفى الخبر أن عُمَرَ لما نَهَى الناسُ عن مُجَالَسَة صَبِيغ بن عَسَلٍ كان كُلَّما حلَّ موضعاً تفرَّق الناسُ عنه كأنه بعيرٌ أَجْرَبُ[1] ، ومن

---

(١) فى القاموس : عسيل بالتصغير ، وفى غيره : عسل . وقصة صبيغ مع عمر أنه سأله عن الذاريات ، ثم عن المقسمات ، ثم عن الجاريات ، فأجابه عمر ، ثم أمر بضربه ، فضرب مائة ، وجعل فى بيت ، فلما برأ دعا به فضربه مائة أخرى ، وحمله على قتب ، وكتب إلى أبى موسى : امنع الناس من مجالسته ، فلم يزل كذلك حتى أتى أبا موسى . فحلف بالأيمان المغلظة ما يجد فى نفسه مما كان يجد شيئاً ، فكتب فى ذلك إلى عمر ، رضى الله عنه ، فكتب عمر : ما إخاله إلا قد صدق ، فخل بينه وبين مجالسة الناس . ويقول البزار عن أبى بكر بن أبى سبرة راوى الحديث : إنه لين ، وعن سعيد بن سلام راوى الحديث عن أبى أسبرة : ليس من أصحاب الحديث : ويقول ابن كثير : الحديث ضعيف رفعه . وأقرب فيه أنه موقوف على عمر رضى الله عنه ، فإن قصة صبيغ بن عسل مشهورة مع عمر ، =

رفع
المسهم
عز الله ابن الطبلاوي

. . . .

رواه الأجوبان بضم النون ، فهو جائز فى كل اثنين مُتلازِمَيْن كالجَلَمَيْن ، يقال فيهما . الجَلَمانُ[1] بضم النون ، وكذلك القَمَرانُ ، وروى أن فاطمة ـ رضى الله عنها ـ نادت ابنيها فى ليلةٍ ظُلْمَةٍ : ياحَسنانُ ياحُسَيْنانُ بضم النون، قاله الهروى فى الغريبين .

أنا ابن عبد المطلب :

فصل : وذكر قول النبىِّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ أين أيها الناس ؟ ! أنا محمد ، أنا رسول الله ، وفى غير هذه الرواية :

أنا النبىُّ لا كذِب   أنا ابنُ عبدِ المطلب[2]

وهو كلام موزون ، وقد تقدم الكلامُ فى مثل هذا ، وأنه ليس بشعرٍ حتى يقصد به الشعر . وللخطابى فى كتاب الأعلام تنبيه على قوله : أنا ابنُ عبدِ المُطَّلِب ، قال : إنما خص عبدَ المطلب بالذكر فى هذا المقام ، وقد انهزم الناسُ تشبيهاً لنبوَّته ، وإزالة للشك لما اشتهر ، وعرف من رُؤيا عبدالمطلب المبشرة بالنبى صلى الله عليه وسلم ، وقد تقدم ذكرها ، ولِمَا أنبأت به الأحبارُ والرُّهبانُ ، فكأنه يقول : أنا ذاك ، فلابد مما وُعِدْت به لئلا يَنهزموا عنه ،

= وإنما ضربه لأنه ظهر له من أمره فيما يسأل تعنتاً وعناداً . وأقول : وشيئاً آخر قد يكون ارتياباً ، أو محاولة للتشكيك . وقد روى الحافظ ابن عساكر قصة بصيغ مطولة .

(١) المقراضان ، واحدهما : جلم ، والجلم : اسم يقع على الجلمين .

(٢) فى رواية البخارى ومسلم .

. . . .

ويظنوا أنه مقتول ومغلوب ، فالله أعلم أ أراد ذلك رسوله أم لا .

شيبة ومحاولة قتل الرسول صلى الله عليه وسلم :

وذكر قصة شَيْبَةَ بن عُثْمَانَ حين أراد قَتلَ النبي صلى الله عليه وسلم ، قال فجاء شيء حتى تَغَشَّى فؤادي ، وقد ذكر هذا الخبر أبو بكر بن أبي خَيْثَمَةَ في تاريخه ، قال شيبة : اليوم آخذ بثاري ، فجئت النبيَّ صلى الله عليه وسلم مِنْ خلفه ، فلما هَمَمْتُ به حَالَ بيني وبينه خَنْدَقٌ من نارٍ وسُورٌ من حديد ، قال : فالتفت إليَّ النبيُّ — صلى الله عليه وسلم — وَتَبَسَّم ، وعَرَفَ الذى أردت ، فمسح صدري ، وذهب عني الشَّكُّ ، أو كما قال ، ذهب عني بعضُ ألفاظِ الحديث [1] .

أم سليم والفرار يوم حنين :

وذكر أمَّ سُلَيْم وهي مليكة بنت مِلحانَ ، وقال في اسمها رُمَيْلَةَ ، ويقال : سُهَيْلَةَ ، وتعرف بالغُمَيْصاء والرُّمَيْصاء لِرَمَصٍ كان في عينيها ، وأبو طَلْحَةَ بعلُها هو زَيْد بن سَهْلِ بن الأسود بن حَرَامٍ وهو القائل :

---

(١) في رواية البيهقي قال شيبة : فذهبت لأجيئه عن يمينه فإذا بالعباس ابن عبد المطلب قائم عليه درع بيضاء كأنها فضة ينكشف عنها العجاج ، فقلت : عمه ولن يخذله ، قال : ثم جئته عن يساره فإذا أنا بأبي سفيان بن الحارث ابن عبد المطلب ، فقلت : ابن عمه ولن يخذله ، قال : ثم جئته من خلفه ، فلم يبق إلا أن أساوره سورة بالسيف إذ رفع شواظ من نار بيني وبينه كأنه برق ، فخفت أن يمحشني ، فوضعت يدي على بصري ، ومشيت القهقرى فالتفت رسول الله

. . . .

أنا أبو طَلْحَةَ ، واسمى : زَيْدْ   وكل يوم فى سِلَاحِى صَيْدْ

وقول أمِّ سُلَيم : يارسولَ الله اقْتُلْ هؤلاءِ الذين ينهزمون عنك .

إن قيل: كيف فرَّ أصحابُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم عنه حتى لم يبقَ معه منهم إلا ثمانيةٌ ، والفرارُ من الزحف من الكبائر ، وقد أنزل الله تعالى فيه من الوعيد ما أنزل . قلنا : لم يجمع العلماء على أنه من الكبائر إلا فى يوم بدر ، وكذلك قال الحسن ونافع مولى عبد الله بن عُمَر وظاهر القرآن يدل على هذا ، فإنه قال : ﴿ ومَن يُوَلِّهِم يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ ﴾ فيومئذ إشارةٌ إلى يوم بدرٍ ، ثم نزل التحقيقُ من بعد ذلك فى الفارِّين يوم أُحُدٍ وهو قوله : ﴿ ولقد عفا اللهُ عنهم ﴾ وكذلك أنزل فى يوم حنين : ﴿ ويوم حُنَيْنٍ إذ أعجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكم ﴾ إلى قوله : ﴿ غفور رحيمٌ ﴾ وفى تفسير ابن سلام : كان الفرارُ من الزحف يَوْمَ بَدْرٍ من الكبائر ، وكذلك يكون من الكبائر فى مَلْحَمَةِ الرُّوم الكُبْرى(١) ، وعند الدَّجَّال ، وأيضاً فإن المنهزمين عنه عليه السلامُ رجعوا الحينهم ، وقاتلوا معه حتى فتحَ الله عليهم .

= صلى الله عليه وسلم وقال : ياشيب ادن منى ، اللهم أذهب عنه الشيطان ، قال : فرفعت إليه بصرى ولهو أحب إلى من سمعى وبصرى ، فقال : ياشيب قاتل الكفار .

(١) عن أبى هريرة قال : قال رسول الله « ص » : لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق ، فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ ، فإذا تصافوا قالت الروم : خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم ، فيقول المسلمون : لا والله لانخلى بينكم وبين إخواننا ، فيقاتلونهم =

. . . .

حول رجز مالك :

وقول مالك فى رَجَزِه :

قد أطعَن الطّعْنَةَ تَقْذِى بالسُّبُر

= فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبداً ، ويقتل ثلثهم أفضل الشهداء عند الله ، ويفتح الثلث لا يفتنون أبداً ، فيفتحون قسطنطينية . فبيناهم يقتسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون إذ صاح فيهم الشيطان : إن المسيح قد خلفكم فى أهليكم ، فيخرجون ، وذلك باطل ، فإذا جاءوا الشام خرج ، فبيناهم يعدون للقتال يسوون الصفوف إذ أقيمت الصلاة ، فينزل عيسى بن مريم ، فأمهم ، فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح فى الماء ، فلو تركه لا نذاب حتى يهلك ولكن يقتله الله بيده ، فيريهم دمه فى حربته ، مسلم .

وفى مسلم نفسه ولكن عن عبد الله بن مسعود أن ملحمة الروم تكون بين أهل الشام وبين الروم ، وأن المعركة تستمر أربعة أيام ، وأن صريخ الدجال يجيئهم ، فيترك المسلمون ما بأيديهم .

وفى مسلم نفسه أن صريخ الدجال يظهر حين يغزو سبعون ألفاً من بنى إسحاق مدينة جانب منها فى البر ، وجانب منها فى البحر وأن هؤلاء السبعين ألفاً تقاتلونها بغير سلاح ! !

وعند أبى داود عن معاذ : « عمران بيت المقدس خراب يثرب ، وخراب يثرب خروج الملحمة ، وخروج الملحمة فتح قسطنطينية ، وفتح قسطنطينية خروج الدجال » .

وفى رواية لأبى داود والترمذى « الملحمة العظمى وفتح القسطنطينية وخروج الدجال فى سبعة أشهر » .

وفى رواية لأبى داود أن المسلمين سيصالحون الروم ، وأن الروم والمسلمين يغزون معاً عدواً ، وأن نصرانياً سيصيح : غلب الصليب . فيغضب رجل من المسلمين ، =

. . . .

الشُّبُرُ : جمع سابر ، وهو القَتِيلُ الذى يُسْبَر به الْجُرْحُ أى : يُخْبَر .

وقوله فى الرَّجز الآخر :

أَقدِم مُحَاجُ إنها الأساوِرهْ

وقولُ ابن هشام : هما لغير مالك فى غير هذا اليوم ، يعنى يوم القادسية ، وكانت الدولةُ فيه للمسلمين على الفُرْس ، والأَسَاوِرَةُ : مُلُوكُ الفرس ، وقُتِل فى ذلك اليوم رُسْتُمُ مَلِكُهم دون المَلِكِ الأكبر ، وكان على المسلمين يومئذ سعد بن أبى وقّاص ، وقد ذكرنا قبل : بم سُمِّيت القادسية .

وذكر حديث أبى قَتَادَةَ فى سَلَبِ القتيل ، قال : فاشتريت بثَمَنِهِ مَخرفاً فإنه لأَوّلُ مال اعتقدته ، يقال : اعتقدت مالى ، أى : اتخذت منه عُقْدَةً ، كما تقول : نُبْذَة ، أو قِطْعة ، والأصل فيه من العَقْد ، وأن من مَلَك شيئاً عقد عليه ، وأنشد أبو على [القالى] :

ولما رأيتُ الدَّهرَ أنحتْ صُروفُه ... عَلَىَّ وأَوْدَتَ بالذَّخائِرِ والعُقَدْ

= ويكسر الصليب ، فتغدر الروم ، وتجمع للملحمة ، ويستشهد الذين يحملون السلام من المسلمين . هكذا الروايات ، وفيها اضطراب واضح كما ترى .

ويحدثنا التاريخ أن معاوية حاول فتح القسطنطينية فى سنة ٣٥ هـ ٦٥٥ م وأنه هزم بأسطوله العربى قسطنطين هزيمة ماحقة ، لكنه لم يدخل المدينة التى كانت عاصمة الدولة البيزنطية ، ولم تفتح القسطنطينية إلا فى عهد محمد الثانى العثمانى وذلك فى أواخر ٨٥٦ هـ — ١٤٥١ م أى فى القرن التاسع الهجرى فلنعتصم بهدى القرآن حين تضطرب بنا الشعاب .

. . . .

حَذَفْتُ فُضُولَ العَيْشِ حتى رَدَدْتُها ‌ ‌ ‌ ‌ إلى القُوتِ خَوْفاً أنْ أجاءَ إلى أحَدْ(١)

ويروى : تأتَّلْتُه ، وهي رواية الموطأ ، ويقال : مَخْرِف بفتح الراء وكسرها، وأما كسر الميم فإنما هو المِخْرَفِ ، وهي الآلة التي تُخْتَرَفُ بها الثَّمَرَةُ أي تُجْتَنَى(٢) بفتح الميم معناه البُسْتَان من النخل ، هكذا فسروه ، وفسره الحربي ، وأجاد في تفسيره ، فقال: المَخْرَفُ: نخلة واحدة أو نخلات يسيرة إلى عشر ، فما فوق ذلك، فهو بستان أو حديقة ، ويقوي ماقاله الحربي ماقاله أبو حنيفة ، قال :المَخْرَفُ: مثل الخَرُوفَة ، والخَرُوفَةُ: هي النخلة يخترفها الرجلُ لنفسه ولعياله ، وأنشد :

مثل المَخارِفِ مِنْ خيلان أو هَجَرا

قال : ويقال للخَرُوفَةِ : خَرِيفَةٌ أيضاً .

السلب للقاتل :

وفي هذا الحديثِ من الفقه أن السَّلَبَ للقاتل حُكْماً شَرْعِياً جعل ذلك الإمامُ له ، أو لم يجعله ، وهو قول الشافعي(٣)، وقال مالك : إنما ذلك إلى

---

(١) بعدهما :

وقلت لنفسي : أبشري وتوكلي ‌ ‌ على قاسم الأرزاق والواحد الصمد
فإن لا تكن عندي دراهم جمة ‌ ‌ فعندي بحمد الله ماشئت من جلد

ص ١٢٧ ج ٢ الأمالي للقالي . وقد قال : أنشدنا أبو بكر ، قال : أنشدنا عبد الأول : قال : أنشدني حماد ، قال : أنشدني أبي لنفسه .

(٢) في القاموس : زنبيل صغير يخترف فيه أطايب الرطب .

(٣) وهي إحدى الروايتين عن أحمد . ويرى أبو حنيفة أيضاً أنه لا يستحق إلا بشرط الإمام بعد القتال ، فلو نص قبله لم يجز .

رفع
المسـاهم
غفر الله له ولوالديه

الإمام له أن يقولَ بعد مَقْمَعِةِ الحرب : مَنْ قَتَل قتيلا فله سَلَبُه(١) ، ويكره مالكٌ رحمه الله أن يقول ذلك قبل القِتال لئلا يخالِط النية غَرَضٌ آخرُ غير احتساب نفسِه لله تعالى ، وقد ذكرنا فى غَزْوَة بدرٍ فى هذه المسألة ماهو أكثر من هذا .

نزول الملائكة :

وقول جُبَيْرِ بن مُطْعِم : لقد رأيت مثل البِجَاد ، يعنى الكِساء من النمل مَبْثُوثًا ، يعنى رآه ينزِل من السماء . قال : لم أشك أنها الملائكة ، وقد قدم ابنُ إسحاق قول الآخر : رأيت رجالا بيضاً على خَيْل بُلْقٍ ، وكانت الملائكةُ فأراهم اللهُ لذلك الموازنى على صُوَرِ الخيل والرجال ترهيباً للعدو ، ورآهم جُبَيْرٌ على صورة النمل المبثوث إشعاراً بكثرة عددها ، إذ النمل لايُستطاع عَدُّها مع أن النمْلَةَ يُضرَب بها المثلُ فى القوة ، فيقال : أقوى من النملة ، لأنها تحمل ماهو أكبر من جِرْمِها بأضعافٍ ، وقد قال رجلٌ لبعض الملوك : جعل الله قوتَك قوةَ النملة ، فأنكر عليه ، فقال : ليس فى الحيوان مايحمل ماهو أكبر منه إلا النَّملة(٢) ، وهذا المثل قد ذكره الأصبهانى فى كتاب الأمثال مَقْرُونًا بهذا الخبر ، وقد أُهلِكَ بالنمل أُمةٌ من الأمم ، وهم جُرْهُم .

---

(١) حديث : من قتل قتيلا فله سلبه حديث متفق عليه من حديث أبى قتادة . وقد قال مالك : لم يبلغنى أن النبى « ص » قال ذلك إلا يوم حنين ، وإنما نفل النبى « ص » بعد أن برد القتال . وللامام ابن القيم تفصيل فى منشأ النزاع فى هذا الأمر وغيره فانظره ص ٤٥٧ ج ٢ زاد المعاد .

(٢) النملة بضم النون : النميمة . وكنية النمل : أبو مشغول ، والنملة : أم نوبة ... النملة نملة لتنملها ، وهو كثرة حركتها وقلة قوائمها . يقول =

. . . .

حول قصيدة ابن مرداس :

فصل : وذكر قول عبَّاس :

وسوف إخال يأتيك[1] الخبيرُ

الفعل المستقبلُ هو : يأتيكَ ، وإن كان حرفُ سوف داخلًا على إخال في اللفظ ، فإن مايدل عليه من الاستقبال إنما هو الفعل الثاني كما قال :

وما أدري وسوف إخال أدري[2]

وذلك أن إخال في معنى : أظن ، وليس يريد أنه يظن فيما يُسْتَقْبل ، وإنما يريد أن يَخَالَ الآن أنْ سيكون ذلك ، وقوله :

فإن يُهْدَوْا إلى الإسلام يُلْفَوْا أُنُوفَ النَّاسِ ماسَمَر السَّمِيرُ

أنوفَ الناس انتصب على الحال ، لأنه نكرة لم يتعرَّف بالإضافة ، لأنه لم يرد الأنوفَ بأعيانها ، ولكن أشرَافًا ، وهذا كقوله :

بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الأَوابِدِ[3]

= الدميرى : « وليس فى الحيوان ما يحمل ضعف بدنه مراراً غيره ، على أنه لايرضى بأضعاف الأضعاف حتى إنه يتكلف لحمل نوى التمر » حياة الحيوان .

(١) فى السيرة : يأتيه .

(٢) بقية البيت : أقوم آل حصن أم نساء ، وبعده :

فمن فى كفه منهم خضاب كمن فى كفه منهم قناء

(٣) من معلقة امرىء القيس فى وصف فرسه .

رفع المسلم

. . . .

لأنه جعله كالقيد ، ومثله ماذكرناه قَبْلُ فى : نصب غمائم الأبْصار ، على الحال ، وليس هذا من باب مامنعه سيبويه حين قال معترضاً على الخليل : لو قلت مررت بقصير الطويل ، تريد : مثل الطويل ، لم يجز ، والذى أراده الخليل هو ما ذكرناه فى غير موضع من استعارةِ الكلمة على جهة التشبيه ، نحو قيد الأوابد ، وأنوفَ الناس تريد : أشرافهم ، فمثل هذا يكون وَصْفاً للنَّكِرَة وحالا من المعرفة ، وقد ألحق بهذا البابِ : له صَوْتٌ صَوْتُ الحمارِ ، على الصِّفة ، وضعَّفه سيبويه فى الحال ، قال : وهو فى الصفة أقْبَحُ ، وإنما ألحقه الخليل بما تنكَّر ، وهو مضاف إلى معرفة من أجل تكرر اللفظ فيه ، فحسن لذلك .

وقوله : وأسْلمَت النُّصُورُ . ذكر البرقى أن النُّصُور هاهنا جمع : ناصر ، وليس هو عندى كذلك . فإن فاعِلا قَلَّ مايجمع على فُعُول ، وإن جُمِع فليس هو بالقياس المُطَّرِدِ ، وإنما هم بنو نَصْرٍ من هَوَازِن رَهْطِ مالك بن عَوْف النَّصْرِىّ يقال لهم النُّصُور ، كما يقال لبَنِى المُهَلَّب المَهَالِبة ، ولِبَنِى المُنْذِرِ : المَنَاذِرة ، وكما يقال الأشْعَرُون ، وهم بنو أشْعَر بن أُدَد ، والتُّوَيْتِياتُ لبنى تُوَيْتٍ بن أسَد

جمع أخ وابن :

وقوله : أنا أخوكم ، جمع أخاً جمعاً مسلماً بالواو والنون ، ثم حذفت النون للإضافة ، كما أنشدوا :

. . . .

ولما تبيَّنَّ أصواتنا بكَيْن وفدَّيْنَنا بالأبينا[1]

ويجوز أن يكونَ وَضَع الواحدَ موضعَ الجميع ، كما تقدم فى قوله : أنتم الوالدُ ، ونحن الولدُ .

من وصف الزبير :

وقوله فى صفة الزبير : طويل البادِّ ، أى : الفخِذ ، والبَدَدُ : تباعُدُ مابين الفخِذَيْنِ .

من أحكام القتال :

وقوله فى المرأة المقتولة : أدرِكْ خالداً ، فقل : إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ينهاك أن تقتلِ وليداً ، أو امرأةً ، أو عَسِيفاً العَسِيفُ : الأجيرُ ، وهذا مُنْتزَعٌ من كتاب الله تعالى ، لأنه يقول : ﴿ وقاتلوا فى سبيلِ الله الذين يُقَاتِلُونَكم ﴾ فاقتضى دليلُ الخطاب ألا تُقْتَل المرأةُ إلا أن تقاتِلَ ، وقد أخطأ من قاس مَسْأَلة المُرْتَدَّةِ على هذ المسألةِ ، فإن المرتدَّةَ لاتُسْتَرَقُّ ولاتُسْبَى ،

(١) نقل سيبويه عن الخليل قوله : « إن ألحقت فيه النون والزيادة التى قبلها قلت : أبون ، وكذلك أخ تقول : أخون لاتغير البناء ، إلا أن تحدث العرب شيئا كما يقولون : دمون ، ولا تغير بناء القرب عن حال الحرفين لأنه بنى عليه إلا أن تحدث العرب شيئاً ، كما بنوه على غير الحرفين » ثم استشهد بالبيت ، وقال : إنه جاهلى . وإن شئت كسرت ، فقلت آباء وآخاء . ويقول السيرافى عن البيت إنه لزياد بن واصل السلمى . أنظر خزانة البغدادى ص ٣٦٢ جـ ٤ ط السلفية .

. . . .

كما تُسْبَى نساء الحربِ وذَرَارِيهم ، فتكون مالاً للمسلمين ، فنهى عن قَتْلِهِنَّ لذلك .

حكم رفع اليد في الدعاء :

وذكر فيمن استشهد أبا عامر ، واسمُه : عُبَيْدُ بن سُلَيْم بن حَضَّار ، وهو عم أبى موسى عبدِ الله بن قيس الأشعَرِى ، وهو الذى استَغْفَر له رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — حين قُتِل رافعاً يديه جِدًّا ، يقول : اللَّهُمَّ اغفر لعبيد أبى عامر ثلاثاً ، وفيه من الفقه رفعُ اليدين فى الدعاء ، وقد كرهه قوم ، روى عبدُ الله بن عمر أنه رأى قوماً يرفعون أيديهم فى الدعاء ، فقال : أَوَقَدْ رفعُوها ؟ قطعها اللهُ ، والله لو كانوا بأعْلَى شاهِقٍ ما ازدادوا من الله بذلك قُرْباً وذكر لمالك أن عامرَ بن عبد الله بن الزُّبَيْر كان يدعو بَأثرِ كلِّ صلاةٍ ، ويرفع يديه ، فقال : ذلك حَسَنٌ ، ولا أرى أن يرفعهما جِدًّا . وحجة من رأى الرفعَ أحاديثُ منها ما ذكرناه آنفاً ، ومنها حديثٌ تقدَّم فى سَرِيَّةِ الغُمَيْصاء حين رفعَ النبيُّ — صلى الله عليه وسلم — يديه ، وقال : اللهم إنى أبرأ إليك مما صَنَع خالدُ بن الوليد ثلاثَ مرات ولكل شىء وجهٌ ، فمن كَرِه ، فإنما كره الإفراطَ فى الرفع كما كره رفعَ الصوت بالدعاء جداً . قال صلى الله عليه وسلم : أَرْبِعُوا على أنفسكم ، فإنكم لاتدعون أَصَمَّ ولا غائباً ، وهو معنى قول مالك الذى قدمناه فى رفع اليدين .

الخثعمية وشاهت الوجوه :

فصل : ومما ذكر فى غَزْوَةِ حُنَيْن من غير رواية ابن إسحاق الخَثْعَمِيَّةُ التي

. . . .

أخذها النبي صلى الله عليه وسلم من البَطْحاء، وهو على بَغْلَتِه، فرمى بها أوجه الكُفّارِ، وقال: شاهت الوجوه(١)، فانهزموا. والمستقبلُ من شاهت: تَشَاهُ، لأن وزنه فَعِل، وفيه أنَّ البَغْلَة حَضَجَت به إلى الأرض حين أخذ الحَفْنَةَ، ثم قامت به، وفسروا حَضَجَتْ، أي: ضربت بنفسها إلى الأرضِ، وألصقت بطنَها بالتراب، ومنه الحِضَاجُ، وهو زِقٌّ مملوء قد أُسْنِد إلى شيء، وأُميل إليه، والبَغْلَة التي كان عليها يَوْمَئِذٍ هي التي تُسَمّى البَيْضاء(٢)، وهي التي أهداها إليه فَرْوَةُ بنُ نُفَاثَةَ، وقد تقدم ذكر الأخرى، واسمها: دُلْدُلُ وذِكْرُ من أهداها إليه.

نداء أصحاب الشجرة:

وذكر نداءَ العباسِ: يامَعْشَرَ أصحابِ السَّمُرَةِ، وكان العبَّاسُ صَيِّتاً جَهِيراً. وأصحاب السَّمُرَةِ: هم أصحابُ بيعة الرضوان الذين بايعوا تحت الشَّجَرَةِ، وكانت الشجرةُ سَمُرَةً.

(١) في رواية لمسلم أنهم لما غشوا النبي «ص» نزل عن البغلة، ثم قبض قبضة من تراب الأرض، ثم استقبل به وجوههم، فقال: شاهت الوجوه فما خلق الله منهم إنساناً إلا ملأت عينه تراباً تلك القبضة فولوا منهزمين. وفي رواية أخرى أنه تناول حصيات من الأرض، وأنه لم ينزل من على البغلة. فالله أعلم.

(٢) عن ابن سعد وجماعة ممن صنفوا في السيرة أنها دلدل، وفيه نظر، لأن دلدل أهداها له المقوقس، وقد روى مسلم أنه كان على بغلة له بيضاء كما ورد في الروض ولكن في مسلم أيضاً أنه كان على بغلته الشهباء، وقد زعم النووي أن البيضاء والشهباء واحدة، ولا يعرف له غيرها، ولكن ذكر غير واحد بغلته دلدل، غير أن ابن الصلاح زعم أن دلدل والبيضاء اسمان لبغلة واحدة.

رفع
المسلم
عزالدين الطويل

. . . .

الضحاك بن سفيان :

فصل : وذكر الضَّحَّاكَ بن سُفْيَان الـكِلَابِي ، وهو الضَّحَّاكُ بن سُفيَانَ ابن عَوْف بن كَعْب بن أبى بكر بن كِلابٍ الـكِلابيّ ، يكنى أبا سعيد ، وكان يقوم على رأس النبيِّ - صلى الله عليه وسلم - مُتَوشِّحاً بالسيف ، وكان يُعَدُّ وحدَه بمائةِ فارسٍ ، وكانت بنو سُلَيْمٍ يوم حُنَيْن تسعمائة ، فأمَّره عليهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وأخبره أنه قد تَمَّمَهُم به ألفاً ، وإياه أراد عباس بن مِرْدَاسٍ بقوله :

جُنْدٌ بعثتَ عليهم الضَّحَّاكَا

وقال البرقى : ليس الضَّحَّاكُ بن سفيان هذا بالـكِلابى ، إنما هو الضحاك ابن سُفْيَان السُّلَمِى .

وذكر من غير رواية البكائى عن ابن إسحاق نسبه مرفوعاً إلى بُهْثَةَ ابن سُلَيْمٍ ، ولم يذكر أبو عُمَر فى الصحابة إلا الأول ، وهو الـكِلابى ، فالله أعلم .

قصيدة ابن مرداس العينية :

وذكر شِعْرَ عباس بن مِرْدَاسٍ الذى أوله :

عفا مِجْدَلٌ من أَهْلِه فمُتَالِعُ

الْمِجْدَلُ : القصر ، وهو فى هذا البيتِ اسمٌ عَلَمٌ لمكان .

وفيه :

فِطَـلَا أريكٍ

. . . .

المِطْلُ: يُمَدُّ ويُقْصَر، وهى أرض تَعْقِل الرَّجُلَ عن المشى، فقيل: إنها مِفْعَال من الطَّلِي وهو الجرى يُطْلَى، أى تَعْقِل رِجْلَه، وقيل: إن المِطْلاء فِعْلاء من مَطَلْتُ إذا مَدَدْتُ، وجمعه: مَطَالِ فى الأمالى:

أمَا تَسْأَلانِ اللهَ أن يَسْقِيَ الحِمَى ... ألَا فَسَقَى اللهُ الحِمَى فالمَطَالِيَا(١)

وفيه:

تَذُودُ أخانا عن أخينا، ولو نرى ... مَصَالاً لكنَّا الأقْرَبِين نتابع

يريد أنه من بنى سُلَيْم، وسُلَيْمٌ من قيس، كما أن هَوَازِن من قَيْسٍ، كلاهما ابن منصور بن عِكْرِمَةَ بن خَصَفَةَ بن قَيْسٍ، فمعنى البيت: نقاتل إخوتنا، ونذودهم عن إخوتنا من سُلَيْمٍ، ولو نرى فى حكم الدين مَصَالاً مَفْعَلاً من الصَّوْلَة، لكنا مع الأقربين هَوَازن:

ولكنَّ دِينَ اللهِ دِينُ مُحَمَّدٍ ... رضينا به فيه الهُدَى والشَّرَائِع

وفيه قوله:

دَعَانا إليه خيرُ وَفْدٍ عَلِمْتُهم ... خُزَيْمَةُ والمَدَّارُ(٢) منهم وواسِعُ

هؤلاء وفد بنى سُلَيْمٍ وفدوا على النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأسلموا،

---

(١) فى الأمالى أن هذا الشعر لرجل طلق امرأتين من أهل الحمى ص ١٩١ جـ ١ ط ٢. ومن الشعر:

وإنى لأستسقى لثنتين بالحمى ... ولو تملكان البحر ما سقتانيا

(٢) فى رواية: المرار.

. . . .

ثم دعوا قومهم إلى الإسلام ، فذكر فيهم المَدَّار السُّلَمِيّ ، وواسماً السُّلَمِيّ ، وخُزَيْمَةَ ، وهو خُزَيْمَةُ بن جَزِيّ أخو حِبَّانَ بن جَزِيّ ، وكان الدَّارَقُطْنِي يقول فيه : جَزِيٌّ بكسر الجيم والزاى.

وفيها :

يدَ الله بين الأَخْشَبَيْنِ مُبَايِع

من قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الذين يُبَايِعُونَكَ إنما يُبَايِعُونَ الله يَدُ اللهِ فوقَ أيديهم﴾ أقامَ يدَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم مقام يدِه ، كما قال - صلّى الله عليه وسلم - فى الحَجَرِ الأسودِ : هو يَمِينُ اللهِ فى الأرضِ (١) ، أقامه فى المُصافحة والتَّقبيل مَقامَ يمِين المَلِكِ الذى يصافح بها ، لأن الحاجَّ وافدٌ على المَلِكِ الأعلى وزائرٌ بيتَه ، فجعل تقبيلَه الحَجَر مُصافحةً له ، وكما جُعلت يمينُ السائل الآخذ للصدقة المتقبلة يمينَ الرحمن سبحانه تَرغيباً فى الصَّدَقة ، وتبشيراً بقبولها ، وتعظيما لحُرمةِ مَنْ أُعْطِيت له ، فإنما أعطاها المتصدِّق لله سبحانه ، وإياه سُبْحَانَه أقْرَضَ ،

---

(١) رواه الطبرانى فى معجمه ، وهو موقوف على ابن عباس وهو ساقط من القول لا يصح نسبته إلى مؤمن . وإليك ما يقوله الإمام ابن القيم فى قوله سبحانه : (يد الله فوق أيديهم) . . « لما كانوا يبايعون رسول الله صلى الله عليه وسلم بأيديهم ، ويضرب بيده على أيديهم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو السفير بينه وبينهم كانت مبايعتهم له مبايعة لله تعالى ، ولما كان سبحانه فوق سماواته على عرشه ، وفوق الخلائق كلهم ، كانت يده فوق أيديهم ، كما أنه سبحانه فوقهم » ص ١٧٢ جـ ٢ الصواعق المراسلة . وهذا خير من تأويل السهيلى الذى يعطى لأصحاب وحدة الوجود وجهاً !!

. . . .

فقال سبحانه وتعالى : ﴿ ويأخُذُ الصَّدَقاتِ ﴾[1] التوبة : ١٠٤ وقال صلى الله عليه وسلم : إنما يضعها فى كفِّ الرحمن يُرَبِّيها له . الحديث .

شعر عباس الطائى :

وقول عباس فى الشعر الكافى :

إن الإلَه بَنى عليك مَحَبَّـةً فى خلقـــه ومُحَمَّداً سَمَّاكَا

معنى دقيق وغرض نبيل وتَفَطُّنٌ لحكمة نَبويَّةٍ قد بيَّنَّاها فى غير موضع من هذا الكتاب وغيره فى تسمية الله تعالى لنبيه مُحَمَّداً وأحْمَد[2] ، وأنه اسم لم يكن لأحد من قومه قبله ، وأنَّ أُمَّه أُمِرَتْ فى المنام أن تسميه محمداً ، فوافق معنى الاسم صفةَ المسمَّى به موافقةً تامَّةً قد بينا شَرْحَها[3] هنالك ، ولذلك قال : بَنَى عليكَ محبةً ، لأن البناء تركيب على أسٍّ ، فأسَّسَ له سبحانه مُقَدِّماتٍ لِنُبُوَّته منها : تسميتُه بمحمد قبل أن يُولد ، ثم لم يزل يدرجه فى محامد الأخلاق

---

(١) رواية البخارى ومسلم والنسائى والترمذى وابن ماجة وابن خزيمة فى صحيحه هى : « من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب — ولا يقبل الله إلا الطيب — فإن الله يقبلها بيمينه ، ثم يربيها لصاحبها ، كما يربى أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل » والفلو — بفتح الفاء وضم اللام وتشديد الواو : المهر الصغير ، وقيل : الفطيم من أولاد ذوات الحافر .

(٢) سبق الكلام عن هذا . وأنه كان هناك من سمى بمحمد وأحمد فى الجاهلية وانظر ص ٨ ، ٩ الاشتقاق لابن دريد ، وص ١٣٠ المحبر لابن حبيب فقد ذكر سبعة ممن سموا باسم محمد .

(٣) علقنا على شرحه بما قاله ابن القيم وأبدع فيه .

. . . .

وما تحبه القلوب من الشِّيَم ، حتى بلغ إلى أعلى المحامد مَرْتَبَةً ، وتكاملت له المحبةُ من الخالق والخَليقة ، وظهر معنى اسمِه فيه على الحقيقة ، فهو اللَّبِنَةُ التى استتم بها البِناء ، كما أخبر عليه السلام ، وهذا كله معنى بيت عباس ، حيث قال : إن الإلَهَ بنى عليك ، البيت .

الدامّاء والدأماء :

وقوله : فى العَيْنِيَّةِ الأُخْرَى يصف الخيل :

أو هى مَقَارَعَةُ الأعادى دمَّها

يريد شَحْمَها ، يقال : أَدْمِمْ قِدْرَكَ بِوَدَكٍ ، ودَمَمْتُ الشىء : طَلَيْتُه ، ومنه : الدَّامَّاء أحد جُحْرَةِ اليَرْبُوع ، لأنه يَدُمّ بابه بقِشْرٍ رقيق من الأرض ، فلا يراه الصائد ، فإذ طُلِب من القاصِعاء أو الرَّاهطاء أو النَّافِقاء أو العانِقاء ، وهى الأبواب الأُخر نَطَح برأسِه بابَ الدَّامَّاءِ نخرقه ، وأما الدَّأْماء بالتخفيف ، فهو البحر وهو فَعْلَاء ، لأنه يُهْمَزُ فيقال : دَأْمَاء ، قاله أبو عبيد

شعر عباس الفاوى :

وذكر شعر عباس الفاوى ، وفيه :

بعاقِبَةٍ واسْتَبْدَلَتْ نِيَّةً خُلْفَا

النية : من النوى وهو البُعْد . وخُلْفاً يجوز أن يكون مَفْعُولا من أجله أى : فعلت ذلك من أجل الخُلْفِ ، ويجوز أن يكون مصدراً مؤكداً

رفع المسهم

. . . .

للاستبدال، لأن استبدالها به خُلْفٌ منها لما وَعَدته به، ويقوِّى هذا البيتَ البيتُ الذى بعده:

وقد حَلَفَتْ بالله لاتقطع القُوَى

يعنى: قُوَى الحَبْلِ، والحَبْلُ هنا: هو العَهْدُ، ثم قال:

فما صَدَقَتْ فيه، ولابَرَّتِ الحَلْفَا

وهذا هو الخُلْفُ المتقدمُ ذِكْرُه.

وقوله:

وَفَيْنَا ولم يَسْتَوْفِها مَعْشَرٌ أَلْفَا

أى: وفينا أَلْفاً ولم يَسْتَوْفِها غيرُنا، أى: لم يَسْتَوْفِ هذه العدةَ غيرُنا من القبائل.

وقوله:

إذا هى حالت فى مَرَاودها عَزْفا

يجوز أن يكون جمع مِرْوَدٍ(١) وهو الوَتَد، كما قال الآخرُ يصف طَعْنَةً:

ومُسْتَنَّةٍ كاستِنَانِ الخرو ... فِ قد قَطَعَ الحَبْلَ بالمِرْوَدِ

والخروفُ هاهُنا فى قول بعضهم: المُهْرُ، وقال آخرون: والفَرَسُ يسمى خَرُوفاً، ومعناه عندى فى هذا البيت أنها صِفة من خَرَفْتُ الثَّمرةَ إذا جنَيتُها

(١) فى الأصل: مردود.

. . . .

فالفرسُ خَرُوفٌ للشَّجَرِ والنَّباتِ ، لانقول: إن الفَرَسَ يُسَمَّى خَرُوفاً فى عُرْف اللغة ، ولكن خَرُوف فى معنى أكُولٍ ، لأنه يَخْرُف ، أى : يأكل ، فهو صفة لكل من فعل ذلك الفعل من الدَّوَابِّ ، ويجوز أن يكون فى مراودها جمع مَرَاد ، وهو حيث تَرودُ الخيلُ تَذهَبُ وتَجِيء فَمَراد ومَرَاوِد ، مثل مَقام ومَقَاوم ، ومَنار ومَنَاوِر.

وقوله : لنا زَجْمَةٌ إلا التَّذامُرَ والنَّقْفَا .

يقال: ما زَجَمَ زَجْمَةً(١) ، أى ما نَبَس بكلمة ، وقَوْسٌ زَجُومٌ ، أى : ضعيفة الإرْنانِ .

وقوله : إلا التَّذامُرَ ، أى يُذَمِّر بعضُنا بَعضاً ، ويُحَرِّضُه على القتل والنَّقْف : كسر الرُّءوسِ ، وناقِفُ الحَنْظَلَةِ : كاسِرُها ومُسْتَخرِجُ ما فيها .

النسب إلى حروف المعجم وتصغيرها :

قال المؤلف : وإنما قلنا فى هذه القصيدةِ وفى التى بعدها الفَاوِيَّة والرَّاوِيَّة ، لأن النسب إلى حروف المعجَم التى أواخرها ألِفٌ هكذا ، هو بالواو ، قاله أبو عُبَيْدٍ وغيرُه ، وفى التصغير تُقْلَبُ ألفُها ياءً ، تقول فى تصغير باء : بُيَيَّة ، وخاء : خُيَيَّة ، وما كان آخرُه حرفاً سالماً من هذه الحروف قُلِبت ألفُه واواً فى التصغير ، فتقول فى الذّالِ : ذُوَيْلَة ، وفى الضاد : ضُوَيْدَة ، وكذلك قال صاحبُ العين ، وقياسُ الواو فى النحو أن تُصَغَّر : أُوَيَّة بهمزة [فى] أولها .

---

(١) فى الأصل : رجمة .

رفع المسهم

. . . .

القصيدة الراوية :

وقول عباس فى القصيدة الراوية :

مِثْلُ الْخَمَاطَةِ أَغْضَى فوقها الشُّفُرُ

الْخَمَاطَةُ من ورق الشجر : مافيه خُشُونَةٌ وحُرُوشَةٌ وقال أبو حنيفة : الْخَمَاطُ : وَرَقُ التِّين الْجَبَلِيّ . وقال أيضاً فى باب القَطَانِي : الْخَمَاطُ : تِبنُ الذُّرَة ، إذا ذُرِّيَتَ ، وله أُكَالٌ فى الجِلْدِ . والعائر : كالشَّىْء يتنخّس فى العين كأنه يَعُورُها . وجعله سَهِراً ، وإنما السَّهِرُ الرجل ، لأنه لم يَفْتُرْ عنه ، فكأنه قد سَهِر ، ولم يَنَمْ ، كما قال آخر فى وصف بَرْقٍ :

حتى شئاها كليل موهناً عمل باتت طِرَاباً وبات الليلُ لم يَنَمِ

شئاها : شاقها ، يقال : شاه وشاءه بمعنى واحد ، أى شاقه ، وأنشد :

ولقد عهدت تشاء بالأظعان

فتأمله فإنه بديع من المعانى .

وقوله : الصُّمان والْخَفَرُ : هما موضعان ، وإليه ينسب أبو داود الْخَفَرِى من أهل الحديث . والعَكَر : جمع عَكَرَةٍ ، وهى القِطْعَةُ الضَّخْمَةُ من المال . وعَكَرَةُ اللسانِ أيضاً : أصلُه ، وماغلظ منه ، وعَكَدَتُه[1] أيضاً بالدال .

---

(١) فى اللسان : العكدة — بضم العين وسكون الكاف — والعكدة بفتحهما أصل اللسان والذنب وعقدته . أما فى القاموس فقال : العكدة بضم العين وسكون الكاف . المصمص . وبالتحريك . أصل اللسان وأصل القلب .

رفع المسهم

. . . .

قصيدة عباس السيفية :

وقوله فى السِّينية :

وَجْناء مُجْمَرَةُ المناسم عِرْمِسُ

وَجْناء : غليظة الوَجنات بارزتها ، وذلك يدل على غئور عينيها ، وهم يصفون الإبل بغئور العينين عند طُول السفار ، ويقال : هى الوَجْنَة فى الآدميين ، رَجُلٌ مُوجِنٌ وامرأة مُوجِنَةٌ ، ولا يقال : وَجناء . قاله يعقوب . ومُجْمَرَةُ المناسِم ، أى : نـكبت مَنَاسِمَها الجمارُ ، وهى الحِجارة ، والعِرْمِسُ : الصَّخْرَةُ الصُّلْبَةُ ، وتُشَبَّه بها الناقة الجَلْدة ، وقد يريد بمُجْمَرَةٍ أيضاً أن مناسمَها مجتمعةٌ مُنْضَمَّةٌ ، فذلك أقوى لها ، وقد حكى أجمرت المرأةُ شَعْرَها إذا ظفرته . وأجمر الأمير الجيش أى حبسه عن القفول قال الشاعر :

مُعاوِىَ إمَّا أن يُجَهَّز أهلُنا إلينا ، وإما أنْ نؤوبَ معاويا
أأجْمَرْتَنا إجمارَ كِسْرَى جنُودَه ومَنَّيْتَنَا حتى نَسِينا الأمانِيا

وقوله :

كانوا أمامَ المؤمنين دَرِيئَةً

الدريئة : الحَلْقَة التى يتعلم عليها الرمى ، أى : كانوا كالدَّرِيئَةِ للرِّمَاح .

وقوله :

والشَّمسُ يومئذ عليهم أشْمَسُ

يريد : لمعَانَ الشمسِ ، فى كل بَيْضَةٍ من بَيْضاتِ الحديد ، والسيوف ،

رفع
المسـاهم

كأنها شَمسٌ . وهو معنى صحيح وتشبيه مليح .

وفيها قوله:

والخيلُ تُقْرَعُ بالكُماة وتُضْرَسُ

أى : تضرب أضراسُها باللُّجُم . تقول : ضَرَسْتُهُ ، أى ضربت أضراسه ، كما تقول : رَأَسْتُهُ ، أى أصبت رأسه .

قصيدة عباس الميمية :

وقوله : فى كلمته الميمية :

وفيهم مِنْهُم مَنْ تَسَلَّما

يريد : وفى سُلَيْم مَنْ اعْتَزَى إليهم من حُلَفائهم ، فتَسَلَّم بذلك ، كما تقول : تَقَيَّس الرجلُ ، إذا اعْتَزَى إلى قَيْسٍ . أنشد سيبويه :

وقَيْسَ عَيْلَانَ وَمَنْ تَقَيَّسا(١)

---

(١) يقول ابن قتيبة : تأتى تفعلت بمعنى إدخالك نفسك فى أمر حتى تضاف إليه ، أو تصير من أهله ، ثم أتى بأمثلة واستشهد بهذا الرجز المنسوب إلى رؤبة ولكن ابن برى يقول : الرجز للعجاج وليس لرؤبة . وصواب إنشاده : وقيس بالنصب ، لأن قبله :

وإن دعوت من تميم أرؤسا

وجواب إن فى البيت الثالث :

تقاعس العز بنا فاقعنسسا

أنظر اللسان مادة قيس ، وأدب الكاتب لابن قتيبة ص ٤٥٧ ، ص ٣٢٢ من شرح أدب الكاتب للجواليقى ، وقد سبق الحديث .

حول قصيدة ضمضم بن الحارث :

وأنشد لضَمْضَم بن الحارثِ ، وهو من شهد حُنَيْناً مع المسلمين ، وكان ينبغى لأبى عُمَرَ رحمه الله أن يذكره فى الصَّحابة ، لأنه من شَرْطه ، فلم يفعل ، وقد أنشد له ابن إسحاق مايدل على أنه منهم لقوله :

يَوْماً على أثَرِ النِّهابِ وتارةً　　كُتِبَتْ مُجاهِدَةً مع الأنصار

يعنى: فرسه، وكذلك لم يذكر أبو عُمَرَ ضَمْضَم بن قَتادَةَ العِجْلِيّ ، وله حديث مشهور فى قدومه على النبى صلى الله عليه وسلم ، وذلك أنه قال له : يارسولَ الله، إنى قد تزوجت امرأة فولدت لى غُلاما أسْوَد ، فقال له النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ هل لك من إبلٍ ، فقال : نعم[1] والحديثُ مشهور ، غير أنه لم يُسَمَّ باسْمِهِ فى الصحيحين ، وسمى فى بَعْضِ المُسْنَدات ، وذكره عبد الغنى فى المُبْهَماتِ ، وذكر عبدُ الغنى فى الحديث زيادة حسنة قال : كانت المرأة من بنى عِجْلٍ ، فقدم المدينةَ عجائزُ من عِجْل ، فسُئِلْن عن المرأةِ التى ولدت الغلامَ الأسودَ ، فقلن : كان فى آبائها رَجُلٌ أسْوَدُ .

---

(١) بقية الحديث : قال : فما ألوانها ؟ قال : فيها الأحمر والأسود وغير ذلك ، قال : فأنى ذلك ؟ قال : عرق نزع ، قال : هذا عرق نزع ، قال : فقدم عجائز من بنى عجل ، فأخبرن أنه كان المرأة جدة سوداء . قال أبو موسى فى الذيل : إسناده عجيب . قال الحافظ : أصل القصة فى الصحيحين من حديث أبى هريرة . وسيأتى .

. . . .

شعر أبي خراش :

وذكر شِعْرَ أبي خِرَاشٍ ، واسمه : خُوَيْلِدُ بنُ مُرَّةَ شاعر إسلامي مات في خلافةِ عمر رحمه الله : من نَهْشِ حَيَّةٍ نَهَشَتْه ، كان سببها أضيافٌ نزلوا به ، وخبره بذلك عجيب ، وله فيه شعر . والخِرَاشُ : وَسْمٌ لإبل يكون من الصُّدْغ إلى الذَّقْن : فقوله :

تكاد يداه تُسْلِمان إزارَه من الجُودِ لما أذْلَقَتْه الشمائلُ

يريد : أنه من سخائه ، يريد أن يتجرَّد من إزاره لسائله ، فيُسْلِمه إليه ، وألفيت بخطِّ أبي الوليد الوقشي : الجود هاهنا ، وعلى هذه الرواية ، وبهذه الرتبة : السَّخاء ، وكذلك فسره الأصمعي والطُّوسِي ، وأمَّا على ما وقع في شِعْرِ الهُذَلِيِّ ، وفسر في الغريب المصنف ، فهو الجوعُ[1] وموضعُه في الشعر المذكور يتلو قولَه : تَرَوَّح مَقْرُوراً .

وفي الغريب رداءه بدل إزاره .

وقوله :

ولكن قِرْنَ الظَّهر للمرء شاغل

قِرن بالقاف : جمعه : أقران ، ويروى :

ولكن أقرانَ الظهور مَقَاتِل

(١) عقب الخشني على تفسيره بالجوع . ويكاد أن يكون الجود هنا على أصله يعني : كثرة العطاء

رفع عبد الرحمن الهجري المسلم

. . . .

مَقاتل: جمع مِقْتَل بكسر الميم، مثل مِحْرَبٍ من الحرب، أى من كان قِرْن ظهر، فإنه قاتلٌ وغالب .

وقوله يصف الريح :

لها حَدَبٌ تحَتَثَّهُ فيوائل

بالحاء المهملة وقع فى الأصل، وقد يسمى انحدار الماء ونحوه حَدَباً، فيكون هذا منه، وإلا فالخَدَبُ بالخاء المنقوطة أشبهُ بمعنى البيت، لأنهم يقولون : ريح خَدْباء كان بها خدباً[1]، وهو الْهَوجُ[2] .

من شعر مالك بن عوف :

وذكر فى آخر بيت من شعر مالك بن عوف :

مثلُ الدَّرِيئَة تستحل وتشرم

الدريئة : الحلقة التى يتعلم عليها الطعن، وهو مهموز[3]، وتُسْتَحَلُ بالحاء المهملة، وقع فى الأصل، وفى غيره: تُستَخَلُ بالخاء مُعْجَمَةً، وهو أظهر فى المعنى من الخِلَال، وقد يكون لِتُسْتَحَلَّ وَجْه من الحل إذ بعده تُشْرَمُ، وكلاهما قريب فى المعنى .

(١) كذا بالأصل .

(٢) فى الأصل : الهودج .والتصويب من المعاجم .

(٣) جعلها القاموس فى باب درى أيضاً .

رفع المسـاهم

ذكر غزوة الطائف بعد حنين

فى سنة ثمان

ولما قدم فَلُّ ثقيفٍ الطائفَ أغلقوا عليهم أبوابَ مدينتها ، وصنعوا الصنائع للقتال .

ولم يشهد حُنَيْناً ولا حِصارَ الطائف عُروةُ بن مسعود ، ولا غَيْلان بن سَلَمة ، كانا بجُرَش يتعلّمان صنعة الدَّبَّاب والمَجانيق والضُّبُور .

ثم سار رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف حين فرغ من حنين ؛ فقال كَعْب بن مالك ، حين أجمع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم السيرَ إلى الطائف :

شعر كعب

قَضَيْنا مِنْ تِهامَةَ كلَّ رَيْبٍ   وخَيْبَرَ ثم أَجْمَمْنا السُّيوفا
نُخَيِّرُها ولو نَطَقَتْ لقالَتْ   قَواطِعُهنّ : دَوْساً أوْ ثَقِيفا
فَلَسْتُ لحاضِنٍ إنْ لم تَرَوْها   بساحة داركم منّا أُلوفا
ونَنْتَزِعُ العُرُوش ببطن وَجٍّ   وتُصْبِحُ دُورُكم منكم خُلُوفا
ويأتيكُمْ لَنا سَرَعانُ خَيْلٍ   يُغادر خَلْفَه جمعاً كَثيفا
إذا نَزَلُوا بساحَتِكُمْ سَمِعْتُمْ   لها مما أناخ بها رَجِيفا
بأيْديهِمْ قَواضِبُ مُرْهَفاتٌ   يُزِرْنَ المُصْطَلِينَ بها الحُتوفا
كأمْثال العَقائق أخْلَصَتْها   قُيُونُ الهِنْدِ لم تُضْرَبْ كَتِيفا

. . . .

رفع المسهم

تخال جَدِيَّة الأبطال فيها   غداةَ الزَّحْف جاديًّا مَدُوفا
أجِدُّهُمُ أليسَ لهُمْ نَصِيحٌ   مِنَ الأقوامِ كانَ بنا عَرِيفا
يُخبِّرُهُم بأنَّا قد جَمَعْنا   عِتاقَ الخيلِ والنُّجُبَ الطُّرُوفا
وأنَّا قد أتَيْناهُمْ بزَحْفٍ   يُحيطُ بسُورِ حِصْنِهِمُ صُفُوفا
رئيسُهُم النبيُّ وكانَ صُلْباً   نقيَّ القَلْبِ مُصْطَبِراً عَزُوفا
رشيدَ الأمْرِ ذو حُكْمٍ وعِلْمٍ   وحِلْمٍ لم يكن نَزِقاً خَفِيفا
نُطيعُ نبيَّنا ونطيعُ رَبًّا   هو الرَّحمن كانَ بنا رَءُوفا
فإن تُلْقُوا إلينا السِّلْمَ نقبل   ونجعلْكُمْ لَنا عَضُداً وَرِيفا
وإن تأبَوْا نُجاهِدْكم ونصبرْ   ولا يكُ أمرُنا رَعِشاً ضعيفا
نُجالِدُ ما بقينا أو تُنِيبوا   إلى الإسلامِ إذْعاناً مُضِيفا
نُجاهِدُ لا نُبالي مَنْ لَقِينا   أأهلَكْنا التِّلادَ أم الطَّرِيفا
وكم مِنْ مَعْشَرٍ ألبُوا عَلَيْنا   صَمِيمَ الجِذْمِ منهم والحَلِيفا
أتَوْنا لا يَرَوْنَ لهم كِفاءً   فجَدَّعْنا المَسامِعَ والأُنُوفا
بكُلِّ مهنَّدٍ لَيْنٍ صَقِيل   يَسوقُهُمْ بِها سَوْقاً عَنِيفا
لأمْرِ اللهِ والإسلامِ حتى   يقومَ الدِّينُ معتدلاً حَنِيفا
وتُنْسى اللاتُ والعُزَّى ووَدٌّ   ونَسْلُبُها القَلائدَ والشُّنُوفا
فأمسَوْا قد أقَرُّوا واطْمأنُّوا   ومَن لا يمتنعْ يقبل خُسُوفا

كنانة يرد على كعب

فأجابه كِنانة بن عبد يالِيلَ بن عَمْرو بن عُمير ، فقال :

مَنْ كانَ يَبْغِينا يُريدُ قِتالَنا ... فإنَّا بدارٍ مَعْلَمٍ لا نَرِيمُها
وجَدْنا بها الآباءَ مِن قبلِ ما تَرَى ... وكانت لَنا أطْوَاؤُها وكُرُومُها
وقد جَرَّبَتْنا قبلُ عمرُو بنُ عامرٍ ... فأخْبَرَها ذو رأيها وحَلِيمُها
وقد عَلِمَتْ إنْ قالتِ الحقَّ أنَّنا ... إذا ما أبَتْ صُعْرُ الخُدود نُقيمُها
نُقَوِّمُها حتى يَلِينَ شَرِيسُها ... ويُعْرَفُ للحَقِّ المُبين ظَلُومها
عَلَيْنا دِلاصٌ من تُراثِ مُحَرِّقٍ ... كلَوْن السماء زَيَّنَتْها نُجومُها
نُرَفِّعُها عنَّا ببيضٍ صَوارِمٍ ... إذا جُرِّدَتْ فى غَمْرة لا نَشِيمُها

قصيدة شداد فى المسير إلى الطائف

قال ابن إسحاق : وقال شدادُ بن عارض الجُشَمِىّ فى مَسير رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف :

لا تَنْصُرُوا اللاتَ إنّ اللهَ مُهْلِكُها ... وكيف يُنْصَرُ مَنْ هو ليس بمُنْتَصِرُ
إن التى حُرِّقَت بالسُّدِّ فاشتعلَتْ ... ولم يُقاتَلْ لَدَى أحْجارها هَدَرُ
إنَّ الرسولَ متى يَنزلْ بلادَكُمُ ... يَظْعَنْ وليس بها من أهلها بَشَرُ

الطريق إلى الطائف

قال ابن إسحاق : فسَلكَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على نَخْلَةَ

. . . .

اليمانيةَ ؛ ثم على قَرْن ، ثم على المُلَيْح ، ثم على بُحْرَةِ الرُّغاءِ مِنْ لِيَّة ، فابتنى بها مسجداً فصلَّى فيه .

قال ابن إسحاق : فحدثني عمرو بن شعيب : أنه أقاد يومئذ بِبُحْرَةِ الرُّغاء ، حين نزلها ، بدم ، وهو أوّل دم أُقيد به في الإسلام ، رَجلٌ من بني لَيْث قَتَلَ رجلا من هُذَيل ، فقتله به ؛ وأمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وهو بِلِيَّةَ ، بحصن مالك بن عوف فهُدِم ، ثم سلك في طريق يقال لها الضَّيْقَة ، فلما توجَّه فيها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سأل عن اسمها ، فقال : ما اسمُ هذه الطريق ؟ فقيل له : الضَّيْقة ، فقال : بل هي اليُسْرَى ، ثم خرج منها على نَخِب ، حتى نزل تحت سِدْرَةٍ يقال لها الصادرة ، قريباً من مال رجل من ثقيف ، فأرسل إليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إما أن تخرُج ، وإما أن نُخْرِبَ عليك حائطك ؛ فأبى أنْ يخرج ، فأمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بإخرابه

ثم مضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل قريباً من الطائف ، فضرب به عسكره ، فقُتِل به ناس من أصحابه بالنَّبْل ، وذلك أن العسكر اقترب من حائط الطائف ، فكانت النَّبْل تنالُهم ، ولم يقدر المسلمون على أن يدخلوا حائطهم ، أغلقوه دونهم ؛ فلما أُصيب أولئك النَّفر من أصحابه بالنَّبْل وضع عسكره عند مسجده الذي بالطائف اليوم ، فحاصرهم بضعاً وعشرين ليلة .

قال ابن هشام : ويقال سَبْعَ عَشْرَةَ لَيْلَة .

قال ابن إسحاق : ومعه امرأتان من نسائه ، إحداهما أمُّ سَلَمة بنت

رفع
المسيّب
غفر الله له ولوالديه

أبي أُمَيَّة ، فضرب لهما قُبَّتين ، ثم صلى بين القُبَّتين . ثم أقام ، فلما أسلمتْ ثقيف بَنَى على مُصَلَّى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أُمَيَّة بن وهب بن مُعَتِّب ابن مالك مسجداً ، وكانت في ذلك المسجد سارية ، فيما يَزْعمون ، لا تطلع الشمس عليها يوماً من الدهر إلا سُمِع لها نَقِيض ، فحاصرهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وقاتلهم قتالا شديداً ، وتراموْا بالنَّبْل .

أول من رمى بالمنجنيق

قال ابن هشام : ورماهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالمَنْجنيق . حدثني من أثق به ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من رَمى في الإسلام بالمَنْجنيق ، رَمى أهلَ الطائف .

يوم الشدخة

قال ابن إسحاق : حتى إذا كان يومُ الشَّدْخَة عند جدار الطائف ، دخل نفر من أصحاب رسولِ الله صلى الله عليه وسلم تحت دَبَّابَة ، ثم زحفوا بها إلى جدار الطائف ليَخْرِقوه ، فأرسلَتْ عليهم ثقيف سِكَكَ الحديد مُحْماة بالنار ، فخرجوا من تحتها ، فرمتهم ثقيف بالنَّبْل ، فقتلوا منهم رجالا ، فأمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بقطع أعناب ثقيف ، فوقع الناس فيها يقطعون .

بين أبي سفيان وثقيف

وتقدّم أبو سفيانَ بن حَرْب والمُغيرةُ بن شُعْبة إلى الطائف ، فناديا ثقيفاً:

أنْ أمِّنونا حتى نكلِّمكم ، فأمنوهما ، فدعَوْا نساء من نساء من قُرَيش وبنى كِنانة ليخرجْن إليهما ، وهما يخافان عليهنّ السِّباءَ ، فأبَينَ ، منهنّ : آمنةُ بنت أبى سُفيان ، كانت عند عُرْوَةَ بن مسعود ، له منها داوُد بن عُروة .

قال ابن هشام : ويقال إن أمّ داود ميمونة بنت أبى سُفيان ، وكانت عند أبى مُرّة بن عُرْوة بن مسعود ، فولدت له داود بن أبى مُرّة .

قال ابن إسحاق : والفِرَاسِيَّةُ بنت سُوَيْد بن عمرو بن ثعلبة ، لها عبد الرحمن بن قارِب ، والفُقَيْمِيَّةُ أُمَيْمَةُ بنت الناسىء أُمَيَّةَ بن قَلَع ؛ فلما أبين عليهما ، قال لهما ابن الأسود بن مسعود : يا أبا سُفيان ويامغيرة ، ألا أدلُّكما على خير مما جئتما له ، إن مالَ بنى الأسود بن مسعود حيث قد علمتما ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين الطائف ، نازلا بوادٍ يقال له العقيق ، إنه ليس بالطائف مال أبعَدُ رِشاء ، ولا أشدُّ مُؤْنَةً ، ولا أبعَدُ عمارة من مال بنى الأسود ، وإن محمداً إن قطعه لم يُعمَر أبداً ، فكلِّماه فليأخذْ لنفسه ، أو ليدَعْه لله والرَّحم ، فإنّ بيننا وبينه من القرابة مالا يُجْهَل ؛ فزعموا أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم تركه لهم .

تفسير أبى بكر لرؤيا الرسول

وقد بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبى بكر الصدّيق وهو محاصر ثقيفاً : يا أبا بكر ، إنى رأيت أنى أُهْدِيَتْ لى قَعْبَة مملوءة زبْداً ، فنقرها ديك ، فهَراق ما فيها . فقال أبو بكر : ما أظنّ أنْ تُدْرِك منهم يومك هذا

ما تريد . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وأنا لا أرى ذلك .

سبب ارتحال المسلمين

ثم إنّ خُويلة بنت حكيم بن أُميّة بن حارثة بن الأوقص السُّلَمية ، وهى امرأة عثمان ، قالت : يارسول الله ، أعطنى إنْ فتح الله عليك الطائفَ حُلِىّ بادية ابنة غَيْلانَ بن سَلَمة ، أو حُلِىَّ الفارعةِ بنت عقيل ، وكانتا من أحلى نساء ثقيف .

فذُكر لى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها : وإن كان لم يُؤذن لى فى ثقيف ياخُويلة ؟ فخرجت خُويلة ، فذكرت ذلك لعمر بن الخطّاب ، فدخل على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ماحديث حدَّثَتْنِيه خُويلة ، زعمت أنك قلته ؟ قال : قد قلته ؛ قال : أوَ ما أُذِن لك فيهم يارسول الله ؟ قال : لا . قال : أفلا أُؤذّن بالرحيل ؟ قال : بلى . قال : فأذَّن عُمَرُ بالرَّحيل .

عيينة بن حصن

فلما استقلّ الناسُ نادى سعيد بن عُبيد بن أسيد بن أبى عمرو بن علاج : ألا إنّ الحىّ مقيم قال : يقول عُيَيْنَة بن حِصْن : أجل ، والله مَجَدَةً كِراماً ؛ فقال له رجل من المسلمين : قاتلك الله ياعُيَينة ، أتمدح المشركين بالامتناع من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد جئت تنصر رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ! فقال : إنى والله ماجئت لأقاتل ثقيفاً معكم ، ولكنى أردت أن يفتح محمد

الطائف ، فأصيب من ثقيف جارية أَتَّطِئُها ، لعلّها تلد لى رجلا ، فإن ثقيفاً قوم مَنَاكير .

ونزل على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فى إقامته ممن كان محاصراً بالطائف عَبِيدٌ ، فأسْلَمُوا ، فأعتقهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم .

العبيد الذين نزلوا من حصن الطائف

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم ، عن عبد الله بن مُكَدَّم ، عن رجال من ثقيف ، قالوا : لمَّا أسلم أهلُ الطائف تكلّم نفر منهم فى أولئك العَبيد ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : لا ، أولئك عُتَقاء الله ؛ وكان ممن تكلّم فيهم الحارث بن كَلَدَة .

قال ابن هشام : وقد سَمَّى ابن إسحاقَ من نزل من أولئك العَبيد .

شعر الضحاك وموضوعه

قال ابن إسحاق : وقد كانت ثقيف أصابت أهلا لمَرْوَانَ بن قَيْس الدَّوْسِيّ ، وكان قد أسلم ، وظاهَرَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم على ثقيف ، فزعمت ثقيف ، وهو الذى تزعم به ثقيف أنها من قَيس : أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال لمروان بن قَيْس : خُذ يامروان بأهلك أوّلَ رجل من قَيس تلقاه ، فلقى أُبَىّ بن مالك القُشَيْرىّ ، فأخذه حتى يؤدّوا إليه أهله ، فقام فى ذلك الضَّحاك بن سُفيانَ الكِلابى ، فكلّم ثقيفاً حتى أرسلوا أهل مروان ،

رفع
المسهم

وأطاق لهم أُبىّ بن مالك ، فقال الضحاك بن سُفيان فى شىء كان بينه وبين أُبىّ بن مالك :

أتَنْسَى بلائى يا أُبَىَّ بْنَ مالكٍ … غداةَ الرسولُ مُعرِضٌ عنك أشوسُ
يقودك مَرْوان بن قَيْس بحبله … ذليلا كما قِيد الذَّلول المُخَيَّسُ
فعادتْ عليكَ من ثَقيفٍ عِصابَةٌ … متى يأتهم مُستَقْبِسُ الشر يُقْبِسوا
فكانُوا همُ المولَى فعادت حُلُومُهُمْ … عليك وقد كادتْ بك النَّفس تيأسُ

قال ابن هشام : « يُقْبِسُوا » عن غير ابن إسحاق .

الشهداء فى يوم الطائف

قال ابن إسحاق : هذه تسمية من استُشْهد من المسلمين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الطائف :

من قُرَيش ، ثم من بنى أُميَّة بن عبد شَمْس : سعيد بن سعيد بن العاص ابن أُميَّة ، وعُرْفُطَة بن جَنَّاب ، حليفٌ لهم ، من الأَسْد بن الغَوْث .

قال ابن هشام : ويقال : ابن حُباب .

قال ابن إسحاق : ومن بنى تَيْم بن مُرَّة : عبد الله بن أبى بكر الصدّيق ، رُمى بسهم ، فمات منه بالمدينة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومن بنى مخزوم : عبد الله بن أبى أُميَّة بن المغيرة ، من رَمْية رُمِيها يومئذ .

ومن بنى عدىّ بن كَعْب : عبد الله بن عامر بن ربيعة ، حليف لهم .

ومن بنى سهم بن عمرو : السائب بن الحارث بن قيس بن عدىّ ، وأخوه عبد الله بن الحارث .

ومن بنى سعد بن ليث : جُلَيحة بن عبد الله .

واستُشهد من الأنصار : من بنى سَلِمَة : ثابت بن الجذَع .

ومن بنى مازن بن النَّجار : الحارث بن سَهْل بن أبى صعصعة .

ومن بنى ساعدة : المنذر بن عبد الله .

ومن الأوس : رُقَيم بن ثابت بن ثعلبة بن زيد بن لَوْذان بن معاوية .

فجميع من استُشهد بالطائف من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنا عشر رجلا ، سبعة من قريش ، وأربعة من الأنصار ، ورجل من بنى ليث.

قصيدة بجير فى حنين والطائف

فلما انصرف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن الطائف بعد القِتال والحِصار ، قال بُجَير بن زُهَير بن أبى سُلْمَى يذكر حُنَيْناً والطائف :

كانت عُلالةَ يومَ بطنِ حُنَيْنٍ ... وغداةَ أوْطاسٍ ويومَ الأبْرَقِ
جَمَعَتْ بإغْوَاء هَوَازِنُ جَمْعَها ... فتَبَدَّدُوا كالطَّائر المتمزِّقِ
لم يَمْنَعُوا مِنَّا مَقاماً وَاحِداً ... إلا جِدارَهُمُ وبطنَ الخَنْدَقِ
ولقدْ تَعَرَّضْنا لِكَيما يَخْرُجُوا ... فتَحَصَّنوا مِنَّا ببابٍ مُغْلَقِ
تَرْتَد حَسْرانًا إلى رَجْرَاجَةٍ ... شَهْباءَ تَلمَعُ بالمَنايا فَيْلَقِ

مَلْمُومَةٍ خَضْرَاء لو قَذَفُوا بها ... حَضَنًا لظَلّ كأنه لم يُخْلَقِ
مَشْيَ الضِّراءِ على الهَرَاسِ كأنَّنا ... قُدُرٌ تَفَرَّقُ في القِيادِ وتَلْتقي
في كلّ سابغة إذا ما استحْصَنَتْ ... كالنِّهْي هَبَّتْ رِيحُهُ المتَرَقْرِقِ
جُدُلٌ تَمَسّ فُضُولُهُنّ نعالَنا ... منْ نَسْجِ داود وآلِ مُحَرِّقِ

أمر أموال هوازن وسباياها وعطايا المؤلفة قلوبهم منها وإنعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها

ثم خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين انصرفَ عن الطائف على دَحْنا حتى نزل الجِعْرَانة فيمَنْ معه من الناس ، ومعه من هوازن سَبْيٌ كثير وقد قال له رجل من أصحابه يوم ظَعَن عن ثقيف : يارسول الله ، ادع عَلَيهم ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : اللَّهُمَّ اهْدِ ثقيفًا وأْتِ بهم .

ثم أتاه وَفْد هوازن بالجِعْرانة ، وكان مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم من سَبْي هوازنَ ستة آلاف من الذَّراريّ والنساء ، ومن الإبل والشَّاء ما لا يُدْرَى ما عِدَّتُه .

قال ابن إسحاق : فحدثني عمرو بن شُعيب ، عن أبيه ، عن جدّه عبد الله ابن عمرو : أنّ وفْد هوازِنَ أتَوْا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وقد أسلموا ، فقالوا : يارسول ، إنا أصْلٌ وعشيرة ، وقد أصابنا من البلاء مالم يخْفَ عليك ، فامنُن علينا ، مَنَّ الله عليك . قال : وقام رجل من هوازنَ ، ثم أحدُ بني سعد

ابن بكر، يقال له زهير، يكنى أبا صرد، فقال: يا رسول الله، إنما في الحظائر عماتك وخالاتك وحواضنك اللاتي كن يكفلنك، ولو أنا ملحنا للحارث بن أبي شمر، أو للنعمان بن المنذر، ثم نزل منا بمثل الذي نزلت به، رجونا عطفه وعائدته علينا، وأنت خير المكفولين.

قال ابن هشام: ويروى: ولو أنا مالحنا الحارث بن أبي شمر، أو النعمان ابن المنذر.

قال ابن إسحاق: فحدثني عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده عبد الله ابن عمرو، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أبناؤكم ونساؤكم أحب إليكم أم أموالكم؟ فقالوا: يا رسول الله، خيرتنا بين أموالنا وأحسابنا، بل ترد إلينا نساءنا وأبناءنا، فهو أحب إلينا؛ فقال لهم: أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم، وإذا ما أنا صليت الظهر بالناس، فقوموا فقولوا: إنا نستشفع برسول الله إلى المسلمين، وبالمسلمين إلى رسول الله في أبنائنا ونسائنا، فسأعطيكم عند ذلك، وأسأل لكم. فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس الظهر، قاموا فتكلموا بالذي أمرهم به، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وأما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم؛ فقال المهاجرون: وما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وقالت الأنصار: وما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال الأقرع بن حابس: أما أنا وبنو تميم فلا. وقال عيينة بن حصن: أما أنا وبنو فزارة فلا. وقال عباس بن مرداس: أما أنا وبنو سليم فلا؛ فقالت بنو سليم: بلى ما

بما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : يقول عباس بن مرداس لبني سليم : وهنتموني .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما من تمسك منكم بحقه من هذا السبي فله بكل إنسان ست فرائض ، من أول سبي أصيبه ، فردوا إلى الناس أبناءهم ونساءهم .

قال ابن إسحاق : وحدثني أبو وجزة يزيد بن عبيد السعدي : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى علي بن أبي طالب رضي الله عنه جارية ، يقال لها رَيْطة بنت هلال بن حيان بن عُمَيرة بن هلال بن ناصرة بن قُصَيَّة ابن نصر بن سعد بن بكر ، وأعطى عثمان بن عفان جارية ، يقال لها زينب بنت حيان بن عمرو بن حيان ، وأعطى عمر بن الخطاب جارية ، فوهبها لعبد الله بن عُمَر ابنه .

قال ابن إسحاق : فحدثني نافع مولى عبد الله بن عمر ، عن عبد الله ابن عمر ، قال : بعثت بها إلى أخوالي من بني جمح ، ليصلحوا لي منها ويهيئوها ، حتى أطوف بالبيت ، ثم آتيهم ، وأنا أريد أن أصيبها إذا رجعت إليها . قال : فخرجت من المسجد حين فرغت ، فإذا الناس يشتدون ، فقلت : ما شأنكم ؟ قالوا : رد علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءنا وأبناءنا ؛ فقلت : تلكم صاحبتكم في بني جُمَح ، فاذهبوا فخذوها ، فذهبوا إليها فأخذوها .

قال ابن إسحاق : وأما عُيَيْنَةُ بن حِصْن ، فأخذ عجوزاً من عجائز هوازِنَ ، وقال حين أخذها : أرى عجوزاً إني لأحسِب لها في الحيِّ نسباً ، وعسى أن يعظُم فِدَاؤها . فلما ردّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم السَّبايا بستّ فرائض ، أبى أن يَرُدَّها ، فقال له زُهَير أبو صُرَد : خُذها عنك ، فوالله مافُوها ببارِدٍ ، ولا ثديُها بناهِدٍ ، ولابطنها بوالِدٍ ، ولا زوجُها بواجِد ، ولا دَرُّها بماكِدٍ . فردَّها بستٍّ فرائضَ حينَ قال له زُهَير ما قال ؛ فزعموا أن عُيَيْنةَ لقِيَ الأقرعَ بن حابس ، فشكا إليه ذلك ، فقال : إنك والله ما أخذتَها بيضاءَ غَريرة ، ولا نَصَفاً وَثيرَة .

وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لوفد هوازن ، وسألهم عن مالك بن عوف مافعل ؟ فقالوا : هو بالطائف مع ثقيف ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أخبروا مالـكا أنه إن أتاني مُسلماً رددتُ عليه أهلَه وماله ، وأعطيته مِائةً من الإبل ، فأُتِيَ مالكٌ بذلك ، فخرج إليه من الطائف . وقد كان مالك خاف ثقيفاً على نفسه أن يَعلَموا أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال له ماقال ، فيحبسوه ، فأمر براحلته فهُيِّئَتْ له ، وأمر بفرس له فأُتِيَ به إلى الطائف ، فخرج ليلا ، فجلس على فرسه ، فركضه حتى أتى راحلته حيث أمر بها أن تُحْبَس ، فركبها ، فلَحِق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأدركه بالجِعْرانة أو بمكة ، فردّ عليه أهلَه وماله ، وأعطاه مِائةً من الإبل ، وأسلم فحَسُن إسلامه ؛ فقال مالك بن عوف حين أسلم :

ما إن رأيتُ ولا سمِعْتُ بمِثْله   في النّاس كُلِّهِم بمِثْل محمَّدِ

أوفى وأعطى لجزيل إذا اجْتُدِى ومتى تشأ يُخبرك عما فى غد
وإذا الكتيبة عردت أنيابُها بالسمهرى وضرب كل مُهنّدِ
فكأنه ليثٌ على أشبالِهِ وسْط الهباءة خادرٌ فى مرصدِ

فاستعمله رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على من أسلم من قومه ؛ وتلك القبائل : ثُمَالَةُ ، وسَلِمَةُ ، وفَهم ، فكان يُقاتل بهم ثقيفاً ، لا يخرج لهم سَرْحٌ إلا أغار عليه ، حتى ضيَّق عليهم ؛ فقال أبو مِحْجَن بن حَبيب بن عمرو بن عُمير الثقفى :

هابتِ الأعداء جانبَنا ثم تغزُونا بنو سَلِمَهْ
وأتانا مالكٌ بهمِ ناقضاً للعهدِ والحُرُمَهْ
وأتوْنا فى منازِلنا ولقد كنّا أُولى نَقِمَهْ

قال ابن إسحاق : ولما فرغ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من ردّ سبايا حُنين إلى أهلها ، ركب ، واتَّبعه الناس يقولون : يارسول الله ، أقسم علينا فَيئنَا من الإبل والغنم ، حتى ألجئوه إلى شجرة ، فاختطفت عنه رداءه ؛ فقال : أدُّوا علىّ ردائى أيُّها النَّاس ، فوالله أن لو كان لكم بعدد شجر تِهامَة نَعَما لقسمته عليكم ، ثم ما ألفيتمونى بخيلا ولا جبانا ولا كذّابا ، ثم قام إلى جنب بعير . فأخذ وَبَرَة من سَنامه ، فجعلها بين أصْبَعَيْه ، ثم رفعها ، ثم قال : أيها الناس ، والله مالى من فَيئكم ولا هذه الوبرة إلا الخُمس ، والخُمس مردود عليكم . فأدُّوا الخِياط والمِخْيَط ، فإنّ الغُلولَ يكون على أهله عاراً وناراً وشَناراً يوم القيامة . قال : فجاء رجل من الأنصار بكُبَّة من خُيوط شعر ،

فقال: يا رسول الله، أخذت هذه الكبة أعمل بها برذعة بعير لي دبر؛ فقال: أما نصيبي منها فلك! قال: أما إذا بلغت هذا فلا حاجة لي بها، ثم طرحها من يده.

قال ابن هشام: وذكر زيد بن أسلم عن أبيه: أن عقيل بن أبي طالب دخل يوم حنين على امرأته فاطمة بنت شيبة بن ربيعة وسيفه متلطخ دمًا، فقالت: إني قد عرفت أنك قد قاتلت، فماذا أصبت من غنائم المشركين؟ فقال: دونك هذه الإبرة تخيطين بها ثيابك، فدفعها إليها، فسمع منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من أخذ شيئًا فليرده، حتى الخياط والمخيط. فرجع عقيل، فقال: ما أرى إبرتك إلا قد ذهبت، فأخذها، فألقاها في الغنائم.

قال ابن إسحاق: وأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤلفة قلوبهم، وكانوا أشرافًا من أشراف الناس، يتألفهم ويتألف بهم قومهم، فأعطى أبا سفيان بن حرب مائة بعير، وأعطى ابنه معاوية مائة بعير، وأعطى حكيم ابن حزام مائة بعير، وأعطى الحارث بن الحارث بن كلدة، أخا بني عبد الدار، مائة بعير.

قال ابن هشام: نصير بن الحارث بن كلدة؛ ويجوز أن يكون اسمه الحارث أيضًا.

قال ابن إسحاق: وأعطى الحارث بن هشام مائة بعير، وأعطى سهيل

سهيل ابن عمرو مائة بعير، وأعطى حُوَيطب بن عبد العُزَّى بن أبي قيس مائة بعير، وأعطى العلاء بن جارية الثقفي، حليف بني زهرة مائة بعير، وأعطى عُيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر مائة بعير، وأعطى الأقرع بن حابس التميمي مائة بعير. وأعطى مالك بن عوف النَّصْري مائة بعير، وأعطى صفوان بن أمية مائة بعير؛ فهؤلاء أصحاب المئين.

وأعطى دون المائة رجالا من قريش، منهم مَخْرَمة بن نوفل الزُّهْري، وعُمَير بن وهب الجُمَحي، وهشام بن عمرو أخو بني عامر بن لؤي، لا أحفظ ما أعطاهم، وقد عرفت أنها دون المائة، وأعطى سعيد بن يربوع بن عنكثة بن عامر بن مخزوم خمسين من الإبل، وأعطى السَّهْمي خمسين من الإبل.

قال ابن هشام: واسمه عدي بن قيس.

قال ابن إسحاق: وأعطى عباسَ بن مِرْداس أباعر فسخطها، فعاتب فيها رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، فقال عباس بن مرداس يعاتب رسولَ الله صلى الله عليه وسلم:

كانت نِهابا تلافيتها ... بكَرِّي على المُهْر في الأجرعِ

وإيقاظي القومَ أن يَرْقُدوا ... إذا هَجَع الناسُ لم أهجعِ

فأصبح نهبي ونهب العُبَيد ... بين عُيينة والأقرعِ

وقد كنتُ في الحرب ذا تُدْرَإٍ ... فلم أُعْطَ شيئا ولم أُمْنَعِ

إلا أفائلَ أُعطيتها ... عديدَ قوائمها الأربعِ

وما كانَ حِصْنٌ وَلا حابِسٌ يفوقانَ شَيْخِيَ فى المَجْمَعِ
وما كنتُ دون امرىء منهما ومَنْ تَضَعِ اليومَ لا يُرْفَعِ

قال ابن هشام: أنشدنى يونُسُ النَّحْوى:

فمَا كانَ حِصْنٌ وَلا حابِسٌ يَفُوقان مِرْداس فى المَجْمَعِ

قال ابن إسحاق: فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: اذهبوا به، فاقطعوا عنى لسانَه، فأعطوه حتى رَضِى، فكان ذلك قطعَ لسانه الذى أمر به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم.

قال ابن هشام: وحدثنى بعض أهل العلم: أن عبَّاس بن مرْداس أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنت القائل:

«فأصبح نَهْبِى ونهبُ العُبَيْد بين الأقرع وعُيَيْنة»؟

فقال أبو بكر الصدّيق: بين عُيينة والأقرع؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: هما واحد؛ فقال أبو بكر: أشهد أنك كما قال الله: (وَما عَلَّمْناهُ الشِّعْرَ وَما يَنْبَغِى لَهُ).

قال ابن هشام: وحدثنى من أثق به من أهل العلم فى إسناد له، عن ابن شهاب الزهرى، عن عُبيد الله بن عبد الله بن عُتبة، عن ابن عباس، قال: بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش وغيرهم، فأعطاهم يوم الجِعْرانة من غنائم حُنَين.

من بنى أميَّة بن عبد شمس : أبو سفيان بن حرب بن أميَّة ، وطليق ابن سفيان بن أميَّة ، وخالد بن أسيد بن أبى العيص بن أميَّة .

ومن بنى عبدالدار بن قصىّ : شَيْبة بن عثمان بن أبى طَلحة بن عبد العُزى ابن عثمان بن عبد الدار ، وأبو السَّنابل بن بَعْكك بن الحارث بن عَميلَة بن السَّبَّاق بن عبد الدار ، وعِكْرِمة بن هاشم بن عبد مَناف بن عبد الدار .

ومن بنى مخزوم بن يقظة : زُهَير بن أبى أميَّة بن المُغيرة ، والحارث ابن هشام بن المغيرة ، وخالد بن هشام بن المغيرة ، وهشام بن الوليد بن المغيرة ، وسُفيان بن عبد الأسد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، والسَّائب بن أبى السائب بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم .

ومن بنى عدىّ بن كَعْب : مطيع بن الأسود بن حارثة بن نَضْلة ، وأبو جَهم بن حُذيفة بن غانم .

ومن بنى جُمَح بن عمرو : صفوانُ بن أميَّة بن خلف . وأُحَيحة بن أميَّة بن خلَف ، وعمير بن وهب بن خَلَف .

ومن بنى سَهْم : عدىّ بن قيس بن حُذافة .

ومن بنى عامر بن لؤىّ : حُوَيْطِبُ بن عبد العُزىّ بن أبى قَيس بن عبد وُدّ هشام بن عمرو بن ربيعة بن الحارث بن حُبَيِّب .

ومن أفناء القبائل : من بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة : نوفل بن معاوية ابن عروة بن صخر بن رَزْن بن يَعْمَر بن نُفاثةَ بن عدىّ بن الدِّيل .

ومن بني قيس، ثم من بني عامر بن صعصعة، ثم من بني كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة: علقمة بن علاثة بن عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب، ولبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب.

ومن بني عامر بن ربيعة: خالد بن هوذة بن ربيعة بن عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وحرملة بن هوذة بن ربيعة بن عمرو.

ومن بني نصر بن معاوية: مالك بن عوف بن سعيد بن يربوع.

ومن بني سليم بن منصور: عباس بن مرداس بن أبي عامر، أخو بني الحارث بن بهثة بن سليم.

ومن بني غطفان، ثم من بني فزارة: عُيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر.

ومن بني تميم ثم من بني حنظلة: الأقرع بن حابس بن عقال، من بني مُجاشع بن دارم.

قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي: أن قائلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحابه: يارسول الله، أعطيت عُيينة بن حصن والأقرع بن حابس مائة مائة، وتركت جُعَيل بن سراقة الضمري! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما والذي نفس محمد بيده لجُعَيل بن سراقة خير من طلاع الأرض، كلهم مثل عُيينة بن حصن والأقرع بن حابس، ولكني تألفتهما ليُسلما، ووكلت جُعَيل بن سراقة إلى إسلامه.

قال ابن إسحاق: وحدثني أبو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر، عن مِقْسَم أبي القاسم، مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل، قال: خرجت أنا وتليد بن كلاب الليثي، حتى أتينا عبد الله بن عمرو بن العاص، وهو يطوف بالبيت، معلقاً نعله بيده، فقلنا له: هل حضرتَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حين كلمه التميمي يوم حُنين؟ قال: نعم، جاء رجل من بني تميم، يقال له ذو الخُوَيْصِرَة، فوقف عليه وهو يعطى الناس، فقال: يا محمد، قد رأيتُ ما صنعتَ في هذا اليوم؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: أجل، فكيف رأيت؟ فقال: لم أرك عدلتَ؛ قال: فغضب النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قال: وَيحك! إذا لم يكن العدلُ عندي، فعند من يكون؟! فقال عمر ابن الخطاب: يا رسول الله، ألا أقتله؟ فقال: لا، دعه فإنه سيكون له شيعة يتعمقون في الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرَّمِيَّة، ينظر في النَّصْل، فلا يوجد شيء، ثم في القِدْح، فلا يوجد شيء، ثم في الفُوق، فلا يوجد شيء، سَبَق الفَرْثَ والدَّم.

قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن علي بن الحسين أبو جعفر، بمثل حديث أبي عُبيدة، وسماه ذا الخُوَيْصِرَة.

شعر حسان في حرمان الأنصار

قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي نَجِيح، عن أبيه بمثل ذلك.

قال ابن هشام: ولما أعطى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ما أعطى

رفع
المسهم
غفر الله له ولوالديه

قريش وقبائلِ العرب ، ولم يعطِ الأنصارَ شيئاً ، قال حسَّان بن ثابت يعاتبه في ذلك :

زادتْ همومٌ فماء العينِ مُنْحَدِرُ ... سَحًّا إذا حَفَلَتْهُ عَبْرَةٌ دِرَرُ
وَجْداً بشمَّاءَ إذْ شمَّاء بَهْكَنَةٌ ... هَيْفاء لا ذَنَنٌ فيها ولا خَوَر
دَعْ عنكَ شمَّاءَ إذ كانت مودّتُها ... نَزْراً وشرُّ وِصَالِ الواصِلِ النَّزر
وأْتِ الرَّسول فقُل يا خيرَ مؤتَمَنٍ ... للمُؤمنين إذا ما عُدِّدَ البَشر
علامَ تُدْعَى سُلَيْمٌ وَهي نازِحةٌ ... قُدَّامَ قوم هُمُ آوَوْا وهُمْ نصرُوا
سَمَّاهُمُ اللهُ أنْصاراً بنَصْرِهِمِ ... دِينَ الهُدَى وعَوَانُ الحرب تستَعِرُ
وسارعوا في سبيلِ اللهِ واعترفُوا ... للنَّائبات وما خامُوا وما ضجِرُوا
والناس ألْبٌ علينا فيك ليس لنا ... إلا السُّيوفَ وأطْراف القَنا وَزَرُ
نجالِدُ النَّاسَ لا نُبْقِي على أحَدٍ ... ولا نُضَيِّعُ ما تُوحِي به السُّوَرُ
ولا تَهِرّ جُناةُ الحرْب نادِيَنا ... ونحنُ حين تَلَظَّى نارُهَا سُعُرُ
كما رَدَدْنا ببَدْرٍ دون ما طَلَبُوا ... أهلَ النِّفاق وفينا يُنْزَلُ الظَّفَرُ
ونحن جُنْدُك يوم النَّعْفِ من أُحُد ... إذْ حزَّبتْ بطَراً أحْزابها مُضَر
فما وَنِينا وما خِمْنا وما خَبَرُوا ... مِنَّا عِثاراً وكلّ الناس قد عثرُوا

قال ابن هشام : حدثني زياد بن عبد الله ، قال : حدثنا ابن إسحاق : قال : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لَبيد ، عن أبي سعيد الخُدْرِيّ ، قال : لما أعْطى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ما أعطَى من تلك العَطايا ،

رفع
المسهم

فى قريش وفى قبائل العرب ، ولم يكن فى الأنصار منها شىء ، وجَد هذا الحىُّ من الأنصار فى أنفسهم ، حتى كثرت منهم القالة حتى قال قائلهم : لَقَدْ لَقِى واللهِ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قومَه ، فدخل عليه سعد بن عُبادة ، فقال : يارسول الله ، إنّ هذا الحىَّ من الأنصارِ قد وَجَدوا عليك فى أنفسهم ، لما صنعت فى هذا الفىء الذي أصبتَ ، قَسَمْتَ فى قومك ؛ وأعطيت عطَايا عِظَاماً فى قبائل العرب ، ولم يَكُ فى هذا الحىِّ من الأنصارِ منها شىء . قال : فأين أنت مِنْ ذلك ياسعد ؟ قال : يارسول الله ، ما أنا إلا من قوْمى . قال : فاجْمَعْ لى قومك فى هذه الحظيرة . قال : فخرج سعد ، فجمع الأنصارَ فى تلك الحَظِيرَةِ قال : فجاء رجال من المهاجرين فتركهم ، فدخلوا ، وجاء آخرون فردّهم فلما اجتمعوا له أتاه سعد ، فقال: قد اجتمع لك هذا الحىُّ من الأنصارِ ، فأتاهم رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهلُه ثم قال: يامَعْشرَ الأنصارِ : ما قالَةٌ بلغتنى عنكم ، وجِدَةٌ وَجَدْتُموها عَلَىَّ فى أنفسكم ؟ ألم آتِـكم ضُلاَّلا فهداكم الله ، وعالَةً فأغناكم الله ، وأعداء فألّف الله بين قلوبكم ! قالوا : بلى ، الله ورسوله أمَنُّ وأفْضَلُ ثم قال : ألا تُجيبونى يا مَعْشرَ الأنصار ؟ قالوا : بماذا نجيبك يارسول الله ؟ لله ولرسوله المَنّ والفَضْل. قال صلى الله عليه وسلم : أما والله لو شئتم لقلتم ، فَلَصَدَقْتُمْ وَلَصُدِّقْتُمْ : أتيْتَنا مُـكَذَّباً فصدّقناك ، ومخذولا فنصَرْناك ، وطريداً فآوَيْناك ، وعائلا فآسَيْناك . أوَجَدْتم يامَعْشرَ الأنصار فى أنفسكم فى لُعاعَةٍ من الدّنيا تألَّفْتُ بها قوْماً ليُسْلِموا ، ووكلتكم إلى إسلامِكم ، ألا ترضوْن يامعشر الأنصار، أن يذهب الناسُ بالشاة والبعير ، وترجعوا برسول الله إلى رِحالـكم ؟

. . . .

رفع المسهم

لو الذي نفس محمد بيده ، لولا الهجرة لكنت امرأً من الأنصار ، ولو سلك الناس شِعبا وسلكت الأنصار شِعبا ، لسلكت شِعب الأنصار . اللهم ارحم الأنصار ، وأبناء الأنصار ، وأبناء أبناء الأنصار .

قال : فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم ، وقالوا : رضينا برسول الله قسما وحظًّا . ثم انصرف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وتفرّقوا .

عمرة الرسول من الجعرانة

واستخلافه عتاب بن أسيد على مكة ، وحج عتاب بالمسلمين سنة ثمان

اعتمار الرسول واستخلافه ابن أسيد على مكة

قال ابن إسحاق : ثم خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من الجعرانة معتمرا ، وأمر ببقايا الفيء فحُبس بمَجَنَّة ، بناحية مَرّ الظَّهران ، فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عُمرته انصرف راجعاً إلى المدينة واستخلف عتاب بن أسيد على مكة ، وخلف معه مُعاذ بن جَبَل ، يفقّه الناس في الدين ، ويعلمهم القرآن ، واتبع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ببقايا الفيء .

قال ابن هشام : وبلغني عن زيد بن أسلم أنه قال : لما استعمل النبيُّ صلى الله عليه وسلم عتابَ بن أسيد على مكة رزقه كلّ يوم درهما ، فقام فخطب الناس ، فقال : أيها الناس ، أجاع الله كبدَ من جاع على درهم ،

شهدا حنيناً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم دونها كل يوم أو اتقيهم فما بي حاجة إلى أحد .

وقت العمرة

قال ابن إسحاق : وكانت عمرة رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذي القعدة ، فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة في بقيّة ذي القعدة أو في ذي الحجّة .

قال ابن هشام : وقَدِم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينة لستّ ليال بقين من ذي القعدة فيما زعم أبو عمرو المدني .

قال ابن إسحاق : وحجّ الناس تلك السنة على ما كانت العرب تحُجّ عليه ، وحجّ بالمسلمين تلك السنة عتّاب بن أسيد ، وهي سنة ثمان ، وأقام أهل الطائف على شركهم وامتناعهم في طائفهم ، ما بين ذي القعدة إذ انصرف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى شهر رمضان من سنة تسع .

أمر كعب بن زهير بعد الانصراف عن الطائف

ولما قدم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من مُنْصَرَفِه عن الطائف كتب بُجَير بن زهير بن أبي سُلمى إلى أخيه كعب بن زهير يخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل رجالا بمكة ، ممن كان يهجوه ويؤذيه ، وأن من بقي من شعراء قريش ، ابن الزِّبَعْرَى وهُبَيرة بن أبي وهب ، قد هربوا في كل وجه ، فإن كانت لك في نفسك حاجة ، فطِر إلى رسول الله صلى الله

عليه وسلم ، فإنه لا يقتل أحداً جاءه تائباً ، وإن أنت لم تفعل فانجُ إلى نجائك من الأرض ؛ وكان كَعْب بن زُهَير قد قال :

ألا أبْلِغا عَنّى بُجَيْراً رِسالَةً ... فهل لكَ فيما قلتُ وَيْحكَ هَلْ لَكا؟

فبَيِّن لنا إنْ كنتَ لستَ بفاعِلٍ ... عَلى أىّ شىء غيرِ ذلك دَلَّكا

على خُلُقٍ لم أُلفِ يَوْماً أبا لَهُ ... عَلَيْهِ وما تُلْفِى عَلَيْهِ أباً لَكا

فإن أنتَ لم تفعلْ فلستُ بآسفٍ ... ولا قائل إمّا عَثَرْتَ : لَعاً لَكا

سَقاكَ بِها المأمونُ كأْساً رَوِيَّةً ... فأنهَلكَ المأمونُ منها وعَلَّكا

قال ابن هشام : ويروى « المأمور » . وقوله « فبين لنا » عن غير ابن إسحاق .

وأنشدنى بعض أهل العلم بالشعر وحديثه :

مَنْ مُبْلِغٌ عَنّى بُجَيْراً رسالَةً ... فهل لكَ فيما قلتُ بالخَيْفِ هل لَكا

شَرِبتَ معَ المأمون كأساً رَوِيّةً ... فأنهَلكَ المأمونُ منها وعَلَّكا

وخالفتَ أسبابَ الهُدَى واتَّبعْتَه ... على أىّ شىء وَيْبَ غيرِكَ دَلَّكا

على خُلُقٍ لم تُلْفِ أُمّاً ولا أباً ... عليه ولم تُدْرِكْ عليه أخاً لَكا

فإن أنتَ لم تفعل فلستُ بآسفٍ ... ولا قائلٍ إمّا عَثَرْتَ : لَعاً لَكا

قال : وبعث بها إلى بُجَير ، فلما أتتْ بُجيراً كَرِه أن يكتُمَها رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فأنشده إياها ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لما سمع « سقاك بها المأمون » . صدق وإنه لكذوب ، أنا المأمون : ولما سمع :

. . . .

« على خُلُق لم تُلفِ أمًّا ولا أبًا عليه » قال : أجل ، لم يُلف عليه أباه ولا أمه.

ثم قال بُجَير لكعب :

مَنْ مُبْلِغ كعبًا فهلْ لكَ فى التى تلوم عليها باطلا وهْىَ أحْزَمُ
إلى الله (لا العُزّى ولا اللاتِ) وحْدَه فتنجو إذا كان النَّجاء وتَسلمُ
لَدَى يوْمٍ لا ينجُو وليس بمُفْلِتٍ من النَّاس إلا طاهرُ القَلْب مُسْلِم
فدينُ زُهير وهو لاشىء دينُه ودين أبى سُلْمَى علىَّ مُحَرَّم

قال ابن إسحاق : وإنما يقول كعب : « المأمون » ، ويقال : « المأمور » فى قول ابن هشام ، لقول قريش الذى كانت تقوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

قدوم كعب على الرسول وقصيدته اللامية

قال ابن إسحاق : فلما بلغ كَعْبًا الكتابُ ضاقت به الأرض ، وأشفق على نفسه ، وأرجف به مَنْ كان فى حاضره من عَدُوّه ، فقالوا : هو مقتول : فلما لم يجد من شىء بُدًّا ، قال قصيدته التى يمدح فيها رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر فيها خوفَه وإرجاف الوشاة به من عدوّه ، ثم خرج حتى قَدِم المدينة ، فنزل على رجل كانت بينه وبينه معرفة ، من جُهينة ، كما ذُكر لى ، فغدا به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صلى الصبح ، فصلى مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أشار له إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : هذا رسولُ الله ، فقم إليه فاستأمِنهُ . فذُكر لى أنه قام إلى رسول الله

صلى الله عليه وسلم؛ حتى جلس إليه، فوضع يده فى يده، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعرفه، فقال: يارسول الله، إن كعب بن زُهَير قد جاء ليستأْمِنَ منك تائباً مُسلماً، فهل أنت قابل منه إن أنا جئتك به؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: نعم؛ قال: أنا يارسول الله كعب بن زُهَير.

قال ابن إسحاق: فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة: أنه وثب عليه رجل من الأنصار، فقال: يارسول الله، دعنى وعدوَّ الله أضرِبْ عنقه؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: دعه عنك، فإنه قد جاء تائباً، نازعا (عما كان عليه) قال فغضب كعبٌ على هذا الحىّ من الأنصار، لِما صنع به صاحبهم، وذلك أنه لم يتكلم فيه رجل من المهاجرين إلا بخير، فقال فى قصيدته التى قال حين قَدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم:

بانَتْ سُعادُ فقَلْبى اليومَ مَتْبُولُ ... مُتَيَّمٌ إثْرَها لم يُفْدَ مَكْبُولُ
وما سُعادُ غداةَ البَيْنِ إذْ رَحَلوا ... إلا أغَنُّ غَضِيضُ الطَّرْفِ مَكْحول
هَيْفاءُ مُقْبِلةً عَجْزاءُ مُدْبِرَةً ... لا يُشْتَكَى قِصَرٌ منها ولا طُولُ
تَجْلو عوارضَ ذى ظَلْمٍ إذا ابتسمتْ ... كأنَّه مُنْهَلٌ بالرَّاحِ مَعْلولُ
شُجَّتْ بذى شَبَمٍ من ماء مَحْنِيةٍ ... صافٍ بأبطحَ أضْحَى وهْوَ مَشْمُولُ
تَنْفِى الرِّياحُ القَذَى عنهُ وأفْرَطَهُ ... من صَوْبِ غاديةٍ بيضٌ يَعالِيلُ
فيالَها خُلَّةً لو أنها صَدَقَتْ ... بوَعْدها أوْ لَوَ انَّ النصحَ مَقبولُ
لكنها خُلَّةٌ قَدْ سِيطَ من دَمِها ... فَجْعٌ ووَلْعٌ وإخْلافٌ وتَبْديلُ
فما تَدومُ على حالٍ تَكونُ بها ... كما تَلَوَّنُ فى أثوابِها الغُولُ

وما تمسّكُ بالعهد الذى زعمت   إلا كما يُمسك الماءَ الغرابيلُ

فلا يغرّنْكَ ما منّتْ وما وعدت   إنّ الأمانيَّ والأحلامَ تضليلُ

كانتْ مواعيدُ عرقوبٍ لها مثلا   وما مواعيدُها إلا الأباطيلُ

أرجو وآمُلُ أنْ تدنو مودّتُها   وما إخال لدينا منكِ تنويل

أمستْ سعادُ بأرضٍ لا يُبلّغها   إلا العتاقُ النجيباتُ المراسيلُ

ولن يُبلّغها إلا عُذافرةٌ   لها على الأينِ إرقالٌ وتبغيلُ

من كلّ نضّاخة الذِّفرى إذا عرقت   عُرضتُها طامسُ الأعلامِ مجهولُ

ترمى الغيوبَ بعينَيْ مُفردٍ لهقٍ   إذا توقّدتِ الحزّانُ والميلُ

ضخمٌ مقلّدها فعمٌ مقيّدها   فى خلقها عن بناتِ الفحلِ تفضيلُ

غلباءُ وجناءُ علكومٌ مُذكّرة   فى دفّها سعةٌ قدّامُها ميلُ

وجلدُها من أطومٍ ما يؤيّسه   طلحٌ بضاحيةِ المتنين مهزولُ

حرفٌ، أخوها أبوها من مُهجّنةٍ   وعمُّها خالُها قوداءُ شمليلُ

يمشى القرادُ عليها ثم يزلقُه   منها لبانٌ وأقرابٌ زهاليلُ

عيرانةٌ قُذفتْ بالنحض عن عُرُضٍ   مِرفقُها عنْ بناتِ الزَّورِ مفتولُ

كأنّما فاتَ عينيها ومذبحها   من خطمها ومن اللحيين برطيل

تمرّ مثلَ عسيبِ النخل ذا خُصَلٍ   فى غارزٍ لم تخوّنْه الأحاليلُ

قنواءُ فى حرّتيها للبصيرِ بها   عتقٌ مُبينٌ وفى الخدّين تسهيلُ

تخدى على يسراتٍ وهى لاحقةٌ   ذوابلٍ مسّهنّ الأرضَ تحليلُ

رفع المساهم

سُمْرُ العُجاياتِ يتركْنَ الحصى زِيَماً   لم يَقِهِنَّ رُءوسَ الأُكْمِ تنعيلُ
كأنَّ أوْبَ ذِراعَيها وقد عَرِقَتْ   وقد تلفَّع بالقُورِ العساقيلُ
يوْماً يظلُّ به الحِرْباءُ مُصْطَخِداً   كأنَّ ضاحِيَهُ بالشَّمسِ مَمْلُولُ
وقال للقَوْمِ حادِيهِمْ وقد جعلت   وُرْقُ الجنادِبِ يَرْكُضْن الحصا قِيلوا
شَدَّ النهارِ ذِراعا عَيْطَلٍ نَصَفٍ   قامت فجاوَبها نُكْدٌ مثاكِيلُ
نَوَّاحةٌ رِخْوةُ الضَّبْعينِ ليسَ لها   لمَّا نَعَى بِكْرَها النَّاعون مَعقولُ
تَفْرِي اللَّبانَ بكَفَّيْها ومِدْرَعُها   مُشَقَّقٌ عن تَراقيها رَعابيلُ
تَسْعَى الغُواةُ جَنابَيها وقولُهم   إنَّك يابنَ أبي سُلْمَى لمَقْتُولُ
وقالَ كلُّ صَديقٍ كُنْتُ آمُلُه   لا أُلْهِيَنَّكَ إني عنكَ مَشْغُولُ
فقُلْتُ خَلُّوا سَبيلي لا أبا لكُمُ   فكُلُّ ما قدَّر الرَّحمنُ مَفْعُول
كلُّ ابنِ أُنثى وإن طالت سلامتُه   يوْماً على آلةٍ حَدْباءَ مَحمولُ
نُبِّئْتُ أنَّ رسولَ اللهِ أوعَدني   والعَفْو عند رسولِ اللهِ مأمُول
مَهلاً هَداكَ الذي أعطاكَ نافِلَةَ الـــقرآن فيها مَواعيظٌ وتَفْصِيلُ
لا تأخُذَنِّي بأقْوالِ الوُشاةِ ولَمْ   أُذْنِب ولو كَثُرتْ فيَّ الأقاويلُ
لقَد أقُومُ مَقاماً لو يقُومُ به   أرَى وأسمعُ ما لو يَسْمعُ الفِيلُ
لظَلَّ يَرْعَدُ إلا أنْ يكون له   مِنَ الرَّسول بإذنِ اللهِ تَنْوِيلُ
حتى وضَعْتُ يميني ما أُنازِعُه   في كفِّ ذي نَقِماتٍ قِيلُه القِيلُ
فَلَهُو أخوفُ عندي إذْ أُكَلِّمُه   وقِيلَ إنَّكَ مَنْسوبٌ ومَسْئُولُ
من ضَيْغَمٍ بضَراءِ الأرضِ مُخْدَرُهُ   في بطْنِ عَثَّرَ غِيلٌ دونَهُ غِيلُ

يَغْدُو فَيَلْحَمُ ضِرْغامين عيشُهما   لَحمٌ من النّاسِ مَعْفُورٌ خَراديلُ
إذا يُساوِرِ قِرْناً لا يَحِلّ له   أن يترُكَ القِرْن إلا وهو مَفْلُولُ
منه تَظَلّ سِباعُ الجوّ نافرةً   ولا تَمَشّى بواديه الأراجيلُ
ولا يزَالُ بَواديه أخُو ثِقَةٍ   مُضَرَّجُ البزّ والدُّرْسانِ مأكول
إنّ الرّسول لنورٌ يُسْتَضاءُ به   مُهَنَّدٌ من سُيوف الله مَسلول
فى عُصْبةٍ مِن قُرَيشٍ قال قائلهم   ببَطن مكّة لمّا أسْلَموا زُولُوا
زالُوا فما زال أنكاسٌ ولا كُشُف   عند اللّقاء ولا مِيل مَعازِيلُ
شُمُّ العرانين أبْطال لَبُوسُهُم   من نَسْج داوُد فى الهَيْجا سَرابيلُ
بِيضٌ سَوَابغ قد شُكّت لها حَلَق   كأنها حَلَق القَفْعاء مَجْدُولُ
ليسُوا مَفاريحَ إن نالت رِماحُهُم   قَوْماً وليسُوا مجازيعاً إذا نِيلوا
يَمشون مَشْيَ الجمالِ الزُّهْرِ يَعصِمهم   ضَرْبٌ إذا عَرّد السُّودُ التّنابيلُ
لا يَقَع الطّعْنُ إلا فى نُحورهمُ   ومالَهُم عَن حياض الموت تهليل

قال ابن هشام: قال كعب هذه القصيدة بعد قدومه على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وبيته: « حَرْف أخوها أبوها » وبيتُه: « يمشى القُرَاد » ، وبيته: « عَيرانةٌ قُذِفَتْ » ، وبيته: « تُمِرُّ مثلَ عَسِيبِ النّخْل » ، وبيته: « تَفْرِى اللّبان » وبيته: « إذا يُساوِرُ قِرْناً » وبيته: « وَلا يزال بواديه » : عن غير ابن إسحاق.

استرضاء كعب الأنصار بمدحه إياهم

قال ابن إسحاق : وقال عاصم بن عُمَر بن قَتَادَة : فلما قال كَعْبٌ : « إذا عرَّد السُّودُ التَّنابيل » ، وإنما يريدُنا معْشَر الأنصارِ ، لِمَا كان صاحبنا صنَعَ به ما صنع ، وخصَّ المهاجِرين من قريش من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بمِدحته ، غضِبَت عليه الأنصار ؛ فقال بعد أن أسلم يَمْدَحُ الأنصار، ويذكر بلاءهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وموضِعَهم من اليَمَن :

مَن سَرّهُ كرمُ الحياةِ فلا يزَلْ ... فى مِقْنَب من صالحى الأنصارِ
ورِثُوا المَكارِمَ كابِراً عَن كابرٍ ... إنَّ الخِيارَ هُمُ بنُو الأخْيارِ
المُكرِهين السَّمْهرىَّ بأذرعٍ ... كَسَوَالِف الهِندىّ غير قِصار
والنَّاظِرينَ بأعْيُنٍ مُحْمَرَّةٍ ... كالجمْرِ غير كَليلة الأبْصارِ
والبائعينَ نُفوسَهُم لنبيِّهم ... للمَوْتِ يومَ تعانُقٍ وكِرَارِ
والقائدينَ النَّاسَ عن أدْيانِهمْ ... بالمَشْرَفِىّ وبالقَنا الخَطّار
يتطهَّرُون يَرَوْنَهُ نُسْكا لَهُم ... بدِماءِ مَنْ عَلِقُوا مِنَ الكُفَّارِ
دَرِبوا كما دَرِبَتْ ببطْنِ خَفِيَّة ... غُلْبُ الرقاب من الأسود ضَوَارى
وإذا حَلَلْتَ لِيَمْنَعوكَ إليهِمُ ... أصْبَحْتَ عنـد مَعاقِل الأعفارِ
ضَرَبوا عَليًّا يوْمَ بَدْرٍ ضَرْبَةً ... دانَتْ لوَقْعَتِها جميعُ نِزَارِ
لو يعْـلَمُ الأقوامُ عِلْمِىَ كلَّه ... فيهِمْ لصَدَّقنى الذين أُمارِى
قومٌ إذا خوَتِ النُّجومُ فإنهم ... للطَّارِقين النَّازِلِينَ مَقارِى

فى الغُرِّ مِن غسَّانَ من جُرْثومةٍ أُعْيَتْ مَحافِرُها على المِنْقارِ

قال ابن هشام : ويقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له حين أنشده : « بانتْ سُعادُ فقلبِى اليوْم متبول » : لَوْلا ذكرت الأنصار بخير ، فإنهم لذلك أهل ، فقال كعب هذه الأبيات ، وهى فى قصيدة له .

قال ابن هشام : وذكر لى عن علىّ بن زيد بن جُدْعان أنه قال : أنشد كَعْب بن زُهَير رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد :

« بانَتْ سُعادُ فقلبى اليومَ مَتْبول »

غزوة الطائف

ذكر بعضُ أهْلِ النَّسَبِ أن الدَّمُونَ بن الصَّدِفِ ، واسم الصَّدِفِ: مَالِكُ ابن مالِكِ بن مُرَتِّعِ بن كِنْدَةَ من حَضْرَمَوْتَ أصاب دَماً من قومه ، فلحق بثَقِيفٍ ، فأقام فيهم ، وقال لهم : ألا أبنى لكم حائطاً يُطِيفُ ببلدِكم ، فبناه ، فسُمِّى به الطائف ، ذكره البكرى هكذا[1] قال : وإنما هو الدَّمُون بن عُبَيْدِ ابن مالك بن دَهْقَلٍ ، وهو من الصَّدِفِ ، وله ابنان أدركا النبىَّ — صلى الله عليه وسلم — وبايعاه ، اسم أحدهما : الْهُمَيْل ، والآخر : قَبِيصَةُ ، ولم يذكرهما أبو عُمَرَ فى الصحابة ، وذكرهما غيره .

---

(١) ذكر هذا فى معجم ما استعجم .

رفع المسهم

. . . .

وذكر أن أصل أعنابها أن قَيْس(١) بن مُنَبِّه ، وهو ثقيف أصاب دماً في قومه أيضاً ، وهم إيادٌ ففر إلى الحجازِ ، فمر بامرأةٍ يهودية فآوته(٢) ، وأقام عندها زماناً ، ثم انتقل عنها ، فأعطته قُضُباً من الْحُبْلَةِ وأمرته أن يغرسها في أرض وصفتها له ، فأتى بلاد عَدْوَانَ ، وهم سكان الطائف في ذلك الزمان ، فمر بسُخَيْلَةَ(٣) جارية عامر بن الظَّرِبِ العَدْوَانِيِّ ، وهي ترعى غنماً ، فأراد سِباءَها، وأخذ الغنم ؛ فقالت له : ألا أدلك على خير مما هَمَمْتَ به ، اقصِدْ إلى سيدي وجاوره فهو أكرم الناس ، فأتاه فزوّجه من بِنْتِه زينبَ بنتِ عامر ، فلما جَلَتْ عَدْوَانُ عن الطائف بالحروب التي وقعت بينها أقام قَسِيٌّ ، وهو ثَقيفٌ ، فمنه تناسل أهلُ الطائف ، وسمى : قَسِيًّا بقسوة قلبه حين قَتَل أخاه أو ابن عمه(٤) ، وقيل : سُمِّي ثَقِيفاً لقولهم فيـــه : ما أثقفه حين ثَقِفَ عامراً حتى أَمِنَه وزوّجه بنته .

وذكر بعضُ المفسرين وجهاً آخر في تسميتها بالطائفِ ، فقال في الجنة التي ذكرها الله سبحانه في سورة « ن » حيث يقول : ﴿ فطاف عليها طائفٌ من رَبِّك وهم نائمون ﴾ ن : ١٩ . قال : كان الطائفَ جبريلُ عليه السلامُ اقتلعها من مَوْضِعها ، فأصبحت كالصَّرِيم ، وهو الليل ، أصبح موضعُها كذلك ،

---

(١) في الأصل قيس . ولكنه قسى كما سيذكر ، وكما ورد في كتب النسب

(٢) في البكري « فاتخذها أماً ، واتخذته ابناً » .

(٣) في معجم البكري : خصيلة ، وقيل : زبينة .

(٤) في البكري : ابن عمه ، وأنه قال عقب قتله :

وحربة ناهل أوجرت عمراً فما لي بعده أبـــداً قرار

. . . .

ثم سار بها إلى مكة ، فطاف بها حَوْل البيت ، ثم أنزلها حيث الطائف اليوم ، فسُمِّيَتْ باسم الطائفِ الذى طاف عليها ، وطاف بها ، وكانت تلك الجنة بضروانَ[1] على فراسِخَ من صَنْعاءَ ، ومن ثَمَّ كان الماءُ والشجرُ بالطائف دون ماحولها من الأرضِين ، وكانت قصةُ أصحابِ الجنة بعد عيسى بن مريم صلى الله على نبينا وعليه وسلم بيسيرٍ ، ذكرهذا الخبَرَ النقاشُ وغيرُه[2] .

فإن قيل: فإذا كان ثقيفٌ هو قَسِيّ بن مُنَبِّهٍ ، كما قال ابن إسحاق وغيرُه ، فكيف قال سيبويه حاكياً عن العرب : ثقيف بن قَسِيّ ، فجعله ابناً لِقَسِيّ ؟

قيل : إنما أراد سيبويه أن الحَيّ سُمِّى ثقيفاً ، وهم بنو قَسِيّ ، كما قالوا باهلة ابن أَعْصُرَ ، وإنما هى أمهم ، ولكن سُمِّى الحَىُّ بها ، ثم قيل فيه : ابنُ أعْصُر[3] ، كذلك قالوا : ثقيف بن قَسِيٍّ على هذا ، ويقوى هذا أن سِيبَوَيْهِ إنما قال حاكياً :هؤلاء ثقيف بن قَسِيٍّ .

---

(١) فى الأصل : ضوارن والتصويب من البكرى وتفسير ابن كثير ، وهى على بعد ستة أميال من صنعاء كما نقل ابن كثير عن سعيد بن جبير .

(٢) أقوال بلا سند . والنقاش يفترى الكثير ، وقد ورد أنهم من أهل الحبشة ، وأنهم كانوا أهل كتاب .

فى الاشتقاق : من قبائل سعد بن قيس:أعصر بن سعد ، وهو أبو غنى وباهلة والطفاوة ، ولقب أعصر لبيت قاله ، وكان من المعمرين . والبيت كما هو فى اللسان :

أبنى إن أباك غير لونه   كر الليالى واختلاف الأعصر

ثم قال عن باهلة إنها امرأة من مذحج أو من همدان ، وإنها حضنت كل أولاد معن بن أعصر أومعن بن مالك بن أعصر .

رفع المسـهم

. . . .

آلات الحرب في الطائف :

فصل: وذكر تعلُّم أهل الطائف صَنْعَةَ الدبابات والمَجانيق والضُّبُور. الدَّبَّابَةُ: آلةٌ من آلات الحرب يدخل فيها الرجالُ فيدُبُّون بها إلى الأسوار لينقُبُوها ، والضُّبُور: مثلُ رءوس الأسفاط يُتَّقى بها فى الحرب عند الانصراف ، وفى العين : الضَّبْرُ جلود يُغَشَّى بها خشبٌ يُتَّقى بها فى الحرب . وفى الحديث عن الزهرى أن الله ـ تبارك وتعالى ـ حين مسخ بنى إسرائيل قِرَدَةً مسخ رُمَّانَهم المَظَّ ، وبُرَّهم الذُّرَةَ ، وعِنَبهم الأَرَاكَ ، وَجَوْزَهم الضَّبْر، وهو من شَجَرِ البَرِّيَةِ وله ثمر كالجَوْزِ لا نَفْعَ فيه ، فهذا معنى آخر غير الأول . وقال أبو حنيفة فى الضَّبْر : إنه كالجَوْزِ يُنوِّر ولا يُطْعِم[(١)] قال : ويقال أظَلُّ الظِّلالِ : ظِلُّ الضَّبِرَةِ وظل التَّنْعيمة ، وظل الحجر ، قال : وورقها كبار كثيفةٌ ، فكان ظلُّها لذلك ألمى[(٢)] وأما المَظُّ الذى تقدم ذكره فى الحديث فهو رُمَّانُ البرِّ يُنَوِّر ، ولا يُثْمِر ، وله جُلَّنَارٌ ، كالرُّمَّان[(٣)] يُمْتَصُّ منه المَذَخُ ، وهو عسلٌ كثير يُشْبِع مَن امتصه حتى يملأ بطنه ، ذكره أبو حنيفة فى النبات .

---

(١) فى اللسان : ولا يعقد .

(٢) ظل ألمى : كثيف .

(٣) الجلنار . زهر الرمان معرب كلنار . وفى الأصل : الزمان بدلا من الرمان .

رفع
المسـاهم
عز الله له ولوالديه

. . . .

وأما المجانيق[1] : فمعروفة وهى أعجمية عربتها العَرَبُ . قال كُراعٌ : كُلُّ كلمة فيها جيم وقافٌ ، أو جيم وكاف فهى أعجمية ، وذلك كالجُوالِق والجُواق[2] وجِلِّق والكَيْلَجَةُ وهى مِكْيالٌ صغير ، والكفجلار[3] وهى المِغْرَفَةُ والقَبَجُ وهو الحَجَل وما كان نحو ذلك ، والميم فى مِنْجَنِيق أصلية عند سيبويه والنون زائدة ، ولذلك سقطت فى الجمع[4].

حول شعر كعب :

وذكر شعر كعب وفيه :

وكم من معشر ألبوا علينا

أى جمعوا ، وصميم الجذم مفعول بألبوا ، وفيه يصف السيوف :

كأمثال العَقَائِقِ أخلَصَتْها ... قُيُونُ الهِنْدِ لم تُضْرَبْ كَتِيفا

---

(١) جمع منجنيق بفتح الميم وكسرها آلة ترمى بها الحجارة كالمنجنوق معربة ، وقد تذكر فارسيتها من جهنيك ، أى : أنا ما أجودنى وجمعها منجنيقات ومجانق ، وقد جنقوا ، وجنقوا ، ومجنقوا .

(٢) بكسر الجيم واللام ، وبضم الجيم وفتح اللام وكسرها وجمعه جوالق كصحائف وجواليق بفتح الجيم وجوالقات بضم الجيم ، أما الخفاجى فى شفاء الغليل فيقول : بالضم مفرد وجمعه جوالق بالفتح نادر معرب . وبعضهم - ومنهم سيبويه - ينكر جوالقات لأنهم جمعوا جوالق جمع تكسير . وفى اللسان : الجوالق بضم الجيم وفتح اللام وكسرها مفرد . ولم أجد جواق فلعله يعنى : جوسق ، وهو اسم قصر صغير .

(٣) لم أهتد إلى ضبطها .

(٤) فى القاموس جمعها : منجنيقات ومجانق ومجانيق .

. . . .

العقائق : جمع عَقِيقة ، وهو البَرْقُ تنعق عنه السحابُ[1] .

وقوله : لم تُضْرَبْ كَتِيفاً ، جمع كَتِيفة ، وهى صحيفة من حديد صغيرة ، وأصل الكَتِيف : الضَّيِّقُ من كُلِّ شىء .

شعر كنانة :

وذكر شعر كِنانَةَ بن عَبْدِ ياليل الثَّقَفِى ، وفيه :

وكانت لنا أطْواؤها وكُرومُها

الأطْواءُ : جمع طَوِىٍّ ، وهى البئر ، جُمِعتْ على غير قياس تَوَهَّموا سُقوطَ ياء فَعِيلٍ منها إذ كانت زائدة[2]

وفيها :

وقد جَرَّبَتْنا قبلُ عمرُو بن عامر

إنما قال هذا جواباً للأنصار ، لأنهم بنو حارثةَ بن ثَعْلَبَةَ بن عمرو بن عامر ، وعمرٌو هو مُزَيْقِياءُ ، وعامرٌ هو ماء السماء ، ولم يُرِدْ أن الأنصارَ جربتهم قبل ذلك ، وإنما أراد إخوتهم ، وهم خُزَاعَةُ لأنهم بنو رَبِيعة بن حارثة بن عَمْرو بن عامر فى أحد القوابن ، وقد كانوا حاربوهم عند نزولهم مكة ، وقال البَكْرِىُّ فى معنى

---

(١) عرفه القاموس : العقيقة من البرق ما يبقى فى السحاب من شعاعه ، ولعل تنعق : تنشق .

(٢) يقول ابن الأثير : الطوى فى الأصل صفة فعيل بمعنى مفعول ، فلذلك جمعوه على الأطواء ، كشريف وأشراف ، وإن كان قد انتقل إلى باب الإسمية

. . . .

هذا البيت : إنما أرادَ بنى عَمْرو بن عامر بن صَعْصَعَةَ ، وكانوا مُجاوِرين لِثَقيفٍ وأُمُّهم عَمْرَةُ بنت عامر بن الظَّرِبِ العَدْوَانِيِّ ، وأختها زينب كانت تحت ثقيف ، وأكثر قبائل ثقيفٍ منها ، وكانت ثقيفٌ قد أنزلت بنى عمرو ابن عامر فى أرضِهم ليعملوا فيها ، ويكون لهم النِّصْفُ فى الزَّرع والثَّمر ، ثم إن ثقيفاً منعتهم ذلك ، وتحصنوا منهم بالحائط الذى بنوه حول حاضرهم ، فحاربتهم بنو عَمْرو بن عامر ، فلم يَظْفرُوا منهم بشىء ، وجَلَوا عن تلك البلادِ ، ولذلك يقول كِنَانَةُ :

وقد جرَّبَتْنا قبلُ عمرُو بن عامر

البيت ذكره البكرى فى خبر طويل لخصته[1] .

أول من رمي بالمنجنيق في الجاهلية والاسلام :

فصل : وذكر حِصَار الطائف ، وأن أول من رمى بالمَنْجَنِيقِ فى الإسلام النبىُّ صلى الله عليه وسلم .

قال المؤلفُ : وأمَّا فى الجاهلِيَّةِ ، فيذكر أن جَذِيمَةَ بنَ مالكِ بن فَهْم بن غَنْم بن دَوْس ، وهو المعروفُ بالأبْرَشِ أولُ من رمى بالمَنْجَنِيق ، وكانَ من ملوكِ الطَّوائف ، وكان يُعرف بالوَضَّاح ، ويقال له أيضاً مُنادِم الفرْقَدَيْنِ ، لأنه رَبأ بنفسه عن مُنَادمة الناس ، فكان إذا شرب نادم الفرْقَدَيْنِ عُجْباً

---

(١) أنظر ص٧٧، ٧٨ جـ١ معجم مااستعجم للبكرى، ولكن البكرى ينسب هذه القصيدة إلى الأجش بن مرادس بن عمرو بن عامر بن سيار بن مالك بن حطيط بن جشم بن قسى .

رفع المسهم

. . . .

بنفسه ، ثم نادم بعد ذلك مالـكا وعَقِيلًا اللَّذين يقول فيهما مُتَمِّمُ [بن نُوَيْرَة يرثى أخاه مالـكا] :

وكُنَّا كَنَدْمانَىْ جَذِيمة حِقْبَةً   من الدَّهرِ حتى قيل لن يَتَصَدَّعا(١)

ويُذْكر أيضاً أنه أولُ من أوْقَد الشمع .

غيلان بن سلمة :

وذكر حُلِيَّ بادِيَة بنت غَيْلَان ، وهو غَيْلَانُ بن سَلَمَة الثَّقَفِي ، وهو الذى أسلم ، وعنده عَشْر نِسْوَةٍ ، فأمره النبيُّ صلى الله عليه وسلم أن يُمْسِك أربعاً(٢) ، ويفارق سائرهن ، فقال فقهاءُ الحجاز : يختار أربعاً ، وقال فقهاءُ

---

(١) وبعده :

وعشنا بخـــير فى الحياة وقبلنا   أصاب المنايا رهط كسرى وتبعا
فلمـــا تفرقنا كأنى ومالك   لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

وكان ضرار بن الأزور الأسدى قد قتل مالـكا بأمر خالد بن الوليد .. ومالك وعقيل ابنا فارج هما اللذان عثرا على عمرو بن عدى بن أخت جذيمة فى أودية السماوة بعد ضلاله فيها عدة سنوات ، فحملاه إلى خاله جذيمة ، ثم سألاه منادمته، فلم يزالا نديميه حتى فرق الموت بينهم . وهما اللذان يذكرهما أبو خراش الهذلى فى شعره بقوله :

ألم تعلمى أن قد تفرق قبلنا   خليـــلا صفاء مالك وعقيل

ويضرب المثل بهما للتواخيين ، فيقال : كندمانى جذيمة وقد دامت لهما رتبة المنادمة ـ كما قيل ـ أربعين سنة .

(٢) روى حديثه هذا أحمد والترمذى وابن حبان والحاكم . ولحديثه هذا عند الحافظ فى الإصابة تخريجات عديدة فراجعه فى ترجمة غيلان .

رفع المسلم

. . . .

العراق : بل يُمْسِكُ التى تَزَوَّجَ أولا ، ثم التى تليها إلى الرابعة[1] ، واحتج فقهاءُ الحجازِ بأن النبى صلى الله عليه وسلم لم يَسْتَفْصِله أيتهن تَزَوَّجَ أَوَّلُ ، وتركُه للاستفصال دليلٌ على أنه مُخَيَّرٌ حتى جعل الأصوليون منهم هذا أصلا من أصول العموم ، فقال أبو المعالى فى كتاب البُرْهان : تَرْكُ الاستفصال فى حكاياتِ الأحْوالِ مع الاحتمال يتنزل منزلةَ العموم فى المقال ، كحديث غَيْلَانَ . وغَيْلَانُ هذا هو الذى قَدِمَ على كسرى ، فسأله أى ولده أحب إليه؟ فقال غيلان : الغائبُ حتى يَقْدُم ، والمريضُ حتى يُفِيق ، والصغير حتى يَكْبَر ، فقال له كسرى : ما غذاؤكَ فى بلدكَ ؟ قال : الخبز : قال : هذا عَقْلُ الخبزِ ؛ تفضيلا لعقله على عقول أهل الوَرِّ ، ونسب المبرد هذه الحكايةَ مع كِسْرَى إلى هَوْذَةَ بن عَلِىٍّ الحَنَفِىِّ ، والصحيح عند الإخباريين ما قدمناه ، وكذلك قال أبو الفَرَج .

بادية بنت غيلان :

وأما بادية ابنتُه ، فقد قيل فيها : بادِنة بالنون ، والصحيح بالياء ، وكذلك روى عن مالك ، وهى التى قال فيها هيتُ المخنثُ لعبد الله بن أبى أميَّة : إن فَتَح اللهُ عليكم الطائف ، فإنى أدلك على باديةَ بنت غَيْلان ، فإنها تُقْبِلُ بأرْبَع وتُدْبِر بِثَمَانٍ ، فسمعه النبىُّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : قاتلك

---

(١) يقول أبو حنيفه : إن تزوجهن فى عقد واحد فسد نكاح الجميع ، وإن تزوجهن مترتبات ثبت نكاح الأربع ، وفسد نكاح من بعدهن ، ولا تخيير ، أما الجمهور فعلى التخيير .

. . . .

اللهُ لقد أمعَنْتَ النَّظَر ، وقال : لايدخلن هؤلاء عليكن(١) ثم نفاه إلى روضة خَاخ ، فقيل : إنه يموت بها جُوعًا فأذِن له أن يدخل المدينة كل جُمْعةٍ يسأل الناس ، ويُرْوى فى الحديث زيادة لم تقع فى الصحيح بعد قوله : وتُدْبر بثَمانٍ(٢) مع ثَغْرٍ كالأُقحُوَانِ ، إن قامت تَثَنَّتْ ، وإن قعدت تَبَنَّتَ(٣) ، وإن تكلمت تَغَنَّتْ ، يعنى من الغُنَّة ، والأصل تَغَنَّنَتْ ، فقلبت إحدى النونين ياء ، وهى هيفاء(٤) شَمُوع نَجْلَاءُ كما قال قَيْسُ بن الخَطِيم :

بَيْضاء فَرْعاء يُسْتَضاء بها ... كأنها خُوطُ بانَةٍ قَصِفُ

---

(١) الرواية فى صحيح البخارى : لا يدخل عليكم . هذا ولم تسم بادية فى صحيح البخارى . وحديث هيت عند مسلم وأبى داود والنسائى دون تسميته .

(٢) يعنى - كما قال القالى فى الأمالى - أنها تقبل بأربع عكن ، فإذا رأيتها من خلف رأيت لكل عكنة طرفين ، فصارت ثمانية ص ١٦٠ ، ج١ الأمالى . والعكنة : الطى الذى فى البطن من السمن .

(٣) أى فرجت رجليها لضخم ركبها كأنه شبهها بالقبة من الأدم وهى المبناة لسمنها وكثرة لحمها ، وقيل : شبهها بها إذا ضربت وطنبت انفرجت وكذلك هذه إذا قعدت تربعت وفرجت رجليها «النهاية لابن الأثير» وقيل من تبنت الناقة إذا باعدت ما بين فخذيها عند الحلب ص ٤٢٢ سمط اللآلى .

(٤) فى سمط البكرى : فإنها مبتلة هيفاء شموع نجلاء تناصف وجهها فى القسامة ، وتجزأ معتدلا فى الوسامة . وقد تسب هذا الوصف لنميان المخنث وهو يصف عائشة بنت طلحة ص ٤٢١ سمط اللآلى .

. . . .

تَنْتَرِقُ الطَّرْفَ ، وهى لاهِيَةٌ كأنما شَفَّ وَجْهَهَا نُزُفُ[1]
تَنامُ عن كبر شَأْنِهَا فإذا قا مت رُوَيْداً تَكاد تَنْغَرِفُ[2]

وفى هذا البيت صَحَّفَ ابنُ دُرَيْدٍ أعنى قولَه : تَغْتَرِقُ ، فقال هو بالعين المهملة ، حتى هُجِيَ بذلك[3] ، فقيل :

أَلَسْتَ قِدْماً جعلت تَعْتَرِقُ الـ ـطَّرْفَ بجَهْلٍ مكان تَغْتَرِقُ
وقُلت : كان الخِبَاءُ من أَدَمٍ وهو حِبَاءٌ يُهْدَى ويُصْطَدَقُ[4]

---

(١) بعده :

بين شكول النساء خلقتها قصد فلا جبلة ولا قضف

وقد ضبطت نزف فى اللسان كما ذكرت . والنزف الاسم من نزف فلان دمه ومن نزفه الدم ينزفه إذا خرج منه كثيراً . والنزف : الضعف الحادث عن ذلك. أما فى البيت ، فقد قال ابن الاعرابى: من الضعف والانبهار — ولم يزد على ذلك قال غيره : النزف هنا الجرح الذى ينزف عنه دم الإنسان ، وقال أبو منصور : أراد أنها رقيقة المحاسن حتى كأن دمها منزوف . ومعنى تغترق : تستغرق عيون الناس بالنظر إليها ، وهى غافلة ثم هى رقيقة المحاسن كأن دمها ودم وجهها نزف والمرأة أحسن ما تكون غب نفاسها لأنه ذهب تهيج الدم ، فصارت رقيقة المحاسن « اللسان مادة غرق ومادة نزف » .

(٢) تنثنى أو تنقصف من دقة خصرها .

(٣) هجاه المفجع البصرى ، وقد تقدم ذكر هذا عند الحديث عن جنب .

(٤) ذكره الشيخ بدر الدين الزركشى فى كراسة له سماها : عمل من طب لمن حب ، وروى البيت الاول هكذا :

ألست مما صحفت تغترق الط رف بجهل فقلت تعترق

ورواه التيجانى فى تحفة العروس :

ألم تصحف ، فقلت تعترق الط رف بجهل مكان تغترق

ص ٣٦٦ ج٢ المزهر للسيوطى .

. . . .

وكان صَحَّفَ أيضاً قول مُهَلْهِل ، فقال فيه : الخَباء[1] ، وبادية هذه كانت تحت عبدِ الرحمن بن عوفٍ ، فولدت له جُوَيْرِية وهي امرأة المِسْوَر ابن مَخْرَمَةَ .

المخنثون الذين كانوا بالمدينة :

وكان المُخَنَّثُون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة : هِيتٌ هذا ، وهَرِمٌ وماتِع[2] ، وإنه ، ولم يكونوا يُزَنُّونَ بالفاحِشَة الكُبرى ، وإنما كان تأنيثُهم لِيناً في القول وخِضاباً في الأيدي والأرْجُلِ كخِضابِ النِّساء ، ولعباً كَلَعِبِهِنَّ ، وربما لَعِبَ بعضُهم بالكُرَّج[3] ، وفي مراسيل أبي داود أن عُمَرَ بن الخطاب رَضِيَ الله عنه ، رأى لاعباً يلعب بالكُرَّج ، فقال : لولا أني رأيت هذا يُلْعَبُ به على عهدِ النبي -صلى الله عليه وسلم- لَنفَيْتُهُ من المدينة .

عيينة

وذكر عُيَيْنَةَ بن حِصْنٍ ، واسمه : حُذَيفَةَ ، وإنما قيل له : عُيَيْنَةُ لشَتَرٍ كان بعينه .

العبيد الذين نزلوا من حصن الطائف

وذكر العبيد الذين نَزَلُوا من الطائف ، ولم يُسَمِّهم ، ومنهم أبو بَكْرَة

(١) سبق قول مهلهل عند الحديث عن جنب .

(٢) ذكرهم البكري في السمط ص ٤٢١ وقد نقله الحافظ في الإصابة عن البكري وقال : هدم بالدال .

(٣) دخيل معرب كره لا أصل له في العربية وهو مثل المهر يتخذ ليلعب عليه ، ولهذا نسب إليه المخنث فقيل عنه : الكرجي .

رفع المسهم

. . . .

نُفَيع بن مَسْرُوحٍ تدلّى من سُور الطائف على بَكْرةٍ ، فكنى أبا بَكْرةٍ ، وهو من أفاضل الصحابة ، ومات بالبصرة ، ومنهم الأزرق ، وكان عَبْداً للحارثِ بن كَلَدَةَ المُتَطَبِّبِ ، وهو زوج سُمَيَّةَ مَوْلاةِ الحارث أمِّ زياد ابن أبي سُفْيانَ ، وأم سَلَمَةَ بن الأَزْرَق ، وبنو سَلَمَةَ بن الأَزْرَقِ ، ولهم صِيتٌ وذِكْرٌ بالمدينة ، وقد انتسبوا إلى غَسَّان ، وغلط ابن قُتَيْبَةَ في المعارف، فجعل سُمَيَّةَ هذه المذكورةَ أمَّ عَمَّارِ بن ياسرٍ ، وجعل سَلَمَةَ بن الأَزْرَقِ أخا عَمَّارِ بن ياسر لأُمِّه ، وقد ذكر أن الأَزْرَق خرج من الطائف ، فأسلم وسُمَيَّةُ قد كانت قبل ذلك بزمان قتلها أبو جَهْل ، وهي إذ ذاك تحت ياسِرٍ أبي عمار ، كما تقدم في باب المَبْعَثِ. فتبيَّن غلطُ ابن قُتَيْبَةَ ووهمُه ، وكذلك قال أبو عُمَر النَّمَرِيّ كما قلت . ومن أولئك العبيد : المُنْبَعِثُ ، وكان اسمه المُضْطَجِعَ ، فبدَّل النبيُّ صلى الله عليه وسلم اسمَه ، وكان عَبْداً لعثمانَ بن عامر ابن مُعَتِّبٍ .

ومنهم يُحَنَّسُ النَّبَّال ، وكان عَبْداً لبعضِ آل يَسارٍ .

ومنهم : وَرْدَانُ جَدُّ الفُرَاتِ بن زَيْد بن وَرْدَانَ ، وكان لعبد الله بن رَبِيعَةَ بن خَرَشَةَ ، وإبراهيمُ بن جابر ، وكان أيضاً لخَرَشَةَ ، وجعل النبيُّ — صلى الله عليه وسلم — وَلاءَ هؤلاءِ العبيدِ لساداتِهم ، حين أسلموا . كل هذا ذكره ابن إسحاق في غير رواية ابن هشام (١) .

---

(١) ومنهم : يسار ، وأبو السائب ، ومرزوق . ص ٤١٨ إمتاع الأسماع للمقريزي.

رفع
المسلم
عز الله له ولوالديه

. . . .

وذكر أبو عمر فيهم نَافِع بن مَسْرُوح ، وهو أخو نُفَيْع أبى بَكْرَة ، ويقال فيه وفى أخيه ابن الحارث بن كَلَدَة .

وذكر ابنُ سلاَّم فيهم نافعاً مَوْلى غَيْلان بن سلمة الثقفى ، وذكر أن وَلاءَه رجع إلى غَيْلاَن حين أسلم وأحسبه وَهْماً من ابن سَلاَّم ، أو مِمَّن رواه عنه ، وإنما المعروفُ نافع بن غَيْلاَن ، والله أعلم .

من نسب بجير بن زهير :

وذكر شعر بُجَيْر بن زُهَيْر بن أبى سُلْمَى ، واسم أبى سُلْمَى : رَبيعةُ ، وهو من بنى لاطِم بن عُثْمَانَ ، وهم مُزَيْنَةُ ، عرفوا بأمهم ، وقد قدمنا أنها بنت كلب بن وَبْرَةَ ، وأن أختها الحَوْأَبُ ، وبها سُمِّى ماء الحَوْأَب ، وعُثْمان هو ابن أُدٍّ بن طابِخة .

حول شعر بجير :

وقوله :

كانت عُلاَلَةَ يومَ بَطْنِ حُنَيْنِ

هذا من الإقواء الذى تقدم ذكرهُ ، وهو أن ينْقُص حَرْفاً من آخر القَسِيم الأول من الكامل ، وهو الذى كان الأَصْمَعِىُّ يسميه المُقْعَد[1] .

---

(١) وكذلك كان يسميه الخليل لنقصانه من عروض البيت قوة . وأبو ذر الخشنى يقرأ حنيناً مصغرةأى بتضعيف الياء مع كسرها مصغرة ، وبهذا لا يكون فى البيت إقواء .

رفع المسهم

. . . .

وقوله: كانت عُلالَة. العُلالَة : جَرْيٌ بعد جَرْى ، أو قِتالٌ بعد قِتالٍ[١] ، يريد : أن هَوَازِنَ جمعت جَمْعَها عُلالَةً فى ذلك اليوم ، وحذف التنوين من عَلالَة ضرورةً ، وأضمر فى كانت اسمَها ، وهو القصة ، وإن كانت الرِّوايةُ بخفض يومٍ ، فهو أولى من التزام الضَّرُورة القبيحة بالنَّصْب ، ولكن ألْفَيْتُه فى النسخة المقيدة ، وإذا كان اليومُ مخفوضاً بالإضافة جاز فى عُلالَة أنْ يكون منصوباً على خبر كان ، فيكون اسمُها عائداً على شيء تقدم ذكره ، ويجوز الرفع فى عُلالَة مع إضافتها إلى يوم على أنْ تكون كان تامَّةً مكتفيةً باسم واحدٍ ، ويجوز أن تجعل عُلالَة اسماً للمصدر مثل بَرَّة وفجارِ[٢] ،وينصب يومُ على الظرف كما تقيد فى النُّسخة .

وقوله : ترتد حَسْرَانا،جمع : حَسِير وهو الكال . والرَّجراجة : الكَتِيبةُ الضَّخْمَةُ من الرَّجْرَجَةِ ، وهى شِدَّةُ الحركة والاضطراب . والفَيْلَقُ : من الفِلْقِ ، وهى الداهية. والهَرَاسُ: شَوْكٌ معروف والضِّراء :الكلاب ، وهى إذا مشَت فى الهَرَاسِ ابتغت لأيديها موضعاً ، ثم تضع أرجلَها فى موضع أيديها ، شَبَّه الخيل بها . والقُدُرُ : الوُعول المُسِنَّةُ . والنِّهْىُ : الغَدِيرُ، سمى بذلك ، لأنه ماء نَهَاهُ ما ارتفع من الأرض عن السَّيلان فوقف .

---

(١) وهى من العلل : الشرب بعد الشرب ، وأراد به هاهنا معنى التكرار كما قال أبو ذر ص ٤١٠ .

(٢) فجار اسم للفجرة والفجور مثل قطام ، وهو معرفة علم غير مصروف وبرة كذلك اسم علم غير مصروف بمعنى البر، قال النابغة:

إنا اقتسمنا خطتينا بيننا   فحملت برة واحتملت فجار

رفع
عبد الرحمن الهاشمي

. . . .

وقوله : جُدُلٌ : جمع جَدْلاء ، وهى الشديدة الفَتْلِ ، ومن رَوَاه : جَدْلٍ ، فمعناه : ذات جَدْلٍ .

وقوله : وآل مُحَرِّقٍ يعنى عَمْرَ بن هِنْدٍ ملكَ الحِيرَةِ ، وقد تقدم فى أول الكتاب سَبَبُ تَسْمِيته بمُحَرِّقٍ ، وفى زمانه وُلِدَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكروا ـ والله أعلم .

دحنا ومسح ظهر آدم:

فصل : وذكر انصراف النبى صلى الله عليه وسلم عن الطائف على دَحْنَا . ودَحْنَا هذه هى التى خُلِق من تُرْبها آدمُ صلى الله على نبينا وعليه ، وفى الحديث : إن الله خلق آدم من دَحْنَا ، ومسح ظَهْرَه بِنَعْمَان الأَرَاكِ[1] رواه ابنُ عبّاس ، وكان مسحُ ظهرِ آدمَ بعدخروجه من الجنة باتفاقٍ من الروايات ، واختلفت الروايةُ فى مسح ظهره ، فَرُوِى ما تقدم ، وهو أصح ، وروى أن

---

(١) قال البكرى : موضع بسيف البحر ، وفى اللسان : بين الطائف ومكة ، وعند ياقوت أنها من مخاليف الطائف : ويرى البكرى أن ابن إسحاق أراد أنه سلك على وحى ، إذ ليس فى الطائف سيف بحر . ونعمان : وادى عرفة دونها إلى منى ، وهو كثير الأراك . وفى ياقوت : واد ينبته ـ أى ينبت الأراك ـ ويصب إلى ودان بلد غزاه النبى وهو بين مكة والطائف ، يسكنه هذيل « معجم ياقوت وكتابه المشترك وضعاً » وزعم أن الله خلق آدم من دحنا قول لا يثبته سند صحيح . ويخالف مارواه أحمد وأبو داود والترمذى وابن حبان فى صحيحه من أن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض . ثم : ألا يكفينا ماورد فى القرآن .

ذلك كان فى سماء الدنيا قبل هُبوطه إلى الأرض ، وهو قول السدى ، وكلتا الروايتين ذكرهما الطبرى .

وقوله : حتى نزل الجِعْرَانَةَ ، بسكون العين فيها هو أصح الروايتين ، وقد ذكر الخطابى أن كثيراً من أهل الحديث يشددون الراء[(١)] ، وقد ذُكر أن المرأة التى نقضت غزلها من بعد قوة كانت تُلَقَّب بالجِعْرَانة ، واسمها : رَيْطَةُ بنت سَعْد ، وأن الموضع يسمى بها ، والله أعلم .

حول قول زهير أبي صرد :

فصل : وذكر زُهَيراً أبا صُرَدٍ ، وقوله للنبى صلى الله عليه وسلم : ولو أنَّا مَلَحْنَا للحارث بن أبى شِمرٍ ، أو للنعمان بن المُنْذِرِ ، وقد تقدم فى أول الكتاب التعريفُ بالحارثِ وبالنعمان ، ومَلَحْنا : أرضعنا ، والمِلْحُ : الرضاع قال الشاعر :

فلا يُبْعِدُ اللهُ رَبُّ العبا ... دِ والمِلْحِ ما وَلَدَتْ خالِدَهْ

هُمُ المُطْعِمُو الضَّيفِ شَحْمَ السَّنَا ... مِ والكاسِرُو والليلةِ البارِدَهْ

وهمْ يَكْسِرون صُدُورَ القَنا ... بالخَيْلِ تُطْرَد أو طَارِدَهْ

فإن يكن الموتُ أفناهم ... فللمَوْتِ ما تَلِدُ الوَالِدَهْ

وأما زُهَيْرٌ الذى ذكره فهو ابن صُرَدٍ يُكْنَى أبا صُرَدٍ ، وقيل أبا جَرْوَلٍ ،

(١) بكسر الجيم والعين وتشديد الراء هكذا يقوله العراقيون ، أما الحجازيون فيخففون ، فيقولونها بالضبط الأول . وكذلك الحديبية ، العراقيون يشددون ، والحجازيون يخففون .

رفع المسلم

. . . .

وكان من رؤساء بنى جُشَم ، ولم يذكر ابن إسحاق شعره فى النبى صلى الله عليه وسلم ذلك اليوم فى رواية البكائى وذكره فى رواية إبراهيم بن سعد عنه وهو :

أُمْنُنْ علينا رَسُولَ اللهِ فى كَرَمٍ ... فإنك المرءُ نرجوه وننتظِر

أُمْنُنْ على بَيْضَةٍ قد عاقها قَدَرٌ ... مُمَزِّقٌ شَمْلَها فى دَهْرِها غِيَرُ

يا خَيْرَ طِفْلٍ ومَوْلودٍ ومُنْتَخَبٍ ... فى العالمين إذا ما حُصِّل البشرُ

إن لم تَدارَكْهُم نَعْماءُ تَنْشُرها ... يا أرجحَ الناس حِلْما حين يُخْتَبر

امْنُن على نِسْوَةٍ قد كنت تَرْضَعُها ... إذ فوك تملأه من مَحْضِها الدِّرَرُ

إذ كنتَ طفلا صَغيراً كنتَ ترْضعُها(١) ... وإذ يزينُك ما تأتى وما تذرُ

لا تجعلنا كمن شالت نعامتُه ... واسْتَبْقِ منا فإنا مَعْشَرٌ زُهُرُ

يا خَيْرَ من مرحت كُمْتُ الجيادِ به ... عند الهياجِ إذا ما اسْتُوقِدَ الشَّرَرُ

إنّا لنشكُر آلاءً وإن كُفِرَتْ ... وعندنا بعد هذا اليوم مُدَّخَر

(١) فى البداية : امنن على نسوة قد كنت ترضعها .

رفع المسلم

. . . .

إنا نؤمِّل عفواً منك تُلبِسُه(١) هذى البريَّةَ إذ تعفو وتنتصر
فاغفِر عفا الله عما أنت راهِبُه يومَ القيامة إذ يُهدَى لك الظَّفَرُ

من أحكام السبايا :

فصل : وذكر رَدَّ السَّبايا إلى هَوازِن ، وأنه مَنْ لم تَطِبْ نفسه بالرد عَوَّضه مما كان بيده ، واستطاب نفوس الباقين ، وذلك أن المَقاسِمَ كانت قد وقعت فيهم ، ولا يجوز للإمام أن يَمُنَّ على الأسرى بعد القَسْم ، ويجوز له ذلك قبل المَقاسِم ، كما فعل النبيُّ – صلى الله عليه وسلم – بأهل خَيْبَرَ حين مَنَّ عليهم ، وتركهم عُمّالاً للمسلمين فى أرضهم التى افْتَتَحُوها عَنْوَةً ، كذلك قال أبو عُبَيْد ، قال : ولا يجوز للإمام أن يَمُنَّ عليهم ، فيردَّهم إلى دارِ الحرب ، ولكن على أن يؤدوا الجِزْيَةَ ، ويكونوا تحت حُكْم المسلمين ، قال : والإمام مُخَيَّر فى الأسرى بين القتل والفِداء والمَنِّ والاسْتِرْقَاق والفِداء بالنفوس لا بالمال كذلك ، قال أكثرُ الفقهاء هذا فى الرجال ، وأما الذَّرارِى والنِّساء ، فليس إلا الاسْتِرْقَاق ، أو المُفادَاة بالنفوس دون المال كما تقدم .

وذكر الجارية التى أُعطِيها عبد الله بن عمر ، وأنه بعث بها إلى أخواله من بنى جُمَح ليصْلِحُوا له منها كى يصيبها ، وهذا لأنها كانت قد أسلمت ، لأنه لا يجوز وَطْء وَثَنِيَّةٍ ولا مَجُوسِيَّةٍ بِمِلْكِ يَمِينٍ ، ولا بنِكاح حتى تُسْلِمَ ، وإن

---

(١) فى الأصل : منك عفواً .

. . . .

كانت ذاتَ زَوْج ، فلا بــد أيضاً من اسْتِبْرائها ، وأما الـكتابيات ، فلا خلافَ فى جوازِ وَطْئِهنَّ بِمِلكِ اليمينِ ، وقد روى عن طائفة من التابعين منهم عَمْرو بن دينار إباحةُ وَطْءِ المجوسية والوثنية بملك اليمين ، وقول الله تعالى : ﴿ ولا تَنْكِحوا المُشْرِكَاتِ حتى يُؤْمِنَّ ﴾ تحريم عام إلا ما خَصَّصَتْه آيـةُ المائدة من الـكتابِيَّاتِ ، والنـكاحُ يقع على الوطء بالعَقْدِ والمِلْكِ .

حول سبي حنين :

وكان سَبْىُ حُنَيْنٍ ستةَ آلاف رأسٍ(١) ، وكان النبىُّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد وَلَّى أبا سفيان بن حرب أمرهم ، وجعله أميناً عليهم ، قاله الزبير ، وفى حديثٍ آخر ذكره الزبير بإسناد حَسَنٍ أن أبا جَهْم بن حُذَيْفَةَ العَدَوىّ كان على الأنفال يوم حُنَيْن ، فجاءه خالدُ بن البَرْصاء ، فأخذ من الأنفال زِمامَ شَعْرٍ فمانعه أبو جَهْم ، فلما تمانعا ضربه أبو جَهْمٍ بالقَوْس فشَجَّهُ مُنَـقِّلَةً(٢) ، فاستعدى عليه خالدٌ رسولَ اللهِ ـ صلّى الله عليه وسلم ـ فقال له : خذ خمسين شاةً ودَعْه ، فقال أَقِدْنِى منه ، فقال خذ مائة ، ودَعْه ، فقال : أَقِدْنِى منه ، فقال : خذ خمسين ومائة ودعه ، وليس لك إلا ذلك ، ولا أُقِصُّك مِنْ وَالٍ عليك ، فقُوِّمت الخمسُون والمائة بخمسَ عَشْرَةَ فَرِيضَةً من الإبل ، فمن هنالك جعلت دِيَةُ المُنَقِّلَةِ خَمْسَ عَشْرَةَ فَرِيضَةً(٣) .

---

(١) وقيل كان مع هذا من الإبل أربعة وعشرون ألف ، ومن الغنم أكثر من أربعين ألف شاة ، ومن الفضة أربعة آلاف أوقية .

(٢) منقلة كمحدثة : الشجة التى تنقل منها فراش العظام .

(٣) وردت ديتها فى حديث صحيفة عمرو بن حزم . الذى قال عنه أبو داود =

رفع عبد الرحمن الهجري المسـاهم

. . . .

إعطاء المؤلفة قلوبهم من الغنائم :

فصل : وأما إعطاء رسولِ الله ـ صلى الله عليه وسلم المؤلَّفةِ قلوبُهم من غنائم حُنَيْنٍ حتى تكلمت الأنصارُ فى ذلك ، وكثرت منهم القالَة ، وقالت : يُعْطِى صَنَادِيدَ العَرَبِ ولا يُعْطِينا ، وأسيافُنا تَقْطُر من دمائهم ، فللعُلَماء فى هذه المسألة ثلاثة أقوال : أحدها أنه أعطاهم من خُمسِ الْخُمْسِ ، وهذا القول مَرْدُودٌ لأن خُمسَ الْخُمْس مِلْكٌ له ولا كلامَ لأَحَدٍ فيه .

القول الثانى : أنه أعطاهم من رأس الغَنيمة ، وأن ذلك خُصُوصٌ بالنبى صلى الله عليه وسلم لقوله تبارك وتعالى (قُل الأنفالُ لله والرسول) وهذا القولُ أيضاً يرده ما تقدم من نَسْخِ هذه الآية ، وقد تقدم الكلامُ عليها فى غزوة بدر ، غير أن بعضَ العلماء احتج لهذا القول بأن الأنصار لما انهزموا يوم حُنَيْنٍ فأيّد اللهُ رسولَه وأمدَّه بملائكته ، فلم يرجعوا حتى كان الفتحُ ، رد الله تعالى أمرَ المغانم إلى رسوله من أجل ذلك فلم يعطهم منها شيئاً وقال لهم : ألا تَرْضَوْنَ يا مَعْشَر الأنصار أن يذهبَ الناسُ بالشّاةِ والبَعِير ، وتَرْجِعُوا برسول الله إلى رحَالِكم ، فطيَّب نفوسَهم بذلك بعد ما فعل ما أمر به .

والقول الثالث : وهو الذى اختاره أبو عُبَيْدٍ أن إعطاءهم كان من الخُمْس حيث يرى أن فيه مصلحةً للمسلمين .

= لا يصح .. ولا أحدث به : وقال ابن حزم فى المحلى : صحيفة عمرو بن حزم منقطعة لا تقوم بها حجة . والفريضة : أصلها البعير المأخوذ فى الزكاة ، ثم اتسع فيه .

رفع المسيهم غفر الله له ولوالديه

فصل : ومما لم يذكر ابن إسحاق يوم حنين ... بن الوليد أثقل بالجراحة يومئذ ، فأتاه النبيُّ صلى الله عليه وسلم يقول : مَنْ يدلني على رحل خالدٍ حتى دُلّ عليه ، فوجده قد أُسْنِد إلى مُؤَخِّرة رحله ، فنفث على جُرْحِه فبَرِئ ، ذكره الكَشّي .

وصف عجوز ابن حصن :

فصل : وذكر عُيَيْنَةَ بن حِصْنٍ ، وقولَ زُهَيْر بن صُرَدٍ له في العَجُوز التي أخذها : ما فُوها ببَارِدٍ ، ولا ثديُها بناهِدٍ ... ويقال أيضاً بناكِدٍ ، يريد: ليست بغَزِيرةِ الدَّرِّ ، والنُّوقُ النُّكْدُ : الغزيرات اللبن ، وأحسبه من الأضداد ، لأنه قد يقال أيضاً نَكِدَ لبنُها إذا نقص ، قاله صاحب العين ، والصحيح عند أكثرهم أن النُّكْدَ هي القليلات ... عز وجل : (لا يَخْرُجُ إلاَّ نَكِدًا) وأن المُكْدَ بالميم هي الغزيراتُ اللبن ، قال ابن سراج ، لأنه من مَكَدَ في المكان إذا أقام فيه ، وقد يقال أيضاً : نَكِدَ في معنى مَكَدَ ، أي ثبت .

الأقرع بن حابس :

وذكر الأقرعَ بن حابس ، وكان من المؤلَّفة قلوبُهم ، ثم حَسُن إسلامُه بعد ، وهو الذي قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزلت : (ولله على النَّاسِ حِجُّ البيت) أفي كلِّ عام يارسول الله ؟ قال : لو قُلْتُها لَوَجَبَتْ ، وهو الذي قال للنبي صلى الله عليه وسلم حين أَقْطَعَ أبيَضَ بن حَمَّـــالٍ الماء الذي

. . . .

بمأرب : أتدرى ما أقطعتَه يا رَسُولَ اللهِ ؟ إنما أقطعتَه الماء العِدَّ(١) ، فاسترجعه النبىُّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو حديث مَشْهورٌ ، غير أنه لم يُسَمِّ قائل هذا الـكلام فيه إلا الدَّارَقُطنى فى روايته ، وزاد فيه أيضاً : قال أبيض : على أن يكون صَدَقَةً منى يارسول الله على المسلمين ، فقال : نعم ، وأما نَسَبُ الأقرع بن حَابِسٍ ، فهو ابن حابِس بن عِقَالِ بن محمد بن سُفْيان بن مُجاشعٍ [بن دارمٍ] التَّمِيمِىّ المُجاشِعىّ الدَّارِمىّ ، وأما عُيَيْنَةُ ، فاسمه : حُذَيفَةُ بن حِصْنِ بن حُذَيفَةَ بن بَدْرٍ الفَزارِىّ ، وقد تقدم ذكره .

مالك بن عوف :

فصـل : وذكر تولية النبى صلى الله عليه وسلم مالِكَ بن عَوْفٍ على ثُمالَةَ وبنى سَلِمَةَ و فَهْم. وثمالة هم بنو أسلم بن أحجن أمُّهم : ثُمالَةُ . وقول أبى مِحْجَنٍ فيه :

هابت الأعْدَاء جانِبَنا ثم تَغزُونا بنو سَلِمَهْ

هـكذا تقيد فى النسخة بكسر اللام ، والمعروف فى قبائل قَيْسٍ : سَلَمَةُ بالفتح إلا أن يكونوا من الأزْدِ ، فإن ثُمالَةَ المذكورين مَعَهم حَىٌّ من الأزْدِ وفَهْم من دَوْس ، وهم من الأزد أيضاً ، وأمهم : جَدِيلَةُ وهى من غَطَفَانَ بن قَيْس بن غَيْلان ، على أنه لا يُعْرف فى الأزد سَلِمَة إلا فى الأنصار ، وهم من

---

(١) أى الدائم الذى لا انقطاع لمادته ، وجمعه : أعداد . وقد روى حديثه هذا أبو داود والترمذى والنسائى فى الكبرى وابن ماجة وابن حبان فى صحيحه

الأزد وسَلِمَةُ أيضاً فى جُعْفَى هم ، وسَلِمَةُ بن عَمْرِو بن ذُهْلِ بن مُرَّان بن جُعْفِىّ، وسَلِمَةُ فى جُهَيْنَةَ أيضاً سَلِمَةُ بن نَصر بن غطفان بن قَيْس بن جُهَيْنَة وجُعْفِىٌّ من مَذْحِج ، وجُهَيْنَةُ من قُضَاعَة(١) .

وأما مِحْجَنُ ، فاسمُه : مالك بن حَبِيب ، وقيل : عبد الله بن حَبِيب بن عَمْرِو بن عُمَيْر بن عَوْف بن عُقْدَةَ بن غِيَرَةَ بن عَوْف بن قَيْسٍ الثَّقَفى ، وقد تقدم نَسَبُ أَحْجَن عند ذكرنا لَهَب بن أَحْجَن قبل باب المبعث .

وذكر أبا السَّنَابِل بن بَعْكَك ، واسمه : حَبَّةُ أحد بنى عَبْدِ الدار ، وكان شاعراً وحديثُه مع سُبَيْعَةَ الأَسْلَمِيَّة حين آمَتْ من زَوْجِها مَذْكُورٌ فى الصِّحَاح(٢) .

قول النبى صلى الله عليه وسلم لمرداس :

فصل : وذكر قول النبى صلى الله عليه وسلم لعباس بن مِرْدَاسٍ أنت القائل : فأصبح نَهْبِى ونَهْبُ العُبَيْدِ بَيْنِ الأقْرَع وعُيَيْنَة ؟

---

(١) فى القاموس « وبنو سلمة بطن من الأنصار ، وابن كهلاء فى بجيلة ، وابن الحارث فى كندة ، وابن عمرو بن ذهل ، وابن غطفان بن قيس وعميرة ابن خفاف بن سلمة . وعبد الله بن سلمة البدرى الأحدى . وعمرو بن سلمة الهمدانى وعبد الله بن سلمة المرادى ، وأخطأ الجوهرى فى قوله : وليس سلمة فى العرب غير بطن الأنصار » وقد نقل اللسان قول الجوهرى ولم يعقب عليه .

(٢) لما مات زوج سبيعة وضعت حملها وتهيأت للخطاب ، فأنكر عليها أبو السنابل ، وقال . حتى تعتدى أربعة أشهر وعشرا ، فسألت النبى صلى الله عليه وسلم ، فأعلمها أن قد حلت . هذا ما ورد فى الصحيحين . أقول : وفى القرآن عن عدة ذات الحمل : (وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن) وقد روى أنها ولدت بعد وفاة زوجها بنصف شهر . وقد أخرج قصة سبيعة البخارى ومسلم ومالك وأبو داود والنسائى . وفى الأصل عن نسبتها الإسلامية .

رفع المسهم

. . . .

فقال أبو بكر الصديق : بين عُيَيْنَة والأقْرَع ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : هما واحد ، يعنى فى المعنى ، وأما فى الفصاحة ، فالذى أُجْرِى على لسانه صلى الله عليه وسلم هو الأفصح فى تنزيل الكلام وترتيبه ، وذلك أن القَبْلِيَّة تكون بالفَضْل نحو قوله تعالى : ﴿من النَّبيِّين والصِّدِّيقين﴾ وتكون بالرُّتبة نحو قوله تعالى حين ذكر اليهود والنصارى ، فقدم اليهود لمجاورتهم المدينة ، فهم فى الرتبة قبل النصارى ، وقَبْلِيَّة بالزمان نحو ذكر التَّوْرَاة والإنجيلِ بعدَه ونوحاً وإبراهيم ، وقَبْلِيَّة بالسَّبَب ، وهو أن يَذْكُر ماهو عِلَّةُ الشيء وسَبَبُ وجوده ، ثم يُذْكَر المُسَبَّب بعده ، وهو كثير فى الكلام مثل أن يَذْكر معصيةً وعقاباً أو طاعةً وثواباً فالأجود فى حكم الفَصَاحَةِ تقديمُ السبب.

القبلية بين الأقرع وعيينة :

والأقرع وعُيَيْنةُ من باب قَبْلِيَّه المَرْتَبَةِ ، وقَبْلِيَّة الفَضْل ، أما قَبْلِيَّة الرُّتبة فإنه من خِنْدِفَ ، ثم من بنى تميم ، فهو أقرب إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم من عُيَيْنَةَ ، فترتب فى الذكر قَبْلَه ، وأما قَبْلِيَّةُ الفَضْل ، فإن الأقْرَعَ حَسُن إسلامُه وعُيَيْنَةُ لم يزل مَعْدُوداً فى أهل الجَفَاء حتى ارْتدَّ وآمن بِطُلَيْحَةَ ، وأُخِذ ، أسيراً فجعل الصِّبْيانُ يقولون له ـ وهو يساق إلى أبى بكر ـ وَيْحَك ياعَدُوَّ الله ارتَدَدْتَ بعد إيمانك ؟ فيقول : والله ما كنت آمنت ، ثم أسلم فى الظاهر ، ولم يزل جافياً أحْمَقَ حتى مات ،

. . . .

وبحَسْبِك تَسْمِية النبيِّ صلى الله عليه وسلم له : الأَحْمَق الْمُطاع[1] ومما يذكر من جَفَائِه أن عَمْرو بن مَعْدِى كَرِب نزلَ به ضيفاً ، فقال له عُيَيْنةُ : هل لك فى الخمر نَتَنَادَمُ عليها ؟ فقال عمرو : أَلَيْسَت مُحَرَّمَةً فى القرآن ؟ فقال عُيَيْنَةُ إنما قال : فهل أنتم مُنْتَهُون ، فقلنا نحن : لا ، فَشَرِبَا .

حديث ذى الخويصرة

وذكر حديثَ ذِى الْخُوَيْصِرَةِ التَّمِيمِىّ ، وما قال فيه النبيُّ عليه السلام وفى شيعته ، وقال فى حديث آخر : يَخْرُجُ من ضِئْضِئِه قومٌ تحقرون صلاتَكم إلى صَلاتِهِم ، وصيامكم إلى صِيَامِهِمْ يَمْرُقُون من الدين كما يَمْرُقُ السَّهْمُ من الرَّمِيَّة الحديث[2] ، فكان كما قال - صلى الله عليه وسلم - وظهر صِدْقُ الحديث فى الخوارج ، وكان أولُهم من ضِئْضِئِي ذلك الرجلِ ، أى : من أَصْلِه ، وكانوا من أهل نَجْدٍ التى قال فيها النبى صلى الله عليه وسلم : منها يَطْلع قَرْنُ

---

(١) رواه سعيد بن منصور والطبرانى . لأنه كان قد دخل على النبي «ص» بدون استئذان ، وعنده عائشة فقال : من هذه الجالسة إلى جانبك ؟ قال: عائشة . قال : أفلا أنزل لك عن خير منها يعنى امرأته ؟ فقال له النبي : أخرج فاستأذن ، فقال : إنها يمين على ألا أستأذن على مضرى . فقالت عائشة من هذا؟ فقال الأحمق المطاع . وقد ذكر الشافعى فى كتاب الأم فى باب من كتاب الركاز أن عمر قتل عيينة على الردة .

(٢) أصل الحديث فى الصحيحين .

. . . .

الشَّيْطَانِ ، فكان بدؤهم من ذى الْخُوَيْصِرَةِ ، وكان آيتهم ذو الثُّدَيَّةِ الذى قَتَله علىٌّ رضى الله عنه ، وكانت إحدى يديه كَثَدْيِ المرأة ، واسم ذى الثُّدَيَّة نافع ، ذكره أبو داود ، وغيره يقول اسمه : حُرْقُوص [بن زهير][1] وقول أبى داود أصحُّ ، والله أعلم .

شعر حسان في عتاب صلى الله عليه وسلم :

وذكر شعر حسان وفيه :

هَيْفَاء لاذَنَنٌ فيها ولاخَوَرُ

الذَّنَنُ : الغَدْرُ والتَّفْلُ ، والذَّنينُ المخاط ، والذَّنَنُ أيضاً ألاَّ ينقطع حيضُ المرأة ، يقال : امرأة ذَنَّاء ، ولو روى بالدال المهملة لكان جيِّداً أيضاً ، فإن الدَّنَنَ بالدال هو قِصَرُ العُنُقِ وتَطَامُنِها ، وهو عَيْبٌ . والبَهْكَنَةُ : الضَّخْمَةُ .

حول عتاب النبي للأنصار :

فصل : وذكر قول النبيِّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ للأنصار : مَاقَالَةٌ بلغتنى

(١) كذا فى القاموس ، وفى الملل والنحل ، للشهرستانى ، وهو من المحكمة الأولى الذين خرجوا على على بن أبى طالب ، واجتمعوا بحروراء قرية بظاهر الكوفة . ويقول أبو سعيد الخدرى فيما رواه الصحيحان عن الخوارج « آيتهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدى المرأة أو مثل البضعة تدردر » ثم يقول : « وأشهد أن على بن أبى طالب قاتلهم . وأنا معه ، وأمر بذلك الرجل فالتمس ، فأتى به حتى نظرت إليه على نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى نعت » .

رفع
المسهم

. . . .

عنكمُ وجِدَةٌ وجدتموها فى أنفسكم ، هكذا الرواية : جِدَةٌ والمعروف عند أهل اللغة : مَوْجِدَة إذا أردت الغَضَب ، وإنما الجِدَةُ فى المال .

وقوله عليه السلام : فى لُعَاعَةٍ من الدنيا تألفتُ بها قوماً ، ليُسْلِموا . اللُّعَاعَةُ بَقْلةٌ ناعمة ، وهذا نحو من قوله عليه السلام : المالُ حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ ، واللَّعَةُ من هذا المعنى ، وهى المرأة المليحة العفيفة ، واللَّعْلَعُ : السَّرَابُ ، ولُعَاعُهُ : بَصِيصُه[1] .

جعيل بن سراقة :

وذكر جُعَيْلَ بن سُرَاقَةَ ، وقول النبى – صلى الله عليه وسلم – فيه : ووكَلتُ جُعَيل بن سُرَاقَةَ إلى إسلامه . نسب ابنُ إسحاق جُعَيْلا إلى ضَمْرَةَ ، وهو معدود فى غِفَارٍ ، لأن غِفاراً ، هم بنو مُلَيْل بن ضَمْرَةَ من بنى لَيْث بن بَكْر ابن عَبْدِ مَنَاةَ بن كِنَانَةَ . وأما حديث التَّمِيمى الذى قال للنبى صلى الله عليه وسلم حين أعْطَى المؤلفة قلوبُهم : لم أرك عدلت ، فغضب النبىُّ صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : إذا لم يكن العَدْل عندى ، فعند مَنْ يكون ؟ وقال أيضاً : إنى أرى قِسْمَةً ما أُريد بها وَجْهُ الله ، فقال صلى الله عليه وسلم : أيأمَنُنى اللهُ فى السماء ، ولا تأْمَنُونى ، أو كما قال صلى الله عليه وسلم ، فالرجل هو ذو الخُوَيْصِرَة ، كذلك جاء ذكره فى الحديث[2] .

---

(١) فى اللسان : ولعاع الشمس : السراب ، والأكثر : لعاب الشمس واللعلع : السراب ، والعلعة : بصيصه .

(٢) هكذا ورد اسمه فى الصحيحين : ذو الخويصرة رجل من بنى تميم .

. . . .

ويذكر عن الواقدى أنه قال : هو حُرْقُوصُ بن زُهَيْر السَّعْدى من سَعْدِ تميم ، وقد كان لحرْقُوصٍ هذا مشاهد محمودة فى حَرْب العراق مع الفُرس أيام عُمَر ، ثم كان خارجياً ، وفيه يقول نحيبة الخارجى :

حتى ألاقى فى الفِرْدَوْس حُرْقُوصاً

ولذلك قال فيه النبى صلى الله عليه وسلم : إنه سيكون من ضِئْضِئِه قوم تحقرون صلاتَكم إلى صلاتهم ، وذكر صفة الخوارج ، وليس ذو الخُوَيْصِرَة هذا ذا الثُّدَيَّة الذى قتله علىٌّ بالنَّهْر ، وأن ذلك اسمُه نافعٌ ، ذكره أبو داود ، وكلام الواقدى حكاه ابن الطلاع فى الأحكام له .

شعر بجير وكعب ابنى زهير :

فصل : وذكر قصَّةَ بُجَيْر بن زُهَير بن أبى سُلْمَى ، واسم أبى سُلْمى : ربيعة بن رِيَاح أحد بنى مُزَيْنَةَ .

وفى شعر كعب إلى أخيه بُجَيْر :

سَقَاكَ بها المأمونُ كأساً رَوِيَّةً

ويُروى : المحمودُ فى غير رواية ابن إسحاق ، أراد بالمحمود : محمداً — صلى الله عليه وسلم — وكذلك المأمون والأمين كانت قريشٌ تسمى بهما النبىَّ صلى الله عليه وسلم قبل النبوة .

وقوله لأخيه بُجَيْر :

. . . .

على خُلُقٍ لم تُلفِ أمًّا ولا أبًا عليه، ولم تُدرِكْ عليه أخًا لَكَا[1]

إنما قال ذلك ، لأن أمهما واحدةٌ ، وهى كَبْشَةُ بنت عَمّار السُّحَيْمِيَّة فيما ذكر ابن الأعرابى عن ابن الكَلْبى .

وقوله : إمّا عَثَرْتَ لَعًا لَكَا ، كلمة تقال للعاثر دعاء له بالإقالة . قال الأعشى :

فالتَّعْسُ أَدْنَى لَهَا مِنْ أَنْ يُقَالَ لَعًا لَهَا[2]

وأنشد أبو عُبَيْد :

فلا لَعًا لبنى فعلان إذ عَثَرُوا

وقول بُجَير .

ودين زُهَيْر وهْو لاشَىْء دِينُه

روايةٌ مستقيمة ، وقد رواه القالى ، فقال : وهو لاشىء غيره ، وفسّره على التقديم والتأخير أراد : ودين زهير غيره ، وهو لاشىء . ورواية ابن إسحاق أبعد من الإشكال وأصح ، والله أعلم .

وكعب هذا من فحول الشعراء هو وأبوه زُهَيْرٌ ، وكذلك ابنه عُقْبَةُ

---

(١) فى السيرة : .

على خلق لم ألف يوماً أباله عليه وما تلق عليه أبالكا

(٢) البيت فى اللسان هكذا :

بذات لوث عفرناة إذا عثرت فالتعس أدنى لها من أن أقول لعا

وكذاك هو فى معجم ابن فارس ، وفى ديوان الأعشى . وفى نوادر أبى زيد ص ٣٨ .

. . . .

ابن كَعْبِ بن زُهَيْر يُعْرَف عُقْبَة بالمُضَرَّب ، وابن عُقْبَة العَوَّام[1] شاعرٌ أيضاً ، وهو الذى يقول :

ألا لَيْتَ شِعْرِى هل تَغَيَّر بعدَنا مَلَاحةُ عَيْنَىْ أمِّ عَمْرٍو وجِيدُها

وهل بَلِيَتْ أثوابُها بعد جِدَّةٍ ألَا حَبَّذَا أخلاقُها وجَدِيدُها[2]

وبما يُسْتَحْسَن ويُسْتَجاد من قول كَعْبٍ :

لو كنتُ أعْجَبُ من شَىْءٍ لأعجَبَنى سَعْىُ الفَتى وهو مَخْبُوءٌ له القَدَرُ

يسعى الفتى لأمور ليس يُدْرِكها فالنَّفْسُ واحدةٌ والهَمُّ مُنْتَشِرُ

والمرءُ مَاعَاشَ مَمْدودٌ له أمَلٌ لاتنتهى العَيْنُ حتى ينتهى الأثَرُ

وقوله :

إن كنت لا تَرْهَبُ ذَمِّى لِمَا تَعْرِف من صَفْحِى عن الجاهِلِ

---

(١) كان فى عهد بنى العباس . وفى سمط البكرى عنه « شاعر مفلق مقل من شعراء الحجاز .. والعوام من المعرقين فى الشعر ، لأنهم خمسة شعراء فى نسق ، وكان ربيعة أبو سلمى شاعراً » ص ٣٧٣، ٣٧٤ .

(٢) بعده:

نظرت إليها نظرة ما يسرنى بها حمر أنعام البلاد وسودها

ومن القصيدة فى حماسة أبى تمام :

ونبئت سوداء الغميم مريضة فأقبلت من مصر إليها أعودها

فوالله ما أدرى إذا أنا جئتها أأبرئها من دائها أم أزيدها

والشعر فى امرأة كلف بها من بنى عبد الله بن غطفان . فخرج فى ميرة إلى مصر فعلم أنها مريضة ، فترك ميرته وكر راجعاً إليها . فلما رأته أشارت إليه أن يرجع إلى ميرته ،فرجع ، فلما ماتت رثاها بقصيدة منها :

سقى جدثاً بين الغميم وزلفة أحم الذرى واهى العزالى مطيرها

أنظر الحماسة بشرح التبريزى .

رفع المسـاهم

. . . .

فاخشَ سُكُوتِي إذْ أنا مُنصِتٌ فيكَ لِمَسْمُوعِ خَنَا القائِلِ
فالسَّامِعُ الذَّمِّ شريكٌ له ومُطْعِمُ المأكُولِ كالآكِلِ
مقالةُ السُّوءِ إلى أهلِها أسرَعُ من مُنحَدرٍ سائِلِ
ومَنْ دعا الناسَ إلى ذَمِّه ذَمُّوه بالحَقِّ وبالباطِلِ

قصيدة بانت سعاد :

وذكر قصيدته :

بانَتْ سُعادُ فقلبي اليومَ مَتْبُولُ

وفيها قوله :

شُجَّتْ بذى شَبَمٍ

يعنى : الخمرَ ، وشُجَّت كُسِرت من أعلاها لأنّ الشَّجَّة لا تكون إلا فى الرأس ، والشَّبَمُ البَرْدُ ، وأفْرَطه : أىْ مَلَأه . والبيض اليعَالِيلُ : السَّحَابُ ، وقيل : جبال ينحدر الماءُ من أعلاها ، واليعَالِيلُ أيضاً : الغُدْرانُ ، واحدُها يَعْلُولٌ ؛ لأنه يُعِلُّ الأرضَ بمائه .

وقوله : يا وَيْحَها[1] خُلَّةً قد سِيطَ من دَمِها .

أى خُلِطَ بلحمها ودمها هذه الأخلاقُ التى وصفها بها من الوَلَعِ وهو

---

(١) فى السيرة : لكنها .

. . . .

الخُلْف ، والكذبِ ، والمَطْلِ ، يقال : ساط الدمَ والشرابَ إذا ضرب بعضه ببعض . وقال الشاعر يصف عبدَ الله بن عباس :

صَمُوتٌ إذا ما زَيَّنَ الصَّمْتُ أهلَه ... وفتّاقُ أبْكارِ الكَلامِ المُختَّمِ

وَعَى ما حَوَى القرآنُ من كُلِّ حِكْمَةٍ

وسِيطَت له الآدابُ باللَّحْمِ والدمِ

والغُول : التى تَتَراءى بالليل . والسِّعْلاةُ ما تراءى بالنَّهار من الجن ، وقد أبطل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حكم الغُول حيث قال : لا عَدْوَى ولا غُولَ(١) ، وليس يعارضُ هذا ما رُوِي من قوله عليه السلامُ : إذا تَغَوَّلت

(١) لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر ولا غول « أحمد ومسلم » عن جابر . والصفر فى زعم العرب : حية تصيب الإنسان إذا جاع وتؤذيه ، وأنها تعدى . وقيل أراد به النسيء الذى كانوا يفعلونه فى الجاهلية وهو تأخير المحرم إلى صفر ويجعلون صفرهو الشهر الحرام ، فأبطله . والهامة تقدم ذكرها . ويقول ابن الأثير : هى من طير الليل ، وقيل: هى البوم وكان العرب يتشاءمون بها ، وقيل: كانت العرب تزعم أن روح القتيل الذى لا يدرك بثأره تصير هامة فتقول : اسقونى ، فإذا أدرك بثأره طارت . وقيل غير ذلك . والغول عند ابن الأثير جنس من الجن والشياطين كانت العرب تزعم أن الغول فى الفلاة تتراءى للناس ، فتتغول تغولا ، أى : تتلون تلونا فى صور شتى ، وتغولهم أى : تضلهم عن الطريق وتهلكهم .

والنفى إما الوجود ، وإما الزعم . ولم لا يكون للأمرين ؟! وقد تأول ابن الاثير نفى العدوى بقوله « وقد أبطله الإسلام ، لأنهم كانوا يظنون أن المرض بنفسه يتعدى ، فأعلمهم النبى « ص » أنه ليس الأمر كذلك ، وإنما الله هو الذى =

رفع
المسابهم
غفر الله له ولوالديه

. . . .

الغيلانُ فارْفَعُوا أصواتكم بالأذان[1] ، وكذلك حديث أبى أيوب مع الغول حين أخذها ، لأن قوله عليه السلام : لا غُولَ إنما أبطل به ما كانت الجاهليةُ تتقوله من أخبارِها وخُرافاتِها معها

وقوله :

كانت مواعيدُ عُرْقُوبٍ لها مَثَلاً .

هو : عُرْقُوبُ بن صَخْر من العَمَالِيق الذين سكنوا يَثْرِبَ ، وقيل : بل هو من الأوْسِ والخَزْرَجِ ، وقصَّتُه فى إخلاف الوعد مشهورة حين وَعَدَ أخاه بجَنَا نَخْلةٍ له وَعْداً من بعد وَعْدٍ ، ثم جَذَّها لَيْلاً ، ولم يُعْطه شيئاً .

والتَّبْغيلُ: ضرب من السَّيْر سريع ، والحُزّان جمع حَزْن وهو ماغَلُظ من الأرض . والمِيلُ مااتسع منها :

وقوله : ترمى النِّجادَ ، وأنشده أبو على : تَرْمى الغُيُوبَ ، وهو جمع غَيْب ، وهو ما غار من الأرض ، كما قال ابنُ مُقْبل :

لَزْمُ الغُلَامِ وَرَاءَ الغَيْبِ بالحجر

وقوله :

حَرْفٌ أبوها أخوها من مُهَجَّنَةٍ وعَمُّها خالُها قَوْداءُ شِمْلِيلُ

القَوْدَاءُ : الطَّوِيلةُ العُنُقِ . والشِّمْلِيل : السريعة . والحَرْفُ : الناقة الضامر .

=يمرض وينزل الداء ، ولهذا قال فى بعض الأحاديث : فمن أعدى البعير الاول ، أى : من أين صار فيه الجرب ، هذا لأن الواقع والتجربة تؤكد وجود العدوى

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط وهو ضعيف .

رفع
المسلم
غفر الله له ولوالديه

وقوله : من مُهَجَّنَةٍ ، أى : من إبل مُهَجَّنَةٍ مُسْتَكْرِمة هِجانٍ .

وقوله :أبوها أخوها أى : إنهما من جنس واحد فى الكَرَم ، وقيل : إنها من فَحْل تَحَلَّ على أُمّه فجاءت بهذه الناقة ، فهو أبوها وأخوها ، وكانت للناقة التى هى أمُّ هذه بنت أخرى من الفحل الأكبر ، فَعَمُّها خالها على هذا ، وهو عندهم من أكْرَمِ النتاج ، والقول الأول ذكره أبو على القالى عن أبى سعيد ، فالله أعلم .

وقوله : أقْرابٌ زَهالِيل ، أى : خَواصِر مُلْسَ ، واحدُها : زُهْلُول والبِرْطِيلُ : حَجَرٌ طَوِيلٌ ، ويقال : للمِعْوَل أيضاً : بِرْطِيلُ .

وقوله : ذَوَابِلٍ وَقْعُهُنَّ[1] الأرضَ تَحْلِيلُ .

تحليل ، أى قليلٌ . يقال : ما أقام عندنا إلاّ كتَحْلِيل الأَلِيَّة ، وكتَحِلَّة القَسِم ، وعليه حمل ابن قُتَيْبة قوله عليه السلام لن تَمَسّه النارُ إلاّ تَحِلَّة القَسَم ، وغلّط أباعبيد حيث فسره على القَسَم حَقِيقَةً . قال القُتَبيُّ : ليس فى الآية قَسَمٌ لأنه قال : ﴿وإنْ مِنكُمْ إلا وارِدُها﴾ ولم يُقْسِم. قال : الخطابى: هذه غَفْلَةٌ من ابن قُتَيْبَةَ فإن فى أول الآية : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهم والشياطينَ ﴾ وقوله : ﴿ وإنْ منكم إلاّ وَارِدُها ﴾ داخلٌ تحت القسم المتقدم .

وقوله : بالقُور العَساقِيل . القُورُ : جمع قَارَة ، وهى الحِجارَةُ السُّودُ .

---

(١) فى السيرة : مسهن .

. . . .

والعَساقِيلُ هنا السَّرابُ ، وهذا من المَقلوب ، أراد وقد تلفَّعتْ القودُ بالعَساقِيل .

وفيها قوله :

تَمْشِي(١) الغُوَاةُ بِجَنْبَيْها ، أى بجَنبَىْ ناقته .

عن القول والقيل إعراباً ومعنى :

وقوله : إنك يا بْن أبى سُلمَى لمَقتُول . ويُرْوى : وقِيلُهم ، وهو أحسن فى المعنى ، وأولى بالصَّواب ؛ لأن القِيلَ هو الكلام المَقولُ فهو مُبتَدأ ، وقوله : إنك يابن أبى سُلمَى لمَقتُول : خَبرٌ ، تقول : إذا سئلت ما قِيلُك ؟ قيلى : إن الله واحدٌ ، فقولك : إن اللهَ واحدٌ هو القيلُ ، والقَوْلُ مصدر كالطَّحن والذَّبح ، والقِيلُ اسمٌ لِلمَقولِ كالطِّحْن والذِّبح بكسر أوله ، وإنما حَسُنت هذه الروايةُ ، لأن القَوْلَ مصدرٌ فيصير : إنك يابن أبى سُلمَى فى موضع المَفعول فيه ، فيبقى المبتدأ بلا خَبَرٍ إلاَّ أن تجعل المَقُول هو القَول على المَجاز ، كما يُسَمَّى المخلوقُ خَلْقاً ، وعلى هذا يكون قوله عزَّ وجل : ﴿ وقِيلِهِ يارَبِّ ﴾ فى مَوضع البَدَل من القِيل ، وكذلك قوله : ﴿ إلاَّ قِيلاً : سَلَاماً سلاماً ﴾ مُنتَصِبٌ بفعل مُضمَرٍ ، فهو فى موضع البَدَلِ من قِيلاً وكذلك قوله : ﴿ ومَنْ أصدَقُ من الله قِيلاً ﴾ أى : حديثاً مَقُولاً ، ومن

---

(١) فى السيرة : تسعى .

رفع عبد الرحمن النجدي المسلم

. . . .

هذا البابِ مسألةٌ من النحو ذكرها سِيبَوَيْه ، وابن السراج فى كتابه ، وأخذ الفارسى منهما ، أو من ابن السراج ، فكثيراً ما ينقل من كتابه بلفظه غير أنه أفسد هذه المسألة ، ولم يفهم ما أراد بها ، وذلك أنهما قالا : إذا قلت أول ما أقولُ : إنى أحمدالله ، بكسر الهمزةِ ، فهو على الحكاية ، فظن الفارسى أنه يريد على الحكاية بالقَوْل ، فجعل إنى أحمد الله فى موضع المفعول بأقول ، فلما بقى له المبتدأ بلا خَبَر تكلَّف له تقديراً لا يعقل ، فقال : تقديرُه أول ما أقول : إنى أحمد الله موجود أو ثابت ، فصار معنى كلامه : إلى أن أوّلَ هذه الكلمة التى هى إنى أحمد الله موجودٌ أى : أوّلُ هذه الكلمة مَوْجُودٌ ، فآخرها إذاً مَعْدُومٌ ، وهذا خُلْفٌ من القَوْل ، كما ترى ، وقد وافقه ابنُ جِنّى عليه ، رأيته فى بعض مسائله ، قال : قلت لأبى عَلِىٍّ لم لا يكون : إنى أحمد الله فى موضع الخبر ، كما تقول : أول سورة أقرأها : ﴿ إنا أعْطَيْناكَ الكَوْثَرَ ﴾ أو نحو هذا ولا يحتاج إلى حذف خبر ، قال : فسكت ولم يجد جواباً ، وإنما معنى هذه المسألة أول ما أقول ، أى : أول القيلِ الذى أقوله إنى أحمد الله على حكاية الكلام المَقُول ، وهذا الذى أراد سيبويه ، وأبو بكر بن السراج ، فإن فتحت الهمزة من أنَّ صار معنى الكلام أولُ القول لا أول القيل ، وكانت ما واقعةً على المصدر ، وصار معناه : أول قولى الحمدُ إذ الحمدُ قولٌ ولم يُبَيِّن مع فتح الهمزة كيف حمد الله ، هل قال : الحمد لله بهذا اللفظ ، أو غيره ، وعلى كسر الهمزةِ قد بين كيف حمد حين افتتح كلامَه ، بأنه قال : إنى أحمد الله بهذا اللفظ ، أو غيره وعلى كسر الهمزةِ قد بين كيف حمد حين افتتح كلامَه ، بأنه قال : إني أحمد الله بهذا اللفظ لا بلفظ آخر ، فقف على

. . . .

هذه المسألة ، وتدبرها إعرابًا ومعنى ، فقل : من أحكمها وحسْبُك أنّ الفارسِيّ لم يفهم عمّن قبله ، وجاء بالعخايط المتقدّم ، والله المستعان .

عود إلى بانت سعاد :

والخراديل : القِطع من اللحم ، وفى الحديث فى صفة الصِّراط : فمنهم المُوبَقُ بعمله ، ومنهم المُخَرْدَلُ ، أى تُخَرْدِلُ لحمَه[1] الكَلاليبُ التى حوْل الصِّراط ، سمعت شيخَنا الحافظَ أبا بكر رحمه الله يقول: تلك الكَلاليبُ هى الشَّهوات ، لأنها تجذب العبدَ فى الدنيا عن الاستِقامة على سوَاءِ الصِّراطِ، فتُمَثَّل له فى الآخرة على نحو ذلك .

وقوله : بضَرَاء الأرْضِ .الضَّرَاءُ :ماوَارَاكَ من شَجَرٍ ، والخَمَرُ :ماوارك من شَجَرٍ وغيره .

وقوله : بواديه الأراجيلُ ، أى : الرّجَّالة ، قيل: إنه جَمع الجَمْع ، كأنه جَمع الرَّجْلَ ، وهم الرَّجَّالة على أرْجُل ، ثم جمع أرْجُلا على أراجِل ، وزاد الياء ضَرُورةً . والدِّرْسُ : الثوبُ الخَلَقُ . والفَقْماءُ: شجرة لها ثمر كأنه حِلَقٌ .

ويُروى أن النّبىَّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين أنشده كعب :

إن الرَّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ به ... مُهَنَّدٌ من سيُوُفِ الله مَسْلُولُ

نظر إلى أصحابه كالمعجب لهم من حسن القول وجودة الشعر .

---

(١) خردلت اللحم بالدال والذال : فصلت أعضاءه وقطعته .

رفع المسهم

. . . .

وقوله :

ليسَ لهم[1] عن حياض الموت تَهْليلُ

التهاليلُ : أن يَنْكصَ الرجلُ عن الأمر جُبْناً .

وقوله فى الأنصار :

ضَرَبُوا علياً يوم بَدْرٍ ضَرْبةً[2]

بنو على : هم بنو كِنانَةَ ، يقال لهم : بنو عَلِىٍّ لما تقدم ذكره فى هذا الكتاب ، وأراد : ضربوا قريشاً لأنهم من بنى كنانة .

وقوله : إذا عَرَّدَ[3] السُّودُ التَّنابِيل : جمع تِنْبَالٍ وهو القصير ، وقوله : عَرَّدَ ، أى : هرب . قال الشاعر :

يُعَرِّدُ عنه صحبُه وصديقُه ... وَيَنْبُشُ عنه كلبُه وهو ضارِبُه

عن السواد فى أهل اليمن وشرح بيت لحسان :

وجعلهم سُوداً لما خالطَ أهلَ اليمن من السُّودان عند غَلَبة الحَبَشَةِ على بلادهم[4] ، ولذلك قال حسان فى آل جَفْنَةَ :

---

(١) فى السيرة : ومالهم .

(٢) هذا من قصيدة كعب الرائية .

(٣) عاد إلى اللامية .

(٤) ترك السهيلى كثيراً من مفردات القصيدة دون شرح ، وهنا أنقل عن الخشنى معانى ماترك السهيلى: بانت : ذهبت وفارقت . متبول : هالك . متيم :=

. . . .

أولاد جَفْنَةَ حَوْلَ قبرِ أبيهم بيضُ الوُجوه من الطِّرازِ الأوَّل

يعنى بقوله : من الطِّرازِ الأول ، أن آل جَفْنَةَ كانوا من اليَمَن ، ثم استَوْطنُوا الشام بعد سَيْل العَرِم ، فلم يخالطهم السُّودان كما خالطوا مَنْ كان من اليمن ، من الطِّراز الأوَل الذى كانوا عليه فى ألوانهم وأخلاقهم .

= معبد مذلل . أغن : الظبى الصغير الذى فى صوته غنة . غضيض : فاتر الطرف هيفاء : ضامرة البطن والخصر . عجزاء : عظيمة العجيزة ، وهو الردف . تجلو : تصقل . والعوارض : الاسنان هنا . الظلم : شدة بريق الأسنان ، ويقال : هو ماؤه . منهل : مسقى . الراح : من أسماء الخمر . محنية : منتهى الوادى ، ويقال: ما انعطف منه . أبطح : موضع سهل . مشمول : هبت عليه ريح الشمال ، وهى عندهم باردة إذا هبت . والقذا : ما يقع فى الماء من تبن أو عود أو غيره ، وكذا ما يقع فى العين . صوب : مصر . غادية : سحابة مطرت بالغدو. اليعاليل : الحباب الذى يعلو على وجه الماء وهى رغوته ، راجع شرح السهيلى. الخلة هنا : الصديقة المراسيل : السريعة . عذافرة : ناقة ضخمة . الاين : الفتور والإعياء . والإرقال والتبغيل : ضربان من السير . نضاحة : يرشح عرقها . الذفرى : عظم فى أصل الاذن . عرضتها : الشىء الذى يقوى عليه ، ومن رواه ولاجها ، فمعناه : أضعفها طامس : متغير . الأعلام : العلامات التى تكون فى الطرق يهتدى بها ، وأراد أنه ليس بها علم . النجاد : جمع نجد وهو ما ارتفع من الأرض . المفرد: هنا الثور الوحشى الذى انفرد فى الصحراء. اللهق : الابيض بفتح الهاء وكسرها . مقلدها : عنقها . فعم : ممتلىء. مقيد : موضع القيد . قوداء : طويلة . شمليل : سريعة . لبان: صدر أقرب : جمع قرب وهى الخاصرة وما يليها. زهاليل : أملس . عيرانة : تشبه العير فى شدته ونشاطه ، والعير هنا : حمار الوحش . النحض: اللحم الزور : أسفل الصدر. قنواء : فى أنفها ارتفاع. حرتاها : أذناها . قاب : قرب ، تقول : بينى وبينه قاب قوس أى قرب قوس ، لحييها : هو تثنية لحى . وهو العظم الذى عليه الخد ،

. . . .

وقوله : حول قبر أبيهم ، أى إنهم لعزّهم لم يجْلُوا عن منازلهم قطّ ، ولا فارقوا قبر أبيهم .

= واللحية لذى اللحية : والخطم : الانف . وبرطيل : حجر طويل ، ويقال : هى فاس طويلة ، وتمر : تمد وتحرك ، المسيب : جريد النخل الخصل : جمع خصالة اللفافة من الشعر ، غارز : قليل اللبن ، لم تخونه : لم تنقصه ، ولم تضعفه ، والاحاليل جمع إحليل وهو الثقب الذى يخرج منه اللبن ، وهو من الذكر الذى يخرج منه البول . يسرات : يعنى قوائمها لانها تحسن السير بها كلها ، ذوابل : شداد ، عجايات جمع عجاية ، وهى عصبة تكون فوق مربط القيد من ذى الخف ، ومن ذى الحافر . وزيم : متكسر متفرق : الاكم : الكدى ، واحدتها أكمة ، الحرباء : ضرب من العظاء ويقال : هى أم حبيش . مرتبىء : مرتفع . ضاحية : ما برز منه للشمس ، مملول : محرق ، الملة : الحجارة والحر والرماد ، والحادى : الذى يسوق . والجنادب جمع جندب ، وهو ذكر الجراد ، قيلوا : أمر من القائلة ، أى انزلوا واستريحوا كان أوب ذراعيها : الاوب الرجوع . تلفع : اشتمل ، المساقيل : لمع السراب الفاقد : التى فقدت ولدها ، الشمطاء : التى خالطها الشيب . معولة : رافعة صوتها بالبكاء . المثاكيل : جمع مثكال ، وهى الفاقد أيضاً ، الضبعان : لحمتا العضدين ، تفرى : تقطع ، رعابيل : قطع متفرقة ، على آلة حدباء محمول : النعش أو الداهية أى ، لا يستقر عليها ، اظل ترعد من وجد بوادره ، البوادر : اللحم الذى بين العنق والكتف . ضيغم : أسد . مخدر الأسد : غابته وأجمته . عثر : اسم موضع تنسب إليه الاسود . غيل : أجمة أيضاً . يلحم : يطعم اللحم . ضرغامين : أسدين ، وأراد بهما شبيهه . معفور : ممرغ بالعفر ، وهو التراب . خراديل : متقطعة . يساور : يواثب ، مفلول . أى قد أثر فيه الجو : موضع . مضرج : مخضب بالدماء . أنكاس : جمع نكس : وهو المقصر عن غاية الكرم أو الضعيف ، ليست من الخشنى ، كشف : لا تراس لهم ، أو الذى لا يحسن الركوب ، فيميل عن السرج المعازيل : الذين لاسلاح معهم . الزهر : البيض . العرانين : الانوف . سوابغ : كاملة شكت : أدخل بعضها فى بعض ، فقعاء : ضرب من الحسك ، وهو نبات له شوك تشبه به =

غزوة تبوك

فى رجب سـنة تسع

التهيؤ لتبوك

قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال زياد بن عبد الله البكائى ، عن محمد بن إسحاق المطلبى ، قال : ثمّ أقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة مابين ذى الحِجَّة إلى رجب ، ثم أمر الناسَ بالتَّهَيُّؤِ لغزو الروم . وقد ذكر لنا الزهرى ويزيد بن رُومان وعبد الله بن أبى بكر وعاصم بن عمر بن قتادة ،

مدح آخر لكعب :

ومما أجاد فيه كعب بن زُهَير قولُه يمدح النبىّ صلى الله عليه وسلم :

تَخْدِى به الناقةُ الأَدْماءُ مُعْتَجِراً ... بالبُرْدِ كالبَدْرِ جَلَّى ليلَةَ الظُّلَمِ

فَفِى عِطَافَيْهِ أو أثْنَاءِ بُرْدَتِهِ ... مايعلم اللهُ من دِينٍ ومِنْ كَرَمِ

= حلق الدرع . بجدول : محكم السرد . تهليل : فرار وانتهى من ص ٤١٥ - ص ٤٢١ شرح السيرة لأبى ذر بن محمد بن مسعود الخشنى . وقد أورد ابن إسحاق القصيدة دون إسناد ، ورواها البيهقى فى الدلائل بإسناد متصل . ويقول ابن كثير فى البداية عن كون النبى صلى الله عليه وسلم أعطى كعباً بردته وهذا من الأمور المشهورة جدا ، ولكن لم أر ذلك فى شىء من هذه الكتب المشهورة بإسناد أرتضيه ، ص ٣٧٣ ج ٤ هذا وقد ذكر الزبيدى فى طبقات النحاة أن بندار الأصفهانى كان يحفظ تسعمائة قصيدة أول كل منها بانت سعاد ، ومنها قول زهير والد كعب

بانت سعاد وأمسى حبلها انقطعا ... وليت وصلا لنا من حبلها رجعا

ص ٥٩ ج ٣ المواهب ،

وغيرهم من علمائنا ، كلّ حدث في غزوة تبوكَ مابلغه عنها ، وبعضُ القوم يحدّث بما لايحدّث بعض : أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه بالتَّهيُّؤ لغزو الروم ، وذلك في زمان من عُسْرة الناس ، وشدة من الحرّ ، وجدْب من البلاد : وحين طابت الثمار . والناس يُحبُّون المُقام في ثمارهم وظلالهم ، ويكرهون الشُّخوص على الحال من الزمان الذي هم عليه ؛ وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قلّما يخرج في غزوة إلا كنى عنها ، وأخبر أنه يريد غير الوجه الذي يَصْمُدُ له ، إلا ما كان من غزوة تبوكَ ، فإنه بيّنها للناس، لبُعد الشُّقة ، وشدة الزمان ، وكثرة العدوّ الذي يصمُد له ، ليتأهب الناس لذلك أُهْبَته ، فأمر الناسَ بالجهاز ، وأخبرهم أنه يريد الروم .

شأن الجد بن قيس

فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو في جهازه ذلك للجدّ ابن قيس أحد بني سَلِمَة : ياجَدّ ، هل لك العامَ في جِلَاد بني الأصفر ؟ فقال : يارسول الله ، أوَ تأذنُ لي ولا تَفْتِنِّي ؟ فوالله لقد عَرَف قومي أنه مامن رجل بأشدّ عُجْبًا بالنساء مني ، وإني أخشى إن رأيتُ نساءَ بني الأصفر أن لاأصبر ، فأعرض عنه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وقال : قد أذنتُ لك . ففي الجدّ ابن قيس نزلت هذه الآية : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي ، أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ، وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ التوبة : ٤٩ . أي إن كان إنما خشي الفتنة من نساء بني الأصفر ، وليس ذلك به ، فماسقط فيه من الفتنة أكبر ، بتخلفه عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، والرغبة بنفسه عن نفسه ، يقول تعالى : وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمِنْ وَرَائِهِ . .

المنافقون المثبطون

وقال قوم من المنافقين بعضهم لبعض : لا تَنْفِروا في الحرّ ، زهادةً في الجهاد ، وشكًّا في الحقّ ، وإرجافًا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله تبارك وتعالى فيهم : ﴿ وَقالُوا لا تَنْفِرُوا فِي الحَرِّ ، قُلْ نارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كانُوا يَفْقَهُونَ . فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً ، جَزاءً بِمَا كانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ التوبة : ٨١ ، ٨٢ .

شعر الضحاك في تحريق بيت سويلم

قال ابن هشام : وحدثني الثقة عمن حدّثه ، عن محمد بن طلحة بن عبد الرحمن ، عن إسحاق بن إبراهيم بن عبد الله بن حارثة ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : بلغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، أنّ ناساً من المُنافقين يجتمعون في بيت سُوَيْلِم اليهوديّ ، وكان بيته عند جاسومَ ، يُثَبِّطونَ النّاسَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تَبوكَ ، فبعث إليهم النبيُّ صلى الله عليه وسلم طلحةَ ابن عُبيد الله في نفر من أصحابه ، وأمرهُ أن يُحرّق عليهم بيت سُوَيْلِم ، ففعل طلحة . فاقتحم الضَّحّاكُ بنُ خليفة من ظهر البيت ، فانكسرت رجلُه ، واقتحم أصحابه ، فأفلتوا . فقال الضحاك في ذلك :

كادَتْ وَبَيْتِ اللهِ نارُ مُحَمَّدٍ ... يَشِيطُ بِها الضَّحّاكُ وابنُ أُبَيْرِقِ
وظَلْتُ وقد طَبَّقْتُ كِبْسَ سُوَيْلِمٍ ... أنوءُ على رِجْلي كَسيراً ومِرْفَقي
سَلامٌ عليكم لا أعودُ لِمِثْلِها ... أخافُ ومن تَشْمَلْ به النارُ يُحْرَقِ

حض أهل الغنى على النفقة

قال ابن إسحاق : ثم إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم جَدَّ في سفره ، وأمَر الناس بالجَهاز والانكماش ، وحضّ أهلَ الغنى على النَّفقة والحُمْلان في سبيل الله ، فحمل رجالٌ من أهل الغنى واحتسبوا ، وأنفقَ عثمان بن عفان في ذلك نفقة عظيمة ، لم يُنفِق أحدٌ مثْلَها .

قال ابن هشام : حدثنى من أثق به : أن عثمان بن عفّان أنفق في جيش العُسْرَة في غزوة تَبُوك ألف دينار ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : اللهم ارضَ عن عثمان ، فإنى عنه راضٍ .

قصة البكائين والمعذرين والمتخلفين

قال ابن إسحاق : ثم إن رجالا من المسلمين أتَوْا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، وهم البكّاءون ، وهم سبعةُ نفَر من الأنصار وغيرهم من بنى عمرو بن عَوْف : سالم بن عُمَير ، وعُلْبَة بن زيد ، أخو بنى حارثة ، وأبو ليلى عبد الرحمن ابن كَعْب ، أخو بنى مازن بن النَّجّار ، وعمرو بن حُمام بن الجموح ، أخو بنى سَلَمَة ، وعبد الله بن المغفَّل المُزَنىّ — وبعض الناس يقول : بل هو عبد الله ابن عمرو المزنى — وهَرَمِىّ بن عبد الله ، أخو بنى واقف ، وعِرْباضُ بن سارية الفَزارىّ . فاستحملوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، وكانوا أهلَ حاجة ،

قال : لا أجد ما أحملكم عليه ، فتولّوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنًا ألا يجدوا ما ينفقون .

قال ابن إسحاق : فبلغنى أنّ ابن يامين بن عُمير بن كعب النضرى لقى أبا ليلى عبد الرحمن بن كعب وعبد الله بن مُغفّل وهما يبكيان ، فقال : ما يبكيكما ؟ قالا : جئنا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ليحملنا ، فلم نجد عنده ما يحملنا عليه ، وليس عندنا ما نتقوّى به على الخروج معه ؛ فأعطاهما ناضحًا له ، فارتحلاه ، وزوّدهما شيئًا من تمر، فخرجا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : وجاءه المعذِّرون من الأعراب ، فاعتذروا إليه ، فلم يعذرهم الله تعالى . وقد ذُكر لى أنهم نفرٌ من بنى غفار .

ثم استتبّ برسول الله صلى الله عليه وسلم سفره ، وأجمع السيرَ ، وقد كان نفرٌ من المسلمين أبطأتْ بهم النيةُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى تخلفوا عنه ، عن غير شكّ ولا ارتياب ؛ منهم : كعبُ بن مالك بن أبى كعب ، أخو بنى سَلمة ، ومُرارة بن الربيع ، أخو بنى عمرو بن عوف ، وهلالُ بن أميّة ، أخو بنى واقف ، وأبو خيثمة ، أخو بنى سالم بن عوف . وكانوا نفر صدق ، لا يتهمون فى إسلامهم .

فلما خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ضرب عسكره على ثنيّة الوداع .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة محمدَ بن مَسْلَمة الأنصارى .

وذكر عبد العزيز بن محمد الدَّراوَرْدىّ عن أبيه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل على المدينة ، مَخْرَجه إلى تبوكَ : سباعَ بن عُرْفُطة .

المنافقون المتخلفون

قال ابن إسحاق : وضرب عبد الله بن أبىّ معه على حِدَة عسكرَه أسفل منه ، نحوَ ذُباب ، وكان فيما يزعمون ليس بأقل العسكرين . فلما سار رسولُ الله صلى الله عليه وسلم تخلّف عنه عبد الله بن أبىّ ، فيمن تخلّف من المنافقين وأهل الرَّيْب .

إرجاف المنافقين بعلىّ

وخلّف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم علىّ بن أبى طالب ، رضوان الله عليه ، على أهله ، وأمَرَه بالإقامة فيهم ، فأرجف به المنافقون ، وقالوا : ماخلفه إلا استثقالا له ، وتخففًا منه . فلما قال ذلك المنافقون ، أخذ علىّ ابن أبى طالب ، رضوان الله عليه سلاحه ، ثم خرج حتى أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بالجُرْف ، فقال : يانبىّ الله ، زعَم المنافقون أنك إنما خلفتنى أنك استثقلتني وتخففت منى ؛ فقال : كذبوا ، ولكنى خلفتك لما تركتُ ورائى ، فارجع فاخلُفني فى أهلى وأهلك ، أفلا ترضى ياعلىّ أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى ؟ إلا أنه لا نبىّ بعدى ، فرجع علىّ إلى المدينة ؛ ومضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على سفره .

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمدُ بن طلحة بن يزيد بن رُكانة ، عن إبراهيم

ابن سعد بن أبى وقاص ، عن أبيه سعد : أنه سمع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول لعلى هذه المقالة .

قال ابن إسحاق : ثم رجع علىّ إلى المدينة ، ومضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على سفره .

قصة أبى خيثمة

ثم إن أباخَيثمة رجع بعد أن سار رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أياماً إلى أهله فى يوم حارّ ، فوجَد امرأتين له فى عريشين لَهما فى حائِطه ، قد رشّت كلٌّ واحدة منهما عريشها ، وبرّدت له فيه ماء ، وهيأت له فيه طعاماً . فلما دخل ، قام على باب العريش ، فنظر إلى امرأتيه وماصنعتا له ، فقال : رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى الضّحّ والرّيح والحرّ ، وأبو خيثمة فى ظلّ بارد ، وطعام مهيّأ ، وامرأةٍ حسناء ، فى ماله مقيم ، ماهذا بالنَّصَف ! ثم قال : والله لا أدخُلُ عريش واحدة منكما حتى ألحق برسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فهيئا لى زاداً ، ففعلتا . ثم قدّم ناضحه فارتحله ، ثم خرج فى طلب رسولِ الله صلى الله عليه وسلم حتى أدركه حين نزل تَبوك . وقد كان أدرك أبا خيثمة عُمَيرُ بن وهب الجمحىّ فى الطريق ، يطلب رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فترافقا ، حتى إذا دنوَا من تبوك ، قال أبو خيثمة لعمير بن وهب : إن لى ذنباً ، فلا عليك أن تخلّفَ عنى حتى آتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، ففعل ، حتى إذا دنا من رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بتبوك ، قال الناس : هذا راكب على الطريق مُقْبل ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : كن أبا خيثمة ؛ فقالوا

يارسول الله هو والله أبو خيثمة . فلما أناخ أقبل فسلّم على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أَوْلَى لكَ يا أبا خيثمة . ثم أخبر رسولَ الله صلى الله عليه وسلم الخبر ؛ فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خيراً ، ودعا له بخير .

قال ابن هشام : وقال أبو خيثمة فى ذلك شعراً ، واسمه مالك بن قَيْس :

لمَّا رأيتُ النَّاسَ فى الدين نافَقُوا ... أتيتُ التى كانَتْ أعفَّ وأكْرَما
وبايَعْتُ باليُمْنَى يدِى لمُحمَّد ... فلم أكتسِب إثماً ولم أغشَ مَحْرَما
تركتُ خضيباً فى العَريشِ وصِرمَةً ... صَفايا كِرَاماً بُسْرُها قد تحمَّما
وكنت إذا شكَّ المنافقُ أسمحَتْ ... إلى الدين نفسى شطرَه حيثُ يمَّما

مرور النبى صلى الله عليه وسلم بالحجر

قال ابن إسحاق : وقد كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين مرّ بالحِجْر نزلها ، واستقى الناسُ من بئرها . فلما راحوا قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : لا تشربُوا من مائها شيئاً ، ولا تتوضئُوا منه للصلاةَ ، وما كان من عجين عجنتموه فاعلِفُوه الإبلَ ، ولا تأكلوا منه شيئاً ، ولا يخرُجنَّ أحد منكم الليلة إلا ومعه صاحبٌ له ، ففعل الناس ما أمرهم به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، إلا أن رجلين من بنى ساعدة خرج أحدُهما لحاجته ، وخرج الآخرُ فى طلب بعير له ، فأما الذى ذهب لحاجته فإنه خُنق على مَذْهبه ؛ وأما الذى ذهب فى طلب بعيره فاحتملته الريح ، حتى طرحته بجبلى طيىء . وأخبِر بذلك رسولُ الله

صلى الله عليه وسلم ، فقال : ألم أنهكم أن يخرج منكم أحدٌ إلا ومعه صاحبهُ ؟ ثم دعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم للّذى أصيب على مذهبه فشفى ، وأما الآخر الذى وقع بجبلى طيىء ، فإن طيِّئاً أهدته لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم حين قَدِم المدينة .

والحديث عن الرجلين عن عبد الله بن أبى بكر ، عن عباس بن سَهل بن سعد السَّاعدىّ ، وقد حدثنى عبدُ الله بن أبى بكر أنْ قد سمَّى له العبَّاسُ الرجلين ، ولكنه استودَعه إياهما ، فأبى عبد الله أن يسمِّيَهما لى .

قال ابن هشام : بلغنى عن الزهرى أنه قال : لما مرّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالحِجْر سجَّى ثوبه على وجهه ، واستحثَّ راحلته ، ثم قال : لاتدخلوا بيوتَ الذين ظلموا إلا وأنتم باكون ، خوفاً أن يُصيبكم مثلُ ما أصابهم .

قال ابن إسحاق : فلما أصبح الناس ولا ماء معهم شكَوْا إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فدعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فأرسل الله سبحانه سحابةً فأمطرت حتى ارْتَوَى الناس ، واحتملوا حاجَتهم من الماء .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لبيد ، عن رجال من بنى عبد الأشهل ، قال : قلت لمحمود : هل كان الناس يعرفون النِّفاق فيهم ؟ قال : نعم والله ، إن كان الرجل ليعرفه من أخيه ومن أبيه ومن عمه وفى عشيرته ، ثم يَلبسُ بعضُهم بعضاً على ذلك . ثم قال محمود : لقد أخبرنى رجالٌ

من قومى عن رجل من المنافقين معروف نفاقُه ، كان يسير مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم حيث سار ؛ فلما كان من أمر الناس بالحِجر ما كان ، ودعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين دعا ، فأرسل الله السَّحابةَ ، فأمطرَت حتى ارتوى الناس ، قالوا : أقبلنا عليه نقول : ويْحَك ، هل بعد هذا شىء ! قال : سحابةٌ مارّة .

مقالة ابن اللُّصَيت

قال ابن إسحاق : ثم إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم سار حتى إذا كان ببعض الطريق ضلَّتْ ناقته ، فخرج أصحابُه فى طلبها ، وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أصحابه ، يُقال له ، عُمارة بن حزم ، وكان عَقَبِيًّا بَدْرِيًّا ، وهو عم بنى عمرو بن حزم ، وكان فى رَحْله زيدُ بن اللُّصَيتَ القَيْنُقاعى ، وكان منافقًا .

قال ابن هشام : ويقال : ابن لُصيب ، بالباء .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لبيد ، عن رجال من بنى عبد الأشهل ، قالوا : فقال زيد بن اللُّصَيت ، وهو فى رحل عمارة ، وعمارة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم : أليس محمد يزعم أنه نبى ، ويخبركم عن خبر السماء ، وهو لا يدرى أين ناقته؟ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وعمارة عنده : إن رجلا قال : هذا محمدٌ يخبركم أنه نبى ، ويزعم أنه يخبركم بأمر السماء وهو لا يدرى أين ناقته ، وإنى والله ما أعلم إلا ما علَّمنى الله وقد دلنى الله عليها ، وهى فى هذا الوادى ، فى شِعب كذا وكذا ، قد حبستها

بشجرة بزمامها ، فانطلقوا حتى تأتونى بها ، فذهبوا ، فجاءوا بها . فرجع عمارة ابن حزم إلى رحله ، فقال : والله لعجبٌ من شىء حدَّثناه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم آنفاً ، عن مقالة قائل أخبره الله عنه بكذا وكذا ، الذى قال زيدُ بن لُصَيت ؛ فقال رجل ممن كان فى رحل عُمارة ولم يحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم : زيدٌ والله قال هذه المقالة قبل أن تأتى . فأقبل عُمارة على زيد يجأ فى عُنقه ويقول : إلىَّ عباد الله ، إنَّ فى رحلى لداهيةً وما أشعر ، أخْرُجْ أىْ عدوَّ الله من رحلى ، فلا تصْحبْنى .

قال ابن إسحاق : فزعم بعضُ الناس أن زيداً تاب بعد ذلك ؛ وقال بعض الناس : لم يزل مُتَّهماً بشرّ حتى هلك .

إبطاء أبى ذر

ثم مضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سائراً ، فجعل يتخلَّفُ عنه الرجُل ، فيقولون : يارسول الله ، تخلَّف فلان ، فيقول : دعوه ، فإن يك فيه خير فسيُلحقُه الله تعالى بكم ، وإن يكُ غير ذلك فقد أراحكم الله منه ، حتى قيل : يارسول الله ، قد تخلَّف أبو ذرّ ، وأبطأ به بعيرُه ؛ فقال : دعوه ، فإن يك فيه خير فسيلحقُه الله بكم ، وإن يك غيرُ ذلك فقد أراحكم الله منه ؛ وتلوَّم أبو ذرّ على بعيره . فلما أبطأ عليه ، أخذ متاعَه فحمله على ظهره ، ثم خرج يتْبع أثَرَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ماشياً . ونزل رسولُ الله فى

بعض منازله ، فنظر ناظرٌ من المسلمين فقال : يارسول الله ، إن هـذا الرجل يمشى على الطريق وحده ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : كُنْ أبا ذر . فلما تأمّله القومُ قالوا : يارسول الله ، هو والله أبو ذرّ ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : رحم الله أبا ذرّ يمشى وحده ، ويموت وحده ، ويُبعث وحده .

وقال ابن إسحاق : فحدثنى بُرَيْدَة بن سفيانَ الأسلمىّ ، عن محمد بن كعب القُرظى ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : لما نفى عثمانُ أبا ذرّ إلى الرَّبَذَةِ ، وأصابه بها قدَره ، لم يكن معه أحدٌ إلا امرأتُه وغلامه ، فأوصاهما أن اغسلانى وكفّنانى ، ثم ضَعانى على قارعة الطّريق ، فأوّل رَكْب يمر بكم فقولوا : هذا أبو ذرّ صاحبُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فأعينونا على دفنِه . فلما مات فعلا ذلك به . ثم وضعاه على قارعة الطريق : وأقبل عبدُ الله ابن مسعود فى رَهْطٍ من أهل العراق عُمَّار ، فلم يَرُعْهم إلا بالجنازة على ظهر الطّريق ، قد كادت الإبل تَطؤها ، وقام إليهم الغلام . فقال : هذا أبو ذرّ صاحب رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فأعينونا على دفنه . قال : فاستهلّ عبد الله بن مسعود يبكي ويقول : صدق رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، تمشى وحدك ، وتموت وحدك ، وتُبْعَث وحدك . ثم نزل هو وأصحابه فوارَوْهُ ، ثم حدثهم عبد الله بن مسعود حديثه ، وما قال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى مسيره إلى تَبوك .

رفع
المسـاهم

تخذيل المنافقين المسلمين وما نزل فيهم

قال ابن إسحاق : وقد كان رَهْطٌ من المنافقين ، منهم وديعة بن ثابت ، أخو بنى عمرو بن عوف ، ومنهم رجل من أشجع ، حليف لبنى سَلِمة ، يقال له : مُخَشِّن بن حُمَيِّر — قال ابن هشام : ويقال مَخْشِيٌّ — يُشيرون إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وهو منطلق إلى تبوك ، فقال بعضهم لبعض : أتحسِبون جِلاد بنى الأصفر كقتال العرب بعضهم بعضاً ! والله لكأنّا بكم غداً مُقَرَّنين فى الحبال ، إرجافاً وترهيباً للمؤمنين ، فقال مُخَشِّن بن حُمَيِّر : والله لودِدْت أنى أقاضَى على أن يُضرب كل رجل منّا مائة جَلْدة ، وأنّا ننفلِتُ أن يَنْزِل فينا قرآن لمقالتكم هذه .

وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم — فيما بلغنى — لعمّار بن ياسر : أدرك القوم ، فإنهم قد احترقوا ، فسلهم عما قالوا ، فإن أنكروا فقُل : بلى ، قلتم كذا وكذا . فانطلق إليهم عمّار ، فقال ذلك لهم : فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون إليه ، فقال وديعة بن ثابت ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف على ناقته ، فجعل يقول وهو آخذ بحَقَبها يا رسول الله ، إنما كنّا نخوض ونلعب ، فأنزل الله عزّ وجلّ : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾ . وقال مُخَشِّن بن حُمَيِّر : يا رسول الله ، قعد بى اسمى واسم أبى ، وكان الذى عُفِيَ عنه فى هذه الآية مُخَشِّن بن حُمَيِّر ، فتسمى عبد الرحمن ، وسأل الله تعالى أن يقتله شهيداً لا يُعلَم بمكانه ، فقُتل يوم اليمامة ، فلم يوجد له أثر .

الصلح مع صاحب أيلة

ولما انتهى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى تَبُوكَ ، أتاه يُحَنَّةُ بن رُؤْبَةَ ، صاحب أيلة ، فصالح رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، وأعطاه الجزية ، وأتاه أهل جَرباء وأَذْرُح ، فأعطوه الجزية ، فكتب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لهم كتاباً ، فهو عندهم .

كتاب الرسول لصاحب أيلة

فكتب ليُحَنَّةَ بن رؤبة :

بسم الله الرحمن الرحيم : هذه أَمَنَةٌ مِنَ اللهِ ومحمدٍ النبي رسول الله ليُحَنَّةَ ابن رُؤْبة وأهل أيلة ، سُفُنهم وسيّارتهم في البرّ والبحر : لهم ذمّة الله ، وذمّة محمد النبيّ ، ومن كان معهم من أهل الشام ، وأهل اليمن ، وأهل البحر ، فمن أحدث منهم حَدَثاً ، فإنه لا يحول ماله دُونَ نفسه ، وإنه طَيِّبٌ لمن أخذه من الناس ، وإنه لا يحلّ أن يُمنَعوا ماء يَرِدونه ، ولا طريقاً يُريدونه ، من برّ أو بحر .

أكيدر

ثم إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم دعا خالد بن الوليد ، فبعثه إلى أُكَيْدِر دُومة ، وهو أُكَيْدِر بن عَبْد الملك ، رجل من كِنْدة كان ملكا عليها ، وكان نصرانياً ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لخالد : إنك ستجده يَصيد البَقَر . فخرج خالد ، حتى إذا كان من حصنه بمنظر العين ، وفي ليلة

رفع المسهم

مُقْمِرة صائِفة ، وهو على سَطْح له ، ومعه امرأته ، فباتت البقر تحكُّ بقرونها باب القصر ، فقالت له امرأته : هل رأيت مثل هذا قطّ ؟ قال : لا والله ! قالت : فمن يترك هذه ؟ قال : لا أحد . فنزل فأمر بفرسه ، فأسْرِج له ، وركب معه نفر من أهل بيته ، فيهم أخ يقال له حسّان . فركب ، وخرجوا معه بمطاردهم . فلما خرجوا تلقتهم خيلُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذته ، وقتلوا أخاه ؛ وقد كان عليه قباء من دِيباجٍ مُخَوَّصٌ بالذّهب ، فاستلبه خالد ، فبعث به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل قدومه به عليه .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، عن أنس بن مالك ، قال : رأيت قباء أُكيدر حين قدم به على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعل المسلمون يَلمِسونه بأيديهم ، ويتعجبون منه ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أتعجبون من هذا ؟ فوالذى نفسى بيده لمناديل سعد بن مُعاذٍ فى الجنة أحسن من هذا .

قال ابن إسحاق : ثم إن خالداً قدم بأُكَيْدرعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحقن له دمه ، وصالحه على الجزية ، ثم خلّى سبيله ، فرجع إلى قريته ؛ فقال رجل من طيّئ : يقال له بُجَيْرُ بن بُجَرَة ، يذكر قولَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم لخالد : إنك ستجده يَصيد البقر ، وما صنعت البقر تلك الليلة حتى استخرجته ، لتصديق قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

تبارَكَ سائقُ البقراتِ إنى ... رأيتُ الله يَهْدى كلّ هادِ

فمَن يكُ حائداً عن ذى تَبوكٍ ... فإنّا قد أُمِرْنا بالجهادِ

رفع
المسهم
عزالله لمطيه

فأقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بتَبُوكَ بضع عشرة ليلة ، لم يُجاوزها ، ثم انصرف قافلاً إلى المدينة .

حديث وادى المشقق ومائه

وكان فى الطريق ماء يخرج من وَشَل ، ما يُرْوِى الراكبَ والراكبَيْن والثلاثة ، بواد يُقال له وادى المُشَقَّق ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : من سَبقنا إلى ذلك الوادى فلا يستقين منه شيئاً حتى نأتيَه . قال : فسبقه إليه نفر من المنافقين ، فاستقوا ما فيه ؛ فلما أتاه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وقف عليه ، فلم ير فيه شيئاً . فقال : من سبقنا إلى هذا الماء ؟ فقيل له : يارسول الله ، فلان وفلان ؛ فقال : أولم أنههم أن يستقوا منه شيئاً حتى آتيه ! ثم لعنهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ودعا عليهم . ثم نزل فوضع يده تحتَ الوشل ، فجعل يصب فى يده ماشاء الله أن يَصُبّ ثم نَضَحه به ، ومَسَحه بيده ، ودعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بما شاء الله أن يدعو به ، فانخرق من الماء — كما يقول من سمعه — ما إنّ له حسًّا كحس الصواعق ، فشرب الناس ، واستقوا حاجتهم منه . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : لئن بقيتم أو من بقى منكم لتسمعنّ بهذا الوادى ، وهو أخصب ما بين يديه وما خلفه .

قيام الرسول على دفن ذى البجادين

قال : وحدثنى محمد بن إبراهيم بن الحارث التَّيْمى ، أن عبد الله بن مسعود كان يحدث ، قال : قُمْت من جوف الليل ، وأنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

فى غزوة تبوك ، قال : فرأيت شُعْلة من نار فى ناحية العسكر ، قال : فاتَّبعتها أنظر إليها ، فإذا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر ، وإذا عبد الله ذو البِجادين المزنى قدمات ، وإذا هم قد حفروا له ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى حفرته ، وأبو بكر وعمر يُدَلِّيانه إليه ، وهو يقول : أدْنيا إلىَّ أخاكما ، فدَلَّياه إليه ، فلما هيأه لشِقِّه قال : اللهم إنى أمسيْت راضياً عنه ، فارض عنه . قال : يقولُ عبدَ الله بن مسعود : ياليتنى كنتُ صاحب الحُفرة .

لم سمى ذو البجادين ؟

قال ابن هشام : وإنما سُمّى ذو البِجادين ، لأنه كان ينازع إلى الإسلام ، فيمنعه قومه من ذلك ، ويُضيقون عليه ، حتى تركوه فى بجاد ليس عليه غيره ، والبِجاد : الكساء الغليظ الجافى ، فهَرَب منهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما كان قريباً منه ، شق بجاده باثنين ، فاتَّزر بواحد ، واشتمل بالآخر ثم أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقيل له : ذو البِجادين لذلك ، والبجاد أيضاً : المِسْح ، قال ابن هشام : قال امرؤ القَيس :

كأنَّ أباناً فى عَرانين وَدْقه كبيرُ أناسٍ فى بِجادٍ مُزَمَّلِ

أبو رهم فى تبوك

قال ابن إسحاق : وذكر ابن شهاب الزهرى ، عن ابن أُكَيْمَةَ اللَّيثى ، عن ابن أخى أبى رُهْم الغفارى ، أنه سمع أبا رُهْم كُلثومَ بن الحُصَين ، وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين بايعوا تحت الشجرة ، يقول :

غزَوْتُ مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم غزوة تَبُوكَ ، فسرت ذات ليلة معه ونحن بالأخضر قريباً من رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وألقى الله علينا النعاس فطفِقْتُ أستيقظ وقد دنت راحلتي من راحلة رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فيُفْزِعني دنوّها منه ، مخافة أن أصيب رجـله في الغَرْزِ ، فطفقت أُحُوزُ راحلتي عنه ، حتى غلبتني عيني في بعض الطريق ، ونحن في بعض الليل، فزاحمتْ راحلتي راحلةَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ورجلُه في الغَرْز ، فما استيقظت إلا بقوله : حَسِّ ، فقلتُ : يارسول الله ، استغفر لي . فقال : سر ، فجعل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يسألني عمّن تخلّف عن بني غفار ، فأخبره به ؛ فقال وهو يسألني : مافعل النَّفر الحُمْر الطِّوال الثِّطاط . فحدَّثته بتخلُّفهم . قال: فما فعل النَّفر السود الجعاد القصار؟ قال : قلت : والله ماأعرف هؤلاء منا . قال : بلى الذين لهم نَعَم بشَبَكة شَدَخ ؛ فتذكّرتهم في بني غِفار ، ولم أذكُرْهُم حتى ذكرتُ أم لهم رهْط من أسلم كانوا حُلفاء فينا ، فقلت : يارسول الله ، أولئك رهْط من أسلم ، حلفاء فينا ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : مامنع أحد أولئك حين تخلّف أن يحمل على بعــير من إبله امرأً نشيطاً في سبيل الله ؟ إن أعزّ أهلي عليّ أن يتخلّف عني المهاجرون من قُرَيش والأنصارُ وغفارٌ وأسلَمُ .

أمر مسجد الضرار عند القفول من غزوة تبوك

قال ابن إسحاق : ثم أقبل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بذى أوان ، بلد بينه وبين المدينة ساعةٌ من نهار ، وكان أصحابُ مسجدِ الضِّرار

قد كانوا أتَوْه وهو يتجهَّز إلى تبوك ، فقالوا : يارسول الله ، إنا قــد بنينا مسجداً لذى العلَّة والحاجة والليلة المَطيرة والليلة الشاتية ، وإنا نُحبُّ أن تأتينا، فتصلى لنا فيه ؛ فقال : إنى على جَناح سَفر ، وحال شُغل ، أو كما قال صلى الله عليه وسلم ، ولو قد قدمنا إن شاء الله لأتيناكم ، فصلَّينا لــكم فيه .

فلما نزل بذى أوان ، أتاه خبرُ المسجد ، فدعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مالكَ بن الدُّخشم أخا بنى سالم بن عوف ، ومَعْن بن عدىّ ، أو أخاه عاصم بن عدىّ ، أخا بنى العَجْلان ، فقال : انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهلُه ، فاهدماه وحرّقاه . فخرجا سريعَيْن حتى أتَيا بنى سالم بن عوف ، وهم رهط مالك بن الدُّخشم ، فقال مالك لمعن : أنظرنى حتى أخرج إليك بنار من أهلى . فدخل إلى أهله ، فأخذ سعفاً من النخل ، فأشعل فيه ناراً ، ثم خرجا يشتدّان حتى دخلاه وفيه أهله ، فحرّقاه وهدّماه ، وتفرّقوا عنه ، ونزل فيهم من القرآن ما نزل : ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً وكُفْراً وَتَفْرِيقاً بينَ المُؤْمِنِينَ﴾ .... إلى آخر القصة .

وكان الذين بنوه اثنَى عشر رجلا : خِذَام بن خالد ، من بنى عُبَيْد بن زَيْد ، أحد بنى عَمرو بن عَوْف ، ومن داره أُخرج مسجد الشِّقاق ، وثَعْلَبَة ابن حاطب من بنى أُمَيَّة بن زيد ، ومُعَتِّب بن قُشَير ، من بنى ضُبَيْعَة بن زيد ، وأبو حَبِيبَة بن الأزْعَرِ ، من بنى ضُبَيْعَة بن زيد ، وعَبَّاد بن حُنَيْف ، أخو سَهْل بن حُنيف ، من بنى عمرو بن عوف ، وجارية بن عامر ، وابناه مُجَمِّع بن جارية ، وزَيْد بن جارية ، ونَبْتَل بن الحارِث ، من ضُبَيْعَة ، وبحزج

من بني ضُبَيْعَةَ ، وبِجَاد بن عثمان ، من بني ضُبَيْعَةَ ، ووَدِيعَة بن ثابت ، وهو من بني أمية بن زيد رهط أبي لُبَابَة بن الْمُنْذِرِ .

وكانت مساجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بين المدينة إلى تبوك معلومةً مسماة : مسجدٌ بتَبُوك ، ومسجد بثَنِيَّة مِدْرَان ، ومسجد بذات الزِّرَابِ ، ومسجد بالأَخْضَرِ ، ومسجد بذات الخِطْمِيِّ ، ومسجد بأَلاَء ، ومسجد بطَرَف البَتْراء ، من ذنب كَوَاكِب ، ومسجد بالشِّق ، شِقِّ تارا ، ومسجد بذي الجِيفَة ، ومسجد بصَدْر حَوْضَى ، ومسجد بالحِجْر ، ومسجد بالصَّعِيد ، ومسجد بالوادي ، اليوم ، وادي القُرَى ، ومسجد بالرُّقْعة من الشُّقَّة ، شِقة بني عُذْرَةَ ، ومسجد بذي المَرْوة ، ومسجد بالفَيْفاء ، ومسجد بذي خُشُبٍ .

أمر الثلاثة الذين خلفوا وأمر المعذرين

في غزوة تبوك

وقدم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وقد كان تخلَّف عنه رهطٌ من المنافقين ، وتخلَّف أولئك الرهط الثلاثة من المسلمين من غير شكٍّ ولا نفاق : كعب بن مالك ، ومُرارة بن الربيع ، وهلال بن أميَّة ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : لا تكلِّمُنَّ أحداً من هؤلاء الثلاثة ، وأتاه من تخلَّف عنه من المنافقين فجعلوا يَحْلفون له ويعتذرون ، فصفح عنهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يعذِرهم الله ولا رسولُه . واعتزل المسلمون كلام أولئك النفر الثلاثة .

حديث كعب عن التخلف

قال ابن إسحاق : فذكر الزهرىّ محمد بن مسلم بن شهاب ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك : أن أباه عبد الله ، وكان قائد أبيه حين أصيب بصرُه ، قال : سمعت أبى كعب بن مالك يحدّث حديثه حين تخلّف عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تَبوك ، وحديث صاحبيه ، قال : ما تخلّفت عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة غزاها قطُّ ، غير أنى كنت قد تخلّفت عنه فى غزوة بدر ، وكانت غزوة لم يعاتب الله ولا رسولُه أحداً تخلّف عنها ، وذلك أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم إنما خرج يريد عير قريش ، حتى جمع الله بينه وبين عدوّه على غير ميعاد ، ولقد شهدت مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم العقبة ، وحين تواثَقنا على الإسلام ، وما أُحبّ أنّ لى بها مشهدَ بدر ، وإن كانت غزوةُ بدر هى أذكر فى الناس منها . قال : كان من خبرى حين تخلّفتُ عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تَبوك أنى لم أكن قطُّ أقوَى ولا أيسر منى حين تخلّفت عنه فى تلك الغزوة ، ووالله ما اجتمعت لى راحلتان قطّ حتى اجتمعتا فى تلك الغزوة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قلّما يُريد غزوةً يغزوها إلا ورّى بغيرها ، حتى كانت تلك الغزوة ، فغزاها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى حرّ شديد ، واستقبل سفراً بعيداً ، واستقبل غزو عدوّ كثير ، فجلّى للناس أمرَهم ليتأهّبوا لذلك أُهبته وأخبرهم خبره بوجهه الذى يريد ، والمسلمون من تبع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير ، لا يجمعهم كتاب حافظ ، يعنى بذلك الديوان ، يقول : لا يجمعهم ديوان مكتوب .

قال كعب : فقلّ رجل يريد أن يَتَغَيَّبَ إلا ظنّ أنه سيخفى له ذلك ، مالم ينزل فيه وحى من الله ، وغزا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت الثمار وأُحِبَّت الظِّلال ، فالناس إليها صُعْر ؛ فتجهَّز رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتجهَّز المسلمون معه ، وجعلت أغدو لأتجهَّز معهم ، فأرجع ولم أقض حاجة ، فأقول فى نفسى ، أنا قادر على ذلك إذا أردت ، فلم يزل ذلك يتمادى بى حتى شمّر الناس بالجدِّ ، فأصبح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم غاديا ، والمسلمون معه ، ولم أقضِ من جهازى شيئاً ، فقلت : أتجهَّز بعده بيوم أو يومين ، ثم ألحق بهم ، فغدوت بعد أن فصلوا لأتجهز ، فرجعت ولم أقض شيئاً ، ثم غدوت فرجعت ولم أقضِ شيئاً ، فلم يزل ذلك يتمادى بى حتى أسرعوا ، وتَفرَّط الغزو ، فهممتُ أن أرتحل ، فأدركهم ، وليتنى فعلتُ ، فلم أفعل ، وجعلت إذا خرجت فى الناس بعدَ خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فطفتُ فيهم ، يحزننى أنى لا أرى إلا رجلا مغموصاً عليه فى النفاق ، أو رجلا ممن عذر الله من الضعفاء ، ولم يذكرنى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغَ تبوكَ ، فقال وهو جالس فى القوم بتبوكَ : مافعل كعب بن مالك ؟ فقال رجل من بنى سَلِمة : يارسول الله ، حبسه بُرْداهُ ، والنَّظر فى عِطْفيه ؛ فقال له معاذ بن جبل : بئس ماقلت ! والله يارسول الله ما عَلمنا منه إلا خيراً ؛ فسكت رسولُ الله صلى الله عليه وسلم .

فلما بلغنى أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قد توجَّه قافلاً من تبوكَ ، حضرنى بَثِّى ، فجعلت أتذكَّر الكَذِب وأقول : بماذا أخرج من سَخْطة رسولِ الله صلى الله عليه وسلم غداً وأستعين على ذلك كلَّ ذى رأى من أهلى ؛

. . . .

فلما قيل إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قد أظلّ قادماً زاح عنى الباطلُ ، وعرفت أنى لا أنجو منه إلا بالصدق ، فأجمعتُ أن أصدقه ، وصبّح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وكان إذا قدِم من سفر بدأ بالمسجد ، فركع فيه ركعتين ، ثم جلس للناس ، فلما فعل ذلك ، جاءه المخلَّفون ، فجعلوا يحلفون له ويعتذرون ، وكانوا بضعةً وثمانين رجلا ، فقبل منهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم علانيَتهم وأَيمانهم ، ويستغفر لهم ، ويَكِل سرائرهم إلى الله تعالى ، حتى جئتُ فسلّمتُ عليه ، فتبسم تبسم المُغضَب ، ثم قال لى : تعاله ، فجئت أمشى ، حتى جلست بين يديه ، فقال لى : ما خلّفك ؟ ألم تكن ابتعت ظهرك ؟ قال : قلت : إنى يارسول الله ، والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا ، لرأيت أنى سأخرج من سخطه بعذر ، ولقد أعطيت جَدلا ، لكن والله لقد علمت لئن حدّثتك اليوم حديثاً كذباً لترضينّ عنى ، وليُوشكنّ الله أن يُسخطك علىّ ، ولئن حدثتك حديثاً صِدقاً تجد علىّ فيه ، إنى لأرجو عُقْباى من الله فيه ، ولا والله ما كان لى عذر ، والله ما كنت قطُّ أقوى ولا أيسر منى حين تخلفت عنك . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أمّا هذا فقد صدقت فيه ، فقُمْ حتى يَقْضى الله فيك . فقُمت ، وثار معى رجالٌ من بنى سَلِمة ، فاتّبعونى فقالوا لى : والله ماعلمناك كنتَ أذنبت ذنباً قبل هذا ، ولقد عجزتَ أن لاتكون اعتذرت إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم بما اعتذر به إليه المخلَّفون ، قد كان كافيك ذنبك استغفارُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم لك، فوالله مازالوا بى حتى أردتُ أن أرجع إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فأُكذّب نفسى ، ثم قلت لهم : هل لقى هذا أحد غيرى ؟ قالوا : نعم ، رجلان

قالا مثل مقالتك ، وقيل لهما مثل ماقيل لك ؛ قلت : من هما ؟ قالوا : مُرارة بن الرَّبيع العَمْرى ، من بنى عمرو بن عوف ، وهلال بن (أبى) أُمَيَّة الواقفى ؛ فذكروا لى رجلين صالحين ، فيهما أُسوة ، فصمَتُّ حين ذكروهما لى ، ونهى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا أيُّها الثلاثة ، من بين من تخلّف عنه ، فاجتَنَبَنَا الناسُ ، وتغيّروا لنا ، حتى تنكَّرتْ لى نفسى والأرضُ ، فما هى بالأرض التى كنت أعرف ، فلبثنا على ذلك خمسين ليـــلة ، فأما صاحباى فاستكانا ، وقعـدا فى بُيوتهما ، وأما أنا فكنتُ أَشَبَّ القوم وأجلَدهم ، فكنت أخرج ، وأشهد الصلوات مع المسلمين ، وأطوف بالأسواق ، ولا يكلمنى أحد ، وآتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلم عليه وهو فى مجلسه بعد الصلاة ، فأقول فى نفسى ، هل حَرَّك شَفَتيه بردِّ السلام علىَّ أم لا ؟ ثم أصلى قريباً منه ، فأُسارقه النظر ، فإذا أقبلتُ على صلاتى نظر إلىَّ ، وإذا التفتُّ نحوَه أعرض عنى ، حتى إذا طال ذلك علىَّ من جفوة المُسلمين ، مشَيتُ حتى تسوَّرت جدار حائط أبى قَتادة . وهو ابن عمِّى ، وأحبُّ الناس إلىَّ ، فسلمت عليه ، فوالله ماردَّ علىَّ السلام ، فقلت : يا أبا قتادة ، أنشدك بالله ، هل تعلم أنى أُحبُّ الله ورسوله ؟ فسكت . فعـدت فناشدته ، فسكت عنى ، فعُـدت فناشدته فسكت عنى ، فعـدت فناشدته ، فقال : الله ورسوله أعلم ، ففاضت عيناى ، ووثبت فتسوَّرت الحائط ، ثم غـدوت إلى السُّوق ، فبينا أنا أمشى بالسُّوق ، إذا نَبَطىٌّ يسأل عنى من نَبَط الشام ، ممّا قَدِم بالطعام يَبيعه بالمدينة ، يقول : من يدلّ على كَعْب بن مالك ؟ قال : فجعل الناس يُشيرون له إلىَّ ، حتى جاءنى ، فدفع إلىَّ كتاباً من ملك غسان ، وكتب كتاباً فى سَرَقة من حرير ، فإذا فيه : « أما بعد ،

. . . .

فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك ، ولم يجعلك الله بدار هَوان ولا مَضْيعة ، فالحق بنا نُواسِك » . قال : قلت حين قرأتها : وهذا من البلاء أيضاً ، قد بلغ بى ماوقعت فيه أن طمع فىّ رجلٌ من أهل الشرك . قال : فعَمَدتُ بها إلى تنُّور ، فسَجَرْته بها . فأقمنا على ذلك حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين إذا رسولُ رَسولِ الله يأتينى ، فقال : إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تعتزل امرأتك ، قال : قلت : أُطلِّقها أم ماذا ؟ قال : لا ، بل اعتزلها ولا تَقْرَبها ، وأرسل إلىّ صاحبى بمثل ذلك ، فقلت لامرأتى : الحقى بأهلك ، فكونى عندهم حتى يَقْضى الله فى هذا الأمر ماهو قاض . قال : وجاءت امرأةُ هلال بن أُمية رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : يارسول الله ، إن هلال ابن أُمية شيخٌ كبيرٌ ضائع لاخادم له ، أفتكره أن أخدمَه ؟ قال : لا ، ولكن لا يَقْرَبنك ؛ قالت : والله يارسول الله مابه من حَرَكة إلىّ ، والله مازال يبكى منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا ، ولقد تخوّفت على بصره . قال : فقال لى بعضُ أهلى : لو استأذنتَ رسولَ الله لامرأتك ، فقد أذن لامرأة هلال بن أميَّة أن تخدُمه ؛ قال : فقلت : والله لاأستأذنه فيها ، ماأدرى مايقول رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لى فى ذلك إذا استأذنته فيها ، وأنا رجل شابّ . قال : فلبثنا بعد ذلك عشر ليال ، فكمل لنا خمسون ليلة ، من حين نَهَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامنا ، ثم صليت الصبح ، صبحَ خمسين ليلة ، على ظهر بيت من بيوتنا ، على الحال التى ذكر الله منّا ، قد ضاقت علينا الأرضُ بما رحُبَت ، وضاقت علىّ نفسى ، وقد كنت ابتنيت خَيْمة فى ظهر سَلْع ، فكنت أكون فيها إذ سمعت صوت صارخ أوفى على

ظهر سلع يقول بأعلى صوته : يا كعب بن مالك ، أبشر ، قال : فخررت ساجداً ، وعرفت أن قد جاء الفَرَج .

قال : وآذن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الناسَ بتَوْبة الله علينا حين صلَّى الفجر ، فذهب الناس يُبشّروننا ، وذهب نحو صاحبيّ مبشّرون ، وركض رجل إليّ فرساً ، وسَعى ساع من أسلم ، حتى أوفى على الجبل ، فكان الصوت أسرَع من الفرس ؛ فلما جاءنى الذى سمعت صوتَه يبشّرنى ، نزعت ثوبيّ ، فكسوتُهما إياه بشارة ، والله ما أملك يومئذ غيرها ، واستعرت ثوبين فلبستُهما ، ثم انطلقت أتيمم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، وتلقانى الناس يبشّروننى بالتَّوْبة ، يقولون : لِيَهْنِكَ توْبة الله عليك ، حتى دخلت المسجد ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم جالس حوله الناسُ ، فقام إليّ طلحة بن عُبيد الله ، فحيَّانى وهنَّأنى ، ووالله ما قام إليّ رجل من المهاجرين غيرُه . قال : فكان كعب بن مالك لا ينساها لطلحة .

قال كعب : فلما سلَّمتُ على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم قال لى ، ووجهه يَبرُق من السرور : أبشر بخير يوم مرّ عليك منذُ ولدتك أمُّك ، قال: قلت : أمن عندك يارسولَ الله أم من عند الله ؟ قال : بل من عند الله. قال : وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إذا استبشر كأن وجهه قطعة قمر . قال : وكنَّا نعرف ذلك منه . قال : فلما جلست بين يديه قلت : يارسول الله ، إن من توبتى إلى الله عزّ وجلّ أن أنخلع من مالى ، صدقة إلى الله وإلى رسوله ، قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أمسك عليك بعض مالك ، فهو خير لك .

. . . .

رفع المسهم

قال: قلت إنى مُمْسك سَهْمى الذى بخيبر؛ وقلت: يارسول الله، إن الله قد نجّانى بالصدق، وإن من توبتى إلى الله أن لا أحدّث إلا صدقاً ماحييت، والله ما أعلم أحداً من الناس أبلاه الله فى صِدْق الحديث منذ ذكرتُ لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك أفضلَ مما أبلانى الله، والله ماتعمَّدت من كَذْبة منذ ذكرتُ ذلك لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم إلى يومى هذا، وإنى لأرجو أن يحفظنى الله فيما بقى.

وأنزل الله تعالى: ﴿ لَقَدْ تابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ والمُهاجِرِينَ والأنصارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي ساعَةِ العُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ ما كادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ، ثُمَّ تابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءوفٌ رَحِيمٌ. وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا ﴾ ... إلى قوله: ﴿ وكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ التوبة: ١١٧ — ١١٩.

قال كعب: فوالله ما أنعم الله علىّ نعمةً قطّ بعد أن هدانى للإسلام كانت أعظمَ فى نفسى من صدقى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يومئذ، أن لا أكون كذبته، فأهلِكَ كما هَلك الذين كذبوا، فإن الله تبارك وتعالى قال فى الذين كذبوه حين أنزل الوحى شرّ ما قال لأحد، قال: ﴿ سَيَحْلِفُونَ باللهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ، فَأَعْرِضُوا عنهم إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كانُوا يَكْسِبُونَ * يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ، فإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ، فإِنَّ اللهَ لا يَرْضَى عَنِ القَوْمِ الفاسِقِينَ ﴾. التوبة: ٩٥، ٩٦.

قال: وكنَّا خُلِّفنا أيها الثلاثةُ عن أمر هؤلاء الذين قَبِل منهم رسولُ الله

رفع المسـاهم

صلى الله عليه وسلم ، حين حَلفوا له فعذرهم ، واستغفر لهم ، وأرجأ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أمرَنا ، حتى قضى الله فيه ماقضى ، فبذلك قال الله تعالى : ﴿ وَعلى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا ﴾ .

وليس الذى ذكر الله من تخليفنا لتخلفنا عن الغزوة ولكن لتخليفه إيانا ، وإرجائه أمرنا عمن حلف له ، واعتذر إليه ، فقبل منه .

أمر وفد ثقيف وإسلامها

فى شهر رمضان سنة تسع

قال ابن إسحاق : وقدم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ من تَبوكَ فى رمضان ، وقدم عليه فى ذلك الشهر وفدُ ثقيف .

وكان من حديثهم أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لما انصرف عنهم ، اتبع أثره عُروة بن مسعود الثقفى ، حتى أدركه قبل أن يصل إلى المدينة ، فأسلم وسأله أن يرجع إلى قومه بالإسلام ، فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، كما يتحدّث قومه : إنهم قاتلوك ، وعرف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أنّ فيهم نخوة الامتناع الذى كان منهم ، فقال عروة : يارسول الله أنا أحبّ إليهم من أبكارهم .

قال ابن هشام : ويقال : من أبصارهم .

قال ابن إسحاق : وكان فيهم كذلك محبّباً مطاعاً ، فخرج يدعو قومه إلى

الإسلام رجاء أن لايخالفوه ، لمنزلته فيهم ؛ فلمـــا أشرف لهم على عِلِّية له ، وقد دعاهم إلى الإسلام ، وأظهر لهم دينه ، رمَوْه بالنَّبل من كلّ وجه ، فأصابه سهم فقتله . فتزعُم بنو مالك أنه قتله رجلٌ منهم ، يُقال له أوس بن عَوْف ، أخو بَنى سالم بن مالك ، وتزعمُ الأحلاف أنه قتله رجل منهم ، من بنى عتَّاب ابن مالك ، يقال له وهب بن جابر ، فقيل لعُروة : ماترى فى دمك ؟ قال : كرامةٌ أكرمنى الله بها ، وشهادة ساقها الله إلىّ ، فليس فىّ إلا مافى الشهداء الذين قتلوا مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يرتحل عنكم ، فادفنونى معهم ، فدفنوه معهم ، فزعموا أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال فيه : إن مثلَه فى قومه لكَمَثَل صاحب ياسين فى قومه .

ثم أقامت ثَقيف بعد قتل عُروة أشهراً ، ثم إنهم ائْتمَرُوا بينهم ، ورأوا أنه لاطاقة لهم بحرب مَنْ حولهم من العرب وقد بايعوا وأسلموا .

حدثنى يعقوب بن عُتْبَة بن المُغيرَة بن الأخْنَسِ : أن عَمْرو بن أميَّة ، أخا بنى عِلَاجٍ ، كان مُهاجراً لعبدِ ياليلَ بن عمرو ، الذى بينهما سىء ، وكان عمرو بن أُميَّة من أدهَى العرب ، فمَشى إلى عبد ياليلَ بن عمرو ، حتى دخل داره ، ثم أرسل إليه أن عَمْرو بن أمية يقول لك : أخرُج إلىّ ، قال : فقال عبدُ ياليلَ للرسول : وَيْلك ! أعَمرو أرسلك إلىّ ؟ قال : نعم ، وها هـو ذا واقفاً فى دارك ، فقال : إن هذا الشىء ما كنت أظنّه ، لَعَمْرو كان أمنع فى نفسه من ذلك ، فخرج إليه ، فلما رآه رحَّب به ، فقال له عمرو : إنه قد نزل بنا أمر ليست معه هِجْرة إنه قد كان من أمر هذا الرجل ماقد رأيت ، قد أسلمت

رفع المسيهم

العرب كلها ، وليست لكم بحربهم طاقة ، فانظروا فى أمركم : فعند ذلك ائتمرت ثقيف بينها ، وقال بعضهم لبعض : أفلا ترون أنه لا يأمن لكم سِرْب ، ولا يخرج منكم أحد إلا اقتُطِع ، فأْتمَرُوا بينهم ، وأجمعوا أن يُرسلوا إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم رجلا ، كما أرسلوا عُرْوَةَ ، فكلَّموا عَبْدَ يالِيلَ بن عمرو بن عُمير ، وكان سنَّ عروة بن مسعود ، وعرضوا ذلك عليه ، فأبى أن يفعل ، وخشى أن يُصنع به إذا رجع كما صُنِع بعُرْوَةَ . فقال : لست فاعلاً حتى تُرسلوا معى رجالا ، فأجمعوا أن يبعثُوا معه رجلين من الأحلاف ، وثلاثة من بنى مالك ، فيكونوا ستة ، فبعثوا مع عبد ياليل الحكم بن عمرو بن وهب بن معتِّب ، وشُرَحبيل بن غَيلان بن سَلِمة بن معتِّب ، ومن بنى مالك عثمان بن أبى العاص بن بِشر بن عبد دُهمان ، أخا بنى يسار ، وأوس بن عوف ، أخا بنى سالم بن عوف ونُمَير بن خَرَشة بن ربيعة ، أخا بنى الحارث . فخرج بهم عبدُ ياليل ، وهو نابُ القوم وصاحبُ أمرهم ، ولم يخرج بهم إلا خشية من مثل ماصُنع بعُرْوَة بن مسعود ، لكى يشغل كلَّ رجل منهم إذا رجعوا إلى الطائف رَهْطه . .

فلما دنَوْا من المدينة ، ونزلوا قناة ألْفَوْا بها المُغيرة بن شُعبة ، يرعَى فى نَوْبَته رِكابَ أصحاب رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت رِعْيَتها نُوَبًا على أصحابه صلى الله عليه وسلم ، فلما رآهم ترك الركاب عند الثَّقَفيين ، وضبر يشتدّ ، ليبشر رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بقدومهم عليه ، فلقيه أبو بكر الصديق قبل أن يدخل على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره عن ركب

. . . .

رفع المسهم

ثقيف أنْ قد قدموا يريدون البَيْعة والإسلام ، بأن يَشرُط لهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم شُروطاً ، ويكتتبوا من رسولِ الله صلى الله عليه وسلم كتاباً فى قومهم وبلادهم وأموالهم ، فقال أبو بكر للمُغيرة : أقسمت عليك بالله لاتسبقنى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى أكون أنا أحدِّثه ؛ ففعل المغيرة . فدخل أبو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره بقدومهم عليه . ثم خرج المُغيرة إلى أصحابه ، فروّح الظُّهر معهم وعلَّمهم كيف يحيُّون رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يفعلوا إلا بتحيَّة الجاهلية ، ولمَّا قَدِموا على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ضرب عليهم قُبَّة فى ناحية مسجده ، كما يزعمون ؛ فكان خالد بن سعيد بن العاص ، هو الذى يمشى بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى اكتتبوا كتابهم . وكان خالد هو الذى كتب كتابهم بيده ، وكانوا لايَطْعمون طعاماً يأتيهم من عند رسولِ الله صلى الله عليه وسلم حتى يأكل منه خالد ، حتى أسلموا وفرغوا من كتابهم ، وقد كان فيما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدع لهم الطاغية ، وهى اللات لايهدمها ثلاث سنين ، فأبى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ذلك عليهم ، فما برحوا يسألونه سنة سنة ، ويأبى عليهم حتى سألوا شهراً واحداً بعد مَقْدَمهم ، فأبى عليهم أن يدَعها شيئاً مسمّى ، وإنما يريدون بذلك فيما يُظهرون أن يَتَسلَّموا بتركها من سفهائهم ونسائهم وذراريهم ويكرهون أن يُروعوا قومَهم بهدمها حتى يدخلهم الإسلام ؛ فأبى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلا أن يبعث أبا سفيان بن حَرب والمُغيرة بن شعبة فيهدماها ، وقد كانوا سألوه مع ترك الطاغيـة أن يُعفيهم من الصلاة ، وأن لايكسروا أوثانهم بأيديهم ، فقال

رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما كسر أوثانكم بأيديكم فسنُعفيكم منه ، وأما الصلاة ، فإنه لاخير فى دين لاصلاة فيه ، فقالوا : يامحمد ، فسنؤتيكها ، وإن كانت دناءة .

فلما أسلموا وكتب لهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم كتابَهم ، أمَّر عليهم عثمان بن أبى العاص ، وكان من أحدثهم سنًّا ، وذلك أنه كان أحرصهم على التفقُّه فى الإسلام وتعلُّم القرآن . فقال أبو بكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يارسول الله ، إنى قد رأيتُ هذا الغلام منهم من أحرصهم على التفقه فى الإسلام ، وتعلم القرآن .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عيسى بن عبد الله بن عطية بن سفيان بن ربيعة الثقفى ، عن بعض وفدهم . قال : كان بلال يأتينا حين أسلمنا وصُمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مابقى من رمضان ، بفِطرنا وسَحُورنا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيأتينا بالسَّحور ، وإنا لنقول : إنا لنرى الفجر قد طلع ، فيقول : قد تركت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يتسحَّر ، لتأخير السُّحور ، ويأتينا بفطرنا ، وإنا لنقول : مانرى الشمس كلها ذهبت بعد . فيقول : ماجئتكم حتى أكل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ثم يَضع يده فى الجَفْنة ، فيلتقم منها .

قال ابن هشام : بفَطُورنا وسَحورنا .

قال ابن إسحاق : وحدثنى سعيد بن أبى هند ، عن مُطَرِّف بن عبد الله ابن الشِّخِّير ، عن عثمان بن أبى العاص ، قال : كان من آخر ماعهد إلىَّ

رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين بعثني على ثقيف أن قال: يا عثمان، تجاوز في الصلاة، واقدُر الناس بأضعفهم، فإن فيهم الكبيرَ، والصغير، والضعيف، وذا الحاجة.

قال ابن إسحاق: فلما فرغوا من أمرهم، وتوجهوا إلى بلادهم راجعين، بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم معهم أبا سفيان بن حرب والمغيرةَ بن شعبة، في هدم الطاغية، فخرجا مع القوم، حتى إذا قدِموا الطائف أراد المُغيرة بن شعبة أن يُقَدِّم أبا سفيان، فأبى ذلك أبو سفيان عليه، وقال: أدخل أنت على قومك؛ وأقام أبو سفيان بماله بذى الهَدْم؛ فلما دخل المغيرة بن شعبة علاها يَضربها بالمِعول، وقام قومه دونه، بنو مُعَتِّب، خشية أن يُرمى أو يُصاب كما أُصيب عُروة، وخرج نساء ثقيف حُسَّراً يَبْكين عليها ويقلن:

لَتُبْكَيَنَّ دُفَّاع أسْلَمها الرُّضَّاع

لم يُحْسِنوا المِصاع

قال ابن هشام: «لَتُبْكَيَنَّ» عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: ويقول أبو سفيان والمغيرةُ يَضربها بالفأس: واهاً لك! آهاً لك! فلما هدمها المُغيرة، وأخذ مالها وحُلِيَّها أرسل إلى أبي سفيان وحليها مجموع، ومالها من الذهب والجَزْع.

وقد كان أبو مُلَيح بن عروة وقارِب بن الأسود قَدِما على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم قبل وفد ثقيف، حين قُتل عروة، يريدان فراق ثقيف،

وأن لا يجامعاهم على شىء أبداً ، فأسلما ؛ فقال لهما رسولُ الله صلى الله عليه وسلم تولّيا منْ شئتما ؛ فقالا : نتولى الله ورسوله ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : وخالَكما أبا سفيان بن حرب ، فقالا : وخالَنا أبا سفيان بن حرب .

فلما أسلم أهلُ الطائف ووجه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان والمُغيرة إلى هدم الطاغية ، سأل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أبو مُليح بن عروة أن يَقضى عن أبيه عُروة دَيناً كان عليه من مال الطاغية ، فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : نعم ، فقال له قارب بن الأسود ، وعن الأسود يارسول الله فاقضه ، وعروة والأسود أخوان لأب وأم ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إن الأسود مات مشركا . فقال قارب لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يارسولَ الله ، ولكن تَصِل مسلماً ذا قرابة ، يعنى نفسه ، إنما الدَّين علىّ ، وإنما أنا الذى أطلبُ به ، فأمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان أن يَقضى دَينَ عُروة والأسود من مال الطاغية ، فلما جمع المُغيرة مالها قال لأبى سفيان : إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قد أمرك أن تقضى عن عُروة والأسود دَينَهما ، فقضى عنهما .

وكان كتاب رسولِ الله صلى الله عليه وسلم الذى كتب لهم :

بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد النبىّ ، رسول الله ، إلى المؤمنين : إنّ عِضاهَ وَجٍّ وصَيْدَه لا يُعْضَدُ ، من وُجد يفعل شيئاً من ذلك ، فإنه يُجلَد وتُنزَع ثيابه ، فإن تعدّى ذلك فإنه يُؤخذ فيبلغ به إلى النبىّ محمد ، وإن هذا أمر النبىّ محمد رسول الله .

. . . .

وكتب خالد بن سعيد : بأمر الرسول محمد بن عبد الله ، فلا يتعدّه أحد ، فيظلم نفسه فيما أمر به محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حج أبي بكر بالناس سنة تسع
واختصاص النبي صلى الله عليه وسلم عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه بتأدية أول براءة عنه
وذكر براءة والقصص في تفسيرها

قال ابن إسحاق : ثم أقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بقيّة شهر رمضان وشوّالا وذا القعدة ، ثم بعث أبا بكر أميراً على الحجّ من سنة تسع ، ليُقيم للمسلمين حجهم ، والناس من أهل الشرك على منازلهم من حَجِّهم . فخرج أبو بكر رضي الله عنه ومن معه من المسلمين .

ونزلت براءة في نقض ما بين رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين من العهد ، الذي كانوا عليه فيما بينه وبينهم : أن لا يصَدّ عن البيت أحدٌ جاءه ، ولا يخاف أحد في الشهر الحرام . وكان ذلك عهداً عامّاً بينه وبين الناس من أهل الشرك ، وكانت بين ذلك عهود بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قبائل من العرب خصائص ، إلى آجال مسماة ، فنزلت فيه وفيمن تخلّف من المنافقين عنه في تبوك ، وفي قول من قال منهم ، فكشف الله تعالى فيها سرائر أقوام كانوا يَسْتَخْفون بغير ما يُظهرون ، منهم مَنْ سُمّى لنا ، ومنهم مَنْ لم يُسمّ لنا ، فقال عزّ وجلّ : ﴿ بَرَاءَةٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ أي لأهل

العهد العام من أهل الشرك ﴿ فَسِيحُوا فِي الأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ، وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غيرُ مُعْجِزِي اللهِ ، وأَنَّ اللهَ مُخْزِي الكافِرِينَ * وأَذَانٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إلى النَّاسِ يَوْمَ الحجِّ الأكْبَرِ أَنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِنَ المُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴾ : أى بعد هذه الحجة ﴿ فإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ، وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غيرُ مُعْجِزِي اللهِ ، وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * إلاَّ الَّذِينَ عاهَدْتُمْ مِنَ المُشْرِكِينَ ﴾ : أى العهد الخاصّ إلى الأجل المسمى ﴿ ثُمَّ لَمْ يُظاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَداً فأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إلى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ المُتَّقِينَ . فإذا انْسَلَخَ الأَشْهُرُ الحُرُمُ ﴾ : يعنى الأربعة التى ضرب لهم أجلا ﴿ فاقْتُلُوا المُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ، وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ، فإِنْ تابُوا وأقامُوا الصَّلاةَ وآتَوُا الزَّكاةَ ، فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ المُشْرِكِينَ ﴾ : أى من هؤلاء الذين أمرتك بقتلهم ﴿ اسْتَجارَكَ فَأَجِرْهُ حتى يَسْمَعَ كَلامَ اللهِ ، ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ، ذلكَ بأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْلَمُونَ ﴾ .

ثم قال : ﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ الذين كانوا هم وأنتم على العهد العام أن لا يُخيفوكم ولا يخيفوهم فى الحرمة ، ولا فى الشهر الحرام ﴿ عَهْدٌ عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ ، إلاَّ الَّذِينَ عاهَدْتُمْ عِنْدَ المَسْجِدِ الحَرامِ ﴾ ، وهى قبائل من بنى بكر الذين كانوا دخلوا فى عقد قريش وعهدهم يوم الحديبية ، إلى المدة التى كانت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش ، فلم يكن نقضها إلا هذا الحىّ من قريش ، وهى الدّيل من بنى بكر بن وائل ، الذين كانوا

دخلوا فى عقد قريش وعهدهم . فأمر بإتمام العهد لمن لم يكن نقض من بنى بكر إلى مدته ﴿ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ ، إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ .

ثم قال تعالى : ﴿ كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ ﴾ : أى المشركون الذين لاعهد لهم إلى مدة من أهل الشرك العام ﴿ لا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلاًّ وَلا ذِمَّةً ﴾ .

تفسير ابن هشام لبعض المفردات

قال ابن هشام : الإلّ : الحِلْف . قال أوس بن حَجَر ، أحد بنى أُسَيِّد بن عمرو بن تميم :

لولا بَنو مالك والإلّ مَرْقَبةٌ   ومالكٌ فيهمُ الآلاء والشَّرفُ

وهذا البيت فى قصيدة له . وجمعه : آلال ، قال الشاعر :

فلا إلّ من الآلال بَيْنِى   وبينكمُ فلا تَألُنّ جَهْداً

والذمّة : العهد . قال الأجدع بن مالك الهَمْدانى ، وهو أبو مَسْروق ابن الأجدع الفقيه :

وكان علينا ذمّةٌ أن تُجاوزوا   من الأرض معروفاً إلينا ومُنْكراً

وهذا البيت فى ثلاثة أبيات له وجمعها : ذِمم .

﴿ يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ * اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللهِ ثَمَناً قَلِيلاً ، فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ ، إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلا ذِمَّةً ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴾ أى قد اعتدوا

رفع المسهم غفر الله له

عليكم ﴿ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ ، وَنُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ .

اختصاص الرسول عليًّا بتأدية براءة عنه

قال ابن إسحاق : وحدثنى حكيم بن حكيم بن عبّاد بن حُنَيف ، عن أبى جعفر محمد بن علىّ رضوان الله عليه ، أنه قال : لما نزلت براءة على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وقد كان بعث أبا بكر الصدّيق ليُقيم للناس الحجّ ، قيل له : يارسول الله لو بعثت بها إلى أبى بكر ، فقال : لا يؤدّى عنى إلا رجل من أهل بيتى ، ثم دعا علىّ بن أبى طالب رضوان الله عليه ، فقال له : اخرج بهذه القصة من صدر براءة ، وأذّن فى الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمِنى : أنه لا يدخل الجنة كافر ، ولا يحجّ بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عُريان ، ومن كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو له إلى مدّته ، فخرج علىّ بن أبى طالب رضوان الله عليه على ناقة رسولِ الله صلى الله عليه وسلم العضباء ، حتى أدرك أبا بكر بالطريق ، فلما رآه أبو بكر بالطريق قال : أأمير أم مأمور ؟ فقال : بل مأمور ، ثم مضيا . فأقام أبو بكر للناس الحجّ ، والعرب إذ ذاك فى تلك السنة على منازلهم من الحج ، التى كانوا عليها فى الجاهلية ، حتى إذا كان يوم النحر ، قام علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، فأذّن فى الناس بالذى أمره به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أيها الناس ، إنه لا يدخل الجنة كافر ، ولا يحجّ بعد العام مُشرك ، ولا يطوف بالبيت عُريان ، ومن كان له عند رسولِ الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو له إلى مدّته ، وأجّل

. . . .

الناس أربعة أشهر من يوم أذّن فيهم ، ليرجع كلّ قوم إلى مأمنهم أو بلادهم ؛ ثم لا عهد لمشرك ولا ذمة إلا أحد كان له عند رسولِ الله صلى الله عليه وسلم عهد إلى مدّة ، فهو له إلى مدته . فلم يحجّ بعد ذلك العام مشرك ، ولم يطف بالبيت عُريان .

ثم قَدِما على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : فكان هذا من براءة فيمن كان من أهل الشرك من أهل العهد العام ، وأهل المدة إلى الأجل المسمى .

ما نزل فى الأمر بجهاد المشركين

قال ابن إسحاق : ثم أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بجهاد أهل الشرك ، ممن نقض من أهل العهد الخاصّ ، وَمَنْ كان من أهل العهد العام ، بعد الأربعة الأشهر التى ضرب لهم أجلا إلا أن يعدوَ فيها عاد منهم ، فيقتل بعدائه ، فقال : ﴿ ألا تُقاتِلُونَ قَوْماً نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ، أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ . وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللهُ ﴾ أى من بعد ذلك ﴿ عَلَى مَنْ يَشاء ، وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جاهَدُوا مِنْكُمْ ، وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللهِ وَلا رَسُولِهِ وَلا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ، وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ .

رفع
المسـاهم

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : وليجة : دخيل ،وجمعها : ولائج ؛ وهو من وَلَجَ يَلِج: أى دخل يدخل ، وفى كتاب الله عزّ وجلّ : ﴿حتى يَلِجَ الجَمَلُ فِي سَمِّ الخِياطِ﴾: أى يدخل ، يقول : لم يتخذوا دخيلا من دونه يُسِرُّون إليه غير ما يظهرون ، نحو مايصنع المنافقون ، يُظهرون الإيمان للذين آمنوا﴿ وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قالُوا إِنَّا مَعَكُمْ ﴾ قال الشاعر :

واعلم بأنَّك قد جُعِلتَ وليجةً ساقوا إليك الحتف غيرَ مَشُوب

مانزل فى الرد على قريش بادعائهم عمارة البيت

قال ابن إسحاق : ثم ذكر قولَ قريش : إنا أهلُ الحرم ، وسُقاة الحاجّ ، وعمّار هذا البيت ، فلا أحد أفضل منا ، فقال : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾ : أى إن عمارتكم ليست على ذلك ، وإنما يَعْمُر مساجدَ الله أى من عمرها بحقها ﴿ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ، وأقامَ الصَّلاةَ وآتَى الزَّكاةَ ولَمْ يَخْشَ إلا اللهَ ﴾ : أى فأولئك عُمارها ﴿ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ وعسى من الله : حقّ .

ثم قال تعالى : ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الحَاجِّ وَعِمَارَةَ المَسْجِدِ الحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللهِ ، لا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللهِ ﴾ .

مانزل فى الأمر بقتال المشركين

ثم القصة عن عدوهم ، حتى انتهى إلى ذكر حنين ، وما كان فيه ،

رفع
المسهم
عزالله لطلايه

وتوليهم عن عدوّهم ، وما أنزل الله تعالى من نصره بعد تخاذلهم ، ثم قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا ، وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً ﴾ وذلك أن الناس قالوا : لتنقطعنّ عنّا الأسواق ، فلتهلكنّ التجارة ، ، وليذهبنّ ما كنا نصيب فيها من المرافق ، فقال الله عزّ وجلّ : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ : أى من وجه غير ذلك ﴿ إِنْ شَاءَ ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ . قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ : أى ففى هذا عوض مما تخوّفتم من قطع الأسواق ، فعوّضهم الله بما قطع عنهم بأمر الشرك ما أعطاهم من أعناق أهل الكتاب ، من الجزية .

ما نزل فى أهل الكتابين

ثم ذكر أهل الكتابين بما فيهم من الشرّ والفرية عليه ، حتى انتهى إلى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ، وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ .

ما نزل فى النسىء

ثم ذكر النسىء ، وما كانت العرب أحدثت فيه . والنسىء ما كان يحلّ مما حرّم الله تعالى من الشهور ، ويحرّم مما أحلّ الله منها ، فقال : ﴿ إِنَّ عِدَّةَ

الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتابِ اللهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ ، مِنْها أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ، ذلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ ﴾ : أي لا تجعلوا حرامها حلالا ، ولا حلالها حراماً : أي كما فعل أهلُ الشرك ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ ﴾ الذى كانوا يصنعون ﴿ زِيادَةٌ فِي الكُفْرِ ، يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عاماً ويُحَرِّمُونَهُ عاماً لِيُواطِئُوا عِدَّةَ ما حَرَّمَ اللهُ ، فَيُحِلُّوا ما حَرَّمَ اللهُ ، زُيِّنَ لَهُمْ سوءُ أَعمالِهِمْ ، وَاللهُ لا يَهْدِي القَوْمَ الكافِرِينَ ﴾ .

ما نزل فى تبوك

ثم ذكر تبوكَ وما كان فيها من تثاقل المسلمين عنها ، وما أعظموا من غزو الروم ، حين دعاهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى جهادهم ، ونِفاقَ من نافق من المنافقين ، حين دُعوا إلى ما دعوا إليه من الجهاد ، ثم ما نَعى عليهم من إحداثهم فى الإسلام ، فقال تعالى : ﴿ يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا ما لَكُمْ إِذا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فى سَبِيلِ اللهِ اثَّاقَلْتُمْ إلى الأَرْضِ ﴾ ، ثم القصة إلى قوله تعالى : ﴿ يُعَذِّبْكُمْ عَذاباً أَلِيماً وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غيرَكُمْ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ إِلاَّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُما فِي الغارِ ﴾

ما نزل فى أهل النفاق

ثم قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ، يذكر أهل النفاق : ﴿ لَوْ كانَ عَرَضاً قرِيباً وَسَفَراً قاصِداً لاتَّبَعُوكَ ، ولكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ،

وَسَيَحْلفون باللهِ لَوِ اسْتَطَعْنا لَخَرَجْنا مَعَكُمْ ، يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ ، وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ ﴾ : أى إنهم يستطيعون ﴿ عَفا اللهُ عَنْكَ ، لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حتى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وتَعْلَمَ الْكاذِبِينَ ﴾ ؟ . . . إلى قوله : ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مازادُوكُمْ إِلاَّ خَبالاً ، ولأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ ، يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ ﴾

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : أوضعوا خلالكم : ساروا بين أضعافكم ، فالإيضاع : ضرب من السير أسرع من المشى ؛ قال الأجدعُ بن مالك الهَمْدانِي :

يَصْطادكَ الوحِدَ المُدِلَّ بشأوه   بشَريج بين الشَّدِّ والإيضاع

وهذا البيت فى قصيدة له .

عود إلى مانزل فى أهل النفاق

قال ابن إسحاق : وكان الذين استأذنوه من ذوى الشرف ، فيما بلغنى ، منهم : عبد الله بنُ أُبَىّ بن سَلول ، والجَدّ بن قيس ؛ وكانوا أشرافًا فى قومهم ؛ فثبطهم الله لعلمه بهم أن يخرجوا معه ، فيفسدوا عليه جنده ، وكان فى جنده قومٌ أهل محبة لهم ، وطاعةٍ فيما يدعونهم إليه ، لشرفهم فيهم . فقال تعالى : ﴿وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ ، وَاللهُ عَلِيمٌ بالظَّالِمِينَ . لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ﴾ : أى من قبل أن يستأذنوك ، ﴿ وَقَلَّبُوا لَكَ الأُمُورَ ﴾ : أى ليُخَذِّلوا عنك أصحابك ويردّوا عليك أمرك ﴿حتى جاء الحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كارِهُونَ .

وَمِنْهُم مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِى وَلا تَفْتِنِّى ألا فِى الفِتْنَةِ سَقَطُوا ﴾ ، وكان الذى قال ذلك ، فيما سُمِّى لنا ، الجدّ بن قيس ، أخو بنى سَلِمَة ، حين دعاه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى جهاد الروم . ثم كانت القصة إلى قوله تعالى : ﴿ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلاً لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ * وَمِنْهُم مَنْ يَلْمِزُكَ فى الصَّدَقاتِ ، فإنْ أُعْطُوا مِنْها رَضُوا ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَوا مِنْها إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾ : أى إنما نيتهم ورضاهم وسخطهم لدنياهم .

ما نزل فى ذكر أصحاب الصدقات

ثم بين الصدقات لمن هى وسمى أهلها ، فقال : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقاتُ لِلْفُقَراءِ والمَساكِينِ والعامِلِينَ عَلَيْها ، والمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ ، وفِى الرِّقابِ ، والغارِمِينَ وفى سَبِيلِ اللهِ ، وَابْنِ السَّبِيلِ ، فَرِيضَةً مِنَ اللهِ ، وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ .

ما نزل فيمن آذوا الرسول

ثم ذكر غشهم وأذاهم النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : ﴿ وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ، قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ ، يُؤْمِنُ باللهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ ، وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ ، وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللهِ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ ﴾ . وكان الذى يقول تلك المقالة ، فيما بلغنى ، نَبْتَل بن الحارث أخو بنى عمرو بن عوف ، وفيه نزلت هذه الآية ، وذلك أنه كان يقول : إنما محمد أُذُن ، مَن حدّثه شيئاً صدّقه . يقول الله تعالى : ﴿ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ ﴾ : أى يسمع الخير ويصدّق به .

. . . .

رفع المسلم

ثم قال تعالى : ﴿ يَحْلِفُونَ باللهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أن يُرْضُوهُ إنْ كانُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ ، ثم قال : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ، قُلْ أَبِاللهِ وآياتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴾ . . . إلى قوله تعالى : ﴿ إنْ نَعْفُ عَنْ طائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طائِفَةً ﴾ ، وكان الذى قال وديعة بن ثابت ، أخو بنى أميَّة بن زيد ، من بنى عمرو بن عوف ، وكان الذى عُفِىَ عنه ، فيما بلغنى : مُخَشِّنُ بن حُمَيِّر الأشجعىّ ، حليف بنى سلمة ، وذلك أنه أنكر منهم بعض ماسمع .

ثم القصَّةَ من صفتهم حتى انتهى إلى قوله تعالى : ﴿ يا أيُّها النَّبِيُّ جاهِدِ الكُفَّارَ والمُنافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ المَصِيرُ * يَحْلِفُونَ باللهِ ماقالُوا ، وَلَقَدْ قالُوا كَلِمَةَ الكُفْرِ وكَفَرُوا بَعْدَ إسْلامِهِمْ وهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنالُوا ، وما نَقَمُوا إلاَّ أنْ أغْناهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ . . . إلى قوله : ﴿ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ ﴾ . وكان الذى قال تلك المقالة الُجلاس بن سُوَيد بن صامت ، فرفعها عليه رجلٌ كان فى حِجْره ، يقال له عُمير بن سعد ، فأنكرها وحلف بالله ماقالها ، فلما نزل فيهم القرآن تاب ونزع ، وحَسُنَت حالُه وتوبته ، فيما بلغنى .

ثم قال تعالى : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ عاهَدَ اللهَ لَئِنْ آتانا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ ، وكان الذى عاهد الله منهم ثعلبة بن حاطب ، ومُعَتِّب بن قُشَير ، وهما من بنى عمرو بن عوف.

ثم قال : ﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ المُطَّوِّعِينَ مِنَ المُؤْمِنِينَ فى الصَّدَقاتِ ،

وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ ، فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ، سَخِرَ اللهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ وكان المطّوّعون من المؤمنين فى الصدقات عبدَ الرحمن بن عوف ، وعاصمَ بن عدىّ أخا بنى العجلان ، وذلك أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم رَغَّب فى الصدقة ، وحضّ عليها ، فقام عبد الرحمن بن عوف ، فتصدّق بأربعة آلاف درهم ، وقام عاصم بن عدىّ ، فتصدّق بمائة وَسْق من تمر ، فلمزوهما وقالوا ماهذا إلا رياء ، وكان الذى تصدق بجهده أبو عقيل أخو بنى أُنيف ، أتى بصاع من تمر ، فأفرغها فى الصدقة ، فتضاحكوا به ، وقالوا : إن الله لغنىّ عن صاع أبى عقيل .

ثم ذكر قول بعضهم لبعض ، حين أمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالجهاد وأمر بالسّير إلى تبوك ، على شدّة الحرّ وجدب البلاد ، فقال تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ ، قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ . فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا ﴾ . . . إلى قوله : ﴿ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ ﴾ .

ما نزل بسبب صلاة النبي على ابن أُبىّ

قال ابن إسحاق : وحدثنى الزهرى عن عُبيد الله بن عبد الله بن عقبة، عن ابن عباس ، قال : سمعتُ عمر بن الخطّاب يقول : لما توفى عبد الله بن أُبَىّ ، دُعِىَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم للصلاة عليه ، فقام إليه ؛ فلما وقف عليه يُريد الصلاة تحوّلتُ حتى قمت فى صدره ، فقلت : يارسول الله ، أتصلى على

عدوّ الله عبد بن أُبيّ بن سلول؟ القائل كذا يوم كذا، والقائل كذا يوم كذا؟ أعدّد أيامه، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتبسم حتى إذا أكثرت قال: يا عمر أخِّر عني، إني قد خُيِّرت فاخترت، قد قيل لي: ﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ، إنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ ﴾، فلو أعلم أني إن زدت على السبعين غُفر له، لزدت. قال ثم صلى عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، ومشى معه حتى قام على قبره، حتى فُرِغ منه. قال: فعجبت لي وجُرأتي على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم والله ورسوله أعلم. فوالله ما كان إلا يسيراً حتى نزلت هاتان الآيتان: ﴿ وَلا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ ماتَ أَبَداً وَلا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ، إنَّهُمْ كَفَرُوا باللهِ وَرَسُولِهِ وَماتُوا وَهُمْ فاسِقُونَ ﴾ فما صلى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بعده على منافق حتى قبضه الله تعالى.

ما نزل في المستأذنين

قال ابن إسحاق: ثم قال تعالى: ﴿ وَإذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا باللهِ وَجاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ ﴾، وكان ابن أُبيّ من من أولئك، فنعَى الله ذلك عليه، وذكره منه، ثم قال تعالى: ﴿ لَكِنِ الرَّسُولُ والَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جاهَدُوا بأَمْوالِهِمْ وأَنْفُسِهِمْ، وأُولَئِكَ لَهُمُ الخَيْراتُ وأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ * أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها، ذلكَ الفَوْزُ العَظِيمُ * وجاءَ المُعَذِّرُونَ مِنَ الأَعْرابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ، وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللهَ وَرَسُولَهُ ﴾ ... إلى آخر القصة. وكان المعذّرون، فيما بلغني نفراً من بني غِفار، منهم خُفافُ بن أيماء بن رحضة،

ثم كانت القصة لأهل العذر ، حتى انتهى إلى قوله : ﴿ وَلا عَلَى الَّذِينَ إِذَا ما أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ ، قُلْتَ لا أَجِدُ ما أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلاَّ يَجِدُوا ما يُنْفِقُونَ ﴾ وهم البكاءون.

ثم قال تعالى : ﴿ إِنَّما السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِياءُ، رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوالِفِ ، وَطَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾ والخوالف : النساء . ثم ذكر حلفهم للمسلمين واعتذارهم ، فقال : ﴿ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللهَ لا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفاسِقِينَ ﴾ .

ما نزل فيمن نافق من الأعراب

ثم ذكر الأعراب ومن نافق منهم وتربصهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالمؤمنين ، فقال : ﴿ وَمِنَ الأَعْرابِ مَنْ يَتَّخِذُ ما يُنْفِقُ ﴾ : أي من صدقة أو نفقة في سبيل الله ﴿ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوائِرَ ، عَلَيْهِمْ دائِرَةُ السَّوْءِ ، وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ .

ثم ذكر الأعرابَ أهل الإخلاص والإيمان منهم ، فقال : ﴿ وَمِنَ الأَعْرابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَتَّخِذُ ما يُنْفِقُ قُرُباتٍ عِنْدَ اللهِ وَصَلَواتِ الرَّسُولِ ، أَلا إِنَّها قُرْبَةٌ لَهُمْ ﴾

ما نزل في السابقين من المهاجرين والأنصار

ثم ذكر السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ، وفضلهم ، وما وعدهم

الله من حُسن ثوابه إياهم ، ثم ألحق بهم التابعين لهم بإحسان ، فقال : ﴿ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ ، ثم قال تعالى : ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ المَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ ﴾ : أى لجُّوا فيه ، وأبَوْا غيره ﴿ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ﴾ ، والعذاب الذى أوعدها الله تعالى مرّتين ، فيما بلغنى: غمهم بما هم فيه من أمر الإسلام ، وما يدخل عليهم من غَيظ ذلك على غير حِسبة ، ثم عذابهم فى القبور إذا صاروا إليها ، ثم العذاب العظيم الذى يُردّون إليه ، عذاب النار والخلد فيه . ثم قال تعالى : ﴿ وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللهِ ، إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ﴾ ، وهم الثلاثة الذين خُلِّفوا ، وأرجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم حتى أتت من الله توبتهم . ثم قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً ﴾ . . . الخ . القصة ثم قال تعالى ﴿ إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ المُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ ﴾ . ثم كان قصة الخبر عن تبوك ، وما كان فيها إلى آخر السورة .

وكانت براءةُ تسمى فى زمان النبىّ صلى الله عليه وسلم وبعدَه المبعْثِرة ، لما كَشفت من سرائر الناس . وكانت تَبُوكُ آخر غزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

شعر حسان الذى عدد فيه المغازى

وقال حسّان بن ثابت يُعدّد أيام الأنصار مع النبى صلى الله عليه وسلم ، ويذكر مواطنهم معه فى أيام غزوه :

قال ابن هشام : وتروى لابنه عبد الرحمن بن حسان :

أَلَسْتُ خيرَ معدٍّ كلِّها نفراً ... ومعشراً إن هُمُ عُمُّوا وإن حُصِلوا
قومٌ هُمُ شَهِدوا بدراً بأجمعهم ... مع الرسول فما ألَوا وما خذلوا
وبايعوه فلم يَنكُثْ به أحدٌ ... منهم ولم يَكُ فى إيمانِهم دَخَلُ
ويومَ صَبَّحهم فى الشِّعبِ من أُحُدٍ ... ضَربٌ رَصينٌ كحرِّ النّار مُشتعلُ
ويوم ذى قَرَدٍ يومَ استثار بِهِمْ ... على الجيادِ فما خامُوا وما نكلوا
وذا العُشيرة جاسُوها بخَيْلِهِمُ ... مع الرّسول عليها البيضُ والأَسَلُ
ويومَ وَدّانَ أجلَوا أهلَه رَقَصاً ... بالخيلِ حتى نَهانا الحَزْنُ والجَبَلُ
وليلةً طلبُوا فيها عَدُوَّهُمُ ... للهِ واللهُ يجزيهم بما عَمِلوا
وغزوةً يومَ نَجْدٍ ثم كان لهم ... مع الرّسولِ بها الأسلابُ والنَّفَلُ
وليلةً بِحُنَيْنٍ جالَدُوا معه ... فيها يَعُلُّهم بالحربِ إذ نَهِلوا
وغزوةَ القاعِ فرَّقنا العدوَّ به ... كما تُفرَّقُ دون المَشرَبِ الرُّسُلُ
ويومَ بُويِعَ كانوا أهلَ بَيْعته ... على الجِلادِ فآسَوْه وما عَدَلوا
وغزوةَ الفتحِ كانوا فى سَرِيَّته ... مُرابطين فما طاشُوا وما عَجِلوا
ويومَ خَيْبَرَ كانوا فى كتيبته ... يَمشون كلُّهم مُستَبسِلٌ بَطَلُ
بالبيض تَرْعَشُ فى الأيمانِ عاريةً ... تَعوَجُّ فى الضرب أحياناً وتعتدلُ
ويومَ سارَ رسولُ اللهِ مُحتسِباً ... إلى تَبوكَ وهم راياتُه الأُوَلُ
وساسةُ الحربِ إن حربٌ بدتْ لهمُ ... حتى بَدا لهمُ الإقبالُ والقَفَلُ
أولئك القومُ أنصارُ النبيِّ وهمْ ... قومى أصيرُ إليهم حين أتّصلُ

ماتوا كِراماً ولم تُنْكَثْ عُهودُهُمُ ... وقتلُهم فى سبيلِ اللهِ إذْ قُتلوا

قال ابن هشام عجز آخرها بيتاً عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضاً :

كُنَّا مُلوكَ النَّاسِ قبلَ مُحَمَّدٍ ... فلمَّا أتى الإسلامُ كان لنا الفَضْلُ
وأكرَمنا اللهُ الذى ليسَ غيرَهُ ... إلهٌ بأيَّام مَضَتْ مالهـا شَـكْلُ
بنَصْرِ الإلهِ والرَّسولِ ودِينـه ... وألْبَسَناه اسماً مَضَى ماله مِثْلُ
أولئك قَوْمى خيرُ قومٍ بأسْرِهم ... فمَا عُـدَّ من خَيرٍ فقَوْمى له أهْلُ
يَرُبُّون بالمعروف معروفَ من مضَى ... وليس عليهم دونَ معْروفهم قُفْلُ
إذا اختُبِطوا لم يُفحِشوا فى نديِّهمُ ... وليس على سُؤّالهم عندهم بُخْلُ
وإن حارَبوا أو سالمُوا لم يُشَبَّهوا ... فحَرْبُهم حَتْفٌ وسِلْمهمْ سَهْلُ
وجارُهم مُوفٍ بعَلْياءَ بيتـه ... له ماثَوَى فينا الكرامةُ والبَذْلُ
وحاملُهم مُوفٍ بكلِّ حَمالة ... تحمَّل لا غُرْمٌ عليها ولا خَـذْلُ
وقائلُهمْ بالحقِّ إن قالَ قائلٌ ... وحِلْمهمُ عَوْد وحُـكمهمُ عَدْلُ
ومنَّا أميرُ المُسْلمين حَياتَه ... ومَنْ غسَّلَتْهُ مِن جنابَته الرُّسْلُ

قال ابن هشام : وقوله « وألبسناهُ اسماً » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقال حسَّان بن ثابت أيضاً :

قَوْمى أولئكَ إنْ تَسألى ... كِرامٌ إذا الضَّيفُ يوماً ألَمْ

عِظامُ القُـدُورِ لأيسارِهِم · يَكُبُّونَ فِيها المُسِنَّ السَّنِمْ
يُؤاسُونَ جارَهُمُ فى الغِنَى · ويَحْمُونَ مَوْلاهُمُ إنْ ظُلِمْ
فكانُوا مُلُوكاً بأرْضِيهِمُ · يُنادُونَ عَضْباً بأمرٍ غُشُمْ
مُلوكاً على النَّاس ، لم يُمْلَكُوا · منَ الدَّهرِ يوماً كَحِلِّ القَسَمْ
فأنبَوا بعـادٍ وأشياعِها · ثَمُودَ وَبعْضِ بَقايا إرَمْ
بيَثْرِبَ قـد شَيَّدوا فى النَّخيلِ · حُصُوناً ودُجِّنَ فيها النَّعَمْ
نَوَاضِحَ قـد عَلَّمتها اليهُو · دُ (عَلْ) إليكَ وقَوْلا هَلُمْ
وفيما اشتَهَوْا مِن عَصِير القِطا · ف والعَيْشِ رخواً على غيرِهِمْ
فَسِرْنا إليهِمْ بأثقالِنا · على كُلِّ فَحْلٍ هِجانٍ قَطِمْ
جَنَبْنا بِهِـنَّ جِيادَ الخيُو · لِ قد جَلَّلوها جِلالَ الأدَمْ
فلمَّا أناخُوا بجَنْبَىْ صِرارٍ · وشَدوا السُّرُوجَ بلَىِّ الحُزُمْ
فما راعَهُم غيرُ مَعْجِ الخيُو · لِ والزَّحْفُ من خلفِهِم قد دَهِمْ
فطارُوا سِراعاً وقد أُفزِعُوا · وجِئْنا إليهم كأُسْدِ الأجُمْ
على كُلِّ سَلْهبةٍ فى الصِّيا · نِ لايَشْتكين نُحُولَ السَّأمْ
وكلُّ كُمَيْتٍ مُطارِ الفُؤادِ · أمينِ الفُصُوصِ كمِثْلِ الزُّلَمْ
عليها فَوارِسُ قـد عُوِّدُوا · قِراعَ الكُماةِ وضَرْبَ البُهَمْ
مُلوكٌ إذا غَشَمُوا فى البِلا · دِ لايَنْكُلُونَ ولكن قُدُمْ
فأُبْنا بسادَاتِهِـمْ والنِّساء · وأوْلادُهم فيهِمُ تُقْتَسَمْ

وَرِثْنا مَساكِنَهُمْ بَعْـدَهم وكُنّا مُلُوكا بِها لَمْ نَرِمْ
فلمّا أتانا الرّسُولُ الرّشِيـد بالحقّ والنُّور بعـدَ الظُّلَمْ
قُلنا صَدَقْتَ رَسُولَ المَليك هَـلُمّ إلَيْنا وفينا أقِمْ
فَنَشْهَدَ أنَّكَ عبدُ الإلـه أُرْسِلْتَ نُوراً بدينٍ قِيَمْ
فإنا وأوْلادُنا جُنَّـةٌ نَقيكَ وفى مالِنا فاحْتَكِم
فنحْنُ أُولَئِكَ إنْ كَذَّبوك فنادِ نِداءً وَلا تَحْتَشِمْ
وناد بما كُنْتَ أخْفَيْتَهُ نداءً جِهاراً وَلا تَكْتَتِمْ
فصار الغُـواةُ بأسْيافهم إلَيـه يظُنُّون أن يُخْـتَرَمْ
فقُمْنا إلَيْهِمْ بأسْـيافنا نجالدُ عنـهُ بُغاةَ الأُمَمْ
بكلّ صقيلٍ لهُ مَيْعَـةٌ رقيقِ الذُّباب عَضوضٍ خَـذِمْ
إذا ما يصادِفُ صُمّ العظا م لم يَنْبُ عنها ولم يَنْثَلِمْ
فذلكَ ماوَرّثَتْنـا القُرُو مُ مَجْداً تَليداً وعِزّاً أشَمّ
إذا مَرّ نَسْلٌ كَفَى نَسْلَهُ وغادرَ نَسْلا إذا ماانفَصَمْ
فما إنْ من النّاس إلاّ لَنا عَلَيْه وإن خاس فضلُ النِّعَمْ

قال ابن هشام: أنشدنى أبو زيد الأنصارى بيته:

فكانُوا مُلُوكا بأرْضيهم يُنادُونَ غُضْباً بأمر غُشُمْ

وأنشدنى:

بيثربَ قد شيَّدوا فى النَّخِيل حُصوناً ودُجّن فيها النَّعَم

وبيته: «وكل كُمَيْت مطار الفُؤاد» عنه.

ذكر سنة تسع وتسميتها سنة الوفود

ونزول سورة الفتح

قال ابن إسحاق : لما افتتح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مكة ، وفرغ من تَبوك ، وأسلمت ثقيف وبايعت ، ضربت إليه وفودُ العرب من كلّ وجه .

قال ابن هشام : حدثنى أبو عُبيدة : أن ذلك فى سنة تسع ، وأنها كانت تسمى سنة الوفود .

انقياد العرب وإسلامهم

قال ابن إسحاق : وإنما كانت العرب تَرَبَّص بالإسلام أمرَ هذا الحىّ من قُريش، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك أن قريشاً كانوا إمام الناس وهاديهم ، وأهل البيت الحرام ، وصريح ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، وقادة العرب لا يُنكرون ذلك ، وكانت قريش هى التى نصبت لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلافه ، فلما افتُتحت مكة ، ودانت له قُريش ، ودَوَّخها الإسلام ، وعرفت العرب أنه لا طاقة لهم بحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عداوته ، فدخلوا فى دين الله ، كما قال عزّ وجلّ ، أفواجاً ، يضربون إليه من كلّ وجه ، يقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿ إِذَا جاءَ نَصْرُ اللهِ والفَتْحُ . ورأيتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دينِ اللهِ أَفْوَاجاً . فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كانَ تَوَّابا ﴾ : أى فاحمد الله على ما أظهر من دينك ، واستغفره إنه كان توابا .

. . . .

غزوة تبوك

سُمِّيَتْ بعين تَبُوك ، وهى العينُ التى أمر رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – الناسَ ألَّا يَمَسُّوا من مائها شيئًا ، فسبق إليها رجلان ، وهى تَبِضُّ بشىء من ماء ، فجعلا يدخلان فيها سَهْمَيْن ليكثر ماؤُها ، فسبَّهما رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وقال لهما : ما زلتما تبوكانها منذ اليوم فيما ذكر القُتَبيُّ ، قال : وبذلك سُمِّيت العينُ تَبُوك[1] ، والبَوْكُ كالنَّقْشِ والحفر فى الشىء ، ويقال منه : بَاكَ الحمارُ الأتانَ يَبُوكها إذا نَزا عليها .

ووقع فى السِّيرة : فقال : مَنْ سَبَقَنا إلى هذا ؟ فقيل له : يارسول الله ، فلانٌ وفلانٌ وفلانٌ ، وقال الواقدى : فيما ذكر لى ، سبقه إليها أربعةٌ من المنافقين مُعَتِّبُ بنُ قُشَيْر ، والحارثُ بن يَزِيد الطَّائىّ ، ووَدِيعَةُ بن ثَابِتٍ ، وزَيْدُ ابن لُصَيْتٍ .

وذكر الجَدَّ بن قَيْسٍ ، وقولَ النبى صلى الله عليه وسلم له : ياجَدُّ هل لك العامَ فى جِلَاد بنى الأصفر ، يقال : إن الرومَ قيل لهم بنو الأصفر ، لأن عيصو ابن إسحاق كان به صُفْرَةٌ ، وهو جَدُّهم ، وقيل : إن الرُّومَ بن عيصو هو الأصفر ، وهو أبوهم ، وأمُّه نَسَمَةُ بنت إسماعيل ، وقد ذكرنا فى أول الكتاب مَنْ وَلَدت من الأمم ، وليس كلُّ الروم من ولد بنى الأصْفَرِ ، فإن

---

(١) هو فى معجم البكرى. وقد روى مالك ومسلم هذا الحديث بغير هذا اللفظ واجع فتح البارى ص ٨٩ وما بعدها ج ١ .

رفع المسيهم

. . . .

الرومَ الأوَّلَ هم فيما زعموا من ولد يُونَان بن يافِثِ بن نُوحٍ ، والله أعلم بحقائق هذه الأشياء وصحتها .

وذكر يونس بإثرِ حديث الجَدِّ بن قَيس عن عَبْد الحميد بن بَهْرَام عن شَهْر بن حَوْشَبٍ عن عَبْدِ الرحمن بن غَنْم أن اليهود أتَوا النبي صلى الله عليه وسلم يوماً ، فقالوا : يا أبا القاسم إن كنتَ صادقاً أنك نبي فالحَقْ بالشّام ، فإن الشام أرضُ المَحشَرِ وأرض الأنبياء ، فصدّق النبي - صلى الله عليه وسلم - ما قالوا فغزا غزْوَةَ تبُوكَ لا يريد إلا الشَّامَ ، فلما بلغ أنزل اللهُ تعالى عليه آيات مِنْ سُورَة بني إسرائيل بعد ما خُتِمَتْ السورةُ ﴿ وإن كادُوا لَيَسْتَفِزُّونَك من الأرض ، ليُخْرِجُوكَ منها ، وإذاً لا يَلْبَثُون خلافك - إلى قوله : تَحْوِيلا ﴾ الإسراء : ٧٦، ٧٧ . فأمره بالرجوع إلى المدينة ، وقال : فيها مَحياكَ ، وفيها مَمَاتُك ، ومنها تبعث[1] ، ثم قال ﴿ أقِم الصلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ ﴾ إلى قوله ﴿ مَحْمُوداً ﴾ الإسراء . ٧٨، ٧٩ فرجع النبي صلى الله عليه وسلم فأمره جبريلُ ، فقال : سَلْ

---

(١) يقول ابن كثير في تفسيره عن هذا الحديث المذكور الذي رواه البيهقي : وفي هذا الإسناد نظر ، والأظهر أن هذا ليس بصحيح . فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يغز تبوك عن قول اليهود ، وإنما غزاها امتثالا لقوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار) ولقوله تعالى : (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ، ولا باليوم الآخر ، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله) الآية وغزاها ليقتص وينتقم ممن قتل أهل مؤتة من أصحابه . وقيل : إنها نزلت في كفار قريش حين هموا بإخراج الرسول صلى الله عليه وسلم من بين أظهرهم ، فتوعدهم الله بهذه الآية ، وأنهم لو أخرجوه لما لبثوا بعده بمكة إلا يسيراً ، وكذلك وقع .

رفع المستهم غفر الله له ولوالديه

رَبِّك ، فإن لكل نبي مَسْألةً ، وكان جبريلُ عليه السلام له ناصحاً ، وكان محمد صلى الله عليه وسلم له مُطِيعاً ، فقال : ماتأمرنى أن أسأل؟ قال : (قُلْ: رَبِّ أَدْخِلْنى مُدْخَلَ صِدْقٍ ، وأخرجنى مُخْرَجَ صِدْقٍ ، واجْعَلْ لى من لَدُنْكَ سُلْطَانَاً نَصِيراً) وهؤلاء نزلن عليه فى رَجْعَتِه من تَبُوكَ[1] .

إبطاء أبي ذر :

فصل : وذكر أباذَرٍّ الغِفَارى ، وإبطاءَه . واسْمُه : جُنْدُبُ بن جُنَادَةَ ، هذا أصح ماقيل فيه ، وقد قيل فيه : بَرِيرُ بن عِشْرِقَةَ ، وجُنْدُب بن عَبْد الله ، وابن السكن[2] أيضاً .

وقول النبى صلى الله عليه وسلم : كُنْ أبا ذَرٍّ ، وفى أبى خَيْثَمَةَ : كن أبا خَيْثَمَةَ ، لفظُه لفظُ الأمرِ ، ومعناه الدعاء ، كما تقول : أَسْلِمْ سَلَّمَكَ اللهُ .

إعراب كلمة وحده :

وقوله فى أبى ذَرٍّ : رحم الله أبا ذَرٍّ يمشى وَحْدَه ، ويموت وَحْدَه[3] ،

---

(١) عن ابن عباس قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم بمكة ، ثم أمر بالهجرة فأنزل الله هذه الآية . رواه أحمد وقال الترمذى : حسن صحيح .

(٢) فى الإصابة : ابن سكن ، وقيل فى اسمه برير بالتصغير . ونسبه كما ورد فى الإمتاع للمقريزى بعد جنادة : ابن قيس بن عمرو بن خليل بن صعير بن حرام بن غفار ، وفى الإصابة : وقيل اسمه هو السكن بن جنادة بن قيس بن بياض، الخ كما ورد فى الإمتاع .

(٣) يقول ابن حجر فى الإصابة : عن سند قصة ابن إسحاق فهذا ، سند ضعيف .

رفع المسهم

. . . .

أى : يموت منفرداً ، وأكثر ما تستعمل هذه الحالُ لنفى الاشتراك فى الفعل نحو كلمنى زيدٌ وحده ، أى : منفرداً بهذا الفعل ، وإن كان حاضراً معه غيره ، أى : كلمنى خصوصاً ، وكذلك لو قلت : كلمته من بينهم وَحْدَه ، كان معناه خصوصاً كما قرره سيبويه ، وأما الذى فى الحديث ، فلا يتقدَّر هذا التقدير ، لأنه من المحال أن يموت خصوصاً ، وإنما معناه : مُنْفَرِداً بذاته ، أى : على حِدَتِه ، كما قال يونُس ، فقول يونُسَ صالحٌ فى هذا الموطنِ ، وتقدير سيبويه له بالخصوص يصلُح أن يُحْمَل عليه فى أكثرِ المواطن ، وإنما لم يتعرف وَحْدَه بالإضافة،لأنَّ معناه كمعنى لاغير ، ولأنها كلمة تُنْبِىء عن نَفْى وعَدَم ، والعَدَمُ ليس بشىء فضلا عن أن يكون مُتَعَرِّفاً مُتَعَيِّناً بالإضافة ، وإنما لم يُشْتَق منه فِعْلٌ ، وإن كان مصدراً فى الظاهر لما قدمناه من أنه لفظ ينبىء عن عَدَمٍ ونَفْىٍ ، والفعلُ يدل على حَدَثٍ وزمانٍ ، فكيف يشتق من شىء ليس بحدث إنما هو عبارة عن انتفاء الحَدَثِ عن كل أحد إلا عن زيد ، مثلا إذا قلت : جاءنى زيد وَحْدَه ؛ أى : لم يجىء غيره ، وإنما يقال : انعدم وانتفى بعد الوجود لاقَبْلَه ، لأنه أمر مُتَجَدِّد كالحَدَثِ ، وقد أطْنَبْنا فى هذا الغرضِ ، وردناه بياناً فى مَسْأَلةَ سبحان الله وبحمده وشرحها .

أجأ وسلمى :

فصل : وذكر الرجل الذى طرحته الريح بجَبَلَىْ طَيِّء ، وهما أجأ وسَلْمَى وعُرِف أجأ بأجأ بن عبد الحَىِّ كان صُلِب فى ذلك الجَبَل ، وسَلْمَى صُلِبَتْ

. . . .

فى الجَبَلِ الآخر ، فعرف بها ، وهى سَلْمَى بنت حامٍ فيما ذكر والله أعلم[١] .

أكيدر والكتاب الذى أرسل إليه :

فصل : وذكر كتابه لأُكَيْدِرِ دُومَة . ودُومة بضم الدال هى هذه ، وعرفت بدُومِي[٢] بن إسماعيل فيما ذكروا ، وهى دُومةُ الجَنْدَلِ ، ودُومة بالضم أُخْرَى ، وهى عند الحِيَرة ، ويقال لما حولها النَّجَف ، وأما دَوْمَة بالفَتْح فأخرى مذكورة فى أخْبار الرِّدَّة[٣] .

وذكر أنه كتب لأُكَيْدِرِ دُومَة كتاباً فيه عهدٌ وأمانٌ ، قال أبو عبيد : أنا قرأته ، أتانى به شيخٌ هنالك فى قَضِيم ، والقضِيم الصَّحِيفَةُ ، وإذا فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم من مُحَمَّدٍ رسولِ الله لأُكَيْدِرِ حين أجاب إلى الإسلام ، وخلع الأنداد والأصنام مع خالِدِ بن الوليد سيفِ الله فى دُومَة الجَنْدَلِ وأكنافها ، إن لنا الضَّاحِيَةَ من الضَّحْلِ والبُورَ والمَعَامِيَ ، وأغفالَ الأرْضِ والحَلْقَةَ والسِّلاح والحافِرَ والحِصْنَ ولكم الضَّامِنة من النَّخل والمعين من المَعْمُور لا تُعْدَلُ سارِحَتُكم ، ولا تُعَدُّ فارِدَتُكم ولا يُحْظَرُ عليكم النباتُ ، تقيمون الصلاةَ لوقتها ، وتُؤْتُون الزَّكَاة بحقِّها ، عليكم بذلك عهدُ الله

---

(١) أنظر معجم البكرى مادة أجأ وسلمى .

(٢) ويطلق عليه أيضاً : دومان .

(٣) أنظر البكرى فى دومة . فهو يقول عن دومة بفتح الدال موضع بين الشام والموصل ، وهى من منازل جذيمة الأبرش . ودومة الكوفة بضم الدال هى النجف بعينه .

رفع المسهم

. . . .

والميثاق ، ولكم بذلك الصدقُ والوفاء . شهد الله ، ومَنْ حَضَر من المسلمين »
الضَّاحِيةُ : أطرافُ الأَرْضِ ،والمَعَامِي:مجهولها،وأغفال الأرض: مالا أثر لهم فيه من عمارة أو نحوها ، والضَّامِنة من النَّخْل : ما داخل بَلَدِهم ، ولا يُحْظَرُ عليكم النباتُ ،أى لا تمنعون من الرَّعْى حيث شئتم ، ولا تُعْدَلُ سارِحَتُكم ، أى لا تُحشر إلى المُصَدِّق[1] وإنما أَخَذَ منهم بعض هذه الأرضين مع الحَلْقَة ، وهى السلاحُ ، ولم يَفْعَل ذلك مع أهل الطائف حين جاءوا تائبين ، لأن هؤلاء ظهر عليهم وأخذ مَلِكهم أسيراً ، ولكنه أبقى لهم من أموالهم ما تضمَّنه الكتابُ ، لأنه لم يقاتلهم ، حتى يأخذهم عَنْوَةً كما أخذ خَيْبَر ، فلو كان الأمرُ كذلك لكانت أموالُهم كلُّها للمسلمين ، وكان له الخيارُ فى رقابهم كما تقدم ولو جاءوا إليه تائبين أيضاً قبل الخُروج إليهم ، كما فعلت ثَقِيفُ ما أَخَذَ من أموالهم شيئاً .

الكتاب إلى هرقل :

ولم يذكر ابن إسحاق فى غزوة تَبُوك ما كان من أمر هِرَقْلٍ ، فإن النبىَّ صلى الله عليه وسلم ـ كتب إليه من تبوك مع دِحْيَةَ بن خَلِيفَةَ ، ونصه مذكور فى الصِّحاح مشهور ، فأمر هِرَقْلُ مُنادياً ينادى : ألا إن هِرَقْلَ قد آمن بمحمد واتَّبعه ، فدخلت الأجنادُ فى سلاحها ، وأطافت بقصره تريد قتله ،

(١) لا تعدل سارحتكم فسرها صاحب النهاية بقوله : لا تصرف ماشيتكم عن مرعاها . والفادرة : الزائدة على الفريضة ، أى : لا تضم إلى غيرها ، فتعد معها ، وتحسب .

رفع المسهم

فأرسل إليهم : إنى أردت أن أختبرَ صلابتَكم فى دينكم ، فقد رَضِيت عنكم فرَضُوا عنه ، ثم كتب كتاباً ، وأرسله مع دِحْيَة يقول فيه للنبى – صلى الله عليه وسلم – إنى مُسْلِمٌ ، ولكنى مَغْلوبٌ على أمرى ، وأرسل إليه بهدية . فلما قرأ النبىُّ صلى الله عليه وسلم كتابه ، قال : كذب عدو الله ليس بمسلم ، بل هو على نَصرَانِيَّته .

موقفه صلى الله عليه وسلم من بعض الهدايا :

وقبل هديته ، وقسمها بين المسلمين ، وكان لا يقبل هدية مُشْرِكٍ مُحَارِب ، وإنما قبل هذه لأنها فَىْءٌ للمسلمين ، ولذلك قسمها عليهم ، ولو أتته فى بيته كانت له خالصة ، كما كانت هدية الْمُقَوْقِس خالصةً له ، وقَبِلها من الْمُقَوْقِس ؛ لأنه لم يكن مُحارباً للإسلام ، بل كان قد أظهر الميل إلى الدخول فى الدين ، وقد رد هدية أبى بَرَاء مُلَاعِبِ الأسِنَّةِ ، وكان أهْدَى إليه فَرَساً ، وأرسل إليه : إنى قد أصابنى وَجَعٌ أحسبه قال : يقال له : الدُّبَيْلَة[1] ، فابْعَثْ إلىَّ بِشَىْءٍ أتداوى به ، فأرسل إليه النبىُّ – صلى الله عليه وسلم – بِعُكَّةِ عَسَلٍ[2] ، وأمره أن يَسْتَشْفِىَ به وردَّ عليه هديته ، وقال : إنى نُهِيتُ عن زبد المشركين ، وبعضُ أهل الحديث ينسب هذا الخبر لعامر بن الطُّفَيْل عَدُوِّ الله ، وإنما هو

(١) الدبيلة : خراج ودمل كبير تظهر فى الجوف ، فتقتل صاحبها غالباً .

(٢) العكة من السمن أو العسل هى وعاء من جلود مستدير يختص بهما . وهو بالسمن أخص .

عَمُّه عامرُ بنُ مَالِكٍ . وقوله عليه السلام عن زَبْدِ[1] المشركين ، ولم يقل : عن هديتهم يدل على أنه إنما كره مُلَايَنَتَهُمْ ومُدَاهَنَتَهُم ، إذا كانوا حَرْبًا ، لأن الزَّبْدَ مُشْتَقٌ من الزُّبْد ، كما أن المُدَاهَنَة مُشْتَقَّةٌ من الدُّهْنِ ، فعاد المعنى إلى معنى اللِّين والمُلَايَنَةِ ، ووجود الجد فى حَرْبِهم والمُخَاشَنة . وقد رَدَّ هَدِية عياضِ بن حَمَّاد المُجَاشِعى قبل أن يُسْلِم ، وفيها قال : إنى نُهِيتُ عن زَبْدِ المشركين . وأهدى إلى أبى سفيان عَجْوَةً واسْتَهْدَاه أدمًا فأهداه أبو سفيان وهو على شِرْكه الأدم ، وذلك فى زمن الْهُدْنَةِ التى كانت بينه وبين المسلمين فى صُلْح الْحُدَيْبِيَةَ ، وقد روى أن هِرَقْلَ وضع كتاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الذى كتب إليه فى قَصَبَةٍ من ذَهَبٍ تعظيما له ، وأنهم لم يزالوا يتوراثونه كابرًا عن كابر فى أرفع صِوانٍ ، وأعَزِّ مكان حتى كان عند «إذفونش»[2] الذى تَغَلَّب على طُلَيْطُلَةَ ، وما أخذ أخذها من بِلَاد الأندلس ، ثم كان عند ابن بنته المعروف « بالسليطين » حدثنى بعض أصحابنا أنه حدثه من سأله رؤيته من قواد أجنادِ المسلمين كان يعرف بعبد الملك بن سعيد ، قال : فأخرجه إلىَّ فاستَعْبَرْتُهُ وأردت تقبيله ، وأخذه بيدى ، فمنعنى من ذلك صِيانَةً له وضَنًّا به عَلَىَّ . ويقال : هِرَقْل وهِرْقِل .

حول قصة البكائين :

فصل : وذكر البَكَّائين ، وذكر فيهم عُلْبَةَ بن زَيْدٍ ، وفى رواية يونس

---

(١) زبد : عطاء .

(٢) يقصد : ألفونس بن فرديناند الذى استولى على طليطلة سنة ١٠٨٥ م .

. . . .

أن عُلْبَةَ خرج من الليل فصلى ما شاء الله ، ثم بكى ، وقال : « اللهم إنك قد أمرت بالجهاد ، ورغّبت فيه ، ثم لم تجعل عندى ، ما أتقوّى به مع رسولك ولم تجعل فى يد رسولك مايحملنى عليه ، وإنى أتصدق على كُلِّ مُسْلِم بكل مَظْلَمَةٍ أصابنى بها فى مالٍ أو جسدٍ أو عِرْضٍ » ثم أصبح مع الناس ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : أين المُتصدِّق فى هذه الليلة ؟ لم يقم أحد ، ثم قال أين المتصدق فى هذه الليلة فليَقُمْ ، ولا يَتزاهَدْ ماصنع هذه الليلة ، فقام إليه ، فأخبره ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أبْشِرْ فوالذى نفسُ محمد بيدِه ، لقد كُتِب فى الزكاة المتقبَّلة . وأما سالم بن عُمَيْرٍ وعبد الله بن المغفَّل ، فرآهما يامِينَ بن كَعْبٍ يبكيان ، فزودهما ، وحملهما ، فلحقا بالنبى صلى الله عليه وسلم .

معنى كلمة حسّ :

فصل : وقوله خَبَراً عن أبى رُهْم : أصابت رِجْلى رجلَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ورجلُه فى الغَرْز(1) فما استيقظتُ إلاَّ بقوله : حَسِّ . الغَرْزُ للرَّحْلِ كالرِّكاب للسَّرْج ، وحَسِّ : كلمةٌ تقولها العربُ عند وجود الألم ، وفى الحديث أن طَلْحَةَ لما أصيبت يدُه يوم أُحُدٍ ، قال : حَسْ ، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - لو أنه قال : بِسْم الله ، يعنى مكانَ حَسّ ، لدخل الجنّة والناسُ ينظرون ، أو كَلَاماً هذا معناه ، وليست حَسِّ باسْمٍ ولا بفِعْلٍ ، إنها لا مَوْضِعَ لها من

---

(1) يحكى الكلام بمعناه لا بنصه .

. . . .

الإعراب ، وليست بمنزلة صَهْ ، ومَهْ ، ورُوَيْد ، لأن تلك أسماء سُمِّي الفعل بها ، وإنما حَسِ[1] صوتٌ كالأنين الذى يخرجه المتألم نحو آه ، ونحو قول الغُراب : غَاقِ ، وقد ذكرنا قبل فى أفٍّ وجهين ، أحدهما : أن تكون من باب الأصوات مَبْنِيَّة ، كأنه يحكى بها صوت النَّفخ ، والثانى أن يكون مَعْرِفَة مثل تَبًّا يُراد بها الوَسَخ[2] .

وقوله : السُّودُ الثِّطاط[3] جمع : ثَطٍّ ، وهو الذى لا لِحْيَةَ له . قال الشاعر :

كهامَةِ الشيخ اليمَانى الثَّطِّ[4]

ونحو منه : السِّنَاط ، ومن المحدِّثين مَنْ يرويه : الشُّطَاط ، وأحْسَبُه تصحيفاً .

وقوله : بشبكة شَدَخٍ[5] موضعٌ من بلاد غِفَارٍ .

---

(١) تقال بفتح الحاء وكسر السين وبدون تنوين ، وتقول : ضرب فما قال حس ولا بس بالجر والتنوين ، ومن العرب من يجر ولا ينون ، ومنهم من يكسر حاء حس وباء بس .

(٢) فيها عشرة أوجه أفٌّ له بفتح الفاء وتشديدها وبكسرها وبضمها كل هذا بدون تنوين ثم بنصبها وكسرها وضمها مع التنوين ، ثم أفى بإمالة الفاء المشددة إلى الكسر ، ثم أفى بوزن كبرى ثم أفة بتشديد الفاء ، وأف بإسكان الفاء .

(٣) فى السيرة : الحمر الطوال الثطاط أم السود فقال عنهم : الجعاد القصار والثط أيضاً : ثقيل البطن بطىء . أو القليل شعر الحاجبين .

(٤) هو لأبى النجم الفضل بن قدامة بن عبيد الله العجلى . وفى اللسان : كهامة .

(٥) فى الأصل : شرخ ، والتصويب من معجم البكرى .

. . . .

أصحاب مسجد الضرار:

فصل: وذكر المنافقين الذين اتخذوا مسجداً ضِراراً.

وذكر فيهم جارية بن عامر، وكان يُعْرَف بحمارِ الدار، وهو جارية ابن عامر بن مُجَمِّع بن العَطَّاف.

وذكر فيهم ابنَه مُجَمِّعاً، وكان إذ ذاك غلاماً حَدَثاً قد جمع القرآن فقدموه إماماً لهم، وهو لا يعلم بشيء من شأنِهم، وقد ذكر أن عمر بن الخطَّاب في أيامه أراد عَزْله عن الإمامة، وقال: أليس بإمام مسجد الضِّرارِ، فأقسم له مُجَمِّع أنه ما علم شيئاً من أمرهم، وما ظن إلا الخير، فصدقه عُمَرُ، وأقرّه، وكانت مساجدُ المدينة تسعةً سوى مسجدِ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كلهم يصلون بأذان بِلالٍ، كذلك قال بكير بن عبد الله الأشجّ فيما روى عنه أبو داود في مَراسِيله، والدَّارَقُطْنِي في سُنَنِه، فمنها مَسْجِدُ راتِج[1]، ومَسْجد بني عبد الأشهَل، ومسجد بني عَمْرو بن مَبْذول، ومسجد جُهَيْنَة وأسْلَم، وأحسبه قال: ومسجد بني سَلمة، وسائرها مذكور في السُّنَنِ، وذكر ابن إسحاق في المساجد التي في الطريق مسجداً بذي الخَيفَةِ، كذا وقع في كتاب أبي بَحْرٍ بالخاء مُعْجَمَة، ووقع الجِيفَة بالجيم في كتاب قُرِىء على ابن أبي سراج، وابن الإفْلِيلي وأحمد ابن خالد.

---

(١) في معجم البكري عن راتج: موضع تلقاء المدينة، كان ينزله بعض الأنصار، وفي المراصد: أطم من آطام اليهود بالمدينة، وتسمى الناحية به.

رفع المسـاهم

عن الثلاثة الذين خلفوا :

فصل : وذكر الثلاثة الذين خُلِّفوا ، ونَهْى الناس عن كلامهم ، وإنما اشتد غضبُه على مَنْ تخلّفَ عنه ونَزَلَ فيهم من الوعيد ما نَزَلَ حتى تاب الله على الثلاثة منهم ، وإن كان الجهادُ من فُروض الكِفاية ، لا من فروض الأعيانِ ، لكنه فى حَقّ الأنصار خاصّةً كان فرضَ عَيْنٍ ، وعليه بايعوا النبىّ صلى الله عليه وسلم ، ألا تَرَاهم يقولون يوم الخندقِ ، وهم يَرْتَجِزُون :

نحن الذين بايعـــوا مُحَمَّداً على الجِهادِ ما بَقِينا أبداً

ومَنْ تخلف منهم يوم بدر إنما تخلف ، لأنهم خرجوا لأَخْذِ عيرٍ ، ولم يظنوا أنْ سيكون قتالٌ ، فكذلك كان تخلفهم عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فى هـذه الغَزاةِ كبيرةً لأنها كالنَكث لِبَيْعَتِهم ، كذلك قال ابن بَطّال رحمه الله فى هذه المسألة : ولا أعرف لها وجهاً غير الذى قال ، وأما الثلاثة فهم كَعْبُ بن مالك بن أبى كعب ، واسم أبى كعب عَمْرُو بن القَيْنِ بن كَعْب ابن سَوَاد بن غَنْم بن كَعْبِ بن سَلِمَةَ بن سَعْد بن عَلِىّ بن أسَد بن سارِدَةَ ابن يَزِيدَ بن جُشَم بن الخَزْرَج الأنصارى السَّلَمِى، يكنى : أبا عبدالله ، وقيل : أبا عبد الرحمن ، [وقيل : أبا بشير] أمه : ليلى بنت زَيْد بن ثَعْلَبَةَ من بنى سَلِمَةَ أيضاً ، وهلال بن أميـة ، وهو من بنى واقف ، ومُرَارة بن رَبِيعة ، ويقال ابن الرَّبيع العَمْرِى الأنصارى من بنى عُمَر بن عَوْف .

زاح عنى الباطل :

فصل : وذكر قول كعب : زاح عنى الباطل ، يقال : زاح وانْزَاح : إذا ذَهَبَ ، والمصدر زُيُوحًا وزَيَحَانًا ، إحداهما عن الأصمعى ، والأخرى عن الكسائى .

وقوله : فقام إلىّ طلحةُ بن عُبَيْد الله يُهَنِّئنى ، فكان كعبٌ يَرَاها له ، فيه : جواز السرور بالقيام إلى الرجل كما سر كعب بقيام طلحة إليه ، وقد قال عليه السلام فى خَبَرِ سعد بن مُعاذ : قوموا إلى سيِّدكم ، وقام هو صلى الله عليه وسلم إلى قوم ، منهم : صَفْوَانُ بن أُمَيَّةَ حين قدم عليه ، وإلى عدى بن حاتِم ، وإلى زيد بن حارثة حين قدم عليه من مكة وغيرهم ، وليس هذا بمعارضٍ لحديث معاوية عنه — صلى الله عليه وسلم — أنه قال : « مَنْ سَرَّه أن يَمْثُل له الرجالُ قِياماً فليَتَبَوَّأْ مَقْعَده من النار » ويروى : يَسْتَجِمُّ له الرجالُ[1] ؛ لأن هذا الوعيد إنما توجَّه للمُتَكَبِّرِين ، وإلى مَنْ يَغْضَب ، أو يَسْخَطُ ألا يُقَامَ له ، وقد قال بعضُ السَّلَفِ : يقام إلى الوالد برًّا به ، وإلى الولدِ سُرُوراً به ، وصدق هذا القائل ، فإن فاطمة رضى الله عنها كانت تقوم إلى أبيها صلى الله عليه وسلم برًّا به ، وكان هو صلى الله عليه وسلم يقوم إليها سُرُوراً بها رضى الله عنها ، وكذلك كل قيام أثمره الحبُّ فى الله ، والسرور بأخيك بنعمة الله ، والبر بمن يحب برَّه فى الله تبارك وتعالى ، فإنه خارج عن حديث النهى والله أعلم .

(١) يجتمعون له فى القيام . والحديث كما قال السيوطى : رواه أحمد فى مسنده والترمذى وأبو داود .

. . . . : . , .

إسلام ثقيف

فيه قول النبي صلى الله عليه وسلم في عُرْوَةَ بن مَسْعُودٍ حين قُتِل : مثله كمثل صاحبِ ياسين في قومه ، يحتمل قوله صلى الله عليه وسلم ، كمثل صاحب ياسين أن يريد به المذكور في سورة ياسين ، الذي قال لقومه (اتَّبِعوا المرسلين) فقتله قومُه ، واسمه حَبِيبُ بن مُرِّى ، ويحتمل أن يريد صاحب إلياسَ ، وهو الْيَسَع ، فإن إلياس يقال في اسمه : ياسين أيضاً ، وقال الطبرى : هو إلياس بن ياسِين ، وفيه قال الله تبارك وتعالى : ﴿ سَلامٌ على إلْ ياسِين ﴾ الصافات : ١٣٠ فالله أعلم . وقد بينا في التعريف والإعلام معنى إلياس وإلْياسِين وآلِ ياسِين بياناً شافياً ، وأوضحنا خطأ قول من قال إن إلْياسِين جمع كالأشعَرِين ، وضعف قول من قال : إن ياسين هو محمد صلى الله عليه وسلم ، فلْيُنْظر هنالك .

زوج عروة :

وكانت تحت عُرْوَةَ مَيْمُونةُ بنت أبي سُفْيان، فولدت له أبا مُرَّةَ بن عُرْوَةَ ، وبنت أبي مُرَّةَ هي : ليلى امرأة الحسين بن عَلِيّ عليهما السلام ولدت للحُسَيْنِ عَلِيًّا الأكبر قتل معه بالطَّفِّ[1] ، وأما عليٌّ الأصغرُ فلم يُقْتَل معه ، وأُمُّه : أم وَلَدٍ ، واسمها سُلافةُ ، وهي بنت كِسْرَى بن يَزْدَجِرْدَ ، وأختها الغَزَالُ هي أم أبي بَكْرِ بن عبدِ الرحمن بن الحارثِ بن هِشَام .

---

(١) الطف : أرض من ضاحية الكوفة في طرف البرية « المراصد » .

. . . .

حول هدم اللات :

فصل : وذكر إسلام ثقيف وهدم طاغيتهم ، وهى اللَّات ، وأن المُغيرةَ وأبا سُفيانَ هما اللذان هَدَمَاها وذكر بعض مَنْ ألَّف فى السِّيَر أن المغيرة قال لأبى سفيان، حين هدمها : ألا أُضحِكَكَ من ثقيف ؟ فقال : بَلَى ، فأخذ المِعْوَلَ ، وضرب به اللاتَ ضَرْبة ، ثم صاح وخَرَّ على وجهه ، فلَوْ ضجَّتْ الطائفُ بالصِّياح سُروراً بأن اللَّاتَ قد صَرَعَت المغيرةَ ، وأقبلوا يقولون : كيف رأيتها يامُغيرةُ دُونَكَها إن استطَعْتَ ، ألم تعلَمْ أنها تُهلك مَنْ عاداها ، ويحكُمْ ألا تَرَوْنَ ماتَصْنَع ؟ فقام المغيرةُ يضحك منهم ، ويقول لهم : ياخُبثاء والله ماقَصَدْتُ إلاَّ أُلهزأ بكم ، ثم أقبل على هَدْمِها ، حتى استأصلها ، وأقبلت عجائزُ ثقيفٍ تَبكِي حَوْلها ، وتقول : أسْلَمها الرُّضَّاعُ ، إذْ كَرِهُوا المِصاع ، أى أسلمها اللِّئامُ حين كَرِهوا القِتال .

فقه حديث كتاب النبي لثقيف :

فصل : وذكر كتابه صلى الله عليه وسلم لثقيف ، وذكره أبو عبيد كما ذكره ابن إسحاق ، وذكر فيه شهادة عَلِىٍّ وابنيه الحَسَنِ والحُسَيْنِ ، قال : وفيه من الفقه شهادة الصِّبيان ، وكتابة أسمائهم قبل البُلوع ، وإنما تُقبَل شهادتُهم إذا أدَّوْها بعد البُلوغ ، وفيه من الفِقه أيضاً شهادةُ الابن مع شَهادَةِ أبيه فى عقد واحد .

وذكر فى الكتاب : وَجًّا ، وأنه حَرَامٌ عِضَاهُهُ وشَجَرُه ، يعنى حَرَاماً على

غير أهله كتحريم المدينةِ ومكة . وَوَجٌّ هى أرض الطائف ، وهى التى جاء فيها الحديثُ : إنّ آخر وَطأة وطِئها الرّبُّ بِوَجّ ، ومعناها عند بعضهم : آخر غزوةٍ ووقعةٍ كانت بأرض العرب بوَجّ ، لأنها آخرُ غزَوَاته ـ صلى الله عليه وسلم إلى العرب ، وقد قيل فى معنى الحديث غير هذا ، مما ذكره القُتَبِىُّ ، ونحن نضرب عن ذكره ، لما فيه من إبهام التشبيه ، والله المُستعانُ .

وج :

وقد قيل فى وَجّ هى الطائفُ نفسُها ، وقيل : هو اسمٌ لوادٍ بها ، ويشْهَد لهذا القول قول أُمَيّةَ بن الأسكَرِ :

إذا يَبْكِى الحمامُ ببطنِ وَجّ   على بيضاته بَكَيا كِلَابا(1)

وقال آخر(2) :

أتُهْدِى لى الوعيدَ بِبطْنِ وَجّ   كأنى لا أراكَ ولا تَرَانِى

وقد ألفيتُ فى نسخة الشيخ وجا بتخفيف الجيم والصواب تشديدها كما تقدم

وقال أُميةُ بن أبى الصَّلْتِ :

---

(1) أول القصيدة :

لمن شيخان قد نشدا كلابا   كتاب الله إن رقب الكتابا

والبيت الذى فى الروض ثالث بيت فى القصيدة وروايته فى الأمالى :

إذا هتفت حمامة بطن واد   على بيضاتها دعوا كلابا

والشعر خبر طريف فى الأمالى ص ١٠٨ ذيل الأمالى ط. ٢ .

(2) نسبه البكرى فى معجمه للنابغة الذبيانى .

إن وَجًّا وما يلى بطْنَ وَجٍّ دارُ قومى بِرَبْوَةٍ وزُرتوقِ(١)

وسُمّيت وَجًّا فيما ذكروا بِوَجّ بن عَبْدِ الحَىّ من العَمالِقة(٢)، ويقال: وَجّ، وأجّ بالهمزة، قاله يعقوب فى كتاب الإبدال، وكتابه صلى الله عليه وسلم لأهل الطائف أطول مما ذكره ابن إسحاق بكثير، وقد أورده أبو عبيد بكماله فى كتاب الأموال.

إنزال سورة براءة

كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين قَدِم من تَبُوك، فذكر مُخالَطَة المشركين للناس فى حَجّهم، وتَلْبِيَتَهم بالشِّرْك وطوافَهم عُرَاةً بالبيت، وكانوا يقصدون بذلك أن يَطُوفوا كما وُلِدوا بغير الثياب التى أذنبوا فيها، وظَلَموا، فأمْسَكَ - صلى الله عليه وسلم - عن الحَجّ فى ذلك العام، وبعث أبا بكر - رضى الله عنه - بسورة براءةَ لِيَنْبِذَ إلى كل ذى عهد عهدَه من المشركين إلاَّ بعضَ بنى بَكْر الذين كان لهم عهدٌ إلى أجل خاصّ، ثم أردف بعلىٍّ رضى الله عنــه، فرجع أبو بكر للنبى صلى الله عليه وسلم، وقال: يارسول الله هل أُنْزِلَ فىَّ قرآنٌ؟ قال: لا، ولـكن أردت أن يبلغَ عنى مَنْ هُو من أهل بَيْتى، قال أبو هريرة: فأمَرَنِى علىٌّ - رضى الله عنه - أنْ

---

(١) فى الأصل: ربوة ورثوق، والتصويب من معجم البكرى وفيه أيضاً: جريدة بدلا من بربوة.

(٢) فى معجم البكرى.

رفع المسهم

. . . .

أطوفَ في المنازل مِنْ منًى ببَرَاءة ، فكنت أصيح حتى صَحَلَ حَلْقي ، فقيل له : بم كنت تنادي ؟ فقال : بأربع : ألّا يدخلَ الجنةَ إلّا مؤمنٌ ، وألّا يَحُجَّ بعد هذا العام مُشْرِكٌ ، وألّا يَطُوفَ بالبيت عُرْيَانٌ(١) ، ومن كان له عَهْدٌ ، فله أجلُ أربعة أشهر ثم لا عَهْدَ له ، وكان المشركون إذا سمعوا النداء ببراءةَ يقولون لعليّ : سَتَرَوْنَ بعد الأرْبَعةِ أشْهر ، بأنه لا عَهْدَ بيننا وبين ابنِ عَمك إلا الطَّعْن والضرب ، ثم إن الناسَ في ذلك المدة رَغِبوا في الإسلام حتى دخلوا فيه طَوْعًا وكَرْهًا ، وحج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في العام القابل ، وحَجَّ

---

(١) أصل الحديث في البخاري ومسلم وأبي داود والنسائي . أما الإرداف بعلي وقول أبي بكر : يا رسول الله نزل في شيء ؟ قال : لا الحديث فقد رواه أحمد والطبري . ويقول الطحاوي في مشكل الآثار : وهذا مشكل ، لأن الأخبار في هذه القصة تدل على أنه (صلى الله عليه وسلم) كان بعث أبا بكر بذلك ، ثم أتبعه علياً ، فأمره أن يؤذن ، فكيف يبعث أبو بكر أبا هريرة ومن معه بالتأذين مع صرف الأمر عنه في ذلك إلى علي ، ثم أجاب بما حاصله : إن أبا بكر كان الأمير على الناس في تلك الحجة ، وكان علي هو المأمور بالتأذين بذلك ، وكان علياً لم يطق التأذين بذلك وحده ، واحتاج إلى معين ، فأرسل أبو بكر أبا هريرة وغيره ليساعدوه ، ص ٩٠ ج ٣ المواهب ، وقد روى الطبري عن محمد بن كعب أنه أمر أن يؤذن ببضع وثلاثين آية منتهاها : ولو كره المشركون ، وقيل : بأربعين ولقد قيل : كيف يؤمر بالتأذين ببراءة ، ثم يؤذن بمثل ما ذكره ؟ وقد أجيب بأنه أمر أن يؤذن ببراءة ، ومن جملة ما اشتملت عليه ألا يحج بعد هذا العام مشرك من قوله سبحانه : (إنما المشركون نجس) . الآية ويحتمل أن يكون قد أمر بأن يؤذن ببراءة وبما ذكر . والرابعة التي أذن بها وهي قوله : ومن كان بينه وبين رسول الله عهد فعهده إلى مدته وردت في رواية لأحمد والترمذي . وزاد الطبري من حديث علي : ومن لم يكن له عهد فأربعة أشهر .

. . . .

المسلمون ، وقد عاد الدينُ كلُّه واحداً لله رَبِّ العالمين .

وأما النداء فى أيام التَّشْرِيقِ بأنها أيامُ أكل وشُرْبٍ،وفى بعض الروايات أكل وشُرب وبعال(1) ، فإن الذى أمر أن ينادى بذلك فى أيام التشريق هو كَعْب بن مالك وأوْس بن الحَدَثانِ ، وفى الصحيح أن زَيْد بن مِرْبَع ويقال فيه أيضاً : عبد الله بن مِرْبَع كان ممن أُمِر أن ينادِي بذلك ، وروى مثل ذلك عن بِشْرِ بن سُحَيْم الغِفَارِيّ ، وقد رُوى أن حُذَيْفَةَ كان المنادِي بذلك ، وعن سعـــد بن أبى وقاص أيضاً ، وبلال، ذكر بعض ذلك البزّار فى مُسْنَده ، وقد قيل فى قوله تعالى : ﴿ فإذا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الحُرُمُ ﴾ إنه أراد ذا الحِجَّةِ والمُحرَّم من ذلك العام ، وأنه جعل ذلك أجَلًا لِمَنْ لاعَهْدَ له من المشركين ، ومن كان له عَهْدٌ جُعِل له أربعةُ أشهر أولُهـا يوم النحر من ذلك العام ، وقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ الحَجِّ الأَكْبَرِ ﴾ قيل : أراد حين الحج ، أى أيام الموسم كلها ، لأن نداء علىّ بن أبى طالب ببراءة كان فى تلك الأيام .

مانزل في سورة براءة :

فصل : وذكر ابن إسحاق ما أنزل الله فى سورة براءة فى غَزْوَةِ تَبُوك ، وأهلُ التفسير يقولون إن آخرها نزل قَبْل أولها ، فإن أول مانزل منها :

﴿ انفِرُوا خِفَافاً وثِقَالًا ﴾ ثم نزل أولُها فى نَبْذِ كُلِّ عَهْدٍ إلى صاحبِه كما تقدم .

---

(1) البعال : مباشرة الرجل زوجته وملاعبتها .

. . . .

وقوله (انفِرُوا خِفَافًا وثِقَالًا) فيه أقوالٌ ، قيل معناه : شُبَّانًا وشُيُوخًا ، وقيل: أغنياء وفقراء ، وقيل أصحاب شُغُل وغير ذِى شَغْلٍ ، وقيل : رُكْبَانًا ورَجَّالَةً .

عن الأجدع بن مالك :

وأنشد شاهداً على أوْضَعُوا خِلَالَكُم للأَجْدَع بن مالك والدِ مَسْروق. ابن الأجدع ، وقد غيَّر عُمر رضى الله عنه اسم الأَجْدَع ، وقال : الأَجْدَعُ : اسمُ شيطانٍ ، فسماه عبدَ الرحمن ويُكْنى مَسْروق أبا عائشة .

وقوله فى البيت: يصطادك الوَحِدَ ، أى : يصطاد بك ، وأراد بالوَحِدِ: الثَّوْر الوَحْشِى .

وقوله : بِشَرِيج بين الشَّدِّ والإيضاع ، يقال :هما شريجان ، أى : مختلفان . وقبل هذا البيت بأبيات فى شعر الأجدع :

أَسَأَلتِنى بركائِبى ورحالِها ونَسِيتِ قَتْلَى فوارسِ الأَرْبَاعِ[1]

وذكره أبو عَلِىّ [القالى] فى الأمالى ، فقال : وسَأَلتِنى[2] بالواو .

(١) كانت امرأته من بنى الحارث فأصاب وقتل من بنى الحصيرة أربعة فقالت له امرأته : أين الإبل والغنيمة؟ فقال البيت المذكور .وروايته فى السمط: أسألتنى بنجائب . وفى السمط من القصيدة سبعة أبيات .راجع ص١٠٩ ، ١٤٦ السمط

(٢) أنظر ص ٢٢ ج١ ط ٢ . وقد نبه على هذا الخطأ البكرى فى كتابه «التنبيه على أوهام أبى على فى أماليه» ص ٣٥ فقال « إنما هو أسألتنى بالهمزة لا بالواو » وهو أول الشعر . بركائب منون لا بركائبى ، لأنها إنما سألته عن إبل القوم =

رفع عبد الرحمن الهجري المسلم

. . . .

وقد خطَّئوه ، وقالوا : إنما هو أَسَألِتِني . وفوارسُ الأرباع قد سماهم أبو على في الأمالى(١) ، وذكر لهم خبراً .

إعطاء الجزية عن يد :

وذكر قوله تعالى : ﴿ حتى يُعْطُوا الجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وهُمْ صَاغِرُون ﴾ وقيل فيه أربعةُ أقوال أيضاً :

أحدها : أن يؤديها الذِّمِّيُّ بنفسه ، ولا يرسلها مع غيره .

الثانى : أن يُؤَدِّيها قائماً ، والذى يأخذها قاعداً .

الثالث : أن معناه: عن قَهْرٍ وإذْلالٍ .

الرابع : أن معناه عَنْ يَدٍ مِنْكُمْ ، أى : إنعام عليهم بحَقْن دمائهم ، وأخْذِ الجِزْيَةِ منهم بَدَلًا من القَتْل ، كل هذه الأقوال مذكورة فى كتب المفسرين ، ولفظ الآية يتناول جميعَ هذه المعانى ، والله أعلم .

ومعنى قوله تعالى : فى هذه الآية ﴿قاتلوا الذين لا يُؤْمِنُون بالله ، ولا باليوم الآخِرِ﴾ وإن كان أهلُ الكتاب يُصدِّقون بالآخِرَة ، فمعناه فيما ذكر ابن سَلاَّم

= وركائبهم ، لاعن ركائب نفسه ، ثم ساق من القصيدة خمسة أبيات . وفوارس الأرباع هم أبناء الحصين ذى الغصة بن يزيد بن شداد الذى رأس بنى الحارث مائة سنة . والأرباع أرض قتلتهم بها همدان

(١) من ولد الحصين كثير بن شهاب بن حصين ولاه معاوية الرى ودستبا ، ومحمد بن زهير بن الحارث بن منصور بن قيس بن كثير » ص ٢٥ تنبيه البكرى «حاشية» .

. . . .

أن أهلَ الكتاب لا يقولون بإعادة الأجْسَادِ ويقولون إن الأرْوَاحَ هى التى تُبْعثَ دون الأجساد[١].

من المعذرين :

وذكر فى المُعذِّرين : خُفَافَ بن إيماء بن رَحْضَةَ ، ويقال فيه : رُحْضَة بالضم ابن خربة[٢] ، وكان له ولأبيه إيماء ، ولجده رَحْضَةَ صحبة . مات خُفَافٌ فى خلافة عُمَر بن الخطاب – رضى الله عنه – وكان إماماً لبنى غِفَارٍ .

وذكر أبا عقيل صاحب الصَّاع[٣] الذى لَمَزَه المنافقون، واسمه جَثْجَاثٌ[٤] وقد قيل فى صاحب الصَّاع إنه رِفَاعَة بن سَهْل[٥].

---

(١) بل لها معنى أوسع من ذلك،فمفهوم للآخرة عندهم لا يعطيهم صفة الإيمان بها ، لأنهم يرون يسوع هو مالك يوم الدين ، بل ويرون مع هذا فى أعماق جهنم ، ويرون القديسين لهم شفعاء ، ويرون أن الجنة لهم وحدهم .. الخ .

(٢) قال فى الإصابة فى ترجمة رحضة والد إيماء وجد خفاف : بفتح أوله وثانيه ثم ضاد معجمة ابن خزيمة الغفارى ، وفى ترجمة خفاف قال : ابن رحضة بفتح الراء المهملة ثم معجمة . وفى ترجمة إيماء قال: ابن رحضة بن خزيمة (حربه) بن خفاف بن حارثة . وقال الحافظ : لا أعرف لأبى عمر مستنداً فى إثبات صحبة رحضة .

(٣) عن أبى مسعود : لما نزلت آية الصدقة ، كنا نحامل على ظهورنا ، فجاء رجل ، فتصدق بشىء كثير فقالوا : مرائى ، وجاء رجل فتصدق بصاع ، فقالوا: إن الله لغنى عن صدقة هذا فنزلت (الذين يلمزون المطوعـــين) الآية رواه البخارى ومسلم .

(٤) ضبط . حثحاث

(٥) فى بعض الروايات أن الذى تصدق بجهده وبصاع تمر هو أبو عقيل أخو=

رفع
المسيرهم

. . . .

قصيدة حسان الميمية :

فصل : وذكر كلمة حسّان المِيمِيّة[1] وفيها :

أَلَسْتُ خَيْرَ مَعَدٍّ كُلِّها نَفَرا

وحسّانُ ليس من مَعَدٍّ ، ولكن أراد : ألست خَيْر الناس ، فأقام مَعَدًّا لكثرتها مقام النَّاسِ .

وفيها :

وناد جِهاراً ولاتَحْتَشِمْ[2]

وفيها رَدٌّ على من زعم أن الحِشْمَةَ لاتكون إلا بمعنى الغَضَب وأنها مِمَّا يضعها الناسُ غير موضعها ، وقد جاء عن ابن عباس : لكل طاعم حِشْمَةٌ ، فابدءوه باليمين ، وفى الحديث المرفوع : لايرْفَعَنَّ أحدُكم يده عن الطعام قبل أكيله ، فإن ذلك مما يَحْشِمُهُ ، وأنشد أبو الفَرَج لمحمد بن يسير ، وإن كان ليس مثل حسّان فى الحجّة :

فى انقِبَاضٍ وحِشْمَةٍ فإذا جالستُ أهل الوَفاء والكَرَمِ
أرسَلْتُ نَفْسِى على سَجِيَّتِها وقلت ماشئت غَيْرَ مُحْتَشِمِ

= بنى أنيف الإراشى حليف بنى عمرو بن عوف ، ويقال عبد الرحمن بن عبد الله ابن تعلبة .

(١) هذا سهو من السهيلى ، فهى فى قصيدته اللامية .

(٢) هذا من قصيدته الميمية . وليست الشطرة هكذا وإنما هى :

« فناد نداء ولا تحتشم »

. . . .

وفيها قوله :

وكانوا مُلوكاً ، ولم يَمْلِكوا   من الدَّهْرِ يوماً كَحلِّ القَسَم (١)

فيه شاهد لما قاله ابن قُتَيْبَةَ فى تفسير كحِلَّة القَسَم ، وخلافه لأبى عبيد ، وقد قدمنا قوليهما فيما تقدم من شرح قصيدة كَعْبِ بن زهير .

وأنشد ابن قُتَيْبَةَ :

إذا عَصَفَتْ ريحٌ فليس بقائم   بها وَتَدٌ إلا تَحِلَّة مُقْسِم

وأنشد أيضاً :

قليلا كتَحْلِيلِ الأَلَى ثم أصبحت

البيت .

وقوله : وعزًّا أشَمّ ، هو كقول العَرَبِ : عِزَّةٌ قَعْساء ، يريد : شَمّاءَ ، لأن الأقْعَسَ الذى يَخرج صدرُه ويدخل ظهره ، وقد فسره المُبَرِّد غير هذا التفسير ، وبيت حَسّانٍ يشهد لما قلناه ، إنما هو الشَّمَمُ الذى يوصف به ذو العِزَّة ، فوصفت العزةُ به مجازاً .

تفسير سورة النصر :

فصل : وذكر سورة : إذا جاء نصرُ الله . وتفسيرُه لها فى الظاهر خلاف

---

(١) رواية البيت مختلفة عما فى السيرة .

. . . .

ماذكره ابن عباس حين سأله عمرُ عن تأويلها ، فأخبره أن الله تعالى أعلم فيها نبيَّه عليه السلام بانقضاء أجله، فقال له عمر : ما أعلم منها إلا ما قلت. وظاهر هذا الكلام يدل على ماقاله ابنُ عباس وعمر ؛ لأن الله تعالى لم يقل : فاشْكُرْ ربَّك ، واحْمدْه ، كما قال ابنُ إسحاق : إنما قال : فَسَبِّح بحمد ربِّك واستغفره، إنه كان توّابا ، فهذا أمرٌ لنبيِّه عليه السلام بالاستعداد للقاء ربِّه تعالى والتوبة إليه ، ومعناها الرجوع عَمَّا كان بسبيله مما أرسل به من إظهار الدين ، إذ قد فرغ من ذلك ، وتم مُرادُه فيه ، فصار جوابُ إذا مِنْ قوله تعالى : ﴿ إذا جاء نصرُ الله والفتحُ . ورأيت الناسَ يَدْخُلون في دين الله أفْواجاً ﴾ مَحْذُوفا. وكثيراً مايجيء في القرآن الجوابُ محذوفا ، والتقدير : إذا جاء نصرُ الله والفتحُ ، فقد انقضى الأَمْرُ ، ودنا الأَجَلُ ، وحان اللقاء ، فسبِّحْ بحمْدِ ربِّكَ واسْتَغْفِرْهُ ، إنه كان توّاباً . ووقع في مُسْنَد البزّار مُبَيَّناً مِنْ قَوْل ابن عَبَّاسٍ فقال : فيه : فقد دنا أجَلُك فسبِّح ، هذا المعنى هو الذي فهمه ابنُ عباس ، وهو حذف جواب إذا ، ولمَّا يُتَنَبَّهْ لهذه النُّكْتةِ حُسِب أن جوابَ إذا في قوله سبحانه : فَسَبِّح ، كما تقول : إذا جاء رمضانُ فصُمْ ، وليس في هذا التأويل من المُشاكَلة لما قبله مافي تأويل ابن عباس فتدبَّرْه ، فقد وافقه عليه عُمَرُ رضي الله عنه ، وحَسْبُك بهما فَهْماً لكتابِ الله تبارك وتعالى ، فالفاء على قول ابن عباس رابطةٌ للأمر بالفعل المحذوف ، وعلى ماظهر لغيره رابطة لجوابِ الشَّرْطِ الذي في إذا .

قدوم وفد بني تميم ونزول سورة الحجرات

رجال الوفد

فقدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وُفود العرب ، فقدم عليه عُطارد ابن حاجب بن زُرارة بن عُدُس التميميّ ، في أشراف بني تميم ، منهم الأقرع ابن حابس التميمي ، والزِّبْرِقان بن بَدْر التميمي ، أحد بني سعد ، وعمرو بن الأهتم ، والحُبْحاب بن يزيد .

شيء عن الحتات

قال ابن هشام : الحتات وهو الذى آخى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين مُعاوية بن أبي سفيان ، وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قد آخَى بين نفَر من أصحابه من المهاجرين : بين أبي بكر وعمر ، وبين عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف ، وبين طلحة بن عُبيد الله والزبير بن العوّام ، وبين أبي ذرّ الغِفاري والمِقداد بن عمرو البَهْراني ، وبين معاوية بن أبي سفيانَ والحُتات بن يزيد المُجاشِعي ؛ فمات الحُتات عند معاوية في خلافته ، فأخذ معاوية ما ترك وِرَاثةً بهذه الأخُوّة ، فقال الفَرَزْدَقُ لمعاوية :

أبوكَ وعمّي يامعاويَ أوْرَثا   تُراثًا فيَحْتاز التُّراثَ أقاربُهْ

فما بالُ ميراثِ الحُتاتِ أكلْتَه   وميراثِ حرْبٍ جامدٌ لك ذائبُهْ

وهذان البيتان في أبيات له .

سائر رجال الوفد

قال ابن إسحاق : وفى وفد بنى تميم : نُعَيم بن يَزيد ، وقَيْس بن الحارث، وقيس بن عاصم ، أخو بنى سعد ، فى وفد عظيم من بنى تميم .

قال ابن هشام : وعطارد بن حاجب ، أحد بنى دارم بن مالك بن حنظلة ابن مالك بن زيد مَناة بن تميم ، والأقرع بن حابس ، أحد بنى دارم بن مالك ، والحتات بن يزيد ، أحد بنى دارم بن مالك ، والزِّبرقان بن بدر ، أحد بنى بهدلة بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، وعمرو بن الأهتم ، أحد بنى مِنْقر بن عُبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة ابن تميم ، وقيس بن عاصم ، أحد بنى منقر بن عُبيد بن الحارث .

قال ابن إسحاق : ومعهم عُيينة بن حِصنِ بن حذيفة بن بدرٍ الفَزاري ، وقد كان الأقرع بن حابس ، وعُيينة بن حصن شهدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة وحُنَيناً والطائف .

صياحهم بالرسول وكلمة عطارد

فلما قدم وفد بنى تميم كانا معهم ، فلما دخل وفد بنى تميم المسجد نادوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم من وراء حُجراته : أن اخرج إلينا يامحمد ، فآذى ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم من صِياحهم ، فخرج إليهم ، فقالوا : يامحمد، جئناك نفاخرك ، فأْذن لشاعرنا وخَطيبنا ، قال : قد أذنت لخطيبكم فليقل ، فقام عُطارد بن حاجب ، فقال :

الحمد لله الذى له علينا الفضل والمنّ ، وهو أهلُه ، الذى جعلنا مُلوكا ، ووهب لنا أموالا عِظاماً ، نفعل فيها المعروف ، وجعلنا أعزّ أهل المشرق وأكثره عدداً ، وأيسره عُدَّة ، فمَنْ مِثلنا فى الناس ؟ ألسنا برءُوس الناس وأولى فضلهم؟ فمن فاخرنا فليعدّد مِثل ماعدّدنا ، وإنا لو نشاء لأكثرنا الكلام، ولكنا نحيا من الإكثار فيما أعطانا ، وإنا نُعرف بذلك .

أقول هذا لأن تأتوا بمثل قولنا ، وأمرٍ أفضلَ من أمرِنا . ثم جلس .

كلمة ثابت فى الرد على عطارد

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لثابت بن قَيْس بن الشماس ، أخى بنى الحارث بن الخزرج : قم ، فأجب الرجل فى خطبته . فقام ثابت ، فقال :

الحمدُ لله الذى السمواتُ والأرض خَلْقُه، قضَى فيهنّ أمرَه ، ووسع كرسيَّه علمُه ولم يك شىء قطّ إلا من فضله ، ثم كان من قُدرته أن جعلنا ملوكا ، واصطفى من خير خلقه رسولا ، أكرمه نسباً ، وأصدقه حديثاً ، وأفضله حسباً ، فأنزل عليه كتابَه وأئتمنه على خلقه ، فكان خيرة الله من العالمين ، ثم دعا الناسَ إلى الإيمان به ، فآمن برسول الله المهاجرون من قومه وذوى رحمه ، أكرمُ الناس حسباً ، وأحسن النّاس وجوهاً ، وخير الناس فِعالا . ثم كان أوّل الخلق إجابة ، واستجاب لله حين دعاهُ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم نحن ، فنحن أنصار الله ووزراء رسوله، نقاتل الناس حتى يؤمنوا بالله ، فمن آمن بالله ورسوله منع منا ماله ودمه ، ومن كفر جاهدناه فى الله أبداً، وكان قتله علينا يسيراً . أقول قولى هذا وأستغفر الله لى وللمؤمنين والمؤمنات، والسلام عليكم.

شعر الزِّبْرِقان فى الفخر بقومه

فقام الزِّبْرِقَان بن بَدْر ، فقال :

نحنُ الكِرَامُ فَلا حَيٌّ يُعادِلُنا ⁂ مِنَّا المُلُوكُ وفينا تُنْصَبُ البِيَعُ
وكَمْ قَسَرْنا منَ الأحْيَاء كُلِّهِم ⁂ عِنْدَ النِّهابِ وفضْلُ العزِّ يُتَّبَع
ونحنُ يُطعِم عند القَحْط مُطْعِمنا ⁂ مِن الشِّواء إذا لم يُؤْنَس القَزَعُ
بما تَرَى النّاسَ تَأتينا سُرَاتُهُم ⁂ من كلِّ أرضٍ هُوِيًّا ثم تَصْطَنِعُ
فَنَنْحَر الكُوم عُبْطاً فى أرُومَتنا ⁂ للنازلين إذا ما أُنْزِلوا شَبِعوا
فلا تَرَانا إلى حَيٍّ نُفاخِرُهُم ⁂ إلا استَفادوا فكانوا الرأسَ يُقتطعُ
فَمَنْ يُفاخِرنا فى ذاكَ نَعرفه ⁂ فَيرْجِعُ القَوْمُ والأخْبارُ تُسْتَمعُ
نَّا أبَيْنا ولا يأبَى لنا أحَدٌ ⁂ إنا كذلكَ عند الفَخْر نرْتَفِعُ

قال ابن هشام : ويروى :

مِنَّا المُلوكُ وفينا تُقسم الرُّبَعُ

ويروى:

مِنْ كلِّ أرْضٍ هَوَانا ثُم نُتَّبَعُ

رواه لى بعض بنى تميم ، وأكثر أهل العلم بالشعر يُنكرها للزبرقان ..

شعر حسان فى الرد على الزبرقان

قال ابن إسحاق : وكان حسَّان غائباً ، فبعث إليه رسولُ الله صلى الله عليه

وسلم. قال حسان : جاءنى رسوله ، فأخبرنى أنه إنما دعانى لأجيبَ شاعر بنى تميم ، فخرجت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أقول :

مَنَعْنا رسول الله إذ حلّ وسْطَنا على أنف راضٍ من مَعَدّ وراغمِ
مَنَعْناهُ لمَا حَلّ بين بُيُوتنا بأسْيافنا مِنْ كلّ باغٍ وظالمِ
بَبَيْتٍ حَريدٍ عِزُّه وثَرَاؤُه بجابيَةِ الجولانِ وَسْطَ الأعاجِمِ
هل المجدُ إلا السُّودَدُ العَوْدُ والنَّــدَى
وجاهُ المُــلوكِ واحتمالُ العَظائمِ

قال : فلما انتهيتُ إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وقام شاعر القوم ، فقال ماقال، عرضت فى قوله ، وقلت على نحو ماقال قال : فلما فرغ الزِّبْرِقَان، قال رسولُ الله صلى الله عليـه وسلم لحسَّان بن ثابت : قم ياحسَّان ، فأجب الرجلَ فيما قال . فقام حسان فقال :

إنّ الذَّوائبَ مِنْ فِهْرٍ وإخوتهم قد بَيَّنُوا سُنَّةً للنَّاسِ تُتَّبَعُ
يَرْضَى بهم كلُّ من كانت سَريرتُه تَقْوَى الإلهِ وكلَّ الخير يَصْطَنِعُ
قومٌ إذا حارَبوا ضرُّوا عدوَّهُمُ أو حاوَلوا النَّفْع فى أشياعهم نَفعوا
سَجيَّــة تلك مِنْهم غيرُ مُحْـدثة إنّ الخلائق فاعلم شرُّها البِــدَعُ
إنْ كان فى النَّاس سبَّاقون بعدَهم فكلّ سَبْق لأدنى سبقهم تَبعُ
لايَرْقع الناس ماأَوْهَتْ أكفُّهُمُ عنـد الدّفاع ولايُوهون مارَقعوا
إن سابَقوا النَّاس يوماً فاز سَبْقُهُمُ أو وَازنوا أهلَ مجدٍ بالندى مَتَعوا

رفع
المسهم
عزالله لطيف الله

أعِفَّةٌ ذُكِرَتْ فى الوَحْى عِفَّتهم ... لا يَطْبَعُونَ ولا يُرْدِيهِم طَمَعُ
لا يَبْخَلُونَ على جارٍ بفَضْلهم ... ولا يَمَسُّهُمُ مِنْ مَطْمَعٍ طَبَعُ
إذا نَصَبْنا لِحَىٍّ لم نَدِبَّ لَهُمْ ... كما يَدُبُّ إلى الوَحْشِيَّة الذَّرَعُ
نَسْمُو إذا الحَرْبُ نالَتْنا مَخالِبُها ... إذا الزَّعانِفُ مِنْ أظْفارها خَشَعُوا
لا يَفْخَرُونَ إذا نالُوا عَدُوَّهم ... وإن أُصِيبُوا فلا خُورٌ ولا هُلُعُ
كأنهم فى الوَغَى والمَوْتُ مُكْتَنِعٌ ... أُسْدٌ بحَلْيَةَ فى أرْساغها فَدَعُ
خُذْ منهُمُ ما أتَى عَفْواً إذا غَضِبُوا ... ولا يكن هَمُّكَ الأمرَ الذى مَنَعُوا
فإنَّ فى حَرْبهم فاتْرُكْ عَداوتَهم ... شَرًّا يُخاضُ عليهِ السَّمُّ والسَّلَعُ
أكْرِمْ بقَوْمٍ رسولُ الله شيعَتُهم ... إذا تفاوَتَت الأهواءُ والشِّيَعُ
أهدَى لهم مِدْحتى قلبٌ يُؤازِرُه ... فيما أُحِبُّ لسانٌ حائِكٌ صَنَعُ
فإنهُم أفضَلُ الأحْياءِ كلِّهِم ... إن جدَّ بالنَّاس جِدُّ القولِ أو شَمَعُوا

قال ابن هشام: أنشدنى أبو زيد:

يَرْضَى بها كلُّ مَن كانت سَرِيرَتُه ... تقْوَى الإلهِ وبالأمرِ الذى شَرَعُوا

شعر آخر للزبرقان

قال ابن هشام: حدثنى بعضُ أهل العلم بالشعر من بنى تميم: أنَّ الزبرقان ابن بدر لمَّا قدم عَلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فى وفد بنى تميم قام فقال:

أتَيْناكَ كيما يَعْلَمَ النَّاسُ فضلَنا ... إذا احتفلوا عند احتضارِ المواسِمِ

بأنا فُرُوعُ النَّاسِ فى كل مَوْطِنٍ ... وأنْ ليس فى أرضِ الحِجازِ كدارمِ

وأنا نَذُود المُعْلِمِينَ إذا انتَخَوْا ... ونضرب رأس الأصْيَدِ المُتفاقِمِ

وأنَّ لنـا المِرْباعَ فى كلِ غارةٍ ... نُغِيرُ بنَجْدٍ أو بأرضِ الأعاجِمِ

شعر آخر لحسان فى الرد على الزبرقان

فقام حسَّان بن ثابت فأجابه ، فقال :

هلِ المجْد إلا السُّودَدُ العَوْدُ والنَّدى ... وجاهُ المُلوكِ واحتمال العظائمِ

نَصَرْنا وآوَيْنا النَّبىَّ محمَّداً ... على أنْف راضٍ من مَعَدٍّ وراغمِ

بحَىٍّ حَرِيدٍ أصلُهُ وثَراؤه ... بجابية الجَوْلانِ وَسْط الأعاجمِ

نَصرْناهُ لما حَلَّ وسْط دِيارِنا ... بأسْيافنا منْ كُل باغٍ وظالمِ

جَعلْنا بَنِينا دُونَه وبَناتنا ... وطِبْنا لهُ نَفْساً بفَىْءِ المغانمِ

ونحن ضرَبْنا النَّاسَ حتى تَتابَعوا ... على دينهِ بالمُرْهَفاتِ الصَّوارِمِ

ونحن وَلَدْنا مِن قُرَيش عَظيمَها ... ولدنا نبى الخيْرِ مِن آلِ هاشمِ

بنى دارِمٍ لاتفخرُوا إنّ فَخْرَكُمْ ... يَعُودُ وَبالاً عندَ ذِكْرِ المكارِمِ

هَبِلْتُمْ عَلَيْنا تَفْخَرُونَ وأنْتُمْ ... لَنا خَوَلٌ ما بينَ ظِئْرٍ وخادِمِ

فإنْ كُنْتُمْ جِئْتم لِحَقْنِ دِمائِكُمْ ... وأموالِكم أن تُقْسَمُوا فى المَقاسِمِ

فَـلا تجْعَلُوا لِلهِ ندًّا وأسْلِمُوا ... وَلا تلْبَسوا زِيًّا كزِى الأعاجِمِ

رفع المسهم

إسلامهم وتجويز الرسول إياهم

قال ابن إسحاق : فلما فرغ حسّان بن ثابت من قوله ، قال الأقرع بن حابس : وأبى ، إن هذا الرجل لَمُؤَتّى له ، لَخطيبُه أخطب من خطيبنا ، ولَشاعره أشعر من شاعرنا ، ولأصواتهم أحلى من أصواتنا . فلما فرغ القوم أسْلموا ، وجَوَّزَهُمْ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فأحسن جوائزَهم .

شعر ابن الأهتم فى هجاء قيس لتحقيره إياه

كان عمرو بن الأهتم قد خَلَّفه القوم فى ظهرهم ، وكان أصغرَهم سِنًّا ، فقال قيس بن عاصم ، وكان يُبغض عمرو بن الأهتم : يارسول الله ، إنه قد كان رجل منا فى رحالنا ، وهو غلام حَدَث ، وأزْرى به ، فأعطاه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مثلَ ما أعطى القوم ، فقال عمرو بن الأهتم حين بلغه أن قيساً قال ذلك يهجوه :

ظَلِلْتُ مُفْتَرِشَ الهَلْباء تَشْتُمُنِي ... عندَ الرَّسول فلم تَصْدُقْ ولم تُصِبِ

سُدْناكُمُ سُودَداً رَهْواً وسُودَدُكُمْ ... بادٍ نَوَاجِذُهُ مُقْعٍ على الذَّنَبِ

قال ابن هشام : بقى بيت واحد تركناه ، لأنه أقذع فيه .

قال ابن إسحاق : وفيهم نزل من القرآن : ﴿ إنَّ الَّذِين يُنادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ ﴾ .

قصة عامر بن الطفيل وأربد بن قيس

فى الوفادة عن بنى عامر

بعض رجال الوفد

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفدُ بنى عامر فيهم عامر بن الطُّفَيل وأربد بن قَيْس بن جَزْء بن خالد بن جعفر ، وجَبَّار بن سَلْمى بن مالك ابن جعفر ، وكان هؤلاء الثلاثةُ رؤساء القوم وشياطينَهم .

تدبير عامر للغدر بالرسول

فقدِم عامرُ بن الطُّفَيْل عدوُّ الله ، على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يريد الغدرَ به ، وقد قال له قومه : ياعامر ، إن النَّاس قد أسلَموا فأسلم ، قال : والله لقد كنتُ آليتُ أن لاأنتهىَ حتى تَتْبع العربُ عَقِبى ، أفأنا أتبعُ عَقِبَ هـذا الفتى من قُرَيش ! ثم قال لأرْبدَ : إذا قَـدِمنا على الرجل ، فإنى سأشغل عنك وجهه ، فإذا فعلتُ ذلك فاعْله بالسيف ، فلما قَدِموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال عامر بن الطُّفَيل : يامحمد ، خالِنى ، قال : لا والله حتى تؤمن بالله وحده . قال : يامحمد خالِنى . وجعل يكلِّمه وينتظر من أرْبدُ ما كان أمره به فجعل أرْبد لايُحيرُ شيئاً ، قال : فلما رأى عامرٌ مايصنع أرْبدَ ، قال يامحمد خالِنى قال : لا ، حتى تؤمن بالله وحـــده لاشريك له . فلما أبى عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قال : أما والله لأملأنَّها عليك خيلا ورجالا ، فلما وَلَّى قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : اللهمَّ اكفِنى عامرَ بن الطُّفَيل .

فلما خرجوا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال عامر لأربد : وَيْلَكَ يا أَرْبَدُ أين ما كنتُ أمرأتك به ؟ والله ما كان على ظهر الأرض رجل هو أخوف عندى على نفسى منك . وايْمُ الله لا أخافك بعد اليوم أبداً . قال : لا أبَا لك ! لا تَعْجَلْ علىّ ، والله ماهَمَمْت بالذى أمرتنى به من أمره إلا دَخَلْتَ بينى وبين الرجل ، حتى ما أرى غيرك ، أفأضربك بالسيف ؟

موت عامر بدعاء الرسول عليه

وخرجوا راجعين إلى بلادهم ، حتى إذا كانوا ببعض الطريق ، بعث الله على عامر بن الطُّفَيل الطاعون فى عُنُقه ، فقتله الله فى بيت امرأة من بنى سَلُول ، فجعل يقول : يابنىعامر ، أغُدَّة كَغُدَّة الإبل ، وموتاً فى بيت سَلُولِيَّة !

قال ابن هشام : ويقال : أغُدَّةً كغدة الإبل ، وموتاً فى بيت سلولية .

موت أربد بصاعقة وما نزل فيه وفى عامر

قال ابن إسحاق : ثم خرج أصحابه حين وَارَوه ، حين قَدِموا أرض بنى عامر شاتين ، فلما قَدِموا أتاهم قومهم فقالوا : ماوراءك يا أربد ؟ قال : لاشىء والله ، لقد دعانا إلى عبادة شىء لوَدِدْتُ أنه عندى الآن فأرميه بالنَّبل حتى أقْتُلَهُ ، فخرج بعد مقالته بيوم أو يومين معه جمل له يتبعه ، فأرسل الله تعالى عليه وعلى جمله صاعقة ، فأحرقتهما . وكان أربدُ بن قيس أخا لبيد بن ربيعة لأُمِّه .

قال ابن هشام : وذكر زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن

ابن عباس ، قال : وأنزل الله عزّ وجلّ فى عامر وأربد : ﴿ اللهُ يَعْلَمُ ما تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَى وَما تَغِيضُ الأَرْحام وَما تَزْدادُ ﴾ . . . إلى قوله : ﴿ وَما لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴾

قال : المُعَقِّباتُ : هى من أمر الله يحفظون محمداً . ثم ذكر أربد وماقتله الله به ، فقال : ﴿ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِها مَنْ يَشاء ﴾ إلى قوله : ﴿ شَدِيدُ المِحالِ ﴾ .

شعر لبيد فى بكاء أربد

قال ابن إسحاق : فقال لبيد يبكى أرْبد :

ما إن تُعَدِّى المَنونُ مِنْ أحَدِ ... لا وَالِدٍ مُشْفِقٍ وَلا وَلَدِ
أخْشَى على أرْبَدَا الحُتوفَ ولا ... أرْهَبُ نَوْء السِّماكِ والأسَدِ
فعَيْنِ هَلاَّ بَكيتِ أرْبَدَ إذْ ... قُمْنا وقامَ النِّساء فى كَبَدِ
إنْ يَشْغَبُوا لا يُبالِ شَغْبَهُمُ ... أوْ يَقْصِدُوا فى الحُكُومِ يَقْتَصِدِ
حُلْوٌ أرِيبٌ وفى حَلاوَتِهِ ... مُرٌّ لَطِيفُ الأحْشاء والكَبِدِ
وعَيْنِ هَلاَّ بَكيتِ أرْبَدَ إذْ ... ألْوَتْ رياحُ الشِّتاء بالعَضَدِ
وأصْبَحَتْ لاقِحاً مُصَرَّمَةً ... حتى تَجلَّتْ غَوابِرُ المُدَدِ
أشْجَعُ مِن لَيْثِ غابةٍ لَحِمٍ ... ذو نَهْمَةٍ فى العُلا ومُنْتَقَدِ
لا تَبْلُغُ العَيْنُ كُلَّ نَهْمَتِها ... لَيْلَةَ تُمْسى الجِيادُ كالقِدَدِ
الباعِثُ النَّوْحَ فى مآتِمِهِ ... مِثْلَ الظِّباء الأبْكارِ بالجَرَدِ

فَجَّعَنِي البَرْقُ والصَّوَاعِقُ بالْـــفارسِ يَوْمَ الكَرِيهَةِ النَّجُدِ
والحارب الجابرِ الحَرِيبَ إذَا جاء نَكِيباً وَإنْ يَعُدْ يَعُدِ
يَعْفُو على الجَهْدِ والسُّؤالِ كَمَا يُنْبِتُ غَيْثُ الرَّبيع ذو الرَّصَدِ
كُلُّ بنى حُرَّةٍ مَصِيرُهُمُ قُلٌّ وإنْ أكْثَرَتْ مِنَ العَدَدِ
إنْ يُغْبَطُوا يُهْبَطُوا وَإنْ أُمِرُوا يَوْماً فَهُمْ لِلْهَلاكِ والنَّفَدِ

قال ابن هشام: بيته: «والحارب الجابر الحريب» عن أبى عُبيدة، وبيته: «يعفو على الجهد»: عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وقال لبيد أيضاً يبكى أرْبد:

ألا ذَهَبَ المُحافِظُ والمحامى ومانعُ ضَيْمِها يومَ الخِصَامِ
وأيقَنْتُ التَّفرُّقَ يومَ قالُوا تُقُسِّم مالُ أَرْبَدَ بالسِّهامِ
تُطِيرُ عَدائِدَ الأشْرَاكِ شَفْعاً وَوِتْراً والزَّعامةُ للغُـــلامِ
فوَدِّع بالسَّلام أبا حُرَيْزٍ وقَـــلَّ وَدَاعُ أرْبَدَ بالسَّلامِ
وكُنْتَ إمامَنا ولَنا نِظاماً وكانَ الجَزْعُ يُحْفَظُ بالنِّظامِ
وأرْبَدُ فارِسُ الهَيْجا إذَا ما تَقَعَّرَتِ المشاجِرُ بالفِئامِ
إذَا بَكَرَ النِّساء مُرَدَّفاتٍ حَوَاسِرَ لا يُجِنَّ على الخِدَامِ
فَوَائِلَ يَوْمَ ذلكَ مَنْ أتاهُ كما وَأَلَ المُحِلُّ إلى الحَرَامِ
ويَحْمَدُ قِدْرَ أرْبَدَ مَنْ عَرَاها إذا ما ذُمَّ أرْبابُ اللِّحامِ
وجارَتُهُ إذَا حلَّتْ لَدَيْهِ لَهَا نَفَلٌ وحَظٌّ مِنْ سَنامِ

فإنْ تَقْعُدْ فمُكْرَمَةٌ حَصَانٌ وإنْ تَظْعَنْ فمُحْسِنَةُ الكلامِ
وهل حُدِّثْتَ عن أخَوَيْنِ داما على الأيامِ إلاَّ ابنَىْ شَمَامِ
وإلاَّ الفرْقَدَيْنِ وآلَ نَعْشٍ خَوالدَ ما تُحَدَّثُ بانهدامِ

قال ابن هشام : وهي في قصيدة له .

قال ابن إسحاق : وقال لبيد أيضاً يبكى أربد :

أنْعَ الكَرِيمَ للكَرِيمِ أرْبَدَا انعَ الرَّئِيسَ واللَّطيفَ كَبِدَا
يَحْذِي ويُعْطِي مالَهُ لِيُحْمَدا أدْما يُشَبَّهْنَ صُوَاراً أَبَّدَا
السَّابِلَ الفَضْلِ إذا ما عُدِّدَا ويَمْلَأُ الجَفْنَةَ مَلْئاً مَدَدَا
رِفْهاً إذا يأتى ضَرِيكٌ وَرَدَا مِثْلُ الذى فى الغِيلِ يَقْرُو جُمُدَا
يَزْدادُ قُرْباً مِنْهُمُ أنْ يُوعَدَا أوْرَثْتَنَا تُرَاثَ غيرِ أنْكَدَا
غِبّاً ومالا طارِفاً وَوَلَدَا شَرْخاً صُقُوراً يافِعاً وأمْرَدَا

وقال لبيد أيضاً :

لَنْ تُفْنِيا خَيْرَاتِ أرْ بَدَ فابْكِيا حتى يَعُودَا
قُولاَ هُوَ البَطَلُ المُحا مِىَ حِينَ يَكْسُونَ الحَدِيدَا
وَيَصُدُّ عَنَّا الظَّالِمِينَ إذَا لَقِينا القَوْمَ صِيدَا
فاعْتَاقَهُ ربُّ البَرِيَّةِ إذْ رأى أنْ لا خُلُودَا
فَثَوَى ولمْ يُوجَعْ ولَمْ يُوصَبْ وكانَ هُوَ الفَقِيدَا

وقال لبيد أيضاً :

يُذكّرنى بأرْبدَ كُلّ خَصْمٍ ألدّ تخالُ خُطّته ضِرَارا
إذَا اقْتَصَدُوا فمُقْتَصدٌ كَريمٌ وإنْ جارُوا سَوَاء الحق جارا
ويَهْدِى القَوْمَ مُطّلعاً إذا ما دَليلُ القَوْمِ بالمَوْماة حارا

قال ابن هشام : آخرُها بيتاً عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقال لبيد أيضاً :

أصبحْتُ أمْشِى بعــد سَلْمَى بن مالك
وبعد أبى قَيْس وعُرُوة كالأجَب
إذا ما رأى ظلّ الغُراب أضجّهُ حِذاراً على باقى السّناسن والعَصَبْ

قال ابن هشام : وهذان البيتان فى أبيات له .

قدوم ضمام بن ثعلبة وافداً عن بنى سعد بن بكر

قال ابن إسحاق : وبعث بنو سعد بن بكر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا منهم ، يُقال له ضِمَامُ بن ثَعْلَبَة .

سؤاله الرسول أسئلة ثم إسلامه

قال ابن إسحاق : فحدثنى محمد بن الوليد بن نُوَيْفِع عن كُريب ، مولى عبد الله بن عباس ، عن ابن عباس ، قال : بعثت بنو سعد بن بكر ضِمامَ بن ثعلبة وافداً إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فقدم عليه ، وأناخ بعيرَه على

رفع المسهم

باب المسجد ثم عقله ، ثم دخل المسجد ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم جالسٌ في أصحابه ؛ وكان ضِمَامُ رجلاً جَلْداً أشعرَ ذا غديرتين ، فأقبل حتى وقف على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه ، فقال : أيكم ابنُ عبد المطلب ؟ قال : فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أنا ابن عبد المطّلب . قال: أمحمد ؟ قال : نعم ؛ قال يابن عبد المطّلب ، إني سائلك ومُغْلِظ عليك في المسألة ، فلا تَجِدَنَّ في نفسك ، قال : لا أجد في نفسي ، فَسَلْ عما بدا لك . قال : أنشدُك الله إلهك وإله من كان قبلك ، وإله من هو كائن بعدك ، آلله بعثك إلينا رسولا ؟ قال : اللهمّ نعم ؛ قال : فأنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك ، وإله من هو كائن بعدك ، آلله أمرك أن تأمرنا أن نعبده وحده لا نُشرك به شيئاً ، وأن نخلع هذه الأنداد التي كان آباؤنا يعبدون معه ؟ قال : اللهمّ نعم ؛ قال : فأنشُدك الله إلهك وإله من كان قبلك ، وإله من هو كائن بعدك ، آلله أمرك أن نصلِّيَ هذه الصلوات الخمس ؟ قال : اللهمّ نعم ؛ قال : ثم جعل يذكر فرائض الإسلام فريضة فريضة . الزكاة والصيام والحجّ وشرائع الإسلام كلها ، يَنشُدُه عند كلّ فريضة منها كما ينشُده في التي قبلها ، حتى إذا فرغ قال : فإني أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله ؛ وسأؤدّي هذه الفرائض ، وأجتنب ما نهيتني عنه ، لا أزيد ولا أنقص . ثم انصرف إلى بعيره راجعاً . قال : فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إن صدق ذو العَقِيصتين دخل الجنة .

دعوته قومه للاسلام

قال : فأتى بعيره فأطلق عقاله ، ثم خرج حتى قَدِم على قومه ، فاجتمعوا إليه فكان أوّل ماتكلم به أن قال : بئست اللاتُ والعُزّى ! قالوا : مه ياضمام اتق البَرَص، اتق الُجذام ، اتق الُجنون ! قال : ويلكم ! إنهما والله لايضرّان ولا ينفعان ، إن الله قد بعث رسولا ، وأنزل عليه كتاباً أستنقذكم به مما كنتم فيه ، وإنى أشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، وأن محمداً عبده ورسوله وقد جئتكم من عنده بما أمركم به وما نهاكم عنه ، قال : فوالله ما أمسى من ذلك اليوم فى حاضره رجلٌ ولا امرأة إلا مسلماً .

قال : يقول عبد الله بن عبّاس : فما سمعنا بوافد قومٍ كان أفضل من ضمام ابن ثعلبة .

قدوم الجارود فى وفد عبد القيس

قال ابن إسحاق : وقَدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم الجارود بن عمرو بن حَنَش أخو عبد القَيْس .

قال ابن هشام : الجارود بن بشر بن المُعَلَّى فى وفد عبد القيس وكان نصرانياً .

قال ابن إسحاق : حدثنى من لا أتهم ، عن الحسن ، قال : لما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كلّمه ، فعَرَض عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الإسلام ، ودعاه إليه ، ورغّبه فيه ، فقال : يامحمد ، إنى قد كنت على دين

وإنى تارك دِينى لدينك ، أفتضمن لى دَينى ؟ قال : فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : نعم ، أنا ضامن أن قد هداك الله إلى ماهو خير منه قال : فأسلم وأسلم أصحابه ، ثم سأل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم الحُمْلان ، فقال : والله ماعندى ما أحملكم عليه . قال : يارسولَ الله ، فإن بيننا وبين بلادنا ضَوالَّ من ضوالِّ الناس : أفنتبلَّغ عليها إلى بلادنا ؟ قال : لا ، إياك وإياها ، فإنما تلك حَرَق النار.

موقفه من قومه فى الردة

فخرج من عنده الجارود راجعاً إلى قومه ، وكان حسن الإسلام ، صُلْباً على دينه ، حتى هَلك وقد أدرك الردَّة ، فلما رجع من قومه من كان أسلم منهم إلى دينهم الأوّل مع الغَرُور بن المنذر بن النُّعمان بن المنذر ، قام الجارود فتكلَّم ، فتشهَّد شهادة الحق ، ودعا إلى الإسلام فقال : أيها الناس ، إنى أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وأُكفِّر من لم يشهد .

قال ابن هشام : يروى : وأكْفى من لم يشهد .

إسلام ابن ساوى

قال ابن إسحاق : وقد كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بعثَ العَلاء ابن الحَضْرمىّ قبل فتح مكةَ إلى المنذر بن ساوَى العَبْدى ، فأسلم فحَسُن إسلامه ثم هَلك بعد رسولِ الله صلى الله عليه وسلم قبل ردّة أهل البَحْرين ، والعلاء عنده أميراً لرسول الله صلى الله عليه وسلم على البَحْرين .

رفع المسهم

قدوم وفد بنى حنيفة ومعهم مسيلمة الكذاب

وقَدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد بنى حَنيفة ، فيهم مُسيلمة ابن حَبِيب الحنفىّ الكذّاب .

قال ابن هشام : مُسَيلِمة بن ثُمامة ، ويكنى أبا ثمامة .

ما كان من الرسول لمسيلمة

قال ابن إسحاق : فكان منزلهم فى دار بنت الحارث امرأة من الأنصار، ثم من بنى النجّار ، فحدثنى بعضُ علمائنا من أهل المدينة : أن بنى حنيفة أتت به رسولَ الله صلى الله عليه وسلم تستره بالثِّياب ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم جالس فى أصحابه . معه عَسِيب من سَعَف النخل فى رأسه خُوصات ؛ فلما انتهى إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وهم يَسترونه بالثِّياب ، كلمه وسأله ، فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : لو سألتنى هذا العسيب ما أعطيتكه .

قال ابن إسحاق : وقد حدثنى شيخٌ من بنى حنيفة من أهل اليمامة أن حديثه كان على غير هذا . زعم أن وفد بنى حنيفة أتوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، وخلَّفوا مُسَيلِمة فى رحالهم ، فلما أسلموا ذكروا مكانه ، فقالوا : يارسول الله ، إنا قد خَلَّفنا صاحباً لنا فى رحالنا وفى ركابنا يحفظها لنا ، قال : فأمر له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بمثل ما أمر به للقوم ، وقال أمَا إنه ليس بشرِّكم مكاناً ، أى لحفظه ضَيْعة أصحابه ، وذلك الذى يريد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم .

ارتداده وتنبؤه

قال : ثم انصرفوا عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم : وجاءوه بما أعطاه، فلما انتهوا إلى اليمامة ارتدّ عـــدوّ الله وتنبأ وتـكذّب لهم ، وقال : إنى قد أُشْرِكْتُ فى الأمر معه . وقال لوفده الذين كانوا معه : ألم يقل لكم حين ذكرتمونى له : أما إنه ليس بشرِّكم مكاناً ؛ ماذاك إلا لما كان يعلم أنى قد أُشرِكت فى الأمر معه ، ثم جعل يَسْجع لهم الأساجيع ، ويقول لهم فيما يقول مضاهاة للقرآن : « لقد أنعم الله على الحبلى ، أخرج منها نسمة تسعى ، من بين صِفاق وحَشَى » وأحلّ لهم الخمر والزنا ، ووضع عنهم الصلاة ، وهو مع ذلك يشهد لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه نبيّ ، فأَصْفَقَتْ معه حنيفة على ذلك، فالله أعلم أىّ ذلك كان .

قدوم زيد الخيل فى وفد طيء

إسلامه وموته

قال ابن إسحاق : وقَدِم على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وفد طيء ، فيهم زيد الخيـل ، وهو سيدهم ؛ فلما انتهوا إليه كلّموه ، وعرض عليهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الإسلام ، فأسلموا ، فحَسُن إسلامهم ، وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، كما حدثنى من لا أتهم من رجال طيء ؛ ماذُكِر لى رجلٌ من العرب بفضل ، ثم جاءنى ، إلا رأيته دون ما يُقال فيه ، إلا زيد الخيل : فإنه لم يبلغ كلّ ما كان فيه ، ثم سمّاه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم زيدَ

. . . .

رفع المسأهم

الخير ، وقطع له فَيْداً وأرَضِينَ معه ، وكتب له بذلك . فخرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعاً إلى قومه ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إن يَنْجُ زَيْدٌ من حُمّى المدينة ، فإنه قال : قد سماها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم باسم غير الحمى ، وغير أمّ مَلْدَم ، فلم يثبته — فلما انتهى من بلد نجد إلى ماء من مياهه ، يقال له فَرْدة ، أصابته الحُمّى بها فمات ، ولما أحسّ زيد بالموت قال :

أمُرْتَحِلٌ قومى المشارقَ غُدْوَةً   وأُتْرَكُ فى بيت بفَرْدةَ منجدِ

لا رُبّ يومٍ لو مَرِضتُ لعادَنِي   عوائدُ من لم يُبْرَ منهن يَجْهَدَ

فلما مات عمدت امرأته إلى ما كان معه من كُتبه، التى قطع له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فحرّقتها بالنار .

أمر عدى بن حاتم

وأما عدىّ بن حاتم فكان يقول ، فيما بلغنى : مامن رجل من العرب كان أشد كراهية لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به منى ، أما أنا فكنت امْرءاً شريفاً ، وكنت نَصرانياً ، وكنت أسيرُ فى قومى بالمِرْباع ، فكنتُ فى نفسى على دِين ، وكنت مَلِكاً فى قومى ، لما كان يُصنع بى . فلما سمعت برسول الله صلى الله عليه وسلم كرهته ، فقلت لغلام كان لى عربىّ ، وكان راعياً لإبلى : لا أبا لك ، أعدِدْ لى من إبلى أجمالا ذُللا سماناً ، فاحتبسْها قريباً منى ، فإذا سمعتَ بجيش لمحمد قد وطىء هذه البلاد فآذنى ، ففعل ، ثم إنه أتانى ذات

غداة ، فقال : ياعدى ما كنت صانعاً إذا غشيتْك خيل محمد ، فاصنعه الآن ، فإنى قد رأيت رايات ، فسألت عنها ، فقالوا : هذه جيوش محمد . قال : فقلت : فقرّب إلىّ أجمالى ، فقرّبها ، فاحتملت بأهلى وولدى ، ثم قلت : ألحق بأهل دينى من النّصارى بالشام فسلكتُ الجَوْشية ، ويقال الحوشية ، فيما قال ابن هشام ـ وخلفت بنتاً لحاتم فى الحاضر ، فلما قَدِمت الشام أقمت بها .

وتُخالفنى خيلٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتُصيب ابنةَ حاتم ، فيمن أصابت ، فقُدِم بها على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فى سبايا من طَيِّىء ، وقد بلغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم هربى إلى الشام ، قال : فجُعِلَتْ بنت حاتم فى حظيرة بباب المسجد ، كانت السّبايا يُحْبَسْن فيها ، فمرّ بها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فقامت إليه ، وكانت امرأة جَزْلة ، فقالت : يارسول الله ، هَلك الوالد ، وغاب الوافد ، فامْنُنْ علىّ ، مَنّ الله عليك . قال : ومَنْ وافدكِ ؟ قالت : عَدِىّ بن حاتم . قال : الفارّ من الله ورسوله ؟ قالت : ثم مضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وتركنى ، حتى إذا كان من الغد مرّ بى ، فقلت له مثل ذلك ، وقال لى مثل ما قال بالأمس . قالت : حتى إذا كان بعد الغد مرّ بى وقد يئست منه ، فأشار إلىّ رجل من خلفه أنْ قومى فكلّميه ؛ قالت : فقمت إليه ، فقلت : يا رسولَ الله ، هَلك الوالد ، وغاب الوافد ، فامْنُنْ علىّ ، منّ الله عليك ؛ فقال صلى الله عليه وسلم : قد فعلتُ ، فلا تعجَلى بخروج حتى تجدى من قومك من يكون لك ثِقة ، حتى يبلغك إلى بلادك ، ثم آذنينى . فسألت عن الرجل الذى أشار إلىّ أن أكلمه ، فقيل : علىّ بن أبى طالب رضوان

الله عليه ، وأقمت حتى قدم ركب من بَلِيّ أو قُضاعة ،قالت: وإنما أريد أن آتيَ أخي بالشام . قالت : فجئت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يارسول الله ، قد قَدِم رَهْط من قومى، لى فيهم ثِقةوبلاغ .قالت: فكسانى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وحَمَلنى ، وأعطانى نفقة ، فخرجت معهم حتى قَدِمت الشام .

قال عدىّ : فوالله إنى لقاعد فى أهلى ، إذ نظرت إلى ظَعينة تَصُوب إلىّ تؤمنا ، قال : فقلت ابنةُ حاتمٍ ، قال : فإذا هى هى ، فلما وقفت علىّ انسحلت تقول : القاطع الظالم ، احتملتَ بأهلك وولدك ، وتركت بقيّة والدك عورتَك ، قال : قلت : أىْ أُخَيّة ، لا تقولى إلا خيراً ، فوالله مالى من عُذر ، لقد صنعتُ ما ذكرت . قال : ثم نزلتْ فأقامت عندى ، فقلت لها : وكانت امرأة حازمة ، ماذا تَرَين فى أمر هذا الرجل ؟ قالت : أرى والله أن تَلحق به سريعاً ، فإن يكن الرجل نبياً فللسابق إليه فضله ، وإن يكن ملِكا فلن تَذِلّ فى عزّ اليمن ، وأنت أنت . قال : قلت : والله إن هذا الرأى .

إسلام عدىّ

قال : فخرجتُ حتى أقْدَم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فدخلت عليه ، وهو فى مسجده ، فسلَّمت عليه ، فقال : مَنِ الرجل ؟ فقلت : عدىّ بن حاتم ؛ فقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فانطلق بى إلى بيته ، فوالله إنه لعامدٌ بى إليه ، إذ لَقيته امرأةٌ ضعيفة كبيرة ، فاستوقفته ، فوقف لها طويلا تُكلِّمه فى حاجتها ؛ قال : قلت فى نفسى : والله ما هذا بملك ؛ قال : ثم مضى بى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا دخل بى بيته ، تناول وسادة

. . . .

من أَدَم مَحْشوّةً ليفاً ، فقذفها إلىّ ؛ فقال : اجلسْ على هذه ، قال : قلت : بل أنت فاجلس عليها ، فقال : بل أنت ؛ فجلست عليها ، وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأرض ؛ قال : قلت فى نفسى : والله ما هذا بأمر ملك ، ثم قال : إيه ياعدىّ بن حاتم ! ألم تك رَكُوسِيًّا ؟ قال :قلت : بلى. (قال) : أو لم تكن تسيرُ فى قومك بالمِرْباع ؟ قال : قلت : بلى ، قال : فإن ذلك لم يكن يَحِل لك فى دينك ؛ قال: قلت : أجَل والله ، وقال : وعرفت أنه نبىّ مُرْسَل ، يعلم ما يُجْهَل ، ثم قال : لعلك ياعدىّ إنما يَمنعك من دُخول فى هذا الدين ما تَرَى من حاجتهم ، فوالله لَيُوشِكَنّ المالُ أن يَفيض فيهم حتى لا يُوجَد من يأخذه ؛ ولعلك إنما يمنعك من دخولٍ فيه ما ترى من كثرة عدوّهم وقلة عددهم ، فوالله ليُوشِكَنّ أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسيَّة على بعيرها (حتى) تزور هذا البيت ، لا تخاف ؛ ولعلك إنما يمنعك من دخولٍ فيه أنك ترى أن المُلك والسلطان فى غيرهم ، وايْمُ الله ليوشكنّ أن تسمع بالقُصور البيض من أرض بابل قد فُتحت عليهم ؛ قال : فأسلمت .

وقوع ما وعد به الرسول عديًّا

وكان عدىّ يقول : قد مضت اثنتان وبقيت الثالثة ، والله لتكونَنّ ، قد رأيت القصور البيض من أرض بابلَ قد فُتحت ، وقد رأيت المرأة تخرج من القادسيَّة على بعيرها لا تخاف حتى تحجّ هذا البيت ، وايْمُ الله لتكوننّ الثالثة ، ليَفِيضَنّ المالُ حتى لا يُوجد من يأخذه .

قدوم فروة بن مسيك المرادى

قال ابن إسحاق : وقَدم فَرْوَةُ بن مُسَيْك المُرادى على رسول الله صلى الله

عليه وسلم مفارقاً لملوك كِندة ، ومباعداً لهم ، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد كان قُبيل الإسلام بين مُراد وهَمْدان وقعة ، أصابت فيها همدان من مرادَ ما أرادوا ، حتى أَثْخنوهُمْ فى يوم كان يقال له : يوم الرَّدْم ، فكان الذى قاد هَمْدان إلى مراد الأجدعُ بن مالك فى ذلك اليوم .

قال ابن هشام : الذى قاد هَمْدان فى ذلك اليوم مالك بن حَرِيم الهَمْدانى .

قال ابن إسحاق : وفى ذلك اليوم يقول فَروة بن مُسيك :

مَرَرْنا على لُفاةَ وهنَّ خوص ... ينازعن الأعِنَّةَ يَنْتَحِينا
فإنْ نَغلِبْ فغَلاَّبون قِدْماً ... وإن نُغْلَب فغيرُ مُغَلَّبينا
وما إن طِبُّنا جُبْن ولكن ... مَنايانا وطُعْمَةُ آخَرِينا
كذاكَ الدَّهر دَوْلَتُهُ سِجالٌ ... تَكُرُّ صُروفُه حيناً فحينا
فبينا ما نُسَرّ بِهِ ونَرْضَى ... ولو لُبِسَت غَضَارته سِنينا
إذِ انْقَلَبَتْ بِهِ كَرَّاتُ دَهْرٍ ... فألفيتَ الألى غُبطوا طَحِينا
فمَنْ يُغبَطْ بريْب الدَّهرِ منهم ... يَجِدْ رَيْبَ الزَّمانِ له خَئُونا
فلوْ خَلَدَ الملوكُ إذنْ خَلَدنا ... ولو بقى الكِرامُ إذنْ بقِينا
فأفنى ذلكم سَرَواتِ قَوْمى ... كما أفنى القُرونَ الأوَّلينا

قال ابن هشام : أوّل بيت منها ، وقوله : « فإن نَغلب » عن غير ابن إسحاق .

قدوم فروة على الرسول وإسلامه

قال ابن إسحاق : ولما توجه فَرْوَةُ بن مُسَيْك إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم مفارقاً لملوك كِندة ، قال :

لما رأيتُ ملوكَ كِنْدَةَ أعرضتْ كالرّجل خان الرجلَ عرق نَسائها
قرّبْتُ راحلتى أؤمُّ محمّداً أرْجُو فَوَاضِلَها وحُسْن ثَرائها

قال ابن هشام : أنشدنى أبو عبيدة : « أرجو فواضله وحُسن ثنائها » .

قال ابن إسحاق : فلما انتهى إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، قال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فيما بلغنى : يافروة ، هل ساءك ما أصاب قومك يوم الرَّدْم ؟ قال يا رسول الله ، مَنْ ذا يصيب قومَه مثل ما أصاب قومى يوم الرَّدْمِ لا يَسوؤه ذلك ! فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم له : أمَا إن ذلك لم يزد قومَك فى الإسلام إلا خيراً .

واستعمله النبىّ صلى الله عليه وسلم على مراد وزُبَيْد ومَذْحِجَ كلها ، وبعث معه خالدَ بن سعيد بن العاص على الصدقة ، فكان معه فى بلاده حتى توفى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم .

قدوم عمرو بن معد يكرب فى أناس من بنى زبيد

وقَدِم على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن معد يكرِبَ فى أناس من بنى زُبيد ، فأسلم ؛ وكان عمرو قد قال لقيس بن مَكْشُوحٍ المُرادِيّ ، حين انتهى إليهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم : ياقيس ، إنك سيدُ قومك ، وقد ذُكر لنا أن رجلا من قريش يقال له محمد قد خرج بالحجاز ،

يقول إنه نبيّ ، فانطلق بنا إليه حتى نعلم علمه ، فإن كان نبيًّا كما يقول فإنه لن يخفى عليك ، وإذا لقيناه اتبعناه ، وإن كان غير ذلك علمنا عِلمه ، فأبى عليه قيس ذلك ، وسفَّه رأيه ، فركب عمرو بن مَعْدِيكربَ حتى قَدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلم ، وصدّقه ، وآمن به .

فلما بلغ ذلك قيس بنَ مكشوح أوعد عَمراً ، وتحطَّم عليه ، وقال : خالفنى وترك رأيى ؛ فقال عمرو بن معديكربَ فى ذلك :

أمَرْتُكَ يومَ ذى صَنْعا ء أمراً بادِياً رَشَدُهْ
أمَرْتُكَ باتّقاءِ اللـهِ والمَعْرُوف تَتّعِدُهْ
خرَجْتُ مِنَ المُنَى مثلَ الـحُمَيِّرِ غَـرَّه وَتِدُهْ
تمنّانى على فَرَسٍ عَلَيْـهِ جالِساً أسَدُهْ
عَلَىَّ مُفاضَةٌ كالنَّهْـى أخْلَص ماءه جَدَدُهْ
تردّ الرُّمح مُنْثنِى السِّـنان عوائراً قِصَـدُهْ
فـلو لاقيتَنى للَقِيـتَ لَيْثاً فوقَه لِبَدُهْ
تُلاقى شَنْبَثاً شَثْنَ الـبَراثِنِ ناشِزاً كَتَـدُهْ
يُسامى القِرْنَ إن قِرْنٌ تَيَمَّمه فَيَعْتَضِـدُهْ
فيأخُـذه فَيرْفعـهُ فيَخْفِضُه فَيقتصِـدُهْ
فَيَدْمَغُـهُ فَيحْطِمُهُ فيَخْضِمه فَـيزْدرِدُهْ
ظَـلوم الشّرك فيما أحْـرزتْ أنيابُه ويَـدُهْ

رفع
المسهم

قال ابن هشام : أنشدنى أبو عُبيدة :

أمَرْتُكَ يومَ ذى صَنْعا ءَ أمراً بَيِّنا رَشَدُهْ

أمَرْتُكَ باتّقاء اللـهِ تأتيه وتَتَّعِدُهْ

فكنت كذى الحُمَيِّر غَرَّ رَهُ مما بِهِ وَتِدُهْ

لم يَعرف سائرها .

ارتداده وشعره فى ذلك

قال ابن إسحاق : فأقام عمرو بن معديكرب فى قومه من بنى زبيدة وعليهم فروة بن مُسيك . فلما توفى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ارتدّ عمرو ابن معد يكربَ ، وقال حين ارتدّ :

وجَدْنا مُلْك فَروة شرّ مُلْك حِماراً سافَ مُنْخُرُهُ بِثَفْرِ

وكنتَ إذا رأيتَ أبا عُمَير ترى الحُوَلاء من خَبَثٍ وغَدْر

قال ابن هشام : قوله « بثَفر » عن أبى عُبيدة .

قدوم الأشعث بن قيس فى وفد كندة

قال ابن إسحاق : وقَدِم على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم الأشعثُ ابن قيس فى وفد كِندة ، فحدّثنى الزّهرىّ بن شِهاب أنه قَدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثمانين راكباً من كِندة ، فدخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجده وقد رَجّلوا جُمَمَهم وتكحّلوا ، وعليهم جُبَبُ الحِبَرة ،

وقد كفّفوها بالحرير ، فلما دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ألم تُسْلِموا ؟ قالوا : بلى ، قال : فما بال هذا الحرير فى أعناقكم ؟ قال : فشقّوه منها ، فألقَوْه .

ثم قال له الأشعث بن قيس : يارسول الله : نحن بنو آكل المُرَارِ ، وأنت ابن آكل المُرَارِ ، قال : فتبسّم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : ناسِبُوا بهذا النسب العباسَ بن عبد المطلب ، وربيعةَ بن الحارث ، وكان العباس وربيعة رجلين، تاجرين وكانا إذا شاعا فى بعض العرب ، فسئلا ممن هما ؟ قالا : نحن بنو آكل المُرَارِ ، يَتعَزّزان بذلك ، وذلك أن كِندة كانوا ملوكا. ثم قال لهم : لا ، بل نحن بنو النَّضْر بن كنانة ، لا نَقْفو أُمَّنا ، ولا ننتفى من أبينا ، فقال الأشعث بن قيس : هل فرغتم يامعشر كندة ؟ والله لا أسمع رجلا يقولها إلا ضربته ثمانين .

قال ابن هشام : الأشعث بن قَيْس من ولد آكل المُرار من قِبَل النساء، وآكل المُرار : الحارث بن عمرو بن حُجْر بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مُرَتِّع بن معاوية بن كِنْدِيّ ، ويقال كِندة ، وإنما سمى آكل المُرار ، لأن عمرو بن الهَبولة الغسَّانى أغار عليهم ، وكان الحارث غائباً، فغنم وسبى ، وكان فيمن سبى أُمُّ أُناس بنت عوف بن مُحَلِّم الشَّيبانى ، امرأة الحارث بن عمرو ، فقالت لعمرو فى مسيره : لكأنى برجل أَدْلَمَ أسود ، كأن مشافره مشافر بعير آكل مُرَارٍ قد أخذ برقبتك ، تعنى : الحارث ، فسمى

آكل المُرار، والمُرار: شجر. ثم تبعه الحارث فى بنى بكر بن وائل، فلحقه، فقتله، واستنقذ امرأته، وما كان أصاب. فقال الحارث بن حِلِّزة اليَشْكُرِيُّ لعمرو بن المُنذر وهو عمرو بن هند اللخمىّ:

وأَقَدْناكَ رَبَّ غَسَّانَ بالمُنْـــذرِ كَرْهاً إذْ لاتُكال الدّماء

لأن الحارث الأعرج الغسّانى قتل المنذرُ أباه، وهذا البيت فى قصيدة له. وهذا الحديث أطول مما ذكرت، وإنما منعنى من استقصائه ماذكرت من القَطْع. ويقال بل آكل المُرار: حُجر بن عمرو بن معاوية، وهو صاحب هذا الحديث، وإنما سُمِّى آكل المُرار، لأنه أكل هو وأصحابه فى تلك الغزوة شجراً يقال له المُرار.

قدوم صرد بن عبد الله الأزدى

إسلامه

قال ابن إسحاق: وقَـدِم على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم صُردُ بن عبد الله الأزدىّ، فأسلم، وحسُن إسلامه، فى وفد من الأزد، فأمَّره رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على من أسلم من قومه. وأمره أن يجاهد بمن أسلم من كان يليه من أهل الشرك، من قِبَل اليمن.

قتاله أهل جرش

فخرج صُرد بن عبد الله يسير بأمر رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، حتى نزل بجُرَش ، وهى يومئذ مدينة معلقة ، وبها قبائل من قبائل اليمن ، وقد ضَوت إليهم خَثْعَم ، فدخلوها معهم حين سَمِعوا بسير المسلمين إليهم ؛ فحاصروهم فيها قريباً من شهر ، وامتنعوا فيها منه ، ثم إنه رجع عنهم قافلا ، حتى إذا كان إلى جبل لهم يقال له شَــكر ، ظنّ أهل جُرَشَ أنه إنما ولّى عنهم منهزماً ، فخرجوا فى طلبه ، حتى إذا أدركوه عَطَف عليهم ، فقتلهم قتلا شديداً .

إخبار الرسول وافدى جرش بما حدث لقومها

وقد كان أهل جُرَش بعثوا رجلين منهم إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة يرتادان وينظران ؛ فبيناهما عند رسولِ الله صلى الله عليه وسلم عشيةً بعد صلاة العصر ، إذ قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : بأىّ بلاد الله شَــكر ؟ فقام إليه الُجرشيان فقالا : يا رسول الله ، ببلادنا جبل يقال له كَشَر ؛ وكذلك يسميه أهلُ جُرَش ، فقال : إنه ليس بكَشَر ، ولكنه شَــكر ؛ قالا : فما شأنه يا رسول الله ؟ قال : إن بُدْنَ الله لتُنْحر عنده الآن ، قال : فجلس الرجلان إلى أبى بكر أو إلى عثمان ، فقال لهما : ويحكما ! إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لينْعَى لكما قومكما ، فقوما إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فاسألاه أن يدعوَ الله أن يرفع عن قومكما ؛ فقاما إليه ، فسألاه ذلك ، فقال : اللهمّ ارفع عنهم ، فخرجا من عند رسولِ الله صلى الله عليه وسلم راجعَيْن

إلى قومهما ، فوجدا قومهما قد أصيبوا يومَ أصابهم صُرَد بن عبدالله ، فى اليوم الذى قال فيه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ما قال ، وفى الساعة التى ذكر فيها ما ذكر .

إسلام أهل جرش

وخرج وفدُ جُرَش حتى قَدِموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلموا ، وحَمَى لهم حِمًى حول قريتهم ، على أعلام معلومة ، للفرس والراحلة وللمثيرة ، بقرة الحَرْث ، فمن رعاه من الناس فمالهم سُحْتٌ . فقال فى تلك الغزوة رجل من الأزد : وكانت خَثْعَم تُصِيب من الأزد فى الجاهلية ، وكانوا يَعْدُون فى الشهر الحرام :

يا غَزْوةً ما غزَوْنا غيرَ خائبةٍ ... فيها البِغالُ وفيها الخيلُ والحُمُرُ
حتى أتينا حُمَيْراً فى مَصانعها ... وجَمْعُ خَثْعَمَ قد شاعتْ لها النُّذُرُ
إذا وضعتُ غَليلا كنتُ أحمِلُهُ ... فما أبالى أدانُوا بعدُ أم كفرُوا

قدوم رسول ملوك حمير بكتابهم

قدوم رسول ملوك حمير

وقَدِم على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم كتابُ ملوكِ حِمْيَر ، مَقْدَمه من تَبوكَ ، ورسولهم إليه بإسلامهم ، الحارث بن عبد كُلال ، ونُعَيم ابن عبد كُلال . والنُّعمان قيلُ ذى رُعين ومَعافِرَ وهَمْدان ؛ وبعث إليه زُرْعة ذو يَزَنٍ مالكَ بن مرّة الرَّهاوى بإسلامهم ، ومُفارقتهم الشركَ وأهله .

كتاب الرسول إليهم

فكتب إليهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم :

بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد رسول الله النبي ، إلى الحارث ابن عبد كُلال ، وإلى نعيم بن عبد كُلال ، وإلى النُّعمان ، قَيلِ ذى رُعين ومَعافرَ وهَمْدان . أما بعد ذلكم ، فإنى أحمد إليكم الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد ، فإنه قد وقع بنا رسولكم مُنقَلَبنا من أرض الروم ، فلقينا بالمدينة ، فبلَّغ ما أرسلتم به ، وخبَّرنا ما قبلكم ، وأنبأنا بإسلامكم وقتلكم المشركين ، وأن الله قد هداكم بهُداه ، إن أصلحتم وأطعتم الله ورسوله ، وأقمتم الصلاة ، وآتيتم الزكاة ، وأعطيتم من المغانم خُمس الله ، وسهمَ الرسول وصَفيه ، وما كُتب على المؤمنين من الصَّدقة من العَقار ، عُشر ما سقت العين وسقت السماء ، وعلى ما سقى الغَرْب نصف العشر ؛ وأن فى الإبل الأربعين ابنة لَبون ، وفى ثلاثين من الإبل ابن لبون ذكر ، وفى كلّ خمس من الإبل شاة ، وفى كل عشر من الإبل شاتان ، وفى كلّ أربعين من البقر بقرة ؛ وفى كلّ ثلاثين من البقر تَبيع ، جَذَع أو جذَعة ؛ وفى كل أربعين من الغنم سائمة وحدها ، شاة ، وأنها فريضة الله التى فرض على المؤمنين فى الصدقة ؛ فمن زاد خيراً فهو خير له ، ومن أدّى ذلك وأشهد على إسلامه ، وظاهر المؤمنين على المشركين ، فإنه من المؤمنين ، له ما لهم ، وعليه ما عليهم ، وله ذمَّة الله وذمَّة رسوله ، وإنه من أسلم من يهُودىّ أو نصرانىّ ، فإنه من المؤمنين ، له ما لهم ، وعليه ما عليهم ؛

ومن كان على يهوديته أو نصرانيّته فإنه لا يُرَد عنها ، وعليه الجزية ، على كلّ حال ذكر أو أنثى ، حرّ أو عبد ، دينارٌ واف ، من قيمة المعافر أو عِوَضُه ثيابا ً، فمن أدّى ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن له ذمّة الله وذمّة رسوله، ومن منعه فإنه عدوّ لله ولرسوله . أما بعد ، فإن رسول الله محمداً النبيّ أرسل إلى زُرعة ذى يزن أنْ إذا أتاكم رُسُلى فأُوصيكم بهم خيراً : مُعاذُ بن جَبل ، وعبدُ الله بن زيد ، ومالكُ بن عُبادة ، وعُقبة بن نمر . ومالكُ بن مُرّة ، وأصحابهم وأن اجمعوا ما عندكم من الصدقة والجِزْية من مخاليفكم ، وأبلغوها رُسلى ، وأن أميرهم مُعاذ بن جبل ، فلا يَنْقَلِبَنَّ إلاّ راضياً . أما بعد . فإن محمداً يشهد أن لا إله إلا الله وأنه عبده ورسوله ، ثم إن مالكَ بن مرّة الرّهاوى قد حدّثنى أنك أسلمتَ من أوّل حِمير ، وقتلتَ المشركين ، فأبْشر بخير وآمرك بحمير خيراً ، ولا تخونوا ولا تخاذلوا ، فإنّ رسولَ الله هو ولىّ غنيّكم وفَقيركم ، وإن الصدقة لا تحلّ لمحمد ولا لأهل بيته ، إنما هى زكاة يُزَكّى بها على فُقراء المسلمين وابن السبيل ، وإن مالكا قد بلّغ الخبرَ ، وحفِظ الغَيب ، وآمركم به خيراً ، وإنى قد أرسلتُ إليكم من صالحى أهلى وأولى دينهم وأولى علمهم ، وآمرك بهم خيراً ، فإنهم منظور إليهم ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وصية الرسول معاذاً حين بعثه إلى اليمن

بعث الرسول معاذاً على اليمن وشىء من أمره بها

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر أنه حُدّث : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بَعَث مُعاذاً ، أوصاه وعَهِد إليه ، ثم قال له : يَسّر

ولا تعسِّر ، وبَشِّر ولا تنفِّر ، وإنك ستقدَم على قوم من أهل الكتاب ، يَسْألونك ما مِفْتاح الجنة ؟ فقل : شهادة أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، قال : فخرج معاذ ، حتى إذا قَدِم اليمن قام بما أمره به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فأتته امرأة من أهل اليمن ، فقالت : ياصاحب رسول الله ، ماحقُّ زوج المرأة عليها ؟ قال : ويحَكِ ! إن المرأة لاتقدر على أن تؤدّىَ حقّ زوجها ، فأجهدى نفسك فى أداء حقه ما استطعت ، قالت : والله لئن كنت صاحبَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم إنك لتعلم ماحقّ الزوج على المرأة . قال : ويحك ! لو رجعت إليه فوجدته تَنْثعب مَنْخِراه قَيْحاً ودماً ، فمَصِصْت ذلك حتى تُذْهبيه ما أدّيت حقه .

إسلام فروة بن عمرو الجذامى

إسلامه

قال ابن إسحاق : وبعث فروةُ بن عمرو النافرة الجُذامى ، ثم النُّفاثى ، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولا بإسلامه ، وأهدى له بغلةً بيضاء ، وكان فروة عاملا للرُّوم على مَن يَليهم من العرب ، وكان منزله مُعان وماحولها من أرض الشام .

حبس الروم له وشعره فى محبسه

فلما بلغ الرومَ ذلك من إسلامه ، طَلَبوه حتى أخذوه ، فحبسوه عندهم ، فقال فى مَحْبِسه ذلك :

طرقتْ سُلَيمى مَوهِناً أصحابى ... والرُّومُ بين البابِ والقِرْوَانِ
صَدَّ الخيالُ وساءَهُ ماقد رأى ... وهَمَمْتُ أن أغفِى وقد أبْكانِى
لاتَكحَلِنَّ العينَ بعدِى إثمِداً ... سَلمَى ولا تَدِينَّ للإتيانِ
ولقدْ عَلِمتَ أبا كُبَيْشَةَ أننى ... وَسْطَ الأعِزَّة لايُحَصُ لِسانى
فلئِنْ هَلَكتُ لَتَفقِدُنَّ أخاكم ... ولئن بَقيتُ لتَعرِفُنَّ مَكانِى
ولقد جَمَعْتُ أجلَّ ماجمع الفتى ... مِن جَودَةٍ وشَجاعَةٍ وبَيانِ

فلما أجمعت الروم لصلبه على ماءٍ لهم ، يقال له عَفْراء بفِلَسْطين ، قال :

ألا هَل أتى سَلمى بأنَّ حَلِيلَها ... على ماء عَفْرا فوق إحدى الرَّواحلِ
على ناقةٍ لم يَضرب الفَحْلُ أمَّها ... مُشَذَّبَةٌ أطرافُها بالمَناجِلِ

مقتله

فزعم الزهرىُّ بن شهاب ، أنهم لما قدَّموه ليقتلوه . قال :

بَلِّغْ سَرَاةَ المُسْلِمِينَ بأنَّنى ... سَلْمٌ لربّى أعظُمى ومَقامى

ثم ضربوا عنقه ، وصلبوه على ذلك الماء ، يرحمه الله تعالى .

إسلام بنى الحارث بن كعب على يدى خالد بن الوليد لما سار إليهم

دعوة خالد الناس إلى الإسلام وإسلامهم

قال ابن إسحاق : ثم بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خالدَ بن الوليد فى شهر ربيع الآخر أو جمادى الأولى ، سنة عشر ، إلى بنى الحارث بن كعب بنَجران وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يُقاتلهم ثلاثاً ، فإن استجابوا فاقبل منهم ، وإن لم يفعلوا فقاتِلهم . فخرج خالدٌ حتى قَدِم عليهم ، فبعث الرُّكبان يَضْربون فى كلّ وَجْه ، ويدعون إلى الإسلام ، ويقولون : أيها الناس ، أسلموا تسلموا . فأسلم الناسُ ، ودخلوا فيما دُعوا إليه ، فأقام فيهم خالد يعلّمهم الإسلام وكتابَ الله وسنّة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وبذلك كان أمره رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إن هم أسلموا ولم يقاتلوا .

ثم كتب خالدُ بن الوليد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من خالد بن الوليد ، السلام عليك يارسولَ الله ورحمة الله وبركاته ، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد ، يارسول الله صلى الله عليك ، فإنك بعثتنى إلى بنى الحارث بن كعب ، وأمرتنى إذا أتيتهم ألا أقاتلهم ثلاثة أيام ، وأن أدعوهم إلى الإسلام ، فإن أسلموا أقمت فيهم ، وقبلت منهم ، وعلّمتهم معالمَ الإسلام وكتابَ الله وسنّة نبيّه ، وإن لم يسلموا قاتلتهم . وإنى قَدِمت عليهم فدعَوتُهم إلى الإسلام ثلاثةَ أيام ، كما أمَرنى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وبعثت

فيهم رُكبانًا ، قالوا : يابني الحارث ، أسلِموا تسلموا ، فأسلموا ولم يقاتلوا ، وأنا مُقيم بين أظهُرِهم ، آمُرهم بما أمرهم الله به وأنهاهم عما نهاهم الله عنه ، وأعلّمهم معالم الإسلام وسنة النبيّ صلى الله عليه وسلم حتى يكتب إليّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم. والسلام عليك يارسول الله ورحمة الله وبركاته .

كتاب الرسول إلى خالد يأمره بالمجيء

فكتب إليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم :

بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد النبيّ رسول الله إلى خالد بن الوليد . سلام عليك ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو . أما بعد ، فإن كتابك جاءني مع رسولك تخبر أن بني الحارث بن كعب قد أسلموا قبل أن تقاتلهم ، وأجابوا إلى مادعوتهم إليه من الإسلام ، وشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبد الله ورسوله ، وأن قد هداهم الله بهُداه ، فبشِّرهم وأنذرهم ، وأقبِلْ وليُقبِلْ معك وفدُهم ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

قدوم خالد مع وفدهم على الرسول

فأقبل خالد إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وأقبل معه وفدُ بني الحارث بن كعب ، منهم قيس بن الحُصَين ذي الغُصة ، ويزيد بن عبد المَدان ، ويزيد بن المحجّل ، وعبد الله بن قُرد الزيادي ؛ وشداد بن عبد الله القَناني ، وعمرو بن عبدالله الضبابي .

حديث وفدهم مع الرسول

فلما قدِموا على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فرآهم ، قال : من هؤلاء القوم الذين كأنهم رجال الهند ؟ قيل : يارسول الله ، هؤلاء رجال بنى الحارث ابن كعب ؛ فلما وقفوا على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم سلّموا عليه ، وقالوا: نشهد أنك رسول الله ، وأنه لا إله إلا الله ؛ قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله ، ثم قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أنتم الذين إذا زُجروا استقدموا ؟ فسكتوا ، فلم يراجِعْه منهم أحد ، ثم أعادها الثانية ، فلم يراجعه منهم أحد ، ثم أعادها الثالثة ، فلم يراجعه منهم أحد ، ثم أعادها الرابعة ، فقال يزيد بن عبد المَدان : نعم ، يارسول الله ، نحن الذين إذا زُجروا استقدموا ، قالها أربعَ مِرار ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : لو أن خالداً لم يكتبْ إلىّ أنكم أسلمتم ولم تُقاتلوا ، لألقيت رءوسكم تحت أقدامكم ؛ فقال يزيد بن عبد المَدان : أما والله ماحَمِدناك ولا حمدنا خالداً ، قال : فمن حَمِدتم ؟ قالوا : حمدنا الله عزّ وجلّ الذى هدانا بك يارسول الله ؛ قال : صدقتم . ثم قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : بم كنتم تغلبون من قاتلكم فى الجاهلية ؟ قالوا : لم نكن نغلب أحداً ؛ قال : بلى ، قد كنتم تغلبون مَنْ قاتلكم ؛ قالوا : كنا نغلب مَنْ قاتلنا يارسول الله إنا كنا نجتمع ولا نفْترق ، ولا نبدأ أحداً بظلم ؛ قال : صدقتم ، وأمّر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على بنى الحارث بن كعب قيسَ بن الحُصَين .

فرجع وفدُ بنى الحارث إلى قومهم فى بقيّة من شوّال ، أو فى صدر

ذى القَعدة ، فلم يمكثوا بعد أن رجعوا إلى قومِهم إلا أربعة أشهر ، حتى تُوفِّىَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورحم وبارك ، ورضى وأنعم .

بعث الرسول عمرو بن حزم بعهده إليهم

وقد كان رسولُ اللهُ صلى الله عليه وسلم بعث إليهم بعد أن ولّى وفدُهم عمرَو بن حزم ، ليفقِّههم فى الدين ، ويعلمهم السنة ومعالم الإسلام ، ويأخذ منهم صدقاتِهم ، وكتب له كتاباً عهد إليه فيه عَهده ، وأمره فيه بأمره .

بسم الله الرحمن الرحيم : هذا بيان من الله ورسوله ، ياأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ، عهد من محمد النبىّ رسول الله لعمرو بن حَزْم ، حين بعثه إلى اليمن ، أمرَه بتَقوى الله فى أمره كلِّه ، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ، وأمره أن يأخذ بالحقّ كما أمره الله ، وأن يبشّر الناس بالخير ، ويأمرهم به ، ويُعلِّمَ الناس القرآن ، ويفقِّههم فيه ، وينهى الناس ، فلا يمسّ القرآن إنسان إلا وهو طاهر ، ويخبر الناس بالذى لهم ، والذى عليهم ، ويلينَ للناس فى الحقّ ، ويشدّ عليهم فى الظلم ، فإن الله كرِه الظلم ، ونَهَى عنه ، فقال : ﴿ ألا لَعنةُ الله على الظَّالِمِينَ ﴾ ، ويبشِّر الناس بالجنَّة وبعَملها ، ويُنْذِر الناس النارَ وعملَها ، ويستألِف الناس حتى يُفَقَّهوا فى الدين ، ويعلِّم الناس معالم الحجّ وسنته وفريضته ، وما أمر الله به ، والحجّ الأكبر : الحجّ الأكبر ، والحج الأصغر : هو العُمرة ؛ ويَنْهى الناس أن يصلِّى أحدٌ فى ثوبٍ واحد صغير ، إلا أن يكون ثوباً يثنى طرفيه على عاتقيه ؛ وينهى الناس أن يحتبى أحد فى ثوب واحد يُفضى بفَرْجه إلى السماء ، وينهى أن يعقص أحد شعر رأسه فى قفاه ، وينهى إذا كان

بين الناس هَيْج عن الدعاء إلى القبائل والعشائر ، وليكن دعواهم إلى الله عزّ وجلّ وحدَه لاشريك له ، فمن لم يَدْع إلى الله ، ودعا إلى القبائل والعشائر فَلْيُقْطَفُوا بالسيف ، حتى تكون دعواهم إلى الله وحده لاشريك له ، ويأمر الناس بإسباغ الوضوء وجوههم وأيديهم إلى المرافق وأرجلهم إلى الكعبين ويمسحون برءوسهم كما أمرهم الله ، وأمر بالصلاة لوقتها ، وإتمام الركوع والسجود والخشوع ، ويُغَلِّس بالصبح ، ويهَجِّر بالهاجرة حين تميل الشمس ، وصلاة العصر والشمس فى الأرض مُدْبِرة ، والمغرب حين يقبل الليل ، لايؤخر حتى تبدوَ النجوم فى السماء ، والعِشاء أوّل الليل ، وأمر بالسّعى إلى الجمعة إذا نودِىَ لها ، والغُسْلِ عند الرّواح إليها ، وأمره أن يأخذ من المغانم خُمُس الله، وما كُتب على المؤمنين فى الصَّدقة من العَقار عُشْرُ ماسقَتِ العين وسقت السماء، وعلى ماسَقَى الغَرْبُ نصف العُشر ، وفى كلّ عَشر من الإبل شاتان ، وفى كلّ عشرين أربع شياه ، وفى كل أربعين من البقر بقرة ، وفى كل ثلاثين من البقر تَبيع جَذَع أو جَذَعة ، وفى كل أربعين من الغنم سائمة وحدها : شاة ، فإنها فريضة الله التى افترض على المؤمنين فى الصدقة ، فمن زاد خيراً فهو خير له ، وأنه من أسلم من يهودىّ أو نصرانىّ إسلاماً خالصاً من نفسه ، ودان بدين الإسلام ، فإنه من المؤمنين ، له مثل ما لهم ، وعليه مثل ماعليهم ، ومن كان على نصرانيته أو يهوديَّته فإنه لايُرَدُّ عنها ، وعلى كلّ حالم : ذكر أو أنثى، حُرّ أو عبد ، دينارٌ وافٍ أو عوَضُه ثياباً .

فمن أدّى ذلك فإن له ذمّة الله وذمَّةَ رسوله ، ومن منع ذلك ، فإنه

عدوّ لله ولرسوله وللمؤمنين جميعاً ، صلوات الله على محمد ، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته .

قدوم رفاعة بن زيد الجذامى

إسلامه وحمله كتاب الرسول إلى قومه

وقَدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هُدنة الحُدَيْبية ، قبل خيبر ، رِفَاعة بن زَيْد الجُذامىّ ثم الضُّبَيْبِىّ ، فأهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم غلاماً ، وأسلم ، فَحَسُن إسلامُه ، وكتب له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم كتاباً إلى قومه . وفى كتابه : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من محمد رسول الله ، لرفاعة بن زيد . إنى بعثته إلى قومه عامّة ، ومن دخل فيهم ، يدعوهم إلى الله وإلى رسوله ، فمن أقبل منهم ففى حزب الله وحزب رسوله ، ومن أدبر فله أمان شهرين .

فلما قدم رفاعة على قومه أجابوا وأسلموا ، ثم ساروا إلى الحَرّة : حَرّة الرَّجْلاء . ونزلوها .

قدوم وفد همدان

أسماؤهم وكلمة ابن نمط بين يدى الرسول

قال ابن هشام : وقَدِم وفد هَمْدان على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما حدثنى من أثق به ، عن عمرو بن عبد الله بن أُذينة العبدى ، عن أبى إسحاق

السَّبيعى، قال : قَـدِم وفد هَمْدَان على رسولِ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ منهم : مالك بن نَمَط ، وأبو ثَوْرٍ ، وهو ذو المِشْعار ، ومالك بن أَيْفع، وضِمَامُ بن مالك السَّلْمانى وعَمِيرَةُ بن مالك الخارِفى ، فلقوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم مَرْجِعَه من تبوك وعليهم مُقَطَّعات الحِبَرات . والعمائم العدنية به برحال المَيس على المَهْرِيَّة والأَرْحَبيَّة ومالك بن نَمَط ورجل آخر يَرْتَجِزَان بالقوم ، يقول أحدهما :

هَمْدَانُ خَـيْرٌ سُوقَةٌ وأَقْيالْ لَيْسَ لَهَا فى العالَمِينَ أَمْثالْ
مَحَلُّها الهَضْب ومنها الأبطال لَهَا إطابَاتٌ بِهَا وآكالْ

ويقول الآخر :

إِلَيْكَ جاوَزْنَ سَوادَ الرِّيفِ فى هَبَوات الصَّيفِ والخَرِيفِ
مُخَطَّماتٍ بِحِبالِ اللِّيفِ

فقام مالكُ بنُ نَمَطٍ بين يديه ، فقال : يارسول الله ، نَصِيَّةٌ من هَمْدان، من كلِّ حاضِرٍ وبادٍ ، أتوك على قُلُصٍ نَوَاج ، مُتَّصِلة بحبائل الإسلام ، لاتأخذهم فى الله لومةُ لائم ، من مِخْلافِ خارِفٍ ويامٍ وشاكرٍ أهلِ السُّود والقُودِ ، أجابوا دعوة الرسول ، وفارقوا آلِهاتِ الأنصاب عهدهم لايُنقَض ما أقامت لَعْلَع ، وما جرى اليَعْفُور بصُلَّع .

وكتب لهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم كتاباً فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتابٌ من رسول الله محمد ، لِمِخلاف

خارِفٍ وأهل جَنابِ الهَضْب وحِقَافُ الرمل ، مع وفدِها ذى المِشْعار مالك ابن نَمَط ومَنْ أسلم من قومه ، على أنّ لهم فِراعَها ووِهاطَها ، ما أقاموا الصلاة وآتَوُا الزّكاةَ ، يأكلون عِلافَها وَيَرْعون عافيَها، لهم بذلك عهدُ الله وذِمام رسوله ، وشاهِدُهم المُهاجرون والأنصار . فقال فى ذلك مالك بن نَمَطٍ :

ذكرتُ رَسُولَ اللهِ فى فَحْمةِ الدُّجَى ... ونحنُ بأعْلَى رَحْرَحانَ وصَلْدَدِ
وهُن بِنا خُوصٌ طَلائحُ تَغْتلى ... برُكْبانها فى لاحِبٍ مُتمدِّدِ
على كل فَتْلاءِ الذّراعين جَسْرَةٍ ... تَمُرّ بنا مَرّ الهِجَفِّ الخَفَيْدَدِ
حَلَفتُ بِرَبّ الرّاقِصاتِ إلى مِنًى ... صَوادرَ بالرُّكبان من هَضْبِ قَرْدَدِ
بأنّ رسُولَ اللهِ فِينا مُصَدَّقٌ ... رسولٌ أتى مِن عِند ذى العَرْشِ مهتدِى
فما حَملتْ مِنْ ناقةٍ فَوقَ رَحْلِها ... أشَدّ على أعدائِهِ مِنْ مُحمّدِ
وأعطَى إذا ما طالِبُ العُرْف جاءه ... وأمْضَى بحَدّ المَشْرفىّ المهنّد

ذكر الكذابين مسيلمة الحنفى والأسود العنسى

قال ابن إسحاق : وقد كان تكلّم فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الكذابان مُسَيْلمة بن حَبيب باليمامة فى حنيفة ، والأسود بن كعب العَنْسى بصَنعاء .

رؤيا الرسول فيهما

قال ابن إسحاق : حدّثنى يزيد بن عبد الله بن قُسَيط ، عن عطاء بن يسار

أو أخيه سليمان بن يسار ، عن أبى سعيد الخُدْرىّ ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب الناس على مِنْبره ، وهو يقول : أيُّها الناس ، إنى قد رأيت ليلة القدر ، ثم أنسيتها ، ورأيت فى ذراعىّ سوارين من ذهب ، فكرِهتهما ، فنفختُهما فطارا ، فأوّلتهما هذين الكذّابين : صاحب اليمن ، وصاحب اليمامة .

حديث الرسول عن الدجالين

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتّهم عن أبى هُريرة أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون دجالا ، كلهم يدّعى النبوّة .

خروج الأمراء والعمال على الصدقات

الأمراء وأسماء العمال وما تولوه

قال ابن إسحاق : وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قد بعث أمراءه وعماله على الصدقات ، إلى كلّ ما أوطأ الإسلام من البُلْدان ، فبعث المهاجرَ ابن أبى أميّة بن المغيرة إلى صَنعاء ، فخرج عليه العَنْسىّ وهو بها ، وبعث زيادة بن لَبيد ، أخا بنى بَياضَة الأنصارى ، إلى حضرَمَوْتَ وعلى صَدقاتها ؛ وبعث عدىّ بن حاتم على طيىء وصدقاتها ، وعلى بنى أسد ، وبعث مالك ابن نُويرة — قال ابن هشام : اليربوعى — على صدقات بنى حنظلة ، وفرّق صدقة بنى سعد على رجلين منهم ، فبعث الزِّبرقان بن بدر على ناحية منها ،

وقيسَ بن عاصم على ناحية ، وكان قد بعث العلاء بن الحضرمىّ على البحرين ، وبعث علىّ بن أبى طالب رضوان الله عليه إلى أهل نَجْران ، ليجمع صدقتهم ويَقْدَم عليه بجزْيَتِهم .

كتاب مسيلمة إلى رسول الله والجواب عنه

وقد كان مُسَيْلِمة بنُ حبيب ، قد كتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : من مُسَيْلِمة رسول الله ، إلى محمد رسول الله : سلام عليك ، أما بعد ، فإنى قد أُشركت فى الأمر معك ، وإن لنا نصفَ الأرض ، ولقُريش نصف الأرض ولكن قُرَيشاً قوم يَعتدون .

فقَدِم عليه رسولان له بهذا الكتاب .

قال ابن إسحاق : فحدثنى شيخ من أشجع ، عن سَلَمة بن نُعيم بن مسعود الأشجعىّ ، عن أبيه نُعيم ، قال : سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول لهما حين قرأ كتابه : فما تقولان أنتما ؟ قالا : نقول كما قال ، فقال : أما والله لولا أن الرُّسل لاتقتل لضربت أعناقَكما .

ثم كتب إلى مسَيلمة : بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله ، إلى مُسيلمة الكذّاب : السلام على من اتبع الهُدى . أما بعد ، الأرض لله يُورثها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين .

وذلك فى آخر سنة عَشْر .

قدوم الوفود على رسول الله صلى الله عليه وسلم

وفد عبد القيس:

من أصَحِّ ما جاء فى هذا الباب حديثُ وفْدِ عَبْدِ القيس ، وهم الذين قال لهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : مَرْحَباً بالوفدِ غير خَزَايا ولاَ نَدَامَى ، وقد تكرر حديثهم فى الصَّحِيحين دون تَسْمِيَةِ أحدٍ منهم ، فمنهم أَشَجُّ عبدالقيس ، وهو المُنذِر بن عائذٍ ، قال له النبىُّ صلى الله عليه وسلم : إن فيك خَلَّتَيْن يُحبُّهما اللهُ ورسولُه : الحلمَ والأَنَاة ، ومنهم أبو الوَازِع الزَّارِع بن عامر وابن أخته مَطَر بن هِلال العَنَزِى .

ولما ذكروا للنبى صلى الله عليه وسلم أنه ابنُ أختِهم قال: ابن أُختِ القوم منهم . ومنهم : ابن أخى الزَّارع ، وكان مجنوناً ، فجاء به معه ليدعُوَ له النبىُّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ فمسح ظهرَه ، ودعا له فبرِئَ لِحِينه ، وكان شيخاً كبيراً فكُسِى جَمالا وَشَباباً ، حتى كان وَجْهُه وجهَ العذْرَاء ، ومنهم الجَهْم بنُ قُثَم لما نهاهم النبىُّ عليه السلام عن الشُّرْب فى الأوْعِيه وحذَّرهم ما يقع فى ذلك من الجِراح ، وأخبرهم أنهم إذا شربوُا المُسْكرَ عَمدَ أحدُهم إلى ابن عَمِّه ، فجرحه ، وكان فيهم رجل قد جُرِح فى ذلك وكان يُخفى جرحه ويكتُمه ، وذلك الرجلُ هو جَهْم بن قُثَم ، عجبوا من علم النبى عليه السلام بذلك ، وإشارته إلى ذلك الرجلِ .

ومنهم : أبو خَيْرَةَ الصُّبَاحِى من بنى صُبَاحِ بن لُكَيْزٍ من حديثه عن

رسولِ الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : اللَّهُمَّ اغفِرْ لعبد القَيْس ، وأنه زَوَّدَهم الأَرَاكَ يَسْتَاكُون به ، ومنهم : مَزِيدَة[1] العَصَرِي جَدُّ هُودِ بن عبد الله[2] بن سعد ابن مَزِيدة ، وعلى هُودٍ يدور حديثُه في التَّمْرِ البَرْنِيّ ، وأنه دواء ، وليس فيه داء ، ومنهم : قَيْس بن النُّعْمان ذكره أبو داود في كتاب الأشْرِبة ، فهذا ما بلغني من تَسْمِيَة مَنْ وَفَد على النبي صلى الله عليه وسلم في وَفْدِ عبدِ القيس .

وذكر في الوُفود الحُتَاتَ بنَ يَزِيدَ وقول الفرزدق لمعاوية فيه :

فما بالُ ميرَاثِ الحُتَاتِ أكلتَه

البيت ، وبعده في غير سيرة ابن إسحاق :

فلو أنَّ هذا كان في غَيْرِ ملككم لَبُؤْتَ بها أو غَصَّ بالماء شَارِبُه

شرح صاحب الحلة :

وذكر فيهم عطارِدَ بن حَاجِب بن زُرَارَةَ ، وهو صاحب الحُلَّةِ التي قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم إنما يلبس هذه الحُلة مَن لا خَلَاقَ له [في الآخرة][3]

---

(١) قال عنه ابن مندة : مزيدة بن جابر العبدي العصري . وسماه ابن الكلبي : مزيدة بن مالك بن همام بن معاوية بن شبابة بن عامر بن خطمة بن محارب ابن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى . وقال الحافظ : وهذا هو المعتمد . والذي ذكره ابن مندة وهم ، فإن مزيدة بن جابر العبدي كان قاضي الخوارج في زمان قطري بن الفجاءة في زمن بني أمية .

(٢) هو جده لأمه كما جاء في الإصابة .

(٣) الزيادة من الصحيح ، هذا وقد ورد في الصحيح من طريق جرير بن حازم عن نافع عن ابن عمر قال : رأى عمر بن الخطاب عطارداً التميمي يبيع =

. . . .

وقول عمر رضى الله عنه : أتكسونى هذه ، وقد قلت فى حُلَّةِ عطَارِد ما قلت ، وكان سَبَبُ تلك الحُلَّة أن حاجبَ بن زُرارَة أبا عطارِد كان وفد على كِسْرى ليأخذ منه أمانًا لقومه لِيقرُبُوا من ريفِ العِرَاق لجدْبٍ أصاب بلادَهم ، فسأله كِسْرى رَهْنًا ليَستَوْثِقَ بها منهم ، فدفع إليه قَوْسَه رَهِينَةً فاستَحْمَقَه المَلِكُ وضحِك منه ، فقيل له : أيها الملكُ إنهم العربُ لو رَهَنك أحدُهم تَبِنَةً ما أسلمها غَدْراً فقبلها منه كِسْرَى ، فلما أخصبت بلادُهم انتشروا راجعين إليها ، وجاء حاجبٌ يطلب قوسَه ، فمند ذلك كساه كِسْرى تلك الحُلَّة التى كانت عند عطَارد المذكورة فى جامع المُوَطَّأ . ذكره ابن قُتَيْبَة فى المَعارِف أو معناه ، وفى المُوَطَّأ أن عُمَرَ رضى الله عنه ـ كسا الحُلَّة أخاله مُشرِكاً بمكة ، قال ابن الحَذَّاء : كان أخاه لأمّه ، واسمه : عُثمان بن حَكِيم الثَّقفِيّ ، وهو جد سعيد بن المُسَيِّب لأمه ، هكذا ذكر فى تَسْمِية رجالِ المُوَطَّأ ، وغلط من وجهين ، أحدهما أنه قال : كان أخا عُمَرَ لأُمِّه ، وإنما هوَ أخو زَيْد ابن الخَطَّاب لأُمِّه أسماءَ بنت وَهْبِ بن أسَدِ بن خُزَيْمَةَ ، وأما أُمّ عُمَرَ فهى حَنْتَمَةُ بنت هاشِم بن المُغِيرَةِ [بن عبد الله بن مخزوم[1]] ، والغلط الثانى أنه جعله ثَقِيفِيًّا وإنما هو سُلَمِيّ ، وهو عثمان بن حَكِيم بن أُمَيَّة بن مُرَّة بن هلال

= فى السوق حلة سيراء ، وكان رجلا يغشى الملوك ، ويصيب منهم ، فقال عمر : يارسول الله لو اشتريتها فلبستها لوفود العرب ، فقال : إنما يلبس الحرير فى الدنيا من لاخلاق له فى الآخرة ورواه مسلم عن شعبان بن أبى شيبة عن جرير ، وله روايات أخرى عند الطبرانى وابن مندة .

(١) الزيادة من نسب قريش ص ٣٤٧ .

. . . .

ابن فالجَ بن ذكْوانٍ بن ثعلبة بن بُهثة بن سُلَيم[1] ، هكذا نسبه الزبيرُ وبنته أم سعيد ، ولدت سعيد بن المسيّب .

نسب ابن الأهتم :

وذكر فيهم عمرو بن الأهتم ونسبه ، واسم الأهتم : سُمَيّ بن سِنانٍ ، وهو جد شَبيب بن شَيْبَة وخالد بن صَفْوان الخطيبين البليغين ، وسُمّي سُمَيّ بالأهتم ، لأن قيسَ بن عاصمٍ ضربه فهتم فاه .

عن كرسى الله :

وذكر خطبة ثابت بن قيسٍ ، وفيها وسع كُرسِيَّه علمُه ، وفيه رَدٌّ على من قال : الكرسى هو العلم ، وكذلك من قال هو القدرة ، لأنه لا توصف القدرةُ والعلمُ بأن العِلم وسعها ، وإنما كرسيُّه ما أحاط بالسموات والأرضين ، وهو دون العرشِ كما جاءت به الآثارُ ، فعلمُه سُبحانه قد وَسِع الكُرسِيَّ بما حواه من دقائق الأشياء وجلائلها وجُمَلِها وتفاصيلها ، وقد قيل : إن الكرسى فى القرآن هو العرشُ ، وهو قول الحسَنِ ، وفى هذا الحديث ما يكاد أن يكونُ حُجَّةً لهذا القول ، لأنه لم يُرِدْ أن العِلمَ وسع الكُرْسِيَّ ، فما دونه

(١) أم زيد أسماء بنت وهب بن حبيب بن الحارث بن عيسى بن قعين من بنى أسد بن خزيمة . ويقول المصعب الزبيرى فى كتابه : نسب قريش : «وأخوه لأمه عثمان بن حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص السلمى ، وعثمان بن حكيم هو جد سعيد بن المسيب أبو أمه ، ص ٣٤٨ .

على الخصوص ، دون ما فوقه ، فجائزٌ أن يريد به العرشَ ، وما تحته والله أعلم. فإن صحت الروايةُ عن ابن عباس أن الكرسِيَّ هو العلم ، فَمُؤَوَّلَةٌ ، كأنه لم يقصد تفسيرَ لفظ الكُرْسِيِّ ، ولكن أشار إلى أن معنى العلم والإحاطة يُفهَم من الآيةَ ، لأن الكُرْسِيَّ الذى هو عند العرب موضع القدَمَين من سَرِيرِ المُلكِ إذا وَسِعَ ماوسع ، فقد وسعه علمُ المَلِكِ ومُلْكُه وقُدْرَتُه ، ونحو هذا ، فليس فى أن يسع الكُرْسِيُّ ما وَسِعه مدحٌ وثناءٌ على الملك سبحانه ، إلا مِنْ حيث تَضَمَّنَ سِعَةَ العِلم والمُلك ، وإلا فلاَ مَدْحَ فى وَصْفِ الكرسى بالسَّعة ، والآية لامَحالةَ واردةٌ فى معرض المدح والتعظيم للعَلِيِّ العظيم الذى لا يَئُودُه حفظُ مخلوقاته كلِّها ، وهو الحى القَيُّومُ ، وقَوَّى الطبرى قولَ ابن عباس ، واحتج له بقوله عز وجل (ولا يَئُوده حفظُهما) وبأن العَرَبَ تسمى العلماء كَرَاسِيَّ. قال : ومنه سُمِّيَتْ الكُرَّاسُ[1] لماتَضَمَّنته[2] وتجمعه من العِلْم ، وأنشد :

تَحُفُّهم بيضُ الوُجُوهِ وعُصْبَةٌ ... كَرَاسِيُّ بالأَحْدَاثِ حينَ تنُوبُ[3]

أى عالمون بالأحداث .

(١) فى الأصل : الكراسى . والكراسى : واحدتها كراسة .
(٢) فى الأصل تضمنه فلعلها كما ضبطت أو تضمه . ونص تعبير الطبرى : قيل للصحيفة يكون فيها علم مكتوب : كراسة .
(٣) فى الطبرى : يحف بهم . وفى أساس البلاغة للزمخشرى عن قطرب : تحف بهـا .

شعر الزبرقان :

وذكر شعر الزِّبْرِقان ، وأن بعضَ الناس يُنْكِر الشعرَ له ، وذكر البرقى أن الشعر لِقَيْسِ بن عاصم المِنْقَرِىّ ، وكان الزِّبْرِقَانُ يُرْفَع له بيتٌ من عمائمَ وثيابٍ ، ويُنضَخُ بالزَّعفران والطِّيبِ ، وكانت بنو تميم تحج ذلك البيتَ . قال الشاعر ، وهو المُخَبَّل السَّعْدِى ، واسمه كَعْبُ بن رَبيعة بن قِتَال :

وأشْهَدَ من عَوف حُلُولاً كَثِيرَةً يَحُجُّون سِبَّ الزِّبْرِقَانِ المُزَعْفَرَا(١)

(١) فى الأصل : ست وهو خطأ فى الطبع . ويقول الجاحظ : كان الزبرقان يصبغ عمامته بصفرة ، وذكره للشاعر فقال : ثم ذكر البيت . ويرى قطرب أن المخبل نسب الزبرقان إلى الأبنة ؛ لأنه كان يصفر إسته ، وأنه يعنى بالسب : الاست السمط ص ١٩١ واللسان مادة زبرق . وفى إصلاح المنطق عن معنى البيت « يكثرون الاختلاف إليه ، والسب : العمامة ، وسب المرأة : خمارها ، وإنما سمى الزبرقان لصفرة عمامته » ص ٤١١ والحلول : الأحياء المجتمعة . أنظر ص ٩٧ ج ٣ البيان . ومادتى سبب وحجج فى اللسان . ورواية البيت فى الاشتقاق :

فهم أهلات حول قيس بن عاصم الخ . وفيه أيضاً : قال قوم : سمى الزبرقان لخفة لحيته ، وقال قوم : بل لجماله وقال قوم : لأنه كان يصبغ عمامته بالزعفران وكانت سادة العرب تفعل ذلك . وعن المخبل قال مغلطاى : اسمه : الربيع بن ربيعة ، وقيل : ربيعة بن مالك بن ربيعة بن عوف بن قتال بن أنف الناقة شاعر مخضرم لحز يكنى أبا يزيد مات فى خلافة عمر أو عثمان . وقال السهيلى : اسمه : كعب بن ربيعة بن قتال ، وهو وهم بينته فى كتاب الزهر الباسم » ص ٢٥٤ الاشتقاق وفى السمط أنه ربيعة بن مالك من بنى شماس بن لأى ابن أنف الناقة ص ٤١٨ — وقبل بيت الزبرقان :

=

رفع المسهم

. . . .

والسَّبُّ : العِمامَةُ ، وأحسبه أشار إلى هذا المعنى بقوله :

بما تَرَى الناسَ تأتينا سَرَاتُهم

البيت . وليس السَّرَاةُ جمع سَرِي كما ظنوا ، وإنما هو كما تقول ذِرْوَتُهم وَسَنامُهم ، وسَرَاةُ كل شيء : أعلاه ، وقد أوضحناه فيما مضى من هذا الكتاب ، والزِّبْرِقَانُ من أسماء القَمَر . قال الشاعر :

تُضِيء به المنابِرُ حينَ يَرْقَى عليها مِثْلَ ضَوْءِ الزِّبْرِقانِ

والزِّبْرِقَانُ أيضاً: الخفيفُ العارضين ، وكانت له ثلاثةُ اسماء: الزِّبْرِقَانُ والقَمَرُ والحُصَيْن ، وثلاثُ كُنًى : أبو العَبّاس ، وأبو شَذْرَةَ ، وأبو عَيّاش ، وهو الزِّبْرِقَانُ بن بَدْرِ بن امْرِئِ القَيْسِ بن خَلَفِ بن بَهْدَلَةَ بن عَوْفِ ابن كَعْبِ بن سَعْد بن زَيْدَ مَناة بن تَميم .

شعر حسان في الرد على الزبرقان في الميمية والعينية :

وقول حسان :

ببيتٍ حَريدٍ عِزُّه وثَرَاؤُه

يريد : بيتِ شَرَفِهِمْ من غَسَّانَ وهم مُلوك الشام ، وهم وسط الأعاجم ، والبيت الحَرِيدُ: المنفردُ عن البيوت ، كما انفردت غَسَّانُ ، وانقطعت عن أرض

= ألم تعلمى يا أم عمرة أننى تخطأنى ريب المنون لا كبرا

ولهذا ضبط ابن برى أشهد فى البيت بالنصب ، مادة زبرق ، اللسان .

رفع المسهم

. . . .

العرب ، وكان حسان يضرب بلسانه أرْنبَةَ أنفِه هو وابنُه وأبوه وجدُّه ، وكان يقول : لو وضعته يعنى لسانَه على حَجَرٍ لَفَلَقَه ، أوعلى شَعْرٍ لَحلَقَه ، وما يسرنى به مِقْوَلٌ من مَعَدٍّ .

وقول حسان :

يخاض إليه السُّمُّ والسَّلَعُ

السَّلَعُ : شجر مر قال أُمَيَّة [بن أبى الصَّلْت] :

عُشَرٌ ما وفَـوْقه سَلَعٌ ما   عائِـلٌ مَا ، وعالت البَيْقُورَا[1]

يريد أنهم كانوا إذا استَسْقَوْا فى الجاهلية رَبَطوا السَّلَع والعُشَرَ فى أذنابِ البقَر .

وقوله : شَمَعُوا ، أى : ضَحِكوا ومَزَحُوا . قال الشاعر [المتنخل الهذلى] يصف الأضياف :

وأبـدؤهم بمَشْمَعةٍ وأثنى   بجُهْدِى من طَعَامٍ أو بِسَاطِ

وفى الحديث : مَنْ تَتَبَّعَ المَشْمَعَةَ شَمَّعَ اللهُ به . يريد مَنْ ضَحِك من الناس وأفرطَ فى المزْحِ .

---

(١) البيت فى اللسان :

سلع ما ومثله عشر ما الخ . وفى البيت كما قال الأزهرى وقاله السهيلى بعد ، شاهد على ما يفعله العرب من استمطارهم بإضرام النار فى أذناب البقر ، والسلع شجر ، والعشر : شجر له صمغ . والبيقور : اسم جمع للبقر .

رفع
المسهم
عزالله لمصطفى المسلم

وقوله : أو وازَنُوا أهلَ مَجْدٍ بالنَّدَى متَعُوا

أى : ارتفعوا ، يقال : متَع النهارُ إذا ارتفع .

شعر آخر لحسان في الرد على الزبرقان :

وقول حسان :

وطِبْنا له أنفساً بفَيْءِ الْمَغانِمِ

يريد : طِيبَ نُفوسِهِم يوم حُنَيْنٍ حين أعطى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المُؤَلَّفَةَ قلوبُهم ، ولم يُعْطِ الأنصار شيئاً .

شرح قول ابن الأهتم لابن عاصم :

فصل : وذكر قولَ عمرو بن الأَهْتَم لقيس بن عاصم :

ظَلِلْتَ مُفْتَرِشَ الْهَلْباء تَشْتُمُنِي عند النبى فلم تَصْدُقْ ولم تُصِبِ

الْهَلْباء : فَعْلَاء من الْهُلْبِ وهو الخَشِينُ من الشَّعْر ، يقال منه : رجل أَهْلَبُ ، ومنه قول الشَّعْبِي فى مُشْكِلَةٍ نزلت : هَلْباء زَبَّاء ذَاتُ وَبَرٍ ، كأنه أراد بمُفْتَرِش الْهَلْباء ، أى : مُفْتَرِشاً لِحْيَتَه ، ويجوز أن يريد بمفترش الْهَلْباء ، يعنى امرأةً . وقيل : الْهَلْباء ، يريد بها هاهنا دُبُرَه ، فإن كان عنى امرأةً ، فهو نَصْب على النِّداء .

مانزل في وفد تميم من الحجرات :

وذكر ما أنزل اللهُ تبارك وتعالى فيهم فى سُورة الْحُجُرَاتِ ، وقد كان

رفع
المستهم
غفرالله له ولوالديه

عُمَرُ وأبو بكر اختلفا فى أمر الزِّبْرِقان وعَمْرِو بن الأهْتَم، فأشار أحدُهما بتقديم الزِّبْرِقان ، وأشار الآخرُ بتقديم عَمْرو بن الأهْتَم حتى ارتفعت أصواتُهما ، فأنزل اللهُ عز وجل ﴿ يا أيُّها الذين آمنوا لا تُقَدِّموا بين يَدَىِ الله ورسوله ، واتَّقُوا الله ﴾ إلى قوله : ﴿ لا تَرْفَعُوا أصواتَكم فَوْقَ صَوْتِ النَّبِىِّ ﴾ فكان عُمَرُ بعد ذلك إذا كلم النبىَّ عليه السلام لا يُكلِّمه إلا كأخى السِّرَارِ[1] .

إن من البيان لسحراً :

وفى هذا الوفد جاء الحديث أن رجلين قَدِما من نَجْدٍ تخطبا ، فعجب الناسُ لبيانهما ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : إن من البيان لَسِحْراً ، وأدخله مالك فى باب ما يُذَمُّ من القولِ ، من أجل أن السِّحْرَ مذمومٌ شرعاً ، وغيره يذهب إلى أنه مَدْحٌ لهما بالبيان واستمالةِ القلوب كالسِّحْر ، وكان من قولهما . إن عَمْراً قال للنبى صلى الله عليه وسلم فى الزِّبْرِقَانِ : إنه مُطَاعٌ فى أَدْنَيْهِ سَيِّدٌ فى عَشِيرَته ، فقال الزِّبْرِقانُ : لقد حَسَدَنى يارسول الله لِشَرَفى ، ولقد علم أفضل مما قال . قال : فقال عَمْرو : إنه لَزَمِرُ المُرُوءَة ضَيِّقُ العَطَنِ لئيمُ الخال ، فَعَرَفَ الإنكار فى وَجْه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يارسول الله

(١) عند البخارى فى رواية أن أحدهم أشار بالأقرع بن حابس ، والآخر برجل آخر . قال نافع : لا أحفظ اسمه ، فقال أبو بكر لعمر : ما أردت إلا خلافى الخ ، وقد انفرد به البخارى دون مسلم . وفى رواية أخرى أن أبا بكر أشار بتأمير القعقاع بن معبد ، وأن عمر أشار بتأمير الأقرع بن حابس . وفى مسند البزار أن أبا بكر هو الذى قال : يارسول الله لا أكلمك إلا كأخى السرار . وهناك روايات أخرى تخالف هذه حول أسباب نزول الآية ، فالله أعلم .

رضيتُ فقلتُ أحسن ماعَلِمتُ ، وسَخِطتُ فقلتُ أقبح ماعلمت ، ولقد صَدَقْتُ في الأولى وما كَذَبْتُ في الثانية ، فحينئذٍ قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إن من البيان لَسِحراً » وقوله : لئيم الخال ، قيل : إن أمه كانت من باهِلَةَ ، قاله ابن ثابت في الدلائل ، وقد أُنكِر هذا عليه ، وممن أنكره عليه أبو مَرْوَانَ بن سراج ، فالله أعلم ، لأن أهل النسب ذكروا أن أم الزِّبْرِقَانِ عُكْلِيَّةٌ من بني أُقَيْشٍ ، وعُكْلٌ وإن كانت تجتمع مع تميم في أُدٍّ بن طَابِخَةَ لكنَّ تميما أشرفُ منهم ، ولاسيما بني سَعْدٍ رهطِ الزِّبْرِقَانِ ، فلذلك جعله عَمْرٌو لئيم الخال .

خبر عامر وأربد :

فصل : وذكر خبر عامر بن الطفيل وأَرْبد ، وأن أرْبَدَ قال لعامر : ماهَمَمْتُ بقتلِ مُحَمَّدٍ إلا رَأَيتُك بَيْني وبينه أفأقتلك ؟ ! وفي غير رواية ابن إسحاق : إلاَّ رأيت بيني وبينه سُوراً من حديد وكذلك في روايةِ غيره ، قال عامر : لأَمْلأَنَّها عليك خَيْلاً جُرْداً ، ورجالا مُرْداً ، ولأَرْبِطَنَّ بكلِّ نخلةٍ فرساً ، فجعل أُسَيْدُ ابن حُضَيْرٍ يضرب في رءوسهما ويقول : اخرُجا أيها الهِجْرِسَانِ ، فقال له عامر : ومَنْ أنت ؟ فقال : أُسَيْدُ بن حُضَير ، فقال : أحُضَيْرُ بن سِمَاكٍ ؟ قال : نعم ، قال : أبوك كان خيراً منك ، فقال : بل أنا خيرٌ منك ، ومن أبي ، لأن أبي كان مُشرِكاً ، وأنت مُشرِكٌ . وذكر سيبويه قول عامر : أغُدَّةٌ[1] كغُدَّة

(١) مضبوطة في اللسان برفع غدة وكذلك في النهاية لابن كثير .

رفع المستهم

. . . .

البَعِيد ، وموتًا في بيت سَلُولِيّة ، في باب ما يَنتَصِبُ على إضمار الفعل المتروك إظهارُه، كأنه قال : أَغُدُّ غُدَّةً ،والسَّلُولية امرأةٌ منسوبة إلى سَلُول بن صَعْصَعَة وهم بنو مُرَّةَ بن صَعْصَعَةَ ، وسَلُولُ أمهم ، وهى بنت ذُهْل بن شَيْبَان ، وكان عامر بن الطُّفَيل من بنى عامر بن صَعْصَعَةَ ،فلذلك اختصها لقربِ النَّسبِ بينهما ، حتى مات في بيتها . وأما أشعارُ لَبيد في أَرْبَدَ ففيها قوله :

تُطِير عَدَائِد(١) الأشْرَاكِ شَفْعًا وَوِتْرًا والزَّعَامَةُ(٢) للغُــلَام

الزَّعامَةُ :الرِّياسة ، وقيل : أراد بالزَّعَامَةِ هنا بَيضَةَ السِّلاح،والأشراكُ : الشُّركاء،والعَدَائِدُ :الأنصِباء مأخوذٌ من العَـدَدِ ، ويقال: إن أَرْبَدَ حين أصابته الصاعقةُ أنزل اللهُ تبارك وتعالى على محمد صلى الله عليه وسلم : ﴿ ويُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فيُصِيبُ بِها مَنْ يَشَاءُ﴾ يعنى أَرْبَدَ والله أعلم . وعامرٌ وأربدُ يجتمعان في جَعْفَرِ بن كِلابِ بن ربيعةَ بن عامرٍ ،وأمُّهما واحدةٌ ، وسائرُ شعر لبيد في أَرْبَدَ مرغوبٌ عن الاشتغال بشرحه بناء على أصلنا المتقدم ، والله وليُّ التوفيق .

عود لبيد :

على أنَّ لَبيد رحمه الله قد أسلم وحَسُن إسلامُه ، وعاش في الإسلام ستِّين سَنَةً ، لم يقل فيها بيتَ شِعْرٍ ، فسأله عمرُ عن تَرْكه الشعر ، فقال : ما كنتُ لأقول شِعْرًا بعـد أن عَلَّمَنى الله البقرةَ وآل عِمْرانَ ، فزاده عُمَرُ في عطائه خمسمائة درهم ، من أجل هـذا القول ، فـكان عطاؤه ألفين وخَمْسمائةٍ ،

---

(١) رواية أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابي: غدائر .

(٢) قيل عن الزعامة إنها الرياسة أو الدرع .

رفع المساهم

. . . .

فلما كان معاويةُ ، أراد أن ينقصه من عطائه الخمسمائة ، وقال له : ما بالُ العِلاوةِ فوق الفَوْدَيْنِ ؟ فقال له لبيد : الآن أموت ، وتصير لك العِلاوةُ والفَوْدانِ ، فرَقَّ له معاويةُ وتركها له ، فمات لبيد إثْر ذلك بأيام قليلة ، وقد قيل : إنه قال بيتاً واحداً فى الإسلام :

الحمد لله إذ لم يأتِنِى أجَلِى حتى اكْتَسَيْتُ من الإسلام سِرْبالا

وفد جرش :

فصل : وذكر وَفْدَ جُرَشٍ ، وأن خَثْعَم صَوَّتَتْ إليها حين حاصرهم صُرَدُ ابن عبد الله ، وأنشد :

حتى أتينا حُمَيْراً فى مَصانِعِها وجَمْعُ خَثْعَمَ قد صاغَتْ(١) لها النُّذُرُ

ويُرْوَى خُمَيْراً بالخاء المُعْجَمة ، وفى حِمْيَر حمير الأدْنَى ، وهو حِمْيَر بن الغَوْثِ بن سَعْد بن عَوْفِ بن عَدِىٍّ بن مالك بن زَيْد بن شُدَد(٢) بن زُرْعَةَ وهو حِمْيَر الأصغرُ بن سَبَأ الأصْغَرِ بن كَعْب كَهْفِ الظُّلْم بن زَيْد الجمهور ابن عَمْرو بن قَيْس بن مُعاوِية بن جُشَم بن عَبْد شَمْس بن وَائِل بن الغَوْثِ ابن حَيْدَان بن قَطَنِ بن عَرِيب بن زُهَيْر بن الهَمَيْسَع بن حِمْيَر الأكْبَر(٣)

(١) فى السيرة : شاعت .
(٢) فى جمهرة النسب : شرد
(٣) النسب فى جمهرة ابن حزم من أول شرد : بن زرعة بن قيس بن صنعاء ابن سبأ الأصغر بن كعب بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن عوف بن حير بن قطن بن عوف بن زهير بن أيمن بن حمير بن سبأ . وهو كما ترى يختلف عما هنا . وعند ابن الكلبى : =

وهو الْعَرَنْججُ ، وقال الأَبْرَهِيُّ : وهو من علماء حمير بالنسب وهو منسوب إلى أَبْرَهة بن الصَّبَّاحِ الحُبَيرِيِّ فى حِمْير الأَدْنَى البدوء بذكره حِمْير ، وعلى هذا القول تَصِحُّ رواية الخاء المنقوطة ، ومن رواه بالحاء المهملة فهو تصغير حِمْير تصغير التَّرْخيم ، والْعَرَنْججُ فى لغة : حِمْير العَتِيق .

حديث ضمام :

فصل : وذكر حديث ضِمام بن ثَعْلَبة ، وهو الذى قال فيه طَلْحَةُ بن عُبَيْد الله : جاءنا أعرابى من أهل نَجْدٍ ثائر الرأس يُسْمَع دَوِيُّ صوته ، ولا يفقه مايقول ، حتى دنا ، فإذا هو يَسألُ عن الإسلام، الحديث، رواه مالك فى الْمُوَطَّأ عن عَمِّه عن جَدِّه عن طَلْحَةَ ، وقد تَرْجَم عليه أبو داود لما فيه من دُخُول المشرك المسجِدَ.

وذكر معه حديث اليَهُودِ حين دَخَلوا المسجدَ ، وذكروا أن رجلا منهم ، وامرأةً زَنيا ، وقال به الشافعى ، وكره مالك دخول الذِّمِّى المسجد ، وخصص أبو حنيفة المسجدَ الحرام لقول الله تبارك وتعالى : ﴿ إنما الْمُشْرِكون نَجَسٌ ، فلا يَقْرَبُوا المسْجِدَ الحرامَ ﴾ الآية ، وتعلق مالكٌ بالعلة التى نبهت عليها الآية ، وهى التَّنْجِيس ، فَعَمَّ المساجدَ كُلَّها .

= كعب بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبدشمس بن الغوث بن حيدان بن قطن بن عريب بن الهميسع . وقد سقط حيدان منه هنا ، ولكنه ذكرها فى مكان آخر أنظر ٣٦٤ ، ٣٦٥ المحبر .

. . . .

حول حديث الجارود

فصل : وذكر الجارودَ العَبْدِىّ ، وهو بِشْر بن عَمْرو بن المُعَلَّى ، يُكْنى أبا المُنْذِرِ ، وقال الحاكمُ : يُكْنَى أبا غِياثٍ وأبا عِتابٍ ، وسمى الجَارُودَ ، لأنه أغار على قَوْمٍ من بَكْرٍ ، فَجَرَّدهم[1] قال الشاعر :

ودُسْناهم بالخَيْل من كُلِّ جانِبٍ　　　كما جَرَّد الجَارُود بَكْر بنَ وَائلٍ

وذكر فى آخر حديث الجارُودِ الغَرُور بن النُّعْمانِ بن المُنذِرِ ، وكان كِسْرَى حين قَتَل النُّعمانَ صَيَّر أمر الحِيرَة إلى هانئ بن قَبِيصَةَ الشَّيْبانِى ، ولم يبق لآل المُنْذر رَسْمٌ ولا أَمْرٌ يذكر حتى كانت الرِّدَّة ، ومات هانىء ابن قَبِيصَةَ فأظهر أهلُ الرِّدَّة أمر الغَرُور بن النُّعْمان ، واسمه : المُنْذِر ، وإنما سمى الغَرُور ، لأنه غَرَّ قومَه فى تلك الرِّدَّة ، أو غَرُّوه واستعانوا به على حَرْبهم فقُتِل هنالك ، وزعم وثِيمةُ بن موسى أنه أسلم بعد ارتداده ، والله أعلم .

وفد بنى حنيفة ونسب مسيلمة :

فصل : وذكر وَفْدَ بنى حَنِيفَةَ ، واسم حَنِيفَةَ أُثَال بن لُجَيْم بن صَعْب بن عَلِى ابن بَكْر بن وائل مع مُسَيْلِمَةَ على النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو مُسَيْلِمَةُ

---

(١) فى اللسان : لأنه فر بإبله إلى أخواله من بنى شيبان ، وبإبله داء ، ففشا ذلك الداء فى إبل أخواله ، فأهلكها .

. . . .

ابن ثُمَامَةَ بن كَبِير(١) بن حُبَيْبِ بن الحارث بن عَبْدِ الحارث بن هِفَّانِ بن ذُهْلِ بن الدُّول بن حَنِيفَة يكنى أبا ثُمَامَةَ ، وقيل : أبا هارون ، وكان يسمَّى بالرَّحْمن فيما رُوى عن الزُّهْرِى قبل مَوْلد عبدِ الله والدِ رسولِ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقُتِل وهو ابن مائةٍ وخَمْسين سَنَةً ، وكانت قُرَيشٌ حين سمعت بسم الله الرحمن الرحيم ، قال قائلهم : دق فُوكَ ، إنما تذكُر مُسَيْلِمَة رَحْمان اليمَامَةِ ، وكان الرَّحَّال الحَنَفِى(٢) ، واسمه نَهار بن عُنفُوَة ، والعُنْفُوَةُ يابس الحَلِىّ ، وهو نبات ، وذكره أبو حنيفة ، فقال فيه : عُنْثُوَ بالثاء المثلثة ، وقال : هو يابس الحَلِىّ ، والحَلِىُّ : النَّصِى ، وهو نَبت ـ قدم فى وَفْد اليَمَامة على النبىّ صلى الله عليه وسلم فآمن وتعلم سُوَراً من القرآن ، فرآه النبىُّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوماً جالساً مع رجلين من أصحابه ، أحدُهما فُراتُ بن حَيَّان ، والآخر : أبو هُرَيرَة ، فقال : ضِرْسُ أحدِكم فى النار مثلُ أُحُد ، فما زالا خائفين حتى ارْتَدَّ الرَّحَّالُ ، وآمن بمُسَيْلِمَةَ وشهد زُوراً أن النبىَّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد شرِكَه معه فى النُّبُوَّة ، ونسب إليه بعضَ ما تعلم من القرآن ، فكان من أقوى أسباب الفِتنة على بَنِى حَنِيفَةَ ، وقتله زيدُ بن الخَطَّاب يوم اليمَامة ، ثم قتل زَيْدَ بن الخطاب سَلَمةُ بن صُبَيْح الحَنَفِىّ ، وكان مُسَيْلِمَةُ صاحب

---

(١) فى جمهرة ابن حزم : كثير .

(٢) ذكره القاموس بالجيم على وزن شداد ، وقال : ووهم من ضبطه بالحاء .

. . . .

نيرُوجاتٍ[1] يقال : إنه أول من أدخلَ البيضَة فى القارُورة[2] ، وأول من وصل جناح الطائر المقصُوص ، وكان يَدَّعى أنَّ ظَبْيَةً تأتيه من الجبَـل ، فيحلب لبنها ، وقال رجل من بنى حَنيفَةَ يرثيه :

لَهفى عليكَ أبا ثُمَامَهْ   لَهفى على رُكْنَى شمامه
كم آيةٍ لك فيهـــم   كالشَّمس تطلع من غَمامَه

وكَذَبَ بل كانت آياتُه مَنكُوسَةً ، تفَلَ فى بئر قَوْمٍ سألوه ذلك تبرُّكاً فَمَلُحَ ماؤُها ، ومسح رأسَ صَبِىٍّ فقَرِعَ قَرَعاً فاحشاً ، ودعا لرجل فى ابنَيْنِ له بالبَرَكَة ، فرجع إلى منزله فوجد أحدهما قد سقط فى البئر ، والآخر قد أكله الذئبُ ، ومسح على عينى رجـل استشفى بمسحه ، فابيضَّت عيناه .

مؤذنا مسيلمة وسجاح :

واسم مُؤذِّنه : حُجَيْر ، وكان أول ما أمر أن يذكر مُسَيلِمَةُ فى الأذان توقف ، فقال له مُحَكَّمُ بن الطُّفَيْـل : صَرِّحْ حُجَيْر ، فذهبت مثلا . وأمَّا سَجَاح التى تَنَبَّأت فى زمانه وتزوَّجها ، فـكان مؤذِّنها جَنَبَةُ بن طارِقٍ ، وقال القُتَبِىُّ : اسمه : زُهَيْر بن عَمْرو ، وقيل : إن شَبَثَ بن رِبْعِىٍّ أذَّن لها أيضاً ، وتُكْنَى أمَّ صادرٍ ، وكان آخرُ أمرها أن أسلمت فى زمان عُمَرَ ، كل هذا من كتاب الواقدى وغيره . وكان مُحَكَّم بن طُفَيْـل الحَنَفِى ، صاحب

(١) النيرنج : أخذ كالسحر وليس به ، وجمعها : نيرنجات ونيارج .
(٢) عمل هين يأتيه طلابنا فى معاملهم .

رفع
المسيرهم
عز الله ليال الدين

حَرْبه ومُدَبِّرُ أمْرِه، وكان أشرفَ منه فى حَنِيفَةَ، ويقال فيه: مُحَكَّمٌ ومُحَكَّمٌ، وفيه يقول حسان بن ثابت:

يا مُحْكَم بن طُفَيْلٍ قد أتيح لكم ... لله دَرُّ أبيكم حَيَّةَ الوَادِى

وقال أيضاً:

يَخْبِطن بالأيْدِى حِياضَ مُحَكَّمٌ

امرأة مسيلمة:

وقول ابن إسحاق: انزلوا، يعنى وفدَ بنى حَنِيفَةَ بدارِ الحارثِ. الصواب: بنت الحارثِ، واسمها: كَيْسَة بنت الحارث بن كُرَيْز بن حَبِيب بن عَبْدشمس، وقد تقدم فى غزوة قُرَيظَة الكلام على كَيْسَة: وكَيْسَةُ بالتخفيف، وأنها كانت امرأة لمُسَيْلِمة قبل ذلك، فلذلك أنزلهم بدارها وكانت تحت مُسَيْلِمَةَ، ثم خلف عليها عبدالله بن عامر، وذكرنا هنالك أن الصوابَ ماقاله ابن إسحاق أنَّ اسم تلك المرأة زينبُ بنت الحارثِ، كذا وقع فى رواية يونس عن ابن إسحاق، والمذكورة هاهنا كَيْسَةُ بنتُ الحارثِ، وإياه عنى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين خَطَبَ، فقال: أريتُ فى يدى إسوارين من ذَهَب فكرهتُهما، فنفخت فيهما فطارا فأوَّلتُهما كذَّابُ اليمامَةِ والعَنْسِى، صاحب صنعاء،، فأما مُسَيْلِمَة فقتله خالد بن الوليد، وأفنى قومه قتلاً وسَبياً.

صعود العنسى:

وأما مسعود بن كَعْب العَنْسِى، وعَنْسٌ من مَذْحِج، فاتبعته قبائل من

مَذْحِج واليمن على أمرِهِ ، وغلب على صَنْعاءَ ، وكان يُقال له ذو الخِمار ، ويلقب : عَيْهَلَة ، وكان يَدّعى أن سَحِيقًا وشَرِيقًا يأتيانه بالوحى ، ويقول : هما مَلَكان يتكلّمان على لسانى ، فى خدع كثيرة يُزَخْرِف بها ، وهو من وَلَدِ مالك بن عَنْسٍ ، وبنو عَنْسٍ جُشَمُ وجُشَيْم ومالك وعامر وعَمْرو ، وعزيز ومُعاوية وعَتِيكَةُ وشِهابُ والقِرِّيَّةُ ويام[1] ومن ولد يام بن عَنْسٍ عَمَّار ابن ياسر ، وأخواه عبد الله وحُوَيْرِثٌ ابنا ياسِرِ بن عُمَر بن مالك ، قتله فَيْرُوز الدَّيْلَمِى ، وقيس بن مَكْشُوح ودَاذَوَيْهِ رَجُلٌ من الأبناء دَخلوا عليه من سِرْبٍ صنعته لهم امرأةٌ كان قد غَلَب عليها من الأبناء ، فوجدوه سَكْرَانَ لا يَعقِل من الخَمْر ، فخبطوه بأسيافهم وهم يقولون :

ضَلَّ نَبِىٌّ مات وهْوَ سَكْرَان والناسُ تَلْقَى جُلُّهُمْ كالذِّبَّانْ

النور والنار لَدَيْهِم سِيَّانْ

ذكره الدَّوْلَابى ، وزاد ابن إسحاق فى رواية يونس عنه أن امرأته سَقَتْه البَنْجَ فى شَرَابه تلك الليلةَ ، وهى التى احْتَفَرَت السِّرْبَ للدخول عليه ، وكان اغْتَصَبها ، لأنها كانت من أجمل النساء ، وكانت مُسْلِمَةً صالحة ، وكانت تُحَدِّث عنه أنه لا يغتسل من الجَنَابَة ، واسمها المَرْزُبَانَةُ ، وفى صورة قَتْله اخْتِلَافٌ .

وقوله صلى الله عليه وسلم : أُرِيتُ سِوَارَيْن من ذَهَبٍ ، فنفختهما فطارا ، قال بعضُ أهل العلم بالتعبير : تأوِيل نفخه لهما أنهما بريحِهِ قُتِلا ، لأنه لم يغزُهما

---

(١) فى الجمهرة هم : سعد الأكبر وسعد الأصغر ، وعمرو ، وعامر ومعاوية ، وعزيز وعتيك وشهاب ومالك ويام وجشم والقرية .

. . . .

بنفسه ، وتأويل الذهب أنه زُخْرُفٌ ، فدل لفظُه على زَخْرَفَتِهما ، وكذبهما ، ودل الإسْوَارَان بلفظهما على مَلِكين لأن الأساورة هم الملوك ، وبمعناهما على التضييق عليه لكون السُّوارِ مُضَيِّقاً على الذِّراع .

زيد الخيل :

فصل : وذكر زيد الخيل ، وهو زَيْدُ بن مُهَلْهِل بن زَيْدِ بن مُنْهِبٍ ، يكنى : أبا مُكْنِف الطَّائيّ ، واسم طَيِّء أُدَدٌ ، وقيل له : زَيْدُ الْخَيْل لخمس أفْرَاسٍ ، كانت له ، لها أسماء أعلام ذهب عني حِفْظُها الآن(١) .

وذكر قوله صلى الله عليه وسلم : إن يَنْجُ زيدٌ من حُمَّى المدينة .

أسماء الحمي :

قال الراوي : ولم يُسَمِّها باسمها الْحُمَّى ، ولا أُمّ مِلْدَم ، سماها باسم آخر ذهب عني ، والاسم الذي ذهب عن الرَّاوي مِنْ أسماء الحمى ، هو أم كُلْبَة ، ذكر لي أن أبا عُبَيْدَةَ ذكره في مَقاتِلِ الفرسان ، ولم أره ، ولكن رأيت البكري ذكره في باب أفرده من أسماء البلاد ، ولها أيضاً اسمٌ سِوى هذه الأسماء ذكره ابن دُرَيْدٍ في الْجَمْهَرة ، قال : سَبَاطِ ، من أسماء الْحُمَّى على وزن

---

(١) ضبط منهب في السمط بوزن منبر ، ويقول البكري : « وإنما سمي زيد الخيل لكثرة خيله ، لأنه لم يكن لأحد من قومه ، ولا لكثير من العرب إلا الفرس والفرسان ، وكانت لزيد خيل كثيرة ، فالتي ذكر منها في شعره ستة : الهطال والكميت والورد والكامل وذءول ، « ولاحق » .

. . . .

رَقاشِ ، وأما أم مِلْدَم ، فيقال بالدَّال ، وبالذال وبكسر الميم وفتحها ، وهو [من] اللدم وهو شدة الضرب ، ويحتمل أن يكون أم كُلْبَةَ هذا الاسم مُغيَّراً من كُلْبَة بضم الكاف ؛ والكُلْبَةُ شِدَّة الرِّعْدة ، وكُلَبُ البَرْدِ شدائده ، فهذه أم كُلْبَةَ بالهاء ، وهى الحُمَّى ، وأما أم كُلْبٍ ، فشجرةٌ لها نَوْرٌ حَسَنٌ ، وهى إذا حُرِّكت أَنتَنَتْ شَيْء ، وزعم أبو حنيفة أن الغنم إذا مسّتها لم تستطع أن تقرب الغنم ليلتها تلك من شِدَّة إنْتانها .

خبر زيد فى رواية أخرى :

وذكر فى خبر زيد الخيل فى رواية أبى على البغدادِيِّ ماهذا نَصُّه : خَرَج نفر من طَيِّء يريدون النبىَّ عليه السلام بالمدينة وُفُوداً ، ومعهم زَيْد الخَيْل ، ووَزَر بن سُدُوسٍ النَّبْهانِيّ وقَبِيصَةُ بن الأَسْوَدِ بن عامر بن جُوَيْن الجَرْمِيّ ، وهو النصرانى ، ومالك بن عبد الله بن خَيْبَرِيّ بن أَفْلَت بن سلسلة وقُعَيْن بن خُلَيْفٍ الطَّرِيفِىّ رجل من جَدِيلة ، ثم من بنى بَوْلان ، فعقلوا رواحِلهم بفِناء المسجد ، ودخلوا ، فجلسوا قريباً من النبى — صلى الله عليه وسلم — حيث يسمعون صوتَه ، فلما نظر النبىُّ — صلى الله عليه وسلم — إليهم ، قال : إنى خَيْرٌ لكم من العُزَّى ، ولاتِها ، ومن الجَمَلِ الأَسْوَدِ الذى تَعْبدُون من دون الله ، ومما حازت مَناعُ[1] ، من كل ضارّ غير نَفّاع ، فقام زيد الخيل ، فكان من أعظمهم خَلْقاً وأحْسَنِهم وَجْهاً وشعْراً ، وكان يركب الفرسَ العظيم الطويل

---

(١) فى معجم البكرى : مناع : هضبة فى جبال طىء ، أو هو اسم لأجأ ، سمى بذلك لامتناعهم فيه من ملوك العرب والعجم .

رفع المسهم

. . . .

فتخط رِجلاه فى الأرض كأنه حِمارٌ ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم - وهو لا يعرفه : الحمدُ لله الذى أتى بك من سَهلِك وحَزْنك ، وسَهَّل قلبكَ للإيمان ، ثم قبض على يده ، فقال : مَنْ أنتَ ؟ فقال : أنا زَيْدُ الخَيْل بن مُهَلْهِل ، وأنا أشهد أن لا إلهَ إلّا الله ، وأنك عبد الله ورسوله ، فقال له : بل أنت زَيْدُ الخَيْر ، ثم قال : يازيد ما خُبِّرْتُ عن رجل شيئاً قطّ إلا رأيتُه دون ماخُبِّرْتُ عنه غيرك، فبايعه ، وحسُن إسلامُه ، وكتب له كتاباً على ماأراد ، وأطعمه قُرًى كثيرةً ، منها : فَيْد ، وكتب لكل واحدٍ منهم على قومه إلاَّ وَزَرَ بن سُدُوسٍ ، فقال : إنى لأرى رجلا ليَمْلِكَنّ رقابَ العَرَبِ ، ولا واللهِ لا يملك رَقَبتى عَرَبِىٌّ أبداً ، ثم لحِقَ بالشام ، وتَنَصَّر وحلق رأسه ، فلما قام زيد من عند النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : أى فتى لم تدركه أم كُلْبَةَ ، يعنى : الحُمّى ، ويقال : بل قال : إن نجا من آجام المدينة ، فقال زيد حين انصرف :

أُنِيخَتْ بآجام المدينة أرْبَعاً ... وعَشْراً يُغَنّى فوقها الليلَ طائرُ
فلما قضت أصحابُها كُلَّ بُغْيَةٍ ... وخَطَّ كتاباً فى الصحيفة ساطِر
شَدَدْتُ عليها رَحْلَها وشَلِيلَها ... من الدَّرْس والشَّعْراءِ والبَطْنُ ضامِرُ

الدَّرْسُ : الجَرَبُ . والشَّعْراء : ذُبابٌ. قال أبو الحسن المدائنى فى حديثه : وأهدى زيدٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم مِخْذَماً والرَّسُوب ، وكانا سيفين لِصنمٍ بلى الفلس[1] ، فلما انصرفوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(١) الفلس بضم الفاء واللام ، أو سكونها أو بفتح الفاء وسكون اللام هو =

ماقَدَم علىَّ رجلٌ من العرب يُفضِّله قومُه إلا رأيتُه دون مايقال إلا ما كان من زَيْدٍ ، فإن يَنجُ زَيْدٌ من حُمَّى المدينة فَلأَمْرٍ ما هو . وقوله :

أَلَا رُبَّ يومٍ لو مَرِضْتُ لعادَنِى　　عوائدُ من لم يُبْرَ منهن يَجْهَدِ

وبعده :

فليتَ اللَّواتى عُدْنَنِى لم يَعُدْنَنِى　　وليتَ اللَّواتى غِبْنَ عَنِّى شُهَّدِى

قدوم عدى بن حاتم

وهو عَدِىُّ بن حاتم بن عَبْد اللهِ بن سَعْد بن حَشْرج بن امْرِىء القَيْس ابن عَدِىٍّ[1] بن رَبِيعَةَ بن جَرْوَلِ بن ثُعَلِ بن عَمْرو بن الغَوْثِ بن طَيِّىء يكنى أبا طَريف[2] ، وحديث إسلامه صحيحٌ عجيب خرَّجه الترمذى ، وأخته التى ذكر إسلامَها أحسب اسمَها سَفَّانَةَ ، لأنى وجدت فى خبر عن امرأةِ حاتم تذكر فيه من سَخَائِه قالت : فأخذ حاتمٌ عَدِيًّا يُعَلِّلُه من الجوع ، وأخذتُ أنا سَفَّانَةَ ، ولا يعرف لَعَدِىٍّ ولدا نقرض عقبُه ، ولحاتم عقبٌ من قبل

= صنم طيء الذى بعث النبى « ص » عليا لهدمه سنة تسع . وكان آنفا أحمر فى وسط أجأ كأنه تمثال إنسان . وأخذ سيفين مشهورين يقال لهما المخذم ورسوب كان الحارث بن أبى شمر الغسانى قلده إياهما . أنظر الطبرى ص ١٧٧ ج٣ ط المعارف ، ولسان العرب مادة خذم والمراصد .

(١) فى إمتاع الأسماع بعد عدى : ابن أخزم بن أبى أخزم بن ربيعة بن ثعل ابن جرول .

(٢) فى الإصابة : طريف .

. . . .

عبد الله بن حاتم، ذكره القُتَبِيُّ ، ولا يعرف له بنتٌ إلا سفَّانة ، فهى إذاً هذه المذكورةُ فى السِّيرة والله أعلم ، وأم حاتم : عِنَبَةُ[1] بنتُ عفيف [بن عمرو[2] ابن عبد القيس] كانت من أكرم الناس وهى التى تقول :

لَعَمْرِى لَقَدْ ماعَضَّنِى الجوعُ عَضَّةً ... فآليتُ ألا أَحْرِمَ الدَّهْرَ جائعا[3]

والسَّفَّانَةُ : الدُّرَّة ، وبها كان يُكْنى حاتم .

حديث فروة «معنى قرو»

وذكر ابن إسحاق حديث فَرْوَةَ وقوله :

طَرَقَتْ سُلَيمى مَوْهِناً أصحابى ... والروم بين الباب والقَرْوَان[4]

القَرْوَانُ : يجوز أن يكون جمع قَرْو ، وهو حوض الماء مثل صِنْوَان ،

(١) قال عنها القالى: غنية بنت عفيف بن عمرو بن عبد القيس. وقال البكرى : وصواب اسمها عنبة . . وقد تصحف فى عامة الكتب بعتبة وغنية . ص ٢٣ — ٢ ط ٢ الأمالى وص ١٣ — ٣ سمط اللآلى .

(٢) الزيادة من الأمالى المكان السابق .

(٣) فى الأمالى الا أمنع ، وقد حجر أهلها عليها لإتلافها ما لها فى الكرم ، فلما ظنوا أنها قد وجدت ألم ذلك أعطوها صرمة من إبلها . فجاءتها هوازنية ، فأعطتها إياها ، ثم أنشدت هذا البيت ، وبعده :

فقولا لهذا اللائم اليوم أعفنى ... فإن أنت لم تفعل فعض الأصابعا
فماذا عسيتم أن تقولوا لأختكم ... سوى عذلكم أو عذل من كان مانعا
ولا ما ترون الخلق إلا طبيعة ... فكيف بتركى يا بن أم الطبائعا

ص ٢٤ — ٣ الأمالى ط ١ .

(٤) هذا البيت ليس فى السيرة .

رفع
المسبتهم
عز الله لطولالديه

. . . .

ويجوز أن يكون جمع : قَرِىٌّ مثل صَلِيب وصُلْبَان. وأصحُّ ماقيل فى القَرْوِ إنّه حُوَيْضٌ من خَشَبٍ تُسْقَى فيه الدَّوَابّ ، وتَلِغ فيه الكِلابُ ، وفى المثل :مافيها لاَعِي قَرْوٍ،أي:[1] مافى الدارَ حَيَوانٌ ،وأراد : بلاعى قَرْوٍ ، لاعِق قَرْوٍ،وقلب القاف الأولى ياء للتّضْعيف .

إبدال آخر حرف فى اسم الفاعل :

وحَسّنَ ذلك أنه اسم فاعِل ، وقد يُبْدلون من آخر حَرْفٍ فى اسمِ الفاعل ياءً ، وإن لم يكن ثَمّ تَضْعِيف، كقولهم فى الخامس : خَامِيهم ، وفى سادسهم سَادِيهم ، وكذلك إلى العاشر ، ونَحْوٌ منه : ما أنشد سِيبَوَيْه .

ولضَفَادِى جَمّه نَقَانِقُ[2]

أى لِضَفَادِع جَمِّه ، وأنشد :

مِنَ الثَّعَالِى وَوخْزٌ من أَرَانِيها[3]

---

(١) فى الأصل :قرواني.

(٢) فى الأصل : جبه . وأول البيت :

ومنهل ليس له حوازق

وقيل : إن صانع البيت : خلف الأحمر . والحوازق الجماعات . والجم :جمع جمة ، وهى معظم الماء ومجتمعه ص ٣٤٤ ح ١ كتاب سيبويه .

(٣) البيت لرجل من بنى يشكر . وأوله :

لها أشارير من لحم تتمره

والأشارير : جمع إشرارة وهى القطعة من اللحم يجفف للادخار. وتتمره : تجففه . والبيت فى وصف عقاب « المصدر السابق » .

رفع المسائل

. . . .

أراد الثعالبَ وأرانبها ، وإذا كان هذا معروفا فلاَعِى قَرْوٍ أحقُّ أن يُقلبَ آخرُه ياء كراهةَ اجتماع قافَين .

وذِكر قُدومَ وفد كِندةَ ، وفيه قوله عليه السلام : لا نقفُو أمَّنا ، ولا نَنْتَفِي من أبينا ، وفي هذا ما يدل على أن الأشعَثَ قد أصاب في بعض قوله : نحن وأنت بَنُو آكِل المُرَارِ ، وذلك أن في جَدَّات النبي صلى الله عليه وسلم مَنْ هي من ذلك القَبِيلِ ، منهن : دَعْدُ بنت سرير بن ثَعْلَبَةَ بن الحارثِ الكِنْدِيُّ المذكور ، وهي أم كِلاَبِ بن مُرَّة ، وقيل : بل هي جَدَّة كِلابٍ أم أمه هند ، وقد ذكر ابن إسحاق هِنْداً هذه ، وأنها ولدت كِلاَباً .

قدوم وفد بني الحارث بن كعب

ذكر فيهم يزيدَ بن عبد المَدَانِ ، واسم عَبْدَ المَدَانِ عَمْرو بن الدَّيَّانِ ، والدَّيَّانُ اسمه : يزيد بن قَطَنٍ بن زِيادِ بن الحارثِ بن مَالِكِ بن رَبِيعة بن كَعْب ابن الحارث بن كَعْبِ الحارثي .

وذكر فيهم أيضاً ذا الغُصَّة ، واسمه الحُصَيْنُ بن يَزيدَ بن شَدَّادِ الحارثي ، وقيل له : ذو الغُصَّة ، لغُصَّةٍ كانت في حَلْقِه لا يكاد يَبِين منها ، وذكره عمر ابن الخطاب يوماً ، فقال : لا تُزَاد امرأةٌ في صَدَاقِها على كذا وكذا ، ولو كانت بنت ذي الغُصَّة .

وذكر فيهم عَمْرَو بن عبد الله الضِّبَابي ، وهو ضِبَابُ بكسر الضاد في بني الحارث بن كعب بن مَذْحِج ، وضِبَابٌ أيضاً في قُرَيْشٍ وهو ابن حُجَيْر

ابن عَبْد بن مَعِيص بن عامر أخو حَجَرِ بن عَبْد ، وفى حَجَرٍ وحُجَيْرٍ يقول الشاعر :

أُنْبِئْتُ أنَّ غُواةً من بنى حَجَرٍ ومن حُجَيْرٍ بلا ذَنْبٍ أراغونى
أغنُوا بنى حَجَرٍ عنا غُوَاتَكُمُ ويا حُجَيْرُ إليكم لا تُبورُونى

والضِّبَابُ فى بنى عامر بن صَعْصَعَةَ ، وهم ضِبابٌ ومُضِبٌّ وحِسْلٌ وحُسَيْلٌ بنو معاوية بن كِلاَبٍ ، وأما الضَّبَابُ بالفَتْح ، ففى نسب النابغة الذُّبْيانِيّ ضَبَابُ بن يَرْبُوع بن غَيْظٍ ، وأما الضُّبَابُ بالضم فزَيْدٌ ومنجا[1] ابنا ضُبابٍ من بنى بَكْرٍ ، ذكره الدَّارَقُطْنى .

وفود رفاعة :

فصل : وذكر وفود رفاعة الضُّبَيْبِى ، وأنه أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم غلاماً ، وذلك الغُلاَم هو الذى يقال له : مِدْعَم ، وقع ذكره فى الموطأ[2] .

وذكر وفد هَمْدَانَ، ومالك بن نَمَطِ الهَمْدَانِيّ الذى يقال له ذو المِشْعَارِ ، وكُنْيَتُه : أبو ثَوْرٍ وقع فى النُّسخة ، وفى أكثر النُّسَخ :وأبو ثَوْرٍ بالواو ، كأنه غيره ، والصواب سقوط الواو ، لأنه هوهو ، وقد يخرج إثبات الواو على

(١) فى القاموس : والمنجى للمفعول : سيف واسم .
(٢) وقع ذكره أيضاً فى الصحيحين من طريق سالم مولى ابن مطيع عن أبى هريرة فى فتح خيبر . وفيه أن مدعماً أصابه سهم عائر فقتله .

. . . .

إضمارِ هو، كأنه قال : وهو أبو ثور ذُو الْمِشْعَارِ، وقد ذكره ابن قُتَيْبَةَ ، فقال في غريب الحديث : مالكُ ذِو الْمِشْعَارِ ، وذكره أبو عُمَر فقال: هو ذُو الْمِشْعارِ يكنى : أبا ثور ، وفي الكتاب الذي كتبه له رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : هذا كتابٌ من محمد رسول الله إلى مِخْلافِ خارِفٍ ويامٍ وأهلِ جِنابِ الْهَضْبِ وحِقافِ الرَّمْلِ مع وَافِدِها ذِي الْمِشْعارِ مالكِ بن نَمَطٍ ، فهذا كله يدل على أن الواو في قوله : وأبو ثور ذو الْمِشْعار لاَ معْنَى له .

وقوله : عليهم مُقَطَّعَاتِ الحَبَرات : الْمُقَطَّعاتُ من الثياب في تفسير أبي عُبَيْدٍ ، هي القِصار ، واحتج بحديث ابن عباس في صلاة الضحى إذا انقطَعَتْ الظِّلالُ ، أي : قَصُرت ، وبقولهم في الأراجيز : مُقَطَّعَات ، وخطأه ابنُ قُتَيْبَةَ في هذا التأويلِ ، وقال : إنما الْمُقَطَّعَاتُ الثِّيابُ الْمَخِيطَةُ كالقُمُصِ ونحوها ، سُمِّيت بذلك ، لأنها تُقَطَّع وتُفَصَّل ثم تُخاط[1] ، واحتج بحديثٍ رواهُ عن بعضِ ولدِ عبدِ الملك بن مرْوَان ، وفيه أنه خرج وعليه مُقَطَّعاتٌ يجرها ، فقال له شيخٌ من بني أُمَيَّةَ : لقد رأيت أباك ، وكان مُشَمِّراً غير جرَّارٍ لثيابه ، فقال له الفتى: لقد هَمَمْتُ بتقصيرِها ، فمنعني قولُ الشاعر في أبيك :

قَصِير الثِّيَابِ فَاحِشٌ عند ضَيْفِهِ ... لشرقُرَيْشٍ[2] في قُرَيْشٍ مُرَكَّبا

---

(١) في شرح السيرة لأبي ذر : مقطعات : ثياب وشى يصنع باليمن . والميس خشب تصنع منه الرحال التي تكون على ظهر الإبل .

(٢) في السمط: عند بيته وشر قريش. والقصة أن هشام بن عبد الملك خرج وهو سوقة إلى بيت المقدس ، فمر بدمشق ، فلقيه محمد بن الضحاك بن قيس =

. . . .

والظاهرُ في قولِه عليهم مُقطَّعات الحِبَرات ما قاله ابن قُتَيْبَةَ ، ولامعنى لوصْفِها بالقِصَرِ في هذا الموطِنِ. والمَهْرِيَّة مَنْسُوبَةٌ إلى مَهْرة بن حَيْدَان[1] ابن الحَافِ بن قُضَاعَةَ[2]. والأرْحَبِيَّةُ : منسوبة إلى أرْحَبَ بطْن من هَمْدَان. ويامٌ هو يامُ بن أصْبَى ، وخارِفُ بن الحارِث بطْنَان من هَمْدَانَ يُنْسب إلى يام : زُبَيْد [بن الحارث بن عبد الكريم] اليَامِيُّ المُحدِّث ، وأهل الحديث يقولون فيه : الأيَامِيّ. والفِرَاعُ : ماعلا من الأرض . والوِهَاطُ : ماانخفض منها، واحدها : وهْطٌ . ولَعْلَعٌ : اسم جَبَلٍ . والصُّلَّعُ : الأرض المَلْساء. والخَفَيْدَدُ: ولد النَّعامَة . والهِجَفُّ : الضَّخْمُ .

وذكر حديث عَمْرو بن مَعْدِ يكَرِبَ ، وقيسِ بن مَكْشُوح .

= الفهري ، وهو واليها يومئذ ، وعلى هشام ثياب يجرها ، فقال له : أمارأيت أمير المؤمنين عبد الملك يعرض له بجر ثيابه ؟ فقال هشام : بلى ، قال : فكيف رأيته ؟ قال مهجراً مشمراً ، قال : فما بالك أنت ؟ قال : فعلت هذ لقول الشاعر . ثم ذكر البيت . أنظر ص ١٦٥ سمط اللآلى ، وص ١٧٤ جـ ٦ الحيوان للجاحظ .

(١) في الأصل : المهدية ومهدة بن حيران وهو خطأ وهو في الاشتقاق : مهرة بن حيدان بن عمران بن الحاف بن قضاعة وصوابه حيدان بن عمرو بن الحاف ، وكذا في جمهرة الأنساب لابن الكلبي ، وفي الجمهرة لابن حزم ، أنظر ص ٥٥٢ الاشتقاق . ص٥٢ قلائد الجمان للقلقشندي ولكنهم في كتابه نهاية الأرب مهرة بن حيدان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ص ٢٤٧ وانظر ص ٤١٢ الجمهرة لابن حزم وص ٢٩٦ جـ٢ نهاية الأرب للنويري .

(٢) ابن الحارث بن عبد الكريم زيادة من لباب الأنساب ، وأصبى كما ورد في اللباب ابن رافع بن مالك بن حسم بن حاشد بن جشم بن خيوان بن نوف بن همدان .

رفع المسهم

حجة الوداع

تجهز الرسول واستعماله على المدينة أبا دجانة

قال ابن إسحاق : فلما دخل على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ذو القعدة ، تجهّز للحج ، وأمر الناس بالجهاز له .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه القاسم بن محمد ، عن عائشة زوج النبىّ صلى الله عليه وسلم ، قالت : خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى الحجّ لخمس ليال بقين من ذى القعدة .

قال ابن هشام : فاستعمل على المدينة أبا دجانة الساعدى ، ويقال : سباع ابن عُرْفُطَة الغِفارىّ .

وذكر فى الشعر :

تُلاَقِ شَنْبَثًا شَثْنَ الـ بَرَاثِنِ نَاشِزًا كَتَدُهْ[1]

أُلفِيتُ بخط الشَّيْخ أبى بحر على هذا البيت قال : قال القاضى : لا أعرف شَنْبَثًا الآن ، ولعلهُ تلاقِ شَرنَبثًا[2] ، وجزم تُلاَقِ لما فى قوله :

فلو لاَ قَيْتَنى من قوّة الشّرْط ، فكأنه أراد : إن لا قيتنى تُلاَقِ .

---

(١) فى السيرة : كتده

(٢) الغليظ الكفين والرجلين والأشد .

ماأمر به الرسول عائشة فى حيضها

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه القاسم بن محمد، عن عائشة ، قالت : لا يذكرولا يذكر الناس إلا الحجّ ، حتى إذا كان بسَرِف وقد ساق رسولُ الله صلى الله عليه وسلم معه الهَدْى وأشرافٌ من أشراف الناس ، أمر الناس أن يَحِلوا بعُمْرَةٍ ، إلا مَنْ ساق الهَدْى ؛ قالت : وحِضْت ذلك اليوم ، فدخل علىّ وأنا أبكى ، فقال : مالكِ ياعائشة ؟ لعلكِ نُفِسْتِ ؟ قالت : قلت : نعم ، والله لوددت أنى لم أخرج معكم عامى فى هذا السفر ؛ فقال : لا تقولِنّ ذلك ، فإنكِ تقضِين كلّ مايقضى الحاج إلا أنك لا تطوفين بالبيت قالت : ودخل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مكة ، فحل كُلُّ من كان لاهَدْى معه ، وحلّ نساؤه بعُمرة ، فلما كان يوم النحر أُتيتُ بلحم بقر كثير ، فطُرِح فى بيتى ، فقلت : ماهذا ؟ قالوا : ذبح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن نسائه البقر ، حتى إذا كانت ليلة الحَصْبة ، بعث بى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مع أخى عبد الرحمن بن أبى بكر فأعمرنى من التّنعيم ، مكان عُمرتى التى فاتتنى .

قال ابن إسحاق : وحدثنى نافع ، مولى عبد الله بن عمر ، عن عبد الله بن عمر ، عن حَفْصَة بنت عمر ، قالت : لما أمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم نساءَه أن يَحِللن بعُمرة ، قُلْن : فما يمنعك يارسول الله أنْ تُحل معنا ؟ فقال : إنى أهديتُ ولبّدت ، فلا أحلّ حتى أنحر هَدْيى .

. . . .

موافاة على في قفوله من اليمن رسول الله في الحج

بما أمر الرسول علياً من أمور الحج

قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي نَجيح: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بعث علياً رضى الله عنه إلى نجران، فلقيه بمكة وقد أحرم، فدخل على فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنها، فوجدها قد حلّت وتهيّأت، فقال: مالك يابنت رسول الله؟ قالت: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نَحِلّ بعمرة فحللنا. ثم أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، فلما فرغ من الخبر عن سفره، قال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، انطلق فطُف بالبيت، وحِلّ كما حلّ أصحابك. قال: يارسول الله إنى أهللتُ كما أهللتَ؛ فقال: ارجع فاحلِلْ كما حلّ أصحابك؛ قال: يارسول الله، إنى قلت حين أحرمتُ: اللهم إنى أُهِلّ بما أهَلّ به نبيّك وعبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم؛ قال: فهل معك من هَدْى؟ قال: لا. فأشركه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هَدْيه، وثبت على إحرامه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى فرغا من الحج، ونحر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الهدى عنهما.

شكا علياً جنده إلى الرسول لانتزاعه عنهم حللا من بز اليمن

قال ابن إسحاق: وحدثنى يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي عمرة، عن يزيد بن طلحة بن يزيد بن رُكانة، قال: لما أقبل علىّ رضى الله عنه من اليمن ليلقى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بمكة، تعجّل إلى رسول الله صلى الله

عليه وسلم ،واستخلف على جُنده الذين معه رجلا من أصحابه ، فعَمد ذلك الرجل فكَسا كلَّ رجل من القوم حُلَّة من البَزّ الذى كان مع علىّ رضى الله عنه . فلما دنا جيشه خرج ليلقاهم ، فإذا عليهم الحُلل ؛ قال: ويلك ! ماهذا ؟ قال: كسوت القوم ليتجمّلوا به إذا قدموا فى الناس ، قال : ويلك ! انزِع قبل أن تنتهىَ به إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم . قال : فانتزع الحُلل من الناس، فردّها فى البزّ ، قال : وأظهر الجيش شكواه لما صُنِع بهم .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر بن حزم ، عن سليمان بن محمد بن كعب بن عُجْرة عن عَمته زينب بنت كَعب ، وكانت عند أبى سعيد الخُدْرِىّ ، عن أبى سعيد الخدرىّ ، قال : اشتكى الناسُ علياً رضوانُ الله عليه ، فقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فينا خطيباً ، فسمعته يقول : أيها الناس، لاتشكوا علياً ، فوالله إنه لأخشن فى ذات الله ، أو فى سبيل الله ، من أن يشكى .

خطبة الرسول فى حجة الوداع

قال ابن إسحاق : ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على حجّه ، فأرى الناسَ مناسِكهم ، وأعلمهم سُنَن حَجِّهم ، وخَطَب الناسَ خُطْبَته التى بيّن فيها ما بَيّن ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، اسمعوا قولى ، فإنى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا بهذا الموقف أبداً ، أيها الناس ، إن دماءَكم وأموالَكم عليكم حرام إلى أن تَلقَوْا رَبَّكم ، كحُرْمَة يومِكم هذا ، وكحُرْمَةِ شهركم هذا ، وإنكم ستَلقون ربّكم ، فيسألكم عن أعمالكم ،

وقد بلّغت ، فمن كانت عنده أمانة فَلْيُؤَدِّها إلى من ائْتَمَنَه عليها ، وإن كُلّ رِبًا مَوْضوعٌ ، ولكن لكم رُءوس أموالكم ، لاتَظْلِمون ولا تُظْلَمون . قضى الله أنه لارِبًا ، وإن رِبا عبّاس بن عبد المطلب موضوع كله ، وأن كل دَمٍ كان فى الجاهلية موضوع ، وإن أوّل دمائكم أضع دمُ ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وكان مُسترضعاً فى بنى ليث ، فقتلته هذيل فهو أوّل ما أبدأ به من دماء الجاهلية . أما بعد أيها الناس ، فإن الشيطان قد يَئِس من أن يُعْبد بأرضكم هذه أبداً ، ولكنّه إن يُطَع فيما سوى ذلك فقد رَضِى به مما تَحقِرون من أعمالكم ، فاحذروه على دينكم ، أيها الناس : إن النَّسِىء زِيادَة فِى الكُفْرِ ، يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا ، يُحِلُّونَهُ عاماً ويُحَرِّمُونَهُ عاماً ، لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ ماحَرَّمَ اللهُ ، فَيُحِلُّوا ماحَرَّمَ اللهُ ، ويُحَرِّمُوا ماأَحَلَّ اللهُ . وإن الزّمان قد استدار كهيئته يومَ خلق اللهُ السموات والأرضَ ، وإن عدّة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً ، منها أربعة حُرُمٌ ، ثلاثة متوالية ، ورَجَب مُضَرَ ، الذى بين جُمادَى وشَعْبان . أما بعد أيها الناس ، فإن لكم على نسائكم حقّاً ، ولهنّ عليكم حقاً ، لكم عليهن أن لا يوطئن فُرُشَكُمْ أحداً تكرهونه ، وعليهن أن لا يأتين بفاحشة مبيِّنة ، فإن فعلن فإنّ الله قد أذن لكم أن تهجروهنّ فى المَضاجع وتَضربوهنّ ضرْباً غير مُبَرِّح ، فإن انتهين فلهنّ رزقُهن وكُسوتهن بالمعروف ، واستوصوا بالنساء خيراً ، فإنهن عندكم عَوَانٍ لايملكن لأنفسهن شيئاً ، وإنكم إنما أخذتموهنّ بأمانة الله ، واستحللتم فروجهنّ بكلمات الله ، فاعقلوا أيها الناس قَوْلى ، فإنى قد بلّغت ، وقد تركت

. . . .

فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً ، أمراً بيِّناً ، كتابَ الله وسنَّة نبيه . أيها الناس ، اسمعوا قولى واعقلوه ، تعلَّمُنَّ أن كل مسلم أخ للمسلم ، وأن المُسلمين إخوة ، فلا يحل لامرىء من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه ، فلا تظلِمُن أنفسكم ، اللهم هل بلغت ؟

فذُكر لى أن الناس قالوا : اللهم نعم ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: اللهم اشهد .

اسم الصارخ بكلام الرسول وما كان يردده

قال ابن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد قال : كان الرجل الذى يصرخ فى الناس بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بعرفة ، ربيعة بن أُمَيَّة بن خلف . قال : يقول له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : قل يا أيها الناس ، إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : هل تدرون أى شهر هذا ؟ فيقول لهم ، فيقولون : الشهر الحرام ، فيقول : قل لهم : إن الله قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحُرمة شهركم هذا ؛ ثم يقول : قل : يا أيها الناس ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : هل تدرون أى بلد هذا ؟ قال : فيصرخ به ، قال : فيقولون . البلد الحرام ، قال : فيقول : قل لهم : إن الله قد حرّم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم ، كحرمة بلدكم هذا . قال : ثم يقول : قل : يا أيها الناس ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : هل تدرون أى يوم هذا ؟ قال : فيقوله لهم . فيقولون : يوم الحج الأكبر ؛ قال : فيقول : قل لهم : إن الله قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقَوا ربكم كحُرمة يومكم هذا .

. . . .

رفع المسهم

رواية ابن خارجة عما سمعه من الرسول فى حجة الوداع

قال ابن إسحاق : حدثنى ليث بن أبى سُلَيم عن شَهْر بن حوشب الأشعرى، عن عمرو بن خارجة قال : بعثنى عَتَّاب بن أُسَيد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حاجة ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم واقف بعَرفة ، فبلغته ، ثم وقفت تحت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن لُغامها ليقع على رأسى ، فسمعته وهو يقول : أيها الناس ، إن الله قد أدّى إلى كلّ ذى حقّ حقه ، وإنه لاتجوز وصيَّة لوارث ، والولد للفراش ، وللعاهر الحَجَر ، ومن ادّعى إلى غير أبيه ، أو تولى غير مواليه ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لايقبل الله منه صَرْفاً ولا عدلا .

بعض تعليم الرسول فى الحج

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبدُ الله بن أبى نجيح : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وقف بعرفة ، قال : هذا الموقف ، للجَبل الذى هو عليه ، وكل عرفة موقف . وقال حين وقف على قُزَح صبيحة المزدلفة : هذا الموقف ، وكل المزدلفة موقف . ثم لما نحر بالمنحر بمِنًى قال : هذا المنحر ، وكلّ مِنى منحر . فقضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الحجّ وقد أراهم مناسكهم ، وأعلَمهم ما فَرَض الله عليهم من حجِّهم : من الموقف ، ورَمىِ الجمار ، وطواف بالبيت ، وما أُحل لهم من حجِّهم ، وما حُرِّم عليهم ، فكانت حِجة البلاغ ، وحجة الوداع ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يحجّ بعدها .

رفع
المستهام
غفر الله له ولوالديه

بعث أسامة بن زيد إلى أرض فلسطين

قال ابن إسحاق : ثم قفل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فأقام بالمدينة بقيَّة ذى الحِجَّة والمحرّم وصفر ، وضرب على الناس بعثاً إلى الشام ، وأمَّر عليهم أُسامة بن زيد بن حارثة مولاه ، وأمرَه أن يُوطىء الخيل تخوم البَلقاء والداروم من أرض فلسطين ، فتجهَّز الناس ، وأوعب مع أسامة بن زيد المهاجرون الأوّلون .

خروج رسول الله إلى الملوك

تذكير الرسول قومه بما حدث للحواريين

حين اختلفوا على عيسى

قال ابن هشام : وقد كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى الملوك رسلا من أصحابه ، وكتب معهم إليهم يدعوهم إلى الإسلام .

قال ابن هشام : حدثنى من أثق به عن أبى بكر الهُذَلىّ قال : بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه ذات يوم بعد عُمرته التى صدّ عنها يوم الحديبية ، فقال : أيها الناس ، إن الله قد بعثنى رحمة وكافّة ، فلا تختلفوا علىّ كما اختلف الحواريون على عيسى بن مريم ؛ فقال أصحابه : وكيف اختلف الحواريون يارسول الله ؟ قال : دعاهم إلى الذى دعوتكم إليه ، فأما من بعثه مَبعثاً قريباً فرضى وسَلِم ، وأما من بعثه مَبعثاً بعيداً فكره وجهه وتثاقل ، فشكا ذلك عيسى إلى الله ، فأصبح المتثاقلون وكلّ واحد منهم يتكلم بلغة الأُمّة التى بُعث إليها .

أسماء الرسل ومن أرسلوا إليهم

فبعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم رسلا من أصحابه ، وكتب معهم كتباً إلى الملوك يدعوهم فيها إلى الإسلام . فبعث دِحْيه بن خليفة الكلبي إلى قيصر، ملك الروم ؛ وبعث عبدَ الله بن حُذافَةَ السَّهْمِيَّ إلى كِسرى ، ملك فارس ، وبعث عمرو بن أُميَّة الضَّمْرى إلى النَّجاشي ، ملك الحبشة ، وبعث حاطبَ ابن أبى بَلْتعة إلى المُقَوْقِس ، ملك الإسكندرية ، وبعث عمرو بن العاص السَّهمى إلى جَيْفَر وعَيَّاد ابْنَىْ الجُلُندى الأَزْدِيَّيْنِ ، مَلِكَىْ عُمَان ، وبعث سَلِيط بن عمرو ، أحد بنى عامر بن لؤى ، إلى ثُمامة بن أُثال ، وهَوْذَة بن على الحنفيين، ملكى اليمامة ، وبعث العَلاء بن الحَضْرمى إلى المُنْذر بن ساوَى العَبْدى، ملك البحرين ، وبعث شجاع بن وهب الأسدى إلى الحارث بن أبى شِمر الغسَّانى ، ملك تخوم الشام .

قال ابن هشام : بعث شُجاعَ بن وهب إلى جَبَلَةَ بن الأَيْهَم الغَسَّانى ، وبعث المهاجرَ بن أبى أُميَّة المخزوميَّ إلى الحارث بن عبد كُلال الحِمْيَرى ، ملك اليمن .

قال ابن هشام : أنا نسيت سَلِيطا وثُمامة وهَوْذَة والمنذر .

رواية ابن حبيب عن بعث الرسول رسله

قال ابن إسحاق : حدثنى يزيد بن أبى حبيب المصرى : أنه وجد كتاباً فيه ذكر من بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى البلدان وملوك العرب

. . . .

رفع المسهم

والعجم ؛ وما قال لأصحابه حين بعثهم . قال : فبعثت به إلى محمد بن شهاب الزهريّ فعرفه ؛ وفيه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه فقال لهم : إن الله بعثني رحمةً وكافّةً ، فأدّوا عني يرحمكم الله ، ولا تختلفوا عليّ كما اختلف الحواريون على عيسى بن مريم ، قالوا : وكيف يارسول الله كان اختلافهم؟ قال: دعاهم لمثل ما دعوتكم له ، فأمّا مَن قرّب به فأحبّ وسلم ، وأمّا من بعد به فكرهه وأبى ، فشكا ذلك عيسى منهم إلى الله ، فأصبحوا وكلّ رجل منهم يتكلم بلغة القوم الذين وجّه إليهم .

أسماء رسل عيسى

قال ابن إسحاق : وكان مَنْ بَعث عيسى بن مريم عليه السلام من الحواريين والأتباع ، الذين كانوا بعدَهم في الأرض : بُطْرُسُ الحوارِيُّ ، ومعه بُولُس ، وكان بولُسُ من الأتباع ، ولم يكن من الحواريين ، إلى رُومية ، وأنْدِرَائِس ومَنْتا إلى الأرض التي يأكل أهلُها الناس ، وتُوماس إلى أرض بابل من أرض المَشرق ؛ وفِيلِبْس إلى أرض قَرْطاجَنّة ، وهى إفْرِيقية ، ويُحَنّسَ ، إلى إفسوس ، قرية الفِتْية ، أصحاب الكهف ، ويعقُوبُسُ إلى أوراشَلِمَ ، وهى إيلياء ، قرية بيت المقدس ، وابن تَلْماء إلى الأعرابية ، وهى أرض الحِجاز ، وسِيمُنَ إلى أرض البَربر ، ويهُوذا ، ولم يكن من الحواريين ، جُعل مكان يُودِس .

ذكر جملة الغزوات

بسم الله الرحمن الرحيم

قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال حدثنا زياد بن عبد الله البكائى عن محمد بن إسحاق المُطَّلبى : وكان جميع ما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه سبعاً وعشرين غزوة ، منها غزوة وَدَّان ، وهى غَزْوة الأبواء ، ثم غزوة بُواط ، من ناحية رَضْوَى ، ثم غزوة العُشَيْرة ، من بطن يَنْبُع ، ثم غزوة بدر الأولى ، يطلب كُرْزَ بن جابر ، ثم غزوة بدر الكبرى ، التى قتل الله فيها صَنَادِيدَ قُرَيش ، ثم غَزْوة بنى سُلَيْم ، حتى بلغ الكُدْر ، ثم غزوة السَّوِيق ، يطلب أبا سفيان بن حرب ، ثم غزوة غَطَفَان ، وهى غزوة ذى أمر ، ثم غزوة بَحْران ، معدن بالحجاز ، ثم غزوة أُحُدٍ ، ثم غزوة حَمْراءِ الأسد ، ثم غزوة بنى النَّضير ، ثم غزوة ذات الرِّقاع من نخل ، ثم غزوة بدر الآخِرة ، ثم غزوة دُومة الجندل ، ثم غزوة الخندق ، ثم غزوة بنى قُرَيْظة ، ثم غزوة بنى لِحْيان ، من هُذَيل ، ثم غزوة ذى قَرَد ، ثم غزوة بنى المُصْطَلِق من خُزَاعة ، ثم غزوة الحُدَيْبِية ، لا يريد قتالا ، فصدّه المشركون ، ثم غزوة خَيبر ، ثم عُمْرة القضاء ، ثم غزوة الفتح ، ثم غزوة حُنَين ، ثم غزوة الطائف ثم غزوة تَبُوك .

قاتل منها فى تسع غَزَوات : بدر ، وأُحد ، والخندق ، وقُرَيظة ، والمُصْطَلِق ، وخَيْبر ، والفتح وحُنَين ، والطائف .

ذكر جملة السرايا والبعوث

وكانت بعوثه صلى الله عليه وسلم وسَرَاياه ثمانياً وثلاثين ، من بين بَعْثٍ وسَرِيَّةٍ : غزوةُ عُبَيْدة بن الحارث أسفل من ثَنِيَّة ذى المَرْوَة ، ثم غزوة حَمْزة ابن عبد المطّلب ساحل البحر ، من ناحية العِيص ؛ وبعض الناس يقدم غَزْوَة حمزة قبل غزوة عُبَيْدة ؛ وغزوةُ سعد بن أبى وقاصٍ الخرّار ، وغزوة عبد الله ابن جَحْشٍ نَخْلة ، وغزوة زيد بن حارثة القَرَدَة ، وغزوة محمد بن مَسْلَمة كَعْبَ بن الأشرف ، وغزوة مَرْثَد بن أبى مَرْثَدٍ الغَنَوى الرجيع ، وغزوة المُنذِرِ بن عمرٍو بِئْرَ مَعُونة ، وغزوة أبى عُبَيْدةَ بن الجراحِ ذا القَصَّة ، من طريق العراق ، وغزوة عمر بن الخطّاب تُرَبَةَ من أرض بنى عامر ، وغزوة علىّ بن أبى طالب اليَمَن ، وغزوة غالبِ بن عبد الله الكَلْبى ، كَلْبِ لَيْث ، الكَدِيد ، فأصاب بنى المُلَوّح .

خبر غزوة غالب بن عبد الله الليثى بنى الملوح

شأن ابن البرصاء

وكان من حديثها أن يعقوب بن عُتبة بن المغيرة بن الأخنس ، حدثنى عن مُسلم بن عبد الله بن خُبَيْبٍ الجُهَنِىّ ، عن المُنْذِرِ ، عن جُنْدَبِ بْنِ مَكِيثٍ الجُهَنِىّ ، قال : بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم غالب بن عبد الله الكَلْبى ، كَلْب بن عوف بن لَيْث ، فى سرية كنت فيها ، وأمره أن يَشُنّ الغارةَ على بنى المُلَوّح ، وهم بالكَدِيد ، فخرجنا ، حتى إذا كنا بقُدَيْد لقينا الحارث

ابن مالك ، وهو ابن البَرْصاء الليثيّ ، فأخذناه ، فقال : إنى جئت أريد الإسلام ، ما خرجت إلا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلنا له : إن تك مسلماً فلن يَضيرك رِباطُ ليلة ، وإن تك على غير ذلك كنا قد استوثقنا منك ، فشددناه رِباطاً ، ثم خلّفْنا عليه رجلا من أصحابنا أسود ، وقلنا له : إن عازّك فاحتزّ رأسه .

بلاء ابن مكيث فى هذه الغزوة

قال : ثم سرنا حتى أتينا الكَدِيد عند غروب الشمس ، فكنّا فى ناحية الوادى ، وبعثنى أصحابى رَبيئة لهم ، فخرجت حتى آتى تَلاًّ مُشرفا على الحاضر ، فأسندت فيه ، فعلوتُ على رأسه ، فنظرت إلى الحاضر ، فوالله إنى لمنبطح على التلّ ، إذ خرج رجل منهم من خِبائه ، فقال لامرأته : إنى لأرى على التلّ سواداً ما رأيته فى أوّل يومى ، فانظرى إلى أوْعيتك هل تَفْقدين منها شيئا ، لا تكون الكلاب جرّت بعضها ، قال : فنظرتْ ، فقالت : لا ، والله ما أفقد شيئاً ، قال : فناولينى قوسى وسهمين ، فناولته ، قال : فأرسل سهماً ، فوالله ما أخطأ جنبى ، فأنزِعُه ، فأضعه ، وثبَتُّ مكانى ، قال : ثم أرسل الآخر ، فوضعه فى مَنْكِبِي ، فأنزِعُه فأضعه ، وثبَتُّ مكانى ، فقال لامرأته : لو كان ربيئة لقوم لقد تحرّك ، لقد خالطه سَهْماى لا أبا لك ، إذا أصبحتِ فابتغيهما ، فخُذيهما ، لا يمضُغُهما علىّ الكلاب . قال : ثم دخل .

نجاء المسلمين بالنعم

قال : وأمهلناهم ، حتى إذا اطمأنوا وناموا ، وكان فى وجه السّحر شَنَنّا

عليهم الغارةَ ، قال : فقتلنا ، واستقنا النَّعَم ، وخرج صَريخ القوم ، فجاءنا دَهْم لا قِبَل لنا به ، ومضينا بالنَّعَم ، ومَرَرْنا بابن البَرْصاء وصاحبه ، فاحتملناهما معنا ، قال : وأدركنا القوم حتى قرُبوا منا ، قال: فما بيننا وبينهم إلا الوادى قُدَيد، فأرسل الله الوادىَ بالسيل من حيث شاء تبارك وتعالى ، من غير سحابة نراها ولا مطر ، فجاء بشىء ليس لأحد به قوّة ، ولا يقدر على أن يُجاوزه ، فوقفوا ينظرون إلينا ، وإنّا لنسوقُ نَعَمَهُم ، ما يستطيع منهم رجل أن يُجيز إلينا ، ونحن نَحْدوها سِراعا ، حتى فُتناهم ، فلم يقدِرُوا على طلبنا .

شعار المسلمين فى هذه الغزوة

قال : فقدمنا بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى رجل من أسْلَم ، عن رجل منهم : أنّ شِعار أصحاب رسولِ الله صلى الله عليه وسلم كان تلك اللّيلة : أمِتْ أمِتْ . فقال راجزٌ مِن المسلمين وهو يَحْدُوها :

أبى أبُو القاسم أن تَعزَّبى فى خَضِلٍ نَباتُه مُغْلَوْلِبِ
صُفْرٍ أعاليهِ كَلَوْن المُذْهَبِ

قال ابن هشام : ويُروى : « كلون الذّهب » .

تم خبر الغزاة ، وعُدت إلى ذكر تفصيل السرايا والبُعوث .

تعريف بعدة غزوات

قال ابن إسحاق : وغزوة علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه بنى عبد الله

. . . .

ابن سعد من أهل فَدَك ، وغزوة أبى العَوْجاء السُّلَمِى أرض بنى سُلَيم ، أصيب بها هو وأصحابه جميعاً ، وغزوة عُكاشة بن مِحْصَن الغَمرة ، وغزوة أبى سَلَمَة ابن عبد الأسد قَطَنًا ، ماء من مياه بنى أسد ، من ناحية نَجْد ، قُتِل بها مسعود ابن عُرْوة ، وغزوة محمد بن مَسْلَمة أخى بنى حارثة ، القُرَطاء من هَوازن ، وغزوة بَشير بن سَعْد بنى مُرَّة بفَدَك ، وغزوة بشير بن سعد ناحية خَيبر ، وغزوة زيد بن حارثة الجَمُومَ من أرض بنى سُلَيْم ، وغزوة زيد بن حارثة جُذام ، من أرض خُشَيْن .

قال ابن هشام : عن نفسه ، والشافعى عن عمرو بن حبيب عن ابن إسحاق : من أرض حِسْمَى .

غزوة زيد بن حارثة إلى جذام

سببها

قال ابن إسحاق : وكان من حديثها كما حدثنى من لا أتهم ، عن رجال من جُذام كانوا عُلماء بها ، أن رفاعة بن زيد الجُذامى ، لما قَدِم على قومه من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابه يدعوهم إلى الإسلام ، فاستجابوا له ، لم يلبَث أن قَدِم دِحْيَةُ بن خَليفة الكَلْبِىُّ من عند قَيْصر صاحب الروم ، حين بعثه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إليه ومعه تجارة له ، حتى إذا كانوا بوادٍ من أوديتهم يقال له شَنار ، أغار على دِحْية بن خَليفة الهُنيدُ بن عُوص ، وابنه عُوص بن الهُنيد الضُّلَعِيَّان . والضُّلَيع : بطن من جُذام ، فأصابا

المسلم

كلّ شيء كان معه ، فبلغ ذلك قوماً من الضُّبَيْب ، رهط رفاعة بن زيد ، ممن كان أسلم وأجاب ، فنفروا إلى الهُنيد وابنه ، فيهم من بنى الضُّبيب النُّعمان بن أبى جِعال ، حتى لقوهم ، فاقتتلوا ، وانتمى يومئذ قُرّة بن أشقر الضّفاوى ثم الضُّلَعى ، فقال : أنا ابن لُبْنَى ، ورمى النُّعمان بن أبى جِعال بسهم ، فأصاب رُكبته ، فقال حين أصابه : خُذها وأنا ابن لُبْنَى ، وكانت له أمّ تُدعى لُبْنَى ، وقد كان حسّان بن مِلّة الضُّبَيْبِىّ قد صحب دِحْية بن خليفة قبل ذلك ، فعلّمه أمّ الكتاب .

قال ابن هشام : ويقال : قُرّة بن أشقَرَ الضِّفارى ، وحَيّان بن مِلّة .

تمكن المسلمين من الكفار

قال ابن إسحاق : حدثنى من لا أتهم ، عن رجال من جُذام ، قال : فاستنقذوا ما كان فى يد الهُنيد وابنه ، فردّوه على دِحْية ، فخرج دحية ، حتى قَدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره خبره ، واستسقاه دم الهُنيد وابنه ، فبعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إليهم زيد بن حارثة ، وذلك الذى هاج غزوةَ زيدٍ جُذامَ ، وبعث معه جيشاً ، وقد وَجّهت غطفانُ من جُذامَ ووائلٌ ومن كان من سَلامانَ وسعد بن هُذَيْم ، حين جاءهم رفاعة بن زيد ، بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى نزلوا الحرّة ، حرّة الرَّجْلاء ، ورِفاعة بن زيد بكُراع رِبَة ، لم يعلم ، ومعه ناس من بنى الضُّبَيْب ، وسائر بنى الضُّبَيْب بوادى مَدَان ، من ناحية الحرّة ، مما يسيل مُشرِقا ، وأقبل جيش زيد بن حارثة من ناحية الأَوْلاج ، فأغار بالماقِص من قِبَلِ الحرة ،

فجمعوا ماوجدوا من مال أو ناس ، وقتلوا الهُنَيْد وابنه ورجلين من بنى الأجنف .

قال ابن هشام : من بنى الأحنف .

شأن حسان وأنيف ابنى ملة

قال ابن إسحاق فى حديثه : ورجلان من بنى الخصيب . فلما سمعت بذلك بنو الضُّبَيْب والجيش بفَيْفاء مَدَان ركب نفرٌ منهم ، وكان فيمن ركب معهم حسَّان بن مِلَّة ، على فرس لسُوَيد بن زيد ، يُقال لها العَجاجة ، وأُنيف ابن مِلَّة على فرس لملَّة يقال لها : رِغال ، وأبو زيد بن عمرو على فرس يقال لها شَمِر ، فانطلقوا حتى إذا دنوا من الجيش ، قال أبو زيد وحسَّان لأنيف ابن مِلَّة : كُفَّ عنَّا وانصرفْ ، فإنَّا نخشَى لسانك ، فوقف عنهما فلم يَبْعُدا منه حتى جعلت فرَسُه تبحث بيديها وتَوَثَّب ، فقال : لأنا أضَنُّ بالرجلين منك بالفرَسين ، فأرخَى لها ، حتى أدركهما ، فقالا له : أما إذا فعَلتَ مافعلت فكُفَّ عنَّا لسانَك ، ولا تشأَمْنا اليومَ ، فتواصَوْا أن لا يتكلَّم منهم إلا حسَّان ابن مِلَّة ، وكانت بينهم كلِمَة فى الجاهلية قد عرفها بعضهم من بعض ، إذا أراد أحدهم أن يضرب بسيفه قال : بُورى أو ثُورى . فلما برَزوا على الجيش ، أقبل القوم يبتدرونهم ، فقال لهم حسَّان : إنَّا قومٌ مُسْلِمون ، وكان أوّل من لقيهم رجل على فَرَس أدهم ، فأقبل يسوقهم ، فقال أُنيف : بُوري ، فقال حسَّان : مَهْلا ، فلما وقفوا على زيد بن حارثة قال حسَّان : إنَّا قوم مسلمون ، فقال له زيد : فاقرءوا أُمّ الكتاب ، فقرأها حسَّان ، فقال زيد بن

حارثة : نادوا فى الجَيْش : أن الله قد حرّم علينا ثُغْرةَ القوم التى جاءوا منها إلا مَن خَتَرَ .

قدومهم على الرسول وشعر أبى جعال

قال ابن إسحاق : وإذا أختُ حسّان بن ملّة ، وهى امرأة أبى وَبْر بن عَدِىّ بن أُميّة بن الضُّبَيْب فى الأُسارى ، فقال له زيد : خُذها ، وأخذت بحَقْوَيْه ، فقالت أمّ الفِزْر الضُّلَعِية : أتنطلقون ببناتكم وتذرُون أمّهاتكم ؟ فقال أحد بنى الخصيب : إنها بنو الضُّبَيْب وسِحْرُ ألسنتهم سائرَ اليوم ، فسمِعها بعض الجيش ، فأخبر بها زيد بن حارثة ، فأمر بأخت حسّان ، ففُكّت يداها من حِقْوَيْه ، وقال لها : اجلسى مع بنات عمك حتى يحكم الله فيكنّ حُكْمه ، فرجعوا ، ونَهى الجيش أن يَهْبِطوا إلى واديهم الذى جاءوا منه ، فأمسَوا فى أهليهم ، واستعتَموا ذَوداً لسُويد بن زيد ، فلما شربوا عَتَمَتَهم ، ركبوا إلى رفاعة بن زيد ، وكان ممن ركب إلى رفاعة بن زيد تلك الليلةَ ، أبو زيد بن عمرو ، وأبو شماس بن عمرو ، وسويد بن زيد ، وبَعْجَةُ بن زيد ، وبَرْذع بن زيد ، وثعلبة بن زيد ، ومُخَرِّبة بن عَدِىّ ، وأُنَيْفُ بن مِلّة ، وحسّان بن مِلّة ، حتى صَبحوا رِفاعة بن زيد بكُراع رَبّة ، بظهر الحَرّة على بئر هنالك من حرة لَيْلى ، فقال له حسّان بن مِلّة : إنك لجالس تحلُب المِعْزَى ونساء جُذام أُسارَى قد غرّها كتابك الذى جئت به ، فدعا رفاعة ابن زيد بجمل له ، فجعل يشُد عليه رحله وهو يقول :

هَلْ أنتَ حَىٌّ أوْ تُنادِى حيا

ثم غدا وهم معه بأميّة بن ضَفارة أخى الخصِيبىّ المقتول ، مبكرين من ظهر الحرّة ، فساروا إلى جوف المدينة ثلاث ليال ؛ فلما دخلوا المدينة ، وانتهوا إلى المسجد ، نظر إليهم رجل من الناس ، فقال : لا تُنيخوا إبلكم ، فتُقطّع أيديهنّ ، فنزلوا عنهنّ وهن قيام ؛ فلما دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ورآهم ، ألاح إليهم بيده : أن تعالَوا من وراء الناس ؛ فلما استفتح رِفاعة بن زيد المَنطِق ، قام رجل من الناس فقال : يارسول الله ، إن هؤلاء قوم سَحَرَة ، فردّدَها مرّتين ، فقال رفاعة بن زيد : رحم الله من لم يَحْذُنا فى يومه هذا إلا خيراً . ثم دفع رفاعة بن زيد كتابَه إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم الذى كان كتبه له . فقال : دونك يارسول الله قديماً كتابُه ، حديثاً غَدْره فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : اقرأه ياغلام ، وأعْلِنْ ؛ فلما قرأ كتابه استخبره فأخبروهم الخبر ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : كيف أصنع بالقَتْلى ؟ (ثلاث مرّات) . فقال رفاعة : أنت يارسول الله أعلمُ ، لا نحرّم عليك حلالا ، ولا نُحلِّل لك حرَاماً ، فقال أبو زيد بن عمرو : أطلق لنا يارسول الله من كان حيًّا ، ومن قُتِل فهو تحت قدَمى هذه . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : صدق أبو زيد ، اركب معهم ياعلىّ فقال له علىّ رضى الله عنه : إن زيداً لن يُطيعنى يارسول الله ، قال : فخُذ سيفى هذا ، فأعطاه سيفه ، فقال علىٌّ : ليس لى يارسول الله راحلة أركبها ، فحملوه على بعير لثعلبة بن عمرو ، يقال له مِكْحال ، فخرجوا ، فإذا رسول لزيد بن حارثة على ناقة من إبل أبى وَبْر ، يُقال لها : الشَّمِر ، فأنزلوه عنها ، فقال : يا علىّ ، ماشأنى ؟ فقال : مالُهم ، عرَفوه فأخذوه ، ثم ساروا فلقُوا الجَيْش بِفَيفاء الفَحلتين ، فأخذوا مافى أيديهم ،

حتى كانوا ينزعون لُبَيدَ المرأة من تحت الرحل ، فقال أبو جمال حين فرغوا ن شأنهم :

وَعاذِلةٍ ولَمْ تَعْــذُلْ بطِب ولولا نحنُ حُشَّ بها السَّعِيرُ
تُدَافِعُ فى الأسارَى بابْنَتَيْها ولا يُرْجَى لها عِتْق يَسِير
ولو وُكِلَت إلى عُوصٍ وأوْسٍ لحارَ بها عَنِ العِتْق الأُمُورُ
ولو شَهِدَتْ رَكَائِبَنا بِمِصْرٍ تُحاذِرُ أنْ يُعَلَّ بهــا المَسِيرُ
وَرَدْنا ماءَ يَثْرِبَ عَنْ حِفاظٍ لرَبْعٍ إنَّهُ قَرَبٌ ضَرِيرُ
بِكُلِّ مُجَرَّبٍ كالسِّيد نَهْدٍ عَلى أقْتادِ ناجِيَــةٍ صَبُورُ
فِدًى لأبى سُلَيْمَى كلُّ جَيْش بيَــثْرِبَ إذْ تَناطَحَتِ النُّحُورُ
غداةَ تَرَى المُجَرَّب مُسْتَكِيناً خِلافَ القَوْم هامَتُهُ تَدُورُ

قال ابن هشام : قوله : ﴿ ولا يُرْجَى لهــا عِتْقٌ يَسِيرُ ﴾ . وقوله : ﴿ عن العِتْق الأُمورُ ﴾ عن غير ابن إسحاق .

تمَّت الغزاة ، وعُدنا إلى تفصيل ذكر السَّرايا والبُعوث .

قال ابن إسحاق : وغزوة زيد بن حارثة أيضاً الطَّرَفَ من ناحية نَخْل . من طريق العراق .

رفع
المساهم
غفر الله لوالديه

غزوة زيد بن حارثة بنى فزارة ومصاب أم قرفة

بعض من أُصيب بها

وغزوةُ زيد بن حارثة أيضاً وادى القُرى ، لَقِىَ به بنى فَزَارَة ، فأُصيبَ بها ناس من أصحابه ، وارْتُثَّ زيد من بين القتلى ، وفيها أُصيب وَرد بن عَمْرو ابن مَداش ، وكان أحدَ بنى سعد بن هُذيل ، أصابه أحد بنى بدر .

قال ابن هشام : سعد بن هُذَيم .

معاودة زيد لهم

قال ابن إسحاق : فلما قَدِم زيد بن حارثة آلى أن لا يمس رأسه غِسل من جَنابة حتى يغزوَ بنِي فَزارة ؛ فلما استَبَلَّ من جِراحته بعثه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى بنى فزارة فى جيش ، فقتلهم بوادى القُرى ، وأصاب فيهم ، وقَتَل قَيْسُ بن المُسحَّر اليَعْمُرى مَسْعَدَةَ بن حَكَمة بن مالك بن حُذَيفة بن بدر ، وأُسِرَتْ أمّ قِرْفَةَ فاطمةُ بنت رَبيعة بن بدر ، كانت عجوزاً كبيرة عند مالك بن حُذَيفة بن بدر ، وبنت لها ، وعبد الله بن مَسْعَدَةَ ، فأمر زيدُ بن حارثة قَيْسَ بن المسحَّر أن يَقْتُل أمّ قِرْفة ، فقتلها قتلا عنيفاً ؛ ثم قَدِموا على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم بابنة أمّ قِرفة ، وبابن مَسْعَدَة .

شأن أم قرفة

وكانت بنت أمّ قِرْفة لسَلَمة بن عمرو بن الأكوع ، كان هو الذى أصابها ،

وكانت فى بيت شَرف من قومها ؛ كانت العرب تقول : لو كنتَ أعزّ من أم قِرْفَةَ مازدت. فسألها رسولَ الله صلى الله عليه وسلم سَلَمَة ، فوهبها له ، فأهداها لخاله حَزْن بن وهب ، فولدت له عبد الرحمن بن حَزْن

شعر ابن المسحر فى قتل مسعدة

فقال قيس بن المسحَّر فى قتل مسعدة :

سَعَيْتُ بوَرْدٍ مثل سَعْىِ ابن أمِّه ... وإنى بوَرْدٍ فى الحياةِ لثائرُ
كَرَرْتُ عليه المُهرَ لمَّا رأيتُه ... على بطَلٍ مِنْ آلِ بَدْرٍ مُغاوِرِ
فرَكَّبْتُ فيه قعْضَبيًّا كأنَّه ... شِهابٌ بِمِعْراة يُذَكَّى لِناظِرِ

غزوة عبد الله بن رواحة لقتل اليسير بن رزام

وغزوة عبد الله بن رواحة خيبرَ مرتين : إحداهما التى أصاب فيها اليسير بن رِزام . قال ابن هشام : ويقال ابن رازم .

مقتل اليسير

وكان من حديث اليُسير بن رزام أنه كان بخيبر يجمع غَطَفان لغزو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبعث إليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عبدَ الله بن رَواحة فى نفرٍ من أصحابه ، منهم عبد الله بن أُنَيس ، حليف بنى سَلِمة ، فلما قَدِموا عليه كلَّموه ، وقرَّبُوا له ، وقالوا له : إنك إن قَدِمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم استعملك وأكرمك ، فلم يزالوا به ، حتى خرج

معهم فى نفر من يهود ، فحمله عبد الله بن أُنَيْس على بعيره ، حتى إذا كان بالقَرْقَرَة من خيبر ، على ستة أميال ، ندم اليُسير بن رِزام على مسيره إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففطَن له عبد الله بن أُنَيْس ، وهو يريد السَّيف ، فاقتحم به ثم ضربه بالسيف ، فقطع رجله ، وضربه اليُسير بمِخْرش فى يده من شوحَط ، فأمَّه ، ومال كلّ رجل من أصحاب رسولِ الله صلى الله عليه وسلم على صاحبه من يهود فقتله ، إلا رجلا واحداً أفلت على رجليه ؛ فلما قَدِم عبد الله بن أُنَيْس على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم تفل على شَجَّته، فلم تقِحْ ولم تُؤْذِه .

غزوة ابن عتيك خيبر

وغزوة عبد الله بن عتيك خَيبر ، فأصاب بها أبا رافع بن أبى الُحقَيق .

غزوة عبد الله بن أنيس
لقتل خالد بن سفيان بن نبيح الهذلى

مقتل ابن نبيح

وغزوة عبد الله بن أُنَيْس خالد بن سفيان بن نُبَيح ، بعثه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إليه وهو بنخلةَ أو بعُرَنة ، يجمع لرسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ليغزوه ، فقتله .

قال ابن إسحاق : حدثنى محمد بن جعفر بن الزُّبير ، قال : قال عبد الله

ابن أُنَيْس : دعانى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إنه قد بلغنى أن ابن سفيان بن نُبيح الهُذَلىّ يجمع لى الناس ليغزونى ، وهو بنخلة أو بعُرَنة ، فأته فاقتله قلت : يارسول الله ، انعَتْهُ لى حتى أعرفه . قال : إنك إذا رأيته أذكرك الشيطان ، وآية ما بينك وبينه أنك إذا رأيته وجدت له قُشَعْرِيرة . قال : فخرجت مُتَوَشِّحاً سيْفى ، حتى دُفِعْت إليه وهو فى ظُعُنٍ يرتاد لهن منزلا ، وحيث كان وقت العصر ؛ فلما رأيته وجدت ما قال لى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من القُشَعْرِيرة ، فأقبلت نحوه ، وخشيت أن تكونَ بينى وبينه محاولة تشغلنى عن الصلاة ، فصلَّيت وأنا أمشى نحوه ، أُومى برأسى ، فلما انتهيت إليه ، قال : مَنِ الرَّجُل ؟ قلت : رجل من العرب سمع بك وبجمعك لهذا الرجل ، فجاءك لذلك . قال : أجَلْ ، إنى لفى ذلك . قال فمَشَيْت معه شيئاً ، حتى إذا أمكننى حملت عليه بالسيف ، فقتلته ، ثم خرجت ، وتركت ظعائنه مُنْكَبَّات عليه ؛ فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرآنى ، أفلح الوجه ؛ قلت : قد قتلته يارسول الله . قال : صدقت .

إهداء الرسول عصا لابن أنيس

ثم قام بى ، فأدخلنى بيته ، فأعطانى عَصاً ، فقال : أمْسِك هذه العصا عندك ياعبدَ الله بن أُنَيس . قال : فخرجت بها على الناس ، فقالوا : ما هذه العصا ؟ قلت : أعطانيها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وأمرنى أن أمسكها عندى . قالوا : أفلا ترجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتسألَهُ لِمَ ذلك ؟ قال : فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : يارسول الله ، لم أعطيتنى

هذه العَصا ؟ قال : آيةٌ بيني وبينك يوم القيامة . إن أقلّ الناس المُتخصِّرُون يومئذ ، قال : فقَرَنها عبد الله بن أُنَيس بسيفه ، فلم تزل معه حتى مات ، ثم أمر بها فضمّت فى كفنه ، ثم دُفِنا جميعاً .

شعر ابن أُنيس فى قتله ابن نبيح

قال ابن هشام : وقال عبد الله بن أُنيس فى ذلك :

تَرَكْتُ ابنَ ثَوْرٍ كالحُوَار وحَوْلَهُ نوائحُ تَفرِى كُلَّ جَيْبٍ مُقَدَّدِ
تَناوَلْتُه والظُّعْنُ خَلْفِى وخَلْفَهُ بأبيضَ من ماء الحديدِ مُهَنَّدِ
عَجُومٍ لِهَام الدَّارِعِينَ كأنَّهُ شِهابُ غَضًى من مُلْهَبٍ مُتَوَقِّدِ
أقولُ له والسَّيفُ يَعْجُم رأسَهُ أنا ابنُ أُنَيسٍ فارِساً غيرَ قُعْدُدِ
أنا ابن الذى لم يُنْزِلِ الدهرُ قِدْرَه رحيبُ فِناء الدَّارِ غيرُ مُزَنَّدِ
وقُلْتُ له خُذْها بضَرْبة ماجِدٍ حَنيفٍ على دين النَّبىِّ مُحمدِ
وكُنْتُ إذا هَمَّ النَّبىُّ بكافِرٍ سَبَقْتُ إليه باللِّسانِ وباليَدِ

تمت الغزاة ، وعُدنا إلى خبر البعوث .

غزوات أُخر

قال ابن إسحاق : وغزوة زيد بن حارثة وجعفر بن أبى طالب وعبد الله ابن رواحة مُؤْتَةَ من أرض الشام ، فأصيبوا بها جميعاً ، وغزوة كَعب بن عُمير الغِفارى ذاتَ أطلاح ، من أرض الشام ، أصيب بها هو وأصحابه جميعاً . وغزوة عُيَينة بن حِصْن بن حُذَيفة بن بدرٍ بنى العَنْبر من بنى تميم .

غزوة عيينة بن حصن بنى العنبر من بنى تميم

وعد الرسول عائشة بإعطائها سبياً منهم لتعتقه

وكان من حديثهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه إليهم ، فأغار عليهم ، فأصاب منهم أناساً ، وسبى منهم أناساً .

فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة : أن عائشة قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يارسول الله ، إن علىَّ رَقَبَةً من ولد إسماعيل . قال : هذا سَبْىُ بنى العنبر يَقدَم الآن ، فنعطيك منهم إنساناً فتُعتقينه .

بعض من سبى وبعض من قتل وشعر سلمى فى ذلك

قال ابن إسحاق : فلما قُدِم بسبيهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ركب فيهم وفد من بنى تميم ، حتى قَدِم على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، منهم رَبيعة بن رُفيع ، وسَبْرة بن عمرو ، والقَعقاع بن معبد ، ووَرْدَان ابن مُحْرِز ، وقَيس بن عاصم ، ومالك بن عمرو ، والأقرع بن حابس ، وفِراس ابن حابس ؛ فكلَّموا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فيهم ، فأعتق بعضاً ، وأفدى بعضاً ، وكان ممن قُتل يومئذ من بنى العنبر : عبدُ الله وأخوان له ، بنو وهب ، وشدَّاد بن فِراس ، وحنظلةُ بن دارم ، وكان ممن سُبِىَ من نسائهم يومئذ : أسماء بنت مالك ، وكأس بنت أرِىّ ونَجْوة بنت نَهد ، وجُمَيْعة بنت قَيس ، وعَمْرة بنت مَطَر . فقالت فى ذلك اليوم سَلْمَى بنت عتّاب :

رفع
المسهم
عزالله لرملي

لَعَمْرِى لقد لاقتْ عدىُّ بنُ جندَبٍ ... من الشرِّ مَهْواةً شديداً كئودها
تـكنَّفَها الأعداء من كُلِّ جانبٍ ... وغُيِّبَ عنها عِزُّها وجُدُودها

شعر الفرزدق فى ذلك

قال ابن هشام : وقال الفرزدق فى ذلك :

وعندَ رسولِ اللهِ قام ابن حابسٍ ... بخُطَّةِ سَوَّارٍ إلى المَجْدِ حازِمِ
له أطلَقَ الأسْرَى التى فى حِبالِهِ ... مُغَلَّلَةً أعناقُها فى الشَّكائمِ
كَفَى أُمَّهاتِ الخالفينَ عليهمُ ... غِلاءَ المُفادِى أو سِهامَ المَقاسِمِ

وهذه الأبيات فى قصيدة له . وعدىُّ بن جَنْدَب من بنى العَنْبر ، والعنبر ابن عمرو بن تميم .

غزوة غالب بن عبد الله أرض بنى مرة

مقتل مرداس

قال ابن إسحاق : وغزوة غالب بن عبد الله الـكلبى ـ كلب ليث ـ أرضَ بنى مرّة ، فأصاب بها مِرْدَاسَ بن نَهِيك ، حليفاً لهم من الحُرَقة ، من جُهَيْنَة ، قتله أسامة بن زيد ، ورجلٌ من الأنصار .

قال ابن هشام : الحُرَقة ، فيما حدثنى أبو عُبيدة .

قال ابن إسحاق : وكان من حديثه عن أسامة بن زيد ، قال : أدركته

أنا ورجل من الأنصار ، فلما شَهرنا عليه السلاح ، قال : أشهد أن لا إله إلا الله. قال : فلم نَنْزِع عنه حتى قتلناه ؛ فلما قَدِمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرناه خبرَه ؛ فقال يا أسامة ، من لك بلا إله إلا الله ؟ قال : قلت : يارسول الله ، إنه إنما قالها تعوّذاً بها من القتل قال : فمن لك بها يا أسامة ؟ قال : فوالذى بعثه بالحقّ مازال يردّدها علىّ حتى لوددت أنّ مامضى من إسلامى لم يكن ، وأنى كنت أسلمت يومئذ ، وأنى لم أقتله ؛ قال : قلت : أنظرنى يارسول الله ، إنى أعاهد الله أن لا أقتل رجلا يقول لا إله إلا الله أبداً، قال : تقول بعدى يا أسامة ؛ قال : قُلت بعدك .

غزوة عمرو بن العاص ذات السلاسل

إرسال عمرو ثم إمداده

وغزوة عمرو بن العاص ذاتَ السلاسل من أرض بنى عُذْرة ، وكان من حديثه أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بعثه يستنفر العربَ إلى الشام وذلك أن أمّ العاص بن وائل كانت امرأةً من بَلِىّ . فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم يَستألفهم لذلك ، حتى إذا كان على ماء بأرض جُذام ، يُقال له السَّلسَل . وبذلك سُميت تلك الغزوة ، غزوة ذات السلاسل ؛ فلما كان عليه خاف فبعث إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم يستمده ، فبعث إليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أبا عُبيدة بن الجرّاح فى المهاجرين الأوّلين ، فيهم أبو بكر وعمر ؛ وقال لأبى عُبيدة حين وجهه : لاتختلفا ؛ فخرج أبو عُبيدة حتى إذا قَدِم عليه ، قال له عمرو : إنما جئتَ مدداً لى ، قال أبو عُبيدة : لا ، ولكنى على

ما أنا عليه ، وأنت على ما أنت عليه ،وكان أبو عُبيدة رجلا ليناً سهلا ،هيناً عليه أمر الدنيا ، فقال له عمرو : بل أنت مدد لى ، فقال أبو عُبيدة . يا عمرو ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لى : لا تختلفا ، وإنك إن عصيتنى أطعتُك ، قال : فإنى الأمير عليك ، وأنت مددٌ لى ، قال : فدونك . فصلّى عمرو بالناس.

وصية أبي بكر رافع بن رافع

قال : وكان من الحديث فى هذه الغزاة ، أن رافع بن أبى رافع الطائى ، وهو رافع بن عميرة ، كان يحدّث فيما بلغنى عن نفسه ، قال : كنت امرأ نصرانياً ، وسميت سَرْجِس ، فكنت أدلّ الناس وأهداهم بهذا الرَّمل ، كنت أدفن الماء فى بيض النعام بنواحى الرمل فى الجاهلية ، ثم أُغير على إبل الناس ، فإذا أدخلتها الرملَ غلبتُ عليها ، فلم يستطع أحد أن يطلبنى فيه ، حتى أمرّ بذلك الماء الذى خبأت فى بيض النعام فأستخرجه ، فأشرب منه . فلما أسلمت خرجت فى تلك الغزوة التى بعث فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل ، قال فقلت : والله لأختارنّ لنفسى صاحباً ، قال : فصحبت أبا بكر ، قال : فكنت معه فى رَحْله ، قال : وكانت عليه عباءة له فَدَكية ، فكان إذا نزلنا بسطها ، وإذا ركبنا لبسها ، ثم شكّها عليه بخلال له ، قال : وذلك الذى له يقول أهل نجد حين ارتدوا كفاراً : نحن نبايع ذا العباءة ! قال : فلما دنونا من المدينة قافلين ، قال ، قلت : يا أبا بكر ، إنما صحبتك لينفعنى الله بك ، فانصحنى وعلّمنى ، قال : لو لم تسألنى ذلك لفعلت ، قال : آمرك أن توحّد الله ولا تُشرك به شيئاً ، وأن تقيم الصلاة ، وأن تؤتى الزكاة ،

وتصوم رمضان ، وتحج هذا البيت ، وتغتسل من الجنابة ، ولا تتأمّر على رجل من المسلمين أبداً . قال : قلت : يا أبا بكر ، أما أنا والله فإنى أرجو أن لا أشرك بالله أحداً أبداً ، وأما الصلاة فلن أتركها أبداً إن شاء الله ، وأما الزكاة فإن يك لى مال أؤدها إن شاء الله ، وأما رمضان فلن أتركه أبداً إن شاء الله ، وأما الحج فإن أستطع أحج إن شاء الله تعالى ، وأما الجنابة فسأغتسل منها إن شاء الله ، وأما الإمارة فإنى رأيت الناس يا أبا بكر لا يَشْرُفون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند الناس إلا بها ، فلم تنهانى عنها ؟ قال : إنك إنما استجهدتنى لأجْهَدَ لك ، وسأخبرك عن ذلك ، إن الله عزّ وجلّ بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بهذا الدين ، فجاهد عليه حتى دخل الناس فيه طوعاً وكرهاً ، فلما دخلوا فيه كانوا عُوّاذ الله وجيرانه ، وفى ذمّته ، فإياك لا تُخفِر الله فى جيرانه ، فيتبعك الله فى خُفرته ، فإن أحدكم يُخفَر فى جاره ، فيظل ناتئاً عضله ، غضباً لجاره أن أصيبت له شاة أو بعير ، فالله أشدّ غضباً لجاره . قال : ففارقته على ذلك .

قال : فلما قُبض رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وأُمِّر أبو بكر على الناس ، قال : قَدِمت عليه ، فقلت له : يا أبا بكر ، ألم تك نهيتنى عن أن أتأمّر على رجلين من المسلمين ؟ قال : بلى ، وأنا الآن أنهاك عن ذلك ، قال : فقلت له : فما حملك على أن تلى أمر النّاس ؟ قال : لا أجد من ذلك بُدّاً ، خشيت على أمّة محمد صلى الله عليه وسلم الفُرقة .

• • • • • • • • • • • • • • •

تقسيم عوف الأشجعى الجزور بين قوم

قال ابن إسحاق : أخبرنى يزيد بن أبى حبيب أنه حُدّث عن عوف ابن مالك الأشجعى ، قال : كنت فى الغَزاة التى بعث فيها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص إلى ذات السّلاسل ، قال : فصَحِبت أبا بكر وعمر ، فمررتُ بقوم على جَزُور لهم قد نحَرُوها ، وهم لايقدرون على أن يُعَضُوها ، قال : وكنت امْرأً لَبِقاً جازراً ، قال : فقلت : أتعطونى منها عَشِيراً على أن أقسمها بينكم ؟ قالوا : نعم ، قال : فأخذت الشَّفرتين ، فجزّأتها مكانى ، وأخذت منها جزءاً ، فحملته إلى أصحابى ، فاطَّبخناه فأكلناه . فقال لى أبو بكر وعمر رضى الله عنهما أنّى لك هذا اللحم ياعوف ؟ قال : فأخبرتهما خبره ، فقالا : والله ما أحسنت حين أطعمتنا هذا ، ثم قاما يتقيّـآن مافى بطونهما من ذلك ؛ قال : فلما قفل الناس من ذلك السفر ، كنت أوّل قادم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فجئته وهو يصلى فى بيته ، قال : فقلت : السلام عليك يارسول الله ورحمة الله وبركاته ، قال : أعوفُ بن مالك ؟ قال : قلت : نعم ، بأبى أنت وأمى ، قال أصاحب الجزور ؟ ولم يزدنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك شيئاً .

غزوة ابن أبى حدرد بطن إضم وقتل عامر ابن الأضبط الأشجعى

قال ابن إسحاق : حدثنى يزيد بن عبد الله بن قُسيط ، عن القَعقاع بن عبد الله بن أبى حَدْرد ، عن أبيه عبد الله بن أبى حدرد ، قال بَعَثنا

رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى إضَم في نفر من المسلمين ، فيهم أبو قتادة الحارث بن رِبْعِيّ ومُحَلِّم بن جَثَّامَةَ بن قَيْس ، فخرجنا حتى إذا كنا ببطن إضَم ، مرّ بنا عامر بن الأضبط الأشجعيّ ، على قَعُود له ، ومعه مُتَيِّع له ووطْب من لبن . قال : فلما مرّ بنا سلَّم علينا بتحية الإسلام ، فأمسكنا عنه ، وحمل عليه محلِّم بن جَثَّامة ، فقتله لشيء كان بينه وبينه ، وأخذ بعيره وأخذ مُتَيِّعه قال : فلما قدمنا على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وأخبرناه الخبر ، نزل فينا : ﴿ يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إذ ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَتَبَيَّنُوا ، وَلا تَقُولوا لِمَنْ أَلْقَى إلَيكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِناً ، تَبْتَغُونَ عَرَضَ الحياةِ الدُّنيا ﴾ النساء : ٩٤ . . إلى آخر الآية .

قال ابن هشام : قرأ أبو عمرو بن العلاء : ﴿ وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إليكمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِنا ﴾ لهذا الحديث .

ابن حابس وابن حصن

يختصمان في دم ابن الأضبط إلى الرسول

قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، قال : سمعت زياد ابن ضُمَيرة بن سعد السُّلَميّ يحدّث عن عروة بن الزبير ، عن أبيه ، عن جدّه ، وكانا شهدا حُنيناً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : صلى بنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الظهر ، ثم عمد إلى ظلّ شجرة ، فجلس تحتها ، وهو بحُنين ، فقام إليه الأقرع بن حابس ، وعُيَينة بن حِصْن بن حُذيفة بن بدر ، يختصمان

رفع المسهم

فى عامر بن أضبط الأشجعى : عُيينة يطلب بدم عامر ، وهو يومئذ رئيس غَطَفان ، والأقرع بن حابس يدفع عن محلِّم بن جَثّامة ، لمكانه من خندف ، فتداولا الخصومة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونحن نسمع ، فسمعنا عُيَينة بن حِصْن وهو يقول والله يارسول الله لا أدعه حتى أذيق نساءه من الحُرْقة مثل ما أذاق نسائى ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : بل تأخذون الدية خمسين فى سفرنا هذا ، وخمسين إذا رجعنا ، وهو يأبى عليه ، إذ قام رجلٌ من بنى ليث ، يقال له : مُكَيثِر ، قصير مجموع - قال ابن هشام : مُكَيتل - فقال : والله يارسول الله ماوجدت لهذا القتيل شبهاً فى غُرَّة الإسلام إلا كغنم وردت فرُمِيَت أولاها ، فنفرَت أُخراها ، اُسنُن اليوم ، وغَيِّر غداً . قال : فرفع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يدَه . فقال : بل تأخذون الدِّية خمسين فى سفرنا هذا ، وخمسين إذا رجعنا . قال : فقبلوا الدِّية . قال: ثم قالوا : أين صاحبكم هذا ، يستغفر له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : فقام رجل آدم ضَرْب طويل ، عليه حُلَّة له ، قد كان تهيأ للقتل فيها : حتى جلس بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : ما اسمك ؟ قال : أنا محلِّم بن جَثّامة ، قال : فرفع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يده ، ثم قال : اللهمّ لا تغفر لمحلِّم بن جَثّامة ثلاثاً . قال : فقام وهو يتلقى دمعه بفضل ردائه . قال : فأما نحن فنقول فيما بيننا : إنا لنرجو أن يكون رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قد استغفر له ، وأما ماظهر من رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا .

موت محلم وما حدث له

قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم عن الحسن البصري ، قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين جلس بين يديه : أمَّنْتَه بالله ثم قتلتَه ! ثم قال له المقالة التي قال ؛ قال: فوالله مامكث محلِّم بن جَثَّامة إلا سبعاً حتى مات ، فلفظته — والذي نفس الحسن بيده — الأرضُ ، ثم عادوا له ، فلفظته الأرض ، ثم عادوا فلفظته ؛ فلما غُلِب قومُه عمدوا إلى صُدَّين ، فسطَحوه بينهما ثم رضَوا عليه الحجارة حتى واروْه . قال : فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم شأنُه ، فقال : والله إن الأرض لتطَّابق على من هو شرٌ منه ، ولكن الله أراد أن يَعِظكم في حُرَم ما بينكم بما أراكم منه .

دية بن الأضبط

قال ابن إسحاق : وأخبرنا سالم أبو النَّضْر أنه حُدِّث : أن عُيَينة بن حِصْن وقيساً حين قال الأقرع بن حابس وخلا بهم ، يامعشر قَيس ، مَنَعتم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قتيلا يستصلح به الناس ، أفأمنتم أن يلعنكم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فيلعَنَكم الله بلعنته ، أو أن يغضَبَ الله عليكم بغضَبه ؟ والله الذي نفس الأقرع بيده لتُسْلِمُنَّه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فليَصْنعَنَّ فيه ما أراد ، أو لآتينَّ بخمسين رجلا من بني تَميم يشهدون بالله كلُّهم . لقُتِل صاحبكم كافراً ، ماصلَّى قط ، فلأُطُلَّنَّ دمه ؛ فلما سمعوا ذلك ، قبلوا الدِّية .

قال ابن هشام : محلِّمٍ فى هذا الحديث كله عن غير ابن إسحاق ، وهو محلم ابن جَثَّامة بن قَيْس اللَّيثى .

قال ابن إسحاق : ملجِّم ، فيما حدثناه زياد عنه .

غزوة ابن أبى حدرد لقتل رفاعة بن قيس الجشمي

سببها

قال ابن إسحاق : وغزوة ابن أبى حدرد الأسلمى الغابَة .

وكان من حديثها فيما بلغنى ، عمن لا أتهم ، عن ابن أبى حدرد ، قال : تزوّجت امرأة من قومى ، وأصدقتها مائتى درهم ، قال : فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم أستعينه على نِكاحى ؛ فقال : وكم أصدقت ؟ فقلت : مائتى درهم يارسول الله ، قال : سبحان الله ، لو كنتم تأخذون الدراهم من بطن واد مازدتم ، والله ماعندى ما أعينك به . قال : فلبثتُ أياماً ، وأقبل رجل من بنى جُشَم بن معاوية ، يقال له : رفاعة بن قَيس ، أو قيس بن رفاعة ، فى بطن جُشم ، حتى نزل بقومه ومن معه بالغابة ، يريد أن يجمع قَيساً على على حرب رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وكان ذا اسم فى جُشَم وشرف . قال: فدعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجلين معى من المسلمين ، فقال : اخرجوا إلى هذا الرجل حتى تأتوا منه بخبر وعلم . قال : وقدّم لنا شارفاً عجفاء،

يُحمل عليها أحدُنا ، فوالله ماقامت به ضعفاً حتى دَعَمها الرجالُ من خلفها بأيديهم ، حتى استقلّت وما كادت ، ثم قال : تبلّغوا عليها وَاعْتَقِبوها .

انتصار المسلمين ونصيب ابن أبي حدرد
من فيء استمان به على الزواج

قال : فخرجنا ومعنا سلاحنا من النَّبل والسيوف ، حتى إذا جئنا قريباً من الحاضر عُشَيْشِيَةً مع غروب الشمس . قال : كَمَنْتُ في ناحية ، وأمرت صاحبيَّ ، فكمنا في ناحية أخرى من حاضر القوم ؛ وقلت لهما : إذا سمعتماني قد كبَّرت وشددتُ في ناحية العسكر فكبِّرا وشُدَّا معي . قال : فوالله إنَّا لكذلك ننتظر غِرَّة القوم ، أو أن نُصيب منهم شيئاً . قال : وقد غشينا اللَّيل حتى ذهبت فَحْمة العِشاء ، وقد كان لهم راع قد سرّح في ذلك البلد ، فأبطأ عليهم حتى تخوّفوا عليه . قال : فقام صاحبهم ذلك رفاعةُ بن قيس ، فأخذ سيفه ، فجعله في عنقه ، ثم قال : والله لأتبعنَّ أثر راعينا هذا ، ولقد أصابه شرّ ؛ فقال له نفر ممّن معه : والله لاتذهب ، نحن نكفيك ؛ قال : والله لايذهب إلا أنا ؛ قالوا : فنحن معك ؛ قال : والله لايتبعني أحد منكم . قال : وخرج حتى يمر بي . قال : فلما أمكنني نفحته بسهمي ، فوضعته في فؤاده . قال : فوالله ماتكلَّم ، ووثبت إليه ، فاحتززت رأسه . قال . وشددت في ناحية العسكر ، وكبَّرت ، وشدّ صاحباي وكبَّرا . قال : فوالله ما كان إلا النجاء ممن فيه ، عندك ، عندك ، بكلّ ماقدروا عليه من نسائهم وأبنائهم ، وماخفّ معهم من أموالهم . قال : واستقنا إبلا عظيمة ، وغنما كثيرة ، فجئنا بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

. . . .

رفع المسيرهم

قال : وجئت برأسه أحمله معى . قال : فأعاننى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من تلك الإبل بثلاثة عشر بعيراً فى صَداق ، فجمعتُ إلىَّ أهلى .

غزوة عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل

شىء من وعظ الرسول لقومه

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم عن عَطاء بن أبى رباح ، قال : سمعت رجلا من أهل البصرة يسأل عبدَ الله بن عمر بن الخطاب ، عن إرسال العِمامة من خلف الرجل إذا اعتمّ ، قال : فقال عبد الله : سأخبرك إن شاء الله عن ذلك بعلم : كنت عاشرَ عشرة رهط من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسجده : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلىّ ، وعبد الرحمن بن عوف ، وابن مسعود ، ومُعاذ بن جبل ، وحُـذيفة بن اليمان ، وأبو سعيد الخُدْرىّ ، وأنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ أقبل فتى من الأنصار ، فسلَّم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم جلس ، فقال : يارسول الله ، صلى الله عليك ، أىّ المؤمنين أفضل ؟ فقال : أحسنهم خلقاً ؛ قال : فأىّ المؤمنين أكيس ؟ قال : أكثرهم ذكراً للموت ، وأحسنهم استعداداً له قبل أن ينزل به ، أولئك الأكياس ، ثم سكت الفتى ، وأقبل علينا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فقال : « يامعشر المهاجرين ، خمسُ خصال إذا نزلن بكم وأعوذ بالله أن تُدركوهن : إنه لم تظهر الفاحشة فى قوم قطُّ حتى يُعلِنوا بها إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع ، التى لم تكن فى أسلافهم الذين مَضَوا ؛ ولم يَنْقُصوا المِكيال والميزان إلا أُخِذوا بالسنينَ وشدّة المؤْنة وجَوْر السُّلطان ؛

ولم يمنعوا الزكاة من أموالهم إلا مُنعوا القَطر من السماء ، فلولا البهائم ما مُطروا؛ وما نقضوا عهد الله وعَهد رسوله إلا سُلِّط عليهم عدوٌّ من غيرهم ، فأخذ بعضَ ما كان فى أيديهم ؛ وما لم يَحْكم أئمتهم بكتاب الله وتجبروا فيما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم » .

تأمير ابن عوف واعتمامه

ثم أمَرَ عبدَ الرحمن بن عوف أن يتجهّز لسرية بعثه عليها ، فأصبح وقد اعتم بعمامة من كرابيس سوداء ، فأدناه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم منه ، ثم نقضها ، ثم عمّمه بها ، وأرسل من خلفه أربعَ أصابع أو نحواً من ذلك ، ثم قال : هكذا يابن عوف فاعتمّ ، فإنه أحسن وأعرف ، ثم أمر بلالا أن يدفع إليه اللواء . فدفعه إليه فحمِد الله تعالى ، وصلى على نفسه ، ثم قال : خذه يابن عوف ، اغزُوا جميعاً فى سبيل الله ، فقاتِلوا من كفر بالله ، لا تَغُلُّوا ، ولا تغدِروا ، ولا تُمثِّلوا ، ولا تقتُلوا وَليداً ، فهذا عهدُ الله وسيرة نبيِّه فيكم. فأخذ عبد الرحمن بن عوف اللواء .

قال ابن هشام : فخرج إلى دُومة الجندل .

غزوة أبى عبيدة بن الجراح إلى سيف البحر

نفاد الطعام وخبر دابة البحر

قال ابن إسحاق: وحدثنى عُبادة بن الوليد بن عُبادة بن الصامت ،عن أبيه، عن جدّه عُبادة بن الصامت ، قال : بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم

سَرِيَّةً إلى سِيف البحر ، عليهم أبو عُبيدة بن الجرّاح ، وزوّدهم جراباً من تمر ، فجعل يقُوتهم إياه ، حتى صار إلى أن يعدّه عليهم عدداً . قال: ثم نَفِد التمر ، حتى كان يعطى كلّ رجل منهم كلّ يوم تمرة . قال : فقسَمها يوماً بيننا . قال : فنقصت تمرةٌ عن رجل ، فوجدنا فقدَها ذلك اليوم . قال : فلما جَهَدنا الجوع أخرج الله لنا دابة من البحر ، فأصَبْنا من لحمها ووَدَكها ، وأقمنا عليها عشرين ليلة ، حتى سمنّا وابتللنا ، وأخذ أميرنا ضِلَعاً من أضلاعها ، فوضعها على طريقه ، ثم أمر بأجسم بعير معنا ، فحمل عليه أجسم رجل منا . قال : فجلس عليه ، قال : فخرج من تحتها وما مسّت رأسه . قال : فلما قَدِمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرناه خبرها ، وسألناه عما صَنعنا فى ذلك من أكلنا إياه ، فقال : رزق رزقكموه الله .

بعث عمرو بن أمية الضمرى لقتال أبى سفيان بن حرب وما صنع فى طريقه

قدومه مكة وتعرف القوم عليه

قال ابن هشام : ومما لم يذكره ابن إسحاق من بُعوث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسَرَاياه بعثُ عمرو بن أُميّة الضَّمْرى ، بعثه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فيما حدّثنى من أثق به من أهل العلم ، بعد مقتل خُبَيْب بن عدىّ وأصحابه إلى مكة ، وأمره أن يقتل أبا سفيان بن حرب ، وبعث معه جبّار ابن صخر الأنصارىّ فخرجا حتى قَدِما مكة وحَبسا جمليهما بشِعْب من شِعاب

يأجج ، ثم دخلا مكة ليلا ، فقال جبَّار لعمرو : لو أنا طفنا بالبيت وصلّينا ركعتين ؟ فقال عمرو : إن القوم إذا تعشّوا جلسوا بأفنيتهم ، فقال : كلا ، إن شاء الله ، فقال عمرو : فطفنا بالبيت ، وصلّينا ، ثم خرجنا نريد أبا سفيان ، فوالله إنا لنمشى بمكة إذ نظر إلىّ رجل من أهل مكة فعرفنى ، فقال عمرو بن أمية : والله إنْ قدمها إلا لشر ، فقلت لصاحبى : النَّجاء ، فخرجنا نشتدّ ، حتى أصعدنا فى جبل ، وخرجوا فى طلبنا ، حتى إذا علَوْنا الجبل يئسوا منا ، فرجعنا ، فدخلنا كهفاً فى الجبل ، فبتنا فيه ، وقد أخذنا حجارة فرضمناها دوننا ، فلما أصبحنا غدا رجل من قريش يقود فرساً له ، ويُخلى عليها ، فغشينا ونحن فى الغار ، فقلت : إن رآنا صاح بنا ، فأُخذنا فقُتلنا .

قتله أبا سفيان وهربه

قال : ومعى خنجر قد أعددته لأبى سفيان ، فأخرج إليه ، فأضربه على ثديه ضربة ، وصاح صيحة أسمع أهل مكة ، وأرجعُ فأدخلُ مكانى ، وجاءه الناس يشتدّون وهو بآخر رمق ، فقالوا : من ضربك؟ فقال : عمرو بن أميّة ، وغلبه الموت ، فمات مكانه ، ولم يدلُل على مكاننا ، فاحتملوه . فقلت لصاحبى ، لما أمسينا : النَّجاء ، فخرجنا ليلا من مكة نريد المدينة ، فمررنا بالحرس وهم يحرسون جيفة خُبيب بن عدىّ ، فقال أحدهم : والله ما رأيت كالليلة أشبه بمشية عمرو بن أميّة ، لولا أنه بالمدينة لقلت هو عمرو بن أميّة ، قال : فلما حاذى الخشبة شدّ عليها ، فأخذها فاحتملها ، وخرجا شدّاً ، وخرجوا وراءه حتى أتى جُرُفاً بمهبِط مسيل يأجج ، فرمى بالخشبة فى الجُرُف ،

فعَمّيه الله عنهم ، فلم يقدروا عليه ، قال : وقلت لصاحبي : النَّجاء النجاء ، حتى تأتِيَ بعيرَكَ فتقعدَ عليه ، فإنى سأشغَل عنك القومَ ، وكان الأنصاريّ لارُجْلة له .

قتله بكريا فى غار

قال : ومضيتُ حتى أخرج على ضَجْنان ثم أوَيْت إلى جَبل ، فأدخل كَهفاً ، فبينا أنا فيه ، إذ دخل علىّ شيخ من بنى الدِّيل أعور ، فى غُنَيمة له ، فقال : مَنِ الرجل ؟ فقلت : من بنى بَكر ، فمن أنت ؟ قال : من بنى بكر ، فقلت : مَرْحباً ، فاضطجع ، ثم رفع عقيرته ، فقال :

ولستُ بمُسْلِمٍ مادُمتُ حَيًّا ولا دانٍ لِدينِ المُسْلِمِينا

فقلت فى نفسى : ستعلم ، فأمهلته ، حتى إذا نام أخذتُ قوسى ، فجعلت سِيَتَها فى عينه الصَّحيحة ، ثم تحامَلت عليه حتى بلغت العظم ، ثم خرجت النَّجاء ، حتى جئت العَرْج ، ثم سلكت رَكُوبَةَ ، حتى إذا هبطت النَّقيع إذا رجلان من قُريش من المشركين ، كانت قريش بعثتهما عَيْناً إلى المدينة ينظران ويتحسَّسان، فقلت : استأسِرا ، فأبيَا ، فأرمى أحدهما بسهم فأقتلهُ ، واستأسَر الآخرُ ، فأوثقه رباطاً ، وقَدِمت به المدينة .

سرية زيد بن حارثة إلى مدين

بعثه هو وضميرة وقصة السبى

قال ابن هشام : وسرية زيد بن حارثة إلى مدين . ذكر ذلك عبد الله بن حسن بن حسن ، عن أمه فاطمة بنة الحسين بن علىّ عليهم رضوان الله ،

رفع
عبد الرحمن الهجري
أسكنه الله الفردوس

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث زيد بن حارثة نحو مدين، ومعه ضُمَيرة مولى علىّ بن أبي طالب رضوان الله عليه، وأخ له. قالت: فأصاب سَبْياً من أهل مِيناء، وهى السواحل، وفيها جُمّاع من الناس، فبيعوا، ففُرِّق بينهم، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يبكون، فقال: ما لهم؟ فقيل: يارسول الله، فُرِّق بينهم، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: لاتبيعوهم إلا جميعاً.

قال ابن هشام: أراد الأمهات والأولاد.

سرية سالم بن عمير لقتل أبى عفك

سبب نفاق أبى عفك

قال ابن إسحاق: وغزوة سالم بن عُمير لقتل أبى عَفَك، أحد بنى عمرو ابن عوف ثم من بنى عُبيدة، وكان قد نجم نِفاقُه، حين قتل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الحارثَ بن سُوَيد بن صامت، فقال:

لقد عِشْتُ دهراً وَما إن أرَى ... مِنَ النَّاس داراً وَلا مَجْمَعا
أبَرَّ عُهُوداً وأوْفى لِمَنْ ... يُعاقِد فيهِمْ إذا ما دَعا
مِنْ أوْلادِ قَيْلَةَ فى جَمْعِهِم ... يَهُدُّ الجِبالَ ولم يَخْضَعا
فَصَدَّعَهُمْ راكِبٌ جاءهم ... حَلالٌ حَرَامٌ لِشَتَّى مَعا
فَلَوْ أنَّ بالعِزِّ صَدَّقْتُمُ ... أوِ المُلْكِ تابعْتُمْ تُبَّعا

قتل ابن عمير له وشعر المزيرية

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من لى بهذا الخبيث ؟ فخرج سالم ابن عُمير، أخو بنى عمرو بن عوف ، وهو أحد البكّائين ، فقتله ، فقالت أمامةُ المُزَيرية فى ذلك :

تُكَذِّبُ دِينَ اللهِ والمرءَ أحمدا ... لعمرُ الذى أمْناك أن بئس ما يُمنِى
حَباكَ حَنيفٌ آخرَ الليلِ طعنةً ... أبا عَفَكٍ خُذها على كِبَرِ السِّنِّ

غزوة عمير بن عدى الخطمى لقتل عصماء بنت مروان

نفاقها وشعرها فى ذلك

وغزوة عُمير بن عدىّ الخطمى عَصْماءَ بنت مَرْوانَ ، وهى من بنى أميّة ابن زيد، فلما قُتل أبو عَفَك نافقت ، فذكر عبدُ الله بن الحارث بن الفُضيل عن أبيه ، قال : وكانت تحت رجل من بنى خَطْمة ، ويقال له يزيد بن زيد فقالت تعيب الإسلام وأهلَه :

باسْتِ بنى مالك والنَّبيتِ ... وعَوْفٍ وباسْتِ بنى الخزرجِ
أطعتم أتاوِىَّ مِنْ غيركم ... فلا مِنْ مُرادٍ ولا مَذحِجِ
تُرَجُّونَه بعدَ قتلِ الرءوسِ ... كما يُرْتجَى مَرَقُ المُنْضَجِ
ألا أنِفٌ يَبْتغى غِرّةً ... فيَقْطعَ مِنْ أملِ المُرْتجِى

شعر حسان فى الرد عليها

قال : فأجابها حسّان بن ثابت ، فقال :

بنُو وَائِلٍ وبنُو وَاقِفٍ وخَطْمَةُ دُونَ بنى الخزْرَجِ
متى مادَعَتْ سَفَهاً وَيْحَها بعَوْلَتِها والمَنـايا تَجِى
فهزّت فتى ماجِداً عِرْقُه كَرِيمُ المَداخِلِ والمَخْرَجِ
فضَرّجها مِنْ نَجِيعِ الدّما ء بعـدَ الهُدُوّ فلم يَحْرَجِ

خروج الخطمى لقتلها

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه ذلك ، ألا آخِذٌ لى من ابنة مروان ؟ فسَمِعَ ذلك من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم عُميرُ بن عدىّ الخطْمىّ ، وهو عنده ؛ فلما أمسى من تلك الليلة سَرَى عليها فى بيتها فقتلها ، ثم أصبح مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يارسول الله ، إنى قد قتلتها . فقال نصرت الله ورسوله ياعمير ، فقال : هل علىّ شىء من شأنها يارسول الله ؟ فقال : لا يَنْتطح فيها عَنْزان .

شأن بنى خطمة

فرجع عُمَير إلى قومه ، وبنو خَطْمة يومئذ كثيرٌ مَوْجهم فى شأن بنت مروان ، ولها يومئذ بنون خَمسة رجال ، فلما جاءهم عُمير بن عدىّ من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : يابنى خَطْمة ، أنا قتلت ابنة مروان ،

رفع المساهم

فكيدونى جميعاً ثم لا تُنظِرُون . فذلك اليومُ أوّلُ ماعزّ الإسلام فى دار بنى خَطْمة ، وكان يستخفى بإسلامهم فيهم من أسلم ، وكان أوّلَ من أسلم من بنى خطمة عُمَيْر بن عدىّ ، وهو الذى يُدعى القارىء ، وعبد الله بن أوس ، ابن ثابت ، وأسلم ، يوم قتلت ابنة مروان ، رجال من بنى خَطْمة ، لما رأوا وخُزيمة من عزّ الإسلام .

أسر ثمامة بن أثال الحنفى وإسلامه

والسرية التى أسرت ثمامة بن أثال الحنفى

إسلامه

بلغنى عن أبى سعيد المَقْبُرى عن أبى هريرة أنه قال : خرجت خيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذتْ رجلا من بنى حَنيفة ، لا يشعرون من هو ، حتى أتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أتدرون من أخذتم ، هذا ثُمَامَةُ بن أُثَالٍ الحنَفِيّ ، أحسنوا إسارَه . ورجع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله ، فقال : اجمعوا ما كان عندكم من طعام ، فابعثوا به إليه ، وأمر بِلِقْحته أن يُغدَى عليه بها ويُراح ، فجعل لا يقع من ثمامة موقعاً ويأتيه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فيقول أسلم يا ثمامة ، فيقول : إيها يا محمد ، إن تقتل تقتل ذا دم ، وإن ترد الفداء فسَل ما شئت ، فمكث ما شاء الله أن يمكث ، ثم قال النبىّ صلى الله عليه وسلم يوماً : أطلقوا ثمامة ، فلما أطلقوه خرج حتى أتى البَقيع ، فتطهّر فأحسن طُهُوره ، ثم أقبل فبايع النبىّ صلى الله عليه وسلم

على الإسلام ؛ فلما أمسى جاءوه بما جاءوه بما كانوا يأتونه من الطعام ، فلم ينل منه إلا قليلا ، وباللِّقحة فلم يُصب من حلابها إلا يسيراً ، فعجب المسلمون من ذلك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه ذلك : ممّ تعجبون ؟ أمِن رجل أكل أوّلَ النهار في مِعَى كافرٍ ، وأكل آخر النهار في مِعَى مسلم ! إن الكافر يأكل في سبعة أمعاء ، وإن المسلم يأكل في مِعى واحد .

خروجه إلى مكة وقصته مع قريش

قال ابن هشام : فبلغني أنه خرج مُعتمراً ، حتى إذا كان ببطن مكة لبّى ، فكان أوّل من دخل مكةَ يُلَبِّي ، فأخذته قريش ، فقالوا : لقد اخترت علينا ، فلما قدّموه ليضربوا عنقه ؛ قال قائل منهم : دعوه فإنكم تحتاجون إلى اليمامة لطَعامكم ، فخلُّوه ، فقال الحنفيّ في ذلك :

ومِنّا الذى لَبَّى بمَكَّةَ مُعْلِنًا ... برَغْم أبى سُفْيان فى الأشهر الحُرُمْ

حُدثت أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين أسلم ، لقد كان وجهك أبغضَ الوجُوه إلىّ ، ولقد أصبحَ وهو أحبُّ الوجوه إلىّ . وقال في الدين والبلاد مثل ذلك .

ثم خرج معتمراً ، فلما قدم مكةَ ، قالوا : أصَبَوْت يا ثُمام ؟ فقال : لا ، ولكني اتّبعت خير الدين ، دينَ محمد ، ولا والله لاتصل إليكم حبة من اليمامة حتى يأذن فيها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم . ثم خرج إلى اليمامة ، فمنعهم أن يحمِلوا إلى مكةَ شيئاً ، فكتبوا إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم : إنك

تأمر بصلة الرحم ، وإنك قد قطعت أرحامَنا ، وقد قتلت الآباء بالسيف ، والأبناء بالجوع ، فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه أن يخلّى بينهم وبين الحَمْل .

سرية علقمة بن مجزز

سبب إرسال علقمة

وبعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عَلقمة بن مُجَزِّز .

لما قُتل وقّاص بن مجزّز المُدْلجيّ يوم ذى قَرَد ، سأل عَلْقمةُ بن مُجَزّز رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أن يبعثه فى آثار القوم ، ليدركَ ثأره فيهم .

دعابة ابن حذافة مع جيشه

فذكر عبدُ العزيز بن محمد ، عن محمد بن عمرو بن عَلقمة ، عن عمرو بن الحكم بن ثَوْبان ، عن أبى سعيد الُخدرىّ ، قال : بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عَلقمة بن مُجَزّز - قال أبو سعيد الُخدرىّ : وأنا فيهم - حتى إذا بلغنا رأس غَزَاتنا أو كنّا ببعض الطريق ، أُذِن لطائفة من الجيش ، واستعمل عليهم عبدَ الله بن حُذافة السَّهمىّ ، وكان من أصحاب رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت فيه دُعابة ، فلما كان ببعض الطريق أوقد ناراً ، ثم قال للقوم : أليس لى عليكم السمع والطاعة ؟ قالوا : بلى ؛ قال: أفما أنا آمركم بشىء إلا فعلتموه ؟ قالوا : نعم ، قال : فإنى أعزم عليكم بحقى وطاعتى إلا تواثبتم

. . . .

فى هذه النار ؛ قال : فقام بعض القوم يحتجز ، حتى ظنّ أنهم واثبون فيها فقال لهم : اجلسوا ، فإنما كنت أضحك معكم ، فذُكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن قَدِموا عليه ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من أمركم بمَعْصية منهم فلا تُطيعوه .

وذكر محمد بن طلحة أن عَلْقَمة بن مُجَزّز رجع هو وأصحابه ولم يلق كيداً .

سرية كرز بن جابر لقتل البجليين الذين قتلوا يساراً

شأن يسار

حدثنى بعضُ أهل العلم ، عمّن حدثه ، عن محمد بن طلحة ، عن عثمان بن عبد الرحمن ، قال : أصاب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة محارب وبنى ثعلبة عبداً يقال له يسار ، فجعله رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى لقاح له كانت ترعى فى ناحية الجماء ، فقَدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من قَيْس كُبَّة من بجيلة ، فاستوبئوا ، وطَحِلوا ، فقال لهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : لو خرجتم إلى اللِّقاح فشربتم من ألبانها وأبوالها ، فخرجوا إليها .

قتل البجليين وتنكيل الرسول بهم

فلما صحوا وانطوت بطونهم، عَدَوْا على راعى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسار ، فذبحوه وغرزوا الشَّوك فى عينيه ، واستاقوا اللِّقاح. فبعث رسولُ الله

صلى الله عليه وسلم فى آثارهم كُرز بن جابر ، فلَحِقهم ، فأتى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مَرجِعه من غزوة ذى قَرَد ، فقطع أيديَهم وأرجلَهم ، وسَمَل أعينهم .

غزوة على بن أبى طالب إلى اليمن

وغزوة علىّ بن أبى طالب رضوان الله عليه إلى اليمن غزاها مرّتين .

قال ابن هشام : قال أبو عمرو المدنى : بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم علىّ بن أبى طالب إلى اليمن ، وبعث خالد بن الوليد فى جُند آخر ، وقال : إن التقيتما فالأمير علىّ بن أبى طالب .

وقد ذكر ابن إسحاق بَعْث خالد بن الوليد فى حديثه ، ولم يذكره فى عدة البعوث والسَّرايا ، فينبغى أن تكون العِدَّة فى قوله تسعة وثلاثين .

بعث أسامة بن زيد إلى أرض فلسطين

وهو آخر البعوث

قال ابن إسحاق : وبعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد ابن حارثة إلى الشام ، وأمره أن يُوطِىء الخيل تُخوم البلقاء والداروم ، من أرض فِلَسطين فتجهّز الناسُ ، وأوعَب مع أُسامة المهاجرون الأوّلون .

قال ابن هشام : وهو آخر بعث بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ابتداء شكوى رسول الله صلى الله عليه وسلم

بدء الشكوى

قال ابن إسحاق : فبينا الناس على ذلك ابتُدىء رسول الله صلى الله عليه وسلم بشكوه الذى قبضه الله فيه ، إلى ما أراد به من كرامته ورحمته ، فى ليال بقين من صفر ، أو فى أوّل شهر ربيع الأوّل ، فكان أوّل ما ابتُدِىء به من ذلك ، فيما ذُكر لى ، أنه خرج إلى بَقيع الغَرْقد ، من جوف الليل ، فاستغفر لهم ، ثم رجع إلى أهله ، فلما أصبح ابتُدىء بوجعه من يومه ذلك .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبدُ الله بن عمر ، عن عُبيد بن جُبير ، مولى الحكم بن أبى العاص ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، عن أبى مُوَيْهِبة ، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم من جوف الليل ، فقال : يا أبا مُوَيْهِبة ، إنى قد أمرت أن أستغفر لأهل هذا البقيع ، فانطلِقْ معى ، فانطلقت معه ، فلما وقف بين أظهرهم ، قال : السلام عليكم يا أهل المقابر ، ليهنِىء لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه ، أقبلت الفتن كقِطَع الليل المظلم ، يتبع آخرُها أوّلها ، الآخرة شرّ من الأولى ؛ ثم أقبل علىّ ، فقال : يا أبا مُوَيْهِبة ، إنى قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلدَ فيها ، ثم الجنة ، نخيرت بين ذلك وبين لقاء ربى والجنة . قال : فقلت : بأبى أنت وأمى ، فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ، ثم الجنة ، قال : لا والله يا أبا مُوَيهبة ، لقد اخترت لقاءَ ربى والجنة ، ثم استغفر لأهل البقيع ،

رفع عبد الرحمن الهاشمى

ثم انصرف ، فبدأ برسول الله صلى الله عليه وسلم وَجَعُه الذى قبضه الله فيه .

تمريضه فى بيت عائشة

قال ابن إسحاق : وحدثنى يعقوب بن عُتبة ، عن محمد بن مُسلم الزهرىّ ، عن عُبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن عائشة زوج النبىّ صلى الله عليه وسلم قالت : رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من البقيع ، فوجدنى وأنا أجد صُداعا فى رأسى ، وأنا أقولُ : وارأساه ، فقال : بل أنا والله يا عائشة وارأساه . قالت : ثم قال : وما ضرّكِ لو مُتِّ قبلى ، فقمتُ عليك وكفّنتك ، وصلّيت عليك ودفنتك ؟ قالت : قلت : والله لكأنى بك ، لو قد فعلتَ ذلك ، لقد رجعتَ إلى بيتى ، فأعرست فيه ببعض نسائك ، قالت : فتبسّم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وتتامّ به وجعُه ، وهو يدور على نسائه حتى استعزّ به وهو فى بيت ميمونة ، فدعا نساءه فاستأذنهنّ فى أن يُمرّض فى بيتى ، فأذِنّ له .

حجة الوداع

ذكر فيها حديث عائشة وقولها : فأهْلَلْنَا بالْحَجِّ وما نَذْكر إلا أمْرَ الْحَجِّ ، وهذا يدل على أنهم أفردوا ، وقد بين ذلك جابرٌ فى حديثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - أفرد الحجَّ ، وهذا هو الصحيح فى حديث جابر (١) ، وقد روى

(١) يقول الإمام ابن القيم : « وإنما قلنا إنه أحرم قارناً لبضعة وعشرين حديثاً صحيحة صريحة فى ذلك ، ثم ساق - رضى الله عنه - اثنين وعشرين حديثاً

. . . .

من طُرُق فيها لِينٌ عن جابر أنه قال قَرَن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بين الحجِّ والعُمْرة ، وطاف لهما طَوَافًا واحـــداً ، وسعى لهما سَعْياً واحداً، رواه الدَّارَقُطْني[1] ، وروى أيضاً أن جابراً قال : حج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ثلاثَ حِجَّاتٍ ، حِجَّتَيْن قَبْل الهجرة ، وحِجَّتُه التى قَرَنَها بعُمْرَتِهِ[2] ، وأما حديثُ ابن عباس فصحيح ، وقال فيه : طاف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن حجته وعُمْرَته طوافًا واحداً ، وقد اختلف عن عَلِيٍّ ، فروى عنه أنه طاف عنهما طوافين ، ولم يختلف عنه أنه كان قارناً ، وكذلك حديث عمران بن حُصَيْن ، فى أنه عليه السلام كان قارناً ، وأما حديثُ أنس فصرّح فيه بأنه كان قارناً ، وقال : ما تَعُدُّونا إلَّا صِبْياناً سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصرخ بهمـــا جميعا[3] يعنى الحجَّ والعُمْرَة ، فاختلفت الروايات فى إحرام

= يستدل بها على أنه صلى الله عليه وسلم أحرم قارناً لا مفرداً ، ثم نقل عن شيخه الإمام ابن تيمية ما يؤكد به أن الأحاديث فى هذا متفقة لا مختلفة ، وإن بدت بظواهرها مختلفة . فراجعه فهو فصل رائع ممتع للامام الجليل ٣٦٩ وما بعدها ح ١ زاد المعاد .

(١) ورواه أحمد والترمذى . وفيه الحجاج بن أرطاة . وحديثه كما يقول ابن القيم لا ينزل عن درجة الحسن ما لم ينفرد بشىء ، أو يخالف الثقات .

(٢) رواه الترمذى ثم قال : وهذا حديث غريب من حديث سفيان . قال : وسألت محمداً ـ يعنى البخارى ـ عن هذا فلم يعرفه من حديث الثورى، وفى رواية: لا يعد بهذا الحديث محفوظا . وإنما يروى، عن الثورى عن أبى إسحاق السبيعى عن مجاهد مرسلا .

(٣) وفى رواية : سمعت رسول الله « ص » يقول : لبيك حجا وعمرة ، وحديث أنس فى الصحيحين .

. . . .

رسولِ الله صلى الله عليه وسلم كما تَرى : هل كان مُفْرِداً أو قارِناً ، أو مُتَمَتِّعاً ، وكلها صِحَاحٌ إلا مَنْ قال : كان مُتَمَتِّعاً ، وأراد به أنه أَهَلَّ بعُمْرَةٍ ، وأما من قال : تَمَتَّع رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - أى : أمر بالتمتع ، وفَسْخِ الحجِّ بالعُمْرَةِ ، فقد يصح هذا التأويلُ ، ويصح أيضاً أن يُقالَ تَمَتَّع إذا قرن ، لأن القِران ضَرْبٌ من المُتْعَةِ لما فيه من إسقاط أَحَدِ السَّفَرَيْن . والذى يرفع الإشكال حديثُ البخارى أنه أهلّ بالحج ، فلما كان بالعَقِيق أتاه جبريلُ ، فقال له : إنك بهذا الوادى المبارَكِ ، فقل : لَبَّيْكَ بحَجٍّ وعُمْرَةٍ مَعاً ، فقد صار قارِناً بعد أن كان مُفْرِداً ، وصح القولان جميعاً ، وأمرُه لأصحابه أن يَفْسَخُوا الحجَّ بالعُمْرَةِ خُصُوصٌ لهم ، وليس لغيرهم أن يَفْعَلَه ، وإنما فعل ذلك لِيُذْهِبَ من قُلوبهم أَمْرَ الجاهِلِيَّة فى تحريمهم العُمْرَةَ فى أشْهُرِ الحجِّ ، فكانوا يرون العُمْرَةَ فى أشْهُرِ الحجِّ مِنْ أكبر الكبائر ، ويقولون : إذا بَرَأَ الدَّبَرْ[1] ، وعَفَا الأَثَرْ ، وانسَلَخَ صَفَرُ حَلَّت العُمْرَةُ لمن اعْتَمَر ، ولم يَفْسَخ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حَجَّه كما فعل أصحابُه ، لأنه ساق الهَدْىَ ، وقَلَّده ، والله سبحانه يقول ﴿ حتى يَبْلُغَ الهَدْىُ مَحِلَّه ﴾ وقال حين رأى أصحابه قد شَقَّ عليهم خلافُه : لو استَقْبَلْتُ من أَمْرِى ما استَدْبَرْتُ لجعلتها عُمْرَةً ، ولَما سُقْتُ الهَدْىَ[2] ، قال شيخُنا أبو بكر رضى الله عنه : إنما نَدِم على تَرْك

---

(١) الدبر : الجرح الذى يكون فى ظهر البعير . . وقيل : هو أن يقرح خف البعير .

(٢) فى صحيح البخارى عن ابن عباس قال : « أهل المهاجرون والانصار وأزواج النبى « ص » فى حجة الوداع ، وأهللنا ، فلما قدمنا مكة قال رسول الله =

. . . .

ماهو أسْهَلُ ، وأرْفَقُ ، لاعلى تَرْكِ ماهو أفْضَلُ ، وأوْفَقُ ، وذلك لما رأى من كَرَاهة أصحابِهِ لمخالَفَتِه ، ولم يكن ساقَ الهَدْىَ معه من أصحابه إلا طَلْحَة

= صلى الله عليه وسلم اجعلوا إهلالكم بالحج عمرة إلا من قلد الهدى ، ويعلق الإمام ابن القيم على هذا الحديث ؟ ورواية السنن له : « ونحن نشهد الله علينا أنا لو أحرمنا بحج لرأينا فرضاً علينا فسخه إلى عمرة تفادياً من غضب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - واتباعا لأمره : فوالله ما نسخ هذا في حياته ولا بعده ، ولا صح حرف واحد يعارضه ولا خص به أصحابه دون من بعدهم ، بل أجرى الله سبحانه وتعالى على لسان سراقة أن يسأله : هل ذلك مختص بهم ؟ فأجاب بأن ذلك كائن لابد الأبد . فما ندرى ما نقدم على هذه الأحاديث » ص ٤٢٦ ج ١ زاد المعاد . وفي هذا رد على السهيلي في زعمه أن فسخ الحج بالعمرة كان خصوصاً لأصحاب النبي . ولقد قال سلمة بن شبيب لأحمد بن حنبل : يا أبا عبدالله كل أمرك عندي حسن إلا خلة واحدة قال : وما هي : قال تقول بفسخ الحج إلى العمرة ، فقال : يا سلمة كنت أرى لك عقلا عندي في ذلك أحد عشر حديثاً صحاحا عن رسول الله « ص » أأتركها لقولك ؟ المصدر السابق . ويقول : الإمام ابن القيم أيضاً عن الذين غلطوا في حج النبي « ص » : ووهم في حجه خمس طوائف :

الطائفة الأولى التي قالت : حج حجاً مفرداً لم يعتمر معه . الثانية : من قال : حج متمتعاً تمتعاً حل منه ، ثم أحرم بعده بالحج كما قاله القاضي أبو يعلى وغيره .

الثالثة : من قال حج متمتعا تمتعاً لم يحل منه لأجل سوق الهدى ، ولم يكن قارنا كما قاله أبو محمد بن قدامة صاحب المغنى .

الرابعة : من قال حج قارناً قراناً طاف له طوافين وسعا له سعيين .

الخامسة : من قال : حج حجاً مفرداً . اعتمر بعده من التنعيم . ثم بين رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم أحرم قارنا وساق الأدلة بالأحاديث . كما قال : حصل الترجيح لرواية من روى القران لوجوه عشرة ثم ذكر هذه الوجوه وزاد عليها خمسة أوجه أنظر ص ٣٨٢ ، ٣٩٠ ج ١ زاد المعاد .

. . . .

ابن عُبَيْدِ الله ، فلم يَحِلّ حتى نحر ، وعَلِيٌّ أيضاً أتى من الْيَمَن وساق الهدى فلم يَحِلّ إلّا بإحْلَالِ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقوله عليه السلام فى خُطْبَةِ الوَدَاع : ورَجَبُ مُضَرَ الذى بين جُمَادَى وشَعْبَان ، إنما قال ذلك لأن رَبِيعَةَ كانت تُحَرِّم فى رَمَضَان ، وتسميه : رَجَباً من رَجِبْتُ الرجل ورَجَّبْتُه إذا عظمته، ورَجَّبْتُ النَّخْلَة إذا دَعَمْتَها[1] ، فبيَّنَ عليه السلام أنه رَجَبُ مُضَر لا رَجَبُ رَبِيعَة، وأنه الذى بين جُمَادَى وشَعْبَان[2] وقد تقدم تفسيرُه قوله : إن الزَّمَان قد استَدَارَ ، وتقدم اسمُ ابن أبى رَبِيعة الْمُسْتَرْضَع فى هُذَيْلٍ ، وأن اسْمَه آدمُ ، وقيل : تَمَّام ، وكان سَبَبَ قتلِه حَرْبٌ كانت بين قبائل هُذَيْلٍ تقاذفوا فيها بالحِجَارة فأصاب الطفلَ حَجَرٌ وهو يَحْبُو بين البُيُوت ، كذلك ذكر الزُّبَيْر .

بعث أسامة

وأَمَّرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أُسَامَةَ على جَيْشٍ كثيف ، وأَمَرَه أن يغير على أُبْنَى صَبَاحاً ، وأن يحرق . وأُبْنَا ، هى القريةُ التى عند مُؤْتَةَ حيث

---

(١) الترجيب أن يبنى تحت النخلة دكان تعتمد عليه .

(٢) يقول ابن الأثير : « أضاف رجباً إلى مضر ، لأنهم كانوا يعظمونه خلاف غيرهم ، فكأنهم اختصوا به . وقوله : بين جمادى وشعبان تأكيد للبيان، وإيضاح ، لأنهم كانوا ينسئونه ويؤخرونه من شهر إلى شهر ، فيتحول عن موضعه المختص به، فبين لهم أنه الشهر الذى بين جمادى وشعبان لا ما كانوا يسمونه على حساب النسىء .

رفع المسهم

. . . .

قُتِل أبوه زَيْد ، ولذلك أمَّره على حداثة سِنّه ليُدْرِكَ ثأره ، وطعن في إمارته أهلُ الرِّيَب ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : وايْم الله إنه لَخليقٌ بالإمارَةِ ، وإن كان أبوه لَخليقاً بها[١] ، وإنما طعنوا في إمْرَتِهِ ، لأنه مَوْلى مع حداثة سِنِّه ، لأنه كان إذ ذاك ابنَ ثمانِ عَشْرَةَ سنةً ، وكان رضي الله عنه أسودَ الجِلْدَةِ ، وكان أبوه أبيضَ صافِيَ البياض ، نَزَع في اللون إلى أمِّه بَرَكَة ، وهي أم أَيْمَنَ ، وقد تقدم حديثها ، وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يُحبُّه ويمسح خَشَمَه ، وهو صغير بثوبه ، وعثر يوماً فأصابه جرح في رأسه ، فجعل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يمص دمَه ويَمُجُّه ، ويقول : لو كان أسامَةُ جارِيَةً لحلَّيْناها ، حتى يُرْغَبَ فيها ، وكان يسمى الحِبَّ من الحُبِّ[٢] .

عدة الغزوات :

وذكر ابن إسحاق عدة الغَزَوات ، وهي ست وعشرون ، وقال الواقدي : كانت سَبْعاً وعشرين ، وإنما جاء الخلاف ، لأن غَزْوة خَيْبَر اتصلت بغَزْوَة وادي القرى ، فجعلها بعضُهم غزوةً واحدةً ، وأما البعوثُ والسَّرايا فقيل : هي ست وثلاثون كما في الكتاب ، وقيل : ثمان وأربعون وهو قول الواقدي ،

---

(١) روى الإمام مالك ، ومن طريقه البخاري عن ابن عمر أنه « ص » بعث بعثاً وأمر عليهم أسامة بن زيد ، فطعن الناس في إمارته ، فقام صلى الله عليه وسلم ، فقال : إن تطعنوا في إمارته ، فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبل ، وايم الله إن كان خليقاً للامارة ، وإن كان لمن أحب الناس إلى ، وإن هذا لمن أحب الناس إلى بعده » .

(٢) لعلها . الحب بن الحب .

ونسب المسعودى إلى بعضهم أنَّ البُعُوثَ والسَّرَايا كانت ستين . قاتل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى تِسْع غزوات ، وقال الواقدى : قاتل فى إحدى عَشْرَةَ غزوةً ، منها الغابة ووادِى القرى والله أعلم .

إرسال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الملوك

الحواريون :

ذكر فيه إرسال عيسى بن مريم الحَوَارِيِّين ، وأصح ما قيل فى معنى الحَوَارِيِّينَ أن الحَوَارِيَّ هو الخُلْصَانُ ، أى الخالصُ الصافى من كل شىء ، ومنه الحَوَارِىُّ ، والحُور ، وقول المفسّرين هو : الخُلْصَان كلمة فصيحة ، أنشد أبو حنيفه :

خَلِيلَىَّ خُلصانِىَّ لم يُبْقِ حُبُّها من القلب إلّا عُوَّذاً سبباً لها(١)

قال : والعُوَّذُ مالم تُدْرِكه الماشية لارتفاعه ، أو لأنه بأهداف ، فكأنه قد عاذ منها .

معنى المسيح ونهايته :

وأصح ماقيل فى معنى المسيح على كثرة الأقوال فى ذلك أنه الصِّدِّيق

(١) البيت للكميت . وروايته فى اللسان : خليلاى، و : سيناً لها . بدلا من : خليلى ، و : سبباً لها . والعوذ : ما عيذ به من شجر أو غيره وما لم يرتفع إلى الأغصان . ومنعه الشجر من أن يرعى من ذلك . وقيل : هى أشياء تكون فى غلظ لا ينالها المال . و اللسان .

. . . .

بلغتهم ، ثم عرَّبَتْه العربُ . وكان إرسالُ المَسِيح للحواريين بعد ما رُفِع وصُلب الذى شُبِّه به ، فجاءت مريمُ الصِّدِّيقة والمرأة التى كانت مَجْنُونةً ، فأبرأها المسيحُ ، وقعدتا عند الجذع تبكيان ، وقد أصاب أمَّه من الحزن عليه مالا يعلم علمه إلا الله ، فأُهبط إليهما ، وقال : عَلى مَ تَبْكيان ؟ فقالتا : عليك ، فقال إنى لم أُقتل ، ولم أُصَابْ ، ولكن الله رفعنى وكرمنى ، وشبَّه عليهم فى أمرى ، أبلغا عنى الحَوَارِيِّين أمرى ، أن يَلقَوْنى فى مَوْضِع كذا ليلا ، فجاء الحَوَارِيُّون ذلك الموضعَ ، فإذا الجبلُ قد اشتعل نوراً لنزوله به ، ثم أمرهم أن يدعوا الناس إلى دينه وعبادة ربهم ، فوجههم إلى الأُمم التى ذكر ابن إسحاق وغيره ، ثم كُسِى كُسْوَة الملائكة ، فَعَرَج معهم ، فصار مَلَكِيًّا إنسيًّا سَمَائيًّا أرضيًّا[1] .

فصل : وذكر فى الأمم : الأُمَّةَ الذين يأكلون الناس ، وهم من الأَسَاوِدَةِ فيما ذكره الطبرى .

أُسطورة زريب :

وذكر فى الحَوَارِيِّين زُرَيْب بن بَرْثَمْلِى[2] وهو الذى عاش إلى زمن

---

(١) قصة مخترعة لا ينسبها إلى الحق سند صحيح . ولكنها فى كتب المسيحيين . والحق الثابت الذى لا ريب فيه أنهم ما قتلوه وما صلبوه ، ولكن شبه لهم .

(٢) فى الإصابة ترملا وترملى . وفى سفر أعمال الرسل من العهد الجديد : برثولماوس بدون زريب وسند قصة زريب سند ضعيف . وعند ابن أبى حاتم ، أن صاحبه هو جعونة بن نضلة ، وعند غيره نضلة بن معاوية .

. . . .

عُمَرَ وسمع نَضْلَةَ بن معاوية أذانه في الجبل فكلمه، فإذا رجل عظيم الخَلْقِ رأسه كدُوز الرَّحى ، فسأل نَضْلَةَ والجيشَ الذين كانوا معه عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا : قُبِض ، وعن أبي بكر ، فقالوا: قُبِض ، ثم سألهم عن عُمَرَ ، فقالوا : هو حَيٌّ ، ونحن جيشه ، فقال لهم : أقرئوه مني السَّلامَ ثم أمرهم أن يبلغوا عنه وصايا كثيرة ، وأن يُحَذِّرَ الناسَ من خِصال إذا ظهرت في أمة محمدٍ، فقد قرب الأمر ، ومنها لبس الحرير ، وشرب الخمر ، وأن يكتفي الرجالُ بالرجال والنساء بالنساء(١) .

وذكر فيها أيضاً المعازِف والقِيانَ وأشياءَ غير هذه ، فقالوا له : مَنْ أنت يرحمك الله؟ فقال زُرَيْبُ بن بَرْثَمْلِي حَوَارِيُّ عيسى بن مَرْيَمَ عليه السلام دعوتُ الله أن يُحْيِيَنِي ، حتى أرى أمةَ محمد ، أو نحو هذا الكلام ، وقد أردت الخلوص إلى أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، فلم أستطع ، حال بيني وبينه الكفار .

وذكر الدَّارَقُطْنِي في هذا الحديث من طريق مالك بن أنس مرفوعاً أن عمر قال لنضلة إن لقيته فأقرئهُ مني السلامَ ، فإن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال : إن بذلك الجَبَل وَصِيًّا من أوصياء عيسى عليه السلام ، والخبر بهذا مشهورٌ عنه ، وفيه طولٌ فاختصرناه ، ويقال : إنه الآن حَيٌّ . ومن قال : إن الخَضِر وإلياسَ قد ماتا ، فمن أصله أيضاً أن زُرَيْباً قد مات ، لأنهم يحتجون

---

(١) كل هذا سنده ضعيف كما قرر الحافظ في الفتح . والعجب أن يفترى في بعض الروايات أنه سيبقى إلى نزول عيسى !!

رفع عبد الرحمن الهجري المسلم

. . . .

بالحديث الصحيح : إلى رأس مائة سنةٍ ، لا يبقى على الأرضَ ممَّن هو عليها أحدٌ(١) .

رسوله إلى النجاشي وقيصر :

فصل: وذكر إرسال عَمْرِو بن أُمَيَّة إلى النَّجَاشِيِّ ، وقد قدمنا ذكر ما قال وماقيل له ، وكذلك ذكرنا خَبَرَ سَلِيط مع هَوْذَةَ ، وما قال له ، وخبر عبد الله بن حُذَافَةَ مع كِسْرَى ، وكلامه معه ، ونذكر هنا بقية الإرسال ، وكلامهم فنهم : دِحْيَةُ بن خَلِيفة الكَلْبي ، فقَدِم دِحْيَةُ على قَيْصَرَ ، وقد ذكرنا معنى هذا الإسم ، أعنى اسمَ دِحْيَةَ ، واسم قَيْصَر فيما مضى من الكتاب ، فلما قدم دحيةُ على قَيْصر ، قال له : «يا قَيْصَرُ أرسلنى إليك مَنْ هو خَيْرٌ منك ، والذى أرسله هو خيرٌ منه ومنك ، فاسمع بذُلٍّ ، ثم أجب بنُصْحٍ ، فإنك إن لم تَذِلْ لم تَفْهَم ، وإن لم تَنْصَح لم تُنْصِفْ ، قال : هات ، قال : هل تعلم أكان المسيحُ يُصَلِّى؟ قال : نعم ، قال : فإنى أدعوك إلى من كان المسيحُ يُصَلِّى له ، وأدعوك

(١) وعلى هذا أجمع الأئمة . فقد كان صاحب موسى عبداً صالحاً بشراً ، والبشر لا يخلدون فى الدنيا . وإلياس كذلك .

كلمة عن الحواريين : ماذكر فى السيرة عنهم مستمد من أسفار المسيحيين وبين أسمائهم فى السيرة وأسمائهم فى الأسفار اختلاف يسير . ولست أدرى كيف يجعل من بولس تابعاً طيباً ؟ وهو الذى افترى أصول المسيحية المثلثة المؤلهة لعبد الله ورسوله عيسى وعاش يمجد اليهودية وحدها بأحقادها !!

أنظر رسائله فى العهد الجديد .

. . . .

إلى من دبّر خلق السموات والأرض والمسيحَ فى بطن أمه ، وأدعوك إلى هذا النبى الأُمّىّ الذى بشر به موسى ، وبشّر به عيسى بن مَرْيم بعده ، وعندك من ذلك أثارةٌ مِنْ عِلْم تكفى من العِيانِ وتَشْفِى من الخَبَرِ ، فإن أجبْتَ كانت لك الدنيا والآخرةُ ، وإلا ذهبت عنك الآخرةُ وشُورِكْت فى الدنيا ، واعلم أنّ لك ربًّا يَقْصِم الجَبابِرَةِ ، ويغَيِّرُ النِّعم » ، فأخذ قيصرُ الكتابَ فوضعه على عينيه ورأسهِ وقبَّله ، ثم قال : أما واللهِ ماتركت كتاباً إلا وقرأته ، ولا عالمًا إلا سألته ، فما رأيت إلاَّ خيْراً ، فأمْهِلْنى حتى أنظر مَنْ كان المسيحُ يُصَلِّى له ، فإنى أكره أن أُجِيبَك اليومَ بأمْرٍ أرى غداً ماهو أحسن منه ، فأرْجِعَ عنه ، فيضُرّنى ذلك ، ولا ينفعنى ، أقِمْ حتى أنظُرَ ، فلم يلبث أن أتاه وفاةُ رسولِ اللهِ — صلى الله عليه وسلم — وفى غزوة تبُوكٍ بقيةُ حديث قيْصَرَ ، فانظره هنالك .

رسوله إلى المقوقس :

وأما حاطِبٌ فقدم على المُقَوْقِس ، واسمه : جُرَيْجٌ بن مِيناء[1] ، فقال له : « إنه قد كان رجُلٌ قبلك يزعم أنه الرَّبُّ الأعلى ، فأخذه اللهُ نَكَالَ الآخِرَةِ ، والأولى ، فانتقم به ، ثم انتَقَم مِنه ، فاعْتَبِرْ بغيرك ، ولا يَعْتَبِرْ بك غيرُك » ، قال : هات ، قال : إن لك دِيناً لن تَدَعَه إلاَّ لما هو خَيْرٌ منه ، وهو الإسلام[2] ، الكافى به اللهُ فَقْدَ ماسِوَاهُ . إن هذا النبىّ — صلى الله عليه وسلم —

(١) ابن مينا بن قرقوب . وفى الإصابة : ومنهم من لم يذكر مينا كما جزم به أبو عمر الكندى فى أمراء مصر .

(٢) فى المواهب : قال : إن لنا ديناً لن ندعه إلا لما هو خير منه ، فقال حاطب : ندعوك لله إلى دين الله وهو الإسلام

. . . .

دعا الناسَ ، فكان أشدَّهم عليه قُرَيشٌ ، وأعداهم له يَهُودُ ، وأقربهم منه النصارى ، ولعَمْرِى ما بشَارَةُ موسى بعيسى إلاَّ كبشارة عيسى بمحمد صلى الله عليه وسلم ، ومادعاؤنا إيَّاكَ إلى القرآن إلاَّ كدعائك أَهْلَ التَّوْرَاةِ إلى الإنجيل ، وكُل نَبِيٍّ أدرك قوماً فَهُمْ من أُمَّتِه فالحَقُّ عليهم أنْ يُطِيعوه ، فأنت مِمَّن أدركه هذا النبيُّ ، ولسنا نَنْهاك عن دين المسيح ، ولكن نأمرُك به » قال المُقَوْقِسُ : « إنى قد نظرت فى أمر هذا النبيِّ ، فوجدته لا يأمر بمزْهُودٍ فيه ، ولا يَنْهَى إلا عن مَرْغُوب عنه ، ولم أجده بالساحر الضَّالِّ ، ولا الكاهِنِ الكاذب ، ووجدت معه آلة[1] النبوة بإخراج الخَبْءَ والإخبار بالنَّجْوَى[2] ، وسأنظر فأهدى للنبيِّ صلى الله عليه وسلم أمَّ إبراهيمَ القِبْطِية ، واسمها : مَارِيَةُ بنتُ شَمْعُون ، وأختها معها ، واسمها سِيرِين وهى أمُّ عَبْدِالرَّحمن

---

(١) فى شرح المواهب: « كذا فى العيون ، أى : علامتها ، عبر عنها بالآلة ، لأنها سبب فى تحقيقها ، وإظهارها. وفى الروض : آية . وهى العلامة بلا تكلف » غير أن الروض كما ترى ذكر آلة فلعل صاحب المواهب كان يطلع على نسخة أخرى .

(٢) يقال : إن المقوقس علم هذا من الأخبار الواردة عليه بذلك قبل كتابة النبي إليه . فقد ذكر الواقدى أن المغيرة بن شعبة لقى المقوقس ، وسأله عن النبي ، فلما أجابه بما أجابه به قال : هذا نبي مرسل إلى الناس كافة ، ولو أصاب القبط والروم لاتبعوه . وعند ابن عبد الحكم أنه أخذ كتاب النبي « ص » ضمه إلى صدره ، وقال : هذا زمان النبي الذى نجد نعته فى كتاب الله ، وحفظ الكتاب فى حق من عاج. وقد ورد أن الكسوة كانت عشرين ثوباً . وانظر ص ٥٤ وما بعدها كتاب فتوح مصر وأخبارها لابن عبد الحكم .

ابن حسّان بن ثابت[1]، وغلاماً اسمه مأبُور[2]، وبغلةً اسمها دُلْدُلٌ، وكِسْوَة، وقدحاً من قَوَارِيرَ كان يشرب فيه النبيُّ صلى الله عليه وسلم، وكاتبه[3].

رسوله إلى المنذر بن ساوى:

وأما العَلاء بن الحَضْرمي، فقدم على المُنْذِرِ بن سَاوِي[4] فقال له: «يا مُنْذِرُ إنك عظيمُ العقل في الدنيا، فلا تَصْغُرَنَّ عن الآخِرة، إن هذه المَجُوسِيَّة شر دينٍ ليس فيها تَكَرُّم العرب، ولا علم أهل الكتاب، يَنْكِحُون ما يُسْتَحْيَا من نِكاحه، ويأكلون ما يُتَكَرَّم على أكله، ويعبدون

(١) وقيل إنه «ص» وهبها لجهم بن قيس، وقيل لمحمد بن مسلمة، وقيل لدحية ابن خليفة.

(٢) كان مأبور خصياً، ولم يعلموا بأمره بادىء الأمر، فصار يدخل على مارية، كما كان من عاداتهم ببلاد مصر؛ فجعل بعض الناس يتكلم فيهما بسبب ذلك، حتى قيل إنه الذى أمر النبي علياً بقتله، فوجده خصياً فتركه. والحديث فى صحيح مسلم من طريق حماد بن مسلمة «البداية لابن كثير» ص ٢٧٣ ص ٤، وقد تقدم الكلام عن هذا.

(٣) ورد أن الكسوة كانت عشرين ثوباً من القباطي كما ورد أنه أهدى اليه حماراً اسمه: يعفور، وعسلا من بنها وألف مثقال ذهباً وخفين ساذجين أسودين واقرأ ما كتبه المقوقس فى كتاب فتوح مصر لابن عبد الحكم ص ٤٧.

(٤) ابن الأخنس بن بيان بن عمرو بن عبد الله بن زيد بن عبد الله بن دارم التيمى الدارمى العبدى، لأنه من ولد عبد الله بن دارم هاو وعماوهم فيه السهيلى زعم أن الرسول «ص» بعث جبراً مع حاطب، فجبر من القبط. وهو رسول المقوقس بماوية إلى النبي «ص» كما جاء فى الإصابة والاستيعاب.

. . . .

فى الدنيا ناراً تأكلهم يوم القيامة ، ولستَ بعديم عقلٍ ، ولا رأيٍ ، فانظر: هل ينبغى لمن لا يكذب أنْ لا تُصدِّقه ، ولمن لا يخونُ أن لا تأمنه ، ولمن لا يُخلِفُ أنْ لا تثِقَ به ، فإن كان هذا هكذا ، فهو هذا النبيُّ الأُمِّيُّ الذى والله لا يستطيع ذُو عَقلٍ أن يقول : ليت ما أمر به نَهَى عنه ، أو ما نَهَى عنه أمَرَ به ، أو لَيْتَه زاد فى عَفْوِه ، أو نقص من عقابه ، إن كل ذلكَ منه على أُمْنِيةِ أهلِ العقل وفِكْر أهلِ البَصر » .

فقال المنذرُ : قد نظرتُ فى هذه الأمرِ الذى فى يدى ، فوجدته للدنيا دون الآخرة ، ونظرت فى دينكم ، فوجدته للآخرة والدنيا ، فما يمنعنى من قبول دين فيه أمنية الحياة وراحةُ الموت ، ولقد عجبت أمسِ ، ممن يقبله ، وعجبت اليوم ممن يَرُدُّه ، وإن من إعْظَامِ مَنْ جاء به أن يُعظَّم رسولُه ، وسأنظر .

مفتاح الجنة :

فصل : ومما وقع فى السيرة فى حديث العَلَاء قولُ النبى عليه السلام له : إذا سُئِلْتَ عن مِفْتَاح الجنة فقل : مِفْتَاحها : لا إله إلاّ اللهُ ، وفى البخارى : قيل لوهب : أليس مفتاحُ الجنة لا إله إلاّ الله ؟ فقال : بلى ، ولكن ليس من مِفْتَاح إلا وله أسنان ، فإن جئت بمفتاح له أسنان فُتِح لك ، وإلاّ لم يُفْتَح لك ، وفى رواية غيره : أن ابن عبَّاس ذكر له قول وَهْبٍ ، فقال : صَدَق وهبٌ ، وأنا أخبركم عن الأسنان ماهى ، فذكر الصلاة والزكاة وشرائع الإسلام .

. . . .

عمرو والجلندى :

وأما عمرو بن العاصى ، فقدم على الجُلُنْدِى(١) ، فقال له : ياجُلُنْدِىُّ إنك وإن كنت منّا بعيداً ، فإنك من الله غيرَ بعيد ، إن الذى تفرد بخلقك أهْلٌ أن تُفْرِده بعبادتك ، وأن لا تُشرك به مَنْ لم يُشْرِكْه فيك ، واعلم أنه يُميتك الذى أحياك ، ويُعيدك الذى بَدَأك ، فانظر فى هذا النبىِّ الأُمّىِّ الذى جاء بالدنيا والآخرة ، فإن كان يريد به أجراً فامنعه ، أو يميل به هَوًى فَدَعْه ، ثم أنظرُ فيما يجىء به : هل يُشْبِه مايجىء به الناسُ ، فإن كان يشبهه ، فَسَله العِيانَ ، وتخَيَّر عليه فى الخبر ، وإن كان لا يُشْبِهه فاقبل ماقال ، وخَفْ ماوَعَد ، قال الجُلُنْدِىُّ : إنه والله لقد دلنى على هذا النبىِّ الأُمّىِّ أنه لا يأمر بخير إلا كان أوَّلَ مَنْ أخَذَ به ، ولا يَنْهَى عن شرٍّ إلا كان أوَّلَ تاركٍ له ، وأنه يَغْلِب فلا يَبْطَرُ ، ويُغْلَب فلا يَضْجَر(٢) وأنه يفى بالعهد ، ويُنْجِز الموعود ، وأنه لا يزال سِرٌّ قد اطّلع عليه يُساوى فيه أهلَه ، وأشهد أنه نبى(٣) .

---

(١) ضبطه الجوهرى بفتح اللام ، وجعله القاموس من أوهامه ، وقد ضبطه الحافظ فى الفتح والإصابة بضبط الجوهرى غير مبال بضبط شيخه صاحب القاموس ، وفى السيرة أنه أرسله إلى ابنى الجلندى . وأما وثيمة فيذكر فى كتاب الردة عن ابن إسحاق أنه أرسل إلى الجلندى .

(٢) فى الإصابة . فلا يهجر .

(٣) فى الإصابة أنه أنشد أبياتاً هى :

أتانى عمرو بالتى ليس بعدها ... من الحق شىء والنصيح نصيح
فقلت له : ما زدت أن جئت بالتى ... جلندى عمان فى عمان يصيح
فياعمرو قد أسلمت لله جهرة ... ينادى بها فى الواديين فصيح

. . . .

شجاع وجبلة :

وأما شُجاع بن وَهْب ، فقدم على جَبَلَةَ بن الأَيْهَم ، وهو جَبَلَةُ بن الأيهم ابن الحارث بن أبى شِمْر ، وجَبَلَة ، وهو الذى أسلم ثم تَنَصَّر من أجلِ لَطْمَة حاكم فيها إلى أبى عُبَيْدَةَ بن الجرّاح وكان طوله اثْنَىْ عَشر شِبْراً ، وكان يمسح برجليه الأرضَ ، وهو راكب ، فقال له : ياجَبَلَةُ إن قومك نقلوا هذا النبيَّ الأُمّيَّ من داره إلى دارهم ، يعنى : الأنصارَ ، فآوَوْهُ ، ومنعوه ، وإن هذا الدينَ الذى أنت عليه ليس بدينِ آبائك ، ولكنك ملكتَ الشامَ وجاورت بها الرومَ ، ولو جاوَرْتَ كِسْرَى دِنْتَ بدين الفُرْسِ لِمُلْكِ العراق ، وقد أقرَّ بهذا النبيِّ الأمّيِّ مِن أهلِ دينِك مَنْ إنْ فَضَّلْناه عليك لم يُغضِبْك ، وإن فَضَّلْناكَ عليه لم يُرْضِكَ ، فإن أسلمتَ أطاعتك الشامُ وهابتك الرومُ ، وإن لم يفعلوا كانت لهم الدنيا ولك الآخرةُ ، وكنت قد استبدلتَ المساجدَ بالبِيَع ، والأذانَ بالنّاقوس ، والجُمَعَ بالشّعانين[1] ، والقِبْلَة بالصّليب ، وكان ما عند الله خير وأبقى ، فقال له جَبَلَةُ : إنى والله لَوَدِدْت أن الناسَ أجمعوا على هذا النبيِّ الأميِّ اجتماعَهم على خَلْق السّمٰوات والأرض ، ولقد سرنى اجتماعُ قومى له ، وأعجبنى قتلُه أهل الأوثان واليهودِ ، واستبقاؤُه النَّصارى ، ولقد دعانى قَيْصَرُ إلى قتالِ أصحابه يوم مُؤْتَةَ ، فأبيت عليه ، فانتدبَ مالكَ بنَ نافلة

---

(١) عيد صليبى يقع يوم الأحد السابق لعيد الفصح يحتفل فيه بحمل السعف ذكرى لدخول المسيح - كما قيل - بيت المقدس

. . . .

من سَعد العَشِيرَةِ فقتله الله ، ولكني لست أرى حقًّا ينفعه ، ولا باطلا يَضُرُّه والذي يَمُدُّني إليه أقوى من الذي يَختَلِجُني عنه ، وسأنظر .

المهاجر وابن كلال :

وأما المُهَاجِرُ بن أبي أُميَّة ، فقدم على الحارثِ بن عَبْدِ كُلَالٍ ، وقال له : يا حارثُ إنك كنت أول مَنْ عَرَض عليه النبي صلى الله عليه وسلم نفسه ، فَخَطِئْتَ عنه ، وأنت أعظمُ الملوك قَدْراً ، فإذا نظرت في غَلَبة الملوك ، فانظر في غالب الملوك ، وإذا سَرَّك يومُك فَخَفْ غدَك ، وقد كان قبلكَ ملوكٌ ذهبت آثارُها وبقيت أخبارُها ، عاشوا طويلا ، وأمَّلوا بعيداً وتَزَوَّدوا قليلا ، منهم من أدركه الموتُ ، ومنهم من أكلته النِّقَمُ ، وإنى أدعوك إلى الرب الذي إن أردتَ الهُدَى لم يَمنعْكَ ، وإن أرادك لم يَمنعْه منك أحدٌ ، وأدعوك إلى النبيِّ الأُمِّيِّ الذي ليس له شيء أحسن مما يأمر به ، ولا أقبح مما ينهى عنه ، واعلم أن لك رَبًّا يُميت الحيَّ ويُحْيِي الميت ، ويعلم خائنةَ الأعين ، وما تُخْفِي الصُّدورُ ، فقال الحارث : قد كان هذا النبيُّ عَرَض نفسه عليَّ فَخُطِّئْتُ عنه ، وكان ذُخْراً لمن صار إليه ، وكان أمرُه أمراً سَبَق ، فحضره اليأسُ وغاب عنه الطَّمَعُ ، ولم يكن لى قَرَابة أحتملُه عليها ، ولا لى فيه هوى أتبعه له ، غير أنى أرى أمراً لم يُوَسْوِسْهُ الكذبُ ، ولم يسنده الباطلُ . له بَدْء سار ، وعاقبة نافعة ، وسأنظر . ومما قاله دِحْيَةُ بن خَلِيفَةَ في قُدومه على قَيْصر :

أَلَا هَلْ أَتاها على نَأْيِهَا فإنى قَدِمْتُ على قَيْصَر
فقدرته بصـــلاة المسيـ ـح وكانت من الجَوْهَرِ الأَحْمَرِ

. . . .

وتدبـيرِ ربِّكَ أَمْرَ السما ءِ والأرضِ فأغْضَى ولم يُنْكِرِ

وقلت : تقر بِبُشْرَى المسيـ ح ، فقال : سأنظُر ، قلت : انظُرِ

فـكاد يُقِـرُّ بأمرِ الرسو لِ فمال إلى البَدَلِ الأعْوَرِ

فَشَكَّ وجاشت له نفسُه وجاشت نفوسُ بنى الأصفرِ

على وَضْعِه بيـديه الكتا بَ على الرّأسِ والعَيْنِ والمَنْخِرِ

فأصبح قَيْصَرُ من أمرِه بمـنزلة الفَرَسِ الأشْقَرِ

يريد بالفرس الأشقر مثلا للعرب يقولون :

أشقرُ إنْ يَتَقَدَّمْ ينحر وإنْ يَتأخَّـر يُعقَرِ

وقال الشاعر فى هذا المعنى :

وهل كنتُ(1) إلَّا مِثْلَ سَيِّقَةِ العِـدا

إن استقْدمَتْ نَحْرٌ ، وإنْ جَبأتْ عَقْرُ

وفى حديث دِحْيَةَ من رواية الحارث فى مُسْنَدِه أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال : مَنْ يَنْطَلِق بكتابى هذا إلى قَيْصَرَ وله الجنة ، فقالوا : وإن لم يقتل يارسول الله ؟ قال : وإن لم يقتل ، فانطلق به رجل يعنى دحية ، وذكر الحديث

غزوة عمر :

فصل : وذكر غَزْوَةَ عُمَرَ إلى تُرَبَةَ ، وهى تُرَبَةُ بفتح الراء أرضٌ

---

1 — رواه اللسان فى حادثى جبأ وسوق بدون نسبة : وهل أنا ، وفى جبأ : نحر ، وفى سوق : نجر

كانت لخثعم وفيها جاء المثل: صادف بطنُه بطْنَ تُرَبَةَ(١)، يريدون الشِّبَعَ والخِصْبَ. قال البكريُّ: وكذلك: عُرَنَةُ بفتح الراء يعنى التى عند عَرَفَة.

ذكر غزوة ذات السلاسل

والسَّلاسِلُ: مِياهٌ واحدها سَلْسَل(٢) وأن عَمْرَو بن العاصى كان الأميرَ يومئذ، وكان عليه السلامُ أمره أن يسير إلى بَلِيّ، وأن أم أبيه العاصى كانت من بَلِيّ: واسمُها: سَلْمَى فيما ذكر الزبير(٣)، وأما أم عَمْرٍو، فهى لَيْلَى تُلَقَّب بالنَّابِغَةِ سُبِيَتْ من بنى جِلَّان بن عَنَزَةَ بن رَبِيعة(٤).

وذكر فى هذه السَّرِيَّة صُحبَةَ رافع بن أبى رافع لأبى بكر، وهو رافع بن عُمَيْرَةَ ويقال فيه: ابن عُمَيْر(٥)، وهو الذى كلّمه الذئبُ، وله شعر مَشْهورٌ فى تكليم

---

(١) فى معجم البكرى: عرف بطنى بطن تربة، يضرب للرجل يصير إلى الأمر الجلى، وأول من قاله عامر بن مالك أبو براء.

(٢) فى المراصد، السلاسل: جمع سلسلة ماء بأرض جذام، سميت به غزوة ذات السلاسل. وفى معجم البكرى ذات السلاسل جمع سلسلة رمل بالبادية ثم ذكر رواية ابن إسحاق، ثم قال: والسلاسل فى غير هذه الرواية ماء لجذام، وبه سميت تلك الغزوة: ذات السلاسل.

(٣) أنظر ص ٤٠٨ من كتاب نسب قريش.

(٤) فى نسب قريش: وأمه سبية من عنزة ص ٤٠٩. وفى الإصابة: أمه النابغة من بنى عنزة بفتح المهملة والنون.

(٥) فى الإصابة: رافع بن عمرو بن جابر بن حارثة بن عمرو بن محصن، ويقال: ابن عميرة. وقد ينسب لجده، وقيل هو رافع بن أبى رافع عده بعضهم فى التابعين مثل ابن سعد والعجلى.

. . . .

الذِّئبِ له(١)، وكان الذئبُ قد أغار على غنمه فاتبعه، فقال له الذئب: ألا أدلك على ماهو خَيْرٌ لك، قد بُعِثَ نبيُّ اللهِ، وهو يَدعو إلى الله، فالحَق به، ففعل ذلك رافعُ وأسلم.

وذكر في حديثه مع أبي بكر أنه أطعمه وعُمَرَ لحم جَزُورٍ، كان قد أخذ منها عَشِيراً على أن يُجَزِّئها لأهلها، فقام أبو بكر وعمر فتقيّآ ما أكلا، وقالا: أتُطْعِمُنا مثلَ هذا، وذلك، والله أعلم أنهما كرها أُجْرَةً مجهولة، لأن العشير واحدُ الأعشار على غير(٢) قياس، يقال: بُرْمَةٌ أعشارٌ إذا انكسرت. ويجوز أن يكون العَشِيرُ بمعنى العُشْر كالثمين بمعنى الثُّمن، ولكنه عاملهم عليه قبل إخراج الجَزُور من جلدها، وقبل النظر إليها، أو يكونا كرها جِزارةَ(٣) الجزّار على كل حال والله أعلم.

حرقة:

وذكر غزوة غالبِ بن عبد الله وقتلِهِ مِرْدَاسَ بن نَهِيك من الحُرَقَة.

---

(١) منه:

فلما أن سمعت الذئب نادى ... يبشرني بأحمد من قريب

فألفيت النبي يقول قولا ... صدوقا ليس بالقول الكذوب

وليس للقصة سند يعتد به، ولهذا لم يأت بها حديث واحد يحترمه أهل الحديث ولا ريب في أنها أسطورة.

(٢) في اللسان: «وأعشار الجذور: الأنصباء، والعشر: قطعة تنكسر من القدح أو البرمة كأنها قطعة من عشر قطع. والجمع أعشار، وقدح أعشار».

(٣) إن كانت بكسر الجيم فهي حرفة الجزار، وإن كانت بضمها فهي ما يأخذه الجزار من الذبيحة عن أجرته.

رفع المسهم

. . . .

وقال ابنُ هشام : الحُرَقة فيما ذكر أبو عبيدة وقال ابن حَبيب : في يَشْكُر حُرَقة ابن ثَعْلَبة ، وحُرَقة بن مالِكٍ كلاهما من بني حبيب بن كعب بن يَشْكر ، وفي قضاعة : حُرْقَةُ(١) بن جَذيمة بن نَهْدٍ ، وفي تميم حُرَقَةُ بن زَيْدِ بن مالك ابن حَنْظَلَةَ ، وقال القاضي أبو الوليد : هكذا وقعت هذه الأسماء كلها بالقاف ، وذكرها الدَّارَقُطْنِي كلها بالفاء .

أنساب :

وذكر غَزْوَةَ محمد بن مَسْلَمَةَ إلى القُرَطاء ، وهم بنو قُرْطٍ وقَرِيط ، وقُرَيْطٍ بنو أبي بكر بن كِلَاب بن رَبيعة بن عامر بن صَعْصَعَةَ .

وذكر حَيَّان بن مِلَّة ، وهو حَسَّان بن مِلَّة ، وكذلك قاله في موضع آخر من الكتاب ، وهو قول ابن هشام .

وذكر سَعد بن هُذَيْم ، وإنما هو سعد بن زَيْدبن لَيْث بن سُوَدِ بن أَسْلُمَ ابنِ الحَافِ بن قُضَاعَةَ ، وإنما نُسِب إلى هُذَيْم ، لأن هذيماً حَضَنه ، وهو عَبْد حبشي .

---

(١) في القاموس ضبطها بسكون الراء ، والحرقة بالضم اسم ، من الاحتراق ، وحي من قضاعة ، ولهمزة بنت النعمان بن المنذر . والحرقتان - بفتح الراء والقاف - تيم وسعد ابنا قيس بن ثعلبة بن المنذر بن عكابة ، وفي اللسان ضبط حرقتي تيم وسعد بسكون الراء . وقال : والحرقة بفتح الراء - حي من العرب .

رفع المسهم

. . . .

حديث أم قرفة

التى جرى فيها المثل : أَمْنَعُ من أمِّ قِرْفَةَ ، لأنها كانت يُعلّق فى بيتها خمسون سيفاً [لخمسين فارساً[1]] كلّهم لها ذو محرم ، واسمها فاطمة بنت حُذَيفة ابن بَدْرٍ[2] كُنِّيت بابنها قِرْفَة ، قتله النبىُّ عليه السلام فيما ذكر الواقدى .

وذكر أن سائر بنيها ، وهم تِسْعَةٌ قُتِلوا مع طُلَيْحَةَ بن بُزاخة فى الردة وهم حَكَمَةُ وخَرَشَةُ وجَبَلَةُ وشُرَيْكٌ ووالان ورَمْلٌ وحُصَينٌ وذكر باقيهم .

وذكر أن قِرْفَة قُتِلَت يوم بُزَاخَةَ أيضاً[3] ، وذكر عن عبدالله بن جعفر أنه أنكر ذلك ، وهو الصحيح كما فى هذا الكتاب ، وذكر الدَّوْلابى أن زيدَ ابن حارثة حين قتلها ربطها بفرسين ، ثم رَكَضا بها حتى ماتت ، وذلك لسبِّها رسولَ الله صلى الله عليه وسلم . وذكر المرأة التى سألها رسول الله صلى الله عليه وسلم من سَلَمَة وهى بنت أمِّ قِرْفَة ، وفى مصنف أبى داود ، وخرجه مسلم أيضا أن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال لِسَلَمَة : هب لى المرأة ياسَلَمَةُ ، لله أبوك ، فقال : هى لك يارسول الله ففَدَى بها أسيراً كان فى قريش من المسلمين ، وهذه الرواية أصح ، وأحسن من رواية ابن إسحاق ، فإنه ذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وَهَبها لخالِه بمكة ، وهو حَزْنُ بن أبى وَهْبِ بن عائذ بن عِمْران ابن مَخْزُوم ، وفاطمة جدة النبى صلى الله عليه وسلم أم أبيه هى بنت عَمْرو بن

---

(١) الزيادة من مجمع الأمثال للميدانى .

(٢) وفى السيرة والإمتاع للمقريزى : بنت ربيعة بن بدر .

(٣) وقيل إن قاتلها هو قيس بن المسحر أو المحسر اليعمرى ص ٢٧٠ الإمتاع للمقريزى .

عائذ ، فهذه الْخُئُولَةَ التي ذكر ، وقُتل عبد الرحمن بن حزن باليمامة شهيداً ، وحَزْن هذا هو جَدُّ سعيدبن المُسَيَّب بن حَزْنٍ ، ومَسْعَدَةُ الذى ذكر فى هذا الحديث أنه قتل هو ابن حَكَمَةَ بن حُذَيْفَةَ بن بدر ، وسَلَمَةُ الذى كانت عنده الجارِيةُ ، قيل : هو سَلَمَةُ بن الأَكْوَع ، واسم الأكوع : سِنَانٌ ، وقيل : هو سَلَمَةُ بن سَلَامَةَ بن وَقْشٍ ، قاله الزبير .

غزوة أبي حدرد :

وذكر غزوة أبى حَــدْرَدٍ ، واسمه : سلمة بن عُمَيْر ، وقيل : عُبَيْدة ابن عامر .

وذكر قَتْلَ مُحَلِّمَ بن جَثَّامَةَ ، وخبره فى غير رواية ابن إسحاقٍ أن مُحَلِّمَ ابن جَثَّامَةَ مات بحمص فى إمارة ابن الزُّبَيْر ، وأما الذى نَزَلَتْ فيه الآية : ﴿ لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَمَ ﴾ والاختلاف فيه شديد ، فقد قيل اسمه فُلَيْت(١) وقيل وهو مُحَلِّمٌ كما تقدم ، وقيل نزلت فى الْمِقْدَادِ بن عَمْرو ، وقيل فى أُسَامَةَ ، وقيل فى أبى الدَّرْدَاءِ ، واختلف أيضاً فى الْمَقْتُول فقيل : مِرْداس بن نَهِيك ، وقيل : عامر الأَضْبطِ ، والله أعلم . كل هذا مذكور فى التفاسير والمسندات .

ثمامة بن أثال :

وذكر ابن إسحاق ثُمَامَةَ بن أُثَالٍ الحَنَفِيّ وإسْلَامَه ، وقد خرّج أهلُ

(١) وقيل قليب . ويقول ابن حجر فى الإصابة « والذى يظهر أن كلا منهما تصحيف وإنما هو غالب الليثى » .

رفع عبد الرحمن المسيّبي

. . . .

الحديث حديث إسلامه ، وفيه قال للنبي - صلى الله عليه وسلم - : إن تَقتُلْ تَقتُلْ ذا دَمٍ ، وإن تُنعِمْ تُنعِمْ على شاكرٍ ، وإن تُرِدِ المالَ نُعطِهْ ، فقال عليه السلام : اللهمّ أَكْلَةٌ من جَزُورٍ أَحَبُّ إليَّ من دم ثُمامَة ، فأطلقه ، فتطهر وأسلم ، وحَسُن إسلامُه ، ونفع الله به الإسلامَ كثيراً ، وقام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم مَقاماً حميداً حين ارتدت اليمامةُ مع مُسَيلِمَةَ ، وذلك أنه قام فيهم خطيباً ، وقال : يابنى حَنِيفَــــةَ أين عَزَبَتْ عقولُكم بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ حمٓ . تنزيلُ الكتاب من الله العزيز العليم . غافرِ الذّنب وقابِلِ التَّوْبِ شديدِ العِقاب ﴾ أين هذا من ياضِفْدَعُ نِقّى كما[1] تنقّين لا الشَّرابَ تُكَدِّرين ، ولا الماءَ تمنعين[2] ، مما كان يَهْذِى به مُسَيلِمَةُ ، فأطاعه منهم ثلاثةُ آلافٍ ، وانحازوا إلى المسلمين، فَفَتَّ ذلك فى أعضادِ حَنِيفة. وذكر ابنُ إسحاق أنه الذي قال فيه النبيُّ صلى الله عليه وسلم المؤمنُ يأكل

(١) فى الرواية : كم .

(٢) وزادوا فيما نسب إليه : أعلاك فى الماء وأسفلك فى الطين ، وقد نسب إلى مسيلمة كثير من هذا الهذيان الذى أوقن أنه ما جاز على عقول أولئك الذين عاشوا عصره من استهواهم معه الحقد ، فلئن كان صحيحاً فإنما تراءوا بتصديقه مداورة منهم لتهدئة سعار الأحقاد التى تضرمت فى أعماقهم ، وإلا فمن الذى يصدق أن هذيانا « إنا أعطيناك الجواهر ، فصل لربك وهاجر ، إن مبغضك لفاجر » أو : إنا أعطيناك الجماهر ، فخذ لنفسك وبادر : واحذر أن تحرص أو تكاثر » من ذا الذى يظن أن هذا الذيان يخدع أحداً عن جلال الحقيقة العليا وهو الجلال الأعظم فى قوله سبحانه (إنا أعطيناك الكوثر) !؟ أنظر ص ١٤ ح ١ الفتوحات الإسلامية لأحمد بن زينى دحلان فقد حشد فيه طائفة من هذيان حماقاته .

رفع
المسهم
عز الله الطالب

. . . .

فى مِعًى واحدٍ [والكافرُ يأكل فى سبعة أمعاء][1] الحديث، وقال : أبو عُبَيْد هو أبو بَصرةَ الغِفَارِى ، وفى مسند ابن أبى شَيْبَةَ أنه جَهجاه [بن مسعود ابن سعد بن حرام][2] الغِفَارِى ، وفى الدلائل أن اسمه نَضْلَةَ ، وقد أملينا فى معنى قوله : يأكل فى سَبْعَة أمْعاء نحواً من كُرَّاسَةٍ رَدَدْنَا فيه قَوْلَ مَنْ قال : إنه مخصوص برجُلٍ واحدٍ ، وبيَّنا معنى الأَكْلِ والسَّبْعَة الأمعاء ، وأن الحديثَ وَرَدَ على سَبَبٍ خاصٍّ ، ولكن معناه عام ، وأتينا فى ذلك بما فيه شِفَاء والحمد لله[3] ، وقوله فى رواية البُخارى : ذا دَم رواه أبو داود : ذا ذِمٍّ بالذال المعجمة[4] .

مازاده ابن هشام مما لم يذكره ابن إسحاق

وذكر الشيخُ الحافظُ أبو بحر سُفْيَانُ بن العاصى رحمه فى هذا الموضع ،

(١) متفق عليه ورواه أحمد والترمذى وابن ماجه عن ابن عمر ، وأحمد ومسلم عن جابر ، والبخارى ومسلم وأحمد وابن ماجه عن أبى هريرة ، ومسلم وابن ماجه عن أبى موسى « الجامع الصغير للسيوطى » .

(٢) ابن سعيد وقيل ابن قيس شهد بيعة الرضوان .

(٣) يقول ابن الأثير عن الحديث : « هذا مثل ضربه للمؤمن وزهده فى الدنيا ، والكافر وحرصه عليها ، وليس معناه كثرة الأكل دون الاتساع فى الدنيا ، ولهذا قيل الرغب شؤم ، لأنه يحمل صاحبه على اقتحام النار ، وقيل : هو تخصيص للمؤمن وتحامى ما يجره الشبع من القسوة وطاعة الشهوة ، ووصف الكافر بكثرة الأكل إغلاظ على المؤمن ، وتأكيد لما رسم له ، وقيل : هو خاص فى رجل بعينه ، كان يأكل كثيراً ، فأسلم ، فقل أكله . والمعى واحد الأمعاء وهى المصارين .

(٤) ذا دم : أى من هو مطالب بدم ، أو صاحب دم مطلوب ، ويروى : وذا ذم أى ذا ذمام وحرمة فى قومه ، وإذا عقد ذمة وفى له .

رفع المسامهر عز الله أجطاله

. . . .

قال : نقلتُ من حاشية نسخةٍ من كتاب السِّيَر منسوبة بسماع أبي سَعيد عبد الرحيم بن عَبْد الله بن عَبْد الرحيم وأخوَيْهِ محمد وأحمد ابني عبد الله بن عبد الرحيم ما هذا نصه : وجدت بخط أخي قول ابن هشام : هذا مما لم يذكره ابن إسحاقِ هو غَلَطٌ منه ، قد ذكره ابن إسحاق عن جعفر بن عَمْرو بن أُمَيَّة عن عَمْرو بن أُمَيَّة فيما حدث أسَدٌ عن يحيي بن زَكَرِيَّاءَ عن ابن إسحاق ، والقائلُ في الحاشية : وجدتُ بخط أخي هو أبو بَكْرِ بن عبدالله بن عبد الرحيم. وفي الكتاب المذكورِ قولُ أبي بكر المذكور في غَزْوةِ الطائف بعد قوله : فولدت له داودَ بن أبي مُرَّةَ. إلى هاهُنا انتهى سَماعي من أخي ، ومابقي من هذا الكتابِ سمعته من ابن هشام نفسه .

عن خبيب بن عدي :

وذكر سَرِيَّةَ عَمْرو بن أميَّه وحَلَّهُ لخُبَيْبِ بن عَدِيٍّ من خَشَبَتِهِ التي صُلِب فيها ، وفي مسند ابن أبي شَيْبَةَ زيادةً حَسَنَةً أنهما حين حلَّاه من الخشبة التَقَمَتْه الأرضُ .

وذكر ابنُ هشام مَقْتَلَ العَصْماء بنت مَرْوان ، وفي خبرها قال صلى الله عليه وسلم : لا يَنْتَطِحُ فيها عَنْزَانِ ، وكانت تَسُبُّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم،فقتلها بعلُها على ذلك،فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اشهَدُوا أنَّ دَمَها هَدَرٌ .قال الدَّارَقُطْنِيُّ : من هاهنا يقوم أصلُ التَّسْجيل في الفقه ، لأنه قد أشهد على نفسِه بإمضاء الحُكم ، ووقع في مُصَنَّفِ حمادِ بن سَلَمَةَ أنها كانت يهُودية ،

ذكر أزواجه صلى الله عليه وسلم

أمهات المؤمنين

أسماؤهن

قال ابن هشام : وكنّ تسعاً : عائشة بنت أبى بكر ، وحفصة بنت عمر ابن الخطاب ، وأمّ حَبيبة بنت أبى سفيان بن حرب ، وأمّ سَلَمة بنت أبى أمية ابن المُغيرة ، وسودة بنت زَمْعة بن قيس ، وزينب بنت جَحْش بن رِئاب ، وميمونة بنت الحارث بن حَزْن ، وجُويرية بنت الحارث بن أبى ضرار ، وصفيّة بنت حيىّ بن أخطب ، فيما حدثنى غير واحد من أهل العلم .

زواجه بخديجة

وكان جميع من تزوّج رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث عَشْرة : خديجة بنت خُوَيْلد ، وهى أول من تزوّج ، زوّجه إياها أبوها خُوَيلد بن أسد ،

وكانت تطرح المحائض فى مسجد بنى خَطْمَة ، فأهدر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم دمها ، وقال : لا يَنْتَطِحُ فيها عنزان[1] .

---

(١) أى لا يلتقى فيها اثنان ضعيفان ، لأن النطاح من شأن التيوس ، والكباش لا العنوز ، وهو إشارة إلى قضية مخصوصة لا يجرى فيها خلاف ونزاع « ابن الأثير » .

ويقال أخوها عمرو بن خويلد ، وأصدَقها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عشرين بَكْرة ، فولدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وُلْده كلهم إلا إبراهيم ، وكانت قبله عند أبى هالة بن مالك ، أحد بنى أُسَيِّد بن عمرو بن تميم ، حليف بنى عبد الدّار ، فولدت له هند بن أبى هالة ، وزينب بنت أبى هالة ، وكانت قبل أبى هالة عند عُتَيِّق بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مَخْزوم ، فولَدت له عبد الله ، وجارية .

قال ابن هشام : جارية من الجوارى ، تزوّجها صَيْفِىُّ بن أبى رفاعة .

زواجه بعائشة

وتزوّج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عائشة بنت أبى بكر الصدّيق بمكة ، وهى بنت سبع سنين ، وبنى بها بالمدينة ، وهى بنت تسع سنين أو عشر ، ولم يتزوّج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بكراً غيرها ، زوّجه إياها أبوها أبو بكر ، وأصدقها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أربع مائة درهم .

زواجه بسودة

وتزوّج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سَوْدة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد وُدّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لُؤَىّ ، زوّجه إياها سَلِيط بن عمرو ، ويقال أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد وُدّ ابن نصر بن مالك بن حِسْل ، وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع مائة درهم .

قال ابن هشام : ابن إسحاق يخالف هذا الحديث ، يذكر أن سليطا وأبا حاطب كانا غائبين بأرض الحبشة فى هذا الوقت .

وكانت قبله عند السكران بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ودّ بن نصر ابن مالك بن حِسل .

زواجه بزينب بنت جحش

وتزوّج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش بن رئاب الأسدية . زوّجه إياها أخوها أبو أحمد بن جحش ، وأصدقها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أربع مائة درهم ، وكانت قبله عند زيد بن حارثة ، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففيها أنزل الله تبارك وتعالى : ﴿ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا ﴾ .

زواجه بأم سلمة

وتزوج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أمّ سَلَمة بنت أبى أميّة بن المغيرة المخزومية ، واسمها هند ؛ زوّجه إياها سَلَمَةُ بن أبى سَلَمَةَ ابنها ، وأصدقها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فِراشاً حشوه لِيف ، وقدحا وصَحْفة ، ومِجَشّة ؛ وكانت قبله عند أبى سَلِمة بن عبد الأسد ، واسمه عبد الله ، فولدت له سَلِمة وعمر وزينب ورقيّة .

زواجه بحفصة

وتزوج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حَفْصة بنت عمر بن الخطّاب ، زوجه

إياه أبوها عمر بن الخطّاب ، وأصدقها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أربع مائة درهم ، وكانت قبله عند خُنَيس بن حُذافة السَّهمي .

زواجه بأم حبيبة

وتزوّج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أمّ حَبيبة ، واسمها رَملة بنت أبي سفيان بن حرب ، زوّجه إياها خالدُ بن سعيد بن العاص . وهما بأرض الحبشة ، وأصدقها النجاشي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع مائة دينار ، وهو الذي كان خطبها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت قبله عند عبيد الله بن جحش الأسدي .

زواجه بجويرية

وتزوّج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم جُوَيرية بنت الحارث بن أبي ضِرار الخزاعية ، كانت في سبايا بني المُصْطَلِق من خزاعة ، فوقعت في السَّهم لثابت بن قيس بن الشَّمّاس الأنصاريّ ، فكاتبها على نفسها ، فأتت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم تستَعينه في كتابتها ، فقال لها : هل لك في خير من ذلكِ ؟ قالت : وماهو ؟ قال : أقضي عنك كتابتك وأتزوّجك ؟ فقالت : نعم ، فتزوّجها .

قال ابن هشام : حدثنا بهذا الحديث زياد بن عبد الله البَكّائي ، عن محمد ابن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة ، عن عائشة .

قال ابن هشام : ويقال : لمّا انصرف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من غزوة بنى المُصْطَلِق ، ومعه جُوَيرية بنت الحارث ، فكان بذات الجيش ، دفع جُوَيرية إلى رجل من الأنصار وديعة ، وأمره بالاحتفاظ بها ، وقَدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، فأقبل أبوها الحارث بن أبى ضرار بفداء ابنته ، فلما كان بالعقيق نظر إلى الإبل التى جاء بها للفِداء ، فرغب فى بعيرين منها ، فغيبهما فى شعب من شعاب العقيق ، ثم أتى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا محمد ، أصَبْتم ابنتى ، وهذا فِداؤها ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : فأين البعيران اللذان غيَّبت بالعقيق فى شِعب كذا وكذا ؟ فقال الحارث : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك رسول الله ، صلى الله عليك ، فوالله ما اطَّلع على ذلك إلا الله تعالى ، فأسلم الحارث ، وأسلم معه ابنان له وناس من قومه ، وأرسل إلى البعيرين ، فجاء بهما فدفع الإبل إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، ودُفِعت إليه ابنته جُوَيرية ، فأسلمت وحسُن إسلامها ، وخطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبيها ، فزوّجه إياها ، وأصدقها أربع مائة درهم ، وكانت قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ابن عمّ لها يقال له عبد الله .

قال ابن هشام : ويقال اشتراها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من ثابت ابن قَيْس ، فأعتقها وتزوّجها ، وأصدقها أربع مائة درهم .

زواجه بصفية

وتزوّج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم صفيّة بنت حُيي بن أخطب ،

سباها من خَيبر ، فاصطفاها لنفسه ، وأولم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وليمة، مافيها شحم ولا لحم ، كان سَوِيقًا وتمرًا ، وكانت قبله عند كِنانة بن الربيع بن أبى الُحقَيق .

زواجه بميمونة

وتزوّج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مَيْمونة بنت الحارث بن حَزْن ابن بَحِير بن هُزَم بن رُوَيبة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة ، زوّجه إياها العباسُ بن عبد المطلب ، وأصدقها العباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع مائة درهم ، وكانت قبله عند أبى رُهْم بن عبدالعُزّى بن أبى قيس ابن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حِسل بن عامر بن لؤىّ ؛ ويقال : إنها التى وهبت نفسها للنبىّ صلى الله عليه وسلم ، وذلك أن خِطْبة النبىّ صلى الله عليه وسلم انتهت إليها وهى على بعيرها ، فقالت : البعير وما عليه لله ولرسوله ؛ فأنزل الله تبارك وتعالى : ﴿ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ ﴾ .

ويقال : إن التى وهبت نفسها للنبىّ صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش، ويقال أمّ شريك ، غزية بنت جابر بن وهب من بنى منقذ بن عمرو بن مَعِيص ابن عامر بن لؤى ، ويقال : بل هى امرأة من بنى سامة بن لُؤىّ ، فأرجأها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم .

زواجه زينب بنت خزيمة

وتزوّج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت خزيمة بن الحارث بن

عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة ، وكانت تسمى أمّ المساكين ، لرحمتها إياهم ، ورقتها عليهم ، زوّجه إياها قَبيصة بن عمرو الهلالى ، وأصدقها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أربع مائة درهم ، وكانت قبله عند عُبيدة بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف ، وكانت قبل عُبيدة عند جَهم بن عمرو بن الحارث ، وهو ابن عمّها .

عدتهن وشأن الرسول معهن

فهؤلاء اللاتى بنى بهنّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إحدى عشرة ، فمات قبله منهنّ ثنتان : خديجة بنت خُوَيلد ، وزينب بنت خُزيمة . وتوفى عن تسع قد ذكرناهن فى أول هذا الحديث ؛ وثنتان لم يدخل بهما : أسماء بنت النعمان الكندية ، تزوّجها فوجد بها بياضاً ، فمتّعها وردّها إلى أهلها ، وعَمرة بنت يزيد الكلابية ، وكانت حديثة عهد بكفر ؛ فلما قَدِمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، استعاذت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : منيعٌ عائذ الله ، فردها إلى أهلها ، ويقال : إن التى استعاذت من رسول الله صلى الله عليه وسلم كِندية بنت عم لأسماء بنت النعمان ، ويقال إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم دعاها ، فقالت : إنّا قوم نُؤْتَى ولا نأتى ؛ فردها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى أهلها .

تسمية القرشيات منهن

القرشيات من أزواج النبى صلى الله عليه وسلم ستّ : خديجة بنت خُوَيلد

ابن أسد بن عبد العُزّى بن قصيّ بن كِلاب بن مرة بن كَعْب بن لُؤَيّ ؛ وعائشة بنت أبي بكر بن أبي قُحافة بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم ابن مرة بن كعب بن لُؤَيّ بن غالب ؛ وحفصة بنت عمر بن الخطّاب بن نُفَيل بن عبد العُزّى بن عبد الله بن قُرط بن رياح بن رزاح بن عديّ بن كَعْب بن لُؤَيّ ، وأمّ حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب بن أميّة بن عبد شمس ابن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كَعب بن لُؤَيّ ؛ وأمّ سَلَمة بنت أبي أميّة بن المُغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة ابن كعب بن لُؤَيّ ؛ وسودة بنت زَمعة بن قَيس بن عبد شمس بن عبد وُدّ ابن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لُؤَيّ .

تسمية العربيات وغيرهن

والعربيات وغيرهنّ سبع : زينب بنت جحش بن رئاب بن يَعْمَر بن صَبْرة بن مرة بن كَبِير بن غَنْم بن دُوْدان بن أسد بن خُزيمة ؛ ومَيْمونة بنت الحارث بن حَزْن بن بَحِير بن هُزَم بن رُوَيْبة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عِكرمة بن خصَفة بن قيس بن عَيلان ؛ وزينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبدالله بن عمرو ابن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية ، وجُويرية بنت الحارث بن أبي ضرار الخزاعية ، ثم المُصطلقية ، وأسماء بنت النعمان الكندية ؛ وعمرة بنت يزيد الكلابية .

غير العربيات

ومن غير العربيات : صفيّة بنت حُيي بن أخطب ، من بنى النضير .

تمريض رسول الله فى بيت عائشة

مجيئه إلى بيت عائشة

قال ابن إسحاق : حدثنى يعقوب بن عتبة ، عن محمد بن مسلم الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، قالت : فخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يمشى بين رجلين من أهله : أحدهما الفضل بن العباس ، ورجل آخر ، عاصباً رأسه ، تخطّ قدماه ، حتى دخل بيتى .

قال عُبيد الله ، فحدّثت هذا الحديث عبد الله بن العبّاس ، فقال : هل تدرى من الرجل الآخر ؟ قال : قلت : لا ، قال : على بن أبى طالب .

شدة المرض وصب الماء عليه

ثم غُمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، واشتد به وجعه ، فقال هَرِيقوا علىّ سبع قِرَب من آبار شتى ، حتى أخرج إلى الناس فأعهد إليهم . قالت : فأقعدناه فى مِخْضب لحفصة بنت عمر ، ثم صَبَبنا عليه الماء حتى طَفِق يقول : حسبكم حسبكم .

كلمة للنبى واختصاصه أبا بكر بالذكر

قال ابن إسحاق : وقال الزهرى : حدثنى أيوب بن بشير : أن رسول الله

صلى الله عليه وسلم خرج عاصباً رأسه حتى جلس على المنبر ، ثم كان أوّل ماتكلّم به أنه صلى على أصحاب أُحُد ، واستغفر لهم ، فأكثر الصلاة عليهم ، ثم قال : إن عبداً من عباد الله خَيَّره الله بين الدنيا وبين ماعنده ، فاختار ما عند الله . قال : ففهمها أبو بكر ، وعَرف أن نفسه يريد ، فبَكى وقال : بل نحن نَفْديك بأنفسنا وأبنائنا ، فقال : على رِسْلك يا أبا بكر ، ثم قال : انظروا هذه الأبواب اللافظة فى المسجد ، فسدُّوها إلا بيت أبى بكر ، فإنى لا أعلم أحداً كان أفضل فى الصحبة عندى يداً منه .

قال ابن هشام : ويروى : إلا باب أبى بكر .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الرحمن بن عبد الله ، عن بعض آل أبى سعيد بن المعلَّى : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال يومئذ فى كلامه هذا : فإنى لو كنت متَّخذاً من العباد خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ، ولكن صحبة وإخاء إيمان حتى يجمع الله بيننا عنده .

أمر الرسول بإنفاذ بعث أسامة

وقال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير وغيره من العلماء ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استبطأ الناس فى بعث أسامة بن زيد ، وهو فى وجعه ، فخرج عاصباً رأسه حتى جلس على المنبر ، وقد كان الناس قالوا فى إمرة أسامة : أمَّرَ غلاماً حَدَثاً على جِلَّة المهاجرين والأنصار .

رفع
المستهم
غفر الله له ولوالديه

فحمِد الله وأثنى عليه بما هو له أهل ، ثم قال : أيها الناس ، أنفِذوا بعث أسامة ، فلعمرى لئن قلتم فى إمارته لقد قلتم فى إمارة أبيه من قبله ، وإنه لخليق للإمارة ، وإن كان أبوه لخليقاً لها .

قال : ثم نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانكمش الناسُ فى جهازهم ، واستعزّ برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه ، فخرج أسامة ، وخرج جيشه معه حتى نزلوا الجُرْفَ ، من المدينة على فَرسخ ، فضرب به عسكره ، وتتامّ إليه الناس ، وثقُل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقام أسامة والناس ، لينظُروا ما الله قاضٍ فى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وصية الرسول بالأنصار

وقال ابن إسحاق : قال الزهرى : وحدثنى عبد الله بن كعب بن مالك : أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال يوم صلّى واستغفر لأصحاب أُحُد ، وذكر من أمرهم ماذكر مع مقالته يومئذ : يامعشر المهاجرين ، استوصُوا بالأنصار خيراً ، فإن الناس يزيدون ، وإن الأنصار على هيئتها لاتزيد ، وإنهم كانوا عَيبتى التى أويت إليها ، فأحسِنوا إلى مُحسِنهم ، وتجاوَزوا عن مُسيئهم .

قال عبد الله : ثم نزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فدخل بيته ، وتتامّ به وجعُه ، حتى غُمِر .

شأن اللدود

قال عبد الله : فاجتمع إليه نساء من نسائه : أمّ سَلَمة ، وميمونة ، ونساء

من نساء المسلمين ، منهنّ أسماء بنت عُمَيْس ، وعنده العبّاس عمّه ، فأجمعوا أن يَلُدُّوه ، وقال العباس : لألُدَّنّه . قال : فلدّوه ، فلما أفاق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : مَن صَنع هـــذا بى ؟ قالوا : يارسول الله ، عمُّك ، قال : هذا دواء أتى به نساء جئن من نحو هذه الأرض ، وأشار نحو أرض الحبشة ؛ قال : ولم فعلتم ذلك ؟ فقال عمّه العبّاس : خشينا يارسول الله أن يكون بك ذات الجنب فقال : إن ذلك لداء ما كان الله عزّ وجلّ ليقذفنى به ، لا يَبْق فى البيت أحدٌ إلاّ لُدّ إلا عمّى ، فلقد لُدّت ميمونة وإنها لصائمة ، لقَسَم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عقوبة لهم بما صَنعوا به .

دعاء الرسول لأسامة بالإشارة

قال ابن إسحاق : وحدثنى سعيد بن عُبيد بن السبّاق ، عن محمد بن أسامة ، عن أبيه أسامة بن زيد ، قال : لما ثَقُل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم هبطتُ وهبط الناس معى إلى المدينة ، فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد أُصْمِتَ فلا يتكلّم ، فجعل يَرْفع يده إلى السماء ثم يَضعها علىّ ، فأعرف أنه يدعو لى .

قال ابن إسحاق : وقال ابن شهاب الزهرى : حدثنى عُبيد بن عبد الله ابن عتبة ، عن عائشة ، قالت : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم كثيراً ما أسمعه يقول : إن الله لم يقبض نبيًّا حتى يُخَيِّره . قالت : فلما حُضر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم كان آخر كلمة سمعتُها وهو يقول : بل الرّفيق الأعلى من الجنة ، قالت :

فقلت : إذاً والله لايختارنا ، وعرفت أنه الذى كان يقول لنا : إن نبيا لم يقبض حتى يُخَيَّر .

صلاة أبى بكر بالناس

قال الزُّهريّ : وحدثنى حمزة بن عبد الله بن عمر ، أن عائشة قالت : لما استُعِزّ برسول الله صلى الله عليه وسلم قال : مُرُوا أبا بكر فليصلّ بالناس. قالت : قلت : يانبيّ الله ، إن أبا بكر رجل رقيق ، ضعيف الصوت ، كثير البكاء إذا قرأ القرآن ؛ قال : مروه فليصلّ بالناس. قالت : فعُدت بمثل قولى ، فقال : إنكن صواحب يوسف فمُروه فليصلّ بالناس ؛ قالت : فوالله ماأقول ذلك إلا أنى كنت أحب أن يُصرَف ذلك عن أبى بكر ، وعرفت أن الناس لايُحِبُّون رجُلا قام مقامه أبداً ، وأن الناس سيتشاءَمون به فى كل حدث كان، فكنت أحب أن يُصرَف ذلك عن أبى بكر .

قال ابن إسحاق : وقال ابنُ شهاب : حدثنى عبد الملك بن أبى بكر بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام ، عن أبيه ، عن عبدالله بن زَمعة بن الأسود ابن المُطَّلب بن أسد ، قال : لما استُعِز برسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عنده فى نفر من المسلمين ، قال : دعاه بلال إلى الصلاة ، فقال : مُروا مَنْ يصلى بالناس . قال : فخرجت فإذا عمر فى الناس . وكان أبو بكر غائباً ؛ فقلت : قم ياعمر فصلّ بالناس . قال : فقام ، فلما كبر ، سمع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم صوته ، وكان عمر رجلا مِجْهَراً ، قال : فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : فأين أبو بكر ؟ يأبى الله ذلك والمسلمون ، يأبى الله ذلك والمسلمون .

قال فبُعث إلى أبى بكر ، فجاء بعد أن صلى عمر تلك الصلاة ، فصلى بالناس .

قال : قال عبد الله بن زمعة : قال لى عمر : ويحك ، ماذا صنعت بى يابن زمعة ، والله ماظننت حين أمرتنى إلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرك بذلك ، ولولا ذلك ماصليت بالناس . قال : قلتُ : والله ما أمرنى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بذلك ، ولكنى حين لم أر أبا بكر رأيتك أحق من حضر بالصلاة بالناس .

اليوم الذى قبض الله فيه نبيه

قال ابن إسحاق : وقال الزهرى : حدثنى أنسُ بن مالك : أنه لما كان يوم الاثنين الذى قبض الله فيه رسوله صلى الله عليه وسلم ، خرج إلى الناس ، وهم يصلون الصبح ، فرفع الستر ، وفتح الباب ، فخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فقام على باب عائشة ، فكاد المسلمون يفتتنون فى صلاتهم برسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأوه فرحاً به ، وتفرّجوا ، فأشار إليهم أن اثبتُوا على صلاتكم ؛ قال : فتبسم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سروراً لما رأى من هيئتهم فى صلاتهم ، وما رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أحسنَ هَيئة منه تلك الساعة ، قال : ثم رجع وانصرف الناسُ وهم يرون أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قد أفرق من وجعه ، فرجع أبو بكر إلى أهله بالسُّنح .

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن إبراهيم بن الحارث ، عن القاسم بن محمد : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين سمع تكبير عمر فى الصلاة :

رفع
المسلم
غفرالله له ولوالديه

أين أبو بكر ؟ يأبى الله ذلك والمسلمون . فلولا مقالةٌ قالها عمر عند وفاته ، لم يشك المسلمونَ أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قد استخلف أبا بكر ، ولـكنّه قال عند وفاته : إن أستخلف فقد استخلف من هو خير منى ، وإن أتركهم فقد تركهم من هو خير منى . فعَرف الناسُ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يستخلف أحداً ، وكان عمر غيرَ متّهم على أبى بكر .

قال ابن إسحاق : وحدثنى أبو بكر بن عبد الله بن أبى مُليكة ، قال : لمـا كان يوم الاثنين خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عاصباً رأسه إلى الصبح ، وأبو بكر يصلى بالناس ، فلما خرج رسولُ الله صلى الله عليـه وسلم تفرج الناس ، فعَرف أبو بكر أن الناس لم يَصنعوا ذلك إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنـكص عن مُصَلّاه ، فدفع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى ظَهره ، وقال : صلّ بالناس ، وجلس رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى جنبه ، فصلّى قاعداً عن يمين أبى بكر ، فلما فَرغ من الصلاة أقبل على الناس ، فـكلّمهم رافعاً صوته ، حتى خرج صوته من باب المسجد ، يقول : أيها الناس ، سُعِّرت النار ، وأقبلت الفتن كقطع الليل المظلم . وإنى والله ما تمسّـكون علىَّ بشىء ، إنى لم أُحِلّ إلا ما أحلّ القرآن ، ولم أُحرّم إلا ما حرّم القرآن .

قال : فلما فَرغ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من كلامه ، قال له أبو بكر : يانبىَّ الله إنى أراك قد أصبحتَ بنعمة من الله وفضل كما نُحبّ ، واليوم يوم بنت خارجة ، أفآتيها ؟ قال : نعم ، ثم دخل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وخرج أبو بكر إلى أهله بالسُّنْح .

ن الشأباس وعلى

قال ابن إسحاق : قال الزهرىّ : وحدثنى عبد الله بن كعب بن مالك ، عن عبد الله بن عبّاس . قال : خرج يومئذ علىّ بن أبى طالب رضوان الله عليه على الناس من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له الناس : يا أبا حسن ، كيف أصبح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : أصبح بحمد الله بارئاً ، قال ، فأخذ العبّاس بيده ، ثم قال : يا علىّ ، أنت والله عبدُ العصا بعد ثلاث ، أحلف بالله لقد عرفت الموت فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما كنت أعرفه فى وجوه بنى عبد المطلب ، فانطلق بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن كان هذا الأمر فينا عرفناه ، وإن كان فى غيرنا ، أمرناه فأوصى بنا الناس . قال : فقال له على : إنى والله لا أفعل ، والله لئن مُنعناه لا يؤتيناه أحد بعده .

فتُوُفّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين اشتدّ الضُّحاء من ذلك اليوم .

سواك الرسول قبيل الوفاة

قال ابن إسحاق : وحدثنى يعقوب بن عتبة ، عن الزُّهرىّ ، عن عروة ، عن عائشة ، قال : قالت : رجع إلىّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك اليوم حين دخل من المسجد ، فاضطَجَع فى حِجْرى ، فدخل علىّ رجلٌ من آل أبى بكر ، وفى يده سِواك أخضر . قالت : فنظر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إليه فى يده نظراً عرفت أنه يريده ، قالت : فقلت : يارسول الله ، أتحب أن أعطيك هذا

السِّواك ؟ قال : نعم ، قالت : فأخذته فمضغته له حتى ليَّنته ، ثم أعطيته إياه ، قالت : فاستنَّ به كأشدّ ما رأيته يستنّ بسِوَاكٍ قطّ ، ثم وضعه ؛ ووجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم يَثقل فى حجرى ، فذهبت أنظرُ فى وجهه ، فإذا بصره قد شَخَص ، وهو يقول : بل الرفيق الأعلى من الجنة ، قالت : فقلت : خُيِّرتَ فاخترتَ والذى بعثك بالحقّ . قالت : وقُبض رسولُ الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد . قال : سمعت عائشة تقول : مات رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بين سَحْرى ونَحْرى وفى دَوْلتى ، لم أظلم فيه أحداً ، فمِنْ سَفَهى وحَداثة سِنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قُبض وهو فى حِجرى ، ثم وضعت رأسَه على وسادة ، وقمت ألتدم مع النساء ، وأضرب وجهى .

مقالة عمر بعد وفاة الرسول

قال ابن إسحاق : قال الزهرى : وحدثنى سعيد بن المسيِّب ، عن أبى هريرة ، قال : لما تُوفى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قام عُمر بن الخطّاب ، فقال : إن رجالا من المُنافقين يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تُوُفى ، وإن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ما مات ، ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى ابن عمران ، فقد غاب عن قومه أربعين ليلة ، ثم رجع إليهم بعد أن قيل قد مات ؛ ووالله ليرجِعَنّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم كما رجع موسى ، فليقطعن أيدى رجال وأرجلهم زعموا أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم مات .

موقف أبي بكر بعد وفاة الرسول

قال : وأقبل أبو بكر حتى نزل على باب المسجد حين بلغه الخبر ، وعمر يكلّم الناس ، فلم يلتفت إلى شيء حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيت عائشة ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم مُسجًّى فى ناحية البيت ، عليه بُرْد حِبَرة ، فأقبل حتى كشف عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : ثم أقبل عليه فقبّله ، ثم قال : بأبى أنت وأمى ، أما المَوْتَةُ التى كتب الله عليك فقد ذقتها ، ثم لَن تصيبك بعدها مَوْتَةٌ أبداً . قال : ثم ردّ البُرْد على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم خرج وعمر يكلّم الناس ، فقال : على رِسْلك ياعمر ، أنصِت ، فأبى إلا أن يتكلّم ، فلما رآه أبو بكر لايُنصت أقبل على الناس ، فلما سمع الناس كلامه أقبلوا عليه وتركوا عمر ؛ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أيها الناس ، إنه من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبدالله فإن الله حى لا يموت . قال : ثم تلا هذه الآية : ﴿ وَما مُحَمَّدٌ إلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ، أفإنْ ماتَ أوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أعْقابِكُمْ ، وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً ، وَسَيَجْزِى اللهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ .

قال : فوالله لكأن الناس لم يعلموا أن هذه الآية نزلت حتى تلاها أبو بكر يومئذ ؛ قال : وأخذها الناس عن أبى بكر ، فإنما هى فى أفواههم ؛ قال ؛

رفع
المسامم

فقال أبو هريرة : قال عمر : والله ماهو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها ، فعقِرت حتى وقعت إلى الأرض ما تحملنى رجلاى ، وعرفت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات .

أمر سقيفة بنى ساعدة

تفرق الكلمة

قال ابن إسحاق : ولما قُبض رسولُ الله صلى الله عليه وسلم انحاز هذا الحىُّ من الأنصار إلى سعد بن عُبادة فى سقيفة بنى ساعدة ، واعتزل علىّ بن أبى طالب والزُّبير بن العوّام وطلحة بن عُبيد الله فى بيت فاطمة ، وانحاز بقيّة المهاجرين إلى أبى بكر ، وانحاز معهم أُسَيد بن حُضَير ، فى بنى عبد الأشهل ، فأتى آت إلى أبى بكر وعمر ، فقال : إن هذا الحىّ من الأنصار مع سعد بن عُبادة فى سقيفة بنى ساعدة ، قد انحازوا إليه ، فإن كان لكم بأمر الناس حاجة فأدركوا قبل أن يتفاقم أمرُهم ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى بيته لم يُفرغ من أمره قد أغلق دُونه الباب أهلُه . قال عمر : فقلت لأبى بكر : انطلقْ بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار ، حتى ننظر ماهم عليه .

ابن عوف ومشورته على عمر بشأن بيعة أبى بكر

قال ابن إسحاق : وكان من حديث السقيفة حين اجتمعت بها الأنصار ، أن عبد الله بن أبى بكر ، حدثنى عن ابن شهاب الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن عبدالله بن عباس ، قال : أخبرنى عبد الرحمن

ابن عوف قال : وكنت فى منزله بمنى أنتظره ، وهو عنـد عمر فى آخر حجة حجها عمر ، قال : فرجع عبد الرحمن بن عوف من عند عمر ، فوجدنى فى منزله بمنى أنتظره ، وكنت أقرئه القرآن، قال ابن عباس ،فقال لى عبد الرحمن بن عوف: لو رأيت رجلا أتى أمير المؤمنين ، فقال : يا أمير المؤمنين ، هل لك فى فلان يقول : والله لو قد مات عمر بن الخطاب لقد بايعت فلاناً ، والله ما كانت بيعة أبى بكر إلا فَلْتة فتمّت . قال : فغضب عمر ، فقال : إنى إن شاء الله لقائم العشيَّة فى الناس ، فمحذّرهم هؤلاء الذين يريدون أن يَغْصبوهم أمرهم ، قال عبد الرحمن : فقلت : يا أمير المؤمنين لاتفعل ، فإن الموسم يجمع رِعاع الناس وغَوغاءهم ، وإنهم هم الذين يغلبون على قُربك ، حين تقوم فى الناس ، وإنى أخشى أن تقوم فتقول مقالة يَطِيربها أولئك عنك كلَّ مطير ، ولا يعوها ، ولا يَضعوها على مواضعها ، فأمهل حتى تقدّم المدينةَ فإنها دار السُّنة ، وتخلص بأهل الثقة وأشراف الناس فتقول ماقلت بالمدينـة متمكّناً ، فيعى أهل الفقه مقالتك ، ويضعوها على مواضعها ، قال : فقال عمر : أما والله إن شاء الله لأقومنّ بذلك أول مَقام أقومه بالمدينة .

خطبة عمر عند بيعة أبى بكر

قال ابن عباس : فقدمنا المدينة فى عقب ذى الحجة ، فلما كان يوم الجمعة عجلت الرّواح حين زالت الشمس ، فأجد سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفيل جالساً إلى رُكن المنبر فجلست حذوه تمسّ رُكبتى رُكبته ، فلم أنشَب أن خرج عمرُ ابن الخطاب ، فلما رأيته مُقبلا ، قلت لسعيد بن زيد : لَيقولنّ العشيَّة على هذا

المنبر مقالة لم يقلها منذ استخلف ؟ قال : فأنكر عليّ سعيد بن زيد ذلك ، وقال : ما عسى أن يقول مما لم يقل قبله ، فجلس عمر على المنبر ، فلما سكت المؤذنون ، قام فأثنى على الله بما هو أهل له ، ثم قال : أما بعد ، فإني قائل لكم اليوم مقالة قد قُدر لي أن أقولها ، ولا أدرى لعلها بين يدى أجلى ، فمن عقلها ووعاها فليأخذ بها حيث انتهت به راحلته ، ومن خشى أن لا يعيها فلا يحلّ لأحد أن يكذب عليّ ؛ إن الله بعث محمداً ، وأنزل عليه الكتاب ، فكان مما أنزل عليه آية الرجم ، فقرأناها وعُلّمناها ووعيناها ، ورجَم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ورَجمنا بعده ، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل : والله ما نجد الرجم في كتاب الله ، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله ، وإن الرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء ، وإذا قامت البينة ، أو كان الحبل أو الاعتراف ؛ ثم إنا قد كنا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله : ﴿ لاتَرْغَبُوا عَنْ آبائِكُمْ فإنَّهُ كُفْرٌ بِكُمْ أَنْ تَرْغَبُوا عَنْ آبائِكُمْ ﴾ ألا إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تُطرونى كما أُطرِى عيسى بن مريم ، وقولوا : عبد الله ورسوله » ؛ ثم إنه قد بلغنى أن فلاناً قال : والله لو قد مات عمر بن الخطاب لقد بايعت فلاناً ، فلا يغرّن امرأً أن يقول : إن بيعة أبى بكر كانت فَلْتة فتمّت ، وإنها قد كانت كذلك إلا أن الله قد وَقى شرّها ، وليس فيكم من تنقطع الأعناق إليه مثل أبى بكر ، فمن بايع رجلا عن غير مشورة من المسلمين ، فإنه لا بَيْعة له هو ولا الذى بايعه تَغِرّةً أن يقتلا ، إنه كان من خبرنا حين توفى الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن الأنصار خالفونا ، فاجتمعوا بأشرافهم فى سَقيفة بنى ساعدة ، وتخلّف عنّا علىّ بن أبى طالب

والزبير بن العــوّام ومن معهما ، واجتمع المهاجرون إلى أبى بكر ، فقلت لأبى بكر : انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار ، فانطلقنا نؤمهم حتى لقينا منهم رجلان صالحان ، فذكرا لنا ما تمالأ عليه القوم ، وقال : أين تريدون يامعشر المهاجرين ؟ قلنا : نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار ، قالا : فلا عليكم أن لاتقربوهم يامعشر المهاجرين ، اقضوا أمركم : قال : قلت : والله لنأتينهم فانطلقنا حتى أتيناهم فى سقيفة بنى ساعدة ، فإذا بين ظهرانيهم رجل مُزَمَّل فقلت : من هــذا ؟ فقالوا : سعد بن عُبادة ، فقلت : ماله ؟ فقالوا : وجع فلما جلسنا تشهّد خطيبهم ، فأثنى على الله بما هو له أهل ، ثم قال : أما بعـد فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام ، وأنتم يامعشر المهاجرين رهط منا ، وقـد دفّت دافّة من قومكم ، قال . وإذا هم يريدون أن يحتازونا من أصلنا ، ويغصبونا الأمر ، فلما سكت أردت أن أتــكلم ، وقـد زوّرت فى نفسى مقالة قد أعجبتنى ، أريد أن أقدمها بين يدى أبى بكر ، وكنت أدارى منه بعض الحدّ ، فقال أبو بكر : على رِسْلك ياعمر ، فــكرهت أن أغضبه ، فتــكلم ، وهو كان أعلم منى وأوقر ، فوالله ماترك من كلمة أعجبتنى من تزويرى إلا قالها فى بديهته ، أو مثلها أو أفضل ، حتى سكت ؛ قال : أما ما ذكرتم فيكم من خير ، فأنتم له أهل ، ولن تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحىّ من قريش ، هم أوسط العرب نسباً وداراً ؛ وقد رضيتُ لــكم أحد هذين الرجلين ؛ فبايعوا أيهما شئتم ، وأخذ بيدى وبيد أبى عُبيدة بن الجرّاح ، وهو جالس بيننا ، ولم أكره شيئاً مما قاله غيرها ، كان والله أن أقدّم فتُضرب عنقى ، لا يُقرّبنى ذلك إلى إثم ، أحبّ إلىّ من أن أتأمّر على قوم فيهم أبو بكر .

قال قائل من الأنصار : أنا جُذيلها المُحَكَّك وعُذَيقها المُرَجَّب ، منا أمير ومنكم أمير يامعشر قريش . قال: فكثر اللَّغط ، وارتفعت الأصوات، حتى تخوّفت الاختلاف ، فقلت : ابسط يدك يا أبا بكر ، فبسط يده ، فبايعته ، ثم بايعه المهاجرون ، ثم بايعه الأنصار ، ونزونا على سعد بن عُبادة ، فقال قائل منهم : قتلتم سعد بن عُبادة : قال : فقلت : قتل الله سعد بن عبادة .

تعريف بالرجلين اللذين لقيا أبا بكر وعمر في طريقهما إلى السقيفة

قال ابن إسحاق : قال الزهري : أخبرني عُروة بن الزبير أن أحد الرجلين اللذين لقوا من الأنصار حين ذهبوا إلى السقيفة عُويم بن ساعدة ، والآخر معن بن عديّ ، أخو بني العجلان . فأما عويم بن ساعدة ، فهو الذي بلغنا أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم مَنِ الذين قال الله عزّ وجلّ لهم : ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ ؟ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : نِعْم المرء منهم عُوَيم بن ساعدة ؛ وأما مَعْن بن عديّ ، فبلغنا أن الناس بكَوْا على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين توفاه الله عزّ وجلّ ، وقالوا : والله لَوَدِدْنا أنا متنا قبله ، إنا نخشى أن نفتتن بعده . قال معن بن عديّ : لكني والله ما أحبّ أني متّ قبله حتى أصدقه ميتاً كما صدّقته حياً ؛ فقتل معن يوم اليمامة شهيداً في خلافة أبي بكر ، يوم مُسَيلمة الكذّاب .

خطبة عمر قبل أبي بكر عند البيعة العامة

قال ابن إسحاق : وحدثني الزهريّ ، قال : حدثني أنس بن مالك ، قال :

. . . .

لما بويع أبو بكر فى السقيفة وكان الغد ، جلس أبو بكر على المنبر ، فقام عمر ، فتكلم قبل أبى بكر ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : أيها الناس ، إنى كنت قلت لكم بالأمس مقالة ما كانت مما وجدتها فى كتاب الله ، ولا كانت عهداً عهِدَ إلىّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ولكنى قد كنت أرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدبّر أمرنا ؛ يقول : يكون آخرنا ، وإن الله قد أبقى فيكم كتابه الذى به هَدى الله رسوله صلى الله عليه وسلم ، فإن اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه له ، وإن الله قد جمع أمركم على خيركم ، صاحِب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثانى اثنين إذ هما فى الغار ، فقوموا فبايعوه ، فبايع الناس أبا بكر بيعة العامة ، بعد بيعة السقيفة .

خطبة أبى بكر

فتكلّم أبو بكر ، فحَمِد الله ، وأثنى عليه بالذى هو أهله ، ثم قال : أما بعد أيها الناس ، فإنى قد وُلّيت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينونى ؛ وإن أسأت فقوّمونى ، الصدق أمانة ، والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوىّ عندى حتى أريح عليه حقه إن شاء الله ، والقوىّ فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحقّ منه إن شاء الله ، لا يدَعُ قوم الجهاد فى سبيل الله إلا ضربهم الله بالذّلّ ، ولا تشيع الفاحشة فى قوم قطُّ إلا عمّهمُ الله بالبلاء ؛ أطيعونى ما أطعت الله ورسوله ، فإذا عصيتُ الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم . قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله .

. . . .

قال ابن إسحاق : وحدثنى حسين بن عبد الله ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : والله إنى لأمشى مع عمر فى خلافته وهو عامد إلى حاجة له ، وفى يده الدِّرة وما معه غيرى ، قال : وهو يحدِّث نفسه ، ويضرب وحشىّ قدمه بدِرَّته ، قال : إذ التفت إلىّ ، فقال : يابن عباس ، هل تدرى ما كان حملنى على مقالتى التى قلتُ حين توفى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : قلت : لا أدرى يا أمير المؤمنين ، أنت أعلم ؛ قال : فإنه والله ، إن كان الذى حملنى على ذلك إلا أنى كنت أقرأ هذه الآية : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ ، فوالله إن كنت لأظنّ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سَيَبْقَى فى أُمَّته حتى يشهد عليها بآخر أعمالها ، فإنه للذى حملنى على أن قلت ماقلت .

جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم و دفنه

من تولى غسل الرسول

قال ابن إسحاق : فلما بويع أبو بكر رضى الله عنه ، أقبل الناس على جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الثلاثاء ، فحدثنى عبدالله بن أبى بكر وحُسين ابن عبد الله وغيرهما من أصحابنا : أن على بن أبى طالب ، والعباس بن عبد المطلب ، والفضل بن العباس وقُثَم بن العباس ، وأُسامة بن زيد ، وشُقْران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هم الذين ولُوا غَسْله ، وأنّ أوس بن خَوْلِىّ ، أحد بنى عوف بن الخزرج ، قال لعلى بن أبى طالب : أَنْشُدُكَ الله

ياعلى وحظنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أوس من أصحاب رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وأهل بدر ، قال : ادخل،فدخل فجلس ، وحضر غَسْل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسنده على بن أبى طالب إلى صدره ، وكان العباس والفضل وقُثم يقلبونه معه وكان أسامة بن زيد وشُقران مولاه ، هما اللذان يصبّان الماء عليه ، وعلىّ يُغَسِّله ، قد أسنده إلى صدره ، وعليه قميصُه يدلكه به من ورائه ، لا يُفضى بيده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى يقول : بأبى أنت وأمى ، ما أطيبك حيًّا وميتاً ! ولم يُر من رسول الله صلى الله عليه وسلم شىء مما يُرَى من الميت .

كيف غسل الرسول ؟

قال ابن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عَبَّاد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عبَّاد ، عن عائشة ، قالت : لما أرادوا غَسْل رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلفوا فيه . فقالوا : والله ماندرى ، أنُجَرّد رسول الله صلى الله عليه وسلم من من ثيابه كما نجرّد موتانا ، أو نغسله وعليه ثيابه ؟ قالت : فلما اختَلَفوا ألقَى الله عليهم النوم ، حتى مامنهم رجل إلا ذقنُه فى صدره ، ثم كلَّمهم مُكَلِّم من ناحية البيت لايدرون من هو : أن اغسِلوا النبى وعليه ثيابه ، قالت : فقاموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فغسَّلوه وعليه قميصُه ، يصبُّون الماء فوق القميص ، ويَدْلُكونه والقميص دون أيديهم .

تكفين الرسول

قال ابن إسحاق : فلما فَرغ من غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم

كُفِّن فى ثلاثة أثواب ثوبين صحارِيَّين وبُرْد حَبرة ، أُدْرج فيها إدراجا ، كما حدثنى جعفر بن محمد بن على بن الحسين ، عن أبيه ، عن جده على بن الحسين والزهرى ، عن على بن الحسين .

حفر القبر

قال ابن إسحاق : وحدثنى حسين بن عبد الله عن عكرِمة ، عن ابن عباس ، قال : لما أرادوا أن يحفروا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أبو عبيدة بن الجرّاح يَضْرَح كحفر أهل مكة ، وكان أبو طلحة زيد بن سهل هو الذى يحفر لأهل المدينة ، فكان يَلْحد ، فدعا العبَّاس رجلين ، فقال لأحدهما : اذهب إلى أبى عُبيدة بن الجراح ، وللآخر اذهب إلى أبى طلحة . اللهم خِرْ لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوجد صاحب أبى طلحة أبا طلحة ، فجاء به ، فلحَد لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

دفن الرسول والصلاة عليه

فلما فُرِغ من جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الثلاثاء ، وضع فى سريره فى بيته ، وقد كان المُسلمون اختلفوا فى دفنه . فقال قائلٌ : ندفنه فى مسجده . وقال قائل : بل ندفنه مع أصحابه ، فقال أبو بكر : إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما قُبض نبى إلا دُفن حيث يُقبض ، فرفع فِراش رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى تُوفى عليه ، فحُفر له تحته ، ثم دخل الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم يُصَلُّون عليه أرْسالا ، دخل الرجال ، حتى

إذا فرغوا أدخل النساء ، حتى إذا فرغ النساء أدخل الصبيان . ولم يَؤُم الناسَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد .

ثم دُفن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من وسط الليل ليلة الأربعاء .

دفن الرسول

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، عن امرأته فاطمة بنت عُمارة ، عن عَمْرة بنت عبدالرحمن بن أسعد بن زرارة ، عن عائشة رضى الله عنها: جوف الليل من ليلة الأربعاء .

من تولى دفن الرسول

وكان الذين نزلوا فى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب ، والفضل بن عبّاس ، وقثم بن عباس ، وشُقران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد قال أوس بن خَوْلِيّ لعلى بن أبى طالب : ياعلى ، أنشدك الله ، وحظّنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : انزل ، فنزل مع القوم ، وقد كان مولاه شُقران حين وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حُفرته وبنى عليه قد أخذ قطيفة ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسها ويفترشها ، دفنها فى القبر ، وقال : والله لايلبسها أحد بعدك أبداً .

قال : فدُفنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

رفع المسهم

أحدث الناس عهداً بالرسول

وقد كان المُغيرة بن شُعبة يدَّعى أنه أحدث الناس عهداً برسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أخذت خاتمى ، فألقيته فى القبر ، وقلت : إن خاتمى سقط منى ، وإنما طرحته عمداً لأمس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأكون أحدث الناس عهداً به صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : فحدثنى أبى إسحاق بن يسار ، عن مِقسم ، أبى القاسم ، مولى عبدالله بن الحارث بن نوفل ، عن مولاه عبد الله بن الحارث ، قال : اعتمرت مع على بن أبى طالب رضوان الله عليه فى زمان عمر أو زمان عثمان ، فنزل على أخته أم هانىء بنت أبى طالب ، فلما فرغ من عُمرته رجع فسُكب له غِسل ، فاغتسل ، فلما فرغ من غسله دخل عليه نفر من أهل العراق ، فقالوا : يا أبا حسن ، جئنا نسألك عن أمر نحب أن تخبرنا عنه ؟ قال : أظنّ المُغيرة ابن شُعبة يحدّثكم أنه كان أحدث الناس عهداً برسول الله صلى الله عليه وسلم . قالوا : أجل ، عن ذلك جئنا نسألك ؛ قال : كذب ، قال : أحدثِ الناس عهداً برسول الله صلى الله عليه وسلم قُثَم بن عباس .

خميصة الرسول

قال ابن إسحاق : وحدثنى صالح بن كيسان ، عن الزهرى ، عن عبيدالله ابن عبد الله بن عتبة ، أن عائشة حدثته ، قالت : كان على رسول الله صلى الله عليه وسلم خميصة سوداء حين اشتد به وجعه ، قالت : فهو يضعها مرة على

وجهه ، ومرة يكشفها عنه ، ويقول : قاتل الله قوماً اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، يَحْذَرُ من ذلك على أمته .

قال ابن إسحاق : وحدثني صالح بن كيسان ، عن الزهرى ، عن عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة ، عن عائشة ، قالت : كان آخر ماعهد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن قال : لا يُترك بجزيرة العرب دينان .

افتتان المسلمين بعد موت الرسول

قال ابن إسحاق : ولما تُوُفى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عَظُمت به مصيبة المسلمين ، فكانت عائشة ، فيما بلغنى ، تقول : لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب ، واشرأبت اليهودية والنصرانية ، ونَجَمَ النفاق ، وصار المسلمون كالغنم المَطِيرة فى الليلة الشاتية ، لفقد نبيهم صلى الله عليه وسلم ، حتى جمعهم الله على أبى بكر .

قال ابن هشام : حدثنى أبو عبيدة وغيره من أهل العلم أن أكثر أهل مكة لما تُوفى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم هموا بالرجوع عن الإسلام ، وأرادوا ذلك حتى خافهم عَتّاب بن أَسِيد ، فتوارى ، فقام سهيل بن عمرو ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم ذكر وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : إن ذلك لم يَزِد الإسلام إلا قوة ، فمن رابنا ضَرَبْنا عُنقه ، فتراجع الناس وكَفُّوا عمّا هَمُّوا به ، وظهر عتّاب بن أَسِيد .

فهذا المقام الذى أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله لعمر بن الخطّاب : إنه عسى أن يقوم مقاماً لا تذمه .

رفع
المسهم
غفر الله له ولوالديه

شعر حسان بن ثابت في مرثيته الرسول

وقال حسان بن ثابت يبكي رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فيما حدّثنا ابن هشام ، عن أبي زيد الأنصاري :

بطَيْبةَ رَسْمٌ للرّسُولِ وَمَعْهَدُ مُنيرٌ وَقد تعفُو الرّسُومُ وَتهْمَدُ
ولا تمتحي الآياتُ من دارِ حُرْمةٍ بها منْبر الهادِي الذي كانَ يَصْعَدُ
وَوَاضِحُ آثارٍ وَباقي مَعالِمٍ وربْعٌ له فيـهِ مُصَلًّى وَمَسْجدُ
بِها حُجُراتٌ كانَ ينزِلُ وَسْطَها منَ الله نُورٌ يُسْتَضاء وَيُوقَدُ
مَعارِفُ لم تُطْمَسْ على العَهْدِ آيها أتاها البِلَى فلآى منها تجَدَّدُ
عرفتُ بِها رَسْمَ الرّسُولِ وعَهدَهُ وقبراً بها وارَاهُ في التُّربِ مُلْحِدُ
ظللتُ بِها أبكى الرّسولَ فأسعدتْ عُيون وَمثلاها مِن الجفْن تُسْعدُ
يُذَكّرْنَ آلاءَ الرّسُولِ وَما أرَى لهَا مُحْصِياً نَفْسِي فنَفْسِي تبَلّدُ
مُفجّعَةً قَدْ شَفّها فَقْـدُ أحْمَد فظلّت لِآلاءِ الرّسُولِ تُعَدِّدُ
وَما بَلَغتْ مِنْ كُلّ أمرٍ عَشِيرَهُ ولـكِنْ لنَفسِي بَعْدُ ماقد توَجّدُ
أطالَتْ وُقوفاً تذْرِفُ العينَ جُهْدَها على طَلَلِ القَبرِ الّذي فيهِ أحْمدُ
فبُورِكْتَ ياقبرَ الرّسُولِ وبُورِكَتْ بِلادٌ ثوَى فِيها الرّشِيدُ المُسَدّدُ
وبُورِكَ لَحْدٌ منكَ ضُمّن طَيّباً عليه بناء من صَفيحٍ مُنضّدُ
تَهِيلُ عليْهِ التُّربَ أيْدٍ وأعْيُنٍ عليهِ وقـد غارَتْ بذلكَ أسْعدُ
لقـد غَيّبوا حلماً وَعلماً وَرَحْمَةً عشيّةَ عَلّوْهُ الثّرَى لايُوَسّدُ

وراحُوا بحُزْنٍ ليس فيهمْ نبيُّهم وقد وهَنت منهم ظُهور وأعضُد
يبكُون مَن تبْكي السَّماواتُ يوْمهُ ومَن قد بكَتهُ الأرضُ فالناس أكمَدُ
وَهلْ عدلَتْ يوْماً رزيَّةُ هالكٍ رَزيَّةَ يوْمٍ ماتَ فيــهِ مُحمَّدُ
تقَطع فيهِ منزلُ الوَحْي عنهُمُ وقـد كانَ ذا نُورٍ يغور ويُنجدُ
يدُلّ على الرَّحمنِ مَن يَقتَدِي بهِ ويُنقِذُ مِن هَوْلِ الخزَايا ويُرْشدُ
إمامٌ لهُم يهْديهمُ الحقَّ جاهِداً معلِّمُ صدْقٍ إن يُطِيعوه يَسْعَدُوا
عَفُوٌّ عن الزَّلات يَقْبل عُذْرَهم وإن يُحْسنوا فالله بالخير أجْوَدُ
وإنْ نابَ أمرٌ لم يقومُوا بحَمْلهِ فمِنْ عِنْـدِهِ تَيْسيرُ ما يتَشَدَّدُ
فبَيْناهُمُ فى نِعْمَةِ اللهِ بَيْنَهُم دَليلٌ بهِ نَهْج الطَّريقَة يُقصدُ
عزيزٌ عليهِ أن يَجُورُوا عنِ الهُدَى حريصٌ على أن يَسْتقيموا ويهْتَدوا
عَطُوفٌ عليهم لا يُثنِّى جَناحَهُ إلى كَنَف يحْنو عليهم ويَمْهَدُ
فبَيْناهُمُ فى ذلكَ النُّورِ إذْ غدَا إلى نُورهم سَهمٌ من الموْتِ مُقصِدُ
فأصْبَحَ محْموداً إلى اللهِ راجِعاً يُبكِّيهِ حَقّ المُرْسَلاتِ ويُحْمَدُ
وأمسَتْ بلادُ الحُرْمِ وَحشاً بقاعُها لغَيْبة ما كانتْ مِن الوَحْي تَعْهدُ
قِفاراً سوَى معْمورَةِ اللَّحدِ ضافَها فقيدٌ يُبَكِّينه بَلاطٌ وغَرْقدُ
وَمَسْجدهُ فالمُوحشاتُ لفَقْدِهِ خَلاءٌ لَهُ فيهِ مَقامٌ وَمَقْعَدُ
وبالجَمْرةِ الكُبرَى له ثَمَّ أوْحَشَتْ دِيارٌ وعَرَصاتٌ وَرَبْعٌ ومَوْلدُ
فبَكِّى رَسُولَ اللهِ ياعَينُ عَبرَةً ولا أعرفنْك الدَّهر دَمعُك يجْمَدُ
وَمالكِ لا تَبْكينَ ذا النِّعْمَة التى عَلَى النَّاسِ منها سابِغٌ يُتَغَمَّدُ

رفع المسا هم

فَجُودِى عليهِ بالدُّموعِ وأعوِلى ... لفَقْدِ الذى لا مثلُه الدَّهرَ يُوجَدُ
وما فَقَدَ الماضُونَ مِثلَ مُحمَّدٍ ... ولا مِثلُه حتى القِيامَة يُفقَدُ
أعفَّ وأوْفَى ذِمَّةً بعدَ ذِمَّةٍ ... وأقربَ منه نائلاً لا يُنكَّدُ
وأبذَلَ منهُ للطَّريفِ وتالِدٍ ... إذا ضَنَّ مِعطاء بما كانَ يُتلَدُ
وأكرَمَ صِيتاً فى البُيوتِ إذا انتمَى ... وأكرَمَ جدًّا أبطَحِيًّا يُسوَّدُ
وأمنعَ ذِروات وأثبتَ فى العُلا ... دعائمَ عِزٍّ شاهِقات تُشيَّدُ
وأثبتَ فَرْعاً فى الفُرُوعِ وَمَنْبِتاً ... وعُوداً غذاهُ المُزْنُ فالعُودُ أغيدُ
رَباه وَلِيداً فاستَتمَّ تمامُهُ ... على أكرَمِ الخيراتِ رَبٌّ مُمجَّدُ
تَناهَتْ وَصاةُ المُسلِمينَ بكَفِّهِ ... فلا العِلمُ محبُوسٌ ولا الرأىُ يُفنَدُ
أقولُ وَلا يُلقَى لقَوْلىَ عائبٌ ... مِنَ النَّاسِ إلا عازِبُ العقلِ مُبعَدُ
وليسَ هَواىَ نازِعاً عَنْ ثَنائِهِ ... لعلِّى به فى جَنَّةِ الخُلدِ أخلُدُ
مَعَ المُصْطَفَى أرجو بذاكَ جِوارَهُ ... وفى نَيلِ ذاكَ اليَومِ أسعى وأجهَدُ

وقال حسَّان بن ثابت أيضاً ، يبكى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم :

ما بالُ عَينِكَ لا تَنامُ كأنَّما ... كُحِلَتْ مآقيها بكُحْلِ الأرْمَدِ
جَزَعاً على المَهْدِىِّ أصبحَ ثاوِياً ... ياخيرَ من وَطِىءَ الحَصَى لا تَبْعَدِ
وَجْهِى يقيكَ التُّربَ لَهفِى لَيتَنِى ... غُيِّبْتُ قَبلَكَ فى بَقيعِ الغَرْقَدِ
بأبى وأُمى مَنْ شَهِدْتُ وَفاتَهُ ... فى يومِ الاثنَينِ النَّبِىُّ المُهتَدِى
فظَلِلتُ بَعدَ وَفاتِهِ مُتَبلِّداً ... مُتَلَدِّداً يالَيتَنِى لم أُولَدِ

أأقيمُ بَعْدكَ بالمدينةِ بينهم ... يا لَيْتني صُبِّحْت سَمَّ الأسْوَدِ
أوْ حَلَّ أمْرُ اللهِ فِينا عاجِلاً ... فى رَوْحَةٍ مِن يوْمِنا أو مِن غَدِ
فَتَقُومُ ساعَتُنا فَنَلْقَى طَيِّباً ... مَحْضاً ضَرائبُهُ كَرِيمَ المَحْتِدِ
يابِكْرَ آمنةَ المباركَ بِكْرُها ... وَلَدَتْهُ مُحْصَنَةٌ بسَعْد الأسْعُدِ
نُوراً أضاء على البَرِيَّة كلِّها ... من يُهْدِ للنُّورِ المُبارَكِ يَهْتَدِى
يارَبِّ فاجمَعْنا مَعاً وَنَبِيَّنا ... فى جَنَّةٍ تَثْنى عُيُونَ الحُسَّدِ
فى جَنَّةِ الفِرْدَوْسِ فاكْتُبها لَنا ... ياذَا الجَلالِ وَذَا العُلا والسُّودَدِ
والله أسمع ما بَقِيتُ بِهالكٍ ... إلا بَكَيْتُ على النَّبىِّ مُحَمَّدِ
ياوَيْحَ أنْصارِ النَّبِىِّ ورَهْطِهِ ... بَعْدَ المُغَيَّبِ فى سَوَاءِ المَلْحَدِ
ضاقَتْ بالأنْصارِ البِلادُ فأصْبَحوا ... سُوداً وُجُوهُهُمُ كلَوْنِ الإثْمِدِ
وَلَقَدْ وَلَدْناهُ وَفِينا قَبْرُهُ ... وفُضُولَ نِعْمَتِه بنا لم نَجْحَدِ
والله أكْرَمَنا به وَهَدَى بِهِ ... أنصارَه فى كُلّ ساعَةِ مَشْهَدِ
صَلَّى الإلهُ وَمَنْ يَحُفّ بعَرْشِهِ ... والطَّيِّبونَ على المُبارَكِ أحْمَدِ

قال ابن إسحاق: وقال حسَّان بن ثابت يبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم:

نَبِّ المَساكينَ أنَّ الخيرَ فارَقَهُمْ ... مَعَ النَّبِىِّ تَوَلَّى عنهُمُ سَحَرَا
مَن ذا الذى عنده رَحْلى وراحِلتى ... ورِزْقُ أهلى إذا لم يُؤْنِسوا المَطَرَا
أمْ مَنْ نُعاتِب لا نَخْشَى جنادِعَه ... إذا اللِّسان عَتا فى القَوْلِ أو عَثَرَا
كانَ الضِّياءَ وكانَ النُّورَ نَتْبَعُهُ ... بعد الإله وكان السَّمعَ والبَصَرا

. . . .

فَلَيْتَنا يومَ وَارَوْهُ بمُلْحِدِهِ   وغَيَّبوهُ وألقَوْا فوْقَهُ المَدَرَا
لم يترُكِ اللهُ مِنَّا بَعْـــدَهُ أحداً   ولم يَعِشْ بعدَه أنثى ولا ذكَرَا
ذلَّت رِقابُ بنى النَّجَّار كلِّهِمِ   وكان أمْراً مِنَ امْرِ اللهِ قد قُدِرَا
واقْتُسِمَ الفىءُ دون النَّاس كلِّهِمِ   وبدَّدُوه جِهاراً بينهُم هَدَرَا

وقال حسَّان بن ثابت يبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضاً :

آلَيْتُ مافى جميع النَّاسِ مُجتهِداً   مِنِّى أليةَ بَرٍّ غيرَ إفنادِ
تاللهِ ما حَمَلَتْ أنثى ولا وَضَعَتْ   مثلَ الرَّسُولِ نبى الأُمَّةِ الهَادِى
وَلا بَرَا اللهُ خَلْقاً مِنْ بَرِيَّتِهِ   أوْفى بِذِمَّةِ جارٍ أو بِمِيعاد
مِنَ الذى كانَ فِينا يُسْتَضاءُ بِهِ   مُبارَكَ الأمْرِ ذا عَدلٍ وإرْشادِ
أمْسَى نساؤكَ عطَّلْنَ البيوتَ فمَا   يَضْرِبْنَ فَوْقَ قَفا سِتْرٍ بأوْتادِ
مثلَ الرَّوَاهبِ يَلْبَسْنَ المباذلَ قد   أيقَنَّ بالبُؤْسِ بعدَ النِّعمَةِ البادى
يا أفضلَ النَّاسِ إنِّى كنتُ فى نَهَرٍ   أصبحتُ منه كمثلِ المُفْرَدِ الصَّادى

قال ابن هشام : عجز البيت الأوّل عن غير ابن إسحاق .

. . . .

ذكر أزواج النبي عليه السلام

خديجة رضي الله عنها :

قد تقدم في مواضع من هذا الكتاب نبذ كافية من التعريف بهن ، وذكر هاهنا خديجة ، وأنها كانت عند أبي هالة ، وكانت قبله عند عتيق ابن عائذ[1] ، قال ابن أبي خيثمة : ولدت لعتيق عبد مناف ، وكان اسم أبي هالة هند بن زرارة بن النباش[2] وقيل : بل أبو هالة هو زرارة ، وابنه هند ، مات هند في طاعون البصرة .

عن عائشة :

ومما نزيده هنا في ذكر عائشة ، أنها كانت تكنى أم عبد الله ، روى ابن الأعرابي في المعجم حديثاً مرفوعاً أنها أسقطت جنيناً من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فسمى : عبد الله ، فكانت تكنى به ، وهذا الحديث يدور على داود بن المحبر وهو ضعيف ، وأصح منه حديث أبي داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها : تكنى بابن أختك عبد الله بن الزبير ، ويروى

---

(١) وقيل : عابد .

(٢) وقيل اسمه : النباش بن زرارة كما جزم أبو عبيد ، وقدمه مغلطاي . وقيل مالك كما حكاه الزبير بن بكار والدارقطني . وصدر به في الفتح . . هذا وبعضهم يقول إن عتيقا تزوجها بعد أبي هالة . أما ما ذكره السهيلي فهو قوله قتادة وابن شهاب وابن إسحاق .

رفع المسهم

بابنك عبدِ الله بن الزُّبَير ، لأنها كانت قد استَوْهَبَتْه من أبوَيْه ؛ فكان في حِجْرها يدعوها ، أمًّا ، ذكره ابنُ إسحاق وغيرُه ، وأصح ما رُوِي في فضلها على النساء قولُه عليه السلام : فضلُ عائشة على النساءِ كفضل الثَّريد على الطعام ، وأراد الثريدَ باللحم ، كذا رواه مَعْمَرٌ في جامعه مُفَسِّراً عن قتادة ، وأبان يرفعه ، فقال فيه كفضل الثريد باللحم ، ووجه التفضيل من هذا الحديث أنه قال في حديث آخر : سَيِّد إدام الدُّنيا والآخرةِ اللَّحْمُ ، مع أن الثَّرِيدَ إذا أُطلِق لفظُه ، فهو ثَرِيد اللَّحم ، وأنشد سِيبَوَيْهِ :

إذا ما الخُبزُ تَأْدِمُه بِلَحْمٍ فذاكَ أَمانَةَ اللهِ الثَّرِيدُ(٣)

خديجة وعائشة ومريم :

ولولا ما تقدم من الحديث المخَصِّصِ لخديجة بالفضل عليها حيثُ قال : والله ما أبدلني الله خيراً منها ، لقلنا بتفضيلها على خديجةَ ، وعلى نساء العالمين ، وكذلك القول في مَرْيَمَ الصِّدِّيقَة ، فإنها عند كثير من العلماء نَبِيَّةٌ نَزَل عليها جبريلُ عليه السلام بالوحي ، ولا يُفَضَّل على الأنبياء غيرُهم ، ومن قال : لم تكن نَبِيَّةً ، وجعل قولَه تعالى : ﴿ اصطفاك على نساء العالمين ﴾ مخصوصاً بعالم زمانها ، فمن قوله : إن عائشة وخديجةَ أفضل منها ، وكذلك يقولون في سائر أزواج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إنهن أفضلُ نساءِ العالمين ،

(٣) ص ٤٣٤ ح ١ ، ١٤٤ ح ٢ كتاب سيبويه . ويقال : إن النحويين هم الذين وضعوا هذا البيت .

. . . .

ونزعوا فى تصحيح هذا المذهبِ بما يطول ذكره والله أعلم ، وفى مسند البزار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى فاطمة هى سَيِّدة نساء أهْلِ الجنة إلا مريم .

أم سلمة :

وذكر أم سَلَمة، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أصدقها مِجَشَّة ، وهى الرَّحى، ومنه سمى الجَشِيش. وذكر مع المِجشّة أشياء لا نعرف قيمتها ، منها جَفْنَة وفِرَاش. وفى مُسند البزار ذكر قيمتها ، قال أنس : أصدقها مَتَاعاً قيمتُه عَشَرَةُ دراهم ، قال البزار : ويروى أربعون درهما .

جويرية

وذكر جُوَيْرِيَة بنت الحارث بن أبى ضِرَارٍ ، وكانت قَبْلَه عند مُسَافِعِ ابن صَفْوانَ الخُزَاعِى(١) وقال : أسلم الحارثُ ، وأسلم ابناه ، ولم يُسَمِّهما ، وهما الحارث بن الحارث وعَمْرو بن الحارث ، ذكره البخارى .

زينب بنت جحش :

وذكر زينب بنت جَحْشٍ ، وأن أخاها أبا أَحْمَدَ هو الذى أنكحها مِنْ رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وهذا خلاف ما ثَبَتَ فى الحديث أنها كانت تفخر على صَوَاحِبِها ، وتقول: زَوَّجَكُن أهلُوكُنَّ من رسول الله صلى الله

(١) قتل كافراً يوم المريسيع كما جزم به ابن أبى خيثمة والواقدى .

. . . .

عليه وسلم وزوجنى ربُّ العالمين من فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ[1] وفى حديثٍ آخر أنه لما نزلت الآية ﴿زَوَّجْنَاكَهَا﴾ قام رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فدخل عليها بغير إذن[2] ولم يذكر ابن إسحاق فى أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم شَرَافِ بنتَ خَليفة أخت دِحْيَةَ بن خَلِيفة الكَلْبى ، وذكرها غيرُه، ولم تُقِمْ عندَه إلا يَسِيراً حتى ماتت[3] وكذلك العالية[4] بنت ظَبْيان [بن عمرو بن عوف بن عبد بن أبى بكر بن كلاب] ذكرها غيره فى أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكذلك وَسَنَى بنت الصَّلْتِ[5] تزوجها ثم خَلَّى سبيلَها ، ويقال فيها : سناَ بنت أَسْماء بنت الصَّلْتِ . ومنهن أسماء بنت النُّعْمَان بن الجَوْن الكِنْدِيَّة[6] اتفقوا على تَزْوِيج النبى صلى الله عليه وسلم إيَّاها ، واختلفوا ، فى سبب فراق النبى صلى الله عليه وسلم لها . وكذلك قيل فى : شَرَافِ بنت

---

(١) أخرجه الترمذى وصححه من حديث أنس

(٢) أخرجه مسلم وأحمد والنسائى، وقد حدث هذا بعد انقضاء عدتها .

(٣) وجزم ابن عبد البر . أنها ماتت فى الطريق قبل وصولها إليه .

(٤) ويقال : إنه طلقها وقد رواه ابن سعد عن هشام الكلبى عن رجل من بنى بكر ، وقد قيل إنه طلقها لأنه رأى بها بياضاً ، والله أعلم . والزيادة فى نسبها عن ابن حبيب فى المحبر ص ٩٣ .

(٥) وقيل: سنى بفتح السين وتخفيف النون، وسماها قتادة أسماء أما ابن حبيب فى المحبر فيقول إنها بنت الصلت بن حبيب بن حارثة بن هلال بن حرام بن سماك ابن عوف السلمى . ويقولون: إنها ماتت قبل أن تصل إليه .

(٦) وقيل أسماء بنت النعمان بن الأسود بن الحارث بن شراحيل بن كندى ابن الجون . وبعضهم يجعل أسماء هذه وأسماء بنت كعب الجونية امرأة واحدة . ولكن ابن حبيب وغيره فرق بينهما .

رفع
المسهم
غفر الله له ولوالديه

. . . .

خَليفة : إنها هلكت قبل أن يدخل بها، فالله أعلم .

وذكر خَوْلَة ، ويقال فيها خُوَيْلَة ، ذُكرت فيمن تزوجهم النبي عليه السلام ، ويقال : هي التي وَهَبَتْ نفسَها للنبي عليه السلام(١) .

وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم

ذكر خروجَه صلى الله عليه وسلم في مَرضه إلى المسجدِ ، وأن أبا بكر كان الإمامَ ، وأن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم كان يأتمُّ به، وهذا الحديثُ مُرْسَلٌ في السيرة ، والمعروف في الصِّحاح أن أبا بكر كان يُصَلِّي بصلاةِ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والناسُ يصلُّون بصَلَاةِ أبي بَكْرٍ ، ولكن قد رُوِي عن أنَسٍ من طريقٍ مُتَّصِلٍ أن أبا بكر كان الإمام يومئذ ، واختلف فيه عن عائشة رضي الله عنها ، وروى الدَّارَقُطْنِيُّ من طريق المغيرةِ بن شُعْبَة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : ما مات نبي حتى يَؤُمَّه رجلٌ من أمته(١) ، وذكر

---

(١) ويقال إنها أم شريك القرشية العامرية ، واسمها : غزية بضم الغين وفتح الزاى وتشديد الياء - بنت جابر بن عوف من بني عامر بن لوى . وقيل: غزية بنت داودان بن عوف . وقيل : هي أم شريك غزية الأنصارية من بني النجار، وفي الصفوة لابن الجوزى هي أم شريك غزية بنت جابر الدوسية . قال : والأكثرون على أنها التي وهبت نفسها له صلى الله عليه وسلم . فلم يقبلها لكبر سنها. وما ذكره السهيلي هو قول ابن قتيبة في المعارف . وقيل إن اللاتي وهبن أنفسهن: ام شريك وخولة وليلى بنت الحطيم ولم يدخل بهن وميمونة بنت الحارث وزينب بنت خزيمة أم المساكين. وانظر زاد المعاد ص١٥ إلى ص ٥٨ ح ١ عن أزواج النبي ص ، وكذلك شرح المواهب اللدنية ح ٣ من ص ٢١٦ إلى ص ٢٧١ .

(١) أخرجه ابن سعد عن محمد بن إبراهيم .

رفع المسـاهم

. . . .

أبو عُمَرَ هذا الحديث إلا أنه ساقه عن رَبِيعة بن أبى عبد الرحمن مُرْسَلاً ، وقد أسنده البزار أيضاً من طريق ابن الزُّبَيْر عن عُمَرَ عن أبى بكر ، وفى مراسيل الحسن البصرى أن رسولَ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مرض عشرة أيام صلى أبو بكر بالناس تسعة أيام منها ، ثم خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى اليوم العاشر منها يُهَادِى بين رَجُلَين أسَامَةَ والفضلِ بن عباس حتى صلى خَلْف أبى بكر ، رواه الدَّارَقُطْنِيُّ . فى هذا الحديث أنه مَرِض عشرة أيام ، وهو غريب ، وفيه أن أحد الرجلين كان أسَامَةَ ، والمعروفُ عن ابن عباسٍ أنه كان علىّ بن أبى طالب ، وفيه صلاتُه عليه السلام خلف أبى بكر.

حديث العباس :

فصل : وذكر حديث العباس ، وأنه قال: لأُلُدَّنَّه ، فَلَدُّوه ، وحسبوا أن به ذات الجَنْبِ(١) ، فى هذا الحديث أن العباسَ حضره وَلَدَّه مع من لَدَّ . وفى الصحيحين أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال : لا يَبْقَيَنَّ أحدٌ بالبيت إلا لُدَّ(٢) إلا عَمِّى العبَّاس، فإنه لم يَشْهَدْكُمْ ، وهذه أصحُّ من رواية ابن اسحاق

(١) ذر الجنب الذى يشتكى جنبه إلا أن ذو للمذكر ، وذات للمؤنث ، وصارت ذات الجنب علما لها ، وإن كانت فى الأصل صفة مضافة . واللدود من الأدوية ما يسقاها المريض فى أحد شقى الفم، ولديدا الفم : جانباه . ولدوه : فعلوا به ذلك .

(٢) يقول ابن الأثير : إنه فعل ذلك عقوبة لهم لأنهم لدوه بغير إذنه .

رفع المسهم

. . . .

وإنما لَدُّوه لأنه عليه السلامُ قد قال فى القُسْطِ[1] : فيه سَبْعَةُ أَشْفِيَةٍ يُلَدُّ به من ذات الجَنْب ، ويُسْعَطُ به من العُذْرَةِ ، ولم يذكر الخَمْسَةَ . قال ابنُ شِهَابٍ : فنحن نستعمله فى أَدْوِيَتِنا كلِّها لعلّنا نصيبُها ، واللَّدُود فى جانِبِ الفم مِنْ داخلِهِ يُجعل هناك الدَّواء ويُحَكُّ بالإصْبَعِ قليلا .

وقوله : فى ذات الجَنْبِ : ذاك داء ما كان الله ليقذِفَنى به ، وقال فى هذا الحديث من رواية الطبرى له : أنا أكرم على الله من أن يقذفنى بها ، وفى رواية أخرى : وهى من الشيطان ، وما كان الله ليُسلِّطَها علىّ . وهذا يدل على أنها من سَيِّءِ الأسقام التى تعوّذ النبىُّ عليه السلام منها فى دعائه حيثُ يقول : اللهم إنى أعوذ بك من الجُنُون والجُذَامِ وسَيِّءِ الأسقَامِ ، وإن كان صاحبُها من الشهداء السَّبْعَة ، ولكنه عليه السلام قد تعوذ من الغَرَقِ والحَرَقِ ، مع قوله عليه السلام : الغريق شَهِيد ، والحَرِيق شهيد . وقد ذكر أن أسماءَ بنت عُمَيْسٍ هى التى لَدَّته فالله أعلم . والوجَع الذى كان بالنبى عليه السلام فلَدُّ هو الوجع الذى يُسَمَّى خَاصِرَةً ، وقد جاء ذكره فى كتاب النُّذور من المُوَطَّأ ، قال فيه : فأصابتنى خاصِرَةٌ ، قالت عائشة : وكثيراً ما كان يصيبُ رسول الله صلى الله عليه وسلم الخاصرةُ . قالت ولا نَهْتدى لاسم الخاصِرَة ، ونقول : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عِرْقٌ فى الكُلْيَة . وفى مُسْنَد الحارث بن أبى أسامة يرفعه إلى النبى عليه السلام ، قال : الخاصِرَةُ عِرْقٌ فى الكُلْيَة إذا

(١) القسط : عقار معروف فى الأدوية طيب الريح ، يبخر به النساء والأطفال .

رفع المسـاهم

. . . .

تحرك وَجَع صاحبه دوابُّه العسلُ بالماء المُحْرَقِ ، وهو حديث يرويه عبدُ الرحيم بن عَمْرو عن الزُّهْرى عن عُرْوَة ، وعبد الرحيم ضعيفٌ مذكور عند المحدثين فى الضعفاء ، ولكن قد روت عنه جماعةٌ منهم .

وقول أبى بكر رضى الله عنه : هذا يوم بنتِ خارِجَةَ يارسولَ الله . بنتُ خارِجَةَ اسمها : حَبِيبَةُ ، وقيل ملكية ، وخارجةُ هو ابن زَيْد بن أبى زُهَيْر ، وابن خارجة هو زَيْد بن خارِجَةَ الذى تكلم بعد الموت فيما رَوَى ثقاتُ أهلِ الحديثِ لايختلفون فى ذلك ، وذلك أنه مات فى زمن عُثْمان ، فلما سُجِّى عليه سمعوا جَلْجَلَةً فى صَدْرِه ، ثم تكلم ، فقال : أَحْمَدُ أَحْمَدُ فى الكتابِ الأول صدق صدق ، وأبو بكر الصِّدِّيق الضعيفُ فى نفسه القَوِىّ فى أمر الله فى الكتابِ الأوّل ، صدق صدق ، عُمَر بن الخطاب ، القوىُّ الأمين فى الكتاب الأول صدق صدق ، عُثمان بن عَفَّان على مِنْهاجهم مضت أربعٌ وبقيت سنَتانِ ، أتت الفِتَنُ ، وأكل الشديدُ الضعيفَ ، وقامت الساعةُ وسيأتيكم خبرُ بئر أَرِيس ، ومابئر أريس (1) . قال سعيد بن المُسَيَّب : ثم هلك رجل من بنى خَطْمَةَ فسُجِّى بثوبٍ ، فسمعوا جَلْجَلَةً فى صَدره ثم تكلم ، فقال : إن أخا بنى الحارث بن الخَزْرَج صدق صدق ، وكانت وفاته فى خلافة عثمان رضى الله عنه وقد عرض مثل هذه القصة لربيع بن حِراشٍ أخى رِبْعِىّ بن حِراشٍ ، قال : رِبْعِىٌّ : مات أخى فسَجَّيْناه ، وجلسنا عنده ، فبينما نحن كذلك إذ كشف الثوبَ عن وجهه ، ثم قال : السلام عليكم ، قلت : سبحان الله !! أَبَعْدَ الموت ؟

---

(1) بئر قريبة من مسجد قباء .

. . . .

قال : إنى لقيت ربى فتلقانى بِرَوْحٍ ورَيْحَانٍ ، وربٍّ غَيْرِ غضبان ، وكسانى ثياباً خُضْراً من سُنْدُسٍ وإسْتَبْرَقٍ ؛ أسرعوا بى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فإنه قد أقسم أن لا يبرح حتى آتيه وأدركه ، وإن الأمر أهون ما تذهبون إليه فلا تَغْتَرُّوا ، ثُمَّ والله كأنما كانت نفسُه حَصاةً فأُلقِيَتْ فى طَسْتٍ(١) .

آخر كلمة تكلم بها عليه السلام :

فصل : وذكر أن آخر كلمة تكلم بها عليه السلامُ : اللهم الرفيق الأعلى ، وهذا مُنْتَزَعٌ من قوله تبارك وتعالى ﴿ فأولئك مع الذين أنعَمَ اللهُ عليهم من النَّبِيِّينَ والصِّدِّيقين ﴾ إلى قوله سبحانه : ﴿ وحَسُنَ أولئك رَفِيقاً ﴾ فهذا هو الرفيق الأعلى ، ولم يقل الرُّفقاء ، لما قدمناه فى هذا الكتاب مما حَسَّن ذلك ، مع أن أهل الجنة يدخلونها على قلبِ رجل واحد ، فهذه آخر كلمة تكلم بها عليه السلام ، وهى تتضمن معنى التوحيد الذى يجب أن يكون آخر كلام المؤمن ، لأنه قال : ﴿ مع الذين أنعم الله عليهم ﴾ وهم أصحابُ الصراطِ المستقيم ، وهم أهلُ لا إله إلا الله ، قال الله تعالى ﴿ اهْدِنا الصِّراط المستقيم صِراطَ الذين أنعمت عليهم ﴾ ثم بَيَّن فى الآية المتقدمة مَنْ الذين أنعم الله عليهم فذكرهم ، وهم الرفيقُ الأعلى الذين ذكرهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين خُيِّرَ فاختار ، وبعض الرُّواة يقولُ عن عائشة فى هذا الحديث : فأشار

---

(١) لا نتصور فى هذه القصة إلا أحد أمرين ، فإما أن يكون وراءها هوى لئيم الذكاء ، وإما أن تكون إغماءة عميقة ، أفاق بعدها زيد ، فقال ما رأى فى غيبوبته . وإلا فإن هدى القرآن والسنة فى جانب ، وهذا [illegible] جانب آخر .

رفع المسهم

. . . .

بأصبعه ، وقال : في الرفيق ، وفي رواية أخرى أنه قال : اللهمّ الرفيق[1] ، وأشار بالسبابة ، يريد : التوحيد ، فقد دخل بهذه الإشارة في عموم قوله عليه السلام : من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة ، ولاشك أنه عليه السلام في أعلى درجات الجنة ، ولولم يشر ، ولكن ذكرنا هذا لئلا يقول القائل : لم لم يكن آخر كلامه : لا إله إلا الله ، وأول كلمة تكلم بها رسول الله وهو مسترضع عند حليمة أن قال : الله أكبر ، رأيت ذلك في بعض كتب الواقدى .

وأما آخر ما أوصى به عليه السلام بأن قال : الصلاة وما ملكت أيمانكم حرّك بها لسانه وما يكاد يبين ، وفي قوله : ملكت أيمانكم قولان : قيل : أراد الرّفق بالمملوك ، وقيل : أراد الزكاة ، لأنها في القرآن مقرونة بالصلاة ، وهي من ملك اليمين ، قاله الخطابي .

وقول عائشة رضى الله عنها : فمن سفهى وحداثة سنّى أنه قبض في حجرى فوضعت رأسه على الوسادة ، وقمت ألتدم مع النساء . الالتدام : ضرب الخدّ باليد ، ولم يدخل هذا في التحريم ، لأن التحريم إنما وقع على الصراخ والنوح ، ولعنت الخارقة والحالقة والصالقة وهي الرافعة لصوتها ،

---

(١) في رواية البخاري قالت عائشة : كانت آخر كلمة تكلم بها : اللهم في الرفيق الأعلى . وفي أخرى أنها سمعته يقول قبل أن يموت : اللهم اغفر لي وارحمني ، وألحقني بالرفيق الأعلى .

رفع
المسهم
غفر الله له ولوالديه

. . . .

ولم يذكر اللَّدْم[1] لكنه ، وإن لم يذكره ، فإنه مكروه فى حال المصيبة ، وتركه أحد إلا على أحْمَدَ صلى الله عليه وسلم :

فالصَّبْرُ يُحْمَدُ فى المصائِبِ كُلِّها ... إلَّا عليك فإنه مَذْمُومُ

وقد كان يُدْعَى لابسُ الصَّبْرِ حازِماً ... فأصبح يُدْعَى حازماً حين يَجْزَعُ[2]

متى توفى رسول الله؟ :

واتفقوا أنه تُوُفِّيَ — صلى الله عليه وسلم — يوم الاثْنَيْنِ إلا شيئاً ذكره ابن قُتَيْبَةَ فى المعارف : الأرْبِعاء[3] ، قالوا كلهم : وفى ربيع الأول ، غير أنهم

---

(١) ما نظن أن سيدة فى مثل دين عائشة رضى الله عنها وتقواها وأخذها الكتاب بقوة يلدم المصاب عقلها ، فيدفعها إلى اقتراف فعل الجاهلية . هذا وقد روى ابن مسعود أن رسول الله «ص» قال : « ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ، ودعا بدعوى الجاهلية » البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه وهل اللدم إلا اللطم ؟ قد تبكى ، وتطيل البكاء . أما أن تلطم ، ومع النساء ؟ وفى بيت قدسته روح النبوة ؟ أما هذا ، فلا يجوز تصوره ولا قوله .

(٢) ذاك شعر ليس بينه وبين هدى السنة رحم . فالصبر محمود فى كل مصيبة . ترى أكان صبر أبى بكر على وفاة خليله «ص» كان غير حميد ؟ والجازع لا يمكن أن يسمى حامداً ، إنما هو زخرف من القول . وأجل من هذا قول القائل :

اصبر لكل مصيبة وتجلد ... واعلم بأن المرء غير مخلد

واصبر كما صبر الكرام فإنها ... نوب تنوب اليوم تكشف فى غد

وإذا أتتك مصيبة تشجى بها ... فاذكر مصابك بالنبى محمد

(٣) قال ابن تيمية أولا: «قبض الله عز وجل رسوله «ص» يوم الاثنين وقرر أن ذلك كان فى الثانى عشر من شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة . ثم قال : «ويقال

. . . .

قالوا ، أو قال أكثرُهم فى الثانى عَشَرَ من ربيع ، ولا يصح أن يكون توفى صلى الله عليه وسلم إلا فى الثانى من الشهر أو الثَّالثَ عَشَرَ أو الرَّابعَ عَشَرَ أو الخامِسَ عَشَرَ لإجماع المسلمين على أن وَقْفَةَ عَرَفَةَ فى حجة الوداع كانت يوم الجمعة ، وهو التاسع من ذى الحِجَّةِ ، فدخل ذو الحجة يوم الخميس ، فكان المحرَّم إما الجمعة وإما السبت ، فإن كان الجمعة ، فقد كان صَفَرُ إمَّا السبتُ وإما الأحَدُ ، فإن كان السبتُ ، فقد كان ربيعٌ الأحَدَ أو الاثنين ، وكيفما دارت الحالُ على هذا الحسابِ ، فلم يكن الثانى عشر من ربيع يوم الاثنين بوجهٍ ، ولا الأربعاء أيضاً[1] كما قال القُتَبِيُّ ، وذكر الطبرى عن ابن الكلبى وأبى مِخْنَفٍ أنه توفى فى الثانى من ربيع الأول[2] ، وهذا القولُ وإن كان خلافَ أهل الجمهور فإنه لا يبعد أن كانت الثلاثةُ الأشهر التى قبله كلها من تسعة وعشرين ، فتدبره ، فإنه صحيح ، ولم أر أحداً تفطَّن له ، وقد رأيت للخُوَارَزْمِى أنه توفى عليه السلام فى أول يومٍ من ربيع الأول ، وهذا أقرب فى القياس بما ذكر الطبرى عن ابن الكلبى وأبى مِخْنَفٍ .

= إنه ولد يوم الاثنين، وبعث يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين ، وقبض ص يوم الاثنين ، ودفن ليلة الأربعاء فى حجرة عائشة ، وفيها قبض » ص ٥٥ المعارف .

(١) يذكر فى المعارف أنه دفن يوم الأربعاء ،أما الوفاة فذكر أنها كانت يوم الاثنين فليس ثمت خلاف . ويصحح الحاكم أنه دفن يوم الاثنين عند الزوال . أما ابن عبد البر فيقول : أكثر الآثار على أنه دفن يوم الثلاثاء .

(٢) وقد صححه ابن حزم وغيره .

رفع المسابهم عزالله أعلم

السواك :

فصل : وذكر عن عائشة رضى الله عنها أنها ناولته السِّوَاكَ حين رأته ينظر إليه ، فاسْتَاكَ به[1] ، وفيه من الفقه : التَّنَظُّفُ والتَّطَهُّر للموتِ ، ولذلك يُستحب الاسْتِحْدَادُ لمن اسْتَشْعَرَ القَتْل أو الموتَ كما فعل خُبَيْبٌ ، لأن الميتَ قادمٌ على ربه ، كما أن للمصلى مُنَاجٍ لربِّه ، فالنظافة من شأنهما ، وفى الحديث : إن الله نظيفٌ يُحِبُّ النظافَةَ ، خَرَّجه التِّرْمِذِيُّ ، وإن كان مَعْلُولَ السَّنَدِ ، فإن معناه صحيح ، وليس النظيفُ من أسماء الربِّ ، ولكنه حَسَنٌ فى هذا الحديث ، لازْدِوَاج الكَلَام ، ولقرْب معنى النَّظافة من معنى القُدْس ، ومن أسمائه سبحانه : القُدُّوسُ ، وكان السِّواكُ المذكورُ فى هذا الحديثِ من عَسِيبِ نَخْلٍ فيما روى بعضهم ، والعربُ تَسْتَاكُ بالعَسِيبِ[2] ، وكان أَحَبَّ السِّواك إلى رسولِ الله — صلى الله عليه وسلم — صُرُعُ الأَرَاكِ ، واحدُها صَرِيعٌ وهو قضيب يَنْطَوِى من الأَرَاكَةِ حتى يبلغ الترابَ ، فيبقى فى ظِلِّها فهو أَلْيَنُ من فَرْعِها .

ومما رُوِى من قول عائشةَ — رضى الله عنها — فى معنى قولها : بين سَحْرِى ونَحْرِى ، أنها قالت : قبض رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بين حاقِنَتِى

---

(١) كان سواك عبد الرحمن بن أبى بكر كما ورد فى البخارى . وكان السواك من جريدة رطبة . تقول عائشة : « إن من نعم الله تعالى على أن الله جمع بين ريقى وريقه عند موته . دخل على عبد الرحمن ، وبيده سواك وأنا مسندة رسول الله » الخ الحديث .

(٢) سبق الكلام عن السواك كما ورد فى البخارى .

. . . .

ودَاقِنَتِي ، فالحاقِنَةُ الثُّغرةُ[1] ، والدَّاقِنةُ : تحت الدَّقْنِ ، ويقال لها : الثُّنونةَ أيضاً . وروى أيضاً : بين شَجرِي ـ بالشين والجيم ـ ونَحْرِى ، وسئل عُمارَةُ بن عقيل عن معناه ، فشبّك بين أصابع يديه ، وضمها إلى نحره .

وغُسِّل عليه السلام حين قهض من بِئْرٍ لسعد بن خَيْثَمَةَ يقال لها بئر الغَرْسِ .

كرامات ومعجزات :

فصل : وذكر أنهم كلَّمُوا حين أرادوا نزع قميصِه للغَسْل ، وكلهم سمع الصوتَ ، ولم يرَ الشخصَ ، وذلك من كراماته صلى الله عليه وسلم[2] ، ومن آياتِ نُبُوَّته بعد الموت ، فقد كان له عليه السلام كراماتٌ ومُعجزَاتٌ[3] في حياته ، وقبل مولده وبعد موته . ومنها ما رواه أبو عُمَرَ رحمه الله في التمهيد من طُرقٍ صِحَاحٍ : أن أهل بيته سَمِعوا وهو مُسَجًّى بينهم قائلا يقول : السلام عليكم ورحمةُ الله وبركاتُه ياأهل البيت إن في الله عِوَضاً من كل تالف ، وخَلَفاً من كل هالك ، وعَزَاءً من كل مُصيبة ، فاصبروا واحْتَسِبوا ، إن الله مع الصابرين ، وهو حَسْبُنا ، ونعم الوكيلَ . قال : فكانوا يَرَوْنَ أنه الخَضِرُ صلى الله على نبينا وعليه[4] . ومن ذلك أيضاً أن الفضلَ بن عباس كان يُغسِّله

---

(١) أو هي كما عرفها ابن الأثير : الوهدة المنخفضة بين الترقوتين من الحلق .

(٢) الرواية تقول . إن الله ألقى عليهم النوم حتى ما منهم رجل إلا ذقنه فى صدره . فهى إذاً رؤيا وقد رواه أبو داود والحاكم والبيهقى .

(٣) قلت من قبل : لنسم ما من به الله على رسله تأييداً لهم : آيات .

(٤) وصاحب موسى هذا قد مات من قبل بمئات السنين .

. . . .

هو وعَليٌّ ، فجعل الفضلُ وهو يَصُبُّ الماءَ يقول : أرخني أرخني ، فإني أجد شيئاً يتنزّل على ظهري . ومنها أنه عليه السلام لم يظهر منه شيء مما يظهر من الموتى ، ولا تغيرت له رائحةٌ ،وقد طال مُكْثُه في البيت قبل أن يُدفنَ ، وكان موتُه في شهرِ أيلولَ ، فكان طيّباً حيّاً وميّتاً ، وإن كان عمُّه العباس قد قال لعلي : إن ابن أخي مات لاشكَّ ، وهو من بني آدم يأسِنُ كما يأسِنُون[1] ، فوارُوه . وكان مما زاد العباسُ يقيناً بموته عليه السلام أنه كان قد رأى قبل ذلكِ بيسيرٍ كأنَّ القمرَ رُفِع من الأرض إلى السماء بأشطانٍ ، فقصَّها على نبيِّ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : هو ابنُ أخيك . وروى يونُس بن بُكير في السِّيرة أن أم سَلَمَة قالت : وضعتُ يدي على صَدْرِ رسولِ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو ميّتٌ فمرّت عليّ جُمَعٌ لا آكل ولا أتوضّأ إلا وجدت ريحَ المِسْكِ من يَدي ، وفي روايته أيضاً : أن عليّاً نودي ، وهو يُغسِّله أن ارْفعْ طرْفَك إلى السماء . وفيها أيضاً أن عليّاً والفضل حين انتهيا في الغسلِ إلى أسفله سمِعوا منادياً يقول : لاتكشِفوا عورَةَ نبيِّكم عليه السلام .

موازنة بين عمر وبين أبي بكر :

وأما جزَعُ عمر رضي الله عنه وقولُه : والله ما مات رسولُ الله صلى الله عليه

---

(١) لا ريب في أن العباس صدر في كلمته هذه عن يقين الإيمان ببشرية محمد صلى الله عليه وسلم ، وأنه خاتم النبيين ، وأن عظمته تتجلى فيما صدر عنه في حياته لا فيما ينسب إلى هذا الجسد المسجى وليس فيما روى هنا حديث عند أصحاب الصحيح .

رفع المسهم

وسلم ، وليرجعن كما رجع موسى عليه السلام ، حتى كلمه أبو بكر رحمه الله وذكَّره بالآية ، فعقر حتى سقط إلى الأرض ، وما كان من ثبات جأش أبي بكر وقوته في ذلك المقام(١) ، ففيه ما كان عليه الصدِّيقُ رضى الله عنه من شدة التألُّه ، وتعلُّق القلب بالإله ، ولذلك قال لهم : مَنْ كان يَعْبُد محمداً ، فإن محمداً قد مات ، ومَنْ كان يعبد الله ، فإن الله حيٌّ لا يموت . ومن قوة تألُّهِه — رضى الله عنه — حين أجمع أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم على ردِّ جَيْش أسامَةَ حين رأوا الردَّة قد استعرَتْ نارُها ، وخافوا على نساء المدينة وذرَاريها ، فقال : والله لو لعبت الكلابُ بخلاخِلِ نِساءِ المَدِينة ، ما ردَدْتُ جَيْشاً أنفذه رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — وكلَّمه عمرُ وأبو عُبَيْدَةَ ، وسالمٌ مولى أبي حُذَيْفَةَ ، وكان أشدَّ شيء عليه أن يُخالِفَ رأيَه رأى سالم ، فكلموه أن يدعَ للعربَ زَكاةَ ذلك العام تألُّفاً لهم حتى يتمكن له الأمرُ ، فقد كان رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — يتألَّفهم ، وكلمه عمر أنْ يُوَلِّي مكان أسامَةَ مَنْ هو أسَنُّ مِنه ، وأجلدُ ، فأخذ بلحْيَةِ عُمَرَ ، وقال له : يا ابن الخطاب أتأمرني أن أكونَ أولَ حالٍّ عَقْداً عَقَدَه رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — والله لأن أخِرَّ من السماء إلى الأرض ، فتتخطفني الطيرُ أحبَّ إليَّ من أن

---

(١) ما أجمل ما عبرت به عائشة عن موقفيهما حين قالت — كما ورد في البخاري — « فما كانت من خطبتهما من خطبة إلا نفع الله بها ، لقد خوف عمر الناس ، وإن فيهم لنفاقا ، فردهم الله بذلك . ثم لقد بصر أبو بكر الناس الهدى ، وعرفهم الحق الذي عليهم »

. . . .

أمثالكم على هذا الرأى ، وقال لهم : والله لو أفردت من جميعكم لقاتلتهم وحدى حتى تنفرد سالفتى ، ولو منعونى عقالا ، لجاهدتهم عليه ، أو فى شك أنتم ، إن وعد الله لحق ، وإن قوله لصدق ، وليظهرن الله هذا الدين ، ولو كره المشركون . ثم خرج وحده إلى ذى القصة[1] حتى اتبعوه ، وسمع الصوت بين يديه فى كل قبيلة ألا إن الخليفة قد توجه إليكم الهرب الهرب ، حتى اتصل الصوت من يومه ببلاد حمير ، وكذلك فى أكثر أحواله رضى الله عنه ، كان يلوح الفرق فى التألّه بينه وبين عمر رضى الله عنهما ، ألا ترى إلى قوله حين قال النبى صلى الله عليه وسلم : سمعتك وأنت تخفض من صوتك يعنى فى صلاة الليل ، فقال : قد أسمعت من ناجيت ، وقال : للفاروق : سمعتك وأنت ترفع من صوتك ، فقال : كى أطرد الشيطان ، وأوقظ الوسنان . قال عبد الكريم ابن هوازن القشيرى[2] ، وذكر هذا الحديث : انظروا إلى فضل الصديق على الفاروق ، هذا فى مقام المجاهدة ، وهذا فى بساط المشاهدة ، وكذلك ما كان منه يوم بدر ، وقد ذكرنا مقالته للنبى عليه السلام ذلك اليوم ، وهو معه فى العريش ، وكذلك فى أمر الصدقة حين رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيها ، فجاء عمر بنصف ماله ، وجاء الصديق بجميع ماله ، فقال له النبى عليه السلام : ما أبقيت لأهلك ؟ قال : الله ورسوله ، وكذلك فعله فى قسم الفىء حين سوّى بين المسلمين ، وقال : هم إخوة ، أبوهم الإسلام ، فهم فى هذا

---

(١) مكان على بريد من المدينة . وهناك غيره . فانظر المشترك وضعاً لياقوت .

(٢) هو صاحب الرسالة القشيرية التى دس فيها من التصوف نزغات صارفة من الحق .

الفَيْءِ أُسْوَةً ، وأُجُورُ أهل السَّوابِقِ على الله . وفضل عُمَرَ فى قَسْمِ الفَيْءِ بعضهم على بعضٍ على حسب سَوابقهم ، ثم قال فى آخر عُمْرِه : لَئِن بقيتُ إلى قابلٍ لأُسَوِّيَنَّ بين الناس ، وأراد الرجوع إلى رأى أبى بكرٍ ، ذكره أبو عُبَيْد رضى الله عنه ، وعن جميع أصحاب رسولِ الله — صلى الله عليه وسلم — .

ما حدث للصحابة عقب وفاته صلى الله عليه وسلم :

ومن ذلك ما روى عن عائشة رضى الله عنها وغيرها من الصحابة أن النبىَّ صلى الله عليه وسلم لما قُبِضَ ، وارتفعت الرَّنَّةُ وسُجِّىَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم الملائكةَ ، دُهِشَ الناسُ ، وطاشت عقولُهم وأُفْحِمُوا ، واختلطوا ، فمنهم من خُبِلَ ، ومنهم من أُصْمِتَ ، ومنهم من أُقْعِد إلى أرض ، فكان عُمَرُ ممن خُبِلَ وجعل يَصيح ، ويحلف : ما مات رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — . وكان ممَّن أُخْرِس عثمانُ بن عفَّان حتى جعل يُذْهَبُ به ويُجاء ، ولا يستطيع كلاما ، وكان ممن أُقْعِد : عَلِيٌّ ، رضى الله عنه ، فلم يستطع حَرَاكاً . وأما عبدُ الله بن أُنَيْسٍ ، فأُضْنِيَ حتى مات كَمَداً ، وبلغ الخبرُ أبا بَكْرٍ رضى الله عنه ، وهو بالسُّنْح(١) ، فجاء وعيناه تَهْمُلان ، وزَفَراتُهُ تَتَرَدَّد فى صَدْرِه ، وغُصَصُه ترتفع كقطعِ الجِرَّةِ ، وهو فى ذلك رِضْوانُ الله عليه ، جَلْدُ العَقْلِ والمَقالة ، حتى دَخل على رسولِ الله — صلى الله عليه وسلم — فأكَبَّ عليه ، وكشف وجهه ومَسَحه وقَبَّل جبينَه ، وجعل يَبْكِى ، ويقول : بأبى

(١) ضبطها البكرى بضم النون وغيره بسكونها .

. . . .

أنت وأمى طِبْتَ حَيًّا ومَيِّتًا ، وانقطع لموتِك مالم يَنقَطِع لموتِ أحدٍ من الأنبياء من النُّبُوَّةِ ، فعَظُمْتَ عن الصِّفة ، وجَلَلْتَ عن البُكاء ، وخصصت حتى صِرْتَ مَسْلاةً ، وعممت حتى صِرنا فيك سَوَاء ، ولو أن مَوْتَك كان اختياراً لَجُدْنا لموتِك بالنفوسِ ، ولولا أنك نَهَيْتَ عن البُكاء لأنفَدْنا عليك ماءَ الشُّئون ، فأما مالا نستطيع نَفْيَه فَكَمَدٌ وإدْنافٌ يتحالفان لا يَبْرَحان ، اللهم أبلغه عنا ، اذكُرْنا يامُحَمَّد عند ربِّك ، ولنَكُنْ مِنْ بالك[1] ، فلولا ما خَلَّفتَ من السَّكينة ، لم نَقُمْ لما خَلَّفْتَ من الوَحْشَةِ ، اللهم أبلغ نبيَّك عنَّا ، واحفظه فينا ، ثم خرج لما قضى الناسُ غَمَرَاتِهم ، وقام خطيباً فيهم بخُطْبَةٍ جُلُّها الصَّلاةُ على النبي محمد — صلى الله عليه وسلم — وقال فيها : اشهد أن لا إله إلاَّ الله وَحْدَه لاشريك له ، وأشهد أن محمداً عبدُه ورسوله وخاتم أنبيائه ، وأشهد أن الكتابَ كما نزل ، وأن الدين كما شرع ، وأن الحديثَ كما حَدَّث ، وأن القول كما قال ، وأن الله هو الحقُّ المبين ، فى كلامٍ طويل ، ثم قال : أيها الناسُ مَنْ كانَ يَعْبُدُ محمداً ، فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حَيٌّ لم يَمُتْ ، وأن الله قد تقدم لكم فى أمرِه ، فلا تدَعُوه جزعاً ، وأن الله تبارك وتعالى قد اختار لنبيه عليه السلامُ ماعنده على ماعندكم ، وقبضه إلى ثوابه ، وخلَّف فيكم كتابَه وسُنَّة نبيه ، فمن أخذ بهما عرَف ، ومن فرق بينهما أنكَر : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قَوَّامين بالقِسْطِ ﴾ ولا يَشْغَلَنَّكُمُ الشيطانُ بموت نبيِّكم ولا يَلْفِتَنَّكم عن دينِكم ، وعاجِلُوا

---

(١) لا يقول هذه أبو بكر .

. . . .

الشيطانَ بالخزى تُعجزوه ، ولا تستنظِرُوه فيلحق بكم . فلما فرغ من خُطْبَتِه ، قال : يا عُمَرُ أأنتَ الذى بلغنى عنك أنك تقول على بابِ نبيِّ الله ، والذى نفسُ عُمَرَ بيده : ما مات نبيُّ الله ، أما علِمْتَ أن رسولَ الله — صلى الله عليه وسلم — قال يوم كذا : كَذَا ، وكَذا ، وقال الله عزَّ وجلَّ فى كتابه : ﴿ إنك ميِّتٌ وإنهم ميِّتُون ﴾ فقال عمر : والله لكأنِّى لم أسمع بها فى كتاب الله تعالى قبل الآن لِما نَزَلَ بنا ، أشهد أنَّ الكتابَ كما نزل ، وأن الحديث كما حدّث ، وأن الله تبارَكَ وتعالى حىٌّ لا يموت ﴿ إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون ﴾ صلواتُ الله على رسوله ، وعند الله نحتَسِب رسوله . وقال عمر فيما كان منه :

لَعَمْرِى لقد أيقنتُ أنك ميِّتٌ ولكنما أبدى الذى قلتهُ الجَزَعْ [1]
وقلت يغيب الوَحْىُ عنا لفقدِه كما غاب موسى ، ثم يرجع كما رَجَعْ
وكان هَوَاىَ أن تطولَ حياتُه وليس لحىٍّ فى بقا ميِّتٍ طَمَعْ
فلما كشفنا البُرْدَ عن حُرِّ وَجْهه إذا الأمرُ بالجزع الموهب قد وَقَعْ
فلم تكُ لى عند المُصيبة حِيلةٌ أرُدُّ بها أهلَ الشماتة والقَذَعْ
سوى آذَنَ الله فى كتابه وما آذن الله العِبادَ به يَقَعْ
وقد قلت مِنْ بعد المقالة قولةً لها فى حُلوق الشامِتين به بَشَعْ
ألا إنما كان النبىُّ محمدٌ إلى أجَلٍ وافى به الوقت فانقطَعْ
ندين على العلاّت منا بدينِه ونُعطى الذى أعطى ، ونَمنَع ما مَنَعْ

---

(١) جزم بدون سبب . وليس فى الشعر رائحة من عمر .

. . . .

ووليت محزونا بعين سخينة أكفكف دمعى والفؤاد قد انصدع
وقلت لعيني : كل دمع ذخرته فجودى به إن الشجى له دفع

وفى هذا الخبر أنّ عمر قال : فعقرت إلى الأرض ، يعنى حين قال له أبو بكر ماقال ، يقال : عقر الرجلُ إذا سقط إلى الأرض من قامته ، وحكاه يعقوبُ عفر بالفاء كأنه من العفر وهو التراب ، وصوّب ابن كيسان الروايتين ، وقالت عائشةُ ـ رضى الله عنها توفى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : فلو نزل بالجبال الصمّ مانزل بأبى لهاضها ، ارتدت العربُ واشرأبّ النفاقُ ، فما اختلفوا فى نُقطة إلا طار أبى بحظها وغنائها ، ويُروى فى بُقطة بالباء ، قاله الهروىُّ فى الغريبين ، وفسره بالبقعة[1] ، ونحوها ، واستشهد بالحديث فى النهى عن بقط الأرض ، وهو أن يُقطع شجرُها فتتخذ بُقعا للزرع ، وبقطها ضربٌ من المخابرة قد فسره .

كيف صلى على جنازته عليه السلام؟

ذكر ابن إسحاق وغيرُه أن المسلمين صلّوا عليه أفذاذا ، لا يؤمهم أحدٌ ، كلما جاءت طائفةٌ صلّت عليه ، وهذا خصوصٌ به صلى الله عليه وسلم ، ولا يكون هذا الفعلُ إلّا عن توقيف[2] ، وكذلك رُوى أنه أوصى بذلك ،

---

(١) فى اللسان : البقطة : البقعة من بقاع الأرض أو الفرقة من الناس .

(٢) حديث ابن إسحاق رواه البيهقى وابن ماجة . ويقول الحافظ فى الفتح، إسناده ضعيف لأنه من حديث حسين بن عبد الله بن ضميرة .. وعن أبى عسيب=

رفع المسابهم

. . . .

ذكره الطَّبَرِىُّ مُسْنَداً ، ووجه الفقه فيه أن الله تبارك وتعالى افترض الصلاةَ عليه بقوله : ﴿صَلُّوا عليه وسَلِّموا تَسْلِيما﴾ وحكمُ هذه الصلاة التى تضمنتها الآيةُ ألّا تكونَ بإمام ، والصلاةُ عليه عند موته داخلةٌ فى لفظِ الآيةِ ، وهى مُتَنَاوِلَةٌ لها ، وللصلاة عليه على كل حال ، وأيضاً فإن الرب تبارك وتعالى ، قد أخبر أنه يُصَلِّى عليه وملائكتُه، فإذا كان الربُّ تعالى هو المصلِّى والملائكة قَبْلَ المؤمنين ، وجب أن تكون صلاةُ المؤمنين تَبَعاً لصلاةِ الملائكةِ ، وأن تكون الملائكةُ هم الإمامَ ، والحديث الذى ذكرتُه عن الطَّبَرِى فيه طولٌ ، وقد رَوَاه البَزَّار أيضاً من طريقِ مُرَّة عن ابن مَسْعُود ، وفيه أنه حين جمعَ أهلَه فى بيتِ عائشةَ -رضى الله عنها- أنهم قالوا : فمن يُصَلِّى عليك يارسول الله؟

= عند أحمد أنه شهد الصلاة على رسول الله «ص» فقال : كيف نصلى عليك؟ قال. ادخلوا أرسالا . وعن جابر وابن عباس أيضاً عند الطبرانى ، وفى إسناده عبد المنعم ابن إدريس وهو كذاب ، وقد قال البزار : إنه موضوع . وعن ابن مسعود عند الحاكم بسنـد واه. وعن نبيط بن شريط عند البيهقى وذكره مالك بلاغا وفى الحديث أن الصلاة كانت عليه فرادى ، الرجال ، ثم النساء ، ثم الصبيان . قال ابن عبد البر : وصلاة الناس عليه أفراداً مجمع عليه عند أهل السير ، وجماعة أهل النقل لا يختلفون فيه ، وتعقبه ابن دحية بأن ابن القصار حكى الخلاف فيه ، هل صلوا عليه الصلاة المعهودة أو دعوا فقط ، وهل صلوا فرادى أو جماعة .. قال ابن دحية : والصحيح أن المسلمين صلوا عليه أفراداً لا يؤمهم أحد . وبه جزم الشافعى ، قال : وذلك لعظم رسول الله «ص» بأبى هو وامى ، وتنافسهم فى ألا يتولى الإمامة عليه فى الصلاة واحد . قال ابن دحية : كان المصلون عليه ثلاثون الفاً . أنظر نيل الأوطار ص ٤١ جـ ٤ ط ١٣٥٧ هـ والخصائص للسيوطى ص ٢٩٤ ط دار الكتب الحديثة بتحقيق الأستاذ محمد خليل هراس .

رفع المسهم

. . . .

قال : فَهَلَّا غفر اللهُ لكم وجزاكم عن نَبِيِّكم خيراً ، فبكينا وبكى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : إذا غَسَّلْتُمونى ، وكَفَّنْتُمونى ، فَضَعُونى على سَرِيرى فى بيتى هذا على شَفِير قَبْرِى ، ثم اخْرُجُوا عنى ساعَةً ، فإن أول من يصلِّى علىَّ جَلِيسى وخَلِيلى جبريلُ ، ثم مِيكائيلُ ، ثم إسرافيلُ ، ثم مَلَكُ الموت مع جنودِه ، ثم الملائكةُ بأجمعها ، ثم ادخلوا علىَّ فَوْجاً بعد فَوْج ، فصلُّوا علىَّ وسَلِّموا ، تَسْلِيما ، ولا تُؤْذُونى بتَزْكِيَةٍ ، ولاضَجَّةٍ ، ولارَنَّةٍ ،وليبدأ بالصلاة علىَّ رجالُ بيتى ثم نساؤهم ، وأنتم بعد اقرؤا أنفسكم السَّلام منى ، ومن غاب من أصحابى فاقرءوه منى السَّلام ، ومن تابعكم بعدى على دينى ، فاقرءوه منى السلام ، فإنى أُشهِدكم أنى قد سَلَّمت على من تابعنى على دينى من اليوم إلى يوم القيامة ، قلت : فمن يُدْخِلك قبرك يارسولَ الله ؟ قال : أهلى مع ملائكة كثير يرونكم من حيث لاتَرَوْنَهم (١) .

موته عليه السلام كان خطبا كالحا :

فَصلٌ : وكان موتُه عليه السلام خَطْباً كالِحاً ، ورُزءاً لأهل الإسلام فادحاً ، كادت تهَدُّ له الجبال ، وتَرْجُفُ الأرضُ ، وتَكْسِفُ النَّيِّرات ، لانقطاع خبر السماء ، وفَقْد مَنْ لاعِوَضَ منه ، مع ما آذن به موتُه ـ عليه السلام ـ من الفِتَنِ السُّحم ، والحوادثِ الدُّهم ، والكُرَبِ المُدْلَهِمَّة ، والهَزاهِزِ

(١) لا أدرى كيف يعتمد على مثل هذا الحديث الذى لم يخرجه أحد من أصحاب الصحيح والذى طعن فيه نقدة الحديث ؟

. . . .

المُضْلِمة ، فلولا ما أنزل اللهُ تبارك وتعالى من السَّكينة على المؤمنين ، وأَسْرَجَ فى قلوبهم من نور اليقين ، وشرح له صُدورَهم من فَهْم كتابه المبين لانقصَمَتْ الظهورُ، وضاقت عن الكُرَبِ الصدورُ، ولعاقهم الجزعُ عن تَدْبير الأمور ، فقد كان الشيطان أطْلَع إليهم رأسَه ، ومد إلى إغوائهم مطامعَه ، فأوقد نارَ الشَّنَآن ، ونصب رايةَ الخِلَافِ ، ولكن أبى الله تبارك وتعالى إلا أنْ يُتِمَّ نورَه ، ويعلى كلمتَه ، ويُنْجِزَ موعودَه ، فأطفأ نار الرِّدَّةِ ، وحَسَم قَادَةَ الخِلَافِ والفِتْنَةَ على يد الصِّدِّيق رضى الله عنه ، ولذلك قال أبو هُرَيْرَةَ: لولا أبو بكر لهلكت أمةُ محمد عليه السلام بعد نبيِّها ، ولقد كان مَنْ قدم المدينةَ يومَئِذٍ من الناس إذا أشرفوا عليها سمعوا لأهلها ضَجِيجاً ، وللبكاء فى جميع أرجائها عَجِيجاً ، حتى صَحِلَتْ الحُلُوق ، ونُزِفَتْ الدموعُ ، وحق لهم ذلك ، ولن بعدهم ، كما روى عن أبى ذُؤَيْب الهُذَلِىّ ، واسمه : خُوَيْلِد بن خالد ، وقيل ابن مُحَرِّث[1] قال : بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عليلٌ فاسْتَشْعَرْتُ حُزْناً وبتُّ بأطْوَلِ ليلة لا يَنْجابُ دَيْجُورُها ، ولا يطلع نورُها ، فظللت أقاسى طولها ، حتى إذا كان قُرْب السَّحَر أغْفَيْتُ ، فهتف بى هاتف ، وهو يقول :

خَطْبٌ أجَلُّ أناخ بالإسْلَام ... بين النَّخِيل ومَعْقِد الآطام

قُبِض النبىُّ محمدٌ فعيونُنَا ... تُذْرِى الدُّمُوعَ عليه بالتَّسْجَامِ

---

(١) هو شاعر جاهلى إسلامى مات أيام عثمان ، وعامة شعره فى إسلامه ، وحضر سقيفة بنى ساعدة .

. . . .

قال أبو ذؤيب : فوثبت من نومى فزِعاً ، فنظرت إلى السماء ، فلم أر إلا سَعْدَ الذابح ، فتفاءلت به ذبحاً يقع فى العرب ، وعلمت أن النبىَّ — صلى الله عليه وسلم — قد قُبِض ، وهو ميت من علّته ، فركبت ناقتى وسرت ، فلما أصبحتُ طلبت شيئاً أزجرُ به ، فعنّ لى شَيْهَمٌ ، يعنى : القُنْفُذ قد قبض على صِلٍّ ، يعنى : الحيّة ، فهى تلتوى عليه ، والشَّيْهَمُ يقضَمُها حتى أكلها ، فزجرتُ ذلك ، وقلت : شَيْهَمٌ شىءٌ مُهِمٌّ ، والتواء الصِّلِّ التواء الناس عن الحق على القائم بعد النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم أكْلُ الشَّيْهَم إياها غلبةُ القائم بعده على الأمر . فحثثتُ ناقتى ، حتى إذا كنتُ بالغَابَة زجرتُ الطائرَ فأخبرنى بوفاته ، ونعب غرابٌ سانحٌ فنطق مثل ذلك ، فتعوّذتُ بالله من شرِّ ما عنّ لى فى طريقى ، وقدمت المدينةَ ولها ضجيجٌ بالبكاء كضجيج الحجيج ، إذا أهلّوا بالإحرام ، فقلت : مَهْ ؟ فقالوا : قُبض رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فجئت المسجد فوجدته خالياً ، فأتيتُ رسولَ الله ، صلى الله عليه وسلم ، فأصبتُ بابه مُرْتجاً ، وقيل هو مُسجًّى قد خلا به أهله ، فقلت : أين الناسُ ؟ فقيل : فى سقيفة بنى ساعدة ، صاروا إلى الأنصار ، فجئت إلى السقيفة فأصبت أبا بكر وعُمَرَ وأبا عُبَيْدَةَ بن الجرّاح وسالماً وجماعةً من قريش ، ورأيت الأنصار فيهم سَعْد بن عُبادَة ، وفيهم شعراؤهم حسانُ بن ثابت وكَعْب بن مالك ومَلأٌ منهم ، فأويت إلى قُرَيْش ، وتكلمت الأنصارُ ، فأطالوا الخطابَ وأكثروا الصّوابَ وتكلم أبو بكر رضى الله عنه ، فلله درّه مِن رَجُلٍ لا يُطيل الكلام ويعلم مواضع فصلِ الخِطَاب ، والله لقد تكلم بكلام لا يسمعه سامعٌ إلاّ انقادَ له ومال إليه ، ثم تكلم عُمَرُ ، رضى الله عنه ، بعده دون كلامه ، ومَدّ يده ،

. . . .

فبايعه وبايعوه ، ورجع أبو بكر ، ورجعت معه . قال أبو ذؤيب : فشهدت الصَّلاةَ على مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم ، وشهدت دفنه ، ثم أنشد أبو ذُؤَيْبٍ يبكى النبىّ صلى الله عليه وسلم :

لما رأيتُ الناسَ فى عَسَلاَنِهم ... من بين مَلْحُودٍ له ومُضَرَّحِ
مُتَبادِرِين لِشَرْجَعٍ بأَكُفِّهِمْ ... نَصَّ الرِّقابِ لفقد أبيَضَ أرْوَحِ
فهناكَ صرت إلى الهموم ، ومَنْ يَبِتْ ... جارَ الهُمُوم يبيت غير مُرَوَّحِ
كُسِفَتْ لمصرعه النجومُ وبَدْرُها ... وتَزَعزَعَتْ آطامُ بَطْنِ الأَبْطَحِ
وتَزَعزَعَتْ أجبالُ يَثْرِبَ كلُّها ... ونخيلُها لحلول خَطْبٍ مُفْدِحِ
ولقد زَجَرْتُ الطيرَ قبل وفاته ... بمُصابه ، وزَجَرْتُ سعدَ الأَذْبَحِ

وقال أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب يبكى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم :

أرِقْتُ فبات لَيْلِى لا يَزُولُ ... وليلُ أخى المصيبةِ فيه طولُ
وأسْعَدَنى البكاءُ وذاكَ فيما ... أُصِيبَ المسلمون به قليلُ
لقد عَظُمت مصيبَتُنا وجَلَّت ... عَشِيَّةَ قيل : قد قُبِضَ الرسولُ
وأضحت أرضُنا مما عَرَاها ... تكاد بنا جوانبُها تَميلُ
فَقَدْنا الوَحْىَ والتنزيلَ فينا ... يَرُوح به ويَغْدو جبْرَئيلُ
وذاكَ أحَقُّ ما سالت عليه ... نفوسُ الناس أو كَرَبت تَسِيلُ
نَبِىٌّ كان يجلُو الشَّكَّ عنا ... بما يُوحَى إليه وما يَقُولُ

. . . .

وَيَهدينا فــلا نَخْشَى ضلالا عليـنا والرَسُولُ لنا دَليلُ
أفاطِمُ إنْ جَزِعْت فذاك عذر وإنْ لم تَجْزَعِى ، ذاكَ السَّبيل
فقبر أبيك سَيِّدُ كُلِّ قَبْرٍ وفيه سَيِّدُ الناسِ الرَّسُولُ

ولما توفى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ودفن ورجع المهاجرون والأنصار لى رحالهم ورجعت فاطمة إلى بيتها اجتمع إليها نساؤها ، فقالت :

اغبَرَّ آفاقُ السماء وكُوِّرَتْ شمسُ النهار وأظلم العَصْرَانِ
فالأرض من بعد النبيِّ كئيبةٌ أسَفاً عليه كثيرة الرَّجَفان
فليَبْكِهِ شرقُ البلاد وغربُها ولتَبْكِهِ مُضَرٌ وكُلُّ يمانِ
وليَبْكِهِ الطَّوْدُ المعظمُ جَوُّه والبيت ذو الأستار والأركان
ياخاتمَ الرُّسْل المبارَكَ ضَوْؤه صَلَّى عليك مُنَزِّلُ القرآن
[نفسى فداؤك ما لرأسك مائلا ماوسَّدُوك وسادة الوسنَان]

الاختلاف في كفنه:

فصل : وأما الاختلاف فى كفنه عليه السلام كم ثوباً كان ، وفى الذين أدخلوه قبرَه ونزلوا فيه ، فكثير ، وأصحُّ مارُوِى فى كفنِه أنه كُفِّن فى ثلاثةِ أثوابٍ بيضٍ سَحُولِيَّة(١) ، وكانت تلك الأثوابُ من كُرْسُفٍ(٢) ، وكذلك قميصُه عليه السلام كان من قُطْنٍ ، ووقع فى السيرة من غير رواية البكّائى أنها كانت إزاراً ورِداء ، ولُفَافَةً ،وهو موجودفى كتب الحديث وفى الشُّروحات، وكانت اللَّبِنُ التى نُضِّدَت عليه فى قبره تِسْعَ لَبِنَاتٍ .

وذكر ابن إسحاق فيمن ألحَدَه شُقْرانُ مولاه ، واسمه : صالح ، وشهد بدراً ، وهو عبد قبل أن يُعْتَق ، فلم يُسْهِم له ، انقرض عقبُه فلا عَقِبَ له .

وذكر ابن إسحاق مَرَاثِى حسَّان فى النبى صلى الله عليه وسلم ، وليس فيها ما يُشْكل فنشرحُه ، وقد رثاه كثيرٌ من الشعراء وغيرهم ، وأكثرهم

---

(١) بضم السين والحاء ، وبفتح السين أشهر نسبة إلى سحول قرية باليمن . قال ابن الأعرابى : وهى ثياب بيض نقية لاتكون إلا من القطن. وقال ابن قتيبة ثياب بيض ، ولم يخصها بالقطن ، وفى رواية البخارى . سحول بدون نسبة. وهو جمع سحل ، والسحل : الثوب الأبيض النقى ، وقيل هى بالضم نسبة إلى القرية ، وبالفتح نسبة إلى القصار لأنه يسحل الثياب ، أى ينقيها . وكونه كفن فى ثلاثة أثواب بيض سحولية جدد يمانية ليس فيها قميص ولاعمامة أدرج فيها إدراجاً هو من رواية الجماعة .

(٢) القطن .

. . . .

أفحمهم المصابُ عن القول ، وأعجزتهم الصِّفَةُ عن التَّأبِين ، ولن يبلغ بالإطناب في مَدْح ولا رثاء في كُنه محاسنه عليه السلام ولا قَدْر مصيبة فقدِه على أهل الإسلام ، فصلى الله عليه وعلى آله صلاةً تتّصل مَدَى الليالى والأيام ، وأحلّه أعلى مراتب الرحمة والرضوان والإكرام ، وجزاه عنا أفضلَ ما جزَى به نَبِيًّا عن أمته ، ولا خالف بنا عن مِلّتِهِ ، إنه وَلِيُّ الطَّوْلِ والتّفضّل والإنعام ، وهو حسبنا ونعم الوكيلُ ، والحمد لله رب العالمين .

« تم الكتاب بحمد الله رب العالمين »

وكان الفراغ من تحقيقه فى الساعة الثامنة والدقيقة الخامسة والأربعين صباح يوم الاثنين ٢٧ من شعبان سنة ١٣٨٨ هـ - ١٨ من نوفمبر سنة ١٩٦٨ م بمدينة الزهراء بوادى حوف

رفع
المسـاهم
غفر الله له ولوالديه

خاتمة

الحمد لله رب العالمين

بهذا الحمد الذى يجيش به القلب ، وتفيض الحياة ، ويتجاوب الوجود ، أختم عملى فى هذا الكتاب الذى يتناول سيرة أقدس وأنبل حياة بشرية ، كانت للناس نوراً وحياة ورحمة ، حياة خاتم النبيين محمد « صلوات الله وسلامه عليه » الذى بعثه الله لأمته ، يتلو عليهم آياته ، ويزكيهم ، ويعلمهم الكتاب والحكمة فتحقق ما وعد به الله ، فكانوا خير أمة أخرجت للناس ، إيماناً ، وخلقاً ، وسلوكاً فى الحياة ، وتحكيما لهدى القرآن فى شئون الحياة .

وشهد الله لقد بذلتُ من الجهد ما أملك ، وحاولت أن أقوم بما هو مفروض علىّ نحو هذا الكتاب « الروض الأنف » الذى سيطر على المعارف الإسلامية قروناً متطاولات .

فهو فوق كونه شرحاً وتحقيقاً لسيرة ابن هشام ، يضم بين دفتيه كل أثر الثقافة الشاملة ، التى كان الإمام السهيلى عليها فى عصره ، والتى بسببها كان مصدراً لأمثال هؤلاء الأعلام « الإمام ابن القيم ، والإمام الحافظ ابن حجر العسقلانى ، وابن منظور » فى لسان العرب .

الكتاب سيرة ، وتاريخ ، وفقه ، وعقيدة ، ونحو ، وأدب . والسهيلى إمام كبير فى كل ذلك .

رفع المساهم

وقد حاولتُ جهدى تحقيق كل مسائله بالرجوع إلى نفس مصادره التى عنها أخذ ، أو بالرجوع إلى الكتب التى عنه أخذت ونقدت ، حتى استوى الكتاب على هذه الصورة المشرقة المشرقة التى صوّبت ما كان من أخطاء كثيرة فى طبعته الأولى .

ولقد كان فى طبعته الأولى جزءين فى مجلد ، وهاهو فى سبعة أجزاء كبار ، تجمع بين سيرة ابن هشام ، وبين « الروض الأنف » وبين تحقيق الروض .

ومثل هذه الكتب الجادة التى تمثل تراثنا الفكرى الإسلامى أصدق تمثيل ، لا يُقبل عليها الناشرون كثيراً . ولكن صاحب « دار الكتب الحديثة » أقدم على هذا ، مصابراً الزمن الذى قضيته فى تحقيق الكتاب ومقداره ثلاث سنوات ، استغرقتُ فيها اليوم كله إلا قليلا . ولقد كنتُ حين أقبل على الكتاب أضرع إلى الله أن يلهمنى الصواب فيما أكتب ، وأضرع إليه الآن سبحانه أن يكون قد استجاب دعائى .

وفى السهيلى مَسٌّ من أشعرية ، كان يبتعد به أحياناً عن السلفية ، فلم تمنعنا إمامته الكبرى عن نقده ، وبيان الصواب فى المسألة .

ولقد قمتُ بتصحيح تجارب طبع ثلاثة أجزاء من الكتاب ، ثم انتُدِبْتُ لتدريس مادة العقيدة الإسلامية فى قسم الدراسات الإسلامية العليا بكلية الشريعة ، فى مكة المكرمة ، حرسها الله ، وكلأها برعايته وحفظه ، فوكلت الدار إلى الأخ « محمود غانم غيث » تصحيح تجارب الطبع فى بقية الأجزاء ، والله يجزيه على ما قدم أحسن وأطيب الجزاء .

وأخيراً وبعد حمد الله وشكره أشكر الشاب الكريم « أحمد حمدى شعبان »

صاحب دار النصر للطباعة ، والإخوة العاملين فى الدار ، على هذا الجهد الكريم السخى ، الذى بذلوه فى طبع الكتاب .

وجزى الله صاحب «دار الكتب الحديثة» على ماينشر من كتب الخير والحق والموسوعات الإسلامية الجادة .

وصلّ الله وسلم وبارك على خاتم النبيين محمد .

والحمد لله رب العالمين ؟

مكة المكرمة ٣٠ من ربيع الأول سنة ١٣٩٠
٥ يونيه سنة ١٩٧٠

عبد الرحمن عبد الوهاب الوكيل
أستاذ العقيدة الإسلامية
فى قسم الدراسات العليا
بكلية الشريعة

رفع
المسلم

المسـاهم فهرست
غفر الله له ولوالديه

فهـــرس

الجزء السابع من الروض الأنف

(١) س رمز عن السيرة . و « ن . ل » رمز عن النحو واللغة . و ش رمز عن الشرح . أما الروض فبدون رمز .

رفع
المسـاهم
غفر الله له ولوالديه

رفع
المسهم
عز الله له

رفع
المسلم
عبد الله الغليس

رفع
المسهم

رفع
المسيهم
عز الله لطوالعه

رفع المستهم

رفع المسهم

رفع المسهم

رقم الإيداع ٤٧٠٠ / ١٩٧٠

رفع المستهم

من دار الكتب الحديثة

إلى روح الأستاذ المحقق رحمه الله

كان الأستاذ رحمه الله قد أرسل لنا آخر أصول هذا الكتاب بعد أن حققها وكتب تعليقاته عليها، وكانت المكتبة تنتظر بفارغ الصبر عودته من مكة المكرمة ليطلع على نتاج فكره وذوقه، إذ أن الكتاب كان قد أوشك أن ينتهي العمل فيه، بل لقد كانت تجارب آخر الكتاب قد روجعت ولم يبق إلا طبعها، وفي هذا الحال ورد على المكتبة ذلك النبأ الفاجع، الذي ينعي إلينا رجلا كنا ندخره - وكان العلم والمسلمون يدخرونه - لجلائل الأعمال، فعزّ المصاب به، وجلّ الخَطْبُ فيه، وفدحت الفجيعة به، وليس في طَوْقنا إلا أن نضرع إلى الله تعالى أن يجزيه خير الجزاء، وأن يُسْبِل على جَدَثه شآبيب الرحمة، ويُلْبِسه حُلَل الرضوان، إنه سبحانه أكرم مسئول، آمين ؟

رفع
المسٓاهم
غفر الله له ولوالديه